هدية العدد : براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨١ ○ محرم ١٤٠٠ هـ ○ نوفمبر ١٩٧٩ م



## اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

مسجد الرسول بالمدينة المنورة

# الوعي الإسلامي


AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨١ ○ محرم ١٤٠٠ هـ ○ نوفمبر ١٩٧٩ م


هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات


وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# القافلة تسير

في شهر الله المحرم ، وفي مطلع هذا العام ، الذي يختتم به القرن الرابع عشر من تاريخ التحرك بالدعوة الاسلامية ، والانتقال بها من مكة ، بأسلوبها المحدد ، وميدانها الضيق ، إلى المدينة المنورة ، بالأساليب المنوعة ، وفي الميادين الرحبة ، حيث انطلقت قوافلها بالرسائل إلى الملوك ، وكبار القوم ، وبالوفود التي بعثت إلى أرجاء الجزيرة ، معلمة هادية ، والتي وفدت إلى مركز الدعوة معلنة الولاء لها ، والالتزام بها ، وبالجيوش الحاملة لنور الاسلام تنشره في آفاق الدنيا ، وهى آمنة في تحركها ، ليقبس منه الحيارى في ظلمات الجهل ، والناشرة للرحمة التي تهفو إليها نفوس المستعبدين الأذلاء ، تحقيقا لقوله سبحانه ( كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ) وقوله عز من قائل : ( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ) وقوله سبحانه : ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) .

في هذا الشهر من هذا العام ، يصافحكم العدد الجديد من مجلتكم المحبوبة ، التي دأبت طوال خمسة عشر عاما على نشر المزيد من الوعي الاسلامي الصحيح ، والثقافة الرشيدة الرائدة . تسهم به إسهاما متواضعا مع الحشد العظيم الذي تعده الدول الاسلامية لاستقبال القرن الخامس عشر ، وهي في مهمتها الاعلامية والتثقيفية ، تناشد المسلمين جميعا أن تكون جهودهم في هذا المجال من منطلق العبرة بالماضي ، والافادة منه للحاضر ، والتخطيط به للمستقبل .

والدعوة الاسلامية قد عبرت أربعة عشر قرنا وهى بين مد وجزر ، والمسلمون معها بين قوة وضعف ، ولكل أسبابه وعلله ، وآثاره ونتائجه ، والخلاصة المركزة ، هى أنه كلما كان المسلمون مع الدين علما وعملا ، نشطت الدعوة ، ونعم أهلها بالأمن والاستقرار ،

والعزة والسلطان ، وكلما وهنت صلتهم به ، جهلا بمبادئه ، وتهاونا في تطبيقه ، أصاب الدعوة ضعف قعدت معه عن التحرك المنطلق ، وتكاثرت على المسلمين عوامل الفتنة والقلق ، وأصبحت صلتهم بالدين شكلا وعنوانا ، وواجهة واعلانا ، والنفوس من روحه خاوية ، والعقول من علمه خالية ، والسلوك من أخلاقه في منأى بعيد ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ( فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى ) .

ونحن إذا تحركنا في موكبنا الحاشد لاستقبال القرن الخامس عشر ، فلا نتحرك من فراغ ، فلنا قواعد ثابتة ، ولنا ماض مشرق ، وحين نتوجه ، لا نهيم بغير قصد ، ولا نتطلع إلى غير هدف ، فما كانت قواعد الدين لتستنفد أغراضها ، فالاسلام دين عام خالد ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما كان ماضينا لينتهى ويقف ، بل هو مرحلة في سلسلة مراحل ، وخطوة تتبعها خطوات ، وما كانت وجهتنا الا نشر كلمة الحق والخير والسلام .

ليكن احتفالنا باستقبال القرن الجديد متحركا في خطين متوازيين :
الخط الأول ، معرفة بهذا الدين ، معرفة أصيلة ، من منابعه الصافية ، وتعريف به في كل مجال على الصعيدين : المحلي والعالمي ، وإيمان صادق بايجابيته في تطوير العالم ، والسمو به إلى أعلى المثل ، معرفة يتلقاها كل من يوجه إليه خطاب الله بالتكليف ، ويقوم بها كل مسئول في أي قطاع يكون ، وتعريف يجند له كل قادر يحسن التبليغ ، يستوى في ذلك الحاكم والمحكوم ، وإيمان ينبع من الموازنة بين الماضي المشرق ، والحاضر الذي نحن بصدد إصلاحه .

والخط الثاني ، تطبيق للدين ، والتزام به ، عقيدة وسلوكا ، عبادة ومعاملة ، أخلاقا ونظاما ، فالالتزام بالمبادئ ، دليل الايمان ، وأقوى وسائل الاصلاح ، في محيط الفرد والجماعة .

وكل ما تتنفس عنه إجراءات الاحتفال بمقدم القرن الجديد ، فروع لابد أن تعود الى هذا الأصل الثابت ، ومظاهر يجب أن تنضوى تحت هذا اللواء .

والاسلام يحب للعمل أن يكون متقنا خالصا ، وللعاملين أن يكونوا على مستوى المسئولية والأمانة ، والشجرة الطيبة الثابت أصلها ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، والله سبحانه وتعالى يقول : ( وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين )

**رئيس التحرير**

أحمد البيومي

# في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

للأستاذ : محمد العفيفي

**ترتيب الرسول لآيات القرآن وسوره وتنظيم معرفتنا الانسانية :**
**١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية .**
**٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية .**
**٣ ـ حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي في أجزاء الكون .**

## ١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية :

جعل الله السنة هي التي ترتب آيات القرآن وسوره ، حيث أمر الله رسوله بالقيام بهذه المهمة الكبرى .

وترتيب السنة لآيات القرآن ، له نتائجه العملية ، التي تربط عقولنا وقلوبنا ربطا وثيقا بالقرآن والسنة . فاذا تم هذا الفهم لمن كان أهلا له ، من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ، ويجعلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بابا مفتوحا دائما بينهم وبين كتاب ربهم ، كان ذلك هو السبيل الى التفسير الصحيح لكل حقائق الكون والحياة .

إن ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، تؤدي إلى تنظيم التفكير الانساني ، مع كل صلة بين أحد من الناس ، وبين أي قليل أو كثير من القرآن .

ولننظر مثلا في هذه الجملة القرآنية وهي قوله تعالى : ( **أفلا يتدبرون القرآن** ) وقد جاءت ـ بسورة النساء في قوله تعالى : ( **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ) ( ٨٢ ) النساء .

ثم جاءت ـ بسورة محمد في قوله تعالى :

( **أفلا يتدبرون القرآن أم على**

قلوب أقفالها ) ( ٢٤ ) محمد .

إن هذا الترتيب في سور المصحف ، يجعلنا نتذكر مع اتصال القراءة أن هذه الجملة السابقة وكذلك كل قول قرآني آخر مهما قل أو كثر ، مما يجعل تفكيرنا منظما ومرتبا على نحو موافق تماما للواقع العملي في الكون والحياة .

فآية سورة النساء تبين لنا مصدر القرآن وهو الله تعالى ، والله متفرد بصفات الألوهية وليس كمثله شيء لذلك فان القرآن لا ينبغي أن تجد فيه أي اختلاف .

يأتي هذا في ترتيب السور — اولا — ثم يأتي — أخيرا — في سورة محمد باب آخر في قضية تدبرنا للقرآن ، يبين لنا أن الذين لا يتدبرون القرآن إنما هم منغلقون على أنفسهم ، فلا يتم لهم أي صلة بالحق واليقين .

وهكذا تبدأ القضية السابقة وتنتهي في ترتيب موافق تماما للواقع العملي ، حيث نزل القرآن وحيا من الله تعالى ، فكان ذكره أولى بالتقديم ، ثم وجب على الناس أن يتدبروا القرآن ، فكان ذكرهم أولى بالتأخير .

ولولا وجود الجملة السابقة بموضعيها كما تم ترتيبهما في هاتين السورتين ، ما ظهرت لنا أهمية هذا الترتيب كما تتجلى في الآيتين السابقتين من سورة النساء ثم سورة محمد .

وهكذا تفتح السنة أمام العقل البشري ، أبواب كل العلوم ، في ترابط وانسجام ، وأخلاق فاضلة ، ومشاهد جميلة ، في وحدة وتنوع ، لا مجال معها لأي تناقض بين العقيدة الصحيحة ، والقول الصادق ، والعمل الصالح .

ذلك أن الذي يجعلنا نشعر بالوحدة والتنوع ، والجمال والكمال في كل ما يحيط بنا من آيات الله القرآنية وآياته الكونية ، إنما هو هذا الترتيب الالهي ، لأجزاء كتابه القرآني ، وكتابه الكوني ، مع استقلال كل منهما بحقيقته ، لأن الخلق غير الكلام ، وإن كان مصدرهما الواحد هو الله تعالى وحده لا شريك له .

والقرآن في جملته وتفصيله ، مرتب هذا الترتيب ، الذي تظهر لنا آفاق عظمته ، مهما تتجدد حاجاتنا إلى النظر في الارتباط بين أي جزء من أجزائه ، وبين القرآن كله في جملته الواحدة ..

وهنا يتجلى لنا أن القرآن لا يحاط بكل ما فيه من الاعجاز .

فنحن لا نستطيع أن نحصي الروابط بين قليل القرآن وكثيره ، وإنما سبيلنا إلى ذلك ، أن نعمل بما علمنا منه ، وأن نؤمن بما لم نحط به من علومه ، فنرده إلى عالم كما أرشدتنا السنة المطهرة إلى ذلك .

وننظر فنجد البشر لا يستطيعون أن يحصروا حاجاتهم إلى ما تتعدد مواضعه من حروفهم في كلماتهم ، ثم من كلماتهم بين الكلام كله في أي كتاب من كتبهم ، أو في أي حوار من حوارهم ، الذي يديرونه فيما بينهم .

أما كلام الله فهو يحمل معه إعجازه العظيم ، في تقدير الله لمواضع كل حرف أو كلمة أو جملة ، بحيث

نقرأ القرآن قراءة متصلة فنتذكر الآيات المتشابهة ، ويلفت أنظارنا ما تحتوي عليه من المقاصد المتنوعة المتجلاة ، لنستخلص من كل منها ما خصه الله به من وجوه العلم ، ونكتشف الترتيب المعجزة في هذه المقاصد ، التي تتفق دائما ، مع ما يخضع لها من آيات الله الكونية .

وكذلك نجد النظام نفسه إذا ربطنا بين معرفتنا الانسانية وبين أجزاء الآيات القرآنية من حرف أو كلمة أو جملة ، حيث لا يتوقف البحث العلمي عند القراءة المتواصلة ، وإنما يتسع القرآن للبحث المباشر في كل جزء من أجزاء الآيات كلما تعددت مواضعه في القرآن كله ، لاستخلاص الأشباه والنظائر ، واستنباط الأحكام .

بل إن الأمر أعظم خطرا من ذلك ، حين تربط بين هذه الحقيقة المذهلة ، المليئة بدلائل الاعجاز ، وبين تفسير السنة للقرآن ، وارتباط مدلولات الأحاديث الشريفة كل منها فيما يخصه ، بمدلولات الآيات ومقاصدها .

ولعل هذا هو الأساس العظيم الذي جعل ابن جرير الطبري يخص كل عدد يسير من آيات القرآن في تفسيره ، بعدد كبير من الأحاديث الصحيحة التي تكفي وحدها ، لتفسير القرآن وتطبيقه تطبيقا عمليا على وجودنا ومعرفتنا بكل مكان وزمان ، بحيث يتنوع العمل في الآيات ، ثم يتجدد هذا التنوع في الأحاديث التي تفسرها ، والمقاصد واحدة ، في جملتها وتفصيلها ، لأن الله خص القرآن بما خصه به من المقاصد ، ثم جعل السنة تنطلق بهذه المقاصد ، وتربطهما بحركة الوجود البشري ، في كل مكان وزمان .

### ٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية :

الوحدة والتنوع في آيات القرآن وسوره ، تقوم على ترتيب الآيات والسور ، كما تقوم على بداية ونهاية معلومة ، لكل سورة بين السور ، وكل آية بين الآيات .

فهذه البدايات والنهايات هي المعالم القرآنية ، التي تبين لنا الاعجاز ، في شكل القرآن ومضمونه ، بل إن هذا الفراغ هو الذي نرى من خلاله البدايات والنهايات لكل كثير أو يسير من الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والآيات والسور .

فهكذا جعل الله كلا من القرآن والسنة ، مستقلا بتكوينه اللغوي ، حتى يكون هناك مجال لرؤية الوحدة والتنوع ، في كل منهما ، ومجال لمعرفة المقاصد المتجددة ، بكل منهما .

وهذا أمر له دلائل مماثلة في آيات الله الكونية ، كما ننظر فنجد الماء ملحا في البحر ، وعذبا في الأنهار ، فاذا تجاور هذا ، وهذا ، لم يبغ أي منهما على الآخر ، وإنما يتحرك كل نوع في مجالات حركته ، فتكثر نعم الله على خلقه ، ويدل بعضها على بعض ، وتتجدد النعم وتتنوع ، وكلها من الله وحده لا شريك له .

ولولا التفرق بين النجوم والكواكب والأقمار، ما عرفنا كل نوع من هذه الأنواع، بذاته، إن تأملناه بصفة خاصة، وما كانت هناك وحدة مترابطة، بين أنواع الخلق كلها، نكتشفها إذا نظرنا نظرة عامة إلى الكون كله، لنجد الأقمار تدور حول الكواكب، والكواكب تدور حول النجوم، وهي تجري – مع ذلك – إلى قدر معلوم، وكل في فلك يسبحون.

ونحن كلما أنعمنا النظر في هذه الفروق الدقيقة، بين الوحي الالهي من قرآن وسنة، وبين كلامنا البشري العادي، مهما يكن مصدره، في الفكر أو الفلسفة أو مصطلحات علومنا البشرية، أمكننا أن نعرف الفضل العظيم لكلام الله وسنة رسوله، في استيعاب حركة الوجود البشري، بكل دقائقها، والاحاطة بكل حاجاتنا إلى التقدم الاخلاقي والمادي. الذي لا ينفرط به عقد الحياة، ولا تختلف دروبها، ولا تتداعى معه الأفكار، والأقوال والأعمال، على حقائقها، وإنما تصبح الحياة الانسانية، على كثرة أهدافها وتنوعها، كالشجرة الكثيرة الألوان والثمار، التي لا تكشف عن الحركة والتجدد، وقد أخذ كل جزء من أجزائها موضعه الصحيح، وكل لون من ألوانها تركيبه الدقيق، وكل حركة من حركاتها، زمانها ومكانها المتفق مع وحدة الكون وتنوعه، ومسيرة الدنيا كلها وهي في طريقها إلى الآخرة.

### ٣ – حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي لأجزاء الكون :

ونحن كلما أنعمنا النظر في قضية الترتيب الذي أتمه الله لآيات القرآن وسوره، علمنا أن أي علم بشري، لا بد أن يكون خاضعا لكتاب الله وسنة رسوله، ليستلهم هذا المنهج العظيم، في بيان حدود المعرفة الانسانية، وتفسير حاجاتنا الدائمة للوحي الالهي.

ولننظر إلى ترتيب المعاني بهذه الآية من آيات القرآن.

**١ – أو لم يتفكروا في أنفسهم.**
**٢ – ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى**
**٣ – وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** الروم / ٨

إن ترتيب هذه الآية بموضعها من سورة الروم، يؤدي دوره العظيم في بيان عظمة هذا الترتيب، وما فيه من وجوه الاعجاز التي لا يحيط بها العقل البشري.

ويكفي أن نشير معا – هنا – إلى الوقف على أجزاء هذه الآية كما نجدها في قطاعاتها الثلاثة المبينة في الرسم الذي نجده في طبع هذه الآية على هذه الصفحة :

إن قوله تعالى ( **أو لم يتفكروا في أنفسهم** )

يبدأ من داخل النفس الانسانية، حيث يسبق التفكير دائما – كل قول وكل عمل.

لذلك علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف نقف هنا، وتكفل علماء

التجويد والقراءات ببيان ذلك نقلا عن السنة الصحيحة .

والوقف هنا يؤكد هذا الترتيب في أجزاء هذه الآية ودلالاتها .

ثم يأتي قوله تعالى :

**( ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى )**

ليخرج أفكارنا من داخل أنفسنا ، حتى تواجه الترتيب الكوني كله ، بكل ما فيه من ثبات الخصائص ، وحركتها الدائبة في كل التراكيب والتراتيب ، والارتباطات ، التي يقوم عليها كل ما في الحياة من أصالة وتجديد .

ثم يأتي قوله تعالى :

**( وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون )**

ليختم لنا هذا الترتيب في أجزاء الآية ، بما يتبين معه إخفاق الكفار في فهم حقيقة التركيب الكوني الذي يدل على حتمية انتهاء الدنيا وإقبال الآخرة .

وواضح أن ترتيب أجزاء هذه الآية يقدم لنا نمونجا للاعجاز في ترتيب القرآن إذا قرأناه قراءة متواصلة ، بعد ما سبق من ظهور الاعجاز الذي رأيناه من قبل ونحن ننظر في أي جزء من أجزاء القرآن ، من حيث مواضعه وارتباطاته ، وما يؤدي إليه هذا النظر من ترابط المعلومات في المعرفة الانسانية في سياق واحد لا سبيل الى نقضه بأي حال من الأحوال .

ولكن الذي يهمنا هنا في المقام الأول أن الله جعل لمعرفتنا الانسانية حدودا من حيث قدرتنا على تحصيل العلم من الوحي الالهي ، أو من خلق الله لمخلوقاته التي فطرها وجمعها في ترتيب كوني جامع لأجزائها ، ومواضعها وارتباطاتها ، وحركتها المتواصلة من الدنيا إلى الآخرة .

وحدود معرفتنا الانسانية مع القرآن ، لها طريقان اثنان لتلقي المعاني وبيان ترتيبها الذي يسره الله لعقولنا .

فأما الطريق الأول فهو يقوم على التلاوة المتواصلة التي هي أقرب ما تكون بالنظرة العامة الشاملة إلى آيات القرآن كما هي مرتبة في سورها .

وأما الطريق الثاني فهو يقوم على النظر إلى أي قدر من أجزاء القرآن ، من حيث ارتباطاته المتجددة بمواضعه في الآيات والسور .

فاذا نظرنا إلى مثل ذلك في آيات الله الكونية ، وجدنا حدود معرفتنا الانسانية ، متفقة تماما ، مع الطريقتين السابقتين ، لا تتعداهما أبدا بأي حال من الأحوال .

١ ــ فهناك النظر العام الذي يشمل آيات الله الكونية ، وهنا تختزن الذاكرة الانسانية المعلومات مرتبة كما رتبها الله في الواقع العملي للكون والحياة .

فالشمس لا بد أن تشرق ، حتى تظهر معالم الحياة ، وحتى يذهب النوم وتأتي اليقظة ، وحتى تتحرك الحياة الانسانية في نشاطها اليومي .

والفلاح لا بد أن يضع البذور في

موضعها من باطن الأرض ، حتى تتبع نلك مراحل الانبات والاثمار .

٢ ــ وهناك النظر في مواضع جزء بذاته من أجزاء المادة ، كما يبحث الباحثون عن مناجم الذهب ، فاذا الذهب نفسه هو الذي يفتح لهم ابواب وجوده ، كلما طالعهم بخصائصه التي يدل عليها ، تكوينه الشكلي ، ابتداء ، ثم يتبع نلك ما نعرفه من ثبات خصائصه الواحدة ، بكل مكان وزمان .

والمجتمع الانساني والكوني كله ، يقوم على هذه الحركة المرتبة المعالم ، حيث يحمل كل فرد من خصائص مجتمعه ، ما يربطه به ويدل على ترتيبه بين أفراده جميعا ، وإن كانت حدود معرفتنا الانسانية ، مؤكدة لنا دائما ، أن العلم الحقيقي ، لله تعالى وحده لا شريك له .

فلا أحد من البشر ، يستطيع أن يحيط بالمعلومات الدقيقة ، في أي أمر لشدة خفائها ودخولها في أعماق الغيب .

ولا أحد من البشر ، يستطيع أن يستقطب كل معالم الوجود الكوني ، لسعته وكثرته .

والله وحده هو الذي لا يكثر عليه كثير لكثرته ولا يخفي عليه دقيق لدقته .

والانسان في نلك كله بين اثنتين :

أولاهما ــ أن ينظر نظرا عاما فتنحسر رؤيته عن كل معالم الرؤية لكثرتها واتساعها .

وثانيتهما ــ أن ينظر نظرا خاصا لمواضع أي جزيء من أجزاء الخلق ، ليرصد الأصالة والتجديد في ارتباطاته بكل مواضعه التي يتيسر الوصول اليها .

ولا شك أننا في الحالين لا نستطيع الاحاطة بترتيب ما هو عام بسبب كثرته على مداركنا .

كما أننا لا نستطيع أن نرد كل جزيء إلى ترتيبه بين أفراد مجتمعه كلهم ، لخفاء هذه الصلة الدقيقة بين كل جزيء وبين ما يربطه بترتيبه بين أفراد مجتمعه .

وقد نتساءل عن صلة نلك بترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، وعظمة هذا الترتيب ، في تفسير كل شيء ، من أشياء الكون والحياة .

والجواب على هذا التساؤل نجده بقوله تعالى :

**( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ) (١ــ٤) الملك .**

**لقد علم الله رسوله هذا كله ، كما علمه كيف يرتب آيات القرآن وسوره . وكفى بذلك دليلا على حدود المعرفة الانسانية ، وحاجاتنا المتجددة إلى القرآن والسنة لتنظيم الفكر البشري ، تنظيما لا ينبغي أن نجد له في كل محاولات البشر مصدرا مماثلا للوحي الالهي .**

من وحي النبوة

# لا تحزن إن الله معنا

جاء في الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهما في الغار : « لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا » ، فقال : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما ؟ » .

وجاء فيهما أيضا ، أنه قال عندما أدركهما الطلب : « يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ! » فقال له : « لا تحزن إن الله معنا » .

للشيخ احمد عبدالواحد البسيوني

مع هلال المحرم الذي يشرق في سماء العالمين ، يحمل ذكرى الانطلاقة الكبرى للرسالة الخالدة ، نقف على عتبة العام الجديد ، نتلفت الى ماض زاخر بالأمجاد ، حافل بالعزة والقوة ، ونتطلع إلى مستقبل مشرق بالآمال الكبار .

لما بعث محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ، دعا الناس إلى توحيد الله ، ونبذ عبادة الأصنام وأرسى قواعد المساواة والعدل والاحسان ، فهزت الدعوة العادلة عروش الطغاة والمستبدين ، وبهر نورها الذين ألفوا أن يعيشوا في الظلام ، فتآمروا على الحق ، وجندوا أنفسهم لحرب رسول الله ومن معه ، لقي منهم العنت والاضطهاد والايذاء والمقاطعة . وأخيرا مكروا به ليتخلصوا منه **( وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين )** الانفال / ٣٠ .

كان التآمر عليه بعد ثلاثة عشر عاما قضاها بينهم ، يدعوهم إلى البر والرشاد ، فلم يبق الا الفرار بالدين من هذه الفتنة العارمة ، فكانت الهجرة من مكة إلى المدينة .

وأصحاب الدعوات وحملة الرسالات ، لا يعيشون لأنفسهم ، وإنما يعيشون من أجل المبادىء التي آمنوا بها ، فلا يعنيهم إلا نجاح دعوتهم ، فاذا وجدوا أرضا سبخة ، لا تنبت فيها الدعوة ، تحولوا عنها إلى أرض صالحة طيبة ، ... واذا ضاقت القوة الغاشمة بكلمة الحق التي يدعون إليها ، التمسو لها قوما أرق أفئدة ، وأسلس قيادا ، وأهلا لتحمل تبعات الرسالة .

وقد هاجر كثير من الأنبياء والمرسلين من ديارهم وأهليهم فرارا بدينهم وعقيدتهم وقد تكون هجرة أحدهم قبل النبوة أو بعدها ، فقد هاجر ابراهيم عليه السلام من بلدته « فدان آرام » بالعراق بين نهري دجلة والفرات إلى « أور » ثم الى « حران » ثم إلى « فلسطين » وتنقل في بلادها ، وهاجر إلى مصر حيث أهديت إليه هاجر أم إسماعيل ، وقد ابتدأ الهجرة عندما تنكر له أبوه **( قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا . وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا )** . مريم ٤٦ ـ ٤٨ .

وهاجر إسحق ويعقوب عليهما السلام ، وهاجر موسى بعد أن وكز القبطي ، وهاجر مرة أخرى مع هارون ومعهما بنو إسرائيل حين تبعه فرعون وجنوده ، وهاجر لوط مع عمه إبراهيم **( فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم )** العنكبوت /٢٦ وهاجرت مريم ومعها ولدها المسيح عليه السلام إلى مصر لما خافت عليه أذى قومها .

وهاجر خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين استقر رأي المشركين بمكة على أن ينتخبوا له فتيانا أشداء ، من قبائل مختلفة ، يترصدونه أمام بيته ، حتى إذا غفت العيون ، وهدأ الليل ، انقضوا عليه فضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل فلا يقوى أهله على أن ينهضوا للأخذ بثأره ، ويكتفون من ذلك بدية أوديات .

ولكن الله تعالى أفسد عليهم تدبيرهم ، فأوحى إليه يأمره بالهجرة ، فذهب إلى أبي بكر ظهيرة ذلك اليوم يوم الجمعة من ربيع الأول ، وأفضى إليه بما عنده من الأمر ، فاتفقا على طريقة الخروج وساعته ومكانه ، وأن يكون التنفيذ من ليلتهما ، وهي الليلة التي عينتها قريش للايقاع بالرسول في فراشه .

ووقع اختيارهما على « عبدالله بن أريقط » من أمهر الأدلاء الخبراء بدروب الصحراء ومسالكها ، وقد عرفا فيه الرجولة والأمانة على السر فاستأجراه على ذلك على الرغم من أنه كان على دين قريش إلا أنه كان أميناً يحفظ السرمع أنه مشرك وواعداه أن يوافيهما براحلتيهما بعد ثلاث ليال في غار ثور .

وقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان تكون هجرته خالصة لله ، فأبى أن يقبل الراحلة التي أعدها له أبو بكر إلا بالثمن ، مع أنه قد قبل منه أكثر من هذا ، ومع أنه قال في شأنه : « ليس من أحد أمن على في أهل ومال من أبي بكر » وذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله» .

وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من ليلته على النفر الأشقياء ، الذين أحاطوا بداره ، ومر بهذه العصابة في حراسة الله ، لا جيش ولا عدة ، ولا حرس ولا عيون ، ولم يصنع أكثر من أنه تناول قبضة من تراب حثاها في وجوههم وهو يقول : « شاهت الوجوه » ، وكان منهم أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ولكن التراب حين عفر هذه الجباه الظالمة ، غشى الله على أبصارهم كما طمس على بصائرهم ، فخرج عليهم الرسول الكريم ولم يره أحد منهم ، وأخيرا أدركوا فشل خطتهم حين عرفوا أن الرسول قد أفلت من أيديهم فخرجوا يتفقون الآثار في شعاب الطرق ، وتعاريج الصحراء ، فكانت تنتهي بهم دائما الى غار ثور وظلت قريش تضاعف نشاطها في تعقب محمد صلى الله عليه وسلم ، هنا وهناك حتى وقفوا مدة غير يسيرة على باب الغار يتراودون في اقتحامه بحثا عن ضالتهم المنشودة وأخذ يناقش بعضهم بعضا بكلام مسموع لمن في الغار ، وأبو بكر يشتد به الخوف لا على نفسه ، ولكن على حياة من في حياته حياة الانسانية كلها ، فكان يقول للرسول في همس وحذر : لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا !

والرسول الكريم يهدئ من روع أبي بكر ، ويصب في قلب الصديق من إيمانه الراسخ ويقذف في خاطره من ثقته بالله ، ويمد نفسه المضطربة بجرعات من السكينة الغامرة التي تملأ النفس الكبيرة ، نفس المهاجر العظيم ـ صلوات الله وسلامه عليه .

فيقول : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما »؟؟ « لا تحزن إن الله معنا » !!

يا لها من معية غالية ، لا يقهرها سلطان ، ولا تجدي معها سطوة ، ولا تنفذ منها حيلة .

إذا كانت ... فكل تدبير معها خاسر ، وكل تفكير أمامها حائر ، وإذا تجلت ، تخلت الأمور عن حقائقها ، فاذا القوة ضعف ، وإذا الضعف قوة ، وإذا الكيد وهن ،، وإذا التسليم ركن ، وإذا الجمع هباء ، وإذا الرابضان في بطن الغار جيش ، يملأ الفضاء .. بهذه المعية ، شمخ الغار فأصبح حصنا منيعا ( **فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** ) التوبة / ٤٠ .

وقايـــة الله أغنـــت عن مضاعفة  من الدروع وعن عال من الأطم

وهكذا صرف الله عن رسوله هذه العصابة من المشركين ، وبعد أن طال بهم الجدل حول اقتحام الغار ، لانقطاع الآثار عند بابه ، هتف أحدهم : يا قوم لا تضيعوا وقتا ، فليس بالغار أحد ! فانصرف القوم عن الغار ، يهيمون في كل واد ، ويرسلون عيونهم في جميع المسالك ، ويبعثون النداء في مكة وما حولها : من يأتي بمحمد حيا أو ميتا فله مائة ناقة .

يقول ابن هشام في سيرته : ( فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتي أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة ـ وهي باب صغير كالنافذة الكبيرة ، تكون بين بيتين ينصب عليها باب ـ لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار ثور ـ وهو جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبدالله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة مولاه ، أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما ، يأتيهما اذا أمسى في الغار . وكانت أسماءبنت أبي بكر تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه ، حين فقدوه ، مائة ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما اذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ، يرعى في رعيان أهل مكة ، فاذا أمسى

أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا . فاذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما الى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه . حتى اذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ووعاء يوضع فيه الطعام للمسافر ونسيت ان تجعل لها عصاما — أي رباط تربطها به — فلما ارتحلا ، ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به .

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : « ذات النطاق ، لذلك » .

فلما قرب أبو بكر ، رضي الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال : اركب ، فداك أبي وأمي ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني لا أركب بعيرا ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به . قال : هما لك يا رسول الله .

فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

قالت أسماء بنت أبي بكر : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت اليهم ، فقالوا أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده — وكان فاحشا خبيثا — فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي !

قال سراقة بن مالك بن جعشم : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . فبينا أنا جالس في نادي قومي اذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا ، اني لأراهم محمدا وأصحابه . فأومأت إليه بعيني : أن اسكت . ثم قلت : انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ! قال : لعله . ثم سكت ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي فقيد لي الى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي ، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتي — أي سلاحي ودرعي — ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » — أي المكتوب فيه هذه الكلمة — . وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة الناقة . فركبت على أثره ، فبينا فرسي يشتد بي عثر بي ، فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » . فأبيت الا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فسقطت عنه فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » فأبيت الا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي . فذهبت

يداه في الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالاعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر ــ أي غالب منتصر ــ فناديت القوم فقلت : أنا سراقة بن جعشم ، انظروني أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له : وما تبتغي منا ؟ فقال ذلك أبو بكر . قلت : تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك . قال : اكتب يا أبا بكر .

فكتب لي كتابا في عظم ، أو في رقعة ، أو في خزفة ، ثم ألقاه الى ، فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت ، فسكت فلم اذكر شيئا مما كان ، حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة ــ موضع بين الطائف ومكة ــ فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونني بالرماح ، ويقولون : اليك اليك ، ماذا تريد ؟ فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأني أنظر الى ساقه في غرزه كأنها جمارة ــ الغرز للرجل بمنزلة الركاب للسرج ، والجمارة بضم الجيم وتشديد الميم المضمومة ، لب النخل تكون في جوف الجزء الاعلى منه وهي بيضاء رخصة وتؤكل ــ فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله : هذا كتابك لي ، أنا سراقة بن مالك بن جعشم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبر ، ادنه . فدنوت منه فأسلمت . ثم تذكرت شيئا اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، الا أني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملأتها لابلي ، هل لي من اجر في أن أسقيها ؟ قال : « نعم ، في كل ذات كبد حري أجر » . ثم رجعت الى قومي فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي »

وبعد .. فمن حق الهجرة علينا ، أن نستخلص منها مواقف تنفعنا على طريق الجهاد والزحف المقدس في سبيل السلام والاسلام ، فمن مبادئ الهجرة ، الثبات على الحق ، وأن المصلحين في سبيل دعوتهم يتعرضون لأخطار فادحة ، ومؤامرات دنيئة ، ولكنهم لا يبالون بما ينالون ، بل يسيرون الى غايتهم في قوة لا تضعف ، وصبر لا ينفد ، واثقين من أن الحق لا بد وأن يعلو ( **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق** ) الأنبياء /١٨ .

ومن أبرز مبادئ الهجرة ، إحكام الخطة ، وإحاطتها بالحذر ، والكتمان ، والاخلاص ، وصدق القصد ، وخلوص النية لوجه الله والحق ، فلقد هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله هدفه وغايته ، والا لعاش بين أهله في مكة ، أحب البلاد إلى الله وإليه ، أولقبل عروض قريش حين عرضوا عليه الملك ، والمال ، والسيادة ، ولكنها المبادئ تبذل في سبيلها المهج والأرواح ، ولكنها المثل العليا تصان بكل مرتخص وغال ، وعلى هدى من هذه المبادئ المحمدية ، سار الصحابة والمصلحون من بعدهم فأقاموا الحق ، ونشروا العدل ، وعلموا الناس الحرية والمساواة ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

# أحداث الهجرة النبوية

من المعلوم الذي لا يجهل ، والذكريات التي لا تنسى . ذكرى الهجرة النبوية الكريمة من مكة إلى المدينة . نعم هي أعز ذكرى يعتز بها المسلمون ، وهي بين أحداث البشرية أبرز حدث به يشيد المؤرخون ، وهي على صفحات الوجود أجمل صورة ، وأعظم أثرا ، به ظهر الحق ، وزهق الباطل ، وانخذل المبطلون ، ــ حقا فانا نكتب كل عام عن الهجرة ، ونخطب في كل ندوة عن فرائد الهجرة ، والكلام عن الهجرة لا يمل ، ونتحدث في كل مناسبة عن الهجرة والقول فيها لا يسأم ، بل كلما تكرر فيها القول حلا ، وكلما كثر عنها الكلام علا وغلا ، يؤيد هذا أحداث هذه الهجرة العجيبة ، ويؤكده مقوماتها الضخمة وعناصرها الفريدة ، فانها توحى بكل عظيمة ، وبها تتجلى كل قوة روحية جليلة . وإليك بعضا منها :

لما ضاقت قريش ذرعا بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، اذ لم تفد في إحباطها مقاومة ، ولم يقلل من ذيوعها تهديد للرسول ولا إيذاء ولا تعذيب لأصحابه ، ومع هذا علمت قريش أن رسول الله عقد مع الأوس والخزرج بيعة العقبة الثانية وكانت قرة عين المسلمين ، وضربة قاصمة للقرشيين ، وهي التي يقول فيها العباس بن عبادة : « يا معشر الخزرج ــ هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ــ قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم ترون أنه إذا انهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا ، أسلمتموه ، فمن الآن فدعوه ــ فهو والله ــ إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكه الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ــ فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا : قال : « الجنة » . قالوا : ابسط يدك ــ فبسط يده فبايعوه ــ قلنا فيما سبق إن هذه البيعة كانت ضربة قاصمة للقرشيين ذلك لأنهم لما علموا بأن الأوس والخزرج من أهل المدينة قد تابعوا محمدا وبايعوه على أن ينصروه ويمنعوه ممن خالفه ويحاربوا معه الأحمر والأسود من الناس ، صدموا بهذا النبأ صدمة عنيفة

# بين الإعجاز والتدبير

للشيخ / عبد الحميد بلبع

وزلزلوا زلزالا شديدا ، وانقلبوا يلاحقون الأنصار ـ الأوس ـ والخزرج في كل طريق يريدون أن ينتزعوا من أعناقهم هذه البيعة ، ولكن هيهات هيهات ـ لقد وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين » ـ لذلك عقدوا مجتمعهم لأخذ الرأي الحازم في شأن محمد وبعد تقليب وجوه النظر فيما ينبغي أن يكون لمحمد ليستريحوا منه ، تم الأمر على قتل محمد وفي مجلسهم وضعوا الخطة لهذا القتل ـ بأن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا ويعطوا كل واحد سيفا يتربصون به عند بيت محمد وعند خروجه يضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل فلا يطلبونه ويكتفون بالدية . وعلى هذا بيتوا النية . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ أوحى إلى رسوله بما دبروا له من كيد ، وأذن له بالهجرة إلى المدينة ، فجعل الرسول يدبر لنفسه خطة الخروج لهذه الرحلة ، وعلى إثر الاذن بالهجرة إلى المدينة ، توجه الرسول إلى أبى بكر في بيته في وقت الظهيرة ، ولم يكن معتادا ذلك ، لذا دهش أبو بكر وأهله . وقال متعجبا : ما جاء رسول الله في هذه الساعة إلا لأمر حدث . قال الرسول : إن الله أذن لي في الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : الصحبة . ثم قال أبو بكر : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا اليوم ، ثم شرعا يرسمان الخطة المحكمة لهذه الرحلة الشاقة المخيفة ، وكانت على مراحل ـ المرحلة الأولى ـ أن يخرجا للسفر من بيت أبى بكر ، وأن يكون خروجهما من خوخة ـ باب صغير في ظهر البيت ـ ليلا وقت السحر حتى لا يكون بصيص من نور القمر ولا من نور الفجر ـ المرحلة الثانية ـ يقصدان غار ثور بجبل ثور يختفيان فيه مدة حتى يظهر ما يكون حال القوم في شأنهما ـ المرحلة الثالثة ـ لما تهدأ العواصف ، ويكف الطلب والبحث عنهما ، يأخذان طريقهما الى المدينة من طريق غير مألوف ـ المرحلة الرابعة ـ اختيار دليل حاذق عارف بالطرق المؤدية إلى المدينة يسلك بهما آمن الطرق وأبعدها عن عيون الرقباء ـ فوقع اختيارهما على عبد

الله بن أريقط فاستحضراه واستأجراه وواعداه أن يوفيهما بعد ثلاث ليال عند غار ثور ومعه الراحلتان اللتان أعدهما أبو بكر لهذه الرحلة . أما الرسول صلوات الله عليه وسلامه فكان عنده أمانات لكثير من أهل مكة ، ورأى أنه لا بد من ردها لأربابها قبل سفره براءة لذمته منها ، فاختار لذلك ابن عمه علي بن أبى طالب ليسلمها لأربابها نيابة عنه ، ولينام مكانه ويتغطى ببردته ليلة سفره تعمية وتضليلا للمتربصين له ، هذا ما دبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه للقيام بهذه الرحلة الميمونة .

أما ما دبره الله عز وجل لرحلة رسوله صلوات الله عليه وسلامه ففي مواقف منها ، الموقف الأول مع الشباب الذين أعدهم القرشيون لتنفيذ خطة قتل محمد بن عبد الله حيث جاءوا في الليلة المحددة لذلك وتراصوا أمام بيت الرسول متربصين به عند خروجه ليضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد تنفيذا للخطة المرسومة لذلك ، ولكن أثبت التاريخ أنه صلوات الله عليه خرج من بيته غير هياب ولا وجل واخترق صفوف هؤلاء الشباب تاليا قوله تعالى : ( **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ) يس / ٩ وخرج من بينهم ناثرا التراب على رؤوسهم ولم يره منهم أحد ، وكفى بالله وكيلا . خرج الرسول الكريم قاصدا تنفيذ الخطة التي رسمها مع أبى بكر فذهب إليه في بيته وخرجا معا إلى غار ثور ودخلاه ولبثا به ، أما الشباب فقد تنبهوا من غشيتهم فلم يجدوا محمدا في موضعه ، ووجدوا عليا مكانه فسقط في أيديهم وأخذوا ينهبون الطريق سعيا في طلبه ، حتى انقطع بهم الأثر عند غار ثور ، فصعدوا إليه آملين في الحصول على فريستهم فيه ولكن خاب أملهم وضل سعيهم إذ وجدوا على باب الغار ما صرفهم . الموقف الثاني : وجدوا على باب الغار عنكبوتا نسج وحمامتين باضتا ، وشجرة تشعبت على باب الغار أغصانها ، هنا قال قائل الشباب : ما رأيكم في الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد . فعادوا أدراجهم يحدوهم الخزى والعار ، أما رسول الله وصاحبه فقد كان أبو بكر متخوفا على رسول الله حذرا عليه كل الحذر ، لذا قال للرسول في الغار : إن القوم قد دنوا منا ولو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا فقال له الرسول : ( **لا تحزن ان الله معنا** ) التوبة/ ٤٠ ما ظنك باثنين الله ثالثهما . ولبثا في الغار ثلاثة أيام تضليلا للمطاردين فلما أيقن أن قد هدأت العاصفة أخذ في تنفيذ باقي الخطة فجاء الدليل في ميعاده ومعه الراحلتان وراحلة له . فلما قرب أبو بكر الراحلتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبي وأمي . فقال رسول الله : إني أركب بعيرا ليس لي . قال فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به قال كذا

وكذا . قال : قد آخذتها به . قال : هي لك يا رسول الله . فركبا وانطلقا . الموقف الثالث : كان في طريقهما إلى المدينة . وكان مع شاب من شباب مكة فتى وغنى ويعتز بنفسه وإسمه سراقة بن مالك بن جعشم . رجل من بني مدلج . وكان من أعداء الدعوة المحمدية ، ولما سمع أن قريشا جعلت دية لكل من يجيء بمحمد حيا أو ميتا ، وكانت دية مغرية ، بادر للبحث عن محمد رغبة في الدية المغرية ، وشفاء لنفسه من محمد صاحب الدعوة وهو عدوها فركب فرسا له وسلك الصحراء باحثا عن محمد وقد هدى إلى طريق سلكه هو وصاحبه فرآهما عن بعد فأجهد فرسه طمعا في اللحاق بهما حتى كان بينه وبينهما مرمى النبل ، وإذا فرسه تغوص قدماها في رمل الصحراء ولا تستطيع أن تنشط من عقالها وعجزت حيلته عن النهوض بها ، هنا قال سراقة : حقا إن لمحمد هذا شأنا وستظهر دعوته وتنتشر في العالم كله ، وعدل عما يريد بهما من سوء وشر ، وأشار لهما بالأمان ، فنهضت فرسه ولحق بهما وأخبر الرسول بما جاء من أجله ، وبما بيت القرشيون النية على الخلاص منه بوسيلة أو بأخرى ، وطمأن رسول الله بأنه لا يريد بهما سوءا الآن فقبل منه ذلك . وطلب إليه أن يخذل عنهما ولا يدل عليهما ، فتعهد له سراقة بذلك وأسلم على يدي رسول الله ، فدعا له رسول الله بخير . وبشره بأنه سيلبس سوار كسرى وعاد سراقة الى مكة صديقا وحبيبا لمحمد لا عدوا ألد لمحمد .

هذه بعض مقومات الهجرة ومنها العجب حقيقة . إذ كيف نعلل اختراق الرسول صفوف المتربصين له ولم يره منهم أحد ، وكيف نعلل وجود عنكبوت نسج ، وحمامتين باضتا ، وشجرة ممتدة الأغصان على باب الغار ولم يكن شيء منها موجودا عند دخول الرسول الغار من وقت قريب ، إذ لو كان موجودا لتمزق بعضه واختل نظامه ولكنه تدبير الله لرحلة رسوله فهو حقيقة عجيب وغريب . ومع هذا نسمع في صفوف المثقفين المجددين ونقرأ لبعض الكتاب المتحررين أنهم يرجعون بنجاح الهجرة النبوية الى حسن التدبير وإحكام الخطة ولا يرون في الهجرة معجزة السماء . لذا قال أحد كتابهم عن العنكبوت والحمامتين والشجرة . قال : « هذه الأمور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ – وهي أعاجيب لها كل يوم في أرض الله نظائر » هذا قوله ، يا لله بلغ بهم جحود الواقع إلى إنكار الشمس ساطعة في رابعة النهار ، وماذا يقولون في قول الله عن الهجرة : **( إلا تنصروه فقد نصره الله )** الآية . الى قوله : **( فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها )** التوبة/ ٤٠ لا يستطيعون قولا ولكنه منهم ضعف الايمان إن كان هناك وقصور في العقل عن إدراك ما لله من معجزات ، وإنا نبرأ إليك يا رب من هذا وذاك ، ونرجوك التوفيق لفهم دينك . فانك سبحانك ولي التوفيق .

# الدولة الإسلامية

للشيخ : سيد سابق

## ١ ـ الاسلام دين ودولة :

الاسلام دين ودولة وعبادة وقيادة ومصحف وسيف فكما أن الاسلام واجب نحو الله وزكاة نفس وأدب فاضل مع المجتمع فهو كذلك قانون ونظام ولا قيام له إلا في ظل دولة تحميه وحكومة ترعاه وتسهر عليه .

ومفهوم الدولة في الاسلام يتفق مع مفهوم الدولة الحديث والذي أطلق عليه فقهاؤها « دار الاسلام » .

والدولة أو دار السلام هي المنطقة التي يقطنها المسلمون وتطبق فيها أحكام الاسلام بواسطة حكومة منتخبة ترضى عنها الأمة . وتظفر بثقتها .

## ٢ ـ طبيعة الدولة وأهدافها :

والدولة الاسلامية دولة تقوم على أساس من المبادئ التي جاء بها الاسلام لتحقق التعاليم المثالية التي تجلب المصالح العامة والخاصة وتؤمن كل فرد على نفسه وماله وعرضه وحريته وكرامته وتوطد السلام بين الناس جميعا فهي دولة لها أسس تقوم عليها وغايات تستهدفها وتعمل من أجلها وجملة هذه الأهداف هي :

ا ـ تنفيذ أحكام الاسلام في داخل الوسط الاسلامي .

ب ـ تبليغ الدعوة في الخارج لغير المسلمين .

حـ ـ حماية الدولة ورد عدوان المعتدين عليها حتى تبقى للمسلمين السيادة عليها ينفذون فيها حكم الله ويقيمون شريعته وهم سادة أحرار مستقلون .

## ٣ ـ سلطان الدولة :

والسلطات التي ترعى شؤون الدولة وتدير أمورها ثلاث :

ا ـ السلطة التنفيذية : ويختار أعضاءها رئيس الدولة مع استشارة اهل الصلاح والرأي .

ووظيفتها الأساسية : ادارة شؤون البلاد وتدبير إدارة الحكم ورعاية المصالح العامة والخاصة في حدود التشريع الاسلامي .

ب ـ السلطة القضائية : ويتولى شؤون هذه السلطة الفقهاء من الأمة والعلماء ممن لهم قدم راسخ في دين الله وبصر نافذ في معرفة احوال الناس وقدرة على فض المنازعات والفصل في الخصومات والحكم بين الناس بالعدل .

حـ ـ المجلس الشورى : وهو الذي يتولى الاشراف على السلطة التنفيذية ويراقب تصرفاتها ويعينها بالمشورة ويقدم لها النصيحة وينقد ما يدعو إلى النقد ويحاسب من يستحق الحساب

ويقوم المعوج بالطرق المشروعة .

ولا يختار لعضوية هذا المجلس الا القمم الشامخة ممن توفرت فيهم خشية الله والتزموا القانون والأخلاق وكان لهم سداد الرأي والحرص على مصالح الأمة . والأمة الواعية هي التي تختار هؤلاء ، لأنهم هم الذين يمثلون ارادتها ويتفانون في خدمتها وينهضون برسالتها .

**٤ ــ رئيس الدولة :**

والدولة لها رئيس مسؤول تختاره الأمة متى توفرت له عناصر الصلاحية من الالمام بشؤون الأمة والقدرة على الاضطلاع بتبعات الحكم .

والآيات والأحاديث الآتية تشير الى عناصر الصلاحية ومن الآيات :

١ ــ **( فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك )** آل عمران/١٥٩

٢ ــ **( إن أكرمكم عند الله أتقاكم )** الحجرات/١٣ .

٣ ــ **( إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم )** البقرة/٢٤٧ .

٤ ــ **( إن خير من استأجرت القوي الأمين )** القصص/٢٦ .

٥ ــ **( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا )** الكهف/٢٨ .

ومن الأحاديث :

١ ــ « أحب الناس إلى الله إمام عادل وأبغض الناس إلى الله إمام جائر » الطبراني والترمذي .

٢ ــ « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » مسلم .

٣ ــ « من قلد رجلا عملا على جماعة وفي تلك الجماعة من هو خير منه .. فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين » . الحاكم .

٤ ــ « إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة قيل وما تضييع الأمانة ؟ قال اذا وسد الأمر لغير اهله فانتظروا الساعة » البخارى .

٥ ــ « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » الشيخان .

**٥ ــ قانون الدولة :**

والقانون في الدولة هو الشريعة ، والشريعة تنتظم :

ا ــ القانون الدستوري .

ب ــ القانون العام المدني والجنائي .

حـ ــ قانون الأسرة .

د ــ قانون العلاقة الدولية .. ولا مانع شرعا من سن قانون تقتضيه الحاجة بشرط أن يكون عن مشورة وألا يعارض نصا او قاعدة شرعية أو إجماعا .

**الحقوق والواجبات :**

والناس في الدولة الاسلامية متساوون في الحقوق والواجبات

والحقوق ، حقوق إنسانية وسياسية ومدنية .
والحقوق السياسية هي :
١ ــ حق تولي الوظائف العامة .
٢ ــ حق الترشيح .
٣ ــ حق الانتخاب .
٤ ــ حق المناقشة والنقد والمعارضة .
والحقوق المدنية هي :
١ ــ حق العمل .
٢ ــ حق التعاقد .
٣ ــ حق الزواج .
ومنها الحقوق الانسانية وهي :
حق الانتفاع بمرافق الدولة العامة .
وحرية التدين .
والواجبات هي :
١ ــ السمع والطاعة في المعروف .
٢ ــ تقديم النصيحة للحاكم .
٣ ــ الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدولة ورفع شأنها وكذلك العمل على توحيد كلمتها وتحريرها وإنهاضها بالعلم والعمل والانتاج واقتباس كل جديد نافع فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

**٦ ــ العدل أساس الدولة :**

والعدل أساس الدولة ويتمثل في أمرين :
١ ــ الحكم بما أنزل الله : فما أنزله الله عدل كله ( **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا** ) الانعام/١١٥ صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام .
٢ ــ إعطاء كل ذي حق حقه .
فللمسلم حق المؤاخاة والموالاة والبر والنصح والحماية « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قالوا قد عرفنا كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : « نمنعه من الظلم فذلك نصره » ولغير المسلم البر والقسط والمعاملة الحسنة : ( **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ) الممتحنة /٨ .
ولكل حق المحافظة على الدم والعرض والمال والكرامة [ كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ] . ( **ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ) المائدة/٨ .

**٧ ــ قوة الدولة :**

وتمتاز الدولة الاسلامية بنوعين من القوة :
١ ــ القوة الروحية التي تتمثل في المعرفة بالله وفي حبه والاخلاص له وفي ذكره وشكره وحسن عبادته وفي طاعته والتزام ما شرع من أحكام .
٢ ــ القوة المادية التي تتمثل في التدريب والاعداد والسلاح والذخيرة .

**٨ ــ السياسة المالية للدولة :**

وتملك المال تملكا فرديا والتصرف فيه والانتفاع به حق مقرر متى كان سبب التملك سببا مشروعا ومتى كان التصرف في دائرة ما أحل الله .
وأسباب الملكية هي :
١ ــ العقود الناقلة للملك مثل البيع والهبة والوصية .

٢ ــ العمل في الصناعة أو التجارة أو الزراعة أو العمل الفكري والأدبي .

٣ ــ الميراث وهو توزيع تركة المتوفي على ورثته من أصحاب الفروض والعصبة . ومهما كان التملك صحيحا فانه لا يحل الاعتداء عليه الا عند الضرورة فلا بأس من نزع الملكية مع التعويض العادل كأن يحتاج الى نزع الملكية في حفر الجداول والأنهار وإنشاء الطرق ونحو ذلك مما تحتاج الأمة إليه في مصالحها العامة .

ومع احترام الاسلام للملكية الخاصة فانه أوجب فيها حقوقا للدولة وهذه الحقوق هي :

١ ــ نفقة الاقارب الفقراء .

٢ ــ الزكاة .

٣ ــ كفاية الفقراء اذا لم تف الزكاة بحاجاتهم ولم يكن في بيت المال ما يكفيهم وفي الحديث .. « إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما » .. رواه الطبراني .

ومن حق الدولة أن تفرض ضريبة عند الجهاد حيث لا يوجد عندها من المال ما يكفي لدفع الخطر عن الأمة .

وقد أراد الاسلام بهذا النظام تقريب الفوارق الطبقية وتفتيت الثروة وتحقيق العدالة الاجتماعية .

وكما أن الاسلام يعترف بالملكية الخاصة فهو يعترف أيضا بالملكية العامة التي تملكها الدولة وهي أنواع .

١ ــ الأموال الموجودة بخلق الله مثل ــ الماء ، والنار ، والكلأ فقد جاء في الحديث أن الناس شركاء فيها . ويدخل في هذا الباب المعادن والبترول والأحجار الكريمة ونحو ذلك .

٢ ــ الأموال المعدة للنفع العام مثل : مال الوقف والمسجد والطرق والأنهار ، أما الأرض التي فتحها المسلمون عنوة فهي مملوكة للدولة ويد الفاتحين عليها يد اختصاص لا يد ملك عام .

**٩ ــ السياسة الخارجية :**

الاسلام يجعل علاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول علاقة أخوة وسلام لا علاقة عداوة وخصام . فالعالم كله أسرة واحدة وما تفرقوا شعوبا وقبائل الا للتعارف وتبادل المنافع .

( **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ) الحجرات/١٣

والاسلام يوافق على إنشاء عهود مع الدول الأخرى ويدعو إلى احترامها .

( **الا الذين عاهدتم من المشركين** )التوبة/٤ وهو يدعوهم بأحسن الأساليب وهو لا يرفع السيف إلا دفاعا عن حق أو إبطالا لباطل . ولا يبدأ بحرب عدوانية ويعتبرها ضرورة وهي رحمة فلا يقتل إلا المقاتل للذميين في أرض الاسلام ما للمسلمين والمتسأمن له الأمان ( **وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** ) . التوبة/٦ .

# دروس من الهجرة

للاستاذ علي القاضي

مضى الآن على هجرة النبي الكريم صلوات الله عليه أربعة عشر قرنا كاملة ، وقد آن لنا أن ننظر إليها نظرة دقيقة ثاقبة حتى نستفيد من دروسها الفائدة المرجوة في نهضتنا الاسلامية في عصرنا الحاضر وقد أحاط الأعداء بنا من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم ، محاولين أن يبعدونا عن ديننا حتى ينالوا منا ما يريدون .

جاء النبي الكريم برسالة ربه والوثنية تسود الحضارات ، والانسان غارق في الماديات ، والبشرية تدمر نفسها . وجاءت ذكرى القرن الرابع عشر الهجري والحال كما كان قديما والوثنية تسود الحضارات الحديثة ، والانسان غارق في المادة ، والانسانية تسير بخطوات واسعة نحو تدمير نفسها .. ونحن في حاجة إلى هجرة جديدة ذلك لأن الذين هاجروا مع النبي الكريم كانوا مسلمين في الشكل وفي المضمون .. والمسلمون الآن تائهون في ميادين العصر الحديث ومن هنا كان من الضروري أن ينظروا إلى الهجرة النظرة الكاملة المتكاملة التي تجعلنا نحس بأن هذه الهجرة هي ارتباط بين الايمان والعمل ، فهي تمثل البنية الحديثة للمسلم الذي يقوم برسالته في هذه الحياة ، والتي ترسم لنا الصورة الكاملة للمسلم الذي يهمه

أن يؤدي واجبه كاملا ، غير مفكر في أن يطالب بحقوقه ، وبخاصة وأن المسلم المعاصر تخلى عن دوره المرسوم له في الاسلام أو زحزح عنه ، ورأى أن هذا هو الوضع الطبعي ، وتغيرت نظرته إلى نفسه والى مجتمعه والى العالم حوله ، فأصبح في موضع يتأثر بما حوله ولا يؤثر فيه ، وينفعل بما فيه وليس له فاعلية ، وهو وضع يجعله تابعا وكان ينبغي أن يكون متبوعا حتى لا يكون متخلفا عن رسالته التي أعطاها الله له ، وفي ذلك خطر عليه وعلى المجتمعات الانسانية كلها ، فقد أصبح إنسان العصر الحديث ينظر إلى الحياة من زاوية مادية صرفة ، وترك الناحية الروحية والقيم الأخلاقية ، وهو بذلك يهدم نفسه ، ويهدم الانسانية باسم الحضارة ، ويصادر حريات الأفراد والجماعات باسم الحرية ، ويسام أنواعا من الظلم والقهر باسم الحرية ، والمسلمون يجرون الى هذا جرا ، وينالهم ما ينالهم من قتل وتعذيب وتنصير وتغريب ، ومن هنا أحسسنا بأننا في حاجة إلى المسلم الحقيقي شكلا وموضوعا بحيث تكون له طريقته الخاصة في التفكير التي تتسم بالذاتية والأصالة ، والتي تجعله يوحد بين الفكر والعمل ، بين العقيدة والسلوك السليم ، بين مسار العقل ومسار الروح ، فبذلك يستطيع المسلم المعاصر أن يقف على قدميه ، وأن يؤدي رسالته في هذه الحياة كاملة فينقذ نفسه ، وينقذ أمته ، وينقذ الانسانية كلها .

ولقد حاول الغرب عن طريق الحروب الصليبية أن يغير معالمنا ، وأن يضيع هويتنا ، وأن يبدل انتماءنا ولكنه لم ينجح رغم كل المحاولات التي بذلها .
ثم كانت الخطوة التالية في العصر الحديث حيث غيروا أسلوبهم ، وبدأوا ينفذون ما يريدون عن طريق أبناء المسلمين الذين قاموا بتربيتهم ، وتغيير أفكارهم ومفاهيمهم ، وأسلوب حياتهم ، وأصبحوا يخاطبون في أبناء المسلمين الأرض التي بذروا فيها ما يريدون وهم مطمئنون إلى أنهم يخاطبون من حيث الشكل مسلمين ، ولكنهم في الحقيقة يخاطبون أنفسهم .. ومع ذلك فهم من ورائهم يمدونهم بالأفكار والمال ويساندونهم بالقوة إن احتاج الأمر .
وقد أصبح فينا من يقول الآن : إن الغرب تقدم في الصناعة وفي التقنية وسبب ذلك أنهم تخلصوا من الدين فعلينا أن نحذوا حذوهم حتى لا نستمر في تأخرنا ــ وعلينا أن نبتعد عن سبب الضعف وأن نعزل الدين من حياتنا ... وإذا كان هذا الكلام ينطبق على الغرب لظروفهم الخاصة مع الكنيسة فانه لا ينطبق على الاسلام دين العمل الدائم ، ودين عمارة الأرض ودين العدالة والمساواة في ظل الصلة بالله وتطهير القلب ...
وقد آن الأوان لكي نسقط هذه الأفكار الغريبة عنا ، وندعو إلى إزالة هذه الغشاوة عن أعيننا ونبعد هذه المفاهيم المضللة عن أنفسنا وعن أبنائنا ، وندعو إلى الأيدلوجية الاسلامية نعتنقها ونطبقها ونحن على

أبواب قرن هجري جديد .
ولكي نستفيد من الهجرة الدروس الكافية التي تفيدنا في مجتمعنا الاسلامي المعاصر فلا بد وأن نعرف أسبابها والتخطيط لها وأسلوب التنفيذ ثم النتائج وطريقة بناء المجتمع الاسلامي حتى يمكننا أن نبني مجتمعنا الجديد على أساس سليم .

## أسباب الهجرة :

أرسل الله سبحانه وتعالى محمدا صلوات الله عليه إلى العالم ، يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والى تزكية نفوس المؤمنين ، ووحدة الجماعة المؤمنة ، والى أن يرتفع المسلمون فوق الماديات ذلك لأن الله خلقهم وكرمهم وجعل لهم رسالة في هذه الحياة ، يؤدون رسالته وينشرون فيها العدالة ويعمرونها — وكان المفروض أن تلقى هذه الرسالة القبول لدى جميع الناس .
لكن الناس لا ينظرون إلى هذه المثالية عادة ... إنهم ينظرون إلى ما في أيديهم من مال أو جاه أو سلطان ، وهم يخافون من هذه الدعوة أن تذهب بكل ما لهم من رصيد في هذه الجوانب .. من هنا فانهم لا يرغبون فيها ، ولا يحبون الانضواء تحت لوائها .. ومن زاوية أخرى فانهم يقفون صادين عنها الناس ويتهمونها بكل أنواع التهم كما يتهمون صاحب الرسالة بكل ذلك ، وهو الذي نشأ فيهم ، وعرفوا كل شئ عنه ، ووصفوه بالصادق الأمين ، ومن زاوية ثالثة فانهم يعذبون كل من دخل في هذا الدين الجديد ويتخذون كل الأساليب الممكنة ، حتى التي تتنافى مع تقاليد العرب في الجاهلية من كرم أو رجولة او غير ذلك ، والى أن يصل الأمر الى المؤامرة على قتل صاحب الدعوة فماذا كانت حجتهم ؟ لقد كانت حجتهم هي التي ذكرها القرآن الكريم : **( وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا )** القصص/٥٧ وكان رد القرآن الكريم عليهم : **( أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا )** القصص/٥٧
وفي البداية هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة ... والهجرة إلى الحبشة تبين لنا أن رابطة الدين بين أهل الكتاب أوثق من رابطتهم مع الوثنيين والملحدين ، لأن الأديان في مصدرها وأصولها تدعو إلى الايمان بالله واليوم الآخر ، وتتفق في الأهداف الاجتماعية الكبرى ، فوشائج القربى بينهم أوثق من أية وشيجة أخرى .. ولكن الهجرة إلى الحبشة حل مؤقت لا دائم فهم كاللاجئين السياسيين في العصر الحديث يجدون الأمن ولكنهم لا يستطيعون العمل ، فهم إذن قوة سلبية معطلة .. والوثنيون في مكة لا يستسلمون أمام أهل الحق ، وإن كانوا في قرارة نفوسهم يعلمون أن ما جاء به محمد هو الحق وقد بدأوا يستخدمون كل الوسائل للقضاء على الدين الجديد ، وكلما أخفقت وسيلة ابتكروا وسيلة

أخرى وهكذا ... وفي ذلك تدريب للمؤمنين حتى يستطيعوا حمل الرسالة كاملة ، ولكن حين ييأس المبطلون من إيقاف دعوة الحق ، وحين يفلت المؤمنون من أيديهم ، فانهم يلجأون إلى أسلوب آخر ... إلى قتل الداعية ظنا منهم أنهم إن قتلوه قضوا على دعوته .

لم يكفهم ما قاموا به من اضطهاد وتعذيب ، ولا ما قاموا به من تشويه للسمعة أمام القبائل الوافدة إلى مكة في موسم الحج ، ولم يكفهم اعتقال المسلمين ثلاث سنوات كاملة ، بل لقد اجتمعوا ليخططوا لقتل النبي صلوات الله عليه : والله من ورائهم محيط .

واستمر الرسول الكريم يربي أصحابه بالايمان ، ويغذي أرواحهم بالقرآن ، وفي الوقت نفسه أخذ يفكر في مستقبل الدعوة ، ويخطط للهجرة ، بعد أن تيقن أن لا أمل في مكة ولا في أهلها .

**التخطيط للهجرة :**

جاء إلى مكة نفر من الخزرج ليحجوا ، والتقى بهم النبي الكريم ، وحين عرف أنهم من الخزرج قال لهم : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال لهم عليه الصلاة والسلام : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الاسلام ورغبهم فيه فمالت قلوبهم إلى الاسلام ، وأجابوه إلى دعوته ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك .. ثم قالوا له : سنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ..

رجعوا إلى بلادهم وهم متحمسون لهذا الدين ، ونشطوا في الدعوة إليه ، وخلال عام واحد لم تبق دار من دور الأنصار إلا داخلها الاسلام ، وهذا يدل على أن البيئة الجديدة تربتها صالحة لاستقبال ، هذا الدين ، وقد يكون السبب في هذا راجعا إلى أن اليهود كانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج وكانوا يقولون لهم : إنهم سينضمون إليه وسيقتلونهم معه قتل عاد وإرم ..

وفي موسم الحج التالي خرج الستة الذين قاموا بالدعوة إلى ستة آخرين أسلموا ليلتقوا بالنبي الكريم . وقد التقوا به عند العقبة وعقد معهم بيعة سميت بيعة النساء فقد بايعهم على ألا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصونه في معروف .. وقال لهم النبي الكريم فان وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء عفا ، وسميت هذه البيعة بيعة النساء لأنها على غرار بيعة النبي الكريم للنساء بعد ذلك بسنوات ..

وأنا ألمح في هذه التسمية معنى آخر

فان عناصر البيعة كلها سلبي لا تفعل كذا ولا تفعل كذا والرجال أليق بهم الناحية الايجابية كما كان في بيعة العقبة الثانية .

عاد هذا الوفد إلى المدينة وأرسل النبي صلوات الله عليه معهم مصعب بن عمير ليكون معلما لهم ، وقد نجح في مهمته نجاحا عظيما لأنه يحمل الاخلاص الكامل لله ولرسوله والتضحية في سبيل الله بكل شئ ، وكان كيسا فطنا يتلو من القرآن ما يرقق به القلوب ، ويجعلها تتفتح للدين الجديد ، وعاد مصعب قبل موسم الحج ليقدم تقريره إلى النبي الكريم ويطمئنه على سير الدعوة في المدينة ثم كانت بيعة العقبة الكبرى التي رسم النبي لها حتى لا تحس بها قريش ، وأن عدد المشتركين فيها من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان .. وقد بايعوه على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يقوموا في الله لا يخافون لومة لائم ، وعلى أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأمهاتهم وأبناءهم ولهم الجنة .. ويلاحظ أن كل عناصر هذه البيعة إيجابي .. وقد أمرهم أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيبا وقال لهم : أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفلة الحواريين عيسى ابن مريم .

وهكذا أصبح للدولة الجديدة ملجأ تلجأ إليه وسط هذه الجزيرة التي تموج بالكفر ، وبدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة فرارا من الفتنة ، وتعاونا على إقامة المجتمع الجديد بداية لنشر الدعوة على مستوى العالم كله .

وأخذ المسلمون يهاجرون تباعا كل على طريقته الخاصة واجتمع طواغيت مكة في دار الندوة ليتخذوا قرارهم الحاسم ضد محمد ، واختلفت الآراء بعضهم يرى أن يعتقل في سجن لا يتصل به أحد ويترك حتى يموت وهو مقيد بقيوده ، وبعضهم يرى أن ينفى من مكة نفيا تاما ، ولكن المؤتمرين لم يوافقوا على هذين الرأيين ، واتفقوا على أن يأخذوا من كل بطن من قريش شابا جلدا فتيا ثم يعطى لكل منهم سيف صارم ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فيأخذون الدية — وقد سجل القرآن الكريم هذه المؤامرة في قوله تعالى : ( **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ) الأنفال/٣٠ .

وبدأ النبي الكريم يخطط للهجرة التخطيط الدقيق الكامل الذي لا يترك كبيرة ولا صغيرة في طوق البشر أن يعملها إلا عملها ثم وكل أمره بعد ذلك إلى الله .. وقد استبقى النبي معه أبا بكر وعليا كجزء من الخطة فلكل منهما دوره الهام ، وبدأ أبو بكر يقوم بدوره فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما استعدادا لهذه الرحلة واستأجر دليلا خبيرا بالصحراء ليستعين به في هذه الرحلة الشاقة وهو عبد الله ابن أريقط ، وكان مشركا

ودفع اليه الراحلتين فكانتا عنده ليعادهما .
وكان النبي الكريم يأتي بيت أبى بكر بكرة أو عشيا ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة ذهب إليه في الهاجرة فقال أبو بكر : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فلما دخل النبي قال له أخرج عني من عندك ، قال يا رسول الله : إنما هما ابنتاى وما ذاك فداك أبي وأمي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إن الله أذن لي في الخروج والهجرة فقال الصحبة يا رسول الله فقال : الصحبة .. ووضع النبي وصاحبه خطة الهجرة كاملة وحددا من يتصل بهما في الغار ومهمة كل منهم فمهمة عبد الله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب حاذق سريع الفهم أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما إذا أمسى في الغار ليبلغهما بأخبار ذلك اليوم وكانت مهمة عامر ابن فهيرة مولى أبى بكر أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحهما عليهما اذا أمسى في الغار فيقوم بمهمة مزدوجة الأولى أن يتبع أثر عبد الله بالغنم فيعفى عليه والثانية أن يحتلب الرسول وأبو بكر من الغنم وأن يذبحا ... وكانت مهمة على مزدوجة أيضا الأولى أن يبيت مكان النبي ليعمي الأمر على قريش والثانية أن يؤدي الودائع التي كانت عند النبي لأهل قريش .. أوليس من العجيب أن هذا الرسول الذي يكذبونه ويناصبونه العداء ويقيمون ضده المؤامرات ويسعون الى قتله ... أوليس من العجيب أن يكون موضع أمانة أهل مكة جميعا فلا يكون بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده ، ولذلك فان النبي الكريم جعل من مهمات على أداء هذه الودائع ..
وكانت مهمة عبد الله بن أريقط أن يكون دليلهما في هذه الرحلة ، لقد كان رجلا مشركا ولكنه خبير بالصحراء أمين موطن ثقة ، وقد دفع إليه أبو بكر بالراحلتين فكانتا عنده يعدهما لاستقبال سفر بعيد ..
إلى أين سيذهب الصاحبان ، إن الأمر سر لا يعرفه غيرهما وغير الدليل ، حتى إن أبناء أبى بكر كانوا لا يعرفون شيئا ـ ولم يعلموا إلا بعد وصولهم إلى المدينة تقول أسماء مكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل رجل من أسفل مكة يتغنى بأبيات من الشعر :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهه الى المدينة ... ومع أن المدينة تقع في شمال مكة إلا أن التخطيط الدقيق جعلهم يتجهون الى الجنوب لتضليل المطاردين ، وتخيروا الغار الذي يأوون اليه تجاه اليمن ... وارتدى على البرد الذي ينام فيه رسول الله وتسجى به على سريره وفي غفلة من الحراس انسل الرسول

الكريم إلى دار أبى بكر حيث خرجا من خوخة في ظهرها إلى غار ثور ..
وانطلق كفار قريش في آثار النبي وصاحبه يفتشون عنهم في كل مكان ، وينقبون في جبال مكة وكهوفها ويحاولون قص الأثر حتى وصلوا إلى غار ثور ، وخاف أبو بكر على النبي الكريم فهو الدعوة وقتله يعني نهاية الدعوة ، والطريق شاق وطويل ـ والزاد قليل ، والماء محدود ، وقد جرت عادة المسافرين أن يستريحوا في وقت القيلولة تحت أي ظل ـ لكن هؤلاء المهاجرين لم يستريحوا ، والوصف سهل ولكن المعاناة صعبة ولا يمكن أن يدركها إلا من احترق بنارها ، ونحن نلاحظ أن الذين يقطعون هذه الرحلة في طريق معبدة وسيارة معدة يشكون ويشكون ولكن أصحاب الرسالات تهون أمامهم كل الصعوبات ..

نعم الطريق صعب إلى الغار ووعر المسالك والرسول الكريم يغالب نفسه في الصعود حتى حفيت قدماه ، ويحمله الصديق حتى يصل إلى الغار ، ويطلب منه أن ينتظر حتى يتأكد من خلو الغار من وحوش الصحراء وهوامها ويقول له يا رسول الله : إنني إن مت فأنا فرد واحد ، وأما إن مت أنت فان موتك موت أمة .
ترى هل يعرف أحد من أهل الجزيرة بنبأ هذه الرحلة ، إن الصحافة لم تكن موجودة والبرق والهاتف والمذياع والتلفاز والطائرات والسيارات كلها وسائل نقل أو إبلاغ حديثة .. ومع ذلك فقد شاع نبأ تلك الهجرة في جوانب الصحراء وعلم به البدو والحضر على طول الطريق بين مكة والمدينة ـ كما أن الأماكن التي توقف فيها وصل خبرها إلى أهل مكة بعد رحيلهم عنها ... كما ترامت أخبار النبي الكريم وصاحبه إلى المدينة فكان أهلها يخرجون كل صباح ينتظرون **مقدمهما** في شوق ولهفة فاذا اشتد عليهم الحر عادوا إلى بيوتهم وهكذا كانوا يفعلون كل يوم ... وفي أحد الأيام صعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لبعض شأنه فرأي الرسول وصاحبه عن بعد فصرخ اليهودي بأعلى صوته : يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء ... هذا جدكم الذي تنتظرون ، فأسرع الأنصار الى السلاح يستقبلون به رسولهم وسمع التكبير يرج أنحاء المدينة واستقبله الجميع استقبال المؤمنين .
أوليس من العجيب أن يكون هذا الاستقبال لرجل لم يعرفوه من قبل ولم يروه في حياتهم وليس له ما يميزه عن غيره ، حتى إنه حين قدم لم يعرفوه من أبي بكر لأول وهلة وحتى ان العواتق كن يتراءينه من فوق البيوت فيقلن أيهم هو ؟
وهكذا نجحت هذه الرحلة التاريخية الهائلة التي احدثت آثارها في العالم كله بفضل التخطيط الدقيق والتنفيذ السليم وبفضل العناية الالهية الكاملة .
لقد خرج الرسول الكريم من مكة يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول لسنة ٥٣ من مولده ووصل إلى المدينة في اليوم الثالث عشر من هذا الشهر .

# هذا من الحديث النبوي

**نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقـدم باقـة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .**

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت : « كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « **تصدقن ولو من حليكن** » وكانت زينب تنفق على عبد الله ، وأيتام في حجرها ، فقالت لعبد الله ، سل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيجزى عني أن أنفق عليك ، وعلى أيتام في حجري من الصدقة ؟ فقال : سلى أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت امرأة من الأنصار على الباب ، حاجتها مثل حاجتي ، فمر علينا بلال ، فقلنا : سل النبي صلى الله عليه وسلم ، أيجزى عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري ؟ وقلنا : لا تخبر بنا ، فدخل فسأله ، فقال : « **من هما** » ؟ قال : زينب قال : « **أى الزيانب** » ؟ قال امرأة عبد الله قال : « **نعم ! لها أجران ، أجر القرابة ، وأجر الصدقة** » ( متفق عليه )

أيجزى : هل يكفي

لا تخبر بنا : لا تعين اسمنا ، بل قل تسألك امرأتان

أى الزيانب : أى زينب منهن ، فعرف باللام مع كونه علما لما نكر حين جمع

قال نعم : أى يجزى عنها أن تعطي زكاتها لزوجها ولها أجران

أجر القرابة : أى صلة الرحم . وأجر الصدقة أى ثوابها

واستدل بهذا الحديث على أنه يجوز للمرأة أن تدفع زكاتها المفروضة الى زوجها ويؤيد ذلك قولها ( أيجزىٔ عني ) ؟

والرسول الكريم لم يسألها عن الصدقة هل هي تطوع أو واجب ؟ فكأنه قال : يجزى عنك فرضا كان أو طوعا قال ذلك الشوكاني .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا قال : « **إني لا أقول إلا حقا** » ( رواه الترمذي )

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

**○ « من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا كتب له مائتا حسنة ومحى عنه مائتا سيئة ، ورفع له مائتا درجة ، وغفر له ذنوبه كلها ما تقدم وما تأخر الا القصاص .. » .**

**موضوع :**

قال ابن حجر : هذا كذب مختلق ، وإسناده مظلم مجهول .
وحكم الشوكاني في الفوائد المجموعة بكذبه .

**○ « من صلى في آخر جمعة من رمضان الخمس الصلوات المفروضة في اليوم والليلة قضت عنه ما أخل به من صلاة سنته » .**

**موضوع :**

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة هذا القول موضوع لا إشكال فيه ، ولم أجده في شئ من الكتب التي جمع مصنفوها فيها الأحاديث الموضوعة . ولكنه اشتهر عند جماعة من المتفقهين في عصر من العصور في بعض المدن ، وصار كثير منهم يفعلون ذلك ، ولا أدرى من وضعه لهم ، فقبح الله الكذابين .

ومن المعلوم أن الصلاة الفائتة لا تسقطها الصلاة اللاحقة .

وقد أفرد الفقهاء بابا للحديث عن كيفية قضاء الفوائت .

وأداء الصلوات المفروضة واجب في كل وقت ، وليس في آخر جمعة من رمضان فقط ، والذي ورد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شمر عن ساعد الجد ، وشد المئزر وأحيا الليل بالعبادة ، وذلك تعليما وتشريعا لأمته ليكتسبوا بذلك الأجر العظيم .

ومن غير المعقول أن يكون أداء الصلوات الخمس في آخر جمعة من رمضان مسقطا لغيرها من الصلوات المفروضة .

# السيرة النبوية كيف كتبت وتطورت وكيف يجب فهمها اليوم

## السيرة النبوية والتاريخ :

لا ريب أن سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تشكل الركيزة الأساسية لحركة التاريخ العظيم الذي يعتز به المسلمون على اختلاف لغاتهم وأقطارهم .

وانطلاقا من هذه السيرة دون المسلمون التاريخ .. ذلك لأن أول ما دونه الكاتبون المسلمون من وقائع التاريخ وأحداثه ، هو أحداث السيرة النبوية ، ثم تلا ذلك تدوين الأحداث التي تسلسلت على إثرها إلى يومنا هذا .

حتى التاريخ الجاهلي الذي ينبسط منتشرا وراء سور الاسلام في الجزيرة العربية ، إنما وعاه المسلمون من العرب وغيرهم واتجهوا إلى رصده وتدوينه ، على هدي الاسلام الذي جاء فحدد معنى الجاهلية ، وعلى ضوء المعلمة التاريخية الكبرى التي تمثلت في مولد أفضل الورى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة حياته .

إذا ، فالسيرة النبوية تشكل المحور الذي تدور حوله حركة التدوين لتاريخ الاسلام في الجزيرة العربية .

للدكتور : محمد سعيد رمضـان البوطي

بل هي العامل الذي أثر في أحداث الجزيرة العربية أولا ، ثم في أحداث سائر العالم الاسلامي ثانيا .

ولقد امتلك فن الرواية لأحداث التاريخ عند العرب والمسلمين منهجا علميا دقيقا لرصد الوقائع وتمييز الصحيح منها عن غيره ، لم يملك مثله غيرهم . غير أنهم لم يكونوا ليكتشفوا هذا المنهج ، ولم يكونوا لينجحوا في وضعه موضع التنفيذ في كتاباتهم التاريخية ، لولا السيرة النبوية التي وجدوا أنفسهم أمام ضرورة دينية تحملهم على تدوينها تدوينا صحيحا لا يشوبها وهم ولا يتسلل اليها خلط أو افتراء .. ذلك لأنهم علموا أن سيرة سيدنا رسول الله صلى الله وسلم وسنته هما المفتاح الأول لفهم كتاب الله تعالى . ثم هما النموذج الأسمى لكيفية تطبيقه والعمل به . فكان أن نهض بهم دافع اليقين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأن القرآن كلام الله تعالى ، وبأنهم يحملون مسؤولية العمل بمقتضاه ، وأن الله محاسبهم على ذلك حسابا دقيقا ــ نهض بهم اليقين بكل ذلك إلى تحمل اقسى الجهد في سبيل الوصول الى منهج علمي تحصن فيه حقائق السيرة والسنة النبوية المطهرة .

وإنما أقصد بالمنهج العلمي قواعد مصطلح الحديث ، وعلم الجرح والتعديل . فمن المعلوم أن ذلك إنما وجد اولا لخدمة السنة المطهرة التي لا بد ان تكون السيرة النبوية العامة قاعدة لها . ثم انه أصبح بعد ذلك منهجا لخدمة التاريخ عموما ، وميزانا لتمييز حقائقه عن الأباطيل التي قد تعلق به .

والذي أريد بيانه من خلال هذه المقدمة ، هو ان كتابة السيرة النبوية ، كانت البوابة العريضة الهامة التي دخل منها المسلمون إلى دراسة التاريخ وتدوينه عموما ، وأن القواعد العلمية التي استعانوا بها لضبط الروايات والأخبار ، هي ذاتها القواعد التي أبدعتها عقول المسلمين شعورا منهم بالحاجة الماسة الى حفظ مصادر الاسلام وينابيعه الأولى من أن يصيبها أي دخيل يعكره .

## كيف بدأت ثم تطورت كتابة السيرة :

تأتي كتابة السيرة النبوية ــ من حيث الترتيب الزمني ــ في الدرجة الثانية بالنسبة لكتابة السنة النبوية ، فلا جرم أن كتابة السنة ، أي الحديث النبوي ، كانت أسبق من كتابة السيرة النبوية عموما . اذ السنة بدأت كتابتها ، كما هو معلوم ، في حياة رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، باذن ، بل بأمر منه عليه الصلاة والسلام . وذلك بعد أن اطمأن الى أن أصحابه قد تنبهوا للفارق الكبير بين أسلوبي القرآن المعجز والحديث النبوي البليغ . فلن يقعوا في لبس بينهما .

أما كتابة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه بصورة عامة ، فقد جاء ذلك متأخرا عن البدء بكتابة السنة ، وإن كان الصحابة يهتمون بنقل سيرته ومغازيه شفاها .

ولعل أول من اهتم بكتابة السيرة النبوية عموما ، هو عروة بن الزبير المتوفى : ٩٢ ثم أبان بن عثمان المتوفى : ١٠٥ هـ ثم وهب بن منبه المتوفى : ١١٠ هـ ثم شرحبيل بن سعد المتوفى :١٢٣ هـ ثم ابن شهاب الزهري المتوفى : ١٢٤ هـ .

إن هؤلاء يعدون ، ولا ريب ، في مقدمة من اهتموا بكتابة السيرة النبوية ، كما تعد كتاباتهم طليعة هذا العمل العلمي العظيم ، بل تعد الخطوة الأولى ـ كما ألمحنا ـ الى كتابة التاريخ والاهتمام به عموما ، هذا بقطع النظر عن أن الكثير من أحداث السيرة منثور في كتاب الله تعالى وفي بطون كتب السنة التي تهتم من سيرته صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله ، لا سيما ما يتعلق منها بالتشريع .

غير أن جميع ما كتبه هؤلاء ، قد باد وتلف مع الزمن ، فلم يصل الينا منه شيء . ولم يبق منه الا بقايا متناثرة روى بعضها الطبري ، ويقال إن بعضها الآخر ـ وهو جزء مما كتبه وهب بن منبه ـ محفوظ في مدينة هايدلبرج بألمانيا .

ولكن جاء في الطبقة التي تلي هؤلاء من تلقف كل ما كتبوه ، فأثبتوا جله في مدوناتهم التي وصل الينا معظمها ، بحمدالله وتوفيقه ، ولقد كان في مقدمة هذه الطبقة محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥٢ هـ . وقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه محمد بن اسحاق يعد من أوثق ما كتب في السيرة النبوية في ذلك العهد ولئن لم يصل الينا كتابه « المغازي » بذاته ، إلا أن أبا محمد عبد الملك المعروف بابن هشام قد جاء من بعده ، فروى لنا كتابه هذا مهذبا منقحا ، ولم يكن قد مضى على تأليف ابن اسحاق له اكثر من خمسين سنة .

يقول ابن خلكان : « وابن هشام هذا ، هو الذي جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المغازي والسير لابن اسحاق ، وهذبها ، ولخصها ، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس والمعروفة بسيرة ابن هشام » .

وعلى كل ، فان مصادر السيرة النبوية التي اعتمدها سائر الكتاب على اختلاف طبقاتهم محصورة في المصادر التالية :

أولا ـ كتاب الله تعالى . فهو المعتمد الأول في معرفة الملامح العامة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الاطلاع عل المراحل الاجمالية لسيرته الشريفة ، بقطع النظر عن اسلوب القرآن في بيان ذلك .

ثانيا : كتب السنة النبوية ، وهي

تلك التي كتبها أئمة الحديث المعروفون بصدقهم وأمانتهم ، كالكتب الستة وموطأ الامام مالك ومسند الامام أحمد وغيره ، وان كانت عناية هذه الكتب الأولى إنما تنصرف إلى أقوال رسول الله وأفعاله من حيث إنها مصدر تشريع ، لا من حيث هي تاريخ يدون . ولذلك رتبت أحاديث كثير من هذه الكتب على الأبواب الفقهية ورتب بعضها على أسماء الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث ، ولم يراع فيها التتابع الزمني للأحداث .

ثالثا ـ الرواة الذين اهتموا بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته عموما ، وقد كان في الصحابة الكثير ممن اهتم بذلك ، بل ما من صحابي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد من مشاهد سيرته إلا ورواه لسائر الصحابة ولمن بعده أكثر من مرة . ولكن دون أن يهتم واحد منهم في بادئ الأمر بجمعها وتدوينها . وأحب أن ألفت النظر هنا إلى الفرق بين عموم ما يسمى كتابة وتقييدا ، وخصوص ما يسمى تأليفا أو تدوينا . أما الأول فقد كان موجودا بالنسبة للسنة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا آنفا ، وأما الثاني « ويراد به الجمع والتنسيق بين دفتين » فقد ظهر فيما بعد ، عندما ظهرت الحاجة إلى ذلك .

## المنهج العلمي في رواية السيرة النبوية :

من المعلوم أن كتابة السيرة النبوية ، تدخل في عموم ما يسمى تأريخا ، وان كانت السيرة النبوية ـ كما أوضحنا ـ منطلقا للتأريخ وحافزا على رصد الوقائع والأحداث التي خلت قبلها والتي جاءت متسلسلة على أعقابها .

ولكن على أي منهج اعتمد كتاب السيرة في تأريخها وتدوينها ؟

لقد كان منهجهم المعتمد في ذلك اتباع ما يسمى اليوم بالمذهب الموضوعي في كتابة التاريخ . طبق قواعد علمية سنشير اليها .

ومعنى هذا أن كتاب السيرة النبوية وعلماءها ، لم تكن وظيفتهم بصدد أحداث السيرة ، إلا تثبيت ما هو ثابت منها ، بمقياس علمي يتمثل في قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن ، وفي قواعد الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجمهم وأحوالهم .

فاذا انتهت بهم هذه القواعد العلمية إلى أخبار ووقائع ، وقفوا عندها ، ودونوها ، دون أن يقحموا تصوراتهم الفكرية أو انطباعاتهم النفسية أو مألوفاتهم البيئية إلى شئ من تلك الوقائع بأي تلاعب او تحوير .

لقد كانوا يرون أن الحادثة التاريخية التي يتم الوصول إلى معرفتها ، ضمن نفق من هذه القواعد العلمية التي تتسم بمنتهى الدقة ، حقيقة مقدسة ، يجب أن تجلى أمام الأبصار والبصائر كما هي . كما كانوا يرون أن من الخيانة التي لا تغتفر أن ينصب من التحليلات الشخصية والرغبات النفسية التي هي في الغالب

من انعكاسات البيئة ومن ثمار العصبية ، حاكم مسلط يستبعد منها ما يشاء ويحور فيها كما يريد .
ضمن هذه الوقاية من القواعد العلمية ، وعلى ذلك الأساس من النظرة الموضوعية ، للتاريخ ، وصلت الينا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بدءا من ولادته ونسبه ، إلى طفولته ، فصبوته اليافعة ، إلى الارهاصات الخارقة التي صاحبت مراحل طفولته وشبابه ، إلى بعثته وظاهرة الوحي التي تجلت في حياته ، إلى اخلاقه وصدقه وأمانته ، إلى الخوارق والمعجزات التي أجراها الله تعالى على يده ، إلى مراحل الدعوة التي سار فيها لتلبية أمر ربه ، من سلم ، فدفاع ، فجهاد مطلق حيثما طاف بالدعوة إلى الله تعالى أي تهديد ، إلى الأحكام والمبادئ الشرعية التي أوحى بها إليه ، قرآنا معجزة يتلى ، وأحاديث نبوية تشرح وتبين .
لقد كان العمل التاريخي إذاً بالنسبة إلى هذه السلسلة من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ينحصر في نقلها إلينا محفوظة مكلوءة ضمن تلك الوقاية العلمية التي من شأنها ضبط الرواية من حيث الأسناد واتصاله ومن حيث الرجال وتراجمهم ومن حيث المتن أو الحادثة وما قد يطوف بها من شذوذ ونحوه .
أما عملية استنباط النتائج والأحكام والمبادئ والمعاني من هذه الأخبار « بعد القبول التام لها » فعمل علمي آخر لا شأن له بالتاريخ ، وما ينبغي أن يمزج به بحال من الأحوال .
إنه عمل علمي متميز ، ومستقل بذاته ، ينهض بدوره على منهج وقواعد أخرى من شأنها أن تضبط استنباط النتائج والمبادئ من تلك الأحداث ، ضمن قالب علمي يقصيها عن سلطان الوهم وشهوة الارادة النفسية التي يعبر عنها أمثال « وليم جيمس » بارادة الاعتقاد .
من هذه القواعد : القياس الاستقرائي ، وقانون الالتزام بأنواعه المختلفة ، والدلالات بأنواعها .. الخ .
ولقد استنبطت من أحداث السيرة النبوية طبقاً لهذه القواعد أحكام كثيرة ، منها ما يتعلق بالاعتقاد واليقين ، ومنها ما يتعلق بالتشريع والسلوك . والمهم في هذا الصدد أن نعلم بأنها جاءت منفصلة عن التاريخ وتدوينه ، بعيدة عن معناه ومضمونه ، وانما كانت نتيجة معاناة علمية أخرى نهضت في وجودها على البنيان التاريخي الذي قام بدوره على القواعد العلمية التي ذكرناها .

### السيرة النبوية على ضوء المذاهب الحديثة في كتابة التاريخ :

في القرن التاسع عشر ظهرت طرائق كثيرة متنوعة في كتابة التاريخ وتدوينه ، إلى جانب الطريقة الموضوعية ، أو ما يسمونه بالمذهب العلمي ، وقد تلاقى معظم هذه المذاهب فيما أطلق عليه اسم المذهب الذاتي . ويعد « فرويد » من أكبر الدعاة اليه والمتحمسين له .

ولا يرى أقطاب هذا المذهب من ضير في أن يقحم المؤرخ نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري أو الديني أو السياسي ، في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على أبطالها ... بل إنهم يرون أن هذا هو واجب المؤرخ ، لا مجرد تجميع الأخبار والوقائع العارية .

وهذه الطريقة تجعل كتابة التاريخ وتدوينه عملا فنيا مجردا ، ولا تسمح بعده نهوضا بعمل علمي دقيق .

ونحن وان كنا لسنا بصدد الحديث عن المذاهب التاريخية ونقدها ، فان علينا ألا نخفي أسفنا من أن يجد هذا المذهب ـ في عصر العلم والاعتزاز به وبمنهجيته ـ دعاة إليه ومؤمنين به . ذلك لأن هذا المذهب كفيل أن يمزق جميع الحقائق والأحداث التي يحتضنها الزمن في هيكله القدسي القديم الماثل أمام الأجيال ، بفعل سبحات من أخيلة التوسم وشهوة الذات وعصبية النفس والهوى ، وكم من حقيقة مسخت ، وأحداث نكست ، وأمجاد دثرت ، وبرءاء ظلموا ، تحت سلطان هذه المحكمة الوهمية الجائرة .

فهل كان لهذا المذهب الجديد من تأثير على كتابة السيرة وطريقة تحليلها ؟

الحقيقة أن هذا المذهب الجديد في كتابة التاريخ قد أصبح أساسا لمدرسة جديدة في دراسة السيرة النبوية وفهمها عند طائفة من الباحثين . فكيف نشأت هذه المدرسة ؟... وما هي عوامل نشأتها ؟... وما مصيرها اليوم ؟..

تعود نشأة هذه المدرسة الى أيام الاحتلال البريطاني لمصر ، لقد كانت مصر آنذاك منبر العالم الاسلامي كما نعلم ، يعنو إليه بتفكيره وعقله كلما أراد أن يعلم عن الاسلام علما ، كما يعنو إلى كعبة الله بوجهه كلما أراد حجا أو صلاة .

وكان في استمرار هذا الصوت العظيم من جانب ، وفي استمرار إنصات العالم الاسلامي إليه من جانب آخر ، ما لا يدع للاحتلال البريطاني فرصة هدوء أو استقرار . ومهما أخضعت بريطانيا لنفسها الوادي كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار . فانه خضوع موقوت لا يطمأن إليه ، ما بقيت للأزهر هذه القيادة الحية .

لذا فقد كان لا بد للاحتلال البريطاني من الاقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما :

اولهما : أن يقطع ما بين الأزهر والأمة ، بحيث لا يبقى له عليها من سلطان .

ثانيهما : أن يتم التسلل الى مركز العمليات القيادية في الأزهر ذاته ، فتوجه قيادته الوجهة التي ترضي مصالح الاحتلال وتهيىء له أسباب الطمأنينة والاستقرار .

ولم تتردد بريطانيا في اختيار العلاج الثاني ، نظرا إلى أنه أقرب منالا وأبعد عن الملاحظة والانتباه .

وكان السبيل الوحيد إلى هذا التسلل نحو القيادة العلمية والفكرية داخل الأزهر ، الاعتماد على نقطة ضعف أليمة كانت تعاني منها مشاعر الأمة الاسلامية عامة ، بما فيها مصر

وغيرها وهي إحساس المسلمين بما انتابهم من الضيعة والتخلف والشتات ، إلى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التي نهضها الغرب في شتى المجالات الفكرية والعلمية والحضارية !... لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب إلى اليوم الذي يتحررون فيه من الأثقال التي خلفتهم إلى الوراء ، ليشتركوا مع الآخرين في رحلة الحضارة والمدنية والعلم الحديث .

من هذا السبيل تسلل الهمس ، بل الكيد الاستعماري إلى صدور بعض من قادة الفكر في مصر . ولقد كان مؤدي هذا الهمس أن الغرب لم يتحرر من أغلاله ، إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم .. فالدين شيء والعلم شيء آخر ، ولا يتم التوفيق بينهما إلا باخضاع الأول للثاني . وإذا كان العالم الاسلامي حريصا حقا على مثل هذا التحرر فلا مناص له من أن يسلك الطريق ذاته ، وأن يفهم الاسلام هنا ، كما فهم الغرب النصرانية هناك . ولا يتحقق ذلك الا بتخلص الفكر الاسلامي من سائر الغيبيات التي لا تفهم ولا تخضع لمقاييس العلم الحديث .

وسرعان ما خضع لهذا الهمس ، أولئك الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوروبية الحديثة ، ممن لم تترسخ حقائق الايمان بالله في قلوبهم ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه في عقولهم . فتنادوا فيما بينهم إلى التحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل إليها اكتشافات العلم الحديث ، ولم تدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الانسانية .

فكان أن قاموا بما سمي فيما بعد بالاصلاح الديني . واقتضى منهم ذلك ، أمورا عديدة ، منها تطوير كتابة السيرة النبوية وفهمها ، واعتماد منهج جديد في تحليلها ، يتفق وما استهدفوه من الاعراض عن كل ما يدخل في نطاق الغيبيات والخوارق التي لا يقف العلم الحديث منها موقف فهم أو قبول .

ولقد كان لهم في الطريقة الذاتية في كتابة التاريخ خير ملجأ يعينهم على تحقيق ما قصدوا إليه .

وبدأت تظهر كتب وكتابات في السيرة النبوية ، تستبدل بميزان الرواية والسند وقواعد التحديث وشروطه ، طريقة الاستنتاج الشخصي ، وميزان الرضا النفسي ، ومنهج التوسم الذي لا يضبطه شيء ، إلا دوافع الرغبة ، وكوامن الأغراض والمذاهب التي يضمرها المؤلف .

وإعتمادا على هذه الطريقة أخذ يستبعد هؤلاء الكاتبون ، كل ما قد يخالف المألوف ، مما يدخل في باب المعجزات والخوارق ، من سيرته صلى الله عليه وسلم . وراحوا يروجون له صفة العبقرية والعظمة والبطولة وما شاكلها ، شغلا للقارئ بها عن صفات قد تجره إلى غير المألوف من النبوة والوحي والرسالة ونحوها مما يشكل المقومات الأولى لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم .

ويعد كتاب « حياة محمد » لحسين هيكل أبرز نموذج لهذا

الاتجاه في كتابة السيرة النبوية . ويعبر مؤلفه عن اتجاهه هذا بصراحة وفخر عندما يقول :

« إنني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث ، لأنني فضلت أن أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية » ..!

ومن نماذج هذه الطريقة الحديثة في كتابة السيرة وفهمها ، تلك المقالات المتابعة التي نشرها المرحوم محمد فريد وجدي في مجلة نور الاسلام تحت عنوان :

( السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ) والتي يقول في بعض منها :

« وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص كل الحرص فيما نكتبه في هذه السيرة ، على ألا نسرف في كل ناحية إلى ناحية الاعجاز ، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف » .

ومن نماذج هذه الطريقة أيضا تلك الكتابات الكثيرة التي ظهرت لطائفة من المستشرقين عن حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، في نطاق أعمالهم وكتاباتهم التاريخية التي قامت على المنهج الذاتي الذي ألمحنا اليه آنفا .

إنك لتراهم يمجدون شخص محمد صلى الله عليه وسلم ، وينوهون بعظمته وصفاته الحميدة ، ولكن بعيدا عن كل ما قد ينبه القارىء إلى شيء من معنى النبوة أو الوحي في حياته ، وبعيدا عن الاهتمام بالأسانيد والروايات التي قد يضطرهم الأخذ بها إلى اليقين بأحداث ووقائع ليس من صالحهم اعتمادها أو الاهتمام بها .

وهكذا وجد أبطال هذه المدرسة الجديدة ، في اتباع المذهب الذاتي في كتابة التاريخ ، الميدان الفسيح الذي يمكنهم من نبذ كل ما لا يعجبهم من حقائق السيرة النبوية مهما جاءت مدعومة بدلائل العلم واليقين ، متخذين من ميولهم النفسية ، ورغباتهم الشخصية وأهدافهم البعيدة ، حاكما مطلقا على حقائق التاريخ وتحليل ما وراءه من العوامل ، وحكما مطلقا لقبول ما ينبغي قبوله ورفض ما يجب رفضه .

لقد رأينا ـ مثلا ـ أن كل خارقة مما قد جاء به متواتر السنة ، وربما صريح القرآن ، تؤول ، ولو بتكلف وتمحل ، بما يعيدها إلى الوفاق مع المألوف ، وبما يجعلها تنسجم مع الغرض المطلوب .

فطير الأبابيل ، يؤول ـ على الرغم من أنف الآية الصريحة الواضحة ـ بداء الجدري .

والاسراء الذي جاء به صريح القرآن ، يحمل على سياحة الروح وعالم الرؤى .

والملائكة الذين أمد الله المسلمين بهم في غزوة بدر يؤولون بالدعم المعنوي الذي أكرمهم الله به .!!

وآخر المضحكات العجيبة التي جاءت على هذا الطريق ، تفسير النبوة في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمان الصحابة به وعموم الفتح الاسلامي ، بأن جميعه لم يكن

إلا «أثورة يسار ضد يمين» ، اثارتها النوازع الاقتصادية انتجاعا للرزق وطلبا للتوسع ، وألهبتها ردود الفعل لدى الفقراء ضد الأغنياء وأصحاب الاقطاع ..!

* * *

وبعد ، فقد كانت هذه الطريقة في دراسة السيرة النبوية خصوصا ، والتاريخ الاسلامي عموما ، مكيدة خطيرة عشيت عن رؤيتها أعين البسطاء من بعض المسلمين وصادفت هوى وقبولا حسنا عند طائفة اخرى من المنافقين وأصحاب الأهواء .

لقد غاب عن أعين أولئك البسطاء ، ان ذلك الهمس الاستعماري الذي يدعو المسلمين إلى ما أسموه بثورة أصلاحية في شؤون العقيدة الاسلامية ، إنما استهدف في الحقيقة نسف هذه العقيدة من جذورها .

وغاب عنهم أن تفريغ الاسلام من حقائقه الغيبية ، إنما يعني حشوه بمنجزات ناسفة تحيله أثرا بعد عين . ذلك لأن الوحي الالهي ـ وهو ينبوع الاسلام ومصدره ـ يعد قمة الخوارق والحقائق الغيبية كلها . ولا ريب أن الذي يسرع إلى رفض ما قد جاء في السيرة النبوية من خوارق العادات ، بحجة اختلافها عن مقتضى سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث ، يكون أسرع إلى رفض الوحي الالهي كله مما يتبعه ويتضمنه من إخباراته عن النشور والحساب والجنة والنار بالحجة الطبيعية ذاتها .

كما غاب عنهم أن الدين الصالح في ذاته لا يحتاج في عصر ما إلى مصلح يتدارك شأنه ، أو إصلاح يغير من جوهره .

غاب عن هؤلاء الناس هذا كله ، مع أن إدراكهم له كان من أبسط مقتضيات العلم ، لو كانوا يتمتعون بحقيقته وينسجمون مع منطقيته . ولكن أعينهم عشيت في غمرة انبهارها بالنهضة الأوروبية الحديثة وما قد حف بها من شعارات العلم وألفاظه ، فلم تبصر من حقائق المنطق والعلم الا عناوينها وشعاراتها ، وقد كانوا بأمس الحاجة إلى فهم كل ما وراء تلك العناوين وإلى هضم صحيح لمضمون تلك الشعارات . فلم يعد يستأثر بتفكيرهم الا خيال نهضة «إصلاحية» تطور العقيدة الاسلامية هنا كما تطورت العقيدة النصرانية هناك .

وهكذا ، فقد كان عماد هذه المدرسة الحديثة التي أشرنا اليها بايجاز ، هياجا في النفس ، أكثر من أن يكون حقيقة علمية مدروسة استحوذت على العقل .

**مصير هذه المدرسة اليوم :**

والحقيقة أن الاهتمام بهذه المدرسة في كتابة السيرة وفهمها ، والحماسة التي ظهرت يوما ما لدى البعض في الأخذ بها ـ انما كان منعطفا تاريخيا ومر .. وعذر أولئك الذين كتب عليهم أن يمروا بذلك المنعطف أو يمر هو بهم ، انهم

كانوا ـ كما قلنا ـ يفتحون أعينهم إذ ذاك على خبر النهضة العلمية في أوروبا ، بعد طول غفلة واغماض . وانه لأمر طبيعي أن تنبهر العين عند أول لقياها مع الضياء ، فلا تتبين حقائق الأشياء ، ولا تتميز الأشباه عن بعضها . حتى إذا مر وقت ، واستراحت العين إلى الضياء ، أخذت الأشياء تتمايز وبدت الحقائق واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض .

وهذا ما قد تم فعلا . فقد انجابت الغاشية ، وصفت أسباب الرؤية السليمة أمام الأبصار .. أبصار الجيل الواعي المثقف اليوم . فانطلق يتعامل مع حقيقة العلم وجوهره ، بعد أولئك الذين أخذوا بألفاظه وانخدعوا بشعاراته ثم عادوا وقد أيقنوا ببصيرة الباحث العليم والمفكر الحر ، بأن شيئا مما يسمى بالخوارق والمعجزات لا يمكن أن تتنافى في جوهرها مع حقائق العلم وموازينه .

ذلك لأن هذه الخوارق سميت كذلك لخرقها لما هو مألوف أمام الناس . وما كان للالف أو العادة أن يكون مقياسا علميا لما هو ممكن وغير ممكن . وهيهات أن يقضي العلم يوما ما بأن كل ما استأنست إليه عين الانسان مما هو مألوف ممكن الوقوع ، وأن كل ما استوحشت منه عين الانسان مما هو غير مألوف له غير ممكن الوقوع .

ولقد علم كل باحث ومثقف اليوم بأن أحدث ما انتهت اليه مدارك العلماء في هذا الصدد ، هو أن العلاقة التي نراها بين الأسباب ومسبباتها ، ليست الا علاقة اقتران مطرد ، اكتسبت تحليلا ، ثم تعليلا ، ثم استنبط منها القانون الذي هو تابع لظهور تلك العلاقة وليس العكس .

فان رحت تسأل القانون العلمي عن رأيه في خارقة او معجزة الهية ، قال لك بلسان الحال الذي يفقهه كل عالم بل كل متبصر بثقافة العصر : ليست الخوارق والمعجزات من موضوعات بحثي واختصاصي ، فلا حكم لي عليها بشيء . ولكن اذا وقعت خارقة من ذلك أمامي فانها تصبح في تلك الحال موضوعا جاهزا للنظر والتحليل ، ثم الشرح والتعليل ، ثم تغطي تلك الخارقة بقانونها التابع لها .

وقد انقرض الزمن الذي كان بعض العلماء يظنون فيه أن أثر الأسباب الطبيعية في مسبباتها أثر حتمي يستعصي على التخلف والتغيير . وانتصر الحق الذي طالما نبه إليه ودافع عنه علماء المسلمين عامة والامام الغزالي خاصة ، من أن علاقات الأسباب بمسبباتها ليست أكثر من رابطة اقتران مجردة . وما العلم في أحكامه وقوانينه الا جدار ينهض فوق أساس هذا الاقتران وحده . أما سر هذا الاقتران فهو عند ذلك الاله العظيم الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

ولقد رأينا العالم التجريبي « دافيد هيوم » كيف يجلي هذه الحقيقة بأنصع بيان صارم .

نعم ، لا بد ان يشترط كل انسان

عاقل يحترم العقل والحقيقة ، لقبوله اي خبر ، سواء تضمن أمرا خارقا أو مألوفا ، شرطا واحدا ، الا وهو ان يصل نلك الخبر إليه عن طريق علمي سليم ينهض على قواعد الروايةوالاسناد ومقتضيات الجرح والتعديل ، بحيث يورث الجزم واليقين ، وتفصيل القول في هذه الموازين العلمية العظيمة يستلزم كلاما طويل الذيل لسنا بصدد شيء منه الآن .

إن رجل العلم اليوم ، ليأخذ منه العجب كل مأخذ ، عندما يقف أمام هذا الذي يقوله رجل مثل حسين هيكل في مقدمة كتابه « حياة محمد » .

« واني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث ، لأنني فضلت أن أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية » .

أي انه يطمئنك إلى أنه لم يأخذ حتى بما قد ثبت في صحيحي البخارى ومسلم ، حفظا لكرامة العلم !.. اذا فان ما يرويه الامام البخاري ضمن قيود رائعة عجيبة من الحيطة العلمية النادرة في رواية الكلمة والخبر ، انحراف عن جادة العلم .. على حين تكون طريقة الاستنتاج والحدس والتخمين وما يسمونه بمنهج التوسم ، حفظا لكرامته والتزاما لميزانه وجادته !..

أليس هذا من أفجع الكوارث النازلة برأس العلم ؟..

**وأخيرا : كيف ندرس السيرة النبوية على ضوء ما قد ذكرناه :**

إن محمدا صلى الله عليه وسلم ، عندما ظهر في الجزيرة العربية ، قدم نفسه إلى العالم على أنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل إلى الناس كافة ، ليؤكد لهم الحقيقة التي بعث بها الأنبياء الذين خلوا من قبل ، وليحملهم المسؤوليات ذاتها التي حملها الأنبياء السابقون أقوامهم ، موضحا أنه آخر نبي مرسل في سلسلة الرسل الذين تعاقبوا مع الزمن ، ثم زاد نفسه تعريفا لهم فأوضح أنه ليس الا بشرا من الناس يسرى عليه جميع سمات البشرية وأحكامها ، ولكن الله ائتمنه ـ بوساطة الوحي ـ على تبليغ الناس رسالة تعرفهم بهوياتهم الحقيقية ، وتنبههم الى موقع هذه الحياة الدنيا من خارطة المملكة الالهية زمانا ومكانا ، وإلى مصيرهم الذي سيلقونه حتما بعد الموت ، كما تلفت نظرهم الى ضرورة انسجامهم في سلوكهم الاختياري مع هوياتهم التي لا مفر منها ، اي أن عليهم أن يكونوا عبيدا لله بيقينهم وسلوكهم الاختياري ، كما تحققت فيهم هذه العبودية بالواقع الاضطراري . ثم أكد لهم بكل مناسبة انه لا يملك أن يزيد أو ينقص أو يبدل شيئا من مضمون هذه الرسالة التي حمله الله مسؤولية ابلاغها الى الناس جميعا ، بل أكد البيان الالهي ذاته هذه الحقيقة قائلا :

« **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من احد عنه حاجزين** » الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٧ .

وإذا ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يقدم نفسه إلى العالم زعيما سياسيا ، او قائدا وطنيا ، أو رجل فكرة ومذهب ، او مصلحا اجتماعيا .. بل لم يتخذ لنفسه ، خلال حياته كلها ، أي سلوك قد يوحي بأنه يسعى سعيا ذاتيا إلى شيء من ذلك .

وإذا كان الأمر هكذا ، فان الذي يفرضه المنطق علينا ، عندما نريد أن ندرس حياة رجل هذا شأنه ، ان ندرس حياته العامة من خلال الهوية التي قدم نفسه الى العالم على أساسها ، لنستجلي فيها دلائل الصدق او عدمه على ما يقول !..

وهذا يلزمنا ، بلا ريب ، أن ندرس جميع النواحي الشخصية والانسانية في حياته ، ولكن على ان نجعل من ذلك كله قبسا هاديا يكشف لنا ببرهان علمي وموضوعي عن حقيقة هذه الهوية التي قدم نفسه الى العالم على أساسها .

نعم ، ربما كان مقبولا ان نزعم بأننا لسنا مضطرين ان نشغل أفكارنا وعقولنا بهذا الذي أراد محمد صلى الله عليه وسلم أن يشغل الناس به من معاني النبوة والرسالة في شخصه ، لو أن الأمر لم يكن متعلقا بمصيرنا ، ولم يكن له من شأن بحريتنا وسلوكنا .

أما وإن القضية متعلقة بذواتنا ، وتكشف — إن صح الأمر — عن واجبات في المعرفة والسلوك إن لم نسع إلى تحقيقها ، وقعنا من ذلك في مغبة شقاء عظيم وهلاك وبيل — إذاً فالمسألة أخطر من أن نتصور أنها لا تعنينا ، أو أن نمر عليها معرضين عابثين !..

من العبث البين عندئذ أن نعرض عن دراسة هذه الهوية التي عرف محمد صلى الله عليه وسلم العالم على نفسه من خلالها ، ثم نتشاغل بالتأمل في جوانب أخرى من شخصه لا صلة لها بنا ، وليس لها بتلك الهوية أي تعلق أو مساس .

أجل ، وأي عبث أعبث من أن يقف أمامنا هذا الرجل : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ليكشف لنا عن ذاته ، ثم ليقول لنا محذرا بملء يقينه ومشاعره : « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ووالله إنها لجنة أبدا ، او لنار أبدا » — ثم لا يهمنا من شخصه وكلامه هذا إلا التأمل في عبقريته أو فصاحته وحكمته ؟!..

أليس هذا ، كما لو أقبل إليك إنسان وأنت على مفترق طرق ، يعرفك منها على السبيل الموصل الهادي ويحذرك من المتاهات المهلكة ، فلم تلتفت من كل ما يقوله لك إلا إلى مظهره ولون ثيابه وطريقة حديثه ، ثم رحت تجعل من ذلك موضع درس وتحليل تستغرق فيه ؟!..

إن المنطق يقضي أن ندرس حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من شتى جوانبها : نشأته وأخلاقه ، وحياته الشخصية والبيئية ، وصبره وكفاحه ، وسلمه وحربه ، وتعامله مع أصدقائه وأعدائه ، وموقفه من الدنيا وأهوائها وزخرفها ، دراسة

موضوعية تتوخى الصدق والدقة بناء على المنهج العلمي الذي يقضي باتباع قواعد الرواية والاسناد وشروط الصحة فيها ـ أقول إن المنطق يقضي بأن ندرس ذلك كله ، ولكن على أن نتخذ منه سلما للوصول إلى نهاية من البحث والدرس نتأكد فيها من نبوته ؛ ونتبين فيها حقيقة الوحي في حياته .

حتى إذا تجلى لنا ذلك بعد البحث الموضوعي المتجرد عن أي هوى أو عصبية ، أدركنا أنه صلى الله عليه وسلم ، لم يخترع لنا من عنده شرعة وأحكاما ، وانما كان أمينا على إبلاغها ايانا ، قضاء مبرما من لدن رب العالمين ، وعندئذ نتنبه إلى عظم مسؤولياتنا تجاه هذه الشرائع والأحكام رعاية وتنفيذا .

ثم إن كل من ألزم نفسه من دراسة السيرة النبوية بالجوانب الانسانية المجردة ، وراح يحللها بعيدا عن الهوية التي قدم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه للناس على أساسها ، لا بد أن يحبس نفسه ضمن ألغاز مغلقة لا سبيل الى الخروج منها بأي تحليل .

لا بد مثلا أن يقف ذاهلا حائرا أمام لغز الفتح الاسلامي الذي قضى بأن يكون لطائفة من السيوف القديمة التي طالما أكل بعضها بعضا سلطان سحري في القضاء على حصن الحضارة الفارسية وجبروت البأس الروماني .

ولا بد مثلا أن يقف حائرا كل الحيرة أمام لغز القانون الذي تكامل في الجزيرة العربية قبل أن ينمو فيها نبت أي ثقافة ، وقبل أن يمتد عليها رواق أي مدنية أو حضارة !... تشريع متكامل توجت به الجزيرة العربية ، وهي لا تزال في مرحلة المهد من سعيها إلى المعرفة والثقافة والحياة الاجتماعية المعقدة ، كيف يتفق ذلك مع ما هو بدهي عند علماء الاجتماع من أن نشأة القانون المتكامل في حياة الأمة ثمرة لنضجها الثقافي والحضاري ، ونتيجة لتركيبها الاجتماعي المتطور ؟!..

ألغاز مقفلة ، لا يمكن لمن لم يضع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الحسبان ، أن يجد لها أي حل في نطاق الأسباب والتعليلات المادية المألوفة ، وكم رأينا من باحثين ـ من هذا القبيل ـ يتطوحون بأفكارهم ذات اليمين وذات الشمال بحثا عن مخرج من الحيرة ، دون أن يعودوا من سعيهم بأي طائل .

ولكن سبيل المخرج من هذه الحيرة واضح مع ذلك .

فالسبيل هو أن نكون منطقيين وموضوعيين في دراسة السيرة النبوية ، نجعل من الهوية التي عرف محمد صلى الله عليه وسلم الناس على نفسه من خلالها محورا لدراسة حياته العامة كما قلنا .

حتى إذا أسلمتنا هذه الدراسة ، إلى اليقين بأنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل ، أسلمتنا نبوته بدورها إلى المخرج من الحيرة والوقوف على السر بالنسبة لهذه الألغاز ، إن النبي الصادق في نبوته لا بد أن يكون مؤيدا من قبل الاله الذي أرسله ، ولا بد أن

يكون القرآن وحي هذا الاله إليه ، فالقانون المتكامل إذا تنزيله وشرعته وليس من تأليف أمة أمية حتى يقع العجب وتطبق الحيرة .

وهذا الاله يقول للمؤمنين في محكم تبيانه : **( ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين )** آل عمران/١٣٩ ويقول : **( ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين )** القصص/٥ ويقول : **( إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم )** الانفال/٩ ، ١٠ .

فقد اتضح المبهم ، وظهر الحل ، وانجابت الغاشية ، وعاد الأمر طبيعيا إذ ينصر خالق القوى والقدر عباده المؤمنين به الملتزمين بمنهجه ويحقق لهم الفوز على من يشاء .

بل الحيرة كل الحيرة كانت تقع لو أن الله التزم النصر لرسوله والتأييد لعباده المؤمنين ، ثم لم تقع معجزة ذلك النصر والتأييد .

* * *

وبعد :

لنذكر ، أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقنا بيعة التزمناها يوم آمنا بنبوته وأخضعنا أنفسنا لسلطان رسالته .

ثم لنذكر أننا ما وفينا هذه البيعة حقها بعد ، ولنعلم أن هذا الدين العظيم الذي ابتعث به الأنبياء جميعا وكان محمد صلى الله عليه وسلم آخرهم جميعا ـ ليس فيه مكان لأعضاء الشرف ، ولا يحفل الا بأولئك الأعضاء العاملين فيه بيقين واخلاص .

ثم لنتأمل جميعا ما يقوله هذا الرسول الكريم في حديث صحيح ، وهو يصف مصير طوائف من أمته جاءوا مع الزمن فلم يثبتوا على العهد ، بل تخطفتهم الأهواء ، فغيروا الشرائع وتلاعبوا بالأحكام ... يقول :

« ألا ، ليزادن رجال عن حوضي كما يزاد البعير الضال ، فأقول ألا هلم ... ألا هلم ... فيقال : إنك لا تدري كم غيروا من بعدك ، فأقول : فسحقا ، فسحقا ، فسحقا » مسلم وابن ماجه والطبراني .

واذا فما أحرى بنا اليوم أن نجدد العهد ونعقد العزم ، على الوفاء بالحق الذي ابتعث به محمد عليه الصلاة والسلام سلوكا ودعوة ودفاعا . وانما العون الأكبر لنا على التنفيذ أن نعلم بأن هذه الدنيا ستطوى بما فيها عما قريب ، وأن لهذا اليوم الذي نلهو ونمرح فيه غدا قريبا نقف فيه بين يدي خالق عظيم ، وأن نيرانا كاوية من الندم ستلتهم أفئدة أولئك الذين أبوا إلا أن ينسوا الله فأنساهم أنفسهم .

وأختم حديثي بقول الله عز وجل : **( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم )** أواخر التوبة .

## مائدة القارئ

### العطاء .. والامساك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » رواه مسلم .

### كريم القوم

جاء في الأثر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى اكتظ بهم المكان ، فجاء جرير بن عبدالله البجلى ، فلم يجد محلا ، فجلس عند الباب ، فلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رداءه فألقاه إليه ، وقال له ، اجلس على هذا ، فأخذه جرير ووضعه على وجهه ، وجعل يقبله ويبكي ، ثم أعطاه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : ما كنت أجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتني .

فنظر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمينا وشمالا ، ثم قال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

### حكيم

شتم رجل أحد الحكماء ، فتغافل عن جوابه ، فقال الرجل : إياك أعنى .

فقال الحكيم : وعنك أعرض .

### رجل بلا نعل

خلع الرجل نعله ، ثم ذهب فجلس ، ولما قام بحث عنها فلم يجدها .. فقد سرقت .. فأقسم ألا يشتري غيرها ، فعوتب في ذلك ، فقال : أخشى أن أشترى نعلا فيسرقها أحد فيأثم .

## قول الحق

قال تعالى على لسان عيسى ابن مريم :
( قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا .. والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ) . الآيات ٣٠ ــ ٣٥ من سورة مريم .

## منطق الجبان

قيل لرجل جبان في بعض الوقائع : تقدم ، فأنشد يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلفت واحدا ولكنه رأس إذا راح أعقما
ولو كان مبتاعا لدى السوق مثله فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
فأوتم أولادا وأرمل نسوة فكيف على هذا ترون التقدما

## منطق الشجاع

قال أعرابي : إن الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة ، واعتبر من ذلك ، أن من يقتل مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلا .
وقال آخر : الله مخلف ما أتلف الناس ، والدهر متلف ما جمعوا ، وكم من منية علتها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت .

## بين بخيل .. وكريم

كتب أحد البخلاء الى رجل سخي كريم ينصحه بالابقاء على ماله ويخوفه الفقر ..
فرد عليه السخي الكريم بقوله تعالى :
**( الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ) .**
ثم قال : وإنى لأكره أن أترك أمرا قد وقع ، لأمر لعله لا يقع .

# العظمة النبوية

## لـ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

للشيخ احمد محيي الدين العجوز

قال تعالى : **( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )** الجمعة/٢ .

إن موازين العظمة الذاتية ومعاييرها لا تكون بوفير المال ، أو عديد الرجال ، ولا بصلابة السواعد وانفتال العضلات ، ولا ببسط السلطة ، وقوة النفوذ ، بل تكون بقدر عظمة النفس في نبلها وطهرها ، وعظمة الاخلاق في قداستها وسموها وعظمة الآثار في تقويمها واصلاحها .

فالعاملون في الاصلاح العام ، وتنظيم المجتمع هم الزبدة المختارة ، والخلاصة الخيرة وإذا قسنا الاعمال والجهود في هذا السبيل لرأينا ان أعمال النبي محمد صلى الله عليه وسلم فاقت كل عمل ، وان اصلاحه الشامل فاق كل اصلاح ، وان اخلاقه العظيمة فاقت كل اخلاق المصلحين ، وان شخصيته الفذة فاقت كل شخصية في دنيا الاجتماع البشري . فكان المصلح الأعظم ، والمنقذ الأكبر لأمم الأرض قاطبة .

فلئن كان زعماء الأمم والشعوب اكتسبوا عظمتهم بالحروب الطاحنة ، التي قتلت مئات الآلاف من العباد ، ودمرت العديد من البلاد ، وقضت على كثير من الحضارات ، فان عظمة محمد صلى الله عليه وسلم بنيت على الرحمة بعباد الله وعلى غرس المحبة والسلامة بينهم ، وعلى تحقيق المساواة العامة فيهم ، بنيت على انقاذ المجتمع من اوبائه ، ومن عوامل فساده وشقائه وعلى تطهيره من شروره ، ومن فظائعه وفجوره بدعوته بحزم وتصميم ، وحكمة ولين الى الايمان بالله خالقه ، والعمل بدينه والانتهاج بشرعه .

ما جاء بحرب مدمرة ، وقنابل ذرية متفجرة ليهلك الحرث والنسل ، ويبث في الأرض الفساد . انما جاء رحيما متواضعا عطوفا متقشفا ، يرأف

بعباد الله ويخشع في صلاته لجلال الله ، ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء .
أتى بالأوامر الحكيمة التي تكفل مصالح البشر ، وتنظيم مجتمعهم ، وترقية حياتهم بالوسائل المصيبة ، والطرق العجيبة والتأثير البليغ ، في معالجة أمراضهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وتوجيههم التوجيه السليم وربط قلوبهم برابطة الايمان والمحبة ، ورغبة الخير والخدمة ، واقامة العدالة الشاملة .
كان اذا وعظ اخذ بمجامع القلوب ، واذا علم كان من امهر علماء الاجتماع ، واعظم اساتذة النفس ، واذا ساس كان من اعلى القادة واذا حكم كان من اعدل الحاكمين ، واذا دبر ونظم كان من ادق المصلحين ، واذا اعطى كان من اجود الناس .
يوصي الرجل بنفسه ، وبخاصته من اهله واقاربه ثم بجيرانه والأباعد عنه ، ثم بالمسلمين ، والناس اجمعين . ويأمر كل مسلم بأن يصل من قطعه ويعطي من منعه ، ويحسن الى من اساء اليه ويقول الحق ولو على نفسه ، وان يعدل بالحكم ولو لمن ابغضه ، وان يحلم عند الغضب ويصبر على المصيبة ، ويرفق بالضعيف ويعين العاجز ، ويواسي المصاب ، ويجد في الخدمة ، ويلازم الصدق والاخلاص والتواضع واللين ، والامانة والحق يملأ النفوس رغبة في ثواب الله ، ورهبة من عقابه ، ليربي فيها وازع الدين قبل نبوته لم يكتسب المعرفة من مدرسة ، ولا من كتاب ، ولا من حكيم وفيلسوف بل جاء من وسط جاهلي ، من أمة أمية ، رزحت تحت كابوس الجهالة ودواعي التخلف ، سنين طويلة ، تخضع للأصنام ، وتستقسم بالازلام ، وتعمل فيها عصبيات قبلية ، وتتغلب عليها طبيعة الغزو والقتل ، واراقة الدماء وافناء الرجال والنساء ، وتتنازعها دولة الروم ، ودولة فارس ، ولا شأن لها في الحياة .
خرج من هذا الوسط الموبوء وقد كان من نواميس الفطرة أن ينشأ على عقائد بيئته ، وتقاليد عشيرته ، ولكنه جاء منزها عن تلك الرواسب ، بعيدا عن تلك الطبائع ، نقي الفطرة ، وقد نمت في نفسه شرائف الخصال ، وجلائل الخلال تكتنفه القداسة والنقاء ، والسمو والصفاء اجتمعت في نفسه الفضائل ، وتلاقت فيها الكمالات ، يدعو بلين وحكمة ولطف وإباء ، ويتحمل الأذى بصبر وجلد ، يعفو ويصفح ، لا يصده جفاء ، ولا يثنيه عن دعوته اضطهاد ولا يتهاون في دقائق الامور ، ولا يتغافل عن بسائطها ، حتى غير طبائع العرب الراسخة وألان القلوب القاسية ، فكف المجرم عن اجرامه ، والمعتدي عن اعتدائه ، والمقامر عن ميسره ، والفاجر عن فجوره ، حتى صفت النفوس ، وطهرت القلوب ، وزالت الخصومة ، وشاعت المحبة ، وترابطت الأفراد والجماعات ، وانحسرت النقائص وانزوت الشرور ، ونمت الفضائل ، وازدهر الخير والمعروف ، واصبح الناس في ابرك

العصور ، واسمى حياة ، واهنأ عيش بفضل شريعة الاسلام ، والتدبير النبوي الحكيم . ان قوانين العالم المتمدن لم تصل الى الآن الى شئ من هذه الغايات السامية ، ولا اتت بمثل تلك السعادة المنشودة ، ولا حققت للعالم من هناء ولا صفاء ، بل يمكننا ان نقول : انها ما اورثتهم الا شقاء وبلاء ، وتدميرا وتقتيلا ، فلا يعنون من المدنية الا بالمادة ، فمنها يبدأون ، واليها ينتهون ، اما الاصلاح النبوي فانه عني باصلاح النفوس ، وتنظيم المجتمع وبث مكارم الأخلاق ، ونشر الرحمة والعدالة وصيانة دم الانسان .

( إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق )
وفي رواية صالح الأخلاق : البخاري في الأدب ومالك في الموطأ .

فهذه هي العظمة الحقيقية ، التي اقام دعائمها الرسول العظيم .

فليست هي من عظمة الملوك الجبارين الذين يستعذبون انين الانسانية ، واستعباد الخلق واذلالهم .

فلقد خرج يوما على اصحابه ، فقاموا له اجلالا ، فنهاهم عن ذلك وقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا » رواه احمد .

وجاء اليه رجل في حاجة ، فلما رآه اصابته رعدة ، وتلعثم لسانه من هيبته ، فقال له : « هون عليك ، فاني لست بملك انما انا ابن امرأة تأكل القديد » ( اللحم المجفف ) البخاري .

وليست عظمته من عظمة القواد الظالمين ، الذين يرون السعادة في الفتك بالضعفاء ، وهدم البلاد على العباد ، والاستيلاء على خيراتها ومنافعها .

فلقد دخل مكة فاتحا منصورا ، وبيده جميع اسباب القوة والظفر ، ولم ينس ما اصابه من اهلها مدة ثلاثة عشر عاما من كيد وتنكيل ، واذى واضطهاد ، فلم يخامر نفسه صلف الفاتحين ، ولا جبروت المنتصرين ولا ثورة الانتقام ، وقد جلس حوله صناديد قريش ، وطغام الكبرياء والظلم الذين آذوه وظلموه ، وضايقوه واخرجوه وعيونهم اليه شاخصة ، وقلوبهم منه واجفة ينتظرون ما هو فاعل بهم ، واي عذاب اليم سينصب فوق رؤوسهم —

فيقول لهم بهدوء ودعة : ما ترون اني فاعل بكم ؟ فيقولون بلهجة من يستدر العطف والرحمة ، ويرجو الصفح والمغفرة اخ كريم ، وابن اخ كريم . فيقول لهم تلك الكلمة الرقيقة ، والجملة الرحيمة الخالدة : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » البخاري .

الله اكبر ما اعظم عفوه وارحمه وليست عظمته من عظمة الاغنياء الاشحاء الذين يسخرون عباد الله في سبيل شهواتهم واهوائهم ، ويسرفون في متعهم وفجورهم ، ويمنعون حق الفقراء من زكاة اموالهم بل كان كالريح المرسلة في الخير والعطاء والبذل والسخاء .

جاء اليه اعرابي من اجلاف العرب ، ومعه بعيران فجذبه بردائه بغلظة وجفاف وقال له بلؤم وخشونة : يا محمد احمل لي على بعيري من مال الله

الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ، ولا مال أبيك فقال له برفق وأناة : نعم . المال مال الله ، وانا عبده سيعطيك ما طلبت ويقاد منك ما فعلت ؟ فقال : لا.قال النبي : ولم ؟ قال : لا تجزئ السيئة بالسيئة ، ولكن تكافئ السيئة بالحسنة فتبسم النبي العظيم ، وامر ان يحمل له شعير على بعير ، وتمر على الآخر ، وانصرف شاكرا .

فعظمة محمد صلى الله عليه وسلم هي عظمة إصلاح وعدالة ، عظمة عطف ورحمة ، عظمة تثقيف وتهذيب ، عظمة بناء وتعمير عظمة سلم وأمان ، عظمة علم ومعرفة إنه عليه الصلاة والسلام لما شج وجهه وكسرت رباعيته ، وحل به من الألم ما يذهب بلب الحليم ، ورشد الحكيم ، لم يغضب عليهم بل اعتذر لهم على ما فعلوه ، ودعا لهم بالمغفرة قائلا « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » رواه البخاري .

ولهذا استحق ان يقول الله تعالى في حقه : ( **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ) التوبة/١٢٨ فكان من اثر جهاده وجهوده ، وتقويمه واصلاحه : ان العرب الذين كانوا بالأمس عاكفين على شن الغارات ، وسفك الدماء لأدنى سبب أصبحوا رحماء بينهم ، وقد قويت فيهم أواصر الاخوة والمحبة ، ونبذوا العداوة والبغضاء ، وأصبحوا صالحين مصلحين وهداة مرشدين .

وأولئك الذين كانوا جاهلين غافلين اصبحوا علماء مصلحين ومرشدين ، اجتازوا الآفاق ليعلموا الأمم المنحطة ، والشعوب المتخلفة .

وهؤلاء الذين قبعوا في الصحراء فقراء ضعفاء اصبحوا قادة ماهرين فاخذوا على ايدي اكبر دول العالم فارس والروم وفتحوا بلادها ، وهذبوا شعوبها . اصلاح والله عجيب ، وتقويم والله غريب ، مدهش في سرعته ، مذهل في قوته ، يحقق سعادة الروح ، ومطالب الجسد .

لم يعهد التاريخ انقلابا سريعا كهذا ، في كماله وشموله ، وامتداده واتساعه في الاعتقادات ، والعادات ، والاخلاق وشؤون الاجتماع العام ، في أية أمة من أمم الأرض ، وعن يد أي مصلح من المصلحين ، أو رسول من الرسل قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ولن يكون أبدا .

قال ( لوثروب ستودارد ) في كتابه ( حاضر العالم الاسلامي ) :

إن محمدا هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تزيد عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وان يقلب التاريخ رأسا على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكنا لها ، واشتهرت بالشجاعة ، ورباطة الجأش ، والأخذ بالثأر واتباع آثار السلف ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها .

فمن الذي يشك أن القوة الخارقة التي استطاع بها محمد ان يقهر خصومه هي من عند الله ) ؟

# ليت شعري

« إنها لمن يعلل النفس بالآمال ثم يحققها بروائع الأعمال »

هي الآمــال أرقبهــا ، عذابا ولولاهــا ، لكان العيش صابا
أرى هذى الحيـاة ، تضيـق سبلا وبالآمــال ، ألمحهــا رحابا

★★★

ومــا عيش الفتــى ، إلا الأماني يصـير بحلوهــا ، شهـدا مذابا
ومــن يحيــا بلا أمــل ، مرجى له من دهــره ، ضل الصوابا
وغايــة همــه للجســم ، ما قد يقدمــه : طعامــا ، أو شرابا
فدنيــا جسمــه الفانــى عمار ودنيــا روحــه ، صارت خرابا !
وكيــف يكون إنسانــا إذا لم يدق على أمانــي النفس ، بابا !

★★★

ومــا نيــل المنــى بالقــول ، لكن بكل الجهــد ، ندركهــا ، عذابا
ألا – إن الحيــاة ، بهــا صعاب وليس يذلل القــول الصعابا
ومــن رام المنــى من غــير كد ففى الأوهــام عاش ، ولا ارتيابا !
ومــن طلــب الــلآلي ، يقتنصها بقــاع اليــم ، لا يخشى العبابا !

★★★

ودنيــا المرء ، في يسر ، وعسر كمثــل البحــر : صفــوا واضطرابا
يفيض على شواطئــه ، بمد فيغمرهــا ، عطــاء ، لا حسابا
وأحيانــا يجافيهــا ، بجزر فيتــرك أرضهــا ظمــآى ، يبابا !
فإن لم يستجــب للمــرء ، دهر فقــد يلفيــه في غده استجابا
( ولا حزن يدوم ، ولا سرور ) وكم في اليسر ، مر العسر ذابا !!

# هذه الدنيا لمن ؟

للأستاذ محمود ابراهيم طيرة

★★★

ومن في معمعان العيش ، يخفق ذليل النفس ، في دنياه ، خابا !
ولكن سوف يظهر ، عن قريب له السر الذي قد عنه ، غابا
ويبدو سر خيبته ، قبيحا فيحذره ، ويجتنب اجتنابا
من الخطأ استفاد ، فعاد يسعى سديد الخطو ، يلتزم الصوابا
وكل الناس يخطئ ، في كثير وخير المخطئين فتى أنابا
وسبحان الذي لم يقص أمرا بواسع ملكه ، إلا أصابا !!

★★★

وهم بشر ، تغالبهم طباع وآدم قد عصى المولى وتابا !
فعيب المخطئين اليأس ، يضني فيغدو العزم وهنا واكتئابا !
تناءت عنه غالية الأماني فمنها ، لا يحاول الاقترابا !
فشد العزم للآمال ، وانهض ولا تخش المخاطر ، والصعابا
وقارعها ، إذا طغت العوادى لتنتزع المنى منها اغتصابا !
فما استعصت على ذي العزم دنيا ولا دانت له ، إلا غلابا !!

★★★

وإن حياتنا ، أمل وسعى يحققه ، فلا يبقى سرابا
وليس السعى دون الصبر ، يجدى فمن يضرب بسهمهما أصابا !
وإن العمر صحراء ، وقفر فلست ترى به ، إلا الترابا !
وواحته المنى ، خضراء ، فاضت بماء العين ، سلسالا ، شرابا !
فإن وافاك دهرك ، بالأماني فنجمك في العلا ، اجتاز السحابا !
وعش في هذه الدنيا ، سعيدا فجوك قد صفا ، والعيش طابا !

# المركز الاسلامي الافريقي ودورته الحادية عشر في الكويت

شهدت الكويت محفلا إسلاميا مباركا .. حيث اجتمع دعاة الخير والاصلاح في رحاب الكويت المضياف كويت العرب والمسلمين ، من أجل العمل على نشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية .

واذا كانت كتائب الجهاد قد توقفت منذ زمن ، وإذا كان قد مر بالمسلمين حين من الدهر غفلوا عن واجب الدعوة الى الله ، واذا كان الجهد الفردي مهما بلغ فهو محدود الأثر والنتائج ، إذا كان الأمر كذلك فلا بد من أن تتضافر الجهود ، وأن يتابع القوم ـ والله معهم ـ خطواتهم على طريق الدعوة الى الله ، من أجل توسيع الرقعة الاسلامية ونشر الضياء الى أقصى مكان يمكن أن يصل إليه النور .. النور الالهي .. والنور المحمدي .. والنور القرآني .

اجتمع القوم الكرام في رحاب الكويت رائدة التضامن الاسلامي والعربي ، هذا يعطي بسخاء مما أفاء الله عليه من مال ، وهذا يبذل قصارى جهده وفكره ، وهذه الدولة أو تلك ترسل بخيرة رجالها ليكونوا حملة المشاعل ـ مشاعل الضياء ـ الى أفريقيا السوداء .. ليحيلوا ظلامها الى نور يغمر القلوب .. فيخرجها ـ باذن الله ـ من موات إلى حياة .. وليصوغوا الانسان هناك صياغة جديدة ، صياغة إسلامية : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » وبذر الجمع المبارك ( البذرة المباركة ) فأضحت غرسا يعجب الزراع .. ويغيظ الكفار ، وتمثل ذلك في إنشاء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم .

وقد أنشئ هذا المركز بموجب نظام أساسي أقره مجلس الأمناء بتاريخ : ٢٥ من شوال ١٣٩٢هـ الموافق الأول من ديسمبر ١٩٧٢م .

وتتلخص أهداف المركز الاسلامي في :

أ ـ العمل على نشر الاسلام وتعميق الثقافة الاسلامية في إفريقيا .

ب ـ العمل على توضيح العقيدة الاسلامية وتثبيتها بين المسلمين في افريقيا .

جـ ـ اعداد الدعاة الى الاسلام .

د ـ خدمة المجتمعات الاسلامية عامة والافريقية خاصة .

هـ ـ التعاون مع الهيئات والمؤسسات الاسلامية على نشر الاسلام والثقافة الاسلامية .

## مجلس الأمناء :

هذا والمركز مؤسسة إسلامية مستقلة يقوم على ادارتها مجلس أمناء يتكون على الصورة الآتية :

أ ـ ممثلون عن الدول التي ساهمت في إنشاء المركز وهي :

دولة الكويت ، دولة الامارات العربية المتحدة ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، دولة قطر ، جمهورية مصر العربية ، سلطنة عمان .

ب ـ مدير المركز بحكم منصبه .

جـ ـ ممثلون للدول التي ترى الاسهام في المركز بعد موافقة مجلس الأمناء .

وقد انضمت المملكة المغربية مؤخرا .

## اختصاصات مجلس الأمناء :

ومجلس الأمناء هو السلطة العليا التي تضع سياسة المركز وتشرف على تنفيذها وله أن يتخذ من القرارات ما يراه مناسبا لتحقيق الأهداف التي من أجلها أنشئ المركز وله على الأخص :

أ ـ اقرار اللوائح التنفيذية لهذا النظام .

ب ـ إقرار خطة الدراسة .

جـ ـ إجازة الميزانية السنوية للمركز .

د ـ الموافقة على الحساب الختامي للمركز .

هـ ـ إقرار النظام الخاص بمرتبات الأجهزة الادارية والمالية والتعليمية .

و ـ قبول التبرعات والاعانات والمنح والوصايا والأوقاف وغيرها على ألا يتعارض هذا مع الهدف الذي من أجله أنشئ المركز .

## التنظيم المالي للمركز :

للمركز ميزانية مستقلة ، لها ايراداتها ومصاريفها المحددة ، وتخضع في مراقبة تنفيذها لمراقب الحسابات .

وتتكون الايرادات من :

أ ـ المساهمات التي تقدمها الدول المشتركة في المركز والتي وافقت على أن تكون نسبة إعاناتها كالآتي :

| | |
|---|---|
| دولة الكويت | ١٥٪ |
| المملكة العربية السعودية | ٢٥٪ |
| دولة قطر | ١٥٪ |
| دولة الامارات العربية المتحدة | ١٥٪ |

| | |
|---|---|
| سلطنة عمان | ١٠٪ |
| جمهورية مصر العربية | ١٠٪ |
| جمهورية السودان الديمقراطية | ١٠٪ |

ب ـ التبرعات والاعانات والمنح والوصايا والأوقاف .
جـ ـ ريع املاك المركز وما ينتج عن التصرف فيها .
د ـ غير ذلك من الموارد المذكورة في ( أ ، ب ، جـ ) مما يوافق عليه مجلس الأمناء .

**مصروفات :**

هذا .. وقد بلغت تكاليف التشييد والتشغيل خمسة ملايين جنيه سوداني تدفع خلال ثلاث سنوات من قبل الأعضاء حسب النسبة المبينة أمام كل دولة .

**انجازات المركز :**

أ ـ إنشاء معهد الدراسات الاسلامية الذي دخل عامه الدراسي الثالث وهو يضم ٢٧٦ طالبا جاءوا من ٢٠ دولة افريقية ، ومن المتوقع أن يستوعب المركز بعد استكمال منشآته حوالي ٥٠٠ طالب .
ب ـ تدريب الطلاب وتزويدهم بحرف صناعية الى جانب تثقيفهم وتحصينهم بالمعلومات والدراسات الاسلامية ، وبذلك يوجد الدعاة العاملون على قاعدة اسلامية .
جـ ـ العمل على أن يكون هناك ارتباط بين المركز وبعض الجامعات الاسلامية لتأهيل بعض المتفوقين من المعهد للالتحاق بهذه الجامعات الاسلامية ليستكملوا دراساتهم الجامعية .

**طموحات المركز :**

أ ـ يعمل أعضاء المجلس على أن يحلقوا طلابا من دول أخرى بالمعهد ، حتى يكون المعهد شاملا لجميع أبناء افريقيا ، ليعودوا إلى بلادهم بعد الدراسة دعاة إلى الله وهم أدرى بأمراض مجتمعهم ، وبالطريقة الأجدى في علاجهم ، وكما يقولون : أهل مكة أدرى بشعابها فيعم النور جميع افريقيا .
ب ـ افتتاح فروع للمركز في بعض الدول الافريقية لتكون امتدادا له ، وليسهل على الافريقيين الوصول إلى مراكز الاشعاع المحمدي .. والاغتراف من الثقافة الاسلامية .. ولسوف يكون ذلك في القريب إن شاء الله .
جـ ـ عقد دورات تدريبية للمدرسين ولبعض الأفارقة المسلمين لتعلم اللغة العربية وأصول الدين في فترات مناسبة يراها أعضاء المركز .
د ـ إنشاء مركز بحوث للدراسات الاسلامية لكي يعطى صورة صادقة عن القارة الأفريقية والنشاط الاسلامي بها ، وعدد المسلمين في كل دولة افريقية .

**اجتماعات مجلس الأمناء :**

يعقد مجلس الأمناء اجتماعاته على دورتين في العام ، ولرئيس الدورة أن يدعو لاجتماع طارئ عند الضرورة ، أو إذا تقدم نصف الأعضاء على الأقل بطلب مكتوب لعقد المجلس . والاجتماعات تعقد عادة بالخرطوم إلا أنه يجوز عقدها في إحدى الدول المساهمة .

# الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم ـ التي عقدت في الكويت

**عقد مجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم اجتماعه الحادي عشر بمدينة الكويت في الفترة ما بين يوم الاثنين ١٠ ذى القعدة ١٣٩٩هـ الموافق الأول من أكتوبر ١٩٧٩م وحتي الخميس ١٣ ذى القعدة ١٣٩٩هـ الموافق ٤ اكتوبر ١٩٧٩م برئاسة الاستاذ محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت وعضو مجلس الأمناء .**

**هذا وقد عقدت جلسة الافتتاح تحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح .. الذي أناب السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ يوسف جاسم الحجي .**

**وبعد أن افتتحت الدورة بتلاوة مباركة من كتاب الله الكريم ، تحدث السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فقال :**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

وبعد : فنيابة عن سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح الذي يرعى هذه الدورة المباركة على أرض الكويت ، ارحب بكم لحضور هذا الاجتماع ، كما أرحب بكل الاخوة الذين لبوا الدعوة ..

إن الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي والتي نفتتحها اليوم ـ بعون الله وتوفيقه ـ لهي استمرار للدور الذي تؤدونه في تحقيق أهداف هذا المركز الاسلامي ، والذي سهل للطالب الافريقي الراغب في الدروس الشرعية والعلمية الالتحاق به ..

وعن دور الكويت في هذا الجهد الاسلامي قال سيادة الوزير :

إن الاهتمام الذي توليه الكويت لهذا الجهد الاسلامي المشترك نابع من مبادرتها إلى كل ما من شأنه تعميق القيم الدينية داخل البلاد وخارجها ، وهو منسجم مع سعيها الدائب للالتزام التام بالاسلام ثقافة ونظاما ـ بالاضافة لتمسكها به عقيدة وشعائر ـ واذا كانت سمة هذه الأمة أنها خير أمة أخرجت للناس فذلك مرهون باستمرارها في حمل أمانة هذا الدين وأدائها الى شعوب الأرض على اختلاف ألسنتها وألوانها ، لاخراجها من جور جاهلياتها إلى عدل الاسلام وهديه ونوره .

ثم دعا في كلمته إلى توحيد الجهود فقال :

ولما كان الاهتمام بامر المسلمين معيارا لانتظام المسلم في جماعتهم ( ومن لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم ) ، وكانت الدعوة إلى الاسلام ونشر ثقافته فريضة لازمة على الأفراد والهيئات وأولي الأمر ، فان من تمام هذا الواجب الكفائي توحيد الجهود وتنسيقها ، وبذل ما يتطلبه نجاحها من مال ورجال ..

وتحدث سيادته عن المركز ومصنع الدعاة فقال :

ومن هذا المنطلق وجد المركز الاسلامي الافريقي ، بالتقاء الرغبات الصادقة من الدول المساهمة في إنشائه ، لتجعل منه منارة لنشر الاسلام وثقافته في القارة الافريقية ذات الأصول الاسلامية العريقة ، وقد انبثق عن المركز معهد للدراسات الاسلامية ما هو إلا مصنع للدعاة الاسلاميين المؤهلين ، وهو ـ وفروعه المنوي إنشاؤها ـ بمثابة حصون منيعة دون الجهود المريبة التي تبذلها المؤسسات التبشيرية ( وبعبارة أوضح : الطلائع الاستعمارية ) لاحتكار مراكز التعليم والخدمات الطبية والاجتماعية لغاياتها التعصبية ، او لاشاعة ثقافة تؤدي لتنكر المسلمين لدينهم ، فضلا عن الحيلولة بين الاسلام والشعوب المتعطشة إليه من ضحايا حملات الاستعمار أو أسرى المعتقدات الموروثة .

وعن دور المراكز الاسلامية في العالم قال سيادته :

هذا ، وان دولة الكويت ـ بالتعاون مع بعض الدول الاسلامية الشقيقة ـ ترعى المراكز الاسلامية المنتشرة في أرجاء العالم والتي تعد بالمئات ، باعتبارها مصدر اشعاع للدعوة ، وواحات تلتقي فيها الجاليات الاسلامية ، وتتعاون لحفظ الذات من الضياع أو الذوبان ، وتجعل منها قوة لها وزنها في القضايا الاسلامية ، وفي نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية ( لغة القرآن ) ..

وعن الكويت ودورها في خدمة الاسلام والمسلمين قال :

والكويت تبارك كل جهد يحقق نصرا للاسلام وصلاحا للمسلمين ، وخاصة غير الناطقين بالعربية ، وترى ذلك واجبا على كل مستطيع من الحكومات والهيئات والأفراد ، لكي تستنير هذه الشعوب بنور الاسلام وتعاليمه ، وتتقي شرور المؤامرات والدسائس التي يدبرها المستعمرون لنشر أفكارهم الهدامة .

**وفي الختام شكر السيد الوزير الوفود الكريمة الممثلة للدول المساهمة وتوجه بالشكر الى سمو أمير البلاد راعي النهضة في هذا البلد والى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الذي تفضل فشمل برعايته افتتاح هذه الدورة .**

ثم ألقى السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ورئيس الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي الكلمة التالية :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ..

وبعد ، فان المركز الاسلامي الافريقي ـ الذي نشهد اليوم افتتاح دورته الحادية عشرة على أرض الكويت ـ رمز لتكاتف الجهود الاسلامية وتعاونها على البر والتقوى ، فهو مركز واحد لكنه بمثابة مراكز متعددة لسعة نطاقه ، وتنوع الطاقات لدعمه ، ولهذا كان التعاون بين الدول الاسلامية المقتدرة ضروريا لتكون الأعمال في مستوى الآمال ، فيد الله مع الجماعة ، وفي الاجتماع بركة وقوة .. ولهذا بادرت الكويت الى تلبية النداء لتاسيسه منذ سنوات وشاركت في جميع دوراته ، ورحبت قولا وعملا بكل المشاريع المقترحة لتقوية المركز ومضاعفة أنشطته ..

وعن مسئولية المسلمين تجاه إفريقيا قال سيادته :

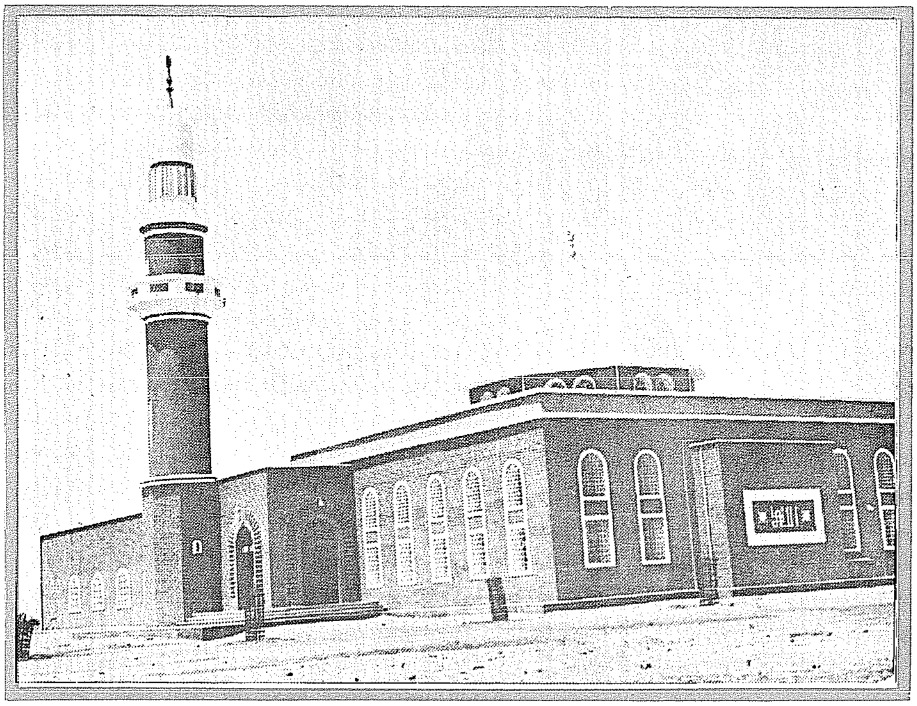
إن مسئولية المسلمين تجاه القارة الافريقية كبيرة جدا ، لما رزحت تحت وطأة الاستعمار من عهود طويلة لم يغادرها إلا بعد أن ترك فيها بصمات التفرقة والافقار والانتماءات الثقافية المختلفة ، كل ذلك ليحول دون تجديد ماضيها حين كانت محضنا للعديد من الممالك الاسلامية الزاهرة ، وكانت قوافل الدعاة تجوب أرجاءها وتنشر فيها المعرفة والحضارة ، وتوثق صلاتها بشعوب الشرق الاسلامي ، ولكن لم تعد كافية تلك الجهود الفردية السابقة التي كانت تتمثل في تاجر مسلم يستهوى باستقامته السكان ، أو في رجل زاهد ينشر العلم والصلاح بما أوتيه من حكمة ، أو وال عادل يحبب رعيته بالاسلام من خلال حكمه العادل وبسطه الرفاه والأمن . فكان لا بد من مواكبة التطور في القارة بعد تعدد الكيانات وانتشار المدنية الحديثة ، وذلك بتكاتف الجهود ليكون للعمل الاسلامي مركز تناط به مسئولية الدعوة للاسلام ونشر ثقافته وترعاه دول لها علاقاتها المرموقة بدول القارة الافريقية وشعوبها ، وبذلك يتوفر للدعوة رجالها المؤهلون ويكون للثقافة الاسلامية ولغة القرآن امتدادها ، ويتحقق للمجتمعات الاسلامية ما تتطلع إليه من خدمات نقية خالصة .

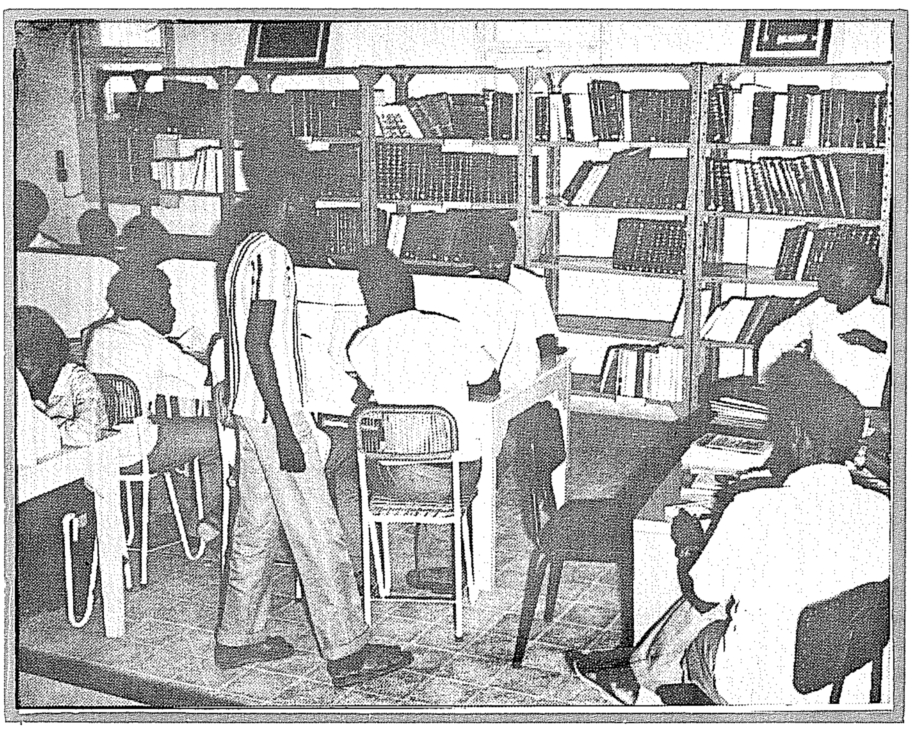
وعن مجلس أمناء المركز قال السيد وكيل الوزارة :

من أجل هذا تكون مجلس أمناء لانشاء المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم ، وساهمت فيه كل من دولة الكويت ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية ، وجمهورية السودان الديمقراطية ، ودولة قطر ، وجمهورية مصر العربية ، وأخيرا انضمت المملكة المغربية ، وترك المجال مفتوحا للدول التي تنشط للاسهام في المركز بمعرفة المجلس .

ومضى سيادته في حديثه مبينا ثمرات المركز فقال :

وقد بادرت الدول المذكورة بما أفاء الله عليها من بركة في المال أو وفرة في الرجال ، الى تاسيس المركز على





تقوى من الله ورضوان ؛ وكان من ثمراته إنشاء ( معهد الدراسات الاسلامية ) الذي استقطب مئات من أبناء الدول الافريقية ، والسعي مستمر لتمثيل جميعها في طلاب المعهد ليكونوا ــ بحق ــ سفراء في تمثيل حاجات تلك البلاد وإشباعها فكريا واجتماعيا .

لقد كان إنشاء هذا المعهد تجربة عملية فريدة لتحقيق الأمل المنشود في تنظيم الدعوة الى الاسلام بتربية تدريجية لفئة مختارة من الشباب الافريقي ليكونوا دعاة يعلمون الناس الخير ، وهم إلى جانب ذلك مؤهلون للاكتفاء ذاتيا من حيث مورد العيش لأن من خطة المعهد تدريب الطلبة على إتقان مهارات صناعية هامة ، كما أن هؤلاء الطلبة معايشون للبيئة التي ستكون ميدانا لنشاطهم ، عارفون بعاداتها وأساليب العيش والسلوك فيها وبهذا يكونون صالحين لقيادة شعوبهم فكريا ، أو لتوجيه القادة وتقديم البطانة الصالحة التي تذكر بالخير وتعين على فعله .

وعن التطلعات المستقبلية قال السيد الوكيل :

لقد كان لتعاون الدول والهيئات الاسلامية مع المركز من جهة ، وللاقبال على معهد الدراسات الاسلامية من جهة أخرى ما يشجع على استحداث فروع للمركز ومستويات أعلى للدراسة ، وعسى أن يتم ذلك في المستقبل القريب باذن الله ليعم خيره وتتحقق أهدافه المتمثلة في إعداد الدعاة لاصلاح أحوال المسلمين وخدمة مجتمعاتهم وإغنائها عن استعطاء المعرفة المشروطة .. كما يهدف إلى نشر الاسلام وتعميق الثقافة الاسلامية مع تاكيد التعاون والتنسيق مع الهيئات والمؤسسات الاسلامية ويتصل بهذه الأهداف المباشرة توضيح العقيدة الاسلامية وتثبيتها بين مسلمي القارة بعيدا عن الشوائب التي قد تلحق بها بفعل رواسب التقاليد المحلية الموروثة أو التشويه الذي تحدثه ضحالة المعرفة بالاسلام في ظروف تركت فيها الثقافة الاسلامية لمصير مجهول لا يحميها منه إلا التضحيات الفردية المدهشة التي يقدمها المسلمون بايثار نادر وإخلاص عجيب .

وعن أهمية المركز قال السيد الوكيل رئيس الدورة :

إن نظرة فاحصة للموازنة بين المركز الاسلامي الافريقي وبين أمثاله من المراكز التي تلقى الدعم والعون المناسب تكشف لنا عن وجوه الأهمية لهذا المركز فهو ــ من خلال المعهد المنبثق عنه ــ يخرج الدعاة .. وتخريج الداعية معناه تكرار الدعوة ما دام هؤلاء الدعاة في الميدان .. كما أنه قد اختار لهذه الغاية تاهيل الدعاة من الطاقات المحلية ، وكما يقول المثل : أهل مكة أدرى بشعابها . وهؤلاء الدارسون أقدر على فهم مشكلات البيئة وقد زودوا بالعلاج الناجع لها وقد بلغ عدد الطلاب الدارسين بالمعهد مائة وثمانين طالبا ينتمون إلى تسعة عشر قطرا افريقيا . ومن الناحية المادية فان هذا المركز يمول بالصورة الكافية من دول تتعهده وتتعاهد على تعزيزه وتنميته .

وأخيرا فان المركز ومظاهر نشاطه يخضع لعملية متابعة نصف سنوية من خلال الدورات التي بلغت الآن إحدى عشرة دورة للاطلاع على سير العمل فيه ، وتقويم خطواته أولا باول ، وتطوير أنشطته وتنويعها .. كما أن مهمة الاشراف المباشر على المركز وتوابعه قد أسندت الى ( مجلس الادارة ) الذي يتم تعيينه من قبل مجلس أمناء ، ليكون عونا في ترجمة التوصيات الى واقع عملي .. فضلا عن قيام مجلس الادارة ومدير المركز بالأعمال التنفيذية التي يتطلبها سير العمل وتقديم التقارير والمقترحات لتيسير عملية المتابعة لنشاط المركز وتوجيهه والتخطيط له .

ثم تحدث السيد الدكتور محمد أحمد ياجي . مدير المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم فقال :

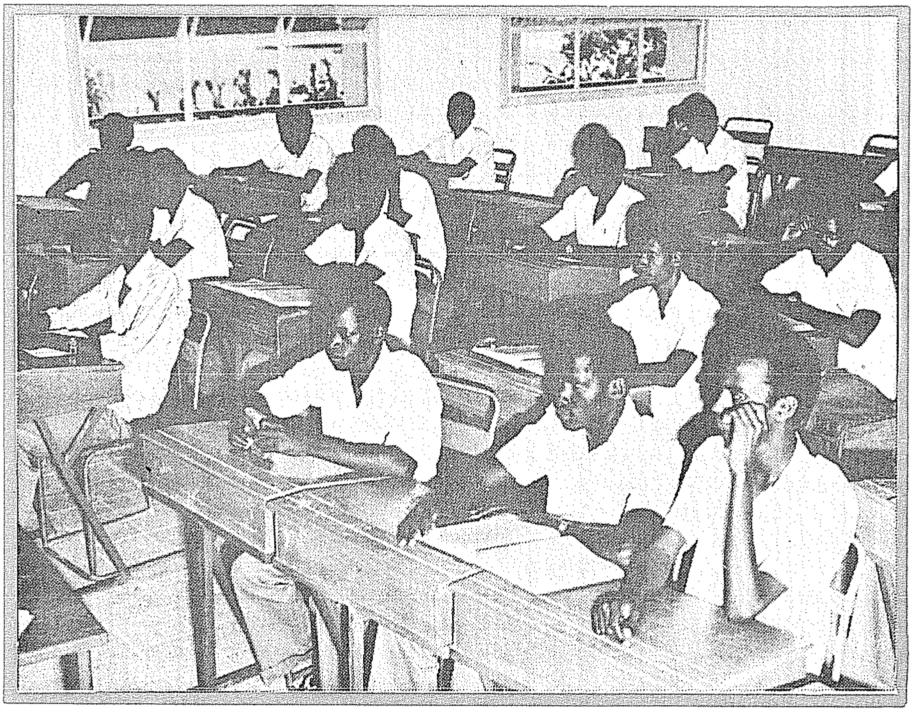
صاحب المعالي السيد يوسف الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

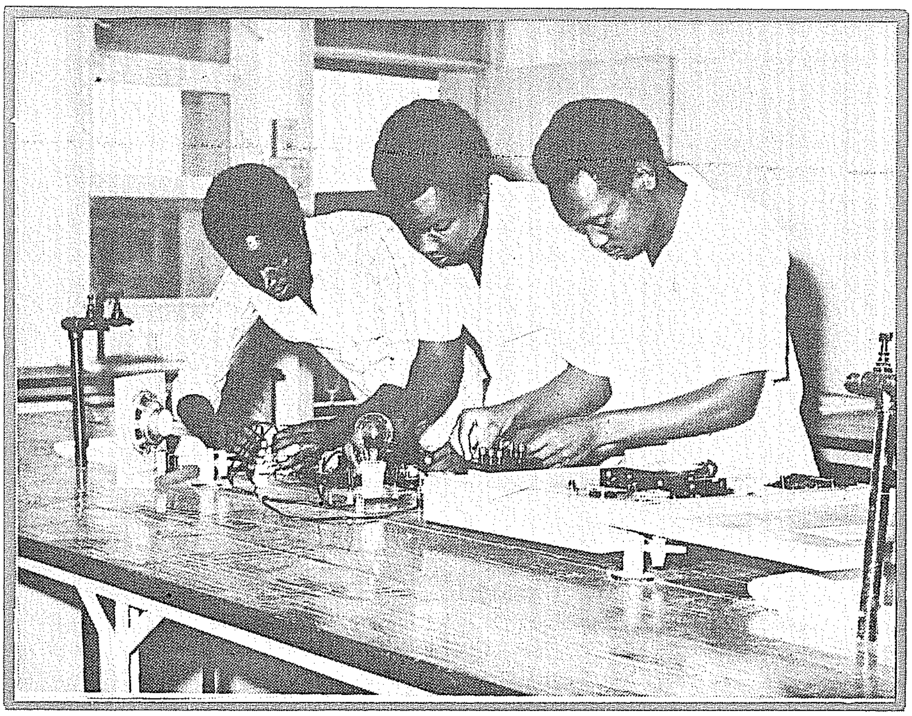
السيد رئيس الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم .

السادة الضيوف الأجلاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إنه لمن دواعي سرورنا وفائق غبطتنا ان تنعقد الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم في مدينة الكويت تحت رعاية ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وبرئاسة الاستاذ محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت ، ومصدر هذا السرور ومنبع هذه الغبطة هو أن دولة الكويت كانت وما تزال سباقة في خدمة الاسلام والمسلمين ليس في افريقيا وحدها ولكن يدها البرة قد امتدت الى جميع انحاء العالم تقيل عثرة المسلمين ، وتقارع افكار الملحدين والمبشرين ،





وتثري المعاهد الاسلامية والمدارس القرآنية في بقاع آسيا وفي أصقاع أوروبا وأمريكا ، وفي ظلمات أفريقيا بالعون المادي وبالمساعدة العينية وبالكتاب المقروء في كل اللغات .

واجتماعنا اليوم هنا ما هو الا ثمرة من ثمرات جهاد دولة الكويت في سبيل نشر الاسلام والأخذ بيد البلاد الافريقية التي طغى عليها الاستعمار فمحا دويلاتها الاسلامية ، وحبس انفاس المسلمين فيها ، وأتاح الفرصة لأبناء المسيحيين من خريجي مدارس الكنائس ليحتلوا الوظائف المرموقة وليتسلطوا على رقاب الأغلبية المسلمة من بني جنسهم والشواهد على ذلك كثيرة لا تحتاج الى بيان .

من أجل ذلك قام المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم بمجهود عربي يهدف نحو تعليم ابناء المسلمين الافريقيين تعليما يمكنهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة ، ويساعدهم على التعمق في دراسة العقيدة الاسلامية ، ويحفزهم على أن ينهلوا من الثقافة العربية بالقدر الذي تكتمل به شخصيتهم ، ويتحقق به لهم العيش الكريم بين مواطنيهم في مناصب قيادية ليأخذوا بايدي أهلهم وذويهم ، وليقفوا ضد التيار الكنائسي الجارف الذي يجتاح بلادهم .

ولقد استطعنا بحمد الله وشكره في خلال السنوات الثلاث الفائتة أن نجلب للمركز طلابا بلغوا دون المائتين بقليل جاءوا الينا من عشرين قطرا افريقيا بما في ذلك السودان حيث لا تزال توجد به بعض مناطق التبشير المسيحي جاءوا الينا من جزر القمر شرقا ، حتى ساحل العاج غربا ، جاءوا من كينيا ويوغنده وتنزانيا وزنجبار ورواندا وبورندي والكونغو وزامبيا وافريقيا الوسطى وتشاد والنيجر والكمرون ونيجيريا وبنين ومن الصومال والحبشة والسودان وأصبحت هذه المجموعة تمثل منظمة للوحدة الافريقية داخل مباني المركز يربط بين قلوبها الاسلام ويثبت اقدامها الايمان وشعارها دائما وأبدا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

ثم تحدث السيد مدير المركز عن المركز فقال :

لقد كانت تجربتنا يا حضرات السادة تجربة فريدة في نوعها فالمركز الاسلامي ليس كتابا لتعليم وحفظ القرآن ، ولا هو بمدرسة ابتدائية يجلب لها صغار الطلاب ولا هو بمدرسة متوسطة للصبيان ، ولا هو بثانوية عليا تؤهل للمعاهد والجامعات ولكنه مزيج من هذا كله فالقادمون اليه تتفاوت مستوياتهم وتختلف مقدراتهم وتتباين امزجتهم وطبائعهم ، وكان لا بد من ان نصهر هؤلاء جميعا في بوتقة الاسلام علما وسلوكا وخلقا . جاء منهم من لا يعرف الا قليلا من العربية ولا يعرف غير ذلك الا قليلا من الآيات القرآنية يرددها بلا فهم ويحفظها بلا معنى ومنهم من يعرف الانجليزية ولا يعرف غيرها الا لغته القومية ، ومنهم من لا يجيد الا الفرنسية التي يتكلمها من صغره ، ومنهم من لا يعرف لا هذا ولا ذاك . وكان لزاما علينا أن نتجاوز في بعض الاحيان عن شروط القبول التي تحتم معرفة اللغة العربية وتجعلها لغة التدريس وذلك لان بعض البلاد الافريقية في حاجة ماسة لهذا التجاوز .

وعن منهج الدراسة قال :

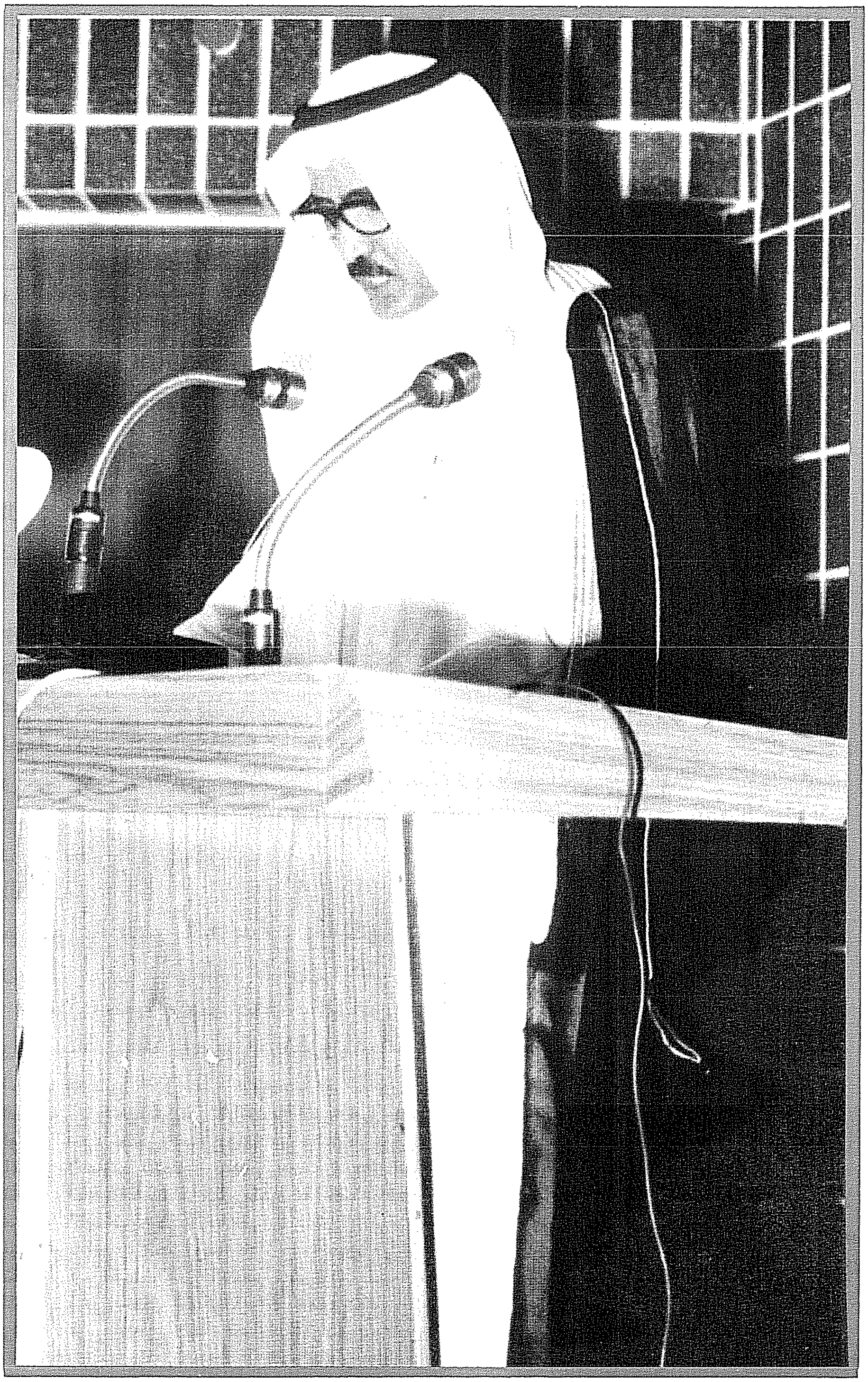
ومن أجل ذلك انتقينا نخبة من المدرسين السودانيين من خريجي الجامعات ممن مارسوا التدريس طويلا ليجربوا منهجا تكرمت جامعة الرياض جزاها الله كل خير بوضعه كما وقع اختيارنا على مجموعة من كبار الاداريين ممن مارسوا مثل هذا العمل وشغلوا مراكز مرموقة في الدولة ، واتجهت جهودنا جميعنا نحو غاية بينة واضحة هي جعل اللغة العربية لغة التدريس ، ناخذ بيد الطالب ردحا من الزمن عن طريق اللغة التي يعرفها حتى اذا ما انطلق لسانه وقوى بيانه نقلنا اليه شتى المعارف من لغات اجنبية الى علوم اجتماعية الى رياضيات اولية ومتقدمة الى علوم الكيمياء الحديثة مركزين على الدراسات الاسلامية والعربية .

تقييم ما تم انجازه :

بدأنا ذلك في اكتوبر ١٩٧٧م . فماذا كانت النتيجة بعد سنوات ثلاث ؟ ـ انني لا استطيع ان اخفي سروري وإعجابي بنجاح التجربة ، وقد كادت أن تؤتي أكلها : فالتلاميذ الذين جاءوا الينا غرباء الوجه واليد واللسان نطقوا العربية في يسر وحسنت معرفتهم الاسلامية في يقين وصاروا يصلون أئمة لزملائهم في المسجد ويؤذنون للأوقات الخمسة وتجلجل اصواتهم لتسمع المركز وما جاوره من القرى ، وأقاموا الندوات والمحاضرات في جمعياتهم الأدبية بلسان عربي مبين وحفظ بعضهم ربع القرآن أو ثلثه في جمعياتهم القرآنية ، وبلغ بعضهم مستوى يبشر بدخولهم الجامعات الاسلامية هذا العام باذن الله .

اهداف اخرى للمركز :

ان المركز الاسلامي الافريقي وهو يخوض هذه التجربة التي تحتاج الى مراجعة الفينة بعد الفينة سيسير قدما نحو تحقيق اهدافه الأخرى بعد أن تكتمل مبانيه التي شارفت على الاكتمال والتي بلغت تكاليفها خمسة ملايين من الجنيهات ، ومن هذه الاهداف ان تقوم فيه شعبة للبحث والنشر لترجمة الكتيبات الاسلامية ونشرها باللغات الافريقية الحية ، وأن تقوم به شعبة للدعوة تستجلب الشباب الافريقي المثقف وكبار العلماء الاسلاميين لمناقشة الموضوعات الاسلامية والمشاكل التي تواجههم في نشر الدعوة ، وشعبة للخدمات العامة لدراسة احوال المسلمين الاجتماعية وتقديم العون لهم وغير ذلك من



النشاط من تدريب للدعاة ونشر للعقيدة ومتابعة للمتخرجين ، ونامل ونؤمل في مشاريع أخرى نسال الله أن يحققها .
وعن انطلاق الرمح الاسلامي ودفعه من الكويت والدول المؤسسة قال محدثنا الفاضل :ـ
إنني يا حضرات السادة واثق كل الثقة من أن دولة الكويت ستظل سباقة تشد من عضدنا مؤيدة ومؤزرة بزميلاتها الدول العربية الأخرى ولا أقول لكم في هذا الجمع الكريم إلا ما قاله زميل لي من قبل لجلالة الملك فيصل رحمه الله عندما ذهب اليه على رأس وفد يطلب العون لهذا المركز عند نشاته الأولى قال له : نحن في السودان يا صاحب الجلالة انما نمثل رأس الرمح بالنسبة لنشر العقيدة الاسلامية في أفريقيا فان أنت دفعت هذا الرمح بيدك القوية مضى الرمح قويا وتعمق ، وان وقفت دونه فسوف لا نقول إن جلالته قد أبى ولكنا سنقول إن الرمح قد أصابه الصدأ . ودفع جلالته رحمه الله الرمح ، وهأنتم تدفعونه ، وها هو الرمح يمضي ويمضي وها هو الاسلام يضيء .
وفي الختام حيى السادة اعضاء مجلس الأمناء في اجتماعهم الحادي عشر وشكر الكويت لحسن استقبالها للوفود ولكرم وفادتها ، وسال الله أن يوفق الجميع لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

ثم انتهى الحفل الكريم .. على أن تبدأ جلسات المؤتمر فيما بعد لمناقشة جدول الأعمال ، وتقديم التقريرات والتوصيات .

**الوفود :**

وفي هذا الاجتماع الحادي عشر تمثلت البلاد المؤسسة بوفودها على النحو التالي :

**دولة الكويت : ويمثلها :**الاستاذ احمد ابراهيم المديني مدير إدارة المساجد .

**المملكة العربية السعودية : ويمثلها :** الدكتور عبدالعزيز عبدالله الفدا مدير جامعة الرياض . والاستاذ امين عقيل عطاس وكيل وزارة الحج والاوقاف .

**جمهورية السودان الديمقراطية : ويمثلها :** فضيلة الشيخ : عوض الله صالح مفتي الجمهورية . والدكتور : عبدالله الطيب الأستاذ حاليا بالمغرب .

**دولة الامارات العربية المتحدة : ويمثلها :** الاستاذ صقر ماجد المري وكيل وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف . والاستاذ سعيد عبدالله حارب رئيس تحرير مجلة المنار .

**دولة قطر : ويمثلها :** الاستاذ محمد الشافعي صادق مساعد مدير الشئون الدينية .

**جمهورية مصر العربية : ويمثلها :** الدكتور عبدالفتاح حسن مستشار فني ووكيل وزارة الأوقاف لشئون مكتب الوزير .

كما حضر الاجتماعات : الدكتور محمد احمد ياجي مدير المركز .

والأستاذ محمد العربي ـ مقرر المجلس ـ وهما من السودان الشقيق . والسيد احمد عيسى الأزبط .. مساعد المقرر .

القرارات : وبعد تدارس المواضيع المدرجة في جدول الاعمال ، اتخذ القرارات التالية :
اولا : إسناد مباني السور والملاعب والمخازن وورش التعليم والمجاري الخاصة بالمرحلة الثانية بمباني المركز الاسلامي للمقاول الحالي حسب شروط العقد المبرم معه .
ثانيا : تخفيفا للنفقات التي يتكبدها اعضاء مجلس الادارة في ترحالهم لحضور جلسات المجلس . قرر مجلس الامناء رفع مكافاة اعضاء مجلس الادارة الى ٢٥ جنيها سودانيا لكل واحد منهم عن كل جلسة على ان يبقى الحد الاقصى وهو ٥٠٠ جنيه سوداني في العام على ما هو عليه .
ثالثا : قرر المجلس شراء خمس عشرة الة كاتبة عشر منها لاتينية وخمس عربية وما يلزم من ادوات للتدريب على اعمال السكرتارية في حدود مبلغ سبعة الاف من الجنيهات .
رابعا : قرر مجلس الأمناء قبول مائة وخمسة عشر طالبا للعام الدراسي ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م . موزعين على





خمس وعشرين دولة افريقية بنسب مختلفة .
خامسا : قرر اجازة توصيات اللجنة المالية الخاصة بميزانية المركز لعام ١٤٠٠ هـ .
سادسا : قرر الموافقة على توصية اللجنة المالية الخاص بميزانيتي التشغيل والتشييد لعام ١٤٠٠ هـ .
سابعا : قرر تأجيل النظر في لائحة شروط الخدمة للاجتماع الثاني عشر بالخرطوم ، وذلك لاعطاء فرصة للاعضاء لدراسة توصيات لجنة المالية الخاصة باللائحة .

ثامنا : قرر منح جميع العاملين الذين لم يشملهم القرار رقم ٨ و ٩ من اجتماع مجلس الامناء التاسع راتب شهر عن المدة من ١ شعبان ١٣٩٩ هـ . الى ٣٠ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ . على أن تخصم المصروفات الناتجة عن هذا القرار من وفورات ميزانية ١٣٩٩ هـ .
تاسعا : قرر ان يكون صرف المرتبات لجميع العاملين بالمركز الاسلامي الافريقي حسب الشهور الهجرية .
عاشرا : بناء على توصية مجلس الادارة قرر مجلس الامناء تاجيل النظر في مذكرات المنهج الى الاجتماع الثاني عشر في ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ .
حادي عشر : قرر تأجيل النظر في اللائحة المالية للمركز الاسلامي الافريقي والمقدمة لهذا الاجتماع لتنظر في اجتماع ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ .
ثاني عشر : بناء على توصية مجلس الادارة قرر مجلس الامناء تأجيل النظر في البت في اختيار نائب للمدير للشئون التعليمية والثقافية الى اجتماع مارس القادم ١٩٨٠ م .
ثالث عشر : قرر أن ينعقد اجتماع مجلس الامناء القادم في يوم السبت ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ . الموافق الأول من مارس ١٩٨٠ م . بمدينة الخرطوم .

التوصيات

كما اتخذ المجلس عددا من التوصيات : أهمها :
١ ـ أن يتولى السيد رئيس الدورة الحالية الاتصال بالسفراء العرب المعتمدين لدى دولة يوغندا وجزر القمر ومدغشقر وانجولا وملاوي والكونغو لمعرفة الاسباب التي دعت الى عدم حضور الطلاب القادمين من هذه الاقطار والذين تم قبولهم للعام الدراسي بالمركز الاسلامي الافريقي لعام ٧٩ ـ ١٩٨٠ م .
٢ ـ أن يقوم ممثلو الدول المشتركة في المركز بالاتصال بوزارات الاوقاف في بلادهم لمد يد العون لمدارس الأطفال في افريقيا الوسطى ، وساحل العاج ، والكميرون بالكتب العربية المبسطة لتعليم اللغة العربية .
٣ ـ أن تتصل ادارة المركز بالدول الاعضاء مناشدة تلك الدول ان تسعى لدى حكوماتها لتعيين بعض الخريجين من المركز الاسلامي مرشدين في اوطانهم وتتولى دفع مرتباتهم .
٤ ـ أن يتكرم السيد مدير جامعة الرياض بايفاد بعض الاساتذة الذين وضعوا منهج الرياض للمركز الإسلامي الافريقي الى السودان ليجتمعوا بنظرائهم من الذين وضعوا مذكرة المنهج المقترح حتى تكون توصياتهم جاهزة للنظر فيها مع مذكرة المنهج في الاجتماع المقبل .

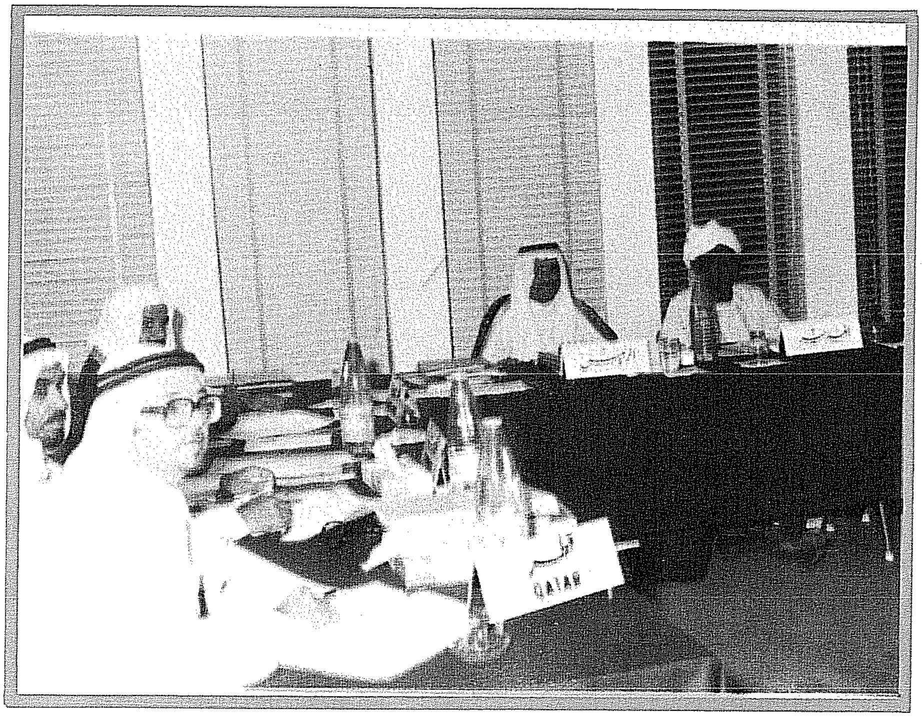
**و ( الوعي الاسلامي ) ترجو الله ان يوفق الله الجميع لما فيه خدمة الاسلام والمسلمين ..**

**وتهيب بالدول الاسلامية جميعها ان تشارك في هذا العمل الخير من أجل رفعة لواء الاسلام ، والقيام بواجب الدعوة الى الله : ( ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ) .**

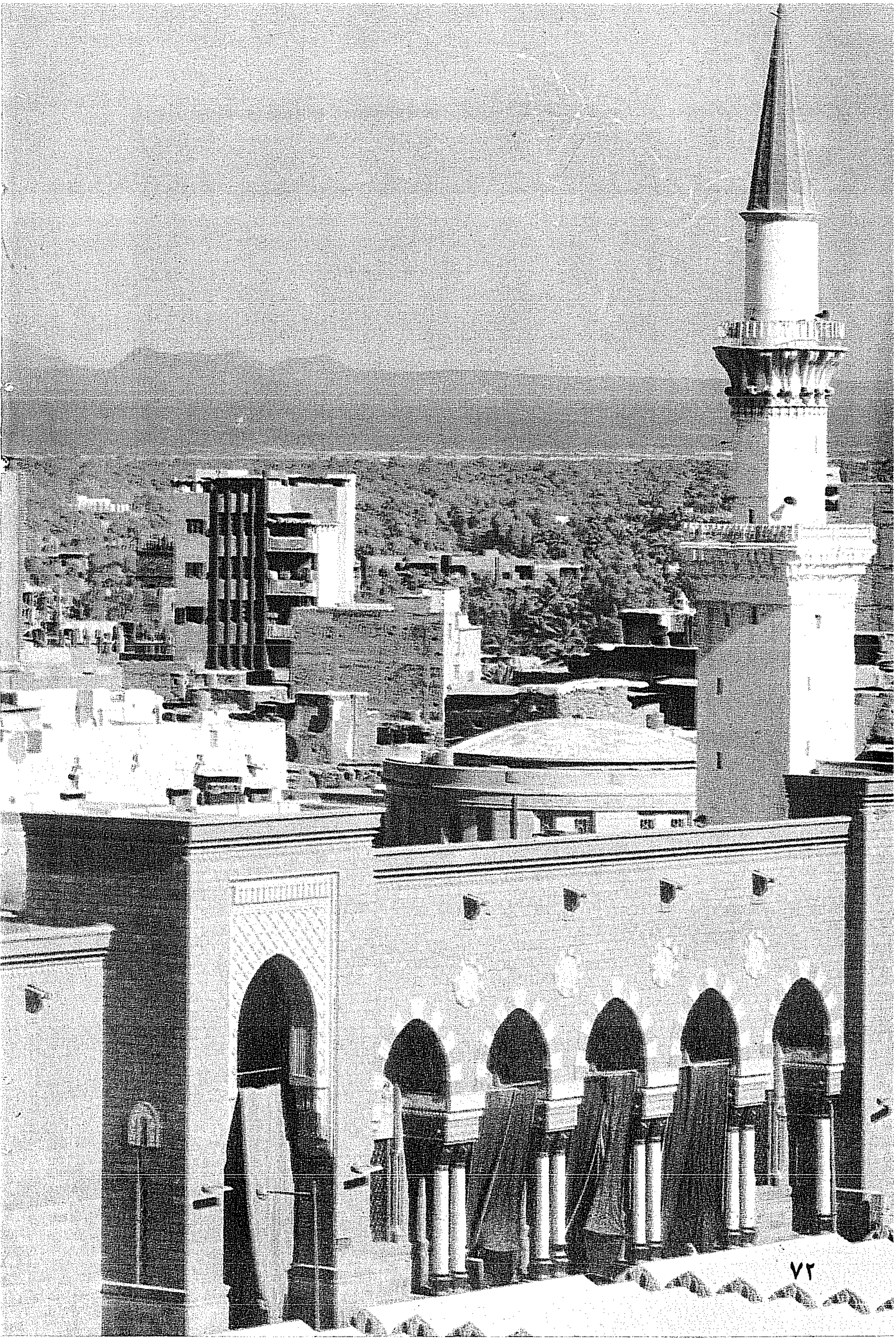
**ليعود من جديد مجد الاسلام التليد ، ويقف صهيب الرومي الى جانب سلمان الفارسي ، الى جانب بلال الحبشي ، الى جانب أبي بكر الصديق القرشي .. الكل إخوة في ساحة الاسلام وتحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله ، وقائد المسيرة هو محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والتسليم . الذي قال :**

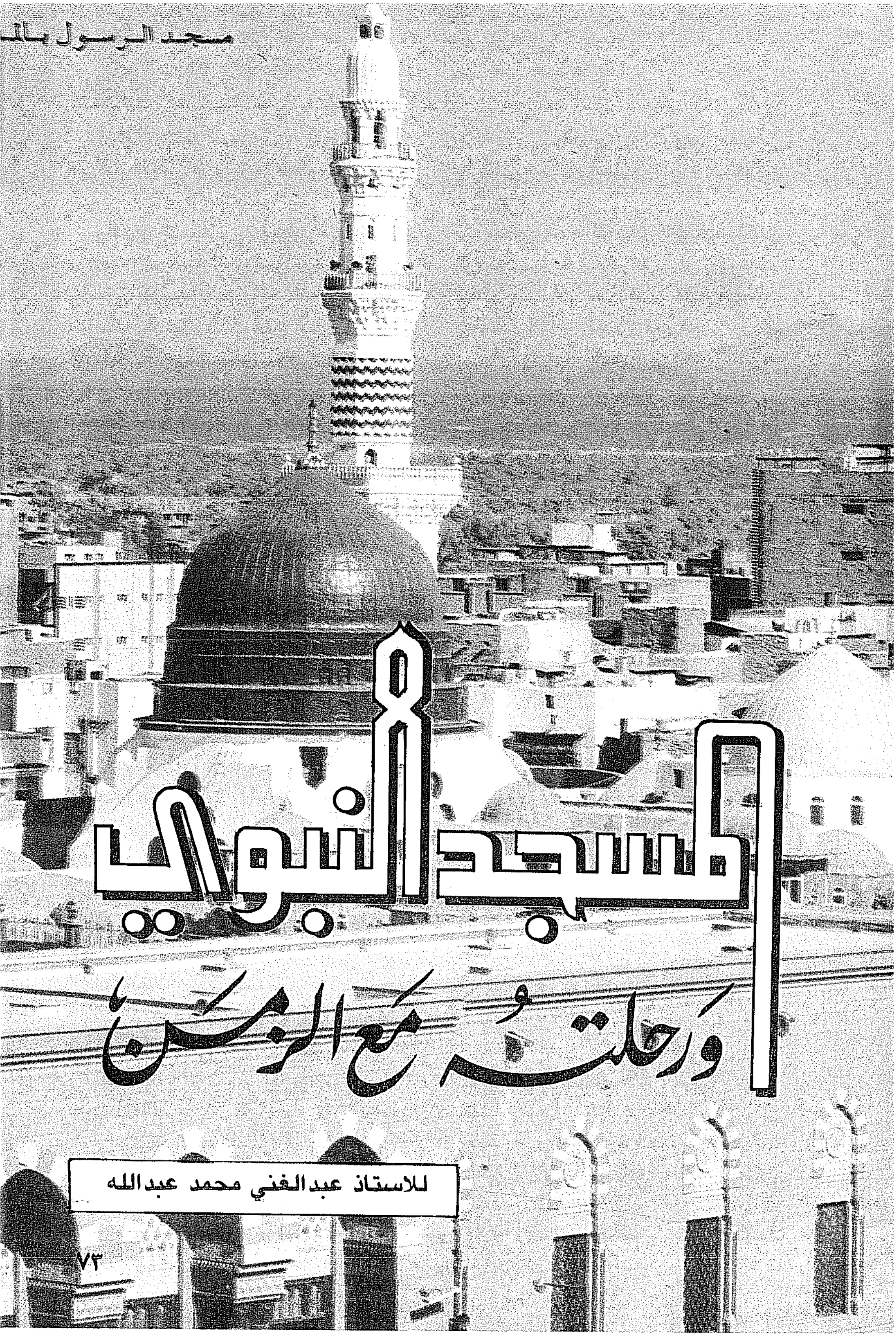
**( لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ) .**

**وفي ميدان الدعوة الى الله ، والأخذ بيد الانسان الى بر الأمان ، فليتنافس المتنافسون .**


QATAR







# المسجد النبوي ورحلته مع الزمن

للاستاذ عبدالغني محمد عبدالله

أربعة عشر قرنا من الزمان .. عبرها الاسلام في رحلة الزمن . لم يتوقف فيها عن العطاء .

والفن الاسلامي ميدان مهم من ميادين الحضارة الاسلامية وجانب أصيل من جوانبها .. وتأثير العقيدة الاسلامية على هذا الفن كان تأثيرا إيجابيا حتى أن الفن الاسلامي رغم أنه استقى من حضارات وفنون سابقة فانه طوع ما استقاه للعقيدة الاسلامية .. ليس جبرا .. ولكن بايمان الفنان المسلم نفسه الذي ابتعد عن مجالات كثيرة رأى أن من الواجب عليه كمؤمن بالله أن يبتعد عنها كابتعاده تماما عن النحت وصناعة التماثيل حتى لا يذكره ذلك بعبادة الأصنام . ولذا نجد الفنان المسلم أبدع فيما أنتجه من زخارف كتابية وهندسية ونباتية .. إلى جانب الوحدات الزخرفية الأخرى .. وهدفه كان جماليا وزخرفيا بحتا .

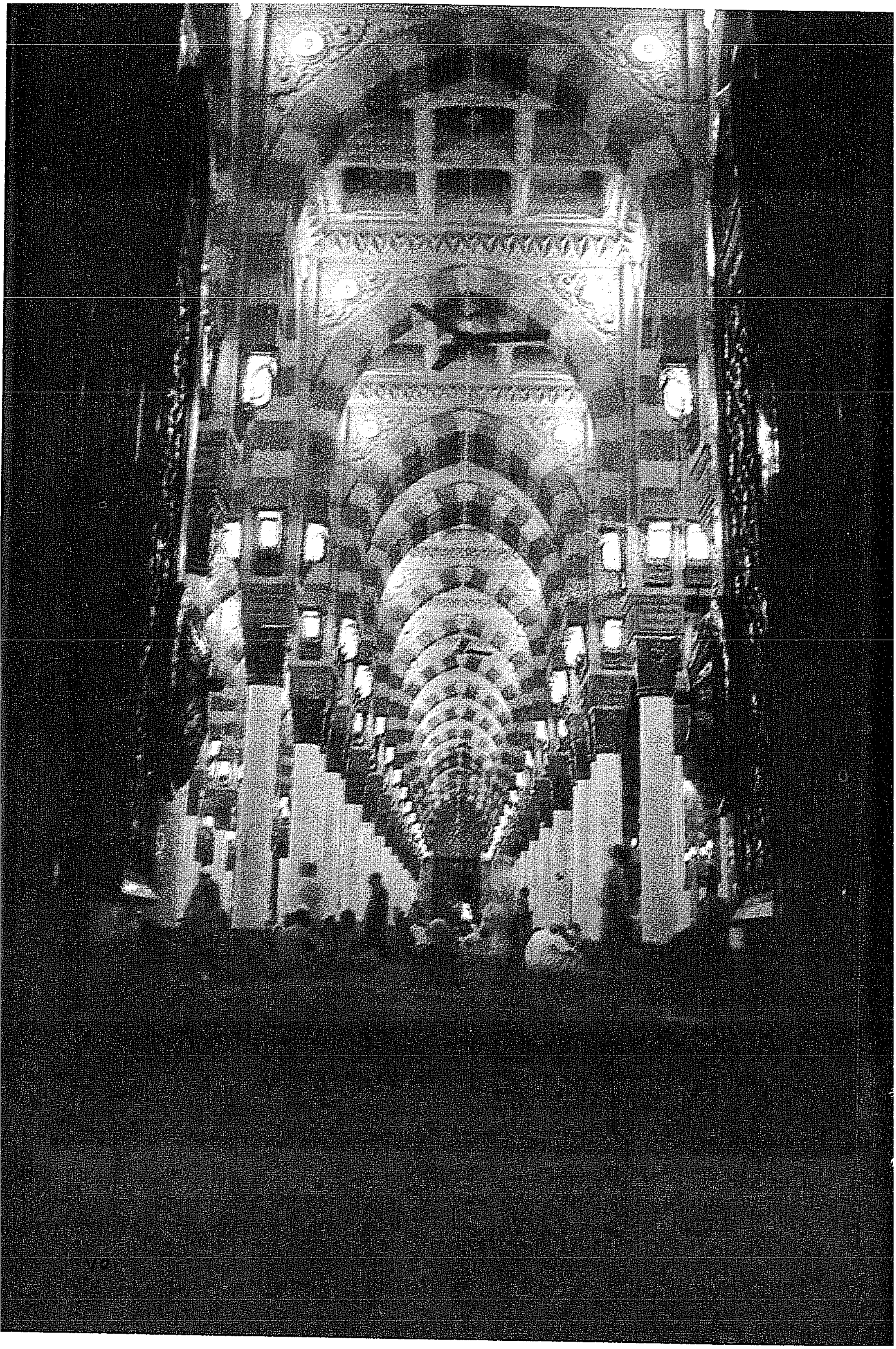
وبراعة الفنان المسلم في المجال المعماري بميادينه المختلفة طوال الأربعة عشر قرنا الماضية .. واضحة وجلية . ويأتي على قمة اهتمام الفنان في المجال المعماري الاهتمام بالعمائر الدينية . ويتضح لنا ذلك من هذا العدد الهائل من المساجد والجوامع المنتشرة شرقا وغربا في كل أرجاء العالم الاسلامي . ومن هذه المساجد والجوامع ما له شأن عظيم سواء من ناحية مكـــانته الروحية كالمسجد الحرام والمسجد النبوي أو من ناحية مكانته التاريخية والأثرية مثل جامع عمرو بالفسطاط والأزهر بالقاهرة والقيروان بتونس والأموي بدمشق والأقصى والصخرة بالقدس الشريف .. الخ .

بعض هذه العمائر الدينية أكمل من عمره أربعة عشر قرنا أو يقل قليلا بضع سنوات ومازالت هذه العمائر قائمة مكانها تؤدي دورها . يؤمها المسلمون الخلف وراء السلف يذكرون فيها اسم الله ويصلون على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويؤدون فيها شعائر الاسلام .

ورحلة إلى مسجد الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة هى أمل تهفو إليه قلوب المسلمين .

واليوم رحلتنا على صفحات الوعي الاسلامي مع مسجد الحبيب عبر الزمن .. عبر هذه القرون والسنوات الطويلة لنرى أن هذا المسجد على مر التاريخ له مكانته في قلب كل مسلم . وأنه مع تطور الحضارة الاسلامية بفروعها المختلفة طرأت عليه تجديدات كثيرة شملت البناء وتوسيع مساحته مرة بعد الأخرى وتأنيق مبانيه وتجديده في كل مرة حسب الطرز الجديدة بما يجمع ما حققه فن عمارة المساجد من أساليب ليكون له ــ إلى جانب الحرم المكى .. مكان الريادة في العمارة الدينية الاسلامية .

وبعض المستشرقين ادعوا أن شبه الجزيرة العربية كانت خالية من الفن المعماري قبل الاسلام . ولا شك أن هذا الادعاء كاذب ــ فالثابت أن منطقة شبه الجزيرة العربية قد عرفت العمارة قبل الاسلام . ومن يطالع مصادر التاريخ الاسلامي يثبت له



خطأ هذه النظرية ففي سيرة ابن هشام نجد أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد نزلت بأحد الحصون يوم الخندق . ونعرف أيضا أن الرسول الكريم قد هاجم حصون اليهود في خيبر . وبعض المـــدن كان حولها أسوار حصينة . ونعلم أيضا أن الكعبة المشرفة كانت موجودة قبل الاسلام وكانت مبنية من الحجر . ومعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد شارك في فض النزاع على الحجر الأسود ، ولكن البناء كان يتم بالأساليب والمواد المعروفة حينئذ .. وهذا يدلنا على أنه كانت هناك عمارة في شبه الجزيرة قبل الاسلام .

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وآذاه أهل مكة واضطر إلى الهجرة إلى يثرب واجه فيها حياة جديدة ، وكان لابد له من مكـــان يسكنه هو وزوجاته إلى جانب أنه من الضروري أن يوجد المسجد الذي يجتمع ويصلى فيه بالمسلمين ويلقي عليهم مواعظه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويباشر في ساحته شئونه السياسية والنظر في خططه الحربية ويقضي بين الناس .

وقد أقام محمد صلى الله عليه وسلم مسجده وداره في يثرب التي صار اسمها المـــدينة المنورة حيث اشترى الأرض التي بني عليها المسجد والدار من غلامين يتيمين من بني النجار . وقد عمل الرسول الكريم مع المسلمين في تسوية المكان .

وتم إنشاء المسجد ولم يكن به شيء من الترف أو الفخامة لأسباب منها أن الرسول وأصحابه قد انصب جل جهدهم نحو نشر الدين الجديد . إلى جانب أن مواد البناء كانت بسيطة .

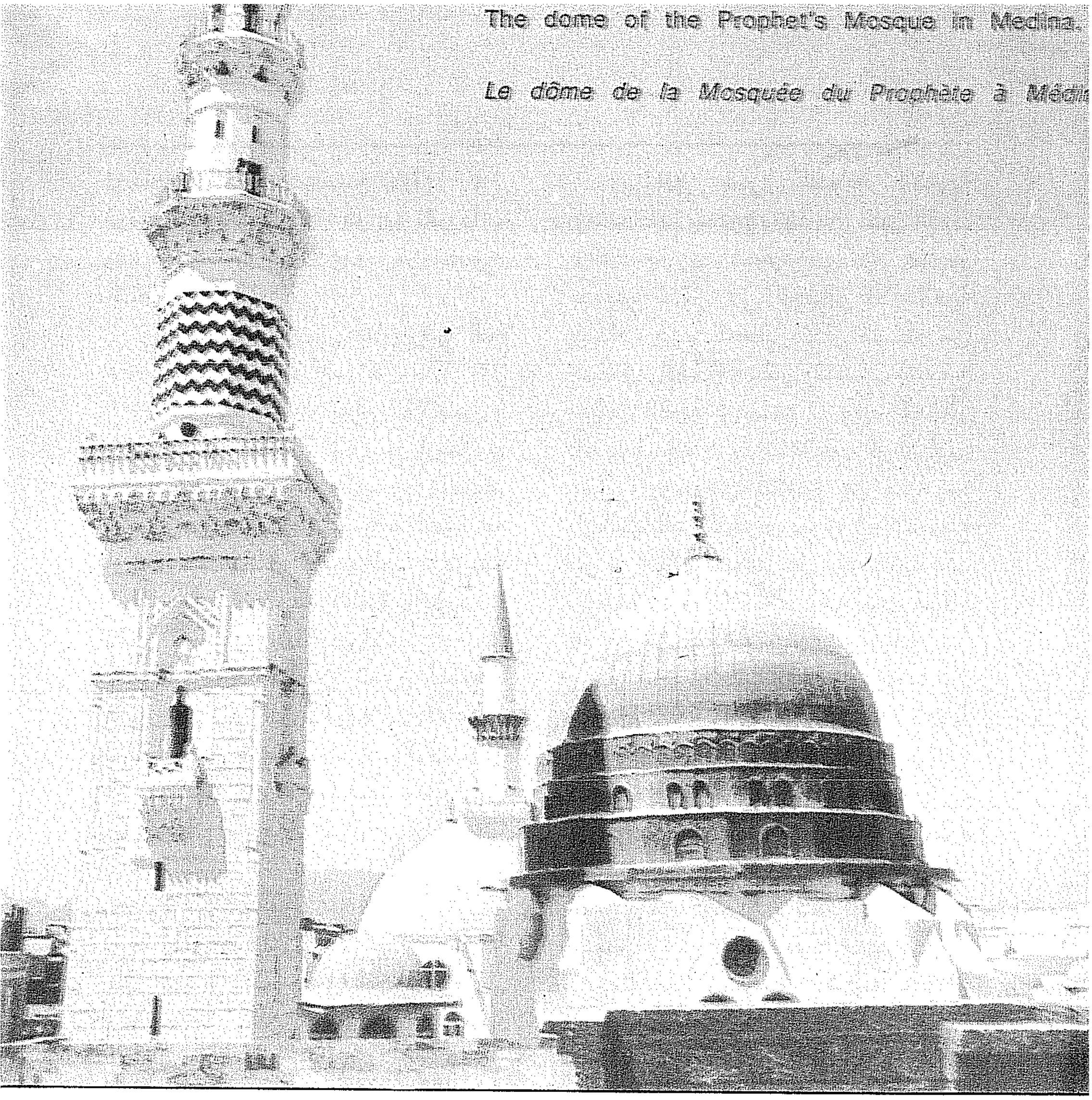
ولما بنى الرسول مسجده وداره في المدينة المنورة كان هذا البناء يهدف إلى أمور ثلاثة :

١ ــ هدف ديني
٢ ــ هدف سياسي
٣ ــ هدف اجتماعي

فالهدف الديني يتمثل في بناء المسجد ليكون مكانا للصلاة والعبادة والهدف السياسي في كونه مكانا يتخذه الرسول لتصريف أمور دولته الجديدة أما الهدف الاجتماعي فيتمثل في كونه مكـــانا ضم حجرات أزواجه الطاهرات . وبذلك أخذت حياته صلى الله عليه وسلم في الاستقرار واتجه إلى بناء دولته الجديدة .

## وصف المسجد على عهد الرسول

وقد كان المسجد عبارة عن منطقة ( صحن ) مربعة مسورة بسور من اللبن طول كل ضلع من أضلاعه مائة ذراع تقريبا بارتفاع سبعة أذرع وحفر الأساس على عمق ثلاثة أذرع . وكان عضادتا المسجد من الحجارة ، وفرشت أرضه بالحصى وكان له ظلة في الشمال ( ناحية القبلة الأولى اتجاه بيت المقدس ) كان ينام تحتها فقراء المسلمين ( أهل الصفة ) ثم أقيمت ظلة ثانية في الجنوب بعد تحويل القبلة في اتجاه الكعبة . وكـــان المحراب الأول والثاني مرسومين على الحائط الشمالي ثم الجنوبي أما حجرات زوجات الرسول فكانت ذات




أسقف من فروع وسقف النخيل وكـــانت تفتح على صحن المسجد مباشرة .. وفي بعض الأقوال كان بينها وبين الصحن مسافة تشبه الشارع إلى أن زاد الرسول المسجد فالتصقت الغرف بالمسجد . وقد وصف لنا عبدالله بن زيد هذه الغرف فقال إن أبوابها كانت تغطيها ستائر من الشعر الأسود الكثيف مقاس كل ستارة ٣ × ٣ أذرع .

وبعد وفاة الرسول دفن في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها وكان قبره مسنما فوق الأرض وفي روايات أخرى كان لحدا ثم أهيل عليه التراب وأصبح هذا المكان مقدسا يضم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

**المسجد عهد الخلفاء الراشدين :**

في سنة ١٧ هـ على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أدخلت على

المسجد زيادات ليصبح طوله ١٤١ ذراعا وعرضه ١٢٠ ذراعا تقريبا . وقد تم استبدال الأعمدة من جذوع النخل بالخشب .

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ازداد المسجد اتساعا ١٦٠ × ١٥٠ ذراعا وذلك عام ٢٤هـ .. واستكملت الظلات لتصبح أربعا في الاتجاهات الأربعة فأصبح المسجد يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربع ظلات في الجوانب الأربعة ( الشمال والجنوب والشرق والغرب ) وكان للمسجد ستة أبواب .

وعلى عهد عثمان تطور المسجد فأنير بقناديل الزيت وتغيرت الأعمدة لتصبح من الحجر وصب الرصاص في وسطها .. وظل المسجد خاليا من الزخرفة والأناقة .

## عمارة الوليد بن عبدالملك

انتقال حاضرة الدولة الاسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة ثم إلى دمشق لم يقلل من أهمية الحرم النبوي بل على العكس ظل عامرا وغاصا بالعلماء والدارسين وبالعباد ليلا ونهارا .

وكان لاتصال الدولة ــ بحضارات سابقة كالساسانية عند الانتقال للكوفة وبالبيزنطية عند الانتقال لدمشق أثر كبير على تطور الفنون الاسلامية في مجالات شتى فتطورت طرق ووسائل البناء وأساليب الزخرفة والانفتاح على طرز وأشكال زخرفية جديدة تم تطويعها لتصبح إسلامية صرفة .

وبزيادة غنى الدولة الأموية واتساعها وصيرورتها من أكبر الدول وأعظمها في عصرها بدأت عناصر جديدة تدخل على العمائر الاسلامية فبدأت هذه العمائر تنال قسطا من التأنق والفخامة حتى يتناسب ذلك مع عظم الدولة وغناها . وفي العمائر الدينية بالذات بدأت تتطور في أسلوب بنائها وزخرفتها لتتفوق على مثيلاتها في الديانات الأخرى سواء في الاتساع أو في التأنق ساعد على ذلك كثرة عدد الداخلين في الاسلام ومن بين هؤلاء الكثير من الفنانين في جميع الميادين .

ولما جاء الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك إلى الحكم وكانت الدولة الأموية قد استقرت لها الأمور ــ عهد الوليد إلى واليه على المدينة المنورة ــ عمر بن عبدالعزيز باعادة عمارة المسجد النبوي وهذا بدوره عهد إلى صالح بن كيسان بالاشراف على هذا العمل وكان ذلك عام ٨٨هـ .

ولقد كانت عمارة الوليد شاملة للمسجد وقد وصلت إلينا معلومات وافية عنها من أقوال المالكية والواقدى والطبرى والمقدسى والدينورى وابن عبدربه وباقي المؤرخين كالبلاذرى وابن سعد وغيرهم . وقد جمع لنا السمهودي ما كتبه محمد بن الحسن بن زبالة عن المسجد النبوي بالاضافة إلى ما كتبه ابن النجار ( الدرة الثمينة في أخبار المدينة ) ، وابن جبير الذي زار المسجد عام ١١٨٤م . وكتب لنا وصفا دقيقا عنه . ومن المحدثين فريد شافعي وابراهيم رفعت وأحمد فكري





مسجد الرسول بالمدينة المنورة من الداخل

وكريزويل وسوفاجيه الذين عملوا لنا تصورا عن عمارة الوليد في المسجد النبوي .

والحقيقة أن عمارة الوليد صارت بعد الانتهاء منها تحفة معمارية ونموذجا يقتدى به في المساجد الأخرى في العالم الاسلامي واستقرت في هذه العمارة معظم حدود ومعالم المسجد النبوي للآن .

وصار المسجد النبوي بعد عمارة الوليد عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة في الاتجاهات الأربعة أعمقها رواق القبلة ( الجنوبي ) وبه خمسة صفوف من الأعمدة موازية لجدار القبلة في كل صف ١٧ عمودا . ويليه الرواق المواجه لرواق القبلة والموازي له ويتكون من أربعة صفوف من الأعمدة في كل صف ١٧ عمودا أما الرواق الشرقي فبه ثلاثة صفوف في كل صف ٢٢ عمودا أما الغربي فمن أربعة صفوف في كل صف ٢٢ عمودا . وجعل سقف المسجد على الأعمدة مباشرة . وتم إبقاء قبر الرسول صلى

الله عليه وسلم في مكانه حيث أحيط بجدار خماسي الشكل حتى يختلف عن شكل الكعبة المشرفة .

وتم إبقاء الكثير من الأشكال على حالها ومكـــانها من باب التمسك بالسنة النبوية الشريفة فبقي المنبر بعيدا عن جدار القبلة وبقي المحراب في مكانه القديم وحلت الأعمدة الجديدة مكـــان القديمة ولكنها صارت من الحجارة وصب في وسطها الحديد والرصاص حتى أن أعمدة رواق القبلة بنيت من الحجر وكسيت بالجص لتظل محتفظة بشكلها القديم أما باقي الأعمدة الأخرى فمن الرخام .

ويذكر لنا السمهودي أن عمر بن عبدالعزيز لما صار إلى جدار القبلة دعا مشيخة أهل المـــدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي فقال لهم : « تعالوا احضروا بنيان قبلتكم حتى لا تقولوا : عمر غير قبلتنا » وجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا كما بقي المحراب في مكانه القديم .

وقد بني المسجد على شكله الجديد من الحجارة بزيادة أوسعة في اتجاه الغرب والشمال وكسيت الجدران من أسفلها بالرخام ومن أعلاها زخرفت بالفسيفساء والزجاج الملون ونقشت رءوس الأعمدة والأعتاب بماء الذهب وكان السقف من خشب الساج وتمت تحليته بماء الذهب ، وأحيط الصحن بأربعة بوائك تحمل فوقها الشرفات وحلت مقصورة جديدة من خشب الساج في رواق القبلة مكان مقصورة كانت قد وضعت في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه .

ومن أهم الاضافات في الحرم النبوي المحراب المجوف والمئذنة وإضافة هذين العنصرين من عناصر العمارة الاسلامية كانت إيذانا بانتشارهما في العالم الاسلامي والأقوال كثيرة في أن هذا المحراب المجوف كان أول محراب مجوف في الاسلام . في حين أن المآذن الأربعة التي أقيمت كانت مربعة التخطيط وكل منها بارتفاع ٢٥ مترا .

أما مداخل المسجد القديمة فقد نقلت إلى نفس الجدران الجديدة وعلى نفس محاورها ( باب النساء ــ باب جبريل ــ باب الرحمة ــ باب السلام ) .

## عمارة المهدى

وظل الحرم النبوي بعد عمارة الوليد ٨٨ ــ ٩١هـ محتفظا بمعالمه المعمارية لمدة خمسة قرون تالية إلى أن تعرض لحريق ضخم ٦٥٤هـ ١٢٥٦م ولم تجر عليه أي تغييرات مهمة خلال القرون الخمسة إلا في عهد الخليفة العباسي المهدى الذي قام بتوسيع المسجد من الجهة الشمالية فقط وكـــان ذلك عام ١٦٠هـ ٧٧٨م .

وعمارة المهدي وضعت للمسجد حدوده التي احتفظ بها حتى العصر الحاضر على الرغم من التجديدات التي طرأت عليه على مر العصور .

ويبدو أن عزم العباسيين كان منعقدا على إجراء عمارة مهمة في



الحرم النبوي غير أن ظروف استقرار الدولة لم تمهل أبا العباس السفاح لاجراء العمارة . أما المنصور فبرغم انعقاد نيته على إعادة تعمير المسجد فان عمارته الكبرى في إنشاء مدينة بغداد لم تمكنه من إجراء أي عمل معماري ضخم آخر .

ولما جاء المهدي أصدر أوامره بعمارة الحرم النبوي سنة ١٥٨هـ واستغرقت العمارة سنتين وفي بعض الأقوال خمس سنوات . وعهد المهدى إلى عبدالله بن عاصم ابن عمر بن عبدالعزيز وعبدالملك بن شبيب الغسانى بعمارة المسجد ولما مات ابن عاصم عين مكانه عبدالله بن موسى الحمصى .

وتقتصر عمارة المهدي في الرواق الشمالي فقط ويبدو أن ذلك كان مصدره عدم الرغبة في تغيير مظاهر أجزاء هامة في المسجد وهي معالم تقليدية يجلها المسلمون وترتبط في أذهانهم بالسنة النبوية الشريفة ولا يرضون فيها أن تكون عرضة للتغيير مثل الحجرة النبوية الشريفة ومنبر الرسول ومحراب عثمان والأبواب التي فتحها عمر وبعض الأساطين المرتبطة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتم هدم الرواق الشمالي ـ المواجه لرواق القبلة ـ وأضيفت إليه قطعة جديدة من الأرض طولها حوالي ثلاثين مترا . وصار بعد إعادة عمارته مكونا من خمسة صفوف من الأعمدة بكل صف ١٧ عمودا وبذلك صار الرواق الشرقي والرواق الغربي على حالهما من عدد صفوف الأعمدة على عهد الوليد إلا أن كل صف صار به ٢٨ عمودا بدلا من ٢٢ عمودا وصار طول الجدار الشرقي ١١٠ مترا والغربي كذلك وصار طول الجدار الشمالي أقل قليلا نظرا لاستمرار ميل الجدار الشرقي عليه ـ ٦٦ مترا ـ

وذكر ابن جبير أن المسجد كان يحتوي على ٢٩٠ عمودا وقد زادت زخرفة الرواق الشمالي بالفسيفساء .

وظل المسجد بعد عمارة المهدي محتفظا بشكله ونمطه وحدوده حتى حريق عام ٦٥٤هـ حيث امتدت النيران إلى المسجد من شعلة أحد القناديل وأتت على المسجد إلا القليل منه مثل قبة المسجد والحجرة النبوية الشريفة .

صحيح أنه بين عمارة المهدى والحريق الذي شب في المسجد سنة ٦٥٤هـ تمت عدة ترميمات قليلة قام بها الخلفاء المأمون والمتوكل والمعتضد والناصر لدين الله ولكنها لم تغير شيئا في شكل المسجد أو نمطه .

**بعد حريق ٦٥٤هـ :**

لم يمهل الغزو المغولي سنة ٦٥٦ الخليفة العباسي المستعصم لعمارة الحرم النبوي بعد الحريق .. إلا أن سلاطين المماليك في مصر بعد هزيمة المغول في عين جالوت وإنقاذ الحضارة الاسلامية .. قاموا باعمار المسجد النبوي تباعا .. وخلفهم العثمانيون واستمر الاعمار والتجديد والاضافة .. على مر العصور وحتى هذا الزمان .

# أهل القرن الخامس عشر

للأستاذ : أنور الجندي

أ ـ أهل القرن الخامس عشر الهجري : هلال خير وبركة على سكان هذا الكوكب كله ، وشهدنا فجره فحق علينا أن نتوجه بالحمد والثناء إلى الحق تبارك وتعالى الذي أكرمنا بمشهده وجعلنا من العاملين على مشارفه والمدافعين بالقلم الذي أقسم به جل شأنه في سبيل إعلاء كلمة الله ولعل أبرز ما تحمله هذه البشرى في طياتها هى أن القرن الخامس عشر هو قرن « النهضة » بعد أن كان القرن الرابع عشر قرن « اليقظة » .

ولا ريب أن ( الدعوة الاسلامية ) ستنطلق في طريقها بالرغم من كل العثرات ومحاولات الاستقطاب والحواجز والسدود والقيود التي ماتزال تضعها في طريقها القوى الثلاث : النفوذ الأجنبي والشيوعية والصهيونية وقد بلغ المسلمون الآن ألف مليون ( بمعدل ربع سكان هذا الكوكب وسيتضاعف عددهم خلال هذا القرن وقد أعطاهم الحق تبارك وتعالى :

( **أولا** ) : الموقع الاستراتيجي الهام .

حيث يشكلون « القارة الوسطى » بين قارات العالم ويسيطرون على طرق المواصلات العالمية ( برا وبحرا وجوا ) .

( **ثانيا** ) : الثروة والطاقة : حيث يملكون أهم ثروات البشرية : البترول والمنجنيز وعشرات المعادن .

( **ثالثا** ) : التفوق البشري حيث يولد لهم تسعون في المائة من مواليد العالم وكل هذا يذكرهم بالمسئولية الخطيرة والدور الهام الذي امتحنهم الله به مسئولية وتبعة وهى إقامة حكم الله العادل وبناء مجتمعه الرباني في هذه الأرض وإذاعة كلمة ( لا إله إلا الله ) في العالم كله ، وحيث جاءت أزمة القوى الثلاث الكبرى ( النفوذ الأجنبي والشيوعية والصهيونية ) واحتلال بيت المقدس أعطاهم الثروات الضخمة مصدرا للدفاع ، وحجة عليهم إذا نكصوا أو قصروا .

ب ـ وقد نزل الستار على ساحة القرن الرابع عشر والعالم الاسلامي يتحرك في قوة وحيوية وفي مواجهة التحديات نحو تحقيق رسالة الحق والخير والرحمة : رسالة الانسانية :

( **أولا** ) : انتصار دعوة قادة باكستان الاسلامية في العودة إلى

الشريعة وإعلان تطبيقها .

( **ثانيا** ) : انتصار العدل على الظلم وسقوط الدكتاتورية والاستبداد والنفوذ الشيوعي الماركسي : باكستان وإيران وأندونيسيا ومصر .

( **ثالثا** ) : انتصار الاسلام في معارك الجهاد المقدس الذي تجدد مرة أخرى على النحو الذي عرفه السلف الصالح والذي عرفه نور الدين وصلاح الدين إبان الحملات الصليبية :

الجزائر ، أفغانستان ، العاشر في رمضان .

( **رابعا** ) : الاقتراب السريع ومطالبة الأمة في عديد من البلاد العربية والاسلامية ، وسقوط الاقطاع والاستعمار .

جـ ـ أمكن خلال القرن الرابع عشر تصحيح عشرات من المفاهيم والوقائع التاريخية التي كان الزيف قد أحاط بها ، ومنها :

(١) تصحيح موقف الدولة العثمانية والسلطان عبدالحميد .

(٢) الكشف عن فساد دعوات الاقليميات والقوميات الضيقة وهى محاولات استهدفت ضرب الوحدة الاسلامية .

(٣) الكشف عن فساد مفاهيم الديمقراطية الغربية والشيوعية والاشتراكية وضرورة استخلاص نظام اجتماعي سياسي من صميم الاسلام .

(٤) تحليل أخطار المفاهيم التلمودية المسيطرة على عديد من مناهج التعليم والتربية والثقافة .

(٥) الكشف عن أخطار القانون الوضعي وفساد تجربته في البلاد العربية والاسلامية .

(٦) ـ الكشف عن فساد المادية ، الوجودية ، العلمانية .

(٧) ـ الكشف عن إفلاس الحضارة الغربية وفسادها ، وما أحدث ذلك في النفس البشرية من هزائم الغربة والقلق والتمزق .

(٨) ـ تصحيح فساد ما حاول الاستشراق إحياءه من التراث الزائف حول ابن عربي وأبى نواس والحلاج وبشار وابن المقفع وإخوان الصفا والفلسفات الهلينية والفكر الباطني والوثني والمجوسى .

(٩) ـ الكشف عن فساد مناهج التعليم في مجالات العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق وفساد النظريات التي تدرس وكأنها حقائق بينما هى مازالت فروضا أقرب إلى الخطأ منها إلى الصحة ، والمقدمة من سارتر وفرويد ولارون ودوركايم وماركس .

د ـ أمكن تحقيق بعض الانتصارات :

( **أولا** ) : الاعتراف بعظمة الحضارة الاسلامية ودورها الضخم في بناء الطابق الأول الأساسي من بناء الحضارة المعاصرة ودورها الخطير الذي قامت به في مجال الطبيعة والفلك والرياضيات .

( **ثانيا** ) : ما أفاد الغرب من التقنين الاسلامي والفقه الاسلامي في

إنشاء القوانين التي تتصل بالحريات وحرمة المساكن وحقوق الناس وتحرير الانسان من ظلم الانسان .

( **ثالثا** ) : الاعتراف بالحصيلة الضخمة التي قدمها ( القرآن والسنة ) في مجال العلوم الاجتماعية والسياسة والاقتصاد :

ــ سنن الله في الكون ( وصولا إلى القمر ) .

ــ قوانين قيام الحضارات والأمم وسقوطها .

ــ التكامل الجامع بين الروح والمادة ، والدين والدولة ، وعالم الشهادة وعالم الغيب والدنيا والآخرة .

ــ التكافل الاجتماعي بين الغني والفقير والعدل والرحمة والسماحة وأخلاقيات المجتمع .

ــ إقرار مبدأ الجزاء الأخروى والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي .

هـ ــ بروز ظاهرة الاعتراف بالاسلام والفهم له .

وقد تكشف ذلك من خلال دعوة الكهنوت إلى الدخول في حوار مع العالم الاسلامي على أساسين صريحين ( على حد تعبير الدكتور الدواليبى ) .

( **أولا** ) اعتراف الكنيسة بأنها هى التي ظلمت الاسلام في إعلان الحروب الصليبية وفي محاكم التفتيش في أسبانيا وأخيراً في وقوفها وراء الاستعمار الحديث .

( **ثانيا** ) الدعوة الى تغيير عقلية المسيحيين بالنسبة للاسلام على أن يقدم الاسلام للمسيحيين على أنه دين مشحون بأعظم ما عرفته الانسانية من مبادئ سامية .

وفي هذا المجال نجد ظواهر خطيرة منها :

( **أولا** ) كتاب الدكتور ميشيل هارت اسمه ( المائة ) قدم فيه مائة شخصية أثرت في تاريخ الانسانية وقدم هؤلاء جميعا بدراسة عن رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، والمؤلف عالم في الرياضة والطبيعة والفلك ، اختار رسول الله على جميع عظماء التاريخ باعتباره أعظم المؤثرين في التاريخ الانساني « إن اختياري لمحمد ليكون الأول بين ذوى النفوذ في العالم قد يكون موضع دهشة القراء ، ولكنه هو الوحيد في التاريخ الذي كان امتيازه متكافئا على المستوى الديني والدنيوى .

( **ثانيا** ) كتاب الدكتور موريس بوكاى ( الكتاب المقدس والقرآن والعلم ) حيث يكشف عالم طبيب غربي كاثوليكي فساد منهج التوراة ويشير إلى بشريتها وأنها ليست منزلة بينما يثبت بألف دليل ( ربانية ) القرآن الكريم وكيف أن رواية التوراة مجافية لأوليات العقل ومعارضة لحقائق العلم وكيف أن رواية القرآن عن نشأة الخلق متسقة تماما مع حقائق العلم الحديث .

فاذا أضفنا إلى هذا كتابات كثيرة نشرت من قبل العلماء المنصفين تأكدنا أن هناك ظاهرة حقيقية هى وجود « تيار عالمي يمثل غزوة جديدة

للاسلام إلى الفكر البشري والعالم الانساني» .

ومع تحفظنا إزاء دعوة الحوار التي دعت إليها الكنيسة وخلفياتها التي تهدف إلى تصوير الاسلام بأنه غير مختلف عن المسيحية ، ومحاولة الحصول على كلمات من علماء المسلمين ترمي إلى إضعاف طابع الاسلام المفرد وطبيعته الربانية المتميزة عن الأديان التي دخل إليها الانحراف والتفسير البشري .

هذا كما أنه يجب التذكير بالحرب الصليبية التي ما يزال يشنها مجلس الكنائس العالمي ( من بروتستانت وأرثوذكس ) ضد الاسلام معتمدا على الأموال الصهيونية بمئات الملايين من الدولارات التي ينفقها في سبيل القضاء على الاسلام لدى الفقراء والمرضى والجهلة حيث لا يقدم لهم معونة إلا بشرط التنصير .

و ـ وضحت ظاهرة عالمية أخرى هي الدعوة إلى وضع نظام اقتصادي جديد للمجتمع البشري بعد أن تبين فساد النظامين الرأسمالي والماركسي ، وقد جاء في التوصيات التي قدمت في هذا الشأن أن الاسلام هو وحده الذي يستطيع أن يقدم أمثل منهج اقتصادي واجتماعي للبشرية بدعوته إلى وحدة الأسرة البشرية ووحدة مصالحها من غير تمييز في الحق وفي الحياة وفي الكرامة وفي إقامة العدل بينها .

ز ـ وضحت ظاهرة عالمية أخرى هى أن العالم قد اكتشف أنه لا سبيل إلى تحرره من ربقة الأخطار المحدقة به إلا بالاسلام وهذه هى الحقيقة التي أشار إليها عديد من الباحثين المنصفين بعد أن شهدوا مدى التردى الذي وصلت إليه الحضارة الغربية والمجتمعات الغربية .

حـ ـ انكشاف فساد خطة الاستشراق في محاولته لاثارة الشبهات حول الاسلام والقرآن وسيرة النبي والسنة والتاريخ الاسلامي والشريعة الاسلامية واللغة العربية .

وقد حفلت الدراسات التي قدمها رجال الفكر الاسلامي في السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر بالكشف عن زيوف وسموم ما قدمه الاستشراق .

ولقد هزم الاستشراق في أكثر من مؤتمر ، وتراجع أساطينه أمام الحقائق التي كشفها علماء الاسلام ، حتى أنهم فكروا أخيرا في الهروب من السمعة السيئة التي ألحقت بمؤسستهم الخطيرة فأعلنوا ( نهاية الاستشراق ) ومؤتمراته ، التي كانت قد بدأت عام ١٩٠٦ واشترك فيها الشيخ عبدالعزيز جاويش وواجه أخطر حملة وجهت إلى القرآن واللغة العربية ثم توالت المؤتمرات واستطاعت أن تستقطب أسماء جديدة صنعها المستشرقون والتبشير أمثال طه حسين وأمين الخولي وعثمان وعديد من مختلف أنحاء العالم الاسلامي .

ط ـ بروز قوة الفكر الاسلامي من خلال ظاهـرة المفكريـن المسلمـين القرآنيين الذين يحملون لواء مفهوم الاسلام القرآني : دينا ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة على طول العالم الاسلامي وعرضه ، بديلا للمفكرين الاسلاميين الذين كانـوا يعتمـدون مفهوم الفلسفة وأسلوب المنطق الوافد وطريقة المستشرقين والذيـن كانـوا يصدرون عن ما يسمونه علم الكلام الجديد وكانـوا يسمـون أنفسهـم « **المعتزلة الجدد** » فقد غلب طابع الأصالة على حركة اليقظة الاسلامية في هذه المرحلة فأصبحت قيادة الفكر الاسلامي بأيدي باحثـين قرآنيـين وسقطت القيادة من أيدي أولئك الذين كانوا يمثلون في الفترة الماضية نلك الجيل من الأدبـاء الـذي شكلـه الاستشراق في جامعـات الغـرب ، وحـاول السيطـرة على الدراسـات الاسلامية وإدارتها في إطار منهـج الغرب الوافد ، وحاول السيطرة على الدراسات الاسلامية من خلال الأدب والصحافة وإبراز القرامطة على أنهم دعاة عدل ، وإنكار عبدالله بن سبأ لحساب اليهودية العالمية ، بل وإنكار أنبياء الله ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

هذا الجيل الذي أفسد مفاهيـم الأصالة وحطم القيم الأخلاقية وفتح باب الأدب المكشـوف والقصـة الجنسية وإبـراز سمـوم الأغانـي واعتباره مصدرا والذي أنكر العلاقة العضوية بين الأدب العربي والفكر الاسلامي ككل بل عمد إلى تدمـير أخلاقية الأدب وإخراجه من نطاقه الطبيعي ، وهي الخطة التـي سار عليها طه حسين وهيكل وأحمد أمين وأمين الخولي ومن سموا أنفسهـم « المجددون » الذين كانوا يكرهون أخلاقيـة الأدب وينـكرون ترابـط عصوره ، والذين حاولوا خلـق ما يسمى بالفكر الحديث والأدب الحديث منفصلين به عن الأدب العربي والفكر الاسلامي في عصـوره السابقـة . ومراحله المتصلة وهم الذين اعتنقوا مفاهيم الغرب في تحليل الأدب ونقده وتاريخه وخضعوا لنظريات سانـت بيف وبرنتير .

ظ ـ لقد أشرق القرن الخامس عشر الهجري على المسلمين وقد تنبهوا إلى ضرورة التحـرر من أمريـن خطيرين ، وقطعوا شوطا طويلا في سبيل هذا التحرر ، وقد كان نلك موضع جهاد مفكرى الأمـة خلال القرن الرابع عشر هما :

( **الأول** ) التحرر من قيد التقليد وغلبـة مفاهيـم التـراث الزائـف كالباطنية والمجوسية والفرق وهـو الذي عاود إحياءه الدكتور زكي نجيب محمود وآخرون وكذلك مفهوم جبرية الصوفية والتصوف الفلسفي وأخطاء الاعتزال .

( **الثاني** ) التحرر من التبعيـة للفكر الغربي الوافد الذي غزا آفاق الفكر الاسلامي خلال سنوات ما بعد الاحتلال الغربي للعالم الاسلامـي وخاصة الفكر الليبرالي الديمقراطي الرأسمالي الذي سقطت تجربتـه ،

والفكر الماركسي الاشتراكي الشيوعي الذي انهزمت خططه وكذلك انكشفت أخطار الفكر التلمودي المسيطر على العلوم الاجتماعية والفلسفة المادية ونظريات فرويد وماركس ودور كايم وسارتر وماركيوز .

والمسلمون الآن على مشارف طريق الأصالة تحررا من هذه التبعية ووصولا إلى عصر الرشد الفكري ، وانتقالا من اليقظة الى النهضة .

س ـ أخطار يجب أن يتنبه لها المسلمون :

إن القوة الغربية والصهيونية والشيوعية تخشى بأس الاسلام وتهاب قوته فهم يسعون إلى حربه بكل ما وسعتهم الحرب :

(١) تزييف مفاهيمه وإفساد قيمه .

(٢) الحيلولة دون تطبيق أحكامه وتنفيذ شريعته .

(٣) محاربة الأقليات من أهله والعمل على تصفيتهم .

(٤) القضاء على وحدته السياسية والاجتماعية والفكرية .

(٥) تدمير المجتمعات وإفسادها بالسموم والأمراض والأوبئة التي تحملها الحضارة الغربية .

(٦) محاولة تنصير أبنائه وإفساد عقيدتهم بالنظريات المادية . والمذاهب العلمانية .

(٧) العمل على السيطرة على مقدراته وثرواته .

ش ـ أخطر الظواهر التي تواجه المسلمين اليوم : تلك الحملات المعادية للاسلام التي ترمى إلى إذكاء روح الخلاف بين الشعوب الاسلامية عن طريق إثارة النعرات العنصرية والمذهبية والترويج لمبادئ الالحاد والاباحية والتحلل من القيم والأخلاق ، ونشر الفساد بين الشباب عن طريق المسرح والسينما والتلفزيون ، وإضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وإزالة أثرها من حياتهم المعيشية عن طريق نشر الأفكار والمذاهب المادية ، وتغذية الحركات المعادية للاسلام وتمكينها من مراكز السلطة ومقاومة الاتجاه الذي ظهر في المرحلة الأخيرة من القرن الرابع عشر لعودة المسلمين إلى الحكم بشريعة الاسلام وتحكيم القوانين والنظم الاسلامية في شئون حياتهم ونظام حكمهم .

ولذلك فهم قد عملوا على خطة : « ضرب الاسلام من الداخل » بتسليط القاديانية والبهائية والروتارى بديل الماسونية والفرق الضالة ودعاة الشعوبية والمجوسية والتلمودية وهم كثيرون وجاء جارودى فدعا الشيوعيين إلى الدخول في المنظمات الاسلامية وتدميرها من الداخل بالعمل في مجال التأويل والتحوير ، وظهرت كتابات الذين يدعون إلى ظاهر الشريعة الاسلامية مجاراة ويحاربونها بالقول بالعصر والبيئة والتطور .

والحق إنه مهما تكتلت هذه القوى فسوف تلحق بها الهزيمة ، لأنها على الباطل ، ومهما وجهت من السهام إلى

الاسلام والمسلمين فانهم سينتصرون لأنهم على الحق ما استمسكوا به .

ولقد كانت الحضارة الاسلامية : حضارة الرحمة والسماحة والعدل وسوف تنبعث الحضارة الاسلامية الجديدة على نفس المنهج والخطة والخط الذي عرفه صلاح الدين حين رفض أن ينتقم من الصليبيين بعد أن انتصر في حطين ودخل بيت المقدس ظافرا .

ذ ـ على المسلمين أن يتنبهوا إلى خطة الشيوعية للقضاء على الاسلام :

أولا : عن طريق الاستعمار البلشفى لما يزيد على مائة مليون مسلم .

ثانيا : عمل الشيوعية في أفريقيا وهو جزء من خطة تدمير الاسلام في افريقيا وإعادة غزوها مرة أخرى .

ص ـ إن مخطط الغزو يركز اليوم على منطقة جنوب شرق آسيا ويركز بالذات على الجمهورية الأندونيسية ـ هذا العمل الذي يقوم به مجلس الكنائس العالمي ووضع موارده في سبيل خطة للتنصير ، وإقامة أكثر من سبعين مطارا والافا من المدارس والكنائس على أرض أندونيسيا مع جيش كبير من قادة الكهنوت .

**ض ـ عودة القدس إلى المسلمين**

على الفكر الاسلامي أن يكشف زيف دعاوي إسرائيل والصهيونية من حق تاريخي مزعوم ، فان فلسطين في أرض كنعان العربية منذ فجر التاريخ ، وقبل ولادة اسرائيل نفسه ، وإنهم استعمروا بالاغتصاب والدمار وتقتيل الرجال والنساء والأطفال وإلى أن أزالهم العرب البابليون وهدموا هيكلهم ، واستردوا الأراضي العربية المغتصبة ولكن اليهود عادوا بواسطة الفرس ثم لم يلبثوا حتى أزالهم الاسكندر بناء على طلب العرب ثم عادوا مع الرومانيين ، ولكن الرومانيين أنفسهم لم يلبثوا أن أخرجوهم وهدموا هيكلهم من جديد ، وبقي مهدما إلى اليوم ، فاليهود كاذبون حين يدعون اليوم أنهم حرروا أرضهم التاريخية من أيدي العرب ولم يغتصبوها ، ولا ريب أن الحجة الحقيقية للعرب على اليهود كما يقول الدكتور الدواليبى الذي نقلنا عنه هذا النص ، نص عليها كتابهم المقدس .

ويقول : إن عودة القدس إلى المسلمين تتطلب حلا إسلاميا ، وتتطلب إعلان الجهاد المقدس : هذا الجهاد الذي هو فريضة دائمة إلى يوم القيامة .

# في رحاب الذكرى

للدكتور توفيق محمد شاهين

## يخلق ما يشاء ويختار :

الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، والله أعلم حيث يجعل رسالته . وتأتي رسل الله تعالى بوحيه ، مبشرين ومنذرين ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتعيد الانسانية الحائرة إلى الجادة ، ليتبدل شقاؤها سعادة ، وخوفها أمنا ، وغيها رشدا ، ونزقها تهذيبا ، وضيقها فرجا .

●●●

وعلى حين فترة من الرسل ، اختار الله سبحانه محمدا – صلى الله عليه وسلم – للرسالة الخاتمة ، رحمة للعالمين . اختاره من أزكى القبائل ، وأفضل البطون ، وأطهر الأصلاب ، كما حدث الرسول عن نفسه : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ، واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم والترمذي .

ولا يقدح في هذا ما قد يأتي من بعض القرشيين من سفه أو انحراف عن الكرامة الانسانية ، كما صنع أبو لهب ، فان الانحراف يلغى من الاعتبار ما كان من نسب .

ومحمد دائما في جانب الخيرية ، كما في حديث الترمذي ، من أن الرسول قام على المنبر ، فقال : « من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله عليك السلام فقال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا ، وخيرهم نفسا » .

فما تسلل شئ من أردان الجاهلية إلى شئ من نسبه صلى الله عليه وسلم .

●●●

## كنتم خير أمة :

كانت العرب في ظلمة من الجهالة ، وحالة فطرية أولى ، فضلت طريق القيم الانسانية الرفيعة ، وبالغت فيما ورثته واعتادته من صفات ، فانقلبت إلى ضدها : فثارت المعارك الضارية على الأقربين والأبعدين بدافع الاباء والنجدة ، وقتلوا البنات ووأدوها بدافع الشرف والعفة ، وأتلفوا الأموال – وإن تربت أيديهم – بدافع الجود والكرم والثناء المستطاب كما زعموا !!

فالعرب لم يكونوا مجردين من الصفات الحميدة ، كما يصورهم خصومهم ، ولكنهم – مع انحراف بعضهم – كانت فطرهم سليمة ، ونزعتهم قوية ميالة للاتجاهات الانسانية ، وان لفهم جهل الظلمة ، وظلمة الجهل ، والفطرة البدائية الأولى .

وكان من حسن طالعهم أن جعلهم الله الطليعة التي تحمل مشاعل الدعوة إلى العالم ، لانقاذه مما يعانيه

ويلاقيه .

وكان الرسول من خيرهم حسبا ونسبا ، فلا بدع أن جعله الله تعالى خاتم الأنبياء والمرسلين ومن العرب ، وكانت البعثة ضرورة ، كما أن التدين ضرورة ، لصلاح الدنيا ، والدين .

●●●

**وكل شئ عنده بمقدار :**

علم الله تعالى شامل ومحيط ، وكل شئ في الكون بقضاء ، ولحكمة بالغة ، ولا تجرى الأمور على عواهنها ، وليست بالتالي من قبيل المصادفات :

● فقد اقتضت حكمته أن يكون الرسول أميا : لا يقرأ ولا يخط بيمينه ، حتى لا يرتاب الناس في نبوته ، ولا تتكاثر عليهم أسباب الشك في صدق دعوته ، حين يقرأ عليهم : **( قرآنا عربيا غير ذى عوج )** ، **( يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين )** .

وكانت أمته أمية أيضا ، معزولة عن الحضارات المجاورة ، حتى لا يقال : عنده علم من الكتاب ، أو مثقف اطلع على فلسفات ومناهج فكرية ، فادعى بما وعى نبوة في أمة حضارية ، ليكسب وتكسب مجدا ، أو يحيى وتحيى ذكرا :

**( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين )** الجمعة/٢ .

● واقتضت الحكمة أن يكون مهد الرسالة في شبه الجزيرة العربية ، لوسطيتها بين أمم تموج بالمدنية والحضارة ، أو قل : بين أمم ذات حضارات جانحة ، لأنها قامت على أسس مادية بحتة ، وليس لها عقل رشيد يؤيده وحى السماء ، وتمثلت الحضارات الجانحة في فارس والروم ، والهند واليونان .. فجزاهم الله بما كفروا ، وهل يجازي إلا الكفور ؟

وتشرفت الجزيرة بالرسالة ، وحمل الأمانة ، للوسطية ، ولأن فيها البيت الذي أقامه إبراهيم ، واسماعيل ، وولد بجانبه خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

● وولد النبي يتيما ، فتولته عناية الله ، وليس من الصدفة أن يولد يتيما لا تكتحل عيناه برؤية والده ، ويحرم منذ النشأة الأولى ، ومنذ نعومة أظفاره من عاطفة الأم ، وحنان الوالدة ، ورعاية الوالد .. حتى لا يقال : أرشده أبوه الى طلب زعامة ونيل مجد ، وبخاصة وقد كان جده عبد المطلب صاحب راية ، وله الرفادة والسقاية للحجيج ، وشرف الخدمة للبيت ، والصدارة في قومه ، فضلا عن أن عمه لم يسلم ، حتى لا يتسرب لغط بأن للقبيلة مدخلا ، وللعصبية وقديم الزعامة مطلبا .. فتلتبس الزعامة بقداسة النبوة .

وما تدلل اليتيم التدليل المفسد ، ولا تقلب في النعيم ، حتى لا يتوق إلى مجد المال والجاه ، ويحن إلى مألوف التنعم وطراوة العيش وبلهنيته ، بل

ظل مضرب الأمثال في الاخشوشان ، والرجولة والاعتماد على الله والنفس .

**يجدونه مكتوبا عندهم :**

أعلم الله سبحانه رسله وأنبياءه ، بعلامات محمد ومبعثه ، وعهد إليهم أن يبشروا بظهوره ، ويوصوا باتباعه ، وذلك لعظمته ، ولكون رسالته كافة للناس جميعا ، وخاتمة الرسالات ، حين شبت الانسانية عن الطوق ، وباينت الطفولة ، وبلغت رشدها ، فأرسل الله لها : « رسول الله وخاتم النبيين » . وذاعت البشارات به وانتشرت ، وعلمها القاصي والداني ، وسجلت في كتب أهل الكتاب ، وتولى جمعها والكتابة فيها علماء عاملون فدونوها وصانوها من التحريف والتبديل ، والعبث والضياع .

● جاء في سفر التثنية من التوراة : ( أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ) . والمماثل لموسى في الرسالة هو محمد ، عليهما صلاة الله وسلامه ، واخوة بني إسرائيل هم العرب ، إذ لم يقل من أنفسهم ، وقوله : ( وأجعل كلامي في فمه ) يوافق حال محمد النبي الأمي .

● بل يبكت القرآن علماء بني إسرائيل أنهم علموا بشارته ، فكانت آية لهم ، فكان الأولى بهم ــ بعدئذ ــ أن يصدقوه : **( أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل )** الشعراء/١٩٧ .

● ويؤكد القرآن الكريم معرفة أهل الكتاب بعلاماته حق المعرفة : **( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون )** البقرة/١٤٦ .

ويروى القرطبي وغيره من أئمة المفسرين ، أنه لما نزلت هذه الآية ، سأل عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عبد الله بن سلام ــ وكان كتابيا فأسلم ــ : أتعرف محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما تعرف ابنك ؟

قال عبد الله بن سلام : نعم ، وأكثر : بعث الله أمينه في السماء إلى أمينه في أرضه بنعته ( بصفته ) فعرفته ، أما ابني ، فلا أدري ما الذي قد كان من أمه .

● ويذكر القرآن أن صفاته ، وما تتطلبه رسالته الخاتمة منهم أمرا ونهيا ، وجزاء من اتبعه باحسان .. كل ذلك مكتوب عند أهل الكتاب : **( الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون )** الأعراف/١٥٧ .

● وكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج ، قائلين : إن نبيا سيبعث قريبا ، وسنتبعه ، ونقتلكم

معه قتل عاد وإرم .. فلما جاء الرسول نكثوا عن الاتباع بغيا وحسدا ، قال تعالى : **( ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين )** البقرة/٨٩ .

● وحكى القرآن قول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ لقومه : **( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد )** الصف/٦ .

وحسبنا ـ في هذه العجالة ـ من البشارات ، هذا الغيض من الفيض .

● ,,

## ورؤيا أمي التي رأت :

مولد الرسول الكريم حف بالكرم الالهي ، والعناية الربانية عند مولده ، وظهرت خوارق وغرائب ، إرهاصا بنبوته ، وتمهيدا لرسالته ، وإعلانا بعظيم رتبته ، وسمو منزلته ، ورفعة ذكره :

● فالتاريخ وعى أن محمدا ولد في عام الفيل ، بعد الحادث بخمسين يوما ، فكانت قصتهم إرهاصا بميلاده ونبوته ، وكيف أن الطير الأبابيل أحكمت الرمي ، وأصابت الهدف ، فحمى الله البيت للمسلمين : قبلة ومحجا ، ومصلى ومتجها .

ولكن الرسول الخاتم يؤرخ لنفسه منذ بدء الخليقة ، وبأنها الرسالة الخاتمة ، والجامعة والشاملة ، في علم الله التام الكامل :

● يروى الامام أحمد عن العرباض بن سارية ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ( أى ملقى في الأرض قبل نفخ الروح فيه ) ، وسأخبركم عن ذلك :

إنى دعوة إبراهيم ،

وبشارة عيسى ،

ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين ،

وإن أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام » رواه الطبراني .

فهو دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام ، حين تضرع إلى ربه تعالى : **( ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم )** البقرة/١٢٩ .

وهو بشارة عيسى ابن مريم عليه السلام : **( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد )** الصف/٦ .

ويروى حسان بن ثابت رضي الله عنه : « إني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل ما رأيت وسمعت ، إذا يهودي يصرخ ذات غداة : يا معشر قريش ، هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلم . قال : انظروا ، فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة » أخرجه البيهقي وأبو نعيم .

إنه كان يعلم النور من شواهد كتابه وبشاراته ، فرأى النور .

**أنا بشر مثلكم :**

يصر البعض على الوقوف عند وصف الرسول بالبشرية ، ويغفل عن أنه بشر « يوحى إليه » ، وهذا ما يميز بشرية الرسول عن بشرية غيره من البشر . فوصف البشرية عام ، ولكن بضميمة الوحي إليه يوحى بأنه الرسول المختار ، الذي لا ينساق ولا ينزلق وراء الأهواء والنزوات والنزعات البشرية ، التي تعرض للبشر . يقول الله تعالى: ( **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى** ) الكهف/١١٠ أى هو مهيأ بخصائص أعده وزوده بها مولاه ، وأمده في روحه وجسده وعقله وحواسه ومداركه .. بقابلية الاختصاص لأن يتلقى الوحي من لدن الحكيم الخبير .. والكثيرون من البشر لا طاقة لهم على تلقي الوحي ولا بأيسر طريقة من طرقه ، لأنهم غير مهيئين له .

ومن خصائصه البشرية ميله لما يميل له البشر .

فهو يمزح ولكن لا يقول إلا حقا : جاءته عجوز تسأله الدعاء لتدخل الجنة ، فقال لها : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت تبكي .. فقال لجلسائه : أخبروها بأنها ستدخلها شابة ( **إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين** ) الواقعة/٣٥ — ٣٨ فضحكت .

وهو يمارس الرياضة المفيدة : فكان يسابق عائشة ، فتسبقه ويسبقها رضي الله عنها وأرضاها . ويحسن السباحة ، ويحن للذكريات : روى ابن سعد عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لما بلغ النبي — صلى الله عليه وسلم — ست سنين ، خرجت به أمه إلى أخواله بني عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ، ومعه أم أيمن . فنزلت به دار التابعة ، فأقامت به عندهم شهرا . فكان صلى الله عليه وسلم — يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك . ونظر إلى الدار — وهو بالمدينة بعد الهجرة ، فقال : « ها هنا نزلت بي أمي ، وأحسنت العوم — أى السباحة — في بير بني عدى بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلي . قالت — أم أيمن — فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة ، وهذه — المدينة — دار هجرته ، فوعيت ذلك كله من كلامهم » .

وفي رواية أبي نعيم ، قال — صلى الله عليه وسلم — : « فنظر إلى رجل من اليهود ، فقال : يا غلام ما اسمك ؟ قلت : « أحمد » ونظر إلى ظهري فأسمعه يقول : هذا نبي هذه الأمة ، ثم راح إلى إخوانه من اليهود فأخبرهم فأخبروا أمي ، فخافت علي ، فخرجنا من المدينة » البداية لابن كثير .

ويميل للهو فيحميه الله تعالى منه : فقد تناهى إلى سمعه مزامير الأفراح بمكة ، وهو صغير يرعى الغنم ، فأوصى راعيا يجاوره بحراسة غنمه حتى يشهد السامر بمكة مع اللاهين ، فما سمع ، بل ضرب الله على آذانه بالنوم ، وما أيقظه سوى حر الشمس اللافحة في اليوم

الثاني .. فقد أدركته عنايـة الله ، فحمته من العبث واللهو .

ولكن بشريته تتفوق حين واصل « الصيام » بروح زكي ، فواصـل معه بعض أصحابـه فنهاهـم عن الوصال ، فقالوا : نراك تواصل يا رسول الله . فقال : « إني لسـت مثلكم » وفي رواية : « إني لسـت كهيئتكم : أبيـت يطعمنـي ربـي ويسقيني » الترمذي .

فهـو بشر وليس كالأبشـار ، كالياقوت حجر ، وليس كالأحجار !!

ومع بشريته عصمه الله من مظاهر الانحراف كلها ، وعمـا لا يتفـق والسلوك السوى ، وعمـا لا يليـق بمقتضيات الدعوة التي هيـأه الله لها ، ويستوى في ذلك حاله قبل البعثة حيث لا وحي ولا شريعة تعصمـه ، ولكنه عاصم خفي يحول بينه وبين ما تتوق إليه نفسه ، وما لا يليق بمن هيأتهـم الأقـدار لاتمـام مكارم الأخلاق : إنها عناية الله الذي رباه على عينه .. كما يستوى في ذلك بعد البعثة ، حيـث اصطفـاه مولاه ، وطهره ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وأقرأه باسمه ما لا ينساه ، وكان فضله عليه عظيما .

## في رسول الله أسوة حسنة :

أيده الله بالوحي فهو رسول ، قبل أن يكون شخصية سامية ، أو عبقرية فذة . وهو مثل أعلى في كل شئون الحياة الفاضلة ، والسلوك الزاكي . وسيرته الذاتية مثل سام من حيث هو مستقل بذاته أو عضـو فعـال في مجتمعه : فهو شاب طاهر ، أمين مع قومـه ، داع بالحكمـة والموعظـة الحسنة ، رئيس حكيـم بالمؤمنـين رءوف رحيم ، زوج مثالي في بَيته ، سياسي صادق محنك ، قائد ماهر نظيف ، متبتل خاشع عابد ، فكه أديب ظريف في أهله وأصحابه ..

فمنتهى القول فيه أنه بشر
وانـه خـير خلـق الله كلهم

فلنفرح بمولده ، ولندع أبناءنـا يفرحون بالذكرى ، ولندخل البهجة عليهم فيها ، ولنتـدارس سيرتـه ، لنتصـور الحقيقـة الاسلاميـة من مجموعهـا متجسـدة ، أو كعمـل تطبيقي يجسد الحقيقـة في مثلهـا الأعلى .

ولنجدد حبنا للنبـي – صلى الله عليه وسلم في ذكراه ، ولنجعل دليلنا الصادق على حبه باتباعه فيما جاء به من عند الله ، وبذلك نحب نبيـه ، ويحبنا الله : ( **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ) آل عمران/٣١ والى ما فيـه سعـادة الدارين أطيعوه ( **وأتبعوه لعلـكم تهتدون** ) الأعراف/١٥٨ .

ولنقس أنفسنا بعدا أو قربا من مبادئ صاحب الذكرى ، فان كنا قريبين فلنحمـد الله ، وان كانـت الأخرى ، فلنتق الله حق تقاتـه ، ولنستغفر الله : ( **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ) الأحزاب/٢١ .

# قالوا في الأمثال

## دون ذا وينفق الحمار

مثل يضرب للمبالغة القاتلة ، وأن الشيء إذا زاد عن حده ، إنقلب إلى ضده .

وذلك أنه إذا كثر طلاب سلعة أو خطاب فتاة ، قيل إن السلعة أو الفتاة قد نفقت ، وكذلك يقال : نفقت السوق إذا راجت قالوا في سبب هذا المثل :

أراد رجل بيع حماره ، فذهب إلى المختص بعرض الدواب للبيع ، والمناداة عليها وقال له : اذكر محاسن حماري ، ولك مكافأة حسنة إذا بيع بثمن غال .

وذهب الرجل بحماره الى السوق فأقبل عليه المنادى على بيع الدواب وصاح أمام الناس : أهذا هو حمارك الذي كنت تصيد عليه الوحوش ؟ فأحس الرجل أن هذا المدح مبالغ فيه ، وأن هذه المبالغة قد تؤدي إلى عكس المطلوب ، وربما تفوت عليه ما قصده ، فلا يصدق الناس قوله ولا يقبلون على شراء الحمار ، فأسرع يقول للمنادى : دون ذا وينفق الحمار ! أي قل قولا أقل من هذا يناسب الحمار ، فان اكثارك قد يعطل بيعه .

وهكذا قد تفوت المبالغة القصد وتعكس المراد ، وحينذاك يقال : « **دون ذا وينفق الحمار** » أي ان المبالغة لا تجدي ، بل قد تجلب الضرر ..

## الذئب خاليا أسد

من يجد نفسه وحيدا في مأزق حرج ، وقد أحاط به خطر ، فانه يستخدم كل قوته وحيلته ليخرج من المأزق ، وينجو من الخطر ، لأنه ليس معه من يتكل عليه ، ويطمع في عونه ونجاته وحينئذ يقال له : « **الذئب خاليا أسد** » أي يكون مثله كمثل الذئب المنفرد أمام العدو أو أمام الفريسة حين يعتمد على نفسه فتبدو كل قوته ، وسيظهر الكامن من بأسه وشجاعته .

# محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام

# نموذج كامل للحضارة الراقية

للدكتور : عبد الحليم عويس

هذا النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، جاء يطرح مفهوما فذا للحضارة .. جاء يجمع في ظلاله ـ على مستوى السلوك ـ وفي ظلاله ـ على مستوى التقعيد معنى متكاملا للحضارة التي تاه في تحديدها المنظرون .

● الحضارة ـ في ظلاله ـ مستوى إنساني ينتظم كل الجزئيات الفكرية والسلوكية .

● مستوى انساني ممتد في الزمن ، يربط بين الدنيا المحدودة والآخرة اللانهائية .

● مستوى إنساني ممتد في المكان ، يكرم الانسان ، ويحدد حقوقه أنى كان ، دون تفرقة على أساس لون او جنس ..

● مستوى إنساني ممتد في الوقائع ، فلا جزئية فوق القانون ولا جزئية لا مكان لها في القانون .

● مستوى إنساني ممتد في المجتمع والفرد ، والرجل والمـــرأة ، والقوى والضعيف ، والجسم والروح ، والمادي واللامادي ، والطبيعة وما وراء الطبيعة ، دون انفصامية مصطنعة ، أو تشقيقية قاتلة مدمرة .

ـ والعجيب ـ الذي يمثل أبرز ظاهرة فردية في التاريخ ـ أن هذا النبي الكريم قد مثل ـ بحياته ـ كل أطوار الحضارة في مراحل رقيها ، حتى ليخيل للدارس أن ـ حياته عليه الصلاة السلام ـ حضارة مستقلة ، تتجلى كشعاع وهاج لكل الحضارات الباحثة عن المستوى الانساني السامي الجدير بالانسانية المتحضرة .

إنه لا انفصام في حياته عليه الصلاة السلام بين قول وفعل ، وظاهر وباطن ، وجوانب شخصية وجوانب اجتماعية ، وأعمال دنيوية ، وأعمال أخروية .

إنها جميعها كل متسق لا تصطدم وسائله ، ولا تتعارض غاياته ، وهي كلها ناضجة بالمستوى الانساني الذي يشكل المضمون الحي للحضارة .

ـ ففي عالم الفكر كان طلب العلم فريضة ، وعبادة ، وسلوكا ..

ـ وفي عالم المادة كان بناء الحياة ـ بلا حدود رقيقة ـ تشريعا وعبادة :

قال عليه الصلاة والسلام :

« إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فان استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » رواه البخاري وأحمد .

ـ وفي عالم العلاقات الاجتماعية الانسانية ثمة شمول يمتد إلى كل صغيرة وكبيرة . وقد وضحها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتميط الأذى عن الطريق ، وتسمع الأصم وتهدى الأعمى ، وتهدى

المستدل عن حاجته ، وتسعى بشدة ساقين مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعين مع الضعيف . فهذا كله صدقة منك على نفسك ، وتسبيحك في وجه أخيك صدقة ، واماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة ، وهديك الرجل في أرض الضحالة لك صدقة » ( رواه مسلم ) ـ وحتى مع الحيوان وهو يذبح ثمة سلوك حضاري أخلاقي لا بد أن يتبع « فان قتلتم فأحسنوا القتلة . وإن ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » . ( رواه الستة ما عدا البخاري ) .

●●●

تبدأ الحضارة مسيرتها ـ في ظلال محمد ـ معتمدة على مقومين أساسيين هما : الأفكار والانسان .

ـ وبدون أفكار حضارية تمثل الخميرة المعنوية ، أو الطاقة النفسية لا يمكن اشتعال مصباح حضارة .

« إن شعار لا إله الا الله الذي أمر محمد صلى الله عليه وسلم برفعه في وجه الجاهلية ، جاء انقلابا شاملا على كل المستويات الدينية والاجتماعية ، بنواحيها الفكرية والنفسية والأخلاقية والسياسية والسلوكية .

وهو إشعار واضح بضرورة رد الأمر كله إلى الله ( الحاكم ) و ( المشرع ) ، وتجريد الانسان فردا وجماعة من الخضوع للغايات الجزئية القاصرة ، واتباع ( الهوى ) و ( الظن ) في كل صغيرة وكبيرة . وكان هذا الشعار ـ وهو شعار ممتد في التاريخ امتداد الحقيقة السمحاء ـ أساسا فكريا انطلقت منه فروع فكرية حددت موقفا حضاريا متميزا يمثل الأساس الاسلامي للحضارة الاسلامية والانسان المسلم !!

ـ وكان الانسان الذي استخلصته الحضارة الاسلامية من بين التراب الجاهلي : هو الوعاء النظيف الحي ... الذي جسد أفكار هذه الحضارة وأعطاها بعدها الحياتي وأساسها الثاني الضروري .

ـ ومن الالتحام بين الفكر والانسان في الزمن ـ تم ذلك الابداع الذي أطلق عليه « الحضارة الاسلامية » .. تلك التي برزت أسطع ما يكون البروز في ظلاله ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

## الخندق ميلاد حضارة :

من الخندق دائما تولد الحضارات المبدعة ...

ولم توجد حضارة ولدت قبل معاناة الحمل والوضع والتعرض لمبضع الجراح .

وكانت الفترة التي بدأت بالهجرة ، وانتهت بالخندق هي الفترة التي تعرض المسلمون فيها لآلام الحمل كأشد ما تكون المعاناة .

وثمة موقفان واضحا الدلالة على ميلاد الحضارة في الخندق ـ لم يلقيا حقهما من

التحليل الكافي ، برغم ورودهما في معظم مصادر السيرة الزكية :
أولهما : يرويه سلمان الفارسي ــ ودوره في الخندق مشهور ــ عندما غلظت عليه صخرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منه ــ يقول سلمان :
« كلما رآني أضرب ، ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال ، ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى ، قال ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة اخرى ، قال : قلت بأبي انت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول ، وأنت تضرب ! قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ أوقد رأيت ذلك يا سلمان ! : قال : قلت نعم ، قال : أما الأولى فان الله فتح علي بها اليمن ، وأما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق » رواه الطبري
وثانيهما ــ تلك القولة القوية الدلالة التي قالها الرسول عليه الصلاة والسلام ــ لما انصرف عن الخندق :
« لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم » .
فكان كذلك حتى فتح الله مكة وما بعدها ( كما يقول ابن هشام والطبري ) .
وهكذا في أصعب لحظات الصراع الدموي كانت تولد ــ في ظلال رؤية النبوة ــ الاستشرافات المستقبلية للحضارة الجديدة الممتدة التي ستدين على سعتها لفكر وسلوك النبي الكــريم ــ عليه السلام ــ وللصفوة القادرة صانعة الخندق وحارسته .

## هذا النبي حضارة كاملة راقية :

ــ الانسان ــ أي إنسان ممتاز ــ تجتمع فيه بعض صفات السمو ، وبالتأكيد لا يوجد ذلك الانسان الذي تجتمع فيه كل صفات السمو .

إلا محمدا عليه الصلاة والسلام .
ــ وأنت وأنا قد نقتدي بانسان في سلوك ، ولا يضيرنا ولا يضيره أن نخالفه في سلوك آخر فهذا تحقيق للذات ..
إلا محمدا عليه الصلاة والسلام
ــ ويقولون : إن خيوطا رفيعة تفصل بين العبقرية والجنون ، وبين الشجاعة والتهور ، وبين البخل والتنظيم ، وبين الكرم والاسراف ، مما من شأنه أن يربك سلوك كثير من الناس ويجعلهم يتأرجحون يمينا ويسارا . ( إلا محمدا عليه الصلاة والسلام ) .
ــ والمرء قد يكون سياسيا ماهرا فتدفعه السياسة إلى التنكر لأصدقائه ، وقد يكون تاجرا ناجحا فتدفعه التجارة إلى الكذب والغش ، وقد يكون زوجا ناجحا فيخضع في تبعية وذل لمن يحب . وقد .... وقد ... وقد ...( إلا محمدا عليه

الصلاة والسلام ) .
ـ وكما نعرف من حياة الأنبياء السابقين والمصلحين الكبار فانك قد تجد في حياتهم أسوتك في أمور العبادات . ولكنك لا تجدها في أمور المعاملات ، وأنت واجدها بالتأكيد في أمور العقيدة ، لكنك لا تجدها في أمور الأحوال الشخصية كزوج وكأب أو في أمور الحياة الاجتماعية . كرجل يتعامل مع الناس تعاملا بشريا يوميا . وقد .. وقد .. ( إلا محمدا عليه الصلاة والسلام ) .
ـ وبروز الانسان في بعض القيم الفاضلة قد يجره إلى النقص في فضائل اخرى ... فالشجاعة قد تدفع إلى الغرور ، والكرم قد يدفع إلى طلب الفخر والذكر الحسن ، وكثرة العبادة قد تدفع إلى الرياء أو الشعور بالكمال ... وهكذا . إلا محمدا عليه الصلاة والسلام .
ـ والعابد قد تكون عبادته على حساب بيته أو مجتمعه .
ـ والعالم قد يكون طلبه العلم على حساب أسرته أو على حساب القيم الانسانية نفسها ، والسياسي قد يظن نفسه ملكا للأمة وليس للزوجة أو العيال ، أو الأصدقاء . ( إلا محمدا عليه الصلاة والسلام ) .
في ظلال النبي ... النبي الحضارة الكاملة الراقية « النموذج » في ظلال النبي ... وجدت على نحو فريد ، الحضارة المتوازنة البشرية السماوية الواقعية ..
وفي ظلاله عليه الصلاة والسلام وجد الانسان النموذج الذي وجدت فيه كل الفضائل حياتها وتماسكها وانسجامها .. الشجاعة .. الصبر .. العمل .. الحق .. الواجب .. الوفاء .. العدل .. الرحمة .. القناعة .. الكرم .. العفو .. الرفق .. التواضع .. الصدق .. الأمانة .. العفة .. الحكمة .. العقل .. الرجولة .. الرقة !!

●●●

أجل ... اذهب إلى ظلاله عليه الصلاة والسلام كما يذهب الهارب من جحيم المادية والهبوط وقلب صفحات حياته الندية .. وسوف تجد لكل خلق من هذه الأخلاق نصيبا كبيرا لدرجة قد تطلق معها أنه عليه الصلاة والسلام كان مبتعثا لنشر هذا الخلق وحده وتثبيت دعائمه وحسب .
لكنك إن ذهبت إلى خلق آخر فسوف تجد أن ما هو موجود في الخلق الأول موجود نفسه في الخلق الثاني .. وهكذا ..
إن أهل مكة الكفار ... كانوا يسمونه « الصادق » و « الأمين » فكأن هاتين الصفتين محصورتان وقاصرتان ومضافتان الى اسمه الأصلي « محمد » .
والمسلم الذي يطالع الآن صفحات النبوة يجد أن كل خلق من الأخلاق المذكورة آنفا يمكن أن يطلق عليه صلى الله عليه وسلم بنفس التحديد ، أى كأنه صفة قاصرة عليه . بديل عن اسمه الكريم ، فكما قال الكفار عنه الصادق والأمين يقول المسلم : الصابر ، الوفي ، الكريم ، الرفيق .. الرحيم .....

وهذه الأخلاق أصيلة في ظلاله العالية .. إنها ليست قابلة للتغيير ولا للتأثير .. إنها فوق التغيرات والمؤثرات الخارجية .. وإن كل صفة منها توضع في مكانها السليم ..

وكل هذه الصفات انتظمت حياته عليه الصلاة والسلام على الرغم من كل تقلباتها :

فمحمد المطارد المحارب في مكة ... هذه صفاته

ومحمد الذي يعامل النفاق واليهود في المدينة ... هذه صفاته .

ومحمد الفقير .... محمد الغني ... هذه صفاته ..

محمد الرئيس .. محمد المحارب ... هذه صفاته .

محمد الأب ... الزوج ... السيد ... الراعي ... هذه صفاته .

محمد القائد النبي الانسان ... هذه صفاته .

وهكذا ... تمتد ظلاله الكريمة على امتداد حياته كلها بلا تكلف أو رياء ... أو قصور ... أو اختلال ...

إنها صفات أصيلة ... تبدو وكأنها بعضه ، بعض دمه الذكي وبعض أنفاسه العالية ... عليه الصلاة والسلام .

## موكب الحضارة ... في ظلال النبي

الماضي في ظلال النبي ليس عبثا ..

إنه المسيرة البشرية بكل ألوانها ... وأمراضها وعلى الطبيب الأخير ( عليه الصلاة والسلام ) أن يستفيد من التجارب السابقة .

والماضي ليس تفصيلات فارغة يضيع معها الحاضر .. وآفاق المستقبل .. بل إنه رؤية تركيبية كلية تهدف إلى إعطاء المضمون الأخير الذي تتمثل فيه العبرة حتى تعرف أمته كيف تنهض الأمم .. وتعرف أيضا : كيف تسقط الأمم .

إن الماضي ليس نفيا كله وليس مقدسا كله ... إنه في ظلال النبوة خليط يكشف المرض والصحة ... والصعود والهبوط ... وعلينا أن نختار .

والخير والحق والجمال في الماضي ... هي من دعائم دعوته بل إن دعوته امتداد لهذا الماضي النبوي الحافل ... إنه حارس هذه القيم عليه الصلاة والسلام بصرف النظر عن ماضيتها أو عن حاضريتها أو مستقبلها .

إن القيم لا علاقة لها بنسبية الزمان ... إنها حاكمة الزمان ... وحامية حركته وليست ذيلا تابعا للأهواء المريضة والفلسفات المغرضة وتقلبات ما يسمى بالتقدم والتخلف .

هذا هو الماضي في ظلال الحضارة النبوية الكاملة .

أما الحاضر فهو الواقع المعاش ... هو الحركة اليومية التي لا حارس لها إلا ما رسمه منهج القرآن .. وما صورته ظلال النبي عليه الصلاة والسلام .

إن الحاضر حلقة متصلة بالماضي ... تهيئ للمستقبل فهو ليس مبتورا عن واجبات الماضي متخليا عنها وهو ليس انطلاقة عابرة مجنونة تسحق إنسان الحاضر باسم الجري وراء المستقبل .
وللحاضر دوره وحقه في ظل قوانين الله ، وفي رعاية الأخلاقيات اللائقة بحق الانسان وكرامة الانسان .
واذا كان الحق والخير والجمال محترما في الماضي ، فلا بد من باب أولى أن يعيش في الحاضر ، وأن تزدهر أزهاره في كل ركن من أركان الحياة ... مادة ومعنى ، أفرادا ومجتمعات من غير انفصال عن « عبرة الماضي » أو « حق المستقبل » .
والمستقبل له حقه في ظلال النبي عليه الصلاة والسلام .
المستقبل القريب .. والبعيد معا ..
ومن المعجزات الخارقة لهذا النبي الأمي الذي لم يدرس في معهد تخطيط او أحصاء ، او يتدرب في مرصد من مراصد تنبؤات السياسة ... او التاريخ ... من معجزاته ان كل ما تنبأ به كان صدقا .
وكان حقا حتى كأنه يتكلم كلماته لرسم واقعي للمستقبل ... لا زيادة فيه .
وكلماته في ذلك كثيرة ..
حديثه عليه الصلاة والسلام عن أمته التي تشبه القصعة والتي يوشك أن يتداعى عليها الأعداء بينما المسلمون كثير يشبهون السيل .
ألست ترى الحديث أصدق صورة لما نحن عليه اليوم من انتفاضة من روسيا واسرائيل وامريكا واوربا ــ على أرضنا وبترولنا !!
وأليست هذه الصورة قد صدقت على المسلمين حين اقتسمت بريطانيا وفرنسا واسبانيا وهولندا ــ العالم الاسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين !!!
وحديثه الآخر في مدى تبعية المسلمين لليهود والنصارى : « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب خرب لدخلتموه ... قالوا : اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : فمن إذن ( أى فمن غيرهم ) رواه البخاري ومسلم .
ــ ألا ترانا الآن نعيش صورة هذا الحديث .. أذيالا لليهود والنصارى حتى في ملابسنا وتسريحات شعرنا وتعلمنا الدراسات العربية والاسلامية !!
ــ وحديثه الآخر عن « الفتن » حين قال لأصحابه : « هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر رواه البخاري ومسلم « فكانت » الفتنة الكبرى . ثم كانت عشرات من الفتن الكبرى بين المسلمين بعد ذلك !!
ــ وحديثه عن فتنة النساء بعده على الرجال
ــ وحديثه أن الله جعل بأس أمته بينها
ــ وحديثه في الخندق عن خضوع كنوز كسرى وقيصر للمسلمين
ــ وحديثه عن الأمن الذي يمشي في ظله الرجل من مكة إلى صنعاء لا يخشى إلا الذئب .

ـ ... ونترك هنا معجزاته المستقبلة الفردية التي تتعلق بأفراد كموت عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية !! وموت أبى ذر وحده ( في الربذة ) وموت « قزمان » الشجاع على النفاق ، وإخباره إن فاطمة أول أهله لحوقا به إلى الرفيق الأعلى ، وإخباره ـ للمسلمين وهو في الثالثة والستين فقط ولمعاذ بن جبل حين ذهب الى اليمن ... بأنه قد لا يلقاه بعد عامه هذا ... وبأنه قد يمر بمسجده وقبره معا .

وحديثه عن قتال المسلمين لليهود ... قبل قيام الساعة !!

وحديثه عن الفتن التي تتأتى كقطع الليل المظلم : يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا ... « بوزارة أو امرأة أو غير ذلك » .

لقد عمدنا إلى الاطناب بعض الشئ في ذكر كلمات الرسول المستقبلية ، وكيف أنها كانت عين الصدق ... لنكشف حقيقة رجال المادية الجدلية اليهودية ( مسيلمة العصر الحديث ) كارل ماركس ... فان جميع فتاواه التاريخية المستقبلية التي سماها أذياله « تنبؤات حتمية ... كانت كاذبة !! »

وبعد نصف قرن فقط من فتاواه ركعت الشيوعية كبلد فقير أمام الرأسمالية القوية التي تنبأ ماركس بسقوطها ... ولم يسقط أى مجتمع رأس مالي ، زعم ماركس أنه سيكون ملجأ الماركسية لكن على العكس آل أمر المجتمعات الشيوعية الى الحضيض ..

إنسانيا .... وماديا ... وفكريا !!

لكن النبي الأمي ( الصادق الأمين ) الذي خرج في مكة قبل أربعة عشر قرنا من ظهور عصر العلم والتكنولوجيا ...

هذا النبي ... صادق لا يكذب وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي علمه شديد القوى ..

فكل كلمة من كلماته قبس من نور الحقيقة الالهية المهيمنة على التاريخ البشري كله :

المهيمنة على الماضي ... بنفي الخبيث وإتمام مسيرة الحق والخير والجمال !!

والمهيمنة على الحاضر ... بتحقيق خلافة الله في الأرض ، واستمرار مسيرة الحق والخير والجمال .

والمهيمنة على المستقبل ... برسم صورته العامة التي تتحرك وفق قوانين الله ، والتي تساعد قافلة الانسان على السير أيضا في طريق الحق والخير والجمال !!

**يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم .**

**والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا )** النساء/٢٦ ـ ٢٨ .

وعلى محمد العربي الهاشمي ـ النموذج الكامل للحضارة ـ سلام الله ورحمته وبركاته .

# وإذ يمكر بك الذين كفروا

للأستاذ : عبدالحميد المشهدى

هؤلاء أشياخ قريش في طريقهم الى دار الندوة مطأطئى الرؤوس لثقل ما تحمل من هموم ، وكثرة ما يمر بها من خواطر ، وهؤلاء شباب بني عبد شمس ونوفل ومخزوم ، يؤلفون حلقات متناثرة قبالة الدار يتناقشون – في حدة – حول ما توافد الأشياخ لأجله .. وهذه نوافذ الدور المحيطة بالمكان المرموق ، تشرق منها وجوه امتزج فيها الجمال المقبل بالوجل المدبر ، وحارت فيها عيون تلاقى فيها الصفاء الناعس ، بالحيرة المذعورة .. وهذا فضول الطفولة يدع الذرارى شاخصة هنا وهناك حول هذه الحلقات تتسمع وإن لم تفهم ، وتمعن النظر وإن لم تع ، حتى شد انتباههم نزغ سكير يهرف بما لا يعرف ، ويغنى بما لا يكاد يبين ، فهمس أحدهم في أذنه قائلا :

– سنكفيك أمره ..

فتراجع المخمور الى الوراء ، ثم انثنى الى الأمام ، ثم مسح على شاربه وعثنونه – والعثنون مؤخر الذقن – وجحظ في وجه محدثه وقال – وهو يهتز في شبه إغضاءة :

– من يكنه يا هذا ؟

الشاب : ابن أبي كبشة ذلك الذي ينفر الناس من الخمر – وابن كبشة : كنية كانت تطلقها قريش على رسول الله سخرية وهو أى أبو كبشة زوج حليمة التي أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم –.

السكران : مترنحا – مسكين .. اعذروه فانه لم يذقها .. ولو أنه شرب قدحا منها – لباع رسالته بالثاني .. دعوه .. ينفر الناس من الخمر حتى تبور تجارتها فترخص فأشرب منها

كما أشاء .

ضحك الشباب لتخلص السكير من ورطته ، وراحوا يذودون عنه سخرية الأطفال ، وما كادوا يتخلصون من ملحمة السكير ، حتى لفتت نظرهم حيرة شالوم اليهودي ينظر يمنة ويسرة ويتساءل :

ـ ما هذا الملأ من قريش في مثل هذه الحال ؟

شالوم : ساخرا ـ شفقة بهذا الرجل ، فان بذهنه دخلا ، وليس بين أصحابه الا فتى مفتون ، وعبد آبق ، وشيخ مأفون ، وجلهم فقير معدم ، ولو طعموا يوما لذة المال ، لأنستهم حلاوته عذاب الجحيم .. ولم يقطع على اليهودى حديثه ـ الا دبيب كاهنة تحملها هراوتها وقد أحاطت عنقها بمجموعة متنافرة من حبات فصلت بينها وحدات من الودع ، وتدلت فيها أرجل الأرانب ، وخرزات المرجان ، وقد دست في شعرها الأشعث ريشات بعض الطيور .

وبعد أن طافت واسترحمت ، وقفت قبالة ( هبل ) تناجيه في صوت مرتعش أجش : ويح نفسى !! أما لما نزل بقريش من نهاية ؟! اما لاصطباركم عليه من حد ؟ لقد مزقت دعوة محمد الأواصر وقطعت الأرحام ، وتمرد العبيد على السادة ، وشحت القرابين ، وضعف الاقبال على البيت ، واستهتر الشبان بالكهان ، واستخفوا بالآلهة ، فالى متى يظلنا هذا البلاء ..؟!

وما كادت تتم عبارتها حتى أجهشت ـ تأثرا ـ بالبكاء ، ثم أصابها سعال متتابع ، فألقت بنفسها على عصاها ، فانحدرت بها فوقعت على الأرض وهى تواصل السعال والنحيب ، ثم غالبت تأثرها وشخصت الى هبل ، فألفت كلبا يلعق لبنا ثم يبول في حجره ، فنهضت تطرده في غضب ، فلم تسعفها قدماها فانكفأت على الأرض مرة أخرى ، ثم نهضت وحلت منطقتها وراحت تمسح بولة الكلب عن إلهها وهى تبكى ، فسمعت على مقربة منها من يقول :

رب يبول الكلب في محرابه

وينال منه إنه لذليل ؟!

وما إن سمعت ذلك حتى توقفت يدها ثم نظرت خلفها وصاحت : يا للاله !! إنه ذريح المجنون ، وما إن عادت الى مهمتها تمسح البول عن حجر هبل ، حتى سمعت مرة أخرى من يقول :

والهون يدفعه الحليم بقوة

إن لم يكن الا الدفاع سبيل

فاعتدلت وقالت :

قبحت مجنونا .. وكم من حكمة

يلقى بها المجنون وهى مزاح

هبل أباح الكلب شرب لبانه

لكن جناب الرب كيف يباح

ثم انصرفت حزينة مذعورة تتلفت عن يمين وشمال .

حلق الليل بجناحيه في الفضاء ، وخيمت الظلمة في دار الندوة لولا ذبالة مصباح تترنح في يد الرياح ، ظهر تحت ضوئها الباهت عمائم المشيخة من قريش قد استسلموا لهواجسهم وراحوا بين لاه على الرمل بعود ، أو

ماسح على صفيحة سيفه ، أو عابث بشعيرات ذقنه .. وما شق هذا السكون عليهم — الا قدوم الحكم بن هشام في وضاءة وجهه ، وامتداد قامته ، واسترسال ذؤابتيه على منكبيه فتجاوبت أصداء الدار ترحيبا به .. مرحبا وأهلا .

عقبة : وناقة ورحلا .

أبو البختري : ومشتاخا سهلا .

ثم دخل أبو سفيان .. ثم فنظر أبو البختري الى أبي سفيان وسأله : ما وراءك من أخبار هذا الرجل ؟

أبو سفيان :— يواصل أصحابه الهجرة سرا ، منذ أكثر من شهرين الى يثرب ، فقد ظعن مصعب بن عمير ، وعامر بن ربيع وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة ، وعمار بن ياسر وبلال بن رباح ، وسعد وسالم مولى أبي حذيفة ، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وعمر بن الخطاب .

أصوات — في فزع — ابن الخطاب .

أبو سفيان :— وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبا .

فوكز زمعة — الحكم بن هشام وقال له : هذا أخوك لأمك ، يحادنا من أجل محمد ، فاحمر وجه الحكم وطأطأ رأسه خجلا ، ثم تنفس وقال : سأعرف كيف أعود به في الحديد ، وحاول هشام بن العاص والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام الهجرة فحيل بينهم وبينها وكبلوا بالحديد وحبسوا ، كما حاول صهيب الرومي الهجرة فلم يعدم من قال له : أتيتنا صعلوكا فقيرا ، فكثر عندنا مالك ، وتريد أن تخرج به الى صاحبك .. لن يكون هذا أبدا .

الأسود :— وما خطب أم سلمة هذه تغادينا عند الابطح بالبكاء حتى المساء .

أبو سفيان :— إن في قصتها دليلا جديدا على قوة سحر هذا الرجل ، فقد أراد زوجها الهجرة بصحبتها فعلم أهلها بذلك فحالوا بينها وبين صحبته ، ونازعوا زوجها سلمة الصغير حتى خلعوا يده ، ولكن أبا سلمة غلبهم عليه ورحل به ، وخلف زوجته تبكي لوعة على فراقه حتى اليوم ، وإن آخر ما انتهى الى من معسكر المسلمين أن محمدا تهيأ للهجرة .

الحكم :— يتنفس ضيقا — إن أبا سفيان يقص علينا من الأنباء ما ليس بخاف إلا على القليل ممن كانوا خارج مكة لبعض الشئون ، وإني لأرى أن هجرة محمد على وشك الوقوع ، وإذا تم له ذلك فقد تكون طريقه الى نصر منتظر ، وإن الخوف على دين قريش ليس في هجرته بقدر ما هو في هجرة دعوته ، فقد لا تعدم خارج مكة آذانا وقلوبا لا سيما بين هؤلاء الذين يجاورون تعاليم الكنائس والبيع وهي ديانات قريبة مما يقوله محمد ، وقد تلجأ بعض القبائل اليه لثارات بينها وبين غيرها ، فيجعل من شتاتها جمعا ومن ضعفها قوة ، والا فانظروا كيف جعل من مثل عمر بن الخطاب عدوا لقريش ، يتحدى أبناء عمومته وخؤولته حين هجرته ، ويدعو قريشا — على ملأ — الى النزال تهديدا لمن يحاول منعه عن الهجرة ، وكيف

طابت الهجرة لأبي سلمة دون زوجته وكيف ضحى صهيب بماله ليتركوا له سبيل الهجرة .. فاذا تمت لمحمد الهجرة ، فسوف لا نأمن منه طريق الوثوب علينا فيسلبنا سدانتنا وسقايتنا ورفادتنا وسيادتنا على سائر العرب .

**أبو البختري :** احبسوه في الحديد ، واغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم .

**الأسود بن ربيعه :ــ** نخرجه من بين أظهرنا ، فاذا خرج فوالله لا نبالي أين ذهب .

**الحكم بن هشام :ــ** الرأي أن تختاروا من كل قبيلة شابا جلدا حسيبا في قومه نسيبا ، ثم يعطى كل منهم سيفا صارما فيضربه الشبان ضربة رجل واحد فنستريح منه ، ويتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعا ، فيرضون فيه بالدية .

**أصوات :** مرحى مرحى .

**أبو البختري :ــ** إنه لرأى ما أراكم قد وقعتم عليه بعد .

**الأسود بن ربيعه :ــ** وهذه جفنة من الدم فلنغمس فيها يدنا ، ليكون ذلك بمثابة عهد وميثاق يحفزنا على الوفاء به .

**أصوات :ــ** مرحى مرحى .

وكان السائر بين الصفا والمروة يسترعى انتباهه صدى دقات على باب أبي سفيان ، تبعها صوت مزلاج ، وصرير باب يدور على عقبه ، وأصداء شهقة عميقة تحمل البهر والاعياء ، وفحيح صوت يملؤه الفزع والانزعاج يقول :

ــ ابن أبي طالب ؟! وكيف اجترأ هذا الحدث على الدخول في فراش محمد ، وسيوف القوم تغشاه في الخارج ؟! يا لها من جرأة عاتية أجازها عليكم هذا الغلام .. وأين كنتم ساعة هربه .

**عكرمة :ــ** لقد هممنا أن نتسلق عليه داره ، فصاحت امرأة من الدار المجاورة في وجوهنا فتراجعنا ثم سمعنا من يقول : إنها لسبة في العرب أن يتحدث عنا : اننا تسورنا الحوائط على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا ، والله ما ندرى بعد ذلك ، كيف غلبنا النعاس .

**أبو سفيان :ــ** غاضبا محنقا ــ دعوني يا رجال ، وطاردوا محمدا في كل مجال ، ولمن يأتي به مائة ناقة حيا أو ميتا .. أعلنوها عني في كل مكان ، ثم يضرب كفا بكف ويتلفت يمينا وشمالا ، ويتحدث الى نفسه فلا يكاد يبين ، ولعله كان يستعرض ما سوف تتعرض له قوافل قريش وتجارتها إذا هاجر الرسول الى يثرب ، بل ما سوف تتعرض له مكة وما حولها من مجاعة مهلكة ومحنة مربكة .

وقطع سكون الظهيرة اصطكاك الحوافر بالركام ، ووسوسة الرمال بالأقدام ، وحوار يدور بين القادمين ورعاة الأغنام .. قال أحدهما لصاحبه .

ــ عم صباحا يا عماه .

ـ عم صباحا وخيلا رباحا يا بنى .
**الفارس :** ألم تشاهد في طريقك رجلين ، أحدهما ربعه وضىء والثاني نحيل قمىء .
**الراعى :** قد يكونان بهذا الغار ، وإن لم أر أحد أقدامه ولم أشهد ـ في طريقي ـ آثار أقدام غدوا إو رواحا .
**الفارس :**ـ عجيب أمر هذا الرجل ، هل ركب الريح الى السماء ، أم ابتلعته أخاديد الغبراء ؟! .. هيا يا فتيان للبحث عنهما قبل فوات الأوان .

وأغلب الظن أن الأثير قد حمل ما دار من حوار أمام الغار الى آذان الصاحبين ، وأن رسول الله قد استقبل ما سمعه بايمان قوى ، وجنان ثابت ، بينما ارتفعت دقات قلب أبى بكر ، خوفا على سلامة صاحبه ، فقال له صلوات الله عليه وسلامه : **( لا تحزن إن الله معنا ).**

**وما ان سمع أبو بكر وقع أقدام المنصرفين عن الغار حتى تنفس الصعداء ثم قال :**
**ـ ما كان حزنى الا عليك يا رسول الله ، فلو قتلونى فأنا فرد ، أما أنت فأمة كاملة .**
**ـ الرسول :ـ ما ظنك باثنين الله ثالثهما .**

**خميلة ظليلة من أشجار السمر ، يداعب النسيم أغصانها ، وتصفق للطيور أوراقها ، ويتردد صوت العصافير في أجوائها ، ويتفيأ كل مكدود ومحرور ظلها ، ويطيب للرعاة تبادل الأنباء ، أو سماع الأهازيج في فيئها .. ورجلان فارهان يتلفتان حولهما .. حتى إذا آنسا خلو المكان .. همس أحدهما في أذن صاحبه :**
**ـ يظهر أن وقت السفر قد حان .. وفي اعتقادي أن التجاء الرسول الى الغار كان لحكمة سامية فالباحثون ـ عادة ـ عن هارب خطير ، يندفعون بغريزتهم الى الدروب والمسالك المؤدية الى بلاد بعيدة ، وقد فوت الرسول على أعدائه غرضهم بالتجائه الى الغار ، فبينما تندفع الخيل والابل في كل اتجاه إذا به قابع في كهف من كهوف مكة ، ساخرا من عقلياتهم ، مستهزئا مما يبيتونه له ، ولا أعتقد أن بقاءه في الغار سيمتد لأكثر من ليلة ثالثة بعد أن تعبت مطايا قريش وراء البحث عنه .. لقد صاحب الرسول التوفيق في كل ما قام به ، فقد ترك ابن عمه نائما في فراشه ، ليوهم المتآمرين حول بيته بوجوده ، ويمنح نفسه فرصة الاختفاء ، واختار لحضوره الى منزل أبى بكر ملثما وقت الظهيرة ، حيث يختفى أهل مكة في منازلهم اتقاء الهاجرة ، واتخذ من عبدالله بن أبي بكر ـ عينا له بين محافل قريش ـ لصغر سنه ، فلا يأبه لوجوده أحد ، بينما هو فتى خطير الذكاء في نقل الأنباء الى ساكنى**

**الغار .. وحتى لا يتتبع أحد خطانا ــ أمر أبو بكر أن تعفى حوافر الأغنام ــ على مسيرة أسماء وأخيها عبدالله ، حين يفدون بالطعام والأخبار .**

**عامر بن فهيرة :ــ** على أنه لا يفوتك أن أبا بكر حمل معه ما بقى من ماله ، وأن أسماء قد اضطرت الى تهدئة جدها الضرير ، فأخذت بيده ووضعتها على كوة حشدتها بصغار الحجارة وجذاذ القوارير فقال لها :

لا بأس يا بنيتى .. إذا كان قد ترك لكم هذا ــ فقد أحسن ، وفيه بلاغ لكم .. كما تعرضت للطمة على وجهها ، فأطاحت بقرطها ، من الحكم بن هشام حينما أنكرت عليه معرفتها بمكان أبيها وصاحبه .. وهكذا يضحى أبو بكر بكل ما يملك ويضع مستقبله ومستقبل أسرته في كفة الأقدار حبا في رسول الله ، فاستحق بذلك ثناءه عليه .

أطل هلال ربيع الأول بضع دقائق ثم اختفى ،، ووكل الى النجوم حراسة الأرض وترشيد المسافرين ، وهيأ للتاريخ أن يقدم بدوره ، وأصاخ الكون الى صرير الأقلام تدون أهم أحداث الحياة ، وتسجل ما يقوله الرسول عند هجرته من فوق ناقته قبالة الكعبة .

« اللهم انك لأحب أرض الله الى الله ، وأحب أرض الله الى نفسي ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت » ثم أدار زمام ناقته صوب الساحل وهو يقول :

**( وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم . إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ).**

بينما تودعهم أسماء وأخوها عبدالله ، وفي عينها دمعة حائرة بين الأمل في النجاة ، والوجد المشبوب للفراق .

وكان السائر عند الحجون يرى عمرو بن هشام فوق جواده يتحدث مغضبا الى سراقة المدلجى ، ويقول له فيما قال :

ــ وما وراءك يا بن مالك من انباء محمد وصاحبه .

**سراقة :** لا شئ .. لم أعثر لمحمد على أثر .

عمرو :ــ انى لأراك قد عدت بوجه غير الذي ذهبت به ، وأرى أنك قد التقيت بمحمد وأنه لابد قد سحرك .

**سراقة :** اذا كان محمد قد سحرنى فقد سحرك من قبل .. ولعلك تذكر يوم دخلت المسجد معلنا انه لابد من قتل محمد بصخرة رفعتها بذراعيك ، وهو ساجد ، ثم خرجت من المسجد مذعورا مهرولا وقد ألقيت بها بعيدا ، وأنت تقول : ان ثورا هائلا يطاردني !!؟

**عمرو :ــ** يطأطئ رأسه ويصفر وجهه ويلوذ بالصمت .

**سراقة :ــ** يدنو بجواده من محدثه ويحدث في وجهه ويقول له :ــ

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لامر وجوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
نبى باخلاص فمن ذا يقاومه

# الطفل المسلم

## في احتفالات عام الطفولة

### - الحلقة الأولى -

**للدكتور : احمد شوقي الفنجري**

قررت هيئة الأمم المتحدة اعتبار عام ١٩٧٩ عام الطفولة . فأتصلت بجميع الهيئات المعنية برعاية الأطفال وتربيتهم لكي تتابع نشاطها في هذا المجال .. وأقامت الندوات العلمية والاحتفالات الترفيهية حول هذا الموضوع .. وكم كان بودي أن يكون لعلماء التربية المسلمين دور في هذه الدراسات .. ويكفي أن نقول إن أعظم مرب للأجيال في تاريخ الانسانية كلها هو نبينا الكريم : محمد بن عبد الله .

فلننظر الى دور الاسلام ولننظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي النشء ويعدهم لحمل الرسالة :

**هدف التربية في الاسلام :**

يختلف الاسلام إختلافا جذريا في نظرته الى تربية النشء عن جميع النظم المعروفة والمعاصرة ، إن الهدف الرئيسي لأي مبدأ أو تنظيم في التربية هو إعداد مواطنين صالحين لخدمة الدولة وقادرين على كسب عيشهم ، أما الاسلام فينظر إلى الأمر نظرة اخطر من ذلك بكثير ، فالانسان في نظر الاسلام هو خليفة الله في الأرض **( إني جاعل في الأرض خليفة )** والشباب المسلم هو حامل رسالة الله إلى الانسانية كلها وهؤلاء يصفهم الله تعالى بقوله : **( الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا )** الأحزاب / ٣٩ .

ولهذا الهدف العظيم والرسالة الكبيرة يعد الاسلام أبناءه ليكونوا قادرين على أداء الرسالة ، وحفظ الأمانة وقيادة الانسانية كلها واخراجها من الظلمات إلى النور ، والاسلام يبني شخصية الطفل من ثلاثة جوانب هامة :

**الأول هو بناء ضميره ووجدانه :**

وذلك بخلق ضمير إسلامي حي يقظ ونفس سليمة خالية من العقد والأحقاد ، وتهذيب الغرائز والعواطف البدائية في الطفل وذلك بتعليمه الرحمة والمحبة والتعاون والعزة والكرامة والكرم ، وحب الخير وبر الأبوين وطاعة أولي الأمر

والمسؤولين ، وحب الله ورسوله والوطن .. وكل هذه المعاني الخطيرة لا يتعلمها النشء إلا في الدين وحده ، فالرحمة والمحبة لا توجد في كتاب جغرافيا ولا حساب ولا علوم ، ويوم يحرم الطفل من التربية الدينية فانه مهما تلقي من علوم الدنيا ، وسواء أصبح طبيبا أو مهندسا أو عالما ، فانه يظل عرضة للانحراف ، وبدلا من أن يصبح العلم في يديه رحمة للانسانية فقد يصبح وسيلة للتخريب والدمار والاستغلال وهذا هو أخطر ما يعاني منه مجتمعنا عندما فصلنا التربية الدينية عن التربية العلمية .

**الأمر الثاني هو البناء العقلي والذهني :**

وقد يقول قائل : إن العلوم والمعارف التي يتلقاها الطفل في المدرسة من علوم وحساب وتاريخ تسد في هذه الناحية ، وهذا أيضا خطأ كبير ، فهناك فارق بين حشر المعلومات في الرأس وبين تنمية مدارك الطفل لتوسيع أفقه وتفكيره ، فالاسلام يدعو الطفل منذ نشأته إلى تأمل كل شيء في الحياة من حوله ، يدعوه إلى تأمل الخلق والمخلوقات ، والسماء والنجوم والشمس والقمر والليل والنهار وإلى التأمل في الأرض والجبل ، والبحر والأنهار ، والطير والحيوان والانسان ، أن يتأمل في نفسه وفي جسمه وفي خلقه ، في أمه عندما حملته وهنا على وهن وأرضعته عامين ثم فطمته ، ثم بعد هذا كله يدعوه الى التفكير فيمن خلق هذا الكون كله وأبدعه ، وكل هذه الأمور وهذا الفكر يوسع مدارك الطفل في الحياة ، ويزيد من حدة ذكائه ويجعله أكثر قدرة على استيعاب كل ما يتلقاه بعد ذلك من علوم الدنيا ، وخاصة أن هذه المعلومات لا توجد في كتب الدراسة والعلم ، وإذا تأملنا آية واحدة من كتاب الله مما كنا نحفظه ونحن أطفال ، تأمل قوله تعالى : **( إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون )** . البقرة/ ١٦٤

فانظر كيف يحلق القرآن بعقولنا في كل ما حولنا ، في السماء والنجوم والشمس والقمر ، وفي الجبال والبحار والأنهار والفلك والسحاب والأمطار ، كل هذا ليوسع مداركنا ويشعرنا بعظمة خلق الله وإبداع صنعته .

**الاهتمام الثالث : هو البناء الجسمي :**

وذلك بخلق نسل صحيح البنية خال من العاهات الوراثية والصحية ، ثم تربية هذا النشء على حب الرياضة بأنواعها ، وبذلك يخلق جيلا قوي البنية قادرا على حمل الرسالة وعلى الجهاد في سبيل الله .

هذه العوامل الثلاثة هي التي تشكل شخصية الطفل المسلم : الروح والعقل والجسم ..

## وسائل التربية الاسلامية :

تقوم التربية الاسلامية للنشء على دعامتين في وقت واحد : الاكرام مع التأديب وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرموا أولادكم .. وأحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه .. والقصد بالتأديب هو التوجيه والتنبيه على الأخطاء . وبهذا الأسلوب السليم في التربية ، لا ينشأ الطفل محروما أو مهانا فيحقد ، ولا يصبح مدللا منعما فيفسد .

## إكرام الطفل المسلم :

(١) وأول مبادىء الاكرام عدم سب الطفل المسلم لأي سبب فلا يقال له يا غبي أو يا حمار أو يا عبيط .. أو يقال له : الله يلعنك ، هذه مكروهة في الاسلام ، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سباب المسلم فسوق » البخارى .. وإذا كان الاسلام قد نهي عن سب البهائم أو لعنها ، فمابالك بسب الانسان فقد سمع الرسول أحد أصحابه يلعن ناقته فعاقبه رسول الله وقال له : « يا عبد الله لا تصاحبنا اليوم على ناقة ملعونة ، فحط عنها رحالها وأطلقها » رواه مسلم .

(٢) ويكره الاسلام ضرب الطفل المسلم إلا لذنب كبير ، وينهى نهيا قاطعا عن ضربه على الوجه لأن الوجه هو خلقة الله التي كرمها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته» رواه البخارى ومسلم .. فالشرع يحرم على المدرس أو الأهل ضرب الوجه .

(٣) ويحذر الاسلام الأبوين من الكذب على طفلهما لأي سبب ، سواء كان هذا للتخلص من بكائه أو طلباته فقد رأى رسول الله امرأة تنادي على طفلها وتقول له : تعال أعطيك فقال لها : ماذا أردت أن تعطيه قالت أعطيه تمرة ، فقال لها الرسول : أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة » رواه أبو داود وأحمد .

(٤) وينصح الرسول الأمهات بتولي تربية أبنائهم بأنفسهم وعدم الاعتماد على الخدم في تربية الطفل وفي ذلك يقول أحد فقهاء الشرع « أعط ولدك خادمك يكن لك بدل الخادم اثنان » وذلك لأن تربية الخدم تخلق خدما لا أسيادا .

(٥) ومن روائع الاسلام أنه يحترم مشاعر الطفل في مجلس الكبار ، وأن يعامل كما يعامل الرجل تماما ولا يتخطوه في الدور لصغر سنه فقد جاء إلى رسول الله وفد من مشايخ العرب يزورونه في بيته فأخذ رسول الله يقدم لضيوفه شرابا بيده ، ومن آداب الاسلام أن يبدا بالتقديم إلى الأيمن أولا ثم الذي يليه وكان أول الجالسين على اليمين غلام صغير ، فسأله رسول الله قائلا : « يا غلام ، إن في القوم أشياخ كبار ، فهل تأذن أن أبدأ بهم قبلك ؟ » فقال الغلام : « لا يا رسول الله ، والله ما أرضي لأحد بحقي منك أبدا » فتبسم له الرسول واحترم عزة نفسه ، وأعطاه الشراب قبلهم ( رواه مسلم ) .

(٦) ويأمر الرسول المسلمين بالتلطف مع الأطفال واللعب معهم لأن هذا

يخلق روح المودة والترابط في الأسرة يقول صلى الله عليه وسلم : « من كان له صبي فليتصاب له » رواه ابن عساكر عن معاوية له وإيناسا ، وقد كان رسول الله مثالا للتعاطف والمودة مع أولاده وأحفاده ... فكان الصحابة إذا زاروه في بيته خرج إليهم وهو يحمل حفيده الحسن علي كتفه فيقول الصحابة للحسن مداعبين : يا غلام نعم الفرس تحتك ، فيقول لهم الرسول : ونعم الفارس هو ، وكان الرسول يداعب حفيديه الحسن والحسين لعبة الفارس والحصان فيمشي على يديه وقدميه مشية الحصان وهما يركبان فوق ظهره .

(٧) ومن تعاليم الاسلام أنه يحث المسلم والمسلمة على اصطحاب ابنهما الى المسجد من صغره حتى يتعود الطفل على الصلاة وعلى حب الجماعة وعلى حب بيوت الله ويتعلق قلبه بها ، وكانت السيدة فاطمة ابنة الرسول تحضر الصلاة في المسجد وتترك أولادها الحسن والحسين يلعبان هنا وهناك ، فأخذ الحسن يجري بين المصلين حتى وصل الى جده رسول الله وهو يؤم الجماعة في الصلاة فما إن سجد الرسول حتى ركب الحسن فوق رأسه فأطال الرسول سجوده وأطال الصحابة السجود خلف الرسول فما إن انتهت الصلاة حتى جاؤوا يسألونه : يا رسول الله أطلت السجود حتى ظننا أنه حدث أمر أو أنه قد أوحي إليك .. فقال الرسول كلا ولكن ابني ارتحلني ( أي جعلني راحلته ) فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته ..

وكانت اسماء بنت أبي بكر تحضر الصلاة في المسجد مع ولدها عبد الله ابن الزبير ثم تتركه في المسجد يلهو ويلعب مع الحسن والحسين وغيرهم من الصبية وتذهب إلى الأسواق لتشتري حاجتها ثم تعود لتأخذه فكان الصحابة يسمون هؤلاء الأطفال الأبرياء ( حمام المسجد ) تشبيها لهم بالحمام الأليف .

(٨) وكثيرا ما كان الأطفال الصغار يبولون على ملابس الرسول وهو يحملهم فلا يشعرهم بذلك أو يفزعهم حتى لا يقطع بولتهم ، وكان في هدوء يقوم ويغسل مكان البول من ثوبه ثم يعود إلى الطفل يلاعبه ..

(٩) ولم تكن هذه المعاملة للأطفال في البيت وحده بل كان يلاعبهم في الطريق أمام الناس ، فقد دعي الرسول هو وصحابته إلى وليمة طعام وبينما هم ذاهبون رأى الحسين يلعب في الطريق فبسط إليه يده والحسين يفر منه هنا وهناك والرسول يجري خلفه والصحابة يتفرجون ويضحكون ، حتى أمسك الرسول بالحسين واحتضنه وقبله .

(١٠) ولم تكن مداعبة الرسول لأولاده وحدهم .. بل كان أيضا يداعب أولاد أصحابه وجيرانه ويلاطفهم وكان إذا رأى صبية يتسابقون جرى معهم وكان الصحابة يحضرون إلى الرسول أبناءهم لكي يباركهم فعندما بلغ عبد الله بن الزبير ابن العوام السابعة من عمره احتفل أبوه الزبير بعيد ميلاده السابع

فاشترى له ملابس الفرسان ووضع في وسطه سيفا صغيرا وأخذه معه إلى رسول الله ، وأخذ الطفل يبايع الرسول على الجهاد في سبيل الله ، ففرح به الرسول وقبله ..

(١١) ومن آداب الاسلام أن المسلم إذا رأى صبيا يسير على قدميه في الشمس أو الحر أو رآه ينتظر من يوصله أن يتوقف له بسيارته وأن يصوله إلى بيته كما يوصل ابنه تماما ، وفي ذلك يقول رسول الله :

« من كان له فضل ظهر فليعد به علي من لا ظهر له » رواه مسلم ، أي من كان لديه مكان زائد على ناقته فليقدمه إلى من لا ناقة له ، وقد كان رسول الله إذا رأى صبيا في الطريق وهو على ناقته يتوقف له ، وينيخ ناقته وينادي على الصبي ويمسح برأسه في عطف ، ثم يحمله خلفه على ناقته حتى يوصله إلى بيته .

١٢ ـ ويوصي الاسلام بعدم التفرقة بين الأبناء في المعاملة وخاصة في الأمور المالية والميراث .. إلا أن يكون ذلك لعلة ، كأن يكون أحدهم عاجزا عن كسب عيشه .. وقد جاء إلي رسول الله رجل ومعه ولده ، فقال للرسول ، أشهدك يا رسول الله أني قد أوصيت لولدي هذا من بعدي بكذا وكذا ... فقال له الرسول : وهل فعلت ذلك لكل أولادك أم هذا وحده .. فقال الرجل : هذا وحده .. فقال له الرسول : اذهب فلا وصاية لك عندي ولا تشهدني علي جور » .. هذا في الأمور المادية والمالية .. أما في الأمور العاطفية .. فان الاسلام يقبل القاعدة العربية التي تقول : « صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يعود ، ومريضهم حتى يشفي » .

(١٣) والاسلام يأمر بعدم التمييز بين الولد والبنت في المعاملة إلا في حدود ما أمر به الله من ناحية الميراث حيث يكون للذكر مثل حظ الأنثيين .. وحكمة ذلك أن الذكر يكون مسؤولا عن الانفاق عن أسرته وزوجته .. أما الأنثى فليست ملزمة بالانفاق على زوجها وأسرتها من مالها ولكن زوجها ينفق عليها ، وفيما عدا ذلك فليس للأبوين أن يفرقا في العطف والمودة بين الولد والبنت ، بل لقد كان رسول الله أكثر عطفا على البنات وأكثر وصاية بهن حتى يزيل من نفوس العرب عادة الجاهلية البغيضة وفي ذلك يقول الرسول : « من كان له أنثى فلم يهنها ولم يؤثر ولده عليها وأحسن تعليمها كانت له سترا من النار » رواه أحمد ، وكثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أمامة بنت أبي العاص وهي ابنة ابنته زينب ويدللها ويضعها تحت عباءته ليدفئها في البرد ويخرج حاملها إلى صلاته .. ويروى أحد الصحابة أنه طرق باب رسول الله ليسأله عن شيء ، فخرج إليه الرسول وجعلا يتحدثان حديثا طويلا ، وكان تحت عباءة الرسول شيء يحمله ، فقال له : ما هذا يا رسول الله الذي تحت عباءتك فكشف عنه فاذا هي حفيدته أمامة ..

(١٤) وللاسلام نظرة عميقة في أمره المسلم بالتعاطف مع الطفل والحنان

عليه واحترامه ، فهو لا يهدف إلى مصلحة الطفل وحده ، ولكن إلى غرس روح المحبة والعطف في نفوس الكبار ، وإلى تهذيب مشاعرهم فقد جاء رجل أعرابي إلى رسول الله وقال له : إنه يشعر ببرود عواطفه وجفاء في طبعه ، ويطلب من الرسول علاجا لهذه الحالة ، فسأله الرسول إن كان له أطفالا ، فقال : لا .. فنصحه الرسول أن يأوي في بيته طفلا من اليتامى ، وقال له : إذا أردت أن يذهب الله عنك جفاء الطبع فامسح برأس اليتيم واعطف عليه .. رواه أحمد ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب على هيبته يقبل الأطفال ويلعب معهم ، وذات يوم عين واليا على أحد الأقاليم فدخل الرجل بيت عمر لكي يودعه قبل سفره إلى إقليمه فوجد عمر يقبل الأطفال ويلاعبهم فقال له مستنكرا : « أتفعل ذلك يا أمير المؤمنين فوالله إن لي عشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم ولا لاعبته » ، فقال له عمر : « أو نملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » ... ثم أخذ منه خطاب الولاية ومزقه فقال له الرجل : لم فعلت ذلك يا أمير المؤمنين .. فقال له عمر : إذا كنت لا ترحم أولادك فكيف تكون رحيما بالرعية .. ورسول الله يقول : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » الترمذي .

(١٥) ولا يكتفي الاسلام بأمر الناس بحسن رعاية أولادهم . بل إن المسلمين جميعا ملتزمون بالتضامن مع الدولة في رعاية الأطفال الأيتام أو الذين لا عائل لهم ، فنشأة الطفل اليتيم في أسرة مسلمة صالحة خير له من نشأته في ملجأ حكومي ، ولذلك فقد جعل الاسلام تربية اليتامى أحد واجبات الأسرة المسلمة ما استطاعت ، وفي ذلك يقول رسول الله : « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » رواه ابن ماجه ، ويقول أيضا : « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » ( وأشار بأصبعين معا ) ، البخارى .. وقد نشأ رسول الله يتيما فرعاه جده ثم رعاه عمه أبو طالب ... فلما شب الرسول واستطاع أن يكسب عيشه بدأ هو أيضا برعاية اليتامى والفقراء في بيته ، وأول طفل تولى الرسول رعايته رغم أن والديه كانا أحياء هو ابن عمه علي بن أبي طالب ، كما كان رسول الله يرعى في بيته زيد بن حارثة .. وكان زيد طفلا اختطفه الأعراب من قبيلته فلم يعرف له أهلا فاشترته خديجة وأهدته الى الرسول فتبناه الرسول وأعتقه وظل يسمي زيد ابن محمد مدة طويلة .

هذه هي بعض مبادئ تربية النشء في الاسلام .. المبادئ التي طبقها نبينا الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان .. والتي بها أنشأ جيلا من القادة والمصلحين الذين حكموا أركان الدنيا من الصين حتى الأندلس .. ونحن بدورنا نهديها الى الدارسين والباحثين في هيئة الأمم المتحدة .. لعلها تكون لهم هاديا ومرشدا في القرن العشرين .

# الفتاوى

## الطرق الصوفية

○ **السؤال : ما حكم الاسلام في الطرق الصوفية كالنقشبندية والتيجانية وهل الانتساب اليها حلال أم لا ؟**

**أحمد سعدى الفرندواني ـ الرياض ـ سعودية**

ـ **الجواب** : الطرق الصوفية حقيقة وجدت في التاريخ الاسلامي من أيامه الأولى وما تزال موجودة إلى يومنا هذا ، وقد كثر الكلام حولها تأييداً وتشجيعا ونقدا وتجريحا ، وكثير من هذه الأحكام تدفع إليه عاطفة حب أو شعور بغض ، والحكم في ذلك هو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » فان كانت هذه الطرق ملتزمة للدين عقيدة وشريعة فهي محمودة ويجب تشجيعها ، وإن انحرفت فهي مذمومة ووجب تقويمها ، والتقويم يكون بالتي هي أحسن ، وبخطة مدروسة عملية يمكن بها تحويل هذه القوى الجبارة إلى طاقات خيرة منتجة تفيد نفسها وتفيد أمتها .

وهذه الطرق في نظري أشبه بالمدارس التربوية التي تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية لما تقوم به من تعليم وتثقيف ، وهي إن استقام منهجها العلمي والعملي كانت طلائع نهضة ورواد خير ، تؤثر أكثر آلاف المرات مما تؤثره المدارس والمعاهد الحالية ، ذلك أن علاقة طلابها بأستاذهم هي علاقة حب واحترام وتقدير ، وهو بهذا الرباط الروحي يمكن أن يوجههم حيث يريد بكل يسر وسهولة ، وكم كانت لبعض هذه الطرق جولات في الدعوة إلى الاسلام والتحرر من الاستعمار ، بصرف النظر عما أخذ على بعضها من مآخذ دينية ، فهي على كل حال تملك قوة لا يملكها كثير من المنظمات .

وقد شاب نقاء هذه المدارس أمور جاءت من توارث الرياسة عليها توراثا تقليديا دون اعتبار للمؤهلات العلمية والخلقية ، فانحرفت السفينة لانحراف ربانها ، وحاول بعض هؤلاء القادة تغطية موقفهم الهزيل بادخال معلومات وصور في نفوس التلاميذ يشدهم بها إليه شدا حرصا على رياسته وضمانا لما يتمتع به من نفوذ أو ثراء .. فكثرت الخرافات والأضاليل . وكان من هذه الشوائب أيضا

الحب الأعمى من بعض التلاميذ لشيخهم ، ذلك الحب الذي أوحى إليهم أن ينسبوا إليه من الفضل والكرامات ما لم ينزل به سلطان من عند الله . فكثرت الحكايات وألفت الكتب في مناقب بعضهم فيها ما لا يقره عقل ولا دين ، وقد يكون ذلك بغير علم شيخهم أو بعد وفاته ، وقد يكون بعلمه بل بايعازه إن كان من المنحرفين ، وبهذا كان نكبة على الدين وأهله .

ولو أننا استطعنا أن نوجد منظمات فيها العلم والتربية معا على أساس الدين ، مع الرباط الروحي بين التلاميذ وأستاذهم ، وبينهم بعضهم مع بعض لأفدنا فائدة عظيمة من شبابنا ورجالنا ولحميناهم من الانحراف عقيدة وسلوكا ، ولأعطينا صورة مشرقة نيرة عن الاسلام وتعاليمه وعن رجاله الذين جمعوا بين الدين والدنيا على أساس التعاون على تحقيق الخلافة في الأرض .

لا بد أن يكون هناك إنصاف في الحكم على هذه الطرق ، كالحكم على أي حركة وأي تنظيم ، ولا يجوز أن يكون الرأي عنها هو الهدم لذات الهدم دون التفكير في بديل لا يميل مع الأهواء ، بل يكون على ما قال الله سبحانه « **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » .

---

## إجابات قصيرة

○ **السيد / البشير المرضى ـ تطاوين تونس** : القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بمعنى أنه حق . ومعنى قوله تعالى « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام » من علامات القدرة والنعمة السفن الجارية في البحر كالجبال العالية حين ترفع أشرعتها ، والصبر على البلاء رضا بقضاء الله ، والخفاض للنساء يقابل الختان للرجال . وحفلات الزفاف يرجع الى حكمها في عدد ذى الحجة ١٣٩٨ ، والذي يقضى ما عليه من الصلوات يبدأ بالفرائض ، والسنة أن الناس هم الذين يعدون الطعام لأهل المتوفى ، أما لو ذبح أهل المتوفى بقصد التصدق على روحه فلا مانع .

○ **السيد / صلاح الدين محمد الكامل ـ الكرنك الأقصر مصر** : أوجب الله على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة ، لأن الصوم نادر يأتي كل عام مرة ، فاذا نقص منه شئ أكملت عدته بالقضاء ، أما الصلاة فهى متكررة كل يوم فخفف الله عنها بعدم القضاء وقد صح في ذلك حديث البخاري ومسلم عن عائشة رضى الله عنها : كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## نعم لا تحصى

**وأرسل لنا محمد ابراهيم محمد لبن** رسالة تحدث فيها عن عظمة الخالق سبحانه وأفاض في الحديث عن اثاره وروعة خلقه معددا بعض ما أنعم الله به على عباده في نظام دقيق ، حقا ما أعظم شأنه وأجل سلطانه وأبدع صنعه ، وتلك عبرة لمن يعتبر . حول هذه المعاني نعرض للشباب هذه الرسالة :

سبحانك اللهم ما أعظمك وما أبدع خلقك خلقت الانسان من عجب تباركت من اله صدق وتعاليت من رب حق أنعمت علينا بنعم لا تحصى « **وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ) الأنعام/٩٩ .

فلولا هذه الخضرة لانعدمت مملكة النبات وبالتالي مملكة الحيوان وعالم الانسان ، فالنبات يحول الطاقة ـ البطاريات الشمسية ـ الى مادة عن طريق التمثيل « الكلورفيلي » فيختزن النبات حرارة الشمس ليردها الينا في صورة النار ، فخضرة النبات تمتص الحرارة بطريق البناء الضوئي الذي حير العلماء ،

قال تعالى : « **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذآ أنتم منه توقدون** » يس / ٨٠ .

فالنبات يتنفس الكربون ـ النار ـ ويخرج لنا الهواء ـ الاوكسجين ـ بعكس الانسان ، معادلة رائعة في ملكوت الله ، كما أن النبات يعطي حرارة الشمس في صورة النار عن طريق الأخشاب والفحم الحجري والنباتي والبترول الذي يتكون من فضلات الخلايا النباتية والحيوانية ، فالشمس ضياء ، كما أنها مصدر الطاقة .

سبحانك سبحانك هذا شأن بعض آثارك ، فكيف شأنك ، وهذه دنياك ، فكيف بآخرتك تباركت مخرج الخضراء من الغبراء .

## ألفاظ عصرية

**ويسأل الأخ محمد سعدي عامر من الأردن عن مدى صحة القول بأن الاسلام دين ودولة ، مع أن القرآن الكريم والحديث لم يصرحا بذلك ، والقرآن الكريم يقول « إن الدين عند الله الاسلام » .**

**وهل يجوز أن يقال بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل الدولة ، وسياسي عبقري ، والقائد الأعلى للقوات الحربية ؟**

وللاجابة على هذه الأسئلة نقول : إن هذه الألفاظ المستحدثة لا تغير من جوهر الحقيقة ، والمهم هو معرفة المراد منها .

فالاسلام دين ودولة بمعنى أنه ينظم علاقة الفرد بربه سبحانه عن طريق العقيدة والعبادة والأخلاق ، وينظم علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه عن طريق التشريعات التي غطت كل أنواع المعاملات والعلاقات ، وعلى كل المستويات ، فهو دين كامل للحياة الدنيا من تمسك به هدى ، ومن سار وفق نهجه نال رضى الله ، والنعيم في الآخرة ، فهو إذا دين ودولة ، لأن نظامه شامل للمادة والروح مصداق ذلك قول الله سبحانه : ( **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ** ) .

وقد ارتضى الله لنا الاسلام دينا ، ولا يقبل غيره لأنه واف بكل حاجات البشر في كل عصر صالح لكل زمان ، يصلح شأن كل أمة ، يخرج الناس من الظلمات الى النور .

وما أحوج البشرية اليه لتقلع عن الشر الذي يتهددها كلها من جراء ما تعانيه من انحرافات وضياع وصراعات بينها ، لأنها تجاهلت ما اختاره الله لها لرشدها وسلامتها .

# بأقلام القراء

جاءنا من الاستاذ محمد محمود متولي مقالا تحت عنوان : « من فنون الدعوة فن اجتذاب الجماهير » نقتطف منه ما يأتي :

يشغل احتواء الجماهير عاطفيا وعقليا ودينيا وسياسيا ، وتأليفها نحو الغاية الواحدة بال جميع المشتغلين بالفكر والدين والسياسة سواء استقام الفكر والدين والسياسة ام انحرفت عن الصراط المستقيم ، والغالبية العظمى من الدول الآن تؤلف لجانا متخصصة لتوجيه الجماهير داخل أوطانها وخارجها .

ومجال الدعوة فيه المخلصون وفيه الأدعياء والمخلصون أقل عددا من غيرهم . وفيهم الفاقهون بطرق الدعوة المؤلفون للناس وفيهم المنفرون رغم اخلاصهم . والأدعياء أمرهم متروك لحكم الناس عليهم لأنهم لابد منكشفون يوما ولهم خطرهم لأنهم صور شائهة لحملة الدين ووسيلة تنفير من غيرهم فان الناس قلما يفرقون بين الطيب والخبيث الا بعد كثير . والمخلصون غير الفاقهين لطرق الدعوة فيهم تزمت وتشدد ومبالغة وتغالي في الفتيا ترى الواحد منهم مقطب الجبين عبوس النظرات وفي ظنه أن العبوس هو الوقار فهو قلما يضحك لطرفة أو يستملح نادرة وهؤلاء رغم اخلاصهم نجد الجدوى منهم قليلة لأن الاخلاص عمل قلبي يكتشف ببطء اما العبوس والتقطيب فظاهران لأول وهلة وحين يكتشف الناس الاخلاص يكون العبوس قد طردهم عن الداعية .

ونحن المسلمين معنا بضاعة رابحة ولكنها محتاجة الى العرض الجيد وكثيرا ما قال لنا اساتذتنا اذا وجد دكانان أحدهما فيه بضاعة جيدة معروضة عرضا سيئا والآخر فيه بضاعة أقل جودة ومعروضة عرضا جيدا فمن الطبيعي اقبال الناس على الثاني دون الأول . وأول أسس فن اجتذاب الجماهير أن يكتسب الداعية بخلقه وسلوكه وعلمه ثقة الجماهير ويجعلهم يحسون باحتياجهم اليه فهم بجواره يشعرون ببرد السعادة وأنس الحياة ففي وجهه بشر وفي لسانه حلاوة وفي قلبه نبع عظيم من الحب وفي صدره رحابة .

كذلك فان الداعية الناجح دوره اشعار المسلمين بأنهم قوة وأنهم كانوا ذوى دور قيادي ومازال هذا مطلوبا منهم فان هداية الضالين أول مهام أمة الاسلام . فنحن أحوج ما نكون الى دفعة ثقة ودفقة امل ترينا ان الأيام دول وان من جد وجد ومن زرع حصد واذا رفع الاسلام السابقين الى مقام القيادة للعالم كله فهو كفيل ان يأخذ بيدنا الى ذلك .

والداعية الذكي يدرك امراض المجتمعات وعللها واختلافها من بيئة لبيئة فالطبقة الثرية لها عللها من نهم وجشع وغيرها .. والطبقات الفقيرة لها عللها من

تواكل وتحاسد .. الخ والمجتمعات الزراعية لها عللها ومشاكلها والمجتمعات التجارية لها مشاكلها وكذلك الصناعية لها مشاكلها والأعمار المختلفة والثقافات المختلفة كذلك .

على الداعية ان يصرف الناس عن الخلاف المذهبي ويدفعهم الى التشبث بالجوهر الحقيقي للاسلام .

ونحن جميعا قدوتنا في الدعوة هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وله في اجتذاب الناس ما يجعل اعظم علماء النفس والاجتماع والاخلاق ينحني اجلالا فمن قلوب اهل الشرك انبت التوحيد وفي طباع اهل الكبر زرع التواضع وفي نفوس اهل البغض اوجد الحب . ولقد كان الرجل يخرج في الصباح عازما على قتله صلى الله عليه وسلم فلا يلقاه حتى يصير احب اليه من نفسه وولده والناس أجمعين .

وكان الرجل يأتيه فاجرا سكيرا فيخرج وهو أطهر الناس قلبا وحواسا فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطى مفاتيح أقفال القلوب ففتح كل قلب بمفتاحه وسيطر على كل نفس بما تتوق اليه في غير عصيان لله . فبعض الناس مفتاحه في ارضاء نوازع الفخر في نفسه وبعضهم مفتاحه في ايقاظ حسه وضميره وبعضهم في اعطائه ثقته بنفسه وبعضهم في العفو عن هفواته وبعضهم في اعطائه المال حتى يكتفي وبعضهم تأسره البسمة وتشتريه الكلمة .. والداعية يفتش عن هذا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أمثلة ذلك كثيرة مشهورة .

والداعية جندي والجندي يترسم خطى قائده . وقائدنا زكي الفؤاد زكي الفكر زكي البصر زكي اللسان طبيب للبشر جميعا على اختلاف عوائدهم هم وألسنتهم وألوانهم وأجناسهم ووظيفة الداعية الاقتباس من هدايته فلا ينفر ولا يقنط وانما يؤلف ويجمع فنحن نعاني من التمزق ونريد من يلم شعثنا ويعيد الينا هويتنا وصدق الله العظيم : **( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن ).**

---

**والى الذين يهجرون بلادهم العربية والاسلامية ويسافرون الى غيرها طلبا للراحة والاستجمام وردتنا القصيدة التالية من الاستاذ حامد شكور من جمهورية مصر العربية .**

أتهجر يا فتى وطنا جميلا ... وتنشد غيره الادنى بديلا
أتترك صاحبي وطنا فريدا ... وحيدا في الوجود فلا مثيلا
اتترك ذلك الوطن المفدى ... له ماض حوى المجد الأثيلا
وخير حضارة نشأت لديه ... وكانت ذلك النهج الأصيلا
ففي اكنافه بلغت ذراها ... وكان لها الحمى بله الكفيلا
اتمضي نائيا عن خير ارض ... وأهدأ بقعة زمنا طويلا
فقد فطرت على خلق كريم ... ولا زالت له ظلا ظليلا

# الفضل الكبير

**يقول سبحانه وتعالى ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ) فهل هناك فرق في الجزاء للذين ذكرتهم الآية وما معنى هذه الآية الكريمة ؟**

**علي فاضل اسماعيل الرفاعي ـ سوريا**

حول المعنى المراد من الآية الكريمة رويت أقوال كثيرة عن عمر ، وعثمان ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود ، وعقبة بن عمرو ، وعائشة توحي بأن الثلاثة الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر ، والمقتصد الذي لا ينسى الآخرة ويعطي نفسه في الدنيا نصيبها ، والسابق الذي لازم العبادة ، وتجنب المعاصي وتحاشى الرذيلة ، سيدخلون الجنة .

قال كعب الأحبار : استوت مناكبهم ـ ورب الكعبة ـ وتفاضلوا بأعمالهم .

وتوريث الكتاب اي معاني الكتاب ، وهو القرآن الكريم ، وما فيه من علم وحكمة وعقائد ويرى ابن عباس وغيره أن هذا التوريث يخص الأمة الاسلامية .

والترتيب في التعبير القرآني لهؤلاء الثلاثة لا يقتضي تشريفا ولا فضلا ما دام الكل قد انتسب لهذا الدين فالعاصي والبار مقرون برحمة الله ، ويأخذ كل ما يتناسب ومقامه .

من يعمل الخير ينل جزاءه ، ومن يعمل سوءا يجز به ما دام غير مصر على الاثم ويخشى الله فلا شك ستلحقه رحمة الله ، ويصيبه غفرانه وعفوه ، والله سبحانه قد أكرم هذه الأمة بفضله في الجزاء حتى لمن أساء ، ولذلك نرى الآية الكريمة تشير الى هذا بوضوح أن الثلاثة انتهوا الى الجنة على تفاوت في الدرجات وذلك هو الفضل الكبير . إن ربنا لغفور شكور ، فما لنا عليه من فضل كما أنه لا يعقل أن يكون السابق بالخيرات مثلا متساويا مع المقتصد أو مع الظالم لنفسه .

## معرفة سبب النزول

**نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل نزل كله بسبب أم ماذا ؟ مع ذكر بعض الآيات التي تبين ذلك ، ثم هل لمعرفة سبب النزول فائدة ؟**

**كمال عجالي ــ ولاية بسكرة ــ الجزائر**

القرآن الكريم من حيث النزول قسمان :

قسم نزل غير مرتبط بسبب وهو لهداية الخلق الى طريق الحق الذي يريده الله سبحانه للبشرية ، ومن أجله أرسل رسله عليهم الصلاة والسلام ، وسن قوانينه العادلة التي لا تفقد هدايتها ولا يتغير مضمونها أبدا مهما تقادم الزمن ، واتسعت معارف الناس ، اقرأوا قول الله سبحانه في بداية نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم : **( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ) .**

والقارئ لهذه الآيات يلمس ما توحي به من حكاية خلقهم في أحسن تقويم ، وتعليمهم ما لا يعلمون ، وذلك جانب مما نزل بلا سبب يحمل هذه المعاني .

وقسم نزل مرتبطا بسبب تحدثت عنه الآية الكريمة ، أو بينت حكمه أيام وقوعه ، أو كان حادثة وقعت أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو سؤالا وجه للرسول الكريم .

ولنأخذ مثلا الآيات الكريمة من سورة آل عمران من أول قوله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم )** مع أن هذه الآيات الكريمة من أروع ما ينفر من الفرقة والانقسام والشقاق ، ويرغب في المحبة والألفة والوحدة بين المسلمين فقد كان سبب نزولها الخلاف الذي دب بين جماعة من الأوس والخزرج بوقيعة من اليهود حتى تنادوا السلاح السلاح ، ولولا لطف الله بهم لشجر نزاع كان حتما سيقضي على ما كان من أخوة في الله في ظل الاسلام الذي أذهب من قلوبهم الحقد والغل والبغضاء والحسد ، ونبذوا بهذا الرباط الشقاق والخلاف الذي مزق حياتهم قديما ، وعاش بفضله اليهود في مأمن من آثار اجتماعهم على كلمة سواء .

وهناك آيات كثيرة لا يتسع المقام لذكرها بعضها نزل بسبب ، والبعض نزل بغير سبب .

ولا شك أن لمعرفة أسباب النزول فائدة عظيمة توجه القارئ لمعنى الآية ، وتوضح الهدف من نزولها ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

## مع صحافة العالم

## محاولات إسرائيلية لاجلاء ١٨ ألف عربي عن القدس

حذر السيد روحى الخطيب أمين القدس من المخططات الاسرائيلية التي ترمى الى إجلاء ١٨ ألف عربي من سكان الأحياء الاسلامية حول المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة وهدم الممتلكات العربية والاسلامية التاريخية فيها ودعا المسلمين في العالم كله للتصدى لهذه المخططات والدفاع عن عروبة القدس .

وأضاف السيد الخطيب ان الخطر الاخر يتمثل في مصادرة اجزاء من الأراضي العربية المتبقية حول القدس واقامة مزيد من المستوطنات حولها كما يجرى بالنسبة لقرى ابو ديس والعيزريه وعناتا والجيب بقصد تكثيف الاستيطان وسد الثغرات في الحزام الاستيطاني المضروب حول المدينة المقدسة . وكانت الوزارة الاسرائيلية قد اصدرت قرارا يقضي بتجميد حركة البناء في المناطق المختلفة من فلسطين وتركيزها في القدس وذلك لتنفيذ مشروع القدس الكبرى .

من جهة أخرى سجلت احصاءات ادارة الهجرى اليهودية الى فلسطين ارتفاعا ملحوظا في اوائل عام ١٩٧٩ بوصول ١٥٠٤٠ مهاجرا جديدا خلال الخمسة اشهر الأولى مقابل ١٠٤٥٧ في نفس الفترة من العام الماضي .

وتشير الاحصائيات الى ان ٤٠٪ من هؤلاء المهاجرين وفدوا من الاتحاد السوفيتي بينما وفد ٤٠٪ اخرون من الدول الغربية و ٢٠٪ من دول العالم الثالث .

## رابطة العالم الاسلامي تحتج على التفرقة العنصرية بروديسيا وجنوب افريقيا

ناشدت رابطة العالم الاسلامي الحكومات الاسلامية الاحتجاج على سياسة التمييز العنصري التي تمارسها حكومتا جنوب افريقيا وروديسيا العنصريتان ضد سكان البلاد الأصليين في كافة المؤتمرات والمحافل الدولية ومساندتهم لنيل حقوقهم في تقرير المصير .

ودعا المجلس التأسيسي للرابطة تلك الحكومتين الى منح السكان الاصليين حقوقهم المشروعة كمواطنين في هذه البلاد حيث ان مبادئ الاسلام تساوي بين الناس دون النظر الى اللون او اللغة او العرف .

## ندوة عن « العمارة الاسلامية » بجامعة الملك فيصل

تقيم جامعة الملك فيصل بالدمام ندوة عالمية عن فن العمارة الاسلامية والتخطيط تبدأ الندوة في الثامن عشر من صفر .

تهدف الندوة التي سيكون موضوعها « التعريف بالبيئة الاسلامية » الى احياء مفاهيم ومبادئ ونظريات العمارة الاسلامية من حيث تصميم الاشكال الفراغية والانشاء والزخارف والاشكال الهندسية وعلاقتها بالحضارة الاسلامية كما تدرس الندوة التي سيشترك فيها ٢٠٠ عالم واستاذ من المتخصصين في مجالات العمارة والتخطيط وسائل الاستفادة من التراث الاسلامي في فن العمارة في نظريات العمارة والتخطيط الحالية . كما سيقام في فترة انعقاد الندوة معرض كبير يحتوي على نماذج من فنون العمارة الاسلامية القديمة .

## اهتمام كبير بالدراسات الاسلامية في الصين

تشهد الصين هذه الأيام نموا ملحوظا في الأبحاث الخاصة بالدراسات الاسلامية وعلوم القرآن الكريم . فقد قام معهد الابحاث الخاصة بالأديان التابع لاكاديمية العلوم الاجتماعية في سيكيانج من وضع ترجمة لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم باللغة اللويجوريه وهى اللغة التي يتحدث بها معظم المسلمين الصينيين والذي يبلغ عددهم ٤٠ مليون مسلم كذلك يعمل المعهد على اعادة طبع القرآن الكريم بكميات كافية لتكون في متناول ايدي المسلمين هناك ويذكر ان المعهد كان قد انشأ مكتبة خاصة بالكتب والمراجع الاسلامية في العام الماضي .

## المسلمون ١/٣ السكان في الاتحاد السوفيتي سنة ٢٠٠٠

يتوقع الخبراء الديمجرافيون والاقتصاديون السوفييت أن يصل عدد السكان المسلمين هناك الى ثلث عدد السكان تقريبا في الاتحاد السوفيتي مع نهاية هذا القرن . وتشير الاحصائيات الرسمية ان عدد المسلمين الان يشكل ٢٢٪ من مواطني الدولة وان ٥٢٪ من هؤلاء المسلمين تقل اعمارهم عن ١٠ سنوات وهذا يعني ان عددهم سيكون ٩٠ مليون مسلم سنة ٢٠٠٠ بينما سيكون عدد السكان الكلي ٣٠٠ مليون نسمة .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

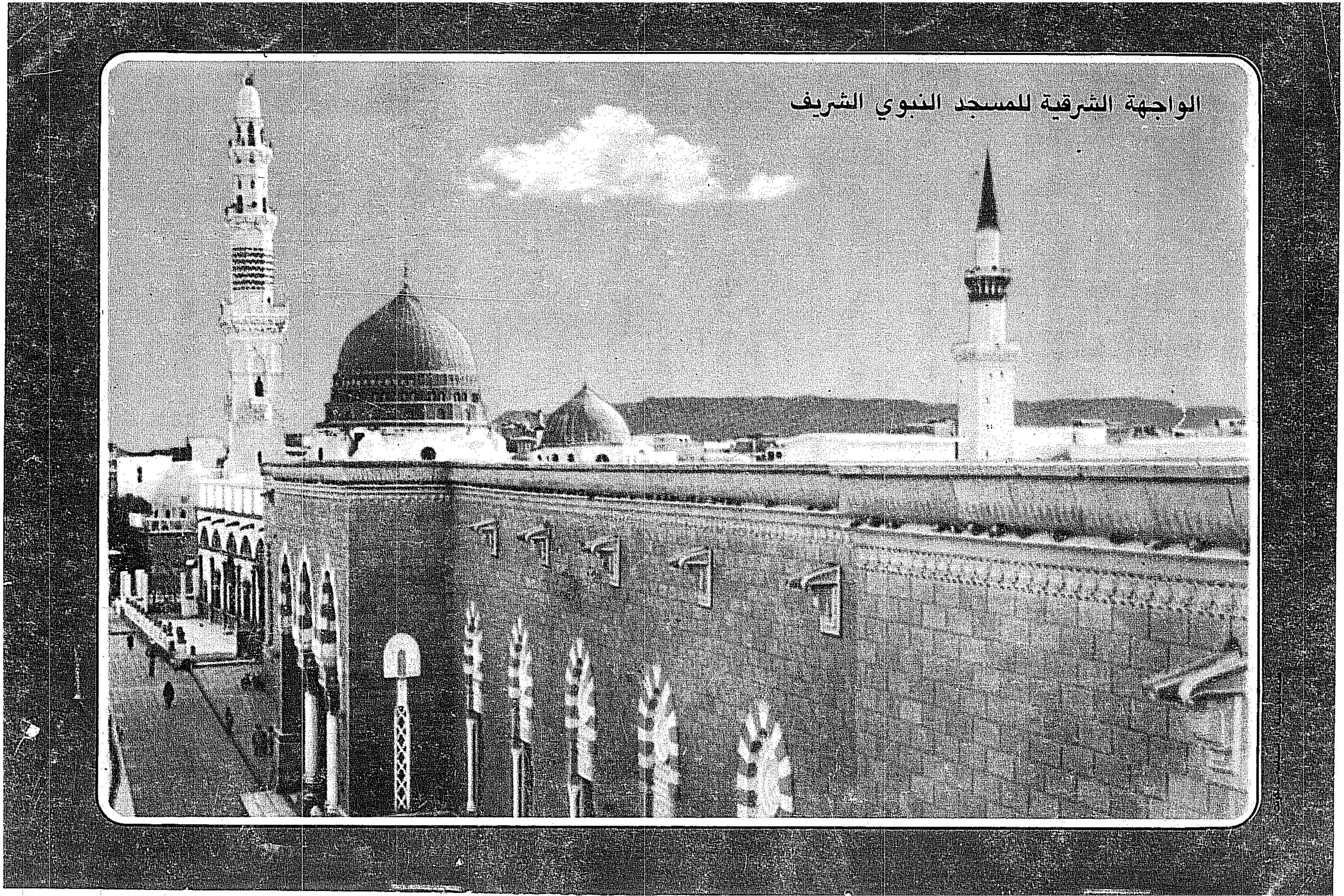
| أيام الأسبوع | [illegible] | [illegible] | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) | | | | | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
| | | | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د |
| الثلاثاء | ١ | ٢٠ | ١٢ ٢ | ١ ٢٥ | ٦ ٤٣ | ٩ ٤٠ | ١ ٢١ | ٤ ٥٣ | ٦ ١٦ | ١١ ٣٤ | ٢ ٣١ | ٤ ٥١ | ٦ ١٢ |
| الاربعاء | ٢ | ٢١ | ٣ | ٢٦ | ٤٣ | ٤٠ | ٢١ | ٥٤ | ١٧ | ٣٤ | ٣١ | ٥١ | ١١ |
| الخميس | ٣ | ٢٢ | ٤ | ٢٧ | ٤٤ | ٤٠ | ٢١ | ٥٥ | ١٨ | ٣٤ | ٣١ | ٥٠ | ١١ |
| الجمعة | ٤ | ٢٣ | ٥ | ٢٨ | ٤٤ | ٤٠ | ٢١ | ٥٥ | ١٨ | ٣٤ | ٣١ | ٥٠ | ١١ |
| السبت | ٥ | ٢٤ | ٦ | ٢٩ | ٤٥ | ٤٠ | ٢٢ | ٥٦ | ١٩ | ٣٥ | ٣١ | ٥٠ | ١١ |
| الاحد | ٦ | ٢٥ | ٧ | ٣٠ | ٤٥ | ٤١ | ٢٢ | ٥٧ | ٢٠ | ٣٥ | ٣٠ | ٥٠ | ١١ |
| الاثنين | ٧ | ٢٦ | ٨ | ٣١ | ٤٦ | ٤١ | ٢٢ | ٥٧ | ٢١ | ٣٥ | ٣٠ | ٥٠ | ١١ |
| الثلاثاء | ٨ | ٢٧ | ٩ | ٣٢ | ٤٦ | ٤١ | ٢٢ | ٥٨ | ٢٢ | ٣٦ | ٣٠ | ٥٠ | ١١ |
| الاربعاء | ٩ | ٢٨ | ١٠ | ٣٣ | ٤٧ | ٤١ | ٢٢ | ٥٩ | ٢٢ | ٣٦ | ٣٠ | ٤٩ | ١١ |
| الخميس | ١٠ | ٢٩ | ١١ | ٣٤ | ٤٧ | ٤١ | ٢٢ | ٥ ٠٠ | ٢٣ | ٣٦ | ٣٠ | ٤٩ | ١١ |
| الجمعة | ١١ | ٣٠ | ١١ | ٣٥ | ٤٨ | ٤١ | ٢٢ | ٠٠ | ٢٤ | ٣٧ | ٣٠ | ٤٩ | ١١ |
| السبت | ١٢ | ١ | ١٢ | ٣٦ | ٤٨ | ٤١ | ٢٢ | ١ | ٢٥ | ٣٧ | ٣٠ | ٤٩ | ١١ |
| الاحد | ١٣ | ٢ | ١٣ | ٣٧ | ٤٩ | ٤١ | ٢٢ | ٢ | ٢٦ | ٣٧ | ٣٠ | ٤٩ | ١١ |
| الاثنين | ١٤ | ٣ | ١٣ | ٣٧ | ٤٩ | ٤١ | ٢٢ | ٢ | ٢٦ | ٣٨ | ٣٠ | ٤٩ | ١١ |
| الثلاثاء | ١٥ | ٤ | ١٤ | ٣٨ | ٤٩ | ٤١ | ٢٢ | ٣ | ٢٧ | ٣٨ | ٣٠ | ٤٩ | ١١ |
| الاربعاء | ١٦ | ٥ | ١٤ | ٣٩ | ٥٠ | ٤٢ | ٢٢ | ٤ | ٢٨ | ٣٨ | ٣١ | ٤٩ | ١١ |
| الخميس | ١٧ | ٦ | ١٥ | ٤٠ | ٥٠ | ٤٢ | ٢٢ | ٤ | ٢٩ | ٣٩ | ٣١ | ٤٩ | ١١ |
| الجمعة | ١٨ | ٧ | ١٥ | ٤٠ | ٥٠ | ٤٢ | ٢٢ | ٥ | ٢٩ | ٣٩ | ٣١ | ٥٠ | ١١ |
| السبت | ١٩ | ٨ | ١٦ | ٤١ | ٥١ | ٤٢ | ٢٢ | ٦ | ٣٠ | ٤٠ | ٣١ | ٥٠ | ١٢ |
| الاحد | ٢٠ | ٩ | ١٦ | ٤١ | ٥١ | ٤٢ | ٢٢ | ٦ | ٣١ | ٤٠ | ٣١ | ٥٠ | ١٢ |
| الاثنين | ٢١ | ١٠ | ١٧ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٢٢ | ٧ | ٣٢ | ٤١ | ٣١ | ٥٠ | ١٢ |
| الثلاثاء | ٢٢ | ١١ | ١٧ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٢٢ | ٨ | ٣٢ | ٤١ | ٣٢ | ٥٠ | ١٢ |
| الاربعاء | ٢٣ | ١٢ | ١٧ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٢٣ | ٨ | ٣٣ | ٤٢ | ٣٢ | ٥١ | ١٣ |
| الخميس | ٢٤ | ١٣ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ٩ | ٣٤ | ٤٢ | ٣٢ | ٥١ | ١٣ |
| الجمعة | ٢٥ | ١٤ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ٩ | ٣٤ | ٤٢ | ٣٣ | ٥١ | ١٤ |
| السبت | ٢٦ | ١٥ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٠ | ٣٥ | ٤٣ | ٣٣ | ٥٢ | ١٤ |
| الاحد | ٢٧ | ١٦ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١١ | ٣٥ | ٤٣ | ٣٣ | ٥٢ | ١٤ |
| الاثنين | ٢٨ | ١٧ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١١ | ٣٦ | ٤٤ | ٣٤ | ٥٢ | ١٥ |
| الثلاثاء | ٢٩ | ١٨ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٢ | ٣٧ | ٤٤ | ٣٤ | ٥٣ | ١٥ |
| الاربعاء | ٣٠ | ١٩ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٢ | ٣٧ | ٤٥ | ٣٥ | ٥٣ | ١٦ |

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ — الشويخ — الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

| | | |
|---|---|---|
| مصر | : | القاهرة — مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء . |
| السودان | : | الخرطوم — دار التوزيع — ص.ب ( ٣٥٨ ) |
| ليبيا | : | طرابلس — الشركة العامة للتوزيع والنشر . |
| المغرب | : | الدار البيضاء — الشركة الشريفة للتوزيع . |
| تونس | : | الشركة التونسية للتوزيع . |
| لبنان | : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) |
| الاردن | : | عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) |
| السعودية | : | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ )<br>الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ )<br>الطائف : مكة المكرمة :<br>برحة نصيف / مكتبة جدة<br>المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| مسقط | : | المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص.ب:(١٠١١) |
| البحرين | : | دار الهلال . |
| قطر | : | دار الثقافة للتوزيع — الدوحة ص.ب. ٣٢٣ . |
| أبو ظبي | : | مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف — ص.ب:(٣٢٩٩) |
| دبي | : | مكتبة دبي . |
| الكويت | : | شركة الخليج لتوزيع الصحف — ص.ب : (٤٢٠٥٧) |

**ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

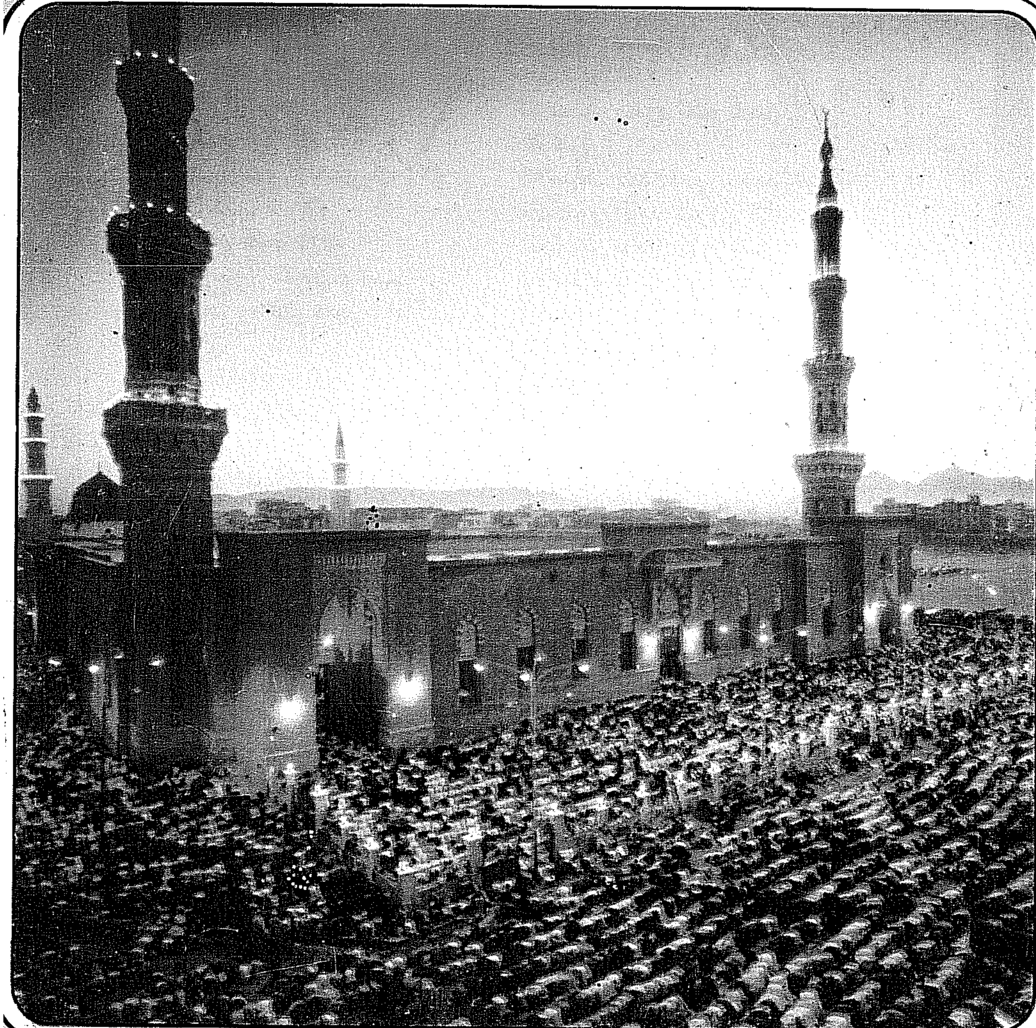

الواجهة الشرقية للمسجد النبوي الشريف

هدية العدد: براعم الايمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٢ ○ صفر ١٤٠٠ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٩ م



# اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

صلاة الجماعة في المسجد النبوي الشريف

# الوعي الإسلامي

**AL-WAIE AL-ISLAMI**

**KUWAIT P. O. BOX: 23667**

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٢ ○ صفر ١٤٠٠ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٩ م


## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

## عنوان المراسلات


وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


## ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي ..

# وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية تحتفل بعيد الهجرة

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية جريا على عادتها بمناسبة حلول السنة الهجرية الأخيرة من القرن الهجري الرابع عشر وحلول ذكرى الهجرة النبوية العطرة .

وكان على رأس الحضور مستشار سمو أمير البلاد الشيخ عبدالله الجابر ووزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي .. ووزير العدل عبدالله ابراهيم المفرج . وكبار المسئولين وعدد كبير من المواطنين .

وقد القى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية كلمة بالمناسبة قال فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم . أحمد الله تبارك وتعالى وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

أيها الاخوة المؤمنون ـ السلام عليكم ورحمة الله وبعد ـ ففي مطلع العام الهجري الجديد ، وفي هذا المكان المبارك نحتفل ويحتفل المسلمون في كل مكان ، بذكرى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، واذا كان في تاريخ أمتنا أحداث بارزة ، فالهجرة المحمدية أهم حدث غير مجرى الدعوة ، ومكنها من الانطلاق الى شرق الدنيا وغربها ، لتخرج الناس من الظلمات الى النور . ولقد فكر عمر رضي الله عنه ، وفكر معه الصحابة رضوان الله عليهم في اتخاذ حادثة هامة لتكون مبدأ للتاريخ الاسلامي ، فلم يجدوا أعظم أثرا من الهجرة المحمدية ، فقال عمر رضي



يصغون بخشوع الى ترتيل ايات من الذكر الحكيم .

الله عنه : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها وبالمحرم ، لأنه منصرف الناس من الحج ، وبذلك ربطوا تاريخنا بأهم حدث فيه حتى نظل على اتصال بالهجرة ودروسها ، نستمد منها هديا لأنفسنا ، ونورا يهدينا الطريق ، وعزما ننشر به الدعوة في أرجاء الدنيا ، واثقين من نصر الله ، ما دمنا مع الله ـ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

أيها المؤمنون : اذا كان من واجب المسلمين في شرق الدنيا وغربها أن يحتفلوا بذكرى هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يستعيدوا أحداثها اعتزازا بالماضي المشرق فما ينبغي أن يقتصر الاحتفال على كلمات تتناول جوانب الهجرة ، ولا يظهر لها أثر في السلوك والأعمال . فما عز السلف المؤمن بالكلمات والمقالات ، وانما عزوا وسادوا بالايمان والعمل بالتضحيات والبطولات ، وبذلك عاشوا أعزة كراما ، وفارقوا الدنيا يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين .

ومما لا شك فيه ان الظروف الحاضرة تفرض علينا كمسلمين أن نتأسى بصاحب الهجرة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وأن نسير على دربهم جهادا وصبرا وتضحية ومثابرة ابتغاء ماعند الله ، وما دمنا نرقب النصر ، وما دمنا طلاب عزة ومجد فليكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خير قدوة لنا كما قال الحق سبحانه : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ) .

نهض صلى الله عليه وسلم بتبعات الدعوة ولم يكن معه سلاح يحارب به ، ولا قوة تحمل الناس على الخضوع له ، ولكنه كان يملك بين جنبيه أمضى سلاح . كان يملك عقيدة يقدم حياته من أجلها ، كان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يملك إيمانا يذيب الحديد والنار استطاع بهذا الايمان ان يبلغ دعوة الله ، وأن يواجه في سبيلها الصعاب بكل ما عرف البشر من قوة وصلابة وعزم وإباء ،

ويقول لعمه أبي طالب تلك الكلمة الخالدة التي ما زالت ملء سمع الزمن : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

نعم تحمل هو وأصحابه كيد الخصوم ، ومغارم الجهاد المر ، وواجهوا آلام الحصار وحرب المقاطعة بصبر وصمود وبكثير من التضحيات ، وفي ذلك ايحاء لكل مسلم ان يقف من الصراع بين الحق والباطل موقف الواثق بأن الغلبة في النهاية ستكون للحق وحده ولا شيء سواه ، وان يقابل الأحداث مرفوع الرأس عزيز النفس مؤمنا بقول الله تعالى : ( ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ) .

إن صاحب الهجرة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم علمنا أن نعيش دائما أعزة أمام البأساء ، لا نذل ولا نهون ولا نضعف ولا نستكين ، ونقابل نعم الله بشكره ، ونترجم عن شكرنا له بالتقوى وصفاء القلوب وصلاح الأعمال ، أن نهيئ المجال أمام النعم لتؤدي دورها في الحياة وتقدم للعقيدة أكرم عطاء .

أموالنا ننطلق بها الى ساحة الجهاد من اجل حماية الاسلام وصيانة الوطن واسترداد الأرض والمقدسات . أعدادنا البشريـة تحتاج الى تضامن وتكتل واتحاد لنرد كيد الطامعين . نربي الشباب على الفضيلة ومكارم الاخلاق وننشئ الفتيات على العفة وشرف السلوك في جو اسلامي رشيد فالشباب في كل عصر هو درع الأمة وموطن الأمل والرجاء .

انه مما يستوجب الشكر ويبشر بالخير هذه الصحوة الاسلامية المباركة ، التي انبعثت في عقول كثير من المسلمين وقلوبهم ، لتردهم الى دينهم والاستمساك بالذي أوحي الى نبيهم والاعتصام بحبل الله .

هذه الصحوة ملأت قلوب الشباب بالايمان فاتجهوا الى المساجد واقبلوا على الدين وتدافعوا الى ساحات التجنيد حبا في الجهاد والاستشهاد .

نبهت هذه الصحوة شعور المسلمين فتنادوا بتطبيق شريعـة الاسلام . ان عودة المسلمة الى الحجاب بكل قناعة والتزامها بآداب الاسلام يصحح المسيرة على طريق الخير والفلاح . كل ذلك يؤكد من جديد أننا خير أمة أخرجت للناس وأنه لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها بالقرآن وحكمه ، بالاسلام ومنهجه ، بالمثل العليا والقيم الأخلاقية الفاضلة .

أيها الأخوة المؤمنون . توحي الهجرة المحمدية بأسباب النصر للمسلمين اذا استفادوا من دروسها ، وطبقوا منهجها وفهموا أسرارها . ولقد بادر محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من أول يوم من أيام الهجرة الى ربط المجتمع المسلم برباط التآخي لله وفي الله ، فجعل من هذا التآخي قوة تحرس الدعوة ، وتصون الاسلام ، وتصنع التاريخ . في إطار هذه الوحدة اختفت عصبيات الجاهلية ، وسقطت فوارق النسب واللون ، وحرص الانصار على الحفاوة باخوانهم المهاجرين ، وقدر المهاجرون هذا الحب وهذا السخاء فما استغلوه ولا نالوا منه إلا في حدود العمل الشريف .

بالحب والاخاء انتصروا على أعدائهم مع قلة العدد والعدة ، وأطل على الدنيا فجر الاسلام وأسسوا دولة امتدت الى الصين شرقا والى الأندلس غربا ، وأصبح سلطان الأرض في قبضة المؤمنين كسلطان السماء ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين .

وأمتنا اليوم وهي تجتاز أصعب مراحل تاريخها في حاجة ملحة الى هذا الحب وهذا التلاحم الى وحدة الصف وجمع الكلمة وتناسي الخلافات وهجر المنازعات ، وذلك من أجل شعب مشرد ، وأراض محتلة ، ومقدسات سليبة ، وحق مضيع . ان تحرير المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين يفرض على الأمة أن تتوحد بعد فرقة وأن تتلاقى بعد قطيعة ، وأن تتصافى بعد خصومة ما دامت أمام عدو لايعرف الا منطق القوة والبغي والعدوان .

ان اليهود من فجر التاريخ يتربصون الدوائر بالاسلام وأهله يعملون دائما على بث الفرقة وإشعال الفتنة بكل وسائل الحقد والبغضاء . علينا أن نرد كيدهم في نحورهم ، وأن نستجيب لنداء الحق سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ) .

اللهم وحد صفوفنا ، واجمع على الحق كلمتنا ، واعنا على أنفسنا ، وانصرنا على المعتدين . اللهم انصر الاسلام والمسلمين ، وأيد بفضلك كلمة الحق والدين ، وأخرجنا من المحن برءوس مرفوعة ونصر مبين . اللهم اجعل عامنا الجديد عام خير ونصر وبركة على أمة الاسلام .

وإني أنتهز هذه المناسبة الكريمة وأقدم التهنئة خالصة الى صاحب السمو أمير البلاد وإلى ولي عهده الأمين والى شعب الكويت والى المسلمين عامة في كل مكان . وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،،

# الورع طمأنينة

إعداد : الشيخ احمد عبد الواحد البسيوني

هذا الحديث ، خرجه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث يزيد بن أبي مريم عن أبي الجوزاء عن الحسن ابن علي ، وصححه الترمذي .

وهذا الحديث قطعة من حديث طويل ذكر فيه قنوت الوتر ، وعند الترمذي وغيره زيادة في هذا الحديث ، وهي ( فان الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة ) . ولفظ ابن حبان : ( فان الخير طمأنينة وإن الشر ريبة ) .

وقد روى هذا الكلام موقوفا على جماعة من الصحابة : منهم عمروابن عمر رضي الله عنهم وأبو الدرداء وعن ابن مسعود قال : ما تريد إلي ما يريبك وحولك أربعة آلاف لا تريبك ؟. وقال عمر : دعوا الربا والريبة ، يعني ما ارتبتم فيه ، وإن لم تتحققوا أنه ربا ، ومعنى هذا الحديث ، يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقائها ، فان الحلال المحض ، لا يحصل لمؤمن في قلبه منه ريب والريب : بمعنى القلق والاضطراب بل تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب ، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك . وقال ابو عبد الرحمن العمري الزاهد : إذا كان العبد ورعا ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه . وقال الفضيل : يزعم الناس ان الورع شديد ، وما ورد علي أمران الا أخذت بأشدهما ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك . وقال حسان بن أبي سنان : ما شيء أهون من الورع ، اذا رابك شيء فدعه ، وهذا انما يسهل على مثل حسان رحمه الله .

قال ابن المبارك : كتب غلام لحسان ابن أبي سنان اليه من الأهواز : إن قصب السكر أصابته آفة ، فاشتر السكر فيما قبلك ، فاشتراه من رجل ، فلم يأت عليه إلا قليل ؛ فاذا

**عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( دع ما يريبك إلى ما لا يريبك )**
رواه النسائي والترمذي ، وقال : حسن صحيح .

فيما اشتراه ربح ثلاثين ألفا . قال : فأتى صاحب السكر فقال : يا هذا : إن غلامي كان قد كتب إلي فلم أعلمك ، فأقلني فيما اشتريت منك ، فقال له الآخر : قد أعلمتني الان وقد طيبته لك ، قال : فرجع فلم يحتمل قلبه ، فأتاه فقال : يا هذا: إني لم آت هذا الامر من قبل وجهه ، فأحب ان تسترد هذا البيع ، قال : فما زال به حتى رده عليه ؟ وكان يونس بن عبيد إذا طلب المتاع ونفق أرسل ليشتريه يقول لمن يشتري له : اعلم من تشتري منه ان المتاع قد طلب ! وقال هشام بن حسان : ترك محمد بن سيرين أربعين ألفا فيما لا ترون به اليوم بأسا . وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاما إلى البصرة مع رجل وامرأة أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه ، فأتاه كتابه اني قدمت البصرة فوجدت الطعام منقصا فحبسته ، فزاد الطعام فازددت فيه كذا وكذا ، فكتب اليه الحجاج : انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به ، فاذا أتاك كتابي فتصدق بجميع ذلك الثمن ، ثمن الطعام على فقراء البصرة ، فليتني أسلم اذا فعلت ذلك . وتنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذه ، وكان ابوه يلي الأعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص .. وهو سعف النخيل ، ويتقوت منه الى أن مات رحمه الله وكان المسور بن مخرمة قد احتكر طعاما كثيرا فرأى سحابا في الخريف فكرهه فقال : ألا أراني كرهت ما ينفع المسلمين ، فآلى أن لا يربح فيه شيئا ، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر : جزاك الله خيرا . وفي هذا أن المحتكر ينبغي له التنزه عن ربح ما احتكره احتكارا منهيا عنه .

وقد نص الامام احمد رحمه الله على التنزه عن ربح ما لم يدخل في ضمانه لدخوله في ربح ما لم يضمن . وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أحمد في رواية عنه : ( فمن أجر ما استأجره بربحه أنه يتصدق بالربح ) . وقال في رواية عنه في ربح مال المضاربة ، إذا خالف فيه المضارب أنه يتصدق به . وقال في رواية عنه فيما اذا اشترى ثمرة قبل بدو صلاحها بشرط القطع ثم تركها حتى بدا صلاحها أنه يتصدق بالزيادة ، وحمله طائفة من أصحابنا

على الاستحباب لأن الصدقة بالشبهات مستحبة .
وروى عن عائشة رضي الله عنها ، أنها سئلت عن أكل الصيد للمحرم إذا لم يصبه ، فقالت : انما هي أيام قلائل فما رابك فدعه ، يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال أو حرام فاتركه ، فان الناس اختلفوا في إباحة أكل الصيد للمحرم اذا لم يصد ، هو .
وقد يستدل بهذا على أن الخروج من اختلاف العلماء أفضل لأنه أبعد عن الشبهة ولكن المحققين من العلماء من أصحابنا وغيرهم ، على أن هذا ليس على إطلاقه ، فان من مسائل الاختلاف ما ثبت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم رخصة ليس لها معارض ، فاتباع تلك الرخصة أولى من اجتنابها وان لم تكن تلك الرخصة بلغت بعض العلماء فامتنع منها لذلك ، وهذا كمن تيقن الطهارة وشك في الحدث ، فانه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا ) ولا سيما إن كان شكه في الصلاة فانه لا يجوز له قطعها لصحة النهي عنه ، وإن كان بعض العلماء يوجب ذلك .
وإن كان للرخصة معارض ، إما من سنة اخرى أو من عمل الأمة بخلافها ، فالأولى ترك العمل بها ، وكذا لو كان قد عمل بها شذوذ الناس ، واشتهر في الأمة العمل بخلافها في امصار المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم ، فان الأخذ بما عليه عمل المسلمين هو المتعين ، فان هذه الامة قد أجارها الله أن يظهر اهل باطلها على أهل حقها ، فما ظهر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة ، فهو الحق وما عداه فهو باطل .
وها هنا أمر ينبغي التفطن له وهو ان التدقيق في التوقف عن الشبهات ، إنما يصلح لمن استقامت أحوالـه كلها ، وتشابهت أعماله في التقوى والورع .
فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبهة ، فانه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه ، كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق : يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين . وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ( هما ريحانتاى من الدنيا ؟؟!! ) وسأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها ، فقال : إن كان قد بر أمه في كل شيء ولم يبق من برها الا طلاق زوجته فليفعل ، وان كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك الى أمه فيضربها فلا يفعل .
وسئل الامام أحمد رحمه الله عن رجل يشتري بقلا ويشترط الخوصة : يعني التي تربط بها حزمة البقل ، فقال أحمد : إيش هذه المسائل ؟ قيل له إن إبراهيم بن أبي نعيم يفعل ذلك ، فقال أحمد : إن كان إبراهيم ابن أبي نعيم فنعم ، هذا يشبه ذاك ، وإنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله ، وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا . وقد كان الامام أحمد نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع ، فانه أمر من يشتري له سمنا

فجاء به على ورقة فأمر برد الورقة إلى البائع . وكان الامام أحمد لا يستمد من محابر أصحابه ، وإنما يخرج معه محبرته يستمد منها . واستأذنه رجل أن يكتب من محبرته فقال له : اكتب فهذا ورع مظلم ، واستأذنه رجل اخر في ذلك فتبسم فقال : لم يبلغ ورعى ولا ورعك هذا ، وهذا قاله علي وجه التواضع والا فهو كان في نفسه يستعمل هذا الورع ، وكان ينكره على من لم يصل الى هذا المقام بل يتسامح في المكروهات الظاهرة ويقدم على الشبهات من غير توقف .

. وقوله صلى الله عليه وسلم : ( فان الخير طمأنينة وان الشر ريبة ) يعني ان الخير تطمئن به القلوب والشر ترتاب به ولا تطمئن اليه ، وفي هذا إشارة إلى الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه .

وخرج ابن جرير باسناده عن قتادة عن بشر بن كعب أنه قرأ هذه الآية : **( فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه )** الملك/١٥ ثم قال لجاريته : ان دريت ( ما مناكبها ) فانت حرة لوجه الله ، قالت : مناكبها : جبالها ، فكأنما سفع في وجهه ، ورغب في جاريته ، فسألهم ، فمنهم من أمره ، ومنهم من نهاه ، فسأل ابا الدرداء فقال : الخير طمأنينة والشر ريبة فذر ما يريبك الى ما لا يريبك . وقوله في الرواية الأخرى : ( إن الصدق طمأنينة والكذب ريبة ) يشير إلى أنه لا ينبغي الاعتماد على قول كل قائل كما قال في حديث وابصة : ( وان أفتاك الناس وأفتوك ) وإنما يعتمد على قول من يقول الصدق ، وعلامة الصدق أن تطمئن به القلوب ، وعلامة الكذب أن تحصل به الريبة فلا تسكن القلوب إليه بل تنفر منه . ومن هذا كان العقلاء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا كلامه وما يدعو اليه عرفوا انه صادق وأنه جاء بالحق ، واذا سمعوا كلام مسيلمة عرفوا انه كاذب وانه جاء بالباطل . وقد روى ان عمرو بن العاص ــ سمعه ــ اي مسيلمة ــ قبل اسلامه يدعي انه انزل عليه : يا وبر ، يا وبر اذنان وصدر وانك لتعلم يا عمرو ، فقال : والله إني لأعلم أنك تكذب !

وقال بعض المتقدمين : صور ما شئت في قلبك وتفكر فيه ، ثم قسه إلى ضده ، فانك إذا ميزت بينهما عرفت الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، قال : كأنك تصور محمدا صلى الله عليه وسلم ثم تتفكر فيما أتى به من القرآن فتقرأ : **( ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس )** البقرة/١٦٤ . ثم تتصور ضد محمد صلى الله عليه وسلم فتجده مسيلمة ، فتفكر فيما جاء به فتقرأ : ألا يا ربة المخدع ، قد هيىء لك المضجع : يعني قوله لسجاح حين تزوج بها ، قال : فترى هذا : يعني القرآن رصينا عجيبا ، ينوط بالقلب ويحسن في السمع ، وترى : ذا يعني قول مسيلمة ، باردا غثا فاحشا ، فتعلم أن محمدا حقا أتى بوحي ، وأن مسيلمة كذاب أتى بباطل .

# الإنسان في القرآن الكريم

للشيخ : محمد الغزالي

كانت الملائكة متشائمة من مستقبل الانسان على ظهر الأرض ، لعلها أحست أن أصله الترابي سيجعله هشا أمام الاختبارات الصلبة ، وأنه سيفقد تماسكه أمام الأهواء والمغريات ، لعلها رأت أنه يشبه أجناسا أخرى لم تصدع بأمر الله ، ولم تحسن تنفيذ وصاياه ، أو لعل شعاعا من عالم الغيب طلع عليها فرأت معه صورا من الحروب الدامية والمسالك المعوجة التي سوف يخوضها البشر ويظلمون بها أنفسهم ؟

على أية حال لقد تساءلت الملائكة مستغربة وقالت لله جل شأنه ( **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ) البقرة/ ٣٠ وكان الجواب الأعلى ( **إني أعلم مالا تعلمون** ) البقرة/ ٣٠ وخلق الله آدم ووهب له عقلا محيطا بالأشياء كلها ، ووضع في هذا العقل خاصة باهرة ليتمكن بها من معرفة الأسرار والظواهر ، ويهيمن بها على شتيت من القوى والعناصر ، إن هذا الانسان المحدود في أعضائه ومشاعره ، يملك طاقات ضخمة تجعله سيدا لما حوله ، بل تجعله ملكا واسع السلطان ممدود النفوذ .

ولعل الملائكة اليوم ترقبه دهشة وهو يخترق الفضاء ويغزو الكواكب .. لكن عظمة الانسان لا تكمن في هذه القدرات الطيعة ، انها تكمن في أمر آخر أهم منها وأجل ، هو معرفته لمن خلقه فسواه ، لمن أعلى قدره ورفع مستواه ، لله الذي خلق هذا الكون ومكنه فيه وسخره له ...

إن هذا الفريق من الناس الذي عرف ربه وأسلم له وجهه ، وافتتح مغاليق الحياة باسمه ، هو الذي يبرز الحكمة من وجود الانسان في العالم ، وأحسب أن هذا الفريق الصالح المصلح ، هو الذي استشفت الملائكة خبره ثم قالت لله : ( **سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ) ٣٢/البقرة ، وقصة الحياة الانسانية كما ساقها القرآن الكريم تستوقف النظر من نواح عدة نحب أن نبينها : أولها ، هذا التنعيم الذي أحاط بها منذ بدايتها ، فبين يدي عرض في سورة البقرة القصة نقرأ قوله تعالى : ( **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا** ) ٢٩/البقرة ، وقبل ذلك بقليل نقرأ ( **الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** ) البقرة/٢٢ .

وبين يدي عرضها في سورة الأعراف نقرأ قوله ( **ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون . ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ) الاعراف/ ١١

وبين يدي عرضها في سورة الحجر ، سرد للنعم التي تحف الحياة البشرية نقرأ منه قوله تعالى : ( **ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض**

**مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش )**. الحجر/١٦ ـ ٢٠ .

والواقع أن الرغيف الذي يطعمه إنسان ، تشترك في إنباته وإنضاجه فجاج الأرض وآفاق السماء فتربة الأرض ، والسحب الهامية ، والأشعة العمودية أو المائلة التي تتعرض لها الحقول خلال دوران الأرض حول الشمس ، وأثر الضوء في تكوين الخضرة ، وأشياء أخرى كثيرة تتعاون جميعا على تكوين الغذاء والكساء والدواء ، الذي يحتاج اليه البشر ، إن شبكة من المواد الدقيقة جدا ، والجسيمة جدا ، انتظمت في خدمة الانسان وتأمين معايشه وتخطيط حاضره ومستقبله ، كل يؤدي دوره بوفاء وقدرة ، الكواكب السابحة في الفضاء ، والجرائم التي لا تراها العين ؟

وذاك سر الأقسام الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم مشيرة إلى فخامة هذا العالم **( فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق.والقمر اذا اتسق.لتركبن طبقا عن طبق )** الانشقاق/١٦ـ١٩ **( كلا والقمر . والليل اذ أدبر . والصبح اذا أسفر. انها لاحدى الكبر .. )** المدثر/٣٢ ـ ٣٥ وتدبره القسم بالرياح المثيرة والسحب الحافلة وما يتبع ذلك من زرع وحصاد وتجارة واحتراف وخبرات تعم البشر **( والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا . فالمقسمات أمرا . ان ما توعدون لصادق .. )** الذاريات/١ ـ ٥ .

إن رب العالمين أبدع ما صنع ، وحدثنا عن هذا الابداع لنعجب به ونتذوق جماله . وانـي لاستغرب أحوال ناس ينتسبون إلى الاسلام ويديرون ظهرهم للكون ، فلا يدرسون له قانونا ، ولا يكشفون له سرا .

أي إيمان هذا ؟ وأي جهل بقصة الحياة ووظيفة آدم وبنيه في ربوعها ..؟

ان الانسان في القرآن الكريم كائن مكرم مفضل محترم مخدوم ، ومن حق الله تبارك اسمه أن يعاتب البشر على سوء تقديرهم لآلائه **( ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير )** لقمان/٢٠ .

هذه ناحية تتصل بالتكريم المادي للانسان ، وثم ناحية ثانية تتصل بكيانه المعنوي فالانسان نفخه من روح الله الأعلى ، هكذا بدأ خلق آدم ، وهكذا تتخلق الأجنة في بطون الأمهات . ان الحياة في شتى الاجسام المتحركة شيء ، وخصائص الحياة الرفيعة في أبناء آدم شيء آخر ، وقد أشاع الله نعمة الخلق بين خلائق كثيرة برزت من العدم الى الوجود ، بيد أن آدم وحده هو الذي وصفه بقوله **( سويته ونفخت فيه من روحي .. )** الحجر/٢٩ .. واطرد هذا التكريم في ذريته الى قيام الساعة **( الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ**

**خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة )** السجدة ٧ ــ ٩ .

والانسان بهذه النفخة كائن جديد يعلو فوق ما يشبهه من ضروب الحيوان ولذلك قال جل شأنه ( **... فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين )** المؤمنون/١٤ وبعد أن تم خلق آدم على هذه الصورة أمر الله الملائكة أن تسجد له . سجود تعظيم وتوقير لا سجود عبادة !! والملائكة هي التي أبدت دهشتها لايجاد هذا الانسان واستنكرت ما سوف يقع منه من فساد وفوضى .

انها طولبت بالسجود له بعد ما تم تكوينه !! وعوقب من رفض السجود بالطرد من رحمة الله وسواء كان ابليس من الملائكة ، أم صادف وجوده بينهم وهو من الجن ، فان النتيجة لا تختلف ، اذ أن الاستهانة بالانسان هي عند الله عصيان وخيم العاقبة ! وهذا التكريم البين ينضم إليه أمر آخر عظيم الدلالة على مكانة الانسان وحفاوة الله به ، هذا الأمر هو الفرح الالهي بعودة الانسان التائب واستقبال الله له باعزاز بالغ ، وتجاوزه عما فرط منه من خطأ ، وقوله في عفو شامل ( **واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .. )** طه/٨٢ .

كلتا الناحيتين من تكريم ، وتنعيم ، استتبعت ناحية ثالثة ، كان لها الأثر الأكبر في مستقبل الانسان ومستقبل الكوكب الذي أعد لسكناه ، بل في مستقبل المجموعة الشمسية كلها ، التي سينتثر عقدها وينطفئ نورها مع انتهاء الرسالة الانسانية على ظهر الأرض .. هذه الناحية هي ( التكليف ) فان الله الذي زود الانسان بهذا السمو في مواهبه ، لم يتركه سدى ، بل أمره ، ونهاه ، وطلب منه أن يفعل ، وأن يترك ! وربما كلفه ان يفعل ما يثقله ، وأن يترك ما يشتهيه !! وهنا نقف وقفة يسيرة أمام سر التكليف ومعناه لنتناول جملة أمور .

ان أبانا آدم ، وهو الانسان الأول ، كلف ألا يأكل من شجرة معينة وكان جديرا به أن يعرف حق الآمر جل شأنه وأن يدع الأكل من هذه الشجرة أبدا ولكنه بعد مرحلة من الذهول والضعف ، عرضت له ساعة انهيار في إرادته وامتداد في رغبته ، فأكل من الشجرة المحرمة ، وشاركته زوجته في عصيانه فطردا جميعا من الجنة . وكانا قد أحسا بالخطأ الذي تورطا فيه ، فدعوا الله نادمين ( **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون )** الاعراف ٢٣ ــ ٢٥ ، ونزل أبوانا إلى الأرض ، وشرع كثير من الأبناء يمثلون القصة نفسها ، ويرتكبون الخطأ ذاته ، ولكنه ليس أكلا من شجرة ، بل

اتباعا للشهوات التي تقود إلى العصيان والحرمان !

العنوان متغير والحقيقة واحدة ..
إن هذا السلوك من الانسان الأول يجعلنا نتساءل عن علته ؟ والعلة واضحة ، فان الانسان بدأ حياته بطبيعة مزدوجة ، قبس من نور الله داخل غلاف من طين الأرض !!

إن الله تبارك وتعالى بعد ما صور الانسان من التراب وسواه ، نفخ فيه من روحه ، فاذا كائن عجيب يجمع النقائض في تركيبه ، يقدر على التسامي وعلى الأسفاف ، يقدر على الاستقامة وعلى الانحراف ! وقد نبه القرآن الكريم الى هذا الخليط في التكوين البشري فقال جل شأنه ( **انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا** ) الانسان/٢ كما نبه إلى أن الالمام بالخطايا ليس مستغربا ، انه ينزع الى عرق فيه ! ( **الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم** ) النجم /٣٢ .

وكلتا النزعتين الأرضية والسماوية ، تجد في الحياة أو في البيئة ــ ما يضعفها أو يقويها وقبل ذلك كله ، تجد في الانسان نفسه ما يرجح كفة على أخرى ، وما يسلم زمامه للخير أو للشر . كما يريد هو لنفسه دون تدخل من أحد في اتجاهه هنا أو هنا .

إن إيثار الوقوف عند الاشارة الحمراء أو المروق منها والتعرض لأخطار الانطلاق الأحمق تصرف إنساني محض .

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ( **واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها** ) أي لو تسامى وترفع ــ ( **ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه** ) الأعراف ١٧٥ ــ ١٧٦ ــ فتركه الله حيث شاء لنفسه .

و لابد من توكيد هذه الحقيقة ، حقيقة الارادة الحرة في الصعود والهبوط ، في التقوى والفجور في إغضاب الله أو ارضائه ، فان الرحمن الرحيم يستحيل أن يظلم انسانا سعى في مرضاته كما أنه لا يرضى عن انسان سعى في اغضابه .

وبعض الناس يماري في هذه الحقيقة عن مكابرة ، أو تمحل أعذار ، وهيهات فقصة الوجود الانساني ، تقوم على اختيار حقيقي لاكتشاف المحسن والمسيء ( **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ) الملك/٢ والمحسن انسان اتقن العمل واحترم الصواب . والمسيء انسان فرط ولزم العوج . والعراك داخل النفس الانسانية لاختيار أحد النهجين عراك حقيقي لا صوري ، وتلمح صدق هذا العراك وقبول نتائجه في قوله تعالى : ( **فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.فان الجنة هي المأوى** ) النازعات/٣٧ ــ ٤١ !! ان السالم في

هذا العراك انسان يشعر بقيام الله عليه وعلى سائر الكائنات ، ومع نماء هذا الشعور يخفت صوت الهوى ، ويغلبه صوت الضمير اليقظان أو القلب الحي .. فأين التمثيل أو المحاباة أو الخداع في هذه الحالات ؟

الله جل شأنه ينادي الانسان ويذكره ويهديه ، وعلى الانسان أن يلبي ويتنكر ويهتدي ، فاذا أبى الا الشرود فهو وحده الملوم . ومن ثم تقررت هذه الأحكام العادلة التي تدركها من قوله تعالى : ( **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها** ) الانعام/١٠٤ ( **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ) الشمس/٧ ــ ١٠ ، والتزكية والتدسية جهد بشري محض ، أو كنلك يكون أول الطريق ، ثم يلحقه من مشيئة الله ما يصل به الى النهاية ( **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ) النساء/١١٥ .

ونتساءل مرة ثانية : ما قيمة الصوت المضلل الذي يستمع اليه الانسان فيزيغ ويشقي ؟ الحق أنه صداه الضخم أضعاف أضعاف حقيقته التافهة ، انه كنقيق الضفدعة يملأ أكناف الليل ومصدره لا قيمة له !

ما الشجرة التي أكل منها آدم ؟ هل أحس طويلا لذة ثمرها ومتعة ازدرادها ؟ لقد كانت وهما هذه النشوة المأمولة ، ولو فرضناها لذة ساعة فما قيمتها اذا ووزنت بما أعقبته من حسرات سنين عددا ؟ بل دهرا طويلا !!

إن الانسان في هذه الدنيا تهيجه رغبة حمقاء الى شيء محرم ، ما أن يواقعه حتى يحس الفراغ والضياع ، وحقيق بالانسان أن يتماسك أمام عوامل الاستفزاز ومزالق القدم .

ونتساءل مرة أخرى : ما مصدر هذا الصوت النابي الجهول الذي يزل الانسان . والجواب أن له مصدرين اثنين : أولهما نفس الانسان ، أو الاهاب الترابي الذي غلفت به ، والمصدر الثاني من كائن آخر خاصم الانسان من النشأة الأولى وهو الشيطان الذي آلى على نفسه استدامة هذا الخصام إلى يوم النشور ..

في المصدر الداخلي للمعصية ، يقول الله تعالى ( **ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما** )طه/١١٥ .

فالنسيان وضعف العزيمة ، رذائل وقع فيها الانسان الأول ، ومع تولدها في نفسه تتهيأ الامكانات للشيطان كي يوسوس ويخادع ، ويقول لآدم وامرأته ( **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور** ) الاعراف ٢٠ ــ ٢٢ . وما تمت هذه التدلية ولا نجح الشيطان في خدعته الا لأن آدم كان قد ضعفت ذاكرته وضعفت إرادته .

الضعف النفسي أولا ! ثم وساوس الشيطان ثانيا ! ولا عبرة بما يتعلل به المخطئون من أن الشيطان هو السبب الأول والأخير في انحدارهم !

إن للشيطان محطة إرسال يذيع منها فنون الاغراء والاغواء ، والانسان هو الذي يهيئ أقطار نفسه لاستقبال هذه الاذاعات والتجاوب معها .

وأنت الذي تتخير ما تسمع من محطات ( الراديو ) المختلفة ، ولو شئت أغلقت للفور ما تعاف سماعه ، وابتعدت عنه ، حتى لا يصل صداه الى سمعك ، أو قاومته بمشاعر النفور والمقت حتى لا يستولي عليك وقد منح الشيطان من أول يوم ، القدرة على إغراء الانسان وخداعه .

ودفعته خصومته إلى ابتكار وسائل كثيرة ونصب أحابيل مختلفة لايقاع الأغرار والغافلين وقيل له : **( واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك )** الاسراء/٦٤ . ولكن الشيطان لا يملك أكثر من الكلام يكذب فيه ويغر ، وقد نبه الله آدم وبنيه الى هذا الكاذب . وحذرهم من الشراك المنصوبة والأقاويل المزورة .

إن الشيطان يعد كاذبا ، ويقسم حانثا ، وينصح غاشا ، ويلين ليلدغ ، وينحني ليثب ويصرع ، وهو في هذا كله لا يملك الا شيئا واحدا ، الكلام ، الكلام وحده !! فلا يجوز أن نصدقه **( يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى )** طه/١١٧ **( أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا )** الكهف/٥٠ ومع ذلك فقد قدر الشيطان بالكلام المضلل أن يزيغ الكثيرين . وسيقول يوم القيامة لمن استجابوا له **( وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم )** إبراهيم/٢٢ .

إن سلاح الشيطان مفلول والنجاة منه ميسورة ميسورة !! وعندما يقع البعض في قبضته فلا حماية له ، لأن القانون لا يحمي المغفلين ! ومن ثم فالجهد الحقيقي في النصح والتربية يتجه إلى الانسان أولا وآخرا ليوقظ فيه أسباب الحذر ، وليسد الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها الشيطان بوساوسه الماكرة ، لقد أشرنا إلى الأمشاج التي يتكون منها الانسان ، والحق أن في الانسان ــ مع أصله السماوي ــ طباعا لا يجوز تركها حرة تتصرف كما تشاء ، لا بد من مراقبتها بدقة واخضاع حركتها وسكناتها لحكم الله ، والا جرته من القمة إلى الحضيض **( لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين )** التين/٤و٥ .

وليس معنى هذا الرد أنه تحول إلى مسخ ذميم بعد ما كان في ذروة الحسن ! كلا .. المعنى إن امكانات الهبوط جاورت معاني الرفعة في نفسه ، وأنه يستطيع التحليق والاسفاف معا وذاك سر الاستثناء بعد **( الا الذين آمنوا وعملوا**

**الصالحات )** التين/٦ ، أي سوف يبقى قوامهم حسنا ماديا ومعنويا !!..

وجاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة ، تقرر الطبائع الرديئة التي ينبغي الخلاص منها ، فالانسان ( أناني ) يحب نفسه وحسب ، وقد تكون محبة النفس أصلا في استبقاء الحياة ، ولكن هذه المحبة تتحول إلى مرض خطير ، يورث الشره ، والطمع ، والبغي ، واجتياح الحقوق بنزق ، وقد ذكر القرآن أن هذه الأثرة لا يطفئها الغني مهما اتسع **( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ) !!** الاسراء/١٠٠ ، والانسان نساء أو غافل ، وقد يكون هذا أو ذاك أصلا في استبقاء الحياة ، فلو استصحب المرء حزنه إلى الأبد على ما فقد ما صلحت الدنيا .

ولكن هذا الذهول قد يكون جرثومة الكنود ونكران الجميل ونسيان الرب وما أولى **( واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا )** الاسراء/٦٧ ، **( إن الانسان لربه لكنود . وانه على ذلك لشهيد )** العاديات ٦ ، ٧ والانسان الذي يحلو له أحيانا أن يفخر ، ويتطاول ، وينظر إلى السماء بقلة اكتراث ، تنله علة في أي مكان من جسمه أو تزله غلطة في أي وقت من تفكيره مهما كان عبقريا **( يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا )** النساء/٢٨ ، والانسان محتال كبير في الدفاع عن نفسه والتماس الأعذار لأخطائه وعد ما يقع منه وجهة نظر مقبولة أو مغفورة **( وكان الانسان أكثر شئ جدلا )** الكهف/٥٤ .

وهذه الطبائع جميعا مزالق لمن يسترسل معها ، وقد نبه القرآن الكريم ، إلى أمراض شتى تعتري النفس ، فالانسان قد يبطر مع الغنى ، ويطغي مع السلطة ، ويقنط مع الفشل ، وقد يستحلي من شهوات النساء ، والرياء ، والاستعلاء ، ما يحيله إلى عبد لنفسه وهواه ، ولكن الفكاك من هذه الآثام كلها ميسور ، فان القرآن الكريم لما خوف عواقب هذه الانحرافات الانسانية ذكر أسباب النجاة منها ، **( والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر )** سورة العصر ، وما أجملته سورة العصر من وصف للداء والدواء ، فصلته سور أخرى ، نختار منها سورة المعارج ، التي أسندت للانسان هذه الخلال **( إن الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا.واذا مسه الخير منوعا )** المعارج ١٩ ـ ٢١ ، لكن الانسان يبرأ من هذه العلل إذا قام بجملة العبادات المفروضة .

ونتساءل : هل هذه العبادات ( مصل ) واق ، أم شفاء من أمراض توجد وتتجدد ؟ قد يكون هذا أو ذاك ! ولنتدبر أولا الاستثناء الذي تضمنته السورة الكريمة **( الا المصلين .**

**الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم الدين . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . ان عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك في جنات مكرمون )** المعارج/من ٢٢ ــ ٣٥ .

لا شك أن هذه العبادات مجتمعة ، تنشئ إنسانا كاملا ، شريطة أن تؤدي أداء حقيقيا لا أداء تمثيليا !!! وأحب أن أقف عند واحدة من هذه العبادات لأتأملها وأتعرف على آثارها النفسية ، وهي قوله تعالى ( **والذين هم بشهاداتهم قائمون** ) المعارج/٣٣ . ان الانسان المسلم يجب أن يكون مستعدا دائما لأداء الشهادة على وجهها ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويدعم العدالة . والقيام بالشهادة ، يتطلب صراحة لا تخاف في الله لومة لائم ، ذلك أن الحق يختنق في هذه الدنيا وسط دخان الشهوات المتصاعد من هنا ومن هناك . والمرء ينكل عن الادلاء بالرأي الصحيح والقول الصحيح ، لأنه يخشى على مستقبله مثلا ، أو يريد محاباة قريب ، أو يطمع في مال ، أو يتطلع إلى منصب ، انه لا يستبين وجه الله من غلظ الحجب على بصيرته !!

والمجتمع الاسلامي يسقط مع اختفاء الذين هم بشهاداتهم قائمون . وكم رأينا من أناس قدموا وحقهم التأخير ، أو أخروا وحقهم التقديم ، لأن المؤمنين ليسوا بشهاداتهم قائمين ، ربما سكتوا أو قالوا فلم يعدلوا !!

ولقد عرفت لماذا سبقت بعض المجتمعات سبقا بعيدا ، عندما قرأت أن زوج الملكة في هولندا عزل وجرد من أوسمته ، لما كشفت صلته بقضية رشوة ، وأن رئيس وزراء اليابان عزل ورمي به في السجن ، للتهمة نفسها !!..

أن القيام بالشهادة يعني الا نترك صاحب حق مستوحشا في هذه الدنيا لا صديق له ولا ظهير ، والشهادة بداهة ليست ما يقال أمام المحاكم فقط ، بل ما يقال في كل خلاف أو مشورة أو اختيار أو انتخاب أو أي شأن ذي بال . والقائم بالشهادة ، رجل أسلم لله وجهه وقرر أن يحيا للحق وحده ! وقد تتشابك في نفس الانسان عدة طباع مثل تشهي الحياة ، وتعجل النتائج ، وغلبة الأثرة ، فيصدر أحكاما خاطئة على ما يصيبه من خير أو شر ، وتستبد به المبالغة فتجمح به مشاعره نحو نفسه ونحو الناس . وفي هذا يقول جل شأنه **( ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور . الا الذين صبروا**

**وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير )** هود ٩/١١ ، في هذه الآيات صورة الانسان الذي تستبد به الساعة الحاضرة وحدها ، فهو عند فقد ما يسر منهزم كسير من شدة القنوط ، وعند وجدانه ، ينتشي ويغتر من شدة الفرح . وكان يجب أن يتمالك نفسه في الحالين وينظر إلى أصابع القدر وراء ما يمسه فيستكين لله ويؤدي ما عليه بتعقل .. ثم ينضم إلى هذا الاحساس المعتدل شعور آخر أساسه أن ما يناله من خير ليس تمتيعا له وحده ، فان للمحرومين سهما فيما جاءه ، وقد يكون سهما كبيرا ( **فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن . وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن . كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما** ) الفجر ١٥ ــ ٢٠ ، والآيات تشير إلى أن الغنى ابتلاء ، وأن الفقر ابتلاء ، ومن الخطأ تصور الاغناء تكريما والافقار اهانة . العبرة بالنتائج ، فان الذي يستعف في فقره أسبق عند الله وارجح في الميزان من الذي يطغى بغناه .

والذي يمنح الثراء ، فيفتح أبوابه لليتيم والمسكين ويسارع بالبذل في مواطن النفقة هو الانسان الناجح في الامتحان ، السابق في الميدان .. لكن البشر ــ للأسف ــ يحسبون العطاء تدليلا لأشخاصهم ، والحرمان اهانة واذلالا .. وذلك خطأ بالغ في فهم الدين والدنيا .. وعندما خال الناس أن الغنى تكريم ذاتي لبعض الأفراد والأسر ، وأن الفقر هوان ذاتي قصده الله لبعض الأفراد والأسر ، عندما شاع ذلك انفجرت براكين الأحقاد ضد أصحاب الثروات ، وانفجرت معها عواصف الالحاد والكفر ، وتعرض مستقبل الانسانية كلها للبوار ، وهل انتشرت الشيوعية الا في هذا الجو ؟

ان العبادة هي السلم الفذ الذي تصعد فيه النفس الانسانية الى الكمال المنشود . يجب على الانسان أن يعرف ربه ، وأن يقف في ساحته عبدا نقيا من الآفات والعاهات ، إن آدم لما نسي وضعف ، أضحى دون مستوى الجنة فأخرج منها . ولن يعود أبناؤه إلى الجنة وهم يحملون أوزار النسيان والضعف ، لا بد من إيمان واضح ، وعمل صالح وفي طول القرآن وعرضه ، توكيد لهذه الحقيقة التي يحاول كثيرون الزوغان منها .. ونعود إلى الخاصة الأولى في تكوين آدم وبنيه ، خاصة العقل العالم بالأشياء الخبير بالحقائق والأسماء أن الانسان المكلف بعبادة الله لا يعبده بشبحه المحدود ، وجسمه المادي القاصر ! انما يعبده بتطويع طاقاته كلها لله . انه يضع بصماته المؤمنة على الأرض حتى اذا سجد ، سجد معه زرعها وضرعها وحديدها وذهبها وكل ما ملك وارتفق !!

وأرى أن ذا القرنين عندما ساوى بين الصدفين ، وذوب الحديد والنحاس داخل سلسلة من القلاع

التي تحمي الضعاف وتذود الطغاة — أرى أنه أحق الحق ، وأبطل الباطل ، لا بالكلام وحده ، ولكن بجعل الأرض ومعالمها ومعادنها تؤدي وظيفتــه ، وتحمل طابعه ، وكأنها امتداد لنبض قلبه وبطش يده ، وهل ملك الله الأرض للانسان الا لهذا ؟

عندما تعطي خادمك أسباب الزينة والوجاهة ، فيجيئك أشعث أغبر ، فأنت تضيق به ، والعباد الجهلــة بالحياة ، الغرباء في الكون ، سوأة زرية ، وجهل أو تمرد على الخلافة الانسانية في العالم ، ونحن المسلمين سنحاسب حسابا عسيرا على تخلفنا الفاضح في العلوم الطبيعية ، ربما احتاج الانسان كي يصلي إلى مساحة من الأرض لا تعدو ذراعا في ذراع ، ولكنه كي يدفع العــدوان عن هذا المسجد الضئيل ، يحتاج إلى معرفة تمتد من الأرض إلى المريخ ، بل إلى الشمس ، معرفــة في هذا العصر ، تهيمن على ما في الأرض وما فوق الثــرى ، وتختــرق طبــاق الجــو متحسسة آفاقا بعد آفاق من أغوار الكون البعيد .

كتب الدكتور فاروق الباز الخبير في غزو الفضاء عن حاجة العرب إلى ( متنقل فضائي ) يستعينون به على اكتشاف أرضهم ، وما أودع فيها من خيرات ، وأهاب بالحكومات العربية أن تمول هذا المشروع قال : ( ليس من المستبعد في نظري أن تخطو دولة عربية هذه الخطوة فتحقق ما فيه الخير للعالم العربي كله ، نحن نعلم أن الصحراء تكون ٩٦٪ من جملة الأراضي العربية ولا بد من الانتفاع بجزء كبير من هذه الصحراء ، إلى جانــب دراستهــا دراسة علميــة صحيحــة ، فنحــن لا نعلـــم عن الصحراء إلا قليلا ، وربما كان سبب هذا أن علماء الغرب لم يهتموا لقلة الصحارى في بلادهم ، ولصعوبــة التنقل في صحرائنا الشاسعة ..!!

ويلزم العلماء العرب أن يدرسوا الصحراء وتضاريسها وتراكيبهــا ، دراسة تفصيلية لأن البادية منبع كل ما هو عربي .. والصحراء تحيــط بالعرب من كل ناحية ، يتضح هذا لرواد الفضاء في المــدار الأرضي وضوحا تاما حتى أن رواد القمــر كانوا يتعجبون لظهــور الصحــراء العربية في صورهم الملتقطة ككتلــة واحدة على بعد أربعة ملايين كيلــو متر ) ..

قال : ( وتعتبر الصحراء خزانا عظيم الشأن للنفط وللمياه الجوفية ، ويصلــح بعض أجزائهــا للزراعــة المثمرة ، وأهــم من ذلك كلــه أن الصحراء خزان عظيم لطاقة لا نهاية لها هي الطاقة الشمسية ، ولــذلك يجب أن تشمل دراسة الصحــراء العربية تحديد أصلح الأماكن لأبحاث الطاقة الشمسية ، وطرق الافــادة منها ومن الناحية الاجتماعية يجب أن تشمل الــدراسة التعــرف على الأماكن المختارة لمعيشة الانسان ، وانشاء المدن الكبيرة والصغيرة وطرق المــواصلات ومنتجعــات السياحــة والترفيه ، وتحديد بنية الخضرة في الصحــراء لاستغلالهــا ، ومعرفــة

المؤثرات المختلفة على حياة البدو ، إلى غير ذلك مما يجعل الصحراء بقاعا لائقة للعيش الكريم ) .

قال : ( وينجح هذا العمل اذا تم على مستوى عربي جماعي ! فالصحراء العربية برغم ترامي أطرافها ، أقليم واحد ، له ميزات ومعالم جغرافية واحدة ، ولا صلة لهذه الوحدة بالحدود السياسية الوهمية بين الدولة وخطوط الشتات التي مزقت الكيان الواحد ) .

قال : ( وأما المطلوب لدراسة الصحراء على المدار الأرضي ، فهو في اعتقادي قمر صناعي يرحل إلى الفضاء ( المتنقل الفضائي ) ـ الذي سبق للدكتور الباز اقتراحه ـ ويرجع صوره الملتقطة إلى الأرض رواد الفضاء المختارون ، وذلك بين آونة وأخرى ! ويكون هذا القمر عربيا في أغلب نواحيه ، يختار مكوناته علماء يقومون بتشغيله ، وتدرس المعلومات المرسلة في عدة معاهد عربية أو في مركز عربي موحد تشترك فيه الدول العربية كلها ) .

قال : ( وكنموذج للمكونات التي يجب أن يشتمل عليها القمر الصناعي العربي ينبغي وجود عدة كاميرات ) . أهمها ( كاميرا ) للتصوير الطبوغرافي ، و ( كاميرا ) للتصوير الدقيق أي بانورامية و( كاميرا ) لأخذ الصور المتعددة الأطياف ، على نمط أجهزة لاندسات بل أكثر دقة وأقل تعقيدا . الكاميرات الطبوغرافية تلزم لأخذ الصور المطلوبة لخرائط على مقياس ١ : ١٥٠٠٠٠٠ من ارتفاع ١٨٠ ك متر وطول عدسة هذه الكاميرا هو ٣٠٥ ملليمتر ومساحة الصورة الواحدة ٢٣ × ٤٦ سنتيمتر .. الخ .. انني تعمدت هذا النقل ليعلم من يجهل ، أن دراسة الكون شيء مثير وخطير ، ولا بد منه لدنيانا وديننا معا . وأن هذه الدراسة برع فيها غيرنا ونبت لديه جيل من الرواد والباحثين العباقرة على حين تراجعنا نحن وراء وراء ..

ان هذا التخلف اذا بقي فسوف تتلاشى عقائد الايمان بالله واليوم الآخر ، وينهزم التوحيد هزيمة نكراء .. وإنني لأصيح دون مواربة بأن هذا التخلف جريمة دينية لا تقل نكرا عن جرائم الربا والزنا والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وغير ذلك من الكبائر التي الفنا الترهيب منها . بل لعلها أشنع وأوخم عقبى .

ان الجو الذي يحيا فيه قارىء القرآن يسع البر والبحر ، والسماء والأرض ، ويطلق الفكر سابحا في ملكوت لا نهاية له . ويؤكد للانسان انه ملك يخدمه كل شيء فما الذي جعل الفكر الديني يعيش في قوقعة ؟ انني أحس فزعا كبيرا عندما أرى بعض المتصدرين في العلوم الدينية ـ هكذا يوصفون ـ يماري في دوران الأرض ، أو ينكر وصول الانسان إلى القمر ! لماذا ؟ لأنه يعيش في مغارة سحيقة ، صنعها أشخاص قاصرون ، لا يتصلون بحقيقة القرآن الا كما يتصل القروي بعلوم الذرة ...

# مساهمة المسلمين

## في العلوم الإسلامية والعربية

للدكتور : محمد محمد أبو شهبه

انتشر الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بفضل الله ثم بفضل الصحابة الأبطال ، ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم .. حتى بلغ الاسلام ما بلغ الليل والنهار من المحيط الاطلسي غربا او كما كانوا يسمونه أنذاك « بحر الظلمات » إلى المحيط الهادي شرقا ، وأصبحت أصداء كلمة التوحيد والاقرار برسالة سيدنا محمد تتلاقى من فوق المآذن في اليوم ، والليلة خمس مرات ، في هذه الرقعة الفسيحة من العالم المعروف حينئذ ، بعد قرنين من الرسالة ، أو يزيد ، حتى لقد مرت سحابة ببعض خلفاء بني العباس ، فنظر إليها قائلا : « أمطري حيث تمطرين ، فحيث تمطرين فسيأتيني خراجك » !! وقد كان هذا الانتشار السريع آية على إعجاز القرآن الكريم ، وعلى أن هذا الاسلام دين إلهي حقا .

ولم يكن هذا الانتشار السريع الذي أذهل الكثيرين ممن كتبوا في التاريخ من غير المسلمين عن إكراه ، أو قسر وإجبار ، وإنما كان عن طواعية واختيار ، فقد وجدت الشعوب التي رزحت تحت نير حكام الفرس ، والرومان ، ومن على شاكلتهم في الاسلام أفضل دين يعرف لبني الانسان حرياتهم ، ويرعى حرماتهم : حرمة الدم ، والعرض ، والمال ، ويعرف لهم حقوقهم قبل أن يعرف العالم المعاصر « حقوق الانسان » بأربعة عشر قرنا .

كما وجدوا فيه الدين الذي أراحهم مما كانوا فيه من ظلم ، وعسف ، وكفر ، وضلالات ، وخرافات ، وأوهام ، وجهالات ، وأشعرهم بكرامتهم الانسانية التي كانت مهددة وحقوقهم التي كانت مضيعة ، كما وجدوا في ظله الوارف الرحمة بأوسع معانيها والعدل بأوسع معانيه ، والأمان ، والاستقرار ، والسلام ، حتى في الحروب التي خاضوها كانوا أرحم الناس ، وأعدل الناس ، مع أن الحروب مبناها على الغلظة ، والقسوة ، والظلم والسفه ، والجهل ، وصدق غوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي المشهور حيث قال : « لم نجد أرحم ، ولا أعدل من العرب في فتوحاتهم » ومراده العرب المسلمون ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

وقد انتشرت اللغة العربية الشريفة : لغة القرآن والسنة بسرعة كانتشار الاسلام ، بل قد تعلم هذه اللغة الشريفة بعض أبناء هذه البلاد الذين لم يتشرفوا بالدخول في الاسلام كاليهود والنصارى ، والمجوس ممن سنوا بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية نظير ما تقوم به الدولة الاسلامية نحوهم من حماية ورعاية ، وخدمات اجتماعية كثيرة من شق الترع ، وتعبيد الطرق ،

وإقامة الكباري والجسور ، وسكر الأنهار ونحوها من الخدمات الكثيرة .

**« مشاركة المسلمين من غير العرب في العلوم العربية والاسلامية » :**

وقد بلغ الكثيرون من هؤلاء المسلمين من غير العرب مبلغ المسلمين العرب في حذق اللغة العربية والعلم بدقائقها ، وخصائصها ، حتى صاروا من كبار علمائها ، إجادة ، ونطقا ، وعلما بقواعدها وكذلك بلغ المسلمون المستعربون مبلغ المسلمين العرب في العلوم العربية من لغة ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، وفي العلوم الاسلامية الأصيلة من التفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، والعلوم العقلية كالمنطق الذي يعتبر معيار المعقول ، وعلم الكلام ، والجدل ، والفلسفة بأقسامها ، والعلوم الاجتماعية كعلم الأخلاق ، والمواعظ ، والتاريخ ونحوها ، والعلوم الكونية كعلم سنن الله الكونية ، والكيمياء ، وعلم البصريات وعلم الفلك وغيرها من العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهوم راجحة ، في العصور الذهبية للحضارة الاسلامية الزاهية التي قامت على الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وعلى الايمان بالروح ، والجسد ، وأن لكل منهما مطالبهما ، وأن الانسان ليس جسما من لحم ، وعظم ، وعصب فحسب ، وإنما هو مركب من روح وجسد ، وقد جاء الاسلام الدين العام الخالد بالوفاء بكل ما تحتاج إليه الروح ، والوفاء بكل ما يحتاج إليه الجسد ، فمن ثم كانت الحضارة الاسلامية فريدة في بابها ، فهي ليست حضارة تقوم على إنكار الله تبارك وتعالى ، وعلى إنكار الأديان والطعن فيها ، ومحاربتها كما هو الشأن في الحضارة الشيوعية المعاصرة ، وما يدور في فلكها وليس حضارة مادية تؤمن بالله ، وتقر بالدين ، ولكنها فصلت الدين عن الدنيا ، وحصرته بين جدران الكنائس كما هو الشأن في الحضارة الغربية المعاصرة ، ولا هي حضارة قائمة على إنكار مطالب الجسد بل وتعذيب الجسد ، والانعزال عن الدنيا ، وزخارفها ، وذلك كما كان الشأن في بعض الحضارات القديمة في الهند ، وما على شاكلتها ، وإنما هي حضارة متميزة بتميز الاسلام عن غيره من الأديان ، تميز العقيدة الاسلامية عن غيرها من العقائد ، وتميز الشريعة عن غيرها من الشرائع السماوية ، والقوانين الوضعية الأرضية ، وتميز الأخلاقيات الاسلامية عن غيرها من الأخلاقيات قديما وحديثا .

وهذه المشاركة العلمية الجادة تدل على أن هؤلاء الذين تعلموا لغة القرآن والسنة قد تعلموها عن صدق ، وإيمان بأنها لغة الاسلام ، وأن ذلك لم يكن لنفع دنيوي ، ولا لنفاق ومداهنة لأن الحريات كانت مكفولة لكل من كان يعيش في دولة الاسلام ، والحرمات كانت مصونة في هذه الدولة سواء في ذلك المسلمون ، وأهل العهد

والذمة من اليهود والنصارى .

وعلى أن هؤلاء الذين دخلوا في هذا الدين العام الخالد : دين الاسلام دخلوا فيه عن اعتقاد ، ويقين ، بأنه أمثل الأديان ، وأوفاها بحاجات البشر ، وأصلحها لايجاد حياة كريمة ، وتكوين مجتمع فاضل ولولا هذا لما جاهدوا في تحصيل العلم هذه المجاهدة الصادقة ، ولما أتعبوا أنفسهم هذا التعب المضني في سبيل تدوين العلوم الاسلامية ، وجمعها ، وترتيبها ، وتبويبها ، وقد كان لهم في الخلود إلى الراحة مندوحة عن كل هذا ان أرادوا ، ولكنه الاخلاص لهذا الدين ، والحب لهذه اللغة الشريفة : لغة القرآن والاسلام .

**« مثال عجيب في تعلم بعض العلوم الاسلامية من غير المسلمين »**

لقد ذكر الامام السيوطي في « تدريبه » أثناء تعلمه عن الاجازة وأقسامها ، وأحكامها ، والرواية بها كلاما عن « الاجازة » للكافر ، قال : « وأما الاجازة للكافر فلم أجد فيه نقلا يعني عمن سبقه ، وقد تقدم أن سماعه صحيح ، قال : ولم أجد عن أحد من المتقدمين ، والمتأخرين الاجازة للكافر ، إلا أن شخصا من الأطباء يقال له : محمد بن عبد السميع ، سمع الحديث في حال يهوديته على أبى عبد الله الصوري ، وكتب اسمه في الطبقة مع السامعين ، وأجاز الصوري لهم ، وهو من جملتهم ، وكان ذلك بحضور المزى ، فلولا أنه يرى جواز ذلك ما أقر عليه ، ثم هدى الله هذا اليهودي إلى الاسلام ، وحدث ـ يعني بما أجازه به شيخه الصوري ـ وسمع منه أصحابنا .

وقد وقفت متعجبا عند هذا المثال العجيب : وهو حرص هذا الطبيب اليهودي على حضور مجالس هذا الامام المحدث الصورى ، والعلم بالحديث النبوي يعتبر من خصائص الثقافة الاسلامية الأصيلة ، ولو أن هذا الطبيب اليهودي عنى بعلوم اللغة ، والأدب ، أو بتلقي علوم الطب والكيمياء ، والفلك ونحوها التي تعتبر أمرا مشتركا بين المسلمين وغيرهم ، لما كنت أعجب وهذا يدل على أن الثقافة الاسلامية في هذا العصر كان لها سلطانها على النفوس حتى غير المسلمة ، وأنها كانت تستهوي غير المسلمين ، وإذا كانت هذه الحال بالنسبة لغير المسلمين من يهود ، ونصارى ، فما بالكم بالنسبة للمسلمين المؤمنين بالقرآن ، وبلغة القرآن ، وبرسول الله ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!! انه ـ والله ـ لأمر عجب حقا ، أن تفرض الثقافة الاسلامية الأصيلة نفسها على غير المسلمين !!

**« مثل للعلماء المسلمين من غير العرب الذين شاركوا في الحياة العلمية »**

**علوم اللغة العربية :**

(١) فمن هؤلاء الذين برعوا في علوم اللغة ، والنحو ، والصرف الامام اللغوي النحوي عمرو بن عثمان

الشيرازي الملقب : بسيبويه ، وإليه يرجع الفضل في تقعيد علم النحو ، وألف في علم النحو « الكتاب » وإذا أطلق لفظ الكتاب عند النحاة ، لا ينصرف إلا إلى كتاب سيبويه ومنهم الامام في اللغة وفقهها أبو علي الفارسي .

(٢) وألف في علم متن اللغة ، وبيان معاني المفردات ، الامام أبو نصر اسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى في حدود سنة أربعمائة من الهجرة على اختلاف في التعيين كتابه « الصحاح » جمع فيه أربعين ألف مادة .

(٣) وألف أيضا الامام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابرهيم ابن عمر الشيرازي الفيروزابادى ، وهي بلدة من بلاد فارس كما ذكر ذلك في مادة « فرز » من قاموسه و بها ولد أبوه وجده وأما هو فولد « بكارزين » كما صرح بذلك في كتابه ، في مادة « كرز » وهي من بلاد فارس أيضا وكان ميلاده عام ٧٢٩ هـ ، وتوفى في ليلة الثلاثاء العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة بمدينة زبيد من بلاد اليمن السعيد .

وقد اعتنى بالحديث ، وله مشاركة في التأليف فيه ، ولكنه جد واجتهد في علم اللغة حتى صار إماما فيها ، وليس أدل على ذلك من كتابه القيم « القاموس المحيط » الذي جمع فيه ستين ألف مادة ، والقاموس : ماء البحر الواسع .

لم يفقه في هذا الا الكتاب المعروف « بلسان العرب » لمؤلفه الامام القاضي جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المصري المولود سنة ثلاثين وستمائة ، والمتوفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة من الهجرة يعني قبل ميلاد مجد الدين صاحب القاموس بثمانية عشر عاما فقد جمع في كتابه « ثمانين ألف مادة » والظاهر أن صاحب القاموس لم يطلع على هذا الديوان اللغوي العربي العظيم ، وإلا لزاد عليه أو على الأقل لنوه به .

**التفسير وعلومه :**

(١) وألف منهم في التفسير الامام الحافظ ، المفسر ، المؤرخ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري المولود سنة أربع وعشرين ومائتين ، والمتوفى سنة عشر وثلاثمائة ومن أجل مؤلفاته التفسير الكبير المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن » قال فيه الامام الجليل النووي في « تهذيبه » : كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله ، وقال أبو حامد الاسفراييني .لو رحل رجل إلى الصين حتى ينظر تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا عليه : وهو من أجل كتب التفاسير بالمأثور وأصحها يذكر فيه ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما ورد عن الصحابة والتابعين ، وقد زاد فيه على من سبقه ممن ألفوا في التفسير بالمأثور ، أنه عرض فيه لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، كما ذكر فيه الكثير من وجوه الاستنباط والأعاريب واللغات ، والاستشهاد بالشعر على بعض معاني

الألفاظ .

ولولا ما شابه من رواية الاسرائيليات ، وبعض الموضوعات ، من غير تنبيه إليها لكان جديرا بكل ما قيل فيه .

وللامام ابن جرير مؤلفات كثيرة جليلة منها (أ) كتاب « تهذيب الآثار » (ب) وكتاب « تاريخ الأمم والملوك » (جـ) وكتاب « القراءات » (د) وكتاب « تاريخ الرجال »(هـ) وكتاب « البسيط » في الفقه .

(٢) ومنهم الامام جارالله محمود بن عمر الزمخشري ، صاحب التفسير المشهور « الكشاف » وهو من أجل كتب التفسير بالرأي والاجتهاد ، ومن أحسن التفاسير – إن لم يكن أعظمها – في إظهار إعجاز القرآن الكريم ، لولا ما شابه من ذكر بعض الموضوعات والاسرائيليات ، ومن ذكر بعض الآراء الاعتزالية ، التي قد تخفى على الكثيرين ، ولا يتنبه اليها الا القليلون وقد ركب الصعب في توجيه بعض الآيات القرآنية كي يتخذ منها دليلا للانتصار لمذهب اهل الاعتزال ، وقد قيض الله له الامام العالم الكبير أحمد بن المنير عالم الاسكندرية وخطيبها ، فألف كتابه الجليل « الانتصاف » وقد طبع مع الكشاف ، و« بالانتصاف » يؤمن على قارئ « الكشاف » من أن تجوز عليه بعض الآراء الاعتزالية ، وكانت وفاة صاحب الكشاف سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ومنهم الامام القاضي المفتي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ولد سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بقرية قرب القسطنطينية ونشأ في بيت علم ، وفضل ، ودين ، وقد تتلمذ على والده وغيره من العلماء حتى صار علما من الأعلام ، ولي التدريس مدة ، ثم ولي القضاء ، وصار يتنقل من بلد الى بلد حتى وصل الى الافتاء ، وكان متمكنا من اللغات الثلاث : العربية ، والفارسية ، والتركية ولم يدع له التدريس ، وولاية القضاء ، والتنقل بين البلاد مجالا للتأليف فلم يترك لنا الا تفسيره المسمى « إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم » ، وبعض حواش اخرى على تفسير الكشاف ، وعلى شرح « العناية على الهداية » وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ، ودفن بجوار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه .

« **الحديث الشريف وعلومه** » :

وألف في الحديث وعلومه من هؤلاء المسلمين الأعاجم الذين صاروا عربا بالمربي أئمة اجلاء ، كثيرون ولعل أجل خدمة اداها هؤلاء العلماء للاسلام هي ما قاموا به نحو الحديث وعلومه من جمع في الصدور ، وتقييدها في الكتب والسطور ، وتأليف الدواوين الكبيرة التي تعتبر المرجع لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظها من الضياع ، والتي تعتبر الأصل الثاني من أصول التشريع في الاسلام وإليكم بعض هؤلاء الأئمة ، ونبدأ بأمير المؤمنين في الحديث الامام الكبير البخاري :

(١) الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ، بن إبراهيم ، بن المغيرة بن بردزبة ، كان جده بردزبة مجوسيا على دين قومه ، أما ولده المغيرة فقد أسلم على يد اليمان الجعفي ، والى بخارى في هذا الوقت ، فنسب إليه ولاء إسلام لاولاء عتاقة فمن ثم قيل في نسب البخارى الجعفي ، وأما جده ابراهيم فلم أقف على شيء من أخباره ، وأما والده اسماعيل فكان عالما جليلا سمع من حماد بن زيد ، والامام مالك ، وترجم له ابنه ابو عبد الله الامام في كتابه « التاريخ الكبير » وذكر له ابن حبان ترجمة في كتاب « الثقات ، وقد جمع والده اسماعيل الى العلم الورع والتقوى روى عنه أنه قال عند وفاته « لا أعلم في مالي درهما من حرام ، ولا من شبهة » فالبخارى من بيت دين وعلم ، وورع ، فلا عجب ان ورث هذه الخلال الكريمة فيما ورث عن أبيه ، ولد البخارى يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائة من الهجرة ، ببلدة بخارى وتوفي « بخرتنك » قرية على فرسخين من سمرقند ، ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنين وستين عاما الا ثلاثة عشر يوما ، فرضى الله عنه وأرضاه وليس من قصدي في هذا ، الكتابة عن البخارى فذلك يحتاج إلى مجلد كبير ، وقد وفيته حقه في كتابي « اعلام المحدثين » وإنما أريد أن حياته المباركة التي قضاها في التطواف ، والترحال ما بين بخارى وسمرقند الى العراق ، الى مكة ، والمدينة من بلاد الحجاز ، إلى بلاد اليمن ، إلى بلاد مصر تمخضت عن أعظم كتاب من كتب الأحاديث والسنن ، وأصح كتاب في الاسلام بعد كتاب الله تبارك وتعالى : القرآن الكريم وهو « الجامع المسند الصحيح » الذي لا يجهله في العالم الاسلامي عالم ، ولا جاهل ، ولا رجل ، ولا امرأة ، ولا صغير ولا كبير ولو أن حياة الامام البخارى لم تتمخض الا عن هذا الجامع الصحيح » لكفى ، فما بالكم وقد ترك ثروة ضخمة من الكتب الحديثية التي أثرت المكتبة الحديثية في الاسلام منها .

(١) التاريخ الكبير (٢) التاريخ الصغير (٣) الأدب المفرد (٤) القراءة خلف الامام (٥) بر الوالدين (٦) رفع اليدين في الصلاة (٧) التاريخ الأوسط (٨) كتاب الضعفاء (٩) كتاب المبسوط (١٠) الجامع الكبير (١١) المسند الكبير (١٢) التفسير الكبير (١٣) كتاب العلل (١٤) كتاب الهبة (١٥) كتاب الفوائد (١٦) كتاب الكنى (١٧) كتاب الوحدان (١٨) كتاب « اسامى الصحابة » ومن هذه الكتب ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط ، ومنها ما لم يعلم إلا عن طريق ذكر بعض الأئمة له .

٢ ـ الامام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير ، بن سداد بن عمرو

السجستاني صاحب كتاب « السنن » ولد سنة اثنتين ومائتين ، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائتين .

وقد طوف في الأقاليم ، وارتحل ، ولقي الكثيرين من الشيوخ ، وأخذ عنه الكثيرون من التلاميذ ، وكان شديد الاعتزاز بكرامة العلم والعلماء ، ومما يدل على هذا الاعتزاز ما رواه الامام الخطابي بسنده عن أبي بكر بن جابر خادم أبي داود قال : كنت مع أبي داود ببغداد ، فصلينا المغرب ، إذ قرع الباب ففتحته ، فاذا خادم يقول : هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن ، فدخلت على أبي داود فأخبرته بمكان الأمير ، فأذن له فدخل ، فقعد ، ثم أقبل عليه أبو داود وقال : ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟ فقال : خلال ثلاث ، فقال : هي .. ؟ قال : تنتقل الى البصرة فتتخذها وطنا ، ليرحل اليك طلبة العلم من أقطار الأرض ، فتعمر بك ، فانها قد خربت ، وانقطع عنها الناس لما جرى من مجيء الزنج فقال : هذه واحدة ، هات الثانية ، قال : وتروى لاولادي كتاب « السنن » فقال : نعم ، هات الثالثة فقال : وتفرد لهم مجلسا للرواية ، فان أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة ، فقال أبو داود : أما هذه فلا سبيل إليها ، لأن الناس : شريفهم ، ووضيعهم في العلم سواء !! قال ابن جابر : فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون ، ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة .

أقول : وهكذا فليكن العلماء ، لا يسعون إلى الملوك والأمراء ، وإنما يسعى إليهم الملوك والأمراء

(٣) الامام ابو عيسى محمد ابن عيسى الترمذي احد الأجلاء الذي يقتدى بهم ويرحل إليهم ولد سنة تسع ومائتين ، وتوفي بترمذ في شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو صاحب التصانيف المفيدة التي من اجلها (١) جامع الترمذي (٢) وكتاب العلل الملحق بالجامع في آخره (٣) وكتاب « الشمائل النبوية » وهو أحسن الكتب في هذا الباب وأشملها

(٤) الامام الحافظ شيخ الاسلام أبو عبد الرحمن احمد بن علي بن شعيب الخراساني القاضي كان امام أهل عصره في الحديث والمقدم على أضرابه ، وفضلاء عصره ، ولد بنساء سنة خمس عشرة ومائتين وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة بالرملة على الصحيح وهي بلد من بلاد فلسطين ومن أجل مؤلفاته : « السنن الكبرى » و « السنن الصغرى » المعروفة « بالمجتبي » و« الخصائص »

(٥) الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني الربعي صاحب السنن وغيرها من الكتب المعتبرة ، ولد سنة تسع ومائتين ، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين ومن مؤلفاته (١) كتاب السنن (٢) كتاب تفسير القرآن الكريم وهو تفسير حافل كما قال ابن كثير

(٦) الامام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن

حمدويه النيسابوري الملقب بالحاكم والمعروف بابن البيع ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وأربعمائة وله مؤلفات كثيرة من أجلها ، (١) كتاب المستدرك (٢) علوم الحديث (٣) كتاب الاكليل (٤) المدخل (٧) الامام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، المتوفى حوالي سنة ٣٦٠ هـ ويقال : إنه أول من ألف في علوم الحديث على الاطلاق في كتابه « المحدث الفاصل ، بين الراوي والواعي » (٨) الامام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ومن أجل مؤلفاته كتاب « علوم الحديث » الذي جمع فيه شتات هذا العلم في كتب المتقدمين « الفقه وأصوله » وألف في علم الفقه وأصوله كثيرون منهم » .

(١) الامام الكبير أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الفارسي الأصل والمولود « بكابل » سنة ثمانين للهجرة ، والمتوفى سنة مائة وخمسين للهجرة ، ويكفي الامام أبا حنيفة جلالة قول الامام الشافعي فيه « الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة » وليس له الا « الفقه الأكبر » في الاعتقاد لا في الفروع والفقه كما يظن ولكن تلاميذه ، ولا سيما الامام محمد بن الحسن دونوا فقهه وأقواله في كتبهم وهو مؤسس المذهب الحنفي أحد المذاهب الأربعة المعروفة المتبوعة في العالم الاسلامي .

وجاء بعد الامام كثيرون من الأحناف الذين ساروا على منهج الامام في أصوله من الذين صاروا عربا بالمربى كالامام السرخسي ، والامام محمد بن علي المرغيناني صاحب كتاب « الهداية » وغيرهما وفي كل مذهب من المذاهب الثلاثة الأخرى المالكي ، والشافعي ، والحنبلي علماء كثيرون ممن كانوا في الأصل أعاجم ثم صاروا عربا بالمربى لا يحصيهم العد ، ويطول الكلام جدا لو ذكرتهم .

« تذكير وتنبيه » :

وما ينبغي ان يعلم أن المؤلفين في اللغة وعلومها ، والتفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله والسير والتواريخ وسائر الفنون والعلوم من العرب الأصلاء كثيرون جدا مثل هؤلاء أو أكثر منهم ، وليس أدل على ذلك من أن الأئمة الأربعة المتبوعين ثلاثة منهم عرب خلص ، والرابع وهو أبو حنيفة هو فارسي الأصل ولكنني أردت ان أبين ان الكثرة الكاثرة من الشعوب التي دخلت في الاسلام عن طواعية واختيار أخلصوا لهذا الدين غاية الاخلاص وللغة العربية الشريفة : لغة القرآن والاسلام فسرعان ما تعلموا اللغة العربية حتى صاروا كأهلها ، وسرعان ما حذقوا العلوم الشرعية والعربية كحذق أهلها لها بل أشد ، وبذلك القم الذين زعموا ان « الاسلام قام على السيف والاكراه » حجرا ، وألقى اليهم بحجة لا يستطيعون لها ردا ؟

# ما العمل في دوّامة الصراع

للدكتور : عبدالسلام الهراس

فوجئ العالم الاسلامي بتفوق عدوه عليه في ميادين شتى ، ولو أن هذا التفوق كان في مجال السيف والرمح والكر والفر فلربما كنا نستطيع أن ندفع عن أنفسنا شره ونحول دون انتصاره علينا وقد نهزمه فنسترد ما ضاع منا .

ولكنه كان ، ولا يزال تفوقا غير متكافئ فالعدو ـ على اختلاف أطرافه ـ يملك من وسائل القوة ما يضمن له التحكم والقهر ، وبسط النفوذ ، واملاء الارادة ، في الوقت الذي أصبحنا فيه عالة عليه في كل شئ حديث ومبتكر مما يجعلنا نصنف أنفسنا قبل أن يصنفنا غيرنا بأننا متخلفون . ونتيجة لذلك فنحن ( عالم التبعية ) الواقع تحت التأثيرات الخارجية و ( قانون ) التوازن الدولي ، وضمن الخريطة المطروحة في مجال ( لعبة الكبار ) . وتلك حقيقة لا تبطلها المخدرات التي يتحساها بعضنا من كؤوس خاصة تديرها عليه أيد خبيثة ماكرة !!

وإن الرجات العنيفة التي كان من المفروض أن تولد فينا ردود أفعال مناسبة لم تتوقف هزاتها وتحدياتها لكن دون أن تكون مواجهتنا لها في المستوى المطلوب . لذلك بقينا رغم ( النهضة ) دون نهضة حقيقية .

ومعنى ذلك أن النهضة التي اعتمدناها منذ أزيد من قرن نهضة مشلولة ، بطيئة ، معوجة الانطلاق ، هزيلة الحركة ، عجفاء النتائج ، والحقيقة أننا لا ننكر أن مواجهاتنا الشيئية قد تغيرت كثيرا عما كانت عليه منذ قرن . ولكن المضمون الحقيقي للتغيير الفعال ولجوهر النهضة لم يمسه أي تطور ، بل ربما استفحلت أمراضه استفحالا أضحت قلوبنا غلفا بها لا تفقه ولا تعي ولو جابهتها الحقائق كل حين ، وبسبب ذلك فقدنا القدرة على الاحساس بحقائق الأخطار ، وعلى تبين مدى ما وصلنا اليه من عجز في الفكر ، وعمى

في البصيرة ، وضحالة في التجربة حتى أننا لم نعد نستطيع أن نستفيد من اطلاعنا على بعض المخططات التي أعدها عدونا منذ مدة لشل حركتنا ، وتمزيق وحدتنا ، وتعويق نهضتنا ، والتدرج بنا نحو التدمير الكامل ، والابادة الشاملة لبقايا حضارتنا ، وإجهاض كل بادرة جادة للتحرر والانطلاق ، والاجهاز بكل شراسة على كل خلية من خلايا الحياة والنمو الحضاري في مجتمعنا ، ولم يعد هذا العدو يأبه لنا أو يعبأ بنا .

لذلك فهو ينتهز هذه الفرصة فيوالي هجماته علينا في جميع الجهات والنواحي وبمختلف الأسلحة والوسائل قبل أن نستيقظ بالعقيدة من سبات الغفلة والتيه الفكرى !

ولولا قضاء الله وقدره الذي أغرى بين أعدائنا العداوة والبغضاء وشغل اهتماماتهم بتوجس كل فريق من خصمه لكانت الشعوب الاسلامية تباع وتشرى في سوق النخاسة الاستعمارية ألفا بدرهم أو بأدنى من ذلك !!

فهل موقفنا أن نظل كذا جامدين حتى ينتهى المتصارعون بقضاء بعضهم على بعض بالوفاق فيما بينهم لنبدأ نحن في النهضة والسير في طريق الحضارة ؟

يقينا أن من أهم ميادين الصراع وموضوعاته هونحن ، ويقينا أن غاية الصراع تتراوح بين السيطرة علينا وبين اجتثاثنا تبعا لأسلوب كل معسكر معنا ، وأن الانتفاضات الاسلامية المستمرة على المستوى الشعبي لتدل ـ يقينا ـ على أن حس هذه الشعوب لايزال سليما ، واستجابتها للدفاع عن مقوماتها سريعة لا سيما عندما تنبثق قيادتها منها ، ويقينا ـ أيضا ـ أن النداءات المرتبطة بالاسلام وبشعاراته تلقى تلبية فورية في الأوساط الشعبية ، ومعنى ذلك أن القاعدة الشعبية الصلبة مستعدة دائما لخوض الصراع ، بل انها تخوضه بشكل أو بآخر لكن المشكل يكمن في القيادة التي تدرك حقيقة الصراع وتخطط لمواجهته ، وتولى وجهها شطر شعوبها لتعبئها تعبئة منظمة لتعى دورها الحقيقي وواجبها في هذا الصراع . والحقيقة أن الشعوب الاسلامية لا تنفك تصنع قادة من صميمها وقد تعودنا أن القيادة الاسلامية العظيمة لا تتكون خارج مجتمعاتها لكن لا يغيب عن بالنا أن من أهم استراتيجية أعدائنا التربص بهذه القيادة ، والتصدى لافساد تكوينها أو الاجهاز عليها إذا ما تكونت . مستعينين في ذلك بأساليب علمية ، وأجهزة جبارة ، ودراسات عميقة وشاملة ، وليس بخاف علينا اليوم أن لأعدائنا معاهد ومؤسسات وأقساما في الكليات مختصة بدراستنا في الماضي والحاضر ، ومن المؤسف أن العالم الاسلامي يسهم ـ بغفلة منه وجهل ـ في هذه المجهودات المضادة له . ويوجد الآن تركيز مكثف على دراسة بعض الموضوعات في العالم الاسلامي كدراسة بعض القبائل

والمناطق التي امتازت دائما بالصمود والجهاد والاهتمام ببعض اللهجات واللغات الميتة ، ومن سخرية القدر بالعرب أن أصبح طلابهم يقصدون الجامعات الغربيــة لطلــب العلــوم العربية والاسلامية وإعداد رسائلهم في موضوعات نحوية ولغوية وشرعية وقرآنية وحديثية وفي هذه الأيام قال أحد كبار المستشرقين الحاقدين على الاسلام في نهاية محاضرته : ( إن العرب أصبحوا في حاجة إلينا لنعلمهم لغتهم ) ولو أضاف ( ودينهم ) لما تجاوز الحقيقة والواقع !! وهــكذا أصبحنا بماضينا وحاضرنــا عراة مكشوفين أمام الأعداء يعرفون منا ما نجهــل . وبــذلك يستطيعــــون أن يتحكموا في مسارنــا واتجاهاتنــا وحركاتنا إذ هم أقدر على التصرف في مآلنا ، بناء على دراســات دقيقــة وفحوص عميقة حتى أنهم أصبحوا قادرين على إحداث ( فعل ) معين فينا من أجل وجود ( رد فعل ) محدد منا . ولو أراد بعضنا التخلص من مجال تأثــير هؤلاء الأعــداء والاستقــلال بالتقرير والتنفيذ لوجد نفسه أخيرا في قبضتهم وسائرا وفق إرادتهم وخادما لأهدافهم !!! وقد أصبح من السهل على عدونا أن يوقع بين قائد وآخر وأن يسلط حكما على جماعة ويُثير فتنة بين دولة وأختها الشقيقة !!

ورغم وضوح بعض المؤامرات فان الحقائق تفقد قوة البيان امام حملات الزيف والخداع والبهتان كل ذلك لأن فينا من القابلية والمطاوعة ما ييسر على عدونا مهمته فينا !!

إذن فكيف يمكن الافلات من عيون الرصد والاختفاء من أجهزة المراقبة الدقيقة وإبطال مفعول تلك الدراسات المتنوعة ؟ يبدو أن الكثير ممن لهم معرفة ( ببواطن الأمور ) قد هالهم الأمر وأفزعتهم وتفزعهــم القــوات الشرسة المجردة من الأخلاق التــي تواجههم فلم يجدوا وسيلة الا اتخاذ الاستسلام سياسة لهم ومنهاجا ، لأنهم استشعروا الفشل ـ قبــلا ـ يدب في أوصالهم فاستحوذ عليهــم اليأس في المقاومة والصمود ، وعلى ضوء ذلك يفسر سلوكهم ومواقفهم وقراراتهم وبذلك يسوقون أمتهم الى طريق الخراب وهم يحسبون أنهــم يحسنون صنعا !! ولكن فات هؤلاء وأمثالهم أن التاريخ لا يخضع فقط لهذه العوامل البشرية والا ما كان لموسى أن يصــــارع فرعــــون ولا للمستضعفين أن يقاوموا الطغاة ولا للشعوب الصغيرة المقهورة أن تتغلب على القوى العظمى .

إن التفسير العلمي المادي الذي يخضع الظواهر التاريخية للعامــل المادي فرديا كان أو جماعيا طبيعيا أو اقتصاديا ليقف مذهولا وعاجزا أمام ظواهر غريبة تستعصى على مقاييسه فيضطر للتسليم رغم مراوغة البعض بأن هناك عاملا له تأثير في التاريخ . ونحن في مجتمعنا يجب أن نكون على يقين تام بأن أي قوة في العالم لا تستطيع التغلب على هذا العامل وهو العامل الغيبي **( والله غالــب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون )** يوسف/٢١ ، وكان يجمل بكثير من

( قادة ) العالم الاسلامي أن يهتموا بدراسة علم حضاري جديد لم يلتفت اليه أكثر الناس ، وهذا العلم يعني بتوصيل العبد بربه الى درجة الثقة المطلقة به ، وهو علم صعب على ذوى الأهواء والشهوات ، ويقتضي بذل مجهودات كبيرة والاستعانة بمتخصصين من نوعية نادرة في سوق السياسة ، ليحيطوا بالقادة ويزودوهم بالمناهج والبرامج ويقوموا بالتعاون معهم ، على تنفيذ ذلك بدقة وشجاعة ونية خالصة حتى يستطيعوا جميعا أن يصلوا في أعمالهم الى درجة التوكل **( ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره )** الطلاق/٣ . ويصبحوا اهلا لهذا الخطاب الرباني المشجع المبشر :**( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )** الأنفال/٦٤ .

إن هذه الثقة المطلقة بالله هى السر في تلك القوى الهائلة التي كانت تتمثل دائما في الدولة الاسلامية وحكامها الراشدين . فالرعب الذي زلزل كيان الأكاسرة والقياصرة وغيرهما لم يكن مصدره كثرة عدد أو عدة لدى المسلمين بقدر ما كان إظهار الاعتزاز بالله وتوثيق العرى به والاطمئنان اليه والتوكل عليه مما أغراهم بالاستشهاد وحثهم على استعجال لقائه وزهدهم في كل شيء من أجل رضاه .

وهذا ما بث الهلع والفشل في قلوب أعدائهم وللرعب في قلوب الأعداء ما ليس للجيوش العظيمة والأسلحة الفتاكة لذلك نصر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة أربعة أشهر .

وعندما يربى المجتمع قادة وشعوبا على الثقة بالله فان ذلك ينعكس ثقة بين أفراد هذا المجتمع تنبت فيهم وشائج المحبة والترابط وهكذا تتكون شبكة اجتماعية متينة وسليمة محصنة ذات إحساس مشترك ووعي متماثل ومواقف متشابهة مما يجعل أي مؤامرة كيفما كان مكرها وتخطيطاتها غير قادرة على تحقيق أهدافها وتنفيذ أغراضها خلال هذا المجتمع ، وقد تبين لنا مدى ما لهذا المجتمع من تماسك وترابط ووعي في فشل المؤامرات اليهودية وحلفائهم من المشركين والمنافقين على المسلمين بالمدينة لأنهم ربوا على أمرين : الثقة بالله والثقة بأعضاء المجتمع قادة وقاعدة . إن شعار هذا المجتمع كان حسن الظن بالله وحسن الظن بالمسلمين أي بنفسه . وقد تمتع هذا المجتمع بخلال وفضائل خلقية عظيمة من التحرى والحيطة والرجوع للقيادة والانصياع للحق والتمييز بين الضار والنافع والناصح والخاتل وبذلك كان يبطل مفعول المؤامرات وتصبح نيران الفتنة بردا وسلاما على المجتمع وتجربة ذات نفع في بناء نفسه والحفاظ على سلامته مما أهله للتحكم في أعدائه لأنه تحكم في أهوائه وحملها على الحق والصراط المستقيم . ولنا أمثلة كثيرة لهذه التربية القرآنية والمحمدية .

إن ثقة القائد بشعبه والشعب

بقائده لهى القاعدة السليمة لكل مجتمع سليم ودولة قوية متحضرة لذلك كان يجب على الذين يرغبون في قيادة هذه الأمة وتولى حكمها والتصدى لادارتها أن يعلموا علم يقين أن السبيل الى تحقيق هذه الرغبة تحقيقا مشروعا ومستساغا وذا قيمة حضارية كبرى هو زرع الثقة في النفوس وربط الحكم بارادة الأمة ربطا يشعر الجميع بالمسؤولية كل حسب موقعه وحجمه ومستواه ولكن هذه الثقة لا تزدهر وتثمر الا في وسط يتعاون فيه الجميع على ضمان الحرية وحماية كرامة الفرد والجماعة في مجالات التشريع والتربية والادارة والعمل والسياسة وغير ذلك من نشاط المجتمع ودولته وإنها لتذبل بل تموت ويحل محلها سوء الظن في جو الاستبداد والتحكم والاستئثار بأموال الأمة وتوجيهها حسب الأهواء وحملها على حياة غريبة عن دينها وعقيدتها ومثلها .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة الذي ضرب المثل الأعلى في قيادة الأمم إذ ساس مجتمعه على أساس من الثقة بالله المطلقة والثقة التامة المتبادلة بينه وبين أفراد أمته منذ بداية دعوته الى نهاية تركيب المجتمع الاسلامي وإكمال دينه وسار على هداه خلفاؤه الراشدون ، وهذا النوع من القيادة والادارة هو الذي جعل المسلمين يلحقون عمر بن عبدالعزيز بالخلفاء الراشدين إذ كان فلتة في الحكم الأموى فخالف منهاجهم وعاد به الى الثقة والوفاء المتبادلين ، يقول رضى الله عنه عن السمة الاسلامية للعلاقة بين الادارة ومجتمعها بمناسبة قوله تعالى : ( **الذين إن مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ) الحج/٤١ ، ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالى والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه : إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هى أقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها ) ابن كثير ٤/٦٥١ تفسير سورة الحج ٢٢/٤١ ).

ويولى حكيم الصين كونفشيوس أهمية كبرى للثقة في سياسة الدولة إذ يرى أن قوام السياسة أو الدولة ثلاثة أمور : الجيش والأقوات والثقة . وإذا كان لابد من التضحية بأحد الثلاثة فبالجيش واذا كان بعد ذلك لابد من التضحية بأحد الاثنين فبالأقوات أما الثقة فهى أقوى من الجيش والقوت فبوجودها توجد الدولة وبانعدامها تنعدم الدولة لذا يجب الحفاظ عليها ورعايتها ، وعدم التفريط فيها ، لأنها نبع المحبة وحسن الظن ، والسبيل الى ذلك ميسر لمن شاء أن يستقيم من قادة المسلمين وحكامهم ولهم في تعاليم الاسلام وسلوك أمراء المسلمين وحكامهم الصالحين والمصلحين خير دستور

يتبعونه ويسلكون وفقه . إن للشعوب الاسلامية حسا مرهفا ويقظا تستطيع به أن تفرق بين من يتودد اليها بصدق ويحمي ذمارها باخلاص ومن ينافقها ويخاتلها ، لذلك كان مفتاح المشكل في يد قادة المسلمين الذين يجب عليهم أن يعتبروا من الأحداث الجارية والمفاجآت المتكررة فلا يتولوا غير الله ورسوله والمؤمنين : **( ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون )** المائدة/٥٦ ، وبهذا الولاء المتبادل والثقة السائدة ننطلق في أمن داخلي الى خوض الصراع المرير ومواجهة المؤامرات الخبيثة التي تفتت وحدتنا ، وتعوق سيرنا ، وتمزق أوصالنا ، وتستنزف قوانا ، وتردنا على أعقابنا نحو التدهور والتخلف .

إن أعداء الاسلام لا يفوقوننا فقط في ميدان العلم والتقنية والصناعة والانتاج والاختراع بل إنهم يملكون فيما بينهم من الوشائج الاجتماعية والثقة المتبادلة ما لا نملك وعلى ذلك يعتمدون في بناء أنفسهم والتعامل مع غيرهم صديقا أو عدوا فعلام نعتمد نحن في بناء أنفسنا ومواجهة غيرنا إن لم نملك ما يملكون أو على الأقل إن لم نملك الشرط الأساسي في الرقي والتقدم : ترابط الشبكة الاجتماعية التي يعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم « بالجسد الواحد ». إن الاعتماد على المبادرات الفردية ومجهودات القادة الشخصية لن يجدى فتيلا لأن الفشل محقق في كل خطوة من خطواتها ، فان بدا للبعض أنها لا تخلو من نجاعة وجدوى فذلك يرجع لظروف خارجية بحتة أي للعامل الغيبي الذي أشرنا إليه آنفا .. إن من أهم أسباب هزيمة المانيا الهتلرية اعتمادها على رجل واحد ( ولن تفلح دولة يتوقف صلاحها على رجل واحد ) كما قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي يوم كان الناس يعتقدون أنها لا تهزم . والذي حداه لقول ذلك والمانيا في أوج انتصاراتها ما لاحظه في العمق من تطاحن الجماعات وتعادى الوزارات وفقدان الثقة بين الناس وحكامهم وذلك في المانيا وما أدراك ما المانيا !!

إن المجهودات الجبارة التي تبذل في السفاسف والترهات والاجتماعات الفارغة والمؤتمرات العجفاء وتكوين المنظمات المترهلة وترويج هذا اللغو من الدعايات ومداراة الأعداء وتملقهم وبذل الوعود بشعارات إسلامية جوفاء وغير ذلك من الحركات والأعمال المشلولة والمسلولة التي سارت عليها البلاد الاسلامية الى الآن كان ينبغي أن تحول وتتجه نحو ميادين البحث الحثيث والسعي القاصد للحصول على ثقة ربهم وثقة أمتهم وشعوبهم وبذلك فقط تختفي مظاهر تخلفنا في المعركة الداخلية والخارجية ونحقق الخطوات الأولى في بناء الانتصار في دوامة الصراع المرير الذي نخوضه رغما عنا ، وما دمنا لم نحقق هذه الخطوة الأساسية لاقلاعنا الحضارى فان جميع ما يقال هراء وما يفعل باطل وويل للعرب من شر قد اقترب .

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

○ « أدوا الزكاة وتحروا بها أهل العلم فانه أبر وأتقى » .

**موضوع :**

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة : إنه باطل موضوع ، وقد ذكره هبة الله بن المبارك السقطي ، واتهم من رواته عبدالله بن عطاء ، وقال كان يركب الأسانيد على المتون ، ورجاله فيهم مجاهيل ، والمتن لا يعرف في كتاب ، وإنما وضعه مستطعما للعوام .

وقال السيوطي إن المتن موضوع بلا شك .

هذا وأداء الزكاة فرض لأنها ركن من أركان الاسلام على من ملك نصاب الزكاة ، وهناك أصناف ثمانية ذكرهم القرآن الكريم ، وليس هناك شرط يقضي بأن يكون الواحد منهم بارا أو تقيا .

○ « في الركاز العشر »

**موضوع :**

قال ابن حبان ببطلانه وفي إسناده عبدالله بن نافع متروك ، وتابع روايته يزيد بن عياض ، وهو متروك الحديث .

وقال الشوكاني ببطلانه أيضا .

ولا شك أن بطلانه واضح لأنه يصطدم بنص صريح من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن حديث « في الركاز الخمس » .

وبناء على هذا لا يرى أحد قط أن في الركاز العشر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قضى أن في الركاز الخمس ، وقد روى ذلك في حديث متفق على صحته .

# له الأسماء الحسنى

## العزيز

العز في الأصل هو القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع ، والتعزيز هو التقوية ، ومنه قوله تعالى في سورة يس : « **إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث** » أي قوينا وشددنا ، واللغة تقول : عز يعز ـ بضم العين في المضارع ـ أي غلب يغلب ، ومنه قوله تعالى في سورة ص : « **وعزني في الخطاب** » ويقال : عز يعز ـ بكسر العين في المضارع ـ أي يقل مثيله ، ويقال : عز يعز ـ بفتح العين في المضارع ـ أي لا يوصل إليه . وهذا التنويع في المعنى بحسب التنويع في ضبط عين المضارع هنا من دقائق اللغة ولطائفها .

و « العزيز » اسم من أسماء الله الحسنى ، والعزيز هو المتفرد بالعزة ، فهو لا يذل ولا يضام ، ولا ترقى الى حقيقته الخواطر أو الأفهام أو الأوهام .. والعزيز هو الذي لا يغلب ولا ينال ، أو الذي لا مثيل له ولا

للدكتور أحمد الشرباصي

نظير ، أو الذي تشتد الحاجة إليه ، أو هو الظافر الذي لا يقهر ، أو هو القادر القوي الذي لا يوصل اليه .

ويقرر الامام الغزالي أن العزيز هو الخطير ، الذي يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة اليه ، ويصعب الوصول اليه ، فاذا لم تجتمع له هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم « العزيز ». فكم من شئ يقل وجوده ، ولكن لا يعظم خطره ، ولا يكثر نفعه ، ولذا لا يسمى عزيزا ، وكم من شئ يعظم خطره ، ويكثر نفعه ، ولا يوجد نظيره ، ومع ذلك لا يصعب الوصول اليه ، ولذلك لا يسمى عزيزا ، كالشمس مثلا فانها لا نظير لها ، والأرض كذلك ، والنفع عظيم في كل واحد منهما ، والحاجة شديدة اليهما ، ولكن لا يوصفان بالعزة ، لأنه لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما .

فلا بد ــ كما يعبر الغزالي ــ من اجتماع المعاني الثلاثة ، ولكل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان ، فالكمال في قلة الوجود هو أن يرجع الى واحد ، إذ لا أقل من الواحد ، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله ، وليس هذا إلا الله تعالى ، فان الشمس ــ وإن كانت واحدة في الوجود ــ ليست واحدة في الامكان إذ يمكن وجود مثلها . وشدة الحاجة هي أن يحتاج اليه كل شئ ، في كل شئ ، حتى في وجوده وبقائه وصفاته ، وليس ذلك على الكمال الا لله تبارك وتعالى .

وقد جاء ذكر العزة في مواضع من القرآن الكريم فجاء في سورة النساء : « **أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا** » وفي سورة يونس : « **إن العزة لله جميعا هو السميع العليم** ». وفي سورة فاطر : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » وفي سورة الصافات : « **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** ».

وقد جاء ذكر اسم « العزيز » في أكثر من ثمانين موضعا ، منها في سورة البقرة : « **فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم** » وفيها أيضا : « **وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** ». وفي سورة آل عمران : « **إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام** » وفي السورة

نفسها : « **هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ».

وفي سورة الأنعام : « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا نلك تقدير العزيز العليم » وفي سورة هود : « **فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوي العزيز** ».

ونلاحظ في الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم العزيز أنه في الغالب يقترن اسم العزيز باسم الحكيم ، وذلك لأن معنى العزيز يفيد الغلبة والقوة والامتناع ، ولما كانت هذه الغلبة القوية تحتاج الى أن يضبطها الحق والعدل والحكمة ناسب أن يقترن الوصف بالعزة بالوصف بالحكمة بيانا لذلك .

وهناك من الناس من يوصف بأنه عزيز ، والعزيز من الناس الذى يستحق هذا الوصف هو الذي يعتز بالله وحده ، ويعز أمر ربه بالسمع والطاعة ، والذي يمنع فيشكر ويبتلى فيصبر ، وقيل هو من يحتاج اليه عباد الله في التوجيه الى الخير ، وقد جاء في كتاب « المقصد الأسنى » أن العزيز من العباد هو من يحتاج اليه عباد الله تعالى في أهم أمورهم ، وهى الحياة الأخروية والسعادة الأبدية ، وذلك مما يقل وجوده ويصعب إدراكه ، وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجتهم كالخلفاء والعلماء ، وترتفع مرتبة الشخص هنا بقدر عنائه في إرشاد الخلق .

والشخص العزيز في عصره هو من يحيى القلوب بارشاده ، ويدلهم على الله تبارك وتعالى ، فيكشف لنفوسهم نور العزيز ، ويضحى في سبيله بكل غال ونفيس ، فاذا رأيت رجلا عنده شئ عزيز غير الله تبارك وتعالى ، فاعلم أنه لم يتجمل بأنوار العزيز سبحانه . ولما كانت العزة هى صفة الله العزيز جاء في القرآن المجيد قوله عز من قائل في سورة المنافقون : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » فالعزة هنا لله تحقيقا ، ولرسوله فضلا ، وللمؤمنين ببركة إيمانهم برسول الله عليه الصلاة والسلام .

والانسان العزيز له آداب يتخلق بها ويتحلى بزينتها وجمالها ، فيذكر القشيرى في كتابه « التحبير في التذكير » من آداب الشخص العزيز أنه لا يعتقد لمخلوق عزة أو إجلالا بجانب عزة الله سبحانه ، وجاء في الأثر « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » وقد علق على هذا النص أبو على الدقاق أستاذ القشيرى ورائده فقال : إنما قال ثلثا دينه لأن تواضع المرء يكون بثلاثة أشياء : لسانه وبدنه وقلبه ، فاذا تواضع له بلسانه وبدنه ، ولم يعتقد له العظمة بقلبه ، ذهب ثلثا دينه ، فان اعتقدها بقلبه أيضا ذهب كل دينه . ولهذا قيل : إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين . ومتى عرفت أنه المعز لم تطلب العز إلا منه ، ولا يكون العز

إلا في طاعته .

وقد يعترض معترض فيقول : كيف نجمع بين قول الله تعالى : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** » وقوله سبحانه : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » ؟ والجواب أنه لا تناف بينهما ، فان العز الذي للرسول وللمؤمنين هو في الحقيقة ملك لله ومخلوق له ، وعزه سبحانه هو المصدر لكل عز ، وعلى هذا فالعز كله لله : « **فلله العزة جميعا** ».

والعزة عند الانسان تكون فضيلة محمودة إذا استظلت بظل الله ، واحتمت بحماه ، ولذلك جاء في « تاج العروس » للزبيدى : العزة في البصائر حالة مانعة للانسان من أن يغلب ، وهى صفة يمدح بها تارة ، ويذم بها تارة أخرى ، كعزة الكفار ، ولذلك قال الله عز من قائل : « **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** » . ووجه ذلك أن العزة لله ولرسوله ، وهى الدائمة الباقية ، وهى العزة الحقيقية ، والعزة التى هى للكفار هى التعزز ، وهو في الحقيقة ذل ، لأنه تشبع من الانسان بما لم يعطه . وقد تستعار العزة للحمية والأنفة المذمومة ، كما في قوله تعالى : « **واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ».

ويخاطب الشاعر احمد مخيمر الرب العزيز بقوله :

أنت العزيز ولا عزيز سواكا
كل الخلائق يطلبون رضاكا
يا من له الزلفى ، وليس بهين
أن يعرفوك ، ومستحيل ذاكا

ويقول عن اسم « العزيز »:

عزيز وكل العالمين عبيد
تفرد فوق العرش ، فهو مجيد
له الملك ، تعنو الكائنات لنوره
قريب اليها في الوجود ، بعيد
له الأمر ، لا شئ من الخلق كلهم
يريد اذا كان العزيز يريد

وقد وضع الشيخ احمد العقاد دعاء لاسم العزيز جاء فيه :

إلهي ، أنت العزيز الذي تسند إليك حاجات العباد وأنت العظيم الذي يصعب الوصول الى عزتك ، وأنت للقلوب مراد ، وأنت الجليل الواحد الأحد الذي لا نظير لك ، وتنزهت عن المثل والأمثال والأنداد .

صف قلبي من الأغيار ، حتى لا يرى عزيزا سواك وأشهدني معنى العزة في نفسي لتكون روحي فداك ، واجمعني على العارفين الذين منحتهم العزة ، فكانت قلوبهم بعزتك عامرة ، وأفض على من أسرار عزتك حتى تصير نفسي اليك طائرة واجعلني واخواني داخلين تحت قولك : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ». وانفحني واخواني في كل وقت وحين ، انك على كل شئ قدير .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وصدق العلى الكبير حين أضاف العزة الى نفسه فقال : « **سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين** ».

# تفسير السنة للمتشابه في الآيات والسور

١ ـ مقدمة عن تفسير السنة ـ للتشابه بين الآيات في جملتها وتفصيلها .
٢ ـ الأسلوب العملي في تفسير السنة للتشابه في آيات القرآن .
٣ ـ الأسلوب الوصفي لتفسير السنة للتشابه في آيات القرآن .

## ١ ـ مقدمة عن تفسير السنة للتشابه بين الآيات في جملتها وتفصيلها :

من الحدود الفاصلة بين كلام الله وكلام البشر ، أننا نجد كل كلمة في القرآن كله ، تعمل من خلال تقدير إلهي ، لأنواع صيغها ، وتقدير إلهي لعدد مواضعها .

بل إن بداية كل آية ونهايتها ، وبداية كل سورة ونهايتها ، لا يتم أي منهما بلا تقدير أو نظام دقيق كما هو الشأن في كلام البشر ، وإنما يدلنا ترتيب الآيات والسور ، على أن البدايات والنهايات تعمل عمل

للأستاذ : محمد العفيفي

الجسور التي تتنقل عليها الذاكرة الانسانية ، بين مواضع أجزاء الآيات ، وقد تنوعت ارتباطاتها ، وأمدتنا بمزيد من وجوه العلم مع كل جديد من مواضعها في الآيات والسور .

فمهما نتذكر من أجزاء الآيات في مواضعها في القرآن كله ، فنحن في وجوه علمية تترابط بترتيب معجز ونظام دقيق لا ينبغي أن يناله أي تحريف أو تبديل .

والعقل البشري يستوعب هذه الحقائق بالأسلوب العملي التطبيقي ، اكثر مما يستوعبها بالأسلوب النظري الوصفي ، لذلك جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسلوبين السابقين معا في بيان هذه الحقيقة .

وقد كانت كلمة التشابه هي الكلمة المستفادة من بيان القرآن والسنة لهذه الظاهرة القرآنية .

وسننظر الى تفسير السنة لهذه الظاهرة من خلال الأسلوب العملي أولا ، ثم يتبع ذلك الأسلوب النظري .

**٢ ـ الأسلوب العملي في تفسير السنة للتشابه في آيات القرآن :**

يروى مسلم في صحيحه عن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه حديثا طويلا جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عندما رأى جماعة من المسلمين في عسر وفاقة فتلا قوله تعالى :

**( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا )** . النساء/١

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر خطبته هذه قوله تعالى :

**( يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون )** الحشر/١٨

لقد حض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصحابه على البذل والانفاق ، ليسدوا خلل هؤلاء الفقراء ، من إخوانهم ، فتلا عليهم آيتين من سورتين .

فأما السورة الأولى فهي سورة النساء ..

وقد احتوت الآية الأولى التي قرأها منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على قصة البشر ، في فترات تاريخهم جميعا ، فاذا هم جنس واحد ، لا يختلف في حقائقه الأساسية ، مهما

تتفرق بأفراده الأمكنة والأزمنة .

فهكذا يشعرون بحاجتهم إلى أن يتراحموا وأن يتقوا الله في هذه الرحم الماسة ، والعاطفة الانسانية الكريمة .

وأما السورة الثانية فهي سورة الحشر ..

وقد احتوت الآية التي قرأها منها الرسول صلى الله عليه وسلم ، على واجب كل فرد من الناس ، أن يقدم لنفسه ما ينفعه في الآخرة ، التي هي آتية حتما بدليل هذه الحركة المتصلة ، في هذه الحياة الدنيا ، كما يقول الله تعالى :

**( ولتنظر نفس ما قدمت لغد )** .

لنتأمل كيف كان اسم السورة الأولى سورة النساء . ومنهن يكون الولد ، بينما كان اسم السورة الثانية الحشر ، وهو المصير النهائي لمن ولدوا جميعا .

وهذه الظاهرة من عجائب القرآن التي نجدها في أسماء سوره ، كما نجدها في ترتيبها في المصحف .

فاذا كانت هاتان الآيتان اللتان فسر الرسول بهما هذا الموقف التاريخي الاجتماعي الاقتصادي ، قد تشابه شكلهما ومضمونهما ، وتنوع عطاؤهما ، وتم هذا التمام ، فان هذا كله يعود إلى حقيقة عملية أساسية ، هي تعدد المواضع بالكثير من حروف هاتين الآيتين ، وبالكثير مما نجد بهما من الكلمات والجمل .

## * مع الحروف متعددة المواضع :

لقد جاء حرف الواو في مواضع متعددة من الآية الأولى من سورة النساء ، كما نجده بقوله تعالى :

**١ ـ وخلق منها زوجها .**

وقوله : **٢ ـ وبث منهما رجالا كثيرا .**

وقوله : **٣ ـ ونساء .**

وقوله : **٤ ـ واتقوا الله الذي تساءلون به .**

وقوله : **٥ ـ والأرحام .**

وواضح أن حرف الواو ، حرف واحد في ذاته ولكنه يتحرك في مواضعه ، حركة متجددة دائما ، يبينها لنا ما يتنوع من مشاهده ، ويكثر من مقاصده ، كلما نظرنا في مواضعه المتعددة ، في هذه الآية أو في القرآن كله .

أولا ـ هناك خلق الزوج :

**( وخلق منها زوجها )** .

ثانيا ـ هناك بث الكثير من الرجال :

**( وبث منهما رجالا كثيرا )**

ثالثا ـ هناك بث الكثير من النساء :

**( ونساء )** .

رابعا ـ هناك الأمر بتقوى الله :

**( واتقوا الله )**

خامسا ـ هناك الأمر بتقوى الله في أرحامنا :

**( والأرحام )**

ويطرد هذا التنوع والتجدد ، في المقاصد التي يرتبط بها حرف الواو في الآية السابقة الذكر ، من سورة الحشر ، ثم في آيات القرآن كله .

ففي الآية الثامنة عشرة من سورة الحشر ، يتصل حرف الواو بقوله تعالى :

**١ ـ ( ولتنظر نفس ما قدمت لغد )**
وهذا مقصد جديد ، اذا قسناه بالمقاصد السابقة ، التي وصلنا بها حرف الواو ، في الآية الأولى من سورة النساء .

*** مع الجمل المتعددة المواضع :**
وقد يظن بعض الناس أن حرف الواو متصل بقوله تعالى : **( واتقوا الله )** بكل من الآيتين السابقتين فليس هناك من جديد في ذلك .
وهذا الظن غير صحيح ..
ذلك أن قوله تعالى بالآية الأولى من سورة النساء :
**( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام . )**
ثم قوله تعالى بالآية الثامنة عشرة من سورة الحشر :
**( واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون )**
قد ارتبط به حرف الواو بجملة واحدة هي قوله تعالى :
**( واتقوا الله )**
ولكن هذه الجملة ارتبطت بموضعين لها بكل موضع منهما عمل جديد .
فأما عملها بالموضع الأول : فهو أنها وصلتنا بتقوى الله في أرحامنا كما يقول الله تعالى :
**( واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام )** النساء/١
وأما عملها بالموضع الثاني : فهو أنها وصلتنا بتقوى الله في أعمالنا كما يقول الله تعالى :
**( واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون )** الحشر/١٨

*** مع الكلمة المتعددة المواضع :**
ومثل ذلك نجده في الكلمة القرآنية إذا تعددت مواضعها كما ننظر في كلمة **( يأيها )** في موضعيها بالآيتين السابقتين فنجدها بالآية الأولى من سورة النساء هكذا :
**١ ـ ( يأيها الناس اتقوا ربكم )**
ثم نجدها بالآية الثامنة عشرة من سورة الحشر هكذا :
**٢ ـ ( يأيها الذين آمنوا اتقوا الله )**
والأمر حين يوجه للناس جميعا ، ثم يوجه للذين آمنوا ، يدلنا على أنه أمر واحد في ذاته ، وإن تنوعت أحوال البشر ، من حيث حاجتهم إليه . فالذين آمنوا لهم حقيقة خاصة بهم ، تخرجهم من الناس جميعا قبل أن يؤمن منهم ، من آمن ..
وهذا يفسر لنا لماذا جاءت كلمة **يأيها** بهذين الموضعين السابقين ، اللذين ارتبطت معهما بمشهدين متنوعين ، لا بد لنا أن ننظر فيهما معا . لنحصل من كل منهما على ما فيه من العلم .
فلم يكن أمرا عابرا ـ إذن ـ أن تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتين الآيتين المتشابهتين بصفة خاصة ، ليفسر بهما هذا الموقف الاقتصادي الذي لا يخلو منه زمان ولا مكان في حياة البشر .
ولقد تضمن هذا التفسير إظهارا للمنهج الذي يعلمنا كيف ننظر في أجزاء الآيات ، وكيف تترابط في مواضعها الكثيرة لتمدنا بمعلومات

متجددة .

والغاية من هذا المنهج ، تقوم على تطبيق القرآن في جملته وتفصيله ، على الواقع العملي لحياتنا ، في جملتها وتفصيلها . أما الطريق إليه فهو تعليم الرسول إيانا ، كيف ننظر في تركيب القرآن ، وهو سر إعجازه ، ومناط الحدود الفاصلة بين كلام الله وكلام البشر ، لنحتكم إليه في كل كثير أو قليل من أمور حياتنا .

وهذا التفسير الذي يقدم لنا الرسول منهجه العملي ، يبين لنا كذلك عظمة الارتباط . أنه تطبيق عملي لمنهج القرآن ، في إصلاح المجتمعات الانسانية كلها ، بكل مكان وزمان .

**٣ ـ الأسلوب الوصفي لتفسير السنة للتشابه في آيات القرآن :**

بين الله لنا في آيات قرآنية كثيرة الأصول العامة للتشابه ، في أجزاء وحيه وأجزاء خلقه .

فلما كان المقصود بالكلام هنا هو بيان التشابه في آيات القرآن ، فاننا ننظر في قوله تعالى :

( **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني** ) الزمر/٢٣

وهذه الآية تبين لنا أجزاء الآيات القرآنية من حيث تراسلها فيما بينها كما نجد الآيات مرتبة في السور . وكما نجد السور مرتبة في المصحف . لذلك قال الله تعالى : ( **متشابها مثاني** ) أي تتشابه علينا أجزاء الآيات كلما نظرنا في مواضعها فتتجدد لنا المشاهد التي تحملها لنا ارتباطاتها المتنوعة . لأهداف كثيرة لا نحيط بعلمها ، ومنها أن العقل لا يستطيع أن يحيط بكل المقاصد المتشابهة وإنما يذكر ما مضى منها بما حضر في أثناء التلاوة . أو البحث في الأشباه والنظائر . لذلك جاء قوله تعالى : ( **متشابها مثاني** ) لنفهم هذه الحالة بصفة خاصة ، بين ما لا نحيط بعلمه من مراد الله في هذه الآية .

وكذلك يقول الله تعالى :

( **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب** ) آل عمران/٧ .

وهذه الآية تجمع لنا كل أحوال التتابع ، في أثناء تلاوتنا للآيات ، وأجزائها ، ومواضعها ، ومواضع أجزائها ، في القرآن كله .

وآيات القرآن منها ما هو بموضع واحد مثل كل آيات القرآن باستثناء الآيات المتعددة المواضع كقوله تعالى : ( **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ) جاءت متعددة المواضع بسورة القمر . وكقوله تعالى : ( **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ) جاءت متعددة بسورة الرحمن .

ونحن نعرف كلا من هذين النوعين بقياسه بالنوع الآخر .

انظر ـ مثلا ـ بمواضع قوله تعالى ( **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من**

**مدكر )** نجدها تربطنا مع كل موضع جديد ، بمشهد جديد عن أمة من الامم التي بادت في فترات متتابعة من التاريخ .

فهكذا نعلم أن هذه الآية ثابتة في نصها ولكنها متجددة في حركتها وعملها وارتباطاتها وكذلك النظام الواحد للنبات والحركة بكل آيات الله الكونية ، وكل آياته القرآنية .

ثم إن آيات القرآن بنوعيها السابقين تتراسل أجزاؤها فيما بينها ، فكلما تعددت مواضع حرف أو كلمة أو جملة أقل من آية ، في الآيات والسور ، تنوعت ارتباطاتها ، وكثرت مشاهدها المتفقة من حيث الكم مع عدد مواضع كل من ذلك ، والمتجددة من حيث التنوع بحكم ما تتحرك بنا المشاهد التي تتسع أمامنا كلما واصلنا التلاوة .

لذلك قال الله تعالى : **( منه آيات محكمات )** أي جاءت بجملتها متنوعة من حيث الأفراد أو التعدد في مواضعها بسور القرآن كله .

فان كانت الآية بتمامها ذات موضع واحد ، فهي محكمة على أساس إفراد موضعها وتوحيده .

أما إن كانت الآية متعددة المواضع ، فهي محكمة كذلك ـ بحكم ارتباطها في سياقها من كل موضع جديد ، بمشهد جديد ، يتفرد بذاته لأنه يحمل مشهدا خاصا به ، بين المشاهد المتنوعة التي تحملها مواضع هذه الآية ، إذا نظرنا إلى هذه المواضع في جملتها .

إن العقل البشري لا يستطيع أن يكتشف هذا التفرد ، الذي توصف به الآية ذات الموضع الواحد ، أو التفرد الذي توصف به الآية المتعددة المواضع ، بحكم اختصاصها بمشهدها الجديد المتصل بسياقه من كل موضع ، إلا إذا انفردنا بكل آية على حدة ، في أثناء التلاوة .

لذلك قال الله تعالى : **( منه آيات محكمات هن أم الكتاب )** ثم قال تعالى : **( وأخر متشابهات )** ليشمل ذلك كل أحوال النظر في كل آية بذاتها ، وفي كل جزء من أجزاء الآيات بذاته ، لأن هذا كله يصدق عليه التفرد من حيث النص أو من حيث الموضع ، ولا يقدر على هذا الوصف القرآني ، الذي يشمل كل ما هو عام وما هو خاص ، إلا الله تعالى .

وهكذا يتبين لنا أنه لا تناقض بين قوله تعالى :

**( كتاب أحكمت آياته ثم فصلت )** هود/١

وبين قوله تعالى : **( منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات )** آل عمران/٧

ذلك أن الآية الأولى من سورة هود ، تبين لنا أحكام الآيات وتفصيلها ، من حيث حقيقتها الذاتية . بينما الآية السابعة من سورة آل عمران تبين لنا حالة التتابع في القراءة بكل ما فيها من ظهور الأحكام ، أو خفائه ، وما يتصل بهذا الخفاء من تشابه .

ولذلك قال الله تعالى : **( فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما**

**تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله )** آل عمران / ٧

وهذا يدلنا في بعض معانيه على انقطاع الذين في قلوبهم زيغ عن النظر إلى ما هو عام من النصوص والمواضع ، اجتزاء بما هو خاص منها ، وذلك بأن يحصروا المطلوب من المواضع الكثيرة لكلمة واحدة ، في موضع واحد من مواضعها .

وهنا يحدث التعميم الخاطئ ، بينما الصواب هو النظر في الأحكام والتشابه ، أو الوحدة والتنوع لقياس الأشباه والنظائر بوجه عام ، واختصاص كل نص بما يخصه من معناه في ذاته ، وفي كل موضع بما يرتبط به من وجوه العلم الكثيرة ، ثم ترتيبها في معرفتنا ووجودنا .

لذلك قال الله تعالى : **( فيتبعون ما تشابه منه )** ليبين الخطأ في تعميم الجزء على الكل بغير حق ، دون أن يجمعوا دائما بين ما هو عام وما هو خاص من المعاني .

ثم قال : **( وما يعلم تأويله إلا الله )** أي إن الله وحده هو الذي يحيط علما بكل هذه المشاهد الكثيرة المتنوعة في جملتها وتفصيلها .

ثم قال : **( والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا )**

وهنا نعلم أن الاحاطة البشرية بكل ما في القرآن من وجوه العلم ، إنما هو أمر فوق طاقة البشر . فلذلك كان من تفسير السنة للقرآن ، بيان حدود قدرتنا على فهمه ، وبيان أن علينا أن نأخذ منه بقدر استطاعة كل منا .

ومما يؤكد ذلك كله أن هذه الآية قد ختمها الله بقوله : **( وما يذكر إلا أولو الألباب )** أي ان قياس الأشباه والنظائر يقوم على التذكر ، فبقدر ما يكون التذكر قويا نشطا ، يكون الفهم والاستيعاب متجددا يخص كل وجه من العلم بما يخصه من الفهم ، ولن يستطيع الانسان مهما تكن قوة تذكره ، أن يحيط بكل ما في كلام الله من وجوه العلم .

ويفسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية بقوله لعائشة رضي الله عنها :

« فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذي .. فقوله صلى الله عليه وسلم : « فاذا رأيت » فيه الربط بين الفرد والجماعة .

وقوله : « فاحذروهم » فيه دعوة الأمة كلها إلى الحذر من كل من يعمم الجزء على الكل في الآيات وأجزائها ، دون أن يفهم سر الاتصال والحركة المتجددة التي تخص كل نص بما يخصه ، من المعنى والتنوع من حيث ارتباطه بمشاهده الكثيرة ، في الآيات والسور . لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه » ، أي يعممون الجزء على الكل ، ولا يتحركون مع مقتضيات التقدم ، والتجديد ، في معاني القرآن ، فهؤلاء الذين سمي الله فاحذروهم .

ولذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اختلاف الناس في المعاني ،

لأن منشأ الاختلاف هو انقطاع كل أحد برأيه المبني على جزء واحد من النصوص أو المواضع ، دون أن تتصل الرؤية لتقيس الأشباه والنظائر بوجه عام ، ثم تخص كل نص وكل موضع بما يخصه ، من وجوه العلم الكثيرة ، في جملتها المرتبة في العقل ، المطبقة في العمل .

ولقد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم رجلين اختلفا في آية فعرف في وجهه الغضب وقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب » رواه مسلم .

ذلك أن الاختلاف ـ كما سبق بيان ذلك ـ منشؤه دائما ، انقطاع كل أحد برأيه المرتبط بنص بذاته أو موضع بذاته ، وانما الصواب هو الحركة المتجددة ، التي تنظر في المواضع بوجه عام ، ثم تخص كلا منها بما خصه الله من المقاصد ، بقدر الاستطاعة ، مع التسليم بأن ما كان من فهمنا صوابا ، فمن الله ، وما كان قاصرا عن إدراك الصواب ، فمن العجز البشري .

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحركة المتجددة ، بقوله عندما سئل عن أحب العمل إلى الله :

قال : الحال المرتحل

قيل : وما الحال المرتحل يا رسول الله ؟

قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل » رواه الترمذي .

وهذا الحديث يدل متنه على صحته ، ذلك أن فيه تعميما في قوله صلى الله عليه وسلم : « الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره » وهذا التعميم فيه معنى الحركة التي تتقدم باستمرار ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك : « كلما حل ارتحل » وفي هذا بيان لسر الحركة ، وهو الثبات . فلولا ثبات كل نص على مبناه ومعناه ، وما خصه الله به من المواضع ، ما أحسسنا بالحركة التي تتجدد في هداها في أثناء التلاوة .

ومن روائع هذا الحديث الربط بين القارئ وبين القرآن حيث قال صلى الله عليه وسلم : « الحال المرتحل » .

ذلك أن « الحال » هو الذي يندمج مع ما في كل قول قرآني من ثباته على نصه ، وجملة مواضعه .

وأما المرتحل فهو الذي يندمج مع الحركة المتجددة ، التي تحتوي عليها كل الآيات والسور .

وهكذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا الأحكام والتشابه ، بالأسلوب العملي الذي يؤكد لنا ما سبق بيانه من أنه لا تعارض إطلاقا بين قوله تعالى :

**( كتاب أحكمت آياته ثم فصلت )** هود/١

وقوله :

**( منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات )** آل عمران/٧

ذلك أن الآية الأولى تحدثنا عن القرآن في ذاته . أما الآية الثانية فهي تحدثنا عن حالة التتابع ، التي نحس بها ونحن نواصل القراءة ، حالين ومرتحلين .

# قالوا في الأمثال

## ذهب الناس وبقي النسناس

قد يشاء القدر أن يحرم بلدا أو أمة شجعانها وكرامها ، وذوي الرأي فيها ، ويبقى الجبناء العاجزون ، أو يحرمها علماءها أو أذكياءها ويبقى جهالها وأغبياؤها ، فيتألم الناس حين لا يرون أولئك الذين كانوا ملء السمع والبصر ، ومن يستعان بعلمهم ورأيهم في كشف الغمة ، وحين لا يجدون بينهم غير العاجزين والحمقى والذين لا تغني آراؤهم ولا يحسنون توجيها ، فيكونون في أعين الناس مثل النسانيس قبحا وسوء منظر فاذا لم يجدوا من يملأ العين ، ويزين المجالس قالوا : « **ذهب الناس وبقي النسناس** » أي ذهب الجيد وبقي الردئ ، ومضى الاخيار وبقي الأشرار الذين لا نفع فيهم :

**ذهب الذين يعـاش في اكنافهم.·.وبقيت في خلف كجلـد الاجرب**

## ليس الدلو إلا بالرشاء

مثل يضرب ليكشف عن معنى قول الشاعر :

**النـــاس للنـــاس من بدو وحاضرة.·.بعض لبعض وان لم يشعـروا خدم**

والدلو : هو الوعاء الذي يدلى في البئر أو الحوض ليخرج به الماء ، والرشا : الحبل الذي يربط في الدلو ، فيمد حتى يصل الدلو الى الماء ثم يجذب فيخرج الدلو ممتلئا .

والانسان ضعيف بنفسه قوي بغيره ، والمرء قليل بنفسه ، كثير باخوانه والدلو بغير الرشاء لا يستطيع اخراج الماء .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « **مثل الأخوين ، مثل اليدين ، تغسل إحداهما الأخرى** » .

# الحياة الأخرى

للأستاذ : محمد لبيب البوهي

**براهين للمكذبين بالبعث :**

عند بعض الناس شك في البعث ، أو ضعف في يقينهم عنه ، ذلك أن كل ما هو غيب كثيرا ما يصعب على النفس تصوره ، على حين أنه مطلوب من كل واحد منا أن يثق بالبعث كما يثق بوجوده في هذه الدنيا ، ومشاهدته لأهله وأعماله ، ويزيد من هذا الضعف في اليقين غلبة الأحاسيس المادية ، التي كلما تغلبت على صاحبها عاقته عن الادراك الكامل أو الصحيح لكل ما هو غائب عنه .

● ● ●

ولكن لو تأمل الانسان الأشياء الصغيرة المحيطة به ، لوجد أنه يحدث كل ساعة في هذه الدنيا ، بل في كل لحظة ما هو أشد عجبا من البعث .. فلنفرض مثلا أن إنسانا لم ير في حياته فيلا أبدا ، ولم يعرف كيف تتوالد المخلوقات إطلاقا ، وكان بدائيا في ذلك كله لم يصل إلى علمه شيء من هذا القبيل ، ثم قيل له : إن هناك نطفة في حجم رأس الدبوس أو أصغر سينشأ منها فيل هائل الحجم ، لو قيل لمثل هذا الانسان هذا القول لما استطاع تصديقه .

على حين أنه يحدث ويولد الفيل من نطفة أقل من رأس دبوس .

● ● ●

**والانسان ذاته هو آية متحركة :**

بل إن الانسان لو تأمل بني جنسه ، ورأى كيف أن المخترع

العظيم الذي يخترع الصواريخ ويخترق الفضاء ويصل إلى الكواكب ويأتي بأسرارها إنما هو في الأصل نطفة من ماء مهين ، وتأمل العجائب والقوانين والأسرار والامكانيات والمكونات التي تحملها هذه النطفة المهينة ، بمثل هذا التأمل يقترب من الحياة الأخرى التي لا ترى ، ويقول الله سبحانه داعيا إيانا إلى هذا التأمل : ( **أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين** ) يس/٧٧ .. وقال تعالى : ( **أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يُمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** ) القيامة/٣٦ ـ ٤٠ .

إن مداومة التأمل في النشأة الأولى تزيد من يقين الانسان في البعث ، وعليه بعد هذا اليقين الذي يقوي به إيمانه ، أن يستعد لهذا القيام الحتمي الذي هو آت لا ريب فيه .

● ● ●

## حول الاعداد للحياة الأخرى :

ولما كان الانسان مقضيا عليه بمفارقة الحياة الدنيا ، وأن الموت حقيقة لا ريب فيها ، وهو مصير كل نفس ، فانه من الحمق أن نرى بعض الناس .. أو ربما أكثرهم ، يشيحون بأنفسهم عن ذكر الموت وما بعده .

وليس علينا أن نقف من هؤلاء موقف الخصومة .. بل نحاول أن نأخذ بأيديهم، وأن نكشف الستار عما هناك من مباهج عالم آخر جميل وعظيم حيث ما لا عين رأت من المسرات ـ ولا أذن سمعت عن النعم ، ولا نفس ذاقت من عجائب اللذات ـ إن ما بعد الموت هو عالم فياض بالمباهج والخيرات لمن استطاع أن يعد لذلك العدة ويلتمس إليه السبيل .

وأول خطوة نراها ألا نخاف الموت .

وقد يقال : إن هذا الشيء فوق طاقة البشر ـ لأن الخوف من الموت أمر غريزي ـ وهذا حق ـ ولكن الأمر يحتاج إلى بعض الايضاح ـ إن علينا أن نرهب الموت ـ ولا نخافه .

وهنا فارق بين الرهبة والخوف ..

فالفتى قد يرهب ليلة زفافه قبل أن تأتي ـ ولكنه لا يخافها .. بل ينتظرها في شوق عظيم . وهكذا لا بأس أن نرهب الموت ـ ولكن لا نخافه .. ونحاول أن نعرف ما وراءه .

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقف عند القبر ويبكي . فيقال له : يا عثمان تذكر الجنة والنار فلا تبكي .. ثم تقف عند القبور ويشتد بكاؤك ؟ فكان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منازل الآخرة فمن نجا منه فقد فاز » رواه أحمد .

## صورة مما يحدث بعد الموت :

هذه الصورة حاضرة بين أيدينا ، فان لكل منا حياة متجددة تبدأ كل يوم

بعد النهوض من النوم ، الذي هو صورة مصغرة من الموت ، فانه إذا كان الموت هو سكون الأعضاء . فكذلك كل أعضاء البدن في النوم ، فالأذن لا تسمع .. والعين لا ترى ــ والجسم لا يحس .. والعقل لا يفكر ولكنك عندما تنام تستيقظ فيك أعضاء أخرى ــ ترحل ــ وتسافر ــ وتناقش الناس وتأكل ــ وتشرب ــ وتتلذذ ــ وتتألم .

إن هذا ما يحدث كل يوم لكل واحد منا عند النوم ــ أعني في الرؤى ــ وكثيرا ما ننسى بعد اليقظة هذا العالم العجيب الذي سبحت فيه أرواحنا .

ويجب أن نذكر أن هذا الذي يحدث لنا في النوم لا يحدث بارادتنا .. إنه شيء يحدث على الرغم منا .. بدليل أننا قد نرى أشياء نريد أن ننساها .. ولا نحب أن نذكرها أو نراها .

فما معنى هذا ؟

معناه أن هذا العالم الآخر مركوز في داخلنا فطريا وغريزيا الاحساس به ، ومعناه أن القوى الخفية التي في أعماقنا لا تخضع لنا عند النوم .. فلها عالمها الخاص بها .

## بداية النور إلى الحياة الأخرى :

إن القوى الخفية التي تنهض بالرغم منا إلى عالمها عند النوم ، إنما تكون لها هذه الحرية عندما تتخلص مؤقتا من سيطرة الجسد عليها .

ألا يكشف لنا ذلك عن أول خيط من النور إلى عالم الروح ؟

فاذا كانت الروح تتاح لها الفرصة اليومية للانطلاق عند سكون الجسد . فمن باب أولى يكون انطلاقها أتم وأعظم عندما تتخلص من الجسد تماما .. وتبدأ حياتها البرزخية .

● ● ●

## ما هي الحياة البرزخية ؟

إن البرزخ تعبير عن الفاصل بين الدنيا ويوم القيامة ، ويمكن أن نتصور البرزخ مثل نهر يفصل بين شاطئين .. والميت مع يقظة روحه وإحساسه الكامل فانه لا يحس بالزمن .. ولا تعوق الأماكن انطلاق روحه .. فان الميت قد يلبث في حياة البرزخ إلى ما شاء الله ولو كان ذلك بحساب الأحياء بمئات الملايين من السنين .. ولكنه حين يبعث عند القيامة فسوف يقدر كأنه لم يلبث غير يوم أو بعض يوم .

وقد سبق تشبيه البرزخ بأنه كنهر يفصل بين شاطئين فالدنيا في شاطئ والآخرة في الشاطئ المقابل ، والذي يحدث للميت في البرزخ يمكن أن يشبه إلى حد ما ، ما يحدث لراكب سفينة يعبر بها النهر .. وهو مسافر من شاطئ إلى شاطئ .

وهناك مسافر يدرك وهو في السفينة العابرة أنه ذاهب إلى أهل له ينتظرونه في قصر قد بنى له خصيصا ، فهو خلال فترة العبور البرزخية يغمره شعور بالسعادة والنعيم الذي سيكون كاملا عندما يصل ، فالحديث الشريف يخبرنا بأن

الميت قبل أن تفارق روحه جسده يرى مقعده من الجنة أو النار .. والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

## من صور الحياة في البرزخ :

فالميت خلال فترة وجوده البرزخي وهي فترة لا تخضع لا للزمان ولا للمكان . تأتيه نسمات الجنة فتسعد روحه أو يأتيه نفح النيران إن كان شقيا .

## في مستقر الأرواح :

ولكن أين تستقر الروح بعد الموت إلى يوم القيامة ؟ أتكون حبيسة قبرها في الأرض ؟ أم منطلقة في السموات ؟ وعلى أية صورة يكون مقرها حتى قيام الساعة ؟ إن هذا الأمر تكلم فيه العلماء كثيرا — واختلفوا فيه .. فقال قائلون : أرواح الصالحين عند الله في الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء .. إذ لم يحبسهم عن الجنة كبيرة وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم .. والرحمة لهم .

وهذا مذهب أبى هريرة .. وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

## رأي آخر عن مستقر الأرواح :

وقالت طائفة : إن الأرواح بفناء الجنة .. على أبوابها في رحاب مداخلها . كما يكون بعض الضيوف في حديقة دار يتنعمون حتى تفتح لهم أبواب الدار .. وهم في هذه الرحاب يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها .

وقالت طائفة : الأرواح تحس بهذا ولكن مستقرها على أفنية قبورها .

● ● ●

وقالت طائفة من الصحابة والتابعين : أرواح المؤمنين عند الله عز وجل .. ولم يزيدوا على ذلك .

## مناقشة الامام ابن القيم لهذه الآراء :

والامام ابن القيم في استعراضه لما ذكرناه يرى أن يقف عندما قاله الله عز وجل ، ونبيه عليه الصلاة والسلام ولا يتعداه فذلك البرهان الواضح وهو قول الله تعالى : ( **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ) الأعراف/١٧٢ .

ومفاد ذلك أن الله تعالى خلق الأرواح جملة .. أي خلقها جميعا في بداية الخلق قبل أن تخلق أجسامها .. وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهي مخلوقة .. مصورة عاقلة . وذلك كله قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم . وقبل أن يرسلها في الأجساد ثم أقرها حيث شاء . أي في البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت ، ثم لا يزال يبعث بها جملة فينفخها في الأجساد التي تتولد من المنى .. فصح أن الأرواح حاملة لأغراضها .. أي خصائصها وأنها عارفة مميزة فيبلوهم الله في الدنيا كما شاء .. ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليلة أسرى به فوق سماء الدنيا ـ فرأى أرواح أهل السعادة . وأرواح أهل الشقاء .

● ● ●

وهذا قول الله تعالى : ( **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة . والسابقون السابقون . أولئك المقربون** ) الواقعة/٨ ـ ١١ ، فلا تزال الأرواح في البرزخ الذي جاءت منه قبل حلولها بأجسادها ثم تعود إلى ذلك البرزخ حتى تقوم الساعة . ويعيد الله الأرواح إلى أجسادها ثانية وهي الحياة الثانية . ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير .

## الأدوار الثلاثة للحياة كما يصفها الامام الغزالي :

إن الله سبحانه وتعالى جعل أدوار الحياة للانسان ثلاثة ـ دار الدنيا ـ والبرزخ .. ودار القرار .. وجعل لكل دار أحكاما تختص بها . وقد ركب الانسان من بدن ونفس ، وجعل الله أحكام دار الدنيا على الابدان والأرواح تبع لها .. ولهذا جعل أحكامه الشرعية على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت النفوس خلافه .. وجعل أحكام دار البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها .. فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا ، فتألمت بألمها ، والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب ، تغير الوضع فأصبحت الحياة في البرزخ صورا روحية فالأرواح في البرزخ هي التي تباشر العذاب والنعيم ، وقد أرانا الله بفضله .. ولطفه ، ورحمته أنموذجا لذلك في الدنيا من حال النائم فان ما ينعم به أو يتعذب به في نومه يجري على روحه أصلا مع صورة الجسد .

وهكذا الحال في البرزخ .

فاذا كان يوم الحشر ، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم في النعيم والعذاب على الأرواح والأجساد معا .

## الخطوة الأولى نحو العالم الآخر:

إن الله تعالى جعل أمر الآخرة غيبا ، وما كان متصلا بها جعله كذلك غيبا ، وحجب لحكمته ذلك عن إدراك المكلفين في الدنيا ، وليتميز المؤمنون بالغيب من المستريبين أو المنكرين له ، وأول ما يشاهده المرء يحدث عند الاحتضار حيث نتبين من الآيات والأحاديث والآثار الصحيحة أن الملائكة هم أول من يشاهدهم المرء في لحظة الموت إذ تنزل إليه وتكون قريبا منه .. ويشاهدهم عيانا .. ويتحدثون عن مصيره .. ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير أو الشر ، وقد يسلمون على المحتضر .. ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة باشارته ، وتارة بقلبه إذا كان حاله لا يسمح بالنطق أو الاشارة .

● ● ●

**هل الجنة موجودة الآن ؟**

ثم ينتقل بنا السياق عن الحياة الأخرى وما فيها من النعيم فنتساءل هل الجنة التي أعدها الله للمتقين يوم القيامة ـ والتي عرضها كعرض السموات والأرض هل هي موجودة الآن ؟ أم انها لم تخلق بعد ولم تزل اسما على شيء سيكون بعد القيامة والحساب ؟

إن أهل العلم ذهبوا في الجواب عن ذلك مذهبين :

ويضرب القدرية والمعتزلة مثلا فيقولون ليس مما يقبله العقل ، أن يقيم ملك دارا ، يعد فيها ألوان النعيم ، ويتركها عاطلة من الساكنين يمنعهم من دخولها حتى حين . بل الأقرب للعقل أن ينشىء الملك هذه الدار يوم يرد أصحابها .

ولله تعالى المثل الأعلى .. وأنه سبحانه قادر على أن يقول للجنة كوني فتكون في مثل لمح البصر أو أقل .. وما دامت القيامة لم تقم بعد .. فانها ستخلق يوم تقام للناس الموازين .

● ● ●

هذا زعم ذهب إليه قوم

● ● ●

**رأي الامام ابن القيم :**

ويجيب على هذا الرأي الامام ابن القيم فيرى أن أصحاب هذا الرأي قد جانبهم الصواب ، وزعموا زعما غير صحيح .. فما يصح أن تشبه أمثال الله تعالى بأمثال الناس وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرض علي كل شيء فعرضت علي الجنة حتى تناولت منها قطفا فقصرت يدي عنه .. وعرضت علي النار فرأيت فيها امرأة من بني اسرائيل تعذب في هرة لها » .. رواه مسلم .

وقد قال تعالى : **( ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى )** النجم/١٣ ـ ١٥ فذاك كما يرى ابن القيم الدليل على أن الجنة موجودة الآن .. والنار كذلك .. وأنهما عرضتا على النبي صلى الله عليه وسلم .. وقد جاء في حديث رواه كعب بن مالك : « أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة » البيهقي فذاك أيضا دليل صريح في دخول الأرواح الجنة قبل يوم القيامة .. وقد ذكر الله تعالى الذين يقتلون في سبيله بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

● ● ●

**الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام :**

والآن ننتقل خطوة أخرى .. بشأن الجنة التي أقام فيها آدم وحواء .. والتي قال الله تعالى عنها : **( اسكن أنت وزوجك الجنة )** الأعراف/١٩ .

هل هذه الجنة هي جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ؟ أم هي

جنة أخرى جعلها الله لآدم وزوجه سكنا ؟

إن بعض أصحاب الرأي يزعمون أن جنة الخلد هي دار جزاء ينالها المحسنون باحسانهم . وأما جنة آدم فكانت جنة ابتلاء .

● ● ●

ولقد اختلفوا كذلك في موضع هذه الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام ، فمن قائل أنها كانت في السماء بدليل قوله تعالى لهما : **( اهبطا منها )** طه/١٢٣ والهبوط يعني النزول من أعلى إلى أسفل .

ومن قائل : إن الجنة التي عاش فيها آدم كانت في الأرض لأنه سبحانه امتحنهما فيها إذ نهاهما عن **( شجرة )** .

فالذين يزعمون أن جنة آدم كانت في السماء يذكرون حديث النبي صلى الله عليه وسلم « ويجمع الله تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتي آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة .. فيقول : « وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم » رواه مسلم .

فمن هذا الحديث وغيره يرى أصحاب هذا الرأي أن الجنة التي أخرج منها آدم هي تلك التي يريدون أن يعودوا إليها . وأنها في السماء . إذ ليس من المعقول أن تكون هذه الجنة في الأرض ، وأن المؤمنين يريدون أن يدخلوا جنة من جنات الدنيا بعد أن تزول الدنيا وتزول الأرض .

وفي ذلك دليل على أن آدم وحواء لم يكونا قبل ذلك في الأرض ..

ثم إن الله تعالى يخاطب آدم بقوله : **( إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى )** طه/١١٨ ، ١١٩ .. وتلك أشياء ليست من طبيعة الدنيا .

## رأي الذين يرون أن آدم لم يكن في جنة الخلد

إنهم يقولون : إن الله تعالى جعل من حق الداخل إلى هذه الجنة الخلود فيها .. وأما آدم فانه لم يخلد في الجنة التي دخلها .

ويقولون : إن الجنة لا يعصى فيها الله أبدا .. ولكن آدم عصي .

ويقولون : إن من أسمائها دار السلام ، ولكن آدم لم يسلم فيها من الفتنة ..

ويقولون : إنها دار القرار .. ولكن آدم لم يستقر فيها .

وقال الله تعالى في شأن الجنة : **( وما هم منها بمخرجين )** الحجر/٤٨ وقد أخرج منها آدم وحواء .

● ● ●

تلك أقوال الفريقين عرضناها في إيجاز .

ويرى أهل العلم أن كلا الأمرين ممكن ــ وأن الآراء متعارضة .. ومن الخير أن نقف عند حد العلم بالرأيين ولا نقطع بينهما .

# مائدة القارئ

## حجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وصف عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إنها حجرة لا ضيقة ولا واسعة ، وسط بين ذلك قواما ، وإذا بحصير في وسطها ، وعلى الحصير فراش نوم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسادة حشوها ليف ، وغطاء يقيه البرد ، غير دافئ لئلا يبعث الكسل ، ولا ناعم يجلب الرقاد ، ولقد نظر عمر ثم نظر : فما وجد إلا حفنات من الشعير ، وسواك الرسول ، وما لا قيمة له من زاد دار زائلة ، خير بنيها من خف حمله فيها ، واستخدمها لما بعدها ، فان الدنيا تخدم من إذا مدت إليه باعها باعها ، وتستخدم من اتبع هواه فأطاعها .

## حساب الكريم

قيل لأعرابي : إن الله محاسبك غدا . فقال : سررتني يا هذا . إن الكريم إذا حاسب تفضل .

## الفقهاء والزهاد

قال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه مخاطبا القوم :
من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا :
يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ..
ويعيننا على الخير جهده ..
ويدلنا من الخير على ما نهتدى إليه ..
ولا يغتابن أحدا ..
ولا يتكلم فيما لا يعنيه ..
فابتعد الشعراء والخطباء وبطانة السوء عن ساحة الحكم .. وثبت عند الحاكم العادل الفقهاء والزهاد .. وهكذا كان الحاكم .. وهكذا كان العلماء .. فأين نحن الآن من هؤلاء ؟!

## الحمدلله

قال تعالى : ( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين )
الآيتان ٩ و ١٠ من سورة يونس .

## ما تتمنى ؟

قال عبدالملك لأعرابي : ما تتمنى ؟ قال : العافية .
قال : ثم ماذا ؟ قال : رزق في دعة ، لا يكون لأحد فيه منة .
قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمول ، فإني رأيت لحوق البوار بذوى النباهة أسرع .

## عظة

قال الرشيد لابن السماك : عظني . فقال ابن السماك : احذر أن تقدم على جنة عرضها السموات والأرض وليس لك فيها موضع قدم .

## مناجاة

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يناجي ربه :
كفاني عزا أن تكون لي ربا ، وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا ،
كنت لي كما أحب ، فوفقني لما تحب .

## طرفة

ضرب رجل أعور بحجر فأصاب عينه الصحيحة ، فوضع الأعور يده على عينه وقال :
أمسينا وأمسى الملك لله .

# مشاكل الشباب

١ ــ أهم مشاكل الشباب هي مشكلة مصادر التربية ، فانها على اختلاف أنواعها تعمل في حقل التربية كالفرقة الموسيقية التي يعزف كل عازف فيها لحنا على هواه ، فلا جرم أن كانت هذه الأصوات النشاز أكبر منفر للشباب عن استماعها والافادة منها ، ولو أنها كانت تعرف لحنا واحدا مهما اختلفت الآلات لتغير وجه الأمر ولاستمع الشباب لهذا اللحن واستساغه .

٢ ــ ان تربية الشباب يركز عليها الاسلام ابلغ تركيز ، ونعلم أن الله تعالى حدد مهمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قرآنه الكريم حيث يقول : ( **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ) آل عمران / ١٦٤

فمهمة النبي محمد عليه الصلاة والسلام هي : أ ــ ان يتلو على الناس آيات القرآن الكريم ، ب ــ ان يزكي اخلاقهم ويطهر نفوسهم ، جـ ــ ان يعلمهم الكتاب والحكمة ويبين لهم التشريعات وحكمها . وواضح ان مهمته إذًا هي التربية المعبر عنها

للأستاذ محمد علم الدين

بالتزكية ، والتعليم لما انزل الله مدعما بالعلل والحكم حتى يكون الايمان عن اقتناع لا عن مجرد اتباع .

٣ ـ اما حاجة الناس الى هذه التربية الدينية فهي لان الله تعالى خلق الانسان ـ لا عقلا بلا شهوة كالملائكة ولا شهوة بلا عقل كالحيوانات ، إنما خلقه بعقل وشهوة يمتحن عقله بشهواته فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالحيوان . وقد من الله على الناس برحمته فبعث فيهم الرسول ينير لهم الطريق ويرتاد لهم سبيل الحق والعدل والرحمة والوصول الى الله ، وبذلك اتضحت معالم التربية واهدافها ، ومصادر التربية لها اعظم الاثر في توجيه الناشئين وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام اذ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » رواه الطبراني والبيهقي ـ والفطرة هي الاسلام لله .

٤ ـ ولخطورة التربية واثر المربين يقول الله تعالى : ( **يأيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ) التحريم/٦ فالدنيا عرض زائل ، والآخرة حق لا ريب فيه وقد حذرنا جل شأنه من الركون الى متاع الحياة الدنيا من مال وبنين والغرور بالحياة الدنيا واتباع الشيطان بقوله ( **يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** ) فاطر/٥ .

٥ ـ ان الامر امر تخريج أمم مسلمة واجيال تستحق التكريم الهائل الذي كرم الله تعالى به المسلمين في قوله الكريم : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ) آل عمران/١١٠ .

وانه لما يزيد في اهمية التربية الاسلامية ان اعداء المسلمين بخاصة ، واعداء الانسانية بعامة ، يريدون من الشباب ان ينشأ على امرين .

أ ـ اتباع أهواء النفس ونزواتها ورغباتها نزولا على مبدأ الحرية المطلقة والوجودية .

ب ـ رفض نصائح الاباء والمربين لانهم قوم رجعيون ، افكارهم بالية علاها الصدأ ، وصارت لا تتمشى مع الجيل الجديد .. !!

ومتى تمرد الشباب على نصح الاباء والمخلصين ، ومتى جعل كل شاب الهه هواه فقد التحق بالحيوانات ، وحقق للصهيونيين أغراضهم ، عندما وصفوا من عداهم من الناس بأنهم حيوانات في صورة إنسان ليأنسوا به حين يخدمهم .

٦ ــ فلننظر الى ما يراد بنا حتى نأخذ الأمر بالجدية والحزم والتصميم والارداة القوية ، ولننظر الى حاضرنا لنعلم أين نحن من التربية الحقة وما حال المربين عندنا !!

إن مصادر التربية هي الاباء في المنزل ، والمعلمون في المدارس ، والوعاظ في المساجد ورجال الاعلام في الصحف والمجلات والاذاعة والخيالة والتمثيل ، والمؤلفون في كتبهم والمحاضرون في نواديهم والقياديون حيث كانوا .. الخ .

أ ــ الآباء معظمهم يفهم أن التربية إيواء وغذاء وكساء ودواء ، والقليل الواعي تشغله زحمة الحياة ومطالب العيش عن الاشراف على التربية الأولى ، ووضع حجر الاساس في بنائها فأولاد الاغنياء يتلقفهم الخدم ، وأطفال الفقراء يتلقفهم الشارع والأزقة والحارات وكلا الأمرين شر واندر من الندرة من يشرف على أولاده ، والنادر لا حكم له .

ب ــ لا يكاد الطفل يبلغ سن الحضانة أو الروضة أو المدرسة حتى يفرح الآباء لانزياح عبء التربية عن كاهلهم الى هذه الدور . ولكن هذه الدور اكتظت بمن فيها وأصبحت دور إيواء صباحية ومسائية ، يتعلم فيها النشء قشور العلم ، دون اشراف على التربية والسلوك واعتياد كريم الاخلاق والطلبة أصبح همهم لعب الكرة وربما الزوغان الى دور الخيالة ، حتى إذا دنا الامتحان حفظوا ما استطاعوا ، ولا يكاد الامتحان ينتهي حتى تحرق الكتب او تتحول الى قراطيس .. واذا اخذ احدهم الشهادة مرق من العلم مروق السهم من القوس ، وآلى الا يمسك كتابا بعد إنما هي القراءة السهلة في الصحف والمجلات ، فلا جرم ان يرتد أميا كما كان .. !!

جـ ــ وأصبح التلميذ بين مصادر التربية كالكرة ، الآباء يلقون بعبء التربية على المدرسة والمدرسون يلقون بالعبء على المنزل ، ولا نجاح بعد هذا الا لمن له حظ عظيم .

يخرج التلميذ الى المجتمع فيجد معاملات واتجاهات وتيارات القليل منها أخلاقي ، والكثير لا أخلاق عنده ، والمناعة ضعيفة والمغريات قوية مؤثرة فيكون الانحراف .. !.

الشاب يرى كل ما يساعد على العنف والاثارة الجنسية ويرى أن المال هو الهدف يأتي من اي طريق ، وقد ساعدت الاذاعات ووسائل الاعلام على نشر ذلك وأدخلته في البيوت ، ورأى الشباب أن الدولة وقد أباحت عرض هذه الأفلام فقد اعطت كلا منهم جواز مرور ليقلد هذه البطولات الزائفة ، والعقوبات إن أدركت المجرم فهي بطيئة ويسيرة فصار الاجرام علنا بعد أن كان خفاء ، ويغيظني أولئك الذين باسم الفن يثيرون

الشهوات ، كالذين نشروا البلوى باسم الباليه الفرنسي ، وفي نشرهم للعرى نشر للفاحشة كما يغيظني أولئك الذين يقولون إن هذا الفن يجتمع مع الدين في أنهما من السماء مع أن هذا الفن الساقط إنما هو من الأهواء ولو كان راقيا لوجد في مظاهر الطبيعة الكثير ووجده في جلال الأسرة وأنواع العبادة .

٧ ـ إننا لن نقف أمام كل هذا سلبيين ، بل نقترح الحلول ونعمل عليها جادين شعارنا : **( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )** الرعد/١١ .

لدينا بفضل الله كثرة من المدارس والمساجد والنوادي ووسائل الاعلام والمطابع ، وكلها عوامل سريعة التأثير والنشر ولكن ينقصنا العزم وارادة التغيير .

ـ كما نهتم بالطرق والمباني ووسائل النقل وتربية الدواجن ، وكما نعمل على صيانة البلاد من الامراض الوبائية علينا ان نهتم بتربية من جعلهم الله خلفاء له في الارض ، وسخر لهم ما في السموات وما في الارض جميعا وعلينا ،

أ ـ أن نضع مثلا عليا في نواحي الحياة تكون حاوية لشخصية المواطن الذي نبتنيه وشاملة الاطار الذي يتحرك فيه ، ثم ننشرها في البلاد وتعمل على تحقيقها كل أنواع ومصادر التربية في متابعة وإصرار .

ب ـ أن نعامل المذاهب الضارة والتيارات المنحرفة وكل وسائل الهدم معاملة الوباء نحاربها حربا لا هوادة فيها حتى نجتثها من أساسها .

٨ ـ الاسلام مملوء بالمثل العليا ويجب نشرها وشهرها وجعلها ألف باء التربية للمجتمع وأن تتضافر كل مصادر التربية على تأصيلها وجعلها الخلق العام ونحن أثرياء في العلم والأخلاق والأبطال قديما وحديثا .

اننا عندما ارتضينا ان يكون دين الدولة الاسلام نجد من المنطق الا نجعله شعارا فقط ، فلنبن على أساسه حياتنا ، ونقيم على قيمه الروحية دعائم بنياننا حتى نوجد جيلا :

١ ـ وثيق الصلة بالله الذي خلقه واستخلفه في الارض واستعمره فيها اخلاصا ومراقبة .

٢ ـ وثيق الصلة بالمواطنين ، كما داينوه صغيرا يرد لهم الدين كبيرا ، ويجعل كل ما أفاء الله عليه من نعمة في خدمة المجتمع علما وصحة ومالا وجاها .

٣ ـ يمجد العمل ويعتبره شرفا وواجبا ، ويمقت البطالة السافرة والمقنعة .

٤ ـ يصون الممتلكات العامة ويحافظ على آلات العمل والانتاج كمية وجودة ووقتا .

٥ ـ مستعدا للنضال ومجادلة الاعداء بكل ما اوتي من علم وصحة ومال .

٦ ـ قادرا على ضبط نفسه فلا ينهار امام إغراء الجمال والمال لأن إيمانه بالله راسخ كالجبال .

٧ ـ يقدر المرء بما يقدمه لامته من خدمات لا بما يملك من مال او جاه او سلطات .

٨ ـ يعشق النظام والنظافة ، ويحافظ على الأولويات ويحترم المرأة والكبير ويرحم الصغير .

٩ ـ يحقر المنحرف ويأخذ على يديه مكونا مع أمثاله الرأي العام الذي يحرس الفضائل والانتاج .

١٠ ـ مثلا أعلى للشرف والامانة والصدق ومكارم الأخلاق ، يحمل الاعداء على احترامه .

٩ ـ إن إيجاد هذا الجيل أمانة في أعناقنا نحن المربين على اختلاف مواقعنا من التربية ، وعلينا أن نعد كل مواطن ليكون من حيث العمل في أحد المواقع الآتية :

أ ـ الانتاج ، ب ـ حراسة الانتاج ، جـ ـ الرقابة والتوجيه .

وهذه الوقائع اسلامية مائة في المائة ، ورد الموقعان أ ، ب في أواخر سورة المزمل من القرآن الكريم حيث يقول رب العالمين : ( **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه** ) المزمل/ ٢٠ .

في هذه الآية يقسم الله المؤمنين قسمين : مرضى ، وأصحاء ، والمريض لا حرج عليه حتى يعود صحيحا ، والأصحاء يجب أن يكونوا من المنتجين الذين عبر عنهم القرآن الكريم بأنهم يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وهذا تعبير رباني عن العاملين في حقول الانتاج ، الزراعة ، والصناعة والتجارة والتعليم والهندسة والطب والمرافق الى آخره ، أو يكونوا من حراس الانتاج الذين عبر الله عنهم بانهم يقاتلون في سبيل الله ، وهؤلاء صنفان صنف يقاتل الاعداء من المستعمرين والبغاة وهو الجيش ، وصنف يقاتل الاعداء الداخليين من اللصوص وقطاع الطرق والمختلسين والمرابين والمحتكرين وتجار السوق السوداء ، وهم الشرطة ، اما الرقابة والتوجيه فهي جماعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ التوجيه امر بالمعروف والرقابة نهي عن المنكر وقد أمر الله بهذه الجماعة في قوله : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ) آل عمران/ ١٠٤ .

ولا غنى لأية أمة عن هذه الجماعة ، فلينظر كل مواطن أين هو من هذه المواقع الثلاثة حتى يكون مواطنا نافعا ولا يكون حربا على البلاد .

١٠ ـ فهل نحن قادرون على حمل أمانة الاسلام في تربية نشئه ، وهل وضعنا أقدامنا في أول الطريق وقولنا على بركة الله نسير ، أم سنكتفي بعبور الحياة على هامشها ونكون كركاب سفينة بلا ربان في بحر مملوء بالقرصان .

إننا ندعو إلى الاهتمام بشبابنا حتى نجعل منهم قوة تسر الأصدقاء وتغيظ الأعداء لاغثاء كغثاء السيل ، وعلينا ان نحشد كل طاقات الخير فينا لخدمة عملية التربية عاملين بقول الله تعالى : ( **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ) العنكبوت/ ٦٩ .

# لغويات

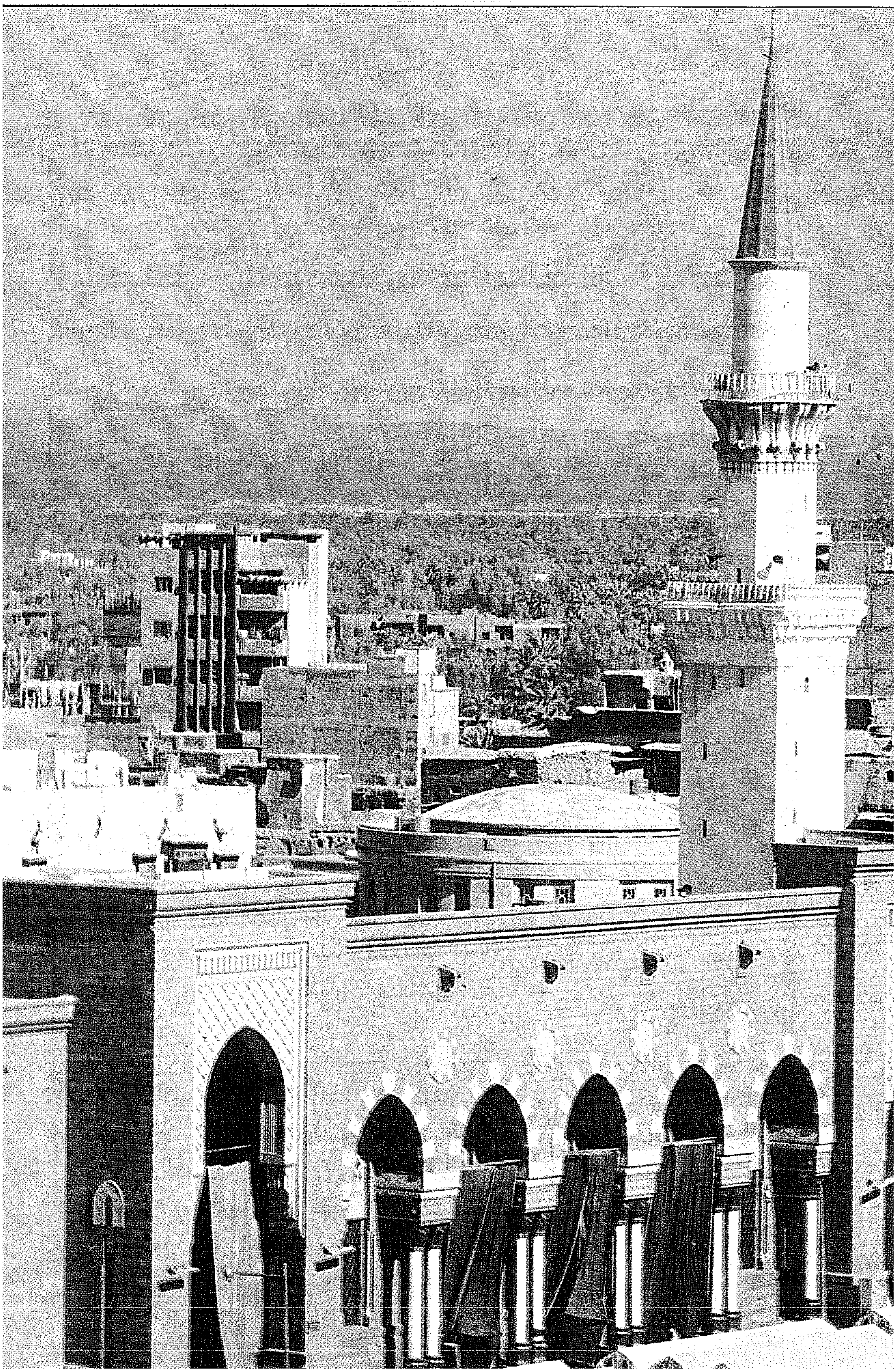
## يقولون

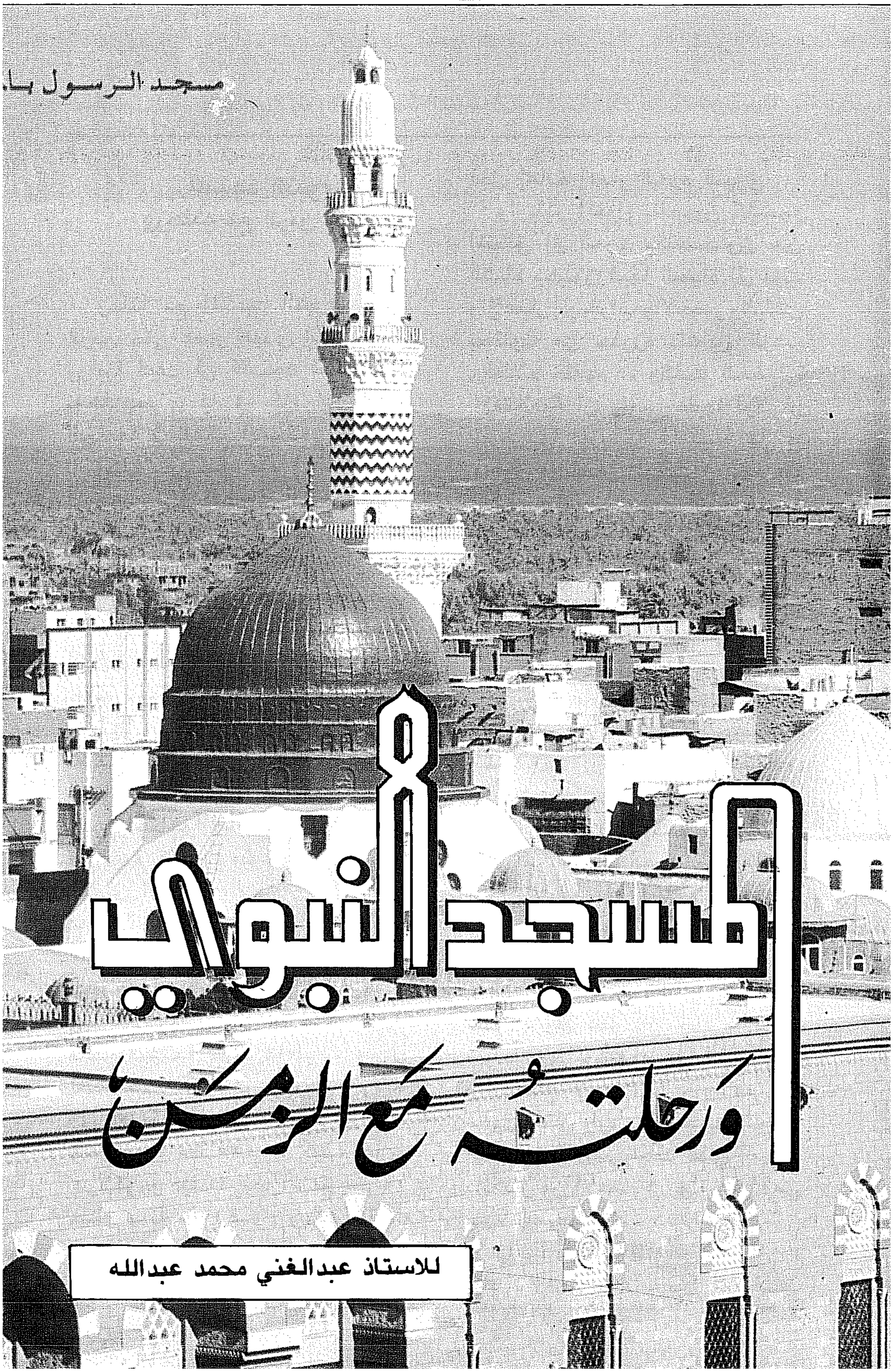
يقولون : هذه تاسع فتاة تفوز في المسابقة ، والصواب هذه تاسعة فتاة تفوز في المسابقة لأن العدد الترتيبي يوافق معدوده في تذكيره وتأنيثه سواء أكان صفة أم مضافا الى المعدود .

يقولون : اشترك في المسابقة أربعة خيول والصواب اشترك في المسابقة أربعة جياد لأن الخيول جمع خيل والخيل جماعة من الأفراس ولا مفرد له من لفظه وقال بعضهم : مفرده خائل لأنه يختال ، كما تطلق كلمة خيل أيضا على الفرسان ويدل على ذلك قوله تعالى : ( **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك** ) أى بفرسانك الذين يركبون الخيل ورجالتك من المشاة .

يقولون : هذا منزل متهالك لدرجة أن سوره تداعى للسقوط ، والصواب : لدرجة أن سوره تداعى ( وهو من المجاز ) لأن معنى تداعى : سقط أو أوشك على السقوط .

يقولون : كان فلان حاكما دكتاتورا ، والصواب كان حاكما طاغية أو مستبدا أو ظالما ، لأن كلمة دكتاتور كلمة لاتينية كانوا في روما القديمة يطلقونها على القضاة في الحالات التي تكثر فيها الفتن والقلاقل لمدة لا تزيد عن ستة أشهر ويكون القضاة والحكام فيها غير مسئولين عن تبعة أعمالهم وأحكامهم ــ جاء في الآية ١٥ من سورة ابراهيم : ( **وخاب كل جبار عنيد** ) .





# المسجد النبوي ورحلته مع الزمن

للاستاذ عبدالغني محمد عبدالله

## المسجد النبوي
## ورحلته مع الزمن ( ٢ )

رحلنا مع المسجد النبوي عبر الزمن حتى عصر المهدى العباسى .. ورأينا كيف أن المسجد قد أصبح نمطا يحتذى به في بناء المساجد الجامعة في العالم الاسلامي .

وكان حريق عام ( ١٢٥٦م ) المروع ( ليلة الجمعة أول رمضان ٦٥٤هـ ) وقد أصاب هذا الحريق المسجد بضرر غير قليل .. وما إن بلغ خبر هذا الحريق الخليفة العباسي المستعصم بالله . حتى أعد العدة لاعادة إعمار الحرم النبوي من جديد . ولكن الظروف السياسية التي مر بها العالم الاسلامي وقتئذ لم تسمح له بذلك إذ إن بغداد نفسها قد اجتاحها غزو مدمر من فعل المغول الذين اجتاحوا الشرق الاسلامي كله في غزوة كالبرق ويوم من الطبول ناشرين الخراب والدمار والموت حتى عمت الظلمة كل بلاد المسلمين في الشرق وجاء الدور على بغداد عاصمة الخلافة واصطبغ فيها دجلة بلون الدم وما لبث هذا اللون أن صار أسود قاتما كظلامة قلوب فاعليه . ودخل المستعصم بالله هو وزوجه وأولاده الى معسكر هولاكو ولم يخرجوا منه ولم يعرف مصيرهم .. كيف قتلهم هولاكو أو كيف تخلص منهم يوم ١٤ صفر سنة ٦٥٦هـ . وبذلك انتهت الدولة العباسية . وانتهت مع موت المستعصم بالله كل النشاطات من أجل إعادة إعمار الحرم النبوي .

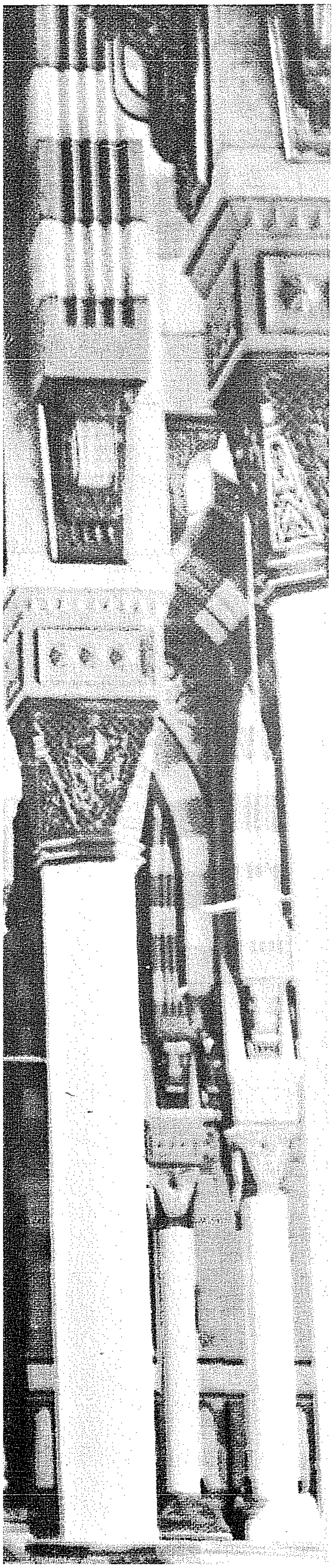
واستمر المغول ينقضون كالسهم المنطلق إلى الغرب يكتسحون مدن الشام يحيلون فيها الحياة إلى موت والإعمار إلى خراب والأخضر واليابس يجتثونه من جذوره ناشرين الرعب والظلام خلفهم .. وكادت الحضارة الاسلامية أن يقضي عليها لولا أن تعرضوا لهزيمة قاسية على يد « قطز » سلطان المماليك في مصر عند « عين جالوت » يوم أن صاحت زوجته في الجنود ــ وا إسلاماه ــ .. وعند هذه النقطة بدأ ارتدادهم وبدأت ترتد معهم حضارتهم الوثنية التي كانت ستنتشر حتما فيما لو سقطت مصر هي الأخرى .

وبتولي مصر الزعامة صار سلاطين المماليك هم حماة الحرمين الشريفين .. وقد استطاع السلطان بيبرس ( خلف قطز بعد مقتله أثناء عودته من عين جالوت ) أن يستقدم أحد أفراد البيت العباسي ويبايعه بأن يكون خليفة على المسلمين ..

وبدأ سلاطين المماليك في تعمير المسجد النبوي حيث سارع السلطان « الظاهر بيبرس » باعادة إعماره من جديد . وقد عمل من جاء بعده من سلاطين المماليك على التجديد والاصلاح في المسجد . ومنهم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر السلطان الناصر محمد الذي أضاف بائكتان من الأعمدة في رواق القبلة من جهة الصحن .

والسلطان « الظاهر جقمق » عام ٨٥٣هـ جدد بعض الأسقف





التي كانت تحتاج للتجديد لسوء حالتها .

**حريق عام ٨٨٦هـ .**

وفي ليلة ١٣ رمضان ٨٨٦هـ انقضت صاعقة على إحدى مآذن الحرم النبوي صرعت المؤذن الذي كان يؤذن بالصلاة في ذلك الوقت . وأصابت النيران سقف المسجد وأحرقته وأصابت بعض المصلين بالمسجد وتهدمت الجدران وسقطت الأعمدة وأتت النار على المنبر وأغلب الكتب ولم يسلم من هذا الحريق سوى الغرفة الشريفة وقبة الصحن .

**عمارة قايتباي**

وهي إحدى العمارات الهامة في المسجد . وقد سارع السلطان قايتباي بعد الحريق فأعد العدة لعمارة المسجد وعين الأمير « سنقر الجمالي » مسئولا عن هذه العمارة .

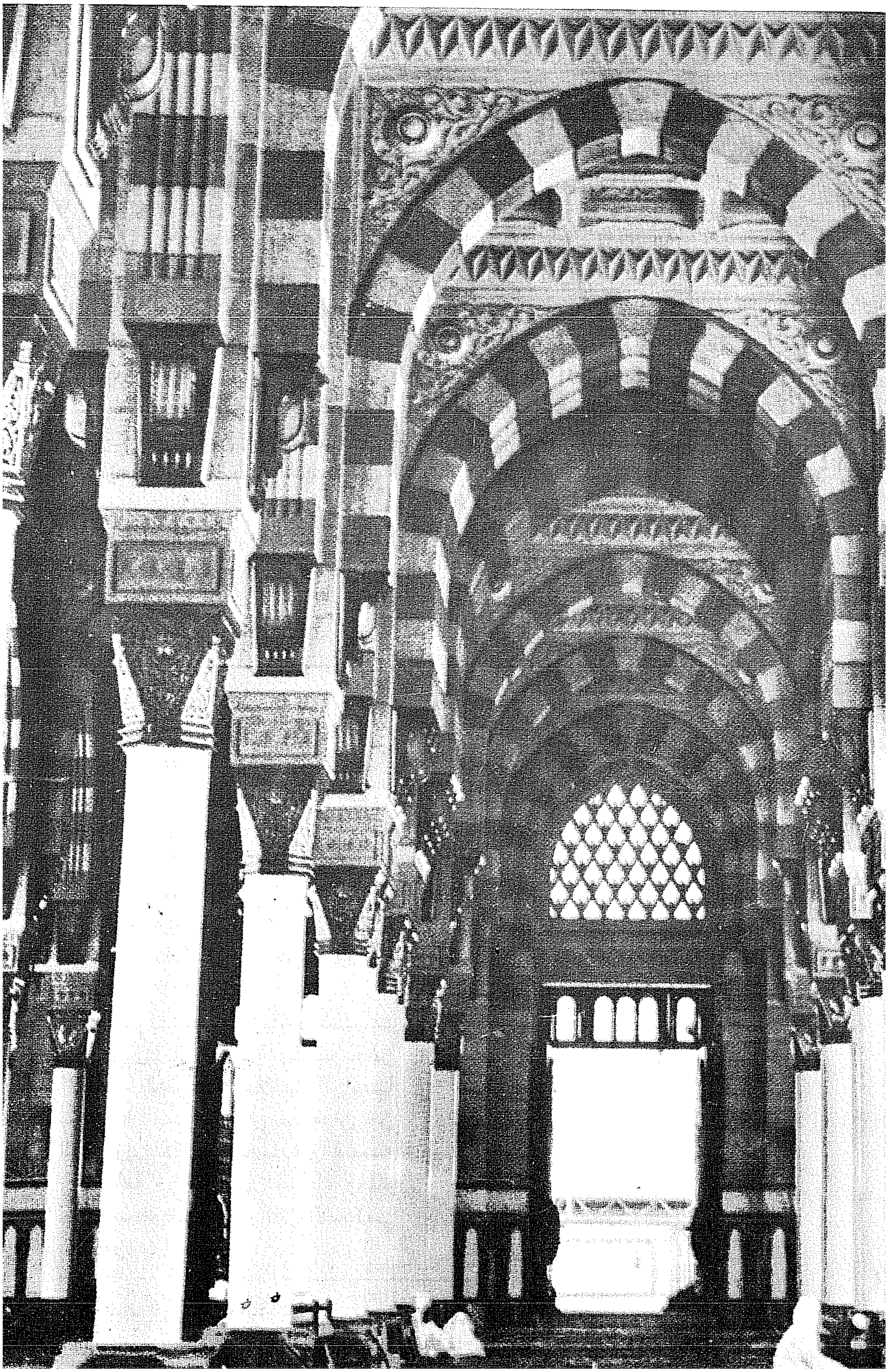
وتتلخص عمارة قايتباي باضافة قبة فوق الغرفة النبوية الشريفة ثم فوقها قبة أخرى يحملها عدد من الأعمدة .

وتم نقل الجدار الشرقي للشرق قليلا . وفي رأس مثلث الغرفة النبوية الشريفة أقاموا قبة تقف على اسطوانة تم إنشاؤها خصيصا لذلك ويحيط بهذه القبة ثلاث قباب صغيرة .

وقد تم إنجاز :ـ

١ ـ كسوة الغرفة النبوية الشريفة وما حولها بألواح الرخام .

٢ ـ استحداث محراب مجوف في



دعامة مستحدثة أقيمت بين قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمنبر .

٣ ـ أقاموا مصطبة من الرخام ( يستخدمها المؤذن ) .

٤ ـ توسيع وزخرفة محراب عثمان رضي الله عنه .

٥ ـ إعادة بناء المئذنة الجنوبية الشرقية .

٦ ـ بناء مئذنة باب الرحمة في الجنوب الغربي من المسجد .

٧ ـ إعادة بناء الجدر المتهدمة .

٨ ـ جلدت الحوائط في المسجد بالرخام .

٩ ـ باب السلام تم بناؤه وجلد بالرخام الرائع .

١٠ ـ إنشاء مدرسة بين باب السلام وباب الرحمة وهي المعروفة بالمدرسة المحمودية .

١١ ـ صارت الأعمدة تحمل عقودا يجلس السقف فوقها وقد عمل قايتباي على تغطية مصاريف عمارة المسجد النبوي ببذخ إذ بلغت تكاليف إعادة الأعمار مبلغا كبيرا . ومهما كان الأمر فان حدود المسجد لم يتم تغييرها تقريبا .. إلا أن الطابع المعماري المملوكي قد ظهر بوضوح وجلاء .

وزود المسجد بالمفروشات والأثاثات اللازمة وكذلك بعض الأعمال الفنية الاسلامية الرائعة منها على سبيل المثال شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة ( صناعة مصر زمن المماليك وهو حاليا محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ) .

وقد استغرقت عمارة قايتباي للمسجد النبوي ما يقرب من العام ولم يكتف بذلك بل إنه رتب لسكان مدينة الرسول بعض المؤن التي تكفيهم .

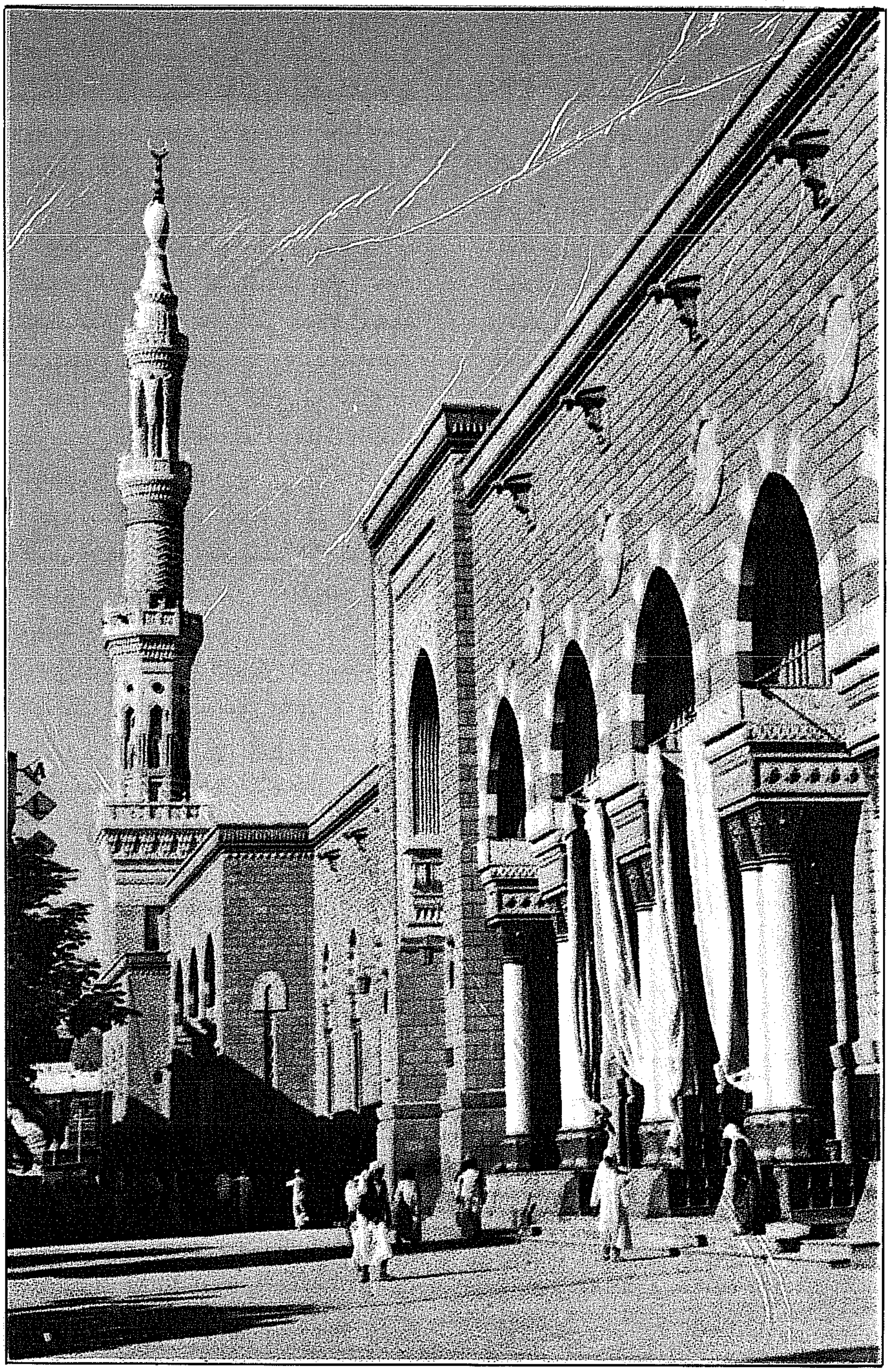
واستمر المماليك يهتمون اهتماما كبيرا بالحرم النبوي تجديدا وإصلاحا طوال العصر المملوكي .

وقد ظل المسجد النبوي بعد عمارة قايتباي دون التعرض لعمارة هامة طوال أربعمائة عام تقريبا .

### العثمانيون والمسجد النبوي

وبدأ العثمانيون يتجهون الى الشرق منذ عهد السلطان سليم الأول فاصطدم بالصفويين أولا ثم بالمماليك ويهمنا هنا ايضاح انتصار سليم على قنصوة الغوري سلطان المماليك في مصر والشام عند « مرج دابق » وانجلى غبار المعركة عن عصر جديد بدأ يطل على المنطقة اكتمل ظهور هذا العصر عند تعليق طومان باى بآخر سلاطين المماليك على باب زويلة في القاهرة ... وتباعا بدأت الولايات الاسلامية في الدخول تحت السيادة العثمانية .. ومنها أن شريف مكة قد التقت رغبته مع عرض عثماني بقبول السيادة العثمانية .. وكان الأمر في نهايته مفاتيح الحرمين الشريفين لسليم الأول العثماني ودخول الحجاز اسميا تحت سيادة آل عثمان . وبذلك تأكد لهم الزعامة الروحية والسياسية على العالم العربي وحينئذ صار لهم شرف رعاية وحماية المسجد النبوي .

وتعرض المسجد النبوي للتجديد أكثر من مرة على يد آل عثمان فمثلا



سليم الثاني سنة ٩٨٠هـ قام بتعمير أحد المحاريب غرب المنبر وأمر بزخرفته وكسوته بالموزاييك المذهب ووضع اسمه عليه . وكذلك السلطان محمود قام بتعمير قبة الحجرة الشريفة سنة ١٢٢٣هـ .

ولكن العمارة الهامة التي تمت في الحرم النبوي الشريف على عصر العثمانيين كانت هي التي تمت في عهد السلطان عبدالمجيد .. وقد كانت تحديدا شاملا للبناء الذي مر عليه ما يقرب من أربعمائة عام . وقد تم إعداد مجموعة من المعماريين والفنانين المهرة مُطلقاً لهم العنان في العمل لأخراج عمارته وزخرفتها على نحو من الفخامة تليق بقيمته العظيمة عند جماهير المسلمين .

وقد نقل هؤلاء العمال الأحجار من هضاب وادي العقيق عند « آبار علي » . ونقلوها في طريق مهدوه خصيصا لنقل هذه الأحجار .

وعند البناء لم يهدم البناء جميعه ولكن تم البناء والتجديد جزءا جزءا .. وذلك حتى لا تتوقف الصلاة في هذا المسجد وهو نظام متبع في العصر الحديث في أغلب المساجد الجامعة إذ يلجأ المهندسون إلى إغلاق جزء من الجامع يتم هدمه وإعادة بنائه من جديد بينما إقامة الشعائر الدينية في باقيه . هذا ويرى الدكتور حسن الباشا والاستاذ ابراهيم رفعت علاوة على ما ذكر من سبب أنه يحتمل أنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك إلى المحافظة على الحدود والمعالم الأصلية التي ربما كان يخشى من ضياعها أو تغييرها إذا هدم المسجد كله .

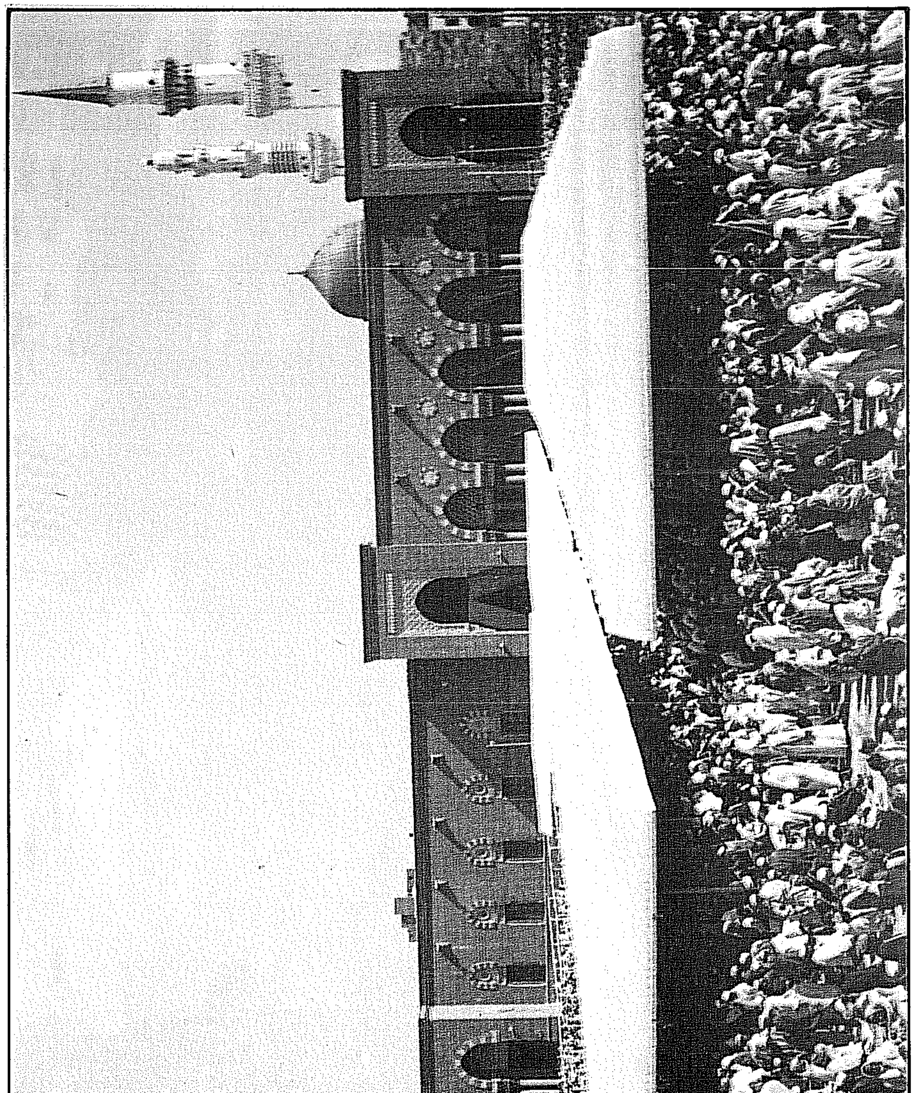
واستمرت هذه العمارة من عام ١٢٦٥هـ حتى ١٢٧٧هـ أي حوالي ١٢ عاما تقريبا وقد تكلفت هذه العمارة ٧٥٠ ألف جنيه مجيدى . وفيها أعيد بناء المسجد كله فيما عدا المقصورة والجدار الشمالي ومعظم الجدار الغربي ومحراب عثمان والمحراب النبوي ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم .

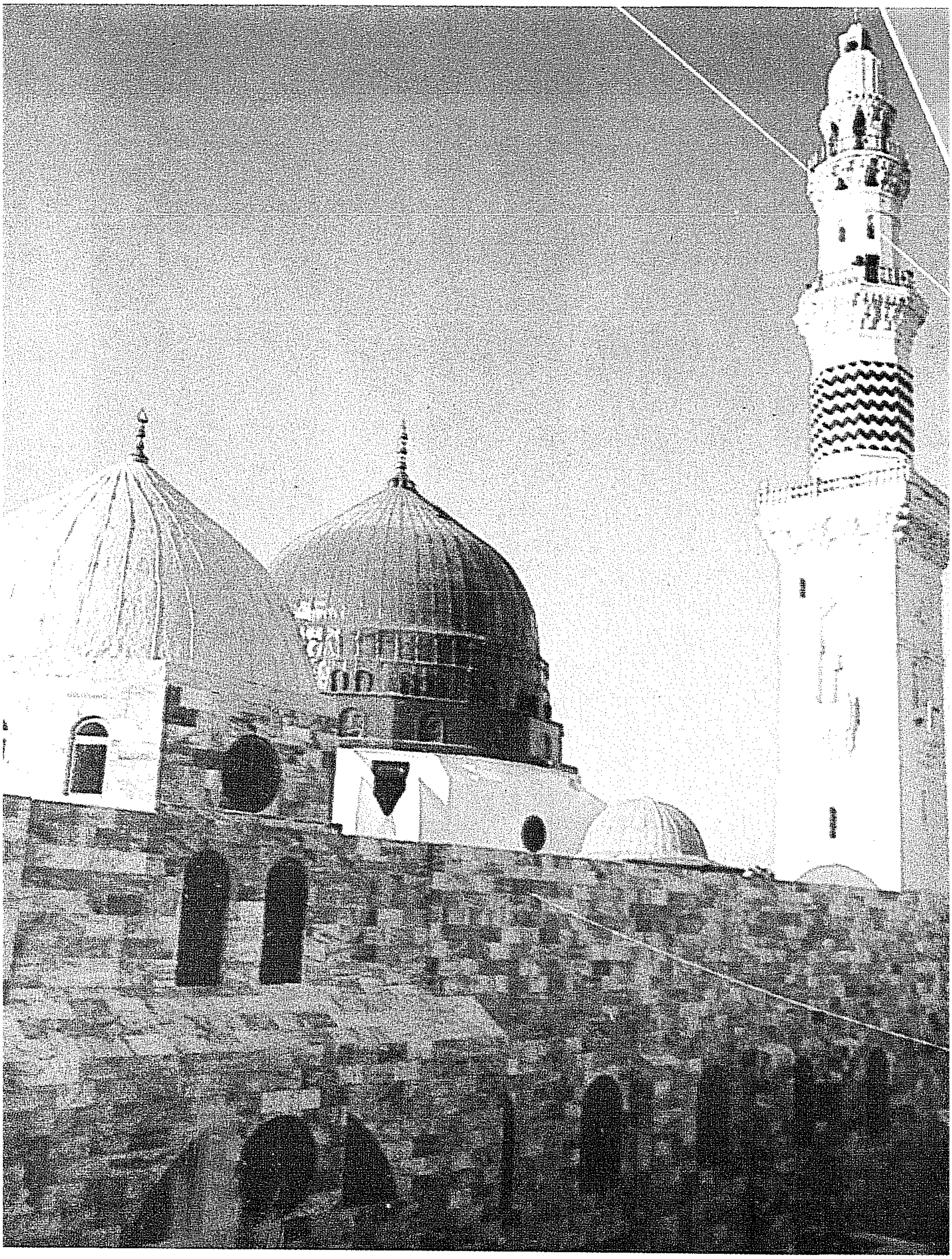
حدود المسجد في هذه العمارة ظلت كما هى تقريبا عدا زيادة بسيطة في الجنوب الشرقي وأضيف اليه مساحة من الأرض في الشمال أصبح مكانا للوضوء وفتح باب جديد عرف باسم الباب المجيدى .

تم تغيير وتبديل جميع الأعمدة فيما عدا بعض الأعمدة بالروضة وفوق العقود التي بنيت من الحجر الأحمر المنحوت جاءت عقود أخرى تحمل القباب التي تتخللها شبابيك شغلت بمشغولات النحاس والزجاج الملون .

وقد أعيد بناء المئذنة الموجودة في الشمال الغربي التي صارت تعرف باسم المئذنة المجيدية .. وأعيد بناء باب السلام على نحو فخم ومن خلفه جاءت قبة عظيمة .

وتم ترميم منائر المسجد ومداخله وإضافة بعض الغرف وبعض الخلوات . وتم تبليط أرض المسجد بالرخام وكذا جلدت بعض حوائطه بالرخام وزخرفت بواطن القباب ببعض المناظر الطبيعية من أشجار وزهور ومجاري مائية وذهبت بعض المحاريب .





وحول هذه المناظر الطبيعية صار جدل كبير بين علماء الآثار الاسلامية .. حول طبيعتها ومقصد الفنان المسلم منها .. وهل قصده كان تخيل شكل الجنة ؟

وعند انتهاء هذه العمارة صار المسجد النبوي على نحو فخم يليق بمقامه بين المساجد الجامعة عند المسلمين .. عمارة رائعة وزخارف من أرقى ما وصل إليه الفن الاسلامي في المدرسة التركية .. وشرائط من الكتابات التي أبدع خطوطها مشاهير الخطاطين المسلمين مثل الفنان الخطاط زهدي ومما دون على باب السلام :

رسول الله إني مستجير
بجاهك والزمان له اعتداء
وجاهك يا رسول الله جاه
رفيع ما لرفعته انتهاء
وظني فيك يا طه جميل
ومنك الجود يعهد والسخاء
وحاشا أن أرى ضيما وذلا
ولي نسب بمدحك وانتماء

ولقد اهتم الخزافون الأتراك بتصوير المسجد النبوي على البلاطات الخزفية تعظيما له وتبركا به وقد حققت هذه الخزفيات أثرا تاريخيا وفنيا كبيرا في الدراسات المتعددة حول تاريخ العمارة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه البلاطات محفوظة في كثير من المتاحف العالمية ولعل أعظمها موجود بمتحف « طوبقا بوسراى » في استامبول بتركيا ومتحف الفن الاسلامي بالقاهرة وهما يشكلان أكبر تجمع أثري وفني إسلامي . وقد أفادت هذه البلاطات كثيرا في التأريخ للمسجد النبوي .

ولعله من الملاحظ أن العثمانيين لم يولوا عنايتهم الفائقة لمساجد وجوامع في العالم الاسلامي إلا تلك التي انشئت في تركيا بالأضافة إلى عنايتهم واهتمامهم بالحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة .

**خاتمة :**

واستمر التجديد والإعمار .. ومازالت مساحته في تزايد حتى وصلت ١٦,٣٢٧ مترا مربعا عدا زيادة السنوات الأخيرة وما هو مزمع الاضافة إليه ويعتبر المسجد النبوي جامعة الاسلام الأولى . تخرج فيها الأفذاذ من كبار الصحابة الذين حملوا مشاعل النور والحضارة إلى كل أنحاء الدنيا .

والمسجد النبوي ـ الحرم النبوي ـ من المساجد التي تشد إليها الرحال . والصلاة فيه خير من الصلاة في غيره إلا المسجد الحرام . وبين المنبر والقبر الشريف قطعة من الجنة ( ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ) . ومن زار القبر الشريف حظى بشفاعة صاحبه صلى الله عليه وسلم ( من زار قبرى وجبت له شفاعتى ) .

أبدع فيه المعماريون والفنانون في إنتاج باخلاص على مر العصور .. فما أشرف من العمل في مسجده صلى الله عليه وسلم .. إلا في المسجد الحرام ؟

# الطفل المسلم

## في احتفالات عام الطفولة

### تعاليم الاسلام في التربية سبقت احدث نظريات القرن العشرين

الحلقة الثانية

في مقال سابق ذكرنا أن هيئة الأمم المتحدة قررت اعتبار العام الحالي ١٩٧٩ عام الطفولة .. وقد دعت الهيئة الدارسين والباحثين في هذا المجال إلى التلاقي في المؤتمرات الدولية والى تقديم أحدث نظرياتهم وآرائهم في رعاية الطفولة وتربيتها . ثم تعرضنا لدور الاسلام في تربية النشء وكيف استطاع أن يخلق من أولاد البدو الرحل الحفاة جيلا من القادة العقائديين الذين غزوا الدنيا كلها من الصين حتى الأندلس وأصبح منهم العلماء والساسة والأبطال العسكريون والمصلحون الاجتماعيون ..

وأصدق مثل على شخصية الطفل المسلم وحسن تربيته هو تلك القصة التي تنقلها لنا كتب التاريخ عن عبد الله بن الزبير عندما كان طفلا في الثانية عشرة من عمره ... فبينما كان يلعب مع زملائه في الطريق إذ مر بهم الخليفة عمر بن الخطاب .. وكانت لعمر إذا سار في الطريق هيبة في قلوب الناس .. فما إن رآه الصبية حتى تركوا الكرة وهربوا من الطريق تأدبا واحتراما إلا عبد الله بن الزبير الذي نظر إلى الخليفة وحياه ثم ظل يلعب في مكانه ... فناداه عمر وسأله :

لماذا لم تهرب من الطريق كالآخرين ؟

فقال عبد الله :

ولماذا أهرب ؟. ولست بظالم حتى أخشاك .. وليس الطريق ضيقا حتى أتركه لك ولم افعل ذنبا حتى أهرب منك .

ففرح الخليفة بهذا الرد وربت على رأس الفتى إعجابا بشجاعته وقال لأصحابه : سيكون لهذا الفتى شأن عظيم .. وقد صدق ظنه وأصبح عبد الله بن الزبير خليفة للمسلمين .

وقد جاء الاسلام بنظرية حديثة في

التربية كانت تعتبر ثورة في عصره وزمانه وهي أنه ألغى حاجز السن إذا توافرت الكفاءة والتقوى ... لقد كان عرب الجاهلية لا يجلون الانسان إلا بعمره وشيبته ولحيته ... والأكبر سنا هو الذي يصبح شيخ القبيلة وله الطاعة ولو كان بين شباب القبيلة من هو أعلم منه وأكفأ .
فجاء الاسلام ليحطم هذه النظرية ، وفي آخر غزوة قام بها المسلمون قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عين الرسول أسامة بن زيد وهو فتى في التاسعة عشرة من عمره قائدا على جيش من الصحابة فيهم كبار الشيوخ أمثال أبى بكر وعمر وفيهم كبار القادة الحربيين أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وقد جاء بعض الصحابة ، إلى رسول الله أكثر من مرة يرجونه أن يجعل على قيادة الجيش واحدا من كبار الصحابة والرسول في شدة مرضه يصر ويقول لهم : انفذوا بعث أسامه .

## تربية الطفل المسلم :

تكلمنا في الحلقة السابقة عن إكرام الطفل ومجالات هذا الاكرام وبقي الشق الآخر من التنشئة وهي تربية الطفل أى تعليمه الصواب والخطأ وتأديبه وتثقيفه في البيت والمدرسة وهذه هي بعض تعاليم الأسلام في التربية :
(١) لقد نهى الاسلام نهيا قاطعا عن إفساد الأطفال بالتدليل الزائد ... ففارق كبير بين العطف والمداعبة وبين التدليل والافساد ... ومن التدليل المفسد الترف الزائد في المأكل والملبس والمال .. فمثل هؤلاء الأطفال المدللين لا يرجى منهم خير ولا يصلحون لرسالة الاسلام . نظر رسول الله إلى مصعب بن عمير مقبلا عليه وهو جالس بين أصحابه في المسجد . وكان مصعب من فتيان المسلمين الذين نشأوا في ظل الدعوة ورأى رسول الله عليه ثوبا خشنا باليا وقد اخشوشنت يداه .. فقال الرسول : انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه بالايمان .. لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة اشتراها له أبوه بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون .
(٢) والطفل المسلم يجب أن يحفظ الكثير من القرآن والحديث من صغره وأن يتعلم الصلاة من السابعة ويضرب عليها في العاشرة وذلك لقول رسول الله : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه أبو داود .
وحكمة ذلك أن الطفل الصغير يكون دائما أكثر مقدرة من الكبار على الحفظ والاستيعاب ، وكلما كبرنا في العمر قلت قدرتنا على الحفظ ، وليس ضروريا أن يحفظ الطفل القرآن كله كنظام الكتاب القديم ، وان قدر على ذلك كان أفضل وأعظم بل يمكن ان يحفظ الآيات التي تتناسب مع مراحل عمره المختلفة : ــ فيحفظ أولا الآيات التي تدل على خالق الكون وقدرته ووحدانيته ثم يحفظ الآيات التي تدل

على الخلق والمخلوقات والسماء والنجوم والشمس والقمر والأرض والجبال والبحار والأنهار .. ثم يحفظ الآيات التي تنبهه إلى النظر في نفسه وفي خلقه وتكوينه ونمو الجنين في بطن أمه وتطوره والحمل والرضاعة والميلاد ثم الآيات التي تحث على الرحمة ومكارم الأخلاق وهكذا نجد أن اختيار آيات الله للطفل يحتاج منا إلى تنظيم علمي ضخم ، يشترك فيه علماء التربية وعلم النفس والطب والاجتماع مع رجل الدين .. ولا تقتصر فائدة حفظ القرآن في الصغر على الجانب العلمي والأخلاقي والتربوي وحدها ، ولكنها تقوم لسانه أيضا على اللغة العربية الفصحى منذ الصغر ، وتعطيه القدرة على تفهم أسرارها وبلاغتها .

(٣) وبعض الآباء يقف موقفا سلبيا أمام أخطاء طفله إما بدافع المحبة والتدليل ، وإما بدافع السلبية والضعف ، وهو بهذا يجني على طفله ولا يعطيه الحصانة والمعرفة لمواجهة الحياة : فالحكمة العربية تقول : « من لم يعلمه أبواه علمه الليل والنهار » وتقول أيضا : « رحم الله والدا يبكي ولده حتى لا يضحك الناس عليه » ... وكثير من الأمهات تجد المتعة في أن طفلها الصغير يسبها أو يضربها وتضحك له ... وهي تنسى أن هذا الطفل عندما يكبر قد يسبها ويضربها في شيخوختها .. أي أن تربية الأبوين هي التي تخلق الابن البار العطوف .

(٤) والاسلام لا يسمح للطفل المسلم ان يكون مخربا أو مؤذيا فكما أنه يأمر بالعطف على الطفل ورحمته فكذلك يأمر الطفل نفسه أن يكون رحيما بالمخلوقات التي هي أضعف منه فلا يؤذي طفلا أصغر منه ولا يؤذي كلبا أو قطة أو طائرا ... ولا يخلع شجرة أو يتلفها ولا يتلف حديقة أو زهرة فكثير من الآباء والأمهات في عصرنا الحاضر يتركون أطفالهم يلعبون ويخربون ويزعجون الجيران .. ويتلفون كل شئ فاذا اعترض الجار قالوا : إنهم أطفال لا يفهمون فاتركهم ، وهذا نوع من التربية الجاهلة والتدليل المفسد الذي نهى عنه الاسلام .. فقد أمسك أحد الصبية بطائر صغير لا يستطيع الطيران وأخذ يعبث به ... وبينما الرسول جالس في المسجد إذ جاءت أم العصفور وأخذت ترفرف بجناحيها وتصيح على ولدها ... ففطن الرسول إلى شكواها وآلامها ... فنادى أصحابه وقال لهم : « انظروا من فجع هذه بوليدها وردوه عليها » .. فبحث الصحابة حتى وجدوا الصبي ومعه الطير فأعادوه إلى أمه ثم أخذ الرسول يعلم الطفل في رفق ألا يكون مؤذيا أو مخربا ... ومرة أخرى رأى رسول الله مجموعة من الأطفال يصطادون الطيور بالنبل .. فوقف معهم يفهمهم أضرار النبل وقال لهم : « إنها لا تصيب صيدا ... ولكنها تفقأ العين وتكسر السن » البخاري أى إن اللعب بالنبل قد لا يصيد الطير ولكنه يؤذيه ويجرحه ويصيبه بعاهة دائمة ثم نهاهم عن استعمالها .

**التربية الجسمية :**

لا يكتفي الاسلام في تربيته للنشء باعدادهم عاطفيا وذهنيا ولا يكتفي بتعليمهم أمور الدين والفقه والأخلاق وحثهم على طلب العلم ولكنه أيضا كان يهتم بتكوين أجسامهم وبتربيتهم تربية عسكرية ورياضية وفي ذلك يقول الرسول : « علموا أولادكم السباحة والرماية » رواه احمد .

فكان الشباب على عهد الرسول يتعلمون كل أنواع الرياضة العسكرية . ومن طريف ما يحكى في ذلك أن رسول الله كان يستعرض جيشه قبل إحدى الغزوات .. ورغم قلة الجنود المسلمين فقد كان إذا وجد شبابا أصغر من السادسة عشر عاما يردهم ، حتى وجد اثنين من فتيان المسلمين واقفين في الصف ، وكان كل منهما يشب على أصابعه حتى يبدو في طول الرجال ، فضحك رسول الله وسأل أحدهما وهو سمرة بن جندب عن سنه فقال سمرة : إن سني خمسة عشر عاما ... فربت الرسول على ظهره وقال له : اذهب يا سمرة وتدرب على القتال ثم تعال في العام القادم نأخذك ... فقال له سمرة يا رسول الله لقد تدربت على الرماية حتى لم يعد بين الرجال من هو أفضل مني ... فأخذ الرسول يمتحنه بين بعض الرجال الرماة المهرة ووضع لهم هدفا فلما تفوق سمرة في الرمي قبله الرسول بين جنوده ... ثم جاء دور زميله رافع بن خديج وكان في مثل سنه ... فقال له الرسول : اذهب يا رافع فتدرب على القتال وفي العام القادم نأخذك معنا فقال له رافع : يا رسول الله لقد أجزت سمرة وأنا أقوى منه ولو صارعني لصرعته .. فقال رسول الله دونك فصارعه : وأقام الصحابة حلقة حول الفتيين اللذين أخذا يتصارعان أمام رسول الله في حماس شديد فلما تغلب رافع على سمرة قبلهما رسول الله معا في جيشه ، وهكذا كان رسول الله يعد هذا الجيل من الشباب لغزو العالم ونشر الدعوة وحكم الشعوب .. وكان عبد الله بن الزبير بن العوام أول فتى ولد في الاسلام في مدينة رسول الله وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره اصطحبته أمه أسماء بنت أبي بكر معها وهي تحارب في الشام وفي معركة اليرموك .. وفي عهد عثمان بن عفان كان قد بلغ العشرين من عمره فاشترك في معركة ذات الصوارى في الاسكندرية كأحد قادة البحرية الاسلامية وهي المعركة التي دمر فيها بدو الصحراء المسلمون الأسطول البحري الروماني واستولوا على سفنه وأسروا بحارته وجنوده ... ثم اشترك بعد ذلك في غزو القسطنطينية على عهد معاوية بن أبي سفيان كأحد قادة الجيش الاسلامي .. وهكذا استطاع تلاميذ رسول الله في خلال سنوات قليلة أن يغزوا الدنيا كلها شرقا وغربا وأصبح منهم العلماء والفقهاء والقادة العسكريون وأمراء البحار ثم أصبح منهم أعدل حكام عرفتهم الانسانية في تاريخها الطويل .

وهذه هي ثمرة التربية الاسلامية للطفل .

# حافظ ابراهيم

## شاعر الاسلام

١

للدكتور : حسن فتح الباب

لا غرو أن يقترن ــ في الوجدان الثقافي بصفة عامة وفي دراسات النقاد بصفة خاصة . اسم أحمد شوقي أمير الشعراء باسم حافظ إبراهيم شاعر النيل ، فقد كانا فرسي رهان في مضمار الشعر فن العربية الأول ، وذلك في أواخر القرن الماضي وفي الثلث الأول من القرن الحالي ، فقد اتفق أن ولد الشاعران في عامين متقاربين ، ولقيا ربهما في عام واحد . ولا يعرف تاريخ ميلاد حافظ على وجه التحديد ، والمرجح أنه ولد حوالي سنة ١٨٧٢ م . أما شوقي فقد ولد في ١٦ أكتوبر ١٨٧٠ م . وكانت وفاة الأول في ٢١ يوليه ١٩٣٢ م ، والثاني في ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ م . وقد رثى شوقي حافظا بقصيدة من عيون شعره قال في مطلعها مشيرا إلى تفوق شاعر النيل في المراثي :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وكانا أكبر شعراء عصرهما وأكثرهم شهرة وأغزرهم إنتاجا وأقدرهم تعبيرا عن مشاعر الأمة ، وإليهما يرجع الفضل بعد محمود سامي البارودي في بعث الشعر العربي وتجديد ديباجته وإحياء بهجته ونضارته وسحره وقوته ، والعودة به إلى عهود ازدهاره الأولى في دولة العباسيين . فكان شعرهما بذلك نقطة تحول للشعر العربي من عصر انحطاطه في أيام المماليك والعثمانيين إلى عصر تألقه الحديث ، كما غدا صوتا للوطن العربي وبداية انطلاقه إلى آفاق فسيحة من التطور مكنته ــ من خلال المعارك الأدبية التي أثارها وخاصة شعر شوقي ــ أن يفتح أبوابا جديدة للرؤية الشعرية من حيث الشكل والمضمون ، وأن يقتحم في جسارة دائرة الشعر العالمي عن جدارة أنبتتها الموهبة والارادة والممارسة والمعاناة .

ولئن كان الشاعران قد أفاضا من نفسيهما ما نفخ في الشعر العربي خلال الحقبة المشار إليها روحا وقوة ، وأسسا مدرسة واحدة اشترك معهما فيها إسماعيل صبري وأحمد نسيم وأحمد محرم وخليل مطران في مصر ، والزهاوي والرصافي في العراق ، وعمر أبو ريشة وبشارة الخوري في الشام وغيرهم ، فقد كان لكل شاعر بطبيعة الحال سماته وخصائصه التي يتفرد بها عن غيره تبعا لاختلاف حظوظهم من الموهبة والخبرة واختلاف منابعهم الثقافية واتجاهاتهم النفسية ونزعاتهم الفنية . وعلى الرغم من هذا الاختلاف فقد اتفق شوقي وحافظ في الالتزام بكثير من القضايا التي كانت سائدة في عصرهما وفي مقدمتها قضايا الوطن والعروبة والاسلام . فاتخذ كل منهما من شعره لسانا يؤكد به انتماءه إلى وطنه وقومه ودينه ، وسلاحا يدافع به عن مثله وقيمه المستمدة من هذه المقدسات .

والنزعة الدينية التي تتجلى في شعر شوقي وحافظ كانت صدى للضمير العام ، ومن ثم كانا في شعرهما الاسلامي يصدران عن البيئة السياسية والاجتماعية التي عاشا فيها ويمثلان ضمير أهلها . ويصف هذه البيئة الأديب المؤرخ المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل في المقدمة التي كتبها للشوقيات بقوله : « إنه لما

انتهت انجلترا باحتلال مصر بعد الثورة العرابية ، ونكثت بعد الاحتلال وعودها بالجلاء ، وأحس المصريون بتدخلها في شؤونهم ، اشتد عطفهم على تركيا ، وضعف تبرمهم بسيادتها عليهم ، وثبت عندهم اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الاسلام ، وقويت فيهم النزعة الدينية ، وكان من نلك ما زاد النشاط في بعث الحضارة الاسلامية والأدب العربي في مصر » .

وفي تأصل هذه النزعة الاسلامية يقول الدكتور محمد حسين هيكل أيضا في موضوع آخر إنه « إلى جانب مقام العاطفة الوطنية قوية متسلطة على نفس الشاعر تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوة ، وربما كانت أشد أخذا بهذه النفس وإثارة لشاعريتها ، تلك هي العاطفة الاسلامية .. وعاطفة المسلم تتجه صوب مكة مسقط رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومقام إبراهيم كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم . ومكة في بلاد العرب ، والنبي عربي والقرآن عربي » .

وقد عرف شوقي بأنه شاعر الاسلام والمسلمين ، وتعددت الدراسات التي كتبت عن نزعته هذه . ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لشاعر النيل مما يرجع في رأينا إلى كثرة ما أنتجه أمير الشعراء في هذا الغرض . بيد أن العاطفة الصادقة التي يفيض بها شعر حافظ الاسلامي على قلته إذا قيس بشوقي تجعله جديرا بالبحث والدراسة من تلك الناحية . وتقتضينا أن ندرسه كشاعر للاسلام كما عرفناه شاعر الوطنية وشاعر الشعب وشاعر السياسة والاجتماع ، وهي الميادين التي لم يجاره فيها أحد من شعراء عصره . وأول ما ينبغي تسجيله في هذا الصدد أن عاطفته الاسلامية كانت كما نوهنا انعكاسا لبيئته واستلهاما للشعور العام الذي ساد فيها ، كما كانت من نتاج الحياة الاجتماعية التي عاشها حافظ والمنابع الثقافية التي استقى منها . فقد كان شاعرنا ذا حس وطني بلغ من رهافته أن العلامة المرحوم أحمد أمين كاد أن يفضله عن شوقي في قصائده الوطنية بقوله : « كان شوقي إذا شعر في الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه ، يفخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم ، ويراعي العلاقة القوية بين عابدين ويلدز ، وبين الخديوي والخليفة . وإذا شعر حافظ في نلك لم نر عصبية جنسية ، إنما هي عصبية دينية ووطنية ، فهو يفخر بنصرة الترك ، لأنها نصرة للاسلام ، ويخشى على الخلافة لأن في ضعفها ضعفا لدينه وفي النيل منها نيلا من وطنه » .

وإذا كنا نعتبر حافظا شاعرا وطنيا من الطبقة الأولى ، فان مؤدي نلك أيضا أنه شاعر إسلامي كبير . ذلك أنه لم يكن ثمة انفصال في ذلك العصر بين العاطفتين الوطنية والدينية . فمصر ــ الوطن ــ من أكبر معاقل الدين الاسلامي في ماضيها وحاضرها . وكلاهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه قوة وضعفا . كما تشهد وقائع التاريخ منذ الفتح العربي حتى اليوم .

وقد كان حافظ مهيأ بحكم منبته ومنشئه ليكون شاعرا إسلاميا ، إذ كان جده لأمه أمين العمرة في الحج ، وعاش شاعرنا في أوساط الجماهير واندمج في غمار الناس حيث كانت الروح الاسلامية هي السائدة . وكان الدين مادة أساسية في

المدارس التي تلقي فيها العلم بالقاهرة على اختلاف مراحلها وذلك قبل أن يدرس في المدرسة الحربية . ويتبين لنا من تاريخ حياة حافظ إبراهيم في مطلع شبابه أنه كان حريصا على أداء الفرائض الدينية . وذلك أنه حينما انتقل مع أهله إلى طنطا « تعرف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي ، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥ هـ . إبريل ١٨٨٨ م وسن حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما .. قال الأستاذ النجار : « وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلي المغرب والعشاء والتراويح معا ، ثم نلبث في سمر ممتع ومطارحة للشعر ومذاكرة في نوادر الأدب وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض إلى أن يأتي وقت السحور » .

ولا شك في أن الصداقة التي توثقت عراها بين حافظ وبين الامام الشيخ محمد عبده رائد الاصلاح الديني في عصره قد أذكت نزعة حافظ الدينية لا سيما إذا علمنا أنها نشأت في مرحلة مبكرة من عمره ، واستمرت قوية حتى اختار الله الامام إلى جواره ، فرثاه حافظ رثاء حارا متفجرا من ذوب قلبه . وكان اتصال حافظ بالأستاذ الامام أيام كان في السودان حيث سافر في الحملة الأخيرة التي كانت بقيادة اللورد كتشنر ، وطالما كتب إليه رسائل يصف له حاله ويبثه لواعجه وشجونه ، ويستغيث به المرة بعد المرة أن يرده إلى مصر « فلما عاد في سنة ١٩٠٦ م زاد اتصاله به وعطف عليه الأستاذ وأنهله من علمه وفضله .. وقد عد حافظ نفسه فتى الامام ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، وقد يصحبه في أسفاره . وكان مجلس الشيخ ومجالس سعد زغلول وقاسم أمين ومصطفى كامل ونحوهم من أرقى المدارس ، تطرح منها المسائل العلمية والمعضلات السياسية والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم وكيف عولجت وما إلى ذلك ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره » .

تلك هي العوامل التي شكلت الاتجاه الاسلامي في شعر حافظ إبراهيم ، بعضها يرجع إلى نشأته الأولى ، على حين يرجع بعضها الآخر إلى التيارات البيئية والثقافية التي عاصرها . وهو يعبر عن هذا الاتجاه تعبيرا غير مباشر حينا وتعبيرا مباشرا حينا آخر . والمقصود بالأول هو تلك الروح العامة التي تشيع في ثنايا بعض القصائد حاملة نفحات الاسلام دون أن يعمد الشاعر إلى بثها والافصاح عنها ، فمثلها مثل الأشعة التي ترسلها الشمس أو القمر ، والماء الذي يسكبه الجدول ، والعبير الذي تذيعه الزهرة ، والغناء الذي يردده العصفور . فشاعر النيل يتنفس هذه الروح الاسلامية لأنها تسري فيه مسرى الدم في الشرايين ، ومن ثم نحس بها إذ نقرأ شعره في الوطنية وفي السياسة وفي الاجتماع ، لتأصل تلك الروح في نفس حافظ من جانب ولاقتران الوطنية بالدين والمجتمع في وعي الرأي العام من جانب آخر .

فاذا لاحظنا أن الكثرة الغالبة من قصائد حافظ تدور حول هذه الأغراض أمكن القول إن حافظا شاعر إسلامي وشاعر وطني واجتماعي في آن واحد . ويصدق هذا الرأي أيضا فيما يتعلق بالنزعة العربية وهي من الظواهر المميزة لشعره ، بل إن الروح الاسلامية أوثق صلة بتلك النزعة منها بالنزعة الاجتماعية أو السياسية ، لأن العروبة والاسلام يشكلان رسالة واحدة . ومما يسترعي النظر تلك القوة التي يمتاز بها تعبير حافظ عن الروح الاسلامية في بعض قصائده على الرغم من أن الاسلام ليس غرضها أو محورها الرئيسي ، وذلك دليل على صدق إيمانه بدينه وتغلغل قيمه في نفسه وانعكاس ذلك في فنه .

كما تعزى قوته في التعبير عن الاسلام تعبيرا غير مباشر إلى أنه كان في معالجته موضوعات شعره يغمس ريشته في مدار الواقع ، ويرسم صوره من صميم الحياة ، ولا ينسجها من أوهام الخيال ، فقوله يصدر من نبع الحقائق وهي الأحداث الاجتماعية والسياسية التي كان يموج بها عصره . وهو شاعر ملتزم يدعو إلى تحرير وطنه ونهضته ويهاجم أعداءه . فلا عجب أن تكون النزعة الاسلامية التي تتخلل هذه الدعوة وذلك الهجوم قوية ثائرة معبرة عما يضطرم في صدره من عاطفة جياشة وما يلتهب به من غيرة وحماسة .

وليست الصور التي يبني حافظ شعره بها هي وحدها التي تمثل طابعه الاسلامي ، بل إن قاموس الألفاظ عنده في كثير من قصائده يكاد أن يكون قاموسا إسلاميا أيضا كما نلمس هذه الظاهرة في بعض تراكيبه ، فهو يستخدم في قصيدته التي قالها مهنئا الامام بعودته من سياحته في بلاد الجزائر « نشرت في ٦ أكتوبر ١٩٠٣ م » الألفاظ الآتية : « الشرع ، الهدى ، الكتاب ، المحراب ، يوم الحساب ، المطهر الأواب ، ذوو الألباب ، المهيمن الوهاب ، الأزلام والأنصاب » ويقسم بالذي يرى ما بنفسه وهو الله تعالى اقتداء بعبارة رسول الله « والذي نفس محمد بيده » . ويصوغ معانيه في الصور الاسلامية الآتية :

| | |
|---|---|
| خشع البحر إذ ركبت جواريـ | ـه خشوع القلوب يوم الحساب |
| يتجلى كأنه صحف الأبـ | ـرار منشورة بيوم المآب |
| علمت من تقل فانبعثت للـ | ـقصد مثل انبعاثه للثواب |
| فهي تسري كأنها دعوة المضـ | ـطر في مسبح الدعاء المجاب |

ومن ظواهر الروح الاسلامية أيضا في شعر حافظ ظاهرة الاقتباس من القرآن والتضمين من الحديث . ومن ذلك قوله مدافعا عن الشيخ محمد عبده ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف ورسموا صورا تزرى بقدره :

| | |
|---|---|
| رسموا بذاتك للنواظر جنة | محفوفة بمكاره الأشعار |

إذ يشير بذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : ( حفت الجنة بالمكاره ) . ويشبه

صورة الامام في صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره الهجو بالجنة التي حفت بالمكاره . وهو يقتبس الآية الكريمة **( وأمرهم شورى بينهم )** في قوله :

فجعلت أمر النـــاس شورى بينهم     وأقمـــت شرع الواحـــد الديان

كما يقتبس من قوله تعالى **( ووضع الكتاب فترى المجرمين )** الآية ، وذلك في البيتين الآتيين :

وضع الكتب وسيـق جمعهمــو إلى     يوم الحساب وموقـــف الايمان
قد جاء يومهمــــو هنـــا وأمامهم     بعـــد النشور هنـــاك يوم ثاني

والأبيات الثلاثة الأخيرة وردت في قصيدة سياسية تحدث فيها حافظ عن شؤون الحكم وعلاقة الشعب بالحاكم ، وصور الجيش رجالا وسلاحا ، وطـاف بالحواضر في الشرق والغرب ، ومع ذلك فقد استخدم في تعبيره عن تلك المعاني مصطلحات ومعاني إسلامية . وفي صياغة جميلة وموسيقى رخيمة الجرس والصدى ينشئ حافظ قصيدة تمتاز بالسهولة والجزالة معا يهنئ بها عباس الثاني بقدومه من الحج « ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م » ، فيأسرنا ما تنضح به من عبير الشعائر المقدسة في الحج ، وتصوير هذه الشعائر تصويرا يدل على القدرة الفنية ، كما يكشف عن نشوة المشاعر الروحية بذكر فريضة الحج ولهفته الحارة إلى أدائها :

فيا ليتني اسطعت السبيـل وليتني     بلغت مني الداريـن رحبـا ومغنما

ومثلما يبث حافظ إيمانه القوي بدينه في قصائده السياسية نراه يتخذ هذا النهج في غير ذلك من الأغراض ، ففي قصيدته « إلى الأرض » التي أوحى إليه بها الثوران « البركاني » الذي حدث سنة ١٩٠٢ م في المارتنيك ـ وهي إحدى جزر الهند الغربية التي كانت تتبع فرنسا وبها كثير من الفوهات « البركانية » ـ والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضحاياه يقول حافظ :

أيها الناس إن يكن ذاك سخط الـ     أرض ، ماذا يكون سخط السماء ؟
إن في علـــو مسرحـــا للمقاديـ     ـر في الأرض مكمنـــا للقضاء
فاتقـــوا الأرض والسمـــاء سواء     واتقوا النـــار في الثـرى والفضاء

وتتجلى نزعته الاسلامية في أكمل صورها ممتزجة بحاسته العربية المرهفة في قصيدته المشهورة التي قالها سنة ١٩٠٣ على لسان اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها . فهي إشادة رائعة بالعروبة والاسلام ، ودعوة صارخة إلى التمسك بلغة

القرآن والانتصار لها ضد أعدائها الذين اتهموها بالضيق والجمود ، وهي التي صيغت بها أعظم الحضارات الانسانية علما وأدبا وفيها يقول :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي ؟

ويتوهج نور الاسلام في قصائد حافظ الوطنية والاجتماعية ، فهو ينهج فيها سبيل الدعوة الاسلامية ، ويؤيد منطقه بها ، ويصور الشريعة ورجالها منارا وقدوة للخير والرحمة والعدل ويكثر من ذكر القيم والمثل الاسلامية ، فيقول في الحث على تعضيد مشروع الجامعة سنة ١٩٠٨ م مشيرا إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الانجليزية المحتلة من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة ، متمثلا بقول الله تعالى : **( إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم )** :

وراقبوا يوم لا تفنى حصائده ... فكل حي سيجزي بالذي اكتسبا
بنى على الافك أبراجا مشيدة ... فابنوا على الحق برجا ينطح الشهبا
إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم ... أجر المجاهد ، طوبى للذي اكتتبا

ويردد حافظ ذكر القرض الحسن الذي نزلت به الآيات البينات في ختام قصيدة أنشدها سنة ١٩١٦ م للحث على إعانة الطلبة الشاميين بالأزهر .

أقرضوا الله يضاعف أجركم ... إن خير الأجر أجر مدخر

ويقول من قصيدة أنشدها في الحفل الذي أقامته جمعية رعاية الأطفال سنة ١٩١٠ م :

وعجزت عن شكر الذين تجردوا ... للباقيات وصالح الأعمال
خير الصنائع في الأنام صنيعة ... تنبو بحاملها عن الاذلال
وإذا النوال أتى ولم يهرق له ... ماء الوجوه فذاك خير نوال
والمحسنون لهم على إحسانهم ... يوم الاثابة عشرة الأمثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن ... عد وعن وزن وعن مكيال

فمن البين أن الشاعر هنا يستقي من نبع الشريعة السمحة . ونلمس ذلك أيضا في قصيدته عن ملجأ رعاية الأطفال إذ يقول :

وعلمنا أن الزكاة سبيل اللـ ... ـه قبل الصلاة ، قبل الصيام

خصهـا الله في الكتـاب بذكر فهـي ركن الأركـان في الاسلام
بدأت مبـدأ اليقـين وظلـت لحيـاة الشعـوب خـير قوام
لو وفي بالزكـاة من جمـع الدنـ ـيا وأهـوى على إقتنـاء الحطام
ما شكا الجوع معـدم أو تصدى لركـوب الشرور والآثام
راكبـا رأسه طريـدا شريدا لا يبـالي بشرعـة أو نمام
سائـلا عن وصيـة الله فيه أخـذا قوتـه بحـد الحسام

وتسود الروح الاسلامية أيضا في قصيدته التي قالها سنة ١٩١٦ م على لسان صنيعة من صنائع الجمعية الخيرية الاسلامية كان يتيما فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلما :

وجمـال صنـع البـر أ لا يسـتشف له حجاب
فتحـوا المـدارس حسبة وتنظـروا حسـن المآب
فيهـا تبينـت الهدى وقـرأت « فاتحـة الكتاب »
وبهـا صدفـت عن الضلا لة واهتديـت إلى الصواب
وغـدوت إنسانـا تجمـ ـلـه الفضائـل لا الثياب
متبصرا ذا فطنة تنفـي القشور عن اللباب

وهو يفتتح قصيدة نظمها في الاشارة بانشاء ملجأ الحرية بذكر البعث من القبور بعد الموت ، مشبها به نهضة الأمة من كبوتها وتحررها من إسارها بانجاز صالح الأعمال ، وفي ذلك دلالة على قوة عقيدته وعلى تأثره فنيا بالقرآن الكريم . فقد أوحى إليه اسم الملجأ الذي اتخذه موضوعا لقصيدته بالحديث عن الحرية ، وكم هنالك من صور أدبية يعبر بها الشعراء عن هذا المعنى ، ولكن روح حافظ الاسلامية هي التي أملت عليه الصورة الدينية التي اختارها فقال :

أيهـا الطفـل لك البشرى فقد قدر الله لنـا أن ننشرا
قدر الله حيـاة حرة وأبـى سبحانـه أن تقبرا

ويختم قصيدته أيضا بما يؤكد هذه الروح ويكشف عن إيمانه العميق بالله وشريعته ، فيردد اسم الجلالة والقدرة الالهية كما صنع في المطلع ، ويذكر حكم المثوبة لمن اشترى الآخرة بالحياة الدنيا ، فيقول مستحثا على الاحسان إلى اليتيم والمسكين وابن السبيل :

كل من أحيـا يتيمـا ضائعا حسبـه من ربـه أن يؤجرا
إنمـا تحمـد عقبـى أمره من لأخـراه بدنيـاه اشترى

# النسخ بين القرآن والسنة

للأستاذ حسن عبدالغني ابو غدة

قبل الكلام عن نسخ الأحكام الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لابد من كلمة تمهيدية نعرض فيها مكانة القرآن والسنة من حيث حجيتهما ، ثم نأتي الى بيان معنى النسخ وشروطه ووقائعه .

**القرآن الكريم :** يطلق هذا اللفظ على كتاب الله تعالى لأنه مقروء فهو قرآن . وجاء لفظ القرآن في قوله تعالى : ( **إنا أنزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون** ) سورة يوسف / ٢ كما سمي كتابا لأنه يكتب في الصحف وغيرها : ( **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته** ) سورة ص / ٢٩ . وللقرآن الكريم أسماء اخرى وردت في آيات عدة ، ومن هذه الأسماء الفرقان وكلام الله .. الخ ..

ولما جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجعل صحفه وأوراقه كتلة واحدة – بعد أن كانت موزعة عند الصحابة – أطلق عليه اسم المصحف .

والتعريف العلمي – الاصطلاحي – للقرآن الكريم في قولهم هو : « اللفظ العربي المنزل على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا متواترا المبدوء بسورة الفاتحة

والمختوم بسورة الناس » فالله تعالى أوحى الى عبده محمد ألفاظا عربية حفظها المسلمون وتناقلوها جماعات عن جماعات لا مجال للاتفاق بينهم على الكذب لكثرة عددهم ، وهؤلاء حافظوا على النص المنزل من عند الله حتى وصل القرآن الينا كما أنزل على الرسول — صلى الله عليه وسلم — قبل أربعة عشر قرنا تقريبا وسيبقى بعيداً عن يد التحريف والعبث تحقيقا لوعد الله تعالى : ( **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ) سورة الحجر / ٩ .

لقي القرآن الكريم العناية والاهتمام من الصحابة ومن بعدهم من المسلمين ، فأقبلوا عليه يقرءونه ويفهمونه ويهتدون بآياته ويحفظونها . إذ هو المصدر الأول لسعادة حياتهم ، لأن مريد الوصول الى حقيقة الدين وأصول الشريعة يجب عليه أن يجعل القرآن الكريم مرجعه ونوره الذي يهتدي به .

**السنة النبوية :** وتسمى حديثا نبويا أيضا ، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع لأنها المعينة على فهم القرآن إذ عنيت بشرح قواعد القرآن وتفريع الجزئيات على كلياته . لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بمقاصد القرآن .

ولفظ السنة في اللغة العربية يراد به الطريقة محمودة كانت أو مذمومة ومن ذلك قول الرسول « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » أخرجه مسلم .

أما التعريف العلمي — الاصطلاحي — للسنة النبوية فهو « ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير » .

والسنة القولية : ما تحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام ، ومن ذلك قوله : « الحياء من الايمان » متفق عليه .

والسنة الفعلية : ما نقلها الصحابة من أفعال الرسول في شئون التشريع من عبادة وحج ومعاملات وجهاد ومن ذلك ما أخرجه الترمذي وابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته الشريفة عند الوضوء — أي يبللها بالماء بأصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

والسنة التقريرية : ما أقرها الرسول من أفعال صدرت عن بعض أصحابه كأن سكت عنها أو أيدها ومن ذلك سكوته عن عمرو بن العاص رضي الله عنه حينما أصابته جنابة فتيمم وصلى لأن الوقت كان شديد البرد كما أخرج أبو داوود وأحمد وكما أقر الرسول

أكل خالد بن الوليد للضب أمامه وامتنع رسول الله عن أكله لعدم إلفته لذلك لأنه لم يكن منتشرا في قومه كما في الحديث المتفق عليه .

وكما أن القرآن الكريم حجة يستند اليها في استخلاص الأحكام الشرعية فكذلك السنة النبوية إذ يجب الأخذ بها والاعتماد عليها لقوله تعالى في سورة الحشر : **( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب )** الآية /٧ وماذكرناه من تعريف للسنة فذلك قول علماء الأصول ، لأن البحث عن الأحكام وقواعد الدين وطرق الأدلة وثبوتها من اختصاصهم . أما الفقهاء والمحدثون فلهم تعريفات أخرى تناسب ما يقصدونه من غرض البحث .

وقد تلقى الصحابة أحاديث الرسول من مخالطتهم له في المسجد والسوق والبيت والسفر والحضر بل إن جميع ما يصدر عن رسول الله كان موضع اهتمامهم ، وبلغ من حرصهم أنهم كانوا يتناوبون في ملازمة الرسول والأخذ عنه ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتغل وجار له في الزراعة ، يذهب جاره مرة ليسمع من رسول الله ثم يذهب عمر مرة ويتبادلان العلم والاسترشاد بما سمعا من رسول الله في فروع الحياة وسبل المعيشة ، وإذا كان العمل بالقرآن واجبا فالعمل بالسنة واجب ايضا لأن كلا العملين من طاعة الله والله لم يرسل رسولا الا ليطاع : **( وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله )** النساء /٦٤ غير أن العلماء فرقوا بين حقيقة القرآن والسنة بأن ألفاظ القرآن ومعانيه من عند الله تعالى وهو معجز ومتعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها . أما السنة فألفاظها من عند رسول الله أما معانيها فمن عند الله تعالى بمعنى أن الله يوحي الى رسوله أمورا يعبر عنها رسول الله من كلامه هو ، ثم إن السنة غير معجزة لعدم تحدي الناس بها ولا يجوز التعبد بها في الصلاة .

**النسخ** : النسخ في اللغة العربية الازالة ، والنقل ، فمن الازالة قولنا : نسخت الشمس الظل أي أزالت الشمس الظل ، ومن النقل قولنا : نسخت الكتاب أي نقلت ما كتب فيه .

والنسخ في الاصطلاح العلمي : « رفع حكم شرعي أو لفظه بدليل متأخر من الكتاب والسنة » إذ كان من رحمة الله بعباده ان غيرلهم بعض الأحكام الشرعية ، وقد نقل نلك التغيير بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية ، ومما جاء نسخه قول الله تعالى : **( إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا )** الانفال/٦٥ فهذه الآية كانت توجب على المسلمين أن يصمد العشرون منهم أمام مائتين والمائة أمام الألف ، ولكن الله نسخ هذا الحكم رحمة بالمؤمنين بما في قوله : **( الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن**

**منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين )** الأنفال /٦٦ وصار الواجب على الفرد المسلم أن يثبت في القتال أمام الرجلين من اعدائه ولا يجوز له الانهزام أو التراجع إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة .

**وقوع النسخ وحكمته :** والنسخ ـ الذي هو تغيير الأحكام بأحكام متأخرة عنها أو رفعها ـ قد وقع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ليس لأحد بعده أن ينسخ من أحكام الدين أو يرفعها لأنه صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن ربه والموحي إليه بذلك . ورفع الأحكام مقبول وجائز في العقل لأن الله بيده الأمر وله الحكم وهو الرب المالك ، له أن يشرع لعبأده ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والرحمة ، وهو الذي يعلم أن في النسخ قياما لمصالح الناس الدينية والدنيوية ، والمصالح قد تختلف بحسب الأزمان والأحوال فربما كان الحكم في وقت أو حال أصلح للعباد ، ولكن غيره في وقت أو حال أخرى أصلح منه ، والله عليم حكيم . وما دام العقل يتصور حدوث النسخ كان عليه أن يسلم بحدوثه إن نقل بطرق صحيحة لا يرقى الشك إليها . هذا وقد ذكرت حكم وفوائد للنسخ لا بأس من الاشارة إليها منها :

١ ـ اختبار المكلفين باستعدادهم لقبول التحول من حكم الى آخر ورضاهم بذلك .

٢ ـ مراعاة مصالح العباد بتشريع ما هو أنفع لهم .

٣ ـ التدرج والتغيير في الأحكام حتى يبلغ المكلفون الكمال المراد والنضج العقلي .

٤ ـ اختبار المكلفين بقيامهم بواجب الشكر إذا كان النسخ الى أخف وواجب التصبر إن كان إلى أثقل وأشد .

**شروط نسخ الأحكام :** لا يجوز إهمال نص شرعي أو حكم ما بحجة أنه منسوخ بمجرد أن يقع البصر على ذلك النص أو الحكم . إن التجرؤ على القول في الدين بغير علم ولا دراية بهتان عظيم وضلال كبير . بل لابد من الرجوع الى المصادر الموثوقة التي أثبتت فيها النصوص المنسوخة . وقبل ذلك لابد من معرفة أن العلماء المختصين قد شرطوا شروطا يجب أن تتوفر حتى يصار الى العمل بالناسخ . وقد ذكرت تلك الشروط نتيجة التتبع والاستقراء الكامل لأطراف الموضوع وهذه الشروط هي :

١ ـ تعذر الجمع بين الحكم المظنون انه ناسخ والحكم المنسوخ ، أما اذا أمكن الجمع بين الدليلين والعمل بهما فلا يعدل عن ذلك إذ هما مطلوبان ولا يزال حكمهما ساريا . وقد أسرف من قال بأن آيات المجادلة بالحسنى والدعوة الى الصبر والتحمل منسوخة بآيات المقاتلة والجهاد . لأننا حين نعمل النظر في كلا الأمرين نرى أنه يمكن العمل بهما والجمع بينهما . وهل هناك نسخ لأسلوب دعوة الناس ومناقشتهم وإقناعهم بالحجة والموعظة الحسنة ؟ إن بامكان المسلمين أن يدعوا غيرهم ويصبروا

على أذاهم وليس لأحد أن يقول إن ذلك الحكم منسوخ وأن على المسلمين أن يشرعوا سلاحهم في وجه خصومهم تمسكا بآيات المقاتلة والجهاد .

٢ ــ العلم بتأخر النص الناسخ : ومعرفة التاريخ ضرورية في ذلك وطرق معرفته إما التصريح بذلك من اللفظ المتأخر أو بخبر من صحابي أو بمعرفة وقائع الحادثة حين يذكر تاريخها وأيامها .. ومثال معرفة التاريخ من لفظ النص الناسخ قوله صلى الله عليه وسلم : « كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة » رواه مسلم . فقد صرح الحديث بالاباحة ثم أتبعها بالحكم المحرم الناسخ فعرف عند ذلك بأن نكاح المتعة كان مباحا ثم حرمه الاسلام .

ومثال خبر الصحابي قول عائشة رضي الله عنها : « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات » رواه مسلم فهي قد حددت المنسوخ والناسخ .

ومثال معرفة ذلك من وقائع الحادثة وذكر تاريخها قوله تعالى : ( **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا** ) إذ في الآية دلالة على تأخر تاريخ هذا الحكم عن الذي قبله ، وقد سبق شرح هذا المثال .

٣ ــ ثبوت الناسخ ثبوتا قطعيا أو صحيحا من حيث الرواية . أما إن كان ثبوته ضعيفا فلا يؤخذ به ، لأنه لا مجال للاستدلال بالضعيف في الأحكام والتشريع .

**ما لا يقبل النسخ :** لئن كان النسخ واقعا في أحكام الأدلة الشرعية أو ألفاظها فان العلماء قد أشاروا الى امور لا تقبل النسخ والتغيير لأنها بمثابة قواعد دينية ثابتة فلذا كان النسخ ممتنعا فيها وهذه الأمور هي :

١ ــ ما كان الحسن والمصلحة دائما فيها دون تأثر بتغير الأزمان والأماكن ، لأن حسنها لا يختلف باختلاف الأمم وذلك كوجوب الايمان بالله ووحدانيته وبر الوالدين والصدق .. فأمثال هذه الأمور لا يمكن أن تكون واجبة ثم تنسخ فتحرم وكذلك حرمة الأذى والكذب والزنى فهي أمور لا يأتي عليها إباحة بعد تحريم ولا تقبل النسخ ، لأن نظرة الدين إليها واحدة لا تتأثر باختلاف الأزمنة فهي بمثابة أركان الشريعة بل الشرائع التي أرسل الله بها رسله ليحققوا للناس مصالحهم ويدفعوا عنهم المفاسد .

٢ ــ كذلك لا يمكن وقوع النسخ على حكم نص الشارع على تأبيده وذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة : « وإن الله حرم ذلك الى يوم القيامة » رواه مسلم فلا يصح بل لا يتصور بعد هذا التحريم المؤبد أن يأتي نص يبيح نكاح المتعة لأن نتيجة ذلك وقوع التضاد بين الأخبار الشرعية وهذا ما ينزه عنه الشارع الحكيم . كما أن الخبر الشرعي عن شيء مضى لا يقبل النسخ وكذلك الوعد في المستقبل كاخباره عن انتصار الروم في سنين مقبلة كقوله تعالى

**( ألم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد )** الروم /١ـ ٤ لان ورود النسخ على ذلك الخبر سحب له فهو بمثابة التكذيب للخبر والكذب وإخلاف الوعد يستحيل على الشارع .

**النسخ بين القرآن والسنة :** لا خلاف بين العلماء في جواز نسخ القرآن بالقرآن إلا ما كان من أبي مسلم الأصفهاني الذي لا يلتفت الى رأيه لمعارضته الصريح المنقول من منطوق القرآن العزيز ووقائع السنة : **( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها )** البقرة /١٠٦ .

كما لا خلاف بين العلماء في نسخ السنة المطهرة وتغيير أحكامها بسنة مطهرة صحيحة النقل فان كانت متواترة ـ ينقلها جماعات عن جماعات ـ فيشترط في نسخها تواتر الناسخ ، وإن كانت آحادا ـ ينقلها فرد او افراد عن مثلهم ـ فيشترط في نسخها آحادية الناسخ ، ومن باب أولى ينسخ الآحاد بالمتواتر .

أما ما وراء ذلك فقد كان للعلماء فيه آراء نوضحها بما يلي :

**١ ـ نسخ السنة الشريفة بالقرآن الكريم :** بمعنى هل يجوز أن ينسخ نص قرآني حكم نص سابق ثبت بالسنة النبوية ؟ وهل جاءت نصوص من السنة ثم غيرها نص من القرآن ؟ جمهور العلماء أجازوا هذا النسخ وسلموا بوقوعه لما رواه البخاري ومسلم أن المسلمين ـ في اول هجرتهم الى المدينة ـ صلوا بضعة عشر شهرا متجهين الى بيت المقدس ، ثم إن الله نسخ هذا الحكم الثابت من السنة بآيات من القرآن الكريم تأمر بالتوجه الى الكعبة المعظمة قال تعالى : **( قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام )** البقرة/ ١٤٤ .

والامام الشافعي رحمه الله لم يوافق على القول بنسخ السنة بالقرآن لاحتمال أن يدعي أحد ترك الأحاديث المنشئة لحكم ما محتجا باطلاق القرآن ، خاصة إذا لم يعلم المتقدم منهما . بل ربما يدعي بعضهم أن آيات جلد الزاني نسخت حكم رجم الزاني الثابت في السنة النبوية . قال في الرسالة : « وهكذا سنة رسول الله لا ينسخها إلا سنة لرسول الله .. » ولو جاز ان يقال قد سن رسول الله ثم نسخ سنته بالقرآن ولا يؤثر عن رسول الله السنة الناسخة ، جاز أن يقال فيما حرم رسول الله من البيوع كلها قد كان يحتمل أن يكون حرمها قبل أن ينزل عليه قوله تعالى : **( أحل الله البيع وحرم الربا )** البقـرة/٢٧٥ وفيمن رجم من الزناة قد كان يحتمل أن يكون الرجم منسوخا لقول الله تعالى : **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة )** غير أن هذا احتمال لا يخطر على بال مسلم بل عالم بالشريعة خاصة وأنه لا يصار الى النسخ إلا بعد تعذر الجمع بين الدليلين والتأكد من المتقدم والمتأخر

من حيث الزمن .

**٢ ـ نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية :** وبيان ذلك انه هل يجوز أن ينسخ نص من السنة نصا من القرآن الكريم ؟ فالسنة ناسخة والقرآن منسوخ ـ كما هو واضح ـ فالجمهور وعلماء الحنفية منهم قالوا بجواز ذلك في العقل ووقوعه فعلا . وقد اشترطوا لنسخ القرآن بالسنة أن يكون الناسخ من السنة متواترا أو مشهورا من حيث الثبوت . أما خبر الآحاد فلا ينسخ نصا قرآنيا . وحجتهم في ذلك أن الحديث المتواتر قطعي الثبوت فهو كالقرآن الكريم في ذلك والمشهور من الأحاديث كقطعي الثبوت ـ المتواتر ـ لأنه اكتسب الشهرة عند العلماء . ومثلوا لذلك بأن الله جعل الوصية للوالدين والأقربين مقررة في الآية الكريمة : **( كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف )** البقرة/١٨٠ ثم نسخ هذا الحكم فمنع الوصية للوالدين والأقربين الوارثين في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور : « لا وصية لوارث » رواه أحمد والترمذي وغيرهما . وصار من المقرر في الشريعة الاسلامية أن الوصية لوارث غير صحيحة لأن الحديث المشهور المعمول به لدى جماهير العلماء نسخ حكم الآية الكريمة . بل إن ابن حجر في كتابه « فتح الباري » نقل عن الشافعي أن حديث « لا وصية لوارث » متواتر . ولكن بعض العلماء ومنهم الشافعي خالفوا الحنفية فيما ذهبوا اليه ومنعوا نسخ القرآن بالسنة سواء كانت متواترة أم مشهورة أم آحادا . مستدلين بقوله تعالى : **( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها )** البقرة/١٠٦ فصريح القرآن يدل على أن الناسخ لابد أن يكون مثل المنسوخ إن لم يكن خيرا منه . ومن المتفق عليه أن السنة ليست مثل القرآن ولا خيرا منه . بل إن عمل السنة متعين في بيان الكتاب الكريم وتفصيل أحكامه والتفريع عليها لا نسخها وتغييرها : **( لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون )** النحل/٤٤ فالقرآن في هذه الآية يخبرنا أن سنة الرسول مبينة له ومفصلة لأحكامه وليست ناسخة ومعدلة لها .

وأجابوا عن مثال الحنفية حول الوصية بأن آية المواريث : **( يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد )** النساء /١١ هذه الآية ناسخة لآية الوصية للوالدين والأقربين المتقدم ذكرها . ثم إن حديث لا وصية لوارث جاء بحكم جديد وبهذا اشتهر عند العلماء في أنه أنشأ حكما جديدا منع فيه الوارث عن الوصية . ولا شك في أن الاستقراء يدل على عدم وجود نص قرآني أبطلته السنة وحدها . وغاية ما وردت به السنة الزيادة على القرآن أو بيان حكم

جديد .

**كلمة أخيرة** : يعرف النسخ بالرجوع الى المصادر المختصة مثل كتب التفسير عامة وكتب تفسير آيات الأحكام ، والكتب الشارحة لأحاديث الأحكام وما كتب في علوم القرآن واصول الفقه عن النسخ ، أو ما أفرد البحث فيه عن النسخ سواء في القرآن أم في السنة .

وينبغي أن نشير الى أن بعض العلماء بالغوا في ادعاء النسخ وأكثروا من إيراد الأمثلة عليه ، بل إن بعضهم ادخل كثيرا من العموم المخصص في عداد المنسوخ ، وخلط بين النسخ وبداء الأحكام الشرعية وبين نسخ الأحكام . ومن الغرائب ما نقله ابن العربي في « أحكام القرآن » والقرطبي في « الجامع لأحكام القرآن ، عن بعضهم أن آية واحدة في القرآن نسخ أولها بآخرها وهي قوله تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ) المائدة/١٠٥ فأول الآية يأمر بالتزام النفس والحفاظ عليها بالعزلة عن الآخرين وآخرها يدعو الى الاهتداء لأن الهدى هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك من سنن النبوة وذلك قوله ( اهتديتم ) ومن الغرائب ما نقله القرطبي عن سعيد بن جبير من أنه كان يرى نسخ إطعام الطعام للأسير ــ الوارد في الآية الكريمة ( **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** ) الانسان/٨ ــ بالآية القرآنية ( **وقاتلوا المشركين كافة** ) التوبة/٣٦ وهي التي تشتهر بآية السيف . وقد أسرف ابن سلامة فيما أورده في كتابه « الناسخ والمنسوخ » غير أن السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » ابدى اعتدالا حينما قدر الآيات القرآنية المنسوخة باثنتين وعشرين آية ، وقد تابعه الزرقاني في ذلك وعددها في كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » أما في المنسوخ من الحديث النبوي الشريف فقد أفرد له ابن الجوزي رسالة ذكر فيها ما نسخ من الأحاديث وسماها « إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث » .

ومما سبق نستخلص أن النسخ غير كثير في القرآن الكريم والسنة الشريفة ــ لا كما ادعى بعضهم ــ لأن حكمة النسخ ليست منحصرة في تبديل أكثر قدر من الأحكام المقررة وإنما هي في تأهيل المكلفين واختبارهم والانتقال بهم في بعض مراحل زمنية بتشريع ما هو أنفع لهم على مرور الزمن وبشكل مستقر ودائم . والمعتمد في ثبوت النسخ استيفاء الشروط المتفق عليها بين العلماء ــ وقد تقدم ذكرها ــ ولا يعتمد أي قول بالنسخ مبني على رأي أو اجتهاد إذ لا نسخ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ لأنه هو الأمين على الرسالة المبلغ لأوامر الله ــ فلابد من إثبات النسخ بنقل صريح صحيح عن رسول الله او عن صحابي . وإذا ما ثبت نسخ حكم أو نص فلا يعمل به ولا تبنى عليه أحكام اجتهادية لانتهاء العمل به شرعا .

# إلا تنصروه

للأستاذ عبدالحميد المشهدي

**( إلا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا )** التوبة/٤٠

جلس الحبر « دانيال » في ظل الشجرة المجاورة لمنزله بين مجموعة من بنى قومه ، تلهى بعضهم بلعب الميسر ، وانشغل آخرون بالحديث عن رحلة الصيف الى الشام ، واشتبك فريق ثالث في الحديث حول استعداد اهل يثرب لملاقاة النبي محمد والحفاوة به ، وما يمكن أن يؤدي اليه نفوذه من الخطر على شريعة إسرائيل وتجارتها .. فكنت ترى الحبر تارة منتصب القامة يستعرض ثوبه في ضوء الشمس ويفليه ، وتارة اخرى مكبا عليه يرتق فتوقه ، ويدعم خروقه ، وثالثة تنام يده عن الحركة ليدلى بدلوه في المناقشة الدائرة حول قدوم الوافد الجديد .. ثم احتدت المناقشة ، وارتفعت يد الحبر في وجه احدهم بصوته العالي الاجش ، فسقطت الابرة من يده ، فقام وأقام من حوله - في ذعر - للبحث عنها ، وانتقل مجال النقاش عن ظروف الضيف القادم - الى البحث عن إبرة الحبر التي سقطت فجأة من يده ، وهو ينافح عن رأيه ، وراح الكل يبحث عنها هنا وهناك ، وداس أحدهم على نعل الحبر فانقطع شراكه ، فزاد غضبه وهياجه ، وكاد يشتبك مع غريمه في معركة ، لولا أن قطع عليهم ضوضاءهم - صوت ( فنحاص ) أحد زعمائهم قائلا :

- كأن الجزع على إبرة ونعل ، سيلهينا عن البحث في مستقبل بنى إسرائيل

الحبر - محتدا - إن إبرة ونعلا في يدي - خير عندي من إسرائيل نفسه

الكل - في تضاحك وتمايل .. ثم قال أحدهم .

- هذا ( مشكم ) قد وافانا من أحشاء يثرب فلعله يحمل من أنباء القادم - ما هو جديد .

- نامت الألسن ، وشخصت الأبصار فترة الى مشكم ، ثم تحرك لسانه وقال :

- لازال القوم في انتظار صاحبهم ،

# فقد نصره الله

يروحون مع الشمس ، ويغدون مع النجوم ، ويتحسسون أخباره من الوافدين في شوق وقلق .

ميمون — ولم لا يكون له مثل هذا الشأن ، وقد ألف بسحره بين زعماء الأوس والخزرج بعد أجيال من الحروب بينهما وسفك الدماء ، ثم هادن بدهائه عقائد النصارى واليهود ، حتى يتفرغ لكل فريق على انفراد ، على أنه إذا كان قد ألف بين زعماء الأوس والخزرج — فقد فرق بين الوالد وولده والمرء وزوجه ، مما حفز قومه على مطاردته لقتله .

الحبر — دعوا الحكم على الموقف حتى نرى من تصرفات الرجل ما يسمح لنا بالحكم عليه .

أصوات — الى الغد الى الغد

انفرط عقد الاجتماع الا من شخص واحد مقوس الظهر ، يبحث عن إبرته المنشودة وبالقرب منه صهره شاءول ، وقد اعتزم أن يكون أول من تقع عينه على الرجل الذي ملك على اصحابه قلوبهم ، وأول من يعلنها لهم ، فيذهب وحده بحسن الصيت ونبوغ الاحدوثه .. فراح يزرع فضاء الطريق ببصره ، فتارة تخدعه بعض الهضاب ، يظنها إبلا ، وتغريه تارة أخرى تموجات السراب يتوهمها قافلة ، فاذا تأهب لاعلان ما يرى ، وتجلت له الحقيقة عاد مبهورا ، حتى رأى عن بعد شاسع ثلاثة رجال وبليلهم على مطيتين ، بينهم من يحمل بعض الأوصاف التي سمعها من صهره الحبر ، فشهق ثم عاد فسكن ، ولكنهم كلما دنوا تحققت لديه علاقة جديدة مما سمعه في وصف رسول الله ، فيطفر دم الفرح في وجهه ، ويتلفت يمينا وشمالا ، ليتأكد خلو المكان ممن عساهم يشاركونه اكتشافه ثم أمعن في القادمين وصاح بأعلى صوته :

— يا معشر الأوس والخزرج هذا صاحبكم قد جاء .. والله إنه هو بعينه وضيء رغم آثار السفر . منبلج الوجه وفي عينيه دعج .

لم يكد شاءول يتم نداءه ، حتى تداعت جموع المسلمين من كل مكان كأنهم الجراد انتشارا ، والسيل

تدافعا ، وعلى رأسهم عمر وعثمان وسعد بن ابي معـاذ وعبـادة بن الصامـت ، وأسيـد بن الحضـير وغيرهم من أساطين الصحابـة في عدتهم وسلاحهم ، فسلموا على رسول الله وهتفوا مكبرين ..

عمر ــ ادخلوهـا إن شاء الله آمنين .

وهز السرور بريدة بن الحصيب ، فاتخذ من عمامته راية وشدها على رمح ، وراح يسير أمام ناقة الرسول ثم قال له على من تنزل يا نبي الله ؟؟

رسـول اللـه ــ إن ناقتـي هذه مأمورة ..

نزل ركب الرسول ( بقباء ) وحل ضيفا على كلثوم بن الهرم سيد بني عمرو بن عوف ، وظل في ضيافته أياما بنى خلالها مسجد قباء ، ثم عاد فركب ناقتـه واتجـه صوب المدينة ، فكان الناظر اليها عن بعد يراها وكأنها سابحة في أمواج من البشر ، فهؤلاء كبار الصحابـة في سيوفهم المشرعة كشجرة متشابـكة الأغصـان ، وهؤلاء مجموعـة من محاربي الأحباش يقومون برقصتهم الحربية ، وكأنهم ومعهم حرابهـم تحت التراب الثائر ــ نجوم تتلألأ في ظلام الليل ، وهذه مجموعات كثيرة وفي أيديهم سعف النخيل وافنـان الشجر مشرعة تهتز وتتمايل وهـم يرددون .

الله أكبر هذا سيد العرب
الله أكبر أوصانا بخير نبي
الله أكبر يا ابن مطلب
خير الجدود وأعلاها ذرى نسب

وهاتيك ربات الخـدور قد برزن كالأزهار فوق الأسطح وبين الشرفات يرددن اللحن الخالد :

طلـع البـدر علينا
مـن ثنيـات الوداع
وجـب الشـكر علينا
مـا دعـا للـه داع
أيهـا المبعـوث فينا
جئـت بالأمـر المطاع

أخذت الناقة سبيلها من جديد بين مظاهر الفرح ومباهج السرور ، فما ترك كلثوم بن الهرم زمام الناقة إلا ليد عتبان بن مالك سيد بنى سالم ، وما تخلت يد عتبان إلا لزياد بن لبيد ، وما اسلمته يد زياد إلا لسعد بن عباده ، وسلمها سعد ليـد بنـى عدى بن النجار ، ورسول الله يقول : « خلو سبيلها فانها مأمورة » .

سارت ناقة النبي غير بعيد عن دار أبي أيوب الأنصاري ثم عادت إليها وبركت :

الرسول ــ أى بيوت أهلنا أقرب ؟

أبو أيوب ــ دارى يا رسول الله .. أتأذن في أن أرفع اليها رحلك

الرسول ــ اذهب فهيىء لنا مقيلا ، فالمرء مع رحله

أبو أيوب ــ قد هيأناه فادخل على بركة .. الله

رسول الله ــ وهو يدخل ــ رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين .

توارت الشمس خلف غلالة الشفق في اليوم العاشر من ربيع ، واهتزت الأغصان بين يدي النسيم نديا

حانيا ، وارتفع ثغاء الغنم فرحة برحلة العودة الى حظائرها تحت سحائب الغبار ، وصاحت أمهات الأطيار بأفراخها ، تحتضنها ، وتطمئن على ذكورها عائدة من جولات الرزق طيلة النهار ، وأطلت النجوم من شرفاتها تزين الكـــون بنور محياها ، وتحرس فضاء الدنيا من كل مارد جبار ، وكـــأنها تحالفت جميعا على أن تشارك « يثرب » أفراحها بمقدم المصطفى المختار .

وبين النخيل المياسة في بستان بني عوف . جلس عامر بن فهيرة وعبدالله ابن أريقط وزيد بن حارثة وبريد بن الحصيب يأكلون التمر ويتبادلون أطراف الحديث ، فقال بريدة لصاحبه وهو يحاوره ــ ومن أي طريق جاء رسول الله وما وفد قادم على يثرب ــ إلا أنكر وجودكم في طريقه .

عامر بن فهيرة ــ لقد سلكنا طريق الساحل لأنها غير مطروقة ، ومع هذا فما كدنا نسير بعيدا عن مكة حتى سمعنا وقع حوافر فرس جامحة تحمل فارسين شاكـــي السلاح ، فتمكن الخوف من أبي بكر على سلامة رسول الله فقال له : ( لا تحزن إن الله معنا ) ثم توجه الى السماء وقال : ( اللهم اكفناه بما شئت ) فعثر الفرس ووقع على منخريه فخر عنه راكباه ولكنهما لم يزدجرا طمعا في الجعل ثم انهضاه وركبا من جديد ، فلم يسر غير بعيد حتى ساخت مقدمتا الفرس الى ركبتيه ، فخرا الى الارض مرة اخرى ثم عادا فركبا ، ولم يكد الجواد يقطع بضع خطوات حتى ساخت مقدمتاه الى لبته ، فنادى : يا محمد انا سراقة بن مالك ، ادع الله لى أن يطلق فرسي ، فأرجع عنك وأرد من ورائي فدعا له وانطلق فرسه وركباه حتى كانا دوننا بقليل ثم قال :

إني لأعلم بعد هذا الذي حدث أن أمرك سيظهر ، وأنك ستملك قلوب الناس ، فعاهدني إذا أتيتك يوم ذاك أن تكرمني ، فكتب أبو بكر له عهدا بذلك بأمر من رسول الله(٣) ثم قال له : وكيف بك يا سراقة إذا سورت يوما بسوار كسرى .

سراقة ــ كسري بن هرمز ؟

رسول الله ــ نعم ..

سراقة ــ فرحا قريرا ــ هذا يا رسول الله رحلي ومتاعي فخذوه ، وعند الثنية القادمة ــ قطيع من غنمي فاذبحوا واحملوا معكـــم منها ما تشاؤون .

الرسول ــ إذا لم ترغب في الاسلام ــ فلا حاجة بنا الى متاعك ومنيحتك ، اكفنا نفسك ورد عنا من ورائك .

سراقة ــ لك في عنقي ذلك برا ووفاء ! بريدة بن الحصيب ــ وما سر هذه الوضاءة تكسو رسول الله ، بينما السفر الطويل والشمس محرقة .

عامر بن فهيرة ــ لقد لازمت رسول الله سحابة وفية ندية رخية منذ زايلنا مكة ... حتى وافينا ( يثرب ) .

أصوات ــ الله أكبر الله أكبر .

# الفتاوى
للشيخ عطية صقر

## السبحة

**السؤال :**

**ـ يقول بعض الناس : . إن التسبيح بالسبحة بدعة تبطل الأجر أو تقلل منه ، فهل هذا صحيح ؟**

**ع . ن بميناء سعود ـ الكويت**

**الجواب :**

السبحة « بضم السين المهملة وسكون الباء الموحدة » هي الخرز المنظوم ، والتي يعد بها الذكر والتسبيح ، وقيل : إنها عربية وتجمع على « سبح » بضم السين ، وقيل : إنها مولدة .

وإحصاء الذكر بالسبحة من اختراع الهند ، كما يقول الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني « مجلة ثقافة الهند ـ سبتمبر ١٩٥٥ » اخترعه الدين البرهمي فيها ، ثم تسرب الى البلاد والأديان الأخرى ، وتسمى السبحة في اللغة السنسكريتية القديمة في الهند « جب ما لا » أي عقد الذكر .

ثم يقول : وتختلف الفرق البرهمية في عدد حباتها وفي ترتيبها ، فالفرقة الشيوائية سبحتها أربع وثمانون حبة ، والفرقة الوشنوية سبحتها مائة وثمان حبات . والخلاف راجع الى حاصل ضرب ١٢ « عدد الأبراج السماوية » في ٧ « عدد النجوم الظاهرة بما فيها الشمس والقمر عند الفرقة الاولى » أو في ٩ « عدد النجوم الظاهرة عند الفرقة الثانية باضافة أحوال القمر الثلاثة » وكل سبع حبات في مجموعة متميزة .

وعند ظهور البوذية في الهند بعد البرهمية اختار رهبانها السبحة الوشنوية « ١٠٨ » من الحبات . وعند تفرق طوائفها في البلاد قلد رهبان النصرانية هؤلاء فيها . وكل ذلك قبل ظهور الاسلام .

جاء الاسلام فأمر بذكر الله كما أمر بسائر العبادات والقربات والطاعات ، وإذا كان الأمر بالذكر قد ورد مطلقا بدون حصر في عدد معين أو حالة خاصة كما في قوله تعالى ( **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ) آل عمران / ١٩١ وقوله أيضا : ( **يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا** ) الأحزاب / ٤١ ، ٤٢ ـ فقد وردت أحاديث تحدد عدده ووقته ، كما في

ختام الصلاة بثلاث وثلاثين تسبيحة ، وثلاث وثلاثين تحميدة ، وثلاث وثلاثين تكبيرة ، وتمام المائة : لا إله إلا الله وحده .... وكما جاء في نصوص أخرى في فضل بعض الذكر عشر مرات أو مائة مرة ، وهنا يحتاج الذاكر إلى ضبط العدد ، فبأي وسيلة يكون ذلك ؟

ليس في الاسلام وسيلة معينة أمرنا بالتزامها حتى لا يجوز غيرها ، والأمر متروك لعرف الناس وعاداتهم في ضبط أمورهم وحصرها ، والاسلام لا يمنع من ذلك إلا ما تعارض مع ما جاء به .

والمأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعقد التسبيح بيده ، كما رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عمر ، وأرشد أصحابه الى الاستعانة بالأنامل عند ذلك ، فقد روى أبو داود والترمذي والحاكم عن « بسرة » وكانت من المهاجرات ، أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد ، واعقدن بالأنامل فانهن مسؤولات مستنطقات » .

غير أن الأمر بالعد بالأصابع ليس على سبيل الحصر بحيث يمنع العد بغيرها ، صحيح ان العد بالاصابع فيه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه هو نفسه لم يمنع العد بغيرها ، بل أقره ، وإقراره من أدلة المشروعية .

أ ــ أخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن ، فقال « ما هذا يا بنت حيي » ؟ قلت : أسبح بهن ، قال : « قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا » قلت : علمني يا رسول الله ، قال « قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيء » . والحديث صحيح .

ب ــ وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة ، وبين يديها نوى أو حصى تسبح ، فقال « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ قولي : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، سبحان الله عدد ما خلق في الارض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك . وسبحان الله عدد ما هو خالق ، الله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » .

والى جانب إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا العمل وعدم الانكار عليه ، اتخذ عدد من الصحابة والسلف الصالح النوى والحصى وعقد الخيط وغيرها وسيلة لضبط العدد في التسبيح ، ولم يثبت إنكار عليهم .

١ ــ ففي مسند أحمد ــ في باب الزهد ــ أن أبا صفية ــ وهو رجل من الصحابة ــ كان يسبح بالحصى ، وجاء في معجم الصحابة للبغوى أن أبا صفية ، وهو مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يوضع له نطع ــ فراش من

جلد ـ ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به الى نصف النهار ، ثم يرفع ، فاذا صلى الأولى أتى به فيسبح به حتى يمسي .

٢ ـ وروي أبو داود أن أبا هريرة كان له كيس فيه حصى أو نوى يجلس على السرير ، وأسفل منه جارية سوداء ، فيسبح ، حتى اذا انفد ما في الكيس فدفعته إليه يسبح . ونقل ابن أبي شيبة عن عكرمة أن أبا هريرة كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فكان لا ينام حتى يسبح به اثنى عشر ألف تسبيحة .

٣ ـ وأخرج أحمد أيضا في باب الزهد أن أبا الدرداء كان له نوى من نوى العجوة في كيس ، فاذا صلى الغداة ـ الصبح ـ أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن .

٤ ـ وأخرج ابن أبي شيبة أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى أو النوى ، وأن أبا سعيد الخدري كان يسبح أيضا بالحصى .

٥ ـ وجاء في كتاب « المناهل المسلسلة لعبد الباقي » أن فاطمة بنت الحسين كان لها خيط تسبح به .

٦ ـ وذكر المبرد في « الكامل » أن علي بن عبد الله بن عباس المتوفي ١١٠ هـ ـ كان له خمسمائة أصل شجرة من الزيتون ، وكان يصلي كل يوم إلى كل أصل ركعتين ، فكان يدعى « ذا النفثات » فكأنه كان يعد تركعه بالأشجار .

[ لايهمنا من هذا الخبر الذي لم تتوفر له مقومات الصدق عدد ما كان يصليه صاحب هذه الأشجار في اليوم الواحد ، وهو ألف ركعة ، إنما يهمنا هو أن وسيلة الاحصاء كانت الشجر ] .

وبناء على هذه الأخبار لم تكن « السبحة » المعهودة لنا معروفة عند المسلمين حتى أوائل القرن الثاني الهجري ، ويؤيد ذلك ما نقله الزبيدي في « تاج العروس » عن شيخه : أن السبحة ليست من اللغة في شيء ، ولا تعرفها العرب ، إنما حدثت في الصدر الأول إعانة على الذكر وتذكيراً وتنشيطاً .

يقول الأستاذ الحسيني في المجلة المذكورة : ويظهر أن استعمالها تسرب بين المسلمين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، فان أبا نواس ذكرها وهو في السجن ، في قصيدة خاطب بها الوزير ابن الربيع في عهد الأمين « ١٩٣ ـ ١٩٨ » .

> أنت يا ابن الربيع ألزمتني النسك وعودتنيه والخير عادة
> فارعوى باطلي وأقصر حبلي وتبدلت عفة وزهادة
> المسابيح في ذراعي والمصحف في لبتي مكان القلادة

وهو أقدم ذكر للسبحة بالشعر العربي فيما يعلم .

ولما شاعت بين المسلمين استعملها بكثرة العامة من المشتغلين بالعبادة ، ولم يستحسنها علماؤهم ، ولذلك لما رؤيت في القرن الثالث الهجري في يد « الجنيد » اعترض عليه وقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه « الرسالة القشيرية » .

وذكر ابو القاسم الطبري في كتاب « كرامات الأولياء » أن أبا مسلم الخولاني كانت له سبحة ، وأن كثيرا من الشيوخ كانت لهم سبح يسبحون بها ، وذكروا في فوائدها أنها تذكر الانسان بالله كلما رآها أو حملها ، وتساعده على دوام الذكر ، وعلى ضبط العدد .

وبقي استعمالها بين المسلمين بين راض عنها وكاره لها ، حتى كان القرن الخامس ، فانتشرت بين النساء المتعبدات ، الى أن عمت بين الناس جميعا ، ويحتفظ في أضرحة بعض الأولياء بسبحهم التي ينتظم بعضها ألف حبة ذات حجم كبير .

ولم يصح في مدحها خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كالذي أخرجه الديلمي مرفوعا « نعم المذكر السبحة » ، كما لا يصح ما نقل عن الحسن البصري أنه ، عندما قيل له : أنت مع السبحة مع حسن عبادتك ؟ قال : هذا شيء استعملناه في البدايات ما كنا لنتركه في النهايات .

ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من عد الذكر بالسبحة ، ولا يعدون ذلك مكروها . وقد سئل بعضهم ، وهو يعد بالتسبيح : أتعد على الله ؟ فقال : لا ، ولكن أعد له .

وجعل حبات السبحة اليوم مائة أو ثلاثا وثلاثين راجع الى الحديث الصحيح في ختم الصلاة .

وبناء على ما سبق ذكره يكون التسبيح بغير عقد الأصابع مشروعا ، لكن أيهما أفضل ؟ يقول السيوطي : رأيت في كتاب « تحفة العباد » ومصنف متأخر عاصر الجلال البلقيني فصلا حسنا في السبحة قال فيه ما نصه : قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة لحديث ابن عمرو ، لكن يقال : إن المسبح إن أمن الغلط كان عقده بالأنامل أفضل ، وإلا فالسبحة أولى . والسنة أن يكون باليمين كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجاء ذلك في رواية لأبي داود وغيره .

« انظر : الحاوي للفتاوي للسيوطي ، ونيل الأوطار للشوكاني » .

هذا ، وقد تفنن الناس اليوم في صنع السبحة من حيث المادة والحجم والشكل واللون والزخرفة وعدد الحبات ، وعنى باقتنائها كبار الناس ، سواء أكان ذلك للتسبيح أم للهواية أم لغرض آخر ، ولا يمكننا أن نتدخل في الحكم على ذلك ، فالله أعلم بنياتهم ، ولكل امريء ما نوى .

وأقول : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « واعقدن بالأنامل فانهن مسئولات مستنطقات » فان حبات المسبحة لا تحركها في يد الانسان الا الأنامل ، وهي ستسأل وتستنطق عند الله لتشهد أنه كان يسبح بها ، ولا يجوز التوسع في إطلاق اسم البدعة على ما لم يكن معروفا في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يجر الخلاف في السبحة الى جدل عقيم قد يضر ، والأهم من ذلك هو الاخلاص في الذكر ولا تضر بعد ذلك وسيلته ، والله ينظر الى القلوب كما صح في الحديث .

# بأقلام القراء

جاءتنا هذه القصيدة بعنوان :

## « عجبت لا تنتهي »

عجبت للأرض تعطى الخير أهليها … والكفر يرجمها والشرك يؤذيها
عجبت للشمس من في الصبح يظهرها … ومن وراء الدجى في الليل يخفيها
عجبت للحبة الصماء نبذرها … في الأرض تؤتى ثمارا ثم نجنيها
عجبت للوردة الفيحاء نقطفها … من ذا الذي أودع العطر الذي فيها
عجبت للأم تؤتى الدر إن ولدت … وان تكن عاقرا لا در يأتيها
عجبت للطير في الأرجاء سابحة … تسعى بجد ورزق اليوم يكفيها
عجبت للشهد أم الشهد تصنعه … من ذا الذي لجميل الصنع يهديها
عجبت للحية الرقطاء مسكنها … في الصخر لا ماء بين الصخر يرويها
عجبت للروح أين الروح في جسدي … من عنده علمها سبحان باريها
عجبت لاتنتهي إن جد قائلها … لم يؤت علما عن الأشياء يحصيها
العلم لله كل الأرض قبضته … إن شاء يقبضها أو شاء يبقيها
سبحانه من إله واحد أحد … يبلي العظام وأنى شاء يحييها

عوض الحسيني محمد قشطه

### كما جاءتنا من السيد صلاح الدين محمد الكامل كلمة بعنوان :

## أسوة حسنة

الأسرة هي الوحدة الأساسية التي تتكون منها الأمة .. وقد عنيت بها الشريعة الاسلامية أجل عناية باعداد هذه الوحدة لتؤدي وظيفتها على الوجه

الأكمل في تكوين شخصية الفرد فيها ليستطيع مواجهة المجتمع بمطالبه وتبعاته ، وكان للاسلام الفضل الأول في ميدان تنظيم الأسرة فتناولت تشريعاته جميع نواحيها ، ووضعت الحلول لكل مشاكلها . وخير ما يفيدنا في بيان ذلك أن نلتمسه من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في داره ، وقد أمرنا الله تعالى أن نتخذ منه أسوة حسنة في كل ما تنتظم به شؤون الحياة ، قال تعالى : ( لقد كان لكم في رسول الله أُسوَة حسنة ) ..

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في داره أصفى معين تؤخذ منه الهداية فقد كانت حياته تسير على وتيرة واحدة من السعادة والفهم الواعي وقال برواية ابن حيان وابن ماجه قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » . كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخدم نفسه بنفسه ، وكان يتولى خدمة البيت .

كان النبي رحيم القلب لين الجانب خافض الجناح في معاملة الأولاد بنوع خاص وهذا شأنه ، كان يوصي بالضعفاء ويوصي صحبه إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » .

وما زلنا نعلم عن معاملته لصغار الأولاد الذين كان يحملهم ويداعبهم وكان الحسن يمتطي ظهره وهو ساجد في الصلاة فيطيل السجود وإذا سأله الصحابة عن هذا التطويل يقول : « ان ابني ارتحلني فأحببت ألا أزعجه عن راحلته » .. تلك النفحة ما زال الكثير لا يعمل بها ، كم رأيت أطفالا مثل الحسن ،.. ولكنني لم أر أسوة الرسول .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم حكيما في سياسته لزوجاته ، يعدل بينهن بالسوية ، ولا يحمله حب إحداهن على غمط حق الأخرى .. ولا يترك مظلومة حتى ينتصف لها من الأخرى ، ذلك إن العدل يجب أن يسود في الأسرة حتى تستقيم الأمور . كان الرسول يطلع عائشة على ألعاب الحبشة التي يقدمونها في المسجد وكانت تطلع متكئة على كتفه ، .. لقد كان الرسول يعالج أمور أسرته بالحسنى ويحل المشاكل بالكياسة لقد كان لا يغضب إلا لله . ولا ينتقم إلا أن تنتهك حرمات الله لقد كانت الواحدة من زوجاته تهجره اليوم والليلة وكن يراجعنه في الكلام ويكثرن المطالب ، ومع ذلك لم يرفع يدا ليضرب بها ، ولم يطلق لسانه بعيب يجرح شعور واحدة منهن ، كان يتحمل ما قد يكون من مضايقات تفرضها طبيعة المرأة ويساعده على هذا التحمل ما اختاره لنفسه من العيش المتواضع ، وما مرن عليه من الحلم والصفح الجميل ، ويوصي قائلا : « اتقوا الله في الضعيفين : النساء والرقيق » .

## التكبير في العيدين

**نسمع المصلين في العيدين يكبرون ، فهل لهذا التكبير صيغة خاصة ذكرها الفقهاء ، وهل له دليل لديهم وما حكم صلاة العيدين .**
**محمود علي السيد احمد ــ الفيحاء ــ الكويت**

شرعت صلاة العيدين في السنة الأولى من الهجرة ، وهي سنة مؤكدة واظب عليها الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذا وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر يوم الفطر من حين خروجه من بيته حتى يأتي المصلى .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان اذا غدا يوم الأضحى ، ويوم الفطر يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى ، ثم يكبر حتى يأتي الامام .

ولا شك أن التكبير ذكر لله سبحانه وتعالى وهو في العيدين شعار لهما تعارف عليه المسلمون ، وتناقلته الأجيال المؤمنة دون نكير ، وقد أكد ذلك الأئمة من فقهاء المسلمين على اختلاف بينهم في درجة ثبوته ، وكل الآراء في النهاية أثبتت مشروعيته مستندين في ذلك على أدلة من الكتاب والسنة من ذلك قول الله سبحانه :
**( ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ) .**

يقول الامام الشافعي رضي الله عنه سمعت من أرضاه من العلماء بالقرآن الكريم يقول :
المراد بالعدة عدة الصوم ، ــ وبالتكبير ــ عند الاكمال .
ولا مانع من أن يكون التكبير في الأضحى قياسا على التكبير في الفطر .
وقد أخذ الفقهاء من قول الله سبحانه : **( واذكروا الله في أيام معدودات )** دليلا على التكبير في الأضحى إذ بعد انتهاء الحاج من التلبية ، وهي شعار الحج يبقى شعار العيد وهو التكبير متصلا بالسلام في الصلاة غير مفصول عنه ، ويسن أن يكون جهرا ، ويستمر حتى عصر آخر أيام التشريق .

وصيغة التكبير كما اختاره الأحناف والشافعية : ( الله اكبر الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا

وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا اله الا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى اصحاب سيدنا محمد ، وعلى أنصار سيدنا محمد ، وعلى أزواج سيدنا محمد ، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا ) .

## العرب في روديسيا

**أرسل الأخ مفيد عبدالسلام مصطفى** رسالة حول وصول العرب لروديسيا بعد وصولهم الى موزمبيق وتركهم آثارا واضحة بينة تدل على استيطانهم لها ، وقد كان ذلك في القرن الخامس عشر ، تعقيبا على موضوع نشر بالوعي الاسلامي في العدد ١٧٤ تحت عنوان هل وصل العرب الى روديسيا .

يقول لم يكن ذهاب العرب الى تلك البلاد للصيد ، بل ذهبوا هناك من أجل الكشوف الجغرافية والرحلات البحرية عبر المحيط الهندي على سواحل افريقية الشرقية ، بل والأهم من هذا أن اسلامهم كان يسيطر عليهم ويدفعهم لجذب غيرهم للاسلام ، كذلك وصل التجار العرب سواحل افريقية الشرقية حتى أقصى الجنوب من موزمبيق ، وكل همهم كسب أرض جديدة للاسلام ، ولقد كانوا أمثلة طيبة للاسلام والمسلمين بما يتحلون به من أخلاق وعادات دينية .

واثناء رحلة فاسكو داجاما في طريقه عبر المحيط الاطلنطي وصل رأس الرجاء الصالح ، ثم دار حوله واتجه شمالا الى المياه العربية محاذيا شاطىء افريقية الشرقية وتروي كتب التاريخ انه استعان ببحار عربي كان يقطن هو وجماعة من العرب في موزامبيق في منطقة تتصل بروديسيا أرشده هذا البحار العربي الى طريق الهند .

وقد كان العرب الذين عبروا نهر « بولا وابو » يستقرون في روديسيا ويتكاثرون .

من اجل هذا استطاع شعب روديسيا أن يلم ببعض صفات العرب ، وتقاليدهم ، وعاداتهم ومنهم من تعلم الدين الحنيف واعتنقه وسار على نهجه أولاده وذووه .

ولما جاء المستعمرون من الغربيين المسيحيين اضطهدوا المسلمين وأجبروهم على التنصر بالقوة ، ولكن بقيت قبائل كثيرة من تلك البلاد الافريقية محافظة على سنن وتعاليم الاسلام .

وإنا لنرجو أن يعود هؤلاء مرة ثانية بعد أن زال كابوس الاستعمار عن كاهلهم الى سالف عهد آبائهم ويكون الاسلام الحنيف دينهم ليهديهم كما نور لأسلافهم من قبل طريقهم وسار بهم الى مرضاة ربهم .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## مفهوم الحضارة

**أرسل الأخ محمود حماد غنايم يسأل عن سلامة القول بأن الاسلام هو الحضارة الكاملة ، ولم يذكر القرآن أو الحديث أنه حضارة ، بل صرحا بأنه دين .**

نقول له : هذه ألفاظ لا تغير المضمون منها مادامت تصلك بالمراد .
وكون الاسلام هو الحضارة الكاملة تعبير عن واقع هذا الدين إذا أريد بالحضارة مفهومها الصحيح الشامل للروح والمادة ، والذي لا تتغير أصوله بتغير الزمان والمكان والألفاظ .
واذا كان القرآن الكريم والحديث الشريف لم يذكرا هذه الألفاظ الحديثة العصرية فان هذا لا يمنع من اطلاقها على الدين ، مادامت تؤدي المفهوم الصحيح المستمد من الدين ، ومادامت لا تخرج عـما يريده الاسلام للناس من نظام دقيق محكم يرعى مصالحهم ، ويحثهم على رعاية مصالح الآخرين .
ولا يجوز أن تطلق على الدين بالمفهوم الذي يريده الناس ، فان في بعض المفاهيم مخالفة صريحة لما في الدين .
فمثلا عد بعض الناس الفنون بما فيها من انحلال وضياع ، والمعاملات المالية الحاضرة بما فيها من ظلم واحتكار وأكل لأموال الناس بالباطل من مقومات الحضارة .
فهل يجوز أن يكون ذلك على إطلاقه من الحضارة ، وهو ليس من الدين ؟
إن المقاييس الصحيحة للحضارة هى مقاييس الدين حتى يكون إطلاق هذا اللفظ سائغا لا حرج في ذكره في معرض الحديث عن الحضارة الاسلامية .

# أنقذوا المجتمع

أرسل الينا الأخ ابراهيم حمد هندي رسالة ينادي فيها جمهرة الشباب أن تعالوا نلتقي تحت راية الاسلام ، بصوت كله حب ، وفهم لتعاليم الاسلام التي لو تمسك بها الناس ، وساروا وفق هديها لأنقذوا المجتمع البشري كله من براثن الرذيلة ، والمساوئ والأخطاء ، فالاسلام دين الحياة الفاضلة فيه سعادة الفرد في الدنيا ونجاته في الآخرة والفوز برضوان الله سبحانه .
ننقل للقارئ الكريم فقرات من تلك الرسالة :

أجل ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض واجب علينا ، وقد قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** » وذلك بردعهم عن الشر وتوجيههم وجه الخير والفلاح ، فعلى العالم هداية الجاهل ، وعلى المستيقظ هداية الغافل المستهتر ، وعلى القوى ارشاد الضعيف ، وعلى الكبير توجيه الصغير .
ولو أن كل قادر على انكار المنكر والأمر بالمعروف فعل ما يستطيعه لتغيرت جملة من المنكرات ولغنمنا كثيرا من الخيرات .
ان الانسان بأصغريه . قلبه ولسانه ، فهذا اللسان تلك النعمة الكبرى التي من الله بها على البشرية إن هو إلا أداة تساعدنا على إنقاذ الجاهلين من براثن الجهل والظلمات ، وتقودنا الى طريق الهدى والخير ، بل هو البريد الذي طالما حمل لواء النصر والنجاة لأمم كانت ترزح تحت نير الظلم والاستعباد .
اما نساؤنا فحبذا لو يجعلن قسما من أحاديثهن الكثيرة ، التي لا تسنح للرجال ، عبارة عن مناقشات لرفع مستوى الحياة العائلية ، وتطهيرها مثلا . ويتحدثن عن الطرق الناجحة في تربية الأطفال تربية مثلى ، وكم يجمل بنسائنا الصالحات اللواتي يربين أولادهن على الفضيلة والدين أن يظهرن أهمية تأثير الدين في تربية النشء الجديد ليكن قدوة لغيرهن من النساء الغافلات ، ولا شك أن في تلك الأحاديث لذة ولها آثار حميدة ، أين منها إضاعة الوقت الثمين بالنميمة ، والغيبة وما لا طائل له من الأحاديث الفارغة .
وأخيرا لنردد الحديث الشريف القائل : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » حتى يكون ذلك حافزا لعالمنا ليقوم بواجبه على اكمل وجه وليقوم الوالد والوالدة والمعلم والحاكم كل بعمله ودعوته على أحسن وجه يرضى رب العالمين ، فان من وراء ذلك من الثمرات المرجوة ما يغير مجتمعنا تغيرا كليا ويجعله مجتمعا مثاليا حقا .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | صفر | ديسمبر | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) | | | | | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
| | | | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س |
| الخميس | ١ | ٢٠ | ١٢ ١٩ | ١ ٤٤ | ٦ ٥٢ | ٩ ٤٢ | ١ ٢٣ | ٥ ١٣ | ٦ ٣٨ | ١١ ٤٥ | ٢ ٣٥ | ٤ ٥٤ | ٦ ١٦ |
| الجمعة | ٢ | ٢١ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٣ | ٣٨ | ٤٦ | ٣٦ | ٥٤ | ١٧ |
| السبت | ٣ | ٢٢ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٤ | ٣٩ | ٤٦ | ٣٦ | ٥٥ | ١٧ |
| الاحد | ٤ | ٢٣ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٤ | ٣٩ | ٤٧ | ٣٧ | ٥٥ | ١٧ |
| الاثنين | ٥ | ٢٤ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٥ | ٤٠ | ٤٧ | ٣٧ | ٥٦ | ١٨ |
| الثلاثاء | ٦ | ٢٥ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٥ | ٤٠ | ٤٨ | ٣٨ | ٥٦ | ١٩ |
| الاربعاء | ٧ | ٢٦ | ١٩ | ٤٤ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٦ | ٤٠ | ٤٨ | ٣٨ | ٥٧ | ١٩ |
| الخميس | ٨ | ٢٧ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٦ | ٤١ | ٤٩ | ٣٩ | ٥٧ | ٢٠ |
| الجمعة | ٩ | ٢٨ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٦ | ٤١ | ٤٩ | ٣٩ | ٥٨ | ٢٠ |
| السبت | ١٠ | ٢٩ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٢٣ | ١٧ | ٤٢ | ٥٠ | ٤٠ | ٥٩ | ٢١ |
| الاحد | ١١ | ٣٠ | ١٧ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٢٣ | ١٧ | ٤٢ | ٥٠ | ٤١ | ٥٩ | ٢١ |
| الاثنين | ١٢ | ٣١ | ١٧ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٢٣ | ١٧ | ٤٢ | ٥١ | ٤١ | ٥ ٠٠ | ٢٢ |
| الثلاثاء | ١٣ | يناير | ١٧ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٢٣ | ١٨ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٠٠ | ٢٣ |
| الاربعاء | ١٤ | ٢ | ١٦ | ٤٢ | ٥١ | ٤٢ | ٢٣ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٢ | ٠١ | ٢٤ |
| الخميس | ١٥ | ٣ | ١٦ | ٤١ | ٥١ | ٤٢ | ٢٣ | ١٨ | ٤٣ | ٥٢ | ٤٣ | ٢ | ٢٤ |
| الجمعة | ١٦ | ٤ | ١٦ | ٤١ | ٥١ | ٤٢ | ٢٣ | ١٨ | ٤٣ | ٥٣ | ٤٤ | ٢ | ٢٥ |
| السبت | ١٧ | ٥ | ١٥ | ٤٠ | ٥٠ | ٤٢ | ٢٣ | ١٩ | ٤٣ | ٥٣ | ٤٥ | ٣ | ٢٦ |
| الاحد | ١٨ | ٦ | ١٥ | ٤٠ | ٥٠ | ٤٢ | ٢٣ | ١٩ | ٤٣ | ٥٤ | ٤٦ | ٤ | ٢٦ |
| الاثنين | ١٩ | ٧ | ١٤ | ٣٩ | ٥٠ | ٤٢ | ٢٣ | ١٩ | ٤٣ | ٥٤ | ٤٦ | ٥ | ٢٧ |
| الثلاثاء | ٢٠ | ٨ | ١٤ | ٣٩ | ٥٠ | ٤٢ | ٢٣ | ١٩ | ٤٤ | ٥٥ | ٤٧ | ٥ | ٢٨ |
| الاربعاء | ٢١ | ٩ | ١٣ | ٣٨ | ٤٩ | ٤٢ | ٢٣ | ١٩ | ٤٤ | ٥٥ | ٤٨ | ٦ | ٢٨ |
| الخميس | ٢٢ | ١٠ | ١٣ | ٣٧ | ٤٩ | ٤١ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٤ | ٥٥ | ٤٨ | ٧ | ٢٩ |
| الجمعة | ٢٣ | ١١ | ١٢ | ٣٦ | ٤٨ | ٤١ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٤ | ٥٦ | ٤٩ | ٨ | ٣٠ |
| السبت | ٢٤ | ١٢ | ١١ | ٣٥ | ٤٨ | ٤١ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٤ | ٥٦ | ٥٠ | ٩ | ٣٠ |
| الاحد | ٢٥ | ١٣ | ١١ | ٣٤ | ٤٧ | ٤١ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٤ | ٥٧ | ٥١ | ٩ | ٣١ |
| الاثنين | ٢٦ | ١٤ | ١٠ | ٣٣ | ٤٧ | ٤١ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٤ | ٥٧ | ٥١ | ١٠ | ٣٢ |
| الثلاثاء | ٢٧ | ١٥ | ٩ | ٣٢ | ٤٦ | ٤١ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٣ | ٥٧ | ٥٢ | ١١ | ٣٣ |
| الاربعاء | ٢٨ | ١٦ | ٨ | ٣١ | ٤٦ | ٤١ | ٢١ | ٢٠ | ٤٣ | ٥٨ | ٥٣ | ١٢ | ٣٣ |
| الخميس | ٢٩ | ١٧ | ٧ | ٣٠ | ٤٥ | ٤١ | ٢١ | ٢٠ | ٤٣ | ٥٨ | ٥٤ | ١٣ | ٣٤ |

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

**مصـــر** : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجـلاء .

**السودان** : الخرطـوم ـ دار التوزيـع ـ ص.ب ( ٣٥٨ )

**ليبيـــا** : طرابلس ـ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .

**المغـرب** : الدار البيضـاء ـ الشركـة الشريفة للتوزيـع .

**تونـس** : الشركـة التونسـية للتوزيـع .

**لبنـــان** : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

**الاردن** : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

**السعودية** :
جـدة : مكتبـة مكـة ـ ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ـ ص.ب : ( ٧٦ )
الطائـف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جـدة
المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـيـاء .

**مســقط** : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

**البحريـن** : دار الهلال .

**قطـــر** : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .

**أبو ظبي** : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

**دبـــي** : مكتبة دبـي .

**الكويـت** : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

**ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**



من مساجد الكويت : مسجد الجامعة بالشويخ

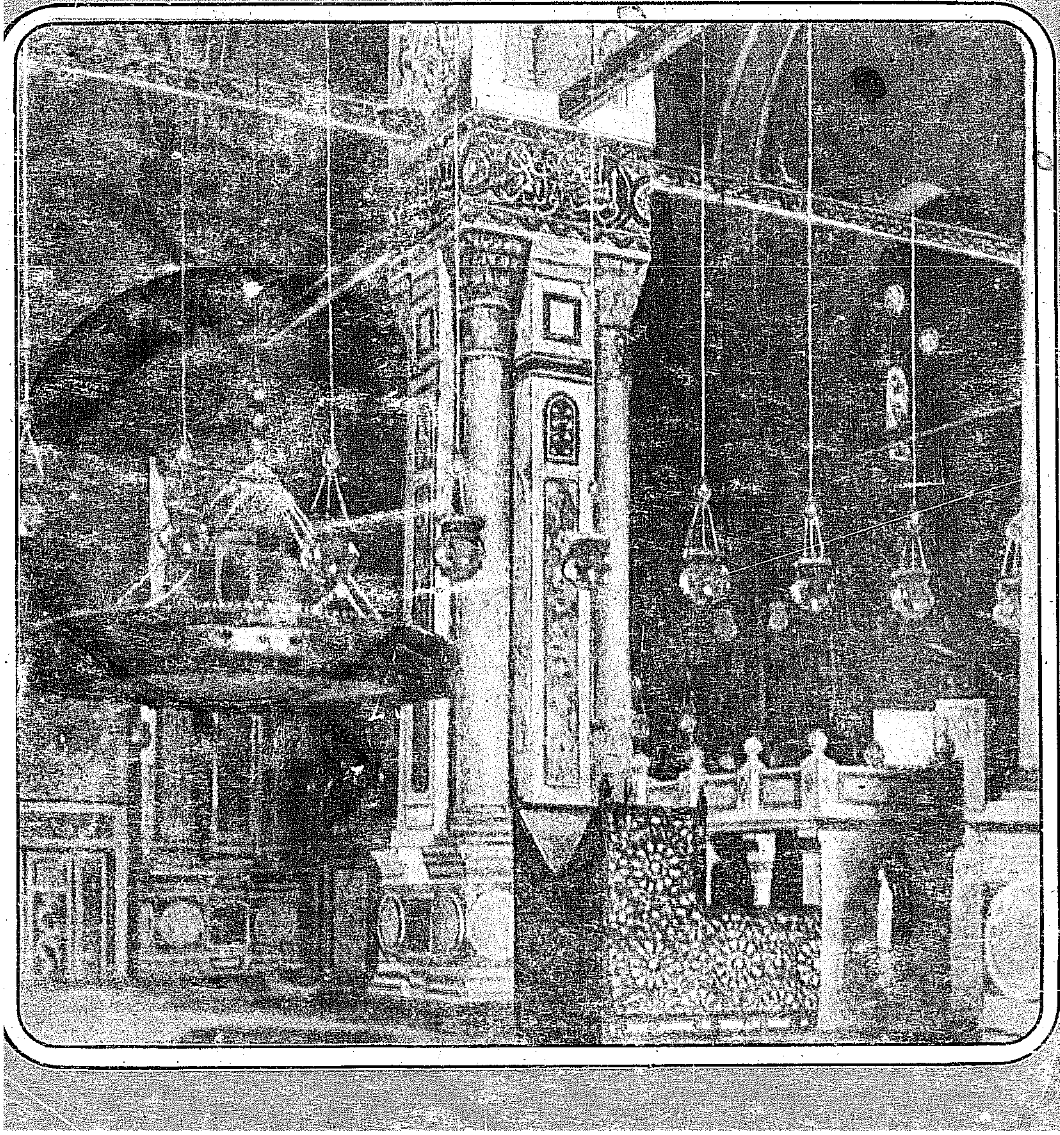
طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

هدية العدد: براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٣ ○ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ ○ يناير ١٩٨٠ م



# اقرأ في هذا العدد



## صورة الغلاف

**المشكاوات الزجاجية النادرة التي تفنن الصناع المسلمون في تشكيلها تتدلى من سقف الساحة الداخلية لمسجد الرفاعي بالقاهرة .**

**انظر صفحة ( ٦٨ )**

# الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٣ ○ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ ○ يناير ١٩٨٠ م


## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

## عنوان المراسلات


وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


## الثمن

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# الرحمة المهداة

دار الفلك دورة أخرى ، فأظل العالم من جديد شهر ربيع الأول .. وهو شهر يحمل للبشرية بأسرها من الذكريات أمجدها ويجدد لها من الدروس أنفعها وأخلدها
ويتيح لنا - بعودته - الفرصة ، كي نكون - بالقدوة والاتباع ، لا بالادعاء والتمني - خير أمة أخرجت للناس .

ولقد اختار العليم الحكيم شهر ربيع الأول ميعادا لمولد خيرته من خلقه ، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب .

وجعل حياته حياة للوجود من فناء كاد يأتي على بنيانه من القواعد وكان الوليد السعيد سرا إلهيا في ضمير الكون ، يميط الله عنه اللثام رويدا رويدا ، بما تواتر بين يديه من إرهاصات معبرة ، وشواهد دالة على ما ينتظره الوجود - بمولد محمد ورسالته - من حياة راضية ، تزخر بالخير والدعة ، وتجيش بالنماء والسعة ، وتتحرك بدواعي الازدهار ، وتحفل بأماني الصفو والاستقرار ، وجل الله الذي يمتن علينا وعلى الناس بنبيه صلى الله عليه وسلم بمثل قوله .

( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ) التوبة/١٢٨

( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) آل عمران/١٦٤

لقد عرا الدنيا في شتى جوانبها من الضلال ضروب ، فانحرفت عن الصواب في عقيدتها ، وتداخلت فيها حدود الخير والشر ، فرأت المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، واهتزت فيها الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ، وبين الأمم والشعوب ، في اكبر دول الأرض يومئذ ، وفي الجزيرة العربية ، التي ذهبت دون سواها بحظ من الفضائل النفسية اعرب عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

وكانت به أهلا لأن يصطفى الله منها مصطفاه ، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته .

في هذا الجو المضطرم بالشر والكفر ، جاء محمد صلى الله عليه وسلم كما يجيء الماء الزلال من الصخر ، وكما يشرق وجه الحياة بنور الصباح بعد ليل طال ، واعتكر ظلامه !!

وأمد الله بأمداد فضله مصطفاه ، وأعده ليكون الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، وأرسله بالهدى ودين الحق للناس كلهم ، عربهم وعجمهم ، فهدى من أراد الله من الضلالة ، وعلمهم من الجهالة ، وصاروا بالاسلام خير من عرفت الحياة ، من أزلها والى أبدها ،

لقد رد النبي صلى الله عليه وسلم عقول الناس وقلوبهم إلى الله وواجههم بآياته المتلوة ، والمجلوة في الأنفس والآفاق على سواء .. وزكى بذلك أرواحهم ، باعتبارها منطلق كل صلاح وإصلاح .. فكان المسلمون اهلا لأن يسلكهم الله مع مصطفاه في سمط الاشادة به وبهم في قوله تعالى : ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ) الفتح / ٢٩ .

فما عدا مما بدا ؟!..

لقد سيطرت في جوانب من دنيانا غفلات ، وطغت شهوات ، وتصيرت الهمم عن ان نكون في الدين والدنيا على مستوى أوائلنا ، وخلب بصائر وابصارا ما يقذفنا به الأعداء من مذاهب وأفكار لا توضع في كفة ميزان أمام وحى السماء .

إن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هى المنار الهادى إلى الجادة ، وهناك سكينة القلوب ، ونعمة الأمن ، وواحة السلام الحق ، وقيادة الحياة من جديد ، بالايمان ، وإلى آخر الزمان ..

( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) النور / ٥٥ .

فاستنجزوا موعود الله ، وانتم تعيدون الى الاسلام هيمنته الحقة الى دنياكم ، وجزى الله عنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو أهله .

**رئيس التحرير**

أحمد البيومي

# دراسات قرآنية

## أولا : مدى كلمتي ( القرآن ) و (الكتاب ) في بعض آيات القرآن الكريم

— ١ —

من المسلم به أن كلمتي ( القرآن ) و( الكتاب ) تطلقان على جميع ما في المصحف الشريف . وفي القرآن آيات كثيرة تفيد مع ذلك أن هاتين الكلمتين بدء باطلاقهما على ما كان ينزل من القرآن قبل أن يتم تمامه أيضا ، وهي تعد بالمئات وفي سور مكية ومدنية بحيث تغني كثرتها عن التمثيل الكثير فنكتفي بهذه الأمثلة لبيان المقصود .

١ ـ **( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم )** المائدة/١٠١ .

٢ ـ **( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا**

للاستاذ : محمد عزة دروزة

ائت بقرآن غير هذا أو بدله ) يونس /١٥ .

٣ ـ ( الٓر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ) هود ١ ـ ٢ مكية .

٤ ـ ( الٓر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ) الحجر ١/مكية .

٥ ـ ( يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ) المزمل ١ ـ ٤ مكية .

ـ ٢ ـ

رغم أن في القرآن آيات كثيرة ايضا تفيد أن كلمتي ( القرآن ) و( الكتاب ) تعنيان نوعا خاصا من القرآن ، وليس جميعه ، على اختلاف أنواعه ، وليس ما كان يتنزل منه مطلقا قبل أن يتم تمامه .. وهذه الآيات أيضا مدنية ومكية وإن كانت المكية اكثر بكثير من المدنية . كما يلمح في الأمثلة التالية :

١ ـ ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ) البقرة/٢٣ مدنية .

٢ ـ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ) البقرة/٨٩ مدنية .

٣ ـ ( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ) المائدة ١٥ و١٦ مدنية .

٤ ـ ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ) الأنعام/١٥٥ مكية .

٥ ـ ( المص . كتاب أنزلناه إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ) الأعراف ١ و٢ مكية .

٦ ـ ( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ) يونس/١٥ ـ ١٦ مكية .

٧ ـ ( وما كان هذا القرآن أن

**يفتري من دون الله ولكن تصديق الذين بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين )** يونس/٣٧ ـ ٣٨ مكية .

٨ ـ **( إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما )** الاسراء/٩و١٠ مكية .

٩ ـ **( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا )** الاسراء/٨٨ و٨٩ مكية .

١٠ ـ **( طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى- إلا تذكرة لمن يخشى )** طه/١ ـ ٣ مكية .

١١ ـ **( وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا )** الفرقان/٣٠ مكية .

١٢ ـ **( وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا )** الفرقان/٣٢ مكية .

١٣ ـ **( كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب )** ص/٢٩ مكية .

١٤ ـ **( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون )** فصلت/٢٦ مكية .

ـ ٣ ـ

والمتبادر بكل قوة أن المقصود من الكلمتين في هذه الآيات وأمثالها الكثيرة : نوع خاص من ( القرآن والكتاب ) وعلى كل حال فان الآيات نفسها وأمثالها الكثيرة جدا والآيات التي فيها حكاية لأقوال الكفار وجدالهم والرد عليهم والحملة عليهم وهي كثيرة جدا في السور المكية والمدنية وأكثرها في السور المكية ومنها على سبيل المثال :

١ ـ **( إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما )** النساء/١٠٥ مدنية .

٢ ـ **( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون )** المائدة/٤٨ مدنية .

٣ ـ **( وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين )** المائدة/٨٣ مدنية .

٤ ـ **( ومنهم من يستمع اليك**

**وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين )** الانعام/٢٥ مكية .

٥ ـ **( أفغير الله ابتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين )** الأنعام/١١٤ ـ مكية .

٦ ـ **( فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل )** هود/١٢ ـ مكية .

٧ ـ **( قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا )** الاسراء/١٠٧ و١٠٨ مكية .

٨ ـ **( وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا )** الفرقان ٤ و٥ مكية .

٩ ـ **( وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين )** سبأ/٣١ مكية .

١٠ ـ **( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين )** سبأ/٤٣ مكية .

نقول إن هذه الآيات وأمثالها الكثيرة جدا والتي منها فصول طويلة في سور عديدة من ذلك النوع الخاص لأنها تشير إليه ولا يكون هذا هو المشار إليه بطبيعة الحال .

ـ ٤ ـ

فما هو هذا النوع الخاص الذي أريد بالكلمتين في كثير من آيات القرآن ؟ والذي يتبادر لنا جوابا على هذا السؤال والله أعلم : أنه عنى بالقرآن والكتاب في بدء الاسراء واستقر في أذهان الكفار والمؤمنين على السواء أنه السور والفصول التي احتوت :

١ ـ الدعوة الى الايمان بالله وحده ، وتوكيد استحقاقه للعبادة وحده . وتنزيهه عن الأولاد والشركاء واستغنائه عنهم . وتسفيه الشرك واتخاذ الشركاء وإشراكهم معه بالعبادة بصفتهم أبناءه وبناته وبقصد التقرب اليه والاستشفاع بهم عنده .

وكانت العقيدة العامة عند العرب قبل الاسلام : الايمان بالله وكونه الخالق المدبر وإشراك شركاء معه في العبادة والدعاء والاستشفاع بهم لديه

والتقرب بهم اليه مما احتوى القرآن آيات كثيرة في تقريره وتسفيه المشركين عبره نكتفي منه بهذه الأمثلة :

أ ـ ( **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون** ) يونس/١٨ .

ب ـ ( **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون . قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون . قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون** ) يونس ٣١ ـ ٣٥ .

جـ ـ ( **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون** ) . المؤمنون ٨٤ ـ ٩٢ .

٢ ) الدعوة الى البر بالضعفاء والفقراء والمساكين واليتامى .

٣ ) شجب التفاخر بالأنساب والأموال وتقرير كون الأكرم عند الله هو الأتقى .

٤ ) إقامة الصلاة لله تعالى عبادة لله .

٥ ) أداء زكاة الأموال تطهيرا لها وعبادة لله .

٦ ) العدل والاحسان والتواصي بالحق والمرحمة .

٧ ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير .

٨ ) الوفاء بالعهد والكيل والوزن وقول الحق وقول الذي هو أحسن وعمل الذي هو أحسن ومعاملة الناس جميعا بالحسنى وعدم العدوان على مال أحد وعرضه ودمه وعدم أكل أموال الناس بالباطل والحيلة وعدم الكبر والبطر والبخل وتجنب الزنا والفواحش سرا وعلنا والانتصار من البغاة والعفو والمغفرة عند المقدرة ودرء السيئة بالحسنة والتخلق بالجملة بجميع مكارم الأخلاق وتجنب جميع رذائلها .

٩ ) تشريعات متنوعة للصلاة والزكاة والجهاد والصيام والربا والخمر والميسر والحج والوصية والارث والزواج والطلاق

والجرائم الخ ..

١٠ ) الايمان باليوم الآخر الذي يوفى الناس حسابهم على ما فعلوه في الدنيا من خير وشر وحسن وسيئ وإيمان وكفر وتقوى وفسق وعدل وظلم ، وتمتع الصالحين المؤمنين بالنعيم والفاسقين الكافرين بالعذاب .

ـ ٥ ـ

وجاء كل هذا بأساليب متنوعة قوية ومتتالية في السور المكية والمدنية .

ويتمثل أولا وفي مبادئ البعثة النبوية في سور عديدة مكية قصيرة ليس فيها جدل ولا حجاج ولا حكاية أقوال الكفار ومواقفهم ولا حملات عليهم وإنما فيها تقرير لتلك الأغراض والمقاصد السامية مثل سور الفاتحة والاخلاص والأعلى والليل والفجر والعصر والعاديات والتين والتكاثر والقارعة والشمس والبلد والطارق والانشقاق والانفطار والنبأ .

ويتمثل ثانيا في فصول كثيرة جاءت في سور مكية طويلة ومتوسطة فيها أوامر ونواه ووصايا ومواعظ وتلقينات وتقريرات إيمانية وتوحيدية وتعبدية وأخلاقية واجتماعية وشخصية مزيجة مع فصول الجدل والحجاج وحكاية أقوال الكفار ومواقفهم وقصص الانبياء والأقوام السابقين وأحوالهم ومصائرهم ومشاهد الكون الأخروية وأخبار الجن والملائكة وعقائد العرب فيهما بسبيل التوضيح والتدعيم لتلك المبادئ والأغراض والمقاصد السامية التي أخذت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم منذ عهد مبكر أيضا حينما انبرى زعماء قريش لمناوأته وتكذيبه وتأليب الجمهور على ذلك .

وتتمثل ثالثا في فصول كثيرة في سور مدنية طويلة ومتوسطة مزيجة كذلك على النحو المذكور مع التشريعات المتنوعة التي ذكرناها في الفقرة ( العاشرة ) التي كانت في العهد المدني دون العهد المكي حيث قام في العهد المدني للاسلام سلطان ملزم فصار التشريع لازما مع التنبيه على أن كثيرا من هذه التشريعات جاءت في السور المدنية بأسلوب الحث والتحذير .

ويستطيع المتمعن أن يلمح في جميع هذه الفصول ذلك المعنى الخاص الذي قصد بكلمتي القرآن والكتاب والذي نبهنا عليه ويميزه عما امتزج به أو سبقه أو لحقه من آيات وفصول ليس فيها ذلك المعنى الخاص . وهي كثيرة بل هي جل ما في المصحف الشريف بحيث تغني كثرتها عن إيراد الأمثلة .

ـ ٦ ـ

وفي آية سورة آل عمران هذه [ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. ] آل عمران/٧ . ما يمكن والله أعلم أن يؤيد ما نبهنا عليه

من المعنى الخاص حيث قررت أن آيات الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نوعان : ( محكمات هن أم الكتاب ) و( متشابهات ) والاولى هي المواضيع السامية التي عددناها في الفقرات العشر . والثانية : هي ما عداها من قصص وأمثال ووعد ووعيد وترغيب وترهيب وتنديد وجدل وحجاج وانذار وتبشير وأخذ ورد وحكاية أقوال ومواقف وتنكير وبرهنة والزام ولفت النظر الى نواميس الكون وعظمة الله وقدرته والجن والملائكة والمشاهد الأخروية الخ الخ . وقد سميت المحكمات : بالأسس ، والمتشابهات : بالوسائل التدعيمية لتلك الأسس وهي موجودة في كتاب ( القرآن والملحدون ) .

## ثانيا : دراسة قرآنية في استكشاف سر الفرق بين صيغة القرآن الكريم وصيغة الأحاديث النبوية .

ــ ١ ــ

في سورة القيامة هذه الآيات : **( لا تحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه )** ١٦ ــ ١٩ .

ان هذه الآيات جاءت معترضة بين آيات متصل قبلها بما بعدها اتصالا موضوعيا . واتصال خطاب ونظم ، في حين أنها غير متصلة بهذه الآيات لا موضوعا ولا خطابا ولا نظما . كما يبدو حين قراءة السياق بطوله من أول السورة الى ما بعد الآيات المذكورة الى آخر السورة .

ولقد روى في مناسبتها حديث يستفاد منه أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان حينما يتلقى الوحي القرآني يحرك شفتيه بما يوحى اليه خشية نسيانه . ووجود الآيات في موضعها يلهم بقوة أنها أوحيت في أثناء نزول الآيات التي قبلها والتي بعدها . ولا يصح فرض غير هذا فيما نعتقد لفهم حكمة وجودها في السياق . ولا مناص من فرض ثان : وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتدوين آيات السورة فور وحيها . وأملي على الكاتب هذه الآيات في سياق إملائه لأنها أوحيت اليه مع الآيات مع أنها كانت خطابا خاصا له . وبقصد تعليمه كيفية تلقي الوحي فدونت كما جاءت بين الآيات التي قبلها والتي بعدها .

وفي الآيات في موضعها ملهمات أخرى عظيمة الخطورة أيضا في صدد القرآن وصيغته . فهي تقف أمام أي شك حتى من أشد الناس تشككا بأن ما كان يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم من آيات القرآن إنما كان وحيا يشعر به في أعماق نفسه ويدركه ويستمع اليه بأذن بصيرته . ويعيه بقلبه . وانه شيء منفصل عن ذاته غير نابع من باطنه كما يظنه الأغيار . وتبين مقدار شدة حرصه على أن لا يفلت منه أية كلمة أو حرف مما كان يوحى اليه به قرآنا فكان يسارع الى ترديده واملائه على كتابه حتى يبلغه

تاما كاملا لا تبديل فيه ولا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير . وهي تقرر معنى من معاني العصمة النبوية في صدد ما يبلغه النبي من وحي القرآن في توكيدها له بأن الله يثبت في قلبه وذاكرته ما يلقى عليه ويجعله يحيط به ويلهمه فهمه وبيانه . فالنبي صلى الله عليه وسلم بهذا قد عصم من الغلط والنسيان والخطأ والتقديم والتأخير والزيادة والنقص في القرآن . فكل ما بلغه منه هو وحي رباني . وقد بلغ ما أوحى اليه بتمامه وحرفيته . وفيها دلالة على أن القرآن نزل على النبي بصيغته وألفاظه المبلغة من النبي المدونة في المصحف وليس بالمعنى ثم صاغه النبي بلغته كما يقوله بعضهم .. وتقرير هذا هو المقصد الرئيسي من النبوة .

وفي سورة طه هذه الآية ( **فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي اليك وحيه وقل رب زدني علما** ) ١١٤ ، حيث تفيد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد فعل ما فعله سابقا أو سارع فأبلغ بعض ما أنزل عليه قبل أن يتم تمامه لتدوينه لشدة حرصه على إملاء كل ما ينزل عليه حالا وبدون تأخير وبدون زيادة ونقص .

— ٢ —

وفي سورة الشعراء هذه الآيات ( **وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين** ) ١٩٢ ـ ١٩٥ . حيث يمكن أن يكون في الآيات تأييد لما استلهمناه من آيات القيامة من أن الوحي أو الروح الذي كان يتنزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن كان يوحي بالصيغة القرآنية المبلغة المدونة بحروفها وألفاظها ونظمها بلسان عربي مبين .

وهذا مستلهم بل ومؤيد أيضا بآيات عديدة أخرى منها ما يلي :

١ ـ ( **انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ) يوسف/٢ .

٢ ـ ( **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون** ) الزمر ٢٧ ، ٢٨ .

٣ ـ ( **ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته** ) فصلت/٤٤ .

٤ ـ ( **وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها** ) الشورى/٧ .

٥ ـ ( إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) الزخرف/٣ .

— ٣ —

وأسلوب الأحاديث النبوية أسلوب خطاب عادي كانت تصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه وفي مختلف المناسبات . وبين أسلوبها والأسلوب القرآني فرق واضح من حيث ان الأسلوب القرآني مركز في مقاطع متلاحقة في سياق ونسق

طويلين لها خواتيم متميزة وكثير منها موزون أو مقفى أو مسجع .

والجمهور على أن الاحاديث النبوية هي وحي من الله تعالى . وسند ذلك آيات سورة النجم ( **وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى** ) ٣ ، ٤ . ثم الآيات العديدة التي تقرر واجب أخذ كل ما يأتيه النبي والانتهاء عن كل ما ينهى عنه . وكون طاعته من طاعة الله تعالى كما جاء في هذه الآيات :

١ ــ ( **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ) النساء/٨٠ .

٢ ــ ( **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ) الحشر/٧ .

ــ ٤ ــ

وننبه بنوع خاص الى أن هناك عشرات من الأحاديث يرويها النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل وهي التي تسمى ( الأحاديث القدسية ) والتي ورد كثير منها في صحيحي البخاري ومسلم وكتب حديث أصحاب السنن المعتبرة . وهذا نموذج منها : ( عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى قال : من عادى وليا فقد أذنته بالحرب . وما تقرب الى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ) رواه البخاري والامام أحمد .

وإذا كان هناك من توقف في هذا الحديث فهناك أحاديث كثيرة أخرى لم يتوقف فيها أحد . وليس من فرق بينها وبين القرآن من حيث أنها مبلغة عن الله عز وجل في حين أن الأحاديث غير القدسية صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بدون عزو الى الله تعالى .

ــ ٥ ــ

والمتبادر أن الأحاديث النبوية بنوعيها كانت توحى الى النبي صلى الله عليه وسلم بمعانيها فيصوغها رسول الله بأسلوب كلامه العادي ويلقنها للناس في مجالسه وفي المناسبات . وهذا هو سر الفرق بينها وبين القرآن الذي كان يوحى به الى النبي صلى الله عليه وسلم بصيغته المبلغة المدونة في المصحف . وليس من تعليل آخر ما دام أن الأحاديث هي وحي من الله تعالى على ما هو عليه الجمهور .

ومن هنا تظهر حكمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن كتابة غير القرآن عنه حتى لا يختلط أسلوبه الذي كان ينزل بصيغته المبلغة المعروفة بالأحاديث التي كانت توحى بمعانيها .

# السنة وواجب المسلمين نحوها

للدكتور عبد الحليم محمود

إن السنة : دعوة بالحسنى إلى الرقي الأخلاقي الذي تجري وراءه الانسانية المهذبة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقا فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء .

والى العامل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه .

والى الصانع ان يؤدي العمل كما يجب ، حيث أخذ الأجر ، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل .

وهي دعوة إلى الأب باعتباره أبا ، والى الأم في وضعها كأم ، والى الأخ في مهمته كأخ ، والى غيرهم من أفراد المجتمع : أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته لأنه مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

وهي دعوة للناس إلى الأمانة حيث إنه لا إيمان لمن لا أمانة له .

والى الصدق ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا .

والى الرحمة : الرحمة العامة والشاملة ، وصلوات الله وسلامه على من قال :

« إنما أنا رحمة مهداة » حديث صحيح .

ومن قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رواه الترمذي .

وخذ أي خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع : فستجد في السنة دعوة إليه ، بوسيلة أو بأخرى ، أو بثالثة .

وهي في هذه الدعوة تنبه دائما إلى دور الأمة الاسلامية في الأخلاق العالمية : إن دورها إنما هو دور الرائدة الراعية ، وعلى الرائد دائما أن يكون المثل الأعلى ، والأسوة الكريمة ، والقدوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم ـ الصورة الحية الناطقة التي طبقت ـ كمبادئ إنسانية ممكنة ـ الخلق الذي رسمه الله وأحبه للانسانية جمعاء ، والذي عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه .

ومن أجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة كان العلماء المستنيرون في كل عصر يجاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التي تعبر عنها ، وكان هؤلاء العلماء ـ علماء السنة ـ يعرفون بسيماهم : فقد كانوا أزهد في حطام الدنيا : بحيث لا ينازعون الناس في دنياهم :

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء : مالك الملك ذي الجلال والاكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل : لقد أقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

والمثل الذي نحب أن نسوقه ـ كصورة لهؤلاء القوم ـ هو : الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، إنه المحدث الذي حاول أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الزاوية الأخلاقية .

وسيرة الامام ، رضوان الله عليه : مثل اعلى في التمسك بما يراه حقا ، وفي الصبر على ما يناله في سبيل التمسك بالحق .

على أن كل من تشبع بالسنة حقا : إنما هو صورة قريبة بقدر المستطاع ، من الامام أحمد .

ولقد كان الامام البخاري وغيره ـ ممن اشربت نفوسهم حب السنة ـ أمثلة كريمة للخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هدف دائما لسهام النماذج الأثيمة التي استهواها الشيطان في قليل أو في كثير : إنه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزعات الهوى والضلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق في كل عصر لفقدت الانسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن الانسان لانسان ، ولما وثق شخص بآخر .

لقد ربت السنة رجالا ، وخصائصها التي ربت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها ، ولقد شهدت الانسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال وأولتهم ثقتها وتقديرها .

إن الامام احمد بن حنبل ، وإن الامام البخاري ، وإن أمير المؤمنين في الحديث : الامام سفيان الثوري ، وأمثال هؤلاء رضي الله عنهم : منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لا بد إذن من العمل على نشر السنة واذاعتها ، ومحاولة الاكثار من النفوس التي تتشربها وتحققها ، وتتمثلها وتحياها .

لا بد من نشرها وطنية .

ولا بد من نشرها إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنساني .

لا بد من نشرها دينا .

ولا بد من نشرها ذوقا أدبيا .

ولا بد من نشرها للثروة اللغوية .

وما من شك في أن للسنة جوا فكريا : فالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يتحدث عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم التي تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الانساني ، وعن الأوضاع التي يجب أن تستقيم .

وللسنة جو لغوي : فالرسول ، صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم ، وكلامه ، صلى الله عليه وسلم : أبلغ الكلام البشري ، ونشر السنة عامل من أهم العوامل على ترقية اللغة التي يكتب بها الكتاب وعلى وضع الناشئين والمثقفين في وضع أدبي ممتاز من حيث اللغة ، ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحي : إنها تهذيب للنفس ، وتربية للروح ، وسمو بالأخلاق إلى درجة لا تجاري ، وصلى الله وسلم على من قال :

« إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه البخاري .

ورحم الله شوقي إذ يقول :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجبا دينيا ، وعملا اجتماعيا كريما ، وواجبا وطنيا حتميا ، وإصلاحا أخلاقيا ساميا .

وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة في عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقي في كل أسرة وفي كل بيت ، ويحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها : من عرض وشرف وكرامة .

لقد أحب الله للانسانية مثالا أخلاقيا كريما كما رسمه سبحانه في القرآن الكريم قولا ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الالهي ، وكان بذلك الانسان الكامل .

لقد كان المثل الأعلى في الرحمة ، والمثل الأعلى في الكفاح ، والمثل الأعلى في الصبر ، المجاهد المتفائل والمثل الأعلى في الصدق وفي الاخلاص وفي الوفاء وفي البر وفي الكرم .

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله :

**( وإنك لعلى خلق عظيم )** القلم/٤ .

ولا ريب في أن الأمة الاسلامية حينما تقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما تقتدى بأعظم البشر رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به :

**( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا )** الأحزاب/٢١

وإن العمل على نشر السنة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسول ، صلى الله عليه وسلم .

# الشعر في عهد النبوة

للأستاذ يوسف العظم

لقد كان الشعر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نشيد معركة وهتاف شهادة تردده ألسنة المؤمنين الذين وجلت قلوبهم ، وصفت نفوسهم ، واستعذبوا الموت ، وجادوا بالحياة في سبيل الله .

وإننا لنرى الشعر في مواقف البطولة الرائعة يردده المجاهدون والشهداء وهم يعانقون الموت ويصافحون المنية ، معبرين عن صدق جهاد ، وصفاء عقيدة مما يحسنون قوله أو يتمثلون به من الشعر .

ولسنا نحصر هنا كل ما قيل من شعر في ميادين الجهاد والاستشهاد ، وفي معارك الظفر ومواقف البطولة ، ولكنها نماذج من الشعر الهادف السامي نسوقها وقد ترددت يوما على ألسنة طاهرة وخفقت بها قلوب مؤمنة في ظلال رايات الجهاد وأفياء سيوف الشهادة على أبواب الجنة .

ولقد حرصنا ان يكون أكثر ما نورده في هذا الباب من شعر عهد النبوة مما جرى على ألسنة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف التضحيات وهم يأخذون الدروس والعبر بين يدي سيد الخلق وخاتم النبيين .

وقد يرى البعض أن جانبا مما أوردناه هنا إنما هو رجز ارتجزه صحابي أو أكثر في غير المفهوم الفني الاصطلاحي للشعر كما نعرفه اليوم وندرسه في مختلف عصوره العربية ومدارسه الأدبية ، ولا نحب أن نخوض في جدل أو نمضي في نقاش طويل حول الفرق بين الرجز والشعر ، غير أن الذي يعنينا هو أننا متفقون بعد حصر بحور الشعر العربي على أن الرجز بحر من هذه البحور وأن الرجز هو أول شعر قاله العرب طال أم قصر ، والذي يعنينا كذلك هو أن الرجز نغم موسيقى موزون يتغنى به الناس في مواقف شتى وحالات كثيرة كلما حركت ذكريات الأفراح أو الأحزان أحاسيسهم وداعبت مشاعرهم ، وهذا هو الذي يعنينا من مفهوم الشعر شكلا ومضمونا ومفهوما ودلالة في البحث الذي نحن بصدده والموضوع الذي نتناوله بالدراسة والتحقيق .

وإنها لظاهرة جديرة بالدراسة حرية بالتقدير أن نرى عددا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلون على ميادين الجهاد والاستشهاد وعلى

ألسنتهم شعر ينشد وفي حناجرهم هتاف من النغم الموزون المقفى مما يدل على قيمة الشعر وأثره في بناء المجتمع الانساني الرفيع يوم يكون شعرا هادفا رفيعا لا يتمرغ قائلوه في الوحل ولا يقذفون به في مهاوى الفحش والرذيلة أو يسوقونه قصائد استجداء وتطفل على موائد الطغاة والمتكبرين .

ولم نحرص على الترتيب الزمني فيما نسوق من أمثلة شعرية في هذا الباب حرصنا على نماذج حية من الشعر الكريم على لهوات كرام أماجد ورجال صنعوا جانبا مشرقا من الحضارة الانسانية وشادوا صرحا من التراث سيبقى سامقا لا ينال منه المزورون من أعدائه أو يزعزعه الحائرون الضائعون من أحفاد بناته وصانعيه .

## في « بدر » تمثل عبيدة بن الحارث بالشعر

أخرج ابن عساكر عن محمد بن علي بن الحسين قال : لما كان يوم بدر دعا عتبة الى البراز ، فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى الوليد بن عتبة فقتله . ثم قام شيبة بن ربيعة ، فقام اليه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عبيدة ضربة أرخت عاتقه الأيسر .

فنظر عتبة لرجل عبيدة فضربها بالسيف فقطع ساقه ورجع حمزة وعلي رضي الله عنهما على عتبة فأجهزا عليه وحملا عبيدة الى النبي صلى الله عليه وسلم في العريش فأدخلاه عليه فأضجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسده رجله وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقال عبيدة : أما والله يا رسول الله ! لو رآني أبو طالب لعلم أني أحق بقوله منه حين يقول :

ونسلمـــه حتـــى نصرع حوله ... ونذهـــل عن أبنائنـــا والحلائل

ألست شهيدا ؟ قال : بلى وأنا الشاهد عليك ، ثم مات فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ونزل في قبره وما نزل في قبر أحد غيره ، كذا في كنز العمال ( ج ٥ ص ٢٧٢ ) (١) .

أي تكريم أروع من هذا التكريم لرجل مات بين يدي الرسول الكريم وفي قلبه إيمان وعلى لسانه بيت شعر يفيض بالثبات والتضحية والصبر والشهادة في سبيل الله ، أن يبشره الرسول بالشهادة وأن ينزل معه في قبره يودعه الوداع الأخير ؟!

**(١) حياة الصحابة : ج ١ ص ٧٦٨ ـ ٧٧٠**

## خبيب الأنصاري رضي الله عنه يتغنى بالشعر وهو مصلوب على خشبة الموت في طريقه الى الخلود

أخرج الطبراني حديث عروة بن الزبير رضي الله عنهما ــ بطوله ، وفيه : وقتل خبيبا رضي الله عنه أبناء المشركين الذين قتلوا يوم بدر . فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدو : أتحب أن محمدا مكانك ؟ فقال : لا والله العظيم ! ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه ، فضحكوا ، وقال خبيب رضي الله عنه حين رفعوه الى الخشبة :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتي ثم كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش ! صبرني على ما يراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقد بان مطمعي
وذلك في ذات الاله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع
لعمري ما أحفل اذا مت مسلما ... على أى حال كان لله مضجعي

قال الهيثمي ( ج ٦ ص ٢٠٠ ) : رواه الطبراني ، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وفيه ضعف ــ انتهى . وقد ذكر الأبيات ابن اسحاق ، كما في البداية ( ج ٤ ص ٦٧ ) ، فزاد بعد البيت الخامس :

وقد خبروني الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بي حذار الموت أنى لميت ... ولكن حذارى جحم نار ملفع
فوالله ما أرجو اذا مت مسلما ... على أى جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبد للعدو تخشعا ... ولا جزعا إني الى الله مرجعي

أية عاطفة أصدق من هذه العاطفة التي يصورها ويعبر عنها رجل في طريقه الى الله ، كان قمة في التضحية والثبات وأية أنشودة أروع من هذه الأنشودة تسيل على لسانه شعرا كريما صادقا نابعا من القلب نابضا بالاحساس والوجدان ؟

## أبو دجانة يهتف شعرا وقد عصب رأسه بعصابة الموت

أخرج الحاكم ( ج ٣ ص ٢٣٠ ) عن الزبير رضي الله عنه قال : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا يوم أحد فقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » ( فقمت ) فقلت : أنا يا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأعرض

عني ) ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقلت أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه فقال : أنا آخذه يا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) بحقه ! فما حقه ؟ قال : « أن لا تقتل به مسلما ، ولا تفر به عن كافر » . قال : فدفعه اليه ، وكان اذا أراد القتال أعلم بعصابة . قال : قلت : لأنظرن اليه اليوم كيف يصنع ؟ قال : فجعل لا يرتفع له شئ الا هتكه وأفراه . قال الحاكم : صحيح الاسناد . وقال الذهبي : صحيح .

وعند ابن هشام كما في البداية ( ج ٤ ص ١٦ ) : قال : حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف ، فمنعنيه ، وأعطاه أبا دجانة رضي الله عنه ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة رضي الله عنه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ؟ فأتبعته . فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه . فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة رضي الله عنه عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب ( بها ) . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكبول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا الا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع ( لنا ) جريحا الا ذفف عليه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة رضي الله عنه ، فاتقاه بدرقته وضربه أبو دجانة رضي الله عنه فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها ( قال الزبير ) ، فقلت : الله ورسوله أعلم .

## عمير بن الحمام ينشد الشعر
## وهو يقبل على الله يوم أحد

سمع عمير بن الحمام رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد بالجنة للمقاتل في سبيل الله الصابر المحتسب ، المقبل غير المدبر ، فيرى الجنة أمامه ويشم ريحها بأنفه فيلقى بتمرات يأكلهن ويقول :

بخ ، بخ ، أما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ؟! ثم يأخذ سيفه ويقاتل حتى يلقى الله شهيدا وهو يهتف :

ركضا الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

## حمزة بن عبد المطلب يقول الشعر في عقد اللواء له بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأمـــر رســـول الله أول خافق عليـــه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديـــه النصر من ذي كرامة الـــه عزيـــز فعلـــه أفضـــل الفعل
فلمـــا تراءينـــا أناخـــوا فعقلوا مطايـــا وعقلنـــا مدى غرض النبل
فقلنـــا لهـــم حبـــل الآلـــه نصيرنا ومـــا لكم الا الضلالـــة من حبل
فثـــار أبـــو جهـــل هنـــالك باغيا فخـــاب ورد الله كيـــد أبـــي جهل
ومـــا نحـــن الا في الثلاثـــين راكبا وهم مائتـــان بعـــد واحـــدة فضل
فيـــا آل لؤي لا تطيعـــوا غواتكم وفيئوا الى الاسلام والمنهج السهل
فانـــى أخـــاف أن يصـــب عليكم عذاب فتدعـــوا بالندامـــة والثكل

## في الخندق أنشد علي شعرا وهو يقتل عمرو بن ود

روى البيهقي عن ابن اسحاق قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد ، فنادى من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : أنا لها يا نبي الله فقال : « انه عمرو ، اجلس » . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ، ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تبرزون الى رجلا ؟ فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا يا رسول الله فقال : « اجلس » . ثم نادى الثالثة . فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! أنا . فقال : « إنه عمرو » . فقال : وإن كان عمرا . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليه حتى أتى وهو يقول :

لا تعجلن فقـد أتـاك مجيـــب صوتـــك غـــير عاجز
فـــي نيـة وبـصـيرة والصـــدق منجـــى كل فائز
إنـــى لأرجـــو أن اقيـ ـم عليـــك نائحـــة الجنائز
مـــن ضربـة نجـلاء يبقـــى ذكرهـــا عنـــد الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي . قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي ! من أعمامك من هو أسن منك ثم سل

سيفه وأقبل نحو علي رضي الله عنه مغضبا ، واستقبله علي بدرقته ، فضربه عمرو في درقته فقدها ، وأثبت فيها السيف وأطاب رأسه فشجه . وضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير ، فعرفنا أن عليا رضي الله عنه قد قتله .

## في « يوم الخندق » تمثل الزبير بن العوام بالشعر بعد أن قتل مشركا بارزه

ذكر يونس عن ابن اسحق قال : خرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ــ أي يوم الخندق ــ فسأل المبارزة ، فخرج اليه الزبير بن العوام رضي الله عنه فضربه ، فشقه باثنتين حتى فل في سيفه فلا ، وانصرف وهو يقول :

انــــي امــــرؤ أحمــــي وأحتمي عن النبــــي المصطفــــى الأمي

كذا في البداية ( ج ٤ ص ١٠٧ )

وقد أخرج ابن جرير عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما قالت : أقبل رجل من المشركين وعليه السلاح ، حتى صعد على مكان مرتفع من الأرض فقال : من يبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من القوم : « أتقوم اليه ؟ » فقال له الرجل : إن شئت يا رسول الله !

فأخذ الزبير رضي الله عنه يتطلع . فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قم يا ابن صفية ! » فانطلق اليه حتى استوى معه ، فاضطربا ثم عانق أحدهما الآخر ، ثم تدحرجا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيهما وقع الحضيض أول فهو المقتول » . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ودعا الناس فوقع الكافر ، ووقع الزبير رضي الله عنه على صدره فقتله .

كذا في منتخب الكنز ( ج ٥ ص ٦٩ ) .

## كان الشعر أنشودة بطولة في خيبر

أخرج مسلم ، والبيهقي ــ واللفظ له ــ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ــ فذكر حديثا طويلا ، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة . قال : فلم نمكث الا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر . قال : وخرج عامر رضي الله عنه فجعل يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغنينا فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هذا القائل ؟ » فقالوا : عامر . فقال : « غفر لك ربك » . قال : وما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحدا به الا استشهد . فقال عمر رضي الله عنه وهو على جمل : لولا متعتنا بعامر . قال : فقدمنا خيبر . فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال : فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول :
قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه فقتله . وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن ابى طالب يدعوه وهو أرمد ، وقال : « لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله » . فأعطاه الراية . فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول :
أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
أو فيهم بالصاع كيل السندرة

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع في هذا السياق : أن عليا هو الذي قتل مرحبا اليهودي .

## في « مؤتة » .. كان هتاف جعفر بن أبي طالب شعرا ينبض بالبطولة ويفيض إيمانا وإقبالا على الجنة

أخرج ابن اسحق عن عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال :

حدثني أبي الذي أرضعني ــ وكان أحد بني مرة بن عوف ــ وكان في تلك الغزوة « غزوة مؤتة » قال : والله ! لكأني أنظر الى جعفر رضي الله عنه حين اقتحم عن فرس له « شقراء » ثم عقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لا قيتها ضرابها

كذا في البداية ( ج ٤ ص ٢٤٤ ) . وأخرجه أبو داود من هذا الوجه ، كما في الاصابة ( ج ١ ص ٢٣٨ ) . وأبو نعيم في الحلية ( ١ ص ١١٨ ) .

أليس هذا دليلا على سمو رسالة الشعر في الحياة الخيرة الهادفة أن يتردد أهازيج بطولة وأناشيد استشهاد على لسان صحابي جليل ومجاهد صادق وشهيد من شهداء بيت النبوة ؟!

## عبد الله بن رواحة
## يسعى الى الشهادة وعلى لسانه أبيات من الشعر

واستعر « القتال والطعن والضرب حتى سقط زيد بن حارثة شهيدا وتبعه جعفر بن أبي طالب فدعا الناس عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر ، فتقدم فقاتل حينا ، ثم نزل ، فأتاه ابن عم له بعرق من لحم ، وقال له : شد بهذا ظهرك ، فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت !! فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ، ثم سمع الحطمة في الناس فقال لنفسه : « وأنت في الدنيا !! » والقى العرق من يده ، ثم أخذ سيفه وأسرع وحدث نفسه فقال ، فيما يذكر المؤرخون : « يا نفس الى أى شئ تتوقين ؟ الى فلانة : ــ امرأته ــ فهي طالق ، والى معجف ــ وهو بستان له ــ فهو لله ولرسوله ، ثم قال :

يا نفس مالك تكرهين الجنة أقسم بالله لتنزلنه
طائعة أولا لتكرهنة فطالما قد كنت مطمئنة
هل أنت الا نطفة في شنة !؟ قد أجلب الناس وشدوا الرنة

وحمي الوطيس فطعن أحد المشركين عبد الله بن رواحة ، فاستقبل الدم بيده ، فدلك به وجهه ثم صرع بين الصفين ، فجعل يقول : « يا معشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم » فجعل المسلمون يحملون حتى يحوزوه ، فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه شهيدا .

# تجارة لن تبور

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

كل تجارة يتجر بها الانسان في سوق الحياة ، وتبادل المنافع ، هي عرضة للربح او الخسارة ، ولن يسلم تاجر أبدا من أن يخرج من السوق على غير أحد هذين الحالين : الربح أو الخسارة . إذ ليس هناك ضمان لتاجر في أشياء الحياة ، يحميه من الخسارة التي قد تذهب أحيانا بكل ما بين يديه ، وتلحقه بالمفلسين !!

هكذا شأن الناس في أسواق التجارة ، حيث هم بين رابح وخاسر ، وليس هذا بالذي يصد الناس عن الدخول في تلك الأسواق ، بائعين أو مشترين ، لأن نظام حياتهم لا يقوم إلا على تبادل المنافع بينهم ، فهذا يبيع ، وذاك يشتري .. وشرط واحد يشترطه الاسلام على أتباعه في هذا الميدان ، وهو : ألا غش ، ولا خلابة ، ولا تدليس .. والله تعالى يقول : ( **ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن اولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين** ) ( سورة المطففين ١ : ٦ ) .

وإذا كانت التجارة في سوق الحياة مع الناس ــ بيعا أو شراء ــ في معرض الربح ، والخسارة معا ، وإذا كان التاجر هنا في معرض الفتنة التي ترد عليه من حب المال ، وهو بين يديه ، يدعوه إلى الاستكثار منه ، ويغريه إلى ظلم الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، على أية صورة من الصور ، التي تلبس الحق بالباطل ، والحلال بالحرام ــ نقول إذا كان هذا شأن التجارة والتجار في سوق الحياة ــ فان هناك تجارة إذا دخل المسلم سوقها ، فلن يخرج من هذه السوق إلا رابحا ربحا موفورا ، يتضاعف به رأس ماله أضعافا كثيرة ، ثم هو مع ذلك في ضمان وثيق من أنه لن يخسر أبدا !!

وذلك حين يكون المسلم متعاملا مع الله تعالى ، مقدما نفسه أو ماله ، أو بعض ماله ، لله ، فان لم تكن نفس ، أو مال ، فأمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، فان لم يكن هذا أو ذاك فكلمة طيبة .. فان كل هذا مما يقبله الله تعالى من المسلم ، وفي مقابل هذا يعطيه الله سبحانه أضعاف ما أخذ منه .. إنه في تجارة مع الله ، وفي ضمان وثيق من أنه رابح لا محالة .

ففي الصحيحين ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تبارك وتعالى : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها لأجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها ، فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة » .. وهذا من معنى قوله تعالى : ( **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ) ( البقرة ٢٦١ ) ..

فالتجارة في أعمال البر ابتغاء وجه الله ، هي التجارة الرابحة التي لا تطوف بها خسارة أبدا ، ما دامت تخرج من قلب مؤمن ، ومن يد مؤمنة ، بعيدة عن المن والأذى ، مجانبة الرياء والنفاق .. وفي هذا يقول الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه :

« ما تصدق أحد بصدقة من طيب ــ ولا يقبل الله الا الطيب ــ إلا إذا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة ، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله » . ( رواه مسلم ) .. ويقول ــ صلوات الله وسلامه عليه : « على كل مسلم صدقة » قيل أرأيت إن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق » قيل أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل أرأيت إن لن لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف » قيل أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يمسك عن الشر ، فانه صدقة » ( رواه مسلم ) ..

والنفس أعز شئ يملكه الانسان ، وأحب شئ إليه ، ومن هنا كان بذل

النفس والتضحية بها من أجل نصرة الحق ، والتمكين للخير ، أكرم وأعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه جل وعلا .. ولهذا كانت تلك الدرجة الكريمة العالية عند الله تعالى لأولئك الذين يقتلون في سبيل الله ، حيث يدخلون الجنة بغير حساب ، لأن دمهم المسفوك في سبيل الله قد غسل كل ما كان من ذنب لهم ، ولهذا فهم ينقلون من هذه الحياة الدنيا الى الجنة ونعيمها ، لا ينتظرون يوم البعث والحساب ، والجزاء ، فاذا كان يوم البعث والحساب والجزاء ، حضروا هذا المشهد بالحالة التي كانوا عليها عند استشهادهم ، ليراهم الناس ، وليروا منزلتهم عند الله ، وفي هذا يقول الله تعالى : ( **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين** ) ( آل عمران ١٦٩ ، ١٧١ ) .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أحد يدخل الجنة ، فيحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شئ ، إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة » .

وانظر كيف يدخل المؤمن سوق التجارة مع الله تعالى ، فيشترى الله سبحانه منه ما يقدمه للجهاد في سبيل الله .. وذلك في قوله تعالى : ( **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ) ( التوبة ١١١ ) .

فأي بيع أربح من هذا البيع ؟ فالله تعالى هو المشترى لهذه الأنفس وتلك الأموال التي قدمها المؤمنون في سبيل الله طيبة بها أنفسهم ، وإلا لما قبلها الله تعالى ، لأنه سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولهذا كان الجزاء العظيم الذي يخف إزاء بعضه كل ما في هذه الدنيا من مال ومتاع .. إنه الجنة ، والحياة الطيبة الخالدة في نعيمها الذي لا ينفد أبدا .

ثم انظر إلى هذا الفضل العظيم ، من رب رحيم كريم ، إذ يشترى من عباده المؤمنين ما وهبهم من حياة ، وما رزقهم من مال ، وهم وما ملكوا في قبضة يده سبحانه .. فيبدلهم بالحياة الفانية حياة دائمة خالدة ، وبالأموال جنات عرضها السموات والأرض ، لهم فيها ما تشتهي أنفسهم ، ولهم فيها ما يدعون ، نزلا من غفور رحيم .. فما أوسع فضل الله ، وما أعظم رحمته بعباده .. إنه يعطيهم ، ثم يشتري منهم ما أعطاهم بأضعاف ما قدموا لله من هذا المعطى لهم من فضله ! فأى غبن للانسان ، وأى ظلم لنفسه ، إذا هو لم يدخل متاجرا

في هذه السوق ، ليجد يد الله تعالى مشترية منه ما يقدمه لله تعالى من نفس أو مال ، فيخرج من هذه السوق وقد ربح ما لا تتسع هذه الدنيا كلها للقليل منه .. إنها الحياة الخالدة ، والجنة وما أعد الله فيها لأهلها من نعيم مقيم : ( **جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا . لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** ) ( مريم ٦١ و٦٢ ) .

وإذا كان من الله تعالى شراء من المؤمنين لأنفسهم وأموالهم ، فان للمؤمنين كذلك شراء لأنفسهم ، وتخليصا لهذه الأنفس من الكفر ، والالحاد ، والشرك ، حتى تكون مؤهلة لأن تباع لله .

وفي هذا يقول الله تعالى : ( **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد** ) ( البقرة ٢٠٧ ) .

فالذي يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، هو الذي يبيعها في سبيل الله ، وذلك في مقام الدفاع عنها من أهل الضلال الذين يريدون قهرها ، والتسلط عليها ، وفتنتها فيما ارتضته من الايمان بالله ، والولاء له سبحانه .. فهو إذ يبيع نفسه في تلك الحال ، وإذ يخلصها من يد الشيطان ، فانما هو في الوقت نفسه قد اشتراها خالصة لله ، محررة من دواعي الفتن المحيطة بها ، وبهذا تصبح تلك النفس صالحة لأن تشترى من الله ، وأن تنزل بصاحبها منازل المكرمين عند الله .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في صهيب ابن سنان الرومي ، وكان من الذين دخلوا في الاسلام قبل الهجرة ، ولقى من البلاء على يد مشركي قريش ما لقى المستضعفون من المسلمين يومئذ ... وقد خرج صهيب مهاجرا إلى المدينة ، حيث هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن استطاع الهجرة من المسلمين .. فلما علمت قريش بخروجه من مكة أرسلت إليه نفرا من المشركين يردونه عن هجرته ، فلما رآهم نزل عن راحلته ، ونثل ما كان في كنانته من سهام ، وقال : « والله لا تصلوا إلى حتى أرمي بكل سهم معي ، ثم أضرب بسيفي هذا ما بقى في يدي !! هذا ، وإن شئتم دللتكم على مال لي ، دفنته بمكة ، وخليتم سبيلي !! » فقالوا : نعم ، نفعل هذا ، ونخلي سبيلك فدلهم عليه ومضى صهيب في طريق هجرته حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلت الآية الكريمة ، فقال له النبي ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ : « ربح البيع أبا يحيى » وتلا عليه الآية الكريمة .

فالذي يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله أي يبيعها في سبيل الله هو من يبذل نفسه في طاعة الله ، من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وجهاد ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، فكان ما يبذله من نفسه ، في مجاهدتها ، أشبه بالسلعة ، فصار كالبائع والله المشترى ، والثمن هو ثواب الله في الآخرة ..

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم »** ( الصف : ١٠ – ١٢ ) .. وما يشير إليه سبحانه أيضا في قوله تعالى : **( إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور )** ( فاطر : ٢٩ و٣٠ )..

تلك هى السوق الرابحة ، التي يدخل فيها المؤمنون بتجاراتهم التي يشتريها الله تعالى منهم ، فيعطى الكثير العظيم الخالد ، على القليل الزهيد الفاني .. فهنا الربح ، وهنا الفوز بنعيم الله والنجاة من النار : **( فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور )** ( آل عمران : ١٨٥ ) ..

ومع هذا الخير الموفور الممدود للناس ، ومع هذه الأبواب المفتحة لهم للفوز بحياة طيبة في الدنيا والآخرة – فان كثيرا من الناس يغامرون بأنفسهم وأموالهم ، فيردون موارد التهلكة ، حيث يتجرون مع الشيطان في أسواق الضلال ، فينفقون أموالهم في الخمر والميسر ، وعلى ما يترضون به شهواتهم الحيوانية ، حتى تنهد قواهم ، وتعتل أجسامهم .. ثم يغادرون هذه الدنيا وقد حملوا أوزارا ثقيلة من الآثام ، يتقلبون بها في نار جهنم ، وبئس مثوى الظالمين .. **( أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين )** ( البقرة / ١٦ ) ..

فالذي يكفر بالله ، إنما هو قد باع نفسه المؤمنة إيمان الفطرة ، واشترى بها نفسا كافرة ملحدة ، وكان بهذا من الذين قال الله تعالى فيهم : **( إن الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم )** ( آل عمران : ١٧٧ )..

فأي خسران بعد هذا الخسران ، لمن يشترى الخبيث بالطيب ، والكفر بالايمان ، والدنيا بالآخرة ، والنار بالجنة ؟

ومع هذا فما أكثر الذين يفضلون الظلام على النور ، شأنهم في هذا شأن الهوام والخفافيش !! وما أكثر الذين يعافون الطيب من الطعام ، ويقبلون على الخبيث منه ، شأنهم في هذا شأن الذباب الذي لا يسقط بكيانه كله الا على المزابل والجيف !! والله تعالى يقول : **( وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم )** ( الأنعام : ١١٩ )..

نسأل الله السلامة والعافية من أن نزل أو نضل .. **( ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار )** البقرة/ ٢٠١

# استقبال القرن الخامس عشر

مطلع القرن الخامس عشر الهجري يا له من حدث تاريخي إسلامي عظيم ، ومن مناسبة قومية إسلامية فوق كل المناسبات .

أول المحرم عام ١٤٠٠ هو الارهاص الكبير بميلاد القرن الخامس عشر الهجري ، ويوافق تلك اليوم الحادي والعشرين من نوفمبر عام ١٩٧٩م .

وأول المحرم عام ١٤٠١ ، ويوافق يوم ٩ نوفمبر عام ١٩٨٠م ، هو المطلع الحقيقي للقرن الخامس عشر الهجري .

وسواء احتفل المسلمون بنهاية القرن الرابع عشر ، وببداية القرن الخامس عشر ، في التاريخ الأول ( أول المحرم ١٤٠٠هـ ) او التاريخ

للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي

الثاني ( أول محرم عام ١٤٠١هـ ) ، فانه لشيء رائع وعظيم وجليل .

إن التاريخ الاسلامي وهو استمرار فعالية الأحداث في حياة المسلمين ، ودوام اتصال الماضي بالحاضر والمستقبل في تراثهم وفي أعمالهم القومية والحضارية لهو سلسلة متصلة الحلقات من مفاخر العمل المبدع ، والانجاز الكبير لشعوب الاسلام على امتداد الرقعة الاسلامية التي صنعت المعجزات في كل جيل ، والتي ستصنع باذن الله دائما وأبدا كل معجزة في حياة الانسانية .

لن يخفت صوت الاسلام ، ولن يقف تيار المد الاسلامي أبدا باذن الله ، في كل عصر ، وكل جيل ، وكل حقبة ، من حقب تاريخنا ، الذي صنعه الله بيده ، واصطنعه لنفسه ، وطرزه المسلم بعين الله ووحيه وعونه وعنايته ورعايته .

كان القرن الأول في تاريخ الاسلام عصر سيادة العقيدة والأمة في العالم قاطبة ، وكان القرن الثاني عصر سيادة لغة القرآن وثقافته في الدنيا ، وكان القرن الثالث حلقة الاتصال بين الثقافة الاسلامية والثقافات العالمية ، وكان القرن الرابع هو عصر ازدهار حضارة الاسلام وكان القرن الخامس عصر النهضة الحقيقية ، الكبيرة للفكر الاسلامي ، وفي القرن السادس كان الغزو الصليبي للعالم الاسلامي وقد فشل هذا الغزو فشلا ذريعا ، وتحطم على صخرة الصمود البطولي للمسلمين ، وفي القرن السابع تحطم الغزو المغولي للعالم الاسلامي في عين جالوت على صخرة الاباء الاسلامي الذي مثلته مصر وجيشها في اعتزاز بلغ حد الروعة ، وكأنه المعجزة التي يظهرها الله للناس بين الحين والحين ، دليلا على رعايته لدينه ، واصطفائه لكتابه ، وعونه لأمة القرآن الكريم وحملت مصر راية الخلافة الاسلامية ، وفي القرن الثامن تجددت الروح الاسلامية من جديد ، وأخذت تبني ما هدمه التتار ، وتعيد السيادة لله ولدينه ولكتابه في الأرض ، وفي القرن التاسع استطاع العلماء المسلمون ، والجامعات والمدارس الاسلامية وفي مقدمتها الأزهر الشريف ، أن يعيدوا للثقافة الاسلامية وجهها الرائع العظيم ، وإذا كانت الاندلس قد سقطت في أيدي برابرة محاكم التفتيش في نهاية هذا القرن ، فان المسلمين قد دخلوا القسطنطينية في أواسطه فاتحين ، بقيادة السلطان محمد الفاتح العثماني ( عام ٨٥٧هـ -

١٤٥٣م ) ، وفي القرن العاشر حمل الأتراك عبء مواجهة الاسلام لأوروبا المتآمرة على شعوبه وحريات دوله ، وفي القرن الحادي عشر امتدت موجة انتصار الأتراك في أوروبا ، وفي القرن الثاني عشر ظهرت دعوات إسلامية جديدة تحمل عبء المواجهة الشعبية لتيار الغرب الصليبي المعادي للاسلام والمسلمين ، وفي القرن الثالث عشر استمرت موجة المقاومة الاسلامية لغزو أوروبا السياسي والحضاري للعالم الاسلامي ، وفي القرن الرابع عشر استمرت موجة النضال ضد الاستعمار ، وأخذت الدول الاسلامية استقلالها بالقوة من أيدي الغرب ، الذي كان قد فرض هيمنته السياسية على الشعوب الاسلامية فرضا محكما ..

وها هوذا القرن الخامس عشر على وشك أن يبزغ فجره في أفق المسلمين ، وأن يصنع الله فيه لدول الاسلام معجزة جديدة تكون شاهد صدق على تأييد الله ورعايته لدينه العظيم ، وكتابه الحكيم .

وإني لأتنبأ بأن هذا القرن سيكون قرن ازدهار الحضارة الاسلامية مرة أخرى ، وأخذها الزمام بيديها لتقود العالم من جديد ، إلى حيث الأمان والايمان ، وإلى حيث الاسلام والسلام ، وإلى المبادئ والقيم الرفيعة التي نزل بها القرآن الكريم ، وكل ذلك بإذن الله ومشيئته وقدرته وعونه .

لقد سادت الحضارة الاسلامية العالم كله عشرة قرون أو يزيد ، كانت هي التي تفيء الدنيا الى ظلالها ، وهي التي يهتدي الناس بنورها ، وينعمون بالسعادة والرخاء والعدالة والحرية ، والاخاء والمساواة تحت لوائها ، لواء دين الاسلام وكتاب المسلمين المنزل من السماء ، على رسولهم الكريم ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

ثم على حين غفلة ، وبالمكر والخداع والتمويه ، فرض الغرب سيادته على العالم الاسلامي ، وفرض حضارته على المسلمين .. وهي حضارة زائفة ، الحق فيها للقوة ، **بينما كانت حضارة الاسلام تفرض القوة لحماية الحق** ، والمقام الأول فيها للمادة ، **وفي حضارة الاسلام للروح نصيب ، وللمادة نصيب ، من ذلك . وحقوق الانسان وكرامته في حضارة الاسلام هي كل شيء** ، وهيمنة الدولة وسيطرتها في حضارة الغرب هي كل شيء ولن تنتهي الموازنة بين الحضارتين ، **ولن تنتهي مفاخر الحضارة الاسلامية كلما توغلنا في هذه الموازنة شيئا فشيئا .**

حضارة الغرب هي حضارة الصراع والمصارعة وحضارة المكيافيلية الخادعة ، وحضارة الكذب والنفاق والمظاهر البراقة ، وحضارة المادة الكثيفة المظلمة وحضارة التمويه على الشعوب ، وحضارة العصبية للون والجنس والطائفية والمذهب ، وحضارة الصراع الطبقي والاقتصادي والمذهبي الضيق المحدود ، وحضارة الالحاد والعلمانية والاباحية والعرى

والقمار والربا ، وكل الموبقات التي ينفر منها العقل والمروءة والدين .

حضارة الغرب حضارة منهارة تقوم على غير أساس ، وهي في كف الصراع الذري في قلق لا مثيل له ، وتقف على حافة الهاوية كل لحظة ، وقد تنبأ لها المفكرون والفلاسفة في العالم كله بالانهيار ، لقد هجر الناس في ظلالها الأسرة والزواج إلى بيوت اللهو وإلى صداقة العشيقات ، وهجروا الدين إلى الالحاد ، وهجروا الفضائل الانسانية كلها إلى دنس الرذيلة التي لا نهاية لقذارتها ، وداس الأغنياء على رؤوس الفقراء فنشأت المذاهب الثورية الملحدة التي تكفر بكل القيم والديانات والكتب السماوية ، والتي تخوض إلى أغراضها بحار الدماء .

حضارة شاخت وهرمت ، ومصيرها القريب أو البعيد إلى الانهيار البالغ حد القسوة والقوة ، والرهبة والجبروت .

**والبديل لهذه الحضارة الغربية هو حضارة الاسلام ، التي تستند إلى دعائم قوية متينة ، من العقيدة الصالحة ، والسلوك الانساني الرفيع ، والفضائل الخلقية الطاهرة ، ومن الايمان بحق الانسان في الحياة والعدالة والحرية والمساواة والاخاء والكرامة الانسانية .**

**إن القرن الخامس عشر الهجري هو العصر المرتقب لعودة الحضارة الاسلامية ولازدهارها من جديد ، ليعود المسلم الحقيقي إلى الأرض وفي يده الرسالة وفي قلبه الايمان ، وفي روحه تعاليم السماء الطاهرة المضيئة أبدا .**

فالى العمل ، أيها المسلمون ، بكتاب الله ، بدين الله ، بكل ما فرضه الاسلام على المسلم من التزامات روحية ، وذاتية واجتماعية وقومية ، وفكرية ، فذلك هو سعادة الدنيا والآخرة ، وهو عز الفرد والمجتمع والأمة ، وهو الأمان الحقيقي للانسانية من أخطار الدمار والانهيار وفي يد المسلمين النور الذي لا يطفأ أبدا ، وهو كتاب الله الحكيم ( **يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا** ) النساء / ١٧٤ .

وأمامهم منهج سليم متكامل لا يوجد له مثيل في أية حضارة أخرى .

فليكن لنا من كل ذلك زاد يوصلنا إلى البعث الاسلامي الجديد الذي ينشده كل مسلم ، والذي يقوم من أجل الانسانية ، ورفاهية الانسان ، ولخدمة الأمم كافة ، ولتعزيز مبادىء السلام والأمان والايمان في الأرض ، القرن الخامس عشر الهجري ها هوذا على الأبواب ، ولا يجدي شيئًا أن نقيم الحفلات والمهرجانات لاستقباله ، إنما الذي يعنينا أن تكون هناك خطة مدروسة ، وهدف واضح ، يحدده المفكرون المسلمون ، ويدعون اليه الشعوب الاسلامية كلها ، على كلمة سواء ، أن لا نعبد إلا الله ، وأن لا يكون لنا قائد غير محمد ، ولا دستور إلا دستور القرآن الكريم .. وليشهد العالم أنا مسلمون .

# حافظ ابراهيم

## شاعر الاسلام

٢

للدكتور حسن فتح الباب

لا غرو أن تكون قصائد شاعر النيل حافظ ابراهيم التي استوحاها من الأعياد الاسلامية مباشرة أو من الشخصيات والأحداث التاريخية الاسلامية أكثر حفلا بالتعبير عن المبادئ والقيم الاسلامية ، وأوضح في دلالتها على اتجاهه الاسلامي من قصائده الوطنية والسياسية والاجتماعية التي نلمس فيها هذا الاتجاه تلميحا لا تصريحا . فالموضوع الأساسي للقصائد الأولى هو الاسلام ، والغرض من إنشائها وانشادها هو تمجيد رسالته الخالدة ودعوة أهله حكاما ومحكومين الى العودة الى أصولها والاستقاء من ينابيعها الطاهرة ، واتخاذها درعا تقى الأمة شر أعدائها في الخارج والداخل ، وتقضى على الآثار الضارة التي حاقت بها من جراء التخلي عن الجوهر الباقي والتشبث بالعرض الزائل .

وتمتاز أشعار حافظ التي كتبها من وحي الاسلام بقوة عاطفتها وإشراق ديباجتها وجمال موسيقاها ، وهي السمات التي يتميز بها شعره في سائر الأغراض التي ذكرناها بصفة عامة . ومرجع ذلك ــ كما نوهنا ــ إلى صدوره في كل ما نظمه عن روح وطنية اجتماعية دينية . وتتألق في تلك الأشعار أضواء الاسلام في عصره الذهبي كما يفوح عبق أمجاده وانتصاراته التاريخية . ويؤثر شاعر النيل تناول تلك الأحداث والأمجاد بأسلوب قصصي عصري يخلع عليه طابع الطرافة والتشويق وينأى به عن رتابة النظم التقليدي . ومن ذلك قوله في تحية العام الهجري ( المحرم سنة ١٣٢٧هـ الموافق يناير سنة ١٩٠٩م ) :

| | |
|---|---|
| أطل على الأكوان والخلق تنظر | هلال رآه المسلمون فكبروا |
| وأذكرهم يوما أغر محجلا | به توج التاريخ والسعد مسفر |
| وهاجر فيه خير داع الى الهدى | يحف به من قوة الله عسكر |
| يماشيه جبريل وتسعى وراءه | ملائكة ترعى خطاه وتحفز |
| بيسراه برهان من الله ساطع | هدى ، وبيمناه الكتاب المطهر |
| فكان على أبواب ( مكة ) ركبه | وفي ( يثرب ) أنواره تتفجر |
| مضى العام ميمون الشهور مباركا | تعدد آثار له وتسطر |
| ففيه أفاق النائمون وقد أتت | عليهم كأهل الكهف في النوم أعصر |
| وفي عالم الاسلام في كل بقعة | له أثر باق وذكر معطر |

ويمضي شاعرنا مطوفا بروح الوامق المنتمي الشفوق في أرجاء العالم الاسلامي المترامي الأطراف بوصفه وحدة واحدة لا تتجزأ مهما تعددت دوله ، يسجل أحداثه خلال العام المنصرم ، ويرصد المحاسن والمساوئ ، ويبين الانتصارات والنكسات ، ويستخلص من الماضي العبرة للحاضر والمستقبل . فينتقل من تركيا الى فارس ، ومن مراكش الى أفغانستان ، ومن جاوة « أندونيسيا » الى الجزائر وتونس ، حتى ينتهى الى مصر قلب الأمة الاسلامية فيغنيها أفراحه وآلامه

وأحلامه في نهضتها . ويسترعى النظر في هذه القصيدة صوت الحرية والجسارة منطلقا من صدر الشاعر لا يخشى في الحق ملاما ، فهو يدين السلاطين المستبدين ، وينذر الملوك اللاهين المفسدين ، وينقم على المستعمرين ويحذر من الفتنة ، ويشيد بالحكام المحسنين المصلحين ، ويتطلع إلى غد تتلاشى فيه الحدود والفواصل بين الدول الاسلامية ، وتقوم وحدة إسلامية حقة على أسس من الايمان والعلم والحكمة والقوة :

| | |
|---|---|
| إذا الله أحيا أمة لن يردها | إلى الموت جبار ولا متجبر |
| رجال الغد المأمول إنا بحاجة | إلى عالم يدعو وداع يذكر |
| فكونوا رجالا عاملين أعزة | وصونوا حمى أوطانكم وتحرروا |
| فما ضاع حق لم ينم عنه أهله | ولا ناله في العالمين مقصر |

وإيمان حافظ برسالة الاسلام ــ كما يبدو من هذه الأبيات ــ إيمان واع مستنير مدرك أن الدولة الاسلامية الحديثة ينبغي أن تأخذ بأسباب التطور وعلوم العصر في السلم وفي الحرب ، لأن الاسلام قائم على التفكير والعلم ، وهو دين ودولة ، ومنهج للحياة والتقدم : **( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم )** الأنفال/ ٦٠ .فلا ينبغي أن نقف جامدين على حين يسارع الغرب إلى الكشف عن كل مستحدث في ميادين العلوم والصناعات والفنون والآداب ، ويحشد طاقاته ليفوز بقصب السبق في كل مضمار . فلندع له ما يخالف عقيدتنا من تقاليد وبدع ، ولنأخذ عنه ثمرات الكشوف والمخترعات العلمية . فذلك هو النهج الذي استنه رجال الدولة الاسلامية قديما حين نقلوا عن الحضارات القائمة في ذلك الحين من فارسية وهندية ويونانية ، فأفادوا منها وأثروا بها ما حصلوه من آثار أسلافهم ، ثم أضافوا إليها حتى استطاعوا أن ينشئوا حضارة إنسانية عظمى أضاءت وجدان البشرية وفتحت أمامها مغاليق المعرفة قرونا طوالا . ولم تتدهور أحوال المسلمين إلا حينما سيطر الجمود ، وأغلقت أبواب الفكر والاجتهاد والابتكار والأخذ بالجانب الوضىء من المدنية الحديثة ، وتهافت الحكام على ملذات الدنيا وقمعوا الحرية وناموا عن أطماع العدو .

تلك هى المعاني التي توحى بها قصائد شاعر النيل والتي تعبر عن فكره الاسلامي النير . فهو يحض على نبذ البطء والتواكل والاستكانة لأن السرعة وعلو الهمة هما إيقاع هذا العصر ، ويحث على استخدام المخترعات الحديثة لأن هذا الاستخدام من أسباب النجاح والتفوق . ولكنه في نفس الوقت يحث على الاعتصام بحبل الله والتمسك بالفضائل والمثل العليا التي شرعها الاسلام وأرسى الصحابة والتابعون صرحها ، ويحذر من التنابذ والفرقة والأثرة فيقول :

أيها الشرقي شمر ، لا تنم — وانفض العجز فان الجد قاما
وامتط العزم جوادا للعلا — واجعل الحكمة للعزم زماما
وإذا حاولت في الأفق منى — فاركب البرق ولا ترض الغماما
سابق الغربي واسبق واعتصم — بالمروءات وبالبأس اعتصاما
جانب الأطماع وانهج نهجه — واجعل الرحمة والتقوى لزاما
قوة الرحمن ، زيدينا قوى — وأفيضي في بني الشرق الوئاما

ونلتقي بنفحات التاريخ الاسلامي المجيد وما حفل به من أمجاد وبطولات في السلم والحرب في نشيد فريد في ديوان شاعر النيل ، ذلكم هو « نشيد الشبان المسلمين » الذي يستهله بتلك الدعوة التي أخذت بمجامع نفسه ، فأفسح لها من شعره مكان الصدارة ، وجعل منها معزوفته الأساسية ، واستوحاها أرق أنغامه وأعمقها أثرا ، وهي الدعوة الى إحياء تراثنا العريق في الدين والقيم الاخلاقية والانسانية ، والذود عن صرحها الأشم الذي لم تعن هامته للخطوب كما لم تعن جباه بناته لغير الله الواحد القهار ، والذي يسعى من في نفوسهم مرض للكيد له والانقضاض عليه : **( ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ):**

أعيدو مجدنا دنيا ودينا — وذودوا عن تراث المسلمينا
فمن يعنو لغير الله فينا — ونحن بنو الغزاة الفاتحينا

وفي المقطع الثاني من هذا النشيد يعبر الشاعر بلغة مشرقة صافية عن مقومات الدولة الاسلامية في عصر الرشيد أزهى عصور الدولة العباسية ، وهي الحكم بالعدل بين الناس والاحسان والبر اليهم جميعا مما أفاء الله على الدولة من سعة في الرزق ووفرة في الثمار بعد الفتوحات الكبرى وهزيمة الامبراطوريتين الرومانية « البيزنطية » والفارسية أقوى دولتين في العالم حينئذ :

جبينا السحب في عهد « الرشيد » — وبات الناس في عيش رغيد
وطوقت العوارف كل جيد — وكان شعارنا رفقا ولينا

ويستكمل الشاعر في المقطع الثالث مقومات الحكم الاسلامي الأصيل ، فيقول إن الفتح كان قائما على العلم وقوة الارادة كركنين أساسيين للرسالة الاسلامية . ويختتم النشيد بأن أسلافنا العظام براء منا وأننا غير جديرين بالانتساب إليهم ما لم نقتد بهم ونعمل على إقالة أمتنا من عثرتها أو نموت كراما :

سلوا بغداد والاسلام دين — أكان لها على الدنيا قرين

رجـــال للحـــوادث لا تلين وعلـــم أيـــد الفتـــح المبينا

. . . . .

فلسنـــا منهمـــو والشرق عاني إذا لم نكفـــه عنـــت الزمان
ونرفعـــه الى أعلى مكان كمـــا رفعـــوه أو نلقـــى المنونا

وتأسرنا قوة شعر حافظ في دفاعه عن العالم الاسلامي ودعوته الى تحريره إذ كانت أقطار كثيرة منه واقعة في قبضة الاستعمار الأوروبي يسومها الخسف والنكال ، ويكيد لدينها وقوميتها ، ويمتص خيراتها ، ويحجب عنها أنوار الحضارة . فيتصدى له بسلاح الشعر الحماسي ليثير في النفوس مكامن الحقد المقدس ، ويلهب عزائم المسلمين ، ويحرضهم على الجهاد والتضحية . ومنهجه الفني في ذلك هو تصوير فظائع العدو وخطاياه من إهدار للحرمات ، ونكث للعهود ، وانتهاك للشرائع السماوية والقوانين الوضعية ، وارتكاب للموبقات التي يعف عنها الحيوان على الرغم مما يزعمه من تمدنه وتحضره . ولشاعر النيل في هذا المقام قصائد من عيون الشعر الحماسي التصويري مثل قصيدته في حرب طرابلس في سنة ١٩١٢م ، وهى الحرب التي شنها الطليان طمعا وعدوانا في الشمال الافريقي العربي الاسلامي ، وكانت صفحة سوداء ووصمة عار في تاريخهم ، لما عمدوا إليه من تنكيل بالمدنيين من شيوخ ونساء وأطفال حتى ليقول حافظ وكأنه يسترجع ذكرى الحروب الصليبية الاستعمارية :

عجـــز الطليـــان عن أبطالنا فأعلـــوا من ذرارينـــا الحساما
كبلوهـــم ، قتلوهـــم ، مثلوا بذوات الخـــدر ، طاحـــوا باليتامى
بارك ( المطـــران ) في اعمالهم فسلـــوه بارك القـــوم علاما ؟
أبهـــذا جاءهـــم إنجيلهم آمـــرا يلقـــى على الأرض سلاما ؟
كشفـــوا عن نيـــة الغـــرب لنا وجلـــوا عن أفـــق الشرق الظلاما

وكذلك منظومته التمثيلية التي قالها عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية المشار إليها آنفا . وفيها يدعو المسلمين والنصارى إلى الوحدة حتى يقفوا بنيانا مرصوصا في وجه العدو ، ولا يتركوا له ثغرة ينفذ منها ، فليس مثل الانقسام عونا للمغير المعتدي ووبالا على صاحب الحق :

يـــا قـــوم إنجيـــل عيسى وأمـــــــــــة القـــــــــرآن
لا تقتلـــوا الدهـــر حقـــدا فالملـــــــك للديـــــــان

أما قصيدته « أيا صوفيا » التي يخاطب فيها مدينة الآستانة ـ حين خيف عليها أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك بعد أن احتلتها جيوشهم ، وكانت رمزا للخلافة الاسلامية ، وذلك عقب الحرب العظمى ـ فهى من عيون الشعر الاسلامي عامة ومن فرائد شعر حافظ خاصة ـ فهي تنبض بمشاعر متأججة لا تصدر إلا من قلب أديب مسلم غيور على دينه شديد الشجى لما أصاب أهله من ضراء .

ويكاد القارئ ان يسمع في ثنايا الأبيات صرخات الشاعر ، وأن تلفحه نار لوعته وحرقة زفراته ومنها قوله متضرعا إلى الله :

| | |
|---|---|
| أيرضيك أن تغشى سنابك خيلهم | حماك وأن يمنى «الحطيم» و«زمزم» ؟ |
| وكيف يذل المسلمون وبينهم | كتابك يتلى كل يوم ويكرم ؟ |

وتتوهج روح حافظ الاسلامية مع مشاعره الشخصية في مرثيته للامام الشيخ محمد عبده ، وهو يرسم فيها صورة صادقة جياشة بالعاطفة لشخصية العالم المصلح في الاسلام كما ينبغي ان تكون ملامح هذه الشخصية في مطالع القرن العشرين حين كان الاستشراق الأوروبي المغرض يلقي ظله الكثيف على بعض المضللين في العالم الاسلامي . وقد أدار حافظ قصيدته هذه حول عدة محاور هى تقوى الامام ، وصبره على ما ابتلى به من أذى الحاقدين ، وموقفه التاريخي في دحض أباطيل المستشرقين من أعداء الدين ، وتفسيره للقرآن الحكيم .
ومن أبرز هذه المحاور وحدة العالم الاسلامي كما تمثلت في الحزن العميم على موت المصلح الكبير ، تلك الوحدة التي طالما تغنى بها شاعر النيل . ففي وصف فضيلة الصبر يقول حافظ مخاطبا الامام :

| | |
|---|---|
| وآذوك في ذات الاله وأنكروا | مكانك حتى سودوا الصفحات |
| رأيت الأذى في جانب الله لذة | ورحت ولم تهمم له بشكاة |

وفي تصوير مقدرة الشيخ على إفحام المستشرقين يقول :

| | |
|---|---|
| ووفقت بين الدين والعلم والحجا | فأطلعت نورا من ثلاث جهات |
| وقفت «لهانوتو» و «رينان» وقفة | أمدك فيها الروح بالنفحات |
| وخفت مقام الله في كل موقف | فخافك أهل الشك والنزعات |
| وأرصدت للباغى على دين أحمد | شباة يراع ساحر النفثات |

وفي التعبير عن الحزن الذي اعترى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كأنه يصدر من قلب رجل واحد يقول :

بكـى الشرق فارتجـت له الأرض رجة — وضاقـت عيـون الكـون بالعبرات
ففي «الهند» محـزون، وفي «الصين» جازع — وفي (مصر) باك دائـم الحسرات
وفي «الشام» مفجـوع، وفي (الفـرس) نادب — وفي «تـونس» ما شئـت من زفرات
بكـى عالـم الاسلام عالـم عصره — سراج الدياجـى هادم الشبهات

وإذا كان حافظ قد رثى الشيخ محمد عبده بوصفه إماما مصلحا كرس علمه وجهده للدفاع عن الاسلام ، فلقد رثى الشيخ علي يوسف بوصفه كاتبا وطنيا إسلاميا من رواد الصحافة أفسح صفحات جريدته « المؤيد » التي أنشأها في سنة ١٨٨٩م لرد الامام على « هانوتو »، وكانت صحيفته هذه من منابر الاسلام ومنهلا زاخرا من مناهل الدين :

وكان ميـدان سبـق للألى غضبوا — للديـن والحـق من داع ومحتسب
أي الصحائف في القطرين قد وسعت — رد « الامام » مزيل الشـك والريب
أيـام يحصب « هانوتـو » بفريته — وجـه الحقيقـة والاسلام في نحب

وفي هذه القصيدة أيضا نلاحظ ان الوحدة الاسلامية محور أساسي من محاورها ، فهو يؤكدها قبيل ختام أبياته كما فعل في مرثية الامام فيقول :

لولا « المؤيـد » ظل المسلمـون على — تناكـر بينهـم في ظلمـة الحجب
تعارفـوا فيـه أرواحـا ، وضمهمو — رغـم التنائـى زمـام غـير منقضب
في مصر، في تونس، في الهنـد، في عدن — في الروس، في الفرس، في البحرين، في حلب
هذا يحـن الى هذا وقـد عقدت — مودة بينهـم موصولـة السبب

أما الختام فهو مزج بين الجهاد الاسلامي والكفاح الوطني وهى إحدى السمات الأصيلة في شعر حافظ كما أشرنا من قبل :

جاهدت في الله والأوطـان محتسبا — فارجع إلى الله مأجورا وفـز وطب
واحمل بيمناك يوم الحشر ما نشرت — تلك الصحيفـة في دنيـاك وانتسب

والتأثر بأسلوب القرآن الكريم وصوره واضح أيما وضوح في البيت الثاني ، فضلا عن دلالته القوية على إيمان حافظ والروح الاسلامية التي تنبض في شعره .

وتمتزج النزعة الوطنية بالنزعة الدينية عند حافظ أيضا في مرثياته الأخرى . أوليست مصر ــ موطن شاعرنا ــ هى كنانة الله في أرضه ؟ وكم لها من مآثر في نصرة الاسلام ، وهى مازالت حصنا منيعا من حصونه ودرعا تقيه سهام الخصوم .

ولا شك في أن هذه المعاني مستقرة في وجدان حافظ الاسلامي ، وأنه استوحاها في قوله من قصيدة في ذكرى مصطفى كامل الأولى :

| | |
|---|---|
| ماذا يريــــدون ؟ لا قرت عيونهمو | إن الكنانة لا يطوى لهــا علم |
| كم أمة رغبت فيهــا فمــا رسخت | لها ــ على حولها ــ في أرضها قدم |
| ما كان ربــك رب البيـــت تاركها | وهى التي بحبال منــه تعتصم |

وفي رأينا أن شاعر النيل يعد نمونجا للشاعر الداعية الاسلامي في العصر الحديث . ولقد رأينا مصداق نلك في دعوته الأمة الاسلامية الى تبوؤ مكانتها في ركب التقدم تحت شمس العلم ، والأخذ بالجانب الوضىء من الحضارة الأوروبية كما فعل المسلمون الأوائل وهم يلتمسون السبل إلى بناء الحضارة الاسلامية عاملين بما جاء في الأثر : « اطلبوا العلم ولو في الصين »، وما أوصى به الرسول القائد المعلم من تعلم اللغة السريانية ، فان من عرف لغة قوم أمن شرهم . ومما يدل على هذا الوعي الاسلامي المستنير عند شاعرنا أنه لم يكن متعصبا ضيق الأفق في فهمه لجوهر الاسلام ، بل عرف بمودته للمسيحيين من أهل مصر والشام ممن عرفوا بحسن الجوار والتعاطف مع المسلمين بدافع الانتماء إلى الوطن الواحد والمصلحة المشتركة ، ولأنهم أصحاب دين سماوي وليسوا كفارا .. والله تعالى يقول في محكم التنزيل : ( **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا** ) المائدة/٨٢ والرسول عليه السلام قد استوصى الصحابة بأهل مصر خيرا فقال : « إذا فتحت فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم نمة ورحما » الطبراني والحاكم .

أما المنتمون الى المسيحية اسما والمخالفون لتعاليم عيسى في المحبة والسلام بسلوكهم المعادي للأمة الاسلامية وعقيدتها ، فان حافظا بوصفه شاعرا يدعو للاسلام قد وقف منهم موقف المهاجم . وقد تمثل نلك في تنديده برئيس الكهنة الذي بارك إغارة الايطاليين على طرابلس وما ارتكبوه من مذابح ضد المسلمين يندى لها جبين الانسانية وتنهى عنها الديانة المسيحية .

ومودة حافظ ابراهيم للمسيحيين المناصرين للمسلمين ــ كما عرف بها ونطق بها شعره . ومن أمثلة هذا الشعر إخوانياته ومرثياته لقادة المسيحيين في مصر والشام وكبرائهم وشعرائهم ورجال الصحافة النابهين ممن كانوا يدا واحدة مع

المسلمين ضد أعداء الوطن وأعداء الدين ، فمن قصائده الأولى ما قاله في خليل مطران شاعر القطرين ، ود . فارس نمر العالم السوري عضو مجمع اللغة العربية ، ود . يعقوب صروف الأديب اللبناني وقد اشترك الرجلان في إنشاء مجلة المقتطف وجريدة المقطم وتحريرها ، وداود عمون الشاعر والمحامي اللبناني ، وواصف غالي وقد ترجم بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية وفند مزاعم « رينان » ضد الاسلام ، وأمين واصف من كبار رجال الادارة ، ومسرة الشام وهو مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى من مسلمين ومسيحيين في أثناء عدوان إيطاليا على بيروت ويقرب بين الطائفتين اهل الوطن الواحد .

ومن قصائده الثانية مارثى به الطبيب العالم اللبناني نزيل مصر المشهور شبلى شميل ، وجورجى زيدان منشئ مجلة الهلال وعلم من أعلام التاريخ والأدب العربي المرموقين ، ود . يعقوب صروف ، وحبيب المطران وكان سريا من سراة الشام ، وقد نزل الامام الشيخ محمد عبده بقصره في بعلبك في بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية .

بل إن السماحة الاسلامية العميقة الجذور في نفس حافظ قد وسعت الناس جميعا فيما عدا أعداء الاسلام والوطن . فشدا للانسان ذى القيم الفاضلة التي حث عليها الاسلام في كل مكان كما تفصح عن ذلك قصيدته في الشاعر الفرنسي الذائع الذكر « فكتور هوجو » والكاتب الروسي العالمي « تولستوي ». وهذا يدلنا ايضا على تأصل سماحة الاسلام في نفسه ، تلك السمة التي يتصف بها المسلم الحق والتي تشتد إليها حاجتنا في هذا العصر الذي تصطرع فيه المذاهب والنحل ، ويبحث فيه كثير من المثقفين في مختلف أرجاء العالم عن الطريق ، ولا يقنعون بغير البراهين العقلية المنطقية ، ويلفظون أساليب التعصب والعنف . وذلك هو سبيل داعية الاسلام المتفهم لجوهر الدعوة ، والله تعالى يقول : **( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة )** ويقول : **( وجادلهم بالتي هى أحسن )** النحل/ ١٢٦ .

وأخيرا فان لحافظ إبراهيم آية فنية بمقاييس الشعر الاسلامي هى منظومته القصصية المطولة ــ فقد بلغ عدد أبياتها ١٧٧ بيتا ــ في سيرة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، والخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصرح الباذخ في بناء الاسلام وحضارته الانسانية ، والحاكم القائد العلم الذي شهد له العالم أجمع أنه النموذج المجسد للعدالة ، ورجل الحق الذي لا تأخذه فيه لومة لائم . كما تمثل هذه القصيدة ذروة في شعر حافظ أيضا ، إذ تبلورت فيها موهبته في أكمل صورة ، وقامت دليلا لا يدحض على أنه نذر حياته وفنه للتغني برسالة الاسلام ومثله العليا ومناقب الصحابة ومآثرهم . ومن ثم تستحق هذه الآية الفنية الاسلامية الفريدة أن تختص بدراسة قائمة بذاتها ، وبالله التوفيق .

# من دلائل صدق الرسالة المحمدية

للمستشار حسن الحفناوي

تساؤل يجيش أحيانا بنفوس الشباب .. ما الدليل على صدق الرسالة المحمدية المطهرة ؟.. فان استندت إلى القرآن الكريم فهم بعد .. لم يلموا بشئ كثير عنه .. ولا عن إعجازه .. بيد أن الأمر لا يوجب توقفا .. ولا يوجد حيرة .. ذلك أن هناك من الدلائل العقلية على صدق الرسالة .. ما يجل عن الحصر .. نجتزئ بشئ منها فيما يلي :

**أولا :** أجمع ثقات المؤرخين .. وكتاب السيرة .. أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتهر منذ فجر شبابه بصفات ثلاث .. تميز بها : ألا وهي الصدق .. والأمانة .. ورجاحة العقل .

فلقد كان صادقاً لم يجرب عليه كذب قط .. حتى في أحرج المواقف وأدقها .. ثم كان أميناً إلى أبلغ حدود الأمانة .. حتى أنه عندما عمل في تجارة السيدة خديجة .. أعجبتها أمانته .. حتى أعجبت به ..

واصطفته على أترابها من الأغنياء زوجا .. بل لقد بلغ من أمانته .. أن عرف بين قريش .. بالأمين .. والأمانة والصدق .. صنوان .. بعضهما من بعض .

كذلك كان راجح العقل .. ذكي الفكر .. ثاقب البصر .. يقطع في ذلك .. ما أوردته أمهات كتب السيرة .. من أنه .. قبل النبوة بسنوات .. هدمت قريش الكعبة لتجديد بنائها .. وعندما وصلوا إلى الحجر الأسود .. دب بينهم النزاع فيمن يضع الحجر منهم في موضعه .. ورأوا أن ذلك شرف .. لا يبخلون في سبيل نيله .. بنفس أو نفيس .. فبرزت كل قبيلة تزعم أنها وحدها صاحبة الحق في هذا .. حتى احتدم الأمر .. واستعر الخلاف إلى أن وضع السيف بينهم موضع التحكيم .. بل تحالف كثير منهم على الموت .. ولبثوا في خلفهم ذاك أربع ليال .. حتى تداركهم رجل فيهم .. له سمت وسن .. هو ابو أمية حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .. إذ أشار عليهم أن ينحوا السيف جانبا .. وأن يحقنوا دماءهم بأن يحكموا بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد .. فاذا الداخل من ذاك الباب ذاك الشاب الصادق الأمين .. إنه محمد بن عبد الله .. فلما رأوه .. استبشروا .. فقالوا .. هذا الأمين .. رضينا به .. ثم عرضوا عليه خطبهم .. وكان هو بين أمرين .. كلاهما مر .. فاما أن يبحث عن حل يرضيهم جميعا .. وذاك أمر صعب المنال .. وإما أن يفشل فيقع القتال لا محالة .. غير أن سداد نظره .. ورجاحة فكره .. وذكاء عقله .. أملت عليه حلا موفقا عجيبا .. إذ دعا بثوب ثم أخذ الحجر فوضعه في الثوب ثم طلب من كل قبيلة أن ترفع الثوب وتحمله من إحدى نواحيه .. وبذلك اشتركوا جميعا في حمل الحجر وعاد بينهم الوئام محل الخصام .

فاذا كان صدقه قد مكن له .. رغم صغر سنه .. أن يكون حكما بين القبائل في أمر جلل خطير .. وإذ كان راجح فكره أهله أن يحسم هذا الخلاف الكبير .. فان ذلك يقوم دليلا راجحا .. وبرهانا واضحا على صدق ما جاء به بعد ذلك .

**ثانيا :**

عندما نتأمل بالدراسة .. أول بوادر الوحي .. نرى منها دليلا صادقا على ما تقدم .. فمن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان قبل الرسالة .. قد تعود أن يتفرد بنفسه في غار حراء .. يتحنث .. عندئذ فوجىء بجبريل – عليه السلام – يحضر اليه ويأمره أن يقرأ .. فيجيب بأنه ليس من ذوي القراءة فيعصره عصرا شديدا ويعيد إليه الطلب .. ثم يقول له أخيرا : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق ..** » العلق/ ١ ، ٢

تجمع المراجع على أن الرسول صلى الله عليه وسلم .. عاد إلى بيته .. وزوجه خديجة .. خائفا مرتجفا .. مستغربا متحيرا ثم أخبر زوجته بما

وقع له ثم يعلق لها على ذلك فيقول : « لقد خشيت على عقلي » .. فأخذت تثبته .. وتهدئ من روعه قائلة له : أبشر .. فوالله لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث .. وتحمل الكل .. وتعين على نوائب الدهر .. ثم أرادت هي نفسها .. ان تطمئن إلى سر ما حدث فصحبت الرسول صلى الله عليه وسلم .. إلى ابن عم لها .. كان نصرانيا .. وعرف بالتنسك والتحنث وهو ورقة بن نوفل .. حيث قص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ما وقع له .. ففطن ابن نوفل إلى حقيقة الأمر إذ هتف قائلا : يا محمد .. هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى .. ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك ! فعجب الرسول من ذلك .. وسأل متحيرا .. أو مخرجي هم ؟ ففسر له ورقة الأمر بقوله .. نعم : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى .. وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا !!

فاذا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم .. يدرك أول الأمر تفسير ما وقع له .. وكذلك خديجة .. لذلك لم يدع أول الأمر أنه وحي رسالة .. أو انه أصبح رسولا .. ولم يقص الأمر على أحد من أصدقائه .. وإنما أسرع إلى داره عائذا لائذا .. حتى فسر الأمر له عابد منقطع .. إذا كان الأمر كذلك .. فانه لا يتفق ـ في المنطق السليم ـ مع الكذب والاختراع لا سمح الله . بل إن ذلك دليل ساطع على الصدق .

**ثالثا :**

من المسلم عقلا .. أن الانسان إذا كذب على غيره فلا يستساغ ان يكذب على نفسه .. فمن الممكن أن يوهم أحدهم بقية أصحابه كذبا .. أنه غني .. ولكن من غير المستساغ عقلا أن يكذب على نفسه بذاك الوهم .

على ضوء ذلك فلننظر بعض الحوادث مما أجمعت عليه جل كتب السيرة .

**١ ـ حادث الهجرة إلى الطائف :**

عندما ازدادت سفاهات الحاقدين من قريش .. للرسول صلى الله عليه وسلم .. وكثرت إساءاتهم له .. حتى أجمعت قريش أمرها فقاطعت النبي وصحبه من المسلمين .. وحصرتهم في شعب حيث لا تعامل معهم .. لا بيع ولا شراء ولا مصاهرة ولا محادثة وزاد الأمر شدة عندما ماتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها .. وكانت تلك مصيبة بالغة .. فهي أخلص من أخلص له .. ثم مات عمه ابو طالب .. وكان يذود عنه كيد الكافرين .. عندئذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحى بالدعوة وجهة أخرى فيمم شطر الطائف .. عساه يجد فيها معينا أو نصيرا .. وأخذ معه زيد بن حارثة .. وكان الأمل معقودا على ثقيف فهم أخواله وأقاربه .. فحادث سادتهم .. عبد ياليل .. ومسعود .. وحبيب بنو عمر ابن عمر .. وحاول أن يفتح أفكارهم .. وأن يوسع آفاقهم ولكن عميت بصائرهم فأساءوا فهمه .. كما أساءوا لقاءه .. بل وأغروا به الصبية والسفهاء .. فجعلوا

يحصبونه بالأحجار حتى أدميت قدماه فلجأ وزيد .. إلى بستان لعقبة وشيبة .. حيث صلى ثم توجه إلى السماء يناجي ربه فيقول كما جاء في كتب السيرة : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي .. وقلة حيلتي .. وهواني على الناس .. يا أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين .. وأنت ربي .. إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ! أو إلى عدو ملكته أمري !! اللهم إن لم يكن بك غضب علي .. فلا أبالي .. ولكن عافيتك أوسع لي .. فأعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. من أن تنزل بي غضبك .. أو تحل على سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .. » .

لا جدال أن النبي صلى الله عليه وسلم .. لا يمكن أثناء ذاك الكرب الشديد .. والبلاء الكبير .. أن يلجأ إلا لما يؤمن به من عميق وجدانه .. بل إنه في خضم هذا البلاء لا يهمه منه شئ .. إلا أن يكون غير ناتج عن غضب الله عليه .. لا يمكن أن يتأتى ذلك .. في العقل السليم .. إلا من صادق مصدوق يؤمن بجوارحه ووجدانه بربه وبرسالة ربه .

**٢ ـ من حوادث غزوة بدر :**

شبيه بذلك ما وقع في غزوة بدر الكبرى .. إذ خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه في حوالي ثلاثمائة أو يزيد قليلا .. لا يبتغون قتالا .. ولا ينتوون حربا .. بل يتصدون لقافلة تجارية لقريش .. لعلهم يستردون بذلك بعض أموالهم التي خلفوها بمكة لقريش قسرا عنهم .. أما قريش فعندما عرفت .. خرجت بخيلها وخيلائها .. وقضها وقضيضها في نحو ألف من خيرة محاربيها منهم خيرة الفرسان .. وكان الأمر بالنسبة للمسلمين غاية في الدقة .. فان عادوا أدراجهم مؤثرين السلامة على القتال .. ففضلا عما في ذلك من انسحاب تأباه طبيعة الجهاد .. فانه يطمع الأعداء فيهم .. وإن آثروا اللقاء .. فهو لقاء غير متكافئ القوى .. ولا متوازن الأطراف .. موقف عصيب .. وساعة حرجة .. كفيلة بأن ينسى الانسان فيها كل كذب وتصنع .. وقد يذكرنا ذلك بموقف طلحة بن خويلد .. ذاك الذي كان قد زعم النبوة وزعم أن وحيا يتنزل عليه بكتاب .. فلما حاصره خالد بن الوليد وتحرج موقفه .. وتأزم مهربه .. أحاط به قومه وطلبوا منه أن يدعو ربه لينصره .. عندئذ .. نسى كذبه .. وهجر تصنعه .. وقال لهم : حاربوا عن أنسابكم وأحسابكم .. فأما عن الدين فوالله لا دين !!

في وقعة بدر كان موقف المسلمين وقائدهم غاية في الحرج والدقة .. لذلك أشار سعد بن معاذ سيد الأوس أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيموا له عريشا .. يكون موقعه أقرب إلى المدينة .. ويعدون عنده ركائبه .. فاذا كان اللقاء وانتصر المسلمون فبها ونعمت .. وإن كانت الثانية .. فيستطيع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يلحق

بالمدينة ليخرج باقي رجالها ممن لم يخرجوا ليذودوا عنها ..

بنى العريش فعلا وبقي به الرسول فترة .. حتى دخل عليه أبو بكر فوجده مستغرقا في دعاء ربه يدعو .. ويجتهد في الدعاء .. حتى سقط رداؤه من على كتفيه .. وهو يقول لربه من ملء قلبه ووجدانه كما جاء في الأثر :

« اللهم هذه قريش أقبلت بخيلائها وفخرها .. تجادل وتكذب رسولك .. اللهم فنصرك الذي وعدتني .. اللهم أحنهم الغداة .. ثم يقول مجتهدا مناشدا : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم .. فلا تعبد في الأرض .. » وظل كذلك حتى أشفق أبو بكر .. وقال له : يا نبي الله .. بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك ..

ولا ريب أن مناشدة النبي صلى الله عليه وسلم ربه .. على انفراد بهذا الاستغراق العجيب .. وذاك الاجتهاد العميق في وقت هو من أشد الأوقات حرجا .. ليعتبر دليلا أكيدا على صدقه مع نفسه في علاقته بربه عز وجل .

**٣ ـ من حوادث أحد :**

إن غزوة أحد تمثل امتحانا عميقا لايمان المؤمنين .. إذ كان المسلمون كثرة .. ولكنهم هزموا .. لأسباب لا مجال للخوض فيها هنا .. والمعروف ـ بداهة ـ أن الانسان إذا تعرضت حياته لخطر محقق ... انشغل به عن أى وهم أو تصنع كان يتكلفه في حالته الطبيعية .

وفي هذه الواقعة تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخطر الاحتمالات .. فقد دارت الدائرة على المسلمين .. وفر كثير من صناديد الأبطال .. وشجعان الرجال .. وتعاهد أربعة من رءوس الكفر من قريش على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم .. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .. كان أولئك هم : عبد الله بن شهاب وعتبه بن أبى وقاص .. وعمرو بن قمئه .. وأبى بن خلف .. ورماه بعضهم يومها بأحجار فكسرت رباعيته .. وشج في وجنته الشريفة وجحشت ركبتاه .. وكان الموت قاب قوسين أو أدنى لولا رعاية من الله لنبيه .. وأشاع الكافرون أن محمدا قد قتل ..

رغم هذه الشدائد .. فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزدد إلا ثباتا وشجاعة .. وكان كل حديثه أن قال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ؟ ثم أخذ يتلو قوله تعالى :

**( وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين )** ١٤٤ / آل عمران .

لا ريب أنه ... وقد تبين .. أنه لم يذكر في خضم هذا الكرب الا أنه نبي الله إلى أولئك الناس ... ثم أخذ يتلو قول ربه ... كل هذا قاطع في الفكر السليم .. على صدق واضح أكيد ... لا يأتيه الباطل من بين يديه ... ولا من خلفه ..

وللبحث بقية إن شاء الله تعالى .

# التطور والثبات في الفقه الإسلامي

## الجزء الأول

للدكتور : محمد رواس قلعه جي

الحياة حامل ، ولكنها حامل من نوع خاص ، إنها تلد في كل ساعة مولودا جديدا ، وهذا المولود الجديد قد يشابه أحد أجداده الذين ولدتهم الحياة قديما ، وقد يكون متميز الخلق ، لا يشابه أحدا من أسلافه ، فمواليد الحياة لا تتناهى ..

وبدهي أني أعني بتلك المواليد « الحوادث » ، وبدهي أيضا أني أعني بما ضربته من مثال : أن الحياة الانسانية لا تستقر على حال ، بل هي في تبدل دائم ، أعني : في تطور دائم ... تطور في العلاقات الاجتماعية ، وتطور في العلاقات السياسية ، وتطور في الفاعليات الاقتصادية ، وتطور في العادات والأعراف .. وتلك مسلمة لا جدال فيها .

نزلت شريعة الله تعالى « الاسلام » على قلب محمد صلى الله عليه وسلم في نصوص ، سواء كانت هذه النصوص آيات قرآنية كريمة ، أم سنة مطهرة شريفة ، وهذه النصوص هي نصوص معدودة ـ قلت أو كثرت ، ونصوص الأحكام لا تتجاوز في أحسن أحوالها ثمانمائة نص ، وإذا كانت النصوص معدودة ، فالأحكام التي تحملها تلك النصوص هي أحكام معدودة محدودة حتما .. وهذه مسلمة لا جدال فيها أيضا .

والسؤال الآن : إذا كانت النصوص معدودة محدودة ، والحوادث التي تتمخض عنها الحياة غير محدودة ، فكيف تستوعب تلك

النصــوص حوادث الحيــاة غــير المحدودة ؟

إن هذه النصوص الثابتة لا بد وأن تحمل في كيانها روح التطور الذي يجعلها مواكبــة لمسيرة الحيــاة ، ومتطورة بتطورها ، تمدها بالأحكام اللازمة لها ، ولا تضيق أو تضعف عن استيعاب أي مولــود جديــد ـ أعني : حادثة جديدة ـ بأحكامها .

وطبعــي أنــي لا أعنــي بهــذا الاستيعاب « الموافقة الحتمية » بل أعني به « إيجاد الحكم الملائــم » الذي يحقق مصلحة الجماعة .

والحق أن الفقه الاسلامي لم يقف حتى الآن ، ولن يقف في المستقبل ، مكتوف الأيدي أمام أية حادثة جديدة مهما كان نوعها ، بل لا بد وأن يكون له فيها حكم ، ولو فرضنا جدلا أن ذلك قد حدث ، فان العذر في ذلك ليس في الفقه ذاته ، بل في القائمين عليه ، فهم إما أنهم قد قصر علمهم عن الاحاطة بالنصوص الشرعية ، وإما أنهم لم يدركوا الأهداف التي ترمي إليها هذه النصوص .

وأعود فأسأل ثانيا : كيف يتم هذا التطور في تلك النصوص الثابتة ؟

أ ـ لو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم لوجدناها تنص على مبادئ تشريعية عامــــة ، دون أن تخــــوض في التفصيليات ، فمثلا :

يقــــول الله جل شأنــــه : **( واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممــن ترضــون من الشهــداء )** البقرة/٢٨٢ .. ولكن : من هم الذين نرضاهم من الشهداء ؟ إن القرآن الكريم لم يبينهم ، وبينت السنــة طائفة منهــم ، وأضافــت مدرســة الحياة التي يمثلها فقهاء المسلمين طائفــة أخــرى ممــن لا ترضى شهادتهــم ، لاستهتارهــم بالقيــم الاجتماعية ، مثلا .

وقال تعالى : **( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلــين )** الأعراف/١٩٩ .. ولكن : ما هو هذا العفو ، وما هي حدوده ، وما هو العرف الذي يؤمر به ؟ كل ذلك متروك للحياة ، تطور مفهومه بشكل يواكب مسيرتها ، ولا يقف في وجه تقدمها الخير .

وقال تعــالى : **( إن الله يأمــر بالعدل والاحسان )** النحل/٩٠ .. ولكن ما هي الطرق التــي تحقــق العدل ؟ لقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم طائفة منها ، ولكنه ترك الكثير للحياة ، تستحدث من السبــل ما يضمن إقامة العدل بين الناس .

مما تقدم نرى أن القرآن الكريم قد نص على المبادئ العامــة دون أن يخوض في التفصيليات ، وبذلك يكون القرآن العظيم قد أوجد في نصوصه مرونة خاصة تجعلها قابلة للتطور .

والحق أن القرآن الكريم لم يفصل القول إلا في الميراث ، وقد أتى فيه بما هو محل أنظار المشرعين في أنحاء العالم **( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافــا كثــيرا )** .. النساء/٨٢ .

ب ـ إن هدف كل الشرائع السماوية عامة ، وهدف الشريعة الاسلاميــة

خاصة تحقيق مصالح الناس في دنياهم وآخرتهم ، وما نزلت الأوامر والنواهي الالهية إلا لتحقيق هذه المصالح ، ولذلك فان الأوامر والنواهي الالهية تمثل المسار الحقيقي والأكيد لمصلحة الناس جميعا .

وقد تظهر هذه المصلحة للناس جميعا في بعض الأحكام ، فتلمس لمس اليد ، أو ترى رأي العين ، أو يحيط بها الفكر إحاطة السوار بالمعصم ، فلا ينكر منها شيئا .

وقد تظهر للبعض دون البعض ، حسب الاستعداد الفكري والروحي الذي يتمتع به الناظر ، وقد لا تظهر لأحد ، وعدم ظهورها لأحد لا يعني أنها قد انعدمت ، بل يعني أنها قد دق مأخذها حتى أصبحت فوق مستوى فهم الانسان ، ولكنها موجودة ولا بد ، وعلى المؤمن ألا يشك في وجودها ، ثقة منه بالله جل شأنه ، لأن الشريعة بجملتها صادرة عن الله سبحانه ، والله — جل شأنه — يجل عن العبث ، كالمريض يتجرع الدواء وهو يجهل تفاعله في الجسم ، ومع ذلك فهو يتجرعه إيمانا منه بفائدته ، ومصدر هذا الايمان الثقة بالطبيب الذي وصفه .

ولما كانت العبادة لا تقبل التطور ، كانت الأحكام فيها غير معقولة المعنى ، أعني أنها لا يظهر وجه المصلحة للناس فيها ، فما المصلحة من جعل صلاة العصر أربع ركعات ، وصلاة المغرب ثلاث ركعات ؟ ولماذا يجب الوضوء من خروج البول ، والغسل من خروج المني ؟ ولماذا تقرأ الفاتحة مع السورة في الركعتين الأوليين من الفرض ، ولا تقرأ الا الفاتحة وحدها في الركعتين الأخيرتين ؟ كل ذلك لا جواب عليه إلا تمحلا لمن تكلف الجواب .

والحكمة من عدم إدراك المصلحة في ذلك هي إبراز الجانب الايماني المفصح عن الثقة المطلقة ، بالله عز وجل ، لأنه لو ظهرت المصلحة للانسان في كل شيء لكان امتثاله للأمر الالهي هو امتثال للفكر — في الحقيقة — لا لله ، أو قل هو امتثال لله مشوب بامتثال الفكر ، ولكن عندما يتحقق الامتثال للأمر الالهي رغم غياب وجه المصلحة في هذا الأمر فهو امتثال تمحض لله تعالى .

ومن هنا كان ثواب العبادة لا يعادله ثواب آخر ، ومن هنا أيضا كان إصرار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على العبادة .

أما أحكام المعاملات : كالبيع والرهن والاجارة والزينة و .. فانها خاضعة للتطور بتطور الحياة ، ولذلك قال الفقهاء : إن أحكامها معقولة المعنى ، وبعبارة أخرى اتفق الفقهاء — إلا من شذ منهم — على أن النصوص الشرعية — من قرآن وسنة — الخاصة بالعبادات غير معللة ، وأما النصوص الشرعية الخاصة بالمعاملات فانها معللة ، وكان لهذا الكلام نتائج على غاية من الأهمية ، ذلك أن النص الشرعي لم يعد حكما شرعيا لحادثة معينة ، بل أصبح قاعدة فقهية يقاس عليها ما لا

يحصى من الحوادث إذا اتحدت علتها مع علة الحكم في هذا النص .

وبذلك أصبح يلازم كل نص في المعاملات أمران : هدف ، وعلة ، ولا بد من أن تتحقق المناسبة بين الهدف والعلة ، فاذا ما خرجت العلة عن انسجامها مع الهدف ، أو خدمتها له : اعتبرت علة باطلة ، ولا يجوز إدارة الحكم معها وإذا ما خرج تطبيق حكم النص الشرعي عن تحقيق هدفه لأمر ما وجب تعديل الحكم بشكل يحقق الهدف الذي شرع الحكم من أجله ، أو إيقاف العمل به إلى أن تزول الظروف التي أدت إلى إخراج حكم النص عن دائرة هدفه .

وهذا ما يرى فيه بعض أدعياء الفقاهة خروجا على حكم النص ، ويرى فيه فوارس الفقهاء عملا بروح النص وهدفه .

وكما أن الهدف يكون سببا لايقاف العمل بالنص ، أو لتعديل الحكم الوارد فيه لظروف معينة ، يكون أداة لتخريج كثير من الأحكام لكثير من الحوادث الجديدة عليه ، كما تكون العلة أداة لقياس كثير من الأحكام على النص الذي توفرت فيه .

وهذا قد أعطى للشريعة الاسلامية قابلية للتطور ضمن نصوصها ، لا يقف عند حد ، أقول : نعم ... لا يقف عند حد ... لا يقف عند حد ..

وهذا ما يروق لي أن أسميه « تطور الشريعة ضمن نصوصها » .

ولم تتضح لدى كثير من الباحثين ومدعي الاجتهاد زورا ، فكرة أهداف النص ، بل لم تتضح لمن كان أضيق منهم نظرا فكرة تعليل النص .

حـ ـ لقد قلنا في مطلع الفقرة السابقة : إن هدف الشرائع السماوية عامة ، وهدف الشريعة الاسلامية خاصة تحقيق مصالح الناس في دنياهم وآخرتهم ، وما نزلت الأوامر والنواهي الالهية ، إلا لتحقيق تلك المصالح حتى قال ابن القيم : « أينما وجدت المصلحة فثم شرع الله » .

وانطلاقا من فكرة « الهدف » هذه ، كان لا بد وأن تلد في الفقه الاسلامي نظرية الاستحسان التي تعالج تخلف الأحكام عن أهدافها ، ونظرية الاستصلاح التي يتم بها ترتيب أحكام على مصالح جماعية حقيقية لم يرد فيها نص في الشريعة ، ونظرية العرف التي يتم بها ترتيب وتعديل كثير من الأحكام على ضوء الأعراف ، حتى قال الفقهاء : « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » وقالوا : « التقييد بالعرف كالتقييد بالنص » .. واعتبار كل من الاستحسان والاستصلاح والعرف مصادر فرعية للتشريع ـ على اعتبار أن نصوص القرآن والسنة قد نوهت بها .

ويروق لي أن أسمي ذلك « تطور الشريعة خارج نصوصها » .

**وخلاصة القول :**

**أن الشريعة الاسلامية ثابتة بأهدافها التي رسمتها نصوصها من قرآن كريم وسنة مطهرة ، ولكنها متطورة في حركية هذه النصوص .**

# مائدة القارئ

## القرآن

قال تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » .

الآية ٩ و ١٠ من سورة الاسراء

## كن على إرث منهم

قال أحدهم مخاطبا أميرا من أمراء المسلمين :

**أيها الأمير : إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، فكن على إرث من هؤلاء .**

## أفضل من الحق

إلى واقع التخاصم والفرقة الذي يعيشه المسلمون اليوم نسوق هذه الكلمات : وقعت دماء بين حيين من قريش ، فأقبل أبو سفيان ، فما بقى أحد واضع رأسه إلا رفعه ، فقال : يا معشر قريش ، هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق ؟ قالوا : وهل شئ أفضل من الحق ؟

قال : نعم ، العفو . فتهادن القوم واصطلحوا .

## أربعة تؤدي إلى أربعة

قال حكيم : **أربعة تؤدي إلى أربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة ، والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة .**

## حكمة نبوية

ذبحت عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ شاة وتصدقت بها ، وأفضلت منها كتفا ، فقال لها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما عندك منها ؟ » .

فقالت : ما بقى منها إلا كتف .

فقال : « كلها بقى إلا كتفا » .

حكمة نبوية رائعة فما يتصدق به هو الذي يبقى ثوابه ، لا ما يؤكل وينتفع به في هذه الحياة .

## لا حسد إلا في اثنتين

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

## صبي .. وهدهد سليمان

دخل الحسن بن الفضل ـ وكان صبيا ـ على أحد الخلفاء .. وعنده كثير من أهل العلم . فأحب أن يتكلم ، فزجره الخليفة قائلا : يا صبي كيف تتكلم في هذا المقام ؟

فقال الحسن : يا أمير المؤمنين إن كنت صغيرا فلست أصغر من هدهد سليمان ـ ولا أنت أكبر من سليمان عليه السلام ـ وقد قال الهدهد لسليمان كما حكى القرآن الكريم « **أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** » . وألم تر يا أمير المؤمنين أن الله قد فهم الحكم سليمان « ففهمناها سليمان » ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى .

## أحسنت في الإساءة

أراد المتوكل شراء جارية قيل إنها فصيحة شاعرة ، فعزم على أن يعقد لها اختبارا قبل أن يشتريها ، فقال لأبى العيناء الشاعر الضرير : اختبر هذه :

فقال ابو العيناء :

أجيزي أيتها الجارية أحمد الله كثيرا

فقالت الجارية :

حيث أنشاك ضريرا .

فقال أبو العيناء : اشترها يا أمير المؤمنين ، فانها قد أحسنت في إساءتها .

# حقيقة المواضع بين القرآن والسنة

من أراد أن يفهم كيف يفسر القرآن بعضه بعضا ، فعليه أن يجعل السنة بابا ينفذ منه إلى النهج الصحيح في قراءة القرآن ، وكيف تكون هذه القراءة مطابقة لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تم علم

التجويد بكل أصوله وفروعه ، وتمت سائر علوم القرآن ، وقامت عليها الدراسات ، بكل الأزمنة والأمكنة . بل إن السنة تعلمنا كيف نفهم معاني القرآن ، وتأتي في ذلك أحاديث كثيرة ، لا بد من معرفتها كلها ، لأنها

للأستاذ : محمد العفيفي

أحاديث متنوعة ، وعلينا أن لا نترك أى مقصد من مقاصدها الكثيرة ، دون أن نبذل أكبر الجهد في فهمه والعمل به .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، قوما يتدارءون في القرآن ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه » رواه احمد وابن ماجه .

فهذا الحديث على ما به من العلوم الكثيرة ، يشير إلى مواضع الكلم ، عن الآيات والسور ، وكيف يدلنا كل ما تتعدد مواضعه في القرآن ، على مشاهد متنوعة ، يصدق بعضها بعضا ، وتتحرك معها دوافع التذكر في عقولنا فتتصل بها وجوه العلم ، في ترتيب معجز ، لا سبيل إلى تبديله أو تحريفه ..

ولننظر إلى قوله تعالى :

**( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا )** النساء /٤٦ .

ثم إلى قوله تعالى :

**( يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به )** المائدة/١٣ .

ثم إلى قوله تعالى :

**( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه )** المائدة/٤١ .

ومما يدلنا على الأعجاز في ترتيب آيات القرآن أننا نلحظ أن كلمة **( مواضعه )** قد جاءت ثلاث مرات في الآيات الثلاث السابقة ، كما هي مرتبة السور في القرآن كله . فسورة النساء تسبق سورة المائدة . والآيات الثلاث السابقة مرتبة بين آيات هاتين السورتين ترتيبا يدلنا على أن للقرآن إحكاما وتفصيلا ، ووحدة وتنوعا ، لا مثيل لهما في كلام البشر . فلولا هذا الترتيب ، الذي أمر الله به رسوله ، في شأن كل آية وكل سورة في القرآن كله ، ما وجدنا الآيات الثلاث السابقة بمواضعها من سورة النساء ثم سورة المائدة .

ولولا هذا الترتيب ما وجدنا كلمة

واحدة هي كلمة ( **مواضعه** ) تصلنا في كل مرة مع ارتباطها بسياقها الذي يتجدد بكل آية من هذه الآيات ، بمقصد جديد ، حتى اتصل ترتيب هذه المقاصد في عقولنا ، فعلمنا أن العصيان ثم النسيان ثم خلط الصدق بالكذب ، هي النتائج التي ينتهي إليها تحريف الأمم السابقة للكتب الألهية ، التي أمرهم الله باتباعها .
إن العصيان ثم النسيان ثم الخلط بين الصدق والكذب ، حقائق واقعية ، لا بد من ترتيبها على هذا النظام كما أن الظمأ لا بد أن يسبق الحاجة إلى شرب الماء ، وكما أن شروق الشمس لا بد أن يسبق انتشار الضوء في آفاق الحياة الانسانية .
وكذلك الأمر دائما كلما تعددت مواضع أى قول قرآني في الآيات والسور ، فترابطت من طريقه المعلومات التي تتصل في عقولنا ، ونحن نواصل تلاوة القرآن ، في ترتيب لا سبيل إلى نقضه ، أو تحريف مساره في روح الانسان وقلبه وعقله .
وكما أمر الله رسوله أن يرتب آيات القرآن وسوره ، هذا الترتيب المعجز ، فقد جعل سنته العملية والقولية ، في جملتها وتفصيلها تفسيرا للقرآن في جملته وتفصيله .

## السنة حركة دائبة لتطبيق أهداف القرآن في الواقع العملي

والسنة ترتبط مقاصدها بمقاصد القرآن ، ارتباطا عمليا ، يقبس لنا من نور القرآن ، بكل ما في أجزاء آياته من ثبات وحركة ، ليستمر هذا النظام في السنة ، فاذا هي دائبة التأثير في حياتنا العملية ، بما تغرسه في قلوبنا من نور القرآن ، وما تشيعه في عقولنا من معالمه المتجددة ، وآفاقه الدائبة الحركة ، المتصلة العطاء ..
إن هناك ارتباطا كميا وكيفيا بين أى مجموعة متنوعة الصيغ من كلمات القرآن ، مثل كلمة ( **وضع** ) في قوله تعالى : ( **والسماء رفعها ووضع الميزان** ) الرحمن/٧ ومثل كلمة ( **وضعته** ) في قوله تعالى : ( **حملته أمه كرها ووضعته كرها** ) الأحقاف/١٥ ومثل كلمة ( **مواضعه** ) كما نظرنا في المشاهد الثلاثة من قبل .
فأما الارتباط الكمي : فهو ارتباط كل كلمة قرآنية بعدد مواضعها الذي قدره الله لها في القرآن كله ، تقديرا نهائيا لا تبديل له .
وأما الارتباط الكيفي : فهو تقدير المقاصد المتجددة ، التي تتصل في معرفتنا ونحن ننظر في ارتباط أى كلمة قرآنية بكل موضع جديد من مواضعها في الآيات والسور .
والسنة تجمع لنا النور القرآني الذي فصله الله في أنواع الصيغ وأعداد المواضع لكل كلمة قرآنية ، فتغرس نوره بمعرفتنا الانسانية في صيغ جديدة ، ولكن فيها تطبيقا وتفسيرا لمقاصد القرآن ، المتعلقة بكل نوع بذاته ، من صيغه اللغوية ، وارتباطاتها في الآيات والسور .
ومن ذلك أننا نجد لهذه الكلمات القرآنية الخاصة بمواضع الكلم ، في

آيات القرآن ، والخاصة بمواضع مخلوقات الله في الكون ، صيغة جديدة في السنة ، هي التي نعرفها – مثلا – في **كلمة التواضع** ، وهي من كلمات الحديث التي لم يرد نصها في القرآن ، وإنما نبعت من كل الصيغ القرآنية الدالة على المواضع ، كما سبقت الاشارة إلى نماذج منه في الآيات السابقة .

إن كلمة التواضع بسائر صيغها في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما هي أنواع جديدة ، من الكلمات المماثلة لها في القرآن تتحرك بالمقاصد القرآنية حتى تصلها بأبعد أعماق الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إن الله أوحى إلى أن **تواضعوا** حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » رواه مسلم .

وينص هذا الحديث ، على أن السنة وحي من الله ، كما أن القرآن وحي من الله . ولكن القرآن هو كلام الله بنصه ومعانيه ، أما السنة فمعانيها وحي من الله وهكذا نعلم أن الوحي الالهي يتجلى في مقاصد السنة ، التي هي امتداد لمقاصد القرآن .

أما التكوين اللغوي للسنة ، فهو يقوم على مواضع الكلم ، التي وهبها الله لرسوله خاصة ، ولا مثيل لها في كلام البشر الخارج عن نطاق كلام النبوة .

وفي هذا الحديث – أيضا – تأتي كلمة ( تواضعوا ) بهذا الأمر الشامل ، الذي يتسع للحكم على من حرفوا كلام الله عن مواضعه ، ويتسع لكل أهداف الحياة الأخلاقية والعملية ، كما جاء بها دين الله ، قيما ثابتة ، تواكب كل أحوال البشر ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ويتجلى هذا كله بالسنة ، في أن الله شاء أن يكون كل معنى من معانيها في تقدم مستمر وإحاطة شاملة ، وبيان لكل خاص في ذاته ، وفي صلته بكل ما هو عام .

وليس كذلك معاني البشر ، في تكلفهم للمعاني ، وخلطهم بين المقاصد ، واختلافهم بين ما يريدون قوله ولا يقدرون عليه ، أو يقولونه ولا يريدونه .

إن الأحاديث الخاصة بالتواضع كثيرة ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :

« ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا يعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه » رواه مسلم .

فهل يلتفت الذين يهونون من شأن السنة ، إلى هذا التجديد المتواصل في بناء السنة كله ، حتى نجد كل حديث إنما هو لبنة قائمة بذاتها تحمل معها مرحلة جديدة في البناء ، وحركة متنوعة في العطاء ..

لقد دار الحديث الأول على بيان التواضع في غاية من غاياته وهو ترك الفخر ، والبغي . ثم إن هذا الحديث الثاني ، يبين لنا ناحية اقتصادية عظيمة الأهمية في التواضع مهما نبحث في حقيقته الكمية أو الكيفية .

فمن التواضع أن يحرص العادون ، بكل مكان وزمان ، على الترتيب والتعقيب . ذلك أن الترتيب والتعقيب

هو الذي يسد الفراغ في حائط بيت بلبنات يتبع بعضها بعضا .
وكذلك عندما يقول قائل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ لا ينبغي له أن يعدل عن هذا الترتيب والتعقيب ، إلا إذا أخل بالحقيقة التي يفسرها لنا بهذا البيان الحسابي . ولو أخل أى إنسان بالترتيب والتعقيب في أى أمر لكان خارجا عن التواضع في معنى من معانيه وغاية من غاياته .

والصدقة – مثلا – رد لبعض أموال الأغنياء على الفقراء .
لذلك فهي إعادة لترتيب الحياة ، على وجهها الصحيح ، وقد دعا الشرع إلى ذلك وحض عليه اختيارا ، بعد أن جعل في فريضة الزكاة ، حقا معلوما للفقراء على الأغنياء .
فقوله صلى الله عليه وسلم في صدر الحديث السابق : « ما نقصت صدقة من مال » إنما هو حق لا ريب فيه ، لأن فيه بيانا للتكامل بين حركة المال في المجتمع وبذلك لا تنقص صدقة من مال .
ونجد الوحدة والتنوع في أحاديث الرسول كلما نظرنا في هذه الحركة المتجددة ، التي تزيدنا عطاء ، كلما زدنا كلام النبوة نظرا وتفكرا ..
ومن ذلك أننا ننظر في حديث جديد ، من الأحاديث التي جاء بها ذكر التواضع فنجد أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « العضباء » لا تسبق ، أو لا تكاد تسبق ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، حتى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه » رواه مسلم . فمن الجديد في معاني هذا الحديث بالنسبة للحديثين السابقين أن الرسول يبين لنا أن الله وضع كل شيء من الدنيا بموضعه . لذلك فالدنيا كلها منتهية حتما إلى الآخرة . فمهما يرتفع شيء من الدنيا ، فإن الله يضعه لا محالة ، للدلالة على أن الدنيا ذات بداية ونهاية .

### كل كلمة قرآنية لها رصيد يفسرها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

وهكذا نعلم أننا كلما نظرنا في حديث ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدنا لكل كلمة في القرآن ما يخصها من الأحاديث الكثيرة التي تدور معها في كل مواضعها ، وتقبس لنا من جملة نورها ما تصلح به أمور حياتنا في الدنيا والآخرة ، في بيان عملي ، وتفسير تطبيقي تفهمه كل العقول ، ويستطيع أن يعمل به كافة الناس مهما تتنوع ثقافاتهم ، ودرجات تحصيلهم العلمي ، بل وقدرة كل منهم على العمل .

### ١ – من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للكلمات المتعددة المواضع

كما بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف ننظر إلى الآيتين

المتشابهتين السابقتين ، فقد خص بالذكر الكلمة القرآنية إذا كانت متعددة المواضع ، لنتعلم كيف نحصل على الفوائد المرتبطة بذلك ، كلما كنا بحاجة إليه . وذلك بأن نعمد مباشرة إلى كلمة بذاتها لننظر في مواضعها المتعددة .

ومن ذلك ما صح عن عبدالله بن مسعود ، قال :

لما نزلت هذه الآية ( **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ) شق ذلك على الناس فقالوا : يارسول الله وأينا لا يقع في الظلم ، يقصدون ما يقع في حياة الناس اليومية من بعض التنازع ، وقد يظلم بعضهم بعضا في ذلك ، وهم لا يشعرون . قال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليس الذي تعنون . ألم تسمعوا قوله تعالى : ( **إن الشرك لظلم عظيم** ) **إنما هو الشرك** ، رواه البخاري ومسلم وأحمد . .

فلننظر كيف تفتح لنا السنة بهذا الوجه من وجوه العلم أبواب الفهم لكتاب الله ، من خلال بيانها لهذا التقدم والتنوع اللذين تحملهما معها كل كلمة قرآنية ، متعددة المواضع في القرآن كله .

بل إن النظر إلى الكلمات المتعددة المواضع ، يبين لنا ــ كذلك ــ كيف ننظر في الكلمات التي ينفرد موضع كل كلمة منها ، في القرآن كله ، حيث يدلنا كل نوع من هذين النوعين على غيره .

## ٢ ــ من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للمعنى في الكلمة القرآنية

وكما يعلمنا الرسول كيف ننظر في مواضع الكلمة إن كانت متعددة المواضع . فكذلك يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، كيف ننظر في معنى الكلمة القرآنية في ذاتها .

ومن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال :

« قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ) فصلت / ٣٠ .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد قالها ناس من الناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها » رواه النسائي .

فها نحن نرى أن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم قد انصب على كلمة واحدة هي قوله : ( استقاموا ) وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى ( استقاموا ) فذكر أن الاستقامة هي الاستمرار على الايمان بغير انقطاع . ومما يؤكد لنا هذا المعنى الثمين ، إن الخط المستقيم هو الخط المتصل ، فالاستقامة والاتصال بمعنى واحد ، في كل أمر من الأمور . ولننظر الى تركيب المعاني في هذا الحديث الشريف حيث قال صلى الله عليه وسلم : « قد قالها ناس من الناس » أي مجتمعات بشرية بين البشر جميعا في جملتهم الواحدة » ثم قال صلى الله عليه

وسلم : « فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها » فربط هنا بين كل أحد من الذين **( قالوا ربنا الله )** وبين مجتمع المؤمنين خاصة .

وهذا من أثر التركيب القرآني ، في فهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لبناء المجتمع البشري ، بكل ما فيه من ثبات الخصائص ، وحركتها الدائبة من الدنيا الى الآخرة .

والرسول صلى الله عليه وسلم ، قد بين لنا هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة ، يحمل كل منها لبنة جديدة في بناء السنة كله .

ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

« خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه .. وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )** ( الانعام/١٥٣ ) ــ رواه احمد والنسائي .

فلو نظرنا في جملة الأحاديث التي تبين لنا هذه الكلمة القرآنية في سائر صيغها ومواضعها ، لرأينا العجب العجاب ، ولكن هذا أمر ليس في وسع شخص واحد ، وإنما يجب أن يتجرد له أهل العلم في الأمة كلها .

**٣ ــ من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للترابط بين كلمات القرآن وهي في سياق واحد**

ويزداد هذا الأمر وضوحا إذا نظرنا إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للمعاني القرآنية التي نجدها مع اتصال كلمات القرآن بعضها ببعض .

فقد روى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فسر قوله تعالى :

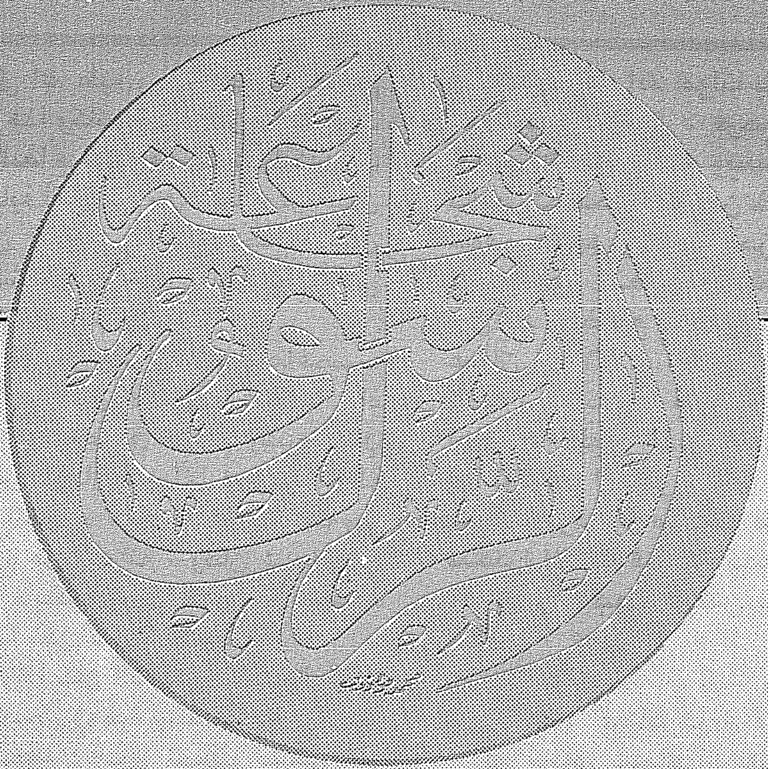
**( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة )** يونس/٢٦

فقرأ قوله تعالى : **( للذين أحسنوا )** وقال : « شهادة أن لا اله الا الله »

وقرأ : **( الحسنى )** وقال : « الجنة »

وقرأ : **( وزيادة )** وقال « النظر إلى ربهم » رواه مسلم .

فمن شاء أن يتوسع في فهم النتائج المترتبة على هذا التفسير ، فلينظر إلى مواضع كلمة الحسنى ، ومواضع الصيغ المرتبطة معها من حيث الأصل اللغوي ، ثم لينظر كذلك إلى مواضع الكلمات الدالة على الزيادة ، وسيعلم أن تفسير الرسول لهاتين الكلمتين ، إنما هو نور شامل يصلنا بالكثير من آيات القرآن وسوره ، ويبين لنا الطريق إلى النظر في كل ما فهمه الصحابة والتابعون ، لوجهين أساسيين من وجوه الفهم للكلمة القرآنية . فأما الوجه الأول فهو الكلمات القرآنية وهي مترابطة بسياق واحد كما رأينا الآن .. وأما الوجه الثاني فهو فهم الكلمات القرآنية وكل كلمة منها متعددة المواضع والارتباطات في القرآن كله .



للدكتور : احمد الحوفي

## ( حقيقة الشجاعة )

عرض أرسطو لتعريفها فقال : إننا نخاف الأشياء التي من شأنها أن تخاف ، وهذه الأشياء هي الشرور ، فالخوف اذا هو تصور الشر ، سواء أكان عارا أم فقرا أم مرضا أم موتا . غير أن الرجل الشجاع لا تظهر عليه الشجاعة ضد جميع الشرور بلا استثناء ، بل من الشرف أن يخاف بعض الشرور ، ومن المخجل ألا يخاف مطلقا .

مثال ذلك العار ، فالرجل الذي يخاف العار حقيق بالاحترام ، وذو شعور بالشرف ؛ أما الذي لا يخافه فهو وقح شقي ، وان سمى شجاعا أحيانا فهذا مجاز لأن فيه نوعا من الشبه بالرجل الشجاع .

فما الشرور المخوفة التي تنطبق عليها الشجاعة في الحقيقة ؟.

إنها الشرور العظمى ، لأنه لا يطيقها الا الشجاع ، والموت أشدها إخافة .

لكن الشجاعة لا تنحصر في مكافحة الموت في جميع الأحوال بلا تمييز ، بل تنحصر في مكافحة الموت في الحرب ، حيث يدافع المرء عن نفسه بشهامة ، وحيث يكون الموت شرفا ومجدا .

وسيتبين من شجاعة رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنها كانت أعم من هذا وكانت اسمى من رهبة الموت في الدفاع عن النفس ، لأنها كانت في حماية النفس ، وفي الدفاع عن الدين وعن الحق ، وعن الصحب وعن المستضعفين ، وعن المثل العليا التي دعا الاسلام إليها .

فلم يكن رسول الله شجاعا فحسب بل كان المثل الأعلى في الشجاعة ، اذ كان شجاعا في السلم وشجاعا في الحرب وكان شجاعا في وحدته وقلة من أنصاره ، وشجاعا في جماعته وفي كثرة من أعوانه ، وكان شجاعا في جهره بالحق ، وفي دفاعه عن العقيدة مهما تكن عاقبة الشجاعة .

وإذا كان التاريخ القديم والحديث قد سجل في صفحاته أسماء كثير من الشجعان الذين تضرب بشجاعتهم الأمثال فانه لم يستطع ان يسجل لواحد منهم ما سجله لرسول الله من ضروب الشجاعة المثلى في مصادرها وفي مظاهرها وفي غاياتها .

## مصادرها

أما مصادر شجاعته فهي وراثته وفطرته وتربية الله له ، وحسبنا أن نذكر قوله تعالى : **( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم )** التوبة / ١١١ .

وقوله تعالى :**( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين )** آل عمران / ١٦٩ ــ ١٧١ .

وقوله سبحانه : **( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير )** الانفال / ١٥و ١٦ .

## مظاهرها

أما مظاهر شجاعة الرسول فانها كثيرة الالوان متعددة الضروب ، لكنها تنحصر في شجاعة الرأي وفي شجاعة الحرب .

### ١ ــ شجاعة الرأي :

قضى الرسول حياته قبل البعثة ساخطا على ما يرى من فساد العقيدة ، وضلال العقول ، وعمى القلوب وانحلال الأخلاق وكان قد شاركه في بعض هذا السخط معاصرون له هم الحنفاء ، لكن سخطهم لم يكن مثل سخطه ، وغيرتهم على كرامة الانسان لم تكن مثل غيرته ، وتشوفهم الى العقيدة الصحيحة لم يكن كتشوفه .

ثم اجتباه الله لرسالته ، فثبت على الدعوة إليها ثباتا لا يتململ ، وغار

على دينه غيرة لا تتحول ولا تتبدل .

أ ــ فقد ضاقت قريش بدعوته إلى الاسلام وبتسفيه أحلامها وعيب ألهتها ، فمشوا إلى عمه أبي طالب وقالوا له : إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد شكونا إليك ابن أخيك ، فلم تنهه عنا ، وإنا والله لن نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك ، حتى يهلك أحد الفريقين . فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بخذلان ابن أخيه ، فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق .

فظن الرسول أن عمه تخلى عنه وأنه خاذله قد ضعف عن نصرته ، فقال : يا عم : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم بكى وقام ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي أقبل ، فأقبل عليه فقال له : اذهب يا ابن اخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشئ أبدا . رواه ابن هشام في سيرته .

ب ــ بعد ان أسلم حمزة بن عبدالمطلب عرض عتبة بن ربيعة على قريش أن يغري الرسول بأمور لعله أن يقبل بعضها ، فيكف عن دعوته ، فوافقته قريش ، فمضى إليه عتبة وقال : يا أبن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والعلاء في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ؟ فاسمع مني أعرض عليك امورا تنظر فيها ، لعلك تقبل بعضها .

فقال له رسول الله : قل يا أبا الوليد أسمع .

قال عتبة : يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا ، سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ! وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

فلما فرغ عتبة قال له رسول الله : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال الرسول : فاسمع مني ، قال عتبة : أفعل ، فقرأ الرسول : **( بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون )** فصلت / ١ ــ ٤ ومضى رسول الله يقرؤها وعتبة منصت ، وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى الى آية السجدة من السورة ، فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فعاد عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد

جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد : قال : سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم به أسعد الناس .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

جـ ــ قال عبد الله بن عمرو بن العاص إن أشراف قريش اجتمعوا يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله وقالوا : لقد سفه عقولنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، ولقد صبرنا منه على امر عظيم ، وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ، فمضى حتى استلم ( الركن ) ثم طاف بالبيت . فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ــ فعرفت ذلك في وجهه ــ ثم مضى ليطوف ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ــ فعرفت ذلك في وجهه ــ ثم مضى فمر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، حتى وقف وقال : أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح . فأطرق القوم كأنما على رأس كل واحد منهم طائر واقع ، حتى إن أشدهم على رسول الله وطأة قبل ذلك ليسكنه ويهدئه ، ويقول : انصرف يا أبا القاسم راشدا ، فوالله ما كنت جهولا .

فانصرف رسول الله ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله فوثبوا إليه جميعا ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فقال : نعم ، أنا الذي أقول ذلك . فرأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، ثم انصرفوا عنه .

## ٢ ــ شجاعة الحرب

لقد تجلت شجاعته الحربية منذ مطلع شبابه ، فانه لما كان في الرابعة عشرة والخامسة عشرة هاجت حرب الفجار بين قريش ومعها كنانة وبين قيس عيلان ، وشهد رسول الله وقائعها إذ أخرجه أعمامه معهم ، وحدث رسول الله بقوله : كنت أنبل على أعمامي .

ثم كان بعد النبوة يشارك في المواقع ، ويقدم إقدام البطل ، ويمارس ما يمارسه أشجع قائد ، ويتعرض لما يتعرض له أتباعه وجنوده ، على حين أنه كان يستطيع أن يعفى نفسه من هذه المشاركة العملية ، اعتمادا على أنه النبى ،

فيتوارى أو يتحصن أو يتخذ مكانه في مؤخرة الجيش .

ولو أنه فعل ذلك لكان له مندوحة لا يرقى إليها تثريب ولا ملام ، ولو أنه آثر هذا المسلك لرضى المسلمون به مرضاة خالصة ، فقد كانوا يؤثرون رسول الله على أنفسهم ، ويشترون سلامته بأرواحهم .

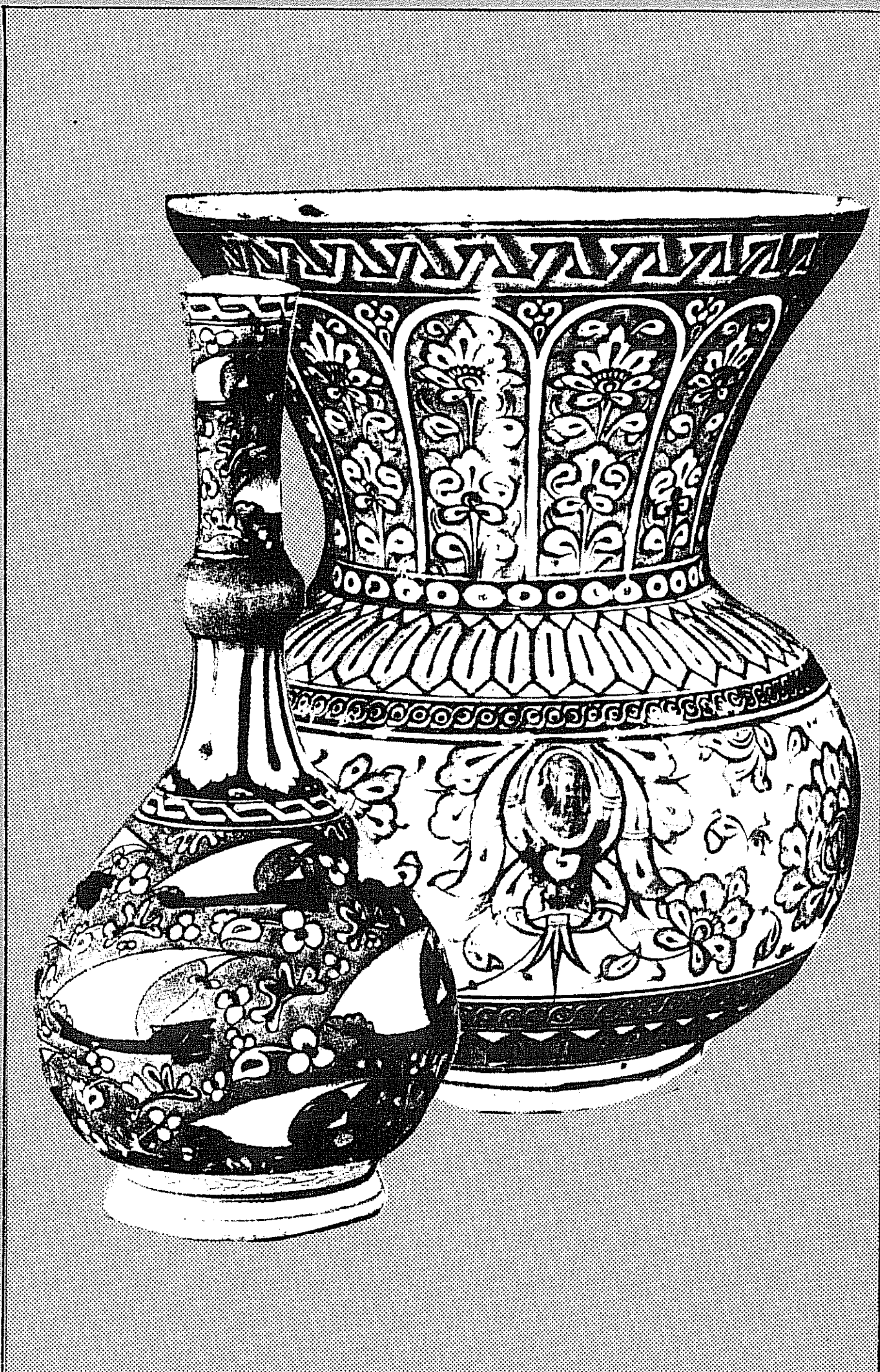
أ ـ ففي غزوة بدر تزاحف المسلمون والمشركون ، ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضجوهم عنكم بالنبل . وجعل يعدل الصفوف ، ثم دخل العريش ، وناشد ربه ما وعده من النصر ، ثم خرج إلى المسلمين فحرضهم ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة « سيرة ابن هشام » .

ب ـ وحينما علم بمقدم قريش لحربه في غزوة أحد قال لأصحابه : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان عبد الله بن أبى بن سلول يرى هذا الرأى ، وكان رسول الله يؤثر البقاء ، ولكن جماعة من أصحابه آثروا الخروج ، ولم يزالوا برسول الله حتى دخل بيته ، فلبس لأمته ، وتقلد سيفه ، ثم خرج إليهم ، فندموا وقالوا : استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، ويحكم الله بينه وبين عدوه . وخرج في ألف من أصحابه /رواه ابن هشام في سيرته والطبري . تتجلى هنا ضروب من الشجاعة . أولها في تدبير الخطة والموازنة بين قوة المسلمين وقوة قريش ، وإيثار أن يبقى المسلمون في مدينتهم ، ليدفعوا العدو المهاجم وهم أوفر منه قوة ، وأعز حصانة ، وأقدر على ملاقاته وان كانوا اقل منه عددا وعدة ، ولا تثريب على الشجاع أن يقف مثل هذا الموقف لأن الشجاعة تقتضي الهجوم تارة وتقتضي الارتداد تارة ، وتكون في المبادأة حينا وتكون في التريث حينا آخر .

وثانيها في الاستجابة لحماسة الكثرة التي آثرت الخروج من المدينة للقاء قريش ، فانه لم يكن بد من هذه الاستجابة والجذوة متقدة ، والعزيمة ملتهبة ، والنفوس متلهفة إلى الاستشهاد في الدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، والا كانت هذه الحماسة عرضة لأن يخمدها البقاء واختلاف الآراء .

وثالثها مضاء النبي في عزيمته ، ورفضه ان يستجيب لدعوة البقاء بعد أن لبس لأمته وأعد عدته ، واصراره على ألا يضعها حتى يقاتل أعداء الله ، فانه بهذا الاصرار أذكى شجاعة الصحابة جميعا ، من كانوا يؤثرون الخروج ، ومن كانوا يؤثرون البقاء ، وخرج بهم يقودهم إلى لقاء الأعداء .



# فن صناعة الزجاج في العصور الإسلامية

للأستـــاذ محمـــد الحسينـــي عبدالعزيز

عرف الانسان صناعة الزجاج منذ القدم في بلاد الشرق الأدنى القديم ذات الحضارة العريقة كمصر وبلاد الرافدين وفينقيا وكانت المواد التي تصنع منها الأوانى الزجاجية متوفرة فالرمال والجير والصودا كثيرة وقد توصل الى صهرها معافي درجة حرارة مرتفعـــة ( ١٣٠٠° ـ ١٦٠٠° مئويـة ) وتعتبـر الرمـــال المادة الأساسية فتبلغ نسبتها الى الخليط نحو ٧٠٪ وكربونات الصوديوم ١٥٪ وكربونات الكالسيوم ١٠٪ .

## أسلوب صناعة الزجاج وتشكيله

وأقدم الطرق التي عرفها الانسان القديم تقوم على أساس استعمال كتلة من الخشب يشكل حولها إناء من الرمل وتغمر الكتلة الخشبية مع الرمل في محلول الزجاج حتـى يعـم كل أجزائها وبعدها تسحب من المحلول الزجاجي وتترك لتبرد وتنزع منهـا كتلة الخشب ثم يرفع الرمل ويبقى الاناء على هيئة شكل الرمل الذي كان محيطا بقطعة الخشب ويأتـي دور

الفنان الصانع ليتولى صقله وتهذيبه كما يضيف اليه المقابض والزخارف زيادة في تنميقه وتزيينه .

أما الطريقة الثانية فتعتمد على تحويل الزجاج الذائب الى خيوط وبعدها تجمع الخيوط في حزم وتصهر لتتحول كل حزمة منها الى قضيب مستدير واحد يقطع الى قطع عرضية ليحصل منها على أقراص مستديرة تجمع في كل قرص منها الألوان التي كانت مستعملة في الحزمة ، ومن هذه الأقراص تصنع الأواني بأشكالها المتنوعة .

وقد كانت مدينة الاسكندرية بمصر صاحبة هذا الابتكار الفني الذي يتطلب مهارة فائقة ودقة كبيرة وظل يصنع بها منذ عهد البطالمة حتى الفتح الاسلامي وما بعده .

وكانت شهرة مدينة الاسكندرية بهذه الصناعة معروفة حتى أن القائد يوليوس قيصر اشترط على مصر أن تورد هذه الأواني كجزء من الجزية التي تقدمها لمدينة روما سنويا ، كما أن الامبراطور نيرون استقدم عددا من الصناع المصريين الى عاصمته ليشرفوا على إقامة مصنع للزجاج ويقوموا بمهمة تشغيله وإدارته .

وهناك طريقة الكبس في قالب وتعتمد على صب مادة الزجاج المنصهر في قالب معدني وتكبس بمكبس مناسب للقالب ويأخذ الاناء شكل هذا القالب .

والطريقة الرابعة هى طريقة النفخ في قالب وقد ابتكرها السوريون في القرن الأول قبل الميلاد وأحدثت ثورة هائلة في صناعة الزجاج حيث كان الزجاج المنصهر ينفخ بالفم بواسطة أنبوب النفخ داخل القالب المعدني وعندما يبرد الزجاج يأخذ الشكل المطلوب وينسب إلى مدينة صيدا ابتكار هذه الطريقة الجديدة .

وعن هذه المدينة صيدا انتقلت أسرار صناعة الزجاج بطريقة النفخ إلى روما حيث بدأ يصنع في إيطاليا وعنها انتقل إلى أوربا .

وتعددت أنواع الأواني الزجاجية وأشكالها فكانت صنجا تستخدم في عمليات الوزن أولا ثم صنعت أواني للشرب من أكواب وأباريق ودوارق ومصابيح وقنينات للعطور ومشكاوات وغيرها مما يحتاج إليه الانسان في حاجاته ومتطلباته اليومية بالاضافة إلى الأواني الكبيرة الخاصة كحفظ الأحماض ونقل السوائل وإجراء التجارب الكيميائية ، والتحاليل الطبية .

## الأواني الزجاجية في الدولة الاسلامية

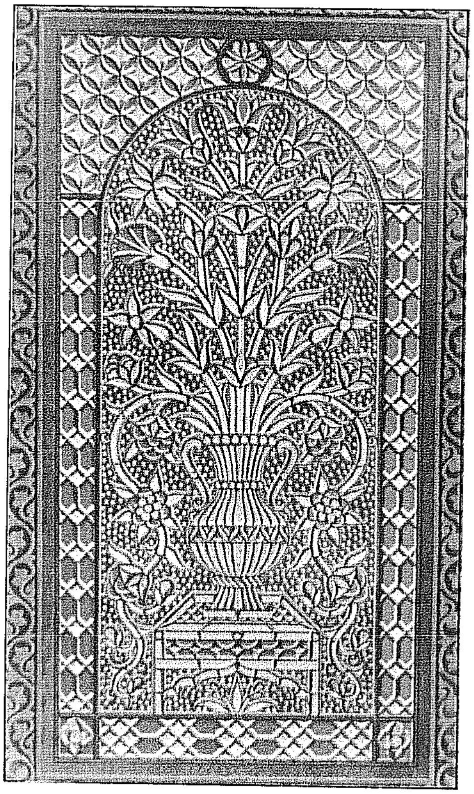
لقي الزجاج أكبر عناية من الصناع المسلمين الذين أقبلوا على تطوير صناعة الأواني الزجاجية المذهبة منها والعادية خاصة لأن الأواني الذهبية والفضية كان استخدامها محرما مما دفع الصانع إلى التوسع في عمليات صناعة الأواني الزجاجية التي لقيت من الخلفاء والحكام المسلمين أكبر اهتمام

بالاضافة إلى الاقبال على اقتنائها من أمراء أوربا وحكامها لأنها لا تصدأ ولا تتخللها أوساخ وإن اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت أصبحت جديدة وتتضح نقاوة السوائل داخلها لصفائها وبهائها .

## الزجاج المزخرف بالمينا

ابتكر الصانع العراقي في العصر العباسي الزجاج ذا البريق المعدنى ، وهذه الطبقة اللامعة تتكون من مسحوق الزجاج الذي يخلط مع بعض الأكاسيد المعدنية ويذاب هذا المخلوط في مادة زيتية ويوضع في الأفران تحت درجة معينة لتترسب هذه المينا على سطحه فتعطيه هذا البريق الجذاب وتنوع أسلوب تلوين الزجاج فاذا أريد اللون الأبيض الناصع استخدم أكسيد القصدير وإذا كان اللون المطلوب هو اللون الأخضر أضيف أكسيد النحاس ويمكن الحصول على اللون الأحمر عن طريق إضافة أكسيد الحديد ويتكون اللون الأصفر باضافة الأنتيمون واللون الأزرق باضافة اللازورد واللون الشفاف باضافة ذائب الرصاص .

وكانت طريقة التذهيب للزجاج من أعظم الأساليب التي ابتكرها وتوصل إليها الفنان المسلم ، بانتاجه زجاجا له بريق معدني أصبح يضاهي أواني الذهب التي كانت محرمة وصارت أعظم بديل للأواني المصنوعة من الذهب الخالص وقد انتقلت إلى مصر من العراق أيام الطولونيين وازدهرت



نافذة من الزجاج الملون

وبلغت شأوا من السمو في العهد الفاطمي .

## البلور الصخري

البلور الصخرى حجر طبيعي له شفافية جذابة وتوجد في الجبال بكميات قليلة وتؤخذ وتهذب في أشكال مختلفة لتحفر عليها الزخارف نقشا وقد اشتهرت مصر في العهد الفاطمي الذي اتسعت فيه عمليات التنقيب واكتشفت هذه المادة على ساحل البحر الأحمر وكذلك في منطقة البصرة في

العراق وبلاد المغرب .

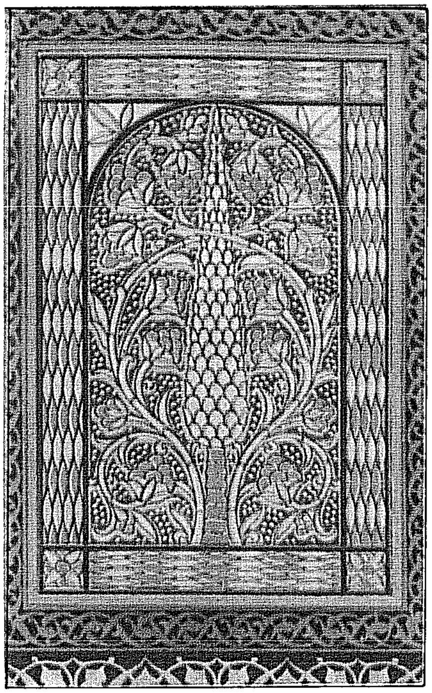
ويمتاز البلور الصخري بصلابته ومتانته وجمال شكله وقد نال إعجاب الكثيرين في العالم ولهذا فهو يزين متاحف أوربا وقصور أمرائها وكنائسها .

ومن أشهر التحف البلورية إبريق في كنوز كاتدرائية « سان ماركو » بمدينة البندقية بايطاليا وموضوع زخرفته هو رسم أسدين بينهما شجرة الخلد وعلى المقبض تمثال خروف صغير وبين رقبة الابريق وبدنه شريط من الكتابة الكوفية يؤرخ صنعه « بركة من الله للامام العزيز بالله » .

وفي كتدرائية مدينة « فرمو » بايطاليا إبريق من البلور الصخري رقبته مفقودة وعلى بدنه زخرفة من طائرين متواجهين بينهما فروع نباتية غاية في الدقة وتعلوها كتابة كوفية نصها « بركة وسرور بالسيد الملك المنصور » .

وفي متحف الأرميتاج إبريق آخر ذو مقبض قائم الزاوية وحول عنقه القصير شريط وبه زخرفة من فرع نباتي دائر وأما بدنه فعليه رسم أربعة أسود كل اثنين منها متواجهان .

ولا شك أن وجود مثل هذه الأواني في كنائس أوربا ومتاحفها دليل على ما لقيته من إعجاب لدقة صنعها وبديع زخارفها وصلابتها حتى قد دفعوا في الحصول عليها الأموال الطائلة لتزين بها الدور والقصور كما يفعل الناس في عصرنا حين يتخذون الأواني الزجاجية كوسيلة من وسائل تزيين



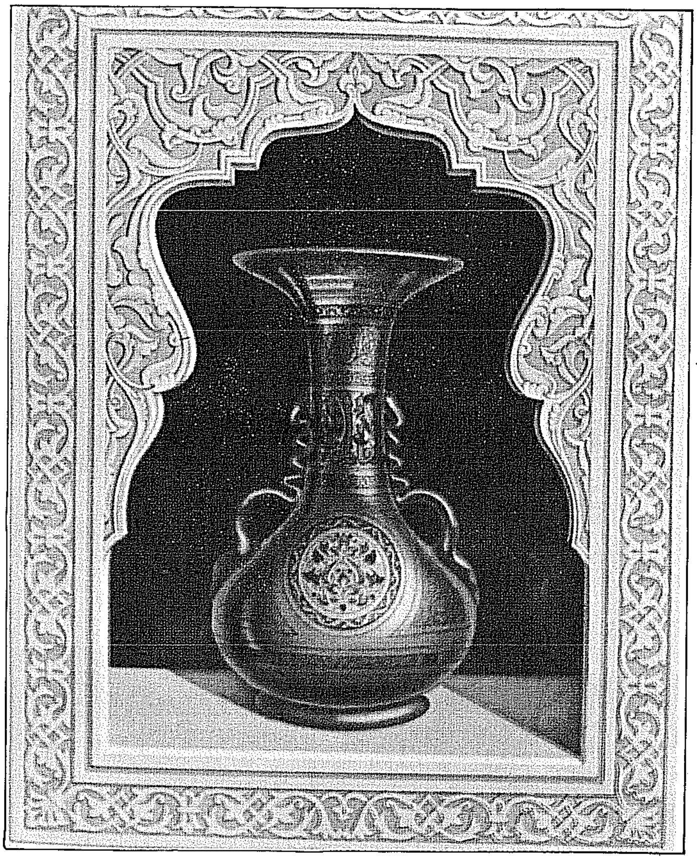
زجاج ملون على نافذة مسجد .

غرف الاستقبال لادخال البهجة على الضيوف والزائرين .

كما كانت هذه الأواني البلورية موضع إعجاب الرحالة فقد شاهدها « ناصرى خسرو » في رحلته إلى مصر بين عامي ٤٣٩ ـ ٤٤١هـ وامتدحها لكونها صلبة وشفافة ورائعة في زخارفها وجمالها .

## الزجاج ذو البريق المعدنى

ازدهرت صناعة الأواني الزجاجية ذات البريق المعدني في العراق في العصر العباسي كما وصلت إلى درجة بالغة من الجودة والاتقان في العصر الفاطمي في مصر والشام وتطورت عما

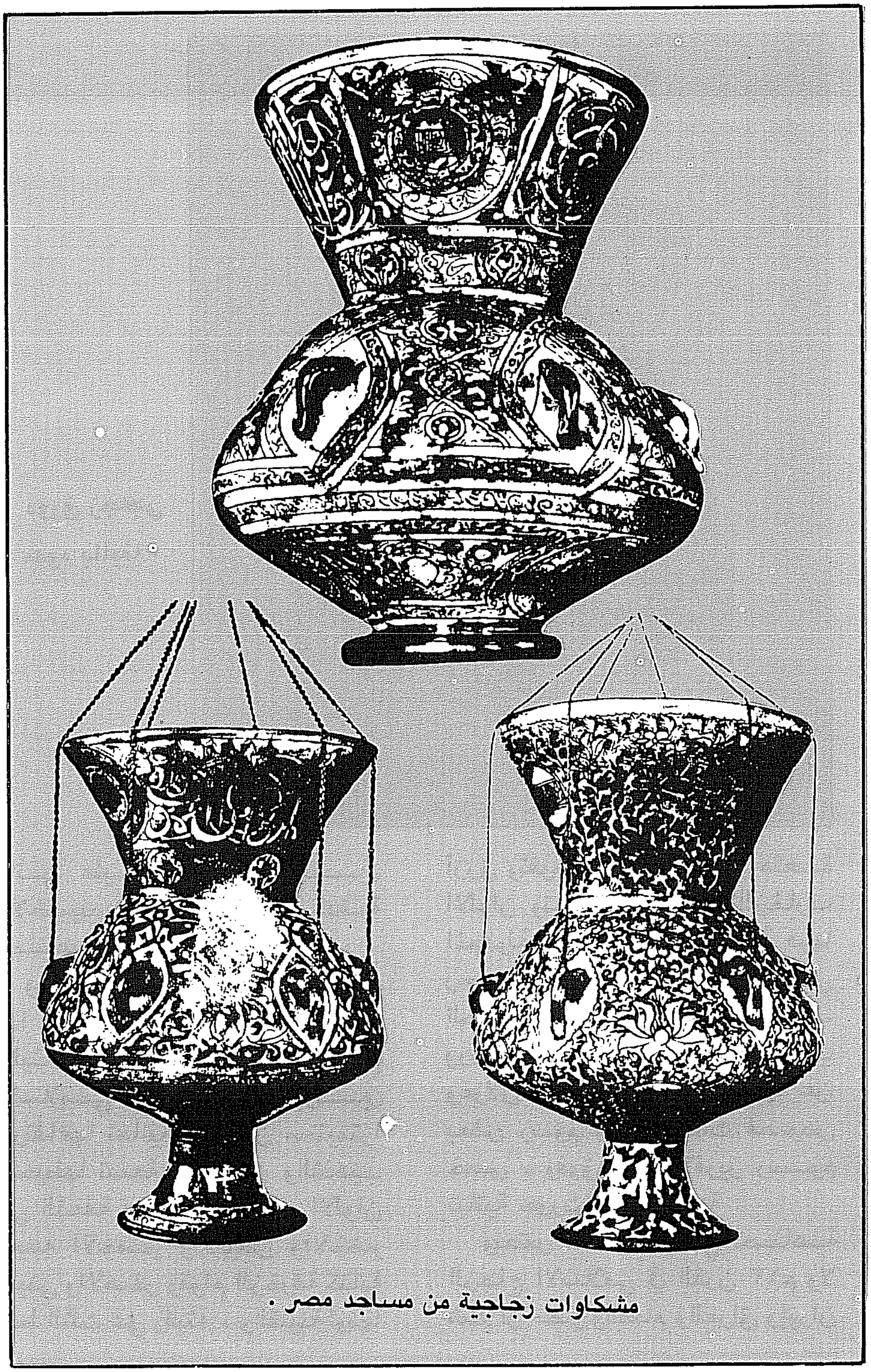


دورق زجاجي مموه بالمينا .

كانت عليه أيام الطولونيين والاخشيديين وشمل التطور الدقة الصناعية والسمو الزخرفي .

ومن التحف الفاطمية النادرة من هذا النوع دورق من الزجاج المموه بالمينا كانت محفوظة في القسم الاسلامي من متاحف برلين وارتفاعها ثمانية وعشرون سنتيمترا ومحيطها تسعة وخمسون والتذهيب على التحفة بديع وهو متعدد الألوان ففيه الأحمر والأبيض والأخضر والبني والأصفر وقوام الزخرفة كتابة بخط الثلث على رقبته ، والقنينة لونها أزرق وتقوم على فروع نباتية متعددة الألوان وتحتها شريط من الزخارف المجدولة وبينها منطقة عريضة فيها رسم اثنى عشر فارسا من لاعبي الصولجان وفوق هذه المنطقة زخارف ورسوم حيوانات تركض من أرانب وغزلان وكلاب ويفصل بعضها عن بعض رسوم وريدات ذات فصوص خمس ، وفوق هذا الافريز رسوم نباتية حورت عن الطبيعة .

ويعتبر العصر الذهبي لصناعة الزجاج الاسلامي في القرن ١٣م ولا شك أن مصر والشام والعراق وإيران



مشكاوات زجاجية من مساجد مصر .

قد ساهمت في تطوير الأواني الزجاجية وقد حمل كثيرا من هذه الأواني بعض الحجاج المسيحيون الذين كانوا يفدون الى بيت المقدس .

## أسلوب التذهيب

أما طريقة التذهيب والطلاء بالمينا فكانت تمر بمراحل متعددة حيث كان الصناع يضعون الزخارف المذهبة على التحفة بواسطة الريشة عند رسم الخطوط الخارجية وبالفرشاة في المساحات الكبيرة وبعد أن تحرق التحفة في الفرن للمرة الأولى يحدد موضع الرسم باللون الأحمر ثم يدهن ويطلي بالمينا المختلف الألوان .

## المشكاوات

هذه المشكاوات ازدهرت في العصر المملوكي وقد تفنن الصناع المسلمون


مشكاة من الزجاج الشفاف

في صنعها وللمشكاوات الزجاجية مقابض تمسك منها بسلاسل فضية أو نحاسية وتتجمع السلاسل في داخل كرة زجاجية وشكل المشكاة منتفخ البدن ولها رقبة ومقابض تمسك منها وقد زخرفت المشكاوات ببعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى :

( **كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى** ) النور/٣٥ بالاضافة إلى عبارة دعائية للسلطان الذي صنعت في عهده واسم الصانع ، كما وجدت عليها رسوم نباتية من ورود وزهور وزنبق ورسوم طير ، ولهذا تعتبر ثروة فنية هامة .

وتزهو متاحف العالم في مصر والشام والعراق وأروبا وأمريكا بهذه الأواني الزجاجية النادرة في طرازها التي كانت تزين المساجد في مصر والشام والتي صنعت خصيصا لها .

وهكذا تعددت الابتكارات في صناعة الزجاج في العصور الاسلامية وبلغت أشكال الأواني الزجاجية مبلغا كبيرا من التنوع والكثرة ، وكانت الزخارف على هذه الأواني تصاغ بالأسلوب الذي ابتكره الفنانون المسلمون بالاضافة إلى تنوع الكتابات التي عن طريق أسلوبها يمكن تحديد تاريخ صنعها .

إن هذه التحف الفنية الاسلامية في العالم سفارات لنا في الخارج تشيد بما وصل إليه الفنان المسلم من ذوق مرهف وعبقرية فنية في الانتاج الصناعي والفن الزخرفي جعلتها موضع التقدير والاعجاب .

# من نفحات المولد النبوي الشريف

للدكتور/محمود محمد بكر هلال

يا عيد طه هجتَ حُرَّ بياني ... فسكبتُ في ذكراك كل جناني

أكبرت قدرك عن قواف قُيدت ... ورفعت ذكرك عن لهًا وأغاني

فلأنت بحرٌ زاخرٌ لم يكتشف ... ما فيه من دُرٍّ ومن مرجان

وَجدتْ به سفنُ الحياة مرافئا ... أمنت بها ما كان من طغيان

لولاك لاضطربِ الزمان وما اهتدى ... ولكان يرزحُ في لظى الكفران

فالكون كان عمايةً وضلالةً ... والجهل يحكم في بني الانسان

حتى طلعت على الوجود منارة ... تهدى على التقوى إلى الايمان

عجبًا لكل عجيبةٍ من أمره ... لا ينقضي بتقادمِ الأزمان

طفلٌ رضيعٌ هزَّ أركانَ الورى ... في مهده وهو اليتيم العاني

في ليلةِ الميلادِ أشرقَ نورُه ... وانجابَ ليل الشرك والأوثان

غاضت بحيراتٌ وأُخمدَ ما علا ... للفُرس من لهبٍ ومن نيران

وتساقطتْ شُرفاتُ كِسْرَى وانتهى ... ما كان من زورٍ على الأيوان

وتَزَلْزَلَ الكفرُ البغيضُ ورُوعت ... دنيا الضلال ودَولةِ البهتان

وهوتْ على الأذقان أربابُ الهوَى ... وانفضَّ سامرُها من الكهَّان

والحانُ خرتْ والكئوسُ تفزعتْ ... وغَدتْ جفافًا في يد النُّدْمان

طاحتْ أباطيل الجهالةِ كلها ... لما بَدَا الإشراق من عدنان

أَنقَى من الزهر الجميل بهاؤُه ... وشذاه أعطرُ من شذا الريحان

وأرقُّ من مَرِّ النسيم إذا دَعَا ... لله في سرٍّ وفي إعلان

فإذا استطال الكفرُ كانَ صلابةً ... للحق فوقَ شجاعةِ الشجعان

وإذا الجبابرُ صاغرون لهديهِ ... وإذا الأكابرُ مُرْهَفُو الآذان

وإذا النفوس تَرِقُّ يملكها الهُدَى ... والحق يَنفُذُ بين كل جَنان

وإذا النبي هو الإِثير لَدَيْهِمُو ... وأعز من أهلٍ ومن وِلْدان

هذِي مبادئ فَتَّحتْ آياتُها ... غُلف القلوب ومُغلق الأذهان

ليست من السحر الحرام وإن تكن ... في فعلها أقوى على الإنسان
هي إن تكن شتى فإن جماعها ... في مبدأين : العدل والإيمان
جاء النبيّ بها بياناً معجزا ... ولتلك آيته مدى الأزمان
بقيت على الأجيال نبعاً خالداً ... يروي الحياة بحكمة القرآن
المعجزات جميعها فنيت ولم ... يخلد لها في الناس من برهان
إلا كلام الله دام مخلدا ... ما فيه من دين ومن فرقان
هذا هو الإعجاز لا ضبٌّ ولا ... جذعٌ ينوح بلوعة وحنان
أقسمت لم أرَ في الدعاة كأحمدٍ ... روحا سمت في هامة الأكوان
ملك النفوس بهديه ورشاده ... فنأت عن الآثام والطغيان
عجباً أكان السحر في آياته ... أم أنها شيبت ببنت دنان ؟؟
كلا فما كان النبي مشعوذا ... أبداً ولا شيخاً من الكهان
بل جاء يمحو الشعوذات جميعها ... ويريق ما تحوى كئوس الحان
لكنه الدين الحنيف جلاله ... وجماله سرٌّ من الرحمن !!!
من يعتصم بحماه يصبح شامخا ... أقوى وأرسخ من ذرا ثهلان
والسابقون الأولون به بنوا ... مجداً تليداً ثابت الأركان
قومٌ إذا سمعوا النداء تراكضوا ... لا يثنينهمو هوًى وغوان
فإذا تراءى المال عفوا وانثنوا ... ودعوا إلى الملكوت كالرهبان
لم يمتلك يوماً حماهم طامع ... كلا ولا خضعوا لأى هوان
قد علّموا الدنيا الحياة كريمة ... والعيش حرًّا في حمى الديّان
لكنّ أبناء الحنيف تغيروا ... ونأوا عن الأمجاد والقرآن
وتهافتوا نحو الحياة وضيعوا ... ما شيّد الآباء من عمران
فتحكّم الباغي بقوم محمدٍ ... وعدا بمسراه الدخيل الجاني
صهيون صيره مباءة رجسه ... والقدس نورٌ طاهرٌ ربّاني
فإلى متى والشرق غافٍ غافلٌ ... وخطاه خطو العاجز الوهنان ؟!!
يا قوم هيا فاستردوا مجدكم ... وتسلحوا بالعلم والإيمان
وهو الصراع فليس فيه موضع ... لمؤمّل أو عاجز أو وان
والمجد لا يشرى بقول ساحر ... أو خطبة في محفل وأغان
فاحمل لواءك يا شباب فإنما ... تعلي البلاد سواعد الشبان
وانزع حقوق العرب من متطفل ... قد عاث في الأوطان كالذؤبان
وطغى بأرض المرسلين وغرّه ... ما طال من مال ومن سلطان
ومضى يذيق الآمنين شروره ... بالغدر والتنكيل والعدوان
عفواً رسول الله إني لم أزل ... في ذكرك الغالي وفي الميدان
فلقد جمعت الدين والدنيا معا ... وبلغت بالتقوى أعز مكان
فاسأل إله العرش أن يرضى بنا ... ويعمّنا بالعفو والغفران
ويعيد للشرق المفدى مجده ... ويمدّه بالنور والإيمان
ويصيّر دينك للبرية كلها ... نورا يضيء على مدى الأزمان

# المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية

- السنة صفحة ناصعة في جبين الأمة الإسلامية وإنكارها ردة عن الإسلام .
- السيرة النبوية منهج حياة متكامل وتاريخ أمة شامخة في ظل الإسلام .
- الإعلام ينبغي أن يبث برامجه على هدى من الإسلام .

شاركت الكويت في مؤتمر السيرة والسنة النبوية ممثلة في معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد/يوسف جاسم الحجي والسيد/عبدالرحمن عبدالوهاب الفارس.وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والسيد/فيصل مقهوي.مدير مكتب السيد وزير الأوقاف ، وقد شارك من الكويت أيضا وفود من العلماء المتخصصين في هذا المجال ، الذين رفعوا صوت الكويت عاليا بما قدموا من بحوث ودراسات حول السيرة الشريفة والسنة المطهرة .

وذلك شأن الكويت دائما تحرص على المشاركة الايجابية الفعالة في كل المؤتمرات التي تعود بالنفع على المجتمع المسلم أيا كان موقعه ، باذلة قصارى جهدها للسير به قدما الى النجاح .

وقد كان لها في هذا الميدان سبق مشهود ، وعمل جليل مشكور في المؤتمرين السابقين « للسيرة النبوية » في باكستان سنة ١٣٩٦هـ وتركيا سنة ١٣٩٧هـ .

هذا وقد عقد في مدينة الدوحة عاصمة قطر الشقيقة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية في الخامس من محرم سنة ١٤٠٠هـ الى العاشر منه الموافق ٢٤ ــ ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩م ، وقد أسهمت دولة قطر الشقيقة بجهد وافر في خدمة الدعوة ، والعمل على انجاح المؤتمر بهمة لا تعرف الكلل ، وروح اسلامية كريمة .

وقد أتى هذا المؤتمر في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى بعث لهذا التراث

العظيم ، الذي تركه أسلافنا الذين كانوا به قادة الدين والدنيا على السواء ، وأسسوا حضارة شامخة قواعدها على الحق ، وبنيانها من الهدى النبوي ، وشعارها العلم بما أنزل الله في ظل كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم .

وهذا المؤتمر كان فاتحة احتفالات العالم الاسلامي بمقدم القرن الخامس عشر الهجري . وقد شاركت فيه كل البلاد الاسلامية والعربية بحرص شديد واخلاص وفير .

**أهداف المؤتمر :**

لا شك أنه باب من أبواب رحمة الله يجب أن يطرقه كل من له جهد ليبذله في خدمة الاسلام ، ويقدم للمسلمين ما ينفعهم . وهو مجال واسع لخدمة السنة المفترى عليها ــ في هذا العصر ــ والتأكيد على أنها المصدر الثاني للتشريع اذ لا تقوم الحياة إلا بها ، لصلتها بالقرآن الكريم حتى تدحض كيد أعداء الاسلام ، وتؤكد زيف دعواهم .

والمؤتمر مظهر من مظاهر الحركة الاسلامية الدائبة المعاصرة ، ودليل حي على صحوة الفكر الاسلامي وصلاحيته ، وواقع قائم لحركة متوثبة للوعي الذي اتسم به علماء المسلمين في خضم التيارات المتلاحقة من أعداء الله والحق ، وهو عامل توجيه لحث الهمم نحو اعداد البحوث والدراسات التي تعالج قضايا العصر في اطار الشريعة الغراء ، بإلقاء الضوء على المشكلات التي ظهرت على صفحة الحياة فغمرتها بغزوها المستمر ، وفرضت نفسها على مسرح الأحداث من خلال أجهزتها المنتشرة .

وفيه نستلهم الدروس من السيرة النبوية العميقة الأبعاد كأسلوب عمل ومنهج حياة ، تستقيم بها حياة الأجيال المسلمة في مستقبل أيامها ، ولمس متطلباتهم وعلاجها برفق وأناة ووعي .

**أهمية المؤتمر :**

لا شك أن قدوم القرن الخامس عشر الهجري يقف بنا على مفترق الطرق ، ويطالبنا أن نقف وقفة نراجع فيها أنفسنا ، ونحدد بها مسار خطواتنا نحو أمتنا المسلمة ونحو العالم من حولنا حتى نكون جديرين بانتسابنا للاسلام .

فالأمة الاسلامية جعلها الله خير أمة أخرجت للناس بكتابه الكريم ، وهدى نبيه الخاتم ، ولا يجب أن تتخلف ، وهي تملك كل أسباب الابداع والتقدم والارتقاء ، فلماذا نترك الركب العالمي يسير دون أن نكون قادته بما لنا من تراث ، وحضارة وعلوم .

فعقيدتنا الصافية استمدت قوتها من كتابها الخالد الذي لايشوبه العوج ، ولا تلعب به الأهواء .

كما أن السنة التي بذل علماؤها في سبيل بيانها وتنقيتها من الدخيل، الجهد

المتواصل المخلص تمثل صفحة ناصعة في جبين الأمة الاسلامية .

هذه الأصول حرى بها أن تورث أمتنا مقومات العزة والسعادة والقوة ، وتضع أقدامنا بكل ثقة على سلم التقدم ، وتأخذ بيدنا الى الطريق السوى روادا حداة للمجد والمعرفة .

**واجبنا نحو العالم :**

واجبنا نحو العالم هام جدا تدعو اليه الحاجة ، وأوصت به رسالتنا لأنها عالمية في هدايتها ، لا يستقيم حال الانسانية إلا بها ، فقد أتت بأرقى أسس الحياة ، ووضحت مناهج الاصلاح للمجتمع بلا افراط ولا تفريط ، يقول الله سبحانه : ( **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون** ) وانطلاقا من عموم هذا النص الكريم نعلم أننا نحمل أمانة التبليغ والايضاح لهدى الله سبحانه .

وعلى هذا فالهدف من هذا المؤتمر بلا ريب هو بيان عظمة التشريع الاسلامي وسلامته ، ووجوب الأخذ به ، فالعالم في أمس الحاجة إليه ، ليكون حاديهم إلى الهداية والايمان .

**وفود المؤتمر :**

وقد اشترك في هذا المؤتمر عدد من السادة الوزراء وكبار المسؤولين عن الشؤون الاسلامية وجم غفير من علماء المسلمين الذين وفدوا من سبع وأربعين دولة ، الذين لهم باع طويل في الدعوة ، وقدم راسخ في فهم الاسلام وتعاليمه مستلهمين الهدى من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس هناك أجل من ذلك ، يقول الله سبحانه : ( **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ) ، كما حضر المؤتمر وفود عن المنظمات الاسلامية الدولية مثل منظمة المؤتمر الاسلامي ورابطة العالم الاسلامي .

**أمل ورجــاء :**

ولنا كبير أمل أن يخرج المؤتمر على العالم بما يحقق الهدف المرجو من انعقاده ، وأن تكون الأيام اللاحقة لهذا المؤتمر ناعمة بثماره حتى نقدم للبشرية اللاهثة وراء السراب الخادع السيرة النقية والسنة الناصعة ، والمنهج القويم فنأخذ بيدها من الظلمات الى النور ، ونكون خير خلف لخير سلف .

إذ واجب العلماء المجتمعين في مؤتمر السيرة والسنة النبوية العمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، واخراجها لعالم اليوم دون دخيل ، وتجريدها من الشوائب التي ربما تكون قد خالطت جوهرها ، وتنقيتها من الآثار المترتبة على التعصب المذهبي والسياسي ، وحمل هذه التبعة ، وتبليغ الدعوة الى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة .

**بحوث ودراسات المؤتمر :**

بالاستقراء وضح أنه قدمت في المؤتمر بحوث ودراسات تناولت شتى ألوان المعرفة ، ومختلف أوجه الفكر الاسلامي ، ومن المعروف أن هذه الدراسات كانت ولا زالت معينا للمعرفة لا ينضب ليس بالنسبة للشرق فقط ، بل بالنسبة للغرب أيضا ، والذي استمد منها الزاد العقلي والفكري والخلقي وكانت سبب تقدمه ، وانبهرنا بهذا التقدم فخلت بعض النفوس من نهج الاسلام ومحتواه العظيم ، لهذا أصبحت الساحة الاسلامية مهيأة ، عند ذلك تسربت المفاهيم الغربية بما فيها من إلحاد ، وظهر على اثر هذا ازدواج ثقافي في العالم الاسلامي ، فكانت هذه الصحوة التي تعمل جاهدة لتحفظ على العالم الاسلامي شخصيته ، وتحميه من الضياع ، وفقدان توازنه وسط موجة الثقافة الوافدة ذات التجارب والأبعاد والانحرافات التي لا تمثل واقع أمتنا من مجتمعات معاصرة لا تؤمن بالاسلام . وازدهرت فيها الحضارة المادية ، واشتد فيها الظمأ الى الروحانيات وأخلاقيات الاسلام ، وهي اليوم أرض خصبة لغرس الايمان وبيان فضله وعموم نفعه .

**لجـان المؤتمر :**

وقد قسم المؤتمر الى لجان أربع :

- لجنة السنة مصدرا للتشريع ومنهاجا للحياة .
- لجنة الدعـوة والاعـلام .
- لجنة التربية والشباب .
- لجنة التراث والمصــادر .

ولقد عملت هذه اللجان عملا دائبا ليخرج المؤتمر ببيان فضل السنة وعموم نفعها ، وأهمية السيرة بكل جوانبها الفعالة بشكل أشمل وأعم ، فليست السيرة غزوات وبعوثا وسرايا فحسب .

ولبيان أن من ادعى الاكتفاء بالقرآن عن السنة ضال منحرف ، فالسنة قد بينت ما سكت عنه القرآن وفصلت ما أجمله .

ومن الغريب أن تتعرض السنة للنقد والانكار والتشويه ، بل والتجريح جهلا بشأنها وبغيا عليها ، فكانت لفتة واعية أن يضيف المؤتمر السنة النبوية الى جدول أعماله ، وجعلها من أهم بحوثه ليقف الناس على حقيقة السنة بمنطق العصر الذي نعيشه وبنظرة علمية موضوعية .

هذا ويجب علينا أن نحذر مغبة انصرافنا عن الاسلام لأنه ما ظهر الالحاد في أمة فتركت عبادة ربها ، واستباحت الحرمات إلا فتح الله عليهم من الشر كل باب ، وأيضا لا ينجو من هذا من ترك النصيحة والدعوة إلى الله يقول الله سبحانه : ( **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** ) .

## توصيات المؤتمر :

وقد أصدر المؤتمر توصيات من أهمها :

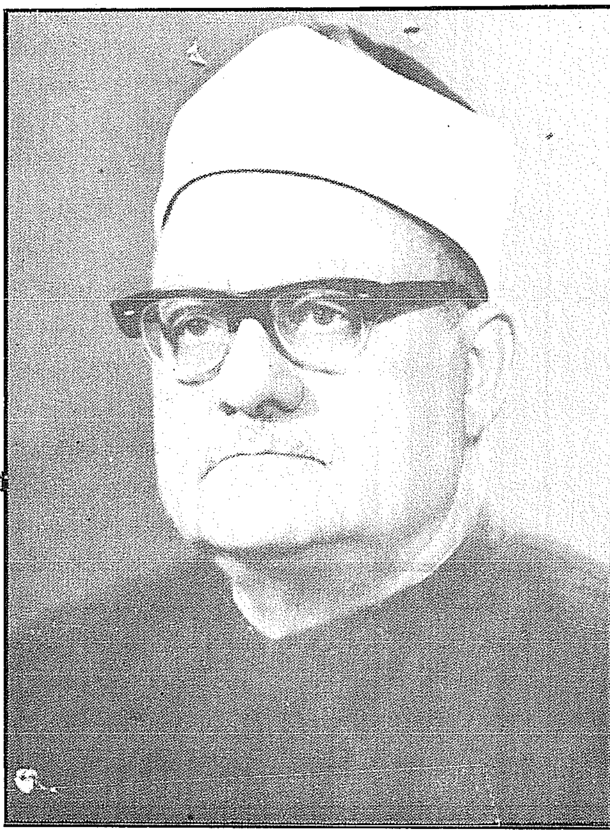
- أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قرينة القرآن الكريم ، وجحودها ردة عن الاسلام .
- سياسة الاعلام ينبغي أن تستمد روح الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ، وضرورة اهتمام الحكومات والهيئات الاسلامية برسم سياسة اعلامية مستمدة من روح الاسلام ، وتعريف المسلم بوطنه الاسلامي الكبير ، والارتقاء بمستوى الكلمة والتزام الصحافة بالعمل على تكوين جيل مرتبط بلغته العربية والارتقاء بها صياغة وأداء .
- يوصي المؤتمر باحياء كتب التراث بما فيها كتب السنة رواية ودراية ، وتحقيقها تحقيقا علميا .
- وضع أحكام الشريعة الاسلامية في دستور كامل ، وجعلها في متناول كل دولة اسلامية لتفيد منها في تطبيق الشريعة الاسلامية .
- تعميق معاني التربية الجهادية واعتماد العقيدة العسكرية الاسلامية دون غيرها في الجيوش الاسلامية .
- التأكيد على نظرية الاسلام في التربية .
- انشاء مركز بحوث للدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية ، والسنة الشريفة يعني بتجميع مصادر السيرة والسنة المخطوطة منها والمطبوع .
- اصدار دائرة معارف اسلامية يقوم على ادارتها وتحريرها علماء مسلمون أثبات .
- تشجيع ترجمة معاني القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأهم الكتب التي توضح مزايا الاسلام الى اللغات الحية ، ولا سيما لغات الشعوب الاسلامية غير العربية .

وهناك قرارات وتوصيات كثيرة هامة نرجو لها أن تأخذ طريقها الى حيز التنفيذ ، وتنال من العلماء المتخصصين العناية اللائقة بها .

واختتم المؤتمر أعماله على أن ينعقد في المملكة المغربية ليواصل متابعته لما أنجز من مقترحات ، ويضع الحلول لما يجد من مشكلات ، ويعتمد الدراسات التي تهم العالم الاسلامي في عصره الحديث .

وأوصى المؤتمر على أن تكون المؤتمرات القادمة متخصصة ما أمكن ، تبحث في جانب محدد من جوانب السنة والسيرة تتوافر جميع الدراسات على استيعابه مع الأصالة والعمق والابداع ، وذلك حرصا على تعميق هذه الدراسات ، وتحاشيا للتكرار في تناولها .

والمجلة ترجو أن تواكب هذه المؤتمرات العصر ، وتصبغه بطابع الاسلام لتكون أهلا لحمل رسالة السماء ، وحتى يصدق فينا قول الله سبحانه : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ) .



تنعي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى العالم الإسلامي عالماً جليلاً هو:

## فضيلة الشيخ/أحمد عبدالواحد البسيوني

الذي قضى حياته في خدمة العلم بلسانه وقلمه ، وترك بإخلاصه وحبه لواجبه أطيب الآثار .

ولد رحمه الله عام ١٩١٢م ، وحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٩٤٣م. وعلى العالمية مع إجازة الدعوة سنة ١٩٤٥م. وعلى العالمية مع إجازة التدريس سنة ١٩٥٠م .

اشتغل بالوعظ والارشاد منذ تخرجه وتولى مناصب قيادية في الأزهر الشريف إلى أن عين مراقباً عاماً للدعوة .

وشارك في إقامة المجمّع الإسلامي في حي المنيل بالقاهرة .

# الشيخ أحمد البسيوني

## رحمه الله

ويضم المجمع مسجداً ومدرسة وداراً للحضانة ومستوصفاً وداراً لتحفيظ القرآن الكريم .

واصل نشر الدعوة في البلاد العربية الشقيقة حيث أعير للسعودية ثم إلى لبنان واليمن والعراق وسلطنة عمان . وأثناء وجوده في لبنان أقام مركزاً إسلامياً في بلدة "البترون" ضم مسجداً ومدرسة .

وعمل في وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت عام ١٩٧٥م . في الوعظ والإرشاد ثم تولى رئاسة تحرير مجلة الوعي الإسلامي لأفقه الواسع وعلمه الغزير ولما له من خبرة في الكتابة وقد أسهم بقلمه وعلمه في كتابة موضوعات قيمة عن السنة في المجلة ، هذا بجانب قيامه بإلقاء المحاضرات في المساجد والمدارس والجمعيات الاسلامية ومن خلال أجهزة الاعلام المختلفة .

من مؤلفاته : ( قبسات من السنة ) . ومخطوطات أخرى كان يعتزم طبعها .

تميز(رحمه الله)بغيرته الدينية وصلاحه في دينه ودماثة خلقه ووفائه ، كما كان عف اللسان سليم الطوية .

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ودفن بالقاهرة صباح الاثنين ٣١ ديسمبر ١٩٧٩م .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وألهم آله وذويه ومعارفه الصبر والسلوان .

إنا لله وإنا إليه راجعون

# مدرسة الأزواج

**مكانة الأم :**

إن التفكك في أى مجتمع من المجتمعات إنما مرده في الواقع إلى الأم ، وذلك لما للأم من أثر بعيد المدى وعظيم الخطر في صنع هذه المجتمعات . ولقد عرفت الأديان كلها هذه الحقيقة ، فأشادت بالأم

للاستاذ محمد محمد حلاوة

واعترفت بمنزلتها، وبمدى الدور الكبير الذي تؤديه في نهضة الشعوب والأمم.. وجاء الدين الاسلامي فأكد هذه الحقيقة، وقرر للأم حقوقها كاملة، ووضع لها من الضمانات ما يصونها ويحميها، ويكفل لها أداء رسالتها على الوجه الأمثل. ولهذا أوصى الله سبحانه وتعالى بها وقرن طاعتها هي والأب بطاعته قال تعالى:

**( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا )** الاسراء / ٢٣ و ٢٤ وفضلها وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأب عندما جاءه رجل يسأله: « من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أبوك » رواه البخاري.

ولست في حاجة إلى أن أعدد ما ورد في هذا المجال من النصوص دينية كانت أم أدبية، ولكني أقف عند بيت من قصيدة للمرحوم شاعر النيل حافظ إبراهيم:

والأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

وصدق حافظ فالأم مدرسة، ولكنها ليست كبقية المدارس الأخرى: ليست مدرسة تفتح أبوابها بميعاد، وتغلقها بميعاد، ليست مدرسة تبدأ حصتها بناقوس، وتنتهي على الناقوس، ليست مدرسة تعمل أكثر الوقت، وتتعطل في المواسم والعطلات، ليست مدرسة يتولى التدريس فيها أساتذة مختلفو الطباع، والنزعات، والثقافة، وإنما هي مدرسة من نوع فريد: أستاذها واحد لا يتغير ولا يتحول، يعمل باستمرار آناء الليل وأطراف النهار، دون توقف أو تعطل، من غير سأم أو ملل، بكل الصبر، وبكل الايمان، وبكل الاخلاص والوفاء والايثار، ثم هو الأستاذ الأول الذي يتلقى تلاميذه نطفا، فأجنة، فرضعا، فأطفالا، فشبابا ثم إلى نهاية الحياة. فهل قدرنا رسالة الأم حق قدرها، وهل أعددناها بما يكافئ أعباء هذه الرسالة ويحقق أهدافها، زوجة قبل أن تكون أما؟؟؟

## حسنة الدنيا:

ولقد طالعت كتب التفسير، وقرأت

آراء المفسرين في « حسنة الدنيا » في قوله تعالى : **( ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار )** البقرة/٢٠١ فمنهم من فسرها بالمال الحلال ، وبعضهم فسرها بأنها الولد الصالح ، وآخرون قالوا : هي الزوجة الصالحة ، ووقفت كثيرا عند التفسير الأخير وراعني ، ذلك لأن الزوجة إن صلحت صلح المال ، وصلح الولد ، وصلح كل شئ ، فهي الهدوء والسكن ، هي الأمن والراحة ، هي المتعة والبهجة ، هي الأخ والصديق والسمير ، هي الواقع الحلو والأمل الجميل ، هي الحاضر المشرق والمستقبل الباسم .. هي الحياة .

خطب عمرو بن حجر أمير كندة أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني ، ولما حان وقت زفافها إليه حرصت أمها أن تزودها بما ترى من نصائح تساعدها على أن تنجح في حياتها الزوجية وتحتل في قلب زوجها مكانا كريما . قالت :

« أى بنية . إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فاحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا » .

أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة . وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأ نه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح . وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فان تواتر الجوع ملهبه ، وتنغيص النوم مغضبه . وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله ، والارعاء على حشمه وعياله . وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير ، وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا . فانك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحا » .

وقد يفهم البعض أو يتبادر إلى ذهنهم أن المقصود بالصلاح هنا الورع والتقوى ، وبراءة القلب ، وسلامة الطوية ، ولكن هذا غير صحيح ، وما كان للتشريع الكامل أن يقصد هذا المعنى الضيق ، بل المقصود بصلاح الزوجة صلاحها في كل شئ ، وفي كل حال : صلاح في الجسم فلا عيب فيه يحول دون القيام بوظيفتها ، وصلاح في العقل يزن الأمور بميزانها السليم ، يميز بين الخبيث ، والطيب ، والقبيح ، والحسن ، وصلاح في العاطفة فلا تحيد أو تجور ، ولا تفتر أو تشتط ، وصلاح في التصرف ينبو بها عن المكاره ، ويرقى بها إلى كل جميل وحميد .

### بين الأمس واليوم :

وإذا عدنا إلى الماضي ، وقلبنا صفحاته لوجدنا أن المرأة كانت على حظ غير قليل من هذا الصلاح استقامت به الأسرة فعزت وقويت ،

وتماسكت به الأسر فنهض المجتمع وسعد .

● فلقد كانت هناك القدوة الصالحة تراها في أمها ، في أبيها ، في عمها وخالها ، في أختها وأخيها ، في تاريخ السلف الصالح من عظماء الأمة وعظيماتها .

● وكان هناك البيت ترى فيه سعادتها ، جنتها ، دنياها ، وآخرتها . كل جهدها له ، وكل تفكيرها له ، هو عالمها ومملكتها ترعاه بكل أنواع الرعاية ، وتحوطه بجميع أنواع الحماية .

● وكانت هناك القيم والمثل : الحياء الذي يكسوها جمالا ووقارا ، والفضيلة التي تعض عليها بنواجذها ، والشرف الذي دونه الموت ، والواجب الذي تقدسه ، والمسئولية التي تخافها ، وتحسب لها ألف حساب . نظرة الأجنبي إليها تخيفها ، وتلميحه لها يؤذيها ، والكلام معه جريمة لا تغتفر . لربها رهبة ، ولوالديها هيبة ، ولدينها حرمة ، ولوطنها قدسية واحترام .

● وكانت هناك الصفات العربية الأصيلة التي تحرص على التمسك بها من تضحية وفداء وإيثار ووفاء ، وحب وحنان ، ونخوة ونجدة إلى غير ذلك من الصفات التي اشتهر بها العرب وحدثنا عنها التاريخ .

● والى جانب ذلك كله كانت الروح القوية ، والنفس العالية ، والضمير اليقظ .

ثم جاء العصر الحديث بمبتكراته ومخترعاته فكيف أصبح حال المرأة فيه ؟! لقد جرفها التيار فيما جرف ، وذهب بها بعيدا بعيدا ، فتاهت في زحامه ، وضلت وسط صراعاته .

● اسفرت وتبرجت وأصبحت تلهث وراء كل بدع وجديد فقبحت ورذلت وابتذلت ، وتعرضت للاغواء والاغراء فانزلقت ثم انحرفت .

● وخرجت إلى العمل في ميادين الحياة المختلفة فنسيت البنت والولد والزوج ، ونسيت مع ذلك نفسها وطبيعتها ، فأصبح البيت كمًّا مهملا ، والولد عبئا ثقيلا ، والزوج ظلا وصورة وضاع الجميع في دوامة المدنية والتقدم . « فالأم المكدودة بالعمل ، المرهقة بمقتضياته ، المقيدة بمواعيده ، المشتتة الطاقة فيه، لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره ، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها . وبيوت الموظفات والعاملات ما تزيد على جو الخنادق والحانات ، فحقيقة البيت لا توجد إلا أن تخلقها امرأة ، وأرج البيت لن يفوح إلا أن تطلقه زوجة ، وحنان البيت لن يشيع إلا أن تتولاه أم . والمرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها وجهدها وطاقتها الروحية في العمل لن تطلق في جو البيت إلا الارهاق والكلال والملال » .

● وفقدت الزوجة قوامة الرجل عليها ، فأصبحت تعمل كما يحلو لها ، وتتصرف وفق هواها دون كبير تخشاه ، أو رقيب يحاسبها ، بل وقد بلغت بها الجرأة أن تمردت عليه ، بعد أن تساوت به في كل شئ .

● وكان لانتشار وسائل الاعلام

الحديثة من صحافة وإذاعة وغيرها ، ولشيوع المذاهب الاجتماعية والأدبية المختلفة التي راجت في القصة والشعر والمسرحية ما هدم ما تبقى من مقوماتها ، فسمم أفكارها ، وبدل نظرتها إلى الحياة .

● وأمام المادية الجارفة هوت روحها ، والتوى ضميرها ، وماتت مشاعرها، ونضبت عواطفها .

أفلستَ معي بعد هذا كله ، ومن أجل ذلك كله أننا في حاجة ماسة وشديدة إلى عمل حاسم نوقف به هذا الخطر الداهم الذي يشتد بلاؤه ، ويتفاقم يوما بعد يوم !! إن ما وصلت إليه حال المرأة ينذر بخطر شديد ، ولا بد له من علاج سريع .

## مدرسة الأزواج :

وربما وجدنا بعض العلاج في إنشاء مدرسة للأزواج لن أخوض في تفصيلاتها ، وسأكتفي بوضع الخطوط الأساسية لها .

أولا : المتقدمون إليها : كل من يرغب في الزواج من كلا الجنسين .

ثانيا ـ السن : تبدأ من الثامنة عشرة الحد الأدنى لزواج الفتاة .

ثالثا ـ مدة الدراسة : تكفي سنة دراسية صباحية أو مسائية .

رابعا ـ أساتذتها : المتخصصون في علوم : الدين ، والتربية ، وعلم النفس ، والتدبير ، والاقتصاد ، والطب ، والآداب .

خامسا : المواد الدراسية :

١ ـ التربية الاسلامية وتتناول :

أ ـ من العقائد الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وبصفاته ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه .

ب ـ من العبادات الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، بنهج جديد ، وفهم جديد فيه عمق ، وتأمل ، وتأن .

جـ ـ من التشريع كل ما يتعلق بالزواج من خِطبة ، فصداق ، فمنزل زوجية ، فدخول ، فحمل ، فرضاعة ، فطلاق ، فعدة .....

د ـ من التهذيب ما لا بد منه للحياة الجديدة واستمرارها وسعادتها من مودة ، ورحمة ، وألفة ، وتعاون ، وإخلاص ، ووفاء ، وتفان ، وإيثار ، وصدق ، وأمانة ، وتبادل حب واحترام .

٢ ـ التدبير المنزلي ويتناول :

أ ـ الأغذية المختلفة ، وأنواعها ، وقيمتها الغذائية ، والقدر اللازم منها للجسم ، وأضرار التخمة ، والأمراض التي تنشأ عنها .

ب ـ الأغذية الشرقية ، وما ينجم عنها من أمراض الكبد ، والقلب ، والأمعاء ، وتصلب الشرايين ، وسوء الهضم .

جـ ـ إعداد المائدة الصحية بأقل تكلفة .

د ـ المشروبات على اختلافها ساخنة وباردة ، وطريقة إعدادها ، وبيان المفيد منها والضار .

هـ ـ حفظ الأطعمة ، والصناعات المنزلية .

و ـ تفصيل الملابس ، وخياطتها ، وتطريزها ، وغسلها وكيها .

٣ ــ الميزانية وتتناول :
أ ــ الدخل ، أنواعه ، طرق تنميته .
ب ــ الدخل الخاص بالزوجة ، موقف الاسلام منه ، المشكلات التي تطرأ عنه .
جـ ــ الميزانية ، تحديدها ، توزيعها ، أبواب صرفها ، طريقة الصرف .
د ــ احتياطي الميزانية ، وبيان أحسن الطرق للانتفاع به .
هـ ــ الطرق المشروعة للاستثمار .
٤ ــ العلوم الصحية وتتناول
أ ــ الطب العام لدراسة أهم الأمراض ، وخاصة ما يمكن أن يظهر بعد الزواج مع التركيز على الأسباب ، والأعراض ، وطرق الوقاية .
ب ــ طب الطفل ويهتم به اهتماما خاصا لخطورة الأمراض التي تصيب الأطفال وخطورة الآثار المترتبة عليها .
جـ ــ صيدلية المنزل ، وطريقة إعدادها .
د ــ الطيور المنزلية ، وطريقة تربيتها ، والالمام بأمراضها ، وكيفية علاجها .
٥ ــ التربية وعلم النفس
أ ــ التربية بوجه عام .
ب ــ تربية الطفل .
جـ ــ مراحل النمو المختلفة ، وخصائص كل مرحلة ، ومشكلاتها ، وطرق علاجها .
د ــ أسس الصحة النفسية لتجنب الانفعالات ، والاجهاد ، والتوتر ، وكل ما يسبب الاضطرابات النفسية .
٦ ــ التربية الجمالية وتتناول :
أ ــ نظام البيت ، وترتيبه .
ب ــ متاعه وأثاثه و ( ديكوراته )
جـ ــ الملابس ، وطريقة اختيارها ، لونها ، تفصيلها ، وتطريزها ..
د ــ الحلى وأدوات التجميل .
هـ ــ وباختصار كل ما ينمي الذوق الجمالي نظريا وعمليا ، وينعكس أثره على الأسرة والمنزل بهجة وسعادة .
٧ ــ أدب المرأة ويتناول :
كل ما يقوى العواطف النبيلة ، ويربي فيها الضمير والقيم ، ويحببها في مكارم الأخلاق ، وتراثنا العربي والاسلامي في عصور مختلفة زاخر بالكثير والجميل .
٨ ــ مشكلات تريد حلا :
ويختار لها من واقع الميدان ، ويقوم بعرضها أساتذة متخصصون .
سادسا ــ الكتب الدراسية : يعد لها كتب جديدة وفق المنهج السابق .
إن هذا المنهج قابل للتعديل والتطوير ، فالبيئة الريفية غير المدنية ، وما يناسب المثقفين ، غيرما يناسب الأميين .

**وبعد فهل لدولة كدولة الكويت لها من إمكاناتها المادية ، وحبها للتطوير ما يجعلها رائدة في هذه التجربة !!**

**إنه أمل قد يكون أمامه عقبات . ولكن الهمم المنطلقة ، والنفوس المؤمنة ، والقلوب الواعية كفيلة بأن تذلل كل العقبات .**

**والبحث مفتوح .**

**والله الموفق .**

# من أدلة الشرع المختلف فيها :

# الاستحسان

للدكتور/عجيل النشمي

الاستحسان موضوع كثر فيه النقاش بين الأصوليين واشتد نكير بعضهم على بعض ، بل شنع بعضهم على الآخر حتى ليخيل للناظر أن شقة الخلاف مستحكمة بينهم وأن وجهات النظر متباعدة تباعدا ليس وراءه لقاء أو اتفاق . وغاية هذا البحث كشف اللثام عن حقيقة الخلاف في هذا الموضوع بين الأصوليين والوصول إلى تقييم الاستحسان من حيث كونه دليلا معتبرا أم ملغيا .

## أقسام الأدلة :

يقسم الأصوليون الأدلة الشرعية التي تستنبط منها الأحكام الشرعية إلى أدلة متفق عليها ومختلف فيها .

أما المتفق عليه من الأدلة : فالكتاب والسنة ، وهذا محل اتفاق بين أئمة المسلمين ، ولم يشذ عن هذا أحد . والاجماع والقياس وهما محل اتفاق جمهور المسلمين ما عدا النظام وبعض الخوارج فقد خالفوا الجمهور في عدم الاعتداد بالاجماع ، وخالف الجعفرية والظاهرية . الجمهور في عدم الاعتداد بالقياس .

وفي الجملة ، فان الأدلة المتفق عليها هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس . أما المختلف فيه من الأدلة فهي كثيرة واشهرها ستة ، الاستحسان والاستصحاب والمصلحة المــرسلة والعرف وقول الصحابي وشرع من قبلنا .

## تحرير محل النزاع :

محل نزاع العلماء في أن الاستحسان هل هو دليل من الأدلة الشرعية فيعتد به ويكون حجة ، أم هو قول بالرأي والتشهي فلا يعتبر

دليلا ولا يحتج به .

## تعريف الاستحسان :

ذكر للاستحسان تعاريف كثيرة ، ربما لم يذكر لموضوع ما من مواضيع علم الأصول تعاريف مثل ما ذكر للاستحسان ، وسنذكـــر بعض ما عثرنا عليه من تعاريف في بطون الكتب حتى يتضح مدى التنافر والخلاف بين هذه التعاريف ، مما يدل على اختلافهم في فهم معنى الاستحسان وتحقيقه .

## تعريفه في اللغة :

الاستحسان مشتق من الحسن ، ومعناه ما يميل اليه الانسان ويهواه من الصور والمعاني وإن كان مستقبحا عند غيره ، فاستحسن استفعل من الحسن وهو عد الشيء حسنا يقابله الاستقباح ، ويقول الرجل : استحسنت كذا أي اعتقدته حسنا ، فالمعنى طلب الأحسن للاتباع الذي هو مأمور به .

## تعريفه في الاصطلاح :

عرفه البزدوي من الحنفية بأنه : العدول عن موجب قياس إلى قياس أقوى منه أو هو تخصيص قياس بدليل أقوى منه .

وعرف أيضا بأنه : دليل ينقدح في نفس المجتهد وتقصر عنه عبارته فلا يقدر على إظهاره .

وقال الكرخي : هو قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى .

وقيل هو ترك وجه من وجوه الاجتهاد غير شامل شمول الألفاظ لوجه أقوى منه يكون كالطارىء على الأول .

وعرفه ابن العربي المالكي بأنه : إثبات ترك مقتضى الدليل على طريق الاستثناء والترخيص لمعارضة ما يعارضه في بعض مقتضياته .

وقال الباجي من المـالكية : هو القول بأقوى الدليلين .

وقال الكمال بن الهمام : عند الحنفية يطلق باطلاقين ، أحدهما : قياس خفي وقع في مقابلة قياس جلي ، وثانيهما : دليل وقع في مقابلة القياس الظاهر سواء كان الدليل نصا أم إجماعا .

وذكر السرخسي من تعاريفه : ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس أو السهولة في الأحكام فيما يبتلي فيه الخاص والعام ، أو الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة ، أو الأخذ بالسياحة وانتقاء ما فيه الراحة .

وله تعاريف كثيرة يصعب فيها الحصر .

ولا شك أن هذه التعاريف متباينة تباينا شديدا في صياغتها ومعانيها ، آثرنا نقلها استقراء من كتب الأصول حتى يستند الكلام على أصل عند تقرير أن اختلافهم هذا إنما هو نتيجة لاختلافهم في تصور معنى الاستحسان ومدلوله عند كل من أبدى في الاستحسان رأيا .

ويلاحظ على هذه التعاريف في جملتها بعدها عن مواصفات التعاريف الأصولية في دقتها وكونها جامعة مانعة ، فبعضها غامض

كتعريف الباجي بأنه أقوى الدليلين وبعضها تعريف بما يشبه النثر ، وبعضها أقرب الى السجع منه إلى التعريف وذلك مثل التعريفات التي ذكرها السرخسي آخرا .

وسنقتصر على شرح ومناقشة لثلاثة تعاريف مشهورة للاستحسان سبق الاشارة لها .

الأول : دليل ينقدح في ذهن المجتهد وتقصر عنه عبارته فلا يقدر على إظهاره .

الثاني : قياس خفي وقع في مقابلة قياس جلي .

الثالث : قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى منها .

### التعريف الأول :

دليل ينقدح في ذهن المجتهد وتقصر عنه عبارته فلا يقدر على إظهاره .

فالمقصود بالدليل اي الادلة الشرعية التي يحصل بها ظن الحكم .

وكلمة ينقدح لها عدة معاني في اللغة فيقال : قدح بالزند رام الايراء به ، وقدح الشيء في صدري أثر فيه ، وقدحت العين غارت ، وقدح الطبيب العين أخرج منها الماء المنصب من داخل .

ويستفاد من هذا أن كلمة ينقدح يحتمل أن يراد بها الأول فيكون المعنى أن المجتهد لما كد ذهنه وشحذ عقله لاستنباط الحكم كان كمن يريد إيقاد النار .

ويحتمل أن يراد بها الثاني فيكون المعنى إن الدليل أثر في صدره وامتنع به .

ويحتمل أن يراد بها الثالث فيكون المعنى أن المجتهد لما لم يستطع التعبير عنه فكأن الدليل غار في نفسه .

ويحتمل أن يراد بها الرابع فيكون المعنى أن المجتهد لما جال بذهنه في دليل الحكم فكأنه خلصه من غاشية كانت حوله كما خلص الطبيب العين من الماء ، وعلى هذا فمعنى التعريف : ان الاستحسان دليل على الحكم الشرعي استقر في نفس المجتهد واطمأن اليه لكنه يعجز عن التعبير عنه .

وعند التدقيق في هذا التعريف يمكن توجيه بعض الاعتراضات عليه ، كما وجه اليه ابن السبكي اعتراضا فحواه أن كلمة « ينقدح » إن كان المراد أنها بمعنى يتحقق الدليل عند المجتهد فهو معتبر ولا يضر قصور عبارته ، أما إن كان معنى « ينقدح » يشك أو يتوهم فهو مردود باتفاق .

ولذلك قال الغزالي في المنخول : « فمعاني الشرع اذا لاحت في العقول انطلقت الألسن بالتعبير عنها فما لا عبارة عنه لا يعقل .

فالذي يقوم في ذهن المجتهد قد يكون صحيحا وقد لا يكون ، فلا بد من ظهوره وبيانه ليتميز صحيحه من فاسده .

ويعترض على هذا التعريف أيضا : بأنه عرضة للأهواء والميل النفسي حسب رغبة المجتهد مادام قد

انقدح في ذهنه هذا الدليل فاعتمد على ما انقدح في ذهنه دون بيان او اظهار لهذا الانقداح ولا معنى لهذا الدليل الكامن إلا الهوى ، فلا يسمى دليلا ما لم يظهره ، ويثبت قوته وحجته .

## التعريف الثاني :

دليل يقابل القياس الجلي الذي يسبق اليه الأفهام والمراد من الاتيان بعبارة « يقابل القياس الجلي » ليخرج من التعريف القياس الذي ترك به الاستحسان فانه يقابل القياس الخفي دون الجلي ، فلا يدخل تحت الاستحسان وهذا التعريف أصح التعاريف ـ في نظري ـ وهذا ما رجحه سعد الدين . التفتزاني حين قال : « بعض الناس تحيروا في تعريفه ، وتعريفه الصحيح هو هذا ، وهو أنه دليل يقع في مقابلة القياس الجلي » .

فالقياس الجلي الذي تسبق اليه الأفهام قبل إنعام النظر والتأمل فيه ، ثم بعد إنعام التأمل في حكم الحادثة وأشباهها من الأصول يظهر أن الدليل الذي عارضه فوقه في القوة ، فان العمل به هو الواجب فسموا ذلك استحسانا للتمييز بين هذا النوع من الدليل وبين الظاهر لكونه مستحسنا لقوة دليله ، وهو نظير عبارات أهل العلوم في التمييز بين الطرق لمعرفة المراد ، فان أهل النحو يقولون هذا نصب على التعجب ، وما وضعوا هذه العبارات الا للتمييز بين الأدوات الناصبة ، وأهل العروض يقولون هذا من البحر الطويل وهذا من البحر المتقارب وهذا من البحر المديد .. فكذلك استعمال عبارة القياس والاستحسان للتمييز بين الدليلين المتعارضين وتخصيص أحدهما بالاستحسان لكون العمل به مستحسنا ولكونه مائلا عن سنن القياس الظاهر فكان هذا الاسم مستعارا لوجود معنى الاسم فيه .

ومن هذا التعريف يتبين أن القياس الخفي هو الاستحسان ، لكن الاستحسان أعم من القياس الخفي ، فان كل قياس خفي استحسان وليس كل استحسان قياسا خفيا ، لأن الاستحسان قد يطلق على غير القياس الخفي أيضا ، لكن الغالب في كتب الحنفية أنه اذا ذكر الاستحسان أريد به القياس الخفي الذي هو دليل يقابل الجلي الذي يسبق إليه الأفهام .

وهذا الدليل الذي يقابل القياس الجلي يعنون به دليلا من الأدلة الشرعية المتفق عليها يقع في مقابلة القياس الجلي ويعمل به اذا كان أقوى من القياس الجلي فلا معنى لانكاره لأنه إما بالأثر كالسلم والاجارة ، وإما بالاجماع كالاستصناع أو بالضرورة كطهارة الحياض والآبار وإما بالقياس الخفي ـ كما سيأتي ـ .

وقد يتوهم ان الاستحسان ـ بناء على هذا ـ يكون من قبيل تخصيص العلة .

والصواب أنه ليس من تخصيص العلة لأن انعدام الحكم في صورة الاستحسان إنما هو لانعدام العلة ، فمثلا موجب نجاسة سؤر سباع الوحش هو الرطوبة النجسة في الآلة الشاربة ولم يوجد ذلك في سباع الطير فانتفى ذلك الحكم لذلك ، وهذا معنى ترك القياس الجلي الضعيف الأثر بدليل قوي هو قياس خفي قوي الأثر فلا يكـون من تخصيص العلة في شيء .

## التعريف الثالث :

قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى .

أي أن يعدل الانسان عن أن يحكم في مسألة بمثل ما حكم به في نظائرها إلى الحكم بخلافه لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول ، وذلك حيث دل دليل خاص على إخراج ما دل عليه العام كتخصيص أبى حنيفة قول القائل : ما لي صدقة بالمال الزكوي دون غيره ، فان الدليل الدال على وجوب الوفاء بالنذور يقتضي وجوب التصدق بجميع أمواله عملا بلفظه لكن ها هنا دليل خاص يقتضي العدول عن هذا الحكـم بالنسبة الى غير الزكوي ، وهو قوله تعالى : **( خذ من أموالهم صدقة )** التوبة /١٠٣ . فان المراد بالمال في الآية هو الزكوي ، فليكن في قول القائل ما لي صدقة ، والجامع هو قرينة إضافة الصدقة الى المال في الصورتين .

وبالامكـان الاعتراض على هذا التفسير بأنه يلزم أن يكـون التخصيص استحسانا لانطباقه عليه ولا نزاع في التخصيص .

## معنى الاستحسان من هذه التعاريف :

من جملة هذه التعاريف نستطيع أن نحدد معنى الاستحسان في أنه عبارة عن وجود قياسين أحدهما جلي واضح والآخر خفي وكلا القياسين في هذه المسألة يقتضي حكما غير الذي اقتضاه الآخر ، وانقدح في ذهن المجتهد أن القياس الخفي أولى من القياس الجلي فيعدل في الحكم إلى مقتضى القياس الخفي ، فهذا العدول والترك هو الذي يسمى بالاستحسان ولما كان الاستحسان بناء على دليل سمى هذا الدليل بسند او وجه الاستحسان ، وما يثبت بالاستحسان من حكم يسمى الحكم المستحسن .

ووجه آخر من التعاريف وأبرزها « قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى » يشير إلى أن الاستحسان قد يكـون باستثناء صورة معينة من قاعدة عامة أو تخصيص لعام بأن يدل دليل على إخراج المسألة من حكم العام إلى حكم خاص . ... **وهـذا العدول الاستثنائي من القاعدة العامة** أو الحكم العام يسمى استحسانا والدليل الذي انبنى عليه يسمى السند ووجه الاستحسان وما يثبت به يسمى الحكم المستحسن .

## مذاهب العلماء في الاستحسان :

اختلفت مذاهب العلماء في الاستحسان فاعتبره بعضهم حجة ورده البعض الآخر وشنع على القائلين به .
فقال به ابو حنيفة وأصحابه ، ونقل الآمدي وابن الحاجب عن الحنابلة القول به ، ونقل غيرهما أنهم لا يقولون به .
والتحقيق أنهم يقولون به استنادا إلى ما جاء في روضة الناظر قال القاضي يعقوب الاستحسان مذهب احمد رحمه الله .
وقال المالكية بالاستحسان أيضا .
وانكره الشافعية وتصدر هذا الانكار الامام الشافعي والشيعة أيضا من نفاة الاستحسان .

## خلاصة الأدلة :

ان القائلين بالاستحسان اعتبروه دليلا شرعيا لأنه قياس خفي وقع في مقابلة قياس جلى وهو راجح عليه وكل دليل راجح يعمل به ، وهو إما مردود إلى نص من الكتاب أو إلى نص من السنة أو الاجماع أو الضرورة أو قياس خفي فاعتبروا ذلك استحسانا في مقابلة قياس ظاهر .
والمانعون نظروا إلى ان الاستحسان قول بالرأي والهوى فلا فارق بين استحسان العالم والجاهل ما دام بغير دليل فجماع حجتهم انه لم يتحقق له حقيقة من الحقائق الشرعية فيعمل به إنما هو شيء يهجس في النفس وليس قياسا ولا مما دلت النصوص عليه ولهذا جاءت ردود واعتراضات المانعين للاستحسان .

## حقيقة الخلاف في الاستحسان :

بالنظر الصحيح المتمعن في موضوع الاستحسان نلاحظ ان كل إمام قال به سواء منهم المثبت أو النافي .
فالحنفية اكثروا فيه وتصدوا للدفاع عنه . والمالكية قالوا به ومن ذلك ما رواه العتبى محمد بن احمد قال حدثنا اصبغ بن الفرج قال سمعت ابن القاسم يقول قال مالك تسعة اعشار العلم الاستحسان . وجوز مالك استئجار الأجير بطعامه وان لم ينضبط مقدار الأكل ليسارة أمره استحسانا .
وقال احمد بن حنبل في فاقد الماء يتيمم لكل صلاة استحسانا ، وقال يجوز شراء أرض السواد ولا يجوز بيعها ، قيل له : فكيف يشتري ممن لا يملك البيع فقال : القياس هكذا وإنما هو استحسان .
والامام الشافعي نفسه قال به في كثير من المسائل ، فقال في متعة الطلاق أستحسن ان تكون ثلاثين درهما ، وقال في الكتابة أستحسن ترك شيء من أقساط الكتابة للمكاتب وقال في الشفعة أستحسن ثبوت الشفعة للشفيع الى ثلاثة أيام ، وقال في السارق اذا اخرج يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت القياس ان تقطع يمناه والاستحسان ان لا تقطع .

ومن هذا يتبين ان الأئمة كلهم قالوا بالاستحسان ، ولا يمكن ان يقولوا به وهم ينكرونه .

**والحق الذي لا محيص عنه أن الاستحسان المنكر متفق على إنكاره والاستحسان المقبول متفق على قبوله . فالذين ردوا الاستحسان يريدون به الاستحسان بمعنى ميل الانسان إلى ما يحبه ويهواه لان ذلك هو ما يصدق عليه أنه قول بالتشهي والهوى وهو متفق على رده .**

**والذين قالوا بالاستحسان ارادوا به انه ترجيح دليل على دليل فالاستحسان اذا عن دليل لا عن هوى . وبذلك يتحقق انه لا خلاف في الحقيقة بينهم ، فالاستحسان معتبر ولا يصح ان يثار فيه نزاع .**

## قالوا في الأمثال

### ○ مقتل الرجل بين فكيه .

**الفكان** : مفارس الاسنان وما بينهما اللسان ، وقد يستخدم المرء لسانه في غير ما خلق له ، فيقع به في الأعراض ، او يسخر به من الناس ، او يوقع به بين المتحابين ، أو يشى به بين المتصافيين ، او يفتري به على البرىء ، أو يجرح به النظيف .

فاذا استخدم المرء لسانه في غير ما خلق له جر على نفسه البلاء ، وأوقعه لسانه في المأزق الضيق ، وقد يدفع به الى الهلاك .

وقد يسبق اللسان صاحبه فيدلي بأمر محظور ، أو يكشف عن خبر مستور ، أو يبين ما تخفيه الصدور ، أو ينحرف به عن المقصد المراد ، فيكون جزاء زلته الهلاك .

ورب كلمة أثارت ثورة ، ورب لفظة جرت ندما ، حتى فضل العقلاء الصمت فقال شاعرهم :

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

○ « **من صلى الضحى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله عشر مرات ، وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات ، وقل أعوذ برب الناس عشر مرات ، وقل هو الله أحد عشر مرات ، وقل يا أيها الكافرون عشر مرات وآية الكرسي عشر مرات ، فاذا قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله سبعين مرة ، ثم يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو ...** » الى آخر ما يروى وهو حديث طويل .

**موضوع .**

أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال : إنه موضوع إذ في رواته مجاهيل .

○ « **إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر غلقت أبواب النيران . واذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله فتحت أبواب الجنان.....** »

**موضوع .**

قال الحاكم : إن من رواته القاسم بن محمد بن عبدالفرغاني وهو وضاع .

وقال السيوطي : في اللآلئ المصنوعة : إنه موضوع وواضعه القاسم بن محمد المشار إليه .

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال عن القاسم : إنه وضاع يضع الحديث وضعا فاحشا .

ويرى الشوكاني في الفوائد المجموعة : أنه موضوع .

## قصة قصيرة

# ليست عقيماً

هي مدينة كبيرة في بلد عربي ، وقد تناثر حولها أحياء كثيرة بعد أن فشا فيها تفكك روابط القربى والجوار ، وبعد أن لم يعد فيها للأواصر الروحية تأثير كبير .

يقع أحد أحياء هذه المدينة على مقربة من نهر اعتاد صبيان هذا الحي الذهاب اليه يسبحون فيه ويمرحون قربه .

ذات يوم بعد العصر علت صيحة في الحي : « غرق صبي في النهر » ، فساد في الحي سكون ما لبث أن زال بصيحات جزع من الأمهات وهن يخرجن من بيوتهن فاقدات الشعور

للاستاذ/علي حسن الشكرجي

ويتجهن راكضات صوب النهر ثم يخرج الآباء بعدهن بقليل وقد علا وجوههم الوجوم والجمود وهم يهرولون نحو النهر.

لم يكن مع الأمهات والآباء، عمة أو خالة أو أخت أو أخ أو جد أو جدة يشاركون هؤلاء هلعهم ويشاطرونهم قلقهم. فقد شاع في المدينة الحديثة أن ينعزل الزوج والزوجة في بيت لهما ويبتعدا عن والديهما وأقاربهما ولا يلتقيا بهم الا في المناسبات ووقت الحاجة اليهم. وصار مألوفا أن يقول أحدهما للآخر: «أنت كل شيء في حياتي» دون أن يعترض أحدهما ويقول: «أين تضع إذن أبويك وأقرباءك وذوي الفضل عليك؟! هل نسيتهم؟؟ فكيف أضمن وفاءك لي إذن؟!»

وما إن وصل الآباء الى النهر حتى وجدوا كل أم قد احتضنت ابنها تقبله وتمسح على رأسه ويأخذ كل أب ابنه من أمه ويضمه اليه ويقبله وتطلق الحناجر كلمات تهليل وعبارات حنين إلا حنجرة واحدة كانت تترجم ما في قلب صاحبتها من حزن وجزع إلى بكاء وصراخ. إنها أم الذي غرق ولم يغرق معه أحد، إنها الثكلى الوحيدة بين أمهات فرحات بأولادهن غاية الفرح. يا لخيبتها ويا لمصيبتها!!

كل امرأة كان معها ابنها تضمه إليها وهي في وسطهن لا تجد ابنها لتضمه اليها بقوة ولتقبله بحرارة ولتبذل له كل ما يريد ومهما يريد.

يراها زوجها، حين يقترب من المشهد، وحيدة فيفغر فاه، وتتباطأ مشيته، ويسير بسكون اليها وحين يكون قريبا منها تراه فتصرخ: «يا كمال فقدنا ابننا الى الأبد!!»

يجوزها زوجها ويقترب من النهر ويقف أمامه ويركز نظراته إليه. ما عاد يسمع صراخ الأم الثكلى ولا صوتا آخر.

«هذا النهر الذي كان ابني يعبث بمائه فأصبح به الماء يلعب، هذا النهر الأزلي السرمدي لا نعرف له بداية ولا نعلم له نهاية يجري ليل نهار وصيف شتاء، يشرب منه الانسان، والحيوان، وترتوي بمائه الأرض ويبتلع ماءه البحر، ولا ينضب على كر السنين ومد الدهور.

« ماذا أفعل بك وكيف أنتقم منك ؟! قد صرعت آلافا من الناس هم أشد مني قوة وأعظم بأسا ، طوت الأرض من أراد الانتقام منك وبقيت ، كما كنت ، ما أشقى الانسان تلعب به الصروف وما أضعفه وأذله وهو لا يقوى على انتقام .

« إنك يا نهر الآن تعصر ابني أنيس وحشتي في هذه الدنيا بعد أن خنقته وأخمدت انفاسه العذبة التي كثيرا ما أطربتني وأنا أضمة الي ، وها أنذا قربك لا استطيع ان انتزعه منك ولو جسدا بلا روح حتى تلفظه فيطفو على سطحك » .

يلتفت ويرى زوجته وقد فتحت فمها وبدت أسنانها ، ما بالها ؟ أمازالت تبكي وتصرخ ؟! إنه لا يسمع منها صوتا لكنه يرى الدموع تنهمر على خديها من عينيها المحمرتين اللامعتين ؟ إنها إذن ما زالت تبكي وتصرخ ويجيل طرفه ويرى الأمهات والآباء ما زالوا متعلقين بأطفالهم وهم يرنون اليه والى زوجته .

« ما لي لا أرى على وجوههم العطف والمواساة نحونا ؟! لماذا لا يذهبون ويتركوننا ؟ ليت شعري هل يتمتعون بمصيبتنا إذ يديم منظرنا فيهم بهجة لقائهم بأبنائهم بعد أن ظنوا أنهم فقدوهم الى الأبد ؟؟ وهل يضاعف كمدنا فقد ابننا فرحتهم بأولادهم بين أيديهم سالمين ؟! كلهم يعلمون أننا فقدنا ابننا الوحيد ويعلمون مدى شوقنا الى أولاد وابننا بيننا فكيف بنا وقد فقدناه إلى الأبد ؟! أين مشاعر الانسان في القرن العشرين ؟! إذا كان أهله هكذا بلا عاطفة فلا يشعرون بآلام غيرهم ولا يشاطرونهم حزنهم ؟؟ إني اليوم في الدنيا وحيد ويزيد وحدتي وجود هؤلاء حولي .»

يدير بصره فيرى شيخ الحي وإمام جامعه المهجور قادما نحوه .

« إنه لم يأت كهؤلاء لابن له كان يلعب مع الصبيان على الشاطئ ، لم يكن له ابن صغير يلعب مع الصبيان إنه أتى معزيا ، إنه يحاول أن يخفف عن مصيبتي » .

يعيد النظر الى هؤلاء حوله ، ويحدق في وجوههم ويحدق ويحدق فيخيل اليه انه لا يرى وجوها آدمية بل وجوه حيوانات الى جانب صغارها .

رأى في هذا الشيخ الروحاني الوقور أبا حانيا ، وشعر أنه ابن ضعيف لهذا الأب الحاني فلينفس عن كربته بالشكوى اليه كما يفعل ابن مظلوم امام ابيه .

« يا شيخ ، إنه ابني الوحيد قد أصبحت بعده عقيما ، لن يكون لي ولد بعد ، سنعيش في دار موحشة بلا طفل ، ومظلمة بلا براءة طفل . مصيبة كبرى يا شيخ . لو كان لي آخر لهانت هذه المصيبة .»

ينطق الشيخ الوقور :

« لماذا جعلته وحيدا ولم تجعل له أخا » ؟

« عجبا يا شيخ . أما سمعت ما قلت ؟! إني أصبحت عقيما ، الطبيب قال لي : لن يكون لي ولد أبدا » .

أجاب الشيخ : « الأطفال ،

كيفما كانوا أبرياء والعطف عليهم إحسان لا شائبة فيه ، أكنت تعطف على أطفال غير طفلك » ؟؟

« لا »

سأل الشيخ : لماذا ؟

« لأن الجميع هكذا ، لا أحد عطف على طفلي فلم يكن في قلبي عطف على طفل غير طفلي » .

قال الشيخ : « هكذا صار لك طفل وحيد وصار لهم أطفالهم لا غير ، ولذلك أسست « دار الأيتام » لأن اليتيم لم يعد يجد أبا أبدا غير أبيه الراحل . ألا تتفق معي لو أنك رعيت أطفالا وعطفت عليهم كما تفعل لطفلك لصاروا في نظرك أبناءك ولصرت أنت في نظرهم أباهم ؟ أنت تعلم أنك إذا جئت بحيوان كلب مثلا وأطعمته وآويته فسيتعلق بك حتى لو طردته وضربته ، فكيف اذا فعلت ذلك بانسان بريء لم يكتب عليه إثم . وأرجو ألا يثقل عليك أن أقول إنك لم تفعل فضلا ولم تؤد عملا إنسانيا حينما بذلت لطفلك وسهرت عليه فالحيوانات أيضا تفعل ذلك مع صغارها تحميهم وتسقيهم وتجلب لهم الطعام ..

يلتفت الى هؤلاء ، حوله ويحدق في وجوههم مرة أخرى .

« صدقت يا شيخ غاية الصدق ، الحيوانات تفعل ذلك أيضا . إنني ظلمت نفسي ، وظلمت ابني ، وظلمت أبناء غيري »

ويتلو الشيخ قوله عز وجل : **( وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون )** النحل / ١١٨

ويقول كمال بخشوع : « صدق الله العظيم » .

يلتفت الى أهل حيه وما زالوا ملتصقين بأولادهم : « ألا تريدون أن لا يكون أولادكم يتامى أبدا ويكون لكم أولاد كثيرون يشاركم غيركم في رعايتهم ، ألا تريدون أن لا يصاب أحدكم بالعقم أبدا ؟ هيا ننظر إلى غير أولادنا كأولادنا ، ونسهر عليهم كما نفعل مع أولادنا .

لم يكن لكلامه فيهم وقع ، فما زالوا صامتين ينظرون ولا يبصرون وينصتون ولا يسمعون .

يلتفت إليه الشيخ : دعهم إنهم لا يفهمون هذا الكلام الآن حتى يصيبهم ما يؤلمهم ويوقظ مشاعرهم فيعون ويغيرون ما بأنفسهم فيغير الله ما بهم ، ويتلو قوله تعالى : **( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )** الرعد / ١١ يلتفت كمال الى زوجته .

« يا ليلى كُفّي عن البكاء وأبشري ، سيكون لنا أولاد كثيرون فلم أعد عقيما كما زعم الطبيب . »

يأخذ بيدها ويتجه مع الشيخ إلى الحي راجعين .

# الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

## غسل الميت مع اختلاف الجنس

**السؤال :**

**لو ماتت امرأة في مكان ليس فيه امرأة ، أو مات رجل في مكان ليس فيه رجل فهل يجوز لأحد الجنسين أن يغسل الآخر ؟**

**أحمد علي ابراهيم ـ الزقازيق ـ مصر**

**الجواب :**

قد يكون أحد الجنسين زوجا للآخر وقد يكون غير ذلك ، ولكل حكمه ،

١ ـ غسل الزوج لزوجته :

وردت في ذلك عدة أحاديث منها :

أ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنازة بالبقيع ، وأنا أجد صداعا في رأسي وأقول : وا رأساه ، فقال « بل أنا وا رأساه ، ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك » رواه أحمد وابن ماجه .

ب ـ روى الدارقطني والبيهقي باسناد حسن أن عليا رضي الله عنه غسل فاطمة رضي الله عنها . وأخرجه الشافعي .

جـ ـ أوصت فاطمة بنت عميس أن يغسلها علي بن أبي طالب وأسماء ، فغسلاها ، ولم ينكر أحد من الصحابة عليهما ذلك فكان إجماعا ، كما ذكره الشوكاني في « نيل الاوطار ج٤ ص ٢٩ » .

د ـ وجاء في « كشف الغمة » للشعراني أن عبد الله بن مسعود غسل زوجته حين ماتت .

٢ ـ غسل الزوجة لزوجها :

ورد في ذلك آثار منها :

أ ـ قالت عائشة رضي الله عنها : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل النبي صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه ، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه .

ب ــ أوصى أبو بكر رضي الله عنه أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، أخرجه البيهقي « نيل الأوطار ج ١ ص ٢٦٠ » .

وروى مالك في « الموطأ » أنها غسلته وكان اليوم شديد البرودة وهي صائمة فلم تغتسل من غسله .

بعد هذه المرويات قال الشوكاني « ج ٤ ص ٢٩ » : قال أحمد : لا تغسله ، لبطلان النكاح ، ويجوز العكس عنده كالجمهور . وقال ابو حنيفة واصحابه والشعبي والثوري : لا يجوز أن يغسلها لمثل ما ذكر أحمد ، ويجوز العكس عندهم كالجمهور ، قالوا : لأنه لا عدة عليه بخلافها .

وجاء في كتاب « الفقه على المذاهب الاربعة » أن الزوج لو مات فان للزوجة أن تغسله ، وذلك بالاتفاق حتى لو كانت مطلقة ، لكن أبا حنيفة وأحمد قالا : اذا كانت بائنا فليس لها أن تغسله ولو كانت في العدة ، واذا ماتت الزوجة غسلها زوجها ، إلا أن أبا حنيفة منع ذلك ، لأنها صارت أجنبية عنه .

٣ ــ الغسل بين غير الزوجين :

جاء في كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » قال المالكية : إذا ماتت المرأة وليس معها زوجها ولا أحد من النساء ، فان كان معها محرم لها غسلها وجوبا ، ولف على يديه خرقة غليظة مع ستارة بينه وبينها ، فان لم يوجد محرم يممها واحد لكوعيها فقط . وإذا مات رجل ولم توجد زوجته غسلته محرمه بخرقة مع ستر عورته ، فان لم توجد محرمه يممته الأجنبية إلى المرفقين .

وقالت الحنفية : إذا ماتت المرأة ولم تكن هناك نساء يممها المحرم الى المرفق ، ويممها الأجنبي مع وضع خرقة على يده وغض بصره ، والزوج كالأجنبي إلا أنه لا يكلف غض البصر ، وإذا مات الرجل بين نساء ليس فيهن زوجته غسلته القاصرة ، فان لم توجد يممته الى المرفقين مع غض البصر .

وقال الشافعية : إذا ماتت بين رجال ليس فيهم زوج ولا محرم يممها الأجنبي الى المرفقين مع غض البصر وعدم اللمس ، أما الزوج فيغسلها وكذلك المحرم ان لم يوجد الزوج ، وإذا مات الرجل بين نساء ليس فيهن زوجته ولا محرم يممته الأجنبية بحائل يمنع اللمس مع غض البصر ، أما الزوجة فتغسله وجوبا وكذلك المحرم عند عدم الزوجة .

وقال الحنابلة : إذا ماتت المرأة ولم يوجد زوج يممها المحرم ، وإلا يممها الأجنبي بحائل ، واذا مات الرجل ولم توجد زوجته يممته الأجنبية بحائل ، أما المحرم فلا يشترط الحائل في تيمم الرجل أو المرأة . والله أعلم .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## التدوين بين الاعتدال والشطط

**أرسل بعض الاخوة الشباب رسائل حول الاسناد وكتابة التاريخ الاسلامي من جديد .**

نقول للاخوة ان التاريخ الاسلامي غنى بالمصادر الصادقة ، فأغلب الأحداث التي حدثت في العصر النبوي سجلها القرآن الكريم كالغزوات الاسلامية مثلا وليس هناك أدق من هذا التسجيل لأنه محفوظ من التحريف والتبديل . وقد شاركت السنة المطهرة في جوانب هامة مسجلة أحداثا عاصرت الصدر الأول أو الذي يليه .

وقد انفرد الاسلام بحرص رجاله على التأكد من سلامة الاسناد ، وانسحب ذلك على كل أعمالهم ، وصبغها بتلك الصبغة .

لهذا نرى أن التاريخ الاسلامي في مصادره الأساسية سليم من كل شائبة ، والقليل من هذا النوع الذي لحقه التشويه ، ونالته الأيدي الآثمة من أعداء الاسلام قد قيض الله له من نقاه من أغلب الشوائب هذا عن التاريخ الاسلامي .

وهناك شطط في نصوص بعض المصادر ، ولكن لكل وجهة ، فقد جاء هذا الشطط نتيجة الاعتقاد الخاطئ الذي نشأ عن انحراف في العقيدة ، والذي نشأ عنه أن كل فريق سجل ما يؤكد مذهبه ، وما يتفق ومنهجه ، فقد دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم ونظرياتهم بأحاديث لتأييد مذاهبهم ، أو روايات تاريخية ضالة ليس لها سند من الواقع .

ولم يكن المسلمون في صدر الاسلام يشككون في السند الى عصر سيدنا عثمان حتى وقعت الفتنة ، عند ذلك بدأ المسلمون يكذب بعضهم بعضا ، وتكونت الفرق ، والأحزاب ، وبدأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ مطية لأهل الأهواء والاتجاهات .

يتحدث الامام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » .

وانظروا ما نقله الامام مسلم بسنده المتصل عن مجاهد قال : « جاء بشير بن كعب العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر اليه فقال يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع فقال ابن عباس إنا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا اليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف » .

وكما كان ذلك واضحا جليا ومنهجا قويما نقيا للصحابة رضوان الله عليهم ، كذلك كان التابعون ، بل وأتقن التابعون الاسناد .

لكن يزعم قوم بأنه لا بد من العودة الى كتابة التاريخ الاسلامي وتنقيته مما علق به بحجة أن المنقول إلينا قد شابه التحريف فاننا لا ننكر بأن التاريخ سجل من طرق مختلفة ومن أصحاب أهواء متباينة . وفي نفس الوقت توفر للتاريخ من أخلص فيه النية والعمل ، وحافظ على تاريخ هذه الأمة ، وتراثها العظيم من التحريف ، وذلك أمر مشاهد مدون .

وتكون العودة للتدوين من جديد ضرورة ملحة اذا تعلق ذلك بالعقيدة ، وقد صان الله سبحانه مصدرها من التغيير ، أو مرتبطة بالرعيل الأول والفقهاء والقواد ، فانهم الذين أخذنا عنهم ما كان عليه رسول الله ، وفهمنا منهم شرع الله سبحانه ، أو متعلقة بالأحداث الهامة في تاريخ الاسلام والمسلمين ، واصطدمت بأخلاق اسلامية .

ورغم هذا فما وصل لأيدينا من هذا التراث العظيم لا يبعد عن الصواب ، فقد بذل فيه جهد مشكور ، فجزى الله ، رعيل الأمة الأول عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

والمأمول أن يعرض التاريخ عرضا وافيا مناسبا لعظم الأحداث وجلالها مواكبا بهذا العرض أسلوب العصر ومنهجه دون إخلال بجوهر الأحداث ومدلولاتها .

حتى ننزه تاريخنا عن العبث الذي يشوه جماله وتناسقه وارتباطه بالأمة المسلمة .

منظور القيم الانسانية يستطيع عالمنا الاسلامي أن يلف إلى المستقبلية وان يشارك العالم في إرساء الأسس القويمة لحياة إنسانية كريمة ، ولن تكون رعايته للقيم عائقا يحول بينه وبين أن يسهم في التجريب والكشف العلميين ، بل على الضد من ذلك ستكون القيم بالنسبة له نعم الحافز ونعم المعين ، وحينئذ لن يعوزه شيء ، ففيه الذكاء ، وفي يده المال ، وتحت أقدامه وفي ترابه ومائه ما يشاء من مواد ومعادن .

أما لماذا يجب على عالمنا الاسلامي أن يستظل بلواء القيم فذلك حتى لا ينزلق فيما انزلق فيه غيره من خطايا موبقة حين نحى القيم عن طريقه ، مكتفيا بما احرز من تقدم في العلم ، وأشد هذه الخطايا عسرا وفتكا اثنتان .

أولاهما : أن العلم ــ مع انه نتيجة التفكير والجهد الانساني المحض ــ قد أضحى سيد الانسان بعد ان تراجع الانسان للعلم عن مكانه ومكانته ، وكان حريا بالانسان أن يظل مسيطرا وسيدا ومن يوم أن ألقى الانسان زمام عبوديته إلى العلم فقد الأمن في عيشه وفي سربه ، وحقت عليه كلمات ربه : **( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم )** الجاثية / ٢٣ .

وثانيتهما : أن العلم بدل أن يكون طريقا يصل العبد بربه ، ويحل الخشية منه في قلبه صار ــ أي العلم ــ سبب قطيعة بين الله وعباده العلماء ، بعد أن تلبس الانسان بالغرور والالحاد .

ومن شأن الأمرين جميعا أن يعيدا الرضا والاطمئنان إلى نفوسنا المصابة بالدوار والفزع نتيجة البون الشاسع بيننا نحن الذين لا نزال ندرج في مطلع الطريق طريق العلم ، وأولئك الذين يتوهمون أن قد بلغوا من الشوط مداه .

ومن فضول القول ونافلته أن نقرر هنا أن الأيدلوجيات المطروحة في الساحة العالمية كلها زيف لا غناء فيه ، لافتقارها إلى أصل وثيق تعتمد عليه ، وتلجأ إليه في شدتها وضيقها ، وما أشد حاجة العالم إذن إلى عصا موسى ، لتلقف ما يأفك السحرة ، وليست عصا موسى المرجوة غير ما يقدمه الاسلام للبشرية من نظام يعيد اليها الاتزان . وعقيدة تملأ حياتها سكينة ورضى ، وتحفزها الى الجد النافع والعمل المثمر .

ولكن ....

هل يكفينا ويكفي غيرنا ، ويقنعنا ويقنع غيرنا أن نردد نحن المسلمين شعار « إن الاسلام دين صالح لكل زمان ومكان » ثم نستكين موقنين بأن قد قمنا بما فرضه الله علينا من واجب الدعوة اليه أتم قيام ؟

ذلك غير كاف ولا مجد والواجب على علماء الأمة ، وهم والحمد لله كثرة ، أن يتنادوا ، وأن ينظموا صفوفهم وجهودهم ، وأن ينهضوا لدراسة الدين ــ عقيدة وشريعة ــ ثم عليهم بعد ذلك أن يصوغوه في صورة تلائم العصر ، وترضي الذوق ، وتقنع العقل ، حتى يلتزم به الناس .

# بريد الوعي الاسلامي

## صفة إنسانية حقا

**الحب صفة إنسانية نرجو بيان ذلك في ضوء الشريعة الاسلامية فاننا نشاهد أفلاما تعرض ألوانا من العلاقات تحت هذا الاسم تحظى باهتمام الشباب فهل هذه العلاقات تتفق مع هذه الصفة الانسانية السامية ؟**
**محمد السلماني ــ العراق**

حقا ان الحب صفة إنسانية جليلة ، وعاطفة وجدانية دعا الاسلام إليه ، وحبب فيه ، بل وحث على تنميته ، فذلك أمر لا تنكره الديانات .

وليس بمحظور في الشريعة الاسلامية إذ القلوب بيد الله عز وجل يقلبها كيف يشاء ، وتظل هذه العاطفة صفة إنسانية حتى تتحول إلى حب للجسد والغريزة عند ذلك ننبه على أهمية مراعاة ما ينسجم مع الاسلام ، وتعاليمه ونبذ ما عداه .

ونستطيع أن نقول إن من أسمى أنواع الحب ما يتعلق بالايمان ، فحب الله سبحانه وتعالى بمعنى الانقياد لأوامره ، واجتناب نواهيه ، والشعور بأنه الله الذي لا معبود بحق إلا هو ، ولا شريك له فان ذلك حب لله لا مراء فيه .

وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تصديق دعوته ، والتزام نهجه والسير وفق سنته ، والدفاع عن ملته الحنيفية السمحة لا شك أن هذا أيضا من ألزم أنواع الحب ، لسلامة عقيدة المسلم ، فحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة وقوتها ، فلا يؤمن أحدنا حتى يكون الرسول أحب إليه من روحه التي بين جنبيه .

وقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

وحول المتحابين في الله لغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء ــ قيل : من

هم لعلنا نحبهم قال : هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ:( **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) .

وهناك محبة القربى والزوجة ولا شئ فيها بل هى الأوجب مصداق ذلك ما رواه أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه ) .

نتبين من هذا النص أن محبة ذوى القربى والزوجة صلة حث عليها الاسلام ، ورغب فيها .

أما ما يعرض في أجهزة الاعلام من أفلام تقدم العلاقات بشكل مثير بين الجنسين زاعمة أن هذا حبا ، فانه لا يعرف الحب في قليل أو كثير ، لأنه أولا بين أجنبيين عنصره الأساسي الاثارة ، والفتنة ، والعرى ، وكشف العورات ، بلا تحفظ ، ولا رعاية لحرمات نهى عنها الاسلام .

ولا يتفق هذا أبدا مع ما لهذه الصفة الانسانية من دوافع وأهداف ، حبب اليها الاسلام ودعت اليها نصوصه الصحيحة .

واهتمام الشباب بهذا اللون راجع الى الفراغ الديني الذي يعيشونه .

وهم بلا شك يحتاجون لشرح وتوضيح ما يتفق مع الدين والأخلاق الاسلامية الفاضلة .

وأيضا يحتاج المنتجون لهذه الأفلام الى رقابة توقف هذا الهبوط بالأخلاق العامة حتى تكون السينما وغيرها من أجهزة الاعلام أداة تثقيف وتوعية وتربية في ظل ديننا الحنيف . فهل من مجيب ؟

## جامعة دار العلوم بديوبند في عيدها المئوى

جامعة شامخة عظيمة مضى على إنشائها مائة عام قدمت للعالم الاسلامي الكثير ، وهى أقدم وأكبر جامعة بالهند على الاطلاق .

ومن الأمور المسلمة أن تاريخ الهند زاخر بالعلماء والباحثين والفقهاء ممن لهم باع طويل وفضل على المسلمين في الهند وغيرها .

ولقد مكث المسلمون زهاء ثمانية قرون متواصلة أصحاب السلطان في شبه القارة الهندية على اختلاف رقعتها ، وامتداد مساحتها يحكمون ، وينشرون الاسلام ، ويعملون على تأصيله في النفوس ، وغرس تعاليمه ، وأهدافه السامية .

خلال هذه الفترة الطويلة أقام المسلمون هناك منارات عالية للثقافة ، وتركوا معالم وآثاراً اسلامية في سائر انحاء البلاد ، وخلفوا تراثا علميا قيما ازدانت به المكتبة الاسلامية . ونهل الناس منه خير زاد يتزود به المسلم من أهمها جامعة دار العلوم التي تمثل الثكنة القوية للاسلام والمسلمين والتي صمدت أمام كل تيار

جارف ، تواجه الأفكار الخاطئة الضارة بالاسلام والمسلمين .

ومن المعروف أن المسلمين في الهند من أكثر الأقليات الاسلامية في العالم تمسكا بدينهم ، وحفاظا على تراثهم ، من أجل ذلك كان حرصهم على معرفة دينهم شديدا ، فأسسوا المعاهد والكليات والمؤسسات الاسلامية والعربية ، لتكون ركيزتهم العلمية التي تمدهم بالثقافة النقية ، وكان من أهم نتاجهم هذه الجامعة ، ومؤسساتها التي انبثقت منها في شبه القارة الهندية وغيرها .

ومن أبرز مؤسسيها بل صاحب فكرة إنشائها الشيخ محمد قاسم النانوتوى سنة ١٨٦٦م .

ويطلق المسلمون عليها ( أزهر الهند ) لما لهذه الجامعة من مكانة علمية تواكب مسيرة الأزهر الشريف في مصر .

وقد تخرج فيها الآلاف من العلماء والدعاة الواعين الذين قاموا بالدعوة خير قيام ، وكانوا حصنا منيعا أمام كل التيارات المعادية للاسلام وأهله .

وإلى جانب علوم التفسير والفقه والأدب تميزت هذه الجامعة بالعناية بالحديث الشريف وعلومه من حيث الجمع والاستيعاب ومن حيث السند والمتن والتفقه والدراية .

وتلك ميزة تفوقت بها على شقيقاتها في شبه القارة الهندية .

وقد ذاع صيت دار الحديث التابعة لها في جميع أنحاء العالم ، فأخذ يقصدها رواد الحديث المتعطشون إليه الدارسون لأصوله .

وللجامعة مكتبة كبيرة زاخرة بتراث علمي عظيم ، تعد من أغنى المكتبات وأخصبها .

هذا ولا يزال شعار هذه الجامعة المحافظة على الشعائر الاسلامية ، والدفاع عن السنة ، والصمود في وجه التيارات المعادية للاسلام في خضم الدعوات الملحدة ، والاضطهاد ، والوثنية الباغية دون ملل أو ضعف أو تخاذل أو تقصير .

وقد زودوا المسلمين بالأفكار النيرة المغذية للقلوب ، المنعشة للعقول ليدحضوا شبهات المشككين حول الاسلام ، ويقتلوا الحركات الهدامة في مهدها ، كالقاديانية ، والبهائية ، وغيرهما ..

وقد أشاد بدور الجامعة من شاهدوا تلك القلعة الحصينة ، والنموذج الحي لحفظ التراث الاسلامي ، أساتذة أجلاء ، أصحاب فكر ، وقلم من كبار رجال العلم والدين .

وجامعة تلك خدماتها ، وهذا تراثها ، وتاريخها ، حرى بنا أن نذكرها ، ونذكر الناس بفضلها .

ونرجو أن تظل المنارة العالية ، والمعهد العتيد ، والأمل المرجو للاسلام والمسلمين في وجه الطغاة والمفسدين ، وأصحاب البدع ، والأهواء ، لأنها أسست على تقوى من الله ورضوان ، وهى النبراس الذي يستضىء به الرجال في ظلمة الجهل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | ربيع الأول | يناير | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س |
| الجمعة | ١ | ١٨ | ٦ ١٢ | ٢٩ ١ | ٤٥ ٦ | ٤١ ٩ | ٢١ ١ | ٢٠ ٥ | ٤٣ ٦ | ٥٨ ١١ | ٥٤ ٢ | ١٤ ٥ | ٣٥ ٦ |
| السبت | ٢ | ١٩ | ٥ | ٢٨ | ٤٤ | ٤١ | ٢١ | ٢٠ | ٤٣ | ٥٩ | ٥٥ | ١٤ | ٣٦ |
| الأحد | ٣ | ٢٠ | ٤ | ٢٧ | ٤٤ | ٤١ | ٢١ | ٢٠ | ٤٣ | ٥٩ | ٥٦ | ١٥ | ٣٦ |
| الاثنين | ٤ | ٢١ | ٣ | ٢٦ | ٤٣ | ٤١ | ٢١ | ٢٠ | ٤٢ | ٥٩ | ٥٧ | ١٦ | ٣٧ |
| الثلاثاء | ٥ | ٢٢ | ٢ | ٢٥ | ٤٣ | ٤٠ | ٢١ | ١٩ | ٤٢ | ٠٠ ١٢ | ٥٧ | ١٧ | ٣٨ |
| الأربعاء | ٦ | ٢٣ | ١ | ٢٤ | ٤٢ | ٤٠ | ٢٠ | ١٩ | ٤٢ | ٠٠ | ٥٨ | ١٨ | ٣٨ |
| الخميس | ٧ | ٢٤ | ٠٠ | ٢٢ | ٤١ | ٤٠ | ٢٠ | ١٩ | ٤١ | ٠٠ | ٥٩ | ١٩ | ٣٩ |
| الجمعة | ٨ | ٢٥ | ٥٩ ١١ | ٢١ | ٤١ | ٤٠ | ٢٠ | ١٩ | ٤١ | ١ | ٠٠ ٣ | ٢٠ | ٤٠ |
| السبت | ٩ | ٢٦ | ٥٨ | ٢٠ | ٤٠ | ٤٠ | ٢٠ | ١٨ | ٤١ | ١ | ٠٠ | ٢١ | ٤١ |
| الأحد | ١٠ | ٢٧ | ٥٧ | ١٩ | ٤٠ | ٣٩ | ٢٠ | ١٨ | ٤٠ | ١ | ١ | ٢١ | ٤١ |
| الاثنين | ١١ | ٢٨ | ٥٦ | ١٦ | ٣٩ | ٣٩ | ٢٠ | ١٨ | ٤٠ | ١ | ٢ | ٢٢ | ٤٢ |
| الثلاثاء | ١٢ | ٢٩ | ٥٥ | ١٦ | ٣٨ | ٣٩ | ٢٠ | ١٨ | ٣٩ | ١ | ٢ | ٢٣ | ٤٣ |
| الأربعاء | ١٣ | ٣٠ | ٥٣ | ١٥ | ٣٨ | ٣٩ | ٢٠ | ١٧ | ٣٩ | ١ | ٣ | ٢٤ | ٤٤ |
| الخميس | ١٤ | ٣١ | ٥٢ | ١٣ | ٣٧ | ٣٩ | ١٩ | ١٧ | ٣٨ | ١ | ٤ | ٢٥ | ٤٤ |
| الجمعة | ١٥ | فبراير | ٥١ | ١٢ | ٣٦ | ٣٩ | ١٩ | ١٦ | ٣٨ | ٢ | ٥ | ٢٥ | ٤٥ |
| السبت | ١٦ | ٢ | ٥٠ | ١١ | ٣٦ | ٣٩ | ١٩ | ١٦ | ٣٧ | ٢ | ٥ | ٢٦ | ٤٦ |
| الأحد | ١٧ | ٣ | ٤٩ | ١٠ | ٣٥ | ٣٩ | ١٩ | ١٦ | ٣٧ | ٢ | ٦ | ٢٧ | ٤٦ |
| الاثنين | ١٨ | ٤ | ٤٧ | ٨ | ٣٤ | ٣٩ | ١٩ | ١٥ | ٣٦ | ٢ | ٧ | ٢٨ | ٤٧ |
| الثلاثاء | ١٩ | ٥ | ٤٥ | ٧ | ٣٤ | ٣٨ | ١٩ | ١٥ | ٣٦ | ٢ | ٧ | ٢٩ | ٤٨ |
| الأربعاء | ٢٠ | ٦ | ٤٤ | ٥ | ٣٢ | ٣٨ | ١٩ | ١٤ | ٣٥ | ٢ | ٨ | ٣٠ | ٤٩ |
| الخميس | ٢١ | ٧ | ٤٣ | ٤ | ٣٢ | ٣٨ | ١٩ | ١٢ | ٣٤ | ٢ | ٨ | ٣٠ | ٤٩ |
| الجمعة | ٢٢ | ٨ | ٤١ | ٣ | ٣٢ | ٣٨ | ١٩ | ١٢ | ٣٤ | ٢ | ٩ | ٣١ | ٥٠ |
| السبت | ٢٣ | ٩ | ٤٠ | ١ | ٣١ | ٣٨ | ١٩ | ١٢ | ٣٣ | ٢ | ١٠ | ٣٢ | ٥١ |
| الأحد | ٢٤ | ١٠ | ٣٨ | ٥٩ ٢ | ٣٠ | ٣٧ | ١٨ | ١١ | ٣٢ | ٢ | ١٠ | ٣٣ | ٥١ |
| الاثنين | ٢٥ | ١١ | ٣٧ | ٥٨ | ٢٩ | ٣٧ | ١٨ | ١٠ | ٣١ | ٢ | ١١ | ٣٤ | ٥٢ |
| الثلاثاء | ٢٦ | ١٢ | ٣٦ | ٥٧ | ٢٩ | ٣٧ | ١٨ | ١٠ | ٣١ | ٢ | ١١ | ٣٤ | ٥٣ |
| الأربعاء | ٢٧ | ١٣ | ٣٤ | ٥٥ | ٢٨ | ٣٧ | ١٨ | ٩ | ٣٠ | ٢ | ١٢ | ٣٥ | ٥٣ |
| الخميس | ٢٨ | ١٤ | ٣٢ | ٥٣ | ٢٧ | ٣٦ | ١٨ | ٨ | ٢٩ | ٢ | ١٢ | ٣٦ | ٥٤ |
| الجمعة | ٢٩ | ١٥ | ٣٠ | ٥١ | ٢٦ | ٣٦ | ١٨ | ٧ | ٢٨ | ٢ | ١٣ | ٣٧ | ٥٥ |
| السبت | ٣٠ | ١٦ | ٢٩ | ٤٩ | ٢٥ | ٣٦ | ١٨ | ٧ | ٢٧ | ٢ | ١٣ | ٣٨ | ٥٥ |

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ — الشويخ — الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة — مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم — دار التوزيع — ص.ب ( ٣٥٨ )

ليبيا : طرابلس — الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء — الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

السعودية : جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ )
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

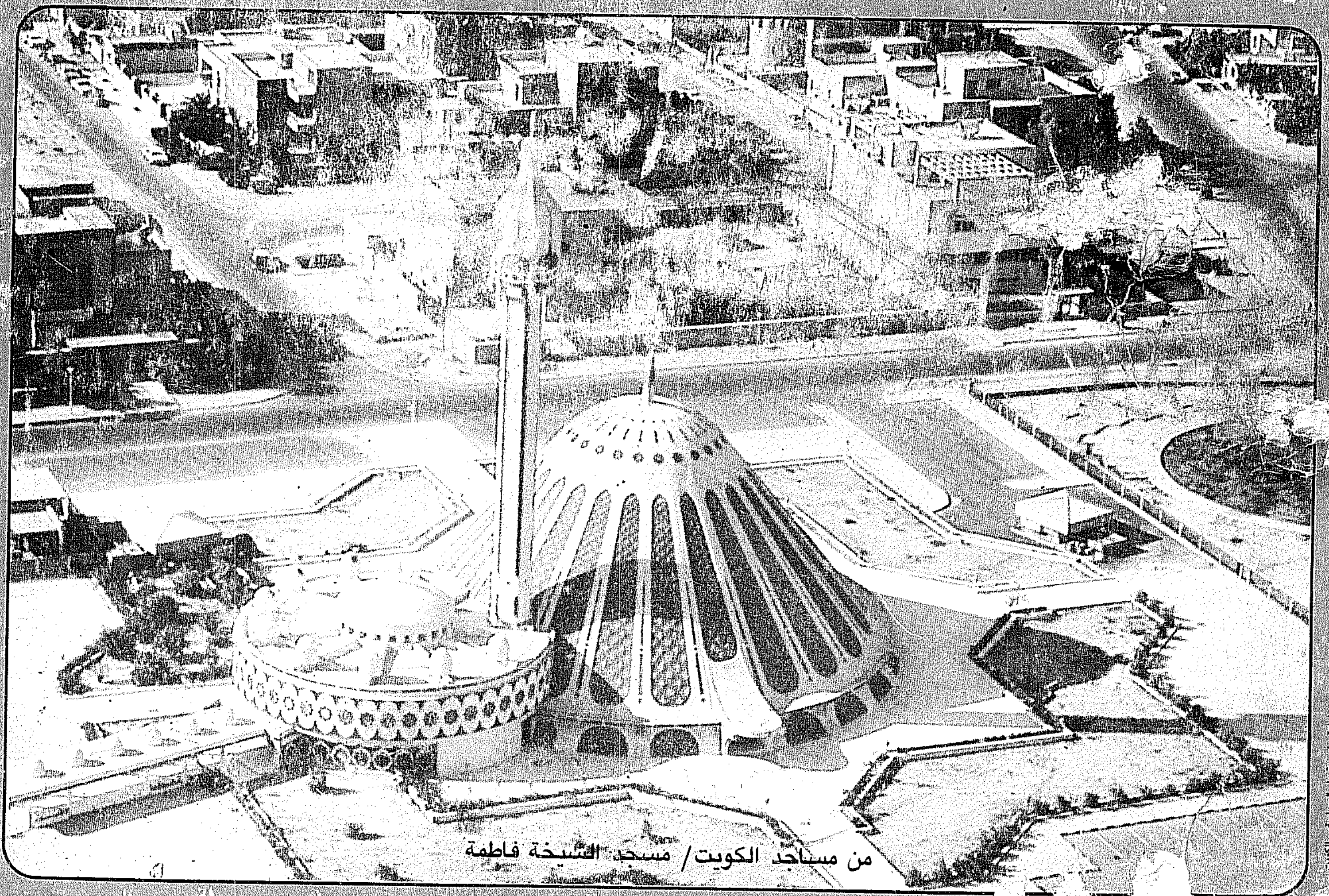
قطر : دار الثقافة للتوزيع — الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

ابو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف — ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف — ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



من مساجد الكويت/ مسجد الشيخة فاطمة

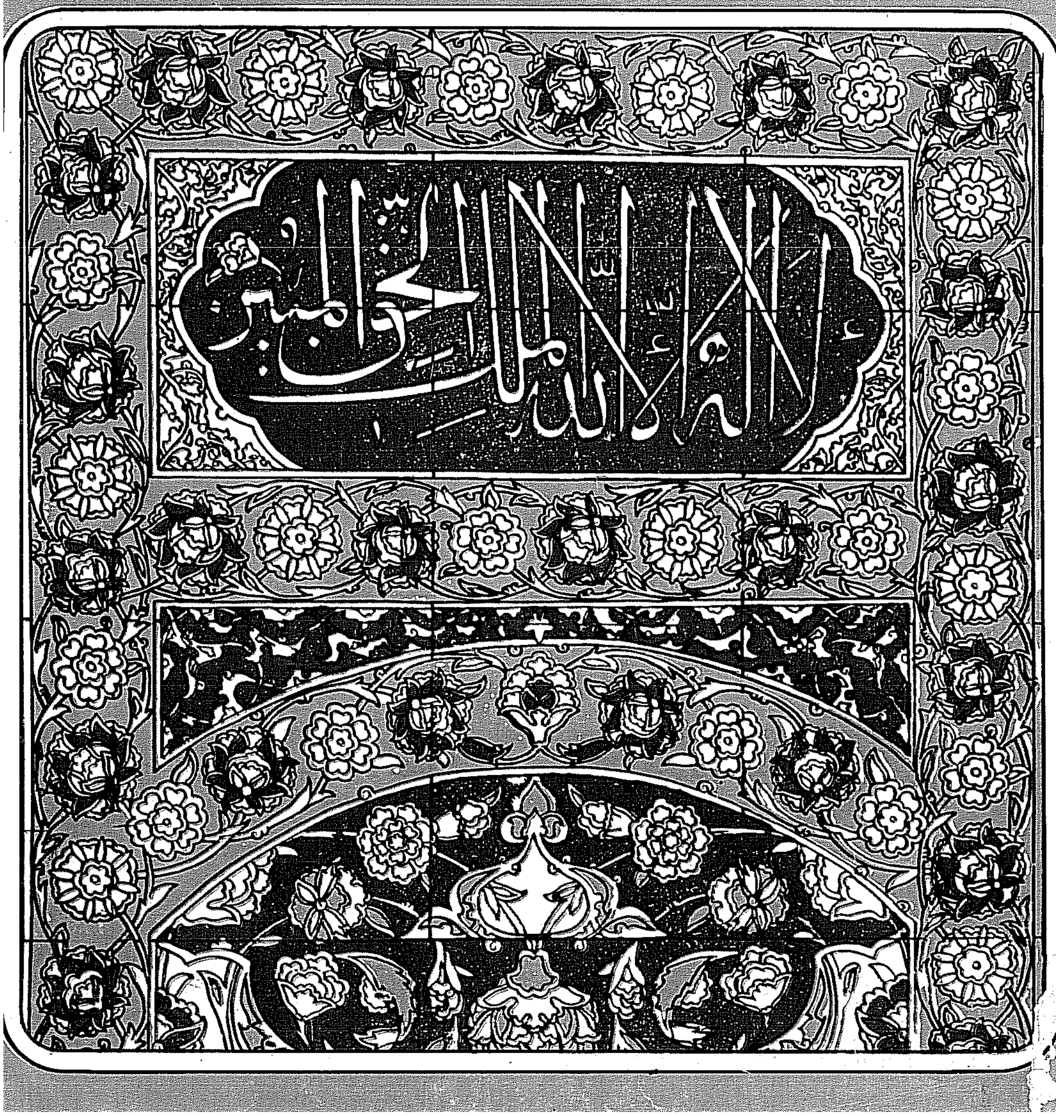
طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت

هدية العدد : براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة – العدد ١٨٤ – ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ – فبراير ١٩٨٠ م



# اقرأ في هذا العدد



## صورة الغلاف

○ الجزء الاعلي من احدى اللوحات الموجودة داخل مسجد شاه زاد محمد مسلم بتركيا وهي من البلاط الخزفي الملون ذي التأثير الفني الرائع ، وهذا الشكل يعتبر قمة في الخزف الاسلامي خلال النصف الاول من القرن السادس عشر .

( انظر صفحة ٧٤ )

# الوعي الإسلامي

# AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٤ ـ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ ـ فبراير ١٩٨٠ م


## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

## عنوان المراسلات


وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١


## الثمن

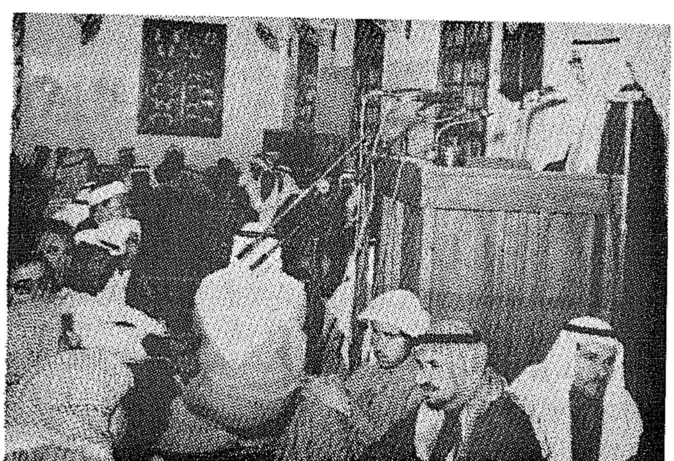
| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

# في ذكرى

# مولد الرسول صلى الله عليه وسلم



الوزير الحجي يلقي كلمة الوزارة

**احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . الذي جاء بالنور فايقظ الانسانية من سباتها وشدها إلى حظيرة ربها ، وصحح مسيرة الأمة ، وجنبها الزلل . وحماها من الغواية والضلال .**

**فهل للمسلمين من وقفة تدبر وتأمل ؟**

**هذا وقد اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها المعتاد في مثل هذه المناسبة الكريمة . وتحدث الخطباء بما يناسب الذكرى الجليلة وكان في مقدمة المتحدثين ــ السيد/يوسف جاسم الحجي وزير الاوقاف والشئون الإسلامية .**

**قال سعادة الوزير .**

نحمد الله تعالى ، ونصلي ونسلم على رسوله محمد ، وعلى آله وصحبه ، والذين آمنوا برسالته وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، فكانوا معالم واضحة على طريق الحق والعدل والطمأنينة . وبعد ،

فنحتفل الليلة بذكرى مولد رسول الله محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم الذي ولد من أشرف بيوت العرب نسبا وأرفعها حسبا ، وهو بيت:« هاشم بن عبد مناف » وشب على أكمل خلق وأقوم سبيل ، إلى أن جاءت الرسالة العامة الخاتمة ، بتوحيد الله ، وتقويم العقائد وتهذيب الأخلاق ، وإصلاح حال المجتمع ، وتوثيق عرى الوحدة بين المؤمنين والجهاد في سبيل الحق والعدل ، لحمل لوائها ، وتعليم البشرية من وجوه الحكمة ما لم يكونوا يعلمون . قال تعالى : **( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم أياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون )** .

وشأننا في هذا الاحتفال ، أن نورد عن سيرة النبي العظيم ما فيه أسوة حسنة ، لعلاج ظروفنا الماثلة ، وأحوالنا الراهنة ، ولذلك آثرت أن ألمس في هذه المناسبة لمحة وجيزة عن شجاعته في مقابلة الخطوب والأحداث ، لتكون ضياء نشق به الطريق إلى حقوقنا .

لقد كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ المثل الأعلى في رباطة الجأش ، واستقبال الشدائد بعزم لا يلتوي ، وإقدام لا يعرف الإحجام ، وحذر وحيطة لا يشوبهما غفلة .. كان موقفه في الحرب أقرب موقف من العدو .. يأوي إليه المجاهدون من أصحابه ويحتمون بظله حين يشتد لهب الحرب . يقول علي رضي الله عنه « إنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو » .. وفي غزوة أحد خف المسلمون إلى الهزيمة ، ولكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثبت بمكانه حتى انكفأت عليه كتائب المشركين ، وهو في نفر قليل من أصحابه ، فهشموا البيضة على رأسه ، وجرحوا وجهه الكريم ، وكسروا رباعيته ، وفي القرآن الكريم شاهد صدق على أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ حتى في هذه اللحظة الحرجة ــ كان يعظ المسلمين حين خفوا إلى الهزيمة وعظا بليغا ، ويدعوهم إلى الثبات ، قال تعالى :

( إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في آخراكم ) .

ولما بلغه أن الروم وقبائل من العرب يجمعون جموعهم ، ليزحفوا على المدينة ، نادى بالتهيؤ لغزوهم ، وجد في السير حتى انتهى إلى تبوك ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وأتاه قادتهم طالبين الصلح ، ولما أمن مكرهم صالحهم ، وقفل إلى المدينة راجعا ... وفي هذا العمل تعليم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقادة المسلمين من بعده ، أن يمسكوا بزمام المبادرة ، لصيانة عقيدتهم ، وحماية وطنهم ومقدساتهم ، وأن يكونوا أيقاظا لما وراء بلادهم من مؤامرات ، حتى لا يفجأهم عدوهم ببأسه ونكاله وهم غافلون ..

إن ظروفنا الحاضرة توجب علينا أن نفطن إلى ما يدبر لنا من شرور ، وأن ندرك أن اليهودية والشيوعية والصليبية أبرز جبهات الكفر في التخطيط والتنفيذ لإبادة الاسلام .. لقد اتخذت اليهودية طريق ( العلمانية ) وطريق ( الماسونية ) كاتجاه فكري وثقافي ، يقلل من شأن الدين والقيم الانسانية في نفوس الطبقة الوسطى من المثقفين والشباب ، وفي نفوس الطبقة العليا من السياسيين ورجال الأعمال والفكر .. ولما وجدت أن العلمانية والماسونية لا تكفيان لتحقيق إنشاء ( اسرائيل ) وضعت تفكير ( كارل ماركس ) اليهودي بالنسبة للدين والقومية موضع التنفيذ ، في نظام حكم سياسي واجتماعي ، حتى يكون معولا آخر قويا في هدم الدين يستهدف طبقة العمال والفلاحين ، كي يتخلخل الايمان في نفوسهم ، وبهذا يسير أخطبوط اليهودية العالمية في جميع مستويات المجتمع الانساني .. والصهيونية تستولي على الاتجاه الرأسمالي العلماني عن طريق رأس المال اليهودي ، وتستولي على الاتجاه الماركسي عن طريق رجال العلم والفكر من اليهود ، وهي بذلك تضرب الاسلام مع أي من العسكريين .. والتعاون على ضرب الاسلام والاجهاز عليه في كل مكان ، تعاون وثيق بين الشيوعية واليهودية والصليبية ، وما تظهره وسائل الاعلام من خلافات بينهم ، أكثر ما يكون للتضليل ، وإن وجدت خلافات فهي بعيدة كل البعد عن هذا الهدف الذي هو محل اتفاق وطيد بينهم .

واجب الشباب المسلم أن ينأى بنفسه عن الفكر الدخيل ، الذي يصرفه عن القيم الانسانية العليا ، التي هي قيم الدين والوطن ، وعليه أن يباشر العبادة التي فرضها الاسلام وأن يحولها إلى سلوك عملي ، فان الشباب بهذا يسهم في بناء مجتمع إنساني فاضل قوي ، يتماسك في وجه التبعية للغير ، وضد الذوبان في عالمية تجرده من خصائصه ، وبعده لان يكون موضوعا لاستغلال هذا الثالوث البغيض .

ولتحقيق إقبال الشباب المسلم على الايمان بالله ، ورفض الأفكار الإلحادية ، يجب أن تعنى الجهات الرسمية في المجتمع بالايمان بالدين ، وأن تشجع الدولة كل طريق خاص يؤدي إلى تحقيق هذه العناية ، وأن تعنى الدولة بالبناء الاجتماعي ، وتأسيسه على أسس إسلامية ، تستهدف مواجهة المخططات الصهيونية والشيوعية والصليبية .. وأن يعاد تخطيط الدعوة لمبادئ الاسلام ، حتى تكون في مجال المواجهة للتحديات التي تحاول أن تتركز على الأرض الاسلامية وفي قلوب الشباب المسلم ..

أيها المؤمنون .. إن شجاعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي ذكرنا طرفا منها ، توجب علينا أن نتأسى به في مواجهة التحديات ، وأن نعتصم بإيماننا ، وننأى

بأنفسنا عن التبعية لأي جهة من جهات الكفر ، وأن نقدم أنفسنا وأموالنا وأفكارنا في سبيل صد العدوان على بلادنا ومقدساتنا ، واسترداد ما سلب من تلك البلاد والمقدسات ، وأن نكون أيقاظا ، نفطن للمكائد التي يحيكها الكفر للاضرار بنا ، وأن نستجيب لأوامر الله ، فلا نخدع بحيل الكافرين وأحابيلهم التي ينصبونها لإلباسنا طوق المذلة والهوان ، تحت ستار النفاع عن أمتنا .. إن الاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جهاده يقتضينا أن نهب لتخليص فلسطين الحبيبة والقدس الشريفة من أنياب الصهيونية وألا نيأس من روح الله مهما وضعت في طريقنا العراقيل حتى ترفرف عليهما من جديد راية الاسلام ، ويعود شعبها إليها عزيزا كريما ، في ظل الايمان بالله والعمل بشريعته ، ويقتضينا كذلك أن نناصر المسلمين في أريتريا والفلبين وفي كل مكان ، حتى يتمكنوا من الصمود في وجه الطغاة الظالمين ، وأن نسرع إلى نجدة أفغانستان التي أغار عليها الشيوعيون بدباباتهم وطائراتهم ، يهرسون الأرض ويسوونها بأجساد المسلمين .. إن الجهاد يتعين على جميع المسلمين إذا ديست أرض الاسلام ، وقد قال تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير )** . والاستشهاد في سبيل الله حياة ، قال تعالى : **( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون )** . وبذل الأموال في سبيل الله جهاد يعطي الله عليه الأجر العظيم ، قال الله تعالى : **( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة )** . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا غزا فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا » .. إننا حين ننهض بمعونة المجاهدين وتأمين حياة أسرهم ، إنما نصون وجودنا وحقوقنا وعزتنا وكرامتنا ، فالوجود الاسلامي ، والحق الاسلامي ، والقوة الاسلامية ، والكرامة الاسلامية ، كل لا يتجزأ ، والأخوة الحقيقية محصورة في الايمان بالله ، قال تعالى : **( إنما المؤمنون إخوة )** . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وما من مسلم ينصر مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته . « ومن أذل عند مؤمن فلم ينصره وهو قادر على نصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة » .

أيها المؤمنون .. إن الغزو السوفيتي لأفغانستان المسلمة لهو سرطان خبيث كسرطان اليهود في فلسطين ، وأن لم يواجه من المسلمين في كل مكان بقوة تصده فانه سيمتد إلى بلاد أخرى من بلاد الاسلام .. وعليه فواجب المسلمين الوقوف بكل ما يستطيعون في وجه الغزاة الظالمين ، مستمدين العون من الله ، واثقين من نصره وتأييده ، قال تعالى : **( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين )** .

وبهذه المناسبة الكريمة نتوجه بالتهنئة الخالصة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد وولي عهده وإلى جميع المسلمين في كل مكان ، سائلا المولى الكريم أن ينصرهم على أعدائهم بعونتهم إلى تطبيق الشريعة الاسلامية في جميع مناحي الحياة ، والله الموفق وهو يهدي السبيل ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

# تفسير سورة الصف

الحلقة الاولى

للاستاذ: محمد عزة دروزة

## تعريف بالسورة :

للسورة بعض الخصوصيات الهامة . فهي أولى الآيات نزولا بإيذان الله باظهار الدين الاسلامي على سائر الاديان ، وإحباط كل مسعى مناوىء لذلك . وفيها بشارة عيسى عليه السلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . إن مطلع السورة ومقاطعها الأخيرة مترابطان في موضوع الجهاد في سبيل الله . وبينهما فصلان استطراديان فيهما أقوال لموسى وعيسى عليهما السلام ، وفيهما تدعيم للدعوة النبوية للجهاد والحث عليه وللتنديد بمن يخلفون وعدهم في التضامن فيه . بحيث يقال إنها نزلت مرة واحدة او متتابعة مع التنبيه على أن هناك حديثا سيرد في الشرح يذكر أنها نزلت دفعة واحدة .

وقد روى الزمخشري أن السورة مكية . ويروى هذا أيضا البغوى والطبري عن عطاء ، وهذا عجيب ومثال لاهتمام المفسرين بالروايات اكثر من النص . فحث المؤمنين على الجهاد في السورة والتنديد الشديد بالمقصرين فيه يجعلان احتمال مكيتها مستحيلا . لأن القتال إنما فرض وحرض عليه في العهد المدني وبعد الهجرة . وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأذن للمسلمين في مكة بمقابلة المشركين بأذى على أذاهم . وقد هدأهم القرآن وطلب منهم التسامح في قوله تعالى : ( **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله** ) الجاثية / ١٤ وفي قوله تعالى : ( **ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب** ) النساء / ٧٧ .

وفي السورة آيات قد تكون قرينة على كونها نزلت قبل صلح الحديبية ووقعة خيبر ، وهاتان الوقعتان قد أشير اليهما في سورة الفتح التي يأتي ترتيبها بعد هذه السورة مباشرة في روايات ترتيب نزول السور حيث يكون ذلك قرينة على صحة ترتيبها والله تعالى أعلم .

ولقد ذكر الطبرى أن السورة تسمى بسورة الحواريين وبسورة عيسى عليه السلام ، ولم يذكر سندا .

بسم الله الرحمن الرحيم

**( سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم . (١) يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (٢) كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (٣) ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) ) .**

عبارات الآيات واضحة . والآية الاولى مطلع تمهيدي لما بعدها . والآيتان الثانية والثالثة احتوتا عتابا وتنديدا موجها إلى المسلمين الذين لا ينفذون بالفعل ما يقولونه ويعدون به باللسان ، وتنبيها إلى ما في هذا من موجبات مقت الله الكبير وغضبه . أما الآية الرابعة فقد احتوت على القتال في سبيل الله بعزم وتراص وتضامن وإيذانا بأن الله تعالى يحب الذين يفعلون ذلك . وقد تفهم الآية الرابعة أن التنديد في الايتين السابقتين هو للذين يعدون بالقتال ولا يقاتلون وليس لجميع المؤمنين . وهذا ما روته الروايات كسبب من أسباب النزول .

## روايات نزول الايات :

لقد روى المفسرون روايات عديدة في ذلك . منها أنها في المنافقين الذين وعدوا بالتضامن في القتال فاخلفوا . ومنها في شخص أو أشخاص ادعوا كذبا أنهم قاتلوا وقتلوا بعض الكفار . ومنها أنها في أشخاص سمعوا ثناء الله ورسوله على أهل بدر فنذروا بأن يفعلوا مثلهم فلم يصدقوا . ومنها حديث رواه ابن ابي حاتم عن عبدالله بن سلام جاء فيه ( قعدنا نفر نتذكر في أحب الاعمال لله حتى نفعل فانزل الله السورة فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأها عليهم ) رواه الترمذي عن عبدالله بن سلام مع فارق أن الذي أنزل الله جوابا على أمنيتهم هو الاية الرابعة .

والرواية الاخيرة عجيبة . لانها تجعل نزول الاية الرابعة مقدما على الاية الثانية أو منفردة ، مع أن الملموح بقوة انها نتيجة للآيتين اللتين قبلها .

## تعليق على الآيات :

(١) ان التنديد الشديد في الآيتين الثانية والثالثة يدل ـ كما هو ظاهر ـ على انها في صدد جماعة كانوا يعدون بالجهاد ثم يخلفون . ولقد حكت آيات عديدة في سور أخرى ذلك عن المنافقين . وفي سورة الاحزاب آية صريحة في ذلك وهي **( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا )** الاحزاب ١٥ . ثم تقاعسوا وراوغوا في حرب الخندق التي نزلت هذه الآيات في صددها بحيث يصح الترجيح ان الآيتين فيهم .

(٢) وشدة التنديد في الآيتين تدل على ان الموقف الذي وقفوه ـ وكان سبب

نزولهما ـ كان مثيرا للمقت والسخط . اما بتكرره واما في ظروفه . ولعل الآيات تنطوي على تقرير كون هذا الموقف مما آلم النبي صلى الله عليه وسلم وآذاه . والمتبادر ان الآية التالية للآيات التي تذكر بموقف قوم موسى المؤذية من نبيهم رغم اعترافهم بنبوته ، وتندد بهم ، وتصفهم بالفسق والانحراف والزيغ هي قرينة على ذلك .

(٣) وأسلوب الآيات عام . وتلقينها مستمر المدى لجميع المسلمين في كل ظرف ومكان . ومن شأنها أن تهز النفس هزا شديدا . سواء بايذانها بمحبة الله تعالى للذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص . أم بايذانها بمقت الله تعالى الشديد الكبير للذين يقولون ولا يفعلون ما يقولون .

(٤) وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جدا في الامرين . أي ( التنديد ) بالمتثاقلين عن الجهاد المثبطين منه المخلفين بوعودهم به و( التنويه ) بالذين يقاتلون بصدق وإخلاص حيث يدل هذا على ما اعاره القرآن الكريم من عناية عظمى لهذا الركن العظيم الذي كتب على المسلمين لما فيه من حياطة أمرهم وقوام وجودهم وكرامتهم وأمنهم وسلامتهم وعزة الاسلام وقوته . ولقد جعله الله تعالى عنوانا لصدق ايمان المؤمن قال الله تعالى : ( **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون** ) الحجرات ١٥ . ولقد اعتبر الله تعالى أن كل مسلم متعاقد معه . واشترى منه نفسه وماله بالجنة ليقاتل في سبيله فيقتل او يقتل قال تعالى : ( **إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ) التوبة ١١١ . ولقد أنذر الله تعالى المتثاقلين عن القتال بالعذاب الشديد وإبدالهم بغيرهم قال تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير** ) التوبة ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) وهنا موضع تنبيه مهم جدا في بابه وهو أن الله عز وجل إنما شرع وكتب على المسلمين القتال ضد الكفار الاعداء المعتدين على الاسلام والمسلمين بأية صورة من صور الاعتداء ، وقرر أن لا قتال للكفار المسالمين الموالين ولا سبيل للمسلمين على من يعتزلهم ويلقي اليهم السلم ويكف يده ولسانه عنهم بل وحث على البر بهم والاقساط اليهم . جاء هذا في آيات كثيرة ومناسبات مختلفة وهذه بعضها :

قال تعالى :( **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** ) البقرة ١٩٠ .

٢ ـ ( **الا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم**

**فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا )** النساء ٩٠ .

٣ ـ **( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين )** الممتحنة ٨ .

(٦) وقد تكون جملة **( يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص )** قد عنت أسلوبا من أساليب القتال في ذلك الزمن . ولكن المتبادر أن فيها تلقينا واسع المدى وشاملا بحيث يتناول مقاتلة العدو بكل أسلوب يضمن النصر عليه ، وبكل وسيلة من وحدة القوى المادية والمعنوية وأساليب الحرب المتنوعة ، ومن التضامن التام بين المسلمين في كل ذلك . ومن بذل كل ما يمكن في الاستعداد والأموال ، ومن إظهار كل ما يجب من عزيمة وتصميم دون ترك أي ثغرة في ذلك . وفي القرآن الكريم آيات فيها هذا التوجيه بصراحة منها هذه الآيات :

١ ـ **( وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين )** البقرة ١٩٥ .

٢ ـ **( وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا )** النساء ٧٥ و ٧٦ .

٣ ـ **( ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما )** النساء ١٠٤ .

٤ ـ **( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون )** الانفال ٦٠ .

٥ ـ **( يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع اجر المحسنين )** التوبة ١١٩ و١٢٠ .

٦ ـ **( ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم )** محمد ٣٨ .

(٧) ولقد قال غير واحد من المفسرين ومنهم الطبري والبغوي وابن كثير ان الآيتين الثانية والثالثة عامتا الشمول لكل اخلاف بوعد ، او نكول عن عهد ونذر ، وقول يكذبه الفعل . وقد يكون في هذا وجاهة بسبب الأسلوب المطلق الذي جاءت عليه الآيتان . مع التنبيه على أن الآية الرابعة التي هي منسجمة مع الآيات

السابقة ونتيجة لها ــ كما هو المتبادر ــ تلهم أن الآيتين تهدفان بالدرجة الاولى إلى التنديد بالذين يخلفون بوعدهم بالقتال في سبيل الله والصدق فيه . وقد قال ابن كثير أن الجمهور قد حملوا الآيتين على انهما انزلتا حين تمنوا فرض القتال فلما فرض نكل عنه بعضهم .

ومع ذلك فان القول بالنسبة للاطلاق في الآيتين يظل يحتفظ بوجاهته البديهية من حيث استحقاق الذين يكذبون في اقوالهم ولا ينفذون وعودهم ويخلفون فيها للتنديد الرباني المنطوي في الآيتين . فالقرآن قد حظر الكذب والنكث بالعهد والاخلاف بالوعد ولعن الكاذبين وندد بالناكثين والمخالفين في آيات كثيرة مكية ومدنية تغني كثرتها عن التمثيل . والاحاديث النبوية المتساوقة مع ذلك كثيرة . منها حديث رائع جامع رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة . وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب . فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند ربه كذابا ) . وهناك حديثان مهمان رواهما الاربعة ايضا . واحد رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( آية المنافق ثلاث . اذا حدث كذب واذا وعد اخلف . واذا أؤتمن خان ) وواحد رواه عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( اربع من كن فيه كان منافقا خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها . اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف . واذا خاصم فجر ، حيث يفيد الحديثان أن الاخلاق التي نددت الآيتان بها وقررت استحقاق صاحبها لمقت الله الشديد هي صفات المنافقين دون المؤمنين الصادقين المخلصين .

لقد كانت الدعوة الى الجهاد ضد الاعداء المعتدين والحركة التي انبثقت عن ذلك قد شغلت حيزا عظيما من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهده في العهد المدني وفي القرآن المدني . ولقد حكت آيات عديدة سبق نزولها سورة الصف المواقف المثبطة المتثاقلة لبعض المسلمين وبخاصة المنافقين من الدعوة إلى القتال في سبيل الله مما كان يثير في نفس النبي صلى الله عليه وسلم مرارة شديدة وقد حملت الآيات عليهم حملات شديدة قارعة . فالمتبادر أن الموقف الذي حكته الاية الثانية ونددت به الاية الثالثة موقف جديد اثار المرارة من جديد في نفس النبي صلى الله عليه وسلم فاقتضت حكمة التنزيل مقابلته بما جاء في الآيتين ثم بما جاء بعد الايات الاربع من آيات استطرادية فيها حكاية لأقوال موسى وعيسى عليهما السلام . وايذان باظهار دين الله على الدين كله رغم أنوف الكفار والمشركين لتدعيم الموقف النبوي في الدعوة الى الجهاد والتنديد بالمتثاقلين عنه ، المخلفين بوعودهم بالصدق فيه . ثم للتأكيد بأن الله ناصر دينه ومؤيد كلمته . ومحيط جهد الكفار والمشركين في محاولتهم إطفاء نور الله .

# آيات الإعجاز في الهجرة النبوية الشريفة

للأستاذ/عبدالحفيظ فرغلي على القرني

يرجع الناس عادة الأحداث الجارية في الحياة الى الأسباب والمسببات ، ويربطون بين الأمور بروابط مادية تقوم على المقدمات والنتائج ، وهم في ذلك يغفلون في كثير من الأحيان عن تصاريف الأقدار التي يقف العقل أمامها عاجزا لا يقدر على التفكير ولا يستطيع التدبير ، كما يغفلون أحيانا عن ألطاف الله الخفية التي تصاحب الأقدار فتخفف من وقعها وتعين على تحملها ، وتلفت أنظار الناس الى رحمة الله الواسعة وفضله الغامر وحكمته العظيمة ونعمته الوفيرة ، حتى قال الحكيم الصوفي ابن عطاء الله السكندري رحمه الله : من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره .

وبذلك المقياس المادي حاول كثير من المؤرخين أن يقيسوا خطوات الهجرة الشريفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، على اعتبار أنها تمت على أساس من الترتيب العقلي والتخطيط السياسي البارع الذي يدل على عبقرية فريدة وبعد في النظر جديرين بتلك الشخصية الفذة شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهم في ذلك يحاولون أن يجعلوا شخصية الرسول كغيره من البشر إلا أن الله اختصه من بينهم بالعقل المستنير والقدرة على التصرف السليم في الوقت المناسب وبالصورة المناسبة ، فما يصدر منه من تصرفات لا ينبغي أن يكون لجوانب أخرى غير منظورة دخل فيه ، وهذا في نظرهم هو قمة الكمال البشري .

**الرسول بشر يوحى اليه :**

والرسول صلى الله عليه وسلم بشر لا شك في ذلك ( **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى** ) فصلت/٦ . ولكن هذا الوحى هو الميزة الكبرى التي اختص بها نبيه وأمدته بصلاحيات خاصة رفعته فوق سائر البشر ، فجعلته يرى الملائكة ويكلمهم ويسمع منهم ويتلقى منهم الوحى ، فهو بذلك متفرد بصفة متميزة لا يشركه فيها سوى إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين اجتباهم الله واصطفاهم ، بل هو نفسه تفرد بصفة أخرى لم يشركه فيها إخوانه من الأنبياء والمرسلين وفضلته عليهم فقد أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السموات العلا حيث اخترق بجسده الشريف عوالم وحجبا ليس في مقدور غيره من البشر أن يخترقها .

أجل ، لقد أنعم الله على النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة العقل الكبرى التي تجلت في مقدرته أن يسع أفكار الناس جميعا ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ولكن العناية الالهية لم تتخل عنه الى جانب ذلك في أي لحظة من لحظات حياته وكان يدعو الله دائما أن لا يكله الى نفسه طرفة عين .

**الهجرة والعناية الالهية :**

وفي حادث الهجرة صاحبته هذه العناية ، فأمدته بخوارق كثيرة وقفت أمامها عقول الكفار من قريش ذاهلة مشدوهة ، وليس في ذلك طعن في مقدرة النبي صلى الله عليه وسلم على التصرف السليم والتخطيط البارع الحكيم ، ولكنه تحقيق لمعنى قول القائل :

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ولابد للاعجاز أن يتدخلَ في تحركات النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة بالذات ــ وقد كان مصاحبا له في جميع حياته ــ حيث جمعت قريش كل كيد لها ، وأحاطت جموعها به من كل جانب ، وتكشف حقد الكفار على أشده حتى استشرى الخطر واستفحل الشر ، ومن وراء ذلك الشيطان ينفث سمومه ، ويوسوس لأعداء الله كيف يتخلصون من محمد ودعوته ، ويرسم لهم الطريق ويشترك معهم في المؤامرة ..

أجل ، لا ينافي الاعجاز الذي أحاط بالنبي صلى الله عليه وسلم في هجرته كما له البشرى وقدرته العقلية وبراعته في قياس الأمور وتقدير الأحوال والظروف ، بل الكمال كل الكمال أن يوهب النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك ويمنح إلى جانبه العناية التي تحبط كل كيد وتتحدى كل شر لا يقع في مقدور البشر توقعه أو صده .

فلم يدخر النبي صلى الله عليه وسلم وسعا في الاعداد للهجرة والتخطيط لها ، فجعل أصحابه يسبقونه إلى المدينة زرافات ووحدانا بعد أن مهد للاسلام فيها ووطد أركانه بين جوانبها ، وأثار شوق أهلها للقاء إخوانهم المهاجرين ومقاسمتهم أموالهم وديارهم وإيثارهم على أنفسهم في ذلك حتى نزل فيهم قوله تعالى : **( والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون )** الحشر/ ٩ . واستبقى صديقه أبا بكر وأمره أن يعد الرواحل والدليل والعيون التي ترقب الطريق وتأتي بالأخبار وتحمل الزاد وتعفى على الآثار ، والفدائي الذي ينام على الفراش فيعمى الطلب ويؤخره حتى يبلغ الركب مأمنه ، إلى غير ذلك مما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من إعداد يشهد بدقة التفكير ، وقوة الملاحظة وبعد النظر والتعرض لكافة الاحتمالات .

وبذلك ترتفع هذه الشخصية الفريدة في نظر المفكرين المحدثين إلى القمة الشامخة التي تتطامن دونها

القمم ، وتتخاذل دونها الهمم ، وهذا عند هؤلاء يكفي لأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قوة لها خطرها وشأنها بغض النظر عما يورده رواة السيرة وكتاب التاريخ من معجزات خارقة صاحبت موكب الهجرة من مبدئه إلى منتهاه .

## الاعجاز لا يعارض التفوق البشرى

وليس هناك غضاضة في أن ترقب السماء خطوات النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى يثرب ، وهو الذي بعثه الله بالحق ليوطد الدين الذي لا يرضى الله بغيره من الناس ( **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ) آل عمران/ ٨٥ ، وبخاصة بين قوم لا يريدون الاعتراف بغير الخوارق والمعجزات ( **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا** ) الاسراء/ ٩٠ ــ ٩٣ .

ولئن كان القرآن الكريم أراد أن يرد الناس إلى صوابهم ، ويطلب منهم أن يحكموا العقل في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا بها لأنها هى دعوة الفطرة ورسالة النور ووسيلة السعادة في الدنيا والآخرة ، وطلب من النبى أن يوضح لهم أنه بشر كغيره من البشر ، فان ذلك لا يجافي أن يكون للرسول معجزاته التي تؤيد الحق الذي جاء به ، فهذا وحده ــ في أغلب الأحيان ــ الذي يبهر العقول ويذل الجبابرة ويكبح جماح المعارضين ويزيل شبهة المتشككين ، ويقضي على تردد المترددين وصلف المعاندين .

يروى لنا الثقات أن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبته معجزاته الشريفة في الهجرة كما صاحبته في غيرها فالاسراء والمعراج وانشقاق القمر وغيرها معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم ، جاء في سيرة ابن هشام : لما نزلت آية ( **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين** ) الحجر/ ٩٤ ، ٩٥ . أتى جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمشركون يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات به ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وليس بشيء فانتقض به فقتله ، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فألقاه على شبرقة ( نبات ذى شوك ) فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ، ومر به الحارث ابن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فمات . وهؤلاء هم

رأس الكفر والشقاق المستهزئــون بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك ما رواه ابن هشـــام أيضا : كان ركانة بن عبديزيد بن هشام بن المطلب أشد قريش ، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله : يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما دعوتك إليه ؟ فقال : لو أعلم أن الذى تقول حق لأتبعتك . فقال الرســـول صلى الله عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال نعم . فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين . قال ركانة : يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعنى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأعجب من ذلك أن أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينــى . قال ركانة : فادعها ، فدعاها فأقبلت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فقال لها : ارجعى إلى مكانك فرجعت إلى مكانها .

وليس هذا غريبا فالقرآن الكريم ــ وهو أصدق الحديث ــ يقص علينا أن الملائكة نزلــت تقاتــل في صفـــوف المسلمين في بدر وفي حنين ، وليس هذا إلا الاعجاز الذي لا يكون لغير نبى أيده الله بالحق ونصره بجنود لا يراها الناس ، ففي غزوة بدر يقول الحق جل وعلا : ( **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ومـــا النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم . إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجــز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحـــى ربــك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذيــن أمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعــب فاضربــوا فوق الأعنـــاق واضربــوا منهـــم كل بنـــان** ) الأنفال/ ٩ ــ ١٢ .

وفي غزوة حنين يقول : ( **لقــد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروهـــا وعذب الذين كفــروا وذلك جزاء الكافرين** ) التوبة/ ٢٥ ، ٢٦ .

ولا شك أن نزول الجنـــود من الملائكة ليحاربوا مع المسلمين أمر خارق للعــادة لا ينــافي استعـداد المسلمين للمعركة ، وحسن إعــداد النبي صلى الله عليه وسلم لها ومهارة قيادته فيها ، يقول الأستاذ سعيد حوى في كتابه « الرسول صلى الله عليه وسلم » : « عندما تدرس حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تجدك دائما أمام حادث تشعر فيه أنك أمام قدرة الله المباشرة التي لا دخل لعالم الأسباب فيها ، ولا تستطيع أبدا أن تجد تعليلا لما تراه ، أو نقل إليك نقلا صحيحا ، إلا أن الله جلت حكمته يجرى على يد هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ما تقوم به الحجة على الكافر ، ويزداد به المؤمن يقينا ،

ويخرج به الشاك من شكه » وهذا هو سر المعجزة .

ولنقف أمام هذه الآيات المعجزة التي صاحبت الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته لندرك من ورائها إحاطة الله له وعنايته به وحفظه له ، ولندرك من وراء ذلك معنى هذه الآية المباركة ( **واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا** ) الطور/٤٨ .

## معجزات صاحبت الهجرة :

جاء في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي محمد عبدالملك بن هشام . قال ابن اسحاق راويا عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى : « لما اجتمع المشركون ، وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على باب النبي صلى الله عليه وسلم : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو الآيات من أول سورة يس حتى قوله تعالى : ( **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ) يس/٩ . ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته .. » .

واقتفى القوم أثره حتى وجدوا الأثر ينقطع عند غار ثور ، وهموا أن يدخلوه ليجدوا النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بداخله . ولكن المعجزة الالهية أبت أن تترك هؤلاء الكفار ينفذون عزمهم فقد نسج العنكبوت خيوطه على باب الغار ، وبنت حمامة عشها على بابه لتبيض فيه ، فتطلع القوم الى هذا النسيج والى هذا العش ، وألقى الله في روعهم أن نسيج العنكبوت أقدم من ميلاد محمد ، ولو أن أحدا ساورته نفسه أن يقتحم الغار لتحول هذا النسيج الواهن الى حراب طاعنة ، فما كان الله ليخلي بين هؤلاء الحاقدين وبين رسوله الأمين الذي بعثه الله ليبشر بدينه وينشره في الآفاق ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ويظل الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام حتى يسكن الطلب ، ثم يمضي سالكا ـ حسب التخطيط السليم ـ طريقا غير مطروق ، وهنا تظهر معجزة أخرى يؤيد الله بها نبيه ويؤنسه بها في رحلته الشاقة ، فقد مر الركب الميمون في طريقه الى المدينة بخيمة أم معبد ، وهي عاتكة بنت خالد من خزاعة ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم منها لبنا أو لحما يشترونه فلم يجدوا

عندها شيئا ، فنظر الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم : هل بها من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك ، فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ فقالت : بأبي أنت وامي إن رأيت أن بها حلبا فاحلبها ، فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فدرت واجترت ، ودعا باناء يشبع الرهط فحلب فيه حتى ملأه وسقى القوم حتى رووا ثم شرب أخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل ، ثم غادره عندها .

وذهبوا فجاء أبو معبد فلما رأى اللبن قال : ما هذا يا أم معبد ؟ أني لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوبة بالبيت ؟ فقالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك ، فقال : صفيه فوصفته له فقال : هذا والله صاحب قريش ولقد هممت ان اصحبه ولأفعلن ان وجدت سبيلا .. قال ابن الاثير في أسد الغابة : وأسلم وشهد الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد فيه .

ومن تمام هذه المعجزة أن أصبح أهل مكة يسمعون صوتا عاليا ولا يرون صاحبه يصيح قائلا :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به
فقد فاز من أمسى رفيق محمد

ولم يزد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قريشا الا إمعانا في الكيد وإجماعا على الشر فتواضعوا على أن يجعلوا مائة ناقة لمن يستطيع أن يرده اليهم .

حدث سراقة بن مالك بن جعشم قائلا : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن يرده عليهم . قال : فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتي وقف علينا فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا ، إني لأراهم محمدا وأصحابه . قال : فأومأت اليه بعيني أن اسكت ، ثم قلت : إنهم بنوفلان يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله ثم سكت .

قال : ثم إني مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسى فقيد لي الى بطن الوادي وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي ثم اخذت قداحى التي أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره ، قال : وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة ناقة ، قال : فركبت على أثره فبينا فرسى يشتد بي عثر بي فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره ، قال : فأبيت الا أن اتبعه فركبت في أثره فبينا فرسى يشتد بي عثر بي فسقطت عنه فقلت ما هذا ؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره ، قال : فأبيت الا أن أتبعه فركبت في أثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض وسقطت

عنه ، ثم انتزع يديــه من الأرض وتبعها دخان كالاعصار . قال فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر .

قال : فناديت القوم فقلت : أنا سراقة ابن جعشم انظروني اكلمكم فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له وما تبتغي منا ؟ فقال لي ذلك أبو بكر ، فقلت تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك ، قال : اكتب له يا أبا بكر ، فكتب لي كتابا في عظم أو في رقعة ، ثم ألقاه إلى فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت فسكت فلم أذكر شيئا مما كان . حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة ، قال : فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ماذا تريد ؟

قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأني أنظر الى ساقه في غرزه كأنها جمارة ، فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقة بن جعشم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم وفاء وبر ، ادنه ، قال فدنوت منه فأسلمت ، ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملأتها لابلي ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : نعم ، في كل ذات كبد حرى أجر . قال : ثم رجعت الى قومي ، فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي .

هذه بعض معجـزات صاحبـت النبي صلى الله عليه وسلم في رحلته تلك التي فرق الله بها بين الحـق والباطل ، وكانت إيذانا لظهور هذا الدين الذي عم نوره الأفاق وتطهرت به الدنيا من أرجاسها ، وللمسلمين في رسولهم الكريم الذي تحدى جحافل الكفر والنفاق فقضى على باطلهـم بعزمه الوقاد أسوة حسنة ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا )** الأحزاب / ٢١ .

# اللغة العربية والدعوة الإسلامية

— ١ —

في اختيار الله تعالى للغة العرب لسانا لوحيه ، ووعاء لكتابه ، إشارة واضحة لمن يتدبرون حكمة السماء ، إلى أن هذه اللغة ، أقوم لغات البشر جميعا ، وأنها أصلحها للحياة والبقاء ، وأنها أقدرها على حمل الدعوة ، وعلى نشرها في كل زمان ومكان .

وبهذا الاختيار ، وهذا التدبير الالهي الحكيم ، أصبح الارتباط بين الدعوة الاسلامية واللغة العربية ، ارتباطا عضويا ، لا يقبل الانفصال بحال ، وارتباطا أبديا ، لا تقترب منه عوادي الزمن ، إذ كان القرآن الكريم هو النبع الأعظم لهذه الدعوة ، وكانت هذه اللغة هي وعاءه ، وقد حفظ الله هذا الكتاب كما جاء في قوله تعالى : **( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )** الحجر/٩ فهذه اللغة باقية ما بقى الكتاب .

وعلى أن هذه القضايا السالفة ـ أعني قضايا أن هذه اللغة أقوم اللغات ، وأنها أصلحها للحياة ، وأنها أقدرها على حمل الدعوة ونشرها ـ توشك أن تكون بدهيات مسلمة في شرعة العقل المفكر ، فان من الخير أن نطوف بها بعض الشيء ، لنزيدها كشفا وإيضاحا ، والله المستعان الموفق .

— ٢ —

واذا كانت اللغة صورة حية للناطقين بها ، وللبيئة التي عاشت فيها ، فقد هيأ الله لهذه اللغة ما لم يهيئ للغة أخرى .. اختار لها قوما من البشر ، لهم تكوين خاص في

للدكتور : محمد نايل

الطبـــاع والأخـــلاق والحس ، في أخلاقهم القوة والبأس ، وفي طباعهم نقـاء الفطـرة ودقـة الحس ، وفي سلوكهم المروءة والنجدة ، والوفـاء الملتزم ، ثم أسكنهم أرضا منيعـة فسيحة ، يتوسطهـا حرم مقـدس آمن ، ثم أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، ثم ألقى في قلوبهم حب هذه اللغة ، يتسابقون في الاجادة فيها ، وفي المفاخرة بحسن الابانة بهـا ، والتأنق في ألفاظهـا وأساليبهـا ، فشهدت طورا من التهذيب وعلو القدر في الأداء ، كان إرهاصا لأن ينزل بها الكتاب المعجز ، آخر كتب السماء إلى الأرض ، فكانت خير اللغات للتعبير عن هذا الكتاب المعجز ، وعما يحمل من دعوة إلى البشر ، وكان أهلها أصلح الناس لفهـم هذا الوحـي المعجز ، ولحمل هذه الرسالة الخطيرة إلى الدنيا .

ففي هذه اللغة من الخصائص ما لا يتسع المجال لتفصيله هنا ، وما لا يكاد يوجد أقله في لغة أخرى ، إنها لغة تعتمد على الايجاز ، حتى يصل إلى الاشـــارة ، وعلى التصرف في التراكيب بما يغني عن العبارة ، فهي تحمل الكلمة أحيانا ألوانا من المعاني تقوم مقام القصة ، ثم تحملها من الطاقات الدالة على أنحاء شتى ... بل إنها تصنع هذا الصنيع بالحرف وحده أيضا .. انظر إلى هذا البيت :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا
ثم القفول .. فقد جئنا خراسانا

كم من المعاني والعبارات قد طوى في الشطر الثاني من البيت ، وقام الحرفان ( ثم والفاء ) بحق التعبير عنها ، أبين ما يكون التعبير .. كم يحمل البيت من معانـــي الضجـر والضيق ، ثم اللوم على خلف الوعد ، وتبديد الوقت ، والحرمان من العودة إلى الأهل والوطن .. كل ذلك وأكثر منه مطوى في الـكلام ، دل عليـه الحرفان ..

ثم إذا لقيك إنسان لم يعرف من أي جنس أنت ، كان التعبير الطبيعي لهذا الموقف الطبيعي أن تقول له — أنا عربي ، فيجيء ترتيب الجملـة عاديا ، المبتدأ أولا ثم الخبر .. فاذا اختلف ظنه فيك ، فحسبك ألمانيا أو فرنسيا ، كان عليـك أن ترده إلى الحقيقة ، بمخالفة الترتيب في الجملة فقط ، فتقول — عربي أنا . فأنت لم تزد في الجملة شيئا ، ولم تجابهه بعبارة تصرح بخطئه في الظن ورده إلى الصواب .. إنما خالفت له ترتيب الجملة ، فقدمـت الخبـر وأخـرت المبتدأ ، فكان اختلاف هذا الترتيب موحيا باختلاف ظنه ، ورادا له إلى الصواب .. اختلاف يرده اختلاف . هذا اللون من التصرف العجيب في وحي هذه اللغة ليس له مثيل في لغة أخرى على الاطلاق .. إن أية لغة أخرى ، لا تملك في مثل هذا الموقف الا أن تؤدي المعنى بأكثر من عبارة ، فيقول قائلها — لست ألمانيا كمـا ظننت ، أنا عربي .

وما أعرف لغة كالعربية ، تزيد المعنى بانقاص اللفظ ، حين تعمد إلى الحذف ، أو تعبر بالحركة والسكون عن معنى تطويه في الكلام ، وللتنكير في أسرار الكلام باع معروف ..

ثم نقف عند كلمة ( راود ) في قوله تعالى : **( وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب )** يوسف/٢٣ .. فيأخذنا العجب من دلالات الكلمة ـ وهي كلمة ـ على المعاني المنوعة ، فهي تدل بمعناها القاموسي على الحركة المتوالية في قلق واضطراب ، ثم تدل بنبراتها الصوتية على الرفق والحيلة في الحركة .. وأخيرا تصور قصة كاملة ومشهدا مثيرا في دار العزيز ، ثم يجيء تضعيف اللام في ( غلقت ) مصورا لمبلغ الحذر والخوف وشدة الاحتياط في إخفاء المشهد ..

ـ ٣ ـ

لمثل هذه الخصائص التي يعرفها الفاقهون ، اختيرت هذه اللغة للوحي ، وبمثل هذه الخصائص ، اتسعت لتلقى طاقات الاعجاز ، وللنهوض بما حمل من إبداع وسحر ..

ولا يقعن في الوهم ، أن القرآن الكريم أحدث جديدا في تراكيب هذه اللغة وقوانينها ، مما اصطلح عليه أصحابها ، أو أحدث من ألفاظها ما لم ينطقوا به أو يعرفوه . لم يحدث من ذلك شيء ، إنما اتجه القرآن إلى أساليبهم وألفاظهم فنظمها على حال لم تبلغها قدرتهم ، فأصبحوا منها على صورة من يعرف ويجهل في آن ، وهذا هو الاعجاز .

وإن طرائق التعبير والتصوير في هذه اللغة تتفاوت إلى درجات كثيرة ، بين العلو والهبوط ، والاجادة والتقصير ، حتى ترى البيت من الشعر ، يفوق قصيدة كاملة ، والجملة من النثر ، تعلو على صفحة منه ، وترى الشاعر تواتيه القريحة لحظة ، فيأتي بالعبارة أو الصورة ، لا يحسن أن يقول مثلها ثانية ، ولا يستطيع غيره أن يلحقه فيها ، فتصبح من الشوارد الآبدة ، كأوابد امرىء القيس وعنترة ..

هذه النوادر الشاردة ، التي تند عن بعضهم فلتة ، وفي لحظة قد لا تتكرر العمر كله ، مع شدة تمكنهم من القول ، وافتنانهم في مسارحه وأنماطه ، هي التي ارتقى بها القرآن الكريم إلى نمط جاء أعلى من مستواهم وطاقاتهم ..

وهنا يصح أن نتوقف لحظة ، لنتأمل جملة واحدة من آية في كتاب الله ـ في قوله تعالى في سورة يوسف ـ **( فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا )** الآية ٨٠ نرى الكلمات ترسم مشهدا كاملا ، وموقفا عنيفا لأخوة يوسف ، ترسم صورته المرئية ، وأعماقه الخفية ، في وقت واحد .. والجملة هي الجملة ، وقانون التركيب هو القانون . لكن النظم الكريم ، أصاب بها أغراضا لا يرقى اليها ـ بمثل هذه الجملة ـ ناطق من البشر ..

السين والتاء حرفان معروفان عند العربي ، يدلان على الطلب ، لكنهما هنا في ( استيأسوا ) أفادا — مع الطلب — معاني جمة وعجيبة ، تستخفي وراء هذا الطلب الغريب ، طلب اليأس ..

كأن إخوة يوسف — في محاولتهم إنقاذ بنيامين من قبضته — كانوا قد نحوا اليأس عنهم تنحية جازمة ، وأبعدوه عن دائرة تفكيرهم إبعادا ، وكأن الأمل في إنقاذه كان هو الهدف الذي لا محيد عنه ، ولكنهم حين بلغت حيلهم ومعانيرهم كل مبلغ ، وسد عليهم يوسف كل باب طرقوه ، وغرقوا في لجة من الضيق والاضطراب النفسي ، وأظلم الموقف عليهم من كل جوانبه ، لم يبق أمامهم شيء ينقذهم من هذا الموقف ، ويخلصهم مما يعانون ، الا اليأس الذي غاب عنهم حين نحوه أول الأمر .

هذه المعاني الفطرية الخفية ، التي تموج بها النفوس في مثل هذا الموقف الحرج ، قد طواها النظم الكريم من الكلام طيا ، وترك أمرها إلى السين والتاء ، تلوحان بها أي تلويح ، وتنمان عنها في إيحاء بين .. ثم تأتي بعد ذلك كلمة ( خلصوا ) لتعبر عن خلاصهم من المأزق ، ولتصور اليأس وقد انتزعهم منه ، انتزاع الشيء من الشيء ، قد كان مختلطا به ، مغمورا فيه .. أما كلمة ( نجيا ) فتعطى صورة أخرى للضعف الانساني ، حين يصاب بالفشل في أمر ، أن إخوة يوسف خرجوا بعد هذا الفشل يتهامسون بأصوات خافتة ، تعبر عن الضعف والخوف معا ، يتسارون في خجل — ماذا يقولون لأبيهم ... إنها الصدمة الثانية لهذا الشيخ الكبير ، تأتي بعد الصدمة الأولى في يوسف .. فكيف يصدقهم في هذه بعد الذي رابه في تلك ..؟ وكيف ينجون منه ومن غضبه .. إن هذه الكلمة لترمي إلى هذين المعنيين معا — النجوى والنجاة ، فمادة « نجا » تأتي لهما بوضعها اللغوي ، وهذه إحدى خصائص النظم القرآني ، إذ يطوع اللفظ الواحد لآداء أكثر من معنى في آن واحد ، ما دام يتسع لذلك في استعماله اللغوي .

أرأيت إلى كلمات ثلاث ، في جزء من آية ، كيف رمت إلى آفاق بعيدة ، ورسمت مشهدا كاملا ، تعددت فيه الصور والملامح ، بين مرئي وخفي .. وهكذا القرآن كله لمن يتذوقه ويتأمله في أناة وروية .

هذا البيان الواسع بالكلمات القليلة ، وهذا التصرف العجيب في النظم الكريم ، هو واحد من الأسرار الكثيرة في إعجازه .

ومع أننا لسنا في معرض البحث عن أسرار الاعجاز ، لا نرى بأسا أن نطيف بجانب ثان من جوانبه .. جانب التركيب الصوتي في نبرات الحروف والحركات في أسلوب القرآن ، مما جعل له تلك الحلاوة والعذوبة الآسرة ، وهو جانب لم يأخذ حظه من الدراسة بعد . لقد بدأه أسلافنا الأوائل في « فن التجويد »

كأصول وقواعد لاتقان التلاوة والترتيل ، أما البحث عن الأسرار التي أورثته هذه الحلاوة ، وبذل المحاولة لاستخلاص بعض القواعد والأصول التي جعلته في هذا النسق المثير ، فذلك ميدان لم يفتح بعد ..

إن أرقى ما وصل إليه الجهد البشري في تنسيق الأسلوب ، وفي ضبط الايقاع الصوتي فيه ، على مستوى جميع اللغات الحية ، إنما هو الشعر في أوزانه وضوابطه ، ومع ذلك فشتان ما بين القرآن وهذا الشعر .. وهيهات أن يدنو بأوزانه وإيقاعه من ذلك السلسل العذب ، إن موازين الشعر ـ على حسنها وسلامة ضبطها ـ لم تلتفت الا لنظام الحركات والسكون فحسب ، أما ما وراء ذلك ، من التلاؤم بين الحركات والسكون ، وبين ما وقعت عليه من الحروف ، مما يمنحها التجانس والتجاوب في النطق ، فذلك ما ند عن علماء الأوزان ، حتى ترى الكثير من الشعر يرهق اللسان وينبو به الذوق ، مع مجيئه على قوانين الوزن . ولقد حاولت « البلاغة » أن تطرق هذا الباب في بحث ( التنافر ) ولكنها وقفت على الأعتاب ، ولم تستطع أن تفعل شيئا أكثر من سوق المثل والشاهد .. أما محاولة الوصول إلى قانون في ذلك فلا ..

أما النظم القرآني فقد ضرب بأوزان الشعر كلها عرض الحائط ، وكسر كل ما اصطلح عليه الناس من قواعد وضعوها في ضبط الأوزان ، وفي تهذيب الأساليب .. قالوا إن توالى الحركات في الكلام يصيبه بالثقل ، ثم حظروا على الشعر أن تتوالى فيه أكثر من أربع حركات ، فجاء القرآن بالحركات المتوالية ما بين ست حركات وتسع ، وكلها بالفتح .. فاذا تلونا قوله تعالى في سورة النازعات ( آية ٢٣ ) : ( **فحشر فنادى** ) أو قوله : ( **ثم عبس وبسر** ) المدثر/٢٢ وجدنا اللسان يسرع بها في خفة كأنها حركة واحدة ، لا ست ولا تسع ...

هذا الانسياب الرشيق في أسلوب القرآن ، جاءه من التأليف الدقيق بين طبيعة الحروف وما يليق بها من الحركة أو السكون ، في الكلمة والكلمات على سواء ، مما غفل عنه صانعو الأوزان الشعرية ، على أنهم لو فطنوا اليه لأصابهم العجز عنه ،فليس في طاقة أحد من البشر أن يتحرى ذلك ، كلما قال شعرا أو كتب نثرا ، انما ذلك من عمل من لا يعجزه شيء ، جلت قدرته ..

ـ ٤ ـ

وهذا الحديث القصير القاصر عما في القرآن من إعجاز ، وما به من حلاوة وطلاوة ، إنما يشدنا إلى حديث آخر ، لعله أهم ما نهدف إليه في هذا البحث الموجز ، عن علاقة اللغة العربية بالدعوة الاسلامية .

وهنا أطرح سؤالا هاما ـ أيستطيع داعية ما ، بالغة قدرته ما بلغت ، وبأي لسان ، عربي أو غير عربي ، أن ينقل إلى قلوب الناس

وأرواحهم حلاوة القرآن وتأثيره حين يتلى ..؟

أظن أن الجواب واضح ...هو على القطع – لا .. وإلا لحاول العرب – وهم أصحاب اللغة وأرباب البيان واللسن – أن يجاروه أو يحاكوه .. لقد بهروا به وخشعوا له جميعا، سواء المؤمن منهم والجاحد .. بل إن تأثيره على الجاحدين كان عجبا – فمنهم من سجد لبلاغته، ومنهم من جهر معترفا بحلاوته، ومنهم من كان يتسلل في جنح الليل خفية ليستمع إليه ... فقد لوى أعناقهم وهز أعطافهم على كره منهم ..

إن جميع اللغات الحية، بما فيها العربية، وهي أرقاها وأدقها بيانا وتعبيرا، بما لها من خصائص ألمنا بشيء منها فيما سبق .. وان جميع الناطقين بهذه اللغات، مهما أوتوا من قدرة في البيان .. الجميع سواء في العجز عن النهوض بالدعوة بوجهها المشرق، كما نهض بها القرآن .. حتى إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وهو أفصح الناس وأبينهم، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، لم يكن يلجأ في دعوته الا الى الآية والآيات يتلوها، فتعمل عملها في غزو القلوب والمشاعر ..

وإذا كانت اللغات جميعها، وكل الناطقين بها، سواء في هذا العجز، فان العربية أقربها رحما بهذا القرآن ودعوته، إذ هي اللغة الرسمية التي اصطفاها رب العزة لهذه المهمة، وهيأ لها أسباب القدرة على أدائها، في حدود الطاقة البشرية.

أريد أن أخرج من هذا الحديث الموجز الى أمرين هامين، ينبغي أن يكونا في موضع العناية والدرس – أولهما: أن يكون للدعاة أسوة في رسول الله، فيكون القرآن زادهم وسلاحهم في الدعوة، فلا يكثرون على الناس في الخطب والمواعظ بأسلوبهم الخاص، فان قليل القرآن أجدى وأقوى في فتح القلوب، وهز المشاعر .. وإن أقوى الدعاة وأشدهم تأثيرا – كما هو مجرب ومشاهد – من كان القرآن ثروته، ينفق منه القدر المناسب في الموقف المناسب ..

وثانيهما: أن نعطي هذه اللغة جهدا غير عادي، فهي لسان هذا الدين، وهي السبيل الأول والأخير لفهم كتاب الله، وكشف ما فيه من أسرار وحكمة، ومن أنظمة وتشريع، وتربية وهداية ..

إن تعلم العربية وتعليمها، أصبح جزءا من هذا الدين، هو فرض كما يرى الشافعي وابن تيمية .. بل إن نشرها خارج حدودها، يوشك أن يكون واجبا حتما، إن أهل اللغات الأجنبية الحية يعملون على نشرها بكل سبيل، إعلانا عن حضارتهم وثقافتهم، فنشر لغتنا إعلانا عن ديننا ثم حضارتنا أحق وأوجب، لم لاننشئ المدارس والمعاهد في عواصم العالم ومدنه، ليعرف العالم هذا الدين من مصادره، فنسد الطريق على المزيفين والمغرضين من أعدائنا، بما يترجمون ويحرفون .. والحمد لله أصبح لدينا من الثروات المادية

والبشرية ما ينهض بذلك وأكثر منه ..

نعم ، تستطيع اللغات الأجنبية أن تتسع لترجمة أصول الاسلام ومبادئه وتشريعه ، ومن حق غير المسلمين ، أن نمدهم بهذه المبادئ بلغاتهم ، وهذا واجبنا ، ولكن أين تذهب هذه الترجمة وأين تقع مما نريد !!.. إن لهذا الدين روحا ، وله رسوما ، والترجمة تنقل الرسوم وتعيا بنقل الروح ، لهذا منع أسلافنا ترجمة القرآن الى لغة أخرى ، ليدفعوا من أسلم من غير العرب أن يتعرب ، ليأخذ الدين من مصدره .. من لغته التي وعته ، وليتصل بالقرآن مباشرة ، حتى يجد حلاوته وحلاوة الايمان في قلبه ، إن المسلم الذي لا يتلو القرآن ولا يتأمله هو في الواقع مسلم فقط ، لم يعمر الايمان قلبه بعد ، وذلك واضح في سلوك المسلمين اليوم عامة وهو أمر مزعج يقض مضجع الذين يتفقدون حال الأمة بوعي ..

فان تقصيرنا في حق القرآن اليوم شنيع ، قد أحالنا إلى مسلمين شكلا وصورة فقط ، وهذا هو سر البلاء الذي نعانيه الآن . إننا نقصر في حفظه وفهمه معا ، بينما هذا الحفظ والفهم هو لب الاسلام ، هو حياته وروحه ، هو السبيل الفرد الى الايمان ، وإلى تقويم السلوك ، وإلى البذل والعطاء في سبيل الدين ..

ولست أدري كيف صرنا إلى الاهتمام بالعرض دون الجوهر ، نفرح بكثرة المسلمين عددا ، ونحرص على المزيد منهم ، ونهمل النوعية والكيف .. بينما نحن نعلم ، والتاريخ يشهد ، أن فردا واحدا مؤمنا خير عند الله ، ولدين الله ، وأرجح كفة في الميزان من مائة مسلم ، لا يعرف من الاسلام الا رسمه ..

وما فرض الله على المسلمين عبثا — وحاش لله — أن يفروا الى الله بتلاوة القرآن ، يتلونه خمس مرات في اليوم عند كل صلاة .. إنه ربيع القلب ونور البصيرة ، ومقوم السلوك . فاذا تركنا المسلمين يهملون حفظه ، ثم يهملون تدبره وفهمه ، فقد ضيعنا الحكمة التي من أجلها فرض علينا كل يوم وليلة ، وصرنا الى أمية في الدين ، هي أخطر من الأمية التي نحاربها الآن في التعليم ..

هل يرى البصيرون خطرا يتهدد اليوم هذه الأمة ، أشد من انحراف الفكر والسلوك في أبنائها عامة ، وفي شبابها خاصة ..؟ سنقول إنه الفكر الوارد ، والفساد العالمي الشامل ، ولكن ليس هذا القول هو الحق كله ، إن أحق منه أن نعترف بأننا تركنا أمتنا وشبابنا لفراغ فكري وروحي طال أمده ، فهيأنا الشباب لاستقبال ذاك الفكر الوارد يغزوهم ، إذ لا رصيد ولا حصانة ترد هذا الغزو ..

وإني هنا لأعلن عن قلقي الشديد ، من الأسلوب الذي نسلكه في الدعوة إلى الاسلام في هذه الأعوام .. نبذل طاقة كبيرة في دعوة غير المسلمين الى الاسلام ، بينما الاسلام مهدد في عقر داره ، مهدد في فكر أبنائنا وبناتنا ، وفي سلوك شعوبنا ، وبينما

الطاقة المبذولة في ردنا إلى حظيرة الاسلام الحق والايمان المطمئن ، هي دون الكفاية .. فلو أننا ضاعفنا الجهد في الداخل ، في أنفسنا وفي شعوبنا ، حتى يستقيم أمرها على الدين الحق ، عبادة وتربية وسلوكا عمليا ، وحتى تصبح نموذجا حيا ، تتمثل فيه فضائل هذا الدين ، كما تمثلت في أسلافنا المهتدين من قبل لأقبل الغرب على الاسلام من غير دعوة ولا دعاية ، ولهرب من جحيمه الفكري .. ومن جوعه الروحي ، مما يجده الآن ويصطليه ، الى هذا الدين القيم السمح ، العامر بأسباب الاستقرار والطمأنينة النفسية ، ولذاق طعم السعادة الروحية التي فقدها اليوم ..

يجب أن نصارح أنفسنا ، وألا نخجل من الاعتراف بواقعنا .. إن أكبر عائق للدعوة في الخارج ، هو هذه الشكوك التي تثار في صدور الراغبين في معرفة الاسلام ، حين يواجههم الواقع المر فينا ، فيرون الاسلام في سلوكنا وحياتنا شيئا غير الذي ندعوهم إليه .. فيقول الغامزون والجاهلون معا ـ لو كان هذا الاسلام كما نسمع ونقرأ ، لغير من حياة أهله أولا ..

أنا لا أصد عن الدعوة في الخارج ، وفي الغرب خاصة ، إنما أريد أن نهتم بالمسلمين أولا ، ونبذل في سبيل ذلك ما نستطيع من جهد ، فذلك هو الأحق والأجدى .. إن المسلمين اليوم يعدون بمئات الملايين ، فهل فيهم بعض الغناء الذي كان في أسلافهم ، حين كانوا يعدون بالآلاف ..؟ هذا هو الحق الذي يجب أن نعيه ، وأن نتدارسه ونخطط له ، لنتدارك النقص ، ونستدرك ما فات ..

ـ ٥ ـ

أما والقرآن لا يزال غضا طريا كما نزل ، ولا يزال دره حافلا بالمدد لمن أقبل عليه ، والأمة لا تزال أيضا بخير في سلامة فطرتها وأصالتها ، تحتشد للداعية الراشد ، وللكلمة المؤمنة ، فان الأمل لا يزال قويا ، والطريق لا يزال ميسورا ، أن تعود هذه الأمة إلى ربها ، فتقبل على قرآنها ، تستلهمه الرشد ، وتلتزمه في السلوك . ليرفع الله من مكانها ، ويهدي البشرية بهديها ، كما سبق أن رفع بأسلافها وهدى ..

فأما الداعية الراشد ، المؤمن بدعوته ، والحافظ لقرآنه ، المتفقه في أسراره ، فانه مهمة المسئولين في العالم الاسلامي .

وأما اللغة العربية فهي السبيل الوحيد لفقه القرآن وأسراره ، وما فيه من أنظمة وتشريع ، ومن تربية وتوجيه ، ثم تذوق ما فيه من بلاغة معجزة ، ومن طلاوة تأخذ بالقلوب والألباب .. ولا بد لنجاح الدعوة الاسلامية من العناية بها ، وبذل أقصى الجهود الممكنة لتيسير تعلمها ونشرها بشتى الوسائل والأساليب في ربوع العالم بأسره وفق خطة عامة شاملة يتعاون في تنفيذها المسلمون في كل مكان .

# التطور والثبات في الفقه الاسلامي

الجزء الثاني

للدكتور : محمد رواس قلعه جي

○ **فهم الصحابة للتطور والثبات في الفقه :**

أ ـ نحن لا نشك بأن الصحابة رضوان الله عليهم أعلم الناس طرا بالاسلام ، وأقدرهم على استجلاء أهدافه ، وإدراك مراميه لأسباب :

**أولها** : أنهم شاهدوا أنوار النبوة ، فأكسبهم ذلك فتحا في فهم الاسلام وتمثل أهدافه .

**ثانيها** : أنهم تربوا على مائدة النبوة ، وكان هم رسول الله أن يربيهم على الفكر السديد ، وينمي فيهم المحاكمة الصادقة ، وتقدير البعد الصحيح لكل حكم شرعي ، حتى أصبحت المحاكمة الفقهية جبلة فيهم ، ومعرفة هدف الشارع من

أحكامه سليقة من سلائقهم .

**ثالثها :** أنهم أخذوا الاسلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة ، ففهموا منه ما لم يفهمه من لم يأخذ الاسلام عنه ، وكان رسول الله أفصح الناس لسانا ، وأبلغهم تعبيرا ، وأحسنهم لما يريد عرضا ، وأن المشاهد له عليه الصلاة والسلام قد يفهم من المعاني التي يفيض بها وجهه الشريف ، أو توحي بها إشارته ما لا يفهمه من العبارة ، وقد توفر ذلك للصحابة ولم يتوفر لغيرهم .

**رابعها :** توفر لديهم التقوى الحقيقية التي رضيها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتقوى تورث فتحا في الفهم لا يعرفه إلا من عاناه ( **واتقوا الله ويعلمكم الله** ) البقرة/٢٨٢ .

فان قيل : إن التقوى قد توفرت في غيرهم أيضا ، قلت : نعم ، ولكنها ليست كتقواهم ، فقليل أولئك الذين حفظوا التوازن بين الروح والجسد ، وحق الله وحق الناس كما فعل الصحابة ، وعلى فرض أنهم قد أقاموا هذا التوازن كما فعل الصحابة فان تقوى المتأخرين – على كل حال – هي كالتقوى التي رضيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وليست هي بالذات ، والفرق بينهما كالفرق بين الصورة والأصل .

ومن هنا فقد الزم الامام أبو حنيفة نفسه بألا يخرج عن فهمهم للشريعة أحكاما وأهدافا ، فكان رضي الله عنه يطلب الحكم في كتاب الله تعالى ، فان لم يجده طلبه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم يجده طلبه في اجتهادات الصحابة ، فان وجدهم قد اتفقوا فيه على أمر أخذ به ولم يفلته ، وإن وجدهم قد اختلفت اجتهاداتهم فيه اختار رضي الله عنه من هذه الاجتهادات ما يطمئن إليه قلبه ، ولا يحل لنفسه الخروج عن اجتهاداتهم ، فان لم يجد الحكم عندهم أحل لنفسه أن يجتهد في استنباط الحكم كما اجتهد ابراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم من أئمة التابعين .

وسنعرض لك فيما يلي بعض الأحكام المأثورة عن أئمة الفتوى من الصحابة لنكشف لك عن مدى فهمهم للتطور والثبات في الشريعة الاسلامية .

ب – يعتبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه المرسي الأول لقواعد التفكير الفقهي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو واضح في كتاب « موسوعة فقه عمر بن الخطاب » .

وإننا سنعرض عليك هنا فهم عمر لبعض الأحكام التي نوهت بها نصوص شرعية .

١) يقول الله تعالى مبينا مصارف الزكاة : ( **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم** ) الخ .. التوبة/٦٠ .

لقد جعل الله سبحانه في هذه الآية الكريمة سهما من الزكاة يصرف للمؤلفة قلوبهم ، وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم وبعده أبو بكر يصرف لهم هذا السهم ، ولكن لما آل الأمر الى عمر ، نظر في الآية مستبينا هدف صرف هذا السهم لهذه الفئة من الناس ، ولم يطل به النظر حتى عرف أن الله تعالى لم يعط المؤلفة قلوبهم هذا السهم لأنهم من الفقراء ، ولا لأنهم من العاملين عليها ، ولا لأنهم من الذين يعملون لرفعة الاسلام وإعلاء شأنه ، ولكنه أعطاهم إياه اتقاء لشرهم أو تألفا لقلوبهم ، حين كان كيد هؤلاء له أثره في تأخير مسيرة الاسلام ، أما وأن المسلمين قد كثروا ، وصارت لهم الغلبة في الأرض ، وعلت راية الاسلام خفاقة فوق قصور الطغاة والجبابرة ، وأصبح الاسلام قادرا على حماية نفسه من هؤلاء وغيرهم ، بعدالة مبادئه ، وكثرة المؤمنين به لذلك رأى عمر أن التصرف الطبيعي أن يوقف إعطاء هؤلاء المؤلفة قلوبهم ما خصصته الآية لهم من سهم ، لزوال الظروف التي استدعت صرفه إليهم ، فقد جاء مشرك إلى عمر يلتمس منه مالا ، فلم يعطه عمر ، وقال له : **( من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** الكهف/٢٩ .

وجاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا : يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منعة فان شئت أن تقطعناها لعلنا نزرعها ونأكل ثمرتها ، فأقطعهما إياها أبو بكر ، وكتب لهما بذلك كتابا ، فقال طلحة ابن عبيد الله أو غيره لعيينة : إنا نرى أن هذا الرجل ـ يعني عمر ـ سيكون من هذا الأمر بسبيل ، فلو أقرأته كتابك ، فأتى عيينة عمر ، فأقرأه كتابه ، فقال عمر : أهذا كله لك دون الناس ؟ ومحا الكتاب وقال له : إن رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ ذليل ، وإن الله تعالى قد أعز الاسلام ، فاذهبا واجهدا جهدكما .

٢) المعروف أن دية القتل غير العمد تتحملها العاقلة ، وكانت العواقل هي العشيرة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد أبي بكر ، وفي الصدر الأول من عهد عمر ابن الخطاب ، ولما دون عمر الدواوين ونصب الرايات جعل الدية على أهل الديوان ، قال الحاكم في الكافي معلقا على هذا التغيير الذي أحدثه عمر رضي الله عنه : ولم يكن ذلك من عمر تغييرا لحكم الشرع ، بل تقريرا له ، لأنه عرف أن عشيرته كانوا يتحملون ما يتحملونه من الدية بطريق النصرة ، فلما كان ـ أي أصبح ـ التناصر بالرايات جعل العقل عليهم .

٣) يقول الله تعالى : **( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله )** المائدة/٣٨ وكان عمر يعلم تمام العلم أن المال مال الله **( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم )** النور/٣٣ وان الخلق كلهم عيال الله ( الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ) وأن الله تعالى قد فرض في أموال الأغنياء بقدر ما يكفي فقراءهم ، فان جاع الفقراء أو عروا أو جهدوا فبمنع

الأغنياء ، ولذلك رأى عمر أن الفقير إذا سرق بدافع الحاجة لا تقطع يده ، ولذلك لم يقطع أيدي عبيد حاطب بن أبي بلتعة عندما سرقوا ناقة لرجل فذبحوها ، لأنه قد تبين لعمر ان الحاجة التي دفعت إلى ذلك إنما هو الجوع ، وقال لمن أجاعهم — وهو سيدهم — لأغرمنك غرامة توجعك .

وجاء رجل إلى عمر وقد سرقت ناقته فقال له عمر : هل لك في ناقتين بها عشارتين مربغتين سمينتين ؟ فانا لا نقطع في عام جدب .

فعل هذا كله عمر بن الخطاب — وهذا غيض من فيض — والصحابة كثر متوافرون ، فلم يعترض عليه في ذلك معترض منهم ، ولم يروا في عمله هذا خروجا على نص القرآن الكريم أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم رأوا فيه عملا بأهداف النص الشرعي — من قرآن أو سنة — فأكبروا في عمر عمله ، وارتفع في نظرهم عليا .

حـ — ويعتبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه باب مدينة العلم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر لا يستغني عن مشورته ، وكان لا يخرج في فهمه للتطور والثبات في الشريعة عن فهم عمر رضي الله عنه .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا عقوبة الزاني غير المحصن « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة » مسلم والترمذي وأبو داود .

فلا يشك من يقرأ هذا الحديث الشريف أن نفي الزاني سنة عن البلدة التي وقع فيها الزنا عقوبة فرضها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان الخلفاء من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يغربون الزاني غير المحصن بعد جلده مائة جلدة ، فلما كان عهد علي كان ينفي في أول خلافته ، فنفى امرأة زنت قبل أن يدخل بها زوجها إلى نهر كربلاء ونفى جارية من همدان قد زنت إلى البصرة .

ولكن لفت نظر عمر شيوع الفتنة ، وانتشار السوء في العراق ، ولفت نظره بشكل خاص تعرض الذين ينفون إلى ألوان من الفتنة بسبب ضعف الرقابة من جهة ، وضعف الوازع الديني من جهة أخرى ، ولذلك رأي أن حكم النفي لم يعد يحقق أهداف النص ، وفي هذه الحالة لا بد من تطوير العقوبة بشكل يحقق أهداف النص ، فاستبدل النفي بالسجن ، وفي السجن تتاح للامام المراقبة ، ويتاح له التوجيه فقال علي كرم الله وجهه : « إذا زنى البكر بالبكر يجلدان مائة ويحبسان ، ومن الفتنة أن ينفيا » .

د — وعائشة رضي الله عنها سيدة فقيهات الصحابة ، تربت في بيت النبوة ، وعلمت دخائل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي في فهمها للتطور والثبات لا تند عن فهم عمر وعلي ، قال عليه الصلاة والسلام : لعن الله النامصة والمتنمصة و ... » رواه البخاري .

لقد فهم بعض الفقهاء من هذا الحديث تحريم نتف المرأة ما نبت في وجهها من شعر إلا أن يفحش

فيجعلها أشبه بالرجال .

ولكن السيدة عائشة رضي الله عنها فهمت من الحديث غير هذا ، لقد عرفت السيدة عائشة أن الهدف من هذا الحديث هو منع الغش بنتف الشعر النابت في الوجه ــ النمص ــ فيظن من يراها أنها ممن لا ينبت في وجوههن الشعر ــ وهي صفة مرغوبة في النساء ــ فيقدم على الزواج منها ، فتظهر له بعد الزواج أنها ليست كذلك ، وأن الشعر في وجهها كثير منفر .

وهذا هدف لا يتحقق في المرأة المتزوجة ، إذ لا يتحقق الغش من قبلها ، لأن زوجها يعرفها ، وهو يطالبها بالتزين له ، ومن التزين إزالة الشعر من الوجه ، وهي مطالبة باتخاذ كل سبيل لادخال السرور إلى قلب زوجها ، ولتكون الوحيدة في قلبه .

وإذا كانت إزالة الشعر من وجه المرأة غير المتزوجة غش وخداع ، وإزالته من وجه المرأة المتزوجة تزين ، فلا بد من أن يفترق الحكم .

ولذلك رأت السيدة عائشة أنه لا بأس أن تتنمص المرأة لزوجها ، فقد قرأت في مصنف عبد الرزاق أن امرأة أتت السيدة عائشة فقالت : يا أم المؤمنين إن في وجهي شعرات أفأزيلهن ، فقالت السيدة عائشة ، تزيني لزوجك ، أطيعي زوجك .

وهكذا تكون السيدة عائشة فهمت النص التشريعي لا بألفاظه ولكن بأهدافه ، وهكذا يفعل الفقيه المتمكن .

## ○ فهم التابعين للتطور والثبات في الفقه :

التابعون هم تلاميذ الصحابة ، وحاملو آرائهم واجتهاداتهم ، وإن المتتبع لاجتهاداتهم يجدها لا تخرج عن دائرة تفكير الصحابة ، ولذلك فاني سأكتفي بعرض فهم إمام أئمة التابعين في الفقه لمفهوم التطور والثبات في الشريعة الاسلامية ، ذلك هو ابراهيم بن يزيد النخعي ، حامل علم عبد الله بن مسعود حتى قال عنه سليمان بن مهران الأعمش إذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى ابن مسعود ، وإذا رأيت ابراهيم فلا يضرك الا ترى علقمة ، وكان ابراهيم تلميذ علقمة بن قيس النخعي ، وكان علقمة تلميذ عبد الله بن مسعود .

ولما مات ابراهيم قال عامر بن شراحيل الشعبي : مات اليوم أفقه الناس ، فقيل له : أفقه من الحسن البصري ؟ قال : أفقه من الحسن ، وممن في الشام ، وممن في الحجاز ، وسنعرض فهم ابراهيم النخعي للتطور والثبات من خلال نظريته في الايلاء .

يعرف الفقهاء الايلاء بقولهم : الحلف على ترك وطء الزوجة أكثر من أربعة أشهر ونلاحظ أن هذا التعريف يحوي ثلاثة عناصر : الأول : الحلف ، والثاني : ترك الوطء والثالث : المدة .

ونحن لو استقرأنا فقه ابراهيم النخعي متلمسين هذه العناصر الثلاثة فيه لوجدنا أن فهم النخعي لهذه العناصر الثلاثة مرتبط تمام الارتباط

بالهدف الذي شرعت من أجله أحكام الايلاء .

**أما العنصر الأول ـ الحلف :** فان النخعي لا يشترط فيه أن يكون بالله تعالى ، ولا باسم من أسماء الله ولا بصفة من صفاته ، بل يكفي أن يحلف بأي يمين يلزمه فيها حق ، لتحقق المنع بهذا اليمين ، لما فيه من مشقة القيام بهذا الحق الذي لزمه ، وعلى هذا فانه لو حلف بالطلاق ، أو بالعتاق ، أو بصوم غير واجب عليه أو بصدقة غير واجبة لكان موليا ، لأن المقصود من اليمين حصول المنع به ، وقد حصل المنع فعلا ، ولذلك كان موليا بهذه الأيمان .

**أما العنصر الثاني ـ ترك الوطء :** فاننا نرى النخعي يتوسع فيه توسعا كبيرا ، لأنه نظر في الغاية من ترك الوطء فوجدها « الاضرار بالزوجة » فأخذ هذه الغاية وجعلها المدار الذي يدور الحكم في فلكه ، دون الالتفات إلى اللفظ الذي يتلفظ به الرجل ، سواء كان ترك الوطء أو غيره ، ولذلك يقرر النخعي أنه إذا حلف ليسوءن زوجته ، أو لا يكلمها ، أو ليغيظنها ، كان موليا ، لأنه إن كان في ترك الوطء إضرار بالزوجة ، فان في ترك تكليمها ضرراً أكبر ، وكذلك في إساءة عشرتها ، ونحو ذلك .

**أما العنصر الثالث ـ المدة :** وهي أربعة أشهر فان النخعي يفهم هذه المدة في الايلاء فهما ضمن إطار الهدف العام من تشريع أحكام الايلاء ، فلا يشترط ذكر هذه المدة ـ أربعة أشهر ـ بل يكفي في ذلك أن يحلف الزوج على ترك الوطء أو الاضرار ، وينفذ ذلك عمليا من أجل هذا الحلف ، فان الذي يريد النخعي رفعه إنما هو الأثر ـ وهو ترك الوطء أو الضرر ـ الحاصل بالحلف ، ولذلك كان ذكر المدة لا قيمة له عنده ، وعلى هذا فانه لو حلف لا يقربنها الليلة ، فتركها أربعة أشهر ليمينه كان موليا .

وبمضي الأربعة أشهر يقع الطلاق بائنا دون حاجة الى تطليق الزوج ، لأن الزوج قد يرفض الطلاق ، وإن التماسه منه ، أو إجباره عليه قد يتطلب أياما أو شهوراً ، وهذا يعني استمرار الاضرار الواقع على الزوجة طيلة هذه المدة ، وانطلاقا من هدف رفع الضرر عن المرأة ـ الذي هو هدف تشريع أحكام الايلاء ، فان النخعي يرى وقوع الطلاق بمضي المدة دون حاجة إلى تطليق الزوج .

ويقع الطلاق بذلك بائنا ، لأن الضرر لا يرفع إلا به ، لأن الزوج المولي إن لم نقل بوقوع الطلاق بائنا ـ يستطيع أن يراجعها ما دامت في العدة ، وبذلك يعود إلى إضراره لها ، وبذلك تكون الشريعة لم تنجح في رفع الظلم الواقع بالمرأة من الايلاء .

مما تقدم نلاحظ : ان النخعي كان يجري أحكام الايلاء متلمسا روح الشريعة وهدفها العام الذي تهدف إليه من تشريع أحكام الايلاء ، وهو رفع الضرر النازل بالمرأة ، وللوصول إلى هذا الهدف كان لا بد من تجاوز بعض الشكليات الفقهية التي تقف حائلا دون ذلك ، والتي تمنع من

إمعان السير ، وسرعة الوصول إلى الهدف المرسوم .

**○ فهم الأئمة المجتهدين للتطور والثبات في الفقه :**

يقول الله تعالى في القرآن العظيم : **( يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما )** النساء/ ٢٩ ـ لقد وضعت هذه الآية الكريمة الأساس الأول في المعاملات التجارية ، وذلك أنه إذا ما تم التراضي بين المتبايعين وانتفى الغرر فليبع الانسان لمن شاء ، وليشتر ممن شاء وبالسعر الذي يشاء .

وكأن الامام مالك رضي الله عنه نظر إلى هذه الآية الكريمة فوجد أن الهدف منها هو : تحقيق مصالح المسلمين بمنحهم تلك الحرية في التعاقد ، ولكن إذا ما انقلبت هذه الحرية إلى وسيلة للاضرار بالمسلمين في نوع معين من أنواع التعامل التجاري وجب تقييد هذه الحرية في ذلك النوع من التعامل ، وإن لم يرد نص صريح من الشارع بتقييدها في ذلك النوع من التعامل .

لقد وجد الامام مالك رضي الله عنه ما يلعبه التاجر الوسيط ـ وهو الذي يدخل بين المنتج والمستهلك دون أن يكون له أي أثر في السلعة تصنيعا ، أو تحسينا ، أو نقلا إلى بلد آخر ـ من رفع أسعار السلع على المستهلك ، مثلا :

أنتج أحدهم قمحا ، فأتى به السوق فاشتراه منه تاجر بألف ، ثم لم يلبث أن باعه كما هو إلى تاجر آخر في نفس البلدة بألف ومائة ، ثم لم يلبث التاجر الثالث أن باعه كما هو إلى تاجر رابع في البلدة نفسها بألف ومائتين ، ثم باعه التاجر الرابع كما هو إلى المستهلكين بألف وثلاثمائة .

إن هؤلاء التجار الوسطاء بين المنتج والمستهلك لم يكن لهم أي أثر في القمح ، فهم لم يطحنوه ، ولم يعزلوا صغار حبه عن كباره ، وكانوا سببا في رفع السعر على المستهلك ولو تداولته أيديهم ، ولو أنه انتقل من المنتج إلى المستهلك ، دون وسطاء لوصل إليه بسعر ألف ومائة بدلا من أن يصل إليه بألف وثلاثمائة .

ولما كان للتاجر الوسيط هذا الدور أحيانا في إغلاء السعر فقد رأى الامام مالك رضي الله عنه منع التاجر الوسيط من ممارسة دوره في إغلاء السعر على المستهلك ، وعلى الدولة الاسلامية أن تشرف على تنفيذ ذلك .

فقد سئل رحمه الله تعالى عن الطحانين يشترون الطعام ـ الحنطة ـ يغلون بذلك أسعار الناس فقال : أرى أن كل ما أضر بالناس في أسعارهم أن يمنعه الناس ، فان أضر ذلك ـ التعامل ـ بالناس منعوا منه .

قال ابن رشد موضحا رأي الامام مالك رضي الله عنه : أما شراء أهل الحوانيت الدقيق من الجلاب ـ المنتجين ـ وبيعه على أيديهم من الناس ، وشراء الطعام وبيعه على أيديهم غير مطحون ـ فلا وجه من

الفرق في ذلك لعامة الناس ــ فينبغي أن يمنع من ذلك إن كان فيه تغلية للأسعار ويباح إذا لم يضر ذلك بالأسعار .

أقول : وهذا هو المعنى الذي قصده رسول الله بقوله : « ولا يبع حاضر لباد » متفق عليه قيل لابن عباس : ما قوله لا يبع حاضر لباد ؟ قال : لا يكون له سمسارا لأن في ذلك رفع تكاليف المبيع ، وفي ذلك ما فيه من رفع السعر على المستهلك .

### ○ فهم الفقهاء المتأخرين للتطور والثبات في الفقه :

سنعرض عليك فهم فقيه يعتبر بحق خاتمة الفقهاء المتأخرين ذلك هو الفقيه الحنفي محمد أمين بن عابدين ، صاحب حاشية رد المحتار على الدر المختار التي اعتبرها العلماء نافذة الفقه الحنفي ، حيث جمع فيها فأوعى ، وحرر ونقح ، جزاه الله خيرا .

ولنأخذ مثلا على ذلك نظرته الى آلات اللهو التي ورد النهي عنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من الأحاديث الشريفة ، وان هذه الأحاديث وإن كانت لا تخلو من مقال ، إلا أن بعضها يعضد بعضا ، فيطمئن القلب إليها ، إن ابن عابدين لا ينظر الى آلات اللهو والموسيقى على أنها قطع من الخشب أو المعدن صنعت بشكل معين ، ولكنه ينظر إليها كأداة يجتمع عليها الفساق ، فيشغلون بها عن أداء الواجبات ، أو اقتحام الموبقات ، وما كان هذا شأنه فهو منهى عنه ، ورد له ذكر في النصوص الشرعية أو لم يرد ، وما لم يكن كذلك فلا نهى عنه ، قال ابن عابدين :

« أقول : هذا يفيد أن آلة اللهو ليست محرمة لعينها ، بل لقصد اللهو منها ، إما من سامعها ، أو من المشتغل بها ، وبه تشعر الاضافة ــ أي اضافة الآلات إلى اللهو ــ ألا ترى ان ضرب تلك الآلة بعينها حل تارة وحرام أخرى باختلاف النية ، والأمور بمقاصدها » .

### وصفوة ما أريد أن أقوله في نهاية المطاف :

أن الأهداف التي رسمتها الشريعة الاسلامية للأحكام تتركز في المصلحة العليا للأمة والأحكام الفرعية تعتبر صحيحة ما حققت هذه الأهداف ، فاذا ما حدث ظرف ما ، وفشلت الأحكام في تحقيق الأهداف ، وجب تطويرها ضمن أصول الشريعة ومناهجها في البحث بشكل يحقق هذه الأهداف .

وقد رأينا كيف أن الصحابة والتابعين ، والفقهاء قد فهموا أحكام الشريعة على هذا الأساس .

وبذلك نقول لرجال السياسة والقانون : تحرروا من رواسب خلفتها في بلاد المسلمين ظروف معينة ، وافتحوا صدوركم للشريعة الاسلامية ، ومدوا أيديكم إليها ، فانها الكفيلة بتحقيق المصالح العليا لأمتنا إذا صفت النفوس ، وخلصت النيات لله عز وجل .

# الأطباء المرضى

كثرت دعاوى العلميين الغربيين ، وازدادت مفترياتهم ، واغتروا بعلومهم حتى ظنوا أنهم وحدهم في الساحة ، وأن كلمتهم هي الفاصلة لا راد لها ولا معقب عليها ..

زعم أصحاب التحليل النفسي ... أن اللا معقول يمكن أن يكون معقولا ، وأن الحلم يمكن أن يكون حقيقة وواقعا ، ونسوا الله ، وعبدوا الهوى ، وتابعوا غواية الشيطان ، وجنحوا بسفه عقولهم الى الاسراف والغلو ، فأنكروا الدين والأخلاق ...

فكيف الطبيب النفسي الذي يقارع الخمور أن يعاون المدمن عليها للاقلاع عنها ...!!!

وكيف يستطيع المتابع لهوى نفسه أن يشفي مريضا من الوسواس الشيطانية ..!!!

كيف يساعد الطبيب النفسي المشرك بالله مريضا مصابا بهواجس الشك وجنون الريبة والحصر النفسي ...!!!

لقد صدق في هؤلاء قول الشاعر :

وغير تقي يأمر بالتقى

طبيب يعالج الناس وهو مريض

ان علماء النفس الغربيين بعامة ، وأصحاب مدرسة التحليل النفسي بخاصة ، يزعمون أن النفس البشرية مغلوبة على أمرها رضيت بذلك أم أبت ، تسيرها دوافع قسرية ،

للدكتور حسن الشرقاوي

وتحركها غرائز حيوانية ، ونزعات أنانية ، وأن الانسان مثله مثل الحيوان يسعى لتحقيق حاجاته البيولوجية ، واشباع شهواته البهيمية ... ويستطرد هؤلاء في مزاعمهم فيقولون أنه حتى وان ظهرت الشخصية أمام اعيننا يسلك صاحبها سلوكا عكسيا ، فيبدو في مواقفه وتصرفاته مضحيا وايثاريا يسمو على حاجاته النفسية ، ويغالب رغباته الدفينة ، ويترفع عن تنفيذ نزعاته اللاشعورية المخبوءة ... متخليا في ذلك عن مطالبه الاساسية الغريزية ...

حتى ان ظهرت هذه الشخصية كذلك فان حقيقتها بخلاف ذلك حيث أن ما يظهر امامنا من سلوك يتميز بالطيبة والتسامح والعفو والتضحية والايثار هو موقف تحويلي أو حيلة هروبية لا تعبر عن هذه الشخصية ولا توضح ما يعتلج نفس صاحبها من الداخل من صراعات لا شعورية ...

كما يزعم هؤلاء أن ما يظهر على سطح الشعور ليس الا قناعا يخفى وراءه وحشا كاسرا ، وذئبا عدوانيا مفترسا ... اذ أن الشخصية الانسانية يحكمها قانون الغاب من الداخل وهذا القانون يقرر : « انه اذا لم تتذأب أكلتك الذئاب » .

ان عدم ظهور الدوافع والنزعات والرغبات الحقيقية ـ في تصورهم ـ ليس الا نوعا من الكبت المقصود لها ، فلم تستطع التعبير عن وجودها في بؤرة الشعور ، وذلك بسبب الضغوط البيئية ، أو التقاليد الاجتماعية ... الأمر الذي جعل صاحبها يقوم بطرق تحويلية وهي عبارة عن حيل مشروعة او غير مشروعة يحل بها صراعاته النفسية الداخلية ...

وينتهي هؤلاء المفترون على الحقيقة ... الى الزعم كذبا وبهتانا أن اصحاب مكارم الأخلاق مرضى نفسيون ... باعتبار أن الانسان حيوان وحشي مصاب بالشبق الجنسي ... فلا هم له الا تحقيق لذاته ، والتنفيس عن غرائزه الجنسية ... فان لم يستطع ، فهو مريض نفسي لا بد أن يعرض على الطبيب النفسي ليبلى من أمراضه !! ويشفى من أسقامه ... أو بمعنى آخر يشفى من الطيبة الزائدة ، والأخلاق القويمة ، أى لا بد للانسان أن يتوحش ليكون انسانا سويا وأن يتحلل من مكارم الأخلاق لتكتب له الصحة النفسية !!

هذه هي المهزلة الكبرى التي يلعب بطولتها بعض علماء النفس الغربيين ... فيمثلون على خشبة الحياة وقائعها التي تجعل من الأخلاق القويمة شرا للانسان . وتجعل من اللا اخلاق خيرا له ، وبذلك يشوهون حقيقة الانسان ، ويكذبون بآيات الله ، ويخالفون الفطرة التي

فطر الله الناس عليها ، ويبتدعون من عند انفسهم قانونا يجعل مما هو غير معقول مقبولا ، ومما هو غير منطقي منطقيا ...

ولا تنتهي مزاعم هؤلاء الى هذا الحد البعيد عن الصدق والأمانة العلمية ، ولا يقفون عند هذا الموقف المزري ، بل يتمادون في غيهم ، ويتطاولون على الحق والحقيقة فيدعون وقد خلعوا براقع الحياء ، وقادتهم نفوسهم الامارة الى الضلال المبين ... يدعون في قحة ... ان المشاكل النفسية التي يعاني منها الشباب والشيوخ من الجنسين ترجع الى أسباب جنسية في البداية والنهاية ، وأنه يمكن علاج تلك الأمراض في ضوء عقدتي أوديب والكترا .. فما هو أوديب وما هي الكترا ؟

أوديب هذا فتى اسطوري في الملاحم اليونانية القديمة ، وتصور قصته انه كان على علاقة جنسية بأمه ، وأنه كان يكره أباه لاحساسه بأنه منافس خطير له في حبها .. وتنتهي القصة بأن يقتل أوديب أباه ... أى أشرك وقتل وزنا ..

ولقد اتخذ فرويد من هذه الشخصية الاسطورية مسرحا لعلاجاته النفسية ، وقد اعتبر أوديب ممثلا لشخصية كل شاب ، فجعل العلاقة الجنسية المحرمة بين الأم ووليدها هي الصورة المعبرة عن الشخصية الانسانية ... وبذلك هبط بأشرف علاقة انسانية وأطهرها وسقط بها الى اسفل سافلين ...

أنه لمن الجلى الواضح أن هذه الاسطورة التي فرضها فرويد وتلامذته على الناس فرضا ، انما هي محض خيال البسوها ثوب الحقيقة عسفا وظلما ، لتصبح قسرا واقعا لا مفر منه ، دون ادلة أو براهين أو سند علمي ... اذ أنها عبارة عن خيالات مرضى ، وهواجس مجانين ... ومع ذلك يصدقها كثير من السذج ، ويصفقون لها كثيرا ... ولقد روج لها اليهود في كتبهم ، وعملوا على تلقينها للشباب والكهول باعتبارها حقائق يقينية ، بغية هدم العلاقات الأسرية والعمل على التفكك الاخلاقي والغاء القيم السامية والمثل العليا من على الارض .

واذا كان فرويد قد استعار أسطورة أوديب ليجعلها أساس العلاقة بين الأم ووليدها ، فأنه استعار عقدة الكترا ايضا لتمثل العلاقة الجنسية بين الأب وأبنته ، والكترا ايضا فتاة وهمية كانت تكره أمها لأنها تشاركها في حب ابيها ، وكانت تتملكها الغيرة القاتلة اذا التقى والدها بأمها لقاء جنسيا .

جعل فرويد اذن من الاسطورتين الخياليتين حقيقة واقعة وأخذ ينشر هذه الآراء في المجتمعات الغربية والتي كانت قد سقطت في اوائل هذا القرن في الانحلال الخلقي ، وتفشي بين الاسر الزنا والعلاقات غير المشروعة ... فوجدت آراؤه آذانا صاغية ، وتمسك بها الشباب الساقط والزوجات العاهرات .. لتكون مسوغا علميا لتصرفاتهم اللا أخلاقية ومبررا لفعل الفواحش ...

كما ظهرت روايات ومسرحيات تعاون على ترسيخ هذه الموجة الانحلالية في عقول الشباب الأوروبي ، فظهرت مسرحية المومس الفاضلة التي عرضت بصورة مختلفة في المسرح والسينما مئات المرات ، وهذه القصة تمثل الحالة التي تردت فيها اوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث اتضح أن الزوجات يمارسن الجنس مع غير أزواجهن ... فجاءت قصة المومس الفاضلة او كما تسمى أحيانا مارجريت .. لتدافع عن العهر والعاهرات ، وتروي قصة امرأة عاهرة أحبت شابا من أسرة محافظة .. الا أن والد الشاب رفض هذه العلاقة وذهب إلى المرأة يرجوها ان تتخلى عن ابنه اذا كانت تحبه حقا ... اذ أن له بنات يخاف على مستقبلهن ...

وتنتهي قصة مارجريت هذه بأن تهجر الشاب ، وتتخلى عن أملاكها ، لتعيش بعيدا في كوخ حقير حيث تموت بداء السل ...

ولا يخفى على القارئ المغزى الخطير من هذه القصة .. فهي تشجع على البغاء ، وتعاون المنحرف على الانحراف .. وتزعم أن للعهر أخلاقيات وأن للمرأة العاهرة مثلا ، وربما تكون لها فضائل كالتضحية والايثار يفتقر اليها كثير من بنات الاسر المحافظة .. وها هي مارجريت التي ضحت بنفسها من أجل حبيبها ... حتى يستطيع أن يعيش في حياة مستقرة بعيدة عن المشاكل والصراعات ..

ان ما حدث في أوروبا في أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي وما زال يحدث من تفكك أسري وانحلال أخلاقي ، وشذوذ جنسي ، قد ساعد على ترويج مفتريات التحليل النفسي الفرويدي ونشره بين العام والخاص .. بل لقد أمتد الآن ليغزو بشكل خطير كثيراً من المجتمعات الانسانية .. باعتباره حقائق علمية لا تحتمل التشكك فيها ..

واذا كان الغرب قد ورث ميراثا ثقيلا من اللا أخلاقيات كنتائج للحربين العالميتين فليس ذلك مسوغا لنشر هذا الانحلال على العالم وها هو « شفينتر » وهو من أكبر علماء التربية الالمان يقول عن الحالة التي تردت فيها اوروبا الآن سلوكيا وأخلاقيا :

نحن نعيش عصر انهيار الحضارة ..
نحن نعيش بين الحضارة والبربرية .

واذا كان علماء النفس الغربيون ومدرسة التحليل النفسي بخاصة تستخدم طرقا لعلاج المرضى النفسيين تبرر فيها السلوك الجنسي الشاذ ، والعلاقات غير المشروعة ، وتنصح الشباب بالتنفيس عن نزعاتهم الجنسية ، ومتطلباتهم البيولوجية وحاجاتهم الغريزية بدعوى أن كبتها يولد الأمراض النفسية ولا يحقق الصحة النفسية .

واذا كان هؤلاء الأطباء يهبطون بالانسان الى البهيمية والحيوانية . فان معنى ذلك ان هؤلاء الاطباء مرضى يحتاجون الى العلاج السريع .

# المكتبة الاسلامية

## من المؤلفات الدينية لعلماء شبه القارة الهندية الباكستانية في العصر الحديث

تبدأ هذه السلسلة بعرض موجز لبعض مؤلفات العلامة المرحوم سيد سليمان الندوى ، ولعل من المناسب قبل الحديث حول هذه المؤلفات أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ الدعوة الاسلامية في شبه القارة ثم نؤرخ في إيجاز للعلامة المرحوم سيد سليمان الندوى .

### تاريخ الدعوة الاسلامية في شبه القارة :ـ

يبدأ تاريخ الدعوة في شبه القارة منذ أن وضعت طلائع المجاهدين من العرب المسلمين أقدامها في سنة ١٥هـ على ثلاثة من سواحل الهند هى ـ تانه ـ بهروج ـ الديبل ، والمجاهدون الذين وجههم عثمان بن أبي العاص الثقفي تحت قيادة أخويه الحكم والمغيرة الى الهند قد نزلوا على هذه السواحل ولم يتغلغلوا في أعماق البلاد ومثلهم البحارة العرب الذين وصلوا الى شواطئ الهند .

وكانت غزوة محمد بن أبي القاسم الثقفي محدودة في إقليم السند ولم ينتشر الاسلام في أرجاء البلاد طولا وعرضا إلا في عهد محمود الغزنوى وخلفائه سنة ٣٨٨هـ .

وكانت جيوش محمود الغزنوى ممن دانوا بالاسلام حديثا فلم يتوخوا العمل بالشريعة الاسلامية والغوريون الذين أتوا من بعدهم لم يسلموا الا في القرن الرابع الهجري وأما المغول فانهم كانوا يعدون غير مسلمين حتى سنة ٦٩٥هـ .

ومن ثم فان سكان البلاد الذين أسلموا من تلقاء أنفسهم أو بجهود الدعاة من العلماء والمتصوفين لم يجدوا رعاية من الحكومات الاسلامية على امتداد ثمانية قرون فامتزجت أعمالهم وعقائدهم بألوان كثيرة من شعائرهم الدينية وطقوسهم المذهبية وزاد من ذلك لجوء بعض الطوائف من المارقين والملحدين بعقائدهم الفاسدة إلى هذه البلاد وكان من أثر ذلك ما فعله جلال الدين أكبر بابتداعه الدين الالهي .

وجاء الشيخ أحمد بن عبدالأحد الفاروقي الملقب بمجدد الألف الثاني فحارب علماء السوء في عصره وانتقد معتقدات المتصوفين الذين هجروا الكتاب والسنة وعضده في جهاده مولوى عبدالحق الدهلوى .

وتمضي الأعوام والسنون وشبه القارة تموج بتيارات إلحادية وعقائد موروثة فاسدة حتى جاء الامام شاه ولي الله الدهلوى الذي كانت له يد طولى في الاصلاح الديني .

وفي منتصف القرن الماضي كان حال المسلمين بتلك البلاد قد وصل الى درجة يرثى لها فقامت حركة السيد احمد خان كما ظهر في هذه الفترة طائفة من المفكرين أمثال مولانا أبي الكلام أزاد وشبلى النعمانى والدكتور محمد اقبال والمرحوم سيد سليمان الندوى .

## العلامة سيد سليمان الندوى :ـ

نشأ العلامة سيد سليمان الندوى في أسرة عريقة من أسر السادات فيتصل نسبه من جهة أبيه الى الامام موسى الرضا ومن جهة أمه الى الامام زيد .

وقد ذكر غلام محمد في كتابه تذكرة سليمان « اردو » انه قد سمع من العلامة الندوى أن أجداده نزحوا من الجزيرة العربية قبل مائتي سنة حتى وصلوا الى سواحل السند ولكن السيد الاستاذ أبا عاصم زوج كريمة العلامة الندوى وابن

أخيه يذكر أن هذه الرواية مجافية للصواب والحقيقة انهم كانوا في واسط ثم انتقلوا الى مشهد بايران ثم نزحوا الى هرات وأخيرا استقر بهم المقام في الهند .
وقد ولد العلامة الندوى في قرية ــ دسنه ــ من أعمال محافظة بتنه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر سنة ١٣٠٢هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٨٨٤م فأسماه جده أنيس الحسن وكانت الكنية شائعة بين أفراد أسرته فأخوه أبو حبيب وأحد أعمامه أبو تراب والآخر أبو يوسف فكنى هو بأبى نجيب .

**العلامة الندوى في مراحل تعليمه :ــ**

تلقى العلامة الندوى تعليمه الابتدائي في قريته فحفظ القرآن الكريم وقرأ الكتب الأردية والفارسية كعادة أهل بلاده ثم انضم الى حلقة أخيه فتعلم على يديه اللغة العربية ثم التحق بمدرسة صغيرة في إسلام بور « زاوية مجيبى » .
ودرس اللغة العربية ومبادئ علم المنطق ، وفي عام ١٩٠١ التحق بدار العلوم ندوة العلماء في « لكناو » وظل بها سبع سنوات حتى حصل على شهادة التخرج .
وجدير بالذكر هنا أن ندوة العلماء في « لكناو » قد تأسست سنة ١٣١١هـ ، وأسست دار العلوم التابعة لها بعد ذلك بخمس سنوات لتكون وسطا بين فريق المتشددين في دار العلوم « ديوبند » وفريق المتخرجين في جامعة « عليكره » .
وعندما أتم دراسته في الندوة سنة ١٩٠٧ اراد والده أن يتوجه لدراسة الطب العربي القديم كي يزاول مهنة آبائه وأجداده ولكنه لم يكن راغبا في ذلك ولم يجد في قلبه ميلا إلى هذا العمل ، وكان أستاذه شبلى نعمانى يلمس استعداداته ويرى أن يتفرغ للتحقيقات العلمية فكتب الى والده في ذلك فاستجاب الى رغبة أستاذه ، وكان رحمه الله يجيد إلى جانب الأردية اللغة العربية والفارسية . كما تعلم العبرية على يد أستاذ يهودى إبان عمله في كلية بونا التابعة لجامعة « تومباى » .

**الفترة من ١٩٠٧ الى ١٩٢٩ :ــ**

في هذه الفترة برز نشاط العلامة الندوى العلمى والأدبي والسياسي وكان أول عمل أسند اليه وظيفة أديب بندوة العلماء مع احتفاظه بمنصب نائب مديرها ، والى جانب ذلك كان مديرا لمجلة البيان الشهرية التي كانت تصدر باللغة العربية ونذكر من المقالات التي حررها في هذه المجلة وكان لها صدى بالغ في الأوساط العلمية ــ المسلمون وعلم الهيئة ــ المراصد الاسلامية ــ طبقات الأرض ــ انجيل برنابا ــ مسألة الارتقاء ــ الايمان بالغيب ــ مكررات القرآن ــ سعة اللغة العربية .
وفي عام ١٩٠٧ كتب سلسلة من المقالات حول شجاعة نساء الاسلام طبعت عدة مرات وترجمت إلى الانجليزية ، وفي عام ١٩١٠ صنف قاموسا صغيرا للألفاظ

الجديدة والاستعمالات العربية الحديثة وقدمه للشيخ رشيد رضا فحاز إعجابه ، وهذا عمل تظهر قيمته بالنسبة للمهتمين بالدراسات العربية في شبه القارة ، وفي هذه الأثناء كان أستاذه شبلي قد أنشأ شعبة خاصة لتدوين وترتيب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فانضم إليها ، وفي عام ١٩١٣ اشترك في تحرير الهلال مع مولانا أبي الكلام آزاد وكتب عدة مقالات ألهبت شعور المسلمين ضد المستعمر الانجليزي .

وعند وفاة أستاذه شبلي كان يعمل بالكلية الحكومية في « بونا » فترك العمل فيها وانتهى من تأليف كتابه ــ تاريخ أرض القرآن ــ وتعاون مع مسعود الندوى في تأسيس دار للمصنفين وظل وفيا لهذه الدار يعمل فيها لمدة اثنين وعشرين عاما حتى أصبحت محط أنظار العلماء والباحثين والمفكرين وموئل كبار الزعماء السياسيين ، وفي عام ١٩١٩ ساهم بدور كبير في حركة الخلافة وانتخب عضوا في الوفد الذي سافر الى أوربا تحت رئاسة مولانا محمد علي جوهر .

وفي آخر حياته مال إلى التصوف ، وفي يونيو سنة ١٩٥٠ بعد تقسيم الهند بثلاث سنوات نزح إلى باكستان وتوفى بمدينة كراتشي في نوفمبر سنة ١٩٥٣ ودفن بها رحمه الله رحمة واسعة .

وحسب القارئ العربي أن يعرف قدر العلامة الندوى من الفقرة التالية في شأنه من تحرير العالم الكبير مسعود الندوى :ــ

« الفضل في نشر معارف السنة النبوية والدفاع عن حظيرة الدين الحق يرجع الى العالم الأكبر الأستاذ المحقق السيد سليمان الندوى صاحب مجلة معارف الشهيرة ، ورئيس جمعية دار المصنفين ، والمشرف على دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وفي « لكناو » لا يختلف اثنان أن السيد سليمان الندوى إمام الدفاع الاسلامي وبطله المغوار فان لمؤلفاته العلمية المستفيضة من عيون الكتاب والسنة تأثيرا بالغا في تكوين عقائد المسلمين وتقويم أفكارهم » .

حقا لقد ألفت بعد طبع هذا الكتاب في ابريل سنة ١٩١٥ كتب كثيرة تناولت هذه الموضوعات في الجغرافية البشرية وتاريخ الأديان ولكن الجديد في كتاب العلامة الندوى والذي غفل عنه الجميع من الأقدمين والمحدثين انه سمي جميع المواقع وحوادث التاريخ بمسمياتها الاسلامية . وأوضح مدى تطابق أحدث النظريات مع آيات القرآن الكريم الواردة في هذا الشأن ، واذا كان المؤرخون والجغرافيون القدامى قد كتبوا في هذه الموضوعات فانهم اقتصروا على إدراجها تحت عناوين العرب البائدة أو العاربة أو المستعربة دون إشارة إلى أن هؤلاء هم قوم عاد الأولى وهؤلاء قوم عاد الثانية أو ثمود أو أصحاب الحجر أو أصحاب الأيكة حتى أصبح المسلم الذي لم يقرأ تفسيرا أو تاريخا يجهل تماما من هم قوم عاد ومن هم أصحاب الأيكة ومن هم أهل مدين وغيرهم .

فجاء العلامة الندوى فسد هذه الثغرة في كتابه هذا بشكل يجذب القارئ ويشوقه الى تاريخ هذه الأمم ودراسة أسباب حضارتها وأسباب زوالها فتتم له

العبرة ويدرك أن ما وصل إليه المؤرخون في هذا العصر نتيجة تطور أساليب البحث العلمي والتقدم الفكري بناء على الاكتشافات الحديثة قد أجمله القرآن الكريم وأشار اليه نظرا لأنه ليس كتاب تاريخ .

إن هذا الكتاب ينبغي أن يترجم إلى اللغة العربية وأن تؤلف على نهجه كتب وموسوعات كي تدرس في كليات الآداب والتربية بالجامعات المختلفة ولا سيما قسم الحضارة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لأنه من أفضل الزاد للداعية الاسلامي .

وتعالوا بنا نلق نظرة سريعة على جزء من عناوين بحوث هذا الكتاب . بعد ديباجة قصيرة للمؤلف كتب مدخلا الى موضوع الكتاب في ١٠٢ صفحة من حجم الفولسكاب تناول فيه ذكر المصادر التي اعتمد عليها في بحثه وهى :

**أهم مؤلفاته :ـ**

نذكر من مؤلفات العلامة سيد سليمان الندوى أهمها على النحو التالي :ـ

١ ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا المؤلف سبعة أجزاء الأول والثاني بقلم استاذه شبلى واشترك في ترتيبها معه ، والأجزاء الأربعة بقلم المرحوم الندوى والأجزاء الستة مطبوعة في الهند وقد طبعت أخيرا في باكستان والجزء السابع لم يطبع للآن لأن بعض أصوله مفقود .
٢ ـ تاريخ ارض القرآن ـ جزآن في مجلد .
٣ ـ خطبات مدراس ـ في مجلد .
٤ ـ عائشه ـ في مجلد .
٥ ـ علاقات العرب بالهند ـ جزءان
٦ ـ الخيام ـ في مجلد
٧ ـ حياة شبلى ـ في مجلد
٨ ـ خطبات أحمديه ـ في مجلد
٩ ـ الملاحة العربية والاكتشافات البحرية
١٠ ـ قاموس في ألفاظ اللغة العربية

إن المرحوم العلامة سيد سليمان الندوى كان أحد أعلام الاصلاح الديني ونضيف اليوم أن من أجل مآثره أنه أحدث تصورا جديدا في التأليف في السيرة النبوية فقد زود هذا الفن بما حرمه في جميع أدواره السالفة بعد أن رأى رحمه الله أن المسلمين أصبحوا لا يعرفون من السيرة إلا قشورا خفيفة لا تستثير الهمم فهم يعظمون الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته عن تقليد موروث ويكتفون من هذا التعظيم باجلال اللسان بما قلت مؤنته من عمل فوسع في دائرتها ، ولم يجعلها وقفا على مجرد بيان حوادث الحياة من الميلاد إلى الانتقال الى الرفيق الأعلى وإنما

جعل التأليف فيها يشمل جوانب اخرى ونواحي متعددة في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وبهذا يحق لنا أن نطلق على كتابه ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم دائرة المعارف النبوية ، أو الرسول والرسالة ، أو فقه الرسالة وغير ذلك من العناوين التي تناسب ما فيه من مادة .

هذا الكتاب مؤلف باللغة الأردية ، وهي إحدى اللغات السائدة في شبه القارة ، وقد ترجم إلى اللغة التركية ، وهو في سبعة مجلدات طبع منه ستة مجلدات والجزء السابع لم يطبع حتى الآن وأصوله موجودة في دار المصنفين ولكنها ناقصة .

وسنجمل الحديث فيه ونكتفي بالاشارة الى موضوع كل جزء منه ونأتى في نهاية هذا المقال بنموذج منه يكشف للقارئ العربي عن قيمة هذا الكتاب الذي له أجمل الأثر في حياة المسلمين في شبه القارة وتكاد لا تخلو مكتبة منه .

## المجلد الأول :ـ

هذا الجزء بقلم العلامة المرحوم شبلى النعماني ومنذ أن شرع في كتابته وتصنيفه اشترك معه تلميذه سيد سليمان الندوى ويشتمل على مقدمة مطولة ووافية على أهمية السيرة النبوية وملخص تاريخي لأرباب السير .

وقد تناول في المقدمة كذلك كل ما يتعلق بالسيرة من الحديث الشريف والمغازي والروايات بالنقد والتحليل وفقا للأصول العلمية ثم أتى بتذكرة مختصرة عن المؤلفين الأوربيين وكتبهم التي صنفوها في هذا المجال ويعتبر هذا العمل في حد ذاته مؤلفا مستقلا .

ويبدأ بعد ذلك في بيان سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام من ولادته حتى الغزوات وجلاء يهود خيبر وزواج الرسول عليه الصلاة والسلام من بعض أمهات المؤمنين متصديا لدفع كل الشبهات ومجيبا على جميع الاعتراضات التي أثيرت حول تلك الأمور وأوضح بالأدلة القوية النقلية منها والمنطقية طهارة رسول الاسلام وصدق رسالته .

## الجزء الثاني :ـ

هذا الجزء أيضا بقلم المرحوم شبلى وقد تناول فيه حياة الأمن والاستقرار ودور تبليغ الرسالة وتأسيس الحكومة الاسلامية في المدينة ونظامها ، ثم تحدث عن حجة الوداع والوفاة وشمائله صلى الله عليه وسلم وعن أزواجه المطهرات وأولاده وأهل بيته وأحوال حياتهم ، وغير ذلك مما يتصل بهذه الأمور . وإلى هنا ويعتبر ما يتعلق بموضوع السيرة قد انتهى بنهاية هذا الجزء ولكن لم يكن المقصود من تأليف هذا الكتاب الوقوف به عند هذا الحد وإنما كان الغرض منه يتجاوز هذه الدائرة إلى عرض كامل ووافٍ للشريعة الاسلامية وما اشتملت عليه من خصائص

دون غيرها من الملل والشرائع الأخرى ويقع هذا المجلد في ستمائة صفحة .

**الجزء الثالث :ـ**

بدأ العلامة الندوى هذا الجزء بالبحث حول الأدلة والمعجزات وحقيقة المعجزة وإمكان حدوثها ثم كتب عن نزول الملائكة والرؤى وحادثة الاسراء والمعراج وشرح صدره عليه الصلاة والسلام .

**الجزء الرابع :ـ**

هذا الجزء يبحث في العقائد الأساسية في الاسلام وفيه أفرد المؤلف بابا أطال فيه الكلام عن النبوة والوحي والملائكة وبعد ذلك كتب عن القيامة والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وأخيرا خاض في عالم ما وراء الطبيعة وقد بسط الحديث عن منصب النبوة وحقيقتها وأهميتها وضرورتها .

**الجزء الخامس :ـ**

يبدأ هذا الجزء بمقدمة عن الأعمال الصالحة ثم يتناول العبادات ـ الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والتوكل والصبر والاخلاص والحمد والشكر .
وقد توخى العلامة الندوى أن يكون أسلوبه جامعا بين السهولة والدقة غير أنه في بعض المسائل الفقهية يمزج بين آراء المتصوفين والفقهاء في تعليل الأحكام وفي كل موضوعات هذا الجزء يقارن بينها في الاسلام وما سبقه من مذاهب وأديان وهو بهذه الصفة يعتبر من مقارنة الأديان .

**الجزء السادس :ـ**

موضوع هذا الجزء الأخلاق التي يرجع إليها شرف الانسانية وقد أوضح مدى عناية الاسلام بها وتناول آراء الفلاسفة والحكماء في مجال فلسفة الأخلاق بالنقد الموضوعي على ضوء التعاليم الاسلامية من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

**الجزء السابع :ـ**

وهو الجزء الأخير من الكتاب ونظرا لأن بعض أصوله مفقود لم يطبع حتى الآن وقد كتب ابن شقيقه السيد أبو عاصم المحامي بمدينة كراتشي كتيبا في اللغة الانجليزية تعريفا بهذا الجزء لخص فيه موضوعه .

ونأمل أن يستدل على الأجزاء المفقودة منه حتى لا يحرم المسلمون وأبناؤهم من الشباب المسلم في شبه القارة من هذا الزاد الشهي من رياض السيرة العطرة الذي قدمه بلغتهم العلامة المرحوم سيد سليمان الندوى .

أما كتاب تاريخ أرض القرآن فموضوعه تشير اليه العبارة التي استهل بها المؤلف مقدمة الكتاب والتي قال فيها : « أحمدك يامن دحى الأرض وبث فيها رجالا كثيرا ونساء وأسكن بواد غيرذى زرع من ذريتهم شعوبا وقبائل ذات العماد والبطش الشديد والبسط في الخلق من قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد فمزقهم كل ممزق وجعلهم أحاديث وأصلى وأسلم على النبي الابراهيمي الاسماعيلي المضرى القرشى الهاشمي وعلى صحبه أجمعين .

ثم بين أهمية هذا الموضوع وضرورته وقال : « لعل مما لا يستطيع أحد أن ينكره أن عامة المسلمين بل وعلماءهم لا يكادون يعرفون التاريخ الصحيح للأقوام والمدن والأمكنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وعزا ذلك الى عدم توجه العلماء لتخصيص كتب مستقلة خلال ثلاثة عشر قرنا في هذا الشأن على عكس غيرهم من اليهود والنصارى الذين مع تقادم العهد وتطاول الأمد بينهم وبين أقوامهم ومساكنهم استطاع علماؤهم أن يكتبوا أرض التوراة ودائرة معارف الكتاب المقدس وان يحيوا هذا الموات وأن يجددوا صفحات هذا التاريخ .

أما القرآن الكريم الذي لم يرد فيه ذكر أكثر من عشرين أو ثلاثين قوما فلم يهتم أحد بتخصيص كتاب لتحقيق هذه الموضوعات بشكل مفصل وعرض شامل وإنما ما كتب عن ذلك جاء ضمن كتب التفاسير أو التاريخ . ثم تحدث عن الآداب الاسلامية والاسرائيلية واليونانية والرومانية ثم الاكتشافات الأثرية ثم فصل القول في علم الأنساب وحقق لفظ عرب وأصول التاريخ القديم وجغرافية العرب وحدود ديارهم ، واستطرد في ذكر طبيعة بلاد العرب وحاصلاتهم الى غير ذلك حتى وصل الى بيان شجرة أقوام أرض القرآن ، ومن هنا يبدأ أصل موضوع الكتاب ــ الأمم السابقة ــ الأولى ــ عاد ــ تحقيق لفظ عاد ــ زمان عاد ومقامه ــ حكومات عاد ــ عاد في بابل ــ عاد في مصر ــ عاد في الشام ــ عاد في ايران ــ عاد في قرطاجنه وفي اليونان وكريت وأخيرا عاد والقرآن ثم يلى ذلك بعثة هود عليه السلام . عاد الثانية ــ لقمان ــ إلى أن يأتي الى ثمود وهكذا مع استيعاب تاريخي وجغرافي وبشري في أسلوب جمع فيه بين النقول والشواهد الصحيحة المعتبرة وبين النظريات العلمية دون أن يترك مجالا للتخمين بحيث يقتنع القارىء ويطمئن ولا شك في أن هذا الكتاب يسد ثغرة لازالت مفتوحة في المكتبة العربية والاسلامية .

ونرجو أن يسمح لنا الوقت وأن تسمح ظروف النشر لكي ننقل للقارىء العربي طرفا من تحقيقاته حول أهم الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب والتي تهم القارىء المسلم على وجه الخصوص ..

# ليس من الحديث النبوي

## « الباذنجان لما أكل له »

قال السخاوى في المقاصد الحسنة : باطل لا أصل له وإن أسنده صاحب تاريخ بلخ وقال ابن حجر العسقلاني لم أقف عليه وما رواه أبو على بن زيرك « الباذنجان شفاء لا داء فيه » لا يصح أيضا وقد سمعت بعض الحفاظ : إنه من وضع الزنادقة .

وقال الزركشى : قد لهج به العوام .

ويقول السخاوي كل هذه الروايات باطلة .

وقال السيوطى في اللآلئ المصنوعة إنه حديث باطل لا أصل له وقال التاجي « في كتابه قلائد المرجان في الوارد كذبا في الباذنجان انه باطل موضوع كذب .

وقال السيوطي في الدرر المنتثرة : إنه لا أصل له .

وقال السيوطي أيضا في الفتاوى الحديثية إن هذا القائل مخطئ أشد الخطأ فان حديث الباذنجان كذب باطل موضوع بالاجماع من أئمة علماء الحديث .

وقال الصغانى : من الأحاديث الموضوعة ما ورد في فضائل البطيخ والباذنجان والكرفس و « الفوم » والبصل .

ونحن ننشر هذا القول للتنبيه على أنه باطل ، ولنقطع الأسئلة حوله .

## « من زارني وزار أبي ابراهيم في عام دخل الجنة »

**موضوع :**

قال ابن تيمية موضوع ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث .

واعتبره السخاوى موضوعا .

وقال النووى في آخر الحج من شرح المهذب هو موضوع لا أصل له .

وقال العجلونى في كشف الخفاء بوضعه .

# نعيم ابن مسعود

للاستاذ/احمد عادل كمال

لا شك أن بعض نواحي التاريخ الاسلامي قد نالت ما تستحق من عناية وجهد في القديم أو في الحديث . ولقد استأثر تاريخ القرآن الكريم بأعظم قدر من الدراسة يليه الحديث الشريف والسنة المطهرة ، ثم جاءت بعد ذلك سائر العلوم والمعارف . ولقد كان جانب كبير من تلك الدراسات ينصب على الرجال والاعلام ، وأظهر ما كان ذلك في علم الحديث باعتبار أن رواة الحديث صاروا جزءا لا ينفصل عن الحديث ذاته ، حتى زخرت كتب التراجم والرجال بعشرات وربما مئات الألوف من التراجم . ورغم هذا فان تلك العناية الفائقة لم تمتد بحيث تشمل قادة الحرب من الغزاة والفاتحين من المسلمين الأوائل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم ، فان عثرنا على ذكر فبصفتهم رواة للحديث في الأغلب الأعم . قد يبدو هذا غريبا بالنظر الى أن الفتح الاسلامي كان حركة فريدة في التاريخ اكتسحت الشرق والغرب في سنوات معدودة تم اكثرها في نطاق جيل واحد . ولكن يزول العجب اذا عرفنا أن ذلك يرجع الى اهمال دراسة تلك المعجزة الكبرى ذاتها — الفتوح — وبالتالي لم ينل أبطالها ما يستحقون .

ولسنا نعالج ذلك النقص هنا

بمقالة ، وإنما نحاول فقط أن ندلل على صواب ما ذكرنا ، فاخترنا لذلك صحابيا لم يكن من كبار القادة ، بل إذا وصفناه بأنه كان من صغارهم لكان أقرب الى الصحة ، وما أكثر عدد هذا الصف من الأركان في جيوش المسلمين الفاتحين ، لن نقدم له سجلا مسهبا ولكن نقدم ما هو في حدود الخير المتاح . وبطلنا ليس اسمه مجهولا لدى قرائنا ، ولكن شهرته تكاد تنحصر في حادث واحد هو ما قام به من وقيعة بين يهود بنى قريظة وبين أحزاب الكفر التي جاءت تغزو مدينة الـرسول والمسلمين حين اعتصموا بالله وراء الخندق . أما ما كان قبل ذلك وما كان بعده من سيرة الصحابى نعيم بن مسعود الأشجعي فهو ما نذكره اليوم .

ونعيم بن مسعود من بنى أشجع ابن ريث بن غطفان ، وعلى ذلك فقد كانت منازل قبيلته في نجد . وتدلنا أخباره على أنه كان نشيطا كثير الحركة فهو يظهر مرة في مكة وأخرى في المدينة وهكذا ، ولم تكن هذه ولا تلك من منازله . وقد كان قبل إسلامه كثير التردد على يهود المدينة من بنى النضير وبنى قريظة ، فكانوا يميزونه بالعطاء ، ولا تسعفنا الروايات عن سبب تلك الزيارات ولا العطاء وأغلب ظننا أنه كان مقابل خدمات يؤديها إليهم أقلها شأنا أن ينقل إليهم أخبار قبائل شبه الجزيرة .

وأول ما يطالعنا من أخبار نعيم أنه قدم ــ وهو مازال مشركا ــ على كنانة بن أبى الحقيق في بنى النضير فشرب معه الخمر حتى سكر وكان في المجلس سليط بن النعمان ــ أحد الصحابة ــ يشرب معهم ولم تكـن الخمر قد حرمت . فذكر نعيم والخمر تدور برأسه أن عير قريش خرجت من مكة عليها صفوان بن أمية تحمل تجارتهم وأموالهم الى الشام وأنه قد تنكب عن جادة الطريق فسلك على جهة العراق خوفا من أن يعترضهم المسلمون . فقام سليط من ساعته وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما سمع ، فأرسل النبي زيد بن حارثة على سرية إلى القردة من أرض نجد ( وهي بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق ) فسار لهلال جمادى الآخرة من العام الثالث في مائة راكب ، فأصابوا العير وأسروا دليلهم فرات بن حيان وأفلت أعيان القوم فقدم زيد بالعير فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ الخمس عشرين ألف درهم وقسم ما بقي على أهل السرية .

وبعد نحو من أربعة أشهر كانت موقعـــة أحد فأوقع المشركـــون بالمسلمين ، وفي انصرافهم صاح أبو سفيان « يوم بيوم بدر وموعدنا العام القادم ». فلما كان الموعد بعد عام نجد صاحبنا نعيم بن مسعود قد جاء مكة معتمرا ، فقالوا : يانعيم من أين كان وجهــك ؟ قال : من يثرب . قالوا : وهل رأيت لمحمد حركـة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم . قال أبو سفيان : يانعيم إن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الابل الشجر ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء

أوان محمد ، فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، فيأتي الخلف منهم أحب إلى من أن يأتي من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في يد سهيل بن عمرو ويضمنها . وجاء سهيل بن عمرو فسأله نعيم : يا أبا يزيد ، تضمن هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبطه ؟ قال : نعم . فخرج نعيم حتى قدم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون ، فتدسس لهم وقال ليس هذا برأي ! ألم يجرح محمد في نفسه ؟ ألم يقتل أصحابه ؟ فثبط الناس حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال والذي نفسي بيده لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي ». فخرج المسلمون وحملوا معهم تجارات فأصابوا للدرهم درهمين ولم يلقوا عدوهم . هذه هي بدر الموعد ، وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية أيام .

ويجىء شوال العام الرابع وقد نجح اليهود في تكتيل قبائل الشرك فسارت الأحزاب من قريش وغطفان وأسد تريد غزو المدينة . يروى نعيم ما قام به فيقول : كنت أقدم على كعب بن أسد ببنى قريظة فأقيم عندهم الأيام أشرب من شرابهم وآكل من طعامهم ثم يحملوني تمرا على ركابي ما كانت فأرجع به إلى أهلي . فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرت مع قومي وأنا على ديني ذلك . وكان رسول الله بي عارفا ، فقذف الله في قلبى الاسلام فكتمت ذلك قومي ، وأخرج حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فأجده يصلى ، فلما رآني جلس ثم قال « ما جاء بك يانعيم ؟» قلت : جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق ، فمرني بما شئت يارسول الله . قال « ما استطعت أن تخذل عنا الناس فخذل ». قلت : ولكن يارسول الله أنى أقول ؟ قال « قل ما بدا لك فأنت في حل » . فذهبت الى بني قريظة فقلت : اكتموا عني اكتموا عني . قالوا : نفعل . فقلت : إن قريشا وغطفان على الانصراف عن محمد ، إن أصابوا فرصة انتهزوها وإلا استمروا إلى بلادهم ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا . قالوا : أشرت بالرأي علينا والنصح لنا .

ثم خرج نعيم إلى أبي سفيان فقال : قد جئتك بنصيحة فاكتم عني . قال : أفعل . قال : تعلم أن قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وأرادوا إصلاحه ومراجعته ، أرسلوا إليه وأنا عندهم إنا سنأخذ من قريش وغطفان سبعين رجلا من أشرافهم ونسلمهم إليك تضرب أعناقهم ونكون معك على قريش وغطفان حتى نردهم عنك ، وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارهم ( يعني بنى النضير ) فان بعثوا اليكم يسألونكم رهنا فلا تدفعوا إليهم أحدا واحذروهم . ( ثم أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وكان رجلا منهم فصدقوه ) وأرسلت قريظة الى قريش : إنا والله ما نخرج فنقاتل

معكم محمدا حتى تعطونا رهنا منكم يكـــونون عندنا ، فانا نتخوف أن تنكشفوا وتدعونا ومحمدا . فقال أبو سفيان : هذا ما قال نعيم . وأرسلوا الى غطفان بمثل ما أرسلوا الى قريش فقالوا لهم مثل ذلك ، وقالوا جميعا : إنا والله ما نعطيكـم رهنا ولكـن اخرجوا فقاتلوا معنا . فقالت يهود : نحلف بالتوارة إن الخبر الذي قال نعيم لحق . وجعلت قريش وغطفان يقولون : الخبر ما قال نعيم . ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء وهؤلاء من نصر هؤلاء واختلف أمرهم وتفرقوا . فكان نعيم يقول : أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه وأنا أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره . في هذه الغزوة نجد نعيما قد وفق كل التوفيق وهو مسلم ، فيما فشل فيه وهو مشرك وهو قيامه بمهمة الطابور الخامس وراء الصفوف .

بعد ذلك ترك نعيم منازل قبيلته وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن المدينة وكانت ذريته بها من بعده ، وكـان صحيح الاسلام يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعـث الـرسول نعيم بن مسعود ومعقـل بن سنان الى بنى أشجع يأمرانهم بالحضور الى المدينة في التجهيز لفتح مكـة ، فجاء من أشجع ثلاثمائة كانوا في جيش الرسول على لواءين حمـل أحدهما نعيم وحمل الثاني معقـل . ومرت أشجع مع الجيش أمام أبي سفيان فسأل العباس بن عبدالمطلب : من هؤلاء ؟ قال : بنو أشجع . قال أبو سفيان : هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ! قال العباس : أدخل اللـه قلوبهم الاسلام فهذا من فضل الله .

كذلك أرسل النبى صلى اللـه عليه وسلم نعيما إلى أشجع في رجب ٩هـ يستنفرها لغزوة تبوك . وفي العام الحادي عشر بدأت الـردة تطـل بوجهها ، فبعـث الـرسول بعض أصحابه في هذا الأمر فكان ممن بعث نعيم بن مسعود أرسله الى ابن ذى اللحية وابـن مشيمصة الجبيري . وروى سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين قرأ كتاب مسيلمة قال للرسولين : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال . فقال صلى الله عليه وسلم : لولا أن الرسل لا تقتـل لضربت أعناقكما . ولعلنا نلمح في استخدام الرسول لنعيم في بعض الحرب أنه كان يرى إمكان الاعتماد عليه في هذا المجال .

وفي عهد الخليفتين أبى بكر وعمر انطلقت جيوش المسلمين في حركـة الفتوح الـكبرى في اتجاهـين أساسيين ، اتجاه المشرق من خلال العراق ومن بعده ايران حتى ما يعرف اليوم بباكستان وامتد شمالا حتى أرمينيا وتركستان ، واتجاه الغرب الذي بدأ بالشام ثم مصر وليبيا حتى شمال افريقيا . وساح الصحابة رضوان الله عليهم في هذا أو ذاك يقودون وحدات تلك الجيوش المظفرة . فكان نعيم بن مسعود مع جيش سعد بن أبي وقاص الـذي اقتحم مدائن كسرى وأنزل « يزدجرد

الثالث » آخر ملوكهم عن عرش آبائه وأجداده وشرده في البلاد . ولم تنته الحرب مع الفرس بسقوط المدائن وإنما استمروا يقاومون ويعيدون تجييش الجيوش للقيام بهجوم مضاد المرة تلو الأخرى . وتشعب الفتح تبعا لذلك الى عدة شعب . فشعبة سايرت الفرات نحو « هيت » و « قرقيسياء » وشعبة سايرت دجلة نحو « تكريت » و « الموصل » و « نينوى »، وشعبة اتجهت نحو جموع الفرس الرئيسية في « جلولاء » ثم « حلوان »، كما اتجهت قوة الى « ماسبذان من أرض ايران ». كل ذلك انبثق من جبهة المدائن التي تقع على نهر دجلة الى الجنوب من موقع بغداد .

ولكن عمر فتح على الفرس جبهة ثانية في الجنوب فوجه جيوشه نحو شط العرب وكان قائده هناك عتبة بن غزوان . كان الغرض الاساسي المحدد لعتبة هو تثبيت القوات الفارسية هناك للحيلولة دون اشتراكهم في الدفاع عن المناطق التي يجرى غزوها في الشمال . ولكن نجاح عتبة كان فائقا حتى أنه غزا المنطقة فسقطت « الأبلة » في يده وأقام قاعدة البصرة الحربية . وكان واحد من أشد قادة الفرس مراسا هو « هرمزان » يقف « بالأهواز » من وراء أسفل دجلة وشط العرب يجمع جنده ويغير على ما فتح المسلمون بأسفل العراق من نهر « تيرى » الى « ميسان » ( جهة العمارة ) ومن « مناذر » الى « دست ميسان » ( شرقي شط العرب بجهة البصرة ).

وطلب عتبة المدد فأمده سعد بن أبى وقاص بنعيم بن مقرن المزنى وبنعيم بن مسعود الأشجعي في قواتهما ، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودست ميسان حتى يكونا بين عتبة وبين نهر تيرى . وبعث عتبة سلمى بن القين وحرملة بن مريطة حتى نزلا على حدود ميسان ودست ميسان بين نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وبين مناذر . وفي الموعد المحدد فيما بينهم تحرك القادة الأربعة بقواتهم ، سلمى وحرملة ونعيم ونعيم فالتقوا بجيش هرمزان الكبير بين دلث ونهر تيرى فاقتتلوا . وانهزم هرمزان وقتل كثير من جنده فانسحب حتى شاطئ دجيل ( نهر كارون حاليا ) وطلب هرمزان الصلح فأجيب الى طلبه . ثم نقض هرمزان صلحه فتجدد القتال وعاد المسلمون يهزمونه ويطاردونه حتى رامهرمز فعاد يطلب الصلح وأجابه المسلمون مرة أخرى . ثم عاد وانتقض فانهزم ووقع في أسر المسلمين فأرسلوه الى عمر . هرمزان هذا هو صاحب القول المشهور « عدلت فأمنت فنمت » ونرجو أن تكون لنا عودة نقدم فيها هرمزان هذا الى القراء . هذه المعارك التي أجملنا ذكرها هنا نجد تفاصيلها في دراسات حركة الفتوح .

لا ندرى متى عاد نعيم الى المدينة ولكن من المعلوم أنه توفى بها في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه . وتذهب رواية الى أنه قتل في يوم الجمل الأول قبل قدوم على رضى الله عنه مع مجاشع بن مسعود السلمى .

## ما عند الله خير

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة ، فجاءت قافلة تحمل شيئاً من متاع الحياة ، فانصرف الناس اليها . ولم يبق إلا اثنا عشر رجلا ، فنزل قوله تعالى في آخر سورة الجمعة : ( **إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** ) .

## الشيطان .. ومداخله

قيل إن إبليس ظهر لعيسى عليه السلام ، فقال له : ألست تقول : لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك ؟ قال : بلى . قال : فارم نفسك من ذروة هذا الجبل ، فاذا قدر الله لك السلامة تسلم ، فقال له : يا ملعون ، إن الله تعالى يختبر عباده ، وليس لعبد أن يختبر ربه .

## دعاء له

قالت امرأة لرجل أحسن إليها : أذل الله كل عدو لك إلا نفسك ، وجعل نعمته عليك هبة لك لا عارية عندك ، وأعاذك الله من بطر الغنى وذل الفقر ، وفرغك الله لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

## عطاء .. لا يريده أحد

قال رجل لأحمد بن خالد الوزير : لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وكيف ذلك يا أحمق ؟. قال : لأن الله تعالى يقول لنبيه : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك** » وأنت فظ غليظ ، ونحن لا نبرح من حولك .

## السجن

روى أن يوسف عليه السلام لما خرج من السجن كتب على بابه : هذا قبر الأحياء ، وشماتة الأعداء ، وتجربة الأصدقاء .

## رجل ثقيل .. وحمل ثقيل

سئل حكيم : ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأن الحمل الثقيل يقع عبؤه على الروح والجسد معا ، أما الرجل الثقيل فتنفرد الروح بحمله .

## جوار يباع ويشترى

شغلت الحياة بمتطلباتها الناس ، فارتخت حبال المودة بينهم إن لم تكن تقطعت ، واتحدت مساكن الجيران في مداخلها وحوائطها ، ومع هذا القرب القريب تباعد القوم فلا أحد يعرف عن جاره شيئا .. فالى هذا الواقع المؤلم نسوق هذا الموقف في زمن رحم الله أصحابه .

أراد ابن أبي الجهم أن يبيع داره ، فأعطاه المشترى فيها مائة ألف درهم . فقال البائع للمشترى : وبكم تشترى جوار سعيد بن العاص ؟. قال المشترى : ما رأيت جوارا يباع ! فرجع ابن أبي الجهم عن البيع وقال : لا أدع جوار رجل يحب معاونتى ، إن غبت سأل عني ، وإن رآنى رحب بي ، وإن سألته أعطاني ، وإن لم أسأله ابتدانى بالعطاء .

فلما بلغ ذلك سعيدا بعث إليه بالثمن ، وأبقاه في داره .

فهل هناك في عالمنا اليوم مثل هذا الجوار ؟!

## النصح والمشورة

قال الشاعر :

تمسك بأهداب المشورة واستعن ... بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافي قوة للقوادم

# الوحدة الوطنية والدين الواحد بين الماضي والحاضر

للأستاذ سالم البهنساوي

ظهر أخيرا كتاب للشيخ الدكتور/محمد عمارة والكتاب باسم ( الاسلام والوحدة الوطنية ) الصادر عن دار الهلال في ربيع أول ١٣٩٩/فبراير ١٩٧٩م العدد ٣٣٨ زعم فيه أن الألوهية والعمل الصالح والحساب والجزاء هى أصول الدين الواحد ، أما تعدد الأنبياء والرسل فهذه مناهج ووسائل للتدين لا تمنع دخول أصحاب هذه الديانات الجنة حتى لو ظلوا على شريعتهم بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن الفارق بين المسلمين وأهل الديانات السابقة كالفارق بين العاملين بالكتاب والسنة والمبتدعين . وزعم أن الفوز بأجر الله وثوابه والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآن في وعيده الذي توعد به العصاة ـ كل ذلك حق وعد به الله سبحانه المسلمين المؤمنين بالشريعة الاسلامية والمؤمنين بالدين الالهي مطلقا ـ سواء منهم الذين آمنوا بشريعة محمد أم موسى أم عيسى لقول الله تعالى : ( **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) البقرة/٦٢

ثم قال : ولقد يحسب البعض أن هؤلاء المبشرين بالنجاة من أتباع الشرائع السماوية هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية ، أما من أدرك هذه البعثة أو جاء بعدها فلن ينفعه الايمان بالله والآخرة والعمل الصالح الا اذا آمن بشريعة محمد . قد يحسب البعض هذا . ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية لن يحول بين فرائقها وبين النجاة ص ١١٣ ، ١١٤ .

## استدلال معكوس

والآيات التي يستدل بها الشيخ هى قول الله تعالى : « **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين** ) المائدة/٨٢ ـ ٨٥ .

والاستدلال المعكوس من الشيخ هو قوله إن الآية « **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** » ومعناها شريعة عيسى التي جاءتهم وان الآية تتحدث عن طائفة نصرانية ظلت على نصرانيتها وكانت علاقاتهم بالمسلمين من طابع المودة والموالاة لهذا كانوا من أهل المثوبة بالخلود في الجنات التي تجرى من تحتها الأنهار ص ١١٥ .
أي على الرغم من عدم إيمانهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

## موطن التحريف

إن القرآن الكريم والسنة النبوية لا يمكن أن يتناقضا لأن مصدرهما واحد وهو الله تبارك وتعالى الذي قال عن نبيه : ( **وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى** ) النجم ٣و٤
وفي هذا روى الامام احمد عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارءون في القرآن فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم فكلوه الى عالمه ).

والشيخ عمارة أراد أن يخدم أوضاعا وأقواما لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، فحرف معنى الآية ٦٢ من سورة البقرة والآية المماثلة لها وهى ٦٩ من سورة المائدة ، فجعلها تناقض باقي ما ورد في القرآن والسنة النبوية عن اليهود والنصارى .
فهذه الآية تبشر اليهود والنصارى وكل من آمن برسالة سابقة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأن ( من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ).

والمعنى الذي أجمع عليه المسلمون هو أن من صدق منهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن بها وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم وهذا يؤكده قول الله تعالى ( **ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتينه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ) الحديد/ ٢٧ ، ٢٨ .

ويؤكد ذلك قول الله تعالى:( **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد** ) الحج/ ١٧ .

فهذه الفئات هى نفسها التي قال الله عنها:( **من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ...** ).

والمعنى في الآيتين :
أن الذين آمنوا من هؤلاء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعملوا صالحا فهم من أهل الجنة ، ومن ظل

على إيمانه بالرسالة السابقة وكفر بالرسالات التالية وآخرها رسالة خاتم النبيين ، فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار كما هو مدلول آية سورة الحج ( الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص ٢٠٨ وتفسير البيان للطوسي ص ٢٦٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٣٩٨ ).

**علامات التحريف والافتراء :**

إن المستقرئ للقرآن الكريم من غير المسلمين يتضح له أن الذين يقولون بالدين الموحد الذي يضم الاسلام واليهودية والمسيحية ويسوى بينهم في الجنة بدعوى اتفاقهم على الايمان بالله تعالى ، هؤلاء يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله ورسوله وعلى الناس جميعا لأسباب لا تحصى ، نذكر منها :

١) أن هذه الأية التي استشهد بها الشيخ محمد عمارة ويستشهد بها كل من يريد مجاملة اليهود والنصارى على حساب الله ورسوله والقرآن المنزل من عند الله تعالى وردت مرة أخرى في سورة المائدة برقم ٦٩ مسبوقة بتحذير من الله لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى بأن يكفوا عن تحريف التوراة والانجيل . ويكون ذلك بالعمل بهما وبالايمان بما أنزل اليهم بعدهما وهو القرآن ، قال الله تعالى : ( **قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين . إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) المائدة /٦٨ و ٦٩ .

٢) الآية من سورة المائدة وهى ( **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** )المائدة /٧٢ وقوله تعالى ( **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة** ) المائدة ٧٣ .

٣) كما بين القرآن بعد ذلك أن الله قد سخط عليهم لموالاتهم المشركين ولعدم إيمانهم بالقرآن والنبي فقال تعالى ( **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون** ) المائدة /٨٠ و ٨١ .

ثم أعقب ذلك بالتفرقة بين اليهود والنصارى مبينا أن من النصارى قسيسين ورهبانا لا يستكبرون عن الحق المنزل على خاتم النبيين ويعلنون ايمانهم بما سمعوه من الرسول الذي أسمعهم القرآن ( وليس الانجيل ) لهذا قال الله : ( **فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** ) المائدة ٨٥ ـ ٨٦

٤) من هذا يتضح عدم صحة ما ذكره الشيخ محمد عمارة وتحريفه آيات

القرآن الكريم بما زعم من أن النصارى الذين لا يؤمنون بالقرآن، قد شهد القرآن لهم بالرضوان والمغفرة وأنهم من أهل الجنة استنادا الى قول الله تعالى **( فأثابهم الله بما قالوا جنات )** الآية/٨٥ والآية لم تحكم لهم جميعا بهذا الثواب بل للذين صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم .

كما حرف الشيخ عمارة آيات سورة المائدة السابق ذكرها فزعم أن قول الله : **( مما عرفوا من الحق )** يراد به ما ورد في الانجيل الموجود بين أيديهم وقت نزول الايات وهو الانجيل الوارد به عقيدة التثليث التي قال الله تعالى عنها : **( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة )**.

٥) وتعمد هذا الشيخ إغفال ما يبين أن هذا الحق هو القرآن لأنه مسبوق بقول الله تعالى : **( واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق )** المائدة/٨٣ . فالحق الذي عرفوا هو الذي سمعوا وهو ما أنزل الى الرسول وهو القرآن وليس الانجيل كما زعم الشيخ .

وقول الله على لسانهم : **( وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق )** مرتبط بما سمعوه من القرآن فالايمان هنا هو الايمان بالقرأن والنبي وليس الايمان بالانجيل المحرف وما به من عقيدة التثليث.

٦) إن اللعبة التي أرادها الشيخ هو الزعم بأن هذا الثواب لجميع النصارى وهو يعلم أن الله أثابهم على هذا الايمان جنات خالدين فيها ، ولو كان هذا الجزاء لايمانهم بما جاء في كتبهم لكان هذا معارضا صراحة لسياق هذه الآيات لأن ما جاء قبلها وبعدها يؤكد كفر أصحاب عقيدة التثليث وأن مصيرهم النار ، وبالتالي فان الجزاء الجديد وهو الجنة كان لشئ آخر غير الايمان بهذه الكتب الا وهو الايمان بما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم والذي فاضت أعينهم دمعا مما جاء فيه من الحق .

٧) وأخيرا وليس آخرا فإن آيات القرآن الكريم الأخرى تؤكد هذا المعنى ونكتفي منها بقول الله تعالى **( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون )** الآية ٢٩ من سورة التوبة .

والجزية هى ضريبة سنوية تؤخذ من أهل الكتاب الذين يقيمون في الدولة الاسلامية وذلك مقابل عدم تجنيدهم في الجيوش ومقابل الدفاع عنهم .

وهذه ليست ضريبة رأس كتلك التي كانت تفرضها الجيوش على أهل البلاد التي اغتصبت واحتلت لأنها تفترق عنها في السبب سالف الذكر وفي أنها لا تفرض على النساء والشيوخ المسنين والصبيان الصغار كما يعفى منها غير القادرين من الرجال .

**تضليل آخر :**

ولكن مع هذا فالشيخ عمارة تقريبا

منه لليهود والنصارى ، زعم أن الآية التي فرضت الجزية على أهل الكتاب نزلت في طائفة خاصة من اليهود والنصارى لا تدين بالتوحيد ولا تؤمن بالله واليوم الآخر . وأهل الكتاب لا ينطبق عليهم هذه الآية فقد نزلت في أهل الروم في غزوة تبوك والغرض منها حث المسلمين على الرضا بآية منع المشركين من الحج وقد كانوا يجلبون الأموال والمنافع للمسلمين . ص ٨٤ .

**وأمام هذا التضليل .**

فان الآية التالية قد قطعت بعقيدة أهل الكتاب الفاسدة والتي تجعلهم لا يعدون من المؤمنين بالله واليوم الآخر حيث قال الله تعالى عنهم : **( وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون )** الآية ٣٠ من سورة التوبة .

فليس صحيحا أن الآية نزلت في فئة خاصة ليست من صنف أهل الكتاب لأن القرآن صريح في أمره أخذ الجزية من أهل الكتاب بجميع طوائفهم والسبب الذي زعمه الشيخ عمارة لم يرد في أي حديث نبوي ( تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٩٨ ) وتفسير البيان للطوسى ج ٥ ص ٢٠٢ .

والجزية أخذها المسلمون من أهل الروم ومن غيرهم من أهل الكتاب فليست خاصة بفئة معينة .

**بدعة التوفيق بين الاسلام والمسيحية :**

عندما كانت البلاد الاسلامية تحت الاحتلال الانجليزي أو الفرنسي كانت تتردد في بعض الفترات بدعة التوفيق بين الاسلام والمسيحية وقد دعا الى ذلك قديما « ويلفرد بلنت » ( المتوفى سنة ١٩٢٢م ) واسحق تيلور الذي التقى بالشيخ محمد عبده في دمشق سنة ١٨٨٣م وحاول إقناعه بهذه الفكرة هو وصديق له يدعى محمد الباقر ، وقد روى الشيخ محمد رشيد رضا هذه القصة في كتابه تاريخ الأستاذ الامام حيث أوضح أن محمد الباقر كان مذبذبا وتردد بين الاسلام والمسيحية وتنصر ثم عاد وأعلن توبته وعودته الى الاسلام وأخذ يدعو للتوفيق بين الاسلام والمسيحية على أساس ما وجد عند الكنيسة الانجيلية .

وقد ذكر الدكتور محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر تحت عنوان دعوات هدامة : أن أحد الفرنسيين زار مصر في أوائل هذا القرن وأخذ يفاوض شيوخ الاسلام لتوحيد الأديان فأهمله الشيخ حسن الطويل ولم يرد عليه .

وفي مجلة الهلال عدد مارس سنة ١٩٣٩م ( شهر المحرم سنة ١٣٥٨هـ ) تحت عنوان . ( هل يمكن توحيد الاسلام والمسيحية ) نقل عن القمص سرجيوس أن هذه الدعوة باطلة ولا يمكن تحقيقها وفي عدد أغسطس من نفس العام كتب الشيخ الفيشاوي من علماء غزة أن

التوفيق بين المسيحية والاسلام لا يكون الا بدخول المسيحيين في الاسلام فالأناجيل لو فهمت فهما صحيحا لا تعارض الاسلام وكل مسلم يؤمن بعيسى وسائر الانبياء .

### تعطيل الشريعة الاسلامية :

إن الغرض الرئيسي من هذا التحريف الذي تبناه الشيخ عمارة قد أفصح عنه في قوله : « إن جمهور المتحدثين باسم الدين وجمهرة الباحثين فيه وعامة المسلمين يدعون إلى تطبيق الشريعة الاسلامية على مجتمعات تضم رعايا غير مسلمين ... وهذا الطلب يمثل خروجا عن سنة الله في كونه وقانونه في خلقه : تعدد الشرائع الدينية لتعدد أمم الرسالات ص ٦٤ .

وزعم أن هذا منهج الرسول والخلفاء وقال : « إن المسلمين الأوائل على عهد الخلافة الراشدة عندما كانوا يفتحون البلاد ويضمونها الى الدولة فانهم كانوا يميزون بين قطاعين من التشريعات في تعاملهم مع هؤلاء الرعايا الجدد غير المسلمين ، فبعد الفتح تدخل البلاد المفتوحة في إطار الدولة الواحدة التي تخضع جميعها لقوانين متحدة ، تنظم أمور الحرب والسلم والأمن والمال .. الخ على حين لم يكن الأمر كذلك في مسائل الدين وأيضا الشريعة فلقد تركت الحرية للرعايا غير المسلمين في عقائدهم وفي شرائعهم الأمر الذي يشهد أن الشرائع متعددة وليست واحدة وأنه لذلك فلا حق لأبناء شريعة في فرض شريعتهم على أبناء الشريعة الأخرى ماداموا جميعا أصحاب شرائع إلهية ص ٦٦ .

ولقد استشهد الشيخ عمارة ببنود المعاهدات في عهد الخلفاء حيث إن بها ( لا يحال بينهم وبين شرائعهم ) ( لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم و ملتهم وشرائعهم ، لا يغير شيء من ذلك هو اليهم ) ص ٦٧

ثم جعل الشيخ المعاملات من الأمور الدنيوية التي لا يحكمها دين ويوجدها الوطن الذي هو محور ولاء الجميع ص ١٨٩ .

### موطن التضليل :

إن قمة التضليل في هذا الكلام ، هو أن الدين الالهي الواحد قد ابتدعه بعض اليهود والنصارى لتحويل المسلمين عن دينهم ولو كان لدى أصحاب هذه الدعوى أدنى درجة من الصدق لاتبعوا الرسالة الخاتمة وتركوا مزاعمهم ان الله ثالث ثلاثة أو أن عيسى ابن الله أو أن عزيرا ابن الله أو أن اليهود أبناء الله وشعبه المختار .

إن هذا الدين الالهي الواحد ، لا وجود له عند المسلمين واليهود والنصارى ولكنه وسيلة عند الشيخ عمارة ليحقق به أهدافا معلومة .

كما أنه ليس صحيحا ما زعمه بأن الانجيل تضمن شريعة في فقه المعاملات كان يرجع اليها النصارى ، فالأنجيل جاء خاليا من أي تشريع في أمور الدنيا ، ولهذا يتبع النصارى في كل دولة تشريع هذه

الدولة عن طاعة وقناعة **بل ذهب الى السعودية في العام الماضي وفد من فرنسا على رأسه وزير العدل وصرح بأنهم يرغبون في أخذ نظام المعاملات والمواريث في الشريعة الاسلامية للعمل بها .**

وليس صحيحا أن المعاملات من الأمور الدنيوية التي لا يحكمها دين لأنه لا خلاف بين المسلمين وأعدائهم في أن الاسلام تضمن تنظيم الشئون الدنيوية في مجال المعاملات المالية والتجارية والأمور المدنية .

والثابت في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم واجه عدى بن حاتم وكان من علماء النصارى بحقيقة كفرهم في المعاملات المالية والدنيوية إذ روى عنه الترمذي انه عندما دخل على النبي ليعلن إسلامه قرأ النبي عليه قوله تعالى : **( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله )** التوبة /٣١ قال عدى : ما عبدناهم . قال النبي : ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فتتبعوهم .

قال عدى: بلى ، قال النبى : فتلك عبادتهم من دون الله ).

**أهل الكتاب يكذبون عمارة :**

بل إن العلماء من أهل الكتاب يصرحون بأن الاسلام دين شامل لأمور الدنيا كلها وأنه أصلح الشرائع والقوانين .

مجلة الدعوة الصادرة في القاهرة في شعبان ١٣٩٦هـ ( أغسطس ١٩٧٦م ) نقلت ما نشرته صحف القاهرة للكاتب المسيحي الاستاذ سامي داود الذي قال : « إن وزير العدل المستشار احمد سميح طلعت صرح بأن إقامة الحدود الشرعية ستكون قاصرة على المسلمين أما المسيحيون فسيطبق عليهم القانون الوضعي ، وهذا الذي ذكره الوزير من شأنه أن يفصم الوحدة القانونية التي ظلت تحفظ وحدة المسلمين والمسيحيين على مر العصور وبأي ضمير يحكم القاضي على المسلم اذا سرق بقطع يده بينما يحكم على المسيحي اذا سرق بالحبس بضعة أشهر ، ثم قال : « إن ما يتضمنه القانون المدني من مواد تستند الى الشريعة الاسلامية ومنها ما يتعلق بالمواريث وهو أهم وأخطر على علاقات الأسر يطبق على الجميع ، فهل شكا أحد من ذلك ؟

وفي العدد التاسع من المجلة المذكورة الصادرة في غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ ( فبراير ١٩٧٧م ) نشرت تحقيقا تضمن رأي علماء المسيحيين في مصر عن تطبيق الشريعة الاسلامية فنقلت قول الكاردينال/ اصطفانوس بطريرك الأقباط الكاثوليك « إن تطبيق حدود الشريعة الاسلامية ضروري على الشخص وعلى المجتمع حتى تستقيم الأمور وينصلح حال الناس ، وليس في تطبيقها أبدا ما يمس حقوق المسيحيين أو يضايقهم والذي يحترم الشريعة الاسلامية يحترم جميع الأديان » ونقلت المجلة عن الأنبا غريفريوس ممثل الأقباط الأرثوذكس

قوله : « إن تطبيق الشريعة الاسلامية في مصر أمر لا شك فيه ولا اعتراض عليه ـ وقال على الرغم من أن الديانة المسيحية ليس في نصوصها قطع يد السارق أو قتل القاتل إلا ان المسيحيين لا يعارضون في تطبيق حدود الشريعة الاسلامية في مصر ».

كما نقلت المجلة عن القس برسوم شحاته وكيل الطائفة الانجيلية في مصر قوله : « لابد من تطبيق حدود الشريعة الاسلامية لتحقيق العدالة والسلام والحب في المجتمع ».

**أهل الذمة وعهد الأمان :**

لقد استشهد الشيخ عمارة بعبارات وردت في عهود الخلفاء لأهل الذمة الذين ارتضوا حكم الاسلام وزعم أنها تعنى أن يطبق هؤلاء شرائعهم في المعاملات الدنيوية .

والشيخ لا يجهل أن شرائعهم ليست فيها نصوص في هذا الشأن ولا يجهل أنه لم يحدث في التاريخ الاسلامي كله أن كانت لليهود والنصارى شرائع خاصة في المعاملات المالية على الرغم من أن الاسلام لا يجبرهم على حكمه في هذه المعاملات ولكن ان التجأوا الى القاضي المسلم حكم بالاسلام لأنهم ارتضوا حكم الاسلام بهذا التحاكم .

أما الحدود وهى العقوبات فلا توجد دولة في العالم تسمح باستثناء واحد من هذه العقوبات وهذا يسمى في الفقه القانوني المعاصر بمبدأ إقليمية القوانين .

وقد شهد ممثلو النصارى في مصر بما يكذب الشيخ عمارة ويفسر معنى هذه العهود وحسبنا قول وكيل الطائفة الانجيلية فيما نشرته مجلة الدعوة بنفس العدد سالف الذكر « في كل عهد أو حكم إسلامي التزم المسلمون فيه بمبادئ الدين الاسلامي كانوا يشملون رعاياهم من غير المسلمين والمسيحيين على وجه الخصوص بكل أسباب الحرية والأمن ».

أما ممثل الأقباط الأرثوذكس فيقول : « لقد لقيت الأقليات غير المسلمة ـ المسيحيون بالذات ـ في ظل الحكم الاسلامي كل حرية وسلام وأمن في دينها ومالها وعرضها حيث كانت تتجلى روح الاسلام السمحة » .

وأما بطريرك الأقباط الكاثوليك فقد قال : « لقد وجدت الديانات الأخرى والمسيحية بالذات في كل العصور التي كان الحكم الاسلامي فيها قائما بصورته الصادقة ، ما لم تلقه في ظل أي نظام آخر من حيث الأمان والاطمئنان في دينها ومالها وعرضها وحريتها ».

**وبعد :**

نأمل أن يدرك ذلك الشيخ محمد عمارة ويرجع عن مزاعمه وافتراءاته ومنها ادعاؤه وجود اضطهاد للمسيحيين في العصور الاسلامية .

كما نأمل أن يدرك ذلك المسلمون والمسيحيون واليهود حكاما وشعوبا .

# القرآن

# مدخل إلى حياة العقل الإسلامي

للدكتور محمد أحمد العزب

١

يشكل القرآن الكريم محور الحركة الاسلامية منذ البدء وحتى يرث الله الارض ومن عليها ، فكل العلوم الاسلامية نبعت من محيطه ، وكل الفتح الاسلامي تم تحت رايته ، وكل العبقريات الاسلامية تخرجت في ظلاله .

وقد عرف المسلمون للقرآن الكريم هذه الوضعية التاريخية المعجزة ، فأحاطوه ـ منذ نزل ـ بقلوبهم حبا وتأملا عباديا ، وبعقولهم بحثا وتعمقا تنظيريا ، فكان لهم من ذلك كله ، هذا الرصيد الهائل الضخم من العلوم

والفنون والمعارف في شتى منازع الفكر ومختلف جوانب الابداع .

ـ ٢ ـ

والذين يتصورون ان حركة الفكر العربي كانت ماضية الى غايتها التاريخية في ظل من حتمية التطور واندفاعه دائما نحو الأرقى والأكمل ، حتى ولو لم يجيء الاسلام حاملاً بين يديه قرآنه العظيم ، واهمون أو هم خابطون ، لأن ذلك قد كان يمكن أن يكون لو ان الاسلام جاء استطرادا طبيعيا لمسيرة الفكر العربي في اتجاهيه : المادي والمعنوي ، لان احتمال الموافقة حينذاك كان يمكن أن يعطي احتمال الاستطراد التاريخي في الاتجاه نحو التطور الطبيعي ... ولكن الذي حدث قد كان شيئا مغايرا تماما ، فالاسلام لم يجيء استطرادا طبيعيا للنمط الحياتي أو النمط الفكري الجاهلي ، بل هو على النقيض جاء مصادرة كاملة أو قل شبه كاملة لنوعية التعامل الفكري والحياتي في المجتمع العربي ، ربما باستثناء بعض الملامح الصميمة التي تمليها فطرة الخلق في بشرية البشر ، وإنسانية الانسان ... أما ما عدا ذلك فقد جاء الاسلام بنقيضه تماما ، ليؤسس عالما مغايرا في الكم والكيف ، وليبدأ من منطلق هذا الانقلاب الشمولي حركة فكر جديدة ، تؤصل لعلوم جديدة وتقعد لنظرية جديدة ، وقد اتخذ من القرآن الكريم محور حركته في كل هذه الاتجاهات ، مما يؤكد على أن الاسلام بدأ بالفعل يعطي للفكر العربي مضمونا مغايرا وجديدا ، ويبدأ به رحلة ابداع وتنظير جديدة ، ويضع له وبه من العلوم النظرية والتطبيقية ما ينبيء عن إسلامية خلقها وتشكيلها وتكامل وجودها الموضوعي ، بعيدا عن استطراد تاريخي متوهم يمكن أن يكون به امتدادا للمسار الجاهلي في جانبه العقلي أو جانبه العقائدي .

ـ ٣ ـ

واذا قلنا إن القرآن الكريم بدأ هذا الفتح الفكري المسلم فليس هذا القول نابعا من تعصب عرقي أو عقائدي ، ولكنه تأمل موضوعي لظاهرة تاريخية فرضت حلولها على خريطة الواقع الحي ، وفسحت للمسلمين بها مكانا عريضا وعميقا في مسيرة الفكر والابداع الانسانيين وجعلت من الحركة الاسلامية انعطافة بالتاريخ كله من مناطق العبودية والاجترار والتكرار ، الى مناطق التفجر والخلق والابتكار ، وهذا هو الحجم الحقيقي لأية ظاهرة أصيلة تنبع من صلابة نظرة كونية شاملة ، وليس من هشاشة فكر عرضي خابط أو حتى بين متردد الخبط والاستواء !!

ـ ٤ ـ

ولأن المسلمين قد عرفوا للقرآن الكريم كل هذا الدور الخطير في تشكيل ملامح الظاهرة الاسلامية ، فقد استقطبوه تأملا ودراسة وتفسيرا ، وحاولوا من خلال هذا الاستقطاب أن يلموا بجوانب إعجازه واكتنازه ، ولكن الأجيال الخالفة كانت تجد دائما في القرآن مناطق لم تستوعبها جهود الأجيال السالفة ،

وستجد كل الأجيال ــ دائما ــ في هذا الكتاب المعجز الخالد ما يثير فكرها نحو مزيد من الابداع والفكر ، وما يحرك عقلها نحو مزيد من التنظير والتأصيل ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ــ ٥ ــ

لقد لحق النبي صلى الله عليه وسلم بربه والقرآن وديعة في صدور الرجال وفي عديد من الصحف المفرقة التي خطها كتاب الوحي ، واحجم ابو بكر الصديق ان يقدم على ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من تدوين القرآن واثباته تعبدا وتحوطا ، ولكن فارس الفكر الاسلامي المقتدر عمر بن الخطاب سار الى ابي بكر وقد هاله كثرة القتلى من حملة القرآن في حروب الردة الطاحنة ، وقال له :

إن أصحاب رسول الله باليمامة يتهافتون تهافت الفراش في النار ، واني لأخشى ان لا يشهدوا موطنا الا فعلوا ذلك ، حتى يقتلوا ، وهم حملة القرآن ، فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته .. فنفر منها ابو بكر ، وقال : افعل ما لم يفعل رسول الله ؟ وتراجعا في ذلك . ثم ارسل ابو بكر الى زيد بن ثابت قال زيد : فدخلت عليه وعمر مسربل فقال لي ابو بكر : ان هذا قد دعاني الى امر فأبيت عليه ، وانت كاتب الوحي فان تكن معه اتبعتكما ، وان توافقني لا افعل ، فاقتص ابو بكر قول عمر ، وعمر ساكت ، فنفرت من ذلك ، وقلت : تفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ الى ان قال عمر كلمة : وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟ فذهبنا ننظر ، فقلنا : لاشيء والله ، ما علينا في ذلك شيء ، قال زيد : فأمرني ابو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب .

ــ ٦ ــ

هذا موقف ينبيء عن اتجاهين أساسيين اعتصم بهما الفكر الاسلامي الرائد حيال محور حركته ، القرآن الكريم : اتجاه محافظ يتحرج ان يفعل ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، حتى ولو كان هذا الفعل حياطة القرآن من مظنة الضياع والنسيان ... واتجاه واقعي جسور يتحرج هو الاخر ان يشل ارادته نحو صيانة قرآنه حتى ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد فعل مثل ذلك في حياته ..

وبعيدا عن جمود المذهبية او جمود الاقتناع الذاتي بصواب اتجاه معين ، يتشاور الرجلان الجليلان حول محور القضية المطروحة ، ويبدي كل منهما رأيه في هدوء علمي جليل ، وحين يحسان ان المسافة بينهما لا تقترب ، يستدعيان كاتب الوحي ويطرحان امامه القضية وموقف كل منهما حيالها ، ويطلبان اليه المشورة والرأي ، حتى اذا أنس الرجل من نفسه ميلا الى رأي دون رأي ، صدع به بلا مبالاة .. ولكن ( كلمة ) مقنعة من طرف ، تبدد غواشي التردد في نفس الطرف الاخر ، فاذا هو صادع للحق ، ماض الى انفاذ الرأي النقيض في بطولة فكرية رائعة .. اما موقف عمر في هدوئه

العلمي الرصين فينبغي ان يكون نمونجا يحتذى في كل حوار على كل مستوى وفي كل اتجاه ، فقد القى الى خليفته ابي بكر برأيه في القضية ، وظل معتصما بأدب الجندي ، صامتا في حومة الحوار الدائر بين الخليفة الاول وكاتب الوحي ، حتى اذا لاح له ان القضية توشك ان تتجمد بينه وبينهما ، لم يزد على ان قال : وما عليكما لو فعلتما نلك ؟ ويتسرب بهذه القولة الحكيمة الى اعماق الرجلين معا ، فيجدان في انفاذ ما اشار به ، وإمضاء ما رأى ورأيا من صواب .. وإننا لنحسبه قد خرج من مجلس الخليفة الاول وهو يتمتم بدعاء الشكر لله أن قيض لرأيه مساقة في قلب صاحبه أتاحت لرأيه أن يخرج من عالم الحلم الى عالم التحقق والحلول .

— ٧ —

وإذا دل هذا التحوط المحاذر على شيء فانما يدل على تحرج بالغ حيال هذا الكتاب المعجز الخالد ، وعلى إحساس حقيقي بإلهية هذا القرآن الكريم الذي تلقفه المسلمون بعقولهم وقلوبهم مطرا سماويا جليلا يخصب الجدب ويحول وجهة التاريخ ..

وقد تفيق حركة الالحاد العالمي المعاصر على إيقاع مثل هذه الحقائق البادهة ، فلو أن طلائع الصحابة الذين عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم كانت تتسرب اليهم نرة من الشك في إلهية القرآن لما أحسوا نحوه ، وقد لحق الرسول بربه ، بكل هذا التحرج البالغ ولبدا من بعضهم بصيص من جراءة ينفرد بها حتى في جمع القرآن وتدوينه ، وهو الامر الذي لا يضير القرآن في شيء ... ان هذا التحرج في امر ظاهر الطهارة والبراءة ، من هذا النفر الجليل من صحابة النبي وخلصائه ، يؤكد بلا حدود إلهية القرآن ، وإيمان الرعيل الذي عاصر وحيه وتلقيه بأن محمدا لم يكن سوى بشر رسول يوحى اليه ، ويحمل عن ربه كلماته الى الناس ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ولينتقل بهم من بداوة تاريخ دموي غليظ الى حضارة تاريخ قرآني شفيف .

— ٨ —

وقد اصطنع زيد بن ثابت في جمع القرآن وتدوينه منهجا علميا بالغ الدقة والاحاطة ، فقد شعر بجسامة التبعة التي ألقاها ابو بكر على عاتقه ، حتى انه قال : « فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن » . لقد عمد زيد الى الحفاظ يستنبئهم ويسمع اليهم ، وعمد الى الرقاع والاكتاف واللخاف والعسب يجمعها ويوازن بينها ، وعمد الى ذاكرته هو وما وعته من حفظ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الاخيرة من حياته يستحثها ويثيرها ، ثم راقب في يقظة كاملة حقيقة أن أبا بكر يحفظ القرآن ، وعمر يحفظه ، وعليا يحفظه ، وعثمان يحفظه ، وكبار الصحابة يحفظونه او يحفظون منه اجزاء كثيرة ، الى جانب اربعة من الصحابة

هو واحد منهم جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك فيما يرويه مسلم والبخاري عن انس ابن مالك انه قال : « جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار : ابي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابو زيد » وقول انس هنا لا يراد به ان هؤلاء الأربعة هم الذين حفظوا القرآن في عهد النبي دون سواهم ، يقول القرطبي : « فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان ، وعلي ، وتميم الداري ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص . فقول انس : لم يجمع القرآن غير أربعة يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير تلك الجماعة ، فان أكثرهم أخذ بعضه عنه ، وبعضه عن غيره وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأجل سبقهم الى الاسلام . وإعظام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم » ... بل إن آخرين كتبوا مصاحف بعضها كامل وبعضها غير كامل ، ومن هؤلاء عبد الله بن مسعود .

كل هذه المصادر البشرية والوثائقية كانت تحت عين زيد بن ثابت وهو ينهض بعملية جمع القرآن الكريم ، وكان من غير شك يراقبها مراقبة محاذرة ، ويرجع اليها كلها أو بعضها كلما أشكل أمر أو استبهم طريق فاذا اضفنا الى ذلك حتمية إيمان زيد ومراقبته الخاشعة لله ولذكرى رسوله الذي كان زيد كاتب وحيه وأمين سره الى زمن قريب ، أدركنا الى أي مدى كان توثيق هذا الكتاب الخالد المعجز خاليا من الركاكة التي طرأت على توثيق غيره من الكتب ، تحقيقا لوعد الله عز وجل :

**( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )** .الحجر / ٩ .

— ٩ —

وحين جمع زيد بن ثابت آيات القرآن لم يجمعها في مصحف واحد ، ولكنه جمعها في صحف مختلفة أودعها عند أبي بكر رضي الله عنه ، ثم انتقلت هذه الصحف من ابي بكر الى عمر رضي الله عنه ، ثم الى حفصة بنت عمر ، حتى اذا ولى عثمان رضي الله عنه أمر المسلمين بعث الى حفصة في طلب هذه الصحف ، وعهد الى جماعة من الصحابة منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص بجمعها في مصحف واحد ، ونسخ منه نسخا وزعها على الأمصار فأرسل منها الى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة . واستبقى في المدينة واحدا ، وهو مصحفه الذي يسمى الامام ، وكان ذلك في سنة خمس وعشرين للهجرة .

— ١٠ —

واتفاق المؤرخين منعقد على أن ترتيب الآيات في السور كان واحدا في كل المصاحف التي جمعت قبل وفاة الرسول والتي جمعت بعد وفاته وقبل أن يأمر أبو بكر بجمع القرآن ، أما جمع السور وترتيبها فقد ترك لاجتهاد الأمة وخلفاء النبي : ( روي ابن

عباس : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهي من المثاني ، والى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم . ووضعتموها في السبع الطوال ، فقال عثمان :« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة . وكانت براءة من آخر القرآن نزولا . وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت انها منها فقبض رسول الله ولم يبين لنا انها منها . فمن اجل ذلك قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها في السبع الطوال . » )

واذن فترتيب الآيات في السور تم بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد قبض وهذا الجمع تام معروف للمسلمين ، ثابت في صدور القراء والحفاظ .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل :

« ونصوص القرآن تؤيد ما سبق . من ذلك قوله تعالى : ( **يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا . نصفه أو أنقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** ) . المزمل / ١ ــ ٤ وآيات المزمل هذه نزلت في الفترة الاولى من بعث الرسول . فمطالبة النبي فيها أن يقوم الليل يرتل القرآن يرجح أن الآيات لم تكن مبعثرة من غير ترتيب ، وتؤكد ما قدمنا من ان ما كان يوحي الى النبي متصلا بوحي سبق اليه كان الوحي يلحقه به . وذلك قولهم ان جبريل قال للنبي حين أوحى اليه قوله تعالى : ( **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ) . يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة .

من هنا يتضح أن عمل زيد في الجمع والتدوين كان توقيفيا من جهة ترتيب الآيات في السور ، وأنه اكتفى بذلك في عهد أبي بكر فجمع السور في الواح وعسب ولخاف . وتركها هكذا حتى تم لها في زمن لاحق أن تأخذ شكلها الاستطرادي ، لعله زمن عمر أو زمن عثمان كما يقول العلماء على خلاف في ذلك بينهم .

ــ ١١ ــ

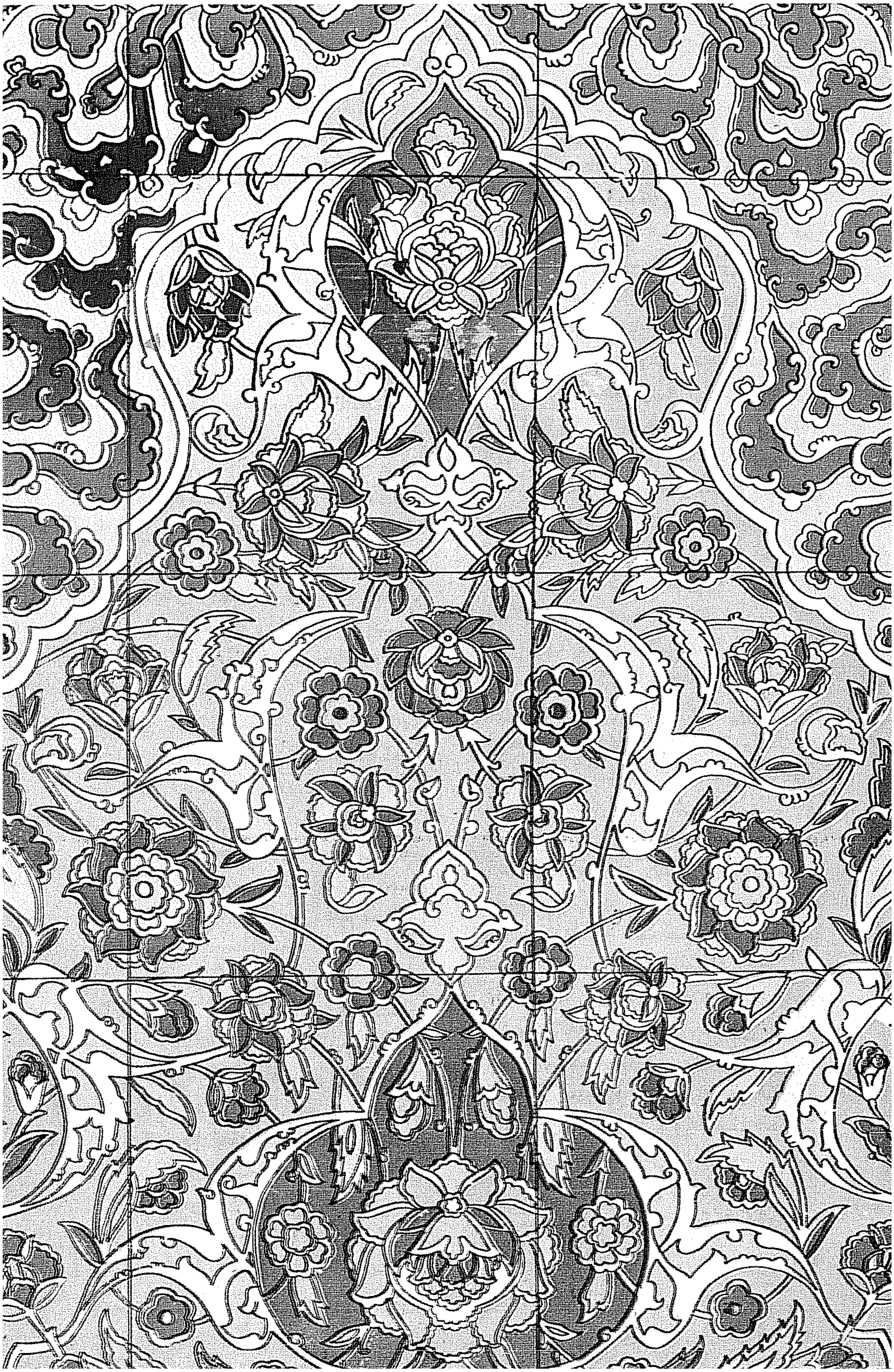
والذي يتأمل تاريخ الفكر العربي قبل الاسلام وبعد الاسلام يروعه ما يجد هناك من جدب فكري الا بعض الاطلالات التي تلوح من خلال الحركة الشعرية الناشطة في الجاهلية ، وبعض من فتات القول في حكمة تروي أو مثل يسير أو خطبة تذهب في الناس ... ثم ما يجده هنا من عطاء علمي وفني في كل اتجاهات الفكر والفن ، من علوم تتصل ببنية اللغة وحقائق التعبير أو علوم تتصل ببنية الكون وحقائق الأشياء ... فاذا حاول احد ان يتلمس الحافز الحقيقي وراء هذا التحول الهائل وجده كامنا في القرآن الكريم : فهو الذي دعا الى تأصيل علم القراءات حين استنفر قوما من علماء الأمة الى ضبط لغاته ،

ومعرفة مخارج حروفه : وإلى تأصيل علم النحو حين استنفر قوما الى معرفة المعرب والمبني من الاسماء والافعال والحروف العاملة وضروب كل اولئك .. والى تأصيل علم التفسير حين استنفر قوما الى شرح الفاظه الدالة على معنى أو معان كثيرة ، أو شرح تراكيبه الظاهرة أو البعيدة .. والى تأصيل علم التوحيد حين استنفر قوما الى رصد ما فيه من أدلة عقلية وشواهد كونية على الوجود والوحدانية والخلود .. والى تأصيل علم الأصول حين استنفر قوما الى معرفة التخصيص والاخبار والنص الظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والنسخ وأنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء .. والى تأصيل علم التاريخ حين استنفر قوما الى تأمل قصص القرون والأمم الخالية ودراسة أخبارهم وتدوين آثارهم ووقائعهم .. وإلى تأصيل علم الفلك حين استنفر قوما الى النظر في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبروج ... والى تأصيل علم البلاغة حين استنفر قوما الى مصاحبة ما فيه من جزالة ونظم ومباديء ومقاطع وتلوين في الخطاب وإطناب وإيجاز ... والى تأصيل علوم الطبيعة والكيمياء حين استنفر قوما الى ضرورة البحث في المادة وخواص الأشياء بما لفتهم اليه واستدعى اجتهاداتهم حياله .

وهكذا نرى أن علوم العرب ــ قبل القرآن ــ كانت مزقا من الفكر لا تشكل نظرية في أي من الاتجاهات ، ولكنها ــ بعد القرآن ــ أخذت طريقها الى التشكل في نظريات عديدة رفدت العلم العالمي آنذاك بكثير من الاجتهادات الصميمة التي أضافت اليه وأخصبت مساره الواثق ... وحسب كتاب ما أن يعمل بكل هذه البطولة المعجزة في كل هذه الاتجاهات النظرية والتطبيقية ، وأن يخرج بأتباعه من حتمية التلقي والاحتذاء الى حتمية العطاء والامتلاك وأن يكون كتاب هدية وعلم ، ومشرق إيمان وحضارة ونبع بلاغة وتأصيل .

ــ ١٢ ــ

يبقى أن نتأمل حركة اتجاهات الفكر المسلم في ظلال القرآن .. لماذا هي ؟ وكيف تشكلت ؟ وما هي خصائصها ؟ وما طبيعة المراحل التي مرت بها ؟ ومن هم أولئك الرواد الذين نيطت بهم بطولة العمل في كل واحد من اتجاهاتها العديدة ؟؟ بكلمة واحدة : ما هي معطيات الفكر الاسلامي في هذا المجال ؟ وسنرى ان حركة الفكر المسلم في ظلال القرآن من خلال تفسيره ، بعد جمعه وتدوينه تضع جهود العلماء المسلمين في مكانها الحقيقي على خريطة الفعل الاسلامي ، وتحدد بالتأكيد طبيعة الموقف العقائدي الذي صدروا عنه في هذا الاتجاه أو ذاك ، وتشير الى الخط البياني الصاعد الذي يضيف فيه كل عصر الى كل عصر ، وتضعنا نحن في إطار من حتمية الترقي الى هذا الأفق الذي إن فاتنا طوق إحتوائه كاملا ، فينبغي على الاقل ان لايفوتنا قدر ان نتأمل روعته الحقيقية ، وان نسبح في تيار بهائه بلا حدود !!



# الخزف الاسلامي ذو البريق المعدني

**للاستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز**

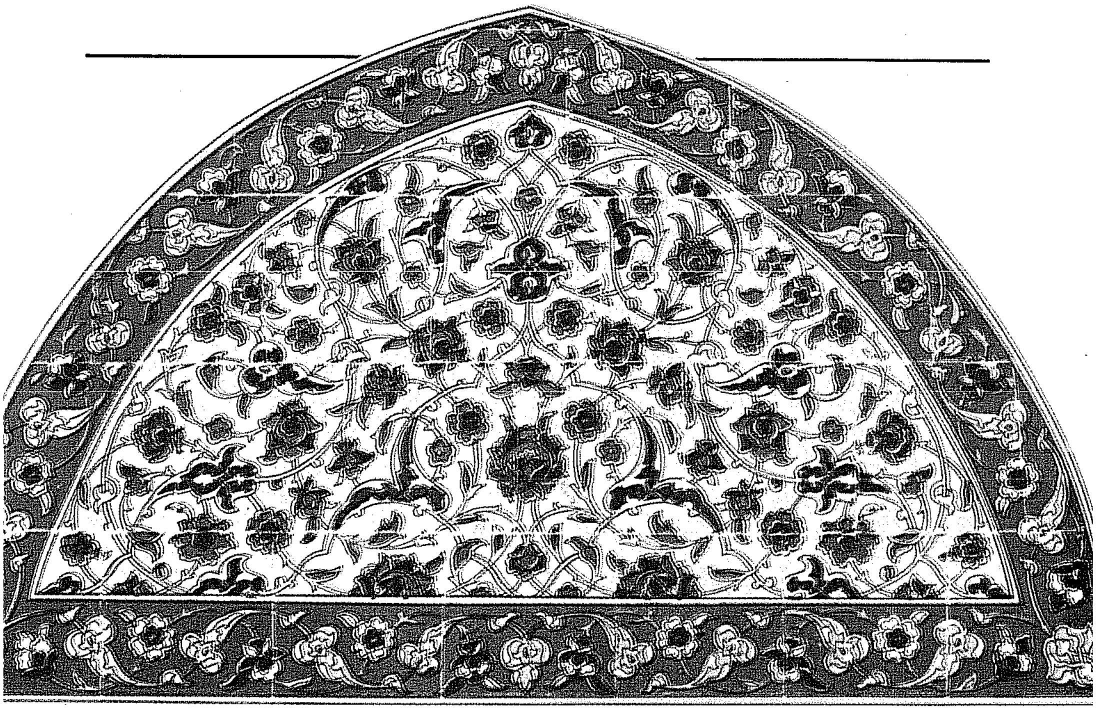
عرف الانسان صناعة الفخار وتوصل إلى صنع أواني خزفية منذ القدم خاصة أن المواد التي يصنع منها الفخار تتوفر في الطبيعة وحاجته إلى الفخار والخزف ليكون قدورا وأواني يحفظ بها الحبوب والزيوت والطعام تزداد يوما بعد يوم .

وكان الفخار بسيطا لا زخرفة فيه لكن التطور صاحب صناعته فبدت الأواني رقيقة بعد أن كانت غليظة كما أصبحت ذات أشكال متناسقة وأضيفت لها الزخارف لتدخل البهجة على من يستعملها .

والخزف ذو البريق المعدني عبارة عن فخار غطى سطحه بطبقة من مادة زجاجية ذات بريق توصل إليها الصانع بعد جهد باضافة مواد كيميائية وتفاعلات كيميائية ، وهذه المواد هي زيادة مادة الصودا بالاضافة إلى الحرارة العالية التي تزيد أيضا صلابته .

وقد اشتهرت بلاد الشرق الأدنى ذات الحضارة العريقة مثل مصر وبلاد الرافدين بانتاج خزف ذى جودة عالية ومن أقدم الأواني الخزفية ما عثر عليه في قرية « حصا ىلق » قرب مضيق الدردنيل بتركيا عام ١٨٠٠ق . م وبلاد الاغريق التي اقتبست الأسلوب الزخرفي والصناعي عن بلاد الرافدين وذلك بالنسبة للخزف الذي صنع في القرن السادس قبل الميلاد ، وتأتي أهمية الخزف اليوناني في

● بلاط خزفي يمثل شكلا تاجيا بجوار ابواب مسجد شاهزاد مسلم في تركيا .



● احدى الوحدات الزخرفية الخزفية الموجودة اعلا شبابيك مسجد السلطان سليم بتركيا .

تعبيره عن عادات هؤلاء القوم وطبائعهم وتظهر على الأشخاص ملامح الوجه بدقة .

## الدين الاسلامي وصناعة الخزف ذى البريق المعدني

يعتبر العراق في ظل الدولة العباسية مهد هذا النوع من الخزف حيث عثر عليه في حفائر « سامرا » التي شيدها الخليفة « المتوكل » العباسي في القرن الثالث الهجري وقد جاءت صناعته بوحي من الدين الحنيف وتوجيهه نظرا لأن استخدام الأواني الذهبية والفضية يعتبر ترفا وإسرافا لا يتناسب مع الزهد والبساطة التي يدعو إليها الدين .

ولهذا فكر الصانع المسلم في إنتاج أواني خزفية لها بهاء الذهب وبريقه واستخدامها لن يكون مكروها فضلا عن رخص ثمنها وإمكان زخرفتها برسوم بديعة تفنن الصانع في ابتداعها وتنسيقها كما أنه لم يتخذ الرسوم الآدمية والحيوانية إلا محورة وليست كما هى في الحقيقة والواقع ، لأنه لا يجوز للانسان أن يصنع شيئا فيه تقليد لما خلقه الباري سبحانه فأحكم صنعه ، وأكثر من تزيين الخزف بالرسوم الهندسية وفروع الأشجار والأغصان والورود والزهور وما شاكلها .

وتوصل الانسان إلى صنع البريق المعدني عن طريق حرق الاناء مرة ثانية بعد وضع المادة المعدنية من

الأكاسيد على سطحه وإدخالــه في الفرن بعد عملية حرقه للمرة الأولى لتترسب المادة المعدنية بواسطة الحرارة البطيئة بين ٥٠٠ ــ ٨٠٠° فهرنهيت حيث يتفاعل الدخان المتصاعد وقت الاحتراق مع الأكسيد وتكسو الطبقة البراقة الاناء بصورة تجعله لامعا براقا .

## خزف سامرا

ويفوق خزف مدينة « سامــرا » بالعــراق جميــع أنــواع الخــزف الاسلامي وزخارفه منقوشة ببريق ذى لون واحد أو متعدد الألوان فوق طلاء قصديري اللون ، والزخارف الجميلة ذات الألوان المتعددة يغلب عليهــا الذهبي والأخضر والبني ، وقــوام الزخارف فروع نباتيــة حورت عن الطبيعة أيضا ، وهــي عبــارة عن أشكال مخروطية ومراوح نخيلية ذات ثلاثة فصوص ورسوم مجنحة ودوائر بيضاء من وسطها نقط داكنة وأشكال هندسية ظللت بخطوط صغيرة .

## أساليب الزخرفة

نقوش هذا الخزف إما ذهبية اللون على أرضية بيضاء أو نقوش حمراء ، أو قرمزية على أرضية بيضاء أيضا .

وقد تنوعت الأساليب الزخرفيــة فكانت ترسم تحت الطلاء بلون واحد أو بألوان متعددة كما تحفر الرسوم بطرق منوعة وفي عمق متنوع أو تكون بارزة بطريقة دقيقة أو تخرم الأواني وجدرانها ويغطون الأجزاء التي ثقبت فتبدو شفافة رائعة الجمال .

وللخزف أهميته في إتصاله بحياة الانسان حيث يلازمه في مكان عمله وفي بيته كما يعتبره مورخو الفنون مصــــدرا للتاريـــخ الاجتماعــــي للانسان ، بل وفي ميدان القتال وأثناء القنص والصيد في المناطق الجبلية والصحراوية ، وهكذا أصبح مصدرا تاريخيا واجتماعيا وفنيا يبين تاريخ الانسان وتطور أساليبه الفنية بما ابتكر من أساليب زخرفية أو كتابية يمكن منها تحديد تاريـخ الصنـع ومكانه .

## الخزف السلجوقي

كان حكام السلاجقة رعاة للفنون جمعوا في قصورهم كثيرا من رجال الفن ووفروا لهم جميع الامكانيات المادية من مواد الصناعة والألوان ، فضلا عن التشجيع الفني للصناع ، الذي أوجد التنافس بينهم وكان أحد عوامل الازدهار الصناعي ، وخلال حكمهم ازدهرت صناعة الخزف في المدن مثل الري ومــرو وأصفهــان ونيسابور وأنتج خزف على درجــة عاليــة من الجــودة والاتقــــان ، وأصبحت مدينة الــري من أعظــم المراكز الصناعية حيث اكتشف فيها عدة تحف تزهو بها متاحف العالم .

وتختلف ألوان الخزف السلجوقي بين اللون الذهبي الباهت واللــون الأخضر واللون البني الداكن فوق طلاء أبيض ، ولم يقتصر الانتــاج

الخزفي على الأواني ، بل تعداه إلى الألواح والبلاطات التي تزين بها الجدران ( والتي لازالت تستخدم في عصرنا كأثر من آثار الماضي ) .

ومن القطع الفنية المشهورة التي تنسب للعصر السلجوقي قطعة إناء بالمتحف البريطاني مؤرخة ( ٥٧٥هـ ) تزينها أشرطة تضم أشخاصا يجلسون ، وحيوانات تعدو ، وفروع نباتية ، والعثور على مثل هذه القطع التالفة أو المكسورة في مدينة الري يعد دليلا على وجود مصنع للخزف بها .

وهناك قطعة أخرى في متحف « المتربوليتان » بالولايات المتحدة تعتبر أروع إنتاج خزفي ذي بريق معدني ، قوام زخرفتها رسم شخصين ربما تكون لأمير وصديقه يلعبان على الصنج ، وحدد الشخصان بخط واضح ، وحولهما أرضية الاناء التي ازدحمت بالزخارف النباتية وبملابس الشخصين المزينة بالرسوم النباتية .

أما الخزف السلجوقي الذي ينسب لمدينة الرقة فهو من اللون البني الداكن ، وقد رسمت زخارفه باللون الأسود تحت طلاء أزرق فيروزي وكتابات كوفية متشابكة مع طيور ألحقت بها رسوم كالنقطة والفصلة داخل مناطق منفصلة .

## الخزف ذو البريق في مصر

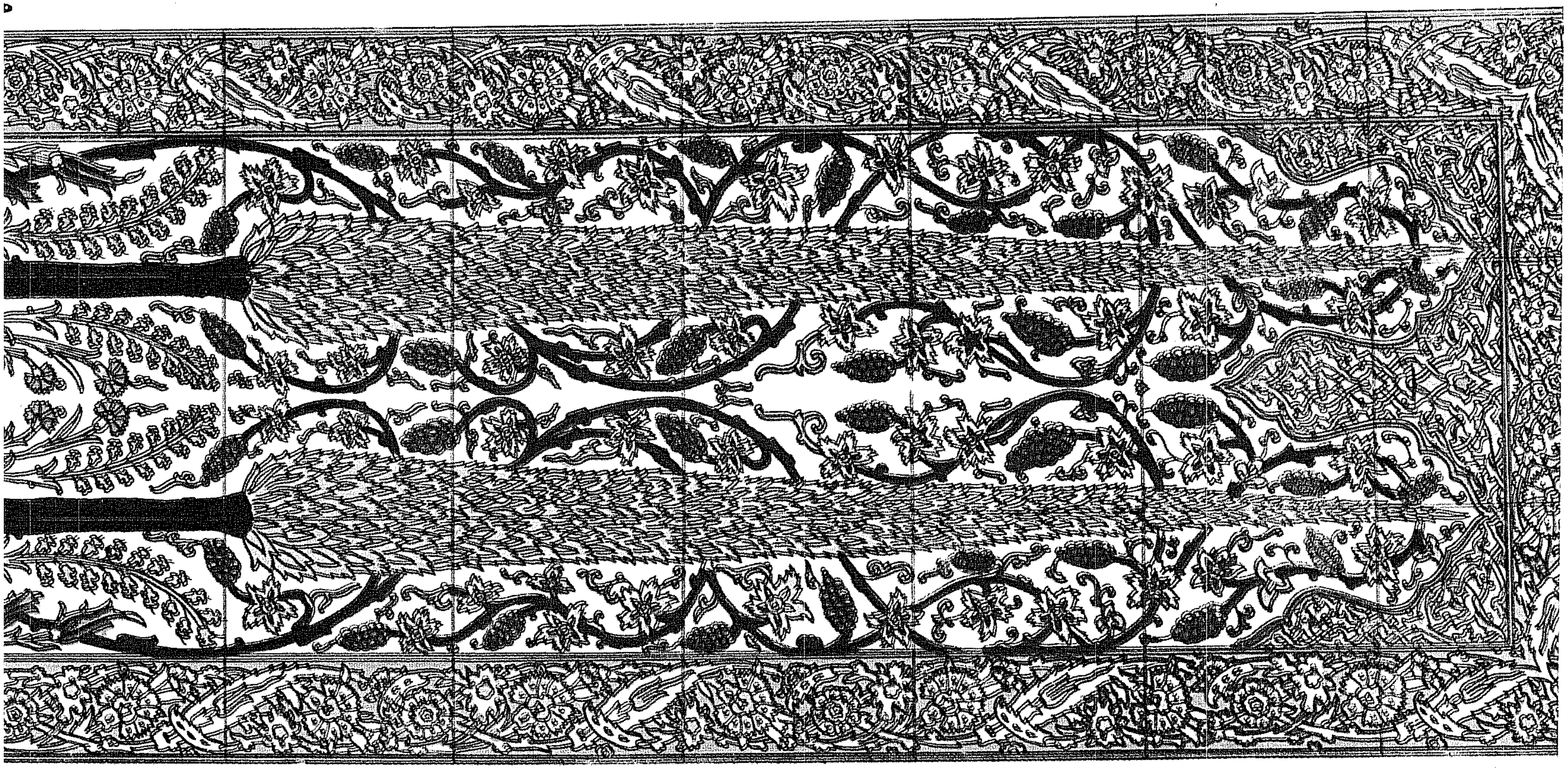
أنتجت مصر في العهد الفاطمي خزفا ذا بريق معدني عثر عليه في



● كوب خزفي مزين بصور نباتية ومحفوظ بالمتحف البريطاني .

● زهرة التيوليب على دورق خزفي من متحف فيكتوريا بلندن .





● جدار مكسو ببلاط خزفي بالوان متعددة على شكل زهرة الزنبق مع اطار بديع من الزهور .

إلى الكتابة الكوفية والنباتية . وكان الخزاف سعد يوقع على الاناء بالخط الكوفي المورق على السطح الخارجي للاناء ، ويستخدم المينا القصديرية البيضاء أو الزرقاء المائلة إلى الخضرة نتيجة إضافة مادة النحـــاس ، أو الحمراء باضافة المنجنيز إليها .

## الخزف الأندلسي

كان خزف الأندلس ذو البريـــق المعدني في عصر الخلفاء الأمويين في مدن بلنسية والزهراء والمرية يعتمد على الطلاء الزجاجي لكنه لا يشمل الاناء كله كما كان الحال في المشرق الاسلامي بل كان يلـــون كل جزء بلون ، ويفصل هذا الجزء بحز عميق عن الجزء الملون بلون آخر ، وتغلب على الألوان الأخضر والأزرق والبني الذي على لون القهوة وزخارفه نباتية وهندسية وكتابية ورسوم طيور .

ومن أشهر الخزف القدور التي كانت تستخدم لحفظ الأدوية وعليها كتابات كوفية عليها عبارات مثـــل « العافية » وقد ظلت أساليب زخارف بلنسية نماذج للعصر الأسباني بعد زوال الحـكم الاسلامـــي ، ولقـــي الخزف الأندلسي رواجا وإقبالا من أمراء أوربا .

## الخزف العثماني

اهتم صانع الخـــزف العثمانـــي بالاقتباس عن الأسلوب الذي كان



● طبق خزفي يحمل صورة مركب وسط امواج البحر .

حفائر الفسطاط حيث كانت بها أفران صنع الخزف ، أما ألوانـــه فهـــي الدهان بطلاء أبيض أو أبيض مائل للخضرة ، ويعلو الدهان رسوم ذات بريق معدني ذهبي اللون في الغالب أو أحمر أو بني أيضا .

ويمتاز الخـــزاف المصري بثقتـــه بنفسه حيث نقش اسمه على الاناء ومن أساتذة صنع الخـــزف كثـــير أشهرهم الخزاف : مسلم وسعد وأبو الفـــرج والحسينـــي وابـــن نظيـــف وغيرهم .

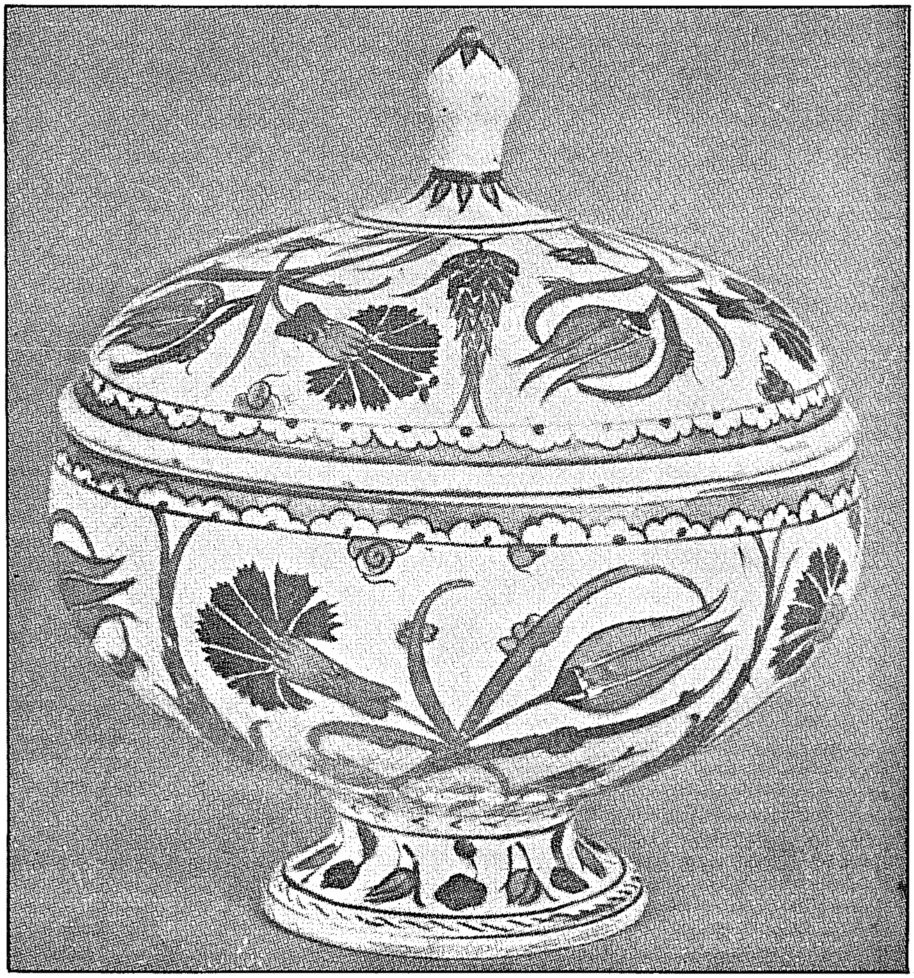
ويمتاز الخزف الذي صنعه مسلم بالبساطـــة والقـــوة والحريـــة في الزخرفة ، أما خزف سعد فكان رقيقا رشيقا يجمع بين التناسق والابداع الفني ، وقد ظهرت في الرسوم الخزفية لمسلم ومدرسته الزخارف الحيوانية والآدمية المحورة عن الطبيعة إضافة

سائدا من قبل إلى جانب تقليد الخزف الصيني أو المغولي .

وأدخل الفنان زخارف نباتية مثل شجر السرو وأزهار القرنفل والياسمين والمراكب الشراعية وغلب على الألوان الزيتوني والفيروزي والأرجواني والأحمر وإشتهرت مدن إزنيق وكوتاهيه بهذا النوع الذي تزخر به المتاحف .

وهكذا تميزت الزخارف بأوراق القرنفل وبالكتابات النسخية والكوفية التي تتضح في البلاطات الخزفية التي كانت تزين المساجد والقصور .

هذا هو الخزف الاسلامي الذي ابتكره الفنان المسلم ليكون بديلا للأواني الذهبية ، وأصبح موضع التقدير يقبل الجميع على اقتنائه لجمال زخارفه وبهاء ألوانه ودقة صناعته .



● سلطانية خزفية مزانة بالزهور ومحفوظة بالمتحف البريطاني .

# مسجد طوكيو والمسلمون هناك

( ١ ) محاضرة على طلبة وطالبات غير مسلمين .. من اجل الدعوة إلى الله .



## الواقع الاسلامي :

**يعيش العالم الاسلامي المعاصر ظروفا صعبة قاسية .. تشيع فيه الفتن الداخلية ، وتتكالب عليه قوى الشر والبغي والعدوان .. تخريب هنا وتخريب هناك ، وإفساد في أرض الاسلام والمسلمين ، وتتفاعل الأزمات ، ويطمع في الديار أعداء الانسانية ، ويحاولون نهب ثروات المسلمين ، وتتقاسم الفتن مواطن المسلمين .. وينشغل الأخ عن أخيه .. وتنبعث الصيحة في « أفغانستان » واسلاماه .. فيتردد صداها في فلسطين .. وجواب الصدا في لبنان .. ويهتز ضمير الشعب المسلم .. وتتفاعل الأحاسيس .. ولكن ماذا نحن فاعلون ؟! ويبقى السؤال ـ حتى الآن ـ بلا جواب ..**

## نور الاسلام :

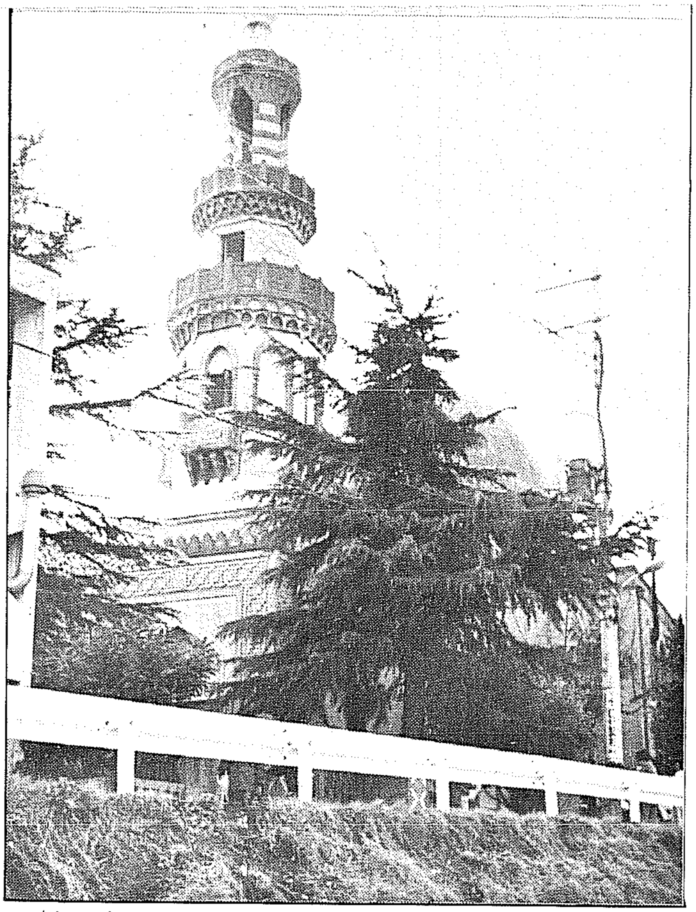
ووسط هذه التفاعلات نسعد بلقاء الأخ المهندس **أحمد محمد المغربي** ـ الكويتي الجنسية ـ ليحدثنا عما رأى وشاهد في اليابان .. وعن إخوة لنا هناك .. أسلموا لله .. وعملوا على نشر راية التوحيد هناك .. ليبقى الأمل يانعا .. ولتتسع دائرة الرقعة الاسلامية .. رغم أنف الالحاد والملحدين : **( والله متم نوره ولو كره الكافرون )** .

## إخوة لنا :

يقول محدثي : كنت أؤدي صلاة الجمعة بمسجد طوكيو الوحيد بهذه المدينة التي يبلغ عدد سكانها حوالي ( ١٢ ) مليونا ، وحيث يبلغ عدد المسلمين باليابان حوالي ( ٣٠ ) ألف مسلم . كما أخبرني بذلك القائم على شئون المسلمين هناك .. وهو الدكتور/ **عبدالكريم سايتو** ـ دكتوراه في الاقتصاد والعلوم السياسية ـ وهو ياباني الجنسية . وقد اعتنق الاسلام هو وأسرته قبل ( ٢٥ ) عاما .

## الدعوة إلى الله :

وهناك يلتف أعداد كبيرة من الطلبة والطالبات ممن تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة ، يلتفون حول إمام مسجد طوكيو بعد أداء فريضة صلاة الجمعة ، حيث يلقي عليهم درسا في أصول الاسلام ومبادئه السمحة ، وتعاليمه التي توافق الفطرة السليمة ، والامام تركي الجنسية ، ويجيد التحدث باللغة اليابانية ، والانجليزية ،



( ٢ ) منظر عام لمسجد طوكيو .. رمز الاسلام في كل مكان .

والعربية ، إلى جانب لغته الأصلية ، وبعد أن فرغ الامام من درسه قام رجل مسلم ياباني يحاضر في الطلبة البوذيين ـ بأسلوب سهل بسيط ، يفهمه الطلاب والطالبات بيسر وسهولة .

وإلى جانب هذه المحاضرات والندوات في المسجد ، يقوم المثقفون بواجب الدعوة إلى الله كلما سنحت الفرصة .

غير أن إمكانات المسلمين هناك محدودة ، وهم في حاجة إلى دعاة مخلصين يعرفون كيف يخاطبون عقل الانسان المعاصر بأساليب المنطق الحديث ، والناس هناك مهيئون ـ بمشيئة الله ـ لقبول الدعوة الاسلامية .

وبذا نأخذ بيد الانسان إلى طريق الهداية ، والله لا يضيع أجر المحسنين يقول تعالى : **( ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ) .**

**مسجد طوكيو :**

ومما يلفت النظر أن مسجد طوكيو مسجد قديم ، وصغير ، أسس سنة ١٩٣٨م ولا يتسع لأكثر من مائتي مصلي . والمسجد بوضعه الراهن يضيق عن استيعاب المصلين الذين يزدادون ـ بتوفيق الله ـ يوما بعد آخر .

كما أن المسجد تعرض لزلازل

وأعاصير جعلته في حالة خطرة ، فجدرانه متآكلة ، ومئذنته متصدعة ، والأجزاء الخشبية فيه أمست بالية متهالكة . فهو في أمس الحاجة إلى إعادة بناء ، وتوسعة ، وتدفئة مركزية نظرا لبرودة الطقس باليابان .

ومن غير المسلمين المخلصين يقوم بواجب عمارة مساجد الله في شتى بقاع الأرض ؟!

ومن غير الصالحين الذين وفقهم الله إلى طاعته يبذل ماله في سبيل الله .. من أجل إنقاذ الانسان من الضلال ، من أجل بناء مساجد الله حيثما وجد الانسان ؟!

لمثل هذا يتسابق المؤمنون .. قال تعالى : ( **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من بنى مسجدا لله بنى الله له بيتا في الجنة** » .

**لجنة المسجد :**

وقد شكلت لجنة من مسلمي اليابان ــ تطوعا ــ من أجل إعمار المسجد وتوسعته وإصلاحه ، وجمعت اللجنة ــ حتى الآن ــ مبلغ عشرة آلاف دينار فقط ، ومازال الأمر يحتاج إلى مبلغ تسعين ألف دينار أخرى .

فهل لك ــ أخي القارئ ــ أن تساهم في تشييد صرح إسلامي في بلاد غير إسلامية . ليكون منارا للاسلام هناك ؟! ولتشد من أزر إخوة لك مسلمين هم في انتظار مساعدتك .

ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » .

**لمن أراد الخير :**

هذا واللجنة قد فتحت حسابا خاصا باسم ( لجنة تصليح مسجد طوكيو ) وذلك في بنك طوكيو تحت حساب رقم ٠٢٩ ــ ١٨٣٨٧٣ ، ولا يستطيع أحد أن يسحب أي مبلغ إلا بتوقيع مشترك من الرئيس ، ونائبه ، ومدقق الحسابات بعد الحصول على مصادقة اللجنة على الغرض الذي من أجله يسحب المبلغ .

**ونحن نهيب بمن أراد فعل الخير من المسلمين أن يمدوا يد المعونة إلى لجنة تصليح مسجد طوكيو على العنوان التالي :**

**"TOKYO MOSQUE REPQIR COMMITTEE" INT THE BANK OF TOKYO**
**(SHINJUKU BRANCH, TOKYO)**
**a/c No. 029 - 183873.**

ونسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه خير الاسلام والمسلمين ، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم .. وعند الله خير الجزاء ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ( من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . ) .

فالى ساحات الخير والفلاح .. ترهبون عدو الله وعدوكم .. والله ناصر من ينصر دينه .

**وبالله التوفيق ،**

# مدرسة الأزواج

## ٢

**الزواج ضرورة طبيعية :**

الزواج ـ أسرة الغد ومجتمع المستقبل ـ قصة البشرية على الأرض منذ أن هبط آدم وحواء من الجنة ، وسيظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وتؤكد البحوث والدراسات المختلفة التي أجريت على غير المتزوجين من كلا الجنسين عدة أمور :

اولا : أن نسبة غير المتزوجين الى المتزوجين في كل عصر ، وفي كل مكان نسبة قليلة جدا .

ثانيا : أن هذه الفئة واحد من

للأستاذ محمد محمد حلاوة

ثلاثة .. عاجز خلقة عن أداء دوره الوظيفي كزوج ، أو مريض بمرض لا يقدر معه على أعباء الحياة الزوجية ، ويخشى عليه ، وعلى النسل منه ، أو مدع فلسفة خاصة لو حللناها لوجدناها ترجع في النهاية الى أوهام خادعة ، أو تعلات كاذبة أو رواسب نفسية .

ثالثا : أن رغبة هؤلاء عن الزواج ليست تعففا ولا زهدا وانما هم مضطرون الى ذلك اضطرارا ، ولذلك يشعرون بالحرمان والضياع ، ويقضون العمر في حسرة وأسى ومرارة !! ألم يفقدوا وجودهم وذواتهم كأحياء !! ولا يعني هذا كله الا حقيقة واحدة هي أن الزواج ضرورة .. ضرورة لوجود الحياة .. ضرورة لبقائها واستمرارها .. ضرورة لتعمير هذا الكون .. ضرورة لكل من الرجل والمرأة على حد سواء ، بحكم تكوينهما الطبيعي ، بل هو ضرورة لكل الكائنات الحية على اختلافها . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

يقول الله سبحانه وتعالى : **( يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم )** الحجرات / ١٣ ويقول عز من قائل : **( ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا )** الآيات ٦،٧،٨ من سورة النبأ . وفي موضع آخر :**( حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل )** الآية ٤٠ من سورة هود .

### وفي الحديث الشريف :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا .. أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

### فترة التفكير :

ما من فتاة أو فتى يبلغ سن الرشد إلا ويجد نفسه تلقائيا يفكر في

« نصفه الآخر » .. أمر طبيعي .. وقد تطول هذه الفترة أو تقصر ، ولكنها على كلتا الحالتين فترة ذات سمات محددة :

فهي نقطة البداية في حلقات الحياة الزوجية ، فيها يوضع حجر الأساس الأول ، وعلى نوعية التفكير ، وسلامته ، واتجاهاته ، ومدى وعيه يكون النجاح أو الاخفاق في الحلقات التالية .

كما أن هذه الفترة ترتبط بتلك السن التي يشتد فيها الجسم ، ويعنف الجنس ويتفتح الذهن ، وتتوهج الأحلام ، ولذلك كانت فترة حاسمة في مسار الحياة .

وليس يغيب عن الأذهان أن مفهومات الشباب وثقافتهم عن الحياة عامة ، وعن الحياة الزوجية بوجه خاص قد أصبحت عاجزة وكليلة ومختلطة .. وهي في حاجة الى مجهود شاق ومتصل إلى تنقيتها من الشوائب .. وتطهيرها من السموم ، وتوجيهها الوجهة الرشيدة الصالحة .

أضف الى كل ما سبق تلك المسافة التي تتسع شيئا فشيئا فتفصل الآباء عن أبنائهم وتكاد تضرب بينهم حجابا ، ولا سيما فيما يتعلق بمسائل الجنس اعتقادا منهم أن الحديث عنها غير مرغوب فيه ، والعلم بها لا يقره العرف والتقاليد ، وضرره أكثر من جدواه .

لا أريد أن أزعج الشباب فأقتحم عليهم خلوتهم ، وأقطع عليهم حبل سعادتهم ، وأنما أحب أن أنبههم ، وأؤكد على هذه الفترة بكل سماتها في صنع الأساس الأول لبناء الزوجية ..

ولذلك وجب عليهم أن يقفوا وقفة متأنية عاقلة ليأتي تفكيرهم هادئا رزينا ، متمشيا مع منطق الحياة وواقعها ، خاليا من أي تهور أو اندفاع ، بعيدا عن الأوهام والمظاهر ، لا ينفردون فيه برأي ، بل يستشيرون من يثقون فيه من أولى الرأي والحكمة .. وعليهم بعد ذلك كله أن يراجعوا أنفسهم مرات ومرات قبل أن يخرجوا الصورة النهائية لنصفهم الآخر ، وقبل أن يأتي يوم يندمون فيه فلا ينفع الندم ولا يفيد .

**أصعب اختيار :**

يسير جدا أن تختار كتابا تقرؤه . ويسير جدا أن تنتقي ثوبا تشتريه . ويسير جدا أن تؤثر عملا على عمل ، أو شيئا على شئ .. أي عمل .. وأي شئ .

وقد لا يعجبك الكتاب ، أو لا يروقك الثوب ، أو لا ترضى عن العمل ، ولكنك في جميع الحالات تستطيع أن تتدارك هذا وذاك بالتغيير مثلا أو بالاستبدال ، أو بأي وجه آخر من الوجوه .. دون كبير عناء ، ومن غير ضرر يذكر .

أما اختيار الزوجة أو الزوج فيا له من اختيار !! إنه أصعب اختيار يواجه الانسان في حياته كلها ، وذلك لأسباب كثيرة منها :

أن النجاح أو الاخفاق فيه ليس مقصورا على الفرد نفسه ، بل يتعداه إلى غيره من الولد ، والأهل ،

والأسرة ، ويتحدد بهذا الاختيار مصير الانسان ومستقبله فاما سعادة وهناء وإما تعاسة وشقاء .

وبعد : فعلى أي أساس نختار نصفنا الآخر ؟

## كيف نختار ؟:

انختاره لجماله ، أم لماله ، أم لحسبه ، أم لدينه ، أم لكل اولئك جميعا ؟ إن اختيار المرأة لجمالها اختيار شهوة وجنس ، وهو اختيار قلما يحالفه التوفيق إذ سرعان ما تنطفيء حدة الجنس ، وتفتر ثورة الشهوة ، ويفقد الجمال طعمه بالتدريج ، وقد أثبتت الأيام أن الزواج بالجميلات يجلب لأصحابه الهم والنصب . ويحيل بيوتهم الى براكين تفر منها الراحة ، ويغيب عنها الأمان .

اختيار المرأة لمالها هو اختيار الطمع والمادة ، وما دخل الطمع في شيء الا أنهكه وأفسده ، وكم من بيوت زوجية انهارت في أيامها ــ لا سنواتها الأولى بسبب المال ، ووقعت الجناية كلها على الأبناء الأبرياء ، فضلوا طريقهم وتاهوا وسط الظلام .. وكانت نهايتهم الضياع والخسران .

واختيار المرأة لحسبها اختيار عفى عليه الزمن ، ولم يصبح له في عالم اليوم مكان . واختيار المرأة لدينها اختيار عقل وعاطفة ، ومادة وروح ، ولذلك فهو الاختيار الأصلح والأبقى .. الاختيار الذي صنع البيوت العريقة ، وخلد الأمجاد العريضة ، وأثبت وجوده دائما في أشد الأزمات وأحلك الساعات ، ووقف شامخا في شمم وإباء ، حكاية وفاء ترددها الأجيال ، وأغنية صبر وإيثار في قيثارة الوجود ، ونشيد تضحية في فم الزمان ، وملحمة كفاح في أسطورة الخلود ..

وكل ما قيل في تحليل أسباب اختيار الرجل للمرأة هو ما يقال نفسه في اختيار المرأة للرجل .

## أحسن اختيار :

وليس هناك اختيار أسمى ، ولا أدق ، ولا أروع من اختيار معلم الانسانية الأول محمد صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

نعم . إنها ذات الدين ، وكفاها بالدين عزا وجاها وغنى إن لم يكن لها سواه فان كانت ــ مع ذلك ــ ذات مال كان دينها عصمة لمالها ، وحارسا يقظا وأمينا يحسب له الزوج كل حساب إن هو حاول استغلالها أو امتدت يده بالطمع فيها ، وإن كانت إلى ذلك ذات جمال فخليق بالدين أن يسمو بهذا الجمال ، وأن يحفظ له قدسيته وطهارته ، ويصونه من كل عبث وصغار .

ولن يجد رجل أبدا شيئا يتمناه في امرأة : من كان ، وكيفما كان ، أكثر مما ورد في الحديث النبوي الكريم .

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها

أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » رواه ابن ماجة .

فما للآباء ألهتهم الحياة الدنيا ، وشغلتهم أموالهم وأنفسهم ، فنسوا أعز ما يمتلكون ــ فلذات أكبادهم ــ في وقت هم أحوج ما يكونون فيه إليهم ، وفي أمر من أدق أمور الدنيا كلها ، يتلهفون فيه إلى وعي سليم ، ورأي سديد ، ويتشوقون إلى قائد أمين ، وربان ماهر ينأى بهم عن مهاوي الطريق ، ويهديهم إلى بر النجاة والأمان .

وأنتم أيها الفتيان والفتيات كفاكم كفاكم ، ودعوكم من الأحلام الوردية ، والأبراج العاجية ، وقصور الرمال ، وخاتم سليمان ، وبساط الريح ، وليالي شهرزاد ، وجنة الأحلام ، وفاتنات الشاشة ، ونجوم المسرح ، وأبطال الروايات ، وأساطير العشق والغرام ، وقصص الجنس الحرام ... ومقاييس الطول والعرض ، ولون الشعر والخد ، والرشاقة والحركة ... والنظرة واللفتة ــ فصدقوني ــ ستتعبون تتعبون ، ثم تنقطع أنفاسكم ، ولن تصلوا إلا إلى سراب .

**الخطبة :**

وإذا ما أنعمنا التفكير ، وأحسنا الاختيار على النحو السابق كان التمهيد للخطبة أمرا طبيعيا ، وتهيأت كل الوسائل لنجاحها ، فقد سلمت المقدمات فلزم أن تسلم النتائج ، وكان الله مع الجميع ، وخير هاد وخير معين .

وليس هناك في أمر الخطبة ما أحب أن أتحدث فيه سوى نقطتين :

الأولى : كيف تتم الخطبة ؟
والثانية فترة الخطبة .

كيف تتم الخطبة :

الخطبة بوضعها الراهن لا تأخذ حقها الواجب من العناية والاهتمام ، ولا تنال من الآباء والأمهات ما تستحقه من دقة وتمحيص ، وتناول سليم ، فكثيرا ما تكون الخطبة مفاجئة ، ويتم فيها القبول السريع ، ويؤخذ الموضوع كله في عجالة عاجلة ، وينتهي بين يوم وليلة ، كأنه عقد بيع أو صفقة مزاد .

ورأيي أن تتم الخطبة وفق الخطوات التالية :

١ ــ أن يسبقها تحر كاف من جميع الأطراف المعنية .

٢ ــ أن يقوم بها الآباء وحدهم ، أو بصحبة أبنائهم ، دون وسيط إلا إذا كان الوسيط ثقة ومأمونا .

٣ ــ ألا نتقدم إلى الخطبة إلا بعد أناة ، وروية ، وتثبت ، واقتناع .

٤ ــ ألا يتم القبول من الطرف الآخر إلا برضا الفتاة ، وبمثل ما تم به من الطرف الأول حتى إذا قبلت نعم ، كانت بحق نعم .

ولا بأس من أن تخطب الفتاة لنفسها ، أو يخطب لها أهلها ما دام الدافع إلى ذلك شريفا ، وكريما ، وخالصا من الأهواء ، بعيدا عن الشبهات ، يحقق قيام الأسرة السعيدة ، فقد خطبت السيدة خديجة

رضي الله عنها سيد الخلق محمدا صلى الله عليه وسلم لنفسها لما سمعت عن أمانته وحسن معاملته من غلامها ميسرة .

**فترة الخطبة :**

والأسئلة تفرض نفسها الآن .. والسؤال الأول : أيهما أفضل أن تطول فترة الخطبة أم تقصر ؟ .. وقد لا يكون الحكم دقيقا على إطلاقه إذا فضلنا أحد الأمرين على الآخر ، فقد يستحسن الطول في حالات ، ويعاب في حالات أخرى والأمر كذلك بالنسبة لقصرها .. وصمام الأمان على أي اعتبار هو في البعد عن التكلف والتصنع ، والتهويل وترك الأمور على سجيتها ، وفي الرقابة الساهرة الواعية على كل من الفتى والفتاة ، حتى لا يقع منكور أو محظور ، وبالدراسة الدقيقة والأمينة لأخلاق كل من الفتى والفتاة ، وأسرتيهما ، ومدى تأصل القيم والمثل فيهما ، وتسليط الأضواء للكشف عن الطباع والاتجاهات ، والتوجيه الصادق المستمر في أثناء تلك الفترة برفق وكياسة ممن يحسنونه بقصد التعديل والتقريب والتلاقي ، والتطويع والتطبيع ، وتقويم هذه العملية مرة بعد أخرى ... حتى إذا تبين استحالة الوفاق تم الفسخ بينهما في الحال بالمعروف وبالحسنى ، حسما للموقف ، وحفظا للوقت والجهد والمال ، وتلافيا لمشكلات أكبر وأعمق لا يدري مداها وآثارها إلا الله .

والسؤال الثاني هو : وهل يلتقي الخطيبان ؟ وكيف ؟

بالخطبة وحدها لا يصبح الفتى زوجا ، ولا تصير الفتاة محرما ، ولذلك فلا يحل اللقاء بينهما لا عرفا ، ولا عقلا ، ولا دينا على أية صورة من الصور ، وفي أي مكان من الأمكنة ، وتحت ستار أي مسمى من المسميات .. وواجب الآباء حينئذ أن يكونوا همزة الوصل بينهما ينقلون لهما وعنهما بأمانة ما يخدم ويهدف ويجمع ويؤلف ، وأن يكونوا لهما باستمرار رسل محبة ، ومودة ، وسلام . ولا أملك بعد ذلك لمن تركوا الحبل على الغارب من الآباء والأمهات ، فسمحوا لأبنائهم وبناتهم باللقيا والاجتماع ، وحضور الحفلات ، وزيارة الأقارب والأصدقاء ، والخروج للنزهة ، والتردد على الملاهي .. إلى غير ذلك مما هو معروف ومألوف — أقول — لا أملك إلا أن أدعو الله لهم من قلبي :

اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

وإزاء ما يحدث تحت ستار الخطبة من مخاز يندى لها الجبين ، ومآس يتفطر منها قلب الانسانية ، ومشكلات تتتابع وتتعقد ، تنفق فيها الأموال ، وتهدر الأوقات ، وتنشأ العداوات ، وتتفكك الأواصر والصلات . أرى لزاما أن أعلنها الآن ، بكل الصدق والاخلاص والايمان . التعجيل التعجيل بالقران ، وأدعوكم إلى التجربة فهي خير دليل ، وأصدق برهان .

وما التوفيق إلا من عند الله العزيز الحكيم .

# قالوا في الأمثال

## الطيور على أشكالها تقع

الناس مثل الطيور مختلفو الأشكال ، متباينو المشارب ، متعددو الطبائع والأمزجة كما يختلفون قوة وضعفا . ومن طبائع الناس ان كل انسان يجد راحة في العيش مع من يناسبه ويشابهه فالمحزون يميل إلى المحزون والصغير إلى الصغير ، والكبير إلى الكبير ، ويألف الصالح الصالح ، والعاصي العاصي حتى قالوا :

**عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى**

فاذا اختار الانسان الصديق الذي يوافق مشاربه ، ويطابق مزاجه يقال حينئذ « **الطيور على أشكالها تقع** » او شبيه الشيء فيجذب إليه .

## السنور الصياح لا يصطاد شيئا

مثل يضرب لكثرة الكلام مع قلة الجدوى .. فاذا أراد القط صيدا تخفى لفريسته ، واجتهد ألا يحدث حركة أو يظهر صوتا ، فتخرج الفريسة آمنة مطمئنة ، فيأخذها القط على غرة ويفوز بصيدها ، أما اذا صاح فقد دل على مكانه بصياحه ، فتأخذ الفريسة حذرها ، ولا تغادر مخبأها ، فيظل ذلك القط ينتظر دون أن يحظى بصيد . وهكذا يصنع العقلاء للوصول إلى مآربهم ، فلا يطلعون أحدا على أسرارهم ، فيصلون إلى ما يريدون دون أن يتنبه الناس لهم فيقفوا في طرقهم ، أما غير العاقل فيثرثر بالكلام ، فيطلع الناس قاصدا أو غير قاصد على طريقه ، فيحتاط أعداؤه ، ويحولون بينه وبين ما يريد فلا يصل إلى هدف ، وحينئذ يقال له : « **السنور الصياح لا يصطاد شيئا** » أي لا بد للنجاح من الكتمان .

# كتاب الشهر

# الإسلام دين الجماعة

**تاليف الرئيس : أحمد سيكوتوري**

**ترجمة الأستاذ : محمد البخاري**

**عرض وتحليل : سعيد زايد**

كتاب صغير الحجم ، كبير القدر ، يقع في أكثر من مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسطة . قسمه مؤلفه الرئيس أحمد سيكوتوري الى سبعة أبواب وخاتمة . وقدم له مترجمه بمقدمة قصيرة .

وقد تحدثت الأبواب السبعة عن العمل في الاسلام ، وقواعد الاسلام الخمس . ودور المسلم في تحقيق السعادة للشعب ، واكتساب العلم الذي يعد فريضة اجتماعية . وعن دور الاسلام في خدمة الشعب وسورة الفاتحة ودورها في قهر الشيطان ، وأخيرا عن الوجدان الذي تتحقق به قيمة الانسان . وقبل ان نعرض ابواب الكتاب ، نرى من المفيد أن نجول بعض

الشيء في مقدمة المترجم الذي يذكر ان الرئيس أحمد سيكوتوري واحد من هذه الكوكبة الفذة من رواد التحرر الوطني في افريقيا ، قاد شعبه ضد الاحتلال العسكري وضد الاستعمار الاقتصادي والفكري ، وأثرت أفكاره في الحضارات الأفريقية وتألق اسمه في كتلة العالم الثالث وعدم الانحياز . حصل لدولته غينيا على استقلالها سنة ١٩٥٨م ، ولم يكن ذلك إلا نقطة انطلاق نحو مستقبل زاهر في اعادة الوجه الاصيل للوطن . ولقد كان من سعة أفق الرئيس سيكوتوري عدم استجابته لحركة « الزنوجة » . فلم يشأ ان يواجه الاستعمار الابيض بدروع سوداء ، فقد رأى في هذا ردا عنصريا على عدوان عنصري ، فالانسان لا ينتمي الى انسان اخر لاتحادهما في اللون ، بل ينتمي اليه بالوجدان . فالوجدان هو الحس والمشاعر ، هو الوعي والافكار والمبادىء ، هو الالتزام بالمثل والقيم . ولا يكون الانسان انسانا حقا الا اذا كان جزءا من الناس ، اوفردا في المجتمع . وان الرباط الحقيقي بين البشر هو العقيدة الدينية ذات الملامح الانسانية العالمية وهي السمات الحقيقية للاسلام وقد فطن احمد سيكوتوري المسلم الى ألاعيب الاستعمار الذي اراد أن يلبس المسيحية رداء يرسي من خلاله مفاهيم أبعدّ ما تكون عن الفكر الديني الاصيل ففك اللحمة بين التبشير الغربي والاقلية المسيحية الدينية ، وضمن لها استقلالها عن كنائس اوروبا لتصبح مرتبطة بأرضها وشعبها وتراثها ، عاملة من اجل مستقبلها الوطني . وحارب في الوقت نفسه حرص الاستعمار على ربط الشعوذة بالاسلام ، فأودى بكل ما لحق به من خزعبلات مدسوسة عليه . وفي سبيل ذلك أمر بترجمة معاني القرآن الكريم الى لغات غينيا الثلاث لتيسير فهمه على جميع المواطنين وأنشأ المجلس الاسلامي الوطني ليحمي مبادىء الاسلام وأحكامه من البدع والخرافات المتناقضة مع تعاليمه الاصيلة ، ويعتني ببناء المساجد بوصفها دور عبادة ومراكز ثقافية اسلامية ، ويقترح كل ما يفيد في تطوير الاوضاع حسب روح الشريعة الاسلامية .

وقد عنون المؤلف الباب الاول بـ « العمل ركيزة الاسلام » . وقد ذكر انه حين تأمل العلاقة الوثيقة بين فهم الاسلام والدفاع عنه ، رأى أن المرء لا يملك ان يدافع حقا الا عن الشيء الذي يحبه ، وما يحب المرء الا ما يعرفه وما يعرف الا ما اتقن تعلمه ، ولهذا لا يستطيع احد ان يحب الاسلام حبا صادقا دون ان يعرفه ، ولا ان يعرفه دون أن يعرفه ذاته . وطريقه الى معرفة ذاته تتم بالاجابة عن عدة أسئلة هامة مرتبة ترتيبا تصاعديا اولها معرفة اسرته ثم مجتمعه الكبير ، ثم طبيعة منطقته ، فقوانين بلاده ، فالتقاليد التي تسيطر عليها ، واخيرا الطبيعة الجغرافية من حوله . فاذا اجاب عن هذه الاسئلة اهتدى الى معرفة ذاته ، وعرف أن الانسان لا يمكن معرفته وحيدا منبت الصلة عما عداه ، فليس في الكون من ينفرد بالوحدانية سوى الله الذي يعرفه الناس فردا احدا لا شريك له .

ودعوة المؤلف الانسان الى معرفة ذاته ، شبيهة بدعوة شيخ الفلاسفة سقراط الى ان يعرف الانسان نفسه بنفسه ، وتختلط مع قول المعلم الاول ارسطو ان الانسان مدني بطبعه .

فاذا عرف الانسان ذاته ادرك انه مجموعة من المتناقضات تكمن فيه ينابيع الخير والحق والجمال ، ولكن يسكنه الشيطان ويتضمن المجتمع بالتالي كل تناقضات افراده . فاذا استطاع الانسان التغلب على الشيطان وتعالى عن بقية خلق الله من نبات وحيوان واتجه بفكره ووجدانه نحو الله ، عرف انه مخلوق متميز من الواجب عليه ان يعمل حتى يؤدي دينه لخالقه ببقائه مؤمنا به وعارفا لفضله ، ويؤدي دينه للمجتمع . فوفاء الدين للمجتمع إنما يقوم على العمل، ولقد انشأ الاسلام حقوق المخلوقات ، وأداء الواجب هو الذي يقيم الحق في ربوع المجتمع ومن هنا كان

الاسلام دين الواجب .

ورسالة الله تعالى من أجل إسعاد البشر تتابعت في اقوال الانبياء والرسل وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ولذا فان الاسلام يتضمن جميع الحقائق التي ابلغت الى البشر لتضيء لهم الطريق ، ولتتيح للعدالة والحق أن يسودا بينهم ، وتوثق عرى التضامن حتى تتحقق لهم السعادة جميعا . « ولهذا فان الاسلام لا ينتسب الى رجل ما ، ولا الى أسرة ما ، ولا الى جنس ما .

انه للبشر كافة حتى يكونوا سعداء ، يستغلون خيرات الطبيعة كلها لصالح البشر » .

نحن في حاجة إذن إلى الاسلام ، اذا أردنا ألا نضل افضل الطرق لمعرفة الحقيقة والمجتمع والطبيعة ، وأفضل الطرق لمعرفة الله . هذا هو محور الباب الثاني من كتاب المؤلف ، والذي تدور حوله الممارسة التطبيقية للاسلام ، وترجمة العقيدة الاسلامية في سلوك عملي ، يتتبعها المؤلف من خلال قواعد الاسلام الخمس وهي : الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

ويرى ان القاعدة الاولى وهي : « شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدا نبيه ورسوله » هي الشرط الاول لدخول الاسلام فلا يكفي اقرار المرء بوجود الله وبوحدانيته دون الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ، فان ايمان المسلم لا يكتمل بذلك ، وسبيل الاتصال بالله هي الصلاة ثانية قواعد الاسلام ، فقد خلق الله الكون والانسان ووضعهما في اطاري الزمان والمكان اللذين يحويانهما فلا يخرج من دائرة الزمان والمكان سواه سبحانه وتعالى . وصلاة المؤمن تتضمن اعترافا منه بفضل الله حين من عليه بحيز زماني وبحيز مكاني ، فكأنه حين يصلي يقول : « يا الهي لقد مننت علي بالمكان ، واعترافا مني بفضلك ، فاني اشغل هنا الحيز المحدود مسلما نفسي لك مقرا بعظمتك ، لقد وهبتني الزمان ، واعترافا بك فاني اشغل هذا الوقت الخاطف ، في خشوع لك » .

أما القاعدة الثالثة وهي الزكاة فهي الحق المعلوم الذي فرضه الله للفقراء في أموال الأغنياء ، وهي تجعل الانسان يعيش داخل اطار المجتمع . فقد سخر الله الطبيعة للبشرية جمعاء ، فمن ظلم فقد جار ومن آتى الزكاة وتصدق بما زاد عن حاجته ، ربح في الدارين فالناس جميعا ملك للمجتمع وليس المجتمع ملكا للناس .

والصوم هو القاعدة الرابعة ، وهو الذي يميز الانسان ، ويرمز الى سيطرة فكره على الجزء الحيواني منه ، ويتيح له السمو على دوافع الجسد .

وأخيرا القاعدة الخامسة وهي الحج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة لمن استطاع اليه سبيلا ، وهو ــ فوق أنه تأدية لركن من أركان الاسلام ــ فانه مؤتمر سنوي عالمي ، يلتقي فيه المسلمون لبحث أوضاعهم ومشاكلهم .

هذه هي قواعد الاسلام الخمس ، وانها لا تتم جميعا خارج نطاق الفكر فالايمان بالله والايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من عمل الفكر ، والصلاة ايضا من عمل الفكر ، فانها تقوم على النية والوعي . والزكاة جهد فكري يصارع الشيطان الذي يوسوس بحب المال حتى يصرعه ، والحج يقوم على الفكر ، فانه يقوم على النية الصادقة ولا يصح بدونها .

ولقد خص المؤلف الباب الثالث من كتابه بالحديث عن دور المسلم في تحقيق السعادة للشعب ويذكر في اوله ان في الدين طريقين لا ثالث لهما ، هما طريق الخير وطريق الشر الأول يوصل الى الجنة وهو الذي اختطه الأنبياء ، والثاني يوصل الى الجحيم وهو الذي اختطه الشيطان . ثم ندد بالناس في اكثر الشعوب الاسلامية ، لأنهم نسوا كيف يتعرفون على الشيطان ، ولهذا فقد اتبعوا طريقه وهو يرى أن أية دولة لا تحارب الاستعمار والامبريالية لا يصح ان تدعي انها دولة مسلمة حقا . فاذا كانت فكرة ما صائبة نقية ، فلا يكمل الصواب والنقاء الا

بالفعل الطيب . وبالتالي فاذا كان اسلام المرء والتزامه طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمرين ضروريين ، فذلك شرط مبدئي لايكفي وحده ، اذ يجب الوفاء بالالتزام . فالاسلام ليس لقبا ، ولكنه جهاد وعمل ، وسلوك نافع للمجتمع ، وتطبيق ديموقراطي ومحاربة للاستعمار والامبريالية .

وحديث الرسول الكريم القائل بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم يجعله المؤلف هدفا للباب الرابع ، الذي عنونه بـ « اكتساب العلم فريضة » . فالاسلام يفرض على كل مسلم تحصيل العلم ، وتعميق المعرفة والتربية الصالحة ، ونشر التعليم على نطاق المجتمع كله . وبأن يظل الانسان دائما تلميذا في مجال البحث عن الحقيقة ، فالحقيقة ضالة المؤمن ، من الواجب عليه ان يسعى الى اكتشافها .

ويتحدث المؤلف في هذا الباب عن العدل والمساواة في الاسلام فالاسلام دين ينادي بالمساواة بين جميع افراد البشر ، دون تمييز بسبب اللون او السن او القومية او النوع ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى كما قال النبي عليه الصلاة والسلام . ويرى انه يجب على النظام الثوري ان يلتزم بمحاربة التباهي بالعنصرية ومكافحة القبلية والظلم ، لفرض احترام الروح الاسلامية .

أما الباب الخامس ، فان المؤلف يذكر فيه ان الاسلام لمصلحة الشعوب ومن اجل ذلك أنشيء المجلس الاسلامي القومي الغيني ، ليقوم — على حد تعبير الرئيس سيكوتوري — بدوره الحاسم في تطوير غينيا . وواضح انه يأمل خيرا كثيرا من وراء إنشاء هذا المجلس بالنسبة لتقدم المسلمين في جميع ارجاء المعمورة ، تقدم تتحقق فيه العدالة والمساواة بين اجناس البشر ، ولا تظهر فيه اية ميزة لأبيض على اسود ، وهي الظاهرة التي تقلق الرئيس احمد سيكوتوري ، كما يظهر في اكثر من موضع في الكتاب .

يجب اذن لتقدم المسلمين ان ينظموا صفوفهم على اساس من الأخوة الاسلامية ويجب على المسلم ان يعرف ان جنته وناره على هذه الارض ، قبل ان تكون في الآخرة. فمن الخطأ ان نفصل بين العالم الآخر والسلوك الحالي . ويرى ضرورة عمل تنظيم للعالم الاسلامي ، يقيم وحدة حقيقية لا شكلية بين المسلمين ، تهدف الى اتباع هدى القرآن وحده ، ويوجهها اكثر المسلمين ثقافة وذكاء وكفاءة .

ويحلل المؤلف في الباب السادس سورة الفاتحة فيقول : « إنها سبيل لقهر الشيطان . فهي سورة قصيرة ، لكن معانيها عميقة ، وتجمع على إيجازها كل الهداية الاسلامية . ويجب ان يستوثق المرء من نقائه الخلقي والروحي والثقافي والسياسي والاجتماعي ومن تطابق سلوكه مع تعاليم الاسلام ، قبل قراءتها ، ففيها يحمد المرء لله قدرته ورحمته وعفوه وكرمه اللانهائي ، ويقر بوحدانية الله ، ويعلو صفاته وعظمته اللامحدودة وخيره العميم الذي يغمر به جميع مخلوقاته » . ويدرك طريقي الاستقامة والضلال ، فيختار الاول : وتعلن الفاتحة عن قيام الصراع بين الخير والشر ، فيتجه المسلم كل يوم عدة مرات الى الله يدعوه قائلا : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فيعلن بهذا الدعاء ادانته للسلوك الاجتماعي السيىء ، ورفضه لطريق الشر والضلال، لطريق الشيطان . ولا نجد الفردية في سورة الفاتحة تعبيرا عنها ، فهي لا تتضمن ضمير المتكلم المفرد ، بل تتحدث بلفظ الجمع « اهدنا الصراط المستقيم » . فالمسلم الحق ينبغي ان يقف ضد الطبقية ، فالاسلام لا يعرف الانانية والفردية والخيانة .

ولقد حارب الاجداد — هكذا يقول الرئيس سيكوتوري — من اجل الحفاظ على حرية افريقيا ، غير ان تفوق الوسائل التكنيكية للامبريالية مكنها من ان تفرض

نفسها عليها ، ولكن التاريخ يذكر ان الحاج عمر طال الرائد الاسلامي قد رحب بالموت دفاعا عن الحق الاسلامي كما يذكر عظماء المناضلين الذين تصدوا للتسلل الاستعماري في افريقيا ، في الوقت الذي تحول فيه عدد قليل من الناس الى ادوات طيعة في ايدي الاستعمار ، فتحدثوا باسمه ، واعانوه على استعباد شعوب افريقيا ، واقصاء الدين الاسلامي » .

واذا كان الاسلام لم يثر حربا لكي يفرض بالقوة ، فانه يفرض على معتنقيه الحرب من اجل القضاء على الشر في مجتمعهم ، ومن اجل سلوك الطريق المستقيم واغلاق طريق الفساد فالطريق القويم هو الذي يوصل الى سعادة المجتمع .

وكأي زعيم مناضل ، وأي انسان مستنير ، يقف الرئيس سيكوتوري ضد مذهب الجبريين ويدعو لمذهب الاختيار ، فالمرء مسئول عن افعاله ويحاسب عليها ، ومن واجبه نحو نفسه ونحو وطنه ان يناضل ولا يستكين ، ويسعى في طلب الرزق بجد وامانة .

ويرجع المؤلف الى الوجدان ، ويتحدث عنه في الباب السابع والاخير الذي جعل عنوانه « الوجدان قيمة الانسان » . ويبدأه بقوله : « لعل الناس لم يكونوا في حاجة الى دين سماوي ولا الى حزب سياسي ، لو كانوا يحيون في عالم يتسم بالكمال يسكنه رجال كرماء لا تنطوي علاقاتهم الاقتصادية على غير المزايا والفضائل ، والعدل والأمانة ، والنفع والكفاءة . غير أن الناس لا يولدون فضلاء ، بل يولدون وفي أعماقهم الشر والخير ، وانما يكتسب الانسان الفضيلة بعد ذلك ، ويتميز الانسان عن سائر المخلوقات بوجدانه ، والدين يتجه الى الوجدان ، ويرتب عليه الثواب والعقاب ، ويحاسب المرء امام الله بما يكنه ضميره وما يصدر عن هذا الضمير من افعال .

ويحاول الرئيس سيكوتوري في نهاية هذا الباب ان يخلص الى شعار ، فيرى ــ بعد شرح قصير ــ انه العمل والعدالة والتضامن ، ولهذا يجب احترام الشعب ، وبذل كل طاقات النفع الاجتماعي ، فتزايدها المتصل يمثل مطلبا من مطالب الوجدان الحي ، وممارسة للحقيقة التاريخية والمنطق الاجتماعي .

وفي الخاتمة يشيد الرئيس سيكوتوري برابطة العالم الاسلامي التي تشكلت بمبادرة من المغفور له الملك فيصل ، وبجهوده الصادقة الدعوية فهي توثق الصلات بين شعوب الاسلام . ولقد سعدت غينيا اذ وجدت نفسها مشدودة بروابط متينة الى العالم الاسلامي في اطار الرسالة المحمدية التي اضاءت للبشر طريق السعادة الحقيقية ، طريق سيادة السلام وروح الاخوة والمساواة بين مختلف الشعوب .

وهكذا نرى احد رؤساء الدول الافريقية يساهم في الفكر الاسلامي المعاصر ، بكتاب مفيد ، طرحه في اجتماعات المؤتمر الاول للمجلس الاسلامي الوطني المنعقد في المدة ما بين ٣٠ سبتمبر الى ٣ اكتوبر سنة ١٩٧٥ . فالدين الاسلامي عنده هو النور الذي اهتدى به في كل معاركه السياسية والاجتماعية والوطنية ، وقاد به ثورته المظفرة .

وبعد ، فقد قلنا في مطلع المقال إن كتاب الرئيس سيكوتوري كتاب صغير الحجم كبير القدر ، وكبر قدره آت من أنه جاء على لسان احد الحكام ، فان ما فيه من افكار يعرفها كل من قرأ كتاب الله واحاديث نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، فالشورى والحرية ، وكرامة الانسان والعمل المخلص وحب الوطن ، واحترام الغير من اهل الديانات الاخرى ، وما الى ذلك من صفات نبيلة ، ذكرت في اكثر من موضع في القرآن الكريم ، ودعا اليها المصطفى قولا وعملا . ولكننا في حاجة من آن لآخر الى من يذكرنا بأمور ديننا ، فيوقظنا من غفوات تخيم على العقول ، وضلالات تصيب النفوس ، وجحود يعتري القلوب . وما اجمل من ان تأتي هذه التذكرة من ذوي السلطان ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

# زهور من بستان الإيمان

للاستاذ/محمد محمد شرف الدين

كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية والنصف عندما انطلق رنين المنبه عاليا متلاحقا ، كأنه يريد أن يتخلص من الأمانة الملقاة عليه ، وظل طوال الليل حاملا لها وأمينا عليها ، ولم يتوقف حتى استيقظت ( أم إيمان ) وأسكتته ، بعد أن قالت بصوت فيه هدوء ومناجاة : « الحمد لله الذي رد علي روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره » فقد اعتادت أن تقول ذلك كلما استيقظت ، كما كانت تقول وتفعل عند نومها ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، والجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت . »
ثم اتجهت وأيقظت « إيمان » ابنتها الكبرى ، وأمرتها بايقاظ الحسن والحسين ، وباقي الأولاد ، من الحجرة المجاورة ، ليصلي الجميع صلاة الليل ، ويختتموا بالوتر قبل آذان الفجر ، وبعد ذلك استمعت إلى الآذان الشرعي ، من المسجد المجاور للمنزل ، وكان صوت المؤذن وهو يقول : « الصلاة خير من النوم » فيه خشوع ، وتذلل ، وتضرع ، رددت خلفه ، وصلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وسألت الله الوسيلة والفضيلة ، وراحت تدعو الله وتسأله العفو والعافية ، في الدين والدنيا والآخرة ، وهنا سمعت ابنها الصغير « إسلام » يقول لها : أمي ، أين عصا جدي ، لأذهب مع إخوتي الى المسجد ، لأنني قلت للامام في صلاة العشاء أمس : إن شاء الله سأحضر كل وقت ، ففرح وأعطاني مصحفا ، نمت وهو معي ، وربتت على كتفه ، وضمته الى صدرها بحنان الأم ، وقالت له : « مع السلامة يا بني ، جعلك الله من أهل القرآن والسنة » ـ ووقفت تصلي بابنتها « إيمان » صلاة فيها الاطمئنان والخشوع . إنها تحب الصلاة كثيرا ، وتشعر فيها بالراحة والهدوء ، فهي قرة عين المؤمن . ويعجبها قول الحسن البصري : « لو خيرت بين دخولي الجنة وصلاة ركعتين ، لفضلت أن أصلي الركعتين ، لأن في دخولي الجنة إرضاء لنفسي ، وفي صلاتي الركعتين إرضاء لربي ، وأولى بالعبد المؤمن أن يفضل إرضاء ربه على إرضاء نفسه » ، وتحب أن تقرأ كثيرا من القرآن في صلاة الصبح ، لأن قرآن الفجر المقروء في الصلاة مشهود تحضره الملائكة ، وتدعو كثيرا في سجودها فأقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد . وكلما ازداد الانسان سجودا لله ازداد قربا منه . ورغبة فيه . وحبا له . وتعلقا به . هكذا غرست الايمان في قلوب أولادها جميعا ، بدروس ايمانية في المنهج والسلوك ...
كانت ترغب المطيع وتكافئه ، وترهب العاصي وتقومه ، أيقنت تماما أن الأم التي تخشى الله وتعبده ، كأنها تراه في كل ما تأتي ، وكل ما تدع ، تربي أولادها على العفة والفضيلة ، ودماثة الخلق ، أما المرأة الخليعة فيكون أولادها صورة منها . وهناك بون شاسع بين الطفلة التي تقلد أمها المسلمة ، في السجود ، وتلاوة

القرآن ، وبين الطفلة التي تقلد أمها الناقصة ، في وقفتها الخليعة أمام المرآة ، تلطخ خلقة الله ، وتغيره بالمساحيق ، والأقذار ، التي لا تزيدها إلا نقصا ، ودناءة ، وخسة ، فالرضاع يؤثر على الطباع ، والزهرة الأصيلة عنوان البستان التي قطفت منه ، وهي تحمد الله كثيرا ، فأولادها جميعا يحفظون القرآن ، وابنتها الكبرى بالجماعة الاسلامية في كليتها ، تقوم دائما بالحث على الفضيلة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، معززة ما تقوله بدروس سلوكية ، لجوهر الفتاة المؤمنة ، في مجتمع يعيش في خضم رهيب ، من التقليد الأعمى ، والأفكار السطحية ، ودخل أولادها باستئذان وهدوء ، بعد تأدية الصلاة ، وبادروها بتحية الاسلام ، وطبع كل منهم على يدها قبلة الوفاء والتقدير ، ويلمح إسلام في يدها كتابا من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول لها : أمي من الذي أعطاك هذا الكتاب ؟ وتلمح في عينيه البراءة والاستفهام ... أخذت تفكر ... وتفكر ... تريد إجابته بكل الصدق ، فهي لم تتعود الكذب مطلقا ، وراحت تنظر إلى الآيات القرآنية ، في صفات عباد الرحمن المعلقة على الحائط ، وتذكرت هذا اليوم الذي جلس فيه « أبو الحسن » زوجها وأخذ يكتبها ، حتى فرغ منها ، بعد ساعات متأخرة من الليل ، وكأنه أحس بقلبه المؤمن ، أنه يقترب من النهاية ، يومها كتب وصية شرعية ، رأت في عينيه أثناءها دموعا متجمدة ، وهو يخط بيده :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

إني أبرأ إلى الله ، من كل فعل أو قول ، يخالف الشرع الشريف ( هذا ما أوصى به « خالد العربي أبو المجد » إنه يشهد أن لا اله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأوصى أهلي أن يتقوا الله ، ويصلحوا ذات بينهم ، ويطيعوا الله ورسوله ، وقد أوصيت بما يأتي : « أن يحضرني بعض الصالحين قرب الوفاة ليذكروني بحسن الظن بالله ، وبرجاء رحمته ، ومغفرته ، ويلقنوني كلمة التوحيد ، ويمنع رفع الصوت بالنياحة والندب ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية ، ويبدأ بقضاء ما علي من الدين ، ويمنع خروج النساء الى المقابر مطلقا ، ويمنع تأجير جماعة لعمل عتاقة ، ويمنع أهلي من صنع اى طعام يجمعون عليه الناس ، فكل هذا من البدع المذمومة ، المخالفة للشرع الشريف ، وقد أوصيت بثلث مالي للفقراء ، ومسجد الرحمة ، وتوضع كتبي في هذا المسجد الشرعي ، وجعلت النظر في ذلك ، لمن يرأس أهل السنة في هذه الجهة .
وبالجملة فاني ابرأ الى الله ، من كل فعل ، أو قول يخالف الشرع الشريف ، ومن أهمل تنفيذها أو بدلها ، أو خالفها ، فعليه وزره : **( فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم )** البقرة / ١٨١ .
تذكرت بعد كتابة الوصية ، ما حدثها به عن روعة لقاء الله ، وعن مرض الرسول صلى الله عليه وسلم الأخير ، ووفاته ، وكيف غسل ، وكفن ، وصلى عليه ،

ودفن ، ومسحت دموعها حينما تذكرته وهو يقول لها ، وكانت حاملا : ( إن شاء الله « يا أم إيمان » عند الوضع بسلامة الله أذني في أذن الطفل اليمنى ، وأقيمي الصلاة في أذنه اليسرى ، وحنكيه بالتمر ، وفي اليوم السابع اطلقي عليه اسم إسلام إن كان ذكرا ، وقصي شعره ، وانفقي بوزن الشعر ذهبا أو فضة على الفقراء ، واختتنيه داعية له بالبركة .

راحت تتذكر كل هذا ، ورجعت بفكرها بعيدا ، يوم أن قال لها ، عندما ذهب ليخطبها ولم ير منها سوى الوجه والكفين : « دبلة الخطوبة الخاصة بي إن شاء الله تكون من الفضة لأن الذهب والحرير محرمان على الرجال ، وتمنع أية بدعة من بدع الأفراح ، ويكون عقد القران بالمسجد ، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومها أخذ يحثها على الاجتهاد في قيام الليل ، وتلاوة القرآن ، وأعطاها تشجيعا لذلك مصحفا هدية ، ومجموعة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لها يومها : إن الخالق سبحانه وتعالى ، تجلى لعباده في كتابين عظيمين : كتاب مقروء هو القرآن الكريم ، وكتاب منظور هو الكون . ويجب علينا أن لا ننشغل بما خلق لنا عمن خلقنا له . وقال لها أيضا يومها :

« الحروب والمكائد ضد الاسلام والمسلمين ، تدور وتدبر بشراسة وحقد والاسلام يحارب من أدعيائه قبل أعدائه . والمنتسبون إليه عالة عليه ، والمشكلة أننا نحتاج إلى تغيير جذري ، فالمستعمر أفقدنا الحواس ، وزرع فينا تبلد الشعور — اللامبالاة — اللاقيم — اللا أخلاق — اللا شعور — اللا ضمير — اللا دين — كل هذا يعترى السواد الأعظم من المسلمين اليوم — المسلمون يذبحون ويشردون وأصبحوا أذلة مستضعفين ، ورغم هذا فهم يرتشفون الخمور ، وحياتهم مليئة بالفسق والفجور — هناك من يتلاعب بأقوات الفقراء دون خوف أو مبالاة لعلام الغيوب — أنظري إلى « حسان » المجاور لنا وهو يرتدي ثوبا باليا ، مرقعا ، ملطخا ، بالأوساخ والأقذار ، ولا يملك ثمنا لصابونة . وينام جائعا يحلم بطبق من العدس أو الكوسة !!! ورغم هذا ، فهناك من يعيشون وسط الآلاف والملايين ، وليس هذا عدلا — أين أنت يا عمر يا أستاذ العدالة ؟ وأين أخلاق الاسلام المتسامح العظيم ؟ الاسلام أصبح غريبا بين أهله ، وفي بلاده ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر !!! مصيبتنا ما نعانيه من تفكك وصراعات جانبية ، وداخلية ، وإسلامنا يدعو إلى الاعتصام والمحبة ، نحن نربو على ٨٠٠ مليون مسلم ، ورغم هذا ، لا نستطيع عمل شئ يرضي الله ونفخر به لأجيالنا ، والصحابة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا لا يزيدون عن ١٢٤ ألفا وكان لهم العزة ، والقوة ، والمهابة ، لأنهم استمسكوا بحبل الله المتين ، واحتكموا فيما بينهم بالكتاب المبين ، انهم خافوا الله فخوف الله منهم جميع خلقه ، أما نحن فلما لم نخف الله ، خوفنا الله من جميع خلقه ، أصبحنا نسخر من الدين ، ونعد من يسير على مبادئه رجعيا ، ومتخلفا ، ونتهم علماءنا بأنهم مصابون بالعقم الفكري ، والجمود ، دون جرأة لنقول لراقصة أنت مصابة بالعقم الفني ،

والرقص الخليع ، نهزأ بأصحاب اللحى والعمائم ، والمتحجبات الطاهرات العفيفات ، مصفقين للراقصات ، والمطربات الفاجرات ، حتى أصبح المسلم مسلما بشهادة ميلاده ، أما جوهره فملئ بأفكار الغرب المستوردة ، والهدامة للاسلام المتآمر عليه . لا ... هذا لا يرضي أى مؤمن صادق الايمان كلنا مسئولون أمام الله ، ولن نجد الحجة أو المدافع لنا وعنا ، في عدم تطبيقنا لشرع الله ، اقتربنا من المخلوق وابتعدنا عن الخالق ، أحببنا المال ، ونسينا الحساب ، بنينا القصور ونسينا القبور ، حتى الحوار الذي يدور بين شابين مسلمين بالغين لا يخلو من المناقشات السفسطائية ويدعو للرثاء والألم ، حينما يقول أحدهما لزميله .. كم من الأفلام دخلت ؟ وكم من الأغاني حفظت ؟ ولم يقل له : كم من القرآن حفظت ؟ ومن أحاديث الرسول درست وطبقت ؟ أصبحت قلوبهم تهتز باهتزاز شبكة المرمى ، ولا تهتز بذكر الله ، راحوا يحفظون العشرات من أسماء اللاعبين ، والفنانين والفنانات ، والأفلام الوقحة المنحطة والمطربات الفاجرات ، ولم يخطر ببال أحدهم أن يحفظ ويعرف من هم العشرة المبشرون بالجنة !!
كان يدعو كثيرا ويقول : « اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك ، ولذة النظر إلى نور وجهك الكريم » ويحدثها عن الترغيب في الجهاد ، وفرضيته من الكتاب والسنة ، وبطولات إسلامية نادرة من هذا الرعيل النادر ، من الخلفاء الراشدين ، والصحابة والتابعين ، وعن فضل الشهادة ، والشهداء ازدادت ابتهالا ، حينما حدثها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة ذا جناحين ، يطير بهما حيث شاء ، مضرجة بالدماء » ـ لأن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قطعت يداه في سبيل الله يوم مؤتة ، فأبد له الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة ، وفي صحيح البخاري أنهم عندما التمسوه في القتلى ، وجدوا بما أقبل من جسده بضعا وتسعين ، بين ضربة ورمية وطعنة ، امتلأ قلبها إيمانا وغبطة حينما قال لها : أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، تتعلق بأشجار الجنة ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون .
وخرج أبو الحسن يومها سريعا على غير عادته ، كأنه على موعد في غاية الأهمية ، موعد عزيز إلى نفسه ، طيب لخاطره ، وامتلأ أنفها برائحة المسك الذي تعود أن يتطيب منه ، وصلى ركعتي الاستخارة والسفر ....... سافر ولم يعد ؟؟؟ وأيقنت بأن دماءه ستظل دافئة ، بين أحضان الرمال ، مع زملائه الشهداء في سبيل الله ، وفي معارك الحق والمبادئ والشرف ، أحست بأن روحه تحلق فوقها وتحوم في أرجاء البيت ، فأخذتها رعدة شديدة ، حينما تخيلت صوتا يقول لها : « الطريق ما زال طويلا ، ادفعي بالأولاد ، أنا في انتظارهم أرحب بهم » وانتبهت فجأة على صوت « إسلام » وهو يقول لها : لماذا تبكي يا أماه ؟؟ بالله تقرئي لي من هذا الكتاب الذي بين يديك .
وضمته إلى صدرها ، وراحت تقرأ له تلك القصة الخالدة ، التي هزت مشاعرها ، واستولت عليها ، وتمنت أن تكون هي صاحبة القصة . وتمنت لو قرأها ،

ووعاها كل مسلم ، حاكما أو محكوما ، رجلا أو امرأة ، فتى او فتاة ... وبدا لها ابنها شجاعا كبيرا ... فراحت ترويها لابنها ، كما يقول ( أبو قدامة ) أحد قادة المسلمين في غزواتهم ضد الروم :

« كنت أميرا .. فدعوت إلى الجهاد في سبيل الله ، فجاءت امرأة بورقة وصرة ، ففضضت الورقة لأقرأها ، وأنظر ما فيها ، فاذا في تلك الورقة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين سلام الله عليكم — أما بعد — فانك قد دعوتنا إلى الجهاد في سبيل الله ، ولا قدرة لي على الجهاد . وهذه الصرة فيها ضفيرتي ، فخذها قيدا لفرسك ، لعل الله يكتب لي شيئا من ثواب المجاهدين . يقول أبو قدامة ، فشكرت الله علي توفيقها ، وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ، ويتكتلون ضد أعدائهم . فلما واجهنا العدو ، أبصرت صبيا حدثا ، ظننت أنه ليس أهلا للقتال لصغر سنه ، فزجرته رحمة به ، فقال : كيف تأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى : ( **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ) التوبة/ ٤١ قال : فتركته ثم أقبل علي ، وقال : أقرضني ثلاثة أسهم ، فقلت له وأنا معجب به ومشفق عليه : إني أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لي إن من الله عليك بالشهادة ، وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير ، فقال : نعم إن شاء الله فأعطيته الأسهم الثلاثة ، ثم أقبل على العدو في قوة وحماس ، وما زال ينال من أعدائه وينالون منه ، حتى خر صريعا في ميدان القتال ، وكانت عيني لا تفارقه طوال المعركة إعجابا به ، وإشفاقا عليه ، فلما خر صريعا ، أقبلت عليه ، وسألته : هل تريد طعاما أو ماء ، فقال : لا ، إني أحمد الله على ما صرت إليه ، ولكن لي حاجة ، فقلت له : مرني بما تشاء وليس أحب إلي من قضائها فقال ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة الطاهرة : أقرئ أمي مني السلام ، ثم ادفع إليها متاعي ، فقلت : ومن أمك أيها الشاب ؟ قال : أمي هي التي أعطتك شعرها قيدا لفرسك ، حين عجزت أن تقاتل في سبيل الله تحت لوائك ، قلت : بارك الله فيكم من آل بيت ... ثم فارق الحياة فقمت نحوه بما يجب . ثم رجعت إلى أمه تنفيذا لوصيته ، فلما رأتني أقبلت علي ، وقالت : هل جئتني معزيا ، أو جئتني مهنئا !!! فقلت لها : وما معنى ذلك يا أمة الله فقالت : إن كان ابني قد مات فقد جئتني معزيا ، وإن كان قتل في سبيل الله ، ونال ما كان يطمع فيه من الشهادة ، فقد جئتني مهنئا ، فقصصت عليها ما حدث ، فقالت : الحمد لله لقد استجاب دعاءه ، فقلت لها : وما ذاك فقالت : إنه كان يدعو الله في صلواته ، وخلواته ، ويقول في صباحه ومسائه « اللهم اجعلني من الشهداء » وما كادت تفرغ من قراءة القصة حتى استمعت الى إسلام وهو يقول لها : أمي استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، وخرج مسرعا كما خرج أبوه ، فقالت له : إلى أين يا بني ؟ فقال لها وهو يبتسم : ادع لي يا أماه فغدا ستعرفين ، وظلت تنظر إليه ، وكان سريعا على غير عادته ، كأنه على موعد في غاية الأهمية ... موعد عزيز إلى نفسه ..... طيب لخاطره حتى اختفى بعيدا ..... بعيدا في رعاية الله .

# الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

## أين يصلي العيد

السؤال : أي مكان أفضل لصلاة العيد ؟

محمد رفعت ـ الكويت

الجواب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم أصابهم مطر في يوم عيد فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد في المسجد ـ رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم ، وسكت عنه أبو داود والمنذري ، أي لم يبينا درجته ، وهو حديث ضعيف في إسناده رجل مجهول ، وهو عيسى بن عبد الأعلى ، قال فيه الذهبي لا يكاد يعرف وقال هذا حديث منكر .

أكثر الأحاديث الواردة في صلاة العيد تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها في « المصلى » والمراد به غير المسجد وعبر عنه أحيانا بالجبانة وهذا الحديث على الرغم من ضعفه ، يفيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام صلاها في المسجد لعذر المطر ، حيث لا يوجد في المصلى ما يتقي به .

ومن هنا اختلف العلماء في أفضلية صلاة العيد ، هل تكون في المصلى أو في المسجد ، فالامام مالك يقول إن فعلها في الجبانة ، أي في غير المسجد ، أفضل ، واستدل بما ثبت من مواظبته عليه الصلاة والسلام على الخروج إلى الصحراء ، فان كان هناك عذر كمطر فالأفضل المسجد .

والامام الشافعي ذهب إلى أن المسجد أفضل ، لأنه خير البقاع في الأرض ، والأحاديث واردة بكثرة في فضل التردد عليها والصلاة فيها ، قال في الفتح : قال الشافعي في الأم : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في العيدين إلى المصلى بالمدينة ، وهكذا من بعده إلا من عذر مطر ونحوه ، وكذا عامة أهل

البلدان إلا أهل مكة ، ثم أشار الشافعي إلى أن سبب ذلك سعة المسجد وضيق أطراف مكة ، قال : فلو عمر بلد وكان مسجد أهله يسعهم في الأعياد لم أر أن يخرجوا منه ، فان لم يسعهم كرهت الصلاة فيه ولا إعادة ، قال الحافظ : ومقتضى هذا أن العلة تدور على الضيق والسعة لا لذات الخروج إلى الصحراء ، لأن المطلوب حصول عموم الاجتماع ، فاذا حصل في المسجد مع أولويته كان أولى .

فأنت ترى أن حجة الأولين هى فعله صلى الله عليه وسلم وهو قدوة حسنة ، لكن يقال : إن الفعل واقعة حال لا تنفى غيرها ، ولم يرد من الرسول عليه الصلاة والسلام أمر بفعلها في غير المسجد عند الاختيار ، ولانهى عن فعلها في المسجد ، ولعل اختيار الرسول فعلها في غير المسجد كان لأمرين ، الأول ضيق المسجد لأنه دعا النساء أيضا لشهود صلاة العيد ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، حتى الحيض منهن ، والحيض لا يدخلن المسجد ، والثاني إظهار شعيرة من شعائر الاسلام وإعلان الفرح بيوم العيد لما فيه من فضل الله على المسلمين ، والاجتماع الواسع شعار كل الناس في أعيادهم ، والتوجيهات التي يلقيها على الحاضرين تعم أكبر عدد من المسلمين لم يكن ليوجد لو حضروا في المسجد ، ولذلك عندما حث على الصدقات توجه إلى حيث يجتمع النساء وذكرهن ووعظهن ، فجمع منهن خيرا كثيرا لمساعدة من لا يجدون سعة ولا يستطيعون التمتع ببهجة العيد لضيق ذات أيديهم .

ويقع في نفسي بناء الحكم على نتيجة إقامة الصلاة وأثرها ، فان كان هناك مسجد واحد كبير في محله يسع كل الناس بما فيهم من لا يصلون العيد كالنساء كانت صلاتها فيه أفضل ، وذلك لأفضلية المسجد على غيره ، ولحصول التجمع وفرصة التلاقي وتبادل التهاني بين كل أهل البلدة ، فاذا تعددت المساجد وضاق مسجد واحد عن استيعاب أهل البلد كان فعلها في الخلاء أفضل ، وذلك لأن التعارف وتبادل التهاني وشهود التوجيهات العامة الموحدة يحدث في المصلى بشكل لا يوجد في كل مسجد على حدة ، حيث لا يتم التعارف الشامل ، والاسلام يحب من المسلمين أن يظهروا وحدتهم وتعاونهم ، وفي تجمعهم على شكل واسع . إعلان عن قوة الاسلام ودعاية صامتة تجتذب لها قلوب غير المسلمين ، والمظاهر اذا كانت تستهدف خيرا كانت مشروعة ، وشواهد ذلك كثيرة .

# النقط والشكل في القرآن الكريم

من أول من قام بنقط المصحف الشريف ؟ وهل كان مصحف سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه غير منقوط كما نعلم ؟ وما الحكمة في ذلك ؟ وهل الشكل والنقط حدثا في عهد واحد ؟ / غسان سليمان - الكويت

كان مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ذا أثر واضح في نفوس المسلمين في كل أنحاء العالم الاسلامي ، فما كاد يصل الى تلك الأقطار حتى أقبل عليه المسلمون من كل حدب وصوب . وقام الناس بالنسخ على غراره بعد ذلك في جيله رضى الله عنه ، وفي الأجيال المتعاقبة ، وبجانب التحسين في النسخ والطبع والعناية بالورق والتجليد - فتلك تحسينات شكلية - حرص المسلمون على تقريب نطق الحروف ، وبيان المتشابهات ، وتمييز الفروق بين الكلمات ، فنشأ عن ذلك ما سمي بالاعجام ( النقط ) .

والمعروف أن مصحف سيدنا عثمان لم يكن منقوطا ، وذلك يدع الكلمة تحتمل أن تقرأ بكل ما يمكن من وجوه القراءات .

على أن هناك من العلماء من يرى أن الاعجام كان معروفا قبل ذلك ، وترك الاعجام في مصحف سيدنا عثمان لترك احتمال الكلمة عدة وجوه للقراءات الصحيحة الواردة .

وقول آخر يرى أن النقط لم يكن معروفا حتى قام به أبو الأسود الدؤلى رضى الله عنه . وسواء عرف الاعجام قديما أم لم يعرف ، فان المشهور أن اعجام المصحف لم يحدث الا في عهد عبدالملك بن مروان ، إذ إن رقعة الاسلام قد اتسعت ، ودخل في الاسلام العرب والعجم وكاد أن يختلط على الناس الأمر بالنسبة للغة ، وخشى أن يسرى هذا اللبس على

قراءة المصحف وحتى أصبح يشق على العامة من الناس قراءة المصحف دون إعجام ، عند ذلك أمر الخليفة عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف أن يهتم بهذا الأمر العظيم .

فندب الحجاج لهذا الأمر الجلل عالمين ، مشهود لهما بحسن الصلة بهذا الفن هما نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وهما قد تتلمذا على أبي الأسود الدؤلي رضي الله عنهم .

وقد نجحا في إخراج المصحف الشريف لأول مرة منقوطا ، وكان لذلك أثره الواضح فقد أزال الاشكال ، ونحى اللبس جانبا ، وأشاع في الناس القراءة خالية من التحريف مشفوعة بالنقط ملتزمين في ذلك منهج هذين العالمين الجليلين .

ويقال : إن أول من قام بنقط المصحف هو أبو الأسود الدؤلي .

وكان لابن سيرين مصحف منقوط قام بنقطه يحيى بن يعمر .

وتوفيقا بين هذه الأقوال يمكن إن يقال : أن أول من نقط المصحف هو أبو الأسود الدؤلي بصفة فردية ، وكان على إثره ابن سيرين .

وأن عبدالملك بن مروان أول من أمر بنقط المصحف بصفة رسمية

وكان من نتيجة ذلك انتشار النقط وشيوعه بين الناس عامة ، وقضى بذلك على الاشكال الذي قد ينشأ من عدم النقط .

والشكل خلاف النقط ، ولكنه يتبعه ، ولم يهتم العرب قديما بالشكل لقوة ارتباطهم باللغة وسلامة نطقهم لها ، وحتى اختلط على الناس الأمر ، ودخل في الاسلام من في ألسنتهم عجمة، فخيف من مغبة تأثير هؤلاء على سلامة اللغة الذي يسري ضرره ، ويمتد الى القرآن الكريم .

فكان السعي الحثيث من أبي الأسود الدؤلي الذي أفزعه لحن الناس ، فاستأذن الحاكم في ذلك ، وأعمل فكره ، وهداه اجتهاده إلى أن وضع للفتحة نقطة فوق الحرف ، وللكسرة نقطة أسفل الحرف ، وللضمة نقطة بين أجزاء الحرف ، وللسكون نقطتين حتى كان عصر عبدالملك بن مروان ، والذي في عهده أعجم المصحف ، عند ذلك كان لابد من التمييز بين النقط ، والشكل فكان الشكل هو ما نعرفه اليوم .

ولا شك أن النقط والشكل في هذا العصر أوجب من العصور السابقة ، وذلك خوفا من التغيير ، وصيانة للقرآن الكريم من اللحن .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

# الشباب بين الأسرة والمدرسة

**أرسل الأخ عبدالباسط محمد خليل كلمة يتحدث فيها عن الشباب وما يعانيه وعزا ذلك إلى التسيب الذي يحيط بالمجتمع من كل جانب من انصراف للآباء وسوء توجيه في أجهزة الاعلام وعدم كفاية التوجيه الديني في المدرسة نقتطف منها ما يلي :**

كثر ارتكاب الشباب لألوان مختلفة من الانحرافات التي تنوعت مظاهرها ، وقد اتسمت بالجرأة ، وتميزت بالعبث والفساد .

وهي بلا شك ظاهرة اجتماعية يجب أن يحسب لها كل حساب ، لذلك كان لزاما على من يهتمون بمشكلات الشباب وحياتهم أن يكونوا على وعي كامل حتى يتمكنوا من تهيئة الجو المناسب الصالح للشباب المسلم .

ولا شك أن هذه الانحرافات سببها راجع إما الى الاهمال الواضح من الأسرة ، فلم يجد الشاب فيها الحصانة الكافية ، فالمنزل هو الخلية الأولى ، والبيئة الأصيلة التي تعلمه الحياة الفاضلة ، فالمنزل لابد أن يكون حافلا بكل معاني الاخلاص ، والتعاون ، والمودة ، والرحمة ، والخلق الديني المستقى من كتاب الله وسنة رسوله ، فيتخرج الى الحياة العامة ، وقد توافرت فيه هذه

المبادئ ، وتلك الصفات محذرا من العلاقات المنحرفة بعيدا عن جو المشاحنات ، والمنازعات ، والحقد ، والكراهية ، غير منصرف عن شعائر الله التي تصقل النفوس وتنقى الأرواح .

والمدرسة عامل هام ورئيسي في حياة الشباب تكون اتجاهاته ، وهى التي تعد الشباب ليكونوا رجالا نافعين يرفعون شأن الأمة ، ويدعمون حضارتها .

وعدم كفاية التوجيه الديني في المدرسة أفقد الشباب حصانات كان يمكن ان تكون سلاحا قويا في وجه كل التيارات والاتجاهات المنحرفة الضالة المضلة ، لذلك نراهم قد استسلموا للمبادئ الهدامة ، والأفكار الضارة .

ودور أجهزة الاعلام دور هام وفعال فالمادة التي تقدم لو أحسن اختيارها لا شك أنها ستكون زادا جيدا ورصيدا هائلا ونورا على الطريق يضيء للشباب دروب الحياة من أفلام أجنبية مسمومة تشرح بكل وضوح خير الوسائل للجريمة ، بل وأسهلها على الصغار ، وترسم طريق الانحراف مدعية أن لكل مشكلة علاجاً ، ولا شك أن هذه مضيعة للوقت ، وهدم للأخلاق في نفس الناشئة .

ولا ينكر أحد أثر أجهزة الاعلام في نفوس الشباب .

وتعقيبا على ذلك نقول : نعم الأسرة هي الطريق المستقيم الذي يأخذ الشباب الى النجاة ، ويشده الى الفضيلة ، ويغرسها فيه اقرأ قول الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والأم هى الاناء الذي يصقل الأسرة ويهبها الوسائل للوقوف امام ما يعترض سبيل حياته .

وإذا كانت الأسرة تعرف طريق ربها الذي أراده للناس فانها تكون أسرة صالحة تخرج للحياة جيلا صالحا .

وكذلك المدرسة هي الخلية الهامة المؤثرة في سلوك الشباب فان القائمين عليها يحتلون في نفوس الشباب مكانة مرموقة ، وقد تعارف الناس على تقديرهم :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

وان أجهزة الاعلام تدخل بلا حجب كل البيوت ، وتلامس النفوس ، فوجب أن يكون ما يقدم فيها منسجما مع الأخلاق والفضيلة .

نرجو أن يتنبه الآباء للعلاج النافع ، والتوجيه السليم لأبنائهم ، فهم فلذات الأكباد وهم أمانة في أعناقنا ، وقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بهم ، وأمرنا أن نرعاهم خير رعاية ، ورسم لنا الطريق ، ولا يجب أن نخطئه في كل حياتنا ، ففي هذا صلاحنا وصلاح أولادنا .

ولنضع لهم منهجا صالحا ، فلا يشاهدون ، ولا يقرأون ، ولا يسمعون شيئا سيئا ، ولا نغفل توجيههم .

## بأقلام القراء

### المرأة في الاسلام

للأستاذة فتحية محمد توفيق

كانت المرأة في بعض الشعوب لاتعدو أن تكون مخلوقا تابعا للرجل ، ليس له قيمة ، وفي بعض المجتمعات تعامل معاملة الحيوان الأعجم ، وعلماء أوروبا ينظرون إلى المرأة على انها شر لا بد منه ومحبوبة فتاكة ورزء مطلي مموه ومدخل الشيطان الى نفس الانسان ، وإنها هي التي دفعت الانسان الاول الى ارتكاب الخطيئة هكذا كانت نظرة المجتمعات ، ولا زالت بعض الشعوب التي تزعم انها متحضرة ومتمدينة تنظر الى المرأة على أنها مرغوب فيها ، ووسوسة لا بد منها ، أسفر نور الاسلام فافتر ثغر الدهر عن جو مشرق للمرأة وأمل بعيد وأسلوب في الحياة جديد ، وثب الاسلام بالمرأة إلى أبعد غاية من كمال النفس وسمو الحياة واتزان الأخلاق وأدب السلوك فظهرت المرأة المسلمة في مشرق هذا النور ملأى اليدين من حق موفور ، وفضل مأثور ، فياضة النفس بما شاءت من الأدب والرفعة والعفة والصيانة والعز ، والشرف والكرامة ، نعم أنصف الاسلام المرأة من جميع جوانب حياتها وفي كل أدوارها ، أنصفها ووضعها في الموضع اللائق ، صيانة للمجتمع وحفظا له ، وأنصفها من ناحية المعاملات التي حث عليها ، وأعربت عنها تعاليمه السمحة ، ومحا عنها الظلام الدامس ، وقشع عنها السحب الداكنة ، التي كانت منعقدة فوق سمائها ، وأزال عنها الأصفاد والقيود التي كانت تعيش فيها ، فبالله عليك أيها القارىء هل رأيت دينا أعدل وأرأف وأرحم بالمرأة من الاسلام ، إنه حقا من عند الله . ذلك الاسلام المشرق الوضاء . قرر للمرأة حقوقها ، وأثبت وجودها ، ورفع مستواها وهيأ لها الجو الصالح كي تعيش قريرة العين مساهمة في بناء المجتمع الانساني مساعدة في تعمير الكون وحركة الدنيا ، لها ما للرجل وعليها ما على الرجل . وليس هذا كلام يقال ، أو عبارات تنسق أو جمل ترتب وتكتب ، بل هي حقائق ثابتة قوية لا سبيل إلى الشك فيها ، شهد بها الزمن وتاريخ الاسلام الزاخر

بالحيوية . وهذا القرآن الكريم عرض لكثير من شئون المرأة في أكثر من عشر سور ، مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والطلاق والتحريم .

وشخصية المرأة في القصص القرآني تبدو على جانب عظيم من السمو والنفسية العالية والفكر الثاقب كما شهدت بذلك سورة مريم والقصص ويوسف والتحريم .

وسورة النساء افتتحها الله عز وجل مخاطبا عضوي المجتمع الانساني معا : **( يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء )** النساء /١ مطلع قوي أخاذ صدرت به سورة النساء .. يقرر مبدأ واضحا جليا على أساسه تقام الحياة الاجتماعية ، هو مبدأ المساواة : **( من نفس واحدة وخلق منها زوجها ) : ( يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير )** الحجرات /١٣ تلك عناية واضحة من القرآن الكريم بشأن المرأة واهتمام بمكانتها التي ينبغي أن توضع فيها ، واهتمام باستقصاء أعظم أحوالها في مختلف اطوارها وفي جوانب حياتها ، وضح حقوقها على الرجل ، وحقوق الرجل عليها وقد أعرب عن ذلك القرآن في شيء من البيان ، وجاءت السنة المطهرة

**فكانت الصدى المتجاوب مع القرآن فلم تدع شيئا من شئون النساء دون أن تبرزه إبرازا يتفق وسنة الحياة ،**

المرأة نصف المجتمع الانساني ، وحقل الانبات البشري ، حملت الرجل جنينا ووضعته وليدا وسهرت عليه في مهده . وغذته بلبانها وهذبته بسلوكها وقومته بأدبها فهي المربية والطبيبة والحكيمة والمرشدة والأم والوالدة ، والمدرسة الأولى التي يتخرج منها الجيل الى الحياة المليئة بالحركة والحيوية ، وهي الجامعة التي يتلقى فيها الأفراد المعارف واللغات والعرف والعادات .

قدرها الاسلام حق قدرها وكلفها بكل ما عليها وجعلها مسئولة عن نفسها وعقيدتها وعبادتها وبيتها ومجتمعها ، وفتح لها أبواب المثل العليا والقيم الأخلاقية الرفيعة حتى تصل الى ذروة ما قدر لها من سمو ونجاح ، وهذه آية من سورة الأحزاب تتجلى فيها مكانة المرأة العاملة جاءت الآية في ثوب رائع ونسق بديع وأسلوب شيق رائق قال تعالى : **( إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما )** الاحزاب / ٣٥

# مع صحافة العالم

## المركز الاسلامي في ميونخ :

بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية زار الكويت وفد من المركز الاسلامي في ميونخ ( جنوب ألمانيا ) لتمتين الصلات بأشقائهم المسلمين في الكويت ، ولكي يعرضوا نشاطهم على المسئولين فيها ، والوفد برئاسة الدكتور/محمد علي الحجري والسيدة عقيلته التي تشرف على النشاط النسائي بالمركز والاستاذ ابراهيم درويش والاستاذ عبدالحليم خفاجى .

وقد عقد الوفد لقاءات مع السيد يوسف الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والسيد وزير العدل والسيد وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء .

ومما تجدر الاشارة إليه أن المسلمين الذين يرعاهم المركز الاسلامي ويقدم لهم النصح والتوضيح ، ويقوم بتبصيرهم بأمور دينهم يقدر عددهم بستين ألفا من المسلمين الألمان الذين اعتنقوا الاسلام عن اقتناع ، ومن جنسيات مختلفة باكستانية وتركية وعربية وأندونيسية وإيرانية وأفغانية .

وقد أسس المركز الاسلامي في ميونخ سنة ١٩٥٨م وبدأ منذ اللحظة الأولى لانشائه العمل على لم الشمل وتأصيل الروابط الاسلامية للمسلمين المقيمين في ألمانيا على مستوى الطلبة أو الآباء على السواء . والدعوة إلى الاسلام وشرح رسالته السمحة وتوضيحها بأسلوب يناسب العصر .

وقد التقى الوفد بعدد من المواطنين المهتمين بالدعوة لتيسير سبل تدعيمها .

كما زار الكويت وفد من السنغال لبحث التعاون الثنائي بين البلدين وقد التقى المستشار السياسي للرئيس السنغالي بالسيد الوزير يوسف جاسم الحجي .

وصرح المسئول السنغالي عقب الاجتماع بأن زيارته للكويت تأتي بتكليف من الرئيس السنغالي في نطاق توسيع مجالات التعاون وتنمية العلاقات سواء على صعيد التعاون العربي الافريقي أو التعاون الثنائي بوجه خاص .

وأكد الزائر الكريم أن هذا التعاون أثمر عددا من المشاريع المشتركة بين البلدين وقد تركزت مع السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية على التعاون في الشئون الاسلامية مبديا رغبة السنغال في إنشاء مسجد كبير ومعهد إسلامي في مدينة ( نيو اوون ) إحدى أكبر المدن الاسلامية في السنغال التي لعبت دورا كبيرا في نشر الثقافة والدعوة الاسلامية في دول غرب افريقيا بوجه عام والسنغال بوجه خاص .

## ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الافريقية

في القاهرة يبحث السيد/عبدالوهاب دوكوري سفير الرابطة الاسلامية ومبعوث السنغال ترجمة معاني عشرين سورة من القرآن الكريم إلى اللغات الافريقية إيمانا منه بأن الدين الاسلامي يجب أن ينشر بجميع اللغات الافريقية المتعددة مثل السونينكية والفلانية والهاوسا والأمهرية والسواحلية وهذه اللغات يتحدث بها السواد الأعظم في افريقيا .

هذا وقد سبق أن ترجمت عدة كتب بتلك اللغات شملت أجزاء من السيرة النبوية ، والزكاة ، والفقه ، وقد لاحظ الباحثون وجود كلمات عربية كثيرة في تلك اللغات من جراء الاختلاط الديني والثقافي .

ومن المسلم به أن افريقيا متعطشة لمعرفة الكثير عن الاسلام ويمكن أن يقال عنها القارة المسلمة لكثرة المعتنقين للاسلام من سكانها .

ومثل هذا العمل يفتح الطريق أمام الفئات غير المسلمة للتعرف على الاسلام والوقوف على أسراره وعظمته .

نرجو أن تكلل هذه الترجمات بالنجاح وأن تنال القدر الكافي من العناية لتكون في متناول الدارسين والباحثين وطالبي المعرفة .

## الجهاد المطلوب ما هي حدوده

تناقلت وكالات الأنباء عزم الدول الاسلامية على التلاقي لبحث شؤونهم ومن أخصها التدخل السوفيتي في أفغانستان وتحرير القدس الشريف وفلسطين . وقد تقرر أن يبدأ المؤتمر أعماله بوزراء الخارجية .

ولا شك أن الخطر يدق أبواب الأمة الاسلامية فما هي حدود الجهاد المطلوب منا الآن كأمة إسلامية تستمع إلى أجراس الخطر تصدح من حولها وتريد أن نحافظ على كيانها وعقيدتها لنثبت أن الجهاد لم يشرع ليكره الناس على الاسلام كما يدعى الكارهون له .

في حديث للأهرام مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي يقول فيه : لنقف ابتداء عند تعريف كلمة الجهاد فالجهاد بذل الطاقة في الفعل . كما قال أن الله أمر أمة الاسلام أن تتحمل فرضية الجهاد في سبيل الله بكل ما أوتيت من وسع وطاقة ، ولكن الجهاد في الاسلام ليس معناه اغتصاب كلمة الايمان بالسيف ولا قهر الناس على الايمان بالله والداعي إليه ، فمهمة الجهاد كانت لتزيح عن البشرية موانع حرية الاختيار ليقبل الانسان على الايمان بالدين إقبالا حرا بدون تأثير رهبة قوة أو خوف طغيان ، وحين تزاح عقبات القهر على عقيدة ما يصبح الناس أحرارا في اعتناق ما يريدون من عقيدة ، إذن فالجهاد إنما شرع لا ليكره مختارا ولكن ليحرر اختيارا ، والدليل على ذلك أن البلاد التي دخلها الفتح الاسلامي وجد بها من لا يؤمن بالاسلام دينا ، ولا بمحمد رسولا ، ولهذا كان يجب على أعداء الاسلام أن ينتبهوا جيدا لهذه الظاهرة قبل أن يرموا الاسلام بأنه انتشر بالسيف

فالى الجهاد بالنفس والمال دفاعا عن المسلمين وحرماتهم إن كنتم تعقلون فنحن أمة واحدة .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | [illegible] | فبراير | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د |
| الاحد | ١ | ١٧ | ١١ ٢٨ | ١٢ ٤٨ | ٦ ٢٤ | ٩ ٣٦ | ١ ١٨ | ٤ ٦ | ٦ ٢٦ | ١٢ ٢ | ٣ ١٤ | ٥ ٣٨ | ٦ ٥٦ |
| الاثنين | ٢ | ١٨ | ٢٦ | ٤٧ | ٢٤ | ٣٥ | ١٨ | ٥ | ٢٦ | ٢ | ١٤ | ٣٩ | ٥٧ |
| الثلاثاء | ٣ | ١٩ | ٢٤ | ٤٥ | ٢٣ | ٣٥ | ١٨ | ٤ | ٢٥ | ٢ | ١٥ | ٤٠ | ٥٧ |
| الاربعاء | ٤ | ٢٠ | ٢٢ | ٤٣ | ٢٢ | ٣٥ | ١٨ | ٣ | ٢٤ | ٢ | ١٥ | ٤١ | ٥٨ |
| الخميس | ٥ | ٢١ | ٢١ | ٤٢ | ٢١ | ٣٥ | ١٨ | ٢ | ٢٣ | ٢ | ١٦ | ٤١ | ٥٩ |
| الجمعة | ٦ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٠ | ٢٠ | ٣٤ | ١٧ | ٢ | ٢٢ | ٢ | ١٦ | ٤٢ | ٥٩ |
| السبت | ٧ | ٢٣ | ١٨ | ٣٨ | ١٩ | ٣٤ | ١٧ | ١ | ٢١ | ١ | ١٧ | ٤٣ | ٧ ٠٠ |
| الاحد | ٨ | ٢٤ | ١٧ | ٣٧ | ١٩ | ٣٤ | ١٧ | ٠٠ | ٢٠ | ١ | ١٧ | ٤٣ | ١ |
| الاثنين | ٩ | ٢٥ | ١٥ | ٣٥ | ١٨ | ٣٣ | ١٧ | ٤ ٥٩ | ١٩ | ١ | ١٧ | ٤٤ | ١ |
| الثلاثاء | ١٠ | ٢٦ | ١٣ | ٣٣ | ١٧ | ٣٣ | ١٧ | ٥٨ | ١٨ | ١ | ١٨ | ٤٥ | ٢ |
| الاربعاء | ١١ | ٢٧ | ١٢ | ٣٢ | ١٦ | ٣٣ | ١٧ | ٥٧ | ١٧ | ١ | ١٨ | ٤٦ | ٢ |
| الخميس | ١٢ | ٢٨ | ١٠ | ٣٠ | ١٥ | ٣٢ | ١٧ | ٥٦ | ١٦ | ١ | ١٩ | ٤٧ | ٣ |
| الجمعة | ١٣ | ٢٩ | ٨ | ٢٨ | ١٤ | ٣٢ | ١٧ | ٥٥ | ١٥ | ٠٠ | ١٩ | ٤٨ | ٤ |
| السبت | ١٤ | مارس | ٨ | ٢٨ | ١٤ | ٣٢ | ١٧ | ٥٥ | ١٥ | ٠٠ | ١٩ | ٤٨ | ٤ |
| الاحد | ١٥ | ٢ | ٦ | ٢٦ | ١٣ | ٣١ | ١٧ | ٥٤ | ١٣ | ٠٠ | ١٩ | ٤٨ | ٥ |
| الاثنين | ١٦ | ٣ | ٤ | ٢٤ | ١٢ | ٣١ | ١٧ | ٥٣ | ١٢ | ٠٠ | ٢٠ | ٤٩ | ٥ |
| الثلاثاء | ١٧ | ٤ | ٢ | ٢٢ | ١١ | ٣٠ | ١٧ | ٥٢ | ١٠ | ٠٠ | ٢٠ | ٤٩ | ٦ |
| الاربعاء | ١٨ | ٥ | ١ | ٢٠ | ١٠ | ٣٠ | ١٧ | ٥١ | ٩ | ٠٠ | ٢٠ | ٥٠ | ٦ |
| الخميس | ١٩ | ٦ | ١٠ ٥٩ | ١٨ | ٩ | ٢٩ | ١٧ | ٤٩ | ٨ | ١ ٥٩ | ٢٠ | ٥١ | ٧ |
| الجمعة | ٢٠ | ٧ | ٥٧ | ١٦ | ٨ | ٢٩ | ١٧ | ٤٨ | ٧ | ٥٩ | ٢١ | ٥١ | ٨ |
| السبت | ٢١ | ٨ | ٥٥ | ١٤ | ٧ | ٢٨ | ١٧ | ٤٧ | ٦ | ٥٩ | ٢١ | ٥٢ | ٨ |
| الاحد | ٢٢ | ٩ | ٥٣ | ١٢ | ٦ | ٢٨ | ١٧ | ٤٦ | ٥ | ٥٩ | ٢١ | ٥٣ | ٩ |
| الاثنين | ٢٣ | ١٠ | ٥٢ | ١١ | ٦ | ٢٨ | ١٧ | ٤٥ | ٤ | ٥٨ | ٢١ | ٥٣ | ١٠ |
| الثلاثاء | ٢٤ | ١١ | ٥٠ | ٩ | ٥ | ٢٧ | ١٧ | ٤٤ | ٣ | ٥٨ | ٢١ | ٥٤ | ١٠ |
| الاربعاء | ٢٥ | ١٢ | ٤٨ | ٧ | ٤ | ٢٧ | ١٧ | ٤٣ | ١ | ٥٨ | ٢٢ | ٥٥ | ١١ |
| الخميس | ٢٦ | ١٣ | ٤٦ | ٥ | ٣ | ٢٧ | ١٧ | ٤١ | ٠٠ | ٥٨ | ٢٢ | ٥٥ | ١١ |
| الجمعة | ٢٧ | ١٤ | ٤٤ | ٣ | ٢ | ٢٦ | ١٧ | ٤٠ | ٥ ٥٩ | ٥٧ | ٢٢ | ٥٦ | ١٢ |
| السبت | ٢٨ | ١٥ | ٤٣ | ٢ | ١ | ٢٦ | ١٧ | ٣٩ | ٥٨ | ٥٧ | ٢٢ | ٥٦ | ١٢ |
| الاحد | ٢٩ | ١٦ | ٤١ | ٠٠ | ٠٠ | ٢٥ | ١٧ | ٣٨ | ٥٧ | ٥٧ | ٢٢ | ٥٧ | ١٣ |

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ — الشويخ — الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة — مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم — دار التوزيع — ص.ب ( ٣٥٨ )

ليبيا : طرابلس — الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء — الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ )
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

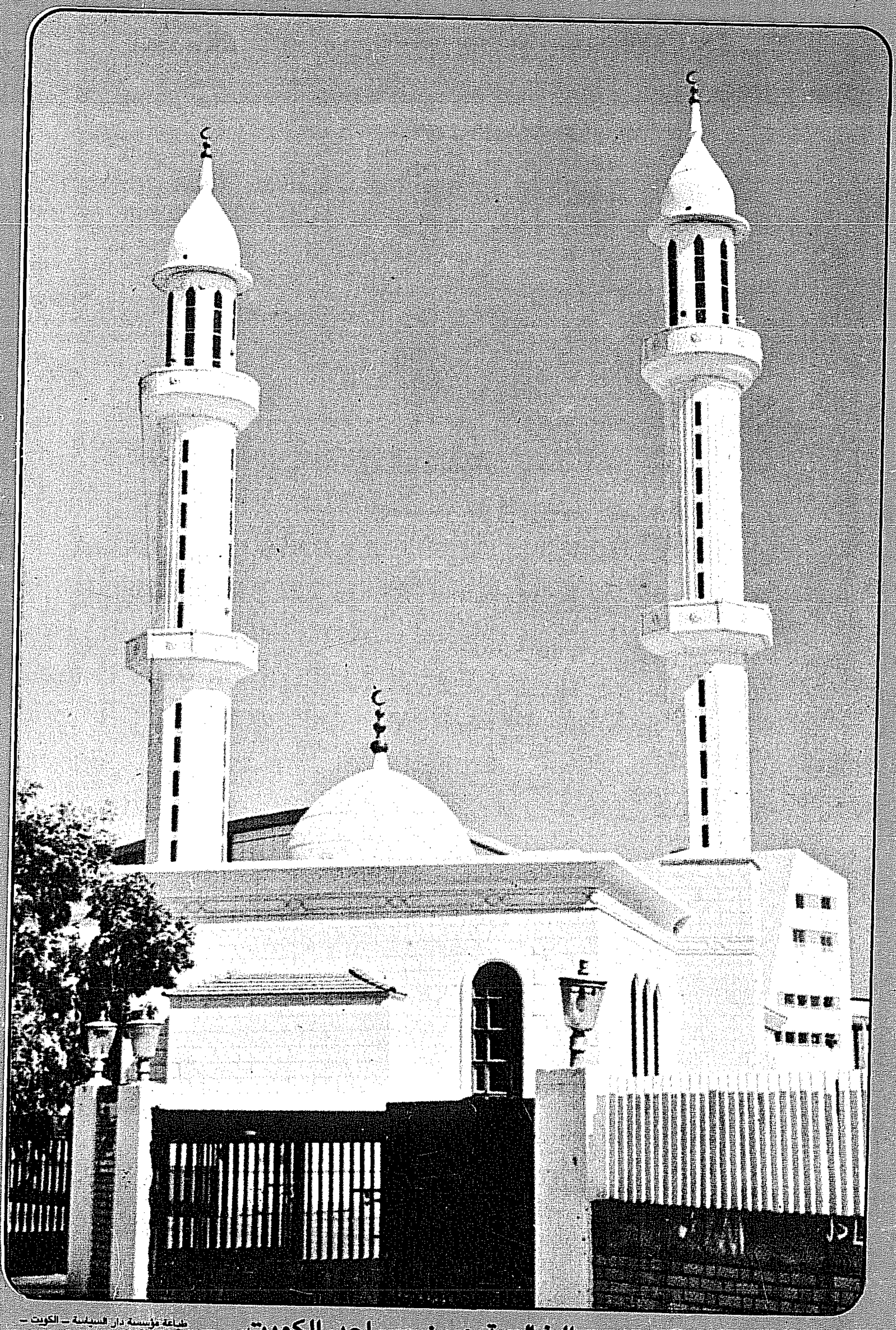
قطر : دار الثقافة للتوزيع — الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف — ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف — ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



○ مسجد الخالدية : من مساجد الكويت .

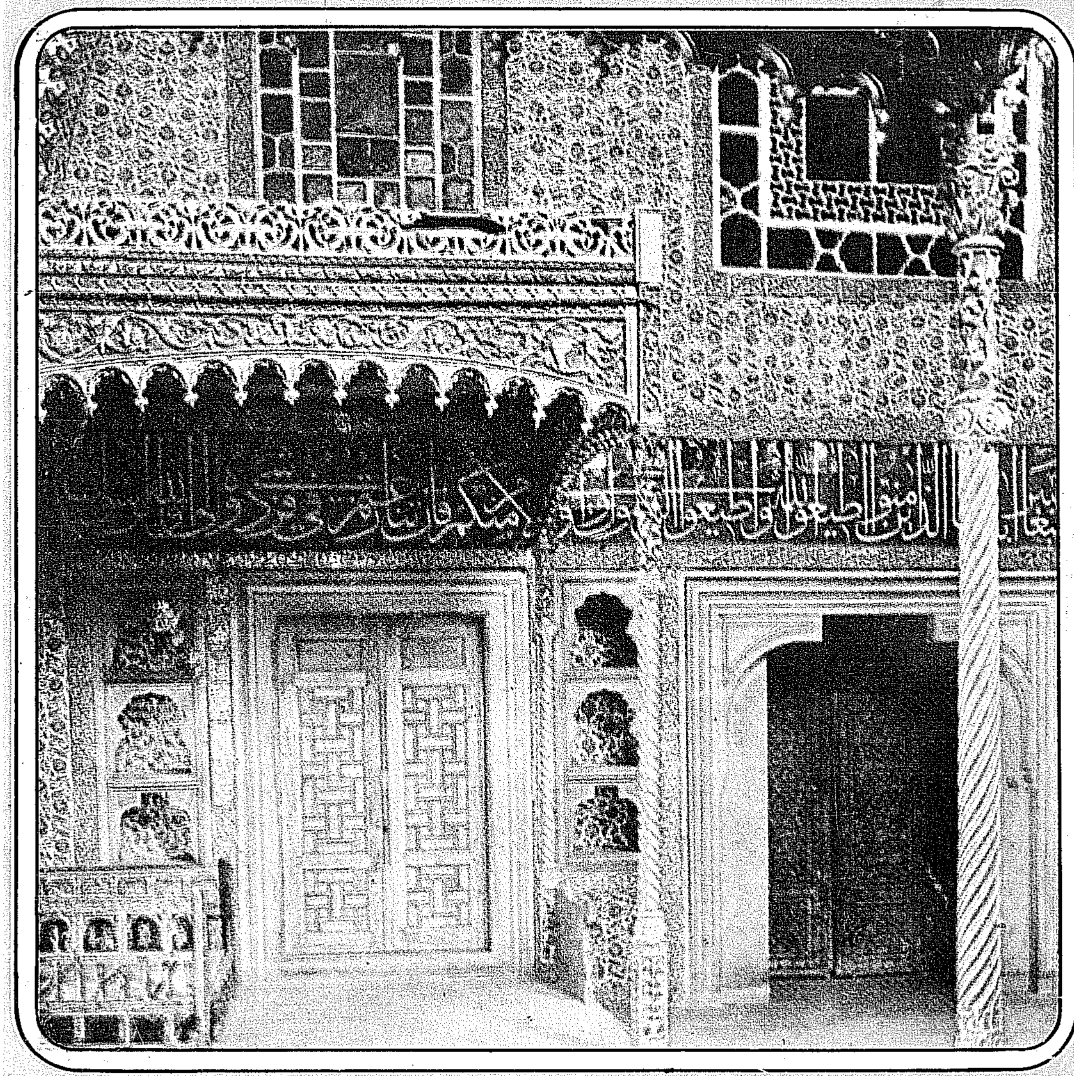
طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

دية العدد : براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٥ ○ جمادي الأولى ١٤٠٠ هـ ○مارس ١٩٨٠ م



## اقرأ في هذا العدد



### صورة الغلاف

ازدهر الحفر على الخشب في الدولة الاسلامية وأثر ازدهاره على الفنون العالمية الأخرى . وهذه واجهة لمبنى أثري في تركيا وقد ظهرت الزخرفة الاسلامية البديعة محفورة على الاعمدة والأريكة والمظلة والباب والنوافذ .

انظر صفحة ٦٨

# الوعي الإسلامي

## AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٥ ○ جمادي الأولى ١٤٠٠ هـ ○مارس ١٩٨٠ م


### هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

### تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


### ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# الاعتزاز بالوطن

ألوطن هو الأرض التي ينشأ عليها الانسان فيتفاعل جوها في تكوينه ، وتطيب نفسه بالعيش فيها ، والاغتنام من خيرها ، ويسكن قلبه إليها .. وإذا بعد عنها كان دائب الحنين إليها ، بالغ الشوق الى رحابها ، حتى ولو كان غيرها اكثر نعمة وأكبر عطاء ، وأعظم أمنا ، فالمدينة الحافلة بألوان الحضارة يهبط اليها الأعرابي ، فلا تصرفه حضارتها ولا ما تزخر به عن خيرات من وطنه ، وما وطنه الا صحراء جرداء ، وكثبان من الرمال وأطلال بالية ، وصخور تسفعها الهاجرة وأطناب تعصف بها الرياح . ولكنه الوطن مستقر الأفئدة على أرضه درجت النفس ، فكان لزاما ان يكون به هيامها ، وإليه حبها ونزوعها .

ورسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مهاجر الى المدينة حيث الأنصار الذين عاهدوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم ـ كان في سيره دائب التلفت نحو وطنه ( مكة ) ولم يصرفه عن حبها أن قومه اخرجوه منها : فلما قاربت معالمها أن تغيب عن ناظريه اتجه إليها قائلا : « والله إنك لأحب بلاد الله الى الله ، وإنك لأحب بلاد الله إلي ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » . وبينما هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة ينعم هو وصحابته بالحرية والأمن ، سمع احد صحابته المهاجرين يعبر عن حنينه الى مكة قائلا :

| | |
|---|---|
| ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة | بواد وحـولي إذخـر وجليل |
| وهل أردن يوما مياه مجنة | وهل يبـدون لي شامـة وطفيل |

فأشار اليه قائلا : « دع القلوب تقر » .

وحب الوطن من أعظم ثمرات الإيمان بالله تعالى ، لأن الوطن هو الميدان الذي تطبق فيه مبادىء الحق والخير والطمأنينة والعدل ، وهو الساحة الواسعة التي يغدو فيها المواطنون ويروحون وقد استنارت أعمالهم وأقوالهم بتعاليم الاسلام وفضائله ، فنهضوا بأخلاقهم يبنون صرح الألفة والمحبة ويشيدون ما يحقق العزة .

والوطن الاسلامي هو مهبط المدنية الأولى ، ومشرق العلم النافع ، وموئل الشرف العريق ، فيه قامت الحضارات النظيفة التي أمدت العالم كله بالنور والمعرفة ، ومنه انبعثت رسالات الله ، تهدي الإنسانية وترشدها وترسم لها معالم السعادة وقد أخرج الله فيه كنوزا ، وأنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والزرع مختلفا أكله ، وجعل له مزية الامتياز في موقعه بين الشرق والغرب . فكان سبيل الاتصال وطريق التجارة . ووطن هذا شأنه واجب على أهله أن يوقفوا عليه خفقات الحب في قلوبهم ، وأن يجعلوه ميدانا يطبق فيه منهج الله في الحياة وتنطلق منه دعوة الله في انحاء المعمورة لتخرج الناس من الظلمات الى النور وتهديهم الى صراط العزيز الحميد ، وأن يبذلوا في صد الأعداء عنه أنفسهم وأموالهم ، وأن يعملوا ــ في غير هوادة ــ للحفاظ عليه وتثبيت استقلاله وحماية عزته .

لقد سعد هذا الوطن بتطبيق منهج الاسلام قرونا ، كان أهله فيها سادة الدنيا وأساتذة العالم ، ولما تهاونوا في حمل أمانة الرسالة تداعت عليهم الأمم الكافرة كما تداعى الأكلة على قصعتها ، وغمروا الأوطان الاسلامية بالمفاسد توهينا لقوى شبابها ، وصرفا لهم عن الحياة الجادة ــ حياة الايمان بالله والأخذ بهدايته ــ وعمدوا الى استثمار مفاسدهم في تكوين منافقين بين المسلمين ، يعملون لحسابهم في توهين القوى ، وصرف الأمة عن تراثها العظيم ، وبهذا الطوفان من الفساد أقاموا إسرائيل في قلب البلاد الاسلامية ، لتكون جسرا يعبرون عليه لتحقيق أغراضهم الخبيثة ، ويعملون من خلالها على تفريق صفوف المسلمين وبهذا الطوفان من الفساد اجتاحوا « أفغانستان » المسلمة ليبيدوا أهلها بعد ان عجز عملاؤهم عن إخضاعها لحكم الالحاد والضلال .

ومن واجب المسلمين ــ في كل مكان ــ ان يهبوا لتطهير أوطانهم من كل فساد ، وأن يتعاونوا تعاونا صادقا على دحر المعتدين .. والسبيل إلى ذلك سبيل وحيد وهو الاستهداء بالاسلام وتطبيق تعاليمه بكل أصولها وفروعها ، فبالاسلام عقيدة وشريعة نستطيع أن نثبت في وجه أعداء الوطن ، وان نحبط مؤامراتهم ، وأن ندمر خططهم وأن نسترجع حقوقنا من قبضتهم ، فلا يصلح أمر هذه الامة الا بما صلح به أولها .

وبالجهاد في سبيل الله تفتح سبل الخير وطرق المجد ، ويكون عون الله وتأييده : ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا وإن الله لمع المحسنين )

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# تفسير

# سورة الصف

الحلقة الثانية

للاستاذ/محمد عزة دروزه

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ( ٥ ) وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ( ٦ ) ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ( ٧ ) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ( ٨ ) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ( ٩ ) ﴾ .

**شرح وتعليق :**

( ١ ) لم يورد المفسرون فيما اطلعنا عليه رواية خاصة كسبب لنزول الآيات . والمتبادر أنها متصلة بالآيات السابقة اتصال تعقيب واستطراد . ففي الآيات السابقة تنديد بالذين يقولون ما لا يفعلون ، وإيذان بما في ذلك من موجبات مقت الله الشديد . فجاءت هذه الآيات .

ـ لتذكر على سبيل العظة والزجر والتمثيل بما كان من قوم موسى إزاء موسى عليه السلام من مواقف مؤذية محكية عن لسانه مع تأكدهم بأنه رسول الله إليهم . وبما كان من انتقام الله منهم حينما زاغوا وانحرفوا عن جادة الحق حيث أزاغ الله قلوبهم . لأن الله لا يمكن أن يوفق ويسعد الفاسقين المنحرفين المتمردين عليه .

ـ ولتذكر بهدف توكيد رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقوة ما فيها من الحق والنور الالهي وحمل المؤمنين بها على الثبات عليها وتأييدها والاستجابة إلى ما يدعوهم النبي إليه من جهاد وغير جهاد بما كان من بشارة عيسى عليه السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث حكت قوله لبني إسرائيل . إنه رسول الله إليهم مصدقا بالتوراة التي أنزلت قبله ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد بما فيه تدعيم لموقف النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ورسالته .

- ولتندد بما كان من موقف الكفار من النبي محمد المبشر به حينما جاءهم وقولهم عن رسالته إنها سحر .

- ولتؤكد انتصار دينه وانتشار نور الله وتمامه نتيجة لذلك حتى يظهر على ما عداه من الأديان رغم كل المحاولات المعطلة من الكفار والمشركين الرامية إلى إطفاء ذلك النور وبعبارة قوية داوية حيث تقرر :

**أولا** : أنه ليس من أحد أشد ظلما ممن يفترى على الله الكذب فيقول عن آياته إنها سحر بينما هي تدعو إلى الايمان بالله والاسلام له .

**وثانيا** : أن المعطلين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ومواقفهم وأقوالهم ولكن الله تعالى سوف يتم نوره وينشره حتى يملأ الكون على الرغم من الكافرين .

**وثالثا** : أن الله قد أرسل رسوله بالهدى والدين الحق الواضح وأنه لجاعل له السيادة والغلبة والظهور على جميع الأديان حتى يصبح دين العالم كله على الرغم من المشركين .

( ٢ ) ولقد صرف بعض المفسرين ضمير ( الفاعل المستتر في جملة ( جاءهم ) إلى عيسى عليه السلام . وصرفها بعضهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا قول الطبري . وقد رجحناه وأخذنا به في شرحنا الآنف استلهاما من الآيات الثلاث الأخيرة ، والله أعلم .

( ٣ ) يصح أن يكون المقصود من جملة:( **فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ) كفار العرب ، كما يصح أن يكونوا هم الذين كفروا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل . ونحن نرجح الاحتمال الثاني لأن الكلام هو في صدد بني إسرائيل . وفي القرآن آيات كثيرة ذكرت كفر بني إسرائيل بهذه الرسالة ومنها آيات البقرة:( **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياى فاتقون** ) البقرة/ ٤٠ و ٤١ . وآيات البقرة: ( **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ) الآية/ ٨٩ . وعلى هذا فتكون الآيات الثلاث التي جاءت بعدها قد قصدت كفار بني إسرائيل أيضا .

( ٤ ) ومع ذلك فقد جاءت الآيات الثلاث بأسلوب عام لتكون شاملة لجميع الكفار والمشركين من جهة وليكون ما فيها أعم مدى من موقف جحود الاسرائيليين من رسالته المحمدية من جهة أخرى . وهذا أسلوب من أساليب القرآن . والله تعالى أعلم .

( ٥ ) ولقد قال المفسرون ومنهم الطبري وابن كثير والبغوي أن الأذى الذي كان يقع على موسى من قومه هو تعجيزهم له بالمطالب كقولهم : ( **لن نصبر على طعام واحد** ) وهذا حكته

عنهم آية سورة البقرة ( ٦١ ) وقولهم : ( **لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** ) وهذا حكته عنهم آية سورة البقرة ( ٥٥ ) و ( **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ) وهذا حكته عنهم آية سورة المائدة ( ٢٤ ) أو رميهم إياه بالبرص أو تآمر قارون عليه أو رميه بالزنا الخ . ولقد ورد في آية ( ٦٩ ) في سورة الأحزاب إشارة إلى أذى قوم موسى لموسى وهي:( **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها** ) وقد ذكر المفسرون الأنواع الأخيرة من الأذى في سياقها أيضا . وآية الأحزاب نهت المسلمين عن أن يكونوا مثلهم . وجاءت بعد آيات فيها إنذار رهيب للذين يؤذون الله ورسوله خاصة والمؤمنين والمؤمنات عامة حيث ربطت بين المؤمنين على سبيل المقارنة والإنذار . والمتبادر أن موقف الذين كانوا يقولون ما لا يفعلون الذي حكته الآية الثانية من السورة ونددت به الآية الثالثة قد كان مما آذى رسول الله واستوجب شدة مقت الله تعالى فاقتضت حكمة التنزيل أن يعاد التذكير والمقارنة والتنديد في هذا المقام وإن اختلف الأسلوب حيث نهت آية الأحزاب المسلمين من أن يكونوا كالذين آذوا موسى وحيث جاء هذا في آية سورة الصف التي نحن في صددها حكاية عن لسان موسى .

( ٦ ) ولقد تكرر وعد الله تعالى بتمكين دينه ونصر رسوله والمؤمنين في آيات عديدة مكية ومدنية ، غير أن التوكيد بإظهار هذا الدين على الدين كله يأتي هنا لأول مرة . وقد تكرر بعد هذا مرتين . واحدة في سورة الفتح التي يأتي ترتيب نزولها بعد سورة الصف بهذا النص:( **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** ) الفتح/٢٨ . وواحدة في سورة التوبة في آيتين وبنص قريب من نص سورة الصف التي نحن في صددها . وبالاضافة الى ما في الآيات من قصد تدعيم موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى الجهاد والتنديد بالذين يخلفون بما وعدوا ويقولون ما لا يفعلون وهو القصد القريب المباشر والله أعلم ، وبالاضافة إلى ما فيها من تحد مطلق للكافرين والمشركين . وإيذان بوعد الله تعالى بإظهار الدين الذي أرسل محمد صلى الله عليه وسلم به على الدين كله فان جملة ( **بالهدى ودين الحق** ) تنطوي على تقرير ما في الرسالة المحمدية من هدى وحق . وقد تمثلا أقوى تمثيل وأروعه فيما احتواه القرآن الكريم والسنن النبوية الشريفة من مبادئ وقواعد وتشريعات ووصايا وتنبيهات وتلقينات وتوجيهات ومعالجات وأوامر ونواه إيمانية واجتماعية وسياسية واقتصادية وأسرية وسلوكية وشخصية وتبشيرية وروحية من شأنها ضمان السعادة العظمى للبشرية في الدنيا والآخرة على أتم وجه وأوسعه وأفضله . ولقد دعا هذا الدين إلى الله وحده المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن كل نقص

وشائبة ، وقرر ربوبيته للعالمين جميعا دون اختصاص . واستغناءه وتنزهه عن الشريك والمساعد والولد بأي معنى كان . وسواء أكان ذلك تأويلا أم وسيلة أم شفاعة . وحارب بكل قوة ودونما هوادة كل أنواع ومظاهر الشرك التي تمثل انحطاط الانسانية وتسخيرها لقوى وأفكار وعقائد سخيفة مغايرة للعقل والمنطق والحق وممثلة لنظام جاهلي فيه تقاليد جائرة وعادات منكرة وعصيان ممقوت . وهدف إلى القضاء على ما طرأ على الديانات السماوية وبخاصة الديانتين المعروفة يقينا مصدريتها من الله الممارستين أي اليهودية والنصرانية من سوء تأويل وانحراف وانقسام واختلاف وتهاتر ، وإلى تحرير الانسانية من الخضوع لأية قوة خفية وظاهرة غير الله ، وفتح آفاق الحياة للمؤمنين بهذا الدين على مصراعيها في نطاق أسمى المبادىء وأكرم الأخلاق وأفضل المناهج والخطط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفردية والانسانية وأشدها مرونة للنهوض إلى ذرى الكمال في كل مجال من مجالات الحياة وتوجيهها نحو أحسن السبل وأشرفها وأنزهها وأعدلها وأتمها صفاء وسناء . شاملة للناس جميعهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وفئاتهم ليكونوا تحت راية أخوة متساوين في الحقوق والواجبات على اختلاف مناحيها . وليقوم في ظله عالم واحد ونظام واحد ودين واحد ولغة واحدة ، وبكلمة واحدة مجتمع إنساني واحد يتولى الأمر فيه الصالحون خلقا ودينا ، الأكفاء الحريصون على المصلحة العامة . لا طاعة فيه لسلطان بمعصية وضرر ، ولا سند لحاكم فيه إلا كتاب الله وسنة رسوله ومصلحة العباد والبلاد المتسقة معهما ، ولا مكان فيه لظالم جبار وطاغية مسيطر ، والشورى فيه صفة أساسية لأهله وواجب ملزم حكامه . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ( أي الأمر بكل ما فيه خير وصلاح ونفع والنهي عن كل ما فيه شر وفساد وضرر وبغي وظلم ) والدعوة إلى الخير والسلام والتواد والتراحم والتواصي بالصبر والحق والمرحمة من واجبات كل فئة منه حاكمة أو محكومة ، وصفة أساسية وخصائص ذاتية لأهله نتيجة لإسلامهم . ولا يسمح فيه باستقطاب الثروة في جانب والفقر في جانب . وللدولة فيه حق التوجيه . ويؤخذ فيه من الغني للفقير بالاضافة الى ما أوجب على الدولة من مساعدة الفقير العاجز . ويمنع فيه القوي من ظلم الضعيف . ويساعد فيه القادر العاجز . ويتواصون جميعا بالصبر والمرحمة والتعاطف والتعاون . ويستمتعون جميعا بكل طيب حلال من طيبات الحياة وزينتها بدون تفريط وافراط ولا إسراف ولا تقتير . وتمنع فيه الفوضى والعدوان والمنكرات والموبقات والخلاعة والمسكرات والإثم والبغي والظلم في ظل سلام شامل يعرف الناس عبره أنهم إنما وجدوا ليتعارفوا ويتفاهموا ويتعايشوا ويتعاونوا على البر والتقوى دون الاثم

والعدوان . ويتسابقوا في الخيرات . وفي ظل شرائع وتعاليم وخطوط ومبادئ قابلة للانطباق في كل زمن ومكان . ومستجيبة لمختلف مطالب البشر المادية والروحية . ومخاطبة للعقل والقلب معا . وموفقة في ذلك كله بين سعادة الدنيا والآخرة بأسلوب لا تعقيد فيه ولا التواء ولا آصار ولا اغلال ولا تكاليف شاقة محرجة . ونافذة إلى أعماق النفس . مع الأمر بالدعوة إلى سبيل الله أي إلى هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وعدم الاكراه والاجبار في الدين وسعة الصدر لمن أراد الاحتفاظ بدينه وعقيدته إذا واد المسلمين وسالمهم ولم يتآمر عليهم وعلى دينهم ، ومع الأمر بمعاملة هؤلاء بالقسط والبر وحسن التعامل والتعايش . وبعدم القتال إلا للدفاع ودفع العدوان والمقابلة بالمثل . وتأمين حرية الدعوة وإرغام الظالمين . وقد وصف معتنقو هذا الدين في القرآن بصفة الوسط التي هي الخيرية والاعتدال في كل شيء وعدم الافراط والتفريط وعدم الغلو والتقصير وعدم التزمت والاستهتار . وعدم الاقتصار على ناحية والتقصير في ناحية مما فيه خير دين ودنيا . والتمسك بكل ما هو الأفضل والأصلح والأنفع والأحسن من كل أمر وصفة وخلق وعمل وموقف ، وقد اختص هذا الدين الأنثى بعناية خاصة فجعلها صنوا للذكر وقسيما له في الانسانية والحقوق والواجبات والتكاليف والحياة العامة وبنيان الدولة والمجتمع سواء بسواء . كما أسبغ على الحياة الزوجية رعاية عظيمة كفل فيها حق المرأة من مختلف النواحي ما لم يكن له مثل في سابق الاسلام ومما لم يلحق به إلى الآن .

وكل ما تقدم من مقتضيات كتاب الله الكريم وسنن رسوله الشريفة . وليس من شأن حالة المسلمين الحاضرة أن يطمس سناء ( الهدى ودين الحق ) اللذين أرسل الله رسوله بهما والمتمثلين في كتاب الله وسنن رسوله . ويظل في كل ذلك أقوى أسباب الجذب والاستقطاب لمختلف أنواع وفئات البشر في كل زمن ومكان ويصدق وعد الله تعالى باظهار الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم على الدين كله .

( ٧ ) ولقد أورد المفسرون في سياق آيات سورة التوبة المقاربة في نصها لآيات سورة الصف التي نحن في صددها وهي سياق الآية ( ٥٥ ) من سورة النور التي فيها وعد باستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المسلمين في الأرض وتمكين دينهم ، بعض الأحاديث النبوية التي تذكر توقعات أو تنبؤات النبي صلى الله عليه وسلم بما سوف يكون لدين الله من انتشار وانتصار . ومن ذلك حديث أورده ابن كثير ورواه الامام أحمد عن تميم الداري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :« ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار . ولا يترك الله بيت مدر ولا دبر إلا أدخله هذا الدين . يعز عزيزا ويذل ذليلا . عزا

يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر ».وكان تميم يقول : وهذا تتمة رواية الحديث ـ قد عرفت ذلك في أهل بيتي . لقد أصاب من أسلم الخير والشرف والعز . وأصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية ) ومنها حديث وصفه ابن كثير بأنه صحيح ثابت جاء فيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها . وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » ومنها حديث روى عن عدى ابن حاتم وروى البخاري صيغة مقاربة له . جاء فيه ، قال له رسول الله حين وفد عليه : « أتعرف الحيرة . قال لم أعرفها ولكن قد سمعت بها . قال : فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة وتطوف بالبيت في غير جوار أحد . ولتفتحن كنوز كسرى ابن هرمز . قال : قلت : كنوز كسرى ابن هرمز ؟ قال : نعم كسرى بن هرمز . وليبذلن المال حتى لا يقبله احد » . قال عدى بن حاتم فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد . وقد كنت في من فتح كنوز كسرى بن هرمز . والذي نفسي في يده لتكونن الثالثة لأن رسول الله قالها . ومنها حديث رواه مسلم عن نافع بن عقبة قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله وتغزون فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله » .

( ٨ ) ولقد بدأ تحقق وعد الله عز وجل باظهار دينه على الدين كله وبتمكينه وباستخلاف أهله الذين يعملون الصالحات في الأرض . وهذا مما وعده الله في آية سورة النور هذه **( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون )** النور/ ٥٥ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتوفاه الله إلا بعد أن ساد دينه جميع أجزاء جزيرة العرب وأخذ يطرق أبواب الأقطار المجاورة . وصار للاسلام دولة نافذة الأمر والسلطان في الشؤون القضائية والتشريعية والجهادية والاقتصادية والتنظيمية تحت رايته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك معجزة من معجزات القرآن ثم استمر تحققها تحت راية خلفائه الراشدين الذين ساروا على طريقته فظلت المعجزة مستمرة في عهدهم فانتشر الاسلام وساد على سائر الأديان في جميع الأقطار المجاورة لجزيرة العرب من الشمال والجنوب ، وقام السلطان الاسلامي العادل الفاضل المتسامح المتآخي القائم بحدود الله الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المحل للطيبات ، المحرم للخبائث الرافع الإصر والأغلال قويا منصورا ، واندحرت أمامه قوى الظلم والطغيان . ثم ظل هذا مستمرا ما استمر حكام المسلمين ورجالهم في

الطريقة حتى صار السلطان الاسلامي والدين الاسلامي في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة شاملين لمعظم ما كان معروفا من أرجاء المعمورة في المشارق والمغارب من حدود الصين والهند شرقا إلى المحيط الاطلسي غربا مع امتداد عظيم في الشمال والجنوب من هذه الناحية الشاسعة على اختلاف أجناس سكانها وألوانهم ونحلهم مع سيادتهما قسما كبيرا من أسبانيا الأوروبية .

( ٩ ) ونحن مؤمنون بأن وعد الله المطلق يظل يتحقق للمؤمنين وللدين الاسلامي في كل زمان ومكان إذا ما تحقق في المسلمين الشروط التي تنطوي في جملة :( **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ) والتي يلمح في الآية أنها شرط بتحقيق وعد الله تعالى . والتي تتناول على ما هو المتبادر كل ما هو خير وصالح من أمور الدين والدنيا مما رسمه الله تعالى في كتابه الكريم ورسوله صلى الله عليه وسلم في سننه الشريفة وأوجباه على المؤمنين من واجبات وخطط وأخلاق تعبدية واجتماعية وسياسية واقتصادية وشخصية وجهادية وثقافية وتضامنية وأسرية وتبشرية . وساروا فيها بكل جد وصدق وإخلاص .

( ١٠ ) والايمان بهذا واجب على كل مسلم لأن الله لن يخلف ما وعده من النصر والتمكين للمؤمنين الصالحين . وفي ما أمر الله ورسوله ورسماه في الكتاب الكريم والسنة الشريفة أعظم بواعث الثقة والاعتزاز وحوافز العزيمة والإقدام والاندفاع في المسلمين الصادقين للعمل على تحقيق وعد الله ونشر دينه حتى يظهر على الدين كله . وهذا واجب لازم عليهم يأثمون في التقصير فيه .

ومن الجدير بالذكر أن الاسلام ظل ينتشر ويتسع بعد زوال السلطان العربي الذي استمر في القرون الثلاثة الأولى . لما فيه من قوة وعناصر الجذب والاستجابة والاستقطاب حتى لقد كان عدد المنضوين إليه بعد زوال ذلك السلطان أكثر من المنضوين إليه في عهده . ويكاد يكون الدين الوحيد الذي لا يتركه معتنقوه والذي يزداد معتنقوه من الخارج مجددا وليس فقط بالنمو الذاتي ومن كل نحلة وفئة وجنس وفي كل مكان . ولو تيسر له دعوة قوية التنظيم والتمويل ودعاة ومرشدون صالحون كثيرو العدد لازداد اتساع انتشاره وانجذاب الناس له .

# القضاء والقدر

للشيخ عبدالجليل عيسى

يقول الله سبحانه : ( **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ) الكهف / ٢٨ .

ويقول تعالى : ( **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ) القصص / ٥٠ .

ما معنى هاتين الآيتين ، وما المقصود بالهوى فيهما ؟

بما أن ما جاء أولا هو جزء من الآية ، ولا يفهم إلا بعد فهم أولها رأينا أن نتعرض لبيان الآية كلها ، فأولها خطاب من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول : ( **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه** ... الخ ) .

**المفردات** : ( اصبر نفسك ) الصبر هو حبس النفس ، اي احبس نفسك ( **الذين يدعون ربهم** ) هم جماعة من الفقراء والضعفاء الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يجالسونه كثيرا لينتفعوا وليبتعدوا عن غطرسة زعماء الشرك ، واستهزائهم بهم ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ( **إن الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون** ) الى قوله

سبحانه : ( **وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** ) المطففين / ٢٩ — ٣٢ .

( **ولا تعد عيناك عنهم** ) اي لا تصرف النظر، عيناك عنهم .

( **أغفلنا قلبه عن ذكرنا** ) الذكر هو القرآن ، قال تعالى : ( **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ) الحجر / ٩ .

( **وأغفلنا قلبه** ) أي جعلنا قلبه غافلا عن القرآن عقابا له على عناده ، وتكبره ، وعدم خضوعه للحق ، وهذا معنى قوله تعالى فيهم : ( **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ) سورة البقرة / ٦ و٧ وقال هذا المعنى في أمثالهم:( **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين** ) الصف / ٥ .

وقال سبحانه : ( **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ) آية ١٩ من سورة الحشر وقال فيهم وفي أمثالهم :( **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا** ) الانعام / ١١١ .

( **اتبع هواه** ) الهوى هو شهوة النفس إذا جمحت وتجاوزت حدود ما رسمته لها الشرائع ، وبيان ذلك أن حكمة الله في خلق شهوات النفوس هي حمل أصحابها على عمارة هذه الأرض التي يعيشون عليها ، إذ لو خلق الانسان بدون شهوة ، لا يأكل ، ولا يشرب ، ولا يتناسل ، لما كلف نفسه مشقة العمل لعمارة الأرض بالحرث ، والزرع ، وغير ذلك مما لا بد منه لحياته ، وحينئذ يعجل إليه الفناء في أقصر وقت ، وبذا لا تتحقق حكمة الله في خلق آدم وذريته ليكونوا خلفاء في الأرض ليعمروها ، وبالتالي ، يفقد كثير من المخلوقات غير الانسان فائدته ، فالأرض والسماء وما فيهما من شمس ، وقمر ، وزرع ، وشجر ، ومياه ، وغير ذلك ، كلها مسخرة لمنفعة الانسان ، قال الله تعالى : ( **الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ) إبراهيم / ٣٢ — ٣٤ .

وإذا كانت شهوة النفس لا بد منها لعمارة الأرض ، لأن كل صاحب شهوة يعمل جاهدا لاشباعها ، فلو تركت بدون قيود ورقابة ، لطغى الناس بعضهم على بعض ، ولتمتع القوى بكل الملذات ، ولو على حساب شقاء غيره ، أو هلاكه ، وفي هذا قال البوصيري في بردته : —

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم .

والقيود هي الشرائع والرقيب الحازم هو العقل الذي يوقف النفس عند حدودها ، ويا لهلاك النفوس إذا

أهملت الشرائع ، أو فسدت العقول .

ولما كان الاسلام دينا وسطا ، لا هو روحاني محض ، يحرم على أتباعه متاع الحياة الدنيا ، ولا هو مادي خالص يفتح لشهوات الانسان مجالات اللذائذ الفانية ، فيعيش ليأكل كما تأكل البهائم والوحوش ، ثم يحرم من النعيم الخالد الذي أعده الله للمتقين .

فحكمة خلق الشهوة في الانسان كانت لمنفعته ، كما خلقت اليد ، والرجل ، والبصر ، والسمع ، والعقل، فكل هذه نعم ، إذا أحسن الانسان استعمالها ، أما إذا استعمل يده في السرقة ، أو ضرب الضعيف ، أو قتله واستعمل الرجل ـ بكسر الراء ـ في السعي في الأرض للافساد ، فقد خالف أمر من أنعم بها عليه فاستحق مقته ، وغضبه . لكل هذا اقتضت الحكمة الالهية أن يضع للانسان شريعة عادلة تنظم حياته مع غيره ، ولا تحرم عليه متعة لا توقعه في خطر ، فنظم الشهوة وحدد لها حدودا لا تتجاوزها ، فاذا هو أطلق لنفسه عنانها ، وطغى وظلم ، كان مأواه جهنم ، وإذا ضبط نفسه ، وكفها عن هواها ، فمأواه الجنة ، قال الله سبحانه : ( **فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى** ) النازعات / ٣٧ ـ ٤١ .

( **فرطا** ) لفظ مأخوذ من الإفراط ، وهو الاسراف ، وعدم الاعتدال في الأعمال والتصرفات ، ( **فأمره فرطا** ) أي إسرافا في الشهوات ، وتضييعا للعمر فيما لا يعود على المرء بالنفع الحقيقي .

المعنى : قال ابن كثير والبغوى نزلت آية:( **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم** ... الخ ) لما طلب أشراف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحدهم ، ولا يجلس معهم من آمن به من الضعفاء والفقراء كبلال ، وعمار بن ياسر ، وأبي ذر الغفاري ، وأمثالهم قالوا له : اطرد هؤلاء لئلا يجترئوا على مجالستنا بثيابهم الرثة ، ونحن أسياد مضر وأشرافها ، ونحن إن أسلمنا أسلم الناس ، ولا يمنعنا من اتباعك إلا جلوس هؤلاء معك ، فنحهم وأبعدهم . ففكر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قليلا ، هل يفعل ما طلبوا لعلهم يهتدون ؟ واذا اهتدوا فيتعلمون التواضع ، ويكرهون التكبر على الفقراء . فنزل قوله تعالى ( **واصبر نفسك .. الخ** ) أي احبس نفسك يا محمد مع الذين يدعون ربهم دائما يريدون بعملهم هذا رضاء الله وحده ، لا عرضا من أعراض الدنيا ، ولا تصرف عيناك النظر عنهم إلى غيرهم ، فانك إن فعلت كنت من الذين يريدون مجالسة الأغنياء والوجهاء الذين تحيط بهم زينة الحياة الدنيا ، فلا تفعل ذلك ، وإلا كنت ظالما لنفسك ، وللضعفاء من المؤمنين الذين يريدون زيادة التقوى ، قال تعالى : ( **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى**

**يريدون وجهه )** إلى قوله **( فتطردهم فتكون من الظالمين )** الأنعام /٥٢ ، وما فعله المشركون مع نبينا صلى الله عليه وسلم وفقراء أمته ، هو ما فعله الكفار قبلهم من الأمم الماضية مع انبيائهم ، قال تعالى في قوم نوح : **( فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين )** إلى أن قال : **( وما أنا بطارد الذين آمنوا )** ثم قال : **( ومن ينصرني من الله إن طردتهم )** هود / ٢٧ – ٣٠ .

ولذلك أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بعدم طاعتهم ، وبالمحافظة على احترام المؤمنين مهما كانوا ، يستوى في مجلسك فقيرهم وغنيهم ، ولا فضل لأحد عند الله إلا بالتقوى ، لا تفعل هذا ظانا أن هذا يرضيهم عنك ، فتطمع في إيمانهم ، لأني أنا المطلع على سرائرهم ، وأعلم أنهم حاقدون ، حاسدون ، تحجرت قلوبهم ، وأقفرت من الرحمة ، فلن يؤمنوا بك مهما صنعت ، ولذلك **عاقبناهم على عنادهم بجعل قلوبهم غافلة عن تأمل** القرآن حتى صاروا عبيدا لأهوائهم وشهواتهم فلا يسمعون نصحا ، ولا يبصرون عبرا ، وصار أمرهم في جميع تصرفاتهم بعيدا عن الاعتدال ، فكلما طالت بهم الحياة لجوا في الشقاء؛ **( استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون )** المجادلة / ١٩ ، وهم الذين قال الله في أمثالهم : **( سأصرف عن آياتيَ الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين )** الأعراف /١٤٦ .

وقال الله تعالى فيهم في مواضع أخرى : **( ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين )** القصص / ٥٠ فالله سبحانه لا يهدي إلا من استحق الهداية ، ولا يضل إلا من استحق الضلال ، قال تعالى : **( وما يضل به إلا الفاسقين )** البقرة / ٢٦ . وبهذا يتضح معنى قوله سبحانه : **( من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم )** الأنعام / ٣٩ . فمعناه بعدما تقدم ، من يشأ الله زيادة إضلاله لأنه تسبب في ذلك يزده ضلالا ، ويهدي من يشاء ممن سعى في زيادة أسباب الهداية .

قال تعالى في المنافقين والمؤمنين عندما يسمعون القرآن : **( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم ( اي المنافقين ) من يقول ( مستهزئا ) أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ( أي كفرا إلى كفرهم ) وماتوا وهم**

**كافرون )** التوبة / ١٢٤ و ١٢٥ .

وتوضيح ذلك أن الله سبحانه اقتضت حكمته في نظام هذه الحياة الدنيا أنه أودع في الانسان حرية الاختيار ، وسهل له سبيل ما يريد ، وكان قادرا على أن يسلبه هذه الحرية ، ويجعله مجبورا كما قال : **( ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين )** يونس / ٩٩ . نعم لو أراد سبحانه لفعل ، فلا راد لإرادته ، ولكن لا تكون الدنيا هي الدنيا التي نعيش فيها الآن ، ولا كان هناك حساب ولا جزاء ، وبالجملة لما خلق آدم لعمارة الأرض ، ولما خلق إبليس وجنوده ، ليكونوا مصفاة تميز الخبيث من الطيب ، ولما أرسل رسلا مبشرين ومنذرين ، إلى آخر مالا يحصيه عد .

فليس معنى إضلال الله للعباد ، أو هدايته لهم ، أنه فعل ذلك قهرا عنهم ، بحيث تكون أفعالهم وحركاتهم كحركة الدم في الجسم ، وعمل المعدة في هضم الطعام ، لادخل لهم فيه ، ولا يستطيعون منعه .

وكرر سبحانه هذا المعنى في القرآن مرارا ، فقال : **( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا )** الاسراء / ١٨ ـ ٢٠ .

وقال: **( من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب )** آية ٢٠ من سورة الشورى ، ولهذا قال سبحانه عقب هذه الآية التي هي موضوع الحديث مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم : **( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** الكهف / ٢٩ . فهو سبحانه بعد ما أعطى عبده حرية الاختيار ، يسر له ما يختار من خير أو شر ، فقال عز وجل : **( إن سعيكم لشتى .** ( أي متنوع ) **فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى .** ( أي بكل عقيدة حسنى كتوحيد الله ) **فسنيسره لليسرى .** ( أي نسهل له سلوك الطريق السهلة التي توصله لسعادته الدائمة ) **وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى )** أي الطريق العسيرة لخلوها من طمأنينة القلب ، الليل/ ٥ـ١٠ .

وبهذا يتضح أنه لا إشكال في قوله تعالى : **( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله )** الانسان / ٣٠ إذ ليس معناها أن كل إرادة للعبد لاي عمل من أعماله الكثيرة لا تكون الا مسبوقة بارادة من الله خاصة بهذا العمل ، كلا ، بل المعنى أن الله سبحانه وتعالى عندما قدر خلق الانسان ليعمر هذه الارض على الوجه السابق بيانه شاءت إرادته تعالى بمقتضى حكمته أن يمنح الانسان إرادة حرة يريد بمقتضاها ما يشاء في أي وقت يشاء ، فلهذا

التقدير السابق على خلق الانسان صح أن يقال : لولا مشيئة الله لما كانت مشيئة العبد ، أي لولا أن الله تعالى قدر إطلاق حريته فيما يشاء ويختار لكان مجبورا على عمل لا إرادة له فيه .

والخلاصة : لولا أن الله تعالى شاء حرية العبد فيما يشاء لكان مجبورا ، ولما صح أن يقال له : ( **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ) كما تقدم .

ومثل هذه الحالة ، ولله المثل الأعلى ، رجل لا يستطيع السير بدون الاعتماد على عصا ، فأعطاه رجل آخر تلك العصا وأمره أن ينتفع بها في السير فيما ينفعه ، وعلى ألا يضر أحدا بسببها ، فيصح أن يقال : لولا أن الرجل المعطى مكن هذا العاجز من العصا لما استطاع إرادة السير ، وبالتالي ولا السير نفسه ، ويصح أيضا أن يقال : إن للذي أعطاه العصا أن يحاسبه على الانتفاع بها في السعي فيما يضر غيره .

ولذلك صح أن يحاسب الله عبده على استغلال ما وهبه من الارداة فيما يخالف ما شرعه له ، وأرشده اليه .

ولذلك كرر سبحانه أسباب الهداية وأسباب الضلالة في القرآن عشرات المرات ، من ذلك آية ٢٧ من سورة الرعد:( **ويهدي إليه من أناب** ) وآية ٦٩ من سورة العنكبوت : ( **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ) وقول الله عز وجل : ( **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ) التغابن / ١١ وقوله سبحانه : ( **والله لا يهدي القوم الفاسقين** ) المائدة /١٠٨ وقوله تعالى : ( **ويضل الله الظالمين** ) ابراهيم / ٢٧ وقوله عز وجل : ( **إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** ) غافر / ٢٨ .

فمن حيث أنه سبحانه هو واضع الأسباب والمسببات ، صح أن يقال إنه يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، بمعنى أنه لا سلطان لأحد على مشيئته ، فكان قادرا على أن يغير نظام هذا العالم ويجعله كله مجبورا ، ومن حيث أنه سبحانه فتح للعبد باب حرية الاختيار ، وسهل له أسباب ما يريد ، صح أن يرتب على ذلك إضلاله وهدايته ، وصح أن يقول : ( **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ) الزلزلة /٧ و٨ .

( **وما ربك بظلام للعبيد** ) و( **ولا يظلم ربك أحدا** ) صدق الله العظيم .

بقي أن يقال : إن همزات الشياطين تسربت الى قلوب رق إيمانها ، ويخشى على هؤلاء أنهم لو تركوا لتخطفتهم الشياطين ، هذه الهمسات تقول : أليس الله بكل شيء عليم : ؟ يعلم مصير كل إنسان ، وأنه الى نعيم أو إلى جحيم ، فالشقاوة والسعادة أزليتان ، قضى بهما الله وقدر ، ولا راد لقضائه ، فكيف يستطيع العبد الخلاص من ذلك ؟ .

نقول : نعم ، إن الله بكل شيء عليم ، وإنه سبحانه قضى وقدر في الأزل كل شيء ، ولكن خفي عليكم أن العلم صفة اكتشاف فقط ، لا صفة تأثير وتنفيذ ، ولا يصح أن يعلم الله

الشيء على غير ما هو عليه ، وإلا كان جهلا تنزه الله تعالي عنه .

وبما أن علمه سبحانه لا بد أن يكون على وفق الواقع ، وقد علم سبحانه أن فريقا من الناس سيدعى الى الحق فيجيب مختارا ، فكتبه في الأزل سعيدا ، وأن فريقا آخر سيدعى الى الحق فيمتنع كبرا وعنادا رغم قيام الأدلة على صحة قول الداعي فكتبه شقيا .

ولنضرب لذلك مثلا بعمر بن الخطاب ، وابي جهل ، فعمر بن الخطاب ، علم الله في الأزل أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيدعوه للاسلام ويقدم له الأدلة على صدقه فيقبل ولو بعد حين ، ويتأمل في أدلة الدعوة وينشرح لها صدره ، كما علم سبحانه في الأزل أن أبا جهل سيدعوه الرسول صلوات وسلامه الله عليه للايمان فيحمله العناد والاستكبار على رفض الدعوة ، فعمر علم الله أنه سيقبل فهداه وسهل له ما أقبل عليه بإرادته ، وأبو جهل علم الله انه سيعرض فأضله وسهل له ما أراده كما تقدم ذلك في آيات الاسراء وغيرها .

فقضاء الله ، وقدرته ، وإرادته ، تابعة لعلمه ، وعلمه سبحانه ليس صفة تأثير كما تقدم ، وكون السعادة والشقاوة أزليتين لا يبيح للعبد أن يتكل على ما قضى في الأزل ، بل يجب عليه أن يعمل ، فقد روى البخاري عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد إلا كتب مكانه في الجنة أو النار » فقال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما اهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة » ثم قرأ صلى الله عليه وسلم:( **فأما من أعطى واتقى.وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى** ) . إلى آخر سورة الليل .

وقد علمنا مما سبق أن تيسير الله مبني علي إرادة العبد المترتب عليها عمله . وقد نسب الله العمل للعبد مباشرة ، قال تعالى : ( **من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة** ) غافر / ٤٠ . وبعد ذلك ، فهل يستطيع عاقل أن ينكر أن كل إنسان يشعر بالفرق بين فعل حصل منه باختياره ، وفعل حصل بدون إرادته ؟ وهل يمكن التسوية بين رجل ينزل من على سطح منزل باختياره من طريق مأمون ( كسلم مثلا ) وبين آخر قذفته ريح عاصف فسقط مرغما ؟ .

فمن السفه أن يقال إن العبد مجبور في كل أفعاله .

وهذا هو منشأ مسئوليته ، وثوابه ، وعقابه ، أما ما يحصل بدون إرادة العبد واختياره ، فقد عاف الله عباده منه ، ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرون إذا شرعوا في العمل الصالح وسهل الله تعالى لهم إتمامه ، ويحزنون إذا عاقهم عائق ، ويسرعون إلى البحث في دخيلة أنفسهم لعل فيها شيئا من

دسائس الشيطان ، فيبتعدون عنها ، قال تعالى : ( **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ) الاعـــراف / ٢٠١ .

أما من غلبت عليه شهواته فانه لا يشعر بألـم المعصيـة ، بل ربمـا استعذبها ، مثل هؤلاء لا يشعرون بما هم عليه من الشقاء ، فلا يبحثون له عن علاج ، كالمريض الذي يفتك به المرض ولا يبحـث له عن علاج ، ويدهمهم الموت وهم عنه غافلون ، وعند ذلك يندمون ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم ، قال تعالى فيهم : ( **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ** ... الخ ) المؤمنون / ٩٩ و ١٠٠ .

قد يقول سائل : إنا نرى كثيرا من الناس تنزل بهم مصائـب يصـل بعضها إلى حد القتل ، وهم في نظر الجميـع بل في اعتقادهـم في أعلى درجات المتقين ، من هؤلاء أنبيـاء وأتقياء . فمن الأنبياء زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ، قتلهما أبناء أبيهم بنو إسرائيل ، قال ذلك القرآن الكريم في تعداد جرائم بني اسرائيل . ( **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتـم وفريقا تقتلون** ) البقرة / ٨٧ .

ومن المتقين رجال مؤمنون أحرقهم بالنار أصحاب الأخدود ، ولا ذنب لهم إلا أنهم مؤمنون ، كما في ايات من ٤ الى ٨ من سورة البروج .

وبعد ذلك قتل المشركون في غزوة أحد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقتل ثلاثة من خلفائه صلى الله عليه وسلم ظلما . وعذب كثير من أصحابه صلوات الله وسلامه عليه منهم بلال ، وعمار بن ياسر فما سبب ذلك ؟

نقول : إن هذا سؤال ممن يظن أن نعيم الحياة الدنيا مقصـود أصلي للمؤمن ، وإذا حل به شقاء في الدنيا يكون فاتـه كل خـير ، ونسي هذا السائل أن الحياة الدنيا ما هي الا ممر للحياة الخالدة التي جعل الله نعيمها جزاء للمؤمنين ، وخصهم فيها بكل ألوان النعيم:( **لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين** ) فهم لذلك ما كانوا يبالون بالشدائد ، ولا يهابون الموت ، لأنهم يرونه يقربهم الى أسمى مقاصدهم .

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم ( ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصـب ولا هم ، ولا حزن ، حتـى الشـوكة يشاكهـا ، إلا كفـر الله بهـا من خطاياه ) وفي رواية ( إلا كفر الله بها خطيئة أو رفعه بها درجة ) . وفي هذا جاء في رواية مسلم ، أيضا ، أنه صلى الله عليه وسلم قال في حديث قدسي عن الله عز وجل أنه قال : ( إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ( أي عينيه ) فصبر ، عوضته منهما الجنة ) .

فليس كل ما يصيب المؤمـن في الدنيا نتيجة ذنب اقترفـه ، بل قد يكون ابتلاء من الله له ، فان صبر واسترجع ، علم الملأ الأعلى أنه عبد

يستحق النعيم الخالد ، ومن هذا الابتلاء لهذه الحكمة ما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم ، كثيرا ومنه موت ابنه ابراهيم وهو لازال طفلا صغيرا بين يديه ، حتى فاضت عيناه بالدمع ، وقال عقب ذلك مباشرة : « إنا لله وإنا اليه راجعون ولا نقول إلا ما يرضى ربنا » وفي هذا قال سبحانه : ( **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ) البقرة / ١٥٤ ـ ١٥٧ ، ولهذا قالوا : « سبحان من لا يحمد على مكروه سواه » لأن غير الله سبحانه إذا أصاب غيره بمكروه ، فانه كثيرا ما يؤذي ولا ينفع ، اما هو سبحانه فانه إما أن يكفر به خطايا عبده ، حتى يلقاه يوم القيامة وليس عليه ما يثقل ظهره ، وإما أن يرفع به درجاته في الجنة ، ولهذا كان بعض الصالحين إذا أصيب يقول في دعائه : « اللهم إن كان هذا يرضيك عني فزدني منه » .

ومن هذا يتضح أن مصائب الدنيا قد تكون رحمة من الله بالمصاب ويتجلى ذلك إذا كان المصاب طفلا ، أو صغيرا لم يبلغ حد التكليف ، إذا حصل هذا وهو كثير الوقوع نعلم أن رحمة الله أدركت هذا الطفل فأنقذته من شرور الدنيا .

**والخلاصة .**

أن الانسان ما خلق ليكون خالدا في هذه الدار ، ولا هذه الدار نفسها خالدة ، بل هي إلى زوال ، وإن مدة حياة الانسان فيها كلمح البصر اذا قيست بخلود دار الآخرة ، ولهذا يراها الكافر بعد أن يبعث لحظة خاطفة ، قال تعالى : ( **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة** ) الروم/ ٥٥ وقال في آية أخرى : ( **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** ) الاحقاف / ٣٥ . ومن أروع ما جاء في هذا المعنى ما قاله ابن القيم لما قرأ قوله تعالى : ( **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ) البقرة / ٢١٤ لما قرأ ذلك أخذ يخاطب بعض أهل زمانه : ( يا مخنث العزم : جنة طرد منها آدم لأكل لقمة ، وناح لأجلها نوح ، والتقم حوت البحر في بطنه يونس ، وطرح في النار ابراهيم الخليل ، ولم يذق الراحة يوما موسى وهارون ، وقتل بالمنشار زكريا وابنه يحيى ، وعاش مع الوحوش في البرية عيسى ، وابتلى بقسوة شدائد المشركين محمد ، جنة هذه حال طالبيها ، تريدها أنت وقد غمرتك لجج شهواتك .

أسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق والهدى .

# لماذا كانت الفتوح الإسلامية

للاستاذ / أحمد عادل كمال

في كتابه « تاريخ الجيوش » تناول جورج كاستلان الجيش الاسلامي في عصر الفتوح فقال : « ... كان الجيش يتكون في أساسه من قبائل البدو وهمها السلب والمغامرة » .

وكتب « آرثر كريستنسن » في كتابه إيران في عهد الساسانيين يقول : « ... هذا هو حال إيران حين أغارت جيوش البدو والسذج عبر الصحراء العربية يذكيها التعصب للدين وروح الغزو » . ثم قال إن العرب الغزاة لم يستطيعوا أن يستولوا على ما في إيران من أموال رغم عنفهم إلا بالتحالف مع الدهاقين .

وقال « دانيت كنيث » في كتاب الجزية والخراج في الاسلام : « ... وقد لاحظ كايتاني مصيبا في ملاحظته أن نية العرب لم تكن إسقاط امبراطورية ، وإنما الحصول على المغانم والأسلاب ، وربما إلى جانب ذلك تحويل القبائل العربية المسيحية في المنطقة إلى الاسلام » ثم قال عن جيش خالد بن الوليد : « .... كان جيشه صغيرا وكان هدفه الغنائم والأسلاب ، وكانت معلوماته عن الحكومة أولية وفكرته عنها محدودة .

ويقول « جورج كيرك » في موجز تاريخ الشرق الأوسط « ... وكانت بعض جموع المسلمين قد خرجت في عهد محمد في غارة على بعض أطراف الدولة البيزنطية الى ما وراء نهر الأردن من الجنوب فلقيت صدمة عنيفة [ يقصد غزوة مؤتة ] فلما انتخب الخليفة الثاني عمر قام قواده العظام بقيادة غارات كبيرة إلى فلسطين والشام والعراق ومصر ، فكان ما لقوه من سهولة الاغارة وقلة المقاومة يعد من المدهشات ،

واستحال ما كان الغرض إليه في الأصل مجرد السطو والغنم على نمط ما ألفه العرب إلى غزوات وفتح دائم » .

كذلك كتب « جون باجوت جلوب » في امبراطورية العرب « ... ولعل من الطريف أن الشعوب الناطقة بالعربية التي تدون تاريخها الامبريالي في هذه الصفحات أصبحت من أشد خصوم الامبراطوريات عنفا وكأنها لم تكن في يوم من الأيام تمثل إحدى الدول الامبريالية العظيمة في التاريخ » . كما قال في موضع آخر « لم تكن الحروب بين المسيحية والاسلام ناشئة عن تنافر غريزي متبادل بين الديانتين ، فقد كانت الديانتان-على النقيض من ذلك-متقاربتين حتى أن كثيرين من علماء اللاهوت المسيحي اعتبروا الاسلام مجرد انحراف عن المسيحية . ولكن هذه الحروب المستمرة كانت على الغالب ناجمة عن عاملين ، أول هذين العاملين أن النبي محمد أوضح في ظروف مغايرة أن من واجب المسلمين ان يحاربوا الكفرة [ لكن الكفرة كانوا عبدة الأصنام عندما صدرت هذه الأوامر ] .

أما السبب الثاني فهو الجوار الجغرافي » . ولم يذكر جلوب هنا شأن الآخرين هدف السلب والنهب واللصوصية . وقال أيضا « وقد بدأ العرب ينازعون بيزنطة سيطرتها البحرية منذ عام ٦٥٠م وظلت سفن المسلمين التي يعرفها الأوروبيون باسم سفن قراصنة البربر تجعل الملاحة غير مأمونة في البحر الأبيض المتوسط إلى ما قبل مائة وخمسين عاما » . وفي عبارة عاد فنقضها قال : « ... ونحن ننظر الى العربي على أنه محارب قاس ميال إلى قطع الرقاب » .

وغير هؤلاء وهؤلاء كثير ولا غرابة في ذلك ، فهم من غير المسلمين من الذين لم يؤمنوا بهذا الدين ، فاذا دفعهم حقدهم الى الازورار عن الحق الذي يناقض الواقع فلا عجب . واذا كان من المستشرقين من كتب ما مر ذكره فللحق نقول ان منهم من كان منصفا التزم المنهج العلمي وقال ما استبان له حتى ولو لم يؤمن بالاسلام . فالفتوح الاسلامية هي الحركة الكبرى التي لم يكن كمثلها حركة في تاريخ العالم ، تميزت بسرعة الانجاز واتساع الرقعة ودوام الأثر والرحمة في الحرب ثم كانت حاسمة في كل شيء ، سقطت بها ممالك عريقة واسعة لتقوم مكانها دولة يانعة ، وزالت بها لغات لتحل محلها العربية لغة ، وانحسرت أديان ليظهر مكانها الاسلام دينا ، فلم يكن مستطاعا لأعداء الاسلام وشانئيه أن يغمضوا الأعين عن تلك الحركة ولا أن يلزموا الصمت فيما يتعلق ببواعثها وأهدافها:( **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ) الصف /٨ . فكان منهم المغرض والمنصف .

وكان من العجب ان يكتب كاتب مسلم يرد على المنصفين فيقول : « لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتح

بالحماس الديني وأن الحروب التي قاموا بها تعتبر حروبا دينية ، فنحن لا نظن أن العرب – ومعظمهم من البدو – كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الاسلام . فقد رأينا كيف انتقضت العرب وأنها لم ترجع إلى الاسلام إلا بحد السيف . ومهما تكن البواعث الدينية قوية عند الخلفاء وبعض أتقياء المسلمين في المدينة ومكة فانه من غير الممكن أن يخرج البدوي وهو الذي لايهتم بالدين لنشر الاسلام ، بل جاء القرآن بنص صريح في حرية العقيدة :[ **لا إكراه في الدين** ] . ثم بعد ذلك يصل الكاتب إلى النتيجة التي أرادها وهي أن حركة الفتح إنما كان لها هدف قومي هو :« القومية العربية » وذلك لجمع شمل العرب الذين كانوا ما زالوا تحت سيطرة فارس والروم إلى المجتمع الجديد !!

ما كنا نحسب أننا بحاجة إلى طرح هذا الموضوع ظنا منا أن الباعث على حركة الفتح واضح وضوح الشمس ، وما كان ما نقلنا عن الكاتب ليهم كثيرا لولا أنه أستاذ للتاريخ الاسلامي في إحدى جامعاتنا كتب ما كتب في كتاب جامعي يدرسه شبابنا فخشينا على بعضهم أن يأخذ دون روية أو تمحيص . وكأننا بالأستاذ المسلم لا يعلم أن جزيرة العرب قد دخلت في الاسلام طائعة مختارة وظلت وفود قبائلها تترى على المدينة تعلن إسلامها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبايعه حتى أطلق الرواة على العام التاسع للهجرة عام الوفود ، وأثبت القرآن الكريم ذلك فقال : ( **ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا** ) النصر /٢ .

لأول مرة في تاريخ شبه الجزيرة تقوم بها دولة موحدة لها حكومة مركزية وعاصمة في المدينة . ولم يكن ذلك مرضيا تماما لجميع زعماء القبائل وكبرائها ، فقد كانت الرئاسة قبل ذلك تنتهي عندهم ، أما هم فلم يكونوا يتبعون أي جهة أخرى . فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها بعض هؤلاء فرصة لاعلان الاستقلال . وتنوع طموحهم فبعضهم اقتصر تمرده على رفض سداد الزكاة إلى المدينة ، وبعضهم وقد رأى محمدا بن عبد الله قد صار رئيسا للدولة بالرسالة،تراءى له أن يدعى رسالة،وأن يزعم وحيا يتنزل عليه من السماء ، فماذا كان عن الجماهير ؟ بعضهم وقد كان حديث عهد بالاسلام انحاز إلى التمرد ، وبعضهم ثبت على إسلامه يجهر أو يستخفي به ، فقد قام المتمردون يحملون هؤلاء على الانحياز إليهم ويبتكرون وسائل التعذيب لفتنتهم فأحرقوهم بالنار وألقوا بهم من شواهق الجبال ورشقوهم بالسهام ورجموهم بالحجارة .

وبصفته خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر يحمي هؤلاء المسلمين ويصون وحدة الأمة ويقتص من المعتدين ، كما فعلوا فعل بهم ليعيد الأمن والنظام إلى ربوع الدولة . ولكن الاستاذ المشار إليه كان له رأي آخر اكتشفه بعد أربعة عشر قرنا ....

أن العرب ارتدت باختيارها وأن أبا بكر أعادهم قسرا إلى الاسلام بحد السيف ، والله يقول : **( لا إكراه في الدين )** البقرة / ٢٥٦ وكأنما فهم من القرآن ما غاب عن أبي بكر ! ونسى الاستاذ أن جيوش ابي بكر كانت من المسلمين الذين لم تسبق لهم ردة ، وأنه لم يسمح للتائبين من أهل الردة الذين حسن بعد ذلك إسلامهم بالمساهمة في حركة الفتح إلا عشية توفى ، في اليوم الأخير من حياته ، وتوفي على أثرها وأوصى بها عمر بن الخطاب فعمل بها .

هـذا هو الحـق ... لقـد كان الفاتحون دعاة قبل أن يكونوا غزاة ، وكانوا وهم يسيرون فاتحين تسبق دعوتهم معاركهم ، ويلقون السـلام قبل أن يرفعوا الحسام . إن الاسلام دعوة عالمية للبشر جميعا وليس قاصرا على العرب وحدهم ، ولقد بدأ تبليغ الرسالة خارج جزيرة العرب في عهد النبوة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم برسائله الى كسرى برويز مع عبد الله بن حذيفة السهمي يدعوه إلى الاسلام ، وإلى هرقل الروم مع دحية ابن خليفة الكلبي ، وإلى مقـوقس القبط بمصر مع حاطب بن أبي بلتعة . وبشر صلى الله عليه وسلم سراقة بن جعشم بسواري كسرى برويـز بن هرمز قبل أن يلبسهما بستة عشر عاما ، وبشر المسلمين بقصور الحيرة وقصور المدائن وقصور الروم وقصور صنعاء وهم يحفرون الخندق حول المدينة دفاعا عنهـا أمـام هجمـة الأحزاب . كما بشر عدي بن حاتم الطائي باتساع سلطان المسلمين حيث قال له : « فان طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحـدا الا الله » . رواه البخاري ولقد ساق ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق نحوا من خمسين حديثا تحـت عنـوان « تبشير المصطفـى عليـه أفضـل الصلاة والسلام أمتـه المنصـورة بافتتاح الشام » ، فليرجع إليها من شاء .

فلم يكن السلب والنهب إذاً ، ولم تكن القومية ، فالاسلام كما ذكرنا رسالة عامة شاملة لا يفرق بين عربي وعجمي ، وفي خطبة الوداع قال صلى الله عليه وسلم:« الناس لآدام ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » . رواه البخاري ، فالاسلام لا يعرف تعصباً لجنس ولا ترفعاً للون ، ولم يحدث قط في غير الفتوح الاسلامية ــ ولا تحـت أي ظروف ــ أن قال الفاتحون للمفتوحة أراضيهم :« لكم مالنا وعليكم ما علينا » . أليس من عجائب الأحداث أن تنتقل عاصمة الخلافة من مهبط الوحي ومن جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ، من المدينة المنورة إلى دمشق بالشام ثم إلى بغداد بالعراق ، وأن يقوم الحكم في الدولة العباسيـة على عنـاصر من الفرس ... أكان من الممكن أن يحدث هذا لولا أن عقيدة الفاتحين لم تكن ترى بين الناس إلا المسـاواة كل المساواة ما داموا مسلمين . من حيث أن خاتم الرسالات رسالة عامة فمن

مقتضى ذلك أن تجتاز شبه الجزيرة ولا تحبس فيها ، ونصوص القرآن صريحة وباتة في ذلك :( **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا** ) الأعراف /١٥٨ . ( **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ) التوبة /٣٣ . وعلى ذلك فلم تكن أحداث الردة وما تسلسل عنها حتى حركة الفتوح إلا المناسبة التي أقتت الفتوح بمواقيتها .

بقي شيء عن مادة السلب ، فقد ورد في بعض الروايات في أخبار الالتحامات أو المبارزات التي كانت تقع بين المقاتل المسلم والمقاتل المجوسي أو الرومي أن يقتل المسلم غريمه ويأخذ سلبه وهو ما يكون عليه من حلية وسلاح ، ومن قتل عدوا فله سلبه ... هكذا وردت في مصادرنا التاريخية فأخذ بعضهم المعنى من قولهم استلب ثوبه اختلسه منه ، وهو أحد معاني الكلمة ، ولكن للكلمة معنى آخر في اللغة لعله غاب عن أذهانهم وقد اخترنا أن نأخذه عن معجم المنجد الذي وصف بأنه قاموس كاثوليكي . قال سَلَبَ سَلْباً وسَلَباً ، الشيء انتزعه من غيره قهرا . وهذا هو المعنى المقصود في الروايات وهو حق ، وقد كان ذلك نوعا من غنائم الحرب وهو مبدأ مقرر في الحروب . كان المقاتل المسلم حينذاك هو الذي يجهز فرسه وسلاحه ، ولم تكن الدولة ، وكذلك كانت له مغانم الحرب ، وللدولة منها الخمس ،وهو المعنى بالأنفال .

أبى آلهة الشعوب المفتوحة تبليغ الرسالةفيما سلطهم الله عليه ، فمزق كسرى برويز رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وبعث إلى عامله على اليمن أن يرسل إليه رجالا ليأتوه به مقبوضا عليه ! وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري من كبار الصحابة في خمسة عشر رجلا إلى قوم من قضاعة في ذات أطلاح من أرض الشام ليدعوهم إلى الاسلام ولكن قضاعة رشقوهم بالنبل وقاتلوهم حتى قتلوهم إلا واحدا عاد إلى المدينة مثخنا بالجراح . كما أرسل الحارث بن عمير الأزدى برسالة إلى هرقل فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني لما عرف أنه رسول النبي إلى هرقل وأمر به فأوثق ثم ضرب عنقه صبرا . وكان المفروض أن يغضب هرقل ولكن الذي حدث كان عكس ذلك فكانت تلك مقدمات غزوة مؤتة . ولم يسمح الروم أبدا ــ كما لم يسمح الفرس ــ لدعاة المسلمين أن يبلغوا دعوتهم في بلادهم ، ولم يقتصر عدم السماح على الرفض بل تعدى ذلك إلى سفك دمائهم ! فما دام باب الدعوة يصفق بالسيف فلم يكن سبيل إلا فتحه ولو بالسيف . باب ماذا ؟ نريد أن نؤكد أنه باب الدعوة وليس باب الاسلام ذاته . الدعوة يجب أن تبلغ الناس،والناس بعد ذلك أحرار وكل ذاهب بنفسه فمعتقها أو موبقها . الأرض تفتح بالسيف ولا بأس،ولكن القلوب تفتح بالدعوة ولا تفتح أبدا بالإكراه:« **لا إكراه في الدين** » . ذلك هو الجهاد في سبيل الله .

قرآن وعلم وأدب

# كل نفس ذائقة الموت

٢٨

للدكتور/احمد حسنين القفل

الموت : فوق حتميته فانه ضرورة حيوية .

اقتضت حكمة الخالق جلت قدرته ، أن يكون الموت مصير كل حي ، طال عمره أو قصر . فالموت كأس يتجرعه كل حي ، فهو إذن حق ، وإن كان كريه الملتقى ، مر المذاق ، إلا أنه لا مهرب منه ولا محيص عن ملاقاته .

وإذا كان القرآن قد وصف الموت « بالمصيبة » لشدة وقعه على النفوس ، وحذر سبحانه من غمراته وخاصة على الكافرين ، إلا أن الله لم يحتم الموت على الاحياء عبثا ولا لعبا ولا لهوا ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ ولكن اقتضت حكمته ذلك لأن الموت ضرورة حيوية بالاضافة إلى حتميته . فكما أنه « لا موت بلا حياة » فانه ايضا « لا حياة بلا موت » بمعنى أن الحياة تقتضى موتا ، وأن الموت يقتضي حياة . وسيتضح ذلك من المناقشة فيما بعد .

١ ـ أما عن « مصيبة » الموت فيقول سبحانه

○ **( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت )** المائدة/١٠٦ .

● **( أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير . وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم )** آل عمران/١٦٥ ـ ١٦٧ .

○ **( وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا )** النساء/٧٢ .

٢ ـ أما عن حتمية الموت والرجوع بعده إلى الله للحساب والجزاء ، فيقول سبحانه :

● **( كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور )** آل عمران/ـ ١٨٥ .

○ **( أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة )** النساء ـ ٧٨

● **( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر**

**والخير فتنة وإلينا ترجعون )** الأنبياء / ٣٤ و ٣٥ .

○ **( إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون )** الزمر / ٣٠ و ٣١ .

● **( ثم إنكم بعد ذلك لميتون )** المؤمنون/ ١٥ .

○ **( نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين )** الواقعة/ ٦٠ .

● **( إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير )** ق/ ٤٣ .

○ **( إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم )** الغاشية/٢٥ و ٢٦ .

ويسخر الله من الذين يبحثون عن مهرب من الموت ومنجي منه ، بالتخلف عن الجهاد والقعود عن نصرة المؤمنين والفرار يوم الزحف ، وتولية الأدبار . يقول سبحانه .

● **( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين )** آل عمران/ ١٦٨ .

○ **( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا . قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا )** الأحزاب/١٥ ـ ١٧ .

● **( يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ) .** آل عمران/ ١٥٤ .

○ **( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير . ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون )**آل عمران/١٥٦ـ١٥٨

والزمان والمكان المحددان لموت الانسان غيب بالنسبة له ولغيره ، وهذا من فضل الله عليه ورحمته به . يقول سبحانه :

○ **( وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا )** آل عمران/ ١٤٥ .

○ **( وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت )** لقمان/٣٤ .

وعندما حضرت الوفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كبر ذلك على أصحابه ، وشق الأمر على من ترامى إليهم الخبر ، حتى ظنوا استحالته ومن بينهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لقد ظنوا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يجري عليه الموت كما يجري على غيره ، وكاد يرتد عن

إيمانه كثير من المؤمنين لهول المصاب لولا أن وقف فيهم سيدنا أبو بكر الصديق خطيبا ليقرأ قول الله تعالى :

○ **( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين )** آل عمران/ ١٤٤ .

**وهنا نزلت السكينة على قلب عمر ــ رضي الله عنه ــ وقال : « كأني لم أقرأ هذه الآية من قبل » .**

**ويتضح مما سبق « حتمية الموت » وأن الله سبحانه قد حكم به على كل حي ، لحكمة سيتضح مغزاها فيما بعد ، عندما نشير إلى « الضرورة الحيوية للموت » .**

**ويروى في هذا الصدد أن الملائكة قالت عندما نزل قوله تعالى : ( كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام )** الرحمن/٢٦ و٢٧قالت إن هذه الحقيقة الخاصة بالفناء تنطبق فقط على الأحياء التي تتواجد على ظهر الأرض ، ولا تنطبق علينا نحن الملائكة لأننا لسنا « عليها » أي لا نعيش على الأرض ، ولسنا ندب عليها . وعندما نزل قوله تعالى : **( كل نفس ذائقة الموت )** وقوله سبحانه : **( أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة )** قالت الملائكة إن العبارات في الآيتين الكريمتين موجهة إلى الانسان ، ولن ينالنا الموت أبدا . وعندما نزل قوله تعالى : **( كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون )** القصص/ ٨٨ . تيقن الملائكة أنهم هالكون لا محالة ، فسبحان من له الدوام ، وسبحان من سيقول لنفسه عندما لا يوجد حي سواه : **( لمن الملك اليوم )** غافر/ ١٦ . ثم يرد سبحانه ويجيب نفسه : **( لله الواحد القهار )** غافر/ ١٦ .

أما عن الموت كضرورة حيوية ، بمعنى ان الحياة لا تستقيم ولا تستمر بغير الموت ، فتفسير ذلك يمكن توضيحه على الوجه التالي :

١ ــ هناك حقيقة علمية يعلمها كل دارس لعلوم الطبيعة والكيمياء ومؤداها « أن المادة لا تفنى ولا تتجدد » ومعناها أن الله سبحانه وتعالى منذ خلق الأرض ، وقدر فيها اقواتها ، قد خلق سبحانه العناصر التي تتكون منها الأشياء ( كالأيدروجين والكربون ــ والحديد والأوكسجين والنحاس و .... الخ ) ثم شاءت حكمته أن تبقى هذه العناصر وتظل بكمياتها دون زيادة أو نقصان ، ولكنها تكون قابلة في نفس الوقت لأن تتفاعل مع بعضها البعض ــ حسب قوانين معينة ــ فتجتمع وتأتلف ، أو تتفرق وتختلف ، حسبما يشاء الله لها أن تكون ، ومعنى ذلك أن ذرات « الأيدروجين » مثلا منذ خلقت لا تزيد ولا تنقص ــ وإن كان هناك آراء حديثة بشأن هذه الحقيقة ولا محل للخوض فيها في هذا المقام ــ لكن

بعضها قد يتحد مع الأوكسجين فيكون الماء أو قد يتحد مع الكربون والأوكسجين فتتكون مركبات عضوية مختلفة ... وهكذا . كما قد تتفاعل المركبات التي بها الأيدروجين فتنفصل بعد ائتلافها ... وهكذا ويقاس على ذلك بقية العناصر الأخرى في الكون كله .... وهذه العناصر تدخل في تكوين الجماد والنبات والحيوان ومن الأخير الانسان بالطبع . .

٢ ـ بغض النظر عن الروح التي لا نعرف لها كنها ، فان اجسام الكائنات الحية من نبات وحيوان تتكون جميعها من مادة الحياة ( البروتو بلازم ) التي يدخل في تكوينها عناصر محدودة . ومع أن مادة الحياة هذه تختلف بعض الشيء من كائن حي لكائن حي آخر ، بل تختلف في الكائن الحي الواحد من عضو إلى آخر ، ومن نسيج لنسيج آخر ، بل وفوق ذلك فانها تختلف في المكان الواحد من الكائن الحي الواحد من وقت لآخر ـ وهذا الاختلاف هو سر صلاحيتها للحياة ذلك لأن الكائن الحي تختلف الحياة حوله وفي بيئته تباعا ولا بد أن تواكب مادة الحياة فيه هذه الاختلافات تباعا أيضا وإلا هلك ومات ـ ومع هذا الاختلاف فان العناصر المسجلة في الجدول التالي هي من مكونات مادة الحياة ( البروتو بلازم ) بوجه عام في الكائنات الحية عموما ، وخاصة الحيوانات .

| العنصر | نسبته المئوية |
|---|---|
| الاوكسيجن | ٦٥ ـ ٧٥٪ |
| الكربون | ١٠ ـ ٢٠٪ |
| الايدروجين | نحو ١٠٪ |
| الآزوت | ٢,٥ ـ ٣,٠٪ |
| الكبريت | ٠,٢٪ |
| الفوسفور | ٠,١٪ |
| البوتاسيوم | ٠,٣٪ |
| الحديد | ٠,٠١٪ |
| المغنسيوم | ٠,٠٢٪ |
| الكالسيوم | ٠,٠٢٪ |
| الصوديوم | ٠,٠٢٪ |
| الكلور | ٠,١٠٪ |

وتوجد عناصر أخرى ( يود ... بروم ... الخ ) تدخل في تركيب المادة الحية لبعض الحيوانات والنبات ، كما ان هذه العناصر لا توجد متفردة بل توجد في مركبات عضوية وغير عضوية على نحو ما يعرفه علماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية ـ كما أن هذه المركبات تدخل مع بعضها مكونة « نظام كيماوي خاص » يجهله العلم حتى الآن ـ وسيظل يجهله ـ ذلك لأن هذا النظام الكيماوي الخاص هو الذي يصلح فقط لتلقي الروح واستقبالها بالكيفية التي يعلمها الله ولا يعلمها سواه .

٣ ـ وإذا علمنا ان الانسان ـ ومثله اغلب الكائنات ـ يبدأ جنينا بخلية واحدة ثم لا تلبث هذه الخلية الواحدة أن تكون جسما كبيرا به ملايين بل

بلايين الخلايا متشابهة وغير متشابهة لتكون أعضاء وانسجة واجهزة ، فمن اين جاءت الخلية الواحدة بكل هذه الاضافات التي تبلغ بلايين أضعافها ؟... لقد جاءت كل هذه الاضافات نتيجة لتغذية الجنين في رحم الأم ثم نتيجة لطعامه وشرابه منذ ولد وحتى الممات . ويتكون غذاء الانسان نباتيا كان او حيوانيا من العناصر المشار اليها آنفا والتي تكون في صورة مركبات أو أملاح أو غازات ثم تجري عليها عمليات الأيعن « التحويل الغذائي » كما أسلفنا وحصيلتها الأخيرة هي عملية « البناء » أي إضافة مادة حية جديدة الى المادة الأصلية في صورة خلايا تبني الجسم وتنميه ويصاحبها عملية « الهدم » تنتج عنها الطاقة والافرازات الصالحة للعمليات الحيوية في الجسم بالاضافة الى مواد اخراجية يتخلص منها الجسم . . وحين تزيد عملية البناء على الهدم يكون النمو وحين يزيد الهدم على البناء يكون الضعف والعجز ثم الموت أخيرا .

وخلاصة كل ما سبق أن الانسان ــ والكائنات الحيوانية الأخرى ــ يكتسب عناصر جسمه جميعا من خارجه : من الهواء والغذاء والشراب وهذه جميعا تتركب من عناصر ميتة مصدرها الجماد أو النبات أو الحيوان . ويتفاعل الانسان مع بيئته التي يعيش فيها طول حياته أخذا وعطاء حتى إذا مات وتحلل جسمه سريعا ( بالحرق ) أو بطيئا ( بالدفن ) تفرقت عناصر جسمه أي جسده لتأخذ دورها من جديد في جماد أو حيوان أو نبات ... وهكذا دواليك .

٤ ــ ولو افترضنا ــ مجرد فرض ــ أن الأحياء لا تموت ، فماذا عساه يترتب على خلودها وتكاثرها في ذات الوقت . يترتب على ذلك :

(١) ــ حيث ان المادة ( العناصر ) لا تفنى ولا تتجدد ، فسوف تتركز عناصر المادة الحية ــ التي اشرنا اليها سابقا ــ في اكداس من الأحياء ــ لا أتصور مبلغ أحجامها ــ وبما أن هذه الأحياء لا تموت فان عناصر جسمها تكون محجوبة في ابدانها بحيث تقل مواردها عن الأحياء اللاحقة فلا تتاح لها فرصة الوجود .

(٢) ــ موت الأحياء معناه رد عناصرها إلى الكون لاحداث التوازن فيه من حيث دورات عناصره بين حيوان ونبات ، فاذا تكدست الأحياء في خلود بطل هذا التوازن .

(٣) ــ يترتب على ما سبق عدم تكوين نباتات وحيوانات لاحقة لخلود الأحياء السابقة الى مستوى معلوم . ومعنى ذلك الوصول إلى حد تنعدم عنده الحياة ، إذ تكون مكوناتها من العناصر غير متواجدة .

(٤) ــ عدم تكوين نباتات وحيوانات من جديد معناه انعدام الغذاء بالنسبة للأحياء السابقة التي لم تمت والتي لا نعرف ولا نتصور ما سيكون

سلوكها .
ومن هنا نلاحظ أن الفرض السابق لا يمكن أن يكون ، وأن الموت هو ضرورة حيوية فالحي اللاحق تتوقف حياته على الميت السابق ، ومن هنا يكون الموت ضرورة لتسير عجلة الحياة في نبات وحيوان على مر ألعصور وتعدد الأجيال ، وحتى تقوم الساعة .
٥ ــ وهنا يلزم أن نتوقف قليلا لنتأمل معا قول الله تعالى :
○ **( يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي )** الروم / ١٩ .
(١) ــ فقد فسرت سابقا على أن « الحي » يقصد به المؤمن وأن « الميت » يقصد به الكافر وهذا تفسير مجازي .
(٢) ــ وقد يكون « إخراج الحي من الميت » هو بناء المادة الحية من العناصر الميتة في جسم الأحياء والذي يصاحبه كما أسلفنا « اخراج الميت من الحي » أي عملية الهدم التي فيها تهدم أجزاء من المادة الحية لتكوين افرازات ميتة بجانب الطاقة .
(٣) ــ وقد يكون « إخراج الحي من الميت » وإخراج الميت من الحي » هو تكوين الأحياء اللاحقين من أموات سابقين في تتابع مستمر منذ وجدت الحياة على الأرض وإلى يوم القيامة على نحو قدمناه من مناقشة .
٦ ــ كما يلزم أن نتوقف أيضا لنتأمل قول الحق تبارك وتعالى :
○ **( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا )** الملك / ١ و ٢ .
ويلاحظ القارىء الكريم ان الله سبحانه قد « خلق الموت والحياة » مقدما سبحانه لفظ « الموت » على لفظ « الحياة » والمقصود بالحياة هنا هو الحياة الدنيا بدليل قوله تعالى : **( ليبلوكم أيكم أحسن عملا )** ... وإذا كانت « واو العطف » لا تفيد الترتيب ، إلا أن تقديم الموت على الحياة في اللفظ القرآني قد يشير إلي :
(١) ــ أن يكون المقصود « بالموت » في الآية هي العناصر الميتة التي تكون الجماد والتي خلقها الله اولا تمهيدا لخلق الحياة منها بعد ذلك .
(٢) ــ أو يكون المقصود « أن الموت والحياة » ظاهرتان متلازمتان لا يمكن لاحديهما أن تستغني عن الأخرى أي أن كليهما ضرورة لتواجد الأخرى ، كما سبق تبيانه . وتقديم لفظ « الموت » على لفظ « الحياة » يكون من قبيل ابراز أهميته ولفت النظر اليه « إذ الموت تمهيد للحياة ولا شك » .

## هل يموت الجسم الحي برمته دفعة واحدة ؟

عندما ينشب الموت اظفاره في كائن حي كالانسان ؟ ويقال ان « فلانا » قد « مات » لتوه ، فتوقف قلبه عن النبض ، وسكنت رئتاه فلا يتنفس ، وبرد جسمه ــ الخ فالمتداول عليه في هذه الحالة ان حياة هذا « « الفلان »

قد انتهت .

١ ـ المعروف ان الانسان ـ وغيره من الاحياء ـ تتكون من خلايا ، وان الخلية حين تمـوت ـ تتوقـف مظاهر الحياة فيها ـ فلا يمكن اعادة الحياة اليها بعد موت حقيقي مهما بذل من مجهود لارجاعها سيرتهـا الاولى .

٢ ـ ان جسم الانسان يتكون من انسجة واعضاء واجهزة تعمل كلها متآزرة متعاونة في تكافـل عجيـب ليحتفظ الانسان بحياته على الوجه الاكمل . واي انحراف عن تأديـة الوظائف كما يجب ان تؤدي يتأتى عنه الامراض والعلل ... او الموت ..

٣ ـ عندما تفارق الروح الجسد فلا يعني هذا ان بلايين الخلايا في الجسم قد ماتت في التو واللحظة ، نلك لانه اذا كان الجسد عامة قد مات فان انسجته بخلاياها لا تموت كلها دفعة واحدة بل تموت تباعا . والمعروف علميا ان خلايا المخ وبالتالي الانسجة العصبية هي التي تموت اولا ـ ومن ثم يكون الشلل الكامل ـ اما خلايا الانسجـة الاخـرى فقـد تحتفـظ بحيويتها فترة قد تمتد الى ساعات .

(١) في كل معامل الجامعـات وفي تجارب الفسيولوجيا الحيوية ، تقتل الضفدعة ثم يستخلص منها قلبها بعد قتلها مباشرة بطريقة خاصة ثم يركب في جهاز خاص ويمرر في القلب محلول بتركيـز خاص من امـلاح معينـة ( محلـول رنجـر ) فاذا بالقلـب المفصول عن الجسم كله يستأنف ضرباته من جديد ، ويسجل نبضه منتظما ويستمر يعمل هكذا ساعات او بضعة ايـام طالما ان المحلـول يندبه .

(٢) كثير من الحيوانات التي تذبح يبقى قلبها نابضا بعد ذبحها لفترة ، كما ان امعاءها تتحرك . هل شاهدت نلك او لاحظته ايها القارىء الكريم عند ذبح ارنب وسلخه مثلا .

(٣) نسمع كثيرا الآن عن عمليات نقل « القلوب » ونقل « الـكلى » ونقـل « الكبد » وقد تنجح العملية وقـد تفشل ، وحين تنجح في انسان فمعنى نلك ان العضو الذي اخذ من ميت إثر موته لا زال يحتفظ بحيويته .

(٤) هل سمعت ايها القارى الكريم عن « بنك الدم » وبنك العيون » و « بنك الجلد » وهناك تفكير عن امكان تكوين « بنوك » لاعضاء تكون بمثابة قطع الغيار يهبها الاموات للاحياء .

(٥) ـ امكن للاطباء اعادة يد قطعت على إثر حادثة الى يد صاحبهـا . وعمليات ترقيع شبكيـات العيـون وطبلات الآذان مشهورة . وتوصـل العلم الى ابتكار قلب صناعي او كلية صناعية تعمل مكان العضو الاصلي لفترة حتى يصلح العضو الطبيعي .

وخلاصة ما سبق ان الانسـان ـ وغيره من الاحياء ـ حين يموت فليس معنى نلك ان الجسم كله يموت دفعة واحدة بل تموت الخلايا والانسجة تباعا . ويحدث احيانا ان يتوقـف القلب عن النبض ويـكف الجهـاز التنفسي عن اداء عمله ، فاذا اجرى

تنفس صناعي في حينه قد يستعيد الانسان حياته من جديد ولأجله المسمى .

● ● ●

**هل هناك موتتان او موته واحدة ؟**

١ ـ يقول سبحانه :

○ ( **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** ) الدخان / ٥٦

○ ( **أفما نحن بميتين . إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين** ) الصافات . ٥٨ و٥٩

○(**إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين** ) الدخان /٣٥

« والموتة الأولى » هنا معناها الموتة التي يموتها الانسان ـ وكل كائن حي آخر ـ بعد انقضاء اجله المسمى على وجه الارض . وكل انسان له « موته اولى » خاصة به تعقب سكرات الموت او غمراته .

٢ ـ لكن هناك « موتة عامة » اشترك فيها كل البشر ـ بل وكل الاحياء وهي التي تمتد من الازل وتنتهي بخلق الانسان واقعيا من النطفة حين يبدأ في « عالم الشهادة » بعد « عالم الغيب » والقرآن يشير الى ذلك فيقول سبحانه :

○ ( **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا** ) الانسان / ١ و٢

○ ( **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ) البقرة / ٢٨ .

○(**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا** )غافر / ١١ .

والموتة العامة هنا هي الفترة التي خلق فيها الانسان في علم الله ازلا ، ويؤكدها قول الحق تبارك وتعالى » .

○ ( **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ) الاعراف / ١٧٢ .

واخذ ذرية بني آدم من ظهورهم قبل ان يتواجدوا واقعيا ، هو خلق في عالم الغيب ـ لا زال ساريا حتى الان بالنسبة للذين لم يوجدوا على الارض بعد ـ وهو موت عام في حد ذاته .

ولهذا فلكل انسان موتتان ، احداهما عامة تمتد حتى بداية تكوينه كخلية في رحم امه وموتة ثانية تأتي بعد انقضاء اجله ـ

٣ ـ ونريد ان نقف هنا قليلا لنتأمل ظاهرة النوم ـ وهل هي موت متكرر ؟.

الله سبحانه هو الذي : ( **لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ) البقرة /٢٥٥ .

وقد كتب سبحانه على غيره من الاحياء « النوم » كما كتب عليهم « الموت » .

والنوم لازم لكل حي : ويمتن الله على

الانسان بهذه الظاهرة فيقول سبحانه :

○ **( ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون )** الروم / ٢٣ .

○ **(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا )** الفرقان / ٤٧

○ **(وجعلنا نومكم سباتا )** النبأ / ٩

ولا يستطيع احد ان يمتنع عن النوم فترة طويلة والذين يحاولون ذلك تظهر عليهم اعراض القلق ثم الجنون ... الخ ولو اجبروا على عدم النوم لماتوا . ولنتأمل معا – ايها القارىء – قول الله تعالى :

○ **( الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون )** الزمر / ٤٢

والمعنى في تصوري :

( ١ ) – ان الله يقبض روح من يموت بعد توفيته اجله ، فلا يرد روحه اليه بعد ذلك . .

(٢) ان روح النائم تفارقه جزئيا ولكن الله لكي يوفيه اجله المسمى عنده فانه يرد روحه اليه حتى يبلغ الكتاب اجله ، وخلاصة هذه الآية :

(١) ان الله وقد كتب على عباده الموت فقد كتب عليهم النوم وهو موت مؤقت يتكرر كلما نام الانسان بمعنى ان الانسان حين « ينام » يكون « ميتا » وحين يستيقظ يبعث من جديد . وفي ذلك عبرة لمن يتفكر ويتدبر فكما ان احدا لا يمكن ان يدفع عن نفسه النوم فانه لا يمكن ان يدفع عن نفسه الموت . وكأن النوم واعظ « متكرر » يذكر صاحبه بالموت غالبا كل يوم .

(٢) ان الروح كما تفارق جسد الميت الى غير رجعة ( الا عند البعث ) فان روح النائم تفارقه جزئيا وترتد اليه عند استيقاظه ودليل ذلك ان النائم يستطيع ان يرى بغير عينيه وان يقطع الآفاق ويحلق في الفضاء بدون جسده وان يفعل ما لا يستطيع ان يفعله وهو مستيقظ وكل هذا تفعله روحه دون جسده .

ومن هنا تدرك قول النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما معناه « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا » وقول على بن ابي طالب « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » فيه اشارة واضحة الى تنبه الروح بعد مفارقة جسدها .

# الكتاب والسنة معاً

لا يعرف التاريخ إلا قرآنا واحدا منشور النسخ بين جماهير المسلمين من ليلة القدر الأولى إلى يوم الناس هذا ، ولم يحدث خلاف على هذه الحقيقة خلال أربعة عشر قرنا مضت ، فكتاب المسلمين واحد وقد حاول بعض المستشرقين الصغار أن يختلق ريبة حول ذلك فزعم أن عند الشيعة مصحفا آخر ، وهو زعم ساقط كان أقل من أن نثبته هنا ، ولكنا ترخصنا في ذكره ليعلم من يجهل ان القرآن الذي يحفظه جميع المسلمين ويحتفظون بنسخه في بيوتهم واحدا واحدا .

للشيخ محمد الغزالي

ولم يؤثر عن شيعي او سني أو خارجي أو صوفي أن لديه قرآنا آخر غير هذا الكتاب الفذ ، إن المصحف يطبع في القاهرة فيقتنيه مسلمو إيران والهند من الشيعة دون أي تردد عالمين بأن هذا هو الوحي الذي نزل على نبيهم .

وظاهر أن الأقدار ضاعفت أسباب الصيانة لهذا الكتاب حتى انفرد بهذه المكانة التي لم يظفر بها كتاب سماوي آخر .

ومع كثافة الأسانيد المتواترة التي دفعت بهذا الكتاب إلينا ، فان هناك نظرا آخر جدير بالاحترام كله ، إن حديث القرآن عن الله ولقائه ومطالبه من عباده يعلو كثيرا جدا عن نظيره في الكتب الأخرى .

فتالى القرآن يشعر بأن الله واحد ، واسع ، عظيم ، أعلى ، جدير بالحمد كله ، والمجد كله ، يستحيل ان ينسب إليه نقص أو يكون فوق كماله كمال .

وتالى العهد القديم يشعر بأن الله يذكر وينسى ، ويخطئ ويصيب ، ويفعل ويندم ، ويأكل مع الناس ، ويلاكمهم أحيانا ..!

وتالى العهد الجديد يشعر بأن الله تجسد وقتل في سياق غامض حافل بالمتناقضات وفي التوراة كما سجلها العهد القديم . لا توجد كلمة عن لقاء الله ، ولا يوجد ذكر ليوم القيامة ، الحديث كله عن الشعب المختار ، وحقوقه في هذه الدنيا وواجباته تجاه رب اسرائيل ! فأي تدين هذا ؟

والحديث عن يوم القيامة في العهد الجديد إما أن يؤخذ عن طريق الرؤى في المنام ، أو الاشارات الروحية ليوم الدينونة ..

والبون بعيد بين هذا الأسلوب الخافت وبين الهدير الذي يسمع دويه في الوعد والوعيد ، ومشاهد القيامة وصور الحساب والثواب والعقاب كما تكاثرت في سور القرآن .

والجانب الانساني الحر ظاهر في القرآن الكريم ، فأنت وحدك صانع مستقبلك ، ومصور ملامحك ، إن أحسنت لم يستطع أحد أن يعترض طريقك إلى الجنة .. وإن أسأت لم يستطع أحد أن ينقذك من النار : **( من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد )** فصلت / ٤٦ فلا وسطاء ولا شفعاء ولا قرابين على نحو ما تصور الوثنية أو على نحو ما تصور الأديان السماوية التي انحرفت ..

والقرآن ــ بهذا الواقع المشرق ــ

جدير أن يكون الصوت الفذ المنبعث من السماء فلو لم تدعمه أسانيد التواتر الغنية السخية لقال العقل : ما يصح عن الله إلا هذا .

ومن هنا فنحن نوقن بأن القارات الخمس لا تحوي سجلاً للوحي الأعلى الا في هذا الكتاب العزيز ..

ومن هنا أيضا جاء خلود الرسالة التي بقي مصدرها الأول خالدا:( **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ) فصلت / ٤٢ .

وقد اتفق المسلمون على أن القرآن هو المصدر الأول لتعاليم الاسلام ، والمعجزة الباقية أبد الدهر لنبيه عليه الصلاة والسلام ، كما اتفقوا على أن السنة المطهرة هي مصدره الثاني ونقف وقفة قصيرة أمام هذا المصدر .

تواجه السنة النبوية هجوما شديدا في هذه الأيام ، وهو هجوم خال من العلم ومن الانصاف ، وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعى الاكتفاء بالقرآن وحده .

ولو تم لهذه الجماعات ما تريد لأضاعت القرآن والسنة جميعا ، فان القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله ..

إن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية لوجب ألا يدرس التاريخ في بلد ما لماذا يقبل التاريخ — على أنه علم — وتهتم كل أمة به ، مع أن طرق الاثبات فيه مساوية او أقل من طرق الاثبات في الحديث النبوي ؟؟

وأمر آخر نحب أن نثيره لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم وتعرض للتأسي والاعجاب ويحرم من ذلك الحق رسل الله ، وفي صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفا ، وبيانا وأدبا ، وجهادا وإخلاصا ؟؟

إن بعض البله يتصور الأنبياء أبواقا لأمين الوحي ، يرددون ما يلقيه اليهم ، فاذا انصرف عنهم هبطوا الى مستوى الدهماء ، وخبا نورهم .

أي غفلة صغيرة في هذا التصور ؟

إن الأنبياء رجال أكابر ، أكارم ، مصطفون من بين الألوف المؤلفة لصفاء فطرتهم ، وزكاة أفئدتهم ، ونفاسة معادنهم .

والوحي الذي يمر بنفوسهم يتألق في جوانبهم ويتأنق في سيرهم ويضوع شذاه في إيمانهم وصلاحهم ، فاذا لم يكن هؤلاء قدوة فمن القدوة ؟

الأدباء القوالون وحسب ؟ الساسة الماكرون وحسب ؟ القادة السفاحون وحسب ؟ ما أغرب أحكام البشر !!

إن الله في كتابه أحصى أسماء ثمانية عشر نبيا من الهداة الأوائل ثم قال للهادي الخاتم : ( **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين** ) الانعام / ٩٠

فاذا برز للانسانية إنسان كامل ، التقت في سيرته شمائل النبوات كلها ، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع ، واستطاع — وهو الفرد المستوحش — أن يحشد من القوة ما يقمع كبرياء الجبابرة ، ويكسر قيود الشعوب ، ويوطىء الاكناف للحق المطارد .. إذا يسر الله

للانسانية هذا الانسان العابد المجاهد الناصح المربي جاء غر يقول : لا نأخذ منه ولا نسمع له ، ثم يستطرد مخفيا غشه : حسبنا كتاب الله ! وهل السنة ! إلا امتداد لسناه ، وتفسير لمعناه وتحقيق لأهدافه ووصاياه ؟ .. على أننا نعتب على جماعات كثيرة تنتسب للسنة وتظهر التمسك بها .

فان مسلكها قد يكون من وراء انصراف بعض الناس عن السنن وشكهم في جدواها ونأخذ على هذه الجماعات أمرين : أولهما أنها تخلط الصحيح بالسقيم ، ولا تدري بدقة ما يقبل ويرد من المرويات .

وقد لاحظت عند تحديد الوضع الاجتماعي للمرأة أنه ما يجيء حديثان في قضية تتصل بها إلا أخر الصحيح وقدم الضعيف !

فزيارة المرأة للقبور ترويها أحاديث صحيحة ولكن بعض أهل العلم يقدمون عليها حديثا ضعيفا يلعن زائرات القبور ..

ورؤية المرأة للرجال – مع غض البصر – ترويها أحاديث صحيحة ، ولكن بعض أهل العلم يطوون ما صح وينشرون آثارا واهية أن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل !! وقد وضعت تفاسير وذكرت مرويات لتقرير أن وجه المرأة عورة ، وأن الإسفار عنه جريمة ، وليس وراء هذا الزعم سنة صحيحة ، ولا فقه قائم ..

ولعل هذا القصور العلمي وراء الانهيار الاجتماعي أمام زحف المدنية الحديثة :خذ مثلا هذه القضية الاجتماعية الحساسة ، قضية المهور ، فان الأحاديث الصحيحة وردت برفض المغالاة فيها . روى مسلم عن أبي هريرة قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني تزوجت امرأة من الانصار ، فقال له النبي على كم تزوجتها ؟ فقال : على أربع أواق من فضة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : على أربع أواق !! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل !!»

وظاهر من تعليق الرسول أنه استكثر المهر

والأصل في المهور التيسير ، وسنته صلى الله عليه وسلم في نسائه وفي بناته التيسير ، والأحاديث في ذلك كثيرة ..

ولكن هذه الأحاديث الكثيرة طويت طيا وانهزمت أمام رواية جاءت أن امرأة جادلت عمر بن الخطاب في زيادة المهور وهزمته مستشهدة بقوله تعالى : **( وآتيتم إحداهن قنطارا )** النساء / ٢٠ .

وهذه الرواية لم تأت بسند صحيح ، بل في رجالها انقطاع وضعف ، ولو تجاوزنا ذلك – وما يجوز تجاوزه – فان موضوع الآية ومعناها ليس محل الاستشهاد إذ الآية في شخص يريد تبديل زوجة بأخرى ويريد أن يسترد من الزوجة المتروكة ما أعطاه إياها مهرا فرفض القرآن هذا المسلك الصغير ، وبين أنه ما يجوز أخذ شيء من المرأة المهجورة ولو أمهرها قنطارا ..

والعبارة تفيد المبالغة ، ولو لم تفدها فالأمر يتصل بقضية أخرى غير إنشاء البيوت ، وإعفاف الرجال والنساء ، وإغلاق أبواب الحرام وتفتيح أبواب الحلال ، وحماية الأمة من التسول الجنسي ومقاذر الانحراف .

وقد لاحظت أن هناك أحاديث ضعيفة تحكم المجتمعات الاسلامية وتهزم الأحاديث الصحيحة بل المتواترة ، خذ مثلا رفض صلاة النساء في المساجد ، فقد فهم من أحاديث لم يروها رجال الصحيح ومع ذلك فقد أقر الرفض عمليا ، وطويت الأحاديث المتواترة والصحيحة في هذه القضية المتصلة بأهم عبادات الاسلام والتصرف في السنة بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون دينا قويما ولا صراطا مستقيما أما الأمر الثاني الذي يؤخذ على المشتغلين بالسنن عموما فهو قصورهم الفقهي وليست لهم قدم راسخة في فقه الكتاب الكريم ! مع أنه الأصل ـ كما أنهم يأخذون الأحاديث مقطوعة عن ملابساتها ، ولا يضمون إليها ما ورد في موضوعها من مرويات أخرى قد تؤيدها وقد تردها .

خذ هذين المثلين مما عرض لي في القاهرة وأنا مهموم بقضايا الدعوة :

أولا : وقف خطيب يدعى السلفية يروى للناس أن والد الرسول في النار ، وكان ذلك لمناسبة احتفال المسلمين بالمولد النبوي !! وقلت للناس : هذا الحديث يخالف قوله تعالى : **( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا )** الاسراء / ١٥ وقد ثبت أن جيل الرسول الكريم وصحابته كلهم لم يبعث أحد إلى آبائهم :**( لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون )** يس / ٦ **( لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون )** السجدة / ٣ ومعنى هذا ان عبدالله وأمثاله لا يعذبون ، ولا يدخلون النار . ويكفي هذا الخلاف لنقض الحديث فهو علة تقدح في صحته .

وعلماء المصطلح يردون المتن إذا خالف ما هو أصح وأوثق .

وليس بعد حكم القرآن الكريم حكم ، ولعل الراوى فهم أن تعذيب المشركين جميعا هو الأساس ، وأن استثناء أهل الفترة رحمة فوق العدل ، فساق الحديث لتوكيد المعنى الأول ..

وعلى أية حال فان رواية هذا الحديث في خطبة جامعة وفي مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي جلافة وجهالة غليظتان ..

ثانيا : وقال خطيب آخر يدعى التصوف : إن الله ليلة المعراج نزل لمحمد وأوحى إليه وقلت للناس : ما روى في ذلك كان رؤيا منام ، ومع ذلك فقد رفضه الحفاظ وردوه ردا شديدا وعدوه من العثرات القليله التي أخذت على راويه. وقد لاحظت أن المطابع وضعت في أيدي الجماهير نسخا كثيرة من الموطأ ومن الصحيحين وكثيرا ما يقرأ العامة أحاديث فوق مستواهم ، والحديث إن لم يقدمه عالم فقيه ، أو إذا لم يصحب بشرح يلقى ضوءا

كاشفا على معناه ، ربما كان مثار فتنــة ولغـــط .. وكم من أنصاف متعلمين أساءوا إلى السنة بضعف الفقه وقصور البصر .. والخلاصة أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تبارك وتعالى:( **وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** ) آل عمران /١٣٢ ( **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ) النساء /٨٠ وأن من زعم أن الرسول يجوز عصيانه فيما أمر به ونهى عنه فهو كافر باتفاق المسلمين .. وقد بذلت جهود لم يبذل مثلها في الوقوف على تراث بشر كي يعرف ماذا قال الـرسول حقــا .. وانتهت هذه الجهود بجملة حقائق محترمة .

١) أن في السنة ماهو متواتر لفظا أو معنى ، وهذا النوع من السنن يشبه القرآن الكريم فيمـا أتـى به من أحكام ، ولا يمكن رده ، وهو كثير في التراث النبوي وعليه تقوم الكثــرة الكاثرة من الأحكام المقررة ، وليس بصحيح أن المتواتر في السنة ضيق النطاق ، ربما كان ذلك فيما تواتر لفظه ، أما ما تواتر معناه فهو أساس مقررات فقهية كثيرة والواقع أن أخبار الآحاد من الناحية العملية لا تشكل مساحة كبيرة من السلوك الاسلامي المهم ، فان ما لا بد منه تكفلت به نصوص ثابتة بيقين ..

٢) وجمهور الأمة يقبل سنن الآحاد ويعدها دليلا على الحكم الشرعي الذي نتعبد الله باقامته ، ومن الناس من عد هذه السنن مفيدة لليقين الذي يفيده التواتر ــ ما دامت صحيحة ــ ولكن جمهور العلماء يقبل سنن الآحاد في الأحكام العملية والفروع الفقهية ولا ينقلها إلى ميدان العقيدة الذي يقوم الأمر فيه على القطع ، ومعنى ذلك أن سنن الآحاد تفيد الظـن العلمـي وحسب ..

٣) مع اتفاق الفقهاء على أن سنن الآحاد قرينة مقبولة في إفادة الحكم الشرعي فان عددا من الأئمة يتجاوز هذه السنن إذا كانت هناك قرينة أقوى منهــا في إفــادة حكم الله ، « **فمالك** » مثلا يرى عمل أهل المدينة أدل على السنة النبوية من حديـث الآحــاد مهمــا كانـت صحتــه ، « **والأحنــاف** » يرون أن حديـــث الآحاد لا ينهض على اثبات الفرضية وحده ، ولا ينهض كذلك على إثبات الحرمة ولكنه يثبت أحكامــا أقـل رتبة .. وغالي بعضهم فجعل القياس القطعي أرجح من سنن الآحاد .. ودراسة السنــة علــم له رجالـــه الخبراء ، ولا يقبل في هذا الميدان ما يرسله السفهاء من أحكام طائشة تجعل التطويح بالسنة الشريفة أمرا جائزا أو تجعل تكذيب حديث ما هوى مطاعا .

إنه لا فقه بغير سنة ولا سنة بغير فقه ، وقوام الاسلام بركنيه كليهما من كتاب وسنة وفي ذلك يقول الأستاذ الامام حسن البنا : « القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام ، ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ويرجع في فهم السنة إلى رجال الحديث الثقات » .

# عناية
# المنهج التربوي الإسلامي
# في
# مرحلة الطفولة

للاستاذ/ أحمد عبدالمحسن المنشاوي

لقد قامت دعوة الاسلام على رسالة هادفة ـ عاملة على إيجاد أمة متكاملة ـ لها إيجابيتها في الحياة تأخذ منها وتعطيها ـ ولها كيانها العقيدي ولها كيانها العلمي بجانب كيانها العملي ـ ومن أول كلمة جاء بها الاسلام ندرك هذا المنهج التربوي ـ ففي قوله تعالى : **( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم )** العلق/١ ـ ٥ . ندرك من هذا القول الكريم الذي افتتحت به الرسالة السماوية ـ العناية بالمنهج العلمي القائم على تعلم القراءة والكتابة ـ وتعظيم وسائلها ـ المتمثلة في القلم وتوابعه من وسائل التعليم ثم العناية بالناحية الفكرية والفطرية المتمثلة في قوله تعالى : **( خلق الانسان من علق )** ثم الناحية العقيدية المتمثلة في قوله تعالى : **( علم الانسان ما لم يعلم )** ثم السمو الروحي المتمثل في قوله تعالى : **( اقرأ وربك الأكرم )** .

ومن هذا المنطق الكريم تحددت مفاهيم الدعوة الاسلامية والغرض منها في خلق أمة مثالية وفي قوله تعالى : **( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )** الجمعة/٢ . في هذا القول توضيح للمنهج التربوي الذي جاء الاسلام به ليخرج للناس أمة عالمة متعلمة لها منهجها ولها تربيتها ولها سلوكها في الحياة . فمن الآية الكريمة ندرك هذا الغرض واضحا .

فالمنهج العلمي في الآية ـ هو التلاوة للآيات والتعلم والكتابة والمنهج التربوي في الآية هو ( الحكمة ومعرفتها ) والمنهج الاخلاقي والسلوكي ( هو تزكيتها وطهارتها ) .

كما اعتنى المنهج التربوي الاسلامي بالطفولة ـ فلم يبدأ به من ساعة خروج الطفل الى الحياة ـ كما فعلت المناهج التربوية الأخرى الحديثة في الشرق وفي الغرب ـ وإنما سبق الاسلام هذه المناهج إذ نظر أولا

إلى اختيار الزوجة والزوج ــ ذلك لما لهذا الاختيار من أهمية كبرى تتعلق بها الحياة القادمة بالنسبة للنشء الذي يراد تربيته على السلوك الاسلامي .

ولهذا الاختيار أبعاده العميقة ــ واعتباراته التي لابد منها ومن الحساب لها ــ ذلك لأن عامل الوراثة الذي ينقل صفات الآباء والأمهات إلى النشء لا يمكن أن ينكره عقل ولا تتعارض معه دعوة أو منهج تربوي ــ ولذلك نرى الاسلام يقرر البعد عن نكاح المشركة ــ ونكاح المشرك مهما بلغا من مكانة اجتماعية أو اقتصادية في الحياة فيقول تعالى : **( ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه )** البقرة/٢٢١ .

ولا يقف العقل في فهمه للآية الكريمة عند الحفاظ على العقيدة والخوف عليها إذا كانت الأم مشركة أو كان الأب مشركا ــ ولكن نظرة الآية في الحياة أبعد من ذلك وأشمل . فهي إن راعت الجانب العقيدي . فلا تقتصر عليه فقط وإنما تتعمق الآية في أغوار بعيدة لها تأثيرها في الحياة العامة والخاصة ، ذلك أن المشركة أو المشرك لا ضوابط خلقية تحكمهما ولا موازين عادلة عندهما تقوم عليها السلوك ــ وهذا الخطر الذي يخاف على النشء منه في التربية الاسلامية ــ وفي تفضل العبد المؤمن والأمة المؤمنة على الحر المشرك والحرة المشركة تأمين للحياة القادمة ــ ذلك لأن توافر الضوابط الأخلاقية واعتدال السلوك يتحقق في جانب الأمة المسلمة والعبد المسلم .

وأيضا في تحريم نكاح الزانية من الحر الشريف ، أو الزاني من الحرة الشريفة ما يدور في هذا المعنى من حرص الاسلام في منهجه التربوي على النشء وحمايته من الانحلال الخلقي ذلك لأن الزاني والزانية قد تحقق فيهما الانحلال الخلقي والانحراف السلوكي وهذا مما يخافه الإسلام في النشء والأسرة .

وفي هذا المعنى يجيء أحاديث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : حيث يحمل المتأهلين للتزاوج على اختيار الزوجة الكريمة حتى يكون النشء مؤهلا للحياة الكريمة ، وتخرج النشء إلى الحياة بأخلاق وسلوك حميدة محمودة ــ حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » رواه الحاكم والبيهقي ــ وليبعد الزواج عن الرغبة في الغرض والغرور بالحسن والجمال الجسدي .

## تطهير النطفة والعناية بها في المنهج التربوي الاسلامي

ولا تقف عناية الاسلام عند اختيار الزوجة أو الزوج ــ بل يسير في منهجه إلى نقاء النطفة والبعد بها عن

التلوث : إذ أن النطفة هي عنصر التخليق والتكوين الحيوي للنشء فنرى الاسلام يتعهدها بالطهارة : حتى تكون نطفة طاهرة بعيدة عن الخبث ، فيأمر القرآن الكريم المؤمنين بالتغذي بالحلال والبعد عن الحرام في المأكل والشرب .

ولعل واحدا يقول : ما علاقة هذا .. بالتربية التي لا تكون إلا إذا خلق الطفل أو خرج إلى الحياة ؟

وللجواب عن ذلك نقول : إن التهاون فيما حرم الله تعالى وأحل من المأكل والمشرب لهو أحد الصفات التي تورث للطفل من الآباء والأمهات .

والاسلام حريص كل الحرص على تجنيب الطفل في تكوينه الفسيولوجي صفة مثل صفة التهاون ذلك لأن التهاون ينتج عنه التسيب الخلقي — ودعوة الاسلام ما أقامت منهجها إلا لمحاربة التسيب الخلقي في الانسان — وتلك هى آيات القرآن الكريم الداعية إلى التحفظ عن الحرام في الغذاء قال تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله** ) البقرة/ ١٧٢ و١٧٣ .

ولقد حرم الله هذه الأشياء لا ابتلاء كما يقول بعض المفسرين وإنما لعلل وراءها يخافها الاسلام في النشء وما يورث من صفات — وهذه الأشياء التي حرمها الاسلام لها تأثيرها السيكولوجي والفسيولوجي في تكوين الطفل — فأكل الميتة رغم ما يورث من أمراض جسمية فانه بجانب ذلك يورث دناءة النفس — وأكل الدم يورث ثقلا في الجسم كما يورث الخبث في النفس ولحم الخنزير يولد بجانب أمراض الأمعاء البلادة في الطبع وما أهل به لغير الله يولد الانحلال العقيدي — فاذا خرج الطفل إلى الحياة وقد ورث هذه الصفات — فأي منهج تربوي يستطيع تعديله والاستقامة به على طريق الحياة مهما أوتي هذا المنهج من قوة وعمق .

لذلك نرى المنهج التربوي الاسلامي يعتني في خطه التربوي — بالنطفة — حتى يتكون الطفل أو الجنين على الفطرة السليمة التي هي أصل الحياة في الانسان .

ولعل في معاندة إبليس — لعنه الله تعالى — ربه في الانسان — ما يوضح الشركة التي للشيطان في الأولاد — إذ يقول الله تعالى : ( **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد** ) الاسراء/ ٦٤ .

فلن تكون للشيطان مع الانسان شركة في الوطء — إنما الشركة — في تحلل الآباء وتهاونهم في غذائهم بما حرم الله تعالى عليهم فيخرج أبناء إلى الحياة وأهم ما فيهم من صفات يكتسبها الشيطان فيهم ويأخذهم بها إلى طريقه هى — التسيب الخلقي الناتج عن التهاون الموروث من آبائهم والمنقول من أمهاتهم إليهم .

ونطفة الرجل في الحقيقة ما هي إلا خلاصة الغذاء الذي يتناوله الانسان — فاذا كان الغذاء حراما فلا ينبت إلا خبثا .

## عناية الاسلام بالطفل بعد خروجه إلى الحياة

لقد اهتم الاسلام بهذه المرحلة : لأنها أخطر مرحلة في حياة الانسان .

ذلك لأنها المرحلة الأولى التي يستقبل بها الطفل الحياة - والتي يكون فيها الطفل جهاز استقبال فقط : يأخذ من الحياة : ويحاول التجاوب معها بعمل لا إرادي منه والاسلام يركز اهتمامه وعنايته بهذه المرحلة : التي لم ينتبه إليها علماء التربية الحديثة إلا بالقدر اليسير من التوجيه والارشاد - وإن كان اهتمامهم قد انصب فقط على التربية الجسمية .

بينما اهتم الاسلام في هذه المرحلة بالتكوين النفسي بجانب التكوين الجسمي للطفل .

## فأما اهتمام الاسلام بالتكوين الجسمي :

فلقد أقر مدة الرضاعة كاملة وجعلها عامين : حيث قال تعالى : **( والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة )** البقرة/٢٣٣ . ذلك لأن الرضاعة هي عنصر الغذاء الوحيد للطفل في هذه المرحلة : وللعناية بها . فرض الاسلام - نفقة - للأم تزيد على نفقتها العادية المقررة لها في المعاشرة الزوجية بل توسع في النفقة على الأم في الرضاعة حتى شملت الغذاء والكساء : حيث قال تعالى : **( وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن )** البقرة/٢٣٣ .

وفي حالة التعسر : نرى الاسلام يرعى الطفل ويلزم الوالد باحضار مرضعة غير أمه يشملها الوالد بالنفقة الشاملة والرعاية الصحية حتى يتغذى الطفل من مصدر قوي وفي قوله تعالى : **( وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى )** الطلاق/٦ ، لا يقصد فقط به التعاسر في الرضاعة بامتناع الأم عن الرضاعة . بل يشمل حالة عدم توافر الصحة في الأم حتى لا يتغذى الطفل لبنا قد يكون سببا في ضعفه جسمانيا - وما تلك إلا عناية من الاسلام في منهجه التربوي في رعاية الطفل .

ويجعل الرسول الكريم - ( حسن التغذي في هذه المرحلة بجانب حسن الرعاية والتعليم ) من وسائل النجاة من الوقوع في النار يوم القيامة - ويضع الرسول الكريم هذا الحسن في موازين العبادة - حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كانت عنده جارية - فغذاها فأحسن غذاءها - ورباها - فأحسن تربيتها - وعلمها فأحسن تعليمها - كانت له وقاية من النار »رواه ابن ماجه واحمد .

## التكوين النفسي عند الطفل

لقد حرص الاسلام على أن يرعى التكوين النفسي عند الطفل منذ التهيؤ للتزاوج على خلاف ما قاله علماء النفس والتربية الحديثة . فان علماء النفس والتربية لا يرعون هذه المرحلة

ولا يعلقون علمهم بها إلا ساعة أن يدرج الطفل بين أبويه . وهذه المرحلة تسبقها مراحل أخرى في نظر الاسلام . ولقد اهتم الاسلام بتلك المراحل لأنها في نظره وتقييمه ، القاعدة الأولى التي تبنى عليها بقية مراحل النمو والتكوين والتربية الحقة .

فاشترط الاسلام عند التزاوج أن يتوافر التكافؤ بين الزوجين — والتكافؤ الذي اشترطه الاسلام — جعله شرط صحة في عقد الزواج .

وهو أشمل من أن يكون تكافؤا في الدرجة الاجتماعية . بل الاسلام يضع هذا النوع في آخر مرتبة للتكافؤ — وإنما التكافؤ الذي أراده الاسلام ، هو أولا في الخلق ، ثانيا ، في المزاج ، ثالثا ، في العمر . رابعا ، في الدرجة الاجتماعية . وقبل هذا كله التكافؤ في العقيدة .

ولعل من يقول : ما علاقة هذا — بالتكوين النفسي عند الطفل ؟

نقول : إن مراعاة هذه الأنواع من التكافؤ مما له أكبر الأثر في التكوين النفسي عند الطفل : ذلك لأنه لابد من توافر الانسجام بين الزوجين — الانسجام القائم على المساواة في كل نواحي التكافؤ : فبالتكافؤ تتحقق المحبة والألفة والمودة بين الزوجين وتزداد هذه يوما بعد يوم حينما تكون المماثلة في المكانة الاجتماعية . فلا كدر ولا مشاكسة ولا إحساس بالفوارق — مما يؤثر في حياة الأطفال وفي تكوينهم النفسي وكم من طفل خرج للحياة بين أبوين غير متفاهمين لسنة التزاوج فحمل بين جنبيه نفسا مريضة مليئة بالعقد التي قد يستطيع التنفيس عنها بالشغب أو بالاتلاف في بيئته الصغيرة — المنزل — ثم بالانحراف والتسيب الخلقي في مجتمعه الخارجي — وهذا مما يحسب الاسلام له في منهجه التربوي ألف حساب .

ومما اشترط الاسلام توافره بين الزوجين في بيت الزوجية لمراعاة التكوين النفسي عند الطفل أن تكون المداعبة بين الزوجين قائمة في كل مجال — في المحادثة — والملاعبة — والفكاهة — والمشورة — وفي العمل المنزلي — على شرط أن تكون بعيدة عن المداعبة الشائنة التي توحي للطفل بالنمو الجنسي المبكر .

ولقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يداعب زوجاته — ويلاعبهن — وفي حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها — خير دليل على ذلك — فلقد قالت انها كانت تلاعب الرسول .

ولما كان البيت لا يخلو من المشاكل البيئية والمعيشية اشترط الاسلام — أن تكون بعيدة عن الطفل . وأن يباشر الزوجان حلها في جو من التفاهم والود والاستئناس بالرأي واحترامه حتى لا يورث الطفل تنافرا من أحد الوالدين ، خصوصا إذا علمنا أن الطفل أكثر تعلقا بأمه .

وكذلك اشترط الاسلام — مداعبة الأطفال على شرط أن تقوم المداعبة على حد الاعتدال وأن يتجنب الافراط فيها — بل تستغل للتوجيه التربوي

من الأبوين ، وأن لا يركن بها إلى طفل دون آخر حتى لا تخلف الأثر السيىء بين الاخوة وهى العداوة .

ونحن إذا قرأنا قصة يوسف عليه السلام مع اخوته ، نرى العامل الأكبر الذي حمل اخوة يوسف عليه السلام على التخلص منه – إنما هو زيادة الاهتمام من يعقوب عليه السلام بيوسف دون إخوته – ولعل سيدنا يعقوب كان على حق في هذا ، ذلك لأن اخوة يوسف كانوا أكبر منه سنا – ولازال هو طفلا – فلقد حملت إلينا الآيات هذا القول الصادر من اخوة يوسف عليه السلام ، حيث قالوا : **( اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم )** يوسف/٩ .

ففي قولهم – يخل لكم وجه – أن يخلص لكم حبه والركون إليكم .

والاسلام يرى أن مرحلة الطفولة – من أخطر المراحل التي يكون فيها الطفل محتاجا إلى المصادقة والمصارحة – لأن المصادقة والمصارحة تنطبع في نفسه البريئة فيشب عليها ويخرج إلى الحياة بعيدا عن التمويه والكذب والنفاق – ولذلك حارب الاسلام – الوعود الكاذبة التي قد يعمد إليها الآباء – كوسيلة للتخلص من مطالبة الأطفال لهم أو العمد إلى كفهم عن الصياح والبكاء – خصوصا إن كان في البيت ضيف .

إن ما يعمد إليه الآباء والأمهات في هذه المرحلة – يقدر خطرها الاسلام ويطالب بتجنبها وهناك البديل عنه وما يستطيع به الآباء الوصول إلى ما يريدون من أطفالهم دون الوعود الكاذبة .

ولقد كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف من هذه المواقف حيث كان الرسول الكريم في ضيافة أحد الصحابة ولهذا طفل كثير البكاء – فسمع الرسول أم الطفل تقول له : إن سكت أحضرت لك ثمرة – فقال لها الرسول الكريم : « لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة » رواه البخاري .

وهذا هو موقف الاسلام التربوي في تكوين الناحية النفسية عند الأطفال .

## العقيقة وأثرها التربوي

جعل الاسلام الحنيف من سننه الحميدة إقامة وليمة شاملة للأهل والأقارب عند استقبال الطفل الجديد ، سواء كان ذكرا أم أنثى – وسميت تلك – بالعقيقة – وينتقل بها من أسبوع إلى أسبوع .

وللعقيقة أهميتها في منهج الاسلام التربوي – ولها قيمتها – في التكوين النفسي للطفل وقد يكون هذا بعيدا عن بعض العقول – حتى يقول هذا البعض :

ما أثر هذا في التكوين النفسي عند الطفل ؟

ونقول كما أدركنا : ان العقيقة لها أثرها العظيم في نفس الوالدة – فهي تشعر بقيمتها بين الأسرة – وفي نفس زوجها – حين تقام هذه

العقيقة ـ وخصوصا اذا كانت مشمولة بالفرح والسرور ـ وهذا له أثره العظيم في صفاء اللبن الذي يتغذى به الطفل ، خصوصا إذا علمنا أن الطفل بواسطة الرضاعة يتكيف نفسانيا ـ وإذا كانت الحالة النفسية عند الأم في أيام الرضاعة وخصوصا في الأيام الأولى منها ـ مرضية ومنشرحة الصدر منبسطة النفس ـ فمما لا شك فيه انها تجنب وليدها ضعف الحالة الجسمية التي هي المؤثر الأكبر في الحالة النفسية عند الطفل .

والاسلام الحنيف جعل في العقيقة كبشين للذكر ـ ولم يغفل جانب الأنثى بل جعل عقيقتها كبشا ـ وهذا لم يكن من قبل التفرقة بين الذكر والأنثى ـ حتى لا يكون مبعث حزن في نفس الوالدة ـ بل هى تسوية تامة ـ فالوالدة حينما تجد أن لبنيها وليمة أقيمت على فرح من أسرتها ومن أبيها لا يتخلف في نفسها حزن على ما أنجبت ولا يكدر لبنها بل تقبل على بناتها وأبنائها بحب وتقدير وعناية تامة .

هذا ولم نجد في كتب التربية الحديثة من قيم مثل هذا مما يجعلنا نقول : إن نظرة الاسلام في المنهج التربوي ـ كانت أعمق من أي نظرة يعتنى بها المتعلمون في وطننا الكبير ـ والاسلام حينما قرر العقيقة لم يقصر أثرها على فرحة العائلة وإنما نظر إلى الطفل وكيف يعصمه من الانتكاس النفسي بما تغذى به من لبن الأم ولبن الرضاعة .

**الأذان ونظرة الاسلام التربوية إليه**

من السنن الحميدة التي سنها الاسلام عند استقبال الطفل الجديد ـ الأذان له ـ في أذنه ومن العجيب أن كثيرا من المتعلمين يعترضون على هذه السنة الحميدة ، ويقولون : ما قيمة هذا الأذان لطفل لم يدرك معناه ؟ إذ لا يحمل في نظرهم إلا أحد معنيين :

**المعنى الأول :** أنه تأييد لسنة لم يفهم القصد منها .

**المعنى الثاني :** أنه من قبل التعصب الديني الذي يشبهه إلى حد ما ـ التعميد الذي يقوم به أهل الأديان الأخرى لأطفالهم في الكنائس ؟

وللجواب على هذا نقول :

إنه من الناحية السيكلوجية ـ نجد حواس الطفل هى أجهزة دقيقة جديدة لم تمرن بعد ـ وأكبرها تأثرا بالحياة ـ حاسة السمع ـ وحاسة البصر ـ ولذلك ينصح الأطباء في عصرنا الحديث ـ أن تكون حجرة الوالدة قليلة الضوء وخالية من الألوان الزاهية وذلك خوفا على حاسة البصر عند الطفل ـ ويجب تمرين هذه الحاسة شيئا فشيئا ـ حتى تتقوى على مقابلة الأضواء ـ وحتى لا تتأثر بقوتها ـ لأن ذلك يورث الطفل ضعفا في الابصار : وحاسة السمع لها من الدقة ما لحالة الابصار تماما عند الأطفال ـ ولذا ينصح الأطباء في العصر الحديث بابعاد الأصوات العالية عنهم في أول حياتهم ـ ولابد من تمرينها شيئا فشيئا على تقبل تلك الأصوات ـ وحتى لا تصاب ولا

تتعطل هذه الحاسة ـ وضع الاسلام في نصائحه التربوية أن يقابل الطفل بالأذان ـ الهادئ في أذنه حتى يمرن على تقبل الأصوات .

هذا ولقد ثبت من علم التشريح أن أول حاسة تعمل في حياة الطفل ـ هي حاسة السمع ـ ولذلك ابتدأ الاسلام بتدريبها على سماع الأصوات الهادئة ـ ولو لاحظنا الطفل ساعة الولادة ـ لوجدنا أن حاسة السمع مهيأة للعمل قبل الادراك البصري فالطفل ساعة الولادة يسمع من أول لحظة ويأنس بالأصوات حوله ـ ولكنه لا يحرك بصره وعينيه إلا بعد أيام .

ولكن للاسلام نظرة أخرى مع تلك الاعتبارات الفطرية ـ نظرة في الآذان الذي يلقي في أذن الطفل ساعة الولادة .

هذا الطفل مهيأ من الولادة ـ باعتباره جهاز استقبال لأول كلمة تسجل على قلبه فأول كلمة يبتدأ بها التسجيل ـ كلمة تتوافق مع فطرته البيضاء ـ خصوصا إذا علمنا أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة »رواه البيهقي . والأذان بما فيه من كلمات احتوت معاني التوحيد والشهادة والصلاة والدعوة إليها تتوافق مع فطرته السليمة الأولى .

ولقائل أن يقول : إن الطفل لا يدرك معنى الأذان ـ ذلك لأنه لا عمل له من الناحية الفكرية ـ فما فائدة هذا للتربية التي يقصدها الاسلام ؟

نقول : إن الفطرة عاقلة والدليل على صحة ذلك ، أن الله تعالى جل شأنه قد خاطبها قبل أن يقرها في الأرحام والأجسام ، وكلفها وأشهدها على نفسها ـ وهذا وارد في قوله تعالى : **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون )** الأعراف/١٧٢ و١٧٣ .

والفطرة سر من أسرار الله تعالى ـ عاقلة ومدركة ـ وإن لم تدل عليها الحوادث عند الطفل .. ومن أجل ذلك جاءت السنة الشريفة ـ بالأذان بعد الولادة وهذا من عناية الاسلام بالتربية الوجدانية المبكرة وتدريبها عند الطفل .

## اللعب وعناية المنهج التربوي الاسلامي به

لما كان اللعب هو المصدر الوحيد في حياة الطفل لكسب المعارف والعلوم وتزويد خبراته واكتشافه للعالم المحيط به ـ توجه الاسلام في منهجه التربوي ـ إلى العناية باللعب وتهذيبه ـ كوسيلة لاشباع رغبات الطفل الديناميكية ـ وللتوجيه التربوي وتهذيب سلوكه وتعليمه .

لذلك طلب الاسلام من الوالدين ـ مشاركة الطفل في اللعب ـ ومعاونته على أدائه ـ وأن يتركا له حرية اختيار اللعب الذي يتناسب مع قدرته . وأن

ينزلا إلى عمره في اللعب ويعملا على تحقيق ما يريده ــ وإن يتخذا من تصرفه وسيلة لتقويمه وتوجيهه تربويا دون أن يكون ذلك مانعا ــ له من رغباته ــ أو معطلا لنشاطه .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة . فلقد كان عليه الصلاة والسلام يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما ــ ويبسط لهما رداءه بعد أن يكون قد بسط لهما نفسه وقلبه .

فلقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل من نفسه ــ جملا ــ للحسن والحسين ــ وكان يتنقل بهما في الحجرة الشريفة إلى ما يريدون ويردد معهما نشيدهما في هذا الشأن .

فكانا يقولان له عليه الصلاة والسلام ــ إلى هنا ــ يا جملا .. وكان الرسول الكريم ــ يقول لهما : « نعم الحمل حملكما ــ ونعم الجمل جملكما » .

وفي هذا دليل على أن الاسلام يرفع اللعب مع الأولاد ومشاركتهم الى صفة الرحمة التي هي في القلب عاطفة من العواطف الانسانية التي يهبها الله تعالى لمن أحب من الناس ولقد أخذت به النظريات الحديثة في مناهجها التربوية كوسيلة من وسائل التعلم .

فانظر إلى الاسلام كيف يقول بهذا ــ قبل هذه النظريات بألف سنة وأكثر ــ ألم يكن هذا أكبر دليل على عمق الفهم الاسلامي في منهجه التربوي القويم .

## الاستماع إلى الأطفال واحترام أفكارهم من عناية المنهج التربوي الاسلامي

لما كان الطفل انسان الحياة المستقبلة ــ وصانع مدنيتها ــ وباني حضارتها ــ كان لابد من الاهتمام به من كل ناحية ــ الناحية الجسمية ــ وقد رأينا كيف قدر لها المنهج الاسلامي قدرها ــ والناحية النفسية وكيف والاها بالاهتمام الأكبر ــ والناحية الفكرية ــ وهذه الناحية اهتم الاسلام بها أكبر الاهتمام ــ ذلك لأن الادراك الفكري بدأ عمله في الطفل من أول حياته ــ ولو أنه في السنوات الثلاث الأول من حياته كانت بصورة بسيطة ثم تدرجت في التعقيد شيئا فشيئا ــ فهو يزداد عمقا بتقدم الطفل في العمر .

ولم يقصر الاسلام الاهتمام بالناحية الفكرية عند الطفل عند سن السابعة ــ وهذه السن هى في حياة الطفل مرحلة التمييز بين المدركات الفكرية لا ــ بل نرى الاسلام اهتم بها قبل السابعة ــ حيث أوجب على الوالدين مشاركة الطفل في اللعب وملاحظة قدرته على الابتكار ــ وإرشاده وتعديل انفعالاته وملكاته ــ كوسيلة من وسائل التربية والتعليم .

أما حينما يبلغ الطفل السابعة . نرى الاسلام ــ يقرر في منهجه التربوي ــ الاستماع إلى الطفل . وأخذ رأيه وتمحيصه وتعديله ــ كوسيلة كشف لقدرته الفكرية . ذلك لأن في الاستماع إليه والنظر في رأيه تقويما لشخصيته ــ وحمل على

الاعتزاز بها والاستئناس بفكره — وهذا ما يريده علماء التربية في العصر الحديث — وهو ما يركز عليه الاسلام في منهجه التربوي قبل هؤلاء بألف سنة تقريبا وفي قصة القضاء أيام سيدنا داود عليه السلام والتي يجلس فيها بجانبه ولده — سليمان عليه السلام — وكان سليمان أيامها لازال حديث الطفولة ترى كيف — احترم داود عليه السلام رأي سليمان عليه السلام في الفصل في هذه القضية التي أوقعت سيدنا داود في تفكير عميق .

والله تعالى يقول : ( **ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما** ) الأنبياء/ ٧٩ .

وكان رأي سيدنا سليمان — أن يأخذ صاحب الأرض الغنم ينتفع بلبنها مدة أن يزرع له صاحب الغنم أرضه وحتى يصل الزرع إلى مستواه الذي أتلف فيه وهذا مما يدفعنا إلى ضرورة الاستئناس برأي الطفل وتمحيصه واحترامه .

## إظهار المهارات عند الطفل وعناية المنهج التربوي الاسلامي بها

لما كان الطفل في مرحلة الطفولة — تغلب عليه الناحية الديناميكية — ( الحركية ) أكثر من النواحي المتعددة فيه — كان لابد لمنهج التربية الاسلامية أن يضعها في دراساته ويعتني بها ويجعلها ضمن خططه التربوية .

فأوصى الاسلام بضرورة مباشرة الطفل لأنواع الرياضات — التي من شأنها أن تكسبه مهارات خاصة — وتظهر فيه مواهب وابتكارات — على أن يتخذ هذا لأغراض تربوية — وأهمها — تعديل السلوك — ونماء الأخلاق وإظهار الشخصية — والاعتداد النفسي عند الطفل .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على هذا الاهتمام خصوصا بالرياضة الجسمية التي ينطلق منها الطفل إلى الابتكار أكثر من غيرها — فيقول عليه الصلاة والسلام : « علموا أبناءكم — السباحة والرمي » رواه البيهقي .

وهذه هى الرياضة التي كانت في زمن التشريع ولا بأس أن تضاف أنواع أخرى من الرياضات الفكرية والجسمية . وقد باشر الرسول الكريم بنفسه أنواع الرياضات ومنها المصارعة

إن الاسلام يرى أن القوة النفسية والقوة الجسمية لابد أن يقوم المنهج التربوي على تحقيقهما في مرحلة الطفولة — ذلك لأنها المرحلة التي تقوم عليها بقية مراحل العمر .

وخصوصا المرحلة التي فيها مجاهدة جنسية والتي يخافها رجال التربية — وهي مرحلة المراهقة — ويقول الاسلام بضرورة العناية بهذه المرحلة في الطفولة ليقضي على الفراغ الذي يكون سببا في الانحراف الجنسي — فالطفل الذي يباشر الرياضة ويشغل بها وقت فراغه — تتأخر فيه الناحية الجنسية — وإن ظهرت مبكرة — يكون قادرا على تهذيبها بنفسه والوصول بها إلى هواياته .

# الظواهر الكونية في الآيات القرآنية

للدكتور / عبدالغني الراجحي

في الوجود أشياء وظواهر قد نمر عليها بالنظرة العجلى ولا نعيرها التفاتا ، لكن القرآن الكريم يوجه اليها الأنظار ويحث على التأمل فيها ، فاذا ما تأملها الانسان وجدها بسيطة في مظهرها كبيرة في مخبرها وجوهرها ، من ذلك الظل للأشياء الملموسة المادية وعلاقته بالشمس ، ودورة الليل والنهار ، ودورة الأرض حول نفسها وحول الشمس ، فمن نظر الى الظل وتأمل حركاته وسكناته ، وكيف أن الله بحكمته وقدرته جعل لكل شيء ظلا ممدودا متحركا ، وكيف أنه جعل من طبيعة الأجرام الكثيفة ، شجرا كانت أم حجرا أم إنسانا أم حيوانا أم نباتا أم

عريشا ، أنها إذا تسلط عليها الضوء من جهة ، كان لها من الجهة المقابلة للضوء ظل يكون الضوء عنه مكفوفا ، فالشمس تظهر عند الشروق أفقية جدا فتلقي بضوئها على الموجودات والأجسام الكثيفة ، فيكون لكل موجود كثيف في مقابلة ضوء الشمس ظل ظليل ممدود من جهة الغرب على صورة وهيئة هذا الجسم تماما ، كأنه صورة له ، وقد صارت هذه الصورة تؤخذ اليوم وتسجل بطريقة ما هو معروف بالتصوير الشمسي أو الضوئي كما يقول الرافعي في كتابه إعجاز القرآن . ثم إن الشمس في رأي العين لا تزال تصعد في الأفق حتى تصير عمودية أو شبه عمودية على الأشياء ، فكلما صعدت إلى أعلى في الافق قصرت ظلال الأشياء وتقلصت وانكمشت حتى لا يرى للأشياء ظل إطلاقا إذا تعامدت عليها الشمس ، وعندما تبدأ الشمس في الانحدار إلى جهة أفق الغرب ينتقل ظل الشيء إلى جهة الشرق شيئا فشيئا وينقلب الوضع السابق ، ولا يزال يطول ويمتد ولا يتلاشى إلا عند غروب الشمس ، فالشيء الكثيف لا ظل له إطلاقا اذا تعامدت عليه الشمس وقد يصير ظل الشيء مثلا له في الطول وقد يصير مثليه او ثلاثة أمثال منه أو أكثر ، على حسب مقدار ميل الشمس عن هذا الجسم شرقا أو غربا ، الأمر الذي حاول علماء الفلك وفقهاء الشريعة الاسلامية قديما ضبط مواقيت صلاة الظهر والعصر به ، فالشمس دليل على الظل ، وبين الشمس والظل تلازم ، فلا ظل لشيء إلا بسبب ضوء الشمس مسلطا عليه من الجهة المقابلة ، ومتى كانت الشمس على الجسم أفقية أو قريبة من الأفقية كان له ظل طال أم قصر . لا ظل إلا عن شمس ولا شمس إلا ولها ظل في الأجسام الكثيفة . وذلك كله من الأجسام . والشمس وضوئها ، وظل هذه الاجسام تتحرك فتطول وتقصر من توابع حركة الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، وكل ذلك من الشمس ونظامها ، والأرض ونظامها ، ، والظل ونظامه من آثار قدرة الله وحكمته وعظمته في الكائنات .

وفي كل تحريكة في الورى
وتسكينة له شاهد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

ثم إن تناقص طول الظل صباحا حتى يتلاشى عند تعامد الشمس على الجسم الكثيف ، وكذلك تلاشيه عند نهاية استطالته عند غروب الشمس ، كل ذلك يكون يسيرا دقيقا بحساب معلوم ونظام دقيق ، يتخذه علماء الفلك طريقة لتحديد أوقات الصلاة بما هو معروف في عالم المزاول الشمسية التي كانت تلعب دورا كبيرا في تحديد أوقات الصلاة قبل انتشار هذه الساعات الدقاقة وغير الدقاقة .

نعم إن الظل ، هذا الشيء البسيط الذي قد ننظر اليه ولا نعيره التفاتا قد

وجهت اليه أنظارنا وإلى ما فيه من دلالة على قدرة الله وبديع صنعه في حركة الأفلاك والكواكب وطبائع الأجسام المعتمة والأجسام الضوئية والشفافة ، آيات كثيرة في القرآن الكريم ، ربما كان من أظهرها وأبرزها في هذه المعاني التي سقناها قوله تعالى في سورة الفرقان : ( **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا** ) الآية / ٤٥ ، ٤٦ فهو يمده عند أفقية الشمس شرقا أو غربا ، ويجعله ساكنا عند غروب الشمس أو تعامدها على الأشياء .

وقد ورد ذكر الظلال في القرآن في سياق النعمة والامتنان بها على العباد كما في قوله تعالى في سورة النحل : ( **والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** ) الآية / ٨١ وجاء في سورة فاطر توجيه النظر إلى الفرق الشاسع بين الظل والحرور في قوله تعالى : ( **وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور** ) الآيات / ١٩ ـ ٢٢ . ثم تعود آيات القرآن فتذكر الظل والظلال في بيان عظمته وقدرته وهيبته وجلاله وسجود كل شيء له طوعا أو قهرا ، فتقول سورة النحل : ( **أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون** ) الآية / ٤٨ وتقول سورة الرعد : ( **ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال** ) الآية / ١٥ .

اي في الشروق وبعد الزوال . نعم إن التأمل في هذه الظاهرة البسيطة في مظهرها الكبيرة في جوهرها ومخبرها ليدل دلالة قوية على أن الله هو الحق ، الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه ، وأتقن كل شيء صنعه ، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، وجعل من الأفلاك وآثارها ، ومظاهر سيرها وحياتها ، دليلا على عظمته ، حيث إن ظل الاشياء المادية الكثيفة ، وامتداده بميلان الشمس أفقيا شرقا أو غربا ، وحركة سيره طولا ، وقصرا ، كله بحساب موقوت ودقيق تابع لحركة الأرض ودورانها حول الشمس ، وطريقة وقوع ضوء الشمس عليه مع ما في الظلال فوق وجه الأرض من تلطيف كمية حرارة الشمس وتلطيف الجو تخفيفا على العباد ورحمة بهم من الحاح الحر عليهم ومطاردتهم الى حيث لا يجدون مأوى من ظل او حماية من كن . ألا يرى أن الله جعل هذه الظاهرة في الظل وسيلة لطف ورحمة ونعيم لأهل الجنة كما كان لهم في الدنيا . فالليلة بنت البارحة والآخرة بنت الدنيا ، وذلك حيث يقول الله تعالى في سورة الواقعة عن أصحاب اليمين انهم : ( **في سدر مخضود .**

**وطلح منضود . وظل ممدود )** الآيات / ٢٨ ـ ٣٠ وحيث يقول في سورة الانسان عن أهل الجنة : **( متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها )** الآية / ١٣و١٤ ويقول عنهم في سورة المرسلات : **( إن المتقين في ظلال وعيون )** الآية / ٤١ ويقول في سورة الرعد : **( مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار )** الآية / ٣٥

حتى إذا ما ذكر القرآن الظل في سياق عاقبة الكافرين وعقابهم في الآخرة جعل معه احتراسا عن أن يكون ظلا من الظلال المعهودة التي يستريح الانسان لها في دنياه أو آخرته ، بل هي ظلال تهكمية كأنما جعلت استدراجا للكافرين يأوون إليها فاذا هي ظلال العذاب المفاجئ والانتقام الجبار . فيقول تعالى في سورة الواقعة إنهم : **( في سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم )** الآيات / ٤٢ ـ٤٤ ويقول في سورة المرسلات لأهل النار : **( انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغني من اللهب )** الآيات / ٢٩ ـ ٣١ وشيء شبيه بذلك قد وقع في الدنيا فقد أهلك الله قوم شعيب بعذاب الظلة الوارد في قصتهم في قوله تعالى في سورة الشعراء : **( فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم )** الاية / ١٨٩ حيث اشتد بهم الحر فوجدوا سحابة كثيفة لجأوا الى ظلها من شدة الحر فاذا بها تمطر عليهم نارا تحرقهم فكانوا كما قال القائل :

والمستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن مظاهر عظمة الله في بديع صنعه وأعاجيب فعله أن يجعل من الشيء الواحد تارة وسيلة رحمة وتارة أخرى وسيلة عذاب كما كان الامر عليه في الماء الذي جاء في بعض المواضع القرآنية نعمة من أعظم النعم ، ثم جاء في بعضها الآخر وسيلة انتقام وإغراق ، والنار التي جاءت في بعض النصوص القرآنية نعمة ورحمة ثم جاءت في بعضها الآخر وسيلة تعذيب وانتقام ، والرياح التي جاءت تارة نعمة ورحمة وتارة أخرى هلاكا وانتقاما من الكافرين ، وكذلك كان الشأن في الظل والظلال ، يرحم بها من يشاء ويعذب بها من يشاء ، وكل من الظلال والماء والنار والريح والليل والنهار . والأرض والسماء وسائر أنواع الكائنات ما هي إلا سطور في كتاب الوجود الذي أبدعته يد الخلاق العليم والذي قال فيه القائل :

تأمل سطور الكائنات فانها
من الملأ الاعلى إليك دلائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

إن ما سبق ذكره من الظل والظلال كجزئيات وأفراد فوق ظهر الأرض تبعا لما يوجد من الجسم الكثيف المقابل لضوء الشمس ، يعتبر ذلك كله نموذجا ومثالا واضحا للظل والظلال في وجه الأرض كمجموع وكل ، فان نصف الكرة الأرضية دائما أبدا مقابل لضوء الشمس بينما النصف الثاني دائما أبدا يختفي عن ضوء الشمس ليكون ظلا للنصف الأول المضيء ، والنصف الأول المقابل للشمس هو النهار في وجه الأرض كمجموع وكل بصرف النظر عن كون النهار أطول وأقصر في بعض المناطق عنه في بعضها ، كما أن النصف الآخر من الأرض المختفي عن ضوء الشمس يكون ظلا معتما جدا حيث يكون هو الليل الدامس الظلام لولا النجوم والقمر ، وهذا النصف الثاني المظلم يساوي النصف الاول المضيء كمجموع وكل بالنسبة للارض كلها وان اختلفت مقادير الليل بالطول والقصر في بعض المناطق عنها في بعض آخر ، والنتيجة أن الليل والنهار ، والظل والضياء يتبادلان وجه الأرض بانتظام ومناصفة تامة ، فأحدهما لا يزيد عن الآخر ولا ينقص عنه ، والليل مساو للنهار بالنظر للكل والمجموع ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : ( **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ) يس / ٤٠ .

والحقائق العلمية الحديثة بالتجربة الثابتة والملاحظة والاستقراء تقول إن الجسم الكروي إذا قابل مخروطا ضوئيا في نقطة معينة كان الجزء المقابل للضوء مساويا للجزء المختفي عن الضوء تماما ، وهذه هي حالة الأرض مع الشمس والليل مع النهار تقع الأرض في بعد من الشمس محسوب بكل دقة وحكمة تصلح معها حياة الأرض وما عليها من الكائنات بحيث لو زاد بعدها عن الشمس أكثر مما هو الآن لفسدت الحياة عليها بالبرودة وغيرها ، ولو نقص هذا البعد عن الشمس لبطلت الحياة فوقها بالحرارة وغيرها .

فاذا كانت المناسبة بين الليل والنهار من جانب ، وبين سائر الظلال والضوء من جانب آخر واضحة من حيث ان الليل ما هو إلا ظل الارض على نفسها فانه مما يشهد لهذه المناسبة ويؤكدها أن آية الظل في سورة الفرقان في قوله تعالى : ( **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا** ) تلتها مباشرة الآية المتحدثة عن الليل والنهار والقائلة : ( **وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا** ) الفرقان / ٤٧ الأمر الذي يؤكد ما قاله العلماء من تناسب الآيات في السور وأخذ بعضها بحجز بعض وشد بعضها أزر بعض ، بالارتباطات الوثيقة والمناسبات اللطيفة كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

## مائدة القارئ

### عاقبة البخل

قال تعالى : ( ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ) .

الآيات ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ من سورة التوبة

### بئس الكاسب

أتى عبد الملك بن مروان بأعرابي سرق ، فأمر بقطع يده ، فأنشأ يقول :

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها
بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
ولا خير في الدنيا وكانت حبيبة
إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فأصر عبد الملك على قطع يده ، فقالت أم الأعرابي : يا أمير المؤمنين ، هو واحدي وكاسبي . فقال : بئس الكاسب كان لك ، وهذا حد من حدود الله تعالى .

### طاعة محبة .. وطاعة خوف

دخل أحدهم على المهدي وكان عاتبا على قوم ، وأراد أن يغزوهم ـ فقال له : يا أمير المؤمنين ، عليك بالعفو عن الذنب ، والتجاوز عن المسئ ، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة ، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف .

### تضرع ودعاء

اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بحفظك الذي لا يرام ، ولا أهلك وأنت رجائي ، فكم من نعمة أنعمتها علي قل لك عندها شكري فلم تحرمني ، وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبري فلم تخذلني .

## مثل صاحب القرآن

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت » . رواه مسلم .

### كن مع الله

قال أبو العيناء : قلت لأحمد بن أبي دواد : إن قوما تظافروا علي ، قال : **( يد الله فوق أيديهم )** . قلت : إنهم عدد وأنا واحد ، قال : **( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله )** . قلت : إن للقوم مكرا ، قال : **( ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله )** .

### وتتكلم أيضا ؟

بلغ هشام بن عبد الملك عن رجل كلام غليظ ، فأحضره ، فلما وقف بين يديه جعل يتكلم ، فقال له هشام : وتتكلم أيضا ؟ فقال الرجل : يقول الله عز وجل : **( يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها )** فنجادل الله تعالى جدالا ولا نكلمك كلاما ؟ فقال هشام : ويحك ! تكلم بحاجتك .

### إذا لا أبالي

دخل ابن السماك على محمد بن سليمان فرآه معرضا عنه ، فقال له : ما لي أرى الأمير كالعاتب علي ؟ قال : ذلك لشئ بلغني عنك كرهته .
قال : إذا لا أبالي ، قال : ولم ؟ قال : لأنه إذا كان ذنبا غفرته ، وإن كان باطلا لم تقبله .

# مدرسة الأزواج

## الحلقة الأخيرة

للأستاذ / محمد محمد حلاوة

**الزواج شركة** إذا أريد إنشاء شركة ما بين اثنين أو أكثر ، فاننا نلحظ اهتماما غير عادى ، ونشاطا في كل اتجاه ، وحركة دائبة لا تتوقف ولا تنى : دراسات ، وأبحاثا ، وتخطيطا ، واجتماعات ، وحسابات ، ... الى آخره ، اذ لا بد من اتفاق الشركاء على كل صغيرة وكبيرة ، وتوفير كل ما يلزم للشركة من مال وغيره ، ووضع الشروط التى يلتزم بها جميع الأطراف ، وتضمن لها النجاح والسلامة والنمو ، ولا بد كذلك من أن يحسب للمستقبل ـ بكل احتمالاته ـ حسابه الدقيق حتى لا تتعرض الشركة للافلاس أو الضياع .

والزواج لايعدو أن يكون شركة بين طرفين : رجل وامرأة ، ولكنه يتميز عن الشركات جميعا ، فهو شركة البناء والتعمير وصنع الحياة . يقول الله سبحانه وتعالى :( **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** )سورة النساء الآية الأولى ، وهو شركة السكن والراحة . قال تعالى :( **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة**

**ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون )**الآية ٢١ من سورة الروم . انه شركة رأسمالها التعاون ، وأدواتها المودة والرحمة ، والصبر والصدق ، والأمانة والبر ، والوفاء والايثار ، وإنتاجها استقرار النفس ، وهدوء البال . أما صمام الأمن فيها فدين محكم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وضع لها من الأحكام والضمانات ما يحقق لها كل خير ، ويجنبها كل سوء ، بدءا من مرحلة الاختيار إلى ما بعد الانفصال ، خطبة ، وصداقا ، وعشرة ، ورعاية ، وقوامة ، وسعيا ونفقة ..... الى آخر ذلك مما فصلته كتب السنه والفقه .

ومع هذا كله فلم يحظ الزواج منا بالرعاية الحقة ، وانحرفنا به عن الجادة ، فاعتنينا بالمظهر ، وأهملنا الجوهر ، وسيطرت علينا المادة ، فأغفلنا كل ما هو روحى وإنسانى ..... الزوجة ما حظها من المال والجمال !!!والزوج من هو ؟ !! ، وما يملك ؟ !!! ، والصداق كم يكون ؟ !! ، والأثاث ماذا يحوى من كماليات !! و .... ، و .... الى آخر ذلك مما يضيق به المجال . أما الأسس التى تبنى البيت السعيد ، وأما الدين والفضل ، وأما الحجا والآداب فأشياء على الهامش ، وليس لها فى تقدير الكثيرين حساب !!!

## آفات الحياة الزوجية

تتعرض الحياة الزوجية لآفات مختلفة أولاها وأخطرها **عدم التفهم الكامل الواعى لطبيعة الحياة الزوجية وأعبائها .**

فمن الأزواج من يتسلط عليهم الجنس ، فينساقون اليه كالحيوان بكل نهم ، ويلهبونه بما شاءوا من كل خبيث ــ وغير خبيث أيضا ــ وما دروا أنهم بذلك ينتحرون ، والى الهاوية يسرعون !! واسألوا السموم المختلفة من مسكرات ومخدرات وغيرها كم ضيعت من أموال ، وخربت من أسر ، وجنت على أبرياء !!! وفتشوا فى قواميس البشرية كلها كيف كان هؤلاء من إنسانيتهم وآدميتهم ، وكم وكم اجترحوا فى حق أنفسهم ، وذويهم ، وأوطانهم !!! ، ثم احنوا رءوسكم معى بعد ذلك رهبة ، وإجلالا لموقف الاسلام من هذه الموبقات ، حفاظا على الحياة ، وعلى موطن التكريم فى الانسان العقل الذى كرم الله به بنى آدم .

حتى هؤلاء الذين لا يتناولون هذه الخبائث ، وينكبون على الجنس دون حساب ، اسألوهم كم عمرت بيوتهم ، وتتبعوهم بعد قليل من سنى زواجهم تروا أجساما معتلة ، وعقولا مختلة ، وعزائم منحلة ، وحياة حط عليها الذل والشقاء !!!

وقد آن الأوان لحكامنا المسلمين الذين حاربوا هذه السموم بكل ما

يستطيعون ، وسنوا العقوبات الرادعة لمدمنيها ، ومهربيها ، والمتجرين فيها ـ أقول قد آن لهم الأوان ان يحاربوا ـ دون هوادة ، وبكل حزم وصدق ـ كتب الجنس ، وأفلامه ، وصوره ، فهى أكثر فتكا ، وأشد خطرا مهما تعلل المتعللون .

**ما أردت بهذا أن أهاجم الجنس ، أو أقلل من أهميته فى الحياة الزوجية ، إنما أردت الا يتسلط الجنس على الناس بصورة تفسد عليهم حاضرهم ، وتهددهم فى مستقبلهم ، وتصرفهم عن هدفهم الأسمى فى هذه الحياة .**

ومن الأزواج من يعتقدون أن الحياة الزوجية هى« الجنة الموعودة » ،وأن طريقها مفروشة بالورود والرياحين ، خالية من الهموم والمتاعب ،

ولقد أخطأوا ، وأساءوا التقدير ، فالحياة الزوجية فى حقيقتها بيت وأولاد ، وأسرة ، ورغبات ، ومطالب ، ونصب ، وعرق ، وكفاح ، ورعاية ، وتوجيه ،وتهذيب وإصلاح ، ... وباختصار دنيا جديدة كلها أعباء ، ومسئوليات .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كلكم راع ومسئول عن رعيته . الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ، ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى بيت سيده ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته » رواه البخاري ومسلم .

وهناك فئة من الأزواج تجاوزوا الحد ، وخلطوا بين الحق والواجب ، ولم يميزوا الخبيث من الطيب ، فاستبد الرجل بالمرأة ، واستخفت المرأة بالرجل ،وأهملت المرأة فى واجباتها ، وتهاون الرجل فى واجبه ، وفعل الرجل ما ليس حقا له ، وتمادت المرأة فطالبت مساواتها بالرجل فى كل شىء ، حتى لقد سمعنا ونسمع من ذلك ما يضحك ويبكى معا !!! لماذا يسمح للرجل بالسهر خارج المنزل ولا يسمح للمرأة !! لماذا لا تعمل المرأة فى جميع المجالات كما يعمل الرجل !!! لماذا تكون له القوامة من دونها !!!

مهاترات ومغالطات تشقى بها بيوتنا ومجتمعاتنا ، علما بأن الحياة الزوجية الصحيحة هى المدرسة العملية لبيان الحقوق والواجبات ، وتربية الخلق والسلوك ، والتأكيد على الحق والخير والجمال .... وما العلاقة الزوجية حتى فى أخفى أسرارها الا الأمانة ، والعفة ، والفضيلة ، والجمال فى أدق معانيها ، وما الوفاء بالمسئولية فى حقيقته الا القوة والعزة والكرامة لوفقه الجاهلون .

وثمة فئة أخرى من الأزواج لم يتمكن الايمان من قلوبهم أرادوا الحياة

ـ كما تصوروها ـ عسلا دائما ، وصفوا خالصا ، فاذا حلت بهم كارثة ، أو ألم بهم مكروه أصابهم الجزع والسخط ـ معاذ الله ، واستبد بهم اليأس ، وخيم عليهم البؤس . وقد فاتهم أن الحياة ليست

نعيما مقيما ، ولا هناء متصلا ، ولا سعادة دائمة ، وإنما هى مزيج من نعيم وبؤس ، وسعادة وشقاء ، وصفو وكدر ، كما فاتهم أن الحياة الزوجية تعاون بين الرجل والمرأة يتقاسمان حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، فى الشدة وفى الرخاء ، فى العسر وفى اليسر ، فى المرض وفى الصحة .

وتلك هى الحياة التى يبتلى بها الله عباده المؤمنين ،وهى التى خلقت الرواد والقادة ، وصنعت القدوة من الامهات والرجال فى الشكر ، والصبر ،والصدق ، والوفاء ، ونكران الذات .

وثانية الآفات الزوجية **عدم التكافؤ بين الزوجين**

والتكافؤ المطلق لا يعنينا ، لأنه لايتحقق ، وعدم التكافؤ أصلا يأباه العرف ، والعادة ، ولايقره الدين ، وإذا حدث كان فلتة . أما التكافؤ النسبي فهو نوعان :

تكافؤ نسبى مقبول يكون الفارق فيه بين الرجل والمرأة محدودا ، وغير كبير ، وهو التكافؤ الصحيح المنشود الذى أقره العرف والعقل والدين ، وبه تتحقق الأسرة السعيدة .

النوع الثانى تكافؤ نسبي غير مقبول يكون الفارق فيه بين الرجل والمرأة كبيرا ، وغير محدود ، وهو آفة خطيرة تهدد مستقبل العلاقات الزوجية ، وتسبب خلافات ، ومشكلات لا تنتهى .

ويمكنك أن تتتبع بيوتا اختلفت فيها الثقافة ، أو السن ، أو المال ، أو البيئة بين الزوجين اختلافا بينا فستجد وجوها شاحبة ، وعقولا شاردة ، ونفوسا يسيطر عليها الحذر ، والتوجس ، والقلق ، والريبة ، ويحدق بها الهم والضيق والكآبة ، وتمزقها المعاناة ، ثم تعقب أخبار هذه البيوت لتعلم الى أى مدى كانت جناية المال والجمال والجاه والعاطفة الهوجاء !!!

ومع ذلك فقد تسعد بعض هذه الزيجات ، إما لعامل إنسانى ، أو لمقدرة عالية فى احد الزوجين على التعويض فى نواح أخرى تعويضا يكافئ ويرضى .

والآن يمكن لأى زوجين متكافئين أن يبدآ حياتهما فى ثقة إذا التزما بما يلى : —

- تخلصا من سيطرة الجنس .
- فهما الحياة الزوجية على أنها أعباء ومسئوليات .
- التزما بحدود الله .
- وطنا أنفسهما على تحمل المكاره ، والرضا بقضاء الله .

ولا يبقى بعد ذلك الا الآفة الأخيرة ، وهى **عدم فهم كل من الزوجين للآخر فهما سليما** ،وعلاج هذه الآفة يحتاج الى وقت ، وجهد ، وصبر ، وحكمة ،

---

غريبان يعيشان — لأول مره — تحت سقف بيت واحد بطباع مختلفة ، وأهواء متباينة ، وعادات ، واتجاهات تقترب حينا ، وتبتعد أحيانا فى الطعام والشراب كما وكيفية ومذاقا ، وفى الحديث أسلوبا وفكرة

وأداء ، وفى العاطفة عنفـا ورقـة واتزانا ، وفى المعاملة ، وفى الادراك ، وفى التصرف ... ، وفى كل شئ تقريبا ـ أقول غريبان بهذا الوضع ماذا يطلب منهما ؟ يطلب أن يكمل كل منهما الآخـر ، وأن يصبحـا يدا واحـدة ، وقلبـا واحـدا ، وفكـرا واحدا ، وإحساسا واحـدا ، وأن يعملا لهدف واحد هو : تأسيس حياة زوجية سعيدة ، ولا يتأتى هذا الا اذا فهم كل من الزوجين صاحبه فهما سليما ، وذلك يقتضى :

أولا : أن يعرف الرجل ما تريده المرأة منه ، وأن تعرف المرأة مايريده الرجل منها .

## مايريده الرجل من المرأة ؟

يريد الرجل من المرأة أن تسمع له وأن تطيع ، وهذا حق الرجل الذى لا جدال فيه ، وما من فتاة تزف الى زوجها الا وهى تعلم ذلك ، وتحرص على تنفيذه بكل جوارحها ، وما أسرع المرأة اليه وأسعدها به إذا وجدت من الرجل صدرا حانيا ، وبسمـة راضيـة ، وليس الأمر سهـلا كمـا يبـدو ، فموضوع السمع والطاعـة خطـير وجليـل ، وتطبيقـه يحتـاج علمـا وحكمة ، وحظ الأزواج من ذلك ناقص وقليل .

ولذلك ليس عجيبا إذا وجدنا من الرجال من استخدموا هذا الحـق استخداما سيئا ، فكلفوا المرأة ما ليس فى طبعها ، أومن شئونها ، أو فى مقدورها ، ووجدنا من النساء من تأبـين على الطاعـة ، ومـردن على العصيان فامتلأت بيوت هؤلاء وأولئك بالشقاق ، والخلاف .

ويريد الرجل من المرأة أن تهيئ له طعامه وشرابه وراحته ، والزوجـة الواعية هى التى تسخر حواسهـا جميعا منذ اللحظة الأولى لتعرف ما يشتهى زوجها من أنواع الطعام ، وألوانه ، وأى نوع ولون يفضـل ، وطريقـة إعـداده ، وتقديمـه ، وموعده ، ولن يعجزها أبدا أن توفق بين هواه وهواها ، بل هى قادرة أن تحبب اليه ما لم يألفه .

ولن يدل على حذق المرأة وذوقهـا ومدى إحساسها بالجمال أكثر من وسيلتها فى تهيئة الراحـة للرجـل مكانا ، وزمانا ، وهدوءا .

ويريد الرجل من المرأة أن تحافظ عليه فى نفسها ، وفى ماله ، وما شرع الزواج إلا لصون العفاف والطهر ، وعفـاف المرأة رأسمالهـا ، وهـى أحرص ما تكون عليه ، ولا عذر لها أبدا إن هي تهاونت فيه .

وإذا كانت المرأة مسئولة عن ذلك مرة فالرجل مسئول عنه مرات . لقد أصبحت الزوجة فى بيته ، وحبست نفسها عليه وعلى راحته ، ووقفـت وقتها وجهدهـا لخدمتـه ، تسمـع فتلبى ، وتؤمر فتطيع ، منزلها هو مملكتها الذى يأويهـا ويسترهـا ، ورجلها هو فارسها الذى يقوم عليها ويحميها ، فلم إذا تنحرف ؟ اسألوا أنفسكم أيها الرجال ....

وإذا كانت المرأة مسئولة عن مال الرجل أيضـا ، فالرجـل لايقـل

مسئولية عنها فى ذلك : المال ماله ، والاذن له ، والرقابة عليه ، فكيف اذا تمتد يدها أو تفكيرها اليه ؟
وسلوا أنفسكم مرة أخرى أيها الرجال !!
وما أظن امرأة يرعى الرجل حرمتها ، ويصون حقها ، ويشبع رغباتها العادلة تسول لها نفسها يوما أن تخونه فى ماله أو فى نفسها .

**ماتريد المرأة من الرجل ؟**

**اولا :**

تريد المرأة من الرجل أن يكفيها حاجاتها ، وحاجات المنزل ، وعلى الزوج منذ اليوم الأول أن يتفهم جيدا حقوق الزوجة ورغباتها كاملة ، حتى لا يؤذيها أو يظلمها ، وأن يتعرف متطلبات البيت جميعها صغيرها وكبيرها ، وأن يتم التفاهم والاتفاق بينه وبين زوجته في كل هذه الشئون بالحق والعدل .

واذا قرت عين المرأة ، وشعرت بالأمان فستكفيها الكسرة ، وإذا نعم الرجل ، وشعر باخلاص المرأة فلن يضن عليها بما تشاء . وتريد المرأة من الرجل ، معاملتها بالمعروف وبالحسنى ، والمعاملة هنا على إطلاقها ، والمعروف لا حد له ، وليت الرجال فهموا ذلك ففعلوه ، ولو أنهم فعلوا لسعدت البيوت ، واختفى منها أكثر المشكلات .

**ثانيا :** هذا الفهم ليس هدفا فى ذاته ، ولكنه وسيلة لتطبيق أحكام الله وحدوده .

**ثالثا :** على كل من الزوجين أن يعمل لارضاء الآخر وفق هذه الحدود والأحكام

**رابعا :** على كل منهما أن يأخذ بيد صاحبه إذا وجد فيه خطأ ، أو قصورا ، أو شططا بالحسنى وبالمعروف ليتم التلاقى المنشود .

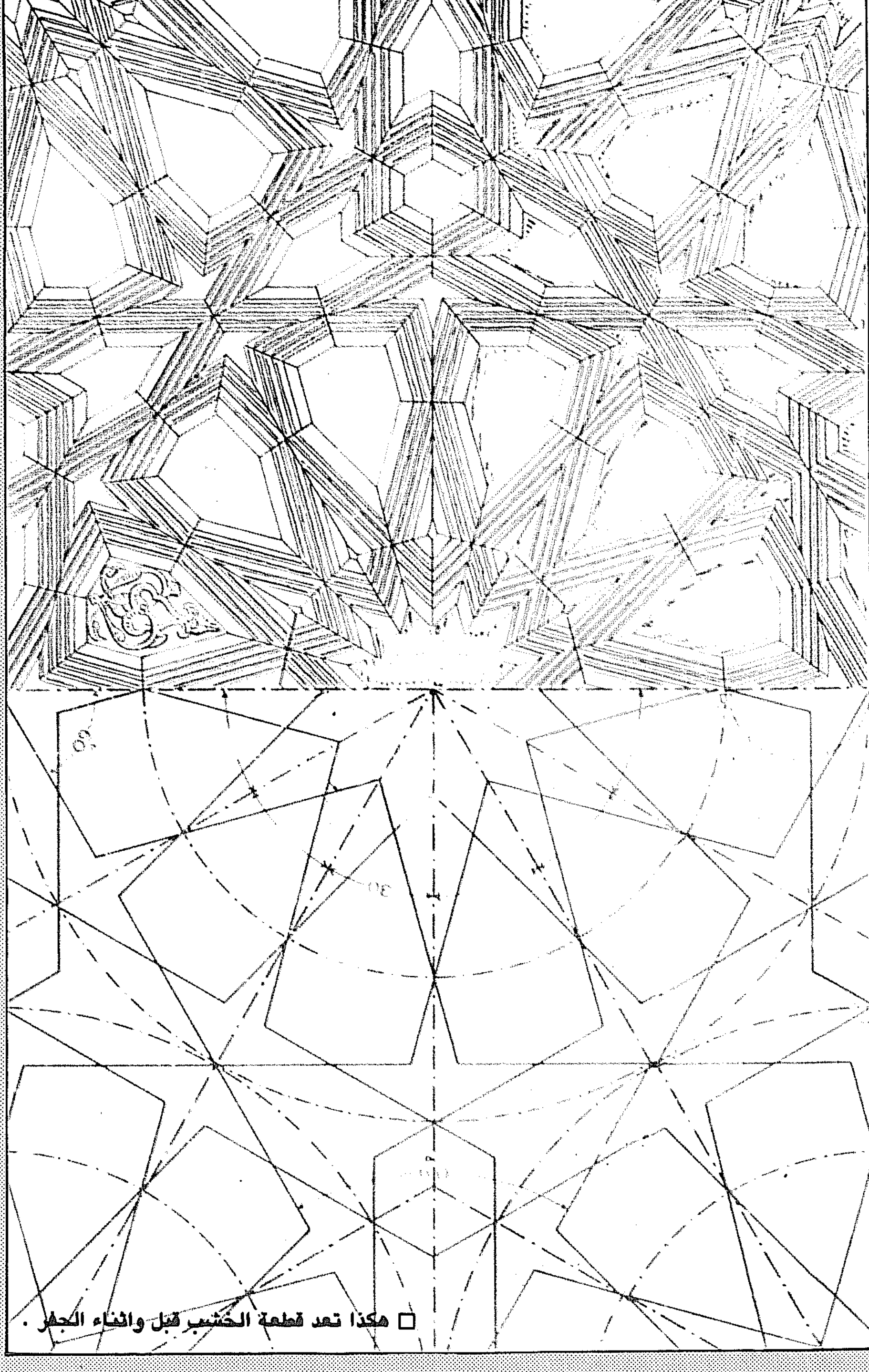
**خامسا :** أن يبتعد كل عن الاستعلاء ، وحب السيطرة ، فليس هنا سيد ومسود ، بل تعاون وعمل مشترك يتجلى فيه الاخلاص والتفانى ونكران الذات .

**وسيلة معطلة**

إن الحديث أعظم وسيلة للفهم والتفاهم قد عطلت أو كادت بين الأزواج ، فكم من الوقت يتحدث الزوجان معا كل يوم ، وما الموضوعات التي يتناولانها ؟ قد لا يحدث ، واذا حدث ففي موضوع تافه ،أو فى شقاق وخلاف .. وليتكم أيها الأزواج تعلمون سمر الحديث ومتعته وأثره .

إن السنة الأولى من الزواج هى الأساس العملى للحياة الزوجية ، فان كانت سليمة وقوية . سلمت وبقيت ، وإن كانت مختلة واهية وهنت وتصدعت ، بها يتقرر مصير الزوجين فاما سعادة دائمة ، وإما شقاء متصل .

أيها الأزواج حاولوا جادين مخلصين فى السنة الأولى من الزواج فعلى قدر محاولاتكم يكون نجاحكم وتوفيقكم ، والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم .



□ هكذا تعد قطعة الخشب قبل وأثناء الحفر .

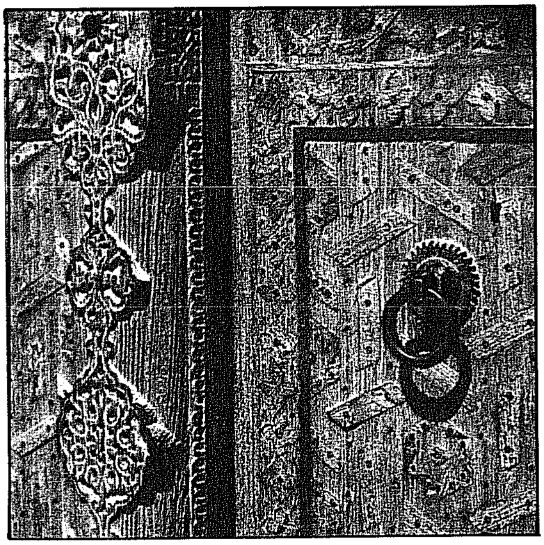
# فن زخرفة الأخشاب عند المسلمين

للاستاذ عبد الغني محمد عبد الله

أبدع الصناع والفنانون المسلمون في صناعة التحف من الخشب . شأنهم في ذلك،يسير موازيا للابداع الذي مارسوه في الميادين الفنية الأخرى . مثل ما نراه من خلال الجهد الاسلامي الفني على المعادن والنسيج وعلى العاج والعظم .. وما خلدوه لنا في العمارة الاسلامية بأنواعها المختلفة وميادين أخرى كثيرة ومتعددة .

وصناعة التحف الخشبية ــ التي تعتبر الآن أثرية ــ عند المسلمين من العلامات البارزة في فنونهم . وحقيقة أن هذا الميدان قد حظى بنصيب عظيم من الجهد والابداع الفني . وخليق بنا أن نهتم بما خلفه لنا الأجداد ولو بوقفة . نرى وندرس ونحلل مقرنين ذلك بالتأريخ الفني لهم وسنجد أن ذلك يسير سيرا معتدلا مع حوادث التأريخ الاسلامي السياسية .. فمثلا عندما تتأكد سلطة الدولة الاسلامية وتتدعم نجد أن مردود ذلك على الفن الاسلامي كان واضحا وجليا . في استقرار الفنون وتطورها وتقدمها . وانفرادها بأسلوب إسلامي فريد وخاص بالمسلمين .

ولم يكن غريبا أن يزدهر الحفر على الخشب في الدولة الاسلامية . بل وأكثر من ذلك يعطي هذا الازدهار إشعاعات قوية تؤثر على الفنون



□ ابواب خشبية
ذات تفاصيل فنية .

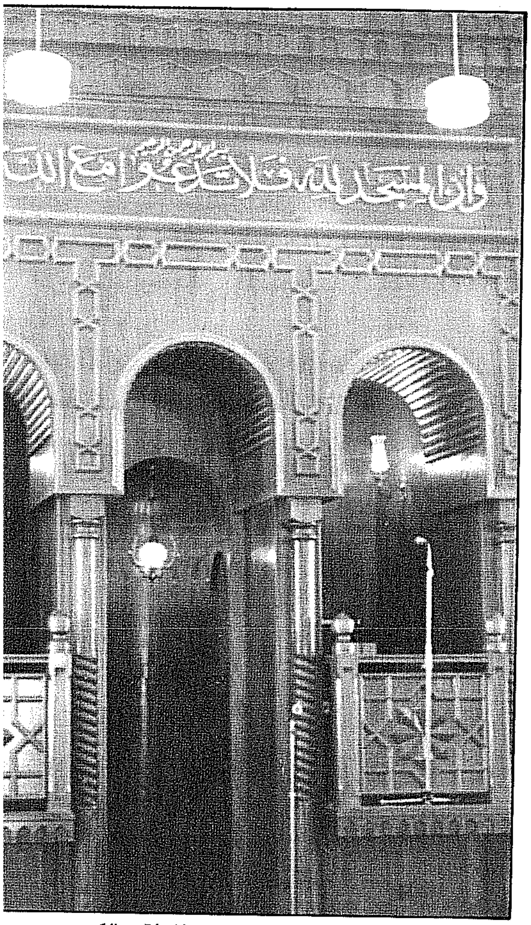
العالمية الأخرى . على مر التاريخ . وإلى اليوم .

وقد ازدهر هذا الفن في الأمصار الاسلامية التي تشتهر بالأخشاب الجيدة .. وتلك التي لم تشتهر بها ، فمثلا وجدنا في مصر وهي ليست ذات شهرة فائقة في إنتاج الخشب ولا سيما ذلك النوع الذي يستعمل لتصنيعه محفورا ومزخرفا وفي الأعمال التي تتطلب المتانة ودقة الصنع . إذ من المعروف أن وادي النيل يتوفر فيه أنواع من الخشب لا تصلح إلا لأعمال النجارة البسيطة مثل عمل الكراسي والأسوار الخشبية أو عمل أعتاب للأبواب أو الشبابيك . أو أوتاد للخيام .. الخ وهذا يتم الحصول عليه من أشجار السنط والنبق والزيتون والسرو والجميز . ولما كان الحال كذلك في مصر . فان الأعمال الفنية على الخشب في مصر اعتمدت بدرجة كبيرة على أنواع جيدة تم جلبها من بلاد أخرى بطريق الاستيراد فكانوا يحصلون على خشب الأرز من آسيا الصغرى والشام . وخشب الساج من بلاد الهند . ومن السودان جلبوا خشب الأبنوس . وهذا يفسر لنا السبب الذي من أجله كانت المحاولات المتعددة والجادة من جانب الدولة الفاطمية لزراعة الغابات رغبة في توفير أنواع جيدة من الخشب . صحيح لم يكن قصد الفاطميين . تقديم مادة أولية جيدة للفنانين والصناع لزخرفتها . ولكن من أجل توفير الأخشاب اللازمة للأعمال الحربية مثل بناء السفن والأبراج والمجانيق والعربات واستكمال المعدات الحربية لجيوشهم من أجل بناء جيش قوي . والصانع الفنان بطبيعته كان وراء صناعة الآلة الحربية يلتقط كل ما تلفظها هذه

الصناعة ليبدع فيها بأزميله ومطارقه بزخرفة رائعة محفورة عليها بعد أن تأخذ الأشكال المناسبة . وظهر ذلك جليا بعد الدولة الفاطمية . في فترة الكفاح الاسلامي ضد الصليبيين . ولندرة قطع الأخشاب الطويلة نظرا لامتصاص الصناعات الحربية لكل الأطوال الخشبية . فنجد في العصر الأيوبي لجوء الصانع والفنان المزخرف على الأخشاب إلى استخدام أساليب وطرق جديدة في زخرفة الأخشاب فاستخدم خشب الخرط وتعشيق القطع الصغيرة مع بعضها واستخدام خشب الخرط وتجميعه .

والواقع أن عظمة الفنان والصانع المسلم في إنتاجه الخشبي بقيت خالدة فيما خلفه لنا من روائع هى بلا شك دليل تفوقه وتحتفظ لنا المتاحف في القاهرة ( متحف الفن الاسلامي ) وفي استانبول ( متحف طوبقا بوسراى ) ـ أكبر مجمعين للفنون الاسلامية . وفي المتاحف الأخرى في دمشق وبغداد والمتاحف العالمية الأخرى . تحتفظ لنا هذه المتاحف بثروة طائلة من الأعمال الخشبية التي تم إنتاجها على مر العصور الاسلامية بمدارسها الفنية المختلفة .

ولعل أكبر كمية من الأخشاب عثر عليها من حفريات الفسطاط وعين الصيرة بمصر . وهى مازالت ـ في أغلبها ـ بحالة جيدة . تدلنا على تاريخ صناعتها بنفسها بما عليها من كتابات أو أساليب زخرفية أو



□ منبر ومحراب مسجد مريم خليفة بالكويت وهما من الخشب المحفور وقد برزت الزخرفة الاسلامية حول الاعمدة والمقرنصات الخشبية .

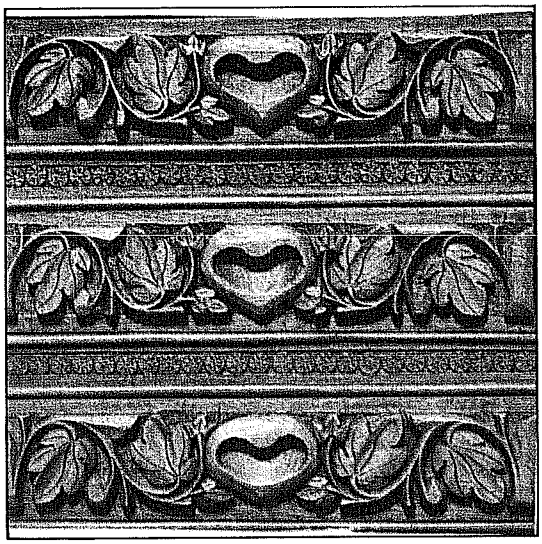
باعادتها إلى المنشآت التي استخدمت فيها وترجع إلى تاريخ معلوم .

وبرغم تواجد هذه الكمية الكبيرة من الأخشاب الأثرية إلا أنه من المؤسف حقا أن كميات كبيرة من هذه التحف قد ضاعت على مر العصور ، إما بالفقد ، وإما بالتلف ، نتيجة لرحلتها مع الزمن أو بسبب عوامل

خارجية كالحريق مثلا . فالخشب مادة قابلة للتلف والفناء السريع بسبب النيران ذاتها أو عند محاولة إطفائها وما يصيب هذه المادة من تشبع بالمياه أو تكسير . فلا يكاد يشب حريق صغير حتى تصبح هذه القطع الخشبية الجافة ـ مع الزمن ـ وقودا . تلتهمها النيران بسرعة كبيرة أما في خلال الحروب والقلاقل واضطراب الأمن . فان الخسائر المادية ضخمة ومن بين هذه الخسائر تكون الأخشاب . الوقود الصالح للتدمير والحريق . مما أصاب الفنون الاسلامية في كنزها الهائل من الأخشاب بضرر بليغ نتيجة للسرقة والاتلاف والحريق والتخريب والتدمير .

ولعل ذلك كان وراء الفراغ الكبير في المنتجات الفنية الاسلامية على وجه العموم في العراق وايران . وهما البلدان اللذان تعرضا لجحافل الغزو المغولي المدمر واكتساحهم المعروف للشرق الاسلامي وتكفلت الحروب والقلاقل في الشام بوجود فراغ فني آخر هناك . وكان الأسف شديدا على ما ضاع في الفسطاط عند حرقها خلال الصراع بين شاور وضرغام .

ومما يسبب قلة التحف الخشبية هو عدم وجود الأصناف الجيدة من الخشب . الأمر الذي كان يدعو البعض إلى انتزاع بعض الأخشاب من مباني قديمة وإعادة تكييفها وتحوير زخارفها لتتطابق في استخدامها مع مبنى آخر جديد .. الأمر الذي يختلف مع أسلوب التحفة



□ حفر عميق على الخشب .

الفني وعصرها ومدرستها الفنية مما يضع الباحث في حيرة شديدة من أمره عند التأريخ الفني للمبنى الذي وقع بين يديه إذ يجد تحفا ذات أساليب فنية مختلفة تماما عن أساليب عصر هذا المبنى موضوع البحث . ولعل أكبر مثال لهذا الشيء هو ما أثبتته الأبحاث عن بيمارستان قلاوون ( ضمن مجموعة قلاوون بشارع المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة . وقد زال هذا البيمارستان الآن ) . فقد تم العثور على بعض الأخشاب التي لا تمت فنيا في زخارفها الى العصر المملوكي بصلة . ولكن أساليبها الفنية تعود إلى العصر الفاطمي . وبعد أبحاث طويلة تم التأكد بأن هذه الألواح الخشبية التي اشتهرت باسم ألواح قلاوون . ما هى إلا أجزاء من القصر الفاطمي الغربي . وهى تمثل ثروة زخرفية هائلة ومحفوظة بعناية



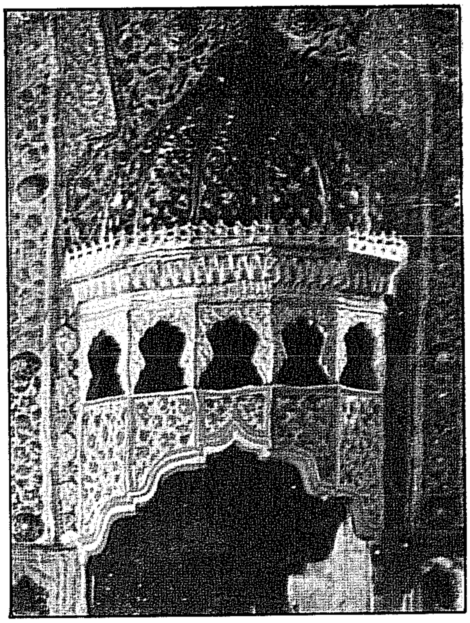
□ تفاصيل زخرفية نباتية مماثلة للطبيعة على احد المنابر .

الآن في متحف الفن الاسلامي .
ولعله من المفيد القول بأن بعض الوزرات الخشبية المزخرفة والألواح وباطنية الأسقف والعقود الموجودة للآن في مكانها في كثير من العمائر الاسلامية . والدينية خاصة . لعلها تعتبر بحق متاحف حية شاهدة على عظمة هذا الفن عند المسلمين .
ومعظم التحف الخشبية التي حصلت عليها المتاحف . أو تلك التي مازالت تؤدي دورها للآن في العمائر الاسلامية ( المساجد والدور الباقية ) . هى من تلك الأنواع الثابتة . والمتصلة بالمباني مثلما استخدم في مصاريع الأبواب والنوافذ ودواليب الحوائط وجوانبها واطاراتها وأبوابها أو باطنية العقود أو السقوف . والكوابيل الحاملة . والروابط الخشبية بين العقود ( مثل روابط قبة الصخرة ) والازارات والمنابر ( منبر صلاح الدين في القدس الذي أحرقه الصهاينة ـ منبر مدينة قوص ) والمحاريب المنقولة ( محراب السيدة نفيسة والسيدة رقية ) . والقباب الخشبية ( قبة المسجد الأموي القديمة ) . والأشرطة الكتابية الخشبية أو الزخرفية ( مثل ألواح قلاوون ) .
أما قطع الأثاثات المنزلية فهذه نادرا ما وصلت إلينا .. وما وصل إلينا منها قليل . بعض الكراسي من تلك الأنواع التي تستخدم في المنازل وهذا بدوره قلل لدينا المعلومات التاريخية عن الحياة الاجتماعية والمدنية داخل البيوت . وأساليب الحياة المنزلية في بعض الفترات التاريخية للدولة الاسلامية كدولة واحدة أو دويلات .
ولربما تعطينا التصاوير المختلفة للأثاث المنزلي اذا ما تم بحثها بعناية أكثر . لربما تعطينا هذه التصاوير الكثير من المعلومات التي تسد بعض الفراغ في هذه المعلومات المفروض توفرها ضمن تأريخنا للحياة الاجتماعية . ولساعدت أيضا في سد الثغرات الموجودة في تاريخ قطع الأثاث المنزلي المستخدم في الدور الاسلامية .
والزخرفة على الأخشاب تطورت في ظل الاسلام تطورا مسايرا للدول الاسلامية المختلفة وفي نفس الوقت متأثرا بالأسلوب الفني المعاصر لكل دولة .

## الزخرفة على الخشب في العصر الأموى :

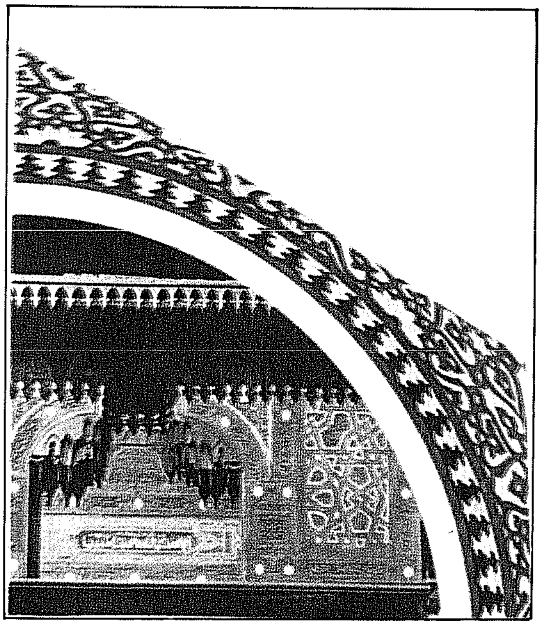
وهذه الفترة محكومة زمنيا فيما بين عامي ٦٦١م الى ٧٥٠م ومكانيا بالأراضي التي تسيطر عليها الدولة الأموية . ونظرا لأن هذه الدولة قامت أساسا بالشام وامتدت سيطرتها الى أقاليم مختلفة تشمل شبه الجزيرة العربية ومصر وشمال افريقيا والأندلس وفارس وبلاد السند وما وراء النهر فضلا عن العراق وبعض جزر البحر المتوسط . فان الاشعاعات الفنية التي انطلقت إلى العالم الاسلامي في ذلك الوقت كانت متأثرة الى حد كبير بالأساليب الفنية الشائعة بهذه الجهات ومتأثرة إلى حد ما بالأثر السياسي الأموي القادم من بلاد الشام ــ وبلاد الشام متأثرة بأساليب فنية بيزنطية . ولذلك لم يكن غريبا أن تكون الأعمال الفنية في زخرفة الأخشاب ــ شأنها في ذلك شأن الفنون الاسلامية في الميادين الأخرى ــ قد نقلت عناصره وأساليبه نقلا أمينا من الفن البيزنطي والهيلنستي إلى جانب عناصر أخرى ساسانية قادمة من العراق وفارس ، وقوطية قادمة من الأندلس . حيث من المعلوم أن الفن الاسلامي في هذه الفترة المبكرة كان مزيجا من تقاليد وعناصر وأساليب المدارس الفنية التي دخلت في نطاق الدولة الاسلامية . وهذا المزج لم يغير في التقاليد والعناصر كثيرا .

وتظهر في التحف الخشبية الأموية التأثيرات الساسانية والهيلنستية



□ مظلة نافذة من الخشب المحفور .

( تماما كما امتزجت في الفن البيزنطي ) ويتضح ذلك في طريقة الحفر نفسها فقد جاء هذا الحفر عميقا مما يظهر الكثير من الأرضيات في التحف . أما المواضيع فقد اتخذت أساسا من الطبيعة .. واتخذت وحدات زخرفية نباتية مثل عناقيد العنب . وورقة العنب ذات الخمسة فصوص ، وورقة البرسيم التي تحتوي على فصوص ثلاثة . والفروع النباتية الملتوية التي تحصر بينها عناصر زخرفية ( ذات أصول هيلنستية ) ومتطابقة مع زخارف عصر سابق لدرجة كبيرة مما يجعل لدى الباحث صعوبة في نسبتها إلى العصر الأموي ما لم تكن هناك كتابات يمكن الاستعانة بها لتأريخ التحفة وبخلاف ذلك يكون نسبة هذه



□ واجهة محل من الخشب المزخرف .

التحفة إلى العصر الأموي موضع شك كبير .

ومن أساليب العصر الأموي في زخرفة الأخشاب أسلوب التطعيم بقطع من السن والعظم والأبنوس وأنواع مختلفة من الخشب متفاوتة في الحجم وتلصق على سطح الخشب وهى تمثل نفس الأسلوب الزخرفي الذي يمتاز به هذا العصر .

## الخشب العباسي :

وقد يعرف أيضا بالخشب الطولوني وخاصة في مصر ولا شك أن ازار الخشب الموجود أسفل السقف . بأعلى الجدران وقد نقشت عليه الكتابات القرآنية بشكل بارز في خطوط كوفية ذات زوايا وليس على هذه الخطوط أي عنصر زخرفي .

واستخدم الخشب في هذا العصر لتسجيل الممتلكات ( عقود ملكية ) حيث نقش على ألواح الخشب ممتلكات الأفراد في عبارات ذات طابع قانوني ..

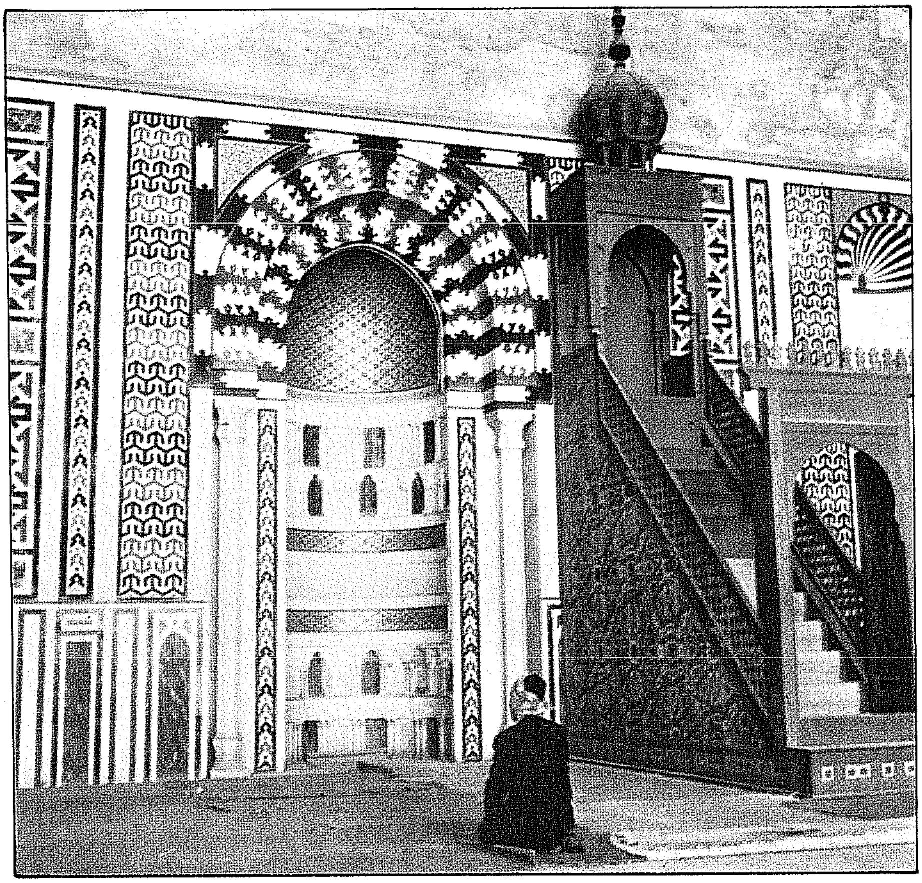
والخشب في هذا العصر بدأت الزخارف عليه تتجه إلى التجريد والتحوير عن الطبيعة والابتعاد عن تصوير ما خلقه الله سبحانه وتعالى .. حتى إنه في القرن الثالث الهجري وفي مدينة « سامراء » في العراق بدأت مظاهر طراز سامرا الثالث في الظهور بوضوح ( تحوير كامل عن الطبيعة ) على ألواح الخشب وعلى ألواح الجص .

## الخشب الفاطمي :

وقد بلغت الزخارف على الخشب الفاطمي درجة عظيمة من الرقي سواء في دقة صناعتها وجمال زخارفها وأهمية المناسبات التي صنعت فيها أو الأبنية التي ساهمت في إنشائها أو في زخرفتها .

ومجموعة الأخشاب الفاطمية موزعة على العصر الفاطمي كله في شمال افريقيا ومصر . وقت قوتهم وحال ضعفهم . ومنه ما صنع في صقلية وتأثر بالأساليب الفاطمية – باعتبار الفاطميين هم أقرب إسلاميا لصقلية ، ومنه ما ينتسب إلى بني زيرى حلفاء الفاطميين في شمال إفريقيا .

وتمتلئ المتاحف عامة ومتحف الفن الاسلامي بالقاهرة بصفة خاصة بمجموعة كبيرة من الخشب



□ المنبر من اهم الصناعات الخشبية الفنية الدقيقة .

الفاطمي في حالة جيدة من الحفظ وقد استخدم في حفر هذه الأخشاب كلا طريقتي الحفر ( الميل والعمق ) ونظرا لشيوع هذه الطريقة وجمالها ودقتها فقد انتشر في الكنائس القبطية في مصر . الأمر الذي يثير الدهشة فعلا . سواء في الكنيسة المعلقة أم كنيسة « الست بربارة » أم كنيسة « أبو سرجه » .

ويمكننا أن نقسم الخشب على فترات في العصر الفاطمي، الفترة الأولى منه تنتهي بعصر الحاكم بأمر الله سنة ١٠٢٠م والفترة الثانية هى فترة حكم الخلفاء الظاهر والمستنصر سنة ١٠٢٠م الى سنة ١٠٩٤م وهى فترة وصل فيها فن الحفر على الخشب أقصى ما بلغه في العصر الفاطمي، حيث ازدادت الدقة في الحفر والاتقان بلغ حد الروعة في نقش الفروع النباتية والأوراق واستخدام الحيوانات والطيور كعناصر زخرفية . ويقف على قمة هذه الفترة « مجموعة ألواح قلاوون » السابق الحديث عنها .

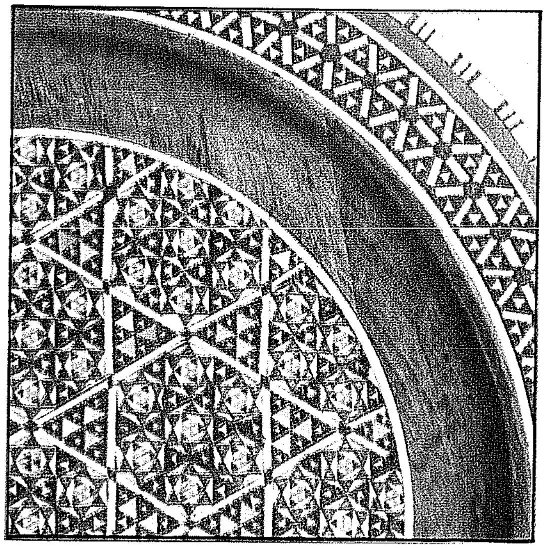
أما الفترة الثالثة من العصر

الفاطمي والتي تبدأ من عصر المستعلى سنة ١٠٩٤م فقد بدأ الفنان في زخرفة مساحات واسعة دون أن يكون وحدة زخرفية واحدة ومستمرة . حيث كان ذلك يتم بواسطة تجميع حشوات صغيرة كل حشوة تأخذ شكلا نجميا ذا زخرفة مستقلة من زخارف هندسية ونباتية غاية في الدقة ومماثلة للطبيعة بشكل جيد . كما أن الكتابات الكوفية بدأت في الاستدارة وبدأ ظهور الخط النسخي مع استخدام الطيور والحيوانات كعنصر زخرفي .

وعلى أي الأحوال فان الخشب الفاطمي قد بلغ مبلغا عظيما من الرقي ويساعد على فهم هذه المجموعات الرائعة منه والمنتشرة في المتاحف أنها جيدة الحفظ وعثر عليها في حالة ممتازة .

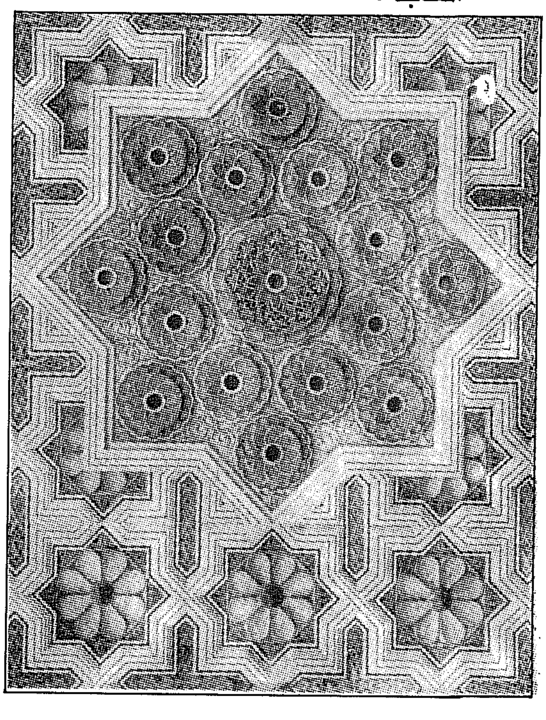
والحديث عن فن زخرفة الخشب عند المسلمين لا ينتهي . فروعته دفعت الكثير من علماء ومؤرخي الفنون ورجال الآثار إلى الحديث عنه وتصنيفه وفهم أسرار فنه . ميدان واحد يثبت عظمة أجدادنا وشموخ حضارتنا الاسلامية . ومرممو الآثار في كل أنحاء العالم الاسلامي ينكبون دوما على ترميم تلك القطع الرائعة التي فقدت أجزاء منها عبر رحلة الزمن أو تأثرت بألوان غريبة عنها .

وليس هو الخشب وحده ما نفخر ونعتز به .. ولكنه عنصر واحد من حضارة ضخمة .



□ زخرفة اسلامية حديثة بوحدات هندسية وتطعيم بالصدف .

□ حفر خشبي هندسي جميل على ابواب احد المساجد .



# مؤتمر الدعوة الإسلامية لجنوب شرقي آسيا



□ الحكمة والموعظة الحسنة مبدأ هام التزم به المسلمون وحث عليه الاسلام .

□ الكويت تشارك في المؤتمر انطلاقا من مبدأ حرصها على الدعوة الاسلامية .

□ رعاية أتباع الديانات الأخرى في مجتمع المسلمين منهج سار عليه المسلمون في كل عصر .

□ العمل على تقوية الدعاة ، وتدعيم المراكز الاسلامية لخدمة المسلمين .

ان الدعوة الاسلامية تتطلب قدرات خاصة ، وكفاءة عالية من الداعين اذ تهدف الدعوة أول ما تهدف الى بناء العقل الانساني ، وتأسيسه على العقيدة ، حتى يكون في منعة من سيطرة الملحدين وأهواء أصحاب الملل الضالة .

وحتى يكون صافي النفس ، قوى الارادة ، سليم العقيدة ، فلا شك أن هذا يحتاج الى مهارة من الداعي ، وحسن عطاء .

فقد دلت التجارب أن الانسان صعب المراس ، لهذا أوصى الاسلام بحسن الأداء ، والحكمة في العطاء ، وحسن الموعظة يقول الله سبحانه : ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ) .

وقد تعرض الاسلام في هذا العصر لهجمات شرسة ، وغزو مدمر أحكم ودبر بليل ، في دهاء وخبث ، وسوء طوية ، ويحسب المدبرون أنهم قد حققوا مآربهم . خابوا وخسروا فهيهات هيهات ، فقد حفظ الله دينه ، وحمى كتابه من التحريف : ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) .

أمام هذا الزحف هل استيقظ المسلمون من غفلتهم ، وأفاقوا من نومهم ، وأعدوا للامر عدته ، وحشدوا طاقاتهم ـ وما أكثرها ـ واعتصموا بحبل الله المتين ، ونبذوا الفرقة ، ووقفوا صفا واحدا في وجه التيارات الملحدة الحاقدة على الاسلام وأهله ، فان ذلك وحده هو الذي يدفع عنهم الخطر الداهم القادم من بعيد وكتاب ربنا يدعونا مؤكدا ذلك يقول الله سبحانه :

**( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ) .**
**ولقد فطن لذلك المخبتون الى ربهم ، فعبروا به القارات مبلغين مبشرين بالخير ، وكانوا مثلا رائعا ، ونماذج تقتدي ، فانجذب اليهم الناس جماعات ووحدانا عن رغبة وحب ، وأصبح هؤلاء من أشد المتمسكين به الداعين اليه ، يشهد على ذلك انتشار الاسلام في شتى البقاع دون قتال أو غزو .**
**ونحن في هذه العجالة أمام خريطة العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها تجتذبنا بقعة منه عزيزة في جنوب شرقي آسيا .**
**يحدثنا السيد الوكيل المساعد لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ / عبدالرحمن عبدالوهاب الفارس حيث كان هناك في دعوة لحضور مؤتمر الدعوة الاسلامية لجنوب شرقي آسيا ممثلا للكويت فيقول :**
ان المسلمين في تلك المناطق الاسلامية يحتاجون الى جهود مخلصة فقد لمست من خلال زيارتي لماليزيا ان المراكز الاسلامية والمعاهد والمساجد التي يقع عليها عبء الدعوة في كوالالمبور في حاجة ماسة الى العون المادي حتى تسير قدما دون تعثر .
والى العون العلمي حتى تستطيع أن تواصل رسالتها على أحسن وجه وأكمله .
ويؤكد سيادته أن ذلك راجع لسببين أولهما : غياب المدرس الكفء ، وثانيهما : عدم توفر الكتاب العربي . ومع وجود الرغبة الواضحة التي يبديها المسؤولون عن هذه المؤسسات بضرورة تقديم المساعدة حتى يتمكنوا من نشر اللغة العربية ، وهي الوسيلة المفضلة لفهم الاسلام وعلومه المختلفة ، والاستعداد يبدو واضحا على الطلبة المسلمين الراغبين في المعرفة حين يرددون الأناشيد الاسلامية باللغة العربية ، ويتلون القرآن الكريم بشكل جيد وواضح .
ويواصل السيد الوكيل حديثه فيقول :
ومع هذا فهناك حركة نشطة للشباب المسلم في ماليزيا لنشر الاسلام ، والدعوة الى التمسك به والتحلي بآدابه ، والاعتصام بمبادئه السامية ، فالمساجد لا تخلو منهم ، وكذلك دور التعليم ومراكز تحفيظ القرآن الكريم .
وعن المؤتمر يقول سعادته :
لقد حضر مؤتمر الدعوة الاسلامية في جنوب شرقي آسيا مندوبون عن ست عشرة دولة عربية واسلامية ، كما حضر بعض المراقبين من بلاد اسلامية أخرى .
وقد شكلت الوفود المشاركة أربع لجان :
- لجنة دور المسجد والتربية والاعلام في مجال التربية الاسلامية ، واعداد الدعاة المسلمين .
- لجنة مشاكل التحديات التي تواجه جهود الدعوة الاسلامية ونشاط الدعوة بين

الأقليات الاسلامية .

- لجنة تطوير وتنسيق أعمال الدعوة بين المؤسسات والمراكز الاسلامية القائمة .
- لجنة الاسلام والتغيرات العالمية وأثر نلك بالنسبة للمرأة .

ويقول سعادته وفي ختام المؤتمر صدرت عدة توصيات من أهمها :

- تشجيع التفاهم الأعمق المتبادل بين الجاليات الاسلامية التي تفصلها المسافات الشاسعة والاختلافات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الكبيرة .
- تنمية روح المساعدة والتعاون المتبادل بين الجاليات والمنظمات المسلمة .
- دعوة المسلمين الى الالتزام بمبدأ الدعوة في الاسلام والقيام بواجبها بالحكمة والموعظة الحسنة لتحقيق الانسجام والتفاهم والاحترام المتبادل بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى .
- يحض المؤتمر حكومات الدول التي يمثل المسلمون فيها أقلية على الاعتراف بالدور الفعال والمشاركة الايجابية للمسلمين فيها في تطوير وتحقيق التقدم للبلاد المختلفة ، وبناء عليه منحها كافة التسهيلات التي تمكنها من ممارسة شعائر دينها بسلام وانسجام .

وفي ضوء هذه التوصيات والحرص على خروجها الى حيز التنفيذ قرر المؤتمر :

- إنشاء مجلس اقليمي للدعوة الاسلامية في كوالالمبور لمنطقة جنوب شرقي آسيا والباسفيك لضمان تفاهم وتعاون وتنسيق أكثر فعالية وخاصة على صعيد الدعوة على مستوى المنطقة ودعم هذا التعاون .
- إنشاء معهد اقليمي لتدريب الدعاة مع الأخذ بعين الاعتبار الحاجات الجديدة للمؤمنين كجزء هام من نشاط الدعوة .

الى جانب القرارات الهامة الأخرى التي انصبت على الكثير من الجوانب ذات الفائدة التي تعود على المسلمين هناك .

**وعن النشاط الاسلامي في الهند يقول سيادته :**

لقد زرت عددا من المراكز الاسلامية والمساجد والمعاهد الدينية في مدينة بومبي ونيودلهي ، والتقيت ببعض القيادات الدينية النشطة ، واطلعت على نشاطهم الواسع في نشر الثقافة الاسلامية وحركة الدعوة الاسلامية في الهند ، ولقد تحلى الجميع بروح طيبة وتفهم للمسئولية الملقاة على عاتقهم ، وقد لاحظت حاجتهم الى الدعم المادي وحاجتهم الشديدة الى الكتب الاسلامية .

- وقام السيد الوكيل بزيارة لسيرلانكا ـ ضمن هذه الجولة ـ بدعوة لحضور

الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري .
يحدثنا سيادته فيقول :
شارك في هذا المؤتمر عدد كبير من العلماء والمفكرين الذين يمثلون خمسا وعشرين دولة وممثلون لبعض الأقليات الاسلامية .
وقد استمر الاحتفال على هذا النحو اربعة أيام بحثت أمور شتى تخص العالم الاسلامي وما يحيط به من مشكلات وطرح الدراسات والحلول لهذه المشاكل .
وقد أشاد بالنشاط الاسلامي ، وقال ان الاحصائيات التي قدمها المشاركون في هذا المؤتمر تبرز بوضوح مظاهر الاهتمام بالمعاهد والمدارس الاسلامية ، وكثرة المساجد ودور القرآن الكريم ، وانها لظاهرة جديرة بالاحترام والتقدير والتشجيع .

**وقد أسفرت الاجتماعات عن تشكيل اللجان التالية :**

- لجنة دعوة المسلمين للرجوع الى الشريعة الاسلامية والعلوم الاسلامية .
- لجنة النظر في الرقي الاقتصادي للمسلمين .
- لجنة النظر في مكانة المرأة المسلمة في المجتمع .
- لجنة النظر في مساهمة الأقليات المسلمة في تقدم وارتقاء الأمة كافة .

وفي ختام حديثه تمنى للمسلمين في هذه المناطق ، اليقظة التامة حتى لا يكونوا أداة سهلة تحركها الجماعات غير الاسلامية كيفما تشاء .
وأن يهتموا بالدعاة لأنهم الدعامة القوية للدعوة الناجحة ، وبذل العناية بالمساجد حتى تظل رسالة المسجد حية ويرتفع صوت المؤذن مناديا للصلاة .
وبعد : فما أحوج المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الى التمسك بالاسلام أسلوب عمل ومنهج حياة ، والتعاون على رفع مناره ، وسيادة تعاليمه بين الأمم .
وما أحوج البشرية اليه وهي تعاني من الاستغلال بلا رحمة والانحلال بلا وعي ، والضياع في متاهات شتى .
فصلاحية الاسلام ، وعالمية دعوته ، ودقة تشريعاته تبدو واضحة بلا خفاء ، ومن أحسن من الله قيلا .
فهل من مجيب ؟

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

**« إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن يقول من أبكى هذا اليتيم الذي واريت والديه تحت الثرى من أسكته فله الجنة » .**

**موضوع .**

قال الخطيب هذا الحديث منكر جدا فمن رواته موسى بن عيسى البغدادي وهو مجهول .
وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة نقلا عن أبي نعيم في الحلية إن في سنده من لا أعرفه ومن رواته الحسن بن أبي جعفر وهو منكر الحديث .
كما أن اليتيم قد أوصى الاسلام به ، وحبب الناس في رعايته وأجزل العطاء لمن يحسن اليه يقول الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : **( فأما اليتيم فلا تقهر )** وشدد النكير على من يظلمهم أو يعتدي على أموالهم بغير حق يقول الله سبحانه :**( إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا )** .
كما رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في كفالة اليتيم مؤكدا أن لهم من الله الثواب الجزيل فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما وهذا الحديث صحيح رواه البخاري وأبو داود والترمذي .
وما دام قد حظى اليتيم بهذه الرعاية في الاسلام مصداق ذلك مما أكده القرآن الكريم والسنة المطهرة فهو لا يحتاج الى مثل هذا النص الذي لم يحظ بثقة علماء الحديث ، ولم ينل مرتبة الصحيح من السنة لهذا لزم البيان والحكم على هذا القول ، وإيراد أسباب بطلانه .

# خلق الله الانسان

تتعرض بعض المواضيع في كتب علم الاجتماع ، وتاريخ النظم والشرائع ومبادئ تاريخ القانون لمباحث معينة ، قد تؤدي الى خلخلة في فكر الشباب .

ولمعالجة هذه الموضوعات والتعرض لمباحثها كان هذا البحث الذي أعد لايضاح أن التشريع السماوي لازم الانسان ، ولم يتخل عنه من بدء وجوده ، وقبل نزوله إلى الأرض ، ثم بعد نزوله إليها والعيش فيها ..

## المراحل التي مر بها الانسان الأول

بين القرآن الكريم ـ وهو الكتاب السماوي الذي نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ـ المراحل التي مر بها الانسان الأول ، في كثير من السور وموقف التشريع السماوي في كل مرحلة ، ليتضح منهج القرآن الكريم في توضيح حقيقة ثابتة ، وهي أن الله سبحانه وتعالى فضل الانسان وأرشده في كل مرحلة من مراحله ، ليثبت لبقية المخلوقات أفضليته ،

# الحلقة الأولى

للدكتور : محمد طموم

وإذا دققنا النظر في الآيات القرآنية التي تعرضت لهذا تبين لنا أن الانسان الأول مر بمراحل متعددة قبل نزوله الى الأرض ليعمرها ، ومن هذه المراحل ما يأتي :

١ ـ خلق الله الانسان .
٢ ـ إخبار الله بمهمة الانسان في الكون .
٣ ـ موقف الملائكة من الانسان .
٤ ـ تعليم الانسان لتأكيد أفضليته .
٥ ـ اقناع الملائكة بأفضلية الانسان .
٦ ـ طلب تسليم الملائكة بأفضلية الانسان .
٧ ـ إظهار العدو الأول والأكبر للانسان .
٨ ـ إسكان الأسرة الأولى .
٩ ـ صدور أول قانون للانسان .
١٠ ـ القانون الذي رآه آدم وعاشر تطبيقه على غيره .
١١ ـ الخروج على القانون وأثره .
١٢ ـ التحقيق مع العاصي الخارج عن القانون .
١٣ ـ الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس .
١٤ ـ إيقاع الجزاء ، الأحكام التي صدرت على إبليس ، والأحكام التي صدرت على الانسان .

أ ـ حكم ابتدائي .
ب ـ ما بدر من العصاة بعد الحكم الابتدائي .
حـ ـ الحكم النهائي مع الشمول بالنفاذ .
د ـ عناصر الحكم .

ثم بعد نزول الانسان الأول الى الأرض ليعيش فيها ويعمرها بأولاده وأحفاده وذريته ، مر بمراحل أخرى متعددة ، تختلف في طبيعتها عن المراحل التي مر بها قبل نزوله إلى الأرض ، حيث إن الأرض مقام تكليف وتعمير ومشقة ، فكانت لهذه المراحل ما يميزها ، وسنتكلم عليها بالتفصيل فيما بعد ، عند الوصول اليها في تتابع الأحداث حتى تكون المراحل متصلة ، ويكون الحديث عنها مرتبطا بها .

## خلق الله الانسان

قال الله تعالى : ( **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون** ) الحجر/٢٦ .
( **إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي** ) الحجر/٢٨ ، ٢٩ .

**( ولقد خلقناكم ثم صورناكم )** الاعراف/١١ .

**( وخلقته من طين )** الاعراف/١٢ .

**( قال أأسجد لمن خلقت طينا )** الاسراء/٦١ .

**( قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون )** الحجر/٣٣ .

ففي هذه الآيات الكريمة من كتاب الله عز وجل يبين الله سبحانه وتعالى أن الانسان الأول خلق من صلصال من حمأ مسنون ، وهو الطين الذي يتكون الانسان منه ، ثم صوره الله وسواه ونفخ فيه من روحه ، ومن هذا يتضح مقومات الانسان ومم يتكون .

وفي هذا رد على من يدعي ويقول بفكرة التوتم .

وتقوم فكرة التوتم على الاعتقاد بأن الانسان قد انحدر من كائنات حيوانية أو نباتية ، أو من ظواهر طبيعية كالبرق والرعد والشمس والقمر ، وأنه كان في الزمان الأزلي متحدا معها ، ثم خلقت له أعضاء بشرية وأخذ يمشي على الأرض ، من حيث بقيت هي على طبيعتها الأصلية وبذلك يكون التوتم : هو الحيوان أو النبات أو الظاهرة الطبيعية التي انحدر منها الجسد الأعلى أو الجد الأسطوري واستحال الى انسان .

## إخبار الله بمهمة الانسان في الكون

قال الله تعالى :

**( وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة )** البقرة/٣٠ .

فالله سبحانه وتعالى أخبر بالانسان وبين مهمته وأنه سيكون خليفة الله في الأرض ليعمرها ، فاذا دققنا النظر في هذا ، نجد ان الله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء . والمتصرف في الكون كيف يشاء ، يقدم للحدث الكبير ـ وهو وجود الانسان ـ بالأخبار عنه ، حتى لا يكون ذلك مفاجأة لبقية مخلوقاته ، المكونين للمجتمع الكوني في السموات والأرض وما بينهما ، وحتى يوجد الاستعداد النفسي عند هذه المخلوقات ، والرضا بوجود هذا المخلوق الجديد ، والاقتناع بوجوده ومكانته ، والتعاون معه وفي خدمته ، لأن المخلوق المأمور إذا كلف بشيء ، وكان مقتنعا به ومسلما بضرورته ، كان أداؤه على أكمل وجه ، وكان طائعا عن رضا واختيار .

وفي ذلك درس عظيم للحكام والرؤساء عندما يأمرون أو يشرعون لبني جنسهم ، وليعرفوا أن اتباع هذا الأسلوب لا يقلل من قدرهم ، وليس لهم حق الاحتجاج بأنهم أعلم من رعيتهم ، وأنهم يدركون ما لا تدركه الرعية ، ويعلمون ما يجهله الآخرون ، وأن شعوبهم جاهلة متخلفة ، لم تصل إلى درجة الرشد والادراك .

كما أننا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يخبر بالحدث العظيم ، اختار الملائكة بالإخبار الأول ، وذلك باعتبارهم أفضل

مخلوقاته ــ قبل وجود الانســان ــ وأرقاها خلقة وتكوينا ، وليرى الله أثر هذا الخبر عليهم ، وأجابتهم ، مع علم الله مسبقا بذلك ، ولكن لينطقوا بما يضمــرون ويعترفــوا بمــا في نفوسهم ، فيحاسبون بما بدر منهم وظهر .

**موقف الملائكة من الانسان**

قال الله تعالى :

**( قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون )** البقرة/ ٣٠ .

في هذه الآية الكريمة يتضح موقف الملائكة من هذا الحدث ، وهو عدم الاقتناع بوجود الانســان ، ولــكن بأسلوب مهذب ، وهو ما يجب لأنه صادر من الأدنــى للأعلى ، فكان اعتراضهــم باظهــار مســاوىٔ الانسان ، وهو الفساد والافســاد وسفك الدماء ، وفي مقابل ذلك إظهار المحاسن في الطرف الآخر ، وهــو تسبيحهم بحمد الله وتقديسه . وبذلك أظهروا ما يكتمونه واعترفوا بما في نفوسهم ، وبينــوا نظرتهــم لهــذا المخلوق الجديد ــ وهو الانســان ــ ووضحوا رأيهم فيه .

ويتلخص كلامهم في أن الانسان لن ينفع الكون ولن يستفيد منه ، وأنه لن يكون مسبحا بحمد الله ولا مقدسا لذاته ، وإنما سيــكون أسلوبــه في الحياة الافساد وسفك الدماء .

ومعنى ذلك أنه لا حاجة لوجوده ، بل الضرورة والمصلحة تحتــم عدم وجود الانسان .

فهم قد نظروا لمساوىٔ الانسان وبينوها ، ولم يلتفتوا إلى محاسنه ، ولم يفهموا إشارة الله سبحانه وتعالى إلى ذلك ، حينما بين مهمة الانسان في الأرض وهي الخلافة ، وأن الانسان سيكون خليفة الله في أرضه ، وفي ذلك من المحاسن ما لم تدركه الملائكة ، أو لم تذكره ، ولذلك رد الله عليهم بقوله تعالى : **( قال إنــي أعلــم ما لا تعلمون )**

وفي ذلك درس عظيم لنــا معشر البشر ، لأن الله عرض الأمــر على الملائكة ، وأتاح لهم إبداء الرأي مع علمه سبحانه وتعالى بما لا يعلمون ، وهذا هو أساس الحكم العــادل ، والأسلوب الأمثل لما يجب أن يتبعه الحاكم العادل الرشيد ، وضعه الله لنا وبينه ، واتخذه أسلوبا ومنهجا مع مخلوقاته ، وهو الخالــق والالــه ، والذي إذا أراد أن يكون شئ فيقول له كن فيكون ، وذكره لنا في القــرآن الكريــم ــ دستــور الاســلام والمسلمين ــ لنتبعــه ونقتــدي به ، فيصلــح المجتمــع الاسلامــي ، وتستقيم أمور حياتــه الدنيويــة ، فيسعد في الدنيا والآخرة .

**تعليم الانسان لتأكيد أفضليته**

قال الله تعالى :

**( وعلم آدم الأسمــاء كلهــا )** البقرة/ ٣١

بينت لنا الآية أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم الانسان الأسماء

كلهـا ، وأن الانسـان الأول لم يكتسبها بمجهوده ، كما أثبتت الآية أن الانسان لم ينشئ هذه الأسماء أو اصطلح عليهـا ، وإنمـا الحقيقـة والواقع أنه تعلمها من الله سبحانه وتعالى .

كما وضحت لنا هذه الآية أن الله العالم بكل شيء علم الانسان الأول الأسماء ليثبت للملائكة بالحجة والبرهان أن الانسان الذي خلقه هو مخلوق أفضل منهم ، ولذلك ميزة بما لم يميزهم به ، حيث علمه الأسماء كلها ولم يعلمها لغيره من المخلوقات ، حتى يبقى ما عداه دونه ، وليكون الانسان دائما متفوقا على جميع مخلوقات الله .

كما أننا إذا لاحظنا ما فضل الله به الانسان على سائر خلقه ، نجد أن الله فضله بالعلم دون غيره من أسباب التفضيل ، ولذلك علمه الأسماء كلها .

ومن هذا يتبين لنا فضل العلم وأفضلية العلماء . وذكر ذلك في القرآن الكريم ــ وهو المصدر الأول للتشريع الاسلامي ــ يبين لنا مكانة العلم والعلماء في الاسلام ، وتمييز العلماء وتفضيلهم ، وهذه الدعوة يعلنها الاسلام من أربعة عشر قرنا من الزمان ، قال الله تعالى : **( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون )** الزمر/٩ **( انما يخشى الله من عباده العلماء )** فاطر/٢٨ **( واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم )** البقرة/٢٨٢ **( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون )** البقرة/١٥١ **( وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم )** الأنعام/٩١ .. **( وأنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون )** يوسف/٦٨ **( يا أيها الناس علمنا منطق الطير )** النمل/١٦ **( ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون )** الأنبياء/ ٧٩ ، ٨٠ .

## إقناع الملائكة بأفضلية الانسان

قال الله تعالى :

**( وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون )** البقرة/٣١ ــ ٣٣ .

لما أخبر الله الملائكة بأنه خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، وعلم الملائكة مقومات الانسان

ومكوناته ، وبناء على ذلك عرفوا عيوبه ومساوئه ، فوجدوا في نفوسهم شيئا بعد أن أخبروا بمهمة الانسان في الكون ، وأنه سيكون افضل منهم ومن جميع المخلوقات ، لأنه سيكون خليفة الله في أرضه ، يعمرها بالذرية والعمل ، ويملؤها بطاعة الله وإقامة شعائره ، أراد الله سبحانه وتعالى ـ بعد علمه بما يكتمون في نفوسهم ـ أن يثبت للملائكة بالحجة والبرهان أن الانسان الذي خلقه هو مخلوق أفضل منهم ، فميزه بما لم يميزهم به ، فعلمه الأسماء كلها ، ثم اختبرهم فيها وتحداهم بآدم ، وهو يعلم عجزهم ، حتى يقتنعوا ويسلموا بأفضلية الانسان عليهم ، فكانت إجابتهم تبريرا لعجزهم ، حيث قالوا : ( **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ) .

فطلب الله من آدم أن يجيب عما عجزوا عنه ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، وثبت تفوقه عليهم ، وعلمه بما لا يعلمون ، مما يجعله أفضل منهم ، وذلك بالحجة والبرهان والدليل القاطع المفحم ، أراد الله أن يؤكد لهم خطأهم في اعتراضهم على وجود الانسان ، وذلك بوصف الانسان بالفساد وسفك الدماء ، وانهم تحدثوا بما لا علم لهم به ، وأنهم لم يقدروا الانسان حق قدره ، حيث ذكروا المساوئ ، ولم يذكروا محاسن الانسان ، لأنهم يكتمون خلاف ما يظهرون ، وأنه كان يجب عليهم التسليم بأمر الله وعدم الاعتراض ، ولذلك قال الله تعالى للملائكة ـ بعد أن أنبأهم آدم بالأسماء ـ :( **ألم اقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ) .

وفي هذه الآيات القرآنية يعلمنا الله تعالى أسس الحكم وسياسة الأوامر ، وأن الانسان إذا كان يملك الأمر ، وعلى الآخرين الطاعة فقط ، فليس معنى ذلك أن يأمر بما لا يقتنع به المأمورون ، أو لا يحاول أن يقنعهم بما أمر ، لأنه صاحب السلطة والأمر والنهي ، وانما يجب على الآمر أن يسلك طريق الاقناع وإقامة الحجة على صحة وجهة نظره ، وصلاحية ما أمر به ، واثبات بعد نظر الآمر ، وعلمه بما خفي عن غيره ، وذلك للمصلحة العامة وحسن تنفيذ الأمر لأن المأمور اذا اقتنع بما أمر به ، اطاعه باخلاص ونفذه باتقان ، لأنه أصبح راضي النفس فلا تكون هناك جفوة بين الآمر والمأمور ، واتخاذ هذا الأسلوب في الحكم والأمر لا يقلل من قدر صاحبه ولا ينزل من شأنه ، لأن الله سبحانه وتعالى الخالق للكون والمعبود من المخلوقات قد اتخذ هذا الأسلوب مع بعض مخلوقاته ، وبينه لنا ، وذكره في كتابه الكريم .

### طلب تسليم الملائكة بأفضلية الانسان

قال الله تعالى :

**( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين )** البقرة/ ٣٤ .

**( ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين )** الأعراف/ ١١ .

**( فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين )** الحجر/ ٢٩ ــ ٣١ .

**( ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى )** طه/ ١١٦ .

**( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس )** الاسراء/ ٦١ .

في هذه الآيات نجد أن الله تعالى طلب من الملائكة ــ بعد إقناعهم بالحجة والبرهان ــ فعلا يثبتون به تسليمهم بأفضلية الانسان عليهم ، وذلك بالسجود له ، ولم يكتف الله بالتسليم السلبي وهو السكوت ، لأن السكوت هنا ليس علامة على الرضا ، وخاصة بعد اعتراضهم الضمني بذكر مساوئ الانسان ومفاسده ، فالموقف هنا لا يكفي فيه الرضا السلبي ، وإنما يحتاج الأمر إلى الرضا الصريح القوى ، وذلك بالفعل ، لأن الفعل أقوى من القول في إظهار الرضا والاقتناع والتسليم ، ولأن التسليم الفعلي يظهر المعترض الذي لم يقتنع بالحجة والبرهان ، ولم يصرح بالقول مخالفا الجماعة ، ولذلك طلب الله من الملائكة السجود لآدم ، وذلك غاية التسليم بتفوق الانسان وأفضليته ، وعندما حدث التسليم الفعلي وسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، ظهر المعترض الذي لم يصرح قولا بالاعتراض المنفرد .

### اظهار العدو الأول والأكبر للانسان

قال الله تعالى :

**( قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة الى يوم الدين )** الحجر/ ٣٢ ــ ٣٥ .

**( قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين )** الأعراف/ ١٢ ، ١٣

**( فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى )** طه/ ١١٧

في هذه الآيات القرآنية يبين الله ما حدث من إبليس ، وهو امتناعه عن السجود للانسان الأول ، ورفضه التسليم بأفضلية الانسان ، ولم يكتف ابليس برفضه السجود والتسليم بأفضلية الانسان ، بل قلب الآية وعكس الأمر ، فقال : **( أنا خير منه )** .

ولاقتناعه بدعواه ، ورفضه أمر الله ، أراد أن يعلل دعواه بقوله : **( خلقتني من نار وخلقته من طين )** . ولم يقف به الأمر عند هذا الحد ، وإنما حاول أن يحقر من شأن الانسان الذي فضله الله ، فقال : **( أأسجد لمن خلقت طينا )** **( لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون )** .

وفي كل هذه التصرفات التي حدثت من إبليس تجاه الانسان الأول ، توضيح كاف للانسان من هو عدوه الأول والأكبر ، ليكون الانسان على بينة من أمره ، وليحتاط لنفسه فلا يقع في حبائله .

ولم يكتف الله سبحانه وتعالى بما ظهر من ابليس ليعرف الانسان عدوه اللدود ، وانما صرح للانسان الأول بأنه عدوه ، حتى لا يكون هناك عذر للانسان عندما يقع في مكائده ، فقال الله تعالى : **( فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى )** .

كما أننا نجد أن الله تعالى أكد للانسان التحذير من إبليس ، فبين له أن ابليس سيحاول إخراج آدم وحواء من الجنة ، وعند ذلك سيكون الشقاء .

ولم يقف الله عند هذا كله وانما أوقع العقوبة بابليس على الفور ، قال تعالى : **( فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين )** الاعراف/١٣ **( قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/٣٤ ، ٣٥ .. وذلك ليؤكد للانسان عداوة إبليس له ، وليرى آدم إيقاع العقوبة بالعاصي ، وحكم الله بها وعلى الفور ، كل ذلك ليكون تحذيرا للانسان من الوقوع في المعاصي ومخالفة أمر الله وعظة له حتى يتدبر أمره .

---

## رجاء

**يرجى من السادة الكتاب مراعاة كتابة مقالاتهم بالآلة الطابعة وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث الواردة بمقالاتهم وذلك لتسهيل عملية مراجعتها ونشرها .. والله الموفق .**




يقول شاعر عربي معاصر :

سيان عند ابتناء المجد في وطن
من جرد السيف أو من جرد القلما

من يتأمل هذا القول يدرك أنه لا يخالف الصدق والواقع وأنه يتضمن حقيقة نفسية ألا وهي أن كلا من القلم والسيف يكمل الآخر في بناء النهضة والمجد وإعداد القوة والقدرة وصنع الحياة الانسانية الحرة الكريمة .

فالله سبحانه وتعالى علم الانسان بالقلم ما لم يكن يعلم ، وأوحى الى أنبيائه ورسله وزودهم بوحي القلم من أديان سماوية وشرائع الهية ، ليدعو الناس الى الايمان بالله وحده لا شريك له وليبينوا لهم طريق الخير والحق والصواب من طريق الشر والباطل والخطأ وليعلموهم مكارم الأخلاق وليتعارفوا ويتعاونوا ويتعايشوا في إخاء وأمن وسلام .

**للدكتور فؤاد محمد محمود**

وقد كانت أول آية قرآنية أنزلت على رسول الله محمد ( صلى الله عليه وسلم ) قوله جل شأنه :

**( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم )** العلق / ١ ــ ٥ ، وقد حمل رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام نور القلم الالهي وانطلق يعلم الناس ويفتح ابصارهم وبصائرهم ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى طريق الله طريق الايمان والتوحيد ، والعقيدة والخير والحق ، والعدل والسلام ، وقد أفلح عليه الصلاة والسلام بعد لاي شديد وجهاد طويل في اجتثاث ما في عقول قومه العرب وما في نفوسهم من كفر وشرك بالله وعبادة للأوثان والأصنام وأخلاق وطباع سيئة وعادات وتقاليد بالية ضارة وغرس مكانها الايمان بالله وحده والأخوة الاسلامية السمحة ، وأشربهم مكارم الأخلاق والآداب وعلمهم ما حسن وطاب من العادات والتقاليد ، فاستنارت عقولهم واتسعت آفاق تفكيرهم بعد جهل وظلمة وضيق ، وتهذبت نفوسهم وسمت أرواحهم بعد فظاظة وانحطاط وانصلحت احوالهم واستقامت امورهم بعد فساد واعوجاج وتحابوا وتعاونوا واتحدوا بعد تخاصم وتفرق وانقسام ، وتحرروا واستقلوا بعد خضوع وتبعية للفرس والروم والاحباش وعزوا وسادوا بعد ضعف وذلة ، ومن ثم تقدموا وارتقوا وأقاموا أعظم دولة وأرقى حضارة في العصور الوسطى .

وهكذا قامت الدولة العربية الاسلامية في عهد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وفي عهود خلفائه من بعده على القلم والسيف فقد أدى كل منهما دوره في تأسيس الدولة وبنائها ، وقد حمل رسول الله محمد والذين آمنوا معه القلم الالهي وراحوا يرسلون أنواره وأضواءه الساطعة فيكشفون طريق الايمان والهدى والخير وطريق الكفر والضلال والشر ، ويدعون الناس الى السير على طريق الايمان والنور والحق فلبى النداء والدعوة أصحاب العقول والألباب والفطر الطيبة وبادروا الى اتباع سبيل الله والرسول ، ولكن أصحاب الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والطباع السقيمة أصروا

واستكبروا استكبارا ، وأبوا الا أن يبقوا في طريق الكفر والضلال والعمى والظلام ، وأخذوا يصدون عن سبيل الله ويحاولون تقويض منائر الايمان والخير التي أقامها المؤمنون في طريق الله واقتلاع الغراس الطيبة المثمرة التي زرعها الرسول وأصحابه في الأرض الطيبة ، وقد غالى اهل الكفر والضلال في عدوانهم على المسلمين وتمادوا ولم يرعووا ولم تجد معهم حكمة ولا موعظة ولا لوم ولا تحذير ولا إنذار فاضطر المسلمون الى التخلي عن مخاطبتهم بلغة القلم لغة أهل العقول والألباب وخاطبوهم باللغة التي يفهمها أهل الجهل والغرور والعناد واللؤم ألا وهي لغة السيف والقوة ، وقد هداهم الى هذه اللغة وذلك الأسلوب القلم فقد قال الله تعالى لهم : **( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين )** البقرة / ١٩٤ ، وقال أيضا جل شأنه : **( يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين )** التوبة /١٢٣ .

وبين لهم القلم أن المبادئ والأديان والأفكار لا تنشر بين الناس ولا يمتثلونها بالقوة والاكراه ، بل بالحكمة والموعظة الحسنة والمناقشة والمجادلة بالتي هي أحسن لأن ما يفرض على الناس بالقوة والارغام لا يلبث ان يزول وينهار بزوال وانهيار القوة التي فرض بها ، فقد قال تعالى : **( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن )** النحل / ١٢٥ ، وقال جل شأنه : **( لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي )** البقرة / ٢٥٦ ، وقال سبحانه وتعالى : **( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** الكهف / ٢٩ .

وما ينشر بالرضا والرفق والاقناع يمكث في الارض وينبت وينمو ويؤتى ثمارا طيبة ويبقى ناميا مثمرا .

وذلك يدل على أن السيف استعمله المسلمون للدفاع عن أنفسهم ورد العدوان عنهم وشق طريق انتشار الاسلام وإزالة العقبات من دربه ، ولم تكن الفتوحات العربية الاسلامية في حقيقة أمرها وفي دوافعها وبواعثها وأهدافها ومراميها غزوا استعماريا ولا عدوانا على حريات الشعوب واستقلالها اذ لم يرغم احد على حمل الاسلام واعتناقه ، وهنا ينبغي التمييز بين نشر الاسلام وتطبيقه وبين الفتوحات الاسلامية ، فبقوة السلاح فتح طريق انتشار الاسلام وعبد ، وبنور القلم أضيء الطريق وأنير .

ويلاحظ أن معظم البلاد التي شملتها الفتوحات الاسلامية قد انصهرت في بوتقة الاسلام وانصهر بعضها الاخر في بوتقة العروبة والاسلام ، وذلك يرجع الى أن الفتوحات العربية الاسلامية لم تكن غزوا استعماريا ولا احتلالا امبرياليا استغلاليا بل كانت رسالة إنسانية ، ودعوة الى نشر الاسلام ومبادئه

السامية القائمة على الخير والحق والعدل والرحمة والاخاء والمساواة والحرية والسلام ، فلو كانت غزوا استعماريا لانهارت بانهيار القوة التي حملتها ولما تركت أثرا خالدا في حياة المجتمعات التي دخلتها وفتحتها ولما طبعت أهلها وشعوبها بطابع الاسلام الخالد ، فالقوة التي لا يواكبها القلم تكون قصيرة العمر وهشة سريعة الانكسار ، ويوضح ذلك غزو المغول الأعمى الهمجي للعالم الاسلامي إذ سرعان ما تقوض وانهار واحتوى المجتمع الاسلامي المغول الغزاة الجهلة الذين لم يكونوا يحملون مع سلاحهم وغزوهم علما ولا حضارة ولا رسالة انسانية وذابوا فيه ، ومن قبيل الغزو المغولي الغزو الصليبي للشرق العربي فلم يلبث ان انحسر ظله وانمحت آثاره لأنه كان غزوا استعماريا وحشيا لا انسانيا ، لا يحمل علما ولا اخلاقا وكذلك الاستعمار الغربي المعاصر للشرق ، فهو غزو استعماري استغلالي تجرد من المعاني الانسانية والمبادئ السامية من رحمة وعدل واخاء ومساواة وحرية ونحوها ولذلك اخذ في الانهيار والتلاشي .

ومن يقرأ تاريخ الثورات الانسانية العالمية كثورة الاسلام العظمى يعرف أن الثورات المسلحة العملية تسبقها دائما ثورات فكرية ونفسية ، والثورة المسلحة قام بها السيف والسلاح والثورة الفكرية والنفسية من نتاج القلم ، والقلم يثير الحرب الباردة والحرب المعنوية الروحية ، والسيف يشعل نار الحرب الساخنة الملتهبة المحرقة .

ويلاحظ أن المسلمين يتراخون عن خوض ميدان الجهاد والقتال والكفاح المسلح عندما يضعف في نفوسهم ما يبثه القلم المسلم من معاني الايمان والثورة على الظلم والباطل وروح التضحية والفداء والاستشهاد ، ويتفرقون وينقسمون على أنفسهم قولا وعملا ، حينما تخمد في كيانهم روح التعاون والاتحاد والاعتصام بحبل الله ، والقلم المؤمن يبعث هذه الروح ويغذيها ويذكيها .

وذلك يدل على أنه بالقلم والسيف تنهض الشعوب وتبني الدول وتتقدم الأمم وترقى فلا نهضة ولا قوة ولا مجد بالقلم وحده ولا بالسيف وحده بل بالاثنين معا ، ويدل كذلك على أن القلم والسيف يكمل كل منهما الآخر في بناء المجتمع الناهض المتقدم وصنع الحياة الحرة الكريمة ، فالقلم يوجه ويرشد الى الطريق السليم وينير السبيل ويحدد الهدف ويضع الخطة ، والسيف يعمل بتوجيه القلم وبارشاده ويسلك الطريق الذي يرسمه له القلم ويحقق الهدف الذي عينه له، القلم يبني صرح العلم والحضارة والمدنية والسيف يحرس هذا الصرح ويحميه من خطر الغزو والعدوان .

والقلم يضع القوانين والدساتير والقرارات والسيف يقوم بتنفيذها وتطبيقها ، والقلم يضع نظام الدولة والسيف يحرسه ويحميه .

والقلم لمقارعة الحجة بالحجة والمنطق بالمنطق ودحض الباطل والافتراء ولحل القضايا التي تحل في ساحات المحاكم ودور القضاء وهو لحرب الدعاية والحرب الباردة النفسية ، والسيف لمخاطبة الذين لا يفهمون لغة العقل والمنطق ولحل القضايا التي لا تحل الا في ميادين الحرب والقتال وهو للحرب الساخنة المشتعلة .

وكم يكون غبيا متخاذلا من يخاطب بلغة السيف ناسا يفهمون لغة القلم .

والسيف يعمل تحت رعاية القلم وبتوجيهه وإرشاده وعلى ضوئه وهديه ، والسيف الذي يعمل بلا قلم يكون وحشا مفترسا وسفاكا سفاحا وإرهابيا مجرما ويخبط خبط عشواء ويسير كالأعمى بلا معنى ولا محتوى ولا هدف وسرعان ما ينكسر ويتحطم .

والقلم ينير العقل المظلم ويهذب النفس الشائكة ويبعث الضمير الحي ويوقظ النائم ويحرك الجامد الخامد ويشد العزيمة وينفخ في الروح الهامدة ويشفي القلوب المريضة ويشعل في الصدور نار الحماس والحمية والعزة ويحضر الهمجي ويمدنه .

والقلم يحرر النفوس والأرواح من أغلالها وقيودها وبنور القلم ينجلي ظلام الجهل والأمية وتتبدد أشباح الأوهام والخرافات والاساطير ، اما السيف فانه يحطم قيود الايدي والارجل . وتحرير العقول والنفوس أصعب من تحرير الايدي والارجل ، ولا فائدة من تحرير الاجسام اذا كانت العقول والنفوس مقيدة مستعبدة .

والقلم يعلم الجاهل ويقرئ الأمي ويرشد الضال التائه وينير الطريق ويعمر الخراب ويشيد العمران ويحيي ميت الأحياء ، وبنوره يعرف طريق الحق والخير والعدل والصواب من طريق الباطل والظلم والخطأ ويدعو الى اتباع الطريق الاول واجتناب الطريق الثاني .

ويكشف عن حقائق الأشياء وأسرار الحياة .

ومن شأن القلم الدعوة إلى تصافي النفوس وتآلف القلوب وتصافح الايدي والاعتصام بحبل الله جميعا وبناء صرح التعاون والاتحاد ومعروف أنه لا قوة ولا تقدم ولا فلاح لأي مجتمع الا في حمى التعاون والاتحاد .

والقلم الصادق المستنير يحارب الجهل والبؤس والمرض والفساد وهذه الأوبئة والآفات الاجتماعية تجعل الشعب مريضا ضعيفا عاجزا عن حماية نفسه من اي خطر داهم . وما يعيب هو أن يقول الانسان أو يكتب قولا فارغا خاليا من المعاني السامية والأفكار النيرة أو يكتب كلاما لا معنى له ولا طعم ولا هدف .

وعيب على الانسان أن يقول ما لا يفعل أو يفعل ما لا يقول وألا ينفذ أقواله وقراراته ورب قول أبلغ من فعل ورب كلام أغلى من الدر والذهب ورب لسان أنفذ من يد .

# انقذوا افغانستان المسلمة من طغيان الملاحدة

**لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز**
**رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة**

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .
أما بعد : فيا أيها المسلمون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،.

لا يخفى عليكم ما جرى ويجري الآن في افغانستان البلاد المسلمة من اعتداء روسيا الشيوعية عليها واحتلالها وتقتيل المسلمين وتشريدهم من ديارهم ومحاولة الشيوعية القضاء على الاسلام والمسلمين في افغانستان البلد المسلم ومع هذا فهم جادون في الدفاع عن دينهم ثم عن أنفسهم وأعراضهم وبلادهم أمام هذه الحملة الكبيرة الكافرة الظالمة وهم في أشد الحاجة بل الضرورة الى مساعدتهم من اخوانهم المسلمين لأن المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وانه يؤلمنا ما يؤلم اخواننا ويسرنا ما يسرهم وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب جهاد اعداء الله بالنفس والمال ولا سيما اذا هجموا على شيء من بلاد المسلمين وان المسلمين متى تركوا ذلك اثموا جميعا ومن المعلوم ان الخطر الشيوعي يهدد كل دول الاسلام واننا معرضون لهجمات الشيوعية الحاقدة على الأديان ولقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يكفي ويشفي في فضل الجهاد والحض عليه فمن ذلك قوله تعالى :
**( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين )** .

وقوله تعالى ( **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** )

وقال تعالى:( **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ) .

والآيات في فضل الجهاد كثيرة ومما جاء في السنة النبوية المطهرة في ذلك ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل ؟ قال : ( ايمان بالله ورسوله ) قيل ثم ماذا ؟ قال : ( الجهاد في سبيل الله ) قيل ثم ماذا قال : ( حج مبرور ) متفق عليه .

وما رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : ( الصلاة على وقتها ) قلت : ثم أي ؟ قال : ( بر الوالدين ) قلت : ثم أي ؟ قال : ( الجهاد في سبيل الله ) متفق عليه .

وما رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : ( مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ) قال : ثم من ؟ قال ( مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ، ويدع الناس من شره ) متفق عليه والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

ويجب الجهاد على الأعيان في ثلاثة مواضع أحدها : اذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، لقوله تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ) وقوله تعالى ( **يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار** ) .

الثاني : اذا نزل الكفار ببلد ، تعين على أهله قتالهم ودفعهم ، كما هو الواقع في افغانستان ، ويجب على اخوانهم المسلمين في كل مكان دعمهم ومساعدتهم لعموم قوله تعالى : ( **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ) الآية .

ثالثا : اذا استنفره من له استنفاره ، تعين عليه ، لقوله تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ..** ) الآية . ولقول النبي صلى الله عليه وسلم ( واذا استنفرتم فانفروا ) متفق عليه . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، يجب جهاد الكفار واستنقاذ ما بأيديهم من بلاد المسلمين واسراهم ، ويجب على المسلمين ان يكونوا يدا واحدة على الكفار ، وان يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله ويدعو المسلمين الى

ما كان عليه سلفهم الصالح من الصدق وحسن الأخلاق ، فان هذا من اعظم اصول الاسلام وقواعد الايمان التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه وأمر عباده عموما بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف كما قال الله تعالى : ( **أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ) وقال تعالى : ( **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات** ) وأخبر سبحانه بأنه أرسل جميع الرسل بدين الاسلام كما قال تعالى : ( **ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا** ) انتهى كلام شيخ الاسلام .

فيا أيها المسلمون في كل مكان إن علينا جميعا ان نشكر الله سبحانه على ما من به علينا من النعم الظاهرة والباطنة وان نمد يد المعونة والمساعدة لاخواننا المسلمين الأفغانيين الذين يعانون من أعداء الاسلام التقتيل والتشريد والتيتيم والتشتيت في العراء والصحراء في البرد والجوع فالواجب على المسلمين جميعا ان يبذلوا لهم ما يعينهم على جهاد أعداء الاسلام ويمكنهم من اسباب النصر عليهم كل حسب استطاعته لقول الله عز وجل : ( **فاتقوا الله ما استطعتم** ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم ) وقوله عليه الصلاة والسلام : ( من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في اهله بخير فقد غزا ) والآيات والآحاديث في فضل الجهاد والنفقة فيه كثيرة . ولا مانع من صرف الزكاة لهم لأنهم من الأصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى : ( **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ) والمجاهدون هم المقصودون بقوله تعالى ( **وفي سبيل الله** ) ولا بأس بتعجيلها وإخراجها لهم قبل وقتها اي قبل ان يحول عليها الحول ويشرع للجميع الدعاء لهم بالنصر والتأييد على اعداء الاسلام لأن الدعاء من افضل القربات مع بذل جميع الأسباب المكنة في جهاد الأعداء واعانة المجاهدين ومن اعظم الأسباب التوبة الى الله سبحانه من جميع الذنوب والاستقامة على اداء فرائضه وترك محارمه لأن المعاصي من أعظم اسباب الخذلان وتسليط الاعداء كما قال الله عز وجل ( **وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير** ) وقال عز وجل ( **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ) وقال سبحانه ( **ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك** ) وأسأل الله باسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينصر دينه ويعلي كلمته وان يصلح احوال المسلمين في كل مكان ويصلح قادتهم وان يمن على الجميع بالتوبة النصوح وان ينصر اخواننا المجاهدين في افغانستان وفي كل مكان وان يجمع كلمتهم على الحق وان يذل اعداء الاسلام ويشتت شملهم ويفرق جمعهم ويجعل تدميرهم في تدبيرهم وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين انه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه الى يوم الدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

## من القصص الاسلامي

# الطريد

○ انقضى من الليل أغلب ساعاته وما انفك الشيخ منكبا على أوراقه ينقل عليها سطور المخطوط الذي بين يديه ليفرغ منه ويقدمه لصاحبه في ضحى الغد حتى يقبض أجر نسخه بعد أن غدا لا يملك شروى نقير منذ الصباح ..

وقبل أن يفرغ زيت المصباح وتنطفىء ذبالته ، كان الشيخ قد فرغ من نسخ آخر صفحة من مخطوط « صحيح البخاري » ودعا الله أن يسدل عليه بركته ، وأن يحسن له دنياه وآخرته ..

وقام الشيخ إلى فراشه ليصيب حظا من نوم قليل قبل أن يطلع النهار حتى يقوى على الخروج بعد أن هده السهر الطويل ووجع الظهر والكتفين من طول الانحناء على الأوراق في سبيل العيش والأرزاق ..

ولطالما تمنى الشيخ أن يتوب الله عليه من هذه الحرفة الشاقة وما يعانيه في سبيلها من ضعف في بدنه وذبول في نور عينيه ، ودعا الله أن يهيىء له سبيلا آخر للرزق الحلال لا يكلفه كل ذلك الجهد والكلال ..

للاستاذ : حسين الطوخي

ثم غلبه النوم ، ورأى في حلمه أيامه الأولى وطفولته الباكرة في مدينة « قوص » بصعيد مصر حين صحبه أبوه إلى مكاتب تحفيظ القرآن حيث أتم حفظه وتجويده ، كما أتقن القراءة والكتابة وشهر عنه أنه أحسن من يكتب بخط جميل لا اعوجاج فيه ولا تذييل ..

ويموت أبوه ولما يبلغ السابعة عشرة من عمره ، ويرى نفسه مطالبا بكسب عيشه فيرحل إلى مدينة « القاهرة » وهي يومئذ مقر السلطنة .. سلطنة الناصر محمد بن قلاون ، ويعيش أهلها في يسر ورغد حيث أسباب العيش لكل الناس موفورة ، والأرزاق للفقراء والأغنياء ميسورة ..

وتتعاقب أحداث الحلم ياخذ بعضها بتلابيب بعض ، ويرى « شهاب الدين النويري » نفسه في مدينة القاهرة وقد تعلم حرفة نسخ المخطوطات وبيعها بعد أن شهر عنه حسن الخط وتنسيقه ، وجمال شكله وتنميقه ، ويبيع النسخة من المخطوط بالف درهم حيث لم تكن على أيامه مطابع وآلات أو مكاتب وإدارات ..

ويصحو « شهاب الدين » من نومه على صوت طرقات رقيقة على باب غرفته ، وتدخل إليه « ام حماد » جارته الطيبة في ربع الصنادقية الذي يسكنه تحمل إليه طعام الافطار ، وتلملم ما اتسخ من ثيابه وحاجياته لتقوم بغسلها وتنظيفها بعد أن عزف عن الزواج وآثر ان يعيش وحيدا ولا يظلم معه زوجة تقاسمه شظف العيش وعسر الحياة ..

كانت « ام حماد » جارة طيبة حقا ، وكان زوجها يعمل سقاء يحمل المياه إلى البيوت في الصباح الباكر ويعود قبل الغروب يحمل الطعام والفاكهة إلى

زوجته الراضية ، ولم يكن يشكو العوز أو هم العيش مثلما يشكو شهاب الدين . وكثيرا ما كانت ام حماد تطلب إلى شهاب الدين أن يسكن إلى زوجة تضيء له حياته المعتمة ، وقد بلغ الأربعين أو تجاوزها ، فكان يجيبها : يا أم حماد .. لقد أدركتني حرفة الأدب ولحقتني لعنته ، وقد أكسب اليوم درهما ثم أظل أياما لا يدخل جيبي دانق .. جزاك الله عني خيرا .

وبينما شهاب الدين جالس يوما في قاعته ، اذ جاءه صديقه « رافع بن عباده » حاجب السلطان يعرض عليه أن يصله به ليعمل في ديوان السلطنة متوليا بعض أموره ، وكاتبا لرسائله ، ومنظما لمسائله ..

والحق أن نفس شهاب الدين قد طارت فرحا في ذلك اليوم ، وكاد قلبه أن يقفز حبورا وغبطة بقدوم هذه السانحة السعيدة ، وحدثته النفس : مرحى .. مرحى .. قد استجاب الله لدعائك وفتحت لك أبواب السماء بعد طول إملاق وعناء .

دلف « شهاب الدين النويري » إلى بلاط سلطان مصر في ذلك اليوم الباهر من عام ٧٢٧ هجرية المقابل لعام ١٣٤٤ ميلادية ، وبهرته أسباب النعيم التي يعيش أصحاب القصر ومن يلوذون بهم في أعطافها ، وأحس أنه ودع على أبواب القصر المنيف ما لاقاه من شظف العيش وقسوة الحياة ، وأنه سيبدأ حياة رخاء ويسر ، بعد طول املاق وعسر ..

ولو قد علم صاحبنا ماذا كان يخبؤه له القدر ، لما رضى بقبول اليسر بعد العسر ، ولا بالاغداق بعد الاملاق !

أخذ شهاب الدين منذ قدمه صديقه « ابن عباده » ليعمل في ديوان القصر يقترب من السلطان « محمد بن قلاون » وأخلص النية في خدمته ، وأصدقه في مشورته ، ومازال يرقى عنده حتى ولاه نظر الجيش بطرابلس الشام ، ثم نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية ، بعد أن كسب ثقته ، وأمن غدرته .

بيد أنه كان يلحظ « ابن عبادة » يطيل النظر إليه كلما دخل على السلطان ويجده قريبا منه يحادثه ويملي عليه رسائله ، أو يناقشه شئونه ومسائله ، وكان شهاب الدين لطيب طويته يخالها نظرات إعجاب ورضاء ، لا تشى بأحقاد سوداء ..

وتمضي الأيام والشهور ، ويبين لشهاب الدين أن القلوب ما تنفك تغص بالغيرة والشرور ، فقد لحظ تحرك نفس الصديق « ابن عبادة » الحاجب كأنما استكثر ان يجالس شهاب الدين سلطان مصر أكثر مما يجالسه !

والوشاية بشرفاء الناس ، ومقولة السوء ، من قبل ومن بعد ، داء قديم ، وسلاح خسيس يجري الطعن به في الظلام ، ومن وراء الظهور ، فكان أن وشى به « ابن عبادة » لدى السلطان الذي دعا شهاب الدين ذات صباح ،

وأخذ يعنفه شر تعنيف ، ويلصق به تهما لم تقترفها يداه ، وحال بينه وبين أن يدفع ما اتهم به ، ثم أمر بضربه بالمقارع ، وإخراجه من القصر الى الشوارع ..

انطلق شهاب الدين بعد إخراجه من قصر السلطنة يجوب شوارع القاهرة محزون القلب ، ويعجب لهذه الدنيا التي تبسم يوما للنفوس ، ثم تلقاهم بعد ذلك بوجه عبوس ..

عاد ثانية الى حي الصنادقية ليمارس مهنته الأولى ، وبعد أن هدأ روعه ، أسلم لله أمره فهو القادر وحده ليجزي الناس عما قدمت أيديهم من خير ومن شر ..

وطاب لشهاب الدين بعد حوار بينه وبين نفسه المكلومة ، أن يقلع عن مهنة النسخ ليتفرغ الى إنشاء كتاب جامع في الأدب والتاريخ ومختلف فنون العلوم والمعارف ، ومن ثم عكف على إنشائه حتى فرغ منه بعد خمس سنوات عانى خلالها مر العيش وذل الحاجة حتى أصاب الوجع ذراعه وأصابعه ولم يعد يقوي على الكتابة والتدوين رغم أنه لم يتجاوز الخمسين من عمره ..

ولم يطاوعه قلبه المحزون أن يهدى مؤلفه إلى سلطان البلاد كما جرى العرف والمألوف ، وقد أسمى مؤلفه « نهاية الأرب في فنون الأدب » وجعله في ثلاثين مجلدا يضم خمسة فنون أساسية كل فن منها يحوي خمسة أقسام تناول فيها السماء وما فيها ، والآثار العلوية ، والأرض والجبال والبحار ، والانسان وطبائعه ، والملوك وما يشترط فيهم لحكم الرعية ، والحيوان ، والنبات ، والتاريخ ، وقصص الأنبياء ، وأخبار الملة الاسلامية ..

وفي باب ما ينبغي ان يأتيه الحاكم من جميل الفعال ، وما يتركه من قبيح الخصال ، وقع شهاب الدين على كتاب بليغ وجهه « على بن ابي طالب » كرم الله وجهه إلى « مالك بن الحارث الأشتر » حين ولاه مصر يقول فيه :

« يجب على الوالي أن يتعهد أموره ، ويتفقد أعوانه ، حتى لا يخفي عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء ، فانه إذا ترك ذلك ، تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسد الأمر ، وضاع العمل » .

وحين دخلت اليه « ام حماد » في صباح ذلك اليوم من عام ٧٣٢ هجرية وجدته قد أسلم الروح لبارئها ليغادر هذه الدنيا الفانية إلى دار الآخرة الباقية .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

**أرسل الاخ احمد عبدالمقصود علي عجيلة كلية الشريعة جامعة الازهر كلمة عقب بها على موضوع « أهل القرن الخامس عشر » الذي نشر في عدد محرم ١٨١ ضمنه تعقيبا على ما كتبه الاستاذ أنور الجندي . وقد آثر به الشباب ليحثهم على تجنب أخطار الثقافة الوافدة والفكر المشبوه يقول :**

قرأت بامعان شديد ما كتبه الاستاذ الكريم/ أنور الجندي في عدد محرم ١٤٠٠هـ ـ نوفمبر ١٩٧٩م من مجلتنا الغراء « الوعي الاسلامي » عن استقبال القرن الخامس عشر الهجري .. وقبل أن أدلي برأي حول هذا الموضوع القيم أتقدم بخالص شكري ، وعظيم تقديري للأستاذ الفاضل / أنور الجندي .. على ما كتبه لأنه من المواضيع الهامة جدا حيث تعرض سيادته لانتصارات الاسلام العملاق على أعدائه ، وسقوط الدكتاتورية والاستبداد ثم تعرض سيادته لبعض النقاط الهامة التي تعتبر صلبا لمواضيع أكثر أهمية وهي الكشف عن فساد مفاهيم الديمقراطية الغربية والشيوعية ، والاشتراكية ، وضرورة استخلاص نظام اجتماعي سياسي من صميم الاسلام .

وكذلك مناهج التعليم والثقافة الغربية التي تقدم للشباب المسلم ، ومدى خطرها .

هذا بجانب تعرض سيادته للمناخ الفكري والتربوي الذي نشأت وترعرعت فيه نخبتنا المثقفة التي تبث كل ما تستقيه من هذه الافكار المشبوهة ، وذلك عن طريق كتاباتها المسمومة التي تعمل ضد الاسلام .. هذا بجانب النواحي الأخرى في مجال الأدب والفن المكشوف المدمر .

ومن فوق منبر مجلة « الوعي الاسلامي » الغراء يسعدني أن أتوجه بندائي هذا إلى الاخوة الشباب في كل مكان بأن يضعوا ما كتبه

الاستاذ/ أنور الجندي نصب أعينهم لكي لا يطغى عليهم الفكر الغربي المدمر، وثقافته المشبوهة، وأن يحذروا تيار الغزو الفكري الذي حدثنا عنه الاستاذ / الجندي لأنه من أخطر الأسلحة التي تحارب الفكر عن طريق الثقافة والمسرح والتلفزيون، وكل أوجه النشاط الفكري، وحبذا لو تكرم علينا أستاذنا الكريم /أنور الجندي، وقدم لنا عرضا مشوقا بأسلوبه الرائع عن تيار الماسونية والعلمانية والوجودية وغير ذلك من التيارات المعاصرة الهدامة التي يغفل عنها الكثير من شباب الاسلام..

## دين الله

**وأرسل الأخ عبدالجواد محمد الخضري كلمة للشباب حول القرن الهجري والآمال المرجوة من هلاله على العالم الاسلامي مؤكدا أن الخير لأمة الاسلام لن يتحقق إلا إذا ارتبطوا بدينهم وأخذوا منه لحياتهم فلا تصلح إلا به ولآخرتهم فلا يفوزون برضوان الله ونعيمه ما لم يكونوا من المنتمين اليه انتماء عمل واعتقاد وسلوك، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتلك بعض فقراتها :**

استقبل المسلمون، في مشارق الأرض ومغاربها، ( القرن الخامس عشر الهجري ) قرن المثابرة والنضال ولما كان الجهاد لاعلاء كلمة الله، أمرا لازما في شريعة السماء : **( كتب عليكم القتال وهو كره لكم )** ٢١٥ ــ البقرة، أود أن يستحضر عالمنا الاسلامي « القدس » واسلامية الأرض، دافعهم الى ذلك ايمانهم وعظمته الخالدة فقد ظل طيلة هذه المدة ــ دين الانسانية الخالد ــ وأعاد للبشرية حقها السليب، وارتفع بالمؤمنين الى معارج القدس، ألا يكفي أن الله ارتضاه فقال : **( إن الدين عند الله الاسلام )** ١٩ ــ آل عمران، ولم يقبض نبيه محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) الا بعد كمال الشريعة وأداء الأمانة : **( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا )** ــ ٣ ــ المائدة، أقول : على الرغم من نصاعة الحجة، وبياض المحجة، امتدت يد الحقد من صناع الضلال فكادوا لنا في الخفاء والعلن، لم يردعهم ضمير، ولم يردهم وازع ــ صنعوا محطات تبشيرية، ( ساعة الاصلاح ) ( حول العالم ) وزعوا نشرات ضد القيم والسلوك، وطبعوا كتبا بالمجان ! على ملأ ومسمع لم يتحرجوا من عالمنا وهم في أرضنا.. ماذا يريدون ؟ إنني أهيب بالأخذ على أيدي هؤلاء، خفافيش الظلام ــ الذين اتخذوا من سماحة الاسلام خنجرا مسموما للطعن فيه وأقول لهم، ولأمثالهم، إن أهل الايمان زاحفون رغم التحديات يساندهم في ذلك ايمان لا ينفد، وعزيمة لا تضعف، ويقين لا يبتر، وما دام القرآن معنا والسنة رائدنا فلن ننهزم أبدا

## بأقلام القراء

### التوبـــــــــــة

وأرسل إلينا القارئ الأستاذ أحمد حسين مرواد ـ بمراقبة شئون الموظفين بالوزارة ـ كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

للاسلام منهج واضح وسبيل معلوم يصل بالانسان إلى المكانة اللائقة به ويجعله جديرا بالخلافة عن الله في الأرض .

وأنت أيها المسلم إنسان تتنازعك قوى الخير والشر ، فتتغلب عليك طبيعتك الروحية أحيانا فتسمو وترتفع ، وأحيانا تتغلب عليك قوى الشر فتخلد الى الأرض وتستمرئ الوقوع في الهاوية . لذلك فأنت في حاجة إلى توبة متجددة متكررة ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم : ( **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ) البقرة/٢٢٢ . ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير** ) التحريم/٨ .

« والطاعة تنير القلب » وتبسط الرزق ، وتقرب من الله عز وجل ، كما يقول سبحانه : ( **ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب** ) الطلاق/٢ و٣ .

ويقول سبحانه : ( **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ) الأعراف/٩٦ .

أما المعاصي : فانها تميت القلب ، وتغضب الرب ، وتذهب النعم وتأتي بالنقم .

وانظر معي إلى القرآن الكريم : لماذا أغرق الله قوم نوح . وفرعون وقومه ؟

لماذا أرسل الله على ثمود الصيحة والعذاب والهوان وأهلكهم بالطاغية ؟

لماذا سلط الله على عاد الريح العقيم فألقتهم على الأرض صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ؟

ولماذا دمر الله مساكن قوم لوط وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل ؟

ولماذا خسف الله بقارون وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ؟

وحسبنا عظة قول الله عز وجل :

( .... **وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ) العنكبوت/ ٣٩ و٤٠ .

ولكن من فضل الله عز وجل بعباده أن فتح لهم باب المتاب وأمرهم بالاستغفار والتوبة وبالكف عن المعاصي والذنوب ووعدهم بقبول توبة من آمن . حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة .. فيقول عز وجل : ( **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى** ) طه/٨٢ .

---

جاءتنا هذه القصيدة بعنوان :

**اصداء من البعثة النبوية للشيخ/محمد رضا آل صادق**

**نقتطف منها ما يأتي :**

أطل فرفت طيوف المنى بمبعثه هاديا للورى !
أطل باشراقة للحياة فهرول فجر يلف الدجى
وأخصب فكـــر وأينع عمر وفر ضجيج الأسى وانطوى
أطل بأصدائه فاشرأبت عوالم تصغي لكـــل صدى
وراحت تزف نشيدا جميلا لرب الثريا ورب الثرى
بأنا سمعنا وأنا أطعنا وأنا أنبنا وقلنا : اهدنا
أطل فخفت إليه القلوب وخب النسيم وماج الشذى
وسارت قوافل عرس الربيع تطرز بالبشر درب السنا
أطل ليطبع فينا الاخاء حنانا ويهدينا للعلا
لينشر في كل أفق صفاء وحبا يضوع بدنيا الملا
ليطفيء كل رؤىء للضلال وما قد تجهم فيه المدى
ليرسم بالخلق الحلو معنى تسامى به في الدنا من سما
لينقذنا من خضم الشقاء وأمواجه لرياض النهى
بنى المصطفى إنها خير ذكرى بها نستطيل إلى المرتقى
هي المجد والمجد فيها استطال وأبلج تاريخنا وازدهى

## الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

### السجن في الاسلام

**السؤال : في الوقت الذي تفكر فيه بعض السجون بالسماح لزوجات المسجونين زيارة خاصة نسمع بعض الناس يقول : ليس في الاسلام عقوبة بالسجن ، فما رأيكم في ذلك ؟**

**احمد محمود علي ــ القنايات مصر**

**الجواب :**

فكرة العقوبة بالسجن معروفة قبل الاسلام ، وفي القرآن الكريم ما يدل على أن عزيز مصر كان عنده سجن ودخله يوسف عليه السلام ، والتقى فيه بفتيين دعاهما الى توحيد الله ، كما هو في سورة يوسف ٣٦ ــ ٤٢ . وفي القرآن أيضا أن فرعون الذي أرسل اليه موسى كان له سجن هدده بادخاله فيه ( قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ) الشعراء ٢٩ .

وفكرة السجن معروفة في الاسلام أيضا ، ولم تكن أيام النبي صلى الله عليه وسلم بالمعنى المتبادر للذهن ، من اتخاذ دار خاصة يوضع فيها من استحق عقوبة ، ولم تكن كذلك أيام أبي بكر رضي الله عنه ، ولكن كان هناك « حبس » بمعنى تعويق الشخص ومنعه من التصرف الحر ، حتى يقضي دينا وجب عليه ، أو يرد حقا اغتصبه ، وكان الذي يلازم المحبوس هو الخصم أو وكيله ، ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسيرا .

وروى أحمد أنه عليه الصلاة والسلام حبس في تهمة ، وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي عنه ، إنه حسن ، وزاد هو والنسائي : ثم خلى عنه . والحاكم صحح هذا الحديث ، وله شاهد آخر من احديث أبي هريرة يقوى حديث بهز بن حكيم المذكور . وجاء في حديث أبي هريرة أن الحبس كان يوما وليلة استظهارا وطلبا لأظهار الحق بالاعتراف .

وروى البيهقي أن عبدا كان بين رجلين فأعتق أحدهما نصيبه ، فحبسه النبي صلى الله عليه وسلم حتى باع غنيمة له ، وهذا الحديث وإن كان فيه انقطاع فانه روى من طريق اخرى عن عبدالله بن مسعود مرفوعا .

والبخاري في صحيحه جعل بابا بعنوان « باب الربط والحبس في الحرم » قال ابن حجر في شرح البخاري « فتح البارى » كأنه أشار بهذا التبويب الى رد ما نقل عن طاووس أنه كان يكره السجن بمكة ويقول : لا ينبغي لبيت عذاب أن يكون في بيت رحمة .

ويقال : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من اتخذ دارا للسجن في مكة ، اشتراها من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وكان ذلك بمعرفة عامله على مكة « نافع بن عبدالحرث الخزاعى » وقيل : إن أول من اتخذ دارا للسجن هو معاوية بن أبي سفيان ، كما ذكره المقريزى « الخطط ج٣ ص٢٠٢ » وكان القاضي شريح هو أول من حبس في الدين .

ومن وقائع الحبس أيام عمر رضي الله عنه أنه حبس الحطيئة الشاعر الهجاء ، لتطاوله على ابن بدر ، عامل عمر ، أو هدده بالحبس حتى تضرع له بقصيدة معروفة منها قوله :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فعفا عنه .

وكذلك حبس عمر أبا محجن الثقفي لما جلده على السكر ، ونفاه الى جزيرة في البحر ، فهرب من الرجل الذي كان يصحبه ، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو يحارب ، فكتب عمر الى سعد أن يحبسه وبعد نفيه الى « رابغ » وهروبه منها قبض عليه وسجن قرب القادسية أسفل قصر الامارة ، وتوسل الى سلمى بنت حفصة زوجة سعد فأطلقته ، واشترك في الحرب وأبلى بلاء حسنا ، ثم عاد الى القيد ، وفي النهاية أفرج عنه بعد توبته .

وأيضا معن بن زائدة ، أمر المغيرة بن شعبة بحبسه في حادث تزوير في أوارق رسمية ، ولما هرب من السجن عاد الى عمر تائبا ، وفي النهاية عفا عنه .

وعثمان بن عفان رضى الله عنه أقر عقوبة الحبس ، ومن سجنائه جنائي بن الحرث الذي هجا بنى جرول . ويلاحظ أنه لم يكن له مكان خاص ، بل كان يسجن أحيانا في السجن ودهاليز البيوت ، وأما على بن أبي طالب رضي الله عنه فيقال : إنه حبس الغاصب ، وآكل مال اليتيم ظلما ، والخائن في الأمانة ، وخصص للسجن مكانا ، وكان أولا من أعواد القصب ، ثم بنى غيره محكما ، ويقول البلاذرى والمسعودي : إن معاوية أربى على الخلفاء في إعداده السجون والاهتمام بها .

ومن أنواع السجن النفي ، لأنه فصل عن المجتمع الذي كان يعيش فيه المنفي ، ومنه قوله تعالى في جزاء المحاربين المفسدين:( أو ينفوا من الأرض ) المائدة ٣٣ .

وقد قرر الفقهاء إيقاع الحبس على المشترك في جناية حتى يفصل فيها ، وكذلك أجازوا التعزير للردع وللديون حتى ترد ، وللتأديب الذي يراه الحاكم .

فالسجن الموجود الآن نوع من التعزيرات التي لم تحدد في الاسلام لا كما ولا كيفا ، بل ترك أمرها الى القاضي ليقرر ما يراه مناسبا للجريمة أو المخالفة بوجه عام .

ونظرا لبعض المعاملات القاسية التي تتخذ مع المسجونين الآن ، رأى بعض العلماء عدم جوازه ، رجوعا الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر ، مع استبدال اجراءات أخرى به ، تضمن رد الحقوق الى أصحابها ومنع الضرر عن الناس .

هذا ، وقد تطورت السجون في التشريعات الحديثة لدى بعض الدول ، فجعلت كمؤسسة تربوية ، يعامل فيها المسجون كمريض تدرس أحواله ، ويعالج بطرق خاصة ، لنجعل منه مواطنا صالحا بعد الانتهاء من مدة احتجازه .

والشوكانى في كتابه نيل الأوطار « ج٩ص٢١٨ » يقول بعد بحث الموضوع : والحاصل أن الحبس وقع في زمن النبوة وفي أيام الصحابة والتابعين فمن بعدهم الى الآن في جميع الأعصار والأمصار من دون إنكار ، وفيه من المصالح ما لا يخفى .

وأخذ يعدد هذه المصالح الى أن قال : وقد استدل البخارى على جواز الربط بما وقع منه صلى الله عليه وسلم من ربط ثمامة بن أثال بسارية من سوارى مسجده الشريف ، كما في القصة المشهورة في الصحيح .

وأرى أنه لا مانع شرعا من الزيارة الخاصة بين الزوجة وزوجها المسجون ، وقاية لها من الانحراف ومصلحة له أيضا ، وليس في ذلك إغراء له على عمل ما يدخله السجن ، فان تقييد حريته في مخالطة زوجته ورعاية أهله وفي التصرفات الأخرى فيه تعزير ، والله أعلم .

# مع صحافة العالم

## أئمة متخصصون إلى أمريكا

زار الكويت مؤخرا الدكتور محمد رشدان الأمين العام لاتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وأجرى جولة من المحادثات مع المسؤولين بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

وقال رشدان إن تجاوبا تاما بين وزارة الأوقاف وبين الاتحاد من حيث إرسال الأئمة والتعاون في مختلف المجالات الثقافية الاسلامية، وقد تمت الاستجابة من قبل المسؤولين في الوزارة لإيفاد بعض الأئمة إلى هناك .

حول اللحوم المصدرة إلى الدول الاسلامية :

تقول مصادر المركز الاسلامي في الدانمارك ان اللحوم المصدرة إلى منطقة الشرق الأوسط خلال السنوات الثلاث الماضية لم تذبح على الطريقة الاسلامية .

وقد ثبت أن الشهادات التي صدرت حول حل هذه اللحوم كانت مزورة، نشرت ذلك الصحف الدانماركية ، وذكرت بعض هذه الصحف أن هناك وثائق تدين بعض الشخصيات التي لها علاقة بهذا الموضوع .

والمعروف أن الطريقة التي يتم بها الذبح تقوم على أساس إطلاق الرصاص على رأس الحيوان فيموت قبل السلخ .

ويقول الدكتور مروان القيس خطيب مسجد المركز الاسلامي في الدانمارك إن من واجبي أن أقوم باعلام المسلمين في الشرق الأوسط بأن الطريقة التي يتم بها الذبح غير إسلامية .

وبعد هذا الاكتشاف الذي يؤكده المصدر المذكور، والتلاعب الذي واصلت الصحف الدانماركية نشره مؤخرا، ماذا نحن فاعلون ؟

## صرح جديد للقرآن الكريم في الكويت

اهتمت الصحف المحلية وأجهزة الاعلام المختلفة بنشر وقائع الاحتفال الكبير بافتتاح مركز تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره وتجويده بالفحاحيل .

فقد سارعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية إيمانا منها بسمو الهدف الذي

تؤمله من إضافة صرح جديد من صروح القرآن الكريم إلى رصيدها الكبير في هذا المضمار .

وقد ألقى معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية السيد يوسف جاسم الحجي كلمة جاء فيها :

إن حفظ القرآن الكريم وجودة ترتيله وتفهم معانيه أمنية تترد أصداؤها في كل نفس مسلمة لأن القرآن يغمر القلوب بنوره ويربط الانسان بربه ويحس بأعظم النعم تحيط به حين تنزل عليه السكينة وتغشاه الرحمة وتحفه الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » .

ومما لا شك فيه أن التربية القرآنية هي أساس صلاح الفرد والمجتمع إذا احتكم المسلمون الى كتاب الله وفهموه عقيدة وطبقوه سلوكا وأخلاقا ومعاملة .

لقد صلح أول هذه الأمة بالقرآن ولن يصلح آخرها إلا به ، وأنه يهدي الى سبل السلام ويخرج الأمة من الظلمات الى النور ويهديها الى الصراط المستقيم ، قال الله تعالى : ( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ) .

من اجل هذا حرصت الوزارة انطلاقا من مسئوليتها عن القرآن الكريم وصيانته على انشاء دار للقرآن تتميز الدراسة فيها بطابع فريد انفردت به الكويت حيث تقتصر الدراسة على التحفيظ والتجويد والتفسير في نظام شامل متكامل يتخرج الدارس في نهاية المرحلة وقد حفظ القرآن الكريم كله واتقن ترتيله وفهم معناه .

بدأ هذا المشروع الجليل مع استقبال شهر رمضان عام ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م . في المركز الرئيسي ، ومكنت الوزارة المسلمين من ان يعيشوا في جو قرآنهم بلا فوارق من سن أو جنسية وانتسب الى الدار اصحاب المستويات المختلفة في درجة الثقافة وانتظم في الدراسة الأئمة وكثير من مدرسي وزارة التربية وموظفي الدولة وعدد من الضباط والجنود والعمال وغيرهم ... وأقبل الجميع بروح عالية وايمان صادق وأمل مشرق فكان هذا الزحف البشري من المؤمنين بكتاب الله مبشرا بالنجاح المرتقب .

وأمام إلحاح الجماهير المؤمنة انشأت الوزارة فروعا للدار في الجهراء والفروانية والفحيحيل والسالمية لا يقل عدد الدارسين فيها حاليا عن ١٣٠٠ دارس ... ولما كانت المرأة المسلمة في أمس الحاجة الى حفظ القرآن الكريم ومعرفة أحكام الدين انشأت الوزارة للنساء مراكز خاصة في الضاحية والخالدية

والسالمية تنتظم فيها حاليا ما يقرب من ألف دارسة واننا بصدد التوسع بفتح فروع في الضواحي للنساء ان شاء الله .

هذا ولما كان الشباب هو أمل الأمة ومناط رجائها وفي أمس الحاجة الى تربية اسلامية رشيدة تحمي أخلاقه وتصون عقيدته امام تيار الالحاد والمبادىء الدخيلة سارعت الوزارة بالتعاون مع جمعية الاصلاح الاجتماعي في انشاء مراكز دائمة للشباب في المساجد تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتزويد الشباب بالثقافة الاسلامية يوميا في المناطق الرئيسية في قلب المدينة وضواحيها وذلك بالاضافة الى الدراسات الصيفية للبنين والبنات في كل عام ، وقد ظهر اثر ذلك في سلوك الشباب واخلاقهم بما يبشر بصحوة اسلامية تعم الشباب المؤمن ان شاء الله .

أيها الحفل الكريم :

مع فرحة الكويت باستقبال يومها الوطني التاسع عشر نفتتح على بركة الله المقر الجديد لمركز من مراكز دار القرآن الكريم بمنطقة الفحيحيل واني اذ اشكر لكم تلبية الدعوة اذكر بكل تقدير تعاون المسئولين في وزارة التربية معنا في انجاح الدراسات القرآنية ، فقد فتحت أبواب المدارس لنا في كل منطقة ولبي المسئولون كل طلب يتصل بهذا المشروع الجليل ، واشكر لوزارة الاعلام تعاونها معنا في اذاعة القرآن الكريم وإسماع صوته للجماهير المسلمة في الكويت وخارجها .

كما أشكر الأساتذة والمشرفين على تحفيظ القرآن الكريم وأسأل الله أن يجزي بالخير أهل القرآن ومن يبذل جهدا في صيانة القرآن ومن يسير على هديه ويعمل به .

وختاما نتقدم الى سمو أمير البلاد وإلى سمو ولي عهده بهذه المناسبة الكريمة وهى الاحتفال باليوم الوطني التاسع عشر لدولة الكويت وإلى الشعب الكويتي الكريم بالتهنئة الخالصة بهذه المناسبة سائلا المولى جلت قدرته أن ينعم علينا بنعمة الاسلام والايمان وأن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

وألقى المستشار الثقافي والمسئول عن دار القرآن الكريم الشيخ حسن مناع كلمة نوه فيها بما للقرآن الكريم من فضل على الأمة وأنه جاء فأخرج الناس من الظلمات إلى النور وأنه ما من أمة اهتمت بالقرآن الكريم إلا وخطت خطوات رائدة في كل المجالات وذكر المستشار الثقافي للصحف المحلية أنه انتسب إلى الدار كثير من الراغبين في حفظ القرآن الكريم على اختلاف مستوياتهم العلمية لقد جاء هؤلاء بدافع من الايمان بالقرآن وإصلاحه للنفوس .

كما أن الوزارة فتحت أبوابها لجميع الجنسيات دون التقيد بسن معينة وهو مشروع فريد لا نظير له في العالم العربي والاسلامي .

وحول فروع خاصة بالنساء يقول إن الرغبة ملحة بشأن الاكثار منها وقد أضيفت للنساء مناهج خاصة بهن وهى مادة الفقه والسيرة النبوية والحديث الشريف ومادة النحو .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

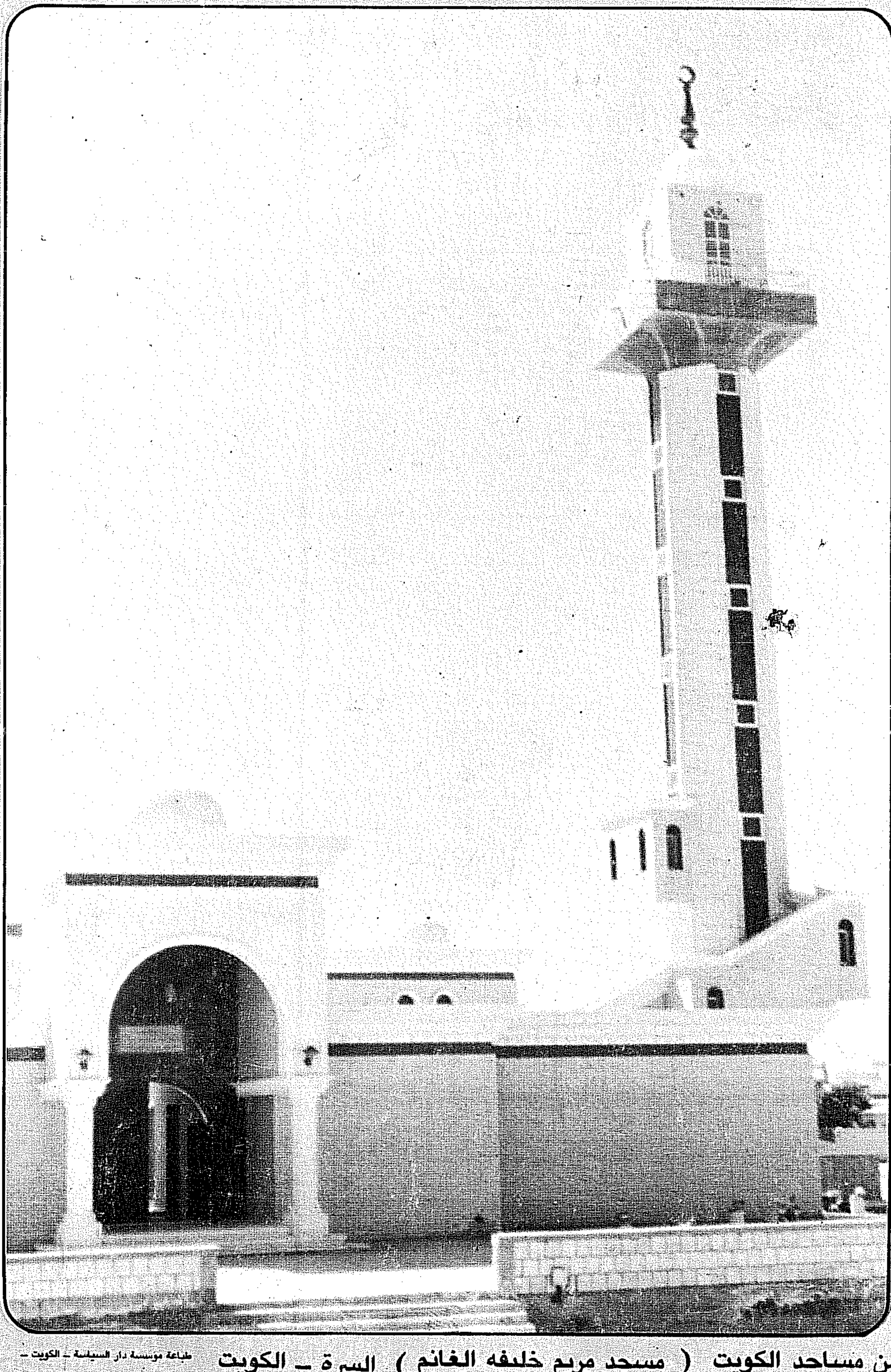
| أيام الأسبوع | جمادى الأولى | مارس | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س |
| الاثنين | ١ | ١٧ | ١٠٣٩ | ١١ ٥٨ | ٥ ٥٩. | ٩ ٢٥ | ١ ١٧ | ٣٧ | ٥ ٥٦ | ١١٥٧ | ٣ ٢٢ | ٦ ٥٨ | ٧ ١٤ |
| الثلاثاء | ٢ | ١٨ | ٣٧ | ٥٦ | ٥٨ | ٢٥ | ١٧ | ٣٥ | ٥٤ | ٥٦ | ٢٣ | ٥٨ | ١٤ |
| الاربعاء | ٣ | ١٩ | ٣٥ | ٥٤ | ٥٧ | ٢٤ | ١٧ | ٣٤ | ٥٣ | ٥٦ | ٢٣ | ٥٩ | ١٥ |
| الخميس | ٤ | ٢٠ | ٣٤ | ٥٣ | ٥٧ | ٢٤ | ١٧ | ٣٣ | ٥٢ | ٥٦ | ٢٣ | ٥٩ | ١٦ |
| الجمعة | ٥ | ٢١ | ٣٢ | ٥١ | ٥٦ | ٢٣ | ١٧ | ٣٢ | ٥١ | ٥٥ | ٢٣ | ٦ .. | ١٧ |
| السبت | ٦ | ٢٢ | ٣٠ | ٤٩ | ٥٥ | ٢٢ | ١٧ | ٣٠ | ٥٠ | ٥٥ | ٢٣ | ١ | ١٧ |
| الاحد | ٧ | ٢٣ | ٢٨ | ٤٧ | ٥٤ | ٢٢ | ١٧ | ٢٩ | ٤٨ | ٥٥ | ٢٣ | ١ | ١٨ |
| الاثنين | ٨ | ٢٤ | ٢٦ | ٤٥ | ٥٣ | ٢١ | ١٧ | ٢٨ | ٤٧ | ٥٤ | ٢٣ | ٢ | ١٩ |
| الثلاثاء | ٩ | ٢٥ | ٢٤ | ٤٤ | ٥٢ | ٢١ | ١٧ | ٢٧ | ٤٦ | ٥٤ | ٢٣ | ٢ | ١٩ |
| الاربعاء | ١٠ | ٢٦ | ٢٢ | ٤٢ | ٥١ | ٢٠ | ١٧ | ٢٥ | ٤٥ | ٥٤ | ٢٣ | ٣ | ٢٠ |
| الخميس | ١١ | ٢٧ | ٢١ | ٤٠ | ٥٠ | ٢٠ | ١٨ | ٢٤ | ٤٤ | ٥٤ | ٢٣ | ٣ | ٢١ |
| الجمعة | ١٢ | ٢٨ | ١٩ | ٣٨ | ٤٩ | ١٩ | ١٨ | ٢٣ | ٤٣ | ٥٣ | ٢٣ | ٤ | ٢١ |
| السبت | ١٣ | ٢٩ | ١٧ | ٣٦ | ٤٨ | ١٨ | ١٨ | ٢١ | ٤١ | ٥٣ | ٢٣ | ٥ | ٢٢ |
| الاحد | ١٤ | ٣٠ | ١٥ | ٣٥ | ٤٨ | ١٨ | ١٨ | ٢٠ | ٤٠ | ٥٣ | ٢٣ | ٥ | ٢٣ |
| الاثنين | ١٥ | ٣١ | ١٣ | ٣٣ | ٤٧ | ١٧ | ١٨ | ١٩ | ٣٩ | ٥٢ | ٢٣ | ٦ | ٢٣ |
| الثلاثاء | ١٦ | ابريل | ١١ | ٣٢ | ٤٦ | ١٧ | ١٨ | ١٨ | ٣٨ | ٥٢ | ٢٣ | ٦ | ٢٤ |
| الاربعاء | ١٧ | ٢ | ٩ | ٣٠ | ٤٥ | ١٦ | ١٨ | ١٦ | ٣٧ | ٥٢ | ٢٣ | ٧ | ٢٥ |
| الخميس | ١٨ | ٣ | ٨ | ٢٨ | ٤٤ | ١٦ | ١٨ | ١٥ | ٣٥ | ٥١ | ٢٣ | ٧ | ٢٥ |
| الجمعة | ١٩ | ٤ | ٦ | ٢٦ | ٤٣ | ١٥ | ١٨ | ١٤ | ٣٤ | ٥١ | ٢٣ | ٨ | ٢٦ |
| السبت | ٢٠ | ٥ | ٤ | ٢٤ | ٤٢ | ١٤ | ١٨ | ١٢ | ٣٣ | ٥١ | ٢٣ | ٩ | ٢٧ |
| الاحد | ٢١ | ٦ | ٢ | ٢٣ | ٤٢ | ١٤ | ١٩ | ١١ | ٣٢ | ٥١ | ٢٣ | ٩ | ٢٨ |
| الاثنين | ٢٢ | ٧ | .. | ٢١ | ٤١ | ١٣ | ١٩ | ١٠ | ٣١ | ٥٠ | ٢٣ | ١٠ | ٢٨ |
| الثلاثاء | ٢٣ | ٨ | ٩ ٥٨ | ٢٠ | ٤٠ | ١٣ | ١٩ | ٩ | ٣٠ | ٥٠ | ٢٣ | ١٠ | ٢٩ |
| الاربعاء | ٢٤ | ٩ | ٥٦ | ١٨ | ٣٩ | ١٢ | ١٩ | ٧ | ٢٩ | ٥٠ | ٢٣ | ١١ | ٣٠ |
| الخميس | ٢٥ | ١٠ | ٥٤ | ١٦ | ٣٨ | ١١ | ١٩ | ٦ | ٢٧ | ٤٩ | ٢٣ | ١٢ | ٣٠ |
| الجمعة | ٢٦ | ١١ | ٥٣ | ١٤ | ٣٧ | ١١ | ١٩ | ٥ | ٢٦ | ٤٩ | ٢٣ | ١٢ | ٣١ |
| السبت | ٢٧ | ١٢ | ٥١ | ١٢ | ٣٦ | ١٠ | ١٩ | ٣ | ٢٥ | ٤٩ | ٢٣ | ١٣ | ٣٢ |
| الاحد | ٢٨ | ١٣ | ٤٩ | ١١ | ٣٦ | ١٠ | ٢٠ | ٢ | ٢٤ | ٤٩ | ٢٣ | ١٣ | ٣٣ |
| الاثنين | ٢٩ | ١٤ | ٤٧ | ٩ | ٣٥ | ٩ | ٢٠ | ١ | ٢٣ | ٤٨ | ٢٣ | ١٤ | ٣٤ |
| الثلاثاء | ٣٠ | ١٥ | ٤٥ | ٧ | ٣٤ | ٨ | ٢٠ | .. | ٢٢ | ٤٨ | ٢٢ | ١٥ | ٣٤ |

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ — الشويخ — الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

| | | |
|---|---|---|
| مصر | : | القاهرة — مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء . |
| السودان | : | الخرطوم — دار التوزيع — ص.ب ( ٣٥٨ ) |
| ليبيا | : | طرابلس — الشركة العامة للتوزيع والنشر . |
| المغرب | : | الدار البيضاء — الشركة الشريفة للتوزيع . |
| تونس | : | الشركة التونسية للتوزيع . |
| لبنان | : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) |
| الاردن | : | عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) |
| السعودية | : | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ )<br>الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ )<br>الطائف : مكة المكرمة :<br>برحة نصيف / مكتبة جدة<br>المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| مسقط | : | المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص.ب:(١٠١١) |
| البحرين | : | دار الهلال . |
| قطر | : | دار الثقافة للتوزيع — الدوحة ص.ب. ٣٢٣ . |
| أبو ظبي | : | مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف — ص.ب:(٣٢٩٩) |
| دبي | : | مكتبة دبي . |
| الكويت | : | شركة الخليج لتوزيع الصحف — ص.ب : (٤٢٠٥٧) |

**ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**



من مساجد الكويت ( مسجد مريم خليفه الغانم ) السرة ـ الكويت

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

# الوعي الإسلامي

# AL-WAIE AL-ISLAMI


KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٦ ○ جمادي الآخرة ١٤٠٠ هـ ○ ابريل ١٩٨٠ م


## هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

## عنوان المراسلات


مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١


## ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# العماد الأول للاسلام

بين رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الاسلام يقوم على أركان خمسة فقال : ( بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ) .

والركن الأول من هذه الأركان ، وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، هو الذي تقوم عليه بقية الأركان ، وهو في شقه الأول إقرار من العبد لله تعالى بالألوهية المطلقة ، وهذا يعني أن السلطة الحقيقية التي يجب أن تعبد وتطاع هي ـ الله وحده ـ فلا يجوز الخضوع لغيره ، وقد قال الله تعالى لرسوله موسى عليه الصلاة والسلام : ( فاستمع لما يوحى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ) وخاطب رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) .

ويعني كذلك أن الله تعالى هو وحده القوة المدبرة لهذا الكون ، وأنه لا تدبير لانسان في صغيرة ولا كبيرة الا أن يشاء الله ، ومن ثم يجب أن يؤخذ عن شريعة الله كل وسائل الحياة ، لأنها شريعة اللطيف الخبير الذي يعلم أمر عباده ، ويشرع لهم ما فيه خيرهم وسعادتهم .

وشريعته ـ سبحانه ـ واقع أرضي عظيم الخطر كبير الشأن ، تقوم عليه سياسة الحكم ، والمال ، والقضاء ، والادارة ، وكل تنظيمات الأرض ، وكل العلاقات التي تقوم بين طوائف المجتمع المختلفة ، المتضاربة المصالح والحقوق والواجبات . فلا حكم الا بما أنزل الله ولا تصريف للمال الا بما رسم الله ، ولا تنظيم لأمور المجتمعات الا بما بينه الله قال تعالى : ( وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ) .

أما الشق الثاني من هذا الركن ، وهو شهادة أن محمدا رسول الله فيدلنا على المصدر الذي نستقي منه هداية الله ونأخذ عنه تفسير وحي

الله : ( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ) فرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأقواله وأفعاله وتقريراته ، هو البيان الصحيح الكامل الدقيق لشريعة الله ، ومن ثم كان القدوة التي يجب الاقتداء بها :(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ) .

واي تجاه لمشرق أو مغرب بحثا عن قدوة ومثال ، اتجاه ضال ، تشقى به الحياة ولا تسعد ، وتذل به الأمم ولا تنهض .. ذلك أن الجوانب الصحيحة النظيفة للحياة الدنيوية والأخروية ، لا تتمثل في أروع صورها الا في محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو الانسان الذي تجمعت فيه كل المعاني الانسانية الكريمة ، يتسامح ويعفو حين يتطلب المجال التسامح والعفو ، ويشتد على الأعداء ويثبت في الجهاد ــ حتى في أحلك الظروف وغلبة الأعداء ــ حتى يحول الهزيمة الى نصر والضعف الى قوة ، ويعدل ، فلا يصرفه عن اقامة الحق شفاعة صاحب ، ولا شرف شريف ، ولا قرابة قريب ، ويدعو الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيجمع بتواضعه ولينه القلوب ويؤاخي بين النفوس .

اذن فليست شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، مجرد لفظ يلفظ به اللسان ، ولا مجرد وجد يجيش به الجنان ، وانما هي خضوع لله وتطبيق لشريعته ، واقتداء برسوله في كل ما جاء به عن ربه جل وعلا .

وللايمان بالله وبشريعته وبرسوله محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ طعم حلو جميل ، يتذوقه المؤمنون الراضون بربوبية الله وشرعه وقيادة رسوله ، قال عليه الصلاة والسلام : « ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبيا ورسولا » .

واتباع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما جاء به من عند الله ، هو البرهان الواضح على حب المسلم لخالقه ، وهو الأساس لرحمة الله بعباده ، ومغفرته لذنوبهم قال تعالى لرسوله : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ) .

وكل من ادعى محبة الله وهو عازف عن شريعته غير متبع لما جاء به رسوله فهو كاذب في دعواه قال تعالى : ( قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ) وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » .

ذلك أن الاسلام معرفة ، واقرار ، وانقياد لأوامر الله ظاهرا وباطنا ، فمن عرف وعى ، ومن أقر أعلن ومن انقاد برهن على صدق إعلانه .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

# تفسير سورة الصف

## الحلقة الثالثة

للأستاذ / محمد عزة دروزه

( ● ) والآية الثانية من الآيات التي نحن في صددها أي الآية ( ٦ ) قد حكت أقوال عيسى عليه السلام لبني اسرائيل التي منها انـه بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد . وهـذا الاسـم مرادف في المعنـى والاشتقاق لاسم محمد الـوارد في القرآن الكريم والذي كان يتسمى به النبي صلى الله عليه وسلم منذ طفولته على ما هو متواتر يقيني . وأحمد صفة تفضيل من ( الحمد ) ولقد أورد ابن كثير في سياق الآية حديثا رواه البخاري عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لي أسماء . فأنا محمد وأنـا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الـذي يحشر الناس على قدمي . وأنا العاقب » . وأورد حديثا آخر رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري جاء فيه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه بأسماء فقال : « أنا محمد وأنا أحمد والمقفى والحاشر ونبي الرحمة ونبي التوبة » .

( ● ) وفي سورة الاسراء هذه الآيات : ( **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا** ) ١٠٧ و ١٠٨ . وفي سورة الأعراف هذه الآية : ( **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهـم بالمعـروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ) آية ١٥٧ . والذين أوتوا العلم المذكورون في آيات الاسراء

هم أهل التوراة والانجيل حيث يكونون قد علموا بصفة رسول الله فيهما وحيث بلغهم بشارة عيسى عليه السلام به فرأوا في ظهوره ودعوته تحقيقا للصفات المأثورة ولبشارة عيسى فقالوا ان وعد ربنا قد تحقق فآمنوا وخشعوا .

( ● ) ولقد ذكرت البشارة والاسم بصراحة في انجيل يسمى انجيل برنابا ( ترجم هذا الانجيل عن الطليانية الدكتور خليل سعادة وطبع في مطبعة محمد علي صبيح وأولاده في القاهرة عام ١٣٢٦هـ ) . وإذا كان النصارى ينكرون هذا الانجيل فان في الأسفار المتداولة المعترف بها كثيرا من الاشارات والدلالات والتعبيرات التي يمكن صرفها الى تأييد ذلك مما أورد السيد رشيد رضا عليه الشواهد الكثيرة بأسلوب فيه من قوة الحجة ما فيه لاقناع غير المكابرين . وقد أورد ذلك في الجزء السابع من تفسيره العظيم وفي سياق تفسير آية الاعراف ( ١٥٧ ) واكتفينا بهذه الاشارة تفاديا من التطويل .

( ● ) وفي الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا أحد الاناجيل الأربعة المعترف بها عبارات فيها تصديق لآية سورة الصف بخاصة التي تحكي بشارة عيسى عليه السلام برسول يأتي من بعده اسمه أحمد حيث جاء فيها ( إن في إنطلاقي خيرا لكم . لأني إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى . ولكن إذا مضيت أرسلته إليكم . ومتى جاء يبكت الناس على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة . وإن عندي كثيرا أقوله لكم . ولكنكم لا تطيقون حمله الآن . ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق . لأنه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما سمع ويخبركم بما يأتي ) . وكلمة ( المعزى ) جاءت في الطبعة البروتستانتية ( البار قليط ) والباحثون المسلمون يقولون إنها كلمة تعني الحمد . والنصارى يقولون إن البار قليط او المعزى المبشر بمجيئه هو روح القدس . مع أن روح القدس عندهم صفة من صفات الله غير منفكة عن ذات الله . وعبارة الانجيل تفيد بقوة أنه شخص يأتي بعد عيسى ويبكت الناس ويهديهم إلى البر . ( انظر كتاب دليل الحيارى للامام ابن قيم الجوزية ) . وما جاء في هذه الآية وفي آية الأعراف كان يتلى علنا . ولا يمكن أن يكون — ونقول ذلك من باب المساجلة — إلا بتسليم السامعين من أهل الكتاب به وقد امنوا نتيجة لذلك . ومن لم يؤمن فقد كان مكابرا ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة ...

( ● ) ولقد أورد المفسرون ومنهم الطبري وابن كثير والبغوى في سياق آيات الصف التي نحن في صددها بضعة أحاديث تفيد أن بشارة عيسى عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم مما كان متداولا على الألسنة في زمن النبي وبيئته ويؤيده إيمان أهل العلم والكتاب به مما سجله القرآن في آية الاعراف ( ١٥٧ ) وآيات القصص ( ٥٢ و ٥٣ ) وآيات الاسراء ( ١٠٧ و ١٠٨ ) المكية

وآيات آل عمران ( ١٩٩ ) والنساء ( ١٦٢ ) والمائدة ( ٨١ ـ ٨٣ ) المدنية منها حديث رواه ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار جاء فيه : ( إن الله يقول لعيسى عليه السلام : هو عبدي المتوكل المختار ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطابة . ويملك الشام . وأمته الحمادون . يحمدون الله على كل حال . وفي كل منزلة لهم دوى كدوى النحل في جو السماء . بالسحر يعرضون أطرافهم . ويأتزرون على أنصافهم في القتال مثل صفهم في الصلاة . رعاة الشمس يصلون حيث أدركتهم ولو على ظهر دابة ) ومنها حديث أخرجه الامام أحمد عن عبدالله بن مسعود ـ وأورده أيضا ابن كثير ـ جاء فيه فيما جاء : ( إن عمرو بن العاص قال للنجاشي حينما جاء إليه موفدا من قريش للوشاية بالمهاجرين الأولين إلى الحبشة ولاسترجاعهم : إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم فقال لهم : ما تقولون ؟ قالوا : نقول كما قال الله عز وجل : كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشر ولم يعترضها ولد . فرفع عودا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان . والله ما يزيدون على الذي تقولون فيه ما يساوي هذا . ثم قال لهم مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده . أشهد أنه رسول الله وأنه هو الذي نجد في الانجيل ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم . انزلوا حيث شئتم . والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه ) ومنها حديث أورده الخازن والزمخشري عن كعب الأحبار جاء فيه ( إن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا أمة . قال : نعم ، يأتي بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ) .

( ● ) أما ما جاء في الآية ( ٦ ) من حكاية قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل إنه رسول الله إليهم ففي الأناجيل المتداولة التي يعترف بها النصارى كثير من العبارات المؤيدة لذلك وهذه طائفة من ذلك : ( أراه إبليس جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه كلها إن خررت ساجدا لي . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . فانه قد كتب للرب إلهك تسجد له وحده تعبد ) ( متى ٤ ـ ١١ ) و ( لا لكم أبا على الأرض فان أباكم واحد وهو الذي في السموات ) ( متى ٣٣ ـ ١٠ ) ( ولكن لكي تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا ) ( مرقس ٢ ـ ١٠ ) ويقصد نفسه بابن البشر . ( فقال يسوع لماذا تدعوني صالحا إنه لا صالح إلا الله وحده ) ( مرقس ) ، ١٠ ـ ١٩ ) و ( فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخرى بملكوت الله لأني لهذا ارسلت ) ( لوقا ٤ ـ ٤٤ ) .

( الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني له الحياة الأبدية ولا يصير إلى دينونة . ولكنه قد انتقل من الموت إلى الحياة ) ( يوحنا ٥ ـ ٢٥ ) و ( أما أنا فلي شهادة أعظم من شهادة يوحنا لأن الأعمال التي أعطى لي الأب أن أتممها هذه الأعمال التي أنا أعملها هي تشهد لي بأن الأب قد أرسلني ) ( يوحنا الاصحاح ٥ ـ ٣٧ )

( فأجابهم يسوع وقال إن تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني ) ( يوحنا ٧ ـ ٤٥ ) ( فقال لهم يسوع إذا رفعتم ابن البشر فحينئذ تعرفون اني أنا هو وأني لست أفعل شيئا من عندي ولكني كما علمني الأب كذلك أقول ( يوحنا ٨ ـ ٢٩ ) ( فصاح يسوع وقال من آمن بي فليس بي يؤمن بل بالذي ارسلني ) ( يوحنا ١٢ ـ ٤٥ ) ( إن تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني . ان شاء أحد أن يصنع مضيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أنا أتكلم من عندي . إن من يتكلم من عنده إنما يطلب مجد نفسه فأما الذي يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق ولا جور عنده ( يوحنا ٧ ) ( أما أنت فاذا صليت فادخل مخدعك وصل إلى أبيك في الخفية وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك ) ( متى ٦ ـ ٧ ) .

( ابانا الذي في السموات ... إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم ) متى . ( طوبي لصانعي السلام فانهم أبناء الله يدعون ) ( متى ٥ ـ ١٠ ) .

**( يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ( ١٠ ) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ( ١١ ) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ( ١٢ ) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ( ١٣ )** سورة الصف .

**شرح وتعليق :**

( ١ ) عبارة الآيات واضحة . ولم يورد المفسرون رواية ما في صددها . والمتبادر أنها متصلة بمطلع السورة . وفيها عود على بدء في الحث على الجهاد . وهذا يؤيد ما قلناه إن الآيات التي جاءت بعد المطلع قد جاءت على سبيل التعقيب والاستطراد والتدعيم . ويسوغ ترجيح نزول هذه الآيات وما قبلها معا .

( ٢ ) أسلوب الحث والترغيب الذي جاءت عليه قوى . وقد احتوت بشارتين للمؤمنين الذين وجه إليهم الخطاب . أولاهما ، أخروية وهي رضاء الله تعالى ومغفرته وجناته . وقد قدمت بالذكر لأنها خير وأبقى . وثانيتهما ، دنيوية مما يحبونه وهي النصر في الجهاد الذي يدعون إليه والفتح السهل القريب الذي سوف ييسره الله لهم .

( ٣ ) وسورة الفتح التي تأتي في روايات ترتيب النزول بعد سورة

الصف مباشرة قد احتوت تنويهاً عظيماً بفتح الله المبين الذي قصد به صلح الحديبية . واحتوت كذلك إشارة إلى فتح قريب ومغانم كثيرة يسرها الله للمسلمين . وهذا ما كان نتيجة غزوة خيبر وما بعدها التي كانت بعد صلح الحديبية مباشرة تقريباً . وهكذا تكون البشارة الدنيوية التي احتوتها الآيات لم تلبث أن تحققت فكان ذلك من منجزات القرآن الباهرة .

( ٤ ) وقد يكون هذا التوافق بين السورتين دليلا أو قرينة على صحة ترتيب هذه السورة بين يدي سورة الفتح .

( ٥ ) ولقد كان ما احتوته الآيات من بشائر دنيوية وما احتوته آيات أخرى من إشارات إلى الغنائم التي تدخل في يد المسلمين نتيجة للحركات الجهادية التي يقومون بها وسيلة لغمز أعداء الاسلام ، وقولهم : إن القرآن كان يثير في نفوس المسلمين مطامع الغنائم والفتح فيحملهم على القتال حتى لقد قال بعضهم : إن بعض الوقائع الحربية مثل وقعة خيبر لم تكن إلا وسيلة إلى ملء أيدي المسلمين بالغنائم ومكافأة لهم على الاسلام .

وننبه أولا على أن حث المسلمين على القتال لم يقتصر في أي موضوع قرآني على الاغراء بنتائجه الدنيوية . بل كان الترغيب في ذلك يأتي على الهامش كما يظهر من الآيات التي نحن في صددها وفي آيات كثيرة مثبوتة في سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والأنفال ، والتوبة ، والأحزاب ، بل إن أكثر الآيات التي حثت على الجهاد قد اقتصرت على الترغيب برضاء الله وجزائه الأخروي . وعلى بيان ما في الجهاد من واجب عظيم وضرورة مبرمة لاعلاء كلمة الله ومقاتلة العدوان وضمان حرية الدعوة إلى دين الله وحرية المسلمين وأمنهم ومن دليل على صحة إيمان المؤمنين . بل وكان الخطر والقتل والأذى والغم والفرح والجهد هو الأكثر توقعا وورودا والذي نبه إليه القرآن في آيات كثيرة : ( اقرأ آيات البقرة ١٩٥ و ٢١٦ و ٢١٨ وآل عمران ١٥١ ــ ١٧٥ والنساء ٧٤ ــ ٧٩ و ٨٣ و ٩٤ و ١٠٠ و ١٠٤ والأنفال ٨ و ٣٨ ــ !؟ و ٦٧ ــ ٦٨ والتوبة ٢٤ و ٣٨ ــ ٥٣ و ٨١ ــ ٩٩ و ١١١ و ١١٩ و ١٢٢ والأحزاب ٩ ــ ٢٠ .

وننبه ثانيا على أننا لسنا نرى شذوذا أو محلا للفخر بالقرآن حتى فيما احتواه من بشرى الفتح والغنائم والترغيب فيها لأن ذلك متسق كل الاتساق مع طبيعة الحياة . وهذا هو أسلوب القرآن عامة في معالجة الأمور ، مما فيه حكمة سامية ترشح الشريعة الاسلامية للخلود .

وفي صدد ( جنات عدن ) نقول : إن هذه العبارة وما يقاربها تكررت في القرآن . ولقد ذكرت جنة عدن في سفر التكوين أول اسفار العهد القديم على أنها هى التي أسكن الله آدم فيها حينما خلقه ولا يعرف يقينا كتاب هذا السفر ومصدره وزمنه وإن كان فيه

ما يفيد أنه كتب بأقلام إسرائيلية بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة . وفي آثار سبأ اليمن المنقوشة جنات اسمها ( أدنت ) ويرجح أن اسم عدن اليمن المشهورة إلى اليوم تطور عنها . فيجوز أن تكون هذه الجنات مما كان مشهورا بحسن سنائه وروائه في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم .

ولقد اقتضت حكمة التنزيل وصف نعيم الآخرة وعذابها بأوصاف دنيوية للتأثير والترغيب والترهيب فيجوز أن يقال إن الله سبحانه أراد تبشير عباده الصالحين بجنات مثل الجنات التي سمعوا بها وسماها باسمها والله تعالى أعلم .

**( يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ١٤ )** الصف / ١٤ .

**شرح وتعليق :**

( ١ ) وهذه الآية متصلة بالموضوع نفسه بأسلوب آخر فيه تمثيل وتذكير وحث ودعوة إلى الناس :

● فالمؤمنون بالرسالة المحمدية مدعوون إلى أن يكونوا أنصار الله .

● وعليهم أن يتأسوا بالحواريين الذين استجابوا إلى دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام حينما هتف قائلا : **( من أنصاري إلى الله )** فأعلنوا أنهم أنصار الله .

● وكان نتيجة لذلك أن آمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى ورسالته ، وكفرت طائفة ، فأيد الله تعالى المؤمنين على أعدائهم فظهروا عليهم وانتصروا .

( ٢ ) والتأسى المطلوب هو أن يستجيب المؤمنون بالرسالة المحمدية لهتاف رسول الله ودعوته إلى نصره والجهاد في سبيل الله .

( ٣ ) والفقرة الأخيرة من الآية تنطوي على بشارة ضمنية للمؤمنين بالرسالة المحمدية إذا ما استجابوا لدعوة الرسول إلى النصر والجهاد حيث يكون الله تعالى مؤيدهم على الذين كفروا بهذه الدعوة ومظهرهم عليهم .

( ٤ ) وهذه الفقرة تنطوي كذلك على بيان وأسباب ما سجله التاريخ قبل نزولها وإلى حين نزولها من حقيقة وهي انتصار الذين آمنوا بعيسى عليه السلام على الذين كفروا به من بني إسرائيل .

( ٥ ) والآية وثيقة الصلة بما قبلها . والمرجح أنها نزلت معها ومع ما قبلها معا .

( ٦ ) وواضح أن العبارة القرآنية لا تفيد أن الحواريين هم فقط الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام من بني إسرائيل في حياته . بل تفيد أن جماعة أخرى قد آمنت أيضا وهو ما كان فعلا وحقيقة .

( ٧ ) وجملة : **( فأصبحوا ظاهرين )** قد تفيد أن الانتصار الذي تم للمؤمنين برسالة عيسى على

الكافرين بها قد وقع بعد وقت ما . وهو ما كان فعلا وحقيقة أيضا .

( ٨ ) وننبه في هذه المناسبة على أن في القرآن الكريم آيات كثيرة فيها توكيد رباني بنصر الله للمؤمنين ولرسله وبنصر الله لمن ينصره وكون نصر المؤمنين حقا على الله عز وجل وعلى أن معظمها موجه للمؤمنين بالرسالة المحمدية ( اقرأ آيات البقرة ٢١٤ ، والتوبة ١٥ و ٣٠ ، والأنفال ٢٦ ، والحج ٤٠ ، والروم ٤٧ ، والصافات ١٧١ ـ ١٧٣ ، وغافر ٥١ ومحمد ٧ ) .

( ٩ ) وكلمة : **( الحواريين )** قد تكررت في القرآن حيث جاءت أيضا في سورتي آل عمران والمائدة . وعلى رأي جمهور المفسرين ومنهم الطبري والبغوي وابن كثير والنسفي والخازن أنها عربية الأصل والمعنى مع اختلاف في التخريج . حيث قيل : إنها من ( الحور ) وهو البياض ، لأن الحواريين كانوا يلبسون الثياب البيضاء . أو من ( الحواري ) وهو لباب الدقيق وخالصه . وأطلقت الكلمة عربيا ومجازا على صفوة اخصاء الشخص وخالصتهم له .

ومما قيل : إن ( الحواري ) قد يعني النظيف النقي . ومن ذلك إطلاق ( الحورية ) و ( الحوريات ) و ( الحور ) على النساء الحضريات أو على من تكون ألوانهن ناصعة البياض أو شديدة النظافة .

ومما قيل : إن ( الحور ) في اللغة هو شدة بياض العين . ومنه الحور العين . واستنتج بعضهم أنها بمعنى النصير من حديث رواه الشيخان والترمذي جاء فيه : « ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس يوم الأحزاب كان الزبير بن العوام رضي الله عنه أول الملبين مرة بعد مرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواريي من أمتي الزبير » ولا يفيد الحديث كون الكلمة بمعنى النصير لغويا . وربما كانت بقصد تشبيه الزبير بحواريي عيسى الشديدي الاخلاص والاستغراق فيه ..

ولقد أرجع بعض الباحثين الكلمة إلى ( حوارا ) الآرامية بمعنى ( الأبيض ) وقالوا : إنها دخيلة على اللغة العربية . واللغة العربية واللغة الآرامية من أصل واحد . فلا يستبعد أن تكون الكلمة مشتركة . ولا يمكن القول إنها دخيلة لأن معناها لغويا عربيا ، البياض أيضا . ومما ذكره السيد رشيد رضا أن بعض كتاب النصارى زعموا أن الكلمة محرفة عن كلمة ( الخورى ) اليونانية الأصل وفند الامام رشيد هذا الزعم لغويا وصرفيا واستعمالا تفنيدا قويا .

( ١٠ ) هذا ، والحواريون اثنا عشر على ما ذكرهم أصحاب الأناجيل . وهم سمعان المدعو بطرس ـ اندراوس اخوه ـ يعقوب ابن زبدى ـ اخوه يوحنا ـ فيلبس ـ برتلماوس ـ توما ـ متى العشا ـ يعقوب بن ملفى ـ تدارس ـ سمعان الثانوي ـ يهوذا الاسخربوطي .

( انجيل متى ١٠ ـ انجيل مرقس ٣ انجيل لوقا ٦ )

والحمدلله رب العالمين

# في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

للأستاذ : محمد العفيفي

ترتيب الرسول لآيات القرآن وسوره وتنظيم معرفتنا الانسانية :

١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية .

٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية .

٣ ـ حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي في أجزاء الكون .

## ١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية :

جعل الله السنة هي التي ترتب آيات القرآن وسوره ، حيث أمر الله رسوله بالقيام بهذه المهمة الكبرى .

وترتيب السنة لآيات القرآن ، له نتائجه العملية ، التي تربط عقولنا وقلوبنا ربطا وثيقا بالقرآن والسنة . فاذا تم هذا الفهم لمن كان أهلا له ، من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ، ويجعلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بابا مفتوحا دائما بينهم وبين كتاب ربهم ، كان ذلك هو السبيل الى التفسير الصحيح لكل حقائق الكون والحياة .

إن ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، تؤدي إلى تنظيم التفكير الانساني ، مع كل صلة بين أحد من الناس ، وبين أي قليل أو كثير من القرآن .

ولننظر مثلا في هذه الجملة القرآنية وهي قوله تعالى : **( أفلا يتدبرون القرآن )** وقد جاءت ـ بسورة النساء في قوله تعالى : **( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )** ( ٨٢ ) النساء .

ثم جاءت ـ بسورة محمد في قوله تعالى :

**( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها )** ( ٢٤ ) محمد .

إن هذا الترتيب في سور المصحف ، يجعلنا نتذكر مع اتصال القراءة أن هذه الجملة السابقة وكذلك كل قول قرآني آخر مهما قل أو كثر ، مما يجعل تفكيرنا منظما ومرتبا على نحو موافق تماما للواقع العملي في الكون والحياة .

فآية سورة النساء تبين لنا مصدر القرآن وهو الله تعالى ، والله متفرد بصفات الألوهية وليس كمثله شيء لذلك فان القرآن لا ينبغي أن تجد فيه أي اختلاف .

يأتي هذا في ترتيب السور ـ اولا ـ ثم يأتي ـ أخيرا ـ في سورة محمد باب أخير في قضية تدبرنا للقرآن ، يبين لنا أن الذين لا يتدبرون القرآن إنما هم منغلقون على أنفسهم ، فلا يتم لهم أي صلة بالحق واليقين .

وهكذا تبدأ القضية السابقة وتنتهي في ترتيب موافق تماما للواقع العملي ، حيث نزل القرآن وحيا من الله تعالى ، فكان ذكره أولى بالتقديم ، ثم وجب على الناس أن يتدبروا القرآن ، فكان ذكرهم أولى بالتأخير .

ولولا وجود الجملة السابقة بموضعيها كما تم ترتيبهما في هاتين السورتين ، ما ظهرت لنا أهمية هذا الترتيب كما تتجلى في الآيتين السابقتين من سورة النساء ثم سورة محمد .

وهكذا تفتح السنة أمام العقل البشري ، أبواب كل العلوم ، في ترابط وانسجام ، وأخلاق فاضلة ، ومشاهد جميلة ، في وحدة وتنوع ، لا مجال معها لأي تناقض بين العقيدة

الصحيحة ، والقول الصادق ، والعمل الصالح .

ذلك أن الذي يجعلنا نشعر بالوحدة والتنوع ، والجمال والكمال في كل ما يحيط بنا من آيات الله القرآنية وآياته الكونية ، إنما هو هذا الترتيب الالهي ، لأجزاء كتابه القرآني ، وكتابه الكوني ، مع استقلال كل منهما بحقيقته ، لأن الخلق غير الكلام ، وإن كان مصدرهما الواحد هو الله تعالى وحده لا شريك له .

والقرآن في جملته وتفصيله ، مرتب هذا الترتيب ، الذي تظهر لنا آفاق عظمته ، مهما تتجدد حاجاتنا إلى النظر في الارتباط بين أي جزء من أجزائه ، وبين القرآن كله في جملته الواحدة ..

وهنا يتجلى لنا أن القرآن لا يحاط بكل ما فيه من الاعجاز .

فنحن لا نستطيع أن نحصي الروابط بين قليل القرآن وكثيره ، وإنما سبيلنا إلى ذلك ، أن نعمل بما علمنا منه ، وأن نؤمن بما لم نحط به من علومه ، فنرده إلى عالم كما أرشدتنا السنة المطهرة إلى ذلك .

وننظر فنجد البشر لا يستطيعون أن يحصروا حاجاتهم إلى ما تتعدد مواضعه من حروفهم في كلماتهم ، ثم من كلماتهم بين الكلام كله في أي كتاب من كتبهم ، أو في أي حوار من حوارهم ، الذي يديرونه فيما بينهم .

أما كلام الله فهو يحمل معه إعجازه العظيم ، في تقدير الله لمواضع كل حرف أو كلمة أو جملة ، بحيث نقرأ القرآن قراءة متصلة فنتذكر الآيات المتشابهة ، ويلفت أنظارنا ما تحتوي عليه من المقاصد المتنوعة المتجلاة ، لنستخلص من كل منها ما خصه الله به من وجوه العلم ، ونكتشف الترتيب المعجزة في هذه المقاصد ، التي تتفق دائما ، مع ما يخضع لها من آيات الله الكونية .

وكذلك نجد النظام نفسه إذا ربطنا بين معرفتنا الانسانية وبين أجزاء الآيات القرآنية من حرف أو كلمة أو جملة ، حيث لا يتوقف البحث العلمي عند القراءة المتواصلة ، وإنما يتسع القرآن للبحث المباشر في كل جزء من أجزاء الآيات كلما تعددت مواضعه في القرآن كله ، لاستخلاص الأشباه والنظائر ، واستنباط الأحكام .

بل إن الأمر أعظم خطرا من ذلك ، حين تربط بين هذه الحقيقة المذهلة ، المليئة بدلائل الاعجاز ، وبين تفسير السنة للقرآن ، وارتباط مدلولات الأحاديث الشريفة كل منها فيما يخصه ، بمدلولات الآيات ومقاصدها .

ولعل هذا هو الأساس العظيم الذي جعل ابن جرير الطبري يخص كل عدد يسير من آيات القرآن في تفسيره ، بعدد كبير من الأحاديث الصحيحة التي تكفي وحدها ، لتفسير القرآن وتطبيقه تطبيقا عمليا على وجودنا ومعرفتنا بكل مكان وزمان ، بحيث يتنوع العمل في الآيات ، ثم يتجدد هذا التنوع في الأحاديث التي تفسرها ، والمقاصد واحدة ، في جملتها وتفصيلها ، لأن الله خص القرآن بما خصه به من

المقاصد ، ثم جعل السنة تنطلق بهذه المقاصد ، وتربطهما بحركة الوجود البشري ، في كل مكان وزمان .

### ٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية :

الوحدة والتنوع في آيات القرآن وسوره ، تقوم على ترتيب الآيات والسور ، كما تقوم على بداية ونهاية معلومة ، لكل سورة بين السور ، وكل آية بين الآيات .

فهذه البدايات والنهايات هي المعالم القرآنية ، التي تبين لنا الاعجاز ، في شكل القرآن ومضمونه ، بل إن هذا الفراغ هو الذي نرى من خلاله البدايات والنهايات لكل كثير أو يسير من الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والآيات والسور .

فهكذا جعل الله كلا من القرآن والسنة ، مستقلا بتكوينه اللغوي ، حتى يكون هناك مجال لرؤية الوحدة والتنوع ، في كل منهما ، ومجال لمعرفة المقاصد المتجددة ، بكل منهما .

وهذا أمر له دلائل مماثلة في آيات الله الكونية ، كما ننظر فنجد الماء ملحا في البحر ، وعذبا في الأنهار ، فاذا تجاور هذا ، وهذا ، لم يبغ أي منهما على الآخر ، وإنما يتحرك كل نوع في مجالات حركته ، فتكثر نعم الله على خلقه ، ويدل بعضها على بعض ، وتتجدد النعم وتتنوع ، وكلها من الله وحده لا شريك له .

ولولا التفرق بين النجوم والكواكب والأقمار ، ما عرفنا كل نوع من هذه الأنواع ، بذاته ، إن تأملناه بصفة خاصة ، وما كانت هناك وحدة مترابطة ، بين أنواع الخلق كلها ، نكتشفها إذا نظرنا نظرة عامة إلى الكون كله ، لنجد الأقمار تدور حول الكواكب ، والكواكب تدور حول النجوم ، وهي تجري ـ مع ذلك ـ إلى قدر معلوم ، وكل في فلك يسبحون .

ونحن كلما أنعمنا النظر في هذه الفروق الدقيقة ، بين الوحي الالهي من قرآن وسنة ، وبين كلامنا البشري العادي ، مهما يكن مصدره ، في الفكر أو الفلسفة أو مصطلحات علومنا البشرية ، أمكننا أن نعرف الفضل العظيم لكلام الله وسنة رسوله ، في استيعاب حركة الوجود البشري ، بكل دقائقها ، والاحاطة بكل حاجاتنا إلى التقدم الاخلاقي والمادي . الذي لا ينفرط به عقد الحياة ، ولا تختلف دروبها ، ولا تتداعى معه الأفكار ، والأقوال والأعمال ، على حقائقها ، وإنما تصبح الحياة الانسانية ، على كثرة أهدافها وتنوعها ، كالشجرة الكثيرة الألوان والثمار ، التي لا تكشف عن الحركة والتجدد ، وقد أخذ كل جزء من أجزائها موضعه الصحيح ، وكل لون من ألوانها تركيبه الدقيق ، وكل حركة من حركاتها ، زمانها ومكانها المتفق مع وحدة الكون وتنوعه ، ومسيرة الدنيا كلها وهي في طريقها إلى الآخرة .

**٣ ـ حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي لأجزاء الكون :**

ونحن كلما أنعمنا النظر في قضية الترتيب الذي أتمه الله لآيات القرآن وسوره ، علمنا أن أي علم بشري ، لا بد أن يكون خاضعا لكتاب الله وسنة رسوله ، ليستلهم هذا المنهج العظيم ، في بيان حدود المعرفة الانسانية ، وتفسير حاجاتنا الدائمة للوحي الالهي .

ولننظر إلى ترتيب المعاني بهذه الآية من آيات القرآن .

**١ ـ أو لم يتفكروا في أنفسهم .**
**٢ ـ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى**
**٣ ـ وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون .** (٨) الروم .

إن ترتيب هذه الآية بموضعها من سورة الروم ، يؤدي دوره العظيم في بيان عظمة هذا الترتيب ، وما فيه من وجوه الاعجاز التي لا يحيط بها العقل البشري .

ويكفي أن نشير معا ـ هنا ـ إلى الوقف على أجزاء هذه الآية كما نجدها في قطاعاتها الثلاثة المبينة في الرسم الذي نجده في طبع هذه الآية على هذه الصفحة :

إن قوله تعالى **( أو لم يتفكروا في أنفسهم )**

يبدأ من داخل النفس الانسانية ، حيث يسبق التفكير دائما ـ كل قول وكل عمل .

لذلك علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، كيف نقف هنا ، وتكفل علماء التجويد والقراءات ببيان ذلك نقلا عن السنة الصحيحة .

والوقف هنا يؤكد هذا الترتيب في أجزاء هذه الآية ودلالاتها .

ثم يأتي قوله تعالى :

**( ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى )**

ليخرج أفكارنا من داخل أنفسنا ، حتى تواجه الترتيب الكوني كله ، بكل ما فيه من ثبات الخصائص ، وحركتها الدائبة في كل التراكيب والتراتيب ، والارتباطات ، التي يقوم عليها كل ما في الحياة من أصالة وتجديد .

ثم يأتي قوله تعالى :

**( وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون )**

ليختم لنا هذا الترتيب في أجزاء الآية ، بما يتبين معه إخفاق الكفار في فهم حقيقة التركيب الكوني الذي يدل على حتمية انتهاء الدنيا وإقبال الآخرة .

وواضح أن ترتيب أجزاء هذه الآية يقدم لنا نموذجا للاعجاز في ترتيب القرآن إذا قرأناه قراءة متواصلة ، بعد ما سبق من ظهور الاعجاز الذي رأيناه من قبل ونحن ننظر في أي جزء من أجزاء القرآن ، من حيث مواضعه وارتباطاته ، وما يؤدي إليه هذا النظر من ترابط المعلومات في المعرفة الانسانية في سياق واحد لا سبيل الى نقضه بأي حال من الأحوال .

ولكن الذي يهمنا هنا في المقام

الأول أن الله جعل لمعرفتنا الانسانية حدودا من حيث قدرتنا على تحصيل العلم من الوحي الالهي ، أو من خلق الله لمخلوقاته التي فطرها وجمعها في ترتيب كوني جامع لأجزائها ، ومواضعها وارتباطاتها ، وحركتها المتواصلة من الدنيا إلى الآخرة .

وحدود معرفتنا الانسانية مع القرآن ، لها طريقان اثنان لتلقي المعاني وبيان ترتيبها الذي يسره الله لعقولنا .

فأما الطريق الأول فهو يقوم على التلاوة المتواصلة التي هي أقرب ما تكون بالنظرة العامة الشاملة إلى آيات القرآن كما هي مرتبة في سورها .

وأما الطريق الثاني فهو يقوم على النظر إلى أي قدر من أجزاء القرآن ، من حيث ارتباطاته المتجددة بمواضعه في الآيات والسور .

فاذا نظرنا إلى مثل ذلك في آيات الله الكونية ، وجدنا حدود معرفتنا الانسانية ، متفقة تماما ، مع الطريقتين السابقتين ، لا تتعداهما أبدا بأي حال من الأحوال .

١ ـ فهناك النظر العام الذي يشمل آيات الله الكونية ، وهنا تختزن الذاكرة الانسانية المعلومات مرتبة كما رتبها الله في الواقع العملي للكون والحياة .

فالشمس لا بد أن تشرق ، حتى تظهر معالم الحياة ، وحتى يذهب النوم وتأتي اليقظة ، وحتى تتحرك الحياة الانسانية في نشاطها اليومي .

والفلاح لا بد أن يضع البذور في موضعها من باطن الأرض ، حتى تتبع ذلك مراحل الانبات والاثمار .

٢ ـ وهناك النظر في مواضع جزء بذاته من أجزاء المادة ، كما يبحث الباحثون عن مناجم الذهب ، فاذا الذهب نفسه هو الذي يفتح لهم ابواب وجوده ، كلما طالعهم بخصائصه التي يدل عليها ، تكوينه الشكلي ، ابتداء ، ثم يتبع ذلك ما نعرفه من ثبات خصائصه الواحدة ، بكل مكان وزمان .

والمجتمع الانساني والكوني كله ، يقوم على هذه الحركة المرتبة المعالم ، حيث يحمل كل فرد من خصائص مجتمعه ، ما يربطه به ويدل على ترتيبه بين أفراده جميعا ، وإن كانت حدود معرفتنا الانسانية ، مؤكدة لنا دائما ، أن العلم الحقيقي ، لله تعالى وحده لا شريك له .

فلا أحد من البشر ، يستطيع أن يحيط بالمعلومات الدقيقة ، في أي أمر لشدة خفائها ودخولها في أعماق الغيب .

ولا أحد من البشر ، يستطيع أن يستقطب كل معالم الوجود الكوني ، لسعته وكثرته .

والله وحده هو الذي لا يكثر عليه كثير لكثرته ولا يخفي عليه دقيق لدقته .

والانسان في ذلك كله بين اثنتين :
أولاهما ـ أن ينظر نظرا عاما فتنحسر رؤيته عن كل معالم الرؤية لكثرتها واتساعها .
وثانيتهما ـ أن ينظر نظرا خاصا

لمواضع أي جزيء من أجزاء الخلق ، ليرصد الأصالة والتجديد في ارتباطاته بكل مواضعه التي يتيسر الوصول اليها .

ولا شك أننا في الحالين لا نستطيع الاحاطة بترتيب ما هو عام بسبب كثرته على مداركنا .

كما أننا لا نستطيع أن نرد كل جزيء إلى ترتيبه بين أفراد مجتمعه كلهم ، لخفاء هذه الصلة الدقيقة بين كل جزئ وبين ما يربطه بترتيبه بين أفراد مجتمعه .

وقد نتساءل عن صلة ذلك بترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، وعظمة هذا الترتيب ، في تفسير كل شئ ، من أشياء الكون والحياة .

والجواب على هذا التساؤل نجده بقوله تعالى :

**( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ) (١-٤) الملك .**

لقد علم الله رسوله هذا كله ، كما علمه كيف يرتب آيات القرآن وسوره . وكفى بذلك دليلا على حدود المعرفة الانسانية وحاجاتنا المتجددة إلى القرآن والسنة ولتنظيم الفكر البشري ، تنظيما لا ينبغي أن نجد له في كل محاولات البشر مصدرا مماثلا للوحي الالهي .

# الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للدكتور عبد الحليم محمود

يقول الله تعالى :

**( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون )** آل عمران/١٠٤ .

ونبدأ فنقول :

إن كلمة **( من )** في قوله تعالى **( منكم )** إنما هي للتبعيض ، أخرجت من لا يستطيعون الدعوة إلى الخير ، ولا يستطيعون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لعجزهم أو جهلهم أو ضعفهم ..

والأمة كلها إذن - ما عدا من لا يستطيعون - مأمورة بالدعوة إلى الخير ، ومأمورة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك أن الآية الكريمة افتتحت بالأمر :

**( ولتكن منكم أمة )** .

وهذه الصيغة أمر ، لأن اللام في قوله تعالى : **( ولتكن )** لام الأمر ..

على أن القرآن صريح في إيجاب الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر على كل الأمة ..

يقول سبحانه :

**( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )** آل عمران /١١٠ .

وتتفاوت استعدادات الناس ومراكزهم فيما يتعلق بمسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فبعضهم يأمر بيده ، أي يغير المنكر ويقف في وجهه بالقوة ، وهذه مرتبة الحكام ..

ومنهم من يقف في وجه المنكر بلسانه ، وتلك مرتبة كل عارف ، وليست خاصة بطبقة دون طبقة من الناس ، وذلك أن معرفة الأمي بأن السرقة حرام ، كمعرفة العالم بحرمتها ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالخمر أو الاختلاس ، أو الاغتصاب .

والمسئولية تترتب على المعرفة ، فما دامت هناك معرفة فهناك مسئولية ، ولا تختص - إذن - مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القولية بعلماء الدين فحسب ، وإنما هي موزعة على كل من يعلم بالمعروف ويعلم بالمنكر ..

ومن الناس من لا يستطيع أن يقف في وجه المنكر إلا بقلبه ..

وهذه الطبقة - وإن كانت في المرتبة الأولى - طبقة الذين لا يستطيعون الجهاد باليد ، ولا الجهاد باللسان ، فانها - في حقيقة الأمر - تعم جميع أفراد الأمة ، أي أن المجاهد بيده يجب أن يكون في الوقت نفسه مجاهدا بقلبه ...

والمجاهد بلسانه يجب في الوقت نفسه أن يكون مجاهدا بقلبه ، وينتفي الايمان - في وضعه السليم الصادق - بانتفاء الجهاد القلبي :

والجهاد القلبي معناه : عدم الرضا عن فعل المنكر ومظهر عدم الرضا إنما

هو اعتزال فاعل المنكر إذا لم يرعو ولم يأخذ بالنصيحة ، فاذا كان تاجرا لا يشترى الانسان منه ، واذا كان مشتريا لا يبيعه ، واذا كان صديقا يقطع صداقته ، فلا يؤاكله ولا يشاربه ولا يجالسه .. واذا كان مرشحا لأية هيئة نقابية ، مثلا ، لا يساعده ولا يعينه ، ولا ينتخبه ، وذلك أن المجاهر بالمنكر محاد لله ورسوله ، وجزاء الذين يحادون الله ورسوله معروف ، وقد حرم الله ـ سبحانه ـ أن يعقد المؤمن صداقة ومودة بينه وبين الذين يجاهرون بالمنكر ، فقال سبحانه :

**( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون )** المجادلة/٢٢ .

هذا هو الجهاد القلبي : إنه ليس جهادا سلبيا ، كلا ، وإنما هو في حقيقة الأمر علاج حاسم للمجاهرين بالمنكر ، وذلك أن المجاهر بالمنكر ، حينما يشعر بنفسه مهينا في المجتمع وحينما يشعر بأن الناس يعتزلونه كما يعتزلون وباء خبيثا ، فانه يعود مضطرا أو مختارا إلى الجادة :

عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم .

ولقد بدأت هذه الآية الكريمة بالدعوة إلى الخير ..

والخير في الآية الكريمة هو الأخلاق الفاضلة ..

والأخلاق في جو الاسلام مرتبطة بالدين ارتباطا لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الاسلامي لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره : إلهي رباني ..

وبعض الناس في العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى .. يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالضمير يربى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعته ، واتجاهه ، الذي يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط . أين مثلا الضمير عند الأمريكي بالنسبة للأمريكي الأسود ؟ وأين ضمائر البيض في جنوب إفريقيا بالنسبة لأهل البلاد الأصليين ؟ وأين ضمير المستعمر أينما كان بالنسبة للمستعمر ؟ إن الضمير أحيانا يصنع كما تصنع الزينات ، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ ..

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة : إنما يتحدث باسم فكرته هو ، سواء

أكانت هذه الفكرة منحرفة أم ليست منحرفة ..

والمصلحة العامة إذن كأساس للأخلاق ، إنما هي : أساس غير مضمون ..

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية ، أو إلى اللذة ، او إلى المنفعة .. وكل هذا وارد الغرب الأوروبي ، أو الغرب الأمريكي ، عندما انحرف هذا الغرب وألحد ...

أما وارد الشرق الاسلامي ، أو بتعبير أدق ، وارد الاسلام الالهي ، فان مقياس الأخلاق فيه إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو آيات القرآن ، وإنما هو الفضائل التي أوحاها الله ، سبحانه وتعالى هذه الفضائل التي حددها القرآن في أسلوب عربي مبين ، وركزها القرآن والسنة على أسس من الايمان قوية ثابتة .

ومنها مثلا :

**( إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون )** النحل/ ٩٠ .

ومنها قوله تعالى :

**( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون )** البقرة/ ١٧٧ .

ومن أجمعها الآيات الجميلة حقا التي تختتم بها سورة الفرقان ، والتي تبدأ بقوله تعالى :

**( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما )** الفرقان/ ٦٣ .

ويقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في شمول وتعميم ، كما يروى ابن مردويه بسنده ، عن أبى جعفر الباقر ، قال :

قرأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

**( ولتكن منكن أمة يدعون إلى الخير )** .

ثم قال : « الخير اتباع القرآن وسنتي » رواه البيهقي .

ولقد أمرت الآية الكريمة بالدعوة إلى الخير ، ثم أمرت بالمعروف ، والنهى عن المنكر ..

وعن هذا المبدأ الاسلامي الأصيل يقول صاحب الاحياء :

« إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو القطب الأعظم في الدين ، وهو الهدف الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل عمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفتنة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، وإن لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد

كان الذي خفنا أن يكون ، إنا لله وإنا اليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه ، واستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفتنة ، وسد هذه الثلمة ، إما متكفلا بعملها ، أو متقلدا لتنفيذها ، مجددا لهذه السنة الدائرة ، ناهضا بأعبائها ، ومتشمرا في إحيائها ، كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها » ..

وكما بين الله تعالى المعروف بيانا شاملا في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة ، فانه سبحانه بين المنكر بيانا شافيا أيضا ، ومن أجمع الآيات في بيان المنكر قوله تعالى :

**( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )** الانعام/١٥١ ــ ١٥٣ .

وحينما نكون بصدد المعروف ، أو بصدد المنكر ، فانما نعني بذلك بيان الاسلام في المعروف وبيانه في المنكر ، وذلك أن الغرب له معروف وله منكر ، وقد يختلف معروف الغرب ومنكره عن معروف الاسلام ومنكره ، وكثيرا ما يختلفان في الأخلاق وفي الاقتصاد وفي العقيدة ، وفي مثل هذه الحال فانه يجب علينا إيثار الجو الاسلامي إيثارا كاملا ، يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الحديث النفيس الحاسم :

« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » رواه أحمد .

ويقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه .

ويقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

وصور رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المجتمع ووجوب الأخذ على يد المفسد فيه ــ حتى لا يكون الهلاك ــ بالصورة الرائعة التالية التي رواها الامام البخاري ، عن النعمان بن بشير ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها

كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

وروى الترمذي ، عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » ..

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .. رواه النسائي وابن ماجة .

ولقد هدد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الأمة الاسلامية ، إذا تهاونت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه أبو داود ، عن مسعود رضي الله عنه :

« إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع : فانه لا حل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال :

**( لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون )** المائدة/٧٨ ـ ٨١

ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا : أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم » ..

وبعد : فقد بين سيدنا أبو بكر ، رضى الله عنه ، وجوب الأخذ على يد الظالم : مبينا الأمر في غاية الدقة موضوع آية اشتبه على كثير من الناس تفسيرها ، فعنه رضي الله عنه قال :

« يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية » ..

**( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم )** المائدة/١٠٥

وإنى سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » ..

# كل نفس ذائقة الموت

١ ــ إمكانية الخلود :
أثرنا فيما سبق إلى الحقيقة العلمية التي تقول : « إن المادة لا تفنى ولا تتجدد » بمعنى أن عناصر الجماد منذ خلقها الله ستظل باقية في ملكوته دون نقص أو زيادة ولكنها تأتلف ( لتكوين مركبات ) او تتفرق ( لتعود إلى عناصر منفردة ) حسب قوانين طبيعية وكيماوية حاسمة ومضبوطة تماما . وعلى هذا الأساس فهذه العناصر خالدة طوال حياتنا الدنيا .

والأصل كذلك أن المادة الحية أى البروتوبلازم الذي تتكون منها

للاستاذ/احمد حسنين القفل

الأحيـاء لهـا هي أيضا إمكانيـة الخلود . ولكن ما دليل ذلك :
ـ هناك كائنـات حيـة ـ نباتيـة وحيوانية ـ بسيطة التركيـب ، لا تتكاثر لانتاج ذريتها على النمط الذي يتكاثر به الانسان أو الكائنات الحية المعقدة الأخرى .
فالأميبة ـ حيـوان من وحيـدات الخلية ـ مثلا حينما تكون الظروف من حولها مواتية فان الخلية التي تكونها لا تشيخ أبدا ولا تموت أبدا ذلك لأنها حين تبلغ حجما معينا ـ يتحـدد بالنسبـة لكل نوع من الأميبات ـ فانها تنقسم الى قسمين أي فردين صغيرين لا يلبث كل منهما أن يبلغ أشده ثم ينقسم ثانية وهكذا دواليك والمعنى أن الفرد ينتج فردين والفردان ينتجان أربعة أفراد وهذه ثمانية ... وهكذا باستمرار .
ومعنى هذا من الوجهة النظرية أن الأميبة لا تموت أبدا بل إنها تواصل الحياة جيلا في إثر جيل وأجيالا بعد أجيال ولكن يلاحظ :
ـ أننا لو وضعنا الأميبة المشار إليها في طبق به كل مستلزماتها من الغذاء وأحطناها بكل الظـروف المناسبـة فانها تتكاثر على النحو السابق .
ـ لكي تتكاثر الأميبة على النحـو السابق يلزم أن تظل هذه الظروف المناسبة قائمـة باستمـرار . فلـو تركناها في الطبق دون تقديم غذاء باستمرار ودون تخليص السائل التي تعيش فيه من مخلفاتهـا السامـة وباستمرار أيضا فانه سيأتي الوقت الذي تلاقي فيه كل الأميبات ـ كل الأجيال ـ حتفها وهلاكها .
ـ أن هذا هو ما يحدث طبيعيا فليست الحياة كلها صفوا بالنسبة لكل كائن حي وما يناسب هذا قد يعوق معيشة هذا وبالتالي يظل قانون الموت والحياة ساري المفعول رغم إمكانية الخلود المشار إليها .
ـ ليست الأميبة وحدها هي التـي تسلك هذا السلوك ولكن لها أشباه كثيرة من الحيوانات والنباتات .
ـ إذا كانـت الحيوانـات ـ والنباتات ـ وحيدة الخلية يمكنها أن تتصرف على النحو السابق فما هو الحال بالنسبة للحيوانات المعقدة أي التي يتكون الفرد فيها من خلايـا متشابهة وغير متشابهة بل حتى من أنسجة مختلفة كل نسيج به خلاياه الحية المتميزة ؟ هل لمثل هذه الخلايا إمكانية الخلود أيضا ؟
ـ أجرى أحد العلماء في عام ١٩١٢ ( العالم اليكس كاريل ) تجربة مثيرة يثبت بها إمكانية خلود الأنسجة .
فأخذ قطعة صغيرة من قلب من جنين كتكوت وحاول بكل ما استطاع أن يجري ذلك في ظروف معقمة وحافظ

على هذه القطعة قدر إمكانه حتى لا تتلوث بالميكروبات ووضع قطعة القلب في طبق وأمدها بمحلول غذائي مناسب تحت درجة حرارة مناسبة وداوم على ملاحظتها واضعا نصب عينيه شيئين مهمين :

ـ إمداد القطعة بالغذاء المناسب باستمرار مع المحافظة على الظروف المناسبة .

ـ تغيير محلول الطبق الذي به المخلفات باستمرار أيضا .

ولاحظ أن خلايا القطعة واصلت انقساماتها وظلت تكبر وتنمو تباعا فأخذ يتخلص تباعا من جزء منها ويحافظ على الباقي تحت الظروف المناسبة السابقة . وظلت الخلايا تنقسم وظل هو يتابعها يوما في إثر يوم ، وشهرا بعد شهر واستمر على هذا المنوال ثلاثين عاما أنهى العالم تجربته بعدها بعد أن تأكد أنه كان يمكن أن تستمر سنين طويلة لا يعلم مداها إلا الله . ويستنتج من هذه التجربة :

ـ أن خلايا القلب ـ العضلية . لها إمكانية الخلود أيضا شريطة توفير الغذاء لها وتخليصها من سموم المواد الاخراجية باستمرار .

ـ أن تحفظ هذه الخلايا تحت كل الظروف المواتية من رطوبة وحرارة وضغط .. الخ .

ـ أن هذه التجربة تمت في الأطباق خارج جسم الحيوان تحت الظروف المشار إليها مما لا يمكن توفيره داخل جسم الحيوان ( لأسباب سنناقشها بعد ) .

وإذا كان ما سبق قد تم بالنسبة لأنسجة القلب فقد قام العلماء بتجارب مماثلة ثبت منها :

ـ أن الأنسجة الأخرى في جسم الحيوان يمكن أن تسير على نفس الطريق شريطة توفير الظروف المناسبة السابقة .

ـ إذا وجدت خلايا مصدرها أنسجة مختلفة ( عضلية ... طلائية .. الخ ) مختلطة مع بعضها في محلول مغذي في طبق ولكنها مفككة وموزعة في المحلول . فان الخلايا المتشابهة ـ من نسيج واحد ـ تنجذب إلى بعضها وتتجمع ، غالبا لتشابه مكوناتها الكيماوية .

ـ نمو الخلايا في أطباق خارجية يكون اسرع منه في داخل جسم الحيوان . وهذا أمر طبيعي لأن كل الظروف مواتية ومتوفرة للنمو في الأطباق ـ باتباع الشروط السابقة ـ ولا يمكن توفير نظير لها داخل جسم الكائن الحي .

ـ أمكن تحويل خلايا نسيج الى خلايا نسيج آخر قريب منه في تكوينه باستخدام إنزيمات وهرمونات ( مبيض خصبة ) .

ـ أن الخلايا في الأطباق تتغذى وتتنفس وتخرج كما تفعل الأميبة .

ـ هناك صور من تكاثر الحيوانات تجري على غير المألوف وتدعو للغرابة :

ـ فحيوان الاسفنج مثلا إذا هرست خلاياه فتفرقت آحادا في مياه البحر فانها سرعان ما تنجذب الى بعضها في مجاميع لتكون كل منها حيوانا

جديدا . ماذا عساه يحدث لو تم ذلك باستمرار ؟

ـ يوجد أنواع من الحيوانات إذا قطع جسمها إربا إربا ، لأمكن لكل قطعة نتجت ـ من أمام أو من خلف ـ أن تكون حيوانا جديدا قائما بذاته ( وهذا يشبه التكاثر الخضري في النباتات ـ بالعقل أو بالتطعيم .. الخ ) ومثال ذلك أنواع العدار ( الهيدرا ) وأنواع حرة من المفلطحات ( التربلاريا ) وكل هذا يتم تحت ظروف مناسبة .

ـ بعض الحيوانات إذا شاخت وساءت الظروف حولها سكنت وعادت إلى طفولتها إذ أنها تنطلق شابة من بعد سكون فاذا ساءت الظروف ثانية ارتدت شابة متحوصلة لتعود فتنطلق من جديد وهكذا ومثال ذلك التجربة التالية :

أخذ أحد العلماء مجموعتين متشابهتين من ديدان البلاناريا ( ديدان مفلطحة ) وهذه الديدان يصل طول الفرد منها إلى نحو سنتيمترين وقسمها إلى مجموعتين :

ـ مجموعة قدم لها الغذاء باستمرار فأخذت تتكاثر تكاثرها المعهود حتى كونت (١٩) جيلا مات منه ما مات وبقي ما بقي على النحو المعهود .

ـ مجموعة حرمها من الغذاء لفترة فوجد أن كل فرد منها يصغر ويصغر كثيرا حتى إذا أشرفت على الهلاك قدم لها غذاء ثانية فنشطت ونمت وعادت ديدانا بالغة من جديد ثم حرمها من الغذاء ثانية فكررت السلوك السابق وهكذا عدة مرات دون أن تتكاثر ودون أن تموت في الوقت الذي ماتت فيه أفراد كثيرة من المجموعة الأولى . ولو استمرت التجربة على المجموعة الثانية وبنفس السلوك لعاشت إلى أمد لا يعلمه إلا الله .

**٢ ـ الشيخوخة نذير الموت :**

كما لا يتوقف الموت على المرض ، فانه لا يتوقف أيضا على العمر ، فالموت يمكن أن ينشب أظفاره في أى وقت ، لا يتوقف ذلك على نوعية الأسباب .

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تنوعت الأسباب والموت واحد

لكن الشيخوخة هي نذير انتهاء الأجل ، وبالتالي حلول الموت ، وما الشيخوخة إلا تغيير في سير العمليات الحيوية ـ الطبيعية والكيماوية ـ في جسم الكائن الحي ، من الأمثل إلى الأسوأ ، أو من الأحسن إلى الأردأ بوجه عام . وتبدأ التغيرات بطيئة بادئ ذي بدء ، ثم تزداد حدتها رويدا رويدا كلما تقدم العمر ، متمثلة في انخفاض القدرة على الأداء في جميع أجهزة الجسم ، ويصاحب ذلك اختلال في وظائف الغدد الجنسية والهرمونات وضعف العضلات وقلة في قدرات أعضاء الحس .

وفي الحالات الطبيعية تدب الشيخوخة تدريجيا فيضعف الانسان بعد قوة وتعرف هذه الحالة علميا « بالشيخوخة الفسيولوجية Physiological aging ولكن مظاهر الشيخوخة قد تأتي مبكرة فتظهر أعراضها في عمر لا ينتظر لها أن تظهر فيه أو لا ينبغي لها أن تظهر إبانه ،

وتعرف هذه علميا « بالشيخوخة المرضية Pathologieal aging .
ومن طريف الأساطير التي تسجل في هذا الصدد ، أن أحد الصالحين اعتاد أن يزوره ملك الموت زيارات « ودية » وعندما توثقت العلاقة بينهما ، رجا الرجل الصالح زائره أن يخبره عن الزيارة المحددة التي سيجيئ فيها « قابضا » لروح صاحبه فوعده بأن يرسل إليه رسولا قبل مجيئه قابضا . وبعد فترة بلغ فيها الرجل الصالح أرذل العمر ، جاءه ملك الموت قابضا . فعتب عليه أنه لم يرسل إليه رسولا يخبره بذلك حسب الاتفاق المضروب بينهما .
فقال ملك الموت : « لقد أرسلت إليك رسلا عدة لا رسولا واحدا » قال صاحبه « ما جاءني أحد ليخبرني » فقال ملك الموت :

- « ابيض شعرك بعد سواد وهذا رسول »
- « ضعفت بنيتك بعد قوة وهذا رسول »
- « تفرقت أسنانك بعد طول اجتماع وهذا رسول »
- « ضعفت ذاكرتك بعد حدة وهذا رسول » .
- « قصر نظرك بعد طول وهذا رسول »
- « عجزت قدماك عن حملك فاتخذت من نبات الأشجار مساعدا وهذا رسول » .

ثم عقب ملك الموت « أما كفاك هذه الرسل جميعها وغيرها نذيرا للموت يا صاح ؟ »

ولنرجع بعد ذلك إلى موضوعنا ونتساءل بدورنا ، لماذا كل هذه العلامات التي تصاحب الشيخوخة ؟... لماذا تتوقف الجبلة ( مادة الحياة ) عن النمو ؟... لماذا تهرم الخلايا وتشيخ ، لماذا ... الخ » وأخيرا لماذا نموت ؟
لعل صورا كثيرة من هذه الاسئلة تتبادر إلى ذهن القارئ الكريم . ومن أسف أن الاجابة الشافية او اليقينية عليها علميا ليست مستطاعة ، على الأقل بالنسبة للكثير منها ، لكن المعروف ان نمو الشخص يقف عند حد معين لا يتجاوزه أثناء حياته ، وفي كثير من الحالات يكمن السبب الحقيقي في مدى قدرة الخلايا على التحويل الغذائي ( البناء والهدم ) ومع ذلك فان هذا السبب لا يكون هو الأساس دائما ولقد فسر العلماء أسباب الشيخوخة التي تجر إلى الموت بنظريات شتى نطرقها فيما يلي :

○ ـ التسمم :

في مزارع الكائنات الدنيا ـ كالأميبة من وحيدات الخلية ـ مثلا ، يمكن للحيوانات ان تعيش وان تعمر طويلا إلى زمن غير محدود ، طالما كان الوسط الذي تعيش فيه مزودا بالغذاء الكافي والمناسب ، وطالما كانت محمية من تجمع نواتجها الاخراجية الناشئة عن عمليات الهدم وهي ما يعبر عنها بالسموم Toxins . فاذا توفرت هذه الشروط في المزرعة فان الحيوانات تصبح قادرة على أن تعيش وأن تنقسم باستمرار اى انها تنمو آحادا وأعدادا في صورة أشبه ما

تكون بالخلود . وان كان ذلك لا يحدث مطلقا في الطبيعة ، فغالبا ما يصاحب كثرة الأعداد قلة الغذاء وتراكم السموم ، وهذه حكمة الله في ايجاد توازن حيوي بين الأنواع في الطبيعة .

ونظرية التسمم هذه كسبب من أسباب الشيخوخة ، يؤيدها أيضا إمكان حفظ أنسجة الحيوانات الأرقى وخلاياها في مزارع تحت ظروف مواتية ولآماد طويلة . ولقد أشرنا سابقا إلى تجربة العالم الذي احتفظ بقطعة من قلب جنين كتكوت في مزرعة ملائمة ولمدة تزيد على الثلاثين عاما ، ولا جدال في أن هذه المدة تفوق بكثير عمر الحيوان الذي ينتمي إليه القلب . على أن قطعة القلب المشار إليها لم تمت عن شيخوخة بعد هذه المدة ولكن العالم انهى تجربته عن عمد لأسباب من أهمها أنه لا يتوقع لها مدى تنتهي فيه ، وكان كل ما يلزم لحفظ نسيج القلب ابان الأعوام الطويلة التي امتدت فيها التجربة هو التجديد المستمر للوسط الذي تعيش فيه ، بحيث يصل الغذاء الكافي والمناسب ، وتزال نواتج الهدم ( المواد الاخراجية ) اولا بأول فلا تتراكم .

وبناء على ذلك ، ففي الانسان ـ كما في غيره من الحيوانات ـ يعجز الجسم في حالة الشيخوخة عن أن يؤدي بكل أجهزته ما يناط به من عمليات البناء ، كما أن عمليات الهدم تتم أيضا بأجهزة منهكة لا تقوم بوظيفتها على الوجه الأكمل ، ومن هنا تتراكم السموم في الجسم ، ويتأتى عنها الظواهر المرضية التي لا يجدى معها العلاج .

والتي تصبح نذير موت وشيك الوقوع .

واذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لا تنفع

### ○ ـ التغيرات البروتينية :

تقتضي ظروف الكهولة في أحوالها العادية تغيرات خاصة في البروتين الموجود ضمن الجبله ( مادة الحياة ) . والمعروف ان البروتين يلعب دورا هاما في الوراثة والنمو الخلوي ، وبالتالي نمو الجسم العام . وحينما يطرأ تغيير على البروتين بشكل أو بآخر ، فان ذلك يؤثر على النمو ، ويتأتى عن ذلك الشيخوخة .. ولما كانت الصور البروتينية Protein configuration والتي يجهلها العلماء ـ لأنها تختلف باختلاف الأفراد كما تختلف البصمات فيهم ـ لما كانت مختلفة فانها هي التي لا شك تحدد مميزات الفرد كما تدخل كعامل لا مناص منه في عمره المكتوب ، او الموروث . ولكن ما سبب التغير الذي يطرأ على البروتين ؟

من الطريف أنه لوحظ ـ وبوساطة تجارب زرع الأنسجة في مزارع أيضا ـ أنه إذا لم يتغير الوسط في المزرعة ـ بتقديم غذاء مناسب والتخلص تباعا من السموم ـ فان سرعة النمو والانقسام تنخفض

وتظهر علامات الكهولة المحددة ، ومنها التغيرات البروتينية المميزة ، فاذا نقلت الخلايا الهرمة عندئذ إلى وسط جديد به كل الظروف المناسبة لها ، فانها ــ وبعد فترة تطول أو تقصر ــ تبدأ في النمو والانقسام مستعيدة مظاهر شبابها ، وتكون صورة البروتين الجديدة مختلفة عن صورته في الخلايا الهرمة .. وقد أخذت أنسجة من حيوانات هرمة وزرعت في مزارع جديدة مناسبة ، فامكنها ان تستعيد شبابها Rejauenatel بتغير صور بروتيناتها . ومن ثم لا تتأتى حالة الهرم عن تجمع السموم فحسب ــ كما اسلفنا ــ بل كذلك عن تغير صور البروتين في الخلايا أيضا وان كان تجمع السموم هو العامل الذي يلعب الدور الرئيسي ، بل هو الذي يؤدي بدوره إلى ظهور عامل تغير البروتين . والمعروف ان الخلية هي وحدة تكوين جسم الكائن الحي . وهي تبدأ حياتها فتية قادرة بكفاءة عالية على أن تؤدي جميع وظائفها الحيوية ــ وخاصة تكوين الأحماض النووية ــ التي تلبي كل متطلبات الكائن الحي فيها كوحدة ، وبالترابط مع الخلايا الفتية الأخرى مجتمعة ، لكن مرور الزمن يعرض الخلية ــ وكل الخلايا ــ لكثير من الاضطرابات التي تنشأ من تراكم المواد الاخراجية الكيماوية الضارة التي لا تقوى الخلية على التخلص منها وهناك عوامل كثيرة أخرى من أهمها التعرض لتأثير الاشعاعات الكونية .

وتتكاتف هذه العوامل تباعا وبالتدريج حتى يأتي الوقت الذي تتوقف فيه كل العمليات الحيوية او تنهار بعد فترة تطول أو تقصر ، وهنا يتجرع الكائن الحي كأس الموت الذي لا مهرب منه ولا محيص عنه .

ــ والاشعاعات الكونية التي تتأثر بها حيوية الخلايا في أى كائن حي ، أمر لا يمكن تجنبه ، ذلك لأن هذه الاشعاعات هي في واقعها نفايات ذرية تنطلق من النجوم المتناثرة في الكون ، وهي تخترق أجسامنا دون ان نشعر ، ونتعرض لها في كل وقت وحين ، لكن الخلايا الفتية تستطيع ان تتقبل جرعاتها ، فاذا ضعفت قلت قدرتها وتأثرت .

وقد عملت أبحاث كثيرة لمعرفة مدى تأثير الاشعاع Radiation على الخلية وخاصة أثناء انقسامها . وقد لوحظت النتائج الآتية :

٨ يكون الاشعاع قاتلا للخلية إذا زاد عن معدل احتمالها . فقد وجد أن جرعة مقدارها حوالي (١٠٠) رنتجن ــ مقياس ذري ــ تتلف نحوا من جزئ الى خمسة جزيئات من الحامض النووي ( د.ت.ا ) في خلية الثدييات ــ كالانسان والفأر ــ كما انها قد تغير الحامض النووي الآخر ( ر.ن.ا ) ولكن الاشعاع يحدث تلفا أشد وضوحا وأعمق أثرا بالصبغيات ( أى الكروموزومات ) فهذه قد يتكسر بعض أجزائها ، وقد تلتصق بعض أجزائها بالأجزاء الأخرى وتصبح بذلك عاجزة عن الانقسام ، ومن ثم تختل عمليات الانقسام

العادي وتنتج الطفرات ( التي قد تؤدي إلى التشوهات في المراحل الجنينية ) .

ـ وقد يفسد الاشعاع عدد الصبغيات في الخلية ويكون الخطر جسيما إذا حدث الاشعاع أثناء انقسام الخلية . وحين تختفي الأغشية النووية وتختفي النويات فان جرعات ضئيلة القدر من الاشعاع في هذه الفترة ، تبطىء عملية الانقسام أما الجرعات الكبيرة منه فتوقفه كلية . والخلاصة ان هذه المؤثرات تؤدي إن عاجلا وان آجلا إلى موت الخلية . وسبب توقف الانقسام بالاشعاع لا زال مجهولا وان كان البعض يعزوه إلى تدخله في تكوين الحامض النووي ( د.ن.أ ) والى إضعاف قدرة الخلية بوجه عام .

ـ يسبب الاشعاع تورم الخلية ، وحدوث خلايا عملاقية ، كما تتأثر به أيضا الأجسام السبحية ( اجسام في الخلية ) وعمليات الأيض ( التحويل الغذائي ) عموما .

ـ ولما كان الاشعاع مفسدا لكثير من ألوان النشاط داخل الخلية ، فليس بدعا أن تعوق الجرعات الاشعاعية الكبيرة من حركة الخلية : فالحيوان المنوى مثلا إذا ما عرض لها ، فانه لا يفقد قدرته على الحركة فحسب ، بل يفقد معها قدرته على الاخصاب أيضا . والخلايا المبتلعة مثل كرات الدم البيضاء تعجز عجزا تاما عن مزاولة نشاطها .

ـ ويتدخل الاشعاع كعامل هام في درجة النفاذ الخاصة بغشاء البلازما ، فيفسد دخول الجلوكوز والأحماض الأمينية وغير ذلك من المواد .

ومما سبق يلاحظ أن هناك مستويات خاصة للاشعاع يسمح بالتعرض إليها وهذه تتوقف على طول فترة التعرض لها من جهة وعلى قوة الاشعاع من جهة أخرى . واذا كانت الاشعاعات الكونية لها أثرها الوئيد على أجسام الأحياء فان تلويث الهواء بالانفجارات الذرية التي تجري بين حين وحين ، بل إن التجارب على الأسلحة النووية والقنابل الذرية والهيدروجينية هي عوامل كلها تزيد من أخطار التعرض لها ، وحتمية تأثيرها على الأحياء تأثيرا أشد من الأشعة الكونية . وتخزين المتماكنات ( النظائر المشعة ) لغرض اجراء التجارب عليها بشكل يجعل اشعاعها محتملا ودون حد الخطر لمن يتعاملون بها بالبحث والدراسة ( ويعتبر أقصى مستوى يسمح به هو حوالي ٣ ملليمترو نتجن في الساعة ) .

ـ ومما يسير بنا في الطريق إلى الشيخوخة هو تناقص المناعة في الجسم بمرور الزمن وان تعرضه لكل المؤثرات الخارجية والداخلية التي أشرنا إليها سابقا يزيد من تناقص المناعة رويدا رويدا .

ـ وحصيلة العوامل السابقة تؤدي إلى اضطراب في الخلايا وخلل في وظائف الأنسجة والأجهزة قد لا تظهر أعراضها واضحة بادىء ذى بدء ، ولكنها تتزايد ببطء ثم تزداد حدتها يوما بعد يوم . واضطرابات الخلايا والأنسجة والأجهزة يصحبه توليد

هرمونات وانزيمات لا تعمل لصالح جسم صاحبها . بل إن تعاطي بعض العقاقير للعلاج قد يصلح ناحية ويفسد ناحية اخرى او قد يعطي خطأ نتيجة لتشخيص خطأ فيؤدي إلى نتائج وخيمة .

ـ تزايد عملية الهدم على حساب عملية البناء وهبوط نشاط المخ وعجز أعضاء الاخراج عن القيام بمهماتها على الوجه الأكمل ، كل هذا يمهد الطريق السريع إلى الشيخوخة حتى في اعمار مبكرة .

ـ اكتشف وجود مركبات كيماوية تظهر تباعا كلما اقترب الانسان تباعا من شيخوخته وهي مركبات من شأنها إعاقة الخلايا عن تأدية وظائفها كما ينبغي ان تؤدي .

ـ إذا كان الهبوط في الأداء لجميع أجهزة الجسم يزداد وضوحا يتقدم العمر ، فان أمراض القلب والجهاز الدوري والكليتين هي النذر الحقيقية في هذا الصدد .

ـ وقد لوحظ أن هناك ثمة عوامل أخرى تنطبق على بعض الأفراد دون غيرهم .

(●) فالمشروبات الكحولية ( الخمر ومشتقاتها ) والتدخين والقلق النفساني وكذلك تراكم الهموم وانشغال الناس بأحوالهم الاقتصادية ، كل هذه أمور تسرع لصاحبها إلى الشيخوخة . يقول تعالى :

**( إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه )** المائدة/ ٩٠

**( إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر )** المائدة/ ٩١

(●) السمنة قد تكون عاملا له شأنه في الاسراع إلى الشيخوخة المبكرة ، وغالبا ما يؤدي الاكثار من الطعام إلى السمنة المفرطة والمعروف علميا أنه بعد تجاوز فترة النمو الطبيعي ، فان اى زيادة تكون في صورة دهن مختزن ، وكل كيلوجرام من دهن يكتسبه الجسم يحتاج إلى حوالي ميلين من الشعيرات الدموية . وغالبا ما يصحب السمنة أمراض من أهمها ضعف القلب وتصلب الشرايين وانهاك الكليتين . يقول سبحانه :

**( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين )** الأعراف/ ٣١

واذا كان ما سبق هو سمات الشيخوخة التي هي في الوقت نفسه نذير الموت فلننظر إلى هذه السمات في آى الذكر الحكيم حيث يقول سبحانه :

**( والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير )** النحل/ ٧٠ وفي هذا إشارة إلى ضعف الذكاء والذاكرة .

**( ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون )** يس/ ٦٨ وفي هذا إشارة إلى الضعف بعد القوة

**( الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير )** الروم/ ٥٤ .

# توافق الإسلام والطب الحديث في وباء الطاعون

للدكتور محمود ناظم النسيمي

ادعى بعض العلماء الأجانب أن تعاليم الاسلام في النهي عن الخروج من منطقة وباء الطاعون هي السبب في كثرة الاصابة بأوبئته في الأزمنة الغابرة ، وفي تفاقم انتشاره بين الناس . وغفل ذلك العالم عن ثمرات عديدة طيبة جنتها الانسانية من تنفيذ تلك التعاليم في قرون عديدة لم تعرف فيها الجراثيم عوامل الأمراض السارية ولا مدة حضانة أمراضها ولا الحامل لها السليم أو المعافى من أدوائها . وإن النهي عن الخروج ، ذلك النهي الذي تخيله بفهمه مطعنا ، هو دليل على سبق علمي عند العالم المتأمل كما سنرى .

ولقد تساءل كثيرون قديما وحديثا عن معنى ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من أنه قال في سبب الطاعون : « وخز أعدائكم من الجن » رواه احمد .

إن تساؤل المثقفين من المسلمين وتهجم المغرضين حدا بي إلى دراسة الأحاديث النبوية الواردة في وباء الطاعون في مصادر إسلامية مختلفة ، ثم إلى انتقاء نماذج منها هي أعلى درجة وأكثر قبولا لدى الأخصائيين بعلم الحديث . ولقد درست تلك النماذج كمجموعة من كلام النبوة لا يمكن أن يكون بينها اختلاف حقيقي ، وقارنتها مع الحقائق الطبية الثابتة اليوم فانتهيت إلى أجوبة شافية لما أثير من شبهات حول الأحاديث النبوية المتعلقة بوباء الطاعون .

إن مجمل المعاني الرئيسية والمفاهيم التي استنبطتها من تلك

الدراسة يمكن أن أصنفها في أربعة مفاهيم :

١ ـ توافق وصفي علامات الطاعون في الطب وفي الأحاديث النبوية .

وأحاديث هذا المفهوم أتت غالبا مع تأكيد الحجر والحكم بأن المتوف بالطاعون شهيد .

٢ ـ سبق الأسلام في إيجاد الحجر الصحي .

٣ ـ الحكم بأن المتوف بالطاعون شهيد إذا التزم بواجبات الحجر .

٤ ـ المعنى المجازى المتعين فيما روى من قوله عليه الصلاة والسلام عن الطاعون : « وخز أعدائكم من الجن » إشارة إلى سببه . ومعظم أحاديث هذا المعنى تنص أيضا على أن المتوفي بالطاعون شهيد .

وقبل أن أوضح هذه المفاهيم أحب أن أذكر بأن تعاليم الاسلام جاءت للدين وللدولة ، ومن مهمات الدولة الأخذ بوسائل الطب الوقائي ، فليس من المستغرب أن نجد في تلك التعاليم أنظمة صحية توافق كل زمان وكل قوم أو شعب بدائيين كانوا أم حضاريين .

جاءت تعاليم الاسلام بذلك دون أن تتعرض إلى دقائق الطب والعلوم المختلفة لأن ذلك ليس من مهمات رسل الله تعالى وهو متروك لجهد البشر وأبحاثه وتجاربه وتطور معارفه وعلومه الكونية . ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بتعليم من الله تعالى وبين بعض حقائق العلوم كلها لما أدرك الناس ما يحدثهم به لأن مستوى العلوم الدنيوية لما يبلغ بعد درجات عالية ، ولأن إفهام تلك الحقائق يتطلب عشرات السنين ، بل إن التخصص في علم من العلوم الدنيوية يستهلك عمر الباحث ولا يزال ينال فهما جديدا وتطورا واكتشافا .

وقبل أن أشرع في بيان تلك المفاهيم الأربعة لابد من تقديم معلومات عن سبب الطاعون وطريق سرايته ليستوعب هذا البحث غير الأطباء أيضا .

## سبب الطاعون وطريق سرايته :

لقد تمكن العالم السويسرى ( يه رسن Yersin ) من اكتشاف العامل الجرثومي لهذا الداء في هونغ كونغ في جائحة ١٨٩٤م التي بدأت في الهند الصينية والصين . فسميت عصيات يه رسن أو الباستوره لات الطاعونية .

الطاعون في الأصل مرض حيواني وخيم ، أكثر ما يصيب الجرذان والفأر الوحشية والأهلية . تنتقل الاصابات بينها بواسطة البراغيث وعند إصابة الجرذ بالطاعون تتركه براغيثه بسبب ما يكون فيه من حمى أو بسبب موته ، وتنتقل إلى غيره من الحيوانات السليمة ، فان لم تجد حيوانها المعتاد أو صادفت إنسانا علقت به ولقحته بدائها فتبدأ الجائحة البشرية عندئذ ، وتستمر ما وجدت تلك الحشرات الملوثة فرصة للوصول إلى الانسان السليم .

تحدث العدوى في معظم الحوادث عن طريق خرء البراغيث المفعم

بالعصيات الطاعونية تلقى به على الجلد فتدخل بسبب سحج الجلد بالحك ، أو من موضع وخزة البرغوث نفسها . ومن النادر دخول تلك الجراثيم عن طريق اللدغة مباشرة لأن ذلك لا يكون إلا إذا انسدت معدة البرغوث ، بحيث لا يمكنه أن يستسيغ ما يمتصه من الدم فيعود إلى اللدغة ، ويكون ذلك الدم الرجيع قد تلوث بتلك الجراثيم فتحصل العدوى .

هذا وإن الطاعون الرئوى شديد السراية لأن عدواه لا تحتاج إلى واسطة البراغيث بل تكون مباشرة بانتقال الجراثيم الكثيرة جدا في القشع ، تحملها نفاية المريض التي يلقى بها حوله . ومما يزيد في خطر هذه السراية دخول تلك الجراثيم بسهولة من الأغشية المخاطية التي تصادفها ، حتى من ملتحمة العين والغشاء النخامي في الأنف .

## التوافق في وصف العلامات :

### أ ـ الوصف الطبي :

ان للطاعون ثلاثة أشكال سريرية تشاهد في وبائه أوجزها بما يلي :

### ١ ـ الطاعون الدبلي ( ويسمى بالطاعون الدملي وبالطاعون الغدى ) :

ويتصف بضخامة الغدد اللنفاوية ( أي العقد البلغمية ) في المغابن كالأرب والأبط أو في الرقبة بحسب موقع التلقح بالجراثيم ، يرافق ذلك شيء من التوعك والحمى ، وله شكلان : سيار ( الطاعون الصغير ) وشكل وخيم . ثم أن التهاب العقد قد ينتهي بالارتشاف أو بالتقيح والانبثاق .

### ٢ ـ الطاعون الانتاي الدموى :

يكون ثانويا للطاعون الدبلي أو مستقلا بدون دبل .

### ٣ ـ الطاعون الرئوى ( أو ذات الرئة الطاعونية ) :

هو النوع الوخيم والخطر جدا لأنه يصيب جميع أطراف الرئة فيقضي على المصاب في مدة قصيرة ، قد لا تتجاوز اليومين أو الثلاثة .

إن معظم إصابات الطاعون في وبائه تترافق بالتهاب العقد البلغمية وضخامتها ، ولذا فان الذي يلفت الانتباه إلى تشخيص الطاعون سريريا ( قديما وحديثا ) هو وجود وباء يتصف بضخامة العقد البلغمية والتهابها ، أما التشخيص المخبري فهو من وسائل العصر الحديث .

### ب ـ الوصف النبوي :

لقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم علامات الطاعون الغدى ( أو الدملي أو الدبلي ) التي يستند إليها سريريا في تشخيص وباء الطاعون وتفريقه عن الأوبئة الأخرى

حتى زماننا هذا ، مع أنـه عليـه الصلاة والسلام نبي أمي لم يشهد وباء للطاعون ولم يتلق شيئا من علوم زمانه طبية كانت أم غير طبيـة ، وصدق الله العظيم : **( وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى )** النجم/٣ ، ٤

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفنـى أمتـي إلا بالطعـن والطاعون ، قلت : يا رسول الله ، هذا الطعـن قد عرفنـاه ، فمـا الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير . المقيم فيها كالشهيد والفـار منهـا كالفار من الزحـف » رواه احمـد والطبرانى .

انتبـه لقولـه عليـه الصـلاة والسلام : « غدة » ولتأكيده وجوب الحجر على أرض وبـاء الطاعـون بقوله : « المقيم فيها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف » وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، عند البزار : « قلت : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : يشبه الدمل يخرج في الآباط والمراق ،(هو ما سفل من البطن فما تحته من المواضيع التي يرق جلودها واحدها مرق)وفيه تزكية أعمالهم وهو لكل مسلم شهادة » حديث حسن .

إن انسجام وصفي الطاعون على لسان النبوة وفي الطب الحديث يدل على أن الطاعون المقصود في الأحاديث النبوية هو الطاعون نفسه المعروف في الطب حتى يومنا هذا .

### جـ ـ وصف شراح الأحاديث :

أما ما نقله شراح الأحاديث من أقوال في وصف مرض الطاعون فان له قيمة تاريخية . وإضافة إلى ذلك فان معظمها ينسجم مع الطب الحديث . وما اختلف منها معه فانما هو لعدم اكتشاف الجراثيم وطرق انتقالهـا والعدوى بها . ولقد اختلف وصفهم للطاعون لاختلاف الشكل السريري للاصابة .

فبما أن التهاب العقد البلغمية في الطاعون قد ينتهي بالارتشاف ، وقد ينتهي بالتقيح والانبثـاق ، وبعـد الانبثاق يظهر تقرح مكانه ، ولـذا وصفه القاضي عياض بأنـه قروح خارجة في الجسم . قال في فتـح البارى : وقـال عيـاض : أصـل الطاعـون القـروح الخارجيـة في الجسد ، والوبـاء عمـوم أمـراض فسميت طاعونا لشبهها به في الهلاك وإلا فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا . قال : ويدل على ذلك أن وباء الشام الذي في عمواس إنمـا كان طاعونا .

أما الامام النووى فقد وصـف الشكل الوخيم من الطاعون المترافق بتقيح العقد وانبثاق بعضها فقال في كتابه التهذيب : هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهيب ويسود ما هو إليه أو يخضر أو يحمر حمرة شديـدة بنفسجية كدرة ، ويحصل معه خفقان وقـيء ، ويخـرج غالبـا في المراق والآباط .

## سبق الاسلام في إيجاب الحجر الصحي :

إن العزل والحجر وسيلتان هامتان للوقاية من سراية الأمراض المعدية والوبائية . ويقصد بالحجر تحديد حرية الانتقال لكل حي تعرض للعدوى بمرض سار ، وحجره مدة من الزمن تعادل أطول حد لحضانة ذلك المرض . فاذا ثبتت سلامته رفع عنه الحجر وإلا عزل لاصابته .

كان فريق من الناس منذ القديم يبتعدون عمن يعلمون أنه مصاب بمرض سار تجنبا للعدوى ، وكذلك كانوا يتخوفون من الدخول إلى بلدة أو قطر فيه وباء . ولكن لم يكن معروفا أنه لا يجوز أن يخرج الانسان السليم من بلدة أو منطقة موبوءة بمرض وبائي ، لأنه لم تكن الجراثيم عوامل الأمراض السارية معروفة ، لا هي ولا مدة حضانة أمراضها ، ولذا لم يكن معروفا أن الخارج السليم ظاهرا ربما كان في دور الحضانة أو في دور النقاهة أو كان ذا مناعة على ذلك الوباء ولكنه من حملة جراثيمه أو من حملة الحشرات الناقلة لجراثيم ذلك الوباء كالبراغيث المصابة بجراثيم الطاعون والقمل الحاملة لجراثيم التيفوس . لم يكن ذلك معروفا ومع ذلك فقد خطط رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة طريق الوقاية وسبيل الحجر الصحي قبل اكتشاف الجراثيم وتعيين مدة حضانة الأمراض السارية والوبائية باثنى عشر قرنا ونيفا . وذلك عندما نهى عن القدوم على منطقة الوباء وعن الخروج منها ، فلا دخول إليها لئلا يتعرض الداخل إلى العدوى ولا خروج منها فرارا خشية أن يكون السليم ظاهرا واسطة لنقل الوباء إلى منطقة أخرى .

روى الامام البخارى في صحيحه عن حبيب بن أبي ثابت قال : سمعت إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » فقلت : أنت سمعته يحدث سعدا ولا ينكره ؟ قال : نعم .

وروى الأمام مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون ؟ فقال أسامة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني اسرائيل أو على من كان قبلكم ، فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » . كما روى عن عبدالله بن عامر بن ربيعة أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ ـ بلدة قرب المدينة بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » رواه البخاري فرجع عمر بن الخطاب من سرغ .

وتذكر كتب الأحاديث الشريفة أن هذا الوباء الذي وقع بالشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان طاعونا ودعي بطاعون عمواس ـ قرية بين الرملة وبيت المقدس ـ وحدث في السنة الثامنة عشرة من الهجرة .

ولقد روى البخاري ومسلم تفصيل القصة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجنا لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصار ، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة ابن الجراح : أفرارا من قدر الله ، فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ، قال : فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال : إن عندي في هذا علما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » قال : فحمد الله عمر ثم انصرف . ا هـ .

تدل هذه الأحاديث الشريفة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع أساس الحجر الصحي في مكافحة الأوبئة وذلك بما يتلاءم مع حقائق الطب وفن الصحة ومع الامكانيات العملية في زمانه صلى الله عليه وسلم . ثم بعد أن عرفت جراثيم الأمراض السارية ومدة حضانة كل مرض ووسائل تشخيصه وطراز سرايته وانتشار وبائه ، وبعد أن عرفت اللقاحات الواقية من بعض الأمراض وقوة تمنيعها ومدة فائدتها ، بعد أن عرف ذلك كله حددت مدة العزل ومدة الحجر بالنسبة لكل مرض وبائي ، كما حدد من يتناولهم العزل ومن يتناولهم الحجر ونوعيته أما بدون الوسائل العلمية المستحدثة فيجب أن يشمل الحجر عددا من الناس أضخم،ورقعة من الأرض أوسع،كما أشار إلى ذلك رسولنا العظيم في تعاليمه عن الطاعون والأوبئة .

إن الحجر الصحي الاسلامي في

نهيه عن الخروج من منطقة الوباء يعني وقاية المناطق السليمة من امتداد الوباء إليها خشية أن يكون الخارجون من منطقة الوباء سليمين ظاهرا ولكنهم من حملة جراثيم الوباء أو من حملة الحشرات الحاملة لها . ولا يعنى ذلك النهي ترك السليمين عرضة للاصابة ، فان الاسلام يناديهم باتباع قواعد النظافة والطهارة وبالبعد عن المصابين بمرض سار . ولقد أوضحت في الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب تخطيط الاسلام وإرشاد الرسول عليه الصلاة والسلام في الوقاية من الأمراض السارية وذلك ضمن بحث : ( إبداع الرسول العربي في فن الصحة والطب الوقائي ) .

قد يتساءل إنسان فيقول : بعد أن عرف كل شئ عن الطاعون وأصبحت أصول العزل والحجر مقررة ، فهل يعد هربا من الزحف خروج من تسمح له السلطات الصحية بذلك بناء على قواعد صحية ؟ الجواب : لا : وقديما قال الامام النووى في شرحه لصحيح مسلم : في هذه الأحاديث منع القدوم على بلد الطاعون ومنع الخروج منه فرارا من ذلك . أما الخروج لعارض فلا بأس به . وهذا الذي ذكرناه هو مذهبنا ومذهب الجمهور . قال القاضي : هو قول الأكثرين . ثم قال النووى : قال العلماء وهو قريب المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموه فاصبروا » رواه البخاري . وفي الحديث الاحتراز من المكاره وأسبابها ، وفيه التسليم لقضاء الله عند حلول الآفات والله أعلم ا هـ .

## المتوفي بالطاعون شهيد :

يلوذ بالكتمان كثير من المصابين بمرض وبائي ، هم وذووهم ، ويتهربون من إعلام السلطات المسؤولة تهربا من العزل والحجر . ولذا فان الاسلام جعل من المسلم على نفسه محاسبا ورقيبا ، وأراد منه أن يكون مع الأصول الصحية ، فرغبه بالطاعة وحذره من العصيان ، فمنح ثواب المرابط في سبيل الله لمن التزم بالحجر راضيا ولم يخرج من أرض أو منطقة الوباء ، ومنح ثواب الشهادة لمن أصيب فمات ، وجعل عقوبة المتهرب من العزل والحجر كعقوبة الفار من زحف الجهاد المقدس . وذلك واضح في الحديث السابق الوارد في وصف الطاعون حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « غدة كغدة البعير ، المقيم فيها كالشهيد ، والفار منها كالفار من الزحف » ويقول عليه الصلاة والسلام : « وهو لكل مسلم شهادة » .

وأحب أن أذكر بأن مرتبة الشهادة اعطيت في الاسلام في الدرجة الأولى لمن يقتل مجاهدا في سبيل الله تعالى ، وتلك أعلى مراتب الشهادة ، ثم لمن يقتل دفاعا عن عرضه أو ماله ، ثم لمن يقتل ظلما وتعديا عليه ، ثم لمن يموت في حادثة غرق أو حريق أو إصابة بالطاعون . كل ذلك إذا لم يكن قصد

الانتحار وإنهاء الحياة في نيته قبل الموت . فشبهة الاهمال ليصاب فيموت طمعا بالشهادة مرفوضة لدى العاقل .

وستأتي شواهد أخرى من الأحاديث النبوية تدعم مفهوم الشهادة .

**معنى « وخز أعدائكم من الجن » :**

لقد وردت أحاديث نبوية تفيد أن الطاعون وخز أعدائنا من الجن ، ومن أعلى تلك الأحاديث درجة في الاسناد الحديثان التاليان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم من الجن ، غدة كغدة الابل تخرج في الآباط والمراق من مات فيه مات شهيدا ، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله ، ومن فر منه كان كالفار من الزحف » رواه الطبراني ، وقال عليه الصلاة والسلام : « فناء أمتي بالطعن والطاعون ، قيل : يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة » رواه أحمد .

١ ــ إن كلمة الجن في الشرع ، في غير بحث الطاعون ، يراد منها أحد الثقلين المكلفين في مقابلة الانس . قال تعالى : **( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون )** الذاريات/٥٦ . وقال سبحانه : **( خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار . فبأى آلاء ربكما تكذبان )** الرحمن/١٤ ، ١٦ وقال جلت عظمته : **( قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا )** الجن/١ ، ٢ .

وكلمة الجن في عرف العرب تنصرف إلى ذات المخلوقات غير المرئية ذات القدرة والاستطاعة اللتين تفوق ما عند الانسان بنفسه . فالعرف الشرعي واللغوى في كلمة الجن واحدة .

٢ ــ إن المعنى الحقيقي للكلام هو الأصل ، ولا يحاد عنه إلى المعنى المجازى إلا لصارف عقلي أو شرعي أو واقعي . فهل يراد المعنى الحقيقي من كلمة الجن في أحاديث الطاعون أم يراد المعنى المجازى لوجود صارف عن المعنى الحقيقي العرفي والشرعي ؟

٣ ــ أقول والله تعالى أعلم : إن التدقيق في مجموع أحاديث الطاعون ، والمقارنة فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين الحقائق الطبية في زماننا من جهة أخرى ، يؤكدان وجود صارف من الواقع عن إرادة المعنى الحقيقي . وأبرهن على وجود ذلك الصارف بما يلي :

- توافق وصفي علامات الطاعون في الحديث النبوي والطب ، كما أوضحت في البحث الأول ، مما يدل على أن الطاعون المراد في كليهما واحد .

لقد ثبت علميا أن سبب الطاعون أو عامله المرضي هو نوع من الجراثيم

العصوية تدعى الباستوره لات الطاعونية أو عصيات يه رسن ، تنقلها براغيث الجرذان والقواضم المصابة بهذا الوباء . ومحال أن يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو مخالف للواقع . وأذكر في هذه المناسبة بأن متن الحديث الذي يخالف الواقع بمعناه الحقيقي والمجازي يكون ضعيفا لأن مخالفة الواقع علة قادحة في صحة نسبة المتن إلى النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم عن الخطأ ، ولو صح سند نلك المتن ، لأن من شروط الحديث الصحيح والحسن كما في كتب مصطلح الحديث ( أن لا يشذ وأن لا يعل ) .

وبما أن المعنى المجازى في قوله صلى الله عليه وسلم : « وخز أعدائكم من الجن » محتمل ومقبول لغة فهو المتعين فلا حاجة لاعلال نلك المتن ذى السند الحسن . وفي هذه المناسبة أذكر بأن الحقيقة العلمية الثابتة لن تصطدم بنص شرعي ثابت ، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي فان كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار .

وعليه فان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون : « وخز أعدائكم من الجن » هو المعنى المجازى لا الحقيقي .

● لقد أعطى الحجر الصحي فائدته المرجوة باذن الله تعالى حتى زماننا هذا ، كما أعطت وسائل المكافحة في الطاعون نتائجها الطيبة ، فايجاب الحجر الصحي في الطاعون ، كما ثبت في هدى النبوة ، يدل على أن سبب الطاعون ليس جنيا بالمعنى الحقيقي لكلمة الجن ، لأن الجن ، كما جاء في النقل الشرعي الثابت ( والجن مخلوقات مما وراء الطبيعة ) : مخلوقات ذات اقتدار على التشكل والاحتجاب عن الأبصار ولها اقتدار كبير على الأعمال العظيمة كقطع المسافات الطويلة في مدة قصيرة قال تعالى : **( إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم )** الأعراف/٢٧ . **( يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات )** سبأ/١٣ . **( قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين )** النمل/٣٩ . **( وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا )** الجن/٩ .

فكيف يؤدي الحجر على البشر فائدته ــ كما هو الواقع ــ والجن طليقون يستطيعون التنقل حيث شاءوا ؟ وعلى نلك فان فائدة الحجر المشاهدة تنفي احتمال وجود طاعون سببه الجن وطاعون سببه الجراثيم ، وإلا فأين الطاعون الجني المنشأ في بقاع الأرض ولم تخل من الجن . إن نلك الاحتمال المردود افترضه بعضهم قديما للتوفيق بين أحاديث الباب . قال صاحب فتح البارى : قال الكلا باذى في معاني الأخبار : يحتمل أن يكون الطاعون على قسمين : قسم يحصل من غلبة بعض الأخلاط من دم

أو صفراء محترقة أو غير ذلك من غير سبب يكون من الجن ، وقسم يكون من وخز الجن . ا هـ .

● ويستأنس من حديث توقف سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه بالصحابة والمسلمين عن دخول الشام في طاعون عمواس ، قبل أن يبلغه حديث الحجر ، على أنه ومن معه من المسلمين لم يكونوا يعتقدون أن سبب الطاعون جن حقيقيون . ولو كان سيدنا عمر ومن معه من كبار الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، يعتقدون ذلك لاختار من الصحابة خواصهم ليدخلوا معه الشام ويتفقد أحوال المسلمين فيها ، يقينا منهم بأن الجن والشياطين لا تستطيع إيصال الأذى إليهم وهم صفوة عباد الله تعالى ، قال تعالى : **( إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون )** النحل/٩٩ . وكيف يحجم سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ، ويتهيب الجن وقد خاطبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك » متفق عليه .

● ويؤيد أن المعنى الحقيقي لكلمة الجن غير واردة في أحاديث الطاعون ، ما قاله أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه : « إن هذا الطاعون قد وقع فمن أراد أن يتنزه عنه فليفعل ، واحذروا اثنتين أن يقول قائل : خرج خارج فسلم ، وجلس جالس فأصيب ، فلو كنت خرجت لسلمت كما سلم فلان ، أو لو كنت جلست أصبت كما أصيب فلان » رواه البيهقى .

فاذا كان الطاعون من وخز الجن الذين هم أحد الثقلين فكيف يتقى منه ويتنزه عنه ، وكيف يحجر على منطقة وباء الطاعون مع أن الجن يتنقلون أين شاءوا لا يتناولهم أصول الحجر فلم يبق مجال إلا لاستعمال المعنى المجازى لكلمة الجن في أحاديث الطاعون .

فاذا ثبت لنا وجود الصارف عن إرادة المعنى الحقيقي لقوله صلى الله عليه وسلم : « وخز أعدائكم من الجن » ، كان المعنى المجازى هو المراد لأن كلام النبوة محال أن يتضارب مع الحقائق العلمية الثابتة أو مع الواقع العملي . ولذا فان ما يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا وجدنا أن ظاهره يتضارب مع الواقع العملي عرفنا أن ذلك التضارب قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازى ، وما أكثر المجاز في لغة العرب . فاذا كان اللفظ والأسلوب يحتملان المعنى المجازى أولنا إليه ذلك الحديث الشريف .

● أما المعنى المجازى الذي أرجح فانه حاصل من وجود تشبيه بليغ ( حذفت من التشبيه الأداة ووجه الشبه ) ، فالمعنى وخز أعدائكم أمثال الجن في الخفاء عن الأنظار . أي إن هناك مخلوقات تدق عن أبصاركم عدوة لكم تسبب لمن تخزه وتؤذيه الطاعون . وصورة التشبيه البليغ هنا بيان المشبه بالمشبه به نحو جرى ماء من لجين ( من بيانية ) .

فمن هم أعداؤنا الذين يختفون عن أبصارنا كالجن ، ويسببون وباء الطاعون ؟ . لقد مضى دهر طويل وطويل قبل اكتشاف تلك الأعداء التي تبين فيما بعد أنها نوع من الجراثيم العصوية المعروفة بـ ( عصيات يه رسن ) ، تكون في البدء في الجرذان المطعونة ، ومنها تنقلها البراغيث إلى الانسان . وتختفي تلك البراغيث عن أنظارنا في الشقوق وفي التراب وفي طيات الثياب . فما البراغيث الواخزة للانسان ولا جراثيم الطاعون الداخلة إلى جسمه من الوخزة غالبا إلا أعداء لنا ، منها ما لا نراه بالعين المجردة كالجن ، ومنها ما يختفي .

أما لماذا لم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم السبب الجرثومي للطاعون ؟ بل أشار إلى أن من صفات ذلك السبب هو خفاؤه عن الأبصار كخفاء الجن فذلكم لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا ما يقول من قبل الخالق العظيم الذي أرسله رحمة للعالمين . ولقد شاءت حكمة الله العظمى وإرادته الغالبة أن يترك للناس التعمق في نظام الكون وحوادث أجزائه ودقائق الطب والعلوم المختلفة وتفهم العلاقات بين الاسباب والمسببات الدنيوية ، وذلك حسب تطور مداركهم وعلومهم ومعارفهم واكتشافاتهم مع مرور الزمن .

تنبيه : لقد رد الحافظ ابن حجر رواية ( وخز إخوانكم ) حيث قال في فتح البارى : ( تنبيه ) يقع في الألسنة وهو في النهاية لابن الأثير تبعا لغريب الهروى بلفظ ( وخز إخوانكم ) ولم أره بلفظ إخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة ، لا في الكتب المشهورة ولا في الأجزاء المنثورة . وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد أو الطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا ، ولا وجود لذلك في واحد منها والله أعلم . ا هـ . وقد أشار العجلوني في كتابه كشف الخفاء إلى إنكار الحافظ ابن حجر لتلك الرواية . كما نقل المناوي عبارة الحافظ في كتابه فيض القدير ، ثم قال : وأما تسميتهم إخوانا في الحديث فذلك لاعتبار الايمان ، فان الأخوة في الدين لا تستلزم الاتحاد في الجنس ا هـ .

وأخيرا آمل أن أكون قد وفيت البحث حقه في إيضاح أن للاسلام سبقا علميا في إيجاب الحجر الصحي ومنع الخروج من منطقة الوباء قبل قرون عديدة من اكتشاف الجراثيم ومعرفة فائدة الحجر التي هي الحد من انتشار الوباء إلى بلدان ومناطق وأقطار جديدة ، وفي التأكيد بأن الطاعون الوارد في الأحاديث النبوية هو عين المرض الوبائي المعروف في أيامنا هذه بهذا الاسم . وفي البرهان على أن المعنى المجازى في حديث « وخز أعدائكم من الجن » هو المتعين لوجود صوارف عن إرادة المعنى الحقيقي .

وبذلك يتأكد لنا أن الأحاديث النبوية والطب الحديث منسجمان في وباء الطاعون كانسجام باقي الأحاديث القطعية في ثبوتها ودلالتها مع الحقائق العلمية القطعية .

# حتمية العودة إلى الإسلام

للأستاذ/محمد لبيب البوهى

## حقيقة الحضارة المعاصرة

إذا كانت الحضارة الحقة كما يرى أهل البصيرة والحكمة إنما هى مزيج من الثقافة القائمة على القيم مع التقدم « التكنولوجي » القائم على خير سبل الانتفاع بمادة الوجود مع هيمنة القيم على كل توجيه تكنولوجي .. إذا كانت هذه كما يرى الأخلاقيون هى قوام كل حضارة نافعة فان الحياة الغربية ليست من هذا النوع .. إنها مجرد الاستغراق في الاستمتاع المادي والحسي بكل معطيات الحياة .. ثم يبدو ذلك كله

خلايا مصقولا براقا إلى درجة تغري الآخرين ـ ونحن في أكثر الأحيان منهم ـ فانه لا غرابة من أجل ذلك إذا كان العصر الحاضر يتسم بالشعور بالحيرة والاضطراب وافتقاد التوازن ... فالانسان ليس حسا مجردا أي ليس مجرد جسد أصم تشبعه وتغنيه متطلباته ، وإنما الجسد هو غلاف لحقيقة الانسان الكامنة في الفطرة التي خلق عليها ـ وهذه الحقيقة لا تجد غذاءها فيما نسميه بالحضارة المعاصرة .

ومن هنا تفتقد الحياة أسباب توازنها .

## حقيقة حياة الناس هذه الأيام

إنه رغم مظاهر الحضارة التقنية كما تقدم .. ورغم ما تقدمه هذه الحياة من الاستمتاع الظاهري بالمعطيات الحسية فان التعاسة هى السمة الباطنية الغلابة ولذلك يبدو كثير من الناس ـ في الغرب خاصة ـ خالين في ظاهر أمرهم من انعدام السكينة ، ولقد تظن بأكثرهم ـ لما يبدو عليهم من المرح الظاهري .. ووسائل الترويج ـ أنهم ينعمون باستقرار نفسي .. أو بلون من السعادة .. فان الواقع يكذب هذا تماما .. فان الانصراف إلى نشدان المتع الهابطة والاستغراق فيها .. من كأس خمر .. أو مائدة ميسر .. أو لذة بطن أو خلوة في فراش آثم .. كل هذه إرهاصات وعلامات على طريق معاناة الباطن مما يستدعى هروبا من الواقع فالانسان السعيد بحق لا يجد ضرورة للهروب من واقعه الذي يشبعه بحق ويرضيه .. فكل هذه المخدرات الحسية شواهد على الهروب النفسي .. ولا يجد الغرب خاصة ما ينقذه مما يعانيه اللاشعور بغير المزيد من تخدير المشاعر التي تطالبه عبثا بالسعادة الحقة .. وفي وجدانهم أن ما يأتونه في هذا السبيل ليس إثما ولا رجسا .

## ما هو الطريق إلى سعادة صحيحة .؟

أنه لأمر بدهي أنه حين يكون المرء سعيدا .. فان واقعه سيكون مرضيا له ولا يجد في نفسه دافعا إلى الهروب الحسي في الملذات الهابطة .. إذ سيكون ما هو فيه من هدوء البال والاستقرار النفسي والتوافق السليم مع كل معنويات الحياة ما يغنيه ... ولا يتم هذا إلا بعوامل تأتي من خارج الحس أي من الباطن المعنوي الملئ بكل مقومات النفس المطمئنة .. وهذه هي مهمة الدين الذي افتقده الغرب فعاقب نفسه بهذا التخبط ويحاول كثير من المسلمين السعي وراء هذا البريق بممارسة ما أخذ الغرب به نفسه من شعائره الحسية فحسب مع خراب الباطن أو خوائه في أكثر الأحيان .. وحين نذكر عدد المسلمين على كوكبنا البئيس بمئات الملايين ـ فعلينا أن نذكر أن هناك مئات الملايين من هؤلاء مجرد أرقام تحت لافتة لا

تحمل معنى كبيرا .. وعلى سبيل المثال فانه في افريقيا « القارة » خمسون وأربعمائة مليونا من البشر منهم ثلاثمائة مليون من المسلمين مجرد أسماء فحسب ــ وحين يفكر اهل العزم والتيسير من إخوانهم في مناطق غنية أن يساعدوهم فانهم قد يفكرون في مجرد بناء مسجد لهم ثم ندعهم يسارعون الى جدرانه في شعائر لا يفقهون منها شيئا ــ وهذا المسجد واجب ... ولكن على أن يكون معه أو قبله أو بعده واجبات أخر .. لأن مجرد الشعائر التي لا يفقهونها لا تعود على هذه المئات من الملايين بتنوير صحيح .. على حين ان التبشير المسيحي في هذه القارة قبل ان يبنى لهم كنيسة يخطط بكل عناية سبلا كي ينفذ بها إلى أعماقهم .. فالمبشرون ليسوا مجرد وعاظ فقط .. بل أطباء واخصائيون يجوسون خلال الأكواخ .. ومعهم رجال يحملون الهدايا .. ويزورون الحقول والبيوت .. وذلك أننا على حين ننشئ لهؤلاء الثلاثمائة مليون بعض المساجد لا نعني كثيرا بما يفعله المبشر المسيحي خارج كنيسته .. ولذلك فان الأهالي يهرعون اليهم طلبا للدواء .. أو المعونة .. أو الرأي .

## كيف جاء الابتعاد عن روح التدين ؟

ربما كان هذا الابتعاد في الأعم الأغلب ملموسا واضحا .. فاختفى الجوهر وسط ركام من القشور التي أخذت تعلو وتعلو فوق السطح .. حتى أخفت أو كادت تخفي معالم الحقيقة .. ولعله من الخير ونحن في سبيل محاولة الوصول إلى علاج أن نتذاكر بداية الداء .

لقد بدأت شعوب الأرض التي أدارت ظهرها للجوهر الديني في بدايات القرن التاسع عشر كنتيجة لما جاءت به الاكتشافات المادية من دوافع الى الاستغراق في ماديات الحياة التي أصبحت موضع التنافس لما فيها من رفاهية ومتعة في شئون المعيشة المادية اليومية .. وكان التنافس شديدا غلابا أهملت في سبيله القيم رويدا رويدا حتى أصبح كثيرون لا يكتفون بمجرد إنكارها بل ربما يجدونها معوقة .

ولكن انصافا للحق والواقع علينا ألا ننسى أن الشعوب الاسلامية وإن كانت قد انساقت زمنا ما وراء هذا الاتجاه المادي الذي تسرب إليها تحت إغراءات شتى كالعلمانية التي وجد أنها البديل عن الدين فان هذه الشعوب الاسلامية التي انساقت وراء ذلك في فترات مختلفة لم ينقطع عنها أبدا الخيط الذي يشدها أو يربطها بحقيقتها .. ذلك ان الدين الاسلامي باعتباره دين الفطرة فان هذه الفطرة كامنة دائما أبدا في الأعماق ، كالمصباح الذي ربما يخبو نوره اذا غطته طبقات وقتية من التراب ولعلنا نستطيع أن نرجع الى هذا ما يبدو في هذه الآونة من يقظة ملموسة حتى لقد يمكن أن يقال ان الدين قد اجتاز الفترة الحرجة التي

كانت تهدده ، وأنه بدأ ينشر ظلاله من جديد ربما بأساليب قد تحتاج إلى تعديل .

## دراسة أسباب التفكك الماضي لتلافيها

ونظرة إلى الماضي نجد أنه عندما أحكم الاستعمار قبضته على عديد من بلاد الاسلام بسبب التأخر الذي أصاب المسلمين من قبل لأسباب ليس هنا مجال تأويلها .. انتهز الاستعمار فرصة هذا النعاس الذي أصاب هذه الشعوب فراح يستهويها بسبل شتى فتوارت المؤسسات الاسلامية الدستورية والتشريعية وان ظلت الفطرة التي هى من خصائص هذا الدين كامنة كما تقدم تحت الرماد فظلت هذه الفطرة بصورة ما تغذي افعال المسلم اليومية وتربطه بنظم وقواعد من السلوك لم يستطع من كثير منها فكاكا ، ولم يخل الأمر ابدا من دعاة ظلوا دائما يدعون إلى اليقظة وإلى تنبيه المسلمين إلى أن حقيقة وجودهم ومصدر قوتهم ليس في غير دينهم وأن هذا الأمر الفطرى لا يحتاج الى جدل أو تأويل .

## بداية اليقظة الاسلامية .

وإنه رغم عشرات السنين من الاستعمار فان الدين الاسلامي ظل يفرض شخصيته على أهله بصورة ما .. فلم يحدث لديهم رغم كل شئ انكار لمبادئه وإن ضعف العمل بها أو تراخى .. فكل مسلم يرى مهما كان بعيدا عن أصول دينه ان الله واحد وأنه هو المقدر والمحرك لحياته .. وأنه هو المهيمن على كونه وملكوته .. وظل هذا التصور قائما لدى المسلمين طوال قرون التأخر فهو مبدأ أصيل في حياة المسلم ويرى بعض فلاسفة الغرب ومنهم « هيجل » ان حقيقة الفطرة الكامنة في أعماق النفس لم تغب حتى عن الانسان الغربي فهو يرى أن الدين مهما اختلفت صوره إنما هو قوة باطنية لا يمكن تحطيمها وإن حدث شئ من التنكر لها لأنه لابد من شئ ـ عند هذا الفيلسوف وغيره ـ يربط كينونة الانسان الفيزيقية بالعالم الخارجي أراد ذلك أو لم يرد ..

## أهمية استعراض حقبة من التاريخ الاسلامي

إنه وان كان الغرب قد انساق في محاولة الخلاص عبثا من ارتباط الحياة الظاهرة بمحرك خفي غيبي غير ظاهر له فان هذه الحقيقة لم تغب عن المسلم أبدا حتى في أيام الضعف والتخلف .. فقد ظل هناك ارتباط بقدر ما بين الحياة المادية وبين المعطيات الدينية فلم ينقطع أبدا عن انتظار مدد له في أزماته من السماء فهو في الشدائد خاصة مشدود بما يشبه الالهام إلى مصدر يطلب منه المعونة التي لا يقدر عليها حين تتفرق به الأزمات والمشاكل والسبل ... وهو في حياته الدنيوية يظل تحت

الاحساس بشأن هذه القوة التي يطلب منها المعونة والمدد سوف تلازمه بعد انتقاله وإن حالت مساوىء التوعية والتوجيه والفهم الحقيقي لأصول دينه بينه وبين أنوار هذا الاشراق الداخلي الذي لا ينفصل أبدا عند الشخصية السوية حيث لا يكون هناك انفصال بين حاجيات الانسان وغرائزه والصلة التي تربط كل هذا بجوهر الروح .

## عندما تكون هناك عزلة بين واقع الحياة والمنابع الروحية

إذا وجدت هذه العزلة أصبحت النفس فريسة لأهوائها وارتفعت عنها السكينة ولذلك فان توجهات الاسلام تعمل دائما على تقوية هذه الرابطة بحيث تكون الحياة اليومية لبنات لبناء حياة أخرى وبحيث أنه في كل قول أو حركة أو عمل يحس أنها لن تضيع .. بل يرسل بها إلى عالمه الباقي لتكون رصيدا له هناك .. ولكي يكون سلوك المسلم دائما سويا فانه يلزم أن يسير على الدوام في هذا الاتجاه .

ففي كل لحظة من لحظات وجوده يحس أن هناك قوة خفية تشده إلى المطلق الذي لا ينتهي .. أي إلى ما يمنحه الخلود ... وهذا هو ما تفتقده الحياة الغربية وهو سر هروب الأفراد إلى التعويض الحسي الذي من عواقبه عند الانصراف الكامل اليه أن يحدث الاضطراب النفسي لمخالفة ذلك الاتجاه لطبيعة فطرة الانسان ـ أي إنسان ...

## كيف بدأ التراجع الديني ؟

حدث ذلك في الغرب عندما بدأ منذ العهد الوسيط يتنازل في ممارساته للحياة جزءا بعد جزء عن خصائصه حتى أصبحت الأوضاع لا تلبي حاجات الانسان إلى الأمن الروحي متناسيا في ذلك أن الدين لا يعادي الحياة المادية بل يأمر بها مع ترشيدها لتكون في أحسن حالاتها فالاسلام من أجل ذلك يعالج كل أسباب العجز .. والعوز .. والخوف .. ليس في حدود سعي الانسان كفرد فحسب فهو لا يترك الانسان وحده لنفسه بل يحيطه بالتكافل الاجتماعي القائم على الاخوة والمودة .. بحيث يكون المجتمع كله مسئولا في توافق ورضا واستجابة عن أفراده مع كفاية الحد اللازم للحياة المادية ومع ارتباطها بالحياة الروحية التي تعتبر مصدرا ومنبعا لها .. ولذلك لا يمكن الاستغناء عن الدين .. لأن الحياة الدنيا موسومة بالنقص .. والدين هو الذي يرسم طرق استكمالها .. ويسد كل ثغرات العجز المتجددة التي تظهر من الممارسات اليومية يوما بعد يوم مما يفرض حتمية الدين وأبديته .

## بداية الاتجاه التلقائي للترشيد الاسلامي

من أجل ما سبق فان دعاة

الأخلاق والباحثين في سبل الاصلاح .. يجدون في أنفسهم دافعا إلى دراسة نظم جديدة لصلاحية الحياة .. وربما بدون إدراك منهم محدد وواضح نرى أن النظم التي ينتهون إليها انما تنبع أساسا من الاسلام ، فان هذه النتائج التي ينتهون اليها قد تأتيهم حين يستلهمون فطرتهم لتوحى إليهم في ساعات الصفاء بالاتجاهات التي يدعو إليها الاسلام ، وإن تركها أهله في غفلة منهم اندفاعا وراء التقليد الحضاري للغرب .. وهذه موجة مضت وآن لها أن تنحسر .

## عظات من الماضي لابد منها

وفي إبان هذه النهضة أو اليقظة الاسلامية المرجوة لابد من استنباط بعض العظات من التاريخ ـ إذ هو خير معلم لمن يبغى اجتناب أخطاء الماضي .

ذلك ان الاسلام مهما كانت الظروف لن يخلو إلى الأبد ممن يكيد له ويعاديه .. ويشتد هذا العداء عند بوادر كل يقظة ، والعبرة تأتي ربما منذ بداية انهيار دولة الأندلس .. وما تبع ذلك من فتح المجال للتدخل الخارجي بالحروب الصليبية والتتارية والعمل دائما على حصار الاسلام وعزله في كل منطقة عن الأخرى بأساليب شتى ، وإثارة المنازعات الداخلية بين حكام المناطق .. وعلى حين تقوم هذه المنازعات بما خطط لها من استهلاك واستنزاف للقوى حتى لا تتجه الى معاونة المد الاسلامي تنهض في إبان ذلك الجهود التبشيرية التي لم تغفل منذ كانت التجارة العربية تغزو البحر الأبيض والأحمر والمحيط الهندي .. ونحن نذكر ذلك ليس عرضا وإنما للتدليل على أن الحصار للمد الاسلامي لم ولن يكون عقائديا فحسب .

## ضرورة تخليص الاسلام من شوائب التخلف

وليس هناك ما هو أنسب لذلك من هذا الوقت فانه متى تم تخليصه من شوائب التخلف فلن يكون هناك عائق أمام الانطلاق المخطط المرسوم وهذا ما يستدعى تطوير الحياة ـ وليس تطوير الدين ـ فهو صالح لكل زمان ومكان ـ والتطوير هو أسلوب التطبيق في هذا الزمان لاعادة بعث ما يشعر الانسانية انه منقذ لها مما تردت فيه ... فالاسلام كما ذكرنا آنفا يحمل في طياته قوة الدفع المستمر وكل ما من شأنه إسعاد الانسان ابتداء من الحياة الشخصية إلى نظام الأسرة .. إلى التكامل والعدل الاجتماعي .. وكل القضايا الاقتصادية السليمة . والسياسية الحكيمة والرشيدة .

## معالجة الفراغ الروحى العالمي

والتربة العامة للحياة الأرضية في كل مكان في ظمأ الآن الى هذا الري

والجوع الروحي في مسيس الحاجة إلى هذا الغـذاء .. والفلاسفـة الأخلاقيون تكاد أنظارهم تتركز على ما قاله زميلهم فولتير ..

من أن المشرع الاسلامي هو حكيم جاءت حكمته من عقيدة عليا .. ولذلك فقد جاءت مطابقة تماما لنمو وصيانة الذكاء الانساني .. وهـي تتسـم بطرائـق سهلـة غايـة في اليسر فاستطاعت أن ترسى في شجاعة وحب وتراحم أصول السعادة حتى بـين زنوج إفريقيا وسكان جزر المحيـط الهندي وحتى الذين دانوا بالمسيحية وانحرفوا عن أصول الحب الـذي جاءت به شريعتهم أصبحوا في أشد الحاجة إلى تطبيق مثل هذه الشرائع العملية التي تنتظم كل مبادئ الحب والتسامح والتعاون وحتى المغفـرة للراجعين عن الاساءات .. ويتم هذا في حماية من التطرف .

**هكذا تكلم فولتير ...**

## وجوب النقد الذاتي لتصحيح خط المسار

وكل الذي ذكرناه لا يعفينا بل لعله يلزمنا إزاء هذه المسئولية التي لا نرى أنه لا منقذ لكل ما تردى فيه العالم إلا بها إلى وقفة لمحاسبة النفس تبدأ من دراسة السلبيات وأسبابها ابتداء من الخرافات التي تعوق طريق العقـل ودراسة العلل التي دعت إلى التوقف أو الجمود أو التراجع .. مع مراجعة مقارنة للوضع الحضاري المعـاصر ومتطلباته .. وأن نمـارس هذا في شجاعة وصراحة ووضوح وإقدام لكل ما سد الطريق أمام أمة أخرجـت لتكون خير الأمم وتسـود بقيمهـا الكيان الروحي للعالم .

ولعله من الخـير أن نبـدأ هذه المراجعة من الرجوع إلى ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونعيـد دراسـة النظـم والقواعـد التطبيقية ثم نسـير قدمـا في هذه الدراسات مع تطورات الأحداث جيلا بعد جيل وما نشأ خلال ذلك مما أدخل على هذه الأصـول ممـا ليس من طبيعتها منذ كانت في عهد الخلفاء الراشدين وبذلك نستطيع تنقية المنبع من الشوائب الدخيلة وتـكون هذه الدراسات في خط متواز مع تطورات العصور رويدا رويدا ...

إن تنقية التربة من الطفيليـات والهوام هو واجب حتمي لنفسـح الطريق أمام النمو الطبيعي السليم .

## الحذر من مزالق الترف ..

وهذه مشكلة تحتاج إلى عنايـة وتوجيه .. فان بعض الذين يسيل في أيديهم المال حين يكون هناك مع ذلك فراغ روحي يصبح انحرفهم نحو الملذات الحسية يغرى آخرين بالسير على منوالهم حتى يعم من هم دونهم هبوطا إلى القاعدة ، فالترف بمثل هذا الأسلوب هو اتجاه مخرب ومدمر .. وإذا كان هناك سؤال عما يجب عمله لمل‌ء الفراغ فانه يمكن تشجيع اقتناء الهوايات .. والفن الرفيع .. وتنسيق الحدائق والرحلات وانشاء المتاحف

المختلفة .. واقامة مباريات دينية ، وثقافية ورياضية .. وتبادل التعارف مع أبناء الأقطار .. والسياحة في البلاد لنشر أفكار نافعة ..

إن كل شئ نافع .. ومسعد .. ومفيد .. وممتع بحق وشرف هو في متناول الذين يملكون المال والفراغ .. فذلك من نعم الله .. وللتصرف فيها حساب عنده ..

## الطريق السليم للعودة إلى مبادئ الدين

إن ذلك الاتجاه لن يتم أبدا بطريقة عشوائية .. أي لن ينام الناس ذات مساء ليستيقظوا فيجدوا الحياة الاسلامية قد فرضت نفسها .. وإنما لابد لكل فعل من فاعل ولكل عمل من إرادة ، ولكل إرادة من عزيمة ودراسة وتخطيط وتنفيذ ومعاناة ومسئولية وصبر .. فاذا كانت خصائص الاسلام وبركاته كامنة فيه فان ذلك يشبه كمون قوة النماء والخير في حبة القمح .. ولكن لابد لكي تؤتى هذه الحبة ثمارها من زارع يزرعها ويسهر عليها ويرعاها .. وهذا هو المطلوب من أهل الاسلام الذين لا يكفيهم مجرد الدعوة إليه وإنما البدء حتى كأفراد بأخذ أنفسهم به طبعا وسلوكا في رضا وقناعة واستمرار .. وهذه مسئولية كل مسلم تدخل في رحاب قوله تعالى ( **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** ) الزخرف/ ٤٤ . فالبداية لذلك يجب أن تكون شخصية على منهج إسلامي متكامل نتواصى به ونخطط له ، ونعمل به قلبا إلى قلب ، وعندئذ سوف يهدينا الله السبيل ( **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ) العنكبوت/ ٦٩ .

## انتهاز فرصة الاتجاه العالمي المعاصر

ذلك أنه لم يعد هناك من يرمى الاسلام بالتخلف أو الرجعية فالحكماء الدارسون للنظم الضرورية لصيانة الحضارة يشيرون إلى ما في المنهج الاسلامي من غناء لذلك وربما ساعد على هذا ما جعل الله في أيدى العرب في الآونة الأخيرة من مقومات أثبتت وجودهم كقوة فعالة .. وإن شابتها بعض الشوائب العرضية التي لا تعدو كونها كالطفيليات الهشة التي تنبت حول جذوع النبت ولا تتطاول إليه وسرعان ما يمحقها الزوال ..

وعلى هذه الأمة ـ حتى كأفراد ـ أن تدرك أنه ليس المطلوب منها مجرد الاتجاه إلى الشعائر وتقديسها وإنما تنظيم العلاقة التي تعتبر هذه الشعائر رموزا لها .. والعمل على تحويل كل ما هو فكر إسلامي نقي إلى طاقة على جميع المستويات . فيستمد العبد من علاقته بربه قوة يضيفها إلى قوة أخيه .. لتنفيذ حقيقة الاسلام جوهرا .. وروحا .. وسلوكا .. وعقيدة .

بهذا نضمن لهذه الحضارة ولهذا الكوكب الأرضي البئيس غذاء يجدد له أسباب الحياة .

## أحسن القول

قال تعالى : ( ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ) .فصلت/ ٣٣ .

## يوسف ـ والذئب

لما أتى إخوة يوسف بقميصه ملطخا بالدماء ، وأعطوه لأبيهم يعقوب عليه السلام زاعمين أن الذئب قد أكل يوسف ، أخذ يعقوب عليه السلام القميص ووضعه على وجهه وبكى ، وقال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا ، أكل ابني ولم يمزق قميصه !! .

## مريض مؤمن

مرض عبدالله بن مسعود فعاده عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ فقال عثمان : ما تشتكى يا عبدالله ؟ قال : ذنوبي . وقال : فما تشتهى ؟

قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ،

قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لاحاجة لي فيه . قال : يكون لبناتك

قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟! إنى أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، إني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا .

## يارب

قال الشاعر يناجي ربه :

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة     إلى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر إليك وحجة     فعذرى إقرارى بأن ليس لي عذر

## سبقك عكاشة

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل من أمتى زمرة هم سبعون ألفا ، تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » .
قال أبو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه — كساء فيه خطوط بيض وسود — فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « اللهم اجعله منهم » .
ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « سبقك عكاشة » .

## الانسان

قال حكيم : الانسان إما أن يكون ناقصا وهو أدنى الدرجات .. وإما أن يكون كاملا في ذاته لا يقدر على تكميل غيره وهم الأولياء . وإما أن يكون كاملا في ذاته قادرا على تكميل غيره وهم الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. وهم في الدرجة العالية .

## نصيحة

قال والد حكيم ناصحا لأولاده : لا تعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم ، ولا تزهدوا في صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم ، فانكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ، ولا متى ترجون صداقة الصديق .

## عشق .. وإيمان

قيل لعاشق : ما أنت صانع لو ظفرت بمن تحب ، ولا يراكما غير الله ؟
قال : إذا والله لا أجعله أهون الناظرين ، ولكن أصنع معهما ما أصنع بحضرة أهلها : حديث طويل ، ولحظ كليل ، وترك ما يسخط الرب ، وينقطع به الحب .

# المسلمون بحاجة إلى..

**للدكتور : ابراهيم علي ابو الخشب**

مهما أحسنا الظن بالمسلمين ـ هنا وهنالك وفي كل بلد ـ فاننا لا نتجاوز الحد ، ولا نزيف الحق ، ولا نبالغ في تصوير الواقع ، اذا قلنا إنهم يعانون من كثير من الأمراض ، ولا بد للمشفق عليهم ، أو المخلص لهم ، من أن يضع أيديهم على مواطن العلة ، ونواحي الضعف ، ليحاولوا جادين ان يتخلصوا منها ، او يقاوموا نزوات طغيانها عليهم ، وتمكنها منهم ، واستفحالها فيهم ، لأن دينهم الذي يدينون به ، ويؤمنون بمبادئه ، لم يكن عقيدة ترتبط كل الارتباط باحكام اواصرهم بالله وبالناس ، بمقدار ما هو منهاج للسلوك السوي الذي يكفل لهم الحياة السعيدة ، والعيش الرغد ، والاطمئنان في الديار ، والحرية في الأوطان ، والتخلص من عبودية الانسان للانسان ، وقد كان في مقدمة ما ابتلوا به من المحن ، فأصابهم بالهزال ، ورماهم بالتشتت ، وجعل اهواءهم متباينة ، واغراضهم متباعدة ، ونفوسهم متنافرة ، أنهم في أوطان تشبه اشلاء القتلى ، أو فلول الجيوش المهزومة ، ليس لها من عناصر القوة ما يمكنها

من ان تقف على قدميها في وجه عدو مغير ، أو جبار مسلط ، او طامع مستبد ، او جائر مغتصب ، وفي كثير من الأحايين يتعرض المسلم للاذى ، او يصاب بالعدوان ، او يسام الخسف ، فلا يملك له اخوه النائي ، او صاحبه البعيد ، سوى دمعة يذرفها ، او حسرة يبديها ، او أسف يقض مضجعه ، وعلماء العمران يجعلون للوطن الواحد الأهمية القصوى في ارتباط الجماعات ، ويؤكدون هذا الارتباط باللغة الواحدة ، والمصالح المشتركة ، لكن الاسلام لم يكن يعرف هذه الحدود ، ولا تلك الحواجز ، التي تخلق الأوطان ، وتفرق بين الناس ، وكان عنوانه الذي اتخذ منه الشعار لأهله : **( وإن هذه أمتكم أمة واحدة )** المؤمنون/٥٣ فليس للهندي ان يتوارى في الجنس ، ولا لمن يسكن في أمريكا اللاتينية ان يقول انا في العالم الجديد ، وكأنما كانت فريضة الجهاد علاجا لهذه التعللات ، وسدا لتلك الذرائع ، ومن عجيب أمرنا أننا نعرف ذلك كله ولا نجهل منه شيئا ، لكن تطبيقه والعمل به هو الداء الوبيل ، أو المرض العضال .. وقد كان هذا التعدد في الأوطان وسيلة من وسائل ما نسميه بتعدد المصالح وأشياء أخرى ، وأخرى لا حاجة بنا إلى الخوض فيها ، ونحن لا نستطيع أن نقول بقطع هذه المصالح ولا بالغائها ، ولكننا نقول إن الاسلام في كل أوامره ونواهيه ، وتكاليفه التي فرضها علينا ، وارشاداته التي رسم لنا بها طريق الحياة ، كان يهدف إلى ان يجعل منا أسرة واحدة ، تتعاطف بالبر ، وتتواصل بالخير ، وتترابط بالمعروف ، وتشترك في السراء والضراء ، ولم تكن فريضة الحج الى بيت الله الحرام هي وحدها : **( ليشهدوا منافع لهم )** الحج/٢٨ وانما كل واحدة من عباداته ومعاملاته لبنة من لبنات البناء ، ووسيلة لهذا التعاطف .. ومن القضايا المقررة – في علم أصول الفقه الاسلامي – قولهم « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » والخطاب هنا – بالطبع – لا نوجهه إلى دهماء الناس وعامتهم ، بل نوجهه للخاصة الذين يعرفون بالأدلة التفصيلية الحكم الشرعي في الأشياء من جهة الحلال او الحرام ، والأمر بها او النهي عنها ، والذي لا يتم الواجب إلا به – في نظرنا – هو اللغة العربية التي نزل بها كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : **( قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون )** الزمر/٢٨ ولا يمكن ان يدعي مدع أنه يفهمه بغير لسانه ، وقد فشلت دعاوى ترجماته إلى أبعد حد ، ووقع الذين تصدوا لها في كثير من الأخطاء ، وبخاصة حينما يصادفون ما يسمى بالكناية أو الاشارة او الرمز او المجاز ، في مثل ( وقد أفضى بعضكم الى بعض ) من الآية : **( وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد**

**أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا )** النساء/ ٢٠ ، ٢١ وفي مثل ( هن لباس لكم ) من الآية : **( أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن )** البقرة/ ١٨٧ .. ولعلماء البلاغة في الكلام العربي رأى لا بأس من الانتفاع به ـ في وجهة النظر هذه ـ وهو أن الكلام له معنى أولى لا يزيد ولا ينقص كالواحد نصف الاثنين ، وكالقضايا البديهية المسلمة ... ومنه قوله تعالى: **( ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم )** النساء/ ١٢ فانها لا تتعدى السرد لعناوين مسلمة . وقضايا ثابتة ، واحكاما لا تخيل فيها ولا اجتهاد ... وللكلام ـ كذلك ـ معنى ثانوي يجيء في ثنايا الاستعارة والكناية والمجاز او التشبيه ، كما في قوله سبحانه : **( وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين )** هود/ ٤٤ فانك

ها هنا تستعين بخيالك الواعي ، وادراكك المتأمل ، وعقلك المتيقظ ، وحواسك الحادة ، وفكرك المتزن ، وتذهب في ذلك كله المذاهب المتنوعة .. وأنت ترى من الفرق ما بين المعنيين ان الثاني لا يمكن ترجمته لأنه يشبه البحر الذي تصطخب أمواجه ، وتترامى مياهه ، ويختلف تياره .. وقد صح أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عليها ـ وقد كثر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة واظهاره الرضا والارتياح لما كان بينهما من عيش سعيد ـ قالت : « أرأيت لو أنك أتيت واديين معشبين احدهما رتع فيه ، والآخر لم يرتع فيه ، في أيهما ترتع بعيرك » وهو من الكنايات الدقيقة التي لا يفهمها الا صاحب البيان العربي ، والذوق العربي ، ولا يستطيع المترجم مهما كانت قدراته ان ينقل هذا الرمز ، ولا تلك الاشارة ، والمترجمون للمعاني الثانوية لا بد لهم من الزيادة او النقصان .

وما دام الأمر كذلك فان المسلمين ـ الذين ينطقون بالعربية ـ مقصرون في هذا الواجب الذي لا يتم الواجب الا به وكان عليهم من قبيل تقديم الوسيلة على الغاية أن تكون عنايتهم بدراسة لغة القرآن . والاهتمام بها ، والتفقه فيها ، لأنها من الأمور الضرورية ، الا ان الاستعمار الذي جثم على صدور تلك البلاد ردحا من الزمن كان همه دائما ابدا ان يباعد ما بين المسلمين وبين هذه اللغة اعتقادا منه أنها تخدم هذا الكتاب وتحمي

عرينه ، ولقد حاول ان يفعل ذلك في مصر ــ بلد الأزهر ــ فلما لم يتمكن من بلوغ غايته تلك ، حارب القرآن نفسه ، باغلاق المكاتب التي كانت تقوم على تحفيظه .. ولا تزال هذه البلاد كلها بعد زوال الاستعمار تقاسي من آثار ذلك المرض ، ولعل من تلك الآثار ما كنا نسمعه عن تلك البلاد ــ غير العربية ــ من اتهامها لمثل هذه الدعوات انها دعوة مقنعة لما يسمى بالقومية العربية ، ونحن نبادر ــ من جديد ــ الى القول بأنها دعوة اسلامية خالصة ، ربما ساعدت كثيرا على فهم الحقائق الاسلامية الكثيرة التي يختلف المسلمون فيها ، وقد كانت بلبلة لسانهم ، واختلاف بيانهم ، بعض الأسباب في بعد المسافة ، وتباين الرأى ، وتمكن العصبية ، واقول العصبية لأن الدفاع عن اللغة ، والغيرة عليها ، والتمسك بها ، صارت لا تقل عن العصبية للوطن او الجنس او العرض ... وأود ان أنبه مجمع البحوث الاسلامية الذي يجمع كل عام الصفوة الممتازة من علماء الاسلام من الأقطار المختلفة الى انه لو نجح في اقناع تلك البلاد التي لا تنطق الضاد بهذه الفكرة ، وجعلهم يؤمنون بها ، لما ظل بيت المقدس في ايدي اليهود يدنسون ترابه ، ويلطخون ارضه ، فان الفجوة الواسعة التي نحس بها ، والتي كان من آثارها اننا نقف وحدنا ، هو اختلاف الأوطان واللسان ، لأمة أراد الله لها ان تكون واحدة تجتمع على مائدة الكتاب والسنة وهما المشعلان اللذان قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله » رواه البخاري .

ولعلنا بهذه الدعوة المخلصة الجادة نلفت النظر إلى ان الثقافات الاسلامية المستنيرة في البلاد العربية الآن أكثر من غيرها من البلاد الأخرى ، وأن اخواننا في تلك البلاد إن كانوا حريصين على الفقه في الدين ، والفهم للشريعة ، فليلحظوا هذين المعنيين ، والحق احق ان يتبع وليس من العيب ــ في قليل ولا كثير ــ أن يعترف الانسان بالفضل لذويه ، وقديما كان مصدر الاشعاع في مكة ثم المدينة ، ولم يكن لهذا كله أثر من الضغينة او الحقد من غيرهما من البلاد التي تأخذ عنهما ، او تقتدي بهما ، وانتقل بعد هذا كله الاشعاع إلى دمشق ، كما انتقل ــ كذلك ــ إلى بغداد وعصفت بها عواصف التتار فلم يجد المسلمون حصنا يلوذون به إلا هذا المسجد الذي بناه جوهر الصقلي ليكون معهدا لنشر علوم الشيعة وثقافتهم ، وكانت القاهرة من قبل ذلك كله تحمل لواء النور والمعرفة منذ تاريخها القديم الى الفتح الاسلامي في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومسجد عمرو ابن العاص ، وأحمد بن طولون عنوان لا زيف فيه ولا ادعاء ، ولا أبالغ في الحديث عن هذا التاريخ حتى

لا أتهم بالتحيز أو الميل لبلدأنا منه ، وان كنت اقصد بهذا إلى القول بان الأقطار الاسلامية ، لم تكن قديما تعيش في عزلة ولا تقاطع وانما كان أهلها على اتصال تام ، وارتباط دائم ، وشعور متبادل ، والدليل على ذلك كتب الرحلات التي ألفها العلماء كابن بطوطة وابن خلدون وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ... والذي يقرأ كتاب نفح الطيب وغيره من الكتب يعرف إلى اى مدى كانت الأسفار من الأندلس للمشرق ، ومن المشرق أيضا إلى الأندلس والمغرب ، وتلمذة هؤلاء لهؤلاء ، وأولئك لأولئك ، ولا ضير في ذلك ولا غضاضة . ومن هذا نعلم أنهم كانوا متصلين بالبيان واللسان ، والثقافة والمعرفة ، والوجدان والشعور ، والأدب والذوق ، فلم تباعد ما بينهم الأوطان ولا المصالح ، وكان فهمهم للدين ، وعلمهم بالحلال والحرام ، يسير على خط واحد ، ويستقي من معين لا يتناقض ولا يختلف ، وكذلك نرجو ان يعود لنا هذا التاريخ .

★ ★ ★

من العيوب التي يلمسها الخبير بالبلاد الاسلامية ــ على اختلاف أقطارها وأبعادها ــ خلوها من الداعية اللبق ، أو الواعظ المرشد ، أو العالم المتفقه ، وربما توفر العلم الكثير أو الغزير ، إلا أنه لم يكن إلى جانب هذا العلم ثقافة ، وما أظننا نجهل الفرق ما بين الثقافة والعلم ، فانه ليس بلازم أن يقترن كلاهما بالآخر ، أو يوجد حيث يوجد ، لان العلم يفيد الالمام والاحاطة ، والوعي والادراك ، وتقصي المسائل وحفظها ، والثقافة تفيد التقويم والتهذيب ، وهي أقرب إلى الذوق والجمال ، والروعة والحسن،من العلم ، وهي ــ في الأصل ــ كما يقول علماء اللغة مأخوذة من الثقاف وهي العصا المستقيمة تربط بالعود الأخضر الذي لا استقامة فيه حتى إذا ما جف كان على استقامة الثقاف واعتداله لا يحيد عنه ، ولا يتفلت منه ، ولا يكون على غير نسقه ومثاله ، والعالم قد يكون كتابا مكرورا ، أو نسخة معادة ، بخلاف المثقف الذي لا يشبهه إلا هذا الرحيق الحلو في قوله جل جلاله : **( وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون )** .. النحل/٦٨ و٦٩ وإذا كان العلم تخصصا في باب من أبواب المعرفة ، أو ناحية من نواحي الاستقصاء ، فأغلب الظن أن الثقافة أعم من ذلك كله أو أكثر ، لانها أستاذية عظمى ، ودراية واسعة ، وإحاطة شاملة ، ثم هي مع هذا وهذا تشبه بعد فهم الحقائق ، ومعرفة الاشياء ، ما يسمى بمرحلة تعليل الاحكام ، ويقرب منها ما يطلق عليه رجال المحاماة في ساحة القضاء في مقام الدفاع كلمة ، « روح التشريع » على معنى ما يهدف إليه المشرع من النص أو المادة في القانون ، ويراد

منها ما كان يخصه علماء الفقه الاسلامي باسم « حكمة التشريع » التي يهتدى إليها المكلف بعقله وبصيرته اطمئنانا للحكم ، وإيمانا بأنه يشتمل على جلب المصلحة أو درء المفسدة ، أو يصرح له بها الشارع الحكيم ـ في بعض الأحايين ـ إلى جانب النص ، كما في آية الخمر: **( إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة )** المائدة/٩١ وعلى هذا فالثقافة فيما يقصد إليه أهل البصر والرأي دراسات شتى لألوان لا حصر لها من العلوم والمعارف ، ولا نقصد بهذه الدراسات أن نبني بها شخصية الداعية أو المرشد ، أو نكمل بها ذاته ، وإنما نعني أنها تساعده على أداء مهمته التي نصب نفسه لها . ووقف جهده عليها .. وقد كان الامام محمد عبده ـ رحمة الله عليه ـ مثالا طيبا لهذا الانسان الذي ننشده ، والعالم الذي نبحث عنه ، ولهذا استطاع أن يجري في ميدان الغرب والشرق مع ساسة محنكين ، وفلاسفة كبار ، كان فيهم الملحد والشاك ، والوجودي والشيوعي ، والنصراني وعابد الوثن ، ومن لسانه العربية ، ومن رطانته البربرية ، ولم يثبت أن أحدا أفحمه ، أو قطع عليه السبيل إلى الحجة الواضحة ، والبرهان الصحيح ، ولا نرتكب الشطط فنرجو أن يكون كل داعية صورة للامام محمد عبده الذي أصبح في التاريخ من أقطاب الفكر ، وأعلام الرأي ، ودهاقين السياسة ، إنما نريد أن نقول : إن العالم الذي كان يحمل « شهادة العالمية » من الأزهر كان لا يحصل عليها إلا بعد رحلة شاقة ، ومسافة طويلة في حساب الزمن ، ودراسة عميقة لعلوم الدين واللغة ، وهناك يصح له أن يتصدر مجالس الفتيا ، ويتصدى لتفسير كتاب الله ، أو يقول للناس هذا حلال وهذا حرام ، وكان في هذه العلوم مصطلح الحديث . والرجال ، والجرح والتعديل وأصول الفقه . والمنطق والمناظرة والجدل . وعلوم العربية التي لا نهاية لها . وما كان له أن يقف على قدميه حتى يأخذ مكانه من « صحن الأزهر » ليقرأ على طلابه بعض العلوم ، ويسأله بعض الغادين والرائحين أسئلة تعنت وإحراج ، فان نجح في مواجهة الجماهير ، واستطاع أن يتخلص من المآزق ، ويتخطى العقبات ، كان هو الرجل الذي يدفع به إلى المهالك ، ويعول عليه في الأزمات ، وإلا كان أولى به أن يعود طالبا لا مطلوبا .. وقد كانت هذه هي شنشنة القدامى من أسلافنا في الالمام والتحصيل ، والعلم والمعرفة ، ولذلك غلبت عليهم طريقة الاستطراد في الدرس وفي التأليف ، ولعل من أمثل الشواهد على ذلك كتاب الكامل للمبرد الذي يبتدئ بالحديث الذي روى عن النبي فيما يمدح به صلى الله عليه وسلم الانصار : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » إذ يأخذ في بيان ما في الحديث من المفردات اللغوية مستشهدا ببعض الأبيات من

الشعر ، وينتقل إلى التعريف بالشاعر ، وربما كان في اسمه أو نسبه اشتباه بشاعر له اسمه وكنيته ، فحمله ذلك كله على تمييز أحدهما عن الآخر ، وقد يذهب إلى نقد البيت أو الأبيات ، وذكر القاعدة النحوية أو الصرفية ، واشتقاق الكلمة وحسن اختيارها على سواها ، وهكذا يجد القارئ نفسه في مكتبة واسعة ، يقلب صفحاتها ، ويتنقل في أوراقها ، ويشافه أمة من الناس في جنباتها ، ومن الغريب العجيب أننا نقول لمن يدرس النباتات وتطورها وآفاتها والطريقة المثلى في وفرة محصولها « أستاذ في الزراعة » مع كونه كان يعيش في محيط محدود من العلم والمعرفة ، ولكننا لا نستطيع أن نقول لمن درس علم الفقه فقط أو الحديث فقط أو ما يشبه ذلك إنه فقيه أو محدث ، ومن البديهي أن يكون أكثر عجبا وغرابة ، أن نقول لدارس من علوم النباتات وكفىء أستاذ في الفقه الاسلامي ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما وصلنا إليه الآن حينما رأينا تطفل الواغلين على حديث رسول الله أو الفقه الاسلامي الذين يفرضون أنفسهم على بعض القضايا والمسائل زاعمين أنهم أهل رأي واجتهاد .. وكم كان بودي لو أن القانون الذي يمنع الحلاقين من مزاولة مهنة الطب ، أن يمنع من لم يدرس الشريعة الاسلامية دراسة تؤهله للحديث فيها ، والدفاع عنها ، من أن يقحم نفسه في أهلها ، فيجعل لنفسه الحق أن يلبس مسوح رجالها ليأخذ الناس عنه ، أو يتعلموا منه ، ونحن لا نعرف إنسانا أقحم نفسه هذا الاقحام ثم ملأ الفراغ الذي يتحيزه بعد الأستاذ عباس محمود العقاد من خلال كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » وغيره من كتب وبحوث استطاع فيها أن يكون لسان صدق عن الاسلام والمسلمين ، وليس كل باحث ولا كاتب يمكن أن يكون صورة ثانية أو ثالثة لهذا الرجل الذي أجمع المؤرخون له على أنه كان قارئا بمعنى الكلمة فلم يفته كتاب ولا كاتب دون أن يلم به جملة وتفصيلا ، ويعرف ما جاء في ثنايا سطوره حرفا حرفا ، وكلمة كلمة ، وقد كان هو نفسه يحس بتلك الموهبة الخارقة التي رزقه الله بها ، فيقول أنا صورة لا تتكرر ، ولا يجود الزمن بمثلها بعد ..

ونحن إنما يسوقنا إلى هذا الاسترسال في سوء الظن برجل الدين أو الداعية المرشد أننا مخضرمون في دراستنا ــ في الأزهر ــ أدركنا عهده القديم والجديد ، وأننا عرفنا إلى حد ما مدى ما وصل إليه النور والمعرفة في بعض البلاد الاسلامية .. وقد ساعدنا هذا كله على أن تمتلئ نفوسنا بالأسى والأسف ، والألم والحسرة ، لما توصلنا إليه من تخلف وركود ، على الرغم من أن مجالات الدراسات الاسلامية قد اتسعت هنا وهنالك ، وأصبح في كثير من البلاد العربية والاسلامية جامعات لعلوم الدين واللغة العربية ، ويتخرج فيها الأفواج في نهاية كل عام دراسي ، ثم

يتقلدون ـ في الدولة ـ الوظائف والأعمال ، بعد أن كان الأزهر وحده هو مركز الاشعاع لتلك البلاد المترامية في الشرق والغرب ، وهو وضع يجعلنا نلح في السؤال عن السبب المباشر أو غير المباشر في هذا الجهل الذي وسع الفجوة ، وباعد في المسافة ، وصير الدين فيما بيننا غريبا .. وهل يكون ذلك راجعا إلى أن هذا اللون من التعليم قد أصبح من مخلفات العصور ، لا يلتفت الناس إليه ، ولا يهتمون به ، بعد أن صاروا في عصر الكهرباء والبخار وتفتيت الذرة ، وأن رجال الدين ليس لهم إلا أن يعيشوا في التكايا والأديرة . وبخاصة في الوقت التي تمخضت بعض الفلسفات فيه عن أنه مخدر الشعوب .. أم إن ذلك يرجع إلى أن مناهج الدراسة نفسها لا تصنع من الطالب المتخرج هذه الشخصية المرجوة ، والانسان المطلوب ، وسواء صح هذا الظن أو ذاك ، فان علة العلل في بلادنا التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، أن الداعية المرشد فيها لم يتوفر له من العلم والثقافة ما يؤهله لأن يكون هذا الرجل الذي كان الناس يفهمون فيه أنه المنارة التي تضيء لهم مواضع أقدامهم حتى لا يكون مسيرهم خبطا ، وخطوهم على غير هدى ، وعلينا ان كنا ننشد الاصلاح ، ونسعى الى التقدم ، ونساير ركب الحياة الصحيحة ، أن نعود ـ من جديد ـ إلى فهم ديننا ، والعمل به ، والانتفاع بهديه ، مستعينين بهؤلاء الذين نعدهم من أبنائنا ليكونوا وعاظا مرشدين وأساتذة يحملون راية المربي الأول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يثني من عزمنا ، أو يفت في عضدنا ، أن الذين يغزون الفضاء ، أو ينزلون على سطح القمر ، لم يصيخوا إلى نداء الدين ، أو يتأدبوا بآداب ابن عبد الله ، فان النزوح إلى الدين ، والرجوع إلى الله ، من الأمور الضرورية للانسانية ، وإن تخبطت بها السبل ، أو التوت الطرق ، وقد أصبح الغرب الضال الحائر يبحث عن الوسيلة إلى غذاء الروح ، والايمان بالله ، فلم يجد من يأخذ بيديه إلى بر الأمان والنجاة ، ولو أن لهم هذا الزاد الذي بأيدينا لكان لهم من الاطمئنان والسعادة وراحة البال ما يجعلهم ملوك الدنيا ، وسادة الناس .. فهل يؤمن المسلمون بأن الله سبحانه وتعالى حباهم بما لم يحب به أحدا ، وأنهم لم ينقصهم ليكونوا ملوك الدنيا ، وسادة الناس ، إلا أن يعودوا إلى الانتفاع به ، والدراسة له ، والرجوع إليه ، فان أجدادهم الذين دوخوا التاريخ ، وبسطوا سلطانهم في البسيطة وأذلوا الأكاسرة والقياصرة ، لم يصلوا إلا به ، ولم يكن من أعلامهم خالد بن الوليد ، وعبيدة بن الجراح ، وعقبة ابن نافع ، وعمر بن الخطاب ، إلا لأن الايمان يملأ قلوبهم ، والقرآن يدوي في آذانهم ، وكلمة الله عندهم هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فلنحذ حذوهم ، ولنسر على نهجهم ، ولنرب الأجيال المقبلة على الهدى

الصحيح ، والتهذيب الصادق ، والثقافة النقية ، والعلم النافع ، ليكون لنا إلى جانب مصانع الذخيرة والأسلحة ، جبهة من الأخلاق تتطحم على صخرتها وسائل الدمار والشر . والمسلم دائما أبدا كان سيد الناس ، لا يذل للمحن ، ولا يلين للأحداث .

★ ★ ★

تحولت اليهودية إلى صهيونية عالمية مهمتها السيطرة على رؤوس الأموال ، ومشروعات الانتاج التي تتوقف عليها حياة الشعوب والأفراد ، وقد تجاوزوا ذلك إلى العلم والفلسفة ، والسياسة والأدب ، والعمران والرقي ، والتقدم والحضارة ، فما من مذهب في الاقتصاد والعمران ، أو الفلسفة والأدب ، إلا ووراءه يهودي يحركه ويعلنه ، ويدافع عنه ، وينادي به ، ولا ينكر أحد أن وسائل الدمار والتخريب ، والتهديد بفناء البشرية في أيديهم ، وتحت طائلة نفوذهم ، مع كونهم قلة ضئيلة بالنسبة للطوائف الأخرى ، ومن شأن القلة الشعور بالذلة ، وتلك سنة الحياة ، ولا نجد عصبية هوجاء وراء الشعور بالذلة والقلة ، ونحن لا نشك في هذه العصبية اليهودية أو بعبارة أصح ، الصهيونية ، غير أننا نسأل أنفسنا هل هم يشعرون مع هذه القلة بالذلة ، وفي خناصر ايديهم ذئاب الاستعمار في أمريكا وغيرها من الدول التي تلعب بمصائر الأمم والجماعات ، والشعوب والأفراد ،

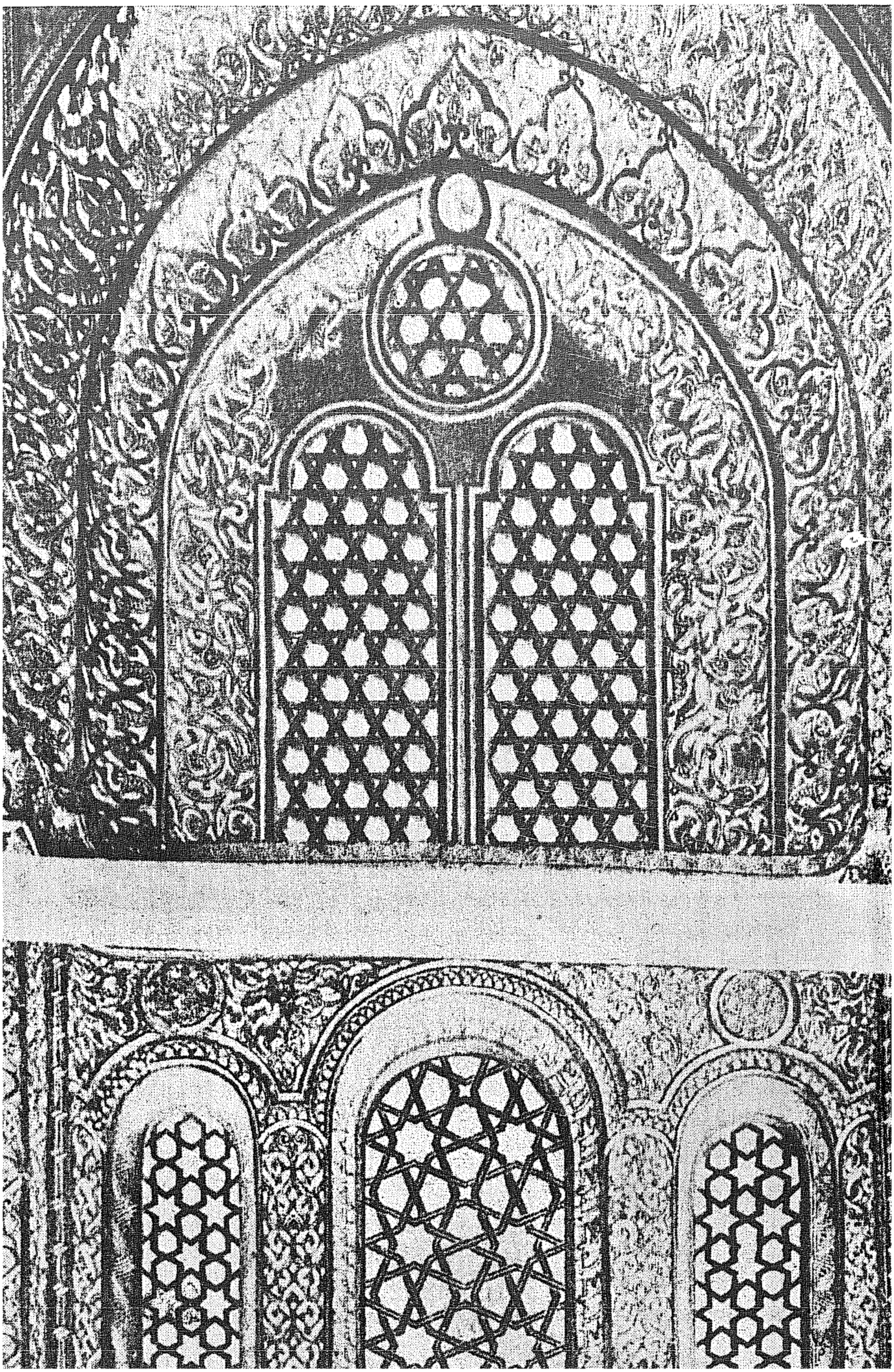
ولا يعنينا أن نثبت على التحقيق أن فيهم ذلة مع تلك القلة أم لا ، وإنما الذي يعنينا أن نثبته أن الاسلام عزة وكرامة ، وقيادة وسيادة ، وقوة لا تقف في وجهها القوى الجبارة ، ولا الجبروت الظالم ، ولا البطش العاتي ، ولا الشر الأهوج ، لأنه يضع صاحبه دائما أبدا في طليعة الصفوف ، وفي مركز السيطرة ، حيث يتحرر من الأغلال ، ويتمرد على البغي ، ويثور على الأوضاع الباطلة ، ويرسم له الطريق إلى ذلك كله ، اذ يشعره بالعزة التي لا يتطاول اليها جاه الملوك ، ولا سلطان القياصرة : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ) آل عمران/ ١١٠ وإن كانت هذه الخيرية محتاجة إلى كثير من خلال البر والخير . والطاعة والمعروف ، والسلوك والأدب ، وكان أبرزها الأخوة الصادقة التي تربط المؤمن بالمؤمن ، وتصل الانسان بالانسان ، وفي القرآن الكريم تدور هذه الكلمة في أكثر من آية : ( **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** ) الحجرات/ ١٠ وفي حجة الوداع يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن أخو المؤمن لا يسلمه ولا يخذله ولا يقتله » .. وربما كانت الأخوة هذه هي الثمرة الأخيرة التي تتخلف عن الصلاة والصوم ، والزكاة والحج ، وغيرها من الفرائض والتكاليف التي لا يرجو الشارع الحكيم من ورائها إلا أن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون ، وهنا يبدو لنا أن نسأل مرة أخرى هل

هنالك أخوة – حقا – تربط ما بين المسلمين وتتخطى الى هذا الربط أو الرباط تلك الأبعاد والحدود ، والحواجز والسدود ، لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر أمته مغبة ذلك التخاذل والتفكك ، اذ يقول : « توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع » وكان يرد عليه بعض من يسمعه من صحابته « أمن قلة نحن يا رسول الله » فيقول له : لا « ولكنكم كثرة كغثاء السيل » رواه الترمذي .. وقد صح ما تنبأ به صلى الله عليه وسلم فان نسبة اليهود في العالم كله لا تساوي بالنسبة للمسلمين نصف العشر ، ومع هذا فعند احتلالهم لفلسطين ، واغتصابهم لغيرها من البلاد العربية ، واستباحتهم حرمات ثالث الحرمين قابل المسلمون ذلك كله بالوجوم والذهول واكتفوا بأضعف الايمان ، بل كان فيهم من ساعدهم ولا يزال بكل إمكانياته وموارده ، وربما كان في بعض هذه البلاد صلات « دبلوماسية » قائمة بينهم وبين تل أبيب ، ومع هذا كله فلا نزال نزعم بيننا وبين أنفسنا أننا في معسكر صاحب الاسراء والمعراج ، وهو زعم يشبه زعم عبد الله بن أبى بن سلول الذي كان يتظاهر بأنه مع محمد صلى الله عليه وسلم ، ويخرج معه لحرب المشركين لا ليقاتل ويرفع رايته وإنما ليشيع الوهن والضعف في نفوس من يستطيع أن يؤثر عليهم قائلا : **( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل )** المنافقون/٨ والتاريخ الذي نقلب صفحاته منذ وضعت اليهودية أقدامها في فلسطين الى احراق المسجد كله مخاز تلاحق المسلمين في البلاد العربية وغيرها من البلاد الاسلامية ، وتدل دلالة لا يتسرب اليها الشك أن واحدا من أمرين اثنين قد أصاب المسلمين فحملهم على ذلك الموقف المتخاذل .. استسلام للهوان ورضا بما جرته النكبات والمصائب ، او جهل بهذا الدين الذي يجعل من أهم وشائجه بين المتدينين به « الأخوة » التي كان من أبسط مظاهرها في صفوف المسلمين الأولين الايثار والنجدة والوقوف في وجه العدو المشترك « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » .. وما أظن أن يكون الاستسلام للهوان والرضا بما تجره النكبات والمصائب على هذا الوجه ، من تعاليم الاسلام ، ولا من أخلاق المسلمين : **( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين )** المنافقون/٨ ولا يبقى بعد من هذين الاحتمالين الا ثانيهما وهو الذي نحاول أن نعالجه لأن المسلمين لا يصح مهما كانت بينهم المسافات والحدود أن يكون فيهم هذا الجمود الوجداني ، أو البرود العاطفي ، الذي تتكرر فيما بين آونة وأخرى من التاريخ مآسيه وأحزانه ، وما مثلهم من خلال هذه الفترات كلها من الزمن الذي صار في خبر كان الا مثل طفل غير رشيد خلف له أسلافه جاها ومجدا وملكا وسلطانا لم يحسن القيام عليها ، ولا التصرف فيها ، ولا الانتفاع بها ، ولم تكن النتيجة

الحتمية التي تترقبه ، ولا المصير المؤسف الذي ينتظره ، سوى زوالها عنه ، وهروبها منه ، وهذا بعينه هو الذي حصل للمسلمين في الأندلس إذ قامت لهم بها دولة شامخة زهاء ثمانية قرون في قلب العالم الغربي تنشر فيه النور والمعرفة ، والعدالة والمساواة ، والأمن والطمأنينة ، فلما ثار به حقده وحسده أن يأخذها من أيدي المسلمين ـ هنالك ـ لم يثر ضمير المسلمين في المشرق لنجدة اخوانهم في المغرب ، أو الوقوف بجانبهم ، وظلوا يكتفون من المأساة بموقف المتفرج ، وكان هذا التاريخ الأسود مبدأ مقررا للطمع في البلاد الاسلامية والعدوان على الحقوق المشروعة للمسلمين ، وأصبح تفرق الكلمة ، واختلاف الهوى ، وتباعد القلوب ، وتنافر الطباع ، هي الدستور الذي يتحكم في العلاقات الدولية القائمة فيما بينهم ، ومن المضحك المبكي في آن واحد أن كل جماعة من هذه الجماعات كلها لا تزال تزعم زعم الفرزدق أنها هي حامية حمى الاسلام وغيرها هو الذي يدعى سليمي سفاها .. وأنا لا أسيء الظن بالمسلمين حين أصرح بهذه الجفوة القائمة ، ولا بتلك القطيعة المتمكنة ، وأرجو أن يثوبوا الى رشادهم ، ويحاسبوا أنفسهم حساب من يجعل دينه أشبه بعرضه الذي يدافع عنه ، وماله الذي يقاتل دونه ، هل هذه المواقف التي تسيطر على سلوكهم ـ الآن ـ من الدين الصحيح ، والأسلوب ، الذين كان يدعوهم إليه ، ويرغبهم فيه رسولهم الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أطلب اليهم من وراء ذلك كله إلا أن يكونوا مسلمين بمعنى الكلمة ، وليس بعيب أن يتوب المسلم إلى رشده ، ويتخلص من عيوبه ، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل .. وإذا كانت صيحات المصلحين ترتفع ما بين آونة وأخرى بالدعوة إلى تطهير عقيدتنا من الخرافة ، وتنقية تراثنا من الزيف ، فان من أوجب الواجبات أن نعاود الكرة ـ من جديد ـ لفهم هذا الدين الفهم الذي يحقق هذا العنوان الذي يخلعه علينا القرآن الكريم إذ يقول : **( كنتم خير أمة أخرجت للناس )** آل عمران/١١٠ ويقول : **( وإن هذه أمتكم أمة واحدة )** المؤمنون/٥٢ لأنه لم يكن دين انفراد أو عزلة ، وحاشا لله أن يكون كذلك وهو الذي تتبلور تكاليفه وآدابه ، وهدايته وإرشاداته ، فيما تسميه تلك المصطلحات الحديثة باسم « الانسانية » زاعمة أنها وليدة ثقافات وفلسفات انتهت إليها عقول الغرب الواعي المفكر ، وهي في الأصل الأصيل غير وافدة علينا ، ولا غريبة عنا ، والقرآن الكريم ، وأحاديثه صلى الله عليه وسلم ، فيهما الأمثلة الكثيرة ، والشواهد المتنوعة ، التي تنتهي إلى هذا المعنى النبيل الذي يسمو بالانسان الى أقصى معاني البر والخير ، والرأفة والرحمة ، والاحسان والعدل ، والحنان والحب . ولا ينكر أحد على هذا الدين

أن صدره قد انسع لمن كانوا يخالفونه من أهل الكتاب والمشركين إلى درجة أنهم أنسوا به ، واطمأنوا له ، واستراحوا إليه ، وقد كان هذا في كثير من الأحوال يحملهم على الدخول فيه ، والانضواء تحت رايته ، إلا أن هذه الانسانية التي كان ظلها وارفا على المشركين والوثنيين واليهود والنصارى كانت أشد حدبا على المسلمين بما جعلته لهم من وشائج ، ورسمته لهم من معالم ، وأكدته بينهم من روابط ، ووثقته فيهم من عرى ، دونها أسباب النسب والمصاهرة ، واللحم والدم ، ولعل في هذه الآية القضاء الفصل في تلك القضية : **( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين )** التوبة/ ٢٤ .. فان حب الله ورسوله والجهاد في سبيله — والله غني عن العالمين — لا معنى لها إلا في الوحدة الاسلامية الشاملة ، التي ينبثق عنها قوة الجبهة ، وتكتل الجماعة ، وترابط المؤمنين ترابطا تظهر آثاره في اتخاذ كل ما من شأنه خذلان العدو واندحاره ، حتى لا يتمكن من بسط سلطانه ، ووضع يده على تراب إسلامي ، لأن في ذلك كله حربا لله ورسوله ، وإسكاتا لصوتهما المدوي بالفلاح الذي جاءت به شريعتهما للناس ، ولا يرضى لنفسه بهذا النهج مسلم يزعم لنفسه أنه يحب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، مهما كانت الظروف العاطفية التي تحمله على هذا الانحراف ، وتصده عن ذلك القصد ، من ولد يرأمه ، أو أهل يحبهم ، أو عشيرة يأنس بهم ، أو مال يكاثر به ، ولا تعدو مغريات أبناء آدم وبنات حواء بالحرص والشح ، والجبن والخور ، والنكوص والتردد ، والتخاذل والقصور ، والتخلف والهرب ، من أن تكون بسبب واحدة من هذه أو أكثر من واحدة ، والذي يجب على المسلم أن يرجح الكفة التي فيها اللهورسوله ، وإلا كان إيمانه رياء ، وعقيدته شكا ، وإنسانيته هزيلة مريضة .. ولهذا فاننا إذ ننبه الضمير الاسلامي أن يتيقظ إلى أن دينه يؤكد صلته بأخيه المسلم إنما نناديه أن يتنبه إلى الصواب ، ويثوب إلى الرشد ، ويرجع إلى الحق ، ويعود إلى صفوف المسلمين ، لأن الشذوذ عنهم ، والانفراد دونهم ، وعدم الاستجابة لداعي الله فيهم ، مروق وإلحاد ، وضلال وزيغ ، وتعرض لسخط الله وغضبه ، وتفتيت لوحدة هذه الأمة الواحدة التي يريد الله لها أن تكون سيدة لا مسودة ، وعزيزة لا ذليلة ، وقوية لا ضعيفة ، وحرة لا يملكها أحد ، ولا يتحكم في مصيرها أجنبي ، ولا يقيدها ظالم ، شعارها دائما أبدا شعار ذلك الشجاع المسلم أبى فراس الحمداني :

وإنا أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين او القبر

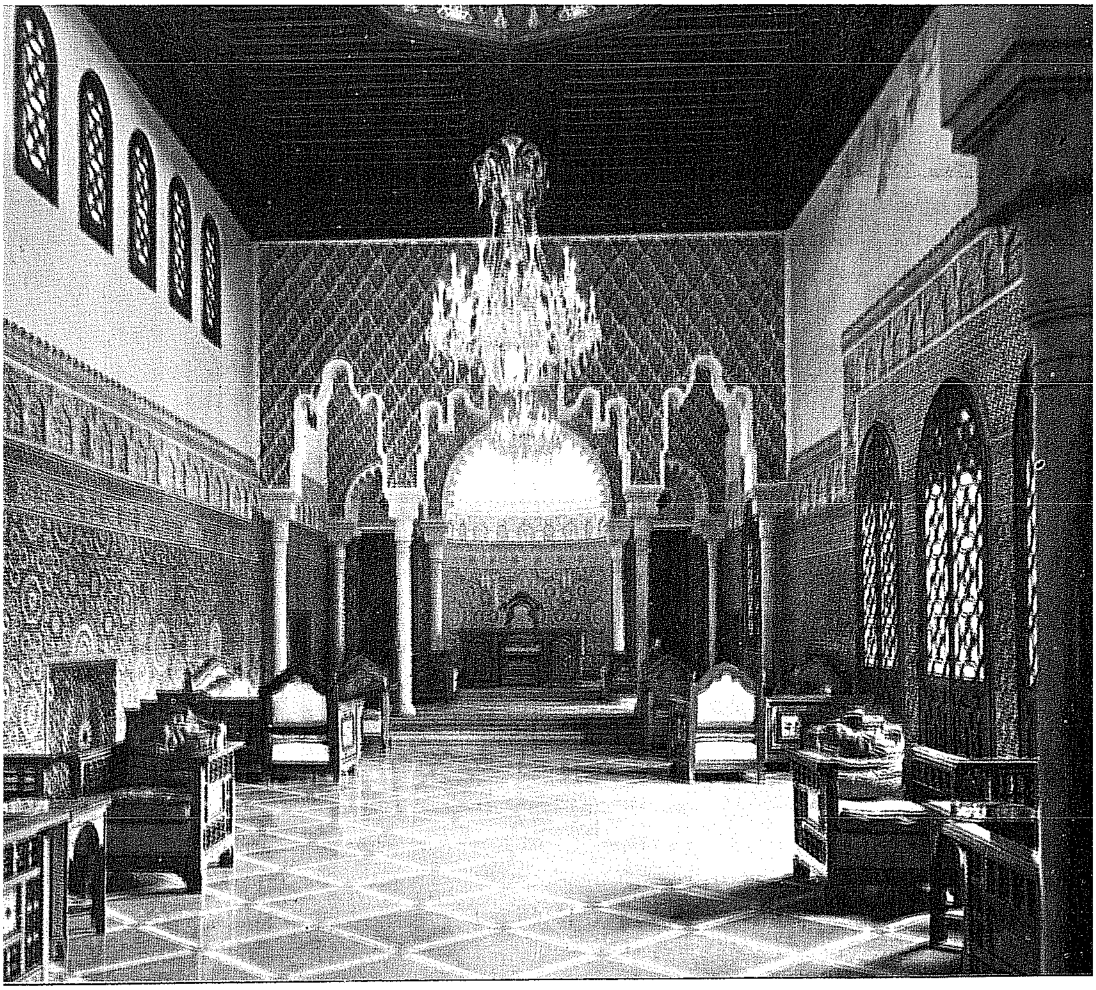


# الفنون الاسلامية

## وأثرها على الفنون الأوروبيّة

للاستاذ : عبدالغني محمد عبدالله

من المعروف تاريخيا أن الحضارة العربية الاسلامية هي احدى العوامل الهامة للنهضة الأوروبية الحديثة ، والتي بدأت في القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد انتقلت هذه الحضارة إلى أوربا خلال ثلاثة معابر رئيسية ، هي : **الأندلس ، وجزيرة صقلية ، والحروب الصليبية** . ولم يقتصر الاتصال بين الشرق الاسلامي والغرب الأوربي على هذه المعابر فقط ، إنما كانت هذه المعابر الثلاثة هي أكثر القنوات أثرا في النهضة الحديثة ، فقد كان هناك السفر والرحلات ، فضلا عن الوساطة التجارية ، واستمرار الاتصال مع الاتراك العثمانيين بعد بدء النهضة .



□ القصر الكبير تيطوان بالمغرب وهو من اعمال كبار الفنانين المسلمين .. وهو أسلوب أقبل عليه الغرب الأوربي كثيرا ونقل منه الكثير

## الانـــدلس في ظل الحضـــارة الاسلامية :

ازدهرت الحضارة الاسلامية في الأندلس ، وأصبحت قرطبة في القرن العاشر الميلادي أكثـر مدن أوربـا تحضرا ، وأعلاها مدنية ، وكان عصر ملوك الطوائف فيها باعثا على تعدد مراكز العلم والأدب والفن في شبه جزيرة أيبريا بوجه عام ، وجاء ملوك المرابطين والموحدين ومع استمـرار هجرة المسيحيين الى الشمال حيث نقلوا الكثير من عادات المسلمين ، وأزيائهم ، وصناعاتهم ، وفنونهم ،

وكذلك عندما انتهى الحكم الاسلامي في الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بسقوط غرناطة ، بقى كثـير من المسلمـين تحـت حكم المسيحيين ، وصاروا يعملون للملوك والأمراء منهم ، وتعلم منهم غيرهم ، فانتشرت الاساليـب الفنيـة الاسلامية ، وقد عرفت هذه الطائفة المسلمة باسم ( المدجنين ) وترى أثر العمارة الاسلامية واضحا في كثير من منشآت مدينة « سرقسطة » التـي بنيت في عصر المدجنين في القـرن السادس عشر الميلادي ، فمعظم هذه



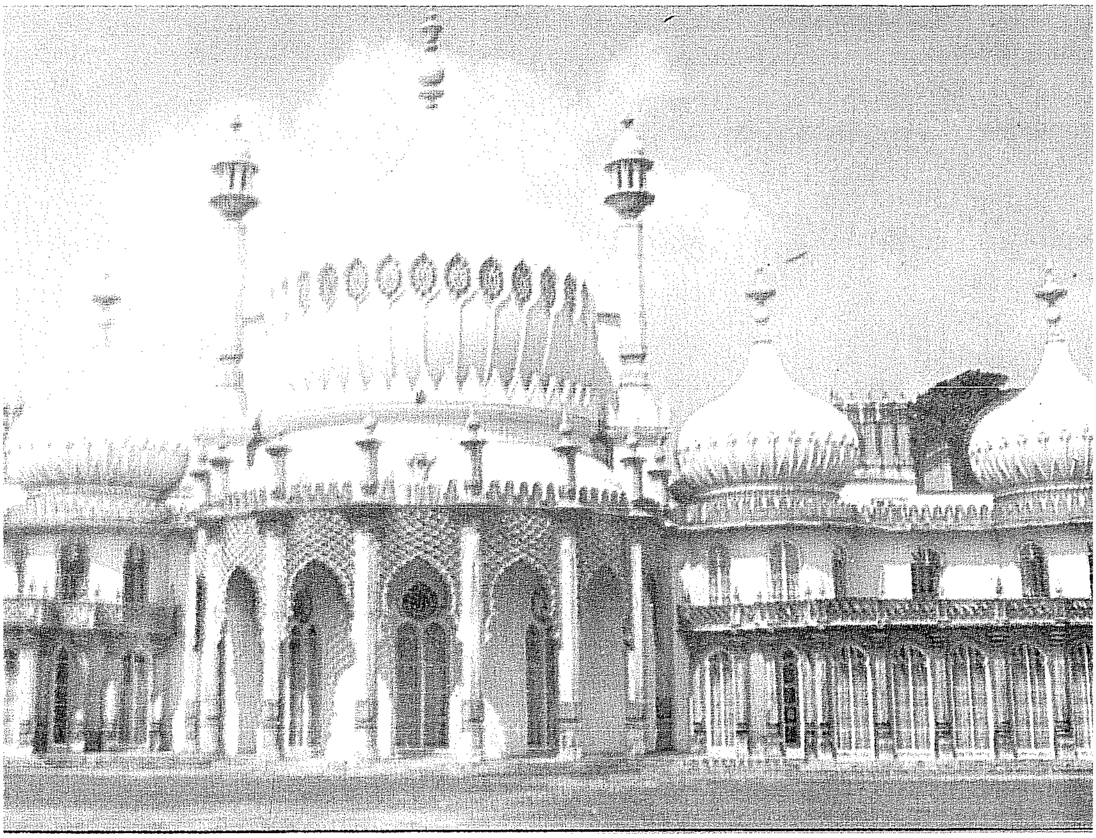
□ من هذه المآذن المنتشرة في شمال افريقيا اقتبس الاوربيون اشكال ابراجهم في سرقسطه

المنشآت مبنية من الطوب ، وفتحاتها كلها معقودة وأبراجها تشبه المآذن في المساجد الأندلسية وشمال افريقيا ، وخاصة مئذنة القيروان بتونس ، هذا بالاضافة الى استعمال الطوب في عمل الزخرفة ، كما استعملت أيضا « المقرنصات » الاسلامية المشهورة .

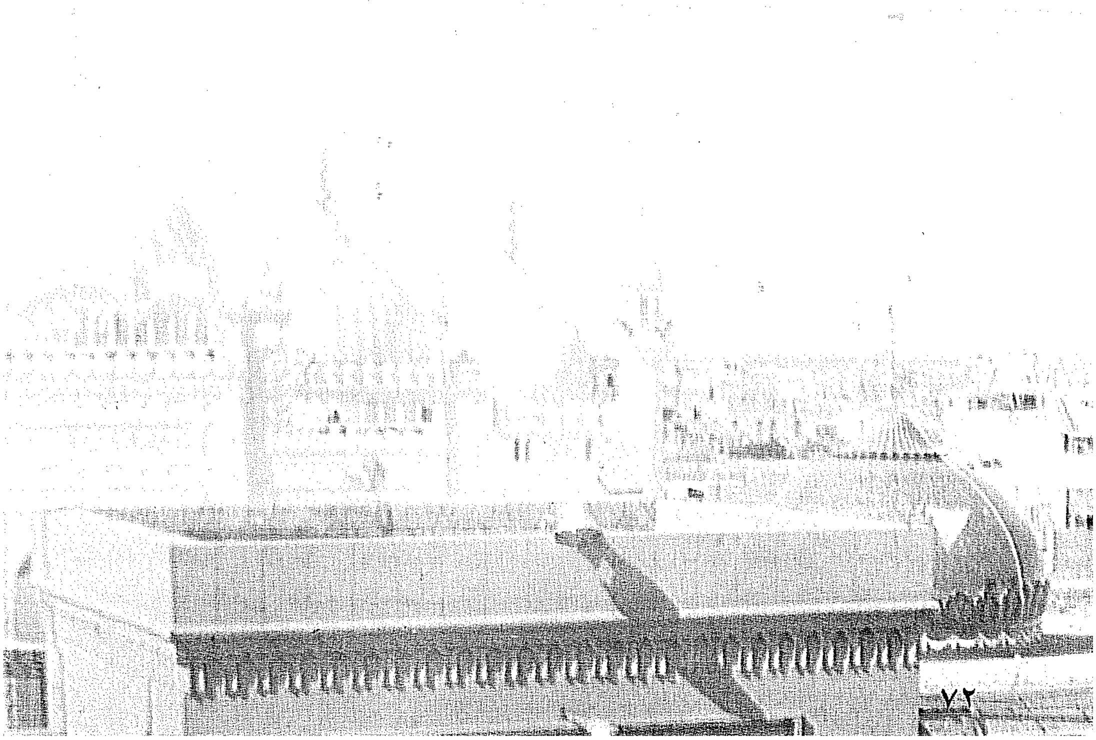
وعندما امتد نفوذ الأتراك العثمانيين إلى شمال البلقان ، عظم نشاط التجار الأتراك ، وأصبحت « بلغاريا » من أهم الأسواق لتصريف البضائع والتحف الاسلامية ، التركية والايرانية .

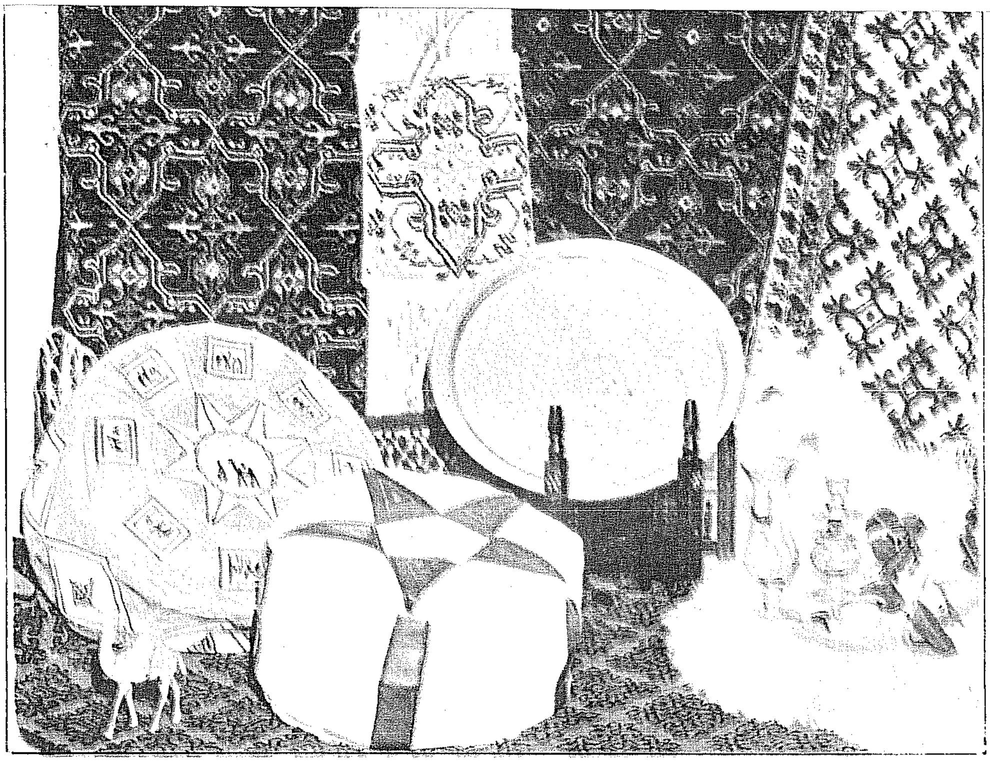
وقد شيد البلغاريون كثيرا من العمائر التي تتجلى فيها التأثيرات الاسلامية ، بتصميماتها ، وعقودها النصف دائرية ( البرميلية ) ، وقبابها ذات الطراز العثماني ، كما استخدم البلغاريون الأحجار ذات اللونين الأبيض والأسود ، في عمل صنجات العقود المعروفة باسم « الأبلق » .

و تجلى تأثير الفنون الاسلامية في فنون الغرب الأوربي وتعدد هذا التأثير في الميادين الفنية المختلفة .



□ الطراز المعماري الاسلامي من المدرسة المغولية العليا مسجد بباكستان والسفلى قصر انجليزي ويربط بينهما الاثر الفني الاسلامي في العمارة الانجليزية



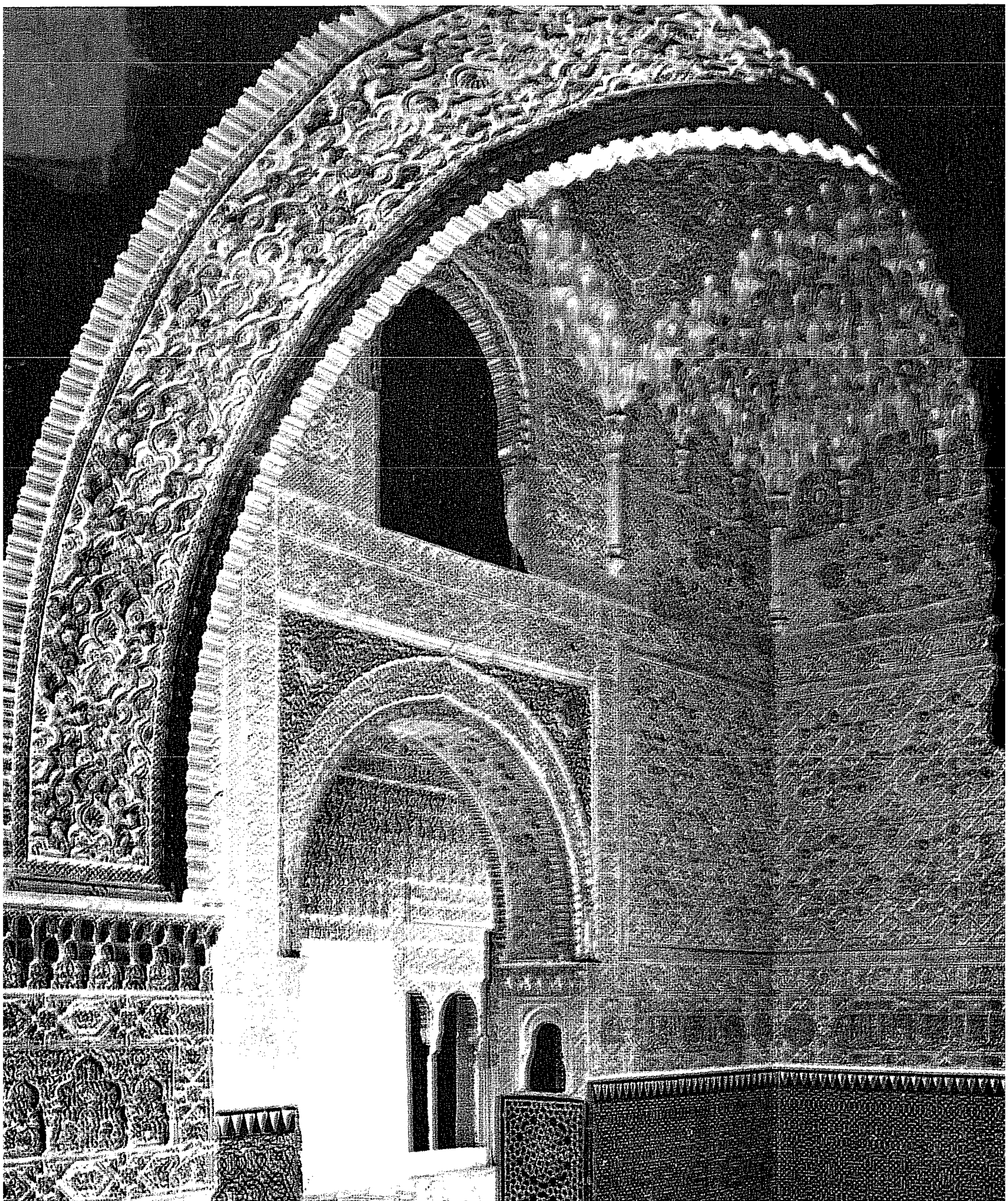


□ مصنوعات جلدية ومعدنية وخشبية ومنسوجات ذات طابع اسلامي كان لها تأثير كبير على الفنون الاوربية

ففي العمارة اقتبس الصليبيون بعض الأساليب المعمارية ، وخاصة في العمارة الحربية ، من قلاع مصر وسوريا ، وأخذوا عن المسلمين المداخل المنكسرة ( التي هي على شكل زاوية قائمة ، كي لا يتمكن العدو الذي بباب القلعة من رؤية الفناء الداخلي لها .. كما لا يتمكن من الدخول في اندفاعة واحدة ذات اتجاه واحد . بل يجب ان يغير اتجاهه فيفقد اندفاعه ، فيعطي فرصة للمدافعين في الدور الثاني من المدخل بصب الزيت المغلي عليه ، وقد عرف هذا المدخل في العمارة الاسلامية باسم .. ( الباشورة ) مثل الباب الرئيسي لقصر الأخيضر بالعراق ، فالباب يكتنفه برجان تعلوهما فتحات المراقبة ورمي السهام ( المزاغل ) وقد تكون هذه الفتحات سفلية للدفاع ايضا ورمي الزيت المغلي او القار ( السقاطة ) على العدو المهاجم .

كما ظهر أثر الفنون الاسلامية واضحا في بعض البلاد الأوربية ، ففي جنوب فرنسا من بلدة « بوي » ترى الطابع الاسلامي في المباني ذات العقود المفصصة ، والزخارف المشتقة من الكتابات الكوفية ، او المؤلفة من الجدائل والمراوح النخيلية .

وقد قلد الأوروبيون الكتابة الكوفية في بعض الأحيان . واستخدموها عنصرا من عناصر الزخرفة ، وبالأخص على المسكوكات . فان كثيرا من المسكوكات الأوربية وخاصة تلك التي ضربت لملك « مرسية » في القرن الثامن الميلادي عليها كتابات



□ احدى قاعات غرناطة .. الزخرفة .. والأطباق النجمية الكاملة تملأ الحوائط وباطنية العقود ولا مكان للفراغ

كوفية ، فنرى عليها اسم الملك باللغة اللاتينية ، وحول الاسم اللاتيني جملة عربية دينية منقولة من سكة إسلامية ، وهذه الجملة هي ( لا اله الا الله لا شريك له ) ( باسم الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ) ولعل بعض هذه المسكوكات استعمل لتسهيل التعامل مع المسلمين ، ولكن لا شك ان بعض هذه الكلمات لم يفقه الغربيون معناها . فنقلوها كزخارف جميلة وقلدهم في ذلك كثيرون بعدهم .

وكان للخزف الاسلامي أثره الواضح في تطوير صناعة الخزف في أوربا ، ولا سيما عن طريق بلاد الاندلس الاسلامية ، والمعروف ان اهل ايطاليا نقلوا صناعة الخزف عن الاندلس الاسلامي في القرن الخامس



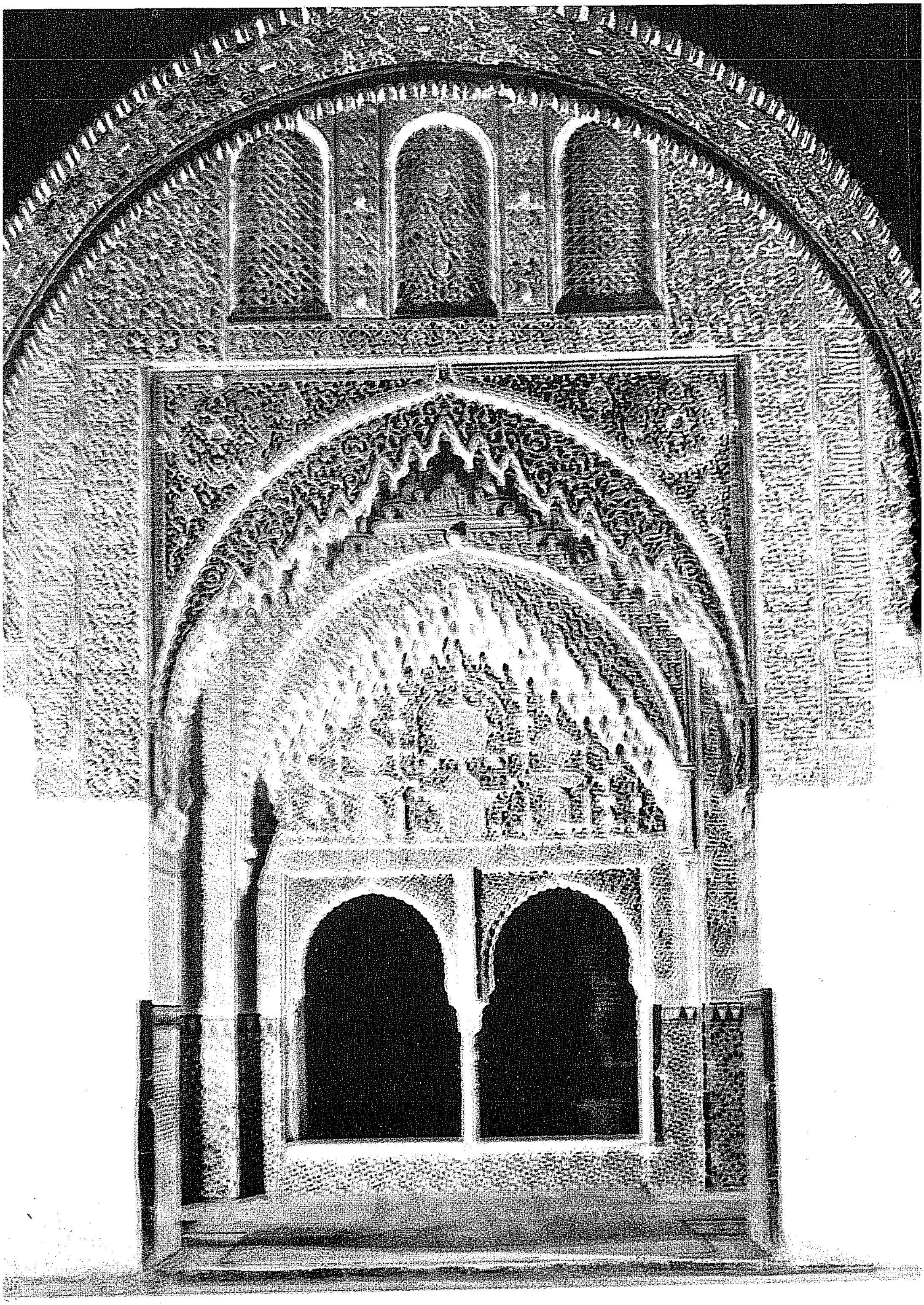
□ عملات اوربية ذات كتابات كوفية عربية

عشر الميلادي ، وكانت مدينة « فلورنسا » واحدة من مراكز هذه الصناعة .

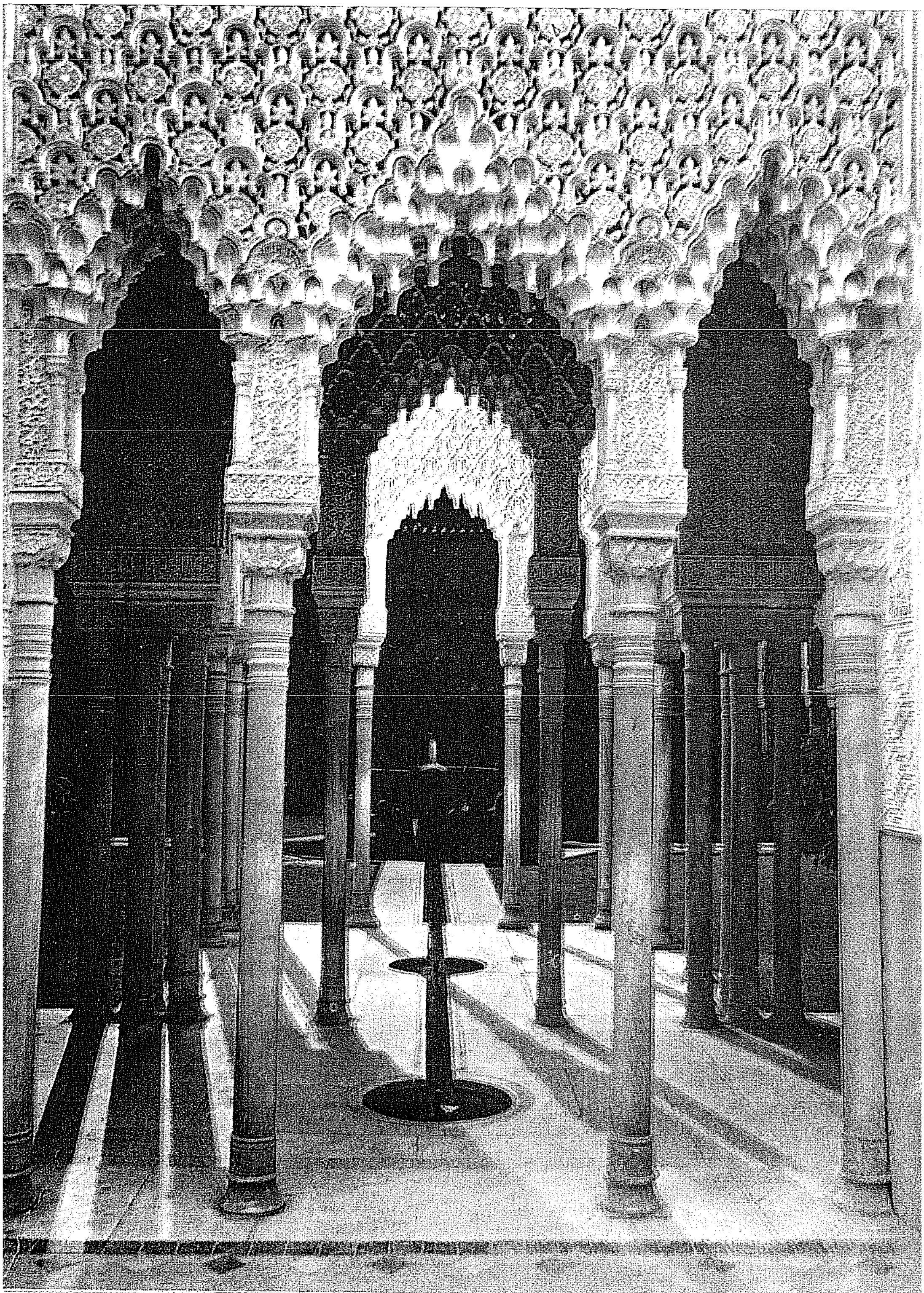
وكانت مدينة البندقية من مراكز صناعة الخزف ايضا ، واشتهر عنها استعمال الزخارف النباتية التي كثيرا ما تكون على شكل ورقة ثلاثية ، ( ورقة البرسيم ) باللون الأزرق ، على أرضية من الفروع والأغصان ، وتشبه الأواني المصنوعة في مدينة البندقية من حيث الشكل والزخرفة ، أواني قصر الحمراء في غرناطة .

اما المعادن فقد أقبل الاوربيون على اقتناء الأواني المعدنية ذات الزخارف الاسلامية . وتأثر الفنانون الأوربيون كثيرا بالأسلوب الفني الاسلامي في صناعة التحف المعدنية ، والتي زاد الاقبال عليها في أوربا . حتى أنه نشأت في القاهرة وفي دمشق وبغداد وايران محلات وورش خاصة لصناعة التحف المعدنية التي تروق للأوربيين فيقبلون على شرائها ، ونقلها لبلادهم وقد كان لنقل هذه التحف أثر على صناعة المعادن في أوربا ، فقلد الأوربيون الأساليب الفنية على المعادن مثل الحفر الغائر .. والطرق والتكفيت باضافة معدن ثمين كالذهب والفضة . ولم يقتصر اقبال الأوربيين على الحرف والمعادن فحسب ، بل تعدى ذلك الى باقي الفنون .

فعلى الخشب جاءت الزخرفة على نحو اساليب الحفر الاسلامية بالطريقة العميقة ، وهي التي بدأت في



□ قصر الحمراء .. زخرفة اسلامية وفتحات وعقود ولا مكان للفراغ



□ غابة من الاعمدة وعقود ومقرنصات وزخارف كتابية وهندسية ونباتية رائعة من أحد قصور غرناطة

الانتشار مرة اخرى بعد العصر العباسي ، وتم تطعيمه بالعاج والصدف والجلد ( ماركترى ) وقد اشتهرت « أسبانيا » في عصر المدجنين بصناعة الحشوات الخشبية المخروطة والمجمعة بطريقة التعشيق .

وأهل البندقية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي قلدوا المسلمين في صناعة تجليد الكتب ، ونقل المجلدون في اوربا عنهم هذه الطرق والأساليب الاسلامية . فلا عجب اذا وجدنا الآن في صناعة التجليد الأوربية المختلفة كثيرا من تفاصيل فن التجليد عند المسلمين ، ولا يزال اللسان المعروف في التجليد الاسلامي موجودا في بعض الكتب الأوربية ، أما بعض العناصر الزخرفية فقوامها رسوم نباتية محورة عن الطبيعة ، واستخدم التذهيب في نقش الغلاف والكعب بالزخارف الاسلامية .

أما المنسوجات فقد عمت أوربا في العصور الوسطى المنسوجات الاسلامية ، وأصبحت أكثر أنواع المنسوجات تحمل أسماء شرقية ، أو تنتسب إلى مدن اسلامية فنسمع عن نسيج يعرف باسم ( الموسلين ) نسبة الى مدينة الموصل ( والدمقس ) نسبة الى مدينة دمشق ، وكان المسلمون قد أقاموا في صقلية مصانع اسرار النسيج الاسلامي ودقائقه ، ونقلوه الى المدن الايطالية المختلفة ، وحفلت المنسوجات الحريرية الايطالية في القرن الرابع عشر بالزخارف الاسلامية ، حتى أن النساجين الأتراك والايطاليين منذ القرن السادس عشر بدءوا ينافسون بعضهم البعض ، ويقلد كل منهما الآخر ، حتى اصبح من الصعب أحيانا التمييز بين منتجاتهم . وظهرت بعد ذلك في أسواق أوربا أحزمة ذات طرز شرقية بزخارف اسلامية ومن صنع أوربي .

واشتهر الفنانون المسلمون بتكرار الزخارف ووصفه بعض علماء الفنون بأنه تكرار لا نهائي ، والسبب في إفراط الفنون الاسلامية في هذا الميدان هو طبيعة تلك الزخرفة التي تقوم أساسا على تكرار الوحدة الزخرفية لملء الفراغ ، وهي طريقة تميزت بها الفنون الاسلامية ، وتعتبر ركنا هاما من فلسفة هذه الفنون ، ولعل من احسن الأمثلة على ذلك الزخارف الموجودة على الجص المخرم لملء الفتحات والنوافذ في المساجد والقصور ، وقوام هذه الزخرفة عناصر هندسية متكررة ، وقد أخذ الايطاليون بهذا الأسلوب الفني منذ القرن الخامس عشر ، واشتهرت به مدينة البندقية .

وهكذا نجد ان الفنون الاسلامية وهي ميدان هام من ميادين الحضارة الاسلامية ، كان لها أثر عظيم على الفنون الأوربية ، منذ بداية عصر النهضة الحديثة ، إن لم يمتد لأكثر من ذلك زمنيا ، وهو تأثير واضح وجلي ، ولا يزال حتى يومنا هذا شاهدا قويا على مدى قدرة الفنان المسلم على الابداع والابتكار .

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« من لم يكن عنده صدقة فليلعن اليهود فانها صدقة »

**موضوع .**

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة رواه الخطيب عن أبي هريرة وفي إسناده متروكان ، ورواه الخطيب أيضا عن أم المؤمنين السيدة عائشة مرفوعا .

وقال يحيى بن معين هذا كذب باطل لا يحدث به أحد يعقل .

وليس معنى هذا أن في اليهود خيرا : لا .. بل يكفي فيهم قول الله سبحانه : **( لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ) .**

وهذا القول بهذه الألفاظ لم يثبت ، وأنكر علماء الحديث وروده بهذا الشكل .

وما دام القرآن الكريم قد لعنهم فهم ملعونون بنص لم يتطرق إليه شك ولم يلحقه تحريف .

« من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » .

**موضوع .**

قال العقيلي باطل ليس له أصل .

وذكره السيوطي من طرق كلها لا تخلو من كذابين ومجاهيل .

وقال الامام السخاوي في المقاصد الحسنة لا أصل له .

وقال الصغاني : موضوع .

وقد أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة وحكم بوضعه .

# القدس الشريف

## في مؤتمر
## وزراء الأوقاف الثاني
## بمكة المكرّمة

□ الصهيونية العالمية خطر داهم ، تسعى جاهدة لتهويد المدينة العربية ، وتغيير معالمها الدينية والتاريخية .

□ وحدة المسلمين قوة عظيمة تغير موازين القوى في المنطقة والعالم .

□ مدينة السلام تنشد الأمان الذي عاشته في ظل الاسلام .

□ القدس عربية ، وستعود عربية مسلمة .

في مكة المكرمة أم القرى ، ومهبط الوحي ، بلد بيت الله الحرام ، قبلة المسلمين التي يولون وجوههم شطره ، كما أمرهم بذلك ربهم ، في البلد الأمين الذي اتصلت فيه الأرض بالسماء ، في فجر تاريخنا الأسلامي ، إلى هذا البلد شد الرحال جماعة من المسلمين بأيديهم دفة الأمور الاسلامية في بلادهم ، وأمام أعينهم هدف سام وملء أسماعهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » ولسان حالهم يقول : هل آن الأوان كي تشد الرحال إلى المسجد الأقصى ، قبلة المسلمين الأولى ، ومسرى رسول الله الأعظم ، وثالث الحرمين .

التقى هؤلاء المسلمون يحدوهم الأمل والرجاء ، وتشدهم حاجة ملحة إلى وحدة كلمة المسلمين ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، طال انتظاره ، وزاد الشوق إليه ، وهو تحرير القدس من دنس الشرك والصهيونية الملحدة الحاقدة على الاسلام وأهله ، وعودة الأمان والاطمئنان إلى تلك الربوع الغالية على المسلمين .

ومن المؤكد أن مدينة القدس لم تشهد خلال تاريخها الطويل ، الأمن والاستقرار إلا في ظل العرب والمسلمين ، وكلما تعرضت للغزو ، وزال سلطان المسلمين إلى حين ، أصاب الروع الآمنين فيها ، وتخضبت أرضها بالدماء الغزيرة ، وغرق السلام في بحر التفرقة العنصرية والضياع ، وعم

المنطقة الخطر من كل صوب .
والقدس أو مدينة السلام كانت وما زالت محط أنظار المسلمين ، يهبون لحمايتها إذا ادلهم الأمر ، ولا يغمض لهم جفن حتى يعيدوا السلام إلى أرضها في ظل الاسلام ، الذي عاشوا في ظله طوال قرون متتالية .
وإن وثيقة الأمان التي أعطاها الخليفة عمر بن الخطاب لأهل المدينة ، حين رغب أهلها في تسليمها للخليفة بنفسه ، ظلت هذه الوثيقة دستور الحياة الذي مكث الناس ينعمون به ، تلكم الوثيقة التي تعتبر دليلا حيا على سماحة المسلمين وإنصافهم ، فلقد منحهم الخليفة الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، واشترط الا يسكن المدينة أحد من اليهود .
والتاريخ يحدثنا أن المسلمين حافظوا من جانبهم على حرية العبادة في المدينة المقدسة دون إكراه ، وحققوا العدل بأجلى معانيه والمساواة في أسمى صورها ، لأن دينهم يدعوهم إليه في قول الله سبحانه : ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ) .
والحقيقة المرة ان المدينة تعرضت بين الحين والاخر لموجات مدمرة ، من غزاة لا هم لهم إلا القتل والتشريد وقيض الله سبحانه من تصدي لتلك الموجات فدحرها ، ورد الغزاة على أعقابهم خاسرين ، وأعاد للمدينة أمنها واطمئنانها .
ثم كانت هذه الهجمة الشرسة من الصهيونية العالمية ، تشد من أزرها وتدعمها قوى الشر من الشرق والغرب ، إذ هؤلاء جميعا يرون في الاسلام خطرا عليهم ، ومن مصلحة الاستعمار بمختلف اشكاله تقوية وجود اليهود ، وبسط سلطانهم لشق العالم العربي الاسلامي .
إن القدس تستصرخ المسلمين الذين يشدون الرحال للمسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ان يجددوا العزم ، ليشدوا الرحال إلى المسجد الأقصى في مدينة السلام التي يخنقها الاحتلال الصهيوني البغيض .
ومنذ أيام قليلة التقى جمع من المسئولين المسلمين تحت راية الاسلام ، في رحاب بيت الله الحرام ، ليعلنوا من هناك ، ان القدس الشريف يحتاج إلى جهود المسلمين جميعا ، وقد شارك في هذا اللقاء عدد ليس بالقليل من عالمنا الاسلامي الكبير .
وكان للكويت دورها المعهود ، وصوتها المسموع من خلال ممثلها معالي السيد/ يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والوفد المرافق له .
ولقد أدلت بدلوها ووضعت إمكاناتها كعادتها في خدمة القضايا الاسلامية والعربية .
في مؤتمر وزراء الاوقاف الثاني في مكة المكرمة الذي انعقد من ٢١ـ٢٣ من

ربيع الآخر ١٤٠٠هـ الموافق ٨ـ١٠/٣/١٩٨٠م لبحث قضية القدس الشريف تحدث معالي السيد الوزير مبينا عناية المسلمين بالقدس ، مؤكدا حرصهم على استردادها وأنه لا يجوز التخلي ولا التفريط فيها ، حول هذه المعاني قال السيد الوزير :

إن مدينة القدس بفلسطين موضع عناية المسلمين منذ كان الاسراء والمعراج فالمسجد الاقصى مرتبط بالاسلام الى الابد بحكم قول الله تعالى :

( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » .

وبيت المقدس قبلة المسلمين الأولى فقد أمر الله رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين بالتوجه نحوها في صلاتهم ، فكان النبي ـ وهو في مكة ـ يصلي اليها والكعبة بين يديه ولما هاجر توجه في صلاته نحوها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم أمره الله بالتحول نحو الكعبة ومن ثم فهي تتمتع بمركز روحي كبير عند المسلمين في جميع بقاع الارض وقد غرست في صدورهم محبتها كما غرست بها محبة مكة والمدينة المنورة .

والمسلمون يعدون مدينة القدس وما حولها الثغر الذي يمكن للعدو أن ينفذ منه الى مكة والمدينة ولذا ما استقر بهم الامر حتى بادروا الى حماية هذا الثغر كي يدرأوا عن أنفسهم الاخطار .

وليس أدل على أن مدينة القدس تحتل المنزلة الممتازة في قلوب المسلمين من تلك الحروب التي خاضها المسلمون لمدة قرنين من الزمان في سبيل استردادها من الصليبيين الغزاة وقد بذلوا في سبيل ذلك الكثير من التضحيات والجهود والانفس والاموال .. ولا عجب ان يكون هذا حال المسلمين دائما ازاء تلك المدينة،فانها منذ فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب،اصبحت جزءا من ديار الاسلام ، لا يجوز التخلي عنها ولا التفريط فيها ، وفي حالة استيلاء الكفار عليها يجب الجهاد في سبيل الله من اجل استردادها .

ومدينة القدس ـ ملتقى الاديان ومهبط الرسالات ـ وما حولها من الارض المباركة تقع الآن في قبضة اليهود وقد أصبحت هدفا للتهويد ومرتعا لسياسة الاستيطان وتغيير المعالم الدينية والتاريخية مما يحمل العالم الاسلامي مسئولية استخلاصها وما حولهامن براثن المعتدين .

ولنعلم ان قضية القدس وفلسطين قضية اسلامية،وما أخر استرجاعها الى الآن الا اعتبارها قضية عنصرية او اقليمية ، ففي سنة ١٩٤٨م . دخلت سبع دول عربية فلسطين في أولى المعارك مع اليهود باسم العروبة ، فكان نصيبها الفشل والخذلان . واشتركت بضعة آلاف من الفدائيين في المعركة

باسم الاسلام سلاحهم في ايديهم وايمانهم يملأ قلوبهم ، فأثبتوا وجودهم وأذهلوا العدو .

ان قضية القدس وما حولها لا تُحل الا اذا أعد المسلمون أنفسهم لمعركة مصيرية مع العدو المغتصب تستعمل فيها جميع الاسلحة الفكرية والمادية بشرط ان يكون المسلمون على قلب رجل واحد وذلك انما يتأتى بيسر وسهولة حين نعتمد الاسلام ركيزة حياتنا وطريق سلوكنا وحين يكون جهازنا الاعلامي مواكبا للاعداد الصحيح للجهاد والتضحية والتخطيط والتنفيذ .

والشريعة الاسلامية قائمة الى يوم الدين وعامة وشاملة وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان وعلينا ان نجعلها دستور حياتنا ومصدر تصرفاتنا ، فنقنن جميع أحكامها ونأخذ انفسنا بها فاننا بذلك نسير في الاتجاه الصحيح ، نحقق العدل ونقيم العدالة الاجتماعية ، ونطهر الحياة الاقتصادية وننحي عن المجتمع كل وسائل الدنس ، ونؤمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، ونعد الشعوب الاسلامية الاعداد الصحيح ماديا ومعنويا لمجابهة الاعداء واسترداد الحقوق وتمكين أواصر العزة ، في وحدة شاملة ترتكز على عبادة الله وتقواه .. وعلينا ان نقيم مؤسسات علمية مشتركة على أساس تعاليم الاسلام تزودنا بطاقات من العلم والمعرفة وتمكننا من رؤية الحقائق دون تلبيس ، ومن الاهتداء بهذه الحقائق دون انحراف .

وعلينا ان نقيم تنسيقا بين وزارات الشئون الاسلامية والاوقاف في عقد المؤتمرات وجمع المعلومات والدعوة الاسلامية حتى تسير في طريق واحد هو الطريق الذي أمرنا الله باتباعه في قوله تعالى : ( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ) .

ويوم ان نقيم الاسلام في مجتمعاتنا ستندحر الافكار الخبيثة ولا تجد لها مجالا لغزو بلادنا لان الاسلام اذ ذاك سيكون فكرا حيا نابضا بالحياة متمثلا في الحكم وفي السلوك يشعر الناس بجديته وعظيم آثاره .. ولن يكون للعلمانية ولا للماسونية أثر أي اثر في المجتمعات الاسلامية ولن تستطيع الشيوعية مهما فعلت ان يكون لها قرار في نفس اي مسلم فان كل هذه الافكار الفاسدة ما وجدت طريقا لبعض النفوس الا في غياب الاسلام عن مسيرة حياة المسلمين .

وعلينا ان ننشر في الشعوب حقيقة امر مدينة القدس وأن قضيتها قضية اسلامية ليست قضية انسانية تتمثل في لاجئين ونازحين يستحقون العطف والاحسان ويستحقون ان يوطنوا في البلاد العربية بعد طردهم من وطنهم ـ كما حاول اليهود ان يجعلوها .

وليست قضية عنصرية تقتصر على العرب او قضية اقليمية تقتصر على

اهل فلسطين : ( كما ينبيء عن ذلك الاسلوب المتخذ حاليا لمعالجتها ) وكما يحاول اليهود والمستعمرون ان يجعلوها وانما هي قضية سياسية عسكرية ايمانية يوجهها الايمان بالعقيدة .

على العلماء والمفكرين ان يجدوا في تثقيف الشعوب الاسلامية بالاسلام وان يبصروهم بحقيقة العداء اليهودي والاستعماري حتى لا تكون فريسة للتضليل ، وأن يشخصوا للشعوب بصورة واضحة الحقائق التاريخية عن فلسطين والقدس والحقائق الفكرية عن الدين والحياة وأن يظهروا العدو على حقيقته عدوا للاسلام ينبغي القضاء عليه في كل مكان .

وأخيرا علينا ان ندعو الى الجهاد في سبيل الله على اساس انه الحل الوحيد لانقاذ القدس وفلسطين وكل القضايا الاسلامية في اي مكان من أمكنة الارض .

والله هو الهادي الى سواء السبيل ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

وختاما نشكر حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة الملك خالد بن عبدالعزيز على استضافتها لهذا المؤتمر في هذا المكان الطيب الطاهر كما نشكر رابطة العالم الاسلامي على جهودها التي نسأل الله لها النجاح

وقد انتهى المؤتمر إلى قرارات وتوصيات من أهمها :

- ☐ اعتبار تحرير المسجد الأقصى ، والمسجد الابراهيمي ، وغيرهما من المقدسات الاسلامية واجبا اسلاميا يقع على عاتق كل مسلم ، في مشارق الأرض ومغاربها ، تبذل في سبيله الأنفس والأموال .
- ☐ طبع نشرات إسلامية في موسم الحج بعدة لغات ، تلفت نظر حجاج بيت الله الحرام إلى قضية القدس وفلسطين .
- ☐ أوصى المؤتمر بانشاء معاهد متخصصة لاعداد الداعية المسلم ، وتخريج الأئمة المثقفين ، وعقد دورات تدريبية لهم ، حتى يتم إعدادهم على المستوى اللائق بهم .
- ☐ التصدي للالحاد الشيوعي ، وجميع المذاهب التي تخالف الاسلام .
- ☐ وضع رقابة على وسائل الاعلام ، وعدم السماح بعرض الأفلام الخليعة ، والتي تتعارض مع الآداب الاسلامية .
- ☐ ضرورة تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية في جميع مرافق الحياة .
- ☐ أوصى المؤتمر بتقديم المساعدات المادية والدعم المالي إلى الشعوب الاسلامية الفقيرة .

والمجلة : ترجو لهذه الجهود المخلصة أن تؤتى ثمارها المرجوة ، للاسلام والمسلمين ، وقضاياهم المصيرية تحت راية الاسلام ، وفي ضوء الهدى المحمدي ، ورسالته العظيمة الخالدة .

# إسكان الأسرة الأولى

قال الله تعالى :

**( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين )** البقرة/ ٣٥ .

**( ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين )** الأعراف/ ١٩ .

**( فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى )** طه/ ١١٧ ـ ١١٩ .

هذه الآيات الكريمة من القرآن الكريم تبين لنا أن الله تعالى ـ بعد أن علم الانسان الأول وكرمه وفضله على سائر خلقه ـ أسكنه فسيح جناته ومعه رفيقة حياته وزوجته ـ حواء ـ ومهد لهما سبل العيش من طعام وشراب وكساء وكل ما تحتاجه الأسرة في حياتها ، وأباح لهما الأكل من حيث شاءا ، وكان كل ذلك في جنة الفردوس ، التي لا يوجد فيها شقاء ولا تعب ، وجعلهما يحصلان على ما يريدان من متع الحياة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أدخل في قلوبهما الطمأنينة على مستقبلهما بقوله تعالى : **( إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى )** .

وفي الوقت الذي أباح لهما كل شئ ، وأن يأكلا من حيث شاءا ، نهاهما عن أقل القليل حيث قال الله لهما :

# الحلقة الثانية

للدكتور/محمد طموم

**( ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين )** ليكون ذلك اختبارا لهما ، لمعرفة مدى طاعتهما وشكرهما لله ، الذي أنعم عليهما بكل هذه النعم ، من خلق الانسان على أحسن صورة ، وتعليمه وتفضيله على سائر خلقه ، وأمره الملائكة بالسجود له تسليما واعترافا بأفضلية الانسان عليهم ، ثم غضبه على إبليس ، وإظهاره عدو الانسان الاكبر ، وإسكانه مع زوجته الجنة يتمتعان بنعيمها وخيراتها .
ويبين الله لهما أنهما إذا لم يطيعا ولم يبتعدا عن هذه الشجرة ، فسيكون العقاب جزاءهما ، لأنهما من الظالمين لأنفسهما .

## صدور أول قانون للانسان

في الآيات القرآنية السابقة نجد ان الله سبحانه وتعالى أباح لآدم وحواء أن يأكلا من حيث شاءا ، وفي الوقت نفسه أمرهما ألا يقربا شجرة معينة ، وقد عينها لهما بالاشارة ، فوجد النهى عن فعل معين ، والنهى أمر بترك فعل .
ورتب الله الجزاء على معصية النهى ، حيث جعلهما من الظالمين ، إن اقتربا من الشجرة المنهى عنها ، ووضح العقوبة التي ستقع عليهما ، وهي الخروج من الجنة ، وحدد لهما مصدر الخطر عليهما ، حيث أشار إلى العدو اللدود لكل واحد منهما على حدة ولهما مجتمعين ، وبين لهما أن هذا العدو سيحاول جاهدا إخراجهما من الجنة كما خرج هو ، ووضح الله لآدم — باعتباره رب الأسرة — ما يترتب على خروجهما من الجنة ، وما ينتظره من شقاء خارج الجنة ، باعتباره المكلف بالسعي وراء الرزق له ولأسرته ، قال الله تعالى : **( فلا يخرجنكما من الجنة )** — بالمثنى — **( فتشقى )** — أنت بالمفرد — .
وفي كل ما ذكر نجد عناصر القاعدة القانونية موجودة ، لأن القواعد القانونية تحدد ما يجوز فعله وما لا يجوز ، وتحدد ما يجب فعله وما لا يجب فعله .
وقد تحقق عنصرا القاعدة القانونية وهما : المحكوم فيه أى الواقعة ، والحكم وهو الجزاء .
يقول الدكتور منصور مصطفى منصور « أما الظاهرتان اللتان ترتبطان أحداهما بالأخرى ، وتعتبران عنصري القاعدة القانونية ، فالأولى منهما هي : واقعة من الممكن أن تتحقق أو هي متحققة بالفعل .
والثانية هي : حكم القانون في هذه الواقعة ، وهو الذي يرسم صورة للنظام المرغوب فيه ، وجزاء مخالفته .
وفي مقابل مصطلح الحكم نفضل إطلاق مصطلح المحكوم فيه على

الواقعة التي قلنا إنها هي العنصر الأول من عنصري القاعدة ، وهــو المصطلح الذي يستخدمــه علمــاء الأصول في الشريعة الاسلامية » .

واذا قلنا ان القانون مجموعة قواعد ، فهذا يعني أن القاعدة هي : الوحدة التي يتكون منها القانون . أو هي : الوحدة الأولية التي يتــكون منهــا النظام القانوني .

كما نجد خواص القاعدة القانونية متحققة أيضا فهي :

١ ــ تنظيم سلوك الأفراد الخارجي .

٢ ــ مزودة بجزاء .

٣ ــ صادرة من سلطة القهر .

٤ ــ عامة ومجردة ، غير أنه ظهرت نظرية حديثة يرى أنصارها أنه لا حرج في أن يعتبر من قبيل القواعد القانونية لا القواعد العامة المجردة فحسب ، بل أيضا القواعد الفردية البحتة التي تخاطب شخصا أو عدة أشخاص معينين تعيينــا ذاتيــا ، ومؤدي هذه النظرية وجود طائفتين من القواعد القانونية : قواعد قانونيــة موضوعية ، وهي القواعــد العامــة المجردة أو اللاشخصية . وقواعــد قانونية شخصية ، وهــي القواعــد الفردية التــي تخاطــب أشخاصــا معينين بالذات ، ويحتج أنصار هذه النظرية بحجــج نذكر منهــا ، أن خاصية العموم والتجريد في القاعدة القانونية ليست عنصرا أساسيا في جميع القواعد القانونية .

٥ ــ ذات طابع تبادلي ، بحيث يمكن أن يقال إن فكرة الحق وفكرة الواجب ترتبط كلتاهما بالأخــرى ارتباطــا وثيقا ، إلى حد اعتباره فكرة الواجب هي الصورة السلبية للفكرة الأولى وهي فكرة الحق .

مما تقدم يتبين لنا أن عناصر القاعدة القانونية وخصائصها موجــودة في الأمر والنهى والاباحة وتقرير الجزاء عنــد المخالفــة وغــير ذلك ــ ممــا وضحته ــ الصادر من الله تعــالى حاكم الكون إلى آدم وزوجته المكونين لأول أسرة إنسانية .

ولم يكن هذا القانون أول تجربــة للانسان ، وانما سبق صدور هذا القانون تجربة حية عاشها آدم مع الملائكة عندما صدر إليهم أمر من الحاكم جل وعلا ، فأطاعه من أطاع وعصى من عصى ، ووقع الجزاء على من عصى الله ولم ينفذ أمره ، فكان ذلك تعليما آخر للانسان ، ليتعظ بها ولا يقع فيما وقع فيه غيره ، حتى إذا مر بمثل هذه التجربة ومثــل هذه الظروف ، كانت عنده خلفيــة عن طبيعة القانــون ومــا يترتــب على مخالفته ، فلا يكون صدور قانون للانسان مفاجأة له ، او تشريعا لا عهد له به ، أو تنظيما لم يعرفه قبل ذلك .

كل هذا يؤكد أن الأنسان الأول لم يعش في فوضى ، وإنما عاش من بدء خلقته ووجــوده في نظــام وآداب ، تحكمه قواعــد قانونيــة ، وتنظــم حياته ، وحياة الآخرين ــ من بقية مخلوقات الله وعباده ــ أوامر ونواهي وسلوك وآداب .

**القانون الــذي رآه آدم وعــاشر تطبيقه على غيره**

قال الله تعالى :

**( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى وإستكبر وكان من الكافرين )** البقرة/ ٣٤ .

**( فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين )** الحجر/ ٢٩ ـ ٣١

**( قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/ ٣٤ و ٣٥

**( ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين )** الأعراف / ١١ ـ ١٣

**( قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة )** الأعراف / ١٨ و ١٩ .

قبل صدور القانون الأول للانسان في الجنة ، نجد آدم قد عاشر قانونا صدر للملائكة ورأى عاقبة مخالفته .

في هذه الآيات الكريمة نجد أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم تسليما بأفضليته ، فأطاعه جميع الملائكة إلا إبليس ، فقد كفر بأمر الله ورفض تنفيذ الأمر الصادر من الله حاكم الكون ، ثم صدر الجزاء على إبليس لمخالفته تنفيذ الأمر بالسجود ، وكان ذلك الجزاء هو الخروج من الجنة وجعله رجيما وعليه اللعنة إلى يوم القيامة ، ثم بعد ذلك دخوله النار .

ولم يقف القانون الذي صدر للملائكة على الأمر بالسجود ـ وهو محتمل التنفيذ وعدم التنفيذ ـ وعلى صدور الحكم من الحاكم جل وعلا بالجزاء والعقوبة ، بل أضيف إلى ذلك تنفيذ الحكم ، وإيقاع الجزاء على المجرم العاصي الخارج على القانون .

فاذا نظرنا إلى الأمر الصادر من الله للملائكة وتنفيذ الأمر ، وظهور تمرد وعصيان ومخالفة من أحد المأمورين ، وصدور الحكم وتنفيذه ، نجد ان عناصر القاعدة القانونية وخواصها موجودة ومتحققة ، كما هي موجودة ومتحققة في القانون الصادر للأسرة الأولى ، المكونة للمجتمع الانساني .

وعلى المسلمين أن يتدبروا القرآن الكريم ومصادر التشريع الاسلامي ، ليجدوا كنوزا متعددة في كل ما يطلبون ، قال الله تعالى :**( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب )** الزمر/١٨ .

## الخروج على القانون وأثره

قال الله تعالى :

**( فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة )** الأعراف/٢٢ .

**( فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما**

**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى )** طه/١٢١ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى عصيان آدم وحواء ، وذلك بأكلهما من الشجرة ، فكانا بهذا الأكل مخالفين للنهي الذي صدر اليهما من الله تعالى ، بقوله : **( ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين )** الأعراف/١٩ .

ولم يكن لآدم وحواء عذر في مخالفتهما لهذا النهى ، لأن الله تعالى سبق أن حذرهما من عدوهما ووسوسته حيث قال تعالى : **( فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى )** طه / ١١٧ .

كما انه لم يكن هناك ضرورة تبيح لهما هذه المخالفة ومعصية الله تعالى ، بعد أن أباح الله لهما أن يأكلا من كل الثمرات الأخرى الموجودة في الجنة ، بقوله تعالى : **( فكلا من حيث شئتما )** الأعراف/ ١٩ .

كما أن آدم كان يجب عليه أن يكون أقوى عزيمة ، وأصلب عودا من حواء ، فلا يرضخ للغواية والوسوسة ، بعد أن ضمن الله له حياة رغدة ، وتعهد له بالمستقبل ، وعدم الخوف منه ، عندما قال له : **( إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى )** طه / ١١٨ و ١١٩ .

ولكن آدم وحواء خالفا النهى ، وخرجا عن القانون الذي وضعه الله لهما ، فظهرت عليهما آثار المخالفة بمجرد البدء فيها ، قال تعالى :

**( فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما )** أي بمجرد أن ذاقا ولم يكتمل الأكل بعد ، تحقق الخروج على القانون ، وظهرت عليهما آثار المعصية ، فبدت لهما سوءاتهما ، فلما افتضح أمرهما ، وظهر منهما ما لا يليق ، حاولا ستر العورة بورق شجر الجنة ، ليخفيا آثار الجريمة ، ولكن هيهات لهما ذلك ، لأن محاولة ستر العورة كان علاجا جزئيا ، لأن ستر العورة علاج وقتي ، حيث أنهما أصبحا غير صالحين للبقاء في الجنة ، لأن ثمر هذه الشجرة لا يتناسب مع الحياة في الجنة ، لأن لهذا الثمر مخلفات لا بد من خروجها من الجسم ، والا أفسدته وأضرت به ، والجنة ليست مكانا للنجاسات ، فكان لا بد من خروجهما من الجنة ، ونزولهما إلى الأرض ، حيث هي المكان الصالح لطبيعة جسمهما ، الذي تغير بغذائه الجديد من ثمر هذه الشجرة وكانت شجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث ، فكان الأمر إليهما بالهبوط من الجنة إلى الأرض لتكون مستقرا ومتاعا مؤقتا الى حين ، لأنهما بمخالفتهما ما شرع لهما ، كان سعيا لهذه الحياة الجديدة ، ورفضا لحياتهما في الجنة ، وذلك بخروجهما عن النظام الذي يجب أن يتبع ، لمن يريد الحياة في الجنة والعيش فيها .

ومن كل ما سبق يتبين ما يأتي :

أن الله تعالى حينما يحرم علينا شيئا ، فانما يحرمه لأنه ليس فيه صلاح لنا ولا لأجسامنا ، ولأنه لا

يتناسب مع طبيعتنا الفطرية التي خلقنا عليها .
وأنه حينما يحل لنا شيئا ويبيحه لنا ، فذلك لمصلحتنا ، لأنه يتلاءم مع تكويننا الجسماني الذي هو أعلم به .
كما يبين الله لنا أن معصيته لا بد لها من آثار تظهر علينا وعلى أجسامنا ، وتغير من طبيعتنا ، وتضر بنا وبمستقبلنا .
ويظهر كل ذلك واضحا في تحريم الخمر والزنا والقتل والربا مثلا .
كما نجد أن الله سبحانه وتعالى يشرع لنا ما يتناسب مع البيئة التي نعيش فيها ، فحين يحرم شيئا على الانسان ، فمعنى ذلك التحريم ، أن هذا الشئ لا ينسجم مع البيئة التي يعيش فيها . وحينما يحله ويبيحه لنا ، فذلك دليل على أن هذا الشئ يتلاءم مع هذه البيئة التي نعيش فيها .
ويظهر ذلك واضحا في القمح ، فقد حرمه الله تعالى على آدم وحواء في الجنة ، لأنه لا يتناسب مع الانسان في الجنة ، ولا يتلاءم مع حياته فيها ، وذلك للآثار المترتبة عليه ، التي تتنافى مع طبيعة الحياة في الجنة .
وقد اختلف أهل التأويل في تعيين الشجرة التي نهى الله عنها ، فقيل : هي الكرم ، وقيل : هي السنبلة ، ولما تاب الله على آدم جعلها غذاء لبنيه ، وقيل : هي شجرة التين .
وقد أحله الله لنا في الأرض ، لأنه يتلاءم مع الحياة فيها ، ولا يضر بالانسان في حياته الدنيوية ، بل فيه نفعه ، ولا تتنافى آثاره مع طبيعة الحياة في الدنيا .
وعلى العكس من ذلك في الخمر ، فنجد أن الله تعالى حرمه علينا في الدنيا ، لما يترتب على شربه من آثار ضارة بجسم الانسان والمجتمع ، لا تتلاءم مع طبيعة الحياة الدنيوية ، وما شرع فيها من تكليف .
وقد أباحه لنا في الآخرة ــ مع عدم معرفة حقيقته ــ لأنه لا بد أنه سيكون متلائما للحياة الآخرة ، وغير متناف مع طبيعة الحياة فيها ، وليست له آثار ضارة بالانسان في الجنة .
كما نجد أن الله تعالى أباح لنا العسل في الدنيا والآخرة ، لأنه يتناسب مع طبيعتنا الفطرية التي خلقنا الله عليها ، وليست له آثار ضارة على الانسان في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ( **مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات** ) محمد / ١٥ .

## الجنة التي سكن فيها آدم وحواء

اختلف العلماء فيها فقال أبو السعود في تفسيره : والمراد بها دار الثواب لأنها المعهودة .
وقيل : هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان ، خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام ، وحمل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند ، كما في قوله تعالى : ( **اهبطوا مصرا** ) .

وقيل : إنها كانت في السماء السابعة ، بدليل : اهبطوا ، ثم ان الاهباط الأول كان منها الى السماء الدنيا ، والثاني منها الى الأرض . وقيل : الكل ممكن والأدلة النقلية متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع . وقال القرطبي : ولا التفات لما ذهبت إليه المعتزلة والقدرية من أنه لم يكن في جنة الخلد .

### التحقيق مع العاصي الخارج عن القانون

قال الله تعالى :

**( قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون )** الحجر/٣٢ و ٣٣ .
**( قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين )** الأعراف / ١٢ .
**( أأسجد لمن خلقت طينا )** الاسراء/٦١ .
**( وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين )** الأعراف / ٢٢ و ٢٣ .

في هذه الآيات الكريمة نجد أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو الحاكم الذي لا شريك له والذي يتصرف في الكون كيف يشاء ـ لم يحكم على العاصي بمجرد عصيانه وخروجه عن أمره ، وإنما حقق مع الخارج عن طاعته ، وسأله عن سبب عصيانه ومخالفته أمر الله ، وأعطى الفرصة للخارج عن أمره لكي يدافع عن نفسه ويبرر سبب معصيته ، فان لم يجد العاصي سببا مقبولا لخروجه عن أمر الله ، فلا أقل من الاعتراف بالذنب ، والاعتذار عما بدر منه ، والرجوع إلى الله بالتوبة حتى يغفر له ما تقدم من ذنبه .

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن الانسان الأول خاض تجربتين ، تجربة التحقيق مع غيره وهو إبليس ، وتجربة التحقيق مع نفسه وزوجه ـ آدم وحواء ـ .

كما نجد أن التحقيق لم يقتصر على آدم وحده ، وإنما اتجه إلى حواء كما اتجه لآدم على السواء ، بدليل استعمال ضمير المثنى ، وذلك لأن الأمر بالسكنى والأكل ، والنهى عن شجرة معينة ، كان موجها اليهما معا ، ولم يتوجه الخطاب لواحد منهما دون الآخر ، وهذا يدل على أن كل فرد من أفراد الأسرة الواحدة مسئول بذاته عن فعله وما يرتكبه من آثام .

والله سبحانه وتعالى يذكر لنا هذا التحقيق والسؤال ، وإتاحة الفرصة للخارج على القانون للدفاع عن نفسه ، وتوضيح وجهة نظره ، والتوبة مع الاعتراف بالذنب ، ليعلمنا ويبين لأصحاب السلطة أن هذا هو الطريق الصحيح لتحقيق العدالة بين الحاكم والمحكوم ، ليطمئن المأمورين بأنهم لن يعاقبوا بدون تحقيق أو النطق بدفاعهم وأقوالهم ، وبذلك

يضع الله لنا أسس الحكم العادل الذي يجب أن يحكم به المسلمون .

**الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس**

في الآيات السابقة أيضا يبين الله تعالى إجابة إبليس وإجابة الانسان ـ آدم وحواء ـ ومن هذه الاجابة يتضح لنا سبب عصيان كل واحد منهم ، فعصيان إبليس لأمر الله كان سببه رفض أصل الأمر ، وعدم التسليم به ، وعدم الاقتناع بموجبه ، فعصيانه مصادرة لأمر الله ، لأن إبليس لم يسلم بأفضلية الانسان عليه مع تفضيل الله للانسان على سائر مخلوقاته ، وإقناع الملائكة بهذه الأفضلية بالحجة والبرهان .

كما أننا نجد في معارضة إبليس لأصل الأمر وعدم التسليم به تخطيئا للأمر والآمر ، واستكبارا على تنفيذ أمر الله ، وعدم التسليم بأفضلية ما فضله الله ، وكل ذلك هو الكفر بالله تعالى خالق الكون ومنظمه .

ويضاف الى ذلك أن عدم سجود ابليس ـ بعد سجود جميع الملائكة باعتبارهم أفضل مخلوقات الله قبل الانسان ، وتسليمهم بالأمر تسليم من بقية مخلوقات الله ـ يعتبر خروجا عن الجماعة ومخالفة لهم ، وتسفيها لما أجمعوا عليه ، ومعارضة لتصرفهم وطاعتهم لله سبحانه وتعالى .

وكان يمكن أن يتنبه ابليس لسوء تصرفه عندما وجد نفسه وحيدا في المعارضة لا يؤيده أحد من المخلوقات ، ولكن استكباره وكفره حالا دون ذلك فتمادى حتى هلك .

ومن ذلك يتبين أن معصية ابليس لم تكن مخالفة لأمر الله تعالى ، وانما هي مصادرة للأمر ومعارضة له وتمرد عليه استكبارا وكفرا .

أما معصية الانسان ، او نقول معصية الأسرة الأولى ، فهي مخالفة أمر الله ، وعدم تنفيذه ، مع التسليم بأصل الأمر ، وعدم مصادرته ومعارضته ، واعتراف بالخطأ ، وتسليم أمرهما لله ، وطلب العفو والمغفرة والرحمة ، والاعتراف بأنهما سيكونان من الخاسرين ، إن لم يغفر الله لهما ويرحمهما ، ويقبل توبتهما .

وفرق آخر بين المعصيتين ، وهو أن إبليس لم يغرر به أحد من مخلوقات الله ، بل ولم يطاوعه أحد من جنسه أو من مخلوقات الله الأخرى في معصية أمر الله والكفر به .

أما آدم وحواء فقد غرر بهما إبليس ووسوس لهما ، وقوى ذلك بالقسم لهما أنه من الناصحين ، ونسيا أنه عدوهما ، قال الله تعالى :

**( فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور )** الأعراف / ٢٠ ـ ٢٢ .

**( فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى )** طه / ١٢٠ .

**( ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما )** طه / ١١٥ .

# الإسلام والأسرة

## ١

اتفقت الهيئات العالمية على اختيار يوم ٢١ مارس يوما للأسرة .. في هذا الوقت يبدأ الربيع ، ويكون الجو لطيفا لا هو بارد ولا هو حار .. وتتفتح الأزهار .. وينشط الحب والتآلف بين جميع الكائنات الحية .. الطير والحيوان والانسان وحتى الحشرات والأسماك .

وقد كان هذا اليوم أول أمره قاصرا على الأم وحدها .. وكان يسمى ( عيد الأم ) ولكن الناس بالفطرة وجدوا أن الأبوة لها أيضا حقوق ومرحمة على الأبناء فجعلوا هذا اليوم للأسرة كلها . فيلتقي فيه الأبناء مع الآباء والأمهات .. وخاصة اذا كان الأبناء في مكان بعيد فيتبادلون معا مشاعر الود والمحبة .. ويقدمون الهدايا رمزا وتعبيرا .. ويحلون المشاكل القديمة والخلافات السابقة وتصفو القلوب ..

وكم كان بودنا أن يأتي هذا الاحتفال ــ بيوم الأسرة ــ بدافع من ديننا بدلا من أن يأتينا كتقليد من الغرب .. وأن نصدر نحن فكرة الاحتفال بيوم الأسرة بدلا من أن نكون المستوردين لها .. فقد بلغ من تكريم الاسلام للأسرة أن جعلها محور الاصلاح والدعوة والنواة الرئيسية في بناء المجتمع الاسلامي

## للدكتور : احمد شوقي الفنجري

المثالي .

**حرمة الأسرة في الاسلام :**

لقد أحاط الاسلام الأسرة بسياج من الحماية من الدولة .. وصان لبيت الأسرة الحرمة والأمان .. فالاسلام هو أول تنظيم عرفته الانسانية يجعل سلطة الدولة تتوقف عند أبواب البيوت .. فلا يجوز لممثلي الدولة في الاسلام أن يقتحموا بيتا بدون اذن أصحابه واذا قيل لهم ارجعوا أي اذا رفض صاحب البيت دخولهم فعليهم أن يرجعوا .. وخير مثل على ذلك ما حدث للخليفة عمر بن الخطاب حين سمع أن جماعة من الشباب يشربون الخمر في بيت أحدهم فتربص لهم ثم قفز من فوق سور البيت وضبطهم في الفناء وهم يشربون وأراد أن يقيم عليهم الحد .. ولكن صاحب البيت صاح في وجهه قائلا : مكانك يا عمر .. لقد جئنا بواحدة : ( أي جئنا بمخالفة واحدة ) وجئتنا بثلاث .. أي ارتكبت ثلاث مخالفات ) .

أولاها : تجسست علينا والله يقول : **( ولا تجسسوا )** الحجرات / ١٢ والثانية : اقتحمت البيت من السور والله يقول : **( وأتوا البيوت من أبوابها )** البقرة / ١٨٩ والثالثة : دخلت علينا دون اذن منا والله يقول : **( فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم )** النور / ٢٨ .

وهنا تنبه عمر الى خطئه ، فللبيوت حرمتها في الاسلام وتنبه الى أن اجراءات التفتيش والقبض لم تكن قانونية فاعتذر لهم عن خطئه وقال لهم : « هذه بتلك ولا تعودوا لمثلها » .

وقليل من الناس من يعلمون أن الاسلام قد ذهب في صيانته لحرمة الأسرة المسلمة والبيت المسلم الى حد أن جعلهم أعظم عند الله تعالى من حرمة الكعبة الشريفة المقدسة ، فقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم أمام الكعبة يخاطبها ويقول لها : « ما أعظمك وما أعظم حرمتك .. والذي نفس محمد بيده لحرمة المسلم أعظم عند الله من حرمتك .. دمه وماله وعرضه وألا يظن به الا خيرا » رواه الترمذي .

وهكذا يأمرنا الاسلام بحسن الظن بالمسلم وبالأسرة المسلمة الى حد أنه يعتبر أن سوء الظن بهم أعظم جرما عند الله من الاساءة الى الكعبة الشريفة .

وأن بيت المسلم له حرمة على الدولة كحرمة بيت الله الحرام ، فلا يجوز للدولة أن تقتحم حرمة هذا البيت الا في حدود كتاب الله الذي هو دستور الدولة .

**تكوين الأسرة واجب على المسلم :**

يختلف الاسلام عن سائر الأديان

الأخرى في نظرته الى تكوين الأسرة . فالمسيحية تعتبر الزواج أمرا مكروها وغير مستحب .. وأن المسيحي المثالي هو الذي يهب حياته للدين ويقتدي بالمسيح عليه السلام فلا يتزوج .. فقد جاء في انجيل متى ١٩/١٢ :
( يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات .. من استطاع أن يفعل فليفعل )
وجاء في كورنتوس الأولى ٧: ١ـ٢ ( بولس ) :
( حسن للرجل ألا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها . وأقول لغير المتزوجين والأرامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ) .
ان قصارى ما يحققه الزواج أن يعصم الفرد من الخطيئة ، على حين التبتل يروض المرء على أعمال القديس ويذلل له السبيل الى منزلة الاشراق ويتيح له أن يأتي بالمعجزات ) .
هذه هي نظرة المسيحية الى الزواج والأسرة ، وقد نتج عن ذلك أن تكونت في المسيحية مذاهب تحرم الزواج بتاتا كمذهب ( المرسيون ) Merciones الذي ظهر منذ القرن الثاني للميلاد .. وحرم على أتباعه الزواج .. بل وحتم على من يدخل فيه أن يطلق زوجته أولا ..
وبعكس ذلك جاء الاسلام فحث على تكوين الأسرة .. واعتبر الزواج فرضا على كل مسلم قادر . ولا يقبل من المسلم الرهبانية أو العزوبية أو التبتل .. لأنه كدين واقعي يعتبر العزوبية سبيلا الى الانحراف والشر وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم عزابكم ، ركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل » رواه ابن عدى عن أبي هريرة .
ويعتبر الاسلام أن من لديه القدرة المالية والصحية على الزواج ، ثم لم يتزوج فقد خالف سنة الله ورسوله .. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :
« من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا » رواه الدارمي .
ويعتبر الاسلام أن الزواج نصف الدين بفضل ما يهيئه للمتزوج من العفاف والاستقامة ، والتفرغ لخدمة الناس وعبادة الله ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على نصف دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني في الأوسط والحاكم .

**الدولة ملتزمة بمعونة طالب الزواج :**

وفي مقابل هذا الالتزام فان الدولة في الاسلام ملتزمة بتزويج المسلم أي باعطائه معونة لتكوين الأسرة .. وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثلاث حق على الله عونهم .. المجاهد في سبيل الله .. والمكاتب الذي يريد الأداء .. والناكح الذي يريد العفاف » رواه احمد عن أبي هريرة .
والدولة في الاسلام ملتزمة باعطاء

المتزوج بيتا مناسبا لاقامة أسرته .. بل من واجبها أيضا أن تعطيه خادما أو معينا لزوجته فقد جاء في الأثر :
« من عمل لنا ولم يكن له زوجة فليتخذ زوجة .. ومن لم يكن له بيت فليتخذ بيتا .. ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادما .. ومن لم يكن له دابة فليتخذ دابة .. وما زاد على ذلك فهو غلول » .
ومعنى هذا الحديث أن الدولة ملتزمة نحو الأسرة المسلمة بتوفير سبل الحياة الكريمة وقاية للأسرة من الفشل والخلافات والانهيار .. الى حد كفالة من يعين الزوجة في خدمة البيت .. بل هي ملتزمة أيضا بتذليل سبيل المواصلات للأسرة من البيت الى العمل والسوق وهو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فليتخذ دابة ..

**مسكن الأسرة المسلمة :**

ومسكن الأسرة في الاسلام له شروط ومواصفات .. فمن حق الزوجة أن يكون لها منزل مستقل عن أسرة زوجها إذا أرادت .. واذا كانت اقتصاديات الزوج كافية فمن حقها أن تطلب المسكن الفسيح .. وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« من سعادة ابن آدم ، الزوجة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح » رواه احمد .
ويضع فقهاء الاسلام الحد الأدنى لهذا المسكن الذي يجب على الدولة أن توفره لرعاياها وهو ما يسمى في لغة العصر بالمسكن الشعبي فيقول الامام ابن حزم في كتابه المحلي :

« وفرض الاسلام على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم .. ويجبرهم السلطان على ذلك .. إن لم تقم الزكوات بهم .. ولا في سائر أموال المسلمين .. فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه . ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك .. وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » .
هذه هي شروط المسكن الشعبي الذي تلتزم به الدولة ليكون مقر الأسرة المسلمة أولها : أن يكون منيعا من تقلبات الطقس و ثانيها:أن لا تجرحه أعين المارة وثالثها : أن يكون فسيحا غير ضيق .
ولو علمنا أن هذا الكلام التشريعي قد كتب في القرن الخامس الهجري لتبين لنا أن المسلمين قد سبقوا أوروبا في تشريعات حماية الأسرة بحوالي ألف عام تقريبا ..
ويصون الاسلام للأسرة المسلمة سرها . ويعتبر ما يدور داخل الأسرة سرا مقدسا لا يجوز لانسان غريب أن يطلع عليه لأي سبب الا باذنهم .
وللمسلم الحق أن يعاقب من يحاول التجسس عليه في بيته أو كشف سره فيقول رسول الله :
« من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه » رواه مسلم واحمد
ويقول ايضا : « أيما رجل كشف سترا فادخل بصره قبل أن يؤذن له فقد أتى حدا لا يحل أن يأتيه ولو أن رجلا فقأ عينه لهدرت .. » رواه احمد والترمذي .

# العقيدة الإسلامية خير أساس لتكوين خير أمة

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
(آل عمران)

للشيخ / زكريا ابراهيم الزوكة

لكل نهضة من النهضات فكرة تدور عليها وتتبلور حولها وتتخذ منها زادا لعواطف الأمة . وأساسا لبناء أمجادها .. وكلما كانت الفكرة أقرب إلى خصائص الأمة . وألصق بمشاعرها وأنسب لمواريثها كانت النهضة أدنى إلى الصواب . وأقرب إلى النجاح .

هذه الفكرة التي تدور عليها نهضة الأمة قد تكون :

١ ) القومية التي تربط أصحابها برباط الجنس ، وتجمعهم بوشيجة الدم .. وتقيم علاقاتها مع غيرها من الأمم على أساس من تبادل المنافع . وتقارض المصالح ...

٢ ) وقد تكون الوطنية التي تتمثل في حب الوطن . والولاء له والتفكير في كل ما يعود بالخير عليه .

٣ ) وقد تكون علمانية ـ وهذا هو تعبيرهم ـ وهي التي تختفي فيها الأديان . فلا تؤمن إلا بالعلم والأخذ بالحضارة الغربية خيرا كانت أو شرا .

٤ ) وقد تكون هذه الفكرة اجتماعية . لا يعنيها النظر إلى الجنس أو الوطن . وإنما يعنيها أن يؤمن أصحابها بمذهب اجتماعي معروف يحبون فيه . ويبغضون فيه .. يحبون فيه ولو أبعد الناس إليهم . ويبغضون فيه ولو أقرب الناس إليهم .

٥ ) وقد تكون الفكرة « دينية » تجمع بين أبناء العقيدة الواحدة . وتجعل من أجناسهم جنسا . ومن أوطانهم وطنا . وتقيم علاقاتها مع تلك الأمم المتحدة العقيدة على أساس من الأخوة والتكافل والتجاوب كأنها جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد ..

غير أننا إذا نظرنا إلى أية فكرة من تلك الفكر نجد أنها لا تستطيع وحدها أن تكون أساسا للنهضة . وقواما للأمم الناهضة ... واذا ظفرت بذلك أول الأمر تعسر عليها أن تحتفظ به طويلا وتعتمد عليه إلى مدى بعيد ..

فالشيوعية ـ مثلا ـ كانت تزعم أنها رباط بين الشيوعيين تلغي من أجله روابط الجنس . والوطن . والدين . ثم كشفت لها الأيام أن ذلك أمل عزيز المنال ..... لأن دولا دانت بالشيوعية ـ كمذهب اجتماعي ـ واعتنقته في حرارة واخلاص ومع ذلك لم تستطع ان تتخلى طويلا عن إيمانها بالجنس والوطن كيوغسلافيا والصين الشعبية ...

واكتفت تلك الدول بأن تكون علاقاتها بروسيا علاقة الأولاد بالوالد لا يمنعهم استقلالهم عنه . من أن يتقاسموا الشدة . ولا ينسوا الفضل بينهم ...

ذلك أن ارتباط الفرد بوطنه وقومه شيء مركوز في الطباع متأصل في

الفطـرة . له في كل قلـــب نوازع وأحاسيس تذكر به وتهفو إليه . ومن العسير إن لم يكن من المحال أن يتنـاسى الانســان نداء الفطـرة . ويتجاهل إلحاح الطبع .... إذاً في وسعنا أن نقول : إن في استطاعة أية أمة أن تتخذ لنهضتها فكرة معينة تلائمها وتناسب طبعها . وترى في اعتناقها أقوم الطرق . وأقربها إلى إدراك الغاية وإصابة الهدف تفعل ذلك وهي مطمئنة إلى أنها لن تبخس بقية الفكر شيئا من حقها . أو تسلبها شيئا من سلطانها .

نقول ذلك تمهيدا بين يدي موضوع نحب ان نجليه للناس .

فقد طال فيه الجدل . وكثر فيه الكلام . وما زال المؤيد والمعــارض كلاهما في موقفه لا يريدان أن يتقاربا ليلتقيا في منتصف الطريق .

هذا الموضوع هو :

مكان الفــكرة الاسلاميــة . في نهضة الأمم التي تنسب للاسلام . هل يجوز لتلك الفكرة أن تتقدم لتكون أساسا للنهضة . أم الواجـب أن تستبعد استبعادا لتحل محلها فكرة أخرى من تلك الفكر التي اعتنقها الغربيون . وفتن بها الشرقيون ؟...

وقبل أن نجيب على هذا السؤال يجب أن نقف قليلا لنبين أن الجدل الذي أثير حول هذا الموضوع لم يأخذ طابع البحث العلمي . ولم يجر على أقيســة المنطـق الدقيقــة . وانمــا استولت على ازمته العواطف الحادة والأهواء المغرضة والأحقاد الدفينة . وسيطر عليه التقليد الأعمى الذي قد يرى الحق حقا . ولكن يجتنبـه . ويرى الباطل باطلا ولكن يجري وراءه ويتشبث به .

لهذا أحرص على أن يكون جوابي هادئا باسما يعرض أدلته في رفق . ويجادل عنها بالتي هي أحسن .

مما لا شك فيه أن الأمم الاسلامية بعامة . والأمم العربية بخاصة قد تأثرت بالعقيدة الاسلامية تأثرا تغلغل في القلب . وخالــط اللحــم والــدم واصطبغت بصبغة الاسلام ملامحها وتاريخها وأفكارها فأصبحت تعرف بهذا الدين أكثر مما تعرف بغيره . وتتخذ منه شعارا يخفي وراءه كل شعار !!... ولهذا كله أسباب :

١ ) منها أن تاريخ اعتناقها لهذا الدين قديم عريق تمتد جذوره الى ما يقرب من أربعة عشر قرنا . وانــه لتاريخ عزيز ليس من السهل طرحه ونسيانه . أو تجاهله والتنصل منه ما دامت الايام والاحداث لم تكتشف في سجله غير الصحائف البيض .

٢ ) أن اعتناق هذه الأمم لهذا الدين كان مصدر عزها وسيادتهــا فمنذ اعتنقته تحــررت من عبــادة العباد . ورفعت رأسها على كل جبار وعرفت في حياتها معرفة عملية معنى الحرية والاخاء والمساواة واصبحت إذا عملت فانما تعمل لنفسها واذا حاربت فانما تحارب لربهــا . واذا عاشت أو ماتت فعيشها ومماتها في سبيل الدعوة الاسلامية التي تحلو بها الحياة وتستساغ بها الشهادة ..

٣ ) ان هذه العقيدة الاسلامية لا تحمل في طياتها ما يصطدم مع الفطرة

السليمة . والطبائع المستقيمة فكل ما يلائم الطبع ويؤيده العقل له تقدير واعتبار ...

٤ ) أن أفراد هذه الأمم لم يعرفوا لهم رابطة غير رابطة العقيدة لان البلدان الاسلامية كانت مفتحة الابواب لكل مسلم مهما كان بعيدا يدخلها في سهولة ويسر وثقة واطمئنان ما دام يحمل « جواز » الدخول وهو كلمة « الاسلام » فاذا دخلها فقد دخل على عشيرته وأهله لأن المسلمين عشيرة كل مسلم . وفئته التي يتحيز اليها .. ومن هنا صارت أرض الاسلام « بوتقة » انصهرت فيها كل الأجناس والأوطان وأصبحت وطنا واحدا يرى كل مسلم أن له فيه حقا وعليه له واجبا .. فاذا اردت ان تحرك هؤلاء المواطنين فلن تجد غير الاسلام تحركهم به . وتجمعهم عليه .

٥ ) أن في وسع هذه الأمم أن تكون كتلة ثالثة بين الكتلتين الشرقية والغربية . وأن تصبح قوة هائلة تستشار في شؤون العالم . وتتحكم في مصير السلم والحرب لأنها تملك البقعة الوسط . والمناخ المعتدل والمواقع الاستراتيجية وحقول البترول الواسعة .. فضلا عن كثرة عددها وتلاصق أوطانها واستغنائها عما عداها ..

ولكن ما هو الرباط المحكم الذي يمسكها ويمنحها القوة والوحدة ويجعلها على قلب رجل واحد ؟

أهو المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة كما ينادي بذلك كثير من الساسة والكتاب ؟.. كلا لأن المصالح تتغير بتغير الأحوال والظروف . وتتبدل بتبدل الرجال الذين يمسكون في ايديهم قيادات هذه الأمم ولا بد من شئ ثابت ..

إذا لا مناص من رباط العقيدة التي يحس بها الجاهل والعالم . والرجل والمرأة . والصغير والكبير . والتي لا يعرف المسلمون بعضهم بعضا إلا بها ولا يلتقون إلا عليها . ولا يستثارون إلا بها . ولا يقادون إلا بزمامها .

٦ ) أن العقيدة الاسلامية سهلة لا تعقيد فيها ولا تركيب ولا ألغاز ولا أسرار ... إنما هي كلمتان : لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله ـ يقولهما الرجل صادقا معتقدا ليصبح مسلما يملك في أرض الاسلام ما يملك سائر المسلمين . ويفيد من أخوة الاسلام أكثر مما يفيد من أخوة النسب ويكتسب من الحقوق اكثر مما كان يكتسب : ويرى من تكافؤ الفرص ما يملأ نفسه بالأمل .. يشعر بذلك الفرد . وتشعر به الجماعة .. وشتان بين رجل يعتز ويصول بقوة اخوانه في الجنس فقط . او الوطن فقط .... ورجل آخر يعتز ويصول بهؤلاء جميعا وبآخرين من دونهم يشاركونه في العقيدة وينبثون في كل فج من فجاج ارض الله الواسعة ..

وشتان كذلك بين امة تعتمد على نفسها فقط . وتبيت على حذر من جيرانها .. وأمة اخرى تبيت آمنة مطمئنة لأنها تعتمد على ربها ونفسها وعلى جيرانها ... وهذا من شأنه أن يجعل من تلك العقيدة ركن الامة الاسلامية الشديد الذي تأوى إليه .

## الفتاوى

للدكتور
محمد سلام مدكور

○ من السيد طاهر محمد عبدالودود من جمهورية مصر العربية/القرشية/السنطه أرسل يقول :

**نذرت إن نجحت في الامتحان أذبح وأعمل حفلا شعبيا فهل يصح أن أدفع النذر للفقراء أو للمساجد .**

● النذر طريق من طرق التقرب إلى الله وابتغاء مرضاته ، وهو لا يكون إلا لله سبحانه ولا يكون في معصيته ابدا . ومن نذر على هذا الوجه لزمه الوفاء وقد امتدح الله الموفين بالنذر واعتبرهم من الأبرار ووعدهم بالنعيم الأخروي يقول سبحانه في سورة الانسان : **( إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا )** وقد روي أبو داود في الحديث المتفق عليه « أوفي بنذرك » .

والسؤال يتضمن جزئيتين : أنه نذر الذبح . وعمل حفل شعبي ، ويبدو كما هو مشاهد في مثل هذا أن الحفل الشعبي يجمع فيه الأصدقاء من قرنائه . فاذا كان فيه لهو غير مشروع ، وتجمع ترتكب فيه بعض المعاصي فانه لا ينبغي إقامته لما روته السيدة عائشة رضي الله عنها من أن رسول الله قال : « لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين »رواه احمد في سنده وأبو داود في سننه لكن الترمذي قال إنه حديث غريب . وروي الجوزجانى باسناده عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله يقول « النذر نذران فما كان من نذر في طاعة الله فذلك لله وفيه الوفاء . وما كان من نذر في معصية الله فلا وفاء فيه ويكفره ما يكفر اليمين » . أما إذا كان المراد منه إقامة وليمة يقدم فيها ذبيحة يطعمها للفقراء ومن في حكمهم ابتهاجا بنجاحه وشكرا لله على نعمته عليه واعترافا بفضله فهو أمر مشروع وواجب الوفاء .

أما العدول عن الذبح والحفل وتقديم المال الذي ينفق فيهما صدقة على الفقراء أو شراء مصاحف أو تقديمها في بناء جامع فالفقه على أن من نذر أن يذبح وجب عليه الذبح لأنه يتقرب الى الله باهراق دم الذبيحة وإطعام المحتاجين مادام الذبح ميسورا .

لم يؤد صلاة الظهر وفات وقته ودخل المسجد فوجد الامام يصلي بالناس العصر

فقهاء الحنفية يرون لزوم الترتيب بين الفروض الخمسة والوتر أداء وقضاء .

وعلى هذا فانه لو خاف فوت صلاة جماعة حاضرة قبل قضاء الفائتة فان كانت الفوائت التي عليه لم تزد عن صلوات يوم وليلة لزمه أن يبدأ بصلاة الفائتة . أما إذا كانت الفوائت أكثر من ذلك فان الترتيب يسقط عندهم وعليه أن يتبع الامام ويبدأ بصلاة العصر معه .

وينصون على أنه لا يجوز اقتداء المفترض بمن يصلي فرضا آخر لأن المقتدي مشارك للامام فلابد من الاتحاد . وإنما يجوز اقتداء المتنفل بالمفترض لأنه من قبيل بناء الناقص على الكامل ، ولا يجوز عندهم اقتداء المفترض بالمتنفل لأن صلاة المقتدي تنبني على صلاة الامام صحة وفسادا .وبناء الكامل على الناقص لا يجوز .

وعند الحنابلة أن الترتيب أيضا لا يسقط بخشية فوات صلاة الجماعة في ظاهر المذهب فمن كانت عليه فوائت وخشي فوات صلاة الجماعة فان الترتيب لا يسقط وقيل انه يسقط . ونصوا على أنه من حضرته صلاة الظهر مثلا في جماعة وعليه ظهر فائتة فله أن يصلي مع الجماعة ويحتسبها الفائتة . ثم يصلي الحاضرة بعد ذلك .. وبناء على ذلك فان للسائل أن يدخل في الجماعة وينوي صلاة الظهر .. ثم يصلي العصر . وينبغي أن يلاحظ أن الترتيب يسقط عند الحنفية والحنابلة في ضيق الوقت أي لو خشى إن صلى الفائتة ينتهي وقت الصلاة الحاضرة فانه يبدأ بالصلاة الحاضرة خشية أن يفوت وقتها وتصبح الأخرى فائتة ، لكن الامام مالك يرى أن الترتيب واجب في سعة الوقت وضيقه .

أما الشافعية فالترتيب عندهم سنة وليس بواجب وإذا كان ترك صلاة الظهر بدون عذر فيجب عليه قضاء الظهر ولا يقدم عليه شيئا ، وله عندهم أن يتبع الامام الذي يصلي العصر ناويا صلاة الظهر . أما إذا كان ترك الظهر بعذر فالقضاء على التراخي .

ونحن نفضل مراعاة للخلاف أن تبدأ بصلاة الظهر منفردا مراعاة للترتيب ثم تصلي بعد ذلك العصر .

## صلاة ركعة واحدة بعد العشاء

يبدو أن السائل يقصد صلاة الوتر ، فانه يسن بعد صلاة العشاء صلاة ركعتين سنة . كما يجب صلاة شئ آخر هو الوتر . ويرى الحنفية أن الوتر واجب لما روى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « الوتر حق فمن لم يوتر فليس مني » رواه أبو داوود والحاكم وصححه . وهو عندهم ثلاث ركعات بتسليمة واحدة .

وعند المالكية والشافعية والحنابلة تصح صلاة الوتر بركعة واحدة بتشهد وتسليم فاذا كان المسئول عنه هو عدد ركعات صلاة الوتر وهل يصح بركعة واحدة .. فهذا هو الجواب .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ، وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## الاعجاز العلمي للقرآن الكريم

**أرسل الينا الأخ علي خليل شقرة من الجامعة الأردنية كلمة للشباب حول الاعجاز العلمي في القرآن الكريم تحدث فيها عن الحقائق العلمية التي وافقت القرآن الكريم لتدل من جديد على أن هذا الكتاب ليس من كلام البشر .**

**وقد واصل الحديث مدللا على أن الحقائق العلمية هي اليقينية الثابتة ، ودعا الى مراجعة كتب التفسير ودراستها دراسة متأنية فذلك أدعى للوقوف على مكنوناتها .**

**وكيف أنها ألمحت الى الكثير من الحقائق العلمية ـ ونحن نقدم للشباب مقتطفات من تلك الكلمة :**

إن القرآن هو معجزة الاسلام الخالدة الدالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما كانت رسالة الاسلام خاتمة الرسالات ، وللناس كافة في جميع الأزمنة والأمكنة ، فان ذلك يقتضي أن يكون القرآن معجزا للناس على اختلاف ثقافاتهم ، ومستوياتهم الفكرية ، وعلى اختلاف زمانهم ومكانهم .

ومن مظاهر اعجاز القرآن الكريم الكثيرة : اعجازه العلمي ، وهذا الوجه من وجوه الاعجاز يتمثل في مطابقة الآيات الكونية ، والحقائق العلمية لما أخبر به القرآن الكريم .

وان اعجاز القرآن الكريم ليس متمثلا فقط في اعجازه الأدبي ، والتاريخي ، والتشريعي ، بل لا بد أن يكون فيه من وجوه الاعجاز ما يناسب مستويات الناس الفكرية في جميع العصور .

وقد أدرك العرب أيام نزول القرآن اعجازه البلاغي لانتشار البلاغة ، والفصاحة بين معظم الناس آنذاك ، واشتهارهم بها ، فاننا نجد معظم الناس في هذه الأيام قد فسد ذوقهم البياني بالاضافة الى واجب تبليغ رسالة الاسلام الى أقوام ليسوا عربا أصلا . فضلا عن أن يفهموا أساليب البيان العربي ، والبلاغة العربية .

واننا لنرى القرآن الكريم قد دعا الناس الى تدبر آياته ، وتفهم معانيه قال تعالى : ( **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ) ٨٢/ النساء . وقال تعالى : ( **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ) ٢٩ /ص .

ومن هنا فان من واجبنا أن نتدبر القرآن الكريم لندرك اعجازه .

ومطابقة تفسير القرآن الكريم لما جاء به العلم حديثا لا يتعلق بالنظريات العلمية التي هي وجهات نظر قابلة للخطأ والصواب إنما يتعلق بالحقائق العلمية اليقينية الثابتة .

وسأذكر بعض الآيات القرآنية التي طابقت حقائق علمية ثابتة لا يرتقي اليها الشك ودون تأويل أو تطويع .

قال تعالى في معرض اثبات البعث والحساب : ( **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه. بلى قادر بين على أن نسوي بنانه** ) ٣ و ٤ / القيامة .

فهنا يقول الحق سبحانه ايظن الانسان اننا لن نستطيع اعادته يوم القيامة بعد ان بلى بل انا نستطيع ان نعيد تسوية بنانه ـ طرف الاصابع ـ واول ما يسأل المرء : ما حكمت اختيار القدرة على تسوية البنان للرد على المنكرين لليوم الآخر ؟ ولماذا جعل تسوية البنان اكثر افحاما لمن ينكر جمع العظام مع ان البنان جزء بسيط من العظام .

وبعد ان تقدم العلم كشف عن ان بنان كل انسان تختلف عن الآخر حتى انه لا يمكن ان نجد اثنين على وجه الارض تتشابه بصمات اصابعهما ، اذاً فهنا تتجلى حكمة اختيار القدرة على تسوية البنان للرد على منكري البعث لان الذي يقدر على اعادة بنان كل شخص له رغم اختلافه من شخص لآخر قادر من باب اولي على اعادة اي جزء من جسم الانسان الذي قد يتشابه معه فيه كثيرون .

وعلى هذا فلا خوف من تفسير بعض آيات القرآن الكريم بالحقائق العلمية الثابتة .

# بأقلام القراء

## □ متى يتحقق بناء مجتمع اسلامي ؟

**جاءتنا من الاستاذ فاروق عبدالعزيز سلام كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :**

إن الدول الاسلامية ارتضت لنفسها الاسلام دينا وشرعة ومنهجا وسلوكا ..

فما بالنا نجد أن الروح الأجنبية قد سادت وطغت تقاليدها فسيطرت بالاثم والهوى على مجتمعنا .. تنتزعه من إيمانه إلى إلحادهم .. ومن استقامته إلى انحرافهم .

وقد أصبح التميع الحضاري ، والانحلال الأخلاقي ثمرة دانية القطوف ، بينما نحن في غينا سادرون ، تجذبنا دوامة الحياة إلى قاع الرذيلة ، فلا نشعر إلا بوقع الألم على نفوسنا ، وقبل أن نفيق تماما ، تجذبنا الدوامة ، وهكذا .

والسؤال : متى يتحقق فعلا ، وصدقا ، بناء مجتمع إسلامي في صورته المنشودة ، ناسجا قيمنا وأخلاقيات مجتمعنا على منوال الذكر الحكيم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

من هنا فان التفتت والتجزئة والعدواة والبغضاء والحدود المصطنعة والتقسيم الوهمي لأمة الاسلام والتبعية السياسية والاقتصادية قد حققت لأعداء الاسلام والانسانية أهم أهدافها وجعل من أمة الاسلام شيعا متناحرة .. وأحزابا متنافرة وارتكبت الآثام والمعاصي في غيبة الضمير الاسلامي .

ومن هنا فان دعوة القضاء على الفقر والفاقة وتحقيق التقدم والرفاهية عربيا ليس رهن القضاء على قوى السيطرة والاحتكار والاستعمار – فحسب – بل بتطبيق منهج الاسلام وشرعه .

وإذا كان النصر يحتم بالضرورة

أن نبدأ بالتنسيق .. وننتهي بالتوحيد فان الامكانيات الروحية والطاقات المؤمنة بالله ورسوله قادرة على تحقيق المعجزات والمستحيل ، خصوصا وأن الأمة العربية حباها الله بامكانيات لو حشدتها وأحسنت تحريكها لأمكنها الدفاع عن قدرها ، وإحراز التقدم المنشود .

ومن هنا فان الخطر على المسلمين لا يأتي من قوة أعدائهم عددا وعدة ولكنه يأتي – بالدرجة الأولى – من تهاون المسلمين في حق دينهم .. وانقيادهم وراء مباهج الحياة الغربية وشهواتهم .

وهي بهذا استطاعت أن تفرض نفسها وتحقق وجودها في مواجهة مرض الارادة العربية وغيبة التنسيق الواحد ونبذ تعاليم الاسلام .

□ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

**وجاءتنا هذه الكلمة من الاستاذ احمد شادي نقدم للسادة القراء مقتطفات منها :**

لا فكاك ولا مهرب من شهادة الألسنة والأيدي والأرجل وصدق الله العظيم حيث يقول : ( **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ) النور/٢٤ .

وطالما جادل الجاحدون بالغيب في كيفية شهادة الألسنة والأيدي والأعين والأرجل الخ ..

فهل هناك مبرر في هذا العصر الحديث لبقاء هذا الجدل بعد أن تمت الشهادة في الدنيا على صورة من الصور وفي نطاق ضيق محصور مقصور على الأشخاص حين تحركوا ووقفوا أمام عدسات التصوير التي التقطت مناظرهم والآذان الصناعية التي سجلت أصواتهم . وصل الانسان بعلمه القليل إلى هذه المرحلة فكيف يكون الحال مع العالم الأكبر والقادر الأعظم .

يمكن أن تكون الشهادة في الآخرة باستعراض ما كان يفعله كل فرد كلام لسانه ، وجناية يديه ونظر عينيه ومشى رجليه الخ .

فلا يستطيع إنسان أن يكابر في الأدلة أو يزيف في الوثائق أو يجادل في البراهين .

العلم يقترب بخطوات واسعة من الايمان كلما تقدم الزمن بالانسان .

فهل يقترب الماديون والملحدون والدهريون من الايمان بعد أن ضاق الخناق على مذهبهم ، وإن لم يقتنعوا فليتركوا الوصاية على الأجيال الجديدة لتقترب الفطر السليمة من ربها دون وصاية أحد عليها : ( **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد** ) فصلت/٥٣ .

## □ حول مزاعم المبشرين .

**وحول مزاعم المبشرين الكثيرة عن اسماعيل عليه السلام فمرة يدعون ان الذبيح اسحق ومرة يدعون أن القرآن الكريم لم يشر اليه بعد ان حرفوا قول الله سبحانه ( ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب )**
**فقالوا « وجعلنا في ذريتهما النبوة » ليخرجوا اسماعيل وأيضا يتطرقوا بذلك الى سيد الخلق**
**وردا على هذه المزاعم جاءتنا تلك** الكلمة **من الاستاذ سالم البهنساوي**

**يقول فيها :**

كتب أحد المبشرين مقالا في مجلة « أسرتي » وقعه باسم ويليام خاجيك . ذكر فيه أن المسيح هو الشخص الوحيد الذي لم يخطىء وهو الطريق الوحيد للجنة لأنه من ذرية ابراهيم الذي قال الله فيه في سورة العنكبوت : **( ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب )** العنكبوت/٢٧ .
والكاتب يستشهد بهذه الآية التي حرفها لتفيد أن النبوة والكتاب في ذرية إسحاق ويعقوب وليس فيها ذكر إسماعيل وذريته ومنها محمد رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام وزعم الكاتب أن نبي الاسلام قد أخطأ وانتهى من نلك أن الطريق إلى الجنة هو الايمان بالمسيح واتباعه فقط .

والجواب الوجيز على هذه المفتريات نركزه فيما يلي :

**١ ـ موقف غير المسلم من القرآن :**

لقد استشهد هذا الكاتب بآيات تتعلق باستغفار النبي صلى الله عليه وسلم كما استشهد بالآية ٢٧ من سورة العنكبوت بعد أن حرفها بوضع كلمة ذريتهما بدلا من كلمة « ذريته »

الواردة في الآية فنص الآيـة هو : **( وجعلنـا في ذريتــه النبــوة والكتاب )** والمقصود هو نبي اللـه إبراهيم ولكن الكاتب المذكور كتبها وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتـاب ليجعل النبوة قاصرة على ذرية إسحاق ويعقوب ويخرج منها إسماعيل وذريته كما هو واضح من مراجعة الآية .

وهؤلاء الذين يستشهدون بآيات من القرآن الكريم بينما هم لا يؤمنون به ، قد حدد الاسلام سبيلا واضحا لجدالهم فقال تعالى : **( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون )** سورة المنافقون آية/١ .

فلو كان هؤلاء مؤمنين بالقـرآن الكريم لأخذوا كل ما جاء به وامتنعوا عن تحريف بعض آياته في اللفظ أو المعنى ليخدم أهواءهم .

وماداموا لا يؤمنون بالقرآن كما هو واقع حالهم فلا يقبـل منهـم الاستشهاد ببعض آياته وترك الباقي قال تعـالى : **( أفتؤمنـون ببعض الكتـاب وتكفـرون ببعض )** البقرة/٨٥ .

فالقرآن الكريم معجزة تحدى الله بها البشر جميعا لاثبات نبوة ورسالة خاتم النبيين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يقبل أن يأخـذ هؤلاء جانبا منه ليهدم هذه النبوة وهذه الرسالة وتكذيب الرسول وقـد نشر الكاتب الفرنسي موريس بوكاي كتابا بعنوان الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث تضمن مقارنة بين القـرآن والتوراة والانجيل وانتهـى إلى أن القرآن وحده من عند الله ولا تناقض فيه بينما التوراة والانجيـل قد تم تحريفهما ولهذا فهما متناقضان مع العلوم اليقينية الحديثة .

## ٢ ـ الطريق إلى الجنة والايمان :

يذكر الكاتب أن الايمان بالمسيح هو الطريق الوحيد للجنة وقد تناسى أن الاسلام قد اعتبر كل من رد رسالة المسيح أو غيره من الرسل كافـرا ومرتدا ويخلد في النار .

أما أن يأخذ الكاتب من القرآن الكريم الآيات التي تفيد استغفـار النبي صلى الله عليه وسلم ليستدل على أن المسيح هو وحده الذي لم يخطئ وبالتالي فالايمان به وحده هو الطريق إلى الجنة . فهذه وسيلة للتأثير على السذج وضعفـاء العقـول لأن القرآن الذي أورد مغفرة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أورد أيضا مخالفته للأولى الذي هو محل المغفرة كاعراضه عن الأعمى اعتقادا منه انه جاء للمجادلة كعادته فعاتبه الله بقوله تعالى : **( وما يدريك لعله يزكى )** عبس/٣ .

ومثل قبول النبي صلى الله عليه وسلم الفداء من أسرى غزوة بدر وفي هذا قال الله تعالى : **( ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض )** الانفال/٦٧ .

والقرآن نفسه الذي يستشهد به

هذا الكاتب هو الذي أورد حساب الله للسيد المسيح في قوله تعالى : ( **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ) المائدة الآية/١١٦ .

والقرآن أيضا هو الذي أورد طلب نبي الله إبراهيم حرمان الكافرين من الرزق في الدنيا بينما أخبرنا الله أن رزقه للجميع في قوله تعالى : ( **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير** ) ١٢٦ سورة البقرة .

إن هذه أشياء خلاف الأولى جاءت من الأنبياء في الحالات التي يجتهدون فيها قبل نزول الوحي من الله إليهم بالحكم في هذه الأشياء وهي دليل على بشرية الرسل جميعا ودليل على صدق هؤلاء الرسل حيث لم يكتموا شيئا حتى ما تعلق بمخالفتهم للأولى .

فكيف يأتي هذا الكاتب ليأخذ من القرآن نتيجة أخرى لم ترد فيه ليفرق بين رسل الله ويستشهد بهذا على كفره بالقرآن والنبي ويزعم أن هذا هو الطريق الوحيد للجنة ؟

## ٣ ـ طبيعة المسيح وعقيدة التثليث :

إن الأناجيل الأربعة التي اعتبرتها الكنيسة مقدسة وسلبت هذه القدسية من باقي الأناجيل . هذه الأربعة تزعم أن الله نزل بهداية الناس في شكل بشر هو السيد المسيح ابن الله . ورسالة يوحنا الأولى في الاصحاح الخامس الآية ٨٢٧ بها « فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس ،

وهؤلاء الثلاثة هم واحد » وقد وجدت أناجيل مثل إنجيل برنابا تصحح هذا الذي أدخل على المسيحية فيؤكد أن المسيح نبي الله وليس ابنا له ففيه « إن الله العظيم قد أكرمنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح » وفي هذا الانجيل بشارة برسالة محمد ـ فهل يدرك هذا السيد ( ويليام ) ـ ومن اعتقد هذه العقيدة وهل يعلم أن الاصحاح الأول من رسالة بولس لأهل رومية يشير إلى وجود إنجيل آخر للمسيح كما يشير إنجيل متى إلى هذا في الاصحاح الرابع وهذا الانجيل غير موجود بين الكتب المسيحية المقدسة .

# مع صحافة العالم

## أوضاع المسلمين في الهند :
## في تقرير نشرته جريدة القبس الكويتية :

طالب أمين عام اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا الدكتور محمود رشدان بزيادة الاهتمام بالمسلمين في الهند وبحث أوضاعهم . ودعا المسئولين في وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويتية الى بذل مزيد من المساعدات الثقافية والتعليمية والمعنوية والتعرف على أحوالهم عن قرب ، وتقديم ما يمكن من مساعدات لهم .

هذا وكانت لجنة قد شكلها اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا قد قامت بزيارة إلى بعض المقاطعات الهندية التي يسكنها مسلمون كانوا قد تعرضوا خلال العام الماضي إلى مذبحة على أيدي متعصبين من الطائفة الهندوسية في مدينة « جمشين بود » وقدموا تقريرا تضمن انشاء مؤسسات تعليمية وثقافية واقتصادية تمكن المسلمين هناك من تعليم أبنائهم وتدريبهم لرفع مكانتهم الاجتماعية والسياسية بما يتناسب مع تاريخهم الاسلامي في الهند وسمو رسالة الاسلام التي يجب أن يحملوها صافية في ربوع الهند .

ودعا التقرير إلى تمكين أبناء المسلمين في الهند من التعليم والتدريب على وسائل الاعلام المختلفة وذلك لتغطية واقع قضايا المسلمين هناك وتقديمها بشكل مقبول وجيد للعالم .

هذا وقد قدم التقرير بعض الأرقام الاحصائية عن واقع المسلمين في الهند، مؤكدا أنهم يشكلون ١٤ في المائة من مجموع السكان ولكن نصيبهم في المجتمع الهندي أقل من ذلك بكثير .

## الدعوة الاسلامية ودور الكويت
## في لقاء لجريدة السياسة الكويتية مع الاستاذ ابراهيم كوتى

قام مؤخرا مدير الكلية العربية بالهند بزيارة للكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

والجدير بالذكر أنها أول زيارة يقوم بها مسئول من هذه الكلية وقد ذكر أن زيارته للكويت تستهدف التعرف على المسئولين في الوزارة وخلق مناخ يقوي التعاون الاسلامي وقال إن عددا من الموضوعات الهامة ستبحث مع المسئولين من أهمها :

توسيع مبنى مسجد دار السلام التابع للكلية العربية « الصباح » وانشاء ثكنات للطلبة ، واخرى للطالبات ، وتجديد بناء الكلية ، وتوفير الأجهزة الحديثة لها ، وانشاء مبنى للتدريب على الحرف والصناعات والمهن المختلفة .

وقال السيد ابراهيم كوتى مدير الكلية العربية إن الكلية أسست قبل ست سنوات حيث يدرس فيها القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة وعلومها واللغة العربية وآدابها بجانب بعض العلوم الاسلامية الأخرى وبعض العلوم الحديثة .

وقال : إن هذه الكلية تتبع جمعية الصباح الاسلامية والتي يشرف عليها علماء متخصصون .

ومن أهم الأنشطة التي تقوم الكلية بها :

إنقاذ الجيل المسلم من هاوية الجهل والفساد . وتربيتهم تربية اسلامية .

وكان السيد كوتى قد زار قطر والبحرين قبل الكويت وسيقوم بزيارة للسعودية بغرض جمع المساعدات لهذه الكلية .

هذا وقد شكر مدير الكلية العربية المسئولين في وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على دعوتها له لزيارة الكويت وعلى حسن الضيافة . كما مدح اهتمامهم بالقضايا الاسلامية في العالم .

وقد زودته الوزارة ببعض المراجع الاسلامية والعربية ، والتفسير ، والتاريخ وذلك لتزويد مكتبة الكلية العربية بها .

## بطلان دعوى اليهود في أرض المعاد
## في بحث نشرته مجلة الدعوة المصرية

أقام رواد الحركة الصهيونية دعوتهم بالمطالبة بأسطورة أرض المعاد على أساسين دينيين .

أولهما : ان ابراهيم وعد بالأرض الواقعة بين الفرات والنيل من ربه .( لنسلك ولاسحاق ويعقوب اعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير الفرات ) .

ثانيهما : ان سفر أرميا ( التوراة ) يقول بعودة اليهود لأرض فلسطين .

« ولو صح هذا الوعد لتمثل في اليهود المنحدرين من صلب يعقوب » .

ولما كانت الحركة الصهيونية قد عجزت عن إثبات النقاء العرقي اليهودي وأقرت باختلاطهم وأخذت بفكرة العرق التكاثري بما أصبح معه هذا الوعد غير وارد على موضوعه وإنعدام أصله .

وحيث أشاح اليهود ولم يصغوا لصوت الرب أو يحفظوا وصيته بل التفتوا عن كل دعاوي الخير فقد انتفى شرط تحقق الوعد لابراهيم وذريته .

وإذا كانت التوراة قد حددت الأرض الموعودة لابراهيم من النيل للفرات وليوشع ابن نون من الصحراء من نهر مصر ومن لبنان الى النهر الكبير « الفرات » وحتى البحر الكبير أمام غروب الشمس يجب أن تكون أراضيكم .

فكيف يستقيم منطق أرض المعاد ؟

إنه التناقض والتزييف .

ويستطرد البحث مؤكدا خرافة أرض المعاد فيقول :

وثمة ملاحظتان هامتان نسوقهما في هذا الصدد .

أولاهما : أن فلسطين حين وفد إليها اليهود كانت تعج بسكانها وحضارتها .

ثانيهما : أن أجداد اليهود لم يكونوا من أصل فلسطيني ومن هنا نلاحظ ــ وقد كشفنا زيف ما أشرنا إليه من خصائص ــ أن الحركة الصهيونية تجد نفسها مدفوعة لتعرية اد عاءاتها تقول بالتشدد واللين في تفسيرها دون الاستقرار على مفهوم واضح بما يشيع البلبلة في فكر العدو وقد توافرت لها الخطة والوسيلة الدعائية اللامحدودة عالميا ، وكأن الأحداث لا تحمل كل يوم ما يؤكد استحالة بقاء ذلك النظام غير المتجانس من القيم ومنطق التعامل السياسي والاخلاقي .

يقول احد قادتهم وايزمان « لو كنت مقتنعا بأن ازدهار شعب اسرائيل ينبع من السلام لقلت كل الاحترام ولكني لن أعدو وراء السلام لمجرد السلام وبكل ثمن بل سأسعى لتحقيق ازدهار شعب اسرائيل بكل صورة وبكل ثمن .

هذه هي حقيقة نواياهم .

* * * * * * *

## رجاء

**يرجى من السادة الكتاب مراعاة كتابة مقالاتهم بالآلة الطابعة وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث الواردة بمقالاتهم وذلك لتسهيل عملية مراجعتها ونشرها .. والله الموفق .**

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | جمادى الآخرة | ابريل | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) | | | | | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
| | | | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س |
| الاربعاء | ١ | ١٦ | ٩ ٤٣ | ١٠ ٦ | ٥ ٣٣ | ٨ ٧ | ١ ٢٠ | ٣ ٥٨ | ٥ ٢١ | ١١ ٤٨ | ٣ ٢٢ | ٦ ١٥ | ٧ ٣٥ |
| الخميس | ٢ | ١٧ | ٤١ | ٤ | ٣٢ | ٦ | ٢٠ | ٥٧ | ٢٠ | ٤٨ | ٢٢ | ١٦ | ٣٦ |
| الجمعة | ٣ | ١٨ | ٣٩ | ٢ | ٣١ | ٦ | ٢٠ | ٥٦ | ١٩ | ٤٧ | ٢٢ | ١٦ | ٣٧ |
| السبت | ٤ | ١٩ | ٣٧ | ١ | ٣١ | ٥ | ٢١ | ٥٤ | ١٨ | ٤٧ | ٢٢ | ١٧ | ٣٧ |
| الاحد | ٥ | ٢٠ | ٣٥ | ١٠ ٥٩ | ٣٠ | ٤ | ٢١ | ٥٣ | ١٧ | ٤٧ | ٢٢ | ١٨ | ٣٧ |
| الاثنين | ٦ | ٢١ | ٣٤ | ٥٨ | ٢٩ | ٤ | ٢١ | ٥٢ | ١٦ | ٤٧ | ٢٢ | ١٨ | ٣٩ |
| الثلاثاء | ٧ | ٢٢ | ٣٢ | ٥٦ | ٢٨ | ٣ | ٢١ | ٥١ | ١٥ | ٤٧ | ٢٢ | ١٩ | ٤٠ |
| الاربعاء | ٨ | ٢٣ | ٣٠ | ٥٥ | ٢٨ | ٢ | ٢٢ | ٥٠ | ١٤ | ٤٦ | ٢٢ | ١٩ | ٤١ |
| الخميس | ٩ | ٢٤ | ٢٨ | ٥٣ | ٢٧ | ٢ | ٢٢ | ٤٨ | ١٣ | ٤٦ | ٢٢ | ٢٠ | ٤٢ |
| الجمعة | ١٠ | ٢٥ | ٢٦ | ٥١ | ٢٦ | ١ | ٢٢ | ٤٧ | ١٢ | ٤٦ | ٢١ | ٢١ | ٤٢ |
| السبت | ١١ | ٢٦ | ٢٥ | ٥٠ | ٢٥ | ٠٠ | ٢٢ | ٤٦ | ١١ | ٤٦ | ٢١ | ٢١ | ٤٣ |
| الاحد | ١٢ | ٢٧ | ٢٣ | ٤٨ | ٢٤ | ٥٩ | ٢٢ | ٤٥ | ١٠ | ٤٦ | ٢١ | ٢٢ | ٤٤ |
| الاثنين | ١٣ | ٢٨ | ٢٢ | ٤٧ | ٢٤ | ٥٩ | ٢٢ | ٣ ٤٤ | ٩ | ٤٦ | ٢١ | ٢٢ | ٤٥ |
| الثلاثاء | ١٤ | ٢٩ | ٢٠ | ٤٥ | ٢٣ | ٥٨ | ٢٢ | ٤٣ | ٨ | ٤٥ | ٢١ | ٢٣ | ٤٦ |
| الاربعاء | ١٥ | ٣٠ | ١٨ | ٤٣ | ٢٢ | ٥٧ | ٢٢ | ٤١ | ٧ | ٤٥ | ٢١ | ٢٤ | ٤٧ |
| الخميس | ١٦ | مايو | ١٦ | ٤٢ | ٢١ | ٥٧ | ٢٣ | ٤٠ | ٦ | ٤٥ | ٢١ | ٢٤ | ٤٧ |
| الجمعة | ١٧ | ٢ | ١٤ | ٤٠ | ٢٠ | ٥٦ | ٢٣ | ٣٩ | ٥ | ٤٥ | ٢١ | ٢٥ | ٤٨ |
| السبت | ١٨ | ٣ | ١٢ | ٣٩ | ١٩ | ٥٥ | ٢٣ | ٣٨ | ٥ | ٤٥ | ٢١ | ٢٦ | ٤٩ |
| الاحد | ١٩ | ٤ | ١١ | ٣٨ | ١٩ | ٥٥ | ٢٤ | ٣٧ | ٤ | ٤٥ | ٢١ | ٢٦ | ٥٠ |
| الاثنين | ٢٠ | ٥ | ٩ | ٣٦ | ١٨ | ٥٤ | ٢٤ | ٣٦ | ٣ | ٤٥ | ٢٠ | ٢٧ | ٥١ |
| الثلاثاء | ٢١ | ٦ | ٨ | ٣٥ | ١٨ | ٥٣ | ٢٤ | ٣٥ | ٢ | ٤٥ | ٢٠ | ٢٧ | ٥٢ |
| الاربعاء | ٢٢ | ٧ | ٦ | ٣٣ | ١٧ | ٥٢ | ٢٥ | ٣٤ | ١ | ٤٥ | ٢٠ | ٢٨ | ٥٣ |
| الخميس | ٢٣ | ٨ | ٤ | ٣٢ | ١٦ | ٥١ | ٢٥ | ٣٣ | ١ | ٤٤ | ٢٠ | ٢٩ | ٥٤ |
| الجمعة | ٢٤ | ٩ | ٣ | ٣١ | ١٦ | ٥١ | ٢٥ | ٣٢ | ٠٠ | ٤٤ | ٢٠ | ٢٩ | ٥٤ |
| السبت | ٢٥ | ١٠ | ١ | ٢٩ | ١٥ | ٥٠ | ٢٥ | ٣١ | ٤ ٥٩ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٠ | ٥٥ |
| الأحد | ٢٦ | ١١ | ٨ ٥٩ | ٢٧ | ١٤ | ٤٩ | ٢٥ | ٣٠ | ٥٨ | ٤٤ | ٢٠ | ٣١ | ٥٦ |
| الاثنين | ٢٧ | ١٢ | ٥٨ | ٢٦ | ١٣ | ٤٩ | ٢٦ | ٢٩ | ٥٨ | ٤٤ | ٢٠ | ٣١ | ٥٧ |
| الثلاثاء | ٢٨ | ١٣ | ٥٦ | ٢٥ | ١٣ | ٤٨ | ٢٦ | ٢٨ | ٥٧ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٢ | ٥٨ |
| الاربعاء | ٢٩ | ١٤ | ٥٥ | ٢٤ | ١٢ | ٤٨ | ٢٦ | ٢٧ | ٥٦ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٢ | ٥٩ |

هدية العدد : براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٧ ○ رجب ١٤٠٠ هـ ○ مايو ١٩٨٠ م



## اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

**قبة الصخرة المشرفة بالقدس**

# الوعي الإسلامي

**AL-WAIE AL-ISLAMI**

**KUWAIT P. O. BOX: 23667**

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٧ ○ رجب ١٤٠٠ هـ ○ مايو ١٩٨٠ م


## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


## الثمن

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

## وحي الاسراء والمعراج

من مجموع الروايات في حادث الاسراء والمعراج يتبين أن رسول الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترك فراشه في بيت أم هانيء بنت أبي طالب إلى المسجد الحرام . فلما كان في الحجر عند البيت أسرى الله به إلى بيت المقدس بالشام ، وعرج به من بيت المقدس إلى السموات السبع واحدة فواحدة ... الى سدرة المنتهى ... الى حيث سمع صريف الاقلام .

وتلقى عن ربه افتراض خمسين صلاة عليه وعلى أمته ، فما زال يسأل ربه التخفيف حتى جعلها الله خمسا في العمل وخمسين في الثواب . ثم نزل عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس ومنه إلى مكة في الليلة ذاتها .

وفي صباح ليلة الاسراء والمعراج حدث النبي قومه بالاسراء ، فاستنكروا ذلك وقابلوا قوله بالاستهزاء والسخرية وطلبوا منه وصف بيت المقدس ـ وكان بعضهم قد رآه ـ وأن يحدثهم عن عير لهم قادمة من الشام .

ورغم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصف لهم بيت المقدس وأعلنوا صدق وصفه ورغم أنه حدثهم عن عيرهم ، وأنها ستقدم يوم كذا مع طلوع شمس ذلك اليوم يقدمها جمل اورق ، ووصلت العير في الوقت الذي حدده يقدمها الجمل الذي وصفه ... رغم هذا كله لم يؤمنوا . بل ارتد بعض من آمن !!

والذين يدركون شيئا من طبيعة القدرة الالهية ، ومن طبيعة النبوة لا يستغربون حادث الاسراء والمعراج ذلك أن حادث الاسراء والمعراج ليس أغرب من الاتصال بالملأ الاعلى والتلقي عن الله ومن ثم كان رد أبي بكر رضي الله عنه ـ على من حدثوه بهذا النبأ مستنكرين أن قال لهم : « إني لأصدقه بأبعد من ذلك . أصدقه بخبر السماء » .

ولقد كانت النقلة العجيبة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والعروج إلى السموات والعودة إلى مكة في البرهة الوجيزة التي لم يبرد فيها فراش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية بينة تكشف عن

طاقات الانسان الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه تفضيلا ... وتكشف عن الاستعدادات اللدنية في اشخاص من يختارهم الله لرسالته .

قال تعالى : ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ) . وقال : ( ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) .

ولما كان المسجد الأقصى هو قلب الارض المقدسة التي اسكنها الله بني اسرائيل ثم اخرجها منها ، جاء في التوراة التي أنزلها الله على موسى لتكون هدى لبني اسرائيل إنذار خطير حيث اخبرهم الله بما سيكون منهم من افساد وبما يترتب على افسادهم من تدمير يتكرر كلما تكررت أسبابه طبقا لسنة الله الجارية بوجود العلاقة المباشرة بين مصارع الامم وفشو الفساد فيها . قال تعالى : ( وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ) وفي كلتا المرتين يسلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويستذلهم : ( فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ) .

وتظل هذه العقوبة قائمة عليهم جاثمة على صدورهم حتى إذا رجعوا إلى ربهم وأنابوا ، وحتى إذا طغى الفاتحون وافسدوا في الارض أدال الله للمقهورين من القاهرين ومكن للمستضعفين من المستكبرين ( ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ) .

ولكنهم لم يقدروا نعمة الله عليهم وافسدوا في الارض فبعث الله عليهم في المرة الثانية من عباده من دمرهم تدميرا شاملا ( فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ) .

وبعد هذا الانتقام بفترة ساق الله لهم رحمته مع الانذار بانهم إن عادوا إلى الافساد والطغيان عاد الله لهم بالعقوبة على أيدي عباد من عباده تنفيذا لوعده : ( عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ) .

لم يقدروا رحمة الله بهم بعد الانتقام منهم وعادوا للفساد والافساد فسلط الله عليهم من أخرجهم من الجزيرة كلها ثم سلط الله عليهم ( هتلر ) فلم يعتبروا وعادوا يفسدون في الارض في صورة ( اسرائيل ) التي استولت على ارض الفلسطينيين وشردتهم واذاقتهم الويلات

وهم الآن يعيشون في زهو الغرور الذي يصور لهم أنهم مستعلون وباقون إلى الابد ! ! ولكن هيهات ثم هيهات فسوف يسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعده القاطع ( وإن عدتم عدنا ) ووفاقا لسنته التي لا تتخلف في إهلاك الامم : ( وان غدا لناظره قريب ) .

إن إيحاء الاسراء والمعراج هو الذي بعث المسلمين الأولين إلى رفع راية الاسلام على بيت المقدس بعد ان رفعوها على المسجد الحرام ، وسيظل هذا الايحاء يملك على المسلمين قلوبهم ومشاعرهم نحو بيت المقدس ، ويدفعهم فرسانا أشداء يذودون عنه وعن الارض التي حوله كلما ثارت عليه قوى البغي والعدوان ( ودولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ) .

وإزاء هذا الاعتداء الصارخ ( من الصهيونية والصليبية والشيوعية ) على الأرض المقدسة وما حولها ، يفرض على المسلمين أن يعودوا إلى الاسلام عودا صحيحا ، فيجعلوه أساس سلوكهم ، ومنبع تصرفاتهم ، وأن يتوحدوا على أساسه ، وأن يكونوا الكتائب الاسلامية التي تستعذب الموت في سبيل الله ، وأن يسلحوها ـ في كل مجال ـ بأحدث وأقوى أسلحة العصر .

وبقيادة مؤمنة ـ تأبى الدنيا الذليلة ، وتعرف سمو الموتة الشريفة ، وتقدر الجهاد في سبيل الله حق قدره ـ تستطيع تلك الكتائب أن تسوم المعتدين العذاب ، وأن تطهر الأرض المقدسة من رجسهم ، وأن تعيدها إلى أهلها في ظل الايمان بالله والعمل بشريعته .

ذلكم هو السبيل الذي رسمه الله وأمر به ، وهو السبيل الذي سلكه المسلمون الأولون ضد أعدائهم في معارك شتى ، ففازوا وانتصروا ، ولا سبيل سواه : ( **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ) .

وإزاء تكتل الكفر ضد الاسلام في كل مكان ، وعمله على إبادة المسلمين واستلاب حقوقهم ، يتحتم على جميع المسلمين في العالم ـ صيانة لحاضرهم ، وتأمينا لمستقبلهم ـ أن يقابلوا هذا الخطر « بتجمع إسلامي » يقوم على العقيدة والشريعة والوحدة ، وتطهير المجتمع من المنافقين والعملاء ، والنجدة الصادقة لكل جبهة إسلامية تواجه بهذا العدوان ... وإلا كانت الفتنة العارمة والدمار الشامل والفساد العريض ، وصدق الله في قوله : ( **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ) .

نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه .

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# كيف تتكون الاتجاهات والعقائد

للدكتور/عبد الرحمن محمد عيسوي

تؤثر اتجاهات الفرد وميوله وعقائده وآراؤه تأثيرا كبيرا في حياته وحياة المجتمع الذي يعيش في كنفه . ولذلك تصبح دراسة الاتجاهات والآراء والعقائد ذات أهمية خاصة في فهم سلوك الفرد وتوجيهه الوجهة الصحيحة . فيجدر دراسة كيفية تكوين هذه الاتجاهات ومعرفة العوامل التي تؤثر في تغييرها او تعديلها أو المحافظة عليها وتقويتها . وأول ما يتبادر إلى الذهن هو تحديد مفهوم الاتجاه باعتباره من العوامل التي تهيىء الفرد وتعده للسلوك . وهناك تعاريف متعددة للاتجاه من أكثرها شيوعا انه يمثل الاتجاه نحو أو بُعْدَ عن موضوع ما ، كمفهوم أو كمعنى من المعاني أو موقف من المواقف والتهيؤ للاستجابة بطريقة معينة مقررة سابقا نحو هذا الموضوع أو الموضوعات المرتبطة به أو نحو المفاهيم أو المواقف . ويؤدي تحليل هذا التعريف إلى أن الاتجاه يتضمن عناصر متعددة ، منها العناصر العقلية المعرفية والادراكية

والانفعالية أو النفسية والدوافع أو الدافعية ، وفوق كل هذا يتضمن عناصر لا شعورية لا يدركها الفرد ولا يفطن إلى وجودها . وذلك باعتبار أن الاتجاه عبارة عن توجيه نحو شيء ما ، ثم الاستعداد للاستجابة نحو هذا الموضوع بطريقة معينة . والدليل على وجود عنصر لا شعوري في الاتجاه أنك قد تقول : « إنني لا أحب هذا الشخص » وإذا ما سئلت فانك تقول : « لاسباب لا أعرفها أو بدون أسباب على الاطلاق » . ومن أمثلة الاتجاهات اتجاهنا نحو القومية العربية أو القومية الاسلامية أو الوحدة العربية والاسلامية ونحو اشتغال المرأة وتحررها ، أو نحو كبار السن أو نحو الصهيونية . أو نحو تحديد النسل أو نحو العلم الحديث ، فاتجاهنا نحو القومية الاسلامية والمسلمين مثلا يتضمن كل ما نشعر به من عواطف نحو الاسلام والمسلمين ، وما نحس به من روابط تربطنا بالتراث الاسلامي وبالأمجاد الاسلامية ، وبأخوتنا المسلمين في شتى مشارق الأرض ومغاربها ، كما يتضمن معارفنا ومعلوماتنا عن مبادىء الاسلام ومثله ، ورسالته وأهدافه وتاريخه ، وأصالته وعراقته في التاريخ ... كما يتضمن مجموعة من الدوافع التي تجعلنا نسلك سلوكا ايجابيا معينا كلما أثير أمامنا موضوع يتعلق بالاسلام والمسلمين ، وقد يتضمن جوانب لا شعورية عندما نقول : إننا نحب ديننا الاسلامي وثقافتنا الاسلامية وحياتنا الاسلامية ، دون أن نبدي سببا لذلك أو دون أن نعرف سببا محددا لذلك الحب ، ومعنى هذا أن حب الاسلام والمسلمين ضارب في أعماق نفوسنا ، ويتجاوز هذا الحب حدود الشعور إلى اللاشعور .

## كيف ينمو الاتجـاه :

تنمو الاتجاهات الدائمة من خلال العديد من خبرات التعلم والاكتساب ولقد افترض البورت Alport عدة شروط ينمو الاتجاه خلالها هي :

١ ــ تكامل الاستجابات التي يتعلمها الطفل في أثناء نموه ، فاذا نشأ الطفل في أسرة مؤمنة بالقيم الدينية والخلقية فانه يتعلم منها احترام المعاني الدينية وتقديسها ، وكذلك المثل الخلقية .

٢ ــ عن طريق عملية التفريد أو التمييز أو فصل وعزل الخبرات بعضها عن بعض . ذلك لأن الخبرات لا تتراكم وحسب ، وإنما أيضا تتضح وتتحدد معالمها وتتخذ نمطا أو نموذجا معينا . وعلى ذلك فهناك بعض الاتجاهات التي تصبح أكثر تحديدا وتمايزا بتقدم الفرد في العمر .

٣ ــ تتأثر الاتجاهات ببعض الخبرات الدرامية المفعمة ، فقد تؤدي خبرة واحدة أو موقف واحد الى آثار باقية في عقل الفرد . فاذا حدث أن انقذك من الغرق شخص معين ينتمي الى طائفة لم تكن تحبها ، فان هذا الحادث قد يغير اتجاهك نحو ارباب هذه الطائفة : من الكراهية إلى الحب . والعكس صحيح فاذا

تعرضت لخيانة أو لغش من احد أبناء فئة معينة فقد تغير اتجاهك نحو ابناء الطائفة برمتها .

٤ ـ قد نعتنق الاتجاهات المعدة والجاهزة ، وذلك عن طريق التقليد والمحاكاة لما يدين به الآخرون من اتجاهات وعقائد .

وبعد تكوين الاتجاه ورسوخه يصبح سمة من سمات شخصية الفرد . كذلك فان اتجاهات الفرد تؤثر وتتأثر بالحياة الاجتماعية التي يحياها .

وواضح ان اتجاهنا إزاء موضوع معين قد يكون ايجابيا كالحب أو سلبيا كالكره أو المعارضة . ذلك لان الاتجاه في جوهره تنظيم دائم للعمليات الادراكية والدافعية والانفعالية والتوافقية التي تتركز حول موضوع معين . فاذا ادرك الانسان الاسلام على أنه دين السلام والمحبة والتعاون والاخذ والعطاء والتكامل والتماسك الاجتماعي والاخاء والشورى والرحمة والعدل والنظام والعمل .... وإذا شعر بالسعادة كلما ذكر الاسلام امامه ، وإذا كان يسعى دائما أن يكون على صلة وثيقة بالاسلام وتراثه وكان يسعى دائما لنصرة الاسلام والمسلمين ، فاننا نقول ، بالمفهوم النفسي ، إن لديه اتجاها ايجابيا نحو الاسلام والمسلمين كأخوة وكأصدقاء ومن ثم فهو يعمل على مساعدتهم .

والاتجاه قد يكون نحو شخص معين أو جماعة من الناس أو نحو هيئة أو مؤسسة أو ثقافة أو مذهب أو فلسفة أو دين أو فكرة أو دعوة أو نداء أو شعار . ولذلك لدينا اتجاهات نحو المرأة ونحو المسجد والمذاهب والأحزاب السياسية .. وعلى الرغم من أنه من الممكن نظريا أن يكون لكل منا اتجاه نحو كل موضوع من الموضوعات المحيطة به إلا أنه لا يكون اتجاهات الا للموضوعات ذات المغزى النفسي عنده ، فليس لكل منا اتجاه نحو المؤسسة الكهربية بالمدينة مثلا أو نحو فريق لكرة القدم . فلا بد أن يكون للموضوع أهمية ودلالة نفسية بحيث تتبلور انفعالاتنا نحوه مكونة اتجاها معينا . ومن أجل ذلك فان معرفة اتجاهات الفرد تفيدنا في التنبؤ بسلوكه في المستقبل إزاء الموضوعات التي تدور حولها اتجاهاته .

ومن خصائص الاتجاهات أنها قد تكون سلبية أو إيجابية وقد تكون معتدلة أو متطرفة قوية أو ضعيفة ويختلف المحتوى المعرفي أو الادراكي للاتجاه من فرد إلى آخر . ذلك لآن فكرة كل منا عن القومية العربية مثلا وأساسها العقلي أو المعرفي ليس بالضرورة أن تكون واحدة عند المجتمع . فقد يراها فرد معين على أنها وحدة المشاعر وآخر على أنها وحدة القيم وثالث على أنها وسيلة التقدم والرخاء والقوة . وإن كان الجميع لديهم اتجاهات ايجابية موالية للقومية العربية مثلا . كذلك تختلف الاتجاهات من حيث درجة تمايزها ووضوحها وجلائها وتمركزها وتحديد بنائها وتكوينها ، وقد يكون الاتجاه غامضا خافتا

ضعيفا هش التكوين أو البناء أو التحديد ، فقد يكون الواحد منا اتجاها واضح المعالم قويا نحو القومية الاسلامية أو التراث الاسلامي وإحيائه ، ولكن قد يكون لديه اتجاه خافت وضعيف وغير واضح نحو « العلم » فقد لا يعرف اهداف العلم أو فروعه ولا الفرق بينه وبين الفن ، ولكنه يقف بصورة عامة إلى جانب العلم ويعتبره عملا قيما يستحق التأييد . ويختلف الاتجاه ايضا في درجة انعزاله وانفصاله عن بقية الاتجاهات الأخرى لدى نفس الفرد . فاتجاهنا نحو العلم قد يكون مرتبطا أو منفصلا عن اتجاهنا نحو العمل أو نحو التكنولوجيا أو نحو الدين أو نحو السياسة . فقد يتصل الاتجاه المعين بالاتجاهات الاخرى وقد ينفصل عنها ، وقد يؤثر فيها ويتأثر بها وقد يكون مستقلا . كذلك تختلف الاتجاهات من حيث شدتها أو قوتها وضعفها . فهناك اتجاهات تستمر لفترات طويلة من الزمن على الرغم من وجود عوامل معارضة لها ، وظهور أدلة تناقضها وتعرضها لكثير من الضغوط . وهناك اتجاهات ضعيفة تتغير بسرعة عند تعرضها للضغط . ويصبح الاتجاه قويا كلما زاد شعور الفرد نحوه وكلما زاد تمايز محتوياته المعرفية العقلية وكلما زاد تكامله مع بقية الاتجاهات الاخرى . ويصبح الاتجاه اكثر مقاومة للتغيير كلما كانت قيمه مركزية او اساسية في بناء الشخصية وفي تكوين عقائد الفرد وعقائد جماعته . ويقودنا هذا إلى التساؤل عن أثر الاتجاه في حياة الفرد .

## وظائف الاتجاه :

يساعد الاتجاه الفرد على ان يسلك إزاء موضوعات معينة بطريقة ثابتة فيها استمرارية وتنظيم ، كما يساعده على تحقيق الكثير من أهدافه ، والدفاع عن صورة ذاته ، والانسان في سعيه للحصول على معاني الاشياء او دلالتها يكون ازاءها اتجاهات معينة . فالانسان عندما تواجهه الحروب أو الازمات الاقتصادية أو الكوارث ، فانه يكون اتجاها مؤيدا أو معارضا ، فيه تسامح أو تعصب ، ويبحث عن تفسير لظواهر الحرب أو الثورات يقبله ويفهمه . وعن طريق ما يدين به الفرد من اتجاهات يستطيع ان يقوي من شعوره بالامتثال لفئة ما أو لجماعة بشرية معينة ولعقائدها ، وعن طريق الاتجاهات يمتثل الفرد للجماعة ، وبذلك تقبله عضوا فيها ، او تساعده في الحصول على وظيفة معينة . ويفيد الاتجاه في الدفاع عن الذات ، والتخفيف من حدة شعورها بالذنب ، فالشخص الذي يدمن التدخين مثلا ، نجده يشك في كل المعطيات العلمية والطبية التي تقدم ادلة واضحة على الاضرار الجسيمة للتدخين وبذلك يدفع عن نفسه الشعور بالذنب .

ومن الأهمية بمكان أن نبحث في كيفية نمو هذه الاتجاهات وكيفية تطورها .

## نمو الاتجاهات

من المعروف أن الاتجاهات مكتسبة أو متعلمة وليست فطرية أو وراثية . ولمعرفة العوامل التي تؤثر في تكوين اتجاه فرد ما لا بد وأن ندرس بيئته الثقافية وعضويته في كثير من الجماعات البشرية ومن أولها جماعة الأسرة ، ثم النادي ثم المدرسة والمسجد أو جماعات العمل ، كما ينبغي أن ندرس سمات شخصيته الأخرى ومكوناتها .

يرى كثير من علماء النفس أن هناك مؤثرات ثقافية كثيرة تشكل وتكون اتجاهات الفرد وتصبغها بطابع معين . من ذلك وجود ارتباطات قوية بين اتجاهات الفرد والمؤسسات الدينية والسياسية والسلالية والاقتصادية التي يعيش في كنفها . فقد يتصف أرباب فئة دينية معينة بالمحافظة بينما يتصف آخرون بالتحرر . ولكن الثقافة المتشابهة لا تنتج بالضرورة اتجاهات متشابهة في مختلف الأفراد . فالمسجد والمدرسة والنادي وجماعة الجيرة والعمل لا تؤدي بالضرورة الى خلق اتجاه واحد في كافة الأفراد . انما البيئة تضع الحدود العامة وتترك المجال واسعا امام الفروق الفردية بين الأفراد لكي يختار كل منهم الاتجاه الذي يلائمه . ويتوقف هذا الاختيار على الجماعة البشرية المباشرة أي اسرته وعلى تكوين شخصيته .

ولقد دلت دراسات عديدة على أن الطفل اكتسب على سبيل المثال اتجاهات التعصب بعد المعيشة لفترة معينة مع أسرته التي تدين هي أيضا بالتعصب ضد زنوج امريكا . ذلك لأن الطفل يكتسب عقائد الآباء ويخضع لارشادهم وتوجيههم ولتعاليمهم وحتى لثوابهم وعقابهم . وفي احدى دراسات عالم النفس البورت قرر ٦٩٪ من مجموع طلاب جامعة امريكا أنهم تأثروا في اتجاههم في التعصب بالآباء .

كذلك فان اتجاهات الفرد تتأثر بنوع شخصيته التي تتأثر هي بدورها بنوع تربية الآباء ومعاملتهم للطفل . ولقد وجد أن الشخصية الدكتاتورية المتسلطة تهيىء صاحبها للاتجاه العدواني نحو الأقليات السلالية ، ولخلق اتجاه خلقي جامد جاف .

وهنا نتساءل هل في الامكان تغيير الاتجاهات أو تعديلها أو حذفها كلية وغرس غيرها وهل من الامكان تقويتها ؟

## تغيير الاتجاهات

من الممكن تغيير اتجاهات الناس وتعديلها عن طريق وسائل الاقناع المختلفة وعن طريق نقل عضوية الفرد من جماعة إلى أخرى أو تغيير موقف أو مكان الفرد أو عن طريق التعليم والارشاد والتوجيه . ولقد وجد أنه اذا غيرت الجماعة التي ينتمي اليها الفرد اتجاهها فان الفرد يغير اتجاهه أيضا . فقد وجد أن اتجاهات الطالبات الاناث تتغير بمرورهن في سني الدراسة الجامعية المختلفة من الفرق الاولى حتى الفرقة النهائية

وذلك نحو التحرر العقلي ، وذلك عن طريق انتمائهن إلى الجماعات الطلابية التقدمية . فالفرد يتأثر باتجاه الجماعة التي ينضم إليها . وإذا تغير موقف الفرد الاقتصادي وانتقل من الفقر إلى الغنى فان اتجاهاته تتغير أيضا على القليل إزاء النظم الاقتصادية والعكس صحيح إذا أحاطت به ضائقة مالية تغير اتجاهه ليناصر الفقراء .

وقد يتغير اتجاه الفرد نتيجة لصدور بعض التشاريع التي تحتم عليه القيام بسلوك معين ، كأن تلزم جماعة من البيض المعيشة مع جماعة من الزنوج في نفس الحي . فلقد لوحظ أن اتجاه البيض نحو الزنوج أخذ في التحسن أكثر من أولئك الذين ما زالوا يعيشون بعيدين عن الزنوج . كذلك تسهم المعلومات الجديدة التي يكتسبها الفرد في تعديل اتجاهه نحو الموضوع الذي اكتسب حوله مفاهيم ومعلومات وخبرات جديدة عن طريق الاتصال أو الاحتكاك ، وقد يكون هذا التعديل بالسلب أو بالايجاب . ومن هنا تبرز اهمية القدوة الحسنة امام اطفالنا حتى يكتسبوا الاتجاهات المرغوب فيها . كذلك فان الوظائف التي يوضع فيها الفرد قد تؤدي الى تغيير اتجاهه . كذلك فان تغيير موضوع الاتجاه نفسه قد يؤدي إلى تغيير اتجاهنا نحوه . فاذا غير حزب من الاحزاب السياسية فلسفته وبرامجه ربما أصبح أكثر جذبا لاتجاهات الناس عن ذي قبل . وبالمثل الاشخاص فكلما زاد المسلم تعلما وقوة وانسانية كلما زاد إعجاب الناس بالدين الاسلامي . وكذلك كلما زاد تعلم الفرد كلما قل تعصب اصحاب الأعمال ضده ، وكلما زادت فرصته في الحصول على الوظيفة التي يرغبها .

وتلعب المعلومات والحقائق التي يزود بها الفرد دورا رئيسيا في تكوين اتجاهه على شرط أن تشرح له هذه الحقائق شرحا وافيا . ومن مصادر المعرفة : العلماء ، والفلاسفة ، والمفكرون والكتاب ، والمعلمون ، والمرشدون ، والكتب ، والوعاظ ، والصحف ، والمجلات ، والسينما ، والتلفزيون ، والاذاعة ، ورجال السياسة ، والاصلاح الاجتماعي ، ورجال الاعمال ، والاطباء ، والمحاماة ، والقضاة ، والمهندسون ، وكافة الخبرات في شتى مجالات العلم والفن والفكر . كل هذه الوسائل تهم في تزويدها بالمعلومات على شرط أن تكون محل ثقتنا ، وكذلك المتاحف والمعارض والمسارح ومواقع العمل أو الآثار نفسها ومظاهر الطبيعة . وتتوقف فاعلية هذه المؤثرات على طريقة عملها وعلى أسلوب العرض وعلى شخصية الخبير نفسه وعلى مقدار ثقتنا في عدم تحيزه . ولقد وجد ان أسلوب الاقناع الذي يثير الخوف في المتعلم لا يؤثر تأثيرا ايجابيا كالأسلوب الذي يوضح فوائد الاتجاه نحو النظافة مثلا دون أن يثير في الفرد الخوف من آثار عدم النظافة على الصحة ، فالخوف قد يؤدي الى نتائج عكسية ، وكراهية مصدر الاقناع ورفض أفكاره ، ويتوقف قبول المعلومات على مدى ذكاء

الفرد نفسه . فالذكاء يساعد على فهمها . ولكنه يساعد أيضا على نقدها .

ولقد دلت بعض البحوث على أن قبول المعلومات يتوقف على بعض سمات شخصية الفرد ، مثل عدم الملاءمة الاجتماعية وقمع العدوان والاكتئاب وذلك لأن هؤلاء الاشخاص الذين ينخفض عندهم الشعور بالاحترام بالذات يخافون اكثر من الرفض الاجتماعي لمخالفتهم لآراء الجماعة وعلى ذلك فهم أكثر استعدادا لقبول الدعاية أو الاعلام .

ومع قبول الاتجاهات للتعديل إلا أنها تقاومه عادة وتحاول أن تحافظ على نفسها .

## الدفاع الذاتي عن الاتجاهات

من الوسائل الدفاعية انسحاب الفرد بعيدا عن مصادر الاتجاه الذي لا يرغبه ، فالشخص المعادي للشيوعية يبتعد عن سماع الاذاعات أو قراءة الصحف والكتب وسماع المحاضرات عن الشيوعية وبذلك يسدل الستار بينه وبين المؤثرات المضادة .

ومن العوامل التي تساعد على بقاء الاتجاهات أيضا أن الفرد حتى إذا تعرض لمؤثرات مضادة ولم يستطع أن يسحب نفسه منها ، فانه ينتقي ويختار ما يناسبه من تلك المؤثرات الكثيرة التي تسقط على حواسه . فالمعروف أن عملية الادراك في الفرد عملية انتقائية . بل إن ما يتذكره الفرد أو ما يستطيع أن يحفظه أيضا هو انتقائي فقد يدرك الكثير ، ولكنه يتذكر ما يريد تذكره وما يتفق مع اتجاهاته كذلك فان الاتجاه في حاجة دائمة إلى ما يعززه ويدعمه ويقويه بالمعلومات والحقائق المؤيدة له .

ويعتمد تعليم الاتجاهات على كافة مبادىء التعلم الجيد في المجالات الاخرى حيث يعتمد على مبادىء الادراك العقلي وعلى توفر الدوافع لدى المتعلم وينبغي أن يشبع حاجات الفرد إذا لم تكن هذه الحاجات موجودة فان المعلم عليه ان يخلقها في المتعلم ، وأن يوضح ما استغلق فهمه على المتعلم من مواقف أو حقائق حيث يقدم التفسيرات الملائمة للمواقف الغامضة . كما ينبغي ان تتمشى المعلومات الجديدة التي يريد تلقينها للطفل أو الراشد مع أمهات الثقافة العامة التي يعتنقها . وقد يدعو للشيء ليس بطريقة مباشرة وانما عن طريق اظهار آثاره أو نتائجه الايجابية كالدعوة للانضمام للجيش مثلا ببيان فوائد ذلك على الصحة والعقل والوطن ، ويمكن استخدام الشخصيات اللامعة والبراقة اجتماعيا ، كما يقنع الفرد بان ما يدعو إليه إنما يمثل رأي الأغلبية ، ومن ثم وجب اعتناقه حتى يكون الفرد في انسجام مع بقية المجتمع . كذلك يجب أن يصيغ الباحث ما يدعو إليه في شكل مبسط ومختصر وسهل وأن يعتمد على التكرار غير الممل أي التكرار مع التنوع . وعلى ذلك فلمقاومة الاتجاهات المضادة لا بد من إشباع حاجات الناس .

من وحي النبوة

# المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال

روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الأقصى » ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدي » .

[ صحيح البخاري ـ كتاب الصلاة ـ ابواب التطوع ـ باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ] ـ

تخريج الحديث :

رواه الامام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » .

ورواه من طريق أخرى بلفظ « تشد الرحال الى ثلاثة مساجد .. »

بدون ذكر « لا » و « الا » .

ورواه من طريق ثالثة عن سليمان الأغر أنه سمع أبا هريرة يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما يسافر الى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ، ومسجدي ، ومسجد ايلياء » [ صحيح الامام مسلم – كتاب الحج – باب فضل المساجد الثلاثة ] .

وأخرج الحديث ايضا الامام ابو داود في سننه – في كتاب الحج .

والامام النسائي في كتاب الصلاة ، فالحديث رواه أربعة من أصحاب الكتب الستة .

### « الشرح والبيان »

بالنظر في روايات الحديث الواردة في الصحيحين نجد أن الترتيب جاء في رواية الامام البخاري الأولى ، ورواية الامام مسلم الأولى ، والثالثة على حسب الفضل والمنزلة ، وذلك بذكر المسجد الحرام أولا ، ثم المسجد النبوي ثانيا ، ثم المسجد الأقصى ثالثا ، وجاءت الرواية الثانية في صحيح مسلم بتقديم المشاهد الحاضر وهو المسجد النبوي على المسجدين الآخرين ، وإن كانت « الواو » في اللغة العربية لا تفيد ترتيبا ، وإنما هي لطلق الجمع والتشريك في الحكم ، وقد جاء الترتيب في رواية البخاري الثانية على حسب التقدم الزمني .

ومن هذه الروايات ايضا يتبين لنا أن معظم الروايات جاءت بطريق الحصر ، اما « بلا » و « إلا » كما في رواية البخاري ورواية مسلم الأولى ، واما بطريق الحصر « بانما » كما في رواية الامام مسلم الثالثة ، وبعضها جاء بغير حصر كما في رواية الامام مسلم الثانية فيكون المعول عليه ما جاءت به معظم الروايات وهو الحصر حملا للمطلق على المقيد .

فان كان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث غير مرة فيكون من التفنن في العبارة ، والا فيكون الاختلاف في الحصر وعدمه ، وفي الترتيب من تصرف الرواة لدخوله تحت جواز الرواية بالمعنى ، ومن هذا العرض للروايات ، ومع ملاحظة ان الواو لا تفيد ترتيبا ، نرى أنه لا اختلاف في الحقيقة بين الروايات ، وانها على سواء ، وكفاها الله شر الاختلاف والتناقض .

وهذا من الأمور المهمة التي أحرص عليها غاية الحرص في دراسة السنة ، وهو التوفيق بين الروايات والأحاديث توفيقا قريبا مقبولا .

و « الرحال » جمع رحل ، وهو للبعير كالسرج للفرس ، وهو دون القتب – بفتح القاف والتاء – و « لا » نافية .

وشد الرحال كناية عن السفر وذلك كما في رواية مسلم الثالثة « انما يسافـــر ... » وخـــير ما يفسر به الحديث ما جاء في رواية أخرى ، لأن الروايات يفسر بعضها بعضا .

والحديث في هذا التعبير العربي الأصيل خرج مخرج الغالب ، والكثير في العصر الأول من أن أغلـــب الأسفار ، ولاسيما البعيدة ، كانت على الجمال والنياق ، وإلا فيستوى في شد الرحال السفر على الدابة ، أو السفر على قاطرة أو سيـارة ، أو السفر على طائرة ، أو السفر على فلك أو باخرة ، أو المشي على الأقدام ، وذلك بدليل رواية « إنما يسافر .. » وجملة « لا تشد الرحال ... » خبرية لفظا إنشائية معنى ، يعني أنهـا سيقت مساق النفي ، والمراد النهي ، فكأن النبي صلى الله عليه وسلـم قال : « لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد » واستعمال النفــي وإرادة النهي أسلوب بلاغي استفــاض به القرآن المعجز المبين ، واستفاضت به الأحاديث النبوية التي جاءت من قول النبي صلى الله عليه وسلم ومن أسرار البلاغة في هذا ، الاشــارة إلى أن النهي امتثل ، فأصبح أمرا واقعا مخبرا عنه وأيضا فالنفس البشرية من طبعها التأني عن الأوامر والنواهي فيكون في ذكره بصيغة النفي حمل على الامتثال فلله در كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تشــدوا الرحال ، ولا تسافروا إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه ، والعبادة إلا إلى هذه المساجد الثلاثـة المشرفـة في الأرض ، والدليل على أن متعلق النهي عن شد الرحال هي الصلاة ، ما رواه الامام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغي الصلاة فيه غير المسجد الحرام ، والأقصى ، ومسجدي هذا » وإسنـــاده حسـن وأيضا فشد الرحال إلى هذه المساجد لن يكون إلا للصلاة ، والتعبـد ، والأصل في المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه .

وبهذا التقدير المأخـوذ من كلام النبوة لا يكون الحديث منافيا ، ولا محرما لشد الرحال لطلب العلـم ، وللجهـــاد ، وللسعـــي في الأرض بالتجارة ، ونحو ذلك فهذه أمور أجمع العلماء على مشروعيتها ، بل قد تكون مستحبـة ، بل قد تكون واجبـة ، ودلائل ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصى .

والمساجد : جمع مسجد ، وهو في اللغة مكان السجود ، ويطلق ويراد به المكان المعد للعبادة ، وهو المراد هنا وكسر الجيم في المسجد أمر سماعي وإلا فالقياس في مثل هذا فتح الجيم ، قال الفراء : « كل ما كان على فعل يفعل مثل دخل يدخل – يعني بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع – فالمفعل منه بالفتح اسمـا كان أو مصدرا إلا أحرفا – يعني كلمات – ألزموهـا كسر العـــين من ذلك : المسجــد ، والمطلــع ، والمشرق ، والمغـرب ، والمسقـط ، والمفـرق ، فجعلوا الكسر علامـة الاســم ...

قال : والفتح في كلها جائز وإن لم نسمعه » [ لسان العرب ـ مادة سجد ] .

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم المساجد الثلاثة بقوله : « المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الأقصى » و « المسجد الحرام » إما مجرور على البدلية ، وإما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، يعني : هي المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، ومسجد الأقصى .

وهذا الأسلوب أسلوب الاجمال ، ثم التفصيل والبيان ، من الأساليب العربية الأصيلة في التربية والتعليم ، والتثقيف ، لأن ذكر الشيء مجملا مما يجعل النفس تتشوف إلى معرفته ، فاذا جاء البيان تمكن في النفس غاية التمكن ، وإليكم ـ ياقارئي الكرام ـ تعريفا بهذه المساجد الثلاثة :

**المسجد الحرام :** والمراد به مسجد مكة بلد الله الحرام ، وسمي « حراما » لأن الله سبحانه وتعالى عظمه ، وشرفه ، وحرمه وما حوله من يوم أن خلق السماوات والأرض ، وجعله مثابة للناس ، وأمنا فلا يقتل به عائذ ، ولا يهاج فيه حيوان ، ولا يصاد فيه طير ، ولا تقطع شجره ، ولا يختلى خلاه ـ أي لا يجز ولا يقطع عشبه الذي ينبت من غير استنبات الناس ـ فالحرام أمان للانسان ، والحيوان ، والطير ، بل والجماد وصدق الله تبارك وتعالى حيث قال : **( ومن دخله كان آمنا )** آل عمران/٩٧ . آمنا على نفسه ، وآمنا على عرضه ، وآمنا على ماله ، وهذا هو المكان الوحيد في الأرض الذي جعله الله حرما آمنا من يوم الخليل ابراهيم عليه السلام إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، وأحر بالمسجد الحرام أن يكون حرما آمنا ، وهو وما حوله من مكة ، وماحواليها الى حدود الحرم المعروفة من لدن أبي الأنبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، والتي وضعت عليه النصب من جهاته الأربع ، والنصب هى حجارة نصبت لتكون علامات على حدود الحرم يراها من يقدر الله تبارك وتعالى ان يزور هذه البقاع المقدسة حاجا ، أو معتمرا .

« ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم » وفي رواية للامام مسلم « ومسجدي هذا » وفي رواية « ومسجدي » فان كان الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة فيكون من التفنن في العبارة وهكذا شأن الفصحاء البلغاء ، وإن كان الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة فيكون المرجح عندي أن يكون لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم هى رواية « ومسجدي هذا » لما فيه من الاشارة المفيدة للتأكيد من أن ذلك من قول الرسول ويكون ماعداها من قبيل التصرف من الرواة لدخوله تحت جواز الرواية بالمعنى ، ومثل هذا لا يترتب عليه أي ضرر ما من جهة استنباط الحكم أو المعنى ، واياً كان التعبير « مسجدي هذا » أو « مسجدي » أو « مسجد الرسول

صلى الله عليه وسلم » فالحكم لا يختلف .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم » من التفخيم ، والتكريم لشأن المسجد النبوي ما فيه ، فكأنه قال : والمسجد المنتسب إلى الرسول الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين والذي أخرجكم من الظلمات إلى النور : من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الايمان والتوحيد ، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ظلمات الجاهلية وخرافاتها وضيقها ، إلى نور الاسلام ، وسماحته ، ويسره « ومسجد الأقصى » وفي الرواية الأخرى « ومسجد ايلياء » .

المراد بالمسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس ، و « ايلياء » هى القدس فلا خلاف بين التعبيرين ، ووصف بالأقصى ، لبعد المسافة بينه وبين البيت الحرام الذي هو اول بيت وضع مشرفا في الأرض ، وقيل : لبعده عن الاقذار والخبائث الحسية والمعنوية وليس هذا بالوجه المقبول في تعليل الوصف بالأقصى ، لأن الكعبة البيت الحرام كذلك منزهة عن الأقذار والخبائث ، وصدق الله تبارك وتعالى حيث قال : **( وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود )** البقرة/١٢٥ .

والاضافة في قوله : « ومسجد الأقصى من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة ، ومثل ذلك في الكتاب المعجز المبين ، قول الله تعالى : **( وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين )** القصص/٤٤ .

## ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب :

هذا الحديث ظاهر الدلالة على فضيلة المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد ، وفضيلة شد الرحال إليها ، وتحمل الأسفار ، والمشاق ، والمتاعب في سبيل زيارتها والصلاة فيها ، والتعبد بها ، والمساجد بعامة وان كانت أشرف البقاع في الأرض إلا أن هذه الثلاثة لها من الخصائص والمميزات ما ليس لغيرها من المساجد الأخرى ، واليكم بيان هذه الخصائص أن كل مسجد من هذه المساجد الثلاثة قد بناه نبي من الأنبياء والمرسلين .

فالكعبة المشرفة قد بناها ابو الأنبياء وخليل الرحمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعاونه ابنه الذبيح اسماعيل عليه الصلاة والسلام قال عز شأنه **( واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم )** البقرة/١٢٧ ـ ١٢٩ .

وقد استجاب الله الدعاء ، فقد تقبل عملهما وبارك فيه غاية البركة ، فكان ما بنياه مثابة للناس وآمنا ، يثوبون إليه من كل أطراف الدنيا ، فيجد فيه الخائف أمنته والمستجير ملاذه ، والمتعبد ما يقضي حاجات نفسه ، والداعي استجابة دعائه وتقبل الله دعاءهما فكانت هذه الأمة المسلمة التي هى من ذريتهما هى الأمة الاسلامية ، وكان النبي المبعوث فيها هو نبي آخر الزمان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فتلا عليهم القرآن ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وزكاهم بأن أخرجهم من الظلمات إلى النور .

وأما المسجد الأقصى فالذي بناه هو الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويكون الخليل بعد أن بني الكعبة البيت الحرام أمره الله تعالى ببناء بيت المقدس ، وقيل بناه حفيده يعقوب بن اسحاق عليهما الصلاة والسلام .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان بسندهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال « قلت يارسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد » .

فجائز جدا ان يكون الخليل بعد أن بنى الكعبة بمعاونة ابنه اسماعيل أمره الله بعد أربعين سنة من بناء الكعبة ببناء بيت المقدس ، او يكون ابنه اسحاق ، أو حفيده يعقوب قد قام ببناء بيت المقدس بعد بناء الكعبة بأربعين عاما .

ولا يشكلن على القراء الكرام ما اشتهر من أن باني بيت المقدس هو سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، لأن سليمان لم يكن بانيا له من الأصل وانما كان مجددا فمثله كمثل من جددوا بناء الكعبة بعد بناء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

وأما المسجد النبوي بالمدينة فبانيه هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين ، وهذا أمر ثابت في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما من كتب الأحاديث ، والسنن ، والمسانيد ، وهذا أمر نقله الخلف عن السلف حتى بلغ حد التواتر المفيد للقطع واليقين ، وللمسجد النبوي في قلب ونفس وشعور كل مسلم ذكريات ، وذكريات لا يكفي في بيانها مقال ، ولا بضعة مقالات ، وإنما هو أمر يحتاج إلى كتاب برأسه .

وإذا كان المساجد الثلاثة المشرفة بهذه المثابة ، وبهذه المنزلة الكريمة ، ولها ذكريات حبيبة الى قلب كل مسلم ومسلمة فهي جديرة بأن تشد إليها الرحال ، وأن يعكف على العبادة فيها من يشاء ، ففي ساحاتها تسكب العبرات ، وتستجاب الدعوات ، وتتنزل الرحمات ، وتنفح الأعطيات ، وان لله تبارك وتعالى في أيام دهركم لنفحات ، فتعرضوا لها .

# حوار جاد حول التقليد والاجتهاد

للشيخ/ محمد الغزالي

أحب للمتحدثين في الاسلام ـ وأنا منهم ـ أن يرزقوا سعة العلم وعمق الفقه ، إن فقر العلم كفقر الدم لا يعين على نشاط ولا يجود معه إنتاج ، وغزارة العلم مع ضحالة الفقه تضليل للسعي وضياع للثمرة ..

وكثيرا ما أستشعر الضيق في مواجهة صنفين من الناس ، صنف حار العاطفة قليل الدراية ، وصنف ظاهر الجحود لأنه لا يدري شيئا ، أو يدري الأمور على نحو بعيد عن الحقيقة .

وعصرنا هذا عصر حضارة ذكية الفكر عارمة الهوى .. وليس يجدى في تقويمها إلا أصحاب بصائر نيرة ، وقلوب عامرة ، لهم من رحابة الاطلاع والأفق ما يسدد حكمهم ويقنع خصمهم .

وقد آلت الينا في هذا العصر مواريث عقلية ونقلية ضخمة ، تمثل جهد آبائنا في خدمة الاسلام وعلومه ، كما أن غيرنا لديه أشياء كثيرة يستريح إليها ولا يتنازل عنها بسهولة ترى هل أحسنا الافادة مما ورثنا ؟ ثم هل عرضناه ـ بعد ـ العرض الذي يهيىء له القبول ؟ رأيي لا ، وبيننا وبين الخدمة الناجحة للاسلام أمد بعيد .

وسأسوق بعض المجادلات التي دارت بيني وبين قوم يشتغلون بالقضايا الفقهية لعل في سوقها ما يكشف الغاية التي أريد ..

حدث في مدينة الاسكندرية أن قتل رجل ولديه ، ويظهر أنه فعل ذلك إسقاطا لنفقتهما ، بعدما طلق

أمهما ! وحكم القضاء الوضعي باعدام الرجل ، وأحال أوراقه إلى المفتي للتصديق .. ورفض المفتي التصديق على الحكم لأن الشريعة تأبى ذلك ، ولكن القضاء الوضعي مضى في طريقه وقتل الأب القاتل .. وثار لغط كثير حول القانون والشريعة في هذه القضية الشاذة .. وقال لي أحد الناس : لماذا تصمت في هذا الموضوع ؟ قلت : إن هواي مع الامام مالك في القصاص من هذا الأب المجرم ! قال : إن المفتي ذكر في اعتراضه الحديث الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقتل الوالد بالولد » قلت : هذه هي القاعدة ، والآباء يشقون ليسعد أبناؤهم ، بل قد يموتون في سبيلهم ، فاذا حدث أن غلبت على الوالد نزوة غضب أو ساعة طيش فقتل ابنه ، عوقب بغير القتل ، لأن ما وقع منه لا يتصور ــ غالبا ــ أن يكون تعمد إهلاك ، أو قصدا واعيا لازهاق روح أعز الناس عليه ..

فاذا تبين من التحقيق أن الأب شاذ ، وأنه تعمد ذبح ابنه عن إصرار وروية ، وجب القصاص .

وقاتل ابنيه في قضية الاسكندرية الآنفة استدرجهما ثم حملهما إلى أعماق البحر المتوسط ، بعيدا عن الشاطئ ، ورمي بهما بين الأمواج ، وعاد ليفر من أداء النفقة الواجبة لمطلقته ولهما معها !!

إن الامام مالكا يحكم بالقصاص منه ، ويحمل الحديث على صور القتل العارضة ، التي لا تحمل طابع التعمد والعدوان الدنئ !

قال لي صاحبي : إن غبارا لحق بسمعة الشريعة في هذه القضية ، أما كان ينبغي على المفتي ان يرى رأي مالك في هذا الحدث ؟

قلت : إنه حنفي المذهب ، وله وجهة نظره ، ولكن أبا حنيفة في بعض قضايا القتل رجح ظاهر القرآن على نصوص السنة ، وقضى بقتل المسلم في الكافر إعمالا لقوله تعالى : ( **النفس بالنفس** ) المائدة/ ٤٥ وحمل الحديث الذي يفيد عدم قتل المسلم بالكافر بأنه يعني كافرا لا عهد له ولا ذمة ولا أمان !! أما من عاش في ذمة المسلمين فلا يهدر دمه ويجب الاقتصاص له !!

وقد كان المفتي قادرا على تقليد مالك أو التمشي مع منطق الأحناف إلى نهاية الطريق وهو منطق يرجح القصاص من الأصل في عدوانه على الفرع ، لأن وجهة نظرهم تقديم ظاهر القرآن على حديث الآحاد ..

والطريف أن الأحناف والمالكية اتفقوا في قضية مسترق النظر ، ورأوا أن ما جاء بها من سنن هو للارهاب والتغليظ وحسب !!

إن بعض الناس قد يضع عينه في ثقب باب مثلا ليطلع على عورات البيت ويستكشف محارمه ، وهذا بلا ريب سلوك دنيء ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وبين ان رب البيت لو فقأ عين هذا المتلصص ما كان عليه من بأس !

وفي ذلك روى أحمد والنسائي عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقئوا عينه فلا ديــة له ولا قصاص » .

وبظاهــر الحديـث أخـذ الحنابلـة والشافعية ، أما أبو حنيفة ومــالك فحملوا الحديث على الترهيب وإشعار سارق النظرات انه يفعل ما يهدر حقه وكرامته ، قالوا : لأن الأخذ بالظاهر يخالف الأصول العامة إذ أن هذا المرء لو اقتحم البيت ، وارتكب جريمة الزنى ــ وهو بكر ــ أو ارتكب من المنكر ما دون الزنى وهو متزوج ، ما فقئت عينه شرعا . بل يجلد أو يعزر حسب حالته فكيف يكون المراد فقأ عينه على الحقيقة ، ومم يقتص منه ؟ يمكن تأديبه بعقاب مناسب ، وإذا حدث أن فقأ عينه رب البيت لزمه تعويض عن العاهة التي أحدثها .

والمفهوم من كلام الأحناف والمالكية أن صاحب البيت الذي دافـع عن محارمه يعذر فلا يقتص منه ! ولكنه يؤاخذ فيحكم عليه بغرم مالي !

قال لي محدثي : وماذا تقول أنت في هذا الخلاف ؟ قلت : لم أكون رأيا مكتملا فيه ! ولا أستطيع الآن ترجيح رأي على آخر ! انا قصدت فقـط استعراض وجهات النظر في فقهنا الاسلامي ..

وكان بجانبنا شاب يكاد يتميز من الغيظ ، فعندما وصل الكلام إلى هذه المرحلة صاح يقول : تفاضلون بين أقوال الرجال وسنة رســول الله ، وتتناولون الأحاديث الصحيحة بهذا الأسلوب السيىء ، ان هذا عمل يكاد ينتهي بأصحابه إلى الكفــر ! هذا تقديم بين يدي الله ورسوله ! هذا ...

قلت للشاب الهائج : على رسلك .. إنك قبل أن تخوض في هذه الأمور باسم السلف يجـب أن تستجمــع خصلتــين مهمتـــين ، أدب النفس وحسن الفقه .. ولن نقبل ممن فقد الأدب والفقـــه كلامـــا في هذه القضايا !!

أما الأدب فأساسه ألا نلتمس للبرآء العيب ، وألا نتشهى إلصاق التهم بالناس ، وإذا غلبنـا سوء الظـن بالاخرين استغفرنا الله للمخطىء كما نستغفر لأنفسنا .. عندما اختلـف الصحابة السائرون الى بني قريظة أيصلون العصر في بني قريظة كما أمرهم الرسول بذلك صراحــة ، أم يرعون حق الوقت ويصلون في الطريق كما فهم غيرهم ، لم يقل الأولــون للآخريــن : خالفتــم أمــر رســول اللهوكرهتم تنفيذه لأنكم أصحــاب أهواء ولأنكم ... لم يقولوا لاخوانهم كلمة سوء ، ولما بلغ الأمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلم أحدا أو يخطئه ، ووقف الكل جبهة واحدة ضد اليهود !

إن أدب الاسلام كان صبغة عامة ، ولــو كنــت ــ والخطــاب للشــاب الهائج ــ أنت وأمثالك في هذا الميدان لصنعتم مأساة في الطريق ، وربما سفكتم الدم الحرام .. ولندع الكلام عن أدب النفس واللسان لنرى فقه الموضوع الذي يفوت القاصرين .

قال الامــام ابـن تيميـــة : « في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه عام الخندق

« لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ، فأدركتهم صلاة العصر في الطريق ، فقال بعضهم لا نصلي الا في بني قريظة ، وقال بعضهم : لم يرد منا هذا .. وصلوا في الطريق .. فلم يعب الرسول ـ لما بلغه الخلاف ـ واحدة من الطائفتين .. »
قال ابن تيمية يشرح فقه القضية : الأولون تمسكوا بعموم الخطاب فجعلوا صورة الفوات داخلة في العموم ـ يعني أنهم رأوا إضاعة وقت العصر من مفهوم النص النبوي ـ والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم ـ إذ المقصود المبادرة إلى اللحاق باليهود قبل أن يتهيئوا للقتال ـ
وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافا مشهورا : هل يخص العموم بالقياس ـ أم لا ـ؟ قال ابن تيمية : ومع هذا فالذين صلوا في الطريق كانوا أصوب فعلا ..!! هكذا يقول كبير العلماء السلفيين في العصور الأخيرة .
ولست هنا أرجح رأيا على رأي ، وإنما يعنيني أن يتأدب ويتفقه من يخوضون في هذه القضايا وأشباهها ثم ليختلفوا نظريا ما شاءوا .
اما أن يتهجم نفر من الطلاب ، أو بعض البوابين والبقالين ، على الأئمة الكبار ، وينالوا من قيمهم الدينية والعلمية فهذا سفه منكور ..
إن جعل أمتنا بلا تاريخ ولا قادة عمل أخرق .. وتقدير الرجال الذين خدموا الثقافة الاسلامية لا يعني نسبة العصمة لأحدهم كما ان نقدهم ليس كلأ مباحا لكل من فك الخط ، أو حفظ جملا من الأحاديث ، أو حتى حفظ ألوفا من السنن .. إن نقد الأئمة لا يتصدى له الا من قارب مستواهم على الأقل .. وكان نقده بيانا للحق كما وقر في نفسه دون أن يجعل الحق حكرا على فهمه هو ، ودون أن يحرم عباد الله الصالحين أجورهم على ما اجتهدوا ، أخطأوا أم أصابوا .
قال محدثي : قد يكون الحق معك بيد أننا ينبغي أن نرفق بمن يرفضون تقليد الائمة ، ويعتمدون على أنفسهم في فقه الكتاب والسنة ..
قلت : إنني لا أتعصب لمذهب معين ! ولكني احترم القيمة العلمية للفقه المذهبي ، وأقدر الرجال الكبار الذين تناقلوه في تاريخنا الثقافي ، وأرد الزعم الغريب بأنه قسيم لفقه السنة وأن كلا الطرفين بعيد عن الآخر . كأن المحدثين ألصق برسول الله وأغير على سنته وكأن الأئمة الأعلام بعداء عن السنة ، يشقون لهم في ميدان المعرفة الدينية مجرى آخر .
هذا غير صحيح ، وربما غاب عن أحدهم أو عن بعضهم حديث ما ، فذاك لا يغض من جملة الحقائق التي قرروها ..
ثم إن إنشاء فقه جديد يستمد مباشرة من الكتاب والسنة ـ كما يقال ـ جهد لا نعترضه عند من تكتمل ثقافتهم وتنضج ملكاتهم ، وليس لهؤلاء أن يعدوا أفهامهم هي مراد الله ورسوله فانهم قديوافقون أحكاما سبق أن قررها غيرهم من العلماء ،

وقد يقررون أحكاما جديدة لاعصمة لها بداهة كما أنه لا عصمة لأقوال غيرهم ..

وقد رأيت الحصيلة الأخيرة لجهود هؤلاء فوجدت تشكيلة من فقه المذاهب القديمة أساسها التلفيق ، ورأيت أحكاما جديدة يدعى من بلغوها أنها الدين وهي لا تزيد عن أنها آراء لاصحابها يؤجرون عليها إن شاء الله أصابوا أم أخطأوا !

مشكلة هؤلاء أنهم يفهمون في الأثر المروي فهماما ، فاذا خالفهم غيرهم قالوا : خالف الرسول صلى الله عليه وسلم .. لا ، يا قوم إنه خالف فهمكم لمروياته وقد يكون فهمكم شرا مستطيرا على السنة وصاحبها ، والدين ومستقبله ، فمن حق أولى الألباب أن يأخذوا على أيديكم ويحذروا الناس منكم !

قال لي صاحبي : أوضح لنا ما تقول : قلت : ألف بعضهم رسالة يزعم فيها أن شن الحرب على الأعداء يتم دون دعوة إلى الاسلام ، واستند الى فهمه المنكور لحديث البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون ، أي اجتاح أرضهم على غرة ، وأن الدعوة إلى الاسلام كانت في صدر الاسلام .. ثم ؟ ثم أصبح المسلمون قطاع طريق عند هذا الأحمق الذي يدعي أنه يقرر فقه السلف ــ أصبحوا يغيرون على أعدائهم هكذا دون نذير .

والحقيقة أنه صلى الله عليه وسلم دعا وتريث وأمل الخير في الناس ، فلما وجدهم جمعوا الجموع لقتاله لم ينتظر حتى يستكملوا عدتهم فأخذهم على غرة !!

وأخذ بعضهم ينشر أن الزكاة لا تؤخذ الا من الحبوب التي تدخر ، قلت له : إن أبا حنيفة يوجبها في الفواكه والموالح والأزهار والشاي والبن ، وكل ما تنتج الأرض من قطن ومطاط وقصب الخ .

قال : السنة ما نقول : وأبو حنيفة في ميدان السنة ليس بشيء !

قلت : السنة أن نترك زارع الشاي يكسب من فدانه ألف جنيه لازكاة فيها ؟ ونأخذ من زارع الشعير الذي لا يكسب من فدانه خمسين جنيها زكاة ؟

قال : نعم هذه السنة .. قلت ساخرا : بدعة أبي حنيفة خير من سنتكم ، إنكم وبال على الاسلام بهذا الأسلوب .

إن أبا حنيفة اعتمد في مذهبه على قرآن محكم .. وربما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة من الفواكه لأنها في عهده او في أرضه لا تمثل ثروة محترمة ، أما اليوم والحصائل الزراعية مال خطير فما يمكن تركها .. وأبو حنيفة أرعى للسنة منكم ، وأدرى بملابسات الاحكام . انكم تحفظون مئات الأحاديث دون وعي ، والقليل الذي حفظه ابو حنيفة احسن الاستفادة منه .. هناك رجل يملك مائة بندقية ولا يحسن إصابة الهدف بواحدة منها ، وربما أراد الضرب فقتل بريئا ، أو قتل نفسه .. خير منه من يملك بندقية واحدة يحسن استخدامها ، ذاك مثلكم ومثل أبي

حنيفة الذي تتطاولون عليه ..!
عندما كنت مديرا للمساجد وصيت الخطباء فقلت : اذا رأيتم من دخل المسجد أثناء الخطبة يصلي ركعتي التحية فلا تجلسوه . واذا رأيتموه جلس دون صلاة فلا تنهضوه للصلاة .. قال لي أحدهم : السنة أن يقوم ليصلي ويلفته الامام الى ذلك ! قلت : ذاك ما رآه الامام الشافعي وأحمد في الحديث المروي في هذه القضية .. اما الامام مالك وأبو حنيفة فيقولان يجلس ليسمع الخطبة ولا ينشغل عنها بشيء !

يقول مالك هكذا وجدنا الناس يفعلون في المسجد النبوي ! متوارثين ذلك عن الصحابة والتابعين ، فعملهم أدل على السنة من حديث البدوي الذي صح أن الرسول أمره بالصلاة ، لعل هذا الأمركان ثم نسخ !

وقال أبو حنيفة تلك وقعة حال كان الرجل فقيرا يرتدي أسمالا بالية فاستوقفه الرسول وحث على الصدقة ليستدر العطف عليه ، والأصل أن الخطيب يتحدث ليستمع الجميع اليه لا ليشتغل الداخلون عنه بالصلاة .

قال لي محدثي : إن ظاهر الحديث مع أحمد والشافعي ، قلت : نعم وظاهر الحديث مع السائرين الى قريظة ألا يصلوا في الطريق ! ومع ذلك فان ابن تيمية رجح الصلاة في الطريق ..

ونحن في توصيتنا لعلماء المساجد نرفض التعصب المذهبي ونمنع فتنا سخيفة ، من تابع أبا حنيفة ومالكا فليتبعهما ، ومن تابع الشافعي وأحمد فليتبعهما !

وما زلت أوصي الخطباء بذلك وأرفض الزعم بأن نصف الأئمة خالف السنة الواردة ، قد يكون خالف فهمنا للسنة الواردة وله حقه غير منكور ، وللجميع أجرهم إن شاء الله وأخيرا قلت لمحدثي : إن دقة الفقه لا تتاح لكل مسلم صالح ، إنها هبة يؤتيها الله من شاء ، أرأيت الخلاف الذي نشب بين عمر وبعض الصحابة حول الأقطار المفتوحة ؟ كان هذا البعض يريد تخميسها وفق آية الأنفال ، ولو استجاب عمر له لوقف الفتح الاسلامي وتحول الفاتحون الى إقطاعيين وانهار بناء الاسلام .

لكن عمر رضي الله عنه جعل التخميس الذي نصت عليه الآية في الأمتعة والأسلحة والأغذية وشتى المنقولات المغنومة ، أما الأرض المفتوحة فبقيت لأصحابها ، ووضعت عليها ضرائب معقولة لمصلحة الدولة ..

هذا هو الفقه وإن خالف ظاهر النص .. إننا لا نسمح أن يجيء نفر من الدهماء ليرفع خسيسته على حساب كبار الأئمة وعندما تختفي القمم الفقهية من تاريخنا خلال أربعة عشر قرنا فمن يبرز بعد ذلك ؟

أين الأدب الذي علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخذ به في قوله : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » ؟

إن المجتهد ــ أخطأ أم أصاب ــ معذور ومأجور ، فلم التطاول والايذاء ؟ ثم من ألزم الجماهير برأي معين لواحد من هؤلاء الأكابر ؟ ليكن أفقنا واسعا وخلقنا أوسع ؟

# رسالة النصرانية

## هل هي دعوة إلى شعب اليهود أم دعوة عالمية

يزعم النصارى في زماننا المعاصر ان دعوة المسيح عليه السلام كانت دعوة عالمية ، لذلك فهم يرسلون مبشريهم الى مختلف انحاء الأرض لنشر النصرانية ، والهجوم على الديانات المستوطنة في تلك البلاد ، خصوصا الاسلام ، كما قال ( غارونر ) أحد أولئك المبشرين النصارى : ( انه وان كان قد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الاسلامي ، لكن الحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير المسلمين ) .

لكن المتتبع لأناجيل النصارى ورسائلهم المقدسة ، وهو ما تعارفوا

للمستشــــار : محمــــد عزت الطهطاوي

على تسميته بالعهد الجديد من الكتاب المقدس:( حتى يتميز عن العهد القديم المتضمن لتــوراة اليهــود وأسفــار أنبيائهم قبل ظهور المسيــح عليــه السلام ) يجد ان دعوة المسيح كانت قاصرة على شعب اليهود ، والذي كان يطلق عليه سابقا شعب اسرائيل ، بل ان البشارة بمجيئه قبل مولده تشير الى أن رعايته ستكون لشعب اسرائيل فقط ، ولنــدلل على ذلك بالشواهــد الآتية :

## أولا :

ورد بإنجيل متى إصحاح ٢ عدد ٦ قوله المنسوب الى الله : ( وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ـ لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل ) .

وورد بانجيل لوقا اصحاح ١ عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ القول المنسوب الى الملك موجها منه الى السيدة مريم ، يبشرها بولادة المسيح ، ويخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب ، وهو الذي كان يدعى باسرائيل : ( فقال لهــا الملاك لا تخافي يامريم لانك قد وجدت نعمة عند الله ـ وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يســوع ـ هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ) .

## ثانيا :

ولما ابتدأ المسيح في القيام بالدعوة الى الايمان برسالته ، أعلن انهــا قاصرة على بنى اسرائيل ولا تمتد الى غيرهم ، لذلك نراه يعلن طبقا لما هو وارد عنه في انجيل متى اصحاح ١٥ عدد ٢٤ : ( فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة ) .

كما ورد نفس ذلك المعنى في انجيل برنابا اذ يقول : ( وقد أقامني الله نبيا على بيت اسرائيل لأجل صحة الضعفاء ) انجيل برنابا اصحاح ٥٢ عدد ١٣ .

ولقد نبه المسيح عليه السلام الى مقدار احترامه لشريعة التوراة ، وأنه ما جاء الا ليكملها لا لينقضهــا ، فتراه يقول كما يحكي عنه انجيل لوقا في الاصحاح ١٥ عدد ١٧ : ( ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس ) وشبيه بذلك ما هو وارد عنه بانجيل متى في الاصحاح ٥ عدد ١٧ قوله : ( لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبيــاء . ماجئــت لانقض بل لأكمل )

وقد ذكر انجيل يوحنا في الاصحاح الأول عدد ١١ ان المسيح ما جاء الا الى خاصته ، وما خاصته إلا شعب اليهودية ، انظر اليه في قوله : ( إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ) . ولفظ الناموس تعني كتاب التوراة .

**ثالثا :**

وقد اختار المسيح عليه السلام اثنى عشر شخصا ممن آمنوا برسالته ليكونوا تلاميذه وأحباءه ومساعديه في نشر دعوته وكان اختياره لهم من بين اليهود أنفسهم وينقل ذلك انجيل متى في محاورة بين السيد المسيح وبين احد تلاميذه وهو بطرس بالاصحاح ١٩ عدد ٢٧ ، ٢٨ فتراه يقول : ( فأجاب بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : ـ الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد ـ متى جلس ابن الانسان ـ ويقصد المسيح نفسه بذلك ـ على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر ) .

ففي هذا النص يقول لهم المسيح عليه السلام انهم يدينون أسباط اسرائيل فقط ولم يقل لهم انهم يدينون شعوب الدنيا ـ وفي هذا اشارة إلى أن رسالته ودعوة تلاميذه من بعده قاصرة على شعب اليهود ـ والمنسوب إلى أسباط اسرائيل الاثنى عشر .

**رابعا :**

أن المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه السابق الاشارة اليهم لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم وصيته بأن يقصروا الدعوة على اليهود ـ بل وحذرهم من دخول مدن الامم والشعوب الأخرى ولو كانوا جيرانا لليهود طبقا لما هو وارد عنه في انجيل متى اصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ في قوله : ( وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا الى طريق أمم لا تمضوا الى مدينة للسامريين لا تدخلوا ـ بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة ) .

**خامسا :**

أشار المسيح عليه السلام عند قيامه باحدى معجزاته بأنها قاصرة على شعب اليهود دون أن يكون منها شيء للشعوب الأخرى ـ ويذكر ذلك انجيل متى في مناقشة بين امرأة كنعانية وبينه،وذلك بالاصحاح ١٥ من عدد ٢١ الى عدد ٢٨ في قوله : ( ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا ـ واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمني ياسيد يابن داود ـ ابنتي مجنونة جدا ـ فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين ـ اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة فأتت وسجدت له قائلة ياسيد أعنى فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ـ فقالت نعم ياسيد والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها ـ حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك ـ ليكن لك كما تريدين ـ فشفيت ابنتها من تلك الساعة ) .

**سادسا :**

وحتى عندما رفضت أورشليم رسالة المسيح ناجاها بحنو بكلام يستفاد منه أن رسالته قاصرة على شعب اليهود الذي كان مستعمرا لمدينة القدس وقتئذ حيث كانت تسمى أورشليم وقد ورد ذلك في انجيل يوحنا بالاصحاح ٢٣ عدد ٣٧ في قوله : ( ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ــ كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ) .

**سابعا :**

وبعد ذهاب المسيح عليه السلام عن هذا العالم يؤكد خليفته بطرس أن يسوع المسيح ما جاء الا لخلاص اليهود وغفران خطاياهم ــ وقد ورد ما يشير إلى ذلك في سفر أعمال المرسل في الاصحاح العاشر عدد ٣٦ قوله : ( الكلمة التي أرسلها إلى بني اسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح ) **إذاً كيف تستقيم النصوص السابقة مع ما يقوم به مبشرو النصرانية من الدعوة لعقيدتهم بين الأمم ؟.**

إن جماع ما يحتج به أولئك المبشرون النصارى ما ورد بنهاية انجيل متى في آخر الاصحاح ٣٨ عدد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ قوله : ( فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع الى كل سلطان في السماء على الأرض ــ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح والقدس ــ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به ) **والرد على ذلك سهل يسير طبقا للآتي :ــ**

١ ــ ان هذه الوصية خصوصا عبارة ( تلمذوا جميع الأمم ) لم ترد عنه وقت حياته كلها التي عاشها على الأرض ــ ولم يسمعها منه تلاميذه وحواريوه وقتئذ واذا سلمنا صدورها منه بعد قتله وصلبه ( على حد زعمهم ) فتكون من قبيل الرؤى والأحلام أو الأوهام ولا يسوغ أن تنبني عليها الشرائع والأحكام مما يدعو الى الشك وعدم الاطمئنان كلية الى تلك العبارات المنسوب صدورها الى السيد المسيح عليه السلام .

٢ ــ تتضمن هذه الفقرات عبارات التثليث وهي اسم الأب والابن والروح القدس فكيف يستقيم ذلك مع أن التثليث وألوهية المسيح لم تتقرر في عقيدة النصرانية الا في نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بموجب قرارات مجمع "نيقية" الذي تم عقده سنة ٣٢٥م بأمر قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية أما ألوهية روح القدس فلم تتقرر هي الأخرى الا في مجمع "القسطنطنية" سنة ٣٨١م الأمر الذي يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى الانجيل المذكور خصوصا وأنها تناقض تعاليم المسيح التي ذكرها لتلاميذه وحوارييه حال حياته ( قبل صلبه وقتله على حد قولهم ) .

٣ ــ ان الأب عبدالأحد داود

الأشورى مطران بلدة "نصيبين" من أعمال العراق في القرن الماضي يقرر في أبحاثه التي ضمنها كتابه: ( الانجيل والصليب ) أنه لا يتصور أن نبيا عظيما كالمسيح عليه السلام يتكلم بكلام يكذب بعضه بعضا فان من يقول لم أرسل الا لبني اسرائيل فقط لا يقول أنا نور العالم أو يقول اذهبوا وتلمذوا العالم أجمع ـ والعبارات الأولى هى الحرية بالاعتماد عليها وأما المخالفة فهي إلحاقية يجب طيها .

٤ ـ ولقد أقر كتاب النصارى في العصر الحاضر أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يقولوا بعالمية النصرانية وان بولس هو أول من ابتدع القول بتلك العالمية وأفاض في شرحها في رسائله ـ والمطلع على تلك الرسائل يتضح له أنه لم يورد دليلا واحدا ولا كلمة واحدة تنسب الى المسيح تشير الى عالمية النصرانية إنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره دون أن يبرهن على دعواه بأي دليل لذلك نرى احد كتابهم مثل ( دين انج ) يقول ان المسيح كان نبيا لمعاصريه من اليهود ـ ولم يحاول قط ان ينشئ فرعا خاصا به من بين هؤلاء المعاصرين أو ينشئ له كنيسة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم .

٥ ـ كما جاء في دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حواريي المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم الى جعل النصرانية دينا لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بني اسرائيل الى بني اسرائيل .

## القرآن الكريم يأتي بالقول الفصل في رسالة المسيح عليه السلام

ذكر القرآن الكريم في محكم آياته أن رسالة السيد المسيح كانت رسالة خاصة إلى قومه من بنى اسرائيل طبقا للنصوص الآتية :ـ قال تعالى :

١ ـ **( إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضي أمرا فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا إلى بني إسرائيل )** .آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٩ .

فهنا نجد تعبير القرآن الكريم بقوله : **( ورسولا إلى بني إسرائيل )** للايذان بخصوص ـ بعثة المسيح عليه السلام الى بنى اسرائيل فقط وليس للأمم الأخرى .

٢ ـ وقال تعالى فيما يحكيه عن المسيح عليه السلام : **( وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة )** سورة الصف/٦ ـ فهذه الآية تؤكد في معناها ما ورد بالآية السابقة من أن رسالة المسيح هى لبني اسرائيل خاصة .

ونخلص مما سبق أنه لا شأن لرسالة المسيح عليه السلام بأي شعب من شعوب الأرض ( خلا ـ اليهود ) فلا علاقة بينها وبين تلك الأمم لأن رسالته لم تأت الا لبني اسرائيل ولم تخاطب أحدا سواهم لهذا فلم يكن من حق أحد غير اليهود اعتناق تلك الرسالة منذ وقت ظهورها .

**الاسلام وحده هو الرسالة العالمية الخالدة**

ولما أشرقت على الدنيا شمس الاسلام كان هو العقيدة العامة الى جميع شعوب الأرض قاطبة ، وكانت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هى الرسالة العامة ، لا يشاركه فيها أحد سواه ، فرسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى جميع البشر ، مهما اختلفت أقطارهم وتناءت ديارهم .

قال تعالى :

**( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا )** الاعراف/١٥٨ .

**( وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا )** سبأ/٢٨ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » رواه البخاري ومسلم .

ولهذا كتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى سائر الملوك والامراء في عهده ـ فقد أرسل الى هرقل امبراطور الروم والى كسرى ملك الفرس والى المقوقس عظيم القبط في مصر ونجاشى الحبشة والى سائر أمراء العرب يدعوهم الى الاسلام .

وكما أن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة في المكان فهي أيضا عامة في الزمان لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين .. قال تعالى : **( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما )** الأحزاب/٤٠ .

لذلك فان واجب أولى الأمر في الأمة الاسلامية العمل بجدية واخلاص في تبليغ الدعوة الاسلامية الى جميع شعوب الأرض ، والقيام بأمرها حتى تقوم الساعة ، مهما كانت العقبات ، ودون التفات الى تآمر الأعداء ، فمهما تآمروا فكيدهم ضعيف ، والغلبة دائما لنحق ولو بعد حين ، لأن الاسلام دين الحق ، والله هو الحق ، وما كان له أو منه فهو حق ، وذلك تحقيقا لأهداف الاسلام التي أوجزها الصحابي الجليل ربعى ابن عامر عندما تقابل مع يزدجرد القائد الفارسي سائلا له عن سبب مجيء المسلمين بجيوشهم لبلاد الفرس ، فقال له : إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد ، الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

قال تعالى : **( هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )** الصف/٩ .

# الرحمن الرحيم

« الرحمن الرحيم » اسمان من الأسماء الحسنى لله تبارك وتعالى ، وهما اسمان يذكران الناس بالرحمة ، وقد حدثنا التنزيل المجيد بأن الله جل جلاله كتب على نفسه الرحمة ، وأرسل نبيه رحمة ، وجعل دينه رحمة . والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من مادة الرحمة ، والرحمة في الأصل رقة في القلب تستلزم التفضل والاحسان وهذا جائز في حق العباد ، ولكنه محال في حق الله سبحانه ، لأنه جل وعلا لا يشبه الحوادث : « ليس كمثله شيء » . ولذلك يراد بالرحمة في حقه سبحانه إيصال الخير والثواب لمن يشاء من عباده ، ودفع الشر عنهم .

والرحمة تستدعي مرحوما ، ولا مرحوم إلا وهو محتاج ، والرحمة التامة هي إفاضة الخير على المحتاجين ، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق ، وعمت الدنيا والآخرة ، وتناولت الضرورات والحاجات والمزايا

للدكتور/أحمد الشرباصي

الخارجة عنها .

وللأصفهاني في « مفردات القرآن » عبارة بصيرة محررة في تعريف الرحمة ، وكيف تطلق على الانسان وعلى الله تعالى ، مبينا الفرق بين الرحمة في حق الناس والرحمة في حق الخالق سبحانه . يقول : « الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة ، وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة ، نحو رحم الله فلانا . وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الاحسان المجرد دون الرقة » .

وعلى هذا روى أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رقة وتعطف ، فالرحمة منطوية على معنيين : الرقة والاحسان ، فركز تعالى في طباع الناس الرقة ، وتفرد بالاحسان ، فصار كما أن لفظ الرحم من الرحمة ، فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود لله تعالى ، فتناسب معناهما تناسب لفظيهما .

والرحمن والرحيم نحو ندمان ونديم ، ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى ، من حيث إن معناه لا يصح إلا له ، إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة . والرحيم يستعمل في غيره ، وهو الذي كثرت رحمته ، قال تعالى : **( إن الله غفور رحيم )** البقرة / ١٧٣ وقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : **( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم )** التوبة / ١٢٨ وقيل إن الله تعالى هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، وذلك أن إحسانه في الدنيا يعم المؤمنين والكافرين ، وفي الآخرة يختص بالمؤمنين ، وعلى هذا قال تعالى : **( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون )** الأعراف / ١٥٦ ، تنبيها أنها في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين ، وفي الآخرة مختصة للمؤمنين .

واسم الرحمن يتضمن ــ كما ذكر ابن القيم ــ معنى هداية الله تعالى لعباده بارسال الرسل اليهم ، وانزال الكتب عليهم ، وهذا أعظم من انزال الغيث وانبات الكلأ واخراج الحب ، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح ، كما أن الرحمة هي السبب الذي بين الله وعباده ، فالتأليه منهم له ، والربوبية منه لهم ، بها أرسل اليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه ، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم ، فبينهم وبينه سبب العبودية ، وبينه وبينهم سبب الرحمة .

والرحمن هو الاسم الدال على أن الرحمة قائمة بالله سبحانه ، أي هو

ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة ، ولا نظير لها ، وهي صفة تتناول جلائل النعم فالرحمن اسم وصفة ، فالله صاحب الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر ، والصالح والطالح .

وقيل إن الرحمن هو مزيح العلل ، وقيل هو الرحمن بازالة الكروب والعيوب ، وهو الرحيم بانارة القلوب بالغيوب .

والرحمن عند الأكثر أبلغ من لفظ الرحيم ، ولذلك اشتهر في الدعاء يا رحمن الدنيا ، ورحيم الآخرة ، والمعلوم أن رحمته تعالى في الدنيا شاملة للمؤمن والكافر ، والصالح والطالح ، وذلك بايصال الرزق ، وخلق الصحة ، ودفع الأسقام والمصائب ، بخلاف رحمته في الآخرة فانها مختصة بالمؤمنين .

والرحمن اسم خاص لله ، لا يسمى به غيره ، ولا يوصف ، والرحيم يوصف به غير الله فيقال رجل رحيم ، ولا يقال رجال رحمن ، وقد تبجح مسيلمة الكذاب فسمى نفسه « رحمن اليمامة » فما كاد يتسمى بذلك حتى قرع مسامعه نعت « الكذاب » فألزمه الله تعالى هذا النعت ، وإن كان كل كافر كاذبا .

ويقول الغزالي : اسم الرحمن أخص من اسم الرحيم ، ولذلك لا يسمى به غير الله ، والرحيم قد يطلق على غيره ، فالرحمن من هذا الوجه قريب من اسم الله الجاري مجرى العلم ، وإن كان هذا مشتقا من الرحمة قطعا ، ولذلك جمع الله بينهما فقال : **( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى )** الاسراء / ١١٠ ويلزم من هذا الوجه ان يفرق بين معنى الاسمين ، وعلى هذا يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة وأبعد من مقدور العباد ، وهو ما يتعلق بالسعادة الأخروية فالرحمن هو العطوف على عباده بالايجاد أولا ، وبالهداية إلى الايمان وأسباب السعادة ثانيا ، والاسعاد في الآخرة ثالثا ، والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا .

ويرى الامام محمد عبده أن لفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي افاضة النعم والاحسان ، ولفظ الرحيم يدل على منشأ هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة ، وبهذا المعنى لا نستغني بأحد الوصفين عن الآخر ، ولا يكون الثاني مؤكدا للأول ، والعربي اذا سمع وصف الله سبحانه بصفة الرحمن وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلا ، لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائما ، لأن الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة ، وإن كان كثيرا ولكنه عندما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده بوجه يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه ، وهو أن لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون أثرها ، وإن كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين ، وبذلك يكون ذكرها بعد

صفة الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول ، ليقوم برهانا عليه . ويقول الرازي إن الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد ، والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنسه من العباد .

ويذكر ابن القيم في « مدارج السالكين » أن صفات الاحسان والجود واللطف أخص باسم الرحمن ، لأن الرحمن هو الذي وصفه الرحمة ، والرحيم هو الراحم لعباده ، ولذلك يقول القرآن : **( وكان بالمؤمنين رحيما )** الاحزاب / ٤٣ ولم يجئ رحمن بعباده ، ولا رحمن بالمؤمنين ، مع ما في اسم الرحمن ـ الذي هو على وزن فعلان ـ من سعة هذا الوصف ، وثبوت جميع معناه الموصوف به . ألا ترى أنهم يقولون غضبان للممتلئ غضبا ، فبناء فعلان للسعة والشمول ولهذا يقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرا ، كقوله تعالى : **( الرحمن على العرش استوى )** طه / ٥ وقوله : **( ثم استوى على العرش الرحمن )** الفرقان / ٥٩ فاستوى على عرشه باسم الرحمن ، لان العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها ، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم ، كما قال تعالى : **( ورحمتي وسعت كل شيء )** الاعراف / ١٥٦ فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات ، فلذلك وسعت رحمته كل شيء .

وقد تكرر اسم الرحمن في القرآن أكثر من خمسين مرة ، وهو أكثر اسم من الأسماء الحسنى تكرر في القرآن ، وقد ذكر في سورة مريم اكثر من خمس عشرة مرة ، والرحيم هو المنعم بدقائق النعم ، وقالوا إنه فعيل بمعنى فاعل ، أي راحم ، والرحمة كما عرفنا إنعام من الله تعالى وإفضال ، ونعمه تعالى لا تحصى ، ورحمته لذلك لا تنتهي : **( ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما )** **غافر / ٧ .**

ومعظم ما قيل من الشرح في اسم الرحمن ينطبق أيضا على اسم الرحيم ، إلا بفارق هو أن الرحمن يشمل المؤمن والكافر ، ويعم الخلق أجمعين ، أما الرحيم فيقتصر على المؤمنين : **( وكان بالمؤمنين رحيما )** وقيل بفارق آخر هو أن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم ، والرحيم هو المنعم بدقائقها .

وهناك مظاهر كثيرة لرحمة الله تعالى توسع في الحديث عنها الشيخ العقاد في كتابه « الأنوار القدسية » فذكر من رحمته تعالى بنا أنه سخر الماء والهواء ، والنجوم والكواكب ، ويسر لنا السبل ووهب العقل ، وأنبت النبات بأنواعه ، وأخرج المرعى ، وجملنا في الخلقة ، ووهبنا الجوارح ، وتفضل علينا بالدواء لعلاج الداء ، ومكننا من المال الذي نجلب به السعادة إذا استقمنا في استعماله .

وإذا أراد العبد الفوز برضا ربه والتنعم بوصاله ، تحلى بالرحمة ، فعطف على الجائع وأشفق على العاصي ، لأنه يراه يهوى في مهاوى الضلال ، فنصحه ووعظه ، وعطف على المتخاصمين بالصلح

والاصلاح ، ورحم الجاهلين بالتوجيه والارشاد .

وقد يسأل سائل : كيف يكون العبد رحيما ؟ ويجيب الغزالي بأن حظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله تعالى الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف ، دون العنف ، وأن ينظر الى العاصين بعين الرحمة لا بعين الايذاء . أو الازدراء . وأن ينظر الى كل معصية تقع من غيره كأنها تقع في نفسه ، فيجتهد في إزالتها قدر طاقته ، إشفاقا على ذلك العاصي أن يتعرض لغضب الله وسخطه ، فيستحق البعد عن جوار ربه . وحظ المؤمن من اسم الرحيم أن لا يترك حاجة لمحتاج إلا ويسدها على قدر استطاعته ، ولا يدع فقيرا يشعر به ويستطيع الوصول اليه إلا ويدفع فقره بماله أو جاهه أو الشفاعة له عند غيره ، فان عجز عن كل ذلك أعانه بالدعاء ، وإظهار الحزن من أجله .

وقد يعترض معترض فيقول إذا كان الله رحيما وهو قادر على رفع كل بلية ، فلماذا ترك بعض عباده في الأذى أو الضرر ؟ ويتولى الغزالي الجواب في كتابه « المقصد الأسنى » فيقول : « الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة ، والأب العاقل يحمله عليها قهرا ، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب ، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه ، وتمام شفقته ، وأن الأم عدوة في صورة صديق وأن الألم القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شرا ، بل كان خيرا ، والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة ، وليس في الوجود شر إلا و في ضمنه خير ، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه ، وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه . فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر ، وفي ضمنها خير جزيل وهو سلامة البدن ، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ، ولكان الشر أعظم .

فان خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيرا ، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكنا لا في ضمن الشر ، فاتهم عقلك القاصر في أحد الخاطرين ، أما في قولك : إن هذا الشر لا خير تحته ، فان هذا مما تقصى العقول عن معرفته ، ولعلك فيه مثل الصبي الذي يرى الحجامة شرا محضا ، أو مثل الغبي الذي يرى القتل قصاصا شرا محضا ، لأنه ينظر إلى خصوص المقتول ، لأنه في حقه شر محض ، ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة ، ولا يدري أن التوصل بالشر الخاص الى الخير العام خير محض ، ولا ينبغي أن يهمله .

أو اتهم عقلك في الخاطر الثاني ، وهو قولك · إن تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشر ممكن ، فان هذا أيضا دقيق غامض فليس كل محال وممكن مما يدرك إمكانه واستحالته بالبديهة ، ولا بالنظر القريب ، بل ربما عرف ذلك بنظر عامل دقيق يقصر عنه الأكثرون .. فاتهم عقلك في هذين الطرفين ، ولا تشكن أصلا في أنه

أرحم الراحمين ، وأنه سبقت رحمته غضبه » .

هذا وقد ذكر اسم « الرحيم » في القرآن المجيد عشرات المرات ، ويقترن باسم الرحمن كثيرا ، وقد يأتي اسم الرحيم مع غير اسم الرحمن .

يقول القشيري في « لطائف الاشارات » هذه العبارة :

« الرحمن الرحيم » اسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة صفة ازلية ، وهي إرادة النعمة وهما اسمان موضوعان للمبالغة ولافضل بينهما عند أهل التحقيق .

وقيل : الرحمن أشد مبالغة ، وأتم في الافادة ، وغير الحق لا يسمى بالرحمن على الاطلاق ، والرحيم ينعت به غيره وبرحمته عرف العبد أنه الرحمن ، ولولا رحمته لما عرف أحد أنه الرحمن ، وإذا كانت الرحمة إرادة النعمة أو نفس النعمة كما هي عند قوم ، فالنعم في أنفسها مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فنعمة هي نعمة الأشباح والظواهر ، ونعمة هي نعمة الأرواح والسرائر .

وعلى طريقة من فرق بينهما فالرحمن خاص الاسم عام المعنى ، والرحيم عام الاسم خاص المعنى ، فلأنه الرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم ، ولأنه الرحيم وفق المؤمنين لما به حياة سرائرهم ، فالرحمن بما روح ، والرحيم بما لوح ، فالترويح بالمبار ، والتلويح بالأنوار ، والرحمن بكشف تجليه والرحيم بلطف توليه ، والرحمن بما أولى من الايمان ، والرحيم بما اسدى من العرفان ، والرحمن بما أعطى من العرفان والرحيم بما تولى من الغفران بل الرحمن بما ينعم به من الغفران ، والرحيم بما يمن به من الرضوان ، بل الرحمن بما يكتم به والرحيم بما ينعم به من الرؤية والعيان ، بل الرحمن بما يوفق والرحيم بما تحقق ، والتوفيق للمعاملات ، والتحقيق للمواصلات ، فالمعاملات للقاصدين ، والمواصلات للواجدين ، والرحمن بما يصنع لهم ، والرحيم بما يدفع عنهم ، فالصنع بجميل الرعاية ، والدفع بحسن العناية »

وقد صاغ الشيخ أحمد العقاد دعاء لاسم « الرحمن » يقول فيه : « إلهي يا رحمن الوجود ، يا من وسعت كل شيء رحمة وعلما ، ظهرت رحمتك في كل ذرات الوجود والعالم ، فلا نرى شيئا الا ونقرأ من آيات رحمتك ما يجذبنا إليك ، ويطمئن قلوبنا بواسع حنانك » .

وصاغ دعاء لاسم « الرحيم » يقول فيه : إلهي رحمتك بالعوالم دلتنا على وسعة الحنان ، فاطمأنت قلوبنا بأنك الرحيم بجميع الأكوان ، وأنت تحب الرحمة لأنها صفتك ، ونحن المستحقون لها ، لأن عيوبنا كثيرة ، فانشر علينا رحمتك لتكون عيوننا بك قريرة وأوصل أرواحنا بحبيبك الرءوف الرحيم ، ولنستمد من أخلاقه فنكون منه على الصراط المستقيم ، وأن تثبت في قلوبنا خلق الرحمة فانه اكبر نعمة ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

ودار الزمان دورته وأضحى المسلمون على مشارف قرن هجري جديد من هجرة رسول الله وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه والتابعين . والذي ينظر إلى عالمنا الاسلامي شرقا وغربا يرى بشائر صحوة إسلامية تتمثل في المطالبة بتطبيق منهج الله في مختلف مجالات الحياة . ولئن كانت تلك الصحوة أشبه بيقظة النائم الذي لا يزال في فراشه !! فإننا نسأل الله أن تبلغ غايتها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . وكم نود أن تكون صحوة المسلمين مقرونة بوعي صحي شامل وأن يكـــون مع النهضة الاسلامية نهضة صحية عامة تشمل صحة النفس وصحة الجسم . وأساس صحة النفس هو سلامة العقيدة مهما حاول المغالطون أن يحولوا بين الانسان وبين الايمان بخالقه . وقد يعجب البعض إذا تمنينا وعيا ونهضة بصحة الجسم بيد أن ذلك العجب سوف يزول بعد الفراغ من قراءة هذا المقال المتواضع . ذلك أن نعمة الصحة من أجل نعم الله على عباده ولا يعرف حلاوتها إلا من ذاق

للدكتور : غريب جمعه

مرارة الأوجاع والأسقام ، أما عن أثرها على نشاط الأفراد والمجتمعات فحدث ولا حرج .

بل لقد كانت جسامة البدن إحدى مؤهلات طالوت لزعامة وقيادة الملأ من بني إسرائيل حينما أخبرهم نبيهم أن الله قد اختاره ملكا عليهم فقالوا بلسان التعصب الوراثي والفكر المادي ـ شأنهم دائما ـ كيف يكون ملكا علينا ونحن ـ تأمل كلمة نحن ـ أولى بالملك منه وليس لديه مال كثير . يقول الحق تبارك وتعالى : **( وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم )** البقرة/٢٤٧ .

كما كانت قوة البدن إحدى مؤهلات موسى عليه السلام لاختياره أجيرا عند الرجل الصالح الذي زوجه إحدى ابنتيه ، يقول الله عز وجل : **( قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين )** القصص/٢٦ .

من أجل ذلك كانت عناية الإسلام بالصحة والعافية وبأسباب الحفاظ عليهما والوقاية من الأمراض والأوبئة والاهتمام بالنظافة . وإليك أيها القارئ الكريم باقة من توجيهات الاسلام في هذا المجال لترى سبقه الذي لا يدانيه سبق ، وعظمته التي لا تبلغها عظمة ، وعسى أن تكون هذه التوجيهات هاديا إلى مزيد من الرعاية الصحية ، وباعثا على المزيد من النظافة حتى لا يظن أناس أن تراكم الأوساخ على البدن عبادة !! وأن الضعف والتماوت زهادة !! وأن قبح المظهر قربى إلى الله !! وأن تعذيب البدن بالاجهاد باب إلى محبة الله إلى آخر هذه المفاهيم السقيمة والبعيدة عن روح الاسلام .

## اولا : مدح الصحة والعافية

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » رواه احمد ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ويقول أيضا : « يا أيها الناس : إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا خيرا من اليقين والمعافاة فسلوهما الله عز وجل » أخرجه الامام احمد في مسنده باسناد حسن .

على أن العافية التي يمتدحها رسول الله ويوصى بسؤالها الله عز وجل ليست هى العافية التي تحيل أصحابها إلى قطيع من الثيران البشرية يصارع بعضه بعضا ليصرعه أو يسدد اللكمات إلى وجهه في قوة وعنف . نعم : لتكن رياضة ، ولكن في ظل الاسلام والتحلي بالخلق الكـــريم ، ولتكن عافية ولكن مع استخدامها في طاعة الله ونفع المجتمع .

## ثانيا : في مجال الصحة البدنية والنظافة الشخصية

١) يقول الحق تبارك وتعالى : **( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين )** الأعراف/٣١ . وتوجهنا هذه الآية الكـــريمة إلى الاعتدال في المأكل والمشرب حتى لا نصاب بمضاعفات كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها . وقديما قال « الحارث بن كلدة » الطبيب العربي المشهور : ( المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ) ( ليس ذلك القول حديثا نبويا كما يجرى على ألسنة الكثيرين ) .

وقد نفر الرسول صلى الله عليه وسلم من الجشاء أو التكرع بقوله : « كف عنا جشاءك فان أكثركم شبعا في الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة » رواه الترمذي . ولا يعتبر الجشاء ظاهرة صحية لأنه ينتج عن دخول هواء إلى المعدة أو عن تراكم غازات بها نتيجة لعسر الهضم .

ومن العجب أن تبدأ رأس العبادات في الاسلام وهى الصلاة بالوضوء ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى : **( يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكـم إلى المـــرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين )** المائدة/٦ . وإذا كان الوضوء يعتبر فترة انتقال بين شواغل الدنيا وبين الاشتغال بالله عز وجل وحده حينما يقف الانسان بين يديه للصلاة حتى يتحقق له الخشوع المطلوب ، فان له فوائد طبية كثيرة كنظافة الفم بالمضمضة المتكررة التي تؤدي إلى الوقاية من أمراض اللثة والأسنان والاستنشاق الذي يعتبر من أهم أسباب الوقاية من الاصابة بالزكام خصوصا إذا كان بماء بارد . أما غسل الوجه واليدين ومسح الأذنين فهو من أهم أسباب وقايتها من الأمراض الجلدية حيث أن كثيرا من الميكروبات وطفيليات بعض الديدان والفطريات يصيب الانسان عن طريق التسلخات الموجودة بالجلد الناتجة عن « الهرش » بسبب عدم النظافة .

وإذا كانت الصلاة لا تصح إلا بوضوء فانها أيضا لا تصح إلا في ثوب ومكـــان طاهرين لذلك كان الرسول يستاء إذا رأى مسلما لا ينظف ثوبه ويقول لأصحابه : « أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه » ( رواه أبو داود ) فعلى الذين يذهبون إلى المساجد لحضور الجمع والجماعات

ألا ينسوا ذلك التوجيه الكريم ولا توجيه القرآن الكريم ( **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ) الأعراف/ ٣١ .

ولم يكتف الاسلام بالوضوء ونظافة الثوب والمكان فقط بل اختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أجزاء الجسم بتوجيهات خاصة كما يلى :

## ٢) خمس من الفطرة :

يوصى الاسلام أبناءه بخمسة أمور يميل إليها الذوق السليم وهى : تقليم الأظافر التي تعتبر مخابئ للميكروبات مهما بالغ الانسان في نظافتها لأنه لا يرى شيئا بعينه المجردة ولو كان في إطالتها خير لنصح الرسول بذلك . فهل يفهم ذلك السيدات اللائي تسبق أظافرهن أيديهن إلى الطعام بصورة تثير التقزز وتفقد الانسان شهيته للطعام .

والختان الذي يؤدي إهماله إلى الأضرار الآتية : ١ ــ التهاب الأعضاء التناسلية ٢ ــ التصاق القلفة وتقطع البول ٣ ــ سرطان الأعضاء التناسلية الذي ينتقل إلى الزوجة .

وحلق العانة الذي يؤدي إهماله وكذلك نتف الابط ــ إلى الاصابة بنوع معين من « القمل » يسمى قمل العانة وقد ينتقل باللمس المباشر أو من المراحيض الملوثة به ويحدث لدغه حكة شديدة تزداد بالهرش وحلق الشعر يؤدي إلى إزالته فورا دون علاج ومعروف أن القمل ينقل ميكروبات بعض الأمراض وعلى رأسها « التيفوس » ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من الفطرة : الاستحداد ( حلق العانة ) والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الأظافر » أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي .

## ٣) غسل اليدين قبل وبعد تناول الطعام :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بركة الطعام الوضوء قبله وبعده » رواه أحمد والترمذي .

ولا شك أن غسل اليدين قبل الطعام يمنع كثيرا من الميكروبات من الوصول إلى القناة الهضمية مثل ميكروبات التيفود كما أن غسلهما بعده من ضروريات النظافة . كما يأمر الرسول أن يكون تناول الطعام باليد اليمنى إذ أن اليسرى قد تكون ملوثة بميكروبات أو بويضات بعض الطفيليات نتيجة ملامستها للشرج وقت الاستنجاء . يقول صلى الله عليه وسلم : « يا غلام سم الله وكل بيمينك » رواه البخاري ومسلم .

## ٤) غسل اليدين بعد اليقظة من النوم :

لا شك أن النائم لا يدري ما حوله ولا يتحكم في حركة يديه وقد يضعها

على مرض في بشرته أو يمس بها عورته لذلك كان من السنة أن يغسلها حينما يستيقظ من نومه ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدرى أين باتت يده » رواه البخاري ومسلم .

**٥) غسل اليدين بعد قضاء الحاجة :**

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مس ذكره فليتوضأ » أخرجه الترمذي عن بسرة بنت صفوان رضى الله عنها .

**٦) نظافة الفم والأسنان :**

من المعروف أن إهمال نظافة الفم والأسنان يؤدي إلى تخمر فضلات الطعام وتكاثر الميكروبات فتنبعث منه رائحة كريهة تؤذي المخالطين للانسان خصوصا إذا كان في مسجد . كما أنها تؤدي إلى التهاب اللثة واللوزتين لذلك يوصى الرسول الكريم باستعمال السواك بصفة عامة ــ وقد ثبت أنه يقوي اللثة ويطيب رائحة الفم ــ إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » أخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها .
ثم يحدد مناسبات خاصة لاستعماله مثل القيام للصلاة والاستيقاظ من النوم . حيث يقول عليه السلام : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » رواه أحمد في مسنده والدارمى في سننه .

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ، أخرجه البخاري ومسلم .
وفي رواية عنه : « كنا نؤمر بالسواك إذا قمنا من الليل نشوص أفواهنا بالسواك » أخرجه النسائي .

**٧) نظافة الشعر**

انتشرت في هذه الأيام ظاهرة إطالة الشعور بصورة منفرة بين الشباب المسلم كما يفعل « الخنافس » ظنا منهم أن ذلك من مظاهر المدنية وما علموا أن ذلك من مظاهر التأخر والبدائية لأن إنسان الكهوف كان أطول منهم شعرا ، وأكثر منهم تحللا وتفلتا من القيم والقيود ، ومع ذلك فهو بدائي قذر . وقد يغيب عن أذهان الكثيرين منهم أن « الخنفسة » فكرة يهودية نشأت حينما عرض على شاشات السينما في أمريكا فيلم « اليهودي التائه » وظهر فيه الممثلون اليهود ومن شابههم في أهدافهم بشعورهم الطويلة وغير ذلك من مظاهر الخنفسة الشاذة ، التي قلدها الشباب هناك دون وعي ثم سرت العدوى إلى عالمنا الاسلامي ، فهل يقبل شبابنا المسلم أن يتشبه باليهود ؟
والمعروف أن إطالة الشعر أكثر من

اللازم تؤدي إلى عدم الاهتمام بنظافته كما ينبغي فتتجمع القاذورات نتيجة إفراز العرق والمواد الدهنية التي تعوق وظائف الجلد فتضعف بصيلات الشعر ويتساقط وتلتهب فروة الرأس نتيجة الهرش المتكرر . أما نظافة الشعر فانها تؤدي إلى تفتح مسام فروة الرأس وتنشيط الدورة الدموية فيها فيتغذى الشعر ويقوى ولا يتساقط وما أحسن توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم ألا وهو : « من كان له شعر فليكرمه » رواه أبو داود ، أي يتعهده بنظافته وتمشيطه ودهانه . وعن عطاء بن يسار رحمه الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اخرج كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم : « أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » رواه مالك ، فهل يقبل أبناء المسلمين أن يكونوا أشباه شياطين ؟

### ٨) نظافة السبيلين

لا شك أن المواد المخرجة من السبيلين كالبول والبراز من أقذر وأخطر المواد ، ولذلك كانت نظافتهما أمراً حتمياً على ألا يكون ذلك بتكرار استعمال الورق الخفيف لأنه قد يؤدي إلى التهابات موضعية ولا باستعمال الروث أو العظام وإنما يكون بالاستجمار والاستنجاء ، والاستجمار يكون بثلاثة أحجار يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب ومعه ثلاثة أحجار يستطيب بهن فانها تجزئ عنه » أخرجه أبو داود والنسائي ، أما الاستنجاء وهو الغسل بالماء فهو أكمل للنظافة ولابد من غسل اليد التي استعملت في الاستنجاء كما أشرنا سابقا . عن معاذة بنت عبدالله العدوية : أن عائشة رضي الله عنها قالت : « مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فاني أستحييهم منه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله » أخرجه الترمذي والنسائي .

### ثالثا : في مجال ضبط الانفعالات العصبية والنفسية

لكي تعرف أيها القارئ الكريم عظمة توجيه الاسلام في ذلك المجال يجمل بك أن تعرف أثر الغضب وتوتر الأعصاب على أجهزة الجسم المختلفة . يتأثر ما يسمى « بالهيبوثلامس » ( تحت المهاد ) في الجزء المتوسط من المخ ويرسل إشارات إلى الغدة النخامية والغدة فوق الكلية فتفرز مادة « الأدرينالين » الذي يزيد من سرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم وزيادة الدورة الدموية في الأطراف كما لو كان الشخص يتأهب لخوض معركة حامية كما أن توتر الأعصاب المستمر يؤدي إلى اضطرابات في مركز التحكم في الدورة الدموية وبذا يرتفع

ضغط الدم وتتأثر تبعا لذلك شرايين القلب أو شرايين المخ وأعصاب المعدة وتنتهي الحالة بمأساة كالذبحة الصدرية ، وكم سمعنا عن نوبات قلبية تصيب الأشخاص بعد مشادة عنيفة وتودي بحياتهم . وقد يحدث نزيف في المـخ أو ازدياد حموضة المعدة . ( انظر الرسم ) لذلك كان توجيه الله لعباده حتى يرحموا أنفسهم ولا يقتلوها قتلا بطيئا بمثل هذه الانفعالات . يقول تعالى معلما الأمة في شخص رسوله الكـريم : **( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين )** الأعراف/١٩٩ ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما نزلت هذه الآية قال : قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك . وما أجمل توجيه النبي في ذلك المجال أيضا : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني . قال : « لا تغضب » فردد مرارا قال لا تغضب رواه البخاري ، وحتى لا يكون هذا التوجيه مجرد كلام نظري يضرب لنا الرسول المثل بنفسه فعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء » متفق عليه ، ويتأسى سلفنا الصالح بالرسول حيث يقول الامام الشافعي رضى الله عنه :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم
إن الجواب لباب الشر مفتاح
فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب
نعم وفيه لصون العرض إصلاح
إن الأسود لتخشى وهى صامتة
والكلب يحثى ويرمى وهو نباح

**رابعا : في مجال مخالطة المريض :**

يوصي الاسلام المريض ألا يختلط بأحد إذا كان مرضه معديا وعلى السليم أيضا أن يبتعد عن ذلك المريض الذي يجب أن يعزل في مصحة خاصة ، ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك : فقد أخرج الامام مسلم من حديث عمرو بن الشريد الثقفي عن أبيه أنه قال : كان في وفد ثقيف رجل مجزوم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا قد بايعناك فارجع » كما يوصي الاسلام أن تكون زيارة المريض بعد الأيام الثلاثة الأولى من بداية مرضه ويعلق السيد الدكتور محمود ناظم نسيمي على ذلك بقوله : « ولقد تبين في عصرنا الحديث أن الكثير من الأمراض الشائعة كالانفلونزا ونزلات البرد يكون سريانها شديدا في ايام الأولى من الاصابة أي في الدور النزلي وإنه لشطط أن يتعجل الناس عيادة المريض في تلك الأيام الثلاثة من كل مرض دون وجود مبرر لذلك مثل تقديم العون الى المريض وإلى أسرته ودون مراعاة لاعتبارات عديدة مثل ضيق

بيت المـريض أو انشغال ذويه في إعداده أو في استشارة الطبيب وجلب الدواء ، أما الأحاديث التي تفيد زيارة المـــريض في الأيام الأول فتحمل ــ والله أعلم ــ على ظروف خاصة كحاجة المـريض إلى معونة الأخرين بسبب فقره أو قلة المساعدين في بيته وغير ذلك » .

ولهذا فان على زوار المـــرضى بالمستشفيات وفي البيوت ألا يتكاثروا حول المريض تكاثرا يقض مضجعه ويقلق راحته وراحة أهله وراحة العاملين بالمستشفى بسبب تقديم التحايا لهم ، أو بسبب إزالة مخلفاتهم وعليهم أن يختاروا الوقت المناسب للزيارة ولا داعي لحمل الأطعمة التي تتعارض مع حالة المريض حتى لا تزداد سوءا ، صحيح أن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يعوده إذا مرض ولكن بأي طريقة وبأي أسلوب يؤدي هذا الحق ؟ هذا هو ما نلفت النظر اليه .

**خامسا : في مجال الوقاية من الأوبئة والمحافظة على صحة المجتمع :**

**١ ــ وقاية الطعام من التلوث :**

كثير من الناس يتركون الطعام مكشوفا إما جهلا أو كسلا فاذا نصحتهم بتغطيته منعا للتلوث بالأتربة والميكـروبات المختلفة التي تنقلها الحشرات مثل الذباب والصراصير قالوا لك في بلاهة عقلية ، عجيبة : ( توكل على الله والشيء الذي من نصيبك يصيبك ) ألا فليعلم هؤلاء الناس أن الاسلام لا يعرف تلك البلاهة العقلية بل ويرفض رفضا باتا مثل ذلك القول المتهافت ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غطو الاناء وأوكئوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكـــاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء »( رواه مسلم ) وكأنما يرى الرسول بنور النبوة من وراء حجب الغيب أن للأوبئة فصولا معينة وهذا صحيح علميا كما أن بعض الحشرات التي تنقل الميكروبات تنشط بالليل حينما يهجع الناس .. حقا إنه لرسول الله ، وينهي رسول الله عن النفخ في الشراب فقد يكون النافخ حاملا لميكروب مرض معين ينتقل مع النفخ الى ذلك الشراب فيصيب غيره ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، نهى عن النفخ في الشراب فسأله رجل : القذارة أراها في الاناء فقال : « أهرقها » ( رواه الترمذي ) ولذلك فان على أصحاب محلات بيع اللحوم والبقالة والمـطاعم والفاكهة والخضروات وغيرها أن يستجيبوا لهذه التوجيهات النبوية ، ويغطوا ما يبيعونه للناس باعتبار أن هذه تعليمات الرسول قبل أن تكـــون تعليمات الدولة وأن لهم الأجر إن فعلوا وعليهم الوزر إن قصروا .

**٢ ــ وقاية الشراب :**

يرفض الاسلام أن يشرب أكثر من فرد من إناء واحد ، أو يضعوا أفواههم على مصدر الشرب وطالب أن يشرب كل منهم في وعاء خاص به ،

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ـ « نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يشرب في السقاء لأن ذلك ينتنه » وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن اختناث الأسقية » واختناثها كسر أفواهها ( رواه مسلم ) وقد ثبت علميا ان كثيرا من الأمراض ينتقل بواسطة اللعاب والشفتين كالتيفود والدفتريا والانفلونزا .. الخ . وعلى ذلك فان عادة اجتماع فريق من الناس في مجلس واحد للتدخين بوسيلة واحدة يضعها كل منهم على فمه يعتبر من أخطر الوسائل لنقل الأمراض المعدية ( وتختلف تسمية تلك الوسيلة من بلد الى بلد فأحيانا يطلق عليها « الجوزة » او « الشيشة » الى آخر الأسماء التي يعرفها المدخنون .

**٣ ـ وقاية مصادر المياه :**

تختلف مصادر المياه باختلاف الأماكن ، فمنها الترع والأنهار والآبار وأحيانا البحار المالحة التي قد تستخدم مياهها للغسل أو للشرب بطريقة خاصة ، وقد حذر الاسلام من تلويث تلك المصادر بالقاء القاذورات والحيوانات الميتة ، والنجاسات او مخلفات المجاري وحرم التبول والتبرز فيها واعتبر ذلك من أسباب لعنة الله يقول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وفي الظل وفي طريق الناس » ( رواه أبو داود وابن ماجة ) ويقول ايضا : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ( الراكد ) ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » رواه احمد وابن ماجة والترمذي والنسائي ، وعلى ذلك فاننا باسم الاسلام نطالب اخوتنا من المسلمين الذي يقيمون قريبا من مصادر المياه المختلفة أن لا يبولوا أو يتبرزوا فيها أو قريبا منها حتى لا يصابوا بأوبئة مختلفة أخطرها « البلهارسيا » التي تمتص رحيق العافية من أبدانهم وتحيلهم الى أشباح بسبب تأثيرها الضار على الكبد وغيره من أعضاء الجسم ، وعليهم أن يقضوا حاجتهم في الأرض الجافة ثم يغطوها بالتراب رحمة بأنفسهم وبغيرهم ، وعلى السادة الوعاظ والخطباء في الأرياف أو الأحياء القريبة من مصادر المياه أن يتناولوا هذه الموضوعات في خطبتهم وهم بحمد الله لا يعوزهم أسلوب التناول ، وللدين سلطانه على النفوس الذي لا ينكر ، وعلى وسائل الاعلام المختلفة أن تقدم برامج للثقافة الصحية في صورة مبسطة ومحببة للنفوس بدلا من طوفان الأغاني والمسلسلات الهابطة التي لا تمس مشكلات الناس من قريب أو بعيد خصوصا وقد غزا التلفاز ( التلفزيون ) القرى بسيئاته وحسناته واقتحم على الناس حجرات نومهم .

**٤ ـ نظافة البيوت والشوارع :**

كثير من مدن المسلمين تمتلئ شوارعها بالقاذورات التي تعتبر بيئة خصبة لنمو الحشرات وتكاثرها والتي تشوه جمال المدن بصورة تثير

الأعصاب وعلى العكس من ذلك مدن غير المسلمين ـ مع الأسف ـ ولو علم المسلمون أن دينهم يفرض عليهم نظافة بيوتهم ومدنهم ويعتبر من يتسبب في القذارة مستحقا للعنة الله والملائكة والناس أجمعين لكانت مدنهم من أكثر المدن نظافة وبيوتهم كذلك ، يقول الرسول الكريم : « نظفوا بيوتكم ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء في دورها » رواه مسلم والترمذي ، الأكباء القاذورات ويأمرنا بنظافة الشوارع قائلا : « من سمى الله ورفع حجرا أو عظما أو شجرا من طريق الناس مشى وقدزحزح نفسه من النار » رواه مسلم والنسائي ، ويقول : « من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم » رواه مسلم ، كما ينهي صلى الله عليه وسلم عن التبول والتبرز في الشوارع فيقول : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل » رواه ابو داوود وابن ماجة ، بل بلغ به الأمر أن ينهي عن البصق على الارض فقد يكون من يبصق مصابا بالسل الذي ينقل الهواء ميكروباته الى الشخص السليم ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البصاق على الأرض في المسجد خطيئة وكفارتها ردمها » رواه مسلم .

والآن ايها المتعجب .. أظن عجبك قد زال بعد أن رأيت الاسلام وقد وضع للمسلم من التعاليم ما يجعله نموذجا يحتذي في نظافة نفسه وبيته وبلده وما يحفظ عليه نعمة الصحة ، ترى هل يرتفع أبناء الاسلام إلى مستوى هذه التعاليم مع بداية القرن الجديد ؟ هذا أمل نرجوه ، ولقد انتزعت تعاليم الاسلام شهادة رجل من قوم عدو لنا ـ والفضل ما شهدت به الأعداء ـ ذلك الرجل هو « برناردو شو » حيث يقول في كتابه حيرة الأطباء : « إن الاسلام هو الدين الوحيد بين الأديان السماوية الذي اهتم بالنظافة وجعلها جزءا لا يتجزأ من العبادات وإنه بفضل تعاليم الاسلام حمى الله الشعوب التي اعتنقته من كثير من الأوبئة التي كانت تفتك بأوروبا في العصور الوسطى قبل نهضتها » ... يا ليت قومي يعلمون ..

# القدس عربية ولو كره المعتدون

القدس عربية ..
هذه حقيقة واقعة ومؤكدة ، يشهد بها التاريخ الثابت .
القدس عربية ..
وكل من يحاول الجدال في هذه الحقيقة ، وطمسها فهو مشوه للتاريخ ، مغالط للواقع .
القدس عربية .. بأرضها ، واهلها ، وتاريخها ، وماضيها ، ولعل هذا ما يدفع العرب الى التمسك بهذه الحقيقة الثابتة ، واستنكار محاولات تشطير القدس ، ومحاولات اسرائيل لاغتصاب هذا الجزء العزيز من ارض العروبة بغير حق .
واذا كانت القدس عربية حقا وصدقا ، فما هو ادعاء الصهيونية ، بأن لها حقا في القدس ، وعلام يستند هذا الادعاء ؟

للاستاذ : سعد صادق محمد

للاجابة على هذا السؤال ، ينبغي علينا الرجوع الى تاريخ فلسطين البعيد لأمكان الحصول على إجابة تاريخية واضحة ، وصحيحة مدعمة بالأدلة والبراهين .

## لمحة عن فلسطين :

يجمع المؤرخون على أن فلسطين القديمة ، هي وطن الكنعانيين ، وكانت تعرف ببلاد كنعان ، وقد استوطن الكنعانيون هذه البلاد منذ فجر التاريخ ، وقبل ان تعرف باسم « فلسطين » ، وقد لحق بها هذا الاسم بعد أن هاجر اليها قبائل اليونان من جزيرة كريت ، والقبيلة الاولى التي هاجرت الى هذه البلاد تسمي « فلستيا » Philistia فسكنت السهل الساحلي من البلاد ، فسمي السهل الساحلي الذي وقع تحت سيطرتها بــ « فلسطين » ثم امتد هذا الاسم فيما بعد الى كل البلاد في القرن الثاني الميلادي ، وسميت « فلسطين » .

أما القبائل الكنعانية التي استوطنت « فلسطين » قديما ، فقد خرجت من شبه الجزيرة العربية « منبت الأسرة السامية » ، وتروي كتب التاريخ ، أن هناك موجات عربية كانت تقذفها الجزيرة العربية حينا بعد حين ، وكانت هذه الموجات من القبائل تضطر الى الهجرة خارج الجزيرة العربية بسبب البحث عن الكلأ والمرعى ، أو بسبب وقوع الغارات والغزوات ، او بسبب وقوع الحوادث الطبيعية الجارفة ، كالطوفان والقحط ، وغير ذلك من الاسباب التي كانت تجبرهم على الهجرة من الجزيرة العربية .

وكان الكنعانيون يؤلفون الموجة السامية الثانية التي قذفتها الجزيرة العربية حوالي عام ٢٥٠٠ق.م .

فالكنعانيون إذن من أصل عربي ، ويذكر المؤرخون أنهم من العرب البائدة ، ويؤكد هؤلاء المؤرخون ايضا ، أن الكنعانيين ، من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ ألفي وخمسمائة عام قبل الميلاد .

## غزوتان لأرض كنعان العربية :

وبعد حوالي الف وخمسمائة عام من الحكم الكنعاني لأرض كنعان ، تعرضت هذه الأرض لغزوتين حدثتا في فترتين متقاربتين ، إحداهما من الغرب ، والثانية من الشرق .

اما الغزوة الاولى التي جاءت من الغرب ، فقد قامت بها قبيلة « فلستيا » Philistia من جزيرة كريت باليونان ، فاحتلت هذه القبيلة ، السهل الساحلي ، وقد سميت البلاد كلها فيما بعد باسمهم ، وعرفت باسم « فلسطين » .
اما الغزوة الثانية ، فهي غزوة العبرانيين Hebrews ويقال إنهم سموا بالعبرانيين ، إما لعبورهم نهر الفرات ، واما لعبورهم نهر الأردن من الشرق ، وقد سموا بعد ذلك بالاسرائيليين نظرا لدعواهم أنهم من ذرية يعقوب المعروف بـ إسرائيل ويعقوب هو حفيد ابراهيم الخليل من ولده اسحاق ، وأطلق عليهم اسم « اليهود » .
والعبرانيون ينسبون الى ابراهيم عليه السلام ، الذي هاجر مع أهله وعشيرته من أور جنوب العراق الى منطقة عرفت فيما بعد باسم « الخليل » نسبة الى ابراهيم عليه السلام . وفي الوادي القريب من مدينة الخليل أخذوا يرعون ماشيتهم ، وتذكر التوراة ، أن أبناء ابراهيم عليه السلام رحلوا الى مصر ، فتكاثروا وتناسلوا فيها ، ولما استعبدهم فرعون ، واستذلهم ، وأهانهم ، وضاقت بهم الحياة في كنف فرعون ، خرجوا بقيادة موسى عليه السلام ، وظلوا يتجولون سنوات عديدة في صحراء التيه التي تفصل بين مصر وفلسطين حيث نزلت في طور سيناء الوصايا العشر .
وقد نشأ خلال إقامة العبرانيين في التيه ما يسمى « بالتاريخ السياسي الوطني لليهود » ، وفي هذه الحقبة وضع رؤساؤهم سلسلة من المبادىء والتعاليم ، وكتب عدد منهم ، أسفار العهد القديم من التوراة » .
وبعد وفاة موسى عليه السلام ، قاد يوشع قافلة الاسرائيليين التائهين ، حتى وصلوا الى « أريحا » في مشارق فلسطين ، فدمروا « أريحا » وقتلوا جميع اهلها .
ولم يمض قرن تقريبا على هذا الحادث ، حتى كان العبرانيون قد تمكنوا من غزو « المرتفعات » في فلسطين ، ومارسوا في اثناء ذلك ضروبا من القسوة والوحشية والابادة ضد اهل فلسطين ، ولكن الاسرائيليين لم يتمكنوا من طرد « الشعب الاصلي لفلسطين » وابادته ، وظلت السهول الساحلية بمدنها المحصنة في ايدي « الكنعانيين » سكانها الأصليين .
ثم كانت المملكة الاسرائيلية التي حكمها « داود » ومن بعده سليمان عليهما السلام ، ويؤكد المؤرخون ان هذه الدولة في عهد سليمان ، كانت دولة رمزية وان السيادة الحقيقية فيها كانت لمصر .

## انقسام الاسرائيليين وتشتتهم :

بعد وفاة سليمان عليه السلام ، لم يستطع الاسرائيليون ان يحتفظوا بوحدتهم فقامت بينهم منازعات مستمرة ، وصراعات دائمة ، وانتهى امرهم الى

الانقسام ، فانقسموا الى مملكتين « مملكة إسرائيل » في الشمال « وقامت حول مدينة السامراء شمال نابلس ثم « مملكة يهوذا » في الجنوب ، وقامت حول مدينة « أورشليم » .
والامر الذي نريد ان نلفت النظر اليه ، ان نفوذ هاتين الدولتين « مملكة اسرائيل » و« مملكة يهوذا » لم يشمل كل فلسطين وانما اقتصر على ما حول هاتين الدولتين ، اما الفلسطينيون ، فقد احتفظوا بالسهول والتلال المنخفضة من السهل الساحلي ، والمرتفعات ، ثم لم تلبث هاتان الدولتان ، ان دخلتا في منازعات مستمرة فكانت مملكتهما مسرحا للفوضى والاضطراب والقتال من اجل السيطرة على البلاد وكما قامت بينهما حروب ومنازعات ، قامت ايضا منازعات بين كل دولة من الدولتين ، وبين الكنعانيين تارة ، وبين الفلسطينيين تارة اخرى .. واخبار هذه المنازعات حافلة بها صفحات التوراة .
وفي عام ٧٢٢ق.م حاصر الاشوريون « مملكة اسرائيل » فدخلها « سرجون » ودمر المملكة .
وفي عام ٥٨٦ق.م غزا « بختنصر » ملك بابل ، « مملكة يهوذا » واستولى على « اورشليم » ودمر الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام لليهود ، واعمل القتال فيهم واسر من تبقى منهم ، واخذهم معه الى بابل ، وهذا الغزو هو ما يعرف « بالسبي البابلي » ولم يبق في اورشليم سوى عدد ضئيل من اليهود ، وقد دامت فترة الأسر البابلي لليهود « سبعين عاما » .
وبعد سقوط الامبراطورية البابلية وخضوع فلسطين ، وكل بلاد الشام للحكم الفارسي فكر الملك كوريس ملك فارس في غزو مصر ، والسيطرة عليها ، فرأى ان يستعين بيهود السبى البابلي كمرشدين ، وأدلاء الى مصر اما الارض التي كان يسكنها الاسرائيليون في فلسطين ، قبل السبى البابلي لهم ، فقد اسكنها الأشوريون أسراهم ، وكان الفلسطينيون الذين قدموا من « كريت » ما زالوا ايضا محتفظين بالسهل الساحلي ، والتلال التي وراءه ، وكان قليل من اليهود قد تسلل الى فلسطين ، اثناءالحكم الفارسي لفلسطين ، وهؤلاء المتسللون لم يقبلهم سكان فلسطين من الكنعانيين او الفلسطينيين سكان السواحل ، اما اكثر الاسرائيليين فقد فضلوا الاقامة في بابل ، حيث كانت احوالهم قد استقرت ، وازدهرت اعمالهم ، وحيث اعتادوا اقامة طقوسهم الدينية .
وفي عهد الرومان ، حيث دخل جزء من فلسطين تحت سيطرتهم ـ قام اليهود بثورة ضد الرومان عام ٦٦م ، ونجحوا في الاستيلاء على « اورشليم » فعاقبهم الامبراطور الروماني تينوس بقسوة ، واحرق اورشليم ودمر الهيكل ، وارسل الالوف من اسرى اليهود الى روما .
ثم حدثت ثورة يهود اخرى عام ١٣٢م ، بقيادة باركوبا ولكنها اخمدت ، ودمر الرومان اورشليم ، كما دمروا معبد « جوبيتر » الذي اقيم مكان « هيكل سليمان » وخرج اليهود وتشتتوا في بقاع الارض ، وانبثوا في شمال افريقيا ،

وآسيا ، واوروبا وعاشوا في هذه المجتمعات احقابا طويلة ، لا تربطهم بفلسطين اية صلة من قريب او بعيد ، تاريخية ، او غيرها .
ومما هو جدير بالذكر ان « الحياة العربية » لم تنقطع طوال غزوات العبرانيين أو الفرس ، أو الاغريق ، أو الرومان ، فقد استمر الشعب العربي « الكنعانيون » مستوطنا لبلاده « فلسطين » يتعاقب عليه الغزاة والفاتحون .
ومع أن هذه الغزوات ، قد أثرت الى حد ما في حياة المجتمع الفلسطيني سواء من ناحية تقاليده او من ناحية حضارته ، إلا أن حياة الشعب العربي ــ بكل ما لها من خصائص ومقومات ــ لم تصطبغ بصبغة الفاتحين .
ويؤكد المؤرخون ان فلسطين عندما دخلت في القرن السابع الميلادي في حوزة الحكم العربي الاسلامي ، كانت صبغتها اليهودية ، قد تلاشت تماما منذ زمن بعيد جدا .

## سوء سلوك اليهود وانعزالهم .

ثم ظل اليهود يعانون من التشتيت في المجتمعات الأوروبية ، وذلك بسبب سوء اخلاقهم وتصرفاتهم ، حيث اتهموا بمسئوليتهم عن دم المسيح عليه السلام ، وحيث كانوا يعملون في النشاط التجاري والمالي الذي اتخذ شكل الاقراض بالربا ، واستغلالهم لعناصر غير يهودية ، فكان سلوكهم هذا ، مصدر ما كانت تعانيه الطبقات الكادحة من بؤس وفقر ، بسبب إقراضهم هذه الطبقات بالربا ، وإثقالهم لهم بالفوائد المرهقة ، وهذا السلوك الشائن سبب سخط المجتمعات الاوروبية عليهم ، واضطهادهم لهم ، كما تناول هذا السخط والاضطهاد ، مظاهر شتى ففرضت عليهم قيود اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وحرم عليهم امتلاك الاراضي ، ومزاولة الكثير من المهن الحرة ، كما فرض عليهم عدم الاقامة في بعض المدن ، فعزلوا تماما في اقاليم خاصة بهم ، تعرف باسم الجيتو ، وبعض المدن التي كانوا يعيشون فيها كانت تحيط بها اسوار وحوائط عالية ، وكان الدخول والخروج من هذه الأحياء محدودا ، ولم تكن لهم حرية التنقل خارج هذه الاحياء .
والمعروف أن اليهود أقاموا فلسفتهم في ذلك الوقت على ما أصابهم من بطش واضطهاد وتعذيب .

## خروج اليهود من حياة العزلة :

ونتيجة للثورة الفرنسية التي نادت بمبادىء الحرية والمساواة والاخاء ، وما ترتب على ذلك من تأكيد لحقوق الانسان ، وظهور معان جديدة للانسانية .. نتيجة لذلك كله ، وجد هناك جو فكري للمناداة بتحرير اليهود ، وانطلاقهم من حياة

العزلة والانطواء « الى حياة التحرر والاندماج » مع المجتمعات التي يعيشون فيها .
وقد كان .. وخرج اليهود من حياة العزلة ، واندمجوا في المجتمعات التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها . واصبحوا مواطنين عاديين ، بعد إلغاء القوانين المقيدة لحريتهم ، وبدأت أحوالهم في المجتمعات الاوروبية تتحسن .
ثم بدأ الكتاب الانجليز الدعوة الى استيطان اليهود في فلسطين ، وذلك تحت تأثير حركة الاصلاح الديني في انجلترا ، كما بدأت الدعوة بعد ذلك تنادي بانشاء وطن لليهود في فلسطين ، وقويت هذه الدعوات بعد مناداة « ثيودر هرتزل » ببناء الدولة اليهودية ، ثم أخذت الحركة الصهيونية بعد ذلك في العمل ـ مع اعداء العرب من اجل احتلال فلسطين على نحو ما هو مبين بالمؤلفات التي اهتمت بمشكلة فلسطين .

## فلسطين بلد عربي :

ومما تقدم يتضح لنا الآتي :

● أن فلسطين ـ بما فيها القدس ، وغيرها من المدن الفلسطينية ـ بلد عربي ، استوطنها أولا « الكنعانيون » الذين كانوا يؤلفون الموجة السامية الثانية التي قذفتها الجزيرة العربية عام ٢٥٠٠ ق.م . التماسا للمرعى والكلأ ، وهروبا من وقوع الغارات والغزوات او الحوادث الطبيعية .
● أن فلسطين ـ بكل مدنها ـ ظلت محتفظة ، بعروبتها الخالصة إبان غزوات العبرانيين ، أو الفرس ؛، أو الاغريق ، أو الرومان ، إذ ظل الشعب العربي مستوطنا لبلاده ، مستمسكا بعروبته ، حريصا على مقوماته العربية دون أن يتأثر باتجاهات الفاتحين وميولهم . وقومياتهم .
● أن فلسطين لم تكن أرض اليهود في يوم من الايام ، فلم تكن أرض آبائهم ، أو أرض اجدادهم ، ولكنهم قوم غازون لفلسطين ، مغتصبون أراضيها ، مدعون ملكيتها ، طاردون أهلها ، فقد أثبتنا في صدر هذه المقالة ، ان ارض الكنعانيين تعرضت بعد ١٥٠٠ عام من حكمهم الشرعي المستقر ، لغزوتين ، إحداهما : غزوة العبرانيين ـ وهم اليهود الذين جاءوا من الشرق ـ ـ لأنه لم تكن لهم أرض يستقرون بها ، فهم بعد أن خرجوا من مصر ، راحوا يتجولون في حصراء التيه بسيناء ، وظلوا في التيه مدة طويلة ثم رحلوا عنها الى أريحا .
أما الغزوة الثانية : فهي التي جاءت من الغرب ، وقامت بها قبيلة فلستيا من جزيرة كريت باليونان

**( للموضوع بقية )**

# مائدة القارئ

## توكل على الله

قال الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم : ( يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ) . الآيات ٤٥ ـ ٤٨ من سورة الأحزاب .

## ما أعددت لمثل هذا ؟

شهد الحسن البصرى جنازة امرأة الفرزدق . فقال للفرزدق : يا أبا فراس ، ما أعددت لهذا المضجع ؟

قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله منذ ثمانين سنة ،

فقال له الحسن : هذا العمود فأين الطنب ؟

فقال الفرزدق :

أخاف وراء القبر إن لم يعافنى ... أشد من الموت التهابا وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

يقاد إلى نار الجحيم مسربلا ... سرابيل قطران لباسا مخرقا

## وسائل دفاع

اقتيد لص إلى محكمة ، وبعد أن وجهت إليه التهمة بسرقة أحد المحلات . جلس في قفص الاتهام ، ثم سأله القاضي : هل عندك ما تدافع به عن نفسك ؟. فأجاب اللص : لا يا سيدى .. فقد جردوني من المسدس والسكين .

## مع الجوع .. ومع الشبع

روى الترمذي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : عرض على ربي أن تكون جبال مكة لي ذهبا . فقلت : لا يارب .. أجوع يوما .. وأشبع يوما .. إن جعت رجوتك ودعوتك ، وإن شبعت حمدتك وشكرتك .

## فقير أديب

يحكي أن أعرابيا أتى عليا بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقال له : إن لي حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك . فان أنت قضيتها حمدت الله ، وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله ، وعذرتك . فقال له على : خط حاجتك على الأرض ، فاني أرى الضر عليك ـ وذلك حتى لا يضطره إلى قول ما يؤلم نفسه ـ فكتب الأعرابي على الأرض : إني فقير ..
فقال على لخادمه : ادفع إليه حلتى ـ الفلانية ـ فلما أخذها الأعرابي قال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به ... فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال على لخادمه : اعطه خمسين دينارا . وقال للأعرابي : أما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك .

## الصديق

قال الشاعر :

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثا ... فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للصديق وبذل مال ... وكتمان السرائر في الفؤاد

# مِنْ ثمراتِ الإيمانِ باللهِ تعالى

للدكتور فؤاد محمد محمود العارضة

الايمان بالله سبحانه وتعالى يعني الاعتقاد العقلي والقلبي بأن الله تبارك وتعالى هو وحده خالق هذا الكون ، ورب جميع المخلوقات في السموات والأرض ، لا يشاركه في ذلك أحد ، وبأنه لم يلد ولم يولد ، وهذا الايمان هو الأساس الأول الذي بنيت عليه جميع الأديان السماوية ، وهو الركن الأول من أركان الاسلام الخمسة كما هو واضح ومعروف .

والمتأمل المتفكر في كنه الايمان وحقيقته يتبين له أن الايمان بالله تعالى هو مفتاح الخير والسعادة والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة ، فهو نور قوي دافئ ينفذ إلى قلب المرء فينيره ، وينبت ما يكمن فيه من بذور الخير والفضيلة ، ويخرج ثمارا طيبة كما تزكو وتنضج ثمار الفاكهة تحت ضوء الشمس وحرارتها .

والايمان بالله تعالى مدخله العقل ، ومسكنه ومستقره القلب ، ومرآته السلوك والعمل ، كما جاء في الأثر : « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » .

ويتجلى إيمان المرء بالله سبحانه وتعالى في تقوى الله وطاعته ، والامتثال لأوامره ونواهيه ، قولا وعملا في السر والعلانية .

والايمان بالله شجرة مباركة دائمة الاخضرار والايراق والازهار ، وطيبة الثمار في الدنيا والآخرة ، ولا ثمر أطيب وأنفع من ثمر الايمان بالله ، وثماره في الدنيا الخير والقوة

الرحيمة ، والهدى والحق والجمال والسعادة ، والأخلاق السامية ، والحياة الحرة الكريمة ، وثمره في الدار الآخرة العيشة الراضية في جنان النعيم .

والايمان بالله حقا إذا تمكن من نفس المؤمن ، وضرب بجذوره في أعماق قلبه ، جعل منه شجرة مباركة وارفة الظل طيبة الثمر ، وصيره إنسانا طيبا خيرا لا يقول ولا يفعل إلا خيرا ، ولا يأخذ ولا يعطي إلا طيبا كالنحلة التي لا تأخذ إلا رحيق الزهر ولا تعطي إلا الشهد والعسل .

والايمان بالله يحيي النفوس الميتة كما يحيي الغيث الأرض الميتة ، ويشفي القلوب المريضة كما يشفي الدواء الأجسام العليلة ، ويطهر الصدور من الحقد والغل والحسد ، كما ينظف الماء والصابون الملبس القذر ، فقد قال الله تبارك وتعالى : **( وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا )** الاسراء/٨٢ . والمؤمن بالله حقا تراه يتدفق حيوية ونشاطا وانطلاقا ، ويتقد نخوة وحماسا ، فهو مشحون بفيض من الطاقة الروحية والقوة المعنوية والصحة النفسية ، ويجري في عروقه دم الشباب الحار ، وتسري في جسمه حرارة الرجولة الحقة ، وتطل من عينيه براءة الطفولة ، وبياض قلبها .

والايمان بالله نور للعقول والقلوب ، يضيء لها طريق الحياة ، ويهديها الصراط المستقيم . وبالايمان بالله يرتفع بالمؤمن عن الخوض في وحول الفساد ومستنقعات الرذيلة إلى ربا الشرف والفضيلة ، وينتقل به من حياة الذل والعبودية والسجن إلى حياة العزة والحرية والانطلاق ، فتراه شجاعا جريئا في القول والعمل ، يقول الحق ويجهر بالحقيقة ، ويعترف بالخطأ ويفيض عزة وإباء ومضاء ، يحدوه إلى ذلك قوله تعالى : **( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين )** المنافقون/٨ . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا لا يمنعن رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه » رواه أحمد والحاكم والترمذي . وترى المؤمن بالله حقا سيد نفسه ومالك أمره ، يتحكم بنفسه الأمارة بالسوء ويقودها ، وتعس وذل وصار عبدا لغيره من سادته نفسه واستعبدته .

وترى المؤمنين بالله حقا إخوة متحابين متراحمين متعاطفين كما قال الله عز وجل : **( إنما المؤمنون إخوة )** الحجرات/١٠ . وكما قال رسوله الأمين محمد عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم وأحمد . وتراهم رحماء بينهم أشداء على الأعداء عملا بقوله تعالى : **( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم )** الفتح/٢٩ . كما تراهم يتعاونون على فعل الخير وإحقاق الحق وإقامة العدل ويتآزرون على دفع الشر وإزهاق الباطل وهدم الظلم مستلهمين قوله

تعالى : ( **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ) المائدة/٢ . ويتحلون بالتضحية والايثار كما قال الله تعالى : ( **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ) الحشر/٩ . والمؤمنون يتسابقون إلى ميدان الفداء والاستشهاد مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يحفزهم إلى ذلك قوله عز وجل : ( **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ) التوبة/٤١ .

والمؤمنون الصادقون يعتصمون بحبل الله جميعا ولا يتفرقون لأن الاعتصام بحبل الله تعالى خير وقوة وعزة والتفرق شر وضعف وذلة ، يجمعهم ويظلهم قوله جل شأنه : ( **وإعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ) آل عمران/١٠٣ . ( **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ) الأنفال/٤٦ .

والمؤمن بالله يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه الترمذي والنسائي . ونجده من أولى العزم والبأس والارادة الحديدية ، والصبر العظيم والصمود والثبات في ميدان العمل والكفاح والجهاد .

والمؤمن بالله تراه دائما طلق المحيا منشرح الصدر مشرق النفس بنور الأمل والرجاء والتفاؤل ، لا يتسرب إلى نفسه شيء من ظلمة اليأس والقنوط والتشاؤم الذي دفع ومازال يدفع بعض الناس إلى التردي في هاوية الانتحار . وهيهات أن يناله ذلك وهو متوكل على الله ومفوض أمره إليه ، موقنا بأن ما يصيب المرء أحيانا من ضيق أو مكروه إنما هو ابتلاء لاخلاصه واختبار لايمانه ، ومعتقداً أن اليوم ليل ونهار يتعاقبان ، والشتاء المكفهر يعقبه ربيع جميل ، والحياة يسر وعسر ، وشدة ورخاء ، والأيام تنقلب وتدور ولسان حاله يردد قوله تعالى : ( **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ) يوسف/٨٧ . ويقول مع الشاعر العربي :

عسى فرج يأتي به الله إنه
له كل يوم في خليقته أمر

وإذا ما أصابه مكروه ، أو أفلتت منه فرصة ثمينة ، أو وقع في خسارة مالية ، لم يقع تحت وطأة كابوس الحسرة والندم ، يدفع عنه ذلك إيمانه بالقدر خيره وشره ، وأني يكون ذلك وهو متحصن بقوله تعالى : ( **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ) التوبة/٥١ . ( **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ) البقرة/٢١٦ .

ومعتصم بقوله صلى الله عليه وسلم : « وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم .

وبذلك تلفه السكينة وتغشاه الطمأنينة والراحة النفسية .

وفي العسر والفقر لا ينكمش ولا ينضمر ، وفي اليسر والغنى لا ينتفخ ولا يبطر ولا يغتر . والمؤمن بالله يعرف ما لنفسه وعقله وجسمه عليه من حقوق وواجبات ، وما يجب عليه نحو نفسه وربه وأهله ووطنه ، كما أنه يعرف حده فلا يتعداه ، ولا يغدر ولا يغش فيؤمن جانبه ويوثق به فهو ملتزم بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له » رواه أحمد . وتراه سمحا طيب النفس ، سليم الصدر ، رحيم القلب ، لطيف المعشر ، صادق الوعد ، كما تراه يستخدم ما يملك من قوة وشجاعة ، وطاقة في الخير والحق والبناء ، ولا يستخدمه في الشر والباطل والهدم .

ويعتدل في إنفاق ماله فلا يكون جافا مقترا ولا منسابا مبذرا ، عملا بقوله سبحانه وتعالى : ( **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ) الاسراء/٢٩ . ويعتبر المال وسيلة للحياة الحرة الكريمة الشريفة ويضحي به في سبيل دينه وشرفه ووطنه ، وإذا ما حاول أحد أن يشتري ضميره بالمال ، ويساومه على شرفه ، انتفض وثار عليه ، قائلا له ما قاله شاعر الرسول حسان بن ثابت :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه
لابارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه
ولست للعرض إن أودى بمحتال

ويأبى عليه إيمانه إلا أن يحافظ على شرف غيره ، كما يحافظ على شرفه هو .

والايمان بالله سلاح بتار يفل سلاح الحديد والفولاذ ، وإذا ما تسلحت به قلة تغلبت على كثرة كافرة ، وقد تسلح به العرب المسلمون في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفي عهود خلفائه الراشدين والأمويين والعباسيين ، وقد كانوا قلة مؤمنة فعزوا به وسادوا ، وحطموا أكبر دولتين استعماريتين في ذلك الزمن ألا وهما دولتا الفرس والروم ، فقلة مؤمنة تغلب كثرة كافرة ، كما قال الله تعالى : ( **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** ) البقرة/٢٤٩ .

والايمان بالله يجعل المرء المؤمن يأمر نفسه وغيره بالبر والمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر تلبية لقوله تعالى : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف** ) آل عمران/١٠٤ وإذا ما رأى المؤمن منكرا لم يتقاعس عن تغييره بيده أو بلسانه أو بقلبه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه أحمد . ويدفعه الايمان الصادق إلى المحافظة على المصالح العامة كما يحافظ على مصالحه الخاصة ، وإلى رعاية وطنه وأسرته الكبيرة كما يرعى داره وأسرته الصغيرة .

# من سمات مجتمع التوحيد

مؤذن

**للدكتور : عبدالفتاح محمد محمد سلامة**

لمجتمع القرآن الصاعد ملامح وسمات تألقت وازدهت ، عندما استحالت إلى سلوك عملي فذ ، وانعكست قوانين أخلاقية ، ومبادىء حضارية التزم بها ـ في حب واعتزاز ـ أصحاب النبي العظيم محمد عليه صلوات الله وسلامه ، فأصبحت هذه الملامح وتلك السمات علامات بارزة ، وبصمات واضحة في مسيرة أولئكم الأمجاد من عباد الله ، كما أنها غدت قمما شامخة في دنيا المجتمعات ، التي كادت ـ لأفلاسها من القيم ـ تهوى من حالق ، وترتطم بالصخور ..

**( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )** الجمعة / ٢

وإذا كان رب العزة ـ تبارك وجل في علاه ـ هو الذي نعت بنفسه مجتمع الايمان في ظلال القرآن .. فمعنى ذلك ومؤداه : أن مشكاته التي تفجر منها ، ربانية في صبغتها ، إلهية في صنعتها ، وأن دوحته التي ينتمي إليها شجرة طيبة :**( أصلها ثابت وفرعها في السماء )** ابراهيم / ٢٤

واليوم تحلق اليراعة في مجالات

قدسية منيرة ، وهي تتحدث عن جانب من مجتمع التوحيد الذي وصفه الله أصدق وصف وأزكاه عندما قال :

**( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا )** الفتح / ٢٩ .

والنص هنا يتحدث عن المعية الاسلامية التي كانت تربط نبينا وزعيمنا محمداً عليه الصلاة والسلام بأصحابه الأفذاذ ، وكيف أنها ذهبت مثلا عاليا في التاريخ البشري كله .. فليس لها في بابها نظير ولا شبيه :

**( صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة )** البقرة / ١٣٨ .

ويكفينا هنا أن نقف أمام جزئية من النص تتحدث عن أصحاب محمد ، وهم الغراس اليانع الناضر في مجتمع « **لا إله إلا الله** » وهي قوله تعالى : **( أشداء على الكفار رحماء بينهم )** والأشداء جمع شديد وهو العنيف القاسي الذي لا تلين له عريكة ولا تأخذه هوادة ، وكذلك كان شأن أبناء الاسلام ، الذين رباهم نبيهم الجليل على الاباء وعزة النفس ، وعدم الرضوخ للذل ، أو الخنوع للضعف والرضا بالهوان .. فهم أسود مغاوير ، قادة بهم ، شجعان أقوياء ، لهم عزائم تفل الحديد ، وتذيب جلاميد الصخر ، ولهم إرادات وثابة متحفزة لا تخبو – في سبيل الحق – جذوتها ، ولا تنطفئ شعلتها .. ورحم الله المتنبي حين هتف :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

هم قوم سلاحهم الايمان الصادع ، وزادهم اليقين الراسخ ، فما عرف الضعف يوما طريقه إلى قلوبهم ، ولا تسرب الوهن يوما إلى نفوسهم ، لأنهم اعتزوا بالله فأعزهم ، وتقووا به فقواهم ، واستنصروا به فنصرهم ، فلهم من الخشونة أوفى نصيب ، ومن قوة الشكيمة أكبر جانب .. ونحن نلاحظ أن التعبير هنا « أشداء » بهذه الصورة التي توحي بالمبالغة المستفادة من التشديد ، يضفي على الجو ظلالا من العنف الشديد ، والشدة العنيفة ، التي لا تبض بقطرة واحدة من اللين .. غير أن الذين سيكتوون بهذا الجو ، ويقاسون رهبته ، ويصلون حممه ، ويتعرضون لقذائفه الحامية الملتهبة ، هم أهل الشرك وأرباب الكفر وطواغيت الجاهلية الذين نصبوا من أنفسهم آلهة من دون الله ، جاحدين خالقية الخالق ، ملحدين في آياته ، وقد نصبوا شباكهم وحبائلهم ليصدوا الناس عن دين الله ، ويحولوا بينهم وبين شرعه الكريم .. مع أن الله توعد من يسلكون هذا النهج المعوج بعذاب تنخلع له القلوب ، وتنفطر له النفوس فقال تبارك اسمه :

**( إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقي في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير . إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه**

**الباطل من بين يديه ولا من خلفه )** فصلت / ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

وقال تعالى : **( إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون )** الأنفال / ٣٦

هؤلاء الذين عميت عيونهم عن الحق بعد ما بدا سافرا ، وقلبوا ظهر المجن لرسالة الهدى وقد انبلج صبحها وانبثق فجرها فمحا بنوره جحافل الظلام ، وعسعسات الليل البهيم ، وصموا آذانهم عن صوت السماء الذي يخترق الشغاف من قلوبهم وهم في ذلك كله صرعى الأهواء وضحايا الشيطان ، فضربوا صفحا عن الذكر لما جاءهم ، وما كفاهم هذا المسلك الشائن ، بل صاروا عقبات كأداء تحجب الخير وتسد منافذ النور .. هؤلاء الذين يضمهم لواء الكفر ، وتجمعهم راية الشرك ، ويحكمهم اتجاه واحد هو ضرب الدين في معاقله ، والقضاء عليه في مرابضه .. هم الذين يجب على أبناء التوحيد ألا تأخذهم فيهم لومة لائم وألا تكون هناك هوادة في نزالهم ومجالدتهم حتى تتقلم أظفارهم وتتخضد شوكاتهم ، وواجب على أشبال الايمان ألا يدعوهم حتى يمرغوهم في أوحال الذلة والهوان ليعرفوا ويتيقنوا أن الأمر كما قال أحكم الحاكمين .

**( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون )** المنافقون/ ٨ .

ولقد كان أتباع محمد عليه الصلاة والسلام يؤمنون بهذه القيمة الغالية « مقاومة الكفر وأهله » .. إيمانا لا حد له ، فقاتلوا الكفر على جميع الساحات ، وتعقبوا الشرك في أوكاره ، ولم تنحن لهم هامة ، ولا لانت لهم إرادة وهم يواجهون الأعاصير الهوج ، ويعايشون اشد ساعات المحنة ، فكانوا يستجيبون لله وللرسول إذا دعا داعي الجهاد ، ودوى صوت النفير العام ، وخاضوها معارك ضروسا ، وحروبا ضارية ، ليوقفوا الكفر عند حده ، ويحطموا قلاعه ، وهم في ذلك لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم .. ولقد سجل التاريخ لأحدهم في صحائف الفخار والشرف كلمة سار ذكرها في الخافقين ، ولم يبلها كر الجديدين : « لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

وظل الرعيل الأول من أبناء التوحيد ، تحركهم هذه القيمة الحضارية ، ويلون سلوكهم هذا المد البطولي الخارق ، مما جعل الكفر يرتاع ، وينكمش في نفسه حتى توارى عن العيون ، وسحبت عليه ذيول النسيان .. وبقيت القوة في مجدها وعلوها ، في أيدي جنود الرحمن الرحيم ، وبذلك صدق وعد الله الذي قطعه على نفسه حين قال :

**( هو الذي أرسل رسوله بالهدى**

**ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا )** الفتح / ٢٨ .

وهناك حقيقة يؤكدها التاريخ ، وتدعمها الحوادث ، وتؤيدها الوقائع وهي أن المسلمين ما هانوا وذلوا ، وما ضعفوا وما استكانوا ، بل ما أفلت الزمام من أيديهم .. إلا بعد أن تخلوا عن هذا المبدأ الشجاع الذي غرسه القرآن في النفوس ، والذي يتمثل في مطاولة الباطل ومغالبة الشرك ، والانضواء تحت راية الله العزيز .. فلما تنكر المسلمون لتعاليم قرآنهم ، وأهملوا عناصر القوة والظفر الكامنة فيه ، وبدأت عيونهم تزيغ ، وأهواؤهم تميل مع كل دخيل ، وأخذت التيارات الرعناء تتراقص أمامهم في بهرجها الكاذب ، وسرابها الخادع ، وكشفت لهم الدنيا عن مفاتنها ومغرياتها ، وجعلت تتبدى لهم في تزاويق ماكرة خبيثة ، تخلب بها ألباب الأغرار ، فتأسر بهذه الفتنة الناعمة نفوسهم ، وتنسيهم الواجبات التي نيطت بهم .. عندما انحدر المسلمون إلى هذا الوضع ، وتدلوا إلى ذاك الدرك ، ونسوا وضعهم الأصيل ومركزهم الخطير ، وأهملوا دورهم الرائد في إصلاح الحياة ، وتوجيه مسيرتها إلى الله ، ثم سال لعابهم وتحلبت أشداقهم أمام هذا اللألأ الخاطف ، فركنوا إلى الدنيا واستحلبوها ، وجعلوها غايتهم ومحور نشاطهم ، فألهبت ظهورهم بسياطها ، وساقتهم سوق الرقيق .. فصرعتهم تحت سنابكها ، ثم أخذوا يتهاوون كالفراش بعد أن أسكرتهم بخمرها ، فراحوا يترنحون ، وفي سبات الغفلة يغطون .. ولا عجب في هذا ولا نكير ، فإن من شأن المؤمن أن يجعل الدنيا دوما في يده لا في قلبه ، حتى لا تتسلط عليه فتحيله الى عبد من عبيدها المتهافتين .. جاء في الحديث القدسي عن رب العزة والجلال :

**( أوحى ربك إلى الدنيا : يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه )** رواه أصحاب السنن ..

وماذا تنتظر أن يحل بالمسلمين بعد أن ساء الحال ، ولانت السبال ، وهان الرجال ، واعتكر المآل ؟؟ لقد أناخت الهزيمة بديارهم ، وحلت في رحابهم ، وأفاقوا من هول الصدمة فاذا بهم يواجهون حقيقة مروعة .. تبدد وضياع ، وتمزق وتشرد ، وجهل وتأخر وانقسامات واحتراب ، وعصبيات هوجاء ، وفرق وطوائف كل منها تكذب الأخرى وتلعنها .. وصدقت نبوءة من لا ينطق عن الهوى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم :

« ستفترق أمتي على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل : من هي يا رسول الله .. قال : ما أنا عليه وأصحابي » .. الترمذي ..

ونظر الأعداء بعيونهم الساهرة إلى هذا القطيع الهائج المائج ، ورأوا هذا الحشد الهزيل وقد تفككت عراه ، وأشرف على حالة هي الاحتضار بعينه ، فاهتبل المجرمون هذه الفرصة ، وانطلقوا ينخرون في عظام هذه الأمة ، ويقوضون دعائمها ،

ويأتون على بنيانها من القواعد ، فاذا بها تصبح لقمة سائغة ، ونهبا موزعا ، يتقاسمه الطغاة ، ويعبث به الظالمون .. « وإنما تأكل الذئاب من الغنم القاصية » ..

لقد أصبح المسلمون غرباء في ديارهم ، مستعبدين في أوطانهم : أذلة على الأعداء ، أعزة على إخوانهم .. ذلك لأنهم رضوا بالهوان ، وقبلوا الدون وتعلقوا بسفساف الأمور .. ومن يهن على نفسه فهو على غيره أشد هوانا :

**( ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم )** الحشر / ١٩

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

إن المسلمين في حاجة ماسة الى يقظة شاملة ، تزيح عن كواهلهم ركام قرون خلت من التبعية والانحلال والتأخر والجهل ، ولا بد لهم ـ كذلك ـ من وثبة شامخة يتعالون بها على الأحداث ، ويصبغون حياتهم بمقتضاها صبغة جديدة ، يرضاها ربهم ، وتتعانق مع مصحفهم وسنتهم ، ولن يتم لهم ذلك الا إذا ساروا في الدائرة المضيئة التي رسمها لهم مولاهم الذي ينصر من يشاء ، وهي تتمثل في الاعتصام بالله والتمسك بدينه ، واحتقار الكفر ، ونبذ الشرك ، وعدم اللين مع أعداء الله .. فان لم يعدلوا مسيرتهم ، ويعيدوا إليهم زمام الأحداث ، وتصبح لهم الزعامة والريادة ، فان الله تعالى لن يبالي بهم .. ولن يعبأ بهذه الكثرة المتهالكة التي هي أشبه ما تكون بغثاء السيل :

**( يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم )** المائدة / ٥٤

« لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي فان خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من لا يخافكم ولا يرحمكم حتى تعودوا إلى سنتي » رواه مسلم

هذه ومضات تشع بها آفاق الآية الكريمة : **( أشداء على الكفار )** وعندي أن المقصود بلفظ « الكفار » لا ينبغي أن ينصرف الى عبدة الأوثان أو من يجحدون ربوبية الخالق العظيم وحدهم .. بل إن هذه الكلمة يجب أن تشمل هؤلاء وغيرهم من أصناف البشر الذين خربت قلوبهم ، ونضب معينها من المعاني النبيلة والقيم الرفيعة والأخلاقيات السامية .. وبذلك لا يجد الباطل أمامه مجالا يعبث فيه ، فيكر عليه الحق ويتعقب فلوله المهزومة حتى يجهز عليها .

كل هؤلاء يجب أن تطهر منهم مجتمعات التوحيد ، وتصفو من براثنهم قوافل الايمان ، حتى تظل المسيرة مرفوعة اللواء ، مسددة الخطى ، خفاقة الأعلام ، وبذلك يكتمل هيكلها الحضاري ، وتقتعد ذروة المجد المادي والأدبي .. وهذا ما

تحقق لأتباع محمد عليه الصلاة والسلام يوم أن استقاموا على أمر الله ، وتدثروا بشعار الاسلام الخالد :

**( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين )** المنافقون / ٨ ويا لها من كلمة ماجدة قالها الصديق أبو بكر لأحد قواده : « احرص على الموت توهب لك الحياة » فلقد كانت هي ومثيلاتها زادا حيا ، به اندفع المسلمون بكل ثقلهم يدكون صروح البغي ، ويثلون عروش الظلم ، ويبنون للحضارة والمدنية معاقلها الحصينة ، ويؤثلون للنهضة السوية دعائمها الوطيدة ، وركائزها المتينة ..

تلك قاعدة أساسية لنهضة المجتمع المسلم ، في ظلال التوجيه الرباني للمسلمين أن يكونوا في كل ظروفهم وملابساتهم : **( أشداء على الكفار )** ويتابع النص المقدس ذكر صفات وملامح مجتمع الايمان ، فينعت أبناءه بهذه الصفة التي تقطر عذوبة ولطفا : **( رحماء بينهم )** إن القرآن هنا يبدع في رسم الصورة المثلى لأصحاب محمد ، وهي ناحية يقف إزاءها أرباب الأقلام وأبرع المهندسين مأخوذين مبهورين ..

وأنت ألست ترى معي : أن هناك صفتين متنافرتين متضادتين هما : « الشدة والرحمة » ؟ فكيف في جماعة واحدة يلتقيان ، وعلى أي الأوضاع يتواردان ؟؟ إن هناك بعدا بينهما كبعد السماء عن الأرض .. ومع ذلك فان القرآن ببيان الاعجاز وإعجاز البيان ، جمعهما في سياق واحد ، ووصف بهما جماعة واحدة ، ذات مشارب واحدة ، واتجاهات واحدة .. في أسلوب ساحر وتركيب رصين يأخذ بمجامع القلوب ، شأن كتاب الله في استعمالاته البيانية الرائدة ، التي يتتلمذ عليها أقطاب الفصاحة وأئمة البلاغة .

**( رحماء بينهم )** إي والله !!! نعت جليل ووصف نبيل .. خلعه كتاب الله على أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وتوج به « وسهم وجعله جوهرا نقيا صافيا تتفجر منه كل معاني الأخلاق السامية ، والشمائل الرفيعة والقيم الخالدة .. وإن الرحمة في ظلال الشريعة السمحاء لها مفهومها الرحب ، ومدلولها الكبير ، فهي أشعة دافئة يصطلى بها المقرور ، وظلال وارفة يأوى اليها المحرور ، وهي للجماعة بلسمها الشافي ، وروحها الساري ، وإكسيرها الذي يمدها بالحياة ، ويغذيها بالعافية ، وينشر حولها سياجا يحميها من الخطوب ، ويقيلها من عثرات الأيام .

وإذا كان أتباع محمد عليه السلام ، قد استحالوا في نظر أعدائهم إلى ما يشبه الصخور التي لا تجود بقطرة واحدة من ماء ، فانهم في ذات الوقت كانوا يذوبون رقة ولطفا لاخوانهم في الله ومن تربطهم بهم صلة العقيدة ولحمة الدين ، وكان الواحد منهم يحمل بين جوانحه قلبا يقطر لينا ويفيض أريحية ويتضوع سموا ويعبق جلالا وجمالا ..

ولم لا يكون وضعهم هذا ، وقد

كان نبيهم وإمامهم عليه صلوات الله سيد الرحماء ؟ وما بالك بنبي رسول يخاطبه رب العالمين فيقول : ( **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ) الأنبياء / ١٠٧ :( **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم** ) آل عمران / ١٥٩ :( **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ) التوبة / ١٢٨ .

وما أجل وصف الرسول هنا بأنه ( **رءوف رحيم** ) وهما من أسماء الله وصفاته ، على أن الرأفة هي الرحمة البالغة ، وكذلك كان الرسول رحمة تدب وتمشي على ظهر الأرض .

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء

والرسول الجليل عليه صلوات الله ، يعلن عن نفسه في بيان عجيب : « إنما أنا رحمة مهداة » الترمذي .
وما فتئ يذكر أتباعه بالرحمة ، فكان يصيح بملء عقيرته :« الراحمون يرحمهم الرحمن .. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » مسلم .
« لا تنزع الرحمة الا من شقي » البيهقي .
« من أحب أن ينسأ له في أجله ويبارك له في رزقه فليصل رحمه » . البخاري .
وما أعجب الرحمة في منهج القرآن العظيم ، إنها تشمل المخلوقات كلها ، حتى الحيوانات العجماوات ، بل حتى الجمادات .. استمع الى نبي الرحمة الماجد :
« دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » ابن ماجة .
« غفر الله لرجل صاحب مكس لأنه سقى كلبا من العطش » أبو داوود .
أرأيت إلى الحشرات السامة التي أمرنا بقتلها ، إننا مطالبون – قرآنيا – أن نطبق معها شعار الرحمة ، فنسرع في الاجهاز عليها ، حتى لا يتضاعف شعورها بالألم .
يقول الرسول المعلم :
« من قتل وزغة – حشرة سامة كالأفعى – من أول ضربة كتب الله له مائة حسنة » البخاري .
حتى المثلة بالسباع المفترسة حرمها الاسلام .. تأكيدا لمبدأ الرحمة :
« إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » ابن حبان .
ويأتي دور المرافق العامة والأشياء التي يستفيد بها الناس جميعا ، لقد حماها نبي الرحمة من تطاول العابثين ، وتسلط المفسدين :
« من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم ، عبثا وظلما ، صوب الله رأسه في جهنم » متفق عليه .
وبعد فهذه هي الرحمة في القرآن ، وتلك ظلالها التي انسابت فكونت خير المجتمعات .. ولقد قال النبي : « لله أرحم بعبده المؤمن من الأم بولدها » البخاري .

# أنت الضياء

للاستاذة
روحية القليني

يا رب مهمـا أظلمـت دنيـاي أنـت لي الضياء
وإذا مرضـت فأنـت يا ربـي طبيبـي .. والدواء
بيديـن ضارعتـين أدعـوه .. وروح من ولاء
وبدمعـة حرى أناجيـه ... وقلـب من صفاء
وبسجـدة طالـت مع الايمـان في صدق الدعاء
وبـكل إيمـان وتقـوى أرتضى حكم السماء

* * * *

الحـب في عينـي دمـع وابتسامـات وضيه
والشـكر في قلبـي رضـاء وابتهـالات سخيه
أنـا ما اتكلـت على سواك أنـا بنعمتـك الغنيه
فلـكم أحلـت الشـوك في دنيـاي أزهـارا نديه
ويهـون كل الصعـب يا ربـي وأيامـي العصيه

* * * *

يا كم أسبـح باسمـك الغـالي بأوقـات السحر
أنـى ذكرتـك يستريـح القلـب من ضيـق وشر
وإذا تكاثـرت الهمـوم علي واشتـد الضجر
ادعـوك بالقـرآن ضارعـة فتمحـو كل ضر
وتـذوب آلامـي وتشرق بسمتـى ... بك استقر

* * * *

ولـكم دعوتـك في دياجـي الليـل والدنيـا سكون
لا شئ يشغلنـي سوى مولاى رب العالمين
وتـكاد مسبحتـى مع الايمـان تنطـق بالحنين
أسمـاؤك الحسنـى أرددهـا بأنـوار اليقين
فينـير لي دربـي ويـؤنس وحدتـي نور مبين
بك يا الهـي قوتـي .. بك استظـل وأستعين
أنـا ما قصـدت سواك يا ربـي فوحـدك لي المعين
إمـا ذكرتـك كل ما ألقـاه في الدنيـا يهون

# جَامِعَةُ دَارِ العُلُومْ

## ديوبند - الهند

○ تخرج منها أفواج من العلماء الراسخين في العلم .
○ جامعة شامخة عظيمة مضى من عمرها المديد مائة عام ونيف .
○ قامت سدا منيعا في وجه الدعوات الهدامة المعادية للاسلام .
○ قدمت زادا فكريا وخصوصا في علوم الحديث الشريف .
○ تشارك الكويت بجهد لا يعرف الملل إخوانهم المسلمين هناك وتقدم لهم العون .

**منذ** أيام انعقد ملتقى للفكر الاسلامي على المستوى العالمي وتم هذا اللقاء في ٣ـ٥ من شهر جمادي الأولى سنة ١٤٠٠ هـ المصادف ٢١ ـ ٢٣ من شهر مارس ١٩٨٠م في مقر جامعة دار العلوم بديوبند التي تقع في الولاية الشمالية على بعد تسعين ميلا من العاصمة الهندية .

**وقد** توافد المسلمون من كل مكان ليلمسوا عن قرب نشاط تلك الجامعة التي قدمت للعالم الاسلامي الكثير ، ولكي يشهدوا تجمعا اسلاميا عظيما تجاوز صداه أرجاء المعمورة .

وفود شتى تمثل علماء المسلمين ، وقادة الفكر ، وأيضا وفود تمثل العاملين في الانشطة الاعلامية المختلفة .

وليس غريبا على أمة ارتفعت رأية الاسلام فيها خفاقة عالية ، القرون الطويلة ان تكون هذه ثمارها .

إن هذا التجمع دليل حي على سرعة استجابة الشعب الاسلامي لكل نداء باسم الاسلام ، يهرعون اليه ، لأنهم يرجون منه الخير لأنفسهم وأمتهم . فشرارة الايمان تخرج من مكمنها فتشمل بنورها الوضاء القلوب ، وتحيل الجهل إلى معرفة وهداية ، وتضع الاجيال المؤمنة على الطريق السوي .

ويرجع الفضل في انتشار الاسلام في شبه القارة الهندية إلى الدعاة المسلمين من العرب ، والهنود الذين اقتفوا أثرهم وساروا على نهجهم فتفقهوا في العلوم والمعارف الاسلامية . ثم أصبحت الهند من أهم المراكز الاسلامية في آسيا يقصدها الدارسون الراغبون في تحصيل العلم ، فتخرج هناك فطاحل العلماء الذين أسهموا بجهد وافر في خدمة العلم والدين والثقافة الاسلامية وكانوا خير مثل يحتذى .

وجامعة دار العلوم هي اقدم جامعة في شبه القارة الهندية على الاطلاق فقد أسست منذ أكثر من مائة عام ، وأشرف عليها نخبة من خيرة العلماء وكان من أبرز من دعا إلى إنشائها حجة الاسلام مولانا الشيخ محمد قاسم النانوتوي وتاريخ تلك الجامعة زاخر بالعلماء والباحثين والفقهاء ممن لهم باع طويل في خدمة العلم ، وهؤلاء مكثوا يدعون ، وينشرون الاسلام ، ويعملون على تأصيله في النفوس ، حتى أقاموا منارا عاليا للثقافة الاسلامية ، وتركوا معالم وآثارا في طول البلاد وعرضها ، وأثروا الحياة العامة للمواطنين وخلفوا تراثا علميا قيما ازدانت به المكتبة الاسلامية ، إذ تحتوي مكتبة جامعة دار العلوم على ما يقرب من ١٢٠ ألف كتاب في شتى المعارف والعلوم ، وتحتل الجامعة مساحة شاسعة تضم دارا للقرآن الكريم ، ودارا للتفسير وثالثة للحديث إلى جانب العديد من دور العلم المختلفة ، وتهتم الجامعة بشكل ملموس وخاص بتدوين الحديث على المستوى الشامل رواية ودراية .

من جهة أخرى يحرص المسلمون حرصا شديدا على الاسلام غير ان أروع فصول البطولة والتضحية كان كفاحهم السياسي واحتفاظهم بدينهم بعد فقد سلطانهم الاداري فمسلمو الهند من اكثر الأقليات في العالم تمسكا بدينهم ، وحتى يجعلوا لهذا التمسك قوة تسنده وتشد أزره ، وتقوم سلوكه أقاموا الكثير من المعاهد والمؤسسات الاسلامية والعربية من أهمها وأعرقها جامعة دار العلوم بديوبند التي أسست في أصعب ظروف سياسية واجتماعية للمسلمين في شبه القارة الهندية ، فكانت ركيزتهم العلمية التي مدتهم بالثقافة النقية ، وقد تخرج فيها المحدث الكبير انور شاه الكشميري ، وشيخ الاسلام حسين أحمد المدني ، وشيخ الاسلام شبير أحمد العثمان . ولا غرو فهم قد أسلموا عن يقين فلا تؤثر فيهم العواصف مهما

كانت عاتية ، ولا عوادي الأيام الظالمة ، ولا تحولهم عن دينهم دعوات الالحاد المارقة .

**ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب**

وكانت الجامعة حصنا منيعا ذابت امامها شبهات المشككين حول الاسلام كالقديانية والبهائية وغيرهما .
وقد أشاد بالجامعة من زارها من الأساتذة الاجلاء أصحاب الفكر والعلم . وجامعة تلك خدماتها للاسلام والمسلمين ، وهذا تراثها وتاريخها خير شاهد على مكانتها حرى بنا ان نحتفل بها ، ونذكر الناس بفضلها ، ونرجو أن تظل المنارة العالية والمعهد العتيد الشامخ ، والأمل المرجو للاسلام والمسلمين في وجه الطغاة والمفسدين ، وأصحاب البدع والأهواء لأنها أسست على تقوى من الله ورضوان ، فكانت النبراس الذي يضيء الطريق في ظلمة الجهل الحالك .
ولقد أخذ المسلمون هناك على عاتقهم حراسة أقدس وأثمن ما يعتز به المسلمون في كل مكان ألا وهو الاسلام ، وتحملوا عبء النهوض به وغرس حبه وصيانته في القلوب وسط الأمواج العاتية التي تهب عليهم من كل صوب .
وعلى المسلمين ألا ينسوا أخوة لهم في شبه القارة الهندية ، وأن يظلوا دائما محل التقدير والعون حتى يواصلوا المسيرة فقد حملتهم المقادير دورا كبيرا ، لكن عون الله معهم ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .
هذا وللعرب والكويت بصفة خاصة علاقة عميقة الجذور بشبه القارة الهندية زادت وثوقا وتأصلا ومتانة بالاسلام ، وبين الحين والحين تستقبل الكويت الوفود المسلمة من تلك البقاع بهمة لا تعرف الكلل تبارك وتعضد الانشطة الاسلامية المنبعثة من شبه القارة الهندية بما تقدمه من عون مادي وأدبي وقد شاركت الكويت جامعة دار العلوم احتفالها بعيدها المئوي بوفد رسمي من معالي وزير الأوقاف ، والشئون الاسلامية السيد / يوسف جاسم الحجي والأستاذ / عبدالله العقيل مدير الشئون الاسلامية بالوزارة ، والأستاذ فيصل مقهوي مدير مكتب السيد الوزير .
وانطلاقا من معرفة الكويت وتقديرها للدور الذي تلعبه جامعة دار العلوم بديوبند ارسل سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح كلمة ألقاها نيابة عن سموه السيد / يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف جاء فيها :

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن سار على هداه .**
**اخواني ،**
**يطيب لي في مناسبة الاحتفال المئوي بانشاء الجامعة الاسلامية ـ دار العلوم ديوبند ـ الهند، أن أبعث اليكم ـ باسمي وباسم حكومة الكويت وشعبها ـ بخالص التهنئة ، راجيا للجامعة الموقرة كل تقدم وازدهار .**

**وان العالم الاسلامي ليذكر بالتقدير وعرفان الجميل ، الجهود الدائبة التي قمتم بها . في تكوين اجيال متتابعة من الشباب والعلماء المختصين في فروع المعرفة الاسلامية ، وما عكفوا عليه من انتاج علمي : نشرا لنفائس المخطوط وتحقيقا وشرحا لكتب التراث ، وتأليفا لجديد تحتاج اليه مسيرة الاسلام ، واستطعتم بهذا ان تعينوا على تجلية العقيدة ورد ما يثار حولها من شبهات وتثبيت الايمان في نفوس متطلعة الى الخير ، فكانت جامعتكم منارا يشع منه الضوء الهادي ، ونهرا فياضا بالخير يستقي منه الظامئون الى الايمان .**

**ويأتي احتفالكم على موعد مع قرن هجري جديد ، تتسع دائرة الآمال ، وتمتد انظار العالم الاسلامي الى جامعاته حيث أكرم ملتقى بين العلماء والشباب ، وتتكون الاجيال التي تحمل مسؤولية الحاضر وامانة المستقبل ، وتستطيع ـ بعون من الله ـ ان تقابل تحديات الحياة وما اكثر تنوعها مع التقدم الكبير الذي تحققه الانسانية في مسارها العلمي المتفتح .**

**اخواني ،**

**ومهما تفتحت آفاق العلم امام الانسان ، فسيظل بحاجة دائمة الى الايمان العميق بالله ، فلا يزيده العلم الا تواضعا ولا يزيده التقدم الا رغبة في الخير . وبغير الايمان يصبح العلم سلاحا باطشا في يدي القوى ، وأداة للسيطرة على الشعوب الاقل علما . ولن تستطيع آمال الانسانية ان تحلق في آفاق مستقبلها الا بجناحين من التقدم العلمي والايمان بالله تعالى .**

**وكما نود ان تكون جامعاتنا في القرن الهجري الجديد مثابة علم وايمان ، نود ان تكون مثابة اخاء ومحبة . اخاء بين الشباب ، اخاء بين الاجيال . اخاء بين الشعوب . اخاء تمتد فروعه وينتشر ظله الوارف ليسعد فيه الناس وينعموا .**

**فعلى بركة الله سيروا ايها الاخوة والابناء في الجامعة الاسلامية ـ دار العلوم ديوبند الهند ، والله ادعو ان يؤيدكم بروح من عنده ، وان يوفقكم على طريق الايمان والاخاء والعلم ، انه نعم المولى ونعم النصير .**

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

وقد كان لمجلة الوعي الاسلامي لقاء مع الأستاذ عبدالله العقيل مدير الشئون الاسلامية بالوزارة وعضو وفدها الى هذا الاحتفال .

قلنا لسيادته :

**مكث المسلمون زهاء ثمانية قرون أصحاب السلطان في شبه القارة الهندية فهل لسيادتكم ان تحدثوا السادة القراء عن تلك الفترة المجيدة من تاريخ المسلمين هناك ؟**

**فقال :**

نعمت الهند منذ الفتح الاسلامي على يد القائد المسلم محمد بن قاسم

**( فأهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين )** الأعراف/١٣ .

**( فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/٣٤ ــ ٣٥ .

وقال تعالى :

**( واستكبر وكان من الكافرين )** البقرة/٣٤ .

في هذه الآيات يبين الله لنا الحكم الابتدائي الذي صدر ضد ابليس وهو الخروج من الجنة ومن رحمة الله ، والهبوط والنزول منها صاغرا حقيرا ، لأنه من الكافرين ، وأنه سيكون رجيما من الانسان الذي لم يسلم بأفضليته ، كما سيكون ملعونا من جميع مخلوقات الله ما بقيت الدنيا ، وأن اللعنة ستلحقه دائما إلى يوم القيامة ، وهو يوم الدين ويوم الحساب ، وأنه سيكون من الصاغرين .

وقد قرن الله الحكم بالحيثيات ، حيث قال تعالى : **( فما يكون لك أن تتكبر فيها )** ثم رتب عليه الجزاء ، فقال تعالى بعدها مباشرة : **( فاخرج إنك من الصاغرين )** .

**الحكم على آدم وحواء**

قال الله تعالى :

**( اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين )** الأعراف/٢٤ .

يبين الله سبحانه وتعالى الحكم الابتدائي الذي حكم به على أول أسرة تكونت من الانسان ــ آدم وحواء ــ وهذا الحكم هو الهبوط إلى الأرض لتكون مستقرا ومتاعا لفترة من الزمن مؤقتة وليست دائمة ، وستكون هناك عداوة بين بعض الانسان والبعض الآخر ، وعلى ذلك فقد أضيف عدو جديد للانسان ، ولكن هذا العدو سيكون من جنسه ، قال الله تعالى :

**( يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم )** التغابن/١٤ .

وقال تعالى في النصارى : **( فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة )** المائدة/١٤ .

وقال تعالى في اليهود : **( وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة )** المائدة/٦٤ .

وقال تعالى : **( وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا )** الأنعام/١١٢ .

وقال تعالى : **( وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للأنسان عدوا مبينا )** الاسراء/٥٣ .

**ما بدر من العصاة بعد الحكم الابتدائي**

**ما بدر من إبليس :**

قال الله تعالى :

**( قال انظرني إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم**

العلم والجامعات والمعاهد الاسلامية التي تعني بعلوم الاسلام واللغة العربية بحيث تخرجت افواج كثيرة من هذه المعاهد واضطلعت بمهمة الدعوة والارشاد والتعليم والتوجيه .

وقلت للأستاذ العقيل :

**تفخر شبه القارة الهندية بتراث هائل في الفقه والتفسير وفي علوم الحديث الذي هو الطابع المميز لجامعة دار العلوم والذي قدمت من خلاله اعلاما في الفكر والثقافة الاسلامية تتيه بهم ، ويعتز بعلمهم العالم الاسلامي .**

**نود ان نلقي الضوء على هذا الدور في إطار معاصرة سيادتكم لهذا النشاط ؟**

**فعقب قائلا :**

لا يخفى على أحد ، الجهود الضخمة والتراث الهائل في علوم الحديث والفقه والتفسير التي بذلها علماء شبه القارة الهندية ، ولا زالت أسماء الكثير من العلماء والدعاة تملأ سماء الدنيا مثل المبارك فوري والدهلوي ، وصديق خان وغيرهم من الأفذاذ .

ولا ننسى جهود الجامعات الاسلامية العريقة كدار العلوم في ديوبند وندوة العلماء في لكنو وغيرها من الجامعات الاسلامية التي حفظت للمسلمين تراثهم ، وأسهمت في نشر اللغة العربية في شبه القارة الهندية حتى بلغ عدد المجلات الصادرة باللغة العربية اكثر من عشر مجلات .

**○ وعن مشاركته في الوفد الذي مثل الكويت برئاسة معالي الوزير ، والدور الذي اضطلعت به الكويت في شبه القارة الهندية قال :**

فيما يتعلق بتمثيل الكويت في **الاحتفال** بالعيد المئوي لجامعة دار **العلوم** بديوبند ، فقد كنت ضمن الوفد **الذي** رأسه السيد الوزير حيث ألقى **كلمة** سمو الأمير في الاحتفال .

كما أن للوزارة خطتها التي **تسهر** عليها في القيام بمشاركة **الهيئات** والمؤسسات الاسلامية ، **وتقديم** العون المادي والثقافي لمساعدتها **على** أداء مهمتها .

وللوزارة اتصالاتها مع جهات **كثيرة** من خلالها تساهم في تزويدهم **بالكتب** الاسلامية بمختلف اللغات ، **وكذا** بالمنح الدراسية فضلا عن **المساهمة** في تشييد المساجد وبناء **المدارس** واستقبال الوفود الزائرة **ودراسة** احوالهم والتعرف على **مشكلاتهم** والعمل على مساعدتهم بما **يضمن** سلامة مسيرتهم انطلاقا من **حرص** الوزارة على نجاح الدعوة **الاسلامية** وتحقيق الهدف منها .

هذا وقد تركت سيادته شاكرا **له على** هذه المعلومات القيمة التي حملت **بين** ثناياها الكثير مما يفتقر **اليه** المسلمون من تاريخ الهند **الاسلامي** راجيا أن يمن الله سبحانه بحفظ **قادة** الفكر الاسلامي في تلك البقاع **حتى** يعيدوا مجدا وتراثا غمر **المشرق** والمغرب وتمثل في أعمق وأدق **ما** أنتجته عقول وجهود **العلماء** « كالفتاوى العلمكيرية » **فهي من** أوثق ما دون في فقه الحنفية بل **وهناك** الكثير الذي ما زال يكسو **وجه** الحياة الهندية الاسلامية .

# من آيات الله في الماء

لست من علماء الكيمياء أو الفيزياء حتى أتناول بالشرح نواحي الاعجاز العلمي فيما يؤديه الماء من أدوار في تغذية النبات وفي عملية النتح ، ومثل ذلك في الانسان والحيوان ، وبيان نسب الماء في أجسام كل ، ودخوله في تكوين الدم واللبن الى آخر ذلك كله من أوجه الاعجاز .

ولكني كمسلم متفكر في ملكوت السماوات والأرض ، متأمل في خلق الله ، أسجل ما أحسسته من آيات الله في المياه ، وذلك من واقع قراءاتي في كتاب العربية الأول ، وتأملاتي في الطبيعة والحياة .

**مصدر المياه :**

اختص الحق تبارك وتعالى ذاته العلية كبارئ للمياه ومنزل لها باذنه ، بصريح النص القرآني حيث يقول عز من قائل :

○ ( **وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات الفافا** ) النبأ / ١٤ ــ ١٦
ثجاجا : منصبا بكثرة .

○ ( **وينزل الغيث** ) لقمان/ ٣٤

○ ( **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير** ) الحج/ ٦٣ .

○ ( **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ) النحل/ ١٠ ، ١١
( تسيمون : أى تطلقون أنعامكم ترعى فيه )

○ ( **أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون** ) الواقعة/ ٦٨ ــ ٧٠

○ ( **ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد** ) ق/ ٩

○ ( **أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله** ) النمل/ ٦٠

○ ( **ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ) الروم/ ٢٤

○ ( **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون** ) العنكبوت/ ٦٣

**تكون الماء في السماء :**

من دلائل قدرة الخالق في هذا المجال ما أفصح عنه بقوله تعالى :

○ **( ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء )** النور/٤٣

**يزجي** : يسوق على مهل . **وركاما** : بعضه فوق بعض . **والودق** : المطر ، **جبال** : السحاب الثقال . **وبرد** : قطع الثلج الصغيرة .

○ **( الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون )** الروم/٤٨ .

**بمقدار .. وما أنتم له بخازنين :**

الخالق البارئ المصور جلت حكمته حدد نسبة المياه الى نسبة اليابسة على الكوكب الذي نعيش على سطحه على نحو يلطف من جو اليابسة ، ويحفظ في الوقت عينه دورة المياه ، فيحدد نسبة البخر ليتصاعد بخار الماء فيشارك في تكوين السحاب ، ثم ينزل المطر بقدر مقدور ، فيكون أنهارا فتصير الى المحيطات والبحار وهكذا ، فهو سبحانه الذي يحفظ مياه الأنهار والبحار والمحيطات من أن تتناثر في الأجواء هباء ، وهو الذي حدد مقدار الماء الذي فيه كفاية المخلوقات التي تعيش على الماء العذب ، أو تلك التي تحيا في الماء الملح .

ويلفتنا الحق تبارك وتعالى من ناحية أخرى الى عدم استطاعتنا اختزان الماء إلا بالقدر الذي يأذن به ، فلا يملك الانسان أن يحول بين الماء وبين البخر ، ولا بينه وبين التسرب الى باطن الأرض ، فالقادر وحده هو الذي أوجده وهو الذي يستبقيه ، ويحفظ دورته بين الأرض والسماء وبالقدر الذي يشاء ــ وتأمل يا أخي ما تسجله هذه الآيات البينات :

○ **( وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين )** الحجر/٢١ و ٢٢

○ **( وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون )** المؤمنون/١٨

○ **( قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين )** الملك/٣٠

**غورا** : ذاهبا في جوف الأرض **ومعين** : أى ظاهرا تراه العيون وهو جار .

○ **( والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون )** الزخرف/١١

○ **( وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا )** الفرقان/٥٣

أى ترك البحرين يجريان أحدهما شديد العذوبة والآخر شديد الملوحة وبينهما حاجز من الأرض ومانع يحول دون اختلاطهما إلا في مصبات

الأنهار .
وصدق شوقي إذ يقول :

**والماء تسكبه فيسبك عسجدا**
**والأرض تغرقها فيحيا المغرق**

## كل شئ حي :

ما من كائن حي على سطح هذه البسيطة أو في جوفها أو في سمائها أو أعماق مياهها إلا ويدخل في تركيبه الماء على نحو ما ، وانظر إعجاز الخلق من الماء في هذه الآيات :

○ **( أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون )** الأنبياء/٣٠

○ **( وبدأ خلق الأنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين )** السجدة/٧ و ٨

وانظر يا أخي الى البحار وما فيها من أحياء في مياه ملحة وهو عالم بأسره زاخر بكل غريب وعجيب :

○ **( وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها )** النحل/١٤

وتأمل النبات الذي يسقى بماء واحد في الأرض المتجاورة فيخرج عديدا من الثمار المتفاوتة في الشكل والتكوين والمذاق والرائحة :

○ **( وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون )** الرعد/٤

## مستودع ممات :

وإذا كان الماء سبب حياة ، فهو من عجب وسيلة إغراق ومستودع ممات ، كما أن المطر الذي يحيى الأرض يكون باذن الله مهلكة للمجرمين . فتدبر معي هذه الآيات :

○ **( وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين )** الشعراء/١٧٣

○ **( وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين )** الأعراف/٨٤

○ **( فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم )** طه/٧٨

○ **( فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم )** الذاريات/٤٠

○ **( وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم )** الفرقان/٣٧

○ **( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي )** هود/٤٤

ولكن ليس كل إغراق موتا فكم في أعماق البحار والمحيطات من أحياء مغرقة تنبض بالحياة بين ثابت ومتحرك وبين نبات وحيوان .

## وسيلة للانتقال :

ويقول عز من قائل عن الماء كوسيلة للانتقال .

○ **( والفلك تجرى في البحر بأمره )** الحج/٦٥

○ **( فإذا خفت عليه فألقيه في اليم )** القصص/٧ **عليه** : أى موسى

عليه السلام

○ **( وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام )** الرحمن/ ٢٤

○ **( وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون )** النحل/ ١٤

○ **( ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير )** الشورى/ ٣٢ ـ ٣٤

**كالأعلام** : كالجبال أو القصور

**فيظللن رواكد** : ثوابت سواكن

**يوبقهن** : يهلكهن بالغرق .

**الماء يكون نارا :**

سبحان من سيحول المياه نارا مشتعلة ، فقد عرفنا في دنيانا الماء يطفىء النار ، لكنه وحده جلت قدرته خالق وخارق القانون ، فسوف تشتعل البحار بأمره نارا ، وهي من علامات الساعة وقانا الله أهوالها وأظلنا بظله يوم لا ظل الا ظله .

○ **( وإذا البحار سجرت )** التكوير/ ٦ أي وإذا امتلأت نارا

○ **( والبحر المسجور )** الطور/ ٦ أي والبحر المتلىء نارا

**الماء في الآخرة :**

وعد الحق سبحانه المتقين في الجنة ماء عذبا غير متغير الطعم والرائحة ، وأنهارا من العسل واللبن وخمر الجنة وهي جميعا لنيذة جدا حتى كأنها اللذة نفسها . كما توعد المخلدين في النار بأن يكرهوا على شرب الماء الشديد الحرارة الذي يقطع الأمعاء والاحشاء ، كما وعد المنعمين في الجنات بعيون الماء والأنهار ، وكان وعد ربي مقضيا :

○ **( مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم )** محمد/ ١٥

○ **( وظل ممدود . وماء مسكوب )** الواقعة/ ٣٠ و ٣١

○ **( إن المتقين في مقام أمين . في جنات وعيون )** الدخان/ ٥١ و ٥٢

○ **( إن المتقين في ظلال وعيون )** المرسلات/ ٤١

○ **( وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا )** الكهف/ ٢٩

**خاتمة :**

فسبحان من أنزل الماء بقدر من السماء أمطارا .. فحفظه وأجراه فوق سطح الأرض أنهارا .. وادخره في باطنها آبارا .. وصبه من الأنهار واستبقاه محيطات وبحارا .. ثم يشعلها يوم القيامة نارا وأوارا ..

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وعي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها .
ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

○ ( من وافق من أخيه شهوة غفر له ) .

**موضوع :**

رواه العقيلي وقال في إسناده متروك .
وقد رواه البزار والبيهقي والطبراني بلفظ :
**( من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار ) .**
كما روى أيضا بلفظ :
**( من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ) .**
قال الامام أحمد بن حنبل هذا باطل ، ومحمد بن نعيم أحد رواته كذاب .
وقال السيوطي في اللآلئ هو بهذا الاسناد منكر ، ومن طريق محمد بن عبدالسلام عن عبدالله بن مخلد بن خالد التميمي عن أبيه ، ومحمد بن عبدالسلام كذاب وعبدالله وأبوه لم يوثقا .
ورواه الطبراني من حديث جابر مرفوعا بلفظ :

( من أطعم أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبعة خنادق كل خندق مسيرة خمسمائة عام ) .

قال ابن حبان : موضوع .
وقال ابن حجر في اسناده رجاء بن أبي عطاء المعافري .
وهو يروي الموضوعات .
وقال عنه ابن حبان ايضا انه يروي الموضوعات .
واتهمه الحاكم في تاريخه برواية الموضوعات .

# إيقاع الجزاء والأحكام على إبليس

قال الله تعالى :

( قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين . قال أنظرني إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ) الأعراف/١٣ ـ ١٨ .

وقال تعالى :

( قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين . قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط على مستقيم . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . إن المتقين في جنات وعيون ) الحجر/٣٤ ـ ٤٥ .

وقال تعالى :

( قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم

جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ) الاسراء/٦٢ ــ ٦٥ .

**الأحكام التي صدرت على الانسان**

قال الله تعالى :

( **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ) البقرة/٣٦ ــ ٣٩ .

وقال تعالى :

( **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ) الأعراف/٢٤ ــ ٢٥ .

وقال تعالى :

( **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ) طه/١٢٢ ــ ١٢٤ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى للمسلمين الأحكام التي صدرت من الله على الخارجين عن طاعة الله وأوامره ، وإذا نظرنا في هذه الأحكام نجد أن كلا من ابليس والانسان صدر ضده حكمان ، تخللهما رد فعل الحكم الأول على المحكوم عليه ، وانعكاس الحكم الاول على كل منهما ، وبين الله الأقوال التي بدرت من إبليس والانسان بعد الحكم الابتدائي ، وأثر هذه الأقوال واعتبارها عند صدور الحكم الثاني .

وعلى ذلك فالأحكام التي صدرت من الله تعالى ضد العاصين مرت بأكثر من مرحلة واحدة ، وبيان ذلك كالآتي :

حكم ابتدائي ، ما بدر من العصاة بعد الحكم الابتدائي ، الحكم النهائي مع الشمول بالنفاذ .

كما نجد أن العناصر الأساسية في الحكم ملاحظة وموجودة فيما صدر عن الله تعالى ضد إبليس وضد الانسان ، ولذلك كان الفرق واضحا .

**الحكم الابتدائي**

**الحكم على إبليس :**

قال تعالى :

الثقافي بأزهى عصورها ، حيث انتشر الاسلام بين سائر الطبقات ، وأخذ وجوده في واقع المجتمع الهندي ، وقامت دور العلم ، وانتشرت الثقافة الاسلامية ، وراج الفكر الاسلامي ونبغ العلماء المتخصصون في سائر مناحي المعرفة وخاصة علوم القرآن والسنة والتوحيد ، حيث تزخر المكتبة الاسلامية بنوادر المؤلفات في هذا المجال ، وفاض هذا الخير على العالم الاسلامي ، ولا زال المسلمون إلى يومنا هذا ينعمون بهذا التراث الاسلامي ، ويستفيدون من هذه الكنوز الاسلامية . ولم يقتصر دور المسلمين على نشر الثقافة الاسلامية ، واحتلال مكان الصدارة في التوجيه الديني ، بل انهم حكموا البلاد حكما اسلاميا طبقت فيه الشريعة الاسلامية وسعد أهل البلاد من المسلمين وغيرهم في ظلال الاسلام ، وتحت راية القرآن الكريم بل إن حكام المسلمين في الهند كان لهم فضل التصدي للقوى الاستعمارية والغزاة الذين أرادوا استعمار البلاد وامتصاص خيراتها ، وكانت لهم مواقف خالدة ومعارك فاصلة دحروا بها قوى البغي والعدوان .

مع محدثي واصلت الكلام وقلت له :

**○ دخل الاسلام مبكرا وعم نوره تلك البقعة الطيبة من العالم الاسلامي وأقبل الناس ينتسبون إليه لسمو تعاليمه ، وامتد حتى غطى مساحات كبيرة :**

**فهل ترى سيادتكم أن المد قد انحسر ؟ فقال :**

مرت الهند كما مر غيرها من بلاد العالم الاسلامي بالغفلة عن حقيقة الاسلام ، والتهاون في تكاليف الحكم الاسلامي ، وانشغل بعض هؤلاء الحكام عن الدفاع عن حياض الاسلام والذود عن حماه والجهاد في سبيل الله الى الترف ، والانصراف إلى الفروع والجزئيات مما ترتب عليه انتشار الفرقة وضياع سلطان المسلمين على أيدي المخربين من الداخل والغزاة من الخارج ، فسقطت الهند رغم اتساع مساحتها ، وكثافة سكانها تحت الحكم البريطاني الذي استغل البلاد وسخر العباد ، ولم يلق الانجليز المقاومة الصادقة والتصدي العنيف الا من المجاهدين المسلمين وخاصة العلماء الذين حملوا المصحف والسيف معا لمقاومة الأعداء ، ورويت أرض الهند بدماء آلاف الشهداء من المجاهدين المسلمين ، ومع هذا فلم يستسلم المسلمون ولم يستكينوا للذل بل ظلوا يحملون راية الاسلام ، ويحافظون على تعاليمه وينشرونه بين الناس ، ويبذلون كل طاقاتهم في الحفاظ على ما ورثوه من أسلافهم المسلمين .

ولا شك ان وضع المسلمين اليوم في الهند ليس كوضعهم حين كانت السلطة بيدهم ، والكلمة لهم ، وراية الاسلام هي المرفوعة ، وشريعته هي الحاكمة .

فالمد الاسلامي قد انحسر في مجال السلطة في الحكم ، ولكنه بقي في دور

**وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين )** الأعراف/ ١٤ ــ ١٧ .

وقال تعالى : **( قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط على مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم )** الحجر/ ٣٦ ــ ٤٤ .

في هذه الآيات يبين الله لنا ما حدث بعد الحكم الابتدائي على إبليس .

فهو بعد الحكم عليه ــ بالخروج من الجنة ومن رحمة الله والهبوط منها صاغرا ذليلا ــ لم يرضخ ولم يتعظ ، ولم يرجع عن عصيانه ويتوب إلى الله ، وإنما تمادى في معصيته وكفره وتحديه ، فطلب إبليس من الله تعالى أن يمهله ويبقيه إلى يوم القيامة ، ليثبت لله أن الانسان الذي كرمه عليه وفضله على سائر خلقه لن يعبد الله ولن يطيعه ، وإنما سيكون عاصيا مثله ، ولن يكون شاكرا لله على ما أنعم عليه من نعم كثيرة ، وأنه ــ إبليس ــ لن يألو جهدا ولن يترك وسيلة ، إلا سلكها ليضلل الانسان ، ويزين له المعصية ، وفي الوقت نفسه اعترف أنه لن يتمكن من تغرير كل الناس ، وأنه سيكون عاجزا أمام عباد الله المخلصين ، وهم قلة من ذرية آدم ، أما الكثيرون فسيقدر على إغرائهم ، لأنه سيحيطهم من كل جانب ، من بين أيديهم ــ أمامهم ــ ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، حتى لا تجد أكثر الناس شاكرين لربهم عابدين له ، وإنما سيكون أكثرهم من العاصين ، الخارجين عن شرع الله وقانونه ، المخالفين لأوامره ، والمرتكبين لنواهيه .

وأمام هذا التحدى من إبليس ، وإصراره على الكفر ، وعده الله بالبقاء إلى يوم القيامة ، ومكنه من مشاركة الناس في أموالهم وأولادهم ، ومكنه من الوسائل الكثيرة التي تمكنه من تضليل الانسان الضعيف ، فيصدق وعود الشيطان ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، وينسى أوامر الله ، ويغفل عن طاعته ، ثم حكم الله عليه وعلى من تبعه بدخول جهنم ، حتى ينالوا جزاءهم ، وبئس المصير .

أما عباد الله المخلصون الأقوياء ، المتمسكون بطاعة الله ، المتبعون لشرعه ، والمبتعدون عن معصيته ، والمستعيذون بالله من الشيطان الرجيم ، فسيكون الله نصيرهم ومساعدهم ، ومحصنهم من وسوسة شيطان الانس والجن ، قال الله تعالى في سورة الناس ــ : **( قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس ) .**

## ما حدث لآدم

قال الله تعالى

**( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم )** البقرة/٣٧ .

وقال تعالى : **( ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى )** طه/١٢٢ .

في هذه الآيات يبين الله لنا ما حدث لآدم بعد الحكم الابتدائي عليه . وهو أن الله تعالى علم آدم كيفية التوبة ، فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتعلمها آدم وعرفها وحفظها وذكرها ، طالبا من الله المغفرة ، معلنا توبته إلى الله ، معترفا بخطئه عندما فعل ما نهى الله عنه ، راجيا من الله قبول توبته ، ورجوعه إلى طاعة الله ، داعيا الله العلي القدير أن يرفع عنه إثم ما ارتكبه .

فقبل الله دعاءه وتوبته ، فرفع الاثم عنه ، والعقوبة المقررة في الآخرة ، لأن الله تعالى لا يريد لعباده العذاب في الآخرة ، لأنه هو التواب الرحيم ، فيقبل توبة العاصين إذا طلبوا ذلك ، ويفرح لرجوعهم إليه ، ويفتح لهم صفحة جديدة لا يعلق بها آثار ما ارتكبوا .

ولم يقف الأمر عند التوبة فقط ، وإنما هداه إلى ما فيه الخير له وللانسانية من بعده ، وقد اجتباه ربه واختاره ، ليكون معلما لزوجه ولذريته منها ، فيكون نافعا لنفسه ولغيره ، يعلمهم ما تعلم ، ويبلغهم أوامر الله ونواهيه ، ليسعدوا في حياتهم الدنيوية المستقبلة .

وعلى ذلك فيظهر الفرق واضحا بين معصية الانسان الأول ، ومعصية إبليس وكفره ، وقد اتضح ذلك من تصرف كل واحد منهم قبل الحكم الابتدائي وبعده .

**الحكم النهائي مع الشمول بالنفاذ**

قال الله تعالى :

**( قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )** البقرة/٣٨ ـ ٣٩ .

وقال تعالى : **( قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان )** الاسراء/ ٦٢ ـ ٦٥ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى الحكم النهائي على إبليس ، وعلى الأسرة الأولى المكونة من آدم وحواء ، وقد اشتمل الحكم على الانسان ما يأتي :

١ ـ الأمر بالهبوط من الجنة ومن السماء ، والنزول الى الأرض ، ليعيش فيها ويستقر بها ، لعدم إمكانية بقاء الانسان في الجنة ، بعد تغير طبيعته ، نتيجة عصيانه .

واشتمال الحكم النهائي على لفظ : « **اهبطوا** » تأكيد وتأييد للحكم الابتدائي ، الذي اشتمل منطوقه على هذا اللفظ أيضا ، قال

الله تعالى في الحكمين :

**( وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا )** البقرة/٣٦ ـ ٣٨ .

٢ ـ الأخبار بأن الانسان سيأتي له هدى من عند الله ، وتأكيد هذا الاتيان ، لتطمئن الأسرة الانسانية على مستقبلها في الأرض ، وأن الله تعالى لن يتخلى عنها ، وأن الله سينظم حياة الانسان بتشريع سماوى ، وبقانون من عنده ، قال الله تعالى : **( فإما يأتينكم مني هدى )** البقرة/٣٨ ، طه/١٢٣ .

ويجب علينا أن نتنبه الى المغزى المراد من تكرار هذه الآية في سورتين من القرآن الكريم بنفس الألفاظ والحروف ، ليبين الله تعالى أن التشريع والقانون هو ما كان من عند الله وحده لا شريك له .

٣ ـ توضيح الجزاء الدنيوى والأخروي للطائعين والعاصين والكافرين فنص على الثواب للطائعين ، وأن من اتبع هدى الله وآمن به وسلك طريقه ، فلا خوف عليه ولا حزن يناله ، لأنه لن يضل ولن يشقى ، وستكون عاقبته الجنة . قال الله تعالى : **( إن المتقين في جنات وعيون )** .

وتقرير الثواب للطائعين ، انفرد به التشريع السماوى ، وتميز به عن التشريع الوضعي .

أما من أعرض عن ذكر الله ، فلا يتوقع معيشة رغدة سعيدة ، وإنما سيكون في ضيق وشدة ، ويحشر يوم القيامة أعمى ، لأنه نسى فلم ير آيات الله وبيناته ، ولم يستمع إلى هديه وارشاداته .

أما الذين يكفرون بآيات الله ويكذبون رسله ، ولا يدركون الدلائل على وجوده ووحدانيته ، فسيكون مصيرهم الخلود في النار ، ومصاحبتها دائما ، بحيث لا يفارقونها لحظة من اللحظات التي ستستمر وتطول بلا نهاية لها .

أما الحكم النهائي على إبليس فقد اشتمل على ما يأتي :

١ ـ الأمر بالخروج من الجنة في حالة غير كريمة ، مذءوما مدحورا منهزما ذليلا .

واشتمال الحكم النهائي على لفظ : « **اخرج منها** » تأكيد وتأييد للحكم الابتدائي ، الذي نص في منطوقه على هذا اللفظ في قوله تعالى : **( فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/٣٤ ـ ٣٥ ، وبلفظ : « اخرج » فقط في قوله تعالى : **( فاخرج إنك من الصاغرين )** الاعراف/١٣ .

٢ ـ الأمر بالذهاب والبعد عن رحمة الله ، ليسلك طريق الغواية للانسان ، وهو الطريق الذي اختاره لنفسه ، وطلب من الله تعالى تمكينه منه ، وتيسيره له ، ليحقق ما أراده .

٣ ـ تمكين إبليس وتحقيق أمنيته ، بأن يكون قادرا على تغرير الانسان وتضليله بكل الوسائل ، ومشاركته في

الأموال والأولاد ، وهما زينة الحياة الدنيا ، وأن يعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، وأن يكون له سلطة على الانسان ، وقوة تأثير عليه ، حتى يوسوس له بالكفر إن قدر ، فان عجز عن ذلك فالوسوسة بمعصية الخالق جل وعلا .

٤ ـ عدم تمكين إبليس من عباد الله المخلصين ، والحكم بأنه ليس له عليهم سلطان .

٥ ـ تقرير الجزاء الأخروى لابليس ولمن تبعه ، وأنهم جميعا سيدخلون جهنم ، لينالوا الجزاء الأوفى ، وأن جهنم ستملأ منهم جميعا ، ولن يدخلها إلا ابليس ومن تبعه وصدقه وكان من الغاوين .

**تنفيذ الحكم**

كان الحكم النهائي الصادر على الانسان ـ الأسرة الأولى المكونة من الزوجين آدم وحواء ـ وعلى إبليس مشمولا بالنفاذ ، فهبط الجميع إلى الأرض ، لينفذ كل واحد منهم ما وكل إليه من أعمال ، ويؤدي ما التزم به أمام الله العلي القدير ، ويقوم بوظيفته في الحياة الدنيا ، فيعمر الانسان الأرض ، ويعبد الله ، ويكون خليفة الله تعالى في أرضه ، ويقوم إبليس بما اختار لنفسه ، من وسوسة وتضليل وتحريض لضعاف النفوس من البشر ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ، فيجد كل واحد جزاءه على ما فعل في دنياه .

**الفرق بين الحكم الابتدائي والحكم النهائي :**

إذا نظرنا إلى الحكم الابتدائي الصادر من الله تعالى ، ودققنا النظر في الحكم النهائي نجد فروقا واضحة بينهما ، ومعالم ظاهرة بكل حكم ، تتناسب مع طبيعته وحقيقته ، والمراد منه ، والهدف من وجوده وصدوره ، أذكر منها ما يلي :

١ ـ الحكم الابتدائي العقوبة فيه دنيوية .

أما الحكم النهائي فالعقوبة فيه أخروية ، وقد تكون دنيوية بالاضافة الى العقوبة الأخروية .

٢ ـ الحكم الابتدائي فيه إشارة لبعض الوقائع وما حدث قبل الحكم ، لتوضيح حيثيات الحكم .

أما الحكم النهائي فلا يشير للوقائع ، وإنما يؤيد الحكم الابتدائي ، أو يضيف إليه حكما جديدا .

٣ ـ الحكم الابتدائي فيه تعبير عن الماضي ، والحاضر ، والمستقبل القريب .

أما الحكم النهائي فلا يعبر عن الماضي ، وإنما يعبر عن الحاضر ، والمستقبل القريب ، والمستقبل البعيد .

٤ ـ الحكم الابتدائي لم يكن شاملا للنفاذ .

أما الحكم النهائي فقد كان مشمولا بالنفاذ .

٥ ـ الحكم الابتدائي لم يلحق العاصين بابليس في الجزاء .

أما الحكم النهائي فقد ألحق العاصين والكافرين بابليس في الجزاء والعقوبة .

٦ ـ الحكم الابتدائي على الانسان لم

يقترن بالاخبار بقانون سماوي ينظم حياته في المستقبل .

أما الحكم النهائي فقد اقترن بالاخبار عن تشريع سماوي وهدى من عند الله ، يأتي للانسان لينظم حياته ، ويسعد آخرته .

٧ ــ الحكم الابتدائي على الانسان لم يقترن بتوضيح الثواب والعقاب .

أما الحكم النهائي فقد اقترن بتوضيح الجزاء والثواب لمن اتبع هدى الله ، والعقوبة والويل لمن أعرض عن ذكر الله ، أو كفر به وكذب بآياته .

## عناصر الحكم

اذا أمعنا النظر في الحكمين نجد العناصر الآتية واضحة جلية ، وإدراك الفرق بينهما في كل عنصر لا يحتاج إلى عناء ومشقة ، فمثلا :

**١ ــ منطوق الحكم :**

ففي الحكم على إبليس ، قال تعالى : **( فاهبط منها )** الاعراف/١٣ ، **( اذهب )** الاسراء/٦٣ ، **( فاخرج منها )** الحجر/٣٤ ، **( اخرج منها )** الأعراف/١٨ .

أما في الحكم على آدم وحواء ، قال تعالى : **( اهبطوا )** فقط ، الاعراف/٢٤ .

**٢ ــ ما يترتب على الحكم :**

بالنسبة لابليس ، قال تعالى : **( فإنك رجيم )** الحجر/٣٤ ، **( إنك من الصاغرين )** الأعراف/١٣ ، **( وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/٣٥ .

وبالنسبة للأسرة الانسانية ، قال تعالى : **( بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين )** البقرة/٣٦ ، الاعراف/٢٤ .

**٣ ــ ملاءمة العقوبة للجرم :**

جرم ابليس ، قال تعالى : **( أبى واستكبر وكان من الكافرين )** البقرة/٣٤ ، **( لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون )** الحجر/٣٣ ، **( أأسجد لمن خلقت طينا )** الاسراء/٦١ ، **( أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين )** الأعراف/١٢ .

**الجزاء :** قال تعالى : **( فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين )** الاعراف/١٣ ، **( فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين)** الحجر/٣٤ و ٣٥ ، **( اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا )** الاسراء/٦٣ .

جرم الأسرة الانسانية : قال تعالى : **( فوسوس لهما الشيطان )** الأعراف/٢٠ ، **( وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور )** الأعراف/٢١ و ٢٢ ، **( فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه )** البقرة/٣٦ .

وقال تعالى : **( فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة )** الأعراف/٢٢ ، **( فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى )** طه/١٢١ ، **( ولقد**

**عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما )** طه/١١٥ .

**الجزاء ،** قال تعالى : **( اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين )** البقرة/٣٦ ، الأعراف/٢٤ .

**٤ ـ العقوبة من جنس العمل :**

**بالنسبة لابليس ،** قال تعالى : **( قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين )** الأعراف/١٢ ، **( واستكبر )** البقرة/٣٤ ، **( قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين)** الأعراف/١٣ .

**( قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون )** الحجر/٣٣ ، **( قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/٣٤ و ٣٥ .

**( فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين )** البقرة/٣٤ ، **( والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )** البقرة/٣٩ .

**وبالنسبة لآدم وحواء ،** قال تعالى : **( فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما )** الأعراف/٢٢ .

**( فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى )** طه/١١٧ ، **( ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا بعضكم لبعض عدو )** طه/١٢٢ و ١٢٣ ، **( قلنا اهبطوا منها جميعا )** البقرة/٣٨ .

فالله سبحانه وتعالى أخبر الانسان وأعلمه أن إبليس عدو له ولزوجه ، وسيحاول اخراجهما من الجنة ، ولكن آدم نسى ولم يكن له عزم وقوة ، ولذلك كانت العقوبة وجزاء الانسان الهبوط الى الأرض ، وزيادة الاعداء ، بأن استجد للانسان أعداء أخر من بنى جنسه ، بالاضافة الى العدو الأول والأكبر ، وهو ابليس عليه اللعنة .

**٥ ـ المقابلة بين الحكمين :**

فبالنسبة لابليس ، قال تعالى : **( قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/٣٤ و ٣٥ .

وبالنسبة لآدم وحواء ، قال تعالى : **( قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )** البقرة/٣٨ ، **( ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين )** البقرة/٣٦ ، الاعراف/٢٤ .

**٦ ـ التجانس في منطوق الحكم :**

فبالنسبة لابليس ، قال تعالى : **( فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين )** الأعراف/١٣ ، **( فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين )** الحجر/٣٤ و ٣٥ .

وبالنسبة لآدم وحواء ، قال تعالى :**( اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين )** البقرة/٣٦ ، الاعراف/٢٤ .

# المعرض الإسلامي في دولة البحرين

**أقامت وزارة العدل والشئون الاسلامية بدولة البحرين الشقيقة معرضا إسلاميا دعت إليه بعض الدول العربية احتفالا بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .**

**وقد مثل الكويت فضيلة الشيخ حسن مراد مناع مبعوث وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت .**

**وشارك فضيلته في المحاضرات الدينية التي كانت تقام كل يوم ويحضرها جمهور غفير من المثقفين على اختلاف مستوياتهم ووظائفهم . وقد استقبل سمو أمير البحرين باسم الكويت مرحبا به في جناح الكويت شاكرا له اهتمامه وتشجيعه لهذا المعرض الاسلامي وتشريفه بقص الشريط إيذانا بالافتتاح .**

**وقال فضيلته :** لقد اشتركت مع السادة العلماء في البحرين في تنظيم مسابقة قرآنية وكانت تعقد يوميا ، وقد أعطت هذه المسابقة صورة كريمة لاهتمام المسئولين بشئون القرآن الكريم مما حدا بالشباب ان يتجهوا باهتمام شديد حتى ينهلوا من فيض القرآن الكريم فأقبلوا على حفظ كتاب الله والاهتمام بتجويده وفهم معانيه ومن خلال المسابقات التي أقيمت عرضت برنامج دار القرآن الكريم في الكويت ، وخطة الدراسة ، واللائحة التنظيمية المعمول بها هنا مبينا حرص الحكومة الكويتية على مواصلة نجاح هذا النوع من الدراسة .

**واستطرد فضيلته قائلا :**

لقد استراح القائمون على تحفيظ القرآن الكريم في البحرين لهذا النظام الذي يتميز بطابع فريد يحمي القرآن من الضياع ويعمل على تخريج جيل يحسن التلاوة ، ويتقن حفظ القرآن وفهم علومه .

ومما يحقق هذا الأمل ما يبديه المسؤولون في وزارة العدل والشؤون الاسلامية ـ من عناية ، كما أن هناك هيئات على المستوى الشعبي تتنافس في بث الوعي الاسلامي ، ولها قوة التأثير في نفوس الجماهير كالجمعية الاسلامية ، ونادي الاصلاح .

وخلال الحفل الختامي العام الذي حضره وكيل وزارة العدل والشؤون الاسلامية كما حضره عدد كبير من رواد المعرض ، واولياء الأمور والدارسون والدارسات ، وزعت الجوائز التشجيعية .

**وواصل الشيخ حسن مناع حديثه قائلا :**

لقد تناولت بيان فضل القرآن الكريم ، وتوجهت برجاء الى كل اسرة وكل هيئة ان تنشىء الشباب والفتيات على حب القرآن الكريم وحفظه ودراسة علومه ، وأن يجعلوا من البحرين صرحا آخر على ضفاف الخليج ، لأن الأمة لن تضع أقدامها على طريق النصر إلا إذا اعتصمت بكتاب الله ، واتخذته دستور عمل ومنهج حياة .

**وعن نشاط الكويت في المعرض قال فضيلته :**

لقد اشتركت الكويت في المعرض بجناح قسم الى ثلاثة أقسام :

قسم عرض نماذج عن البيئة البدوية ـ السدو ـ وملابس وأدوات الحرب القديمة .

وقسم آخر عرض اللوحات الأثرية والعملات النقدية على اختلاف أنواعها وقام بعرضها والتعريف بها إحدى الموظفات بالمتحف الكويتي .

وقسم ثالث : كان خاصا بعرض نشاط وانتاج إدارة الشؤون الاسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية ، وقد اشتمل على لوحات فنية فيها آيات من القرآن الكريم ، وعرض أيضا المخطوطات القديمة ابتداء من القرن الثالث الهجري وقد حازت اعجاب رواد المعرض ولفتت الأنظار إليها .

وكما عرضت نماذج من إنتاج الموسوعة الفقهية وأبحاثها المختلفة .

وقدم الجناح مجلدات من الوعي الاسلامي منذ صدورها حتى آخر عدد منها . واطلع الرواد على كتب التراث الاسلامي التي تعنى الوزارة بطبعها ونشرها في جميع البلدان الاسلامية .

وشاهد رواد المعرض بعض الزخارف الاسلامية في أطباق نحاسية وخزفية وآيات قرآنية منقوشة على السجاد .

**وأضاف فضيلة الشيخ مناع :**

إن سمو أمير البحرين تفضل بزيارة جناح الكويت وأبدى إعجابه بالمخطوطات المعروضة .

**وحول ما إذا كان المعرض قد حقق النجاح المرجو له قال :**

إن المعرض كان ناجحا نجاحا فاق التصور مما دفع المواطنين إلى المطالبة بتمديد أيامه فترة أخرى .

وقد شاركت بعض الدول العربية بعرض مطبوعاتها وآثارها الاسلامية وما تتميز به كل من هذه الدول في مجال التراث الاسلامي .

وقال : إن أكثر الأجنحة كانت تمثل مؤسسات ووزارات في دولة البحرين كمتحف البحرين ، ووزارة التربية ، ووزارة الاعلام ، ووزارة الصحة ونادي الاصلاح ، والجمعية الاسلامية .

ووزارة العدل والشؤون الاسلامية هناك قد بذلت كل إمكانياتها لانجاح هذا المعرض .

**وقال فضيلته :** إن دولة البحرين قد أقامت هذا المعرض بمناسبة احتفالها بمطلع القرن الهجري الخامس عشر .

ولقد كان المعرض فرصة للتعريف بالتراث الاسلامي ، واللقاء الفكري في جو اسلامي .

ولعله يكون بداية احتفالات اسلامية تستقبل بها الأمة الاسلامية القرن الخامس عشر الهجري يحدوها الأمل في تحقيق النصر ، وهو قريب باذن الله إذا نصرنا دين الله وسلكنا الطريق على هداه ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

**الى راغبي الاشتراك**
**يرجى الرجوع الى الصفحة ١١٥ من المجلة ...**

# حتى نستعيد بيت المقدس

للشيخ معوض عوض ابراهيم

كان الاسراء من المسجد الحرام بأم القرى مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت القدس ، ومن المسجد الأقصى ابتدأ المعراج ، واليه انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عائدا من ملكوت السموات حيث لم يرتفع نبي مرسل ولا ملك مقرب .

وفي ذلك ابراز لطائفة من الحقائق من بينها عظمة المسجد الأقصى ، الذي أضاف إسراء النبي صلى الله عليه وسلم ، اليه ، ومعراجه منه ، حقاً على المسلمين أن يذبوا عن حياضه ، وأن يفتدوه بأموالهم وأبنائهم وأنفسهم من كل شدة تنزل به ، أو خطر يتهدده . وأن يكون معهم في ذلك جنبا الى جنب ، الأوفياء الذين تصدق نسبتهم الى موسى وعيسى عليهما السلام ، والا كان اتباعهم لهؤلاء المرسلين دعوى لا دليل عليها او كلاماً لا ينهض ببرهان .

والقرآن الكريم يقرن في آية واحدة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ليبقيا على سواء في أعماق المسلمين ، وفي معاقد أبصارهم وفي القمة من اعتبارهم وايثارهم ، وما زال أمر الأقصى يحتل حيزاً في أعماق المسلمين وليس له من ولي ولا نصير بعد الله الا أولئك المسلمون الذين يجدد عهدهم للمسجدين قول الله تعالى :

**( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير )** الاسراء / ١ والآية تفيد هذه الحقائق ومثلها معها ، فاذا كان المسجد

الحرام ( **مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات ...** ) آل عمران / ٩٦ ـ ٩٧ فان الله تعالى يقول في المسجد الأقصى : ( **الذي باركنا حوله** ) والكلمة على وجازتها خبر رباني يعني الفضل والخير . فبركة المسجد الأقصى تفيض منه ، وتغمر ما حوله ، ومن حوله ، وهي بركة غلات وثمار واقوات ومناخ طيب ، ولكنها مع هذا كله بركة صلاح وتقوى وإيمان صادق واثق بالله ، إن كانت لا تبدو الآن ، والباطل يستنسر في الارض المقدسة ، ويمد بصره الى ما وراءها ، وتتحلب شفاهه لأكذوبته المريضة البغيضة « ملكك يا اسرائيل من النيل الى الفرات » فانها ستبدد حين نسترجع ديننا ، ويطرح المسلمون ـ وهم دون غيرهم أمل الأقصى ـ هذا التذيل للشرق والغرب ، وارتقاب النصر ممن اعانوا الشر أول الأمر ، وظاهروا على قيامه في أرض النبوات الأولى ، التي صنعت بها أيدي القوم وأهواؤهم ما صنعت، فبعدوا بها عن العهد بها حين كانت ربانية الصدر ، إلهية المنطلق ـ ان عالمية الاسلام وانسانية الدين الخاتم تشهد بها شواهد كثيرة منها أن الأقصى كان قبلة المسلمين منذ فرض الله الصلاة على النبي وامته ليلة الاسراء والمعراج .

ولقد ظل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يتجهون في صلاتهم الى المسجد الأقصى حتى شعبان في السنة الثانية من الهجرة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ـ بأمر ربه ـ يتألف بذلك قلوب أهل الكتاب ، لكن يهود كانوا على طبيعتهم في أنهم لم يعرفوا لأحد ودا ، ولا رعوا عهدا أبدا ، وكانت سماحة رسول الله معهم ، ورفقه بهم ، رقما على الماء ، او نفخا في الهواء ، وصدق من قال : « انك لا تجني من الشوك العنب » !

روى الامام احمد أنه لما دخل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس ـ بعد أن بلغه مد الاسلام ، وأكرم الله اهله بالحنيفية السمحة ـ قال عمر لكعب : أين ترى أن أصلي ؟!قال : ان اخذت مني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك . فقال له عمر : ضاهيت اليهودية ، ولكني أصلي حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء وبسط رداءه ، وكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس.

والمسجد الأقصى الذي رفع كناسته عمر والمسلمون ، يدنسه يهود ونساؤهم العاريات ، وكلابهم الغاديات على المسجد والرائحات ، ويتوقح رئيس وزرائهم ، فيزعم أن القدس عاصمة اسرائيل وستبقى عاصمتها الى الأبد ، والعيب ليس في الرجل وحده ، ولكنه في أهل الوطن السليب والأقصى الذين يحاولون استرداده بالآمال والأماني دون الايمان بالله والجهاد الحق.

**( ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور )** الحج / ٤٠ — ٤١ ولقد بنى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ببيت المقدس المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وظل القدس وديعة في اعناق المسلمين يذودون عن مقدساتها الاسلامية وغير الاسلامية ، التي نوه الله بها في قوله : **( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا )** الحج / ٤٠

ورصد المسلمون لهذه المقدسات ما يرصد الكرام لأمانات الأقوام ، فلا عجب أن يقاوموا غزو الصليبية الغربية ، وأن ينتدبوا انفسهم غير وانين ولا مدخرين وسعا للقضاء على غارات التتار ، فلما كان الاستعمار الانجليزي ، مكن بحقده على الاسلام لشذاذ الآفاق في الارض المقدسة وكان خليقا بالنصارى واليهود الذين لم تلوثهم أطماع الصهيونية العالمية الباغية ان يكونوا صفا مع المسلمين في الجهاد من دون فلسطين لتبقى خالصة لأهلها تعلن منائرها ومنابرها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ولتتسع — في ظل الاسلام — لأتباع كل دين سماوي ، ممن يولون الاسلام حقه من الاكبار وعرفان الفضل ، فلقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يهود أول هجرته الى المدينة ما لم يعط أحد مخالفا وهو يقول ( لهم مالنا وعليهم ما علينا ) / سيرة ابن هشام .

والاسلام يرعى الأخوةالانسانية ، ويوجبها القرآن الكريم ، ويلزم الناس — وان اختلفت عقائدهم وأديانهم السماوية — أن يترابطوا بها بمثل قوله تعالى :

**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا )** النساء/١

وان كتب السنة ، وهي تتحدث عن الاسراء والمعراج لتجلو الأخوة التي عقدها الله بين جميع انبيائه ورسله حين جمعهم — جلت آلاؤه — مرة في الاسراء ، وأخرى في المعراج للاسهام في الحفاوة بخاتم المرسلين ، ونبي الاسلام الحفي الوفي لرسل الله ورسالاته في نبعها الأصيل .

وهي حقيقة ما كان ينبغي أن تخفى عظتها وعبرتها على الذين يعلنون نسبتهم الى موسى وعيسى عليهما السلام .

والدعاوى ان لم تقيموا عليها
بينات دعاتها أدعياء

ان هؤلاء لن يكونوا صادقين في الانتساب الى الأب الواحد والأم الواحدة والاتباع للمصطفين الاخيار ، حتى يرتفعوا عن الأهواء ، والعصبية العمياء لمواريث ليس معهم

فيها من الله سلطان .

والحق أبلج لا تزيغ سبيله
والحق يعرفه اولو الألباب

ويوم ينتصف القوم من انفسهم ساعة من نهار ، ويكونون مع الاسلام على قلب رجل واحد ، سيفت الله بالمسلمين وبهم في أعضاد الشيوعية الحاقدة ، ومذاهب الكفر ، ودعوات الشر التي تتسربل بأردية الخير بغيا وعدوا ، والخير كله في الاسلام .

ولقد تجلت وحدة المعبود بحق في بيت المقدس حين اثنى المرسلون على ربهم من حول محمد صلى الله عليه وسلم ، وعليهم اجمعين ، وأثنى سيدنا رسول الله على ربه فسبق كل مثن ، وفضل الحامدين جميعا ، بقدر ما فضلت رسالته الرسالات ، وردت العقول التي ضلت والقلوب التي زاغت الى الحقيقة الكبرى حيث يقول تعالى :

**( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )** الانبياء/٢٥

والمنصفون يقدرون فضل الرسالة التي جعلت الايمان بالمرسلين شرطا في تمام الاسلام وهم يقرأون قول الله تعالى ـ

**( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله )** البقرة/٢٨٥

ان مشهد المرسلين من حول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس يوجب على الذين يديرون اقفيتهم لرسالات انبيائهم ووصاياهم ان يتدبروا الاسلام كتابا وسنة وسلوكا ، فقد تنفع الذكرى ويلتقي هؤلاء مع المؤمنين بحق في رحاب التواصل والتواد ، مستجيبين لقول الله تعالى : **( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير )** الحجرات / ١٣ ويومئذ يفرح المؤمنون باستخلاص بيت المقدس ، وبسلام يرعاه الاسلام كما فعل منذ تمت به نعمة الله على البشرية بأسرها

**إلى كتابنا الأعزاء**

**تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث .. والله الموفق والمستعان .**

# ابن تيمية والمغول

### ١ ـ جنكيزخان يوحد المغول :

في منغوليا جنوب سيبيريا عاشت قبائل بدوية متفرقة تتقاتل على المراعي والمياه ، وتغزو ما حولها من بلدان ، فبنت الصين يوما سورها العظيم ، ليحميها من شر هؤلاء المتوحشين ، ولكن هذا السور على طوله الشاهق ، وامتداده العجيب ، لم يمنع هذه القبائل من غزو الصين ، واحتلال عاصمتها « بكين » ، لما ظهر فيها فتى طويل القامة ، ضخم الجثة ، قوي البنية ، ذو عقل ودهاء ، يسمى « تموجين » ، جمع هذه القبائل ، ووحدها ، وسمى نفسه باسم « جنكيزخان » ، ومعناه امبراطور البشر . وانطلق هذا الطاغية بقومه هؤلاء ، كما تنطلق الريح العاتية بالسحاب الثقال ، فامطر العالم من الصين شرقا حتى بحر الادرياتيك غربا بالبلايا الجسام ، وأغرق بني البشر في بحار من الدماء ، وألقى مدنهم في جحيم من النيران ، وترك الحضارة الاسلامية التي كانت تضيء العالم في صحراء قاحلة من الدمار .

كانت اعداد هؤلاء المغول هائلة ، وشجاعتهم فائقة ، ورجالهم ونساؤهم ذوي خبرة في القتال ، وخيولهم قادرة على تحمل الجوع ، تقتات من نبات الارض ، ولا تكلف أصحابها البحث لها عن الطعام ، لا يبكون على من مات ، ولا يحزنون على ما فات ، ينصرون بالرعب ، فلا يسمع بهم جيش إلا ولى هاربا قبل ان يصلوه ،

للاستاذ : محمد علي العبد

ولا ملك الا قدم المال طائعا قبل ان يحاربوه ، ولكن الجيوش لا ينجيها الهرب ، فهم يصلون الى كل مكان ، والملوك لا تحميهم ذلتهم ، فهؤلاء القوم وحوش ديدنهم الولغ في الدماء .

٢ ـ تدمير المدن وذبح البشر :

لما خرج المغول من صحاريهم المجدبة ، وفيافيهم الموحشة ، ووصلوا الى حوض نهر سيحون ، أطلوا على اجمل مدن ، وأرقى صناعة ، وأخصب أرض في العالم في تلك العصور ، فلم تبهرهم تلك الحضارة العظمى ، ولا شاقتهم تلك المناظر التي لا تضاهي ، بل اتخذوا من مقتل بضعة افراد منهم ذريعة لمهاجمة تلك المدن الرائعة ، وذبح الناس دون تمييز ، وليت الاموال التي سلبوا ، والدماء التي سفكوا ، والمدن التى حرقوا ، اوقفتهم ولو مدة يسيرة عن مهاجمة حوض نهر جيحون ، لقد اندفعوا كالاعصار الهائل ، فوصلوا بسرعة عجيبة الى درتي العالم ، بخاري وسمرقند ، اما اهل بخارى فاقتسمهم المغول كاقتسام المتاع ، واصبحت المدينة خاوية على عروشها ، وهكذا دمروا سمرقند وقتلوا سكانها ، ثم عبروا نهر جيحون ، وبدءوا بمدينة جرجانية ، فحاصروها اربعة اشهر ، ثم هدموا السد القائم على نهر جيحون ، فغرقت المدينة بكل من فيها ، ثم انقضوا على اقليم خراسان ، فذبحوا في مدينة « نسا » سبعين ألفا ، آما مدينة « مرو » فهدمت كلها ، وذبح جميع سكانها ما عدا الصناع المهرة ، فتركوا لمعاونة الغزاة في اعمالهم ، وفي مدينة ( نيسابور ) بنوا ثلاثة اهرامات من رؤوس القتلى ، احداها من رؤوس الاطفال ، والثاني من رؤوس النساء ، والثالث من رؤوس الرجال . أما ملك تلك البلاد الواسعة ، السلطان « محمد خوار زمشاه » فقد ظل يهرب من مكان الى مكان ، وهم يتبعونه ، حتى انتهى به الهرب الى جزيرة صغيرة في بحر قزوين ، وفيها قال حزينا : لم يبق لنا مما ملكناه مكان نقبر فيه . ولما علم بان والدته قد اسرها جنكيزخان مع نسائه ، وان اطفاله الصغار قد قتلوا ، أسلم الروح كمدا ، ولم يجد له اتباعه كفنا يكفنونه به ، فصنعوا له كفنا من قميص واحد منهم .

٣ ـ بطل يحارب المغول :

لما مات السلطان خوار زمشاه حمل ابنه « جلال الدين منكبرتي » راية الجهاد

ضد المغول ، وبدل ان يفر امامهم كما فعل ابوه ، اخذ يهاجمهم ، ففي سنة ٦١٨ هـ تقابل مع طلائع الجيش المغولي في معركة دامت ثلاثة ايام ، فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاءوا ، وجهز جنكيزخان عسكرا كثيفا ، فالتقى بجيش جلال الدين عند مدينة « كابل » فانهزم المغول ثانيا ، وقتل كثير منهم ، وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما ، ولكن واأسفاه !!! جرت الفتنة بين رجال منكبرتي بسبب هذه الغنائم ، فقد غضب أعظم قادته ، وفارق عسكره ، فاستعطفه جلال الدين بكل طريق ، وسار بنفسه اليه ، وذكره الجهاد ، وخوفه من الله تعالى ، وبكى بين يديه ، فلم يرجع ، فانكسر لذلك المسلمون ، وضعفوا ، واضطر جلال الدين حينما ابصر جنكيزخان يقبل عليه بجيوشه ان يرمي امه وزوجته في نهر السند ، وان يعبر النهر الى الهند ، وفي الهند جمع جيشا كبيرا ، وعاد الى خراسان يحارب التتار مرة ، والاسماعيلية مرة اخرى ، وبعض حكام المسلمين مرة ثالثة ، وفي مواطن كثيرة استطاع ان يهزم التتار وان يحمي مدن المسلمين من شرورهم ، ولكن ذلك الاسد الهصور قتل غيلة بيد احد الاكراد ، فهوى ذلك السد المنيع وامتد الفيضان الى بغداد وبلاد الشام . وظل الناس دهرا طويلا لا يصدقون انه مات .

**٤ ــ المغول يحرقون بغداد ويقتلون الخليفة :**

احس جنكيزخان بان منيته قد قربت ، فعاد قافلا الى منغوليا ، ليدفن في ثراها سنة ٦٢٤ هـ ، ولكن اولاده واحفاده ظلوا يخرجون في موجات متتابعة ، كان اقساها واعظمها هولا تلك التي قادها « هولاكو » حفيد جنكيزخان . الى بغداد وبلاد الشام . كانت الخلافة العباسية بعد خمسة قرون من الزمان قد هرم جذعها ، وتفتتت جذورها ، وقطعت منذ زمن بعيد اطرافها ، ولولا ما لخلفائها من حرمة في نفوس المسلمين ، لنسبهم الى العباس عم رسول الله صلى عليه وسلم . ولولا ان وجود خليفة امر يحتمه الدين ، لاجتثها احد الحطابين الذين مروا بها من البويهيين والسلاجقة ، فلما اتاها هذا الطاغية الذي لا يؤمن بالاسلام ، كان قطعها والقاؤها في العراء اهون عليه من كل ما لقى قومه في رحلتهم من شرق اسيا الى بغداد ، فما كان لها جيش كالجيوش التي لقيتهم فابادوها ، ولا فيها ابطال كجلال الدين منكبرتي الذي بهرهم بشجاعته ، وهزمهم بمهارته . حطت جموع المغول حول بغداد عام ٦٥٦ هـ وقابلهم الخليفة بالرسل والهدايا ، فلم يلتفتوا الى ذلك كله ، بل طلب « هولاكو » من الخليفة ارسال رجال جيشه اليه ، فلما وصلوا سرادقه امر بقتلهم جميعا ، ثم استدعى الخليفة ، وسأله عن امواله ، وعن مكانها ، فدله عليها ، ثم امر بسجنه ، فلما صاح طالبا الماء والطعام امر هولاكو بان تلقى اليه الجواهر والذهب ، فاحتج المستعصم بان الجواهر لا تؤكل ، فقال له « هولاكو » : اما كان الاجدر بك ان تنفق هذه الاموال في الدفاع عن بلدك ؟ ثم امر بقتله ، والهجوم على بغداد ، فقتل فيها ثمانمائة ألف نسمة ،

ثم اندلعت فيها النيران ، فخربت المدينة . التي كانت منارة الدنيا ، اما الكتب فألقيت في نهر دجلة الذي جرى زمنا وماؤه اسود لكثرة ما اختلط به من حبر ، مما ألقى فيه من كتب .

### ٥ ـ هولاكو يغزو بلاد الشام :

ان الشام ومصر اللتين وحدهما السلطان الشهيد « نور الدين زنكي » تمزقت اوصالهما بعد وفاة نائبه السلطان المجاهد « صلاح الدين الايوبي » ففي مدن الشام حكام يومئذ من الايوبيين متنابذون ، وفي مصر مماليكهم الذين استبدوا بالسلطان ، فصاروا فيها حاكمين . لهذا فان جموع المغول لم تجد في الشام الا مقاومة ضئيلة ، فالناس في حلب قاتلوا الغزاة فصبوا جام غضبهم عليهم ، فقتلوا الآلاف ، وسبوا النساء ، ونهبوا الاموال ، اما اهل دمشق فقابلوا « هولاكو » بالهدايا والطاعة ، فدخل دمشق دون اراقة دماء ، ما عدا القلعة التي قاومت زمنا ، فاقاموا عليها المجانيق حتى استسلمت ، وسارت جموعهم حتى وصلت غزة . وحينئذ اتى « هولاكو » من الانباء ما شغل باله ، وجعله يعود بمعظم جيشه الى ايران ، فقد بلغه ان اخاه الاكبر قد توفي ، وان اخويه الآخرين يتنازعان ولاية العرش ، كما بلغه ان ابن عمه « بركه خان » الذي اعلن اسلامه ، يعد العدة لمهاجمته من الخلف ، ولهذا لم يترك في بلاد الشام سوى عشرة الاف جندي بقيادة « كتبغا » وعاد مسرعا .

في هذا الوقت استطاع المماليك في مصر ان يتقدموا الى الشام وان يهزموا المغول في « عين جالوت » وان يأسروا « كتبغا » القائد المغولي .

وبهذا النصر الذي احرزه المماليك استطاعوا ان يجمعوا الشام الى مصر تحت حكمهم . ولكن هل توقف المغول بعد « هولاكو » الذي هلك سنة ٦٦٣ هـ عن غزو الشام ، وبعد ان انتشر الاسلام بينهم ؟ ولماذا فشلت غزواتهم المتلاحقة لمدينة دمشق وما حولها من بلدان ؟

### ٦ ـ ابن تيمية يعد الشعب لقتال المغول :

لو وجد في كل مدينة ـ من نهر سيحون الى نهر دجلة ـ علماء شجعان يحرضون الناس على الجهاد ، ويحثونهم على الاتحاد والوئام ، لما قدر المغول ان يحققوا تلك الانتصارات ، وان يذبحوا الناس كما تذبح الانعام .

كانت المدن التي اجتاحها المغول ملأى بالعلماء الاعلام ، لكنهم كانوا قابعين في مدارسهم ، منكبين على كتبهم ودفاترهم ، لا يعرفون اساليب القتال ، ولا يحسنون استعمال السلاح ، ولذلك ادعى الامراء والحكام ان ليس لهؤلاء شأن في الجهاد ، ولا رأي في سياسة البلاد ، وهذا ما خرج عليه شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في دمشق ، فكتبه جعلها وسيلة لايقاظ الامة ، وتلاميذه دربهم على قيادة الشعب ، يصحب الجيوش في حروبها ، ويحرر العقول من اوهامها ، فاحبه

الناس وتعلقوا به ، واصبحت كلمته نافذة لدى الحكام والعوام ، وآراؤه مسموعة في كل مكان ، فلما اقبلت موجة جديدة من المغول سنة ٦٩٩ هـ بقيادة « قازان » فخاف الناس وجفلوا من حلب وحماة ، وبلغ كرى الجمل من حماة الى دمشق مائتي درهم ، وزاد الخوف واشتد الفزع ، لما هزم السلطان عند « سلمية » وولى هاربا الى مصر ، واشتد الغلاء ، وهرب جماعة من اعيان دمشق الى مصر ، وبقى البلد شاغرا ليس فيه حاكم ، سوى نائب القلعة ، وكسر المحبوسون الحبس ، وخرجوا ، فنهبوا ما قدروا عليه ، خرج الشيخ ابن تيمية للقاء « قازان » ، فقابله عند بلدة « النبك » وكلمه كلاما فيه شدة ، وعنف ، مما جعل « قازان » يعجب بشجاعته ، فاعطاه فرمانا بالامان لاهل دمشق ، فلما دخل المغول دمشق ارسلوا الى نائب القلعة ليسلمها اليهم ، وارسل اليه الشيخ ابن تيمية يقول له : لو لم يبق في القلعة الا حجر واحد ، فلا تسلمهم ذلك ، واطاع قائد القلعة امر الشيخ ، وظلت القلعة رمز المقاومة ، واقتدت بها جميع قلاع الشام ، وكان في ذلك مصلحة لاهل الشام ، وامر الشيخ الناس بتعليق السلاح في دكاكينهم ، وان يتدربوا على الرمي ، وجعل الفقهاء قدوة للناس ، فقد اخذوا يتدربون على الرمي في المدارس ، ويستعدون لقتال العدو ، ورجع « قازان » إلى العراق ، وقد اعجزته القلعة ، وخرج المحصورون منها للفتك بمن بقى من جيش « قازان » ومعاقبة من تعاونوا معه .

### ٧ ــ والله إنكم لمنتصرون :

وفي سنة ٧٠٢ هـ قويت الاخبار بعزم التتار على دخول الشام ، فانزعج الناس ، واشتد خوفهم ، وشرعوا في الهرب الى مصر ، والكرك ، والحصون المنيعة ، ووصل التتار الى حمص وبعلبك ، وعاثوا في تلك النواحي ، وتحدث الناس بالاراجيف ، والشيخ ابن تيمية قائم ليله ونهاره يشجع الامراء ، ويقسم لهم قائلا : والله انكم لمنتصرون حتى تحالفوا على لقاء العدو ، واستمر يحلف للامراء وللناس : انكم هذه المرة لمنصورون ، فيقول له الامراء : قل : ان شاء الله فيقول : ان شاء الله تحقيقا لا تعليقا .

واخيرا اقترب التتار من دمشق ، وخرج الشيخ من المدينة ليلقى السلطان ، ويحرضه على القتال ، فكان قد خرج الى مصر ، وحثه على الخروج ، وقال له : ان اعرضتم عن الشام وحمايته اقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه . وسمع ابن تيمية ان السلطان عازم الآن على العودة الى مصر لكثرة التتار ، فخرج يثبته ، فلما رآه الناس يومئذ خارجا ظنوه هاربا ، فصاحوا به : منعتنا من الخروج ، فلما قرب العدو تركتنا ، وهربت ، فلم يرد عليهم ، حتى لقى السلطان يقسم له : والله انكم لمنتصرون ، وما زال بالسلطان حتى عزم على لقاء المغول ، فلما التقى الجمعان ترك ابن تيمية جيش السلطان ، وذهب يحارب تحت لواء اهل الشام ، قائلا : السنة ان يحارب الرجل تحت راية قومه ، نحن من جيش الشام نقف معهم .

وكان الناس صياما ، فكان يطوف على الجنود يحرضهم على ان يفطروا ، ويأكل امام الناس وانتصر المسلمون يومئذ انتصارا عظيما ، وهزم المغول هزيمة لم تصبهم هزيمة مثلها .

**٨ ـ ملك المغول والمماليك لا يساوى فلسا :**

ابتلى ابن تيمية بحساد لم ينالوا سعيه في العلم ، ولا شأوه في الجهاد ، ولم يعطوا شجاعته في الجهر بالحق ومحاربة الجهل ، فخاصموه ، وعادوه ، وزادهم حقدا ما رأوا من تعلق الناس به ، واجماع القلوب على حبه ، فعقدوا له المناظرات ليثبتوا بطلان بعض فتاويه ، فلم يثبتوا له في هذا الميدان ، وظهر عليهم بقوة حجته ، وسعة علمه ، وخلوص نيته ، فلجئوا الى الحكام الذين امروا بسجنه بعد ان نقلوه من الشام الى مصر ، فلبث في السجن بضع سنين حيث تحول السجن الى مدرسة ، يزدحم فيها الناس ، وصار خلق من المحابيس اذا اطلقوا يختارون الاقامة عنده ، وكثر المترددون اليه ، حتى صار السجن يمتلىء بهم .

وذات يوم ذهب السلطان الذي سجنه ، وحل سلطان جديد محله ، واستدعى الشيخ ابن تيمية ، واكرمه ، وقربه ، وسأله ان يفتي بقتل العلماء الذين اشاروا بسجنه ، واحلوا للسلطان السابق دمه ، فابى هذا الرجل العجيب الذي لم يعرف الحقد قلبه ، ولا حب الانتقام نفسه ، وقال للسلطان : لا اجيز ايذاءهم ، انهم قوم تأولوا فأخطئوا .

وأطلق سراحه ، وسمح له بالرجوع الى الشام بعد سبع سنين وسبع جمع ، ولكنه ما كاد يستقر في بيته حتى سيق الى سجن القلعة بدمشق ، فقال : اني كنت منتظرا ذلك ، ما يصنع اعدائي بي ؟ انا جنتي وبستاني في صدري ، اين رحت فهي معي لا تفارقني ، انا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة . وعكف في سجنه على الكتابة والتأليف ، فمنعوا عنه الكتب والاقلام والاوراق ، فأخذ يكتب على جدران السجن بالفحم ـ

وتوفى في سجنه سنة ٧٢٨ هـ ، فلم يبق في دمشق من يستطيع الاشتراك في جنازته الا فعل ، وخرج الأمراء ، والرؤساء ، والعلماء ، والفقهاء ، والاتراك من الاجناد ، والرجال ، والنساء ، والصبيان ، وكان يوما مشهودا ، سار فيه خمسمائة ألف انسان باكين هذا العالم المجاهد .

وخير ما نذكره عنه في الختام انه لما وشى به الى السلطان المملوكي « الناصر لدين الله » وأحضره بين يديه ، قال له : انني اخبرت انك قد اطاعك الناس وان في نفسك اخذ الملك ، فلم يكترث به ، بل قال له بقلب ثابت ، وصوت عال سمعه من حضر : انا افعل ذلك ؟ والله ان ملكك وملك المغول لا يساوى عندي فلسا . وما أصدق من قال فيه :

ماذا يقول الواصفون له ؟ وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر

# الفتاوى

للدكتور
محمد سلام مدكور

## ما حكم شرب السجاير والدخان

● روي أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة قالت : نهى عن كل مسكر ومفتر ، والمفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف وقد ذهب بعض العلماء ممن يتشددون في منع التدخين بكل أنواعه ويفتون بحظره الى أن هذا الحديث يتناول بعمومه النهي عن تدخين السجاير بكل أنواعها لأنها تحدث شيئا من الفتور لشاربها . وإن كان الحديث أظهر في التدخين الذي يحدث فتورا في الجسم كالمخدرات .

وأكثر العلماء الذين تعرضوا لحكم تدخين السجاير قالوا : إنه يكون حراما إن كان يحدث ضررا بصحة شاربه وأحس هو بذلك أو كان الضرر خافيا عليه لكن قرر له الأطباء ذلك . وكذلك اذا كان يحتاج الى ثمنه في قوته وقوت من يعول حتى وإن كانت لا تضره من الناحية الصحية .

وأقل درجات خطر شرب السجاير فيما نرى الكراهة إذ في تعاطيها مظنة الاسراف ، ومظنة الضرر البدني وإن لم يكن هذا الضرر متحققا لأنه مضيعة للمال ويترتب على شربه مفاسد كثيرة وإضرار بالصحة ولو على المدى البعيد . وكثيرا ما حرم الاسلام الأشياء لا لعينها وإنما اتقاء لضررها . فحيث كان الضرر كان الحظر . وما عظم ضرره عظمت حرمته ، وما قل ضرره دخل في دائرة الكراهة .

وإذا كان تدخين ما يفتر الجسم منهى عنه بنص الحديث فان ما يعرف بتدخين الحشيشة وما في حكمها يكون حراما بل حكي القرافي وابن تيمية الاجماع على تحريمها ، وأما تدخين ما يسمى بالتباك والمعسل . ونحوهما فهو وإن كان أقل إضرارا بالجسم من السجاير كما يقرر الأطباء فانه مضر به أي ضرر ومفسد للمال أيضا ، وما كان لا نفع فيه ، ويحتمل وقوع الضرر منه ، فالأولى اجتنابه وهذا ما يقضي به العقل السليم .

ومع هذا فمن الحنفية من حرم تدخين التنباك والتبغ ومنهم من أباحه على أساس أن الأصل في الأشياء الاباحة . ورأى بعضهم فيه الكراهة . والمعتمد عند الشافعية أنه مكروه . ومن المالكية من يرى تحريمه ومنهم من يرى اباحته ويرى الحنابلة أنه خلاف الأولى بالنسبة لمن ينشد الكمال في الدين .

والذي ننتهي اليه أنه لابد أن يكون للانسان ادارك ووعي وارادة قوية على ضبط النفس ونهيها عن الهوى . والله الموفق .

## من تعذر عليه تأدية صلاة الجمعة في المسجد

صلاة الجمعة تؤدي في المسجد مع الجماعة وهى ركعتان . أما من تعذر عليه صلاة الجمعة فانه يلزمه صلاة الظهر أربع ركعات اتفاقا وينص الحنفية على أن من صلى الظهر في منزله يوم الجمعة ولا عذر له ينبغي أن يكون ذلك بعد فترة تسمح بانتهاء صلاة الجمعة فان صلى المعذور الظهر في منزله قبل صلاة الامام للجمعة جازت صلاته مع الكراهة ، وقال زفر لا يجزئه .

وعند المالكية الأفضل التعجيل إلا إذا كان يرجو زوال العذر فيندب تأخير الظهر . وإذا صلاه جماعة فينبغي إخفاء الجماعة لئلا يتهموا بالرغبة عن الجمعة .

وعند الشافعية قيل إن من لم يرج زوال عذره يستحب له أن يصلي الظهر في أول وقته ليحوز فضيلة المبادرة . وقيل يستحب التأخير حتى تفوت الجمعة لأنه قد ينشط لها ـ وأما من لا عذر له فلا يصح ظهره قبل انتهاءالامام من الصلاة لأن الجمعة هى الفرض الأصلي .

وعند الحنابلة أن من لا تجب عليه الجمعة من أصحاب الأعذار فله أن يصلي الظهر قبل صلاة الامام وإن كان الأفضل التأخير حتى ينتهي الامام خروجا من الخلاف .

وعلى هذا فان الواجب عليك أيها السائل أن تصلي أربع ركعات مادام لك عذر يمنعك من صلاة الجمعة .. والله الهادي والموفق .

## قراءة القرآن مرة في اليوم بعد العشاء ..

التعبد بقراءة القرآن أمر مطلوب . وينبغي على القارىء أن يتفهم ما يقرأ ويعمل بحكمه ، وقراءة القرآن مطلوبة في كل صلاة من الصلوات الخمس قبل الركوع في كل ركعة . أما قراءته في غير الصلاة . فهي مطلوبة بقدر ما يتسع له وقت كل فرد وتمكنه قدراته . فأنت مأجور ومثاب على القراءة للقرآن بعد صلاة العشاء . ولا إثم عليك في عدم قراءتك له في غير الصلاة في الأوقات الأخرى .

وقد يكون من المناسب هنا أن ننبه إلى أن قراءة القرآن لها أداب خاصة يجب ملاحظتها : منها أن يكون على طهارة وفي مكان نظيف ، وأن يكون متوجها الى القبلة وأن يستعيذ بالله عند القراءة وأن لا يتكلم أثناء قراءته وأن يستحضر المعنى ما أمكن وأن يقصد بالقراءة وجه الله .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## إن الدين عند الله الاسلام

جاءتنا هذه الرسالة من الأخ محمد عبدالمجيد عبدالقادر ــ مصر يثبت فيها ان الله سبحانه أرسل كل رسله بالاسلام وان اختلفت التسمية والأزمنة ولكنها كلها في جوهرها تدعو الى الاسلام وقد دلل على هذا القول بالآيات القرآنية التي تؤكد هذا المعنى وتنفي غيره من الآراء التي لا تتناسب وجوهر الدعوات السابقة على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واقرأوا قول الله سبحانه على لسان سيدنا عيسى عليه السلام : **( وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين )** .

تلك شهادة تؤكد بلا ريب ان كل دين سبق دين محمد صلى الله عليه وسلم انما كان الاسلام ولا غيره ومع رسالة الأخ حول هذا المعنى يقول صاحب الرسالة :

الاسلام دين الأنبياء جميعا قال تعالى : **( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الأسلام دينا )** سورة المائدة/٣ .

وهو الدين الذي ارتضاه لعباده منذ أن بعث الله النبيين والمرسلين الى أن بعث الله خاتم رسله سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

فكلهم دعا الى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والكفر والوثنية فالاسلام دين واحد متفق في الأصول وقد يختلف في الشرعة والمنهاج .

قال تعالى : **( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا )** سورة الأحزاب/٧ .

في هذه السورة جاء ذكر أولى العزم من الرسل قال تعالى : **( وما أرسلنا من**

قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ) وقال تعالى : ( **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ) .

والاسلام واحد في الأصل وهو التوحيد ولكن : ( **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ) فنوح عليه السلام وهو من أولى العزم من الرسل الذي صبر صبرا طويلا على عناد الكافرين والله يقول فيه : ( **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** ) هود/ ٢٥ـ٢٧ ، و .. وابراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وهو الذي سمانا المسلمين من قبل ( ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ) فلا وجه لوصفه بأنه كان يهوديا أو نصرانيا وقد وجد قبل وجود اليهودية والنصرانية قال تعالى : ( **ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** ) آل عمران/ ٦٧ ، وقد دعا ابراهيم عليه السلام ربه ان يثبته على الاسلام هو واسماعيل وذريتهما التي ستأتي بعدهما قال تعالى : ( **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم** ) **البقرة/ ١٢٨** . ويوصي يعقوب بنيه عند الموت بالاسلام قال تعالى : ( **ووصي بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ) البقرة/ ١٣٢ .

قال تعالى : ( **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون** ) البقرة/ ١٣٣ ، ويوسف عليه السلام يدعو ربه ان يستجيب لدعائه وفيه يقول : ( **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين** ) سورة يوسف/ ١٠١ .

فاذا تعدد الأنبياء فان رسالة الاسلام لا تتعدد ، المسلمون من قوم لوط حفظهم الله وأخرجهم من القرية الفاجرة التي لم يستجب فيها عدد كبير من المسلمين قال تعالى : ( **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ) سورة الذاريات/ ٣٥ و٣٦ ، وموسى عليه السلام يدعو قومه للاسلام قال تعالى : ( **وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ) سورة يونس/ ٨٤ ، ويدعو ربه قائلا : ( **ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** ) الأعراف ١٢٦ .

وسليمان عليه السلام يدعو ربه للاسلام فيقول : ( **ألا تعلوا علي وائتوني مسلمين . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين** ) وكان قد قال للملأ : ( **يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين** ) فالاسلام دين الأنبياء .

# بأقلام القراء

وفي كل شيء له آية ...

**الاستاذ الشيخ ( محمود ابرهيم طيرة ) الشاعر العالم ، راعه ما رأى من جحود بعض الباحثين ، في شؤون الكون ، ورواد الفضاء ، وانكارهم لوجود الله تبارك وتعالى ، مع ان المفروض فيهم أن يكونوا أشد الناس إيمانا بالله لتعمقهم في دراسة مظاهر القدرة الالهية في رحاب الكون الواسع ، فجادت قريحته بهذه الأبيـات :**

جحدتم به ربا ، وأنتـم صناعته ... فأوغلتمو في الظلم ، والكفر غايته
وفي كل شيء آيــة بعــد آية ... تجلى بهـا قدر الالــه ، وقدرته
وليس كمثـل الـروح للمـرء آية ... وسر عظيم ، ليس تدرى حقيقته!

★★★★

فكيف يصح القول أن ليس للورى ... إلٰه ، على كل العبـاد إطاعته ؟!
وأين هو العقل ، الرشيد ، أيا ترى ... وأين الضمير الحي؟ أين؟ وصحوته
بصائر عمي ، والنفـوس مريضة ... وران على القلب الجحـود ضلالته

★★★★

ضلال هو الالحاد ، قد زاغ أهله ... عن الحق ، تدعوهم اليـه شريعته
ويا ويل من ضل الهدايــة ، ويله ... فما غـير نـيران الجحيـم نهايته
ومن رام يوما صنعة دون صانع ... ــ لعمري ــ مخبول، وهذي خرافته

★★★★

ومن عامل الشيطان ، خاب رجاؤه ... ومن يتجر في الظلم ، بارت تجارته
ومن عامل الرحمن ، طابت حياته ... وراجت بسوق المؤمنـين بضاعته
ومن عاش في دنياه بالجسم وحده ... تهاوى وما يدري فجمت خسارته

★★★★

ومن عاش بالقلب السليم ، وبالنهي تسامى الى العليا ، ونارت بصيرته
فيمضي على النهج القويم ومن يسر على منهج التحقيق لم تُطْوَرَايَتُه
ويحظى من المولى الكريم بحبه ومن يحبب الرحمن تعظم سعادته

★★★★

ففكر ، تجد مولاك في كل حالة اليه مرد الأمر فيها ، وحكمته
وبادر الى صلح مع الله مخلصا فشر البلايا في الحياة خصومته
وإن تعتصم بالله ، تلق بحصنه أمانا ، وإيمانا ، وتغشاك رحمته

## الشجاعة في الاسلام

**وتحت هذا العنوان أرسل لنا الشيخ خالد صالح المسفر موضوعا نقتطف منه ما يلي :**

**الشجاعة من الصفات الكريمة الحميدة التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون الأبطال فتخلد ذكراهم على مر العصور والأزمان وليس من الشجاعة التهور والالقاء بالنفس الى التهلكة وانما يجب التروي في الأمور والتبصر في العواقب مع التصرف المطلوب وهذه هي الشجاعة المطلوبة التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وقد امرنا الدين الاسلامي بالثبات امام العدو حتى لا يعتدي على حرماتنا او يعرض مقدساتنا للهوان حيث يقول الله تبارك وتعالى: ( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ) .**

وقد كان المسلمون الأولون يقتحمون المعارك ويخوضون في ميادين القتال وهم قلة قليلة فانتصروا بايمانهم وشدة ثباتهم وقوة شجاعتهم واقدامهم على أعدائهم باذن الله وأعداؤهم كثرة ... قال تعالى : **( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ) .**

وكان لشجاعتهم أثر كبير في الفتوحات الاسلامية التي نشروا فيها الاسلام بالعدل والايمان بالتسامح والاحسان وكم لقى الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه الأولون رضى الله عنهم أجمعين من قريش فصبروا وتحملوا العنت والمشقة والظلم بنفس راضية شجاعة فهذا بلال وعمار وياسر وسميه وصهيب وغيرهم كثير ذاقوا من اهل مكة الذل والعذاب لماذا ؟ لأنهم آمنوا بالله ورسوله واتبعوا نبيهم وخرجوا على قومهم وقد تحملوا ذلك العذاب في سبيل الله سبحانه وتعالى وسبيل العقيدة الاسلامية وهذه تعد شجاعة وكان المسلمون الأولون يكرهون الموت على الفراش .



فهذا خالد بن الوليد سيف الله المسلول وهو من هو في شجاعته وإقدامه وايمانه وجهاده في سبيل نصرة الاسلام والمسلمين يحزن أشد الحزن لوفاته على فراشه فها هو يقول عندما احس بالموت: « لقد شهدت مائة زحف او زهاءها ما بقي في بدني شبر الا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » .

وهناك أنواع غير هذه الشجاعة الحربية فمثلا الأطباء الذي يجرون التجارب على أنفسهم ويتعرضون للخطر حتى يعرفوا مكان الداء والضرر ويكتشفوا الدواء اللازم لأي مرض كان ، هؤلاء شجعان قدموا للانسانية خدمات جلى وكثيرة ، رجال الاطفاء الذين يعملون على اخماد الحريق والنيران الملتهبة وينقذون الأموال من الهلاك والدمار هم شجعان ـ ورجال الشرطة الذين يعملون على حفظ الأمن بين الناس وعلى دفع الجرائم قبل وقوعها هؤلاء شجعان ورجال الجندية يخوضون غمار الحرب والمعارك ويقتحمون الاهوال دفاعا عن الوطن والمواطنين فلا يعبؤون بأزيز الرصاص وشظايا القنابل ودويها ولا قصف المدافع حفاظا على وطنهم ومواطنيهم ، هؤلاء شجعان . والذين يتحملون ألوان العذاب وهم ثابتون على إيمانهم ودينهم هم شجعان ، والذين يتحملون النكبات وألوان البلاء في الحياة كالاحزان والفشل في الأمور ويقابلونها بالصبر والثبات وعدم الجزع هم شجعان للشجاعة اثر كبير في حياة الفرد والمجتمع حيث تتوقف على الشجاعة صيانة الأرواح والأموال بل والممتلكات كما يتوقف عليها حماية الأمة من كل اعتداء خارجي او داخلي ويتوقف على الشجاعة تقدم الانسانية جمعاء وكشف المخترعات وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم الأمثلة بإقدامه وشجاعته في الحروب فلم يفر من معركة،ولم يجبن من قتال وقد حدث ان تخلى الرماة عن مواقفهم في غزوة أحد،وهاجم المشركون جيش المسلمين فاضطربت صفوفهم،وفر كثير منهم،ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يثبت في موقفه كثبوت الجبل الأشم،يضرب أروع الأمثلة لأصحابه وتابعيهم في الشجاعة،حتى تم له النصر بإذن الله وفي غزوة حنين تجمعت القبائل كلها وهاجمت المسلمين ففر كثير منهم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ينادي بأعلى صوته الشريف: « أنا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب » ويلزم موقفه حتى يتم له النصر وهكذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى لأصحابه في الشجاعة والاقدام فلم يخش بأس عدو،ولم يفر من موقعة قط بل ان اصحابه رضى الله عنهم اجمعين كانوا اذا اشتدت الحرب واستعر اوارها اقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم في شجاعته وبطولته .

هذا،وان للشجاعة مكانتها بين الامم والشعوب وقد تبين لنا ان رسولنا صلى الله عليه وسلم قد ضرب لنا اروع الامثلة في الشجاعة والاقدام بل في كل شيء وصدق الله العظيم اذ يقول : **( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم )** .

## احتياط الصحابة في رواية الحديث

**تروي كتب الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يكثرون من رواية الحديث وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ينهي أيضا عن الاكثار من الرواية .**

**نرجو بيان هذا الموقف من الصحابة رضوان الله عليهم وموقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .**

**حسين محمد حسين ـ الكويت**

من الثابت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون من النبي صلى الله عليه وسلم بعض آيات من القرآن الكريم يتفهمون معناها ، ويتعلمون فقهها ، ويطبقون ذلك على أنفسهم ، ثم يحفظون غيرها ، وفي ذلك يقول التابعي الجليل أبو عبدالرحمن السلمي ـ عبدالله بن حبيب بن ربيعة : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهما ، أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل .. قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وقد أخرج الامام البخاري رضي الله عنه ما يفيد أن بعضا من الصحابة كانوا يقيمون عند الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعلمون أحكام الاسلام وعباداته ، ثم يعودون إلى أهليهم وقومهم يعلمونهم ويفقهونهم ، وذلك ما رواه البخاري عن مالك ابن الحويرث قال : « أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظن أنا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه وكان رفيقا رحيما فقال : ( ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم ) .

معنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم كان حرصهم على حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه شديدا إذ كانوا يتلقونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يعلمون أهليهم ما عرفوه من أحكام وهذه سنة من سنن الاسلام .

ولكن يمكن أن يقال : إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحتاطون خشية

الوقوع في الخطأ وخوفا من أن يتسرب الى السنة المطهرة الكذب أو التحريف ، وهي المصدر التشريعي الثاني للاسلام ففضل بعضهم الاقلال من رواية الحديث ، وذلك مثل ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال ابن قتيبة : ( كان عمر شديد الانكار على من أكثر من الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي ، وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبدالمطلب يقلون الرواية عنه بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ) .

وطوال الخلافة الراشدة التزم بعض الصحابة بمنهج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكثروا من الرواية في ذلك العهد .

وعن عبدالله بن الزبير قال قلت للزبير بن العوام مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا . قال أما أني لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكني سمعت منه كلمة يقول : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وتشدد الصحابة هذا راجع إلى خشيتهم أن يقعوا في الزيادة أو النقصان في الرواية لأن كثرة الرواية في نظر الكثير منهم مظنة الوقوع في الخطأ والكذب .

وكان منهج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سببا في التروي فيما ينقل من الحديث وصيانته من الشوائب ، وبذلك انصرفوا إلى حفظ القرآن أولا ثم اشتغلوا بالسنة .

أما الذين عرفوا بالاتقان والحفظ الجيد من الصحابة فكانوا يروون السنة بل ، ويكتبونها والأمثلة على ذلك كثيرة وثابتة .

وعليه فلا يجوز أن نفهم أن قلة الرواية من الصحابة كانت زهدا في الحديث النبوي أو تعطيلا له « معاذ الله » فقد ثبت أنهم رضوان الله عليهم تمكنوا من الحديث وحسن تلقيهم له وفهم ما يرشد إليه .

ويقول ابن عبدالبر ان وجه قول عمر رضي الله عنه انما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشى عليهم الاشتغال بغيره عنه اذ هو الأصل لكل علم .

ويقول الخطيب البغدادي : « فعل ذلك عمر احتياطا للدين وحسن نظر المسلمين لأنه خاف ان ينكلوا عن الأعمال ، ويتكلوا على ظاهر الأخبار ، وليس حكم جميع الأحاديث على ظاهرها ، ولا كل من سمعها عرف فقهها ، فقد يرد الحديث مجملا ، ويستنبط معناه وتفسيره من غيره .. » .

من هذا يتبين لنا أن الصحابة لم يقلوا الرواية وانما تثبتوا في الأخبار وتأنوا في أدائها ولا يحدثون الا وهم واثقون من صحة قولهم ، وكان هذا المنهج السليم سببا في منع الدخيل الذي يفسد السنة المطهرة .

**أقام سيدنا ابراهيم قواعد البيت الحرام كما ثبت ذلك .**
**فهل ظل بناء سيدنا ابراهيم على حاله الى يومنا هذا ؟**
**محمد طه اسماعيل ــ مصر**

من المؤكد بنص القرآن الكريم أن سيدنا ابراهيم أقام قواعد البيت الحرام يقول الله سبحانه : **( واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ) .**

ثم تهدمت الكعبة عندما تصدع بنيانها ، ووهنت أحجارها ، وقد انتاب قريش ما انتابها ، وارتاعت من ذلك ، وحارت في أمرها ماذا تفعل ، ولما اجتمع رأيهم على ضرورة اعادة بنائها وقفوا من ذلك وقفة خوف وطال وقوفهم حتى تقدم الوليد ابن المغيرة فاقتلع أول حجر منها ، وهو يقول : اللهم لا ترع لا نريد الا الخير ، فاتبعه الناس .

وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم في نقل الحجارة مشاركا بذلك بني هاشم .

بعد ذلك أقاموا بناء الكعبة بزيادة في الارتفاع عما كانت عليه في بناء سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ورفعوا بابها ، وجعلوا لها سقفا ، ولم تكن كذلك ، ثم قصرت بهم النفقة فلم يتموا بناء البيت كما بناه ابراهيم ، بل تركوا مساحة من البيت خارجه .

وفي خلافة عبدالله بن الزبير مالت بعض جدران البيت فأمر بهدمها ، وبناها على أساس ابراهيم مستلهما ذلك من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس ابراهيم عليه السلام فان قريشا استقصرت بناءه وجعلت له خلفا » .

وظلت الكعبة على بناء ابن الزبير لها حتى استولى الحجاج بن يوسف الثقفي على مكة فأمر بهدمها واعادتها على بناء قريش لها ، وذلك بعد مشورة عبدالملك بن مروان وموافقته .

ثم أراد المهدي الخليفة العباسي ان يعيدها كما نص الحديث الشريف السابق كبناء ابن الزبير لها فأشار الامام مالك رضي الله عنه بعدم فعل ذلك ، وقال للخليفة : اني أكره أن يتخذها الملوك لعبة ، فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي عبدالملك بن مروان فيتناولونها بالنقض والبناء فأحجم المهدي ، ولم يفعل شيئا .

هذا وماتزال الكعبة على بناء الحجاج لها كبناء قريش إلى يومنا هذا ، والتزم المسلمون هذا البناء دون تغيير أو تبديل ودون زيادة أو نقصان .



# مع صحافة العالم

## سلاحنا وسلاحهم في تعليق لمجلة الدعوة المصرية

كان سلاح اليهودية الصليبية منذ الحروب الصليبية وحتى اليوم هو الكتاب المقدس بعهديه القديم : « التوراة ــ كتاب اليهود » والجديد : « الأناجيل ــ كتاب النصارى » .

ولقد ظهر في اسرائيل عبر تاريخها ، الصقور والحمائم اي دعاة الحرب ودعاة السلام ، ولكن الاختلاف بين الصقور والحمائم كان اختلافا في الاستراتيجية لا في الهدف ــ فالهدف واحد لا يختلف عليه يهوديان وهو موجود عندهم في التوراة ان يسود « **أبناء الحرة أبناء الجارية** » وحتى استراتيجية الحمائم والصقور موجودة ايضا في التوراة فحيث يكون الجو غير ملائم للحرب تطفو في التوراة ــ استراتيجية الحمائم ، وحيث يكون الجو ملائما للحرب تطفو ــ في التوراة الصقور .

ومثلما كانت ( التوراة ) موجهة للسلوك اليهودي على هذا النحو ، سواء في ( الهدف الموحد ) وفي ( الاستراتيجية ) بشقيها كان الهدف المسيحي واضحا ايضا في القضاء على ( البرابرة ) والبرابرة ــ عندهم ــ هم كل من لا يعترف بالسيد المسيح إلها ، وعلى رأس هؤلاء البرابرة بطبيعة الحال المسلمون الذين يصرون على أن يجعلوه مجرد بشر رسول .

« أما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي » ( انجيل لوقا : الاصحاح التاسع عشر : ٢٧ ) أما عن سبب هذا ( الذبح المقدس ) الذي يشهد به تاريخ المسيحية الطويل فيوضحه بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية حيث يقول لهم « فانه مكتوب أنه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية ، والآخر من الحرة » ( رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية : صح ٤ : ٢٢ ــ ٣١ ) انها نفس الاستراتيجية ، ونفس الهدف في العهد الجديد السلاح الذي اعتمد عليه الغرب المسيحي في سيطرته على العالم .

فهل آن لنا أن نستفيد بدروس الماضي القريبة منها والبعيدة كما استفاد بها قطز وصلاح الدين فنعــود ألى قرآننا الكــريم ، نتخذ منه هدفا ، ونشتق منه استراتيجيتنا ، ونجمع القلوب التي تفرقت . أما آن لنا أن نتوقف عن البكاء على ماض ضيعه آباؤنا ونشرع في التخطيط لمستقبل نطمئن به على أبنائنا من بعدنا ،

ويكفينا فخرا أن يكون جيلنا هو الجيل الذي يرد الخطر ، ويؤمن المستقبل ، ولا رد للخطر ، ولا تأمين للمستقبل إلا بالاستفادة من دروس التاريخ ، وبخلق هدف نبيل يعتمد على كتابنا الكريم ، ويكفينا في هدفنا هذا فخرا .. انه هدف يقوم على تحريرنا دون أن نفكر في استعباد غيرنا لأن كتابنا الكريم ليس فيه أبناء حرة وأبناء جارية ..

**الوعي الاسلامي :**

**والله سبحانه وتعالى يقول مؤكدا معنى المساواة في الاسلام بين بني البشر جميعا : ( أن اكركم عند الله أتقاكم ) هذا هو الميزان الذي يزن أعمال الناس والمقياس الذي عليه يحاسب العباد أمام الله لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لحر على عبد إلا بالتقوى ألا فليعلم ذلك أولو الألباب .**

## وفد الجمعية الاسلامية في البحرين
## حول الغرض من الزيارة نشرت جريدة السياسة الكويتية هذا الحديث

زار الكويت وفد الجمعية الاسلامية في دولة البحرين الشقيقة برياسة السيد / عبداللطيف محمود آل محمود نائب رئيس الجمعية .

وقد التقى الوفد بوزير الأوقاف والشئون الاسلامية السيد / يوسف جاسم الحجي .

من أهداف الجمعية نشر الوعي الاسلامي ، والعناية بالقرآن الكريم تلاوة وحفظا ودراسة السنة النبوية الشريفة والعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية ومكافحة الفساد ـ وجمع المسلمين على كلمة سواء ـ ورفع المستوى العلمي والاجتماعي للمسلمين ـ والقيام بأعمال البر وتشجيعها والدعوة إليها ، بالاضافة إلى المساعدات الاجتماعية للأسر المحتاجة .

وقال رئيس الوفد : **ان لقاءنا بالمسئولين هنا يعتبر الأول من نوعه خارج البحرين حيث ان الجمعية تركز على العمل داخل البحرين .**

**وهناك تعاون قائم بين وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ووزارة العدل والشئون الاسلامية بالبحرين من خلال البعثات التي ترسلها وزارة العدل بالبحرين ونأمل المزيد من هذا التعاون وهناك في البحرين نلقي الدعم المادي والأدبي من المسئولين الذين رحبوا بالفكرة وقدموا لها كل التسهيلات بعد أن عرفوا خطها الاسلامي ، والمستفيدون من الجمعية لا يحصر عددهم كما أن منهج الجمعية يعتمد على الكتاب والسنة كأساس لكل خطواتنا وأعمالنا .**

# حول الأوضاع التي يعيشها المسلمون في الفلبين
## نشرت جريدة القبس الكويتية هذا التقرير

تلقت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية تقريرا بالغ الأهمية عن أوضاع المسلمين في الفلبين يؤكد تواطؤ السلطات الفلبينية مع الجهات المعادية للاسلام ، والتي ترمي إلى الغزو الثقافي والاستيطاني والتبشيري المسيحي ، والذي تطور الآن إلى حرب ابادة ضد المسلمين .

وأشار التقرير الى أن خطة التبشير لم تكن تمس الفلبين وحسب بل شملت كلا من اندونيسيا وماليزيا وتايلاند ، وسنغافورة وأشار إلى أن منظمة الكنائس العالمية عقدت مؤتمرا عاما في مطلع الستينات ، ومن بين القرارات الصادرة عن المؤتمر :

تنصير شعوب جنوب شرقي آسيا ( اندونيسيا ، الفلبين ، ماليزيا ، تايلاند ، سنغافورة ) في ظرف خمسين سنة ابتداء من مطلع الستينات ومن المخططات والأساليب التي تتخذ لهذا الغرض ، :

انشاء المدارس المسيحية في المناطق الاسلامية بقصد نشر الثقافة الغربية والديانة المسيحية لدى المسلمين .

- انشاء المستشفيات المسيحية ، ودور الأيتام وبناء الكنائس في المناطق الاسلامية ، وطبع كتيبات عن الدين المسيحي باللغات المحلية التي ينطق بها المسلمون وتوزيعها بينهم .
- تشجيع المسيحيات على الزواج من المسلمين .
- تشجيع المسيحيين على الزواج من المسلمات ، وإقامة أندية ومؤسسات ثقافية في المناطق الاسلامية ، وزيادة عدد القائمين بالتبشير المسيحي .

وأوضح التقرير الذي تلقته وزارة الأوقاف : أنه بعد اصدار القرارات المذكورة اثبت أن المجتمع الاسلامي في جنوب شرقي آسيا ، وخاصة في جنوب الفلبين مهدد بالخطر ، وأن هناك خطة مدبرة للقضاء عليه .

وكشفت مصادر الوزارة عن أن الحكومة الفلبينية دأبت منذ توقيع الاتفاق مع جبهة تحرير مورو الاسلامية على الانتهاك المستمر للاتفاق الذي وقع ولم يكشف عن تلك الانتهاكات في حينه نظرا للمساعي التي كانت تبذل بين الطرفين من أجل استمرار الحوار .

**الوعي الاسلامي :**

**ليس غريبا أن تكون هذه أخلاقهم فهم لا يرعون ميثاقا ولا يلتزمون بعهود وواجب المسلمين في كل عصر أن يتنبهوا لما يحيط بهم وما يحاك لهم من مؤامرات ودسائس وما أكثر ذلك .**

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ — الشويخ — الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة — مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم — دار التوزيع — ص.ب ( ٣٥٨ )

ليبيا : طرابلس — الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء — الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

السعودية : جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ )
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع — الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف — ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف — ص.ب : (٤٢٠٥٧)

**ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | [illegible] | [illegible] | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س |
| الخميس | ١ | ١٥ | ٨ ٥٣ | ١٠ ٢٣ | ٥ ١٢ | ٨ ٤٧ | ١ ٢٦ | ٣ ٢٦ | ٤ ٥٦ | ١١٤٤ | ٣ ٢٠ | ٦ ٣٣ | ٨ ٠٠ |
| الجمعة | ٢ | ١٦ | ٥١ | ٢٢ | ١١ | ٤٦ | ٢٧ | ٢٥ | ٥٥ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٤ | ١ |
| السبت | ٣ | ١٧ | ٥٠ | ٢١ | ١١ | ٤٦ | ٢٧ | ٢٥ | ٥٥ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٤ | ١ |
| الاحد | ٤ | ١٨ | ٤٩ | ١٩ | ١٠ | ٤٥ | ٢٧ | ٢٤ | ٥٤ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٥ | ٢ |
| الاثنين | ٥ | ١٩ | ٤٧ | ١٨ | ٩ | ٤٤ | ٢٧ | ٢٣ | ٥٤ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٦ | ٣ |
| الثلاثاء | ٦ | ٢٠ | ٤٦ | ١٧ | ٩ | ٤٤ | ٢٨ | ٢٢ | ٥٣ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٦ | ٤ |
| الاربعاء | ٧ | ٢١ | ٤٥ | ١٦ | ٨ | ٤٣ | ٢٨ | ٢٢ | ٥٣ | ٤٤ | ٢٠ | ٣٧ | ٥ |
| الخميس | ٨ | ٢٢ | ٤٤ | ١٥ | ٨ | ٤٣ | ٢٨ | ٢١ | ٥٢ | ٤٥ | ٢٠ | ٣٧ | ٦ |
| الجمعة | ٩ | ٢٣ | ٤٣ | ١٤ | ٧ | ٤٢ | ٢٨ | ٢٠ | ٥٢ | ٤٥ | ٢٠ | ٣٨ | ٦ |
| السبت | ١٠ | ٢٤ | ٤٢ | ١٣ | ٧ | ٤٢ | ٢٩ | ١٩ | ٥١ | ٤٥ | ٢٠ | ٣٨ | ٧ |
| الاحد | ١١ | ٢٥ | ٤٠ | ١٢ | ٦ | ٤١ | ٢٩ | ١٩ | ٥١ | ٤٥ | ٢٠ | ٣٩ | ٨ |
| الاثنين | ١٢ | ٢٦ | ٣٨ | ١١ | ٦ | ٤٠ | ٢٩ | ١٨ | ٥١ | ٤٥ | ٢٠ | ٤٠ | ٩ |
| الثلاثاء | ١٣ | ٢٧ | ٣٧ | ١٠ | ٥ | ٤٠ | ٣٠ | ١٨ | ٥٠ | ٤٥ | ٢٠ | ٤٠ | ١٠ |
| الاربعاء | ١٤ | ٢٨ | ٣٦ | ٩ | ٥ | ٣٩ | ٣٠ | ١٧ | ٥٠ | ٤٥ | ٢٠ | ٤١ | ١٠ |
| الخميس | ١٥ | ٢٩ | ٣٥ | ٩ | ٥ | ٣٩ | ٣٠ | ١٧ | ٥٠ | ٤٥ | ٢٠ | ٤١ | ١١ |
| الجمعة | ١٦ | ٣٠ | ٣٤ | ٨ | ٤ | ٣٨ | ٣٠ | ١٦ | ٤٩ | ٤٥ | ٢٠ | ٤٢ | ١٢ |
| السبت | ١٧ | ٣١ | ٣٣ | ٧ | ٤ | ٣٨ | ٣١ | ١٦ | ٤٩ | ٤٦ | ٢٠ | ٤٢ | ١٢ |
| الاحد | ١٨ | يونيو | ٣٢ | ٦ | ٣ | ٣٧ | ٣١ | ١٥ | ٤٩ | ٤٦ | ٢٠ | ٤٣ | ١٣ |
| الاثنين | ١٩ | ٢ | ٣٢ | ٥ | ٣ | ٣٧ | ٣١ | ١٥ | ٤٨ | ٤٦ | ٢٠ | ٤٣ | ١٤ |
| الثلاثاء | ٢٠ | ٣ | ٣١ | ٤ | ٢ | ٣٧ | ٣١ | ١٥ | ٤٨ | ٤٦ | ٢٠ | ٤٤ | ١٥ |
| الاربعاء | ٢١ | ٤ | ٣٠ | ٤ | ٢ | ٣٦ | ٣١ | ١٤ | ٤٨ | ٤٦ | ٢١ | ٤٤ | ١٥ |
| الخميس | ٢٢ | ٥ | ٢٩ | ٣ | ٢ | ٣٦ | ٣١ | ١٤ | ٤٨ | ٤٦ | ٢١ | ٤٥ | ١٦ |
| الجمعة | ٢٣ | ٦ | ٢٨ | ٣ | ٢ | ٣٦ | ٣١ | ١٤ | ٤٨ | ٤٧ | ٢١ | ٤٥ | ١٦ |
| السبت | ٢٤ | ٧ | ٢٧ | ٢ | ١ | ٣٥ | ٣١ | ١٣ | ٤٨ | ٤٧ | ٢١ | ٤٦ | ١٧ |
| الاحد | ٢٥ | ٨ | ٢٧ | ٢ | ١ | ٣٥ | ٣١ | ١٣ | ٤٨ | ٤٧ | ٢١ | ٤٦ | ١٨ |
| الاثنين | ٢٦ | ٩ | ٢٦ | ١ | ١ | ٣٥ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٧ | ٢١ | ٤٧ | ١٨ |
| الثلاثاء | ٢٧ | ١٠ | ٢٦ | ١ | ١ | ٣٤ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٧ | ٢١ | ٤٧ | ١٩ |
| الاربعاء | ٢٨ | ١١ | ٢٦ | ١ | ١ | ٣٤ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٧ | ٢١ | ٤٧ | ١٩ |
| الخميس | ٢٩ | ١٢ | ٢٥ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٤ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٨ | ٢٢ | ٤٨ | ٢٠ |
| الجمعة | ٣٠ | ١٣ | ٢٥ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٤ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٨ | ٢٢ | ٤٨ | ٢٠ |

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

هدية العدد: براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٨ ○ شعبان ١٤٠٠ هـ ○ يونيو ١٩٨٠ م



## اقرأ في هذا العدد



الى راغبي الاشتراك
يرجى الرجوع الى الصفحة ١١٥ من المجلة ...

صورة الغلاف

مسجد باندا كية ـ سومطرا ـ أندونيسيا

# الوعي الإسلامي

# AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٨ ○ شعبان ١٤٠٠ هـ ○ يونيو ١٩٨٠ م


### هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

### تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات


مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١


● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# شهر شعبان وتحويل القبلة إلى المسجد الحرام

وردت الأحاديث الصحيحة بفضل شهر شعبان كله ، وطلب الاكثار فيه من الصوم ، تهيئة لاستقبال شهر رمضان الذي فرض الله على المسلمين صيامه .. ومن ذلك قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد سئل : أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ فقال : « شعبان لتعظيم رمضان » . وتعظيم رمضان يكون بتهيئة النفوس لحسن استقباله ، وعدم التبرم من صومه ، نتيجة التدريب قبله على الصيام في شعبان .

ولهذا كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصوم اكثر ايام شعبان . قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ « ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر اكثر منه صياما في شعبان » .

وبين رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حكمة الاكثار من الصيام في شعبان . فيما ورد عن اسامة بن زيد قال : قلت يارسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذلك شهر يغفل

الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » .

**وحرى بالمسلمين ان يقتدوا برسولهم الكريم في صيام أكثر أيام شعبان ، ليعدوا أنفسهم بذلك إعدادا طيبا لتأدية فريضة الصيام في شهر رمضان ، في يسر وطمأنينة ، وحب ورضا ، وحسن احتمال .**
**أما تخصيص صوم يوم النصف من شعبان على أساس أن له فضيلة على غيره ، فلم يأت به دليل صحيح .**

**وما جرت به عادة بعض المسلمين من الاحتفال بليلة النصف من شعبان احتفالا دينيا يجتمعون له في المساجد عقب صلاة المغرب ، ويصلون صلاة خاصة يسمونها صلاة ليلة النصف من شعبان ، ثم يقرءون بصوت مرتفع سورة ( يس ) ثم يبتهلون بدعاء يسمونه دعاء ليلة النصف ، ويكررون ذلك ثلاث مرات ، الأولى بنية طول العمر ، والثانية بنية رفع البلاء ، والثالثة بنية الغنى ــ ابتداع في الدين ولم يصدر فيه أمر ولا ترغيب !! والابتداع في الدين ضلالة ، تنسى الشرائع ، وتلهي عن الهدى . ولذلك حذرنا الرسول منه وأنذرنا عاقبته ، حين قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .**

والدعاء المبتدع في ليلة النصف من شعبان فيه أمران لا يقرهما الدين .

الأمر الأول : طلب الداعين من الله محو ما كتبه في أم الكتاب ، من الشقاوة وتبديلها سعادة ، ومن الحرمان وتبديله عطاء ، ومن الافقار وتبديله غنى . استنادا إلى قول الله تعالى في كتابه الكريم :( **يمح الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ) فان هذا الاستناد باطل ، لأن سياق الآية الكريمة يرشد إلى أن المقصود منها الرد على من أنكر على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن شريعته تغير أحكاما وردت في الشرائع السابقة . فهي تقرر أن محو الشرائع وإثباتها يترتب على مشيئة الله وعلمه بمصلحة عباده ، فهو ــ جل شأنه ــ يمحو من الشرائع السابقة مالا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة ، ( وعنده أم الكتاب ) . والمراد بأم الكتاب : إما العلم الالهي المحيط الذي يبنى عليه المحو والتبديل ، وإما أصول الأديان التي لا تختلف باختلاف الأمم ، ولا ينالها محو ولا تبديل .. فالآية لا علاقة لها بالأحداث الكونية ، كما يريد الدعاء أن يصرفها إلى تلك الأحداث .

أما الأمر الثاني : فهو أن الدعاء يصف ليلة النصف من شعبان بأنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم !! . والقرآن الكريم بين أن الليلة التي لها هذا الوصف هي الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن الكريم:( **إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين.فيها يفرق كل أمر حكيم** ) وهي ليلة القدر المذكورة في قوله تعالى : ( **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ) وشهر تلك الليلة هو شهر رمضان لقوله تعالى : ( **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ) . فالآيات الثلاث متفقة في بيان الزمن الذي بدئ فيه بنزول القرآن الكريم ، وهو ليلة القدر إحدى ليالي شهر رمضان وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم .

**وواجب المسلمين أن يلتزموا تعاليم دينهم ، وأن يبتعدوا عن الابتداع فيه ، وعلى من أراد الدعاء في ليلة النصف من شعبان أو غيرها من لياليه أن يتجه منفردا إلى ربه بالأدعية الصحيحة المأثورة ، أو التي لا تتعارض مع كتاب الله وسنته .**

**نعم ، للمسلمين أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان احتفالا تاريخيا يذكرهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ــ على ما ذهب إليه أكثر المؤرخين من أن هذا التحويل حدث في تلك الليلة ــ إذ بهذا التحويل تم ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة ، بيت المقدس وما حوله ، والكعبة وما حولها ، وأوحى إليهم هذا الربط أن يحافظوا على تلك الأماكن ، وأن يبذلوا كل تضحية في سبيل تطهيرها من الأصنام والأوثان ، وجعلها تحت سلطان المسلمين .**

وقد استجاب الرعيل الأول من المسلمين إلى هذا الايحاء ، فطهروا بيت المقدس كما طهروا الكعبة ، ووضعوا الجميع تحت راية الاسلام .

**وجدير بمسلمي اليوم أن يتنبهوا إلى ما تنبه له أسلافهم ، وأن يتجمعوا على الحق كما تجمع من سبقهم لينقذوا بيت المقدس وما حوله من دنس الصهيونية ورجس الاستعمار ، ويرجعوه وما حوله إلى ساحة الايمان ورحاب الاسلام ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإذا صح العزم وضح السبيل:( والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) .**

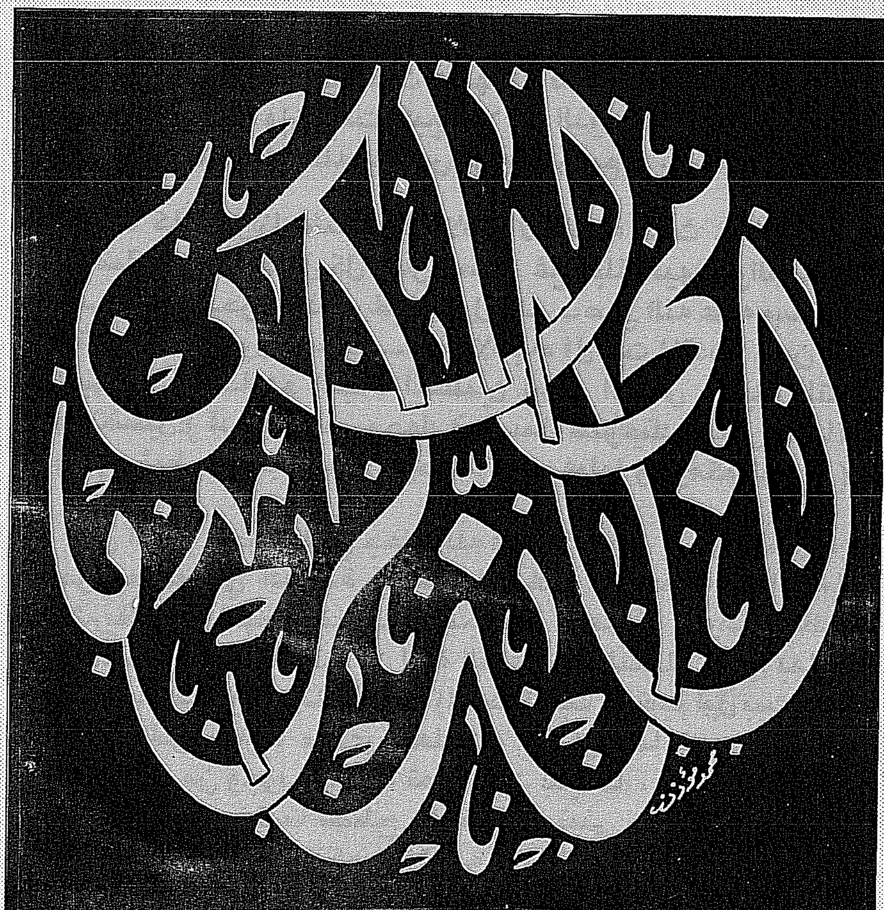
لقد كان تحويل القبلة حادثا عظيما في تاريخ المسلمين ، استخلص القلوب لله ، وجردها من كل ملابسة تاريخية او عنصرية ، وأظهر من يتبع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ايمان وثيق ، ممن ينقلب على عقبيه ، اعتزازا بمشاعره نحو جهة معينة ، فكان تطهيرا للصفوف المؤمنة من الدخل الذي يعوق مسيرتها في الكفاح والجهاد: ( وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ) .

كما كان إبرازا لشخصية الأمة الاسلامية حيث جعل لها قبلة خاصة تتجه إليها في كل زمان ومكان غير قبلة اليهود والنصارى ، وهي البيت الحرام الذي رغب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في التوجه له ، لطول ما سمع ــ مدة الاتجاه الى بيت المقدس ــ من لجاج اليهود ، واتخاذهم اتجاه المسلمين لبيت المقدس وسيلة للتمويه والتضليل:( قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ) .

إن البيت الحرام الذي جعله الله قبلة المسلمين إلى يوم الدين ، هو رمز وحدتهم في العقيدة الحقة والعبادة الصحيحة ، والمعاملة الشريفة ، والمنهج السديد ، ومجابهة الأعداء ، والحفاظ على المقدسات .. فاذا اتخذنا من ليلة النصف من شعبان مذكرا بما أنعم الله به علينا حين أمرنا بالتوجه إلى هذا البيت العظيم أول بيت وضعه الله للناس مباركا وهدى للعالمين ، وتذكرنا ما توحى به القبلة الواحدة ، من وجوب رأب ما تصدع من بنياننا ، وجمع ما تمزق من صفوفنا .. ثم أخذنا نصلح ما فسد ، ونبني ما انهدم ، ونقوم ما اعوج ، كنا أهلا للتذكير والتنبيه ، والتوفيق والتسديد ، وكنا جديرين بنصر الله الذي أعده لمن ينصر دينه ويتبع سبيله:( ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للشيخ : عبدالجليل عيسى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله ، تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون ، لا والله ما رأوك ، قال : فيقول ، وكيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون : لو رأوك كانوا أشد عبادة ، وأشد لك تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا ، قال : فيقول : فما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يارب ما رأوها ! قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها ، كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيه رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : فهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها ، قال : يقول ؛ فكيف لو رأوها ؟، قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم ) .

رواه البخاري ومسلم .

( إن لله ملائكة ) أي زيادة على الحفظة لا وظيفة لهم إلا البحث عن حلقات الذكر ( يلتمسون أهل الذكر ) وفي رواية مسلم ( يتتبعون مجالس الذكر ) وقبل السير في شرح الحديث ينبغي الوقوف على حقيقة معنى مجالس الذكر المرادة في الحديث حتى يكون المطلع عليها على بينة من الأمر فلا يقع فيما وقع فيه غيره من كثير ممن جهلوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ذلك ، فنقول وبالله التوفيق : قال الشاطبي

في كتابه الاعتصام جزء ٣ صفحة ٨١ : وقع سؤال عن قوم يتسمون بالفقراء بزعمهم أنهم سلكوا طريق الصوفية فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجهورى ، على صوت واحد ثم في الغناء والرقص الى آخر الليل : هل هذا العمل صحيح في الشرع أو لا ؟ فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المستحدثات المخالفة لطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أصحابه والتابعين لهم باحسان ، ثم قال : إن مجالس الذكر الصحيح هى ما كانت على ما اجتمع عليه السلف الصالح فانهم كانوا يجتمعون لتدريس القرآن فيما بينهم كما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ) رواه مسلم . هذا هو الاجتماع للذكر وليس على صوت واحد ، وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم إن كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس إليه متعلمون ، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضا بالعمل بطاعة الله ، والبعد عن معصيته وما أشبه ذلك ، مما كان يعمل به الرسول صلى الله عليه وسلم في أصحابه وعمل به الصحابة والتابعون ، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهى التى جاء فيها من الأجر ما جاء ثم قال : وكان الذى نراه معمولا به في المساجد أن تجتمع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن ، أو يعلمهم علما من العلوم الشرعية ، أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمور دينهم ويذكرهم بأس ربهم ، ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هى ضلالة ليحذروها فهذه مجالس الذكر على الحقيقة ، وهى التي حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف ، وقل أن تجد فيهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة فضلا عن غيرها ، ولا يعرف كيف يستنجى أو يتوضأ ، وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة وتنزل فيها السكينة وتحف بها الملائكة ؟ فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا فاقتدوا بجهال أمثالهم ، وأخذوا يقرأون الأحاديث والآيات ، فينزلونها على آرائهم لا على ما قال أهل الحق فيها ، فيخرجون عن الصراط المستقيم ، ويقرأ أحدهم شيئا من القرآن يكون حسن الصوت جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم ثم يقولون تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم مداولة : طائفة في جهة ، وطائفة في أخرى ، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها ، وكذبوا ، فانه لو كان حقا لكان السلف أولى بادراكه والعمل به ، وإلا فأين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرا عاليا ؟ وقد قال تعالى : **( واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول )** آية ٢٠٥ من سورة الأعراف ، وقال تعالى :

**( ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين )** آية ٥٥ من سورة الأعراف ، وقد فسر العلماء المعتدين بالرافعين أصواتهم بالدعاء ، فعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : ( كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم ) رواه الشيخان . انتهى ما قاله الشاطبي . ومعنى أربعوا على أنفسكم : ارفقوا بها .

وروى الشيخان أيضا عن أبي هريرة ، في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ( ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ) قال شراح الحديث : رجل ذكر الله بلسانه ، أو بقلبه خاليا من الخلق ، أي في خلوته لأنه أقرب الى الاخلاص ، وأبعد من الرياء ففاضت عيناه من الدمع لرقة قلبه وشدة خوفه .

وقال الغزالي في الاحياء في ( بيان ما يدل من ألفاظ العلوم ) ص٢٨ :

ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم ( لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب ) رواه أبو داود . التفت إلى يزيد الرقاشى وزياد النميرى وقال : لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه ، يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا ، إنما كنا نقعد فنذكر الايمان ، ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ، ونعد نعم الله علينا تفقها . ثم قال : وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ، فنقل ذلك الى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه ، وهو القصص والاشعار والشطح والطامات : أما القصص فهى بدعة ، وقد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن العمرين بعده . ثم فسر الشطح بصنفين من الكلام أحدثهما بعض المتصوفة : أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله عز وجل ، والآخر كلمات غير مفهومة ، وكثيرا ما تصور من تخبط في العقل ، وحيرة في النفس ، ثم قال : وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا يسبق منها الى الأفهام فائدة ، كدأب الباطنية في التأويل وهذا من البدع الشائعة العظيمة الضرر . ( انتهى ما قاله الغزالي ملخصا ) .

( هلموا ) أي تعالوا ، وهو على لغة أهل نجد ، وأما في لغة أهل الحجاز فهو بلفظ الافراد مطلقا للواحد والاثنين والجمع . ( فيحفونهم بأجنحتهم ) يقال حفه بالشئ اذا لفه به كما يحف الهودج بالثياب ، والباء للتعدية أي جعلوا أجنحتهم حافة ودائرة حولهم ، وقوله ( الى السماء ) متعلق بيحفونهم على

تضمينها معنى الارتفاع أي يحفونهم مرتفعين الى السماء ، وفي رواية سهيل عند مسلم : ( قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ) .

( وهو أعلم منهم ) أى من الملائكة بحال الذاكرين ، وفي رواية ( بهم ) أي بالذاكرين ، وعلى كل فالجملة حالية أو معترضة أتى بها دفعا لتوهم أن السؤال لاستفادة السائل جل وعلا ، ففائدة السؤال هنا مع العلم بالمسئول ـ التعريض بالملائكة . وبقولهم في بنى آدم **( أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء )** ( قالوا ) أى الملائكة ( ويمجدونك ) بالجيم أي يعظمونك ، وفي حديث أنس عند البزار ( ويعظمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلون على نبيك ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم ) .

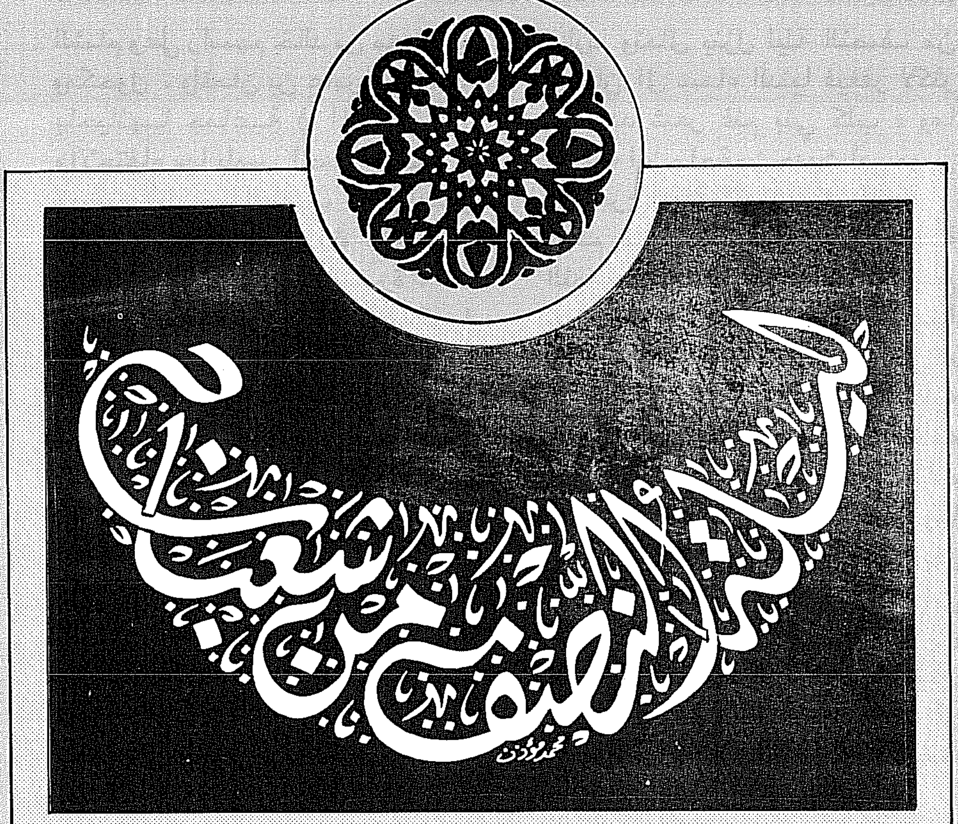
( وأشد لك تمجيدا ) زاد أبو ذر ( وتحميدا ) ( يقول فما يسألونى ؟ ) بحذف احدى النونين تخفيفا ، ولأبي ذر ( فيقول فما يسألوننى ؟ ) بزيادة الفاء واثبات النون .

( فأشهدكم أنى قد غفرت لهم ) وفي رواية سهيل عند مسلم زيادة ( وأعطيتهم ما سألوا ) . ( إنما جاء لحاجة ) وفي رواية سهيل ( يقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم ، قال : وله قد غفرت ) أى غفرت له كما غفرت لهم .

( هم الجلساء ) وفي رواية سهيل ( هم القوم ) وفي ( أل ) إشعار بالكمال ، أي هم القوم كل القوم ، الكاملون فيما هم فيه من السعادة باجتماعهم على ذكر الله .

وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله به عليهم إكراما لهم ، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة للذاكرين من بنى آدم ، واعتناؤهم بهم ، وفيه جواز القسم على الأمر المحقق تأكيدا له وتنويها به ، وفيه الاشارة إلى أن تسبيح الآدميين وتحميدهم أعلى وأشرف من تسبيح الملائكة وتحميدهم ، والسر في ذلك حصوله مع عدم المشاهدة ووجود الصوارف مما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان .

هذا وقد قال الامام النووى : قال القاضي عياض رحمه الله : وذكر الله تعالى ضربان : ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان : أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها ، الفكر في عظمة الله وجلاله ، وجبروته وملكوته ، وآياته في سماواته وأرضه ومنه الحديث ( خير الذكر الخفى ) رواه أحمد في مسنده وابن حبان باسناد صحيح . والمراد به هذا . والثاني ذكره بالقلب عند الأمر والنهى ، فيتمثل ما أمر به ، ويترك ما نهى عنه ، ويقف عما أشكل عليه . وأما ذكر اللسان مجردا ، فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم ، كما جاءت به الأحاديث والله أعلم .




**للشيخ:سليمان التهامي**

ليس شهر شعبان من الأشهر الحرم ، وقد تغير وجهه في الاسلام عما كان عليه في الجاهلية ، فبعد أن كان شهر النهب والسلب في الجاهلية أصبح شهر الخير والعمل الصالح ، وبعد أن كان شهر انشعاب القبائل للشر والعدوان أصبح شهر العبادة والوحدة والاحسان ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصه بمزيد من عنايته ، فصام أكثر أيامه ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رؤى في شهر اكثر صياما منه في شعبان » وأحيا ليلة النصف منه لخاصة نفسه في غير اجتماع بأصحابه وبنسائه ، وبين أن لها فضلا كبيرا في أحاديث متعددة .

وظل أسلوب العبادة في شهر شعبان في حياة الرسول وأصحابه قاصرا على صيام أكثر أيامه ، وقيام أكثر لياليه ، واحياء ليلة النصف منه ، حتى جاء التابعون من أهل

الشام وعلى رأسهم خالد بن معدان ، ومكحول ، ولقمان بن عامر ، وقاموا باحيائها جماعة في المسجد ، والاحتفاء بها بلبس أحسن الثياب ، ووضع أطيب الطيب ، واظهار الخشوع الكامل لجلال الله ، ووافقهم على ذلك طائفة من عباد البصرة ، اما علماء الحجاز وفقهاء المدينة فأنكروا ذلك وقالوا ان احياءها بدعة ومنهم عطاء وغيره ، ومع أن علماء الشام هم الذين استحدثوا إحياءها فقد اختلفوا في صفة إحيائها إلى من يقول باحيائها جماعة في المساجد ومنهم خالد بن معدان وأصحابه ومن يقول بكراهة الاجتماع لها على أن يحييها الرجل في بيته بالعبادة والدعاء لخاصة نفسه اتباعا لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن أصحاب هذا الرأى الامام الاوزاعي إمام أهل الشام .

إن ليلة النصف من شعبان لها فضل عظيم ، وقد ذاع هذا الفضل عند أهل العلم وعامة المسلمين فأحيوها متأسين برسول الله صلى الله عليه وسلم متبعين هديه . ومن أمثل الاحاديث التي وردت في ذلك كما ذكر الحافظ بن رجب في ( لطائف المعارف ) ما اخرجه الامام أحمد والترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : « فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافعا رأسه إلى السماء فقال : أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله . فقلت : ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال : إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب » وما أخرجه ابن ماجة من حديث أبى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » وما أخرجه الامام أحمد من حديث عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليطلع على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن وقاتل نفس » وما أخرجه البزار والبيهقي عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شيء إلا لرجل مشرك أو رجل في قلبه شحناء » قال الحافظ المنذري إسناده لا بأس به .

ومن الآثار التي وردت في فضلها ما رواه نوف البكالي من أن عليا رضي الله عنه خرج ليلة النصف من شعبان ونظر في السماء وقال : إن داوود عليه السلام خرج ليلة النصف وقال : إن هذه لساعة ما دعا الله أحد إلا أجابه ، ولا استغفره أحد إلا غفر له في هذه الليلة ما لم يكن كاهنا أو ساحرا أو جابيا الخ .. ثم قال اللهم رب داوود اغفر لمن دعاك في هذه الليلة ولمن استغفرك فيها » وما ورد عن عطاء بن يسار أنه قال : « ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان . ينزل الله إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو

مشاحن أو قاطع رحم الخ » .

على ان ليلة النصف من شعبان تدخل في عموم الليالي التي يستجاب فيها الدعاء ويومها يدخل في عموم الأيام التي يضاعف الثواب فيها على الصيام فقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا اعطاه إياه وذلك كل ليلة » وصيام يومها من جملة الأيام البيض المندوب صيامها من كل شهر ، وكان النبي يصومها ويوصي أصحابه بصيامها .

وقد ذكر العلماء لليلة النصف ما يربو على عشرين اسما ، وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ، منها انها ليلة التقدير والبراءة والاجابة والحياة والليلة المباركة ، وبيان سر هذه التسميات يحتاج إلى تفصيل لا يحتمله المجال ـ ويكفي أن نوضح سر تسميتها بالليلة المباركة لأن بعض المفسرين قال : بأنها الليلة المباركة حين عرض لقوله تعالى: ( **حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ) الآيات أوائل سورة الدخان .

وقد اختلف في تعيين الليلة المباركة التي ورد ذكرها في قوله تعالى من أوائل سورة الدخان : ( **حم والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم** ) الدخان ١ ـ ٤ فقال عكرمة المراد بالليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان .

وقال جمهور العلماء : المراد بالليلة المباركة ليلة القدر وهو الصحيح لأن الله عينها في قوله تعالى : ( **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ) أول سورة القدر وليلة القدر في شهر رمضان .

وكما ثار الخلاف حول هذه الليلة وفضلها ، وهل هي الليلة المباركة أم لا ، ومتى بدىء باحيائها والاحتفال بها على هذه الصورة المعروفة الآن ، ثار الخلاف حول الدعاء المشهور الذي يدعى به في هذه الليلة وهو : ( ياذا المن ولا يمن عليه الخ ) لاشتماله على تعبيرات يرى بعض العلماء أنها تمس العقائد والأصول المقررة في الدين كوصفها بأنها ليلة : ( **فيها يفرق كل امر حكيم** ) الدخان ٤ وأنها ليلة فيها : ( **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ) الرعد/ ٣٩ .

وقد أجمع علماء المسلمين قديما وحديثا على أنه لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء بهذا النص المعروف « ياذا المن ولا يمن عليه ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول الخ » ولم يكن من الصحابة اجتماع لاحيائها كما يحدث الآن ، وقد ذكرت آنفا ان عائشة رضي الله عنها لم تكن تعرف هذه الليلة ولا فضلها حتى أعلمها النبي عليه الصلاة والسلام بها ، وكذلك كان شأن الصحابة رضوان الله عليهم .

أما أنها ليلة التقدير وفرق كل أمر حكيم كما ذكرنا في الأحاديث التي سقناها ومنها ما أخرجه الديلمي عن

أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى ) وما رواه أبو الضحى عن ابن عباس قال : « ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر » — فليس المقصود بذلك إنشاء المقادير فذلك أزلي قبل خلق السموات والأرض ولكن المراد إظهار هذه المقادير للملائكة » .

ويدل على ذلك قوله تعالى : ( **فيها يفرق كل أمر حكيم** ) حيث قال : يفرق ولم يقل يقضي . أو يكتب إشارة إلى ذلك . فالفرق هو التمييز بين الشيئين ، فالآية تشير إلى أن المقادير تفرق ليلة القدر بتوزيعها على الملائكة الموكلين بها أما كتابتها وتقديرها فهو من ليلة النصف من شعبان حسب ما أوضحنا آنفا من أن المراد إظهار المقادير للملائكة لا ابتداء تقديرها .

وأما قضية المحو والاثبات التي عرض لها الدعاء فليس من هدفنا أن نخوض فيها إلا بالقدر الذي يفيد المسلم إذا اتجه في ليلة النصف إلى ربه ضارعا خاشعا ، لاجئا إلى ساحته ، واثقا من كرمه ، عارفا بقدره وقدرته ، راجيا في عفوه ورحمته . يرى ابن عباس رضي الله عنه أن المحو والاثبات جائز إلا في السعادة والشقاوة والآجال فلا محو فيها ولا إثبات ، ويرى جماعة من الصحابة والتابعين أنه عام في الرزق والأجل والسعادة والشقاوة ، ودليلهم عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فيما نقله عنهم الامام الالوسي جزء ١٣ ص ١٥١ عند تفسير قوله تعالى : ( **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ) الرعد / ٣٩ . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه في دعاء القنوت قوله : ( وقنى شر ما قضيت ) وفيه طلب الحفظ من شر القضاء الازلي ، ولو لم يمكن تغييره ما صح طلبه منه . وفي مسألة التراويح قال لأصحابه المنتظرين له معتذرا : ( خشيت أن تفرض عليكم ) فانه لا معنى لهذه الخشية لو كان القضاء الازلي لا يقبل التغيير ، ولولا إمكان التغيير ما طلب الدعاء في قوله تعالى : ( **ادعوني استجب لكم** ) ٦٠ غافر والقول بانه لأظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى يأباه النص القرآني وفي قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : « لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر » .

وأما أصحابه فقد أخرج عبد بن حميد عن عمر رضي الله عنه انه قال وهو يطوف بالكعبة : ( اللهم إن كنت كتبت على شقوة او ذنبا فامحه واجعله سعادة ومغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ) .

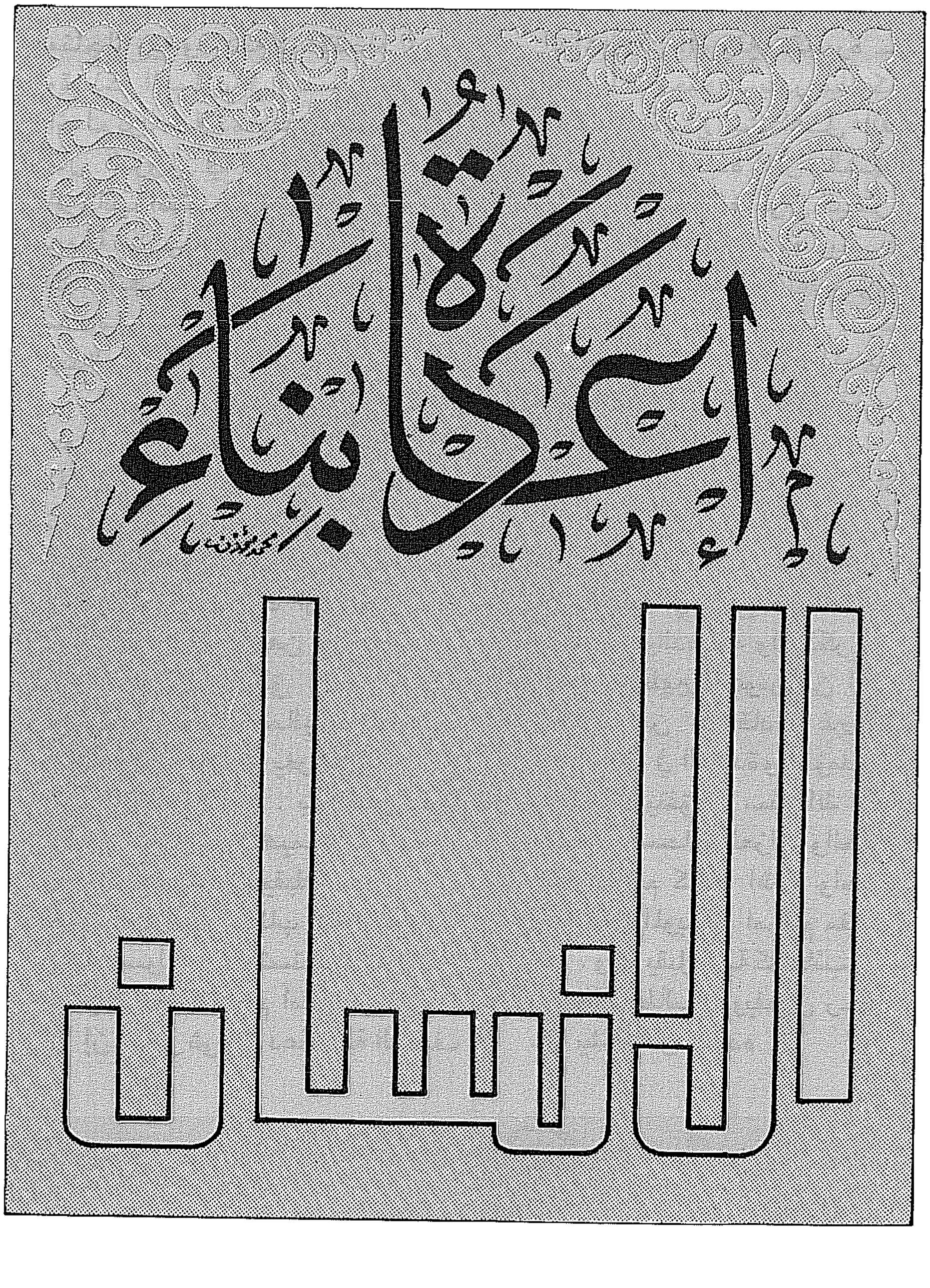
وفي ضوء ما قدمنا يتبين المسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أحيا ليلة النصف على نحو يتسق مع حقائق الدين التي دعا اليها ونادى بها فلم ينبه الى صلاة خاصة بهذه الليلة ، ولادعاء متميز ولا قيام معين بل سار

على طبيعته في العبادة وسهولته في مناجاة ربه وصدقه في الاتجاه إليه ، وقد ذكر الغماري في ( حسن البيان ) أنه لم ترد صلاة معينة في هذه الليلة ، قال النووي في المجموع : « صلاة الرغائب اثنتا عشرة ركعة في ليلة اول جمعة من رجب وصلاة مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان بدعتان مذمومتان وقال بذلك العز بن عبدالسلام » .

وأجدى على المسلم أن يعتبر ما أثير حول ليلة النصف من شعبان من المسائل الخلافية ، وهي موضع تجاذب بين الغالين والمتأولين من أهل العلم وكم فقد الاسلام كثيرا بسبب هذا التجاذب . ذلك أن الغلو حطم وحدة المسلمين وأوهن قوتهم ، كما أن البعد عن حقائق الدين أفسد عقائدهم وأحبط أعمالهم فواجب العلماء والدعاة ألا يغرقوا العامة في مثل هذه الخلافات . بل يقدموا لهم حقائق الدين ومفاهيمه في يسر ، وواجب العامة أن يقبلوا الحق ممن جاء به مؤتمين بكتاب الله ، متبعين سنة رسوله ، لا تستهويهم خدع الشيطان ولا تغرهم أماني الباطل .

إن أخطر شيء في دعاء ليلة النصف من شعبان لا يكمن في اعتقاد بعض الداعين أن الله يغير مقاديره ــ فذلك شأن الله وحده ــ بقدر ما يكمن في اعتقاد كثير من أهل الفسق والمعصية ، وعبدة المال والشهوات ، وحلفاء الشيطان وأعوان الباطل . أن الله سيمحو ما يشاء ويثبت من مقاديرهم بدعائهم وقراءتهم ودخولهم المساجد في ليلة النصف ، وهم لم يخلصوا لله نية ، ولم يؤدوا له صلاة ، ولم يقدموا خيرا لأنفسهم طول عامهم ، هيهات هيهات .

وبعد فان ليلة النصف من شعبان من الليالي المباركة لما قدمنا ولما قيل من أن القبلة حولت من بيت المقدس الى الكعبة في صبيحتها فلنحيها بالصلاة والدعاء والذكر وتلاوة القرآن وتطهير النفوس من الشهوات والقلوب من الاحقاد ، غير مقيدين بنمط معين في العبادة ولا مؤملين تغييرا لحياتنا لا يتفق مع سنن الله في وجوده وخلقه واصحاب العزائم والصالحات سيغفر لهم كوعد الله ، واصحاب الجرائم والموبقات امرهم مفوض إلى الله ، والله يقبل توبة كل تائب ، ويفتح بابه لكل طالب ، ويفيض رحمته على من يشاء من عباده .




للدكتور/محمد لبيب البوهى

هناك حقيقة واضحة وضوح الشمس في الظهيرة .. تلك هى أن شمس الحضارة الغربية في طريقها إلى الغروب .. وتقتضى سنة الله في الأرض أن يرثها دائما عباده الصالحون .. من ذلك ندرك أن هناك ورثة يعدهم القدر ليرثوا البناء الذي يريد أن ينقض ، ويعيدوا إقامته .. **( وتلك الأيام نداولها بين الناس )** آل عمران/١٤٠ ..( **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون )** ١٠٥ الأنبياء .. ولعل من أكبر الأدلة على إفلاس الحضارة المعاصرة ما يتردد في كل مكان من أن الأمور أصبحت تتطلب إعادة بناء الانسان .. وهو شعار أصبح يتداول حتى في منطقتنا .. والانسان هو صانع الحضارة ومعنى الرغبة في إعادة بنائه أنه انهار معها أو انهارت هى معه فكلاهما ملازم للآخر .

وإنه لمن المقرر بداهة أن كلا من الحضارة وصانعها الانسان إنما يستمدان قوة البقاء والنماء من الجذور المتينة والأسس الصلبة التي يقوم عليها .. وهى القيم .. فاذا ذهبت تلك القيم . أو تلاشت .. أو انحطت لم يعد هناك ما يشد البنيان المرصوص إلى جذوره وأساسه .

ولكن أكثر الذين يفكرون في إعادة بناء الانسان لا يركزون أنظارهم على الأسباب التي أدت إلى هذه العلل – بل ربما كانوا وربما بسلامة نية وعن غير قصد في غياهب من التفكير المضلل نراهم يلتمسون الدواء فيما كان بداية من أسباب الداء .. فمن ذلك ما يبدو في زعمهم أنه لا سبيل إلى اعادة بناء الانسان بغير الحياة تحت مظلة الديموقراطية وهو شعار ذو مدلول براق .. وكان يمكن الاكتفاء بهذا العلاج الأبتر .. إذا كانت جعبة البشرية قد افلست من علاج أعظم من هذا الشعار ، وأكثر تفصيلا ، لذلك نجد لزاما أن نشير في عجالة إلى ما تعانيه أكثر الشعوب التي أخذت بأكبر قسط من هذا الشعار .

### ماذا حدث تحت مظلة الديموقراطية ؟

إن المتأمل لا يحتاج إلى عناء كثير ليدرك أن الحضارة الغربية الآخذة في الأفول والانهيار إنما حملت أكثر أوزارها تحت ظل الديموقراطية التي ابتدعتها بل لقد نجد أكثر الفساد انتشارا في أكثر المناطق أخذا بهذا الشعار ... حيث نرى آخر المدى من الفساد الأخلاقي .. والتفكك الانساني .. والضياع الأسرى .. بل والاضطراب الاقتصادي ..

فتحت شعار الديموقراطية في تلك المناطق المشار إليها آنفا وصل الأمر إلى تقنين الشذوذ الجنسي واعتبار الدعارة حرية اجتماعية وانعدمت كل معاني العيب في الأخلاق والسلوك

الذاتي ، وانتشرت الرشوة حتى بين كبار الوزراء والحكام .. وبايجاز فان الهدف للحياة هو البحث عن الملذات حيث كانت ، وعلى أي وضع جاءت وبأي ثمن يكون وانتشرت المبادئ الهدامة وكل أساليب التنافس المادي الذي لا يلقي بالا لأي معنى من معاني الاخاء الانساني ، فالذي يملك سيارة واحدة ومنزلا واحدا يتربص بالذي يملك سيارتين ومنزلين ، وهذا الأخير يتربص بمن فوقه وهكذا تسير الأمور في تمزق لا نهاية له .

## الفرق بين الحضارة والثقافة والمدنية ..

كثيرا ما يبدو المعنى بين هذه الثلاثة متداخلا بعضه في بعض حتى لقد يظن أنها شئ واحد ، ويأتي الخلط حين تطلق على ما هو حادث في الغرب الآن: اسم الحضارة ..

إننا حين نضع في التقدير روعة المباني الشاهقة ، والاستمتاع الألكتروني بالمبردات والسخانات والطائرات وصواريخ الفضاء ، وما إلى ذلك ، فان ذلك لا يشمل معنى الحضارة كما يجب أن تكون في وصفها الصحيح ، فنحن نجد هذه الأشياء متوافرة لدى سكان المناطق التي تسمى بالمتخلفة ، بل حتى لنجد كثيرا منها لدى سكان الأحراش والغابات حيث يستمتعون بالمبردات والسخانات ويركبون الطائرات وما إلى ذلك فهى في متناول كل من ملك مالا للاستحواذ عليها ، وهو ليس متحضرا بالمعنى الذي يجب أن يكون ... إن هذه الأشياء قد تكون ضرورية ولكن أهم من الذين يستمتعون بها هم الذين فكروا في ابتكارها ، وهذا الابتكار هو نوع من العلم فالذي يستمتع قد يكون متجردا من العلم ، وأما الذي اخترعها فهو المثقف المفكر العارف بأساليبها وطرق صيانتها فالعلم هو أحد أسس الحضارة السليمة ولكنه ليس كل شئ ، فالذي يفكر تفكيرا علميا ويبتكر ويخترع إذا كان ذلك في نطاق إنساني أخلاقي بحيث تسير كل خطوة من خطوات العلم تحت مظلة القيم والفضائل والأخلاق ، فهذه هى مقومات الحضارة فالحضارة إذن ليست مجرد الاستمتاع الالكتروني مهما عظم وإنما هى الفضائل والقيم التي تصاحب كل تقدم فني أو ابتكار علمي وهذا كله أو أكثره ليس متوفرا في الحضارة الغربية الآن .. وربما تكون الحضارة الغربية قد بدأت في أول نشأتها على شئ من ذلك . ولكنها افتقدت مقوماتها فأصبحت الآن كبناء زحزح عن أساسه فتهرأ وتصدع ويريد أن ينقض .

## بوادر يقظة عامة

وإن ما يتردد حول إعادة بناء الانسان إنما يدل على صحة ما ذكرناه آنفا . حتى شبابنا الذين فتنوا أو مازال أكثرهم يفتنون بما يرون في الغرب ويمارسونه قد استيقظ

كثير منهم بعد تجربة على علامات أيقنوها من تفسخ الحياة هناك .. فانه باستثناء نظام العمل الدنيوى الذي كل هدفه اكتساب المـــال والتنافس في الحصول عليه إذ هو السبيل لشراء أكبر قدر من اللذات الحسية على شتى ألوانها وأنواعها .. ومن خصائص هذه اللذائذ الحسية أنها ممتدة الى غير حد فهي لا تشبع ولا ترتوى ، وهذا هو الحافز الحسي الذي يحكـــم عجلة الانتاج القوية فكل يريد المزيد دائما فالذي يملك الفا يريد الفين وبعد الألفين عشرة ثم مائة ألف .. ثم .. ثم .. فهذا الاندفاع المسعور هو الذي قتل المعاني الانسانية ... ومن مظاهره ما هو دائم ومستمر من أمثال السطو الليلي .. الى تهديد بنوك المال في رائعة النهار .. الى تنظيم العصابات التي تريد المال من أي طريق حتى لقد نشأت فرق للقتل المأجور مما يسمى بالجنود المرتزقة الذين يمتهنون القتل بالثمن لمـــن يدفع ... الى عالم المخدرات الذي أغرق الشباب من الجنسين .. ومهما بدا المسلمون في تخلف حضاري كما يزعم الغرب بمقاييسه فان المفكرين الصادقين أصبحوا يشفقون مما صار قومهم فيه ويرون أن الاتجاه الحتمى الزمنى يسير تلقائيا إذا ما كان لابد من الاصلاح والانقاذ إلى قواعد الاسلام الذي مهما قيل في شأن ذويه فان قواعده الباقية على الزمن لم ينلها فتور ، ولقد صدر كتاب لفيلسوف غربي كبير يقول فيه: إن الحضارة الغربية حين تنفجر من داخلها فان الورثة الحقيقيين هم المسلمون ..

### لماذا نجد تخطيطا منظما لحرب الاسلام ؟

والذين يرون أن الاسلام يملك أسباب الانقاذ فانهم بدلا من معاونة أنفسهم بالتعاون الانساني مع أنصاره يتجهون بسبب ما طمس على قلوبهم من الحقد إلى محاربته ووضع الخطط المختلفة لذلك ، ومن ذلك ما نراه من محاولة نشر أمراضهم الاجتماعية في بلاد المسلمين بصور شتى لامتصاص أى جهد خلاق قد يتجه إلى ميراث الاسلام لحضارتهم التي تحتضر ، غير أن القوى الروحية في المناطق الحساسة من العالم الاسلامي أصبحت في انتباه لما يراد بها وبدأت تقوى على مناهضة هذا التحدي رغم العوائق التي توضع في سبيلها من أعداء الاسلام على أن الأمر بالنسبة إلينا ليس هينا بل يقتضي تنظيم الجهود ابتداء من شعور كل فرد بمسئوليته تجاه سلوكـــه الأخلاقي ومسئوليته عن أسرته التي هي نواة المجتمع إلى علاج الأمية علاجا سريعا ومنظما وحاسما ومركزا إلى التربية الدينية القائمة على تنظيم السلوك وإعطاء هذا الاتجاه مزيدا من العناية بترشيد أساليب الدعوة واختيار الدعاة والعمل على إشعار كل أسرة بمسئوليتها عن نظام الاعداد النمطي لبنيها ليشب ورثة المستقبل

مسلحين بكل القيم العملية ليس في مجال العقيدة فحسب بل في حب الفرد وحرصه وأمانته في ترجمة العقائد إلى سلوك ، فان من شب على شئ شاب عليه ، وذلك لا يتأتى إلا بغرس بذور العادات الدينية القويمة منذ النشأة الأولى ، وإلا فان المواعظ الكلامية قلما تجدى بعد تقدم العمر ، وتربية العادات الخلاقة منذ الصغر هى الحماية من الانحراف في الكبر فان كثيرا من الذين يرتشون أو يسرقون أو يزنون يدركون ان ذلك أمر محرم شرعا ولكن ليس بهم بحكم العادة ما يقوى على عصمتهم .

### مسئولية الاعلام العربى

وليس الأمر خاصا بالبيت والمدرسة فحسب بل إن الاعلام العربي يتولى كثيرا من المسئولية سواء قبل البيت والمدرسة أو بعدهما ، ولكن من الملاحظ تماما أن أكثر الذين يتولون التوجيه الاعلامي ليسوا على قدر كبير من الاعداد لمهمتهم الخطيرة ، وفاقد الشئ لا يعطيه ، فالذين نفوسهم خواء من الروح الدينية يتخبطون حين يطلب إليهم ذلك بحكم المهنة فحسب .. كما يجب الانتباه إلى الأخطبوط السرطاني الذي يعمل في الخفاء وبأساليب شيطانية شتى إلى اجتذاب شبابنا الذين هم بناة مستقبلنا لابعادهم عن روح الاسلام سواء حين يذهبون للسياحة أو تحت ستار سنوات المنح التعليمية ، ونحن لسنا ضد السياحة أو الدراسة العلمية هناك وإنما يجب تماما تسليح الشاب عقائديا وبقوة عملية راسخة قبل ذلك حتى يكون في منجاة من مخالب المصيدة فلا يتلقى السم في العسل ..

### من وسائل أعداء الاسلام في تضليل شبابنا

ولم يعد يخاف على كل ذى بصيرة ما يلجأ إليه أعداء الاسلام من وسائل كثيرة أهمها محاولة تغريب شبابنا عن الانتماء العملي إلى دينهم بحيث يصبح العربي أو الافريقي في وطنه غريبا بروحه عنه وذلك بمحاولة نشر جراثيم أمراضهم الاجتماعية في بلاد المسلمين بصور شتى لامتصاص أي جهد خلاق قد يرفع بلادهم إلى المكانة التي يجب أن يكونوا عليها كصناع للحضارة الانسانية السليمة على مدى الأجيال إلى أن تقوم الساعة .. وهذه رسالة يجب منذ النشأة الأولى إعداد كل مسلم وهو مدرك لمسئوليته عنها .. وأمانته أمام ضميره ووطنه وربه عن حصيلة عمله في هذا السبيل .

### أمانة الرسالة والمسئولية عنها

يحاول أعداؤنا دفعنا إلى الاستغراق في الحياة المادية والمتع الاستهلاكية ومن خصائص هذا التوجيه أن يشدنا بعيدا عن عالم المثل والقيم التي لا يكون المسلم مؤمنا بربه ووطنه وقوميته إلا بها .. أضف إلى

ذلك السيل الهائل المتدفق من الأفكار المستوردة .. إن أعداء الاسلام يخططون لذلك بكل ذكاء فالتخوفات لديهم تتزايد يوما بعد يوم من تزايد طاقة العالم الاسلامي فهناك إرهاصات تدل على أن الفرصة مواتية للمسلمين للقيام بدور أساسي في توازن الحياة بما أوتوا من طاقات مختلفة .. وليس هذا الصراع بجديد على مدار أجيال التاريخ فانه ما من حضارة قامت ثم شاخت وأصبحت في طريقها إلى الفناء إلا دخلت وهي تلفظ آخر أنفاسها في صراع مع الحضارة التي تتهيأ لكي ترث مسئولية تقويم الحياة بعدها .

إنه من الأهمية بالمكان الأول أن يكون واضحا أن مهمة بناء الانسان العربي لا تغنى أبدا عن أهمية وضع الكيان العربي كله كشعب واحد يؤمن برب واحد ويتجه إلى قبلة واحدة خمس مرات على الأقل كل يوم تذكرة لهم بأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد .. ولو أن كل إنسان أدرك مسئوليته عن ذلك لأفسحت هذه الأمة الطريق للخصائص الكامنة في أعماقها لتؤدي رسالتها . ذلك أن الذي نزل الذكر — سبحانه — وتولى حفظه إنما استودع قلوب المخلصين من عباده خصائص ذاتية باطنية ليكونوا أداة على الأرض لأداء هذه الأمانة .. وهذه الفطرة كامنة دائما وقد تحجبها أمور عارضة .. غير أنها متى عاد صاحبها إليها وجدها تلبي نداءه ..

وما على المسلم إلا أن يتجه الى ربه بقلب مخلص ليجد كل مقومات الفلاح في انتظاره : **( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا )** العنكبوت/ ٦٩ ولن يكـــون الناس وحدهم عندما يعملون بجهدهم بل مع اليقين سيكون معهم ربهم الذي تكفل بنصر المؤمنين — وجعل ذلك التأييد حقا ، وهو قادر على أن يمدهم بكل أسباب التأييد من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون : **( ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما )** الفتح/ ٤ ، وهذه الفترة العصيبة التي يمر بها عالمنا ليست جديدة ولا فريدة من نوعها ، إنه مهما كان بها من أسباب تدعو إلى الأسى — فانه لا يأس مع الايمان — فان اليأس مع الايمان كفر . ولقد مرت بنا في الماضي القريب أو البعيد فترات عصيبة كانت أشد مما نعاني الآن وأضل سبيلا ، بل لقد كانت الجاهلية أشد من ذلك وأنكى وإن الخصائص التي تم بها البنيان أول مرة هي التي أصبحت وستظل ميسرة لنا ما تمسكنا بالكتاب ، وسنة أستاذ البشرية عليه صلوات الله وسلامه ، إن الطريق دائما مفتوح وما أسهل ما يمكن إزالة عقباته ما خلصت النيات واشتدت العزائم وتوفرت الارادة ..

تلك هى سنة الله في أرضه ولن تتبدل هذه السنة إلى آخر الدهر والليل دائما يعقبه نهار ، وما صلحت به الأمور أول مرة هى الخصائص الخالدة التي يتم بها إعادة البنيان والله وحده ولي التوفيق وهو سبحانه المستعان .

# الإسلام والمسلمون في الماضي والحاضر والمستقبل

للأستاذ/ عبدالكريم الخطيب

ـ ١ ـ

نحن المسلمين ـ اليوم ـ على موعد بمواجهة القرن الخامس عشر الهجري ، ونخشى أن ينكر وجودنا ، وأن يندب حظه ، حين يرى الاسلام غريبا في أوطانه ، مضيعا بين أهله ، على حين يلتفت إلى الوراء ، فيرى قرونا لبس فيها المسلمون من الاسلام أثواب العزة والمجادة ، وأمسكوا بزمام ركب الحياة الصاعد بالناس إلى مطالع الهدى ، والخير ، والسلام ، والأمان .

ولقد كان المسلمون الأولون موفقين أعظم التوفيق يوم اختاروا مطلع الهجرة النبوية مبدأ لتاريخ الاسلام ، إذ لم تكن سنواته الأولى من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، إلا إرهاصا لمطلع

شمس هذا الدين ، حيث خرج الرسول الكريم مهاجرا إلى الله بدين الله ، من مكة إلى المدينة ، وهناك أقام أول مجتمع إسلامي ، ذلك المجتمع الذي قاد ركب الانسانية إلى التوحيد ، وأذن في العالمين بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وبهذه الكلمة الطيبة المباركة ، فتح قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، ورد إلى الانسانية الضالة اعتبارها ، وأهلها لخلافة الله لها في الأرض ، فأقامت تلك المدنيات والحضارات المزدهرة بالعلوم والفنون ، على أساس من الحق ، والعدل والخير ، وعلى دستور من الاخاء ، والمودة والتراحم ، وذلك ما شهد به للاسلام أعداؤه ، حيث لا تزال الآثار باقية ، وحيث لا تزال علوم الاسلام ومعارفه جامعة العلوم والمعارف ، يتلقى عنها علماء الغرب أصول العلم ، وروائع الفن ، وإن كنا نحن المسلمين في غفلة عن تراثنا هذا ، حيث نسعى إلى الغرب ، ونتتلمذ على علمائه ، ونستورد صناعته ، ونمشي وراء عاداته وتقاليده ، ونحتكم إلى أحكام شرائعه وقوانينه ، حتى لقد صدق فينا قول شاعرنا العربي :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

ـ ٢ ـ

وإذا كان للزمن دورة يتقلب فيها بالناس ، بين ليل ونهار ، وإذا كان للحياة سننها في الناس ، أفرادا وجماعات وأمما ، بين عز وذل ، وصعود وهبوط ، وقوة وضعف .. كما يقول الحق سبحانه : **( وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين )** ( آل عمران : ١٤٠ ـ ١٤١ ) .

نقول إذا كان ذلك كذلك ، جاريا في دورة الزمن ، قائما في سنة الحياة ، فليس يعني هذا أن يستسلم الانسان ـ وبخاصة المؤمن ـ للواقع ، إذا كان هذا الواقع فيه جور على إنسانيته ، أو امتهان لكرامته ، مما لا يرضاه له دينه ، ولا تقبله منه شريعته ، فان المؤمن الحق قوي بقوة الله ، عزيز بعزة الله ، وبايمانه بالله ، والله تعالى يقول : **( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين )** ( المنافقون : ٨ ) .. ويقول سبحانه : **( من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه )** ( فاطر : ١٠ ) .

ويقول تبارك وتعالى فيمن يلـوذون بأهل الكفر والضلال ، عائذين بهم ، طالبين العزة منهم : ( **بشر المنافقين بأن لهم عذابـا أليمـا . الذيـن يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة للـه جميعـا** ) ( النساء : ١٣٨ ـ ١٣٩) .. والشاعر العربي يقول :

ولا يبيت على ضيـم يراد به
إلا الأذلان : عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج ، فلا يرثى له أحد

ـ ٣ ـ

وحال المسلمين اليوم ـ ونقولها بصدق وإخـلاص ـ حال لا يرضى عنها الاسلام منهم ، ولا يرتضيها أهل الايمان والتقوى فيهم .

فالمسلمون اليوم ـ وقـد كانـوا سادة العالم وأساتذته ، ومصابيح هدايته ـ هم اليوم عالة على من كانوا عالة عليهم بالأمس ، يلتقطون فتات ما يتساقط من موائدهم من علوم وفنون . ومن آداب ، وعادات ، أيا كان وزن هذه الفتاتات ، وأيا كان قدرها : وهى السم الزعاف !! لقد صغرت عند المسلمين اليوم أنفسهم ، وهانت عليهـم كرامتهـم ، ونسوا الله ، فنسيهـم اللـه ، وأنساهـم أنفسهم ، حتى غزاهم المستعمرون ، واحتلوا أوطانهم أزمانا ، وفرضوا عليهم أنظمتهم ، وألزموهم عاداتهم وتقاليدهم ، ثم نفذوا من هذا الى عقيدتهم وشريعتهم ، وحاجوهـم في دينهم ، وبأنه لو كان الدين الحق ، لما تخلف ركبهم ، ولما أصبحوا عالة على الأمم التي لا تدين بهذا الدين ، بل وعلى أمم لا تدين بدين أصلا !!

ـ ٤ ـ

إن الذين يشنعون على الاسلام ، ويرمونه بالتهم الظالمة الباطلة ، إنما يأخذون الحجة على ذلك مما عليه المسلمون اليوم من ضعف وتخلف في ماديـات الحيـاة ومعنوياتهـا على السواء ..

وإذا كان لنا أن نلتمس لهؤلاء الطاعنين على الاسلام ، العـذر لما يقولون ، وهم في ذلك بين عدو للاسلام متربص بأهله الدوائر ، أو جاهـل أحمق ينظر في المسلمين ، ولا يمتد نظره إلى الاسلام ، ولا إلى جوهر حقائقه ـ فانه لا عذر لنا نحن أبناء الاسلام فيما صار إليه حالنا من هذه المباينة البعيدة ، والخلاف الشديد ، بيننا وبـين الاسلام الـذي ننتسب إليه ، ونتزيا بزيه !!

إن الدين بأهله !

وعلى أهل الدين ـ أي ديـن ـ تظهر آثاره ومعطياته ، ومن أهل هذا الدين تعرف آثاره وثماره ، فيقبـل الناس عليه ، أو يعرضون عنـه ، ويرغبون في أن يكونوا على شاكلة أهل هذا الدين ، أو يعرضون عنهـم ، ويفرون من الأخذ بدينهم .

وإنه لمعذور من يريد الدخول في الاسلام ، أن يدين بالاسلام ، وهو

يرى كثيرا من المنتسبين الى الاسلام يعدلون عنه ، ويأخذون طريقا غير طريقه ، في حياتهم المادية والروحية ، وفي منـــازع سلوكهـــم أفـــرادا وجماعات ..

فكم من أبناء الاسلام ، من هاجر بجسده ، وعقله ، وقلبه ، ولسانه ، إلى أوربا وأمريكا ، وعمل جاهدا على أن يكون واحدا من أهـل أوربـا وأمريكا ، ورأى من العار عليه أن يشك أحد في نسبته إلى أبناء هذه البلاد !!

ولقد عمل الاستعمار جاهدا على أن يمكن لهذا الضلال من نفـوس شبابنا وشيوخنا ، بما أذاع فينـا بأساليبه الخبيثة ، وعلى ألسنة أبنائه من المبشريـن والمستشرقـين ، من مفتريات على الاسلام ، وتهجم على شريعتــه ـ وإزراء بأهلـــه ، واستخفاف بمكانتهم في الحيـاة ، وتخليهم عن أي مكان كريم فيها ..

بل ولقد عمل الاستعمار كيدا أكبر من هذا الكيد للاسلام ، فانه حين وضع الاستعمـــار يده على أوطـان المسلمين كلها ، ترك بلدا نصرانيا مثل الحبشة ، دون أن يمد إليه يدا ، حتى يرى المسلمون رأى العين أن دينهم هو السبب في ضعفهم ، واستعمارهم ، وأنهم لو كانوا على دين النصرانية لما كان للاستعمار سبيل إليهم ..

ـ ٥ ـ

والحق أن هذا الكيد للاسلام ، ولأهـل الاسلام ، ليس وليـد هذا العصر ، بل إنه حلقة في سلسلة طويلة من حلقات الكيد لدين الله ، والذين يدينون بهذا الدين .

ذلك أنه منذ قيام الدولة العباسية على يد الفرس بقيادة أبي مسلـم الخرساني تحركت في أبناء فارس نوازع العصبية ، والتطلع إلى إعادة مجد الأكاسرة الذاهـب ، وفـرض عاداتهـم وتقاليدهـم على الخلفـاء العباسيـين ، فاصطبغـت الأمـــة الاسلامية بالصبغة الفارسية ، التي دخل منها الشيء الكثير الغريب على شريعة الاسلام ، وكان من ذلك ظهور فرق الزندقة والالحـاد ، وشيـوخ المتصوفة ، وفرقهم التي غزت مواطن الاسلام في كل مكان .

ولا شك أن ذلك كان له أثره البالغ في إضعـاف الأمـة الاسلاميـة ، وتفرقها إلى شيع ومذاهب وطوائف ، كل فريق منها ينازع الفريق الآخر ، ويرميه بالكفر والمروق من الدين ..

ويكفي في هذا التشتيت والتمزق للأمة الاسلامية أن كان المعتزلـة يعـدون بعشرات الفـرق المتنازعـة المتجادلة ، وأن كان الخوارج على هذه الشاكلة من التفرق والتنـازع والتجـادل ، بل والتقاتـل ، أمـا المتصوفة ، فقد اقتطعوا من جسد الأمة الاسلامية أشلاء ، ذهب كل شيخ من شيوخهم بشلـو من هذه الأشلاء !!

ولا يقف الأمر عند هذا ، بل لقد اندس في هذه الطوائف وتلك الفرق كل من يريد الكيد للاسلام ، مستترا في طائفة من تلك الطوائف ، منتسبا إلى

أية فرقة من هذه الفرق .. ومن هؤلاء المندسين أصحاب البدع ، وأهل الزندقة والالحاد .

بل وأكثر من هذا ، فان أصحاب المذاهب السنية الأربعة . قد وقع بين أتباعهم خلاف شديد ، وجدل طويل ، كل يريد الانتصار لمذهبه ، حتى لكأنه هو الاسلام ، وما عداه ليس من الاسلام ، وحتى لقد بلغ الأمر في هذا الخلاف ، إلى الحد الذي لا يصلى فيه تابع لمذهب ، وراء إمام من مذهب آخر من المذاهب الثلاثة الأخرى ..

ولقد كان المتعارف بين المسلمين في أول الصراع والجدل بين أتباع المذاهب الأربعة السنية ، أن يذكر المرء مذهبه مضافا إلى نسبه ، فيقال أو يقال عنه : فلان بن فلان ، المالكي ، أو الشافعي ، أو الحنفي ، أو الحنبلي .. وكان إذا أقيمت الصلاة ، اتخذ أصحاب كل مذهب مكانا لهم في المسجد ، يؤمهم فيها إمام من أتباع المذهب ، ولا تزال آثار هذا قائمة في بعض مساجد القاهرة ، مثل مسجد السلطان حسن بالقلعة ، حيث أقيمت فيه أربعة محاريب للصلاة ، وإن كان المسلمون اليوم يصلون خلف إمام واحد ، أيا كان مذهبه ، مع وجود تلك المحاريب !!

ومع هذا ، فان الذي ينظر إلى جماعة المسلمين اليوم ، وهم يؤدون الصلاة ، يجد صورا مختلفة متعددة لهم ، وهم وقوف بين يدي الله في الصلاة ، فهذا يرسل يديه إلى جنبيه ، وذاك يضع يديه مجتمعتين تحت سرته ، وآخر يضعهما على جانب صدره الأيسر ، حتى إن من يطلع عليهم ، ويرى هذا الاختلاف بينهم في هذا الموقف ، ليدخل عليه أنهم ليسوا على دين واحد .

ونسأل : هل كانت صلاة المسلمين خلف رسول الله ، أو خلف خلفائه الراشدين وأتباعهم على مثل هذه الصورة ؟

لا شك أن هذه الصور كان يصلي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخفيفا على المسلمين ، وإشعارا لهم بما ينبغي أن يكون عليه المصلي من استشعار لجلال الله وعظمته ، وكان المسلمون يتابعون رسول الله في أي صورة يكون عليها في وقوفه بين يدي ربه ، سبحانه وتعالى .

فهل آن الأوان للمسلمين أن يحذوا حذو إمامهم ، وأن يكونوا جميعا على الصورة التي عليها وقوفه بين يدي الله ؟ إن ذلك مما يقوي مشاعر الوحدة والأخوة والألفة بين جماعة المسلمين ، ولا عليهم أن يكون مذهب المصلي منهم على صورة غير هذه الصورة التي يقف فيها إمامه في الصلاة .

ـ ٦ ـ

وإذا كانت مذاهب الزندقة والالحاد ، قد ولت دولتها ، ولم يبق في المسلمين إلا بعض آثارها ، وإلا بعض المؤلفات فيها ، مثل « رسائل إخوان الصفا » ـ فانه قد بقي هناك التصوف والمتصوفة ، كما بقي تعلق كثير من المسلمين به ، وتهافتهم

عليه ، كما يتهافت الفراش على النار ، وذلك لما يرى من ظاهر التصوف من صلة وثيقة بالاسلام ، ومن أنه طريق السالكين إلى مرضاة الله ، والقرب من منازل رحمته ورضوانه ، كما يدعى ذلك شيوخ المتصوفة !!

فلقد دخل التصوف على المسلمين ، من باب الزهد ، وهو باب كريم لمن يعرف حدوده ، ويربى نفسه عليه .

فالزهد في الاسلام هو زهد القادر ، المالك لما يزهد فيه ، وليس زهد العاجز المفلس الذي يزهد فيما ليس له امتلاك له ، ولا سبيل للوصول اليه .

والتصوف ، الذي لبس ثوب الزهد ظاهراً . والذي يقوم عليه شيوخ ، وأبدال . وأتباع وتلاميذ ، وتنتظم طرقه ما ينتظم الدول من أحكام ودساتير ، هذا التصوف ، هو الذي جمع تحت جناحيه اعدادا لا حصر لها من العامة ، والجهال والمنحرفين ، الذين يخيل اليهم من شعارات التصوف التي يلبسونها ، ومن صور العبادات والأذكار التي يجتمعون عليها ، أنهم قد أصبحوا على رءوس الناس ، علما وخلقا ، وقربا من الله .

فاذا كان التصوف على طريق الزهد ــ كما يقولون ــ فانه لا يصح أن يكون طريقا عاما ، يقوم عليه رؤساء ، وسدنة ، وتنظمه مراسم وطقوس ، حيث تختلف طاقات الناس وقدراتهم ، حيث يقول الحق سبحانه : **( لا يكلف الله نفساً الا وسعها )** ( البقرة : ٢٨٦ ) ويقول جل شأنه : **( لا يكلف الله نفسا الا ما أتاها )** ( الطلاق : ٧ )

ومن هنا ، لم يكن التصوف نابعا من شريعة الاسلام ، قائما على طريق دعوته ، وإنما كان مولده ابنا غير شرعي ، نسب إلى الاسلام ، ليكاد به للاسلام ، وليكون دعوة قائمة في المسلمين ، لترك هذه الدنيا ، وإخلاء أيديهم من كل ما يمكن لهم في الأرض ، ويجعل منهم القوة التي لا يطمع فيها عدو ، ولا ينال منها متربص بالاسلام ، وأهله .

ولقد نجح هذا الكيد الذي دخل على المسلمين تحت ستار التصوف ، فاقتطع أعدادا كثيرة من المسلمين ، صرفهم عن العمل ، وألقى بهم في متاهات الفقر والمسكنة ، وعزلهم عن أي موقع من مواقع الحياة ، وكان من هذا أن ضعف المسلمون ، فطمع فيهم أعداؤهم ، واستولوا على أوطانهم ، وأخضعوهم لأحكامهم ، وفرضوا عليهم قوانينهم وأحكام دساتيرهم .

وللمسلم الحق أن يسأل : لماذا يخف ميزان الاسلام عند المسلمين ؟ ولماذا تنحرف بهم الطريق عنه ؟ ولماذا ينزعون ثوبه عنهم ، ويلبسون بدلا منه تلك الأثواب المستعارة المرقعة بمئات الرقع ؟

أفي الاسلام ما يعوق مسيرة الانسان في الحياة ، أو يأخذ على أتباعه الطريق إلى القوة والعزة والسيادة ؟ أفي الاسلام دعوة إلى منكر ، أو أمر بما يجرح المروءة ، أو

يخدش الحياء ؟

أفي الاسلام ما يحمل المتدينين به على أن يكونوا أمساخا في الحياة ، أو دمى متحركة ، يستهزأ بها ويسخر منها ؟

إنه لظلم عظيم أن يفهم الاسلام هذا الفهم ، وإنه لخيانة مهلكة لأنفسنا أن ننزل الاسلام هذا المنزل الدون في حياتنا ، وألا نتخذه تاجا نتوج به رءوسنا ، وقائدا نسير خلفه على الطريق الذي يقودنا إليه !!

وإنه إذا أعيانا النظر في التعرف على حقائق ديننا من كتاب الله ، وسنة رسوله ، وهما بين أيدينا ، ورسولان من رسل الله تعالى إلينا ، فلنقرأ صحف التاريخ عن أمجاد أسلافنا ، الذين رفعهم الاسلام إلى تلك المنازل العالية ، وأقامهم هداة للانسانية ، وبناة للحضارة والمدنية التي يعيش الناس في ظلها اليوم !!

— ٧ —

وها نحن أولاء اليوم في عصر العلم ، الذي تمتحن به حقائق الأشياء ، ويعزل به جيدها وجوهرها ، من زيفها ورديئها ..

إن هذا العصر ، هو الذي يحمل إلى الانسانية كلها ، دعوة مجددة إلى الاسلام ، بما يكشف العلم من حقائقه وبما يستخرج العلم من كنوزه ..

وإن هذا العصر — عصر العلم — لهو العصر الذي ينتظره الاسلام ، ليتحقق فيه قول الله تعالى : ( **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ) ( الصف : ٩ ) ..

ويقول سبحانه : ( **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ) ( التوبة : ٣٢ ) .

وإنه إذا لم يقم المسلمون اليوم بهذا الأمر الذي تعلو به كلمة الاسلام ، وتشرق بها أنواره على العالمين . فان غير المسلمين سيقومون بهذا الأمر العظيم ، حيث يبشرون به في أقوامهم الذين فضح العلم عندهم ما يدينون به من أديان لا يقبلها العقل ، ولا يأخذ بها الواقع ، وعندئذ يصدق علينا قوله تعالى : ( **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ) ( آخر سورة محمد ) .

— ٨ —

وها هى ذى طلائع الداعين إلى الاسلام ، من علماء الغرب ومستشرقيه ، الذين لا يدينون بالاسلام ، قد أخذوا يقيمون شهادة الحق للاسلام ، ويكشفون للناس عن حقائقه التي هي النجاة للانسانية ، والخلاص لها مما ارتكست فيه من مادية صارخة ، اغتالت كل عواطف الانسانية ، حتى بين الآباء وأبنائهم ..

ولا نستقصى في هذا المقام تلك المقولات الصريحة الصادقة التي صدرت من أكابر علماء الغرب

وفلاسفته ، وأساتذته .. وحسبنا أن نشير إلى بعض تلك المقولات ، وأن نجتزئ بقطوف منها ، لتكون حافزا للمسلم أن يعرف من دينه ، ما عرفه له غيره ، ممن لا يدينون به .

فهذا الفيلسوف الفرنسي ( المسيحي ) « أرنست رينان » يقول في كتابه المعروف « تعليقات على تاريخ الأديان » ـ يقول عن القرآن الكريم : « إن القرآن ، هو أساس الاسلام ، وقد احتفظ بكينونته القديمة ، دون أن يعتريه أي تعديل أو تحريف ، وعندما تستمع إلى آياته ، وما فيها من حكمة وفصاحة ، تأخذك رجفة الوله والوجد ، وعندما تتوغل في دراسة روح التشريع المنطوية عليه بعض تلك الآيات الالهية ، لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي ، وتقدسه » .

ثم يقول الفيلسوف « أرنست رينان » :

« ولقد دلتني تجرباتي العلمية والتاريخية ، على أنه لا صحة مطلقا لما أريد إلحاقه من كذب وافتراء ، بالنبي محمد ، كقولهم : إن محمدا كان يميل إلى السيطرة والتسيد ، مع أن محمدا ، كما أثبتت الوثائق التاريخية ، وشهادة أكابر علماء التاريخ ، كان على العكس من ذلك ، بريئا من روح الكبرياء ، متواضعا ، صادقا ، لا يحمل الحقد لأحد ، وكانت طبيعته نبيلة ، وقلبه طاهرا ، وشعوره رقيقا » .

هذه شهادة هذا الفيلسوف الكبير ، يذيعها في العالم كله ، وينادي بها في أمم الغرب ، وكأنه بهذا يدعوهم إلى الاسلام ، وإلى تصحيح نظرتهم إليه .

وهذا شاهد آخر ، من مئات الشهود بين حكماء الغرب وفلاسفته ، وهو الفيلسوف الألماني « عما نويل كانت » ( ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ ) يقول عن الاسلام ، وأثره في قيام أوربا ، وصحوتها من ليلها الطويل في القرون الوسطى ـ يقول :

« لو لم تتضعضع الحضارة الاسلامية ، تحت تأثير عوامل الشقاق بين زعمائها ، وملوكها ، وأمرائها المسيطرين على مقاطعاتها ، وترجع القهقري ، وتفقد على كر الأيام هيبتها وقدرتها ، وتستسلم شعوبها لمخالب الخنوع وروافد الردة ـ لظل الغرب منكمشا في أوكاره الخابية البائسة » .

ثم يعقب على هذا بقوله :

« إنه يصح لنا أن نقول : إن أوربا بعد ما اقتبسته من ثقافة وحضارة ، انحدرت إليها من وراء جبال الأندلس ، وبعد أن اجترعت بنهم غريب ، الترياق الشافي ، لجروح الجهل والانحطاط المسلط علينا ، وبنيت الخصال والمواهب الكثيرة الكريمة التي طبعتها بها الأمم الاسلامية بعد حملاتها الصليبية ، حيث أخذت أوربا تعيد كرتها على الاستاذ المريض ـ أي العرب ـ وهنا تبدل وجه الأرض ، ورأينا تلك العجيبة التي يقف التاريخ أمامها واجما مرتعدا .. ألا وهي أن الضعيف أصبح قويا ، والقوي

أصبح واهنا .. » **( ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )** الأنفال/٥٣ .

ونستدعى من فلاسفة الغـرب ، شاهدا ثالثا ، هو المستشرق الايطالي « ليبرتيني » ـ يقول هذا المستشرق :

« إنني أكاد أعتبر أقطاب الأندلس ، وجزيرة العرب ، عندما أضاء سنا الحضارة العربية ، بفضل جهاد آبائهم ، والعلم المنتشر في ربوعهم ـ أنهم كانوا أكبر مجرمي العالم ، لأنهم لم يكتفوا بافناء بعضهم بعضا ، بل تعدوا ذلك إلى وأد ألمع حضارة أوجدها الانسان على ظهر الأرض » .

فأي جناية جناها المسلمون على أنفسهم ، وعلى الانسانية جمعاء ، بهذا العدوان على أنفسهم ، وإطفاء نور حضارتهم ؟

وهذا الفيلسوف المعاصر ، المعروف « برنارد شو » ـ يقول :

« إنني أعتقد أن رجلا كمحمد ، لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم ، لتم له النجاح في حكمه ، ولقاده إلى الخير ، وحل مشاكله على وجه ، يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة » .

ـ ٩ ـ

وبعد ، ونحن في ضوء صبح جديد ، من مطلع القرن الخامس عشر الهجري ـ فهل لنا أن نصحح وجه مسيرتنا مع الاسلام ؟ وهل نكون أهلا لأداء شهادة الحق له ، بين أبناء هذا العالم المضطرب الذي يتهدده الهلاك في صبح يوم أو مسائه ، بفعل تلك القنابل الهيدروجينية ، والذرية ؟ وهل نؤدي ـ نحن المسلمين ـ للاسلام دوره لانقاذ البشرية من هذا البلاء المحيط بها ؟

إن تلك هى رسالة الاسلام ، التي وضعها الله تعالى في يد النبي الكريم بقوله تعالى : **( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين )** ( الأنبياء : ١٠٧ ) ... وتلك هي رسالة أتباع محمد ، الذين أقامهم الله تعالى شهداء على الناس ، كما أقام الرسول شهيدا عليهم ، حيث يقول سبحانه : **( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا )** ( البقرة : ١٤٣ ) .

وإنه لن يتم للمسلمين هذا إلا إذا تحولوا عما هم عليه من مجافاة لدين الله ، وتهاون بأحكامه ، وآدابه ، وإلا إذا أخذوا بحظهم من العلم والمعرفة على ضوء كتاب الله ، وسنة رسوله ، وإلا بالاقتداء بسيرة سلفهم ، وما كان لهم من دور في رفع راية الاسلام ، ونشر ألويته في آفاق الأرض ، وعندئذ تختفي وجوه تلك المنكرات التي تسلطت عليهم ، واغتالت قوى الحق بينهم ، كما تختفي وجوه أهل الضلال من المتجرين بالدين ، من أصحاب المذاهب المنحرفة ، المشوهة للاسلام ، من قاديانية ، وبهائية ، ومتصوفة ، وغيرها مما زحف على المسلمين بالبدع والخرافات .

# الاعجاز اللغوي للقرآن الكريم

للدكتور: عبد الفتاح الفاوى

جمع الله سبحانه وتعالى الوحي والمعجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بينما فصلهما عند الأنبياء السابقين ليبين أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم آخر النبوات، وشريعته آخر الشرائع. وأن هذه معجزته قائمة لمن بعده حتى لا تكون لهم حجة في عدم اتباعه.

وإعجاز القرآن الكريم يكاد يكون أمرا مسلما به من غير المسلمين ووجوه إعجازه متعددة. فهو معجز بلغته وبلاغته ومعجز بحكمته وشرائعه ومعجز باخباره عن الماضي وتنبؤه بالمستقبل ومعجز باشاراته العلمية ومعجز بوجوه من الاعجاز لم نصل إليها بعد.

والاعجاز اللغوي والبلاغي يكاد يكون ـ حتى الآن ـ أشهر وجوه إعجازه وهو الذي تحدى الله سبحانه وتعالى به العرب أرباب الفصاحة وأساطين البيان فعجزوا. بل جعلهم ينطقون ـ على كفرهم ـ بقولهم: « إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه » وجعلهم ينطلقون إلى معلقاتهم في جوف الكعبة ـ تلك القصائد التي كانوا يتيهون بها فخرا لعلو قدمها في الفصاحة والبلاغة ـ فيقطعونها خجلا أمام بلاغة القرآن وفصاحته.

فيروى أنه عندما نزل قوله تعالى: **( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا**

**سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين )** هود/٤٤
أسرع العرب إلى معلقاتهم فأنزلوها .
ولقد نزل القرآن بلغة العرب وبعبارة أدق بلغة قريش . وكان طبيعيا أن ينزل بهذه اللغة لما اختصت به قريش من مزايا جعلت لها السيادة على العرب وللغتها السيادة على سائر اللغات . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أيضا ـ قرشي ولو نزل القرآن بغير ما الفه من اللغة القرشية وما اتصل بها لذهبت كل قبيلة فيه مذهبا من القول ولصار الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء إلى حال لا يلتئم عليها أبدا ولو كانت بلاغته مما تميت وتحيي .
ومع أن القرآن نزل بلغة قريش فان ذلك لم يمنع من ورود كلمات من لغات عربية أخرى غير قرشية فيه كقوله تعالى : **( لا يلتكم من اعمالكم )** الحجرات/١٤ فلا يلتكم بلغة « عبس » لا ينقصكم . وقد عد بعضهم في القرآن أربعين لغة غير قرشية . وإن كان لا سبيل لتحقيق ذلك لدرس هذه اللغات وتداخلها وتقطع أسباب المقارنة بينها وبين لغة قريش التي مضوا على استعمالها بعد القرآن .
كما أن في القرآن أيضا من غير لغات العرب أكثر من مائة لفظة ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والعبران والقبط .
ولكن كل هذا وذاك لم يمنع العرب عن فهم القرآن . إذ قد ائتلفت لغته على وجه يستطيع العرب أن يقرءوه بلحونهم وان اختلفت وتناقضت مع البقاء على فصاحته وخلوصه .
وتلك ـ كما يقول الرافعي ـ سياسة لغوية استدرج بها العرب إلى الاجماع على منطق واحد ليكونوا جماعة واحدة .
وأسلوب القرآن مباين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء لتناسبه وتناسقه وتفننه في طرق الاستعمال ، ومراعاته لحال المخاطبين ، حتى لنراه إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى والحذف ، واذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا ، وهو في الحالين مفهوم على مدى العصور ، فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلا الفطرة ، كما فهمه من جاء بعدهم من العلماء والفلاسفة وأصحاب الفرق والمذاهب .
وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب ، وليس المراد بغرابتها أنها شاذة أو نافرة ، فان القرآن منزه عن ذلك وانما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل ، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس .

وقد كان ابن عباس رضي الله تعالى عنه يجلس بفناء الكعبة ثم يكتنفه الناس يسألونه عن التفسير لعلمه بكلام العرب . وروى عن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أنه قال : ما كنت أعلم معنى كلمة « فاطر » حتى

اختصم إلى أعرابيان في بئر فقال أحدهما إني فطرتها .

هذا وقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها وجودة تركيبها كأنها فوق اللغة . فان أحدا من البلغاء قد لا يمتنع عليه فصاحة هذه اللغة متى أرادها ولكنه مهما بلغ لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه وإن اتفقت له نفس الألفاظ بحروفها ومعانيها . لأن للقرآن في استعمال لغته طرائق ووجوها يعجز البشر عن الاتيان بها .

فقد تكون اللفظة مثلا ثقيلة فاذ بالقرآن يستعملها في موضع وسياق فتأتي أخف ما تكون ، وأعذب ما تكون ، خذ مثلا لذلك كلمة « **النذر** » وفيها من الثقل ما لا يخفى، انظر إلى القرآن كيف أتى بها في قوله تعالى : **( ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر )** القمر/ ٣٦ خفيفة سهلة .

وفي القرآن كذلك كلمات طويلة في حروفها ومقاطعها مما يجعلها مستثقلة بطبيعة وضعها أو تركيبها ولكنها خرجت في القرآن مخرجا عذبا كقوله تعالى : **( ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم )** النور / ٥٥ فكلمة « ليستخلفنهم » مكونة من عشرة حروف جاءت هنا من أخصر الألفاظ وأعذبها منطقا وأخفها تركيبا وكذلك كلمة « **فسيكفيكهم** » من قوله تعالى : **( فسيكفيكهم الله )** جاءت مكونة من تسعة حروف لم تر في موضع أعذب أو أخف من موضعها هنا . وقل مثل ذلك في كلمات أخرى .

وفي القرآن لفظة غريبة هي من أعذب ما فيه وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه وهي كلمة « **ضيزي** » من قوله تعالى : **( تلك إذا قسمة ضيزي )** النجم / ٢٢ .

ونرى أيضا من تصرف القرآن وتفننه في استعمال الكلمات إتيانه بالكلمة جمعا وهجر مفردها لما فيه من الثقل فان اضطر إلى استخدام المفرد أتى بمرادف له أخف منه وأعذب . فهو يستعمل مثلا كلمة « **الألباب** » كثيرا ولكنه لم يستعمل « **اللب** » قط لثقله وعندما اضطر إليه استعمل مرادفه وهو « **القلب** » ومثل هذا نجده في لفظة « **الأكواب** » و « **الأرجاء** » حيث لم يستعمل مفرد أى منهما لمكان الثقل فيهما .

وقد يجيء الأمر بالعكس فيستعمل المفرد دون جمعه مثل لفظة « **الأرض** » فقد جاءت فيه مفردة ولم تأت مجموعة لثقل الجمع فيها ، وعندما اضطر إلى مجيئها جمعا تصرف في ذلك تصرفا سجد له أساطين البلاغة تقديرا وإعجابا في قوله تعالى : **( الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن )** الطلاق/١٢ فانظر كيف جاءت « **ومن الأرض مثلهن** » أعذب وألطف من كلمة الأرضين .

ومن الألفاظ التي لم يستعملها القرآن أيضا لثقلها لفظ « **الآجر** » . فعندما احتاج إلى هذه اللفظة طرح لفظها ولفظ مرادفها وهو « القرمد » وأخرج معناها بألطف عبارة وأرقها وأعذبها في قوله تعالى : **( وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**

**فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا )** القصص/٣٨ فانظر إلى هذا التعبير : **( فأوقد لي يا هامان على الطين )** أيستطيع عربي مهما بلغ شأنه أن يأتي بمثله .

ومن الاعجاز اللغوي للقرآن أيضا اختياره للكلمات بحيث تلائم المقام الذي تقال فيه ، والغرض الذي سيقت له ، اقرأ إن شئت قوله تعالى : **( الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة )** الحاقة /١-٣ ، وقوله : **( القارعة . ما القارعة . وما ادراك ما القارعة )** القارعة/١ ـ ٣ وانظر كيف جاءت كلمتا الحاقة والقارعة ملائمتين للمقام تمام الملاءمة ومؤديتين للغرض الذي سيقتا له وهو التخويف من يوم القيامة أداء لا يمكن لكلمة أخرى أن تؤديه . لما لهاتين الكلمتين من قوة في الصوت ، وشدة في النطق لا توجد في غيرهما .

بل قد تكون الكلمتان ذات معنى واحد أو معنيين قريبين ولكننا لا نفطن إلى التفرقة بينهما في الاستعمال . فاذا بالقرآن بحسه البلاغي الدقيق يلحظ هذا الفارق ويجعلك تشعر به عند استعماله لهما . كل في موضع خاص . فكلمة « حجرات » و « غرف » نكاد نستعملهما بمعنى واحد في حياتنا العادية وكتاباتنا الأدبية أيضا . ولكن القرآن يفرق بينهما تفرقة تخجل الأديب وتلجم اللبيب عندما نراه يستعمل كلمة غرف في مقام الجنة ونعيم الآخرة ، ويستعمل الحجرات في مقام الدنيا وزهد الحياة عندما يقول : **( لهم غرف من فوقها غرف )** الزمر/٢٠ ويقول :

**( إن الذين ينادونك من وراء الحجرات )** الحجرات/٤ .

حجرات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت جد متواضعة وغرف الآخرة جد فسيحة ومريحة . فاذا ما رجعنا إلى معنى هاتين الكلمتين وجدنا ذلك الفرق قائما بينهما .

إنها بلاغة القرآن التي جعلت أرباب البلاغة من العرب يصفون محمدا بأنه ساحر ، وما وصفوه بذلك إلا لأنهم رأوا في القرآن من البلاغة ما يفوق قول كل بليغ . وهم وإن صدقوا في الشعور والاحساس بأن في القرآن من البلاغة ما يفوق قدرة كل بليغ إلا أنهم كذبوا أو أخطأوا في النعليل بأنه ما كان كذلك من القول فهو سحر . وكان لزاما عليهم أن يعللوا ذلك بأنه تنزيل من حكيم حميد . لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان ساحرا لما استعصى عليه أن يسحرهم كلهم وأن يجعلهم جميعا داخلين تحت تأثيره لأن الساحر لا يخص البعض دون البعض بمعنى أن من قدر على سحر شخص قدر على سحر غيره فلو أن محمدا ساحر كما كانوا يقولون واستطاع أن يسحر بعضا لسحر الباقين أيضا وأراح نفسه من عنادهم . وما هي إلا حقبة بسيطة حتى نطق العرب جميعا بالحقيقة ، واعترفوا باعجاز القرآن ، وكان أشد الناس اعترافا باعجازه أعلاهم قدما في الفصاحة

والبيان لقدرتهم على التعرف على هذه الوجوه في القرآن الكريم . ويروى أن جماعة من الكفار جاءوا إلى « عبد الله ابن المقفع » وهو من هو في الفصاحة والبلاغة وطلبوا منه أن يعارض لهم القرآن الكريم وأن يعطوه في مقابل ذلك مبلغا كبيرا من المال ووافق ابن المقفع على ذلك واستمهلهم ستة أشهر واعتكف طيلة هذه الشهور الستة في مكان منعزل وبعد انقضائها ذهبوا إليه ليروا ماذا فعل فوجدوه قد ملأ الحجرة التي كان معتكفا فيها بالأوراق المقطعة ، واعترف لهم بأنه طيلة هذه الشهور الستة لم يستطع أن يكتب سطرا واحدا في مستوى كتابته العادية ناهيك عن مستوى القرآن وبلاغته .

فالقرآن له من التصرف والتفنن في استعمال الأساليب والكلمات ما يجعله يفوق قدرة البشر . ومن ثم كانت صعوبة ترجمته بل استحالة ترجمته إلى أية لغة أخرى . إن ترجمة القرآن مهما كانت من الدقة والمتانة لا تستطيع أن تنقل كل معانيه ولا جزءا بسيطا منها ، ولا تستطيع بأى حال من الأحوال أن تفي بالغرض لأن القرآن ليس كلمات فقط ، وليس معاني فقط ، وليس أسلوبا فقط ، إنه أكثر من كل هذه المعاني . قل لي بربك بم يترجم المترجم قوله تعالى : (الحاقة . ما الحاقة ) الحاقة / ١ ، ٢ . ( القارعة . ما القارعة ) القارعة / ١ ، ٢ انظر مثلا إذا ترجمت « الحاقة ما الحاقة » بـ

What is the Sure Reality The sure Reality

اى فرق بين العبارتين . وقل مثل ذلك في ترجمة « القارعة ما القارعة » بـ

what is the day of Noise and clamour ?

the day of noise and clamour .

إن المعنى يفتر بعد أن كان قويا في الأسلوب العربي ويبرد بعد أن كان حارا . وإذا ترجمهما بيوم القيامة او يوم الحساب مثلا هل يستطيع أن ينقل هذا الجو الذي تثيره هاتان الكلمتان في أذن القارئ ونفسه .

يتضح من هذا الذي قدمناه ونحوه مما امسكنا عنه لضيق المقام أن لغة القرآن وإن كانت عربية قرشية إلا أنها تنزيل من حكيم حميد . وأن اعجاز القرآن بلغته وأسلوبه أقوى وأوضح من ان ينكره أى مكابر الآن . وأن للقرآن وجوها أخرى من الاعجاز كثيرة وأن كل جيل يستطيع أن يكتشف من وجوه الاعجاز ما لم يكتشفه من سبقه . وأن إعجاز القرآن للعرب إعجاز لغير العرب من باب الأولى . ومن أبسط وأوضح وجوه الاعجاز في القرآن الكريم ذلك الصفاء الروحي والشعور الغريب الذي يحس به كل من يتلو القرآن أو ينصت إليه عربيا كان أو أعجميا مسلما كان أو غير مسلم . إنها حالة عشتها كثيرا وقرأتها عن كثير من المنصفين من غير العرب وغير المسلمين أيضا : **( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله )** الزمر / ٢٣ . صدق الله العظيم .

# الصحافة الإسلامية بين الحاضر والمستقبل

للدكتور : عبد الحليم عويس

## نشأة الصحافة الاسلامية

مصطلح « الصحافة الاسلامية » مصطلح حديث الاستعمال ، بالنسبة لنشأة الصحافة في العالم الاسلامي والعربي .

والسبب في ذلك أن نشأة الصحافة في العالم العربي ، وتطورها أيضا ، قد ارتبطا بأمرين :

١ ـ بظروف سياسية يتحكم في مسيرتها الاستعمار الصليبي ، ويستغل فيما يستغل « العملية التربوية » والتثقيفية .. وبالتالي يوجه أدوات الاعلام والتثقيف إلى غاياته التي تنتهي إلى تكريس وجوده ، وإلى إفقاد الأمة الاسلامية ـ والوطن العربي من بينها ـ الشخصية الحضارية والأصالة الذاتية ..

ولما كان الاسلام هو دعامة هذه الشخصية ، فقد كان إبعاده عن مجالات التوجيه ـ ومن بينها بل وعلى رأسها الصحافة ـ أمرا مفروغا منه في التخطيط الاستعماري .

٢ ـ وأيضا فقد أدى هذا إلى أن النهضة الصحافية ، بل النشأة الصحافية ـ قد قامت على أيدي أناس ليسوا من المسلمين في جملتهم .. فهم إما نصارى وإما شيوعيون .. وإما أعضاء في

الجمعيات اليهودية كالخلايا الشيوعية وكالماسونية ، وإن كانوا مسلمين بالاسم وشهادة الميلاد .

ولم يشذ عن هؤلاء من الذين عملوا في الصحافة – في مرحلة النشأة – إلا قليلون تاهت أصواتهم وسط أصوات الكثرة التي تقف وراءها القوى الاستعمارية بكل عونها المادي والأدبي ، وبكل خبرتها الطويلة في فن الاعلام .

وفي هذه المرحلة ظهرت بواكير العمل الصحافي ممثلة في جهود بعض المخلصين ، على رأسهم الاستاذ « محمد فريد وجدي » الذي أنشأ في عام ( ١٩٠٧ م ) جريدة خاصة به تحمل اسما « إعلاميا » و« شعبيا » هو « الدستور » وكان هو صاحبها ورئيس تحريرها ولا يعاونه على أداء مهمته فيها الا الأستاذ « عباس محمود العقاد » – رحمهما الله .

وكانت جريدة الدستور تضع تحت « اسمها » الكبير لافتة صغيرة تبين أنها « لسان حال الجامعة الاسلامية » وقد رفض فريد وجدي – رحمه الله – أن ينزع هذه اللافتة الصغيرة تحت كل الضغوط والاغراءات ، لدرجة أن « حزب مصر الفتاة » عرض عليه دعما سخيا كان في مسيس الحاجة إليه ، لكنه رفض ، وترك جريدته الحبيبة لديه « الدستور » تعاني أمراض الاحتضار ، دون أن يقبل علاجها بهذا الدواء الخبيث المستورد ، ولم تمض أسابيع ، بعد هذا الوقت – حتى كان يبيع كتبه بثمن يضارع ثمن وزنها من الورق ليؤدي مرتبات موظفي الجريدة وعمالها ..!!

وكان هذا حال واحدة من بواكير الصحف التي اتخذت « الخط الاسلامي » سياسة لها ، تسير عليه ، وتدعو اليه .

ولم ييأس المرحوم « محمد فريد وجدي » من « العمل الصحافي الاسلامي » فعمل في مجلة « نور الاسلام » التي تطورت وأصبحت « الأزهر » المعروفة بيننا اليوم ، كما كتب في الأهرام ، وفي الجهاد ، وفي غيرهما .

ونستطيع أن نقول مطمئنين : إن الصحافة في مصر ولبنان كانت أسبق إلى الظهور من الصحافة في غيرها من بلدان العالم العربي . وبالتالي فظهور الصحافة الاسلامية في العالم العربي لا يزيد عمره الحقيقي عن سبعة عقود تقريبا ، أما تطوره وبروزه بوضوح وجلاء ، فلعل عمره لا يزيد عن ربع قرن من الزمان .

## مفهوم الصحافة الاسلامية

يرى بعض الكتاب أن « الصحافة الاسلامية » تعني تلك الجريدة أو المجلة أو الدورية التي تضع « شارة الاسلام » اسما لها ، وتلتزم بالخط الاسلامي منهجا وهدفا .

ويرى آخرون – وهم كثيرون – أن الصحافة الاسلامية هي التي تلتزم بالخط الاسلامي منهجا وهدفا حتى ولو لم تضع شارة الاسلام ، أو تضع كلمة تدور حول معنى إسلامي ، أو هيئة إسلامية .. لأن

العبرة بالمضمون لا بالشكل .

والحقيقة أن هذا ليس جوهر الخلاف ، بل الخلاف الحقيقي الذي نثيره هنا ونريد أن نهتبل هذه الفرصة لتوضيحه ، هو « ماذا نعني بكلمتي صحافة وإسلامية » ؟

ففي المفهوم الغالب أن كلمة « صحافة إسلامية » تعني مجلة أو جريدة أو دورية تدعو إلى الاسلام بأسلوب مباشر تقريري .. وكأنها مجلة « إعلانات » لبضائع معينة .. وهذا المفهوم في الحقيقة يقضي على « أسس الصحافة » كفن ، ويجعلها منبرا خطابيا يتلزم الأسلوب نفسه الذي يلتزمه خطيب المسجد ، مع أنه من الضرورة بمكان أن يكون هناك فروق بين الدعوة إلى القيم وعلاج المشكلات في المسجد .. والدعوة إليها وعلاجها عن طريق الصحافة أو عن طريق أي فن من الفنون .

وتوضيح ذلك أننا لا نغمط المسجد حقه ، ولا نعيب على خطيبه أسلوبه المباشر التقريري الواضح ــ بل هو أسلوب ضروري ومهم جدا . وكل ما هنالك أن النفس البشرية ، ومثلها العقل الانساني ، كائنان معقدان قد لا يصلح معهما أحيانا الأسلوب التقريري الحاسم ، وقد يحتاجان في كثير من الأحايين إلى أسلوب في العرض وطريقة في الحوار والاقناع غير الطريقة المباشرة أو الطريقة الحاسمة التي تفترض الايمان المطلق والتسليم البديهي .

ففي رأينا أن « الصحافة الاسلامية » ليس شرطا أن تضع « لافتة » تبين خطها الفكري الواضح ، وليس شرطا كذلك أن تقيد نفسها « بأسلوب تقريري » قد يكون منفرا أو إعلاميا ، وليس شرطا ــ أيضا ــ أن تلتزم في عملها بشكل معين أو قضايا معينة ... وإنما يجب عليها أن تتوافر فيها الأبجديات والأساسيات التالية :

١ ــ أن لا تحمل لافتة تتناقض مع أساسية في التصور الاسلامي أو أساسية في الفكر الاسلامي العام .

٢ ــ أن تلتزم بتدعيم القيم الاسلامية ، وتتعاطف مع قضايا المسلمين ، ولا تنتمي لأعدائهم تصورا أو أهدافا أو انتماء .

٣ ــ أن تلتزم الشروط الاسلامية في الأعمال الفنية ، فلا تعلي من الشكل على حساب المضمون ، ولا تبيح ــ بالتالي ــ الصور العارية ولا « الكذب الصحافي » ولا « الاثارة » دون فائدة ، ولا تعطيل الناس واستغلال أموالهم وأوقاتهم بلا مقابل .

وفي إطار ذلك كله تستطيع أن تتحرك أية جريدة أو مجلة ، دون أية قيود أخرى .. واثقة من أن كل كلمة وضيئة صادقة وكل توجيه سياسي أو اجتماعي يعتمد القصة أو الرسم أو المقالة أو التحليل الاخباري أو التعليق على الأحداث أو ما سوى ذلك هو من باب « الصحافة الاسلامية » ، فالاسلام « صياغة للحياة » وليس « كهنوتا لاهوتيا » أو « ديرا للزاهدين أو الفاشلين » بل هو حضارة كاملة تستوعب كل أنشطة الحياة التي تدعم الخير والمعروف

بمعناهما الكبير الفسيح .

## الصحافة الاسلامية المعاصرة

توجد في العالم الاسلامي الآن عشرات الصحف التي تتخذ من « كلمة الاسلام » وما يدور في فلكها ــ خطا واضحا لها .. وثمة صحف « ذات خط إسلامي » وإن لم تضع كلمة الاسلام عنوانا لها . ومن هذه الصحف المعروفة : « المجتمع ، والبلاغ » في الكويت ، و« الشهاب » في لبنان ، و« أردو دايجست » في باكستان ، و« المعرفة » في تونس ، و« الأصالة » في الجزائر ، و« الجمعية الأسبوعية » في الهند ، وغيرها .

وهناك صحف أخرى تضع كلمة الاسلام شارة لها ، إلا أنها من وجهة النظر الاسلامية الجماهيرية تعبر عن « فئات » أو « نظم » أو اتجاهات سياسية رسمية ..

وهذه الصحف أو المجلات معروفة ، ولسنا في حاجة إلى ذكرها ، كما أن هذه الصحف ليست مناط بحثنا .. فالعبرة ــ عند دراسة أية ظاهرة ــ بمضمون الظاهرة حيث يوجد .. وليس بشكلها الذي يزعم البعض أنه يضم ذلك المضمون المفترى عليه !!

وثمة صحف أخرى هي التي تنتظم الساحة الاسلامية أو العربية ، وتحمل كلمة الاسلام راية لها ، وتعمل ــ مخلصة ــ على أن تكون صوت الاسلام المدافع عنه ..

ومن هذه الصحف ــ في مصر : « الدعوة ، والاعتصام ، ولواء الاسلام ، والأزهر ، والهدى النبوي ، والتوحيد ، والاسلام ، ونور الاسلام ... »

ــ وفي سوريا : « حضارة الاسلام » .

ــ وفي العراق : « التربية الاسلامية » .

ــ وفي الجزائر : « الأصالة » .

ــ وفي لبنان : « الفكر الاسلامي ، والشهاب » وقد توقف صدورهما في الحرب اللبنانية .

ــ ولا توجد مجلة إسلامية تعبر عن الفلسطينيين .

ــ وفي المغرب : « الوعد الحق ، والاعتصام المغربية ، والايمان المغربية » .

ــ وفي الكويت : « المجتمع ، والبلاغ ، والوعي الاسلامي » .

ــ وفي السعودية : « الدعوة ، والتضامن الاسلامي ، والرابطة الاسلامية ، وأخبار العالم الاسلامي ، والبحوث العلمية » .

ــ وفي الامارات العربية : « منار الاسلام ، وضياء الاسلام » .

ــ وفي تونس : « جوهر الاسلام ، والمعرفة » .

ــ وفي مناطق أخرى من العالم تصدر بعض الصحف ، بعضها يظهر فيه ضعف الامكانات ، مثل « الغرباء » ، وبعضها دوري ، مثل « أضواء الشريعة » ، وبعضها يعبر عن نزعة مذهبية بالغة الضيق ، ولا تكاد تنظر إلى العالم الاسلامي ومشكلاته ، ولا إلى الاسلام نفسه ،

بعين مجردة ، بل بعين طائفية حزبية ضيقة .. ولا حاجة بنا هنا لتتبع مثل هذه المجلات ..

وحسبنا أن نرصد من هذا الحصر ــ الذي قدمناه كنموذج ومثال ــ بعض الظواهر التي تستحق التسجيل ، بالنسبة لواقع الصحافة الاسلامية :

١ ــ أن الصحافة الاسلامية تكاد تكون معدومة في بعض بلدان العالم العربي .

٢ ــ أن هذه الصحافة ــ في مجملها ــ متخلفة .. إعلاميا ــ على الأقل ــ عن الصحافة الأخرى التي لا تضع شارة « الاسلامية » عنوانا لها .

٣ ــ أنه من بين هذه الصحف لا تصدر صحيفة واحدة ( يومية ) تحمل شعار الاسلام أو منهجه ، وهذا يعني أن « الصحافة الاخبارية » غير موجودة ، إذ أن الجريدة أو المجلة الأسبوعية ، فضلا عن الشهرية ، لا تستطيع إطلاقا ملاحقة الحدث الاخباري في عصر الاذاعة والتلفاز ووكالات الأنباء « والتليفون » و« التلكس » .

٤ ــ أن هذه الصحافة ــ بالتالي ــ صحافة رأي ، تتجه أكثر ما تتجه إلى التلقين المباشر ، المنطلق من الفكر ، أكثر مما تنطلق من الواقع الذي يلتمس العلاج من الفكر ، كما يلتمس الاستهداء بضوئه .

٥ ــ ومن البدهي أن هذه الصحافة لا رابط بينها ، ولا تخطيط يجمعها ، بل لا يوجد تصور عام ( إسلامي وعصري ) يقود خطواتها .

٦ ــ وهي ــ في أغلبها ــ جهود فردية ، أو صحافة حكومية ملتزمة ، أو تصدر عن جمعيات ..

٧ ــ ولنا أن نتخيل أن تلك الصحف ــ في مجملها ــ قليلة الأعداد ، قليلة التوزيع والانتشار ، قليلة الاسهام في توجيه الرأي العام .. وذلك بالطبع ــ باستثناء صحف تعد على أصابع اليد الواحدة .

**مستقبل الصحافة الاسلامية**

إن من الصعب أن نطالب هذه الصحف بأن ينتظمها تخطيط واحد ، فذلك مطلب عاطفي لا يقدم جديدا . ومن الصعب كذلك أن نطالب هذه الصحف بأن تكون أكثر عصرية وأكثر فنية وأكثر وعيا بأساليب العمل الصحافي المعاصر . ومن الصعب كذلك أن نقول لهذه الصحف إن العمل الصحافي الحديث يحتاج « لامكانات فنية » وإلى مناخ شوري « ديموقراطي » وإلى « إمكانات مادية » لكي يدخل حلبة السباق على التأثير في الرأي العام واحتوائه .

فعلى الرغم من مشروعية وأهمية كل هذه المطالب إلا أنه ليس من المستساغ أن نطالب بما لا يستطاع ــ في المرحلة الحالية ــ على الأقل .

لكننا ــ إلى جانب ضرورة التنبيه بالحاح شديد على المطالب السابقة ــ نرى في البداية ضرورة تحقق الحد الأدنى من أساسيات العمل في هذه

الصحف العاملة بهدف خدمة القضية الاسلامية ..

وهذا الحد الأدنى يتركز في النقاط التالية ، نتقدم بها كورقة عمل قابلة للقبول والرفض ــ والحوار ــ لكي نصل بهذه الصحافة إلى التقدم المنشود .

**أولا** : تغيير مفهوم تصورنا لكلمة الاسلامية ، بحيث يتسع هذا التصور ليشمل أكثر من صورة تعبيرية ، ولكي يؤمن بضرورة العمل الاجتماعي والاقتصادي والفكري من خلال المشاركة ، في كل أنشطة الحياة الايجابية والبناءة . وكل ما ينضوي تحت هذا التصور الفسيح يكون عملا اسلاميا سواء حقق غرضه بالمقالة المباشرة أم بالرسم الكاريكاتوري أم بالصورة الطبيعية أم بالقصة أم الرواية المسلسلة أم التحليل الاخباري أم ما سوى ذلك .

**ثانيا** : العمل على إقناع إحدى الحكومات الاسلامية بانشاء « صحيفة يومية إسلامية تسد الفراغ في « الخبر » الذي تنفرد به وكالات الأنباء اليهودية والصحف اليهودية .. وبدهى أن المطالبة بانشاء وكالة أنباء إسلامية أمر مهم لانجاح مثل هذه الصحيفة ، وغيرها .

**ثالثا** : العمل على تقديم « البدائل » بحيث لا يكون العمل الصحافي الاسلامي مقصورا على « رفض » ما يقدمه الآخرون والدخول في معارك معهم ، وإنما يتسع ليشمل تقديم البدائل ، وعلى سبيل المثال ، بدلا من أن نكتفي بنقد « السفور » علينا تقديم نماذج « للملابس » متعددة الأذواق تدور كلها في فلك الحفاظ على « الحجاب » ، وبدلا من سب المتندرين ــ بالصورة أو الكلمة ، من بعض الأوضاع الاسلامية نقوم نحن بتقديم « النكتة » بالكلمة أو الصورة من الأوضاع المنحلة والمتفسخة في المجتمع . وهكذا بالبحث والمقالة .. يكون التركيز على تقديم البديل .

**رابعا** : لابد من النزول إلى الناس ــ صحافيا ــ والتعرف على مشكلاتهم ، ومعرفة احتياجاتهم وميولهم ، ومحاولة صبغتها صبغة إسلامية لجذبهم إلينا ، بدل أن تجذبهم صحف « العمال » أو « الفلاحين » أو « الصحافة العلمانية » أو « الماركسية » الأخرى إلى صفها بدعوى الدفاع عنهم وتبني مشكلاتهم ، وهي أبعد ما تكون عن ذلك كله .

**خامسا** : الاهتمام بالطفل والمرأة في هذه الصحافة ، إذا أنها تبدو وكأنها لا تكلم إلا الشيوخ ، وإلا قليلا من الشبان المؤمنين أساسا بالفكرة الاسلامية .. فكأنها تكلم نفسها في كثير من الأحايين ..!!

● ● ●

ــ والاقتراحات كثيرة .. لكننا هنا نقدم هذه المقالة ، بداية لدراسة أوسع ولحوار نرجو أن يكون كبيرا .. وهادفا .. وشاملا .

ــ إنها مجرد « ورقة عمل » وكفى ،

# نهضة المجتمع الاسلامي

**للأستاذ : محمود الكولى**

لعل من نافلة القول أن نتحدث عما أصاب المجتمع الاسلامي من العلل وما حاق به من الكوارث والنكبات .. وما حل به من الأمراض والقواصم . صحيح أن المسلمين كثرة في العدد .. ولكنهم ـ كما قال الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم « غثاء كغثاء السيل » ( سفينتهم ) تكاد تغرق في بحر تتلاطم فيه الأمواج ..

وهم يتنادون من كل مكان ... يطلبون إنقاذ السفينة الغارقة .. يتنادون من فوق منابر المساجد ... وعلى ألسنة الصحف ... وفي الاذاعات وعلى صفحات الكتب ... وفي مؤتمراتهم التي يعقدونها هنا وهناك .. ويجمعون ـ بالقول فقط ـ على أن لا نجاة لهم الا بتطبيق الشريعة الاسلامية .. وإقامة القرآن الكريم وسنة أفضل المرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ولو تدبر المسلمون أمرهم ، وأدركوا حقيقة موقفهم لأيقنوا أن القرآن الكريم ومعه السنة المطهرة التي تفصل مجمله ، وتوضح أهدافه ، هما طوق النجاة في خضم هذه الحياة ، وكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو الربوة العالية العاصمة من طوفان الفتن الذي يطوق العالم ويهدده بأفدح الأخطار ومما أثر عن القرآن الكريم أنه كتاب الله ، فيه خبر ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه

من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : **( إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به )** الجن/١ من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى الى صراط مستقيم ) .

فلا عزة للمسلمين الا بالقرآن ، ولن يتحقق نصرهم على أعدائهم الا بالاعتصام بحبل الله والاحتكام الى ما جاء به القرآن الكريم من مبادئ وقيم .

هذه حقيقة أصبحت ( مقررة ) كما صارت « مكررة » على ألسنة الناس ..

ولكن السؤال الذي اصبح يدور في أذهان الجميع ... هو :

هل نبدأ إقامة القرآن الكريم ( بقرار من الحاكم ؟ )

أم نبدأ إقامة القرآن الكريم .. من ( الفرد المسلم ... )

بحيث تكون مسئولية كل فرد ... أن يقيم القرآن الكريم في نفسه أولا ... ثم في بيته ... وأولاده .. ثم يحاول إقناع من حوله باقامة القرآن .

وبذلك يتحقق القرآن ( عمليا ) في كل مسلم فردا .. فردا .. وفي أفراد كل أسرة ... حتى يصبح المجتمع إسلاميا يلفظ كل غريب عن الاسلام ؟

انني مع إيماني بالحكمة التي أرسلها الخليفة عثمان رضي الله عنه « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فانني أؤيد الرأي الثاني وهو ان نبدأ « إقامة القرآن الكريم » من الفرد المسلم نفسه ... وفي أسرته ... ومع من حوله ..

ذلك لأن السيدة عائشة رضي الله عنها حين وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : « كان خلقه القرآن .. »

فتحقق القرآن في سلوك المسلم هو اساس متين لبدء إقامة القرآن .

ولا يقوم خلق المؤمن بالقرآن إلا إذا حفظه ووعاه أو على الاقل حفظ شيئا منه ، وإلا كان إيمانه ( مخربا ) حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب ) .. رواه الترمذي والدارمي .

وأن ينتقل المسلم من الحفظ الى « العمل » بما قرأ ... أو حفظ ... أو سمع .

فلا يكون كالطبل الأجوف ، يهرف بما لا يعرف . فان القرآن الكريم نور الله يقذف الله به في قلبه ، يهديه طريقه ، والله سبحانه وتعالى يقول **( يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا )** النساء/١٧٤ .

* * *

ولا يعني رأيي هذا ( براءة الحاكم ) من ضرورة ( إقامة القرآن والحكم بالقرآن ) ولكن إقامة القرآن في

( الأفراد ) أولا تهيئ الطريق لحكام الدول الاسلامية لاقامته تشريعا وحكما ... حيث يقول الله تعالى :

**( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون )** المائدة/٤٥ .

**( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )** المائدة/٤٧ .

**( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )** المائدة/٤٤ .

وهذه الآيات السابقة تؤكد تأكيدا حاسما على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصودا به أن يكون « معجزة » للرسول فحسب .. وإنما أنزله ليكون شرعة للمسلمين ومنهاجا وأن يكون منبع إرشاد ومصدر تشريع وتحكيم ، لأن ما جاء به واجب الاتباع ، قال تعالى :

**( اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم )** الاعراف/٣

وهذا الاتباع باقامة القرآن في كل شأن من شئون حياتنا .

فمن يقيم القرآن ـ لا يعبد الا الها واحدا لا يخشى غيره ولا يشرك به احدا ... **( قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد . )** سورة الاخلاص .

ومن يقيم القرآن يؤمن أن الملك كله لله وليس هناك في الملك شئ لأحد سواه **( له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى )** سورة طه/٦

ومن يقيم القرآن يعتقد أن مصير كل حي أن يموت ولا يستثنى من ذلك الانبياء والمرسلون **( إنك ميت وإنهم ميتون )** الزمر/٣٠

ومن يقيم القرآن يؤمن أنه سيبعث يوم القيامة ويسأل عما قدمه من عمل في حياته الأولى **( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )** الزلزلة/٧ ، ٨

ومن يقيم القرآن يؤمن بأن الله أتقن صنع الكون وأبدعه وله في هذا الكون أسرار ... يتكشف بعضها للناس بمضي الزمن .

**( وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون )** النمل/٨٨

ومن يقيم القرآن يرى فيه أنه قد اخرجه من الظلمة الى النور **( كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور )** ابراهيم/١ .

ومن يقيم القرآن يجده فعلا شفاء من كل ما يعانيه الانسان ورحمة .

**( وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين )** الاسراء/٨٢

ومن يقيم القرآن يقيم فرائض الله ويأمر أهله بالصلاة والزكاة والصيام والحج ... وفعل الخيرات ..

ومن يقيم القرآن يؤمن بأن الله لم يفرط في كتابه من شئ **( ما فرطنا في الكتاب من شئ )** الأنعام/٣٨ .

ومن يقيم القرآن ويحكم به لا تزعزعه أهواء الناس عما أنزل الله **( فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق )** المائدة/٤٨ .

ومن يقيم القرآن يثبت في مواجهة أعداء الاسلام ويعد لهم ما استطاع

من قوة .. فاذا ما دعى للجهاد في سبيل الله لبى داعي الله موقنا أنه سيحصل على احدى الحسنيين ( النصر ) أو ( الشهادة )( **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ) التوبة/١١١

« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » الأنفال/٦٠ .

ومن يقيم القرآن يؤمن بأن المسلمين الى خير ... وأنهم لن يستمروا في حياتهم الحاضرة ... وما هم عليه من ضياع وفرقة ... بل إن ميراث الأرض في النهاية لهم ... إذا هم أقاموا القرآن وعملوا الصالحات : ( **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** ) النور/٥٥ .

ومن يقيم القرآن يؤمن بوحدة الأمة في مواجهة الخصوم والأحداث ( **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ) آل عمران /١٠٣ .

ومن يقيم القرآن يحدد أهدافه العليا في أمور ثلاثة هي جماع الفضائل :
★ الأمر بالمعروف ★ والنهى عن المنكر ★ والايمان بالله .

( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ) آل عمران/١١٠

ومن يقيم القرآن ... يحرص على نشر حفظه وتعليمه للصغار والكبار ... قال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري .

ومن يقيم القرآن ... يحرص على دراسة علومه ومقاصده وفهم معانيه وتدبر آياته ( **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ) سورة محمد/٢٤ .

ومن يقيم القرآن ... يعرف أن اللغة العربية هي وعاء القرآن الكريم الذي جاء بلسان عربي مبين .. فيحرص عليها حرصه على القرآن الكريم الذي انزل بها ( **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا** ) الشورى/٧ .

ولقد كانت وستبقى اللغة العربية رباطا وثيقا قائما بين جميع المسلمين الذين يعتنقون الاسلام حتى من غير الناطقين بالعربية في تلاوة القرآن الكريم .

والذي يقيم القرآن : يخضع كل البحوث العلمية للقرآن الكريم ... لأنها عرضة للخطأ والصواب ... وكم من نظرية علمية ... انقلبت الى ضدها .

فاذا ثبت معارضتها للقرآن الكريم فهي باطلة ... وستصل في مستقبلها الى ما وصل اليه القرآن الكريم . لأن القرآن الكريم ( **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ) سورة فصلت/٤٢

ومن يقيم القرآن يعتبر نفسه جنديا من جنود الدعوة الى الله ، له شرفها والفخر بها **( ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين )** فصلت/٣٣

والذي يقيم القرآن مع إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله يؤمن بالغيب والشهادة وأنهما ملك لله تعالى لا ينازعه في ذلك أحد :

**( عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال )** الرعد/٩ .

**( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير )** لقمان/٣٤

والذين يقيمون القرآن لا يرون فيه تحريم الاستمتاع ( بما أحل الله ) من زينة الحياة الدنيا من الرزق الحلال ... والطعام الحلال .. والشراب الحلال ..

**( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق )** الأعراف/٣٢

والذين يقيمون القرآن ... يقيمون الأسرة الصالحة القائمة على الزواج الصحيح :

**( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة )** الروم/٢١ .

**( فانكحوا ما طاب لكم من النساء )** النساء/٣

والذين يقيمون القرآن يحترم بعضهم البعض ولا يسخر أحد منهم من أحد ، فقد يكون خيرا منه عند الله :

**( يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن )** الحجرات/١١

والذين يقيمون القرآن يحترمون ( الملكية الخاصة ) الدينية والدنيوية .. ويعتبرون من قتل دفاعا عن واحدة من هذه الخمس مات شهيدا .

فمن مات دون دمه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد ، ومن مات دون عرضه فهو شهيد .

والذين يقيمون القرآن يخضعون لتطبيق حدود الله في أنفسهم وفي أقرب المقربين إليهم .. وقدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رفض الشفاعة في توقيع حد السرقة على ( المرأة المخزومية ) وقال في حزم وصراحة :

( والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها ) ..

وإنما يقوم بناء المجتمع الاسلامي الصحيح على وحدة الجماعة في ظل القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع « وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبدا ... كتاب الله وسنتي » .

وإقامة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون باتباعه والاقتداء بكل أقواله وأفعاله **( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة )** الأحزاب/٢١ .

وقد تأسى المسلمون في جميع مراحل حياتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ... وكانوا يتحرون أقواله وأفعاله .

**والذين يقيمون سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يؤمنون أن ( المسلم قدوة ) و ( لا يملك حياته الخاصة ) ، وأنه لا انفصال في الاسلام بين الحياة الخاصة والحياة العامة . فالمسلم يتخلق بالاسلام في نفسه .. وهو قدوة حسنة في معترك الحياة حين يخالط الناس ... بعكس ما يراه غير المسلمين من أن « الشخص العام .. يملك حياته الخاصة » ولا يسأله أحد عنها ، فهذا مخالف لقول الله تعالى :**

**( ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن )** الأنعام/١٥١

**( وذروا ظاهر الاثم وباطنه )** الانعام/١٢٠ .

**ومنذ وهنت الصلة التي تربط بين المسلمين ودينهم ، فسدت حياتهم .**

**ووصلت المجتمعات الاسلامية الى ما نحن فيه اليوم .**

ولعل من فضل الله تعالى قيام بعض علماء المسلمين بتقنين الشريعة الاسلامية ليبسروا على الحكام المسلمين تطبيقها في بلادهم ، وكان أحدث ما تم من هذا العمل المشكور كتاب تنظيم التجريم والعقاب في الاسلام للمفكر الاسلامي الكبير المستشار علي منصور . والذي قال في مقدمته :

( والشريعة الاسلامية ليست مجرد عبادات تؤدى وطقوسا تقام وإنما هي نظام متكامل الأركان متين الأسس راسخ البنيان شامل لكل أنواع النشاط البشري على مستوى الدول والأفراد والجماعات ) .

كما قال فضيلة العالم الجليل المفتي الأسبق الامام الشيخ حسنين محمد مخلوف :

( لقد حكم المسلمون في معظم بلادهم بغير ما أنزل الله فكان حالهم ما هو معروف من تخلف في مختلف المجالات العلمية والاقتصادية والتشريعية وفساد تفشي في الذمم والضمائر والأخلاق ، وجرائم شملت الاعتداء على الأنفس والأموال والأمن والنظام . ثم صحت شعوبهم على صيحات المصلحين بالدعوة الى الاعتزاز بشرف الدين والعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ) .

والحقيقة المقررة أن هذا القرآن قد جمع شتات العرب بعد فرقة ... وشرع لهم من العبادات والمعاملات ما أصلح به شأنهم ، ولن يغير الله حال المسلمين اليوم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم وأقاموا القرآن والسنة النبوية **( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )** الرعد/١١ .

**( يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم )** الأنفال/٢٤ .

أيها المسلمون في كل مكان أقيموا فيكم كتاب الله ... وسنة رسوله ... تصبحوا أعظم قوة في العالم .

# المسؤولية الجنائية في الشريعة والقانون الوضعي

للأستاذ : علي عبد اللاه طنطاوي

يقصد بالمسؤولية الجنائية : تحمل الانسان نتائج فعله المحرم الصادر منه والقاصد لمعانيه ونتائجه ، وهي تقوم على ركنين : أحدهما مادي وهو فعل الانسان وما يترتب عليه من آثار ، وركن معنوي : هو القصد من ارتكاب الفعل مع العلم بتحريم الشارع له أو إيجابه أو تركه . وقد يكون هذا القصد عاما : وهو تعمد الجاني إتيان الفعل أو تعمد تركه مع علمه بتحريمه ، أو تجريمه كجريمة الضرب التي يكفي فيها تعمد الفعل مع علمه بتجريمه .

وقد يكون القصد خاصا وهو تعمد ضرر خاص أو نتيجة معينة ، فلا يكتفي لتوقيع عقوبة هذه الجرائم بالأفعال المحرمة وإنما يجب أن يتعمد الجاني إثبات الفعل المادي ، قاصدا نتيجة معينة منه : كالقتل ، فان الجاني يتعمد بجانب القصد العام نية إزهاق الروح .

وهناك بعض الجرائم يكون الركن المعنوي فيها : هو إهمال الجاني ، فقد يقع منه الفعل دون تعمد . وقد فرق فقهاء الشريعة بين القصد الجنائي والباعث ، ففي جرائم الحدود والقصاص لا تأثير للباعث سواء بالنسبة لنوع العقوبة أو مقدارها ، فيستوى أن يكون الباعث شريفا أو وضيعا فيتساوى من يقتل انتقاما للثأر ، ومن يقتل لأي سبب اخر ، لأن القاضي في مثل هذه الجرائم مقيد بعقوبات محددة لا يستطيع تجاوزها .

أما بالنسبة للعقوبات التعزيرية ، فالشريعة تركت للقاضي حرية اختيار العقوبة وتقديرها ، ولا شك في أنه في العقوبة التعزيرية سيكون للباعث على الجريمة شأن في اختيار العقوبة ومقدارها .

## أساس المسؤولية الجنائية وشروطها :

الفعل والارادة الحرة المختارة ، هما أساس المسؤولية الجنائية ، وشرطاها . كما أن الانسان الحي هو وحده محل المسؤولية الجنائية لأنه وحده المميز المختار ، فالحيوانات لا يمكن أن تكون محلا لهذه المسؤولية

لأنها عديمة التمييز والاختيار ، وكذلك الميت ، لأن الموت يعدم تمييزه واختياره ، ولأن القاعدة في الشريعة الاسلامية ، أن الموت يسقط التكاليف ، واشتراط التمييز والاختيار يستوجب أن يكون الانسان بالغا عاقلا غير مكره ، فلا عقاب على الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » .. أحمد وابو داوود .. ويقول الله عز وجل : « **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** » النور/٥٩ . فنص الآية يعفى الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم مما يوجبه على الرجال ، كما أن الجنون والعته مانعان من موانع المسؤولية في الشريعة الاسلامية ، لأنهما يعدمان سلامة الادراك وصحة التقدير ، وكما هو مبين من نص الحديث الشريف الذي سبقت الاشارة إليه ، أن المجنون شأنه شأن الصبي في عدم تحمل المسؤولية ، فلا يقام عليه الحد إذا سرق ، أو زنى ، أو قذف ، أما الجنايات التي توجب الدية أو القصاص فانه لا يقتص منه ، وإنما تجب عليه الدية فيها ، ذلك أن حقوق العباد لا تقبل السقوط خلافا لحقوق الله سبحانه وتعالى فانها تقبل السقوط في حالة العذر ، هذا فضلا عن أن حقوق المجنون المالية تثبت له ، وبالتالي فان ذمته المالية تكون أهلا لتحمل العقوبات المالية .

وحكم الصغير مميزا أو غير مميز حكم المجنون في العقوبات التي تترتب على أفعاله المحرمة التي تصدر منه ، وإن كان بعض الفقهاء يرى تعزير الصبي المميز ، بالعقوبة المناسبة ، وهذا يعد من قبيل التهذيب والصيانة له ، وذلك خلافا للمجنون والصبي غير المميز اللذين لا يجوز تعزيرهما .

والتمييز يبدأ من السنة السابعة من عمر الصبي وينتهي بالبلوغ ، ومعظم الفقهاء حدد سن البلوغ بخمسة عشر عاما ، وحدده مالك وأبو حنيفة بثماني عشرة سنة ، وحدده بعض أصحاب أبى حنيفة بتسعة عشر عاما .

والاكراه مانع أيضا من موانع المسؤولية الجنائية في الشريعة الاسلامية ، والاكراه هو فعل يفعله الانسان بغيره فيعدم رضاه ويفسد اختياره ، وهو نوعان : إكراه تام يخشى فيه من المكره تلف نفسه كالحبس والضرب وهذا النوع يعدم الرضا ولا يفسد الاختيار .

وقد يكون الاكراه ماديا أي يقع بالفعل ، وقد يكون معنويا أي بالتهديد ، ويشترط فيه أن يكون الشخص المهدد فيه قادرا على تنفيذ تهديده ، وأن يعتقد المكره أن المهدد سينفذ ما هدد به ، وأن يكون الفعل موضع التهديد متلفا للجسم أو جزء منه أو للمال أو بعضه .

وأساس امتناع المسؤولية أو العقاب في الاكراه قوله عز وجل ( **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** )

النحل/١٠٦ .. وقوله صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ابن حبان والطبراني .. وفيما عدا القتل والاعتداء المهلك ، فان الشريعة تبيح الأفعال المحرمة في حالة الاكراه كالسرقة ، والزنا ، والقذف ، والشرب ، لأنه إذا ارتكب المكره الجريمة لينجو بنفسه من الهلاك فانه في هذه الحالة يكون دافعا لأشد الضررين ، وإذا كان الاكراه لا يجيز القتل أو الاعتداء المهلك فانه يعد عذرا مخففا فلا يقتص من المكره ، وإنما يعذر عند أبي حنيفة ، والراجح في مذهب الشافعي أنه شبهة تدرأ القصاص ، ويكتفي فيه بالدية .

والسكر مانع من موانع المسؤولية في بعض الحالات وقد اختلف الفقهاء في تعريف السكر ، فالجمهور يعتبر الشخص سكرانا إذا كان يغلب عليه الهذيان فلا يعلم ما يقول ، أما الامام أبو حنيفة فقد اشترط في السكران فقدان وعيه كاملا ، فان كان في حالة وعي ولو نسبيا لا يعتبر سكرانا .

وقد اتفق الفقهاء على أنه إذا سكر الجاني اضطرارا أو إكراها : كأن شرب خمرا لشدة عطشه وعدم وجود ماء ، أو إذا سكر لأمر مباح كأن أعطى بنج لاجراء عملية جراحية ، فان أفعاله في هاتين الحالتين غير معاقب عليها ، فلا حد يقام عليه ولا عقوبة توقع به ، ويعفى عنه بالنسبة لحقوق الله تعالى ولا يقتص منه أيضا في حقوق العباد ، ولكن تترتب عليه المغارم المالية ولا خلاف بين الفقهاء في هذه الحالة ولكنهم اختلفوا في حالة تناول السكر باختياره ، ولم تكن هناك ضرورة تدفعه لتناوله ، فالبعض قال : إنه يتحمل في هذه الحالة تبعة جرمه ، شأنه شأن غيره ، ولكن العقاب لا يوقع عليه إلا بعد أن يفيق من سكره ، ذلك أنه لا عذر له في السكر ، كما أن الاثم لا يبرر الاثم ، وقال البعض الآخر : إن عقوبات الحدود والقصاص لا تقام عليه ، لأن فقده وعيه وقت ارتكاب الفعل يوهن من معنى العمد ، وفي هذا شبهة ، وهذه العقوبات تدرأ بالشبهات ولا توجد شبهة أقوى من السكر ، وإن كان البعض قد قال : بجواز تعزيره في هذه الحالة منعا للفساد ، وزجرا للجاني السكير .

ولا خلاف فيما سلف ذكره من معنى المسؤولية وشروطها وموانعها بين الشريعة ، والقوانين الوضعية الحديثة ، ولكن نظرة القوانين الوضعية في هذه الأمور حديثة ، وجاءت بعد قيام الثورة الفرنسية إذ كانت جثث الموتى تعاقب باعتبارها مسؤولة جنائيا ، كما حدث في فرنسا عندما صدر أمر ملكي ينظم العقوبة التي توقع على أنواع من المجرمين بعد إعدامهم ، وبالذات المتهمين بالعيب في الذات الملكية ، والمنتحرين .

كما أن الحيوان والجماد كانا محلا للمسؤولية شأنهما شأن الانسان ، وقد أصدر الملك « فرانسوا الأول » قرارا يسمح للحيوانات التي تقدم للمحاكم بالاستعانة بمحامي يدافع عنها ، وكان الانسان يسأل

عن عمله مكرها ، أو غير مكره ، مميزا ، أو غير مميز ، مدركا له أم غير مدرك ، لأن الأهلية الجنائية لم تظهر في فقه قانون العقوبات إلا حديثا ولعل الرائد في ذلك هو الفقيه الايطالي « مانتسيني » الذي يدعى أنه أول من بين فكرة الأهلية القانونية العقابية ، أما الشريعة الاسلامية فقد عرفت أهلية العقوبة منذ زمن طويل في نظرية تامة موحدة ، لم يصل إليها فقه القانون الحديث ، ويمكن القول بأن « مانتسيني » تلمس بعض أفكاره من الفقه الاسلامي ، وإن لم يصل إلى جذوره .

ومن كل ما تقدم يتبين أن الشريعة الاسلامية سبقت القوانين الوضعية في هذا الشأن ، ولم تكن هذه المبادئ التي يتيه بها بعض فقهاء القانون الوضعي ، إلا نبعا من فيض الشريعة الاسلامية الغراء ، وقبسا من نورها الوضاء .

**شخصية المسؤولية الجنائية :**

من المبادئ الأساسية في الشريعة الاسلامية شخصية المسؤولية الجنائية ، فلا يسأل شخص إلا على ما ارتكبته يداه ، ولا شأن له بفعل غيره ، خلافا لما كان سائدا قبل الاسلام وبعده في الدول غير الاسلامية ، واستمر حتى الثورة الفرنسية . ومبدأ شخصية المسؤولية الجنائية ثابت من قوله تبارك وتعالى : **( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )** الزلزلة/٧و٨ وقوله عز وجل : **( ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى )** الأنعام/١٦٤ وقوله جل وعلا : **( من يعمل سوءا يجزبه »** النساء/١٢٣ وقوله سبحانه وتعالى : **( من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد )** فصلت/٤٦ .

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » ابو داوود والنسائي .
ولكن قد يتساءل البعض أليس في تحمل عائلة الجاني الدية معه استثناء من شخصية العقوبة ؟؟!!

والرد على ذلك أن الدية أصلا على الجاني ، وليس على عائلته ، وأن إشراك عائلته في دفعها ليس إلا من قبيل صلة الرحم ، والمواساة والتعاون والتناصر ، وقد قال صاحب الدر المختار : إن التناصر أصل في هذا الباب ، فمتى وجد وجدت العاقلة وإلا فلا ، وحيث لا قبيلة ولا تناصر فالدية في بيت المال ، فان عدم بيت المال أو لم يكن منتظما فالدية في مال الجاني » ..

ويرى بعض العلماء أن سبب تقرير السنة للدية على العاقلة إنما كان إقرارا لنظام عربي اقتضاه ما كان بين القبائل من التناصر والتعاون وليس تشريعا عاما ملزما في جميع الأزمنة والأماكن دون نظر إلى الأحوال والاعتبارات واستدلوا على هذا ، بأنه حينما انتقل التناصر من العشيرة والأسرة إلى أهل الديوان جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدية على أهل الديوان ، ولذلك فقد

رأوا أن الدية في زمننا هذا لا تكون إلا في مال الجاني ، ذلك أن العشائر قد وهنت ، ورحمة التناصر قد رفعت ، وبيت المال قد انهدم ، ومن ثم فيجب أن تكون في مال الجاني .

هذا هو موقف الشريعة بالنسبة للأشخاص الحقيقيين ، بقي أن نبين موقفها بالنسبة للشخصية المعنوية فلو أن شخصية معنوية. وقع من القائمين عليها بعض الجرائم بسبب تأديتهم وظيفتهم فعلى من تطبق عقوبات هذه الجرائم ؟! قال الفقهاء في هذا الشأن إن الجاني هو الذي يعاقب على الفعل الذي صدر منه دون نظر الى عمله لصالح الشخص المعنوي ، وقالوا : إن العقوبات تبنى على التمييز ، وهو منعدم في هذه الشخصيات .

وخلاصة القول في هذا الشأن ، أن التشريع الاسلامي الذي عرف الشخصيات المعنوية كالوقف وبيت المال ، وجعلها أهلا لتملك الحقوق ، والتصرف فيها ، ولكن لم يجعلها أهلا للعقوبة وذلك خلافا لما كان معروفا لدى العالم غير الاسلامي ، منذ أيام الرومان ، وقد صدر سنة ١٦٧٠ م مرسوم في فرنسا يبين الاجراءات التي تتبع في محاكمة المدن والقرى والمقاطعات جنائيا ، ويوضح العقوبات التي يحكم بها عليها ، كالغرامة ، وإزالة المباني ، والحرمان من الامتيازات واستقر على نفس المبدأ القانون الانجليزي حتى الآن حيث تعنى كلمة الشخص فيه الشخص المعنوي والحقيقي ما لم ينص على غير ذلك ، وقد قضى في انجلترا بالمسؤولية الجنائية على إحدى شركات السكك الحديدية بتهمة إهمال توصيل كبارى بين العقارات التي تخترقها خطوطها منذ ١٨٤٢م

وقضى بمثل ذلك في ولاية « ماستشو ستشى » بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٥٢ م ، وحكمت محكمة استئناف نيويورك بادانة شركة بتهمة خيانة الأمانة في سنة ١٨٢٨ م .

وكما سبق البيان ، فان المسؤولية الجنائية في الشريعة الاسلامية واحدة لا تتغير بتغير الأفراد فيتساوى فيها الحاكم والمحكوم ، الغني والفقير ، الرجل والمرأة ، وذلك خلافا للقوانين الوضعية ، التي كانت تفرق بين المرأة والرجل في العقاب .

كما أن الشريعة الاسلامية تعاقب على الأفعال ، ولا تعاقب على ما يدور بخلجات النفوس ، طالما أنها لم تتبلور في عمل مادي ، أو امتناع عن عمل يعاقب عليه ، وذلك خلافا للقوانين الوضعية ، التي كانت تعاقب أيضا على هواجس النفس ، ويروى الفقيه الفرنسي « ارتولان » أنه في عهد الملك « هنري » أصيب أحد أشراف الانجليز بحالة هذيان ، ورأى في حلم أنه يحاول اغتيال الملك ، فلما خف من مرضه وقص حلمه على صديق له ، سارع الصديق ، وأبلغ النائب العام الذي قدم بدوره الشريف إلى المحاكم بتهمة الشروع في اغتيال الملك وحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم فيه .



للدكتور علي جريشه

لسنا بدعا فيما ندعو إليه الناس !

إننا ندعوهم إلى ما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم .

وندعوهم إلى ما دعاهم إليه من قبله الأنبياء والمرسلون :

**( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )** الأنبياء/٢٥ . فيعلمون من هنا أن :

● لا إله إلا الله أصل هذا الدين وقاعدته ...وأن عبادة الله هي الثمار أو هى البناء ..، وكما لا تتصور الثمار بغير أصل أو البناء بغير قاعدة ، فان الأصل الكريم لا يبقى في الأرض بغير ثمار .. كما أن القاعدة القوية لا تؤسس بغير قصد البناء ..**( ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون )** إبراهيم/٢٤ ــ ٢٥ .

**( ١ ) لا إله إلا الله أصل هذا الدين وقاعدته**

**○ ولا إله إلا الله تمثل نفيا ثم إثباتا**

ــ نفيا يسقط الألوهية عن كل الطواغيت سواء أكانت بشرا أم حجرا ، سواء كانت شعارات أو أنظمة أو قوانين ، أو كانت شجرا أو شمسا أو قمرا أو شيئا مما أعطى وصفا من صفات الألوهية أو عملا من أعمالها ...، وإثباتا يعطي الألوهية بكل أوصافها وسماتها وأفعالها لله رب العالمين .. فلا شخص ولا شئ يخلق أو يرزق أو يدبر ، كما أنه لا شخص ولا شئ يحكم أو يأمر أو يشرع إلا الله أو إلا بأمر من الله .

**○ ولا إله إلا الله تمثل قلبا وقالبا :**

فالقالب هو ما نعلمه وما نتعلمه حول الربوبية والألوهية ، وحول الأسماء والصفات والأفعال ..

والقلب .. هو النبض .. هو الحياة ..، هو حب الله .. ، والخوف من الله ..، والرجاء في الله ..، والتوكل على الله ..، يكملها وجل القلب إذا ذكر الله ، وزيادة الايمان إذا تليت آياته ..، ويكملها بعد الشوق إلى الله الشوق إلى جنته ، وبعد الرجاء في الله الأمل في نعيمه ، وبعد الخوف من الله ، خشية عذابه والخوف من ناره ..، ويكملها بعد ذلك ولاية المؤمنين ومحبتهم ، وعداوة

أعداء الله وكراهيتهم ، وكما لا يتصور قلب ينبض بغير جسد أو قالب ..!، فلا قيمة لقالب أو جسد لا ينبض فيه قلب ولا يخفق ..!، ولقد سمي العلماء « القالب » علم القلب .، وسموا النبض أو « القلب » عمل القلب .، وقالوا إن الأول يتساوى فيه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر .

أما الثاني فيتميز به المؤمن على الكافر والبر على الفاجر !

**○ ولا إله إلا الله بعد ذلك فيها البساطة والوضوح :**

بعيدا عن تعقيد أصحاب الأقانيم « الأب ، والابن ، والروح القدس » وبعيدا عن انجراف من نسبوا التعب ، والحزن ، والضعف لله رب العالمين لعنوا بما قالوا ، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وبعيدا عن تفريط الذين اكتفوا بعلم القلب ، دون عمله ، أو بعلمه دون عمل الجوارح ، فقال بعضهم « لا يضر مع الايمان معصية » ، وعطل الآخرون شريعة الله ...

وبعيدا عن إفراط الذين كفروا الناس بالكبيرة أو بما دون ذلك وأيأسوهم من رحمة الله .

تلك نقاط سريعة عن العقيدة .. قاعدة هذا الدين وأصله كل منها تصلح أن تكون بابا أو كتابا .. لكنا أوجزنا لقوم نحسب أنهم تكفيهم الاشارة .

**( ٢ ) عبادة الله البناء القائم على أساس العقيدة**

قلنا إن العقيدة هي الأصل أو الأساس ، وإن العبادة هى الثمار أو البناء ..

**وأول** العبادات قبل أن تفرض الصلاة **كانت الأخلاق :**

ففي مكة ، ومن قبل أن تفرض الصلاة ، نزل قول الله تعالى : **( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )** الأنعام من/١٥١ ــ ١٥٣ .

وتتوارد هذه الأوامر الخلقية بين نهي عن الاشراك بالله وإشارة إلى أن هذا صراط الله . وفي مكة كذلك نزل قول الله تعالى : **( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو**

كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ) الاسراء/٢٣ ـ ٣٩ .

وتأتي كل هذه الأوامر والنواهي « الخلقية » بين أمر ونهي متعلق بالعقيدة يبين أنها ثمار هذه العقيدة لا تنفك عنها !

وفي سورة الفرقان وهي مكية ( عدا آيات ثلاثة ) تعداد لصفات « عباد الرحمن » ، وصفة العبودية تشريف ، وإضافتها إلى « الرحمن » تشريف آخر .

وهي اثنتا عشرة صفة :

منها سبع « خلقية » ، وثلاث تعبدية ، وواحدة عقدية ، وأخرى تفكرية ، وبذا يبين حجم الأخلاق بالنسبة لصفات « عباد الرحمن » .

**( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا )** « **أخلاق** »

**( واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما )** « **أخلاق** »

**( والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما )** « **تعبد** »

**( والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم )** « **تعبد** »

**( والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا )** « **أخلاق** »

**( والذين لا يدعون مع الله إلها آخر )** « **عقيدة** »

**( ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق )** « **أخلاق** »

**( ولا يزنون ..................... )** « **أخلاق** »

**( والذين لا يشهدون الزور )** « **أخلاق** »

**( وإذا مروا باللغو مروا كراما )**

« أخلاق »

**( والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا )**

« تفكر »

**( والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين )**

« تعبد »

ـ وفي سورة « المؤمنون » :

صفات للمؤمنين .. تبدأ بشرط الايمان:**( قد أفلح المؤمنون )**

ثم تثني بصفة تعبدية:**( الذين هم في صلاتهم خاشعون )** .

ثم تثلث بصفة أخلاقية:**( والذين هم عن اللغو معرضون )** .

ثم تذكر صفة تعبدية:**( والذين هم للزكاة فاعلون )** .

ثم تذكر صفة أخلاقية:**( والذين هم لفروجهم حافظون )** .

ثم تذكر صفة أخلاقية:**( والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون )** .

ثم تذكر صفة تعبدية:**( والذين هم على صلواتهم يحافظون )** .

وهكذا ست صفات .. نصفها تعبدية والنصف الآخر أخلاقي والكل عبادة وصفات للمؤمنين جزاؤها .. **( أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس )** .

وهكذا يمضي القرآن ، يعلمنا الأخلاق ، ويؤصلها في أمته ، وتأتي السنة شارحة ومؤكدة « أثقل ما في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن » .. « رواه احمد » وتتواتر الأحاديث في نفس المعنى ، وتتوج ببيان غاية ابتعاث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه مالك .

### ○ ويظهر أثر الأخلاق في انتشار دعوة الاسلام

لقد كان لها أثرها في قارتين تفتحتا للاسلام لما رأى أهلها من أخلاق تجار المسلمين صدقا ، وأمانة ، وعفة ، وحياء ، وكرما ، وشجاعة ، ونخوة ، ومروءة .. فدخلوا في دين الله أفواجا ، ولا يزالون يدافعون حتى اليوم عن إسلامهم في مواجهة هجمات المجرمين .

### ○ القدوة أقصر طريق لبث الأخلاق الكريمة

والداعية الذي يدعو إلى ما لا يلتزم به يصح فيه قول الله عز وجل : **( لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون )** الصف/٢ و ٣ . وقوله تعالى : **( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون )** البقرة/ ٤٤ .

والقدوة مع التطبع تؤدي إلى الالتزام بحسن الخلق:« ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يتعفف يعفه الله .. ».« ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا » .

والأخلاق تتغذى من العقيدة وتزكو بالتعبد:« من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فليكرم ضيفه .. »."« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ».« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . والصيام يورث المراقبة ، والصبر ، وقوة الاحتمال ، ومشاركة الفقراء والمحرومين ، والزكاة تدفع شح الأنفس وتزكيها ، وتورث الجود ، وتحقق التكامل . والحج يدفع الرفث والفسوق والعصيان ، ويعلم فيما يعلم « الأخلاق الجماعية » .. وهكذا .

**○ وثاني العبادات هي الشعائر والنسك :**

**○ وهي عمد هذا الدين .. لا يقوم بغيرها بناؤه**

بيد أنه إذا اكتفى الناس منها بالشكل دون الجوهر ، وبالهيكل دون الروح ، فانها تغدو أعمدة جوفاء .. لا تلبث أن تسقط فيسقط معها البناء ، « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة .. » ، « بني الاسلام على خمس ... » .

وإذا لزم بالنسبة لكل أمر في الدين جوهره مع شكله ، وروحه مع هيكله ، فانه بالنسبة لأمور التعبد يصير الأمر ألزم — لأنها لا تصح إلا بالنية ، ومن هنا كان قول الله عز وجل : ( **قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون** ) المؤمنون/١ — ٢ . ومن هنا .. لا يقول الله أكبر ، وفي قلبه شيء أكبر من الله تعالى .. ولا يقول وجهت وجهي إلا وقلبه متوجه إلى الله ومعرض عن غيره ، ولا يقول الحمدلله إلا وقلبه طافح بشكر نعمه عليه .. ولا يقول الرحمن الرحيم إلا وهو يحس رحمة الله في نفسه ومن حوله ، ولا يقول مالك يوم الدين إلا ومشهد يوم القيامة العظيم يمثل أمام ناظريه ، ومعه جبروت الله:« لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » .

وهكذا يحس المسلم الصلة بالله صلة متبادلة : « فاذا قال : الحمدلله رب العالمين ، قال : حمدنى عبدى . واذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى على عبدى ، فاذا قال مالك يوم الدين — قال : مجدني عبدي . فاذا قال : أياك نعبد وإياك نستعين . قال : هذا بيني وبين عبدي . فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » .

ولذا كان الأمر باقامة الصلاة ، وليس بمجرد الصلاة ، ذلك أن إقامة الصلاة معنى يجمع بين حسن الأداء وتمام الخشوع وكذلك الصيام ..

**○ وبين الشعائر وسائر الدين نفس الوشائج :**

— فليس ثمة توحيد .. إذا انتفى مظهره في الشعائر ، فكان ركوع أو سجود أو دعاء لغير الله ، كذلك فتوقير الشعائر وتعظيمها .. من توقير الله وتعظيمه:( **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** )

الحج/ ٣٢ .

وللعقيدة أثرها في الشعائر .. إنها تمدها بالروح والحياة . وللشعائر أثرها في العقيدة .. إنها تمدها بالزيادة والنماء . وبين الأخلاق والشعائر تأثير متبادل : فمن كان ذا وفاء ، فهو مع الله أوفى . ومن كان ذا صدق ، فهو مع الله أصدق ، ومن كان ذا أمانة ، حمل الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها .

ــ كذلك فان أداء الشعائر ينمي الخلق ويزكيه .

وصدق الله اذ قال : **( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر )** العنكبوت/ ٤٥ . « ومن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد تحقق لديه أساس الخلق فليبن عليه » .

ــ وللشعائر أثرها على المعاملات .

إنها تجعل المسلم أكثر صقلا ، وأكثر لينا ، يخشى الله في الناس أكثر مما يخشى الناس .

فاذا هو لين الجانب ، خفض الجناح .. ويكون سهلا اذا باع ، وسهلا إذا اشترى وسهلا إذا اقتضى .

**○ والشعائر ــ بعد ذلك ــ نظافة الظاهر والباطن :**

« أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا يغتسل منه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء ..؟ »

ــ وهي الوسيلة لمن ضلت به الوسائل ، وتقطعت به الأسباب : **( واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين )**. البقرة/ ٤٥ . **( استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين )** البقرة/ ١٥٣ . والصبر عمل القلب ، والصلاة عمل الجوارح مرتبطا بعمل القلب ، ومن هنا كان يفزع اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما حزبه أمر ، يستخير الله أو يرجوه ، ولا خاب من استخار ، ولا خاب من وقف ببابه يسأل ويرجو .

ــ وهي الراحة بعد التعب ، والسكينة بعد الوصب ، والطمأنينة بعد القلق .. « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

ــ وفي مرحلة الاحسان ( بعد الاسلام والايمان ) يتذوق المؤمن بها حلاوة الايمان ، وتكون قمة ما يشتهى الانسان .. « وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« إن الله تعالى أكرم أمتي بالألوية »

موضوع :

قال العقيلي من رواته خالد بن كلاب وهو مجهول ، وحديثه غير محفوظ لا أصل له .

وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة ببطلانه .

وقال : الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة بقول العقيلي واعتبره من الموضوعات .

« من أعان ظالما سلطه الله عليه » .

موضوع :

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في إسناده متهم بالوضع .

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة من رواته ابن زكريا العدوي وهو متهم بالوضع ، وقد أورده الديلمي بلا سند عن ابن مسعود وذكره القرطبي في تفسيره دون اسناد ايضا فلم يعزه لصاحب ولا مخرج .

ثم قال السخاوي : لفظه باطل ومعناه صحيح إذ ينسجم معناه مع قول الله سبحانه وتعالى :

« كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير » يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة ، قال : مجاهد يعني أن من اتبع الشيطان وقلده فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير وذلك واقع له في الدنيا حيث الضلال وفي الآخرة يقوده الى عذاب السعير حيث العذاب المؤلم .

وأيد العجلوني في كشف الخفاء القول بوضعه ونقل آراء بعض علماء الحديث حوله .

وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة إنه موضوع .

# الأسبانيون يعترفون بحضارة الاسلام

للدكتور : محمد رجب البيومي

أتى زمن على مؤرخي الاسبان تنكبوا فيه عن الحق ، حيث استجابوا إلى العصبية المغرضة ، فاندفعوا يسجلون تاريخ الاسلام ببلادهم تسجيل من يفتري على الحقائق ليجعل العهد الاسلامي عهد ظلمات وتقهقر وانحدار ، وكم تكبد هؤلاء كل مرهقة ، في طمس الحقائق السافرة ، واخفاء الادلة الساطعة ، وكم بذلوا من أفانين الاحتيال العقلي ، والتكلف الجدلي ليلبسوا الحق بالباطل ، وقد تحرأ أحدهم فزعم أن أصول الحضارة الاسبانية ترجع إلى اليونان والرومان ، ولا تمت إلى الاسلام بسبب ، وقد قطع عليهم الدكتور أحمد أمين طريق اللجاج حين سألهم في الجزء الثالث من ظهر الاسلام ص ٣٠٩ سؤالا لا يستطيعون التهرب من إجابته الصريحة ، فذكر ان مقارنة أشبيلية وغرناطة وقرطبة وغيرها من مدن الاندلس بحواضر اوربا في عهد الاسلام تثبت تاريخيا ان مدن أسبانيا المسلمة كانت مصدر الاشعاع حينئذ لكل عاصمة اوربية ، فأيهما اذن ترجع إليه جذور التقدم الحضاري ؟ أترجع إلى اليونان والرومان وقد عاشت مدن الدولتين في ظلام دامس ؟ أم ترجع إلى أثر الاسلام وقد أشرق بالنور على ما حوله من الدول فهرعت إلى الاندلس شتى الوفود لتستضيء بحضارة الاسلام ؟ ولماذا لم تتقدم اليونان والرومان على الاندلس حضاريا إذا كانتا مصدر الاشعاع ؟

ولو كان الذين يكتبون تاريخ الاندلس على هذه الصورة المنكرة يجهلون الحقائق السافرة لالتمسنا لهم بعض العذر في أحكامهم المخطئة ، ولكنهم يعرفون معرفة يقينية أن أول مدرسة للترجمة باروبا قد نشأت في طليطلة بالقرن السابع فتحولت بذلك إلى أول مركز ثقافي عام في أوربا جميعها ، وقد ترجمت إذ ذاك

مؤلفات الغزالي والكندي والفارابي واخوان الصفاء وما نقل إلى العربية من مؤلفات أرسطو ، وأخذ يتوافد على مدرسة طليطلة عشاق المعرفة من أبناء الشعوب اللاتينية ، وتوالت القرون على نشاط هذه المدرسة حتى صارت مثلا للاحتذاء فانشئ غيرها على نمطها في اشبيلية وماريوكا وفي مقاطعات اسبانيا المسيحية المجاورة للاندلس ! فهل يعقل أن ينشئ أعداء المسلمين مدارس تحتذى حذو مدرسة اشبيلية دون أن يلمسوا أثرها البعيد في التقدم الثقافي والازدهار الحضاري ؟ أو ان المعقول أن الثقافة الاسلامية قد أجبرتهم على الاذعان لسيطرتها ، فكانت معراجهم الأول للارتقاء ! ومن المضحك أن بعض الذين احتذوا مدارس الأندلس ، وتعلموا العربية ودرسوا القرآن ، لم يشيدوا بفضل أساتذتهم حتى جاء أبناؤهم وأحفادهم فرجعوا بالحق إلى نصابه ، ووضعوا الثقافة الاسلامية موضع الأستاذية بعد أن تخلصوا من رواسب الهوى ، وأذعنوا للمنطق الصريح !

أما كيف اعترف هؤلاء الأحفاد بما أنكره الاجداد ، فان المجلدات العربية من تأليف أساطين الفكر الاسلامي بالأندلس ظلت مجفوة مهملة ، بعد أن أحرق أضعاف أضعافها تعصبا للباطل ، وحقدا على ذوي العقول المستنيرة من كبار المؤلفين ، ظل ما بقي من هذه المؤلفات مهملا في دير ( الاسكوريال ) حتى شبت به النار فلم تبق غير ألفين من المخطوطات ، وتبدد ما كان يملأ أغوار الدور الاول من الدير في أمكنة رطبة لا يطرق إليها شعاع من شمس فرأت الحكومة الاسبانية ، ان تستقدم حبرا لبنانيا يفقه العربية ليتصفح هذه المخطوطات ، وجاء العلامة مشيل الغريزي ليباشر مهمته ، وصنع فهرسا كبيرا لما بقي من الكتب ، وخص كل مجلد ببعض التعريف ، وكان فيما كتب ما وجه الانظار الى دراسة الآراء الاسلامية في مصدرها الحقيقي ، بعد أن كان مؤرخو الأسبان يكتفون بالروايات النصرانية المغرضة وحدها ، واكثرها مسرف في الشطط المغرض ، وحينئذ نشطت طائفة من الباحثين كي تقابل بين الآراء المختلفة فتعرض الاقوال النصرانية بازاء الاقوال العربية ، وتستنتج ما تتمخض عنه الموازنة النزيهة من نتائج ، وقد تحمس نفر من المهاجمين ذوي التعصب الاعمى إلى الروايات النصرانية وحدها ، واتهموا من يعارضها بالروايات الاسلامية في دينه واخلاصه ، ومن حسن الحظ ، أن الحق لا يعدم أنصاره ، وأن مجال البحث العلمي يكشف ترهات المبطلين ، فتخصص جيل تال في مراجعة المصادر من جديد ، ونطقت البحوث النزيهة بفضل الحضارة الاسلامية ، وبدت أوهاما دونها التعصب ، حتى رأينا من يدعو إلى احياء التراث العربي وتدريسه بالجامعات الاسبانية ، لا باعتباره يمثل تاريخ فترة مضت ، بل باعتباره فخرا للأسبان إذ كان

أجدادهم المسلمون حملة المشاعل في دياجير القرون السابقة ، وتساءل أحدهم في مرارة ، كيف نعتز بتاريخ اليونان الوثني ولا صلة لنا به ؟ ونهمل تاريخ العرب الزاهر ، وهم أجدادنا ؟ وإذا كان لنا أن نشير إلى نفر من هؤلاء المنصفين فاننا نذكر الدوق ( باسكوال جايانجوس ) أول استاذ جامعي للغة العربية في مدريد ، وتلميذه الأستاذ ( فرانشسكو كوديرا ) ثم تلميذه الأستاذ ( خوليان ريبيرا ) ثم العلامة الطائر الصيت الأستاذ ( ميجيل آسين بالاثيوس ) ومؤلفاتهم جميعا ذات خطر عظيم في دوائر الاستشراق وقد لاقت نقدات كثيرة من مستشرقي الألمان والفرنسيين ، ولكنها ثبتت للنقد ، واستطاعت أن تبدد أراجيف المغرضين عن حضارة الاسلام ، بل جعلت قارئها يشعر أن الأسبان قد خسروا التقدم الحضاري والرقي الثقافي حين ناءوا الاسلام عن تعصب ضرير .

وكأني بالأستاذ ( خوليان ريبيرا ) وقد عز عليه أن يجد المسلمين من العرب وحدهم كانوا أساتذة الحضارة في موطنه فأراد أن يشارك معهم غيرهم من ذوي موطنه ، فادعى أن عبد الرحمن الداخل كان نصف عربي لأن أمه غير عربية ، وكذلك ابنه هشام كانت أمه غير عربية فلا يحمل غير ربع من نسبة الدم ، وجاء الحكم ابن هشام من أم غير عربية فلا يحمل غير الثمن !! وأخذ يوالي التمثيل ليصل إلى أن العنصر العربي قد ذاب في العنصر الأسباني وأن أمثال المفكرين الكبار كابن رشد وابن حزم وابن زيدون وابن طفيل وابن مسرة هم أسبان لا عرب ! ولو سلمنا جدلا — مع استحالة التسليم — بما قاله الأستاذ لواجهناه بمشكلة جديدة ، هي أن هؤلاء الأسبان — لحما ودما كما يرى — لم يحملوا مشعل الثقافة بالأندلس لكونهم أسبانيين أو عربا ، بل لكونهم مسلمين ، فأساس التقدم في عصور الأندلس لم يرتبط بالعرب لكونهم عربا فحسب ، بل لكونهم مسلمين يفتحون العيون على مثل جديدة في الادراك والوجدان والسلوك وبهذه المثل أصبحت قرطبة في ازدهارها لا تقل شأنا عن بغداد ، فليكن أصحاب الحضارة الأندلسية أسبانيين كما يريد الأستاذ أن يقول ، ولكن الفارق بينهم وبين أجدادهم في عهد القوط والوندال والروم ، أن أمثال ابن رشد وابن مسرة وابن حزم وابن طفيل قد تزعموا الثقافة العالمية تحت راية الاسلام ، ولولا الاسلام لكانوا كمعاصريهم في المدن المتخلفة سواء بسواء .

فاذا تركنا الأستاذ ( خليان روبيرا ) إلى تلميذه الأستاذ ( آسين بلايثوس ) فاننا نجده في تحمسه للثقافة الاسلامية بالأندلس قد دأب على نشر المقالات العلمية في صحف أسبانيا ومجلاتها الثقافية داعيا إلى تمجيد أجدادهم المسلمين ذوي الاشعاع الثقافي في عصور الظلمات فكون رأيا عاما ثقافيا يتعاطف مع فكرته حتى استطاع في اوائل سنة

١٩٢٩ أن يستميل جامعة غرناطة إلى نزعته الفكرية ، فأقامت احتفالا علميا كبيرا لذكرى الخلافة الاسلامية بالأندلس لمناسبة مرور ألف عام على إنشائها في عهد عبد الرحمن الناصر ، فكان ذلك أول حادث رسمي من نوعه يؤكد أن الثقافة الأندلسية حقيقة واقعة ، وأن دعوى إنكارها تدل على تعصب لا تعرفه قاعات البحث الجامعي النزيه ، وقد هتف الأستاذ آسين في هذه الاحتفالات بأن أسبانيا بأبنائها المسلمين كانت معلمة أوربا وأستاذة الغرب جميعه ، وقد أوغل فيما بعد في شعاب البحث العلمي ليثبت أن أعظم أثر أدبي تعتز به روما وهو ( الكوميديا الالهية ) التي ألفها الشاعر الكبير دانتي ، هذا الأثر الأدبي الفذ قد أخذت أصوله من قصة المعراج الاسلامية إذ عربت إلى الأسبانية والفرنسية واللاتينية ، وقد ثبت علميا أن ( دانتي ) قد قرأ النص اللاتيني ووعاه وكان نواة الكوميديا الالهية ! وقد جاء من بعد الأستاذ آسين من أفرد هذه المسألة ببحث جامعي مستقل نال عليه درجة الدكتوراه في روما ، وانتهى إلى أن قصة الاسراء والمعراج هي ملهمة الشاعر الايطالي الكبير ، كما أنها في الوقت نفسه قد ألهمت أبا العلاء المعري حين كتب قصته الخالدة ( رسالة الغفران ) .

على أن إعجاب الأسبانيين بحضارة الاسلام في الأندلس قد وجد صداه لدى كثير من مفكري أوربا ، وأذكر أن الكاتب الفرنسي الشهير ( كلوت فارير ) قد كتب مقالا دامعا يتأسف فيه لهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء حين انتصر عليهم القائد الهمجي ( شارل مارتل ) ويرى في هذا الانتصار انتكاسا للحضارة الانسانية وتقهقرا بها الى الوراء ، وقد قال في خاتمة مقاله ما ترجمته :

« يكفي المرء أن يطوف في حدائق الأندلس أو بين الآثار العربية التي لا تزال تأخذ بالأبصار ، مما يبدو من عواصم السحر والخيال ، أشبيلية وغرناطة ، وقرطبة ، وطليطلة ليشاهد والألم آخذ منه ما عسى أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الاسلام العمراني المتسامح ، وخلصها من الأهاويل التي لا أسماء لها » وللشاعر الكاثوليكي العربي الأستاذ شبلي ملاط قصيدة رائعة تنحو هذا المنحى يقول فيها :

مَنْ للزمان بمثل عدل محمد
وحكومةٍ كحكومة الخطاب
لولا تجلدُ (شارل مارتل) حلقتْ
في الغرب فوق أباطحٍ وروابي

فعلى الذين ينكرون أثر الاسلام في رقي الانسانية أن يراجعوا ما سجله الاسبان في الصحف الدورية ومحاضرات الجامعة ، والموسوعات العلمية ، ليروا كيف وجد الحق بيانه على ألسنة المخلصين من غير معتنقيه ! وهؤلاء لن يكونوا ذوي غرض خاص حين يشيدون بدين يدينون بسواه مجاهرين .

# الاسلام والأسرة

٢

للدكتور/احمد شوقي الفنجري

في مقالنا السابق عن الأسرة ذكرنا أن الهيئات العالمية قد اتفقت على اختيار يوم ٢١ مارس يوما للأسرة ..
وقلنا انه كان بودنا لو يأتي هذا الاحتفال بيوم الأسرة بدافع من ديننا بدلا من أن يأتينا كتقليد من الغرب . وأن نصدر نحن فكرة الاحتفال بيوم الأسرة بدلا من أن نكون المستوردين لها ..
ثم شرحنا كيف أن الاسلام قد سبق كل ما عرف من الأديان بل وكل النظم الحديثة في تشريعات بناء الأسرة وصيانتها . وجعل حرمة بيت الأسرة المسلمة كحرمة بيت الله الحرام ..

ونسير مع الاسلام في رعايته للأسرة :

## بر الأبوين في الاسلام :

● لقد رفع الاسلام منزلة الأبوين فجعل مكانتهما بعد الله مباشرة فقال تعالى : **( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا )** فذكر حق الوالدين بعد حق الله مباشرة وهذه مكانة لا يعدلها شيء في الدنيا ..

وقد سئل رسول الله : أي العمل أحب الى الله .. فقال صلى الله عليه وسلم : « الصلاة على وقتها قيل : ثم ماذا ؟ قال : بر الوالدين .. قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله »

رواه البخاري ومسلم فجعل بر الوالدين في منزلة أعلى من منزلة الجهاد في سبيل الله ..

● ومن الملاحظ ان الاسلام قد أكثر في تعاليمه من وصية الأبناء بوالديهم ، ولكنه لم يهتم كثيرا بتوصية الآباء على أبنائهم .. وذلك لأن الأبوين بالفطرة والطبيعة لهم حنان وشغف بالأبناء .. أما الأبناء فكثيرا ما تلهيهم الدنيا ومشاكلها عن آبائهم .

● وقد كان علماء المسلمين أول من ابتدع علم رعاية المسنين في الطب وهو المعروف اليوم باسم « طب المسنين » وقد أفرد له الطبيب الاسلامي « ابن سيناء » بابا خاصا من كتابه القانون في الطب . وكان المسلمون أول من خصص في المستشفيات أجنحة خاصة لطب المسنين وأجنحة أخرى لرعايتهم فكان في مستشفيات القاهرة وبغداد وقرطبة أقسام خاصة بالمسنين وقد كتب عليها هذه الآيات : ( **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما** ) الاسراء/٢٣ ، أو آيات أخرى مثل قوله تعالى : ( **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة** ) الروم/٥٤ .

وقد أجمع المستشرقون على أن الطب الأوربي لم يعرف علم رعاية المسنين الا بعد المسلمين بسبعة قرون أي سبعمائة عام كاملة . وأن سبب ظهور هذا العلم عند العرب هو تعاليم القرآن وأوامره .

● ويحذر الاسلام الانسان الذي يعق والديه وينذره بأن الله سيسلط عليه أبناءه عند الكبر .. وأن الانسان كما يدين يدان .. وأن الآباء بهذا مسئولون الى حد كبير عن معاملة أولادهما لهما .. فالطفل اذا رأى أمه تهين الخادمة الضعيفة أو رأى الأب يهين الأم ويجرح مشاعرها فانه ينشأ على عدم احترام أبويه إذا أصابهما الضعف والوهن .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحم لا يرحم » رواه البخاري ويقول أيضا : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم » رواه الطبراني .

ومن القصص العربي الطريف في هذا المجال أن طفلا صغيرا رأى أباه البخيل يحتفظ بقطعة حصير قديمة بالية .. فأخذ يسأله .. لماذا تحتفظ بهذه الحصيرة البالية يا أبي ؟ فقال له : لكي نجلس عليها جدك اذا زارنا .. فقال له الطفل الساذج : فاحتفظ لي بها يا أبي .. حتى اذا كبرت في السن أجلسك فوقها .. وهكذا فان الجزاء من جنس العمل .. وصدق قول الرسول : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

● وبر الوالدين في الاسلام لا يقتصر على حياتهما فقط ، ولكنه أيضا يمتد بعد موتهما ، وذلك بالدعاء لهما في الصلاة ، وقضاء ديونهما إن كانت هناك ديون ، والحج عنهما اذا كانا ينويان الحج ولم يستطيعا ، وحسن رعاية أصدقائهما

وأقاربهما ، جاء رجل الى الرسول يسأله : يارسول الله هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال نعم : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، واكرام صديقهما ، رواه أبو داود وابن ماجه .

ويقول الرسول ايضا : « إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه » رواه مسلم .

## مكانة خاصة للأم :

● وتحظى الأم بالجانب الأول والأعظم من الرعاية في الاسلام ، لا باعتبارها الجانب الأضعف فقط ، ولكن أهم من هذا لأنها تقوم بالعبء الأكبر من حمل ورضاعة وتربية .. ويذكر القرآن بر الأم فيقول تعالى على لسان نبيه : ( **وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا** ) مريم / ٣٢ .

ويبين الله في القرآن متاعب الأم فيقول تعالى :

( **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين** ) لقمان / ١٤

ويقول ايضا : ( **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ) الأحقاف / ١٥

وجاء رجل الى الرسول يسأله : « يارسول الله .. من أحق الناس بصحبتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك .. قال : ثم من يارسول الله ؟ قال : ثم أبوك » رواه البخاري ومسلم .

وفي الأثر : « اذا دعتك أمك وأنت تصلي فأجبها واقطع صلاتك . واذا دعاك أبوك وأنت تصلي فلا تجبه حتى تفرغ من الصلاة » .

● ورغم هذه المكانة العظيمة التي جعلها الاسلام للأم . فان الملاحظ ان الاسلام كدين عملي ومنطقي يتبع العقل والمنطق أيضا في معاملة الأبوين .. فهو يأمر المسلم بطاعة أبيه أولا ..

وقد جاء شاب الى الامام مالك يسأله : أمرني أبي ونهتني أمي فماذا أفعل ؟ فقال له : أطع أباك ولا تغضب أمك .

ومعنى ذلك أن الاسلام في الأمور العقلية يأمر باتباع رأي الأب أولا .. وفي الأمور العاطفية يأمر بالتعاطف مع الأم أولا .. وهذه حكمة ما بعدها حكمة ..

وبفضل هذه التعاليم الرائعة التي جاء بها الاسلام في بر الوالدين نجد التاريخ الاسلامي حافلا بقصص رائعة وأمثلة فريدة عن تماسك الأسرة وبر الوالدين .

## أمثلة من بر الأبوين في الاسلام :

أوحى الى رسول الله أن في اليمن رجلا اسمه أويس بن عامر يبر أبويه برا عظيما وأن الله قد كافأه على ذلك بأن جعل دعوته مستجابة ، ومرت السنوات وقبض رسول الله .. ثم

للاستاذ / سعيد زايد

تظهر سماحة الاسلام بشكل واضح في جميع مجالات الحياة ، تظهر في حالة السلم ، وتظهر في حالة الحرب ، وتظهر في معاملة المجتمع المسلم ، وفي معاملة غير المسلمين ، وفي حالة النصر من معاملة للأسرى أو استلام الجزية ، وتظهر في معاملة الرق وفي تعدد الزوجات وفي الطلاق .. وما إلى ذلك من مظاهر الحياة .. ويطول بنا المقام إن عددنا سماحة الاسلام في كل هذه المجالات ، ولكننا سنكتفي فيما يلي بالحديث عن قيم الاسلام الانسانية وسماحته في معاملة غير المسلمين .

إن الاسلام لا يصح بغير إيمان بالأنبياء السابقين وما أنزل عليهم من كتب ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : **( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون )** البقرة/١٣٦ . فالمسلمون يقرون بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام ، **ويجلونهما** ، وينزهون نسب عيسى **ويكفرون من ينكر رسالتهما . فليس في الاسلام تعصب على اليهودية أو المسيحية ، وليس فيه اتهام لنبي ، ولا تهجم على رسول** . وهو لا يحارب اليهودية ولا النصرانية ، ولا يحقد على اليهود ولا على النصارى ، لأنه دين السماحة والتسامح .

وقد دان المسلمون بما علمهم الله تعالى ، أنه قضى ـ لحكمة يعلمها ـ بأن يكون الناس مختلفين في عقائدهم وأهدافهم وقدراتهم العقلية . فالذي يريد الناس على الاتفاق في كل شيء مناهض لقضاء الخالق سبحانه . قال تعالى : **( ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم )** هود/١١٨ ـ ١١٩ . وقال : **( ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين )** يونس/٩٩ .

ودان المسلمون أيضا بأن السعيد هو من شرح الله صدره للاسلام ، فأدرك سره ، وأشرب قلبه حبه ، وإذن فلا سبيل إلى الاكراه على اعتناق الاسلام ولا سبيل لبغض مخالفيه ، لأن أمرهم موكول إلى خالقهم . قال تعالى : **( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )** القصص/٥٦ .

لهذا أمرهم الله بالدعوة إلى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، **وبالجدل الذي لا يترك فرقة ولا** خصومة . قال تعالى : **( وقل الحق**

**من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** الكهف/٢٩ ، وقال تعالى : **( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي )** البقرة/٢٥٦ ، وقال : **( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن )** العنكبوت/٤٦ .

وقد صدع المسلمون بما أمرهم ربهم به ، فلم يسلكوا ما سلكه غيرهم من رجال الدين الذين كانوا ينادون في أتباعهم أن الله قد أمر بأن يكون البشر كلهم على دين واحد ، فيجب أن تعملوا على توحيد الدين ما وجدتم إلى توحيده سبيلا .

تجلت سماحة الاسلام في معاملة مخالفيه في القول والعمل .

فمن ناحية القول ، حفل القرآن الكريم بدعوة المسلمين إلى التسامح ، فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ، ما داموا في سلم مع المسلمين وحسن صلة . قال تعالى : **( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين )** الممتحنة/٨ .

وأمر الاسلام بالرفق في الدعوة إليه ، وأمر بمناقشة المخالفين بالحسنى ، قال تعالى : **( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن )** النحل/١٢٥ ، وقال : **( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون )** العنكبوت/٤٦ .

وبين الله للنبي أنه مكلف أن يبلغ الدعوة ويبشر بالاسلام ، وليس مكلفا أن يحمل الناس عليها بالقوة ، قال تعالى : **( فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر )** الغاشية/٢١ ـ ٢٢ . وقال : **( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين )** يونس/٩٩ . وقال تعالى : **( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي )** البقرة/٢٥٦ . وقال : **( وما أرسلناك عليهم وكيلا )** الاسراء/٥٤ . وقال تعالى : **( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون )** آل عمران/٦٤ .

وأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمي به ، وهذه سماحة ما بعدها سماحة . قال تعالى : **( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون )** التوبة/٦ .

وأمر الله المسلمين بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم ، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين . قال تعالى : **( وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا )** الاسراء/٣٤ .

وحض النبي صلى الله عليه وسلم على التسامح ، وحببه الى المسلمين بقوله و فعله . قال عليه الصلاة والسلام : « من ظلم معاهدا أو

انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » رواه الدارمي .

وأمر صلى الله عليه وسلم بألا يجبر أحد من النصارى أو اليهود على ترك دينه ، فقد كتب إلى عامل له في اليمن : « من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتن عنها » .

وأظهر النبي وخلفاؤه وقواد المسلمين سماحة وإنسانية فيما عقدوا من صلح مع البلاد التي فتحوها ، فلم يستبدوا ويملوا شروطهم ، شأن كل منتصر ، يدفعه إلى ذلك انتقام وغرور بالقوة ولكنهم كانوا كراما مع المغلوبين ، فأقروهم على عقائدهم وشعائرهم الدينية ، وأوصوا برعايتهم والمحافظة على أموالهم .

وقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم معاهدة مع قبيلة تغلب وصلحا مع نصارى نجران أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم .

واقتدى به المسلمون من بعده . فقد أوصى الخليفة ابو بكر الصديق قائده أسامة بن زيد لما وجهه إلى الشام ، بالوفاء لمن يعاهدهم ، وبالرحمة في الحرب ، وبالمحافظة على أموال الناس ، ويترك الرهبان أحرارا في ديارهم وصوامعهم ، وقال له : لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا إلا للاكل ، وإذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .

وفي خلافته عاهد خالد بن الوليد اهل الحيرة على ألا تهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصر يتحصنون فيه ، وعلى ألا يمنعوا من ضرب نواقيسهم أو إخراج الصلبان في يوم عيدهم . على ألا يعينوا كافرا على مسلم ، ولا يتجسسوا للكفار على المسلمين . ونص في المعاهدة على ان الجزية يعفى منها الشيخ الذي عجز عن العمل ، أو أصابته آفة ، أو كان غنيا فافتقر ، وليس ذلك فحسب ، بل يعال هو وأولاده من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الاسلام .

وكان عمر بن الخطاب — على شدته مع المسلمين — رفيقا بأهل الكتاب ، فقد نصح سعد بن أبي وقاص لما أرسله إلى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة ، وبألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها إلا إذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه ، وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئا لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها ، وحذره من أن تضطره حرب أعدائه إلى ظلم الذين صالحوه .

وقد أعطى عمر أهل إيلياء أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .

وكذلك كتب — رضي الله عنه — أمانا مثل هذا لأهل الله وبيت المقدس ، وفي عهده عاهد خالد بن

الوليد أهل دمشق على الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم ، لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ، إذا أعطوا الجزية . لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء والمؤمنين .

ولم ينس عمر واجبه في رعاية أهل الكتاب في وصيته لخليفته ، وهو يجود بروحه ، لأنه يعلم أنهم بعض شعبه ، فهو مسؤول عنهم ، فقد أوصى خليفته بأن يفي بعهدهم ، وان يقاتل من ورائهم فلا يجعل ديارهم ميدانا للحرب ، وألا يكلفهم فوق طاقتهم .

وهكذا فعل المسلمون مع كل البلاد التي فتحوها ، فقد سلكوا مع أهليها مسلك السماحة .

وحرص فقهاء المسلمين على العناية بأهل الذمة ، وكتبوا في ذلك كثيرا ، فها هو القاضي ابو يوسف يكتب إلى الرشيد ينصحه بقوله : « وينبغي يا أمير المؤمنين ـ أيدك الله ـ أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ، والتفقد لهم ، حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم .

فلم يكن عجبا ان انبهر بسماحة الاسلام وتسامح المسلمين سكان البلاد المفتوحة ، وأن انطلقت ألسنتهم بالثناء على المسلمين ، لأنهم رأوا من المسلمين سموا في الأخلاق ، ونبلا في المعاملة ، وسماحة لم يعهدوها من قبل حينما كان يحكمهم الفرس أو الروم .

ولم يكن عجبا أن وجد المسلمون من هؤلاء السكان عونا في فتوحهم الظافرة .

وقد وضع فقهاء المسلمين دستورا للعهود التي يعقدها الحكام المسلمون مع أهل الذمة لا يتعداه المتعاهدون ، وتدور جميع مواده حول التسامح والروح الانسانية التي يجب ان تتبع مع الذميين .

وسنذكر فيما يلي بعض صور التسامح الفعلي التي تدل على الروح الانسانية التي تسود في الاسلام .

لما فتح محمد صلى الله عليه وسلم مكة قال لقريش : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم .. فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لي ولكم » .

وبالرغم من أن اليهود كانوا قد نكثوا بعهدهم مع المسلمين وحرضوا العرب على غزوهم وانضموا إليهم ، فان النبي منع المسلمين بعد النصر من أن يدخلوا بيتا من بيوت اليهود إلا باذنه ، ومن أن يضربوا نساء اليهود أو يعتدوا على ثمراتهم .

وكان عليه الصلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد ، فقد كان يقترض منهم نقودا . ولم يكن ذلك عجزا من أصحابه عن إقراضه ، فان بعضهم كان ثريا ، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله ، وإنما كان يفعل ذلك تعليما

للأمة وتثبيتا عمليا لما يدعو إليه من سلام ووئام ، وتدليلا على أن الاسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم .

وكان عمر بن الخطاب بالشام ، وقد حانت الصلاة وهو في كنيسة القيامة ، فطلب البطريق من عمر أن يصلي بها ، وهم أن يفعل ، ثم اعتذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيدعي المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى . وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التي صلى عليها إلا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين . وهذه نظرة تدل على بصيرة نفاذة بعيدة المرمى فقد أراد ابن الخطاب ممن يجيئون بعده أن يكونوا سمحاء مثله .

واشتهر عن عمر أنه كان ينصف من يشكو إليه من النصارى واليهود ، فقد علم أن الوليد بن عقبة واليه على بني تغلب النصارى قد توعدهم ، فخشى أن يوقع بهم شرا ، فعزله وولى غيره .

وكذلك كان ابنه عبد الله ، فقد روى عنه أنه قال لغلامه حين كان يسلخ شاة : يا غلام .. إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي ، وقال ذلك مرارا ، فقال له : لم تقول هذا ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

وكان عثمان بن عفان يعطف على شاعر نصراني هو أبو زبيد .

وقد رحب أقباط مصر بالفتح الاسلامي ، ولقوا من عمرو بن العاص أعظم التسامح ، لأنه أنقذهم من الاضطهاد الديني ، ومن عسف الروم وتنكيلهم بمخالفيهم في المذاهب ، فقد كان بعضهم يعذب ثم يلقى به في اليم ، وقتل منهم نحو مائتي الف في مدينة الاسكندرية بأمر من الامبراطور جستنيان .

ويذكر التاريخ أن اضطهاد جستنيان وخلفائه لأقباط مصر حمل كثيرا منهم على الالتجاء إلى الصحراء للاحتماء بها ، وفرارا من التنكيل ، واضطر عدد كبير إلى إخفاء عقيدتهم الحقيقية . فليس عجيبا أن يرحبوا بعمرو بن العاص ، وليس عجيبا أن يحقق لهم الحرية الدينية التي كانوا يبتغونها .

نعم إن عمرا كفل للأقباط حريتهم الدينية ، ولم يحدث في عهده ولا من بعده ضغط على أحدهم ليرتد عن دينه ، بل إن بعضهم أسلم قبل أن يتم الفتح .

وما زال التاريخ يقص علينا أن عمرا كتب بيده عهدا لهم ــ بعد استيلائه على حصن بابليون بحماية كنيستهم ، ولعن أي مسلم يخرجهم منها . وكتب أمانا للبطريق بنيامين ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه ثلاثة عشر عاما ، وأمر باستقباله بالحفاوة عندما جاء إلى الاسكندرية ، ولما لقى عمرا بها خطب أمامه وشكره واقترح عليه عدة أمور تحفظ الكنيسة ، فتقبلها عمرو ، وخوله السلطة التامة على الأقباط ، وعلى شؤون الكنيسة .

# عبد الرحمن بن عوف

## الأمين في الأرض والأمين في السماء

ما أشد وأقسى ما تعرضت له الدعوة الاسلامية في مبدأ أمرها ، فمع أنها دعوة إنسانية نزلت في زمن افتقد الانسانية ، وخلا من الرحمة ، وفرغ من الحق في المعاملة ، وندر فيه العدل والانصاف ، والأخذ بيد المظلوم والمغلوب على أمره ، ومع أن العقل يقول إنها نعمة لانقاذ البشرية من ضلالها ، وليس لها الا أن تلاقي بكل التأييد والترحيب ، فقد لاقت هذه الدعوة من المشركين أشد المقاومة أملا في وأدها وهي ما تزال في مهدها .

والتف حول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه رجال عمرت قلوبهم بالايمان الذي خلق منهم قوة صامدة صابرة ، ترد كل عدوان ، وتقف في مواجهة كل من يحاول النيل من هذه الدعوة .

ومن هؤلاء الرجال عبد الرحمن بن عوف ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد المهاجرين الى « الحبشة » ثم الى « المدينة » ، وأحد ثلاثة شهدوا على صلح « الحديبية » ، ووقفوا الى جانب

للاستاذ / محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته .

**نسبه ونشأته**

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى القرشي الزهري . ويكنى أبا محمد نسبة الى أكبر أبنائه محمد بن أم كلثوم بنت ربيعة بن عبد شمس ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إسلامه عبد الرحمن ، سماه الصادق البار ، لأن اسمه في الجاهلية كان عبد عمرو ، وقيل : عبد الكعبة .

ولد رضوان المولى تبارك وتعالى عليه بعد عام الفيل بعشر سنوات ، ونشأ في بيئة « مكة » التي كانت تمتلىء بحياة الجاهلية ، وعبادة الأوثان ، والغلو في الآثام ، والاستهتار بالفضيلة ، ولكنه على الرغم من ذلك شب عفيفا ، بعيدا عن المآثم التي كانت منتشرة في عهده ، فلم ينغمس في متع الحياة وملاذها ، وقد روى أنه حرم الخمر على نفسه قبل أن يبعث الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يقربها .

**أوصافه وأخلاقه**

كان رضوان الله عليه فارع القامة ، مضىء الوجه ، رقيق البشرة ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، أعرج وذلك من اثر اصابته في رجله في موقعة « أحد » ، كريما ، صادقا بارا ، رحيما ، ورعا تقيا ، زاهدا متقشفا مع ثرائه العريض ، متفقها في الدين ، بصيرا بالكتاب والسنة ، سباقا للخير ، مثاليا في كل شيء ، عرف بين الناس بحسن الخلق والصفات الحميدة ، ولقد بلغ من امانته أن ائتمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على آل بيته ، فكان بارا بهن رحيما عليهن ، يخرج بهن ، ويحج معهن ، وينزل بهن في الشعب الذي ليس له منفذ ، وقد روى أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قال : « إن الحافظ على أزواجي من بعدي هو الصادق البار » .

**إسلامه**

أسلم عبد الرحمن بن عوف من قبل أن يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزا للدعوة الى الاسلام سرا ، ومقرا يجتمع فيه المسلمون بعيدا عن أعين القرشيين .

ولقد جاء اسلامه في ليلة كان الظلام قد أسدل فيها ستاره على دروب

« مكة » وطرقاتها وبيوتها ، واجتمع الأصدقـاء في البيـوت يتسامـرون ويتبادلون الاحاديث يمضـون بهـا ساعات الليل ، وكان أصحاب أبي بكر يجتمعون في بيته ، ولـم يكن اجتماعهـم هذه المرة كالمرات السابقة ،
بل كان لأمر خطير وشأن جليل ، لقد فاجأهم أبو بكر بالخبر الذي دعاهم من أجله ، دعاهم الى الايمان بالدين الجديد الذي ظهـر بـ « مـكة » ، والذي يأمر بترك عبادة الأوثان التي ألفوهـا وتوارثوهـا عن آبائهـم وأجدادهم ، ونبذ ماهم فيه من شرك وضلال ، وعبادة اله واحد له الخلق والأمر ، وعندما سألوه عن حامل لواء الدعوة هذه ، أجابهم بأنه الصادق الأمين محمد بن عبدالله الـذي لم يجربوا عليه كذبا قط .

واستجاب أصحـاب أبـي بكر واعتنقوا الاسلام ، ودخلوا منذ تلك اللحظة في عهد جديـد ، لقـد رأت عيونهم النور بعد أن كانوا يعيشون في الظلام ، ودخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ، وصعدوا سلم المجد بعد أن كانوا في زوايا النسيان .

وعندما علمت أمه باسلامه حزنت حزنا شديدا وقالت : « والله لا يظلني سقف من الحر والبرد ، وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد ودين محمد ، وتعود الى دين آبائك وأجدادك » ولكنه لم يأبه لتهديدها ووعيدها واستمر في طريقه الـذي اتخذه لنفسه .

واستعد المسلمون لتحمل أعبـاء الرسالة والقيام بتبعاتها ، بعد أن أمضوا فترة التدريب على نشر الدعوة بدار الأرقم بن أبي الأرقم ، وأخذ الاسلام ينتشر ويكثر أتباعه ، حتى بلغ عددهم أربعين مسلما باسلام عمر ابن الخطاب ، ومنذ ذلك اليوم أخذوا يعلنـون اسلامهـم ويجهـرون بدعوتهم ، فازداد أذى « قريش » لهم وللرسول صلى الله عليـه وسلـم ، فصبروا واحتملوا ، وعبد الرحمن بن عوف يساعدهم ويؤازرهم .

ورأت « قريش » في هذه الدعوة الجديدة خطرا شديدا عليها ، لا سيما وأن الأصنام التي تحيط بالكعبة هي محج العرب ، ومنبع ثروة « مكة » ، فبدأوا في اضطهاد المسلمين أكثر من ذي قبل ، وخاصـة المستضعفـين والأرقاء لعدم وجود من يحميهم .

وضاقت « قريش » برسـول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ذرعا عندما رأتهم يزدادون كل يوم قوة ، لا يثنيهم الأذى عن ايمانهم والتضحية في سبيله ، فسولت لهـم نفوسهـم الضعيفة التي يستهويهـا زخـرف الحيـاة الدنيـا أن يتخلصـوا من الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق إغوائه بمتع الحياة الدنيا ، ظانين أن ذلك مما يرضى مطامـح الرسول الكريم ، فبعثوا اليه الرسل يعرضون عليه أمورا ، آملين أن يقبل بعضها فيعطوه أيهـا شاء ويـكف عنهم ، فعرضـوا عليـه الأمـوال الطائلة ، وأن يكون سيدا فيهم ، وأن يكون ملكا عليهم ، بيد أن المفاوضات لم تؤد الى نتيجة حاسمة ، فعادت

« قريش » الى سيرتها الأولى في اضطهاد المسلمين ونبيهم .

ولما رأى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن « قريشا » قد اشتدت في تعذيبها للمسلمين ، واتبعت في ذلك كافة الوسائل ، عز عليه أن يرى أصحابه يتعرضون للازدراء والسخرية حينا ، وللاضطهاد والقسوة في المعاملة حينا آخر ، فأذن لمن يشاء بالهجرة الى « الحبشة » ، بعد أن أصبحت « مكة » غير « مكة » القديمة ، التي كان يجد فيها الانسان الأمن والاستقرار والطمأنينة بين ربوعها ، بل لقد صارت تربة غير صالحة لغرس بذور الدعوة فيها ، فقال لهم حرصا على مصلحتهم ومصلحة الدعوة الاسلامية ومستقبلها : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما انتم فيه » .

واستجاب المسلمون لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، وهاجروا الى « الحبشة » على دفعتين ، مضحين بكل مرتخص وغال ، مفارقين وطنهم وأهلهم في سبيل عقيدتهم التي لها يحيون ، وبها يموتون ، وعليها يلقون المولى تبارك وتعالى وهو عنهم راض فينالون سعادة الدارين .

وكان الفوج الأول يتكون من خمسة عشر رجلا وامرأة ، وفي مقدمتهم عثمان بن عفان وزوجته السيدة رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن عوف الذي كانت هجرته هذه سببا في اصابة تجارته بالبوار ، وكان الفوج الثاني مكونا من ثمانين رجلا وامرأة .

ثم عاد عبد الرحمن بن عوف الى « مكة » مع من عاد اليها من المهاجرين ، وظل بها الى أن أذن المولى تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى « المدينة » فهاجر عبد الرحمن اليها .

## عبد الرحمن في المدينة

لقد أظهر الأنصار للمهاجرين من كرم الضيافة ما تقبله هؤلاء في أول الأمر مغتبطين ، فأنزلوهم منهم أحسن المنازل ، وكان الأنصاري يقول للمهاجر : هذا مالي فخذ منه ما شئت واترك لي منه ما شئت ، وهذه نخلاتي اختر منها ما شئت واترك منها ما شئت ، وهذه زوجاتي اختر منهن من شئت أطلقها فتتزوجها واترك منهن من شئت ، فكانت هذه أرقى وأعظم أنواع التضحية والحب والاخاء .

وكانت سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد ، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم ، فربط بينهم برباط قوي متين ، وذلك انه عقد بين الأنصار والمهاجرين تلك الأخوة النادرة المثال ، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى

بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وكان عبد الرحمن لا يملك في « المدينة » ما يقتات به ، فعرض عليه سعد أن يقتسم ماله بينهما ، ولكن نفس عبد الرحمن الأبية دفعته الى رفض ما عرضه عليه سعد ، فهو يعلم تمام العلم أن خير الناس من يأكل من عمل يده ولا يكون عالة على الناس أعطوه أو منعوه ، فقال لسعد « دلوني على السوق » وابتدأ يدخل ميدان التجارة من جديد ، فأخذ يبيع الزبد والجبن ، واستطاع بما له من مهارة في التجارة ، وحسن معاملته وأمانته في بيعه وشرائه أن يصل الى الثروة في زمن قصير ، وتزوج باحدى نساء « المدينة » ، وظل في تجارته حتى أصبح يملك القوافل التجارية التي تذهب وتجيء .

ولقد كان عبد الرحمن محظوظا في التجارة الى الحد الذي أثار دهشته وعجبه ، فقال : « لقد رأيتني لو رفعت حجرا لوجدت تحته فضة وذهبا » .

ولم تكن التجارة عنده شرها ولا احتكارا ، ولم تكن حرصا على جمع المال ولا شغفا بالثراء ، بل كانت عملا وواجبا يزيدهما النجاح قربا من النفس ومزيدا من السعي ، فطبيعته الجياشة تجد راحتها في العمل الشريف الحلال ، البعيد كل البعد عن الحرام أو ما فيه شبهة .

ولقد اشترك عبد الرحمن في جميع غزوات المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فشهد المشاهد كلها ، وأصيب في غزوة « أحد » بواحد وعشرين جرحا ، من بينها اصابة كانت في رجله تركت به عاهة مستديمة وهي العرج ، وظل أثر العرج في قدمه الى أن لقى المولى تبارك وتعالى .

## عبد الرحمن وعمر

وعندما آلت الخلافة الى عمر بن الخطاب قدر عبد الرحمن بن عوف حق قدره ، لما عرفه من أمانته واخلاصه وحسن بلائه في الجهاد ، فاستخلفه على الحج في السنة التي ولى فيها الخلافة ، واذا عرفنا أن عمر بن الخطاب كان من أشد الخلفاء محافظة على الدين ، وأكثرهم توفيقا في اختيار الرجال ، عرفنا أن اختياره لعبد الرحمن كان يرجع الى ما تحلى به من الفضائل الكريمة والأخلاق القويمة .

وكما كان عبد الرحمن بن عوف في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجأ اليه في الملمات كان مستشار الدولة في عهد الراشدين ، فعندما مرض أبو بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه – مرض الموت كان أكبر همه هو التفكير في مصالح المسلمين ، ومن يكون خليفة عليهم من بعده ، فاستدعى كبار الصحابة وعرض عليهم الأمر ، فتشاوروا ، ولكنهم لم يتفقوا على أحد ، ففوضوا له الأمر في اختيار من يشاء ، فأخذ يستشير الناس ، وكان في مقدمة من استشارهم عبد الرحمن بن عوف .

وكان عبد الرحمن قد أشار على عمر بن الخطاب بتولية سعد بن ابي وقاص قيادة الجيش الذي يريد أن

يوجهه الى « العراق » فأخذ عمر بمشورته ، وكان عمر قد خرج على رأس الجيش بعد ان استخلف علي بن ابي طالب على « المدينة » فلما كان بينه وبين « المدينة » ثلاثة أميال وهو متجه الى « العراق » قال له عبد الرحمن : « اذا كنت ترى القعود عجزا فاجعل عجزها بي وأقم وابعث جندا ، فانه ان يهزم جيشك ليس كهزيمتك ، فأعجب عمر بكلام عبد الرحمن ونفذ ما اشار به .

وخرج عمر يوما مع بعض أصحابه قاصدا « الشام » وبالقرب من « تبوك » لقيه أبو عبيدة بن الجراح في جماعة ممن معه ، فأخبروه بانتشار وباء الطاعون بـ « الشام » فأراد عمر الرجوع الى « المدينة » فأيده البعض وعارضه البعض ، ولما جاء عبد الرحمن بن عوف واستشاروه في هذا الأمر جاء رأيه موافقا لرأي عمر وهو الرأي السديد ، وروى لهم حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في هذا الشأن ، وهو : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع وانتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » رواه احمد والنسائي .. وهذا هو المتبع في الحجر الصحي في عصرنا الحاضر .

وعلى لسان عبد الرحمن جاءت الاجابة الصحيحة التي فيها حل لشكلة المجوس ، عندما سأل عمر الصحابة في كيفية معاملتهم ، فقال عبد الرحمن : « أشهد على رسول الله أنه قال : سنوا بهم سنة أهل الكتاب » رواه مالك في الموطأ .. فنفذ فيهم عمر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الرحمن وأخذ منهم الجزية .

وكان عبد الرحمن أقرب الناس الى عمر ، فكان يطلب رأيه ويقبل ما يشير به وينفذه ، وذلك لشدة اخلاصه وسداد رأيه ، حتى لقد بلغ بالناس الأمر أنه اذا كانت لهم حاجة عند عمر طلبوا من عبد الرحمن أن يكلمه في شأنها .

وعبد الرحمن هو الذي أشار على عمر بجعل حد الخمر ثمانين جلدة ، وكان يصحب عمر ليلا في حراسة الأعراب النازلين بضاحية « المدينة » وفي تفقد أحوال الرعية ، وعينه حارسا على كنوز « فارس » التي وضعت في المسجد ، واستخلفه في الصلاة بالناس حين طعن وهو يصلي الفجر بالمسجد ، وجعله أحد الستة الذين فوض اليهم أمر اختيار الخليفة من بعده ، وهم الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وهم : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، على أن يبدي عبد الله رأيه وليس له أن يرشح نفسه للخلافة ، وكان عبد الرحمن بن عوف يختلي بكل منهم على حدة ويسأله عن رأيه ، وبعد مفاوضات ومشاورات استقر الرأي على اختيار عثمان بن عفان خليفة للمسلمين ، وعقب ذلك انصرف عبد الرحمن الى شؤونه الخاصة ، ولم يشترك في الأحداث السياسية التي

وقعت في عهد عثمان ابن عفان .

وهكذا عاش عبد الرحمن بن عوف يمثل التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة ، ويأخذ المواقف السليمة بعيدا عن الهوى وتأثير النفس ، ومن هنا لم يدخل في صراعات سياسية ، وعندما كانت الأمور تشتد كان يخرج نفسه من دائرة الصراع ، ثم ينظر للأمور بعد ذلك نظرة موضوعية ، وبسلوكه هذا عاش محبوبا من الجميع .

## منزلته وفضله

لقد استطاع عبد الرحمن بن عوف أن يفوز بثقة ورضا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، حتى أنه عليه الصلاة والسلام صلى خلفه وهو في أحد سفراته ركعة من صلاة الصبح ، وولاه إمارة الحملة التي أرسلها الى « دومة الجندل » وودعه بنفسه وعممه بعمامة سوداء ، وأرخى بين كتفيه منها ، ثم قال له : « هكذا فاعتم يابن عوف » .

وعندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهز جيش العسرة استعدادا لغزوة « تبوك » كان لدى عبد الرحمن ثمانية آلاف دينار ، فتبرع بأربعة آلاف منها لتجهيز الجيش ، فنزل فيه وفي عثمان بن عفان ، وفي الذين بذلوا أموالهم مرضاة لله عز وجل : ( **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) ـ ٢٦١ و ٢٦٢ / البقرة ـ وتحقق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مانقص مال من صدقة » البخاري ، وقد بارك المولى تبارك وتعالى له في ماله وتجارته .

ثم استمر عطاؤه من أجل تدعيم الدعوة الاسلامية ، ومن أجل الفقراء بصفة خاصة ، ومما يروى في هذا الشأن أن السيدة عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ سألت عن ضجة شغلت « المدينة » فقيل لها : إنها قافلة لعبد الرحمن بن عوف تحمل من كل شيء . فقالت : « أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » .. ونقل بعض أصحابه مقالة السيدة عائشة اليه ، فتذكر أنه قد سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحديث أكثر من مرة ، وبأكثر من صيغة ، فقال : « إني لأرجو أن أدخلها قائما » ، وجعل القافلة وعددها سبعمائة بعير بما عليها هبة للمسلمين .

وقد كان يحب أن يرى نعم الله عز وجل سابغة عليه ، فكان يلبس الحلة بخمسمائة درهم ، وتزوج أنصارية بمهر قدره ثلاثون ألفا .

ولقد شغلت قضية التجارة والعبادة عددا من علماء المسلمين ، من بينهم الذهبي صاحب كتاب « سير أعلام النبلاء » ، وقد أورد في

كتابه قول أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ والذي جاء فيه أنه لما جاء الاسلام جمعت بين التجارة والعبادة فلم يجتمعا ، فتركت التجارة ولزمت العبادة ، فقال الذهبي : « الأفضل جمع الأمرين ، وهذا الذي قاله ـ يعني أبا الدرداء ـ هو طريقة السلف والصوفية ، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك ، فبعضهم يقوى على الجمع كالصديق ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكما كان ابن المبارك ، وبعضهم يعجز ويقتصر على العبادة ، وبعضهم يقوى في بدايته ثم يعجز وبالعكس ، ولكن لا بد من النضهة بحقوق الزوجة والعيال » .

وقد كان عبد الرحمن بن عوف يخاف المولى تبارك وتعالى رغم جوده وكثرة إنفاقه ، ويخشى من أن يكون قد عجل له ثواب عمله في الحياة الدنيا .

دخل ذات يوم منزله فاغتسل ثم خرج فجلس مع ضيوفه ، وأتوا بصحفة فيها خبز ولحم ، فجعل يبكي ، فلما سئل عن سبب بكائه قال : « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا » .

وكان يوما صائما فأتي بطعام فامتنع عن تناوله ، وقال : « قتل مصعب بن عمير وهو خير مني ، فكفن في بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه وإن غطيت رجلاه بدا رأسه ، وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن به ، ثم أعطينا من الدنيا ما أعطينا ، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا ، ثم أخذ يبكي وترك الطعام » .

### وفاته

وفي العام الثاني والثلاثين من الهجرة كان عبد الرحمن بن عوف قد بلغ الخامسة والسبعين من عمره ، فاختاره المولى تبارك وتعالى الى جواره ، ولقد أرادت السيدة عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن تخصه بشرف لم تخص به سواه ، فعرضت عليه وهو يجود بأنفاسه الأخيرة أن يدفن في حجرتها الى جوار المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وأبي بكر وعمر ، فاستحى أن ترتفع نفسه إلى هذا الجوار ، ولم ينس وهو في لحظاته الأخيرة موعده وعهده مع عثمان بن مظعون ، حيث تواثقا ذات يوم : من يموت بعد الآخر يدفن بجوار صاحبه . وابن مظعون دفن بـ « البقيع » وهو يود أن يدفن الى جواره .

هذا هو عبد الرحمن بن عوف الذي قهر طبائع البشر وتخطاها الى سمو فريد .

هذا هو عبد الرحمن بن عوف أحد الشخصيات العظيمة التي تجل عن الوصف ، ولا يكاد يحصرها العد ، ممن رفعوا لواء الحق والعدل ، وحملوا مشعل النور والهداية للعالمين .

فهل لنا في سيرة هذا الصحابي الجليل مثل نحتذيه ونقتدى به ..؟؟

# الأمومة

مؤذن

قالوا : الأمومةُ ، قلنا : نبعُ تحنان
سرُّ الحياةِ ، وذوبُ الخافق الحاني

خص الإلهُ به حواءَ مكرمةً
تُعطِي الوجود حياةً ، رَغم نُكران

اسمٌ تقدس في الأديان قاطبةً
وتحت أقدامها ، جناتُ رضوان

لولاكِ يا أمنا ضاعت معالمنا
بل مات آدم منبوذا بأكوان

الطفل يا أمُّ بعضٌ منكِ جسده
رب الوجود كمالا بعد نقصان

أمشاجُه مضغةٌ من نطفة علقت
أضحت عظاما كساها لحمُ إنسان

دبت به الروح نشوى ، جل بارئها
قد صورته يد الباري بإتقان

حمّلْتِه زمنا وهْنًا على وَهَن
ينمو وئيدا ، ويُسْقي نبضَ شريان

أغفى هنيئا قريرَ العين حركه
دفءُ الأمومة في رفق وإحسان

للشاعر : محمود عبد الغفار دياب

تُحصِي الليالي أرتقابَ الطفل ساهرةً
ملهوفة الصبر من خوف وحرمان
جاء المخاض فخاضت هول تجربة
قد تبذل الروح فيها رغم حسبان
عناية الله مَدت ظلَّ رحمتها
فأنقذتها ، وجاء الغائب الداني
مَد الطبيبُ يد البشري بفلذتها
وزف للأهل أفراحا كَألْحَاني
هَدْهَدْتِه زمنا في المهد صابرة
وكم سهرت بلا نوم لأجفان
وكم بَكِيتِ وعينُ الموت ترقبني
وكم تَعبْتِ لإسعادي وأشجاني
وكم مهدت دروبْ الشوك من قدمي
وكم رويت بدمع العين بستاني
وكم صبرت على جهلي بلا ملل
وكم سقيت فؤادي حب أوطاني
وكم شكوتُ لك الدنيا وقسوتها
يا بلسم الروح ، كم خففتِ أحزاني
أوْصَى بك الله خيرا رسل رحمته
والمؤمنين ، وأبناءَ الورى الفاني
من بر أما جزاه الله جنته
ومن أساء له زجر بنيران
عمري فداكِ ، ومنك الصفح أطلبه
إذا أسأتُ لروحي قبل عرفاني
لو كان يُعبد بعد الله من بشر
لكنتِ أنتِ صلاتي بعد إيماني

# حكم الله في كتاب الله

● للشريعة الاسلامية مصادر وأدلة يتوصل بالنظر الصحيح فيها إلى إدراك الأحكـــام الشرعية . والقرآن الكـــريم هو المصدر الأول للتشريع الاسلامي ، وهو كلام الله ـ تبارك وتعالى ـ المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا نقلا متواترا ليكون للناس دستورا يسيرون عليه في عقائدهم وأخلاقهم وقوانينهم وقربة يتعبدون بتلاوته ، وهو أصل الشريعة وعمدة الملة وآية الرسالة ، وضياء العقول ، وربيع القلوب ، ونور البصائر ، وهو الذي جمع أسباب السعادة كلها في الدنيا والآخرة .

● وقد اتفقت كلمة العلماء على أن القرآن الكريم هو الدليل الأول على الأحكام بل ذهب بعضهم إلى أنه هو الأصل الجامع الذي لا دليل سواه ، وأن سائر الأدلة من سنة وإجماع وقياس بيان له وتفريع عنه وراجع إليه فمتى وجد فيه الحكم الذي يبحث عنه فلا يسوغ للباحث ولا للمجتهد أن يبحث عنه في مصدر أو دليل آخر ، وإذا وجد صريح الحكـــم في غيره كالسنة أو استنبط بالقياس أو استند إلى المصالح المرسلة فالقرآن دال عليه بمبادئه العامة وقواعده الكلية وروحه العام في التشريع .

ومن الواجب علينا أن نرجع في تشريعنا واستقاء أحكامنا إليه لأنه كلام الله الذي تجب طاعته وتنفيذ أحكامه ( **فان تنازعتم في شئ فردوه**

إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ) النساء/٥٩ ، واقرأوا قول الله تعالى في سورة آل عمران آية/١٠٣ ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ) وقوله في سورة النساء آية/١٤ ( ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ) وقوله في سورة المائدة/٤٨ ( وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ) إلى أن قال عز وجل : ( وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فأعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ) المائدة/٤٩ ، ٥٠ ثم اتلوا قوله عز وجل في سورة الأنعام : ( أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ) الأنعام/١١٤ وقوله في السورة نفسها : ( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ) الأنعام/١٥٣ وقوله : ( وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ) الأنعام/١٥٥ ثم انظروا الى قوله جل شأنه في أول سورة الأعراف : ( المص . كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ) الأعراف/١ ــ ٣ ، إذا تلوتم هذه الآيات وما يشبهها وتدبرتم معانيها فلا شك أنكم تجدونها قد تضافرت على إيجاب اتباع القرآن وتنفيذ ما جاء به من وصايا وأحكام تشريعية وأننا إن لم نفعل كنا ممن يحارب الله ويحاده ويخالفه فيما شرعه لتحقيق مصالحنا وتوفير سعادتنا ودرء المفاسد عنا ، وحينئذ يصدق فينا قوله تعالى في سورة المائدة : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) المائدة/٤٤ ، وقوله في ختام الآية التالية : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ) المائدة/٤٥ ، وقوله عز وجل بعد : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ) المائدة/٤٧ وقوله جل شأنه في سورة المجادلة : ( إن الذين يحادون الله ورسوله

**كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين )** المجادلة/٥ ، وفي مجال عاقبة الحكم بغير ما أنزل الله نقرأ قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « خمس بخمس : ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » رواه الطبراني .

● ولقد اشتمل القرآن الكريم على كل ما تحتاج إليه الأمم في جميع العصور مما يكفل لها حياة الأمن والعزة والتمتع بأسباب العدل والمساواة ومقومات السعادة الروحية والجسمانية والمعنوية والحسية في حد وسط مجاف للافراط بعيد عن التفريط ، وهذا هو اللائق بشريعة خالدة ختم بصاحبها ــ عليه الصلاة والسلام ــ عهد النبوات ، وجاء دينه أتم الأديان وأكملها وأوفاها بحاجات البشر .

● وآيات الأحكام ــ كما يسميها الفقهاء والمفسرون ــ ليست كثيرة في القرآن ، إذ فيه نحو ستة آلاف آية ليس فيها من الأحكام العملية من دينية ومدنية وقضائية وسياسية ما يبلغ عشر آياته ، ورأى بعضهم أنها لا تزيد على مائتين ، وعدها بعضهم خمسمائة ، عرض القرآن فيها لما شرعه ، ولأهمية آيات الأحكام وجدنا كثيرا من العلماء يعني بشرحها وبيان ما استنبطه المجتهدون منها ، ونلمس هذه العناية في بعض كتب التفسير المطولة كالتفسير الكبير للامام فخر الدين الرازي ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، وروح المعاني للألوسى .

● ونأتي الآن إلى بيان أنواع الأحكام التي اشتمل عليها القرآن :

١ ــ العبادات التي لا تصح إلا بالنية ، وهى التي شرعت لتنظيم رابطة الانسان بخالقه ، وهذه العبادات أقسام : **عبادة بدنية روحية** من صلاة وصوم ، **وعبادة مالية اجتماعية** وهى الزكاة وسائر أنواع الصدقات ، **وعبادة روحية بدنية مالية** كالحج والجهاد والوفاء بالنذور .

٢ ــ المعاملات التي شرعت أحكامها لتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض ، وإقامة الروابط بين أفراد الأمة وجماعتها على أساس العدل والرحمة والتعاون والمحبة ودفع أسباب الضر والعدوان واجتلاب النفع والخير ، ويدخل في ذلك المعاملات المدنية من بيع وإجارة ورهن ، كما يندرج تحتها ما يعرف في اصطلاح ذلك العصر بالأحوال الشخصية وهو ما يختص بالانسان من حين ولادته إلى حين وفاته وقسمة تركته بين ورثته : من زواج وطلاق وعدة وثبوت نسب ، ورضاع ونفقة ووصية وإرث .

٣ ــ العقوبات التي شرعت لحفظ حياة الناس وأعراضهم وأموالهم ــ من أجل ما يرتكب من الجرائم ــ

وهى عقوبات القتل والسرقة وقطع الطريق والزنا والقذف ، وهى المعروفة بالقصاص والحدود .

٤ ـ أحكام وضعت لتحديد علاقة الأمة بالحكومة وبيان حقوق الوالي على الرعية ، وحقوق الرعية على الوالي ، وهى أحكام الشورى والمساواة والعدل وطاعة أولى الأمر فيما تجب فيه الطاعة وهى المعروفة الآن بالأحكام الدستورية .

٥ ـ أحكام شرعت للجهاد ونظام الحرب والقتال وتنظيم علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم ، وما يتبع ذلك من حكم الأسرى والفيء والغنائم وهى قريبة الشبه بما يعرف الآن بالقانون الدولي .

● ولكن ترى هل فصل القرآن ما اشتمل عليه من أحكام أم أجملها ؟ أم فصل بعضها وأجمل البعض ؟

إن المتتبع لما جاء في القرآن الكريم من أحكام يجد أنها لا تتجاوز أربعة أقسام .

١ ـ القسم الأول : هو التشريع المجمل الذي لم يبين من أحواله وصفاته إلا القليل ، ومن أمثلة ذلك معظم العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وطريقة القرآن فيها هى بيان أصولها ومجامعها وتكرار التذكير بها .

والصلاة هى أكثر ما يحث القرآن عليه من العبادات ، لأنها العبادة الروحية العليا والاجتماعية المثلى ، يقول الله تعالى : **( اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون )** العنكبوت/٤٥ ، وقد ذكر الزكاة ، قال تعالى : **( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها )** التوبة/١٠٣ . وفي الصوم يقول سبحانه وتعالى : **( يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون )** البقرة/١٨٣ . وجعل سبحانه الحج عبادة مفروضة في العمر مرة واحدة ، واقرأ قول الله تعالى : **( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا )** آل عمران/٩٧ .

وإذا تتبعنا كل ما جاء من آيات عن العبادات وجدنا أن معظم عبادات الاسلام قد اقتصر القرآن على الحث عليها والاشارة إلى بعض أعمالها وأسرارها ومنافعها ، وكم لها من منافع روحية واجتماعية وصحية ، ولم يذكر من بيان أحوالها وصفة أعمالها إلا القليل ، لأن ذلك يؤخذ من بيان الرسول ويحفظ بالعمل ويفهم بالاقتداء ، وليس في ذكره تزكية للنفس ولا تغذية للايمان .

ـ ومن أمثلة التشريع المجمل في القرآن أيضا المعاملات المدنية وهى العقود التي يتبادل الناس بها منافعهم ، لقد عرض لها القرآن بطريقة إجمالية وقواعد كلية ، وترك تفصيلها للسنة وللمجتهدين من الأمة وذلك فيما عدا كتابة الدين المؤجل انظر في آيات القرآن الكريم تجد أن الله تعالى أمر أمرا عاما بالوفاء بالعقود ، وأنه جلت حكمته قد أباح التجارة ونهى عن أكل أموال الناس

بالباطل .. كما عرض القرآن بصفة عامة للبيع والربا فأحل الأول وحرم الثاني .

٢ ـ القسم الثاني : هو التشريع المبين بعض البيان ، وقد فصلت بعض أحواله تفصيلا ، وترك الباقي للسنة واجتهاد العلماء وأولى الأمر ، ومن أمثلة ذلك الأحكام التي شرعت للجهاد ونظام الحرب والقتال وتنظيم علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم .

اقرأ في هذا قول الله تعالى : **( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير )** الحج/٣٩ . وقوله تعالى : **( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )** الممتحنة/٨ ، ٩ .

ـ ومن أمثلة هذا القسم أيضا ما شرعه الله تعالى لحفظ الأموال عامة وأموال الأيتام خاصة ونهينا عن إيتاء السفهاء والصغار الذين لم يرشدوا أموالهم .

٣ ـ القسم الثالث : وهو نوع من التشريع قد فصل تفصيلا لم يترك منه إلا قليل لبيان السنة واجتهاد المجتهدين لأنه متصل بأحكام ينبنى عليها درء المفاسد والآثام عن العباد وتحقيق مصالحهم العظمى وتكوين الأمة أفرادا وجماعات بحيث تتوافر لهم أسباب العزة والطمأنينة والأمن والتعاون والقوة ، فليس من شأنها التطور ولا الاختلاف باختلاف الزمن والأمم وذلك كما في الأحكام الآتية :

**أولا :** ـ العقوبات الدنيوية المعروفة بالقصاص والحدود وهي عقوبات فرضت على أشد الجرائم فتكا بالأفراد والجماعات وحسبك أنها إزهاق الروح أو التعدى على العرض والمال . وما عداها من الجرائم التي هى أقل شأنا فلم يشأ القرآن أن يقيد أمة الاسلام بجزاء معين أو عقوبة خاصة بل ترك ذلك لأولى الأمر والمجتهدين يقضون فيه على حسب الأحوال والأزمان وهو ما يعرف بالتعزير في الشريعة الاسلامية .

وهذه هى الجرائم التي بين القرآن الكريم أحكامها :

أ ـ القتل العمد وجزاؤه القصاص إلا أن يعفو ولى الدم أو يرضى بأخذ الدية ، يقول تعالى في سورة البقرة : **( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى )** البقرة/١٧٨ .. ويقول في سورة الاسراء : **( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا )** الأسراء/٣٣ . اما القتل الخطأ فقد بين حكمه في سورة النساء : **( ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا )** النساء/٩٢ .

ب ـ السرقة : وقد بين الله جزاءها في سورة المائدة ، قال تعالى :

**( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم )** المائدة/٣٨ ، ٣٩ .

جـ ــ الحرابة وقطع الطريق : فرض الله جزاءه في سورة المائدة قال : **( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض .. )** المائدة/٣٣ .

د ــ الزنى : وجزاؤه ــ كما بينه القرآن ــ جلد الزانى مائة جلدة بدون تفصيل ، ولكن السنة وردت برجم الزانى إذا كان محصنا .

هـ ــ قذف المحصنات بالزنى : فرض القرآن على القاذف ثمانين جلدة غير أن القرآن جعل للأزواج إذا رموا زوجاتهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم نظاما خاصا هو الذي يعرف باللعان . اقرأ سورة « النور » . أما الخمر فلم ينص القرآن إلا على تحريمها وأنها رجس ، وقد قسمت المعاصى **ثلاثة أنواع :** نوع فيه الحد ولا كفارة فيه كالسرقة والزنى والقذف ، ونوع فيه الكفارة ولا حد فيه كقربان الصائم زوجته في نهار رمضان ، ونوع لا حد فيه ولا كفارة وإنما فيه التعزير كقبلة الأجنبية . والخلوة بها ونحو ذلك .

**ثانيا :** التداين وما شرعه الله للاستيثاق في العقود والحقوق والأموال . فقد أرشدنا في آية المداينة إلى وسائل هذا الاستيثاق من الكتابة والاستشهاد وأخذ الرهان ، وليس وراءها غاية لمن يطلب الحذر ويتحرى الضمان وكفالة الحقوق في المعاملات . اقرأ قوله تعالى في سورة البقرة : **( يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه )** البقرة/٢٨٢ .

**ثالثا :** الحلال والحرام من الطعام : فصل القرآن ذلك تفصيلا في عدة آيات ، يقول تعالى في سورة البقرة : **( يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم )** البقرة/١٧٢ ، ويقول في سورة المائدة/٣ **( حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به )** وحرم القرآن من الشراب الخمر . اقرأ سورة « المائدة » .

**رابعا :** الأيمان : بين القرآن أنواع اليمين ، وما تجب فيه الكفارة منها . يقول تعالى في سورة البقرة : **( ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم )** البقرة/ ٢٢٤ .

**خامسا :** الزواج : عنى القرآن بالأسرة أعظم عناية وأقامها على دعائم من المودة والرحمة والعدل والاحسان حيث رغب القرآن في الزواج وحث عليه . اقرأ سورة « النور » ، وبين القرآن المحللات والمحرمات من النساء لقرابة أو رضاع أو مصاهرة . اقرأ سورة « النساء » . وقد أحل نساء أهل الكتاب . اقرأ « المائدة » وحرم زواج المسلم بالمشركة والمسلمة بغير المسلم . اقرأ « البقرة » .

**سادسا :** الطلاق : شرع القرآن نظام الطلاق والفرقة بين الزوجين كما شرع نظام الوحدة والاجتماع بينهما ، لكنه لم يشرعه عبثا ولم يبحه إذا كان فيه بغي وظلم أو وقع بغير سبب يستوجبه أو مصلحة تقتضيه ، ونصوص الكتاب الكريم وقواعده العامة التي تحرم الظلم وتمنع الأذى والضر من أقوى الدلائل على ذلك . اقرأ في هذا سورة « النساء والبقرة » .

**سابعا :** العدة : مما شرعه القرآن عند حصول الفرقة بين الزوجين أن تعتد المرأة ، وإنما تجب العدة إذا وقعت الفرقة بعد الدخول إلا إذا كانت بسبب الوفاة فانها تجب مطلقا وإن كانت قبل الدخول . اقرأ « البقرة » .

**ثامنا :** نظام التوريث : شرع القرآن للأرث نظاما عادلا محكما حرم به كثيرا من ضروب الظلم التي كانت شائعة في العرب وغيرهم من الأمم . اقرأ سورة « النساء » .

**تاسعا :** ما شرعه القرآن للمرأة عند خروجها مما يصونها ويبعد عنها الريبة « اقرأ الأحزاب » .

**عاشرا :** أخذ القرآن المؤمنين بالآداب العالية التي تحفظ للمرأة مكانتها وتجعلها بنجوة من تلاعب الرجال . اقرأ في سورة « النور » : **( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم )** النور/ ٣٠ .

٤ ــ القسم الرابع : وفي هذا القسم ترى القرآن الكريم وهو ذلك الكتاب الخالد الباقي على وجه الدهر والذي جعل دستورا للمسلمين ما بقيت السماء والأرض يذكر مقاصد كلية ويرشد إلى قواعد عامة تشريعية ليرجع إليها العلماء وأولو الأمر والمجتهدون فيستخلصوا منها أحكامهم ويستنبطوا منها آراءهم فيما لا نص فيه أو ما ليس له حكم صريح في كتاب الله ولا في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام وذلك لأن الحوادث والوقائع الجزئية والنوازل الملمة لا يمكن حصرها لتجددها وعدم انقطاعها وحدوثها في كل عصر ، ولأنها قد تختلف أحكامها باختلاف البيئات والأمم ، فكان من عدل هذه الشريعة ورحمة الله أن تركها لمجتهدي هذه الأمة يبحثونها مستهدين بتلك الأصول القرآنية ومستلهمين تلك الروح التشريعية التي تجلت في كتاب الله وسنة رسوله . وأهم المبادئ والمقاصد التي وضعها القرآن والسنة لوجوب مراعاتها في التشريع والفتيا ووضع الأحكام يرجع إلى القواعد الآتية : تحرى الحق الشامل والعدل المطلق ، ــ المساواة في الحقوق والواجبات ، ــ إرادة اليسر ، ــ حفظ المصالح ودرء المفاسد ، ــ مراعاة العرف بشرطه ، ــ لا ضرر ولا ضرار ، ــ الضرورات تبيح المحظورات ، ــ الضرورة تقدر بقدرها ، ــ الحدود تدرأ بالشبهات ، ــ دوران المعاملات على مراعاة الفضائل واجتناب الرذائل ، وهذه القواعد العامة إن دلت على شئ فانما تدل على أن حكم الله صالح لكل زمان ومكان .

# مؤتمر الشياطين

## بعد نزول القرآن الكريم ونشر النبي محمد لنوره بين العالمين

للاستاذ محمد علم الدين

جن جنون الشيطان منذ أن نزل القرآن ، فدعا إبليس جميع الشياطين الى اجتماع عاجل مفاجىء على غاية من الأهمية ، وقد سبقهم الى مكان الاجتماع وهو هائج مائج ، لا يستقر على حال ، يدب ذات اليمين وذات الشمال ، ينادي بالويل والثبور ، وعظائم الأمور يحثو التراب على رأسه ويلطم خديه بيديه ، في منظر لم يألفه الشياطين من قبل ، ولما اكتمل جمعهم بدأ يقول : الويل لي ولكم ، الطامة الكبرى حلت بى وبكم ، وإن مملكتنا توشك على الأفول والزوال .

قد كان ما قد خفت ان يكونا    إنا إلى الاله راجعونا

**بعض الشياطين :** ماذا بك ؟ أمات أحد اولادك ؟

**إبليس :** يا ليت عشرة بل مائة من اخبث ابنائي قد ماتوا ، وما حصل ما حصل .

إذا جاء موسى وألقى العصا    فقد بطل السحر والساحر

**بعض الشياطين :** ما لك تبهم في الكلام .، أين موسى وقد مضى عهده ، وأين العصا ؟

**إبليس :** أيها البلهاء .. موسى هذا العهد هو النبي العربي محمد الأمين ، والعصا هي القرآن الكريم ، وكما أبطلت عصا موسى سحر السحرة ، فان القرآن سيبطل مكرنا وكيدنا ، ويفضح أسلحتنا وأساليبنا ، إنه يوقظ العقل ، ومتى استيقظ هذا العقل الجبار فان كل ما بنيناه في قرون في ساعات سينهار .

**بعض الشياطين :** لقد نزلت من قبله كتب سماوية ، فما نالت منا الا قليلا ، ولقد استطعنا أن نبعد بني آدم عنها ، حتى جاء اليهود فسبقونا وبدلوا كلام الله ..

**إبليس :** ذاك عهد مضى ، أما القرآن فقد ضمنه الله وأنزل فيه : **( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )** الحجر / ٩ وانا اعلم جيدا وعد الله ، ولا أمل في تبديل حرف من كلمات الله ، إن هذا القرآن يبدد كل تلبيس ، وفي هذا خراب مملكة إبليس ، وسأوضح لكم بعض خطوطه الرئيسية لتأخذوا الأمر بالجد وتضاعفوا الجهد ، واعلموا أن استخلاص واحد من المسلمين أشق من استهواء الألوف والملايين من غيرهم .

١ ـ لقد كشف من عداوتنا لأبي البشر آدم منذ أن كان في الجنة ، وأننا كشفنا عورة بدنه ، وعورة أخلاقه بعصيانه لربه ، ثم ستر الله جسده وجسد ذريته بالملابس وستر أخلاقهم بملابس التقوى وفهمهم ذلك في آيات من سورة الأعراف حيث يقول :

**( يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون )** الأعراف / ٢٦ و ٢٧

**احد الشياطين :** كيف تكون التقوى لباسا ؟

**إبليس :** ان التقوى والخوف من الله ، ومراقبة الله ، تحول بين المرء ، وبين الكفر والفسوق والعصيان ، وتجعله دائم الصلة بالرحمن ، فالتقوى أحسن لباس للاخلاق تستر عيوبها وتظهر محاسنها .

**إبليس ثانيا :** وإن أشد ما يغيظني أن القرآن يوقظ العقول التي حشوناها بالجهل والأوهام ويأمر المسلمين بالمحافظة على عقولهم ، ويحرم عليهم الخمر والمخدرات ، وكل ما يؤذي العقل ، مما زيناه لبني آدم .

كما يأمرهم بأن تتجمع عقولهم بالشورى ، ومتى اجتمعت عقولهم ، لم يبق لنا منفذ اليهم .

٢ ـ ولقد أوضح لهم أننا نوسوس لهم ، لنفسد علاقتهم بربهم فينكروه أو يشركوا به أو يتخذوا له وسطاء وشفعاء وكل هذا كفر لا يرضى به الله ونحن الذين نرضاه ونزينه للناس .

٣ ـ وأوضح لهم بأننا نجعلهم أعداء المجتمع ، عندما نحرضهم على العدوان ، على الأنفس والأعراض والأموال ، واننا نزين لهم الشهوات ، وبخاصة التملك من الحرام وشهوة الجنس في الحرام ، وقد بين الله لهم الحلال والحرام ، بكلام لا لبس فيه ولا إبهام وطلب منهم الاكتفاء بالحلال ووعدهم إن فعلوا بالثواب الكبير وقال لهم : **( إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب )** الزمر / ١٠ .

٤ ـ ولقد اكثر من ذكر الشيطان وذرية الشيطان واعوان الشيطان في كل مكان من

القرآن حتى لم يبق مسلم لا يعرف أن أعداءه هم الشياطين واليهود ، وكما قال : ( **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** ) فاطر /٦ وقال : ( **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا** )البقرة / ٢٦٨ .
وقال : ( **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ) المائدة / ٩١ .
وقال : ( **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ) المائدة / ٨٢ .
٥ ــ ولقد جرأهم علينا عندما افهمهم ان كيدنا ضعيف ، وان الحق اقوى منا ، وان احدهم ليستطيع ان يصرفنا بكلمة يقولها : ( **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** )
٦ ــ وعرفهم كيف يرتبطون بربهم باستمرار بالصلاة والدعاء ، حتى لا ننفذ اليهم .
٧ ــ ولست ادري كيف سنواصل مهمتنا ، وما نفسده ، يصلحه الاسلام وما نهدمه يبنيه الاسلام .
أحد أعوان إبليس ــ هل جربت تأثير القرآن في المسلمين ؟
**إبليس :** لقد أتيت لهم عن يمينهم وشمالهم ، ومن امامهم وخلفهم ، فما سمعوا لوساوسي بل كانوا يبرزون لي الآيات تلو الآيات ، وكل آية كالمصباح يضيء الظلام :

أ ــ إذا زينت لأحدهم المال الحرام بالسرقة والربا والرشوة ... أبرز لي قول الله : ( **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب** ) المائدة / ١٠٠ ( **كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ) البقرة / ١٦٨
ب ــ إذا حرضتهم على البخل وشجعتهم على المعصية أبرزوا لي : ( **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا** ) البقرة ٢٦٨ .
ج ــ إذا زينت لأحدهم مفاتن المرأة غض بصره وابرز لي : ( **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** ) النور / ٣٠
د ــ إذا زينت للمرأة أن تبدي مفاتنها أبرزت لي قول الله تعالى : ( **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ) النور / ٣١
هـ ــ إذا وسوست لهم مشيعا سوء الظن بينهم لتضييع الثقة والتعاون من بينهم أبرزوا لي : ( **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم** ) الحجرات / ١٢ .

و ـ إذا زينت لأحدهم الكبر والتعالي والسخرية من الناس ابرز لي :( **لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن** ) الحجرات / ١١ ولعمري إذا لم يكن لنا تأثير بالكبر والمال والشهوات واثارة العداوة وسوء الظن فماذا عسى أن يبقى لنا ...؟

ز ـ تصوروا ... أن الله يرحمهم اذا تابوا من المعاصي ويغفر لهم الذنوب جميعا ، أي أن ما نتعب فيه سنين يضيع في لحظة ، يتصل فيها المرء بربه يستغفره فيغفر له ، ما لم تحضره الوفاة ..!!

ح ـ تصوروا .. أنني وأنا في أوج الانتصار ، كنت قد اعددت خطبة في نفسي أقولها لبنى آدم عندما ندخل جميعا النار وتغلق علينا أبوابها شماتة فيهم ، فوجدت هذه الخطبة التي لم أنطق بهاءبنصها في سورة ابراهيم ..!!

**أحد الشياطين** : كيف كان ذلك وماذا كنت ستقول ؟

**إبليس** : سأقول لهم : ( **إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ) ابراهيم / ٢٢ هكذا ترجم خطبتي رب العالمين أشيروا علي أيها الأبالسة ، كيف ننجو من هذه الكارثة ؟

**الشياطين** : وما نفعل إزاء هذا الحشد الهائل من الأسلحة للمؤمنين ، ونحن كما تعلم كيدنا ضعيف وأنت أكثرنا دهاء ومكرا ، سلحنا بما لديك من خبث ودهاء .

**إبليس** : إنني منذ أن نزل القرآن ورأيت أثره القوي في بني الانسان ، ورأيت أنه حول أشد المشركين وطأة على المسلمين الى رجل اشد الناس وطأة على الكافرين كعمر بن الخطاب الذي كان بمفرده بعد الاسلام يعتبر جيشا من جيوش الرحمن .

من ذلك الوقت وأنا أفكر وأقدر ، وقد هداني فكري الشرير الى الخطوات الآتية :

ـ إن مشكلتنا هي، أن القرآن نور والعقل مصباح، ومتى اتصل النور بالمصباح أضاء لصاحبه وجعله يمشي على الصراط المستقيم ، والحل يكمن فيما يأتي :

أولا : إبعاد النور عن المصباح وذلك بما يأتي :

أ ـ إفهام المسلمين الجدد أن القرآن ألغاز وطلاسم ، وأنه صعب على الأفهام .

ب ـ إفهامهم أن القرآن يكفي أن يكون في المنزل كحجاب ، أو يعلق على الصدر تميمة تمنع الحسد .

ج ـ إفهامهم أنه يكفي أن يقرأ في المآتم وعلى القبور

ثانيا : إلقاء الظلال القاتمة على مفاهيم القرآن مثل :

أ ـ نقل التواضع الى الضعة والمهانة والذلة والرضا بالدون

ب ـ نقل التوكل على الله الى التواكل ، والقعود عن السعي على الرزق لان الرزق مقسوم .

ج ـ نقل الزهد في الدنيا بعد امتلاكها وإنفاق المال في سبيل الله ـ الى الزهد فيها

قبل امتلاكها اعتمادا على أن الدنيا للكفار والآخرة للمسلمين ..
ثالثا : إثارة الخلاف والعصبيات بين المسلمين ليتفرقوا بعدة طرق ..
أ ــ اثارة الخلافات المذهبية والتعصب للمذاهب ، حتى يصير المسلمون شيعا وأحزابا .
ب ــ اثارة العصبية للقوميات التي دخلت الاسلام حتى تتفكك وحدة المسلمين .
ج ــ اثارة التعصب الديني لضرب المسلمين بعضهم ببعض وهم جميعا باليهود .
د ــ الاستعانة بأشد الناس عداوة للمؤمنين وهم اليهود .
رابعا : إفساد العقول السليمة والفطرة السليمة بالمذاهب الهدامة وتيارات الالحاد والتشكيك ونشر التعارض بين العلم والدين ، وإظهار أن الدين كله قيود وحرمان ، وحد من الانطلاق وأنه من أسباب التخلف ، حتى يترك الناس الدين ، ويسيروا في ركب العلم المادي منحلين .
خامسا : زينوا لهم قراءة القرآن بنغمات الأغاني ــ حتى ينسى السامعون المعاني ، ويطربوا للنغمات ، ولا يفهموا معاني الآيات ، ويستخفهم الطرب فيكثرون من الآهات والتكبيرات .
ــ نحن الشياطين يجب أن ننشر الخيال في العالمين ، والفساد والحرب في الشرق والغرب بين الناس أجمعين ، هذه هي مهمتنا ولها نحيا إلى يوم الدين .
ــ لا تنسوا أن قوة المسلمين في فهم القرآن ، وإذا بعدوا عن فهمه صاروا أطوع لنا من البنان .
ــ إن كل ما في القرآن الكريم يعمل ضدنا على خط مستقيم وإن فيه آية واحدة لو عمل بها المسلمون ما كان لنا وجود ..
**أحد الشياطين :** وما هي هذه الآية ؟
**إبليس :** هي قول الله تعالى : ( **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم** ) النحل / ٩٠ و ٩١ وهل نحن في الأرض الا لنؤدي رسالة الظلم والاساءة والعدوان وقطع الأرحام ونقض العهود وارتكاب الفواحش والمنكرات ..!

وإن الله ــ رحمة بالمسلمين ــ يخوفهم بالنار وما فيها من عذاب أليم بألفاظ مرعبة حتى يبعدوا عنها فلا يقعوا فيها كأن يقول لهم : ( **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم.يصهر به ما في بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد** ) الحج / ١٩ ــ ٢١ .
( **إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم . كالمهل يغلي في البطون.كغلي الحميم** ) الدخان / ٤٣ ــ ٤٦

واختتم إبليس المؤتمر بقوله : اشحذوا أسلحتكم ، وابذلوا جهودكم ، وانتشروا في أنحاء الارض . وانشروا فيها الفساد بالطول والعرض ، والى لقاء قريب وأرى فيه مجهودكم وقد فتحت سبل الشر أمامكم .

للدكتور
محمد سلام مدكور

○ من السيد حسام الشكيري من السودان عدة أسئلة هي :

المفهوم أن المتكلم يطلب من زميله العفو عنه والتنازل عن حقه قبله بالنسبة لما أصابه من أذى ليغفر الله له إيذاءه لهذا الرجل .. وأنه يتوسل بالرسول عليه السلام .

والوسيلة : هي ما يقرب إلى الله ويوصل العبد إلى رضاه ، والوسيلة بهذا المعنى فرض على كل مسلم وقد أمر الله بها ، بهذا الاعتبار في قوله : ( **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة** ) .

وقد يراد بالتوسل دعاء الرسول وشفاعته في الدنيا وهذا لم ينكره أحد من المسلمين ، وأما شفاعته يوم القيامة فمذهب أهل السنة . وأن الذي ينتفع بشفاعته هم المؤمنون دون أهل الشرك .

وقد جاء في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة والطبراني عن ابن عباس بسند حسن أن الرسول قال : « سلوا الله لي الوسيلة فانه لا يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة » فيض القدير جـ ٤ ــ ص١٠٩

وقد يراد بالتوسل به الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته .. وهذا إذا كان بعد مماته فقد نهى عنه كثير من الفقهاء منهم الحنفية وهو أحد قولين في مذهب كل من الشافعي وأحمد . أما في حياته فهو مشروع لأنه من قبيل الدعاء ومنه حديث الرجل الضرير الذي رواه الترمذي وقال إنه حسن صحيح والذي جاء فيه : « اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة . يارسول الله يا محمدا إني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي » .

فالتوسل به حيا من جنس مسألته ان يدعو لهم وهذا مشروع . أما بعد موته فلم يكن أحد من الصحابة يفعله ، ولا يلزم من جواز ذلك في حياته جوازه بعد مماته . كما يرويه ابن تيمية في كتابه « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » .

وأخيرا فلعل الرجل الذي أراد الاعتذار للآخر وطلب منه العفو إنما يسأله بحق إيمانه بالله ورسوله ، وهذا معنى صحيح ومشروع ، والله أعلم بالمقاصد والنوايا والعبرة بالنية

الأصل في دور السينما أنها تعرض قصة تاريخية أو علمية أو عاطفية مصورة

مرئية فالانسان فيها إذا ما كان موضوع الفيلم المعروض جادا خاليا من اللقطات المثيرة والتي تخدش الحياء والفضيلة ، وإذا كان قصده من دخولها الاستمتاع بالثقافة والمعرفة والتعلم . فانه يضم بهذا معلومات جديدة إلى معلوماته ويستفيد معرفة . والعلم والمعرفة مطلوب شرعا التزود به والحصول عليه بل والسعي إليه .

أما بالنسبة للأفلام الخليعة التي تثير الغريزة الجنسية وتضعف القيم الخلقية وتبعد عن الفضيلة أو تبعد الانسان عن عبادة الله على الوجه الصحيح . وإذا كان دخول السينما يترتب عليه التقصير في أداء العبادة في وقتها بأن كان وقت عرض الفيلم يترتب على تتبعه ضياع وقت أداء الصلاة فانها تكون محظورة من هذه الناحية . فالأصل فيها المشروعية وإنما العبرة بالموضوع المعروض للتفرج عليه ومشاهدته ووقت العرض ، وما يحاط بدخول السينما من اختلاط وما قد يصاحب ذلك من مفاسد . فان كان الموضوع المعروض يعالج مشكلة اجتماعية أو يعرض معلومات تاريخية أو نحو ذلك مما يعود على المشاهدين بالفائدة دون أن يحاط العرض وجو المشاهدة بأي انحراف أو خروج على القيم أو إيذاء للشعور فانه يكون عملا مشروعا ، أما إذا لم يكن كذلك فهو ممنوع ، لما فيه من رذيلة ، أو لما يؤدي إليه من الوقوع فيها ..

الانسان عاطفي بخلقه وطبعه ، والشرائع السماوية لا تقتل في الانسان غرائزه ، ولا تميت فيه عواطفه وإنما مهمتها في هذه الناحية كبح الجماح والحد من الاندفاع الذي يخرج الانسان عن الحد اللائق المشروع والذي يوقعه في الفساد والآثام ويلهيه عن الخلق القويم وتنفيذ أوامر الدين والسير في الطريق المستقيم .

فالشريعة الاسلامية بل والشرائع عامة توجه الانسان في مقتضيات الغريزة والعاطفة الى الحد الوسط الذي يؤمن معه جانب الشر . فاذا مال إنسان الى الاستماع بأنغام الموسيقى أو مال الى تعلمها دون أن يصرفه ذلك عن واجباته الدينية أو يؤدي به الى انحراف ، فانه أمر مشروع يؤدي به الانسان للعاطفة حقها سائرا بها في الطريق السوى . فان الموسيقى في الجو السليم الخالي من الآثام أو الاثارة من شأنها أن ترقق الشعور وترهف الحس .

فالاستماع إلى أنغام الموسيقى على هذا الوجه مباح ومشروع أخذا مما روته السنة من أن الرسول صلوات الله عليه مر على قوم يضربون بالدف ويعزفون الموسيقى ويرددون الأغاني لمناسبة عرس . وكان في صحبته عمر . فلما أراد عمر منعهم قال الرسول صلوات الله عليه : دعهم فان هذا يفرق بين النكاح والسفاح . وقد نقل عن كثير من الصحابة والتابعين وأئمة الفقه أنهم كانوا يسمعون الموسيقى ويحضرون مجالس السماع البريئة البعيدة عن المجون . فالموسيقى لا تحرم لذاتها وباعتبار أنها أنغام وأصوات جميلة وإنما قد يعتريها التحريم بما يصاحبها من صخب وفجور أو باتخاذها وسيلة لشىء من ذلك .

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## أجهزة الاعلام والأسرة المسلمة

**في رسالة للشباب من الأخ احمد عبدالمقصود عجيلة تحدث فيها عن الأضرار التي تلحق الأسرة المسلمة من عدم التزام اجهزة الاعلام بالأخلاق الاسلامية الفاضلة .**

**مع تلك الرسالة التي يقول فيها :**

إن أخطر ما يواجه الأسرة المسلمة اليوم تلك المحاولات الخبيثة التي تعمل بكل طاقتها لهدمها وسلخها وإبعادها عن الطريق المستقيم ـ وهو طريق الاسلام الحنيف .. وان قادة هذه المحاولات الهدامة يركزون جهدهم على المرأة المسلمة بالذات لأن المرأة نصف المجتمع وعليها قوام الأسرة فالمجتمع يتكون من أسر فاذا تحللت الأسرة تحلل المجتمع كله من أجل ذلك حرص اعداء الاسلام على دفع أفكارهم المسمومة من خلال ما يقدمونه في الاذاعة والتلفاز من المسلسلات الماجنة والأغاني الخليعة والتمثيليات الهزيلة، وآخر تقاليع الأزياء الفاضحة ، وغير ذلك من الدعاوي التي تتعارض مع قيم إسلامنا وعقائدنا الاسلامية الراسخة التي تقوم على حماية العرض والكرامة والفضيلة .

وللأسف الشديد .. من أجل الموضة والتطور فتح الكثيرون أبوابهم للمفاهيم الغربية المزيفة والجري وراء التقليد الأعمى .

يامسلمون انتبهوا ..

إنها مؤامرة صريحة تهدف في النهاية إلى تغيير القيم الاسلامية المتبقية لدى الأسرة والمجتمع وخلق طوابع جديدة من الاباحية والتحلل لا قدر الله ..

## وظيفة المرأة

**حول عمل المرأة الذي يحفظ عليها كرامتها ويحفظ للأسرة المسلمة تماسكها .**
**ويحفظ على الجيل الناشئ حسن النمو وسلامة التربية وقوة البدن وتماسك الأخلاق .**
**حول هذه المعاني كانت الكلمة التي أرسلها الأخ حسن عبدالفتاح كتكت من الأردن للشباب يقول فيها :**

قال تعالى : **( وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى )** .
أمر الله سبحانه وتعالى المرأة بلزوم بيتها ولا تخرج منه إلا في حالات الضرورة القصوى وفي أضيق الحدود كالجهاد في سبيل الله لاسعاف جرحى المجاهدين وفي حالات قلة عدد الرجال المحاربين فقط .

إن تكوين المرأة الفسيولوجي يحتم عليها لزوم بيتها لادارته وتربية الصغار تربية صحيحة .
وخروج المرأة من بيتها انسلاخ عن مناهج الفطرة ، وفي ذلك يقول"توينبي" المؤرخ والمفكر البريطاني الشهير :
تحت عنوان درس من التاريخ للانسان المعاصر :

لقد فشلت جميع جهودنا لحل مشكلاتنا بوسائل مادية بحتة واصبحت مشروعاتنا الجريئة موضع سخرية ! إننا ندعي أننا خطونا خطوات كبيرة في استخدام الآلات وتوفير الأيدي العاملة ولكن إحدى النتائج الغريبة لهذا التقدم تحميل المرأة فوق طاقتها من العمل وهذا ما لم نشهده من قبل فالزوجات في امريكا لا يستطعن ان ينصرفن إلى أعمال البيت كما يجب .
« إن امرأة اليوم لها عملان : العمل الأول من حيث هي أم وزوجة ، والثاني من حيث هي عاملة في المصانع والادارات ، وقد كانت المرأة الانجليزية تقوم بهذا العمل الثنائي فلم نؤمل الخير من وراء عملها المرهق ، إذ أثبت التاريخ ان عصور الانحطاط هي تلك العصور التي تركت فيها المرأة بيتها » .
وفي القرن الخامس قبل الميلاد حين وصلت اليونان إلى أوج حضارتها كانت المرأة منصرفة إلى عملها في البيت ، وبعد مجيء الاسكندر الكبير وسقوط دولة اليونان كانت هناك حركة نسوية شبيهة بالحركة التي نشهدها اليوم !
لقد نسوا الله ( والكلام لتوينبي ) حين وضعوا حلولا لمعالجة الامراض الاجتماعية انتهت بالأمم الى علل مستعصية ومآس كبيرة .

# بأقلام القراء

**جاءنا من الدكتورمحمد احمد العزب مقالة تحت عنوان (الفكر المسلم في مواجهة التحديات) نقتطف منها ما يلي :**

حين يواجه الفكر المسلم بنوعية من التحديات المعاصرة ، فانه لا يجفل أمام ذلك ولا يرتعش – لأن تاريخ هذا الفكر مليء بأمثال هذه التحديات من جهة ، ولأنه دائما يمتلك الاقتدار البطولي على مواجهة هذه التحديات من جهة أخرى .. فاذا تشوش الحس الديني المعاصر ، فخلط أو خبط ، أو عاند أو تمرد أو شك أو ألحد . فان الاسلام لا يضيق بذلك ولا يرفض منطق الحوار معه ، لأن القيمة النهائية لأي دين صوابي تكمن في اقتداره الموصول على العطاء والتصويب ، وفي قابليته الدائمة لفتح مزيد من النوافذ في مواجهة مزيد من الحوائط ، وإشعاع مزيد من الضوء في مواجهة مزيد من الظلام .

هذه الوضعية الفكرية المسلمة ، هي التي يمكن أن تسلح الانسان المسلم بالاطمئنان اليقيني الباسم ، وهو يستمع الى تساؤلات كثير من مثقفي هذا العصر ، والذين يتعاظمهم في أحيان كثيرة أن يتحدثوا بها . مما قد يجر إلى إحباط نفسي ممزق ، او قنوط عقلي مترع باليباس والالتباس !!

قد يتحدد السؤال باترا وفاجعا إلى هذا الحد : هل الكون مخلوق لذاته ؟ أم أنه مخلوق لله ؟ وإذا كان مخلوقا لله فمن خلق الله ؟

وقد تتحدد الاجابة هادئة وعاقلة بحجم إيمانها العقائدي بصوابية كل ما تؤمن به من مقولات ، على هذا النحو :

أما أن الكون قد خلق نفسه فذلك محال حتى من الوجهةالافتراضية ، لأن الكون مادة بلا عقل ، فكيف يتأتى لغير العاقل ان يبدع هذا الكون المليء بأحكام النظامات ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون .. لا الأرض تميد من تحت أقدامنا فنهلك ولا السماء تخر على رؤوسنا فنبيد .. لا التربة الخصيبة التي نلقي فيها ببذورنا الحية تخطىء فيصبح العنب فيها وردا ، أو يصبح الصفصاف فيها برتقالا .. ولا الانسان الذي هو كائن حي يصير حيوانا ، ولا الحيوان الذي هو كائن حي يصير انسانا .. أليس في هذا النظام الصارم المحكم ما يؤكد عدم صدوره عن مادة بلا عقل أو عن مجرد سديم بلا تفكير ؟؟ أليس وجودنا نحن ( كآدميين ) على هذا الكوكب الأرضي ينفي أن تكون المادة هي خالقة هذا الكون ، وهل في استطاعة ( غير العاقل ) الذي هو المادة أن يخلق ( العاقل ) الذي هو الانسان ؟؟ إننا أمام حتمية أن

الكون أعجز من أن يخلق ذاته ، وأن المادة أعجز من أن تبدع نفسها ، : ولا بد من عقل كلي شامل يستطيع هذا الخلق ، ويقدر بارادة ذاتية على تصميم هذا الابداع العظيم . وإذا سلمنا بحتمية أن الكون عاجز عن إيجاد نفسه ، وبحتمية أن يكون هناك موجد آخر تتحقق فيه شروط العقل والارادة وحرية التفكير والتدبير .. فلا بد أن يكون هذا الموجود موجودا وجودا ذاتيا منزها عن الضرورة والحدوث لأن أصل الوجود ينبغي أن يكون هو الوجود وليس العدم ، فالعدم قوة سالبة لا تنتج غير العدم ، بمعنى أن الكون لو كان من غير خالق أزلي أبدي لكان عدما قبل أن يوجد ولو كان عدما قبل أن يوجد فكيف وجد ؟ لا بد إذن من قوة وجودية أزلية سابقة لأنه محال – حتى من الوجهة العقلية الخالصة – أن يكون العدم أصل الوجود .. لأن العدم صفر .. ومجموع الأصفار صفر في النهاية ، وهذا الكون الذي نحياه ليس صفرا ، إنه قوة موجودة وطاقات فاعلة وحلول نعيشه ونراه بالفعل مما يؤكد انه نتيجة وجود سابق عليه وليس نتيجة عدم أو فراغ حتى من الوجهة اللغوية ، لا يمكن أن نتصور وجود مصطلح العدم إلا اذا كان هذا العدم قد أتى على (موجود ) فأعدمه ، وإذن فالوجود هنا سابق على العدم .. قد يقال :

إن هذا الدليل نفسه ينقض ذاته بذاته لأن مصطلح الوجود ، هو الآخر لا يمكن أن يتصور وجوده إلا إذا بارح منطقة العدم فوجد .. ولكن هذه المصادرة المنطقية تنسى حقيقة ثابتة ، وهي أن المادة تصير ولا تفنى ، أي أنها موجودة بالضرورة بالنسبة إلينا نحن على الأقل وجودا فعليا قد تعتريه الصيرورة فيستحيل من خلق الى خلق ، ومن هوية الى هوية ، ولكنها كانت على الدوام موجودة منذ كان الكون ، وهذا يؤكد قضية الوجود السابق في وجوده على العدم ، وإن كان هذا الوجود القبلي السابق محكوما كغيره من الوجودات بالصيرورة والتحول ، ليظل وجودا أدنى في وجوده من وجود الخالق الأزلي الذي لا يتحول ولا يتحور ولا يصير ، هذا الوجود الأولى هو وجود الله الواحد .. الواحد الذي هو أصل العدد .. فقبله لا شيء .. وبعده تجيء كل الأشياء ..

الواحد الذي هو قوة عددية إيجابية .. إن الواحد حين يوجد – حتى في العملية الحسابية – يصبح الناتج عمليات بلا حصر .. الواحد هو الله ، والناتج هو الكون ، والانسان ، والحياة ، وما بعد الحياة .. ولكن الواحد هنا موصوف ( بالأحدية ) التي لا تقبل الجمع في ذاتها ، وإن كانت تعطي معطيات وجودية مخلوقة لها بلا حدود .

من هنا يتأكد أننا ثمرة وجود إلهي بالضرورة ، وأننا من خلال الحوار العقلي يمكن أن نصل الى يقين رياضي بأن الله موجود لأن أصل الاشياء ينبغي ان يكون وجودا وليس عدما ..

## هل دونت السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دون بعضها أو لم تدون إلا في عهد عمر بن العزيز ؟

**حسين محمد حسين ـ الكويت**

أولا : السنة هي الأقوال والأفعال والاقرارات من الرسول التي تلقاها الصحابة رضي الله عنهم مع القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشاركوا في تطبيقها واتباعها حتى نقلوها للمسلمين بيضاء ناصعة نقية من كل شائبة .

والسنة شملت كل أمور المسلمين من عقائد وعبادات ومناسك وبيوع ومعاملات و تفسير للقرآن الكريم .

ولما كان للسنة هذه المكانة عند المسلمين لأنها المصدر الثاني للتشريع كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون لمجلس الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكيف لا وهم مدرسة سيد الخلق والصفوة من الناس .

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك » .

ولقد انتشرت السنة والدليل على ذلك أن الصحابة منذ اللحظة الأولى للدعوة يتلقون القرآن الكريم ويتعلمون الأحكام من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي بداية الأمر نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء غير القرآن الكريم ، روى ابو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » .

وقد علل علماء الحديث هذا النهي عن الكتابة للسنة من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرسول كان يخشى على المسلمين أن ينشغلوا بالسنة عن القرآن الكريم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث فقال « ما هذا الذي تكتبون ؟ قلنا احاديث نسمعها منك قال « كتاب غيركتاب الله أتدرون ؟ ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى » وهذا الحديث يؤكد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على القرآن الكريم وعدم كتابة غيره فان ضلال الأمم السابقة جاء عن هذا الطريق .

فلما حفظ الصحابة القرآن وذاع وانتشر سمح الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة للسنة ودليلنا على ذلك ما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال كنت اكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والرسول صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوما بأصبعه إلى فيه وقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق » .

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه « ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب » .

ويروي أبو هريرة رضي الله عنه أنه لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام الرسول صلى الله عليه وسلم وخطب في الناس فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال يارسول الله اكتبوا لي فقال اكتبوا له » .

كما يروي ابن عباس رضي الله عنهما فيقول لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال « إيتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » قال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال « قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع » وطبعا كان ما يمليه سنة .

يتضح من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أباح الكتابة للسنة بل وأمر بها يؤخذ هذا من تلك الأدلة الصحيحة التي أوردتها كتب السنة التي تثبت أن النهي كان مخافة أن ينشغل المسلمون بغير القرآن الكريم فلما تمكن القرآن من النفوس وحفظه الصحابة ، وأصبح لا يختلط بالسنة زال سبب المنع .

وليس هناك مانع عند العلماء من نسخ السنة بالسنة والقول بأن حديث النهي قد نسخته أحاديث الاباحة أخذ به كثير من العلماء منهم ابن قتيبة الذي فهم من النهي معنيين فقال : « احدهما أن يكون في منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى في أول الأمر ان يكتب قوله ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ أن تكتب وتقيد » .

وأيضا كان الخوف من أن يكتب القرآن الكريم والحديث في صفحة واحدة لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلقون مع القرآن الكريم تأويل الآية ويخشى أن يكتبوا التفسير الذي كانوا يسمعونه فكان النهي خوف عدم الفصل بين القرآن وتفسيره وهو من السنة لأنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويمكن أن يكون النهي ــ كما قال علماء السنة ــ عن الكتابة للذين لا يستطيعون التمييز بين القرآن والسنة ، والاباحة للذين يستطيعون التمييز .

على هذا نستطيع أن نقول : إن النهي في صدر الاسلام لم يكن عاما وأيضا لم تكن الاباحة عامة .

هذا وقد دون في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير بأمره أو علمه دون نهي ، من ذلك ما دون في السنة الأولى للهجرة كتاب نص فيه على حقوق المسلمين المهاجرين والأنصار وأهل يثرب من غير الأنصار واليهود .

وأيضا الصحيفة الصادقة وقد كانت من تدوين عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وتحتوي تلك الصحيفة على ألف حديث ، وصحيفة جابر بن عبدالله الأنصاري ، وكتب عبدالله بن عمر في الحديث كما أكد رواة الحديث ذلك ، وهناك صحف أخرى لعدد من الصحابة الكرام .

ولكن ذلك كان نابعا من حرص الصحابة على السنة بعد أن دون القرآن وحفظ في الصحف والصدور واطمأن المسلمون عليه حتى جاء عصر الخليفة عمر بن عبدالعزيز فكتب بنفسه الحديث وشجع على كتابته واهتم ايضا العلماء في هذا العصر بالسنة وخصوصا بعد ما ظهر الوضع نتيجة الخلافات السياسية والمذهبية .

وكان أن أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بتدوين السنة وتنقيتها من الدخيل فقد أرسل إلى الآفاق قائلا : « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » وإلى علماء المدينة « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه فاني خفت دروس العلم وذهاب أهله » ولكن أمره هذا لم يكن خاصا بل كان لكل الأمصار الاسلامية لحرصه الشديد على السنة رغم قصر مدة خلافته وفي تلك الفترة القليلة من حكمه قدم الكثير على المستوى الرسمي بعد أن كان التدوين على المستوى الفردي من الصحابة الكرام والتابعين بالاضافة إلى أن عمر بن عبدالعزيز كان عالما بالسنة عارفا بها فرضى الله عنه بقدر ما قدم للاسلام والمسلمين .

تلك أقوال العلماء حول النهي عن الكتابة للسنة الذي كان في صدر الاسلام خوف الانشغال بغير القرآن الكريم .

وحول الاباحة التي أمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن انتشر القرآن الكريم وكثر حفاظه وكاتبوه وذلك بلا شك هو المعول عليه وانظروا إذا لم تدون السنة فكيف يكون حالنا دون سنة رسولنا الكريم وهي التي أكدت وشرحت ووضحت وفصلت ما جاء في كتاب الله سبحانه ولله در هؤلاء العلماء الذين بذلوا مجهودا فائقا عظيما يستحق منا التقدير والاحترام .

فهل بعد هذا الجهد الجبار في الحفاظ على السنة الشريفة يمكن أن يقال إن السنة لم يسلم طريق الوصول إليها صحيحة بعد أن ثبت من خلال المتابعة والاستقراء عظمة الطريقة التي اتبعت في التسجيل والتدوين للسنة سواء كان ذلك في الصدر الأول للاسلام بالشكل الفردي أم في عصر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بشكل رسمي ، وإن الدارس لعلم الاسناد ليرى بشكل لا يرقى إليه شك تلك القدرة الهائلة والاخلاص الفريد في خدمة السنة الشريفة حتى استطاعوا الوصول الى الكثير منها صحيحة ودرأوا عنها الدخيل الباطل ووضعوا قواعد البحث والتدوين والاستنباط بأدق التفاصيل والقواعد أما الجرأة على السنة فلا دافع لها إلا الضلال والانحراف عن الجادة رغم وضوح السبيل وسلامة الوصول إليه .

قال تعالى : **( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ) .**



# وفد معهد الدراسات الاسلامية بجاوا الوسطى ـ اندونيسيا

## لقاء أجرته ادارة الشئون الاسلامية بالوزارة

زار الكويت وفد من مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية من جاوا الوسطى في اندونيسيا وقد تكون من الاستاذ احمد علي سنكر رئيس المؤسسة والاستاذ محمد احمد النبهان امين صندوق المؤسسة ، وقد قابل الوفد السيد وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وقد كانت هذه الزيارة الثانية للكويت باسم المؤسسة وقد كانت الزيارة الاولى ١٩٧٨م ، وذكر السيد رئيس مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية ان الغرض من هذه الزيارة هو مشروع بناء مسجد وانشاء فصول خاصة بروضة الأطفال والمرحلة الابتدائية والمتوسطة ومدارس خاصة بالمرحلة الثانوية وهـــو مشروع اسلامي لتدعيم الثقافة الاسلامية في اندونيسيا .
وهناك نشاط اسلامي تشرف عليه مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية فقد أسست سنة ١٩٧٧م وهدفها انشاء مدارس اسلامية لتخريج الدعاة ونشر الوعي الاسلامي لدى المسلمين والمواطنين في اندونيسيا ، حيث أن المدينة التي تقع فيها المؤسسة يكثر فيها المسيحيون إذ تصل نسبتهم إلى ٣٠٪ بالنسبة لعدد السكان من المسلمين .
ويقول الاستاذ احمد علي سنكر رئيس مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية إننا نشكر المسئولين في وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت لاهتمامهم البالغ بالقضايا الاسلامية في العالم بصفة عامة ، وباخوانهم المسلمين في اندونيسيا بصفة خاصة ، فقد شجعونا على مواصلة كفاحنا لاعلاء كلمة الله .
ونود أن نشير أخيرا الى ان معهدنا بحاجة إلى منح دراسية لأبنائه ليتمكنوا من مواصلة دراساتهم في الدول العربية ، كما أن معهدنا بحاجة ماسة إلى الكتب والمراجع الاسلامية وكتب اللغة العربية والتاريخ الاسلامي .

# حول التسعير في الاسلام

**مجلة البحوث الاسلامية السعودية مجلة جامعة تقدم بجهد عظيم موضوعات مدروسة لتوضيح وبيان رأي الاسلام فيما يجد من مشكلات وتضع أمام القارئ المتعطش للابحاث الاسلامية بحوثا تواكب بها مسيرة المسلم وتعضد قواه التعبدية لما انزل الله لأن الكلمة المقروءة من مراتب الجهاد اذ فيها البحث عن الحقيقة .**
**والصحافة الاسلامية من أجدى الاسلحة وامضاها في بلوغ هذه الغاية ومجلة البحوث الاسلامية ضمن هذه المسيرة تهتدي بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، يشرف عليها ويساهم في تحريرها علماء أفاضل .**
**وقد نشرت في عددها الرابع الذي وصلنا مؤخرا بحثا عن التسعير نقتطف منه ما يلي :ـ**

إن القول بالتسعير وإلزام التجار بالبيع بثمن المثل عند تجاوزهم الأسعار ـ التي تحقق لهم ربحا معقولا ـ وظهور بوادر الجشع والاستغلال لهو الرأي المختار الذي يجب العمل به والمصير إليه ، وذلك لقوة أدلته وسلامته من الرد ، ولما فيه من تحقيق مصالح الأمة ودفع الضرر عن الناس .
وقد استدل أصحاب هذا الرأي بما يلي :

**أولا :**

قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أعتق شركا له في عبد وكان له من المال ما يبلغ ثمن العبد قوم عليه قيمة عدل لا وكس ولا شطط ، فأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد » .

ووجه الاستدلال من الحديث أن الشارع لم يعط المالك الحق بأخذ زيادة على القيمة حيث أوجب إخراج الشيء من ملكه بعرض المثل لمصلحة تكميل العتق ، فكيف إذا كانت حاجة الناس إلى تملك الطعام والشراب واللباس وغيره ؟
فهذا الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ـ من تقويم الجميع بقيمة المثل إنما هو التسعير في الحقيقة حيث إنه من جنس سلطة الشريك في انتزاع الشقص المشفوع فيه من يد المشتري بثمنه الذي ابتاعه به لا بزيادة عليه لأجل مصلحة التكميل لواحد فكيف بما هو أعظم ؟

فحاجة المسلمين إلى الطعام والشراب واللباس وغير ذلك من مصلحة عامة ليس الحق فيها لواحد بعينه ، وتقدير الثمن فيها بثمن المثل على من وجب عليه البيع أولى من تقديره لتكميل الحرية الذي وجب على الشريك المعتق ، فلو لم يقدر فيها الثمن لتضرر بطلب الشريك الآخر ما شاء .

فان عموم الناس بحاجة لشراء الطعام واللباس ، فلو أعطي أرباب السلع الحرية في البيع بما يشاءون لكان ما يلحق الناس من الضرر أعظم وأفحش .

**ثانيا :**

إن القول بالتسعير عند تجاوز التجار ثمن المثل في البيع يحقق مصلحة الأمة بارخاء الأسعار للناس وحمايتهم من جشع التجار واستغلالهم .

وبهذا يكون التسعير مشروعا لما فيه من تحقيق مصلحة الجماعة التي تعتبر دليلا صالحا لبناء الأحكام عليها عند عامة العلماء .

**ثالثا :**

إن القول بالتسعير فيه سد للذرائع . ومن الثابت أن سد الذرائع من الأدلة المعتبرة في الفقه الاسلامي وأصل من أصوله المعتمدة .

وسد الذرائع هو المنع من بعض المباحات لافضائها إلى مفسدة ، ومن المسلم به أن ما يؤدي إلى الحرام يكون حراما . فترك الحرية للناس في البيع والشراء بأي ثمن دون تسعير هو أمر مباح في الأصل ، ولكنه قد يؤدي إلى الاستغلال والجشع والتحكم في ضروريات الناس ، فيقضي هذا الأصل الشرعي بسد هذا الباب بتقييد التعامل بأسعار محددة .

فان قيل إن التسعير فيه تقييد لحرية التجار في البيع وهذا ضرر بهم ، والضرر منهي عنه شرعا .

نقول : إن الضرر الحاصل من منع التسعير اعظم بكثير من الضرر الناتج من إجبار التجار على البيع بسعر ، ولا شك أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأصغر .

وهكذا يتضح من كلام العلماء الذين أجازوا التسعير أنهم لم يجيزوه لذاته بل لأنه اجراء وقائي لصد ظلم الظالمين واحتكار المحتكرين .

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب ( ٣٥٨ )

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

السعودية :
جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : ( ٧٦ )
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

**ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | [illegible] | يونيو | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د |
| السبت | ١ | ١٤ | ٨ ٢٤ | ٩ ٥٩ | ٥ ٠٠ | ٨ ٣٣ | ١ ٣٢ | ٣ ١٣ | ٤ ٤٨ | ١١ ٤٨ | ٣ ٢٢ | ٦ ٤٩ | ٨ ٢١ |
| الاحد | ٢ | ١٥ | ٢٤ | ٥٩ | ٠٠ | ٣٣ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٨ | ٢٢ | ٤٩ | ٢١ |
| الاثنين | ٣ | ١٦ | ٢٤ | ٥٩ | ٠٠ | ٣٣ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٩ | ٢٢ | ٤٩ | ٢١ |
| الثلاثاء | ٤ | ١٧ | ٢٤ | ٥٩ | ٠٠ | ٣٣ | ٣٢ | ١٣ | ٤٨ | ٤٩ | ٢٣ | ٤٩ | ٢٢ |
| الاربعاء | ٥ | ١٨ | ٢٣ | ٥٨ | ٤ ٥٩ | ٣٣ | ٣٣ | ١٣ | ٤٨ | ٤٩ | ٢٣ | ٥٠ | ٢٢ |
| الخميس | ٦ | ١٩ | ٢٣ | ٥٨ | ٥٩ | ٣٣ | ٣٣ | ١٢ | ٤٩ | ٤٩ | ٢٣ | ٥٠ | ٢٢ |
| الجمعة | ٧ | ٢٠ | ٢٣ | ٥٨ | ٥٩ | ٣٣ | ٣٣ | ١٢ | ٤٩ | ٤٩ | ٢٣ | ٥٠ | ٢٣ |
| السبت | ٨ | ٢١ | ٢٣ | ٥٨ | ٥٩ | ٣٣ | ٣٣ | ١٢ | ٤٩ | ٥٠ | ٢٣ | ٥٠ | ٢٣ |
| الاحد | ٩ | ٢٢ | ٢٣ | ٥٨ | ٥٩ | ٣٣ | ٣٣ | ١٤ | ٤٩ | ٥٠ | ٢٤ | ٥١ | ٢٣ |
| الاثنين | ١٠ | ٢٣ | ٢٣ | ٥٨ | ٥٩ | ٣٣ | ٣٣ | ١٤ | ٤٩ | ٥٠ | ٢٤ | ٥١ | ٢٣ |
| الثلاثاء | ١١ | ٢٤ | ٢٣ | ٥٩ | ٥ ٠٠ | ٣٣ | ٣٣ | ١٤ | ٥٠ | ٥٠ | ٢٤ | ٥١ | ٢٣ |
| الاربعاء | ١٢ | ٢٥ | ٢٣ | ٥٩ | ٠٠ | ٣٣ | ٣٣ | ١٤ | ٥٠ | ٥٠ | ٢٤ | ٥١ | ٢٣ |
| الخميس | ١٣ | ٢٦ | ٢٤ | ٥٩ | ٠٠ | ٣٣ | ٣٣ | ١٥ | ٥٠ | ٥١ | ٢٤ | ٥١ | ٢٤ |
| الجمعة | ١٤ | ٢٧ | ٢٤ | ١٠ ٠٠ | ٠٠ | ٣٤ | ٣٣ | ١٥ | ٥١ | ٥١ | ٢٥ | ٥١ | ٢٤ |
| السبت | ١٥ | ٢٨ | ٢٤ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٤ | ٣٢ | ١٦ | ٥١ | ٥١ | ٢٥ | ٥١ | ٢٤ |
| الاحد | ١٦ | ٢٩ | ٢٥ | ٠٠ | ٠٠ | ٣٤ | ٣٢ | ١٦ | ٥١ | ٥١ | ٢٥ | ٥١ | ٢٤ |
| الاثنين | ١٧ | ٣٠ | ٢٥ | ١ | ١ | ٣٤ | ٣٢ | ١٦ | ٥١ | ٥١ | ٢٥ | ٥٢ | ٢٤ |
| الثلاثاء | ١٨ | يوليو | ٢٦ | ١ | ١ | ٣٤ | ٣٢ | ١٧ | ٥٢ | ٥٢ | ٢٦ | ٥٢ | ٢٣ |
| الاربعاء | ١٩ | ٢ | ٢٦ | ١ | ١ | ٣٤ | ٣٢ | ١٧ | ٥٢ | ٥٢ | ٢٦ | ٥١ | ٢٣ |
| الخميس | ٢٠ | ٣ | ٢٧ | ٢ | ١ | ٣٥ | ٣٢ | ١٨ | ٥٢ | ٥٢ | ٢٦ | ٥١ | ٢٣ |
| الجمعة | ٢١ | ٤ | ٢٧ | ٢ | ١ | ٣٥ | ٣٢ | ١٨ | ٥٢ | ٥٢ | ٢٦ | ٥١ | ٢٣ |
| السبت | ٢٢ | ٥ | ٢٨ | ٣ | ٢ | ٣٥ | ٣٢ | ١٩ | ٥٢ | ٥٢ | ٢٦ | ٥١ | ٢٣ |
| الاحد | ٢٣ | ٦ | ٢٩ | ٣ | ٢ | ٣٦ | ٣٢ | ٢٠ | ٥٤ | ٥٣ | ٢٧ | ٥١ | ٢٣ |
| الاثنين | ٢٤ | ٧ | ٢٩ | ٣ | ٢ | ٣٦ | ٣١ | ٢٠ | ٥٥ | ٥٣ | ٢٧ | ٥١ | ٢٢ |
| الثلاثاء | ٢٥ | ٨ | ٣٠ | ٤ | ٢ | ٣٦ | ٣١ | ٢١ | ٥٥ | ٥٣ | ٢٧ | ٥١ | ٢٢ |
| الاربعاء | ٢٦ | ٩ | ٣٠ | ٤ | ٢ | ٣٧ | ٣١ | ٢١ | ٥٦ | ٥٣ | ٢٧ | ٥١ | ٢٢ |
| الخميس | ٢٧ | ١٠ | ٣١ | ٥ | ٣ | ٣٧ | ٣١ | ٢٢ | ٥٦ | ٥٣ | ٢٨ | ٥١ | ٢١ |
| الجمعة | ٢٨ | ١١ | ٣٢ | ٦ | ٣ | ٣٨ | ٣١ | ٢٣ | ٥٦ | ٥٣ | ٢٨ | ٥٠ | ٢١ |
| السبت | ٢٩ | ١٢ | ٣٣ | ٧ | ٤ | ٣٨ | ٣١ | ٢٣ | ٥٧ | ٥٣ | ٢٨ | ٥٠ | ٢١ |

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم الإيمـ

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٩ ○ رمضان ١٤٠٠ هـ ○ يوليو ١٩٨٠ م



## اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

اقترب موعد الافطار ( الغروب في اسطانبول ) .

# الوعي الإسلامي

# AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٩ ○ رمضان ١٤٠٠ هـ ○ يوليو ١٩٨٠ م


## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


## ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# من آثار الصيام

فرض الله تعالى على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام ، ونزل بهذه الفريضة قوله تعالى : **( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ) .**

والصيام له أثر بالغ في تحقيق صحة البدن ، وصحة الروح ، فهو يؤدي الى قوة الصائم المادية وقوته المعنوية ، ويجمع بينهما جمعا منسقا يصل به الصائم إلى أبرك النتائج في بدنه وروحه .

وإذا كان الصيام ملموس الأثر في الناحية الصحية ، حيث يدفع عن بدن الصائم كثيرا من الأمراض ، ويعالج فيه كثيرا من العلل ، ويخلصه من كثير من الرواسب المتخلفة عن طعام احد عشر شهرا ، فهو من الناحية المعنوية يمد الصائم بثلاث قوى لها اكبر الأثر في حياة الأفراد والجماعات .

## أولى تلك القوى ( الصبر )

فالصائم يصبر ـ طواعية واختيارا ـ على وطأة الجـوع والعطش ، وعن كل ما اعتاده في النهار من مطعومات ومشروبات وشهوات .. والصبر الاختياري على ترك ملذات النفس واهوائها وميولها اعظم فائدة من الصبر الذي تحمل عليه الفاقة ، أو يلجىء اليه الحرمان ، أو يبعث عليه الخوف من الناس .. وتعويد المسلمين على الصبر الاختياري في تحمل المشقات ، والاستهانة بالصعاب ، هو الذي جعلهم يصبرون على تبعات الجهاد في سبيل الله ، ويستعذبون الموت في سبيل نصرة دينهم ، والمحافظة على حقوقهم ، وهو الذي هيأ لهم الانتصار في المعارك التي خاضوها في الماضي ضد أعدائهم ، وشقوا بها الطريق للحق والعدل يهيمنان على حياة الناس .

## ثانية تلك القوى ( الطاعة )

فالصائم انما يمتنع عن طعامه وشرابه ، وعن كل ما يفسد صومه ، امتثالا لأمر الله ، وابتغاء لرضاه ، مهما لاقى في ذلك من مشقة .. فحسبه أنه آمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا ، وعاهد الله في إسلامه ، على السمع والطاعة لأوامره ، في المنشط والمكره ، والعسر واليسر .. حسبه ذلك ليتحمل اعباء الصيام بنفس راضية ، وقلب مطمئن ، ورغبة فيما عند الله من أجر وثواب .

وبهذه الطاعة يستقيم أمر المؤمن على الحق الذي شرعه الله ، ولو كان قبوله شديد الوقع على النفس .. وتاريخ السلف الصالح ملئ بالمثل الحية في هذا المجال ، نقتطف منها موقف خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ حين عزله الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن قيادة جيش المسلمين وهو في أوج انتصاراته .. لقد سلم خالد القيادة لأبي عبيدة بن الجراح الذي

كان يعمل جنديا تحت إمرته ، وانخرط في صف الجنود يقاتل تحت إمرة أبي عبيدة بنفس الروح العالية التي كان يقاتل بها وهو قائد ، ثم يقول قولته المشهورة : ( إني إنما أحارب لرب عمر لا لعمر ) .

إن صيام رمضان طاعة خالصة لله لا يتصور فيها رياء ، ومن ثم كان ثواب الله على الصيام فوق الثواب الذي منحه على غيره من العبادات . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:( كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف إلا الصيام فانه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من اجلي » .

## ثالثة تلك القوى ( النظام )

فالصائم في رمضان يأكل بنظام وينام بنظام ، والمجتمع الاسلامي في رمضان مجتمع يتجلى فيه النظام بأروع مظاهره ، امتناع واحد عن المفطرات في النهار ، تحفز واحد للافطار قبيل الغروب ، اجتماع على الافطار عند الغروب ، صلاة واحدة في العشاء والتراويح والفجر .. نظام فريد لا مثيل له في أمة غير الأمة الاسلامية ، وهذا النظام مع كل نظام وضعه الله في سائر العبادات ، وفي العلاقات بين الناس ، يوحي للمسلمين ان يعتمدوا النظام في كل امورهم ، وأن يأخذوا بالتخطيط في جميع شؤونهم .

والأمة التي تتربى على هذه الاخلاق العالية :

الصبر على المشقات والمكاره ، والطاعة لله تعالى في كل ما شرع ، والنظام في شئون حياتها مع اخذها بكل اسباب القوة المادية ، هي امة الطهر والعزة والشرف والكرامة والنهوض والتقدم .
واذا كان الصيام يحقق للصائمين هذه الاخلاق القويمة ، فهو يقيهم من اضدادها .

يقيهم من الجزع الذي تنخلع به النفوس امام الاعداء ، ومن المعصية التي تجلب البلاء والشقاء .. ومن الفوضى التي تدمر الحياة .. وصدق الله تعالى في قوله ( **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ) .
وصدق الرسول الكريم في قوله : ( الصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد او قاتله فليقل اني صائم . اني صائم ) .

لقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا جاء رمضان احياه بالطاعة والعبادة وتلاوة القرآن وقيام الليل ، وزيادة الجود والعطاء .. فاذا هو مع الله العبد الطائع ، واذا هو مع المسلمين النبي الصائم ، واذا هو مع الفقراء والمساكين الجواد المعطاء ، « حتى لقد وصفه بعض اصحابه أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان » .

فلتكن لنا به ـ عليه الصلاة والسلام ـ قدوة لنكون من الراجين لرحمة الله ، الذاكرين لفضله قال تعالى : ( **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ) .

وعلينا ان نذكر في صيامنا اننا الأمة التي جمع لها دينها بين قوة المادة وقوة الروح ، لتكون في دنياها شديدة البأس على أعدائها ، عظيمة التراحم فيما بينها ، قوية الاستمساك بدينها ( **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ) ولتكون في الآخرة من اهل النعيم عند رب العالمين ( **إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ) .

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# التفكير فريضة إسلامية

للدكتور عبدالحليم محمود

يقول الله تعالى :

( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ) .

( الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار )

( ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار )

( ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنو بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار )

( ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد )

( فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ) آل عمران / ١٩٠ ــ ١٩٥ .

روى الشيخان ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين ، وهى خالته قال : فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي ...

قال عبدالله بن عباس :

فقمت ، فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمت الى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يده اليمنى على رأسي وأخذ باذني ففتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاء المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح ..

ويقول الامام الخازن ، بعد أن روى هذا الحديث :

« وفي رواية فقمت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه » ..

وفي رواية قال : بت في بيت خالتي ميمونة ، فتحدث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الأخير ، قعد فنظر إلى السماء فقال :

**( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب )**

وما من شك في أن في خلق السموات والأرض ، وفي اختلاف الليل والنهار ، مجال عظيم للفكر والتدبر ، فان هذا الكون بما فيه من إتقان في الصنع ، وإبداع في التكوين ، ودقة في التركيب ، يدل بداهة على الصانع ، وانه عالم ..

وإمساك هذا العالم دليل على الحياة والارادة :

يقول الله تعالى :

**( إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا )** فاطر/٤١ .

**( فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا )** الأنعام/٩٦

ويقول سبحانه

**( هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا )** يونس/٦٧

وتأمل قوله تعالى :

**( قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون )** القصص/٧١ ــ ٧٣ .

والآيات التي توجه الانسان إلى العظة والعبرة في الكون كثيرة ، مستفيضة ، منها مثلا :

**( أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج )** ق/٦ ــ ١١

ويقول الكندى : فيلسوف

العرب :

« إن في الظواهر والمظاهر التي تبدو للحواس ، لأوضح الدلالة على تدبير مدبر أول :

فان في نظم هذا العالم ، وترتيبه ، وفعل بعضه في بعض ، وانقياد بعضه لبعض ، وتسخير بعضه لبعض ، وإتقان هيئته على الوجه الأصلح في كون كل كائن ، وفساد وثبات كل ثابت وزوال كل زائل : لأعظم دلالة على أتقن تدبير – ومع كل تدبير مدبر – وعلى أحكم حكمة . ومع كل حكمة حكيم ، وذلك أن اقتضاء التدبير للمدبر ، والحكمة للحكيم ، أمر لا يختلف فيه اثنان » ..

وإذا كانت دلائل خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، يدركها أولو العقول المتأملة فان أولى العقول هم هؤلاء الذين لا يفترون عن ذكر الله تعالى : **إنهم يذكرونه قياما وقعودا وعلى جنوبهم .**

ويقول الله تعالى في سورة النساء :

**( فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم )** الآية/ ١٠٣

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة في الحث على الذكر ، ومن ذلك ما رواه الامام مسلم بسنده ، عن عائشة رضى الله عنها ، من أنها كانت تقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه يذكر الله على كل أحيانه ...

وعن الذكر نروى ما يلى :

روى البيهقى في الشعب ، من حديث عمر بن الخطاب ..

قال الله عز وجل :

« من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام مسلم بسنده ، عن أبى هريرة :

« ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل ، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده ) ..

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يقول الله : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرنى في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ..

وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .. رواه البخارى ومسلم .

وعن معاذ بن أنس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال الله جل ذكره ..

« لا يذكرنى عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الملأ الأعلى » .. رواه الطبرانى

وعن عبدالله بن بسر ، رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن شرائع الاسلام قد كثرت على فأخبرني بشئ أتشبث به قال :

« لا يزال لسانك رطبا من ذكر

الله » .. رواه الترمذى

وعن مالك بن يخامر ، أن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، قال :

إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن قلت : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » ... رواه الطبرانى .

وعن أبى موسى ، رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« مثل الذي يذكر ( الله ) ربه والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت » .. رواه البخاري ومسلم .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال :

كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له جمدان ، فقال : « سيروا ، هذا جمدان ، سبق المفردون » ..

قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟

قال : « الذاكرون الله كثيرا » .. رواه مسلم والترمذى

وعن أم أنس ، رضى الله عنها ، قالت : يارسول الله أوصنى ، قال : « اهجرى المعاصى ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض ، فانها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فانك لا تأتين الله بشئ أحب اليه من كثرة ذكره » .. رواه الطبرانى

إن أولى الألباب يتفكرون في خلق السموات والأرض بعقولهم وبقلوبهم ، ويجدون صدى ذلك على ألسنتهم قائلين : ربنا ما خلقت هذا الكون البديع باطلا ، سبحانك عن الباطل . ويلجأون اليه تعالى في أن يجنبهم عذاب النار ، فان من يدخل النار مخلدا فيها ، فان الخزى يحيط به .

والخزى فيما يتعلق بدخول النار خاص ـ كما يقول أنس ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهما خاص بمن يخلد في النار . ولن يجد الظالمون الذين أشركوا بالله من نصير يجنبهم عذاب جهنم » .

ويتابع أولو الألباب دعاءهم بهذه الكلمات الجميلة الواضحة الوضاءة :

ربنا إننا سمعنا مناديا **( محمد )** ينادي للايمان ، أن آمنوا بربكم ، فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ( في زمرتهم ، والأبرار من خيار الصالحين )

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك : ( الجنة والرضوان )

أما النتيجة فهى :

فاستجاب لهم ـ ( معلنا ) ـ أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ( في الطاعة والأخوة ) ...

فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيلى ، وقاتلوا وقتلوا ، لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب ..

# القرآن الكريم يوقظ التفكير بالتمثيل تارة وبالاحتكام إليه تارة

للدكتور : أحمد الحوفي

لم يقتصر القرآن الكريم على تقدير العقل والعلم والفكر والتنويه بأقدار العلماء والسخرية من الجهال ، بل اعتمد في كثير من آياته على التمثيل والتصوير للتدليل على وحدانية الله وعلى قدرته ، كما عقب على كثير من الأحكام بالحض على التفكير في حكمتها .

(١)

فكثيرا ما ضرب الأمثلة للدلالة على أنه الله الواحد الأحد ، القادر ، ولاثبات البعث ، وللكشف عن حقائق يجب ألا يشك في صدقها عاقل ، قال تعالى : ( **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون** ) الزمر/ ٢٧ .

وقد جاء بعض هذا التمثيل مقرونا بالحض على التفكير ، أو تقدير العلماء والمفكرين ، أو مصحوبا بالسخرية من الجهال والأغبياء ، وهذا الضرب كثير في كتاب الله .

من هذا قوله تعالى : ( **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ) البقرة/ ٢٦٦ .

ففي هذه الآية تمثيل حال من عمل أعمالا طيبة لا يبتغي بها وجه الله ، فصارت عاقبتها وبالا عليه بحال من يمتلك حديقة ذات خصب وماء جار وثمرات ، وقد كبرت سنه ، وله أبناء صغار ضعاف ، فهو في أشد الحاجة إلى حديقته ، ثم حاقت بالحديقة صاعقة أحرقتها .

أرأيتم هذا المثال ؟

إن الله تعالى يضربه ويضرب أشباهه ، ويبين لكم الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته ، لعلكم تفكرون لتهتدوا إلى الحق ، ولتؤمنوا به ، وتذعنوا له .

وقوله تعالى : ( **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ) البقرة/ ١٧١ .

فشبه الذين كفروا وهم لا يستجيبون لمن يدعوهم إلى الايمان بالبهائم التي يصيح بها راعيها ويزجرها ، فلا تعي غير تصويته ، ولا تفقه شيئا مما يقوله أو يلفظ به ، لان الكفار صم عن الحق الذي يسمعون ، بكم عن الاقرار بما يجب أن يقروا به ، ضلال جهال لا يعقلون .

وقال سبحانه : ( **الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار** ) ابراهيم/ ٢٤ ــ ٢٦ .

فصور كلمة الحق طيبة ، وكلمة الباطل خبيثة ، وجعل الأولى مثل الشجرة الحسنة المثمرة المظلة النافعة الراسخة ، تعطى ثمراتها في حينها باذن الله .

اما الثانية فانها كالشجرة القبيحة الكريهة التي استؤصلت من مكانها ، فلا حياة فيها ، ولا رعاية لها ، ولا نفع منها . كذلك التوحيد يعمر القلوب ، ويهدى إلى طاعة الله والى العمل الصالح ، فينال الموحد المطيع ثواب الله في الدنيا وفي الآخرة .

وكذلك الشرك ، فانه باطل وقبيح وليس له خير ولا بقاء . وهكذا يوضح الله الأمثال للناس ، ويشبه لهم المعنويات بالمحسوسات ، ليفهموا ويعلموا ويؤمنوا .

وقال عز وجل : ( **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين** ) الجمعة/ ٥ .

وذلكم أن اليهود قرأوا التوراة ، وعلموها ، وكلفهم الله أن يعملوا بها ، ولكنهم لم يعملوا ، فصاروا كالحمار الذي يحمل كتبا ، لا نصيب له منها إلا الجهد والتعب ، وبئس مثلا هؤلاء اليهود الجاحدون للحق ، والله لا يهديهم ، لأنهم عصاة منكرون للحق .

كذلك مثل الله تعالى حال المؤمنين في شكرهم لله ، واعتمادهم عليه ، ومقابلة نعمه بما ينبغي من طاعة وخضوع ، وايمانهم بالبعث والجزاء ، ومثل حال الكفار في نكرانهم فضل الله ، وانكارهم البعث ، وغرورهم بما ملكوا ، واستعانتهم بغير الله ، وندمهم حيث لا يجدى ندم ، مثل هذا كله بأنه كان لكافر حديقتان من اعناب يحيط بهما نخل يجملهما ويحفظهما من الحرارة والتراب ، وبينهما زرع نضير مثمر ، وكانت الحديقتان تجودان بثمرهما موفورا ناضرا لم تنقصا منه شيئا .

وكان بين الحديقتين نهر يجرى ، ولصاحبهما أموال أخرى يثمرها ، فداخله الزهو والغرور بما يمتلك ، فقال لصاحبه المؤمن وهما يتحاوران : انني اوفر منك مالا ، وأكثر أولادا ونصيرا ، ثم دخل إحدى حديقتيه مغرورا ، ومعه صاحبه المؤمن ، فقال له : ما أظن أن هذه الحديقة تزول ابدا ، وما أظن القيامة آتية ، ولو أنها أتت وبعثنا كما تزعم فسأجد هناك نعيما يليق بي خيرا من هذا النعيم .

قال له صاحبه المؤمن : عجبا لك ، لقد كفرت بربك الذي خلقك وسواك ومنحك هذا النعيم ، أما أنا فمؤمن بالله ربي لا أشرك به أحدا . لقد كان عليك أن تقول حينما دخلت حديقتك : هذه من عطاء ربي ، ولست قادرا على حفظها وتثميرها إلا بتوفيقه واذا كنت يا أخي تراني أقل منك مالا وولدا فلعل ربي أن يعطيني خيرا مما أعطاك ، ويسلط على حديقتك ما يمحقها ، فتصير أرضا مجدبة لا ينبت فيها شيء ، أو يجعل ماءها غائرا لا ينبع منه شيء ولا يسقى . ثم تحقق ما ظنه المؤمن ، فان الله تعالى أهلك الحديقتين ، فجعل صاحبهما يقلب كفيه حسرة على ما أنفق في عمارتهما ، ويتمنى لو أنه لم يشرك بربه أحدا .

وفي تلك المحنة لم يستطع الكافر ان يحمي ماله ، ولم تقدر عشيرته على حمايته ، لأنه فقد نصرة ربه ، والله تعالى هو الناصر وهو الحافظ ، وهو الذي يجزل الثواب لأوليائه من عباده .

قال تعالى : **( واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا . وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا )** الكهف/٣٢ ــ ٤٤ .

## (٢)

اما المجال الآخر الذي يوقظ فيه القرآن الكريم العقول والتفكير بالتمثيل حينا وبالاحتكام إلى العقول والتفكير حينا آخر ، فهو الأحكام الشرعية .

وذلك أن بعض الأحكام الشرعية جاءت مقرونة بالتفكير ، لأن القرآن الكريم كثيرا ما عقب على الأوامر والنواهي بالدعوة إلى التفكير في أسرارها وفي آثارها وحكمتها ، ليتبين الناس ما فيها من خير لهم ، وليزدادوا يقينا بأن الله تعالى فرضها عليهم وهو العليم بنفوس عباده ، الخبير بما يلائم طباعهم ، المحيط بما يصلحهم ويصلح لهم ، الغني عن طاعتهم ، الذي لا تضره معصيتهم ، فالخير لهم في ان يعملوا ما أمرهم به ، وأن يجتنبوا ما نهاهم عنه عن عقيدة ويقين ، وألا يحتكموا إلى أهوائهم ، لأنها تصرف عن الحق ، وتزين الشر ، ولأنها تتغاير وتتنافر وتتبدل ، ولأنها تشيع في المجتمع البلبلة والاضطراب والفوضى ، فيفقد الوحدة والألفة والانسجام . ثم إن أحكام الأهواء مع هذا كله موقوتة لا دوام لها ، ضعيفة ليس لها من القوة الذاتية والوازع النفسي ما لشرع الله . قال تعالى **( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )** النور/٦٣ .

من الأحكام المقرونة بالدعوة إلى التعقل والتفكير أدب اجتماعي عظيم هو

قوله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم )** النور/٢٧ و٢٨ .

في هذه الآيات الكريمة أدب اجتماعي رفيع يأمر الله به عباده ، لعلهم يعونه ويتذكرونه ويعقلونه ويعملون به ، لأن فيه خيرا كثيرا لهم .

فلا يصح أن يقتحم أجنبي دارا غير داره قبل أن يستأذن ، ويحيي من فيها ، فان لم يجد بها أحدا فلا يصح له أن يدخل ، وان كان بها أحد ولم يأذن له بالدخول فعليه أن يرجع ، لأن هذا أدب اجتماعي لا بد من مراعاته ، حتى لا يؤذي أحد أحدا بمفاجأة أو اطلاع على ما لا يصح أن يطلع عليه من شؤون غيره وأسراره ودخائله ، وحتى يشعر كل شخص بأنه في مسكنه حر آمن طليق يستريح اذا شاء ، ويتصرف كما يشاء ، ويلبس ما يريد ، ويعمل ما يشتهي ، وينام كما يحب .

ولا شك أن الاستئذان تمهيد طيب للقاء الزائر والمزور ، وإعداد للحال النفسية الملائمة للمجالسة والحديث والمؤانسة .

كذلك اباح سبحانه وتعالى الطعام والشراب في أيام الحج ، وأباح للمسلمين أن يلبسوا ملابسهم ويتزينوا في صلاتهم ، لأن بني عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون من الطعام إلا ما يقيم حياتهم ، ولا يأكلون دسما ، يريدون بذلك أن يعظموا حجهم ، فقال بعض المسلمين : نحن أولى بأن نصنع هذا الصنيع ، فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا وبأن يلبسوا ثيابهم ويتجملوا في صلاتهم ، لأن الذين يحرمون التجمل وما لذ من طعام وشراب يكذبون على الله .

ووعد الله عباده المؤمنين أن تكون طيبات الدنيا التي يشاركهم فيها الكفار خالصة للمؤمنين يوم القيامة .

وجاء في ختام الآية أنه تعالى يفصل الأحكام لقوم يدركون ويعلمون ان الله تعالى هو الذي يحلل ويحرم ، ومعنى هذا أن التحريم والتحليل الخاضع للأهواء افتراء على الله ، واجتراء على العلم ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة ، أى حلال لك طعامك ولباسك ما دمت لا تسرف ولا تختال وتتكبر .

قال تعالى : **( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون )** الاعراف/٣١ و٣٢ .

وعلى هذه الشاكلة احتكم القرآن الكريم إلى العقول والعلوم والأفكار .

فأعز العقل ، واعتز بالعلم ، وقدر الفكر والتفكير ، لأنه الدين الخاتم ، ولأنه الدين الذي كرم الانسان ، وسما به مكانا عليا .

# يوم الفرقان

**للشيخ محمد الأباصيري خليفة**

عندما نادى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد كان ذلك إعلانا عاما بتحرير الانسان من العبودية لغير الله ، وبتحطيم الطواغيت التي تحول بين الناس وبين الدخول في سلطان الله .. لذلك هبت قريش ــ وهي الطاغوت المتسلط في مكة ــ تعارض الرسول وتناهض دعوته ، بكل أسلوب من أساليب الكيد والايذاء ، وبكل طريق من طرق الفتنة والاغراء .. وهاجر رسول الله والمؤمنون إلى المدينة ــ بعد عهد بينه وبين الأنصار على النصرة والمنعة ــ وهناك أقام دولة الاسلام وكان النبي يعلم أن عين قريش لن تنام عن محاربته ، والقضاء عليه وعلى دولة الاسلام الناشئة ، فاتخذ وسائل الحيطة والحذر كجزء من مقتضيات الحرب والدفاع عن النفس ، ومن هذه الوسائل إرسال البعوث لتكون عيونا على قريش ، فتأتي له بأنباء قوتهم وتحركاتهم ، ولم يكن لرسول الله بد من مناجزة قريش أنقاذا للدعوة من شرها ، وانتصافا من الظلم الذي أوقعته بالمسلمين في مكة ، ووقاية لدار الاسلام من العدوان والغزو .

وفي شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة علم رسول الله ــ صلى الله عليه

وسلم ــ بعودة أبي سفيان من الشام بتجارة عظيمة لقريش ، فخرج في جماعة من أصحابه لملاقاة التجارة والاستيلاء عليها ، وكان عدد من معه سبعة عشر وثلاثمائة رجل فلما قرب من جهة الصفراء أرسل رجلين من أصحابه إلى بدر ليأتيا له بخبر العير ، فلما كان الغد وصلته الأخبار بأن جيشا كثيفا لقريش هو القريب ، وأن القافلة قد غيرت الطريق ، واتخذت ساحل البحر ونجت .. وهكذا وعلى غير موعد نزل المسلمون ــ بقيادة النبي ــ بضفة الوادي القريبة من المدينة . ونزل جيش المشركين بقيادة أبي جهل بالضفة الأخرى البعيدة عن المدينة ، وبين الفريقين ربوة تفصلهما . أما القافلة فقد مال بها أبو سفيان إلى ساحل البحر أسفل من الجيشين ، ولم يكن كل من الجيشين يعرف موقع الآخر ، وإنما جمعهما الله هكذا لأمر يريده ، حتى لو أن بينهما موعدا على اللقاء ما اجتمعا بمثل هذه الدقة من ناحية المكان والزمان ، وهذا ما يذكر الله به المسلمين ، ليذكروا تدبيره وتقديره : ( **إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا** ) الأنفال / ٤٢ . أما الغاية التي دبر الله لها هذه الظروف ، وقدر لها هذا اللقاء ، فقد أنبأ الله عنها بقوله : ( **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم** ) الانفال / ٤٢ .

وهنا تغير الموقف عن الوضع الذي خرج الرسول وأصحابه من أجله فبعد أن كان الأمر ملاقاة تجارة قريش والاستيلاء عليها ــ وذلك أمر سهل المنال ــ أصبح ملاقاة جيش وفير العدد ، كامل العدة ، يتطلب جهادا مريرا وتضحية بالغة ، إذن فلا بد من استشارة المسلمين في أمر لقاء هذا الجيش ، لأن الاتجاه النفسي له وزنه الكبير في معارك القتال نصرا وهزيمة ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه كما روت كتب السيرة : إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول ، ولا بد من القتال ، وإلا طمعوا فينا ، وغزوا المدينة ، وقد وعدني الله إحدى الطائفتين ــ العير أو النفير ــ وما دامت العير قد نجت فلم يبق إلا النفير . فرأى بعضهم العودة إلى المدينة ما دامت العير التي خرجوا إليها قد فاتتهم وقالوا : إنه لا حاجة لهم بقتال الجيش الزاحف الذي يفوقهم في العدد والعدة ، واستمسكوا برأيهم كراهية في لقاء العدو ، وحكى الله ذلك في قوله : ( **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** ) الأنفال / ٥ ــ ٨ .

وليس في موقف الفئة التي كرهت لقاء العدو ما يطعن في ايمانها ، ففي مثل هذه المواقف المفاجئة تنكشف طاقة النفس البشرية أمام الخطر المباشر ، وتظهر

احوالها عند المواجهة ، وربما اهتزت على الرغم من طمأنينة القلب بالايمان ، وحسبها أن تثبت بعد ذلك ، وتطارد التردد ، وتصبر عند اللقاء .
ولما رأى كبار الصحابة تأثر الرسول وغضبه من جدال تلك الفئة في الحق بعد ما تبين ، قام **أبو بكر وعمر** فأعلنا تأييدهما للقتال وأحسنا القول ، ثم قام **المقداد ابن عمرو** وقال في شجاعة فذة ، وحماس متوقد : « امض يا رسول الله لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك مثل ما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه » .
وكان لكلمات المقداد أثر بين في نفوس المسلمين ، فلم يعارضه أحد ، وسر الرسول من قوله ودعا له بخير ، ولكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكتف بقول أبي بكر وعمر والمقداد لأنهم من المهاجرين ، وهو يريد رأي الأنصار لأنهم أكثر عددا ، وأقوى جلدا ، وليس في بيعتهم له ــ يوم العقبة ــ أن يشتركوا معه في حرب خارج مدينتهم ، فقال ــ بعد فترة صمت ــ كما روت كتب السيرة اشيروا على أيها الناس ، فقام زعيم الأنصار « **سعد بن معاذ** » وقال : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال النبي : « أجل » قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .
وتلاقت كلمات **سعد بن معاذ** مع كلمات **المقداد بن عمرو** فأوقدت في نفوس المسلمين الحماس للقتال ، وشحذت قلوبهم بالعزم على الكفاح ، فتخلوا عن الأطماع في الغنيمة ، واتجهوا إلى التضحية والفداء ، وصمموا على سحق الباطل ونصرة الحق .. وإذ ذاك تهلل وجه رسول الله سرورا وأشرق استبشارا ، وقال ــ وهو ينظر إلى سعد بن معاذ ــ كما سجلت كتب السيرة : « سيروا وأبشروا ، فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم » . ثم سار بالمسلمين حتى نزل بأدنى ماء من بدر . ونظر المسلمون فوجدوا المشركين بينهم وبين الماء ، فأصابهم حزن عميق لأن الماء مادة الحياة ، والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة ، وتنتابه الهواجس والوساوس ويدخل الشيطان من باب الايمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب ، قال علي بن طلحة عن ابن عباس قال : نزل النبي صلى الله عليه وسلم ــ حين سار إلى بدر ــ والمشركون بينهم وبين الماء ــ رملة وعصة وأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ ، يوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلون مجنبين .

فأمطر الله عليهم مطرا شديدا ، فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت الرمل حين اصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم ، ولقد كان ذلك قبل أن ينفذ رسول الله ما أشار به « **الحباب بن المنذر** » من النزول على ماء بدر ، وتعوير ما وراءها من القلب ، وقد ذكر الله هذه الرعاية للمؤمنين في قوله : ( **إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام** ) « الأنفال / ١١ » .
وكان من تدبير الله ومدده للمسلمين ، أن يرى رسوله الكافرين في منامه قليلا ، فيخبر أصحابه بذلك ، فيستبشروا ويتشجعوا على خوض المعركة ( **إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور** ) الانفال /٤٣ .
وحينما التقى الجمعان وجها لوجه أرى الله الفريقين ما أغراهم بخوض المعركة ، فالمؤمنون يرون أعداءهم قليلا ، والمشركون يرون المؤمنين قليلا ، وبهذه الرؤية التي رأى كل فريق منهما صاحبه بها تحققت غاية التدبير الألهي ووقع الأمر الذي جرى به قضاؤه ( **وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا** ) « الأنفال / ٤٤ » .
ولما بذل المسلمون ما في طوقهم ، وغالبوا الهزة الأولى التي أصابت بعضهم ، في مواجهة الخطر الواقعي ، ومضوا في طاعة الله واثقين من نصره ، كان حسبهم هذا لينتهي دورهم ، ويأتي دور الله وتدبيره ، في رعاية المعركة .
استجاب الله لاستغاثة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمد المؤمنين بألف من الملائكة يتبع بعضهم بعضا : ( **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ) « الأنفال / ٩ » ، وجعل مهمتهم تثبيت قلوب المؤمنين ، والمشاركة في المعركة بضرب أعناق المشركين وأرجلهم وأيديهم .
( **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب** ) « الانفال / ١٢، ١٣ » .
بدأت المعركة بالمبارزة كما كانت عادة العرب في ذلك الحين ، وانتصر المسلمون فيها ، ثم اختلط الفريقان ودارت معركة رهيبة ، وشد المسلمون على عدوهم ، وجعلوا كل همهم البطش بصناديد قريش جزاء ما صنعوه في حق المسلمين المستضعفين من تعذيب ، ولما رأى المشركون تزايد عدد قتلاهم ، وأن الهزيمة الساحقة تحيط بهم من كل ناحية هربوا يجرون أذيال الخيبة والعار ، وخلفوا وراءهم سبعين قتيلا ، وسبعين أسيرا من صناديد الشرك .. **وكان هذا الحدث العظيم في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة** ، وقد سمي ذلك اليوم ( **يوم الفرقان** ) .

○ لقد كانت غزوة بدر فرقانا بين الحق الأصيل الذي قامت عليه السموات والأرض ، والباطل الزائف الذي يقيم الفساد في الأرض .
○ وكانت فرقانا بين عهدين في تاريخ الحركة الاسلامية ، عهد الصبر والمصابرة ، والتكتل والانتظار ، وعهد القوة والحركة والنشاط والمبادأة .
○ وكانت فرقانا بين عهدين في تاريخ الانسانية ، فالقيم التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي كانت ملكا للمسلمين وحدهم قبل غزوة بدر ، أما منذ غزوة بدر فقد أصبحت ملكا للبشرية كلها ، تأثرت بها في دار الاسلام وفي خارجها .
○ وكانت فرقانا بين نظرتين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة ، حين انتصرت العقيدة الصحيحة القوية على الكثرة العددية والعتادية ، فتبين للناس أن أصحاب العقيدة الحقة عليهم أن يخوضوا غمار المعركة مع أهل الباطل ، ولو كانوا أكبر منهم في القوة المادية الظاهرية ، لأنهم يملكون قوة أخرى ترجح كفتهم وتجعل النصر حليفهم .
○ وقد قررت غزوة بدر حقيقة كبرى ، هي أن الحق لا يوجد في واقع الحياة ، وأن الباطل لا يزهق من دنيا الناس إلا بغلبة جنود الحق وظهورهم ، وهزيمة جنود الباطل واندحارهم ، أما مجرد المعرفة للحق والباطل فلا توجد حقا ، ولا تزهق باطلا ، وذلك منهج الاسلام في الحصول على الحقوق وصيانتها ، والحفاظ على القيم ورعايتها .
○ ولقد أعطت غزوة بدر في عالم الواقع أن الناس لعدم علمهم بالغيب يكرهون الشيء وهو خير ، ويحبون الشيء وهو شر .. لقد أراد المسلمون لأنفسهم لقاء تجارة قريش ليغنموا المال دون تضحيات ، وما كان أمرهم ــ لو تم لهم ذلك ــ يعدو أن يكونوا قوما أغاروا على قافلة فغنموها ! وأراد الله لهم أن يكونوا أصحاب فرقان بين الحق والباطل ، بين الحق الذي انتصر رغم قلة العدد ، وضعف العدة ، والباطل المدجج بالسلاح ، المدعوم بكثرة العدد ، فكان أمرهم أمر القلة التي انتصرت على نفسها ، وخاضت المعركة وكفة الباطل راجحة ، فقلبت بايمانها ميزان الظاهر ، فاذا الحق غالب ظافر ، وإذا الباطل كسير مهزوم .
وأخيرا . لقد كانت غزوة بدر تدبيرا من الله تعالى لاعلاء شأن الايمان والمؤمنين ، وخفض كلمة الشرك والمشركين ، وإعلاما واضحا بأن النصر في بدر كان لله وحده ، وأن النصر دائما لا يكون الا منه **( وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم )** « الأنفال / ١٠ » .
وثمن هذا النصر عمل صالح وجهاد صادق **( إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم )** « محمد / ٧ » ، **( ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور )** « الحج / ٤٠ ، ٤١ » .

# العقل والروح معاً على الطريق

في حديث منصرم على صفحات هذه المجلة الغراء الرائدة ، ألوينا عنان اليراعة الى الحديث عن الروح باعتبارها من أمر الله الخالق المبدع ـ جل ثناؤه ـ بحيث تتأبى على مناهج البحث العلمي ، وتتعالى على أساليب الاستقراء ... فهي لذلك تقتعد مكانا سامقا تنخلع الأعناق دون الوصول إليه ، وتندق الهامات إذا هي حامت حواليه ..

ولقد نظرنا إلى الروح على أنها تمثل تلك اللطيفة النورانية المدركة ، التي تمنح الانسان القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب ، وتعطيه المقياس الصائب والميزان الحساس الذي

للدكتور عبد الفتاح محمد سلامه

يحتكم إليه عندما تدلهم الأمور ، وتكتنفها حنادس الليل البهيم .. وهي بهذا المفهوم المشرق تلتقي مع العقل الانساني في حبكة ، وتقوم بينهما ـ دوما ـ معاقد نسب وشبكة ... فالسيرة واحدة ، والغايات بينهما متعانقة ، تتمازج كلها لتصب في معين واحد ، هو الطهر والصفاء ، والبر والنقاء ... وذلك هو المفهوم الديني الرشيد ، والمنطلق القرآني العجيب الذي يصدر عنه العقل ، وتقتبس منه الروح في سبحاتهما الجوالة في ملك الله الرحيب .

ولا شك أن الروح ـ بتلك النظرة الزاكية ـ عنصر عظيم ... جليل .. مشرق ... مستنير ... شفاف ... رفاف ... لأنه متدل من الديمومة الالهية الماجدة ، ولا شك أنه ـ كذلك ـ عالم فوق المادة ... فوق هذه النواميس الأرضية ، عالم كله نور ... كله صفاء ... وعلى الرغم من كونها غير مرئية لنا بوسائلنا المحسوسة ، إلا أنها كائنة بآثارها الجارية المتجددة ... ويا لسخف مزاعم الماديين ، وسماجة ترهات الملحدين الذين أنكروا الروح لأنها غير ملموسة لهم وليست خاضعة لتجاربهم المبتورة الشوهاء ، وإن أكبر لطمة توجه إليهم ، يسوقها العلم نفسه .. فان هناك من الماديات ما نحس بآثاره تنعكس على حياتنا ، ومع ذلك ما زال العلم يعجز عن تفسيره عجزا صارخا ... والمثل على ذلك : الكهرباء والأثير ... فاذا ما سألت واحدا من هؤلاء الشامخين بأنوفهم كبرا ، المنتفخة أوداجهم غرورا وحمقا ، الذين يزعمون لأنفسهم تمكنا في العلم ورسوخا في البحث ، وهم في حقيقة أمرهم كما وصفتهم الآية الكريمة : ( **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ) الروم/ ٧ . إذا ما سألت واحدا من أولئك الأغرار وقلت له : ما حقيقة الأثير ....؟ وما كنه الكهرباء ......؟

فانه لن يحير جوابا .. لأن العلم صاحب القفزات الهائلة والخطوات المديدة ، ما قال كلمته في هذه المجالات المثيرة حتى الآن .. وصدق الحي القيوم العليم : اذ يقول : ( **ويخلق ما لا تعلمون** ) النحل/ ٨ ( **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ) الملك/ ١٤ .

هذا الكائن النوراني الباهر وهو الروح ... قد يعبر القرآن العزيز عنها

بصيغة النفس الانسانية ... فيذكر صفاتها ونعوتها ... فيقول الله تبارك وتعالى : **( وهديناه النجدين )** البلد/١٠ ... ويقول: **( ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها )** الشمس/٧ ، ٨ ...

فالنفس المجردة هي نفس مخيرة تفعل الخير كما تفعل الشر .... تقدر على الخير ... وتقدر على الشر ... حتى تكون أهلا لتقلد أعباء المسئولية المتكاملة ، فتصبح بعد ذلك خليقة بالثواب تفوز به ، او قمينة بالعقاب تتجرع غصصه وتكتوى بمرارته ، وهي في كلتا الحالتين : من حقها أن تأخذ زمام المبادرة ، متى حددت معالم المنهج الذي تبغى السير عليه : **( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** الكهف/٢٩ .... **( ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة )** الانفال/٤٢ .

ومن فضل الله السابغ عليها ( اى النفس ) : أن وضع بين يديها الوسائل التي تستخدمها وتستعين بها على الخير ... برغم ما قد يكون مغلفا به ــ في بعض الأثناء ــ من قسوة صارمة ، ومرارة بالغة ... إن هي تجردت له ، وتوجهت إليه ، وفي ذات الحين هناك الوسائل إلى الشر شاخصة ماثلة ، وهي في متناول هذه النفس وفي مقدورها أن تسلكها لتصل إلى ما تريد ... علما بأن هذا السبيل تسيل من حواليه الشهوات المعسولة ، وتكتنفه المغريات البراقة ، التي يجري لها اللعاب ، وتتحلب لسحرها الأشداق ، وذلك عندما تتبدى للانسان في هذه التزاويق الخبيثة الماكرة ..

هذه اللطيفة الربانية التي نسميها بالمفهوم الديني الشفاف ، مرة « بالعقل » ، ومرة ثانية « بالقلب » ومرة ثالثة « بالروح » ... هي التي تقدر وتتدبر ، وانت ــ ابن هذا الكوكب الأرضي ــ تستطيع ان تدرك بها الخير والشر ، وان تميز بينهما ... وهذه المنحة الالهية الزكية ، مستعدة ــ بما ذرأه الله فيها من استعداد ، وما بثه الله فيها من طاقات ــ للترقي العلمي والعرفاني الى أقصى الحدود الممكنة ، فليس الانسان ملكا ، كل اتجاهه إلى الخير ، كما أنه ليس شيطانا ، كل اتجاهه إلى الشر ، ولكنه مهيأ بحكمة الله تعالى للاتجاهين .

فالنفس الانسانية واسعة الحدود ، مرنة الطبيعة ، تقبل الخير كما تقبل الشر ..

ومما تجدر ملاحظته .. أنه مع التسامي بالنفس الانسانية في القرآن ذلك الكتاب المقدس ، ومع أن هذه النفس عالمة فاضلة ، مع أنها مشرقة مستنيرة ، فان الانسان لا يذكر غالبا في التنزيل الحكيم إلا ومعه الميل الى الشر ... والانسياق إلى الجهل والظلم ، والاندفاع مع تيارات الخوف الرعناء ، ثم هذا الجزع المتخاذل يكتوى بناره ، ويتجرع غصصه ... قال تعالى : **( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه**

**كان ظلوما جهولا )** الاحزاب/٧٢ .
**( إن الانسان لربه لكنود )** العاديات/٦ **( والعصر . إن الانسان لفي خسر )** العصر/ ١ ، ٢
**( إن الانسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا )** المعارج/١٩ ــ ٢١ .
ويمكن أن يعزى هذا كله .. إلى أن النفس الانسانية حينما احتلت هذا الجسم الترابي ، وذلك الغلاف الطيني ... وهي كائنة بوضعها الرباني .. نسيت وجهلت وتطبعت بطابع الاناء والوعاء الذي نزلت فيه ... وحلت به ... تطبعت بميول المادة وخصائصها ... ليس هذا فحسب ... بل إن الشيطان قد سلط عليها ... وما زال يسيطر عليها ويزين لها ... واذا كانت النفس قد خدعت بالشيطان وهي في أمرها الأول ... فما بالك وقد نزلت إلى وطنها الثاني والى وعائها المادي مع علو الأصل وسمو الخلق ؟..
وقد يتبادر إلى ذهنك هذا السؤال : ما الدواء ؟ وما العلاج ؟ هل تهوى الانسانية أبدا ؟ هل تغوى البشرية على طول الخط ؟ أبدا لن تهوى الانسانية لأن معها عاصما يحرسها من أن تكبو ... **( إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر )** العصر/٢ ، ٣
ولن تغوى البشرية لأن حاميا يأخذ بيدها ويجنبها العثار ، ويحفظها من المزالق .... **( إن الانسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون )** المعارج/١٩ ــ ٢٣ .
فالعلاج إذن لهذا الصدأ ، في ذاك المطهر لتلك الأدران ، هناك المدد من النور ، الذي يغشى الانسان في سبحات طهور ، فيجعله ينغمس في بحار الهداية ، ويرشف من كأس الفوز ، عن طريق الجهاد الدائم المستمر الدءوب ... لم يترك الله الانسان سدى ، ولم يخلقه عبثا ، بل أرسل إليه الرسل ومعهم الكتب ، حتى يمكن حفظ الروح على طهرها ، ولكي يدوم إقبال العبد على ربه ، متبتلا إليه عابدا له ، ومن هذا المنطلق يواصل العقل الانساني مسيرته الظافرة في كنف الدين ، وفي رعاية الرسل الأكرمين ، وتحت هذا اللواء الخفاق لواء القرآن الكريم ، الذي يرفد الانسان بمعطيات لا نهاية لها ..
**( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي )** يوسف/٥٣
**( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين )** العنكبوت/٦٩ .
ومن هنا تظهر لنا حاجة العقل الماسة إلى الدين الخاتم للأديان ، وهو الذي نقله الينا ــ بأمانة ونزاهة ــ أستاذ الرسل وزعيم الأنبياء محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلوات وأتم التسليمات ، في الكتاب الذي شرفه الله به وهو الفرقان **( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون**

**للعالمين نذيرا )** الفرقان/١ .

وذلك بقصد أن يحتفظ العقل بمساره في استقامة واعتدال ، مهما كانت ضراوة الرياح الهوج ، وكيفما بلغت الأنواء في وقعها ونكايتها .

واذا كان سيدنا ومولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام ... هو الصورة الحقيقية الحية للمثل الأعلى الانساني ، فان القرآن – وهو الدستور الذي نزل على محمد – هو بلا مراء يحكى الصورة المضيئة للمثل الأعلى الرباني ... ولا بد للعقل أن يأخذ عن هذين المثلين ، ويغترف من معينهما الغزير ، ويكرع من نبعهما الثر الوفير ، ولا مناص له – ليستوى على الجادة – أن يقتبس من هذه الأنوار ، ويعبق نفسه من شذى تلك الأزهار ، ليلج بحر الحقيقة الموار ، وينتظم بشفافيته في زمرة الملائكة الأطهار ، وبذلك يتسنى لابن آدم ان يصير من عباد الله المصطفين الأخيار .

**( وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار )** ص/٤٧ .

ولكى يأخذ الحديث مساره الصحيح ، وتكون له أبعاده المطلوبة ، نرى لزاما علينا أن ندلى بكلمة عن هذين المثلين ... وهما يمثلان الدائرة المضيئة الكاشفة للعقل الانساني ..

فما هو المثل الأعلى الرباني ؟ وما هو المثل الأعلى الانساني ؟

يقول الله تعالى : **( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم )** المائدة/١٥ ، ١٦ .

لا بد لمعرفة المثل الأعلى الانساني والمثل الأعلى الرباني ، من ذكر بديهيات عامة نسير على ضوئها ، وهي بديهيات يقبلها ويسلم بها كل عقل ، وهي تتعلق بخصائص المثل الأعلى ..

يجب أن يكون المثل الأعلى الانساني حائزا لأقصى كمال انساني ممكن ، والا فلو كان هناك كمال إنساني يفوقه فليس هو بمثل أعلى ..

كما يجب أن يكون صالحا للاقتداء به في كل زمان ومكان ، فاذا لم يصلح فهذا دليل على نقصه ، اذ يجوز أن تكون علة عدم الصلاحية إنما هي راجعة إلى وجود الأكمل ... ولو لم يكن حائزا لهذه المرتبة الجامعة لما جاز للعلماء أن يبحثوا عنه في القرن العشرين في أوروبا وأمريكا وآسيا .

وأخيرا يجب أن تتصف جميع أقواله وأفعاله وأحواله بأقصى مراتب الكمال الممكن حيث إنه المثل الأعلى للكمال الانساني ..

نطرح بعد ذلك هذا السؤال الهام ولا تحتاج الاجابة عليه إلى مزيد من عناء الفكر ، وكد الخاطر ..

من ذا الذي يحيط علما بكل كمال إنساني ممكن صالح لكل زمان ومكان ؟؟

إن الذي يعلم ذلك يجب أن يحيط علمه

بحقائق البشر جميعا ، وما يليق بكمال كل منهم في كل زمان ومكان ، والا فلو فاته شئ من ذلك فيجوز أن الذي فاته هو الأكمل ... ولا يحيط بذلك إلا من علم ماهية الوجود وحقيقة كل شئ ، ليعلم مواطن الكمال الحقيقي الثابت ، والا لكان كمالا نسبيا تابعا لتعلق المعلومات ، يزيد بزيادتها وينقص بنقصها .

ومن ذا الذي يحيط علمه بماهية الروح والعقل والنفس والمادة وحقيقة كل شئ وعلاقة الحقائق ببعضها ، ويمتد علمه إلى الماضي ويشرف على الحاضر والمستقبل ، ومعنى ذلك أنه لا يغرب عن علمه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر في الأرض ولا في السماء ، في الدنيا والآخرة ، هذا العلم ليس في طاقة المخلوقات جميعا .

من إله غير الله يعلم هذا في إحاطة وشمول ؟

**( وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون )** الأنعام/٨٠ .

الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يحيط بكل كمال إنساني ممكن إذ أحاط علمه بكل الممكنات وتفاصيلها ، وبالموجودات ومراتبها ، وبالكائنات ومصائرها ، فلا يمكن لبشر ان يتحقق بمرتبة المثل الانساني الآعلى إلا بتعريف من الله .. عز وجل .

وبناء على كل ما ذكرناه ... يجب أن يكون المثل الانساني الأعلى صاحب شريعة جامعة لكل الكمالات الممكنة ..

واذا لم يكن في وسع البشر ولا المخلوقات جميعا حصر الكمالات الانسانية المكنة ، والاحاطة بها ، لما يقتضيه ذلك من علم لا تطيقه الموجودات ... فقد وجب أن تدور هذه الشريعة حول كتاب إلهي جامع لهذه الكمالات ومحيط بها إحاطة شمول ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة تسعد الخلق أو تشقيهم إلا أحصاها : هذا الكتاب الالهي الفذ هو المعجزة الخالدة الباقية ... ولو اجتمعت المخلوقات برمتها على أن يأتوا بآية من آياته لباءوا بالعجز ، ورجعوا بالخيبة وبوار السعي ..

ويتولى المثل الانساني الأعلى تطبيق هذا الدستور الالهي الجامع ـ الذي أنزله الله عليه ـ وينفذ أحكامه ، فيبينه للناس بأقواله وأفعاله وأوامره ونواهيه ليهتدوا بهديه ويسيروا على ضوئه فيسعدوا في الدنيا والآخرة .

والذي يتلقى عن الله هذا الكتاب الجامع لكل كمال يجب أن يكون هو جامعا لكل كمال بشري ممكن ، ذلك لأن المتلقي لو كان ناقصا لما صلح لقبول هذا الكتاب ولا لبيانه ولا لتبليغه ، ومحال أن يوحي الله بكتاب إلى من لا يفهم ... ولو كان المتلقي ناقصا لبلغه ناقصا وهذا طعن في كمال الكتاب نفسه .. فالذي يتلقى هذا الكتاب الالهي يجب ان يكون متحققا ومتخلقا بجميع ما في هذا الدستور من كمالات ...

فما هي خصائص الكتاب الالهي ؟ أو ما علامات المثل الأعلى الرباني ؟ ذلك موضوعنا الذي سنعالجه في حديث آخر .

# المجتمع القرآني

## رسالة الاسلام الأولى

للاستاذ : طه محمد كسبه

لعل من المقولات التي أصبحنا نتداولها اليوم دون أن نعقب ، هي أن التاريخ لا يكذب ..

ومن الثابت تاريخيا أن الانسانية عاشت قبيل ظهور الاسلام في فساد شامل ، وأوضاع مضطربة يسودها الظلم ، وتعمها الفوضى ، حيث مرت الانسانية بفترة من أخطر فترات حياتها ، حيث نسيت التعاليم الدينية واحتجب الضمير وراء غشاوات الطمع والاستعلاء ، وانقلب حال الدنيا إلى ظلم مطبق ، وصار الناس بلا دين ينظم حياتهم ، ويصلح من شأنهم ، ويقضي على مفاسدهم ، وعاشت البشرية تعاني من ويلات الاضطرابات الاجتماعية ، ووطأة الصراع المادي المقوت ، وانقسم الناس الى طبقات حاكمة وأخرى محكومة ، وبرزت قيم جديدة في التعامل بين الناس تقوم على الجنسية والعنصرية والمذهبية وحيث الحاكم قاهر ، والمحكوم مقهور ، حتى ضجت السماء من مفاسد الأرض وكان لا بد من ثورة إصلاح كبرى تعيد للانسانية ما خسرته ، وترشدها إلى الطريق السوى ، بحيث لا يستطيع أن يقف في وجهها بشر .

وجاء الاسلام ، بظهوره ، ليصحح تلك الأوضاع ، ويرد إلى الانسانية السعادة والاستقرار ، فكان أن رفع عنها أسرها وحطم أغلالها ، وأظلها بتعاليم العدالة

والمساواة والكرامة ، فجاء زاخرا بعناصر القوة ، مليئا بأحاسيس الحياة يرشد الحائرين ويهدي الضالين إلى سواء السبيل :

**( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم )** المائدة/ ١٥ و١٦ .

ولقد أخذت الدعوة الاسلامية على عاتقها عبء حماية المستضعفين ، وعملت على إقرار حقهم في الحياة العادلة ، وهداية البشر إلى طريق العدل الاجتماعي والارتباط الروحي والفكري والوجداني ، حتى يعيش الانسان يومه وغده في أمن وسلام ، حين حملت للناس أكرم ما في الحياة من مبادىء ، وأسمى ما تصبو إليه الانسانية من مثل أذابت الفوارق ، وحاربت الطغيان ، وقضت على آفة التفاخر بالأحساب والأنساب والأموال والثروات ، وأعلنت الوحدة والمساواة بين كل البشر .

ولقد كان أول ما هدف إليه القرآن الكريم ـ لسان حال الدعوة الاسلامية ـ هو إقامة المجتمع القرآني الشامل الذي تحدث عنه وافاض ، وجاء ذكره في مواضع عدة ، بحيث جاء هذا الحديث شاملا يحيط بجوانب هذه المسألة إحاطة أعجزت الدارسين والمهتمين بدراسة المجتمعات الانسانية ، ذلك أن الاسلام كان حريصا على إقامة مجتمع جديد تكون الكلمة العليا فيه لله ولكتابه الكريم ، وتوجيهات نبيه العظيم عليه الصلاة والسلام .

ولقد عمل الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، والمسلمون قدر طاقتهم على تنفيذ أوامر السماء نحو تأسيس هذا المجتمع القرآني الناشيء ، في المدينة المنورة بعد الهجرة ، وبعد انتقالهم إلى دار الأمان والسلام ، ليبدأ عمله في إقامة المجتمع الذي نادى به القرآن الكريم على مدى ثلاثة وعشرين عاما .

وفي مواجهة مجتمع الجاهلية كان على القرآن الكريم ، وعلى الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ، وعلى المسلمين كذلك أن يجدوا السعي نحو إقامة هذا المجتمع الجديد الذي يوفر لهم الأمن والاستقرار والسعادة في الدنيا والآخرة ولقد دخل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وصحابته في معارك طاحنة في سبيل إقامة هذا المجتمع الاسلامي ، ومن هنا نستطيع أن نقول :

١ ) إن هذه الرسالة الاسلامية الجديدة قد خطط لها الله سبحانه وتعالى خطوطا ثابتة تبدأ بالايمان الذي هو ركيزة الاسلام الأولى ، إيمان بالله وحده ، وافراده بالتقديس ، ذلك أن الايمان هو الشعلة التي تضيء للمؤمن ظلمة حياته وتحمله على أن يكون عزيزا لا يرضى بالهوان ، قويا يأنف من الجور والطغيان ومن الاتيان بصغائر الامور .

**( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ**

**بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ) آل عمران/٦٤ .

٢ ) كما استطاع القرآن الكريم أن يغرس في المؤمنين به الاحساس بانهم كرماء على الله بتفضيله لهم على كثير ممن خلق ، وذلك لأن استشعار المؤمن لهذا المعنى النبيل يدفعه إلى المطالبة بحقه في الحياة على مستوى التكريم الذي لقيه من الله سبحانه وتعالى ، فكل ما في السماء وكل ما على الأرض مسخر من أجل خدمة الانسان الذي هو أكرم مخلوقات الله جميعا :

( **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ) الاسراء/٧٠ .

٣ ) كما فرض فيهم – كذلك – الاحساس بانهم إخوة فلا يحق لأحد أن يتعالى على أخيه ، ولا أن يبغي مؤمن على مؤمن ، فكلهم من آدم ، وآدم من تراب ومعيار التفاضل بينهم هو التقوى والعمل الصالح :

( **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ) الحجرات/١٣ .

٤ ) وفي مجال التطبيق العملي لرسالة السماء كان للقرآن الكريم مواقفه التي تحسب له حيث لا استثناء لأحد على حساب العدالة والحق ، كما أن لا خصوصيات لأحد على حساب المجموع مهما كان هذا الأحد ، ذلك أن الجنة لأولئك الذين يعملون وفق رسالة السماء والذين لا يخالفون أمر الله :

( **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** ) النساء/١٢٣ و١٢٤ .

٥ ) ولذا .. فقد جاء القرآن الكريم يعلن ان هذه الدعوة الاسلامية لا تحتمي بجنس أو تقتدى بعنصر أو عصبية قبلية ، أو مذهبية كما ادعى اليهود والنصارى وزعموا ، لكنها رسالة السماء لأهل الأرض جميعهم :

( **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ) البقرة/١١١ .

٦ ) وخطا الاسلام خطوات واسعة وسارت الدعوة في طريقها ، وأصبح المسلمون مهيئين لاستقبال المزيد من تعاليم السماء ، وكان أن نزل الوحي لهذا المجتمع الجديد بالمزيد من التشريعات الاجتماعية بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية التي يسعى إليها بشكل يسع الناس أجمعين بحيث لا اعتبار لجنس أو مذهب أو عنصر ، فالناس في عدل الله سواء وهم على سطح الأرض إخوان متحابون متعاونون :

( **إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم**

**لعلكم تذكرون )** النحل/ ٩٠ .

٧ ) وتأسيسا على ما سبق فان هذه الرسالة الوليدة قد جاءت لترفع من شأن المستضعفين في الأرض واستجابة من السماء لآلامهم في الخلاص من ظلم أبناء الأرض فجاءت لتؤكد على إنسانيتهم وإنصافهم ، ولتعلي من أقدارهم مؤسسة بذلك مجتمع البر والتقوى والعدالة والمساواة :

**( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا )** الكهف/٢٨ .

٨ ) ولقد كان على هذا المجتمع الجديد الذي تأسس على هذه القواعد المتينة والراسخة أن يتصدى للمتاجرين بالاديان والناس ، والمقامرين بأقدارهم كما كان لزاما على القرآن الكريم مواجهة جيوب المنتهزين من تجار الرجعية الدينية الذين شوهوا وجه الحق ، يفضحهم ويكشف زيفهم :

**( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون . وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون )** البقرة/ ٧٩ ــ ٨٢ .

وبهذا الشكل ، وعلى هذا النمط تأسس المجتمع الاسلامي الذي دعا إليه القرآن الكريم ، بوحيه الذي نزل على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وأقام بنيانه وأقيمت قواعده وتأسست لبناته على أسس متينة ، هذا .. المجتمع الاسلامي الذي كان شغل الرسول الكريم الشاغل ، ولقد استبانت هذه الملامح بقيام المجتمع القرآني في المدينة وفي كل الامصار والبلاد التي تم فتحها على أيدي الفاتحين العظام من ابناء الاسلام .

لقد قام في الجزيرة العربية ، وفي كل أرجاء العالم الاسلامي الذي شيده الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وصحابته الأبرار الأفذاذ مجتمع قرآني بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ودلالات .

أ ــ هذا المجتمع تسوده المساواة حيث لا تفرقة أو عصبية ، أو أي شكل من أشكال التميز العنصري **( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا )** النساء/١ .

ب ــ وهو مجتمع ليس فيه مكان لحقد أو حسد ، مجتمع تظلله المحبة والاخاء : **( قل أعوذ برب الفلق .**

**من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد )** سورة الفلق .

جـ ـ مجتمع دليله التعاون وسبيله التناصح ، يعمل أفراده بروح الفريق شعارهم التضحية والايثار : ( **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون )** الحشر/ ٩ .

د ـ مجتمع ينهي أصحابه عن لمز بعضهم البعض احتقارا واستصغارا لهم ولشأنهم سخرية وهزؤا ( **( يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون )** الحجرات /١١ .

هـ ـ مجتمع ينهي أبناءه عن التجسس والظن ويحول بينهم وبين الغيبة والنميمة : ( **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم )** الحجرات/١٢ .

و ـ مجتمع لا يكذب ولا ينشد إلا الصدق : ( **فنجعل لعنة الله على الكاذبين )** آل عمران/ ٦١ ( **هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم )** المائدة/ ١١٩ و ( **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين )** التوبة / ١١٩ .

ز ـ مجتمع شعاره العدل ووسيلته إلى ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب المظالم : ( **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا )** النساء/ ٥٨ .

وعلى هذا تأسس المجتمع القرآني ، بوحي من رسالة السماء ، وبفعل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وعلى سواعد صحابته الأبرار من المهاجرين والأنصار ، والفاتحين لديار الظلم والشرك والوثنية .. مجتمع يسوده الحب والاخاء ، والتعاون والمساواة ، يظلله العدل والسماحة .. مجتمع قرآني عظيم .. وحتى يحقق إرادة الله .. في بعث أمة إسلامية مجيدة تؤمن بالله وتوحده ، تؤمن بقرآنه ورسالته ، وتوقر رسوله الكريم وتؤمن بنبوته .. مجتمع قرآني فريد .

## المجتمع القرآني ودعوى صراع الطبقات

لعلنا نستطيع أن نتبين بشيء من الموضوعية ، والدراسة المتأنية ، والنظرة المتأملة ، ومن خلال الاستقراء الموضوعي ، والتحليل

السليم لمكونات ودعائم وسمات هذا المجتمع الاسلامي الذي بشر به القرآن الكريم ، وعمل على إقامته وقام رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وصحابته بتشييد بنيانه ، نجد أن القرآن الكريم بدعوته – وتبشيره – قد سعى إلى إيجاد مجتمع قرآني أخوي متحاب ، لا مكان فيه لايثار طبقة على طبقة ، ولا فئة على فئة ، ولا طائفة على أختها ، ذلك أن الدين الذي آخى بين المهاجرين والانصار ، والذي آخى بين المسلمين في كل بقاع الأرض والذي وضع أصول الحكم والاقتصاد والسياسة والاجتماع لهذا المجتمع الجديد ، قد استطاع أن يوجد تلك الامة الاسلامية الواحدة ، وان يوجد ذلك المجتمع الاسلامي الواحد الذي هو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

هذا المجتمع الاسلامي الذي تأسس بوحي السماء ، وبتوجيه الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ، قد عمل على إرساء قواعد العدالة والتكافل الاجتماعي محققا بذلك عدالة اجتماعية فريدة لم تسبقه أية نظرية أو فلسفة .

والمتتبع لروح الاسلام في تشريعاته ونظمه المالية يرى أنه قد سار فيها على هدى فكرته الانسانية الشاملة وهي ملاحظة الفرد وتحقيق مصلحة الجماعة ، ووقف بين ذلك قواما لايضار الفرد ولا الجماعة ، وانه قد اعتمد في ارساء قواعد العدالة الاجتماعية على ركنين اساسيين هما التشريع والتوجيه ، وهما معا قوام النظام المالي كما انهما قوام كل سياسة في الاسلام .

ان الاسلام حين حاول تحقيق هذه « الاجتماعية » لم يشأ ان يكون التشريع وحده هو الذي يكفلها بل وجه الى التشريع قوة الضمير بعد تهذيبه ، وذلك ليرتفع بهذه العدالة عن ان تكون عدالة اقتصادية محدودة بل عدالة انسانية شاملة ثم هتف بهذا الضمير ان يتسامى فوق التكاليف المشروعة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، واقام الاسلام عليه رقيبا من خشية الله وصور له هذه الرقابة في صورة مؤثرة رائعة ، **( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين )** الانبياء/٤٧ ٧

**( مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم اينما كانوا )** المجادلة/٧ .

انه من الممكن ان تصبح الحياة والمجتمعات صالحة اذا نفذت التكاليف المشروعة في الاسلام ، لكنها تكون دون الكمال الذي يهدف اليه هذا الدين القيم ما لم تتم بما يوجه اليه الضمير البشري من ارتفاع وتسامح ، والتوجيه الوجداني في الاسلام هو القوة المكملة للتكليف التشريعي ثم هو الكفيل بتنفيذ هذا التكليف عن طواعية واقبال ويمنح الحياة قيمتها الانسانية الكريمة

المتسامية عن القيود .

ولعل الزكاة التي فرضها الاسلام والتي هي احد اركانه الاساسية مثال طيب ودليل لا يقبل الجدل على ما نقول ، وهذا على عكس ما قال به الماركسيون وادعوه باطلا وبهتانا من ان الاسلام قد شهد صراعا طبقيا اخذ في طريقه كل شيء .

ذلك ان مبدأ التكافل الاجتماعي الذي ارسى الاسلام قواعده قد الغى كلية كل اسباب ومقومات نشأة صراع طبقي من اي نوع ، كما ان الاسلام قد حافظ وكان حريصا كل الحرص على حسن تطبيق المبدأ الذي استنه والذي به استطاع ان يحافظ على بناء المجتمع الاسلامي حيث يتم التغيير والتقدم من الداخل في اطار من الحب والمودة والسلام الاجتماعي الذي كفل لهذا المجتمع تقدمية الحركة وسرعتها الى الامام .

ان هذا التكافل الاجتماعي ، والسلام الاجتماعي الذي ترسخ في بناء هذا المجتمع الاسلامي قد حالا دون وجود هذا الصراع الطبقي الذي يحاول دعاة الماركسية ان يثيروها الآن بدمويتهم المقيتة ، وبافكارهم السامة ، وعقيدتهم المادية المشبوهة .

ولقد اخطأ الماركسيون والشيوعيون العرب وغيرهم في تفسير التاريخ الاسلامي ، كما انهم لم يستوعبوا بعد مضمون وجوهر الرسالة الاسلامية ذلك ان هذا الصراع الذي ثار بين المسلمين بعضهم البعض والذي اتخذه الماركسيون دليلا على صحة دعواهم انما كان صراعا ذا طابع سياسي ولم يكن صراعا طبقيا ، تغلبت بموجبه طبقة على اخرى ، اوفئة على اختها .

والخطأ الذي وقع فيه الشيوعيون في وطننا العربي والاسلامي ، انهم قد نظروا الى التاريخ الاسلامي بنصف عين ، ذلك انهم لم يقرأوا التاريخ الاسلامي كله ، كما انهم لم يقرأوا التاريخ البشري كله ، وكل الذي فعلوه انهم ساروا على نهج امامهم ماركس ، حين تخير احداثا بعينها في تاريخ البشر واطلقها على التاريخ كله ، فقد كانوا يقرأون ما كان يعينهم — ويتفق مع اصول نظريتهم الاولى — على استخراج افكارهم واحكامهم وآرائهم ، فكان ما يثير انتباههم ويلفت انظارهم ، منظر تلك الدماء التي تسيل من صفحات التاريخ ، ولم يكن ينفذ الى انوفهم سوى رائحة الدم ، يسيرون وراءها ويدللون عليها ، ويتتبعون خيوطها ، ويستخرجون منها احكاما ومبادىء وافكارا واستنتاجات يطلقونها على التاريخ كله ، على وجه العموم ، او التاريخ الاسلامي خاصة ، مثلما فعل ماركس حين اعتمد في استنباط نظريته عن التاريخ على بعض مراحل التاريخ دون الاخرى والتركيز على بعض احداثه دون اطلاقه ومن هنا تسقط دعوى اطلاق الصراع الطبقي وحتميته على المجتمع الاسلامي ذلك ان الاسلام لم يكن اساسا من افراز النظام الطبقي في قريش ولم يكن الاسلام ايضا دينا رجعيا يحفظ

للظالمين والمستغلين اموالهم وامتيازاتهم كما انه لم يكن مخدرا للفقراء والمحتاجين والمعدمين ، يجعلهم في حالة تبدل دائم ورضى بفقرهم وعجزهم ، كما دعا الى العمل والحركة والسعي على الرزق ، ومجاهدة النفس والمشركين والمستغلين ، وكان بحق ثورة ضد اعداء السماء والانسان .

وكون الاسلام ثورة متجددة لا يعني انه جاء نتيجة انقلاب عسكري او سياسي قام به مجموعة من الافراد الذين يطلقون على انفسهم ثوارا ، او مجموعة من العسكر ، كما لا يعني ذلك انه جاء نتيجة انقلاب مناظر في نظام الانتاج وعلاقاته المتشابكة في قريش ، وانما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة فقد جاء الاسلام من البداية مقررا للمساواة في الفرص وضمان حق الكفاية لكل المواطنين ، وتحقيق التوازن الاقتصادي بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه ، وجاء بكل ذلك في الجزيرة العربية في وقت لم تكن ظروف الانتاج وعلاقاته تدعو اليه بحيث يمكن ان نقول : ان ما حدث كان انبثاقا من واقع اقتصادي ، وتحدي بذلك منطق الماركسيين التاريخي وحساباتهم المادية التي تحتم انبثاق كل انقلاب سياسي من انقلاب مناظر في نظام الانتاج وعلاقاته .

وعليه فان الصراع الذي ثار بين المسلمين ـ والذي يتخذه الماركسيون حجة ودليلا على صحة نظريتهم ـ انما كان من اجل الحكم ، وكان صراعا سياسيا لا طبقيا ولا يقره الاسلام بحال من الاحوال ، فهو خارج عن منهج الاسلام وبعيد عن روحه السمحة ، ويبقى الاسلام بجوهره السامي الذي يشع رياح الاخوة والمصالحة بين المسلمين والذي يقرر في صراحة : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل احدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار » قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول . قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » . رواه احمد والبيهقي والنسفي ويقول الله تعالى : **( إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم )** الحجرات/١٠ .

ومن هنا فان دعوى صراع الطبقات الاسلامي والذي يحاول اليوم دعاة الماركسية واصحاب التفكير الالحادي إلصاقه بالاسلام ، وصولا الى تفريغ الدين الاسلامي من محتواه الروحي ومضمونه العقائدي إنما هي محاولة رخيصة لن تجدى ولن يكون مآلها إلا الفشل والبوار .

والى هؤلاء اوجه دعوتي إلى ان يقرأوا ويعيدوا قراءة التاريخ الاسلامي كله ، وان يفهموا جيدا ما يقرأون شرط ان يزيحوا تلك الغشاوة الماركسية التي على اعينهم حتى يستطيعوا ان يقرأوا جيدا وان يفهموا جيدا ما يقرأون ، وحتى لا يعودوا ليتهموا الاسلام ويلصقوا به عيوبهم وعيوب نظريتهم وفكرهم المادي الملحد الذي يخرب النفوس ويفسد الحياة على ارضنا الطيبة .

# دور الأسرة في بناء المجتمع

ما الأمة إلا مجموعة من الأسر ، تترابط فيما بينها بمبادئ وأعراف وتقاليد .. يتفاوت أثرها بين الأمم تبعا لتفاوتها في درجات الثقافة والمعرفة .. وكلما كان الأساس قويا كلما كان ذلك أدعى لتماسك البناء .. وكلما كانت الأسرة قائمة على الأسس الصحيحة ، كلما كان المجتمع قويا .. والأسرة إحدى دعائم المجتمع الانساني ، والأمة مجموعة من الأسر ، والأسرة أساس قوي لتماسك بناء المجتمع وإقامة صرح الانسانية . والزواج عماد الأسرة ، به تنشأ وتتكون ، وفي ظله تقوم الأسرة بدورها في الحياة ، حيث تتفرع أواصر القرابة وتمتد ...

ومن هنا ندرك أهمية الزواج في بناء الأسرة ، وأهمية الأسرة في الاسلام ، والله سبحانه وتعالى يذكر الانسانية برباط الأسرة ليكون ذلك داعيا إلى مراعاة الحقوق والواجبات والآداب والاخلاص والصدق .. يقول تعالى في الآية الأولى من سورة النساء :ـ

**( يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها**

للأستاذ / أحمد عبدالرحيم السايح

**زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ) .**

فالله سبحانه وتعالى – يأمر بالتقوى في هذه الآية مرتين – كما ترى – يفيد الأول أن ذكر الخلق على هذه الصورة يدل على قدرة باهرة ونعم سابغة تستوجب الشكر والطاعة والخشية والتقوى لهذا القادر العظيم ونلك المنعم الكريم . ويفيد الثاني أن المراد هو الأمر بتقوى خاصة تنطق بحفظ ما بينهم من صلات اجتماعية وحقوق إنسانية فلا يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، ولا يفسدوا في الأرض ، وليتقوا من وصل بينهم حيث جعلهم من نفس واحدة ...

وهذه المعاني تبرز في وضوح دور الأسرة في حياة المجتمع الانساني ، ولهذا اهتم الاسلام ببناء الأسرة ووضع لها من الركائز ما يضمن حسن مسيرتها .. وكان الزواج في الاسلام بابا من أبواب السعادة والنجاح ، والطريق الأمثل لذوى الفطرة السليمة ... وإحدى آيات الله الكونية والانسانية ، تدعو إلى التفكر والتأمل الباعث إلى الحكمة والاهتمام بالزواج .. قال تعالى في سورة الروم الآية/٢١ :

**( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) .**

فهذه الآية الكريمة تضمنت في أعماقها آيات كبرى وكلها تشير إلى فيض الحكمة الالهية .

وقد تلمس الغايات من الزواج كثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع ، لكن ما قررته آية سورة الروم منذ أربعة عشر قرنا فاق كل تلمس ، وتحدى كل فكر فالآية الكريمة قررت غايات الزواج كي يظل الفكر الاسلامي معتمدا على الأصيل الثابت ، فلا يتأثر بالفكر المستورد المجانب لكل فضيلة ، وحتى لا تجرفه التيارات المريضة والتي تراكم عليها عفن الجاهلية والانحطاط ..

والمرأة والرجل محتاجان إلى تفهم آيات القرآن الكريم ، والتأمل في كنوز الاسلام التي تغرس في النفوس السمو والنبل ، وتصقل الأفئدة بالتربية الصحيحة .. وإن آية سورة الروم وما فيها من آيات لتدل فيما تدل على أن الانسانية مهما بلغ بها التقدم العلمي والرقي الفكري ، فهي في أشد الحاجات إلى الايمان بغايات الزواج في الاسلام ... وسوف نسير مع غايات الزواج – كما توحي بذلك آية سورة الروم غاية غاية لندرك سمو

التشريع الاسلامي ، ونتبين الطريق السليم .

**أولا :**
قال تعالى :
**( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا .... )** والأزواج جمع زوج ، والمراد به في الآية « المرأة » بقرينة عودة الضمير إليها مؤنثا في قوله تعالى:**( لتسكنوا إليها )** ومعنى هذا أن المرأة من الرجل وأن الرجل من المرأة وأنهما من جنس واحد ، وطبيعة واحدة ، هى الطبيعة الانسانية وأنه سبحانه خلق من هذا الجنس زوج المرأة ، كما خلق منه زوج الرجل ، ليسكن إليها وتسكن إليه .. ومادامت المرأة والرجل من معدن واحد ... فخصائصهما ، وما به إنسانيتهما ، واحدة ، وليس أحدهما أدخل في باب الانسانية من الآخر .. ولن يكون شيء من الذكورة أو الأنوثة شافعا أو رافعا لأحدهما ، ومانعا أو خافضا للآخر في مجالات العمل والتكاليف وما يتبعها من ثواب وعقاب .
قال تعالى في سورة النحل الآية/٩٧ :
**( من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) .**
وقال تعالى في سورة آل عمران الآية/١٩٥ :
**( فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض )**
ومن حكمة الله أنه جعل المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة وأنهما في الانسانية سواء ، فالمرأة ليست من جنس مرذول ... والمرأة ليست دون الرجل في الانسانية .. والمرأة ليست مخلوقا مطرودا من رحمة الله ، والمرأة ليست وعاء للانتاج البشري . والمرأة ليست شرا لابد منه ووسوسة جبلية وآفة مرغوبا فيها كما زعم الأوروبيون ، إنما هى في الاسلام نصف المجتمع لها إنسانيتها وفاعليتها وأثرها وتأثيرها .. ولهذا السبب كان الرابط بين الزوجين هو الميثاق .. قال تعالى في سورة النساء الآية/٢١ :
**( وأخذن منكم ميثاقا غليظا )**
والميثاق هو العهد المؤكد الذي يربط الزوج وزوجته .
والآية القرآنية :
**( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ) .**
تشير ضمنيا إلى أن هذا الميثاق إحدى آيات الله الفطرية .. جاء في المنار أن هذه آية من آيات الفطرة الالهية هى أقوى ما تعتمد عليه المرأة في ترك أبويها وإخوتها وسائر أهلها والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء ... فمن آيات الله تعالى في هذا الانسان ، أن تقبل المرأة الانفصال من أهلها للاتصال بالغريب ، تكون زوجا له ، ويكون زوجا لها ، وتسكن إليه ويكون بينهما من المودة والرحمة أقوى من كل ما يكون بين ذوى

القربى ، فالمرأة لا تقدم على الزوجية وترضى أن تترك أنصارها وأحباءها لأجل زوجها إلا وهى واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشتها معه أهنأ من كل عيشة .. وهذا ميثاق فطري من أغلظ المواثيق وأشدها إحكاما وإنما يفقه هذا المعنى الانسان الذي يحس إحساس الانسان .

**ثانيا :**

والسكون في الآية الكريمة : ( **لتسكنوا إليها** ) من أروع الأساليب البلاغية التي تفي بالمقصود في عبارة موجزة مركزة .. والسكون أعم من أن يكون قاصرا على .. السكون الجنسي ، فهو يشمل سكون النفس وارتياحها واطمئنانها ، وسكون الجسد بالركون إلى شريك الحياة ، وسكون الروح للعبادة والسمو في ملكوت الله . وسكون الاقتصاد بالتعاون المثمر في بناء الأسرة . قال صاحب المنار : « أرشد الله البشرية إلى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان وقد جمعت هذه الأركان في قوله تعالى :

**( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ) .**

فالركن الأول : السكون النفسي الجنسي ، وهذا الركن خاص بالزوجين . وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة والحب الذي يجده كل منهما باتصالهما ، والملابسة بافضاء أحدهما إلى الآخر ، وبه يزول أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل .

والركن الثاني : المودة أي المحبة التي يظهر أثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما . والركن الثالث : الرحمة التي لا تكمل للانسان إلا بعواطف الأمومة والأبوة ورحمتهما لأولادهما ، فيكون لكل البشر أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة » ...

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » .. رواه ابن ماجه

ومن هذا المنطق الاسلامي ندرك أن الزوج والزوجة في حاجة إلى الرباط النفسي أكثر من حاجتهما إلى رباط الجسد . وفي حاجة إلى السكينة الروحية حيث يجد كل منهما في الآخر ، نعم الراعي والرفيق ، مهما تقدمت بهما السن أو خفت فيهما نداءات الجنس ، وحالت دونهما موانع الطبيعة . ولا شك أن الزواج بما فيه من سكينة النفس وارتياح القلب ، معين على العفة ، والحصانة الخلقية ...

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ،

فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ...

فالسكون النفسي ، والسمو الروحي والارتياح القلبي ، والاطمئنان النظري والاحساس بالأمن والأمان ، والشعور بالسعادة ، والتعاون المثمر ، وتبادل المشورة والاستقرار . كل نلك تضمه عبارة ( **لتسكنوا إليها** ) وعودة الضمير إلى مؤنث في ( **إليها** ) يشعر بحاجة الرجل إلى هذا السكون الوارف الظلال ، ويوحي بأهمية الزوجة في الحياة ومجيء عبارة ( **لتسكنوا** ) مرتبطة بواو الجماعة الدالة على الذكور يشير إلى دور الرجال في السعي إلى هذا السكون الذي هو من لوازم الحياة روى الامام أحمد والترمذي عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته » .

وبهذا العمل البناء يكتسب الرجل كمالا أدبيا ، وسموا أخلاقيا ، وفضائل تعلى من قدره ..

**ثالثا :**

والمودة تشير إليها الآية بقوله تعالى : ( **وجعل بينكم مودة** ) والمودة المحبة وهي أمر يعم الزوجين وأسرتيهما وتبدو هذه الظاهرة كما يقول صاحب منهاج السنة : في أن الزوج لا يتعامل فقط مع زوجته ، وإنما مع أسرتها كنلك ، وتنشأ بينه وبينها صلات وعلاقات ودية .. أو هكذا ينبغي أن يكون ..

ولعل المتأمل يدرك أن المودة تتحقق بين الزوج وزوجته وأسرتيهما في حالة البناء وتعمير البيت لأن كلمة ( **بينكم** ) تفيد الاقتران ، والاقتران مدعاة للحب الصادق والمودة الصافية كما أن الفعل الماضي ( **جعل** ) في ( **وجعل بينكم مودة** ) يفيد أن المودة قد تنشأ من التعامل القائم بين الزوجين ، وهذا دافع لأن يحرص كل من الزوجين على ما هو أحسن وافضل . ولعل القارئ يدرك معي خطأ أولئك المخرفين الذين ينادون باختلاط الفتى والفتاة ، بعيدا عن العيون ليتم الانصهار في بوتقة الحب « كما يقولون » . إن الحب الذي يقوم بين الفتى والفتاة قبل الزواج بناء على الاختلاط ، حب فاشل . والذين يقيمون الزواج على هذا الأساس مخطئون إلى حد كبير ، وليس معنى هذا أن لا تقوم مودة ومحبة قبل الزواج . ولكن ليس من الضروري أن لا يتم الاقتران إلا اذا كان قائما على تبادل كلمات الحب ، والتي كثيرا ما تتم في حالة هيجان عاطفي وبعيد عن الرقابة . وكثيرا ما يكون الحب قبل الزواج قائما على دوافع غريزية ألهبها الاحساس بالحاجة . وكثيرا ما يكون للمظاهر المصطنعة أثر فعال في تأجيج نيرانه . وعندما يتم الاقتران تنكشف الحقائق . فيتوارى الحب بعيدا وتنشأ أمور أخرى . أما الحب الذي تفاعل بين الزوجين في بيت الزوجية فهو حب قائم على الرؤية الصحيحة ولهذا كان أية من آيات الله يمتد حتى

يشمل أسرتين ، باسطا رقعة التعاون والتآزر ليعم ما يتصل بالأسرتين من أقارب وأرحام وأصدقاء ...

**رابعا :**

قال تعالى : ( **وجعل بينكم مودة ورحمة** ) والرحمة من الرحم . والرحمة الرقة والتعاطف ، والرقة والتعاطف ينشآن بعد المودة والمحبة ، ولهذا كان قوله تعالى : ( **وجعل بينكم مودة ورحمة** ) إعجازا إلهيا ، في أسلوب مركز ، يوقظ أحاسيس من كان له قلب . والرحمة التي جعلها الله تنشأ بالزواج ، وتتم في بيت الزوجية وتنمو وتزداد بالثمرات التي أينعت من بنين وبنات . والرحمة التي تشمل التراحم والتعاطف والحدب . الرحمة بكل هذه المعاني تستكن في نفوس الوالدين نحو الأولاد ، وتمتد إلى أقارب الأبناء من جهة الزوج والزوجة . ثم أقارب الأقارب ، وهكذا إلى أن تغدو هذه العواطف أساس التعامل في المجتمع الانساني .. وتبدو أصول التربية واضحة في هذا الأصل ، فغراس الرحمة الذي نبت في ظلال زوجين وترعرع في بيت قائم على المودة هذا الغرس الطاهر سلوك تربوى يحس ويمس ويبصر ويسمع ويتذوق وعلى هذا فالبيت عامل بيئي رئيسي يتلقى الطفل فيه أحسن المشاعر وينطبع بالطابع الذي يؤثر فيه ... والرحمة بين الزوجين مدرسة تربوية متكاملة لصقل الانسان ، وتحليته بالفضائل ومكارم الأخلاق ، وإلباسه حلى الأدب لينشأ الانسان وقد عود على الرحمة والرفق والحنان . ومن لم يتدرب في البيت على هذا التعامل فليس أهلا لأن يكون إنسانا . ولقد رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن بن علي فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال عليه الصلاة والسلام : « إن من لا يرحم لا يرحم » والحديث جاء في صحيح البخاري ومسلم والترمذي ومسند أحمد . ودخل أحد الولاة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرآه يقبل طفلا . فكأنما كان أمرا غريبا على بصره ثقيلا على نفسه لأنه لا يمارسه ، فأظهر دهشته واستغرابه ، فلم يلبث عمر أن عزله عن الولاية ...

وهكذا تتجلى لنا الحكمة من الزواج في غايات نبيلة ، ترسمها آية واحدة من آيات الله ، وختمت الآية بقوله تعالى : ( **لعلهم يتفكرون** ) لأن الفكر كما يقول الفيروزابادى — « يؤدي إلى الوقوف على المعاني التي خلقت لها من التجانس وسكون كل واحد منهما إلى الآخر » .

وقد أفلح أولئك المفكرون الذين ارتضوا الثقافة الاسلامية لتكون لهم زادا ، وسلوكا ونظاما ، يهدي إلى الرشاد وطريق الحق .

إن غايات الزواج في الاسلام مطلب حسن يعمل له أصحاب العقول العاقلة ، والقلوب الواعية ، وستظل آية سورة الروم منبعا أصيلا لا ينضب له معين ، يفيض بالعطاء والسعادة .

# الصوم ومنهج التغيير

كم للصوم من حكم عالية .. وثمرات غالية مهما حاول الباحثون أن يأتوا عليها أو يستوعبوها فانهم عاجزون .. وتلك مزية واضحة في تكاليف السماء ينتهي الزمن ولا تنتهي عجائبها ، وتنقضي الأيام ولا تفنى أسرارها وغرائبها .. وكأنما القدر العالي يضع هذه العبادات أمام العقل الانساني لتستجيش خواطره وأفكاره ، وتستثير فيه حوافز التأمل ودوافع التقصى ، فيبدع في استنباط الحكم ، واستبطان الدخائل واستخراج الكنوز والأسرار وهي ماتزال غضة جديدة تمنح العقل في سخاء ، وتعطي المجتمع في وفاء ، وتمضي على امتداد الزمن الرحب مصدر خير وبركة ، وهكذا الدين جهد متجدد على امتداد الزمن .. وعلى طريق البشر يزيد الحياة نماء وخصوبة مادامت عقول الباحثين خصبة متحركة مع قضايا الحياة .. فلا غرابة إذن أن تتكرر الكتابة عن الصوم ورمضان والقرآن في مطلع كل رمضان .. لأنها الينابيع الغزار التي

للاستاذ توفيق محمد سبع

تلهم الحكمة والبيان ، وسر ذلك كما قدمنا انها تشريعات إلهية .. تتجاوب مع الفطرة وتلبي حاجة العقل والقلب والوجدان ، وتحقق التوازن بين المطالب المادية والروحية للانسان ، كما تحرر البشر من عبودية المال والشهوة والحياة وكل ما سوى الله .. وتجعله قادرا على الحسم والتغيير في كل وقت وما أوسع هذه المجالات وما أخصبها لعلماء النفس والاجتماع والأدب والتشريع — وكم من باحث تناول الصوم وتحدث عن فلسفته وأفاض في اسراره فأبدع في ذلك ما شاء الله له أن يبدع .. ولكن رغم ذلك كله تبقى حكمة الصوم العليا قادرة على العطاء أكثر وأكثر كلما ارتقى العقل وتطور الفهم وتهيأت أسباب الثقافة والعلم ( **وما كان عطاء ربك محظورا** ) الاسراء/ ٢٠ .

وإذا كان للصوم تأثير قوي على جميع القوى الانسانية البانية من ارادة وضمير وخلق — وكان له كذلك أروع الآثار في بناء الفضائل الانسانية من حلم وصبر وتواضع وكرم .. فان له أثرا اعظم واعظم في امداد الطاقة الانسانية بالحوافز القادرة على التغيير .. ليظل المؤمن دائم التمرد على الأوضاع السيئة من حوله حتى تنتصر ارادته على الشر .. وتنجح في بناء مجتمع أنقى وأنظف .. إن للصوم أثرا عمليا ومثمرا في امداد المسلم بهذه الطاقة القادرة على احداث التغيير الى الأفضل ، وتدريبه عمليا على هذا المبدأ ، وذلك باخضاعه لأسلوب صارم في الالتزام بكل ما يفرضه هذا الالتزام من مشقات وتكاليف .. ليربى ارادته الحرة القادرة التي تستطيع ان تجهر بكلمة « لا » أو « نعم » في مواقف الحياة الرهيبة دون خوف أو تردد أو جبن .. بل إن الصوم يحدث من التغيير في حياة الصائم ما يحقق التوازن بين المادة والروح في كيانه ، طول العام وعلى امتداد الزمن ذلك أن الاسلام دين الطبيعة البشرية ، تجد في رحابه السمح متنفسها الطلق وتحقق عواطفها وغرائزها تحقيقا متوازنا دون كبت او اعنات ، ودون حيف أو ظلم ، واذا كانت هناك نحل ترى في تعذيب الجسم مقصدا يطلب ، وترى في محاربة المناعم والطيبات هدفا

يقصد فان الاسلام قد حارب ذلك كله فأعطى للروح حقها ومنح الجسد حقه واتاح بالصوم للمطالب الروحية ان تتعايش مع المطالب المادية في كيان المسلم تعايشا سلميا لا تبغى احداهما على الأخرى والله سبحانه وتعالى يقول : **( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا )** القصص/٧٧ .

ويقول سبحانه : **( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة )** الاعراف/٣٢ . فلا قهر في الاسلام ولا كبت وانما تحقيق التوازن الدقيق بين مطالب الجسد وأشواق الروح .

ومن ثم كان الصوم من بين عبادات الاسلام اكثر تحقيقا لهذه الغاية .. لكن كيف يتم ذلك ؟ إن الانسان يظل طيلة العام يخضم ويقضم وينزو مسترسلا مع المطالب المادية .. منبعثا عن الأهداف الحيوانية .. فاذا جاء رمضان فرض عليه نظاما جديدا تسود فيه الروح ، ويتوهج معدنها الأصيل ، ويتألق جوهرها الصافي .. وبذلك يحدث التغيير في حياة الصائم ، من حياة حيوانية حظ الجسد فيها أعظم الى حياة متوازنة حظ الروح فيها اكرم ..

نعم .. اذا جاء رمضان واجه الصائم تجربة قاسية تنزعه من مسلكه المادي نزعا قويا ، بل تختطفه منه اختطافا لتضعه امام المنهج الجديد الذي يلغي من وجوده كل المطالب المادية نهارا ليمارس اشواق الروح لتزدهر وتتألق .. فاذا انقضى رمضان فان المسلم في رحلة الثلاثين يوما – أو قل في مدرسة الثلاثين يوما – يكون قد تمرس بهذه التجربة ومرن عليها ، فاذا دخل في شوال وأوغل في شهور العام فانه لن يغرق في شهوات النفس ومطالب الجسد ، وانما يلائم بين مطالب جسده وأشواق روحه ملاءمة حازمة – لأنه قد تزود من الصوم بالدرس الكبير الذي يجعله قادرا على احداث هذا التغيير ، حتى اذا حدثته نفسه يوما ان يجور في القصد ، وينطلق مع الشهوات ، جاء رمضان الجديد ليضعه وجها لوجه امام التجربة عينها – تلك التجربة التي تورثه القدرة على قهر مطالب الجسد لتنطلق الروح وتسمو – ومن ثم فانه يأخذ دفعة جديدة تصاحبه طول العام .. وترافقه في رحلة الأحد عشر شهرا .. وهذه ثمرة واحدة من ثمرات التغيير التي يحدثها الصوم ..

وهناك مناهج اخرى للتغيير يفرضها الصوم على الصائم ، تهيئه للسيادة على نفسه ، والاستعلاء فوق شهواتها .. بل للترفع على جميع المغريات من حوله .. وهي بذلك ترشحه للسيادة الحقيقية ، لأن من استطاع ان يخضع نفسه ، استطاع لا محالة ان يخضع كل شئ لارادته ، لأن عزيمته قد انصهرت في تجربة الصوم انصهارا اكسبها متانة وصلابة ، تقاوم بها المغريات .. وتترفع على الشهوات ، وتتحرر من

المطالب الهابطة ، وترتبط بالأهداف السامية النبيلة .. وما من شك في أن للسيادة تكاليف .. ومن قعد عن تحمل المشاق ودفع التكاليف فليس جديرا بالسيادة ... والصوم من اعظم تكاليف السيادة .. لأن الصائم يكابد في صومه من المتاعب والآلام والله به عليم .. الصائمون يدفعون هذه الضريبة عن رضى وغبطة ، لأنهم امام التزام صادق مع الله رب العالمين ..

أما اولئك الهابطون الذين لا يقوون على الصوم فهم العبيد كل العبيد ، والأذلاء أحط الأذلاء والأرقاء أخس الأرقاء عجزوا عن قهر انفسهم وزم شهواتها فصاروا عبيدا أذلاء ولله درالشاعر القائل :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاكرام قتال

وكم في الصوم من تغيير مقصود للمألوف من العادات والتقاليد !! وذلك كله لكي يكتسب الصائم الطاقة التي تمكنه من احداث التغيير في الحياة كلها — ليهيئ المناخ الصالح للعقيدة كي تتنفس في اجواء نظيفة وبيئات صالحة .

وكأنما يتدرج الصائم من القدرة على احداث التغيير في نفسه على القدرة على احداث التغييرات الكبرى في الحياة .. وهي تغييرات تتم في نطاق الايمان وتكتسح المعوقات من طريقه وتكون قادرة على قهر الظلم اينما وجد ، وعلى الوقوف في وجه التحديات كيفما كانت ليحق الله الحق بكلماته ولو كره الكافرون !

ولنا ان نتساءل : ما هذا التغيير الشامل في حياة الصائم ؟

والجواب ببساطة : أن الحياة العادية تنقلب في رمضان رأسا على عقب .. أي ان الصوم يحدث فيها ذلك الانقلاب الخطير — لأن الفرد المسلم في غير رمضان يتناول فطوره صباحا ، وغداءه ظهرا ، وعشاءه ليلا .. يحتسى الشاي او القهوة كلما وجد من نفسه ميلا لذلك ... وهو ينام غالبا بعد العشاء ليستيقظ في الصباح ، وهو يؤدي كذلك الصلوات الخمس في أوقاتها المحددة ، ويلبي دوافع الغريزة الجنسية كلما دعت الحاجة .

يظل يمرح في هذا النعيم .. حتى إذا أقبل رمضان — شهر الصيام كان ذلك إيذانا بتغيير عام وشامل في حياة الصائمين .. عليهم ان يتقبلوه نفسيا ووجدانيا .. انه يضعهم امام تجربة الالتزام الشاق ، فهم يمسكون عن الطعام والشراب والمعاني الجنسية طول النهار ، إيمانا واحتسابا لله .. عليهم كذلك ان يكفوا عن مشتهيات النفس من احتساء الشاي او القهوة او ما اليهما مهما تطلعت نفوسهم ، وقد يسيل لعاب احدهم أو يتحلب ريقه او تذهب نفسه وراء جرعة من ماء ، أو رشفة من شاي او قهوة فلا يملك إلا أن يعرض عنه ويزهد فيه لأنه امام التزام قهري تفرضه السماء على الأرض ، عليه ان يجعل فطوره وقت الغروب ، وان يحذف وجبة العشاء ، مستعيضا عنها بوجبة السحور قبيل الفجر ، كما أن على الصائم ان يحدث

التغيير في أسلوب سهره ونومه ، لأنه مطالب بصلاة القيام جماعة .. وبسماع دروس العلم ، وبتلاوة القرآن والتفقه في الدين ، عليه بعد صلاة الفجر ان يهجع في فراشه طلبا للراحة ليستيقظ بعد ذلك لاستئناف العمل .

فأي تغيير هذا ؟ إنه الانقلاب الخطير في الحياة العادية يتبعه التغيير النفسي امام هذا السلوك الجديد .. إن هذا التغيير الشامل في حياة الصائمين يدربهم على تقبل الأوضاع الجديدة في الحياة كالفقر بعد الغنى أو الضعف بعد القوة .. او العجز بعد القدرة .. او فقد المال والولد والمتاع بعد الاستمتاع بها .. كما انه ينمي ارادتهم ويكسبها المرونة والصمود ، والتمرد على كل ظلم يراد بها .. أو هوان يلحقها .. أو ضيم يتهددها .. وانه لتغيير يقود الحياة الى الأفضل وينبع من داخل النفس ومن معين التقوى والايمان .. وبذلك يكون عميقا اصيلا ، وبهذا التصور يتحقق التغيير النفسي .. الذي يصبح منطلقا لكل تغيير اجتماعي يقود الى الأفضل .. وبذلك أيضا تتحرر النفس من داخلها .. ومن تحرر من الداخل لا يمكن أن يستعبد أو يستذل من الخارج .. لأنه يصبح سيدا لنفسه لا تستذله عادة ، ولا تأسره شهوة ، ولا تقهره لقمة خبز ، ولا يتهاوى أمام المغريات .. ومثل هذا الشخص يستطيع أن يصمد في المواقف الصعبة .. ويجهر بكلمة الحق .. ويحدث الآثار العظيمة في الحياة ..

فأي تربية نفسية يقود إليها الصوم ؟ إن هذه الثمرة من ثمرات الصوم جديرة ان تكون مطمح نفوس المربين .. حتى تتهيأ الناشئة من شباب الاسلام لحمل الأعباء وتخطى العقبات واكتساح المعوقات .. وويل لمن استعبدته نفسه !!

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الانتفاع بهذه الثمرة من ثمرات الصوم .. حين صمد أمام المغريات وثبت أمام التحديات ولم تستطع الدنيا بكل سحرها وإغرائها أن تستذل نفسه أو تستعبد قلبه .. وكثيرا ما كان يدعو فيقول : « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا » بل إنه صلى الله عليه وسلم عندما عرضت عليه الدنيا بكل نعيمها ومباهجها صاح بكل الرفض : « لا يارب .. أجوع يوما فأصبر ، وأشبع فأشكر » .

وهكذا : امتزج الشكر بالصبر في وجدان الرسول فكان من امتزاجهما على هذا النحو أرقى أساليب السلوك .. بل أسمى مبادئ التحرر .. وتعلم منه أصحابه كيف يمزجون الصبر بالشكر .. وعاشوا سادة انفسهم .. فصاروا سادة الدنيا بأسرها ..

إن الحرية الحقيقية إنما تنبع من هذا المعين .. وتكمن في هذا المنهج ، لأن الصوم إذا كان قادرا على احداث هذا التغيير داخل كيان الفرد المؤمن فانه يحرر ارادته من كل الضغوط المادية والمعنوية ويجعله سيدا للعالم

كله وليس عبدا فقط الا لله رب العالمين .. أما عبيد الشهوات الذين سقطوا في امتحان الصيام فهم أجدر ان يسقطوا في معارك الحياة .. انهم عبيد انفسهم فكيف يكونون سادة في الحياة ؟ هذا هو الصوم في بعض اسراره الكبرى يحدث التغيير في نفس المؤمن وفي أسلوب حياته ، فيهيئه بذلك للعزة والكرامة ، ويجعله أشم الأنف عالي القامة عزيز النفس لا يرضى الدنية في دين أو دنيا ، وبهذا يصبح التغيير النفسي وسيلة للتغيير الشامل في الحياة .

وقد ربط القرآن بين صلاح النفس .. وبين صلاح المجتمع .. وجعل وسيلته تكمن في التغيير النفسي فقال عز من قائل : « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » الرعد/ ١١ .

وإذا كان الصوم كما قدمنا من أقوى العوامل على احداث التغيير النفسي .. فما أحرى أن نتخذه منهاجا لهذا التحول العظيم .. وما أجدر أن يغير المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم – وإن فرصتهم الكريمة في إحداث هذا التغيير والانتفاع بثمراته إنما تكمن في الصوم – فليكن رمضان محررا لنفوسنا من الوهن .. محركا لعزائمنا الى الجد .. حافزا لنا على التغيير الذي يقود حياتنا الى الأفضل ... وهذه المعاني التي يحدثها الصوم في حياتنا يجب ان تستمر أبدا على طريق الرسول الكريم .. لتصبح طاقة تصاحب المسلم مادام على قيد الحياة فتصبح متحفزة ضد الهوان والشر والسوء وكل الأوضاع المهينة والسيئة .

وبهذا تصبح رسالة المؤمن هي الرفض المطلق للمنكر .. في أي شكل من اشكاله او اية صورة من صوره وهذا الرفض يتدرج وفق قدرة المؤمن وظروف مجتمعه ايجابيا بحيث يقف من الفساد دائما موقف التصدي والرفض لا موقفا سلبيا عقيما ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » وهذا التفاوت في التصدي للفساد الذي يحدده مولانا رسول الله يخضع لقوة الارادة عند المؤمن او ضعفها .. كما يخضع للظروف التي يمارس فيها التغيير ويتدرج مع ذلك صعودا وهبوطا .. والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. بل ان المؤمن القوي هو قدر الله الذي يحارب به الشر والفساد في هذا الوجود ..

ولقد قال الفيلسوف المسلم اقبال : « المسلم الضعيف يتعلل بالأقدار في مواجهة الفساد .. والمؤمن القوي هو قدر الله الذي ينسف به الشر من هذا الوجود » .

ألا ما أعمق آثار الصوم في نفوس الصائمين .. وما أروعها في دنيا الناس .. فلنتخذ منه منهجا أصيلا في التغيير النفسي والاجتماعي حتى يغير الله ما بنا .

# حول ترجمة معاني القرآن الكريم

## دراسة مقارنة لثمان ترجمات باللغة الانجليزية

**للدكتور احمد ابراهيم مهنا**

في العقد الثالث من هذا القرن دار نقاش حاد بين جماعتين من علماء المسلمين حول ما سمي بـ « ترجمة القرآن الكريم » من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى ، ومايزال رنين هذا الخلاف له صدى إلى يومنا هذا ، ومايزال يدرس في بعض دور العلم حتى هذه الساعة .

وكشأن كثير من الخلافات التي تملأ كتبنا ، لاح في الأفق ـ بعد أن هدأت المعركة وخفت حدة الانفعالات ـ من يقول : إن الخلاف لفظي ، لأن محل النزاع لم يحرر من أول الأمر ، فالفريق الذي منع الترجمة وحكم بتحريمها ظن أن الترجمة للفظ الكريم ، وهو كلام الله عز وجل ، ولا خلاف في أن ذلك فوق مستوى البشر ، والفريق الذي أجاز ودافع قال : إن الترجمة للمعنى لا للفظ بناء على أن الترجمة اللفظية كلمة بكلمة من لغة إلى أخرى لأي تعبير كان من غير الممكن ، ولا تزيد الترجمة في الواقع عن محاولة لأداء المعنى المراد باللغة الأخرى إلى من لا يفهم لغة النص المترجم ، وليس هناك من يمنع ذلك إذا ترتب عليه نفع للمسلمين ، وأثير في هذا المجال ما ورد من أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أجاز ترجمة الفاتحة إلى اللغة الفارسية .

ولا أريد إثارة هذا الخلاف من جديد ، ولا ترجيح رأي على الآخر ، فالخلاف يجدي ويثمر إذا كان ما يدور الجدل حوله ما يزال فكرة ، وظهورها أو عدم ظهورها يترتب على ما يرجح من رأي ، وليس الأمر الذي نحن بصدده من هذا القبيل ، فليس من المبالغة أن يقال : ما من لغة مكتوبة اليوم ، إلا وبها ترجمة للقرآن الكريم ، ومن هنا لم تعد القضية « هل نجيز الترجمة أو نمنعها » إذ ليس في الامكان منعها ، فقد غمرت الأسواق بالترجمات ، وزاد عددها عما كان متخيلا ، والسؤال الذي يوجه إلى الأزهر في أيامنا هذه لا يدور حول جواز الترجمة أو منعها ، وإنما الذي يحدث ـ من حين لآخر ـ أن يتلقى الأزهر من بعض المسلمين ترجمة ، مطبوعة للقرآن رجاء الفحص والأفادة عما إذا كانت الترجمة صحيحة أو غير صحيحة ، وقد يسأل : أي التراجم الموجودة في السوق في لغة معينة أصح من غيرها وتنصحون بها ، وأصارحكم القول بأن الاجابة على أي من هذين السؤالين بما يطمئن النفس كثيرا ما تكون عسيرة ، وذلك في اللغات التي يوجد عندنا من يعرفها ، لأن الأمر يتطلب فاحصا يجيد العربية واللغة المترجم إليها ، وعنده من الثقافة الاسلامية الأصيلة ، ما يمكنه من الحكم على ما تؤديه

الترجمة من معنى يتفق مع المعايير الاسلامية الصحيحة في اللغة التي ترجم النص بها وأعتقد أنكم تتفقون معي في أننا جد فقراء في هذا المجال .

أما بالنسبة للغات التي لا تدرس في الجامعات الاسلامية ، وأولها الأزهر فان العسر في الاجابة على السؤال المطلوب ينقلب إلى استحالة ، ومازلت أذكر ترجمتين وردتا للأزهر حين كنت مديرا للبحوث الاسلامية « بالمجمع » إحداهما باللغة اليابانية ، والثانية باللغة الأمهرية ، واستحال علينا أن نجد من يعطينا الجواب وأغلب الظن أن الأمر مايزال كذلك إلى يومنا هذا .

هذه المواقف التي تتراوح بين الاستحالة والعسر في أمر حيوي بالنسبة لنا كدعاة للاسلام ، وقد مارستها ونقت مرارتها زمنا ليس بالقصير في عملي الرسمي ، مضموما إليها ما عانيت من متاعب مع كثير من المسلمين وغير المسلمين في البلاد الأجنبية التي عشت فيها وعملت بها ـ وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وكندا ـ بسبب تعدد الترجمات لكتاب الله الكريم ، كل ذلك كان سببا في وضوح الرؤية واستكشاف الأخطار التي يتعرض لها كثير من الراغبين في فهم الاسلام ممن لا يعرفون لغة القرآن الكريم ، وقد دفعني ذلك إلى جمع عدد من الترجمات في اللغة الانجليزية ، ورضت نفسي على أن أقارن بينها بغية الوصول إلى أقربها مما نحب أن يكون في متناول الباحثين والدارسين فننصح به ، وحاولت جهدي أن تكون هذه الترجمات في مجموعها ممثلة للاتجاهات المختلفة قدر الامكان ، وحصلت على الترجمات الآتية ، وأصحابها هم :

١ ـ ج . م . ردول ـ وهو قسيس من رجال الكنيسة في القرن التاسع عشر .

٢ ـ ب ـ ج . داوود ـ وهو مجهول الهوية بالنسبة إلي ولكن عمله يؤكد أنه غير مسلم .

٣ ـ محمد مرماديوك بكتهول ـ وهو رجل انجليزي عاش في الهند ( حيدر أباد ) فترة طويلة ، وأسلم ، وتسمى الاسم المذكور .

٤ ـ أرتر . ج . أربرى ـ وهو من المستشرقين المعتدلين وشغل كثيرا من المناصب العلمية في جامعات انجلترا ، وتوفى قريبا وهو بجامعة كمبردج .

٥ ـ عبدالله يوسف علي ـ وهو هندي مسلم ، ويفضل كثير من المسلمين كتابه على غيره .

٦ ـ مولانا محمد علي ـ وهو من أتباع « مرزا غلام أحمد » القادياني وانشق على جماعة القاديانيين بعد موت زعيمهم ، وقال : إنه مجدد ولم يكن نبيا وكون ما يسمى بجماعة الأحمدية بلاهور .

٧ ـ مالك غلام فريد وهو قادياني متطرف .

٨ ـ محمد ظفر الله خان وهو أيضا قادياني متطرف .

وسوف أقدم تعريفا موجزا لكل من هذه الترجمات لتكوين فكرة عنها وتقويمها .

1-THE KORAN, TRANSLATION FROM THE ARABIC
BY: THE Rev. J.M. RODWELL

وأولها كتاب القسيس « رودول » وقد ظهرت هذه الترجمة لأول مرة في عام ١٨٦١م بعنوان : « القرآن » : ترجمة من اللغة العربية وتكرر طبعها ، والنسخة التي رجعت إليها طبعت في مارس سنة ١٩١١م ، وواضح أن صاحبها كان من رجال الكنيسة المسيحية ، وقدم لهذه الطبعة القسيس مرجليوث (Margelouth) وكان أيضا من رجال الكنيسة .

والقارىء للترجمة يحس أن « رودول » حاول أن تكون حرفية قدر طاقته ولكن الخطر يكمن فيما كتبه مرجليوث في تقديمه للكتاب ، وفي المقدمة التي كتبها نفس المترجم وفي تعليقاته على بعض الآيات ، فمرجليوث يقول : « إن القرآن يمثل مكانة مرموقة بين الكتب الدينية في العالم ، وبالرغم من أنه أحدث الكتب في هذا المجال فان أثره الواضح في جمهور كبير من الناس لا يمكن أن ينكر .. وأن السر في هذه القوة لهذا الكتاب تكمن ـ بالطبع ـ في العقل الذي أصدره .. والحديث عن القرآن ـ في الواقع ـ هو نفس الحديث عن محمد ، ومحاولة المرء تقييم الكتاب من الناحية الدينية هي محاولة في نفس الوقت لتكوين فكرة عن النبي نفسه ، وأنه من الصعب أن توجد حالة كهذه نلمس فيها التماثل الكامل بين العمل الأدبي وبين عقل الانسان الذي أنتجه » .

إن التقدير الصحيح لأي نظام يرتكز على التفكير الديني ينبغي ان يعتمد على مقاييس ثلاثة :

١ ـ ما يشتمل عليه هذا النظام من الحقيقة .

٢ ـ المستوى الخلقي الذي يطالب معتنقيه باتباعه .

٣ ـ المصدر الذي نشأ عنه .

وبالنسبة للأمر الأول ، هناك اتجاه واضح متزايد بين الدارسين للتاريخ الديني أن محمدا يمكن أن يعتبر من الناحية الخلقية نبيا لبعض الحقائق .

وتبعا للمقياس الثاني ، فان القصور الواضح في تعاليم القرآن الخلقية كافية في الحكم إذا كان الأساس في المقارنة هو ما عندنا من تعاليم خلقية رفيعة ، أما اذا قورن بين القرآن وبين ما كان عليه العرب أو أي نوع من أنواع الوثنية فان الحكم يكون في صالح القرآن .

وبخصوص المقياس الثالث ( وهو الأصل الذي استمد منه القرآن ) فيندر أن يوجد رأيان الآن ، حيث أن المقارنة بين القرآن ومصادره اليهودية والنصرانية في وقت وجوده قد تمت ، وقد وجد أن هذه المصادر بجانب بعض الأساطير والقصص العربية كانت مصادره الوحيدة ، فالمادة مستعارة في غالبها وإن كان التأليف من صنع النبي نفسه ، والمعلومات التي استقاها عن اليهودية والنصرانية كانت عن مصادر سقيمة مشوهة مشكوك في صحتها وهي ـ مع القصص العربي ـ استوعبها أولا عقله المتحمس ثم خرجت في ثوب جديد توافق أفكاره بالنسبة للحياة ومتطلباتها ، ولتؤدي غرضين معا : أولهما تشجيع أتباعه والثاني بث الرعب في قلوب أعدائه » .

هذا ما نجده في تقديم مرجليوث للكتاب .

أما عن مقدمة المترجم ، فاننا نجده يتعرض للجمع الأول للقرآن الكريم في عهد سيدنا أبي بكر الصديق ، وللجمع الثاني في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، ويعيد ما يتردد في أوساط من على شاكلته من أنه :

ــ يبدو أن زيدا وزملاءه لم يرتبوا ما وقع تحت أيديهم طبقا لأي قاعدة سوى أن وضعوا السور الطويلة والمعروفة جيدا أولا بعد الفاتحة مباشرة ، وحتى هذه الطريقة ــ مع خطئها وبعدها عن الطرق العلمية ــ لم تتبع باتقان .

ــ إن كل شيء يتصل بالترتيب الزمني لم يعط أي اعتبار ، فالسور التي نزلت في العهد المدني الأخير وضعت غالبا قبل السور التي نزلت في العهد المكي الأول ، والسور القصيرة التي في آخر المصحف هي أجزاء القرآن الأولى ، بينما نجد آيات من القرآن المكي منبثة في السور المدنية ، نجد آيات نزلت بالمدينة موزعة هنا وهناك في السور المكية ..

ثم يعرض « رودول » إلى ما سبق أن تحدث عنه مرجليوث فيما يختص بالمصادر التي استقى محمد منها مواد قرآنه ــ كما يزعمون ــ فيقول في ص ٨ :

والمصادر التي استقى محمد منها مواد قرآنه ــ بجانب الأجزاء الشعرية التي من صنيعه هو ــ قصص زمانه وبلده ، والأحاديث اليهودية المأخوذة من التلموذ أو التي حرفت لتناسب غرضه والقصص المسيحي السائد في جزيرة العرب وجنوب سوريا »

ولم يكتف « رودول » بما سود به صفحاته من أن القرآن من تأليف النبي ، وإنما كرره في بعض تعليقاته على الترجمة عل الفكرة تثبت عند القارىء عن طريق التكرار ، فمثلا نجده عندما ترجم الآية الكريمة :

**( ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل )**
الحديد / ٢٧ »

يعلق فيقول :

« لا ينبغي أن نفهم من كلمة الأنجيل هنا ذلك الكتاب الحقيقي للعهد الجديد أو أي جزء من أجزائه ، وإنما المراد هنا الوحي الذي أوحى إلى عيسى من الله ، والذي يمكن أن يكون محمد قد تخيل أنه كتب بعد عيسى بنفس الطريقة التي كتب بها قرآنه »

وكل ما قاله « رودول » بالنسبة لجمع القرآن وترتيب سوره ــ وجعله أساسا للترتيب الزمني في كتابه ــ ليس جديدا علينا ، ولن أحاول مناقشته من الناحية العلمية في هذا الموقف ، وإنما يهمني أن أرد عليه من نفس كلامه في مقدمته التي نحن بصددها ، فهو يقول :

« صحيح أن الكيفية التي خطها « زيد » لنفسه من جمع ونسخ مواده ببساطة كما وقعت له دون أي محاولة من جهته لتغيير شكلها أو تتابعها ، ودون محاولة لزيادة ما يربط بين الآيات أو يملأ بين الشقين ، أو دون محاولة إخفاء تفاصيل

الطبيعة المعيبة لنبي الاسلام ( ؟ ) كل ذلك يبرهن على أمانته التامة كمؤلف جامع ، وعلى احترامه الكامل للنص المقدس ، والى درجة معينة يضمن الصحة والثبوت للكتاب كله » أ ـ هـ

فها هو بنفسه يقر بأمانة « زيد » التامة وباحترامه الكامل للنص المقدس ، وهذا في نظر كل منصف لم يعمه التعصب الحاقد ، كاف في هدم كل ما قال وادعى ،

كذلك لن اناقش « رودول ومرجليوث » في ادعائهما أن الرسول الكريم قد استقى القرآن من الأحاديث اليهودية والنصرانية ، وانما سأكتفي ـ في هذا المقام ـ بالرد عليهما من نفس حديثه ، فهو يقول في ص ١٠ .

« إننا لا نملك دليلا على أن محمدا استطاع أن يحصل على كتب المسيحية المقدسة ، ولو أنه من المحتمل أن أجزاء من العهد القديم أو من العهد الجديد وصلت إليه عن طريق خديجة وورقة ، او بعض المكيين المسيحيين الذي يملكون نسخا من الكتاب المقدس ، إنه لا يوجد في القرآن كله نص مأخوذ من الكتاب المقدس سوى الآية ١٠٥ من السورة ٢١ وهي **( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون )** « الانبياء / ١٠٥ » .

ثم يقول في ص ١١ :

« ويجب أن نتذكر تماما أننا لا نملك دليلا على وجود ترجمة عربية للعهد القديم أو العهد الجديد قبل وقت محمد ... وأن اقدم ترجمة عربية للعهد القديم وصل علمنا إليها قد تمت في سنة ٩٠٠ م وأقدم ترجمة عربية للعهد الجديد تلك التي طبعت بواسطة اربنيس ( ERRENIUS ) في سنة ١٦١٦ م »

وقد يحلو لبعض الناس أن يتهمنا نحن المسلمين بمهاجمة الأشخاص الذين يخالفوننا في الرأي ، وقد يحلو لبعض آخر أن يخدع في هؤلاء باسم البحث العلمي ، مبعدا أن يكون لهم هدف آخر ، ولهؤلاء جميعا أسجل هنا ما خطه رودول بنفسه في كتابه الذي نتحدث عنه الآن في الحاشية رقم ٢ ص ١٤ إذ يقول :

« إن الطريقة التي ينبغي أن يتبناها رجل التبشير المسيحي في الجدل مع المحمديين لا تكون بمهاجمة الاسلام كجملة أغاليط وأخطاء ، ولكن عليه أن يبرز أن الاسلام يحتوي على أجزاء متفرقة وغير مترابطة من الحقيقة ، وأنه يعتمد على المسيحية واليهودية المفهومتين فهما جزئيا ، وخاصة الأخيرة ( أي اليهودية ) دون إبراز لقيمة اليهودية ومثاليتها ، ومع التركيز على أن المسيحية هي الناموس الأخير » .

وما أظن أننا بحاجة إلى من يشرح لنا المنهج الذي ارتضاه رودول ومن على شاكلته في بيان أوضح مما سطره هو بنفسه ، ولا نتجنى عليهم إذا قلنا : إنه ليس المنهج العلمي في شيء ، وليس منهج الذي يبحث عن الحقيقة لذاتها ، ولكنه منهج المتعصبين الحاقدين .

2-THE KORAN A NEW TRANSLATION
BY N.J. DAWOOD

وطبع هذا الكتاب لأول مرة في بريطانيا سنة ١٩٥٦ ، والنسخة التي اتحدث

عنها هنا نشرت في سلسلة « THE PENJUIN CLASSICS » وقد أشرت سابقا إلى أن هوية « داود » هذا مجهولة بالنسبة إلي ، وان كان قوله يدل على أنه غير مسلم ، يقول في المقدمة :

« إن القرآن عند المسلمين كلام الله أوحى به إلى النبي محمد بواسطة الملك جبريل ... وأن محمدا سافر في شبابه مع قوافل التجارة من مكة إلى سوريا ، وفي سن الخامسة والعشرين تزوج بخديجة بنت خويلد ... ووقع تحت تأثير التعاليم اليهودية والنصرانية » .

وبعد أن يقرر هذا وأن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه قد وقع تحت تأثير التعاليم اليهودية والمسيحية نجده في آخر المقدمة يقول : « إنه لم يلمس القضايا المختلف عليها ، والمتنازع فيها ، مثل طبيعة نبوة محمد ، ومصادره الدينية ... »

وللقارىء أن يصدر حكمه على هذا التناقض أو يبحث عن الدافع إليه ، ويبين لنا « داود » السبب وراء قيامه بهذا العمل فيقول :

« وفي إعداد هذه الترجمة الجديدة قصدت أن اقدم للقارىء نسخة من القرآن بالانجليزية المعاصرة ، فان الترجمات السابقة قد فشلت في صياغة المعنى وإبراز عظمة البيان في النص الأصلي بسبب التزام أصحابها بالترجمة الحرفيـة للمصطلحات العربية ، وينبغي أن ندرك أن القرآن يحتوي على كثـير من المصطلحات التي إن لم تكن غامضة بالكلية فهي قابلة لأكثر من معنى ، وقد بذلت مجهودا جبارا لأبراز هذه المصطلحات الغامضة حيث وجدت ، وأمددت القارىء بهوامش تفسيرية تفاديا لقلب النص إلى تفسير بدلا من ترجمة ، واستعنت في ذلك بالزمخشري والبيضاوي والجلالين » .

ونجده يناقش ترتيب سور القرآن في المصحف المتداول ولا يرتضيه لأنه لا يتفق مع ترتيب النزول ، وقد سبقه غيره إلى ذلك ومنهم « رودول » كما أشرنا من قبل ، ولكنه لم يفعل كما فعل رودول ، ولم يرتب السور في كتابه تبعا للنزول ، وإنما رتبه ترتيبا لا هو بالمتعارف عليه والمعتمد عند المسلمين ، ولا هو بما يقتضيه ترتيب النزول ويبين ما فعل فقال :

« إنه بدأ بالسور الأكثر شاعرية( Poctical Revelation ) وانتهى بالسور الأطول والأكثر موضوعية في الغالب :

وقد يجد أصحاب فكرة الترتيب الزمني من يشايعهم ممن لا دراية لهم بعلوم القرآن الكريم ، ولكن أن ينفرد إنسان ما بترتيب خاص لا يتفق مع المصحف المعترف به ، ولا يتفق مع ترتيب النزول ، فهذا ما لا يمكن قبوله ، لأنه يؤدي إلى الفوضى وعدم الانضباط ، وذلك مع رفض ما في تعبيره من « السور الأكثر شاعرية » رفضا قاطعا .

3- THE KORAN INTERPRETED
BY: Arthur j. Arberry

والأستاذ « أربزي » من رجال التعليم في جامعات بريطانيا إلى أن مات منذ سنوات وقد طبعت ترجمته للقرآن الكريم في بريطانيا لأول مرة في

سنة ١٩٥٥ ، والنسخة التي اتحدث عنها هنا من مطبوعات جامعة أكسفورد
University Press . LONDON , Oxford

وبها مقدمة للمترجم مؤرخة في يولية ١٩٦٢ ويقول فيها :

« ولما كان القرآن الكريم في نظر المسلمين هو كلام الله ، فان المحافظين منهم يرون أن ترجمته غير ممكنة » ويوافقهم هو نفسه في ذلك لأنه يرى أن ذلك شأن جميع الأعمال العظيمة ، ومن هنا سمى عمله تفسيرا للقرآن وليس ترجمة للنص .

وما دام صاحب العمل يقر بأنه لم يحاول ترجمة القرآن ، ولكنه فسره فهو معرض ــ بلا شك ــ إلى الخطأ في فهم بعض الآيات أو اختيار بعض الآراء المرجوحة ... الخ ما يتعرض له أي مفسر لكتاب الله الكريم ، وإذا ضممنا إلى هذا أن الرجل لم يكن مسلما وقد يكون لهذا أثر على تفكيره إزاء القرآن لا شعوريا ، فان من واجبنا أن نلزم جانب الحذر في تقييمه دون دراسة فاحصة شاملة .

4— THE MEANING OF THE GLORIOUS KORAN
BY: Mohammad Marmaduke Pickthall

ومحمد مرماديوك بكتهول ــ كما قلنا سابقا ــ كان انجليزيا مسيحيا عاش في الهند ( حيدر أباد ) فترة طويلة واعتنق الاسلام هناك ، وقد ظهرت أول طبعات كتابه في سنة ١٩٣٠ ويقول في كلمته التي صدر بها عمله :

إن هذه أول ترجمة للقرآن بالانجليزية يقوم بها إنجليزي مسلم »

والقرآن ــ في رأيه ــ لا يمكن أن يترجم ، وما قام به من عمل عبارة عن محاولة يقدم فيها معاني القرآن ، ولا يمكن أن يستغني به عن القرآن في لغته العربية وما قصد إلى ذلك قط .

ونحن لا نعرف مدى إلمام الرجل باللغة العربية ، كما لا نعرف مدى ثقافته الاسلامية اللازمة لمثل ما قام به من عمل ، ومن هنا لا بد من دراسته دراسة شاملة ، وخاصة أن هناك من الدارسين المسلمين من هاجمه بعنف ، وكتب بشأنه إلى المؤسسات الاسلامية ، ومنها الأزهر ورابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة .

5— THE HOLY QURAN
Text, Translation and Commentary
By: Abdullah Yusuf Ali

« وعبدالله يوسف علي هندي مسلم ، ومقدمة الطبعة الأولى لكتابه مؤرخة ١٤ ابريل سنة ١٩٣٤ م ــ ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ ، ويقول موجها حديثه للقارىء :

« إن الذي أود أن أقدمه إليك إنما هو تفسير باللغة الانجليزية جنبا إلى جنب مع النص العربي ، ولن يكون ذلك عن طريق إبدال الكلمة العربية بما يقابلها في الانجليزية ، وإنما باعطاء أحسن التفسيرات التي يمكنني أن أقدمها في معناها الكامل الذي استطعت أن أفهمه من النص العربي ( ص ٤ )

وفي ترجمة النص لم أعبر عن رأي شخصي لي ، وانما اتبعت في ذلك المفسرين

المعترف بهم ، وعند ما أجد خلافا بينهم أختار من أقوالهم ما يبدو لي رجحانه ... وفي اختيار كلمة انجليزية مقابل الكلمة العربية من الضروري أن يستخدم المترجم تفكيره وعلمه في الترجيح بين البدائل ، وبالتالي يكون معبرا عن رأي معين وقد يكون ذلك عن غير قصد ، وهذا مما لا يمكن تفاديه ، ( ص ٥ ) .

ويعلل ضرورة الترجمة للكتاب الكريم فيقول :

« إن أمل كل مسلم مثقف أن يقرأ القرآن في لغته العربية ، وأن يسمع النص بصوت عربي ، وأود أن يكون أمل كل مسلم ومسلمة كذلك أن يفهم القرآن إما باللغة العربية ، وإما بلغته القومية ، وإما بأي لغة أخرى من اللغات المتقدمة التي يستطيع فهمها ، ومن هنا كانت الحاجة إلى ترجمة جيدة صحيحة » ( ص ١٤ ) .

ثم يقول : ولانتشار اللغة الانجليزية في العالم فان كثيرا من الناس المهتمين بالاسلام سيحصلون على أفكارهم عنه من الترجمة الانجليزية للقرآن ، وإنه لشيء طيب أن يحاول المسلمون الذين تؤهلهم ثقافتهم تقديم انطباعاتهم العقلية والروحية إلى الآخرين ... »

وهذه الترجمة هي التي ارتضاها كثير من المسلمين ، وعمل البعض منهم على نشرها على نطاق واسع ، ومن هؤلاء السيد خليل الرواف من رجال المملكة السعودية فقد طبعها على نفقته في سنة ١٩٤٦ ، وقد يكون من أسباب هذا الرضا :

١ ــ أنها ترجمة قام بها عالم مسلم يعرف العربية والانجليزية .

٢ ــ وأنها خالية من الانحرافات التي نجدها في تراجم أخرى كهذه التي قام بها قاديانيون وسنتحدث عن بعض تراجمهم إن شاء الله .

٣ ــ وأن عليها تعليقات خلت منها التراجم التي سبق أن عرضنا لها ، وهذه التعليقات قد تعين القارىء على فهم النص بطريقة صحيحة .

وهذه الترجمة ــ رغم انتشارها ــ فيها كثير مما يؤخذ على صاحبها . فمثلا :

أ ــ في ترجمته للآية الأولى من سورة البقرة « كتبها هكذا A. L. M. وبذلك يعطينا الحروف الانجليزية الموازية ــ في رأيه ــ للحروف العربية فحسب .

ولو أنه فعل ذلك في جميع المقطعات في سور القرآن لعذرناه ، ولكننا نجد ذلك في السور التي بدأت ب الم ، الر ، المر فقط . أما ما عداها فنجده يعطينا النطق العربي بالحروف اللاتينية ، ففي الأعراف نجد الآية الأولى هكذا :

AlIf? LAM. MIM. SAD

وفي مريم

KAF. HA. YA. AIN. SAD

وهكذا في كل ما بدأ ب حم أو طس او طسم ، وكذلك في ص ، ق ، ن ولا يظهر لهذه التفرقة سبب ولم يعلل هو لذلك .

ب ــ بعد أن ترجم قول الله تبارك وتعالى في « سورة الانبياء : الآية / ٦٩ » .

**( قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ) .**

نجده يقول في تعليقه عليها ( رقم ٢٧٢٥ ) ــ بعد كلام طويل ــ :

or the incident may be only allegorical ومعنى ذلك أنه يجوز أن يكون الكلام عن إلقاء خليل الله ابراهيم في النار وإكرام ربه له وعدم تأثيرها فيه بأمره تعالى من قبيل القصص الرمزي الذي يقصد منه تقوية الناحية الروحية وتعزيز المعنى الأخلاقي دون أن يكون لتفاصيل القصة نصيب من الوجود الحقيقي . وهذا جد خطير ...

جـ ــ في بعض تعليقاته على قصص القرآن يورد من التعبيرات ما يوهم أن تكون من قبيل الأمثال ، وأقل ما يوصف به ذلك أنه يوقع القارىء في حيرة واضطراب ، ومن ذلك ما نجده في تعليقه على قصة البقرة التي أمر الله قوم موسى بذبحها حيث يقول : This story or Parable of the heifer ... هذه القصة أو المثل المتعلق بالبقرة ... الخ »

وهذا الترديد بين أن يكون الحديث عن البقرة قصة أو مثلا يلقي ظلا من الغموض على مراده ، فاذا وجدنا أنه في نفس التعليق يقول :

the lesson of the heifer Parable is Plain « إن الدرس المستفاد من مثل البقرة واضح » ...

رجح جانب التعبير بأن الحديث من قبيل المثل ، وفي اصطلاح القرآن الكريم الفرق واضح بين القصة والمثل .

6— THE HOLY QURAN
Arabic Text, Translation and commentary
By : Maulana Muahmmad Ali.

وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩١٨ والنسخة التي لدينا من الطبعة الرابعة وصدرت سنة ١٩٥١ .

7— THE HOLY QURAN
With English Translation and commenatry
Edited by : Malik Ghulam Farid

وظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٩ ونسختنا منها .

8— THE KORAN, Arabic Text and English Translation
By : Muhammad Zafruallah Khan.

وطبع لأول مرة في ١٩٧١ .

وهذه الكتب الثلاثة لها اتجاه مشترك ، فأصحابها جميعا من أتباع « مرزا غلام احمد القادياني » ويسمونه جميعا « المسيح الموعود » .

وهم لا يخفون انتسابهم اليه ، بل يفخرون به وتبدو رنة الاعتزاز في حديثهم عنه ، كمثال لذلك ما يقوله « مالك غلام فريد » في مقدمة كتابه من أنه يحس بفضل الله عليه أن أتيحت له فرص كثيرة جلس فيها عند قدمي خليفة المسيح الثاني ، ولسنوات سمع من أحاديثه ومحاضراته حول الموضوعات الدينية والمواعظ والدروس المفيدة إلى حد بعيد حول القرآن .

ولجماعة القاديانيين نشاط واسع في أوربا وآسيا وافريقيا ، ومطبوعاتهم كثيرة ومتنوعة ويبدو أن مصادر تمويلهم غنية وسخية ، وهم يركزون في دعايتهم

لأنفسهم ومعتقداتهم على إيهام الناس أنهم اشد اهتماما من غيرهم بخدمة الاسلام ونشر كتاب الله عن طريق الترجمة والشرح ، ولعل نشاطهم يتضح أكثر إذا عرفنا أن هناك كتبا أخرى لهذه الجماعة تعالج شرح القرآن على طريقتهم بجانب الكتب التي نتحدث عنها الآن ، يقول « مالك غلام فريد » عن كتابه :

« إنه مختصر لكتاب التفسير الانجليزي للقرآن الكريم الذي كتب مقدمته حضرة الراحل « مرزا بشير الدين محمد احمد » الخليفة الثاني للمسيح الموعود ، والذي طبع في سنة ١٩٦٣ في ثلاثة أجزاء كبار ... ومن حسن الحظ أنه في الوقت الذي مر بين ظهور الكتاب المذكور ومحاولة هذا المختصر ظهر شرح متقن لمعاني القرآن لحضرة الراحل خليفة المسيح الثاني في كتاب « التفسير الصغير » وقد حاولت جهدي الانتفاع ـ في عملي هذا ـ بكل ما يمكن أن يكون مهما في التفسير الصغير ...

وخطورة هؤلاء على الاسلام في نشاطهم هذا تتمثل في أنهم يعطون صورة براقة عن حبهم لكتاب الله وأنهم يقدسونه ، وفي الوقت ذاته يستخدمون آياته في ترويج مفترياتهم وفي نشر معتقداتهم بتفسيرها بما لا يتفق مع مقتضيات اللغة تارة ، وبما يخالف ما أجمع المسلمون عليه تارة أخرى .

وقد رأيت أن يكون حديثي عن كتبهم الثلاثة المذكورة سابقا موحدا ، ولن أحاول هنا تقديم دراسة شاملة لهذه الكتب ، فليس هذا مجال ذلك العمل ، وسأكتفي بعرض أمثلة مما تحويه كنماذج لما فيها بحيث تعطي صورة واضحة للقارىء عن معتقدات أصحابها .

ولا بد من أن أوضح هنا أن الأسلوب الذي اتبعه كل من « محمد علي » و « مالك غلام فريد » يكاد يكون متشابها في أن النص العربي يقابله ترجمته ، ثم هناك تعليقات تشرح ما جاء في الترجمة والتقارب واضح بين الاثنين ...

أما محمد ظفر الله خان فلم يكتب تعليقات على ترجمته ، واكتفي بمقدمة وضع فيها كثيرا من معتقداته ومعتقدات جماعته ، وكلما أسعفته الفرصة في الترجمة وضع زيادات تعبر عن رأيه ثم استخدم بيان محتويات كتابه ( الفهرس ) في توضيح الكثير مما لم تسعفه ترجمة النص من دسه فيه ، ويضع ذلك في كلمات قليلة نجد شرحها وتفصيلها عند صاحبيه في تعليقاتهما ، وبمقارنة ما جاء في مقدمته وما عبر عنه في محتويات الكتاب بما نجده في تعليقات زميليه ، تبدو الصورة واضحة تماما ، وأنهم جميعا مجندون لهدف واحد .

وإذا عرفنا أن « محمد ظفر الله خان » كان وزيرا للخارجية في باكستان ـ الدولة الاسلامية الحديثة ـ وكان رئيسا لوفدها في الأمم المتحدة لفترة طويلة ، ثم رئيسا للجمعية العامة في إحدى دوراتها ، وخرج منها ليكون أحد قضاة محكمة العدل الدولية ، إذا عرفنا ذلك أدركنا إلى أي حد يمكن أن يصل تأثيره إلى من لا يعرف حقيقة الاسلام وتعاليمه من غير المسلمين ، ومن هنا فهو في نظري أخطر الجميع على الاطلاق ، ولذلك سيكون حديثنا عن بعض ما يشترك فيه الثلاثة مبنيا

على ما جاء في ترجمته أو بيان محتويات كتابه ، مع إتمام الصورة في كل موضوع من نصوص التعليقات عند صاحبيه .

ولنبدأ بما يتصل برأيهم في زعيمهم وكيف حرفوا معاني القرآن وكلماته للوصول إلى ما يهدفون :

يسجل « محمد ظفر الله خان » في فهرس كتابه ص ٦٥٥ تحت « خاتم الأنبياء » أن : « باب النبوة لم يغلق » ويحيل القارىء على الآيات ٣٩ من سورة البقرة ، والآية ٣٥ من سورة غافر ، والآية ٨ من سورة الجن .

وأن « النبي محمدا » ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ كخاتم النبيين معناه أنه الرسول الأعظم وليس المعنى أنه آخرهم « ويحيل القارىء هنا إلى الآية ٤١ من سورة الأحزاب .

ويلاحظ ان ارقام الآيات القرآنية في كتاب محمد علي وكتاب مالك غلام فريد تزيد عددا واحدا في كل آية عن ارقام الآيات في المصحف ــ ما عدا سورة التوبة ــ لانهما اعتبرا البسملة اية من كل سورة واعطيت رقم ١ ، ولهذا فالآيات المذكورة هنا ارقامها في المصحف : ٣٨ في البقرة ، ٣٤ غافر ، ٧ في الجن ، ٤٠ في الاحزاب وهكذا في كل الارقام في كتابيهما ..

وبالرجوع إلى الآية الأولى نجدها قول الله تبارك وتعالى :

**( قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )** البقرة / ٣٨ .

ويتبين وجه استدلاله بهذه الآية على ما يقول ويدعى من أن « باب النبوة لم يغلق » من تعليق « محمد علي » عليها إذ يقول : إنها تقرر قانونا عاما وهو « أن الوحي الالهي سيمنح للانسانية كلها ، وأن الأنبياء سيظهرون في كل مكان من وقت إلى وقت .. »

وإذا كان تعبير « محمد علي » ليس صريحا فيما عبر عنه « محمد ظفر الله خان » فقد أفصح صاحبهما مالك غلام فريد عن عقيدتهم في ذلك ، عندما علق على قول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف ، الآية / ٣٥ » :

**( يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )** يقول مالك غلام فريد :

« هنا نقطة هامة تستحق ملاحظة خاصة ، وهي أنه ــ كما في بعض آيات سبقت .. ( مثل الآيات ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ من سورة الاعراف ) ــ وكلها تبدأ بالنداء « يا بني آدم » الخطاب في التعبير « يا بني آدم » موجه إلى كل من كان في زمن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم وإلى الأجيال التي ستولد بعده لا إلى هؤلاء الذين عاشوا في الماضي البعيد ووجدوا مباشرة بعد آدم .

والآية الثانية التي أشار اليها « محمد ظفر الله خان » هي قول الحق تبارك وتعالى في سورة غافر : الآية / ٣٤ » :

**( ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ) .**

ويعلق « مالك غلام فريد » تحت رقم ٢٦٠٥ على هذا القول الكريم فيقول :

« جاء الانبياء من الناس منذ القدم ، ولكن الناس درجوا على أن يرفضوا كل نبي جديد ويعارضوه ، وعند ما يموت يقول هؤلاء الذين آمنوا به واتبعوه : لن يأتي نبي بعده وأن باب الوحي قد أغلق إلى الأبد » .

وبضميمة هذا إلى ما نقلناه عنه في تعليقه على آية الأعراف ، يتضح لنا وجه الاستدلال عند محمد ظفر الله خان بآية غافر على دعواه الباطلة ؛ من « أن باب النبوة لم يغلق » .. والآية الثالثة هي قول الله عز وجل في « سورة الجن : الآية /٧ » :

**( وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله احدا )**

ولا أدري كيف يستقيم له الاستدلال بها على أن باب النبوة مفتوح ، ولم أجد لصاحبيه أي تعليق عليها ، ولعل ذلك لما يبدو من بعد الشقة بين منطوقها وما يريده محمد ظفر الله خان . وأما آية الأحزاب ( رقم ٤٠ ) وهي قول الله تبارك وتعالى :

**( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ) ..**

فانها وان أخذت بخناقهم ، فقد أجهد « مالك غلام فريد » نفسه في تحليل كلمة « خاتم » ثم ينتهي إلى القول بأن التعبير « خاتم النبيين » يمكن أن يفسر بمعان أربعة :

١ ــ أنه ليس هناك من يعتبر نبيا حقيقة ما لم تعتمد نبوته من النبي المعظم ، فكل نبوات الأنبياء السابقين لا بد وأن تؤكد ويشهد لها من النبي العظيمَ ، وكذلك ليس هناك من يصل إلى درجة النبوة بعده إلا إذا كان من أتباعه .

٢ ــ ان النبي العظيم كان أعظم وأكرم وأكمل الأنبياء جميعا ، وكان أيضا مصدر زينتهم .

٣ ــ أن النبي العظيم كان آخر الأنبياء الذين جاءوا بشريعةوقانون .

٤ ــ أن النبي العظيم كان آخر الأنبياء فقط على معنى أن جميع الصفات المميزة للأنبياء نجد كمالها النهائي والتعبير عنها فيه هو .

ويقول بعد ذلك : « وفوق هذا فان القرآن قد تحدث بوضوح عن مجيء أنبياءبعد النبي العظيم ، ويذكر الآية التي سبق أن تحدثنا عنها ، وهي قول الله سبحانه في سورة الأعراف :

**( يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي )** الآية/ ٣٥ .

وقد بلغت الجرأة والجسارة على الحق بمحمد ظفر الله خان إلى حد يجعله يترجم قول الله سبحانه في « سورة الجمعة : آية رقم ٣،٢ » :

**( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.واخرين منهم لما**

**يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم )** هكذا

"He it is who has raised among the unlettered people and aamong others from among them who have not yet joined them, a Messenger from among themselves who recites unto them.His signs, and purifies them, and fosters their welfare, and teach them the Book and wisdom, though before this they had been in manifest error."

وترجمة ذلك :

هو الذي بعث في الأميين وفي آخرين لما يلحقوا بهم رسولا منهم ..الخ .

وهذا معناه أن البعث في الأسلام حدث مرتين ، الأولى في زمن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والثانية بعد زمنه في قوم لما يلحقوا بهم ، وهو ما صرح به في مقدمته ص ٥٢ وهذا ولا شك تدليس واضح وكذب صريح على كتاب الله ، إذ خلط الآيتين ببعضهما ليصل إلى ما يهدف إليه من أن إرسال الرسول حدث في الأميين في زمنه ، وحدث كذلك في هؤلاء الذين لما يلحقوا بهم .

ويشرح « مالك غلام فريد » ما يعنيه صاحبه حين يعلق على الآية الكريمة فيقول :

« إن رسالة النبي الكريم لا تختص بمن كانوا في زمنه ، وإنما هي دائمة إلى نهاية الزمن ، أو أن الآية تعني أن النبي الكريم سيبعث مرة أخرى في قوم لم يوجدوا في زمنه ، والاشارة هنا إلى البعثة الثانية للنبي نفسه في شخص « المسيح الموعود » في الأيام المقبلة » ..

ومما يغرق في الغرابة ما نجده في تعليق مالك غلام فريد على قول الله تعالى في « سورة الجمعة » الآية ٦ » :

**( قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين )** حيث يقول :

« إن المسيح الموعود سيتحدى هؤلاء الذين يقال عنهم علماء المسلمين والذين سيرفضون دعوته وسيدعوهم إلى المباهلة .. »

ولا أدري كيف يؤخذ ما عبر عنه من النص الكريم إلا إذا ألغى الانسان عقله .

وإذا عرفنا أنه ترجم **( يأيها الذين هادوا )** ترجمة صحيحة وصرح بأن المقصود بهم اليهود ، تبين لنا مقدار خروجه عن الأدب في إطلاق ذلك الوصف على علماء المسلمين الذين رفضوا دعوة زعيمه .

وإذا كان القوم يطلقون على زعيمهم « المسيح الموعود » فلا بد وأن يكون للمسيح عليه السلام مكان خاص في فلسفتهم ، وهذا واضح في كل ما كتبوا وعلقوا على الآيات التي تتحدث عنه عليه السلام منذ بشر الملائكة أمه به إلى أن انتهت حياته على هذه الأرض .

فاذا بدأنا بما يتصل بالبتول « مريم » نجد في محتويات كتاب « محمد ظفر الله خان » تحت اسمها الكريم :

« زيارة الملك لها في صورة إنسان كان رؤيا » ويحيل على قول الله تبارك وتعالى في « سورة مريم : الآية ١٧ » .

**( فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا )..**

وبالرجوع إلى مالك غلام فريد نجده يقول في تعليقه على هذه الآية :

« إن التعبير يفيد أن البشرى الالهية بولادة ولد عظيم لم تبلغ لمريم في صوت أمكنها سماعه من متكلم ، وإنما كان ذلك في صورة رؤيا منامية أو تخيل في اليقظة » .

ثم يأتي « محمد علي » فيشرح ما قاله صاحبه بطريقة توهم القارىء الذي لا دراية له بالثقافة الاسلامية إنه يقدم الدليل على رأيه فيقول :

« هذا يبين أن مجيء الروح لها كان في رؤيا وأن ما تبودل من حديث بينهما كان كذلك ، وكلمة « تمثل » التي استعملت هنا تؤيد ما نقول ، لأن معنى « تمثل » اتخذ شبه شيء آخر ، وهذا يكون في الرؤيا فقط ، وبجانب ذلك فان الروح أو الملك يظهر للمصطفين من العباد في الرؤيا فحسب ، والملائكة لا ترى بالبصر » .

وواضح أن استدلال الرجل لا يستقيم له ، فكون « تمثل » تقتضي اتخاذ شبه شيء آخر قد تحقق فعلا ، فقد اتخذ الملك شبه بشر سوى ، وكون الملك لا يظهر للمصطفين الا في رؤيا غير مسلم ، ففي السنة الصحيحة ما يدل على أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه رأى جبريل عليه السلام في صورته الملائكية ، واطلاق القول بأن الملائكة لا ترى بالبصر يرده ما ورد في كتب السنة الصحيحة من أن جبريل عليه السلام تمثل برجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر .. الخ ورآه الصحابة وسمعوه يسأل الرسول الكريم عن الاسلام والايمان – والاحسان ..

هذا فيما يتعلق بعقيدة القوم في البشرى بالمسيح عليه السلام .. فاذا جئنا الى قول الحق تبارك وتعالى في « سورة آل عمران / ٤٥ ـ ٤٧ » :

**( إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك )**

نجد التعليق رقم ٤٢٤ من محمد علي يقول :

انه مما يسترعى الانتباه أن القرآن لم يذكر زوج مريم قط وهذه الظروف تحمل شبها قويا بتلك التي تتصل بميلاد موسى ، فهناك أيضا لا نجد ذكرا لوالد موسى أصلا ، فكون القرآن لم يذكر والد عيسى لا يكفي في نفي ان يكون له أب ..

ثم نجد في التعليق رقم ٤٢٧ على قول الله تبارك وتعالى :

**( قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك )**

وفيه يقول :

إن زواج مريم كان مبرما وربما لم تخبر بذلك قبل أن جاءها النبأ بأن سيكون لها ولد ، ومن هنا قالت : ولم يمسسني بشر ، وكان الجواب : هو كذلك والولد سيولد والله سيتولى ايجاد الظروف اللازمة ، والفاظ الآية لا تفيد ان الطفل سيحمل به بطريق غير عادي لأنه من المؤكد أن مريم ولدت غير عيسى ولم يقل أحد : إنهم جاءوا إلى الحياة بطريق غير عادي .. ومعنى هذا أن كل ما في الأمر هو بشارتها بأن سيكون لها ولد ، وذلك من باب النبوءة » ..

ويقول في تعليقه رقم ١٥٣٧ على الآية الكريمة في سورة مريم / الآية ٢١ » :

**( ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا )**

انها حملت به بالطريق العادي الذي تحمل كل النساء بأطفالها عن طريقه » وان المرء لتأخذه الحيرة من أقطاره أمام هذا التحريف المتعمد لكتاب الله ومحاولة شرح الكلمات بما لا يسيغه منطق ولا عقل ولا علم ، والا فكيف يستساغ ان تقول مريم :

**( رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر )** آل عمران / ٤٧ اذا كان الأمر مجرد بشارة بأنها سيولد لها ولد بالطريق العادي ؟ وكيف يفهم قولها حين جاءها المخاض : **( يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا )** مريم /٢٣ وعلى اي وجه يكون معنى قول قومها لها حين جاءتهم تحمل وليدها **( يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا )** مريم / ٢٧ ، ٢٨ ؟ بأي منطق يفهم هذا كله إذا كان الأمر عاديا وليس فيه خروج على المألوف ..

إن القارىء لتعليقات هذا الرجل على النصوص القرآنية ليحس بالمعاناة التي تحملها في سبيل التخلص من المآزق التي وضع نفسه فيها الواحد تلو الآخر عندما تنكب الطريق وانحرف عن الصواب إنه يحاول أن يصور الأمر على أن مريم حملت بابنها عن طريق زواجها ككل امرأة تحمل وليدا ؛ فاذا قال القرآن الكريم :

**( فحملته فانتبذت به مكانا قصيا )** « مريم/٢٢ » فمعناه عنده ان مريم كانت في سفر الى مكان بعيد واذا عبر القرآن عما كانت تعانيه مريم البتول من موقفها كفتاة عذراء تلد وليدا وتقول : **( ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا )** « مريم/٢٣ » فقولها هذا ـ في نظره ـ تعبير عن الآلام التي تعرض لها كل امرأة تلد .

واذا قال القرآن : **( فأتت به قومها تحمله )** « مريم/٢٧ » فمعنى ذلك عنده ان عيسى عليه السلام وقد بلغ مبلغ الشباب أتت به أمه قومها وهو راكب حمارا .

ويعاني الرجل ما يعاني في شرح استنتاج ما ترجمه هو صحيحا من النص فيخفق ، ولكن صاحبه « محمد ظفر الله خان » لم يستح ان يضع هذا الذي يرياه في صلب الترجمة للنص فيقول :

« انها صحبته الى قومها بينما كان راكبا » .

واذا أخبر القرآن ان قومها عندما رأوها تحمل وليدا وهم يعرفون انها لم تتزوج بعد قالوا لها :
**( يامريم لقد جئت شيئا فريا . ياأخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا )** « مريم/٢٧ ، ٢٨ » .
فتفسير ذلك عنده أن مريم جاءتهم بولد ادعى فوق ما يعرف لشيوخ بني اسرائيل وهذه جريمتها ..
ولما لم يستطع ان يجد تخريجا لقولهم : **( وما كانت أمك بغيا ) .. بحيث يتلاءم مع ما يقول سكت عنه ، ولم يعلق عليه بشئ** ، ويقيني ان ما ملأ به صفحات كتابه من تعليقات في هذا الأمر لا يساوي ما كتب به من مداد ..
وعودا إلى « محمد ظفر الله خان » فيما يتعلق بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام نجده يقول في بيان محتويات كتابه تحت كلمة « عيسى » ..
« ان عيسى وضع على الصليب ، ولكنه لم يمت عليه ، بل أصابه الأغماء الشديد ، وأنزل وهو في هذه الحالة » ، ويحيل القارئ إلى آيتين :
الأولى قول الله تبارك وتعالى في « سورة البقرة : الآية/٧٢ » :
**( وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون )** والثانية قوله تعالى في « سورة النساء : الآية/١٥٧ » :
**( وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) ..**
وبالرجوع الى « مالك غلام فريد » نجده يعلق على الآية الأولى فيقول :
« ... إن اليهود عملوا على قتل عيسى على الصليب ولكنهم فشلوا ، إذ بعد أن وضعوه على الصليب فعلا أنزل حيا ، وإن كان شبيها بالميت » .
ويقول في تعليقه على الآية الثانية :
« ما صلبوه تعني أنه لم يمت على الصليب ... والآية لا تنفي الحقيقة وأن عيسى وضع على الصليب ودق جسده فيه ، وإنما تنفي أنه مات على الصليب . ومعنى « شبه لهم » أن اليهود شبه لهم أن عيسى مات على الصليب ... »
ويقرر « محمد علي » في تعليقاته نفس الشئ . ويتضح من كلامه أنه يقول بذلك لأن الانجيل يقرر أن عيسى وضع على الصليب ، ومن هنا كان الصلب الذي نفاه القرآن ـ في رأيه ـ هو الموت على الصليب وليس تثبيت جسده عليه بالمسامير ، وهذا عنده من باب التوفيق بين القرآن والانجيل ، وهو شئ لا يستحق مجرد النظر اليه .
واتجاه القوم في معجزات الأنبياء عليهم السلام إلى انكارها ، وتأويل كل ما يتصل بذلك من آيات :
فاحياء عيسى عليه السلام للموتى تعبير مجازى عن قدرته على هداية الضالين من الناس ولا شئ وراء ذلك » .
والمراد بالجبال والطير في قول الله تبارك وتعالى : **( وسخرنا مع داود الجبال**

**يسبحن والطير )** « الأنبياء/٧٩ » هم خيار الناس من الصالحين .
وهدهد سليمان الذي تحدث القرآن عنه انما هو قائد قواته . وهكذا ..
وقد يبلغ بهم الأمر إلى إنكار الحقائق التي ينطق بها القرآن ، كما نجد في تعليق محمد علي عند قول الله تبارك وتعالى في سورة الأنبياء :
**( قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين )** « الأنبياء/٦٨ » .
**( قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم )** « الأنبياء/٦٩ » ، إذ يقول :
« إن القرآن لم يصرح في أي آية من آياته بأن ابراهيم قد ألقى في النار » ..
ولا أدري كيف يفهم إذن قول الله سبحانه وتعالى : **( قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم )** اذا لم يكن ابراهيم في النار فعلا ..
ولعل وضوح النص في ذلك هو الذي حمل زميله « محمد ظفر الله خان » على أن يصيخ للحق فيسجله في صلب ترجمته للآية فيقول :—

"When they cast Him. into the fire we commanded it:
Be cool and a means of safety for Abraham.

وترجمة ذلك :
عندما ألقوه في النار قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ..
ولكنه يتمادى في المكابرة فيقول :
« إن القرآن يقرر في الآية الرابعة والعشرين من سورة العنكبوت أن الله أنقذ إبراهيم من النار ، ولكنه لم يبين لنا ما إذا كان هذا الانقاذ قبل إلقائه في النار أو بعد إلقائه فيها » .
والآية المقصودة هي قول الحق تبارك وتعالى :
**( فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار )** « العنكبوت/٢٤ » . وغريب جدا أن يكون هذا النص محتملا لأن يكون إبراهيم قد ألقي في النار أو لم يلق فيها ، إذ بضميمة هذه الآية إلى آية سورة الأنبياء التي تصرح بكيفية إنجاء الله له من النار لا يكون لقول هذا المكابر أرض يقف عليها .
وبالرغم من ذلك كله نراه يركب رأسه ويدعي أن قول الله عز وجل :
**( ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين )** « الأنبياء/٧١ » . يقرر أن النجاة من النار كانت عن طريق الهجرة إلى أرض أخرى ، وتلك مغالطة فاضحة فليس هناك من ينكر أن هجرته عليه السلام كانت نجاة له ، ولكن ليس من النار ، وإنما من كيد قومه وإيذائهم له الذي لم يتوقف ، وكان ذلك بعد أن أنجاه الله من النار بالكيفية التي وضحها الله في كتابه في صراحة ووضوح ..

وبعد : فهذه جولة قصيرة في كتب يقرؤها الناس على أنها القرآن وشرح آياته ، بعضها لغير مسلمين وأمرهم واضح ، والحذر مما يقولون يكاد يكون من طبيعة المسلم ، والبعض الآخر مؤلفوها مسلمون في نظر كثير من القراء ، ويروجون

لأفكار جماعة انحرفت عن الطريق السوى ، ولهم نشاط واسع في قارات الأرض باسم الاسلام والعمل على نشره ، وهذا يوجب علينا أن نتصدى لهذا الخطر بنفس السلاح الذي يستخدمونه في الكيد للاسلام ، وهو سلاح العلم والمقارنة والعرض الواضح لكشف ما في كتبهم من أباطيل ..

وأنا على علم بأن كثيرا من علمائنا الأفاضل في كثير من أقطار الاسلام كتبوا ضد القاديانية وحذروا منها وكشفوا بعض أباطيلها كما فعلوا ضد غيرها من جماعات المنحرفين ، إلا أن ما قاموا به كان يتجه إلى دحض دعوى زعماء هذه الجماعات للنبوة ، وإلى تكفيرهم وتكفير من يتبعهم ونعلم جميعا أن البرلمان الباكستاني أصدر في العام الماضي قرارا واضحا بتكفير طائفة القاديانية ..

كل ذلك أعلمه ، ولكنني لا أعلم أن هناك من حاول دراسة شاملة لكتبهم وكشف ما فيها من تحريف للنصوص ومغالطات في العرض وظلم للألفاظ بتحميلها من المعاني مالا صلة لها به ..

وقد يكون هناك من الأفراد من يستطيع القيام بهذا العمل على نطاق ما ، ولكني أعتقد أن إنجاز ذلك باسم الأزهر سيكون له من الأثر ما لن يكون لعمل الفرد ..

ولهذا اقترح :ـ

١ ـ أن يتبنى مجمع البحوث الاسلامية ـ ممثلا للأزهر ـ العمل على دراسة الترجمات المختلفة في اللغة الانجليزية أولا لانتشارها اكثر من غيرها في بلاد العالم تمهيدا لاصدار ترجمة شاملة تجمع محاسن الموجود ، وتستبعد الأخطاء ، وتكمل النقص وتعرض للقراء معاني القرآن الكريم في اسلوب واضح صحيح ، مع تصديرها بمقدمة وافية تبين للقارىء ما في الترجمات الموجودة من مآخذ دعت إلى إصدار ترجمة جديدة .

٢ ـ أن يجند لهذا العمل كل من له دراية كافية بالثقافة الاسلامية بحيث يستطيع ان يميز الصحيح من الخطأ ، وما له سند مما لا سند له من التعاليم الاسلامية وله من معرفة اللغة الانجليزية ما يمكنه من فهم المراد للكاتب فهما صحيحا والرد عليه في أسلوب واضح سليم .

٣ ـ ألا يستقل أي فرد من مجموعة العمل بأي جزء من أجزائه ، بل يكون العمل جماعيا بمعنى أن كل ما يقوم به كل فرد يعرض بالتفصيل على جماعة العمل متكاملة ، ولا يعتبر نهائيا إلا إذا أقره الجميع ..

أسأل الله لنا جميعا الهداية والتوفيق ..

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ..

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

**« أبشر يا أبا بكر الذي وضأك للصلاة جبريل ، والذي مندلك ميكائيل ، والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل »**

**موضوع .**

قال : السيوطي في اللآلىء المصنوعة إنه موضوع .

فمن رواته محمد بن زياد الميموني وهو كذاب .

وقال : الذهبي في ميزان الاعتدال إن سبب الوضع ، والآفة التي جعلته منكرا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي فانه يأتي بالأخبار المنكرة .

وقال : الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة إن هذا القول كذب .

وقد روى نحو هذا لعلي بن أبي طالب وفيه زيادة على النص السابق ذكر السطل والمنديل وكل هذه الأقوال كاذبة موضوعة .

**( إذا كان يوم القيامة دعا الله عبدا من عبيده فيقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله ) .**

**موضوع .**

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة انه منكر .

ورواه ابن حبان عن ابن عمر مرفوعا ، وقال لا أصل له .

وروى الخطيب مثله باسناد فيه منكر الحديث .

وقال صاحب اللسان : ان النسائي استنكر الحديث .

ومن رواته محمد بن العباس المعروف بابن النحوي ، وهو متأخر لا يعبأ به .

# ليلة القدر في شهر رمضان

خلال شهر رمضان المبارك انزل الله القرآن الكريم .. يقول سبحانه وتعالى : **( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان )** البقرة/ ١٨٥ . ويقول سبحانه وتعالى كذلك :**( إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر )** سورة القدر .

أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي « الرؤيا الصالحة » فكان عليه الصلاة

والسلام لا يرى في نومه رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم بدأ عليه الصلاة والسلام يخلو بنفسه في غار حراء ، فيتعبد ويعود لأهله ، ثم يرجع للغار للتعبد ، وهكذا ..

وفي ذات يوم نزل عليه جبريل عليه السلام في غار حراء وقال له : اقرأ !! فقال له عليه الصلاة والسلام : ما أنا بقاريء ، فأخذه جبريل وغطه حتى بلغ منه الجهد وأرسله ، وقال له : اقرأ ، فقال : ما أنا بقاريء . فغطه الثانية وأرسله ، وقال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقاريء . فغطه الثالثة ، وقال له : ( **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم** ) العلق/١ ـ ٣ . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة رضي الله عنها فقال لها : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، وأعلم خديجة بما حدث معه . فقالت له خديجة : كلا . والله لن يخذلك الله أبدا ، لأنك تصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتساعد الملهوف والمظلوم وانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وهو شيخ ضرير ، كان قد تنصر في الجاهلية ، وهو يكتب من الانجيل بالعبرانية ، وقالت له : ياابن عمي اسمع من محمد ما يقول . فقال له : أسمعني ما عندك . فأعلمه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بكل الذي جرى معه في غار حراء . فقال له ورقة : هذا الناموس نفسه الذي انزل الله على موسى عليه السلام . ليتني أحيا لحين يخرجك قومك من بلدك .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أومخرجي هم ؟ قال : نعم ، لأنه لم يأت رجل ابدا بمثل ما جئت به إلا عاداه قومه وأخرجوه من أرضهم . وإن أدركني يومك ذاك لأنصرنك نصرا مؤزرا ..

ولقد سمى القرآن الليلة التي نزل فيها القرآن « ليلة القدر » أي ليلة الرفعة والشرف ، ووصفها بأنها ليلة مباركة إذ يقول تعالى : ( **إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم** ) الدخان/٣ ـ ٦ .

ومادام القرآن الكريم قد أنزل في ليلة القدر ، وأنه سبحانه قد أنزله في شهر رمضان المبارك ، فانه يتعين أن تكون ليلة القدر في شهر رمضان . ولكن السؤال هو : أية ليلة هي في شهر رمضان ؟

والقرآن الكريم لم يحدد ليلة القدر بأي ليلة ، وأن الرسول العظيم هو الآخر لم يحددها تحديدا تاما ، وإنما حددها على وجه التقريب عندما قال : « تحروا ليلة القدر في السبع الأواخر » رواه مسلم وابو داود . ومعنى التحري أي الطلب بجد في

العبادة . ثم يقرب الرسول الأمر اكثر من ذلك فيقول : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » رواه احمد والترمذي . ولقد شاهدها كثير من الصحابة في السبع الأواخر من رمضان .

وحددها كثير من الصحابة أمثال ابن عباس ، وابي بن كعب بأنها ليلة السابع والعشرين . وقال بعض الصحابة كابن مسعود وزر بن حبيش : إنها في رمضان ، وإنها في العشر الأواخر ، وإنها بالذات ليلة سبع وعشرين .

والمحاولات في سبيل تحديد ليلة القدر مثيرة وطريفة : منها مثلا ما قاله بعضهم من أن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة كعدد أيام رمضان وكلمة « هي » التي تشير إلى ليلة القدر في قوله تعالى في السورة نفسها « سلام هي » هذه الكلمة تمام سبعة وعشرين . هذه محاولة . ومحاولة أخرى هي : ان حروف ليلة القدر تسعة حروف ، وقد ذكرت ليلة القدر في السورة ثلاث مرات ، وثلاثة في تسعة تساوي سبعا وعشرين . أما الشيخ أحمد زروق ـ رضي الله عنه ـ فانه يقول فيها : إنها لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر . وقد روى مثل ذلك أيضا ابن العربي . هذه كلها محاولات ، أما الثابت اليقين فهو أن القرآن لم يعينها تعيينا تاما ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحددها بوضوح . ولقد قال أسلافنا رضي الله عنهم : أخفى الاله عز وجل أمورا في أمور لحكم . ليلة القدر في الليالي لتحيى جميعها . وساعة الاجابة في الجمعة ليدعو الناس في جميعها . والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ عليها كلها . والاسم الأعظم بين اسمائه ليدعى بالجميع . ورضاه في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات . وغضبه في معاصيه لينزجر عن الكل . والولي في المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم . ومجيء الساعة في الأوقات للخوف منها دائما . وأجل الانسان عنه ليكون دائما على أهبة .

وعلى هذا فيحصل ثوابها لمن قامها ، ولو لم يعلمها . نعم ان العالم بها أكمل ولكن هذا هو الأظهر .

أما فضائلها فانها كثيرة جدا ، ففيها نزل القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان . ومعنى ذلك ان رسالة رحمة نزلت على العالمين ويقول سبحانه وتعالى : ( **حم . والكتاب المبين . انا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا انا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم** ) الدخان/١ـ٦ ثم إنه تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم .

ومن أجل ذلك كانت خيرا من الف شهر . والألف شهر هي ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر ، وهذه المدة عادة هي عمر الانسان . إذا فهي خير من عمر الانسان كله . من عمر كل انسان ، من عمره في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل . اي خلاصة القول انها خير من الدهر ومن

فضل اللـه سبحانـه وتعـالى على المسلمين ان من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . وفي فضلها تروى الاحاديث التالية :

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : « أتاكم شهر رمضان ، شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبـواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » رواه النسائـي والبيهقي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر ما تقدم من ذنبه » رواه البخاري .

وقال رسول الله : « إن ليلة القدر هي في شهـر رمضـان في العشر الأواخر ، ليلة إحدى وعشرين ، او ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، أو آخر ليلة من رمضان . من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه احمد .

وقال أيضا : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه احمد . « ومـن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » حديث صحيح رواه البخاري وغيره .

وأحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية . ومن القراءة آيـة الكرسي إذ ورد أنها أفضل آية في القرآن . وكآواخـر سورة البقـرة وسورة إذا زلزلت وسورة الاخلاص وسورة يس . ويطلب الاكثـار من الاستغفـار والتسبيـح والتحميـد والتهليل وانواع الذكر ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . ويدعو بما يحب لنفسه ولأحبابـه أحيـاء وأمواتا .

ويتصدق بما يتيسر له . ويحفظ جوارحه عن المعاصي . ويكفـي في قيامها صلاة العشاء والصبـح في جماعـة . وورد من صلى المغـرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر . وورد من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل . فاذا صلى الصبح في جماعة فكانما قام شطره الآخر .

وقد ورد : « من قال لا إله الا الله الحليم الكريم . سبحان اللـه رب العالمين . رب السموات السبع ورب العرش العظيـم ، ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر .

والسؤال هو : هل هي حقا ليلة تفتح فيها أبواب السمـاء لاجابـة الدعاء ؟

والجواب هو : نعم ولا شك في ذلك . إنها ليلة تفتح فيها أبـواب السمـوات لاجابـة الدعـاء للموعودين ..

والموعودون هم الذين استجابوا لربهم سبحانه وتعالى ، فاستجـاب لهم . هم الذيـن استقامـوا كمـا أمروا . هم الذين أسلموا أمورهم اليه ، فتكفل بهم .

إن هؤلاء إذا سألوا الله أعطاهم . وإذا استعاذوا به أعاذهم ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره ..

# مائدة القارئ

## حب الهي

هذا هو الطريق الى نيل محبة الله .. قال تعالى : ( **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ) الآية ٣١ من سورة آل عمران .

## مظهر حسن .. وجهل عريض

قال الأصمعي : رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن ، وعليه ثياب فاخرة ، وحوله حاشية وهرج ، فأردت أن أختبر عقله ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقلت : ما كنية الشيخ ؟ فقال : أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . قال الأصمعي : فضحكت من قلة عقله ، وكثرة جهله .

## موعظة

أراد غلام أن يعظ الخليفة عمر بن عبدالعزيز ـ خامس الخلفاء الراشدين ـ ومضرب المثل في العدل والنزاهة .

فقال : يا أمير المؤمنين إن أناسا غرهم حلم الله ، وثناء الناس عليهم ، فلا تكن ممن يغره حلم الله ، وثناء الناس عليه ، فتزل قدمك ، وتكون من الذين قال الله فيهم : ( **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم** ) .

فالتفت عمر الى من حوله وتمثل قول الشاعر :

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

فان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه المحافل

## ما أعددت للساعة ؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال : « وما أعددت للساعة » ؟ قال : حب الله ورسوله . قال : « فانك مع من أحببت » .

## الناس ثلاثة

قال علي ــ كرم الله وجهه ــ : الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع : أتباع كل ناعق ، مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وثيق .

## حسن استعطاف

قال الشاعر مستعطفا صاحبه :

| | |
|---|---|
| فهبني مسيئا كالذى قلت ظالما | فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل |
| فان لم أكن للعفو عندك للذى | أتيت به أهلا فأنت له أهل |

## هذا هو العالم

لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمنا .

## أبلغ الناس

سأل معاوية عمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟
قال : أقلهم لفظا ، وأسهلهم معنى ، وأحسنهم بديهة .

# شهر الصيام

## هل هو شهر قوائم للطعام

من حسنات شهر رمضان ، انه فترة زمنية تكثر فيها العبادات ، وتتردد التسبيحات ، وتسمو الروحانيات ، وتكبح الشهوات ، وباختصار فهو شهر صفاء للنفوس ، وتطهير للقلوب ، وتعاطف بين الناس ، ورحمة وخير ومودة وغير ذلك من المعاني المجردة السامية ، التي لا توزن بمعايير مادية .

ولقد كانت هذه المفاهيم أو المعايير هي نبراس السلف الصالح الذي تعود جذوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى من تبعه من الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين .. لكن يبدو أن حكمة الصيام قد بدأت تبهت في عقول معظم الناس ( إلا من رحم ربي ) .. فما أصبحوا يعرفون من الصيام إلا قشوره ، أما

للدكتور عبدالمحسن صالح

جوهره ، فقد خفيت عليهم حكمته .

لكن .. ما الذي يدعونا حقا إلى مثل هذا القول الذي قد لا يجد هوى عند كثير من المسلمين ، وقد يعتبرون ذلك تهجما ليس له ما يبرره ؟

الواقع أن بعض ما يجرى من استعدادات واضحة لاستقبال هذا الشهر الكريم ، قد لا يدل على أننا مقبلون على شهر صوم بالمعنى الذي وقر في العقول التي تتدبر الحكمة العظيمة الكامنة في هذا الشهر الكريم .. فهو شهر الانضباط الديني والنفسي والبطني ( من البطون ) ، ليعمق في الانسان جذور الايمان ، عن طريق كبح شهوات ، يراقب الناس فيها ربهم ، وفي الوقت ذاته يراقبون أجهزتهم الحية التي ظلت تشتغل بغير هوادة طوال عام كامل ، وآن لها أن تأخذ « هدنة » مؤقتة تريحها من عناء متواصل .. وهدنتها الذهبية تكمن في شهر رمضان .. شهر الصيام .. لا شهر قوائم طويلة عريضة ، مما لذ وطاب ، من أصناف الطعام .

فهل نحن نصوم حقا الصيام الأمثل ؟

قبل ان نجيب على هذا التساؤل ، وجب علينا ان نلقي نظرة فاحصة على ما تنشره أجهزة الاعلام من استعدادات تموينية هائلة ، وما يطرح في الأسواق من سلع غذائية متباينة ، سلع لا تظهر الا بقدوم شهر الصيام ، وكأنما نحن مقبلون على مسابقة حقيقية لاتخام البطون بقوائم الطعام .. والدليل على ذلك يأتينا من ميزانية الدول ، أو جيوب الأفراد ، فما يصرف على الطعام والشراب في شهر رمضان ، يفوق مثيله في أي شهر آخر .. ربما بضعفين أو ثلاثة .. والغريب أن هذا يحدث في شهر مبارك من سماته عدم الاسراف في مال وطعام وشراب ، ترى .. هل كان السلف الصالح يفعل مثلما نفعل الآن ؟

سؤال متروك لك ، لتجيب عليه بحكمة تنبع من العقول .. لا من البطون ، وحكمة العقول تأتينا من الحديث الشريف الذي قدمه لنا الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبايجاز يغني عن كل بيان « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » رواه الترمذي .

وأنا رجل علم في المقام الأول ، وكغيري من العلماء التجريبيين ، نضع نصب أعيننا أن كل شيء خلقه الله ، إنما يتبع سننا لا تبديل فيها ولا تحوير ، وهذه نعرفها عن طريق القوانين ، وغالبا ما نعبر عنها بالمعادلات ، والمعادلة تعني الاتزان .. أي لا تبذير ولا تقتير ــ بل « خير الأمور الوسط » ــ على حد قول

الحديث الشريف ، أو على حد تعبير القرآن الكريم ( **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط** ) الاسراء/ ٢٩ .

وسلوكنا مع ألوان الطعام ، عندما يحل شهر الصيام ، يوضح أننا نسرف فيه كما ونوعا ، وميزانيات الدول والجيوب خير شاهدة على ما نقول ، ولا أحد أيضا يستطيع أن ينكر ذلك .. فنحن نأكل في شهر رمضان أكثر مما نأكل في أي شهر آخر ، وهذه مفارقة تستحق وقفة تأمل وتدبر .

إن الصلاة والصيام وغيرهما من أركان الاسلام ، هي شريعة هداية وتقويم ، وإصلاح للنفس والبدن .. ونحن لا ننكر أننا في هذا الشهر المبارك نعطي بعض هذه الشرائع حقها ، فمعظم المسلمين يرتلون آيات القرآن الكريم ، ويتدارسون الأحاديث ، ويقرأون كتب السيرة العطرة ، ويقيمون الندوات الدينية التي ترفرف عليها روح الاسلام وتعاليمه السمحة .. وكل هذا « غذاء » للروح والعقل ، وكلما ازددت من هذا الغذاء ، وجدت فيه نهما لا تشبع النفس منه أبدا ، وعندئذ قد تدعو الله دعاء مستحبا ، مرددا تلك الآية الكريمة ( **وقل رب زدني علما** ) طه/ ١١٤ . ذلك أن عقولنا تستطيع أن « تهضم » أكداسا من فوق أكداس من العلم النافع ، وبه تتسع المدارك ، وتسمو المعارف ، وتتفتح العقول على المزيد ، دون أن تصيبها تخمة أو عسر أو ما شابه ذلك .. ( **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ) الزمر/ ٩ .

لكن الأمر يختلف مع البطون .. إذ لها طاقة محدودة ، ولو زادت الأمور عن حدودها المرسومة ، لكانت النتيجة الحتمية لذلك توعكا وعسرا وضيقا ، وفي هذا جاء القول المأثور : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإن أكلنا لا نشبع » مترجما عن هذا المعنى : وهذه سنة محمودة كانت تطبق في رمضان ، أو في أي شهر آخر من شهور العام .

وحكمة الصيام أيضا تتركز في كبح شهوات النفس ، بجوار شهوات البطن والفرج ، لكن المهم في الموضوع هنا ، أن هذا الشهر هو سباق حقيقي ، لالتهام ما لذ وطاب ، من أنواع الطعام والشراب .. فما أن يؤذن المؤذن لصلاة المغرب ، أو عندما ينطلق مدفع الافطار ، تجد الموائد عامرة بالطعام ، وتبدأ عشرات الملايين من الأفواه الجائعة ، في ملء البطون الخاوية ، بشهوة عارمة ، فيها فرحة غامرة ، بعد حرمان طالت ساعاته ، وهذا أمر مكروه من عدة وجوه .. إذ فيه تنتفي الحكمة الكامنة في الصيام ، أي الاسراف من حيث يحق الاعتدال ، ( **إنه لا يحب المسرفين** ) الانعام/ ١٤١ . ( **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** )الاعراف/ ٣١ . وهو من الوجهة الصحية غير مستحب ، لأن المعدة الخاوية يجب أن تؤخذ بالحسنى ــ نعني ألا تحشر بالطعام حشرا ــ وإلا كان ذلك عليها وعلى صاحبها وبالا ، فعمليات الهضم الميسرة ، والاستفادة بالطعام المهضوم ، تتطلب اعتدالا ، ذلك أن للجسم الحي معاييره وموازينه ، وهو لا يستفيد من كل ما نأكل ، بل يأخذ فقط ما هو في حاجة فعلية إليه ، والباقي يطرد

من الأمعاء طردا ، وربما ينقلب ذلك إلى مغص وإسهال ، وهما علامتا إنذار للذي أكل ، فأسرف ، فاسترخى ، واستكان في مكانه ، وكأنما هو كتلة حية تتنفس ، دون أن تستطيع ممارسة النشاط الجسماني العادي ، فلقد ثقلت بطنه ، وتقطعت أنفاسه ، وزادت دقات قلبه ، لتجابه الأزمة الطارئة التي انحشرت في جوفه ، دون أن يدري ، أو يدري .. لست أدري ..

والواقع أننا لسنا مبالغين ، في تقديم هذه الصورة ، التي يمارسها معظم الصائمين ، في هذا الشهر الكريم ، فالأرقام خير دليل على ما نقول ، ولقد كنا نود أن نطرح هنا الكثير من عناوين الصحف عن الاستعدادات الغذائية الهائلة التي تمون بطون الصائمين ، إذ كان من المفروض ان يكون العكس صحيحا ، أي أن يقوم أئمة المسلمين بترشيد الناس عن حكمة الصيام من الوجهة الدينية والروحية ، وأن يتقدم الأطباء بتوجيه النصائح نحو المستحب وغير المستحب في محاولة لاقناع الصائمين بالاعتدال لا الاسراف ، في طعام ثقيل على البطون الجائعة .. ومن الجدير بالذكر هنا أن نسبة لا بأس بها من الصائمين ، تزيد أوزانهم بعد انقضاء هذا الشهر العظيم الذي جاء ليعلم الناس أن الصيام نظام ( أو ريجيم ) حياة أمثل ، لأنه يخفف العبء عن أجهزة الجسم وأعضائه ، لا أن يزيدها تعبا ونصبا وإجهادا ، إذ لو عاد الناس إلى جادة الصواب ، لاكتفوا من الطعام بما يقيم أودهم ، وفي هذا تأهيل وتكيف على حياة معتدلة في الأعباء المادية والجسدية والصحية ، وتنظيم مثالي للالتزام بمواعيد صارمة لتناول الطعام والشراب ، وما نظن أن هناك ما هو أفضل من تدريب على ذلك إلا شهر رمضان الكريم ، إذ نلتزم فيه بأحكام لا تلاعب فيها ولا تفريط .. إنما التفريط الوحيد يتمثل في فتح الباب على مصراعيه ، لنلقي في الجوف بما نريد ، ولنشبع شهوة فيها من السيئات أكثر مما فيها من حسنات .

هناك مثل انجليزي يقول : « الفئران النحيفة تدفن الفئران السمينة » — والمغزى في هذا المثل لا يخفى على لبيب ، ذلك أن الذي يأكل كثيرا ، غالبا ما يموت أولا ، لأن الطعام الزائد يؤدي إلى سمنة قد تكون مفرطة ، وللسمنة أعباؤها على أنسجة الجسم ومرافقه الأساسية ، وفي هذا المجال ، لا تختلف الفئران عن الطيور والقطط والانسان ، لان أسس الحياة واحدة بين المخلوقات .

التجارب التي قام بها العلماء على الحيوان تؤكد هذه الحقيقة ، كما أن الاحصائيات الطبية التي جمعها الباحثون لسنوات طويلة ، وعلى قطاعات كبيرة من السكان ، تشير إلى أن السمان من البشر يعمرون أقل من النحاف .. ذلك أن الطعام الزائد عن الحاجة ( في الصيام أو في غيره ) يؤدي إلى تكوين دهون تترسب في جميع أجزاء الجسم بنسب متفاوتة ، ولهذه أمراضها الكثيرة ، فهي تزيد نسبة الكوليسترول في الدم ، فيترسب على الشرايين ، ويؤدي إلى تصلبها ، أو ضيقها ، فيتبع ذلك نقص كفاءة الدورة الدموية ، وقد يساعد على حدوث الجلطات ، أضف

إلى ذلك أن السمنة تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم ، وإضعاف كفاءة الكلى ، وظهور مرض السكر ( من بين كل خمسة سمان يمرض أربعة منهم بالسكر ) ، وضعف الذاكرة .. الخ .

وإلى هنا يمسك العلماء بورق وأقلام ، ويقدرون كل شيء بالحساب والأرقام ، فزيادة كيلوجرام واحد من الدهون يحتاج إلى شعيرات دموية قد تصل أطوالها إلى أكثر من ثلاثة كيلومترات ، وأربعة كيلوجرامات تتطلب شعيرات تصل إلى ١٢ ألف متر ، وهذه بلاشك تزيد من أعباء القلب والشرايين ، ولهذا يقولون ، إن عمر المرء مقدر بعمر شرايينه .. وقلبه أيضا .

وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « إياكم والبطنة ، فانها ثقل في الحياة ونتن في الممات » .

وفي كتاب « إحياء علوم الدين للغزالي » يجيء ما نصه : « من آداب الطعام آلا يمد الانسان يده للطعام إلا وهو جائع ، ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب » .

فهل نحن على هدى هذه الحكم سائرون .. خاصة فيما يتعلق بشهر ميمون .. هو شهر صيام ، لا شهر ولائم لأصناف الطعام ؟

لقد وقع في يدنا كتاب علمي طبي بعنوان « الصيام .. الغذاء الأمثل » .. وهو من تأليف « دكتور آلان كوت » الحائز على درجة الدكتوراه في التغذية ، وفي أول فصل من فصول الكتاب يتساءل : لماذا الصوم ؟.. وما هي مميزاته ؟

وعلى هذا التساؤل يضع ٢٧ إجابة مقتضبة ، نذكر منها : إن الصوم يباعد بينك وبين العادات غير المستحبة ، ويقلل البدانة ، ويشعرك بأنك أكفأ ذهنيا وجسديا ، ويريح أجهزتك من عناء الطعام في غير أوقات الصيام ، ويخفف التوتر ، ويدعو إلى الهدوء والطمأنينة ، ويساعد الجسم على مداواة نفسه بنفسه ، ويجعلك تنام أهدأ ، ويشحذ حواسك ، ويقوي إرادتك ، ويمنحك صفاء روحيا ، ويداوي بعض الامراض ( منها مثلا ارتفاع ضغط الدم ) ، ويشعرك بأنك قد أصبحت أصغر سنا ، أو أكثر شبابا ، ويجعلك متعاطفا مع الجائعين والمحرومين ، وينظم عمليات الهضم ، ويقوي صلتك بربك ، ويجعلك سباقا لخدمة الناس وإجابة حاجاتهم .. الخ .

والواقع أن الاجابة الأخيرة التي ذكرها الطبيب الانجليزي هامة جدا في حياتنا ، إذ من الملاحظ أن بعض الدول الاسلامية تخفف عن الصائمين ساعات العمل المقررة ، لكنهم ـ مع ذلك ـ يتخذون من الصيام وسيلة للتراخي في العمل ، ثم ما يتبع ذلك من تعطيل مصالح الناس ، بحجة أن الصيام لا يستلزم جهدا ذهنيا أو بدنيا ، بل يحتاج إلى راحة هي أقرب إلى الكسل منها إلى العمل ... أضف إلى ذلك ضياع عشرات الملايين من ساعات العمل دون فائدة تذكر ،

ويحضرنا هنا هذا القول المأثور : « إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا فليتقنه » ... فأين نحن من هذا التوجيه العظيم .

والله سبحانه وتعالى غني عن عبادة فيها تعطيل لحاجات الناس ، ذلك أن الدين القويم ، والعبادة الحقة ، والصيام الأمثل ، هو عمل في المقام الأول ، ذلك أن « خير الناس ، أنفعهم للناس » .

هذه إذن ملاحظة تستحق منا وقفة نراجع فيها النفس ، لعل الصيام يجعلنا « سباقين لخدمة الناس وإجابة حاجاتهم » ــ على حد قول الطبيب الانجليزي .

نعود لنقول : إن للصوم جانبين أساسيين : أحدهما يتناول العقيدة ، والآخر يختص بالجسد والصحة والمرض ، والحديث عن العقيدة له علماء أجلاء لهم فيه طول وباع ، ولهذا فعلينا أن نركز هنا حديثنا عن الصوم من الجهة البيولوجية ، أي فيما يختص بأحكامه في الأجسام الحية ، وكيف تهيء نفسها لهذا النظام من نظم الحياة .

فالناس يصومون من قديم الزمن ، ومع أن صومهم يختلف باختلاف الملل ، إلا أن الجوهر فيه واحد ، أي صيانة « للروح » والبدن ، ومراقبة الله في السر والعلن ، وهذا ما أشار إليه الله في كتابه المبين : **( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون )** « البقرة / ١٨٣ » .

قلنا : إن الصيام ــ من الوجهة البيولوجية ــ مفيد للبدن عامة ، والجهاز الهضمي خاصة ، والغريب هنا أن الأمر لا يقتصر على الانسان ، بل قد نراه أيضا في الحيوان ، فعندما يمرض ، يمتنع عن الطعام ، وعندما يبرأ ، يعود إليه ، وهو في هذا لا يستشير طبيبا ، ولا يتعاطى دواء .

أي كأنما الطعام هو « المفتاح » التقليدي لباب الصحة والمرض ، ونصيحة الأطباء في بعض الحالات المرضية تركز على الاقلال من الطعام ، أو ربما الامتناع عنه لفترة ، فمن حكمة الله أن لأجسامنا مخزونا قد يكفيها الأيام الطوال ، فهناك حالات ثبت أنها امتنعت عن الطعام لفترات قد تصل إلى شهر أو يزيد ( كما هو الحال في الاضراب عن الطعام ) ... ونحن ــ بطبيعة الحال ــ لا ندعو لذلك ، بل ننصح نصيحة حسنة ، فمن استجاب ، كانت استجابته متمشية مع آيات ربه ، وأحاديث رسوله ( أي لا إسراف ولا بطنة ) ، ومن أشاح بوجهه ، فلا يلومن إلا نفسه .

لهذا ، فان الافطار بعد الساعات المقررة من الصيام ، يجب أن يتميز بالاعتدال التام ، والخير كل الخير في الاقلال من الطعام ، لأن ذلك يعني إعطاء الجسم « إجازة » استجمام من الأعباء والمخلفات الضارة الناتجة عن هضم الطعام ، إذ كلما زاد « العيار » زادت المخلفات ، وانطلقت جزئيات كيميائية غير مرغوب فيها ، ولا تجد الأمعاء مفرا من امتصاصها ، فتدخل إلى دمائنا ، وتتوجه إلى خلايانا ، وتنحشر في جزيئاتها الأساسية ، وكأنما هي تغلها عن أداء

رسالتها ... صحيح أن هذه العملية بطيئة ، لكن إعطها عمرا طويلا ، تعطيك مزيدا من القيود والاغلال الكيميائية ، فتسرع بالجسم إلى وهن وشيخوخة ، لكن نتيجتها أسرع عند الشرهين ، وأبطأ عند الآكلين بحساب ومقدار .

والصيام عند المسلمين وأهل الكتاب شريعة الله ، وفيه صلاح الدين والدنيا ، وهو عند غير هؤلاء شريعة تقويم وحياة ... بمعنى أن بعض الناس يتخذونه وسيلة لكبح الرغبات الجسدية في طعام وشراب ، بغية الاستفادة منه صحيا وجسميا ، فها هو « ميشيل انجلو » المعمر الكهل ذو الحيوية الفياضة يجيب أحد المتسائلين عن سر حيويته رغم تقدم سنه ، فيقول : « إنني أعيد ما أتمتع به في شيخوختي إلى ممارسة رياضة الصوم من حين لآخر ، فمن كل عام أصوم شهرا ، ومن كل شهر أصوم أسبوعا ، ومن كل أسبوع أصوم يوما ... ثم إنني في أيامي العادية لا أتناول غير وجبتين ، وإن اكلت لا أشبع ( لاحظ أنه هنا يطبق حديث الرسول الكريم دون أن يدري ) .

ويأتي « بول براج » الحائز على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم ، ودرجة دكتور في العلوم ومؤلف كتاب « **معجزة الصيام** » فيتحدث من خبرته الشخصية عن المكاسب العظيمة التي استفادها من الصوم ، ويضيف : أنه لا يصوم وحده ، بل إن عائلته تشاركه الصيام ، ويقول : « في كل أسبوع امتنع عن الطعام ٢٤ أو ربما ٣٦ ساعة ، ولم اتخلف عن هذه المكرمة مرة واحدة ، وبالاضافة إلى ذلك ، فأنا أصوم ما بين ٧ ـ ١٠ أيام ، أربع مرات في كل عام ، وطوال هذه السنين التي عشتها ( كان عمره وقتئذ ٨٥ عاما ) كنت ملتزما بهذا البرنامج الذي أضفي على صحة وحيوية جعلاني « كالدينامو » الحي ، فالذي أنجزه في يوم واحد ، قد لا ينجزه غيري في أيام خمسة ... ثم إنني أشعر بحدة في البصر ، و « بنافورة » من الحيوية ، وبتوقد في الذهن ... ثم إن الصيام ـ في رأيي الشخصي ـ هو الوسيلة الفعالة لتخليص الجسم من أعبائه وسمومه وقيوده » .

هكذا ينطلق دكتور « بول براج » في الاسهاب في فوائد الصيام ، وكأنما هو يطبق في حياته تعاليم القرآن والسنة ، في عدم الاسراف ، في طعام وشراب ، حتى ولو جاءه الطعام بعد طول صيام .

فهل نطبق ما طبقه السلف الصالح ، أو نقتدي بما ذكره « انجلو اوبراج » أو غيرهما من الآلاف التي تصوم عن الطعام الصوم الأمثل ، ثم لا تحشر بطونها بالطعام حشرا ؟

لسنا في الواقع في حل من الاجابة على هذا السؤال ، إلا بعد أن نراجع أنفسنا ، لنعرف إن كنا من المسرفين أو المعتدلين ... وإلى هنا لا نجد مناصا من العودة إلى ذكر الآية الكريمة : **( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين )** « الاعراف / ٣١ » وفي هذا الكفاية لقوم يتدبرون ويفقهون ... وكل عام وأنتم طيبون .

# قراءة في فكر غامض

## وشبهات التوحيد بين الأديان

للأستاذ سالم البهنساوي

إن المقال المنشور في مجلة العربي بعدد رجب ١٤٠٠هـ يونيو ١٩٨٠ م بعنوان ( الله ليس منحازا لأحد ) للأستاذ فهمي هويدي .
قد تضمن أمورا تحتاج إلى إيضاح ، منعا من اللبس والغموض .
**وأهم هذه الأمور :**

**الأمر الأول :** قوله : **( ثمة آيات قرآنية أخرى من رب الناس ، تطل على كل الناس ، من منظور أكثر اتساعا وشمولا ، وتعطى قيمة العدل عند الله سبحانه ، أبعادا وأفاقا بغير حدود ، والآيات الثلاث هي : الآية ٦٢ لسورة البقرة ، و٦٩ من سورة المائدة ، والآية ١٧ بالحج )** وكلها تدور حول معنى واحد ، ولذا نذكر إحداها وهي آية البقرة ، قال الله تعالى : **( إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم )** .

**والأمر الثاني :** هو قوله : **( والآيتان الأوليان تسويان بين الجميع أمام الله سبحانه ، وتشترطان فقط الايمان بالله ، والعمل الصالح ؛ ليثاب الخيرون عما فعلوا ، وليطمئن الجميع إلى عدالة الله ، ولموازين القسط يوم القيامة )** .

**والأمر الثالث : قوله : ( ولا بد أن نلاحظ أن الصابئين ذكروا في هاتين الآيتين وهم ليسوا من أصحاب الأديان السماوية على أي حال ، وان قيل أنهم يؤمنون بالله وبعض الأنبياء ، وحتى هؤلاء من عمل منهم صالحا فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) .**

**والسؤال الذي يتبادر الى ذهن من يقرأ هذه العبارة هو :**
هل معنى هذا أن اليهود الذين كذبوا نبي الله عيسى يعدون ممن آمن بالله وعمل صالحا ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟

كما أن اليهود والنصارى الذين كذبوا خاتم النبيين وأعرضوا عن القرآن الكريم . هل يعدون ممن آمن بالله وعمل صالحا ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ .

**الأمر الرابع :** لقد نقل المقال عن « الشيخ محمد عبده » أن عماد الفلاح ، ووسيلة الفوز بخيري الدنيا والآخرة إنما هو صدق الايمان بالله تعالى .

ونقل عن ألشيخ محمد رشيد رضا » ان حكم الله العادل في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين أن لهم أجرهم المعلوم بوعد الله على لسان رسولهم ولا خوف عليهم من عذاب الله . **فهل اورد الشيخان** فيما كتبا من تفسير أن اليهود والنصارى الذين كذبوا النبي والقرآن ناجون من عذاب الله ولا خوف عليهم في الآخرة ؟

**الأمر الخامس :** أورد المقال عنهما ، وعن « الشيخ دراز » ان الاسلام المقصود في قول الله تعالى : **( ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين )** آل عمران الآية ٨٥ . إن الاسلام المقصود في هذه الآية هو الايمان بالله ، وإسلام القلب له ، والايمان بالآخرة ، والعمل الصالح مع الاخلاص .

وكيف يصح هذا الاستنتاج ، وقد قال الله تعالى في هؤلاء : **( ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون )** المائدة / الآية ٨٠ ، ٨١ .

ونوضح ان قول الله هذا عن اليهود والنصارى والصابئين مسبوق بآيات صريحة في القرآن في كفر اليهود والنصارى لأنهم لم يقيموا حكم القرآن . وحرفوا التوراة والأنجيل ، كما أشركوا مع الله غيره من البشر . قال الله تعالى : **( قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين . إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )** « المائدة / ٦٨ ، ٦٩ » **( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم )** « المائدة / ٧٢ » . **( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم )** المائدة / ٧٣ .

ومن أجل ذلك فان حكم القرآن في اليهود والنصارى والصابئين ــ وهو أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إنما ينصرف إلى أتباع كل رسول من هذه الفئات قبل إرسال الرسول التالي له ، فهؤلاء مؤمنون مسلمون كما ينصرف هذا أيضا على من آمن منهم بالقرآن ، فقد خاطب القرآن اليهود والنصارى في عهد نزول القرآن بقوله تعالى : **( يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته )** ( الحديد / ٢٨ ) .

ثم كيف يصح استنتاج وصف هؤلاء بالاسلام والزعم بأنهم مسلمون ناجون من

عذاب الله ، والله تعالى يقول : ( **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) « البقرة / ١١١ ، ١١٢ » .

إن الآيات الثلاث بشأن اليهود والنصارى والصابئين والذين آمنوا ، لا تفيد إسلام من آمن برسول واحد ثم أنكر غيره فمثلا آية سورة الحج نصها : ( **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد** « الحج / آية ١٧ » .

**قال الشيخ الطوسي في تفسيره البيان جزء ٧ صفحة ( ٢٦٧ ) فأقسم تعالى : ( إن الذين آمنوا بالله ، وصدقوا بوحدانيته ، وصدقوا أنبياءه ( والذين هادوا ) يعني اليهود ( والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ) مع الله غيره ( إن الله يفصل بينهم يوم القيامة )** أدخل « **إن** » على الخبر تأكيدا له كما يقول القائل : ( ان زيدا إن الخير عنده لكثير ) .. ومعنى قوله : ( **يفصل بينهم** ) يعني أن الله يفصل بين الخصوم في الدين يوم القيامة ، بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح ، ويبيض وجه المحق ، ويسود وجه المبطل ، والفصل هو التمييز بين الحق والباطل ، وإظهار أحدهما على الآخر .

وقوله : ( **إن الله على كل شيء شهيد** ) أي عالم بما كان من شأنه أن يشاهد ، فالله تعالى يعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب .. ( هـ ) .

أما قوله تعالى : ( **إن الذين هادوا** ) .. الآية ٦٢ من سورة البقرة ، فقد نقل الطوسي ، كما نقل الامام القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » ونقل ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » أن من آمن من هؤلاء برسالة محمد ، وعمل صالحا ، فهو من أهل الجنة ، وقوله : ( **ان الذين آمنوا** ) أي صدقوا بمحمد ، ( **والذين هادوا** ) اي آمنوا بموسى ، وصاروا يهودا ( **والنصارى** ) جمع نصراني أي من آمن بعيسى ، وقوله ( **من آمن** ) أي صدق برسالة نبيه ثم صدق بمن جاء بعده من الرسل ، هو مقتضى الايمان ، وفيه نزل قوله تعالى : ( **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** ) البقرة / ٢٨٥ .

يؤكد هذا ما ورد عن أسباب نزول هذه الآيات ، قال السدى : آية : ( **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى** ) نزلت في اصحاب سلمان الفارسي الذي كان يحدث النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذكر أصحابه وأخبره خبرهم ، فقال : كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك ستبعث نبيا ، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم ؛ قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان « هم من أهل النار » فاشتد ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية ، فكان إيمان اليهود أن من تمسك بالتوراة حتى جاء عيسى ، فلم يدع سنة موسى ، ولم يتبع عيسى ، كان

هالكا ، وايمان النصارى ان من تمسك بالانجيل منهم كان مؤمنا مقبولا حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتبعه ، ويدع ما كان عليه كان هالكا ( تفسير القرآن العظيم لابن كثير جزء «١» صفحة « ١٠٤ » .

وكيف يستساغ فهم ورود الصابئين في هذه الآية على أنهم ليسوا من أصحاب الأديان السماوية ، والآية تقول عنهم وعن اليهود والنصارى **( من آمن بالله واليوم الآخر )** فالوصف بالايمان يتنافى مع الفهم سالف الذكر ، وقد أورد ابن كثير عن الحسن قال : أخبر زياد ان الصابئين يتجهون إلى القبلة ، ويصلون الخمس ، وقال وهب ابن منبه : هم الذين يعرفون الله وحده ، وليست لهم شريعة ، ولم يحدثوا كفراً ( صفحة ١٠٤ ) ومعاجم اللغة تفيد ان الصابئين هم من تركوا دينهم ، وآمنوا بالدين الجديد . ثم ماذا يقول المفسرون والمجتهدون في قول الله تعالى : **( وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون )** التوبة / ٣٠ ، ٣١ . وفي قوله تعالى : **( ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية )** « البينة / ٦ » .

هذه بعض الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن الرسالات وعن اليهود والنصارى ، وهي تؤكد أن الايمان بالله تعالى يقتضي الايمان بجميع رسله ، فلا نفرق بين احد منهم ، ومن ثم فقد كفر اليهود الذين أنكروا الانجيل ، والقرآن ، كما كفر النصارى الذين أنكروا القرآن ، وكما يكفر المسلم الذي ينكر ما ورد في القرآن عن موسى وعيسى وعن اليهود والنصارى أو غيرهم .

لقد نزل القرآن الكريم ليفسر بعضه بعضا ، ولا يكذب بعضه بعضا ، فقد قال الله تعالى عن اليهود **( أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون )** البقرة / ٨٥ .

ولقد روى أحمد وابن ماجة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : ( **سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون في القرآن ـ اي يختصمون في فهمه ـ فقال :** « انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم به فاعملوا به ، وما جهلتم به فردوه الى عالمه » .

وأخيرا فقد ختم المقال كلماته بأن قيمة الاشارات التي أوردها أنها ( تعكس مدى الحذر الذي ينبغي أن يتحلى به الدعاة ، وهم يستخدمون كلمات الشرك والكفر والايمان ، كما أنها تعكس مدى سماحة التصور الاسلامي الحق في التعامل مع الآخرين ، وقبل هذا وذلك فان هذه الاشارات تعبر عن مدى رحابة أبواب

السماء ، واتساعها لكل بادرة خير ، وتلمس الأعذار للآخرين ، ليس فقط من أصحاب الأديان السماوية ، بل أيضا من الذين يبقون على شركهم ، لان رسالة الاسلام لم تبلغهم على الاطلاق ، أو بلغتهم على غير وجهها الصحيح ، او حتى بلغتهم على وجهها الصحيح ، ولم يكونوا من أهل النظر ) . ولكن لنا وقفة موضوعية لا تنطوي على أدنى ريبة في الغرض النبيل الذي عالج به الأستاذ فهمي هويدي مسألة الغلو في الدعوة إلى الله في عدة مقالات بعنوان : « قراءة في فكر رافض » فحسبنا ان الله قال : **( استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم )** التوبة / ٨٠ ولا جدال في ان الدعوة الى الاسلام تتطلب الحكمة التي أمرنا الله بها فليست مهمة الدعاة حمل ثياب من الكفر والشرك وتوزيعها على الناس ، فقد حث الاسلام على احترام مشاعر الآخرين ليستجيبوا إلى النداء ، او لنحول دون اتخاذهم أسلوب الدس والسباب ، قال الله تعالى : **( ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم )** الأنعام / ١٠٨ .

ولكن التزام الحذر وتجنب إيذاء الآخرين في مشاعرهم ، لا ينبغي أن يتجاوز هذا الحد ، بما يؤدي الى استثماره ليصبح تكذيبا صريحا أو ضمنيا للأحكام الواردة في القرآن الكريم ، بشأن المشركين واليهود والنصارى ، وما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ( والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به إلا كان من أصحاب النار ) .

والتزام الحذر بهذه الصورة يمكن ان يستغله اصحاب الدين العالمي الموحد المتضمن أن اليهود والنصارى يؤمنون كالمسلمين بتوحيد الله وإخلاص العمل له ، ولكن عن طريق شرائع متعددة وكلها صحيحة ! ، مع أن هذه الشرائع تصرح أن عيسى ابن الله وأن عزيرا ابن الله وان الله ثالث ثلاثة وأن اليهود شعب الله المختار ، وأن نبي الله سليمان قد كفر ، وأن نبي الله لوط اسكرته ابنته فزنا بها وغير ذلك من الأباطيل ، وأخيرا ، فان وصف اليهود والنصارى بالايمان والعمل الصالح ، من شأنه ان يبيح تزويج بنات المسلمين لهم وإباحة الزواج من المشركات .

وهذا كله محرم بصريح نص القرآن الكريم ، قال تعالى :

**( ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون )** البقرة / ٢٢١ .

أما انتفاع الكافر بالخير الذي يقدمه في الدنيا فأمر قد صرحت به المصادر الاسلامية ولكنها جعلت ذلك في الدنيا فقط او سببا في تخفيف عذاب الآخرة لأن الله تعالى يقول : **( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )** .

# ادعاءات اليهود في القرن التاسع عشر

للاستاذ/سعد صادق محمد

**اولا : الوعد الالهي لأسباط إبراهيم بأرض الميعاد :**

استندت الصهيونية منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على ادعاءين من أجل المطالبة بفلسطين ، وانتزاعها من أيدي أصحابها العرب ، وهذان الادعاءان هما :

**اولا :** الوعد الالهي لأسباط ابراهيم بأرض الميعاد ، اذ وعد الله نبيه ابراهيم عليه السلام منذ ٤ آلاف سنة بأرض فلسطين ، من النيل الى الفرات ، كما جاء في سفر التكوين « إلى نسلك أعطى هذه الارض من نهر مصر « النيل » الى النهر الكبير « نهر الفرات » فاتخذت من هذا سندا لها ، ونسجت حوله التفسيرات الملتوية ، والاساطير الواسعة ، مدعية أن « نسل ابراهيم وأسباطه » هم المعتنقون للديانة اليهودية ، وأن هذا يعطي لها الحق في تنفيذ مخططها العدواني في احتلال فلسطين وطرد اهلها منها .

ونستطيع ان نفند هذا الادعاء ، فنقول : إن اليهود مخطئون حين يدعون أنهم وحدهم نسل ابراهيم ، إذ ان كلمة « نسل » تشمل العرب ايضا ، لانهم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه إسماعيل من زوجته هاجر ، كما تشمل اليهود وهم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه اسحاق من زوجته سارة .

والشيء الذي نريد ان نلفت النظر اليه ، انه عندما جرى هذا الوعد من الله لنبيه ابراهيم لم يكن اسماعيل « ابو العرب » او اسحاق « ابو اليهود » قد ولدا ،فهذا الوعد ــ اذن ــ لم يشمل بالضرورة سلالة إسحاق فقط ، بل يشمل ايضا سلالة اسماعيل وهم « العرب » لأن كلتا السلالتين من ذرية ابراهيم .

بل انه يمكن القول ، ان الوعد يشمل ــ بالضرورة ــ العرب قبل اليهود ، لأن اسماعيل هو الذي كان موجودا قبل إسحاق .

وقد دحض مشاهير العلماء والباحثين السند الديني الذي يدعيه اليهود باتخاذ فلسطين وطنا لهم ، والى القارىء الكريم نسوق رأى أحد هؤلاء الباحثين وهو الفريد جيوم **Alfred guilloume** فقد اوضح الفريد ضلال التصور القائل بأن « الوعد الالهي » قد اعطى لليهود فقط ، اذ ان عبارة « نسل ابراهيم » تشمل دون شك « العرب » لأنهم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه اسماعيل ، من زوجته هاجر ، كما تشمل اليهود الذين هم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه اسحاق من زوجته سارة .

زد على ذلك أن هذا الوعد قد قطعه الله لنسل ابراهيم قبل مولد إسحاق ويعقوب ، ومن جهة اخرى فليس من المعقول القول بأن اليهودي لا بد أن يكون من نسل ابراهيم ، ذلك أن كثيرا من اليهود في التاريخ القديم والحديث كانوا يتحولون الى اليهودية من عنصر آخر .

ويضيف جيوم : أن الاشوريين حين ازاحوا سكان السامرة ، وأزاح البابليون سكان يهوذا ، رأى الانبياء الاسرائيليون في هذه النكبات تحقيقا للعدالة الالهية على شعب عاص متمرد على الناموس .

## ثانيا : حق اليهود التاريخي في فلسطين :

تدعي الصهيونية بأن لليهود « حقا تاريخيا » و« علاقة تاريخية » بفلسطين ، اذ كان لهم فيها دولة ، ازدهرت في عهد داود وابنه سليمان .

وهذا الزعم يتضح فيه البطلان والكذب من الوجوه الاتية :

١ ـ ان الصهيونية تناست أن « مملكة داود وسليمان » لم تدم الا ثلاثة وسبعين عاما .

٢ ـ ان مملكتي يهوذا واسرائيل اللتين ورثتا مملكة سليمان ، لم تشمل كل فلسطين ، بل اقتصرت على « السامرة واورشليم » .

٣ ـ ان دور « مملكتي يهوذا واسرائيل » في التاريخ السياسي ، كان محدودا إذ اندمجت ، « اسرائيل » في الامبراطورية الأشورية عام ٧٢٢ق.م ، وسقطت « يهوذا » في يد البابليين عام ٨٥٦ ق.م .

٤ ـ أن الصهيونية تناست ان فلسطين عربية منذ أربعة عشر قرنا ، وان اليهود غادروها للمرة الاخيرة منذ ألفي عام ، ومنذ ذلك التاريخ لم يبق لليهود فيها أية صلة سياسية ، أو علاقة تاريخية ، أو وضع قانوني ، وأن فلسطين أصبحت منذ ذلك الزمن البعيد ـ بسكانها ، وآثارها ؛ وحوادثها ، وتاريخها ، للذين تملكوها ، واحتفظوا بها ، وحافظوا عليها ، وهم « العرب » .

٥ ـ وغني عن البيان ان « العلاقة التاريخية » المزعومة للاسرائيليين مع فلسطين ، كانت في أحسن الاحوال علاقة قصيرة منقطعة غير مستقرة بدأت واندثرت منذ وقت طويل ، وهي في الاصل لا تقوم على شيء أفضل من حق الاحتلال الناشيء عن الغزو ، والاغتصاب الناتج عن العدوان والظلم والبغي .

واذا كان هذا « الاحتلال المؤقت » يعطي لليهود حقا تاريخيا في العودة الى فلسطين فحينئذ يحق للعرب أن يطالبوا بجميع الاقطار والاقاليم التي خضعت لسلطانهم قديما .. فيحق لهم امتلاك اسبانيا التي انشأوا فيها دولة زاهرة ناضرة ذات شأن ، طوال ثمانية قرون ، تشع منها المعارف والعلوم الانسانية ، وتنبعث منها أصل الحضارات والرقي .

ويحق كذلك للاتراك ، ان يطالبوا بامتلاك البلقان حتى أبواب فينا التي وقفوا عندها يوما ما .. واذا حدث هذا ، فان فيه رجوعا الى الفوضى والاضطراب ،

والنزاع باطار لا يقبله منطق ، ولا يؤيده قانون .

## المعارضة ضد الحركة الصهيونية :

وهناك أمر نسجله هنا احقاقا للحق ، فالواقع ان الحركة الصهيونية لم تكن تعبيرا كاملا عن كافة اتجاهات اليهود ، فمنذ أن ظهرت الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر ، كحركة سياسية عنصرية استعمارية ، وحتى حصولها على تصريح بلفور عام ١٩١٧ ، وجدت من بين اليهود معارضة قوية لها ، وقد برزت المعارضة الصهيونية من عدة اتجاهات :

اولا : الاشتراكيون اليهود الذين اعتبروا الحركة الصهيونية حركة برجوازية رجعية ،

ثانيا : المتدينون اليهود الذين رأوا أن اليهود « دين وليست دولة » وان فكرة عودة اليهود الى فلسطين ، ليست سوى عقيدة دينية قائمة على وعد الله ، بمعنى أنها مسألة إلهية تقع بفعل السماء لا الارض ، ولذلك ، فان أية محاولة بشرية للعودة الى الارض تعتبر من الأمور التي يحرمها الدين .

وأمام مؤتمر الصلح صرح ثيودور رايناس عضو المجمع العلمي الفرنسي ، بأن : « اليهود ليسوا أمة ، والقول بانهم يشكلون أمة ، هو قول هراء ، بل ان السواد الاعظم منهم ، لا يريدون ان يكونوا أمة البتة » .

والبحث العلمي الموضوعي المجرد ، يدحض الأسطورة الصهيونية القائلة : بأن يهود اليوم يعتبرون أحفادا للعبرانيين الذين غزوا فلسطين يوما ، ثم تشتتوا ، يقول العالم الانثروبولوجي « هاري شابيرو **Shopiro** » ان اليهود ليسوا أسرة ولا قبيلة ، ولا امة بالمعنى الدقيق للكلمة .

وينفي جوان كوماس **Comas** – استاذ الأنثروبولوجيا بجامعة مكسيكو الوطنية – وجود أمة يهودية ، أو عرق يهودي ، فيقول « ان الحقيقة الأنثروبولوجية » هي « ان اليهود من الوجهة العرقية مختلفو العرق ، ولا أساس للادعاء بوجود عرق يهودي ، ويكفي للبرهنة على ذلك ، أن نقارن بين يهودي من روتردام « هولندا » ببشرته المصطبغة بالحمرة ؛ وقوامه الممتلىء ، وبين يهودي من سالونيك « اليونان » بعينيه اللامعتين ووجهه الشاحب وقوامه النحيل » .

ويقول ربلى في كتابه « اجناس أوروبا » ان تسعة اعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة اجدادهم ! اختلافا واسعا ليس له نظير ، وان الزعم بأن اليهود جنس نقى حديث خرافة » .

ويؤكد هذا ايضا كتاب : في مواجهة اسرائيل حيث يقول « .. وكان اعتناق المسيحية ظاهرة عادية ومتكررة بين اليهود في اوروبا ، ومنذ عصر السبى – الأسر – في بابل ؛ وإبان انتشار اليهود في مختلف البلاد عبر العصور ، كثرت حالات زواج من غير يهودية ، الأمر الذي تجيزه الشريعة الموسوية . **وكانت كثرة الترحال بين العراق وفلسطين ومصر مصدرا آخر لذلك التمازج البشري الذي ينفي**

أسطورة العرق اليهودي النقي ، والدليل على ذلك أن العبرانيين الذين نراهم على النقوش المصرية ، يختلفون عن العبرانيين الذين تصورهم الآثار البابليـة المعاصرة .. » .

ولا حاجة بنا الى القول ، بأن اليهود دين وليست قومية « شأنها شأن الاديان السماوية ، كالمسيحية والاسلام ، كما ان دعوى القومية اليهودية لا تستند الى أي أساس فيهود العالم في القرن التاسع عشر كانوا يفتقدون الى كافة مقومات القومية المتعارف عليها :

١ ـ فلا يوجد بينهم تاريخ مشترك ، او تراث حضاري مشترك .

٢ ـ ولا تجمعهم لغة واحدة مشتركة ، بل كانوا يتحدثون في غالبية الاحوال لغات البلاد التي عاشوا على ارضها باستثناء فريق من يهود الراين الأوسط ، وروسيا وبولندة ، الذين كانت لهم لغة متميزة هي « اليديش »Yiddish او الجوديش دويتش »Judisch-Deutech فهذه كانت لغة ادب وثقافة اما العبرية ، فكانت لغة ميتة منذ الفي عام الى ان عملت الصهيونية على إحيائها في اسرائيل .

٣ ـ وتختلف عاداتهم وتقاليدهم وفقا للمجتمعات التي نزحوا اليها .

٤ ـ ولم يعيشوا كمجموعة فوق أرض واحدة فترات طويلة ، بل هاجروا الى ارجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر ، يرجع الى بدايات التاريخ اليهودي .

٥ ـ ولم يكن يربطهم في القرن التاسع عشر ، سوى الشعور بالتضامن الذي خلفته ذكريات الاضطهاد خلال قرون متعاقبة .

## حقائق جديدة عن عرب فلسطين

بقي هنا أمر يجب الا يفوتنا الحديث عنه ، ونحن نأتي الى نهاية ختام هذا المقال . فان بعض الذين كتبوا عن المشكلة الفلسطينية يرجعون ضياع فلسطين الى تصرفات العرب « الفلسطينيين » فيرون ان اليهود عندما بدأوا في العمل لاحتلال فلسطين كانوا يعرضون أموالا مضاعفة مغرية لشراء الارض من عرب فلسطين ولكن التاريخ الذي جاء بعد ذلك يروى لنا كلاما يختلف عما يقوله هؤلاء الكتاب .

نشرت مجلة النيوزويك الاميركية في عددها الصادر في ١٩٧٩/١١/٦ تحليلا عن استقالة موشيه ديان في صفحة ونصف ، وافردت نصف صفحة لافشاء سر لم يكن العالم الغربي يدري عنه شيئا .. كتبت النيوزويك تقول تحت عنوان « طرد العرب » :

على امتداد سنوات ، كان أمرا يقينيا ان الفلسطينيين العرب هجروا أرضهم سنة ١٩٤٨ بسبب الرعب ، او طاعة لأوامر قادتهم العرب ، ثم كشف كتاب المذكرات الجديدة لاسحاق رابين عن حقيقة ما حدث ، كان رابين ضابطا مقاتلا في السادسة والعشرين من عمره أثناء حرب سنة ١٩٤٨ ، ويصرح رابين : أن رئيس الوزراء في ذلك الوقت دافيد بن جوريون أمره أن يطرد ٥٠ الف عربي مدني بالقوة من مدينتين قرب تل أبيب هما « اللد والرملة » .

ويحكي رابين في مذكراته التي نشرت في النيوزويك ، اللقاء الاستراتيجي الذي تم بين قائده المباشر إيجال آلون ، وبن جوريون : .. كانت المشكلة هي ماذا يفعلون بالسكان الفلسطينيين الذين يعيشون في اللد والرملة ، ويحكي رابين ان ايجال آلون كرر السؤال نفسه على بن جوريون ، ورد بن جوريون بإشارة تعني : اطردوهم .

ويمضي رابين في مذكراته فيقول : ان سكان اللود ـ وهي الاسم الحديث الذي حل محل اللد والرملة ـ رفضوا الجلاء طواعية ، ولم يكن ثمة بد من استخدام القوة ، وهكذا اجلي الفلسطينيون عن المدينتين بالقوة ، ولكن ايجال آلون كذب رواية رابين في جزئية منها وقال : ان الفلسطينيين خرجوا مرعوبين بعد ان أمرتهم قيادتهم العربية بذلك .

ويقول رابين : إن كثيرا من جنوده المثاليين الصغار رفضوا أمر طرد العرب بالقوة ، وان بعض الرفاق امتنع عن الاشتراك في العملية ، ولهذا اضطر الجيش الاسرائيلي إلى عمل دعاية نشيطة ـ بعد العملية ـ أي عملية الطرد ـ لازالة المرارة التي علقت في نفوس العساكر ، وتبرير مثل هذه العملية رغم قسوتها ووحشيتها .

فهذه شهادة حق ، شهد بها اثنان من المسئولين في اسرائيل في تلك الفترة المشئومة ، ذكرا فيها الصورة الحقيقية لما حدث عام ١٩٤٨ وهي ان العرب في تلك الفترة ـ لم يفرطوا في أراضيهم بفلسطين ولم يبيعوها بأثمان مضاعفة لليهود ـ كما أشيع واستقر في الأذهان في ذلك الوقت ـ بل ان العرب قد أجبروا على ترك أراضيهم وديارهم ، إما بالقوة القهرية ، وإما بدافع الرعب الذي بثه الاسرائيليون فيهم كما يقرر إيجال آلون .

بل ان الشيء اللافت للنظر في مذكرات رابين هو قوله : ان سكان اللود وهو الاسم الحديث لبلدتي اللد والرملة ـ رفضوا الجلاء طواعية ، وهذا يفند القول : بأن عرب فلسطين باعوا أراضيهم لليهود .

**التاريخ يعيد نفسه :**

واليوم .. يعيد التاريخ نفسه ، فاسرائيل تعيد اليوم أسلوب القهر والارهاب والقوة الذي استعملته عام ١٩٤٨ مع سكان فلسطين ، اذ تطرد السلطات الاسرائيلية المحتلة كثيرا من الفلسطينيين وتعمل على إبعادهم من الضفة الغربية بسبب تعاطفهم مع المقاومة الفلسطينية وكأن كفاح شعب فلسطين المحتلة من أجل استعادة بلاده ، يعد عملا إجراميا في نظر الصهيونية الباغية ، وذنبا يؤدي بصاحبه الى السجن والطرد .

والغريب كذلك ـ ان يأتي الاعتقال والطرد في الوقت الذي ما تزال فيه القضية الفلسطينية لم تصل الى حل عادل ، بسبب تعنت اسرائيل ، الامر الذي يدل دلالة واضحة على ان اسرائيل قوم لا أمان لهم ، ولا عهد ، ولا نية عندهم في السلام ..

# ونبلوكم بالشر والخير فتنة

للدكتور/محمد منسى السيد سالم

الفتنة في معناها اللغوي تعني التحول ، وكما يقول اللغويون : فتن الذهب ، أى صهر معدنه بالنار ، حتى ينقيه من الشوائب ، ويصير ذهبا خالصا لامعا ، واستعمالها في القرآن والسنة قريب من هذا المعنى فهو يعنى : امتحان الانسان وابتلاؤه لجلاء معدنه ، وتنقيته من الشوائب ، فالانسان يولد على الفطرة المؤمنة ، ثم تطرأ عليه التغييرات والتأثيرات من الأبوين ، والتقاليد الاجتماعية ، والأفكار السائدة .. فتنحرف به عن جادة الفطرة الى المعتقدات الزائفة ، والأفكار الضالة ، والتقاليد الخاطئة ، وكان من رحمة الله أن أرسل رسله دعاة هداة ، وأنزل كتبه نورا مبينا ، يرشد الحائرين ، ويعظ الطاغين ، حتى يرجع الناس إلى الفطرة الصافية ، التي خلقوا عليها ، وهي إسلام الوجه لله وحده ..

وتمضي الأيام ، ويهمل الانسان دين ربه ، فيفتنه الله بالمصيبة تصيبه في نفسه ، أو ماله ، أو أهله ، وولده ، ليجلو عنه هذا الطغيان والاستغناء عن ربه ، فيحس بضعفه ، وحاجته إلى ربه ، ويرجع إلى مقامه من ربه عبدا فقيرا ، لا يملك لنفسه شيئا ..

إن هذه الفتنة هي عملية سلخ للغشاء الذي يبعد الانسان عن الله ، ومحاولة لطرح أردية الكبر الزائفة ، والوصول إلى أعماق الانسان الحقيقية ، حيث الاسلام لله ، والخضوع له . ويصل الانسان إلى ربه ويعرف له حقوقه ..

ولكن الرحلة في طريق الوصول إلى الله رحلة طويلة شاقة ، يقابل المؤمن فيها ألوانا شتى من الابتلاء ، فاذا نجح واجتاز عقبة ، قابلته عقبة أشد ، وهكذا حتى تبين درجة إيمانه ، وقدرته على التحمل من أجلها .

والذي لا تواجهه فتنة يجب أن يشك في إيمانه .

● والفتنة تكون بالشر والخير:

**( ونبلوكم بالشر والخير فتنة )**
الأنبياء/ ٣٥

● وبالمال والولد:

**( إنما أموالكم وأولادكم فتنة )**
التغابن/ ١٥

● والفتنة تكون من بعض الناس لبعض ، ناس يفضلهم الله فيحسدهم آخرون: **( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا )** الأنعام / ٥٣ **( وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون )** الفرقان / ٢٠

● والفتنة تكون من الشيطان ، يأمر بالفاحشة ، وينزع لباس الفضيلة: **( يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما )** الأعراف / ٢٧

● والفتنة للأمم كما هي للأفراد: **( ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون )** الدخان/١٧

● وهي تعم ولا تخص: **( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة )** الأنفال / ٢٥

ولهذا فان الأمة التي لا تنكر المنكر ، ولا تأمر بالمعروف ، جديرة بالابتلاء الشديد ، حتى تعرف أنها قد تواطأت على عصيان الله ، فتستحق أن يعمها الله بالعذاب .

● والجهاد للمؤمن باب كبير من أبواب الابتلاء والفتنة ، والمؤمن الصابر ينجح في الامتحان ، فيستشهد ، أو ينتظر ، غير مبدل أو منقلب :

**( ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا )** التوبة / ٤٩

فهؤلاء بنكولهم عن الجهاد بحجة أنهم يخافون من التحول عن دينهم قد تحولوا فعلا عن الدين ، لعدم اشتراكهم في الجهاد بدون عذر .. وأيا كانت الفتنة التي يخافون من التعرض لها ، فهم باعتذارهم عن الجهاد مع رسول الله سقطوا في الفتنة ، وتبين معدنهم الزائف على حقيقته .

● والجهاد يبين صدق المؤمن: **( الٓمٓ . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين )** العنكبوت / ١ ـ ٣ **( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون )** الحجرات / ١٥

○ **والايذاء حتى الموت من شدة الايذاء والتعذيب من أكبر الفتن ، كما حدث لأصحاب الأخدود: ( قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود )** البروج / ٤ ـ ٧ **( إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق )** البروج / ١٠

● والفتنة بمعنى التحول عن الدين والرجوع إلى الكفر ، قال عنها القرآن: **( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله )** البقرة / ١٩٣ **( والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا )** البقرة / ٢١٧ **( والفتنة أشد من القتل )** البقرة / ١٩١

● والهزيمة في المعارك فتنة ، وقد يريد المنافقون فتنة المسلمين بإيقاعهم في الاحراج والهزيمة ، قال عنهم القرآن : ( **يبغونكم الفتنة** ) التوبة / ٤٧ :( **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون** ) التوبة / ٤٨

● وقد يفتن الله عباده بالغيب ، فوعده بأشياء في الغيب فتنة :( **وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون** ) الأنبياء / ١٠٩ وقوله تعالى : ( **وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين** ) الأنبياء / ١١١ ( **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا** ) المدثر/ ٣١ ( **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ) الاسراء / ٦٠

فهذه أشياء في الغيب أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحدوثها فتنة لهم ، مثل عدد أصحاب النار التسعة عشر ، ورؤية الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) في الاسراء والمعراج .

● وعن الولاء للكفار يقول الله تعالى : ( **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ) الأنفال / ٧٣ إن الولاء للكافرين ، نصر للكفر على الاسلام ، وهذا من أكبر الفتن التي تصيب المؤمنين .

● والصلاة يجوز قصرها إذا خاف المسافر المسلم فتنة كافر :

( **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** ) النساء / ١٠١

● ومتاع الحياة الدنيا فتنة للإنس والجن :( **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** ) طه / ١٣١

( **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه** ) الجن / ١٦ و١٧

● ومن الأدعية التي جاء بها القرآن على لسان سيدنا ابراهيم عليه السلام ( **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا** ) الممتحنة / ٥ . يدعو ربه أن ينجيه من فتنة الكافرين حتى لا يحولونه عن دينه هو وذريته .

● وفي حوار بين الناجين والهالكين يوم القيامة ( **ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم** ) الحديد / ١٤ . وضعتم أنفسكم في الفتنة فوقعتم فيها . وحينما ذهب موسى ــ عليه السلام ــ لميقات ربه قال الله تعالى : ( **فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري** ) طه / ٨٥ فتنهم الله بالسامري الذي أخرج لهم عجلا جسدا من ذهب له خوار فعبدوه وفتنوا عن إله موسى عز وجل ونبههم هارون: ( **ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن** ) طه/ ٩٠

● والانسان قد يصيبه الضر فيدعو الله فيبدله نعمة ثم ينسى الانسان فيشرك بالمنعم وتلك النعمة فتنة:( **فإذا مس الأنسان ضر دعانا ثم إذا**

**خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة )** الزمر/ ٤٩

● والشيطان لا يكف عن الفتنة حتى مع الأنبياء والمرسلين بمحاولته إلقاء الأماني والوعود ولكن الله ينسخ هذه الأماني ويعصم آياته من دخل الشيطان ، هذه الأماني يفتن الله بها قلوب المرضى ويثبت قلوب المؤمنين بآياته المحكمات :( **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم )** الحج / ٥٢ ـ ٥٤

نعم ، الشيطان يحاول أن يمد جسرا بين الايمان والكفر ، بالتصورات الخاطئة ، والوعود الكاذبة التي ربما تستخفها النفوس ، وتميل إليها بعض الأمزجة ، ولكن الله العليم الحكيم يبين الحق بالطريق الذي يرسمه . ولو لم يكن مألوفا لنا ، ولو لم تبن لنا حكمته العاجلة .. المؤمنون يعرفون أنه الحق فتخبت له قلوبهم ، والمنافقون ومرضى القلوب يتشككون لأنهم يتبعون أهواءهم ولا يتبعون الحق ، فيفتنهم الله ، وتزل أقدامهم عن الطريق المستقيم .

● ونتيجة الفتنة سيبصرها المفتونون في الدنيا والآخرة :( **فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون )** القلم/ ٥ و٦

● والانسان بازاء الفتنة يتخذ موقفا : إما ان ينكرها ويتجاوزها بايمانه ، وإما يشربها ويسقط فيها ، كما حدث بذلك رسول الله :( صلى الله عليه وسلم ) « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تكون على قلبين ، على أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباد ، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وذلك هو الران الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى :( **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون )** المطففين/ ١٤ رواه مسلم .

● إن الفتنة اختبار إلهي يجريه الله على عباده حينما يغتال الشيطان فطرتهم ، ويضلهم ويمنيهم ، هذا الاختبار يستدعي به الله ما ادخره في فطرة عباده من يقين بالله ومعرفة به ، تذكرة للغافل ونداء للمعرض وتثبيتا من إيمان المؤمنين ، وجلاء للصدق في هذا الايمان ، وزيادة فيه ، ورفعا لدرجة صاحبه ، وهو من سنن الله التي ناط بها خلق الانسان ، والفتنة ضروب شتى : تبدأ باهتزاز في حياة الانسان لكي يلقي عن نفسه الغشاوة ، وتستمر في الزيادة حتى تصل إلى انقسام الأمة شيعا متنافرة متقاتلة ، حتى تصل إلى الكفر بالله والخروج من الدين ، نجانا الله منها وثبت قلوبنا على الحق .

# مِنَ الشعـرِ الديـني ..

## رمضان

## شهـر النـور والانتصـار

للاستاذ عبد الغني أحمد ناجي

الشهـرُ عاد بمـوكب الأنوارِ  عوَّدَ الحبيـب إلى رُبَـا الأزهارِ
والخيرُ يهتـفُ للضّيَـاءِ وشهرهِ  رمضـانُ عاد إلى دُنَـا الأبرارِ
أكرِمْ بشهـرٍ للنفـوس حياتَها  فصيامُـه كم فيـه من أسرارِ
وهـب الأنـام تناسقـًا وتوحُّدًا  في موعـدِ الإمسـاكِ والإفطارِ
قد عوَّدَ القلبَ الشحيحَ على الندى  فتدفـق الإحسـانُ كالأنهارِ
وَصَفَتْ نفوسُ الناس مثل ملائكٍ  أنْعِـمْ بهـم في موكب الأطهارِ
رمضانُ أوصدَ للشياطـينِ الكُوَى  قد سُلسِلت في شهـر الاستغفارِ
من ثَمَّ كان الصـومُ خيرَ وقايةٍ  لشبابنـا من هوة الفُجارِ
مَنْ كان لا يَسْطاع عبءَ زواجه  فصيامُـهُ حصـنٌ من الأضرارِ
والصومُ أنجعُ بلسـمٍ لجُسومِنا  « صوموا تصحوا » قالة المختارِ
في موكب الأيـام شهرُ صيامنا  بالفضـل خُص على مَدَى الأعمارِ
آيـاتُ دستـورِ الحيـاةِ تنزلتْ  في ليلـةٍ مرفوعـةِ الأقدارِ
وتميـز الشهـرِ الكريـم بانه  شهر الصمـود ، ووقفـة الأحرارِ
لا ينكرُ التاريـخُ يومَ صمودِنا  والحـقُ منتصرٌ على الكفارِ
في يوم بدرٍ عندمـا نصرَ الالهُ  جنـودَهُ ، والشركُ لاذَ بعارِ
نصرَ الألـهُ جنـودَهُ بجنودِهِ  مَلَكٌ بجانـبِ مسلـمٍ مغوارِ
« الله أكبرُ » كالصواعقِ في الوغى  أنعِـمْ بهـا من صيحـةٍ وشعارِ
من يومهـا والكفـرُ يندُبُ حظهُ  حتـى سعَـى في ذلـةٍ وصَغارِ
يوم افتتـاحِ المسلمـين لمكةٍ  كي يغرسوا التوحيدَ في الأفكارِ
في شهرِ نصرِ الحـقِّ أدعُو ربَّنَا  نَصْرَ العروبـةِ فوقَ خط النارِ
أدعُـوهُ للعَـرَب الأُبَـاةِ تجمعاً  يمحو الخلاف ، وخُبْثَ الاستعمارِ
فاقبلْ إلهـي توبتـي وضراعتي  واغفـرْ بشهـرِ صيامِنـا أوْزَاري

# مع الكتاب العظيم
## منهج نهضة في سطرين

للأستاذ/محمود عبد اللطيف فايد

**□ أضواء من سورة قريش :**

سورة قريش من قصار سور القرآن الكريم ، مكية ، سطران بعد البسملة ، نزلت بعد سورة التين ، تحتوى على أربع آيات ، وهي لا تعدو خمسا وعشرين كلمة ، وقد سعدنا جميعا بحفظها في طفولتنا المبكرة ، وحينما نفكر في معانيها ومراميها ، ونحلل شعاعها سنجد فيها معينا ثرا يفيض ولا يغيض ، وستنهض دليلا على عظمة القرآن الكريم ، وروعة القرآن العظيم ، بايجازها وإعجازها ، وما تفيضه على قلب المؤمن من نسمات حانية ، ولمسات تشرح الصدر .

**□ صلتها بما قبلها :**

سورة قريش مرتبطة بسابقتها ( سورة الفيل ) أوثق ارتباط ، فقد هزم الله ( أبرهة ) وجنوده المعتدين بأعجب سلاح جوي: **( وأرسل عليهم طيرا أبابيل ○ ترميهم بحجارة من سجيل ○ فجعلهم كعصف مأكول )** / الآيات من ٣ ـ ٥ س. الفيل . في هذا النسق نلمح رباطا قويا بين النصر والالفة ، فالألفة من أسباب النصر ، ودواعي الظفر وعلينا أن نحسن توفير الأسباب ، والباقي

على الله ، فما دامت قريش تتمتع بالايلاف ، وتنأى عن الشقاق والخلاف فلا عجب إذا تأهلت لقيادة مجتمع شبه الجزيرة العربية القديم إذ كانت تبذل جهودها في خدمة حجيج البيت الذين يفدون إليه من كل فج عميق ، فيجدون كرم الضيافة ، وحسن الرعاية والحماية في كنف قريش التي انطلقت قوافلها في العمل لتحقيق الأمل حاملة التجارة ، خادمة مصالح قريش ومن جاورها ، ومحققة منافع لمن يحيون بالشام واليمن ، فسعادة قريش بالألفة بما تقتضي من تكافل وتضامن ، وتناصر وتعاون ، وثراؤها بالتجارة نعمتان جديرتان بشكر رب العالمين ، رب البيت الذي تحيا على خدمته ، وتنعم بجواره ورعايته قريش ، وما أجدر قريشا ومن معها بعبادة الله الذي حفظ عليهم حياتهم ، ويسر لهم رزقهم ، وهم يحيون في واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام : ( **أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ) / الآية ٦٧ س العنكبوت . وكيف لا تلهج ألسنة القرشيين بالثناء ، وتفيض قلوبهم بالبشر والرضا عن المنعم العظيم جل فضله الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف .

**□ حاجات الناس البدنية والروحية هي شغل الحكومات :**

والآن نمضي لنرى ما إذا كانت السورة منعزلة عن الحياة أم واضعة للخطة ، ومشيرة إلى الغاية السعيدة للمجتمع المسلم ، الحي الناهض ؟ هل يشغل حكامنا أكثر من توفير متطلباتنا الجسمية ؟ وأهمها الطعام ، وضمان استقرارنا ، وأمننا في يومنا وغدنا ( وهو آهم مطالبنا الروحية ) حتى نكون من السعداء الذين وصفهم الله بقوله : ( **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ) آية ٨٢ س الأنعام ، فالأمن قرين الايمان ، والهداية معراج الفوز بالرعاية .

**□ إزالة المتناقضات هدف التنظيمات والحكومات :**

ومما تهتم به الحكومات الاسلامية ، وتنظيماتنا وجماعاتنا الرشيدة إزالة متناقضاتنا والتوفيق بين مصالحنا التي قد تتعارض ، ونحن في ظلال عقيدتنا – عقيدة التوحيد – واصلون إلى غايتنا ما دمنا نؤمن بأن أمتنا واحدة في اليسر والعسر ، في السراء والضراء : ( **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ) ٩٢ س الأنبياء ، والوحدة ذروة الايلاف ، ولا يشقى الأمة ويذهب ريحها مثل النزاع والاختلاف :( **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ) آية ٤٦ س. الأنفال .

**□ الايمان صمام الأمان ، والعمل الصالح ثمرة الايمان :**

إن الايمان هو الدافع إلى العبادة

الصحيحة ، وحادي العمل الطيب ، الايمان في الحقيقة صمام الأمان ، وأساس الاطمئنان ، ولله در شاعر الاسلام الكبير محمد إقبال إذ يقول :

إذا الايمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحى دينا
ومن رام الحياة بغير دين
فقد جعل الفناء لها قرينا

إن تعبيد الطرق ، وتوفير وسائل النقل ، ونشاطنا الزراعي والصناعي ومدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا بما تقدمه من ثقافات وعلوم ، ونشاطنا العسكري في التدريب والتسليح ، والتوجيه المعنوي ، مرتبط بتوفير حاجات الأجسام إلى الطعام ، وحاجات النفوس إلى الأمن ، بل إن علاقاتنا الدولية تهدف إلى تقوية صلاتنا ، ودعم علاقاتنا بمن يساعدوننا ونساعدهم على توفير هذين المطلبين : مطلب الجسم من طعام وشراب ، وملبس ، وطب ، ومطلب الروح من علوم وفنون بعد توفير الدرع الواقي المتمثل في الجيش العصري المؤمن المدرب على الأسلحة الحديثة ، وما يظاهره من كتائب المقاومة الشعبية والدفاع المدني .

## □ سعادة المجتمع المؤمن :

ولك أن تتصور ــ يا أخي القارىء ــ مدى سعادة المجتمع الذي يهتدي بكلمات الله ، فيحيا في ألفة واضعا نصب عينيه قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ، هذا المجتمع يعرف اختلاف الرأي ولكنه لا يعرف القطيعة !! هذا المجتمع الذي يعرف القادرون وولاة الأمر فيه حق العامل في العمل بدون إذلال أو استغلال غير مشروع كما يعرف فيه العامل واجبه المتمثل في أداء عمله بأمانة وإخلاص في أي ميدان من ميادين العمل الشريف .

إن ذلك المجتمع السعيد يؤدي عمله باتقان ، وقد أعد أحسن الوسائل للنجاح في حياته بالألفة والعمل فلا عجب أن يحيا في بركات السماء والأرض ، ويصل إلى أحسن الغايات متخلصا من الجوع ، بريئا من الخوف ، مثل هذا المجتمع بهجة العصر ، وعدة النصر .

ويا كتابنا العظيم : كم نخسر بالبعد عنك ، وكم نكسب بالقرب منك ، يا نبع الهداية ، ومصدر الاشعاع !! كم فيك من دروس وكنوز لمن يقرأ بإمعان ، ويحيا بعقله وقلبه مع آياتك المضيئة ساعاته الهنيئة :

بسم الله الرحمن الرحيم

**( لإيلاف قريش ○ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ○ فليعبدوا رب هذا البيت ○ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ) .**

وطوبى لمن وعى قول الله عز وجل :

**( الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله )** يونس/٦٣ ــ و ٦٤ . صدق الله العظيم .

# رمضان

# شهر التصفية الروحية

للدكتور : عبدالله عبدالقادر الحسيني

إن المسلمين في جميع مختلف بقاع الأرض يحتفلون بقدوم شهر رمضان ، ويعلنون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم ، وحق لهم أن يحتفلوا ويبتهجوا لأنه شهر حافل بالخيرات ، مغمور بالبركات فهو ركن من أركان الاسلام الخمسة ، ودعامة من دعائم الدين التي يقوم عليها ، ولم يكن الله عابثا وقت أن جعله ركنا من أركان دينه القويم ، تنزه الله عن العبث ، فهو حكيم جلت حكمته ، لا يفرض فرضا ولا يقدر امرا ، إلا وله حكمة سامية ، وسر عجيب ، يدركه العقل الرشيد ، ويقدره من سمت أفكاره ، ورسخ إيمانه ، واستنار عقله .

وها هو الصوم وسره ، وشهر رمضان وفضله ، فالصوم كف النفس عن شهوتي البطن والفرج ، وإذا ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين ، كان ملكا وعبدا لله مخلصا ، واستحق شرف العبودية التي يعنيها الله في قوله تعالى : ( **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا** ) الاسراء / ٦٥

إله هذا شأنه يغار على عبده هذه الغيرة ، فوق نعمه المتتالية ظاهرها وباطنها ( **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ) ابراهيم / ٣٤ ومن هذه النعم فرضه الفرائض ، التي يعود نفعها على العباد خاصة ، فالصوم من طبعه يحول بين المرء وبين امتلاء المعدة التي هي علة العلل ، وقد قال طبيب العرب حارث بن كلدة : إن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ،وقال بعض الحكماء : « الدواء الذي لا داء معه ألا تأكل الطعام حتى تشتهيه ، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه » .

ومن غير شك أن في حفظ الجسوم حفظا لكيان الأمم والشعوب ، وهناك فائدة أخرى تنجم عن الجوع ، وهي : المحبة والوئام بين الناس ، بل وبين العبد وربه ، فان الانسان عندما يشعر بألم الجوع وشدة الظمأ يحصل له الذلة والانكسار ، وعندئذ يشعر بحاجته لمولاه ، فيتواضع لبارئه الذي خلقه وسواه ، ويطرح رداء الكبر والعظمة ، فانهما من صفات الله جل جلاله وحده ، حيث يقول : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي » رواه مسلم وأبو داود عن ابي هريرة بلفظ « الكبرياء » ردائي إلى اخره .. ألقيته في النار » .

وإذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بأنه محتاج لسواه ، ليعطف على الناس ويتودد إليهم وأحس من الجوع ولوعته بحاجة الفقير الى الطعام ، فكان الناس وقتئذ إخوانا متحابين ، وكانوا كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير . قيل ليوسف الصديق عليه السلام : «لم تجوع وأنت على خزائن الأرض حفيظ ؟ قال : أخاف أن اشبع فأنسى الجائع » فالجوع يدفع صاحبه إلى البر والاحسان وشهر رمضان هو الموسم لمن أراد الربح العظيم .

فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ـ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن ، فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة « رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس .

أضف إلى هذا أن الاستمرار في النعمة قد ينسى الانسان مصدر هذه النعمة ، فاذا ما انقطعت عنه وتذوق ألم الجوع في القر ، وشدة الظمأ في الحر ، عندئذ يذكر النعمة فيقابلها بالشكر ، ويخلق في نفسه الوازع الذي يحييه في الطاعات ، ويحول بينه وبين المنكرات ، والصوم هو الوسيلة العظمى في تربية ملكة الصبر واحتمال المكاره والصبر ملاك الفضائل .

لاستسهلن الصعب أو ادرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

فهو السلاح الذي يكافح به الانسان ، ويجاهد حتى يظفر بمناه في دنياه وأخراه ، وقد قيل : « الصبر نصف الايمان » رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود .. ووصى به القرآن الكريم في التنزيل أكثر من سبعين مرة ، وحسبك من ذلك ، قوله تعالى في شأنه ( **إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب** ) الزمر / ١٠ .

والصوم يعودك الحلم وسعة الصدر ، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول فيما رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة : « الصوم فيه كجنة أحدكم من القتال » واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرء صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر وإذا لقي ربه فرح بصومه .

ومن حق الصائم أن يكف جوارحه عن جميع الآثام ، حتى يكون صومه مقبولا ، فيغض البصر عما حرمه الله ويكف اللسان عن الغيبة ، والكذب والخصومة والفحش والجفاء ، وما الى ذلك ، ويكف

السمع عن الاصغاء الى ما هو محرم . وقال الامام البيضاوي : ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات ، وتطويع النفس الأمارة بالسوء فاذا لم يحصل له ذلك لا ينظر الله نظر قبول إليه ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري واحمد هذا مجاز عن عدم القبول ، فنفى السبب وأراد المسبب ، لانه بتركه الطعام والشراب قد اتى بجسم الصوم وبفعله المحرم قد أذهب روحه ، والصوم بلا روح غير مقبول كجسم بلا روح ، فهو غير موجود والغاية من العبادات روحها ، انظر الى قوله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون )** البقرة /١٨٣ فالغاية من فرضية الصوم هي تقوى الله لا مجرد ترك الأكل والشرب ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصيام جنة » رواه البخاري اي وقاية للجسم والروح من العلل والشرور .

وقد اختار الله تعالى هذا الشهر المبارك للصوم ، مع أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، لأنه عند الله طيب مبارك ، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان ، ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتعبد في غار حراء في هذا الشهر . فهو في شهر مبارك حيث ابتدئت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخلق لاتباع الحق ، وظهر نور الاسلام في طول البلاد وعرضها . وفيه نزل القرآن الكريم الذي طمس معالم الباطل ورفع لواء الحق : **( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان )** البقرة / ١٨٥ . وأيضا نزلت فيه الكتب المقدسة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن زنجوية وابن خالويه عن الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والطبراني عن واثلة « نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لأربع مضت منه ، والانجيل لثلاث عشرة منه والقرآن لأربع وعشرين » .

وفي هذا الشهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر قال الله تعالى : **( ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر )** القدر / ٣ ـ ٥ .

فهو شهر عظيم عند الله ، وجدير بخلق الله ان يعظموا ما عظمه الله ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ..

## الفتاوى

للدكتور
محمد سلام مدكور

### الأحاديث التي تروى في نزول عيسى وظهور المسيخ الدجال وهزم اليهود

جاء في صحيح البخاري في كتاب ذكر الأنبياء . بخصوص نزول عيسى ابن مريم فيما رواه اسحق بن ابراهيم عن يعقوب بن ابراهيم عن أبي صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله في حديث طويل : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا .. » .

وروى الامام أحمد قال : حدثنا عفان . حدثنا همام أنبأنا قتادة عن عبدالرحمن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه . وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه . رجل مربوع الى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل . فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام . ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الاسلام . ويهلك الله في زمانه المسيخ الدجال . ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة . ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » ورواه غيره بعدة طرق .

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله قال : « لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم » .. الحديث .

وروى ابن ماجه في سننه بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله فقال : لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال . وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال . وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر

الأمم وهو خارج فيكم لا محالة .. الحديث

وقد عرض الحافظ ابن كثير جملة أحاديث حول نزول عيسى وظهور المسيخ الدجال والقضاء على الكفر وهزيمة اليهود وقال : فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص ، وأبي أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، ومجمع بن جارية ، وأبي شريحة ، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم .

وهذه أمور غيبية لا مجال لتحكيم العقل فيها ، وإنما ترجع معرفتها إلى النقل . وهو مطرد كما رأيت ومتواتر المعنى ...

## الممتنع عن أداء الزكاة

الزكاة أحد أركان الاسلام وأساس من أسسه . وهي عبادة مالية محضة بها يخرج الموسر جزءا يسيرا من ماله ليعاون به الفقير ومن في حكمه ويطيب بها نفسه ويمنع تولد الحقد فيها يقول الله تعالى : **( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ) .**

وقد حث الاسلام على أداء الزكاة والمحافظة على صرفها في مصارفها . وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر فرضية الزكاة وسائر أركان الاسلام الخمسة : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » كان خارجا عن ربقة الاسلام ولا تجرى عليه أحكامه ولا يعد من أهله وأخذ حكم المرتد مادام جاحدا لفرضيته منكرا لها .

وقد حدث في عهد أبي بكر رضي الله عنه وبعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى أن امتنع بعض الناس عن أداء الزكاة وأنكروا فرضيتها عليهم بعد وفاة الرسول وفرقوا بين الصلاة والزكاة . فأمر الخليفة أبو بكر بمقاتلتهم . فلما اعترض عمر وقال : كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » رواه الستة عن أبي هريرة . فقال أبو بكر : ألم يقل إلا بحقها ؟ فمن حقها إيتاء الزكاة كما أن من حقها إقامة الصلاة . فقال عمر : إن ذلك والله هو الحق وإنه لخير .

وأما من يعتقد بفرضيتها ويؤمن بوجوبها لكنه يمتنع عن أدائها تقصيرا فهو عاص ، ويعتبر مرتكبا كبيرة من الكبائر يستحق عليها الجزاء الأخروي الذي توعد الله به أرباب الكبائر وينبغي على الحاكم تعزيره وأن يأخذها منه قهرا عنه ، لكنه بذلك لا يكون خارجا على الاسلام فتقام عليه جميع أحكامه في مسائل الأحوال الشخصية وسائر معاملاته وتصرفاته .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## طوبى لمن تلبس الحجاب

**وتلك كلمة للشباب من مها عبيد محمد بريك تؤكد شخصيتهم المسلمة في إطار الاسلام وتعاليمه السامية المتكاملة نقدمها بين يديهم لتكون الباعث على سلوك الشباب المسلك اللائق بهم وخير هدى لفتياتنا :**

في كل أزمان التحول العظيم التي تحياها الامم كانت المرأة تقف شاهدة على عصرها تراقب وتشارك وتسجل وقد امتلأ تاريخ التحولات بالنماذج النسائية العظيمة التي رفعت يدها في وجه الظلم والحزن والقهر ــ وانتمت إلى الاصالة والحقيقة والثورة ..

ورغم شراسة حملات الغزو الفكري التي يقودها الاستعمار ويصفق لها تلامذته الذين يحتلون مكاتب الادارة في صحفنا ويقفون خلف مكبرات الاذاعة وشاشات السينما والتلفزيون .

رغم ذلك كله إلا أن ظاهرة الحجاب الذي بدا يكسو أرضنا الطيبة ليس إلا رمزا لشخصية هذا الجيل الذي نفض عن نفسه غبار التفتت والانفصام والازدواجية واختار العودة إلى الله ... والحجاب ليس شكلا نتعبده كما يتوهم البعض ولكنه مسألة شخصية واكتشاف للذات بعد طول سقوط وضياع في مجاهل التغريب للعين .

ولقد فرض علينا الاستعمار ملابسه وجاء لنا ببيوت أزيائه كي يستعبد نساءنا وفتياتنا ــ وكي نلهو بعيدا عن قضايانا الحيوية ولهذا كان الحجاب اسلاميا وقضية وطنية في غاية الأهمية أيضا إنه رفض لروح الاستعمار ومخططاته ــ إنه رمز لوعينا بطبيعة الصراع ورمز لاصرارنا على مواجهة التحدي ورمز لرفضنا نهب ثروات بلادنا في العبث بمقدساتنا

نعم هكذا الحجاب وهكذا يجب أن يكون ... انحياز واع ومقدس إلى معسكر الاصالة والحرية والعدل،انحياز إلى معسكر « محمد بن عبدالله » صلى الله عليه وسلم ــ واتباعه الكرام ونبذ لمعسكر الطاغوت وأوليائه .

واخيرا يا اختي المسلمة اقرئي معي هذه الآيات من سورة الاحزاب :

« يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً »

## فضل طلب العلم

**يحث الاسلام على طلب العلم ويدعو الرسول صلى الله عليه وسلم اليه حول هذه المعاني جاءتنا رسالة من الاستاذ عبد العال محمد علي الأسواني ــ الكويت يقول فيها :**

جاء في الأثر : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة .

والذي اكد هذا المعنى عند المسلم أن القرآن الكريم في كثير آياته الكريمة دعا إلى طلبه وحث عليه فمثلا قول الله سبحانه « وقل ربي زدني علما » والرسول صلى الله عليه وسلم يقول محببا في العلم وداعيا إلى الحرص عليه حتى لا يقبض العلم بقبض العلماء يروى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » رواه مسلم

ولا شك أن الباحث عن العلم له أجر عظيم فان لم يكن له إلا تخليص الناس من الشرور والموبقات لكفى واقرأوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم حول هذا المعنى فعن انس بن مالك رضي الله عنه قال :

ألا أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم أحد بعدي سمعه منه « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ويشرب الخمر ، ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد » رواه مسلم .

فالتزموا يا شباب الاسلام واعملوا بما توحي به الآية الكريمة حتى نكون مثل خير وجيل هدى يقول الله سبحانه:« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ».

فكل يوم يمر عليكم دون أن تتزودوا بالعلم يوم كئيب فزينوه بالعلم وأزيلوا منه الملل بالعلم .

باقلام القراء

# أم اللغات

**تحت هذا العنوان جاءت تلك الأبيات لتعبر عن لغتنا العربية التي كانت وما تزال لسان حالنا والمشعل في طريق نهضتنا مهما قلاها اهلها فهي لغة القرآن ، والقرآن معجزة الرسول الخالدة ودستور الاسلام والقصيدة تنعى علينا انصرافنا وتحولنا فهل من عودة**

**يقول الأستاذ سيد خليل ابراهيم :**

ناحت بلابلها بصوت مفزع — في حسرة وتألم وتوجع
لهفى على الفصحى تعيش غريبة — مدفوعة نحو المصير المفجع
لما قلاها أهلها وتباعدوا — عن حسنها برطانة وتصنع
ضاعت بلاغتها وغاض معينها — واحسرتا لبيانها المتقطع
عصفت بها ريح التغرب فانزوت — وتراجعت في خيبة المتظلع
ولقد رموها بالجمود جهالة — وهي السخية بالعطاء المترع
ام اللغات يفيض من سلسالها — عذب الرحيق لراغب متطلع
واختارها رب العباد لفضلها — والوحي فيها عبقري المطلع
نضب المحيط وذاك زعم باطل — يا ويحهم أكرم بفيض المنبع
فلكم نرى في كل يوم طعنة — في صدرها من جاهل متنطع
ولكم رأينا لفظة عجمية !! — دخلت لواديها بغير ترجع
فتأوه القاموس يندب أمه — واغرورقت صفحاته بمدامع
فسلوا الطيور بأيكها ما بالها ؟ — تبكي على الفصحى بلحن مفزع
يا إخوتي عودوا إليها إنها — نسب العروبة للكريم الأرفع
تيهوا بها فوق المجرة وافخروا — فهي الفخار لكل نجم ألمعي
يا إخوتي : إني بذلت نصيحتي — وتمزقت كبدى وفاضت أدمعي

# ظاهرة الالحاد

**وأرسل الدكتور عبد القادر حسن كلمة حول الالحاد وأضراره الفاتكة على الشباب وخاصة المثقف نقتطف منها ما يلي :**

إن العالم الاسلامي بأسره يشكو من ظاهرة خطرة ، وهي أن شبابنا المثقف ثقافة علمية هم أقرب إلى الالحاد ، بينما القلة المؤمنة تميل إلى إهمال الشعائر الدينية والعبادات .

وقد يكون هذا عجيبا ، فالاسلام نور يهدي إلى الحق والخير ، والعلم أيضا نور يهدي إلى الحق والخير ، فلماذا تقترن ظاهرة الالحاد وإهمال العبادات بالعلم ؟ وما أسباب الفشل في علاج هذه الظاهرة ؟

إن الاسلام لا يعادي العلم ، بل إن مزية الاسلام الكبرى أنه جعل العقل حكما عندما نتجادل في معركة الشك واليقين ، سواء بيننا وبين أنفسنا ، أو بيننا وبين غيرنا من الملحدين ، فكثير من الآيات القرآنية تختم بقوله تعالى : **( أفلا تعقلون )** البقرة / ٧٦ وقوله تعالى : **( لعلكم تتفكرون )** البقرة / ٢١٩ فليس في الاسلام ــ إذن ــ إيمان يتناقض مع العقل ، ولا خرافات تتضارب مع العلم ،

والاسلام لا يتعارض بحال مع الحقائق العلمية التي بلغت مرتبة اليقين ، وقطع نهائيا بصحتها ، أما الآراء العلمية التي تبزغ حقبة من الزمن ثم تخبو إلى الأبد ، لما فيها من قصور علمي ، ولم يقم الدليل القاطع على صحتها ، بل يحتمل أن تظهر أدلة جديدة تنفي صحتها وتحكم ببطلانها فلا تقاس بمقاييس الاسلام .

فعلى الشباب حينئذ ألا يبنوا آراءهم وجدلهم في إنكار القضايا الدينية على أساس آراء علمية خاطئة أو ناقصة يظنونها حقائق علمية ، ثم يتضح لهم بعد ذلك أن الأساس الذي بنوا عليه جدلهم هو أساس باطل ، ولما ظهر الحق هوى البناء من قواعده .

وبعض شبابنا المثقف ينظر بعين الشك والريبة إلى المعجزات التي أيد الله بها رسله ، وتحدثت عنها الكتب السماوية ، لأنها لا تخضع للتفسيرات العلمية ، ولا تساير النواميس الكونية ، فالرأي فيها واضح ، والاجابة حاضرة ، وهي أن المعجزات خرق للعادة ، وخرق لقوانين الطبيعة ، والمعجزات وإن كانت مستحيلة في العادة ، إلا أنها غير مستحيلة عقلا ، لأن الله الذي خلق النواميس الكونية ، هو وحده القادر على خرقها ، والتفسير العلمي للمعجزات يفقد المعجزة معناها ، وإن أخضعناها للتفسير العلمي صارت شيئا مألوفا ، ولم تدخل في عداد المعجزات .

## ألوان من الثقافة والعلوم لا بد منها

**نشرت مجلة الوعي الاسلامي في عدد سابق « فن زخرفة الأخشاب عند المسلمين » .**
**الم يكن من الأفضل أن تستغل هذه الصفحات من ورق مجلتنا في تفسير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .**
**وأود ذلك حتى تكون المجلة اكثر انتشارا لتخدم الدعوة الاسلامية .**
**عبدالعزيز علي محمود رمضان ـ مصر**

نؤكد للأخ السائل ان المجلة تنشر هذه الموضوعات المتنوعة لتكون محل الدرس والتحليل من ذوي الخبرة والدراية بتلك العلوم الانسانية فليس الفن عندنا كما كان عند قدماء المصريين واليونانيين فهم كانوا يتخذونه وسيلة لخدمة دينهم ومعتقداتهم لذلك نحت المصريون التماثيل لتهدي الروح الى الجسد لاعتقادهم بعودة الروح .
وتخيل اليونانيون الاله على صورة انسان فنحتوا أيضا التماثيل لتعبر عن آلهتهم .
وحرمت اليهودية ثم المسيحية صنع التماثيل ونحتها قبل أن تنحرف العقيدة عندهم .
ثم جاء الاسلام فتأثر بالفنون التي وجدها في البلاد المفتوحة ولكن لم تستخدم في شرح العقائد كما فعلت المسيحية فيما بعد ولم ينكرها مطلقا كما فعلت اليهودية ولكنه أخذ منها ما يخدم حياة المسلم وترك ما عدا ذلك بل إنه حرم التماثيل .
وتلك التي نشرنا بحثا حولها من الجوانب الهامة في تاريخنا برع فيه المسلمون ، ونبغوا وهناك أيضا فن العمارة الذي يحكي بروز المسلمين وجهدهم الكبير .
والمجلة تهتم بكل ألوان الثقافة والمعرفة يبدو ذلك من خلال الأبواب الكثيرة الزاخرة وذلك هدف تحرص عليه الوعي الاسلامي وترعاه طوال مسيرتها الرائدة في عالم الصحافة الاسلامية لخدمة الدعوة الاسلامية على خير وجه وبدقة لم تتجاوزها ، ولم تحد عنها وستكون كذلك بعون الله في مستقبل أيامها .
وان نظرة الى موضوع « فن زخرفة الأخشاب عند المسلمين » نجد أنه لم يذكر شيئا غير مفيد ، فقد ركز على أن هذا الفن وكثيرا غيره كان من الفنون التي تميز بشكل اسلامي فالمسلمون في تلك العصور المتقدمة لم يتركوا علما إلا وضربوا فيه بسهم وافر وآثارهم تدل على ذلك وسار على نهجهم أمم كثيرة محاكية ومقلدة أليس

ذلك يستحق التقدير وأيضا التوضيح وخصوصا لجيلنا الذي أصبح عالة على غيره في كل شيء مهما دق وصغر حجمه .

## من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

**( ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) .**

**هل الايمان بالله سبحانه وتعالى دون الايمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما يعتقد أنصار الأديان الأخرى هو المفهوم من هذه الآية الكريمة ، والعمل الصالح من الذين هادوا والنصارى والصابئين ـ في زعمهم ـ عمل يستحق من الله الأجر العظيم والله سبحانه يقول :**

**( ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ) .**

**محمد حامد حسن ـ استراليا**

مفهوم هذه الآية الكريمة يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة اذ لا بد من الايمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو خاتم النبيين ، ورسالته إلى البشر كافة على اختلاف مللهم ونحلهم ومعتقداتهم ، لا فرق في ذلك بين جنس وجنس ، ومعتقد ومعتقد ، ومن لم يؤمن بما جاء به الرسول اجمالا وتفصيلا فهو ضال قد تنكب الطريق ، وحاد عن الحق ، وبعد عن الجادة فاليهود والنصارى والصابئون الذين آمنوا بالاسلام هم الموعودون في الآية الكريمة مع المسلمين بالأجر عند ربهم ونفى الخوف والحزن عنهم

والواضح من الآية الكريمة أن الذين آمنوا هم المسلمون الذين صدقوا الرسول فيما جاءبه ، وأذعنوا لله خاضعين عن اقتناع ويقين ، تاركين ما كانوا عليه من معتقداتهم مقرين بأن الاسلام هو غاية كل عابد وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المحدث عن الله سبحانه الذي لا ينطق عن الهوى ،

اما اليهود الذين ظلوا على يهوديتهم بعد ظهور الاسلام والصابئون الذين ظلوا على صابئتهم والنصارى الذين رفضوا الايمان بالاسلام ، هؤلاء جميعا لا تشملهم الآية الكريمة بل هم كفار وقد ذكر الله تعالى أمرهم في كتابه الكريم في قوله :

**( ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين )**

فالآية واضحة الدلالة في أن الله لا يقبل من هؤلاء جميعا الا الاسلام فأيا كان الدين ، وأيا كان المنحى والمعتقد فالسائرون في ظله ليسوا على شيء ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لا يسمع بي احد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من أصحاب النار » وعلى هذا فكل من لا يؤمن بالرسول وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . لا يقبله الله ، ولا يسمى صاحبه مسلما ، والأجر العظيم الذي وعد الله به لا يكون إلا للمؤمنين بالاسلام « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين »

# صندوق التضامن الاسلامي

يغمر المعمورة زحف هائل من الحضارة المواجهة لحضارتنا ولما كانت حضارة الاسلام قد قامت على اسس متينة فان العودة لبناء حضارة اسلامية يستلزم ان تكون على قواعد من الدين صلحت عليها حال الامة سلفا .

لذلك نرى العالم الاسلامي تشده صحوة في السنوات الاخيرة من خلال المؤتمرات الاسلامية على مستوى القادة والمفكرين ويتم اللقاء في انحاء متفرقة في عالمنا الاسلامي .

وهذا امر طبيعي فان الظروف والملابسات والمعاملات والمشكلات التي جدت ولم تكن تطفو على السطح قبل ذلك تتطلب تكاتف الهمم وتلاقي الايدي وتعاضد القوى وتأكيد الأخوة الاسلامية التي دعا اليها الاسلام وبنى عليها أول دعائم دولته والمؤتمرات الاسلامية التي شهدت حركة دائبة من المسلمين تمخضت عن نتائج على مستوى العالم كله تدعو وتنادي بالوحدة الاسلامية ووضع مصلحة المسلمين في المركز الأول من الأهمية ولقد قرأنا عن هذه النتائج الكثير ومن بينها صندوق التضامن الاسلامي الذي أنشيء بقرار من مؤتمر القمة الاسلامي بلاهور الذي عقد بالباكستان سنة ١٩٧٤م ، وأقر قانونه الأساسي في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي بماليزيا سنة ١٩٧٤م .

وكان للمجلة لقاء مع الاستاذ يوسف العوضي المدير المالي بوزارة الاوقاف وعضو اللجنة الاسلامية والثقافية للصندوق الذي قال : ان الغرض من هذا الصندوق العمل على تحقيق كل ما من شأنه رفع مستوى المسلمين في العالم ، والمحافظة على عقيدتهم ودعم نضالهم وجهادهم في جميع المجالات والتخفيف من اثر الكوارث والمحن .

وينص القانون الاساسي على المساعدات والمعونات للبلدان والأقليات والجاليات الاسلامية لرفع المستوى الديني والثقافي والاجتماعي .

والمساهمة في بناء المساجد والمستشفيات والمدارس ، ونشر تعاليم الدين الاسلامي وتمويل الجامعات الاسلامية ودعم نشاط الشباب المسلم ، وتنظيم الدورات الدراسية في قضايا التشريع والقانون والادارة والثقافة .

ويتكون المجلس الدائم من الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي وثلاثة عشر عضوا من الدول الاعضاء ينتخبون كل سنتين من قبل وزراء خارجية المؤتمر . ومهمة هذا المجلس التخطيط والاعداد للبرامج والسهر على تنفيذها ويشكل من : السعودية ، الكويت ، الامارات العربية ، السودان ، ليبيا ، العراق ، فلسطين ، الباكستان ، اندونيسيا ، بنجلاديش ، تشاد ، الكمرون ، مالي .

وقد عقد آخر مؤتمر بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية وسيعقد المؤتمر القادم بعد تشكيل المجلس من قبل مؤتمر وزراء الخارجية بجدة في نوفمبر ١٩٨٠

قام الصندوق بتمويل جامعة النيجر ، وجامعة اوغندا ، ومعهد الدراسات الاسلامية بالجابون ، وساعد على انشاء بعض المدارس في جامبيا وساهم في تمويل المساجد في غينيا ، والسنغال ، والجابون ، والنيجر ، وأوغندا ، وتشاد ، وجزر المحيط الهادي ، والنرويج ، وفنلندا ، والسويد ، والنمسا ، وايطاليا ، والدانمارك ، وساعد في بناء المدارس في كل من سوريا ، والجابون ، وغانا وسويسرا ، ومن اهدافه العمل على التنسيق مع المنظمات التي لها اهداف مماثلة ومساعدة المراكز الاسلامية في المانيا ويوغوسلافيا والبرازيل وتنزانيا وكل المراكز الاسلامية في العالم على نشر رسالتها .
وقد منح الصندوق مساعدات منذ تأسيسه لدول غير اعضاء .
وقال الاستاذ / يوسف العوضي : لقد شارك في اعمال المؤتمر الحادي عشر لوزراء الخارجية الاسلامية ٣٩ دولة ومنظمة التحرير الفلسطينية وبحثت بالمؤتمر موضوعات هامة تشغل العالم الاسلامي كله تتناول بالبحث والتحليل العديد مما يعيشه المسلمون وما يعانونه من مشكلات
وقد تبرعت كل من الدول الآتية للميزانية الجديدة للصندوق بتلك المبالغ ، السعودية ١٠ مليون دولارا ، الكويت ٢ مليون ، قطر مليون ، العراق مليون ، باكستان ٤٠ الفا ، النيجر ٧٥ الفا ، تركيا ٢٠ الفا ، السنغال ٤٠ الفا ، قبرص ٢٠٠ الف ، عمان ٥٠ الفا ، تونس ١٠٠٠٠٠ الف .
واتخذ المؤتمر قرارات هامة بشأن المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة واقر النظام الاساسي للمركز العالي للتعليم الاسلامي وصادق على ميزانية العام الاول ووافق على النظام الاسلامي للجنة الدولية للتراث الاسلامي وكذلك الموافقة من حيث المبدأ على مشروع الاتفاقية الخاصة بانشاء اللجنة الاسلامية للهلال الدولي .
واتخذ قرارا حول اعتماد بيان" اسلام اباد" كوثيقة لتطبيق ما جاء بها في مجال الشريعة الاسلامية ، وقرر مجلس الوزراء الموافقة على الجدول الزمني بشأن البرنامج الدولي لحلول القرن الخامس عشر الهجري .
واوصى المؤتمر بتكوين لجنة افتاء من علماء المسلمين لبحث امكانية تحديد الاعياد وبدء شهر رمضان والاخذ به في البلاد التي تتقارب فيها المطالع ، والنظر في اصدار تقويم موحد للسنة الهجرية تشترك في اعداده لجنة من علماء الفلك والشريعة ، واوصى بتكوين لجنة للنظر في مشروع تعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتدعيم ذلك على المستوى العالمي .

**الوعي الاسلامي :**

اشارت اجهزة الاعلام التي غطت وقائع المؤتمر الى اقتراح تقدم به الرئيس الباكستاني ضياء الحق نادى فيه بتبني فكرة « الدفاع الجماعي وامن العالم

الاسلامي » وقال انه لا يقصد بالدفاع الجماعي ان توضع كل القوات المسلحة في الدول الاسلامية تحت قيادة عليا واحدة ولكن ان تعبيء هذه البلاد كل مواردها البشرية والمعدنية والزراعية والصناعية لمصلحة التقدم الجماعي لشعوب الدول الاسلامية .

وما احوجنا حقا الى مثل هذه الدعوة العظيمة والسهر على ابرازها الى حيز الوجود فالعالم الاسلامي غني بكل الثروات التي تجعله ــ لو استغلت ــ أعز أمم الأرض قاطبة ونعود سيرتنا الاولى فهل يلقي هذا الاقتراح نصيبه من العناية فنحن امة واحدة « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ليته يكون .

## مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية

عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في اسلام اباد بالباكستان في رجب ١٤٠٠هـ الموافق مايو ١٩٨٠م ومثل الكويت في هذا المؤتمر سعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية وقد طالب في كلمة الكويت التي القاها في المؤتمر ، الدول الاسلامية بالسعي للخروج بوجهة نظر موضوعية وموحدة تجاه تلك القضايا المطروحة امام المؤتمر الحادي عشر وقال انه يتوجب على المؤتمر ان يرتقي باجراءاته وقراراته حيال قضية فلسطين ، والقضية الاسلامية الكبرى الى مستوى الادراك الجماعي لشعوب الامة الاسلامية .

وطالب بان تدعم الدول الاسلامية وبكل الوسائل دول المواجهة العربية التي تتحمل العبء الاعظم من تبعات المواجهة الاسلامية المشتركة للعدو الصهيوني فلن تستطيع الامة الاسلامية ان تواجه ايا من هذه التحديات ما لم نقف جميعا لمواجهتها .

وقال ان التدخل السوفياتي في افغانستان يمثل غمامة قاتمة في العلاقات مع الدول الاسلامية واذا ما رغب الاتحاد السوفياتي في ازالة تلك الغمامة فما عليه الا ان يبادر للاستجابة الى نداء الدول الاسلامية والمجتمع الدولي بالانسحاب من افغانستان حتى يتمكن شعبها المسلم من تقرير مستقبله السياسي بمحض ارادته وبدون اي تدخل اجنبي .

وبعد عودته الى ارض الوطن قال سيادته ان قضية فلسطين حظيت بالاهتمام الاول في المؤتمر كما كانت القدس محورا لعدد من القرارات العملية والاعلامية ، واشار الى ان البحث تناول الوضع في افغانستان وغيرها من القضايا ذات الاهتمام المشترك بين الدول الاسلامية ، واذا كان لي من تعليق فهو ان علينا جميعا مسئولية الالتزام بما يتخذ من قرارات والعمل على تنفيذها حتى يكون لجهودنا في هذا المؤتمر او غيره المعنى الحقيقي الذي ننشده جميعا والمتمثل في ترجمة مفهوم التضامن الاسلامي .

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

| | | |
|---|---|---|
| **مصـــر** | : | القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجـلاء . |
| **السودان** | : | الخرطـوم ـ دار التوزيـع ـ ص.ب ( ٣٥٨ ) |
| **ليبيـا** | : | طرابلس ـ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر . |
| **المغـرب** | : | الدار البيضـاء ـ الشركـة الشريفة للتوزيـع . |
| **تونـس** | : | الشركـة التونسـية للتوزيـع . |
| **لبنـان** | : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) |
| **الاردن** | : | عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) |
| **السعودية** | : | جـدة : مكتبـة مكـة ـ ص.ب : ( ٤٧٧ )<br>الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ـ ص.ب : ( ٧٦ )<br>الطائـف : مكة المكرمة :<br>برحة نصيف / مكتبة جـدة<br>المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـيـاء . |
| **مسـقط** | : | المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١) |
| **البحريـن** | : | دار الهلال . |
| **قطـر** | : | دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ . |
| **أبو ظبي** | : | مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩) |
| **دبـي** | : | مكتبة دبـي . |
| **الكويـت** | : | شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧) |

**ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .**

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | رمضان | يوليو | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س | د س |
| الأحد | ١ | ١٣ | ٨ ٣٤ | ١٠ ٧ | ٥ ٤ | ٨ ٣٨ | ١ ٣٠ | ٣ ٢٤ | ٥٧ | ١١ ٥٤ | ٣ ٢٨ | ٦ ٥٠ | ٨ ٢٠ |
| الاثنين | ٢ | ١٤ | ٣٥ | ٨ | ٤ | ٣٩ | ٣٠ | ٢٥ | ٥٨ | ٥٤ | ٢٨ | ٤٩ | ٢٠ |
| الثلاثاء | ٣ | ١٥ | ٣٦ | ٩ | ٥ | ٣٩ | ٣٠ | ٢٦ | ٥٨ | ٥٤ | ٢٨ | ٤٩ | ١٩ |
| الأربعاء | ٤ | ١٦ | ٣٧ | ١٠ | ٥ | ٤٠ | ٣٠ | ٢٦ | ٥٩ | ٥٤ | ٢٩ | ٤٩ | ١٩ |
| الخميس | ٥ | ١٧ | ٣٩ | ١١ | ٦ | ٤٠ | ٣٠ | ٢٧ | ٥٩ | ٥٤ | ٢٩ | ٤٨ | ١٨ |
| الجمعة | ٦ | ١٨ | ٤٠ | ١٢ | ٦ | ٤١ | ٢٩ | ٢٨ | ٥ ٠٠ | ٥٤ | ٢٩ | ٤٨ | ١٧ |
| السبت | ٧ | ١٩ | ٤١ | ١٣ | ٧ | ٤١ | ٢٩ | ٢٩ | ١ | ٥٤ | ٢٩ | ٤٨ | ١٧ |
| الأحد | ٨ | ٢٠ | ٤٢ | ١٤ | ٧ | ٤٢ | ٢٩ | ٢٩ | ١ | ٥٤ | ٢٩ | ٤٧ | ١٦ |
| الاثنين | ٩ | ٢١ | ٤٣ | ١٥ | ٨ | ٤٢ | ٢٩ | ٣٠ | ٢ | ٥٤ | ٢٩ | ٤٧ | ١٥ |
| الثلاثاء | ١٠ | ٢٢ | ٤٥ | ١٦ | ٨ | ٤٣ | ٢٩ | ٣١ | ٢ | ٥٤ | ٢٩ | ٤٦ | ١٤ |
| الأربعاء | ١١ | ٢٣ | ٤٦ | ١٧ | ٩ | ٤٤ | ٢٨ | ٣٢ | ٣ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٦ | ١٣ |
| الخميس | ١٢ | ٢٤ | ٤٧ | ١٨ | ٩ | ٤٥ | ٢٨ | ٣٣ | ٣ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٥ | ١٣ |
| الجمعة | ١٣ | ٢٥ | ٤٨ | ١٩ | ١٠ | ٤٥ | ٢٨ | ٣٣ | ٤ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٥ | ١٢ |
| السبت | ١٤ | ٢٦ | ٥٠ | ٢١ | ١١ | ٤٦ | ٢٨ | ٣٤ | ٥ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٤ | ١٢ |
| الأحد | ١٥ | ٢٧ | ٥٢ | ٢٢ | ١١ | ٤٧ | ٢٧ | ٣٥ | ٥ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٣ | ١١ |
| الاثنين | ١٦ | ٢٨ | ٥٣ | ٢٣ | ١٢ | ٤٧ | ٢٧ | ٣٦ | ٦ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٣ | ١٠ |
| الثلاثاء | ١٧ | ٢٩ | ٥٥ | ٢٤ | ١٢ | ٤٨ | ٢٦ | ٣٧ | ٦ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٢ | ٩ |
| الأربعاء | ١٨ | ٣٠ | ٥٦ | ٢٥ | ١٣ | ٤٨ | ٢٦ | ٣٨ | ٧ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٢ | ٨ |
| الخميس | ١٩ | ٣١ | ٥٧ | ٢٦ | ١٣ | ٤٩ | ٢٦ | ٣٨ | ٧ | ٥٤ | ٣٠ | ٤١ | ٧ |
| الجمعة | ٢٠ | أغسطس | ٥٩ | ٢٨ | ١٤ | ٥٠ | ٢٦ | ٣٩ | ٨ | ٥٤ | ٣٠ | ٤٠ | ٦ |
| السبت | ٢١ | ٢ | ٩ ١ | ٣٠ | ١٥ | ٥١ | ٢٦ | ٤٠ | ٩ | ٥٤ | ٣٠ | ٣٩ | ٥ |
| الأحد | ٢٢ | ٣ | ٢ | ٣١ | ١٦ | ٥١ | ٢٥ | ٤١ | ٩ | ٥٤ | ٣٠ | ٣٩ | ٤ |
| الاثنين | ٢٣ | ٤ | ٤ | ٣٢ | ١٦ | ٥٢ | ٢٥ | ٤٢ | ١٠ | ٥٤ | ٣٠ | ٣٨ | ٣ |
| الثلاثاء | ٢٤ | ٥ | ٦ | ٣٣ | ١٧ | ٥٣ | ٢٥ | ٤٣ | ١٠ | ٥٤ | ٣٠ | ٣٧ | ٢ |
| الأربعاء | ٢٥ | ٦ | ٧ | ٣٥ | ١٨ | ٥٤ | ٢٥ | ٤٣ | ١١ | ٥٤ | ٣٠ | ٣٦ | ٠١ |
| الخميس | ٢٦ | ٧ | ٩ | ٣٧ | ١٩ | ٥٤ | ٢٥ | ٤٤ | ١٢ | ٥٤ | ٢٩ | ٣٥ | ٠٠ |
| الجمعة | ٢٧ | ٨ | ١٠ | ٣٨ | ١٩ | ٥٥ | ٢٤ | ٤٥ | ١٢ | ٥٤ | ٢٩ | ٣٥ | ٥٩ |
| السبت | ٢٨ | ٩ | ١٢ | ٣٩ | ٢٠ | ٥٥ | ٢٤ | ٤٦ | ١٣ | ٥٤ | ٢٩ | ٣٤ | ٥٨ |
| الأحد | ٢٩ | ١٠ | ١٤ | ٤٠ | ٢٠ | ٥٦ | ٢٤ | ٤٧ | ١٣ | ٥٤ | ٢٩ | ٣٣ | ٥٧ |
| الاثنين | ٣٠ | ١١ | ١٦ | ٤٢ | ٢١ | ٥٧ | ٢٤ | ٤٨ | ١٤ | ٥٣ | ٢٩ | ٣٢ | ٥٦ |

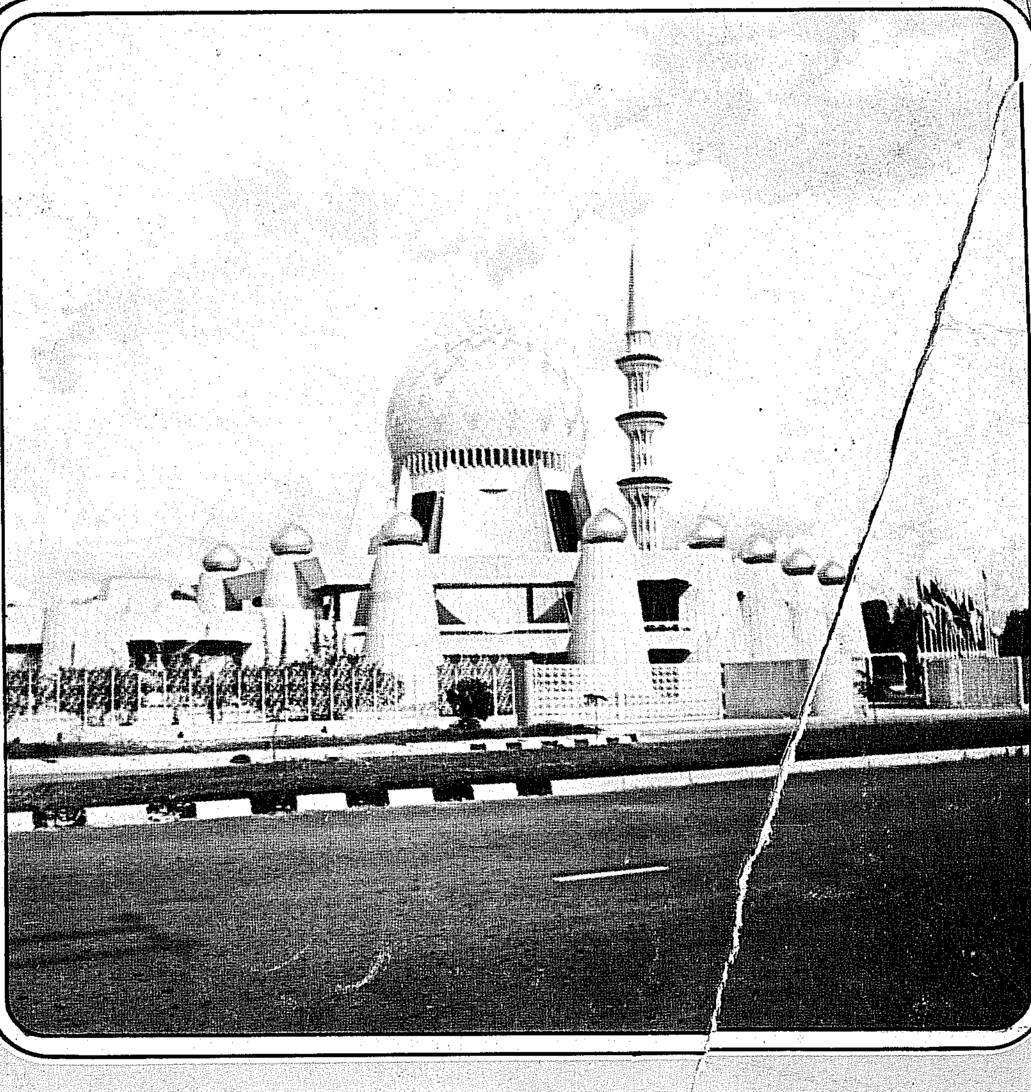
طباعة مؤسسة دار السياسة — الكويت —

هدية العدد : براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٩٠ ○ شوال ١٤٠٠ هـ ○ اغسطس ١٩٨٠ م



# اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

مسجد الدولة بمدينة كوتا كينا بالو
ـ ولاية صباح ـ ماليزيا

# الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٩٠ ○ شوال ١٤٠٠ هـ ○ اغسطس ١٩٨٠ م


هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات


مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# أعياد الاسلام

اتخاذ الأعياد أمر فطر عليه الانسان منذ عرف الاجتماع .. ولما هاجر رسول الله إلى المدينة وجد الأنصار يلعبون ويمرحون في يومين ، ورثوا عن آبائهم وأجدادهم اتخاذهما عيدين . فقال لهم : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما : يوم الفطر ويوم الأضحى .. وهما يومان ارتبط بهما من أركان الاسلام ما جعلهما موضع الاكبار والاجلال . فعيد الفطر يتلو أداء ركن الصيام في شهر رمضان فهو أول يوم من شوال . وعيد الأضحى يكون يوم العاشر من ذي الحجة وهو اليوم التالي للوقوف بعرفة .

**وقد بني الاسلام العيد على معاني المجد والقوة ، فجعل له صلاة جامعة ، يفتتح المسلمون بها يومهم ، ويتخذونها أساسا لعيدهم كي لا ينحرفوا بعيدا عن مرضاة الله ، وجعل له خطبة تذكر بمعانيه ، وتظهر ما يجب ان يكون عليه من شكر المنعم جل شأنه والخضوع لأوامره .**

ولم يفت الاسلام وقد بنى العيد على معاني المجد والقوة ، أن ينظر إلى الجانب المادي في الانسان ، فيعطيه في يوم عيده الحق في التمتع باللهو المباح ، والغناء الحسن قضاء لحق الطبيعة البشرية ، في ترويض البدن والترويح عن النفس . وذلك من شعائر الدين التي شرعها الله في يوم العيد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « دعهما » فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فاما سألت النبي وإما قال : « تشتهين تنظرين » ؟ فقلت : نعم . فأقامني وراءه ، خدي على خده ، وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة ( يعني الحبشة ) حتى اذا مللت قال : ( حسبك )؟ قلت : نعم . قال : فاذهبي . وورد عن

عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة وأني بعثت بحنيفية سمحة » .

**والعيد في الاسلام يجدد الصلة الاجتماعية بين المسلمين ، على أقوى معاني الحب والوفاء والتعاون والاخاء ، يتراحم فيه الأقرباء ويتواصل الاصدقاء ويتناسى أصحاب الاحن والخصومات أضغانهم فيجتمعون بعد افتراق ، ويتصافحون بعد انقباض ، ويذكرون بالبذل والعطاء حق الفقراء والمساكين ، لتشمل الفرحة بالعيد كل بيت .**

والعيد يربط بين المسلمين في كل أقطار الأرض برباط فكري وروحي ، ولذلك كانت الفرحة فيه تمتزج لدى المؤمنين ، بالاهتمام البالغ بما يجري في الوطن الاسلامي الكبير من أحداث ونكبات ، وقمة الاهتمام ، هي التماسك ، والتعاون في الدفاع عن الأوطان والمعاونة الصادقة لجموع من المسلمين شتتها الظلم والطغيان ، فاذا هي في يوم العيد تشرق بالدمع ، وتكتوي بالنار ، وتفقد طعم الأمن والاستقرار .

**العيد يذكرنا بأوطاننا الجريحة التي تئن تحت أقدام الغزاة المتوحشين ، ويذكرنا بشعوبنا التي يعمل التعصب الممقوت من الالحاد والصليبية والصهيونية على إبادتها .. وتذكير العيد في هذا السبيل دعوة الى الجهاد والتضحية بالنفس والمال ، لمساندة المكافحين حتى ينتصروا على الظلم والطغيان .**

العيد الاسلامي لا يكون إلا لمن انتصر في ميدان الفضيلة ، وقد جعل الله عيد الفطر من كل عام ميقاتا لمنح جوائز الصائمين القائمين في رمضان ، وقد سماه النبي يوم الجائزة قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد امرتم بقيام الليل فقمتم ، وامرتم بصيام النهار فصمتم ، فاقبضوا جوائزكم فاذا صلوا نادي مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو يوم الجائزة » . رواه الطبراني في الكبير من رواية جابر الجعفي .

**من الواجب على المسلمين ان يحفظوا حرمة العيد من العبث ، وان يعلموا أنه يوم يذكر بالحب في الله والتعاون في رضاه ، ويجدد العزم على الكفاح في سبيل الحق ، والجهاد في سبيل الاسلام والتآخي على طريق الايمان . فانهم بذلك يفيدون من العيد الفائدة التي شرع لتحقيقها ويكونون اهلا لما منحهم الله من فضل وما من به عليهم من نعم .**

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

نظرات قرآنية

# الأمر بالمعروف

للدكتور/محمد رجب البيومي

**( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون )** آل عمران/١٠٤

أوسع المفسرون كتاب الله عز وجل شرحا وتفسيرا ، فما تركوا – على ممر العصور – آية كريمة دون أن يفيضوا في تحليلها ، وأن يذكروا كل احتمال في تأويلها ، وقد تتعدد الآراء في الآية الواحدة ، إذ يفتح الله على مفسر بغير ما يفتح به على مفسر آخر من التأويل ، ولكل دليله الناهض ، وتبريره المرجح ، وهذا من تيسير الله للذكر ، إذ هيأ من يشرحه على شتى احتمالاته ، وسبيلنا اليوم إذا أردنا أن نفسر آية كريمة أن نذكر ما قيل في شرحها من وجوه ، وأن نختار ما نميل إليه من التوجيه ، بأدلة توجب هذا الاختيار ، على الا نغفل رأي المخالف بل نذكره دون تجريح أو تشهير ، لأن طلب الحقيقة في ذاتها يدعو إلى الجدال العاقل والمناقشة بالتي هي أحسن .

وقد قرأت قريبا تفسيرا لقول الله عز وجل : **( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون )** فوجدت صاحبه ينقل أحد الرأيين في الآية ، وينسبه للامام الزمخشري ويذكر أدلته الظاهرة في تأييده ، ثم يذكر الرأي الآخر لائما منددا محقرا ، ويذكر أصحابه بالتجريح مع أنهم أئمة فضلاء ، وقد خالف الكاتب وجه الحق في موضعين : **الأول :** أنه حين نسب رأيه للزمخشري أوهم القارىء أن

صاحب الكشاف لم يذكر غيره ، مع أن الزمخشري ذكر الرأيين معا ولم يرجح أحدهما على الآخر إلا بما يستشفه صاحب الذوق الفني من خلال السطور ، وهو استشفاف ذاتي لا يعدم من يستشف سواه لانطباع آخر ، لأن العبارة غير حاسمة ، **والموضع الثاني** : أنه حين خالف رأي غيره لم يذكر دليله ثم يكر عليه بالتوهين ، بل اكتفى بالخطابية السيالة في عبارات إن جازت في خطابة العامة فلا تجوز في مجال الكتابة التحليلية ، والدرس البصير ، وهأنذا أناقش الرأي لاصاحبه ، ومن عادتي أن أغفل اسمه حين ألجأ إلى تخطئته ، كيلا يتوهم أحد أننا نقصد التخطئة لنكشف صاحبها ، مع أننا جميعا طلاب حقيقة دون نزاع !

لقد تعرض الزمخشري لقول الله عز وجل : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ) فقال رحمه الله :

( **ولتكن منكم أمة** ) **من للتبعيض** لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر ، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته ، وكيف يباشره فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ، وقد يغلظ في موضع اللين ، ويلين في موضع الغلظ ، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا ، أو على ، من الانكار عليه عبث ، كالانكار على أصحاب المآصر ، والجلادين ، وأضرابهم ، وقيل : **من للتبيين** بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ) آل عمران / ١١٠ .

هذا ما قاله الزمخشري بنصه ، فقد ذكر الرأيين معا ، ثم أتى بعد ذلك بأمثلة ورد عليها ، فدل على أنه لا يرجح أحد الرأين على الآخر ، ولكن الكاتب الفاضل قد أغفل رأيه الثاني ومضى في تجريح قائليه وكأنهم ليسوا أئمة من كبار المفسرين بل كأنهم طلبة يتخبطون مبتدئين ، مع أنهم أشبعوا رأيهم تأييدا وتدليلا وجاءوا بما يشفى صدور الباحثين ، ونستطيع أن نقدم خلاصة للباب ما قالوه في هذه النقاط .

**أولا** : قال الله تبارك وتعالى في سورة العصر : ( **والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ) سورة العصر ، فجعل التواصي بالحق وهو الأمر بالمعروف سبيل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جميعا ، ولم ينص على فريق دون فريق .

**ثانيا** : قال تعالى : ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ) فجعل الخطاب للمؤمنين جميعا ، ولم ينص على فريق دون فريق ، وانن فقد كانوا خير أمة لأنهم جميعا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

**ثالثا** : قال الله تبارك وتعالى متحدثا

عن بني إسرائيل : **( لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون )** المائدة/٧٨ و٧٩ .

فحقت عليهم اللعنة ـ وهي عقوبة شديدة حاصلها الطرد من رحمة الله والبعد عن غفرانه ، اذ كانوا يرون المنكر ذائعا شائعا ثم لا يتناهون عما يفعلون من المناكر فلعنوا على لسان داود وعلى لسان عيسى ابن مريم ، وقد روى أبو داود عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له : ياهذا ، اتق الله ، ولا تصنع الشر ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه في غد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله أو شريبه أو قعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم تلا رسول الله قول الله عز وجل : **( لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون )** وكان رسول الله متكئا فجلس ثم قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسىء ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم » .

ومع هذه الآيات وأمثالها طائفة من الأحاديث الصحيحة مثل ما روى البخاري عن النعمان بن بشر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

أ ـ « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأخذ كل واحد منهم نصيبا ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء يمرون به على الذين في أعلاها فتأذوا ، فقال الذين في أسفلها : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فأخذ أحدهم فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا : مالك قال : تأذيتم بي ، ولابد لي من الماء ، فان أخذوا على يديه ومنعوه أنجوه ، ونجوا أنفسهم ، وان تركوه هلك وهلكوا » .

ب ـ روى مسلم وغيره من أصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

جـ ـ روى أصحاب السنن عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ، وتؤولونها على خلاف تأويلها : **( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم )** المائدة/١٠٥ . واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصي ، وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

هذه ثلاث آيات ، وهذه ثلاثة أحاديث ، وللآيات والأحاديث نظائر

كثيرة يضيق المجال عن سردها وفيها مقنع أي مقنع لمن يجعلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرا عاما ، فهم ليسوا بأدعياء في العلم كما حاول الكاتب أن يصمهم في استعلاء لا داعي له .

ولنا أن نكر على ما قاله الزمخشري خاصا بالرأي المخالف فنقول :

إن قول صاحب الكشاف انه لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من علم المعروف والمنكر وكيف يرتب الأمر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ! هذا القول يدل على أننا نريد من كل مسلم أن يلي الفتوى أو القضاء أو الحسبة ! حتى نشترط هذه الاشتراطات ، ولكن المسألة لا تخرج عن الأمور العامة التي يعرفها كل مسلم ، فالحلال بين والحرام بين ، وكل مسلم يعرف أن الله أمره بواجبات عليه أداؤها ، ونهاه عن محرمات عليه اجتنابها ، هذه الواجبات المسلمة ، وتلك المحرمات المشتهرة هي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل انسان ، وإذا كان على كل مسلم أن يعلم ما أحل الله وما حرم في أمور دنياه فقد وجب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف .

ولنا أن نشير إلى ما فهمه بعض السذج من حديث « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه » حيث فهم ان الانكار القلبي لدى غير المستطيع في الحالة الثالثة هو الاكتفاء بالسكوت الظاهري ، ولكن المراد غير ذلك إذ على المنكر بقلبه ان يشيح عن مجالس العصاة ، وأن يظهر الضيق النفسي لمن يحادثونه عن مخازيهم ، فاذا أجمع الناس على مقاطعتهم ، ونظروا فوجدوا السخط الصامت ، والغضب النافر أدركوا ما وراء الصمت من استنكار ، وعلموا أن عدم الاستطاعة وحدها من الأشياء التي حالت دون المجابهة ، واذ ذاك يضطرون الى ارضاء المجتمع ، إذ لا حياة سعيدة لهم بدونه ، أما لو كان معنى الانكار القلبي مجرد الصمت مع المخالطة والمعاشرة والمهاشة والترحيب فلا قيمة اذن له ، وهذا بعض ما يفهم من قول الله عز وجل : **( وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين )** ٦٨/الانعام .

هذا لباب ما يمكن أن أوجزه في هذا النطاق ، ولعل الذين يكلفون باستعراض وجهات خاصة من شتى الجهات المختلفة في تفسير الآية الواحدة أن يعلموا أن القارئ ذو حق صريح في أن يستكمل معرفته التامة لما يطالع من المسائل ، وأنه لا يجوز أن نكتم شيئا ونظهر شيئا آخر ، وكلنا طلاب حقيقة ، فلا علينا إذا كان ما نخالفه من الرأي يجد تأييده عند غيرنا ، بل علينا أن نساعد على جلاء الحقيقة بالنظر إلى شتى الزوايا المتقابلات .

# لغة المخلوقات

للدكتور/احمد شوقي ابراهيم

اللغة وسيلة الاتصال بأى صورة من الصور بين الأفراد في مجتمعهم . ولا يحيط بعدد اللغات وأنواعها في المخلوقات كلها إلا الله تعالى ، وعلى قدر ما أوتينا من علم قليل ، وعلى حدود تصوراتنا على ضوء الحقائق العلمية الحديثة نستطيع أن نقول : إن كل نوع من المخلوقات له

لغته الخاصة .

والشفرة الوراثية ـ وهي تدخل في هذه اللغات ـ توجد داخل خلايا المخلوقات الحية جميعا .. ويطول الحديث عنها .. ويطول الشرح فيها .. ولا يهتم بذلك إلا المتخصصون .. ويكفي أن نعلم أنها نظام بالغ الدقة والاحكام بدرجة تدهش العقل الانساني .. من شأنه نقل الصفات الوراثية من جيل إلى جيل ... وبذلك يحتفظ كل نوع من الخلق بصفاته الثابتة دائما ..

فأصل النوع في المخلوقات ثابت مع تنوع في الوظيفة وتطور في الشكل الخارجي .. فلا تبديل ولا تغيير في أنواع الخلق .. ولا اختلاف ولا تفاوت في خلق الله تعالى .. مصداق قوله تعالى في سورة الملك/٣ : **( الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت )** وقوله تعالى في سورة الروم/٣٠ : **( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله )** .

وقوله تعالى في سورة فاطر/٤٣ : **( فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا )** .

وبواسطة لغة الشفرة الوراثية .. نشأ كل نوع من الخلق من أصل واحد .. ومن نفس واحدة .. تلك حقيقة جهلها علماء التطور في القرن الماضي .. وأعرضوا عنها وعارضوها .. معتمدين فيما زعموه على مشاهدات ونظريات دون أى حقيقة علمية .. ودون أى دليل علمي أكيد .. وقد خطأتهم الحقائق العلمية الحديثة في علم الوراثة ، وأكدت أن ما جاء به القرآن منذ أربعة عشر قرنا كان صدقا وحقا .. ونقرأ في سورة الانعام/٩٨ قوله تعالى :**( وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون )**

وعلى ضوء الحقائق العلمية في زمننا الحاضر نعلم أن لكل نوع من الخلق لغات خصه خالقه بها لتكون وسيلة للاتصال بأفراد مجتمعه .

ونعلم أن اللغات متعددة الأشكال والأنواع .. وهذه آية من آيات الله تعالى في خلقه .. واللغة في النوع الواحد تتنوع أيضا .. فلكل نوع من المخلوقات لغات شتى .. واختلاف الالوان واللغات في النوع الواحد آية من آيات الله في خلقه مصداق قوله تعالى في سورة الروم/٢٢ : **( ومن آياته خلق السماوات والأرض**

**واختلاف ألسنتكم وألوانكم )** .

وقد أكدت الدراسات العلمية حديثا أن لكل من الحيوانات والطيور والحشرات والأسماك وغيرها .. لغة مميزة لكل أمة من أممها .. مثل لغات البشر تماما .. فالله تعالى أنطق كل خلق من مخلوقاته كما في قوله تعالى في سورة فصلت/ ٢١ : **( وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء )** .

وتعتمد لغات المخلوقات على اختلافها .. على طرق متعددة .. فهي إما عن طريق الكلمة كما في الانسان .. أو بطريق الحركة والصوت كما في الانسان وغيره من المخلوقات .. أو على الرائحة المميزة او اللمس أو الضوء أو اللون أو على وسائل أخرى لا يعلمها إلا الخالق تبارك وتعالى .

وكثير من الطيور والحيوانات كالخيل والكلاب وغيرها تتفاهم عن طريق الصوت والحركة .. ولغة النحل هي بطريق الرقص الدائري الاهتزازي في نظام معين .. ولكل رقصة دلالة ومعنى .. وللنمل لغة تعتمد على الحركة وعلى وسائل أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى .

وكثير من الحيوانات والطيور والأسماك تصدر أصواتا ذات طبقة واحدة تتفاهم بها مع بعضها البعض .. وهي أشبه بلغة قرع الطبول عند بعض القبائل البدائية .

ولم يكن الانسان يعلم عن لغات الطير والحشرات والحيوانات شيئا إلا في العصر الحديث .. بل كان القدامى ينكرون وجودها .. ولكن القرآن ذكر هذه الحقيقة العلمية قبل أن يعرفها البشر بقرون عديدة .. وذلك على لسان سليمان في سورة النمل/ ١٦ في قوله تعالى :

**( وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء )** .

وفي سياق الحديث عن سليمان في سورة النمل/ ٢٠ يقول تبارك وتعالى :

**( وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين )** .

وعلى لسان الهدهد تقول الآية الكريمة في سورة النمل/ ٢٢ :

**( فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين )** .

أما لغة النمل فلم تعرف لنا إلا حديثا ... ولكن القرآن بين لنا هذه الحقيقة في الحديث عن سليمان في سورة النمل/ ١٨ ، ١٩ في قوله تعالى : **( قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها )** .

والجن أيضا له لغة خاصة به .. لكل أمة من أممه لغة .. مثله مثل الانسان والمخلوقات الأخرى .. ونقرأ في أول سورة الجن قوله تعالى :

**( قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشد فآمنا به )** .

ونحن لا نحيط بأنواع اللغات وأعدادها في مخلوقات الله .. وهو سبحانه وحده الذي يحيط بكل ذلك

علما .. كقوله تعالى في سورة الأعراف/٨٩ : **( وسع ربنا كل شيء علما )** .. وفي سورة طه/٩٨ يقول تعالى : **( إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما )** وفي سورة الطلاق/١٢ يقول تبارك وتعالى :

**( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ) .**

فالله وحده هو الذي يعلم لغات مخلوقاته .. فهو الذي خلقها .. فهو رب العالمين .. وقد جاء ذلك في القرآن متضمنا أن هذه اللغات في المخلوقات جميعا هي تسبيح لله سبحانه وذلك في سورة الاسراء/٤٤ في قوله تعالى : **( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) .**

وهكذا بين لنا القرآن لغات المخلوقات قبل أن تكتشفها علومنا في حدودنا الضيقة ، وبين لنا أيضا هدفها وهو التسبيح لله تعالى ..

وقد يدعى بعض العلماء أنه رأي أو سمع بعض هذه اللغات بالآلات الحديثة في بعض الحيوانات أو الحشرات أو الأسماك .. وأنه درس العديد من لغات الطيور وغيرها .. ولكن إذا سألناه هل تفهم لهذه اللغات معنى كاملا .. لقال : لا .. إنني لا افهم معنى لكل ما أرى وأسمع من هذه اللغات لذلك تقول الآية الكريمة : **( ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) .**

ولما كانت الكهارب تطوف حول النواة في الذرة كما تطوف الكواكب حول الشمس .. وكما تطوف الشموس حول المجرة .. وكما تطوف المجرات حول مركز الكون .. وكما يطوف الحجيج حول الكعبة المشرفة .. فالطواف لغة : التسبيح لله تعالى .. فالكون كله يسبح بحمد خالقه تبارك وتعالى كقوله تعالى : **( تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) .**

ولما كانت كل مادة في الكون مكونة من ذرات تنبض بالتسبيح لخالقها تعالى فالكون كله إذن في حركة دائمة في تسبيح وحمد وسجود لله عز وجل فكل حبة رمل .. وكل حصاة .. وشجرة .. وكل إنسان وحيوان وحشرة وكل جبل ونهر .. بل وكل قطرة ماء .. كلها تتجه لله تعالى سجودا وتسبيحا إنها حقيقة كبيرة استطاعت علومنا الحديثة أن تعيننا على فهمها .. وقد جاء ذكرها في القرآن في سورة الحج/١٨ في قوله تعالى :

**( ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ) .**

تلك هي اللغات في مخلوقات الله .. بينها القرآن وبين أهدافها وبين حدود علم البشر لها وفهمه المحدود لها .. وذلك قبل أن يعرف العلم البشري شيئا عن كل ذلك بقرون وقرون .

# حرص الإسلام على تكوين الشخصية الاستقلالية وحمايته لها

للاستاذ السعيد الشرباصي

يهدف الاسلام الحنيف الى إيجاد الانسان الكامل من جميع الأبعاد وفي كل الاتجاهات ، والناظر إلى الدعوة الاسلامية نظرة مجردة فاحصة يشعر بحرصها البالغ على تكوين الشخصية وتنمية الذات المستقلة قبل أن تتحمل هذه الدعوة ، وقبل أن تتلقى أصولها ومبادئها . وهي بذلك تدرك من البداية أنه لا فائدة من الانسان المتحلل ، الذي يكون تبعا لغيره ، وذيلا لسواه .

ولهذا كان أول توجيه صدر عن الوحي إلى الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — ( **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** ) العلق / ١ — ٥ .

والقراءة هي مفتاح الثقافة ، والثقافة هي ثمرة العلم ، وبالعلم والمعرفة والثقافة تتكون الشخصية الانسانية وتتحدد صفاتها ، وتتعمق أهدافها .

وبعد أن يعطي الاسلام الانسان المفتاح إلى المعرفة وهو القراءة ، يدفعه بقوة نحو العلم ويوقظ حواسه إلى النظر ، وينبه ضميره الى اليقظة ، ويحرك فكره إلى التأمل والتدبر .

ثم ينتقل به من مرحلة القراءة ومرحلة العلم ومرحلة التدبر والتأمل الى مرحلة التجرد . ولهذا يدعوه إلى التفكير البعيد عن المألوف والموروث ، ولا يجعل سبيل فكره ماضيا في طريق المحاكاة وخطة التقليد لما كان عليه الأولون أو لما تلقاه عن الآباء والأجداد ، أو لما تعارف عليه الناس وآمنوا به وألفوه وقد عاب القرآن الحكيم على الأمم السابقة ما وقعوا فيه من هذا البلاء . وأشار إلى ذلك في غير موضع . ومن ذلك قوله في حق أتباع شعيب عليه الصلاة والسلام الذين ناقشوا رسولهم على أساس نظرية متابعة الآباء فقالوا له .

( **أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** ) هود / ٨٧ كما استنكر القرآن نظرية الاستمرار التي جادل قوم هود نبيهم عليها فقالوا له :

( **وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين** ) هود / ٥٣ .

ومن العلم الأصيل ومن النظر البصير ومن التجرد الصادق تتكون الشخصية المستعدة للوصول إلى الحقيقة وللسير نحو الهدف ، لأن العلم هو القائد المرشد ، والتجرد هو الضمان للوصول ، وبدون هذه

العناصر الأساسية الثلاثة لا حقيقة ولا وصول إلى حق – وبتوجيه الاسلام للانسان إلى هذه النقاط يكون الاسلام أدى واجبه نحو حرية البحث وحرية التفكير وصدق الرؤية وصحة النتائج .

ولكننا نحني الرءوس احتراما وإجلالا لهذه الدعوة لأنها لم تقف بالانسان عند هذا الحد ، ولم تكتف بهذه المبادئ .. بل إنها لتذكره بالاستقلال الذاتي في كل اتجاه ، وتهزه في عنف وقوة ليكون شخصا قائما بنفسه لا يصدر تفكيره إلا من رأسه ولا يأتي فعله الا من عقله فلا يكون تبعا لعظيم أو لكبير أو لحقير أو لصغير ، ولا يكون إمعة لمجتمع أو لبيئة ولا لجماعة أو لحالة .. وإنما يكون جبهة مستقلة وفي ذلك يقول رسول الاسلام العظيم محمد عليه الصلاة والسلام ..

« لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تحسنوا . البخاري

ثم يمضي الاسلام في صنع الشخصية الاستقلالية للانسان فينقلها من الايجاب إلى الدفع والمقاومة فيقرر مبدأ جديدا لحماية الاستقلال الذاتي للانسان حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام – « لا طاعة لمن لم يطع الله » رواه احمد فليس لقوة في الأرض أن تفرض عليك الدخول معها في معصية ، سواء بالتعاون معها او بالمشاركة لها فيما ترتكب من انحراف عن جادة الحق وسواء السبيل ، وليس من حقك أن تضعف أمامها فتنساق لندائها أو لتهديدها أو لاغرائها فتقع فيما لا يصح أو لا يرضى عنه الله ، بل عليك بعد اتخاذ نهج مستقل لحياتك يقوم على الحق والعدل والانصاف أن تقف مدافعا عنه ، وألا تستجيب لأية قوة تحاول الاعتداء على شخصيتك وكيانك ، وقد تكون نظرة الاسلام إلى الخطأ الذي يرتكبه الأنسان رغبة أو ثورة أو انحرافا أو ضلالا أرحم وأشفق من نظرته الى الشخص الذي يرتكبه استجابة لنداء خارجي من عظيم أو كبير أو من رئيس أو قوي .

ويصل الاسلام الى قمة الاستقلال الذاتي للانسان حينما يصل إلى ساعة الاحتكام على دعوته بالذات فلا يمليها على الانسان ولا يفرضها ، وإنما يعطي الضمان العريض لحرية الانسان فيقرر الاسلام بصراحة كاملة :

( **لا إكراه في الدين** ) البقرة /٢٥٦
( **لكم دينكم ولي دين** ) الكافرون /٦ .

وإذا كان الداعون للمسيحية أو لغيرها من معتقدات مذهبية أو سياسية يلجأون إلى اتخاذ وسائل خفية لنشر ما يدعون إليه ، مثل اصطياد اليتامى وإيوائهم في الملاجئ التي ينشئونها ، أو اصطياد الاطفال الذين لا مكان لهم في المدارس ليدخلوهم إلى مدارسهم التي تنفق عليها الدول التي تساعد هؤلاء المبشرين بسخاء ، أو تلجأ إلى افتتاح

المستشفيات لاصطياد المرضى الذين لا يجدون الطعام ولا العلاج ، ثم يجدون في هذه الوسائل الطريقة الملتوية لنشر دعواتهم عن طريق الخداع والاغراء وبالخفاء أو بالسلطة والمال ، فان الاسلام لم يفعل ذلك أبدا . ولكنه دائما وفي جميع العصور كتاب منشور ، ودعوة مفتوحة وإخاء صادق مبذول يقدم للانسانية في كل مكان ، فاذا بها تتدافع نحوه مؤمنة ملبية ومستجيبة بلا تحايل وبدون إغراء أو خداع .. شاعرة بأن ما تفعله إنما تفعله عن طواعية ورضاء وقبول ، وبكامل حريتها ، واستقلال شخصيتها .

ولهذا لا يحس المسلم عندما يدخل إلى الاسلام أنه خدع أو أنه وقع تحت تأثير ، وإنما يحس أنه تقدم راغبا وأنه كسب به ولم يخسر شيئا من ذاته ولا كيانه ، بل أضاف إلى خصائصه عقيدة صافية ، وإشراقا نفسيا أصيلا ، وأخوة صادقة .

ويصل الاسلام في حماية الشخصية الانسانية إلى مستوى رفيع لا يدانيه تشريع ولا يماثله قانون . وإنه ليحرم العدوان بالفكر على الغير ، فيحرم اقتحام منزله وجميع اختصاصاته المستورة كما يحرم التشهير به ، ولهذا يحرم الاسلام الظن السيء ، ويحرم التجسس ويحرم الغيبة وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

**( يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا )** الحجرات / ١٢

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخاري .

وبذلك حمى الاسلام « السيرة الشخصية » للانسان ، فهو لا يعاقب على الجرائم المستورة التي لم يبد صاحبها صفحته للمجتمع : وقد ورد في هذا الشأن قوله عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله ، ومن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد » الموطأ . لقد أقر الاسلام من مئات السنين ـ والعالم يغمره الظلام والعدوان والجور والاستبداد ـ ما تدعيه الحضارة المعاصرة وتفاخر به مما يسمونه « بالحقوق الشخصية » للانسان ، وذلك امتداد لاستقلال الشخصية والحفاظ عليها .

وبهذه المبادئ الواضحة والأصيلة يضع الاسلام الضمانات الصحيحة والصادقة لاستقلال الذات الانسانية ، وحماية اختصاصاتها ، محققا الغاية التي يهدف إليها من تكريم الانسان وإعزازه . وصدق الله العظيم : **( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا )** الاسراء / ٧٠ . وكما كرم الاسلام الانسان وحمى شخصيته واستقلالها فقد منح العقل قدره ، وأعطاه منزلته .

# مع إنجيل برنابا

الدين كله لله ودين الله واحد ( **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب** ) الشورى/١٣

نؤمن بصحف ابراهيم ، وبالزبور الذي أنزل على داود ، وبالتوراة الذي أنزل على موسى ، وبالانجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم . ويتداول النصارى اليوم أربعة أناجيل يؤمنون بها هي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . وليس بين هذه الاناجيل جميعا الانجيل الذي نكر القرآن أنه أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام ، فهي جميعا منسوب كتابتها الى تلاميذ المسيح يروون فيها سيرته ومواعظه من مولده الى حكاية صلبه ثم رفعه ، فاذا أردنا قياسها على ما عند المسلمين فهي لا تقاس على القرآن الكريم وإنما تقاس على كتب السيرة .

هذه الأناجيل الأربعة وإن اتفقت مع القرآن الكريم في وجود الخالق وفي الأمر بمكارم الأخلاق والنهي عن المنكر ، وفي تقرير الايمان بالبعث والدينونة والجزاء وهي أصوليات جوهرية ، فقد اختلفت معه في أساسيات ذات أهمية بالغة .

للاستاذ أحمد عادل كمال

١ ـ تنص هذه الأناجيل أن المسيح عليه السلام قد صلب ، وينفي القرآن الكريم ذلك نفيا باتا بقوله : **( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم )** النساء/١٥٧ .

٢ ـ وتغفل الأناجيل التبشير بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حين ينكر القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام : **( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد )** الصف/٦

٣ ـ وتفسح الأناجيل القول بألوهية المسيح بصورة أو بأخرى مثل قولها : إنه ابن الله ، خلافا لما يؤكده القرآن في إصرار **( قل هو الله احد الله الصمد . لم يلد ولم يولد.ولم يكن له كفوا احد )** الاخلاص/ ١ ـ ٤ .

وهذه نقاط ليست قليلة الأهمية في العقيدة ، فان صلب المسيح يتصل عند المسيحيين بعقيدة الخلاص ، وهي أن المسيح بصفته الألهية قد جاء الى الارض ليتعذب بهذا الصلب فيمسح عن البشر الخطيئة الأولى الموروثة بعصيان آدم ربه في الجنة ، والقرآن الكريم يقرر أن لا تزر وازرة وزر أخرى . وإغفال البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم تسلم الى عدم إيمان النصارى برسالة الاسلام .

هذه النقاط يتفق إنجيل برنابا فيها مع عقائد المسلمين . ولكن إنجيل برنابا ـ ولذات السبب ـ غير معترف به لدى المسيحيين اليوم ومنذ أصدر البابا جلاسيوس الأول الذي اعتلى كرسي البابوية عام ٤٩٢ م أمرا بالكتب المنهى عن مطالعتها ومن بينها إنجيل برنابا ، ومنذ ذلك الامر اعتبر انجيل برنابا كتابا مصادرا لا يحل للنصاري اقتناؤه أو مطالعته .

واذا كان ذلك الانجيل شائعا في عصر جلاسيوس فلا ريب أن ذلك الشيوع بدأ يتقلص ، ولابد أن من كان عنده نسخة منه من المسيحيين المطيعين لأمر الكنيسة قد بدأوا يتخلصون منه ومن لعنة اقتنائه باحراقه أو بأي وسيلة أخرى حتى انقرض واندثر .

الى أن كان راهب لاتيني يدعى « فرامينو » مقرب الى البابا سكتس الخامس الذي عاش في أواخر القرن السادس عشر . دخل الراهب مع البابا مكتبته ، وغفا البابا بعض الوقت وأراد الراهب مرينو أن يمضي الوقت بالمطالعة في كتب المكتبة حتى يستيقظ البابا فكان أول كتاب وضع يده عليه هو نسخة باللغة الايطالية من إنجيل برنابا . كان الراهب قد اطلع سابقا على رسائل لايرينابوس منها رسالة يندد فيها بالقديس بولس

الرسول ويسند هدا التنديد الى إنجيل برنابا ، فمنذ ذلك الحين كان الراهب شغوفا بالعثور على هذا الانجيل المندثر ، فلما وجده في مكتبة البابا سكتس الخامس طار من الفرح وخبأه في ثيابه ، فلما استيقظ البابا استأذنه الراهب وانصرف بضالته المنشودة ثم راح يطالعه في نهم ، واعتنق الاسلام على الأثر .

وقد كتب الراهب فرا مرينو قصة عثوره على الانجيل هذه ودون ذلك في مقدمة النسخة الاسبانية لانجيل برنابا على ما ذكر المستشرق سايل في مقدمته لترجمة القرآن الكريم . وكان دكتور هلم من بلدة هدلي باقليم همبشير قد أقرض هذه النسخة الى المستشرق المشهور سايل ثم تناولها بعده دكتور منكهوس عضو كلية الملكة في اكسفورد فترجمها الى الانجليزية ثم سلم الأصل والترجمة معا الى د. هوايت عام ١٧٨٤ ثم اختفت بعد ذلك فلا أحد يعرف أين ذهبت . الا أن معاداة الكنيسة لهذا الانجيل قد يقوم مبررا لعودة اختفاء أي نسخة قديمة منه . وقد جاء في صفة هذه النسخة أنها قديمة الى درجة طمست آثارها ودرست رسومها . ولقد ذكر دكتور هوايت هذه النسخة واستشهد ببعض عباراتها في محاضرة ألقاها على بعض الطلبة . ويؤخذ مما علق به سايل على هذه النسخة الاسبانية أنه مدون في صدرها أنها مترجمة عن الايطالية بقلم مسلم أورغاني اسمه « مصطفى العرندي » ومصدرة بمقدمة يذكر فيها الراهب فرا مرينو قصة اكتشافه النسخة الايطالية . هذه نسخة إسبانية ظهرت ثم اختفت .

أما النسخة القديمة الوحيدة المعروفة حاليا فهي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فيينا تعتبر من أنفس الذخائر والآثار التاريخية وتقع في مائتين وخمس وعشرين صحيفة سميكة ، عثر عليها عام ١٧٠٩ كريمر تولند احد مستشاري ملك بروسيا ، كان يقيم في امستردام فأخذها من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينة ـ لم يفصح عن شخصيته ـ وكان صاحبها قد اقرضها له ، ثم أهداها عام ١٧١٣ الى البرنس « ايوجين سافوي » ثم انتقلت ضمن سائر مكتبة البرنس الى مكتبة البلاط الملكي بفيينا حيث ما زالت .

وبهامش هذه النسخة الايطالية تعليقات عربية ، يقول سيف الله احمد فاضل محقق الطبعة العربية .. بعضها صحيح العبارة محكم الوضع لعب فيه قلم الناسخ كل ملعب من مسخ وتصحيف ، والبعض الاخر سقيم التركيب من أصله لا تكاد تفقه لبعضه معنى إلا بكد الذهن ولا تفقه لبعضه معنى بالمرة ..

ولقد انتهى الخبراء الثقات الذين فحصوا النسخة أن ناسخها من أهالي البندقية في القرن السادس عشر أو أوائل السابع عشر أو حوالي عام ١٥٧٥ ، ويرجح انه أخذها عن نسخة طسكانية ، وهذا ما انتهى اليه لوندال ولوراراغ بعد أن رجعا الى أعظم الثقات الايطاليين الأخصائيين ، وأن من المحتمل أن

يكون ناسخ هذه النسخة هو الراهب فرامرينو ذاته ، ومهما كان الأمر فهي بقلم رجل له المام عجيب بالتوراة اللاتينية ضليع في الزبور ، معرفته بالاسفار المسيحية تفوق كثيراً اطلاعه على الكتب الاسلامية ، وعلى ذلك فقد رجح هؤلاء الخبراء ان ناسخها مرتد عن النصرانية .

هذا وقد زعم بعضهم ان انجيل برنابا مترجم عن اصل عربي ، قال دكتور هوايت عام ١٧٨٤ إن الأصل العربي لانجيل برنابا لا يزال موجودا في الشرق ! ومن الواضح أنه زعم أريد به التشويش على عقليات النصارى لصرفهم عن النظر في إنجيل برنابا بعين الجد . وقبل ذلك بنصف قرن قال المستشرق سايل « إن عند المسلمين إنجيلا عربياً ينسبونه الى القديس برنابا ، وفيه يروي تاريخ يسوع المسيح على أسلوب يباين كل المباينة الأناجيل الصحيحة وينطبق على التقاليد التى جرى عليها محمد في قرآنه » . وغنى عن الذكر أنه لم يعثر قط على أي نسخة عربية قديمة لانجيل برنابا ولا أشار اليه أحد قط في كتابات المسلمين السابقة . وقد دحض مرجليوث شبهة وجود أصل عربي لهذا الانجيل .

ويدلى خليل سعادة مترجم انجيل برنابا من الانجليزية الى العربية ـ ١٩٠٨ ـ بدلوه في هذه المشكلة التي بدت لهم غاية في التعقيد فيقول : الذي أذهب اليه أن الكاتب يهودي أندلسي اعتنق الدين الاسلامي بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى ، وعندي أن هذا الحل هو الأقرب الى الصواب من غيره ، لأنك إذا أعملت النظر في هذا الانجيل وجدت لكاتبه الماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد له مثيلا بين طوائف النصارى إلا في أفراد قليلين من الأخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على الدين كالمفسرين حتى ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضاً من له المام بالتوراة يقرب من المام كاتب إنجيل برنابا . والمعروف أن كثيرين من يهود الأندلس كانوا يتضلعون من العربية ولقد نبغ بينهم من كان له في الأدب والشعر القدح المعلى فيكون مثلهم في الاطلاع على القرآن والأحاديث النبوية مثل العرب أنفسهم .. ثم عاد يقول : وسواء كان كاتب الانجيل يهودي الأصل أو نصرانيه فمما لا شبهة فيه أنه كان مسلماً .. (أ.هـ)

والثقات مجمعون على أن هذه النسخة من إنجيل برنابا كتبت في القرون الوسطى .

ومن حيث أن إنجيل برنابا يتفق أكثر من أي كتاب مسيحي مع معتقدات المسلمين فان المسلم يكون ميالا بطبيعة الحال الى إثبات صحته . ومن حيث أنه في هذا يناقض الكتب المسيحية الأخرى فان المسيحي يكون ميالا بطبيعة الحال الى إثبات زيفه وعدم صحته . ومع ذلك فان كثيراً من هؤلاء الآخيرين لا يذهبون الى حد القول بافتعال شخص ما في القرون الوسطى لانجيل برنابا ، فان مصادرة البابا جلاسيوي لهذا الانجيل وقعت في القرن الخامس

الميلادي بما يعني وجود هذا الانجيل قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمن طويل ، غير أن بعض المتحمسين يذهبون الى القول ببطلان مصادرة البابا للانجيل والى القول بأنه أيضا قول مزور .

ولقد أجمع مؤرخو النصرانية أنه كانت هناك أناجيل كثيرة في القرون الأولى للمسيحية ، اصطفى رجال الكنيسة منها الأناجيل الأربعة ورفضوا ما عداها وتابعت القرون التالية سابقتها على ذلك من غير بحث وأعتبرت الأناجيل الأخرى كتبا مصادرة حتى أن الباحث لا يجد اليوم منها شيئا يمكن الرجوع اليه للاطمئنان إلا أن الكنيسة حين اختارت ما اختارت ، ورفضت ما رفضت كانت مصيبة في قرارها على نحو ما حدث عند المسلمين في عملية تصحيح الحديث .

فحين كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناقل بالرواية والاسناد دس فيه الاسرائيليون والكذابون ما شاءوا ، فوضع أئمة الحديث قواعد الجرح والتعديل واصول توثيق الحديث أو تضعيفه ، ثم راحوا يعرضون كل حديث رواية ودراية على هذه الفرازة . وبعد ذلك ما زلنا حتى يومنا هذا نجد كتب الصحاح والكتب التي جمعت الصحيح وغيره وكتب الضعيف ، بل ونجد وبكل فخر كتبا أفردت للأحاديث الموضوعة لم يصادرها أحد .. ما زالت كتب هذا التراث جميعه بين أيدينا وبوسع من شاء أن يبحث فيه وينظره مثل هذا غير قائم عند النصارى ، وإنما كتب كانت مقدسة تمت مصادرتها منذ خمسة عشر قرناً لا يدري أحد منهم اليوم ماذا كان فيها ولا لماذا صودرت . هي صورة من الحجر على الفكر فرضتها الكنيسة في عصر قديم على الأجيال المتعاقبة .

وبرنابا هو أحد الحواريين من أنصار المسيح عليه السلام ، ويذهب في مقدمته الى أن بولس قد انفرد بتعليم مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح ، وأن تعاليمه هي التي انتشرت وغلبت وسادت المعتقدات المسيحية . وتذهب دائرة المعارف الفرنسية وغيرها الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضع بولس .

ويشير الشيخ محمد رشيد رضا الى أمر يستنكره الباحثون المسيحيون في انجيل برنابا وهو تصريحه باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم على اساس استبعاد كتابته قبل الاسلام اذ أن المعهود في البشارات أن تكون بالاشارات والكنايات . الا أن ما يستنكره هؤلاء منصوص عليه صراحة في القرآن ( **ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد** )

ويجيب الشيخ رشيد بأنه من الجائز أن ذكر اسم « **محمد** » ترجمة وأنه ربما جاء في الأصل المترجم عنه بلفظ يفيد معناه ، وأن مثل هذا التساهل في الترجمة معهود عند المسيحيين . ولقد جاء ذكر لفظ « **محمد** » في الترجمة العربية أو صفة « رسول الله » مرات عديدة قد تصل الى خمس عشرة مرة .

وأكثر محتويات كتاب برنابا ينطبق

على الأناجيل الأربعة وبعضها يطابق بعضها بالنص . واسلوبه هو بلا ريب أسلوب الأناجيل الأخرى . وهو كتاب شيق ممتع أبلغ في الموعظة ـ من وجهة نظرنا ـ من الأناجيل الأخرى وهو عالي المواعظ والحكم والآداب والتعاليم ، وكثير من فقراته يكاد يكون ترجمة لآيات قرآنية أو احاديث نبوية . وهو يبدأ سطوره بكفر من قال إن المسيح ابن الله والرافضين الختان . ثم يبدأ فصله الأول ببشرى جبريل الى العذراء مريم بولادة المسيح ثم يستطرد قاصا تاريخ المسيح وعزم هيرودوس الحاكم الروماني في فلسطين قتل جميع المواليد وهروب يوسف ومريم بالمسيح الى مصر حتى مات هيرودس فعاد الى اليهودية ليحاج أحبار اليهود وهو ابن اثنتى عشرة سنة ويتلقى الانجيل على جبل الزيتون . ويستمر فيروي مواعظ غاية في الحكمة والبلاغة تهز النفوس هزا ، ويأمر بالزهد ، وينهى عن الاقبال على الدنيا ، وأن كل ما يحبه الانسان ويترك لأجله كل شيء سواه فهو إلهه ، وهكذا فان صنم الزاني هو الزانية وصنم الطماع الفضة والذهب وأن الشرك أعظم خطيئة ، وأن ماء البحر كله لا يغسل من يحب الآثام بقلبه .

وانجيل برنابا يؤكد على سنة الختان فهو يقرر أن ختان المسيح حدث بعد أن تم ثمانية أيام ، ويقرر نجاسة غير أهل الختان ، وأن الكلب أفضل من رجل غير مختون ، وأن الله أمر ابراهيم بالختان ، وأن أول ختان فعله آدم وحافظ عليه في أولاده .

ويتحدث الكتاب كثيرا عن معجزات المسيح مثل إبراء البرص وإحياء الموتى باذن الله وتحويل الماء الى خمر وتهدئة البحر الهائج . ويؤكد بصورة قاطعة بشرية المسيح « ليكن ملعونا كل من يدرج في اقوالي أني ابن الله » « إني برىء من كل ما قد قلتم لأني إنسان مولود من إمرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر » .

أما حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن مثل قوله « سيأتي بعد بهاء كل الأنبياء الأطهار فيشرق نوراً » « جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي لأن الله يريد ذلك حتى أهيىء طريقه » . قالوا له : لماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأناً من مسيا ؟ قال المسيح « لست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه لأني لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية » .. « .... فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه وسيأتي بقوة على الظالمين ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان لأنه هكذا وعد الله ابراهيم .. صدقوني لأني أقول لكم الحق ، إن العهد صنع باسماعيل لا باسحق » « ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه الى العالم ، صدقوني اني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل

نبي .. ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا : يا محمد ليكن الله معك ، وليجعلني أهلا أن أحل سير حذائك » . « فاني قد أتيت لأهيىء الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم ولكن احذروا أن تغشوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون ، يأخذون كلامي ، وينجسون إنجيلي .. إنه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء ، يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم . وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبيد عبادة الأصنام من العالم .. » « .. الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام ، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ، وسيأتي برحمة الله خلاص الذين يؤمنون به ، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا » .

اجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي الى العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب : « إنه محمد رسول الله ، ومتى جاء الى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمرا بعد انقطاع المطر زمناً طويلا ، فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله وهي رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث » .

وأخيرا يحكي إنجيل برنابا رفع المسيح دون أن يصلب فيقول : فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله الى الأبد .. ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التي أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما فأتى اليه بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيها بيسوع ، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن ايقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا ، أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الاسخريوطي ! وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه .. فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه لأنه أنكر – وهو صادق – انه هو يسوع .

**إن هذا الكتاب جدير بالبحث والتدقيق والتحري ، ولا نعلم جهة من هيئات البحث العلمي عند المسلمين قد عنيت بالاطلاع على النسخة الأصل الوحيدة المحفوظة في مكتبة بلاط فيينا وفحصها وتصويرها وترجمتها الى العربية مباشرة . إننا ندعو هيئاتنا الى القيام بهذا الجهد المتواضع . أين جهد المسلمين تجاه كتاب له هذه الأهمية لتبين وجه الحق والصواب بشأنه . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .**

# الشريعة الاسلامية والتطور

للأستاذ / ابراهيم النعمة

نصوص القرآن الحكيم ومتواتر السنة قطعية الثبوت لا شك في ذلك ، لكن هذه النصوص بعضها ظني الدلالة فيختلف فيه الفقهاء في استنباط الأحكام منها ، مراعين في ذلك روح الشريعة وأساليب اللغة والمنطق السليم . وهذا الاختلاف في فهم النصوص يؤدي إلى نتائج متعددة تبعا لتعدد أساليب كل واحد من الفقهاء ، وتغير الظروف الاجتماعية ، وتطور المقاييس الفكرية ، ويكون لكل رأي من هذه الآراء وجاهته ومكانته ، يختار كل شعب أو جماعة ما يصلح لها منها !

وإذا نظرنا إلى الأحكام العملية ـ غير العبادات وما في حكمها ـ وجدنا أن الشارع الحكيم لم يتعرض لها في القرآن ولا في السنة بالتفصيل ، بل رسم خطوطا عريضة لها ، لأن هذه الأحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فيأخذ كل مجتمع ما يلائمه مع ملاحظة الاطار العام لتلك الأحكام وعدم الخروج عليها . فمبدأ الشورى في الاسلام يؤدي إلى تعدد الآراء بعد التداول ، وهذه الآراء مختلفة لاختلاف عقول الناس ، وهذا التعدد في الرأي يؤدي الى المرونة في التشريع ، ذلك أن الأمة تأخذ في كل عصر ما يناسبها من آراء فقد « اكتفت الشريعة بتقرير الشورى كمبدأ عام ، وتركت لأولياء الأمور أن يضعوا القواعد اللازمة لتنفيذه ، تبعا لاختلاف الأمكنة والجماعات والأوقات فمبدأ الشورى مقرر بنصين ظاهر منهما انهما عامان مرنان إلى آخر حدود العموم والمرونة ، بحيث لا يمكن أن يحتاج الأمر إلى تعديلهما أو تبديلهما »

وهذا المبدأ ـ مبدأ الشورى ـ الذي جاء به الاسلام عندمبعث سيدنا محمد رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لم يعرفه العالم الغربي الا بعد فترة طويلة ، فقد عرف القانون الانكليزي هذا المبدأ في القرن السابع

عشر ، وقانون الولايات المتحدة الاميركية بعد منتصف القرن الثامن عشر ، وأحكام الاجارات ـ مثلا ـ قد افرد لها القانون العراقي مائة وعشرين مادة عدا التعديلات الأخيرة . أما القرآن فلم يذكر من أحكامها الا ثلاثة :

الأول : الاباحة : ( **وإن اردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف** ) البقرة/٢٣٣ .

الثاني : ايجاب الأجرة : ( **فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف** ) الطلاق/٦ .

الثالث : إباحة أن يكون عمل الأجير مهر زواجه : ( **إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج** ) القصص/ ٢٧ .

وهكذا بقية الأحكام في القانون الدستوري والعقوبات والاقتصاد .. الخ وفوق ذلك فان « النصوص التشريعية التي وردت ، في القرآن ليست دلالتها مقصورة على الأحكام التي تفهم من ألفاظها وعباراتها ، بل يستدل بها ـ أيضا ـ على أحكام تفهم من روحها ومعقولها ، لذا قسمت دلالة النص الى دلالة بمنطوقه ، ودلالة بمفهومه .

وقسمت دلالته بمنطوقه إلى دلالة عبارته ، ودلالة إشارته . وقسمت دلالته بمفهومه الى دلالته على حكم المفهوم الموافق ، ودلالته على حكم المفهوم المخالف .

وبهذه الطرق المتعددة من طرق دلالة النصوص توصل المجتهدون من النص الواحد إلى عدة أحكام ، فنراهم يقررون : أن عبارة النص يؤخذ منها كذا ، وإشارته يؤخذ منها كذا ، ومفهومه الموافق حكمه كذا ، ومفهومه المخالف حكمه كذا ، وفي المآل يكون النص هو ينبوع هذه الأحكام ، وهو دال عليها وحجة فيها .

وهكذا وجد المجتهدون في تنوع طرق دلالة النصوص نوافذ إلى التشريع في كثير من الوقائع . وهذا بلا ريب ناحية من نواحي خصوبة النصوص ومرونتها .

أما النصوص القطعية الثبوت والدلالة التي لا تختلف فيها الأفهام ولا تتعدد الآراء ، فانها قليلة جدا إذا قيست بالنصوص الأخرى التي يأخذ منها المسلمون في كل العصور والأمكنة ما يلائمهم !

وكل من يلقي نظرة فاحصة على الفقه الاسلامي ، يتبين له أن قبول شريعة الاسلام للتطور أمر ظاهر . يتجلى ذلك في مرونة مصادر التشريع الاسلامي كلها ، كالكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والعرف .

### ١ ـ القرآن الكريم *

القرآن هو الأصل الأول في التشريع الاسلامي ، وقد جاءت أحكامه الدستورية ومعاملاته المدنية مجملة من غير أن تفصل الكيفيات الا قليلا . وهذا الاجمال قد فصله الفقهاء ،

وتعددت آراؤهم فيه ، نظرا لاختلاف البيئات والأزمان واختــلاف المدارك والأفهام تطبيقا في حدود النص !
وهكذا يحقــق الاتســاع في فهــم النصوص فائدة عظمى ليأخــذ كل مجتمــع ما يوافقــه وتتحقـــق به مصلحته .. فالقرآن الحكيم نص على الشورى من غير أن يعين شكلا خاصا لها ، سواء أكان نظاما جمهوريا ، أم نظام خلافة ، أم غير ذلك شرط أن يجتنب فيه الاستبداد !

### ٢ ــ السنة :

السنة هي ما نقل عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة وهي التي تبين مجمل القرآن ، وتوضح مشكله ، وتقيــد مطلقه ، وتؤسس أحكاما جديدة فهي تلي الكتاب في مصادر التشريع ، وهي ضرورية جدا لفهم القرآن !

### ٣ ــ الاجماع :

وبالاجماع تحل القضايا المستجدة ، وتعطي لها الأحكام ، ويدرك المتأمل في الاجماع أنه من أخصب مصادر التشريع ، لأنه يفي بحاجة الأمة في كل زمان ومكان .
يقــول الدكتــور عبدالــرزاق السنهوري :
« إن هناك مصدرا معترفا به من مصادر الشريعة هو الاجماع لم تدرك حتى اليــوم خصوبــة ومقــدار ما يستطيع أن يواتي به هذه الشريعة من عوامل التطوير والاجماع ــ كمصدر للفقه الاسلامي ــ كان في أول أمره مقصورا على عرف اهل المدينة ، ثم تطورت فكرة الاجماع فجاوزت هذا النطاق الضيق إلى ما أجمع عليــه الفقهاء في عصور الصحابة والتابعين وتابعيهــم ، ثم اتسعــت الفــكرة فأصبحت هي إجماع الفقهاء في أي عصر وفي أي بلد ..» .
ولم يكن المقصود بالاجماع إجماع علماء المسلمين ــ كلهم ــ فان الأمر لو كان كذلك لاستشار كل واحد من الخلفاء أو غيرهــم جميــع علمــاء الصحابة والتابعين ، ولم يقع شيء من ذلك ، فقد كان سيدنــا عمــر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يقول حين تعرض له قضية من القضايا لم يجد لها حكما في كتاب الله ولا في سنة رسوله : ادعوا لي زيدا وعليا !

### ٤ ــ القياس :

وهو باب واسع جدا من أبــواب شريعتنا الخالدة ، وقد اعطى حلولا لما يستجد من أحداث اكثر مما أعطته المصادر الأخرى اذ هو ميدان البحث الفسيح في مصالح الناس .
على أن تلك الأحكام التــي ثبتــت بالقياس تصبح بعد ذلك أصــولا يصح أن يقاس عليها غيرها ممــا يشابهها في العلل ، وهكذا إلى ما لا نهاية !

### ٥ ــ الاستحسان :

وهــو العــدول بالمسألــة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضي هذا العدول ، ذلك أن بعض الأقيسة قد تفوت على الناس بعض

المصالح ، فيأتي الأصولي ويحقق ما يرى فيه المصلحة ، ولو كانت لا تتفق مع ما يقتضيه القياس أو القاعدة العامة ، وذلك كالسلم ، إذ المعقود عليه معدوم ، ولكن أجيز ذلك لحاجة الناس إليه ، وقد كان القياس الجلي على عدم جوازه ، وكذلك توريث الزوجة التي طلقها زوجها في مرض موته . وهذا خلاف القاعدة الكلية التي تقضي بأن انقطاع الصلة بين المتوفى والوارث قبل الوفاة يمنع الميراث .

**٦ ــ المصالح المرسلة :**

وهي كل مصلحة لم يرد من نصوص التشريع ما يدل على اعتبارها أو إلغائها ، لكنها توافق روح الشريعة العام : كوضع سيدنا عمر لنظام الخراج ونظام الدواوين ، وكالحجر على المصابين بالأمراض المعدية ومنعهم من ملامسة الناس ، يقول ابن قيم الجوزية :

« فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أتم دلالة وأصدقها » .

ومن الأمثلة التي يوردها الأصوليون في المصالح المرسلة أن بيت المال لوخلا عما يسد حاجة المسلمين ، فان للامام أن يأخذ من أموال الاغنياء ما يسد بها حاجة المسلمين إلى أن تأتي الأموال الى بيت مال المسلمين ويكون فيها ما يكفيهم ، ولا تستقرض الدولة من الأغنياء إلا إذا كانت لها أموال أو حاصلات سوف تأتيها .

على أن بعض الفقهاء مثل الامام نجم الدين الطوخي ذهب الى اكثر من ذلك حين قرر أن المصلحة إذا تعارضت مع النص والاجماع وجب تقديم رعاية المصلحة بطريق التخصيص والبيان ، وهذا أبلغ وأوسع من المصالح المرسلة التي قال بها الامام مالك ــ رضي الله عنه ــ .

**٧ ــ سد الذرائع :**

مؤدى هذا المصدر أن وسيلة المحرم محرمة ، والأصل في اعتبارها هو النظر إلى ما سيؤول اليه الفعل في النهاية ، فان كانت مصلحة كانت مطلوبة ، وإن كانت ستؤول الى مفسدة صارت محرمة !

ومن أمثلة سد الذرائع عدم قتل الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لعبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق كيلا يقول الناس : إن محمدا يقتل أصحابه !

وكذلك النهي عن قطع الأيدي في الغزو كي لا يفر المحدود إلى الأعداء ، وعدم قبول المقرض الهدية من المدين لئلا يؤخر الدين بسبب الهدية !

**٨ ـ العرف :**

من الثابت ان القانون هو ثمرة العرف ، ففي كل مجتمع يدرج الناس على أعراف ثم تستقر ، ويصبح الناس ملزمين في الأخذ بها ، وعند تشريع نظام للحكم تصبح هذه العادات نواة لقانون يتطور مع الزمن ثم ينضج .

فالعرف إذن هو ما ألفه الناس وساروا عليه في حياتهم ، سواء كان فعلا أم قولا دون أن يصادم نصا ! وذلك كالبيع بالتعاطي من غير صيغة لفظية وكتقسيم المهر الى معجل ومؤجل . ويعتبر العرف مصدرا خصبا من مصادر التشريع الاسلامي !

وتزيد أهمية العرف إذا علمنا ان الفقهاء خصصوا العموم به ، وأنه يخصص الحديث ، وأن القياس يترك من أجله ، فمن باب اولى تترك أقوال الفقهاء من أجله ، لأن العرف قد يختلف اختلافا كثيرا أو قليلا عما كان في عصر الأئمة الأربعة الى عصرنا هذا ، قال ابن عابدين في رسالة ( نشر العرف ) :

« إن كثيرا من الاحكام يبنيها المجتهد على ما كان في زمانه فتختلف باختلاف الزمان لتغير عرف اهله أو لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه للزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ، ودفع الضرر والفساد ، لأجل بقاء النظام على أحسن إحكام . ولهذا نرى فقهاء المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة ، بناها على ما كان في زمنه لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذا من قواعد مذهبه » .

وهذه هي الحقيقة عينها ، فان المجتهدين ـ رضي الله عنهم ـ اجتهدوا في زمنهم وفي بيئتهم التي عاشوا فيها ، فوضعوا حلولا لما استجد من حوادث في تلك المجتمعات ، ولو عاش هؤلاء الفقهاء انفسهم في قرننا العشرين لغيروا وبدلوا في بعض تلك الاجتهادات التي افرغوا وسعهم فيها ـ في غير العبادات ـ كالشؤون الادارية والجنائية والدولية !

فليس في مجتمعات الدنيا قضايا تستجد الا ولها أحكام في الشريعة الاسلامية تحتاج الى الفقهاء الأكفاء الذين يحسنون استنباط أحكام منها ، وتكييف تلك الاحكام وفق شريعة الله رب العالمين !

يقول الاستاذان عبدالرزاق السنهوري ، وحشمت ابو ستيت في كتابهما ( أصول القانون ) :

«إن النصوص التشريعية قد حوت كل القواعد القانونية ولم تفرط فيها من شيء فليس أمام الفقيه إلا أن يستعرض هذه النصوص ويفسرها نصا نصا .. فاذا أعجزه استخلاص قاعدة منها ، فليس الذنب في هذا على التشريع ، فانه حتما يتضمن كل القواعد القانونية ، وإنما العيب عيب الفقيه الذي لم يوفق إلى استخلاص القاعدة من النصوص » .

# الأزهر يضع أول مشروع

## الشيخ عبدالحليم محمود يختتم حياته بمراجعته واجراء تعديلات عليه

## طرح المشروع للمناقشة أمام مؤتمر علماء المسلمين القادم

## « الوعي الاسلامي » تنفرد بنشر بعض مواد المشروع :ـ

للاستاذ/محمد نعيم عكاشة

# دستور اسلامي في العالم

مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فرغ من إعداد وصياغة مشروع أول دستور اسلامى في العالم ، وذلك تنفيذا لتوصية علماء المسلمين في مؤتمر المجمع السابق .. المشروع الجديد يتضمن ١٤٢ مادة مستمدة من مختلف المذاهب والآراء الفقهية ، ويغطى كافة النواحى الدينية والاجتماعية والتشريعية والاقتصادية بجانب مجانسته للنظم المعمول بها في كل دولة ، هذا وقد تقرر طرح المشروع للمناقشة أمام مؤتمر علماء المسلمين التاسع المزمع عقده بالقاهرة في ديسمبر القادم ، لابداء الرأى فيه واقراره في صورته النهائية ، على ان يوضع بعد ذلك تحت تصرف الدول الاسلامية التى ترغب العمل بمقتضاه ..

وقد شاءت ارادة الله وقدره ان يراجع الشيخ عبدالحليم محمود ، قبل مماته مواد الدستور واجراء بعض التعديلات الجوهرية عليه ومنها على سبيل المثال : التأكيد على طلب العلم باعتباره فريضة ، والتعليم واجب الدولة وفقا للقانون ، والتربية الدينية منهج اساسى في جميع مراحل التعليم ، والاهتمام بكيان الأسرة وتنشئة افرادها على القيم والاخلاق ، وكفالة الدولة في حماية الأمومة ورعاية الطفولة وتهيئة الوسائل المحققة لذلك ..

وأجاز المشروع في بابه الأول تعدد الدول في الامة الاسلامية وتنوع أشكال الحكم فيها ، وكذلك اتحاد دولة مع دولة اخرى او اكثر في الشكل الذى يتفق عليه .. وفي الأصل فالمسلمون أمة واحدة ..

وتنفرد « الوعى الاسلامى » بتقديم بعض مواد هذا المشروع في لمحات سريعة ..

○ **فبالنسبة لأسس المجتمع**

**الاسلامى ..** نص المشروع على ان التعاون والتكافل أساس المجتمع ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض ويأثم من يقصر فيه مع القدرة عليه .. وان حماية الاسرة واجب الدولة بالتشجيع على الزواج وتيسير أسبابه المادية بالاسكان والمعونات الممكنة وتكريم الحياة الزوجية وتهيئة الوسائل الموجبة للارتباط الأسرى .. والعناية بسلامة الأمة وصحة الافراد .. وتوفير الخدمات الطبية المجانية للمواطنين من وقائية وعلاجية وخلافه ..

كما فرض المشروع التزام الدولة بتعليم المسلمين الفرائض والسيرة النبوية وحفظ القرآن الكريم في سنوات التعليم المدرسى ، وانشاء معاهد خاصة بالقرآن لتحفيظه للعامة ، واعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية والتاريخ الهجرى واجب ذكره في المكاتبات الرسمية .. وحظر التبرج واصدار القرارات لصيانة الشعور العام من الابتذال وفقا لأحكام التربية الاسلامية .. والولاية العامة منوطة بمصلحة الرعية وخاصة حماية الدين والعقل والنفس والمال والعرض ..

○ **وبالنسبة للاقتصاد الاسلامى ..** نص المشروع على ان يقوم الاقتصاد على مبادئ الشريعة الاسلامية بما يكفل الكرامة الانسانية والعدالة الاجتماعية ويوجب السعى في الحياة بالفكر والعمل وتحرى الكسب الحلال ، وحرية التجارة والصناعة والزراعة مكفولة في حدود الشريعة الاسلامية ، ومقاومة الاحتكار وعدم تدخل الدولة في الاسعار الا لضرورة .. وتشجيع الدولة على تعمير الصحراء وتوسيع رقعة الأرض المنزرعة ، وتحريم التعامل بالربا اخذا وعطاء .. وجواز الوقف على الخيرات بموجب قانون بنظمه من جميع النواحى .

○ **وبالنسبة للحقوق والحريات الفردية ..** نص المشروع على ان العدل والمساواة أساس الحكم وحقوق الدفاع والتقاضى مكفولة ، ولا يجوز المساس بها ويتعين اقامة مدافع عن كل متهم في جرائم الحدود وفي القتل .. وللمساكن والمراسلات والخصوصيات حرمة ، والتجسس محظور ، ويحدد القانون ما يرد على هذه الحرمة من قيود تمارسها الدولة في جرائم الخيانة العظمى أو الخطر الداهم ولا تكون تلك الممارسة الا باذن قضائى .. وحق التنقل داخل البلاد وخارجها مباح ولا يمنع من السفر الى الخارج الا بحكم قضائى تبين اسبابه ، ولا يجوز نفى المواطنين ولا الزامهم البقاء في مكان دون آخر ، وتعذيب الاشخاص جريمة .. ولا تسقط الجريمة أو العقوبة طول حياة من يرتكبها ، ويلتزم فاعلها أو الشريك فيها بالمسئولية عنها في ماله ، فان كان بمساعدة موظف او بموافقته او بالسكوت عنها فهو شريك في الجريمة جنائيا ومسئول مدنيا وتسأل معه الحكومة بالتضامن .

وحق العمل والكسب والتملك مكفول ولا يجوز المساس به الا بمقتضى أحكام الشريعة الاسلامية — كما للمرأة حق العمل في حدود تلك الشريعة .. وتكفل الدولة حرية الملك وحقوق الملكية وحرمتها ولا تجوز المصادرة العامة بأية اداة كانت أما المصادرة الخاصة فلا تكون الا بحكم قضائى ، ولا تنزع ملكية احد الا للمصلحة العامة ومقابل تعويض كامل وفقا لاحكام القانون المنظم لذلك .. وانشاء الصحف مباح والصحافة حرة في حدود احكام الشريعة الاسلامية .. كما ان ممارسة الحقوق تكون وفقا لمقاصد الشريعة .

○ **وفصل الباب الخامس من المشروع حدود الامام وواجباته ، وهى في ايجاز :**
يكون للدولة إمام وتجب الطاعة له وان خولف في الرأى .. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا للامام في أمر مقطوع بمخالفته للشريعة .. وتتم البيعة العامة للامام تحت اشراف القضاء وتكون بالاغلبية المطلوبة لاصوات المشتركين في البيعة .. ويشترط للمرشح لرئاسة الدولة : الاسلام والذكورة والبلوغ والعقل والصلاح والعلم بأحكام الشريعة الاسلامية .. والامام قدوة للرعية في العدل والاحسان والعمل الصالح وهو يشارك غيره من أئمة المسلمين كل ما يهم الجماعة الاسلامية ، وله الحق في العفو عن الجرائم فيما عدا الحدود والخيانة العظمى ..

○ **وبالنسبة للقضاء ..** نص المشروع على ان يحكم القضاة بالعدل وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية ، وبالسواء بين الناس ولا يجوز تمييز احد او فئة وتكفل الدولة استقلال القضاء والمساس باستقلاله جريمة ، ويشترط في جرائم الحدود ان يحضر المتهم المحاكمة او يختار عنه محاميا فان لم يفعل تعينه الدولة له .. وتوقيع عقوبات الحدود الشرعية في جرائم الزنا والقذف والسرقة والحرابة وشرب الخمر والردة .. وانشاء محكمة دستورية عليا تختص بالفصل في مدى مطابقة القوانين واللوائح لأحكام الشريعة الاسلامية واحكام هذا الدستور ويحدد القانون اختصاصاتها الاخرى .

وكذلك انشاء ديوان للمظالم يحدد القانون تشكيله واختصاصاته ومرتبات اعضائه .

○ **وبالنسبة للمجلس النيابى ..** ينص المشروع على ان يتولى سن القوانين ويقر السياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والميزانية العامة للدولة ، كما يمارس الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية وذلك كله بما يتفق مع أحكام الشريعة الاسلامية ..
ويقسم عضو المجلس النيابى امام المجلس قبل ان يباشر عمله هذا اليمين :ـ

« أقسم بالله العظيم على طاعة الله ورسوله وان احافظ مخلصا على سلامة الوطن وترابه وعلى النظام الدستورى وان أرعى مصالح الأمة واحترم الدستور والقانون وان أنصر احكام الشريعة الاسلامية وذلك كله في صدق وشرف وايمان »..

ولا يجوز لعضو المجلس النيابى أثناء مدة عضويته ان يشترى أو يستأجر شيئا من أموال الدولة أو يؤجرها أو يبيعها شيئا من أمواله أو أن يقايضها عليه ، أو أن يبرم مع الدولة عقدا بوصفه ملتزما أو موردا او مقاولا .

وانشاء الضرائب العامة وتعديلها أو الغائها لا يكون الا بقانون ، ولا يعفى أحد من أدائها الا في الاحوال المبينة بالقانون ، وينظم القانون القواعد الاساسية لجباية الاموال العامة واجراءات صرفها ..

○ **وبالنسبة للحكومة ..** نص المشروع على ان الحكومة هى الهيئة التنفيذية والادارية العليا للدولة وتتكون الحكومة من رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم . ويشرف رئيس مجلس الوزراء على أعمال الحكومة .. والوزير هو الرئيس الادارى الاعلى لوزارته ويتولى رسم سياسة الوزارة في حدود السياسة العامة للدولة ويقوم بتنفيذها .. ولا يجوز للوزير اثناء توليه منصبه ان يزاول مهنة حرة او عملا تجاريا أو ماليا أو صناعيا أو أن يشترى أو يستأجر شيئا من أموال الدولة او أن يؤجرها أو يبيعها شيئا من أمواله أو أن يقايضها عليه .. وان يوقف كل من يتهم من الوزراء عن عمله حتى يفصل في أمره بالمحاكمة .

○ **وبالنسبة للاحكام الانتقالية ..** أجاز المشروع ما سبق صدوره من أحكام في ظل القوانين واللوائح القديمة كما أجاز الالغاء أو التعديل وفقا للقواعد والاجراءات المقررة في هذا الدستور .. وحدد المشروع العمل بالدستور من تاريخ اعلان موافقة الأمة عليه في استفتاء عام .

○ **المشروع ثمرة جهود مضنية .. ودعاء الى الله**

إن مشروع الدستور الجديد كان ثمرة جهود مضنية استمرت عاما كاملا وساهم الدكتور عبدالحليم محمود ، بنفسه في وضع لمساته الأخيرة .. وهكذا اختتم الشيخ الجليل حياته بانجاز أكبر عمل اسلامى ظل يراود الكثيرين أمدا طويلا ، ولكن بعزيمة الشيخ وبفضل لجان مجمع البحوث الاسلامية العلمية والفقهية تم اعداد المشروع .. وكان آخر أمنيات الشيخ في حياته الخروج بالمشروع الى حيث النور والمطارحة بالرأى .. رحم الله الدكتور عبدالحليم رحمة واسعة .. ودعاؤنا الى الله ان يقيض للأزهر الشريف شيخا جديدا يكون خير خلف لخير سلف ، فيكمل ما بدأه الشيخ عبدالحليم ويحقق ما كان يرجوه للأزهر من نهضة وتقدم وازدهار .

# الاسلام دعوة دين وعلم

# إقامة الصلاة

للأستاذ عبدالرزاق نوفل

حرص الاسلام عند دعوة أهله الى الصلاة أن يستخدم لها نصا التزم به ولم يغيره .. واستمر عليه ولم يبدله .. ذلك هو إقامة الصلاة .. فعندما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقد قال له بنص ما جاء في القرآن الكريم :

**( أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا )** الاسراء /٧٨

ولما طالبه بدعوة عباده للصلاة فقد قال له بالنص الشريف :

**( قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال )** ابراهيم / ٣١ .

ولما ذكر القرآن الكريم الذين استجابوا لربهم فاستحقوا الأجر والثواب ذكرهم بأنهم الذين أقاموا الصلاة في مثل النص الكريم :

**( الذين يقيمون الصلاة ويؤتون**

**الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون )** لقمان / ٤

بل علمنا أن خير ما ندعو به هو ان نكون ممن يقيمون الصلاة فقد كانت هذه من أدعية سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم إذ تقول فيها آيات القرآن الكريم وعنها :

**( رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء )** ابراهيم / ٤٠ .

وهكذا في مختلف الآيات القرآنية التي تدعو الناس للصلاة .. نجد النص على إقامة الصلاة وعندما تحدث آخر النبيين وخاتم المرسلين سيدنا محمد ابن عبدالله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والمسلمين فقد قال :

« بني الاسلام على خمس ..
شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .
وإقام الصلاة ..
وايتاء الزكاة ..
وحج البيت ..
وصوم رمضان » رواه احمد والبيهقي والترمذي والنسائي .

وذلك ليقرر أن الصلاة هي الركن الثاني للاسلام أو هي الركن الأول بعد شهادة الحق والعدل والصدق ، فلقد اورد لها النص واللفظ الذي ذكره القرآن الكريم وهو اقام الصلاة .. ولم يقل الصلاة فقط .. وهذه ظاهريا قد تكفي أو اداء الصلاة وهذه لفظيا قد تعني المراد اذا لا شك أنه أمر مقصود .. ولهدف منشود — أن يحرص الاسلام بمصدريه القرآن والسنة على ذكر الصلاة بهذا النص وهذا اللفظ حتى يتحقق منها وفيها ما تهدف اليه الاقامة .. واذا كان ذلك انما يشير ضمنا الى وجود وحدانية المصدر .. الذي أنزل القرآن العظيم .. وأرسل الرسول الكريم — لا اله إلا الله الواحد الاحد .. وبذلك فقد وجب على كل مسلم من الخاصة وغيرهم .. من العلماء والفقهاء ومن هم دونهم .. بل من العامة والكافة .. ان يتفكروا في حالهم ويتدبروا في امرهم .. ويتأملوا كيف هي صلاتهم هل يقيمونها حقا .. وصدقا .. قولا .. وعملا .. وحتى يهتدي الانسان الى ذلك ، لا بد له أولا .. ان يعرف ما هي الاقامة .. ووسائل الحرص عليها .. واغراضها والطريق اليها ..

إن الصلاة هي الصلة بين العبد وربه .. فيها يقف الانسان بين يدي ربه يمجده ويستغفره ويدعوه ويستنصره فهي عملية ايجابية وحركة سلوكية يتجه بها الانسان الى الله يناجيه ويتحدث اليه .. والله دائما معه يراه ويسمع له .. فلا بد إذن ان يحس الانسان احساسا قويا وعميقا أن الصلة قد قامت فعلا بينه وبين ربه وبقيام هذه الصلة فقد شعر وأيقن أنه في رحمته وبين يدي حضرته فيمتلىء قلبه بكل الخضوع وعندها يؤدي حركات الصلاة .. من ركوعه وسجوده .. وقيامه وقعوده .. بكل الخشوع فيصبح بذلك من المؤمنين المفلحين .. الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى :

**( قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون )** المؤمنون /١و٢ .

وهكذا لا بد للعبد من إقامة الصلة بينه وبين ربه .. حتى يقيم الصلاة .. فلا يقف لها إلا إذا استشعر إقامتها .. ورحم الله اسلافنا من الصالحين .. حينما كانت تتغير ملامحهم .. وتتبدل أحوالهم .. إذا ما قاموا للاستعداد للصلاة .. فقد روى أن سيدنا سعد بن أبي وقاص الاسمر اللون .. القوي البنية .. مفتول العضلات .. حاد الصوت وقائد المعارك وبطل الغزوات كان اذا قام للوضوء .. اصفر لونه واضطرب حاله .. فسأله بعضهم يوماعما يعتريه .. فقال الا تدرون لمن استعد للمقابلة ـ وبذلك فان اقامة الصلاة لا بد لها من قيام صلة بين العبد وربه .. فيها وبها وعليها يؤدي صلاته .. وإقامة الصلاة كذلك .. تستهدف تحقيق ما تهدف اليه الصلاة .. فمتى تحقق للمصلي الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه اهداف الصلاة فقد اقامها .. وما أكثر ما تحققه الصلاة لهم ان الله جل شأنه يتولى امرهم ويوجه الذين آمنوا لذلك فيكونون عونا لهم .. وهؤلاء هم حزب الله .. وان حزب الله هم الغالبون . اليس الله سبحانه وتعالى هو القائل :

**( إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون )** المائدة /٥٥ , ٥٦ .

ولقد وضعت الصلاة اخيرا موضع الدراسة العلمية بعد ان انتهى الزمن الذي كان يقال فيه ان الأمور التعبدية لا تناقش وهاجم فيه اعداء الاسلام وخصوم الاديان الصلاة بما لم يستوعبوه منها .. وبما لم يتفهموه فيها فاظهرت الدراسات الحديثة بعض فضل الصلاة على الانسان بجزأيه الجسد والنفس ، فان من أهم ماتعني به اساليب التربية الحديثة وما ينصح به علم الصحة الوقائية .. التمرينات الرياضية التي اصبحت تمارس وتؤدي في اوقات مخصصة لها شأنها شأن باقي المواد والعلوم في المدارس والمعاهد بل وفي كل التجمعات . في القرية والمدينة .. بل وتقاس مدنية الدول بعدد النوادي الرياضية ، التي تضمها وأعداد الافراد الذين تضمهم فقد اوضح علم الصحة ان التمرينات الرياضية هي الأساس في بناء الجسم السليم الذي لا بد منه لوجود العقل السليم وإن في اداء الصلاة خمس مرات كل يوم خير وسيلة لجني فوائد التمرينات الرياضية .. فأوقاتها انسب الاوقات التي يوصي فيها بأداء التمارين .. فقبل شروق الشمس حيث الجو النقي وحيث الجسم ما زال في كسل النوم .. وفي الظهيرة حيث قد حل بالجسم تعب العمل وفي العصر حيث قارب يوم العمل ان ينتهي واسرع الى الجسم الكسل والتعب وفي الغروب حيث ينتهي العمل ويبدأ الانسان يستعد لراحة الليل .. وفي العشاء

حيث يختم الانسان يومه ، هذه هي انسب الاوقات التي لا بد للانسان فيها من أداء التمارين الرياضية لتعويض الجسم عما فقده .. وازالة ما به من كسل وخمول وتجديد الدورة الدموية وتنشيط التنفس . اما حركاتها فقد وضعت كذلك موضع الدراسة العلمية .. فعرف ان القيام والقعود عدة مرات في كل صلاة خير وسيلة لتنشيط الدورة الدموية التي تنشط كافة الاجهزة ولذلك تعتبر الصلاة منشطة للهضم .. فاتحة للشهية .. ونرى ان اوقاتها تتناسب وهذه الحكمة تناسبا تاما .. ففي الصباح المبكر وقبل الافطار وفي الظهيرة وقبل الغداء فانها تفتح الشهية تماما وفي العصر حيث الهضم قد بدأ .. وفي الغروب حيث الانسان بين وجبتي الغداء والعشاء وفي العشاء حيث يكون الهضم قد بدأ .. فانها تساعد تماما على الهضم ولا يعلم قدر فوائد الصلاة في الهضم الا من اقام صلاة التراويح في شهر رمضان حيث تزيد حركات القيام والقعود في عدد كبير من الركعات .. واوضح العلم الصحي ان الركوع والقيام منه يقوي عضلات الظهر والمعدة ويزيل ما قد يتكون على جدار المعدة من دهون وشحوم اما السجود فانه يقوي عضلات الفخذين والساقين ويساعد على وصول الدم الى اطراف الجسم كما انه يقوي جدار المعدة وينبه حركات الامعاء .. والسجود ايضا وقاية من مرض تمدد المعدة بما يسببه من تقلصات عضلاتها وتحريك الحجاب الحاجز .. وتعتبر الصلاة افضل رياضة بدنية على الاطلاق يستفيد منها الجسم اذ انها تحرك الاطراف وتصل حركاتها الى كافة العضلات والمفاصل والعظام وقد اثبت الطب الحديث ان الصلاة تعمل على خفض ضغط الدم العالي وان مرضى الضغط العالي لو حافظوا على اقامة الصلاة .. على مهل وتؤدة لاستفادوا فائدة محققة .. كما ان اقامة الصلاة قبل الاكل يعتبر عاملا هاما في وقاية الانسان من امراض المعدة لا سيما قرحة المعدة اذ ينصح الاطباء دائما كل انسان بالا يتناول طعامه وهو مجهد أو مرهق أو متوتر الأعصاب .. بل لا بد من فترة هدوء وراحة تسبق الطعام وان الصلاة لخير ما ينفع الانسان في ذلك .. اذ ان فائدتها على الجهاز العصبي قد امكن قياسه وتحديده فهي تزيل اي اضطراب وتقي من التوتر بل انها من اهم العلاجات للارق الناتج عن التوتر العصبي .

اما فائدة الصلاة للانسان من الناحية النفسية فانها اكثر من ان تحصى واعم من ان تذكر .. ففي الصلاة يتذكر الانسان ربه وان بيده سبحانه وتعالي الامر كله ، وان الانسان في الحياة لا يكافح وحده . وان للعالم خالقا بصيرا حاكما عادلا فاذا شعر الانسان بظلم أوقعه عليه ظالم .. او جار على حقه جائر فوض امره الى من يقوم الوجود كله بامره .. واذا حزبه امر او ضاقت به الحياة في زحمتها لجأ الى الله .. هذا الاحساس

يحيط بالانسان الذي يقيم الصلاة طوال يومه ــ فلا يجعل للقلق اي سبيل إليه .. فالانسان في الصباح المبكر بدأ يومه بحمد الله وشكره والتوكل عليه والتوجه اليه .. وما أفضل صباح يوم المصلي .. وفي الظهيرة تحقق الربح .. او لاحت الخسارة فلا بد من وقفة بين يدي الله .. حمدا وشكرا للربح .. ودعاء ورجاء لدفع الخسارة .. وكذلك الامر في العصر .. اما في المغرب ــ فقد انتهى اليوم العملي ولجأ الانسان الى ربه ــ يتحدث اليه ويناجيه بكل ما كان له .. وما صار اليه .. وفي العشاء ، بينما هو يتجه الى النوم .. يريد ان يتحلل من كل مشاكله .. ويودع كل مشاغله ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين سبحانه وتعالى .. ويسلم الانسان جنبه الى الله بعد ان أسلم وجهه وصلاته اليه .. والصلاة دعاء وتسبيح .. واستغفار وتوبة .. فما من ذنب ارتكبه الانسان ، وكل انسان لا بد ان يذنب .. وما من خطأ كان من العبد .. وكل العباد يخطئون .. الا وجاءت الصلاة فيها الاستغفار من الذنب . والتوبة عن الخطأ فيتحلل الانسان من عذاب النفس بذنبها .. ويتحرر العبد من قلق الروح على خطأ صاحبها وبذلك لا يصيبه القلق .. ولا تعتريه امراض النفس .. ان الصلاة عملية سلوكية ايجابية فيها تصفو النفس وترتاح الروح .. وتنفك كل عقدها .. وتتحلل من كل اثامها .. والحديث عن فضل الصلاة من الناحية الطبية والنفسية والروحية لا يصل الى نهايته اطلاقا فكل دراسة جديدة ــ تحمل اليها العديد من افضال الصلاة .

وفضل الصلاة لا يشمل المصلي وحده الذي يحس بما للصلاة من اثر في كافة نواحيه .. بل يتعداه الى المجتمع فقد حرص الاسلام على الدعوة الى الصلاة الجامعة في كل اوقاتها .. ثم فرضها فرضا مرة كل أسبوع .. حتى يجتمع اهل الحي جميعا ممن لا تسعفهم ظروفهم في صلاة الجماعة اليومية وما ذلك الا دفعا الى ايجاد الالفة والمحبة بين المسلمين .. والنظر في امر الناس عامة ، فمن تأخر عن الصلاة فلقد وجب على زملائه السؤال عنه .. والاطمئنان عليه والصلاة سبيل خلق المجتمع المتكافل المترابط المتحاب .. الذي لا يتبرم غنيهم بفقيرهم ولا يتكبر كبيرهم على صغيرهم بل الجميع في صفوف متراصة متصافة يتقدمهم امامهم للصلاة ، وقد يكون اقلهم جاها وأرخصهم رداء وافقرهم حالا وكم كانت هذه الصورة للصلاة الجامعة جميلة عند كل من يراها من غير المسلمين لاول مرة .. وكم كانت سببا لدراسة الاسلام ،، وإسلام كثير من مختلف الديانات والشعوب فلنتأمل ولنتدبر .. ولنفكر .. ولنستمع .. ونستجب .. فقد قال الله وهو اصدق القائلين :

**( واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون )**
النور / ٥٦

# من أجل هذا لعن اليهود

للاستاذ : محفوظ أمين غريب

إن من يقرأ سورة البقرة يعتقد بلا ادنى ريب ، أن اليهود قوم جحود .. والجحود ـ كما يفسره المعجم العربي ـ هو الانكار مع العلم ، فلقد جحد اليهود نعم الله تعالى ، وكذبوا بآلائه التي أخرجتهم من ظلمات الباطل إلى نور الحق المبين ، وأنجتهم من سوء عذاب سامهم إياه أعداؤهم .

وقد تجسدت تلك النعم في معجزات وخيرات عاينها اليهود ، ونعموا بآثارها الطيبة ، ولكنهم ـ رغم ذلك ـ جحدوها **جحودا لم يأت بمثله قوم من قبلهم ، أو من بعدهم ..**

ونرى دلائل ذلك الجحود حين نقرأ في سورة البقرة عن نعم غامرة ، جحدها اليهود وكذبوا بها ، وهم يعلمون سوء فعلهم . لقد نجاهم الله تعالى من آل فرعون الذين ساموهم سوء العذاب ، فذبحوا ابناءهم ، واستحيوا نساءهم ففلق الله تعالى لهم البحر حتى ظهرت لهم الأرض اليابسة ، فمشوا عليها ، وبذلك نجوا من آل فرعون الذين تتبعوهم يريدون الفتك بهم ، ورأوا بأعينهم آل فرعون وهم يغرقون ، ثم انعم الله عليهم بأن واعد موسى أن يعطيه التوراة بعد اربعين ليلة ، وفيها هدى لهم ورحمة . ولكنهم جحدوا تلك النعم ، فاتخذوا العجل إلها حين ذهب موسى للقاء ربه . ورغم ذلك الجحود عفا الله عنهم ، لعلهم يشكرون : **( وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل**

**فرعون وأنتم تنظرون . وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون )** البقرة / ٤٩ ـ ٥٢ .

وانزل الله تعالى ـ من أجل اليهود وهدايتهم ـ كتابا على موسى وآتاه السلطان الذي يفرق به بين الحق والباطل ، ونصحهم موسى فأخلص لهم النصح ، وذكرهم بظلمهم حين اتخذوا العجل إلها ، وذكرهم ايضا بفضل الله عليهم حين تاب عليهم ، ولكنهم جحدوا ، فأعلنوا لموسى انهم لن يؤمنوا له إلا بعد ان يروا الله جهارا ، فلما تطلعوا يريدون رؤية الله سبحانه اخذتهم صاعقة من السماء وهم ينظرون ، ثم بعث الله تعالى اولئك الذين أرادوا رؤيته بعد أن احرقتهم الصاعقة ، وتفضل الله عليهم بعد ذلك بالمن « إفراز حلو المذاق تفرزه بعض الأشجار » وبالسلوى « الطائر المعروف بالسماني » ليقيهم الهلاك جوعا في بيئة مجدبة ، ولكنهم جحدوا أيضا كل هذه النعم : **( وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم . وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون )** البقرة / ٥٣ ـ ٥٧ .

ويذكر الله تعالى اليهود بما تفضل عليهم بعد خروجهم من تيه وضياع في صحراء سيناء ، إذ أمرهم بدخول بيت المقدس وهم ساجدون ، يسألون الله أن يحط عنهم ذنوبهم ، ويغفر لهم عنادهم ، ووعدهم سبحانه بالمكافأة وحسن الجزاء ، إن فعلوا ما امرهم به ، ولكنهم لم يستغفروا ربهم ، بل انهمكوا في الشهوات . ولما عطشوا في التيه تفضل الله عليهم بتكليف موسى ان يضرب بعصاه حجرا فتفجرت منه عيون بقدر عدد قبائلهم ، لكل قبيلة عين خاصة يأخذون منها حاجتهم ، ولا يشاركهم فيها غيرهم . ولكن اليهود ـ بعد كل هذه النعم ـ اعلنوا السأم مما هم فيه من نعم ، بل طلبوا من موسى ان يطلب لهم من ربه أن يرزقهم مما تنبت الأرض من بقل وقثاء وثوم وعدس وبصل . وتعجب موسى من استعاضتهم الأردأ بالأحسن من الطعام ، فهذا يدل على عدم ثباتهم على الحق ، وهم يعلمون أنه حق : **( وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون . وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين . وإذ قلتم يا موسى لن نصبر**

**على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون )** البقرة / ٥٨ ــ ٦١ .

وتمضي آيات الذكر الحكيم في سورة البقرة تذكر اليهود بآلاء الله حين أخذ عليهم العهد أن يعملوا بما تأمر به التوراة ، وهددهم سبحانه بمعجزة رفع الجبل فوق رؤوسهم ، ولكنهم ــ رغم هذا ــ أعرضوا وعاندوا ، ولولا فضل الله عليهم لباءوا ــ جزاء إعراضهم وعنادهم بخسران مبين . وأمرهم الله تعالى أن يتفرغوا يوم السبت للعبادة ولكنهم احتالوا ، فاستباحوا الصيد في يوم السبت فاستحقوا أن يمسخهم الله قردة منبوذين ، ليكونوا عبرة لمعاصريهم وللأجيال من بعدهم : **( وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين . ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين )** البقرة / ٦٣ ــ ٦٦ .

ويبلغ اليهود في جحود نعم الله مدى بعيدا في قصة البقرة ، ذلك ان رجلا منهم قتل رجلا ، وبادر القاتل بالشكوى لموسى ، فبحث موسى عن القاتل ، فلم يهتد إليه ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة ، فجادلوا موسى جدالا منشودا متسائلين عن لون البقرة وشكلها وسنها ، وكلما شددوا شدد الله عليهم ، حتى صارت نادرة ، فتعبوا في الحصول عليها ، وبعد جهد جهيد حصلوا على بقرة لا مسنة ولا فتية ، صفراء خالصة الصفرة ليست بصعبة ، تهيج الغبار إذا تحركت ، تسقي الزرع ، سليمة من العيوب ، في جلدها قطعة لونها يخالف لونه . وهذه الصفات إنما طلبها الله تعالى نتيجة لطول لجاجهم وتشددهم . وقد حصلوا على بقرة تتوافر فيها هذه الصفات بضعف ثمن مثلها ، وذبحوها بعد ان قاربوا أن لا يفعلوا ما أمروا به . وارشدهم الله أن يضربوا جثة القتيل ببعض اعضاء تلك البقرة ، فعاد إلى الحياة وأخبرهم عن قاتله ، وفي هذه القصة آية من الله لعلهم يعقلون ، ولكن قلوبهم ــ رغم هذه المعجزة البينة ــ قست حتى صارت كأنها الحجارة او أشد : **( وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث**

**مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون . ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون )** البقرة / ٦٧ ـ ٧٤ .

على أن اليهود يبلغون قمة الجحود حين يزيفون أعظم ما يعتز به كل ذي قلب سليم ، حين يزيفون العقيدة مبررين سوء فعلهم بعذر أقبح من الذنب ، وهو ان قلوبهم مغلقة لا تصلح لادراك العقيدة الصحيحة البعيدة عن الزيف ، فلقد أنزل الله تعالى على موسى التوراة ، وأرسل من بعده رسلا إلى أمم كثيرة حتى جاء دور عيسى ابن مريم ، فآتاه الله الآيات الواضحات ، وشد أزره بجبريل . ولكن اليهود استكبروا عن اتباع اولئك الرسل ، لأنهم لم يجيئوا بما يوافق هواهم ، فكذبوا فريقا من الرسل ، وقتلوا الفريق الآخر ، ولما انتهت الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم للايمان ، قالوا : إن قلوبنا مغلقة لا تصلح لادراك ما تقول ، فرد الله عليهم دعواهم ، واكد لهم ان قلوبهم ليست مغلقة ، ولكن الله أبعدهم عن قبول الخير بسبب كفرهم ، فقليلا ما يؤمنون بحقيقة ، ومصداق ذلك انه جاءهم القرآن من عند الله مصدقا للتوراة التي معهم وموافقا لها ، وكانوا من قبل نزوله يطلبون النصر على اعدائهم بحرمة النبي المنتظر ، الذي كانوا يتوقعون مبعثه ويمنون انفسهم بالمبادرة إلى اتباعه ، فلما جاءهم « محمد » وفيه العلامات التي عرفوها من كتبهم ، قابلوه بالكفر به وجحود النعمة العظمى التي جاء بها ، نعمة العقيدة الصحيحة البعيدة عن الزيف ، وبذلك استحقوا اللعنة التي وصم الله بها الكافرين : **( ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون . ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين )** البقرة / ٨٧ ـ ٨٩ .

هكذا استحق اليهود اللعنة ، لأنهم جحدوا آلاء الله ونعمه ، وجعلوا اصابعهم في آذانهم حين ناداهم الحق تعالى مذكرا ومحذرا : **( يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون )** البقرة / ٤٠ ـ ٤٢ .

# أين الإسلام يا أمة الإسلام

نعم أين الاسلام في أرض الاسلام ؟ بل أين المسلمون في بلاد المسلمين ؟

مهلا أخي القارىء لا تلمني ـ أعلم أنك تستنكر هذا السؤال خاصة وأننا شرقيون نتعصب للفكرة أكثر مما نعمل بها على عكس الغربيين فانهم يعملون بالفكرة أكثر مما يتعصبون لها ـ كأني بك تقول : الاسلام بخير وهو موجود في آسيا وافريقية وأوربا وأمريكا ، وكأني بك تقول إن عدد المسلمين يربو على ستمائة مليون نسمة .

أقول بكل أسى ومرارة : إنني لا اسأل عن المسلمين عددا ـ فماذا أغنت الكثرة المفككة الهزيلة أمام قلة اليهود المتماسكة القوية ؟ ألم ينتزع اليهود أرض العرب ؟ ألم يدوسوا

للاستاذ/ سيد عطا محمد

مقدسات الاسلام ؟ ألم ينتهكوا حرمة بيت المقدس ويحرقوا المسجد الأقصى ؟ والمسلمون يتفرجون !! حقا لقد أصبحنا كثرة ولكنها كغثاء السيل - لا غناء فيه ولا وزن له ولا قيمة - لا أسأل عن الاسلام دولا تنتمي إليه بشهادات الميلاد - ولكنني أبحث عن الاسلام دينا له أخلاقه الحسنة ، ومثله العليا تجرى في دماء أبنائه ، وتعمر قلوبهم ، وتجرى على الأرض : مروءة ، وشهامة ، ونجدة ، وصدقا ، ووفاء ، وأمانة - فاذا وجدنا ذلك فقد وجدنا الاسلام ، ووجدنا المسلمين الذين يعتد بهم ويحسب حسابهم - لهم كيانهم ووزنهم ، يستحقون بجدارة أن يباهى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة - قوة في الشخصية ، وترابطا بين الأفراد والأسر ، وتكافلا وتضامنا في المجتمع - ترى المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر ، والحمى - إذا جرح مسلم في المغرب عصرت له القلوب ألما وحسرة في المشرق . فلا بعد الديار يفصل بين أفكارهم ، ولا حواجز الحدود المصطنعة تشغل بعضهم عن بعض : **( إنما المؤمنون إخوة )** الحجرات/ ١٠ وطنهم العقيدة ، وقوميتهم الاسلام .

نعم : أسأل عن المسلمين دولا إسلامية ، تجمعها العقيدة الواحدة ، عقيدة الاسلام ، وتوحد بينها روحه في السياسة ، والاقتصاد ، والتقاليد ، والعادات - دولا إسلامية تؤلف حزبا واحدا ، هو حزب الله ، الحزب الغالب ، فلا تنقطع أنفاسنا ونحن نلهث وراء المعسكر الشرقي تارة ، ونلقى بأنفسنا في أحضان المعسكر الغربي تارة أخرى - لتكن دول الاسلام هي الأمة الوسطى : **( وكذلك جعلناكم أمة وسطا )** البقرة/ ١٤٣ ، هي قصبة الميزان بين الكتلتين ، تقوم المعوج ، وتصلح الفاسد ، وتعلى كلمة الحق تبارك وتعالى ، وتحارب الطاغوت ، وتحقق على الأرض العبودية لله - والحاكمية لله - وعندئذ تتحدد وتتميز شخصية الأمة المسلمة كما يتحدد ويتميز عدوها المشترك ، فعدوها حينذاك هو عدو الانسانية ، وعدو الخير ، وعدو الاسلام على الأرض الذي يحارب الاسلام ، ويتصدى لتعاليمه ، أو يضطهد أبناءه حيثما كانوا .

واعتقد أنك الآن تسأل معي : أين الاسلام بين من غلب الـكذب على حديثهم ، والغش في معاملاتهم ، فلم يلتزموا بعهد ، ولم يفـوا بوعـد ، فضاعت بينهم الحقوق ، ووسد الأمر إلى غير أهله ، وشاع التسيـب في إداراتنا ، كما أصبح الطريـق الى المناصب الكبيرة يقـوم على الملـق والنفاق ، والتدليس والخداع ، حتى فسدت الطباع ، وانحطت الأخلاق ، وامتلأت قلوب الناس حقدا وحسدا وطفحت بالعداوة ، وبات كل واحد يتربص بأخيه شرا ، وانصرفنا عن واجباتنا ، وأهملنا في أعمالنا ، فقل إنتاجنا ، وعجز دخلنـا عن سداد حاجاتنا ، وأصبح الجهل ، والفقر ، والمرض من نصيبنا ، إذا استثنينا قلة منا ــ وبدلا من أن نرد الأسباب إلى مسبباتها ونعرف الداء لنتعرف على الدواء ، أصبحنا نسمع الكثير من شبابنا الذين هالهم ما رأوا عليه شعوبهم ، وما رأوا عليـه شعـوب الكتلتين الشرقية والغربية فحسبـوا كما صور لهم فلاسفة الالحاد الذين كثيرا ما يرددون « الديـن أفيـون الشعوب » ولقد عشت هذه التجربة المرة بنفسي فحينما كنـت معـارا بالصومال سألني طالب مسلم قال يا أستاذ : هل الاسلام سبب تأخـر المسلمين ؟ فقلت له : ولماذا ؟ قال : لأنني أرى بلاد الاسـلام متأخـرة متواكلة تعمها الفوضى ، ويسودهـا الجهـل ــ قلـت له : ليس هذا صحيحـا ، ولـكن العـكس هو الصحيح ، فما تأخر المسلمون إلا لأنهم تركوا الاسلام وابتعدوا عنه .. فريق استهوته المدنية الزائفة وبهرجها الخلاب ، وفتنهم كل جديد براق ، وتنكروا لمبادئهم وتقاليدهـم ، وخرجوا على دينهم ونسبوا إليـه الضعـف والتقصير ــ كبـر إثمـا أن ينـكر الانسان أصله وينتسب لغير أبيه ــ وفريق آخر ابتدع في دين الله ما ليس منه ، وجعل للدين ظاهرا وباطنا ، وشرعا وحقيقة ، وقسموا المسلمـين شيعا وأحزابا ، وجعل كل فريق همه أن يستقطب الأتباع ويحارب غيره من أصحاب الطرق الأخرى ، وينالهـم بألسنة حداد ، فزادوا المسلمين فرقة وزادوهم ضعفـا باسـم الاسـلام المفترى عليه ، وباسـم التصـوف المظلوم ــ فالتصوف الحق ( زهد في الدنيا واقبال على الآخرة ) فلا يتكالب المتصوف على الدنيا فيجمع الحلال والحرام ، لا يبالي من آين جاء . والمتصوف مصلح اجتماعي يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة قال الطالب الصومالي : لقد عرفت الاسلام وعرفت أعداء الاسلام من أبنائه ــ لقد عرفت أعداءه الذيـن يريـدون أن يشوهـــوا صفحتــه البيضاء ، ثم هز رأسه وهو يقول مؤكدا : الآن عرفت موطن الداء ، وعرفت الدواء ــ فليت الذين خدعهم الجديـد بزخرفـه قد وصلـوا إلى الحقيقة ، وعرفوا أن الاسـلام هو أصل تلك الحضـارات ومنبعهـا ــ ليتهم يرجعون إلى حضارة الاسلام الرائدة ، وليت الفريق الآخـر من المغالين في التصوف عرفوا حقيقـة

التصوف ، فذكروا الله في أعمالهم ، وأخلصوا فيها ، واتقنوها ، وليتهم ذكروا الله في أمتهم فعرفوا حقها عليهم ، وضحوا في سبيل كرامتها ، وليتهم ذكروا الله في دينهم فتركوا الغلو ، والتزموا الوسط في أمورهم ـ وخير الأمور أوسطها ـ وسيد الخلق صلى الله عليه وسلم يقول عنه صحابته : « ما خير رسول الله بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما » رواه البخاري ليتهم اتخذوا التصوف غذاء لأرواحهم وقلوبهم ، فجعلوا الدنيا كما أرادها الحق تبارك وتعالى دار عمل وجهاد ، توصل إلى دار النعيم والرضوان في الآخرة ، وقد كان أقطاب التصوف أعلاما في العلم والجهاد ـ جاهدوا الجهل فنشروا العلم ، وجاهدوا أعداء الدين فحملوا السلاح وقادوا المجاهدين في معارك الاسلام مع الباطل ، كأمثال الامام الغزالي والسيد أحمد البدوي ، مرة اخرى ـ أين الاسلام بين دول نسيت رسالتها ، فانقسمت على نفسها ولا تكاد ترى بين دول الاسلام الا الخلافات التي وصلت إلى سفك الدماء وازهاق الأرواح . فلحساب من يا ترى يقتتل المسلمون في اليمن وهم أخوة أشقاء ، ولحساب من يقتتل المسلمون في صحراء المغرب ـ أمن أجل الاسلام يقتتلون ؟ أم من أجل تنفيذ مخططات الالحاد والاستعمار ؟ أم من أجل الاسلام تشارك فئة مسلمة في دك معاقل الثورة الاسلامية في اريتريا تساند بذلك حكومة الحبشة التي تركت الاسلام وتركت المسيحية ، واختارت الشيوعية إلها ودينا ، إنه مخطط خبيث يستهدف تقسيم الأمة الاسلامية إلى فرق واحزاب متنافرة يفتك بعضها ببعض ويضعف بعضها بعضا ، حتى تصبح لقمة سائغة سهلة البلع تلتهمها الشيوعية متى أرادت .

أين تقف دولنا المتنازعة المنشغلة بقضاياها الداخلية بين التكتلات الكبرى ـ فالشيوعية العالمية تتجمع تحت زعامة الحزب الشيوعي السوفيتي ، والعالم المسيحي تجمعه زعامة دينية في دولة الفاتيكان التي تربط دولها بسفراء يمثلونها فيها ، حتى اليهود لهم تجمع عالمي تحت اسم الصهيونية العالمية ، فلماذا لا يكون للمسلمين زعامة دينية تجمعهم ، ومجلس أعلى إسلامي يرعى شئونهم ، ويحل مشاكلهم ، ويوحد سياستهم ، وعندئذ فقط يوجد الاسلام ويوجد المسلمون ـ فعودوا أيها المسلمون إلى دينكم ومبادئه ، ووحدوا صفوفكم ، واجمعوا كلمتكم ، قال تعالى : **( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون )** آل عمران/١٠٣ .

والله من وراء القصد ، وهو سبحانه الهادي والموفق إلى سواء السبيل .

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

**« من ترك درهما من حرام اعتقه الله من النار ومن ترك درهما من شبهة اعطاه الله ثواب نبي من الانبياء ومن ترك الكذب لا تكتب عليه خطيئة ايام حياته ودخل الجنة بغير حساب »**

**موضوع :**

من رواته محمد بن سعيد البورقي

قال الخطيب : ان البورقي سبب وضعه وقال الحاكم انه كان يضع على الثقات من رواة الحديث ما لا يحصى وفي الأمالي قال الحاكم : ان هذا القول منكر لم نكتبه من حديث مسعر بن كرام عن حماد بن ابي سليمان الا بهذا الاسناد .
وقال السيوطي في اللآلىء المصنوعة : بوضعه ونقل القول بوضعه مؤكدا صحة الاقوال التي وردت حول هذا النص .

**« إنما سمي الدرهم لانه دارهم وإنما سمي الدينار لانه دارنار »**

**موضوع :**

قال ابن حبان : موضوع آنه وضعه عبدالله بن ابي علاج وقال السيوطي : ان هذا القول موضوع ونقل قول : ابن حبان في اللآلىء المصنوعة .

# القرآن الكريم في ألمانيا

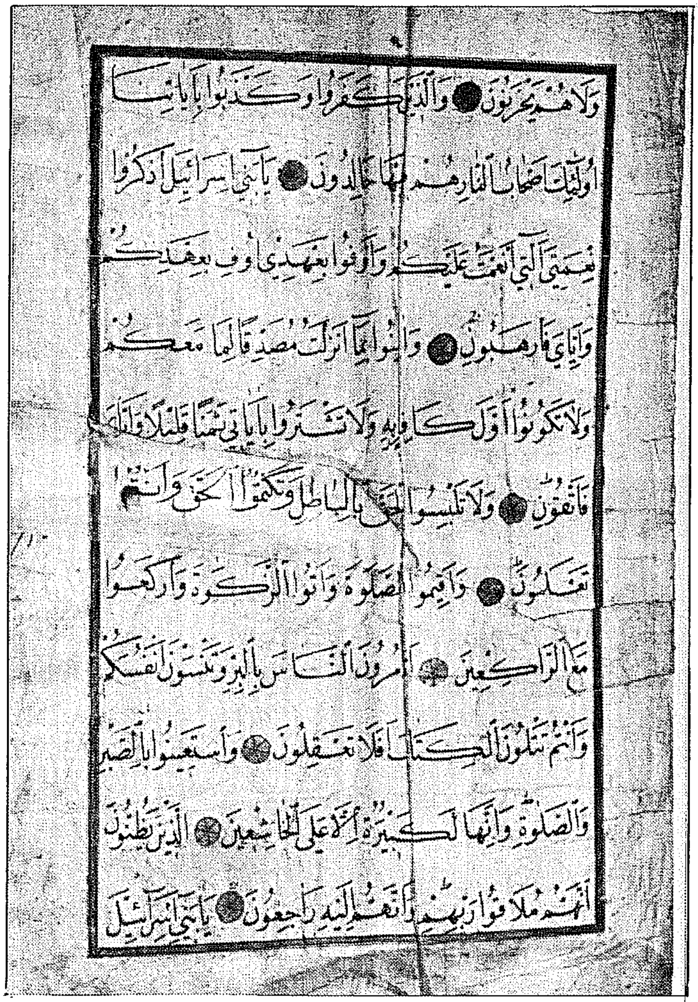
للأستاذ : عبدالمقصود محمد حبيب

في كتاب كان قد صدر في قطر منذ سنوات ، باللغتين العربية والانجليزية ، بعنوان ( لماذا أسلمنا ) جاء الحديث عن ٤٢ شخصية من مختلف دول العالم ، منهم رجال سياسة ، وعلم ، ورجال أعمال ، وفكر وأدب ، وكتاب مصلحين وعلماء اجتماع .. وعند القراءة في هذه الشخصيات الـ ٤٢ نجد أن منهم عددا من الألمان .

وقد كان السبب في اعتناقهم الاسلام كما ذكروا : هو اتصالهم بالاسلام في أصوله القرآن والسنة ، وأنهم اقتنعوا بأحقية الاسلام بالاعتناق على غيره من الأديان ، نظرا لما اتسمت به العقيدة الاسلامية من أصالة وصراحة ، يقبلها العقل السليم ، إلى جانب بساطة شعائره ، وشمول تعاليمه ، التي تتناول كل نواحي الحياة الانسانية .. تلك الحياة التي تعقدت كلما توغل الانسان في متاهات الحضارة المادية ، دون رادع من دين أو خلق ، يكبح من جماح شهواته وملذاته .

اقتنع هؤلاء .. فاختاروا عقيدة الاسلام فكرا ويقينا .. واختاروا شعائر الاسلام ، وكلها تجمع في بساطتها ويسرها بين إصلاح النفس وإصلاح المجتمع .. واختاروا شريعة الاسلام لأنها هى وحدها التي تستطيع أن تنتظم الانسانية على صعيد واحد ، بدون تمييز ولا تحيز ، ولا غبن من جهة على جهة ، حتى مع اختلاف العقائد .. وهى التي يتم عن طريقها ما ينشده الجميع من خير للبشرية .

والقرآن الكريم وهو المصدر الأول للدين الاسلامي .. له تاريخ طويل في تواجده في أوروبا بشكل عام ، وفي ألمانيا بشكل خاص .. فتوجد في


ولا هم يحزنون ● والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ● يا بني إسرائيل اذكروا
نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم
وإياي فارهبون ● وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم
ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي
فاتقون ● ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم
تعلمون ● وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا
مع الراكعين ● أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ● واستعينوا بالصبر
والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ● الذين يظنون
أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ● يا بني إسرائيل

ألمانيا نسخ قديمة جدا من المصحف الشريف ، ثم دراسات عديدة في تفسيره وتوضيح معانيه .. فيوجد مثلا في مكتبة جامعة « توبنجن » أقدم مخطوط لكتاب فضائل القرآن الكريم ، من تأليف « أبي عبدالقاسم ابن سلام » وهو مخطوط يرجع إلى عام ٥٦١ هجرية ، ويوجد المصحف المطبوع في ألمانيا عام ١٦٩٤ ميلادية باشراف الاستاذ هنكلمان ، وهو محفوظ في المكتبة الجامعية بمدينة « هامبورج » في شمال ألمانيا تحت رقم ١٥٤٦ ، كما توجد عدة مصاحف في « مكتبة ميونيخ » يرجع تاريخ كتابتها الى اكثر من ستة قرون حيث كتب أحدها لمكتبة أمير من أمراء المغرب سنة ٧٠٥ هجرية .

ولقد سمعت أنه كان يوجد في مدينة

« ميونيخ » متحف خاص بالقرآن الكريم ، وقد ساهمت في انشائه الجامعة والحكومة ، وجمع به كل ما كتب عن القرآن الكريم ، كما صورت آلاف النسخ المخطوطة من المصحف الشريف ابتداء مما كتب في القرن الأول الهجري إلى تاريخ انشاء هذا المتحف .. ولقد ذهب هذا المتحف للأسف مع ما خسرته أوربا في الحرب العالمية الثانية .

ولا يقتصر الأمر على وجود نسخ متعددة من المصحف الشريف .. بل يهتم المستشرقون وأقسام الدراسات الشرقية والعربية واكاديميات العلوم الاسلامية بالبحث في القرآن ، وترجمته ، وتحليله ، والكتابة فيه بتوسع علمي واضح ودقيق .. وهناك



من المستشرقين من كرس حياته العلمية كلها في مجالين من مجالات الثقافة العربية والاسلامية ، هما الأدب الشعبي العربي ، والدراسات القرآنية .. مثل الدكتور « رودي باريت » الذي توجت جهوده العلمية الطويلة في القرآن بصدور عمله الكبير ذى الشعبتين ، ونعني بهما الترجمة الالمانية للقرآن ثم الدراسة التحليلية للنص القرآني في ذلك العمل الذي قام به ، وصار المرجع الاساسي لكل الدارسين الألمان والاجانب ايضا في هذا المجال .

ونجد مثلا في العقدين الأخيرين الدكتور « يوسف كورت سول فرانك » يكتب اطروحته للدكتوراه عام ١٩٦٢ بعنوان ( آثار الصيغ القانونية العربية القديمة في القرآن الكريم ) ثم دكتورة « ريناتى تينس » تكتب أطروحة الدكتوراه في عام ١٩٦٣ بعنوان ( الجملة الشرطية والتعبير الشرطي في القرآن ) ثم اليونورا هوبيتنر في عام ١٩٦٦ في بحث عن ( تلميحات القرآن عن الحضارة المادية عند العرب القدماء ) وفي عام ١٩٦٨ يكتب « فريد رون موللر » اطروحة بعنوان ( دراسات حول النثر المقفى في القرآن ) .

ومن هنا ، يلاحظ المرء اهتماما بنسخ المصحف الشريف سواء عند المسلمين الألمان أو المستشرقين منهم والباحثين في الاسلام ، وكتابه الأول .. بل إن عددا من المسلمين الألمان يغارون على المصحف الشريف ويبذلون كل ما يستطيعون لحمايته

وحفظه .. لأنهم يعرفونه حق المعرفة وتمتلئ قلوبهم بحبه .. فهم لم يعتنقوا الاسلام بواقع الميلاد كما يسجل في سجلات النفوس ( المواليد ) ولكنهم اعتنقوه بعد دراسات ومقارنات وصلت بهم إلى أن الاسلام وكتابه الأول هما هدية الله الى البشرية لانقاذها من التردي في الضلال والضياع : ( **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** ) البقرة/٢ ـ ٥ .

لذلك قد لا نجد غرابة في أن يغار مسلم ألماني ، من أجل نسخة نادرة من المصحف الشريف . في حوزة مواطن ألماني ، ويحيق بها الخطر .. ودفعه إلى هذا الشعور ما رآه محدقا بهذه النسخة التي يحوزها انسان لا يعرف شيئا عن القيمة المعنوية التي لا تقدر ، ولا يمكن لانسان أن يقدرها حق قدرها .. فدفعته الغيرة إلى الكتابة لعدد من كبار شخصيات المسلمين ، حتى يبادروا إلى إنقاذ هذه النسخة مما تتعرض له .. من تمزيق وبيع للهواة الذين يحبون جمع التحف ، والانتيكات ، حتى تدر على صاحب العملية مالا كثيرا .

هذا هو **الالماني المسلم الدكتور زايد المهدي رايشارد** .. ويحضرني قول أحد الكتاب العرب للتعريف بالدكتور زايد يقول : ( ذات مرة منذ سنوات كنت في زيارة للامارات العربية المتحدة ، في « أبو ظبي » ، وصادفت هناك يومئذ الصديق الدكتور « رايشارد » وكان يومئذ قد اقتنع تماما بعد دراسات وقراءات ومراجعات ـ قال لي : إنها استغرقته أكثر من ١٥ سنة ـ أن يقرر اتخاذ الاسلام دينا .. ثم أسلم في ذلك الوقت ، وكانت بدايته كانسان مسلم بعد ثبات الرأي ، من خلال الاطلاعات والمقارنات .. فوقف أمام الشيخ زايد وقال : إنني أشهدك أيها الحاكم العربي المسلم أنني أشهر اليوم على العالم ـ إسلامي ـ .. أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .. ومنذ ذلك اليوم أصبح اسمه زايد المهدي رايشارد ) .

ومنذ ذلك التاريخ وهو يعتبر نفسه داعية للاسلام .. يدافع عنه ، ويدعو الناس اليه ، ويحرص على الاطلاع على كل ما يدور في ألمانيا حول الاسلام .. وفي أوائل هذا العام وقع على تقرير مفصل للباحث المسلم الدكتور **عبدالجواد فلاتوري** أحد أساتذة جامعة كولونيا ( الاكاديمية العلمية للدراسات الاسلامية ) عن نسخة نادرة من المصحف الشريف وما تتعرض له من أخطار لا يقدرها من هي في حوزته .. فلما قرأ هذا التقرير المفصل عن هذه النسخة النادرة كتب لعدد من رجالات المسلمين منهم العقيد **معمر القذافي** والامير **سلمان بن عبدالعزيز آل سعود** أمير الرياض .

وقال في خطابه للأمير سلمان بن عبدالعزيز : **لقد علمت أنه يوجد في ألمانيا نسخة من القرآن الكريم ، في حوزة شخص ألماني عادي ، وهذه النسخة كما يبدو أثمن نسخة من نوعها ، فانها تعود في قدمها الى اكثر من ٣٠٠ سنة مضت ، وهي مكتوبة على ورق البردى ، وتحتوي على ٧٨٢ صفحة ، أي ٣٩١ ورقة ، ومدون عليها أن تاريخ الانتهاء من كتابتها هو ليلة القدر عام ١٠٩٩ هجرية ، أي ما يعادل ١٦٨٨/٧/٢٦م ، وطول كل صفحة منها ٧٠ سنتيمترا وعرضها ٥٠ سنتيمترا وهي ثقيلة الوزن للغاية حتى انها تحتاج إلى شخصين من أجل حملها ..** هذا ، ولقد كتب عن هذه النسخة بعد الاطلاع عليها ، ودراستها ، والتحقق منها أحد اساتذة جامعة كولونيا **هو الاستاذ المسلم عبدالجواد فلاتوري** تقريرا من ٢٠ صفحة ، يقول فيه : ( إن هذه النسخة من المصحف هي تحفة حضارية فريدة من نوعها ، في كافة أنحاء العالم الاسلامي ، إننا هنا أمام تحفة تاريخية نادرة ، تمثل أرفع إنجازات التاريخ الاسلامي الفنية ، وأعظمها ، إذا ما شاهدها المسلم المؤمن شعر بالفخر والاعتزاز ) .

ويستطرد الدكتور **زايد المهدي** في رسالته الى سمو الامير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود قائلا : « هذا ، **ولقد أصبت بصدمة عميقة ، عندما سمعت أن حائز هذه النسخة من المصحف الشريف ينوي ــ لأغراض تجارية ــ بيع صفحاتها بصورة متفرقة ، بغية تحقيق المزيد من الكسب المادي** » .

وعلى هذا الخطر يعلق الدكتور فلاتوري قائلا : **باعتبار أن القيمة الأدبية والفنية للنسخة تكمن في مجموعها ، فأن محاولة فرط النسخة ، وتوزيع صفحاتها ، يعني في المفهوم الحضاري جريمة حضارية ، وفي المفهوم الديني طعنا في العقيدة الاسلامية .**

ويقول الدكتور زايد في رسالته إلى الأمير سلمان : « هذا ، وباعتبار أن المغفور له جلالة الملك فيصل كان قد طلب الى خلال المرتين اللتين اجتمعت فيهما إلى جلالته أن أكون يقظا كلما شعرت بأن التراث الاسلامي مهدد بخطر ، شعرت بأنه من واجبي أن أطلع سموكم فورا على هذا الأمر ، إلا أنه لابد لي من الاشارة الى ان السرعة هي عامل أساسي هنا لأن حائز المصحف الشريف عازم على الاسراع في بيعه .. لذلك اقترح على سموكم أن تكلفوا بالموضوع من له خبرة بطرفكم في هذه المجالات ».

**المجلة :**

**لكوننا لم نقف بعد ، على ما آل اليه أمر هذا الموضوع الهام دينياً وحضارياً ، فاننا نهيب بالجهات الاسلامية الرسمية أن تهب مسرعة لانقاذ هذا الاثر الفريد ( المتمثل في مخطوط لكتاب الله الكريم ) من الضياع والاتلاف ، وحسبهم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .**

# علي حزام
## إمام مسلمي ليفربول
## في ذكراه السادسة

**للدكتور كاظم الجوادي**

في السادس والعشرين من آب ( اغسطس ) عام ١٩٧٤ ، انتقل إلى جوار ربه الحاج « علي حزام » ، إمام مسلمي مدينة « ليفربول » في انكلترا ، عن عمر ناهز السبعين ، فهدأ ذلك الانسان الذي لم يعرف الهدوء ، وارتاح ذلك الجسم الضعيف العليل الذي ما أقعده ضعف ولا علة ، عن العمل في سبيل الله .

لم يكن علي حزام من علماء الدين المتخصصين ، بل كان من أهل الدين ، خرج من اليمن مهاجراً في سن مبكرة عن طريق عدن أيام كانت في حكم بريطانيا ، وكان الناس في تلك الأيام يخرجون من اليمن إلى انكلترا عن طريق عدن ابتغاء العمل هناك ، وارسال المعونة المالية إلى أهليهم في اليمن . وكانت جموع هؤلاء المهاجرين تصل إلى المواني‍ء فتنزل هناك ، وتكاد تتعلق بها فتعمل في البحر في أعمال مختلفة ، كلها من الاعمال غير الفنية ، لانعدام الخبرة والمران لديها .

واستقر من هؤلاء نفر كثير في ميناء « كارديف » على المحيط الاطلسي . وقد تميز كثيرون من هؤلاء المهاجرين بالتمسك بدينهم ، والالتزام بالطريقة الصوفية العلوية المعروفة في اليمن ، وهي طريقة تنسب إلى رجل من الصالحين اسمه علي ، وليس فيها من المغالاة في العقيدة ، أو الاحتفالات شيء ، وانما هي طريقة ملتزمة بالشريعة ، ولا سيما المذهب الشافعي ، وفيها بعض الوظائف من الأنكار التي لا تتجاوز قراءة القرآن ، والتسابيح ، والأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكنها تفرض على أتباعها العمل بما يعرفون ، وتعليم ما يعرفون من امور دينهم مهما كان ضئيلا . ومن بين أوامر هذه الطريقة الالتزام بالجماعة ، ونبذ الفرقة ، وايجاد زاوية للعبادة .

وقد أسس في « كارديف » مسجد ، لا زاوية ، لكثرة الذين وفدوا على تلك المدينة من أبناء اليمن بصفة خاصة ، ومن الصوماليين أيضا . وقد سموا المسجد مسجد نور الاسلام العلوي ، وأقيمت فيه الصلوات وصلاة الجمعة ، وصار ملتقى ومجمعا للمسلمين هناك . ثم أقيم مسجد آخر ، ولكنهم أسموه زاوية .

خرج علي حزام من كارديف ، ليستقر في مدينة أخرى ، فساقه الله إلى مدينة « ليفربول » فحل بها ، واشترى له دارا قديمة متواضعة ، وخصص في هذه الدار التي اشتراها غرفة جعلها زاوية للمسلمين ، وجعل على باب داره هذه لوحة كتب عليها ( الزاوية الاسلامية العلوية ــ لا إله إلا الله محمد رسول الله ) ولما كانت الحرب العالمية الثانية ، واشتد قصف الألمان بريطانيا ، وتعرضت « ليفربول » لأشد محاولات التدمير الألمانية ، كانت الزاوية الاسلامية العلوية ملاذاً للمسلمين الذين كانوا مثل غيرهم من الناس ، يحسون بالحاجة إلى التقرب من الله في الأزمات ، وعند الخوف ، ولولا هذه الزاوية التي كانت تزدحم بالمصلين حتى في الممرات ، على صغرها ، لعصفت بنفوسهم العواصف .

ثم رأى علي حزام رحمه الله أن أطفال المسلمين محتاجون إلى تعليم ديني ، فجعل الغرفة التي كانت تحت الطابق الأرضي في داره هذه صفا دراسيا ، لم يلبث أن امتلأ بالكراسي والمناضد ، تماما كما في صفوف المدارس عادة . وكان أطفال المسلمين يأتون في عطلة نهاية الأسبوع ليتلقوا دروس القرآن والدين ، ومبادىء العربية وتبع ذلك تخصيص غرفة اخرى بجانب غرفة المصلي لاجتماعات المسلمين في مناسبات أفراحهم وتعازيهم وغير ذلك .

ثم فكر في بناء مسجد للمسلمين ، يكون مكان عبادتهم ، ومركز اجتماعهم ، والقطب الذي يجمع شملهم ، ولما كان يعرف ضعف حال إخوته المسلمين هناك ، فقد تشاور مع بعضهم ، واتصلوا بالمركز الثقافي الاسلامي في لندن ، وبالسفارتين السعودية والكويتية في لندن ، للحصول على ما يحتاجون إليه من مال لهذا المشروع ، فاقترح عليه بعضهم أن تؤسس من مسلمي « ليفربول » جمعية تنهض بالمشروع ، وتقوم بجمع المال محليا ، ومن الدول الاسلامية . فبادر إلى تنفيذ ما نصح به ، وقامت جمعية مسلمي ليفربول وانتخب علي حزام رئيسا لها ،

وكانت حملة جمع التبرعات محليا ، ومن الدول الاسلامية ، ووضعت خرائط المسجد التفصيلية ، وأقيمت الأسس كلها ، وانتهى المال الذي كان قد جمع ، وتلكأ الناس والذين كانوا قد وعدوا بالمساعدة في تقديم المال عاجلا .

وتوقف بناء المسجد واخفقت جهوده في الحصول على المال اللازم من الناس ومن الدول الاسلامية عدة سنوات ، وأصيب علي حزام لشدة تأثره بمرض في قلبه ، وكانت النوبات تأتيه بين حين وآخر ، قاسية شديدة ، ولكنه لم ينقطع عن العمل حتى جاء الفرج ، وتبرع تجار كويتيون من أهل الصلاح بنفقات إكمال قاعة الصلاة ، وغرفة الامام ، ومرافق الوضوء ، وحمام غسل الموتى . فاستؤنف العمل فوق الأسس عام ١٩٧١ ، ولكن بتصميم جديد استحدث فيه طابق ثان يشتمل على صفوف لتدريس اطفال المسلمين وقاعة للمحاضرات وشقة للامام وحمام غسل الموتى ، ولكن التجار الكويتيين لم يتبرعوا بتكاليف الطابق الثاني هذا .

ولقد اقيمت أول صلاة في المسجد في عيد الاضحى من عام ١٣٩٣ هـ قبل أن يتم وذلك لتشجيع المصلين على التبرع ولأخذ صور لارسالها إلى السفارات الاسلامية لحث دولها على التبرع لاتمام الطابق الثاني . وقبل أن يتم الصبغ انتقل الحاج علي حزام إلى جوار ربه عصر اليوم السادس والعشرين من آب ( اغسطس ) عام ١٩٧٤ ، وكانت جنازته اول جنازة خرجت من المسجد .

ولقد تبرعت المملكة العربية السعودية باتمام الطابق الثاني وتم البناء الآن ولكن بلا منارة ، ويا ليت احدى الدول الاسلامية تتبرع بانشاء المنارة لاضفاء مظهر المسجد عليه وهو عنصر عاطفي مهم لا سيما لأطفال المسلمين هناك .

لم يكن انشاء المسجد العمل الوحيد الذي قام به علي حزام رحمه الله عملا بما تعلمه من معلميه ، بل كان شعلة من النشاط الاجتماعي الاسلامي . لقد استحصل موافقة الحكومة المحلية لمدينة ليفربول على انشاء مقبرة اسلامية .

وكان يدافع عن مقبرة المسلمين حتى لقد دفن فيها رجل من السيخ الهنود خطأ ، فظل في مراجعة والحاح لدى الحكومة المحلية حتى استحصل الموافقة على اخراجه ودفنه في مقبرة أخرى . وبذل جهداً مضنياً من أجل أن ينقل إلى مقبرة المسلمين مسلماً ملايويا دفنته امرأته الانكليزية المسيحية في مقبرة عائلتها . وراجع من أجل ذلك الحكومة المحلية ونائبة ليفربول في مجلس العموم ووزارة الداخلية البريطانية ، ولكن القرار الأخير ، كان أن الزوجة هي صاحبة الحق في الموافقة على هذا . ولم يتمكن من اقناع الزوجة بذلك فقد أصرت على أن يبقى في مقبرة عائلتها . وقد كان ذلك حافزاً للتأكيد على المسلمين المتزوجين من انكليزيات أن يكتبوا في الوصية أن يدفنوا في مقبرة المسلمين بالشعائر الاسلامية .

وقد كان يشرف على إبرام عقود الزواج الاسلامية بالصورة الشرعية بعد أن يتم تسجيل الزواج لدى الحكومة ( وفقا للقوانين البريطانية ) ، كما كان يقبل إسلام غير المسلمين ، ويصدر لهم الشهادات بذلك موقعة باسمه وختمه .

وكان اسمه وهاتفه مسجلين في المستشفيات والسجون ، وينادي عليه كل مسلم يدخل المستشفى أو السجن كلما احتاج مساعدة دينية أو دنيوية . وكان يزور المستشفيات والسجون في ليفربول بين حين وآخر ، لتفقد المسلمين فيها .

وكانت الجمعيات والمدارس والكنائس الانكليزية في ليفربول كلما احتاجت الى محاضر يعرف اعضاءها بالاسلام تتصل به ، فيختار من ابناء المسلمين هناك رجلا ذا علم بالاسلام ، وطلاقة في اللغة الانكليزية لالقاء المحاضرات المطلوبة .

أما الذبح الاسلامي الشرعي في ليفربول فقد تقدم ـ رحمه الله بعد الحرب العالمية الثانية بطلب الى الحكومة المحلية في ليفربول للسماح بالذبح الاسلامي في مجزرة المدينة ، فرفض طلبه بحجة ان مسلمي ليفربول يأكلون اللحم الموجود في السوق منذ سنين ، وليس لهذا الطلب اساس ديني اسلامي .

فذهب علي حزام الى المسؤولين يحمل اليهم بطاقات التموين الخاصة باللحم التي صرفت له طيلة سنوات الحرب الست من عام ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ لم يستعمل اية واحدة منها . فما ان ابرزها حتى ذهل المسؤولون ، لأن الناس كانوا أيام الحرب يتهالكون على لقمة اضافية ينالونها ، فكيف به لم يستعمل بطاقة واحدة من بطاقات اللحم ، فصدرت على اثر ذلك الموافقة على الذبح الاسلامي ، وظهر في ليفربول قصابون من اليمن والسودان والملايو والباكستان يعلنون على واجهات محلاتهم انهم ( قصابون مسلمون ) او لديهم ( لحم حلال اسلامي ) .

ولا يمكن ان ينسى المسلمون في ليفربول جهود الحاج علي حزام رحمه الله في اصلاح ذات البين . فقد كان يبحث عن المسلمين الذين يسمع ان خلافا وقع بينهم ، ووصل امرهم الى المحاكم ، وكان كلما ذهب الى احد الخصوم امتلأ الخصم خجلا ، وراح يسعى لاظهار العذر الذي دفعه الى هذا العمل السيء ، ألا وهو رفع الخصومة الى القضاء الانكليزي . لقد كان المسلمون جميعا ، على شدة انغماس بعضهم في الموبقات ، يدركون ان الحاج علي حزام كان غيورا عليهم ، يربأ بهم ان يفضحوا انفسهم امام الآخرين .

وكان مسلمو ليفربول يشعرون أنه وجهتهم بين الناس ، فاذا زارت المدينة شخصية عربية أو اسلامية ، كان عليه ان يزورها او ان يدعوها الى وليمة في بيته ، وإذا ذهب وفد من مسلمي ليفربول الى لندن لأمر ما ، فلابد ان يكون هو على رأسه ، واذا اقيم احتفال اسلامي في أي مدينة في بريطانيا ، فهو على رأس ممثلي ليفربول ، او الممثل الوحيد ان لم يذهب معه أحد . وما كان يكلف المسلمين شيئا من نفقات ذلك كله إلا في بعض الحالات الاستثنائية وحين اشتد ضيق اموره المادية في السنتين الاخيرتين في حياته ، ولكنه ظل حتى وفاته لا يتقاضى راتبا من الجمعية ولا من المسلمين ، ولا أي جهة اخرى على امامته المسلمين ، او رئاسته جمعيتهم .

ولم يكن لجمعية مسلمي ليفربول هاتف ، وانما كان هاتف مسكنه هاتف الجمعية لأمور الجمعية ولأمور المسلمين الشخصية باعتباره امامهم ، وما كان

يتقاضى شيئا من أجور الهاتف عن النداءات البعيدة التي كثيرا ما كان يضطر الى القيام بها . وكان رقم هاتفه ملاذا للكثيرين .

وكانت ليلة رمضان وليلة العيد ليلتين مجهدتين للحاج علي حزام رحمه الله ، فقد كان يقف عند جهاز الهاتف ساعات طويلة يخبر المسلمين الذين لديهم اجهزة هاتف بحلول الشهر الكريم ، او العيد ، ويطلب اليهم أن يخبروا من يعرفون . وكانت طائفة من نداءاته الهاتفية إلى خارج ليفربول أيضا .

ولما كانت الزاوية لا تتسع للمسلمين الذين يأتون في العيد للصلاة فقد كان يستأجر كل عيد باسم جمعية مسلمي ليفربول وعلى نفقتها قاعة واسعة من القاعات الميسورة في المدينة . وكانت ليلة العيد ليلة سهر حتى الفجر في بيت الحاج علي حزام لاعداد الطعام لمئات المصلين .

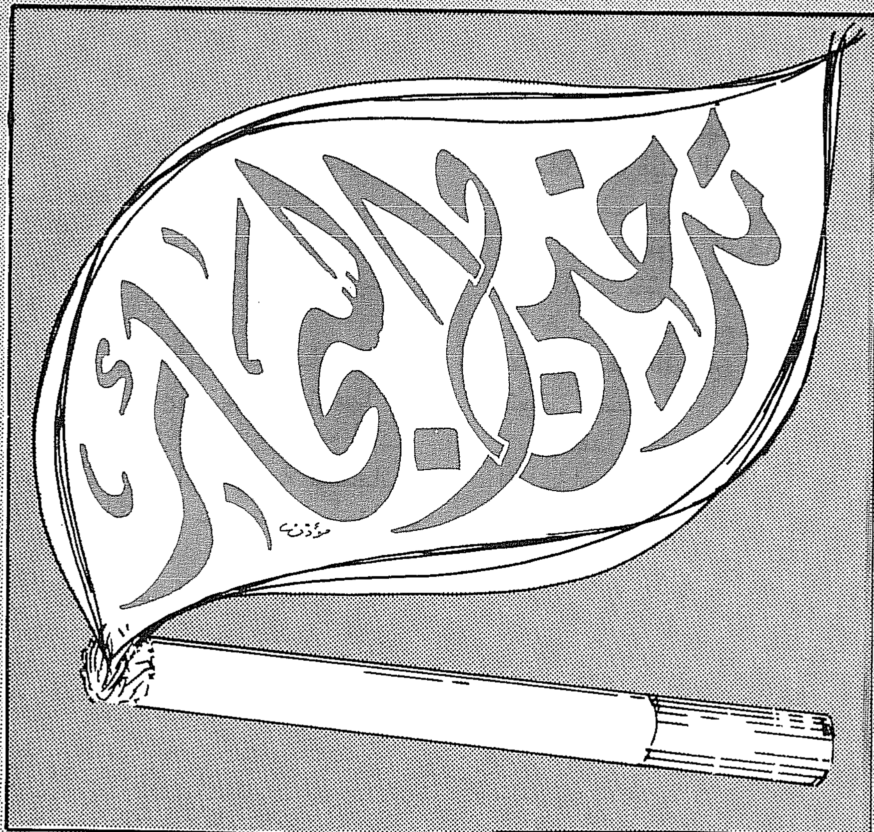
كان علي حزام خفيف الظل مرحا محبا للنكتة مضيافا مفتوح اليد مسارعا في الخيرات يكلف نفسه في الانفاق في سبيل الله فوق طاقته ليكون قدوة للآخرين . وكان متواضعا يأتيه ضعفاء الحال كما يأتيه العصاة والمذنبون فلا يخشى هؤلاء منه شموخا عليهم ، ولا يخاف أولئك منه احتقارا لهم لعصيانهم وكثرة آثامهم .

وكان مما ألزم به نفسه في معاملة المسلمين أن يرعاهم ماديا ما استطاع ، فكانوا يودعون ودائعهم عنده ، ويلجأون اليه عند الحاجة ، ليقترضوا منه ، فكان يقترض من أجلهم ثم يقرضهم ما يحتاجون . ولم يكن يأخذ منهم سندا بما يقرضهم ، وحين اعترضت عليه لأن ذلك يخالف التوجيه القرآني ، قال : إن هؤلاء الناس جهال بسطاء ولا يفهمون من ذلك إلا أني أئتمنهم .

ولما مات اكتشفت زوجته أنه كان مدينا بمبالغ كثيرة لم تكن تعلم بها ، فاضطرت إلى مفاتحة ابنته بشأن بيع دار كان قد وهبها إياها ، فبيعت الدار لتسديد ديون كان أغنى الناس عنها لولا ما ألزم به نفسه من انفاق على أمور المسلمين ، ولولا ضياع كثير من أمواله التي اقرضها للمحتاجين ، وسكت عنها صيانة للرابطة المعنوية التي كان يمثلها بين المسلمين في ليفربول .

وبعد : فهذه شخصية انسان أم المسلمين وقام بأمور دينهم ورعاهم وهو لم يتخرج في جامعة ، ولم يحمل شهادة عليا في العلوم الدينية ، وانما عرف الله فأكثر من ترديد قوله تعالى : ( **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ) الانعام/ ٩١ ، وكان ذكر الله عنده عملا دائبا للاسلام والمسلمين منذ الصباح حتى منتصف الليل ، بل حتى ينشق الفجر أحيانا ، وكان أمله أن يبني للمسلمين في ليفربول مسجدا يجمع شملهم وقد بناه ، وقدمه هدية لمسلمي ليفربول أودعها روحه كلها فسقط جسدا باردا لا روح فيه . فحملته إلى مثواه في مقبرة ليفربول الاسلامية ايد طالما اتكأت عليه في الملمات ، وطالما حرص على أن تصل مثواها يوما ما نظيفة طاهرة تشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

رحم الله علي حزام وغفر له ، وبنى له بيتا في الجنة ، ورعى مسجده في ليفربول ورعى الذين حملوا الأمانة بعده ورعوا المسجد والمسلمين في تلك الغربة .



للاستاذ ضياء الحاج حسين

ان السجائر هي أكثر وسائل التدخين انتشارا وأفدحها خطرا على الصحة إذ أنها تهيئ للاصابة بسرطان الرئة والحنجرة ولاسيما اذا طالت مدة استعمالها .

وتختلف كمية النيكوتين الموجودة في السيجارة باختلاف طول السيجارة وحجمها ونوع تبغها . فالسجائر الرفيعة الطويلة تنتج عنها كمية من النوكتين أقل من السجائر القصيرة والغليظة ، وكذلك فان نصف السيجارة الأخير يحتوي كمية من النيكوتين أكبر من نصفها الأمامي . ولهذا فان النصف الأخير للسيجارة أكثر ضررا من نصفها الامامي .

والمصفاة ( الفلتر ) الموضوعة في مؤخرة السيجارة يخفف قليلا من ضررها وذلك بايقافه لمقدار يسير من

موادها الضارة .

وان استهلاك السجائر في العالم آخذ بالازدياد بمرور الزمن .

والتدخين يعكس خطورته على المجتمع وحياة الانسان نظرا لأن زيادته في الاستهلاك تتناسب مع ازدياد الأمراض التي يسببها التدخين ( كالسرطان – التهاب شعبي مزمن .. الخ ) .

وهذا يجعل الحكومات أمام مسئولية خطيرة تهدد مجتمعها إذا هي تمادت في إيثار الارباح التي تجنيها من وراء صناعة السجائر ( أو تجارتها ) على صحة مجتمعها وسلامة أفراده .

وان تعاطى التبغ ، تدخينا كان أو مضغا ( علكا ) أو استعاطا ( على شكل سعوط ) هو عادة رديئة . هذه حقيقة يسلم بها حتى متعاطو التبغ أنفسهم ، اذ من شأن ذلك تنبيه أعصاب معينة وبطريقة مشوشة ، وجعل دقات القلب غير منتظمة الايقاع فيتعرض مدخنو السجائر لخطر الموت المبكر نتيجة تعرضهم لأمراض الرئة والقصبات والقلب المختلفة .

إن الشخص المدمن البالغ من العمر ثلاثين عاما والذي يدخن خمس عشرة سيجارة في اليوم يكون مستوى عمره أقل من الشخص الذي لا يدخن . ومما يؤكد ارتباط العمر بالتدخين وجود علاقة وثيقة بين زيادة عدد ضحايا أمراض الدورة الدموية والقلب – والزيادة الواضحة في عدد المدخنين .

ومن هنا ارتفعت صيحات عديدة تحذر من خطر الدخان ( السيجارة ) .

وفي نفس الوقت زادت شركات الدخان من إنتاجها مع إحاطته بوسائل الترغيب الشديدة – وأصبح من المألوف أن نسمع عبارة خادعة مثل : أنقى أنواع الدخان ، فالواقع أنه لا توجد حتى الآن سيجارة واحدة بلا ضرر . وأصبح من الضروري الامتناع عن التدخين حتى يمكن أن نتجنب مضاره .

ويعتقد معظم الأطباء أن عدد الأشخاص الذين يموتون كل عام نتيجة الادمان على التدخين يفوق بكثير عدد الذين يموتون نتيجة ادمانهم على الحشيش أو الهيروين .

والسبب الرئيسي في ذلك يعود إلى أن النيكوتين يمهد الطريق إلى دخول مجموعات كبيرة من العناصر التي تولد السرطان والسموم والملوثات الخطيرة الأخرى إلى الجسم ، ففي الولايات المتحدة وحدها ذكرت التقارير أن حوالي ٣٦٠ ألف وفاة معروفة تحدث كل عام بسبب النيكوتين أي بمعدل ألف وفاة يوميا .

ويقول الأطباء إن عدد ضحايا التدخين يفوق بحوالي سبعة أضعاف عدد ضحايا حوادث السير طوال السنة ونتيجة للنشرات الصحية التي وزعتها الدوائر الصحية في الولايات المتحدة الامريكية والتي شرحت بها الاخطار الكامنة وراء التدخين ، فقد تدنى مستوى التدخين في الولايات المتحدة الامريكية بعد سنة ١٩٤٦م .

ولكن التدخين مازال يعتبر المشكلة

الصحية الرئيسية في أكثر بلدان العالم العربي .

## كيماوية التدخين :ـ

المعروف أن دخان السجائر يحتوي على آثار من مادة القطران وبالرغم من تسرب جزء كبير من مركبات الدخان إلى الهواء الطلق حين تدخينه ، إلا أن كل نفس يسحب من السيجارة أثناء تدخينها يزيد في تركيز المادة القطرانية وتكثيفها في الجزء غير المحروق ومن ثم تتسرب مادة القطران السامة إلى داخل جسم المدخن كلما تصاعد ازدياد حرق السيجارة ونفثها .

وكما هو معلوم فان المدخن العادي لا ينزعج من تدخين السيجارة بقدر انزعاج مدخن الغليون أو السيجار مما يجعله مدمنا على تدخين السيجارة التي يسهل إشعالها في أية فرصة أو كما يقال ان تدخين الغليون أو لفافة السيجار أقل خطورة من تدخين السيجارة علما بأن ذلك ليس صحيحا تقريبا وذلك لأن كل أنواع التدخين في الضرر سواء .

تقسم مركبات الدخان المنبعث من السيجارة بالنسبة لأهميتها من الناحية الطبية إلى أربعة أقسام :ـ

### ١ ) المواد المحدثة للسرطانات :ـ

وهي عبارة عن المادة المسماة « البانزبايزن » الموجودة في القطران وهي تستطيع التسرب أثناء التدخين إلى أعماق الرئتين رغم وجود الموانع التي يزعم بأنها موقفة للقطران مثل ( الفلتر ) أو ما يوضع في الغليون والسيكار من حواجز إذ أن هذه الحواجز توقف فقط مادة القطران وتسمح للبانزبايزين بالمرور ، وهو المادة المسببة للسرطانات وخاصة منها سرطان الرئة .

يعطي كل جرام من التبغ بعد احتراقه مقدار ٤٠ ملغ من المواد القطرانية ، ولقد قام عدد من العلماء بتجارب على المواد القطرانية المستخرجة من الدخان للتبغ فقاموا بدهن جلود الفئران بهذه المواد عدة مرات فكانت النتيجة تشكل سرطانات على جلود الفئران مكان وضع هذه المواد .

### ٢ ) المواد المثيرة أو المخرشة :ـ

وهي التي تحدث السعال وتضيق الشعب القصبية بعد كل سحبة من الدخان كما أنها تحد من وظيفة الأهداب الموجودة في القصبات التنفسية ونحن نعرف ما للأهداب من وظيفة في تنقية الهواء الداخل أو بالأحرى الأكسجين الداخل إلى الرئتين . كما تعمل هذه المواد على اثارة مفرزات القصبات المخاطية وتسبب السعال الرطب .

## النيكوتين :ـ

هي مادة شبه قلوية ضارة جدا بالجسم وتعتبر المادة الأساسية

السامة في التبغ ، وتختلف نسبتها فيه بين زهيدة ( ١ ــ ٣٪ ) ومتوسطة ١٢٪ حسب نوع التبغ وطريقة زراعته وعلى العموم فان هذه النسبة هي في دخان السجائر أكبر منها في دخان التبغ والسجائر يحوي كل ١.غ من التبغ ٢٠ ملغ من النيكوتين الشديد الخطورة إذ يودي حقن نقطة واحدة في الدم للموت الفوري ، ولذلك فان جميع الصيدليات والمختبرات في العالم تصنف النيكوتين مع مجموعة السموم الخطرة على الحياة ، على حين لا يدرك المدخنون المدمنون هذا الأمر .

وقد يسبب الادمان على التدخين بما فيه من نيكوتين الادمان على الكحول والهيروئين . كما يعتبر النيكوتين من المواد الضارة بالجهاز العصبي لما له من تأثير ضار على الأعصاب ويؤثر أيضا بصورة سلبية وغير مباشرة على الدورة الدموية عن طريق اثارة افرازات الكاتيكو لامين الذي يزيد في شدة ضربات القلب ويعمل على إسراعه وعلى تضييق الأوعية ورفع معدل الضغط الشرياني ، هذا بالاضافة إلى ازدياد تركيز إفرازات الحموضة الدسمة في الدم والصفيحات الدموية والحد من افرازات البيكربونات في غدة البنكرياس .

**الغازات السامة :ــ**

نعد في طليعة هذه الغازات غاز أول أكسيد الكربون : وهو غاز سام ينبعث مع غازات احتراق التبغ وتبلغ نسبته في هذا الدخان حوالي ألف مرة أكثر من النسبة المقبولة في الهواء الصالح للاستنشاق أو المعتبر هواء غير ملوث ، تتراوح نسبة هذا الغاز في دخان التبغ ( ١ ــ ١٤٪ ) بينما تتراوح نسبته في دخان قاطرة السكك الحديدية ( ٣,٦٪ ) وفي دخان السيارة ( ٣,٥ ــ ٧٪ ) وفي غاز البوتوغاز ( ٤ ــ ٦٪ ) .

وهذا الغاز سام ومميت لأنه يدخل إلى الدم ويتحد مع الكريات الحمر فيمنعها من حمل الأوكسجين من الرئتين إلى أعضاء الجسم فيموت المتسمم به بسبب نقص الاكسجين بدمه .

**غاز حمض هيدروجين السيانيد :ــ**

وهو سم زعاف موجود في دخان السيجارة بتركيزات تبلغ حوالي ألف وستمائة جزء ( ١٦٠٠ ) جزء من مليون مقابل عشرة اجزاء من مليون وهو المستوى المأمون الذي تسمح به الصناعات كمعدل سليم لانتاجها .

٣ ) بالاضافة إلى الغازين السابقين هناك غاز ثالث موجود في غاز السيجارة **وهو كبرتيد الهيدروجين** ولقد ثبت أن معدل كربوكسي هيموغلوبين في الاشخاص الذين يدخنون علبة واحدة يوميا هو ٥٪ يقابل هذه النسبة ما يقل عن ١٪ في الاشخاص غير المدخنين . وهناك غازات أخرى موجودة في دخان السيجارة مثل البريدين ــ وغاز الامونياك ( النشادر ) وغاز تسيان هيدريك وغيرها من الغازات الأخرى السامة .

**أوراق السجائر :ـ**

تصنع الأوراق التي تلف بها السجائر من الخرق أو ألياف الذرة أو الكتان أو القنب ـ وبعض المدخنين يصابون بالقرف من رائحة هذه الأوراق عند حرقها بالرغم من تعطيرها بالعطور المختلفة وينسب إلى هذه الأوراق بعض التأثيرات السامة ، لكن لم يثبت بعد ، ما يدل على إمكانية إحداثها للسرطان أو تداخلها في إحداثه ، **والآن جاء الحديث عن الأمراض الناتجة عن التدخين :**

**١ ـ التدخين وسرطان الرئة :**

إن الجهاز التنفسي من أوثق أعضاء الجسم علاقة بالتدخين ، فمساحة الرئتين السطحية تبلغ حوالي سبعين ياردة مربعة أي ما يربو على مساحة ملعب تنس ولا يدانيها في ذلك أي عضو آخر من أعضاء الجسم فهذه المساحة الشاسعة تكون في تعرض مستمر لكل مؤشرات الوسط المحيط بالجسم بما يحتويه من مواد عالقة بالهواء طوال الأربعة والعشرين ساعة التي يحتويها اليوم بمعدل يصل إلى خمسة وعشرين ألف مرة هي متوسط عدد مرات التنفس باليوم الواحد ومن هنا كانت العلاقة بين وسائل الدفاع الداخلية للجسم مرتبطة أشد الارتباط بهذا المنفاخ الدائم الحركة والذي لا يتوقف عن الحركة إلا بعد أن يحين الأجل المحتوم .

ودخان السيجارة هو جرعة مركزة من أشد المواد الكيميائية فتكا وشرا بهذا العضو الحيوي . فقد ثبت إحصائيا وبطريقة لا تدع مجالا للشك العلاقة الوثيقة بين التدخين وبين أمراض التنفس والتي أهمها النزلات الشعبية المزمنة ومرض انتفاخ الرئة وهو مرض يشكو المصاب به من ضيق نفس ، ومن اتساع حجم الصدر ـ كما انه لا يستطيع القيام بأي جهد ، وسبب هذا الداء نقص مرونة الرئة بالاضافة إلى المرض غير القابل للشفاء وهو يؤدي إلى الوفاة على المدى الطويل .

وقد تأكد ذلك من التغيرات الباثولوجية في حيوانات المخبر المتعرضة لجرعات محسوبة من دخان السيجارة وظهرت هذه التغيرات في مراحلها المتدرجة حسب وقت التعرض ومدى تركيز الجرعة المعطاة .

ففي المراحل الأولى من التدخين تبدأ عملية تهيج مستمر للغشاء المخاطي المبطن للجهاز التنفسي ، مع كل نفس سيجارة مما يؤدي لزيادة افراز السائل المخاطي الذي يتراكم على سطح الشعيبات ويستتبعه تغير كيميائي في تركيب هذا السائل مما يجعله يفقد ارتباطه بحركة الشعيبات الهدبية المنتشرة على هذا السطح فتفقد حيويتها ثم تقلع من اماكنها لتعطي الفرصة لهذا المخاط لكي يتزايد ويتراكم ويقفل الشعيبات الهوائية .

# ونفخت فيه من روحي

الانسان الأول آدم وهو المخلوق الذي أبرز الله إرادته ودلائل قدرته في كيانه . ليس من الملائكة . ولا من الجن ، ولا من العوالم الأخرى التي عرفت آنذاك ، وإنما هو كائن زود بطاقات تؤهله للاطلاع بالمهمة ، والنهوض بالمسؤولية التي خلق لها ، يبتلى بالغرائز ، وتصطرع في داخله الانفعالات والدوافع ، ويمنح العلوم والمعارف ، ويضرب في فجاج الأرض اذ من ترابها يخلق ، وعلى ظهرها يعيش ويرزق وفي بطنها يدفن ، ومنها يبعث ، وله اليوم الآخر . وله ينصب الميزان ويضرب الصراط ومن أجله خلقت الجنة والنار ومجال عمله ومحك اختباره في دنياه ، والعوالم كلها مخلوقة من أجله . وملائكة الله يقومون بأمره ليل نهار وعمره على وجه الأرض يقاس بدورة الفلك وأفول الشمس وبزوغ القمر . خليفة عن الله في أرضه بأمره ويسجل ذلك في آخر كتبه ، تنزيلا على خاتم رسله فيقول جل شأنه : ( **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** ) البقرة/٣٠ ، فالملائكة عرفوا الله بملكوته شهودا تسبيحا بحمده وتقديسا وتنفيذا لأوامره ليل نهار لا يفترون . وآخرون عرفوه بملكه وقهره وحيا أو إلهاما سواء في ذلك النجم

والشجر والجبل والمدر . والفيل والنمل كل قد علم صلاته وتسبيحه والهم وظيفته مع الكائنات من حوله وجماع ذلك كله دليله قوله تعالى : **( أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيءٍ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون . ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون )** سورة النحل/٤٨ ــ ٥٠ . وقوله تعالى : **( وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا )** الاسراء/٤٤ . أما آدم وذريته فقد استخلفهم الله في الأرض عنه وجعل لهم السمع والبصر والفؤاد لينفذوا بها من مخلوقاته اليه استدلالا عليه أو جذبا إليه . وبذلك تكمل الارادات ، وتتناسق في ركب الحياة الدنيا المخلوقات ، وتصطرع فيها القوى ليصل بها الى أجلها المقدر لها ، وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة" . ومن أجل ذلك زود الله آدم بعد خلقه بالعلوم والمعارف التي تساعده على فهم الأرض وما فيها وفي ذلك يقول الله تعالى : **( وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون )** البقرة ٣١ ــ ٣٣ .

وما أبلغ قول العلي القدير في شأن آدم أبى البشر : **( فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين )**٢٩/الحجر .

إن هذا تكريم للانسان أي تكريم ، وسمو بمكانته إلى آفاق عليا ، فهو بهذه النفخة من روح الله التي سرت في كيانه فمنحته الحياة العالية الكاملة ، قد أصبح خلقا متفردا بصفات تؤهله لخلافة الله في الأرض وقد شاءت الارادة العليا أن تسلم زمام الأرض لهذا الكائن الجديد الذي وفد عليها ليغمرها بالخير ، ويعمرها بالاصلاح والتجديد ، وقد استطاع الانسان بهذه النفخة المباركة من روح الله ، وبهذه النفخة العلوية التي لابسته ، أن يكتشف ما في الحياة من نواميس وأسرار ، وأن يفجر طاقاتها الكامنة ، ويكتشف كنوزها المذخورة ، وبذلك استطاع أن يحقق مشيئة الله ، في قيادة الحياة

وأن يقوم بالمسؤولية الضخمة التي ناطها الله به ، ووكلها اليه .. ثم كان أن علم الله آدم الأسماء كلها ، ودخل مع الملائكة في امتحان ، ورجحت فيه كفته فقد وهبه الله من العلوم والمعارف ما رفعه على الملائكة الذين لا حاجة لهم إلى هذه العلوم التي لا تتصل بوظائفهم فهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأما آدم فهو مخلوق من طين ، والصلة بينه وبين الأرض وثيقة ، فهو منها وإليها يعود فلا يستطيع كائن غيره أن يدير شؤونها لأنها أمه وهو ابنها ، وهو أقدر على معرفة خصائصها والاحاطة بأسرارها ، والغوص في أعماقها ..

وعندما صدر الأمر الالهي للملائكة بالسجود لآدم تكريما له ، واعترافا بفضله، سجود تعظيم وتحية ، لا سجود عبودية وألوهية خرج إبليس عن صف الطاعة لأمر الله ، وأظهر عداوته لآدم وذريته حسدا له وتكبرا عليه فطرده الحق تبارك وتعالى من فسيح رحمته ، وذلك جزاء المتكبرين .

ويشرف الله آدم فينزله هو وزوجه ضيفين في رحاب جنته ويبيح لهما ما لذ وطاب فيها ويبتليهما بشجرة يمنعهما الأكل منها تربية لعزيمتهما وإيقاظا للغرائز المركبة فيهما ومعالجة للدوافع وتعديلها وفي ذلك يقول الله تعالى : **( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين )** البقرة/ ٣٥ ويركن آدم الى النعيم هو وزوجه وينسى في غمرة حرصه على الخلود ما طلب منه من البعد عن الأكل من الشجرة فيأكلان منها فتمتلئ المعدة وتشتغل الأمعاء وتبدو السوأتان لتؤديا وظيفتهما ، فيدركهما الندم ، ويلفهما الخجل ، ويستترانهما بورق الشجر ، وينبعث من قلبهما اعتراف بالخطأ والتوبة والدعاء فيتقبل الله التوبة ، ويزود آدم وذريته في ظهره بالتحذير من إبليس وجنوده . ويأخذ عليهم العهد في رسله وفي ذلك يقول الله تعالى : **( فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم .. قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )** البقرة/ ٣٦ ــ ٣٩ وقضى الأمر وهبط آدم الى دنيا العناء والفتنة مزودا بمعارف وغرائز ، ورضوان من الله بينما إبليس طرد مذموما مدحورا . ومن هذا التاريخ لا يدخر جهدا في إظهار عداوته للبشرية وصدها عن طريق الهدى والرشاد . ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ليفضحوا مكائد الشيطان ويقووا في الانسان لمسة الرحمن ، فان هلك أحد بعد ذلك فلا يلومن الا نفسه وفي ذلك يقول الله تعالى:( **رسلا مبشرين**

**ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما )** النساء/١٦٥ ولقد سجل الله هذا الحفل الكريم لآدم وما وقع فيه من أحداث في سور متعددة في القرآن بأساليب متنوعة ليشد انتباه الانسان دائما إلى رسالته في الأرض ، ويحذره من أعدائه فيها وما يجب عليه في مدة أجله عليها ليكون قدومه على الله عيدا . لذلك نجد كل آية ، فيها ذكر لهذا الحفل أو الاشارة إليه تركز على ناحية خاصة فيه ففي أطوار خلقة آدم تشير آيات من سورة الحجر ، وفي أصل إبليس تشير آية الكهف ، وإلى حرص آدم وضعف عزيمته تشير آيات في آخر سورة طه ، وإلى تفاخر إبليس تشير آيات من سورة ص ، وإلى توجيه أولاد آدم إلى عدوهم ليأخذوا منه الحذر ترد الآيات من سورة الأعراف إذ هي ختام الآيات يقول الله تعالى:( **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون )** الأعراف/٢٦ و ٢٧ .

أرأيت أيها القارئ الكريم من أنت وما يريده الله ويرضاه لك ..

قد رشحوك لأمر إن فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

إن دعوة الخير والسلام في كيان الانسان من الرحمن ، ونوازع الشر من الشيطان فهل تعود البشرية الى كلمة سواء من ربها الذي أعلى قدرها في الملأ الأعلى ، واخزى عدوها يوم خلق أصلها آدم وجعله يوما مشهودا ، وانحنت الملائكة بأمر الله تكريما له . إلى الكلمة التي ما تزال تتجاوب أصداؤها في العوالم ؟؟

إنها آية الله : ( **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون )** آل عمران/٦٤ .

إلا أن الانسانية ما دامت بعيدة عن منابع سعادتها منفصلة عن هداية ربها فلن تسعدها مادة طاغية ، ولا ملهيات فاسدة ، ولا أعياد فارغة ولن تنسيها ما يغلي في ضميرها من خصومات وأحقاد لربها ولمن حولها من جيرانها : ( **أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون )** التوبة/١٢٦ .

إلا أن الأحفال أياما تكن إنما هي وقفات بأصحابها تجدد لهم العهد ، وتنير لهم طريق الرشد ، وتشدهم عن مسالك الشيطان والأهواء ، وتستل من قلوبهم السخائم والبغضاء ، وتعود بالانسان الى المسلك الرشيد الآمن فيلقى على الأرض محبة وسلاما وينشر بين الناس السعادة والرخاء .

---

# كتاب الشهر

# الاقتصاد الاسلامي

**تأليف : د. محمد شوقي الفنجري**
**عرض وتحليل : محمد عبدالله السمان**

المؤلف هو الدكتور محمد شوقي الفنجري ، المستشار بمجلس الدولة المصري ، وأستاذ الاقتصاد الاسلامي المنتدب بجامعتي الازهر والرياض ، وهو من خيرة المفكرين الاسلاميين المعنيين بالدراسات الاقتصادية الاسلامية ، قدم في هذا الجانب الكثير من جهده الفكري وتذكر له المكتبة الاسلامية كتابه « المدخل الى الأقتصاد الاسلامي » .

● والدراسة التي بين أيدينا دراسة موضوعية في الاقتصاد الاسلامي ، وهي سلسلة متصلة الحلقات ، بدأها المؤلف بحلقتين ، الحلقة الاولى تقع في اكثر من مائة صفحة من القطع الكبير ، وموضوعها : « ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية وأهمية الاقتصاد الاسلامي » وقد شارك المؤلف بهذا الموضوع في مؤتمر علماء المسلمين السابع ، الذي انعقد في القاهرة بالازهر سنة ١٩٧٢م ، والذي كان ضمن توصياته : الدعوة إلى تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي في الجامعات والمعاهد العلمية في الدول الاسلامية ، أما الحلقة الثانية فموضوعها : « الاسلام والمشكلة الاقتصادية » وقد شارك به المؤلف أيضا في مؤتمر علماء المسلمين الذي انعقد بالقاهرة سنة ١٩٧٧ ، وهناك حلقتان أخريان سوف تصدران قريبا - إن شاء الله - عن الاسلام والتأمين ، ثم المذهب الاقتصادي في الاسلام .

● الحلقة الاولى من الدراسة التي بين أيدينا « ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية ، وأهمية

الاقتصاد الاسلامي » ذات فصلين رئيسيين كما يبدو من العنوان ، الاول عن الذاتية ، والآخر عن الاهمية ، وفي مجال الذاتية للسياسة الاقتصادية ، عرض المؤلف للجمع بين الثبات والتطور ، والجمع بين المصلحتين : الخاصة والعامة ــ أي خاصة التوفيق والموازنة بين المصالح المتضاربة ــ والجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، وهذه هي الخصائص الرئيسية التي يمكن رد السياسة الاقتصادية في الاسلام اليها ، وحول الخاصة الاولى : الجمع بين الثبات والتطور ، اشار المؤلف الى بعض القضايا ، منها : أن الاقتصاد الاسلامي ، إلهي من حيث المذهب ، ووضعي من حيث النظام . وأن المذهب الاقتصادي الاسلامي لا يرتبط بمرحلة تاريخية معينة ، ولا يقتصر على صورة تطبيقية معينة ، وحول الخاصة الثانية : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، أو خاصة التوفيق بين المصالح المتضاربة ، أثار المؤلف أيضا بعض القضايا : مناط الاقتصاد الاسلامي هو المصلحة ــ التوفيق بين مصلحتي الفرد والجماعة في حالة التعارض ــ في حالة عدم امكان التوفيق بين المصلحتين ، تقدم المصلحة العامة على الخاصة أي على مصلحة الفرد ، وحول الخاصة الثالثة والأخيرة : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية .. أثار المؤلف بعض القضايا : الطابع الايماني والروحي للنشاط الاقتصادي ــ ازدواج الرقابة وشمولها ، مقارنة بين النظم الوضعية والاسلامية .

والفصل الثاني من الحلقة الاولى ، عن أهمية الاقتصاد الاسلامي ، وهذا الفص تضمن ثلاثة مطالب : أهمية اسات الاقتصادية ، ودور ـصاد الاسلامي ، ثم تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي ، وحول المطلب الثاني : دور الاقتصاد الاسلامي ، اشار المؤلف إلى أهمية هذا الدور بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف ، وبالنسبة للعالم الاسلامي ــ حيث إن الاقتصاد الاسلامي هو المنهج الاقتصادي الذي تتوافر له التجارب لدى الشعوب المسلمة ، والفاعلية وقوة التنفيذ ، والذي يحقق لجماهير العالم الاسلامي الوحدة والانسجام ، ثم دور الاقتصاد الاسلامي بالنسبة للعالم اجمع ، وحول المطلب الثالث والاخير : تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي ، اشار المؤلف الى حداثة مادة الاقتصاد الاسلامي ، بالرغم من انه قديم قدم الاسلام ، كما اشار إلى إغفال تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي ، واغفال تطبيق الاقتصاد الاسلامي وسببه .. والحق ان قضية الاغفال تدريسا وتطبيقا ، مردها إلى وقوع العالم الاسلامي تحت سيطرة الاستعمار الغربي الصليبي ، والذي يثير الأسى أن الدول المسلمة بعد رحيل هذا الاستعمار لاتزال تتقدم خطوة وتتأخر خطوات بالنسبة لهذه

القضية ، ولن يعذرها الله إذا هي لم ترد للاقتصاد الاسلامي اعتباره تدريسا وتطبيقا .

● والحلقة الثانية من هذه الدراسة التي بين أيدينا : الاسلام والمشكلة الاقتصادية .. وتقع أيضا في أكثر من مائة صفحة من القطع الكبير ، وهي تتضمن ثلاثة مطالب : ماهية المشكلة الاقتصادية — الاسلام والعامل المادي — ثم تشخيص الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها ، ثم رد المؤلف بعد ذلك على شبهتين لدحضهما أولاهما : إقرار الاسلام للطبقية ، والأخرى عدم اعتراف الاسلام بالاثرياء .

يرى المؤلف : أن موضوع المشكلة الاقتصادية وعلاجها ، هو موضوع الاقتصاد كله ، وبحكم المتغيرات الدولية ، وتشابك المصالح وارتباط الدول ببعضها ، أصبح موضوع المشكلة الاقتصادية يثير جوانب جديدة ، لم تكن مطروقة من قبل ، أهمها : ظاهرة الانفجار السكاني في الدول النامية ، وظاهرة تسابق دول العالم أجمع في التسلح والانفاق العسكري مما أثر على معدلات التنمية ، وكذلك ظاهرة حمى الاستهلاك التي تسود عالم اليوم ، ثم ظاهرة تفاقم الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وما يستتبع ذلك من اضطراب وعدم استقرار .

ويرى المؤلف أن المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر ، وان مشكلة الفقر قديمة وان اشتدت وطأتها متأخرا ، وان هذه المشكلة لا تتمثل — كما تصور البعض — في ظاهرة الجوع والحرمان او العجز عن اشباع الحاجات الأساسية للمعيشة ، وإنما تتمثل في عدم بلوغ المستوى اللائق للمعيشة بحسب ما هو سائد في المجتمع ، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهو ما أدركه الاسلام بفكره الاقتصادي منذ ١٤ قرنا ، وعبر عنه باصطلاح : حد الكفاية ، وهذا الاصطلاح — وإن لم يرد صراحة في نص من القرآن أو السنة — إلا أنه يستفاد من روح هذه النصوص ، وقد ورد صراحة في تعبيرات أئمة الاسلام ، يقول عمر : إذا أعطيتم فأغنوا .. ويقول علي : إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم .. ويقول الماروردي في الاحكام السلطانية : « ... فيدفع إلى الفقير والمسكين ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى » كما يقول : تقدير العطاء معتبر بالكفاية ، ويقول الشاطبي في الموافقات : الكفاية تختلف باختلاف الساعات والأحوال .

وحول المطلب الثاني من هذه الحلقة : الاسلام والعامل المادي .. يشير المؤلف إلى أن الاسلام — منذ ظهوره — أدرك أن الانسان في حياته الدنيا يتأثر بأمرين رئيسيين : عقيدته الدينية ، ثم شؤونه الاقتصادية ، ومن هنا كان اهتمام الاسلام بالعامل المادي ، فلم يهون من شأنه مثلا ، كالمذاهب الروحية والمتصوفة ، ولم يغال فيه ، كالمذاهب المادية

للدكتور/ احمد علي المجدوب

على الرغم من أن اصطلاح « التدابير الاحترازية Mesures de Surete » يعتبر اصطلاحا حديثا جدا يرتبط في نشأته بنشأة الأفكار الجديدة عن الوظيفة الاصلاحية والتقويمية للعقوبة ، مما قد يبرر دهشة البعض من الربط بين هذه التدابير والتشريع العقابي الاسلامي ، إلا أن الحقيقة الثابتة فيما تركه لنا السلف من تراث تؤكد انهم عرفوا إلى جانب العقوبات التقليدية كالرجم والقطع والجلد والحبس ، نوعا آخر من الاجراءات ، ذات طبيعة ذاتية تميزها عن العقوبات ، وشروط التطبيق لها تختلف كل الاختلاف عن الشروط العادية التي يتحتم توفرها لتوقيع الجزاءات الجنائية ، يمكن أن نطلق عليها وصف التدابير الوقائية أو الاحترازية باعتبار أن وظيفتها الوقاية من جرم يوشك أن يقع ، والتحرز ضد انحراف يكاد يكتمل ، دون ان يقترن ذلك بغرض آخر كالردع او الزجر أو الانتقام ، أو حتى الاصلاح أو التقويم .

لذلك تختلف التدابير الاحترازية في مفهوم الفقه الاسلامي عنها في مفهوم الفقه الغربي ومن يشايعه من الشراح المسلمين ، فهي عند الآخرين تشمل إلى جانب الغرض الوقائي أو الاحترازي غرضا آخر هو الغرض الاصلاحي ، مما جعل البعض يطلق عليها أحيانا وصف التدابير الاصلاحية دون أن يفطنوا إلى أن الاصلاح ليس هو الغاية الوحيدة لهذه التدابير ، بل وليس الغاية الأساسية ، وحتى مع افتراض ازدواج الوظيفة التي تقوم بها التدابير ، وتعدد الأغراض المستهدفة منها ، فان تخصيصها باحدى الوظيفتين ، أي الاصلاح دون الوظيفة الأخرى وهي الوقاية أو الاحتراز ينفي عن الأوصاف كل أهمية ، فيستوى أن توصف بأنها إصلاحية أو وقائية أو احترازية ، بينما العكس هو الصحيح ، فالواقع أن التطابق بين الوصف والوظيفة على جانب كبير من الأهمية ، فضلا عن أنه من البدهيات التي لا يختلف بشأنها اثنان ، لأن الوصف يجب حتى يحقق غرضه ويبلغ غايته أن يكون جامعا لكل ما في الموصوف من خصائص ، مانعا من دخول غيره فيه . ووصف التدابير بأنها إصلاحية ، إذا تجاوزنا واعتبرناه شاملا لكل خصائصها أو جامعا لكل شروطها ، فانه لا يعتبر مانعا من دخول غيرها فيه كبعض العقوبات مثلا ، فالحبس لا يتجرد من معنى الاصلاح ، ولا يخلو من صفة التقويم ، بالرغم من أنه ليس مما

طبق عليه وصف التدابير .

كذلك تخرج بعض التدابير التي يعتبرها علماء العقاب الغربيين من نطاق هذا الوصف ، أي الاصلاح ، لأن طبيعتها تقصر عن تحقيقه ، مثال ذلك مراقبة الشرطة التي اعتبرها البعض تدبيرا وليست عقوبة ، وهي كما هو معروف لا تتضمن أي معنى للاصلاح أو التقويم ، وإنما مجرد إجراء يراد به جعل الجاني تحت اعين الشرطة للحيلولة بينه وبين ارتكاب الجرائم ، ودون أن يقترن ذلك بأي نشاط يهدف إلى أصلاحه أو تقويمه .

لذلك فان اصطلاح التدابير الاصلاحية هو اصطلاح عام يشمل بعض العقوبات Peines إلى جانب التدابير Mesures التي تكون ذات طبيعة تمكن من إصلاح الجناة ، كعقوبة الحبس وبعض العقوبات الأخرى ومعظم التدابير كالايداع في مستشفى أو في مصح علاجي ، أو في مستعمرة زراعية أو مؤسسة للعمل أو في إصلاحية ، بل إن الفقيه الايطالي « انريكو فيري » ذهب ، حين عهد إليه بوضع مشروع قانون العقوبات الايطالي سنة ١٩٢١ إلى اعتبار كل العقوبات من قبيل التدابير الوقائية مفسرا الوقاية على أنها لا تقتصر على ما قد يوحي به سلوك الشخص ، أو تنم عنه ظروفه من احتمال انحرافه وارتكابه الجريمة لأول مرة ، وإنما تشمل أيضا الوقاية من عود الشخص الذي أجرم من قبل إلى ارتكاب جريمة أخرى ، وهو كما نرى خلط بين إجراءين مختلفين تماما سواء من حيث طبيعتهما الذاتية أو من حيث شروط تطبيقهما ، فالوقاية يقصد بها توقي وقوع الجرم أو التحرز منه ، أي أنها سابقة على الجريمة ، في حين أن العقوبة لاحقة عليها ، لذلك تخرج العقوبات من نطاق التدابير حتى ولو كانت تحقق الاصلاح وتبقى التفرقة بينهما قائمة ، حتى ولو كانت وظيفتهما في الظاهر واحدة ، وهي الاصلاح ، فانهما في الواقع مختلفان ، فبينما تهدف التدابير إلى إصلاح شخص لم يصبح مجرما بعد ، فان العقوبات تهدف إلى إصلاح شخص أجرم فعلا ، ومن هنا كان الاهتمام بما يسمى « الحالة الخطرة » كمعيار يستعان به لمعرفة مدى ملاءمة تطبيق التدابير الاحترازية أو الوقائية على شخص ما .

ولقد أدركت الشريعة الاسلامية هذه الحقيقة منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنا ففرقت بين وضعين ، أحدهما : هو الوضع الذي يقدم فيه الشخص على ارتكاب الجريمة ، فيخرج على القانون غير عابىء ، بم يسببه خروجه من أخطار أو ما يلح من أضرار بالحقوق التي كفلته الشريعة ، وثانيهما : هو الوض الذي يكون فيه سلوك الفرد أو ظ منطويا على احتمالات انحراف الطريق القويم وخروجه على الشريعة . وفرقت بالتالي بين ر الاجتماعي في الحالتين فجعلت محددة سواء كانت حدا أو الحالة الأولى ، في حين جع

ليست له طبيعة الجزاء ، في الحالة الثانية ، لأنها لا تواجه إجراما حقيقيا وإنما تواجه مظاهر إجرامية مبكرة ، تهدف إلى الحيلولة دون نموها واكتمالها لتصبح إجراما كاملا .

وهو تطور في السياسة العقابية أملته الشريعة الاسلامية التي تتضمن مبدأ أساسيًا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمقصود المنكر بكافة صوره وكل درجاته ، حتى تسود الطمأنينة وينتشر الأمن ويتفشى الحب والاخاء والمودة بين الناس .

ولم يكن يفوت الشريعة وهي تميز بين الجرائم سواء بحسب شدة الضرر المترتب عليها أو درجة الخطر التي تتضمنها أو بحسب القصد المتوفر لدى مرتكبها أو بحسب الحقوق التي وقعت اعتداء عليها الخ .. أن تميز بين حالتي الاجرام الكامل والاجرام الناقص الذي تكشف عنه أحوال الشخص أو ظروفه فتقرر للحالة الأولى عقابا يتفاوت شدة وضعفا بحسب نوع الجرم ودرجته ، وتقرر للحالة الثانية تدبيرا يتلاءم مع ما توحي به حالة الشخص من خطر أو ما يسمى في الاصطلاح الحديث « الحالة الخطرة » .

ولقد تميزت التدابير في التشريع الجنائي الاسلامي عن العقوبات سواء من حيث طبيعتها الذاتية أو من حيث شروط تطبيقها ، فبينما تهدف العقوبة إلى تكفير المجرم عن جرمه وإصلاحه فضلا عن هدف الردع بنوعيه العام والخاص فان التدابير تهدف إلى الحيلولة دون ارتكاب الشخص للجريمة أو تشجيعه أو تحريضه لغيره على ارتكاب الجريمة أما من حيث اختلاف شروط تطبيق التدابير عن شروط تطبيق العقوبات ، فانها تبدو في اشتراط وقوع جريمة كاملة الأركان حتى تطبق العقوبة على المسئول عنها ، بينما يكفي قيام حالة الخطورة حتى يطبق على الشخص تدبير من التدابير التي تكفل الوقاية من اجرامه .

لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكسر دنان الخمر وشق ظروفها حتى يحول دون ارتكاب المسلمين لجريمة شرب الخمر ، وأمر عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بحرق المكان الذي يباع فيه الخمر لنفس السبب والاجراءان من التدابير الوقائية ذات الطبيعة المالية التي تقوم على إتلاف مال للحيلولة دون وقوع جرائم ، وهو شبيه بالتدبير الوقائي الذي يتم بغلق المحل أو سحب الترخيص ، وإن كان أشد منه أثرا وفاعلية لأنه يقضي على المال مصدر الخطورة بشكل تام .

ومن التدابير الوقائية التي استحدثها الاسلام ، الابعاد والمنع من الاقامة . فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنفي بعض المخنثين من المدينة ، كذلك نفى عمر بن الخطاب شابين بعد أن عرف أن حسنهما من شأنه أن يعرضهما ويعرض النساء للوقوع في المحظور أي الجريمة ، فقد روى أنه بينما كان عمر يقوم بجولته الليلية إذا به يسمع امرأة تنشد :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أو من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟
فلما أصبح سأل عن المدعو نصر بن حجاج فعرف أنه من بني سليم ، فأرسل في طلبه ، فجاء ، فاذا شعر رأسه من أحسن ما رأى عمر ، ووجهه من أصبح ما شاهد ، فأمره أن يقص شعره ، ففعل ، فخرجت جبهته ، فاذا به يزداد حسنا ، فأمره عمر أن يعتم ففعل فازداد حسنا فقال عمر : لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها . وأمر له بما يصلحه ونفاه إلى البصرة .

وقد قال الفتى لعمر : وما ذنبي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : لا ذنب لك وإنما الذنب لي حيث لا أطهر دار الهجرة منك .

وهكذا ترى أن عمر بن الخطاب لم يعتبر الفتى مذنبا وإنما اعتبره مصدر خطورة على النساء وعلى نفسه لأنه بحسنه سوف يفسدهن ، وباعجابهن به سوف يفسدنه فرأى أن يتخذ حياله تدبيرا وقائيا أو احترازيا يحول دون استفحال ضرره وزيادة خطره .

وقد اتخذ عمر تدبيرا مماثلا ضد ابن عم نصر هذا ويدعى « أبو ذئب » فنفاه إلى البصرة أيضا .

ومما يدل على أن الفقهاء المسلمين أدركوا طبيعة هذا التدبير وغيره ، التي تختلف بشكل واضح عن طبيعة العقوبة سواء كانت حدا أو تعزيرا ما قاله السرخسي في مبسوطه ( الجزء التاسع صفحة ٤٥ ) أن عمر فعل ذلك بطريق المصلحة ، لا بطريق الحد أو العقاب فالجمال لا يوجب النفي ، ولكن فعل ذلك للمصلحة وهو نفس الأساس ـ الذي يقوم عليه نظام التدابير الاحترازية الحديث، الذي يهدف الى مصلحة الجماعة بوقايتها من جرم محتمل وخطر متوقع ، ومصلحة الفرد بالحيلولة دون صيرورته مجرما وقد فعل عمر ما فعله ليحمي المجتمع ، وليحمي الشابين في آن واحد .

كذلك فان ما فعله الشابان لا يعد جريمة ولا يتضمن سلوكا يعد جريمة وإلا لأوقع عمر عليهما عقوبة تتلاءم مع جرمهما ، كما فعل مع المدعو « جعدة » وهو من بني سليم أيضا واشتهر مثل قريبيه بالحسن المفرط ، حين بلغه أنه ينتهز فرصة وجود الرجال في ميادين القتال ويدخل على النسوة اللائي غاب عنهن أزواجهن ، فلما جيء له به جلده مائة جلدة وهو مربوط ، ونهاه أن يدخل على امرأة غاب عنها زوجها ، فكان عقابه له في هذه الحالة على سبيل التعزير لا على سبيل التدبير لأنه فعل ما يعد معصية ، بعكس قريبيه اللذين سلف الحديث عنهما .

كذلك إذا عرف عن شخص أنه فاسق يأوى إليه أهل الفسق والخمر ، دون أن يكون قد أتى جرما يعاقب عليه ، فانه يمنع من الاقامة في بيته كتدبير وقائي ، له هدف مزدوج ، فهو من ناحية يحول دون مضي الشخص في غيه ، واستمراره في خطئه ، مما قد يؤدي به إلى أن يصبح مجرما ، ومن ناحية أخرى يحول دون محاكاة جيرانه له وتقليدهم لما يفعل

سواء دون أن يتصلوا به أو باتصالهم به بعد أن لم يجدوا لما يفعله من فسق رد فعل لدى ولاة الأمور الذين لم يروا في سلوكه جرما مما تعاقب عليه الشريعة سواء بحد أم بتعزير ، فقد سئل مالك عن فاسق يأوى إليه أهل الفسق والخمر ، ما يصنع به ؟ قال : يخرج من منزله وتكرى عليه الدار والبيوت ، فلا تباع لعله يتوب فيرجع إلى منزله ، وقال ابن القاسم إنه ينصح مرة أو مرتين أو ثلاثا . فان لم ينته أخرج من الدار وأكريت عليه .

ومن التدابير الوقائية أو الاحترازية التي قال بها الفقهاء المسلمون افساد ثياب المرأة بحبر ونحوه إذا كانت لا تستر جسدها كأن تكون قصيرة أو شفافة لا تخفي ما تحتها ، وذلك منعا لها من إفساد الرجال من ناحية ، ووقاية لها من أن تتعرض للغواية بسبب سلوكها غير الصائب .

ومن التدابير الاحترازية الأخرى التي استحدثها المسلمون الوضع تحت المراقبة ، والتشهير بالشخص في بعض الأحوال التي يوحي فيها مسلكه باحتمال إجرامه ، إذا كان التشهير لا يسيء إليه ، وذلك كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حين شكى له احد صحابته مما يلقاه من عدوان جاره عليه بما يخرج عما أمرت به الشريعة من الترابط والتواد والتراحم ، فنصحه الرسول أن يحاول إصلاح ما اعوج من جاره وأن يعالج نفس هذا الجار بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، ولكن الجار الشرير مضى في غيه واستمرأ عدوانه ، فعاد الصحابي يشكوه للرسول الذي أمره أن يعمد إلى متاعه فيخرجه من بيته ويضعه في الطريق العام ، ونفذ الشاكي ما أشار به الرسول ، فلما مر الناس به وكانوا يعلمون عنه كل ما هو طيب وسار ، سألوه عما حل به وجعله يترك بيته على هذه الصورة ، أخبرهم بأمر جاره السيء واعتدائه المستمر عليه فأخذوا يلعنونه . فلما تناهت لعناتهم إلى سمعه خشي نبذهم له وغضبهم منه وضيقهم به فبادر إلى جاره الطيب يسترضيه ويرجوه أن يعود إلى داره واعدا إياه ومتعهدا له بألا يعود إلى سلوكه السيىء .

وهناك غير ذلك الكثير من التدابير الوقائية او الاحترازية التي استحدثتها الشريعة الاسلامية ، مما لا يتسع المقام لسرده في هذه العجالة التي قصدنا بها الرد على قصار النظر وأدعياء العلم من المستشرقين وأتباعهم من المستغربين المسلمين الذين زعموا أن الشريعة الاسلامية لم تتضمن من النظام العقابي سوى بضع عقوبات بدنية قاسية تطبق على من يرتكبون إحدى الجرائم المسماة حدودا وأن النظام العقابي كما نعرفه الآن هو من ابتكار الغرب وإبداعه ، فاذا كان ذلك صحيحا ، وهو قطعا ليس كذلك فبماذا يفسرون هذه التفرقة الفريدة بين حالتي الاجرام الناقص أو الاجرام في طور النمو وبين الاجرام الكامل .. لا أعتقد أن لديهم إجابة اللهم إلا إذا كان الصمت العاجزهو الاجابة .

# نظرة عامة

## في الكتاب والقراءة والمكتبات

للدكتور/رفيق المصري

كثر اهتمام المسلمين ، فقهاء وقانونيين واقتصاديين ، في الآونة الاخيرة بموضوع الاقتصاد الاسلامي عموما والربا والمصارف خصوصا ، وقد رافقت هذا الاهتمام محاولات كثيرة لاقامة نظام اقتصادي شرعي للبنوك الاسلامية المنشودة ، ثم تجسدت هذه المحاولات في افتتاح «البنك الاسلامي للتنمية في جدة» وبنوك اسلامية اخرى في كل من دبي ومصر .. شجعت على مزيد من البحوث النظرية والمحاولات العملية في بلدان اخرى كتركيا وليبيا والاردن .

وقد اطلعنا على جل ما كتب في هذا الموضوع ، ولكنه على كثرته نسبيا يبقى غير كاف ، ويفسح المجال لمزيد من الابداع والتطوير والتنقيح والتهذيب .

وهكذا لم نجد حتى الان مؤلفا كاملا لنظرية متكاملة حول «الربا» بحيث تمتد اتماما للبحث الى الفائدة ، والايجار ، والغبن الفاحش ، والبيع بالنسيئة ، وبيع السلم ، وبيع الغرر ، والمضاربة ، وما الى ذلك مما يتطلبه البحث وتحديده في صورة نظرية منسجمة مدعمة بالادلة من النصوص ومن العلم والعقل .

وهناك من خلط بين مفهومي الربا والربح ، او بين الربا والغبن الفاحش . يقول احد المؤلفين المعاصرين : « ان الاسلام يطلق كلمة «ربا» على كل ربح يتجاوز ثلث ثمن التكلفة » . وهذا كما هو واضح تعريف للغبن الفاحش على رأي بعض المذاهب وليس تعريفا للربا . ومع ذلك فان مفهوم الغبن يحتاج ايضاحه الى بحث مستقل .

ويقول مؤلف اخر : « طبقا للاسلام ، كل ربح يتحقق من مبادلة السلع او النقود بصورة مستقلة عن فروق السلع ومستوى كل منها انما هو مرادف للربا » وهذا كما لا يخفى هو خلط بين مفهومي الربا والربح الفاحش .

وذهب بعضهم الى ان الربا لم يعد يعني اليوم فائدة القرض معتدلة او مفرطة بلا تمييز . بل يعني حصراً : المعدلات المرتفعة من هذه الفائدة ، كما يعني ايضا الربح الذي يستأثر به اصحاب رؤوس الاموال في المشروعات الحديثة .

ونحن نقول : ان الاسلام عندما حرم الربا بشكل قاطع ، ما قل منه او كثر ، لم يفعل نفس الشيء بالنسبة للربح . نعم ، ان ارتفاع الربح الى حد فاحش ومفرط يدينه الاسلام ، لكن لا على اساس انه ربا ، بل لانه يدخل تحت محرمات اخرى ، كالاحتكار والتلاعب بالاسعار والغش والدعاية الكاذبة والغبن الفاحش وما الى ذلك من محرمات .

## ما هو مفهوم الربا اذن ؟

نرى ان هذا المفهوم يرتبط في الاسلام بمفهوم القرض وليس بالقروض النقدية فقط بل بالعينية ايضا وهو لايتأثر بمقدار الفائدة في القرض « او المنفعة » قليلة كانت او كثيرة وان كانت كثرتها اكبر اثما . كما لايهتم بالتمييز بين قروض الاستهلاك وقروض الانتاج ولا بحالة المقرض اذا كان غنيا او فقيرا .

بل ان الربا بنوعيه « الفضل والنسيئة » في الاسلام نرى انه يرتبط بطبيعة الاشياء المتبادلة اذا كانت من الاموال الربوية « الربويات » وفي رأينا ان علة الربويات ثنائية : الضروريات والقابلية للادخار ( او التخزين او الحفظ ) .
من حيث مقارنة البدلين :
١ ــ فاذا كان البدلان ( الشيئان المتبادلان ) متماثلين ( الذهب بالذهب ، القمح بالقمح ... الخ ) فمن الممكن تأجيل احد البدلين ( حالة قرض ). أما عدم التساوي بينهما فامر غير ممكن لانه ربا جلي وصريح .
٢ ــ واذا كان الشيئان المتبادلان شبه متماثلين كأن يختلفا فقط بدرجة الجودة دون الجنس ( تمرجيد بتمر رديء ) فان عدم التساوي ممكن أما التأجيل فهو محرم . ونحن في هذه الحالة أمام مقايضة troc بل أمام بيع يشبه القرض ( حالة وسط بين القرض والبيع ) والفاصل الزمني بين تسليم البدلين يمكن ان يخفي منفعة للمقرض كأن يجتمع قرض بلا فائدة وبيع مؤجل والاجل لصالح المقرض .
٣ ــ اما اذا كان البدلان مختلفين ( الذهب بالقمح ..) فلا قيد ولا شرط من حيث التساوي في الكم او الحلول والتأجيل لاننا هنا امام بيع جائز ، والربح فيه مشروع بنص الكتاب .
ومن هذا المنطلق يبدو ان معيارنا الاساسي في الربا المحرم ليس هو عنصر الزمن وبالتالي لا نميل الى تعريف الربا بانه « الزيادة في مقابل الاجل » بل نرى انه الزيادة في تبادل الاشياء المثلية او شبه المثلية وهذه الزيادة تكون في الكم او النوع او الاجل . هذا التعريف يشمل نوعي الربا : الفضل والنسيئة .
وانما تحليل طبيعة البدلين من حيث تماثلهما او اختلافهما والبيع هو اختلاف البدلين والقرض هو تماثل البدلين وبينهما بيع يشبه القرض او قرض يشبه البيع وقد بينا ذلك في القواعد الثلاث المتقدمة .
وعلى هذا الاساس وفي هذا الضوء نستطيع ان نقول بجواز البيع بالنسيئة مع ارتفاع السعر ــ فالبيع بالنسيئة ليس هو قرضا محضا بل هو بيع وان كان يتضمن معنى القرض ( بيع ــ قرض ) ــ في مقابل الاجل وجواز بيع السلم .

## ما هي الفائدة ؟

ان لفظ الفائدة interest أو interet انما استعمل بشكل فيه مكر ودهاء . استعمل في معنى الربا ، ولكن في لفظ محبب ، وذلك لتقديم جرعة الربا في قالب مستساغ ، ولعزل الناس عن النصوص التي تحرم الربا !!
ودافع البعض عن الفائدة بأنها ليست من الربا ، بل هي مصاريف ، أو عمولات ، أو رسوم ، أو غرامات ، كل ذلك لأكل الربا تحت أسماء أخرى لا تثير نفس القلق في أذهان المتمسكين بالنصوص الدينية .
والحق ان كلمة الفائدة بحد ذاتها لا تعني الربا أبدا ، وان حملوها وأرهقوها بمعناه . فلولا الفائدة « أو المصلحة أو المنفعة » لما أقدم أحد على مشروع . حتى

الزهاد والمتصوفة لا يمكنهم أن لا يعبأوا بالفائدة « أو الثواب » عند الله في الآخرة ، على أن عدد الزهاد والمتصوفة قليل ، ويبقى أكثر الناس تحركهم وتدفعهم الفائدة أو المصلحة أو المنفعة .

ونميز بين نوعين من الفائدة في مجال بحثنا عن الربا والقروض . فهناك فائدة مسبقة وفائدة ملحقة وهذا التمييز يعتبر طريقة جديدة في عرض موضوع الربا .

وقد توصلنا اليه نتيجة شعورنا بأن الطرح حسب الطرق التقليدية لا يزيل الغشاوات عن عيون الكثير من الناس الذين يفكرون ان الاسلام بمجرد تحريمه للربا يغدو القرض مجانيا ، ثم ترتبط فكرة القرض المجاني هذه بمحاولات بعض المفكرين من أمثال « برودون » هذا مع أن القرض هو من حيث المبدأ مجاني في حالات الاستهلاك باعتباره عقد معونة وارفاق « احسان » ، أما في حالات الانتاج فالتمويل يكون بالمشاركة . وهذه المشاركة « الامل بالربح » تعتبر « فائدة » مشروعة بنظر الاسلام .

وهناك آخرون يظنون ان الاسلام يحرم أية فائدة أو أي ربح على رأس المال ، كما هو الحال في النظرة الشيوعية . ويذهبون الى حد أن رأس المال ليس له أي حق في المكافأة أو الربح حتى في ظل الشركات .

فلهذا وذاك آثرنا اتباع هذا المنهج من حيث استعمال كلمة « فائدة » وتقسيمها الى « فائدة مسبقة » محرمة و « فائدة ملحقة » مشروعة . وهذا مفيد في نظرنا لرفع اللبس وتوضيح الفكرة في عصرنا الحاضر ، بشكل مناسب للاراء والنظريات والمناهج والتيارات السائدة . ، والاولى هي التي حرمها الاسلام ، واما الثانية فهي ربح جائز ومشروع . فالاسلام اذن لم يحرم الفائدة ، اية فائدة ، بل حدد كلاً من الفائدة المحرمة فسماها ربا ، والفائدة المشروعة فسماها ربحا .

وعلى هذا يجب ان يرد الى هذه الكلمة « فائدة » معناها الصحيح . وان تسمية المصارف الاسلامية المقترحة بنوكا بلا فائدة انما هي تسمية غير مضبوطة ولا دقيقة . وان نترجم كلمة « ربا » الواردة في القرآن والحديث بتعبير interet بالفرنسية او interest بالانجليزية ، هذا غير موفق ايضا ، بل يجب ترجمتها بـ usure او usury او تركها ، وهذا الأحوط والأفضل بلا ترجمة riba ، على اعتبار انها مصطلح فقهي اسلامي ، على القارىء ان يعرفه ويحفظه كما هو ، وعلى الكاتب والمتحدث ان يتجنب اللبس في استخدام المصطلحات الخاصة بكل دين او نظام .

**النقد الرئيسي للنظريات الغربية**

**لقد استطاعت النظريات الغربية ان تبرر اقتطاع فائدة ما نظير تقديم المال الى الغير ، ولكنها لم تبرر اقتطاع فائدة بعينها : اعني ما اسميته « الفائدة المسبقة » Interet ex ante والحق ان تبرير الفائدة بشكل عام ليس صعبا ، وما كان يستدعي كل هذه الجهود التي بذلها اصحاب النظريات ، ما لم يكن غرضهم**

التكثيف بقصد التمويه والتعمية .
ونحن نرى ان اصحاب هذه النظريات كانوا يفترضون عمدا او جهلا ان خصومهم يحرمون اية فائدة نظير المال ، فاذا قلنا لهم اننا لا نحرم كل فائدة ، بل نحرم فائدة « هي فائدة القرض » ونحلل اخرى « هي فائدة القراض » فما عساهم يفعلون بنظرياتهم ؟ !
ان بين من يحرم الفائدة اطلاقا « كالماركسيين » ، وبين من يحلل الفائدة اطلاقا « كالرأسماليين » يوجد "موقع وسط" « الاسلام » ، يحرم فائدة ويحلل أخرى . هذا الموقع الوسط انما يتمثل باباحة ما اسميناه « الفائدة الملحقة او المنتظرة ex post .
فعلينا ان نفهم اذن انه لا يمكن القول بتحريم الفائدة كل فائدة ، لان الفائدة اساس هام في تقويم المشروعات .
يقول الاقتصادي الفرنسي المعروف « ريمون بار » ، رئيس وزراء فرنسا الحالي :
« ان ندرة رأس المال تقتضي ان نراعي ونحترم فعالية استخدامه في المجالات البديلة ، وينبغي على المسؤولين ان يبحثوا عن الاستخدام الامثل للموارد في عمليات الاستثمار ، وان يختاروا بين مختلف البدائل والمعادلات الفنية عند دراسة وتقويم المشروعات الاستثمارية . وهنا لا بد من ضابط ومعيار يفيدنا اثناء عملية الاختيار هذه . ومعدل الفائدة يلعب هذا الدور المطلوب . فاذا انكرناه فلا بد من بديل » .
وها نحن نقدم له البديل . فبدلا من معدل الفائدة المسبقة نقترح معدل الفائدة اللاحقة ، او بعبارة اخرى بدلا من معدل الفائدة نستخدم مؤشرا اخر اصح وادق ، الا وهو **معدل الربح المحتمل** ، او ما اسماه الاقتصادي الكبير « بفرك » بـ « معدل الفائدة الاصلي » Originaire .

## تحذير

يرى بعض المفكرين الاقتصاديين أن « الفائدة لا يجب الغاؤها أصلا ، فهي امر ضروري لا يستغنى عنه ، وكل ما نستطيع فعله إزاءها بنجاح ، إنما هو إبطال معدلها ( أي جعله صفرا ) وإن حذف الفائدة وابطال معدلها هما أمران مختلفان تمام الاختلاف ، وفي حين أن الأول غير ممكن فان الثاني لا يمكن استبعاده من مجال الامكانات والاحتمالات » .
ويقترح هؤلاء لهذا الغرض فكرة « النقد الذائب » MONN Monnaie Circulante Qui sefonde .
ونرى أن لهذا الاقتراح أضرارا ومحاذير تستدعي الاعراض عنه والأخذ بنظام « الفائدة المنتظرة » .

### فائدة التمييز بين قروض الاستهلاك وقروض الانتاج

**قرض الاستهلاك :** علاقة بين غني ومحتاج ، وهي علاقة إحسان والفائدة هنا هي في ثواب الله المنتظر وربما تتعدى ذلك الى إعفاء المقرض من دفع الزكاة على دينه كما ذكر الدكتور يوسف القرضاوي في « فقه الزكاة » .

**قرض الانتاج :** كيف نتصور رجلا فقيرا أو متوسط الحال يقنع بأن يقدم إلى من هو أغنى منه ( منتج كبير ) مالا بلا فائدة ، أية فائدة ؟!

ربما يفعل ذلك تحت وطأة الاكراه والقوة أو الحيلة والدهاء سواء كان أصل ذلك في سياسة الدولة أم في تصرف الفرد . وهذه هي حال صغار الممولين ( المدخرين والمساهمين ) فهؤلاء لا بد أن يطلبوا فائدة ما ، وإلا لزاد الأغنياء غنى والفقراء فقرا .

ونحن نرى أن حرمان هؤلاء من الفائدة إنما هو ظلم لا يقل عن الظلم المترتب على طلب الفائدة في حالة قرض الاستهلاك . إلا أن الفائدة على التمويل الانتاجي لا يمكن أن تكون « فائدة مسبقة » بل « فائدة ملحقة » أي بتعبير آخر « فائدة قراض » لا « فائدة قرض » .

### محذور الفائدة الثابتة في عصر التضخم

إن الفائدة « الثابتة والمسبقة » لا شك أنها تعود بالضرر على الممولين الصغار في عصر التضخم ، لأنها تؤول إلى فائدة معدومة أو تصبح سالبة . لأن نظام الفوائد الثابتة يمكن المتمولين من أن يعكسوا عبء الفوائد المدفوعة من قبلهم على المستهلكين في صورة ارتفاع في الأسعار . فعبئها إذن غير ثابت ، بل يمكن تحويله ورده على الضعفاء ، والمشاهدة خير دليل ! فكثيرا ما يكون معدل التضخم وارتفاع الأسعار أعلى من معدل الفائدة الممنوحة .

لذلك فان مصلحة هؤلاء الصغار هي في البحث عن نموذج آخر للفائدة . لذلك نقول منادين : يا صغار المدخرين ( من المسلمين وغير المسلمين ) اتحدوا وتجمعوا في شركات تديرونها بينكم ، وفتشوا عن المصارف الاسلامية الخالية من الربا تنشئونها وتشجعونها وتستثمرون فيها فائض اموالكم » .

### الملامح العامة لنظرية الاسلام في الفائدة

إننا نستطيع أن نقول ، خلافا لما قرأناه وسمعناه ممن بحث في هذا الموضوع :

● إنه من وجهة نظر المقرض ، يعترف الاسلام في رأينا :

ــ لرأس المال المقرض بأنه عمل غير مباشر أو عمل متراكم .

ــ للادخار بأنه تضحية بدرجة أو بأخرى أو هو تقتير أو تنازل عن الاستهلاك أو صيام وامتناع أو تأجيل وانتظار .

ــ للانسان بأن لديه أحيانا تفضيلا للسلع الحاضرة ، أو للجاهزية والسيولة .

● وإنه من وجهة نظر المقترض ، يمكن النظر إلى رأس المال المقترض على أنه

منتج ونافع .
إلا أنه من جهة أخرى يجب الاعتراف أيضا بأن الرغبة في الربح والتعلق بالثروة ، والخوف من المستقبل أو الاحتياط له ، كل هذا يدفع للادخار والاستثمار ، حتى في حال غياب الفائدة وعدم وجودها .
وعلى هذا فليس من الصواب أن نهاجم كل ما جاءت به هذه النظريات بأي ثمن . هناك نظريات « خاطئة » بالكلية ( مثل نظرية الأخطار ونظرية التثمير ونظرية الزمن ) وهناك نظريات « ناقصة » .
لكن نقول هنا إن النظرية التي تريد إباحة الفائدة بادعاء مشابهتها للايجار نظرية غير صحيحة ، لأن رأس المال القابل للايجار هو غير رأس المال القابل للقرض ، فالأول رأس مال مثلي ، والثاني رأس مال قيمي .
وعموما فان الاسلام يميز بين الأنواع المختلفة لرأس المال ، ويعطي أجرا مناسبا لكل نوع حسب طبيعته .
لكن يمكننا القول إن كل هذه العوامل والعناصر والنظريات إنما تلقي الضوء على الفهم الصحيح لنظرية الاسلام ، بل هي تدمغ باطل الغرب وتؤيد حق الاسلام .
أقول إن هذه النظريات تبرر اعتبار القرض الاستهلاكي كعمل بر وإحسان ( عقد معونة وإرفاق ) وهذا القرض بطبيعته إما أن يكون عمل خير وإحسان ، عندما يكون مجانيا وبلا مقابل ، أو عمل بغي وظلم عندما يكون ربويا . أي أن القرض في الاسلام من شأنه أن يكون قرضا زكويا لا قرضا ربويا .
فمن أجل تأمين الحاجات الحيوية للمجتمع ، فان الأفراد بتعاونهم وتضامنهم والدولة بالضمان والمساعدات الاجتماعية يجب عليهم وعليها التحرك معا وبتناسق . فهذا واجب خاص وعام ، يؤجر ويثاب فاعله عند الله ، فمن يعطي الفقراء ويساعد المحتاجين إنما يقرض الله قرضا حسنا ، بل يمكن أن يثاب هؤلاء عند الدولة أيضا في حدود الاعفاء من الزكاة والضريبة على الديون .
ومن جهة أخرى إن كل هذه النظريات تبرر مكافأة رأس المال المقدم للانتاج . إلا أن المكافأة هنا لا يمكن أن تكون في شكل « فائدة مسبقة » لأن هذا مؤذ وغير ملائم ، إذ بالنسبة لصغار المدخرين تصير هذه الفائدة وهمية ( صورية ومعدومة صفرا ) أو سالبة ، أما بالنسبة لكبار أصحاب رؤوس الأموال فانها ، أي الفائدة ، تشكل وسيلة لتراكم الثروات ، ووسيلة لسيطرة وتعزيز طغيان رأس المال .

## مشكلة الفائدة مشكلة معقدة :

وأخيرا لا يجب الاستهانة بهذه المشكلة ، فهي لا شك مشكلة معقدة من حيث آثارها وتطبيقاتها وقياسها ونكتفي بذكر مثالين :
١ ــ الأول ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبين لنا ما الربا ، فدعوا الربا والريبة » . ولا شك أنه

كان يقصد الصعوبة في الحكم على بعض العمليات وتحليلها .
٢ ـ والثاني ما عبر عنه كثير من الاقتصاديين . يقول « موريس آليه » مثلا : إن كبار مفكري الاقتصاد من أمثال « بوهم بفرك » و« ارفنغ فيشر » و« جون مينارد كينز » قد جهدوا منذ أكثر من قرنين في حل مشكلة الفائدة ، ولكن على الرغم من تنوع الطرق المستخدمة ، فاننا نلاحظ أن القلق ما زال يخيم في الأذهان وأن أية نظرية لم تفرض نفسها بعد بصورة نهائية . وإن الصعوبات التي تثيرها هذه المشكلة لا تزال بازدياد كلما تعمقنا في التحليل .
والواقع أن مشكلة الفائدة تعد بلا ريب أكثر المشكلات وعورة في علم الاقتصاد ، ولا تزال بحاجة إلى دراسات مستفيضة ، وعلى حلها الكامل والملائم يتوقف فهم الاقتصاد بمجمله ومعرفة التدابير العملية الواجب اتخاذها في كل سياسة عقلانية » .
ونحن نقول إن الصراع بين نظريات الفائدة الغربية صراع محتوم ، ولا مخلص ولا منجا منه إلا بتصحيح المنطلق والأخذ بالحل الاسلامي ، والرجوع إلى تعاليم السماء والبحث عن تطبيقاتها . ونرجو أن يكون البنك الاسلامي الصورة الصحيحة للتطبيق المنشود .

**البنك الاسلامي :**
يقول الاقتصادي « إلياس غناجة » في كتابه « تمويل التنمية » باريس ( ١٩٦٩ ) « إن المفتاح الرئيسي لتكوين رأس المال يكمن في اختيار بنية مثلي لمؤسسات مالية تتناسب مع الحاجات والظروف المحلية لكل بلد ، لأنه لا توجد آليات ( ميكانزمات ) اقتصادية أو مالية لها قيمة مثالية أو كمال مطلق مهما كانت القوانين التي ترتكز عليها عظيمة .
فلا بد إذن من تكييف البنوك القائمة مع متطلبات البيئة الاسلامية .
والبنك الاسلامي بنك يتصرف أصالة في حدود رأس ماله ووكالة ( مأجورة ) في حدود ودائعه . وتتلخص عملياته في جمع فائض الأموال ، أي الادخارات ، وفي المساعدات المالية والفنية والخدمات . ويمكن للبنك أن يتوسط ويساعد في إنشاء ودعم شركات إسلامية .
وهو بنك تنمية ذو صفة مختلطة في البدء ، ويمكن ان يقوم بنشاطات تجارية محضة ، كالبيع بالنسيئة ( يشتري نقدا ويبيع بالنسيئة ) لمن يريد دعمهم في حدود أغراضه . كما يعمل على الاستفادة من بيوع السلم ( او السلف ) فيعطي المال على منتجات مستقبلة .
وإن دور بنوك التنمية ، ولا سيما في أميركا اللاتينية ( البيرو ) يسلط بعض الضوء على تجارب مفيدة يمكن الاستئناس بها ، فيما يتعلق بنشاط البنك التجاري . وعندها تلزمه مخازن ومستودعات . وهو بهذه الصفة تاجر سلع وخدمات لا تاجر نقود .

# الإسلام والتربية مدى الحياة

للاستاذ/علي القاضي

**تمهيد :**

في بداية الحياة البشرية لم يكن الناس في حاجة الى مدارس ليعلموا فيها أبناءهم لأن الحياة كانت بسيطة وسهلة وليس فيها شيء من التعقيد ـ وكانت الأجيال تتعلم عن طريق الممارسة العملية ثم بدأت الحياة تتسع وتتنوع مطالبها وأصبح لابد من تخصيص أماكن للتعليم ـ ومعلمين يقومون بتعليم الأطفال ما يحتاجون اليه في حياتهم الحاضرة والمستقبلة ـ وكان هذا التعليم كافيا لحاجات الفرد كما كان كافيا لحاجات المجتمع في الوقت نفسه .. وتقدم العلم وتنوعت الحاجات المطلوبة وازدادت سنوات الدراسة وبدأت التخصصات الدقيقة تظهر كما بدأت الدراسات العليا تنتشر لتتمم هذه الجوانب ثم توسعت وتنوعت ولا تزال تتوسع وتتنوع الى ما لانهاية .

ولكن التعليم المحدد ـ مع ذلك ـ لم يعد كافيا في العصر الحديث ذلك لأن المطبعة الحديثة أخذت تمدنا بالكتب المتنوعة السريعة الطبع السهلة الانتشار كما تمدنا بالصحف والمجلات التي لا حصر لها ثم تطورت وسائل التقنية الحديثة المتمثلة في المذياع والتلفاز والمسجلات والحاسبات والعقول الالكترونية وغيرها ـ وقد أصبح العالم وكأنه جزيرة صغيرة وقد أدى هذا الى سلسلة من التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والتقنية والعلمية . وأصبح العالم كله وكأنه جزيرة صغيرة،ما يعرف في جهة منه يعرف في بقية جهاته في نفس الوقت ..

ومن هنا فان كل مجتمع غدا يحتاج الى نظام تعليمي لابقاء التوازن بينه وبين الانسان الذي يمثله ـ والمجتمع يتغير شكله ويقفز أحيانا قفزات واسعة طبقا لظروفه الخاصة وتمشيا مع غيره من المجتمعات .

كما أن التصنيع الحديث والتطور السريع فيه يحتاج الى هذا النوع من التعليم حتى يمكن ان يستفيد المجتمع من هذا التصنيع الفائدة المرجوة ـ ثم إن الانتاج الزراعي يحتاج إلى مضاعفة قدراته الانتاجية بحيث تشمل الناحية الرأسية في زيادة غلات الفدان بالوسائل المختلفة كما تشمل الناحية الأفقية في زيادة الرقعة الزراعية باستصلاح أكبر قدر من الأراضي الصالحة للزراعة .

ومن زاوية أخرى فان عمر الانسان زاد بفضل العناية الطبية حتى تضاعف في بعض البلاد فأصبح الفرد يعيش فترات أطول ويعمل فترات أطول وأطول .

والى جانب هذا كله الزيادة الهائلة في السكان والأيديولوجيات المتصارعة وتلوث الماء والهواء وغير ذلك من العوامل الكثيرة التي تحدث آثارها في المجتمع وفي كل المجتمعات .

كل هذا أصبح يتطلب أن يستمر تعليم الفرد طوال حياته وأن يتنوع ليكون شاملا حتى يغطي كل ظروف

المجتمع وأن يكون متاحا لكل فرد بوسيلة أو بأخرى حتى يمكن للفرد ان يؤدي واجبه وللمجتمع أن ينهض وأن يستمر تقدمه .

وفي ضوء هذا التطـور التقنـي السريـع ـ والتحـكم الآلي في الصناعة ـ كان لابد من إعادة النظر في النظم التربوية سواء أكان ذلك في المحتوى أم في الطرق أم في الاتجاه العام ـ وأصبح من أهم وظائـف المدرسة الحديثة أن تعلم الطالب كيف يستطيع استخـراج المعلومـات من العقل الألكتروني الذي يتميز بالسرعة والدقة وبذلك يوفر له الوقت والجهد .

وقد أدرك المعنيون بالتربيـة أن التعليم المحدد الذي ينتهي بانتهاء سنى الدراسة لا يفـي بحاجـات المجتمع المتطور لأنه يجعل الانسان عاجزا عن مسايرة التغيرات السريعة التي تحدث ـ وقد وجد أنه لابد من أن يحـل محلـه تعليـم يستمـر مدى الحياة ـ وهذا يحتاج الى ايجـاد التناسق الرأسي بين النظام المدرسي ومؤسسـات تعليم الكبـار ـ وكذلك ينبغي أن ينظر التعليم نظرة شاملة لمشكلات الحياة في واقعها الملموس ـ وان يستهـدف تزويـد الدارسـين بالاتجاهات والقدرات التي تعينهـم على حل المشكلات التي تظهـر في المجتمع ـ وهذا ما يعرف بالتكامل الأفقي للتعليم ـ وعبـارة التربيـة والتعليم مدى الحياة تشير الى خطة شاملة هادفة الى اعادة منهج التربية وتطوير الجهد التربوي الكامل خارج التربية .

### أسس التربية مدى الحياة :

التربية مدى الحيـاة تقـوم على أسس تكييف المناهج الدراسية في مختلف مراحل التعليم بحيث تكون الطالب التكويـن الملائـم وتـزوده بالمهارات والقدرات التي تساعده على أن يكون معلم نفسه بعد الحيـاة المدرسية .. وبحيث تجعله باحثا عن الثقافة والتعليم بما يتلاءم والعصر الذي يعيش فيه ـ والبيئة التي يحيا فيها حتى لا يمسى متخلفا والعالم حولـه ينبض بالتقـدم الحضـاري والرقي التقني الذي يتميز به عصر انتشار العلم والتقنية ـ وهى تراعى طبيعته وتتمشى معها في نطاق قدراتها وتحاول أن تدفع الفرد الى تحقيق ذاته وتنميـة طاقاتـه الى أقصى درجـة ممكنة ـ ثم إنها تهدف الى نمو الفرد بصورة مستمرة فهي عملية يتطور فيها الفرد ليكون صالحا للعمل في مجتمعه طوال حياته .. وهي تمتد حيثما يكون نشاط الفرد وميـدان عمله ـ كما أنها تشمـل مختلـف مواقف حياته في العمل وفي الأسرة وفي المجتمع الخاص والمجتمع العام على السواء ـ والى جانب هذا فانها تترك الباب مفتوحا امام المتعلم للاستفادة من كل الوسائل التربوية التي تتاح له في أي وقت وفي أي مكان .

وهى تدعو الى الملاحظة المستمرة والتأمل الواعي واتبـاع الأسلـوب العلمي في كل عمل يقوم به الانسان ـ وإذا كان على انسان الغد أن يتعامل مع تغير أكثر سرعة من التغير الذي يعيشه انسان الحـاضر فان هدف

التعليم الرئيسي لابد وأن يحرص على انماء قدرة الانسان على معالجة المشكلات الجديدة والتغلب عليها ، وقدرته على سرعة الحركة وعلى الاقتصاد في الجهد المبذول للتغلب على المعدل السريع للتغير .. وان يتعلم الانسان كيف يمكنه القيام بعمل افتراضات احتمالية تتكرر في المستقبل .

ولأهمية التربية مدى الحياة في نمو الفرد وفي تقدم المجتمع فان العملية التربوية تعتبر مسئولية المجتمع كله ـ بكل طاقاته ـ بكل أجهزته ـ بكل افراده ـ والى جانب ذلك فانها تعتبر كل فرد معلما ومتعلما في نفس الوقت ـ وهذا جديد على التربية الحديثة ـ وإن كان ليس بجديد على التربية الاسلامية كما أنها تؤكد العلاقة بين التعليم والعمل .

وهى الى جانب ذلك تعول على أهمية البحوث العلمية التي تعمق فهم جوانب التربية وفهم الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تساعد على احداث التغير والتحول المطلوب في النظم التعليمية .

ولكي يتم هذا بالطريق الأمثل فانه يتطلب رسوخ الباعث الدائم المتجدد للدراسة لأفراد المجتمع بحيث يكون لديهم دوافع قوية متجددة مستمرة حتى يقبلوا على التعليم مادامت الحياة .

وهذا يتطلب تحقيق التكامل بين التعليم المدرسي وتعليم الكبار في مفهوم واحد ـ وتحقيق تكامل التعليم المتصل بكل جوانب الحياة الهامة .. وتعميم هذا اللون من التعليم الذي يحقق التكامل بين جميع قطاعات المجتمع ـ واعادة تحديد دور كل من التعليم المدرسي وغير المدرسي حتى يلاحق ذلك ركب التطورات السريعة التي يتحتم على أفراد المجتمع اللحاق بها ـ وكيفية استخدام نتائج التقنية التي تحاول المجتمعات جاهدة في الأخذ بها .

ومع التربية المستمرة يتغير مفهوم النجاح والرسوب لأن الشخص الذي قد يرسب في فترة معينة أو في مرحلة معينة من مراحل عمره سوف تتاح له فرص اخرى للنجاح بقية عمره ولن يستسلم لليأس فالهدف الرئيسي هو زيادة الفرص التي يختبر الفرد فيها قدراته وامكاناته وهى كثيرة ومتنوعة وتمتد معه بامتداد حياته وذلك يقتضي مواصلته للتعليم مدى الحياة .

## أبعاد التربية مدى الحياة :

للتربية مدى الحياة بعدان :ـ

بعد رأسي : ويتمثل في امتداد التربية بحيث تشمل حاجات الانسان طوال حياته .

وبعد أفقي : ويتمثل في امتداد شمولها بحيث تشمل مجالات النشاط الانساني من القيام بالأدوار الخاصة بالفرد إلى الأدوار الاجتماعية والمهنية المختلفة ـ إلى جانب طريقة شغل أوقات الفراغ فيما يعود على الفرد وعلى المجتمع بالفائدة المرجوة .

وهى تهتم بشخصية الفرد من

النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والعاطفية وغيرها ــ كما أنها تقوم على أساس نظرة شاملة يتكامل فيها النشاط التعليمي في ارتباطه بنمو الشخصية وتتكامل فيها التربية مع الثقافة ــ والتعليم المدرسي مع التعليم غير المدرسي والتعليم المهني مع التعليم العام وهكذا ، ولذلك فانه ينبغي ان تحدد عناصر الثقافة وطريقة الحياة بجوانبها المادية وغير المادية .

كما أن التربية مدى الحياة تقوم على أساس النظرية العضوية التفاعلية بين العقل والشخصية والمعرفة ــ وتؤكد الدور الوظيفي لهذه المعرفة في تنمية روح البحث والرغبة المستمرة في التعليم وتنمية الفكر التقدمي الواعي ــ والقدرة على الابتكار والابداع .

لذلك كان لابد من ارساء دعائم التعليم الطويل المدى ــ بحيث يستطيع افراد المجتمع النهوض بالأعباء المتعددة المطلوبة للاسهام في التخطيط الاجتماعي المتنوع من ناحية ولتأمين المزايا الأولى وتحقيقها للفرد والجماعة من ناحية اخرى .

فالمجتمع مسئول عن توفير الخدمات التي يحتاج إليها الناس مثل الغذاء والصحة والمأوى وذلك لجميع أفراد المجتمع من كل سن ومن كل طبقة ــ ولابد للمجتمع من تحقيق هذه الأشياء أثناء حياتهم .

من هنا فان التعليم الذي يستمر مدى الحياة ينبغي ان نعمل فيه على تقنين التطوير والتحديث تقنينا علميا بحيث يتضمن تغيير بنية التعليم ــ وبذلك يشترك الوالدان وأفراد الأسرة ومؤسسات المجتمع بشكل أو بآخر في تحمل بعض مسئوليات التعليم ــ وفي المناهج الدراسية يمكن ان ندرس المواد التي تفيد التلميذ ــ والتي تحقق التوازن بين جوانب الفرد من ناحية وإلى التنويع الذي يحفظ للمجتمع ملامحه وللثقافة عموميتهامن ناحية أخرى ــ يقول العالم الامريكي « هربرت جريجورى » ( لن يكون رجل الغد الأمي هو الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ــ ولكن سيكون الانسان الذي لم يتعلم كيف يتعلم ) .

والانسان مكمل لنظام شامل بل انه يستطيع من خلاله أن يؤثر في تطوره وأن يتحكم في سيرته بما يتخذه من قرارات ــ وبما يقوم عليه من تنفيذ لهذه القرارات .

ولما كان لكل فرد في المجتمع الحق في الاسهام في اتخاذ هذه القرارات لانها تتصل به وبحاجاته ــ فلابد وأن ينال كل فرد حظا من المعرفة التي تمكنه من ممارسة هذا الحق بالطريقة السليمة التي تجعله يحصل على حقوقه ــ وفي الوقت نفسه تجعله يؤدي ما عليه من واجبات حتى ينهض المجتمع نهوضا سليما .

والذين فاتهم قطار التعليم لهم الحق في أن يلحقوا به عن طريق تعليم الكبار والتعليم المنظم الذي يمكنهم من اكتساب المهارات والقيم التي تجعلهم يستطيعون معالجة قضايا العالم المتغير والتعبير عن مشكلاتهم الخاصة في اطار اهداف المجتمع .

## الاسلام والتربية مدى الحياة :

الاسلام منذ البداية يرى أن التعليم مدى الحياة هو الأساس للتعليم في المجتمع الاسلامي على امتداد العصور ، ويظهر ذلك من قول الرسول الكريم : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » فالاسلام يطلب من كل مسلم أن يكون طالب علم مدى حياته من يوم أن يولد الى أن ينتقل الى جوار ربه ، فباب العلم واسع ، وأوجهه كثيرة ، ومكتشفاته مستمرة .. والاسلام بهذا سبق كل الحضارات في اعتبار العلم ضرورة من ضرورات الحياة يحتاج اليها الانسان من المهد الى اللحد كالماء والهواء والغذاء ــ وهذا المعنى لم تدركه المجتمعات الانسانية إلا حديثا .

والمدارس ما هي إلا وسائل لاعطاء القدر الضروري من التعليم المنظم ــ واكساب التلاميذ الاتجاهات والقيم التي تمكنهم من أن يستمروا في تعلمهم مدى الحياة .

والمسلم حين يقرأ الآية الكريمة : **( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا )** الاسراء/ ٨٥ ، فانه يدرك أن الاسلام يطلب منه الاستزادة من العلم طوال حياته حتى يدرك أكبر قدر ممكن من التعليم الذي يفيده في حياته ويمكنه من تحقيق رسالته على الأرض باعتباره خليفة لله فيها يقوم بعمارتها وفق تعاليم الاسلام وينشر بين ربوعها الأمن والعدالة والمحبة والاطمئنان .

والقرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه لم ينزله مرة واحدة بل أنزله خلال ثلاثة وعشرين عاما ، وكانت أول آية نزلت على رسوله الكريم : **( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق )** العلق/١و٢ ــ وآخر آية نزلت قبيل وفاة النبي وهي : **( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا )** المائدة/٣ . وهذا هو الذي جعل المشركين يعترضون على ذلك بقولهم : **( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا )** الفرقان/ ٣٢ . ومعنى تثبيت الفؤاد : القدرة على وعى ما حواه من لفظ ومعنى، ذلك ان المسلمين في حاجة الى العلم طوال حياتهم .

ووصايا الرسول الجامعة لم تكن الا قبيل وفاته وكانت في حجة الوداع وبذلك اعطاهم القدرة على الفهم والتدبر والاتجاهات والقيم ــ وذلك كله يمكنهم من أداء رسالتهم في هذه الحياة .. وقد حث النبي صلوات الله وسلامه عليه على مداومة طلب العلم ــ وجعل العلماء هم ورثة الأنبياء واذا كان الأنبياء لم يورثوا مالا فانهم قد ورثوا العلم وحظ العلم أكبر من حظ المال يقول الرسول الكريم : « العلماء ورثة الأنبياء ــ وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه الترمذي ــ وجعل القرآن خشية الله الكاملة من اختصاص العلماء : **( إنما يخشى الله من**

**عباده العلماء )** فاطر/٢٨ وحث النبي الكريم على طلب العلم لأنه يوصل الى الجنة يقول النبي الكريم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة » رواه مسلم وقال عليه السلام : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي والاسلام بذلك يعطي المتعلم مكانه الصحيح في الاسلام فهو في سبيل الله حتى يرجع ـ والله سبحانه وتعالى يكرمه ويعطيه الجزاء الأوفى والملائكة تضع أجنحتها إكبارا له وإعظاما لحقه .

وقد جعل الاسلام العلم النافع من الأشياء التي يستمر فيها ثواب الانسان حتى بعد موته يقول الرسول الكريم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

## دور العلم في حياة المسلم :

والتربية مدى الحياة تدعو إلى الملاحظة والتأمل الواعي واتباع الأسلوب العلمي وفي ذلك يقول الله تعالى : **( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب )** آل عمران/ ١٩٠ ـ ولذلك فان الله تعالى يأمرنا بالنظر في السموات والأرض لنرى ما فيها : **( قل انظروا ما ذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون )** يونس/ ١٠١ . كما طلب رب العزة من المسلم ان يطلب من ربه ان يزيده في العلم : **( وقل رب زدني علما )** طه/ ١١٤ وما دام المسلم يطلب من ربه أن يزيده علماً فهو يطلب منه أن يزيده من العلم النافع الذي يساعده على أداء رسالته في هذه الحياة ـ والذي يهدف إلى مصلحة الفرد وإلى مصلحة المجتمع الاسلامي بل والمجتمع الانساني كله ـ والذي يتولى تعليم الناس ذلك هو في رحمة الله تعالى وكل ما في الكون ومن فيه يدعو له يقول الرسول الكريم : « ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير » رواه الترمذي وهو هنا يعطينا اهمية المعلم واهمية اتجاهاته في هذه الحياة لأداء رسالته بحيث تكون للبناء لا للهدم ، ولجلب الناس للخير لا لإفساد حياتهم .

والعلم يزيد المسلمين من صلتهم بالله ـ والمسلم يصل من تفكيره وعمله الى قوانين ونظريات وتطبيقات تساعده على أداء رسالته في عمارة الأرض وهو يمشي في مناكبها ويأكل من رزق الله ، فالعلم فريضة يؤديها المسلم كما يؤدي الصلاة والزكاة ـ وإذا كان الاسلام يرى أن العلم فريضة وعبادة فان معنى ذلك أن المسلم لابد وأن يستخدمه في ما يحقق هدفه في هذه الحياة ولابد وأن يكون ذلك في اطار الكتاب والسنة حتى يحمي نفسه ويحمي المجتمع من شطحات العلم او انحرافات تطبيقه يقول النبي الكريم : « تركت فيكم

أمرين ما لو تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله تعالى وسنتى » رواه احمد والطبراني وابن ماجه .

**خاتمة :**

الاسلام يوجد الدوافع للتعلم حتى يحرص المسلم الحرص الكامل عليه يقول الله تعالى : ( **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ) المجادلة/١١ ويقول : ( **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب** ) الزمر/٩ .

وقد أدرك المسلمون أن الاسلام يفرض عليهم أن يطلبوا العلم طوال حياتهم فأخذوا يفعلون ذلك ويحثون على طلبه دائما ويقول بعضهم لبعض « كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة » ويقول علي ابن أبي طالب : « كل يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » وفي الأثر « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » .. وقيل لحكيم : ما حد التعلم ؟ قال : حد الحياة وقال ابن المبارك « ما يزال المرء عالما ما طلب العلم فان ظن أنه قد علم فقد جهل » وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء : متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ : قال : ما دامت الحياة يحسن أن يتعلم . وروى عن البيروني المتوفى عام ٤٤٠هـ والذي اشتهر بالرياضة والفلك والتاريخ حين حضرته الوفاة ودار الحديث بين بعض عواده عن مسألة في الميراث طلب البيروني إيضاحها فقال له الزائر : تسأل عن هذه القضية وأنت في مرضك فقال البيروني : لأن أذهب إلى الله وأنا أعرفها خير من أن أذهب وأنا أجهلها وما أن خرج العواد حتى سمعوا البكاء عليه .

والتعليم مدى الحياة يتطلب أن يعرف المسلم ما يفيد الناس وما يساعده على أداء رسالته وفي الأثر : « تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة » .

وهكذا استطاع المسلمون أن يحققوا رسالتهم في هذه الحياة بالأسلوب الذي رسمه لهم الاسلام بالعلم الذي يحرر البشرية من عبادة العباد وينقلهم الى عبادة الله ويجعلهم يعملون للخير ويسعون للخير ويعيشون من أجل الخير فيحسون بالأمن والسعادة والطمأنينة التي تفتقدها الانسانية في العصر الحديث وتبحث عنها في غير مظانها ولذلك فهي تعيش في ضياع .

وحبذا لو حمل المسلمون الراية من جديد اذن لعادوا بالانسانية الى حضارتها الأولى الكاملة التي تيسر العدل والطمأنينة فيهدأ الناس ويحسون بالسعادة التي افتقدوها وتعود اليهم صحتهم الجسمية والنفسية والعقلية والوجدانية وصدق الله العظيم اذ يقول : ( **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ) الأنعام/٨٢ .

# العقل والحقيقة عند محيي الدين بن عربي

إذا كان الانسان هو هدف المعرفة وموضوعها وتجسيدها ، فان الطريقة العلمية في التفكير ، وهي الطريقة المسيطرة على هذا العصر ، طريقة قاصرة ، تعجز عن الوفاء بتطلعات الانسان ، وعن إشباع فطرته ، وعن الرد على تساؤلاته التي تشده شدا إلى ضرورة تبين مكانه من الكون ، وعلة وجوده ، وغاية منتهاه . فالطريقة العلمية ليس هذا حقلها ، وما ينبغي له أن يكون . فهي ترى أن الفكر انعكاس الواقع ، وأن المعرفة نتاج مادي للملاحظة والتجربة والاستنتاج ، والانسان بجوهره وبأبعاد حقيقته ، ليس مادة فيرضخ للمختبر ، ولا هو جوعة جسد فيكون إشباعه المادي منتهى الآمال .

لسنا ، بهذا الذي نذهب إليه ،

للأستاذ : أمين شنار

نرفض الطريقة العلمية مطلقا ، إنما نحن نردها إلى مجالها الذي وجدت من أجلـه ، في ميادين العلم والتكنولوجيا ، فتلزمه ولا تتعداه ، وهو مجال حيوي بلا ريب ، لكنه ليس كل شيء ، ولا هو أشد الأشياء إلحاحا وأهمية وخطرا .

وإذا كانت الطريقة الفلسفية المثالية في التفكير ، قد ألقت بمقاليدها إلى هذه الطريقة العلمية بعد أن بهرت كشوف العلم العقول ، فليس ذلك حكما على العقل بالافلاس ، ولا إذنا للعلم بأن يلتهم كل ماضي الانسان ، أو أن يحجر على حاضره ، أو أن يرتهن مستقبله ، وإنما هو إعلان عن فشل طرائق عقلية بعينها في الاستجابة للطموح الانساني ، وتحقيق العلاقة المتوخاة بين الوجود والانسان ، وهو ، في الوقت نفسه ، محاولة جديدة من محاولات العقل ، منح فيها العلم ، وهو أحد أدواته ، فرصة التجربة في أن يقود الحياة . .

أما وقد ارتطمت القيادة الجديدة بما ارتطمت به سابقتها في الفكر الأوروبي العالمي من جدران مسدودة ، وطحن القلق الانساني الوجودي في ظلالها العالم بأربعة أركانه ، وألقت به تجاربه العاثرة في غمار حربين عالميتين ثم أوقفته مترنحا على شفير الهاوية ، أما وقد حدث ذلك ، فقد بات لزاما على العقل أن يمارس من جديد سلطانه في الاختيار ، وفي تلمس الطريق . ولن يضيره أن يقف ، وأن يلتفت إلى وراء ، وأن ينقب في مسارب مسيرته الطويلة عبر التاريخ ، بل لا بد له من ذلك ، فليس أمامه إلا الهاوية إذا هو لم يهتد إلى طريق آخر يكون فيه الأمل ، وبه الوصول .

والاسلام – بقيادته الفكرية – منهج متميز من مناهج المعرفة التي تطرح نفسها لكل من يستعرض رحلة الفكر عبر العصور . وهو – عند المؤمنين به – بديل موضوعي لمعاناة العصر . وهو – عند عديد من الدارسين – ذخيرة مرصودة ، ومناط أمل ، وليس تراثا استوفى غاياته ، وحقق أغراضه ومضى ، فما إلى عود إليه من سبيل .

ومركز الدائرة في الاسلام عقيدته . هي قاعدته الفكرية ، وهي أساس نظرته الشاملة للكون والانسان والحياة . فهو لا يحيا لا فكرا ولا عبادة ولا ضابط سلوك ، ولا مصدر تشريع . إلا بحياة هذه العقيدة ، أولا ، وقبل كل شيء .

وإذا ما أردنا أن نتقدم بهذا الاسلام رسالة لهذا العصر ، فان علينا أن نفعل ذلك من خلال معاناة عميقة شاملة لفكر العصر ، وينابيع

هذا الفكر في شعاب الماضي ، ثم علينا أن نعرف كيف نتوجه إلى عقيدة الاسلام ، وبماذا نتوجه ، لكي نعتقدها فكرا ، ونخاطب بها ــ من بعد ــ عقل العصر وفكره .

هل نتوجه إلى الاسلام وعقيدته ، بالفطرة ، وقد كادت معالمها تمحي تحت التجارب الباهظة ؟ أم نحمل هذه العقيدة فلسفة مثالية مجردة فنسلبها خاصيتها المتميزة في التجسد العملي المتحرك ؟.

أم الاسلام نهج آخر غير هذا كله ، له طريقته الخاصة في التفكير ، كما له عقيدته المتميزة . وكل محاولة لفهمه واعتناقه وتطبيقه بغير طريقته تلك ، تكون مجرد إطلالة عليه من خارج ، لا صدورا تلقائيا واعيا عنه من داخل ؟؟.

إن أولى الخطوات على طريق الوعي المعاصر على الاسلام ، هي دراسة في دائرة الضوء التي تلقيها اللحظة الحضارية المعاصرة ، وإزاحة هذا الركام الثقيل الذي كدسه عليه آلاف الدارسين من قدماء ومحدثين ، للنفاذ إلى حقيقته ، من مصادره ، وبطريقته ، بعيون مفتوحة على كل التيارات ، لكي يكون هذا النفاذ إليه ، وبعثه ، واستئناف التفكير على هديه ، نفاذا معاصرا مبررا تفضي إليه ، بالضرورة ، رحلة الفكر الانساني ، عبر متاهاته ، وخيبته ، ومطامحه التي لم تتحقق .

إن دراسة المنهاج الفكري للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ، تصلح نافذة ، يشرق منها الفكر الاسلامي على عصرنا : متجددا ، متألقا ، واضحا في ينابيعه ومسالكه ومراميه .

ولد الشيخ الأكبر في السابع عشر من رمضان سنة (٥٦٠) للهجرة ، في مدينة « مرسيه » بالأندلس وتلقى القرآن الكريم ، والحديث ، والفقه ، عن عدد كبير من العلماء ، وعمل موقعا لبعض ملوك المغرب ، ثم تصوف ، وساح في الأرض ، ثم خرج إلى الناس بكتبه التي يتجاوز عددها الأربعمائة كتاب ، ومن أهمها موسوعته الشهيرة « الفتوحات المكية » وقد طبعت حديثا في أربعة مجلدات ضخمة يزيد عدد صفحاتها من القطع الكبير على الألفين ، وجاء في « نفح الطيب » عن ابن عربي أنه « غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا » . وقد تنقل بين الأندلس والمغرب ومصر والحجاز والعراق ، ثم استقر بالشام ثلاثين سنة ، وتوفي فيها سنة ( ٦٣٨ ) للهجرة ، ودفن في سفح « قاسيون » بدمشق .

وليس ابن عربي نتاج أسلافه من المتصوفة ، ولا هو محصلة عصره الذي ازدهرت فيه فلسفات ابن رشد ، وابن طفيل ، إنما هو أقرب إلى أن يوصف بأنه نسيج وحده ، نهجا وطريقة تفكير وتعبير . وهو بذلك شهادة لا ترد بأن الرجل قد يصنع عصره ، وعصورا كثيرة بعده .

إلا أن ما يؤخذ عادة على ابن عربي هو وعورة كتبه ، وازدحامها بالاشارات الغامضة ، وقد برر هو ذلك بخشيته من أن يسيء فهمها من لا

قبل له بتذوقها ، فجعل وعورتها سياجا لها ، فلا يصل إليها إلا من أخذ نفسه أخذا صارما جاهدا بدراستها ، وتوسل إلى فهمها بسلوك طريق القوم ، وتذوق مشاربهم ومنازعهم وأساليبهم في التصور وفي التعبير .

والعلوم – عند ابن عربي – تحمل دلالة واحدة هي توحيد الخالق عز وجل ، لأن « مراد الحق تعالى من عباده في جميع ما خلق ، وأنزل من العلوم ، هو أن يجمعهم عليه . ومن أتعب نفسه في جمع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فاته المقصود الأعظم ، وحجب » .

ويقوم منهاج « ابن عربي » ابتداء على التفريق الصارم بين مفهوم الاقرار بوجود الخالق ، وتوحيده . فالاقرار بوجوده ،أداته الحس والعقل ، وهو مركوز في الفطرة لا تتحول عنه ، أما التوحيد فطريقه التقرب إلى الله بالعمل والطاعات والنوافل والسلوك .

« فمن أراد الدخول إلى فهم كلام ربه ، فليقدم بين يديه شرعه ، ويقول لعقله : أنت عبد مثلي ، فكيف أترك ما نسبه الحق تعالى إلى نفسه لعجزك عن تعقله ، مع أنك قاصر عن معرفة ربك .. ولو ألزمت نفسك بالانصاف للزمت حكم الايمان والتلقي ، وجعلت النظر والاستدلال في غيره مما لم يرد عن ربك .

وهذا لا يعني إنكار الحواس التي هي أداة العقل في أحكامه . فالحواس ، عند ابن عربي ، لا تخطئ ، لأن إدراكها للأشياء إدراك ذاتي ، ولولاها لما ثبت القياس ، ولكن العقل وهو الحاكم عليها وبها هو الذي يخطئ . فالعقل لا علم عنده ابتداء إلا بالضروريات التي فطر عليها ، وفكره مقلد لخياله ، وخياله مقلد لحواسه ، والعقول محدودة من حيث فكرها ، لا من حيث قابليتها للتلقي ، وهي تتلقى ، إذا اهتدت ، عن الله عز وجل ، فيضا عنه ، وتوفيقا منه .

والله سبحانه أمرنا بالعلم بوحدانيته في ألوهيته ، لا بالاقرار بوجوده فحسب . واذا كان الفكر يهتدي الى وجود الحق ، بأدلته العقلية ، فان العلم بالوحدانية يتم عن طريق آخر هو « الرياضات والمجاهدات وقطع العلائق والجلوس مع الله بتقديس القلب عن شوائب الأفكار » . فمتعلق الأفكار هو الأكوان فحسب ، والطريق إلى الله منه ومن توفيقه عز وجل أقرب إليه من الطريق من فكر الانسان .

والعلم ليس تصور المعلوم فانه ما كل معلوم يتصور : « فان التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلا والصورة للمعلوم لا تكون إلا إذا أمسكها الخيال ، وثم معلومات لا يمسكها خيال أصلا ، فلا يمكن أن يهتدى إليها العقل بأدواته العادية القاصرة من حس وخيال » .

من هنا ، يقسم ابن عربي العلوم إلى ثلاثة أنواع : علوم العقل ، وهي كل علم يحصل لك ضرورة أو عقب نظر في دليل ، بشرط العثور على وجه

ذلك الدليل وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا النوع من العلوم ، والثاني : علوم الأحوال ، ولا سبيل إليها إلا الذوق ، فلا يقدر عاقل أن يجدها ولا أن يقيم على معرفتها دليلا ، كالعلم بحلاوة العسل لا يعلمه إلا من يذوقه . والثالث : هو علم الأسرار ، وهو فوق العقل ، ولا يكون إلا لنبي أو ولي ، ومصدره الوحي للأول ، والالهام للثاني ، وتحكم في الالهام وفي علم الأحوال ، الشريعة على كل حال .

والعلم الحقيقي يقتضي العمل « فمن قال إن العلم يوجد بغير عمل ، فدعواه باطلة . وليس شيء من العلم التصوري مكتسبا بالنظر الفكري » ، إنما المكتسب هو مصطلحات الألفاظ . أما المعاني فهي مركوزة في النفس ، ثم تنكشف للعقل مع الأناة حالا بعد حال » .

وهكذا ، فان الانسان يهتدي بعلوم العقل إلى وجود خالقه ، ويعترف بالرسالة وبالكتاب ، وبالنظر في أدلة الحواس ، كما أنه بعلوم العقل يعرف الأشياء المادية ويسخرها لمصلحته .

وهو بعلوم الأحوال الذوقية الناتجة عن العمل والكشف عما هو مركوز في النفس يعرف الوحدانية ، ويؤمن بالألوهية ، ويسلم لها وجهه وحياته ، ويبلغ مقام « الاحسان » .

الحقيقة عند « ابن عربي » لا تنال بالنظر الفكري ، ولا بضرورات العقول ، وإنما بنور ينداح في القلب بواسطة اتباع الكتاب والسنة ، فتدرك الأمور يقينا ، لا ظنا .

والعلم بالله سبق إلى كل نفس في الأخذ الميثاقي ، حين أشهد الله الناس على أنفسهم . قال تعالى : « **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون** ) الأعراف /١٧٢ ـ ١٧٤ . تلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها : العلم بوجود الرب الخالق . ولله الحجة البالغة . « فلما عمرت الأرواح بالأجسام الطبيعية في الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله ، ثم أحيا الله بعض النفوس بتوحيده ، وأحياها كلها بالعلم بوجوده ، إذ كان من الضرورات العلم بوجود الله». أما التوحيد فهو « عين اليقين » الذي تعطيه المكاشفة والشهود . و « حق اليقين » هو ما يستقر في القلب .

« فاذا أشعرت قلبك ذكر الله دائما ، في كل حال ، فلا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر ، ويجتمع لك نور الشرع مع نور التوفيق والهداية ، وتصل إلى مقام العبودية الخالصة لله عز وجل » . ومثل الداخل الى ذلك الجناب العالي معتزا بفكره . مثل من يدخل بسراج موقد ، ومثل الذي يدخل بعبوديته مثل من يدخل بفتيلة لا ضوء فيها ، أما الأول : فينطفىء نوره ،

وأما الثاني : فيشتعل ، ويعود الأول مظلما ، ويعود الثاني بنور يستضاء به » . أما أولئك الذين يحسبون أنهم بعقولهم وبأسبابهم يصلون ، ففيهم قال تعالى : ( **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ) يوسف/١٠٦ فالمراد بالايمان في هذه الآية هو الايمان بالوجود لا بالتوحيد ، اذ لو كان المراد التوحيد لم يقل:( **إلا وهم مشركون** ) مع ثبوت الايمان .

وليست منزلة « الاحسان » عند ابن عربي إلا شرطا لازما لهذا الايمان بالتوحيد : « فالاسلام والايمان مقدمتا الاحسان ، والايمان له التقدم ، والاسلام تال وإلا لم يقبل . والايمان تصديق فلا يكون إلا عن مشاهدة الخبر في التخيل ، فلا بد من الاحسان الذي هو « أن تعبد الله كأنك تراه » . والاسلام انقياد ، والانقياد لا يكون إلا عن « انقاد طوعا » ، وليس ذلك الا عن « أحس » بأن الحق آخذ بناصيته فان لم يحس فما انقاد إلا كرها . والاحسان أن ترى أنه يراك على المشاهدة . فالايمان إذن « برزخ بين الاسلام والاحسان ، له من الاسلام ما يطلبه عالم الاجسام ، وله من الاحسان ما يشهد به المحسن ، فمن آمن فقد أسلم وأحسن » .

وطريق الاحسان هو التلقي عن الشريعة والعمل بها ، والتلقي عن الروح المصفى المتصل بالله عز وجل بالاكثار من ذكر الله وتلاوة كلامه ، لازالة الران عن القلب ، وبالاخلاص في العمل ، فان « من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به ، أو يرزق العمل الذي يطلب الاخلاص ويحرم الاخلاص فيه » .

وإنما قال الله تعالى في الحديث القدسي في حق الذاكر المتقرب بالنوافل : « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به .. الخ » .

وذكر الصور المحسوسة دون القوى المفكرة كالخيال والحفظ والتصور والعقل ، لأن هذه مفتقرة إلى الحواس ، والحق تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر إلى المخلوقات ، بخلاف الحواس من سمع وبصر .. الخ .. فانها مفتقرة إلى الله وحده لا إلى سواه ، فتنزل الله تعالى لمن هو مفتقر إليه وحده ، لا يشرك به أحد .

ولا بد أن يلتقي نور الشرع مع نور التوفيق الالهي والامداد والهداية . فالشريعة لب العقل ، والحقيقة لب الشريعة . العقل يحفظ الشريعة ويرد على منكريها ، والشريعة تحفظ الحقيقة وبها تبقى وتؤثر . ولا بد للسالك طريق الشرع من هذين النورين : « فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع ، لما عرف العبد كيف يسلك لأنه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين تنتهي به ، كما أن السائر في هذا الطريق يحتاج إلى أن يحفظ سراجه من الأهواء أن تطفئه بهبوبها ، فانه إن هبت عليه « ريح زعزع » أطفأت سراجه ، وأذهبت نوره ، والريح الزعزع كل ريح تؤثر في نور توحيده وإيمانه .. «فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم » .

# الشِّعرُ في خدمةِ الدِّين

للأستاذ ـ احمد حسن القضاة

للـذود عنـك فقـد وقفـتُ نشيدي ... يا خـيرَ ديـنٍ جاء بالتوحيدِ

يا شعـرُ لا تهتـف بغـير ندائه ... إنـي لأربـأ أن (يـذل) قصيدي

إنيِ أعيذك أن تحيـا ـ بلا هدفٍ ـ ... للمـدح والتشبيـب والترديدِ

ودعِ التغنـي بالحسـان لآبقٍ ... لا يرعـوي متخـاذلٍ رعديدِ

والعَنْ دعـاةَ الخمر وانبذْهُـم فهمْ ... رأسُ البـلاء وعامـلُ التشريدِ

واصْلتْ حسامَكَ للهيجا فما رَغُمت ... أنفُ الطغاةِ بغيرِ السيـفِ والصِّيدِ

ما ضاعتِ القـدسُ إلا من تخاذُلِهم ... والاستكانةِ بـين (الـكأسِ) و(الغيدِ)

فالدِّيـنُ إن قلـتُ أعنـي كلَّ عزتنا ... والنـورَ والحـقَّ والاقبـالَ للجودِ

وليس يصـدُقُ من للديـن يُلبِسُه ... ثوبَ (الجمود) بلا سعـيٍ و(تجديدِ)

سَلِ القُرونَ ، سَلِ التاريـخَ من زمنٍ ... ما أحـدثَ الديـنُ من مجـدٍ وتخليدِ

سَلِ (العروبـةَ) من أعلى مدامكها ... بـينَ الأنَـام وعاشـتْ في (زغاريدِ) ؟

هذِي (الحضـارةُ) مَنْ أرسىَ قواعدَها ... بيْنَ الشعوبِ وسَلْها قلْ لها : عودِي ؟!

أيجحدُ (الغربُ) طِبَّ (الشيخِ) في زمنٍ ... كانَ التطبُّبُ ( تدجيـلَ ) التقاليدِ ؟

إنِ الزمانَ الـذي (أوروبَّـةُ) الْتَزَمتْ ... تدريسَهـا ( القانـونَ ) غـيرُ بعيدِ

أوْ يجهلُ الطبُّ ما (الرازي) وصنْعتُهُ ... ومـا تضمـن ( حاويـهِ ) بتحديدِ ؟

وفي المعـارف أصنـافٌ معددةٌ ... كانـتْ قرائـحَ أعـلامٍ صناديدِ

لا شيءَ مثلُكَ يا إسـلامُ يُوصِلُنا ... بَرَّ الأمَـانِ بلاَ قَيْـدٍ وتقييدِ

آمنـتُ بالله يَهدينَـا برحمتِهِ ... ونَسـألُ اللهَ عَوْنـاً غـيرَ محدودِ

# رأي في زكاة العقارات والمصانع وسهام الشركات

للاستاذ : محمد عزة دروزة

سألني بعض الناس عن هذه الأمور المستجدة بعد صدر الاسلام وعهد التشريع القرآني والنبوي ، ولم اطلع على رأي شاف واف في ذلك ، وقد عن لي رأي ذكرته للسائلين ، ورأيت أن أبسطه على صفحات الوعي الاسلامي ، وأرجو أن يكون فيه صواب وشفاء أو يكون وسيلة للوصول إلى ذلك .

١ ــ معلوم أن زكاة المال السائل ( النقد ) وعروض التجارة تجب على ما يبقى في يد صاحبه من رأس مال وربح في آخر كل سنة ، بمعدل ٢,٥٪ إذا بلغ الباقي النصاب الأدنى المحدد في الآثار النبوية .

٢ ــ ومعلوم أن زكاة غلة الأرض تجب على ما يحصده صاحبها منها ، حين حصادها ، دون انتظار لآخر السنة ، ودون اعتبار لما يبقى أو لا يبقى منها في يد صاحبها: ( **وآتوا حقه يوم حصاده** ) الأنعام/ ١٤١ . بمعدل العشر للأرض التي تروى بماء المطر ، أي أربعة أضعاف زكاة المال السائل ، وينقص هذا إلى النصف في حالة ري الأرض بماء مكلف منفق عليه ، أي كأن الفرق هو نفقات الكلفة والتعب ، وأن الأصل هو الأضعاف الأربعة ، وإذا نقصت غلة الأرض عن الحد الأدنى المعين في الآثار النبوية سقطت عنه الزكاة .

٣ ــ والحكمة المتبادرة من ذلك أن المال السائل حر قابل للتنمية والمضاعفة بحسب الجهد والظروف ، فتكون نسبة ٢,٥٪ مجزية في حالة النمو والمضاعفة ، كما أن هذه النسبة تجب على ما يبقى في يد صاحب المال من رأس مال ، ولو لم ينم ، بل ولو نقص عما كان عليه قبل ، بالخسارة ، أو نفقات المعيشة ، فيكون في

تخفيف النسبة عدل ومراعاة حال ، وذلك خلافا للأرض فثمنها قد يكون كبيرا يساوي مئات الآلاف بل والملايين ، ولكنه رأس مال مجمد غير قابل للتنمية الحرة كالمال السائل ، ولم يوجب الشرع عليها زكاة ، فاقتضت حكمة التشريع أن تكون الزكاة على غلتها ، وأن تكون أربعة أضعاف ما يجب على المال السائل ، على النحو الذي ذكرناه في الفقرة الثانية .

٤ ــ والرأي الذي عن لي هو قياس العقارات المعدة للأجرة ، والمصانع الكبيرة ، وسهام الشركات الكبرى بالأرض . وأداء زكاتها حسب زكاة الأرض .

أ ــ فالعقارات ذات ثمن كبير ، ولكنه مجمد ، وغير سائل ، وغير قابل للتنمية الحرة ، فيكون من المعقول أن تكون زكاتها على ريعها أولا ، وحين الحصول على هذا الريع ثانيا ، ودون انتظار لآخر السنة ، ودون اعتبار لما يبقى ، وما لا يبقى ، في يد صاحبها من الريع ثالثا ، ونصف العشر رابعا . لأنها معرضة للاستهلاك ، وتحتاج إلى نفقات صيانة دائمة ، وإذا تعطلت ولم تؤجر سقطت عنها الزكاة ، والآثار ذكرت حدا أدنى لما يجب على غلة الأرض من زكاة ، بحيث لو نقصت الغلة عن هذا الحد لا تجب عليها زكاة ، ويكون هذا شأن أجرة العقارات ، فاذا كانت أقل من الحد الأدنى لا تجب عليها زكاة ، ويتبادر لنا أن يكون هذا الحد الأدنى بالنسبة لها ، هو النصاب الذي يوجب الزكاة على المال السائل في الآثار النبوية ، لأن ريع العقارات مال سائل ، وليس غلة عينية ، ومع ذلك يمكن أيضا أن يحسب قيمة النصاب الأدنى الذي تجب به الزكاة على غلة الأرض ، ويقدر ريع العقار بحسبها ، فاذا كانت قيمة الريع أقل من قيمة هذا النصاب ، سقط عنه الزكاة .

ب ــ وفي صدد المصانع الكبيرة نقول : إن بعضهم يستند إلى الآثار والأقوال الفقهية القديمة باستثناء أدوات الصنعة من الزكاة ، فيستثنى المصانع من الزكاة . وهذا قياس غير سليم . فالاستثناء كان لأدوات الصنعة القديمة القليلة الزهيدة . وجهد ريعها هو للصانع الذي يعمل بها ، وتمثل نولا يعمل عليه صاحبه مباشرة ، أو نجارا أو حدادا أو خياطا يعمل بأدوات صنعته القليلة ، في حين أن من مصانع اليوم والأجهزة الصناعية ما تبلغ قيمته مئات الآلاف ، بل والملايين ، وجهد الريع هو لها ، وليس لمالكها الذي ليس هو صاحب صنعة مباشرة شخصيا لصنعته ، على الأعم الأغلب ، بل وقد لا يفهم من الصنعة شيئا ، والمشتغلون فيها عمال يتقاضون أجورهم منه ، سواء أربح المصنع أم خسر ، وهذا ما يجعل من المتبادر أنها هي الأخرى يجب أن تقاس بالأرض المجمد ثمنها مهما عظم أولا ، وبالأرض المروية بكلفة وتعب ، وتكون زكاتها نصف العشر ثانيا لأنها معرضة للتلف والاستهلاك وفي حاجة دائمة للصيانة والتجديد ، وتجب زكاة ريعها الصافي بعد أداء جميع الأكلاف بما في ذلك أجور العمال ، وأكلاف الصيانة ، بقطع النظر عن نفقات صاحبها المعيشية ، وبدون انتظار حول عام عليها ، بحيث تدفع حال ما يتم الحساب ، ويصرف الريع الصافي ، والزكاة على المال السائل كما يتبادر لنا وما فوقه ، بحيث إذا نقص الريع عن هذا النصاب سقطت عنه الزكاة ، كما

تسقط عنه إذا خسر المصنع ، ولم يورد إيرادا في سنة من السنين ، شأنه شأن الأرض إذا لم تغل في سنة من السنين ، وإذا كانت غلتها أقل من النصاب المعين عليها الزكاة في الآثار ، ويجوز أن يحسب نصاب ريع المصنع الذي تجب عليه الزكاة بحساب قيمة نصاب غلة الأرض التي تجب عليها الزكاة ايضا .

جـ ــ وسهام الشركات لا يعود منها إلا ريع . وثمنها بالنسبة لمالكها سواء أكانت زراعية أو تجارية أو صناعية مجمد . والقائمون عليها يوزعون على المساهمين الريع ، فيكون شأنها شأن الأرض كذلك ، وتقاس عليها فيما يتبادر لنا ، وتكون زكاتها مع الريع إذا بلغ النصاب الأدنى المعين للغلة الواجب عليه الزكاة ، أو أكثر ، وتؤدي وقت استلام الريع دون انتظار لآخر السنة ، ودون اعتبار لما قد يكون صاحبها في حاجة إليه من نفقة ينفقها على نفسه ، كما هو شأن زكاة الغلة . وإذا كانت قيمة الريع أقل من النصاب فلا زكاة عليه . ويصح أن يعتبر النصاب كنصاب المال السائل أو بحسبه بقيمة نصاب الغلة . ومن عادة الشركات أن تقتطع من الأرباح مقادير احتياطية للاستهلاكات والطوارئ ، وتوزع الريع على المساهمين بعد ذلك ، فتكون زكاة ريع السهام والحالة هذه عشرا قياسا على الأرض المروية بماء المطر .

د ــ هذا . واعتبار قيمة العقارات المعدة للأجرة ، والمصانع ، وسهام الشركات مالا سائلا كما سمعت بعضهم يقوله ، وإيجاب زكاتها كزكاة المال السائل ، غير سليم ، وغير عادل . ويتضح ذلك لو قلنا : إن عقارا قيمته مائة ألف ، فالزكاة الواجبة عليها كمال سائل هي ( ٢٥٠٠ ) في حين أن أجرة العقار قد لا تزيد على نفس المبلغ . ولو قلنا إن إنسانا يملك عشرين سهما قيمتها عشرة آلاف فيجب عليها كمال سائل ( ٢٥٠ ) في حين أن ما يوزع من الريع على أحسن تقدير ( ٥ أو ٧٪ ) من القيمة ، أي نفس المقدار أو يزيد قليلا . ولو قلنا : إن قيمة المصنع مليون كان زكاته كمال سائل هي ( ٢٥٠٠٠ ) في حين أن قصارى ما يكون ربح المصنع الصافي بعد كل النفقات والصيانة والاستهلاك لا يزيد عن ٥ أو ٧٪ أي ( ٥٠٠٠٠ ) او ( ٧٠٠٠٠ ) وتكون نسبة الزكاة نصف الربح أو ثلثه . وقد يقال : إن الأرض مجمدة طبيعيا ، وليس من صنع الانسان ، في حين أن الانسان هو الذي يجمد ماله في العقار أو السهام أو المصنع ، ويستطيع أن لا يفعل ، فتكون له فرصة تنمية رأس ماله . ولكن الناس ليسوا سواء فكثير منهم لا يحسنون العمل التجاري الحر ، ويرون في توظيف مدخراتهم في عقار أو سهام أو مصنع أضمن لهم الايراد ثابت . وليس في ذلك حرج ديني ولا أخلاقي .

وإني أرجو من أولي العلم والفقه من المسلمين أن ينعموا النظر على هذا الرأي الذي بسطته ، والذي موضوعه من المواضيع التي يكثر السؤال عنها ، فان كان صوابا أيدوه ، وإن كان لهم تعليق أو تعقيب أو رأي آخر أبدوه ، فلعل ذلك يؤدي إلى إقرار رأي شاف واف سائغ في هذا الموضوع .

والحمدلله رب العالمين .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## قم للمعلم وفه التبجيلا

**ارسل الاخ حلمي السيد محمود ابو حسن ـ مصر ـ رسالة ضمنها توجيها للشباب المسلم حرصا منه ان ينشأ الجيل عارفا قدر استاذه الذي يقدم غذاء عقله وهو خير زاد يهتدي به في حالك الظلمات على طريق السلامة والمعرفة ، اذ كيف يليق ان يقف التلميذ من استاذه هذا الموقف الشائن الذي تحاول اجهزة الاعلام ان تسمم به أفكار طالبي العلم .**
نقدم للشباب فقرات من تلك الرسالة .

منذ سنوات عرضت ولا تزال تعرض على شاشة التليفزيون مسرحية « مدرسة المشاغبين » .
وإنني لأعجب كيف يذاع ذلك ولا يدري المسئولون عقباه انها عواقب غير محمودة إذ إبراز تلك الصورة للمدرس امام تلامذته يدعو الى التمرد اعني تمرد الشباب المتعلم في مراحل العلم المختلفة على اساتذتهم مع ان الاستاذ المعلم له فضل كبير وهو كبير وهو الاساس في كل خير يعود على البلاد كنتيجة لاي بحث في اي مجال من مجالات المعرفة يقول احمد شوقي :
قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا
والقرآن حجة على الملحد وتبيان للموحد ، وحاكم يرجع اليه العالم والجاهل ،

وهذا هو صوت التربية في القرآن الكريم يضع اسسها السليمة ويؤكد على حسن الرابطة بين الاستاذ والتلميذيقول الله تعالى حكاية عن قصة سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام:« فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمنا من لدنا علما.قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا.قال إنك لن تستطيع معي صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » .

هذه آيات من كتاب الله تحكي لنا ما دار بين التلميذ وهو نبي مرسل سيدنا موسى عليه السلام واستاذ وهو عبد من عباد الله آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما لا يعرفه سيدنا موسى عليه السلام . حقا ان القرآن بحر زاخر فيه العظة والعبرة وفيه الهدى والخير ويتجلى الادب في سيدنا موسى عليه السلام اذ لم يستنكف ان يكون تلميذا للخضر بل طلب منه في ادب ان يقبله تلميذا مصاحبا له: « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » .

وهنا يرد عليه الخضر عليه السلام فهو يعرف انه رسول علمه الله أمور الدين ، والأنبياء لا يجهلون ما يتعلق بدينهم الذي جاءوا به أممهم وإنما يطلب علما علمه الله للخضر لا يستطيع موسى الصبر عليه:( قال إنك لن تستطيع معي صبرا ) ان موسى عليه السلام لا يصبر على ترك الانكار اذا رأى ما يخالف الشرع:( وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ) ولكن سيدنا موسى عليه السلام ذكر انه سيبذل جهده ان يكون تلميذا لا يعترض وذلك ان شاء الله:( قال ستجدني إن شاء الله صابرا ) وسيكون مطيعا وذاك شأن التلميذ مع استاذه:( ولا أعصى لك أمرا ) لم يطق موسى عليه السلام أن يصبر كثيرا ثم سكت ثم نبأه الخضر عليه السلام بما لم يستطع عليه صبرا .

## أيها الشباب

هذا قليل من كثير من فيض القرآن الكريم يجب علينا أن نفهمه وأن نلتف حول كتاب ربنا نتدارسه ونتدبر معانيه ونعمل به حتى نعيش عيشة السعداء في الدنيا والآخرة .

وعلى الشباب الذي يتعلم ان يعرف لمعلميه قدرهم وأن يكون مؤدبا معهم ومما يروى للامام الشافعي رضي الله عنه :

أخي لن تنال العلم الا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة استاذ وطول زمان

## بأقلام القراء

# لا قومية في الاسلام

**ارسل الينا الاستاذ فايز ابو شيخة بالكويت كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :**

بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام برسالة الحق لتنير من حولها الارض ، وتصلح احوال الناس ، وتبدل عاداتهم وتقاليدهم ، وتنقلهم من ظلام دامس مخيف فيه الظلم والقتل ، والشر الى نور الحق والهدى والصلاح ، تحت راية القرآن الكريم ، ووفق سنته صلى الله عليه وسلم .

فالتقت من حوله جموع اراد الله لها الخير ، وتماسكت القلوب وتعاهدت على الخير ، ونبذ عبادة الاوثان ، وطرح الشر تلك كانت رسالة الاسلام وما زالت تحمي الناس من البغي والعدوان على ارض ومال الله .

لكن بعد هذا تنكب الناس الطريق السوي ، وبعدوا عن الجادة فباءوا بالخسران المبين ، وصدق قول الله فيهم :

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

اخذوا يوزعون المبادىء فضلوا وأضلوا وساعد على ذلك اهمال في تنشئة الاجيال وفق منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة فبسبب هذا الاهمال والبعد عن الحق، تاهوا في خضم الحياة الحافلة بالمفاسد والمغريات ، وشدتهم حضارة ساقطة وافدة لا تمت لمجتمعهم المسلم بصلة .

وكان تنبيه الله سبحانه من مثل هؤلاء حين قال :« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » فرقوا المسلمين وباعدوا بينهم فكثرت القوميات التي كانت من قبل لا تعرف الا الاسلام مهما اختلف اللون والجنس والعرق فالكردية والتركية والباكستانية والعربية قوميات أذابها الاسلام وصهر ابناءها وجمع الكل على كلمة سواء فالكل مسلم .

فلما تعمق ابناء تلك القوميات بحثا عن اصلهم كلما ابتعدنا عن الاسلام ، وتفرق شملنا وتخللت صفوفنا الأفكار الهدامة والمبادىء الغريبة علينا ، ففقدنا ثقتنا

بانفسنا وارتفعت رحمة الله ، يقول الله سبحانه:« أفأ من أهل القرى أن يأتيهم بأسنابياتاوهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» أيها المسلمون : إن المنهج واضح لا يحتاج إلى بحث أو تنقيب وليس فيه خفاء ولا التواء .
والله سبحانه يقول : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »
وقول الله سبحانه:« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » فحتى تستحقوا نصر الله وتأييده كونوا مع الله واطرحوا القومية جانبا فتلك صفات بغيضة لا يتصف بها المسلمون .

## الحج المبرور

**يعتقد كثير من الحجاج الذين يجهلون حكمة الحج ولا يدركون غايته ولا يتدبرون هدفه ــ أنه مجرد رحلات . ووقوف على عرفات . وطواف حول البيت الحرام وسعي ورمي جمرات وتمتع بآثار ومشاهدات .**

**ناسين أن الهدف الأسمى الذي لأجله شرع الحج انما هو اتجاه القلوب إلى الله ، وابتغاء رضاه . والتضحية في سبيله بكل شيء سواه . وتوحيد صفوف المسلمين وجمع قلوبهم حول غاية واحدة . هي إعلاء كلمة الله وأن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .**

**وحول هذا المعنى جاءتنا الأبيات التالية من الشيخ عبدالرحمن البرغوتي :**

| | |
|---|---|
| يامن تظن الحج نيل شهادة | لا تخدعنك نية الاحرام |
| فالى التمسك بالفرائض اولا | قبل الدخول بنية الاحرام |
| أتريد نعتا دون صدق عبادة ؟ | رغم العناء وشدة الآلام |
| إن لم تغير ماضيا بفضائل | لا خير في حج بدون تمام |
| فالحج حج القلب قبل جوارح | يامن تظن الحج بالاجسام |
| قل لي بربك أي دين: تدعى | غير الصلاة بدون أي دوام |
| فالنية السوداء نحو قرابة | والطبع والأخلاق كالألغام |
| والنفس للأهواء عادت عبدة | والعين قد مالت لكل حرام |
| تبغي المظاهر دون أي حقيقة | حتى تنال الحمد من أعوام |
| ما سر حجك إن رجعت كسابق | وأبيت إلا الوصل للأنعام |
| فاعمل بوحي الله بعد مناسك | تنر العدو يتيه في آلام |
| والوحدة الكبرى على تلك الربى | ذاك السبيل لعزة الأقوام |

## صفات المؤمنين

**يسأل الاخ علي حامد من الامارات العربية عن معنى الكلمات التي وردت في الآية الكريمة « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »**

نقول للاخ علي : هذه الكلمات صفات المؤمنين فهم الذين تابوا وأنابوا الى الله وعقدوا العزم على أن يقذفوا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله لأن الله سبحانه يقول « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون .. » فالتائبون : العائدون الى الله المتوجهون اليه العاملون بما امر الله، المنتهون عن ما نهى الله فالتوبة ندم وتوجه الى الله وكف عن المعصية .

العابدون : المقرون لله بالعبودية المؤكدون ذلك بالعمل والقول والطاعة .

الحامدون : الذين يشكرون الله على السراء والضراء فما كان الله ليبتلي المؤمن الا لخير اراده له خفي على عبده ولهذا يكون الحمد لله في السراء والضراء فلا يحمد على مكروه الا الله سبحانه .

السائحون : هم المجاهدون في سبيل الله او هم المهاجرون او هم طالبو العلم أو هم الصائمون او هم المتفكرون في خلق الله ,

الراكعون الساجدون : الذين يركعون ويسجدون ويبدون وكأن الركوع والسجود صفة مميزة لهم فهم يقيمون الصلاة في خشوع العارف وايمان المقر .

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر : الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في ظل شريعة الله في مجتمع مسلم بدين الله ولا يدين لسواه فهم يوجهون المسلمين ويتناولون الانحرافات والاخطاء بالعلاج وفق منهج الله سبحانه وفي اطار شريعته .

الحافظون لحدود الله : هم القائمون على حدود الله يرعون تنفيذها في انفسهم اولا ثم يطالبون الناس بهذا ويقاومون من يضيع دين الله فمتى كان هؤلاء محافظين على حدود الله انصاع لهم الناس .

اذ ليست الحياة مرتعا للهدوء والضياع انما الحياة تكليف وعبادة وجهاد واعلاء

لكلمة الله عندها تكون الحياة غرس الاخرة يتحلى فيها المؤمن باخلاق فاضلة وسيرة حميدة .
تلك هي صفات المؤمن الذي عرف ربه فعرف نفسه وجاهدها وسلك بها طريق الخير والمرحمة فنال رضى الله والجنة واستحق ان يوصف بتلك الصفات التي وصف الله بها المؤمنين .

## الظلم ظلمات يوم القيامة

### خرجنا الى الحياة فوجدنا امرنا موكول لرجل من اهلنا فضيع مالنا واهدر حقوقنا فماذا نعمل نحوه ولا نملك ضده اي شيء يرد لنا حقوقنا .

ع.م. واخوته ـ العراق

لن يضيعكم الله سبحانه الذي حذر آكلي اموال اليتامى بشدة وطلب منهم الرحمة وحسن الرعاية لمن هم تحت يدهم يرعونهم لانهم ضعاف لا راحم لهم ولا ناصر ودعاهم الى التقوى فيهم فلعل الله سبحانه يهيء لصغارهم من يتقي الله ويرحمهم من بعدهم وتصبروا بقول الله سبحانه :« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » ولا تنسوا ان الله سبحانه قال محذرا ومخوفا هؤلاء الذين باعوا دينهم ونكثوا عهودهم وخانوا مواثيقهم في رعايتهم لليتامى يقول الله فيهم :« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .
ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكل مال اليتيم واعتبره من الموبقات. يروى الامام البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله والسحر . وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .
واني ازف اليكم البشرى بان الله سبحانه لن يترككم فاستعينوا بالله واصبروا فان الله للظالم بالمرصاد حتى اذا اخذه لم يفلته الا ترون وصف الله سبحانه لأكلي اموال اليتامى بالباطل فهم يأكلون في بطونهم نارا ومصيرهم النار وكأن النار تحرق بطونهم ان هذه الاوصاف العنيفة حرى بها ان تؤثر في نفوس المسلمين فتشيع فيها الخوف والخشية والتقوى ورعاية اموال اليتامى واذا لم تؤثر فالنار مثوى لهم والرعاية من الله لكم فتحصنوا بحصنه المتين وعيشوا في حفظه ولن يصيبكم الا ما كتب الله لكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

## المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
## اللجنة الـــوطنية للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري

يسر اللجنة الوطنية للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري أن تعلن للجمهور الكريم عن إقامة مسابقة عامة للتأليف المسرحي على النحو التالي :

### اولا : موضوع المسابقة

إن مناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري هي التي حددت موضوع هذه المسابقة ، وعلى ذلك فان من الممكن الكتابة باستلهام القيم الاسلامية والتراث الاسلامي واستيحاء الانجازات الكبرى التي حققها الاسلام عبر تاريخه منذ فجر الدعوة الاسلامية حتى يومنا الحاضر .
حول النقاط التالية :
١ ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
٢ ـ المجتمع الاسلامي ( الفرد ، الأسرة ، العلاقات الاجتماعية )
٣ ـ القضايا الانسانية الكبرى من منظور إسلامي
٤ ـ السير الشخصية للاعلام المسلمين من القادة والمصلحين والمفكرين ورجال العلم والأدب والثقافة .
وذلك مع التأكيد على ضرورة التلاحم والترابط بين المسلمين في البلد الواحد وبين الشعوب الاسلامية في مختلف الدول ، من أجل تنمية الشعور بعظمة الاسلام وقدرته على السير قدما في طريق الحضارة والتقدم .

### ثانيا : الشروط العامة

١ ـ يحق للأفراد العرب أو الناطقين باللغة العربية من المسلمين المقيمين في الكويت الاشتراك في هذه المسابقة العامة للتأليف المسرحي .

٢ ـ لا يجوز للمشترك أن يتقدم لهذه المسابقة بأكثر من عملين مسرحيين
٣ ـ يبدأ التقدم لهذه المسابقة بمجرد نشر هذا الاعلان وآخر موعد لقبول النصوص سيكون في نهاية شهر ربيع الأول من عام ١٤٠١ هـ ـ وما يقابله من شهر ( فبراير ١٩٨١ م ) .
٤ ـ يكتب المشترك اسمه الثلاثي وعنوانه واضحا على ورقة مستقلة يودعها المظروف الذي يحوي النص المسرحي ، ولن يلتفت للنصوص التي تحوي اسم المؤلف أو ما يشير اليه .

## ثالثا : الشروط الخاصة

١ ـ أن تكون المسرحية من فصلين فما فوقه ، وأن لا يقل حجمها عن خمسين صفحة فولسكاب من الورق المسطر ( الكتابة على كل سطر ) .
٢ ـ أن تكون باللغة العربية الفصحى خالية من الأخطاء الاملائية والنحوية .
٣ ـ أن تكتب بخط واضح من ثلاث نسخ .
٤ ـ المسرحيات التي تتقدم للمسابقة لا ترد الى أصحابها .
٥ ـ يحق للمجلس الوطني طباعة المسرحيات الفائزة بالاتفاق مع أصحابها .

## رابعا : الجوائز

١ ـ الفائز الأول : يمنح جائزة مقدارها ٣٠٠٠ د.ك
٢ ـ الفائز الثاني : يمنح جائزة مقدارها ٢٠٠٠ د.ك
٣ ـ الفائز الثالث : يمنح جائزة مقدارها ١٥٠٠ د.ك
٤ ـ الفائز الرابع : يمنح جائزة مقدارها ١٠٠٠ د.ك
٥ ـ الفائز الخامس : يمنح جائزة مقدارها ٧٥٠ د.ك

ترسل النصوص الى العنوان التالي بواسطة البريد فقط :
**« المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب. ( ٢٣٩٩٦ ) الكويت**
**ويكتب على المظروف ( مسابقة التأليف المسرحي ـ القرن الخامس عشر الهجري ) » .**

# مع صحافة العالم

# برنامج ديني حافل

## بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

دأبت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على الاهتمام بالمناسبات الدينية وهي كعادتها تستقبل شهر رمضان كل عام ببرنامج شامل حافل بخيرة الوعاظ والدعاة .

وخلال الشهر الكريم عقدت الندوات وألقيت الدروس والمحاضرات التي احتوت على أهمية الشهر الكريم وبيان فضله وقد شارك في تلك الندوات اطباء وأدباء وأساتذة من الجامعة .

ومن ناحية أخرى فتحت المساجد أبوابها طوال الليل كما أنه تم التنسيق بين الوزارة وأجهزة الاعلام لبث برامج دينية خلال التليفزيون والاذاعة .

ومع حرص الوزارة على اقامة الندوات الدينية والمحاضرات طول العام فانها تكثر من الدروس خلال شهر رمضان المعظم لأن ذلك يتمشى مع حاجة المسلم الصائم الذي يحتاج الى المزيد من الاحاديث الدينية التي تتناسب مع روحانية الشهر وتراعي الوزارة ان تكون الاحاديث موزعة على عدد من المساجد .

وقد حددت الوزارة مساجد للنساء لسماع القرآن الكريم وتيسير الاستماع للمحاضرات والندوات الدينية لهن . وقد خرج الموسم الديني على أحسن وجه كما خططت له الوزارة وأدى ثمرته المرجوة منه .

وقد استقبلت الوزارة في هذا الموسم مجموعة من كبار الوعاظ في العالم الاسلامي في مقدمتهم الشيخ بسيوني رسلان المدير العام للوعظ بالأزهر سابقا والأستاذ بجامعة محمد بن سعود بالرياض والشيخ محمد حسن المطراوي امام وخطيب مسجد السيدة زينب رضي الله عنها بالقاهرة والدكتور يوسف العالم الاستاذ بجامعة الخرطوم بالسودان . والاستاذ محمد الشاذلي الأستاذ بجامعة الزيتونه بتونس والشيخ عبدالمعز عبدالستار المشرف العام على العلوم الدينية والعربية بدولة قطر .

كما استقبلت كبار القراء من مصر : الشيخ محمود علي البنا والشيخ ابراهيم عبد الفتاح الشعشاعي .

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ — الشويخ — الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

| | | |
|---|---|---|
| مصر | : | القاهرة — مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء . |
| السودان | : | الخرطوم — دار التوزيع — ص.ب ( ٣٥٨ ) |
| ليبيا | : | طرابلس — الشركة العامة للتوزيع والنشر . |
| المغرب | : | الدار البيضاء — الشركة الشريفة للتوزيع . |
| تونس | : | الشركة التونسية للتوزيع . |
| لبنان | : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) |
| الاردن | : | عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) |
| السعودية | : | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ )<br>الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ )<br>الطائف : مكة المكرمة :<br>برحة نصيف / مكتبة جدة<br>المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| مسقط | : | المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص.ب:(١٠١١) |
| البحرين | : | دار الهلال . |
| قطر | : | دار الثقافة للتوزيع — الدوحة ص.ب. ٣٢٣ . |
| أبو ظبي | : | مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف — ص.ب:(٣٢٩٩) |
| دبي | : | مكتبة دبي . |
| الكويت | : | شركة الخليج لتوزيع الصحف — ص.ب : (٤٢٠٥٧) |

**ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | شوال | أغسطس | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) | | | | | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
| | | | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د |
| الثلاثاء | ١ | ١٢ | ٩ ١٧ | ١١ ٤٣ | ٥ ٢٢ | ٨ ٥٨ | ١ ٢٤ | ٣ ٤٨ | ٥ ١٤ | ١١ ٥٣ | ٣ ٢٩ | ٦ ٣١ | ٧ ٥٥ |
| الاربعاء | ٢ | ١٣ | ١٩ | ٤٥ | ٢٣ | ٥٨ | ٢٤ | ٤٩ | ١٥ | ٥٣ | ٢٨ | ٣٠ | ٥٤ |
| الخميس | ٣ | ١٤ | ٢١ | ٤٧ | ٢٤ | ٥٩ | ٢٤ | ٥٠ | ١٦ | ٥٣ | ٢٨ | ٢٩ | ٥٣ |
| الجمعة | ٤ | ١٥ | ٢٣ | ٤٨ | ٢٤ | ٩ ٠٠ | ٢٣ | ٥١ | ١٦ | ٥٣ | ٢٨ | ٢٨ | ٥١ |
| السبت | ٥ | ١٦ | ٢٥ | ٥٠ | ٢٥ | ١ | ٢٣ | ٥٢ | ١٧ | ٥٢ | ٢٨ | ٢٧ | ٥٠ |
| الاحد | ٦ | ١٧ | ٢٦ | ٥١ | ٢٦ | ١ | ٢٣ | ٥٢ | ١٧ | ٥٢ | ٢٧ | ٢٦ | ٤٩ |
| الاثنين | ٧ | ١٨ | ٢٨ | ٥٣ | ٢٧ | ٢ | ٢٣ | ٥٣ | ١٨ | ٥٢ | ٢٧ | ٢٥ | ٤٨ |
| الثلاثاء | ٨ | ١٩ | ٣٠ | ٥٤ | ٢٧ | ٣ | ٢٣ | ٥٤ | ١٨ | ٥٢ | ٢٧ | ٢٤ | ٤٧ |
| الاربعاء | ٩ | ٢٠ | ٣٢ | ٥٦ | ٢٨ | ٤ | ٢٢ | ٥٥ | ١٩ | ٥١ | ٢٧ | ٢٣ | ٤٥ |
| الخميس | ١٠ | ٢١ | ٣٤ | ٥٧ | ٢٩ | ٤ | ٢٢ | ٥٦ | ١٩ | ٥١ | ٢٦ | ٢٢ | ٤٤ |
| الجمعة | ١١ | ٢٢ | ٣٥ | ٥٩ | ٣٠ | ٥ | ٢٢ | ٥٦ | ٢٠ | ٥١ | ٢٦ | ٢١ | ٤٣ |
| السبت | ١٢ | ٢٣ | ٣٧ | ١ | ٣١ | ٥ | ٢٢ | ٥٧ | ٢١ | ٥١ | ٢٥ | ٢٠ | ٤٢ |
| الاحد | ١٣ | ٢٤ | ٣٩ | ٢ | ٣١ | ٦ | ٢٢ | ٥٨ | ٢١ | ٥٠ | ٢٥ | ١٩ | ٤٠ |
| الاثنين | ١٤ | ٢٥ | ٤١ | ٤ | ٣٢ | ٧ | ٢١ | ٥٩ | ٢٢ | ٥٠ | ٢٥ | ١٨ | ٣٩ |
| الثلاثاء | ١٥ | ٢٦ | ٤٢ | ٥ | ٣٣ | ٧ | ٢١ | ٥٩ | ٢٢ | ٥٠ | ٢٤ | ١٧ | ٣٨ |
| الاربعاء | ١٦ | ٢٧ | ٤٤ | ٧ | ٣٤ | ٨ | ٢٠ | ٤ ٠٠ | ٢٣ | ٥٠ | ٢٤ | ١٦ | ٣٦ |
| الخميس | ١٧ | ٢٨ | ٤٦ | ٨ | ٣٤ | ٨ | ٢٠ | ١ | ٢٣ | ٤٩ | ٢٣ | ١٥ | ٣٥ |
| الجمعة | ١٨ | ٢٩ | ٤٨ | ١٠ | ٣٥ | ٩ | ٢٠ | ١ | ٢٤ | ٤٩ | ٢٣ | ١٤ | ٣٤ |
| السبت | ١٩ | ٣٠ | ٥٠ | ١٢ | ٣٦ | ١٠ | ٢٠ | ٢ | ٢٤ | ٤٩ | ٢٣ | ١٢ | ٣٣ |
| الاحد | ٢٠ | ٣١ | ٥٢ | ١٤ | ٣٧ | ١١ | ٢٠ | ٣ | ٢٥ | ٤٨ | ٢٢ | ١١ | ٣١ |
| الاثنين | ٢١ | سبتمبر | ٥٤ | ١٥ | ٣٨ | ١٢ | ٢٠ | ٤ | ٢٥ | ٤٨ | ٢٢ | ١٠ | ٣٠ |
| الثلاثاء | ٢٢ | ٢ | ٥٥ | ١٧ | ٣٩ | ١٢ | ٢٠ | ٤ | ٢٦ | ٤٨ | ٢١ | ٩ | ٢٩ |
| الاربعاء | ٢٣ | ٣ | ٥٧ | ١٨ | ٣٩ | ١٣ | ١٩ | ٥ | ٢٦ | ٤٧ | ٢٠ | ٨ | ٢٧ |
| الخميس | ٢٤ | ٤ | ٥٩ | ٢٠ | ٤٠ | ١٣ | ١٩ | ٦ | ٢٧ | ٤٧ | ٢٠ | ٧ | ٢٦ |
| الجمعة | ٢٥ | ٥ | ١٠ ١ | ٢٢ | ٤١ | ١٤ | ١٩ | ٦ | ٢٧ | ٤٧ | ١٩ | ٥ | ٢٥ |
| السبت | ٢٦ | ٦ | ٢ | ٢٤ | ٤٢ | ١٥ | ١٩ | ٧ | ٢٨ | ٤٦ | ١٩ | ٤ | ٢٣ |
| الاحد | ٢٧ | ٧ | ٥ | ٢٦ | ٤٣ | ١٥ | ١٩ | ٨ | ٢٩ | ٤٦ | ١٨ | ٣ | ٢٢ |
| الاثنين | ٢٨ | ٨ | ٦ | ٢٧ | ٤٤ | ١٦ | ١٩ | ٨ | ٢٩ | ٤٦ | ١٨ | ٢ | ٢١ |
| الثلاثاء | ٢٩ | ٩ | ٨ | ٢٩ | ٤٥ | ١٦ | ١٨ | ٩ | ٣٠ | ٤٥ | ١٧ | ١ | ١٩ |

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٩١ ○ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ ○ سبتمبر ١٩٨٠ م



## اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

منظر عام لتجمع الحجاج في عرفات .

# الوعي الإسلامي

# AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٩١ ○ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ ○ سبتمبر ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# الحج المبرور

الحج هو قصد ( مكة ) في أشهر معلومات هي : ( شوال وذو القعدة وذو الحجة ) لأداء الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك ، ابتغاء وجه الله تعالى .

وقد فرضه الله تعالى مرة واحدة في العمر على كل مسلم بالغ عاقل يستطيع السبيل اليه ، ودليل فرضيته قول الله تعالى : ( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال الأقرع ابن حابس : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال : لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم . الحج مرة فمن زاد فتطوع » وهو ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وقد كان آخرها نزولا .. فشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرضت من يوم التبليغ الأول في مكة ، والصلاة فرضت ليلة الاسراء والمعراج قبل الهجرة ، والصوم ومقدار الزكاة من كل نوع من أنواع المال فرضا في السنة الثانية من الهجرة ، أما الحج فقد فرض في السنة السادسة من الهجرة ـ على رأي جمهور العلماء ـ

وقد جاءت فرضيته والمسلمون في شوق بالغ الى دخول مكة رافعين راية الاسلام ففرحوا بفرضية الحج فرحا شديدا ، واعتبروها بشارة من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقرب يوم النصر على الأعداء ، وتطهير البيت الحرام وما حوله من الأوثان والأصنام وجعله خالصا لكلمة التوحيد وحدها .

وهو واجب على التراخي ، ولكن يستحب تعجيله والمبادرة به متى استطاع المكلف أداءه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة ) .

والحج ينتج ثمرته الطيبة ويعطي عطاءه الكريم ، اذا كان حجا مبرورا ، والحج المبرور هو الذي لا يخالطه اثم ولا معصية ويقترن باطعام الطعام وطيب الكلام والتزود من فعل الخيرات ، لقول الله تعالى : ( الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ) وقد بين الحسن ــ رضي الله عنه ــ « ان علامة الحج المبرور أن يرجع الحاج زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة » .

وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ( سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور ) .

وقد جعله الله جهاد من لا يقدرون على مشقات الجهاد في سبيل الله . فقد ورد عن الحسن بن علي : ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر من عدم استطاعته الجهاد قائلا : اني جبان . واني ضعيف فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج .

والعمرة هي زيارة الكعبة والطواف حولها ، والسعي بين الصفا والمروة ، ثم الحلق او التقصير ، وهي عند جمهور الفقهاء سنة وعند بعضهم واجب ، والراجح سنيتها لحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة أواجب هي ؟ قال : « لا » وجمهور العلماء على جواز ادائها في جميع أيام السنة . والبعض يرى كراهتها في خمسة أيام : يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة ، وأفضل أوقاتها ــ شهر رمضان ! لما بينه النبي صلى الله عليه وسلم من أن أداءها في رمضان يعدل ثواب حجة متطوع بها بقوله : « عمرة في رمضان تعدل حجة » .

ويجوز للمعتمر ان يعتمر في أشهر الحج من غير أن يحج . كما يجوز له الاعتمار قبل أن يحج لما روى البخاري عن عكرمة بن خالد قال : « سألت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن العمرة قبل الحج فقال : لا بأس على أحد أن يعتمر قبل الحج ، فقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحج » .

وقد جاءت مشروعية العمرة في قول الله جل شأنه : ( إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن

**يطوف بهما ) وفي قوله تعالى : ( وأتموا الحج والعمرة لله ) .**

والذي يريد العمرة ان كان خارج مواقيت الحج يجب عليه الاحرام بها من الميقات لما رواه البخاري ان زيد ابن جبير أتى عبدالله بن عمر فسأله من أين يجوز أن أعتمر ؟ قال : فرضها رسول الله لأهل نجد ( قرنا ) لأهل المدينة ( ذا الحليفة ) ولأهل الشام ( الجحفة ) .. وان كان داخل المواقيت فميقاته في العمرة الحل ولو كان بالحرم لحديث البخاري عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن عائشة ـ رضي الله عنها حاضت ، فنسكت المناسك كلها غير أنها لم تطف بالبيت فلما طهرت وطافت قالت : يا رسول الله أتنطلقون بحج وعمرة وأنطلق بالحج ؟ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها الى التنعيم ، فاعتمرت بعد الحج في ذي الحجة ) .

والحج المبرور والعمرة المبرورة يكفران الذنوب ، وينفيان الفقر ويحققان إجابة الدعاء والاستغفار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .. وقال : « تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة »

وقال : الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم ) وروى ابن جريج باسناد حسن عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة ، وان رده رده بأجر وغنيمة ) .

**وجدير بالمسلمين أن يحققوا الفائدة من الحج وأن يدركوا أنه مؤتمر اسلامي يأتي اليه المسلمون : من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ومن أهم المنافع أنه يعطيهم الفرصة في كل عام أن يتدارسوا ـ في ظلال الطاعة لله وذكريات الأماكن المقدسة ، وصفاء النفوس والأرواح ـ شئونهم ، ويديروا أمورهم ويصححوا مواقفهم على ضوء الأحداث والتجارب ، وأن يتوحدوا على كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا تتشعب بهم الأهواء الضالة المضلة ، ولا تتفرق بهم السبل عن صراط الله المستقيم وفي ذلك عزهم ، ومجدهم وقوتهم وانتصارهم على نفوسهم وعلى أعدائهم .**

**ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه .**

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# خصائص التفسير والتأويل
# والبيان في الكتاب والسنة

للأستاذ : محمد العفيفي

١ ــ مقدمة لحقيقة التفسير والتأويل والبيان
٢ ــ التفسير وخصائصه في القرآن والسنة
٣ ــ التأويل وخصائصه في القرآن والسنة
٤ ــ البيان وخصائصه في القرآن والسنة

**١ ــ التفسير وخصائصه في القرآن والسنة**

ظهر لنا فيما سبق من قبل أن التفسير ، والتركيب ، حقيقتان مترابطتان ، لا تنفصلان أبدا . ذلك أن التفسير ، في حقيقته الشاملة ، قد جعله الله بيانا ، للمعاني المشتركة التي تكثر حتى لا يستطيع البشر أن يردوا كل معنى منها الى وجهه الخاص به من وجوه الحقيقة .

والله تعالى غني عن ذلك ، وإنما هو يفسر الحقيقة لعباده ، رحمة منه بهم ، وعونا لهم على فهم وجوهها ، التي لا يستطيعون الاحاطة بها ، فهم بحاجة إلى أن يعرفوها ، في معان كثيرة ، ليستعينوا بذلك على التغلب على ما فيهم من الميل إلى النسيان ، أو العصيان ، أو الركون إلى الكذب وأهله والنفور من الصدق وأهله .

يقول الله تعالى :

**( وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا .**

**( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا .**

**ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا )**

( ٣١ ــ ٣٣ ) الفرقان

وهذه الآيات الثلاث جاءت في سورة الفرقان مبينة ما سبق كله ، وأكثر منه مما لا نحيط بعلمه .

ولكننا ننظر فنجد هذه الآيات تدلنا في المقام الأول على ارتباط التفسير بالتركيب ، الذي يصل عقولنا بالحكم النهائي الثابت ، لكل وجه من وجوه

الحقيقة ، ولا يقدر على التفسير الذي يتحقق به ذلك إلا الله وحده .

لذلك فقد جعل الله سبيلنا إلى هذا التفسير ، هو الوحي الالهي ، من قرآن وسنة ، ننظر في تركيب كل منهما ، وننظر في ترابط مقاصدهما الواحدة ، ونحن نعيش في صميم التركيب الكوني الذي أحيانا الله في رحابه .

ولننظر كيف ذكر الله رسوله في هذه الآيات الثلاث مرات كثيرة حيث قال : **( وكذلك جعلنا لكل نبي )** وحيث قال : **( لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة )** وحيث قال : **( كذلك لنثبت به فؤادك )** وحيث قال : **( ولا يأتونك بمثل )** وحيث قال : **( إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا )** ..

فهذا كله من دلائل ارتباط القرآن بالسنة من حيث التفسير بمعناه الذي لا ينفصل عنه التركيب ، ومواكبة علاقات المعرفة الانسانية ، بالحقيقة في جملتها وتفصيلها .

ولما كان العقل البشري لا يعرف الكل إلا من طريق النظر في أجزائه المرتبطة به ، فقد جعل الله التفرق الشكلي ، طريقا إلى ارتباط المعنى العام الذي تتصل به وجوه كثيرة من وجوه العلم الدالة على التفسير .

ويبدأ هذا المعنى من أول سورة الفرقان التي أودع الله فيها كل أسرار التفسير من أولها إلى آخرها سواء كان هذا التفسير خاصا بالوحي أو خاصا بالخلق .

يقول الله تعالى :

**( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا )** الفرقان/١

وفي هذه الآية ربط واضح بين القرآن والسنة ، ولكنه ربط يقوم على المقاصد ، لا على التكوين الشكلي .

فقوله تعالى : **( تبارك الذي نزل الفرقان )** يبين لنا أن القرآن بتركيبه ومقاصده ، متنوع المباني والمعاني ، والتراكيب ، والمواضع ، فهو الفرقان الذي يفرق بين كل ما هو حق وما هو باطل ، بما يناسب استطاعة البشر ، وهي أنهم ينظرون في الأجزاء ، المتفرقة في أشكالها ، المترابطة معانيها ومقاصدها في عقولهم وأفكارهم .

أما قوله تعالى : **( على عبده ليكون للعالمين نذيرا )** فهو متضمن الاشارة إلى السنة التي هي تطبيق للقرآن في جملته وتفصيله ، على سائر أعمال الرسول وأقواله ، التي صدقت بها السنة قوله تعالى : **( ليكون للعالمين نذيرا )** .

ومما يدل على وجوه أخرى من هذه الحقيقة قوله تعالى :

**( وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا )** الاسراء/١٠٦ .

أي بينا فيه الأحكام وفصلناه وقيل فرقناه أي أنزلناه مفرقا .

وفي هذا دليل جديد على أن ترتيب الرسول لآيات القرآن ، بعد أن نزلت مفرقة ، إنما هو من أعظم أعمال التفسير والبيان ، الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لآيات القرآن وسوره ، وقد تم ذلك بوحي من

الله تعالى ، وهداية من الله ، ولذلك حرم الرسول التفسير بالرأي حيث يقول :

« من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي

وكذلك فان قوله تعالى : **( ونزلناه تنزيلا )** أي جعل الله في هذا التفرق الشكلي حيث نزلت آيات القرآن منجمة ، طريقا إلى ارتباط المعاني القرآنية ، وارتباط كل وجه منها بما يتفق معه ، فاذا القرآن كله في جملته وتفصيله ، نور واحد ، وحقيقة جامعة ، ولكنه كثير المعالم ، بعيد الآفاق .

وعلى ذلك نقيس ارتباط السنة بالقرآن ، حيث تفرقا شكلا ، ليرتبطا مضمونا وغاية وحقيقة .

وكلام البشر ، الخارج عن كلام النبوة ، لا يدخل في هذا المعنى ، لأن مصادره مختلفة باختلاف أحوال البشر بين الصواب أو الخطأ ، والصدق أو الكذب ، والظلم أو العدل ، والثبات على الرأي أو التردد فيه .

أما كلام النبوة فهو وحي من الله كما يقول سبحانه :

**( والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى )** النجم/١ ــ ٤

وهذه الآيات تحتوى على وجوه كثيرة تبين لنا أن السنة وحي من الله ، وأن معاني القرآن ، ومعاني السنة ، لا يحيط بها في جملتها الحصر .

**٢ ــ التأويل وخصائصه في القرآن والسنة**

يبين لنا القرآن معنى آخر مرتبطا بالتفسير ، في حالة التلقي الذي نتلقاه من القرآن والسنة . وهذا المعنى هو التأويل .

والتأويل له في القرآن وظائف كثيرة ، لا نستطيع أن نحيط بها ، فحسبنا هنا أن ننظر في هذين الموضعين ، من مواضع التأويل في الآيات والسور .

يقول الله تعالى :

**( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا )** النساء/٥٩

١ ــ وقد جاء هنا ذكر الطاعة لله ولرسوله . وفي هذا ربط وتركيب بين القرآن والسنة في المصدر الواحد وهو الوحي الالهي ، ثم في الغاية وهي وجوب الطاعة لله ورسوله حيث يقول الله تعالى : **( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول )** .

٢ ــ كما ذكر الله طاعة العلماء بكل مكان وزمان ، فان اختلفوا وتنازعوا في شيء فمرده إلى القرآن والسنة ، ومن ذلك قوله تعالى : **( فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول )** .

٣ ــ كما ذكر الله الايمان بالله واليوم الآخر ، حيث قال : **( إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر )**. فأما الايمان بالله ففيه النجاة الدائمة من

كل ضلال ، وأما الايمان باليوم الآخر ، ففيه بيان الحركة المتواصلة ، والتجدد الدائب في احوال البشر ، مما يقتضي ان نعلم ان القرآن والسنة ، لن يسبقهما أي ابتداع للشرائع والأحكام ، التي يحاول البشر أن يجيئوا بها من عند انفسهم وليس لهم أي حق في ذلك ، كما بينت لنا هذه الآية تفصيلا .

ثم يقول الله تعالى في موضع قرآني آخر :

**( وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا )** الاسراء/ ٣٥ .

وقد جاء بهذه الآية الربط بين التأويل وبين سائر امور الاقتصاد بكل مكان وزمان ، حيث عين الكيل والوزن ومنهما كل وسائل ضبط البيع والشراء ، وعليهما تدور سائر المعاملات الاقتصادية .

والقرآن والسنة ، قد جعل الله فيهما ــ معا ــ كل ما نحتاج إليه في ذلك .

ومن أراد أن ينظر إلى أهمية الربط بين التفسير والتركيب ، فليتأمل كيف جاءت هذه الجملة القرآنية : **( ذلك خير وأحسن تأويلا )** بموضعيها من سورة النساء ثم من سورة الاسراء ، وكيف أدى ذلك إلى تنويع المقاصد بكل من الموضعين كما رأينا ، ثم ربط الغاية منهما بوظائف التأويل .

وتأتي السنة ، فتواصل هذا التركيب ، حيث تضع لنا وظائف التأويل ، في صيغة عملية تطبيقية ، وذلك حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، في دعائه لابن عباس :

« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » رواه البخاري .

فقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن دعا له بالفقه في الدين ، وهو أمر يقتضي أن يرتبط فهمه بالقرآن والسنة والأحكام على كثرتها ، مما يدل على فهمه للتركيب بين الأجزاء ورد كل جزء منها إلى أصله .

ثم جاء بعد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ( وعلمه التأويل ) أى التفسير التطبيقي المتحرك الذي يرد كل أمر خاص ، إلى موضعه بين القضايا العامة التي تشمله وتحيط به .

ومن أهم خصائص التأويل في حدود العلم البشري ، أنه يقوم على الايمان والتذكر كما يقول الله تعالى :

**( فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب )** . آل عمران/ ٧ .

وقد سبق تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لمعنى هذه الآية ، التي تدلنا على عجز عقولنا البشرية عن الاحاطة بكل وجوه الحقيقة ، وإنما سبيلنا إلى فهمها لابد أن يجتمع له أصلان . هما الايمان والعمل كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فردوه الى عالمه ) رواه احمد .

فالقرآن نور عظيم لا يحيط أحد منا بكل حقيقته ، وإنما حسبنا أن أيسر هذا النور ، تنكشف به كل الظلمات ، ويظهر به كل اليقين وقد جاء ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

**( الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد )** ابراهيم/١ .

وهذه الآية بها من وجوه العلم ، مالا نحيط به ولكن حسبنا ان تتعلق هممنا بأيسر قدر من نورها العظيم ، وبذلك يتبدد كل ظلام ، ويظهر الحق على كل ما عداه .

### ٣ ـ البيان وخصائصه في القرآن والسنة

ومن المعاني الكبرى ، لارتباط التفسير بالتركيب ، أن ترتيب آيات القرآن قد جعله الله قائما على الوحي الالهي ، الذي تؤديه السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم .

ويظهر لنا ذلك في بعض وجوهه الهامة ، حيث ننظر في عدد من المواضع الدالة على البيان ، في القرآن الكريم .

فقد افتتحت الكلمات الدالة على البيان ، في أول موضع من مواضعها ، بسور القرآن ، بقوله تعالى :

**( وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يؤمنون . إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم )** ( ١١٨ ـ ١١٩ ) البقرة

فتعلل الكافرين بأنهم يريدون أن يروا الله ، مردود عليه بأن الله شاء أن يبعث خاتم رسله للناس كافة .

وتعللهم بأنهم يريدون أن تأتيهم آية ، مردود عليه بأن الله شاء أن تأتيهم الآيات كثيرة ، لأنهم لا يستطيعون أن يدركوا مقاصد الوحي إلا بآيات كثيرة ، تتحرك معها عقولهم من جزئية إلى أخرى ، ثم تكون السنة هي التي تبين لهم ذلك كله ، في التطبيق العملي .

وهذا كله واضح في الآيتين السابقتين من سورة البقرة . فترتيب الرسول لآيات القرآن وسوره ، هو الذي يجعلنا نجد كلمة **( بينا )** في موضعها ، الثاني من سورة آل عمران ، بقوله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا )** .

وتستمر الآية الى قوله تعالى : **( قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون )** آل عمران/١١٨ .

وننظر فنجد أنفسنا قد علمنا في الموضع السابق الدال على البيان في سورة البقرة أن البيان في مصدره الحق ، إنما هو من الله تعالى وحده ، وأنه هو الذي جعل السنة مرتبطة بالقرآن ، بيانا وعملا وتطبيقا .

أما الجديد هنا فهو التحذير من كل منافق عليم اللسان ، يحاول أن يفرق بين القرآن والسنة . والدليل على ذلك

أن الآيات في هذا الموضع من سورة آل عمران تتوالى حتى نجد قوله تعالى : **( وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون )** آل عمران/١٣٢ ، ونستمر في القراءة حتى نصل إلى سورة الحديد ، فنجد فيها قوله تعالى : **( اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون )** الحديد/١٧ .

وننظر في هذه الآية فنجدها تربط البيان بآيات الله الكونية بعد ما سبق من ربط البيان بآيات الله القرآنية ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا كله من دلائل ارتباط التفسير بالتركيب ، ومن أهم وجوه ذلك ، هذه الحركة الدائبة التجدد ، التي تزيدنا علما ، كلما ازددنا تلاوة للقرآن ، كما شاء الله تعالى أن يرتبه هذا الترتيب ، رسوله صلى الله عليه وسلم ، بهدى من الوحي الالهي .

ولنتأمل كيف جاءت الآيات بسورة البقرة تبين لنا مصدر البيان وهو الله تعالى .

ثم جاءت الآيات بسورة آل عمران تبين لنا كيف نحافظ على المجتمع الاسلامي متماسكا بكتاب الله وسنة رسوله .

ثم جاءت الآية السابقة بسورة الحديد تبين لنا ان الله جعل آياته الكونية ذات حظ خاص بها من البيان ، وهل القرآن والسنة ، وقد جاءا بالبيان النابع من الوحي الالهي إلا ونحن نعيش في صميم آيات الله الكونية .

فدل ذلك على أننا نحن البشر ، إنما تتصل معرفتنا ووجودنا ، بتفسير لآياته البينات ، على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وآيات الله الكونية ، التي يتجلى لنا فيها دائما الصدق التام في كل ما جاء به الوحي الالهي من قرآن وسنة ، فمهما نكتشف من حقائق العلم ، فقد سبقنا إليها الوحي إجمالا وتفصيلا .

وواضح – مع ذلك – أن لكل من القرآن والسنة والآيات الكونية تركيبه الشكلي الخاص به ، والذي يبين لنا كيف نطلب البيان والتفسير دائما من الله تعالى ، وبما يسر الله به لنا من وسائلنا المتفقة مع قدرتنا على البحث والتدبر ، في كل ما نحتاج الى تفسيره من أمور الدنيا والآخرة .

هكذا جاء ذكر البيان في القرآن بمواضعه الكثيرة ، وصيغه المتنوعة ، دالا على ارتباط التفسير بالتركيب . وهذا مما يدلنا على أن السنة في جملتها وتفصيلها ، هي بيان للقرآن في جملته وتفصيله .

يقول الله تعالى :

**( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون )** النحل/٤٤

وتأتي هذه الآية جامعة لكل أصول النظر الى فترات التاريخ وما فيها من دلائل الهداية الالهية بالقرآن والسنة .

وذلك لأن الله يقول : **( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم )** .

والذكر يتم به الربط بين القرآن

والسنة ، وبين التفكر في ما مضى وما حضر وما سيكون في المستقبل من أحوال الحياة الانسانية . لذلك جاءت الآية السابقة بين آيات خاصة بالرسل السابقين .

فهذه كلها أمور معنوية ، ترتبط في بيانها وتفسيرها بالقرآن والسنة .

أما الأمور المادية ، فقد جاء ذكرها بالموضع الثاني لقوله تعالى : ( **لتبين** ) وقد جاء في هذه الآية من سورة النحل أيضا :

**( وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون )** النحل/ ٦٤ .

والاختلاف يبدأ من إعجاب كل ذي رأي برأيه ، وهو أمر مادي في المقام الأول لأنه يعود إلى العصبية ، على مستوى الأفراد أو الجماعات .

ويؤكد ذلك أن الآيات اتصلت بعد ذلك فبينت أمورا مادية كثيرة ، منها إنزال الله للماء ، ومنها تيسيره الغذاء للناس ، حتى جاء ذكر النحل وكيف يخرج من بطونها العسل .

ولنتأمل كيف تستقطب الكلمات الدالة على إنزال الله لآياته بكل صيغها ومواضعها ، ما يخص آيات الله القرآنية ، وآياته الكونية ، وفي ذلك خير بيان لارتباط التفسير بالتركيب ، سواء كان هذا التركيب خاصا بالوحي من قرآن وسنة ، أو كان خاصا بآيات الله الكونية .

والسنة تضع لنا هذه المعالم القرآنية ، في أسلوب عملي جامع ، ييسر للناس على اختلاف حظوظهم من العلم ، أن يدركوا التطبيق العملي للبيان .

ومن الأحاديث التي تحقق هذه الغاية قوله صلى الله عليه وسلم :

« الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه . ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .

وهذا الحديث من جوامع كلم الرسول صلى الله عليه وسلم ، التي توضح لنا التطبيق العملي الذي يتم به للناس جميعا ، بكل مكان وزمان ، التفسير والبيان ، لسائر أحوالهم الخاصة بدينهم ودنياهم .

وقد جاءت بهذا الحديث كلمة ( متشابهات ) في قوله : ( وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ) فربط الرسول صلى الله عليه وسلم ، بين التشابه وبين الظنون التي يؤثرها أكثر الناس ، على الدليل الشرعي الذي جاء به القرآن والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة .

وجاء بهذا الحديث الربط بين الدين والدنيا حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم ( فقد استبرأ لدينه وعرضه ) ووجوه العلم في الحديث كثيرة ، وكلها يؤكد لنا ارتباط التفسير بالتركيب ، وارتباط السنة بالقرآن .

# الإسلام قضايا

# بين الثبات والتجديد

للاستاذ/توفيق محمد سبع

الاسلام في إطاره الشامل جهد متجدد ومستمر يزيد الحياة خيرا ــ ويمنح الانسانية تقدما ويحطم القيود التي تعتاق مسيرة البشر نحو غد أكثر تفاؤلا وإشراقا .. ذلك أن هذا الدين يستطيع أن يتقدم بالحياة بما لا يمس جوهره وأصوله الثابتة ، إذ أن هناك أساسين واضحين ينبغي التنبه إليهما والحفاظ عليهما حتى يمضيا في خطين متوازيين لا يطغى أحدهما على الآخر .. **الأساس الأول :** الأصالة المتمثلة في شريعة هذا الدين .. تلك الأصالة التي تحفظ عليه شخصيته .. وتجعل له طابعا متميزا **والأساس الثاني :** هو التجدد الذي يتفاعل دائما مع الحاضر محاولا أن يربطه بروح الشريعة متجها به نحو مستقبل كريم للبشرية ..

ومعنى ذلك أن نفرق دائما بين الشريعة والفقه فلا نخلط بينهما في تفكير أو تعبير .. لأن الشريعة هى وحي الله الخالد ... الذي تستقى منه الأحكام .. وتستمد القوانين والدساتير الملائمة لروح العصر .. والمطابقة لمصالح البشر ..

وهذا الاستمداد عملية عقلية

صرفة ... أي أن على العقل البشري أن يمضي مع تيار الأحداث المعاصرة مستهديا بالقرآن والسنة .. مجتهدا ما وسعه الاجتهاد لأن القرآن ليس موسوعة قانونية فيها كل الأحكام والقوانين .. بل إنه يتعرض للخطوط العامة وأمهات المسائل تاركا للعقل البشري أن يستمد منها ويقيس عليها ويستنير بها .. ليجد الحلول الملائمة للمشكلات الحاضرة .. ولقد نما الفقه الاسلامي وازدهر في رحاب الشريعة واستمد ما ينفع الناس ، ويثرى روح التجديد .. وكان فقها دقيق الصياغة واسع الآفاق .. فسيح المجال قابلا للنماء تمده شريعة ثابتة وتتحرك به في الاتجاه السديد .. وفي الاطار الملائم دون أن يتجاوز تلك الشريعة أو يخرج عليها .. كما تحدد الشطآن القوية حركة التيار المائي بين جوانبها كيلا ينساب انسيابا فوضويا .. فيتبدد بين الصخور والرمال . ولدينا شريعة كاملة تغطي احتياجات الناس من المهد إلى اللحد .. بل إنها تضع الأحكام للجنين وللحمل وللطفولة وللمرأة وللرجل وللخنثى .. ولدينا في تشريعنا المتطور أحكام للانسان الراشد منذ يقوم من نومه إلى أن يؤويه الفراش .. وهي أحكام تستوعب كل حاجاته وضروراته .. إذا مشى فبنظام ، وإن أكل أو شرب فله آداب وأحكام ، وإذا سعى أو عمل ففي إطار .. وإن ناقش أو جادل فبقوانين .. وإذا استبرأ أو اغتسل فله أسلوب .. ونتحدى أن يوجد تشريع مستوعب لكل أمور الحياة كما يوجد في تشريعنا ، وهناك في كتب الفقه مسائل فرضية لتغطية ما يجيء به الزمان ..

ولقد استطاع فقه الامام مالك رضي الله عنه بهذه الخاصية الفريدة أن يثرى القانون العالمي كله ، وقانون فرنسا بالذات .. عندما اتصل الفرنسيون بالمدارس الفقهية في الأندلس وغيرها فنقلوا مجموعة من الأحكام الفقهية إلى لغاتهم ، ولم تكن أوربا يومذاك على نظام محكم أو قوانين منظمة ، **حتى إذا كان عهد** نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى الفرنسية لشدة إعجابه بضبطه ودقة صياغته ــ ومن أوائل هذه الكتب كتاب خليل الذي يعتبر نواة القانون المدني الفرنسي ــ والذي جاء بعد الترجمة صورة مطابقة تماما لفقه المالكية ، يقول « سيديو » المفكر الفرنسي : « والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا على الخصوص لما لنا من صلات بعرب افريقيا ــ ولقد عهدت الحكومة الفرنسية إلى دكتور « بيرون » في أن يترجم إلى اللغة الفرنسية كتاب المختصر في الفقه **للخليل بن إسحاق بن يعقوب** المتوفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بعد الألف من الميلاد .. » .

ولقد رشح الفقه الاسلامي ليكون قانونا عالميا .. لما فيه من شمول ودقة .. ولما له من عراقة وشخصية **يقول الدكتور فرج السنهوري في** بحث نشرته له الجامعة العربية متحدثا عن هذا المعنى : « الفقه

الاسلامي فقه محض لا تقل عراقته في ذلك عن عراقة القانون الروماني ، لا يقل عنه في دقة المنطق ، ولا في متانة الصياغة ، ولا في قابلية التطور ، وهو مثل صالح لأن يكون قانونا عالميا ، بل كان بالفعل قانونا عالميا يوم امتدت دولة الاسلام من أقاصى البلاد الآسيوية إلى المحيط الأطلسي » .

ثم استطرد يقول : « ويجب الاهتمام باحياء الفقه الاسلامي وفتح باب الاجتهاد فيه ، وإن ذلك وحده كفيل بأن ينشيء قانونا عالميا يكون مستمدا من الفقه الاسلامي مسايرا لروح العصر **ولقد أتاح لي** اطلاعي على نصوص الفقه الاسلامي سواء أكانت مقننة ـ أم كانت معروضة عرضا فقهيا في أمهات الكتب وفي مختلف المذاهب أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابداع وما يكمن فيه من حيوية وقابلية للتطور » .

وأقول : إن مقارنة الفقه الاسلامي بالفقه الروماني في العراقة والأصالة مقارنة لا أستحسنها فأين يقع الفقه الروماني بحجمه الضيق ومساحته المحدودة ... وأخطائه الكثيرة واستناده في جملته وتفصيله إلى العقل الذي يخطيء ويصيب .. أين يقع هذا الفقه من فقه واسع المساحة مستوعب المقاصد .. تمده شريعة ثابتة .. وتحفظه من التسيب والشرود .. وتضفي عليه قداسة السماء ؟!.. وهذا عتب موجه لكل من يحلو لهم هذه المقارنة .

وإذا كنا ندعو بحرارة إلى فتح باب الاجتهاد وتوسيع مجاله لملاحقة ما يجد من قضايا العصر .. كما اجتهد الماضون في قضايا عصورهم ـ فاننا نؤكد هنا أن يظل الاجتهاد في إطار الهيئات العلمية .. والمجامع الفقهية .. وألا يصبح فرديا يخضع لضغوط الحكام ، وشهوات المستغلين .. وحين يزدهر الاجتهاد على هذا النحو .. فسوف نظفر بالأحكام التي تهدي الحيارى إلى الحق ، وتربطهم بالشريعة ، وترعى جانب التجدد .. الذي يعصم من التقوقع والجمود .. فيطرد سير الحياة .. ويمضي ركبها المبارك على صراط الله . وتظل المدنية الاسلامية معبرة عن طابع التحرك والتوثب وملاحقة الأحداث الكبيرة .

ومن العجيب أن يصدر كلام رائع في هذا المقام عن رجل أوربي فرنسي هو المستشرق المعروف ( رينان ) فيقول : « وما يدرينا بأن يعود العقل الاسلامي الولود والكثير المواهب إلى إبداع مدنية أروع من زميلتها الأوربية .. بل ما يدرينا ما عساه أن يصبح بعد قليل مصير المدنية الأوربية الحالية **التي هى وليدة التمدن** الاسلامي القديم في خصائصها العليا » .

ما مغزى هذا الكلام ؟ إن الرجل يذرف الدمع على مأساة التحجر العقلي التي منى بها الفكر الاسلامي في عصور التخلف ويمنى نفسه بأن يعود لهذا العقل طابعه المميز في التجديد والازدهار حتى ينقذ العالم من قوانين

الفساد والظلم ، التي تتمثل في مدنية الغرب .. تلك المدنية التي إستمدت حضارتها العليا من حضارة الاسلام .. وهذا التفتح في العقلية الاسلامية .. وتلك المرونة في الفقه الاسلامي جعلت هذا المستشرق بالذات يقف من حضارة الاسلام موقف الحقد في موطن آخر حيث يقول : « ما دخلت مسجدا قط إلا تملكني نوع من الحقد على أني لم أكن مسلما » !!

وإنها لتصريحات تحمل الحقيقة في كثير من الأحيان .. على حين أنها تحمل الحقد في أعماقها ضد هذا الدين وأهله .. ومن خلال هذين التصريحين يعتبر « رينان » مزدوج الشخصية .

ولقد نرى الحرارة والاخلاص في كتابة الفيلسوف المسلم « **إقبال** » حيث يقول : « الرأي عندي أن تفسر أصول المبادئ التشريعية تفسيرا جديدا على هدى أحداث العصر وفي ضوء تجاربه ــ وإن حكم القرآن على الوجود بأنه خلق يزداد ويترقى بالتدريج يجعل لكل **جيل الحق في أن يهتدي** بما ورثه من آثار أسلافه **من غير أن يعوقه** ذلك عن مشكلاته » .

ويقول العلامة المودودى : « من من المسلمين يستطيع أن يجحد فضل الأئمة الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين رحمهم الله ؟ ولكنهم على أي حال كانوا بشرا وكانوا يملكون من اكتساب وسائل العلم ما هو حاصل لعامة بني آدم ولم يكن يأتيهم الوحي وإنما كانوا يستعملون عقلهم وبصيرتهم ليسبروا غور كتاب الله وسنة رسوله .. واجتهادهم هذا عون لنا ونور يسعى بين أيدينا .. لنعمل كما عملوا .. ولا يمكن أن يكون اجتهادهم قانونا أبديا وقاعدة حتمية » .

إن لنا عقولا تستطيع في ضوء المصادر العليا للتشريع أن تهتدي إلى الأحكام .. وبخاصة فيما يجد من مشكلات ليظل لهذا الدين طابعه المميز من الأصالة الممثلة لعنصر الثبات في شريعته .. ومن التجدد الممثل لعنصر المرونة في فقهه .. أي **أن الشريعة** كمصدر أصيل للفقه لا تتغير ولا تتبدل لأنها وحي الله .. الذي يعطي الأحكام العامة تاركا للبشرية أن تكيف سلوكها في هذا الاطار بما تهتدي إليه من أحكام .. وهذا التكيف مع الحياة .. والتجدد مع الأحداث **هو الفقه** الذي هو صياغة قانونية محضة .. وعمل عقلي صرف ..

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .. تلك هي شريعة الله في نمائها وتطورها ليست جمودا رجعيا .. ولا فكرا فوضويا .. وإنما هى تجدد في إطار الكتاب والسنة .. يحفظ على الحياة جلالها .. ويصون كرامتها ومجدها .. ويوفر أمنها وسكينتها .. وتجد فيه البشرية حياة كريمة ، لا فرق بين دين ودين ، أو بين ملة وملة ، فهل آن أن يتحمس الحكام المسلمون لتطبيق شريعة الله كمنهج شامل للحياة ؟ ذلك ما نرجوه .. وما هو على الله بعزيز .

# من سمات مجتمع التوحيد

(١)

# الصحبة المؤمنة

للدكتور/عبد الفتاح محمد محمد سلامة

لا يسع الانسان الحصيف ( اذا هو طوف بالآفاق القرآنية المتراحبة ، وتكشفت له عن جوانبها الشفافة الباهرة ، التي تحكي اتساق الكون في بهائه وجماله ) الا ان يهتف عن بصيرة واعية بأن هذه الافاق إلهية في صبغتها ، ربانية في تكوينها ، علوية في مدلولها ، متسامية في غاياتها ... فهي كما وصفها رب العزة في قوله تعالى :

**( وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين )** الشعراء / ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤

أجل : فقد نزل القرآن ليعيد صياغة الكون والحياة من جديد ، ويبني الانسان المستخلف على ظهر هذه البسيطة بطريقة فذة ، وبأسلوب رباني فريد ... وذلك ليتيح للبشرية ان ترى المصحف يصب في نهر الحياة ، وترى الحياة وهي تستقي من نبع الله ، وترقب المصحف والحياة معا يتعانقان في حفاوة وجلال :

**( صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة )** البقرة / ١٣٨ .

ومجتمع الايمان في عهد محمد النبي : احدى روائع القرآن الماجد ، التي نفح بها الكون ، وعطر بسيرتها فم الحياة ، فاذا رمنا الحديث عن هذا المجتمع من مجتمعات البشر ، فكأننا نكلف انفسنا اقتلاع جبل « أفرست » ... الذي يقال انه اكبر جبال الدنيا ، أو نبغي استنزال الثريا من مكانها الرفيع ... وما بالك بأمة يتحدث عنها ربها في بيان عجيب فيقول :

**( كنتم خير أمة أخرجت للناس )** آل عمران / ١١٠ .

هي أمة في مجتمع ، ومجتمع في أمة ، انصهر في بوتقة الايمان فاصبح يمثل خير قطعة تفطر عنها قلب الطبيعة ، او كما وصف ابناءه اديب الاسلام : « مصطفى صادق الرافعي » فقال :

« لقد دارت الأرض في تاريخها ثلاث مرات ، فمرة دارت حول نفسها ، ومرة دارت حول الشمس ، ومرة دارت حول اصحاب محمد بن عبدالله » ... واذا كان القرآن يصف مجتمع محمد بن عبدالله فيقول :

**( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم )** الفتح / ٢٩

فان تحليق اليراعة سيكون هذه المرة في الآفاق التي يدور فيها الشق الأول من الآية والتي يبرز فيها مدى التلاحم بين القائد وجنوده .

**( محمد رسول الله والذين معه )** ... والحديث هنا عن أنبل وأعظم وأسمى شخصية سمع بها الزمن ، فوقف خاشعا لجلالها وبهائها وكمالها ... انه محمد العظيم ، الذي جاء الى الحياة فأعطى ولم يأخذ ، انه الذي رعى قضية الانسان ، وزكى سيادة العقل ، انه صاحب القلب الكبير ، والعقل البصير ، انه الانسان

النبيل الذي لم تند عنه شاردة من آمال الانسانية وآلامها ، الا لباها ، انه الانسان الرحيم المتواضع الذي يجلس كما يجلس العبد ، ويأكل كما يأكل العبد ، والذي يصيح بين اصحابه : « اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يفعل الاعاجم يعظم بعضهم بعضا » البخاري . والذي قال لرجل هاله وقاره وجلاله فارتاع وداخله الخوف : « هون عليك فاني لست بملك ، وانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة » . مسلم .

إنه الانسان العزيز الذي كان يخاطب ملوك الأرض ، وهو في الوقت ذاته يستمع في حفاوة ورضا لأعرابي جاف جلف يجذبه من ردائه حتى يؤثر في عنقه ويصيح به : « اعدل يا محمد فليس المال مالك ولا مال ابيك » .

إنه الانسان الذي تعاظم على الحوادث ، وتسامى فوق النكبات ، وتعالى على المحن ، ووقف معتزا بالله العزيز ، حتى بهر الدنيا شأنه ، وأسر الوجود خلقه ... والا فقل لي بربك : ماذا تقول في انسان وصفه الذي يعلم السر واخفى فقال : **( وإنك لعلى خلق عظيم )**القلم / ٤ **( محمد رسول الله )** أجل !! انه رسول الله .. واذا اجتمع محمد الانسان مع محمد الرسول .. فقد تناهى الأمر عظمة وجلالا :

كأنـــه وهـــو فرد من جلالته ... في عسكر حـين تلقـاه وفي حشم
دع ما ادعته النصـــارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فمبلـغ العلـــم فيـــه انـــه بشر ... وأنـــه خـــير خلـــق اللـــه كلهم

والنص الكريم هنا يخلع عليه هذه الصفة العالية الجليلة ، ويدثره بتلك المنقبة الغالية ، ويضفي على مقامه المنيف هالة الرسالة الخالدة ، انه رسول الله ومبعوث العناية الالهية للأخذ بيد البشر على طريق الله ، فكان صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه نموذجا فريدا شامخا في سلوكه ، دعا الى ربه كما لم يدع أحد ، وحارب كما لم يحارب احد ، وعبد كما لم يعبد احد ، حتى تورمت قدماه من قيام الليل ومن كثرة تهجده ، وعندما سئل : يا رسول الله هون على نفسك فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... أجاب سائله تلك الاجابة الباهرة : « أفلا أكون عبدا شكورا » مسلم والبخاري

إنه الرسول الذي حمل أمانة التبليغ في اخلاص وتجرد ، وفي عزيمة ما عرفت الضعف ، وارادة لم يتطرق اليها الوهن ، بل انه ليقف أمام عمه أبي طالب في اعتداد وكبرياء ، أعزل إلا من الايمان ، وحيدا الا من اليقين ، يتحدى باطل القوم ، ويعلن رغم انوف الجميع انه ماض في طريقه حتى النهاية .

« والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه » سيرة ابن هشام .

ويمضي الرجل العظيم في سبيله غير هياب ولا وجل ، يصدع بدعوته ، ويناطح

بها رؤوس الشرك وارباب الكفر ، فاندكت بقوته صروح الطغيان ، وتقوضت بحرارة ايمانه معاقل الظلم ، وتهدمت بسواعده عروش البغى ، وفتح الله به قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا ، وأقام ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأول مرة في تاريخ البشرية ، دولة التوحيد على دعائم متينة من الايمان والأخوة النادرة ، التي ذهبت مثلا عاليا في التاريخ الانساني كله ، واصبحت انشودة معطرة يسمعها الدهر ، ويتشنف بها الزمن ، ويعزفها على قيثارته لحنا ابديا آسرا يهز الوجدان ، ويرقي الشعور ، ويملك نواصي الأفئدة ... انها الأخوة التي اصبح فيها المهاجر أخا للانصاري يرث كل منهما صاحبه ، بدون ان يكون بينهما نسب من دم ، أو وشيجة من قرابة أو رابطة من مصاهرة ... اللهم الا صلة الاسلام ، ومودة الايمان التي عبر عنها الصديق عليه سحائب الرحمة والرضوان ... عندما قال :

« ان مودة الاسلام اعظم من مودة القرابة » ... والتي نوه بها الشاعر الخنذيذ عندما أرسل هذا البيت :

أبـــى الاســـلام لا أب لي سواه إذا افتخـــروا بقيس أو تميم

هذه المعجزات كلها ، وما منها الا ما هو باهر وعجيب ، قام بتحقيقها استاذ الدنيا ، ومعلم الحياة محمد رسول الله ، في صبر وثبات ، وايمان راسخ ، وعزم صادق يفل الحديد ، ويذيب جلاميد الصخر ، وما كادت تلكم المعجزات تلامس الفطر السليمة بين اتباع محمد ، حتى احدثت فيها تغييرا جذريا ، فاذا هي تتمخض عن احداث هائلة ، ومواقف صادعة ، وسيرة مشرقة ، وانحنت لها هامة الوجود ، وخشعت لها جوارح الزمن ، فلقد فنيت هذه الفطر القويمة في سبيل العقيدة ، وراحت تبين للناس نوعا من عظمة الايمان ، استعلى على الطبائع الانسانية ...

فلقد شوهد أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وهو يدفع في اقفية المبطلين ، يوم « بدر » ... يوم تحزب الباطل ، وتحالف انصاره ـ شوهد ابو عبيدة يكشف بسيفه سواد المشركين ، وهم يحذونه ويجانبونه ، الا رجلا واحدا كان يتصدى لأبي عبيدة ! ! ـ وأبو عبيدة يصدف عنه ... فلما برم به ، والرجل لا يزال ملحا في مواجهته ، استوحى ابو عبيدة يقينه ، واهوى بسيفه ، فشج رأس هذا المتصدى له ... اتعلم ايها القارىء العزيز : من المقتول ؟ ؟ انه عدو الله ... انه والد أبي عبيدة ... يالله ... ما اعز العقائد وما اعلى الحق ... فيا لعزيمة المؤمنين ... ويالجلال الايمان ...

ولد يقتل الشرك في شخص ابيه ، وينتزع وشيجة القرابة ، ابقاء على وشيجة القربة ... للدين وللعقيدة ...

إنها ـ والله ـ لمحنة المعتقدين ، واختبار المستيقنين ، وانه لصنع حري بأن

يقدره الوحي الالهي حق قدره ، ولقد سجل الكتاب المحفوظ الخالد ، هذه العظمة المؤمنة ، فقال عز من قائل :

**( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه )** المجادلة / ٢٢

والذي قام بهذا التحول الخطير في النفوس انما هو سيدنا ومولانا رسول الله ... وهو بهذه المرشحات الشخصية ، وتلك المواهب الربانية التي غمره بها رب العالمين ، صار مؤهلا لأن يحمل لواء الدعوة العالمية الخاتمة الخالدة ، التي ما عرف التاريخ ابر ولا اقدس ولا انبل منها ... بل انه قمين بأن يكون زعيم الرسل وامير الانبياء ، وواسطة العقد ، والدرة اليتيمة التي لن تظفر بمثلها بين ابرز القادة والمصلحين ، مهما اضناك البحث ، وانصبك التنقيب ... ومن هنا كانت كلمة الله لمحمد اولا ، واصطفاؤه له سابقا ، وكان الميثاق الالهي الذي تعهد الله به ، والزم به الانبياء أنفسهم ، أن يؤمنوا بمحمد ، ويعترفوا بنبوته حتى تدرج اسماؤهم في سجلات المصطفين من عباد الله الأخيار :

ويبلور القرآن هذا التكريم السابغ لمحمد بن عبدالله فيقول :

**( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين )** آل عمران / ٨١ .

ويقول الرسول الأمين متحدثا عن نفسه بنعمة ربه :

« كنت عند الله نبيا وان آدم لمجدل في طينته » رواه مسلم .

ونضر الله وجه الامام البوصيري ، حيث هتف في همزيته العصماء بهذه الأبيات مادحا خير الورى محمدا :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد ... حال سنا منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

**( والذين معه )** هنا يتحدث الذكر الحكيم عن الجماعة التي رباها مولانا رسول الله ، والسياق هنا يجري سلسالا كالماء العذب ، شأن القرآن الكريم كله في أساليبه الساحرة . فالحديث عن القائد اولا ، وابرازه في اطاره الانساني المهيب ، حتى تتعلق به النفوس ، وتتوجه اليه الأنظار ، فهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، ثم يليه الحديث عن اتباعه وجنوده ، الذين تخرجوا في مدرسته الشامخة الرائدة **( والذين معه )** بالله ما أسمى هذا التعبير وما ابهى نضرته !!! ولكن كيف ذلك ؟؟

إن اصحاب محمد كانوا خير ثلة انبثق عنها فجر الزمان ، بل هم قدر الله

الغالب الذي غير به العالم ، وكتب به للانسانية ميلادا جديدا ، ولقد كانوا يمثلون للحياة عافيتها ، وللدنيا شمسها ، وللبشرية سعادتها وامنها ... وان المعجزة لتبدو جلية واضحة في هذا التحول الرهيب الذي احدثه محمد نبينا ، في نفوس باض فيها الكفر وافرخ ، وقلوب كأنها الحجارة صلادة وقسوة ، وهمم قعساء الا عن التعطش للدماء ، حتى صدق عليهم قول القائل :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

ولكن سرعان ما مسهم محمد الرسول ، بعصاه السحرية فحول مواتهم الى حياة متحركة متطورة ، وبدلهم خلقا آخر ، فاصبح الواحد منهم يحمل بين حناياه عقيدة ماضية اشد رسوخا من الأطواد الراسيات ، وقلبا جسورا يحمل كلمة الله ، ويقتحم بها المخاطر والصعاب لينشرها في الخافقين ، لا يبالي اوقع على الموت ام وقع الموت عليه ، فهو يرسلها صيحة مدوية عبر الزمان ، تتخطى الحدود ، وتجتاز السدود ، وتبلغ بقوتها وزمجرتها عنان السماء :

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ومن ثم ، فان عصابة التوحيد ، غدا أفرادها في حلبة الميدان ، قادة أشاوس ، وزعماء أماثل ... وصار حداة الابل ورعاة الغنم ، حكام شعوب وساسة امم ... حتى انجب التاريخ منهم من كانت ترتعد فرائص الملوك لذكره مهابة واجلالا من أمثال ابن الاسلام البار عمر بن الخطاب وحفيده العظيم عمر بن عبد العزيز ، ومن كان يتحدى السحابة الجون في اديم السماء فيقول لها :

« أيتها السحابة أمطري حيث شئت فلا بد ان يصلني خراجك » ...

هؤلاء هم اصحاب محمد الغر الأماجد ، الذين كانوا يذوبون شوقا اليه ، ويتلهفون على رؤيته ، وان سعادة غامرة تسري في أوصال الواحد منهم اذا اكتحلت عيناه بنظرة الى محيا النبي العظيم ، حتى ان احدهم وهو « ثوبان » خادم الرسول الجليل ، ينحل جسمه ويصفر لونه ، ويعتريه الهم ، ويبصره النبي الكريم ، كاسف البال ، فيسأله : ما لي اراك مهموما ؟ ويجيبه ثوبان : اتذكر مكانك في الجنة يوم القيامة ، واني سأكون في درجة اقل من درجتك فاخاف الا اراك فيعتريني ما ترى » .

حينئذ تنزل آيات بينات من القرآن تفصل في القضية ، ويا لها من قضية :
**( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله**

**وكفى بالله عليما** » النساء / ٦٩ و٧٠

ومع تحرقهم شوقا اليه ـ صلوات الله وسلامه عليه وآله ـ فلم يكن الواحد منهم يستطيع ان يحد النظر اليه تعظيما له ومهابة منه . لأن نور النبوة وجلال الرسالة يخلعان على النبي العظيم حللا من الوقار والبهاء والجلال ، فمن جالسه مرة هابه ، ومن رآه بداهة عرفه . ونحب أن نلفت النظر هنا الى ان التعبير **( والذين معه )** بلغ من الدقة اقصى مدى ، فليس المقصود بالمعية هنا ، المعية المكانية فحسب ، كلا ، فالمعية هنا تشمل المعية المكانية والروحية أو الأدبية معا ، فهما متلا زمان في سلوك اصحاب محمد ، فهم لم يكونوا معه جسما ومكانا فقط ، والا كانوا بعيدين عن مفهوم الصحبة الأصيلة وملتزماتها ، وهذا ما لم يرب محمد اتباعه عليه .

فالمقصود ، أنهم كانوا معه قلبا وقالبا ، جسما وروحا ، مشاعر وسلوكا ، بواعث واهدافا ، فكرا وعقلا ، صبغة واتجاها ، فلقد شكلهم محمد الجليل تشكيلا خطيرا سداه الايمان ولحمته الاسلام ، فاصبحوا يتبادرون اليه ، ويفدونه بالمهج والأرواح ، ويتعرضون للمخاطر دونه حبا وايثارا ، وتضحية وفدائية منقطعة النظير .

ويرحم الله أحدهم عندما سئل وهو مصلوب في سبيل عقيدته : « أتحب ان يكون محمد هنا في مكانك تضرب عنقه وانت سالم في بيتك ؟ » فأجاب الصحابي النابه الجليل نضر الله وجهه : « والله ما احب ان أكون في مكاني هذا ، ومحمد في مكانه تصيبه شوكة فتؤذيه » .

وهذه الاجابة الملهمة : جعلت رأسا من رؤوس الكفر يصدع بهذه الحقيقة فيقول : « والله يا معشر قريش : لقد ذهبت الى كسرى وقيصر وهرقل فما رأيت احدا يحب احدا، كما يحب اصحاب محمد محمدا ... » ...

انه الايمان الذي يفجر في القلوب اصدق العواطف وانبل المشاعر ، وازكى الأحاسيس . فلله الفضل والمنة . ولقد عرف الرسول الأمين لأصحابه ـ اعلام الهدى ومصابيح الظلام ـ قدرهم ، ورفع منزلتهم ، وحلق بها في سماء الكمال ، فقال : « اذا ذكر اصحابي فأمسكوا » رواه الطبراني

وبهذه الروح الطيبة والتلاحم الكبير بين القائد وجنوده ، امكن لمحمد بن عبدالله ان يكون مجتمعا اصبح فيما بعد ـ وبكل المقاييس الاجتماعية ـ معجزة المجتمعات العالمية كلها على اختلاف القرون وتوالي الاحقاب .

ومن هنا فان هناك كلمة نوجهها الى أبناء الاسلام حكاما ومحكومين ، رعاة ورعية : يجب ان تزول الفوارق ، وتذوب الحواجز التي تفصل بين الراعي ورعيته ، والقائد وجنوده ، والرئيس ومرؤوسيه حتى يصبحوا كما قال الرسول الحبيب : « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » . رواه البخاري وغيره .

وان بدعة الانفصال بين الحاكم والمحكوم ، ليس لها في القرآن ظل ، ولا في

الاسلام وجود . وان امانة الحكم في شريعة الكتاب العزيز لمن اخطر الأمانات ، وأعظم المسئوليات ، لأنها تتمثل في خدمة المسلمين ورعاية مصالحهم ، فمن وفى لها ، فهو احق بها ، ومن خان فيها ، باء بغضب من الله ، ووجب على الجماهير الاسلامية الزاحفة ان تقدم له النصح اولا فان لم يرعو ، قلمت اظافره ، وخضدت شوكته ... وقديما قال الشاعر :

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

ورحم الله ابا بكر الصديق عندما اعلن في أول خطبة له إثر توليه الخلافة :

« أيها الناس ! ! اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

إن فلسفة الحكم في ديننا الخالد العظيم تتمثل في هذا الالتحام الكبير بين الأمة وقائدها ، والنصح لها ، والتفاني في حل مشاكلها ، والسهر على راحتها ، وقدس الله روح عمر بن الخطاب عندما خاطب اصحابه ذات يوم فقال :

« من وجد في اعوجاجا فليقومه »

فنهض رجل وقال : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فقال عمر : « الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بالسيف » .

هذه قيم مشعة ، ومبادىء عالية ، ودساتير جامعة تنهض بها الأمم ، وتسعد بها الشعوب ، ويكتمل بها بنيان الحضارة . وهي كلها مأخوذة ومقتبسة من وحي التعبير القرآني المجيد :( **والذين معه** ) .

أرأيت !!! كم تحمل هذه الكلمة الفذة العملاقة:( **معه** ) من طاقات خلاقة وشحنات مبدعة ؟ ؟ وكيف عاش الرعيل الأول من ابناء الاسلام في ظلالها يستمدون منها مقومات الفلاح ، وعناصر الفوز والنجاح ؟؟ .

ان العالم الاسلامي سيظل مفكك العرى ، واهن القوى ، لا حول له ولا طول ، يحطمه التأخر ، ويقضي عليه التخلف ، الا اذا توجه بكليته الى تعاليم القرآن ، وعاش في ظلال حضارته الربانية ، واستلهم الرشد واستقامة القصد ، من مدرسته الرائدة التي ربت جيلا ، وكونت مجتمعا ، وخلقت شعبا ، فاق النجوم في مداراتها ، وجاوز الكواكب في ابراجها رفعة وعلوا .

وليصغ مجتمع الاسلام الى صوت البشير النذير يتحدث اليه من ضمير الغيب :

« يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ... قال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب اعدائكم المهابة منكم ، وليرزقنكم الله الوهن .. قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » رواه ابو داود .

وفق الله المسلمين لسيادة الدنيا وعزة الدين .

# حق المساواة بين النساء

للدكتور/وهبه الزحيلي

ان الحملة الحضارية الانسانية الشاملة التي اقترنت بالاسلام اقتضت اقرار كل المبادئ الخلقية الاصيلة ونبذ كل مظاهر التخلف والتعثر والرجعية والتفرقة الظالمة بين ابناء البشر دون اعتماد على ميزان معقول او حساب صحيح للنتائج .

ومن الأصول الحضارية للاسلام ومنهجه الديمقراطي في الحياة السياسية والاجتماعية اعلانه مبدأ المساواة التامة دون تمييز بين الناس بسبب الجنس أو العرق ، او اللون او النسب ، والحسب ، أو الدين ، أو المنصب والجاه وسلطة الحكم ، أو السن ، أو الغنى والمال أو المحبة والبغض وذلك تجاويا مع نزعة الاسلام العالمية وعموم رسالته للبشرية واعتبار تنظيماته وشرائعه رحمة للعالمين .

ومن أهم مظاهر المساواة اجمالا ثلاثة أمور :

١ ـ **المساواة في القيم الانسانية المشتركة** : أي لا تفاضل في الاجناس ( فالجنس الآرى والحامي والسامي كلها سواء ) ولا تفاضل في الألوان ( فالأبيض والاسود والأحمر والأصفر على حد سواء ) ، ولا تمييز في الانساب والاحساب ( فالشريف والوضيع لهما حقوق متساوية ) وبذلك الغي الاسلام نظام الطبقات وحارب العنصرية البغيضة ، والعصبية الكاذبة الحمقاء واهدر نظام الاسر الراقية والألقاب الفارغة وسوى بين دماء الناس ، فليس هناك دم أزرق نبيل وآخر عادي من دماء العامة .

٢ ـ **المساواة امام القانون والقضاء وفي تكافؤ الفرص** : يعني أن الناس جميعا متساوون في التكاليف والالتزامات العامة والحقوق وفي نطاق الجريمة والعقاب وفي مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة للعمل والتوظف ونحو ذلك .

٣ ـ **المساواة في جزاء العمل** : فمادام الاشخاص متكافئين في العمل ، فهم يستحقون اجرا متساويا دون تمييز أو محاباة لأحد على حساب الآخرين . وعليه فلا يصح أن ينخفض أجر انسان ، لأنه أسود مثلا ، ويعطي آخر اجرا أعلى ، لكونه أبيض أو منحدرا من سلالة رفيعة النسب عريقة المجد ، أو لقرابة ونحو ذلك . فالناس جميعا متساوون في الأجور ، متفاوتون بقدر ما ينجزونه من أعمال ، أو يظهرونه من كفاية وإبداع وإنتاج .

**الكرامة الانسانية أو الوحدة الانسانية :**

وفي سبيل اقرار مبدأ المساواة في مظاهره الثلاثة السابقة نظريا وعمليا نادى

الاسلام بوحدة السلالة البشرية ، وأن البشر أبيضهم وأسودهم من أب واحد وأم واحدة وهم سواء في مبدأ الكرامة الانسانية ، فلا ينبغي أن يترفع انسان على آخر أو يستعبد انسان غيره بسبب اللون ، أو الحسب ، أو القوة أو الغنى أو الفكر والمواهب والفضائل أو الجماعة الخاصة ، قال الله تعالى في قرآنه الكريم : **( يائيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا )** النساء/١ .

ويعلن القرآن مبدأ تكريم الجنس البشري عامة في قوله سبحانه : **( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا )** الاسراء/٧٠ . فهذا النص الصريح يدل على أن التكريم العام شامل لكل انسان ، وكرامته ملازمة لانسانيته ، والانسان اخ للانسان أحب أم كره ، والانسانية مكرمة سواء في السلم أم في الحرب فالصراع على المصالح الخاصة ، وبالتالي إراقة الدماء واستباحة الأنفس يجب ألا يكون سببا لتلويث كرامة الانسان ، فلا تمثيل ولا تقتيل بدون حق ، ولا تشويه ولا تجويع ولا اظماء ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اياكم والمثلة » رواه أحمد « اذا قتلتم فاحسنوا القتلة » رواه أحمد .

وكرامة بني آدم تقضي عدم التفريق في المعاملة بين طبقة وطبقة ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين فقير وغني ، أو قوي وضعيف ، لان الاسلام يجعل الناس جميعا سواء ، ومرجعهم إلى أصل واحد ، العدل يعمهم ، والرحمة تشملهم ، والخير والسعادة حق كل فرد منهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : « يائيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » رواه البيهقي في سننه عن جابر « الناس مستوون كأسنان المشط ، ليس لأحد على احد فضل الا بتقوى الله » رواه الديلمي عن انس .

ولقد كان إعلان الاسلام لمبدأ الوحدة الانسانية ـ وحدة الاصل والمنشأ ـ سبيلا لتقرير مبدأ المساواة بين الأخوة في الحقوق الفطرية الطبيعية وللرد على اليهود الذين جعلوا رحمة الله حكرا على شعبهم ، وان الاله اله بني اسرائيل وحدهم ، ولا يحق لأي شعب آخر الايمان به أو الانتماء إليه .

أما الاسلام فمبدؤه ان الله تعالى إله العالمين :**( الحمدلله رب العالمين )** الفاتحة/٢ : **( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين )** الانبياء/١٠٧:**( قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء )** الانعام/١٦٤ .

ثم إن مبدأ الكرامة الانسانية يقضي بتحرير الانسان ، وتوفير كل أسباب العزة والكرامة والشرف له ، عملا بتكريم الله له ، وإزالة كل عوامل التفرقة بين ابناء البشرية بسبب الجنس واللون وغير ذلك من العوامل الآتية ، لأن الكرامة هي

الأحساس المعنوي بشخصية الانسان ، والانسان هو أساس كل القيم والحضارات التي تقوم على الخير والسلام والعدل والاخاء والحرية ولن يؤمن بالحرية من لا يؤمن بالانسان وكرامة الانسان ، فأي انسان يولد بالفطرة يولد حرا متساويا في الحق والكرامة مع سائر الناس .

## ١ ـ الجنس :

عرفنا أن الاسلام لا يميز بين الأجناس والأعراق فليس هناك جنس أو شعب هو بنشأته وعنصره ودمه أفضل من غيره ، وإنما الناس جميعا إخوة في النسب ، ووحدة في الأصل والمنشأ . قال تعالى : **( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير )** الحجرات/١٣ . فمهمة الشعوب في العالم هي التعارف والتعاون والتآلف ، لا التناكر والتفاخر والتزاحم غير الشريف ، ولا تفاضل إلا بالايمان الصحيح والتقوى والعمل الصالح البناء ، فبالعمل والانتاج وبالنفع العام للانسانية يفضل الشخص غيره .

وبهذا هدم الاسلام صرح العصبية القاتلة والقبلية أو العنصرية البغيضة ، وحارب كل أشكال التمييز العنصري وازال كل ألوان الفوارق الطبقية عملا بمبدأ المساواة الانسانية العامة . وسبب محاربة الاسلام لفكرة الطبقية والعنصرية : هو أنها تكون عادة سبيلا للظلم والتحكم والطغيان ، وغمط الحقوق ، والانحراف عن جادة الحياة المستقيمة ، والسلوك الرشيد ، والعدالة.لذا قال نبي الاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » حديث حسن رواه ابو داود عن جبير بن مطعم « من قتل تحت راية حمية يدعو لعصبية او ينصر عصبية ، فقتلته جاهلية » رواه مسلم والنسائي بسند صحيح .

وإذا كانت الدول الحديثة قد اعلنت مبدأ حقوق الانسان عام ١٧٨٩م وقررت الأمم المتحدة اعتبار عام ١٩٧١ كله لمكافحة ومحاربة التمييز العنصري بكل اشكاله ، فان ذلك ما يزال امرا نظريا لا عمليا ، فمازال الرجل الأبيض يستذل الأسود في قلب اوروبا ، وماتزال امريكا زعيمة العالم الحر وبريطانيا تؤيدان مبدأ التفرقة العنصرية الذي يشجبه العالم كله والضمير الانساني والشرائع السماوية ، سواء في قلب امريكا ضد الزنوج ام في قارة افريقيا متمثلا ذلك في دولة جنوب افريقيا ، والمستعمرات البرتغالية ضد الملونين .

وعلى أساس هذه النظرة العنصرية قامت في الشرق العربي دولة اسرائيل العنصرية التي تمثل أحط صور المفهوم العنصري ضد الشعب العربي الذي تضطهده اجهزة الحكم الاسرائيلي ، فتمنع حقوق الانسان وتمارس ضد السكان الشرعيين الاصليين كل انواع القتل والسجن والتعذيب والتشريد والطرد ومصادرة الممتلكات الخاصة والعبث باوقاف المسلمين واحراق المسجد الأقصى .

وبمثل ذلك تفعل دول اثيوبيا بقيادة الامبراطور هيلاسلاسي سابقا وحاليا بقيادة اليساريين ضد العرب المسلمين في الحبشة وارتيريا حيث القتل والهدم الكامل للقرى والمدن والابادة الجماعية للسكان .

### ٢ ـ اللون :

كذلك لا تمييز بين الناس بسبب اختلاف اللون ، فهذا من اثر البيئة الجغرافية او الأصل البشري قال تعالى : ( **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** ) الروم/٢٢ . ( **ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور** ) فاطر/٢٨ .

وقد فطن الاسلام الى مشكلة اللون في بادئ الأمر ، فقرر مبدأ المساواة التامة بين الأبيض والأسود ، حدث مرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع أبا ذر الغفاري يعير صحابيا بأمه ، ويدعوه : يابن السوداء فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، وقال مستنكرا : طف الصاع ، طف الصاع ، طف الصاع ( اي تجاوز الأمر حده ) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح ، فما كان من أبي ذر الا ان وضع خده على التراب وقال لصاحبه : دس بقدمك على رأسي ، لما استشعر من تعديه عليه .

وفي عبارة اخرى لهذه القصة ان رجلا قال : لقيت أبا ذر بالربذة ( مكان قرب المدينة ) وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : اني ساببت رجلا ، فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا ابا ذر اعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم ( اي اعوانكم وحشمكم ) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » . رواه مسلم وقد شاهد عمر رضي الله عنه قوما في مكة يأكلون ، والخدم يقفون لهم ، فغضب وقال للسادة : « ما بال قوم يستأثرون على خدامهم ؟ » وأمر بالخدم فأكلوا مع السادة في جفان ـ أي آنية واحدة . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدا نبذ التمييز بالألوان : « أنا أخو كل تقي ، ولو كان عبدا حبشيا ، وبريء من كل شقي ، ولو كان شريفا قرشيا » « سلمان منا أهل البيت » رواه الطبراني والحاكم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته » أي الخلافة وقد تولى فعلا كثير من الموالي المسلمين قيادة الجيوش وامارة المدن . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب ـ أي القرآن ـ أقواما ويضع به آخرين » رواه مسلم .

فأين هذه المحاربة للعصبية القبلية والعنصرية في نطاق الاسلام مما تفعله الحضارة الحديثة التي تبيح للامريكان افناء عنصر الهنود الحمر بطريقة تدريجية

منظمة ، او القيام بتخصيص مدارس ومطاعم وناقلات خاصة ومقاهي وغير ذلك للزنوج الملونين بل تحرمهم من ابسط الحقوق المدنية والسياسية ، وتسن لهم القوانين الخاصة ، وتحول دون انتفاعهم بمظاهر المدنية الجديدة كالكهرباء والطرق والمرافق العامة المنظمة والمساكن الصحية والمشافي اللائقة ، ولا تمنحهم الاجور العادلة . ويتم مثل ذلك في حكومة جنوب افريقيا التي تجاهر بالقوانين العنصرية ضد الملونين ؟

### ٣ ــ الدين :

لم يفرق الاسلام بين الناس في النظرة الانسانية بسبب العقيدة أو الدين ، فاذا لم يكن هناك حرب ولا عدوان فلا فرق بين مسلم وغير مسلم في مظاهر المساواة الثلاثة السابقة : **( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )** الممتحنة/ ٨ و ٩ .

ويمنح الاسلام حقوقا مساوية للمشركين المعاهدين عند الاعتداء على الدماء فيوجب نفس الدية والكفارة الواجبتين بقتل المؤمن خطأ : **( ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة )** النساء/ ٩٢ .

وهذا نقيض ما تفعله بعض الدول الحديثة في الشرق او الغرب او في افريقيا من تعمد افناء المسلمين وتشريدهم في الافاق .

كما انه ليس في الاسلام ما يعرف بطبقة رجال الدين الذين يتمتعون بامتيازات معينة او لا يخضعون للقانون .

### ٤ ــ النسب :

ان من اصول الاسلام الثابتة قطعا الا تأثير للنسب في مركز الانسان ، وفي المفاضلة بين الناس ، قال الله تعالى : **( فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون )** المؤمنون/ ١٠١ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياصفية بنت عبدالمطلب ، يافاطمة بنت محمد يابني عبدالمطلب : اني لا املك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالي ما شئتم » رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وفي عبارة اخرى مماثلة : « يامعشر قريش لا اغني عنكم من الله شيئا ، يابني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبدالمطلب لا اغني عنك من الله شيئا ، وياصفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا » رواه

البخاري ومسلم .

وفي نداء آخر من الرسول موجه لقومه وأقاربه : « يابني كعب بن لؤي ، انقذوا انفسكم من النار ، يابني عبدمناف ، انقذوا انفسكم من النار ، يابني هاشم انقذوا انفسكم من النار ، يابني عبدالمطلب ، انقذوا انفسكم من النار ، يافاطمة بنت محمد ، انقذي نفسك من النار ، فاني لا املك لك من الله شيئا » رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابي هريرة أي ان قرابة الرسول عليه الصلاة والسلام لا تفيد احدا شيئا ولا تكون سبيلا للمفاضلة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم محددا الغاء دور النسب في الأعمال بصفة نهائية : « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم عن ابي هريرة .

وبذلك تقرر في الأذهان الا نفع لغير العمل ، قال عمر بن الخطاب : « والله لئن جاءت الاعاجم ــ غير العرب ــ بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » وفي كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص : « ان الله ليس بينه وبين احد نسب الا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء » .

**٥ ــ الحسب ( ما تعده من مفاخر آبائك ، او المال ، او الدين ، او الكرم ، او الشرف في الفعل ، او الفعال الصالح ، او الشرف الثابت في الاباء ) :**

ان الاعتماد على الحسب امر موهوم ايضا ، فصاحب الحسب الشريف لا ميزة له على غيره ، في تطبيق احكام الشريعة ، ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقعت حادثة سرقة من امرأة قرشية ذات حسب ونسب ، واسمها فاطمة المخزومية ، فاتي اهلها اسامة بن زيد ، فكلموه ، فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ياأسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف ( الضعف هنا : الصغار في المجتمع ) قطعوه ، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » رواه احمد ومسلم والنسائي .

وفي فاتحة التاريخ الاسلامي واقعة اخرى مشهورة وهي : لما اسلم جبلة بن الايهم الغساني ، وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فاذن له عمر ، فخرج اليه في خمسمائة من اهل بيته ، وأمر جبلة مائتي رجل من اصحابه ، فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة اذنابها ، والبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، فلما انتهى الى عمر رحب به والطفه وادنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة . فبينا هو يطوف بالبيت ، وكان مشهورا بالموسم ، اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة ، فانحل ، فرفع جبلة يده ، فهشم أنف الفزاري فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه ، فبعث الى جبلة ، فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم ياامير المؤمنين ، انه

تعمد حل ازاري ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد اقررت فاما ان ترضي الرجل ، واما ان اقيده ( القود : القصاص أي العقاب بالمثل ) منك . قال جبلة : وماذا تصنع بي ؟ قال : آمر بهشم انفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك ياامير المؤمنين وهو سوقة وانا ملك ؟ قال : ان الاسلام جمعك واياه ، فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية قال جبلة : قد ظننت ياامير المؤمنين اني اكون في الاسلام اعز مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك . قال : اذاً أتنصر ، قال : ان تنصرت ضربت عنقك ، لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك . ثم استمهل جبلة الى الغد ، وفي جنح الظلام فر مع خمسمائة رجل من قومه الى بلاد الروم ، فدخل الى هرقل ، فتنصر وقومه » ( انظر تمام القصة في سيرة عمر بن الخطاب للاستاذ علي الطنطاوي واخيه ناجي : ١/ ٣٦٠ ، الطبعة الأولى ) .

فهذا تطبيق عملي حاسم لمبدأ المساواة في العقوبات ، حيث لا مجاملة ولا محاباة ، ولا استثناء قل ان نجد نظيره في تاريخ الأمم .

## ٦ ـ المنصب والجاه وسلطان الحكم :

سوى الاسلام بين الحاكم والمحكومين ، والولاة والرعية امام القانـون والقضاء فلم يجعل لصاحب المنصب او الولاية اي امتياز على غيره في تطبيق احكام الشريعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم قبيل انتقاله الى الرفيق الاعلى : الا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهري فليستقد ( اي فليقتص ) ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضي فليستقد منه ( رواه الفضل بن عباس ، الكامل لابن الاثير : ٢/ ١٥٤ ) .

وكان الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون في أول خطبة سياسية لهم : « اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » .

فليست ذات الحاكم مقدسة او مصونة وانما هو وغيره سواء . كذلك ليس في الاسلام امتيازات خاصة بالاسرة الحاكمة او ما يسمى بطبقة الاشراف .

فهذا عمر بن الخطاب يقيم عقوبة الحد على ولده عبدالرحمن عندما شرب شرابا مسكرا ، وكتب الى واليه عمرو بن العاص يهدده بالعزل ويؤنبه حينما بلغه انه جامل ابن عمر في اقامة حد السكر عليه » ( سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/ ٢١٨ وما بعدها ) .

وقدم رجل قبطي من اهل مصر شكوى الى امير المؤمنين عمر فقال : اجري عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسي ، فلما رآها الناس ، قام محمد بن عمرو ( والي مصر ) فقال : فرسي ورب الكعبة ، فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي

وربِ الكعبة ، فقام الي يضربني بالسوط ويقول : خذها وانا ابن الاكرمين ، وبلغ ذلك عمرا أباه فخشي ان آتيك ، فحبسني في السجن فانفلت منه ، وها قد اتيتك .
فلم يزد عمر الخليفة على ان قال له : اجلس ثم كتب الى عمرو ، اذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد ، وقال للمصري : اقم حتى يأتيك .
وفي وسط جمع كبير من الناس بعد ان قدم عمرو وابنه ، قال عمر للمصري : دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين ، فضربه حتى اثخنه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ثم قال : اجلها على صلعة عمرو : فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه قال : يا امير المؤمنين قد ضربت من ضربني .
ثم قال الخليفة عمر : ايا عمرو متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : اني لم اشعر بهذا ( سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/٢٣٩ وما بعدها ) .
وشكا يهودي علي بن ابي طالب في خصومة ، فاحضرهما عمر ، وقال عمر لعلي : قف ياأبا الحسين بجانب خصمك ، فتأثر علي فقال له عمر : اكرهت يا علي ان تقف الى جانب خصمك ؟ فقال : لا يا امير المؤمنين ولكني رأيتك لم تسو بيني وبينه ، اذ عظمتني بالتكنية ولم تكنه .
وجمع عمر عماله ( أي ولاته ) في موسم الحج ، ثم قام فقال : « أيها الناس ، اني والله لم ابعث اليكم عمالي ليضربوا ابشاركم ، ولا ليأخذوا اموالكم ولكن ابعثهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوي ذلك فليرفعه الي ، فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه ( المرجع السابق : ١/٢٢٦ ) .

## ٧ ـ الغنى والمال :

لا فرق في الاسلام بين غني وفقير ، وانما الأغنياء والفقراء سواء أمام الشرع ، فلا القاب ولا امتيازات للاغنياء ، ولا احتكارات ولا استغلال ولا استعباد ولا اقطاع لشريف ، وانما التقدير للعمل والكفاية قال تعالى : ( **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون** ) سبأ / ٣٧ : ( **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ) الكهف / ٢٨ . ( **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا** ) النساء / ١٣٥ .
وكان عمر بن الخطاب يرى اولا المفاضلة في العطاء من بيت المال ، ثم لما رأى المال قد كثر رجع الى رأي ابي بكر آخرا في التسوية بين الناس في القسمة ، وقال :

لئن عشت الى قابل ، لألحقن آخر الناس باولهم حتى يكونوا في العطاء سواء فتوفي رحمه الله قبل ذلك » ( سيرة عمر ، المرجع السابق : ١/٢٦٥ ، ٢٧١ ) .

ولم يقسم عمر الاراضي المفتوحة في العراق والشام ومصر بين الغانمين الفاتحين حتى لا يأتي الذين بعدهم فلا يجدون شيئا لهم ( الخراج لابي يوسف : ص ٢٨ ـ ٣١ ) .

قال ابو بكر الصديق في اول خطبة له بعد استخلافه ، « الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه أن شاء الله » .

### ٨ ـ الشهرة والسمعة

ان الشهرة او السمعة الادبية عن الشخص في العلم او ا لدين او الخلق لا تجعل له ميزة عن غيره في استحقاق جزاء فعل ارتكبه او باعفائه من التزام واجب مفروض عليه فهو وغيره من الناس العاديين او المغمورين او الجاهلين سواء امام حكم الشرع وفي المثول امام القضاء ، واما اشادة القرآن الكريم بالعلم في قوله تعالى : **( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون )** الزمر / ٩ ، فالقصد منها تعظيم قدر العلماء المستقيمين وانهم يستحقون جزاء أوفى .

### ٩ ـ العمر او السن :

الناس كبارا وصغارا بالغين سواء امام الحق وفي مجال التنافس الشريف وفي الولايات وادارة الاعمال ، فقد ولي النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد الشاب قيادة الجيش وفيه ابو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة . واما تقديم الاكبر سنا فهو فقط في مجال المجاملات الادبية كالدخول والخروج والتوقير والاحترام والاطعام والمساعدة ونحو ذلك ، قال غلام لامير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز : اصلح الله امير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا ، وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه . ولو ان الامر يا امير المؤمنين بالسن ، لكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك . فقال : صدقت قل ما بدا لك .

### ١٠ ـ نوع الحرفة :

ليس في الاسلام حرفة او مهنة مبتذلة واخرى شريفة ، ويقدس كل صاحب عمل لعمله ، ولا يؤثر ذلك على مركزه الحقوقي اطلاقا فكل عمل ضروري للامة ، ولا بد من تقدير ذوي الحرف لما في ذلك من عود النفع على الاخرين ، فقد ذكرنا سابقا ان

عمر بن الخطاب مر يوما بمكة فرأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم ، فغضب وقال لسادتهم مستنكرا صنيعهم : « القوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم يدعو الخدم للاكل مع السادة في اناء واحد . وقال الله سبحانه : ( **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** ) الزخرف / ٣٢ ، اي ليسخر بعضهم بعضا في الاعمال لاحتياج كل واحد من البشر الى غيره .

## ١١ ـ المحبة والبغض :

ان عاطفة المحبة او الكراهية ينبغي الا تؤثر في ميزان العدالة والحق والمساواة ، قال الله تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله** ) اي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة ( **شهداء بالقسط** ) أي وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور ( **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** ) اي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان او عدوا ( **اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ) المائدة / ٨ .

ومن الوقائع العملية للتغلب على عاطفة البغض ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : اني لا أحبك فقال : أتنقصني شيئا من حقي ؟ قال : لا . قال : فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء .

وخلاصة القول : ان الاسلام كان شعاره منذ بدء امره هو اقرار واحترام حقوق الانسان بشكل كامل ، فهو الشريعة الفريدة بين الشرائع التي ضمنت توفير ذلك الاحترام من الناحية التطبيقية العملية وذلك يعني،انه لم تقتصر على مجرد اعلان ما يسمى مجددا بحقوق الانسان،ولا سيما احترام مفاهيم الكرامة الانسانية والحرية والعدالة والاخاء والمساواة ، وانما كان القضاء الاسلامي مثلا رائعا في تنفيذ وتطبيق تلك المفاهيم ، حتى ان اعمال المسلمين اصطبغت بهذا اللون الاخاذ من المساواة المادية والمعنوية في عباداتهم واعرافهم وتقاليدهم وتعاليمهم واحكامهم القضائية حتى مع غير المسلمين .

ومرجع تحقيق المساواة هو السلطة فالحكومة الاسلامية منوط باختصاصها لا باختصاص الافراد تحقيق المساواة نظريا وعمليا . وما على السلطات الحكومية القائمة الان الا ان تحذو حذو الاسلام في هدم الطبقية ونبذ التفرقة العنصرية وإزالة كل الفوارق التي تتنافى مع كرامة الانسان والشعور بالمعنى الانساني الصحيح ، وبذلك يسقط امتياز النسب او المال او ارستقراطية المواهب والفضائل او اي ارستقراطية اخرى تقوم على الفكر او التجمع او العنصرية القومية او الدينية او الايدلوجية : « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » .

# البغاة

للدكتور علي جريشة

لكي نبحث هذا الموضوع يتحتم علينا ان نعرف اولا :

ـ ما هو البغي ؟

ـ ومتى يكون الخروج على الامام بغيا ؟

ـ وما هي آراء الفقهاء والرأي الراجح فيها ؟

وهو ما نحاوله بإذن الله في الكلمات التي تلي .

**تعريف البغي :**

البغي لغة التجاوز .

واصطلاحا الخروج على الامام الحق بغير حق ..!

فإذا لم يكن الامام حقا ، أو كان الخروج عليه بحق .. ما كان بغيا .

فلننظر متى يكون الامام حقا ؟

ومتى يكون الخروج عليه بغير حق ؟

## الامام الحق

الامام الحق هو الامام ... الذي تتوافر له شروط الامامة وتتوافر لحكمه الشرعية .

● ـ **وشروط الامامة** : ذكرها الفقهاء في ابحاث السياسة الشرعية وفي مقدمتها :

الاسلام والذكورة والعدالة والقرشية والعلم الذي رفعه البعض الى حد القدرة الى الاجتهاد ... الخ .

وليس المجال مجال سرد اختلاف الفقهاء في هذه الشروط واتفاقهم على بعضها لكنا نكتفي بالقول بان مجمل هذه الشروط وجماعها ان يلي امر المسلمين اقدرهم على تصريف امورهم وفقا لشريعة الله بالحكمة والعدل والرفق ..

وعملية الاختيار للامام ـ التي يقوم بها اهل العقد والحل ـ ويعطي المسلمون من بعدهم البيعة له ، عملية الاختيار هذه أمانة ، وأمانة كبيرة ، إنه مقام إشهاد لله سبحانه .. بل أشد الوان الاشهاد واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فيمن يولي امر المسلمين احدا وفيهم من هو خير منه .. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » واذا كان الكاتبون يصرفون هذا الحديث الى الولايات الدنيا دون الامامة العظمى فإننا نراه كذلك منطبقا على الامامة العظمى من باب اولى لان الاختيار لها اخطر من الاختيار للولايات الدنيا بالنسبة لما يلي من مهام ولان الولايات الدنيا يمكن التغيير فيها والتبديل بالالتجاء الى الامام الاعظم ، اما الامامة العظمى فان تغييرها ليس سهلا وانه لاتوجد جهة دنيوية اعلى من الامام يلجأ اليها ومن ثم كانت مسئولية الاختيار ـ الواقعة على اهل الحل والعقد اولا ـ مسئولية عظمى وكان الغش فيها خيانة لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين .

اما شرعية الحكم فتتوافر ان توافر له ركنان :

**اولهما : إقامة شريعة الله :**

ولا تكون مقامة حتى تتوافر شروط ثلاثة :

أ ـ ان يرد الشرع الى الله ابتداء .

لقوله سبحانه : ( **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك** ) الشورى / ١٣ وقوله : ( **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ) الأعراف / ٥٤ ، وقوله : ( **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ) الشورى / ٢١ فدل ذلك ان الشرع هو خالص حق الله وأن من نازعه فيه فقد وقع في الشرك والعياذ بالله .

ب ـ أن تكون شريعة الله هي العليا .

ولاشيء معها ينازعها العلو . ولاشيء فوقها يعلو عليها .. وهو مأخوذ من قول الله سبحانه وتعالى : ( **يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ) الحجرات / ١ ـ اي لا يكن لكم قول ، ولا شرع ، ولا رأي فوق أمر الله ورسوله .

وقوله سبحانه : **( يأيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي )** الحجرات / ٢ دل على انه يحرم رفع صوت فوق صوت النبي كما يحرم رفع رأي او قول فوق قول النبي ــ وهو قول الامام ابن القيم وغيره من الفاقهين ــ ومن ثم فلا ينبغي لحكم ان يزعم لنفسه الشرعية اذا كان يجعل مع شريعة الله شرائع اخرى ( كما كان الحال على عهد التتار اذ جعلوا مع الشريعة الاسلامية شرائع اخرى ، فأفتى العلماء بكفر من يرضي بذلك ).

ومن باب اولى لايزعم حكم لنفسه الشرعية ، اذا فقد الحياء وجعل فوق شريعة الله شرائع اخرى ( كما هو الحال فيمن يجعلون الشريعة الاسلامية مصدرا احتياطيا بعد التشريع الوضعي والعرف !!).

جـ ــ ان تطبق شريعة الله كاملة غير مجزأة .

في مجالاتها جميعا التي اشرنا اليها ( العقيدة ، والاخلاق ، والشعائر ، والمعاملات ).

فان نحيت ــ عن عمد ــ عن اي مجال من هذه المجالات ، فانه كتنحيتها جميعا يسقط عن الحكم القائم كل شرعية ..

لان رفض بعض الشريعة كرفضها كلها .

وصمه القرآن : بالكفر ، والجاهلية ، والفتنة ، ومحادة الله ورسوله ومن ثم فان تنحية حكم الشريعة عن النظام السياسي ، او النظام الاقتصادي ، او النظام الاجتماعي يسقط عن الحكم القائم وصف الشرعية !

**ثانيهما : رضى المسلمين :**

والمهم هو جوهر الرضى ، وليس شكله ، لان الاسلام لم ينزل قالبا خاصا يصب فيه الرضى .

لكن الرضى لازم :

لأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، لون من المعاملة ، والاصل في المعاملات الرضى ، أخذا من قوله تعالى : **( لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم )** النساء / ٢٩ ، يؤكد ذلك ان اسم هذه العلاقة هو البيعة وهو اشتقاق من البيع ، والبيع احد العقود الذي يقوم الرضى ركنا اصيلا فيها !

لأن ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة حرصوا عليه ومن ثم جرت سنة منه ومن الخلفاء .

فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هم ان يقيم دولة الاسلام في المدينة ببيعة العقبة الاولى والثانية وحرص عليها كلما ادلهم خطب من الخطوب كما حدث في بيعة الرضوان حين تأخر عثمان وظن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون ان الكفار قتلوه !

وحرص عليه الصحابة .. فلم يكونوا يكتفون بترشيح اهل الحل والعقد لهم

وبيعتهم اياهم ، ولكنهم كانوا يشترطون البيعة كذلك من سائر المسلمين .
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لمستكره يمين » .
دل ذلك على ان الاكراه يبطل اليمين وبالتالي يبطل البيعة لانها كاليمين ومن ثم فان البيعة لاتصح الا مع الرضى او ان الرضى هو حقيقة البيعة التي تدل عليه .
لقول الله سبحانه : ( **اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم** ) النساء / ٥٩ .
فدل لفظ منكم على انه يلزم ان يكونوا من المؤمنين كما دل على انه يلزم ان يكون ذلك برضى المؤمنين لانهم لايكونون منهم بغير رضى منهم .
لقول عمر بن الخطاب : « فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانه لابيعة له ولا الذي بايعه ».
وهو ما اكده عمر بن عبد العزيز حين خلع نفسه من الامارة وردها الى المسلمين ليختاروا لانفسهم لانه ولى على بناء على ترشيح سلفه قائلا : « يا ايها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رضا مني ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعة فاختاروا لانفسكم ».

**بهذين الركنين :**

اقامة شريعة الله .
وتوافر رضى المسلمين ..
تقوم للنظام الشرعية ويصبح واجبا طاعته ونصرته ويعد الخروج عليه ــ بغير حق ــ بغيا يستوجب حد الحرابة .
اما ان تخلف الركنان او احدهما فان النظام تسقط عنه الشرعية ويعد القائم عليه باغيا ومن ثم فلا يعد اي خروج عليه بغيا ... وان كان في الامر تفصيل وشروط .

### متى يكون الخروج حقا :

في الفقه اراء ثلاثة :

١ ــ **رأى اهل السيف : الخروج حق .** ولو كان لظلم وقع على فرد .
وقد اشتهر الخوارج بهذا الرأي لكن الامام ابن حزم ينسبه الى الائمة الثلاثة ( عدا احمد ) وينسبه الى شريك وداود ، والى الصحابة من الطرفين : على ومعاوية . ودليل هذا الرأي :

ــ قوله تعالى : ( **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ) المائدة /٢ والسكوت على باطل او ظلم تعاون على الاثم والعدوان منهى عنه .

ــ قوله تعالى : ( **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله** ) الحجرات / ٩ .
فقد امر الله بقتال الفئة الباغية اي الظالمة حتى تعود الى الحق .

ــ قوله صلى الله عليه وسلم : « **من رأى منكم منكرا فليغيره ...** » الحديث رواه مسلم .

فقد امر بتغيير المنكر ايا كانت درجته ، واعلى درجات التغيير وافضلها التغيير باليد . ويؤكد احاديث النهي عن الطاعة في معصية .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، والمقتول دون دينه شهيد ، والمقتول دون مظلمة شهيد » رواه مسلم .

دل ذلك على منزلة من يدافع عن ماله ، او دينه ، او حقه فيقتل ، ومن ثم دل على شرعية القتال دون المال او الدين ، والحق ..

ويرى ابن حزم ان الاحاديث السابقة ناسخة لاحاديث اهل الصبر ولانها جاءت بشريعة زائدة .

**ـ رأى اهل الصبر : الخروج ليس حقا :**

وهو رأي غالبية فقهاء اهل السنة وسندهم في ذلك :

١ ـ امر الله بطاعة اولي الامر بعد امره بطاعة الله ورسوله وبالرد الى الله والرسول عند التنازع ( **يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول** ) النساء / ٥٩ .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فمن تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به » رواه البخاري .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام « من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية » رواه البخاري .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عبادة بن الصامت « دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » رواه البخاري والأحاديث في المعنى كثيرة .

ـ فعل الصحابة : فان عثمان أبى أن ينخلع من الخلافة ، ولقي الله شهيدا وهو صائم يتلو القرآن ، واعتزل عدد غير قليل من الصحابة فتنة الخروج على علي ، كما فعلوا في خروج الحسين رضي الله عن الجميع .

ـ تجنب الفتنة ، لما يؤدي اليه الخروج من قسم لوحدة الأمة ، وتهديد لأمن الدولة يدفع بالضرر الأصغر وهؤلاء جميعا يرون وجوب الصبر ، ويحرمون الخروج .

● **رأي وسط** : لا يرون وجوب الخروج ولا تحريمه ،

وانما يرون جواز الخروج ، وجواز الصبر ،

ودليلهم في ذلك فعل بعض الصحابة الذين لم يشاركوا في الخروج ، ولم ينكروا على من خرجوا ، فدل مسلكهم على الجواز والاباحة دون الوجوب او التحريم .

● **ما نراه في هذا الخلاف :**

ـ لا نرى رأي ابن حزم في القول بنسخ احاديث الخروج لأحاديث الصبر ، لأن النسخ لا يصار إليه مع عدم امكان التوفيق ، والتوفيق ممكن بإذن الله . ولا نرى

الصبر على الاطلاق ، كما لا نرى الخروج على الاطلاق .
ونقول بعون الله تفصيلا لذلك .

ـ إن الكثيرين ـ ممن كتبوا حديثا ـ لم يفهموا القضية على وجهها الصحيح إن الذين رأوا الصبر يتحدثون عن نظام يقيم حكم الله ، وتقع منه بعض التجاوزات او بلغة العصر بعض السلبيات ، ومن ثم فهم لا يرون التضحية بنظام شرعي يقيم حكم الله من اجل بعض الأمور التي قد تكون فردية ، والتي يمكن تصحيحها بسبيل آخر غير تعريض وحدة الأمة وأمنها للأخطار !

وهم حين يتحدثون عن طاعة ولي الأمر ، يتحدثون عن طاعة ولي الأمر الذي يقيم شريعة الله بكل جوانبها وبمعناها الشامل لكل انشطة الحياة ، ذلك انهم يفهمون كما فهم السلف الصالح ، وكما ذكر المفسرون ، ان الطاعة الواردة في الآية الكريمة لم تجعل لأولى الأمر حق الطاعة استقلالا لأنها حين ذكرت لفظ الطاعة ذكرته مع الله والرسول ، ولم تذكره مع اولى الأمر ، فدلت هذه الاشارة الى ان طاعة الله وطاعة الرسول ـ باتباع القرآن والسنة ـ كلاهما يجب استقلالا ، ودل اسقاط لفظ الطاعة بالنسبة لأولي الأمر على ان طاعتهم لا تجب استقلالا ، وإنما تجب استمدادا من طاعة الله والرسول ، وتقيدا بطاعة الله والرسول ومن ثم ـ ومن الآية نفسها ـ إذا لم يكن اولو الأمر مطيعين لله والرسول ـ بعدم تطبيق الكتاب والسنة ـ فلا طاعة لهم ، وقد تأكد هذا المعنى بأحاديث كثيرة .

ـ إن الصبر المقصود في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الصبر مع الانكار بالقلب ، والاعتزال للمنكر وأصحابه ، وبالقول تعريفا ثم تعنيفا ، وباسقاط حقوق الحاكم في الطاعة والنصرة .. كل ذلك بتدرج .. حتى نصل إلى إسقاط الحاكم نفسه إن لم يكن في اسقاطه فتنة ، كأن يتم بوسائل دستورية حديثة مثل ما حدث للرئيس الأمريكي نيكسون عندما اتهم بالتستر على بعض المتهمين من انصاره ومحاولة حمايتهم فيما سمي بفضيحة « ووترجيت » .

لذلك نرى بعون الله :

## أولا : وجوب الصبر مع النظام الشرعي

لأن الحفاظ على نظام يقيم شريعة الله حفاظ على الدين نفسه ، وهو يقف من الضرورات في المقام الأول .

كذلك فان الحفاظ على وحدة الأمة المسلمة ـ وهي التي توجد في نظام شرعي ـ حفاظ على إحدى الضرورات كذلك .

والحفاظ على سلامة الدولة الاسلامية ـ وهي التي تقيم هذا النظام الشرعي ـ حفاظ على احدى الضرورات كذلك .

فهذه الضرورات الثلاثة توجب الصبر أخذا بالآيات والأحاديث التي في المعنى ، والتي سبق الاشارة اليها .

## ثانيا : وجوب الخروج على الكفر البواح

لكن إذا كان النظام يعدل عن شريعة الله ، او يعدل بشريعة الله ، فهذا هو

الكفر البواح الذي يوجب الخروج ، والذي عنته كل النصوص السابقة ، لكن يلزم للخروج شروط :

**أ ـ توافر الكفر البواح**

الذي عندنا فيه من الله برهان ، وليس مجرد المعصية او التجاوز في حالات فردية كما قلنا .

**ب ـ استنفاد الطرق**

من جهاد القلب مع الاعتزال ، الى جهاد الكلمة بمراحلها ، الى اسقاط حقوق الحاكم ، الى محاولة اسقاط الحاكم نفسه .

ذلك ان الخروج على الحكم اقامة للشرعية وتصحيحا لها .. ضرورة ، ولا يصار الى هذه الضرورة الا بعد استنفاد وسائل ادنى منها ، تماما كما لا يصار الى بتر عضو من جسد الانسان إلا بعد استنفاد وسائل ادنى من ذلك .

**جـ ـ ان تتوافر القدرة**

أن تتوافر لدى الخارجين القدرة على التغيير . وهذه يؤخذ فيها بالسنن الكونية أخذا بأمر الله ( **وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة** ) الانفال/ ٦٠ ثم يكون التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب .

وهذا الشرط وإن أهمله الكثيرون .

إلا أننا نجده في كتابات القدماء ، وإن اختلفوا حول معيار القدرة ، فقال البعض أن يتوافر عدد مثل عدد من قاتلوا في بدر ، لأن الله أنزل عليهم النصر وقال البعض الآخر إذا كان عدد الخارجين نصف عدد من سيخرج عليهم ، ولعله اخذا من قوله تعالى ( **الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين** ) الأنفال/٦٦

وعلى العموم فمعيار القدرة معيار موضوعي نسبي تبعا لظروف وملابسات كل حالة لكن المهم ان يقوم التقدير على اساس سليم ، وليس على اساس من خيال او هوى او حماس .

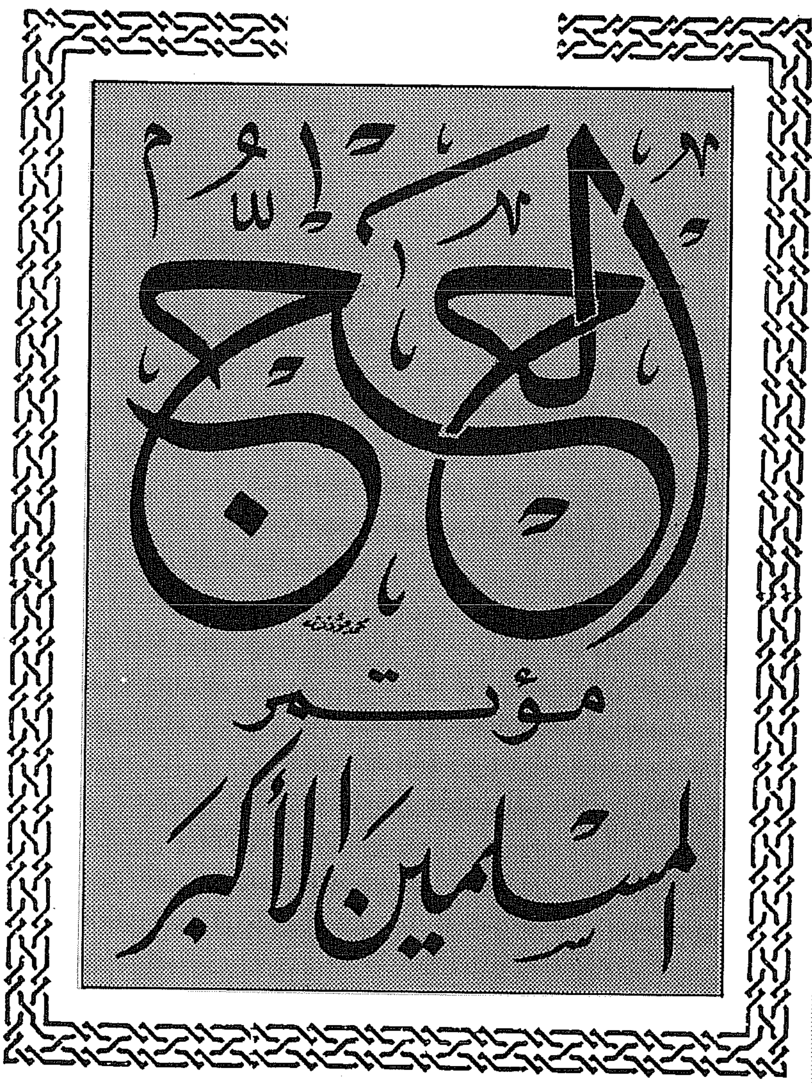
**ثالثا : كيفية الخروج :**

كما لا ينبغي ان يستعمل مبضع الجراح أي أحد ..

فلا ينبغي ان يقرر الخروج كذلك أي أحد .. لما يترتب عليه من آثار تحتاج الموازنة بين الأضرار ، كما تحتاج من قبلها الموازنة بين الضرورات ، ومن ثم فقد وجب ان يكون تقرير الخروج بيد اولي الحل والعقد .

وهم الذين وضعت الأمة الاسلامية فيهم ثقتها ليمثلوا ارادتها ، وهو وضع طبيعي ان يكون من عقد ابتداء بيده ان يحل انتهاء ، فيكون اليهم « قيادة الأمة » في هذا الظرف العصيب .

فاذا تم القضاء على « الكفر البواح » وجب ان تغمد السيوف ويعود الهدوء الى الأمة دفعا لأي خطر خارجي ، ومنعا من ان تتشعب الفتن ، وتتفرق الأمة .




حج هذا العام .. هو آخر حجة نودع بها قرنا من التاريخ الهجري ، ونستقبل قرنا جديدا ، والحج هو مؤتمر المسلمين الأكبر .. الذي لا يكبره مؤتمر آخر .. تتوافد إليه ملايين المسلمين من شتى بقاع الأرض ، شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، ألسنتهم مختلفة ، ولغاتهم متباينة ، وأجناسهم وألوانهم متعددة .. ولكن يجمعهم شيء واحد هو الاسلام ، وإسلام الوجه لله جلت

للاستاذ : عبدالمقصود محمد حبيب

قدرته يضمهم الايمان بالله وبرسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في بوتقة واحدة .. يوجههم إلى طريق واحد .. يلبون بلسان واحد .. ويتضرعون بقلب واحد ، إلى إله واحد .. كل منهم ألقى عن كاهله بعيدا بعيدا كل ما يحمله من توجه سياسي ، وما يعيشه من نظام اقتصادي .. ووقف في رحاب النبوة ، في بيت الله العتيق ، وعلى عرفات .. شامخا بايمانه قويا بعقيدته .. فترى هؤلاء الملايين إنسانا واحدا .. فكرا وعملا ، وتوجها وملبسا ، وأملا .. لا تستطيع أن تميز ما إذا كان هذا ألمانيا وذاك إنجليزيا أو روسيا أو عربيا .. ولا تستطيع أن تستخرج من بينهم في وقفاتهم تلك أيهم الغني وأيهم الفقير ، أيهم الأمير وأيهم الخفير .. كلهم عبدالله .. بكل معنى كلمة العبودية لوجهه تعالى .

وها هو مؤتمر هذا العام .. أهل علينا .. وتطلعت إليه نفوس كثيرة ، واشرأبت إلى نيل الوقوف فيه أفئدة عديدة ، ولم يمكنها من ذلك عدم الاستطاعة .. ولكن قلوبهم به وبمن فيه معلقة .. فهل يشرق هذا المؤتمر الكبير على القرن الهجري الخامس عشر .. بالوحدة الشاملة بين البلاد العربية والاسلامية تحت لواء دين الله الحق .. بعد أن لعبت الأهواء والاغراءات المادية والسياسية والدنيوية في تفتيت هذه الوحدة ، وتعميق الانقسامات فيما بين أعضاء الأسرة الواحدة .. إنه ديننا الحنيف الذي يقول كتابه الكريم وهو الفرقان فيما يقول : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس )** آل عمران / ١١٠ ، **( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا )** آل عمران/١٠٣ ، وفي الحديث النبوي « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه النسائي والترمذي .

هو ديننا الحنيف ـ الاسلام ـ الذي شرع لنا هذا المؤتمر .. لا لمجرد التجمع فيه ، ولكن لشحذ الهمة ، واعتبار الموعظة ، والاستزادة من قوته قوة .. إنه مؤتمر الحج الذي نعود فيه إلى الله ، ونرجع من لقائه في هذه الأرض المطهرة ، إلى لقائه في كل ما نأتي وما ندع ، نسير على هديه ، ونلتزم طريقه ، ونهتدي صراطه المستقيم .. يغفر لنا سبحانه وتعالى إذا استغفرنا .. ويستجيب لنا إذا دعونا .. ويثمر عملنا بفضله إذا صدقنا النية والطريق ..

ولقد قال عليه الصلاة والسلام : « الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » رواه النسائي « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » رواه البخاري .

« إن هذا البيت دعامة من دعائم

الاسلام ، فمن حج هذا البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فان مات أدخله الجنة ، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة » رواه الطبراني ، « من أراد الحج فليتعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الضالة ، وتعرض الحاجة » رواه احمد وابن ماجة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « معشر الناس : أتاني جبريل عليه السلام فأقرأني السلام ، وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات » .

فقام عمر بن الخطاب وقال : يارسول الله أهذا لنا خاصة ؟

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « هذا لكم ومن أتى بعدكم إلى يوم القيامة » فقال عمر رضي الله عنه : كثر خير الله وطاب رواه أبو داود.

وفي الأشهر الحرم يبادر المسلمون إلى الجهات المسئولة تأهبا لأداء دعوة الله إلى حج بيته الحرام ، ويتوافدون من كل فج عميق على مكة المكرمة ، وقد غمرهم فيض من السعادة لا يدانى ، وضاءت نفوسهم بالرضا والحبور ، واطمأنت أفئدتهم لنسمات الشوق تداعبها .. الشوق العذب إلى اللقاء بأسعد لحظات العمر حين يصلون ليشهدوا الكعبة الشريفة حيث قبلة المسلمين في شتى بقاع العالم من شرقه وغربه وشماله وجنوبه .. وليروا مدارج رسول البشرية كلها .. وليروا أول بقعة ترددت فيها صيحة الحق من أجل حياة كريمة ، وقلب نظيف ، وإيمان مضيء برب قوي قدير وسلام يعم الدنيا كلها ، على أساس من المحبة والتقاء القلوب .. في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لتنقذ العالم كله من ضلال الوثنية والانحراف ، وتدعو إلى توحيد الله ، وإلى مكارم الأخلاق وإلى العدل والاحسان ، وإلى إزالة كل ما أدخلته الوثنية على حياة البشر ..

وهنا تتمثل وحدتهم ، ويبدو تألفهم ، وقد أصبحوا جميعا في صعيد واحد ، في رحاب خاتم الرسل وأكرم الانبياء ، وفي رحاب أول بيت وضع للناس أمنا ومثابة ، وليحظوا بما كتب الله لهم:( **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا** ) آل عمران /٩٦ و ٩٧ .

وهناك حيث تقف الآلاف الزاخرة من الحجيج وملء نفوسهم القناعة ، وملء ضمائرهم الخشوع ، وقد نضوا عن أجسادهم ما تعودوا عليه من ثياب ، وما ارتاحوا له من مظاهر زينة وتجمل ، يقفون جميعا وقد تساووا فيما بينهم ، أولهم مثل آخرهم ، لا يعرف فيهم فقير ولا غني ، بل الجميع على قدم المساواة أمام وجه الله . متجردين من صنعة الدنيا وألوانها ومظاهر طبقاتها وتفاوتها .. عائذين بما هم فيه من مظهر الاحرام إلى وحدة المظهر ، يحاكون بها وحدة العقيدة والايمان ، ولا يكون أمام بصائرهم إلا الذي

أضاء بفضله رحاب بصائرهم ، فتشملهم عظمته ، وتظلهم رحمته ، ويكون شعارهم الدائم ، وكلماتهم الصاعدة من أعماق القلوب هذا النشيد الالهي الذي يعبرون به عن وضعهم أمام جلال الله ، رب السماء والأرض وما بينهما .. يتجهون إليه بكل جارحة من جوارحهم ، يشكون إليه ضعفهم وقلة حيلتهم ، ويطلبون منه العون والقبول في ساحة رضاه وغفرانه « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » في أصوات خاشعة ضارعة ملتمسة الى خالق الوجود .. وهي من توحدها .. صوت واحد ..

مظهر ما أجمله من مظاهر الوحدة الشاملة ، حيث يجتمع هذا الجمع الحاشد من جنسيات مختلفة ، ووطنيات كثيرة ، وبلاد متباعدة الحدود ، بينها فواصل جغرافية كبيرة وبعيدة .. وتراث حضاري مختلف ، يجتمعون هنا على أمر واحد .. يقصدون بيتا من أكرم بيوت الله ، فيتعارفون ، ويتعاونون ، ويفكرون فيما فيه صلاح أمرهم ، واعتدال أحوالهم ، وكلهم جمع بينهم الخضوع لله رب العالمين ، وهم يحسون بالأخوة في الله تربط بينهم ، وبالمحبة تقدمهم الى بعضهم ، فالعربي أخ للهندي ، والباكستاني ، والأفغاني أخ للصيني ، وأخ للاندونيسي والروسي والاميريكي والأوروبي .. جمعتهم وجهة واحدة ، وهدف في القلوب كلها واحد ..

تجشموا الطريق ليصلوا إليه ، تاركين وراءهم أموالهم ، وأولادهم ، وأقرباءهم ، وبلدانهم ، ملتمسين الرضا الرباني .. معتقدين في رسوخ أن الله وحده هو العظيم ، وأنه وحده هو الكبير ، وأنه وحده دون الحول والسلطان في الدنيا والآخرة ، وأن دينه دين الوحدة والجماعة في شعائره ونظمه التي رسمها للحياة .

نعم .. إن الحج وقفة وطواف .. وقفة هي الضراعة الذليلة أمام الصمدية العزيزة ، وطواف هو طواف المحب الدائم .. وقفة وطواف .. وقفة الجندية القوية المضحية في عرفات ، وطواف العهد والميثاق ببيت الله الحرام .. وقفة وطواف هما نهاية المراحل للعبد المؤمن في سلوكه إلى مولاه المهيمن ، هما حقيقة الركن الخامس والأخير من أركان الاسلام وهو الحج .. « بنى الاسلام على خمس شهادة ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » رواه احمد والبيهقي .

**( ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى )** لقمان/٢٢ .

وللحج أسرار كريمة ، ومعان إنسانية مشرقة ، تكمن خلف مظاهره .. وقد تحدث عنها فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت فقال : إن الحج لم يشرع لمجرد ذكر الله ، ولا لمجرد طواف المسلم منفردا ببدنه حول بيت الله ، ولا لمجرد وجوده واكتحال عينه بالمشاهد المقدسة ، وإنما شرع

لذلك وأعم منه .. شرع ليكون السبيل لجمع المتفرق ، ولم المشتت ، وتقابل الآراء بالآراء ، ثم ليعود المجتمعون وقد حملوا مسئولياتهم المشتركة ، وأخذ كل منهم نصيبه منها ، ويعمل مع أهله ومواطنيه على تحقيقها ، والقيام بواجبها في حفظ إنسانيتهم ، ورسم طريق سعادتهم وليتكون من جميعهم أمة واحدة ، هي الأمة المثالية الفاضلة التي أعلى الله شأنها ، ورفع ذكرها في كتابه الكريم **( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )** آل عمران / ١١٠ .

وقد اختار الله لهذا الاجتماع العظيم ، ولتلك الرحلة الربانية الكريمة ، أماكن الذكريات المقدسة ، ومهابط الرحمة الالهية ، من عهد ابراهيم الخليل إلى عهد حفيده خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ، لتعرف الانسانية وحدتها ، وتعرف أن دعاة الايمان سائرون في طريق واحد ، وعلى منهج واحد .. هو طريق الله . وتفهما لهذه الأسرار الكامنة .. يجب أن تتغير نظرتنا إلى الحج يجب ألا يصبح الذهاب إلى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة .. يجب ان تكون للحج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبائه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد ، وإنما بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ، ورجال الرأي فيها ، وعلماؤها في كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ، ليضعوا في هذا البرلمان الاسلامي العالمي خطوطا عريضة لسياسة بلادهم ، وتعاونها معا ، حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام ..

لقد كانت بلاد الاسلام كلها كأنها بلاد واحدة ، فلا فواصل تفصل بينها أبدا ، ولا قيود ، ولا سدود ، ولم يجرؤ واحد على إقامتها .. وكانت الصلات وخاصة بين العلماء والقواد على تمام قوتها وجمال ثمرتها .. مهما كان من تباعد الديار .. والفضل الأعظم في هذا التقارب ، وهذا الاتصال يعود إلى الحج دون مراء .. وسيبقى للحج خلوده .. ولرسالته إشراقها .. ولمنافعه آثارها إلى يوم الدين .. فهو فرض من فروض الدين الاسلامي الذي هو دين الحياة ، ودين الايجابية الفعالة لاقامة حياة قوية بالوحدة وبالعدالة وبالحرية ، وبالمحبة وبالسلام .. فلماذا لا نستجيب لدعوة الايجابية النابعة من هذا الفرض ، ويكون هذا المؤتمر الكبير خطوة عظيمة يخطوها الحجيج كل عام في سبيل الانتصار لقضية الوحدة الشاملة ، واسترداد الأرض السليبة ، وتحرير المقدسات المغتصبة ، وردم وهاد الفرقة بين ابناء امة واحدة حتى تسمو كما كانت ، وتقود كما كانت ، وتشع على العالم أمنا وحماية ، وحرية وعدالة انسانية كما كانت ..

# لحظات في رحاب

# الخليفة الثاني

# عمر بن الخطاب

محمد موزون

للاستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

في كتاب ضخم وفريد ، أثار ـ بصدوره حديثا ، بالولايات المتحدة الأمريكية ـ اهتماما بالغا .. لم يك غريبا أن يختار مؤلفه ـ د. ميكل هارث ـ شخصية الرسول الكريم (محمد) صلوات الله وسلامه عليه : الشخصية الأولى ، رقم (١) في سلسلة الترتيب من حيث الأهمية وقوة التأثير في التاريخ الانساني بكافة . الكتاب عنوانه ( المائة ) ، وشخصياته هم : أهم مائة إنسان في طول التاريخ وعرضه تأثيرا في حياة الانسانية إجمالا . و ـ نكرر ـ ليس بالمستغرب البتة ، فضلا على أنه : البديهي الذي لا جدل عليه ولا مناقشة ، أن يكون (محمد) هو الأول والأهم .. إلا ان القارىء العالمي بالتأكيد توقف طويلا عند إيراد شخصية ( عمر بن الخطاب ) ضمن أولئك (المائة) الذين استخلصهم المؤلف من بين زحام الرواد والعباقرة وشواهق الرجال على امتداد تاريخ الانسانية بوجه الاجمال .

وفي الحق أن شخصية (عمر) : واحدة من أبرز تلك الصروح الأخلاقية الشاهقة الفريدة ، التي أنضجتها مدرسة النبي العظيم ( محمد بن عبد الله ) عليه الصلاة والسلام .. وما أحوج شبابنا العربي عامة ، وشباب الاسلام على الخصوص ، إلى تأمل وتدبر ما يصدر عن تلك الصروح الفارهة الباهرة ، من شعاعات هادية ومضيئة أبدا .. فلقد يجيء ـ بعد التأمل والتدبر ـ : الارتواء .. فالاقتداء .. و : « إنما الأمم الأخلاق ما بقيت » فان هموا ارتووا ، واقتدوا .. سادوا .. وارتقوا ..

اشتهر « عمر » بالعدل .. واشتهر العدل به .. فهو ( أبو العدل ) ـ كما وصفه الأديب العربي عباس محمود العقاد ـ وانه ليعلم كم هو قوى .. تدفعه إلى تلك المراقي السامقة من القوة : غيرة شديدة للحق ، وللعدل .. ومن ثم فانه لم يكن عجيبا أن يقول للناس ـ هكذا مباشرة ، وفي بساطة ، وبلا تزويق ـ في أول خطبة يلقيها عليهم ، بعد أن تمت البيعة له :

ـ أيها الناس .. إنكم قد ابتليتم بي .. وابتليت بكم !

قول جامع حاسم ، ثري المعاني ، في إيجاز بليغ دونه كل إطناب . في هاته الكلمات القصار : يعني (عمر بن الخطاب) أنه ، في إقرار العدل وإحقاق الحق .. لن يرحم أحدا حتى نفسه .. لن يهدأ ولن يفتر .. لا هوادة ولا مهادنة أمام أي حيف أو جور .. فما أثقل التبعة على الطرفين حقا .. على الناس .. وعليه !!

لكنه ، على الرغم من تلك الشدة في موطن الشدة .. لم يكن قاسيا على طول الخط ، ولا شديدا عنيفا دائما وفي كل شيء .. فان في حياته المضيئة جوانب يبدو (عمر) فيها : رقيقا كل الرقة ، بسيطا متناهيا في البساطة .. فلم يكن أبغض إليه ـ مثلا ـ من التكلف والمتكلفين . إنه يزدري المتعالين بغير مبرر ، ويعطيهم بنفسه ـ ومن ذات نفسه ـ : ( مثالا مضادا ) ، يصغرهم به ، يضغطهم إلى أحجامهم الطبيعية ، و .. وتعلو بساطته وتسمو على تكلفهم المفتعل .. فيضطرون إلى التراجع عن استعلائهم مرغمين .. ويعودون ـ صاغرين ـ : طبيعيين . ( عاديين ) ! .. يحدث أن يتأخر عن الصلاة .. حتى إذا جلس على المنبر ، يرى أنه لا بأس مطلقا من الاعتذار للناس ، بالعذر الحقيقي :

ـ لقد أخرني قميصي ..!!

أجل !. لم يجف قميصه ، الذي كان غسله ، فانتظر حتى يجف .. و .. وجاء ليصلي وليؤم القوم ، فـ ... فلماذا اصطناع أعذار أنيقة ، يتكلف فيها التعالي بما ليس حقيقيا ؟!.. ولا ينقص هذا شيئا من مهابة واحترام الناس له . العكس هو الذي يحدث : مزيد من حب وإجلال وإعجاب لعمر ...

كان (عمر) قبل أن يشرح الله قلبه بالاسلام : من عتاة المناوئين للنبي .. وكدأبه حينما يقتنع أخيرا ، بأن ههنا ( حقا ) ساطعا ، فيعتنقه بكل ما أوتى من قوة ، وأن هناك ( باطلا ) بينا ، فلا يتردد في أن يلفظه بحدة لفظا ، بل وينقلب عليه توا ، بذات القوة والعنفوان .. ما أن يضيء نور الاسلام فؤاده ، حتى ينطلق

صاعدا في معارج الترقي .. فيصبح (عمر) الذي أعز الله الاسلام به حقا ..

ومن أقواله حول قصة إسلامه ، ما يعطي توكيدا عمليا على نوعية رد الفعل في تلك النفس الكبيرة القوية .. « لما أسلمت تلك الليلة .. تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عداوة ، حتى آتيه ، وأخبره أني قد أسلمت .. قلت : ( أبو جهل ) . فأقبلت حين أصبحت ، حتى ضربت على بابه .. فخرج إلي أبو جهل فقال : ( مرحبا واهلا بابن أختي ، ما جاء بك ) ؟. قلت : ( جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله ، وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ) !.

كان قد جاء الحق ، وزهق الباطل .. فلا مهادنة إذن ، ولا أدنى مصانعة مع باطل ، مهما يكن ذلك الباطل هاما أو مصدر خطر .

كان لـ ( عمر ) هيبة خاصة .. حتى أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم كان يوقره ، ويحرص على أن يحفظ له تلك المهابة .. وفي ذلك تروى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .. أنها طبخت حريرة ، ودعت ( سودة ) أن تأكل معها ، فأبت .. فعزمت عليها لتأكلن أو لتلطخن وجهها . فلم تأكل برغم ذلك . فوضعت عائشة يدها في الحريرة ، ولطختها بها .. والنبي حاضر يضحك ، بمعهود سماحته ولطفه ، وليقينه بأن لكل وقت مناخه ودواعيه .. لكنه ـ عليه أزكى السلام ـ وحتى في وقت ( صفاء عائلي ) وأثناء ( مرح منزلي ) كذاك : لا ينسى ـ وهو منشىء وامام مدرسة الحق والعدل ـ مقتضيات الحق والعدل ، هاهنا أيضا .. فيضع الحريرة في يد ( سودة ) ويقول لها مشيرا إلى عائشة ، التي كانت البادئة : ـ ( لطخي أنت وجهها ) !. بالطبع . واحدة بواحدة ، ولا تفضيل أو تجاوز لاحداهما على الأخرى . ففعلت . و .. عندئذ مر (عمر) .. فناداه النبي : ( يا عبد الله ) .. ثم انثنى جانبا ، يقول على عجل للاثنتين معا : ( قوما فاغسلا وجيهكما ) .. وتختتم عائشة روايتها بهذا التوكيد : « فما زلت أهاب عمر ، لهيبة رسول الله إياه .. » .

ومن مظاهر الهيبة التي اختص بها عمر بن الخطاب بأكثر وأظهر من سواه .. أن الصبيان الصغار ، وهم يلعبون .. كانوا ـ حال أن يهل على الطريق (عمر) ـ سرعان ما يفرون عن طريقه جميعا .. .. لكنه ، ككل رجل قوي ، يحب الانسان الشجاع ، الذكي ، وان كان حدثا صغيرا .. فلما مر ذات يوم ، وفر الصبيان من أمامه إلا واحدا ، ثبت مكانه لا يتزحزح .. راقه أن يرى ذلك الذي لم يفعل كما فعل أقرانه .. فتقدم (عمر) منه هاشا باسما راضيا ، يسأله في وداعة ولطف : ( مالك لم تفر معهم ) ؟.. فأجاب الصبي بهدوء وثقة ـ وكان عبد الله بن الزبير ـ : ( لم أجرم فأخافك .. ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك ) !.. ويعجب عمر بهذه الاجابة .. وتسعده ثقة الفتى بنفسه .. ويتنبأ بأن سيكون له شأن . وقد كان .

.. ولأنه نصير الحق والعدل .. عدو الخيلاء والزهو .. فان مهابته لم تكن تصدر عن أبهة سلطة أو سموق منصب ، وانما كانت تنبع وتشع من نفاسة وثراء

شخصيته ذاتها .. شخصية تزخر أعماقها بنفائس من كنوز خلقه ، فيكون الاشعاع الساطع من داخله ، المنعكس بتلقائية على كل من يلقاه : موحيا بما هو في أعطاف ذلك الاهاب الشامخ من محتوى .. فلا يكون من ( المتلقى ) إلا : مشاعر الاجلال ، وصادق التوقير ، دونما حاجة إلى تفسير .. ولننظر بتمعن إلى ابن الخطاب جالسا في صحن المسجد ، تأهبا لتأدية صلاة جامعة ..و .. لنرقبه ــ هو فحسب ــ حين يدخل إلى المسجد رجل رفيع المكانة ذائع الصيت فاقع الشهرة كـ ( خالد بن الوليد ) .. ابتداء ماذا يمنع شخصا كخالد أن يلتمس لزينته شيئا من زينة خاصة ، وهو ( البطل ) المقدام ، ذو الانجازات الباهرة الخارقة ؟؟.. عند الكل : لا ضير ، لا جناح ، لا أقل مأخذ !.. لكن : أعند (عمر) يستوى الأمر ؟؟.. ندقق ونركز لنلحظ كيف أن ما عند عمر شيء جد مختلف !.. يصوب نظرة ( عمرية ) إلى الداخل للمسجد ، فيراه وقد تأنق في لبوسه ، وزاد على الأناقة بأن أسبل على ثيابه قباء ، وغرز في عمامته أسهما !!.. وبكل بساطة وقبل أن يأخذ خالد راحته في القعدة بين صفوف الناس ، يقف عمر ، ويتمشى إليه ، و .. يتصرف !!. و .. ولا يدهش الناس ولا يذهلون وهم يرون عمر وقد وقف على رأس ( خالد ) الذي هو قائد وفاتح .. ثم يميل عليه ، ثم يبدأ ينتزع من عمامة رأسه وأغطية جسمه كل تلك ( الزوائد ) من الأشياء ، تباعا ثم يحطمها ويلقي بها جانبا .. ثم يكر إلى مكان قعوده راجعا !. انتهت ( اللقطة ) ، والى هنا ولا أحد يدهش ، ولا اى شخص يصدر عنه أقل ملمح من تعجب ، وذلك كله طبيعي واعتيادي في محضر ( عمر ) ولكن !.. ولكن ماذا بالنسبة للقائد المغوار الذي شهدت له ساحات الحروب وأقرت لبسالته كافة الأصقاع ؟. ما رد الفعل عند ( خالد بن الوليد ) الذي حدث له ــ على يدي عمر ــ ذلك كله ، على مرأى ومسمع من بني قومه ؟.. لا شيء . مطلقا وثباتا . يطرق خالد في صمت ، يسكت تماما وقد أدرك على التو أنه ــ بالتأكيد ــ أخطأ بالتزين بتلك الأشياء ، ويترك يدي عمر تنتزعان وتحطمان وتبعثران ، وهو صامت ، ساكن ، لا يريم !.. لم يرفع إليه عينا . لم يدع فاه يخرج حرفا . ولولا وجود هيبة حقيقية لشخص (عمر) .. لقد كان يمكن لخالد أن يعترض أو يحتج ولو قليلا .. حتى ولو بمجرد ( كلمة امتعاض ) أو حتى ( همهمة استياء ) مثلا !!

وما أكثر المأثورات ( العمرية ) الشهيرة جدا ، الباقية ــ وضاءة ــ أبدا .. كحمله الدقيق على ظهره .. تحت جنح الليل .. إلى حيث تقبع امرأة لم تجد ما تطعم به صغارها .. وبقائه معها ، حتى طبخت لهم وهو يساعدها .. ولم يغادرها حتى شبع ونام اطفالها .. ومثل استقدامه بعض الولاة الذين حادوا عن طريق النزاهة المطلقة التي رسمها لهم ، ثم اقتسامه ــ على رءوس الأشهاد ــ أموالهم .. الأموال التي جلبتها ( الوظيفة ) إليهم ، ولم تجلبها مواهب شخصية كامنة في ( حضراتهم ) !!.. ما أكثر الأمثلة في ذلك .. وكلها ناطقة بمدى القوة الهائلة والفريدة التي مضى بها (عمر) : ناشرا عدله بين الناس .. واثقا أنه

المسئول ـ شخصيا ـ عن طمأنينة وأمن كل فرد .. وهو بالمنطق الذي يجابه به الآخرين حينما يخطئون : يجابه ، كذلك ، بنيه ، وأهل بيته ، إذا حدث من اى منهم نفس الشيء .. إنه يحمل بعنف على ابنته ( حفصة ) زوج الرسول ، ويحذرها بشدة من التمادي في التدلل ، أو من مسايرة صاحبتها ـ عائشة ـ فيقول لها عبارة : نستشف من ورائها كم هو شديد التواضع حقا :

ـ « أين أنت من عائشة .. وأين أبوك ، من أبيها » ؟!

وفي موقف آخر .. يدرك عمر أن ابنته كانت سببا في غضب الرسول .. فيذهب مزمجرا يصيح بأعلى صوته ، على باب الخزانة التي اعتكف فيها النبي وعلى عتبتها يقوم غلامه ( رباح ) لا يسمح لأحد بالدخول عليه :

ـ يا رباح .. استأذن لي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاني أظنه ظن أني جئت من أجل حفصة .. والله لئن أمرني بضرب عنقها لأضربن عنقها .

بذلك القول الصادق أعطى عمر : توكيدا آخر ، معلنا ، بأنه لا يحابي أحدا ، وان كان : ابنته .

ومع ذلك ، وبالرغم من كل ما بذل من ذات روحه العالية .. عطاء ، وجهدا ، وبذلا .. هل كان (عمر) راضيا قريرا ، مطمئنا إلى أنه يؤدي الواجب خير أداء ، وأنه ليس في الامكان أفضل مما كان ؟.. كلا !. فانه تارة يبكي إذا تصادف ورأى أحدا حرم ثمار عدالته ، فيروح يردد في تبكيت : ( أهلكت نفسك يا عمر ) .. وتارة أخرى ينفرد بنفسه في الطرقات ، فيأخذ تلك النفس الكبيرة ـ التي تعب في مرادها الجسم ـ ويختلي بها هناك بعيدا عن الأعين والآذان ، في ( حصة ) توبيخ ومعاتبة ، وينبري يصليها محاسبة ، ومناظرة .. يمعن في مقارعتها وايلامها ، والتحرش بها ، وتحديها ، وانذارها .. ثم يستدير عائدا ليخاطب نفسه ككل ، متفكها ، متوعدا ، فيها مس ذاته ، موجها إلى كل شخصيته هذا الخطاب : « بخ بخ يا ابن الخطاب . أصبحت أميرا للمؤمنين » !. اي : ها قد صار لك الأمر .. فأرنا ماذا أنت فاعل ـ يا عمر ـ هل أنت ، يا ترى ، أهل لحمل التبعة ، أم ماذا ؟!

وفي القليل النادر ( قد ! ) يبدو راضيا ، شيئا ما ، عما يبذله من أجل الخير العام .. فاذا حدث واهتزت الأرض ، كما في قصة الزلزال .. لا يتمالك أن يضرب الأرض بالدرة ، وهو يقول لها مخاطبا ، كما اعتاد أن يخاطب أشياء كثيرة :

ـ ( اسكتي . ألم أعدل عليك ) ؟؟

إنه جريا على عادته في مخاطبة عديد من الأشياء .. مثلما خاطب الأرض متسائلا : لماذا هي تهتز ؟.. لماذا التململ والاهتزاز ، والعدل من فوقها قائم ومنشور .. يحدث أن يخاطب مرة : البطن ـ بطنه ! ـ حينما لم يكن يطعمها سوى ( الزيت ) ، بعد أن حرم على نفسه السمن لأنه شح حتى لم يجده الناس .. فكانت بطن ( عمر ) تقرقر .. فيميل متسمعا إلى قرقراتها ، ثم يهتف عاليا

موجها تعليقه لها :

ـ « قرقري ، أو لا تقرقري .. فلا والله ، حتى يجد الناس » ..!!

ومن سلسلة مخاطباته الفريدة تلك .. حدث أنه خاطب ( النهر ) !.. بل وحرر إليه ـ إلى نهر النيل !ـ رسالة ، حافلة بالأسئلة .. بعث بها إليه على ملأ من القوم .. وجعل شهود واقعة ( تصدير الرسالة ) ينتظرون من ( المرسل إليه ! ) الرد والاجابة !.. فقد كان من عادة المصريين قديما : أن يلقوا في كل عام إلى جوف ماء النيل : فتاة جميلة ، مزينة بالملابس الملونة الزاهية ، والحلى النفيسة ، تتضوع أعطافها بأريج أندر وأغلى العطور والطيوب .. كانوا يسمونها ( عروس النيل ) ، وكانت تهدى ـ سنويا ـ إلى النهر ، قربانا وزلفى ، كي يظل يجري ويفيض ويستمر عطاؤه موصولا بالغرين والماء الوفير .. واستمر ذلك ( الاجراء ) الجاهلي قائما حتى كان الفتح الاسلامي لمصر .. وآذنت مناسبة إلقاء عروس النيل ككل عام .. ولم يستسغ ( والي مصر ) هذا التقليد ، فأوقف تلك الاجراءات حتى يرد الرد من أمير المؤمنين عمر ، وكان قد رفع إليه تقريرا ضافيا بفحوى تلك المسألة ، وفي نهايته طلب الافادة عاجلا ـ وعاجلا جاء الرد من عمر يأمر الوالي ـ ابتداء ـ بايقاف المهزلة ، حتى تنجلي ، أمام كل الناس : الحقيقة .. ومع الافادة جاءت رسالة من ( عمر ) موجهة صيغتها إلى ( النهر ) ، وطلب إلى ابن العاص أن يلقي بها أمام الجموع الحاشدة إلى النهر ذاته . تقول الرسالة :

ـ « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. إلى نيل مصر .. أما بعد .. فان كنت تجري من قبلك ، فلا تجر !. وان كان الواحد القهار يجريك .. فنسأله أن يجريك » !

وألقيت الرسالة ، بعد أن قرئت علانية ، إلى النيل .. وترقب كل الناس ، في فضول عارم ( إجابة ) النهر .. فكان جوابه ، بطبيعة الحال ، أن ظل يجري ، كمعهود شأنه ، بل وفاض منسوبه عن أى عام سبق ، بلا ضحايا من عذارى بريئات .. وأفاق الغافلون وسحقت بساطة الحقيقة : ظلامات الجهالة .. ومنذ ذلك الحين انتهت الخرافة .

ولأنه ( عمر الفاروق ) ، الذي فرق بين الحق والباطل ، لا يختلطان ، ولو فصلت بينهما شعرة .. فان هذه الغيرة الشديدة على الحق .. قد تجعل بعض أعماله وأقواله تبدو كما لو كان بها شىء من الحدة غير المألوفة .. لكن سريرته جياشة بالرقة واللطف ، حافلة بفيوض البر والحدب ، واللين أيضا .. في عام المجاعة ، رأى عمر بثاقب نظرته ، وعمق درايته بـ ( روح ) القانون فضلا على نصوصه : أن يتجاوز عن تطبيق الحد على السارق ، مراعاة لقسوة الظروف .. وفي مشهد آخر نراه يطل على ( منظر ) يحتدم فيه عويل النساء وبكاؤهن بشكل عنيف مثير ، و .. تأمل المنظر ، ومضى لحال سبيله ، دون تعقيب أو تعليق !.. فلما سئل باستغراب لماذا لم ينههن عن ذلك ، وهو الذي كان ينهي عن تلك

الأفعال .. وكانت الجنازة لوفاة ( خالد بن الوليد ) .. قال مجيبا :
ــ « دعهن يبكين على أبي سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة .. على مثله تبكي البواكي » .
.. واذا كان الصحاب يشهدون لامرىء بالخلق الحسن .. فالفضل ــ لامراء ــ ما شهدت به الأعداء .. وحتى ألد الأعداء يشهدون لــ (عمر) بالصدق في القول .. وهذا حوار دار في مشهد حزين ، من مشاهد النكسة التي ألمت بالمسلمين في غزوة أحد .. فقد كان المشركون الموتورون ، مزدهين سعداء بنصر عارض لم يتكرر قط .. أشاعوا أن النبي قد قتل في المعركة ، و .. سر كثيرا لذلك النبأ ( أبو سفيان بن حرب ) ، وأراد أن يتأكد ، فانطلق متلهفا تجاه المعسكر الآخر ، حتى أشرف على الجبل ، ويشرئب بعنقه من فوق جواده وهو يهتف متشفيا : هل ما انذيع ــ يا قوم ــ عن وفاة محمد في المعركة صحيح ؟!.. ويكلف النبي واحدا من ثقاته بالوقوف للرد على المتسائل ، حتى يكون لنفي الخبر وتكذيبه وقعه الصحيح .. وكان المنتدب لهذه المهمة هو ( عمر بن الخطاب ) .. ففعل عمر ، وكذب في حسم الاشاعة التي روجها ( ابن قمئة ) .. وكان سؤال ابى سفيان هكذا :
ــ أنشدك الله يا عمر .. أقتلنا محمدا . وهكذا كان جواب عمر :
ــ اللهم لا .. وانه ليسمع كلامك الآن .
عند ذاك لا يسع الرجل ــ وهو العدو ، المتشكك ــ وقد سمع النفي والتكذيب من ( فم عمر ) إلا أن يصدق على الفور ، وبلا نقاش .. والا أن يكون تعليقه على هذا النحو :
ــ أنت عندي أصدق من ابن قمئة ، وأبر .
إنه ( عمر ) الذي أجمع على اختياره الصحابة ، عندما اشتد الوجع بأبى بكر ، فقال عثمان بن عفان معلقا على الاختيار :
ــ « إن عمر سريرته خير من علانيته .. وليس فينا مثله » . وانه (عمر) الذي ــ كما قال عبد الله بن مسعود :
ــ « كان إسلامه فتحا .. وكانت هجرته نصرا .. وكانت إمارته رحمة » .

# حُقُوق الانسان

**تمهيد :**

في العاشر من شهر ديسمبر عام ١٩٤٨ صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يسمى بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وقد جاء فيه : إن للناس ــ باعتبارهم آدميين ــ حقوقا ، يجب على الجميع احترامها ، ومن هذه الحقوق : حق الحرية ، وحق المساواة ، وحق الملكية .

ولكن هل هذا هو أول إعلان لحقوق الانسان ؟ قد يكون هذا بالنسبة للمجتمع العالمي ، اما بالنسبة لبعض المجتمعات فقد سبق شيء من هذا .

# ١

**للاستاذ علي القاضي**

فمنذ قرنين كتب « هيجل » مؤلفه الشهير « فلسفة التاريخ » وتحدث فيه عن حقوق الانسان ، وكان يقصد بذلك حقوق الانسان في المجتمع الأوروبي فقط ، وفي ١٦ من يوليه عام ١٧٨٩ خلال الثورة الفرنسية أعلنت حقوق الانسان عن الجمعية الوطنية الفرنسية ، وقد فهمت أيضا على أساس أنه الانسان الغربي فقط ، ومن هنا ، فقد استمر الاستعمار الغربي يستغل الدول في العالم كله غير مراع إلا حقوق الانسان الغربي فقط ، وكأنه من طينة أخرى غير بقية الشعوب .

وحتى الاعلان الذي جاء عن طريق الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ تم بعد تقسيم فلسطين ، وإعطاء جزء من أرضها إلى الصهيونية العالمية لانشاء دولة لهم على حساب غيرهم ، وعلى أرض ليست لهم ، وكأن المطلوب هو حقوق الانسان اليهودي ومن هنا فقد كان من المقبول ـ حسب هذا المفهوم ـ تشريد الفلسطينيين خارج وطنهم .

والولايات المتحدة الأميركية ـ أبرز اعضاء الأمم المتحدة ـ لم تعلن رسميا إلغاء التفرقة العنصرية ومنح الزنجي حق الانتخاب إلا منذ عشر سنوات تقريبا ، ومع هذا ، فان الاعلان تم من الناحية النظرية اما من الناحية التطبيقية فلا زال "عشرون مليون زنجي أميركي" يعانون من العنصرية الرسمية والشعبية داخل الولايات المتحدة نفسها في جميع المجالات ، ومن ذلك أنه لا يمكن للزنجي أن يرتقي فوق مساعد الحاكم في الولاية ، وليس للزنوج سوى ست عشرة وظيفة سياسية ، مع أن عددهم أكثر من عشرين مليونا فهي إذن حقوق للانسان الأبيض فقط .

وحتى الدراسات العليا والجامعية في الولايات المتحدة الأميركية غير محايدة ، فهي تبرز غير البيض بأنهم قانعون بالأوضاع التي هم عليها ، ذلك لأنهم وضعوهم في إطار خاص ثم جاءوا لهم بمقاييس خاصة قرءوا نتائجها بالاسلوب الذي يريدون .

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة ــ التي أعلنت حقوق الانسان ــ كثيرا من المظالم التي تتعارض مع هذا الاعلان ، الى جانب أن الدول الكبرى فيها احتفظت لنفسها بحق الفيتو ــ الاعتراض ــ ضد اي قرار لا يوافق مصالحها ، أو ترى أي دولة من هذه الدول الكبرى أنه لا يوافق مصالحها ، وليس هذا من العدل في شيء ، وليس من حقوق الانسان في شيء ، اللهم إلا إذا كان المقصود به عدل الدول الكبرى وحقوق الدول الكبرى .

وقد مارست الدول الكبرى أبشع أنواع الافتئات على حقوق الانسان ، ومن ذلك ما فعلته فرنسا في الجزائر منذ عدة سنوات حتى أصبحت معروفة في العالم كله بأنها وطن المليون شهيد ومن تلك أيضا ما فعلته اميركا في فيتنام ، وروسيا في المجر وتشيكوسلوفاكيا ، وانجلترا في افريقيا ضد الشعوب الملونة وضد العالم الاسلامي ، فالقتلى بالملايين والمشوهون كذلك ، الى جانب الجوع والعرى والاضطهاد الذي ينتشر هنا وهناك ، وما تفعله الآن روسيا وكوبا والحبشة في أريتريا حتى اصبح هناك آلاف من المسلمين في العراء يعانون من الشتاء القارس والجوع والعرى وقد قصفت البوارج السوفياتية سواحل أرتريا ، وشقت الطرق أمام القوات السوفياتية والكوبية والاثيوبية لأخضاع هذا الشعب الفقير المناضل من أجل حريته .

**مشكلة قديمة :**

وحقوق الانسان مشكلة قديمة ، إذ أن مجتمعا ما من المجتمعات في قديم التاريخ لم يعط الانسان حقوقه ، بل إن التفرقة والظلم والاستغلال كانت هي الأساليب الشائعة .. فالمجتمع الاغريقي قديما كان يتكون من المواطنين والأجانب والعبيد .. والعبيد هم الطبقة المستغلة ولم يكن عددهم قليلا بل إن عددهم كان يزيد عشرين ضعفا على عدد السادة ، وكانت أعمال العمال كلها يدوية قاسية فهم للخدمة فقط ، والديمقراطية الاغريقية كانت للاحرار فقط .

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الرومانية وجدنا المناصب العليا قاصرة على النبلاء ، وارتبط التعليم بالنظام الطبقي ، فالتعليم العالي للنبلاء وحدهم ، والقانون الروماني المشهور بالعدالة ، فرق بين السادة والعبيد .

والديانة اليهودية ديانة عنصرية قومية لا تتصف بالشمول ، وهي ذات تطلعات وتنبؤات يريدون تطبيقها بحذافيرها إن أمكنهم بالتعاون مع كل من يؤمن بالتوراة .

والمسيحية جاءت بالمحبة ، ولكنها تركت ما لقيصر لقيصر ، ولكن قيصر حاربها ، ولم يترك لمثلها أن تجني ثمارها بل إنه في كثير من الاحيان شوه رسالتها ، وما أكثر ما قاست الانسانية من انتصار المسيحية على أيدي محاكم التفتيش التي انتشرت فترات طويلة في بلاد كثيرة .. وحتى حرية الرأي لم تعرفها

المسيحية ، فالكنيسة على مدى التاريخ ، تمنع الناس من ابداء آرائهم ، وكانت تحاسبهم على ذلك أشد الحساب ، بل إنها استعملت كل وسائل التعذيب حتى القتل في شمال اوروبا لتدخل أهلها في المسيحية ، ولا زال الناس يتحدثون عن محاكم التفتيش وما صنعته في أوروبا ، وفي الأندلس لتنصير المسلمين ، بل ولا زال المسيحيون يقومون بهذا العمل في تنصير المسلمين في اندونيسيا وفي الفلبين وغيرها ، مستخدمين كل أنواع الترغيب والترهيب مع ان المسلمين على مدى التاريخ أنقذوا المسيحيين من الظلم الواقع عليهم في كل البلاد التي فتحها المسلمون ، وحين دخل المسلمون القدس تركوا للنصارى كل شيء ، وكتب عمر بن الخطاب لهم أمانا وعهدا ، وأبى أن يصلي في كنيستهم حتى لا يطمع فيها أحد من المسلمين ، وعامل المسلمون المسيحيين معاملة كريمة متبعين قول الله تعالى : ( **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ) الممتحنة ـ ٨ ـ وأهل الكتاب ـ لهم معاملة كمعاملة المسلمين تماما ، وغير أهل الكتاب لهم هذه المعاملة أيضا ، اللهم إلا في شيئين : نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم ، والمذاهب الحديثة في المجتمعات المختلفة تسير على النهج القديم في التفريق بين الانسان والانسان في الحقوق المختلفة .

فالماركسية أغرقت العالم في بحر من القهر الاستبدادي وما تبعه من تعذيب وقتل وغسيل للمخ في البلاد الشيوعية نفسها ، ثم انتقلت إلى البلاد الأخرى فاغرقتها في بحر من الدماء ، وأشاعت فيها الفوضى ، ورأينا الدماء التي تسيل في شرق آسيا وأفريقية بفعل الماركسية ، فهي تمنع حرية الكلمة ، وحرية الرأي وحرية التفكير وحرية المعتقد ، ولقد أعلنت الشيوعية في روسيا وعدد المسلمين هناك خمسون مليونا وما زالت بهم في التعذيب والتنكيل والتغريب حتى وصل عددهم الى عشرين مليونا ، وقد أصبحوا أغرابا عن كل معاني الحرية .. والشيوعية ـ دائما ـ تستخدم كل الأساليب ضد حرية الانسان ، فالتجسس أسلوب أساسي عندهم في كل مجالات حياتهم ، وما أكثر الكتب التي ألفت في ذلك وما أكثر المعتقلات التي فتحت ، ولا تكاد أي مجموعة في دولة شيوعية أو أي دولة تجد فرصة للمطالبة بالحرية إلا وطالبت بها ، وإن كانت هذه المطالبة لا تأتي بنتيجة ، ولعل آخر هذه المطالبات ، ما حدث في ٦ من يناير عام ١٩٧٩ إذ ظهر ملصق جديد في بكين ـ ولعلها أكثر البلاد ملصقات ـ يقولون عنه : إنه أدى إلى حدوث دوي هائل لدى الأوساط الدبلوماسية ، ولدى المراقبين السياسيين ، وقد أعدته جماعة أطلقت على نفسها اسم ( عصبة حقوق الانسان الصينية ) طالبت فيه لأول مرة ، وبشكل قوي وملح ، وعلمي ، باطلاق حرية التعبير والافراج عن المعتقلين الذين تعرضوا للسجن بسبب ممارستهم لحرية التعبير ، وإلغاء أجهزة البوليس السري بالصين .

وطالبت الجماعة في الملصق الذي ظهر على حائط الديمقراطية في بكين ،

واستلفت نظر جموع كثيرة من أبناء الشعب الصيني ، وبعض الأجانب ، بنقل جثمان الزعيم الراحل ماوتسي تونج من ضريحه المقام في قلب بكين ، وتحويل الضريح الى قاعة تذكارية .. وأكد الملصق ان الصين قد مرت بفترة تختلط فيها المضحكات بالمبكيات من خلال عشر سنوات منذ بدء الثورة الثقافية .

والاسلام حرم أساليب التجسس وما يتبعه والقرآن الكريم يقول : ( **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** ) وشبه هذا بمن يأكل لحم اخيه ميتا ( **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا** ) الحجرات / ١٢ وأموال الناس ودماؤهم نهب مشاع في الدول الشيوعية بينما هي حرام في المجتمع الاسلامي وفي خطبة حجة الوداع يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** » رواه البخاري

### والوجودية :

والوجودية تنادي باطلا بدعوى الارادة والحرية ، وهي تريد جرف الانسان إلى غابة من الحرية المطلقة غير الملتزمة بأي اطار أخلاقي مثالي ، غابة تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الأسرة وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وعلاقة الناس بالدولة ، ولقد كان حصاد ذلك موجات الهيبز المتحللة التي تسود أوروبا .

### البراجماتية :

وهي فلسفة تؤله الفرد على حساب المجموع ، وتضع معايير للتقدم والنجاح ، ولا تلقى بالا لعذاب المجتمع في سبيل صعود الفرد ، حتى تصل بالنظام الاقتصادي الرأسمالي إلى مرحلة الاحتكار والاستبداد والقهر المستتر تحت أردية الحرية ، ونتائج هذا ما نشاهده من مظاهر التفسخ الاجتماعي التي تظهر دلائلها الآن في أميركا وتدفع بالمئات إلى الانتحار الجماعي .

### التحليلية أو الوضعية المنطقية :

هذه النظرية تسود الآن شمال غرب أوروبا ، وهي فلسفة أغرقت نفسها في التحليلات اللغوية ، وكبلت العقل البشري بقيود الجزئيات على حساب النظرة الشاملة التي تستوعب الحلول واسعة المدى لمشكلات الانسان .

ولو سألنا أنفسنا : لماذا قامت الحرب العالمية الثانية ؟ لوجدنا أن السبب الأساسي هو دعوى النازية الفاشية التي كانت ترى أن الألمان من عنصر خاص يفضل الأمم ويجب أن يسود عليها بالقهر ، إن لم يكن بالرضا .

أوليس من العجيب أن تستمر مسألة المساواة بين أفراد البشرية موضع أخذ ورد وعدم اقتناع حتى الآن ، ولقد نشرت اليونسكو عام ١٩٥٢ بيانا قام بإعداده

جماعة من علماء الوراثة والأجناس الذين لهم شهرتهم على المستوى العالمي ، وقد جاء فيه :

١ ــ أن الجنس البشري جنس واحد ينتمي إلى أصل واحد مشترك .
٢ ــ أن الفروق الطبيعية بين الجماعات البشرية ترجع إلى تنوعات في كل من الوراثة والبيئة .
٣ ــ أنه لا يوجد دليل على وجود أجناس نقية ، فعمليات التهجين في الجنس البشري ما زالت مستمرة منذ وقت طويل جدا .
٤ ــ أن تكافؤ الفرص أمام القانون لا تقوم إطلاقا كمبادىء اخلاقية على فكرة أن البشر متساوون في المواهب .

وبعد أكثر من خمسة وعشرين عاما ، وفي عام ١٩٧٨ نظمت « اليونسكو » مع « جامعة الزقازيق » ندوة عن حقوق الانسان وقد أصدرت عدة توصيات ، تتلخص في :

١ ــ تغيير السلطات الاستثنائية التي تمنحها كثير من الدساتير للحكومات في حالات الطوارىء والظروف غير العادية .
٢ ــ إدخال دراسة حقوق الانسان في كافة المستويات التعليمية .
٣ ــ أن تشمل المناهج تاريخ حقوق الانسان ، والفلسفة التي تقوم عليها ، وأوجه القصور فيها .
٤ ــ إعلان المساواة بين العامل العربي والعامل الأوروبي في الحقــوق ، والمرتبات ، والتأمينات ، والحريات . ومع هذا فلا زال بعض الناس في العالم المتحضر ينشرون مفاهيم مؤداها أن هناك أجناسا متميزة على أجناس اخرى .

وإسرائيل نفسها قامت بتأييد دول العالم المتحضر كله ، وقد قامت على أساس عنصري ، فاسرائيل تعلن على العالم كله أنها عنصر متميز بالذكاء والعلم والحضارة ، كما تعلن أن العرب عنصر معوق للحضارة ، كالزنوج تماما ، وأنها ستقضي عليهم وتريح العالم من شرهم ، وهي تتبع القول بالعمل وتحاول تنفيذ هذه الأفكار وهي مؤيدة من الدول الشرقية والدول الغربية على السواء .

إن كل المذاهب الحديثة تدعو إلى سلام الانسان مع الانسان ، وحتى الان لم تستطع تحقيق هذه الدعوة ، ولا زالت المؤتمرات تنعقد ولا زالت التوصيات تصدر ، ومن ذلك المؤتمر الذي نظمته الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي في يونيه عام ١٩٧٨ بالنيجر ، ثم ندوة تدريس حقوق الانسان التي عقدت بالقاهرة في الفترة من ١٤ ــ ١٦ من شهر ديسمبر عام ١٩٧٨ ، وقد قامت بتنظيمها جامعة الزقازيق بالتعاون مع اليونسكو .

ولعل آخر هذه الجهود ما نشرته مجلة « نيو تايمز » من أن منظمة دولية جديدة بدأت في شهر يناير عام ١٩٧٩ بمجموعة من الأطباء الدانمركيين ، والتي اتسع نطاقها بعد تشكيل منظمة تحمل نفس الهدف من فريق من الاطباء ببوسطن .

ويقول الدكتور « مايكل نيلسون » رئيس هذه المنظمة التي تشكلت في بوسطن : إن منظمتنا قد تشكلت كرد فعل لزيادة استخدام عدد من الدول للتعذيب كوسيلة لمعاقبة خصومها ، وبدرجة جعلت التعذيب يصل إلى صورة وبائية .. وتقوم هذه المنظمة بعمل دراسات حول الآثار النفسية والجسدية للتعذيب على من يتعرض له .

وفي رأي الدكتور نيلسون أن هناك بعض الآثار التي يصعب على الأطباء الذين يقومون بهذه الدراسات تحديدها مثل ـ الكوابيس التي تقتحم أحلام هؤلاء الأشخاص اثناء نومهم والحروق داخل الأماكن الحساسة من الجسم ، ولكن الأطباء سيحاولون حصر الآثار الناجمة عن التعذيب عندما يقومون بدراساتهم على أول مجموعة من ضحايا التعذيب، تضم ٢٥ شخصا معظمهم من أميركا اللاتينية . ويقول الدكتور نيلسون ٠ ان الهدف النهائي من هذه الدراسات هو وضع الملامح البشعة لبعض الحكومات التي تمارس التعذيب أمام أنظار المنظمات القومية والدولية ، حتى تشكل قوة ضغط قادرة على وقف تعذيب الانسان في كل مكان ..

وهكذا تبدو الصورة في نهاية القرن العشرين قاتمة إلى درجة محيرة ، فبينما يجمع العالم كله من الناحية النظرية على المساواة بين الناس ووجوب العدل ، وما إلى ذلك من حقوق الانسان ، إلا أن التطبيق يسير في اتجاه آخر بعيد كل البعد عن المساواة والحرية والعدالة ، بينما الاسلام حين يرعى حقوق الانسان يرعى أولا حقوق الضعفاء يقول الرسول الكريم : « ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » رواه مسلم وأحمد بل إنه يطلب الدفاع عنهم ، والقتال في سبيل حمايتهم قال تعالى : ( **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها** ) النساء / ٧٥ ، ويحذر الرسول الكريم من أن يقف أحد المسلمين موقفا يضرب فيه رجل ظلما ، بأن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدافعوا عنه ، كما روى الطبراني ، كما يحذر من الظلم بصفة عامة ، فيقول الرسول الكريم : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » رواه مسلم ، وينذر القرآن الكريم الظالمين بانه لن يكون لهم يوم القيامة حميم ، ولا شفيع يطاع ، وينادي الرسول الكريم بأعلى صوته يوم حجة الوداع قائلا : « ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ثم يقول : ألاهل بلغت فيقولون : نعم ، فيقول : فليبلغ الشاهد منكم الغائب » رواه البخاري .

وإذا كانت المذاهب المختلفة تدعو إلى سلام الانسان مع الانسان ، فان الاسلام يدعو الى سلام الانسان مع الوجود كله ، سلام الانسان مع الانسان وسلام الانسان مع الحيوان ، وسلام الانسان مع النبات ، وسلام الانسان مع الجماد ، لأن كل هذه الأشياء مخلوقة لله ، والانسان خلقه الله ــ سبحانه

وتعالى ـ ليكون خليفة له في الأرض ، وقد سخر له الارض وما عليها ، ومن هنا وجدنا الحقوق ليست قاصرة على الانسان ، وإذا كانت الدول المتحضرة في العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الانسان ، فان الاسلام قد فرغ من هذا كله منذ أربعة عشر قرنا ، وزاد عليه كثيرا ، ومن هنا وجدنا الرسول الكريم يقول : « في كل ذات كبد حرى أجر » رواه احمد وابن ماجة وما حديث المرأة التي عذبت هرة لها فحبستها عنا ببعيد ، وكذلك حديث الرجل الذي سقى الكلب من البئر حين وجده عطشان فغفر الله له .

بل إن الاباحة في ذبح الحيوانات إنما هي مرهونة بمصلحة الانسان ، فالاسلام يمنع من عقر حيوان إلا للأكل ، ومن هنا كان النحر باسم الله تعالى الذي أباح لنا هذا الذبح للأكل ، ولذلك كان جعل الطائر هدفا للعب أو للتسلية غير جائز على الاطلاق .

والاسلام يحرم على المسلم أن يطأ بقدمه كسرة خبز ، أو ما يؤكل مما يفيد الانسان أو غيره ، من مخلوقات الله تعالى ، لأن في ذلك امتهانا للقمة التي حماها الله ، فاحترام النعمة والمحافظة عليها سببه حاجة مخلوق من مخلوقات الله تعالى من ناحية ، وتقدير لجهد عامل من ناحية أخرى ، وإلى جانب ذلك فيه ابتعاد عن الاسراف ومنع للفساد .

ولو قارنا هذا بما يحدث في أميركا مثلا لوجدنا البون شاسعا ومن ذلك ما ذكرته الاحصاءات الأميركية ، إلى أن ما يلقى بالقمامة في عام واحد بالولايات المتحدة يكفي العالم الثالث الجائع لمدة عام كامل .

وحتى الجماد في الاسلام له حقوق ، ذلك لأن الاسلام دين البناء وعمارة الارض ونشر المعاني والقيم الالهية فيها ، وقد سمي النبي صلوات الله عليه عمامته « السحاب » تكريما لها .. ولكنهم في الغرب يهدمون ، ومن ذلك أنهم حين يريدون أظهار الفرح في عيد الميلاد مثلا ، فانهم يحطمون الزجاجات والكئوس .

الاسلام يبني ، والحضارات الحديثة تهدم ، وتلك هي الخلفية الثقافية لكل ما يقومون به في هذه الحياة .

وإذا كانت الحضارات الحديثة تفتقر الى العدالة ، فان الاسلام يطلب الرحمة ، لا العدالة فقط لجميع المخلوقات في هذه الحياة ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، والرسول صلوات الله عليه يطلب من المسلمين جميعا أن يرحموا من في الأرض حتى يرحمهم من في السماء .

**الاسلام وحقوق الانسان :**

منذ أربعة عشر قرنا أعلن الاسلام حقوق الانسان كاملة ، والاسلام حين يعلن هذه الحقوق فانما يعلنها باسلوبه الخاص ثم يطبقها التطبيق السليم ، ذلك لأن هذا الاعلام صادر من رب الناس جميعا وهو أدرى بهم وبما يصلح لهم لأنه خالقهم ، ثم إنه ليس بينه وبين أحد منهم صلة إلا العمل الصالح والمسلمون حين



يطبقون هذا فانما يبدءون بتطبيقه من داخل النفس أولا لأنهم يتقربون به إلى الله تعالى ، وهو أعلم بما يسرون وما يعلنون .. أما الاعلانات العالمية أو غيرها فان الذين يقومون بها هم ناس لهم خلفياتهم الثقافية والحضارية التي ينطلقون منها ، ولهم نظرات خاصة ومصالح لا يستطيعون أن يتفلتوا منها ، وهم إن استطاعوا أن ينطلقوا أحيانا انطلاقا سليما من الناحية النظرية فان هذا الانطلاق لا يلبث ان ينحرف في التطبيق بما تقتضيه مصالحهم الخاصة أو على الأقل يتعثرون في تطبيقه تعثرا طويلا ، بحيث لا يظهر لهم تطبيق سليم على امتداد التاريخ في كافة المجتمعات .

وحقوق الانسان كلها في الاسلام تبدأ من وحدانية الله تعالى ، الذي خلق البشر جميعا ، وكرمهم وفضلهم على جميع مخلوقاته ، ورسم لهم المنهج الذي يسيرون عليه لتحقيق رسالتهم في هذه الحياة وطلب منهم ان يطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منهم في الحدود التي رسمها الاسلام .. وكان هذا هو الاعلان الأول لتخليص البشرية مما ران على الأنظار من سلطات الكهنوت ، والوساطة بين الله وخلقه ، ومن صفات القداسة التي ادعاها الملوك والرؤساء ، ومن انحطاط العقل وترديه في الاعتقاد بألوهية حجر أو بقر أو نجم أو شمس أو غير ذلك ، فنادى الناس جميعا : ( **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ) النساء/١

ومحمد الرسول صلوات الله وسلامه عليه طلب من أصحابه ألا يعاملوه معاملة خاصة ، قد تتحول في يوم من الأيام إلى لون من ألوان التقديس ، فيقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبدالله ، ورسوله ، فقولوا عبدالله ورسوله » رواه الدارمي ويبين الرسول الكريم لهم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا ، وأنه لا يعلم الغيب ولو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ، وما مسه السوء ، إن هو إلا نذير وبشير للناس جميعا ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. فأساس التفاضل في الاسلام العمل الصالح ، لا الغنى ، ولا المواطنة ولا الحسب والنسب ، ولا غير ذلك من معاني الجاهلية ، وإن كانت الدول الاسلامية في العصر الحاضر متأثرة بالمفاهيم القومية البعيدة عن الاسلام إلى حد كبير وهو جزء من الثقافة وجزء من الحضارة المستوردة .. وكل إنسان مسئول عن عمله ، وكل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزر وازرة وزر اخرى ، وهكذا يجد المسلم نفسه في ظلال الاسلام ، وحتى النبي عليه الصلاة والسلام حين طمع في أن يؤمن بعض أشراف قريش فتستفيد الدعوة منهم ، ولم يلتفت إلى عبدالله ابن أم مكتوم عاتبه رب العزة على هذا عتابا قاسيا بقوله : ( **عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى** ) عبس /١ ــ ١٠ وكان بعد ذلك يلقاه مرحبا به ويقول : « أهلا بمن عاتبني فيه ربي » وطلب رب العزة من النبي عليه الصلاة والسلام ان يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

يريدون وجهه:( **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ) الكهف /٢٨ .

**حرية العقيدة :**

والاسلام يعلن حرية العقيدة للناس جميعا فيقول في كتابه الكريم : ( **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** ) البقرة / ٢٥٦ ويبين مهمة رسوله الكريم في قوله : ( **إن أنت إلا نذير** ) فاطر / ٢٣ ويطلب من رسوله ألا يحزن على الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم:( **يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ) المائدة /٤١ ويعاتب نبيه الكريم لشدة حرصه على إيمان الناس حتى يكاد يهلك نفسه ، فيقول له : ( **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ) الكهف/٦ ، ثم يقول بعد ذلك : ( **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ) الكهف /٢٩ وفي النهاية طلب منه أن يعلن للناس جميعا أنه بشر مثلهم يوحي إليه : ( **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ) الكهف / ١١٠ .

وهو يدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل قومه بالتي هي أحسن ، فيقول : ( **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ) النحل /١٢٥ .

والاسلام مع المجتمعات الأخرى دعا إلى الحوار الهادىء السلمي الذي يحفظ لكل إنسان حقه في المناقشة ، وابداء وجهة النظر ، وقد طلب البدء بنقاط الاتفاق لأنها تسهل مهمة الحوار بين الأطراف الأخرى:( **قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ) آل عمران / ٦٤

والاسلام طلب من كل داعية أن يكون هادىء الطبع ، لين العريكة ، وفي ذلك يقول الله تعالى لنبيه : ( **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك** ) آل عمران / ١٥٩ . ويطلب منه ان يعفو عن أخطائهم ، وأن يستغفر لهم ، وقد حرم الاسلام القتال من أجل الاكراه في الدين ضمانا لحرية الاعتقاد ، ولكنه أعلن الجهاد من أجل حرية كلمة الخير والحق ، وهذا ما لم تفعله أي دولة من الدول ، او منظمة من المنظمات وحتى على مستوى الأسرة لكل فرد فيها حرية العقيدة ، ومما يدل على ذلك أن رجلا من الأنصار ، من بني سالم بن عوف ، وكان له ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدما إلى المدينة في نفر من النصارى فلزمهما

ابوهما وقال لهما : لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال الرجل : يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا انظر ؟ فنزلت الآية الكريمة : **( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها )** البقرة / ٢٥٦ ، والاسلام يهتف : **( قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل )** يونس / ١٠٨ ، والاسلام أقام الحرية على دعامتين : الدعامة الأولى حرية التفكير والدعامة الثانية حرية الرأي ، فأما حرية التفكير فان الاسلام يحث عليها ويطالب بها وذلك بأن يسير الناس في الأرض وينظروا ما فيها ثم يفكروا في مخلوقات الله وفي دلائل عظمته ، فقد يكون هذا سببا في إيمانهم ، فيقول : **( ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون )** الروم / ٢٠ كما يقول : **( أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم )** الأعراف / ١٨٥ كما يقول : **( أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت )** الغاشية / ١٧ ــ ٢٠ ، وقد نعى على الذين يتمسكون بما وجدوا عليه آباءهم وقالوا : **( إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم )** الزخرف / ٢٣ و ٢٤ .

وأما حرية الرأي فتظهر في أن يقول كل إنسان رأيه في حرية تامة ، ويظهر هذا في التشاور ، وفي الخطابة ، وفي أجهزة الدعاية والاعلام ، وما إلى ذلك .

وفي معركة بدر قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال الحباب رأيه بصراحة : فان هذا ليس بمنزل ، هكذا يقول الحباب في منتهى الوضوح لرسول الله : إن هذا ليس بمنزل ويقول رأيه ، ويأخذ به النبي عليه الصلاة والسلام ، ويغير في أماكن المعركة بما قال الحباب/سيرة ابن هشام .

ومن ذلك ما قالته امرأة لعمر بن الخطاب حين أراد ان يحدد مهور النساء .. كيف تفعل ذلك والله يقول : **( وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا )** النساء / ٢٠ ، فلا يملك عمر إلا ان يقول : أصابت امرأة واخطأ عمر .

بل إن رجلا من عامة المسلمين يقول لعمر بن الخطاب والله لا نسمع ولا نطيع ، وذلك حين يقول عمر : ايها الناس اسمعوا وأطيعوا ويسأل عمر عن السبب فيعرف أن عمر يلبس لباسا طويلا هو رجل طويل لا يكفيه نصيبه الذي أخذه ، وحين يطمئن الرجل إلى أن امير المؤمنين أخذ جلباب ابنه عبدالله فأضافه إلى لباسه يقول الرجل : أما الآن فاننا نسمع ونطيع .

والاسلام يطلب ان يقول المسلم كلمة الحق في اي موطن ويجعل افضل الجهاد أن

يقول الرجل كلمة الحق عند سلطان جائر ، يخشى منه على نفسه ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه ابو داود ، وذلك يدل على مدى اهمية كلمة الحق في كل وقت وفي كل زمان .
ولكن الاسلام ــ مع ذلك ــ يطلب أن تكون كلمة الحق في إطارها السليم الذي يبني ولا يهدم ، والذي يخدم المجتمع الاسلامي بل والمجتمع الانساني كله ، يقول الله تعالى : **( يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم )** الأحزاب / ٧٠ و ٧١ وأن يكون الرأي في لفظ حسن وأعصاب هادئة ، لان المسلم ليس بالسباب ولا اللعان ولا الفاحش البذئ.
والمؤمنون الذين يرضى الله عنهم من صفاتهم أنهم يقولون قولا طيبا ، قال تعالى : **( وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد )** الحج / ٢٤ .
وحرية الرأي في النهاية لها آثار كثيرة ، فهي تؤثر في كيان الفرد ، كما تؤثر في كيان المجتمع فبها يثق الفرد في نفسه ، ويثق أفراد المجتمع بعضهم ببعض ، كما يثق الحاكم في الأمة وتثق الأمة في الحاكم ، ويسعى الجميع للبناء ، البناء السليم المتكامل .

**المساواة :**

والمساواة بين الناس جميعا مشكلة حارت البرية فيها ، ولكن الاسلام حلها في سهولة ويسر وذلك حين خاطب الناس جميعا ، وبين لهم انهم من أب واحد وأم واحدة وإذا كان قد جعلهم شعوبا وقبائل ، فذلك ليتعارفوا لا ليطغي بعضهم على بعض ، ولا ليستعبد بعضهم بعضا ، وهذا يقتضي المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين أفراد البشرية : **( يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير )** الحجرات / ١٣ .
وفي فتح مكة نادى النبي صلى الله عليه وسلم قريشا ، مذكرا لهم بنعمة الله عليهم ، إذ أبعد عنهم التفاخر بأحساب الجاهلية فقال : « إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء » رواه الترمذي .
وقد اصبح الناس في الاسلام نوعان : نوع بر تقي فهو كريم على الله، ونوع فاجر شقي فهو هين على الله ، وكان مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم » رواه البخاري .
وقد وعى المسلمون الدرس جيدا ، وطبقوه رائعا في جميع مجالات الحياة ، وحين قال أبو ذر لرجل : يا ابن السوداء ؟ وقال له النبي الكريم : « طف الصاع طف الصاع ، ليس لاحد فضل على أحد الا بالدين أو عمل صالح » رواه احمد.أدرك أبو ذر ما وقع فيه من خطأ وسارع بالاعتذار الصادر من القلب حتى إنه قال للرجل : ضع قدمك على خدي ، يريد أن يكفر بذلك عن خطئه .

والشعائر الاسلامية كلها تعمق هذه المعاني في نفوس المسلمين جميعا فصلاة الجماعة والصيام والحج كلها تعمل عملها في تعميق المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامي .

وفي الولايات المتحدة الأميركية لا تزال الفروق قائمة بين المواطنين على أساس اللون والجنس وهي قمة الديمقراطية والحضارة في العصر الحديث ، فصاحب البشرة البيضاء أسمى منزلة ، وأعلى قدرا ، من صاحب البشرة السوداء ، ولا مساواة بين الاثنين أمام القانون ولا في التمتع بالحقوق ، وإن كان الاثنان يحملان الجنسية الأميركية ، والقانون يحمي هذا التمايز ويقره ، بل إن بعض الولايات الأميركية تنص دساتيرها على أن النكاح من شخص أبيض وآخر زنجي يعتبر نكاحا باطلا ، وتنص على أن كل من يطبع أو ينشر أو يوزع ما فيه حث للجمهور أو مجرد اقتراح في هذا السبيل يعتبر عمله جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار ، أو بالسجن مدة لا تتجاوز ستة أشهر ، أو بهاتين العقوبتين .

وبلغت المساواة ذروتها حين يقول الرسول الكريم : « سلمان منا أهل البيت » رواه الحاكم ولا يجد عمر بن الخطاب ما يمنعه من أن يقول : « ابو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا » وهو يقصد بلالا كما يقول حين حضرته الوفاة :"لو كان سالم مولى أبي حذيفة لاستخلفته » وقد أنتجت هذه المساواة الاطمئنان والمحبة التي سادت المجتمع الاسلامي فاصبح المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، كما أصبح التكافل بين أفراد المجتمع الاسلامي كاملا من جميع النواحي .

**العدل :**

العدل بكل جوانبه أساسي في الاسلام ، العدل واجب بالنسبة للفرد مع نفسه ، وفي ذلك يقول الله تعالى : **( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا )** القصص / ٧٧ ، ويقول الرسول الكريم لأحد الصحابة : « إن لبدنك عليك حقا » رواه البخاري ، كما أن العدل حق بالنسبة للمسلم على المسلم ذلك لأن « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه البخاري ، كما أنه حق بالنسبة للناس جميعا ، والله سبحانه وتعالى يقول : **( إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغـي )** النحل / ٩٠ .

والعدل في الاسلام واجب على كل فرد ، وواجب على الجماعة ، والله سبحانه وتعالى يأمر بذلك : **( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل )** النساء / ٥٨ ، كما أنه سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين جميعا أن يكونوا قوامين لله شهداء ، بالقسط ، تحت أي ظرف من الظروف ، ولو كان مع أناس يكرهونهم ، فالعدل لله سبحانه وتعالى : **( يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا**

**تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون )** المائدة / ٨ .

والعدالة الاسلامية لا تعرف العواطف ، فحتى لو كان الخصم قريبا أو صاحبا ، او والدا ، أو غنيا أو فقيرا ، فالقاضي أو الشاهد لا شأن له بذلك ، والله أولى بالجميع:( **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا** ) النساء / ١٣٥ .

ويعرض الرسول الكريم مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، يبين مدى خسارة الظالم في الدنيا ، فيقول لأصحابه : أتدرون من المفلس ؟ فيقولون على حسب فهمهم : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ، فيصحح النبي عليه الصلاة والسلام هذا المفهوم بقوله : « المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وصيام وزكاة .. ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » رواه مسلم ، ولذلك فان النبي الكريم كان يقول « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » رواه البخاري ، وقد وعي المسلمون هذه المعاني جيدا ، ولذلك فانهم حين قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قالوا : « يا رسول الله ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ » مع أن هذا المعنى قبل الاسلام كان لا يثير سؤالا لأن معناه كان واضحا ومطبقا عندهم فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أن تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره » رواه البخاري والترمذي واحمد .

فالعدالة اذن من أسس المجتمع الاسلامي ، ولقد طبقت هذه المعاني تطبيقا رائعا شهد له الأعداء والأصدقاء على السواء .

ويسير المسلمون على هذا النهج رافعين راية العدالة المطلقة ، ولقد تعجب من ذلك جعد بن هبيرة فقال لعلي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو استطاع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ، فلهزه علي رضي الله عنه وقال : ان هذا شيء لو كان لي لفعلت ولكن إنما ذلك شيء لله .

وحين جاء يهودي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يختصمان في درع الى شريح القاضي ، ولم يكن عند أمير المؤمنين بينة ولا شهود فحكم القاضي لليهودي فقال اليهودي : هذه أحكام الأنبياء ثم اعترف بان هذه الدرع لأمير المؤمنين سقطت منه فأخذها ، وأسلم اليهودي فوهبها له علي بن أبي طالب .

**خاتمة :**

ترى لماذا نجح الاسلام في إعطاء كل فرد في المجتمع حقوقه الانسانية كاملة ، بينما فشلت المجتمعات كلها قديمها وحديثها ، في تحقيق هذه المبادىء على مستوى عام ؟

سؤال صعب ولكن لا بد من الاجابة عليه .. لعل السبب في ذلك أنه أولا أوامر صادرة من الله سبحانه وتعالى لا وصايا ، أوامر تشريعية مقررة بنصوص تشريعية لضمان تنفيذها بقوة الضمير النابع من داخل المسلم امتثالا لأوامر الله أولا ، وبقوة القانون الاسلامي ثانيا ، وقد جعل الاسلام تقدير العقوبة لرجال السلطة والقضاء كلما انتهكت هذه الحقوق ، وهو ما لم يصل إليه نص من نصوص الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ولا نصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للانسان فهي لا تخرج عن كونها توصيات أدبية .

وقبل هذا كله فالمسلم يعلم أن له رسالة في هذه الحياة وهي تحقيق خلافة الله في الأرض ، وهي خلافة قائمة على أساس التساوى الكامل بين الناس جميعا ، وفي الوقت نفسه خلافة ليس فيها وساطة بين العبد وربه تحت أي ظرف:( **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ) البقرة / ١٨٦ ، خلافة ملتزمة بمبادىء شريعة الله التي تحقق المصلحة العامة للناس جميعا ، والقانون وحده لا يصل الى كل إنسان ولا يمكن أن ينفذ إلا في ظروف خاصة ، ومن هنا فقد كان الاحسان أساسيا في الاسلام ومعناه أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فان الله يراه كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه البخاري .. ومن هنا أطلق الاسلام على الدعوة الاسلامية تعبيرا دقيقا يدل على مدى ملاءمة الاسلام للمجتمعات فقد أطلق على دعوته : الدعوة إلى الحياة .. الحياة الحرة الكريمة ، الحياة التي يحقق فيها المسلم رسالته على هذه الأرض يقول الله تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ) الانفال / ٢٤ . فقد اعتبر الاسلام حل تلك المشكلات الانسانية الحيوية ملازما لدعوة الله في الأرض والايمان بالله رب العالمين ، وقد تنبهت إلى ذلك الدكتورة « لورا فاجليري » فقالت في كتابها تفسير الاسلام : ( تحررت الروح من التعصب ، وتحررت إرادة الانسان من الروابط التي طالما ربطتها بارادة الاخرين ) .

والاحساس بالتفوق العقائدي عند المسلم هو سر بقاء الأمة الاسلامية وعصمتها من الفناء رغم وقوعها تحت النفوذ الساحق لخصمها الشرس الذي يملك من وسائل التغريب بل والافناء والتدمير ما لم يتح لمنتصر على طول العصور .

**ولن يعطي الانسان حقوقه في هذا العالم الممزق إلا إذا اتبع شريعة الاسلام ، وطبق تعاليمها ، حينئذ يتغير وجه المجتمع ، ويحس كل فرد من أفراد الانسانية انه قد ولد من جديد ، وعاش حياة ملؤها السعادة والاطمئنان .**

# المحصرون في الحج أو العمرة

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

وهؤلاء هم الذين نزل فيهم قوله تعالى : **( فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله )** البقرة/ ١٩٦ وفيهم أيضا ورد الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( قد أحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق وجامع نساءه ونحر هديه .. حتى اعتمر عاما قابلا ) والترتيب هنا بين الحلق والجماع والنحر غير مراد للراوي والواو العاطفة بين هذه الأمور الثلاثة لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا .. بدليل حديث المسور بن مخرمة في البخاري : ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر قبل أن يحلق وأمر أصحابه بذلك ) وهذه الرواية تحكى فعله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية ، وهي التي أحصره فيها الأعداء ومنعوه عن دخول مكة هو وأصحابه ظلما وبدون وجه حق .. وفي هذا الموضوع المطروح للبحث جاء أيضا حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه قالت : ( دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير ابن عبدالمطلب فقالت : يا رسول الله .. إني أريد الحج وأنا شاكية ( أى عرضة للمرض ) فقال النبي

صلى الله عليه وسلم : حجي واشترطي : أن محلي حيث حبستني ) أى خذي شرطا على ربك وقت إيقاع الاحرام بأنه لو أصابك مرض مانع من اتمام النسك كان من حقك في أى مكان أن تتحلى من الاحرام مجانا وبدون هدى يجب علي تقديمه للخروج من الاحرام .. وهذا منتهى اليسر لمن حضره مرض أو غيره حيث يكفيه أن ينوي بقلبه التحلل في نفس المكان الذي أحصر فيه بعد يأسه من الخلاص ، وظنه بفوات النسك في موعده المناسب .. وبه أخذ أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

ومما ورد في هذا الموضوع كذلك حديث عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال : ( قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل ) رواه الخمسة وحسنه الترمذي . إلا أن أكثر العلماء لم يتقبلوا رواية عكرمة هذه .. فتكون محاور هذا الموضوع التي يدور حولها البحث هي الثلاثة الأحاديث الأول .. لأنها في الصحيح ، وفي خصوص الاحصار .. فضلا عما تدل عليه الآية الكريمة السابقة عليها .. فالآية تنص على أن من أحصر أى منع بعد الاحرام من إتمام ما أحرم من أجله من حج أو عمرة أو هما معا بأى سبب من الموانع يستوي في ذلك العدو والمرض والخوف وموت المحرم المرافق للمرأة أو الزوج ، وفقدان نفقة أو ضلال عن الطريق .. عملا باطلاق كلمة الاحصار .. إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقرر علماء أصول الفقه ، وإحصار الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وقع عام الحديبية في السنة السادسة من الهجرة وإن كان سببه تصدي الأعداء بالقوة المسلحة .. إلا أنه يعتبر واحدا من مفاهيم الاحصار وليس هو كل ما يدل على الاحصار .. ولذا لا يتقيد به النص القرآني العام .. أقول : إن من أحصر وغلب على ظنه طول الاحصار بحيث يفوت منه المقصود .. ويلحقه الضيق والحرج لو بقي مقيدا باحرامه فانه يتحلل من هذا الاحرام بذبح ما تيسر من الهدى وأقله شاة ، وأنه لا يحلق رأسه ليخرج بذلك الحلق من احرامه إلا بعد ان يبلغ الهدى مكان حله ويذبح في الحرم .. هذا هو منطوق الآية بحسب ظاهرها .. إلا أن نظرة الفقهاء لهذه الآية الكريمة مع ما احتف بها من الأحاديث السالفة الذكر جعلتهم يخرجون على الناس بآراء شتى : — أولها وهو من أيسرها ما ذهب إليه مالك رحمه الله تعالى من أنه لا دليل في لفظ الآية على الوجوب وأقل ما تفيده هو الندب للذبح ويستدل على ذلك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان قد نحر هديه في الحديبية قبل أن يحل لكن صحابته لم يكن معهم جميعا هدى .. ولم يأمرهم به ولا ببدله من إطعام أو صيام ، ولم يعلم أنه أمرهم بقضاء شئ .. أو العودة بشئ .. والذي حدث أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما ذبح هديه وتحلل ورجع في العام السادس الهجري الى المدينة

عاد في العام السابع معتمرا عمرة أخرى قد تكون قضاء عن السابقة ، وقد تكون مبتدأة ، وقد علمنا من تواطؤ الأحاديث أنه عاد معه بعض الصحابة .

وتخلف عنه البعض بلا ضرورة داعية .. أو سبب ملجئ الى التخلف .. فلو لزمهم قضاء أو غيره لأمرهم به ، ولا يلزم بالضرورة أن تكون العمرة الثانية قضاء عن الأولى ، وان سميت عمرة القضاء لأنه يحتمل أنها سميت بذلك كما سميت بعمرة القضية للمقاضاة التي وقعت بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، ولا دليل في سوق الهدى على الوجوب لأنه صلى الله عليه وسلم ساقه من المدينة متنفلا به قبل أن يقع الاحصار ، وهو المعنى في قوله تعالى : **( والهدى معكوفا أن يبلغ محله )** الفتح / ٢٥ فالآية ليس فيها دليل على الوجوب بل فيها دليل على الوقوع المحتمل للوجوب أو الندب ، فيثبت الأقل منهما وهو الندب .. أخرج مالك في موطئه بلاغا : ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل هو وأصحابه بالحديبية ، فنحروا الهدى وحلقوا رءوسهم وحلوا من كل شئ قبل أن يطوفوا بالبيت وقبل أن يصل إليه الهدى ) .. وقد حمل مالك الآية الكريمة على حال من ساق الهدى معه قبل وقوع الاحصار له كما وقع للرسول .. وأنه إن تيسر إرساله إلى الحرم لذبحه هناك وجب عليه إرساله .. وإن لم يتيسر .. ذبحه حيث وقع الاحصار في أى زمان أو مكان .. وهكذا ينتهي المذهب المالكي في الاحصار إلى ما يأتي :

(١) الاحصار كما يكون بالعدو يكون بغيره .

(٢) التحلل يكون بمجرد النية القلبية ما دام الاحصار ظلما أو على الرغم منه .

فمتى نوى الخروج من الاحرام في حال إحصاره صار حلالا .. فلا يحرم عليه شئ مما كان يحرم على المحرم .

(٣) الحلق في هذه الحال سنة وليس بواجب .

(٤) الهدى وذبحه وإرساله إلى الحرم ليس بواجب في الاحصار في حال عدم سوقه معه .

(٥) من ساق معه هديا قبل وقوع الاحصار وجب عليه إرساله إلى الحرم ليذبح فيه ثم يتحلل ... وهذا إن تيسر إرساله .. فان لم يتيسر ذبحه حيث كان وفي أى زمان .

(٦) يحمل قوله تعالى : **( فان أحصرتم فما استيسر من الهدى )** على حال سوق الهدى فقط .

(٧) في كل الأحوال يجب عليه القضاء من قابل وجوبا في الحج .. وندبا في العمرة وعليه هدى لفوات الحج يؤخره إلى سنة القضاء .

والحكمة المستوحاة من هذا التحلل المبكر هو رفع الحرج المتوقع من استدامة الاحرام لأجل غير مسمى .

أما الحنفية فقد رأوا أن الاحصار شامل لكل الموانع من عدو أو مرض أو خوف أو نحوه عملا بعموم كلمة الاحصار .. إلا أنهم يوجبون إرسال

الهدى وأقله الشاة إلى الحرم لتذبح في أى جزء منه ويواعد من يرسل الهدى معه على زمان معين لايقاع الذبح فيه بحيث لا يحل المحرم قبل هذا الوقت .. وبحيث لو حل وظهر فيما بعد أن الهدى لم يذبح في وقته المعين وجب عليه الجزاء ، ويرون في هذا الارتباط في الآية الكريمة بين الاحصار وبين ما استيسر من الهدى أسلوبا من أساليب الوجوب التي تميزت بها أساليب القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ( **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ) البقرة / ١٨٤ أى يجب عليه قضاء عدة .. وهذا محل إجماع .. ويستدلون لذلك بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين منعه الكفار حيث ذبح هديه أولا ثم تحلل ثانيا وأمر أصحابه الذين كانوا معه بذلك والأمر دليل الوجوب عند الاطلاق .. وأما ما سكت عنه ولم يبين بعد ذلك من أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بعض الصحابة بشئ .. فهو أمر لا دليل عليه إذ السكوت عن الحكم لا يفيد حكما .. ويرون كذلك أن ثمن الهدى يقوم مقامه في حال فقدانه وحينئذ يشتري به الهدى ليذبح في الحرم في الوقت المحدد للذبح حتى يتسنى إيقاع التحلل بعد الذبح لا قبله ، وأما الحلق عندهم فليس بشرط وإن كان حسنا لأن التحلل هنا بالذبح ما دام لم يدرك مكة بعد انقضاء يوم عرفة الى فجر العاشر .. أما لو أدرك مكة بعد انقضاء يوم عرفة فانه حينئذ لا يتحلل بالذبح بل بالعمرة وهذه العمرة لا تجزئ عن عمرة الاسلام بل هي عمرة التحلل .. ثم إن كان مفردا بالحج في حال الذبح فعليه من قابل حجة وعمرة .. وان كان مفردا بالعمرة فعليه وجوبا عمرة مكانها فقط ، وان كان قارنا بعث بهديين : أحدهما عن التحلل من إحرام الحج والآخر عن التحلل من إحرام العمرة ، وعليه من قابل حجة وعمرة للقضاء وعمرة الاسلام ، وأبو حنيفة لا يرى التقييد بزمان مخصوص في ذبيحة التحلل من الاحصار لأنه يشبه دم العقوبة ولهذا لا يجوز الأكل منه وذلك لأن الآية الكريمة حددت المكان دون الزمان فان أكل منه تصدق بقيمة ما أكل .. حتى إذا لم يجد هديا ولا ثمن الهدى يبقى محرما أبدا حتى يجده فيتحلل به .. أو يبقى محرما إلى ان يفوت الحج بفوات موعده فيتحلل بأعمال العمرة .. فان استمر الاحصار حتى بعد فوات موعد الحج ، ولم يستطع الوصول إلى مكة ليتحلل بأعمال العمرة فعلى رأى أبى حنيفة المتقدم يبقى محرما أبدا .. ولكن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة يرى أن يقوم الهدى طعاما ويتصدق على كل مسكين بنصف صاع .. ويجوز التصدق بها جميعا لواحد .. أو يصوم مكان كل مسكين يوما فيتحلل بذلك .. وقد رواه أبو يوسف عن عطاء وقال في الأمالي : وهذا أحب إلي وإلينا أيضا .. وفي حال الاحصار كما اسلفنا لا يجوز التحلل بأعمال العمرة إلا بعد فوات يوم عرفة إلى فجر

## الكتاب الأول : أبو بكر الصديق

واجهت أبا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أربع محن : الشك في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .. والردة ومنع الزكاة .. والتنبؤ .. ثم الغارة المتوقعة من نصارى الشام ..

وقد تغلب عليها الخليفة الأول في خلافته القصيرة ( سنتين وبضعة أشهر ) .

وقد بايع المسلمون أبا بكر يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ، لما يعرفونه له من فضل : فهو أول من أسلم من الرجال ، وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، وهو من اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي بالناس حين ثقل عليه المرض .. ( ولم يعرف قط أن أبا بكر قال أو صنع شيئا ، يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم إلى ان مات ( الرسول ) ، ذلك إلى إيثاره المسلمين على نفسه ، وانفاق ماله في معونتهم ) .. ( وقد آثره النبي صلى الله عليه وسلم بحبه حتى كان أحب الرجال إليه .. ) .

[ والمهم أن أحدا لم يخالف على أبى بكر ، لا من بني هاشم ، ولا من غيرهم ، وكل ما يقال غير هذا ، إنما تكلفه المتكلفون بآخرة ، حين افترق المسلمون شيعا وأحزابا ] .

( والواقع أن القرآن لم يشرع نظاما لاختيار الخلفاء ، وأن السنة كذلك لم تشر إلى هذا النظام ، وانما تعود المسلمون نظام البيعة أيام النبي صلى الله عليه وسلم حين كانوا يبايعون على الاسلام بمكة قبل الهجرة ، وحين بايعه نقباء الأنصار ، على أن يؤووه وينصروه ، ويسمعوا له ويطيعوا ، وحين كانوا يبايعونه على مثل ذلك في المدينة ، فاستقر في نفوس المسلمين من أجل هذا ، أن الخلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجري أمرها مجرى سلطان النبي في حياته ، أى تقوم على المبايعة ) .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ، فقد كان التحلل من بيعته معناه ، النكث للعهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الله عز وجل ..

( .. اما بيعة الناس للخلفاء ، فهي عقد بينهم وبين هؤلاء الخلفاء ، لا يجوز لخليفة أن ينقضه .. ولا يجوز لأحد من الرعية أن ينقضه أيضا ، لأن الله يأمر بالوفاء بالعهد في غير موضع من القرآن ، فيقول مثلا في سورة الاسراء : **( وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا )** الاسراء/ ٣٤ .. فان نكث الخليفة عهده فانحرف عن الكتاب والسنة ، فلا طاعة له على رعيته ، ومن حقها أن تطالبه بالوفاء بالعهد ، فان لم يستقم

فلهم أن يبرأوا منه ، وأن يلتمسوا لهم خليفة غيره ، واذا بغى بعض الرعية فنقض عهده ، وجب على الخليفة أن يراجعه في ذلك ، والا قاتله ، حتى يفىء إلى أمر الله ) .

( وليس بد من أن تتم البيعة بين الخليفة والممثلين للمسلمين ، من أعلام الأمة وقادتها ، حتى حين يرضي الخليفة القائم لرجل من بعده ، كائناً ما يكون هذا الرجل ) .

( فلم يكن استخلاف أبى بكر لعمر إلا ترشيحا له ، ولم يكن ما انتهى إليه أمر الشورى من اختيار عثمان إلا ترشيحا له أيضا ، وكلا الرجلين لم يستطع أن يقوم بشىء من أمور المسلمين ، إلا بعد أن تمت البيعة بينه وبينهم ) .

( فالبيعة إذن هي الركن الأساسي للخلافة ، ومن أجل هذا كره المسلمون في صدر الاسلام أن تنتقل الخلافة من الآباء إلى الأبناء بالميراث ، على نحو ما كان الأكاسرة يصنعون ) .

......

وكان مما أعلنه أبو بكر إلى المسلمين بعد البيعة ، أنه متبع وليس بمبتدع ، ولذلك كان أول ما صنعه هو إنفاذ جيش أسامة إلى الشام ، حيث أمر رسول الله أن يمضي ، وبعد عودته سالما غانما ، أنفذ أبو بكر أحد عشر قائدا لحرب المرتدين ، ومانعى الزكاة ، منهم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، ذلك أن الجزيرة العربية كانت قد كفرت كلها ، إلا أفرادا من المسلمين ، ظلوا على دينهم ، ولكن الله أتاح للمسلمين النصر في وقت قصير .

( كل ذلك في هدوء أى هدوء كأن أبا بكر لم تعرض له محنة ، ولم تنتقض عليه العرب ، فقد أظهر أبو بكر في هذه المحنة أخص صفتين امتاز بهما ، وهما الاطمئنان إلى ما وعد الله في غير تردد ، أو تعرض للشك أو الوهن ، والثبات في حزم وعزم لما يلم به من المكروه ، حتى ينفذ منه ، ويمضي في أمر الله الى أن يبلغ النصر ) .

وقد كانت استهانة العرب المرتدين بالمسلمين عامة ، وبأبى بكر خاصة ، سببا في خروج أبى بكر عما عرف عنه من لين الجانب ، ورقة القلب ، وايثار الرفق على العنف ، إلى شىء كثير من العنف ، والشدة مع المرتدين .

......

وكان ثمة خلاف بين موقف الشيخين : أبى بكر وعمر ، بازاء خالد بن الوليد ، وقد أبلى بلاء حسنا في حروب الردة ، واستخلص العراق من أيدي الفرس ، ولكن كان به شىء كثير من العنف ، والاسراف في القتل ، كما كان محبا للتزوج ، وبه عجب وخيلاء .

( .. فقد نظر أبو بكر إلى أن خالدا رجل حرب ، والى أنه أبرع قواده ، والى ان الاسراع إلى عزل القواد أثناء الحرب مضيعة لمصلحة المسلمين ، ويوشك أن يوهن عزائمهم ، وان يفسد عليهم أمرهم بازاء العدو ) .

ولكن عمر ( .. كان يريد أن يكون

القواد حراصا أشد الحرص على العدل والنصفة ، وأبعد عن السرف والجور .. وكان أمر الدين ومثله العليا آثر عنده من أمر الحرب ، وما يكون فيها من انتصار أو هزيمة .. وما يكون فيها وفي أعقابها من إخافة للناس ، وترهيب لهم ) .

( .. ومن هنا أصر أبو بكر على الانتفاع بقوة خالد ، وعلى ملاحظته ، يكفكفه إذا تجاوز القصد في الحرب ، ويعنفه إذا تجاوز القصد في أمر من أمور نفسه .. ) .

.. في حين رأى عمر أن يعزل خالدا ، فلما أبى عليه ذلك أبو بكر سمع وأطاع ، حتى أتيح له في خلافته هو أن يعزله وأن يبعده عن الحرب حتى أدركه الموت ، وقد جاء عزل خالد ، وكان فور وفاة أبي بكر ــ وهو في الشام ، وقد تم له النصر على الروم ، وجعلت الامارة لأبي عبيدة .

......

ولم تتصل خلافة أبي بكر إلا سنتين وأشهرا ، كانت كلها خلافة حرب في الجزيرة العربية ، والعراق والشام ..

( .. ولا نعرف لأبي بكر شيئا امتاز به عن عمر ، في سياسة المسلمين الداخلية ، إلا أمرين اثنين .. أحدهما : أن الفيء كان يأتيه بعد انتصار قواده في حروب الردة ، وبعد انتصار خالد في العراق .. ) .

وكان أبو بكر لا يفرق في القسمة بين السابقين إلى الاسلام ، والمجاهدين مع الرسول وغيرهم ، وقد خالف عمر هذا المذهب .

وثانيهما : أن أبا بكر بخلاف عمر ..

( .. لم يرم الفرس والروم في العراق والشام ، إلا بمن ثبت على إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يمنع العائدين من ردتهم إلى الاسلام ، من المشاركة في الفتح عقوبة لهم من جهة ، واشفاقا منهم من جهة أخرى ) .

......

وأمر آخر لم يقبل عليه أبو بكر ــ عن مشورة عمر ــ إلا بعد تردد ، وهو جمع القرآن ..

وقد كلف بذلك زيد بن ثابت ، وكان يكتب الوحي للرسول بالمدينة ، فاجتمع بذلك أول مصحف كتب فيه القرآن ، وقد ظل هذا المصحف عند الشيخين ــ أو عند عمر وحده ، ثم عند حفصة أم المؤمنين ، حتى طلبه منها عثمان ، واعتمد عليه في نسخ المصحف الامام ، الذي أرسله إلى الأمصار .

وكان القصد من جمع القرآن ، هو حفظ نصوصه من أن تذهب بموت الذين يحفظونها في صدورهم ، أو يحتفظوا بها مكتوبة ، أما المصحف الامام فقد أريد به جمع الناس على قراءة لا يختلفون فيها .

......

وتوفي أبو بكر رحمه الله يوم الاثنين ، لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وكانت سنه ثلاثا وستين سنة ، وقد استوفى بها سن رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

وفي مرض وفاته ، أدى أبو بكر للاسلام والمسلمين أجل خدمة ، أداها رجل بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي استخلافه عمر بن الخطاب .

......

## الكتاب الثاني .. عمر بن الخطاب

( ليس عجيبا أن يقول ابن مسعود فيما تحدث عنه الرواة : « كان إسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة » .. وكلمة ابن مسعود هذه على اختصارها ، هي أدق وصف يختصر حياة عمر منذ أسلم إلى أن توفى ، فقد كان إسلامه فتحا حقا ، لأنه أتاح للمسلمين أن يعلنوا دينهم ، وأن يصلوا أمام الملأ من قريش وهم آمنون ، وكانت هجرته نصرا ، فقد كان أنصح أعوان النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة لله ورسوله والمسلمين ، وأغلظ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على اليهود ، والمنافقين ، وكانت إمارته رحمة ، فقد أتاح للمسلمين أثناء خلافته لونا من الحياة ، ما زالت الأمم المتحضرة الآن في الغرب مقصرة عن بلوغه ، على شدة ما تجتهد وتجاهد في سبيله ، وما زال المسلمون في هذه الأيام يرون هذا اللون من الحياة ، التي أتاحها عمر للناس حلما ، ولا يدرون متى يصبح حقيقة ، على ما أتيح لهم ، وما يتاح لهم ، في كل يوم من الوسائل ، التي تعينهم على تيسير الحياة .. ولم يكن عمر يملك من هذه الوسائل شيئا ) .

......

وقد أسلم عمر في السنة السادسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سنه ستا وعشرين سنة .

وكثيرا ما نزل الوحي مطابقا لرأى عمر : في تحريم الخمر ، والحجاب ، وعدم الصلاة على المنافقين الفاسقين ، ورفض الفداء ، وقتل الأسرى ، وفي حرمة بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

أما مراجعته لأبى بكر في خلافته ، فقد أثبتت التجربة في غير قليل من الحالات صواب رأيه .

......

وفي خلافته البالغة عشر سنين وأشهرا ، تم فتح العراق ، وبلاد « كسرى يزدجرد » إلا أقلها بقيادة سعد بن أبى وقاص ، وتم فتح الشام بقيادة عبيدة بن الجراح ، وأمر عليها معاوية بن أبى سفيان ، وعقد بنفسه الصلح مع بيت المقدس ، كما فتحت مصر وبرقة بقيادة عمرو بن العاص .

وكان عمر أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من اتخذ عام الهجرة بدءا للتاريخ الاسلامي .

وكان يتلقى — أكثر جدا مما يتوقع — أخماس الغنائم ، وخراج أرض المعاهدين ، وجزية المغلوبين ممن لم يسلموا ، وأشار عليه الوليد ابن هشام بن المغيرة بالرأى الصواب وهو ألا يقسم المال على الناس لغير غرض معروف ، وانما لتجنيد الجنود .. ولذلك كلف من كتب الناس على قبائلهم ، ثم يدخر ما يفيض بعد

عطاء الجند ، وعطاء أسرهم ببيت المال ، ليكون عدة للأحداث .

......

وبخلاف أبي بكر ــ كما سبق القول ــ فقد فرق عمر بين الناس في العطاء ، على أساس اختلافهم في السن ، وفي درجة القرابة للنبي ، والقرب منه ، والسبق إلى الاسلام ، والمشاركة في الغزوات ، والانتماء إلى المهاجرين ، أو الأنصار ، وقد بلغ بالعطاء اللقيط والطفل منذ ولادته ، دون انتظار فطامه .

( .. ونظام العطاء هذا كما فرضه عمر جديد من جميع نواحيه ، لا نعرف أن أمة من الأمم التي سبقت إلى الحضارة عرفته ، أو عرفت شيئا قريبا منه ، وما أظن أن الحضارة الحديثة وفقت إليه .. وكل ما وصلت إليه الحضارة الحديثة في بعض البلاد ، ووصلت إليه بأخرة ، هو التأمين الاجتماعي الذي تؤخذ نفقاته من الناس ، لترد عليهم بعد ذلك ) .

( .. على أن سياسة عمر هذه ، لم تتصل بعد وفاته ، إلا شطرا من حياة عثمان ، ثم عدل عن هذا النظام ، حين أنكر الناس على عثمان كثرة ما يعطي لبعض الناس ) .

وبذلك قصر العطاء على الجند والشيوخ ، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر يفرض العطاء للأطفال ، لأنه كان يرى ذلك حقا لهم ، وليس لتشجيع الناس على الاكثار من الولد ، كما تفعل بعض الدول الحديثة ، حين يقل بها عدد المواليد ، وتتعرض للنقصان ، وكان عمر يقول : « لئن زاد المال لأعدنه لهم عدا ، فان أعياني لأكيلنه لهم كيلا ، فان أعياني لأحسونه لهم بغير حساب » .

وفي عام الرمادة حيث اشتد الجدب تسعة أشهر ، كان يكثر من القول : « نطعم ما وجدنا الطعام ، فاذا لم نجد أدخلنا على كل أهل بيت عدتهم ، فشاركوهم في طعامهم فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم » .

......

وبلغت رعاية عمر لشئون الدين جملة على أن : [ يبتكر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أيام أبي بكر ، فهو الذي سن صلاة التراويح ، وهو من جعل حد شرب الخمر ثمانين جلدة ، بمشورة من علي بن أبي طالب ، ويكفي لكي نذلل على أن عمر لم يكن يخاف في الله لومة لائم ، أنه أقام الحد على ابنه عبد الرحمن الأوسط لشربه الخمر ، حتى مات فلم يظهر حزنا عليه ] .

وقد أنشأ نظام القضاء ، وعممه في الأمصار ، كما عمم ما كان قائما منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم من إرسال المعلمين إلى الأمصار ، ليقرئوا الناس القرآن ، ويعلموهم شرائع دينهم .

( وكان عمر أول من أخذ الدرة يؤدب بها الناس ، إن جاروا عن القصد قليلا ، أو كثيرا ، لا يفرق في ذلك بين كبار الصحابة ، وغيرهم من الناس ) .

( وقد هم عمر أن يكتب السنة ، فاستخار الله في ذلك شهرا ، ثم عدل عنه وقال : « ذكرت قوما كتبوا كتابا ، فاقبلوا عليه ، ونسوا كتاب الله » .. واذا دل هذا على شيء ، فانما يدل بنحو خاص ، على تردد عمر في رواية الحديث ، فكيف بكتابة ما حفظ و ، وما حفظ الناس من حديث النبي ، وكل هذا يصور احتياط عمر للدين ، وشدة حرصه على ألا يعرضه لشيء من الشك ، أو الخطأ ) .

......

( وكان يختار لولاية الأمصار أولى القوة والكفاية ، وان كانوا من الذين أسلموا بأخرة ، ويترك الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ) خوفا من ان يفتتنوا ، أو يفتنوا الناس ، كما كان يمنعهم ، ويمنع قريشا من الخروج إلى الأمصار للسبب نفسه ، وكان لا يولي عاملا إلا كتب ماله قبل أن يذهب إلى مصره ، فاذا عاد معزولا حاسبه ، فان وجد في ماله زيادة غير مقبولة ، قاسمه ماله .

......

وذات صباح من سنة ثلاث وعشرين ، وهو يسوى الصفوف للصلاة ، طعنه « أبو لؤلؤة » وهو عبد عجمي ، فجعل عمر أمر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة : علي ، عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وأمرهم أن يختاروا أحدهم ، وأن يحضرهم ابنه عبد الله وابن عمه سعيد ابن زيد بن عمرو ، على ألا يكون لهما في الأمر شيء ، وأمر ابنه عبد الله أن يضمنه في دينه لبيت المال ، فلم يمض الأسبوع على دفنه حتى أدى عبد الله الدين إلى عثمان .

وبوفاته ختم أروع فصل في تاريخ الاسلام والمسلمين ، منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر الدهر ..

( ولم يكن عمر يعرف قانونا ، إلا القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، ولم تكن له شرطة يستعين بها على حفظ الأمن والنظام ، ولكنه ساس المسلمين على نحو جعلهم جميعا شرطة له في المدينة ، وشرطة لولاته في الأمصار ) .

وقد ثار عبيد الله بن عمر لقتل والده ، وأسرع فقتل الهرمزان ، وكان ملكا من ملوك الفرس ، أو كبيرا من كبرائهم ، وجفينة وكان مسيحيا ، وصبية لأبى لؤلؤة كانت تزعم أنها مسلمة ، وقد عفا عثمان عن عبيد الله ، وأدى دية الرجلين والصبية ، فأنكر الناس ذلك ، وكان من أسباب الفرقة بين المسلمين .

وتوفي رحمه الله يوم الخميس ، وكانت طعنته الاربعاء .

( وقد أمر بالقصد في كفنه ، وأمر بألا يجعل في حنوطه مسك ، فدل ذلك على أن الشهداء إنما يدفنون على هيئتهم ساعة يقتلون ، إذا استشهدوا في ميدان القتال ، فأما إذا استشهد المسلم لأن عاديا أثيما عدا عليه فقتله ، فانما يجهز كما يجهز غيره من الموتى ، فيغسل ، ويكفن ، ويصلى عليه ، وكذلك كانت حياة عمر وموته مصدر نفع للمسلمين ) .

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

**« افترض الله تعالى علي وعلى امتي الصوم ثلاثين يوما ، وافترض على سائر الأمم أقل وأكثر ، وذلك أن آدم لما أكل من الشجرة بقي في جوفه مقدار ثلاثين يوما ، فلما تاب الله عليه أمره بصيام ثلاثين يوما بلياليهن ، وافترض علي وعلى امتي بالنهار وما نأكل بالليل بفضل من الله تعالى » .**

**موضوع :**
من رواته موسى بن نصر البغدادي قال الخطيب عنه انه غير ثقة . حدث عن الثوري ومالك وحماد احاديث منكرة .
ورواه السيوطي في اللآلىء المصنوعة واعتبره موضوعا .

**« اذا غاب الهلال قبل الشفق فهو لليلة ، واذا غاب بعد الشفق فهو لليلتين » .**

**موضوع :**
قال ابن حبان لا أصل له وحماد بن الوليد أحد رواته يسرق الحديث :
ورواه الوليد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر وهو ايضا يسرق الحديث
ورواه رشدين بن سعد عن يونس بن يزيد عن نافع ورشدين متروك الحديث .
ورواه السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، واعتبره موضوعا .

# حج المرأة المسلمة

للدكتور زيدان عبدالباقي

الحج هو قصد مكة لاداء عبادة الطواف والسعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله تعالى : **( وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق )** « سورة الحج /٢٧ » والحج هو احد اركان الاسلام الخمسة لقوله تعالى : **( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين )** « آل عمران /٩٦ ــ ٩٧ » .

والحج واجب على المرأة وجوبه على الرجل سواء بسواء ، اذا استوفت شرائط الوجوب وهي : الاسلام ، البلوغ ، العقل ، الحرية ، الاستطاعة . ويزاد عليها بالنسبة للمرأة ان يصحبها محرم والمقصود « بالمحرم » هنا شخص ذكر ممن حرم عليه نكاحها ــ اي الزواج منها ــ على التأبيد بسبب مباح لحرمتها . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذي محرم » فقام رجل وقال : يارسول الله : إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « انطلق فحج مع امرأتك » رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

ذلك أن الزوج ليس ملزما بالحج مع زوجته ، اذا كان قد سبق له الحج باعتبار الحج من الفرائض التي تؤدى

مرة واحدة ، وأكثر من ذلك تعتبر على سبيل التطوع . ومن هنا جاءت فكرة « المحرم » وكذلك المرأة الارملة او غير المتزوجة او المطلقة .
ومن المشهور عند الشافعية ـ كما قال الحافظ ـ اشتراط الزوج او المحرم او النسوة الثقات ، حيث قيل : إنه « تكفي إمرأة واحدة ثقة » وفي قول نقله الكرابيسي وصححه في المهذب « تسافر وحدها إذا كان الطريق آمنا » وهذا كله في الواجب من حج وعمرة ، وفي سبل السلام .
وقال جماعة من الائمة « يجوز للعجوز السفر من غير محرم » على انه إذا خالفت المرأة وحجت دون ان يكون معها زوج او محرم صح حجها طبقا لرأي ابن تيمية « إنه يصح الحج من المرأة بغير محرم ، ومن غير المستطيع » على اعتبار ان المعصية إن وقعت فهي في الطريق وليس في نفس المقصود .
ويشترط الاسلام على المرأة أن تستأذن زوجها في الخروج الى الحج الفرض ، فان أذن لها خرجت . وإن تعنت معها ولم يأذن لها ، يبيح لها الاسلام أن تخرج بغير إذنه ، لأنه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة ، لأنها عبادة وجبت عليها ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
ولها ان تعجل به لتبرىء ذمتها ، كما ان لها ان تصلي اول الوقت ، وليس له منعها . ويلحق به الحج المنذور ، لانه واجب عليها كحجة الاسلام . وللرجل فقط في حالة حج التطوع حق منعها طبقا لرواية الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في امرأة كان لها زوج ولها مال ، فلا يأذن لها بالحج ـ قال « ليس لها أن تنطلق إلا باذن زوجها » فقد أجمع العلماء على أن الحج لا يتكرر ، وانه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة ، إلا أن ينذره المرء فيجب الوفاء بالنذر ، ومازاد فهو تطوع .

## المرأة والجهاد في الحج :

هذا والحج من الفرائض الدينية المصحوبة بالمشاق البدنية . ولذلك يوصف بانه نوع من الجهاد ، فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني جبان ، وإني ضعيف ، فقال : « هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج » رواه عبد الرازق والطبراني ورواته ثقات . وعن ابي هريرة ـ ايضا ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « جهاد الكبير ، والصغير ، والضعيف ، والمرأة الحج والعمرة » رواه النسائي باسناد حسن .
بيد ان الاسلام يبيح للمرأة إذا كانت متقدمة في السن أو مريضة ـ شأنها شأن الرجل ـ ان تنيب عنها . رجلا او امرأة ـ إذا كانت قادرة اقتصاديا ـ ليحج بدلا منها . ففي الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها ان تحج عن الرجل والمرأة ، والرجل يجوز له ان يحج عن الرجل والمرأة ، ولم يأت نص يخالف ذلك . وإذا عوفيت من مرضها بعد ان حج عنها

نائبها او نائبتها ، فان الفرض يسقط ولا تلزمها الا عادة . وليس للمرأة ان تنيب عنها من تشاء ليحج بدلا منها ، وانما يشترط فيمن يحج عن غيره ان يكون قد سبق له الحج عن نفسه ، لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : « لبيك عن شبرمة » فقال : « أحججت عن نفسك » قال : لا ، قال « فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة » رواه ابو داود وابن ماجة .

**المرأة وآداب الحج :**

قبل الاحرام يلزم الاسلام المرأة بالنظافة بمختلف اركانها وهي : تقليم الأظافر وحلق الابط والعانة والوضوء او الاغتسال وهو افضل ، وتسريح شعر الرأس غير انها إذا كانت حائضا أونفساء لا يجوز لها أن تطوف بالبيت حتى تطهر ، وإنما يجوز لها أن تغتسل ، وان يكون الغسل بنية الاحرام ، ثم تحرم وتقضي مختلف المناسك . والاغتسال ايضا يكون من اجل تغيير الرداء والازار ، ويجوز فيه استخدام الصابون ولو كانت له رائحة . فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن النفساء والحائض تغتسل ، وتحرم وتقضي المناسك كلها ، غير انها لا تطوف بالبيت حتى تطهر » رواه احمد وابو داود ، والترمذي وحسنه . وإذا أحرمت فانه لا يجوز لها تقليم الاظافر أو إزالة الشعر بالحلق أو القص أو بأية طريقة ، سواء أكان شعر الرأس أو غيره ، لقوله تعالى : **( ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله )** « البقرة/١٩٦» ويجوز إزالة الشعر عند التأذي من بقائه ، وفيه الفدية ، إلا في إزالة شعر العين إذا تأذت وهي محرمة ، فانه لا فدية فيه لقوله تعالى : **( فمن كان منكم مريضا او به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك )** البقرة/١٩٦ هذا وإذا طافت المرأة وهي حائض أو نفساء أو جنبا أو كانت قد اشتركت مع زوجها في جماع بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق ، فانه تجب عليها « البدنة » أي ذبح جمل ، وتوزيع لحمه على الفقراء ، ومن لم تجد فعليها ذبح سبع شياه ، لقوله تعالى : **( والبدن** – اي الابل – **جعلناها لكم من شعائر** – اعمال الحج – **الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع** – اي السائل – **والمعتر** – اي الذي يتعرض لاكل اللحم – **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم )** « الحج /٣٦ ، ٣٧»

وليس للمرأة في الحج أن تستخدم المكياج الثقيل أو الخفيف ، وانما يجوز لها استخدام مياه الكولونيا أو ما أشبه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ، فتنضح جباهنا بالمسك عند

الاحرام ، فاذا عرفت إحدانا ، سال على وجهها ، فيراه النبي عليه الصلاة والسلام ، فلا ينهانا » رواه احمد وابو داود .

ومن جهة اخرى يكره للمرأة الخضاب بالحناء ، حال الاحرام إلا إذا كانت معتدة من وفاة ، فيحرم عليها ذلك ، كما يحرم عليها الخضاب إذا كان نقشا ولو لم تكن معتدة . فقد قال الاحناف والمالكية « لا يجوز للمحرم ان يختضب بالحناء في اي جزء من البدن سواء أكان رجلا أم امرأة ، لانه طيب ، والمحرم ممنوع من التطيب » .

ومن المحظور على المرأة والرجل : الجماع ودواعيه ، كالتقبيل ، واللمس بشهوة ، واقتراف المعاصي التي تخرج المرء عن طاعة الله . وكذلك مخاصمة الرفاق والخدم وغيرهم ، لقوله تعالى : ( **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** ) « البقرة/١٩٧»

اما من كان له عذر واحتاج الى ارتكاب محظور من محظورات الاحرام هذه ، غير الوطء ، كحلق الشعر أو لبس المخيط ، اتقاء لحر أو برد ونحو ذلك ، لزمه ان يذبح شاة أو يطعم ستة مساكين ، كل مسكين نصف صاع ، أو يصوم ثلاثة ايام ، وهو مخير بين هذه الامور الثلاثة ، مع مراعاة انه لا يبطل الحج أو العمرة بارتكاب شيء من هذه المحظورات سوى الجماع قبل الوقوف بعرفة .

وإذا كان الاسلام يوجب على الرجل حلق شعره بالموسى أو تقصيره عند دخوله الى المسجد الحرام ، لقوله تعالى : ( **لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون** ) « الفتح / ٢٧» فانه يجيز للمرأة ان تدخل المسجد الحرام دون حلق شعرها ، وإنما بتقصير فقط ، فقد روى ابو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس على النساء حلق ، وإنما على النساء التقصير » حسنه الحافظ . والطريقة ان تجمع المرأة شعرها الى مقدم رأسها ، ثم تأخذ منه نصف سنتيمتر تقريبا ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « المرأة إذا أرادت أن تقصر ، جمعت شعرها الى مقدم رأسها ثم أخذت منه أنملة » وقيل لا حد لما تأخذه المرأة من شعرها . وقالت الشافعية أقل ما يجزىء ثلاث شعرات .

واخيرا يبيح الاسلام للنساء التعجيل بطواف الافاضة يوم النحر إذا كن يخفن مبادرة الحيض ، فقد كانت عائشة تأمر النساء بتعجيل الافاضة يوم النحر مخافة الحيض . وقال عطاء : « إذا خافت المرأة الحيضة فلتزر البيت ، قبل ان ترمى الجمرات ، وقبل أن تذبح » .

وإذا كان آخر النسك الطواف بالبيت ، فاننا نرجو من الله لكل من كتب لها الحج هذا العام ألا ترفث ولا تفسق ولا تجادل حتى تعود من ذنوبها كيوم ولدتها أمها .

# الحقيقة المحمدية والمغالون فيها

للاستاذ/ عبد الكريم الخطيب

( ١ )

في كل مجتمع من المجتمعات الدينية السماوية ، وغير السماوية ، يكون هناك عادة فريق يسلكون طريق المغالاة والتطرف في معتقدهم الديني ، حتى ليبلغ بهم ذلك الى مجاوزة هذا المعتقد ، والخروج عن مقرراته واحكامه ، على حين يكون فريق آخر من المنتسبين الى هذا الدين ، قد بلغ بهم التقصير فيه ، والمجافاة له الى حد الانسلاخ منه ، والتحلل من كل احكامه ومبادئه . وبين هذين الفريقين ــ المغالين والمقصرين ــ يوجد فريق ثالث قائم على الطريق الوسط بين الغلو والتقصير ، وهذا الفريق هو وحده الذي تتمثل فيه حقائق الدين ، وترى فيه آثاره ، سواء اكان هذا الدين حقا أم باطلا ، اذ ان في هؤلاء الملتزمين لحدود دينهم تنكشف حقائق هذا الدين ، فيقبل عليه من يقبل ، ويعرض عنه من يعرض ، على بينة منه ، ومعرفة به : ( **ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة** ) سورة الانفال / ٤٢ .

( ٢ )

ولما كان الغلو في الدين بخاصة ، اشد خطرا ، واعظم بلاء على المغالين ، من اهل التفريط والتقصير فيه ، اذ غالبا لا يكون للمغالين سبيل الى استعادة توازنهم بعد هذا الشرود والجموح ، على خلاف المقصرين الذين يمكن ان ينشطوا من خمولهم ، وان يستيقظوا من غفلتهم ــ لما كان ذلك كذلك من أمر الغلو ، فقد جاءت آيات القرآن الكريم محذرة أهل الغلو من الاسترسال مع غلوهم الذي لا يلبث بهم طويلا حتى يلقي بهم من حالق ، شأنهم في هذا شأن من يحاول ان يتسلق جبلا ، وعر المسالك ، عالي القمم ، وهيهات له ان يسلم من الهوى الى القاع جثة هامدة ! !

يقول الله تعالى في أتباع المسيح الذين غلوا في شخصه ، فألبسوه ثوب البنوة لله ، او الألوهية مع الله : ( **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا** ) سورة النساء / ١٧١ و ١٧٣ . ويقول سبحانه ، في الفريقين من اهل الكتاب ، اليهود والنصارى : ( **قل يا أهل الكتاب لا**

**تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل )** سورة المائدة / ٧٧ .

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فخط خطا ، وخط خطوطا عن يمينه ، وخطوطا عن يساره ، ثم وضع يده على الخط الأوسط ، فقال : هذه سبيل الله جل وعلا ، ثم تلا قوله تعالى : ( **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ) ثم اشار الى الخطوط التي على يمين هذا الخط وعلى يساره وقال : ما من خط من هذه الخطوط الا وعلى رأسه شيطان يدعو اليه » .

وعن بريدة ، قال : خرجت ذات يوم امشي ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ، فاخذ بيدي فانطلقنا ، فاذا رجل يصلي ، يطيل الركوع والسجود ، فقال صلى الله عليه وسلم : اترى هذا يرائي ؟ فقلت : الله ورسوله اعلم ... فأرسل يده ، وطبق بين يديه ثلاث مرات ، يرفع يديه ، ويضربهما ، ويقول في كل مرة : عليكم هديا قاصدا ، فانه من يشاد هذا الدين يغلبه » .

( ٣ )

ومع تحذير الاسلام من هذا الغلو في العبادات ، وفي الاشخاص ومع ما كشف عنه من مغبة هذا الغلو ، ودمغ اهله بالكفر ، كما يقول تعالى فيما كان من اليهود والنصارى من مغالاة في بعض الاشخاص : ( **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون** ) سورة التوبة / ٣٠ — مع هذا التحذير ، فان بعض من دخلوا في الاسلام ، وقعوا في هذا المحذور ... اذ قد دخل في الاسلام اقوام من الاعاجم ، الذين كانوا يؤلهون الاكاسرة والقياصرة فادخلوا على الاسلام بعض تلك الموروثات الباطلة ، وهم يحسبون انهم بهذا انما يمدون الاسلام بما يحبب لأقوامهم الدخول فيه ، حين يرون قرب الاسلام منهم ، والتقاءه من قريب مع معتقداتهم .

واذا كان هؤلاء الذين صوروا الاسلام على تلك الصورة المموهة بالاباطيل — قد فعلوا هذا عن حسن نية ، وسوء فهم ، فانهم اعداء للاسلام ، في صورة اصدقاء وهذا هو البلاء العظيم ، والشر المستطير ، الذي يدخل اصحابه فيمن دخلوا في قوله تعالى : ( **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون** ) سورة فاطر : ٨ .

اذا كان هذا شأن المغالين في الاسلام عن حسن نية نابعة من جهل وغباء ، فان هناك فريقا من هؤلاء المغالين قد دخلوا على الاسلام بهذه المغالاة ، عن قصد الكيد لدين الله ، والنيل من امة الاسلام ، والوقوف في سبيل تقدمها وارتقائها في مدارج

العزة والقوة وتملكها زمام القيادة للعالم كله .

وما ظهور فرق المعتزلة ، والمتصوفة ، وجماعة اخوان الصفا ، وغيرهم ممن اشاعوا الفرقة والبلبلة والاضطراب في الفكر الاسلامي ، وادخلوا الاوهام والوساوس في قلوب كثير من المسلمين ـ ما هذا كله وكثير غيره ، الا كان السبب الأول في تلك النكسة التي زلزلت اركان الأمة الاسلامية ، واشاعت الفرقة والانقسام بين ابنائها ، والتي القت على جماعة المسلمين روحا خبيثة من الاستكانة ، والاستسلام والهزيمة امام ضربات الحياة ، حتى ارتدوا على ادبارهم ، وزايلوا مكان الصدارة الذي كان لهم ، دون ان يجدوا لذلك وخزة الم ، او مشاعر ضيق وهم ، وحتى لقد صدق فيهم قول الشاعر :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

( ٤ )

ولقد لعب التصوف والمتصوفة دورا خطيرا في التسلط على عقول المسلمين وقلوبهم ، بما اذاعوه في المجتمع الاسلامي من التعلق باوهام الزهد ، والانخلاع من متاع الحياة ، والهروب من ميدان العمل ، والفرار الى الخلوات في الزوايا ، والكهوف ، والمغارات ، وذلك كي لا يفتنوا بالدنيا التي تشغلهم عن ذكر الله ، والوصول الى مقام الولاية ، ذلك المقام الذي لا يناله من امسك بيده بشيء من اشياء الحياة الدنيا ! !

هكذا دخل التصوف على المسلمين من باب الدين ، والمغالاة فيه ، في تلك الفترة الحرجة التي ماجت فيها الامة الاسلامية بتيارات الفتن ، والخلافات المذهبية والطائفية ، والعقائدية ، منذ اواخر القرن الثاني للهجرة وما بعده .

ولقد وجد التصوف الطريق ممهدا لاستجابة كثير من العامة واشباه العامة ، كما يدعو اليه شيوخه ، واقطابه ، في زحمة الفتن ، وتكاثف دخانها ، من انه لا نجاة من هذا البلاء الا بارتداء ثوب التصوف ، والانخلاع جملة من كل شيء من حطام هذه الدنيا ...

وهكذا صور دعاة التصوف للناس انهم على ظهر سفينة توشك ان تغرق ، وان من اراد النجاة فليلق بكل امتعته ، ثم ليلق بنفسه في الماء عاريا ، وحسبه ان يسلم بنفسه ، ولا عليه ان هلك كل ما معه من متاع !

ولا شك ان هذا داء ، يراد به الاستشفاء من داء ، فيضيف الى الداء داء ، وهيهات ان يرجى من وراء ذلك شفاء ! !

( ٥ )

ويكفي أن نسوق هنا مقولة من مقولات المتصوفة التي دخلوا بها الى عقول المسلمين ، ومكنوا لها في قلوب كل من اتصلوا بالتصوف من قريب ، او من بعيد ، حتى اصبحت تلك المقولة عقيدة تزاحم عقيدة الاسلام ، وتحل مكانها عند كثير من المسلمين .

وتلك المقولة ، تتصل برسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتغالي في شخصه ، حتى تكاد تخرجه من العالم البشري ، الى عالم الملأ الاعلى ، ليكون آلها مع الله ، او ربا ثانيا يشارك الله في سلطانه ... فهناك عند المتصوفة ما يعرف « بالحقيقة المحمدية » ! !

ويستجلب المتصوفة للحقيقة المحمدية مقولات كثيرة من عندهم ، يدخلونها مدخل الاحاديث المنسوبة كذبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينسجون من خيوطها رقعا مهلهلة ، يلبسونها النبي الكريم ، حتى يغيب شخصه من عالم البشر ، ثم لا يرى فيه المسلم من خلال تلك الرقع الا ما يرى الرائي سرابا يلمع في الصحراء ، فيحسبه ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ! !

( ٦ )

ومن مقولات المتصوفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ، وكنت نبيا ، ولا آدم ولا الطين » ثم يأخذون من هذا القول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو اول ما خلق الله ، وان منه كانت سائر المخلوقات ! !

ثم انهم يؤيدون زعمهم هذا بحديث آخر ينسبونه الى الرسول الكريم ، وهذا الحديث : « كنت جوهرة في العرش ، فقال الله كوني محمدا ، ومن تلك الجوهرة خلق الله اللوح ، والقلم ، والكرسي ، ثم السموات والأرض وما فيهما » .

ولا شك ان هذه المقولات تدعي لمحمد بن عبدالله ما ليس له ، وتجعله من عالم آخر غير عالمه الذي ولد فيه ، كما يولد سائر ابناء آدم ثم يجتبيه ربه رسولا الى الناس ، مبلغا رسالات ربه ، كما اجتبى الرسل والانبياء من قبله .

( ٧ )

وانه لكي يحرس الله تعالى رسوله من هذه المفتريات التي تنتزعه من عالم البشر ، وتقطع الطريق على الذين يذهبون مذهب المغالاة فيه ، وانتزاع صورته الكريمة التي عرفها الناس له ، وتعاملوا بها معه ، وتمثلوا فيها صورة الانسان العظيم الذي تهفو اليه القلوب ، وتتعلق به الآمال في التأسي به ، والسير وراء خطواته .

ولو ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان من عالم غير عالم البشر ، لما رأى الناس فيه المثل الكامل للانسان ، في نبله ، وسمو اخلاقه ، وعلو مكانته ، الامر الذي يدعو الى تعلق النفوس به ، ونزوع الهمم الى تمثله ، والاقتداء به ، لينال كل انسان الحظ المقدور له من صفاته وكمالاته ... والناس انما تنزع نفوسهم ، وتتعلق آمالهم ، باهل المجادة والعظمة من الناس ... حيث الشبه قريب بينهم وبين هؤلاء الناس ...

وليس من شأن الناس ابدا ، ولا من منازع نفوسهم ان يتطلعوا الى مشابهة اي عالم من عوالم المخلوقات الأخرى غير عالمهم البشري ... فما

تصور انسان ان يكون أسدا مفترسا ذا انياب ومخالب ، ولا فيلا يحطم الشجر بانيابه ، ولا طائرا يطير بذراعيه ، ولا ملكا ، ولا شيطانا ، ولا غير ذلك مما يخرج به عن طبيعة الانسان ! !

والناس ــ كما خلقهم الله تعالى ــ انماط مختلفة ، ودرجات متفاوتة ، بين القوة والضعف ، وعلو الهمة وفتورها ، ووقدة العقل وخموده ... ومع هذا فكلهم في مسلاخ الانسان ، وفي صورته ... ومن هنا يقع التنافس بينهم ، كي يلحق الفقير بالغني ، والضعيف بالقوي ، والجاهل بالعالم ، ومن لا جاه له بأن يكون ذا جاه . وهكذا لأن الانسان في تلك الحال انما ينظر الى انسان مثله ، داخل العالم الانساني .

ولو كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم على صورة غير بشرية ، لما كان له سبيل الى الالتقاء بالناس ، ولنفر الناس منه ، فزعا وخوفا ، او استهزاء واستصغارا ...

ولهذا كان كل رسول بعثه الله تعالى ، واحدا من أبناء قومه ، ولد فيهم ، ونشأ بين ابنائهم لا ينكرون منه شيئا ، حتى اذا اختاره الله لرسالته كان من قومه الحسد له ، والخلاف عليه ، كما يقول تعالى في ثمود قوم صالح ــ عليه السلام ــ **( كذبت ثمود بالنذر . فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذن لفي ضلال وسعر . أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر )** سورة القمر : ٢٣ ــ ٢٥ ويقول سبحانه على لسان مشركي مكة ، وما يقترحون من ان ينزل الله عليهم ملكا ، ليبلغهم رسالته: **( وقالوا لولا أنزل عليه ملك )** فيسفه الله تعالى مقترحهم هذا ، فيقول سبحانه : **( ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون )** . سورة الانعام / ٨ و ٩ .

( ٨ )

وقد جاء القرآن قاطعا طرق الكذب والافتراء على رسول الله ، من أدعياء الولاية والقطبية والتصرف في هذا الوجود ، كما يخيلون للناس من زور وبهتان ، وذلك حين يبالغون في شخص رسول الله ، ويخرجونه من دائرة البشرية ، حتى يكون الها مع الله ... فلا عجب اذن ان يكون هؤلاء الاولياء والاقطاب ــ وان كانوا في صورة البشر ــ اصحاب تصريف غير محدود فيما هو لله تعالى وحده ! !

لقد اخذ القرآن كل طريق على اولئك الذين يتخذون من الكذب على رسول الله ، ستارا يدارون به كذبهم وافتراءهم على الناس . بدعوى انهم يقتدون برسول الله ، ويغرفون من امداد بحره ! !

وفي هذا يقول الله تعالى عن رسوله الكريم : **( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم )** سورة آل عمران : ١٤٤ ويقول سبحانه **( قل إنما أنا بشر مثلكم )** الكهف : ١١٠ ويقول جل شأنه : **( وما جعلنا**

**لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون )** سورة الانبياء : ٣٤ .

واكثر من هذا فان الله نعى رسوله الكريم ، وهو حي بين اصحابه ليتأكد لهم انه يجري عليه من سنن الله ما يجري على البشر جميعا ، فقال تعالى : **( إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون )** سورة الزمر : ٣٠ و ٣١ .

وهذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يدع فرصة سانحة دون ان يذكر اصحابه فيها بانه بشر مثلهم ، حتى لا يدخل عليهم شيء من مشاعر الحب لشخصه ، والسمو بذاته ، يذهلهم عن الحقيقة ، التي يجب ان يؤمنوا بها ، وهي انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من عالم البشر ، وان كان على رأس البشرية كلها .

ففي البخاري ومسلم ، عن ابن مسعود قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر خمسا ، فلما اخبر بذلك بعدما سلم ، سجد سجدتين للسهو ، ثم قال : « انما انا بشر مثلكم ، انسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » . وما هذا النسيان الا لتقرير بشرية الرسول .

وفي الصحيحين ايضا عن ام المؤمنين ، ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما انا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضهم يكون ابلغ من بعض ، فاحسب انه صادق ، فاقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هي قطعة من النار فليحملها او يذرها » .

وفي صحيح مسلم : « انه ليغان على قلبي ، واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة » .

( ٩ )

فماذا يقول القرآن الكريم اصرح واوضح من هذا القول ، في الكشف عن ذات النبي ، وانه بشر ، لم تزايله بشريته ابدا ، ولم ينسلخ عنها في اي حال من احواله ؟

ثم ماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه ، كي يدفع عن ذاته الكريمة هذا الغلو المنكر الذي يفتريه المفترون ، ويتخرص به المتخرصون ماذا يقول اكثر من قوله : « انا عبد آكل كما يأكل العبد » حتى يمسك هؤلاء المغالون فيه على طريق الحق الذي لا عوج فيه ؟

وها هو ذا ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يجيء اليه رجل من اعراب البادية ، فاذا اطلع عليه من جلال النبوة وعظمة النبي ، ما يبهره ، ويملأ كيانه رعشة حتى يتفصد عرقه ، ويكاد يغيب عن وعيه ــ فيقول له ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حدب ورفق : « هون عليك ، فانما انا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد »

ان النبي ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ انما تكون له منزلته العالية ، ومقامه الكريم ، الذي يعلو به فوق كل مقام للمخلوقات جميعها ، من حيث انه بشر مخلوق من طين ، ثم يرتفع بهذا الطين الى حيث تخدمه الملائكة

ليلة ان اسرى به الى الملأ الاعلى والى ان بلغ سدرة المنتهى التي عندها يقف جبريل رفيق رحلته ويتقدم محمد !!

وما كان امر الله تعالى للملائكة ان يسجدوا لآدم ، الا لما اراهم اللـــه سبحانه من هذا المخلوق من الطين ما عجزوا عنه ، وكانوا يحسبون انهم اعلى منه مقاما ، واكثر علما ...

( ١٠ )

اذن فعلينا نحن المسلمين ، ان نقف في وجه هذه المفتريات ، وتلك الضلالات التي يلقي بها المتصوفة ومن يكيدون للاسلام ، في ساحـــة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث ينخدع بها العوام ، وتغشاهم منها سكرة تذهب بعقولهم ، اذ كان ذلك الذي يسمعونه تمجيدا للنبي ، ورفعا لقدره ، وليس أحب اليهم ، ولا اسعد لقلوبهم من الذهاب في هذا الى ابعد غاية ، ولو بلغ ذلك بالنبي مقـــام الألوهية مع الله ـ فذلك طريق سلكه من قبل علماء اهل الكتاب من اليهود والنصارى في تمجيد اليهود لعزير ، وفي تمجيد النصـــارى للمسيـــح ، وادعاء الالوهية لهما ، ووصلهمـــا بنسب البنوة لله ! ! وقـــد تبعهـــم اتباعهم في هذا الضلال .

وانا لنخشى اذا طال الزمن بنا ، دون ان نتصدى لهذا الافك الـــذي يخرج من افواه المتصوفة ، ويسجل في كتبهم عن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان نصبح يوما وقد سرت فينا تلك السموم ، وانتقلت من العامة الى الخاصة ، واذا بنا ـ لا قدر الله ـ على هذا الطريق الضال الذي سلكه اهل الكتاب من قبلنا حين اقاموا بعض انبيائهم مقام الله عند المؤمنين بالله ، فنسوا الله وعبدوا بعض عباد الله .. وقد حذرنا الله تعالى من ان نصير الى هذا المصير المشئوم ، فقال سبحانه **( ولا تكونوا كالذيـــن نســوا اللـــه فانساهـــم انفسهم اولئك هم الفاسقـــون )** سورة الحشر / ١٩ .

هذا ، والذي يضاعـــف من هذا الخطر ، ويعمل على نشر هذا البلاء ، هو ما قد يقع في نفوس بعض اهل العلـــم من المسلمـــين من حرج في التصدي لهذا الغلو المؤدي الى الكفر في ذات النبي ، حيث يرون ان ذلك من علامات الحب الشديد لرسول الله . وان هذا الحب هو الذي حملهم على هذه المغالاة ... وهذا شأن المحبين الذين يحرقهـــم الوجـــد ، ويذهـــب بعقولهم الحب ، فاذا صحـــوا من سكرة الحب عدوا ما قالوه فيمـــن يحبون ضربا من المجاز لا حقيقة له ؟

وهذا لا شك تلبيس من تلبيسات الشيطان ، ومدخل من مداخله الى الضلال ، والكفر ...

فهل آن لنا ان نتنبه الى هذا البلاء ، وأن نحصن أنفسنا منه ؟ وإلا نفعل فاننا نكون عند قول الشاعر :

امرتهمـــو امـــري بمنعـــرج اللوى
فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

واذ ذاك ، فلا مفر ولا نجاة . والعياذ بالله .

# ماذا يريد

كان يصحو كل يومٍ راكبًا مَتْنَ البكور
يحملُ الفأسَ ويسعَى جاهدًا مثلَ الطيور
همُّه مُذ كان في الأ حياء تفتيتُ الصخور
في شقاءٍ لا يساوى ما يلاقي من أجور
وعناءٍ ليس يُجدى غير تقصيم الظهور
فانثنى يومًا كليلاً مثل سُكان القبور
يتمنى لو تَرَاءَى مثلَ أصحاب القصور
« آهِ لو كنتُ غنياً ترتخي حولي الستور !!
من دِمَقْسٍ وحريرٍ في ثناياها السرور »
فأجاب الله سُؤلاً وهو مَنَّانٌ غفور
أنزلَ اللهُ ملاكاً قال ما يَشفى الصدور :
فَلْيكن ما تبتغيه أيها الراجي الجسور !!

★ ★ ★

وتولى البؤسُ عنه وارتدى ثوبَ الثراء
وأتى الدهرُ إليه في حَريرٍ وفراء
واستراحَ البالُ حتى راح في دنيا الرخاء
فَرَأَى يوماً مليكاً في جلالٍ وبهاء
ورأى الموكبَ يسعَى في جمالٍ وازدهاء
تسطَعُ الفرسانُ فيه من أَمامٍ ووراء
والمليك الفخم يرنو مثلَ بدرٍ في السماء

# الإنسان

للشاعر/محمود محمد بكر هلال

فوقه قبةٌ ظِلٌّ ولها التبر طلاء
مُذ رآها راحٍ يدعو ويوالي في الرجاء
ليتني مَلْكاً وهذا موكبي يا ربُّ جاء
ليس للشمس إليه من سبيلٍ في الفضاء
سَمِعَ اللهُ فأوحى لك عبدي ما تشاء !!
ولتَكن مَلْكاً عظيماً في احتفالٍ واحتفاء

★ ★ ★

لكنِ الشمسُ تبدَّتْ شُعلةً عند المدار
قوةً يَصلَى لظاها كل من في الشمس سار
قد بنت في الأفْق عرشاً شع من نور ونار
فَغَلَى الحقدُ بقلبٍ جاش بالحقد وثار
فتمنى لو تراءى مثل شمسٍ في النهار
فغدا في الحال شمساً أشرقتْ في كل دار
تُحرق العُشبَ وتُصْلِي كلَّ حيٍّ بالأوار
والملُوكُ الصِّيدُ تَعْنُو لسناها في اصطبار !!

★ ★ ★

غيرَ أن الجَوَّ أَبْدَى في ذُرَا الكَوْن ضَبَابَه
يَخنُق الشمس ويُلقي فوق مَسْراها حِجَابَه
فتَمَنَّتْ عند هذا لو غدت فوراً سَحَابَه
قيل : يا شمس فكُونِي غَيْمَةً تُرضِي رِغَابَه

تَحبس الضوءَ وتُخفي في ثناياها الْتهابه
ثم صارت قطراتٍ تَغلبُ البحرَ انسيابه
وعَلا الماءُ وأمسَى انهُرًا تُزْجي عُبَابَه
لم يَدَع زرعًا بأرضٍ لا ولم يَتْرُك تُرَابَه
يَترك الأشجارَ صرعَى في رضاءٍ واستجابه
غيرَ ان الصخرَ أبْدَى عند مَجْراه صَلاَبَه
أوقفَ التيارَ حتى سَدَّ بالاحجارِ بَابَه !!

★ ★ ★

فَتَنَزَّى الماءُ غيظاً من عنيدٍ عاق سيره
بدَّلَ القوةَ ضعفاً أكسبَ الأمواجَ حَيْرَه
فتمنتْ لو تبدتْ عند مجرى الماء صَخْره !!
لا تُبالي أيَّ ماءٍ تدفعُ الأمواجُ نَهْرَه
لا . ولا تخشى لهيباً أو ترى يومًا مَضَره
ليس للدهر عليها من سبيلٍ فهي حره !!

★ ★ ★

واستجابَ اللهُ للأموا جِ والماءُ اسْتَقَرَّا
فاستحالت مُذ دعته في الفضاء الرحب صخرَا
وأتي الفلاحُ يَسْعَى حاملاً للفأس ظُهْرَا
ثم أهْوَى فوق هذي الصخرةِ الصماءِ كَسْرَا
فأحستَّتْ انَّ تلك الفأ سِ بالتعظيم أحْرَى
والذي أهْوَى عليها دونَه في القدر كِسْرى !!
بل هو الدنيا جميعاً فاق كل الخلق قَدْرَا
فتَمَنَّتْ لو تَبَدَّتْ ذلك الانسان دَهْرَا
يَحْطِمُ الصخرَ ويَذرُو رملَه في الجو ذَرَّا
وأجاب اللهُ للصخـ رةِ ما تبغيه فَوْرَا
وتبدَّى الصخرُ إنسـ ـانًا وَهي حظا وأجرا
يحملُ الفأسَ ويَلقَي في اكتساب العيش عُسرَا
يَحْطِمُ الصخرَ ويُعطَي من ضئيل الأجر نَذْرَا
مهنةٌ شَقَّتْ وعيشٌ صارَ بالآلام مُرَّا
انهُ الانسانُ لا يُر ضيهِ مُلْكُ الكون طُرَّا
فَارْضَ بالمقدار تَسعدْ بالرضا دنيا وأخرى
لَستَ تدري رُب شرٍّ كان للانسانِ خيرَا
وشَقاءٍ كانَ نُعمَى واعتسارٍ صار يُسْرَا !!

★ ★ ★

## قصة..

# حبيبة

**للدكتور عبدالحي الفرماوي**

... ودخلت حبيبة بيت أبيها ، ثم أجهشت بالبكاء ، والتف حولها كل من بالدار والجميع يتساءلون :

ما الذي حدث لها ؟ ويلحون عليها في معرفة سبب بكائها ، ولكنها تزداد بكاء .

وتقول الأم : دعوها حتى تستريح ، وتناولها قدحا من شراب ساخن أعدته لها فور دخولها البيت .

وتتناول حبيبة من أمها القدح ، ويخيم الصمت على الجميع وهم يرقبونها وهي تحتسي مشروبها .

والكل يضرب الأخماس في الأسداس عما عساه أن يكون قد حدث لها .

فالأم : قد انصرفت بذهنها إلى ذلك اليوم البعيد الذي أقبل عليها فيه زوجها « زيد بن خارجة » وهو يتهلل بشرا وفرحا ويخبرهم برغبة هذا الفتى الخزرجي

الثري ـ سعد بن الربيع ـ في الزواج من ابنتهما حبيبة ، وتفرح الأم فرحا شديدا ، فهذا الفتى هو من أغنى أغنياء المدينة ، وسوف يكفل لابنتها حياة هنيئة ويحقق لها كل ما تصبو إليه .

وتسترجع الذكريات عن شهامته ورجولته التي كان يعرفها عنه كل من يعرفه ...

إذن فهو العريس المطلوب ، وهو الرجل المرغوب ، ثم تتذكر : كم أنفق وينفق على ابنتها دون بخل ، وكيف يعاشرها بكل معروف .

وتنتبه من خواطرها : وتنظر إلى ابنتها وهي تحتسى المشروب الذي أعدته لها ، ثم ترتجف فجأة وهي تفتش في أفكارها عما يكون سبب بكاء ابنتها ـ ترتجف فجأة ـ حين يخطر على بالها : أن يكون سعد قد طلق ابنتها فتقوم واقفة وكأنها تنفض عن نفسها هذا الخاطر السيئ ، وهي تقول لابنتها : أكملي شرب القدح حتى أصب لك غيره .

أما الأب : فيعود بذاكرته إلى تلك الليلة التي يعلمها كل المسلمين ، والتي بايع فيها جماعة الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، والتي تم فيها اختيار الاثنى عشر نقيبا وكان منهم ، « سعد بن الربيع » ، زوج ابنته هذه .

وتذكر المرات العديدة التي كان يزور فيها ابنته ويوصيها بزوجها خيرا ، لما يعلم من مكانته عند رسول الله ، ولما يعلم من طبع ابنته الذي فيه بعض الحدة .

ثم سرح مع خواطره كأنه يقول : ياويلي إن كانت ابنتي قد أغضبت نقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وكان باقي أفراد الأسرة يسرحون في خواطرهم كذلك ، يلفهم الصمت ، ويجمعهم الترقب ، ويخيم عليهم القلق ، وتشدهم الرغبة لمعرفة سر حضور حبيبة في هذه اللحظة من بيت زوجها ، على هذا النحو الباكي .

والتفت إليها الجميع : حين اخترق سكون هذا الصمت الثقيل قولها :

ياأبت !!

فأجاب الأب بلهفة وحنان :

نعم ياابنتي ..!!!

قالت حبيبة :

أنا لن أعود إلى سعد ، وارجو أن لا تعيدوني إليه .

وتراقص القلق على وجوه الجميع ، وتزاحمت الأسئلة الحيرى على ألسنتهم ، التي انفكت عقدتها حينما نطقت حبيبة مقالتها هذه .

ونطق الجميع في صوت واحد :

لماذا ؟؟

ما الذي حدث ؟؟

وسبقت الأم الجميع في لهفتها ، إذ قالت في مرارة مفعمة باليأس .

أحدث طلاق ياابنتي ؟

فأجابت ابنتها : لا ياأماه .
وانفرجت أسارير الأم ، وكأن كابوسا قد انزاح عن صدرها .
وهنا قال الأب :
إذا فهي العادة ، لعلك ازددت حدة على زوجك ، وارتفعت بينكما درجة النزاع ، وأحسبك لم تتحكمي في أعصابك ، وتتمالكي هدوءك ، مما أدى بك إلى الخطأ في حق زوجك كعادتك .
وقبل أن تجيب الابنة على أبيها ، أو ترفع إليه عينيها ، قالت الأم لزوجها :
مالك أيها الرجل ، دائما تتهمها ــ حتى قبل أن تعرف ماذا حدث ــ بأنها هي المخطئة ؟؟
ثم أضافت تدافع عن ابنتها قائلة :
إن ابنتي لا تخطىء ، وإذا ما أخطأت يكون هو الذي دفعها إلى ذلك .
وهنا ينبري زيد قائلا لزوجته :
اسمعي أيتها الأم العاقلة : إن صلاح البنت في حياتها الزوجية ، وفسادها كذلك ينبع من موقف أمها بجوارها في هذه اللحظات ، ثم أنت تعرفين جيدا أن ابنتك كثيرة الشجار مع زوجها ، دائمة النشوز عليه ، وخلق النكد في أوقات صفائه .
ثم يعود لهدوئه وتكتسي نبراته لهجة وقورة ، يشع منها الصدق ، ويفوح منها أريج الطهارة النبوية ويقول :
يقول الحبيب المصطفى : « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم : العبد الآبق حتى يرجع ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمام قوم وهم له كارهون » رواه الترمذي .
ثم يتجه إلى ابنته ويقول : ولا أحب ياابنتي أن يكون زوجك عليك دائما ساخطا .
« إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء ، وكل شيء مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع » رواه الطبراني في الأوسط .
وهنا تنهمر الدموع من عيني الأم ، ثم تخفض برأسها إلى الأرض ، وتقول :
ياويلي : إن كانت ابنتي قد فعلت ما يغضب زوجها ويغضب الله ورسوله !!!
وهنا ترد حبيبة ، قائلة :
لا ياأماه ، لم أفعل ما يغضب الله ورسوله .
ويرد الجميع : ماذا فعلت إذا ؟
وهنا أجهشت حبيبة بالبكاء مرة ثانية ، وقالت :
إن سعدا قد لطمني على وجهي .!!!
وعلت الدهشة وجوه الجميع .
وقالت الأم لزوجها :

ها ... قد صدق قولي يازيد ؟؟
إن ابنتي قد ضربها زوجها ، وأنت تدافع عنه ؟ أخبرني ماذا تفعل الآن ؟
وهنا استغرق زيد في التفكير ، إذ أنه لم يكن يخطر بباله أن يحدث هذا ، ولكنه الآن حدث .
فماذا يفعل ؟
وما هو السبب الذي دفع بسعد زوجها إلى هذا ؟
أيأخذها معه إلى بيت زوجها ويعيدها إليه مرة ثانية ؟
أم يحجزها عن العودة إليه حتى يحضر سعد إليها ؟
أيطلب من زوجها طلاقها بسبب ذلك ؟
أم يتركها دون طلاق ويعاود زوجها ضربها ؟
ماذا يفعل ؟
ليهدئ من روع ابنته ؟
ويطمئن الأم القلقة ؟
ويضمن في نفس الوقت سعادة ابنته ؟
أسئلة حيرى ، ودوامة تضيق وتتسع ، وتعود لتضيق وتتسع .
ويفيق من هذه الحيرة ، ويخرج من هذه الدوامة بقرار أراح الجميع ، وأنقذهم من هذه البلبلة .
ويقول :
سوف أذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشكو إليه سعدا .
ثم يتجه إلى حبيبة ، ويقول لها :
قومي معي إلى النبي عليه الصلاة والسلام .
وترتدي حبيبة عباءتها ، وتخرج ، وتسير خلف والدها ، حيث المرشد ، والموجه والناصح الذي لا يترك أحد من المسلمين مشورته ، ولا يستغنى احدهم عن توجيهاته ولا يخالفون جميعا نصائحه .
ويتقدم زيد من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحكي له ما حدث ، ويختم كلامه بقوله :
« وهكذا أفرشته كريمتي فلطمها »
ويطرق النبي عليه الصلاة والسلام لحظة صامتا مفكرا ، وهو يبحث عن حل ، حتى يجد في القصاص الحل لهذه المشكلة .
وزيد وحبيبة : صامتان في خشوع ورهبة ، ولهفة لما سيقول .
ويخرجهم عليه الصلاة والسلام من لهفتهم ، وقلقهم ، وحيرتهم ، حينما يتجه إلى زيد ويقول له :
يازيد :
فيجيب زيد والسعادة تملأ جوانبه ــ حيث حظى بشرف خطابه عليه الصلاة والسلام ــ قائلا :

نعم يارسول الله .

فيقول عليه الصلاة والسلام :

لتقتص ابنتك من زوجها .

ولا يناقش زيد ، ولا تناقش حبيبة ، ويخرج زيد ، وتخرج معه حبيبة ، مطرقين ، صامتين ، حائرين .

الأب : لا يتصور كيف تقتص ابنته من زوجها على هذا النحو ، وتدوم الحياة بينهما هنية بعد ذلك !!

وحبيبة لا تتصور ـ وان كانت تحتد كثيرا على زوجها ـ ان ترفع يدها لتلطمه ، فهو زوجها وهو حبيبها .

لقد أتيا منذ قليل إلى النبي صلى الله عليه وسلم هروبا من الحيرة ، ولقد خرجا الآن تلفهما ـ اكثر من ذى قبل ـ نفس الحيرة . ولكنها فتوى الرسول صلى الله عليه وسلم !!

وجرجرا أرجلهما في تثاقل وذهول ، وخرجا .

وحينئذ ..!!

نزل القرآن !!

لينقذهما من هذه الحيرة وهذه البلبلة .

إذ نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة:( **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا** ) .

وهنا ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد وابنته ، ويتلو عليهما ما نزل لهما من السماء .

ثم يقول :

أردنا أمرا ، وأراد الله غيره ، وما أراده الله خيرا .

وهنا تنزاح هذه الغمة ، وتحل هذه المشكلة ، وتستريح النفوس ، وتهدأ القلوب ويعود الأب وابنته الى البيت ، وتعلم أمها بما حدث فتقول : آمنا بالله ورسوله وأطعنا .

وتقبل على ابنتها وتقول لها :

لقد تذكرت الآن قول عائشة رضي الله عنها :

« يامعشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن ، تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها » .

قومي يا ابنتي واذهبي لزوجك ، واستغفريه وأحسني عشرته .

ويذهب الجميع مع حبيبة الى بيت سعد بن الربيع ، وهم فرحون بما نزل فيهم من القرآن ، وسعداء بعودة البهجة إلى هذا البيت .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## دعوة هدامة باسم الاصلاح

**ارسل الينا الاستاذ جابر محمد حسن كلمة يحذر فيها الجيل من نشوة التقليد وخطر الانقياد وراء كل دعوة ذات بريق جذاب تلبس ثوب الاصلاح وتخفي اسلحتها الفتاكة بالمجتمع المسلم من هذه الكلمة المختارة نقتطف منها ما يلي :**

برزت الى حيز الوجود في الاونة الاخيرة فكرة بناء مجمع للاديان في سيناء المقدسة يشمل معبدا لليهود ، وكاتدرائية للمسيحيين جنبا الى جنب مع مسجد للمسلمين . واذا عدنا الى كتاب الله عز وجل نجده يقول : **( إن الدين عند الله الإسلام )** آل عمران / ١٩ ، ومعنى اقامة مجمع للاديان الثلاثة جنبا الى جنب ، انه لا فرق بينها ، الا ان الواقع يقول غير ذلك حيث ان اليهود ليسوا على شيء ، بعد ان حرفوا التوراة التي انزلها الله على موسى عليه السلام ، وتناولتها ايدي العبث والتحريف ، ومن هذا المنطلق فكل اليهود بلا استثناء يعلمون علم اليقين أنهم على ضلال ، ولذا فانهم يعيثون في الارض فسادا ، ويحاولون بشتى الطرق إبعاد المسلمين عن دينهم ، كما فعلوا مع المسيحيين الذين اصبحوا ايضا على لا شيء ، بعد ان نجحت محاولات اليهود معهم ، فاخرجوهم عن الجادة ، وابعدوهم عن رسالة المسيح ، واصبحت كنائسهم اماكن اجتماع للترفيه والتسلية واقامة الحفلات ، بل زاد الامر الى ان اصبحت ترتكب فيها الفاحشة جهارا ، كل هذا بجانب افتقادهم لعقيدة التوحيد التي يتمتع بها المسلمون ، وايضا حرف الانجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ، بل انقسم ايضا الى عدة اناجيل لكل منها اسلوبه الخاص ، وآراؤه التي يختلف فيها عن غيره . اما اذا نظرنا الى القرآن الكريم ، دستور المسلمين ، وكتابهم الخالد ، نجد أن الحق تبارك وتعالى قد تعهد بحفظه وصيانته فقال تعالى : **( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )**

**برواية اخرى وهكذا حتى يستكمل جميع الروايات ، وايضا كانت القراءة في المحافل ثم جاء العصر الخامس الهجري والذي حفل بعلماء لهم باع طويل في هذا الفن فأحدثوا جمع الروايات في الختمة الواحدة تيسيرا على الطالب وتمكينا له من التحصيل وسرعة الاستفادة .**

وحول هذا المعنى يقول السيوطي في الاتقان :

« الذي كان عليه السلف الصالح اخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى اثناء المائة الخامسة فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستقر عليه العمل » .

وقال العلامة الدمياطي في كتابه « اتحاف فضلاء البشر وكان السلف لا يجمعون رواية الى أخرى وانما ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة أثناء المائة الخامسة في عصر احد ائمة القراءات « ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني » واستمر الى هذه الازمان » .

وقال العلامة المحقق ابن الجزري في كتابه « النشر في القراءات العشر » .

وكانوا يقرأون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها وهذا الذي كان عليه الصدر الاول ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة أي في عصر الداني وابن شيطا والأهوازي والهزلي ومن بعدهم فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستمر الى زماننا وكان بعض الأئمة يكره ذلك من حيث أنه لم تكن عادة السلف الصالح عليه ولكن الذي استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه وتلقيه بالقبول وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة التلقي والانفراد » .

وعلى هذا يتبين أن الجمع في المحافل لا ينبغي ان يكون ولا يجوز السكوت عليه لأنه منكر ، ولأن هذا الجمع تكرار لا يليق فهو يمنع السامع من متابعة المعاني القرآنية وتدبرها فيحرمه من عبادة جاء من اجلها . ويدفعه الى التفكير في متابعة الروايات المختلفة التي تطرق سمعه وتشغل فكره .

وان أسوأ الجمع ما يتم في كلمة واحدة اشتملت على عدة روايات ويظل القارىء يردد هذه الكلمة حتى يأتي على كل الروايات في نفس واحد ولا ريب أن هذا الجمع مخل بنظم القرآن الكريم وحسن تناسقه ومفسد لما يلازم القرآن من جمال اللفظ وحسن التعبير وإنه من حسن الايمان وسلامة الالتزام والحرص على كتاب الله ، اخراجه للناس بصوت حسن فيه الخشوع لله حتى يثمر في نفس السامع ثمرته المرجوة ، وليس من الدين في شيء ما يتم في المحافل اليوم ، فسوء الأداء دوافعه ايهام الناس أن عنده روايات أكثر من غيره مدعاة لصرف الناس عن حسن التدبر ، ومضيعة للوقت في غير ما يرضي الله .

وقصارى القول أنه يجب على من يتصدى لقراءة القرآن الكريم للناس أن يقرأ لراو واحد في الجلسة الواحدة وذلك كما يرى علماء القراءات وكما سار عليه العلماء من بعدهم .

## مع صحافة العالم

### القدس المغتصب

**انتشرت أنباء مفادها اغتصاب القدس الشريف وتهديد المسجد الاقصى قبلة المسلمين الاولى ومسرى الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وتناقلت الأنباء عزم اليهود على ذلك غير مبالين ولا وجلين ، والمسلمون في الجانب الآخر ينتظرون متى تعود للمسلمين هيبتهم وقوتهم ويستردون القدس السليب .**

**وعن مجلة الاسراء الاردنية ننقل تلك الفقرات :**

في قرار يكشف بوضوح تام طبيعة الكيان الصهيوني القائمة على اجتثاث الشعب الفلسطيني من وطنه ، وتهويد كل بقعة في فلسطين المحتلة ، قالت اسرائيل انها « اقرت قانونا يعلن ان مدينة القدس ستبقى موحدة تحت السيادة الاسرائيلية ومقرا لمؤسساتها الوطنية » .

وجاء توقيت اعلان هذا القرار الاسرائيلي عشية ذكرى « ١٥ ايار » الذي وقعت فيه النكبة الفلسطينية الاولى ، وتشريد العرب الفلسطينيين من اوطانهم وديارهم وارضهم وقيام الكيان الاسرائيلي على العدوان والتوسع .

وقد وافق الكنيست الاسرائيلي على القانون باغلبية كبيرة ويتضمن القانون الاسرائيلي ثلاثة بنود على النحو التالي .

- القدس عاصمة اسرائيل
- سلامة ووحدة منطقة القدس التي يتم تعريفها بعد قرار الضم ليست موضوع نقاش .
- يجب ان يقيم ( رئيس الدولة ) والكنيست والحكومة والمحكمة العليا في القدس .

واشارت ( فرانس بريس ) الى ان اغلبية الكنيست وافقت على هذه البنود . وان حزب العمال اراد ان يضيف بندا رابعا هو « ان تضمن اسرائيل حرية الدخول للاماكن المقدسة في المدينة للمؤمنين من جميع الاديان » .

ويمنع القانون الحكومة الاسرائيلية من « التنازل عن السيادة على اي جزء من القدس » في اية مفاوضات وسيكون عليها ان تغير القانون لكي تستطيع تغيير موقفها من القدس .

وقال ناطق فلسطيني رسمي في دمشق ان القرار الاسرائيلي يهدف الى اخراج الشعب الفلسطيني من وطنه .

وقال مسؤول الاعلام الفلسطيني الموحد في تعليق على القرار

الاسرائيلي : ان هذا القرار يأتي ليكشف بشكل واضح تماما طبيعة الدولة الصهيونية القائمة على اجتثاث الشعب الفلسطيني من وطنه وتهويد كل بقعة في فلسطين المحتلة .

## الاسلام هو المنتصر دائما

**تحت هذا العنوان نشرت مجلة الضياء التي تصدر عن وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدبي مقالا عن الاسلام ومدى صلاحيته لكل عصر ويؤكد كاتبه أن الاسلام هو المنتصر دائما في كل عصر على الرغم مما يتعرض له من التعصب البغيض من رجال الفكر الغربي نقتطف منه ما يلي :**

ان الاسلام على الرغم من كل حقد وكل تعصب اعمى مذموم لهو دين العالم بالامس ، واليوم ، وغدا ، باذن الله .

والاسلام في شموخه وانتصاراته وزحفه الى الأمام دائما هو الظافر المؤزر في معركة الحرب الخفية والمعلنة على الاسلام ، وهو الخالد أبدا لأنه دين الانسانية جمعاء .

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري سوف يكون العقل البشري مؤهلا في كل مكان لفهم روح الاسلام وشريعته السمحاء بلا تعصب ولا حقد ولا كراهية . وسوف ينشأ مع هذا الفهم الجديد علاقات وثيقة تربط الفكر العالمي بالاسلام ، وتدعم الصلة بين العقل الانساني وشريعة القرآن دعما قويا .

ان الاسلام هو الدين الوحيد الصالح لكل زمان ومكان ، والمؤهل دائما وأبدا ليكون دين البشرية جمعاء ، لأنه دين العقل ، ودين الفطرة الانسانية ، ودين التقدم والرخاء والثقافة والحضارة ، ودين السعادة للناس جميعا ، فلا دين يستطيع ان يسعدوا به كما يستطيعون أن يسعدوا بالاسلام أولا وأخيرا .

لقد حافظ الاسلام على حقوق الانسان دائما ، أيا كان لون هذا الانسان وجنسه ، ودافع عن الضعفاء والمظلومين والمضطهدين دفاعا نبيلا كريما رائعا وحمى حقوق الطبقات الكادحة الفقيرة عن عسف وجور الأقوياء والأغنياء وجاءت شرائعه وأحكامه نموذجا رفيعا للتشريع الهادف العظيم الموجه نحو خدمة البشرية جمعاء ونحو الرقي بها واسعادها وتقدمها .

لقد اضطر أفذاذ المفكرين في العالم الى انصاف الاسلام ، والتنويه بمآثره على الحياة والناس ، وبفضائله التي لا تتناهى والتي يغرسها في قلب المسلم عقيدة قوية متجددة بتجدد الحياة .

والاسلام في سموه وجلاله ، وعظمة مبادئه ، ونبل مقاصده ، وسماحة ويسر احكامه ، وفي تلاؤمه مع الفطرة الانسانية هو دين العالم جميعا في كل وقت وكل زمان وكل مكان ولسوف ينتصر الاسلام دائما وأبدا على خصومه الناقمين عليه ،

والمحاربين له والمتآمرين على شعوبه وأممه ، والذين يعملون من أجـل تصفيته في العالم كما يزعمون .
وهـم مدفوعـون في ذلك بروح موروثة ، تؤمن ان الاسلام خطـر عليهم ، ولا خطر عليهم من الاسلام لو كانوا يفقهون .

ليت الاديـان جميعـا تتصـافى وتتصافح مع الاسلام ، لأنه هو الذي يحميها في الشدائد وينقذها من الهوة السحيقة التي تتردى فيها ، ويتردى معها فيها العالم كله .
والويـل للعالـم ان لم يستعـن بالاسلام من اجل اسعاد الشعوب والانسانية .

## نواقيس الخطر تدق

### تحت هذا العنوان كتبت مجلة الدعوة المصرية تقول :

### من المستفيد اكثر ؟؟

واذا بحثنا عن المستفيد الاكبر من البترول نجده الدول الغربية ... ففي هولنده على سبيل المثال أكبر معامل التكرير في العالم وهي تملكها شركات متعددة الجنسية تقوم بتكرير البترول وبيعه بأضعاف سعره للعالم كله ... فلمـاذا اذن التجنـي على البـلاد الغربية ....؟
لا شك اننا نشارك في ما يلقى علينا من لوم ....؟
ان برميل البترول الذي تبيعه دول الاوبك بسعر من ١٩ ــ ٢٢ دولارا اليوم يستخرج منه بعد التكرير مواد تباع بما لا يقل عن مائة دولار ان لم يكن ازيد .
لماذا لا تتجه هذه الفوائض لتنمية التكرير في موانىء عربية كجدة أو الكويت او الاسكندرية أو الحديدة أو غيرها حتى يكون لنا من البترول أكبر عائد ممكن بدلا من بيعه نفطا خاما بخمس ثمنه ...؟

لماذا لا تتجه هذه الفوائض لتنمية هذه الدول المتخلفة والعربية منهـا بوجه خاص كالسودان التي تتسع فيها الاراضي الزارعيـة الصالحـة للزراعة فتغني المنطقة بالحبوب لا سيمـا القمـح والحبـوب الزيتيـة والاعلاف الحيوانية .
وكاليمن لاستصلاح واستـزراع اراضيها واقامة صناعات بها حتى نقيهـا شر التـردي في براثـن الشيوعية ...

وغيرهمـا كثـير .... فنحتفـظ بأموالنا لانفسنا وننمي روابط الاخاء بين شعوبنا وننجو بثرواتنا بدلا من بقائها مهددة في دول الغرب بالتجميد أو التحويل الى سندات على الحكومات الغربية فتخرج من سلطاننا ونصبح عاجزيـن تمامـا عن التحـكم في مصيرهـا .... دعـك من تخفيض الدولار وارتفـاع الذهـب اللذيـن استهلكا من فوائض البترول البلايين التي لا تحصى من الدولارات ...
أرجو ....

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

| | | |
|---|---|---|
| مصر | : | القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء . |
| السودان | : | الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب ( ٣٥٨ ) |
| ليبيا | : | طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر . |
| المغرب | : | الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع . |
| تونس | : | الشركة التونسية للتوزيع . |
| لبنان | : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) |
| الاردن | : | عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) |
| السعودية | : | جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : ( ٤٧٧ )<br>الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : ( ٧٦ )<br>الطائف : مكة المكرمة :<br>برحة نصيف / مكتبة جدة<br>المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| مسقط | : | المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١) |
| البحرين | : | دار الهلال . |
| قطر | : | دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ . |
| أبو ظبي | : | مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩) |
| دبي | : | مكتبة دبي . |
| الكويت | : | شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧) |

**ونوجه النظر الى آنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | ذو القعدة | سبتمبر | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د |
| الاربعاء | ١ | ١٠ | ١٠ ١٠ | ١١ ٣١ | ٥ ٤٦ | ٩ ١٧ | ١ ١٨ | ٤ ١٠ | ٥ ٣٠ | ١١ ٤٥ | ٣ ١٦ | ٥ ٥٩ | ٧ ١٨ |
| الخميس | ٢ | ١١ | ١٢ | ٣٣ | ٤٧ | ١٨ | ١٨ | ١٠ | ٣١ | ٤٥ | ١٦ | ٥٨ | ١٧ |
| الجمعة | ٣ | ١٢ | ١٤ | ٣٤ | ٤٧ | ١٨ | ١٨ | ١١ | ٣١ | ٤٤ | ١٥ | ٥٧ | ١٥ |
| السبت | ٤ | ١٣ | ١٦ | ٣٦ | ٤٨ | ١٩ | ١٨ | ١٢ | ٣٢ | ٤٤ | ١٥ | ٥٦ | ١٤ |
| الاحد | ٥ | ١٤ | ١٨ | ٣٨ | ٤٩ | ١٩ | ١٨ | ١٢ | ٣٢ | ٤٤ | ١٤ | ٥٥ | ١٣ |
| الاثنين | ٦ | ١٥ | ٢٠ | ٤٠ | ٥٠ | ٢٠ | ١٨ | ١٣ | ٣٣ | ٤٣ | ١٣ | ٥٣ | ١٢ |
| الثلاثاء | ٧ | ١٦ | ٢١ | ٤١ | ٥١ | ٢١ | ١٨ | ١٣ | ٣٣ | ٤٣ | ١٣ | ٥٢ | ١٠ |
| الاربعاء | ٨ | ١٧ | ٢٣ | ٤٣ | ٥٢ | ٢١ | ١٨ | ١٤ | ٣٤ | ٤٣ | ١٢ | ٥١ | ٩ |
| الخميس | ٩ | ١٨ | ٢٤ | ٤٥ | ٥٣ | ٢٢ | ١٨ | ١٥ | ٣٤ | ٤٢ | ١١ | ٥٠ | ٧ |
| الجمعة | ١٠ | ١٩ | ٢٦ | ٤٧ | ٥٤ | ٢٢ | ١٨ | ١٥ | ٣٥ | ٤٢ | ١١ | ٤٨ | ٦ |
| السبت | ١١ | ٢٠ | ٢٨ | ٤٨ | ٥٤ | ٢٣ | ١٨ | ١٦ | ٣٥ | ٤٢ | ١٠ | ٤٧ | ٥ |
| الاحد | ١٢ | ٢١ | ٣٠ | ٥٠ | ٥٥ | ٢٣ | ١٧ | ١٦ | ٣٦ | ٤١ | ٩ | ٤٦ | ٣ |
| الاثنين | ١٣ | ٢٢ | ٣٢ | ٥٢ | ٥٦ | ٢٤ | ١٧ | ١٧ | ٣٦ | ٤١ | ٨ | ٤٥ | ٢ |
| الثلاثاء | ١٤ | ٢٣ | ٣٤ | ٥٤ | ٥٧ | ٢٤ | ١٧ | ١٨ | ٣٧ | ٤١ | ٨ | ٤٣ | ١ |
| الاربعاء | ١٥ | ٢٤ | ٣٦ | ٥٥ | ٥٨ | ٢٥ | ١٧ | ١٨ | ٣٧ | ٤٠ | ٧ | ٤٢ | ٠٠ |
| الخميس | ١٦ | ٢٥ | ٣٨ | ٥٧ | ٥٩ | ٢٥ | ١٧ | ١٩ | ٣٨ | ٤٠ | ٦ | ٤١ | ٦ ٥٨ |
| الجمعة | ١٧ | ٢٦ | ٤٠ | ٥٨ | ٥٩ | ٢٦ | ١٧ | ١٩ | ٣٨ | ٤٠ | ٥ | ٤٠ | ٥٧ |
| السبت | ١٨ | ٢٧ | ٤١ | ١٢ ٠٠ | ٦ ٠٠ | ٢٦ | ١٧ | ٢٠ | ٣٩ | ٣٩ | ٥ | ٣٩ | ٥٦ |
| الاحد | ١٩ | ٢٨ | ٤٣ | ٢ | ١ | ٢٧ | ١٧ | ٢٠ | ٣٩ | ٣٩ | ٤ | ٣٧ | ٥٥ |
| الاثنين | ٢٠ | ٢٩ | ٤٥ | ٤ | ٢ | ٢٧ | ١٧ | ٢١ | ٤٠ | ٣٩ | ٣ | ٣٦ | ٥٣ |
| الثلاثاء | ٢١ | ٣٠ | ٤٧ | ٦ | ٣ | ٢٧ | ١٧ | ٢٢ | ٤١ | ٣٨ | ٢ | ٣٥ | ٥٢ |
| الاربعاء | ٢٢ | اكتوبر | ٤٨ | ٧ | ٤ | ٢٨ | ١٧ | ٢٢ | ٤١ | ٣٨ | ٢ | ٣٤ | ٥١ |
| الخميس | ٢٣ | ٢ | ٥٠ | ٩ | ٥ | ٢٨ | ١٧ | ٢٣ | ٤٢ | ٣٨ | ١ | ٣٣ | ٥٠ |
| الجمعة | ٢٤ | ٣ | ٥٢ | ١١ | ٦ | ٢٩ | ١٧ | ٢٣ | ٤٢ | ٣٧ | ٠٠ | ٣١ | ٤٩ |
| السبت | ٢٥ | ٤ | ٥٤ | ١٣ | ٧ | ٢٩ | ١٧ | ٢٤ | ٤٣ | ٣٧ | ٢ ٥٩ | ٣٠ | ٤٧ |
| الأحد | ٢٦ | ٥ | ٥٥ | ١٤ | ٧ | ٣٠ | ١٧ | ٢٤ | ٤٣ | ٣٧ | ٥٩ | ٢٩ | ٤٦ |
| الاثنين | ٢٧ | ٦ | ٥٧ | ١٦ | ٨ | ٣٠ | ١٧ | ٢٥ | ٤٤ | ٣٦ | ٥٨ | ٢٨ | ٤٥ |
| الثلاثاء | ٢٨ | ٧ | ٥٩ | ١٧ | ٩ | ٣٠ | ١٧ | ٢٦ | ٤٤ | ٣٦ | ٥٧ | ٢٧ | ٤٤ |
| الاربعاء | ٢٩ | ٨ | ١١ ٠٠ | ١٩ | ١٠ | ٣١ | ١٧ | ٢٦ | ٤٥ | ٣٦ | ٥٦ | ٢٦ | ٤٣ |
| الخميس | ٣٠ | ٩ | ٢ | ٢١ | ١١ | ٣١ | ١٧ | ٢٧ | ٤٦ | ٣٥ | ٥٥ | ٢٤ | ٤٢ |

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

هدية العدد : براعم الايمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٩٢ ○ ذو الحجة ١٤٠٠ هـ ○ اكتوبر ١٩٨٠ م



# اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

منظر جوي فريد للحرم المكي الشريف

# الوعي الاسلامي

## AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٩٢ ○ ذو الحجة ١٤٠٠ هـ ○ اكتوبر ١٩٨٠ م

### هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

### تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

### ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# الحج عرفة

**الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ، كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر مناديا ينادي : « الحج عرفة » وجمهور العلماء على أن وقت الوقوف يبتدىء من زوال اليوم التاسع من ذي الحجة الى طلوع فجر اليوم العاشر ، وانه يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ليلا أو نهارا ، الا أنه ان وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف الى ما بعد الغروب ، وان وقف بالليل لم يجب عليه شيء ، ومعنى الوقوف الحضور في أي جزء من عرفة ، راكبا أو ماشيا ، قاعدا أو مضطجعا ، نائما أو يقظان ، طاهرا أم غير طاهر ، ما عدا بطن عرفة ( وهو واد يقع في الجهة الغربية من عرفة ) فان الوقوف به لا يجزىء .**

ويوم عرفة له فضل عظيم عند الله تعالى ، بينه فيما رواه ابن حبان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة ، فقال رجل : هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله ؟ قال : هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله . وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا ، فيباهي بأهل الارض أهل السماء فيقول : أنظروا الى عبادي ، جاءوني شعثا غبرا ، ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي ، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة » .. وبينه أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله : « وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تثوب . فقال : يا بلال : أنصت لي الناس . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصت الناس . فقال : معشر الناس ، أتاني جبريل عليه السلام آنفا ، فأقرأني من ربي السلام وقال : ان الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات » .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله هذا لنا خاصة ؟ قال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة فقال عمر رضي الله عنه :

كثر خير الله وطاب .

ويوم عرفة يوم يذل فيه الشيطان ويدحر ، ويعمه الغيظ بسبب ما يشمل الله به حجاج بيته من غفران ورحمة . روى الحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصفر ، ولا أدحر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة .. وما ذاك الا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، الا ما رأى من يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال : أما انه رأى جبريل يزع الملائكة .. أي يقودهم في ضرب المشركين .

**ومن آداب الوقوف بعرفة المحافظة على الطهارة الكاملة ، واستقبال القبلة ، والاكثار من الذكر والاستغفار ، والدعاء لنفسه ولغيره بما شاء من أمور الدين والدنيا ، مع خشية الله ، وحضور القلب ، ورفع اليدين .**

روى أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الدعلودعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

**والنبي – صلى الله عليه وسلم – نهى عن صوم يوم عرفة لمن بعرفة ، ورغب في صومه لمن لم يكن حاجا .**

**وتسن الافاضة من عرفة بعد غروب الشمس بالسكينة رفقا بالناس لما روى الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم – أفاض من عرفة بالسكينة ، وضم اليه زمام ناقته ، حتى ان رأسها ليصيب طرف رحله وهو يقول : « أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالابضاع – أي الاسراع – » .**

ويستحب الذكر والتلبية أثناء الافاضة من عرفة ، فقد روى أبو داود عن أشعث بن سليم عن أبيه قال : أقبلت مع ابن عمر رضي الله عنهما من عرفات الى مزدلفة ، فلم يكن يفتر من التكبير والتهليل حتى آتينا المزدلفة » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتر عن التلبية حتى يرمي جمرة العقبة .

نسأل الله أن يوفق المسلمين الى اغتنام الخير والرحمة والمغفرة بحج بيته العظيم حجا خالصا لوجهه الكريم ، خاليا من الرفث والفسوق ، والجدال ، ليخرجوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم اتباعا لقول الحق تبارك وتعالى : « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب** » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ..

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# خلود القرآن

للاستاذ حسن منصور

على مدى اربعة عشر قرنا لم يكن للامة الاسلامية ملاذ يحمي بقاءها وتحقق به وجودها غير هذا القرآن ، هذا الكتاب النافذ على ضمير الأمة بسلطانه ــ الموحد لشملها بلوائه على تنائي الديار ــ وتباعد العصور وتفاوت الأجيال واختلاف الاجناس والألوان .

إنه اعجب كتاب ، عرفته الانسانية بين جميع الكتب السماوية والبشرية فهو كتاب ثبت بنصه اربعة عشر قرنا لم يطرأ عليه تغيير ــ فلم يحذف منه حرف ــ ولم يضف اليه حرف ــ وبقي يقرأ ويكتب ويدرس ويناقش بنصه الأصلي رغم ترجمته الى كل لغات الأرض فلم يصبه ما اصاب الكتب الاخرى مثل الانجيل والتوراة عند ترجمتهما من عبث الايادي والطامعين بهما .

يقول العلامة الشيخ الفاضل ابن عاشور في محاضرته الخامسة من المحاضرات المغربيات : « فالقرآن هو الذي وصف نفسه بأنه معجز ، وهو الذي

تحدى الناس ودعاهم الى معارضته حتى يكون عجزهم عن المعارضة برهانا على صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم فيما يدعي وامانته فيما يبلغ ـ فقد كان النبي يتحداهم به ويتلوه على رؤوسهم ، وكان يتطاول عليهم بانهم عجزوا عن معارضته رغم أميته ومعرفتهم بالاديان القديمة ، وكانت آيات القرآن العظيم تستخلص من ذلك العجز حجة قائمة وبرهانا قاطعا على ان القرآن ليس من كلام محمد وانما هو من كلام الله ، ويقول في موضوع آخر : « وقد مضت حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن والناس يتلونه بين يديه والمعارضون له منكبون عليه طمعا في امكان معارضته او تعلقا بنقضه ، ولكنه كلام الله تعالى الذي صدر عن ذاته العلية مباشرة بالحرف الذي يعبر عن المعنى التي اصدرها على صيغتها تلك مرادا بها الاعجاز الى يوم البعث والنشور » وصدق الله اذ يقول : ( **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ) الحجر / ٩ فهو معجزة نبوة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المبعوث بختام الاديان ، وهو كتاب العقيدة الاسلامية فجميع المذاهب الفقهية تتعدد والأصل واحد ، والفرق الاسلامية تختلف ولكنها تحتكم دائما الى فهمها لكتاب الاسلام وتستدل بنصوص آياته ، فالسنة النبوية ـ والقياس ـ والاجماع كلها مأخوذة من القرآن الكريم ومستمدة منه ـ فهو الأصل الأول للتشريع ، وهو الرباط المقدس للأمة الاسلامية على تنائي المكان من اقصى الشرق الى اقصى الغرب في عقيدتها وروحها ومزاجها وتفكيرها .

وعلى تباعد الزمن من عصر غار حراء مهبط الوحي الى عصر القمر الذي نعيش فيه تتفاوت الأجيال في موقفها من التدين وفهمها لهذا الدين الخاتم ، ولكنها كلها ترجع الى القرآن وتحتكم اليه ، ويبقى هو ثابتا لا يتغير ولا تتعلق به شبهة ولا يمسه ادنى تبديل او تحريف يقول الله تعالى :

( **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ) المائدة / ٤٨

## حفظ القرآن

منذ فجر الاسلام بدأ توثيق القرآن يتلوه المصطفى صلى الله عليه وسلم على صحابته ويقرأونه عليه ، ويكتبه كتاب منهم على ما تيسر من مواد الكتابة باشراف الرسول وبتوجيهه ، لأنه كان هناك تنبه شديد الى ما لحق التوراة من تزييف من قبل اليهود ، وكذلك ما لحق الانجيل من اختلاف الطوائف المسيحية عليه نصا

وفهما وتأويلا .

وبما ان القرآن هو الكتاب الخاتم للرسالات الدينية ، المصدق لما سبقه من كتبها ، والمستصفي لما فيها من جوهر الدين ، فرضت الحاجة الى ضرورة توثيق نصه لتجد فيه البشرية الكلمة الأخيرة للدين ــ آمنة من شبهة اي تحريف ، فلم يكتف المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن يحفظه الصحابة في صدورهم بل ندب لكتابته عددا من كتابهم ــ وكان هو الذي يحدد موضع كل آية من سورتها بتوجيه الوحي .وتوفي الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كله محفوظ في صدور الصحابة ومدون على ما تيسر من الرقاع والعسب والواح الاكتاف ورقاق الحجارة وان لم يجمعه كتاب واحد .

## أول جمع للقرآن

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه كانت اول عملية جمع للقرآن من صحفه المتفرقة لأنه في حروب الردة استشهد عدد كبير من الصحابة حفظة القرآن فقد أورد البخاري في كتاب فضائل القرآن ــ ان يوم اليمامة استشهد فيه نحو ٤٥٥ صحابيا ــ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي سعى لهذا الجمع حيث تحدث فيه الى خليفة رسول الله أبي بكر فتردد رضي الله عنه تحرجا من ان يفعل شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم . فلم يزل عمر يراجعه في الامر حتى شرح الله صدره لذلك ــ وتمت عملية الجمع والعهد بالمصطفى ما يزال قريبا ــ وندب لها زيد بن ثابت أحد كتاب الوحي للرسول واكبر حفاظ القرآن الثقاة ــ وامر كل من لديه شيء من الصحف والرقاع ان يقدمها الى زيد فبلغ من حرصه وتحرجه ان كان لا يكتفي بمراجعة ما يتلقى من صحف القرآن على حفظه له بل بالغ في الاحتياط فلم يقبل من احد آية الا ان يأتي بشاهدين على انها كتبت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم .

## خطر اللهجات على القرآن

كان المسلمون من قبائل العرب قد اذن لهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن على عدة وجوه تعرف في المصطلح القرآني بالاحرف السبعة يختلف فيها منطوق الفاظ من القرآن دون معانيها ودلالتها ــ تبعا لاختلاف لهجات العرب او لغاتهم على وجه التيسير لهم بالقراءة على ما تطوع به السنتهم ، كان يقرأ بعضهم قوله تعالى : ( **كلما أضاء لهم مشوا فيه** ) ــ البقرة / ٢٠ ويقرأها آخرون ( **سعوا فيه** ) أو ( **مضوا فيه** ) كما نقله الزركشي والسيوطي .

ولم يكن اختلاف الأحرف السبعة في كلمات القرآن يثير اي قلق او شبهة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفتيه ابي بكر وعمر حيث كان المسلمون العرب يعلمون علم اليقين ان الأمر فيه لا يعدو اختلاف لهجات القبائل في هذا اللفظ او ذاك للمعنى الواحد لكن بوادر القلق لاحت بعد ان خرج العرب من جزيرتهم يحملون لواء الاسلام ففتحوا مصر والشام والعراق قبل ان يمضي ربع قرن على الهجرة ، وخالطوا شعوبها التي وجدت في سماحة الاسلام ويسره واقراره حرية التدين ملاذا من وطأة الفرس وضغط الرومان .

## توحيد القرآءات

عندئذ خيف على الاسلام ان تسمع هذه الشعوب الطارئة على العربية قراءة المسلمين العرب للقرآن فيظنوا انهم يختلفون فيه باختلاف هذه الأحرف المباح لهم قراءته بها .

ثم اشتد القلق حين خرج مسلمو الشام والعراق مع كتائب الفاتحين الى ما وراء النهر وقد كان هؤلاء وهؤلاء تلقوا القرآن من صحابة تختلف قبائلهم فحدث ان اهل الشام خطأوا اهل العراق ــ وكذلك خطأ العراقيون اهل الشام على مرآى ومسمع من شعوب البلاد التي امتدت اليها راية الاسلام .

فقد روي البخاري في صحيحه ان الصحابي ابن اليماني خرج مع جند الشام والعراق في فتح ارمينية واذربيجان ــ فأفزعه اختلافهم على قراءة القرآن ــ فلما رجع قدم على الخليفة عثمان فقال له : ادرك الأمة قبل ان يختلفوا على القرآن اختلاف اليهود والنصارى وتتابعت النذر باصداء هذا الاختلاف ووقعه فكان ان استقر الرأي على ضرورة حسمه .

فأرسل عثمان الى ام المؤمنين حفصة رضي الله عنها يستأذنها في ان تخرج اليه المصحف المجموع المودع لديها لينسخ منه نسخا ثم يعيده اليها .

وندب لذلك اربعة من الصحابة برئاسة زيد بن ثابت لكتابة المصحف بلغته القرشية التي قرأه بها المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة للقرآن ــ فلما فرغوا من كتابة المصحف الامام نسخت منه اربع نسخ على المشهور بقيت احداها بالمدينة وارسلت الثلاثة الى كل من الكوفة والبصرة ــ والشام ــ مع الامر بأن يحرق ما عداها من المصاحف باقرار الصحابة ومشورتهم حيث قضت بذلك الضرورة وهي تعدد اللهجات في الاقطار التي دخلها الاسلام وسوغ هذا الاجراء تفادي الخطر من اختلاف المسلمين على قراءته وقد زللت الحاجة التي سوغت التيسير حيث ألف العرب لغة النبي القرشي لسان الدين والدولة .

وقد نقل الزركشي في كتابه ــ البرهان في علوم القرآن ــ ما روى عن الامام علي

رضي الله عنه حيث قال :

رحم الله ابا بكر ــ هو اول من جمع المصحف بين اللوحين ولم يحتج الصحابة في أيامه وأيام عمر الى جمعه على وجه ما جمعه عثمان لأنه لم يحدث في أيامهما من الخلاف ما حدث في زمن عثمان ، ولقد وفق لأمر عظيم ؛ رفع الاختلاف وجمع الكلمة . وأراح الأمة .

## القراءات السبعة وعلم القراءات

وبالمصحف الامام لم يعد هناك أي خلاف الا في طريقة القراءة للمصحف الواحد من حيث المسلك الصوتي وكيفية الاداء لما يحتمله رسم الكلمة وهذه ايضا لم تترك بغير ضابط بل عرفت الامصار الاسلامية من ذلك الزمن المبكر ائمة من جيل التابعين يرجع اليهم الناس في اقراء القرآن كما تلقوه من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الناس على رأس المائة الثانية للهجرة على قراءة أبي عمرو بن العلاء ــ بالبصرة ــ وحمزة وعاصم بالكوفة وابن عامر بالشام وابن كثير بمكة ونافع بالمدينة كلهم ممن اشتهرت امامتهم وطال عمرهم في الاقراء وارتحل الناس اليهم من البلدان ــ وعلى رأس المائة الثالثة اقتصر ابو بكر بن مجاهد شيخ القراء في بغداد المتوفي سنة ٣٢٤ هــ على القراءات السبع المشهورة المنقولة عن الأئمة السبعة وهم :

١ ) عبدالله بن كثير المكي مولي القرشيين التابعي المتوفي بمكة ١٢٠ هــ
٢ ) نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المدني المتوفي بالمدينة عام ١٦٩ هــ
٣ ) عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي قاطن دمشق من كبار التابعين توفي حوالي عام ١١٥ هــ
٤ ) ابو بكر بن علاء البصري المتوفي عام ١٥٤ هــ
٥ ) عاصم بن ابي النجود ابو بكر الاسدي الكوفي المتوفي بها عام ١٢٨ هــ
٦ ) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي المتوفي عام ١٥٦ هــ
٧ ) ابو علي حمزة الكساني الكوفي مولى ابي اسد

والسبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم انه لما كثر قراء القرآن نظر الناس في كل مصر الى امام مشهور بالفقه والأمانة وحسن الدين وكمال العلم قد طال عمره منقطعا الى الاقراء واجمع اهل المصر على عدالته وتنقلت القراءات السبع المتفق عليها عبر الزمن بالتواتر متصلة الاسناد طبقة عن طبقة الى القراء السبعة الأئمة .

ومهما تختلف هذه القراءات في طريق الاداء فانها تلتقي جميعا في اتصال

اسنادها وموافقتها للغة العرب والتزامها رسم المصحف العثماني .
وتتابعت اجيال المحققين على خدمة القراءات وصنفت كتب في نقط المصاحف وفي ضوابط الوقف وسائر قواعد التجويد على القراءات السبع التي يقرأ بها القرآن اليوم في سائر البلاد الاسلامية وكان لمراكز الاشعاع العلمي بشمالنا الافريقي كجامع الزيتونة بتونس وجمعية العلماء بالجزائر وجامعة القروين بفاس اليد البيضاء والمنة العظمى في المحافظة على تسلسل حفظ القرآن رواية ودراية من لدن بثه ونشره بعاصمة الاسلام الأولى بالمغرب العربي مدينة القيروان اثر الفتح الاسلامي على يد العبادلة السبعة الى يوم الناس هذا ثم ان النظام الزيتوني القديم كان يتبنى شعبة القراءات الى جانب الشعب العلمية الاخرى يتخرج فيها كل سنة ثلة من العالمين به والقائمين بهذا العلم قراءة ودراية وهو ما يسمى بعلم التجويد على النحو الذي قرأه به الأئمة السبعة بالاسناد المتصل الى الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث ضبطت قراءته بالتواتر بالتلقي المباشر عن ائمة القراء الذين كانت تزخر بهم الزيتونة متصلة الاسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم وتختم دراسة المتخرجين منهم بشهادتي التطويع او العالمية في القراءات .

وبهذا التوثيق الذي لا يعرف التاريخ له مثيلا لم يكن هناك اي مجال لتحريف نصه بل سدت كل الذرائع التي يحتمل ان يصل اليه منها اي تغيير او تبديل نصا ورسما وقراءة ، وتجويدا فهو بحق اعجب كتاب عرفته الانسانية لا يشبهه في صفاته وخصائصه وتأثيره على الذين يؤمنون به اي كتاب آخر ــ يقول الرافعي رحمه الله في وصف القرآن : الفاظ اذ اشتدت فامواج البحار الزاخرة واذاهي لانت فانفاس الحياة الآخرة تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها معان ترويك من ماء البيان ورقة تستروح منها نسيم الجنان ونورا تبصر به في مرآة الايمان وجه الامان وتمثل للمذنب حقيقة الانسانية حتى يظن انه صنف آخر من الانسان .
وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب » رواه احمد ، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ــ اي الحافظ له باتقان ــ مع السفرة الكرام ــ رواه البيهقي ــ اي الملائكة المقربين ــ وعن سيدنا عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري والترمذي وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الذي ليس في جوفه ــ اي قلبه ــ شيء من القرآن كالبيت الخرب » رواه احمد والترمذي والحاكم وصدق الله اذ يقول : **( كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد )** . ابراهيم / ١ .

# الفصحى

# من شعائر الاسلام

محمد مؤذن

للشيخ احمد حسن الباقوري

١٢

كتبت إلى ـ حفظك الله ـ تسألني عن سندي في تصويب كلمة « تقييم » التي يراها بعض المتأدبين خطأ في الدلالة على قيمة الأمر من الأمور ، أو السلعة من السلع ، أو الشيء من الأشياء ، بدلا من كلمة « تقويم » التي هي الأصل المستخدم في هذا الباب .

وقد تلقيت كتابك الكريم بيد قادرة فضلك ، شاكرة لك حسن ظنك بي في تصويب خطأ ، أو تخطئة صواب في لغتنا العربية الشريفة .

ولقد كان من يمن كتابك الي ، أنه ذكرني بالجزء الأول من « خصائص ابن جنى » الذي كنا نطالع فيه المسألة ، التي يدور كتابك الكريم حولها ، ونحن آنئذ في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية ، وقد كنت أنسيت الجزء الأول ، فأخذه أحد الذين يأخذون ما لا يملكون ، ثم ينسون أو يذكرون ما أخذوا ، إلا أن تطلب إليهم أن يردوا إليك ما أنساكه الشيطان الرجيم .

ولعل من الحق على أن أذكر الأخ المفضال بما كنا قد تناقشنا فيه ، حول النطق الصحيح باسم مؤلف الكتاب ، وأن اسمه هو « جنى » ـ بالجيم الأعجمية لا بالجيم العربية ـ حتى تكون الكلمة مأخوذة في اللسان الأعجمي ، من كلمة 'gennius' بمعنى فاضل أو نبيل أو عبقري أو نابغة ، إلى غير ذلك ، مما تدل عليه الكلمة في اللغة الأعجمية الأوروبية .

هذا ، ولعل الأخ المفضال لايزال يذكر أن علماء العربية ، يطيب لهم أن ينطقوا هذا الاسم ، منسوبا إلى الجن ، فهو جيم عربية ، منقوطة بواحدة من تحت ، ثم نون مشددة ثم ياء النسب العربية ، وهذا النطق خطأ لفظي ، وإن كان يسوغه ـ لو كان للخطأ أن يسوغ ـ أن العرب ، تنسب الشيء العجيب النابغ العبقري إلى « عبقر » التي يزعمون أنها علم على وادي يسكنه الجن .

أما السند لصحة النطق باسم مؤلف كتاب « الخصائص » فان في شرح العلامة الدماميني لكتاب « المغنى » هذا السند الموثوق ، وفيه يقول الامام العلامة ـ رحمه الله ـ وإعراب « جنى » على الحكاية لحالها في العجمة ، فلا تعامل في الاعراب معاملة الكلمات العربية ، وذلك أنها لو ذهب بها هذا المذهب ، لعوملت معاملة الأسماء المنقوصة ، فقيل « ابن جن » فتضيع عندئذ صورة العلم ، ويلتبس الأمر بالجن ، فمن ثم ، أبقيت كما هي ، حفاظا على صورتها ، ويراجع في ذلك الجزء الأول من كتاب « الخصائص » صفحة ( ٩ ) طبع دار الكتب المصرية .

هذا ، وأما ما تفضلت بسؤالي عنه من تصويب كلمة « تقييم » مع الفرق بينها وبين كلمة « تقويم » فان كلمة « تقييم » بمعنى معرفة القيمة ـ هي في مبلغ علمي ، صواب مظلوم ، وأذكر أنني كنت قد نشرت تصويب

هذه الكلمة بهذا العنوان في جريدة الأخبار المصرية ، وقبل أن أذكر السند ووجهة النظر ، التي استندت إليها في هذا التصويب ، أبادر إلى القول بأن كلتا الكلمتين : « تقييم » و « تقويم » مردودة في أصلها إلى « الواو » في الفعل « قام ، يقوم » .

تقول العرب : قوم الرجل العود واقامه ، فقام واستقام . وتقول : بكم قام عليك هذا المتاع ؟، كما تقول : قام بعيرك مائة دينار ، وقام البعيران ثمنا واحدا . فالواو ــ كما ترى ــ أصل في هذا البناء من لغتنا العربية الشريفة ، بغير فرق بين التقويم بمعنى تعديل العوج ، وبين التقويم بمعنى طلب القيمة للسلعة .

غير أنك مستطيع أن ترى فرقا في الاستعمال ، يسوغ لك كلمة « التقييم » بمعنى الطلب لقيمة الشيء .

وخلاصة القول في ذلك ، راجع إلى ما ذكره العلامة ابن جنى ، في الجزء الأول من كتابه « الخصائص » صفحة ( ٣٤٧ ) طبع دار الكتب المصرية . فقد قال ــ رحمه الله ــ « باب في تدريج اللغة » :

وذلك أن يشبه شيء شيئا من موضع ، فيمضى حكمه على حكم الأول ، ثم يرقى منه إلى غيره .

فمن ذلك قولهم : « جالس الحسن أو ابن سيرين » . ولو أن المأمور بمجالسة أحدهما جالسهما جميعا ، لكان مصيبا مطيعا غير مخالف ، وإن كانت « أو » إنما هى ــ في أصل وضعها ــ لأحد الشيئين .

وإنما جاز ذلك في هذا الموضع ، لا لشيء رجع إلى نفس « أو » ، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى « أو » . وذلك لأنه قد عرف ، أنه إنما رغب في مجالسة الحسن لما لمجالسه في ذلك من الحظ ، وهذه الحال موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضا ، وكأنه قال : « جالس هذا الضرب من الناس » . وعلى ذلك جرى النهي في هذا الطرز من القول ، في قول الله ــ سبحانه ــ: **( ولا تطع منهم آثما أو كفورا )** الانسان/ ٢٤ ، وكأنه قال ــ والله أعلم ــ : لا تطع هذا الضرب من الناس . ثم إنه لما رأى « أو » في هذا الموضوع قد جرت مجرى « الواو » ، تدرج من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى « الواو » ، في موضع عار من هذه القرينة ، التي سوغته استعمال « أو » في معنى « الواو » .. إلى آخر هذا الباب .

وقد مضى الشيخ ــ رضوان الله عليه ــ يقول : « ومن التدريج في اللغة ، قولهم ــ للمطر الدائم في سكون ــ : « ديمة » و « ديم » في المفرد والجمع ، ثم تجاوزوا ذلك لما كثر وشاع ، إلى أن قالوا : « ديمت السماء ، ودومت » .

فأما « دومت السماء » ، فعلى القياس . وأما « ديمت السماء » ، فلاستمرار القلب في « ديمة وديم » ، وقد أنشد اللغويون شاهدا لهذا :ــ

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل
إن دوموا جاد ، وإن جاد وبل

وهذا البيت في وصف فرس . وسبل ، فرس نجيبة في العرب . ولهذه

الفرس ذكر في « أنساب الخيل » لابن الكلبي .

قال الامام العلامة ابن جنى : « وجماع هذا الباب ، غلبة « الياء » على « الواو » ، لخفتها ، فهم لا يزالون ، تسببا إليها ، ونجشا عنها ، واستثارة لها ، وتقربا ما استطاعوا منها .

ومصداق هذا الذي قرره العلامة ابن جنى ، ما رواه عن العرب الأقحاح ، العلامة اللغوي الجليل أبو القاسم ، محمود ، بن عمر ، جار الله الزمخشري ، حيث قال — رحمه الله ورضي عنه — في كتابه « أساس البلاغة » : « دام الشيء دوما ودواما ، ولا أفعله مادام الأمر هكذا . وأدام الله عزك . وأنا أستديم الله نعمتك . ودام على الأمر فلان ، وداوم عليه . وظل دوم : دائم . قال حاجب بن زرارة في يوم جبلة :—

شتان هذا والعناق والنوم
والمشرب البارد في الظل الدوم

وهم يقولون : دام المطر أياما . ومطرتهم السماء ، بديمة وديم ، وديمت وأدامت . وشرب القوم المدامة ، والمدام . وإنما سميت كذلك ، لأن شربها يدام أياما دون سائر الأشربة . ويقولون : قطع السفر ديمومة وديااميم ، وهي الأرض التي يدوم بعدها .

والأصل ، من الدوام ، كالكينونة من الكون .

ولست ترتاب — رحمك الله — في أن التأمل الدقيق في هذه النصوص ، واردة على الأخلاف من فصحاء الأسلاف ، تؤذن بتصويب كلمة « تقييم » ، مرادا بها طلب قيمة الشيء . ولكي تفرق بين هذه الصيغة وبين صيغة « التقويم » ، مرادا بها التعديل من عوج ، لا أراك تضيق صدرا باستخدام الكلمتين في معنيين مختلفين ، مع التزام « الواو » حينما تريد تعديل العوج ، وإيثار الياء عليها ، حينما تريد تقدير القيمة .

وثمت كلمة ثانية ، يستعملها الناس في عصرنا على أنها صواب ، وهي عريقة في الخطأ ، وهي كلمة « العشرينات » و « الثلاثينات » و « الاربعينات » ، وما إلى ذلك من سائر العقود .

ووجه الخطأ في هذا الاستعمال ، أن هذه الكلمات ، جموع لعشرينة ، وثلاثينة وأربعينة ، وليست هذه الكلمات في متن اللغة ، إذ كانت لا معنى لها .

والصواب في الاستعمال ، أن يقول القائل : « هذا حدث في العشرينيات ، والثلاثينيات ، والأربعينيات » ، بمعنى أنه حدث في السنوات المنسوبة الى العشرين والثلاثين والأربعين وما إليها .

فالكلمة يجب أن تكون مستعملة على طريق ياء النسبة ، وحذف الياء هذه ، خطأ عريق في باب الخطأ ، الذي يكاد يهبط إلى منزلة الخطيئة ، لأن الفصحى من شعائر الاسلام ، ولأن الحرص على العربية ، حرص على لغة القرآن ، والله — تعالى — من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

# الأرواح في عالمها

## أهمية الدراسة الروحية في الزمن المادي

لعل هذا الزمن الذي نعيش فيه من أكثر الأزمان مناسبة لنقوم برحلة إشراقية في عالم الروح ، مهتدين في هذه الرحلة بآيات الله سبحانه ، وما ورد في الأحاديث الصحاح ، ذلك لأن روح كل إنسان هي مصدر حياته ، والاحساس بها مركوز في اعماق الفطرة البشرية ، وهي نفخة من روح الله نتوارثها عبر الأجيال عن أبينا آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة

**( فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين )** الحجر / ٢٩ .

من اجل ذلك يستمد الانسان اليقين حين تتفتح روحه لأنوار الله — ومن أجل ذلك كانت الدراسة الروحية السليمة معينة على ذلك المنهاج القويم .. والدراسة الروحية المستأنية لازمة في هذا الزمن ليس من أجل زيادة الايمان فحسب أو لتنقية النفس وإنما كذلك لتبديد ما انتشر من خرافات عن استحضار الأرواح

للأستاذ / محمد لبيب البوهي

وانتشار مئات الجمعيات في الشرق والغرب والتخبط الذي يتلقفه كثير من الناس كأنه حقائق لشدة الظمأ إلى معرفة ما يأتيهم من تدجيل عن ذلك العالم المجهول ..

ولقد كتبنا في مقال سبق بمجلة الوعي الغراء نبذة عن الحياة الأخرى وما جاء في آيات الله وأحاديث الرسول عن ذلك ونرجو في هذه المحاولة أن نضيف شيئا ما إلى ما تقدم ..

## على هامش الحياة بعد الموت

لكي نزداد اقتناعا بعالم الروح نحرص في هذه العجالة على أن نسوق اليك أقوال بعض كبار العلماء والأئمة ، يقول الامام السيوطي رضي الله عنه : لا ريب في أن الروح ستكون في عليين في السماء ، وأن لها بالبدن اتصالا متصورا بحيث تدرك .. وتسمع .. وتصلي .. وتقرأ .. ولها سرعة الانتقال الفوري كلمح البصر مما يقتضي عروجها من القبر إلى السماء في أدنى اللحظات ، وشاهد ذلك عروج النائم ، فقد علمنا جميعا أن روح النائم تصعد السبع الطباق وتسجد لله عند العرش ثم ترد الى جسده في غير زمن .. وقد لا يتذكر النائم جولات روحه في عالمها بعد صحوه .

ويقول الامام محمد عبده : « إن العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود ، بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ، ثم يكون حيا باقيا في طور آخر وإن لم يدرك كنهه » .

ويقول الاستاذ الجليل المفتي الشيخ حسنين مخلوف في مؤلف لسيادته : « عالم الروح يختلف عن عالم المادة اختلافا كثيرا في أحواله وأفكاره .. فالروح يبعثها الله في الجسد وهو جنين .. » إلى أن قال : « وعندما تفارق الروح الجسد في الوقت المقدر أزلا تنقطع علائقها به .. وينتهي هيكل البدن ويسمى عندئذ ميتا » ثم قال : لكن الروح تظل في البرزخ لقوله تعالى : ( **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ) المؤمنون / ١٠٠ .

والبرزخ هو ما بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى .. وتبقى الروح حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح وتجول في ملكوت الله تعالى حيث أراد .. وقد تتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها ..

## صورة عن القيامة من آيات الله

تدل الايات على ان القيامة ستقوم ويكون هناك أقوام لم يموتوا بعد وما زالوا أحياء لان الايات تشير الى انهم قد يكونون في شأن لهم بعيدا عن بيوتهم ، فلا يستطيعون الرجوع اليها ، ولا يجدون فرصة ليوصوا أهلهم ، توهما منهم أن أهلهم

سيظلون أحياء من بعدهم ، وذلك في قول الحق تعالى : **( ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون )** يس / ٤٩ ، ٥٠

**كيف يمكن تقريب معنى النفخ في الصور**

قال تعالى :**( ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون )** الزمر / ٦٨ .

ان هذه النفخة في الصور على أثرها تموج البحار .. وتتساقط الكواكب ، وتشتعل الشمس وتتهاوى النجوم ، وتنسف الجبال وتتطاير كالعهن المنفوش .

إنه يمكن تصور النفخ في الصور كانفجار مئات الملايين من القنابل النووية التي دمرت قنبلة واحدة منها فقط – وهي من صنع الانسان – مدينة هيروشيما في اليابان باكملها في لحظات .

ومن هذه النفخة في الصور .. تكون القوة الانفجارية الرهيبة التي لا توصف اذ الحقيقة اكثر واعظم فما ذكرناه مجرد تقريب للمعنى على صورة ما وعلى اثر هذا يصعق من في السموات ومن في الأرض .. ومن هذه الآيات ندرك كذلك ان الزلزلة أو الصعقة ستشمل السموات والأرض ، أي أن القيامة لن تشمل الأرض وحدها ، بل سوف تشمل في ذات الوقت من في السموات .

**هل في السموات مخلوقات تسكنها ؟**

ما زال العلم ورواد الفضاء يبحثون عن ذلك ، ولكن هذه الآيات فيها دلالة قاطعة على وجود مخلوقات في السموات ، لأنهم سيصعقون معنا يوم القيامة ، وفي ذات اللحظات التي يصعق فيها أهل الأرض فتشملهم القيامة جميعا .

**من هم الذين لا يموتون عندما ينفخ في الصور اول مرة ؟**

إذ يصيب الموت كل من في السموات ومن في الأرض فان الآية تقول : **( الا من شاء الله )** .. وقد جاء أنهم جبريل .. وميكائيل .. وإسرافيل ، وملك الموت .

وقد يكون تأخير هؤلاء لانهم سيقومون باذن ربهم بمهمة النهاية الكونية ثم يؤمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل – ثم روح ميكائيل . ثم روح اسرافيل .. ثم يأمر الله ملك الموت فيموت هو نفسه .. ثم يحيى الله إسرافيل ( نافخ الصور ) فيأمره تعالى ان ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله تعالى : **( ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون )** أي ينظرون بعد ذلك إلى البعث .. ويقول يومئذ الذين كانوا في شك من البعث : **( يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون )** ٥٢ / يس .

**مصير الشياطين والمردة :**

ان الشياطين والمردة لن تفر من هول ذلك اليوم العصيب ، فسوف تقبل

منكسة الرؤوس ذليلة بعد عتو وتمرد في الدنيا ، لقد جاءت مذعنة خاشعة من هول ما صارت إليه ومن هيبة العرض يقول تعالى : **( فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا )** ٦٨/ مريم .

ان التأمل العميق في هذه الكلمات يفتح آفاقا من الفهم ، لان الكلمات اشارات تنبثق منها أغوار المعاني بقدر الفهم والتأمل .

## أرض المحشر ليست هي أرض الدنيا

اذ نجد مصداق ذلك في قول الحق سبحانه : **( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات )** وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد » رواه البخاري ومسلم ، أي أرض ناصعة البياض ، ليس فيها اي علامة من شجر .. او بناء .. أوتراب .. وفي الحديث : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق ، وبلغ شحوم الآذان » وكانت السيدة سودة زوج النبي حاضرة هذا الحديث فتعجبت وقالت : يا رسول الله .. وا سوأتاه ـ حفاة غراة ينظر بعضنا الى بعض ؟ فقال : « شغل الناس ( لكل امرىء يومئذ شأن يغنيه ) ٣٧ / عبس ، رواه الطبراني .

وعن اصناف الناس يوم الحشر يقول المصطفى العظيم : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف : صنفا مشاة ، وصنفا ـ كبانا ، وصنفا على وجوههم » قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ، قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم . رواه الترمذي انه الهوان لمن يستحقه وقد يكابر أحد المكابرين فيقول : وكيف يكون مشي الانسان على وجهه ؟ وهنا نذكره بأمر الحية التي تزحف على بطنها بغير أرجل ولا أقدام ..

## من صور يوم القيامة

الأمر هناك يختلف تماما ونحن نستشف بعض ذلك تصويرا وتقديرا الى حد ما يختلف باختلاف التأمل والتخيل المستمد من الاشارات والآيات ، اننا نتصور أن يأتي الناس يومئذ أفواجا بعد أفواج كالفراش المبثوث بما لا حصر له ولا تتسع الأرقام مهما بلغت ان تعطى بيانا عن حقيقة هؤلاء الخلائق الذين كانت الارض قد طوتهم في جوفها منذ خلقت الى أن تقوم الساعة وسيكون هناك خليط عجيب هائل يزحم بعضه بعضا .. فأناس من القرون الأولى إلى جوار آخرين عاشوا بعدهم بآلاف الأجيال والقرون والكل عريان .. مكشوف .. مبهوت في خوف من نتائج الحشر .. الا من رحم ربك .. على حين تدنو الشمس المتهاوية من الرؤوس ونيرانها وأحجارها تتناثر .. وإن عشر معشار طاقتها وهي فوق الرؤوس لكافية لاهلاك الخلائق أجمعين :

ولكن الأمر الالهي قد صدر بأنه لا موت بعد اليوم سوف يتمنى أكثر الجمع يومئذ لو يصبحون ترابا .. أو يهلكون ولكن الأمر الالهي قد صدر بأنه لا موت بعد اليوم .
لكن هناك أقوام سوف يعصمهم الله من هذا كله ، إنهم أولئك الذين سيكونون في ظله سبحانه .. يوم لا ظل الا ظله .. أولئك الذين عصمتهم حسنات ما قدمت أيديهم فأطفأت عنهم نيران هول اليوم المنتظر .

**من فضل الله على الناس**

وبعد .. فان مما يعصم من هول اليوم الموعود أن يتذكر كل امرىء في دنياه ما كان وما هو كائن من فضل الله على الناس ..
لقد أنعم سبحانه علينا بنعمتي الوجود والايمان .. وبسط الأرض لنمشي في مناكبها ونأكل من طيبات رزقه .. وملأ القلوب نورا .. ورسم الطريق بعد الحياة الطيبة في دنيا الناس الى جنة عرضها السموات والأرض .. ثم تفضل سبحانه بأن جعل مجرد أعمالنا الموقوتة في أيام الحياة الدنيا مجرد رمز وجواز مرور الى سعادة الخلود .. فليس للخلود في النعيم ثمن معادل ، وإنما ذلك بفضل الله ورحمته .
روى أن زاهدا عبدالله سبعين عاما عبادة كاملة صحيحة .. وكان سعيدا كل السعادة بتوفيق الله له في ذلك ، وكان يكثر من دعائه إلى الله ألا يحرمه أجر إخلاصه في عبادته .. فرأى في المنام أن الحق سبحانه يوحي اليه ـ أتريد أن نكافئك على قدر اخلاصك في عبادتنا ؟ قال الرجل : اجل يا ربي إذا كنت قبلتها .. فأوحى الله تعالى : لو كافأتك على قدر عملك الذي اخلصت خلاله سبعين عاما لأدخلتك الجنة سبعين عاما مثلها ثم أخرجتك ..
فلنذكر دائما ان اعمالنا مجرد رمز وجواز مرور وفي الحديث الشريف « سددوا وقاربوا وابشروا فانه لن يدخل أحدا الجنة عمله » رواه البخاري ومسلم وقال سفيان رضي الله عنه : ان النجاة من النار بعفو الله .. ودخول الجنة برحمته ـ واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ،

**الذين يخفف عنهم هول يوم الحساب**

في الحديث الشريف لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن طول ذلك اليوم قال :
« والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة » رواه احمد يقول الله سبحانه : **( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون )** الأنبياء / ١٠١ أي الذين كانوا موفقين للأعمال التي تجلب لهم السعادة في الآخرة حين عملوا بها في الدنيا هم في بعد عن كل ما يلاقيه الأشقياء من أهوال القيامة .
بل منهم من يسرع به إلى الجنة بغير حساب ، فيكونون في الجنات آمنين لا يحسون ما يحسه سواهم من ألوان العذاب في البعث .. والانتظار ..

والسؤال ( **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ) ١٠٢ / الأنبياء لأن نعيم الآخرة غير محدود بزمن .. إنه الدوام المطلق إلى غير نهاية ( **لا يحزنهم الفزع الأكبر** ) ١٠٣/ الأنبياء ، دليل من القرآن الكريم على ما يكون من فزع في ذلك اليوم كما قال تعالى : ( **ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض** ) ٨٧ / النمل

**عندما تكون الدنيا مزرعة الآخرة**

كان الامام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : ( « ان في الدنيا جنة من لم يذقها لم يدخل جنة الآخرة ) .

وهذا قول له حلاوة في القلوب .. ولا يدرك الا بالذوق .. ففي الدنيا جنة الايمان ــ ومن ثماره السكينة .. والرضا .. والتوكل .. والتفويض .. والتفكر في بديع صنع الله ، وكلها اشياء مما يسعد النفس ويشرح الصدر .. ومنها كنوز الأنوار التي تتفجر في قلب المؤمن في كل حركاته وسكناته في دنياه التي جعلها الله مزرعة لآخرته ، فتذوق في حياته نعيما جعل بعض الذين تذوقوه يقولون ، نحن في لذة لو درى بها الملوك لحسدونا عليها .

انها أفراح الأرواح .. حتى من قبل أن تفارق الأبدان .. وحين تضع يدك في يد الله لن تحزن ولن تخاف .. وستجد الراحة بعد لذة العبادة في كل شيء ، ستسعدك تغريدة عصفور .. وخرير ماء جدول وحفيف ورق شجر .. وسوف تشارك الكائنات في تسبيحها الدائم المطلق لبديع السموات والأرض .. وسوف تعمل في حياتك وتكد وتجتهد ولكن بغير هم أو قلق أو اضطراب نفسي : لأنك ترى الله في كل شيء .. وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء .

وبعد : فان نعيم الخلود يستحق كل ما نبذله من جهد منذ الان وفي حديث رواه كليب بن حرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اطلبوا الجنة جهدكم ، واهربوا من النار جهدكم ، فان الجنة لا ينام طالبها وان النار لا ينام هاربها » رواه الطبراني .

والانسان ضعيف بنفسه قوي بربه .. والشيطان للانسان الغافل بالمرصاد ، يتربص به ، ويبحث عن ثغرة ينفذ منها ، فلا عاصم منه الا الله لاننا بانفسنا لا نقدر على الشيطان ، ولذلك لم يطلب منا الحق سبحانه ان نستعيذ من الشيطان بالملائكة او بالعلم او بالاجتهاد وانما امرنا أن تكون الاستعاذة به وحده سبحانه .

وأبوابه تعالى على مصراعيها مفتحة لمن يتجه إليها ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار : يا رب إن عبدك فلانا استجار مني فأجره ، ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يا رب إن عبدك فلانا سألني فادخله الجنة » رواه ابو يعلي على شرط البخاري ومسلم

# البنوك الإسلامية

## ودورها في المجتمع الإسلامي

للاستاذ مجدي عبدالفتاح سليمان

أحمد الله تبارك وتعالى على تلك الصحوة الاسلامية المباركة التي ظهرت في السنوات الأخيرة نحو البنوك الاسلامية التي تقوم بكافة الأعمال والخدمات المصرفية ، وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية ، مبتعدة كل البعد عن المعاملات الربوية لما في الربا من ظلم واستغلال ، وفي هذا اصلاح للمجتمع الاسلامي ، لأن الربا يفسد كيان الجماعة البشرية بما يبثه من روح الشره والطمع والأثرة » .

وقد اتخذت خطوات إيجابية وفعالة حيث قد تم انشاء بعض البنوك الاسلامية ، وباشرت الأعمال المصرفية طبقا لأحكـــام الشريعة الاسلامية ، وأصبح عددها سبعة بنوك هي :

● البنك الاسلامي للتنمية السعودي ـ بنك دبي الاسلامي ـ بنك التمويل الكويتي ـ بنك فيصل الاسلامي السوداني ـ بنك فيصل الاسلامي المصري ـ بنك ناصر الاجتماعي المصري ـ البنك الاسلامي الاردني للتمويل والاستثمار .

ونجحت تجربة البنوك الاسلامية ، رغم ان فترة وجودها قصيرة نسبيا ، وحققت معدلات من التعامل تتفق مع أعلى مقاييس النجاح الذي أحرزته بنوك ربوية عريقة ، اتصل نشاطها طوال قرون بأكملها .

ولما كانت الارقام خير مصداق لأي قول ، فلنقدم بعضا منها بما حققه بنك ناصر الاجتماعي المصري عام ١٩٧٨ ، ففيما يتعلق بالايرادات الجارية بلغت ٥١,١ مليون جنيه مصري مقابل ٤٦,٨ مليون جنيه مصري كانت مستهدفة ، ٤٦,٢ مليون جنيه محققة فعلا في عام ١٩٧٧ ، وقد اسفرت نتائج أعمال البنك عن السنة المالية ١٩٧٨ عن تحقيق فائض قابل للتوزيع قدره (١٢) مليون جنيه وذلك مقابل مستهدف قدره ( ٢,٤ ) مليون جنيه ومقابل فعلي السنة المالية السابقة ويبلـــغ (٣) ملايين جنيه ، بحيث تحققت زيادة قدرها ( ٩,٦ ) ملايين جنيه مصري .

ولبيان دور البنوك الاسلامية في المجتمع الاسلامي ينبغي ان نلقي الضوء على الأسس والخصائص التي تقوم عليها البنوك الاسلامية ، وأولى هذه الخصائص :

**أ) عدم التعامل بالفائدة :**

قال تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن**

كنتم مؤمنين ) فلقد حرم الاسلام الربا لما في الربا من ظلم واستغلال وهو ظلم لأن عقد القرض الربوي يضمن للدائن زيادة في رأس ماله دون تحمل أية خسارة ، ويحصل فوق كل ذلك على الفائدة ، وكلما كان الطرف المـــدين ضعيفا أي مضطرا كلما استطاع الطرف الدائن ان يحصل على زيادة اكبر ، ومما لا شك فيه ان التعامل بالفائدة يؤدي الى تكوين طبقة تملك رؤوس الأموال ، وتتيح لها هذه الملكية التحكم في الطبقات الأخرى مما يؤدي الى الصراع داخل طبقات المجتمع .

**ب) المشاركـــة في رأس مال المشروعات المنتجة :**

ومعنى المشاركة هو المساهمة في رأس مال المشروع الانتاجي بما يترتب عليه أن يصبح البنك شريكـا في ملكية المشروع ، وشريكا في إدارته وتسييره والاشراف عليه ، وشريكا في كل ما ينتج من ربح أو خسارة بالنسبة المتفق عليها .

**ج) توجيه الجهد نحو التنمية عن طريق الاستثمارات :**

ينطلق البنك الاسلامي من تصور الاسلام ومنهجه الخاص في الحياة ، وهو لا يقر التعامل بالفائدة ، لذلك فان البنك الاسلامي يقوم بالاستثمار المباشر عن طريق توظيف الأموال التجارية في مشروعات تدر عليه عائدا وايضا عمليات الاستثمار بالمشاركة في المشروعات ..

**د) ايجاد التوازن بين العمل ورأس المال :**

وربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية .

فكما أن الاسلام يحترم حق الملكية فانه كذلك يدعو إلى العمل الشريف المنتج ، وبهذا يقوم التوازن بين العمل ورأس المال حتى لا يطغى عنصر على آخر ، فيصبح العمل مصدرا للكسب بجانب رأس المال ، والبنك الاسلامي هو بنك مالي واقتصادي ولا يربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية فحسب ، بل إنه يعتبر التنمية الاجتماعية أساسا لا تؤتى التنمية الاقتصادية ثمارها الا بمراعاته ، ويضع مصلحة الجماعة الأساس الاول من كل انواع النشاط .

**هـ ) جمع الزكاة :**

يقوم البنك الاسلامي بجمع الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية وسيلتزم البنك الاسلامي بأداء الزكاة المفروضة شرعا على رأس ماله حتى يطهره ويقوم بتوزيعها في مصارفها الشرعية تحت إشراف فضيلة شيخ الأزهر ووزير الاوقاف وهيئة الرقابة الشرعية ولما كانت الزكاة جزءا هاما من السياسة المالية في المجتمع وجزءا من التنظيم الاقتصادي في الاسلام ، فان البنك الاسلامي يقوم باحياء فريضة الزكاة ويجمعها في صندوق مستقل خاص بذلك ، يطلق عليه حساب الزكاة والخدمة الاجتماعية ، وغني عن البيان أن الزكـــاة تعتبر قاعدة المجتمع المتكـــامل المتضامن

الذي لا يحتاج الى ضمانات النظام الربوي في أي جانب من جوانب حياته ، فللزكاة وظيفة اقتصادية واجتماعية ، وإن الفهم الصحيح للزكاة ليس هو مجرد سد جوعة الفقير أو إقالة عثرته بدريهمات ، وإنما وظيفتها الحقيقية تمكين الفقير من إغناء نفسه بنفسه ، بحيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره ، ولو كان هذا الغير هو الدولة ، فمن كان من أهل الاحتراف أو الاتجار أعطى من صندوق الزكاة ما يمكنه من مزاولة مهنته أوتجارته ، بحيث يعود عليه من وراء ذلك دخل يكفيه بل يتم كفايته وكفاية أسرته بانتظام ، ويقول الامام النووي في المجموع قالوا : فان كان عادته الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته ، أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالبا تقريبا ، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والازمان والاشخاص ، ومما لا شك فيه أن سهم الغارمين وهو من مصارف الزكاة يمتد ليشمل الذين ركبتهم ديون لا يقدرون على الوفاء بها ، سواء كانت من أجل الاستهلاك أم من اجل الانتاج الذي قد يصاب بكساد السلعة أو بمنافسة غير متكافئة ، أو غير ذلك ، كما تشمل من أقرض مدينا ليعينه على مصلحة مشروعة أو عمل من أعمال الانتاج والتنمية التي تنفع المجتمع ثم عجز المدين عن سداد هذا الدين .

ولقد رخصت المذاهب الاسلامية إذا كثرت موارد الزكاة واتسعت حصيلتها أن تنشأ من اموالها مصانع او تصلح او تشتري أراض للزراعة او تبني عقارات للانتفاع بها أو تنشأ مؤسسات تجارية او نحو ذلك من المشروعات وتمليكها للفقراء او كلها أو بعضها لتدر عليهم دخلا دوريا يقوم بكفايتهم كفاية كاملة .

ولا عجب لقيام البنك الاسلامي بذلك لأن البنك الاسلامي جزء من كل في المجتمع وليس شيئا منعزلا عن المجتمع ، وأن هذا الجزء يتحمل مسئوليته بحكم مخالطته المستمرة للناس ، وما يقوم به من وظائف أساسية تعمل على تهيئة المناخ لايجاد المجتمع الاسلامي المتكافل المتضامن في السراء والضراء .

ومما لا شك فيه ، أن للنشاط المصرفي الاسلامي أهدافا بناءة في دفع عجلة التنمية الاقتصادية فليس للنشاط المصرفي الاسلامي نفع مادي ولا يستهدفه كفاية في حد ذاته ، وانما كوسيلة لغاية اكبر وهدف أسمى هو إعمار الأرض ، والمساهمة في حل مشاكل المجتمع الاسلامي ، ومشاكل التنمية وتهيئة الأرض للعيش الانساني امتثالا لامر الله تعالى ، وتحقيقا لخلافته في أرضه إيمانا بأن الانسان سوف يقف بين يدي خالقه ليسأل عن هذه الخلافة وما قدم لها .

وأما إن كان النفع المادي هو الهدف فسوف تكون الأنانية والاحتكار والاستئثار بخيرات الدنيا ومنعها عن

الاخرين ، كما يحدث في النظم الاقتصادية المعاصرة وهو ما يؤدي الى الحروب والدمار ، وأما في الحالة الثانية حيث يكون إعمار الأرض هو الهدف فان المنافسة والأنانية والاحتكار سوف تتحول الى تفاهم وتعاون بين الدول والشعوب الاسلامية لاعمار الارض واستغلال ثرواتها على أحسن وجه لصالح البشرية جميعا .

وتبرز أهمية البنوك الاسلامية من خلال دورها الفعال في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والذي يتحدد في إطار الشريعة الاسلامية .

### دور البنوك الاسلامية في النشاط الاقتصادي

تقوم البنوك الاسلامية بكافة الأعمال والخدمات المصرفية وأيضا استثمار الأموال في مشروعات البنيان الاقتصادي والاجتماعي فهي تقبل الودائع في حسابات جارية أو لآجال محددة والتحويلات الداخلية والخارجية ، وتقوم بتحصيل الشيكـــات والكمبيالات وفتح الاعتمادات المستندية بنوعيها التصدير والاستيراد ، وكافة عمليات الصرف الأجنبي ، وإصدار خطابات الضمان وحفظ الأوراق المالية وتأجير الخزائن وتقديم المعلومات لمن يطلبها وأيضا قبول الاكتتاب من أسهم الشركات وحفظ الصكوك وخدمتها ، ولا شبهة من حرمة في قيام البنوك الاسلامية بهذه الخدمات طالما أن الأجر عنها مقابل عمل فعلي تقوم به تلك البنوك لصالح عملائها .

وتقوم البنوك الاسلامية بالمشاركة في رأس مال المشروعات المنتجة فيصبح البنك شريكا في ملكية المشروع وشريكا في إدارته وتسييره والاشراف عليه ، وشريكا في كل ما ينتج من ربح أو خسارة بالنسبة المتفق عليها . وفي نظام المشاركة تتحقق مزايا عديدة بالنسبة للفرد والمجتمع الاسلامي .

### وأهم المزايا :

**١ ــ ان مشاركة البنك الاسلامي للمستثمرين** في نشاطهم الانتاجي مدعاة لان يجند البنك خبرته الفنية في البحث عن افضل مجالات الاستثمار ، أو البحث عن أرشد الأساليب ، وبذلك يتعاون رأس المال وخبرة العمل في تنمية الاقتصاد القومي . فالمصرف حينما يشارك بخبرته وعلمه يحفظ ثروة المجتمع من التعرض لاي تبديد نتيجة عدم توافر الخبرة لدى المستثمر وفي هذا الأسلوب ضمان لنجاح المشروعات ، وأيضا أداء لحق واجب للمجتمع الاسلامي ومزاوجة بين العلم والجهد .

**٢ ــ صاحب المال الذي يودع ماله في البنك الاسلامي** يوظف أمواله على أساس شركة المضاربة سوف يحصل على الربح العادل الذي يتكافأ مع الدور الذي أداه ماله في التنمية الاقتصادية وفي ذلك تشجيع للمسلمين على ايداع أموالهم لدى المصرف الاسلامي ودوام استثمارها بواسطته

كما أن فيه ربطا للمسلمين بعملية تكوين رأس المال ( الاضافات الرأسمالية او القيمة المضافة ) كركن أساسي في تدعيم اقتصاديات المجتمع الاسلامي ، وعلاوة على ذلك فان المسلمين الذين كانوا يجدون حرجا في ايداع أموالهم لدى البنوك الربوية فيكتنزونها أو ينفقونها انفاقا غير رشيد ، هؤلاء سيفتح نظام المضاربة لهم الباب الذي يزيل عن نفوسهم الحرج فينتفعون وينتفع المجتمع الاسلامي .

**٣ ــ عدم اعتماد البنك الاسلامي على الأعمال الربوية** الفرق بين سعر الفائدة الدائنة والمدينة ، سوف يؤدي الى تجنيد المصرف لكل طاقاته وإمكانياته الفنية في استخدام الأموال التي لديه ، وذلك عن طريق الاستثمارات المباشرة أو بالمشاركة ، والتي هي ركيزة أساسية في عملية التنمية .

**٤ ــ في أخذ البنوك الاسلامية بمبدأ المشاركة** تمكين للمصرف بوصفه جهازا اقتصاديا مسئولا عن سلامة الاقتصاد بالمجتمع الاسلامي من القدرة على التكيف والتلاؤم المستمر مع التغييرات الهيكلية للاقتصاد القومي بطريقة عضوية . كما يصبح كل من المصرف والمستثمرين المسلمين قادرين على مواجهة الأزمات بصلابة وعدم التأثر بها .

**٥ ــ في المشاركة عدالة في توزيع** العائد بما يسهم في عدم تركيز الثروة البشرية الانتاجية من ناحية أخرى .

والأمر الذي لا شك فيه أن **البنوك الاسلامية يمكن ان تلعب** دورا أساسيا في تحقيق التنمية الاقتصادية داخل المجتمع الاسلامي ، فاذا كانت التنمية الاقتصادية في أي دولة من الدول إنما تتم وفقا لخطة مدروسة إلا أنه من المسلم به لدى الاقتصاديين عامة أنه لا يكفي لنجاح التنمية الاقتصادية إعداد الخطة أو متابعة تنفيذها ، ولا حتى سيطرة الدولة على القطاعات الأساسية للاقتصاد القومي ، وإنما الأمر الأساسي الذي لا غنى عنه هو مشاركة جميع أفراد المجتمع الاسلامي في تحقيق التنمية بأداء كل منهم العمل المكلف به على اكمل وجه ، وابتعاده عن أي انحراف أو استغلال .

**والبنوك الاسلامية ستخلق الرغبة والأمل في الأفراد** والجماعات ، والثقة بالنفس ، والتعاون الشامل الذي يحقق الخير للجميع ، وذلك عن طريق نشر الوعي المصرفي الاسلامي في إطار الشريعة الاسلامية ، حيث تتجمع الأموال ويقبل الأفراد على الادخار الذي يرضى الله ورسوله ، وبذلك تستثمر هذه الأموال في المشروعات الهامة لخطة التنمية ، ولا يفوتنا أن البنوك الاسلامية ستعطى دفعة قوية لعمليات التجارة الداخلية والخارجية ، وبهذا ستقف البنوك الاسلامية موقفا قويا ، يدعم كافة قطاعات النشاط الاقتصادي حيث تزدهر الصناعة ، ويزيد الانتاج ، وتنشط التجارة ، ويعم الرخاء على كافة افراد المجتمع الاسلامي .

# نموذج لمنهج النقد الديني العام لدى مفكري الإسلام

للدكتور عبد الحليم عويس

**منهج متفرد**

منهج النقد الديني العام القائم على وضع خريطة تفصيلية لعقائد العالم ، وعلى وضع موازين نقدية عامة ، تنتظم كل العقائد ، وتطبق عليها جميعها ـ هو منهج إسلامي ، تفردت به الحضارة الاسلامية .. لأنها ـ اولا ـ حضارة مثلها الأعلى هو « **الحق** » وحده حيثما كان مصدره ، ولأنها ـ ثانيا ـ حضارة « **سمحة** » يمكنها أن تقول لأعدائها كما قال القرآن : ( **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ) سبأ/ ٢٤ ... ولأنها ـ ثالثا ـ حضارة تثق في نفسها ولا تخشى عواصف الحوار ، ولا مغالطات العقول ، لأنه في دينها أيضا ( **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ) الرعد/ ١٧ .

وبالتالي ، لم يكن ثمة مناخ ديني ملائم لظهور منهج مقارنة الأديان ، أو منهج النقد الديني العام ، إلا في الاسلام .

وقد حفل تراثنا الفكري بنماذج متعددة قعدت لهذا المنهج ، وقد اشتهر من بين علماء هذا المنهج : الشهرستاني ، وابن حزم ، وابن تيمية ، والبيروني ، وقبل هؤلاء جميعا ، المسبحي والنوبختي .

ونركز في هذا المقال على نموذج واحد من هذه النماذج التي أثرت الفكر البشري كله ، وهو منهج النقد الديني العام لدى ابى محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦) صاحب كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » .

**خريطة العقائد في القرن**

الخامس

يوضح ابن حزم السبب الذي حدا به الى الكتابة في هذا الباب من المعرفة بأن الذين كتبوا قبله « بعضهم أطال وهجر واستعمل الأغاليط والشغب ، وبعضهم حذف وقصر وقلل وأضرب عن كثير من الحجج القوية لأصحاب العقائد فكان في ذلك غير منصف لنفسه وهو ظالم لخصمه لم يوفه حق اعتراضه » فضلا عن أن الفريقين قد تعمدا التعقيد ، والتحليق على المعاني من بعد ، حتى صار ينسى آخر كلامهم اوله ، أو كأنهم يريدون بهذا التحليق ستر فساد ما عندهم .

فمنهج ابن حزم الذي يحاول السير عليه — إذن — هو منهج علمي منصف بريء من الاستطراد والاخلال والتعقيد ، يعتمد على إيراد البراهين المنتجة من المقدمات الحسية أو الراجعة الى الحس من قرب أو من بعد ، على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلا .

وقد اعتمد منهج ابن حزم على تدرج عقلي ، وعلى نظرة شاملة للملل والنحل التي استطاع أن يصل الى معرفتها وتحقيق القول في مبادئها . وبالتالي فقد قسم الفرق الموجودة في العالم كله — غير الاسلام — إلى ست فرق هي :

١ — مبطلو الحقائق ( السوفسطائية ) .

٢ — مثبتو الحقائق ، مع عدم الاعتراف بالخالق والزعم بأزلية العالم ( الفلاسفة الملحدون ) .

٣ — مثبتو الحقائق مع القول بأزلية الله والعالم معا ( الفلاسفة الكفرة ) .

٤ — مثبتو الحقائق مع القول بان للكون مدبرين كثيرين ( الزرادشتيون والمانيون ومعددو الآلهة ) .

٥ — مثبتو الحقائق مع القول بأن للكون خالقا واحدا وإنكار النبوات ( البراهمة ) .

٦ — مثبتو الحقائق ، مع الاعتراف بالخالق والايمان ببعض الأنبياء فقط ( اليهود ومبتكرو التثليث من النصارى والصابئة ) .

ومن هذه الأقوال تتفرع آراء هي منتجة منها .

٧ — ثم يأتي الاسلام بعد ذلك ، ويثبت ابن حزم من خلال البراهين العقلية والسرد التاريخي انه العقيدة الايجابية الوحيدة الحقة ، وبرسالته نسخ الله ما أوحى به من قبل إلى الأنبياء .

## قواعد النقد الديني للعقائد

وفي دراسة ابن حزم المستفيضة لهذه الملل والنحل — نراه يطبق عليها جميعا منهجا واحدا يعتمد على الفهم الظاهري — لدلالة اللغة ، وعدم الاعتراف بالتأويل ، بل انه يعتبر اللجوء إلى التأويل نوعا من التضليل والخداع ، كما ان ابن حزم يطبق عليها كلها أحكامه العامة وقواعده النقدية بلا استثناء بينها ، وكثيرا ما يلجأ إلى حصر الظواهر فيها مجتمعة ، وذلك مثل جمعه للآراء الضالة التي قال بها أصحاب الفرق

والمذاهب المختلفة في موضوع الأركان الأساسية للعقيدة القويمة تحت أبواب خمسة هي :

١ ــ التوحيد ( الله )
٢ ــ القدر ( الجبر والاختيار )
٣ ــ الايمان ( العقيدة )
٤ ــ الوعد والوعيد ( الحياة الأخرى )
٥ ــ الامامة

ومن قواعده العامة في نقد الأديان أن « كل كتاب دون فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله عز وجل ، فظهر من فساد دين المجوس كالذي ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء بسواء » .

ومن قواعده عدم الاعتراف بالكثرة « فالحق حق صدقه الناس او كذبوه والباطل باطل صدقه الناس او كذبوه ولا يزيد الحق درجة في أنه حق إطباق الناس كلهم على تصديقه .

ومن قواعده التركيز على العقائد في مناقشة الملل والنحل على السواء ، لانه ليس في الاشتغال بالأحكام الشرعية شئ يوجبه العقل أو يمنعه ، بل كلها من الممكن ، فاذا قامت البراهين الضرورية على قبول الأمر بها ووجوب طاعته وجب قبول كل ما أتى به كائنا ما كان من الأعمال .

ومن قواعده في نقد الكتب المقدسة أن كل كتاب وشريعة مقصورين على رجال من أهلها ، وكانا محظورين على من سواهما فالتبديل والتحريف مضمون فيهما .

ومن قواعده احترام الأساليب الجدلية في المنطق ، بل إنه من أجل هذا قد وضع كتابه التقريب لحد المنطق ، وهذه الأساليب هي الاعتراف ببداهة الحس وبداهة العقل ، والمقدمات الصالحة المعقولة .

وأما عرض ابن حزم لآراء الخصوم ومناقشتهم ، فان الكتاب حافل بهذا ، ومن هنا اعتبر تاريخا نقديا للملل والنحل ، وهذه في الحقيقة ميزة منهج ابن حزم الكبرى .

## منهجان للنقد الديني

إن المؤرخين المحدثين للأديان يحددون منهج دراسة « مقارنة الأديان » بطريقين :

١ ــ الطريق الأول أن تكون المباحث الكبرى بالأديان هي عناوين الكتب ، كأن نكتب كتابا عن الله ، وندرس به مختلف الاتجاهات عن الاله ، ونكتب كتابا آخر عن « النبوة » ، وثالثا عن « التشريع » .. وهكذا .

ولهذا الطريق سلبياته الكثيرة ، الناشئة من ضرورة تفكك الموضوعات ، وصعوبات عدم تشابه الموضوعات في الأديان ، وضرورة دراسة الأديان قبل المقارنة الجزئية ، وهو عمل صعب .

٢ ــ والطريق الثاني هو أن يخصص كتاب لكل يين ، تدرس فيه مباحثه العقائدية والتشريعية مشفوعة بالمقارنة كلما وجد لها مجال ، وهذا الطريق هو الذي يسير عليه أغلب الكتاب ، لأن من شأنه أن لا يوقع في مآخذ الطريق الأول ، كما انه يوفر

قدرا كبيرا من النظرة الشمولية ...

وهذا الطريق الثاني هو الذي سار عليه ابن حزم ، منذ أكثر من تسعة قرون . بحيث إننا نجد موضوعات ( الفصل ) فيما يتصل بالأديان تتسلسل ( موضوعيا ) على النحو التالي :

أ ــ تعريف بالملل ومبادئها ، ويشمل :

١ ــ الفرقة الأولى ــ المبطلة للحقائق وبراهينهم وبيان فسادها .

٢ ــ الكلام عن النصارى وفرقهم .

٣ ــ الكلام على منكري النبوة والملائكة .

٤ ــ الكلام على منكري الشرائع .

٥ ــ الكلام على اليهود ومنكري التثليث من النصارى وغيرهم .

ب ــ دراسة للكتب المقدسة من واقعها : التوراة ، والأناجيل الأربعة . والقرآن وميزة « النقل » عند الأمة الاسلامية ، واعتراضات الملحدين على الاسلام .

جـ ــ دراسة النحل والفرق الاسلامية وبيان خروج أكثرها عن الاسلام بناء على عرض مبادئها على الأصول الاسلامية الاعتقادية . فالخلاف في صفات الله ، وفي إعجاز القرآن وإلهيته ، والقضاء والقدر والغيبيات .

د ــ دراسة حياة الأنبياء وبيان الصحيح من تاريخهم ، ودفع شبهات التوراة والأناجيل عنهم .

هـ ــ ذكر الفرق الاسلامية كالشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم .

و ــ الكلام في قضايا عامة من وجهة نظر إسلامية كالجن ووسوسة الشيطان والرؤيا والنجوم والكواكب والحركة والسكون والتولد والطفرة والانسان والجواهر والأعراض والجسم والنفس وغيرها .

فالمنهج الموضوعي ، الذي يدرس كل عقيدة دراسة متكاملة ، مقارنا بينها وبين غيرها كلما وجب ذلك ــ هو المنهج الذي سار عليه ابن حزم .

وجدير بالذكر أن الاسلام ، ويدخل فيه الفرق التي انتسبت إليه بحق وبغير حق ، قد أخذ حيزا كبيرا من كتاب الفصل . كما ان ابن حزم بوثيقة ( الفصل ) هذه قد قدم دفاعا ممتازا عن « الأنبياء في التاريخ » ، وعرض لتاريخ كل منهم ، في إنصاف وإكبار يليقان بشخصياتهم العالية .

وهذا المنهج المتكامل الموضوعي الذي التزمه ابن حزم هو الذي حدا ( بأسين بلاسيوث ) ان يقول « إننا لا نجد بين أيدينا وثيقة هي اغنى ولا أجدر بالثقة من كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم ، تمكننا من تتبع سير تيار الثقافة الذي لم يتوقف ابدا خلال العصور الوسطى فيما يتصل بتاريخ الآراء والمذاهب » .

والحق أنه على الرغم من صدق ما يقوله ( بلاسيوث ) عن « الفصل » فان الفكر الاسلامي صاحب الفضل الأول في ابتداع علم مقارنة الأديان ، حافل بالنماذج الخصبة الثرية .. وما كتاب « الفصل » الا مجرد نموذج من النماذج .

# وضع المرأة في الإسلام

محمد مؤذن

**للاستاذ محمد ابراهيم عامر**

كانت المرأة قبل الاسلام منحطة الكرامة ، فهي في نظر البعض ليست بانسان ، وفي نظر الآخرين ليست في طهر الحيوان ، وهانت على قومها بنتا واختا وزوجة وأما .

وجاء الاسلام ليغير الصورة بالتمام ، فرفعها من ضعة ، وأمنها من خوف ، وأحياها من موت ، بل وأوجدها من عدم وأعطاها فوق ما كانت تحلم أو تتصور ، ورد إليها كل حق ضاع ، بعد ان كانت من سقط المتاع .

لقد حسم نزاع العالم ولجاجه بشأن حقيقتها ، بما قرره في قضيتها ، بكل الحسم والحزم ، اذ قرر انها والرجل من اصل واحد فلا تميز ولا تحيز ، ولا تفاخر ولا تناحر : ( **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ) الحجرات/١٣ .
( **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ) النساء/١ .

وبذا قرر الخالق عز وجل أن المرأة والرجل من أصل واحد في الخلقة ، وبذا تغيرت النظرة كلية إليها ، وأحست هي المساواة بالرجل بما اعطاها الاسلام الذي أزال عنها كل عار ورفع عنها كل غبار ومنحها من حقوق ، ومنع عنها من عقوق .

لقد قبح القرآن نظرة الجاهلية إلى المرأة ، وحرم كل تقليد فاسد ، وضيق على

الرق كل رافد ، ورفع المرأة مكانا عليا ، وكرمها وعظمها ولم تك شيئًا، ونورد فيما يلي بعض ما أعطى الاسلام للمرأة على سبيل المثال لا الحصر ...

ليقف عند حدودهم كل الحاقدين على الاسلام ، والمارقين عنه ، والجاهلين به والعادين عليه ، والمخدوعين عن نوره ببريق كاذب .. **( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد )** ق/٣٧ .

## ١ ـ وأد البنات :

وقد كانت تلك الجريمة الانسانية النكراء سمة المجتمع الجاهلي كله خشية عار أو إملاق ، وجاء الاسلام فحرمها وجرمها ، وأوعد فاعليها بسوء المصير ، قال تعالى : **( وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون )** النحل/٥٨ ، ٥٩ . وقال عز وجل : **( وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت )** التكوير/٨ ، ٩ فكتب بذلك للأنثى الحياة .. بل اعز حياة .

## ٢ ـ الزواج من امرأة الأب :

لقد كان الابن في الجاهلية مع ما يرثه عن أبيه من المال والمتاع والدابة كان يرث عنه زوجته التي هي في مقام أمه وكان له حق التصرف فيها كمتاع كما كان له ان يعضلها عن الزواج وله في الوقت ذاته ان يتزوجها هو ، وجاء الاسلام فحرم ذلك الزواج وسماه زواج المقت حيث قال القرآن : **( ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف )** النساء/٢٢ .

## ٣ ـ الاتجار بأعراض الجواري :

ووقف بعض العرب من جواريهم وقفة مخزية ، وقفوها ضد طبيعة الأشياء ، فالأنثى التي هي مظنة الانزلاق والأغراء وإيقاع الرجال في حبائل جريمة الزنا تمتنع وتتحصن في وقت يكرهها وليها الرجل ـ الذي هو بطبيعته مصدر الغيرة والحفاظ ـ على البغاء طمعا في مال فهو يتجر في عرضها لمتاع دنيا وينزل القرآن ممجدا موقف هؤلاء الجواري منددا بموقف أوليائهن هؤلاء في وقت واحد حيث يقول : **( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا )** النور/٣٣ ، وليس النهي عن الاكراه مقصورا على إرادة التحصن من الأنثى كما هو ظاهر أسلوب الشرط وإنما المقصود من الأسلوب إذ جاء على هذا النحو تسجيل ما كان عليه القوم ، فتيات تمتنعن ورجال يكرهونهن لقاء مال أو عرض زائل .

## ٤ ــ منع المرأة من الميراث :

لقد ظلت عادة منع المرأة من الميراث حتى جاء الاسلام ، بل عرفنا قبلا أنها كانت تورث عند بعض الأمم كما يورث المتاع والماشية ، وجاء الاسلام وذهبت امرأة سعد بن الربيع الى النبي عليه الصلاة والسلام فقالت : يارسول الله : هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما شهيدا معك في يوم احد فأخذ عمهما ماله ولم يدع لهما شيئا ، وهما لا تتزوجان إلا ولهما مال . فقال عليه الصلاة والسلام : « يقضي الله في ذلك » . فنزلت آية الميراث ( **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ) فارسل رسول الله إلى عمهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك « فكان هذا أول ميراث في الاسلام . ومع ان توريث البنت كان ثورة عارمة ضد النفوس البشرية التي ورثت منع البنت من الميراث فان الاسلام قد قرره في قوة فأنصف بذلك المرأة انصافا لم يكن معروفا ولا مألوفا .**

وإذا كان مثيرو الغبار المرضى بمعاداة الأسلام يلقون بسؤالهم الخبيث ولماذا كان نصيب الأنثى نصف نصيب الذكر ولم تسو به ؟ فأهون من سؤالهم الجواب أن الأنثى تأخذ نصف الرجل وقد أعفاها الاسلام من كل الأعباء بينما ألقاها كلها عليه ، فهي إن أخذت خمسين فانها تدخرها لأنها ليست ملزمة بالانفاق قط ، وهو إن أخذ مائة فانه ينفقها عليها وعلى أولادها والأنثى منذ الطفولة في كنف رجل ينفق عليها هو الأب وبزواجها تدخل في كنف رجل ينفق عليها هو الزوج .

## ٥ ــ الرق :

جاء الاسلام ونظام الرق دعامة من دعائم الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليه في معظم دول العالم جميع فروع الانتاج ، إذ كان بمثابة بخار الآلة الاقتصادية في تلك العصور ، والاسلام الذي كان من بين أسسه التدرج في التشريع لم يغفل حين نظر باشمئزاز إلى وجود ظاهرة الرق بين البشر ما يترتب على منعه طفرة واحدة وإنما عالجه علاج حكيم خبير .

لقد أقره الاسلام بادئ ذى بدء لكن في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج دون احداث أدنى هزة في المجتمع الانساني بل ودون أن يشعر أحد بتغيير في مجرى الحياة ، وسلك في سبيل ذلك مسلكين :ـ

**أحدهما :** تضييق روافد الرق التي كانت تمد الرق وتغذيه وقد كانت هذه الروافد كثيرة أهمها ثمانية فألغاها جميعها ما عدا رافدين اثنين فقط هما : أ ــ رق الوراثة ب ــ رق الحرب .

**ثانيهما :** توسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق والتحرر بالكفارات وغيرها . وبذا قضى على الرق في أقصر وقت وعاد الناس جميعهم أحرارا كيوم ولدتهم أمهاتهم .

واذا علمنا أن أغلب الرقيق كان من الأناث حينها فاننا ندرك قدر ما قدم

الاسلام لها في مجال التحرر الانساني .

ويكفي أن نعلم من اهتمام القرآن بالمرأة أنه عرض لشئونها باسهاب في اكثر من عشر سور فيه منها سورة البقرة والمائدة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والتحريم ، وعرض لها في سورتين عرفت احداهما بسورة النساء الكبرى وهي سورة النساء وعرفت الثانية بسورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق .

لقد جعل الاسلام المرأة شريكة الرجل وجعل كليهما لباس الآخر ( **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ) البقرة/١٨٧ ، وجعلها للرجل سكنا ، وفي سبيل نظرة الاسلام لوحدة الانسان سوى بين الرجل والمرأة في الجوانب الروحية والمادية ، كلاهما له روح .. وكلاهما يعبد الله .. كلاهما يملك من الحياة ماشاء الله له أن يمتلك .

ولقد أشار إلى الوحدة الانسانية نبي الانسانية في خطبة الوداع حينما قرر فيها وحدة الأصل الانساني حيث قال : « أيها الناس إن ربكم واحد وأن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب » .

كما سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات وضمن لكل منهما الحرية الطبيعية بغض النظر عن جنسه ، وساوى بينهما في التكاليف الدينية والواجبات الدنيوية فالجميع سواء في التكليف والمسئولية والأوامر والنواهي وفي الحدود والتعزير في الحساب والعقاب وفي الوعد والوعيد وفي التوبة والأعذار وغير ذلك مما ورد تفصيله في القرآن والسنة ، ففي القرآن ( **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ) النحل/٩٧ . ( **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ) الاحزاب/٣٦ .

( **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ) النساء/٣٢ .

( **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ) النور/٢ .

( **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** ) المائدة/٣٨ .

ومسئولية المرأة الدينية لا تقل عن مسئولية أخيها الرجل ، وكل مسئول عن عمله هو بقطع النظر عن عمل زوجه ووضعه ، ثم إنها مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بنفسها وبيتها وعبادتها ومسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالاحسان في العمل والدعوة إلى الفضيلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس ذلك قاصرا أمره على الرجل فقط فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .

كما ساوى الاسلام بين المرأة والرجل أمام القانون وفي الوظائف العامة والعطاء والضرائب والجهاد في حالة التعبئة العامة أو الزحف العام .

وساوى كذلك بينهما في القصاص فتقتل المرأة بالرجل والرجل بالمرأة ( **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس** ) المائدة/٤٥ ، ( **ياأيها الذين آمنوا كتب**

**عليكم القصاص في القتلى )** البقرة/١٧٨ ، ووصف الايمان مشترك بين الذكر والأنثى باتفاق علماء التشريع ، وعليه يشمل الخطاب الذكر والأنثى .

## ٦ ـ قوامة الرجل على المرأة :

لقد قرر القرآن المماثلة بين الزوجين في الحقوق والواجبات كقاعدة ، وفيها قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها إلى الخير ويدفع بها عن الشر فقال : **( وللرجال عليهن درجة )** البقرة/٢٢٨ .

وهذه الدرجة ليست درجة السلطان أو القهر ، وإنما هي درجة الرياضة البيتية الناشئة عن عهد الزوجية وضرورة الاجتماع وهي درجة القوامة التي تزيد في مسئوليته عن مسئوليتها فهي ترجع في شأنها وشأن أبنائها إليه .

وقد ذكر الله العلة في القوامة له إذ قال : **( بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم )** النساء/ ٣٤ .

وهذا ليس تفضيل جنس على جنس ، وإنما هو تفضيل بحكم الخلقة والطبيعة والاستعداد وكل ميسر لما خلق له ، وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم المبين من تاريخ بني آدم منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والشرائع العامة وبعد نشوئها فطبيعة الرجل وفطرته في ممارسة الحياة وعقله وقوته وحمايته تختلف عن طبيعة الأنثى التي فطرت على الضعف حملا وارضاعا وحضانة وحيضا ونفاسا ورقة وانفعالا وتنزلا إلى مدارج الطفولة التي تعالجها .

والرجل حامي المرأة زوجا بعد أن كان حاميها أبا واخا ، ثم هو أبو الأولاد وإليه ينتسبون وهو المسئول عن نفقتهم جميعا وهو صاحب المسكن وعليه إعداده فكان طبيعيا أن تكون له القوامة .

وبالاختصار فان ذلك ليس نظرية تناقش ولكنه واقع مقرر .

وإذا كان الاسلام قد قرر قيام البيت على أساس من العدل والمساواة والشورى بين الزوجين والتعاطف والحب والمودة والرحمة كما كفل للزوجة الحرية الكاملة في مالها وفي رأيها وكمال شخصيتها وفي حرية دينها ولم يجعل للزوج حق التدخل في ذلك كله ، فلا تمتد هيمنته وقوامته إلى شيء من ذلك فماذا يخيف المتطيرين والجاهلين بأصول الدين من قوله تبارك وتعالى : **( الرجال قوامون على النساء )** النساء/ ٣٤ ، وإني لأستأذن هؤلاء فأسألهم : ألم تفهموا شيئا من قوله تعالى : **( وليس الذكر كالأنثى )** آل عمران/٣٦ .

إن الرجل قد انعقدت له بحكم الفطرة والواقع رئاسة البيت بحقه ، كما انعقدت له رياسة الحرب والجيش بحقه ، وانعقدت له زعامة الأصلاح الاجتماعي والانقلابات التاريخية ورياسة الدولة العليا بحقه ، وذلك كله هو الثمرة الطبيعية لما تجمع فيه من مواريث الخبرة وسعة التجارب ومواهب الكفاح والقوة ، والتمرس بشئون المجتمع على مدى القرون والأجيال .

على أن المتأمل بالفطرة المجردة ولو من النساء أنفسهن يرى في قوامة الرجل رحمة بها وصيانة لها وإشفاقا عليها من الخالق الحكيم الخبير فهل من مدكر ؟

## حقوق المرأة في الاسلام

يمكن أن نحصر حديثنا عن حقوق المرأة في الاسلام في عناصر ثلاثة :ــ
أ ــ حقوق المرأة العامة ب ــ الحقوق السياسية للمرأة ج ــ حقوق المرأة الخاصة بالأسرة .

### أ ــ حقوق المرأة العامة :

#### ١ ــ الخلافة :

لا يجوز باتفاق الفقهاء أن تقلد المرأة منصب الخلافة أي رئاسة الدولة لأن هذا المنصب يتضمن اختصاصات دينية وسلطات سياسية تخرج عن قدرتها ، كما لا يجوز ان تولي الادارة على البلاد ولا على الجهاد ولا ولاية المظالم أو الحسبة لأن من بين شروط من يتقلدها أن يكون رجلا .

#### ٢ ــ القضاء :

ذهب مالك والشافعي وابن حنبل الى عدم جواز تولي المرأة القضاء لنقص النساء عن رتب الولايات .
وذهب أبو حنيفة وأصحابه الى جواز قضاء المرأة فيما تصح فيه شهادتها فيصح قضاؤها عندهم في كل شيء ما عدا الحقوق والقصاص .

#### ٣ ــ الشهادة :

وقد شدد الشارع على الشاهد في تأديتها ، ونهاه عن كتمانها حتى قال الفقهاء بفرضيتها إلا في الحدود لما ورد من الأمر فيها بالستر .
ولقد نص القرآن على أن المرأة كالرجل في شهادات اللعان ، أما شهادة الزنا فلابد فيه من أربعة رجال ولا تسمح فيه شهادة المرأة ، قال تعالى : **( واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم )** النساء/ ١٥ .
وقد قال الفقهاء : بقبول شهادة المرأة وحدها في القضايا التي لم تجر العادة باطلاع الرجل على موضوعاتها كالولادة والبكارة وعيوب النساء في المواضع الباطنة .

أما في الحقوق الأخرى كالبيع والنكاح والوكالة والوصية والأجارة والهبة والطلاق والقتل الذي لا قصاص فيه وسائر المعاملات المالية فتقبل فيها شهادة المرأة .

ونصاب الشهادة في كل ذلك رجلان أو رجل وامرأتان : **( أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى )** البقرة/٢٨٢ .

وليس في ذلك انتقاص للمرأة او تمييز للرجل ، وانما هو وضع الأمور في نصابها ، وحكم عادل صادر عن درس لنفسية المرأة وخلقها وطبيعة مركزها في المجتمع بحيث تصان من أن تتبذل وتهان .

## ب ــ الحقوق السياسية للمرأة :

ومن هذه الحقوق حق المرأة في تولي الوظائف العامة ، وحقها في الانتخاب بأن تكون في مجلس الأمة أو الشعب أو غيره من المجالس ، أو أن تكون ناخبة . ففي ما يتعلق بتولي المرأة منصب الخلافة فقد اتفق العلماء كما قلنا ــ على عدم الجواز ، أما فيما يتعلق بمساواة المرأة للرجل بالحقوق السياسية فقد اختلفوا الى رأيين : رأي يبيح ذلك لها ، ولأصحابه أدلتهم من الكتاب والسنة والاجماع ، ورأي يمنع ذلك ولأصحابه أدلتهم من الكتاب والسنة والاجماع أيضا ، وليس لأي منهما دليل قطعي ، ومن هنا كان الاجتهاد في ذلك الموضوع على مر العصور لكن أمورا جديرة بالنظر لابد من وضعها تحت أبصارنا وبصائرنا قبل إصدار الحكم ومنها :ــ

١ ــ أن الرجل والمرأة شريكان يكمل أحدهما الآخر في الأسرة والمجتمع ، والعلاقة بينهما هي التعاون والتكامل لا التكرار والتماثل .

٢ ــ أن المساواة الشاملة الكاملة بين النوعين ليست ممكنة لاختلاف خصائص كل نوع وقدراته وكفاياته ، وليست في صالح المجتمع نفسه ذلك الذي يحتاج إلى وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، والله يقول : **( ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله )** النساء/٣٢ .

ويجب أن تكون هذه المساواة مرتبطة بمقدار التساوي بين الرجل والمرأة في الصفات الأنسانية المشتركة .

٣ ــ ان المرأة أولى من الرجل وأكثر تحقيقا لخير المجتمع في مزاولة بعض الأعمال العامة ، ومن ذلك اشتغالها طبيبة ، ثم ممرضة نسوية ، أو قابلة أو مدرسة في جامعة نسوية ، أو ضابطة في الشرطة النسوية ، أو اختصاصية اجتماعية في المحيط النسائي .

٤ ــ أن بعض الأعمال لم تهيأ لها المرأة جسميا ونفسيا ، ومن ذلك اشتغالها محاربة في الجيش أو ضابطة عامة في الشرطة او حارسة ليلية ، وان بعض الأعمال

لا تنبغي لها كوظائف السكرتارية الخاصة للرؤساء من الرجال .

٥ ـ ان الشريعة لم تحرم على المرأة الخروج من بيتها لشئون دينها ودنياها بل طالبتها بالخروج لعبادتها من صلاة وحج ، ولمعاملاتها وأعمال مجتمعها التي تتعين أو تصلح لها ، وقد اشترك بعض الصحابيات مع رسول الله في الغزوات كأم عمارة في غزوة احد وام سليم في غزوة حنين وأمية بنت قيس في غزوة خيبر .

٦ ـ ان التقاء الرجل والمرأة في ميادين العمل التقاء عاديا غير متكلف لا يحرمه الاسلام وإنما يحرم الخلوة وما تجر إليه من ريبة وفساد تحت ستار العمل .

٧ ـ ان عمل المرأة في الخارج يجب ألا يكون على حساب زوجيتها وأمومتها ، وألا تسيء استعمال حقها في العمل ، لأن كل الحقوق في الاسلام ـ للرجال والنساء ـ منحة من الشارع منوطة بالمصلحة ، وليست للهوى والعبث .

٨ ـ أن الاعتماد على دور الحضانة والمربيات والخادمات في تربية الأولاد اعتمادا مطلقا يؤدي إلى مفاسد محققة للجيل الصاعد قادة المستقبل وأباء الغد وامهاته . وقد ثبت أن أطفال المحاضن تختل شخصيتهم وتتفكك ولا تنمو فيهم مشاعر الحب والتعاون .

٩ ـ أن زي المرأة وما يتصل به من تبرج وتكلف في إبراز المفاتن وإثارة الغرائز وما وصل إليه الأمر في ذلك من قلب الأوضاع بحيث أصبحت المرأة لا تتزين لزوجها داخل بيت الزوجية إنما تتزين للمجتمع ، وتقضي في ذلك أوقاتا ضائعة على أسرتها ومجتمعها ، هذا التبرج مسألة اخرى منفصلة عن عمل المرأة فهو امر يعم المرأة العاملة وغير العاملة ثم إن بعضا من السيدات العاملات قد تحلين بزينة الأدب والحياء ولو نسبيا على أن مسألة الزي يجب أن يتدخل فيها الحاكم صيانة للفضيلة والاخلاق ومبادئ الدين .

وبعد :

فان الاسلام يكفل حق العمل للمرأة بشرط عدم الاخلال بواجباتها الأساسية ، فاذا ما تعارضا قدم الأهم على المهم ، والأهم هو واجباتها الأساسية من حيث كونها أما تهب الحياة للنشء الجديد ، فلا يجوز لها أن تعمل خارج البيت على حساب واجباتها نحو الأسرة وإلا كانت بذلك تسيء استعمال حقها في العمل فيجب حينئذ منعها منه .

فالاسلام إذن سوى بين المرأة والرجل في حق العمل فأباح لها ان تضطلع بالوظائف التي تحسن أداءها ولا تنافي طبيعتها ، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها ، ويصونها عن التبذل ، وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم ، فلا يؤدي عملها الى وقوع ضرر خلقي أو اجتماعي ولا يعوقها عن اداء واجباتها الأخرى نحو زوجها وأولادها وبيتها ، أو يكلفها مالا طاقة لها به . فلم يحل الاسلام بين المرأة ومباشرة حقوقها السياسية بل انها تستطيع ان تلعب دورا هاما في نشر الثقافة واسداء الخير أو المشاركة في الخدمة العامة مع المحافظة على ما ذكرنا .

## الولاية الخاصة :

**الولاية على النفس :** تعرف بأنها المحافظة على نفس العاجز والضعيف ووقايته من المهالك ، وهي واجبة لأنه يهلك بدونها .

فالمحافظة على النفس تتمثل في أمرين : أ ــ في التربية والحفظ . ب ــ في التزويج وسنرجئ حديثنا عنهما حتى حديثنا عن حقوق المرأة الخاصة بالأسرة فيما بعد .

**الولاية على المال :** وتعرف بأنها سلطة التصرف في المال ، وهي نوعان قاصرة ومتعدية .

**فالقاصرة :** سلطة المرء على مال نفسه وهي ثابتة لكل من له أهلية الأداء كاملة ، وهو البالغ العاقل الرشيد من الذكور والأناث ، فله أن يتصرف في مال نفسه ما لم يتعلق بمحل العقد حق لغيره .

**والولاية المتعدية :** هي سلطة المرء على مال غيره وهي نوعان :ــ
أ ــ سلطة أصلية : وهي التي تثبت باثبات الشرع من غير حاجة إلى مثبت من البشر ، ولا يملك صاحبها عزل نفسه منها ، لأنها لم تثبت بارادته ، وتنحصر في ولاية الأب والجد على مال ولديهما القاصر .

**ب ــ سلطة نيابية :** وهي التي يستمدها صاحبها من شخص آخر كالوصي الذي يستمد ولايته من الأب أو الجد أو من القاضي ، والوكيل الذي يستمد ولايته من موكله ، والامام الذي يستمد ولايته من الأمة التي بايعته .

**وفي الشريعة الاسلامية ليست الذكورة شرطا في الوصي بل يجوز الايصاء إلى المرأة كما يجوز إلى الرجل .**

وأم القاصر أشفق عليه وأرحم به من أي من ذوى الأرحام ، فالوصاية لها طالما ثبتت أهليتها وكفاءتها واقتدارها على القيام بشأنه بالصورة التي ينبغي أن تكون .

## نظارة الوقف :

أعطت الشريعة الاسلامية للمرأة الحق في أن تكون ناظرة للوقف ، تديره كما تدير أعمالها العقارية والمنقولة ، وقد جعل عمر بن الخطاب ولاية وقفه لابنته حفصة رضي الله عنها مدة حياتها ومن بعدها إلى ذوى الرأي من آل عمر .

## الوكالة :

وهي نيابة الانسان عن غيره في شئون نفسه حال حياة المنيب باختيار من ذلك الغير .

ويصح توكيل المرأة في جميع المعاملات المالية ، والخصومات القضائية بلا خلاف في هذا ، اما في الزواج أو الطلاق ففيه خلاف .

**والمرأة في حقوق العقد حكمها كحكم الرجل سواء بسواء .**

## التحكيم :

وهو تولية الخصمين حكما يحكم بينهما ، والتحكيم جائز بالكتاب والسنة والاجماع ويشترط في الحكم ان يكون صالحا للقضاء ، وعلى هذا يصح ان تكون المرأة حكما .

## التعليم :

من مظاهر تكريم الاسلام للمرأة أنه سوى بينها وبين الرجل في حق التعليم والتثقيف ، وأتاح لها أن تحصل على ما تشاء من فروع العلم والحكمة والمعرفة في مراحلها المتعددة .

وقد كان الاسلام حاسما إذ أوجب عليها كالرجل معرفة العقائد والعبادات والحلال والحرام في المأكول والمشروب وسائر التصرفات وكذلك كل ما يمكنها من القيام برسالتها الملقاة على عاتقها نحو زوجها وأولادها بخاصة ونحو المجتمع الاسلامي بعامة ، وان تفهم ذلك كله بعيدا عن البدع والخرافات والشعوذة ولا يوجد بين المرأة والرجل فارق ديني في التكليف وأهليته سوى أن التكليف يلحقها قبل ان يلحق الرجل وذلك لوصولها بطبيعتها الى مناط التكليف ـ وهو البلوغ ـ قبل الرجل .

واذا كان الاسلام قد رفع عن المرأة بعض التكاليف كصلاة الجمعة والجهاد فليس لأنها غير أهل لذلك ، ولكن تخفيفا : عنها وترخيصا وبعدا لها عن مزاحمة الرجال . وتفريغا لها لخدمة البيت والاشراف عليه .

ولقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام النساء على طلب العلم فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ولم يفرق الاسلام في مجال التعليم والتهذيب بين الحرة والأمة ، وقد نافست المرأة الرجل وزاحمته في ميدان العلم والمعرفة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . وهو القائل عن عائشة : « **خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء** » .

**وهكذا احتلت المرأة في الاسلام في مجال العلم مكانا مرموقا وبدا الاسلام شامخا بين جميع الأديان السماوية الأخرى والقوانين الوضعية في مساواة المرأة للرجل مساواة تامة في حق التهذيب والتعليم وتكريمها تكريما لم تصل اليه بعد أرقى المدنيات في القرن العشرين بعد أربعة عشر قرنا من الاسلام .**

**الافتاء :**

وهو الاخبار بالحكم الشرعي لا على سبيل الالزام ، وبهذا يفرق بين المفتي والقاضي ، إذ القاضي له ولاية الالزام بالحكم الشرعي ، ويصح إفتاء المرأة بالاجماع لأنه ليس من باب الولاية في شيء .

ومن شهيرات المفتيات بعد عائشة من أمهات المؤمنين ، وكرام الصحابيات السيدات الجليلات : ام سلمة ، حفصة ، صفية ، فاطمة بنت رسول الله واسماء بنت أبي بكر ، ليلى بنت قائف ، وأم الدرداء الكبرى ...

**رواية الحديث :**

وهي نقله عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أو نقله عمن نقله عنه وهكذا وقد اشترط أئمة الحديث في الراوي أربعة شروط هي :
العقل ، والضبط ، والعدالة ، والاسلام ، فاذا توافرت هذه الشروط الأربعة في انسان قبلت روايته ولو كان امرأة .

لقد لحق رسول الله بربه ولم تتجاوز عائشة التاسعة عشرة من عمرها على أنها ملأت أرجاء الأرض علما فهي في رواية الحديث نسيج وحدها ولم يكن من بين أصحاب رسول الله من كان اروى منها ومن ابي هريرة ، على أنها كانت أدق منه وأوثق .

وقد عقد محمد بن سعد جزءا من كتاب « الطبقات الكبيرة » لراويات الحديث من النساء أتى فيه على نيف وسبعمائة امرأة روين عن رسول الله وعن الثقات من أصحابه ، وروى عنهن أعلام الدين وأئمة المسلمين .

وهل تجد موطنا أوثق ، ومرتقى أسمق ، ومنزلة أوثق ، من أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو العلم الأشم الذي لا يدانيه أحد في علمه وحكمته وقربه من رسول الله وقرابته ، يتلقى الحديث على مولاة لرسول الله كانت تقوم على خدمته ، وهي « ميمونة بنت سعد » .

❊ ❊ ❊

# ما يجب أن يعرف المسلمون عن «ماركس»

للاستاذ/عمر الراكشي

قبل أن نعرض للمقدمات التي أفضت بنا الى عنوان هذه المقالة ، نذكر القارئ الكريم في عجالة سريعة بمذهب « كارل ماركس » وموقفه بايجاز شديد من الاسلام .

**الشيوعية والاسلام :**

كلمة الشيوعية ترجمة عربية لمذهب « كارل ماركس » في حالة التطبيق ، لأنه يزعم أن مذهبه ينتهي إلى إباحة كل شئ على الشيوع أو بالمشاع ، ولكن أصحاب المذهب يسمونه بالمادية التاريخية أو المادية الثنائية الحوارية تمييزا له عن جميع مذاهب الاجتماع والفلسفة ، وعنوانه هذا هو خلاصة كافية لقواعده التي يقوم عليها : وهى الايمان بالمادة دون غيرها وانكار لكل ما عداها من عالم الغيب أو عالم الروح .

والشيوعية قد تصبر على المسيحية

وتهادنها الى حين ، ولكنها لا تطيق الصبر على الاسلام ، فالمسيحية دين الشطر الأكبر من الروسيين وغيرهم من الشعوب الأوروبية ، ولأن المسيحية من جهة أخرى تدع شؤون الدولة للدولة ولا تتعرض للنظم الاجتماعية ، أما الاسلام فهو نظام اجتماعي له منهجه في علاج المسائل التي تتصدى لها الشيوعية ، فهو يواجه مشكلة الفقر بحلوله المتعددة ولا يقصر مواجهتها على فرض الزكاة ، فينكر الاسراف والترف والاحتكار ويأبى ان تكون الأموال « دولة بين الأغنياء ». ولا يصدق عليه قولهم إنه أفيون الشعوب لأنه يأمر المسلم ألا ينسى نصيبه من الدنيا ، ويحثه على دفع المظالم ومنع الشرور ، ويعلم المسلم أن يقدس الحرية ، ويثور على المذلة والاستعباد فلا يتسنى للحاكم الأجنبي أن يخضعه لغير معتقده أو يسومه الهوان في امور الدنيا والدين .

لهذا وصفوه في دائرة المعارف الشيوعية بالرجعية وتأييد الاستغلال ، وحاربوه بكل وسيلة من وسائلهم الظاهرة والخفية ، لاضعاف سلطانه الروحي وتشتيت المسلمين وتمزيق كل وحدة تجمعهم ، وهدم معالمهم الدينية .

ولا يبغض الشيوعيون بين أمم الشرق الأسيوي نفوذا روحيا او فكريا أخطر عليهم من نفوذ الاسلام ، وعدة أبنائه تناهز في القارة الآسيوية ثلاثمائة مليون ، وهى حرب حياة أو موت ، ولكن الاسلام عاش ، وماتت عداوات كثيرة ناصبته الحروب منذ مئات السنين ، وسيعيش ألوف السنين والشيوعية وأمثالها في خبر كان .

## موقف « ماركس » وحواريوه من العائلة والوطن والدين :

العائلة والوطن والدين أقوى الدعائم التي قام عليها بناء الحضارة الانسانية . واننا لو نزعنا من تاريخ الانسان هذه الدعائم لما بقى من الانسان المتحضر أثر ، ولعاد مرة أخرى الى الهمجية والوحشية .

ومن تعاسة الهدامين الداعين إلى الفوضى والفساد أنهم يهدمون كل دعامة من هذه الدعائم ، ويزعمون أن الخير كل الخير في نقضها ومحو آثارها وإعلان العداء للماضى بأسره ، وإقامة العلاقة الانسانية وكل علاقة غيرها على أساس واحد ، هو أساس الفلوس وتوزيع الفلوس .

وعيب العائلة في رأي دعاة الهدم والفوضى أنها تحرض الآباء والأمهات على توريث الأبناء والبنات .

ويقول دعاة الهدم والفوضى : إن الوطن للغنى وحده ، وأنه لا وطن للفقير ويقولون : إن الغرض من قوة الوطن هو حماية الدولة التي يسيطر عليها الأغنياء .

ويقولون عن الأديان إنها أفيون الشعوب ، وأن الناس يقبلون على الدين لأنه يخدرهم ويلهيهم عن شقاء الحياة .

وهذا القول الهراء عن الدين هو آخر وصف يمكن أن ينطبق عليه، وأول وصف ينطبق على مذهب ماركس بجميع معانيه.

فالشعور بالمسؤولية والمسكرات نقيضان، وما من دين إلا وهو يوقظ في نفس المتدين شعورا حاضرا بالمسؤولية في السر والعلانية، ويجعله على حذر من مقارفة الذنوب بينه وبين ضميره، ويوحي إلى الفقراء والأغنياء على السواء أنهم لن يستحقوا أجر السماء بغير عمل وغير جزاء.

وأن المسكر حقا هو مذهب ماركس من جميع نواحيه لأنه يرفع عن الضمير شعوره بالمسؤولية ويغريه بالتطاول على ذوى الأقدار والعظماء، ويلقى بالمسؤوليات كلها على المجتمع، ويعلن للعجزة وذوى الجرائم والآثام أنهم ضحاياه المظلومون.

إن الماركسية – إذن – لهي أفيون الشعوب بغير مراء كما يقرر عباس محمود العقاد، فكلما بحثت عن سبب صالح لشيوع المسكرات في بيئة من البيئات، فاعلم أنه سبب صالح كذلك لشيوع المذاهب الهدامة، ولتفسير هذه الشهوات التي تلخصها اول الأعراض التي تبدو على السكران: إسقاط للتبعة وخلع للحياء، واستمراء للتطاول والبذاء على كل محسود وإن لم يكن من الأغنياء.

إن تعجلهم إلى هدم نظام العائلة، ودك قواعد الوطن، وتدنيس حرمات الدين لم يكن منبعثا من قوة الحجة بل من سهولة الهدم والتخريب على بعض الطبائع المبتلاة بالمسخ والتشويه، ونتنبأ مع العقاد بزوال هذه الغاشية وتحطم معاول الهدم في أيدي ذويها، فليس للهدامين حظ من النجاح الدائم مادام للانسانية بناء قائم وأجل ممدود.

## كان كاذبا مع نفسه فكان قدوة غير صالحة:

نحن نعرف الكثير عن الدعاة إلى المذاهب إذا عرفنا كيف كانوا يطبقون كلامهم على أنفسهم، ونتبين الفرق بين الجدير منهم بالثقة، والجدير منهم بالشك والريبة إذا عرفنا مدى أمانتهم في تطبيق المذهب الذي يدعون إليه.

وعلى هذه القاعدة نعرض لسيرة « كارل ماركس » الذي تنسب إليه الشيوعية فتسمى بالماركسية في بعض الأحيان.

هذا الرجل يبني مذهبه كله على أساس واحد هو « أن من لا يعمل لا يأكل » وبهذا المبدأ أراد في ظاهر دعواه أن يبطل استغلال العاطلين للعاملين.

فاذا رجعنا الى سيرته في حياته، فماذا نرى من دلائل الأمانة في تطبيق هذا المبدأ الذي أراد أن يكون فيه قدوة للمقتدين؟

يرى العقاد – وهو الباحث المدقق – من خلاصة الحقائق المستمدة من حياة « ماركس »، أن

الناس جميعا لو جروا على طريقته لماتوا جوعا ، وأنه لو عاش بما كسبه من عمله لما عاش أكثر من سنة واحدة على أبعد احتمال .

وفي خطاب من خطابات أبيه المحفوظة يقول له : « لسوء الحظ أراك تؤيد بسلوكك رأيي الذى كونته عنك ، وهو أنك على ما فيك من خصال حسنة أناني تغلب الأنانية على جميع صفاتك ».

وإنما كتب أبوه إليه ما كتب لأنه كان لا ينتهي من طلب المال وإنفاقه في غير جدوى ، وكان يثقل على أبيه بالطلب مع علمه باتساع أسرته وفيها ثمانية أبناء يحتاجون إلى التربية والتعليم . فلما مات أبوه لبث عالة على أمه وإخوته إلى الرابعة والعشرين من عمره ، وأنذروه بقطع المعونة عنه إذا لم يبحث عن مورد رزق لنفسه .

في تلك الآونة كانت تصدر في بلاد الرين صحيفة تسمى « رنيش جازيت » وكانت تتطرف في دعوتها إلى الاشتراكية ، فأنذرتها الحكومة بالاغلاق إذا هى لم تعدل عن خطتها ، وتخرج منها الكاتب المسؤول عن سياستها ، وكان شابا من أصحاب « ماركس » يدعى « روتنبرج »، فلما سئل ماركس عن رأيه أشار باخراج نلك الكاتب ، ورضى أن يحل محله على خطة جديدة تنحى على الاشتراكية والاشتراكيين ، واعداد الجريدة التي كتب فيها تلك الحملات محفوظة إلى اليوم .

ثم أغلقت الجريدة بعد شهور فذهب ماركس إلى باريس يعلن الدعوة الى الاشتراكية التي كان ينحى عليها ، وظل يعيش من معونة كان يتلقاها من بعض أصهاره في هولندة حتى انقطع هذا المورد فألقى عبئه كله على أصحابه ومريديه .

## لم يكن مشغولا بالدعوة :

وقد يخطر لأحد أن الرجل كان يترك طلب الرزق لأنه كان مشغولا بالدعوة إلى مذهبه سواء كان مخلصا له أو متهما في إخلاصه ، ولكن الرجل كان لا يطيق العمل لطلب الرزق ولا لنشر الدعوة ، ففي هذه الأثناء أشفق عليه بعض رفقائه فأقنعوا « لسكى » بالاتفاق معه على تأليف كتاب في موضوع الاقتصاد وعلاقته بالسياسة ، وهو الموضوع الذي تدور عليه دعوته الشيوعية ، فتم الاتفاق في سنة ١٨٤٤ وقبض ماركس من ثمن الكتاب ألفا وخمسمائة فرنك ، ومضت أربع عشرة سنة ولم يظهر الكتاب . وحلت سنة ١٨٥٨ فاذا به يتفق مرة أخرى مع ناشر آخر هو « دنكر » على تأليف الكتاب ، فانقضت السنون ولم يظهر الكتاب الموعود .

ثم ضاقت بالرجل موارد الرزق لكسله وإخلافه لوعوده واتفاقاته ، وكان قد انتقل إلى العاصمة الانجليزية ، وسعى بعض عارفيه لتدبير عمل له يواظب عليه ، فاتفق مع صحيفة « نيويورك تربيون » على مقال اسبوعي أو مقالين يرسلهما

إليها ويؤجر على كل مقال بعشرين شلنا ، فلم ينشط لكتابة هذه الرسائل واعتمد على زميله « انجيلز » ليكتبها باسمه ويساعده مع ذلك بمعونة من عنده .

## كتاب رأس المال :

ويعتبر كتاب « رأس المال » إنجيل الشيوعية المقدس عند أتباعها ، وكان من المعقول أن يفرغ نبي الشيوعية لاتمام إنجيله الذي تقوم عليه دعوته ، ولكن الرجل لم يقترب من صفحات إنجيله إلا تحت ضغط شديد من الحاجة العاجلة الملحة . ومن حسن حظه أن استقل زميله انجيلز بتجارة أبيه واستطاع أن يخصص لماركس معاشا سنويا دائما حتى طوى النبي كتابه المقدس طي الأبد . وتركه ناقصا كما بقي حتى الآن .

هذا هو الامام الذي خرج للناس ليبشرهم بقداسة العمل ويبغضهم في المتبطلين الذين يعيشون عالة على غيرهم ، وأن ماركس لو عومل بالشريعة التي أراد ان يفرضها على الناس لهلك جوعا . والعجب العجاب في أمر هذا الرجل الذي استباح الأجر بغير عمل أنه خشي من منافسة أستاذه الزعيم « باكونين »، وبحث عن سبب للتشهير به وتجريحه ، وحمل المؤتمر الاشتراكي على فصله ، لأنه اتفق مع ناشر في روسيا على ترجمة كتاب ولم ينجز الترجمة . ونص الحملة موجود في سجلات المؤتمر .

ولم يسلم أحد من أساتذته وزملائه منه من تهمة شائنة أو وصف بغيض ، باستثناء « فردريك انجيلز » الذي كان ماركس محتاجا إلى معونته المالية مدى الحياة ، ومع ذلك نقرأ في إحدى رسائل انجيلز إليه كيف وصفه بجمود العاطفة والأنانية ونقص المروءة والشعور .

من سرد تلك الحقائق عن زعيم الشيوعية ، وكلها مستمدة من سجلات الحركة الشيوعية التي دونها دعاتها وأنصارها ، نستبين أن من كان لا يعميه غرض ولا هوى فلا صعوبة عليه في فهم الرجل على حقيقته التي لا تحتمل المغالطة والخداع . فهو مثل في التطفل ، ومثل في طوية الشر والجحود ، ومن كان كذلك لا يقتدي به في شريعة العمل ولا تفيض نفسه بخير صحيح لمن يجهلهم من بني آدم وحواء . وقد كان أقربهم إليه يلقون منه الشر في موضع الخير ولا يجدون فيه موضعا للثقة والاقتداء .

## خاتمة :

من العرض المسرود ، أردنا أن نسلط الأضواء على زاوية من حياة « ماركس » لعلها تغمض على الكثيرين من المسلمين ، ليعرفوا أي نوع من البشر كان « ماركس »، وأي صنف من الآدميين كان حواريوه ، وان العقل الذي لديه شئ من العلم والفهم لا يحتاج بعد ذلك إلى شرح طويل ليعلم أن نظرة ماركس وتلامذته إلى أطوار الانسانية نظرة باطلة ، وأن حكمهم على المستقبل القريب أو البعيد حكم مردود منقوض .

### من حديث الحج في القرآن

# الأيام المعدودات والأيام المعلومات

في حديث القرآن الكريم عن الحج جاء الامر بذكر الله تعالى في ايام معدودات في قوله تعالى : ( **واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون** ) البقرة /٢٠٣

كذلك ورد الحديث عن ايـــام معلومات وذكر اسم الله فيها في قوله تعالى: ( **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ) الحج/٢٨

فما هي هذه الايام ، وهل المعدودات هي نفسها المعلومات ، او ان المراد بهذه غير المراد بتلك ، وماذا فيها من مناسك الحج ؟

إن ما روى من أثار وأراء في بيان المقصود بهذه الايام يدور – بوجه عام – في نطاق ما يلي :

**اولا :** الايام المعدودات هي ايام التشريق الثلاثة التي تبدأ بعد يوم النحر .

**ثانيا :** الايام المعدودات اربعة ايام ، يوم النحر وثلاثة بعده ، وينفي الامام القرطبي ان يكون يوم النحر من هذه الايام ، لاجماع الناس انه لا ينفر احد يوم النفر ، وهو ثاني يوم النحر ، ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ ان ينفر من شاء متعجلا يوم النفر ، لانه قد أخذ يومين من المعدودات .

**ثالثا :** الايام المعلومات هي ايام

النحر ، وهي ثلاثة ، يوم الاضحى ويومان بعده ، وروى عن نافع عن ابن عمر ان الايام المعدودات والايام المعلومات يجمعها اربعة ايام ، يوم النحر وثلاثة ايام بعده ، فيوم النحر معلوم غير معدود ، واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود لا معلوم .

**رابعا** : الايام المعلومات هي العشر من اول ذي الحجة واخرها يوم النحر .

والذي عليه جمهور الفقهاء ان المعدودات هي ايام التشريق الثلاثة والمعلومات هي العشر من اول ذي الحجة .

ورأى الجمهور في تفسير الايام المعدودات ، انها ايام التشريق الثلاثة ، وهي ايام منى ، او ايام رمي الجمار وذبح الهدى هو الرأي الصحيح ، فحديث الاية يرخص للحاج النفر في يومين او التأخر الى اليوم الثالث ، دون اثم في التعجيل او التأخير ، وهذا لا يكون الا في رمي الجمار ايام التشريق ، وقد روى ان ناسا من اهل نجد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، فسألوه عن الحج ، فامر مناديا ينادي : الحج عرفة ، فمن جاء ليلة جمع ( وهي المزدلفة ) قبل طلوع الفجر ، فقد ادرك ، ايام منى ثلاثة ، فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه ( رواه الخمسة )

أما رأي الجمهور في تفسير الايام المعلومات ففيه نظر ، فالاية تصف الايام بانها معلومات ، وهذا يعني ان تلك الايام كانت معروفة لدى العرب قبل الاسلام ، فهي من ثم ايام الحج كلها وليست العشر من اول ذي الحجة فحسب ، ويرجح هذا ان الاية وردت في سياق عدة آيات تتحدث عن البيت الحرام وبنائه ، وتطهيره للطائفين والقائمين والركع السجود ، وعن اعلام الناس بفريضة الحج ، والغاية منها او حكمتها ، وعن بعض مناسك تلك الفريضة كالطواف والهدى ووجوب تعظيم شعائر الله وحرماته ، وهذا يؤذن بان الايام المعلومات هي ايام الحج جميعها ، ثم ان اشهر الحج وصفت بما وصفت به هذه الايام فهي معلومات **( الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج )** البقرة/١٩٧ ، ولذا لا يكون شهود المنافع وذكر اسم الله واداء المناسك مقصورا على العشر من اول ذي الحجة ، وينسحب مدلول الايام المعلومات في الاية على كل ايام الحج او اشهره ، ولا يمنع من هذا مانع لغوي ، او اثر صريح – لا يحتمل الاخذ والرد – يقصر هذه الايام على

ما ذهب اليه جمهور العلماء .

وما دامت الايام المعدودات هي ايام التشريق فان الامر بذكر الله فيها فسر بالتكبير في ادبار الصلوات ، وعند ذبح الهدى ، وعند رمي الجمار ، وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر بمنى تلك الايام ، وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا / رواه البخاري ، وهذا الاثر يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكبر الله في هذه الايام ليس فقط عقب الصلوات وعند ذبح القرابين او رمي الجمار ، وانما كان يكبر وهو يسير في الطرقات ، وهو يأوى الى راحته او فراشه ، فهو الذكر المتصل لله في ايام منى ، وهذا يتلاءم مع دلالة الامر ، وشمولها بكل الوان الطاعة والعبادة ، وعدم قصرها على بعض الحالات ، والى هذه الدلالة العامة ذهب بعض العلماء ، فالمراد بالذكر في الآية لديهم التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد .

ان الأولى أن يظل الأمر بالذكر في الآية عاما يشمل التكبير وغيره من ضروب القربات والطاعات ، وأن يكون التكبير خاصة صورة من صور الذكر المؤكدة ، والمطلوبة في تلك الايام ، ولا سيما في إدبار الصلوات ، وعند ذبح الهدى وعند رمي الجمار .

والذي لا خلاف عليه أن الحجيج هم المخاطبون بالأمر بالذكر في الآية ، بيد ان أعلام الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار يذهبون الى أن على كل مسلم ــ غير حاج ــ رجلا أو امرأة أن يكبر عقب الصلوات تكبيرا ظاهرا في هذه الأيام ، وكأنهم بهذا لا يرون قصر الامر بالذكر على حجاج بيت الله ، وان مشاركة المسلمين كافة لاخوانهم الذين أموا البيت الحرام للطاعة والنسك في التكبير ، هو رمز لوحدة الامة ، وتذكير بمناط عزتها وقوتها ، فلا يعتصمون بغير حبل الله ، ولا يتفرقون ولا يتنازعون ، حتى لا يفشلوا وتذهب ريحهم .

وتتحدث الآية بعد الأمر بذكر الله في أيام معدودات عن نفي الاثم على من تعجل في يومين ورمى فيهما الجمار ، وعلى من تأخر فأقام بمنى أيام التشريق الثلاثة ، ورمى في كل يوم الجمرات ، وفي هذا تيسير ورحمة ، واتاحة الفرصة لحجاج بيت الله لكي يطوفوا طواف الوداع دون مزاحمة وضغط على الحرم المكي .

ان الحجاج بعد طوافهم طواف الافاضة في يوم النحر ، وتحللهم التحلل الاكبر يعودون الى منى للاقامة بها يومين أو ثلاثة بعد يوم النحر ، ولا يجوز البيتوتة بغير منى في أيام التشريق الا لمن كان له عذر ، أو يتولى شأنا من شؤون الحجيج ، فقد رخص لمن كان يتولى السقاية من آل العباس في المبيت بمكة .

وفي أيام منى ترمى الجمرات ، وهي لمن تعجل وارتحل في يومين ، أو لمن مكث هذه الايام جميعها ثلاث جمرات ..

الجمرة الأولى أو الصغرى ، وهي

التي تلي مسجد الخيف ، وتلي عرفة على يمين الجادة .

الجمرة الثانية أو الوسطى ، وهي تقع شمال الصغرى وتبعد عنها بنحو « ١٥٥ » مترا .

الجمرة الثالثة أو الكبرى ، وتسمى جمرة العقبة ، وهي أولى الجمرات من جهة مكة ، وتقع في مدخل منى ، وتبعد عن الوسطى بنحو ١٥٥ مترا .

والسنة في الرمي أن يبدأ الحاج بالجمرة الاولى ، ومثنيا بالوسطى ومنتهيا بجمرة العقبة ، وهذا الترتيب واجب لدى بعض الفقهاء ، ويكون الرمي بعد الزوال كل يوم الى الغروب ، واجاز بعض العلماء الرمي قبل الزوال ، ويجزيء بعد الغروب وان كان مكروها ، وترمى كل جمرة بسبع حصيات وأن يتأكد الحاج أو يغلب على ظنه أنه أصاب الجمرة ، وأن يدعو ربه دعاء طويلا بين كل جمرتين ، ويجوز لمن كان به عذر من مرض أو شيخوخة أن يوكل عنه من يرمي بأمره .

ويشترط في الحصى الطهارة ، وأن يكون حجمه مناسبا ، ويمكن التقاطه من أي مكان دون مرمى الجمرات ، وما يعتقده بعض الحجيج من وجوب أخذ الحصى من المزدلفة غير صحيح ، وانما هو مستحب فحسب .

ورمي الجمار واجب بالاجماع ، وقد نقل أنه سنة عند المالكية ، وحكى عنهم أن رمي جمرة العقبة ركن يبطل الحج بتركه ، ورجح الامام الشوكاني أن الرمي واجب ، لأن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم بيان لمجمل واجب ، وهو قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت** » آل عمران/٩٧ وقوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني مناسككم » رواه النسائي وأحمد .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين للمسلمين مناسك الحج ، وأمرهم بأخذها عنه فانه عليه الصلاة والسلام قد أقام بمنى أيام التشريق الثلاثة بلياليها ، ورمى في كل يوم الجمرات الثلاث ، وقد خطب المسلمين في اليوم الثاني من هذه الايام وهو يوم الرؤوس ( سمي بهذا لانهم كانوا يأكلون فيه رؤوس الاضاحي ) وكان مما قاله في خطبته : أتدرون أي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا أوسط أيام التشريق ، هل تدرون أي بلد هذا ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا المشعر الحرام وان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم واني لا أدري لعلي لا القاكم بعد هذا ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ، الا هل بلغت » . رواه البخاري .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن سورة النصر أنزلت وسط أيام التشريق ، وعرف صلى الله عليه وسلم أنه الوداع فركب القصواء ووقف عند العقبة واجتمع الناس فخطبهم ، فسمي الناس هذه الحجة « حجة الوداع » .

وما فعله الرسول صلى الله عليه

وسلم في المبيت بمنى أيام التشريق كلها هو الافضل ، لأنه الأصل ويكون له التخيير في التعجل في يومين أو التأخر الى اليوم الثالث رخصة ؟ تيسيرا ورحمة ، فمن شاء أخذ بها ، ومن شاء لم يأخذ ، وجاء نفي الاثم اشارة الى الاباحة ورفع الحرج في هذا التخيير ، ولعله كما ذكر الرازي ورد لدفع شبهة قد تخطر ببال قوم من أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم ، فكلا الأمرين لا اثم فيهما التعجيل أو التأخير .

والآية مع هذا لم تبح تلك الرخصة الا لمن اتقى ، ففضل الله لا يناله الا من كان اهلا له ، اولئك الذين يخشون ربهم في كل حال ، فمن اتقى خالقه فانه لا يفعل الا ما يحبه ويأمر به ، ويحرص ابلغ الحرص على ان يكون حجه طيبا ، بعيدا عن الرفث والفسوق والمماراة ، لان الله طيب ولا يقبل من الاعمال الا ما كان طيبا ، ومن ثم لا يتعجل في يومين جريا وراء عرض فان ، او هروبا من اداء بعض المناسك ، وانما يفعل هذا وهو يستشعر رحمة الله وفضله السابغ عليه ، فيزداد خشية وتقى ، ويصبح الأخذ بالرخصه في ذاته طاعة ، لان الله يحب ان تؤتى رخصه ، كما يحب ان تؤتى عزائمه .

على ان في هذا القيد او الشرط تنبيها لحجاج البيت الحرام الى الغاية من العبادة ، وهي تقوى الله حق تقاته ، وبذلك تكون تلك الرحلة المباركة الى الارض المقدسة فرصة العمر للتطهر من الذنوب والآثام ، والتزود بزاد التقوى المتجددة ، والخشية الموصولة ، والطاعة الخالصة .

وجاء ختام الآية أمراً بالتقوى ، وتأكيدا لهذا الأمر بتذكير الناس بيوم الحشر ( والحشر اسم يقع على ابتداء الخروج من الاجداث الى انتهاء الموقف ) والايمان بهذا اليوم وما فيه من ذهول وفزع وحساب وثواب وعقاب يمنع المسلم من ان يكون حيث نهاه ربه ، ويدفعه دائما الى ان يكون حيث امره ، ومن هنا كان الايمان بالغيب ــ وهذا اليوم بعضه ــ الصفة الاولى التي وصف الله بها المتقين في صدر سورة البقرة .

والحديث عن ايام التشريق ورمي الجمار فيها يقتضي الحديث عن حكمة هذا الرمي ، والكلام في بيان هذه الحكمة اجتهاد ، وان كانت هناك بعض الاثار التي ترجع هذه الحكمة الى احياء سنة سيدنا ابراهيم عليه السلام في رجم ابليس في هذا الموضع الذي ترمى فيه الجمار حين عرض له وهو يؤدي فريضة الحج او يسعى بولده اسماعيل لذبحه ، يحاول فتنته ، واثارة الشكوك في وجدانه ويقينه ، وما يمكن قوله هو ان هذا الرمي رمز مقت واحتقار لعوامل الشر ، ونزعات النفس الامارة بالسوء ، فكأنه في جوهره اظهار العبودية لله ، والامتثال لأمره سبحانه .

اما الذبح في ايام التشريق فان العلماء متفقون على جواز النحر في اليوم الاول والثاني منهما . بيد أنهم

يختلفون في اليوم الثالث ، فبعضهم يرى انه لا يدخل في ايام النحر ، فهي لديهم ثلاثة ، تبدأ بيوم الاضحى ، وتنتهي باليوم الثاني من ايام التشريق ، وبعضهم يذهب الى ان اليوم الثالث داخل في ايام النحر ، لأنها كما يرون أربعة وليست ثلاثة ، وهذا الذبح في هذه الأيام في غير هدى الكفارات والنذر لأنه لا يتقيد بوقت ، كما ان هدى التمتع يجوز ان يقدم ذبحه على الوقوف بعرفه بعد الاحرام بالحج ، او قبله بعد التحلل من العمرة .

ويذبح الهدى في اي مكان من الحرم ، وان كان الاولى بالنسبة للحاج ان يذبح بمنى وللمعتمر ان يذبح عند المروة ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منى كلها منحر ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر . ويستحب ان تنحر الابل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى ، لقوله تعالى : **فاذكروا اسم الله عليها صواف** اي قياما على ثلاث ، اما سوى الابل فتذبح مضطجعة . وهذا الهدى الذي يذبحه الحاج يقوم مقام الأضحية من غيره . اما الايام المعلومات – وقد رجحت انها ايام الحج جميعها – فقد وردت في آية تتحدث عن الغاية من فريضة الحج وبعض انعم الله على عباده وحق الفقراء ونحوهم فيما يذبح من بهيمة الانعام .

وغاية الحج او حكمته كما نصت الآية تنحصر في امرين :

أ – شهود المنافع .

ب – ذكر اسم الله في ايام معلومات .

وشهود المنافع بمعنى حضورها كشهود شهر رمضان ، وهو يعني المشاركة الايجابية فيها ، وان الحج لا يكون كاملا ومقبولا اذا فرط المسلم الذي قصد البيت للنسك والطاعة في شهود المنافع ، ولم يهتم بأمر المسلمين .

وقد وردت المنافع في الآية مطلقة فتشمل كل منفعة دنيوية او اخروية ، وهذا يفرض على المسلمين ان يكون لقاؤهم السنوي في رحاب الكعبة مؤتمرا جامعا يؤكد صلات الاخوة والمودة والتعاون والتناصر ، وتحقيق معنى الوحدة الاسلامية في صورة عملية جادة ، حتى تظل الأمة كالبنيان المرصوص ، كلها يد على من سواها ، ويسعى بذمتها ادناها ، فان لم يحقق هذا اللقاء المقدس منافع للمسلمين فقد رسالته وغايته ، وباءت الأمة به بخسران مبين .

ولا اشك في ان الحج اليوم – على كثرة الذين يؤمون البيت – لا يكفل ما أومأت اليه الآية الكريمة من منافع ، وان طرفا مما يتعرض له المسلمون في كل مكان في العصر الحاضر من فتن ومحن مرده الى ان العبادات – وفي مقدمتها الحج – اصبحت تمثل مظهرا شكليا لا روح له والمسؤولية جسيمة ، يسأل عنها الجميع ، وان كان اهل الرأي والعلم ، والقيادة والحكم اول من سيسأل عن هذا يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وجاء ذكر اسم الله في ايام معلومات تاليا لشهود المنافع ، واذا

كانت الواو كما يقول النحاة لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا فان ذكر المنافع اولا يوحي بمدى اهميتها واثرها في حياة المسلمين ، فضلا عن ان العمل من اجلها في ظل البيت الحرام هو في الحقيقة ذكر لله ، فمفهوم العبادة في الاسلام ينسحب على كل عمل يقوم به المسلم وان بدا في نظره دنيويا محضا كالعلاقة الخاصة بين الرجل وزوجه ما دامت تحكمه مشاعر الخوف من الله ، والتوجه اليه بهذا العمل .

وذكر اسم الله ليس ترديدا باللسان دون ان يكون هذا الذكر ترجمة لما استقر في الوجدان من تقديس للحق تبارك وتعالى ، وحمد له وشكر على ما اعطى .

وذهب بعض المفسرين الى ان الذكر هنا كناية عن الذبح والنحر ، وان هذا التعبير يدل على ان الذبح لا يقبل الا اذا ذكر اسم الله عليه ، ويصبح معنى الاية على هذا الرأي ليشهدوا منافع لهم ويذبحو او ينحروا ما رزقوا من بهيمة الانعام ذاكرين الله عليها .

ولكن من المفسرين من يرى غير ذلك ، ويذهب الى ان ذكر اسم الله في الاية ليس مقصورا على الذبح او النحر ، وانما يتجاوزه الى كل الوان الطاعات القولية والفعلية ، وارجح هذا الرأي ، لانه من جهة يتلاءم مع ترجيح معنى الايام المعلومات بأيام الحج جميعها ، ومن جهة اخرى يأخذ بالدلالة العامة للذكر وهي اولى من الدلالة الخاصة .

يقول الامام الجصاص : على ما رزقهم من بهيمة الانعام .. لا دلالة فيه على ان المراد النحر لاحتماله ان يريد لما رزقهم من بهيمة الانعام ، كقوله : ( **ولتكبروا الله على ما هداكم** ) البقرة / ١٨٥ ويقول القاسمي في محاسن التأويل جـ ١٢ ص١٩ : لايبعد ان تكون « على » تعليلية والمعنى ليذكروا اسم الله وحده في تلك الايام بحمده وشكره وتسبيحه ، لاجل مارزقهم من تلك البهم ، فانه هو الرزاق لها وحده ، والمتفضل عليهم بها ، ولو شاء لحظرها عليهم ولجعلها اوابد متوحشة وقد امتن عليهم بها في غير موضع من تنزيله الكريم كقوله سبحانه : ( **او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون** ) يس / ٧١ ، ٧٢ .

ويقول ايضا معللا النص على بهيمة الانعام ( وهي البقر والابل والمعز والضأن ) في هذا المقام دون سواها من نعم الله : والسر في افراد هذه النعمة والتذكير بها دون غيرها من نعمه واياديه ان بها حياة العرب وقوام معاشهم اذ منها طعامهم وشرابهم ولباسهم واثاثهم وخباؤهم وركوبهم وجمالهم فلولا تفضله تعالى بتذليلها لهم لما قامت لهم قائمة لان ارضهم ليست بذات زرع وما هم باهل صناعة مشهورة ولا جزيرتهم متحضرة متمدنة ومن كانوا كذلك فيجدر بهم ان يذكروا المتفضل عليهم بما يبقيهم ، ويشكروه ويعرفوا له حقه من عبادته وحده وتعظيم حرماته

وشعائره فالاعتبار بها من ذلك موجب للاستكانة لرازقها والخضوع له والخشية منه نظير الآية ـ على ما ظهر لنا ـ قوله تعالى : ( **فليعبدوا رب هذا البيت . الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف** ) قريش / ٤،٣ هذا اولا ، وثانيا قد يقال : انما افردت ليتبع بما هو البر الاعظم والخير الاجزل وهو مواساة البؤساء بها فان ذلك من اجل ما يرضيه تعالى ويثيب عليه وتأمر الآية بعد هذا اصحاب الهدى بالاكل من هداياهم وهو امر محمول على الندب وهذا فيما يتطوع به المسلم من هدي وكما يجوز الاكل من هدي التطوع يجوز الاهداء .

اما الواجب من الهدي كالنذر او ما كان كفارة عن فعل محظور في الاحرام والحرم او جبرا عن نقص يقع في بعض المناسك التي تجبر بالدم فلا يجوز الاكل منه .

وبعد الامر بالاكل ـ على سبيل الندب ـ من الهدى يأتي الامر ـ وهو على سبيل الوجوب ـ باطعام البائس الفقير والبائس من اشتدت حاجته ووصفه بالفقير وهو من لاشيء له في بعض معاني الفقر اشارة الى وطأة ما يقاسيه من ضنك العيش وانه في امس الحاجة الى الاطعام وانه يجب ان يصل اليه حقه المشروع دون حيف او ابطاء .

ولم تحدد الآية مقدار ما يؤكل او يطعم غير ان المسلم الذي تحكمه مبادىء عقيدته وله في رسول الله اسوة حسنة يسارع الى البذل والانفاق في ايثار ويجود بخير ما لديه دون اذى وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه نحر مائة من الابل في حجته وامر عليا كرم الله وجهه ان يتصدق بلحومها وجلودها وجلالها وهو كساء تلبسه الدابة لتصان به كما امره ان يأخذ من كل بدنة بضعة اي قطعة من اللحم لاعداد الطعام الذي اكل منه الرسول صلى الله عليه وسلم ( زاد المعاد جـ ١ ص٣٠٢ ) .

وموضوع الهدى وما يراق من دماء في منى وسائر فجاج مكة في كل موسم من مواسم الحج في عصرنا مازال ينتظر الحل والعلاج الحاسم فحرام ان تطمر مئات الاطنان من اللحوم والجلود دون ان ينتفع المسلمون بها وقد يسر الله لنا وسائل الانتفاع فلماذا التردد او الاحجام عن اجتهاد يحقق مصلحة ويرفع حرجا ويحول دون ان تقدم نعمة الله طعمة للثرى وهناك من المسلمين من يفتك بهم الجوع والحرمان .

وبعد فهذه كلمة عامة عن الايام المعدودات والمعلومات التي جعلها الله ظرفا زمنيا لطاعة وعبادة تعبر اصدق تعبير عن وحدة الامة وانها كالجسد الواحد وما احوج المسلمين في عصر لايقيم لموازين الفضيلة والعدالة وزنا ذا بال ان تكون أيام الحج تذكرة بما فرضه الله عليهم من التناحر والتراحم والتعاون على البر والتقوى حتى يكونوا بحق خير امة اخرجت للناس لها العزة والقيادة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلي كلمة الله في الأرض .

# موقف الإسلام من المعالجة الروحية الجاهلية

للدكتور : محمود ناظم نسيمي

يقصد بالمعالجة الروحية منذ القدم ، تطمين المريض ورفع معنوياته ، والايحاء اليه بان مرضه سيسير عاجلا في طريق الشفاء .

والغالب في وسائلها ان تكون غير عقارات ، وقد تكون عقارات يراد بها الايحاء بانها دواء لعلة المريض ، عندما يكون علاجها الناجع مفقودا ، او غير مكتشف .

ولقد حرم الاسلام على اتباعه الاستعانة بالجن والشياطين ، وحرم السحر والكهانة والعرافة وتصديق اصحابها فيما يخبرون ، كما حرم تعليق الودع والخرز وما شابه بقصد وقائي او علاجي .

عن صفية بنت ابي عبيد رحمها الله عن بعض ازواج رسول الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة اربعين يوما » رواه مسلم .

وعن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يعلق تميمة فلا اتم الله له ، ومن يعلق ودعة فلا ودع الله له » رواه احمد وابو يعلي والطبراني .

اما الرقي ـ وهي تشكل القسم الاعظم من المعالجة الروحية عند العرب ـ فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنها كلها في باديء الامر ، ثم اذن ببعضها مما ليس فيه شرك . وكان هذا النهي لاعتبارات ثلاثة هي :

١ ـ لأن معظمها يحتوي على عبارات شرك كالاستعانة بالاصنام ، او يحتوي كلمات غير مفهومة المعني يخشى ان تكون منقولة عن لغات اخرى ومعناها كفر او شرك .

٢ ـ لاعتقاد كثير من العرب ان تأثيرها حاصل بطبعها دون اذن من الله تعالى ، كما كانت الجاهلية تزعمه في اشياء سببية كثيرة .

٣ ـ لمبالغة العرب في استعمال الرقي كمبالغتهم في استعمال الكي ، فاستعملوهما دون استطباب لتوهم انهما قد يفيدان ، ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من اكتوى او استرقى فقد بريء من التوكل » رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

فتجنب المسلمون رقي الجاهلية كلها استجابة لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، ثم مع المناسبات التي تستدعي معالجة روحية ، كأن يكون المرض نفسيا او مفقود الدواء ، كان الرسول عليه الصلاة والسلام يطلب عرض رقية ذلك المرض عليه ، فان لم يجد فيها ما يتنافى مع عقيدة التوحيد الخالص وروح الاسلام اقرها واذن بها .

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله عن الرقي فجاء آل عمرو بن حزم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، انه كانت عندنا رقي نرقى بها من العقرب وانك نهيت عن الرقي ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : ما ارى بأسا ، من استطاع منكم ان ينفع اخاه فلينفعه » . رواه مسلم .

وعن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال : « كنا نرقى في الجاهلية فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ، فقال : أعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك » . رواه مسلم وابو داود .

وجاء في الاحاديث الصحيحة انه عليه الصلاة والسلام ، رخص واذن في الرقي من العين واللدغات السامة والنملة وألم الاذن . [ انظر كتاب الطب في صحيح البخاري وصحيح مسلم ] .

وسنرى في بحث ( وقائع من المعالجة الروحية في فجر الاسلام ) ان الاسلام

اباح رقي اسلامية اضحت بديلا عن رقي الجاهلية .

واستنادا الى مجموع الاحاديث الواردة في الرقي ، والى مفاهيم تعاليم الاسلام العامة ، اجمع علماء المسلمين على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط : ان تكون بكلام الله تعالى او باسمائه وصفاته ، وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره ، وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بارادة الله تعالى . [ انظر فتح الباري لشرح البخاري في باب الرقي بالقرآن والمعوذات ] .

## وقائع من المعالجة الروحية بالرقى والدعاء في فجر الاسلام

تتألف الرقى الاسلامية في فجر الاسلام من بعض آيات القرآن الكريم ، أو من سوره القصيرة ، ومن بعض الأدعية المتوجهة إلى الله بأسمائه وصفاته ، المستعينة والمستعيذة به وحده الراجية منه تعالى .

وبعد دراستي للآثار الواردة في الرقى الاسلامية ومناسبات استعمالها ، أمكنني أن أصنف مجالات استعمالها في ثلاثة :

ـ المجال الأول في الأمراض النفسية .
ـ المجال الثاني في الأمراض الجسمية التي لم يكتشف لها دواء أو لم يتوفر .
ـ المجال الثالث مع استعمال الأدوية المادية في أمراض جسمية .

ولا يعني هذا التصنيف أن لكل مجال رقى خاصة به ، فان معظم الرقى الاسلامية عامة يمكن استعمالها في المجالات الثلاثة . ولقد قصدت من هذا التصنيف إظهار الوقائع ودواعي استعمال الرقى ، في الأمراض المختلفة .

### ١ ـ المجال الأول في الأمراض النفسية :

تعتبر الأمراض النفسية المجال الأول والأكبر لتطبيقات المعالجة النفسانية قديما وحديثا ، حيث يجنى منها أحسن النتائج ، وخاصة في العصور السابقة المتوسطة والقديمة ، حيث كانت الأدوية المعروفة المهدئة والمنومة لا تكفي في معالجة جميع أنواعها .

أما الأعراض والأمراض النفسية التي استعملت فيها الرقى في فجر الاسلام فهي : المخاوف الليلية ، والأرق ، والاصابة بالعين أو التوهم بالاصابة بها ، ومظهر العته .

### أ ـ معالجة المخاوف والفزع في النوم :

قد يكون الفزع في النوم نادر الحدوث لمنام موحش ، وقد يتكرر دالا على عدم الراحة النفسية . إما لشعور بالذنب أو خوف من عداوة الآخرين ، أو لاصابة

بالقلق النفسي ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في هذا المجال دعاء يكسب طمأنينة نفسية بالاستعاذة بالله تعالى . فقال : « إذا فزع أحدكم في النوم فليقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، فانها لن تضره » فكان عبدالله بن عمرو يلقنها من بلغ من ولده ، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه . رواه الترمذي وأبو داود .

### ب ـ معالجة الأرق :

يشاهد الأرق في حالات كثيرة : منها ما يرافق الأرق بداية ، أو سير بعض الأمراض البدنية ، ومنها ما ينشأ عن انشغال الذهن بمتطلبات الأعمال اليومية وهمومها وانفعالاتها ، أو ينشأ عن مخاوف ، ومنها ما يحدث في الوهن العصبي وفي الشواشات العصبية ( أو العصابات ) وبدء العلل العقلية .

إن تحويل الذهن عما يشغل ساحته من التفكير بالمكدرات · إلى التفكير بعظمة خالق السموات والأرض ، والاستعانة به ، والاستجارة به من كل شر ، إن ذلك يكسب المصاب بالأرق الملتجئ إلى الله اطمئنانا وهدوءا نفسيا ، يساعده على النوم ودفع الأرق . « سنن الترمذي ، الحديث رقم ٣٥١٨ » .

### جـ ـ معالجة الاصابة بالعين :

إن الانسان الذي يبالغ في اعتقاده بالسحر أو بالاصابة بالعين ويتخوف منهما كثيرا ، إنه في ظروف خاصة قد يتوهم أنه قد وقع تحت تأثير أحدهما فيؤدي توهمه إلى مرض نفسي ، أو وظيفي ، فتكون معالجته بالوسائط الروحية لتوحي إليه بأن سحره قد فك ، وأن إصابته بالعين في طريق الزوال .

إن ذلك الانسان المكثر في تخوفه من السحر ، أو الاصابة بالعين ، قد ينسب مرضه الطارئ من أي نوع إلى الاصابة بأحدهما . وهنا تكون المعالجة الروحية مفيدة في عزل العنصر النفسي ، وإبعاد أعراضه التي تشوش الصفحة السريرية للمرض .

إن المعالجة الروحية في المثالين السابقين ، يقرها العلمانيون من علماء النفس ، كما يقرها علماء المسلمين ، على أن هؤلاء يعتقدون استنادا إلى نصوص صحيحة ثابتة بوجود أذى حقيقي لبعض أنواع السحر ، والاصابة بالعين ، تكون معالجته بالوسائط الروحية ، بالأدعية والتعاويذ والرقى الاسلامية . ومع ذلك فانهم يقررون أن الاسلام لا يرضى للمسلم أن يترك نفسه فريسة للمخاوف أو الأوهام ، بعد أن قواه معنويا بالفأل الحسن ، والثقة بالله تعالى ، والتوكل عليه ، والايمان بقدره ، وبعد أن سلحه بأذكار ربانية ، وتعوذات إسلامية هي

أدوية روحية وقائية وعلاجية ، تجاه السحر والعين ايضا .

عن أنس رضي الله عنه قال : « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة » رواه مسلم في كتاب الطب ..

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما » رواه الترمذي وابن ماجة والنسائي .

ولقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصول الاخلاقية والاجتماعية عندما يرى الانسان شيئا يعجبه فقال لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف : « علام يقتل احدكم أخاه ألا بركت » ( الموطأ ) ، أي قلت : اللهم بارك عليه . ففي قول ذلك دفع لخواطر الحسد وتنبيه لطلب الفضل من الله تعالى ، ودفع لتوهم صاحب الشيء المعجب به أنه حسد أو أصيب بالعين .

### ٢ ـ المجال الثاني للرقى الاسلامية :

لدى الاصابة بمرض جسمي أخفق دواؤه أو لم يتوفر أو لم يكتشف .

#### أ ـ معالجة اللدغ بالرقية :

لم يكن المصل المضاد للسم مكتشفا في ذلك الزمن ، ولم يكن الترياق المعروف المخفف لشدة الاصابة متوفرا دائما ، وخاصة في الأرياف والبوادي ، ولذا كان الكثير من حوادث اللدغات تعالج معالجة روحية بالرقى منذ الجاهلية . خاصة وان الملدوغ ينتابه هلع وقلق حول مصيره .

ولقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قصة رقية الصحابي للديغ بفاتحة الكتاب فكأنما نشط من عقال . وفي بعض الروايات ان الراقي هو أبو سعيد نفسه .

#### ب ـ معالجة ألم مزمن بالرقية :

إن الطبيب لا يألو جهدا في تسكين ألم مريضه ريثما يتم شفاؤه من مرضه الأصلي المسبب للألم ، بل ولو تعذر هذا الشفاء . كما أنه يطمئن مريضه لأن المخاوف الناتجة عن الألم قد تسبب زيادة في التشنجات المسببة للألم ، وقد تؤدي الى اضطراب نفسي . ومن الآلام ما هي عصابات نفسية ناتجة عن الارهاق والقلق ، فالراحة والمعالجة الروحية كفيلان بازالتها .

لقد روى مسلم حديث تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام الرقية الذاتية في مكافحة الألم لعثمان بن ابي العاص الثقفي الطائفي رضي الله عنه ، فعنه أنه

شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم ، فقال له : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : باسم الله ثلاث مرات ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، وعند الموطأ : « بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » قال : فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم ، ولم ترد روايات تحدد موضع الألم أو المرض المسبب .

**جـ ـ معالجة بالرقية لحالة تحتمل أن تكون إغماء أو سباتا أو صرعا حقيقيا أو هستريائيا :**

يشير الطب الحديث الى ان الهستريا قد تتظاهر بنوب تشابه الاغماء أو السبات أو الصرع ويحاول المهستر أن يتظاهر بفقد الوعي فيها ، ولكن الأطباء يمكنهم ان يفرقوا نوبات الهستريا هذه عن الأمراض الحقيقية بقوة الملاحظة ، وبالتفتيش عن بعض العلامات . وهناك من يتظاهر غيظا وكيدا او احتيالا بفقدان الوعي او بنوبة شبه صرعية .

لقد روى البخاري ومسلم حادثة صرع حقيقي شكت المصابة به مرضها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن حينئذ دواء ناجح معروف لابعاد نوبات الصرع ، فلم يصف لها شيئا لا دواء ماديا ولا رقية فاكتفت بدعائه لها ان لا تتكشف في نوبة الصرع .

## ٣ ـ المجال الثالث للرقى الاسلامية :

مع استعمال الأدوية المادية لامراض جسمية . والغاية من الرقية حينئذ هي بعث الأمل والطمأنينة في المريض ، وتحريك إيمانه واتكاله على الله تعالى في نجاح الدواء المادي ، فتقوى معنوياته ويزداد أمله في بلوغ العافية ، وخاصة عندما يرقيه من يعتقد بصلاحه أو يثق بأهليته للرقى .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة المؤمنين في الجمع بين الدواء المادي والدواء الروحي ، دون إهمال للأدوية المادية . وإليكم نماذج من هذا الجمع من فعله عليه الصلاة والسلام ، وفعل صحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

**أ ـ معالجة لدغة العقرب بالرقية والملح معا :**

عن علي عليه السلام قال : ( لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو يصلي فلما فرغ قال : ( لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره . ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ : قل يا ايها الكافرون ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل

أعوذ برب الناس ) رواه الطبراني واسناده حسن .

ولقد وجدت في « القانون » لابن سينا في بحث الملح ( من أبحاث الأدوية المفردة في الجزء الأول ) قوله : « يضمد به مع بزر الكتان للسع العقرب ، وفي الملح قوة جانبة محللة » . فالحديث السابق يدل على أن معرفة العرب لفائدة الملح في لدغة العقرب سابقة لعصر الترجمة .

## ب ـ تداوي الرسول عليه الصلاة والسلام في مرضه بالأدوية المادية والقرآن :

لقد كان ذلك حتى في مرض وفاته عليه الصلاة والسلام . ولما اشتد وجعه كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقرأ عليه بالمعوذات وتمسح عليه بيمينه رجاء بركتها . قال عروة بن الزبير لعائشة : ياامتاه ، لا أعجب من علمك بالشعر وأنت ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب ، فضربته على منكبه ، وقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره ، فكانت تقدم إليه وفود العرب من كل وجه فينعت له الانعات فكنت اعالجه فمن ثم . وعن عائشة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها » اخرجه مالك في الموطأ .

وبهذا جمع الاسلام بين الماديات والروحانيات ، وانتظم الحسيات والمعنويات ، فأعطى لكل جانب حقه ، وأعد لكل حالة لبوسها ، ولم يهمل واحدة من الطرفين .

ذلكم ما نلحظه في معالجته لكل ناحية من شؤون الحياة الدنيوية حتى في معالجة الأمراض . فكما أمر الاسلام بالتداوي بالأدوية الحسية والأخذ بالأسباب العلمية فانه رغب بمشاركتها بالأدوية المعنوية والروحية ، من أدعية ورقى بكلام الله العزيز وأسمائه الحسنى ، حتى يتذكر المريض خالق الداء والدواء وتبقى عقيدة التوحيد خالصة لله تعالى في الصحة والمرض ، وحتى تبقى نفس المريض متفائلة هادئة مطمئنة بالالتجاء اليه تعالى ، والتوكل عليه ، فيقوى صبره ورضاه بالله سبحانه . وينتج عن ذلك كله غياب الوساوس والمخاوف وارتفاع المعنويات ، ونمو الأمل بالشفاء ، وازدياد المقاومة فتختفي أعراض الاضطراب النفسي ، ويبدو التحسن حتى في الأمراض الوظيفية والعضوية ، وأحيانا يتم الشفاء معونة من الله وفضلا ، كل ذلك بمقدار ثقة المريض بالرقية والراقي وبمقدار قوة إيمان الراقي ويقينه بالله تعالى .

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

**« القاص ينتظر المقت والمستمع ينتظر الرحمة والتاجر ينتظر المقت والتاجر ينتظر الرزق والمحتكر ينتظر اللعنة والنائحة ومن حولها من امرأة مستمعة عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .**

**موضوع :**

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة من رواته عبدالوهاب بن مجاهد ولا تصح روايته وهو ليس بشيء .
وأيضا من رواته أبو محمد عبدالله بن أيوب بن زادان القرنى وهو متروك الحديث .

**« يحشر الحكارون وقتلة الأنفس الى جهنم درجة واحدة » .**

**موضوع :**

من رواته بقية وهو يدلس عن الضعفاء والمتروكين .
وحكم السيوطي في اللآلئ المصنوعة بوضعه .

# الحج

## ومنافع المسلم فيه

**للاستاذ سعد صادق محمد**

## فريضة الحج عبادة قديمة :

الحج هو الركن الخامس من اركان الاسلام ، وهو عبادة من العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده كوسيلة لاظهار العبودية لله عز وجل .

والحج عبادة قديمة كانت على عهد ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام ، إذ أنها تحقيق لطلب ابراهيم عليه السلام ، حيث قال لمولاه جل شأنه : ( **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ) ابراهيم ( ٣٧ ) كما أنها تلبية من ابراهيم عليه السلام لطلب مولاه حيث قال له : ( **وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ) الحج / ٢٧ .

وقد ظلت شعائر الحج نظيفة من دنس الشرك ، سليمة من آدران الوثنية ، لكن العرب غيروا – مع تقادم الزمن وتوالي القرون – كثيرا مما كان عليه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، إذ أشركوا بالله : الاصنام والأوثان والتماثيل التي أقاموها حول الكعبة ، وعلى ظهر البيت وعلى الصفا والمروة ، وتقربوا بها إلى الله زلفى ، وغيروا كثيرا من المشاعر التي كانت على عهد ابراهيم وابنه إسماعيل ، وذكروا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وكانوا يحجون ويطوفون بالبيت عرايا ، وكانوا يأتون أعمالا شركية ، فيقولون في التلبية لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك .

## موقف الاسلام من عمل المشركين عند الكعبة :

ولما كان هذا العمل مخالفا لعقيدة التوحيد ، ومصادما لدعوة الحق التي أمر الله عباده ان يؤمنوا بها ، فقد حاربها الاسلام محاربة شديدة وتتبع هذه المفاسد العقائدية في كل وكر من أوكارها حتى تم القضاء عليها نهائيا ، فبعد ان أتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه فتح مكة – توج الله بهذا الفتح جهود الرسول الكريم لتطهير العقائد – أرسل أصحابه

الكرام لتطهير الكعبة وما حولها من الأصنام والأوثان التي كان المشركون يتوجهون إليه بالضراعة والسؤال والذل ، كما أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرأ على الناس عند الكعبة سورة براءة بعد نزولها على النبي لازالة الأوثان من الكعبة وإخلاص العبادة لله وحده ، حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يذهب إلى حجة الوداع إلا بعد أن أزيلت الأصنام والتماثيل من الكعبة وما حولها ليكون البيت خالصا لعبادة الله الواحد القهار .

لقد جاء الاسلام ليطهر العقائد ، ويصحح المفاهيم ، ويقرر أن تكون عبادة الانسان كلها لله وحده دون شريك ولا ند تحقيقا لقوله تعالى : **(قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين )** الزمر / ١١ وأن تكون الطاعات لله وحده ، والتقرب بالقربات اليه وحده ، وأداء النسك كما كان عليها ابراهيم الخليل ، وكما بينها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**منهج الاسلام في شهر الحج :**

ومن المناهج التي وضعها الاسلام ليسير على هديها ضيف الرحمن ما تبينه الآية الكريمة حيث يقول تبارك اسمه : **( الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب )** البقرة / ١٩٧ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه .

فلو أن الحاج من ضيوف الرحمن اتبع هذا المنهج القويم ، وسار على هديه لانتفع بحجه ولصار صاحب : حج مبرور وذنب مغفور وتجارة لن تبور .

والفسق في الأصل : هو خروج الشيء عن طبيعته الخيرة ، فمن خرج عن هذه الطبيعة ؛ اتى بالشر ، وألحق الضرر بالناس ، وأوقع بهم الاساءة ، ونفرهم من خير وبغضهم فيه .

ومن الفسق : مزاحمة القوى للضعيف على الحجر الأسود للتقبيل ودفعهم بعيدا عنه ، ولو أن هذا المزاحم قبل الحجر بالمزاحمة مرة واحدة في كل طواف ، لهان الامر ولكنه يتعمد تقبيل الحجر مرة ومرتين وقد تصل الى ثلاث في كل طواف ، وبهذا يزاحم ويؤذي غيره من العجزة والضعفاء ممن يريدون تقبيل الحجر مرة واحدة ، وذلك من الامور المنكرة التي ليست في الدين في شيء ، والتي تقلل من ثواب الطائف ان لم تكن مضيعة له .

والذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم في تقبيل الحجر الأسود ، هو ان الطائف اذا استطاع دون مشقة ان يقبل الحجر او يلمسه فعل ، فاذا تعذر ذلك ، فعليه أن يشير إليه بيده

اليمنى من بعيد عندما يحاذيه .

أما الرفث : كما تبينه الآية الكريمة والحديث الشريف فهو كل ما يؤذي الناس من قول بذيء فاحش أو فعل مشين قبيح .

أما الجدال فهو يعني كثرة الكلام وما يصحبه من صخب وضجيج وسباب وشتم وما يستتبع ذلك من المخاصمة والقطيعة والتباعد بين المسلم وأخيه المسلم .

وإذا كان الرفث والفسوق والجدال كل منها مذموم في غير أوقات الحج ، فهي في أوقات الحج أشد ذما ، وأعظم جرما وأقبح ذنبا .

ولا شك ان الذي خرج من بيته حاجا أو معتمرا واحتمل المشقة في ايجاد المال ، وفي السفر إلى الأراضي المقدسة هو إنسان في نيته التطهر من الذنوب والتخلص من الآثام ، ويتطلع إلى الله طالبا عفوه ورحمته فينبغي عليه ــ اذن ــ ان يعظم تلك الاماكن المقدسة ويحترم مشاعرها ويعتبرها موضع عبادات وقربى الى المولى تبارك وتعالى ، فاذا فعل هذا كان من دلائل الايمان والتقوى عنده ويؤته الله أجره عن هذا التعظيم ، وفي هذا يقول الله تعالى : ( **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ) الحج / ٣٢ ( **ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه** ) الحج / ٣٠ .

## منافع الحج

### خير الزاد التقوى :

من منافع الحج : التزود بالتقوى فالله عز وجل حين فرض عبادة الحج ، لم يرد من المسلم والمسلمة اداء شعائر الحج ومناسكه وكفى ، ولكنه أراد من وراء هذا كله : أن يتزود المسلمون بالتقوى والايمان ، فهذه الاضحية التي يقدمها الحاج بعد الصلاة اتباعا لسنة خليل الرحمن ، ابراهيم عليه السلام ، لا ينال الله منها شيء من دم أو لحم . وإنما الحكمة منها . هي استشعار التقوى والايمان . وفي هذا يقول الله عز وجل : ( **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم** ) الحج / ٣٧ ويقول ايضا : ( **وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** ) البقرة / ١٩٧ اي يجب على المسلم أن يخرج من أعمال الحج أو يمارس شعائرها متزودا بالتقوى والايمان ومتحصنا بالصلاح وطاعة الله ، وابتغاء مرضاته .

ومما يؤكد ضرورة وجود عناصر الايمان والتقوى في اعمال الحج من اضحية وغيرها ، ان الله طلب من الحاج ان يذبح من البهائم السليمة المستحسنة ، فلا يتعمد ذبح الضحية العمياء ولا العوراء البين عورها ، ولا المريضة البين مرضها ولا العرجاء البين عرجها ، ولا العجماء التي لا مخ فيها ، ولا الحرباء التي يفسد لحمها ، ولا بمقطوعة الاذن والالية .. وذلك كما بينته الاحاديث النبوية .. بل يجب عليه ــ إيمانا منه

وتقوى ــ أن يذبح شيئا يأكل هو نفسه منه ، ولا يعافه ، وذلك كما يقول تبارك وتعالى : **( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون )** آل عمران /٩٢ وكما يقول الله في وجوب الانفاق من الشيء الطيب : **( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد )** البقرة / ٢٩٧ فالآية الكريمة تطلب من العبد المنفق ان ينفق من الشيء الحسن وذمت أن يتعمد الانفاق من الشيء الخبيث بحيث اذا اخذ منه شيئا لخاصة نفسه عافته وكرهته ، وقد قصد الشارع من ذلك ان يأكل الفقير من الشيء الطيب الجيد ، وأن يربى ملكة التقوى عند المسلم في مثل هذه الشعائر وفي غيرها مما يأخذ ويدع من أمور الحياة .

## شعور المسلمين بالوحدة الجامعة في الحج :

ومن منافع الحج ما تشهده الأماكن المقدسة من ألوف الحجاج القادمين من شتى بقاع الأرض ، مسلمين جاءوا من هنا وهناك ، ملبين نداء الله تعالى : **( وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق )** الحج /٢٧ يلبون النداء ، ويجيبون الدعاء ، فتتحرك النفوس إلى الارض المقدسة ، وتهفو الأفئدة الى بيت الله الحرام .. إلى البيت الذي وضع قواعده ابراهيم واسماعيل ، وفيه آثار النبيين ومشاهد الصديقين والشهداء والصالحين ..

نعم .. يذهب الحجاج من كل بقاع الأرض .. من الشرق ومن الغرب .. من أقصى الأرض وأدناها إلى البقعة المباركة التي شرفها الله سبحانه بنسبها إليه ، وزادها بأن اضفى عليها الأمن والبركة ، فقال تعالى : **( إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا )** آل عمران / ٩٦ و ٩٧ . لقد جعله الله شعار الوحدة الاسلامية ومجتمع الأمة الاسلامية ، ففي كل يوم يتجه المسلمون جميعا إليه خمس مرات في صلاتهم حين يمسون وحين يصبحون ، وعشيا وحين يظهرون فهو قبلة المسلمين إلى يوم الدين فاذا تناءت ديار المسلمين شرقا وغربا ، وتباينت لغاتهم . واختلفت ألوانهم وأجناسهم . فالقبلة جامعة بينهم تشعرهم بوحدتهم في صباحهم ومسائهم كلما تضرعوا إلى ربهم وصلوا لخالقهم .. حتى اذا كانت اشهر الحج . نفر من كل طائفة الى بيت الله الحرام . ونزلت في ضيافة الله . والتقت القلوب على مائدة الرحمن . وتدانت النفوس خاشعة امام خالقها وباريها . وقالوا مجتمعين في صوت واحد . وفي صعيد واحد . وبقلب واحد خاشع : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكأنما هم يستأذنون في بيت ربهم .

ويدخلون في الحرم الآمن ( **أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم** ) العنكبوت /٦٧ . فتتجلى الوحدة الجامعة . والأخوة الطائعة والقلوب المتلاقية . والعبادة الروحية . فتتأكد روابط الاخوة بين المسلمين . وينطلق التعاون بينهم وثيقا .. وتتوطد الصلات والعلاقات بين مختلف شعوب الأمة الاسلامية . ويشعر المسلمون اجمعون بانهم قد حضروا ندوة ربهم . فتتجمع على محبة الله وعبادته . وفي هذا الصعيد المبارك يقف الجميع بلا فوارق ولا تمييز . فلا فرق بين شرقي وغربي وأبيض وأسود وجنس وجنس . ولا فرق بين غني وفقير فالاغنياء بجانب الفقراء والملوك بجانب البسطاء والاقوياء بجانب الضعفاء . شعورهم واحد . وآمالهم واحدة . ووجهتهم واحدة فالجميع سواء في جوار رب العالمين يطوفون بيته ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويذكرون الله عند المشعر الحرام ، وفي كل مكان مقدس ، أمرهم الله بالذهاب اليه في الحج .

**مؤتمرات كبيرة لخير المسلمين :**

ومن منافع الحج ، ان الحجاج يلتقون في هذه المواسم ، فهي مؤتمرات كبيرة يشهدها ملايين المسلمين في شتى بقاع الأرض من المشرق والمغرب ومن أقصى الأرض وادناها .

واذا كان المسلمون في البلد الواحد يلتقون في الاسبوع مرة في مساجدهم المحلية لتوثيق عرى المودة والاخوة والتعاون بينهم فان مواسم الحج مؤتمرات كبيرة تشهدها هذه الألوف ، بل الملايين القادمة من كل فج عميق ..انهم يأتون لمشاهدة هذه المنافع ، في هذه المؤتمرات العظيمة ، فيتبادلون التجارات ، ويتسابقون الى فعل الخيرات ويقفون على أحوال بلادهم الاسلامية ، ويطلعون على ما يجري في أوطانهم العربية ، وينظرون في أحوالهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية ويبحثونها على أساس من التعاون وتكتل الجهود ، وتوثيق عرى المودة ، والتساند والأخوة الاسلامية وذلك لحماية الأوطان الاسلامية من المعتدين والطامعين .

وتلكم هي المنافع التي أشارت إليها الآية الكريمة : ( **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام** ) الحج / ٢٨ .

فالحج إذن من أعظم شعائر الاسلام وأبعدها أثرا في حياة المسلمين وأكثرها نفعا وفوائد لدينهم ودنياهم .. ومستقبلهم ..

وخير ما نختتم به حديثنا هذا عن الحج دعاؤنا إلى الله عز وجل أن يرزقنا حسن العمل ، وطيب القول ، وجميل الخلق ، واتباع ما أمر الله به من الهدى والخير والاقتداء برسوله الكريم فيما أوصى وترك ، لنعود من الحج طاهرين أنقياء ، مزودين بالتقوى والايمان وثمرات هذه المنافع .

# مائدة القارئ

## خير الزاد

قال تعالى : ( الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

## أنت أنت

قال ابراهيم الخرساني : حججت مع أبي سنة حج الرشيد ، فاذا نحن به واقف حاسر حاف ، وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي ويقول : يا رب أنت أنت ، وأنا أنا ، أنا العواد بالذنب ، وأنت العواد بالمغفرة ، فاغفر لي .
قال لي أبي : انظر الى جبار الأرض كيف يتضرع الى جبار السماء .

## بخل أبي الأسود الدؤلي

سلم عليه أعرابي يوما ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أتأذن في الدخول ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمني ، قال : عيالي أحق منك ، قال : ما رأيت ألأم منك ، قال : نسيت نفسك .

## هذا من كرمهم

قالت بنت عبدالله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة : ما رأيت ألأم من أصحابك اذا أيسرت لزموك ، واذا أعسرت تركوك ! فقال : هذا من كرمهم ، يأتوننا في حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم .

## دعاء

اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي .
اللهم لا تكلني الى نفسي ولا الى الناس فاضيع .

## بلاغ

وقف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطيبا في المسلمين يوم النحر فكان مما قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

متفق عليه

## شكر النعمة

**قال أبو هرون : دخلت على أبي حازم فقلت له : يرحمك الله ما شكر العينين ؟**
**قال : اذا رأيت بهما خيرا ذكرته ، واذا رأيت بهما شرا سترته .**
**قلت : فما شكر الأذنين ؟**
**قال : اذا سمعت بهما خيرا حفظته ، واذا سمعت بهما شرا نسيته .**

## نادرة

**يروى أن جحا أرسله أبوه ليشترى رأسا مشويا ، فاشتراه وجلس في الطريق ، فأكل عينيه ، وأذنيه ، ولسانه ، ودماغه ، وحمل باقيه الى أبيه ، فقال : ويحك ما هذا ؟ فقال : هو الرأس الذي طلبته ، فقال : فأين عيناه ؟ قال : كان أعمى ، قال : فأين اذناه ؟ قال : كان أصم ، قال : فأين لسانه ؟ قال : كان أخرس ، قال : فأين دماغه ؟ قال : فكان أقرع ؟ قال : ويحك رده وخذ بدله ، قال : باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب !**

# فن تزيين القصص الديني و القرآن الكريم

للاستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

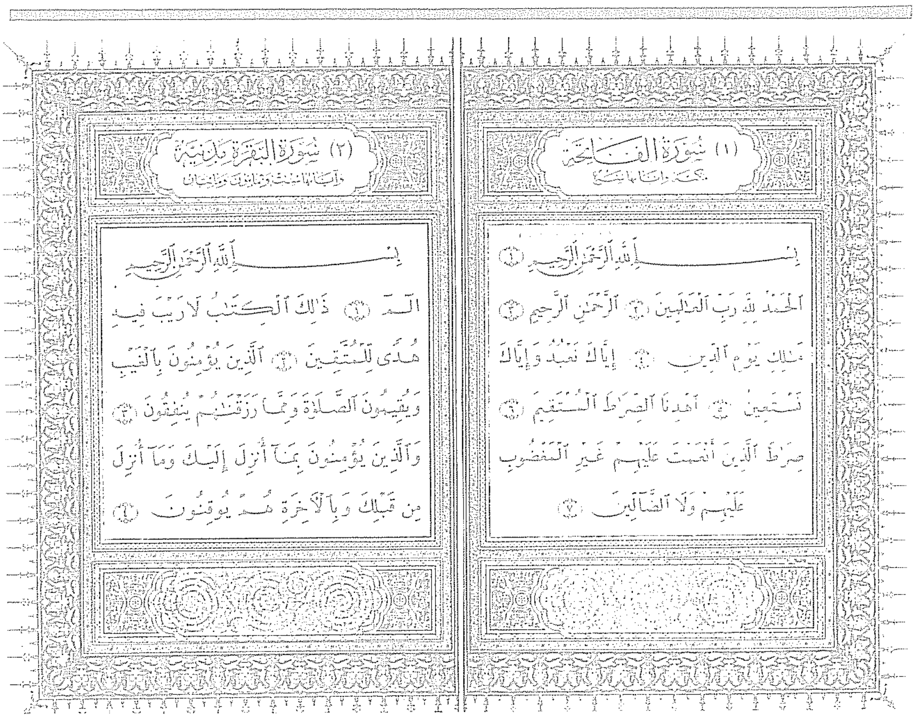
لقيت الكتب والمؤلفات الدينيةوالمصاحف الشريفة اكبر عناية واعظم رعاية من رجال الفن والرسامين نظرا لمكانة هذه المخطوطات من قداسة لعلاقاتها بالدين الحنيف الذي له في النفوس اسمى منزلة وأرفع مكانة وتميزت الرسوم والزخارف التي تزين المصاحف والكتب الدينية من سيرة او قصص قرآني او حديث او فقه باعتمادها على الرسوم الهندسية والزخارف النباتية التي تستطيل اغصانها او افرع الاوراق وتمتد في جمال وتناسق بين الاوراق وتقابل مع غيرها وتماثل ينتزع الاعجاب والتقدير من المشاهد الذي يتمتع بهذا الفن الزخرفي الذي ابتكره الرسام المسلم وصار علما على الفن الاسلامي .

## الرسوم والمداد الذهبي

وكما تميزت الزخارف بالاسلوب الهندسي او النباتي فانها لم تكتب على الورق كغيرها من الكتب بل نقشت على الجلد الممتاز من حيوان مشهور هو الغزال الذي يليق بمكانتها في النفوس ولم يقتصر الامر على هذا بل اختير لها المداد المذهب الذي يتولى الرسم به المذهب وهذا المداد الذهبي الذي يجيد المذهب صنعه من ورق الذهب مضافا اليه عصير الليمون الصافي النقي مع الماء الصافي النقي ويترك المزيج لمدة ساعة حتى يترسب الذهب وبعدها يصفى الماء عنه ويؤخذ ما رسب ويوضع في زجاجة بها زعفران وقليل من الصمغ المحلول بالماء ويكتب به وتحاط الحروف المكتوبة بماء الذهب بالحبر العادي الذي يحيط بالحروف المكتوبة احاطة تامة .

## متى ظهرت الصور الدينية ؟

من اوائل الكتب الدينية التي زينت بالرسوم كتاب جامع التواريخ الذي الفه


سورة الفاتحة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم ١

الحمد لله رب العالمين ٢ الرحمن الرحيم ٣

مالك يوم الدين ٤ إياك نعبد وإياك

نستعين ٥ اهدنا الصراط المستقيم ٦

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب

عليهم ولا الضالين ٧

(٢) سورة البقرة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ١ ذلك الكتاب لا ريب فيه

هدى للمتقين ٢ الذين يؤمنون بالغيب

ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ٣

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل

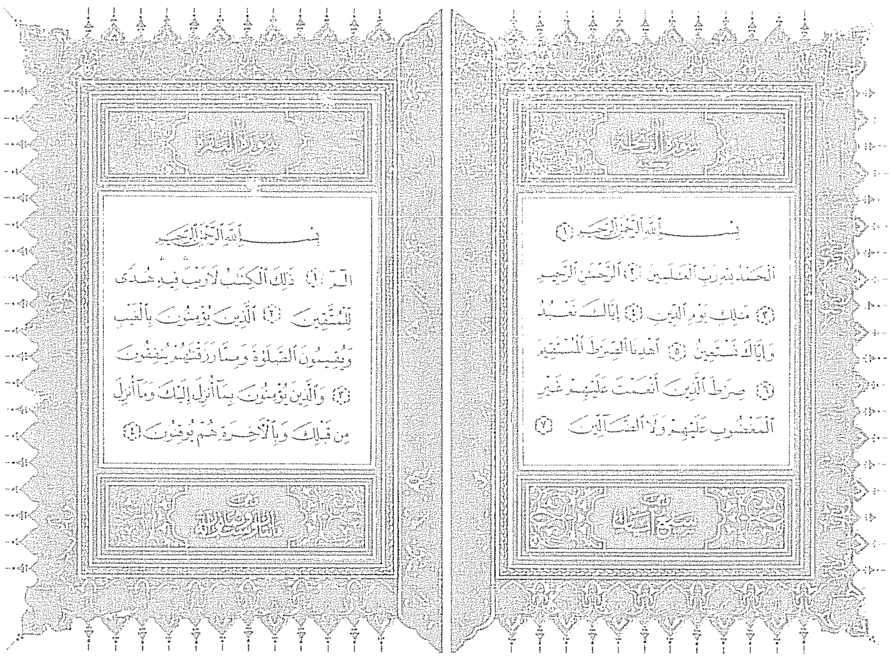
من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ٤

● زخرفة لفاتحة الكتاب وسورة البقرة

الوزير المغولي رشيد الدين الذي نقله عن كتاب العالم المسلم الجويني الذي يعرف باسم « تاريخ حياة قاهر العالم » والمنصورية جانكيز خان الحاكم المغولي الذي استولى على بغداد حاضرة الدولة العباسية وكان هذا الكاتب مؤرخا مسلما اضطر ليجاري الملك الجبار جانكيز ويمدحه خوفا من بطشه ويؤكد ان سبب هزيمة المسلمين يعود الى ابتعادهم عن التمسك بدينهم الحنيف وشريعتهم السمحة وكتابهم المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويرى رشيد الدين أن المغول بعد اسلامهم واستلائهم على الدولة العباسية يكملون الدولة الاسلامية ويعتبرون امتداد لحكمها .

## المصاحف وتزيينها :

وضع الرسامون للمصاحف الكريمة خطة واسلوبا لتزيينها وتنميتها بطريقة تزيدها روعة وجمالا فكانت هناك اساليب لتزيين الفواصل بين سورة واخرى وطريقة اخرى بين كل اية والتي تليها هذا بالاضافة الى تزيين بداية المصحف نفسه عند سورة البقرة وزخرفة رابعة عند سورة فاتحة الكتاب كما كانت هناك زخارف مخصصة بين كل جزء من اجزاء المصحف الثلاثين وانصافها وارباعها واعشارها وكذلك عند مواقع السجود ولم يتفق الفقهاء او يوافقوا على تزيين

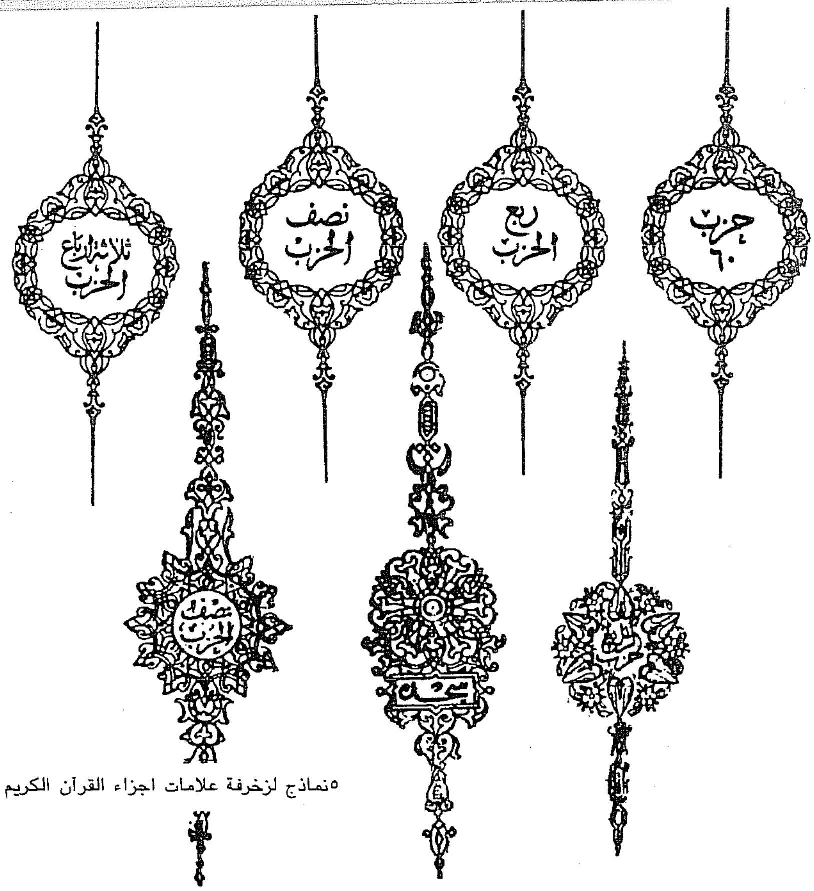


● زخارف رائعة لمقدمة احد المصاحف

المصاحف بالرسوم الهندسية والافرع النباتية الا في اوائل القرن السادس الهجري ( الثاني عشر الميلادي ) ونوعت الزخارف الهندسية وابتكرت طرز معينة فظهرت النجوم المسدسة او المثمنة متشابكة مع ما جاورها من زخرفة في تناسق وابداع فائق وكما ابتكرت انماط معينة من الزخارف الهندسية ابتدعت زخارف ورسوم نباتية مورقة ظهرت انواع من الخطوط مستحدثة في سائر انحاء الدولة الاسلامية وهجر الخط الكوفي الذي كان مقصورا على الكتابة في المصاحف تقديرا لقدسيتها ووجدت خطوط اسهل وايسر على القراء مثل النسخ الذي بدأ يظهر الى جانب خط الثلث في بلاد الشام ومصر المملوكية على حين ابتكر خط النستعليق الذي يجمع بين اصول خطي النسخ المملوكي والتعليق الفارسي في ايران وما جاورها .
واقتصرت مهمة الخطاط على الكتابة اي كتابة ايات القران الكريم ويترك فراغا وفواصل بين الايات بعضها البعض وبين سورة واخرى بين اجزاء بعضها بعضا ليتولى المذهب المزخرف التفرغ لمهمة التنميق في وقت كاف لا يعترض سبيله الخطاط ونتيجة لهذا كان الابداع والوصول بفني الكتابة والزخرفة الى ارفع مستوى في الاداء والاجادة والاتقان .

## الاساليب الزخرفية

كان المذهب يشعر بسعادة غامرة حين يعهد اليه بتذهيب احد المصاحف بل



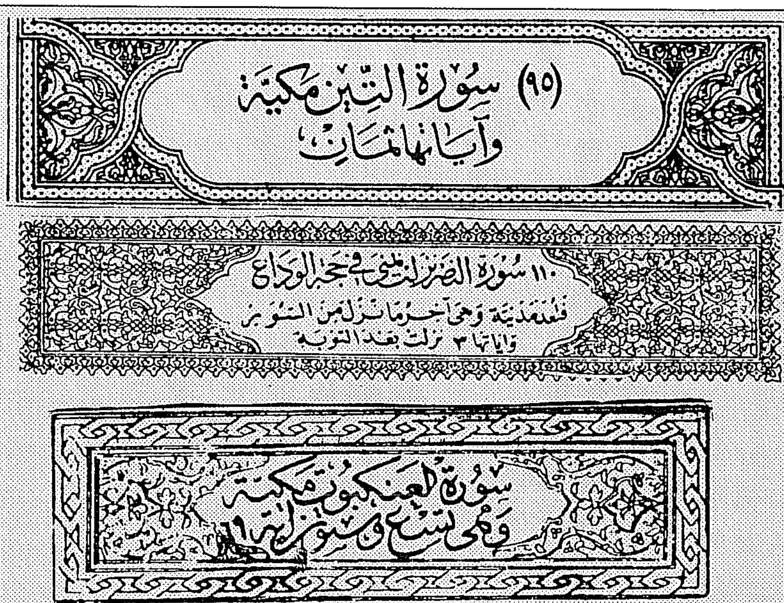

٥نماذج لزخرفة علامات اجزاء القرآن الكريم

كان البعض يتنافسون على المصاحف لتذهيبها وهدفهم ليس العمل الفني بل اكتساب الثواب والشرف العظيم بتنميق احد المصاحف فهي التي تجمع بين دفتيها ايات القرآن كتاب الله المنزل على رسوله ودستور المسلمين والمصدر الاول لتشريعهم هذه الغبطة والسعادة تدفعه الى مزيد من الاجادة والاتقان ليحظى برضوان الله والناس اجمعين واذا كانت الرسوم الزخرفية قد اقتبست عن الاساليب الفنية القديمة الا انها اقتصرت على الزخارف النباتية والهندسية فقط لان الرسوم الاخرى كالطيور وغيرها لا يتتناسب وجودها مع المصاحف وفي هذا المنطلق اصبح التذهيب للمصاحف يحظى بالمقام الاول عند رجال الفن ففي هذا الميدان يتنافس المتنافسون ويعمل العاملون .

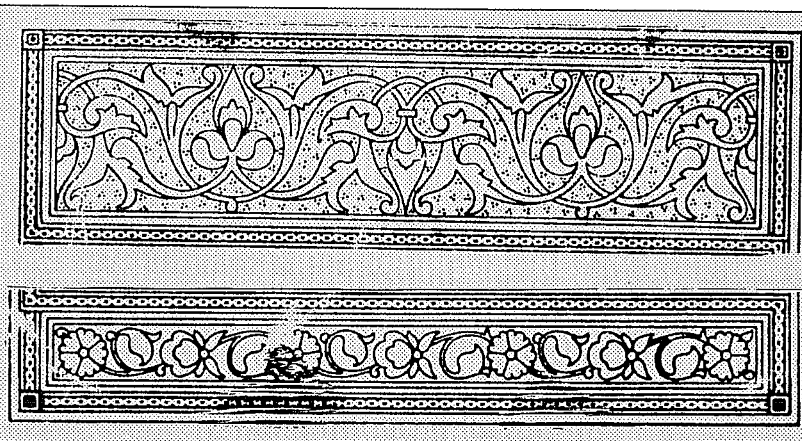
وفي المتاحف العالمية الاوروبية او الامريكية او العربية وفي دور الكتب نماذج رائعة تبهر زخارفها كل من يشاهدها لجمال الخط وتناسقه وبديع الزخارف وروعة التذهيب .

## نماذج فنية لبعض المصاحف

ويعتبر المصحف الذي ينسب الى السلطان او لجاتيو ثامن السلاطين في الدولة الايلخانية من اروع المصاحف واعظمها زخرفة وجمالا وقد كتبه ونسخة الخطاط عبد الله بن محمد عبن محمود الهمذاني عام ١٢٨٤م وكتب اجزاءه الثلاثين بالمداد




● نماذج لتزيين الفواصل بين السور



● زخارف هندسية ونباتية لنهاية صفحات المصحف

الذهبي .
وكانت تذهيب المصحف الشريف يقتصر اول الامر على اجزاء معينة من الصفحات مثل الاشرطة المستطيلة التي تفصل بين السور بعضها وبعض والفواصل بين الايات القرآنية وبعض الزخارف التي تحدد اجزاء المصحف واقسامه ويعتبر الشريط الذي يفصل بين السور اهم الزخارف وكان شكله مستطيلا لان المصاحف نفسها كانت صفحاتها مستطيلة التخطيط وعرضها اكثر من طولها وقد زينت الاشرطة بعناصر زخرفية مختلفة وكانت احيانا عبارة عن رسوم متشابكة او جدائل او رسوما هندسية من دوائر متداخلة او متماسة او متقاطعة او اشكال اخرى كالمعنيات والمربعات التي تقلد شكل قطع الفسيفساء ومرة ثالثة تشاهد من الرسوم عناصر معمارية كالعقود والاعمدة .

## زخارف الصفحات الاستهلالية :

اهتم الرسامون والمزخرفون بتزيين الصفحات الاستهلالية بنجمة ذات ستة عشر زاوية كانها الشمس تنشر اشعتها الذهبية وتتوالد من امتداداتها اشكال هندسية متنوعة تملأ المربع المركزي الذي يحيط به اطار ضيق داخله رسوم نباتية وفي اعلى واسفل هذا المربع مستطيلان بهما ايات قرآنية كتبت بالخط الكوفي ويلي هذا المستطيلان من الخارج اطار يجمع الصفحتين المتقابليتين المتماثلتين في زخرفتهما عدا اختلاف الايات في المستطيلات العلوية والسفلية كما رسم المذهب حلية دائرية في هامش كل صفحة تمتلىء بالوحدات النباتية المتعانقة وهذه الحلية تتكرر في الهوامش عند اوائل الاجزاء وانصافها ويتفق هذا التصميم الزخرفي مع الرسم الاصلي للوحة الزخرفية الاستهلالية لمقابلتها لصورة النجمة التي تتوسط الرسم في اطارها الدائري لانها تشمل على نفس الزهور التي رسمت بشكل محور ويتجلى هذا الاسلوب الزخرفي بمصحف ارغون شاه في دار الكتب المصرية .
واما فواصل الايات فكانت مجرد دوائر على حين كانت علامات الاجزاء دوائر داخلها مربعات تتداخل لتكون اشكالا نجمية يدون من داخلها ما يدل على الجزء من المصحف .

## الالوان المستخدمة

استخدم المذهب في الزخرفة اللون الذهبي والازرق والاخضر والاسود كما استخدم الاخضر الداكن والقرمزي والاصفر وقد بلغ فن التذهيب اسمى درجاته في العصر المملوكي في العراق والشام ومصر حيث كان على مقدار عظيم من الرقة والدقة والجودة والجمال في التناسق الهندسي وفي مجموعة الالوان المختارة مما يؤكد مدى نبوغ الخطاط والمذهب اللذان قدما هذه الروائع من الرسوم الزخرفية للمصاحف والتي حظيت باكبر اعجاب واعظم تقدير لمن يشاهدها في اي متحف من متاحف العالم من مؤرخي الفنون الذين سجلوا هذا في سجلات المتاحف ودور الكتب وفي المعارض الاسلامية التي تعرض فيها هذه النفائس الفريدة .

# أكمل رسالة

للاستاذ: عبدالعزيز قريش

من طبيعة الدعوات أنها لا توزن بميزان القوة والاندفاع ، أو الكثرة والاتساع ، وانما توزن بما قامت عليه من مبادىء ، وبما اشتملت عليه من قيم ، وبما تضمنته من أخلاق ومن هنا كانت عظمة الدعوة الاسلامية فهي رسالة تربية كما هي رسالة تشريع ، ورسالة سمو كما هي رسالة جهاد .. تهدف الى تنظيم الصلة بين الناس والناس ، وبين الناس ورب الناس ..

والدعوة الاسلامية ليست وحدها الآن في الساحة بل هناك نظريات وآراء ومذاهب وتيارات واتجاهات كلها تحاول التأثير في حياة الناس فكريا وثقافيا وعقائديا وحضاريا فأين مكان الدعوة الاسلامية بين هذه النظريات والتيارات والمذاهب والأفكار ؟

الدعوة الاسلامية هي الحق وليس بعد الحق الا الضلال .. هي النور وليس بعد النور الا الظلام ، هي الفضيلة وليس بعدها الا الرذيلة والهلاك والدمار .. وهي فوق هذا كله ليست مدنية من المدنيات فيها الخطأ والصواب وانما هي دعوة الله ألقاها على محمد صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات وصدق الله العظيم: **( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** الكهف / ٢٩ .

وهذه الدعوة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار .. ليس فيها كهنة ولا سدنة يخصون أنفسهم بالمعارف والعلوم والأسرار .. وحسبها وضوحا وجلاء أن قانونها الأساسي يعلن على الدنيا كل يوم خمس مرات : أشهد ألا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ..

وهذه الدعوة أقوى من كل قوى .. ويحدثنا التاريخ أنه لم توجه الحملات

لحرب دعوة من الدعوات كما وجهت للحرب ضد الدعوة الاسلامية ولم تنفق الأموال بسخاء وسرف كما أنفقت للقضاء على الدعوة الاسلامية . فالمرتدون ، والتتار ، والصليبيون واليهود وغيرهم كثيرون حاولوا القضاء على الاسلام .. ولكن على الرغم من كل هذه الحملات الحاقدة التي وجهت للأمة الاسلامية فقد بقيت الدعوة الاسلامية قوية أبدا ، ابية أبدا ، عزيزة أبدا ، لأنها موصولة بقوة الله التي لا تغلب ومدده الذي لا يزول .. دعا اليها محمد صلى الله عليه وسلم فبدد بها الأوهام ، وصحح بها الأفهام ومزق بها الظلام ، وبها استطاع أن ينشىء أمة ، ويضع تاريخا ، ويقيم حضارة حرستها رعاية السماء وأضاءت جوانبها مشاعل الأنبياء ، وصانت انسانية الانسان من حيث هو انسان ، وقادت البشرية الى ربها على امتداد الزمان والمكان ..

ثلاث وعشرون سنة هي كل عمر النبوة فيها صار الاسلام عزيزا قويا ، له الصولة والدولة ، وله العزة والسيادة ، وله القيادة والريادة ، وله الدعاة والغزاة الذين عزبهم الحق ، وذل بهم الباطل ، وارتفعت بهم رايات الله ..

وقد تحمل صلوات الله وسلامه عليه في سبيل أداء الرسالة الكثير من الأذى والاضطهاد والتعذيب والتكذيب الى أن نصره الله في بدر ، ثم في الخندق ، ثم في مكة ، ثم في تبوك وغيرها ، ودان العرب لهذا الدين وما انتقل الى الرفيق الأعلى حتى كان شبه الجزيرة العربية قد عمه الاسلام الا طائفة قليلة من اليهود والنصارى ظلوا على دينهم ، ومنحهم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان على أنفسهم وأموالهم وشعائرهم .

ولم يتوقف الجهاد بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بل خرج المسلمون من بعده من المدينة وما حولها سيوفهم في أيديهم وايمانهم في قلوبهم ففتحوا مصر ونيلها ، والعراق وسوادها ، والجزيرة وفيافيها .. وعلى الرغم من قلة عَددهم وعُددهم الا أنهم كانوا بالله كثرة كاثرة وقوة ظاهرة .. هدفها الأسمى الجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون كتابه دستور الحياة ..

وهم في قتالهم لم يكونوا مطالبين بنتائج القتال ، فالنتائج لله وحده ، وانما هم مطالبون فقط بالسير على نهج القرآن وصدق الله العظيم :( **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ) البقرة / ٢٤٩ فالصبر على اقامة الحق والثبات عليه من أعظم أسباب النصر مهما كان عدد الصابرين قليلا ومهما كان عدد أعدائهم عظيما .. كما بين الله لهم غاية الفتح ، وسبب الجهاد ، فليس الجهاد في الاسلام من أجل استبداد الأمم ، واستعباد الشعوب ، أو التحكم في مصير الأفراد والجماعات ، وانما هو لاخراج الانسانية من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام وصدق الله العظيم :( **الذين إن**

**مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور )** الحج / ٤١

والاسلام لا يتعرض بالقوة الا بالنسبة لمن يتعرضون له بالقوة : **( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين )** البقرة / ١٩٠ . وحركة التاريخ تؤكد أن المسلمين السابقين لم يفتحوا الممالك والبلاد والأمصار بسيوفهم بقدر ما فتحوها بعدلهم ونبلهم وكريم شمائلهم فقد كانوا اسلاما يمشى على الأرض وكان كل مسلم يرى نفسه الانسان الرباني الذي ينطوي قلبه على قبس من نور الله ، ويعتبر نفسه منفذا لارادة الله حتى يلقاه منتصرا أو شهيدا .. إن حارب فحربه لله ، وان سالم فسلمه لله ، ولم يحاول المسلمون اكراه أحد على اعتناق الاسلام بل غاية ما فعلوه بالنسبة لمن رفضوا الاسلام أن فرضوا عليهم الجزية في مقابل تأمينهم على أنفسهم وأموالهم وشعائرهم امتثالا لقوله تعالى : **( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي )** البقرة / ٢٥٦

فالاسلام سلم لمن سالموه ، وحرب لمن حاربوه ، وليس من وسائله أن يفرض المسلمون الاسلام على أحد بطريق القوة والقهر والاكراه ويتضح ذلك في الأمور الآتية :

١ ـ بين الله في القرآن الكريم .. وفي أكثر من آية من آياته البينات أن الاختلاف في العقائد والأديان امر فطري وغرزي عند الناس .. وكل محاولة لحمل الناس على دين واحد هي محاولة مقضي عليها بالفشل الذريع:( **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين )** هود / ١١٨ ـ ١١٩ .. **( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا )** المائدة / ٤٨ ، **( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين )** يونس / ٩٩ .

٢ ـ أعلن القرآن الكريم أن لكل واحد من البشر حرية اختيار عقيدته بمحض ارادته : **( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي )** فلا يجوز لأحد أن يكره أحدا على اعتناق الاسلام ، ولكن الانسان اذا اختار الاسلام بمحض ارادته فليس من حقه بعد ذلك الموازنة بين رفضه أو قبوله بحال من الأحوال **( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا )** الأحزاب / ٣٦ :**( ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )** البقرة / ٢١٧ .. وذلك لأن الردة تقع ضد الاسلام الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي للمسلمين .. فالتساهل في هذا الأمر جريمة تؤدي الى زعزعة هذا النظام .. وروى عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم

امرىء مسلم الا بثلاث . النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » متفق عليه .

٣ ـ أجاز الله في الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض أو يأخذوا منهم العوض والفداء : ( **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** ) محمد / ٤ .. وفي هذا تعليم للمسلمين أن يعطوا لمخالفيهم في الدين حق الوجود ، وأن يمنحوهم اياه حتى بعد اعتدائهم والقدرة عليهم وأسرهم .

٤ ـ حث الله المؤمنين على الرفق والسلم والحلم اذا ألقى أعداؤهم السلاح .. كما ألزمهم باحترام عقود الأمان بينهم وبين غيرهم فقال في سورة الأنفال : ( **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** ) آية / ٦١ وقال في سورة النحل :( **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون** ) آية / ٩١ وقال في سورة التوبة :( **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين** ) آية / ٧ .

٥ ـ بين الاسلام حقوق أهل الذمة والعهد من غير المسلمين المقيمين في الوطن الاسلامي ويربطهم بالمسلمين عهد مقدس أنهم متساوون مع المسلمين في الحقوق والواجبات ، وفي القوانين الجنائية والمدنية .. اما الأحوال الشخصية فيخضعون فيها لمعتقداتهم ان أرادوا ذلك ، وقد أعفاهم الاسلام من الزكاة واداء الخدمة العسكرية ، وفي الوقت نفسه فرض عليهم المشاركة في نفقات الدفاع عن الوطن الاسلامي ، واقرار امنه وسلامه .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا من ظلم معاهدا أوكلفه فوق طاقته أو انتقصه حقه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » ذكره أبو يوسف في كتاب الخراج .

٦ ـ أوضح القرآن الكريم أن الاختلاف في الدين لا يؤدي الى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم .. انما الذي يؤدي الى ذلك هو عدوانهم على المسلمين :( **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ) الممتحنة / ٨ ـ ٩ .

٧ ـ دعا الاسلام الى الصبر ولين الجانب والدعوة الى الله بالتي هي أحسن ـ كما حصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في البلاغ:( **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة**

**الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن )** النحل / ١٢٥ .
**( وإن تولوا فإنما عليك البلاغ )** آل عمران / ٢٠ **( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين )** النحل / ١٢٦ **( وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله )** الشورى / ٤٠ .
وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى يوم عليك كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته يوم العقبة اذ عرضت نفسي على عبد يا ليل بن عبدكلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وانا بقرن الثعالب ( مكان بين الطائف ومكة ) فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام . فناداني فقال : «ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم علي ـ ثم قال : يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال . وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بأمرك فما شئت ـ ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا )» متفق عليه .. والأخشبان جبلان بمكة ..
ولعل قائلا يقول ان ما ذكرته من دعوة الاسلام الى الرفق والحلم والسلم والصبر وعدم اكراه الناس على الدخول في الاسلام ربما يتعارض مع ما ورد في الدعوة الى الحرب والقتال والجهاد والنضال في قول الله تعالى : **( يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال )** الأنفال / ٦٥ وفي قوله تعالى : **( يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير )** التوبة/٧٣ وفي قوله تعالى: **( فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما )** النساء / ٧٤ وفي قوله تعالى: **( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين )** التوبة / ٣٦ .
والحقيقة انه لا تعارض بين آيات السلم وآيات الحرب .. فالاسلام يسالم من يسالمونه ، ويحارب من يحاربونه .. وأعداء الاسلام اذا ناصبوا المسلمين العداء .. وحاربوهم ، وظلموهم ووقفوا في وجه الدعوة الاسلامية وصدوا الناس عنها ، وحرموهم منها فهؤلاء أباح الاسلام قتالهم ، بل أمر به وحض عليه ، لأنه ليس من حق أحد أن ينتظر من الاسلام أن يسالم من حاربوه ، أو يهادن من عادوه .. أو يتهاون مع الذين صدوا الناس عن الاذعان له ، كما أنه ليس من حق أحد أن ينتظر من المسلمين ان يقفوا مكتوفي الأيدي وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، ويسلموا أرضهم وعرضهم للطغاة البغاة لأن ذلك يتناقض مع طبيعة الوجود وسنن

الحياة ، وقديما قال الشاعر :

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

وعلى الرغم من وضوح ذلك فقد راح أعداء الاسلام يدعون أنه مسعر حرب ، وأنه قوة غاشمة ولو انطلقت من عقالها فانها ستدمر الأخضر واليابس ، وتزلزل دعائم الحضارة ، وتقضي على كل ما وصلت اليه الذهنية البشرية من ابداعات على كافة الأصعدة والمجالات .. كما راحوا أيضا يشيعون عن الاسلام انه دين مرحلي . ان صلح لمرحلة لا يصلح لأخرى ، وأن هدفه الاول والأخير هو ربط العبد بربه ، ثم لا شأن له بعد ذلك بشئون الحياة ، وأن المسلم اذا أدى ما عليه من صلاة ، وأخرج ما عليه من زكاة فهوتقي نقي له جنة عرضها السموات والأرض ، وحور عين يملأن الآفاق .. وأصبح شعارهم :
أعط ما لقيصر لقيصر . وما لله لله ..
وغاب عنهم أنه ليس لقيصر شيء ، وانما الأمر كله لله .. فالأمر أمره ، والحول حوله ، والطول طوله ، والعزة والذلة من مشيئته ، وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .
وفي هذه المرحلة الحاسمة التي تعيشها أمتنا الاسلامية علينا أن ندرك أننا بين أمرين لا ثالث لهما .. وهما المحو من صفحة الحياة الرشيدة السديدة ان ظللنا نعرف اسلامنا بالقول ونعزف عنه بالفعل .. وقنعنا منه بتمتمات وهمهمات لا أثر لها في العقل والفكر والسلوك والوجدان واما العودة الحاسمة والسريعة الى اسلامنا بكل ما فيه من عبادات ومعاملات ، ونظم وتشريعات حتى نكون قوة عالمية ترتجي .. والسبيل الى ذلك هو أن يعمد كل منا الى نفسه فيربيها على كتاب الله وسنة رسوله ، فان تغلبنا على أنفسنا كنا على غيرنا أقدر ، وان عجزنا عنها كنا عمن سواها أعجز ..

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

وبعد ان نصلح أنفسنا علينا أن نصلح غيرنا امتثالا لقول الله تعالى: **( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون )** آل عمران / ١٠٤ وعلى مؤسساتنا التربوية ، وانديتنا الرياضية ، ومراكزنا الاسلامية ، ونوادينا الثقافية ، وأجهزتنا الاعلامية ، ومسارحنا الفنية أن تقوم بترسيخ القيم الاسلامية بكل ما تدعو اليه من نقاء وصفاء ، وبكل ما تتضمنه من تعاون كريم ، وطريق قويم ، وصراط مستقيم .. ولنعلم تمام العلم أن الحضارة دورات فلكية تشرق هنا لتغرب هناك ، وقد آن الأوان لتشرق حضارة الاسلام ، وهي حضارة ستمزق الحجب التي تحول بين المسلمين وفجرهم الباهر الوضاء ليعودوا الى مكانهم الطليعي في قيادة العالم كما كانوا فيما مضى من الزمان: **( والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون )** يوسف / ٢١ .

# الصرف وبيع العملات

الصرف هو بيع الاثمان بعضها ببعض والاحاديث الشريفة التي تبين احكامه كثيرة مشهورة ومنها ما رواه عبادة بن الصامت ـ رضي الله تعالى عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » رواه مسلم .

وعن ابي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تُشِفّوا بعضها على بعض ولا

تبيعوا الورق بالورق الا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منهما غائبا بناجز » متفق عليه . وعن ابي بكرة ــ رضي الله عنه ــ قال : نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم عن الفضة بالفضة والذهب بالذهب الاسواء بسواء وامرنا ان نشتري الفضة بالذهب كيف شئنا ونشتري الذهب بالفضة كيف شئنا » اخرجه الشيخان .

وعن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذهب بالورق ربا الاهاء وهاء » متفق عليه و « هاء وهاء » اي خذ وهات وعن ابي هريرة ــ رضي الله عنه ــ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدينار بالدينار لافضل بينهما والدرهم بالدرهم لافضل بينهما » اخرجه مسلم .

هذه بعض الاحاديث الشريفة التي تبين احكام الصرف ويؤخذ منها ان الصرف كي يتم صحيحا بغير ربا يشترط ما يأتي :

اولا : التماثل بغير زيادة او نقصان عند تبادل ذهب بذهب ومثله دينار بدينار او فضة بفضة ومثلها درهم بدرهم ويسقط هذا الشرط اذا كان بيع الذهب او الدينار بالفضة او الدرهم وبيع الفضة او الدرهم بالذهب او الدينار .

ثانيا : القبض في المجلس قبل الافتراق فلا يباع غائب بحاضر ولا يتأخر القبض وانما هاء وهاء ويدا بيد .

فاذا افترق المتصارفان قبل ان يتقابضا فالصرف فاسد بغير خلاف .

والنقود التي كانت موجودة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت من الذهب وهي الدينار او من الفضة وهي الدرهم وعلى اساس هذه النقود حدد نصاب الزكاة زكاة النقود وشرعت احكام الصرف . وتطورت النقود على مر العصور حتى وصلت الى ما نراه اليوم فكيف يتم تحديد نصاب زكاتها ؟ وما احكام بيعها وشرائها ؟

النصاب بحثه علماء المسلمين المشتركون في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٥) وقرر المؤتمر ما يلي :

« يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية واوراق النقد والاوراق

النقدية وعروض التجارة على اساس قيمتها ذهبا فما بلغت قيمته من احدها عشرين مثقالا ذهبيا وجبت فيه الزكاة وذلك لان الذهب اقرب الى الثبات من غيره ويرجع في معرفة قيمة مثقال الذهب-بالنسبة الى النقد الحاضر-الى ما يقرره الخبراء » .

وفي جمادي الثانية سنة ١٣٩٩ ( مايو سنة ١٩٧٩) عقد في مقر بنك دبي الاسلامي مؤتمر مصرفي واتخذ المشتركون من علماء الشريعة ورجال القانون والاقتصاد عدة قرارات منها القرار التالي :

« الاستمرار في المعاملة الخاصة ببيع وشراء العملات وذلك على الصورة المشروحة والموضحة في بيان اعمال البنك لانها من قبيل المصارفة وتطبق عليها احكام الصرف المحددة في فقه الشريعة الاسلامية" اذن احكام الصرف تطبق على بيع وشراء العملات وهذا ما تسير عليه المصارف الاسلامية التي تخضع للرقابة الشرعية لكل بنك وللرقابة الشرعية العليا لاتحاد البنوك الاسلامية وهو ما اقره المؤتمر المذكور .

ومع ان احكام الصرف واضحة غير ان مشكلات برزت بالنسبة لتبادل وبيع هذه العملات بعضها ببعض وعلى الاخص بعد قيود النقد التي تفرضها بعض البلدان ولعل اظهر هذه المشكلات تبادل نقد حاضر مما يسمى بالعملات الحرة بنقد آخر يخضع للقيود .

ومن المفيد هنا ان نذكر شيئا حدث على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

فعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال : « اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت اني ابيع الابل بالبقيع فابيع بالدنانير وآخذ الدراهم وابيع بالدراهم وآخذ الدنانير فقال : لا بأس ان تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء » رواه احمد واصحاب السنن الاربعة وفي لفظ بعضهم : « ابيع بالدنانير وآخذ مكانها الوَرِق وابيع بالوَرِق وآخذ مكانها الدنانير .

فابن عمر كان يبيع الابل بالدنانير او بالدراهم وقد يقبض الثمن في الحال وقد يؤجل لان مثل هذا البيع يجوز فيه الاجل كما يجوز فيه السلم ولكن عند قبض الثمن قد لا يجد مع المشتري بالدنانير الا دراهم وقد يجد من اشترى بدراهم ليس معه الا دنانير وهنا تأتي عملية الصرف ويأتي حكم الرسول صلى الله عليه وسلم :« لا بأس ان تأخذها بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شئ » فالاخذ بسعر يومها والقبض قبل الافتراق بدون تأجيل .

وابن عمر الذي عرف الحكم من الرسول صلى الله عليه وسلم سأله بكر بن عبد الله المزنى ومسروق العجلي عن كَرِيّ لهما-اي اجير ــ له عليهما دراهم وليس معهما الا دنانير فقال ابن عمر اعطوه بسعر السوق .

وان كان المال الذي في الذمة مؤجلا وقبل الموعد اراد ان يعجل بالدفع ــ فما الحكم اذا تم هذا مع الصرف ــ فاستبدل الدراهم بدنانير او الدنانير بدراهم ؟

قال صاحبا المغني والشرح الكبير :

« فان كان المقضى الذي في الذمة مؤجلا فقد توقف احمد فيه وقال القاضي : يحتمل وجهين: احدهما المنع، وهو قول مالك – ومشهور قولي الشافعي لان ما في الذمة لا يستحق قبضه فكان القبض ناجزا في احدهما والناجز يأخذ قسطا من الثمن والاخر الجواز وهو قول ابي حنيفة ، لانه ثابت في الذمة بمنزلة المقبوض فكأنه رضي بتعجيل المؤجل والصحيح الجواز اذا قضاه بسعر يومها ولم يجعل للمقضي فصلا لاجل تأجيل ما في الذمة ، لانه إذا لم ينقصه عن سعرها شيئا فقد رضى بتعجيل ما في الذمة بغير عوض فاشبه ما لو قضاه من جنس الدين ولم يستفصل النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر حين سأله ولو افترق الحال لسأل واستفصل (٤/١٧٣ – ١٧٤) والصحيح الذي ذهبا اليه يعني ان الصرف جائز بشرط ان يكون بسعر يومها ولا يجوز ان يختلف السعر في مقابل الزمن نتيجة تعجيل المؤجل ومثال هذا اذا كان ما في الذمة مائة دينار واستحقاق الدفع بعد عام فأراد المدين ان يعجل بالقضاء ويدفع الان ورضي الاثنان ان يكون الدفع بالدراهم بدل الدنانير وكان سعر السوق : الدينار بعشرة دراهم فعلى المدين اذن ان يدفع الف درهم، وهنا يقع الصرف صحيحا ولا اثم عليهما اما اذا اراد المدين ان يكون الصرف الدينار بتسعة دراهم وعلى هذا يدفع تسعمائة درهم فقط فلا يجوز هذا شرعا لان مائة الدرهم التي خفضت انما هي ثمن للزمن وعوض عن تأجيل المبلغ مدة عام .

وهذا بالنسبة لتعجيل المؤجل اما التأجيل في الصرف فما اجازه احد لانه يخالف ما امر به الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي ايامنا هذه وجدنا بعض المسلمين يقعون في خطأ فادح حيث تباع العملات مع الاجل نظير زيادة في الثمن عن السعر اليومي المتداول فمثلا يريد احدهم استبدال مائة دينار كويتي بجنيهات مصرية فيقال له : السعر الحالي الدينار بجنيهين ونصف واذا دفعت الان واخذت المقابل بعد شهر يحسب لك الدينار بجنيهين وستين قرشا وإذا أجلت شهرا آخر يحسب لك بجنيهين وسبعين قرشا وهكذا يزيد السعر كلما زاد الاجل

والخطأ الفادح هنا في شيئين :

اولهما : التأجيل ، فالقبض شرط لصحة الصرف باتفاق الفقهاء لاحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيهما : جعل زيادة في الثمن في مقابل زيادة في الاجل وهذا هو الربا بعينه : في شكله وفي جوهره وان لم يكن هذا ربا فما الربا اذن ؟!

ولذلك وجدنا المصارف الاسلامية التي تخضع للرقابة الشرعية حذرة من الوقوع في مثل هذا الخطأ ونضرب مثلا ببيت التمويل الكويتي :

جاء في الدليل الذي اصدره « يتم بيع العملات بما يعادلها على اساس البيع النقدي بالاسعار اليومية السائدة خدمة للزبائن في هذا المجال ».

فمسلك بيت التمويل الكويتي في بيع العملات على اساس الاسعار اليومية السائدة يدل على يقظة الرقابة الشرعية .

وتبقى هنا مشكلة تبادل نقد حاضر مما يسمى بالعملات الحرة بنقد آخر يخضع للقيود، وحل هذه المشكلة سهل ميسر، متى اردنا الحل مبتعدين عن الربا وشبهه :

فالتبادل يتم بسعر السوق وهذه نتيجة حتمية لعدم وجود الاجل فكيف يتم القبض في المجلس ؟ وكيف يفترقان وليس بينهما شيء ؟

الذي يحدث عادة عندما يقوم احد ببيع عملة حرة بما يقابلها من عملة تخضع للقيود انه يعطي المبلغ نقدا ويأخذ ما يقابله بشيك فخذ وهات هاء وهاء تتحقق هنا في قبض العملة من جانب وقبض الشيك من الجانب الأخر، ولكن يشترط هنا حتى يتم القبض شرعا ان يكون الشيك مكتوبا بالمبلغ الذي تم الاتفاق عليه وان يكون مؤرخا للسحب في اليوم نفسه وسواء بعد هذا ان يقدم الشيك للبنك في اليوم الذي تم فيه الصرف وهو متعذر غالبا، وان يؤجله صاحبه لوقت لاحق مادام القبض في المجلس قد تم وبهذا نساير طبيعة العصر بغير مخالفة للشرع وبغير وقوع في ربا او شبهة ربا .

وقد يتم تحويل العملة عن طريق حوالة مصرفية وهذا له ما يشبهه في القديم وهو ما يعرف باسم « السُّفْتَجَة » ( بضم السين وسكون الفاء وفتح التــاء ) والسفتجة : ان يعطي آخر مالا وللآخر مال في بلد المعطي فيوفيه اياه هناك فيستفيد امن الطريق .

والسفتجة وما شابهها من باب الخدمات التي تؤدي والتيسير على الناس والرفق بهم ومراعاة المصالح العامة .

اما اذا جئنا الى تحويل العملات : فيجب ان يتم اولا الاتفاق بحسب السعر اليومي السائد ويحدد المبلغ الذي يدفع وما يقابل هذا المبلغ بالعملة الاخرى ثم يتم القبض ، قبض كل من العملتين حتى لايفترق المتصارفان وبينهما شيء .

فاذا لم يتيسر قبض احدى العملتين لضرورة من الضرورات حل محل العملة : شيك او حوالة او سفتجة او غيرها مما يقوم مقامها .

اما من تعمد التأجيل في مقابل زيادة في سعر الصرف كلما زاد الزمن فنخشى ان يكون ممن يأذن بحرب من الله ورسوله !

والتحويل الربوي للعملات الذي أشرنا اليه ، يقوم به بعض المسلمين في الكويت ، ولا يتأثمون ولا يتحرجون ، نتيجة لفتوى صدرت من أحد السادة علماء الوعظ الاجلاء . وسئل الشيخ عن فتواه ، فبين وجهة نظره ، ودافع عنها في حديث مسجل على ( شريط كاسيت ) ، ويسعى بعض المشتغلين بالتحويل الى نشر هذا الشريط على نطاق واسع .

استمعت الى الشريط ، وخلاصة ما جاء به هو ما يلي :

١ ـ التحريم بالنسبة للذهب والفضة ذكر بغير تعليل ، فيبقى الحكم بغير

تعليل ، والتحريم بالنسبة لهما سواء أكانا عملة أم غير عملة ، والحكم منصب عليهما فلا ينصرف الى غيرهما .

٢ ـ الورقة النقدية ليست ذهبا ولا فضة ، ولو اعتبرناها ذهبا أو فضة لوقعنا في مشكلة ، فالتعامل بهذه الاوراق لا يتحقق فيه التماثل ولا القبض في المجلس .

٣ ـ اذا كان تحويل العملات يتم بسعرين : سعر للمعجل ، وسعر أعلى للمؤجل ، فهو حلال ، لأن العملة الحالية كالسلعة ، يجوز فيها السلم ، كما يجوز فيها البيع المؤجل ، مع اختلاف السعر ( واعتبر العملة كذلك كمبيالة ) .

٤ ـ الاوراق النقدية تعتبر ذهبا أو فضة في حالة الزكاة فقط مراعاة لمصلحة الفقير ، لأن الزكاة في المال النامي .

٥ ـ اذا أعطى شخص كمبيالة بمبلغ نظير كمبيالة بمبلغ أكبر مع الاجل ، فهذا ربا : لأن الكمبيالة الثانية هي مال المعطى وزيادة ، فهو قرض جر نفعا .

هذه خلاصة ما استمعت اليه ، الى جانب رأي له في فوائد البنوك ، لا حاجة الى ذكره أو مناقشته ، لأن هذا الموضوع بحثه مجمع البحوث الاسلامية ، وأصدر فتواه نتيجة اجتهاد جماعي ، فنحن في غنى عن الاستماع لرأي الفرد .

والنقطة الاولى هي الاساس الذي قامت عليه الفتوى . ولا خلاف بين المسلمين فيما نكره من التحريم بالنسبة للذهب والفضة ، سواء أكانا عملة أم غير عملة ، أما قوله في العلة فغير مسلم ، وكان الواجب يحتم عليه ـ فيما أرى ـ أن يبين أن هذا رأي خاص به ، وأنه يوافق أهل الظاهر نفاة القياس ، ويخالف جمهور الفقهاء .

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نص على تحريم الربا في ستة أشياء ـ كما جاء في الاحاديث الكثيرة المشهورة ، والستة هي :

الذهب والفضة ، والبر والشعير والتمر والملح .

فقال أهل الظاهر : لا ربا في غير هذه الستة بناء على أصلهم في نفي القياس ، وقالوا ما عداها على أصل الاباحة لقول الله تعالى : **( وأحل الله البيع )** البقرة / ٢٧٥ .

واتفق القائلون بالقياس على أن ثبوت الربا في الستة بعلة ، وأنه يثبت في كل ما وجدت فيه علتها ، لأن القياس دليل شرعي ، فيجب ( استخراج علة هذا الحكم واثباته في كل موضع وجدت علته فيه ، وقول الله تعالى : **( وحرم الربا )** البقرة / ٢٧٥ . يقتضي تحريم كل زيادة ، اذ الربا في اللغة الزيادة ، الا ما أجمع على تخصيصه .

ومع اتفاق العلماء على أن الربا يتعدى الاشياء الستة الى ما في معناها ، وهو ما يشاركها في العلة ، الا أنهم اختلفوا في العلة التي هي سبب تحريم الربا فيها .

والذي يعنينا هنا بيان علة التحريم في الذهب والفضة ، أما الاربعة الباقية فليس هذا موضع بحثها . ومما تجدر الاشارة اليه أن صاحب الفتوى قال بأن الفقهاء قاسوا جميع المطعومات على الاربعة المذكورة ، ولا ندري لماذا لم يشر الى

القياس بالنسبة للذهب والفضة ؟ ! على أن ما ذكره غير دقيق ، فللعلماء في هذا عشرة مذاهب ، وما ذكره هو أحد هذه العشرة . ( راجع مذاهب العلماء في بيان علة الربا في الاجناس الاربعة . كتاب المجموع للنووي جـ ٩ ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ ) ونترك هذه الاشارة لنأتي الى بيان علة الربا في الذهب والفضة .

ذهب الامام أبو حنيفة الى أن العلة هي الوزن ، أي كونه موزون جنس ، فيجري الربا في كل موزون بجنسه كالنحاس والحديد وغيرهما ، وبهذا قال الامام أحمد في احدى روايتين عنه .

وقال الأئمة : ما لك والشافعي واحمد في الرواية الثانية : العلة في الأثمان الثمنية ، فالثمنية وصف شرف ، اذ بها قوام الاموال ، فيقتضي التعليل بها .

والعلة هنا قاصرة على الذهب والفضة لا تتعداهما ، لانها في وقتهم لم تكن موجودة في غيرهما ، ولهذا قال الأحناف للشافعية :

علتكم قاصرة ، فانها لا تتعدى الذهب والفضة ، وهما الأصل الذي استنبطتم منه العلة ، فلا فائدة فيها ، فان حكم الأصل قد عرفناه ، وانما مقصود العلة ان يلحق بالأصل غيره .

وأجاب الشافعية :

ان مذهبنا جواز التعليل بالعلة القاصرة ، فان العلل اعلام نصبها الله تعالى للأحكام ، منها متعدية ، ومنها غير متعدية ، انما يراد منها بيان حكمة النص لا الاستنباط ، وإلحاق فرع بالاصل ، كما ان المتعدية عامة التعدي وخاصته . ثم لغير المتعدية فائدتان : احداهما : ان تعرف ان الحكم مقصور عليها ، فلا تطمع في القياس .

والثانية : انه ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة ، فيلحق به .

والمهم هنا ان الأئمة ذهبوا الى التعليل ، وان اختلفوا في بيان العلة ، فليس صحيحا ما ذكره صاحب الفتوى من القول بأن الحكم لا يقبل التعليل .

واذا كان الأئمة الثلاثة لحظوا الثمنية في وقت لم يكن فيه مقياس للثمن الا الذهب والفضة ، فان هذا يدل على دقة الملاحظة وعمق التفكير ، وان الله ـ عز وجل ـ قد فقههم . والشافعية الذين قالوا منذ قرون : ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة ، فيلحق به ، ما كانوا يتوقعون ان يزاحم الذهب والفضة ، ويصل الأمر الى ما وصل اليه اليوم .

واذا حاولنا في عصرنا ان نبحث عن علة تحريم الربا في الذهب والفضة والدينار والدرهم .. افنخطىء الثمنية ؟ الا نرى الاوراق النقدية تقوم بدور الدينار والدرهم ؟ الا تعتبر النقود في مختلف العصور وحدة معيارية تقاس بها قيم مختلف السلع والخدمات ؟ الم يلحظ الثمن عندما عرف الصرف بأنه بيع الأثمان بعضها ببعض في وقت لم يكن فيه الا الدينار والدرهم ؟

ولنترك عصر الأئمة المجتهدين لنعود الى عصر الصحابة الكرام ، ولنستمع الى قول ابي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه : « السلم بما يُقَوَّم به السعر ربا »

( انظر فتح الباري كتاب السلم ــ باب السلم الى اجل معلوم ٤/٤٣٥ ) وتأمل التعبير « بما يقوم به السعر » ، الا ينطبق هذا على النقود في جميع العصور ؟

ان الدينار الذهبي والدرهم الفضي قد انتهى دورهما في عصرنا ، وقام مقامهما العملات التي يتعامل بها الناس في شتى بقاع الأرض ، فأصبحت علة الثمنية من الظهور والوضوح بما لا يبقى مجالا لخلاف يعتد به .

وهذه العلة هي التي اخذ بها العلماء في مؤتمر المصرف الاسلامي بدبي ، حيث قرروا ان احكام الصرف تطبق على بيع وشراء العملات ، وهي التي اخذ بها هيئات الرقابة الشرعية بالمصارف الاسلامية ، وهي التي لحظها علماء المسلمين في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية حيث جعلوا زكاة النقود في العملات المعاصرة ، والقول بان الزكاة هنا لمجرد مراعاة مصلحة الفقراء قول مردود ، فمصلحة الفقراء لا تجعلنا نفرض زكاة غير مفروضة ، فما لم نأخذ بالعلة ونطبق حكم الزكاة والربا في الذهب والفضة على العملات المعاصرة فلا زكاة ولا ربا !

فتنتهي زكاة النقود بنهاية التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي ، وتقتصر على الذهب والفضة .

وما دامت العملات ليست اموالا ربوية ، ويجوز التبادل مع التفاضل والنسيئة فقل ان يقع ربا في عصرنا !

فنحن لا نكاد نسمع عن ربا معاصر في البُرّ والشعير والتمر والملح ، والربا الذي ارق مسلمي العصر ، وشغل العلماء في المؤتمرات الاسلامية ، انما هو في النقود .

ولو صحت فتوى الشيخ فلا ربا في النقود اليوم ، وكان يكفي العلماء ان يأخذوا بمثل هذه الفتوى ، فيستريح المسلمون المتمسكون بدينهم ، وكل معاملة ربوية الان يمكن ــ نتيجة لهذا ــ ان تكون حلالا : إما كسلم ، او كبيع مؤجل ، وتختفي كلمة قرض ، وكلمة ربا ، ويحل محلهما : البيع المؤجل والسلم !

ونضرب مثلا بما ذكر في النقطة الخامسة ، وهي ان كمبيالة بمبلغ نظير كمبيالة بمبلغ اكبر مع الاجل يعتبر ربا ، لانه قرض جر نفعا .

وما دام الشيخ اعتبر العملات كالسلع والكمبيالات ، وقال بجواز السلم والبيع المؤجل ،فما سبق لا يعتبر ربا ، ولا حاجة للقول بانه قرض جر نفعا ، وانما هو بيع مؤجل او سلم : فمثلا كمبيالة بالف دينار ، تستحق الدفع المعجل ، تتبادل او تباع بكمبيالة اخرى ، بالف وخمسمائة دينار ، واجبة السداد بعد عام ، وهذا حسب اصل الفتوى ــ يعتبر حلالا .

وهكذا كل معاملة ربوية الان يمكن ان تكون حلالا كسلم او كبيع مؤجل ، وما اسهل ان تغير البنوك الربوية بعض الالفاظ في تعاملها لتصبح بنوكا اسلامية مطبقة لشريعة الله عز وجل !

ويبقى هنا ما ذكر في النقطة الثانية من انه مشكلة ، وما هو بمشكلة ، فالتماثل موجود عند اتحاد العملة ، وغير مطلوب عند اختلافها ، والقبض بينا من قبل كيف يتم ، ثم ليس هذا بمبرر لتحليل الربا .

اعتقد انني لست في حاجة الى ان اطيل في المناقشة ، ففيما ذكرت غني وكفاية . وما كنت احب ان اختلف مع صاحب الفتوى ، فهو رجل فاضل يثنى عليه كثير ممن استمعوا اليه في خطبه ومواعظه ، غير ان فتواه ارى انها جاءت في غير موضعها ، وآمل ان يعيد النظر فيها مرة اخرى كما آمل ان نقتنع بان من الخير والسداد اللجوء في مثل هذه الامور الى الاجتهاد الجماعي ، فهو اقرب الى الصواب ، واكثر بعدا عن الخطأ والزلل والشطط . واسوق هنا مثلا علنا نتعلم منه كيف تكون الفتوى . مجمع البحوث الاسلامي بحث في مؤتمره الثاني انواع التأمين ، ثم قرر ان التأمين التعاوني امر مشروع ، اما باقي انواع التأمينات فقد قرر المؤتمر الاستمرار في دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة ، وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين ، مع الوقوف قبل ابداء الرأي على آراء علماء المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع . ونفذ القرار ، وتوالت اجتماعات هذه اللجنة في اكثر من سبعة عشر اجتماعا ، وقدمت تقريرها للمؤتمر الثالث ، فبحثه ، ثم قرر مايلي :

« يقرر المؤتمر فيما يتعلق بمختلف انواع التأمين لدى الشركات ان يستمر المجمع في استكمال دراسته للعناصر المالية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة به ، وان يستمر في الوقوف على آراء علماء المسلمين في الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع ، حتى يتهيأ استنباط احكام كل نوع من انواع التأمين ».

ونتيجة لهذا استمر البحث ، واعد الامين العام للمجمع استفتاء حول التأمين وزع على نطاق واسع في العالم الاسلامي .

وبعد ست سنوات قدم **الاستاذ الشيخ محمد احمد فرج السنهوري** بحثا ممتعا مستفيضا حول التأمينات ، ذكر فيه نتيجة الاستفتاء ، وعرض خلاصة للآراء المختلفة منذ بدء محاولة استنباط حكم التأمين في الشريعة الاسلامية في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري ، ثم طالب المجمع بتنظيم وسائل الاجتهاد الجماعي ، واذا ما تم وضع هذا التنظيم ، نظر المجمع في جميع المسائل التي اثيرت في بحوث التأمين واحدة بعد الاخرى .

ثم قال في ختام بحثه :

« ان امر التحليل والتحريم عظيم جلل ، وامر الصحة والفساد جد ليس بالهزل ، وليس شيء اضر بالاسلام والمسلمين من الرأي الفطير ، والقول المتسرع ، لم ينل حظه من الروية والتدبر ، وعميق التفكير . واذا اعطينا الاستنباط حظه من ذلك ، فلا علينا ان يكتب كاتب ، او يذيع مذيع ، ان اهل الفقه اليوم متراخون ، ولا يؤدون له حقه ، ذلك ظن الذين لم يحسنوا التدبر ، ولا يعرفون فيم يتحدثون . رحم الله ابا حنيفة والشافعي ، ورحم الله مالكا والاوزاعي ، ورحم الله الثوري واحمد ، ورحم الله امثالهم من ائمة الهدى الذين عرفنا من طرائقهم ما يجب ان يسلكه من يتصدى لاستنباط الاحكام .
سدد الله الخطا ، وهدانا جميعا الى سبيل الرشاد .

# عيد الأضحى

للأستاذ / يوسف زاهر

جَلَّ هذا العيدُ عن كلِّ ثناءْ ... وعَلا بالفضل هاماتِ الفضاءْ
وازدهى فَخراً بمَا سطَّره ... في جَبينِ الدهْرِ من أيِّ وِضَاءْ
منذ أن وافَ «خليلَ اللهِ» في ... صادق الأحلامِ قُدْسيَّ النداءْ
يَا «خليلَ اللهِ» قمْ فاذبحْ لنَا ... ابنك اسماعيل قربانَ الولاءْ
قامَ إبراهيمُ مذهولاً يرَى ... مَشرقَ الأصباح فيضاً من دِمَاءْ ..
ويَخَالُ الوُرْقَ في تغريدِهَا ... نائحاتٍ فوقَ أجداثِ الفَنَاءْ
يا لهذا الوالدِ البرِّ الذي ... صِيغَ من حُبٍّ وعَطفٍ وصَفَاءْ
كيف يَقوَى أن يُضحِّي بابْنِهِ ... دونَ ما ذَنْبٍ جَنَاهُ ، أو عداءْ ؟!
وابنُه طفلٌ غريرٌ لم يذقْ ... غَيرَ طعمِ الحبِّ ، أو رَجْعِ الغِنَاءْ
غيرَ أن الطفلَ لما ان وَعَى ... سرَّ ما يَلْقَى ابُوه من عَنَاءْ ..
قال : فَلْتَفْعَلْ أبي ما ينبغِي ... سوف تلقاني صبُوراً في البَلاءْ
ورأى الرحمانُ تصديقَ الرُّؤى ... في يقينٍ ليس يَعْروه مِراءْ ..
فافْتَدى بالذِّبْح نفساً خَلَّدتْ ... في سجل المجدِ دستورَ الفِدَاءْ
ورعاهَا وَهْيَ تَبْني كعبةً ... مَعْ أَبيهَا في سرورٍ وانْتِشَاءْ
فَتُحِيل الجَدْبَ روضاً يانعاً ... زَهْرُهُ نُسْكٌ وحَجٌّ ودُعَاءْ !!

# حقوق الفقراء في الإسلام

للاستاذ/ محمد عطية الابراشي

**حقوق الفقراء في اموال الاغنياء :**

لقد حدد الاسلام حقوق الفقراء في اموال الاغنياء ، وفرض الزكاة على الاثرياء حتى يستطيع السائلون والمحرومون ان يعيشوا في مستوى يليق بالانسانية وكرامتها .

وقد حارب سيدنا ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الاغنياء من المسلمين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة واجبرهم على ادائها لرعاية الفقراء والمساكين وقد وصف الله المحسنين الابرار في قوله تعالى :

**( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة )** الحشر / ٩

اي ويفضلون الفقراء على انفسهم ولو كانوا محتاجين الى ما يقدمونه لغيرهم وقد كانت السيدة فاطمة الزهراء وزوجها علي كرم الله وجهه والسيدة عائشة الصديقة بنت الصديق ـ يفضلون الفقراء والمساكين على انفسهم .

قال تعالى : **( الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون )** البقرة /٢٦٢ .

فالاسلام يحث على التصدق والاحسان الى المحتاجين ابتغاء مرضاة الله ولا يكتفي بذلك بل يرينا المثل العليا للاحسان بان نحسن سرا ولا نمن على المحسن اليه ولا نعيره بنكران الجميل بحيث لا تعرف يمين المحسن ما اعطت شماله ولهذا النوع من المحسنين حسن الثواب وحسن العاقبة من المنعم جل شأنه .

**الاسلام دين البر والاحسان :**

ان الاسلام قد نادى بالبر والاحسان الى المحتاجين من الاقارب واليتامى والفقراء والمساكين والبائسين والتبرع لهم بنفس راضية بحيث لاتعرف شمال المحسن ما اعطت يمينه .

قال الرحمن الرحيم : **( وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب )** البقرة/ ١٧٧ .

ومن النبل في الاسلام ان البر او الاحسان لم يجعل مقصورا على المسلمين او خاصا بهم بل اجاز ان نكون بارين بمن يختلفون معنا في الدين وهذا هو المثل الاسمى في الانسانية وهذه هي العظمة الاسلامية حيث لاتعصب ولا طائفية . انظر الى قوله تعالى :

**( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين )** الممتحنة /٨ .

اي لاينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ـ ان تبروهم وتفعلوا كل خير فيه ادخال السرور عليهم ولو بالكلمة الطيبة ولا ينهاكم عن ان تعطوهم قسطا من اموالكم على سبيل البر بهم .

**الاسلام يوجب الانفاق على الاسرة من زوجة واولاد وخدم :**

الاسلام يتطلب من الانسان ان ينفق على اسرته ممَا اعطاه الله ويثيبه على ما ينفقه ويعوض عليه اكثر مما اعطى .

وان ما ينفقه على زوجه واولاده وخدمه اعظم اجرا عند الله من الاوجه الاخرى للانفاق في سبيل الله ومن كرم الله جل شأنه ان يثيب الانسان على ما ينفقه على اهله اذا قصد بالنفقة وجه الله ومرضاته والاقارب يبدأ بهم عند التصدق لان في التصدق عليهم صلة للرحم وصدقة،وان اليد التي تعطى خير من اليد التي تسأل وتطلب احسانا،ومن يبتعد عن السؤال يجعله الله عفيفا ويغنه عن الاحتياج الى غيره فالاسلام يدعو الى الاحسان ويشجع على عزة النفس والمحافظة على كرامة الانسان .

فالاسلام يوجب على الرجل ان ينفق على زوجه واولاده من بنين وبنات وعلى خدمه بقدر استطاعته مما اعطاه الله .

قال الله تعالى : **( وعلى المولود له رزقهـن وكسوتهـن بالمعـروف )** البقرة /٢٣٣ .

وقال تبارك وتعالى : **( لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها )** الطلاق /٧ .

وقال عز من قائل : **( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين )** سبأ / ٣٩ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك أعظمها أجرا الذي انفقته على **اهلك** » رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا انفق الرجل على اهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة » رواه احمد والنسائي .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من حديث طويل ـ وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك » رواه احمد .

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « افضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على اصحابه في سبيل الله » رواه مسلم وابن ماجة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما : اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » رواه مسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله » رواه البخاري .

**إن الاسلام يدعو الى :**

البر ، وزيارة المريض ، والاحسان الى المحتاج ، واطعام من يطلب الطعام ، وتقديم الماء للظمآن .

فقد ورد في الحديث القدسي ان الله جل شأنه يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني .

فيقول ابن آدم : يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين ؟ فيقول الله : « اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني !».

فيقول ابن آدم : يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟

فيقول الله : « اما علمت ان عبدي فلانا استطعمك فلم تطعمه ؟ اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ! فيقول ابن آدم : يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين ؟

فيقول الله : « استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ؟» رواه مسلم .

فالله رؤوف رحيم بعباده‘والاحسان اليهم كأنه احسان الى الله جل شأنه فالاسلام مثالي في العطف على الانسانية والشفقة على المحتاجين والدعوة الى ترك الاثرة وحب النفس والتفكير في المريض والجائع والظمآن من بني الانسان. فالاحسان غاية الاسلام والرحمة مقصده‘والدفاع عن الفقراء والمعوزين مبدؤه‘ والاخاء روحه والاخوة الانسانية الشاملة مثله السامي .

قال رب العالمين : **( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )** الانبياء /٩٢ .

وقد هدد الاسلام الاثرياء والبخلاء القساة القلوب الذين يكنزون الذهب

والفضة ، ويحبون المال حبا جما ، ولا يتصدقون على فقير ، ولا يعطفون على يتيم ، ولا يطعمون اي مسكين ، ولا يتبرعون لمشروع خيري ، كاقامة مدرسة لنشر التعليم وانشاء مستشفى لعلاج المرضى ، وملجأ لايواء العجزة والضعفاء .

قال الرحمن الرحيم : **( والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون )** التوبة / ٣٤و٣٥ .

فالاسلام يحارب جمع الذهب والفضة لخزنهما ويحث على انفاقهما والتبرع بمقدار معين منهما للمشروعات الخيرية ابتغاء مرضاة الله .

وقال عز من قائل : **( كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما . كلا إذا دكت الارض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الأنسان وأنى له الذكرى . يقول يا ليتني قدمت لحياتي . فيومئذ لايعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد )** الفجر /١٧ ـ ٢٦ .

« ولا تحاضون » : لايحث بعضكم بعضا .

« وتأكلون التراث » : وتأخذون الميراث الذي تأخذونه من حق النساء والاطفال ولا تفرقون بين ما جمع من حلال او من حرام .

« اكلا لما » : تأكلونه كله بشراهة بعد جمعه .

« حبا جما » : حبا كثيرا مع حرص وشره .

« دكا دكا » : دكا متتابعا يستوعب الارض ولا يبقى منها شيئا .

« والملك » : والملائكة .

« صفا صفا » : مصطفين استعدادا لتلقي اوامر الملك القهار .

« وجيء يومئذ بجهنم » : برزت واظهرت .

« يتذكر الانسان » : يتعظ عندما يرى قبح اعماله .

« وأنى له الذكرى » : ومن اين له التذكر الآن اي لاينفعه التذكر .

« لحياتي »: لأجل حياتي الخالدة .

« لايعذب عذابه احد » : لايعذب احد عذابا مثل عذاب الله في الشدة .

« ولا يوثق » : لايربط بالسلاسل والاغلال .

« وثاقه » : ربطه .

**آيات قرآنية واحاديث نبوية تحث على البر والاحسان :**

وهناك آيات قرآنية واحاديث نبوية لاحصر لها تحث على البر بالفقراء والتصدق على المساكين والمعوزين والمحتاجين والسائلين والمحرومين نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

قال الرؤوف الرحيم : **( مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع**

**عليم )** البقرة / ٢٦١ .

( ينفقون ): يتصدقون ويتبرعون .
( في سبيل الله ) : في اوجه الخير ابتغاء مرضاة الله كالتصدق على الفقراء والمساكين والتبرع للمشروعات الخيرية والاصلاح الاجتماعي .
( يضاعف ) : يزيد الثواب بما لايحصى .
( واسع ) : كثير الفضل .

**آداب التصدق والاحسان :**

ولم يكتف الاسلام بالحث على الاحسان الى المحرومين بل ذكر آداب الاحسان كالتستر فيه وترك المن والاذى والتظاهر بالتبرع وحث على التصدق بنفس راضية لا لدعاية او نشر صحف ، بل لارضاء الله وحده على ان تكون الصدقة من طيبات ما لدى المحسن واحسن ما لديه .

قال عز وجل : ( **الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون )** البقرة / ٢٦٢ .

( المن ) : هو تعداد الاحسان على المحسن اليه
( الاذى ) : يشمل المن ويشمل ما هو اقسى منه كأن يُعيّره بنكران الجميل مثلا .

وقال عز من قائل : ( **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم )** البقرة / ٢٦٣ .

فقولك برفق للمسكين : الله يعطيك ــ خير من ان تحسن اليه ثم تقول له : اذهب ولا ترني وجهك مرة اخرى وان الله غني عن هذه الصدقة حليم يمهل الاغنياء قساة القلوب على الفقراء ولا يهمل عقابهم .

وقال تعاظم وارتفع : ( **يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لايهدي القوم الكافرين )** البقرة / ٢٦٤ .

« رئاء الناس » : مرائيا لهم ومتظاهرا بالصدقة ليمدحوه
« صفوان » : هو حجر كبير املس
« تراب » : غبار."وابل" : مطر شديد
« صلدا » : املس خاليا من الغبار والتراب

وقال الرحمن الرحيم : ( **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير )** البقرة / ٢٦٥ .

( ينفقون ) : يتصدقون في اوجه الخير لله
( وتثبيتا من انفسهم : وتيقنا من ثوابه تعالى تيقنا صادرا من صميم انفسهم

( ربوة ) : هي الارض المرتفعة
( وابل ) : مطر شديد
( فآتت اكلها ضعفين ) : فاثمرت ثمرها اربعة امثال ما ينتج غيرها
( فان لم يصبها وابل فطل ) : الطل : المطر الخفيف والمراد ان هذه الحديقة تتضاعف وتثمر سواء اكثر المطر ام قل فكذلك نفقة هؤلاء ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم تزكو عند الله وتطيب كثرت او قلت .

**التصدق بأحسن ما لديك :**

قال الغني الحميد : **( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد )** البقرة / ٢٦٧ .

« طيبات ما كسبتم » : حلال كسبكم .
« ولا تيمموا الخبيث » : ولا تقصدوا الرديء من اموالكم تتصدقون منه .
« ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه » : والحال انكم لا تأخذونه لانفسكم الا اذا تساهلتم فيه واغمضتم اعينكم عن رداءته .

وفي هذه الاية حث على التصدق بأحسن ما لدى المحسن من نقود لاعيب فيها وحبوب جيدة وفيها نهي عن التبرع بنقود مزيفة او ممزقة لاتقبل او قمح اكله السوس او ذرة رديئة واعلموا ان الله غني حميد وليس في حاجة الى صدقتكم او تبرعكم ، هذا مثل من المثل العليا في الاسلام والعظمة في البر بالفقراء .

وقال العليم الخبير : **( إن تبدوا الصدقات فنعماهي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير )** البقرة / ٢٧١ .

« ان تبدو الصدقات فنعماهي »: ان تظهروا الصدقات فنعم ابداؤهـا واظهارها للتشجيع على التصدق .

واخفاء الصدقة افضل من اظهارها لما فيه من شائبة الرياء وهتك ستر الفقير وفي الصحيحين للبخاري ومسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله :« ... ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ».

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ».

وقال الله تبارك وتعالى : **( وأحسنوا إن الله يحب المحسنين )** البقرة / ١٩٥ .

اي احسنوا الى المحتاجين سرا وحافظوا على شعورهم واحساسهم فالله يحب المحسن بما له وجاهه ، والمحسن في تصرفه ومعاملته للمساكين ، والمحسن ابتغاء مرضاة الله وهذا هو النبل في الاسلام .

وقال الله تعالى : **( وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه )** سبأ / ٣٤ .

وقال تقدست صفاته :

**( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة )** يونس / ٢٦

اي للمحسنين المثوبة الحسنى وهي مجازاة الحسنة بعشر امثالها وزيادة هي النعيم الروحي ، والنظر الى وجه ربهم الكريم .

**الإسلام يحث على التعفف وعزة النفس :**

قال صلى الله عليه وسلم : من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا .

وقال عليه الصلاة والسلام : استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا : ومنك يا رسول الله ؟ قال : ومني .

فالاتقياء الصالحون يتركون السؤال ولا يأخذون من احد شيئا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاحق لابن ادم الا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يواري به عورته ، وبيت يسكنه ، فما زاد فهو حساب » والمراد بالثوب هنا ما يحتاج اليه الانسان من الملابس والبيت الذي يتخذه مسكنا له ولاسرته يشمل ما يستلزمه البيت من الاثاث .

والفقراء ثلاثة : فقير لايسأل مطلقا وان اعطى لايأخذ زهدا وتعففا فهذا في عليين ، وفقير لايسأل وان اعطى اخذ فهذا مع المقربين في الجنة ، وفقير يسأل عند الحاجة والضرورة القصوى فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين .

**الاسلام يحث على التصدق على الكفار صدقة تطوع :**

قال عز من قائل : **( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون )** البقرة / ٢٧٢ .

« ليس عليك هداهم »: الخطاب للرسول وقد كان لبعض الانصار قرابة من اليهود فلما اسلموا كره الانصار ان يتصدقوا عليهم وراودوهم ان يسلموا فنزلت الآية المذكورة اي ليس عليك هدى هؤلاء الكافرين فتمنعهم الصدقة ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الاسلام ولكن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء الى الاسلام فيوفقه له فتصدق عليهم لوجه الله تعالى والمراد صدقة التطوع لان هناك اجماعا على انه لايجوز صرف الزكاة الى غير المسلم .

« الا ابتغاء وجه الله »: الا طلب رضاء الله لارياء ولا غيره .

فمن العظمة الاسلامية ان يحث الاسلام على التصدق على الكفار من صدقة التطوع ابتغاء مرضاة الله .

وفي الآية الكريمة نص صريح على حرية العقيدة في الدين الاسلامي وانه لا اكراه بالسيف ولا اجبار لكي يدخل الكافرون في الاسلام انظر الى قوله جل شأنه مخاطبا المصطفى صلى ا لله عليه وسلم :

**( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء )** توفيقه للدين الحق وهو

الاسلام .

وقال تباركت اسماؤه : ( **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لايستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم . الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) البقرة /٢٧٣و٢٧٤ .

( أحصروا ): حبسوا عن الكسب لانهم خصصوا جميع اوقاتهم بالتعلم والجهاد في سبيل الله فهم اشد الناس حاجة الى الصدقة .

( لايستطيعون ضربا في الارض ) : لايستطيعون سفرا في البلاد ابتغاء كسب معيشتهم لاشتغالهم بالتعلم وطلب العلم والجهاد .

( من التعفف ) : اي من اجل تعففهم عن السؤال لعزة انفسهم

( تعرفهم بسيماهم ) : تعرف فقرهم بما يرى عليهم من الضعف والتواضع واثر التعب او تعرفهم بما البسهم الله من الهيبة والوقار .

( إلحافا ) : اي إلحاحا والمعنى انهم لايسألون ابدا تعففا منهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اتقوا النار ولو بشق تمرة » رواه البخاري ومسلم .

اي اتخذوا بينكم وبينها وقاية بالصدقة ولو كانت قليلة كنصف تمرة .

وعن جابر رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا .

اي ان الرسول لم يرد سائلا بقوله : لا.بل كان يجود بما معه او يعد بالاعطاء ولا يخلف وعده مطلقا .

وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى » انفق يا ابن ادم ينفق عليك » رواه البخاري ومسلم .

اي تصدق يا ابن ادم وانفق المال في وجوه البر والخير يوسع الله عليك ويخلف عليك اضعاف ما تنفقه وتتصدق به .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اي الاسلام خير ؟

قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ انهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بقي منها ؟

قالت ما بقي منها الا كتفها .

قال : « بقي كلها غير كتفها » رواه الترمذي ومعناه : تصدقوا بها الا كتفها فقالت بقيت لنا ى في الآخرة الا كتفها . رواه الترمذي .

# الاقتصاد والحضارة الإسلامية

كما انه لا شك في أن الاقتصاد الذي يسيطر على العالم اليوم هو اقتصاد يهودي ، لأنه يقوم على فائدة رأس المال ، أي « الربا » فكذلك الحضارة فهي يهودية كذلك ، فهي حضارة تحمل في كيانها جرثومة إعدامها ، وهي المادية ، والالحاد ، والتكالب على الدنيا ، ولا تكاد حضارة تصل إلى هذا المنعطف حتى يكون في ذلك نهايتها ودمارها ، واليهود مولعون بتدمير الحضارات والمدنيات ، حتى ولو هلكوا هم معها ، فلسفتهم تقوم على مبدأ « شمشون » عندما هدم المعبد على رأسه ورأس أعدائه ، واليهود يعتبرون البشر أعداءهم ، ولما كانوا قلة مسحوقة ، فلم يبق أمامهم الا أن يدمروا المجتمعات ، وسواء كانوا يفعلون ذلك عن وعي او عن غير وعي ، فهم يفعلونه على وجه التحقيق .

للاستاذ / احمد حسين

وكون الحضارة التي يعيش فيها العالم ، حضارة يهودية فتلك مسألة تحتاج إلى شيء من الشرح .

فقبل الثورة الفرنسية ( في ختام القرن السابع عشر ) كان التعصب الديني هو السائد في أوروبا ، وحيث يتعصب النصارى أو المسيحيون ( بلغة العصر ) ، فليس امام اليهود سوى الذل في احسن الحالات والابادة في أسوئها .

فلما أن قامت الثورة الفرنسية وهي تقوم على اللا تدين ، والاباحية والفوضى ، باسم : « الحرية ، والاخاء ، والمساواة » قامت الأفكار اليهودية وازدهرت وترعرعت وقام فلاسفة اليهود يؤصلون للمجتمعات الجديدة حياتها ، والتي تقوم اول ما تقوم على تشويه كل المقدسات ودعوة البشر للانطلاق فيما يشبه الفوضى ، ولست اريد أن أذكر أسماء عشرات الكتاب والمفكرين الذين لمعوا في سماء أوروبا ، وكيف كانوا كلهم من اليهود ، وحسبي أن أذكر المعهم ، وأعني « سيجموند فرويد » والذي أقام لأوروبا علما ماديا جديدا ، أصبح هو محور العلوم كلها ، وهو علم النفس ، فأصبح « الجنس » هو أساس كل مناشط الحياة ، وما الأنبياء والرسل والقادة والمصلحون والهداة ، بل والشهداء والقديسون ليسوا إلا أناسا تدفعهم عقدة الجنس ( أي الشهوة ) على وجه من الوجوه ، وإن كان التسامي،والمهم أن الجنس هو أساس كل شيء في هذه الحياة ، وانتهى ذلك كله الى ما نشهده اليوم من نوادٍ للعراة ، وإباحية في العشق ، وانحلال في الرابطة الزوجية ، واعتبار أن ذلك كله هو طبيعة الحياة ، الذي يجب ان نمارسه في غير خجل وحياء .

**ماركس بعد فرويد :**

ولم يكد أثر فرويد يخف بعض الشيء على ضوء التجربة وواقع الحياة حتى ظهر يهودي آخر يصبغ الحياة الغربية كلها بطابعه ، ونعنى به « كارل ماركس » فالأديان والقيم التربوية والخلقية ليست إلا أوهاما وخرافات وأن القيمة الوحيدة في الدنيا ، الجديرة بالاعتبار ، هي « الصراع » فلا شيء سوى الصراع. ويجب ان يعاد بناء المجتمعات على اساس من « الصراع »،وما بدأته الثورة الفرنسية ، أكملته الثورة الروسية ، وكلتاهما من نسج اليهود ، والنتيجة هي ما نراه اليوم من قلق وضياع ، وفقدان الثقة في كل

شيء واصبح محور النشاط البشري هو إنتاج الأسلحة اللازمة لتدمير الحياة القائمة من ناحية ، والعمل لتفادي وقوع ذلك من الناحية الاخرى .

وقد أوصل البشر إلى ذلك ، التفكير اليهودي ، الذي يقوم على فكرة هدم « المعبد » من داخله ، وعليّ وعلى اعدائي يا رب .

**الاقتصاد اليهودي :**

وتعتبر امريكا الشمالية ميدانا رائعا لكي يتعرف الانسان كيف صاغ اليهود الحضارة الغربية ، من خلال سيطرتهم على الاقتصاد فقد هاجر اليهود الى امريكا فيمن هاجر ، هربا من الاضطهاد الديني وسرعان ما اصبح المجتمع الامريكي يفيض بالحضارة اليهودية، حضارة القسوة والاجرام ، واللاتدين ، والمادية ، ولا يجب ان يتشكك متشكك في ان الحضارة الامريكية، هي حضارة يهودية ، فالقوم يسيطرون سيطرة كاملة على وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة ، وتلفزيون ، ونشر ، وكتب ومسارح ... إلى آخره وكل هذه تهدر بما سموه الحياة الاميركية الحرة ، إلى حد الفوضى والاجرام وانحلال كل القيم ، فرحين بعبادة الدولار ، وتكدس الثروة ، ووفرة الانتاج كما يقولون، ووسط ذلك يسود اليهود ، ويتحكمون ويسوقون امريكا للاشتراك في كل حرب، فهم لا يريدون سوى خراب العالم ، وتدميره، وعليّ وعلى اعدائي، اما كيف وصل اليهود إلى كل هذه السيطرة فعن طريق الاقتصاد .

**كيف قلب اليهود اقتصاد العالم ليسود الربا ؟ :**

ولقد اتيح لي من خلال تجربتي الشخصية ، ان أرى أخطبوط « الربا » وهو يمتد إلى كل مكان وزاوية ، وكيف يوقع في حبائله كل فرد اميركي بدون استثناء، ليسيطر اليهود في خاتمة المطاف ، واللطيف أنني نفسي وقعت في الفخ ، وبهرتني الفكرة التي يقوم عليها الاقتصاد الاميركي ، حتى إنني دعوت للاخذ بها، الى ان شاء الله ان فهمتُ مرامي هذه السياسة ، وكيف انها ستؤدي إلى الخراب والدمار فعدلتُ عما سبق أن دعوت اليه .

**كل شيء في الحال بعد دفع « الربا » :**

لقد عاش البشر منذ فجر التاريخ ، وتعاملوا في مجتمعاتهم المتحضرة التي انتهت بالحضارة الاسلامية ، على أساس أن كل من يريد الحصول على سلعة ، فعليه أن يدخر ثمن هذه السلعة مقدما ، فمن يريد لباسا او فراشا او أداة مواصلات ، فضلا عن أن يبني بيتا ، فعليه أن يدخر ثمن ذلك مقدما، على هذا سارت الدنيا وتوازن الانتاج مع الاستهلاك ، فلا أزمات إفراط انتاج ، ولا بطالة او تضخم وكل ما يعانيه العالم ، ويشقى به هذه الأيام .

**وقلب اليهود نظام البشر في أمريكا:**

وإذ كانت أمريكا بلادا جديدة

ومجتمعا جديدا فقد جاءوا بفكر جديد .

إنك تعمل أيها الانسان وتدخر ليكون في وسعك أن تحصل على هذا الشيء أو ذاك ، ولكي يكون لك بيت في خاتمة المطاف ، وتكون لك أرض أو حقل أو مصدر ثابت للرزق والثروة ، فأنا أقدم لك هذه الأشياء كلها أو بعضها في مقابل أن تدفع مبلغا زهيدا ، وأن تكتب بالباقي « كمبيالات » تدفع على مر الزمن على أقساط تتضمن جزءا بسيطا من الثمن ، مضافة إليه الفوائد أي « الربا » ، وتهافت الناس يحصلون على كل حاجياتهم بل أحلامهم ! ويوقعون على « كمبيالات » غير مدركين أنهم إنما يوقعون على صك عبوديتهم ، وغني عن البيان أن التاجر الذي يبيع بالتقسيط لا يملك كل الأموال التي يقدم بها ما يبيع بهذا الأسلوب، فهو يقترض ما يحتاج اليه ويقدم هذه « الكمبيالات » والبنك الصغير يقترض من بنك اكبر « بالربا طبعا » .

والمصنع المطلوب منه ان ينتج فوق طاقته ، يقترض بدوره ما يحتاج إليه من مال بالربا ، وهكذا أصبح المجتمع كله يعيش على كتابة الكمبيالات ودفع الفوائد ، أي الربا وترتب على هذه الدورة المصطنعة أزمات إفراط الانتاج وتعطل المصانع والبطالة والتضخم الذي يعني بكل وسيلة توفر أوراق النقد ، دون أن توجد سلع تقابلها .

وقد أحدث هذا الأسلوب الجديد نشاطا زائفا في بادىء الأمر ، ولكن بعد مرور بعض الوقت تشبعت المجتمعات في أسواقها الداخلية ، فبدأ ( السعي المميت ) خلف الأسواق الخارجية ولكن ذلك بدوره إلى حين ، وسوف تصل الأسواق الخارجية الى حد التشبع لسبب أو لآخر فيكون الكساد والبطالة والخراب .

### الافلاس الروحي والخلقي وسيادة الجشع :

وإذا أردنا أن ندرك ما أصبح يعانيه العالم من إفلاس روحي وخلقي ، وسيادة المادية ، والجشع في النفوس ، نراه نتيجة هذا الاقتصاد اليهودي ، الذي طبقه اليهود في أميركا ومنها سرى إلى بقية العالم ، وهو امكان الحصول على كل شيء في مقابل التوقيع على « كمبيالات »، ودفع الفوائد المستحقة ، فالذي يدخر للحصول على هذا الشيء او ذاك ، فهو يعيش بأمل الحصول عليه ، مقدرا ان سعادته « منتهى سعادته ) ستكون في الحصول على هذا الشيء فيقبل أكثر وأكثر على الادخار ، والادخار مجموعة من الصفات والأخلاق الحميدة ، ابتداء من القناعة والصبر ، ثم المثابرة والجد والاستقامة، كل ذلك يفقده الانسان بمجرد حصوله على السيارة والغسالة والثلاجة والبيت ( بقسط وكمبيالات ) وتتحول كل الفضائل التي تحدثنا عنها الى مجموعة رذائل من الهم والقلق والجشع ، والتطلع

إلى الحصول على كل شيء من أيسر طريق وأسرعه بما في ذلك ارتكاب الجريمة ، وهو ما نراه سائدا في المجتمع الغربي اليهودي ، والذي انتقلت عدواه الينا ، وما لا سبيل لمواجهته ، فضلا عن التخلص منه إلا أن نعود ثانية **للاقتصاد الاسلامي** .

يتلخص الاقتصاد الاسلامي في هذه الآية الكريمة : **( وأحل الله البيع وحرم الربا )** البقرة / ٢٧٥ .

فحيث يقوم الاقتصاد اليهودي الذي اغرق الدنيا في ظلامه ومستنقعه على « الربا » فان الاقتصاد الاسلامي يقوم على تحريم « الربا » واللطيف أن الدين اليهودي يحرم الربا كذلك ، ولكن نظرا لأن اليهود يعيشون على التمييز العنصري فيعتبرون أنفسهم هم وحدهم « الناس » فقد قصروا هذا التحريم على اليهود فيما بينهم ، وتعريف الربا واضح وصريح فكل قرض جر منفعة فهو ربا ولا شك ان من أوضح صوره وأصرحها تقاضي الفوائد على رأس المال .

وعبارة « جر نفعا » فيها السر كل السر ، في الفارق بين الايمان بالغيب وعدم الايمان ، بين الالحاد والمادية وبين العمل ابتغاء مرضاة الله ،

فالربا يقوم على السؤال الآتي : « وأنا أين هي منفعتي ؟ » ومن هنا كان لا بد ان يجر القرض منفعة مادية محددة .

اما الذي يقرض لوجه الله ، فهو لا ينتظر منفعة مادية سريعة ، وانما هو ينتظر الثواب والمكافأة من الله العلي القدير ، يوم الحساب ، فالفارق بين أخذ الربا وتحريم الربا ، هو الفارق بين الايمان والكفر .

ولقد عاش المجتمع الاسلامي طويلا طويلا وازدهر ، وقامت التجارة الخارجية ، المستندة على الملاحة البحرية بدون اعتماد على نظام « الربا » كان التعاون بين الناس يسد كل أحوال التأمين في ظل النظام الاسلامي .

كان الفلاح إذا فقد « بهيمته » أو اذا أعرس ، أو إذا حدثت عنده وفاة ، وكان التاجر إذا أفلس بأن غرقت له سفينة او نهبت قافلته كان إخوانه وزملاؤه يجمعون له من المال ما يمكنه من استئناف مسيرته ، **وهكذا كان المجتمع يسير دون أن يعرف الأزمات الاقتصادية الحديثة ، فلا علاج لما يعانيه البشر ، كل البشر ، من أزمات الا بإبطال التعامل بـ « الربا »** وعندما يبطل التعامل بالربا فسوف يزول سلطان اليهود ، الذي يستطيلون به وهو تكديس الأموال عن طريق الربا ولم يكن لليهود في ظل اي مجتمع اسلامي لا يقوم على الربا هذا السلطان الذي يتمتعون به في المجتمع الأوروبي او الاميركي .

**انني أرسلها صيحة أرجو أن تدوي في سمع الأجيال القادمة ليكن لنا اقتصادنا الاسلامي الذي يقوم على تحريم الربا ، في مواجهة الاقتصاد اليهودي الذي يقوم على « الربا »** والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله

# تعقيب على فتوى زكاة العقارات والمصانع وسهام الشركات

للشيخ / عبد الحميد السائح

اطلعت على العدد ١٩٠ شوال ١٤٠٠ هـ وآب ١٩٨٠ م من مجلتكم ، فلفت نظري ما كتب تحت عنوان « رأي في زكاة العقارات والمصانع وسهام الشركات » لصديقنا الاستاذ محمد عزة دروزة .

وقد تضمن ما كتب انه لم يطلع على رأي شاف في ذلك ، وعن له الرأي الذي نشرته المجلة وملخصه : ــ

**١ ــ ان زكاة النقد وعروض التجارة تجب على ما تبقى في يد صاحبها ، من رأس مال وربح في آخر كل سنة ، بمعدل ٢,٥٪ اذا بلغ الباقي النصاب .**

**٢ ــ زكاة غلة الارض تجب على مايحصد صاحبها فيها ، حين حصادها ، دون انتظار آخر السنة ، ودون اعتبار لما تبقى في يد صاحبها ، بمعدل العشر للاراضي التي تروى بماء المطر ، ونصف العشر اذا رويت بماء مكلف منفق عليه .. الخ .**

**٣ ــ الحكمة المتبادرة من ذلك أن المال السائل حر قابل للتنمية ، ولذلك كانت الزكاة ربع العشر ، وأما الأرض فثمنها قد يكون كبيرا ، ولكنه رأس**

**مال مجمد ، ولم يوجب التشريع عليها زكاة ، واقتضت حكمة التشريع ان تكون الزكاة على غلتها ، وان تكون اربعة اضعاف ما يجب على المال السائل .**

**٤ ـ وبالنتيجة يرى الاستاذ قياس العقارات المعدة للأجرة والمصانع ، وسهام الشركات بالارض وأداء زكاتها حسب زكاة الارض .. الخ .**

والذي اريد بيانه وتوضيحه مايلي : ـ

١ ـ هذا الرأي الذي أبداه الاستاذ يختلف عن الرأي الذي رجحه في كتابه : « الدستور القرآني والسنة النبوية » حيث رجح فيه القول بوجوب الزكاة على مايبقى من الريع في آخر السنة ، إذا بلغ النصاب ، لان المصانع والعمارات آيلة للاستهلاك والخراب ، وليست الارض كذلك / انظر جـ ١ ص ٥٤ .

٢ ـ يسري الرأي الأخير على أرباح سهام الشركات ، وإن كان في كتابه لم يحسم الرأي في موضوع الأسهم .

٣ ـ موضوع الواجب في زكاة الأمور المشار اليها ، كان محل بحث دقيق في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية في القاهرة .

وقد اقترح بعض الاعضاء : ( المرحوم العلامة الشيخ محمد ابو زهرة ) مثل الرأي ، الذي عن للاستاذ محمد عزة ، او ما هو قريب منه ، ولكنه حين المناقشة لم يقبل هذا الرأي ، وقد صدر عن المؤتمر القرارات التالية : ـ

**اولا :** لاتجب الزكاة في اعيان العمائر الاستغلالية والمصانع والسفن ، والطائرات وما شابهها ، بل تجب الزكاة في صافي غلتها ، عند توافر النصاب وحولان الحول .

**ثانيا :** اذا لم يتحقق فيها نصاب وكان لصاحبها أموال اخرى تضم إليها ، تجب الزكاة في المجموع ، اذا توافر شرطا النصاب وحولان الحول .

**ثالثا :** مقدار النسبة الواجب إخراجها هو ربع عشر صافي الغلة في نهاية الحول .

**رابعا :** في الشركات التي يساهم فيها عدد من الافراد لا ينظر في تطبيق هذه الاحكام الى مجموع ارباح الشركات ، وانما ينظر الى مايخص كل شريك على حدة / ( التصنيف الموضوعي لقرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، من الاول الى الخامس ص ٢٤ ) .

٤ ـ كل هذا اذا كانت العمائر او الاسهم او غيرها للاستغلال ، اما اذا كانت للتجارة فانه ينطبق عليها حكم عروض التجارة . ويدل على ذلك : ـ

**اولا :** ماروى في سنن ابى داود عن سمرة قال : كان النبي صلى الله عليه

وسلم يأمرنا ان نخرج الزكاة مما نعده للبيع ، وهذا بعمومه شامل لكل ما يعد للتجارة ، ولو أن التجارة بالاراضي والمصانع واسهم الشركات لم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد خلفائه الراشدين .

**ثانيا :** ماروى عن حماسي قال : مر بي عمر فقال : « اد زكاة مالك ، فقلت ما لي الا جعاب وأدم ، فقال : قومها ، ثم أد زكاتها .

وقد اشتهرت القصة بلا منكر فهي اجماع .

**ثالثا :** الائمة الاربعة وسائر الامة ـ الا من شذ ـ متفقون ، على وجوب الزكاة في عروض التجارة ،سواء كان التاجر مقيما ام مسافرا ، سواء كان متربصا ام مدبرا ، سواء كانت التجارة بزا من جديد ، ام لبيسا ، ام طعاما من قوت ، ام فاكهة ام أدما ، ام غير ذلك ، ام كانت آنية كالفخار ونحوه ، ام حيوانات . فالتجارة هي اغلب اموال اهل الامصار الباطنة ، كما ان الحيوانات الماشية هي اغلب الاموال الظاهرة .

**رابعا :** قد شرعت الزكاة للمواساة ، ولا تكون المواساة الا فيما له مال من الاموال ، فحد له انصبة ووضعها في الاموال النامية .

فمن ذلك ما ينمو بنفسه كالماشية والحرث ، وما ينمو بتغيير عينه والتصرف فيه كالعين . وجعل المال المأخوذ على حسب التعب ، فما وجد من اموال الجاهلية وهو أقله تعبا ففيه الخمس ، ثم ما فيه التعب ، من طرف واحد ففيه نصف الخمس ، وهو العشر فيما سقته السماء ، وما فيه التعب من طرفين ففيه ربع الخمس وهو نصف العشر ، فيما سقي بالنضح والآلة ، وما فيه التعب طول السنة ففيه ثمن ذلك وهو ربع العشر/ فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية جـ ٢٥ ص ٨ ، ١٥ ، ٤٥ .

ومن ذلك كله يتبين ان الاقرب للصواب ، ان شاء الله ، هو مايلي : ـ

**١ ـ ان جميع ما يعد للتجارة سواء كان ارضا ام عمارة ام مصنعا ، ام اسهم شركات ، تخضع قيمته للزكاة ، بعد حولان الحول ، وبلوغ النصاب ، ويدفع عن ذلك ربع العشر .**

**٢ ـ ما يعد للاستغلال فزكاتها في صافي غلتها ، في آخر السنة ، حين إكمال الحول وتوافر النصاب .**

**وهذا ما يتفق مع الرأي الذي اختاره جمع من العلماء المشهود لهم بالفقه والثقة في مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، وما يتفق مع النصوص المشار اليها اعلاه .**

**والله هو الموفق للصواب ، والهادي الى طريق السداد .**

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة . ومحط امالها . وفلدات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة . وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم . والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل . وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض افكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## مكر اليهود

**أرسل الينا الأخ سعد حسن لطفي تلك الكلمة حول مكر اليهود وغدرهم**

كان اليهود انبياء وملوكا وكانوا افضل الناس في وقتهم . ولكنهم فعلوا أشياء بمقتضاها لعنهم الله وطردهم وأوعد بتعذيبهم إلى يوم القيامة .

فحبهم الشديد للمال كان أكبر الأسباب في عصيانهم لله وكفرهم به وتحريفهم للدين .

وبلغ من شدة حب اليهود للمال انهم حللوا ما حرمه الله كالربا والسحت . وأحلوا مال غير اليهودي وقالوا :« ليس علينا في الأميين سبيل » .

وهم أول من تحايل على الشرع لينالوا الدنيا بدون الوقوع في مخالفة صريحة لأوامر الله . فكان ان أمر الله أهل قرية على البحر ان يعبدوه يوم السبت ولا يعملوا بصيد الحوت الذي هو مهنتهم . وكان الحوت يأتي بكثرة إلى الشاطئ يوم السبت ، ويشرد بعيدا في الأيام الأخرى . فاحتالوا للأمر ، وصاروا يضعون الشباك في الماء ليلة السبت ويتركونها تمتلئ بالسمك وهي داخل البحر طيلة يوم السبت وليلة الأحد . ثم يخرجونها يوم الأحد . وظنوا أنهم ماداموا قد أخرجوا الشبكة يوم الأحد وليس يوم السبت فقد نجوا من العقاب . ولكن الله لعنهم لذلك ومسخهم قردة وخنازير يقول الله فيهم:« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » .

ومن شدة طمعهم وطلبهم من الله الزيادة الكثيرة العاجلة من المال . فقد نسبوا إلى الله البخل ، تعالى الله عن ذلك :« وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » .

ولما نزلت آية:« إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم » قالت اليهود:« لو كان غنيا ما استقرضنا » فغرهم المال وظنوا انهم أغنى من الله كما أن بخلهم منعهم أن يطيعوا الله وينفقوا ، وجاء قول الله سبحانه ردا عليهم : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق » .

وأرادوا قتل عيسى لولا ان الله شبهه لهم فقتلوا الشبه ورفع الله عيسى . وكانوا ينقضون الميثاق ويغدرون ، وقد نقضوا ميثاقهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاجلاهم عن المدينة . وكانوا لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر . كما كانوا يحرفون كلام الله ليوافق اهواءهم ، فغيروا وصف النبي محمد في التوراة لانهم لا يريدون نبيا بعد موسى كما لا يريدون نبيا عربيا .

وقد قضى ان يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة . وقد صدق الله وعده فعذبهم بختنصر .

ولا شك ان نصرنا الله سينصرنا عليهم وسيبعث في حاضرنا من يسومهم سوء العذاب بل في كل عصر جزاء مكرهم وغدرهم .

## أعداء الإسلام لا يهدأون

## وصلتنا رسالة من الاخ عبدالجواد محمد الخضري حول ان كل الانبياء جاءوا بالاسلام .

ولما كنت اعلم علم اليقين ان بعض النصارى في بعض البلاد العربية عن عمد يحاولون بث السموم اما بالطعن في الحقائق التي ترفع شأن الاسلام ، او في ادعاء ان اعلام الفكر الاسلامي كانوا موالين لهم وازداد الامر ضراوة بهذه المؤلفات الصادرة عن « دار الهلال » والتي كشف احدها الاستاذ « سالم البهنساوي » هنا في"مجلة الوعي الاسلامي" وتشاء الاقدار ان يصدر كتاب اخر يحمل الحقد لقيم الاسلام بل الثورة على تعاليم الله ودينه:« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ماذا يريد مؤلف كتاب « قاسم امين وتحرير المرأة » ؟ وهو ذاته صاحب كتاب:( الاسلام والوحدة الوطنية ) الصادر عن نفس الدار !! يبدو ــ ان دعاة الاحتواء وجدوا المناخ الملائم للافراخ في مثل هذا المنعطف الرهيب الذي يمر به عالمنا الاسلامي ــ فمن مؤامرات شرقية الى اطماع غربية وتحضرني كلمة السلطان « عبدالحميد » يا مسلمى العالم اتحدوا فأنتم اخوة الايمان ، واللقمة السائغة بعد هذه التمزقات وبكل لأي تكاد الظروف تتوافق مع ماض ودعناه واننا نرفعها عالية لا نريد كائدين من المسلمين وعلى هؤلاء حاملي الاسلام ان يعطوه لاهله ، والدين مهما كان الامر لا يخدم قضايا الحكم اما هذه المؤلفات فهي الى سقوط وليت النصارى في بيئتنا الاسلامية يكفون عن التعرض للعلماء المسلمين والا فلا حرج ان تعرضنا لابائهم وامهاتهم وما زال اسلامنا في عقولنا .

## اذكار واردة

**اريد ان اعرف الاذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما هو معنى الأذكار ؟**
**كما أريد أن أعرف هل هناك أذكار واردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحوال المختلفة للمسلم من نوم ويقظة وغير ذلك فقد سمعنا أن لكل حالة من حالات المسلم دعاء يقوله ، فما مدى صحة هذه الأدعية ؟**
**محمد عبدالمجيد عبدالقادر ـ القاهرة**

الأذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو المسلم أن يلتزم بما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم في يومه وليلته من العبادات والدعوات . معروف إذا أن الأذكار هي نوع من الدعوات أو العبادات والسنن .

ولا شك أن أفضل حال المؤمن أن يكون مشتغلا بذلك متأسيا بقول الله سبحانه ودخولا تحت نص الكتاب الكريم الذي يدعو المسلم إلى الذكر حتى يستحق ذكر الله له يقول الله سبحانه: « فاذكروني أذكركم » ويؤكد القرآن الكريم الغرض من وجود الخلق يقول الله سبحانه: « وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون » .

وقد صنف أهل العلم العاملون في عمل اليوم والليلة الكثير معتمدين في ذلك على الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

فيروى البخاري ومسلم رضي الله عنهما عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

وذلك يقوله المسلم إذا استيقظ من نومه مريدا صلاة الفجر . كما يستحب ان يقول الداخل للمسجد :
«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم الحمدلله» .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ثم يقول باسم الله ويقدم رجله اليمنى في الدخول ويقدم اليسرى في الخروج ويقول ما قاله عند الدخول إلا أنه يقول اللهم افتح لي أبواب فضلك بدل رحمتك » .

يروى عن أبي حميد أو أبي أسيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك » رواه مسلم وأبو داوود والنسائي وابن ماجة وغيرهم في أسانيد صحيحة .

وفي موقف آخر يروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن ابي ذر رضي الله عنه قالا:« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى الى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت وإذا استيقظ قال الحمدلله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » .

كما يروى ابن السنى باسناد صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« اذا استيقظ احدكم فليقل الحمدلله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره » .

وقد اكد الامام النووي رضي الله صاحب الأذكار على صحة وقوة تلك الأذكار مسندا لها محققا سلامتها من الطعن أو الضعف .
وتلك بعض الأذكار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمناه لتكون دليلنا وحادينا للخير ، ولنبين بها ما يلزم المسلم في يومه وليلته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم غير مبتدعين .

نرجو ان تكون تلك وغيرها التي وردت في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الزاد الذي يتزود به المسلم في كل أحواله .

## جولة سمو امير الكويت في آسيا

قال السيد راشد الراشد وكيل وزارة الخارجية : ان زيارة صاحب السمو امير البلاد الى عدد من الدول الصديقة في آسيا تدل على اهتمام سموه وعلى اهتمام الكويت وسياستها الخارجية في النظرة الجيدة والى تدعيم علاقاتها مع العالم الاسلامي اولا ومع العالم الثالث ثانيا . وان الكويت كانت دائما وابدا تنظر الى ضرورة تقوية هذه العلاقات مع دول العالم الثالث سواء في آسيا او افريقيا او في امريكا اللاتينية .

واكد ان دور الكويت في مجموعة دول عدم الانحياز واضح جدا وما يقوم به سمو الامير انما هو تدعيم لهذه المواقف فدول العالم الثالث تلعب دورا هاما في القضايا الدولية الرئيسية وان رؤية سمو امير البلاد لهذا الدور واضحة تماما وانه من هذه المنطلقات جاءت زيارة سموه لعدد من الدول الاسلامية والصديقة .

وقال ان تكوين الوفد المرافق لسموه يدل على ان هناك هدفا واضحا من وراء الزيارة فهي ليست زيارة مجاملة وانما زيارة عمل من خلال وجود عدد من كبار المسئولين عن شتى القطاعات السياسية والاقتصادية والتجارية ضمن الوفد لتأخذ الزيارة طابع العمل السياسي والتعاوني الثنائي والجماعي .

## احتفالات القرن الخامس عشر الهجري في بريطانيا

نشرت مجلة الهداية التي تصدر في دولة البحرين تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

ان نشاط المسلمين في بريطانيا اكثر وضوحا وخاصة بالنسبة للاحتفالات بمطلع القرن الخامس عشر الهجري فنجد ان « رامستيد آرثر » المعلق البريطاني يقول في مقال له حول الاحتفالات بهذه المناسبة في بلاده . ان الجهود المنسقة والكبيرة التي تبذلها المنظمات الاسلامية لزيادة وعي بريطانيا بالاسلام تشد اليها الانظار في هذه السنة التذكارية ثم ان الاحتفالات التي تنظم بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري تشجع على توسيع الحوار مع المتعاطفين من غير المسلمين وكثير منهم من الباحثين البريطانيين ثم قال :

في هذه الايام يدعى علماء مسلمون من الجالية الاسلامية الكبيرة المتزايدة في بريطانيا لاظهار الاهمية

الخاصة للهجرة بالنسبة الى الجالية وذلك في سلسلة من المؤتمرات ينظمها اتحاد المنظمات الاسلامية .

وهذه السلسلة تدور بوجه عام حول اهمية الهجرة غير انها تبرز الاوضاع المختلفة جدا التي يمارس المسلمون المعاصرون في ظلها شعائر دينهم وتقول الانباء الواردة من لندن ان المسلمين في بريطانيا سيواصلون احتفالاتهم ومؤتمراتهم الدينية طوال هذا العام الهجري « ١٤٠٠ » هـ ولم يكن هدف المسلمين في بريطانيا من هذه الاحتفالات والمؤتمرات هو الاحتفال ببدء القرن الخامس عشر الهجري فحسب وانما بهدف زيادة وتنمية مدارك غير المسلمين في بريطانيا بالدين الاسلامي وتعاليمه السمحة ويتزعم هذه الجهود في بريطانيا المركز الثقافي الاسلامي في لندن ويقول مدير المركز ان من بين الاهداف لهذه الاحتفالات هو اظهار اصالة التاريخ الاسلامي ونواحي الحضارة الاسلامية والتطورات العصرية في العالم الاسلامي ويواصل حديثه فيقول :

ان الجهود الاعلامية تتركز الان في القاء سلسلة من المحاضرات عن الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم والمساهمة في تحسين حياة الجالية الاسلامية في بريطانيا .

وتؤكد التقارير الواردة من هناك خاصة من دول اوروبا واميركا ان نشاط المسلمين في هذه الدول يتزايد في هذه الايام بصورة كبيرة وملفتة للنظر ومثلجة للصدر ، وقد لوحظ ان هذا النشاط يتزايد مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وقد شعر ممثلو الاسلام في بريطانيا بضرورة الحرص على مخاطبة الشعب البريطاني والتركيز على ذلك من خلال الاحتفالات بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .

## أين العيد ؟

نشرت مجلة الدعوة المصرية كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

العيد يوم شكر لله سبحانه وتعالى يجتمع فيه المسلمون وقد اكرمهم الله بتمام نعمة الصيام ، فيصلون العيد ويتبادلون التهاني بينهم ، ويسعون في حاجة المسلمين .

فالعيد لهؤلاء المسلمين الذين يعيشون وبين اعينهم الجهاد .. الجهاد الذي اصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة وشاب وشيخ ، غني وفقير كل حسب قدرته .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « الجهاد ماض في امتي حتى تقوم الساعة » الجهاد بالمال ، الجهاد بالعلم وبذله لتعليم الغير ، الجهاد بالكلمة الطيبة لنرد بها العصاة الى دين الله .

فهؤلاء هم اصحاب العيد الذين لا ينعمون بالعيد واخوانهم الفقراء محرومين عرايا جياعا ، فم الذين يطعمون في تواضع ويعطون في تخف وقلوبهم وجلة من خشية الله لا تدري

شمائلهم ما صنعت ايمانهم . فهؤلاء هم اصحاب العيد حقا .

اما الذين في خصام مع الاسلام في رمضان ، والمعطلون للصلاة ، والجاحدون للزكاة والغافلون عن الحج مع القدرة عليه ، والعازفون في فسوق الزيف والزور والمسمى كذبا بالمدنية والتقدم انهم متطفلون على العيد باهتة وجوههم فيه ، كالحة قبائحهم .

يا اهل الاسلام.اليقظة للحق،والحياة بالحق،والعودة للحق . ان الله اختاركم حملة لخير كتبه واتباعا لخير رسله وختم بأمتكم الأمم وجعلكم طليعة مواكب الحق يوم القيامة وجعل لكم نورا تسعون به من بين آيمانكم وشمائلكم وجعل اعيادكم شكرا على نعمة الطاعة .

فاتخذوها ساعة بيعة لله على جهاد سبيله حتى تسودوا الامم كما كنتم .

أيها المسلمون : ابرأوا اليه سبحانه من معاصيكم يتب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم ويمدكم بنصر من عنده ويجعلكم رأس الامم كما كنتم فاتخذوا من يوم عيدكم عيدا لارواحكم وضمائركم حتى تتفتق قلوبكم مع حياة جديدة وهي مخبتة بين يدي الله تتلوا قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

## اجتماعات اللجنة الدائمة للثقافة العربية في تونس

في حديث لجريدة السياسة الكويتية عن مشاركة الكويت في تلك اللجنة جاء فيه :

تعقد اللجنة الدائمة للثقافة العربية اجتماعها الرابع في تونس في مقر المنظمة العربية للتربية والعلوم في الفترة الواقعة ما بين ٩ــ١٢ سبتمبر الحالي .

وتعقد اجتماعات هذه اللجنة عادة للاعداد لمؤتمرات وزراء الثقافة العرب وستناقش هذه اللجنة الموضوعات التالية تمهيدا لتقديمها الى مؤتمر وزراء الثقافة الذي سيعقد في بغداد في شهر اكتوبر عام ١٩٨١ من بينها .

- صيانة المدن التاريخية العربية الاسلامية .
- التصوير الجديد لعمل معهد المخطوطات .
- الخطة القومية للترجمة .
- تشجيع الابداع الادبي .
- تنمية الثقافة العربية الاسلامية في الخارج .
- من ناحية اخرى فاز الجناح العربي في معرض الكتاب الدولي الذي اقيم في الارجنتين بالجائزة الاولى من بين اجنحة الدول المشاركة .

فقد تلقت الامانة العامة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب رسالة من سفارة الكويت في تونس تفيد ان الامانة العامة لجامعة الدول العربية ــ ادارة الاعلام ــ قد نقلت للسفارة شعور الارتياح العميق الذي ابداه مجلس السفراء العرب الذي عقد في الارجنتين .

# فهرس أعمال

## مجلة

# الوعي الإسلامي

## في

## عامها السادس عشر

## ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

تشتمل على الموضوعات

والكتاب والفتاوى

❊ ❊ ❊ ❊

# المخطوطات و الكتب

## اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| الاسم | الموضوع | العدد/صفحة | |
|---|---|---|---|
| ابراهيم أبو الخشب | المسلمون بحاجة الى | ١٨٦ | ٥٦ |
| ابراهيم النعمة | الشريعة الاسلامية والتطور | ١٩٠ | ٢٥ |
| احمد ابراهيم مهنا | حول ترجمة القرآن الكريم | ١٨٩ | ٤٨ |
| احمد البدوي محمد أنور | آية الكرسي | ١٩٢ | ١٠٨ |
| احمد حسن الباقوري | الفصحى شعار الاسلام | ١٩٢ | ١٢ |
| احمد حسن القضاة | الشعر في خدمة الدين | ١٩٠ | ١٠٢ |
| احمد حسنين القفل | كل نفس ذائقة الموت ( ٤ ) | ١٨٥ | ٢٨ |
| احمد حسنين القفل | قرآن وعلم وادب ( ٥ ) | ١٨٦ | ٢٦ |
| احمد حسين مرواد | التوبة | ١٨٥ | ١٠٦ |
| احمد الحوفي | شجاعة الرسول | ١٨٣ | ٦٣ |
| احمد الحوفي | القرآن الكريم يوقظ التفكير | ١٨٩ | ١٢ |
| احمد شادي | كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا | ١٨٦ | ١٠٧ |
| احمد الشرباصي | العزيز | ١٨٢ | ٤١ |
| احمد الشرباصي | الرحمن الرحيم | ١٨٧ | ٣٢ |
| احمد شوقي ابراهيم | لغة المخلوقات | ١٩٠ | ١٠ |
| احمد شوقي الفنجري | الطفل المسلم ( ١ ) | ١٨١ | ١١٤ |
| احمد شوقي الفنجري | الطفل المسلم ( ٢ ) | ١٨٢ | ٨٠ |
| احمد شوقي الفنجري | الاسلام والأسرة ( ١ ) | ١٨٦ | ٩٤ |
| احمد شوقي الفنجري | الاسلام والأسرة ( ٢ ) | ١٨٨ | ٦٨ |
| احمد عادل كمال | نعيم بن مسعود | ١٨٤ | ٥١ |
| احمد عادل كمال | الفتوح الاسلامية | ١٨٥ | ٢٢ |
| احمد عادل كمال | مع انجيل برنابا | ١٩٠ | ١٨ |
| احمد عبدالرحيم السائح | دور الأسرة في بناء المجتمع | ١٨٩ | ٣٦ |
| احمد عبدالمحسن المنشاوي | المنهج التربوي الاسلامي | ١٨٥ | ٤٤ |
| احمد عبدالواحد البسيوني | كلمة الوعي | ١٨١ ـ | ١٨٣ |
| احمد عبدالواحد البسيوني | من وحي النبوة | ١٨١ ـ | ١٨٢ |
| احمد علي المجدوب | التدابير الاحترازية والتشريع | ١٩٠ | ٧٥ |
| احمد محيى الدين العجوز | العظمة الذاتية | ١٨١ | ٥٢ |
| أمين شنار | العقل والحقيقة | ١٩٠ | ٩٦ |
| أنور الجندي | استقبال القرن الخامس عشر | ١٨١ | ٨٤ |
| التحرير | المركز الاسلامي الافريقي | ١٨١ | ٥٨ |
| التحرير | مؤتمر السيرة النبوية | ١٨٣ | ٧٨ |
| التحرير | مسجد طوكيو والمسلمون هناك | ١٨٤ | ٨٢ |
| التحرير | مؤتمر الدعوة الاسلامية | ١٨٥ | ٧٨ |
| التحرير | القدس في مؤتمر وزراء الأوقاف | ١٨٦ | ٨٠ |
| التحرير | جامعة دار العلوم بالهند | ١٨٧ | ٦٨ |
| التحرير | المعرض الاسلامي بالبحرين | ١٨٧ | ٨٩ |
| التحرير | صندوق التضامن الاسلامي | ١٨٩ | ١١٢ |

## اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| الاسم | الموضوع | العدد | صفحة |
|---|---|---|---|
| توفيق محمد سبع | الصوم ومنهج التغيير | ١٨٩ | ٤٢ |
| توفيق محمد سبع | قضايا الاسلام | ١٩١ | ١٤ |
| توفيق محمد شاهين | في رحاب الذكرى | ١٨١ | ٩٢ |
| حامد شكور | الاغتراف ( قصيدة ) | ١٨١ | ١٢٥ |
| حسن الحفناوي | من دلائل صدق الرسالة المحمدية | ١٨٣ | ٤٥ |
| حسن الشرقاوي | نحو علم نفس اسلامي | ١٨٤ | ٣٨ |
| حسن عبدالغني ابوغده | النسخ بين القرآن والسنة | ١٨٢ | ٩٢ |
| حسن فتح الباب | حافظ ابراهيم ( ١ ) | ١٨٢ | ٨٤ |
| حسن فتح الباب | حافظ ابراهيم ( ٢ ) | ١٨٣ | ٣٦ |
| حسن منصور | خلود القرآن | ١٩٢ | ٦ |
| حسين الطوخي | الطريد ( قصة ) | ١٨٥ | ١٠٠ |
| حمدي متولي مصطفى | الشيخان | ١٩١ | ٧٨ |
| خالد صالح المسفر | الشجاعة في الاسلام | ١٨٧ | ١٠٧ |
| رفيق المصري | نظرة عامة على الربا | ١٩٠ | ٨٠ |
| روحية القليني | انت الضياء ( قصيدة ) | ١٨٧ | ٦٧ |
| زكريا ابراهيم الزوكة | العقيدة الاسلامية | ١٨٦ | ٩٨ |
| زيدان عبدالباقي | حج المراة المسلمة | ١٩١ | ٨٦ |
| سالم البهنساوي | الوحدة الوطنية والدين | ١٨٤ | ٥٨ |
| سالم البهنساوي | شبهات التوحيد بين الأديان | ١٨٩ | ٨١ |
| سعد صادق محمد | القدس عربية ( ١ ) | ١٨٧ | ٤٨ |
| سعد صادق محمد | القدس عربية ( ٢ ) | ١٨٩ | ٨٦ |
| سعد صادق محمد | الحج ومنافع المسلم | ١٩٢ | ٦٤ |
| سعيد زايد | الاسلام دين الجماعة | ١٨٤ | ٩٣ |
| سعيد زايد | سماحة الاسلام | ١٨٨ | ٧٤ |
| السعيد الشرباصي | حرص الاسلام على تكوين الشخصية | ١٩٠ | ١٤ |
| سليمان التهامي | ليلة النصف من شعبان | ١٨٨ | ١٣ |
| سيد خليل ابراهيم | ام اللغات ( قصيدة ) | ١٨٩ | ١٠٨ |
| سيد سابق | الدولة الاسلامية | ١٨١ | ٢٢ |
| سيد عطا محمد | اين الاسلام يأمة الاسلام | ١٩٠ | ٤٤ |
| السيد محمد القاضي | الاسلام والمستقبلية | ١٨٣ | ١٠٨ |
| صلاح الدين محمد الكامل | اسوة حسنة | ١٨٢ | ١٠٨ |
| ضياء الحاج حسين | تدخين السجاير | ١٩٠ | ٥٩ |
| طه محمد كسبه | المجتمع القرآني | ١٨٩ | ٢٨ |
| عبدالجليل عيسى | القضاء والقدر | ١٨٥ | ١٤ |
| عبدالجليل عيسى | مجالس الذكر | ١٨٨ | ٨ |
| عبدالحفيظ فرغلي | آية الاعجاز في الهجرة النبوية | ١٨٤ | ١٤ |
| عبدالحليم عويس | محمد صلى الله عليه وسلم | ١٨١ | ١٠٠ |
| عبدالحليم عويس | الصحافة الاسلامية | ١٨٨ | ٣٨ |

| اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ | | |
|---|---|---|
| الاسم | الموضوع | العدد/صفحة |
| عبدالحليم عويس | نموذج لمنهج النقد الديني العام | ١٩٢ ٢٨ |
| عبدالحليم محمود | السنة وواجب المسلمين نحوها | ١٨٣ ١٥ |
| عبدالحليم محمود | الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر | ١٨٦ ٢٠ |
| عبدالحليم محمود | التفكير فريضة اسلامية | ١٨٩ ٨ |
| عبدالحميد بلبع | احداث الهجرة النبوية | ١٨١ ١٨ |
| عبدالحميد المشهدي | واذ يمكر بك الذين كفروا | ١٨١ ١٠٨ |
| عبدالحميد المشهدي | الا تنصروه فقد نصره الله | ١٨٢ ١٠٠ |
| عبدالحي الفرماوي | حبيبة ( قصة ) | ١٩١ ١٠١ |
| عبدالرحمن البرغوثي | الحج المبرور ( قصيدة ) | ١٩٠ ١٠٩ |
| عبدالرحمن عيسوي | كيف تتكون الاتجاهات والعقائد | ١٨٧ ٧ |
| عبدالرزاق نوفل | اقامة الصلاة | ١٩٠ ٣٥ |
| عبدالسلام الهراس | ما العمل في دوامة الصراع | ١٨٢ ٣٣ |
| عبدالعزيز بن باز | انقذوا افغانستان المسلمة | ١٨٥ ٩٧ |
| عبدالعزيز عزت عبدالجليل | المكتبة الاسلامية | ١٨٤ ٤٢ |
| عبدالعزيز قريش | اكمل رسالة | ١٩٢ ٧٨ |
| عبدالغني احمد ناجي | رمضان شهر النور ( قصيدة ) | ١٨٩ ٩٦ |
| عبدالغني الراجحي | الظواهر الكونية | ١٨٥ ٥٥ |
| عبدالغني محمد عبدالله | المسجد النبوي الشريف ( ١ ) | ١٨١ ٧٢ |
| عبدالغني محمد عبدالله | المسجد النبوي الشريف ( ٢ ) | ١٨٢ ٦٨ |
| عبدالغني محمد عبدالله | زخرفة الاخشاب | ١٨٥ ٦٨ |
| عبدالغني محمد عبدالله | الفنون الاسلامية واثرها | ١٨٦ ٦٨ |
| عبدالفتاح شهاب | ونفخت فيه من روحي | ١٩٠ ٦٤ |
| عبدالفتاح الفاوي | الاعجاز اللغوي للقرآن الكريم | ١٨٨ ٣٣ |
| عبدالفتاح محمد سلامة | من سمات مجتمع التوحيد | ١٨٧ ٦٠ |
| عبدالفتاح محمد سلامة | العقل والروح معا | ١٨٩ ٢٢ |
| عبدالفتاح محمد سلامة | من سمات مجتمع التوحيد | ١٩١ ١٨ |
| عبدالقادر حسن | ظاهرة الالحاد | ١٨٩ ١٠٩ |
| عبدالكريم الخطيب | تجارة لن تبور | ١٨٣ ٢٦ |
| عبدالكريم الخطيب | الاسلام والمسلمون | ١٨٨ ٢٤ |
| عبدالكريم الخطيب | الحقيقة المحمدية | ١٩١ ٩٠ |
| عبدالله عبدالقادر العلوي | رمضان شهر التصفية الروحية | ١٨٩ ١٠٠ |
| عبدالمحسن صالح | شهر الصيام | ١٨٩ ٧٤ |
| عبدالمقصود محمد حبيب | القرآن الكريم في المانيا | ١٩٠ ٤٩ |
| عبدالمقصود محمد حبيب | الحج مؤتمر المسلمين الاكبر | ١٩١ ٤٤ |
| عجيل النشمي | الاستحسان | ١٨٣ ٩٢ |
| عزت الطهطاوي | رسالة النصرانية | ١٨٧ ٢٦ |
| علي احمد السالوس | الصرف وبيع العملات | ١٩٢ ٨٤ |
| علي جريشة | الام ندعو | ١٨٨ ٥٦ |

## اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| الاسم | الموضوع | العدد/صفحة | |
|---|---|---|---|
| علي جريشة | لسنا بغاة | ١٩١ | ٣٧ |
| علي حسن الشكرجي | لست عقيما ( قصة ) | ١٨٣ | ١٠٠ |
| علي عبداللاه طنطاوي | المسؤولية الجنائية في الشريعة والقانون | ١٨٨ | ٥٠ |
| علي القاضي | دروس من الهجرة | ١٨١ | ٢٧ |
| علي القاضي | الاسلام والتربية مدى الحياة | ١٩٠ | ٨٨ |
| علي القاضي | حقوق الانسان | ١٩١ | ٥٦ |
| عمر الراكشي | من آيات الله في الماء | ١٨٧ | ٧٤ |
| عمر الراكشي | ما يجب ان يعرف المسلمون عن ماركس | ١٩٢ | ٤٣ |
| عوض الحسيني محمد قشطة | عجبت لا تنتهي ( قصيدة ) | ١٨٢ | ١٠٨ |
| غريب جمعة | نحو وعي صحي افضل | ١٨٧ | ٣٨ |
| فاروق عبدالعزيز سلام | متى يتحقق بناء مجتمع اسلامي | ١٨٦ | ١٠٦ |
| فايز ابو شيخة | لا قومية في الاسلام | ١٩٠ | ١٠٨ |
| فتحية محمد توفيق | المراة في الاسلام | ١٨٤ | ١١٠ |
| فؤاد محمد محمود | السيف والقلم | ١٨٥ | ٩٢ |
| فؤاد محمد محمود | من ثمرات الايمان بالله | ١٨٧ | ٥٦ |
| كاظم الجوادي | علي حزام في ذكراه السادسة | ١٩٠ | ٥٤ |
| مجدي عبد الفتاح سليمان | البنوك الاسلامية | ١٩٢ | ٢٢ |
| محفوظ امين غريب | من اجل هذا لعن اليهود | ١٩٠ | ٤٠ |
| محمد الاباصيري خليفة | كلمة الوعي | ١٨٥ | ١٩٢ |
| محمد الاباصيري خليفة | يوم الفرقان | ١٨٩ | ١٧ |
| محمد ابراهيم الخطيب | حكم الله في كتاب الله | ١٨٨ | ٩٠ |
| محمد احمد العزب | القرآن مدخل الى حياة العقل | ١٨٤ | ٦٧ |
| محمد احمد العزب | الفكر المسلم في مواجهة التحديات | ١٨٨ | ١٠٦ |
| محمد الحسيني عبدالعزيز | فن صناعة الزجاج | ١٨٣ | ٦٨ |
| محمد الحسيني عبدالعزيز | الخزف الاسلامي | ١٨٤ | ٧٤ |
| محمد الحسيني عبدالعزيز | فن تزيين القصص القراني | ١٩٢ | ٧٢ |
| محمد الخضري عبدالحميد | في رحاب الخليفة الثاني | ١٩١ | ٤٩ |
| محمد الدسوقي | الأيام المعدودات والأيام المعلومات | ١٩٢ | ٤٨ |
| محمد رجاء حنفي | عبدالرحمن بن عوف | ١٨٨ | ٨٠ |
| محمد رجب البيومي | الاسبانيون يعترفون بحضارة الاسلام | ١٨٨ | ٦٤ |
| محمد رجب البيومي | الأمر بالمعروف | ١٩٠ | ٦ |
| محمد رضا آل صادق | أصداء من البعثة النبوية ( قصيدة ) | ١٨٥ | ١٠٧ |
| محمد رواس قلعه جي | التطور والثبات في الفقه ( ١ ) | ١٨٣ | ٥٠ |
| محمد رواس قلعه جي | التطور والثبات في الفقه ( ٢ ) | ١٨٤ | ٣٥ |
| محمد سعيد رمضان البوطي | السيرة النبوية | ١٨١ | ٣٦ |
| محمد طموم | الانسان الأول والتشريع السماوي ( ١ ) | ١٨٥ | ٨٤ |
| محمد طموم | الانسان الأول والتشريع السماوي ( ٢ ) | ١٨٦ | ٨٦ |
| محمد طموم | الانسان الأول والتشريع السماوي ( ٣ ) | ١٨٧ | ٨٠ |

## اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| الاسم | الموضوع | العدد | صفحة |
|---|---|---|---|
| محمد عبدالله السمان | الاقتصاد الاسلامي | ١٩٠ | ٦٨ |
| محمد عبدالمنعم خفاجي | استقبال القرن الخامس عشر | ١٨٣ | ٣٢ |
| محمد عزة دروزة | دراسات قرانية | ١٨٣ | ٦ |
| محمد عزة دروزة | تفسير سورة الصف | ١٨٤ | ٨ |
| محمد عزة دروزة | تفسير سورة الصف ٢ | ١٨٥ | ٦ |
| محمد عزة دروزة | تفسير سورة الصف ٣ | ١٨٦ | ٦ |
| محمد عزة دروزة | زكاة العقارات والمصانع | ١٩٠ | ١٠٣ |
| محمد عطية الأبراشي | حقوق الفقراء في الاسلام | ١٩٢ | ٩٣ |
| محمد العفيفي | في ظلال التفسير النبوي للقرآن | ١٨١ | ٦ |
| محمد العفيفي | تفسير السنة للمتشابه في القرآن | ١٨٢ | ٤٤ |
| محمد العفيفي | حقيقة المواضع بين القرآن والسنة | ١٨٣ | ٥٦ |
| محمد العفيفي | في ظلال التفسير النبوي للقرآن | ١٨٦ | ١٣ |
| محمد العفيفي | من خصائص التفسير | ١٩١ | ٧ |
| محمد علم الدين | مشاكل الشباب | ١٨٢ | ٦٢ |
| محمد علم الدين | مؤتمر الشياطين | ١٨٨ | ٩٧ |
| محمد علي العبد | ابن تيمية والمغول | ١٨٧ | ٩٦ |
| محمد الغزالي | الانسان في القرآن الكريم | ١٨٢ | ١٢ |
| محمد الغزالي | القرآن والسنة معا | ١٨٥ | ٣٨ |
| محمد الغزالي | التقليد والاجتهاد | ١٨٧ | ٢٠ |
| محمد لبيب البوهي | الحياة الاخرى | ١٨٢ | ٥٣ |
| محمد لبيب البوهي | حتمية العودة الى الاسلام | ١٨٦ | ٤٦ |
| محمد لبيب البوهي | اعادة بناء الانسان | ١٨٨ | ١٨ |
| محمد لبيب البوهي | الأرواح في عالمها | ١٩٢ | ١٦ |
| محمد محمد أبو شهبة | مساهمة المسلمين في العلوم | ١٨٢ | ٢٤ |
| محمد محمد أبو شهبة | المساجد الثلاثة | ١٨٧ | ١٤ |
| محمد محمد حلاوة | مدرسة الأزواج ( ١ ) | ١٨٣ | ٨٦ |
| محمد محمد حلاوة | مدرسة الأزواج ( ٢ ) | ١٨٤ | ٨٦ |
| محمد محمد حلاوة | مدرسة الأزواج ( ٣ ) | ١٨٥ | ٦٢ |
| محمد محمد شرف الدين | زهور من بستان الايمان | ١٨٤ | ٩٨ |
| محمد محمد الشرقاوي | المحصرون في الحج والعمرة | ١٩١ | ٧١ |
| محمد محمود متولي | من فنون الدعوة | ١٨١ | ١٢٤ |
| محمد منسى السيد | ونبلوكم بالشر والخير فتنة | ١٨٩ | ٩٢ |
| محمد نايل | اللغة العربية والدعوة | ١٨٤ | ٢٢ |
| محمد نعيم عكاشة | الأزهر يضع دستورا اسلاميا | ١٩٠ | ٣٠ |
| محمود ابراهيم عامر | وضع المراة في الاسلام | ١٩٢ | ٣٢ |
| محمود ابراهيم طيره | هذه الدنيا لمن ( قصيدة ) | ١٨١ | ٥٦ |
| محمود ابراهيم طيره | وفي كل شيء له آية | ١٨٧ | ١٠٦ |
| محمود ابراهيم طيرة | الاسلام منطلق الهدى | ١٩٢ | ١٠٢ |

## اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| الاسم | الموضوع | العدد | صفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| محمود السفاريني | ليلة القدر | ١٨٩ | ٦٨ |
| محمود عبدالغفار دياب | الأمومة ( قصيدة ) | ١٨٨ | ٨٨ |
| محمود الكولي | نهضة المجتمع الاسلامي | ١٨٨ | ٤٤ |
| محمود عبداللطيف فايد | مع الكتاب العظيم | ١٨٩ | ٩٧ |
| محمود محمد بكر هلال | من نفحات المولد ( قصيدة ) | ١٨٣ | ٧٦ |
| محمود محمد بكر هلال | ماذا يريد الانسان ( قصيدة ) | ١٩١ | ٩٨ |
| محمود ناظم نسيمي | توافق الاسلام والطب | ١٨٦ | ٣٥ |
| محمود ناظم نسيمي | موقف الاسلام من المعالجة الروحية | ١٩٢ | ٥٦ |
| معوض عوض ابراهيم | حتى نستعيد بيت المقدس | ١٨٧ | ٩٢ |
| وهبه الزحيلي | حق المساواة بين الناس | ١٩١ | ٢٦ |
| يوسف جاسم الحجي | في الاحتفال بالعام الهجري الجديد | ١٨٢ | ٤ |
| يوسف جاسم الحجي | في ذكرى المولد النبوي الشريف | ١٨٤ | ٤ |
| يوسف العظم | الشعر في عهد النبوة | ١٨٣ | ١٨ |

## موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| الموضوع | الاسم | العدد | صفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| ابن تيمية والمغول | الاستاذ/ محمد علي العبد | ١٨٧ | ٩٦ |
| احداث الهجرة النبوية | الشيخ / عبدالحميد بليع | ١٨١ | ١٨ |
| الارواح في عالمها | الاستاذ/ محمد لبيب البوهي | ١٩٢ | ١٦ |
| الازهر يضع دستورا اسلاميا | الاستاذ/ محمد تقيم عكاشة | ١٩٠ | ٣٠ |
| الاسبانيون يعترفون بحضارة الاسلام | الدكتور/ محمد رجب البيومي | ١٨٨ | ٦٤ |
| الاستحسان | الدكتور / عجيل النشمي | ١٨٣ | ٩٢ |
| استقبال القرن الخامس عشر | الدكتور / محمد عبدالمنعم خفاجة | ١٨٣ | ٣٢ |
| استقبال القرن الخامس عشر | الاستاذ/ انور الجندي | ٨٤ | ١٨١ |
| الاسلام دين الجماعة | الاستاذ/ سعيد زايد | ١٨٤ | ٩٣ |
| الاسلام منطلق الهدى | الشيخ / محمود ابراهيم طيره | ١٩٢ | ١٠٢ |
| الاسلام والاسرة (١) | الدكتور / احمد شوقي الفنجري | ١٨٦ | ٩٤ |
| الاسلام والاسرة (٢) | الدكتور / احمد شوقي الفنجري | ١٨٨ | ٦٨ |
| الاسلام والتربية مدى الحياة | الاستاذ / علي القاضي | ١٩٠ | ٨٨ |
| الاسلام والمستقبلية | الاستاذ / علي القاضي | ١٨٣ | ١٠٨ |
| الاسلام والمسلمون | الاستاذ/ عبدالكريم الخطيب | ١٨٨ | ٢٤ |
| اسوة حسنة | الاستاذ / صلاح الدين محمد الكامل | ١٨٢ | ١٠٨ |

## موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

## موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ | | | |
|---|---|---|---|
| الموضوع | الاسم | العدد/صفحة | |
| الشعر في عهد النبوة | الاستاذ / يوسف العظم | ١٨٣ | ١٨ |
| شهر الصيام | الدكتور / عبدالمحسن صالح | ١٨٩ | ٧٤ |
| الشيخان | الاستاذ / حمدي متولي مصطفى | ١٩١ | ٧٨ |
| الصحافة الاسلامية | الدكتور / عبدالحليم عويس | ١٨٨ | ٣٨ |
| الصرف وبيع العملات | الدكتور / علي احمد السالوس | ١٩٢ | ٨٤ |
| صندوق التضامن الاسلامي | التحرير | ١٨٩ | ١١٢ |
| الصوم ومنهج التغيير | الاستاذ / توفيق محمد سبع | ١٨٩ | ٤٢ |
| الطريد ( قصة ) | الاستاذ / حسين الطوخي | ١٨٥ | ١٠٠ |
| الطفل المسلم (١) | الدكتور / احمد شوقي الفنجري | ١٨١ | ١١٤ |
| الطفل المسلم (٢) | الدكتور / احمد شوقي الفنجري | ١٨٢ | ٨٠ |
| ظاهرة الالحاد | الدكتور / عبدالقادر حسن | ١٨٩ | ١٠٩ |
| الظواهر الكونية | الدكتور / عبدالغني الراجحي | ١٨٥ | ٥٥ |
| العقل والحقيقة | الاستاذ / امين شنار | ١٩٠ | ٩٦ |
| العقيدة الاسلامية | الشيخ / زكريا ابراهيم الزوكة | ١٨٦ | ٩٨ |
| العزيز | الدكتور / احمد الشرباصي | ١٨٢ | ٤١ |
| العظمة الذاتية | الشيخ / احمد محيي الدين العجوز | ١٨١ | ٥٢ |
| عبدالرحمن بن عوف | الاستاذ / محمد رجاء حنفي | ١٨٨ | ٨٠ |
| عجبت .. لا تنتهي ( قصيدة ) | الاستاذ / عوض الحسيني محمد قشطة | ١٨٢ | ١٠٨ |
| العقل والروح معا | الدكتور / عبدالفتاح محمد سلامة | ١٨٩ | ٢٢ |
| على حزام في ذكراه السادسة | الدكتور / كاظم الجوادي | ١٩٠ | ٥٤ |
| الفتوح الاسلامية | الاستاذ / احمد عادل كمال | ١٨٥ | ٢٢ |
| الفكر المسلم في مواجهة التحديات | الدكتور / محمد احمد العزب | ١٨٨ | ١٠٦ |
| الفصحى شعار الاسلام | الشيخ / احمد حسن الباقوري | ١٩٢ | ١٢ |
| فن تزيين القصص القرآني | الاستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز | ١٩٢ | ٧٢ |
| فن صناعة الزجاج | الاستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز | ١٨٣ | ٦٨ |
| الفنون الاسلامية واثرها | الاستاذ / عبدالغني محمد عبدالله | ١٨٦ | ٦٨ |
| في الاحتفال بالعام الهجري الجديد | الوزير / يوسف جاسم الحجي | ١٨٢ | ٤ |
| في ذكرى المولد النبوي الشريف | الوزير / يوسف جاسم الحجي | ١٨٤ | ٤ |
| في رحاب الخليفة الثاني | الاستاذ / محمد الخضري عبدالحميد | ١٩١ | ٤٩ |
| في رحاب الذكرى | الدكتور / توفيق محمد شاهين | ١٨١ | ٩٢ |
| في ظلال التفسير النبوي للقرآن | الاستاذ / محمد العفيفي | ١٨١ | ٦ |
| في ظلال التفسير النبوي للقرآن | الاستاذ / محمد العفيفي | ١٨٦ | ١٣ |
| القدس عربية (١) | الاستاذ / سعد صادق محمد | ١٨٧ | ٤٨ |
| القدس عربية (٢) | الاستاذ / سعد صادق محمد | ١٧٩ | ٨٦ |
| القدس في مؤتمر وزراء الأوقاف | التحرير | ١٨٦ | ٨٠ |
| القرآن الكريم في المانيا | الاستاذ / عبدالمقصود محمد حبيب | ١٩٠ | ٤٩ |
| القرآن الكريم يوقظ التفكير | الدكتور / احمد الحوفي | ١٨٩ | ١٢ |
| القرآن مدخل الى حياة العقل | الدكتور / محمد احمد العزب | ١٨٤ | ٦٧ |
| القرآن والسنة معا | الشيخ / محمد الغزالي | ١٨٥ | ٣٨ |

## موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

## موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

| الموضوع | الاسم | العدد/صفحة | |
|---|---|---|---|
| مع الكتاب العظيم | الاستاذ / محمود عبداللطيف فايد | ١٨٩ | ٩٧ |
| المكتبة الاسلامية | الاستاذ / عبدالعزيز عزت عبدالجليل | ١٨٤ | ٤٢ |
| من اجل هذا لعن اليهود | الاستاذ / محفوظ امين غريب | ١٩٠ | ٤٠ |
| من آيات الله في الماء | الاستاذ / عمر الراكشي | ١٨٧ | ٧٤ |
| من ثمرات الايمان بالله | الدكتور / فؤاد محمد محمود | ١٨٧ | ٥٦ |
| من خصائص التفسير | الاستاذ / محمد العفيفي | ١٩١ | ٧ |
| من دلائل صدق الرسالة المحمدية | المستشار / حسن الحفناوي | ١٨٣ | ٤٥ |
| من سمات مجتمع التوحيد | الدكتور / عبدالفتاح سلامة | ١٨٧ | ٦٠ |
| من سمات مجتمع التوحيد | الدكتور / عبدالفتاح سلامة | ١٩١ | ١٨ |
| من فنون الدعوة | الاستاذ / محمد محمود متولي | ١٨١ | ١٢٤ |
| من نفحات المولد ( قصيدة ) | الدكتور / محمود محمد بكر هلال | ١٨٣ | ٧٦ |
| المنهج التربوي الاسلامي | الاستاذ / احمد عبدالمحسن المنشاوي | ١٨٥ | ٤٤ |
| من وحي النبوة | احمد عبدالواحد البسيوني | ١٨١ و | ١٨٢ |
| مؤتمر الدعوة الاسلامية | التحرير | ١٨٥ | ٧٨ |
| مؤتمر السيرة النبوية | التحرير | ١٨٣ | ٧٨ |
| مؤتمر الشياطين | الاستاذ / محمد علم الدين | ١٨٨ | ٩٧ |
| موقف الاسلام من المعالجة الروحية | الدكتور / محمود ناظم نسيبي | ١٩٢ | ٥٦ |
| نحو علم نفس اسلامي | الدكتور حسن الشرقاوي | ١٨٤ | ٣٨ |
| نحو وعي صحي افضل | الدكتور / غريب جمعة | ١٨٧ | ٣٨ |
| النسخ بين القرآن والسنة | الاستاذ / حسن عبدالغني ابو غدة | ١٨٢ | ٩٢ |
| نظرة عامة على الربا | الدكتور / رفيق المصري | ١٩٠ | ٨٠ |
| نعيم بن مسعود | الاستاذ / احمد عادل كمال | ١٨٤ | ٥١ |
| نموذج لمنهج النقد الديني العام | الدكتور / عبدالحليم عويس | ١٩٢ | ٢٨ |
| نهضة المجتمع الاسلامي | الاستاذ / محمود الكولي | ١٨٨ | ٤٤ |
| واذ يمكر بك الذين كفروا | الاستاذ / عبدالحميد المشهدي | ١٨١ | ١٠٨ |
| الوحدة الوطنية والدين | الاستاذ / سالم البهنساوي | ١٨٤ | ٥٨ |
| وضع المراة في الاسلام | الاستاذ / محمود ابراهيم عامر | ١٩٢ | ٣٢ |
| ونبلوكم بالشر والخير فتنة | الدكتور / محمد منسي السيد | ١٨٩ | ٩٢ |
| ونفخت فيه من روحي | الاستاذ / عبدالفتاح شهاب | ١٩٠ | ٦٤ |
| وفي كل شيء له آية | الاستاذ / محمود ابراهيم طيره | ١٨٧ | ١٠٦ |
| هذه الدنيا لمن ( قصيدة ) | الاستاذ / محمود ابراهيم طيرة | ١٨١ | ٥٦ |
| يوم الفرقان | الشيخ / محمد الاباصير خليفة | ١٨٩ | ١٧ |

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

**مصر** : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

**السودان** : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب ( ٣٥٨ )

**ليبيا** : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

**المغرب** : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

**تونس** : الشركة التونسية للتوزيع .

**لبنان** : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

**الاردن** : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

**السعودية** :
جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : ( ٧٦ )
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

**مسقط** : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

**البحرين** : دار الهلال .

**قطر** : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

**أبو ظبي** : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

**دبي** : مكتبة دبي .

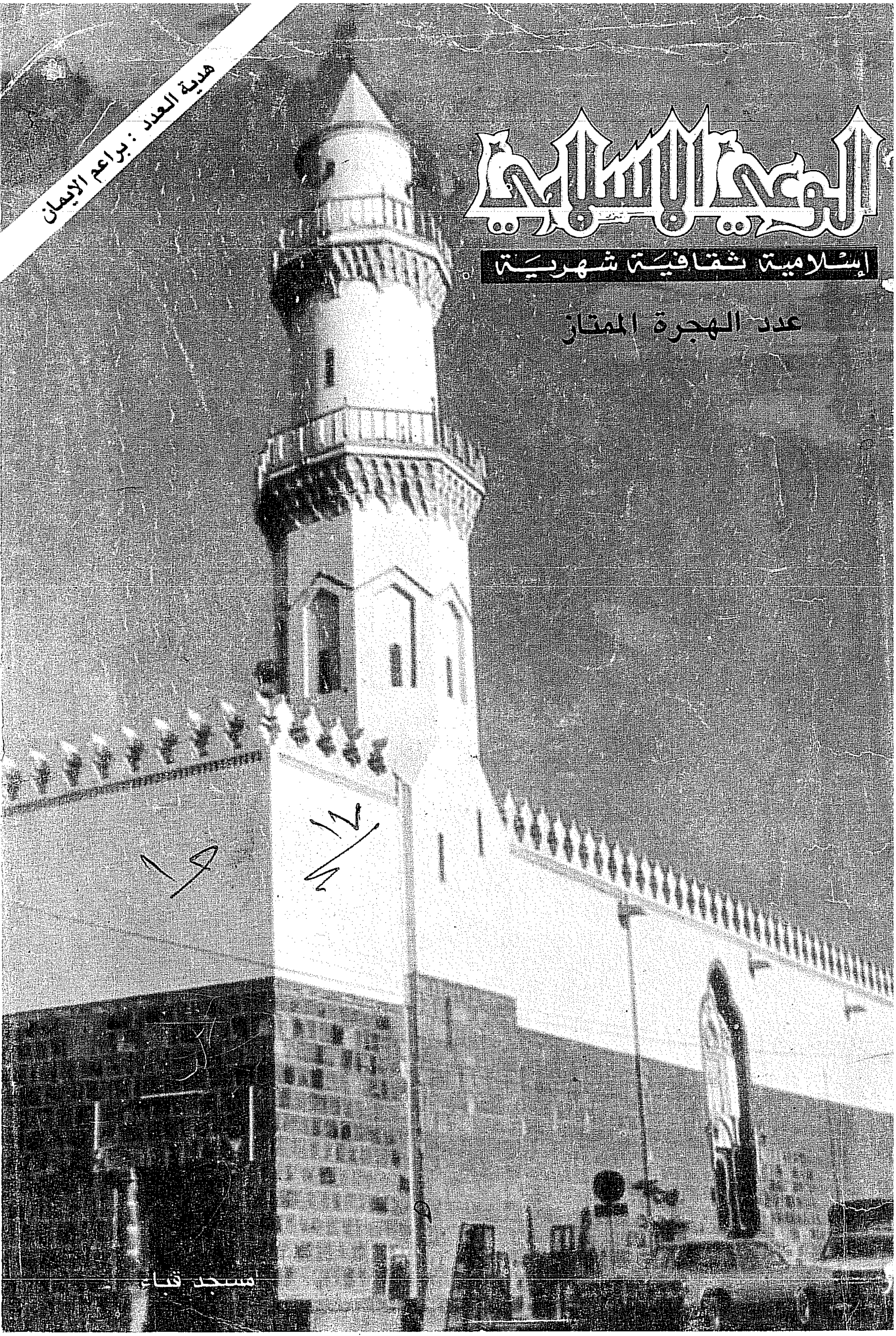
**الكويت** : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

**ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

| أيام الأسبوع | ذي الحجة | [illegible] | المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) | | | | | المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | فجر | شروق | ظهر | عصر | عشاء | فجر | شروق | ظهر | عصر | مغرب | عشاء |
| | | | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د | س د |
| الجمعة | ١ | ١٠ | ١١ ٤ | ١٢ ٢٣ | ٦ ١٢ | ٩ ٣٢ | ١ ١٧ | ٤ ٢٧ | ٥ ٤٦ | ١١ ٣٥ | ٢ ٥٥ | ٥ ٢٣ | ٦ ٤٠ |
| السبت | ٢ | ١١ | ٦ | ٢٥ | ١٣ | ٣٢ | ١٧ | ٢٨ | ٤٧ | ٣٥ | ٥٤ | ٢٢ | ٣٩ |
| الأحد | ٣ | ١٢ | ٧ | ٢٦ | ١٣ | ٣٢ | ١٧ | ٢٨ | ٤٧ | ٣٥ | ٥٣ | ٢١ | ٣٨ |
| الاثنين | ٤ | ١٣ | ٩ | ٢٨ | ١٤ | ٣٢ | ١٧ | ٢٩ | ٤٨ | ٣٤ | ٥٢ | ٢٠ | ٣٧ |
| الثلاثاء | ٥ | ١٤ | ١١ | ٣٠ | ١٥ | ٣٣ | ١٧ | ٣٠ | ٤٩ | ٣٤ | ٥٢ | ١٩ | ٣٦ |
| الأربعاء | ٦ | ١٥ | ١٢ | ٣١ | ١٦ | ٣٣ | ١٧ | ٣٠ | ٤٩ | ٣٤ | ٥١ | ١٨ | ٣٥ |
| الخميس | ٧ | ١٦ | ١٤ | ٣٣ | ١٧ | ٣٣ | ١٧ | ٣١ | ٥٠ | ٣٤ | ٥٠ | ١٧ | ٣٤ |
| الجمعة | ٨ | ١٧ | ١٥ | ٣٥ | ١٨ | ٣٣ | ١٧ | ٣١ | ٥١ | ٣٣ | ٤٩ | ١٦ | ٣٣ |
| السبت | ٩ | ١٨ | ١٧ | ٣٦ | ١٨ | ٣٤ | ١٧ | ٣٢ | ٥١ | ٣٣ | ٤٩ | ١٥ | ٣٢ |
| الأحد | ١٠ | ١٩ | ١٨ | ٣٨ | ١٩ | ٣٤ | ١٧ | ٣٣ | ٥٢ | ٣٣ | ٤٨ | ١٤ | ٣١ |
| الاثنين | ١١ | ٢٠ | ٢٠ | ٣٩ | ٢٠ | ٣٤ | ١٧ | ٣٣ | ٥٢ | ٣٣ | ٤٧ | ١٣ | ٣٠ |
| الثلاثاء | ١٢ | ٢١ | ٢٢ | ٤١ | ٢١ | ٩ ٣٤ | ١٧ | ٣٤ | ٥٣ | ٣٣ | ٤٦ | ١٢ | ٢٩ |
| الأربعاء | ١٣ | ٢٢ | ٢٣ | ٤٣ | ٢٢ | ٣٥ | ١٧ | ٣٤ | ٥٤ | ٣٣ | ٤٦ | ١١ | ٢٨ |
| الخميس | ١٤ | ٢٣ | ٢٥ | ٤٤ | ٢٢ | ٣٥ | ١٨ | ٣٥ | ٥٤ | ٣٢ | ٤٥ | ١٠ | ٢٨ |
| الجمعة | ١٥ | ٢٤ | ٢٦ | ٤٦ | ٢٣ | ٣٥ | ١٨ | ٣٥ | ٥٥ | ٣٢ | ٤٤ | ٩ | ٢٧ |
| السبت | ١٦ | ٢٥ | ٢٨ | ٤٨ | ٢٤ | ٣٦ | ١٨ | ٣٦ | ٥٦ | ٣٢ | ٤٤ | ٨ | ٢٦ |
| الأحد | ١٧ | ٢٦ | ٣٠ | ٥٠ | ٢٥ | ٣٦ | ١٨ | ٣٧ | ٥٧ | ٣٢ | ٤٣ | ٧ | ٢٥ |
| الاثنين | ١٨ | ٢٧ | ٣١ | ٥١ | ٢٦ | ٣٦ | ١٨ | ٣٧ | ٥٧ | ٣٢ | ٤٢ | ٦ | ٢٤ |
| الثلاثاء | ١٩ | ٢٨ | ٣٣ | ٥٢ | ٢٦ | ٣٧ | ١٨ | ٣٨ | ٥٨ | ٣٢ | ٤٢ | ٥ | ٢٣ |
| الأربعاء | ٢٠ | ٢٩ | ٣٤ | ٥٥ | ٢٧ | ٣٧ | ١٨ | ٣٩ | ٥٩ | ٣٢ | ٤١ | ٤ | ٢٢ |
| الخميس | ٢١ | ٣٠ | ٣٥ | ٥٦ | ٢٨ | ٣٧ | ١٨ | ٣٩ | ٥٩ | ٣٢ | ٤٠ | ٤ | ٢٢ |
| الجمعة | ٢٢ | ٣١ | ٣٧ | ٥٧ | ٢٩ | ٣٧ | ١٨ | ٤٠ | ٦ ٠٠ | ٣٢ | ٤٠ | ٣ | ٢١ |
| السبت | ٢٣ | نوفمبر | ٣٨ | ٥٩ | ٣٠ | ٣٧ | ١٨ | ٤٠ | ١ | ٣٢ | ٣٩ | ٢ | ٢٠ |
| الأحد | ٢٤ | ٢ | ٤٠ | ١ | ٣١ | ٣٨ | ١٩ | ٤١ | ٢ | ٣٢ | ٣٩ | ١ | ٢٠ |
| الاثنين | ٢٥ | ٣ | ٤٢ | ٢ | ٣١ | ٣٨ | ١٩ | ٤٢ | ٢ | ٣٢ | ٣٨ | ٠٠ | ١٩ |
| الثلاثاء | ٢٦ | ٤ | ٤٣ | ٣ | ٣٢ | ٣٨ | ١٩ | ٤٢ | ٣ | ٣٢ | ٣٨ | ٠٠ | ١٨ |
| الأربعاء | ٢٧ | ٥ | ٤٤ | ٥ | ٣٣ | ٣٨ | ١٩ | ٤٣ | ٤ | ٣٢ | ٣٧ | ٥٩ | ١٨ |
| الخميس | ٢٨ | ٦ | ٤٦ | ٦ | ٣٣ | ٣٨ | ١٩ | ٤٤ | ٥ | ٣٢ | ٣٧ | ٥٨ | ١٧ |
| الجمعة | ٢٩ | ٧ | ٤٧ | ٧ | ٣٤ | ٣٨ | ١٩ | ٤٤ | ٦ | ٣٢ | ٣٦ | ٥٨ | ١٧ |

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ



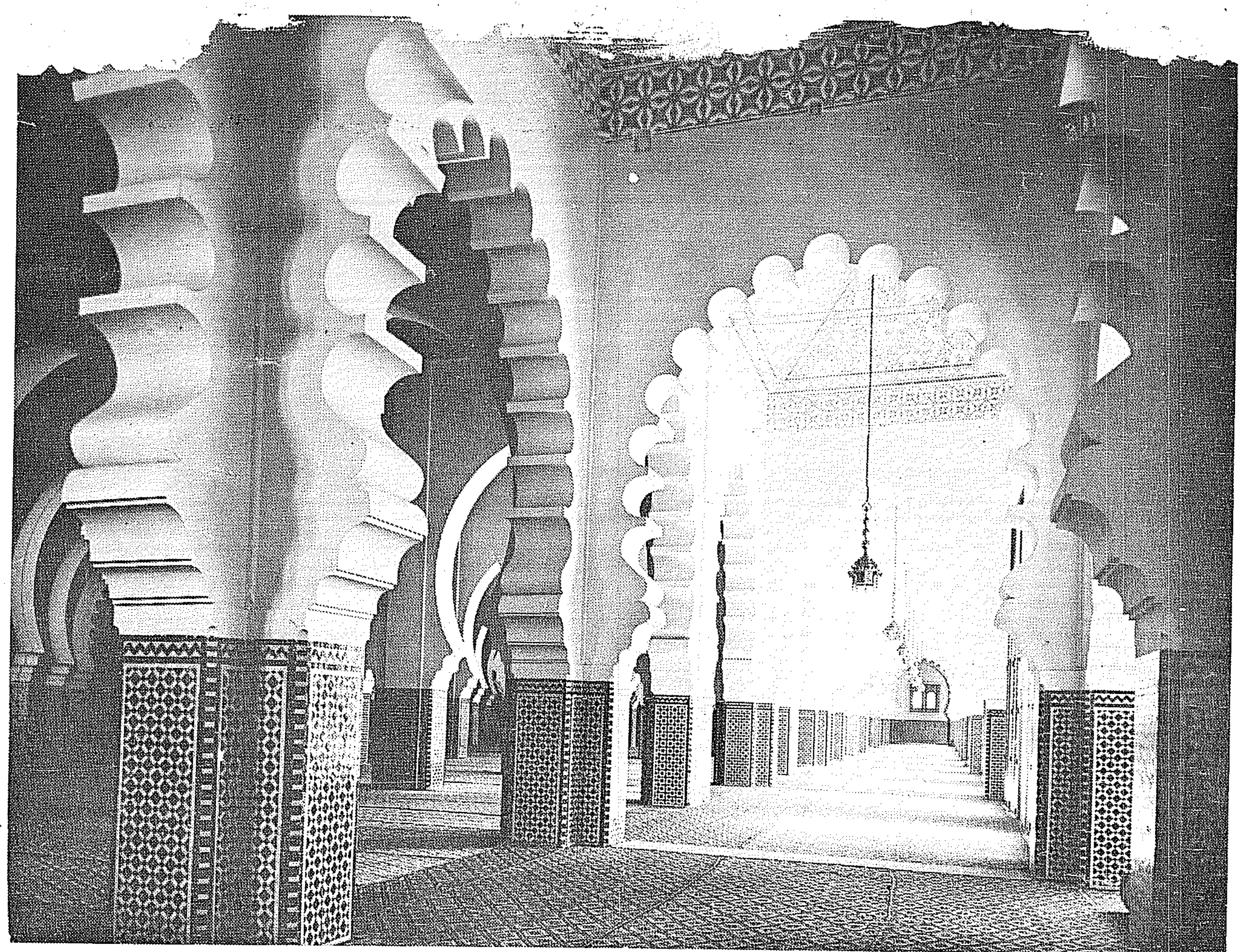
# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

عدد الهجرة الممتاز

هدية العدد : براعم الإيمان

مسجد قباء



من روائع فن البناء الاسلامي

# الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٣ ● محرم ١٤٠١ هـ ● نوفمبر ١٩٨٠ م


### هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

### تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

### ● الثمن ●

| البلد | الثمن |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

## الهجرة رمز لحقيقة الاسلام

حادث هجرة رسول الاسلام – محمد صلى الله عليه وسلم – وصحبه الذين آمنوا بدعوته من مكة الى المدينة ، حادث جدير – الى ابعد حدود الجدارة – بالفحص والتأمل ، لأن معانيه تمتد مع الزمن ، مشعل هداية ، وسبيل نصر ، وطريق عزة ومجد ، وفقه ما يوحي به هذا الحادث ووضعه موضع الهداية والعمل ، هو التمجيد الصحيح لحقيقة الاسلام ، والتكريم الحق للمبادئ العليا التي نادى بها رسول الاسلام ، وضحى هو وصحبه في سبيل إقرارها .

لقد كانت الهجرة إكراها للمؤمنين على إهدار مصالحهم ، والتضحية بأموالهم ، والنجاة بأشخاصهم ، وقد ساروا في طريقهم الى المدينة وهم مستباحون ، قد يؤكلون في اول الطريق او في نهايته ، ويشعرون كذلك بأنهم يسيرون نحو مستقبل مبهم ، لا يدرون ما يتمخض عنه من هموم وأحزان ، ولا يقدر على تلك الهجرة الا المؤمنون الصادقون .

ولقد سبقت الهجرة بحملة إيذاء متنوع ، شنها المشركون على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين برسالته ، فقد لقي الرسول الكريم من قومه اشد الجحود والايذاء ، ليصدوه عن تبليغ دعوة ربه عملا بقول عمه أبي لهب : خذوا على يديه ، قبل ان تجتمع العرب عليه . وتلك طبيعة النفوس العليلة ، والقلوب المريضة ، ازاء كل من يعتمد الحق ، ويدعو اليه ، وينجح في تقريره ، ويصبر ويصابر لاقراره وتمكينه . وقد تنبأ «ورقة بن نوفل » بهذا الايذاء قبل حدوثه اعتمادا على معرفة هذه الحقيقة في طبائع الناس ، فلما عرض عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – امر النزلة الاولى للوحي ، كان مما قال له : « ياليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال الرسول : او مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودى » وقد افصح القران الكريم عن هذا المعنى في قوله تعالى :( **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ) الانعام/٣٣ .

واما الايذاء الذي نزل بالصحابة رضوان عليهم . فقد كان امتدادا

لمناهضة رسول الله ، ومصادرة دعوته ، وكبت رسالته ، وقد قابل الصحابة هذا الايذاء بثبات وقوة احتمال ، فتكونت منهم دعامات ركينة ، صلبة الايمان ، تصلح ان تكون مادة الاسلام الاولى التي يبنى منها صرحه الشامخ ، ويقيم عليها عماده العتيد ، ولهذا حين فرضت الهجرة المبدئية عليهم لم تكن – في عرف الاسلام – هجرة يشار اليها بالاعتبار والتقدير والمثوبة الا اذا نبعت من هجرة قلبية ، تعتمل في نفس صاحبها النية الصادقة في نصرة الاسلام واعلاء كلمته . يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « انما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » ( رواه البخاري ومسلم )

وما تحدث القرآن عن الهجرة وآثارها من سعة في الارزاق ، وتمكين للدين ، الا مقرونة بالاخلاص فيها لله : **( والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون )** النحل/٤١

ذلك لان عون الله للعباد مقدر على قدر نياتهم ، فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر عون الله له ، وقد دبر رسول الاسلام لهجرته كل اسباب النجاح التي يمكن ان يقوم بها ، من نشر الاسلام بين اهل المدينة قبل الهجرة ، واتخاذ السرية الكاملة لصيانة خطواته ، وخدعة المشركين ليلة المؤامرة» بأمره عليا بأن ينام في فراشه ، ويتدثر ببرده ، فكلما نظروا من فروج الباب يرون النائم . فيظنون انه النبي عليه الصلاة والسلام ، واستخفائه هو وصاحبه في غار ثور ثلاث ليال ، واتخاذه دليلا أمينا من المشركين ليرحل بهما بعد ثلاث .

وكان من الممكن ان يخسف الله بالمشركين حين تآمروا على حياة الرسول ولكن يأبى الله الا ان يكون النصر نتيجة العمل من جانب المؤمنين ، حتى يكون الاخذ بالاسباب سنة مطردة الى يوم الدين في كل صراع بين الكفر والايمان ، فكانت الهجرة قفزة الى الوراء ، استكمالا لأسباب النجاح . في بيئة أفعم جوها بكل وسائل القوة من الايمان والحب والايثار ، وهي بيئة الانصار الذين قال الله فيهم : **( والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة )** الحشر/٩ .

وقد وضعت الهجرة المعالم الواضحة في بيان ان الاسلام حقيقة لا صورة ، وان الذين يحملون حقيقة الاسلام يستطيعون ان ينتصروا بها على جميع الحقائق المنتشرة في العالم ، اما من يحملون صورة الاسلام فقط فهم عاجزون عن الانتصار لانهم لا يستطيعون التغلب على شهواتهم ، ولا يقدرون على

الثبات على الحق عند الابتلاء والامتحان ، ولهذا ربط الله بين المؤمنين الذين حملوا حقيقة الاسلام من انصار ومهاجرين برباط الولاية والنصرة ، وقطع هذه الولاية بينهم وبين المؤمنين الذين حملوا صورة الاسلام ، فقعدوا عن الهجرة في ابانها مع قدرتهم عليها :( **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا** ) الانفال/٧٢ .

وفي سيرة المهاجرين العطرة ما يدل على ان حقيقة الاسلام تهزم جميع الحقائق وتتغلب عليها مهما كانت هذه الحقائق وثيقة الصلة بالعواطف والاحاسيس والمشاعر .

هاجر صهيب - رضى الله عنه - فلما كان في الطريق ، اعترضته جماعة من مشركي مكة وقالوا له : اتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، وهنا قامت المعركة بين حقيقة الاسلام وحب النفس والمال ، ولكن حقيقة الاسلام انتصرت ، وقال صهيب : ارأيتم ان جعلت لكم مالي اتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم ، قال : فاني قد جعلت لكم مالي !! وهكذا انطلق صهيب بدينه متجردا من ماله . فرحا مسرورا بانتصار حقيقة الاسلام لديه على حقيقة حب المال .

ولما علم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأمره قال : ربح صهيب ، ربح صهيب .

وخرج ابو سلمة وزوجه وولده الصغير مهاجرا ، فلما رآه رجال من بني المغيرة قاموا اليه فقالوا : هذه نفسك قد غلبتنا عليها ، ارأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ، ونزعوا خطام البعير من يده ، واخذوها منه !! واخذ بنو عبد الاسد ولده الصغير !! وهنا اصطدمت حقيقة الاسلام بحقيقة حب الزوج والولد في نفس ابي سلمة فانتصرت حقيقة الاسلام ، وترك ابو سلمة زوجه وولده الصغير ، ومضى في هجرته يبتغي اعزاز دينه .

وهكذا حولت حقيقة الاسلام - لدى المهاجرين والانصار الهزيمة الى نصر ، والظلام الى نور ، والفوضى الى امن ونظام ، فعاش بها المسلمون في منعة من اعدائهم ، وفي أمن وطمأنينة على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وفي حرية يعتز بها دينهم ، وفي طهر ونظافة في اخلاقهم .

وان وعد الله بالنصر والفتح في الدنيا والمثوبة في الآخرة محصور في هذه الحقيقة ، وذلك

قوله تعالى :( **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ) آل عمران/١٣٩ :( **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**

**يعبدونني لا يشركون بي شيئا )** النور / ٥٥ .

وقد عاش المسلمون مدة من الزمن معتصمين بايمانهم عاملين بتعاليم دينهم ، ففتحت لهم المشارق والمغارب ، وعلت بهم كلمة الله في الارض ، وعاش الناس في ظل الاسلام ينعمون بعدالة شاملة ، وحضارة نظيفة ، فلما ركنوا الى شهواتهم ، واتخذوا الاسلام مجرد شعار ، أفلسوا في الروح والقوة المعنوية ، وهانوا على أعدائهم !

لقد اجتمع سبع دول عربية لمحاربة الصهيونية سنة ١٩٤٨ وكانت هذه الدول عليلة الروح أطفأت المادية الاوروبية في قلوبها شعلة الجهاد ، وحببت اليها المفاسد ، فكانت الحرب صراعا بين صورة الاسلام في هذه الدول وحقيقة التنظيم والقوة في الصهيونية وكانت النتيجة المحتومة هي انهزام العرب ، واستيلاء اليهود على فلسطين ، ومازال المسلمون والعرب – حتى اليوم – يعانون من الآثار المريرة لهذا الانهزام !! ولا سبيل للنصر الا بحقيقة الاسلام يقيمها العرب في نفوسهم . ويطبقونها في جميع شئون حياتهم ، لتقودهم الى الكفاح الصادق ، والعمل الجاد ، وكل ما سوى ذلك صرخة في واد ، ونفخة في رماد .

إن العوامل التي ساقت المهاجرين الى الهجرة من بلدهم تاركين كل ما يملكون ، مفارقين جميع ما يحبون ، والتي دفعت الانصار لمبايعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – على حمايته كما يحمون نساءهم وأبناءهم ، هي الايمان بالله ، والحب فيه ، والاخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، وما أحوج العرب والمسلمين في هذا العصر الى تلك العوامل ، لينقذوا حاضرهم ، ويصونوا مصيرهم ، ويبنوا حياتهم على الجد والنشاط ، والطهر والصلاح ، وليحرسوا المثل العليا وحدها في عالم مليء بالشهوات والمآثم :( **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز )** الحج / ٤٠ .

**ومطلع القرن الخامس عشر الهجري ، يذكرنا بالمآسي التي نزلت بنا في القرن الرابع عشر الهجري نتيجة انصرافنا عن منهج الله واتباعنا لمناهج من صنع الناس ، فاستبدلنا بالخير السوء والشر ، وبالوحدة التمزق والفرقة وبالعزة الهوان والمذلة . وبالصراط المستقيم السبل المنحرفة ، والطرق المعوجة .**

**ومن حقنا على أنفسنا ومن حق الله علينا أن نجعل مطلع القرن الخامس عشر الهجري بدء عودتنا الصحيح الى الاسلام ليعيد الله لنا عزتنا التي أضعناها . وكرامتنا التي أفنيناها ، فهو سبحانه وتعالى – ولي المؤمنين يخرجهم من الظلمات الى النور . وفق الله المسلمين الى اتباع صراطه المستقيم .**

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# القرآن الكريم

# في مطلع القرن الخامس عشر الهجري

## للأستاذ/ عبدالحميد السائح

جميل جدا أن تهتم المؤتمرات واللقاءات والجماعات الاسلامية على المستويين الرسمي والشعبي ، بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، لأنه يمثل فترة من الزمن قد مضت ، سجل علينا فيها ما اكتسبناه وما جنيناه ، وستحاسبنا الأجيال على ذلك لنأخذ نصيبنا من التقدير أو التكدير ، جزاء وفاقا ، وأخيرا سيحاسبنا العليم الخبير ، سبحانه ، على كل ما قدمناه ، ضمن القاعدة العادلة ، الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، كما ورد في الأثر ، وكما قال سبحانه : **( هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون )** يونس/ ٥٢ ، ولقوله : **( هل يجزون إلا ما كانوا يعملون )** الأعراف/ ١٤٧ ، وقوله عز شأنه : **( ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا )** الكهف/ ٤٩ .

كما يمثل مطلع القرن الجديد آمالا مرجوة في فترة قادمة من الزمن ، نتلافى فيها تقصيرنا ، ونعد فيها لمستقبلنا ، ونخطط فيها لوقف التدهور الرهيب ، ونمنع فيها مسيرة الأخطار المتلاحقة ، كما نخطط لمدارج النهضة والتطور والتقدم .

لقد حضرت بعض جلسات لمؤسسات تخطط لمطلع ذلك القرن ، كما اطلعت على مخططات أعدت من مؤسسات أخرى ، وكلها تدور حول كنوز مدفونة ، يراد إبرازها ، أو إزالة ما علق ببعض تراثنا ، من أغلفة حجبت حقيقته ، أو شوهت معالمه ، أو إحداث معالم ثقافية نكمل فيها مشاريعنا ، ونظهر فيها آثار اهتمامنا بحضارتنا ، ومصادر أمجادنا ، أو مؤتمرات ، تشكل مواسم ثقافية ، تجلي واقعنا ، وتشرح عللنا وأمراضنا ، وتوضح واجباتنا ، وتنجلي عن مخططات واضحة وآراء راجحة ، ندفع بها ما يحيط بنا من أخطار ، وما تتعرض له أمتنا من دواهي ونكبات ، ويدون كل ذلك في سجلات مطبوعة نتداولها في مختلف مجتمعاتنا ، التي يشملها القرن الخامس عشر الهجري ، بجميع أبعاده ، ويصيبها خيره ، أو يلحقها شره وضره ، وذلك للتنفيذ أو الاعتبار .

## واقعنا الآن

وإذا نظرنا إلى واقع الأمة العربية والاسلامية ، في الوقت الحاضر ، أينما اتجهنا ، لا نجد فيها ما يسر الخاطر ، ولا ما يبهج الناظر ، ولا تبشر المقدمات الظاهرة بنتائج أحسن ، على المدى القريب على الأقل ، إذا استثنينا مواقع تتطلع إليها الاعناق ، لتستقر وتسير على طريق الهدى والرشاد .

نجد في مجتمعاتنا تخاذلا وتفككا ، وأنانية وانحرافا ، كل كيان مستأثر بالمحافظة على شخصيته ، والحرص على وضعيته ، لا يقبل دمجا ولا اندماجا ، ولا يقبل وحدة ولا اتحادا ، مع أن سبيل الخلاص يكمن في التجمع ، لا في التفرق .

وحينما نتحدث عن الاستعمار يوم كان مخيما على أوضاعنا ظاهرا وعلنا ، نتهمه بأنه جزأ أوطاننا ، وقضى على وحدتنا ، وفرق شملنا ، وهذه تهمة صحيحة ، لأن الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه ، لا يريد لنا خيرا ، ولا يطمئن لوحدتنا وتقاربنا ، بل إنه يعتبر كل ما يؤدي إلى تفاهمنا ، نذير شر عليه ، ودليل يقظة وتنبه لمخططاته وإفساد مؤامراته .

والغريب في واقعنا أننا نتمسك بجرائم الاستعمار ونعض عليها بالنواجذ ، ونقرر في مؤتمراتنا ، وخطاباتنا ، أن السبيل الوحيد لدرء الأخطار عنا هو توحيد قوانا ، وتجميع شملنا ، والقضاء على شرذمتنا . وعند محاولة التنفيذ نبتعد عن كل ما قررناه ، ونتمسك بكل ما ألفيناه ، ويمثل واقعنا قول الله سبحانه : **( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون )** البقرة/ ١٧٠ .

والعلة المتأصلة فينا أننا ورثنا عن الاستعمار أفكارا صارت منا كأنها حقائق خالدة ، وقواعد ثابتة ، لا تغيير فيها ولا تبديل .

وكلنا يردد قول الله سبحانه : **( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )** الرعد/ ١١ . والكل تقريبا يصرون على ما يخفون في أنفسهم ، والمتاجرة بألفاظ براقة ترضي بها الجماهير ، وتخفف من نقمتها وتذمرها .

وهذا الوضع المزري والمؤلم ، يقابله وضع آخر ، تجد فيه أفرادا أو جماعات يتحسسون الآلام ، ويبحثون عن طريق الخلاص ، ومن هؤلاء من يرون الخير في العودة إلى أصول حضارتنا ، وجذور تراثنا ، ومع أن هذا هو الطريق الأصوب والسبيل الأرشد ، لكنه غير محدد بأهداف دقيقة وقواعد متينة ، ومسالك رصينة ، ولا يكفي أن نقول مثلا : القرآن مرجعنا والحديث مرشدنا ، لأن باب التأويل والتحريف ، قد دخله بعضنا وأخذ يتصرف بغير انضباط ، مما ينذر بخطر كبير ، لذلك يجب وضع مخطط ، يتضمن أصولا لا ينازع فيها ، وقواعد لا تمسها يد التغيير

والتبديل ولا التأويل .

وقد عرف أعداؤنا تمكن تلك العلل فينا ، أو أنهم مهدوا السبل لتغلغلها ، تأمينا لمصالحهم وأهدافهم ، فأحكموا المؤامرات واغتالوا الأوطان والمقدسات ، وطعنونا في كل ما يمس كرامتنا ، ومشاعرنا ، حتى استولوا على القدس والخليل وسائر الديار ، وعرضوا الأقصى والمسجد الابراهيمي لمظاهر التبذل ، ويحاولون الاستيلاء على كل ذلك من غير حرج ، وشرورهم وأطماعهم تمتد إلى ما وراء ذلك أيضا ، حتى لا تستثني مكة المكرمة ، ولا المدينة المنورة ، والشواهد على كل ذلك تتكرر كل يوم وتظهر على المسرح ، من غير خجل ولا استحياء ، وكأننا نضع على عيوننا ما يحجب عنها الحقيقة ، وإن كان الخطر ماثلا ، والنكبات متوالية .

وهذه لبنان ومحنتها ، وهذه فلسطين ومخيماتها ، وهذه المستوطنات المتناثرة ، وهذه الحفريات المتواصلة ، وهذه الاستملاكات والاعتداءات المتكررة في القدس والمسجد الأقصى والخليل والمسجد الابراهيمي ، ونابلس وجنين ، وأريحا وما دون ذلك وما حوله ، كلها شهود ناطقة ، بل محذرات منذرات ، وهذه تصريحات زعماء الصهيونية ، وألاعيب السياسة الأميركية ، واستخفاف بعض الحكام بالأمة العربية ومن ورائها الأمة الاسلامية ، وكل ذلك ينادي ويستصرخ أولئك الذين أطبقوا جفونهم أن عليهم أن يفتحوها ليشاهدوا المآسي والمخازي ، ويتحركوا قبل أن يدق ناقوس الخطر ، أبواب بيوتهم ونوافذها ، وقبل أن يقول الواحد منهم ، أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

## نعم الله علينا كثيرة

إننا إذا أردنا أن نحتفي بمطلع القرن الخامس عشر الهجري فيجب أن نخطط لأعمال ناجعة ووسائل سليمة ، لازالة العار ، ودفع الأذى والضرر عن كل عربي ومسلم يصيبه أثر « مطلع القرن الخامس عشر الهجري » وأن نلتزم فعلا بتنفيذ ما قررناه ونقرره ، ويجب أن نأخذ في اعتبارنا ما أنعم الله به علينا ، ماديا ومعنويا ، عربيا وإسلاميا .

أنعم الله علينا بالمواقع الاستراتيجية ، التي لها أهميتها عالميا ، بين قارات آسيا وأوروبا وافريقيا ، والتي يتصارع الأغيار — على اختلاف منازعهم — من أجل الاستيلاء عليها .

وأنعم علينا بالبترول ، والبوتاس ، والفوسفات ، والمعادن المتنوعة الوفيرة ، ليكون كل ذلك ، سلاحا نستعمله للحفاظ على وجودنا ، ودرء الخطر عن إخواننا ، وليحقق الكفاية والحاجة الماسة للأمة بكاملها ، ولا يجوز أن يستأثر بهذه الخيرات فريق من الأمة ، قضت ظروفه أن يعيش على تلك البقعة من الأرض دون غيرها ، ويحرم منها

الفريق الآخر .

ونحن نرى الأعداء ، ولو تظاهروا بمظهر الأصدقاء ، يخططون من أجل نهبها والتصرف بها حالا أو مآلا .

وأنعم علينا بنعم كثيرة وفيرة ، وكما قال سبحانه : **( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها )** ابراهيم/ ٣٤ .

## نعمة القرآن الكريم

لكن هناك نعمة أجل وأعظم من كل ما ذكر ، أجل من المواقع الاستراتيجية وأخطر من منابع البترول ، ومصادر المعادن كلها ، ذلك أن المواقع قد يكون هناك بديل عنها ، وقد يشاركها غيرها في امتيازاتها ، وينابيع البترول ومصادر المعادن ليست الوحيدة في هذا العالم ، وقد تتوصل الحضارة الحديثة ، والتكنولوجيا المتقدمة ، الى بديل أو أبدال عنها ، وقد ينفد معين المعادن ، ولو بعد حين ، لكن هناك نعمة لا ينفد معينها ، ولا يمكن إيجاد بديل عنها ، ولم نقدرها حق قدرها ، ولو قدرناها ما أنزلناها منزلتها الجديرة بها ، ولو تحدثنا عنها لما أوفيناهاحقها ، تلك هي نعمة القرآن ، الذي لا يقدر قدره ، ولا يدرك عظمته ، إلا من قذف الله في قلبه نور الايمان ، واستطاع أن يدرك ما في القرآن من عظمة خارقة ، تفوق كل المبتكرات والمخترعات ، انزلها على قلب رسول كريم ، حمل الدعوة ، وأنار المشعل ، فحطم الأصنام ، وقضى على عبادة الأوثان ، حجرية أو بشرية ، وحفظ للانسان كرامته وحرمته وحريته ، ودعاه إلى استعمال عقله ، واستكناه سر وجوده ، والتأمل فيما خلق الله ، في الأرض ، وفي السماء ، وفيما تحت الأرض ، والبحار ، وفيما فوق السماء ، كل ذلك من خلق الله وإبداعه ، وفيه أسرار ، والاطلاع عليها ، وإدراك أهميتها يحتاج إلى دأب ، ومثابرة ، بحيث يستمر العلماء في بحوثهم ، والمخترعون في اختراعاتهم ، والمفكرون في إبداعاتهم ، وكل هؤلاء وأولئك ، كلما تغلغلوا في علم ومعرفة ، كلما ازدادوا شعورا بالعجز ، وضعف أمام قوة ، وجهل أمام معرفة واسعة ، وليس هذا الذي أقول خيالا أو شعرا ، أو نظريات فلسفية ، وإنما هي حقائق الأمور تتجلى للمؤمنين ، الذين يؤمنون بالغيب ، والذين إذا تليت عليهم آيات ربهم زادتهم إيمانا ، والذين يشعرون بأن ربهم مطلع عليهم ولو كان عملهم في أعمق أعماق البحار ، كما قال سبحانه ـ على لسان لقمان لابنه : **( يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير )** لقمان/ ١٦ .

ولذلك قال سبحانه : **( إنما يخشى الله من عباده العلماء )** فاطر/ ٢٨ .

وقد ذكر الخبراء ، تعليقا على هذه الآية ـ بعد استعراض تباين الثمرات

والجبال والناس والدواب والأنعام ، وقد يشار إلى أن وراء هذا التباين في تلك الأحوال جميعها وحدة في الأصل ، فالثمرات من ماء واحد ، والجبال من صهارة واحدة ، وكذلك اختلاف الألوان ، والناس والدواب والأنعام لا يظهر في النطف التي تنشأ منها ، ولو فحصت بالمجاهر القوية ، فانها في مظاهرها لا تشير الى شيء مما تكنه من أوجه الاختلاف ، وإنما هي دقائق وأسرار تحتويها في داخلها ( جيناتها ) وربما كان هنا إشارة أيضا إلى الخصائص الوراثية الكافية في جراثيم النبات والحيوان والانسان تحافظ على فطرتها ولا تتغير حقيقتها بالبيئة أو الغذاء .

وأحق الناس بخشية الله هم العلماء الذين عرفوا أسرار اختلاف هذه الموجودات .

وقد علق على الآية صاحب المصحف الميسر ، بقوله : لأنهم هم الذين يدركون دقة صنعه سبحانه .

فاذا استعرضنا تلك النعم التي أنعم الله بها علينا أدركنا أن علينا واجب الشكر له سبحانه ، على ما أنعم وتفضل ، ولا أقصد بالشكر ترداد الكلمات والألفاظ فقط ، وإنما أقصد الشكر لله سبحانه بأفعالنا وأقوالنا وأعمالنا ، ومشاريعنا ومشاعرنا ، وسلوكنا وتصرفاتنا ، بحيث نكون صورة صحيحة صادقة لتعاليم الاسلام والقرآن ، وكان شعارنا الصدق في أقوالنا ، والأمانة في أعمالنا ، والتناصح في سلوكنا ، والصبر على ما يصيبنا ، والتنبه لأخطائنا ، والسير قدما لاصلاح أحوالنا ، والأعداد العلمي الكافي الوافي لأجيالنا أن يتسلموا الأمانة ، ويسيروا على درب العزة والكرامة ، والنهضة المستمرة ، والقوة العامة الشاملة .

فاذا فعلنا ذلك ، وقمنا بما ذكر نكون قد أدينا واجب النعم ، والله سبحانه يقول : **( لئن شكرتم لأزيدنكم )** ابراهيم/٧ . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم واحمد .

هذه العقيدة الواضحة ، وهذه الطريق البيضاء الناصعة ، وهذا الايمان الراسخ ، إذا ثبتت جذوره ، وتأصلت قواه ، نبني حينئذ أمة الأمجاد والبطولات كما بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأكرمون ومن سار على دربهم من الأخيار الأطهار المؤمنين المخلصين ، وهي أمجاد لا حد لنشاطاتها ، ولا نهاية لطموحاتها ، ولا وقفة في تجاربها وبحوثها ، كما استلهموا ذلك كله من القرآن الكريم الذي **( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )** فصلت/٤٢ . وقال سبحانه : **( يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا )** النساء/١٧٤ . وقال عز شأنه : **( وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين )** الشعراء/١٩٢ ـ ١٩٥ . وقال

سبحانـه : ( **فاستمسـك بالـذي أوحـى إليـك إنـك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومـك وسوف تسألون** ) الزخـرف/٤٣ ، ٤٤ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الذكر هنا الصيت والشرف ، وقال تعالى : ( **لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون** ) الأنبياء/١٠ . وفي المصحف الميسر ، إنه فخر لك ولقومك ، لأنه بلسانهم ، وسيبقـى ذكرهم ، ما بقي لسانهم .

وقال سبحانه : ( **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ) الأنبياء/١٠٧ .

وكل هذا يتطلب من المسلمين أن يقتبسوا من كتاب الله ، وسنة رسول الله ، ما يحقـق رحمـة العـالمين وإنقاذهم من الشر والفساد .

## اهتمام المسلمين بالقرآن

وليس من قبيـل المصادفـة أن المؤتمـر الثامـن لمجمـع البحـوث الاسلامية بالقاهرة ، الذي انعقـد سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م حينما بحث فيما ينبغي عمله ، في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، أن يشير إلى القرآن الكريـم والعنايـة بالقرآن الكريم ، والتعلق بالقـرآن الكريم ، كما أن الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي في الجزائر الذي تم سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م حينمـا تحدث عن القـرن الخـامس عشر الهجري والحضارة الاسلامية ، وقد ساهـم فيـه علمـاء مسلمـون ومستشرقون ، وطرحوا تصوراتهـم وتطلعاتهم إلى آفاق المستقبل ، عسى أن يكون فيه تجديد لأمر الاسلام ، كان القـرآن الكريـم مركز كل أحاديثهم ، ومبعـث انطلاقاتهـم ، ومهوى أفئدتهم ، وقرروا تأليف لجنة من علماء المسلمين تناط بهم مهمة تقديم جديد للقرآن الكريم يأخذ في اعتباره ، العلوم الكونية الصحيحة المعاصرة .

وفي القرآن الكريم آيات خالدة ، وأصول هائلة ، وقواعد مدهشة ، إذا وعتها العقول أدركت القوة الخارقة ، قوة الخالق العظيم ، وانساقت إلى الايمان بالله العلي الكبير ، ونبذت كل ضروب الكفر والشرك والالحاد بجميع أنواعه ووسائله ، قال تعالى : ( **قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ) يونس/١٠١ .

ولا ريب أن العاقل الذي يتجرد عن الهوى ويستعمل عقله وفكره ويتأمل بما في هذا الكون العجيب ، من نظام وابداع ، يتوصل ـ لا محالة ـ إلى الايمان بوجود الله ، وقد اهتدى كثير من العلماء نتيجة بحوثهم العلمية ، واستعمال عقولهـم ، إلى الايمـان بوجود الله العظيم .

وان قول الله سبحانـه : ( **ام خلقـوا من غـير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السمـاوات والأرض بل لا يوقنـون** ) الطور/٣٥ ، ٣٦ . فيه دليل إلزامي يجعل الانسان العاقل منساقا إلى الايمان بوجود الله ، لأنه إذا استعمل

عقله واستدل بما يشاهد في هذا الكون ، من أن كل موجود يحتاج إلى من يوجده ، وكل مسبب يحتاج إلى سبب . فالعمارة لابد لها من موجد يوجدها والشجر والنبات لا يظهر ولا يوجد إلا بعد غرس النبتة الأولى ، والانسان لا يوجد إلا بعد عملية التلقيح بين الرجل والمرأة ، وهكذا ، فكيف يمكن ان يوجد هذا العالم وما فيه من شموس وأقمار من غير موجد يوجده ؟ إن ذلك مستحيل في عرف العقلاء ، والبشر لم يزعموا أنهم خلقوا السموات والأرض وما فيهما فكان ذلك دليلا إلزاميا على الاعتراف بوجود الله .

وإن « ديكارت » باعث الفلسفة الحديثة يستدل على وجود الله بما تضمنته هذه الآية ، يبدأ ديكارت دليله من الشك في كل شيء ثم يستطرد فيقول : ولكنني لو شككت في كل شيء فاني لن أستطيع أن أشك في أنني أفكر ، وما دمت أفكر فأنا شيء موجود .

وهكذا يثبت ديكارت أنه موجود ، وينتقل من حقيقة وجوده إلى التسليم بأنه لم يخلق نفسه ، ويقول : لأنني لو كنت خالق نفسي لجهزتها بكل الكمال الذي ينقصها ..

ويخلص ديكارت إلى أنه يلزم من ذلك أن يكون خالق الكون هو الله الواحد الأحد القادر الكامل .

ويزداد ذلك الموقف قوة وثباتا إذا انتبهت تلك العقول إلى ما في القرآن الكريم من إرشادات أو مضمونات لحقائق علمية أصبحت معروفة في الكون ، وما كان الناس يدرون من أمرها شيئا ثابتا مقنعا ، فاذا تنبهوا لذلك وأحاطوا به علما ، ازدادوا إيمانا ويقينا ، وجذبتهم تلك الحقائق العلمية ، مع ما في القرآن من إرشادات وتنبيهات ، إلى أن ينقذوا البشرية من أخطارها ، وينتزعوا عوامل دمارها وتهديمها ، بالأخذ بما في القرآن ، من مبادىء سامية ، وتطبيق ما يهدف إليه القرآن من شرائع حكيمة قويمة .

## أمثلة من الأدلة العلمية

وإذا كان القرآن الكريم في بلاغته وفصاحته ، الحجة الساطعة على أئمة البلاغة وفرسان الفصاحة من العرب ، فانه بالنسبة لغير العرب لا تقوم هذه النواحي حجة عليهم ، ولا تقنعهم بأنه تنزيل من رب العالمين . ولكن حينما نعرض عليهم مثل قوله تعالى : **( وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها )** ١٢ / فاطر .

وقوله سبحانه : **( مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان )** الرحمن ١٩ / ٢٢ .

وكان الرأي المعروف عند العرب وعند غير العرب ، أن الحلية واللؤلؤ والمرجان ونحوها إنما تخرج من الماء المالح ، وكان المفسرون يفسرون

الآيات المذكورة بأن المقصود أنه يخرج من أحدهما .

ولكن العلم والواقع أثبتا أخيرا أن اللؤلؤ كما يستخرج من أنواع معينة من البحر ، يستخرج أيضا من أنواع معينة أخرى ، فتوجد اللآلىء في المياه العذبة ، في انكلترا واسكتلندا وويلز ، واليابان وتشيكوسلوفاكيا الخ .

ويوجد الياقوت أيضا في الرواسب النهرية في ( موجوك ) بالقرب من ( ماندلاس ) في بورما العليا ، ومن الأحجار شبه الكريمة ، التي تستعمل في الزينة حجر التوباز ، وتوجد في الرواسب النهرية في مواقع كثيرة ، ومنتشرة في البرازيل وفي روسيا ـ الاورال وسيبريا ـ الخ ..

وهذه الحقائف والمكتشفات أثبتت بصورة يقينية أن الحلية واللؤلؤة وأمثالها تستخرج من الأنهار العذبة ، كما تستخرج من البحر المالح ، مما يشهد بأن هذا القرآن من عند الله سبحانه ، وقد أعلمنا بذلك منذ نزوله ، كما هو ظاهر من نصوص الآيات . ويقول « موريس بوكاي » ، الطبيب الفرنسي : كيف أمكن لمحمد عليه السلام أن يتناول قبل أربعة عشر قرنا ، حقائق علمية في القرآن الكريم ، لم يكتشفها إلا التقدم العلمي ، في القرون الحديثة ، لو لم يكن القرآن وحيا منزلا ، لا شك فيه ، ولا ارتياب في نصوصه .

ومن الأمثلة أيضا ، قوله تعالى : **( فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون )** يونس/٩٢ .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيبقى محفوظا ، ليراه الناس ، ويعتبروا برؤية ذلك الحطام الرميم ، لمن كان يعتبر نفسه إلها ، ويقول لقومه الخانعين ، ليس لكم من إله غيري .

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى : **( ألم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار )** النور/٤٣ .

وهذه الآية سبقت ركب العلم في عدة أمور أشرنا إليها ، وإلى آيات أخرى من القرآن الكريم ، وأوضحنا وجه الاعجاز فيها ، وكيف أثبت العلم صحة ما ورد في القرآن مع أنه عند نزوله ما كانت تعرف تلك المعاني التي أشارت إليها الآيات ، لا في الجزيرة العربية ، ولا في غيرها ، مما يشهد بأن القرآن الكريم تنزيل من حميد مجيد .

## نبذة عن القرآن الكريم

القرآن الكريم أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليحرر النفوس من أغلالها ، والعقول من قيودها ، ويطهر المجتمعات من الخرافات والأوهام ، والعادات المتوارثة ، المبنية على التقليد الأعمي ، ويقضي على تقديس وعبادة البشر ، كما أنقذ

الانسانية من عبادة الحجر ، ويهدي الناس إلى سنن الرشاد ، ويعلمهم الكتاب والحكمة والسداد ، وينقذهم من مهاوي الضلالة ، ويرفعهم إلى درجة يرشدون فيها غيرهم من الأمم ، إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم ، في العاجل والآجل ، وقد جمع أسمى المبادئ وأقوم المناهج وأفضل النظم ، واشتمل على كل ما يحتاجه البشر من العقائد والعبادات ، والآداب والمعاملات ، وقد كفلت تلك التعاليم إنشاء الفرد الكامل والأسرة الفاضلة والمجتمع الصالح ، والحكومة العادلة ، والكيان القوي الذي يقيم الحق والعدالة ويرفع الظلم ويدفع العدوان ، ويجعل الناس سواسية في أحكامه ، لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود ، ولا بين مسلم وغير مسلم ، وطريق التفاضل بين الناس هو تقوى الله ، والعمل الصالح .

ولكن في ضوء هذا القرآن العظيم ، وهذه المبادئ السامية يحتاج المسلمون إلى وضع منهج عملي واضح ، وتحديد مبادئ لا يختلف عليها ، ولا يمس جانبها ، لأنها من القرآن أساسية ، ومن العقيدة تمس جوهرها ، وفيما عدا ذلك يترك لكل شعب ومناخ ، أن يختار ما يناسبه ويتلاءم مع ظروفه ، ويكون أيسر عليه تنفيذا وأسهل عليه تطبيقا .

فلا يجوز العبث بأركان الاسلام ، ولا يجوز البحث في أعداد الصلوات المفروضة ، ولا يجوز التخلي عن الجهاد ، ولا يجوز سلوك مسالك المهانة والذلة ، ولا يجوز الأغراق في الترف والملذات ، ولا يجوز تعريض الأمة للهلاك ، ولا يجوز تمكين الآخرين من أعداء الله أن يتحكموا في رقاب المؤمنين ، ويعذبوا المواطنين ويعتدوا على المقدسات .

قال تعالى : **( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون )** المنافقون/ ٨ .

وقال سبحانه : **( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون )** الأنفال/ ٦٠ .

وقال عز شأنه : **( وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان )** النساء/ ٧٥ .

## الخلق والعلم في آيات القرآن الكريم

وفي القرآن الكريم آيتان تحملان مبدأين عظيمين ومنهجين متلاقيين :

الأولى : قوله تعالى : **( وإنك لعلى خلق عظيم )** القلم/ ٤ .

الثانية : قوله سبحانه : **( وقل رب زدني علما )** طه/ ١١٤ .

ففي الأولى نهج أخلاقي واضح ، لا درجات فيه ولا مراحل ، إما أن يكون الانسان ذا خلق رفيع ، فيكون صادقا في أقواله وأعماله ، وأمينا في كل أحواله ، موفيا بالوعد ، ملتزما بالعهد ، قائما بالواجب ، شاعرا بما

عليه من مسئوليات ، وحينئذ يتمتع بثمـرات استقامتـه ، ونتائـج تصرفاته ، في الدنيا ، توفيقا وهناء وسعـادة ، وفي الآخـرة جنـات خالدات ، ونعما متواصلات .

واما ألا يكون كذلك فلا يتمتع بتلك الثمرات ، لا في دنياه ولا في آخراه ، ومن هذا المنطلـق قال الفقهـاء : الخيانة لا تتجزأ ، فمن خان في القليل خان في الكثير ، ولعل هذا هو هدف الحديث الشريف ، حينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( **لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده** ) رواه الشيخان . أي أن من يسرق البيضة قد يتدرج حتى يسرق الدجاجة فأكثر منها فتقطع يده الخ ..

ولذلك لا ينبغي للانسان ان يتهاون في أية خيانة يرتكبها ، ولا في أية معصية يقترفها ، حتى لا يقدم على ما هو اكبر منها ، كما لا يجوز للمجتمع أن يسكت عن المعاصي تستشرى ، دون أن يحرك الناس ساكنا ، ودون أن يأمروا بالمعروف أو ينهـوا عن المنكر ، وأخـرج الأمـام مالك عن صفوان بن سليم ، قلنا : يارسول الله « أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم ، فقيـل له ، أيـكون المؤمـن بخيلا ؟ قال نعم ، قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : لا » .

وأخرج الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رفعه : « يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب » .

وهذان الحديثان وأمثالهما يدلان على كبر الأثم في الكذب ، لخطره ، ونتائجه السيئة ، قال تعالى : ( **إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنـون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** ) النحـل/١٠٥ ، كمـا أن الحديـث الثاني يدل على خطر الخيانة وكبر اثمها ، مما يستدعي تجنب هاتين الخصلتين ، وكل خصلة سيئة مماثلة لهما أو دونهما ، حتى لا نبتعد عن الخلق الحسن ، وأن الله سبحانه وصـف رسولـه الكريـم بالخلـق العظيم ، وهو الأسوة الصالحـة ، والقدوة الحسنة ، والأمام الأعظم ، لنقتدي به في سمو خلقـه وكمـال سلوكه .

وأما الآية الثانية ، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إلى أن الانسان في مقام العلم ، لا يصل إلى المنتهى ، لأنه لا حد له ، ولا يبلـغ مرحلـة الاكتفاء ، ولذلك كان ارشاد اللـه سبحانه لرسوله الكريم أن يقول : ( **رب زدني علما** ) ، وهذا يعني أن الانسان مهما بلغ في العلم ، من رتبة سامية فان عند الله مقاما أعظم ، ودرجة اكبر ، مما يوحي إلى الانسان أن يتواضع وأن يشعر بما يهدف اليه قوله سبحانه : ( **نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم** ) يوسف/٧٦ .

ولذلك فان أئمة الاسلام في معظم العصور كانوا يدأبون على البحـث والاستقراء والتجارب والاستنباط ، لأنهم يعتبرون ذلك ضربا من ضروب العبادات والقربات إلى الله سبحانه ، ويستمـرون كذلك إلى أن يقعدهـم

العجز أو الموت .

وكانوا لا يكتمون علما ، ولا يدخرون حقيقة ، يخفونها عمن سواهم ، لأن إرشاد البشرية ونفعها غاية لهم ، « وخير الناس أنفعهم للناس » ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . رواه الطبراني .

ومن حسن حظ الانسان ان يكون مهيأ لقضاء مصالح العباد ، وأن يكون سبيلا لتفريج الكرب ، وإزالة الغموم والهموم عمن سواه ، وأن يكون بابا يفتح على أي خير لأي فرد من أفراد البشرية ، قريبا أو بعيدا ، صديقا أو عدوا موافقا أو مخالفا ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لبعض أصحابه : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، أو خير من الدنيا وما فيها » . وقال أيضا : « إن لله عبادا خلقهم لحوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة » رواه الطبراني ، وروى الترمذي وأحمد وأبو داود عن عمر بن مرة قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك ياأبا فلان ؟ فقلت : حديثا أخبرك به ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين واحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » .

وأن الامام أبا حنيفة عليه الرضوان سئل مرة بم بلغت ما بلغت إليه ؟ قال : لأني لا أستنكف الاستفادة ممن هو دوني ، ولا إفادة من هو فوقي .

وأنا أعرف شيوخا مرموقين من علماء الأزهر الأجلاء أو أئمته وكانوا أعلاما ، ومع هذا فانهم يجلسون مجالس التلامذة في حلقات أساتذتهم ، اعترافا منهم بالحاجة إلى المزيد من العلم والتزود بالمعرفة .

وكان المرحوم شيخ الاسلام ابن تيمية يؤلف الكتب ويبحث ويدرس ، وهو يرسف في قيود السجن ( نتيجة وشاية بعض الحاسدين ذوى الأهواء والأغراض ) وقد ترك وراءه ـ رحمه الله ـ ثروة ضخمة من مختلف أنواع العلوم ، في القرآن والحديث والفتاوي ، والرد على الفرق المنحرفة ، وشئون إسلامية أخرى ، منها الدعوة الاسلامية والسياسة الشرعية وغير ذلك ..

ولشيخ الاسلام ابن تيمية أربعون حديثا رواها بسنده هو ، وكان من تلك الأحاديث ، الحادي عشر ، والثاني عشر والثامن عشر ، والسابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون والأربعون ، في سنده من شيوخه سيدات فاضلات ، وقال في روايته للحديث الثامن والثلاثين ، اخبرتنا الشيخة الجليلة الأصيلة أم العرب فاطمة .. قراءة عليها وانا اسمع الخ .. وفي روايته للحديث التاسع والثلاثين قال : اخبرتنا الصالحة العابدة المجتهدة ام احمد زينب مكي .. وفاطمة بنت علي بن عساكر قراءة عليهم الخ ..

وقال في روايته للحديث الأربعين اخبرتنا الشيخة الصالحة ام محمد زينب بنت احمد .. المقدسية قراءة

عليها وانا اسمع الخ .

وذلك كله يدل على ما كانت تتمتع به المرأة المسلمة في ذلك العهد من مكانة علمية مرموقة ، في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اخبرني شيخي الجليل المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعي ، مفتي الديار المصرية سابقا ، في حلقة درسه ، في المسجد الحسيني بالقاهرة ، حينما كان يدرسنا ، كتاب الهداية في الفقه الحنفي ، أن صاحب كتاب « بدائع الصنائع » أبو بكر بن مسعود بن احمد الكاساني ، من اهل حلب ، ويلقب بسلطان العلماء ، كان لا يوقع على الفتوى ، الا اذا وقعتها قبله زوجته ، لوثوقه بها ، وبتضلعها في العلم والفتوى .

مما يدلنا دلالة واضحة على أن التوسع في العلوم والبحوث الدينية والمزيد منها شأن العلماء من الرجال والنساء .

واذا كان هذا شأن العلماء في العلوم الدينية ، وما يتصل بها ، فانه يجب دينا ، أن يهيأ للأمة كل ما تحتاجه من علوم وعلماء ، ومختبرات في أي شأن من الشئون التي نحتاجها لتأمين مصالحها ، سواء في الطب او في الهندسة أو في علوم الحرب والجهاد وألاته ، على اختلافها وتطورها .

وقد ذكر حجة الاسلام الغزالي ، وغيره من أئمة المسلمين أن من فروض الكفاية أن يهيأ للأمة جميع ما تحتاجه من كل علوم الدنيا ومتعلقاتها ، ومثل ذلك انشاء المصانع الحربية والمدنية للصناعات الثقيلة والخفيفة ، وليس من مقتضى أحكام القرآن ولا من مستلزمات شريعة الاسلام أن يتوسع المترفون بشراء القصور الفخمة ، والتطاول في البنيان والعمران ، لمزيد من مكاسبهم الشخصية ، أو لتحقيق ملذاتهم وانحرافاتهم ، والأمة بأمس الحاجة إلى مصنع يؤمن لها بعض حاجاتها الضرورية ، خصوصا ، ما توفر به وسائل الدفاع عن دينها وقرآنها ووجودها ومقدساتها . ومن ذلك يتبين أن الضروري من العلوم نوعان :

١ ـ علوم شرعية إلهية تستند إلى كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبصر الناس بأمور دينهم وتوضح لهم الحلال من الحرام ، ووسائل التعبد الصحيحة .

٢ ـ علوم دنيوية يحتاجها المجتمع ولا يستغني عنها .

وأن كل من يسعى أو يساعد في تأمين حاجات الأمة ، في أي ميدان من الميادين الاقتصادية أو العسكرية أو أي ميدان آخر ، وتكون نيته صالحة وهدفه إرضاء الله ، يستحق من الله على ذلك العمل وذلك المقصد الشريف الأجر الكبير والثواب العظيم .

## ماذا يجب في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ؟

واعتقد أنه لا يجوز للمسلمين في مطلع القرن الخامس عشر الهجري

أن يبقوا عالة على غيرهم ، في ما يحتاجون إليه ، من الأبرة حتى الصاروخ ، ومن رغيف الخبز حتى بناء القصور ، ويجب عليهم أن يحققوا ما هدف إليه القرآن وتعاليم الاسلام ، من بناء أمة قوية ، في أخلاقها ، قوية في علومها ، قوية في مصانعها ، قوية في استعداداتها ، على مختلف المستويات والميادين ، وأن تكون قوانينهم ومجتمعاتهم صورة صادقة لما في القرآن الكريم وسيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . فاذا وصلنا إلى هذا المستوى وأدركنا هذا القدر من الواجب ، ونفذنا ما يطلب منا ، فلا يعقل أن نسكت على هذه المخازي ، التي تمثل على المسارح الدولية ، والتي توجه صباح كل يوم ومساءه ، طعنات نجلاء ، للعزة الاسلامية والعربية ، في فلسطين ولبنان ، وسائر المناطق العالمية الأخرى ، والتي يستخف فيها عدونا الصهيوني ، ومن يسانده من الدول الكبرى ، وغيرها من الدول الاستعمارية قديما وحديثا .

ولابد أن نستمر في تزويد الأمة ، بما يربطها بماضيها المجيد ، وتراثها التليد ، وتذكيرها بواجباتها ، خصوصا في هذه المرحلة الخطيرة من حياتنا ، حتى يهيئ الله لهذه الأمة من تقذف به مبادئه الاسلامية الصحيحة إلى قمة المجد والسؤدد ، فيسير ويقود الأمة الى طريق الجهاد والأنقاذ والشرف .

وعلينا أن نستلهم من القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم ما يكون خطة لنا في مطلع القرن الجديد ، ونتذكر قوله سبحانه .

**( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )** الممتحنة/٨ ، ٩ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » رواه اصحاب السنن .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون مظلمة فهو شهيد » رواه النسائي .

فكيف بمن يقاتل دفاعا عن كل ذلك ؟

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا لازالة مظاهر الذلة والخزي والعار ، الذي هو لا حق بكل عربي ومسلم ، مادامت القدس والديار المقدسة تحت الاحتلال ، ومادام المسجد الأقصى والمسجد الابراهيمي أسيرين ، ومادام السكان المستضعفون يعانون من ظلم الأعداء سواء كانوا في السجون ، أم خارج السجون .

وإن لله عبادا إذا أرادوا أراد ، وإذا اتجهوا إليه ونصروه نصرهم وأيدهم وأعانهم .

نموذج
رائع
من
تربية
الرسول

# كيف تكون المجتمع الإسلامي بالمدينة

للأستاذ : علي القاضي

في عصرنا الحاضر اصبحت الهجرة شيئا عاديا مألوفا وسريعا بسبب عوامل كثيرة ، ومع ذلك فانها بالنسبة للفارين من وجه الظلم والطغيان مشكلة كبيرة ، تتعاون الدول على حلها ، أو على الاسهام في حل المشكلات الناجمة عنها ، حتى تخفف من متاعبها ، وآثارها .

لكننا لا نستطيع ان نقيس الماضي بالحاضر ، إن الهجرة في القديم كانت شيئا يكاد يكون نادرا ، لقد كان حب الوطن متمكنا في قلب كل فرد من افراد هذه البيئة ، الأهل والأصدقاء وذكريات الطفولة والصبا والمال والمتاع ، كل ذلك يترك الى بيئة جديدة ليس فيها شيء من ذلك ، وفيها جو مختلف ، وطقس مخالف ، وأسلوب في الحياة جديد ، كل هذا كان يؤثر في كل فرد من ابناء المهاجرين الى المدينة .

ولقد كانت الدولة الاسلامية الناشئة في حاجة الى المهاجرين من مكة ليتوطد سلطان الاسلام فيها ، وبخاصة وأن المدينة بها يهود ومشركون ومنافقون ، ويحيط بها قوى الأعراب حول المدينة ، ويترصد بهم كفار قريش الذين اقضت الهجرة مضاجعهم ، فمضوا يخططون للقضاء على الاسلام بالمدينة .

ولقد منع القرآن الكريم المسلمين القادرين على الهجرة من الاقامة مع المشركين في مكة لان الاقامة معهم فيها تكثير لعدوهم ، ثم ان المشركين ينتفعون بجهود المسلمين في الصناعة والزراعة ، ومن يدري فربما اضطروهم الى المشاركة معهم في حروبهم ضد المسلمين كما حدث في معركة بدر ، بالاضافة الى تعرضهم للفتنة من قبل الكفار لصرفهم عن دينهم .

وقد ادت الهجرة المستمرة الى تنوع سكان المدينة ، اذ اصبح فيها – الى جانب سكانها الأصليين – المهاجرون من قريش والقبائل العربية الأخرى ، وبذلك ارسيت قواعد المجتمع المدني الجديد على اساس روابط العقيدة التي استعلت على ارتباطات القبيلة وعصبيتها وسائر الروابط الأخرى .

## المهاجرون :

خرج المسلمون من مكة مهاجرين الى المدينة فرارا بدينهم ، وليكونوا ـ مع الأنصار ـ المجتمع الاسلامي الأول ، وقد تركوا أهلهم وثرواتهم بمكة ، وجاءوا الى المدينة وليس معهم الا ايمانهم ، ولم تكن لهم مهارة في الزراعة والصناعة ، ولم تكن معهم رؤوس اموال يستخدمونها في التجارة التي يجيدونها .

ومع ان المدينة بلد زراعي وخيراته كثيرة الا ان الحروب المتوالية التي استمرت ١٢٠ عاما اكلت الأخضر واليابس ، وجعلت الحياة المعيشية شاقة ، ولقد اصاب الجهد كل المهاجرين ومن الأمثلة التي تدل على حالتهم مصعب بن عمير الشاب الذي كان مرفها في مكة فأصبح في المدينة لا يجد ما يستتر به ، وعلي بن ابي طالب الذي اخذ يعمل في بستان يهودي كلما نزع دلوا نال تمرة ، حتى نال حفنة ، فرجع فرحا بما نال ..

وحتى النبي صلوات الله عليه لم يسلم من ذلك ، خرج مرة من بيته فوجد أبا بكر وعمر فقال لهما ما أخرجكما ؟ فقالا : الجوع ، فقال عليه السلام : وما أخرجني الا الجوع ، وجاءه رجل مرة وقال : يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال النبي عليه السلام لأصحابه : ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب لأهله وقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا ، فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية ، واتفقا على ان يطعماه طعام الصبية .

ومما ضاعف من مشكلة المهاجرين في المدينة انها كانت في هذه الفترة موبوءة بحمى الملاريا ، فلم تمض أيام من وصولهم إلى المدينة حتى مرض بها بعض الصحابة ، ومنهم أبو بكر وبلال وعامر موليا أبي بكر ، وكان لذلك اثره النفسي على نفوس المهاجرين ، فقد استوخموا جو المدينة ، وبدأوا يحنون الى مكة ، وبدأ النزوع الفطري الى الوطن والأهل يراودهم صباح مساء .

وكانت هذه مشكلة جديدة عالجها النبي عليه السلام بأسلوبه الخاص ، فقد كان يصبر أصحابه على احتمال الشدة ، وكان يقول لهم : « لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من امتي إلا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ، ولا يدعها رغبة عنها إلا أبدله الله فيها من هو خير منه » رواه مسلم ، ومن ناحية اخرى كان يلجأ الى ربه قائلا : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل حماها وأجعلها بالجحفة » ، رواه البخاري .

وكان إذا أتى بأول التمر قال . « اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ، اللهم ان ابراهيم عبدك ونبيك وخليلك ، واني عبدك ونبيك ، وانه

دعاك لمكة ، وأنا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » ، رواه مسلم ، وطلب من ربه ان يجعل بالمدينة ضعفي ما جعل بمكة من البركة .

وقد ارتفعت روح المسلمين المعنوية ، وبدأوا يتركون التفكير في مكة ، ما فيها ، ومن فيها ، ويقبلون على الدعوة ينشرونها ، وانصرفت نفوسهم اليها انصرافا تاما .. لقد جاءوا الى المدينة ليقيموا المجتمع الاسلامي ، ثم ينطلقوا إلى آفاق الدنيا لاخراج الناس من الظلمات الى النور .

**تكوين المجتمع الاسلامي :**

أصبح المسلمون في المدينة القوة الاساسية ، ولذلك فقد كان لا بد من وضع دعائم لهذا المجتمع الجديد ، دعائم تتلاءم مع الأسس الاسلامية ، والنبي عليه السلام ترك مكة بما فيها ومن فيها ، وجاء إلى المدينة ليجد فيها البذرة الصالحة ليؤسس المجتمع الأسلامي الجديد .

وقد أقام النبي عليه الصلاة والسلام المجتمع الجديد على ثلاثة أسس :

**الأساس الأول :** صلة المؤمنين بربهم الذي خلقهم وكرمهم واختارهم لأداء رسالة الاسلام وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ونشر العدل والأمن والسلام بين ربوعها ... ولذلك فقد كان اول شيء يفعله النبي عليه الصلاة والسلام في اي مكان يحل به هو بناء المسجد ، وقد أقام في قباء أربعة أيام فبنى بها مسجد قباء ، كما اقام في منتصف الطريق بين قباء والمدينة حين ادركته صلاة الجمعة مسجدا في بني سالم بن عوف ، وهكذا بنى مسجده حيث بركت ناقته وقد اشترك النبي عليه السلام مع اصحابه في حمل الأحجار على كواهلهم مما كان له الأثر الكبير في حماستهم ، كان عليه الصلاة والسلام كأحدهم ، ويكره ان يتميز عليهم ، مما جعل بعضهم يرتجز :

**لئن قعدنا والنبي يعمل**
**لذاك منا العمل المضلل**

وكانوا يقولون :

**لا عيش إلا عيش الآخرة**
**فاغفر للانصار والمهاجرة**

فيرد عليهم النبي عليه الصلاة والسلام بمثل ذلك .

والاسلام لا يهمه المظهر وانما يهمه المضمون ، ولذلك فقد كانت أعمدة المسجد من جذوع النخل ، وسقفه كان من جريد النخل ، وفراشه الحصباء والرمال ، وكل هذه الاشياء متوفرة في بيئة المدينة ، وهذا البناء البسيط هو الذي ربى المسلمين الأوائل وكون شخصياتهم وزكى نفوسهم ، ثم هو مكان لأقامة الصلاة جماعة ولتلقي العلم ، والمسجد يوحد الصفوف ويهذب النفوس ، ويوقظ القلوب ، وفيه تحل المشكلات ، ومنه تنبعث كلمة الحق في كل اسبوع مرة ويؤذن للصلاة عند كل حادث جلل ، فيجتمع المسلمون ويتشاورون ويقررون ما يرون انه صالح لهم في دينهم ودنياهم ، وقد اتخذ النبي عليه الصلاة والسلام مسجده النبوي مقرا

للقيادة يعد فيه الخطط العسكرية ، ويربي فيه المجاهدين ، ويصدر فيه القرارات والوصايا ... وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد ، وتعقد الرايات والاعلام والبنود للمجاهدين في المسجد وتوزع فيه الأسلحة والمعدات ، وكان اصحابه يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر وكان المجاهدون العائدون من الغزوات والسرايا يعودون الى المسجد ، وفيه تضمد جروح المصابين .

وكان المسجد الى جانب ذلك – منزلا لأهل الصفة – وهم من فقراء المهاجرين الذين لا أهل لهم ولا مال – وقد استمر تدفق المهاجرين الى المدينة حتى غزوة الخندق حيث كان الكثيرون منهم يستقرون في المدينة الى جانب الوفود الكثيرة التي طرقت المدينة آنذاك ، ومنهم من لم يكن على معرفة بأحد من المدينة ، وقد زاد اهل الصفة على السبعين ، وكان ابو هريرة عريف اهل الصفة ، وكان واسطة بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ... وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتفقد اهل الصفة بنفسه ، يزورهم ، ويطمئن عليهم ، ويعود مرضاهم ، يفرقهم إذا جاء الليل على اصحابه ، وتتعشى طائفة منهم معه ، واذا اتته هدية ارسل اليهم وأصاب شيئا منها حتى جاء الله بالغنى .

وأول خطبة خطبها النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة ترينا القيم التي كان الرسول صلوات الله عليه يربي اصحابه عليها ، وهي وصلهم بالله تعالى وصلا كاملا ... **روى البيهقي** عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة انه قال بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه : « أما بعد ايها الناس : فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه – ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه – : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وأتيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ، فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع ان يقي نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم » .

## الأساس الثاني :

الأساس الثاني : وحدة المؤمنين ، وازالة ما بينهم من فوارق ، وبناء القوة الاسلامية الجديدة على الحب والتعاون والأمن .

وقد قام النبي عليه الصلاة والسلام أولا بتوحيد الأوس والخزرج وسماهم الأنصار ، بعد ان استمرت الحروب بينهم أكثر من مائة عام ، وقد من الله تعالى عليهم بهذه النعمة في قوله تعالى : **( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله**

**عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها )** آل عمران/١٠٣ .

ثم قام النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبذلك قضى على مشكلات المهاجرين ، ووحد الجماعة المؤمنة ، وبذلك سقطت جميع الفوارق البشرية ، ووصل بهذا التآخي في العقيدة إلى مقام أسمى من أخوة الدم ... وهذه المؤاخاة كانت حقيقة كاملة ، لا شعارا يرفع بين الناس ، كانت عملا يرتبط بالدماء والأموال ، والنبي الكريم لا يتميز على احد من هذه الجماعة بأية ميزة ، كما بتميز الزعماء والرؤساء في مجتمعاتنا المعاصرة بل والمجتمعات القديمة أيضا .

وقد كانت هذه الأخوة الكاملة من أكبر نعم الله تعالى على المؤمنين ، لأن المحبة وتآلف القلوب لا يمكن ان تنال إلا بفضل من الله ونعمة ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ( **وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم )** الأنفال/٦٣

ومن هنا فقد كان الحب أساس المجتمع المدني إلى الحد الذي وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم وأحمد .

ومن هنا لم نجد الصراع الطبقي ولا الاستعلاء ولا الحقد والحسد ، لأن المسلمين سواسية كأسنان المشط .

وقد لقي هذا المجتمع كثيرا من الفتن والدسائس من اليهود والمنافقين الذين كانوا يحاولون التفريق بين المهاجرين من ناحية ، وبين الأوس والخزرج من ناحية أخرى ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام كان يثير فيهم الايمان فور وقوع الفتنة ، فيثوبون إلى رشدهم ، ويرجعون عما كانوا فيه ، ويدركون خطورة اعدائهم الذين يحاولون بث الفتنة بين صفوف الجماعة المؤمنة ، ليستفيدوا هم من وراء ذلك الاستفادة التي يرجونها .

## الاساس الثالث :

الاساس الثالث صلة المجتمع الاسلامي الجديد بالمجتمعات الاخرى ، ويتمثل هذا في المعاهدة التي عقدت بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين اليهود الذين يسكنون المدينة .

واليهود أهل كتاب ، وكانوا ينتظرون ذلك النبي ، وكانوا يقولون للأوس والخزرج إذا اشتد الجدل : يوشك ان يبعث الله نبيا فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ، ومع ذلك فقد كفروا بمحمد عليه الصلاة

والسلام حينما أرسله الله تعالى . وقد مد النبي صلوات الله عليه يده إلى اليهود ، وعقد معهم معاهدة ، فلليهود دينهم ، وبين اليهود والمسلمين النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وبينهم النصح والبر دون الأثم .. الخ .

وهذه المعاهدة تظهر حرية العبادة وكفالتها لكل فريق ، ووحدة الامة المسلمة ، والمساواة في الحقوق ، وتأسيس المجتمع الاسلامي ، ومكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ، وحماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما ، وعلى اليهود أن يسهموا في نفقات الدولة ، وان يتعاونوا مع المسلمين لدرء الخطر ، وأن يشتركوا في القتال لصد العدوان ، وأن ينصر من يظلم منهم ، ولا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا حماية لآثم أو ظالم ..

وقد أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام رفضه الحاسم لموالاة كفار قريش ، وحرم إسداء أي عون لهم ، فلا يجير أحد ما لا لقريش ، ولا يحول دونه على مؤمن .

وهكذا استطاع النبي الكريم أن يربي المجتمع الذي استطاع أن يحمل الرسالة كاملة وأن يربي جيلا على مثل الاسلام وقيمه ، يستطيع أن ينشر هذه الرسالة في العالم ، بما فيها من قيم وأخلاق ، جعلت الكاتب الامريكي د . « مايكل هارت » صاحب كتاب **المائة الاوائل** يأتي بعد اربعة عشر قرنا لينادي باعلى صوته : « إن محمدا هو أول مائة رجل في العالم في درجة تأثيره على حياة البشرية كما وكيفا ، طولا وعرضا وعمقا » ، ويقول مبررا سبب اختياره لرسول الاسلام ليكون الاول في مائة أهم رجال التاريخ : « إن اختياري محمدا ليكون الاول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعظم نجاح على المستويين الديني والدنيوي » ، ثم يستمر قائلا : إن محمدا هو الوحيد الذي اتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل احكامها ، وآمنت بها شعوب باسرها في حياته ، ولانه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي أيضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في امة ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية لها .. ثم يقول :

« إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم ، في بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء ، المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس ، وبيزنطة ، وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ولكنه في

حالة الرسالة المحمدية ليس كذلك ، فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما ، وتغيرت لغة ، ودينا ، وقومية ، من العراق وسوريا الى آخر الشاطيء الافريقي غربا ، إلى السودان جنوبا ، وبقيت أمة واحدة ، تتكلم لسانا واحدا إلى الان ، فهناك اليوم وبعد اربعة عشر قرنا خمسمائة مليون مسلم ، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي ، وهو معيار قياس أثر الرسالة ، أي استمرارها الزمني ، وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد ، وبقي برمته كاملا دون تحوير كل هذا الزمن ، سوى القران الذي نقله محمد ، الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا أو الانجيل .

وهكذا نجد ان فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي ، قد بدأت تلعب دورا هاما في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ، **ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فاني وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيد في ان اعتبره صاحب أعظم تأثير على الاخلاق في التاريخ الانساني .**

**خاتمة :**

لقد كان عمر بن الخطاب ثاقب الرأي نافذ البصيرة حين اختار الهجرة لتكون بداية للتاريخ الاسلامي ، فموت النبي مثلا ــ على اهميته ــ هو حدث إنساني ، لكن الهجرة كانت ميلادا جديدا لدعوة الاسلام وظهور الدولة ، لقد كانت الهجرة خروجا من الحصار المفروض على الدعوة الاسلامية ، وبهذا الخروج الايجابي انكسر الحصار ، وانطلق الاسلام يؤسس دولته ، بعدها راح ينشر طاقاته كالشمس على الناس جميعا ، يهدي الحيارى وينقذ الضالين من أنفسهم ، كما ينقذ بعضهم من بعض ، وسار المسلمون بعد الهجرة من التفرق إلى الوحدة ، ومن قيم الجاهلية وأخلاقها الى قيم الاسلام وأخلاقه ، ينشرون دين الله ولا يخشون فيه لومة لائم ، ولا طغيان طاغ ، ولقد قال واحد منهم هو **ربعي ابن عامر** الذي أرسله سعد قبل معركة القادسية رسولا الى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ــ وهو في عنفوان قوته وجبروته ــ قال له في عزة المؤمن ردا على سؤاله ما جاء بكم : « ان الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الاديان إلى عدل الاسلام » .

**والان ، ونحن نحتفل بحلول القرن الخامس عشر الهجري ، على هجرة النبي الكريم ، فاننا نريد ان نهاجر مرة اخرى إلى الله ، حتى يمكننا أن ننشيء المجتمع الأسلامي الجديد ، الذي يستطيع أن يتوجه برسالته في هذه الحياة ، فيخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وينشر بينهم رسالة الحق والامن ، فيسعد المسلمون ويسعد معهم هذا المجتمع الانساني الحائر .**

# والله متم نوره

للاستاذ عبدالحفيظ فرغلي على القرني

**لماذا خلق الله الكون ؟**

يتكفل الحق سبحانه وتعالى بالاجابة على هذا السؤال فيقول في سورة المؤمنون »/١١٥/ ١١٦ **( افحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم )** ويقول في سورة « الانبياء » ١٦ **( وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين )** ويقول في سورة ص ٢٧ **( وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار )** ويزداد الأمر وضوحا بقوله تعالى في سورة الذاريات ٥٦ **( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون )** .

ومن اجل هذه الغاية ارسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان خاتمهم سيدنا محمد بن عبدالله الذي ادى الامانة ، وبلغ الرسالة ، وهدى الامة ، وكشف الغمة ، وترك من بعده منهجا واضحا وطريقا مستقيما . وكانت رسالته للناس كافة انتشر نورها في ارجاء الارض ، وحمل اصحابه الاوفياء من بعده اعباء هذه الرسالة مخلصين فاقاموا دولة الاسلام على هدى من الله ونور ، وظلت قوية ما شاء الله حتى غير الناس وبدلوا .

**العالم اليوم ..** نظرة الى العالم اليوم ، ونظرة الى واقع المسلمين الان ، لا تجد كلتا النظرتين تفترقان في الارتداد في حسرة والم . هذا العالم المضطرب المفتون الذي يموج بالفساد والشر ، ويمتلىء بالفتن والمؤامرات ، ويتلظى بالسعار المحموم واشعال نار

الخصومات في كل مكان ، فما تنتهي حرب في قطر حتى تندلع في قطر اخر ، ومن وراء ذلك من يتعمد اشعال هذه النيران لتترى مصانع الدمار ، وتكتنز جيوب مجرمي الحرب وتجار الصراع ، وما عليهم اذا تناثرت من وراء ذلك الاشلاء ، وتمزقت الاجسام ، وجرت الدماء انهارا في ربوع الارض .

وليس الامر قاصرا على ذلك ، فهناك متآمرون اخرون يغتالون الاخلاق كما يغتالون الناس ، ويقتلون القيم كما يقتلون الانفس ، وكما تجري الدماء انهارا بفعل الصواريخ والقنابل والبارود ، تخرب الذمم ، وتموت النوازع الخيرة ، وتصرع المعاني الفاضلة بفعل ما يقدم للناس باسم التطور ، والتقدم ، والفن ، مما يعرض عيانا بيانا في وسائل اللهو والمجون والخلاعة ، وفيما تتبناه الادوات التي تشرف عليها الحكومات من اذاعة وتليفزيون وصحافة ومسرح ، وغيرها من الوسائل التي اصبحت في كل دار ، وفي متناول كل يد ، وتحت كل سمع وبصر ، وبدلا من ان الناس كانوا يذهبون الى اماكن اللهو والمجون في خفية وترقب ، اصبحت هذه الوسائل تقربها لهم سهلة ميسورة ممهورة بخاتم الدول في جسارة وعلانية وتفنن .

ولقد شاع الالحاد الى درجة اصبح المثقفون يتباهون به امام الناس ، ولو كان في غير الامة الاسلامية لهان الامر ، فغير المسلمين من اصحاب الديانات الاخرى قد غيروا دينهم ومسخوه ، وشوهوا تعاليمه من قديم ، ودمغهم القران في غير موضع بذلك ، ولن يكون من وراء ذلك الا الضلال الذي ظهر في عدة صور مختلفة ، تسمى مرة بالشيوعية ، ومرة بالوجودية ، ومرة بالفوضوية ، والى غير هذه المسميات التي ما انزل الله بها من سلطان .

وقد تصارعت هذه المذاهب فيما بينها ، وادى تصارعها الى تمزيق الوجدان الانساني ، واغتيال ما تبقى في الانسان من روح ، حتى اصبح الذي يدين باحد هذه المذاهب شلوا ممسوخا ، لا حياة فيه، ولا قيمة له ، انه شبح انسان يردد ما يقال له دون ان يفهم له معنى ، او يقيم عليه دليل ، وهكذا شاع الالحاد شيوعا انعكس اثره في تصرفات الناس انعكاسا ظاهرا ، فمن الواضح ان العقيدة النظيفة تعكس اثرها النظيف في الانسان الذي يدين بها ، فلا يتصرف الا التصرف الذي يرفعه الى المستوى اللائق به في نظر هذه العقيدة . والعكس صحيح .

**الشيوعية تقتل الضمائر :** استمع الى ما تقوله الشيوعية لاتباعها ، انها تقول لهم : ان الاخلاق وهم ، والضمير وهم ، والتاريخ وهم ، وهي بذلك تحول بين الشعوب وتاريخها حتى لا تتعلم مما مر ويمر بها من تجارب ، وتحول بينها وبين ضميرها حتى لا يستيقظ فيصرعها ، يقول العقاد في كتابه **افيون الشعوب :** « كما تعوق الماركسية اصلاح

الشعوب تتسرب الى ضمائر الافراد فتعوق اصلاحهم ، وتصرفهم حتى عن محاولة الاصلاح بالوسيلة التي تم بها كل اصلاح ، وهي وسيلة الندم ومحاسبة النفس وعرفان الخطأ والعمل على اجتنابه .. فمن قديم الزمن لم يعرف الانسان سبيلا الى اصلاح عيوبه غير محاسبة النفس والعودة عليها باللائمة في حالة التقصير . اما الماركسية فهي تهدم هذا الاساس الذي لا قوام للاخلاق بغيره ، وتقول للمذنبين والمقصرين انكم جميعا ابرياء من التهمة منزهون من الوصمة لان اللوم كله على المجتمع في عجز العاجز وفساد الفاسد ...

**والوجودية :** وانظر الى ما تقوله الوجودية لاتباعها . انها تقول لهم انهم الهة هذا الوجود اذا اهتدوا الى وجودهم بانفسهم واكتشفوا ذواتهم عن طريق الثورة الوجدانية التي تزلزل الكيان ، او المحنة العارمة التي توقظ الوجدان ، وهم اذا حققوا ذلك حق لهم ان يفعلوا ما يشاءون ولا حساب عليهم ، بل انها تقول لهم احيانا : انهم لا صلة بينهم وبين هذا الوجود الذي ينتسبون اليه ، انهم عدم ، انهم غير موجودين ، واسمع نشيدهم الذي يقول : اتحسب انك روح ضائع ؟ اتحسب انك روح ؟ انت غلطان . انت لست بروح . انت لست بضائع . انت عدم . انت غير موجود .

وهكذا الى اخر هذا الخلط الذي لا يخرج الا من عقل فارغ ، وفكر خاو . لقد شاع مثل هذه المذاهب في شتى البقاع ، واصبحت « مودة » العصر التي يتباهى بها الناس ، وينتحلها كثير من المثقفين ، حتى وصلت العدوى بكل اسف الى بعض المسلمين في ربوع الديار الاسلامية .

**مظاهر ذلك بين المسلمين :**

اصبحنا نرى هذه المذاهب — ان لم تكن معتنقة بالفعل — تقليدا اعمى ، وانسياقا في التيار ، وخوفا من ان يوصم الانسان بوصمة التأخر والرجعية ونرى مظاهرها في التحلل من العبادات والشعائر ، وعدم الالتزام بحدود الاوامر والنواهي . فالتقصير في الصلاة اصبح امرا شائعا ، والافطار في رمضان اصبح تقليدا شائعا ، وبخاصة بين طوائف كثيرة من المثقفين شعارهم « الدين المعاملة »... « والله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » .. وهذا كلام ان صح من جانب فهو خطأ من جوانب ، وهو اشبه بقول من يتلو : **( لا تقربوا الصلاة )** « النساء / ٤٣ » دون ان يكمل الاية . والرد على ذلك سهل ميسور ، فالاسلام له اركانه ، والايمان له شروطه وواجباته ، وبدونها لا يكون الانسان مسلما او مؤمنا .

ولئن اختبرت مثل هذا الشخص وجدته خاليا من كل فضيلة ، فهو انسان شهواني ، اناني ، حاسد ، حاقد ، متطلع لما في ايدي الناس ، متتبع لعوراتهم ، متقص للشهوات من كل سبيل ، غشاش خداع ، الى غير ذلك من الصفات السيئة ، فقد فرضت الفرائض لتهذب الناس ،

وترفع من مستوى اخلاقهم ، ولقد قال جل شأنه : ( **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ) « العنكبوت / ٤٥ » وقال في حق الصيام : ( **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ) « البقرة/١٨٣ » والتقوى هي جماع الفضائل .

**تظاهر الاعداء على الاسلام :** انها مؤامرة محبوكة الاطراف ، تظاهرت فيها الصهيونية ، والصليبية ، والشيوعية على ان تفسد على المسلمين دينهم ، لانهم لا يطيقون ان يروا الاسلام قائما بسلطانه ، يتحدى ذلك الباطل المصنوع ، ويقف بمثله الرائعة وقيمه النبيلة ، يوضح للناس طرق الخير ، ويحذرهم من طرق الشر ، حاول هذا الثلاثي الرهيب ان يحارب الاسلام في ابنائه ، حتى يصبحوا اجساما بدون روح ، وظلالا بدون حياة ، عن طريق تشكيكهم في دينهم ، وتهوين امر العبادات في نظرهم ، وماذا يبقى للمسلم بعد ان هانت عليه عقيدته وفرط في شعائر دينه ؟ !

**شيوع الفساد في الارض :** شاع الفساد اذن في ربوع الارض شرقيها وغربيها ، وزاد من ضراوة ذلك سلطان العلم الذي وضع في يد قوم لا خلاق لهم ، ولا يعترفون بسلطان الاخلاق ، ووازع الضمير ، ودوافع الخير ، فزاد تسلطهم وجبروتهم ، واعتقدوا ان الدنيا لهم وحدهم ، وليس في الوجود غيرهم ، فمن حقهم استعباد الشعوب الضعيفة ، واستغلال خيراتها ، ونهب مقدراتها ، كما تسول لهم بذلك شياطينهم وأهواء نفوسهم . وفلسفوا الاخلاق بناء على ذلك ، فسوغوا لانفسهم ما لم يسوغوه للاخرين ، وهكذا ينبغي ان تكون — في نظرهم — اخلاق الغالب غير اخلاق المغلوب . وقد صدق الشاعر الذي يصور ذلك بقوله :

قتل فرد واحد جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر

لقد ملكوا في ايديهم سلطان المال ، وسلطان العلم ، فكيف لا يزدادون علوا وفسادا ؟ : لقد اصبح العالم بهذه الصورة ، وبسبب ما اخترع من الات الدمار المتطورة ، التي يتنافس في انتاجها الشرق والغرب على السواء — اصبح على فوهة بركان ، ولقد نسي هؤلاء ما صوره القران الكريم في ذلك في سورة يونس : ( **حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون** ) « يونس/ ٢٤ » .

**غفلة المسلمين :** لقد نام المسلمون عن واجبهم ، وغفلوا عن تعاليم دينهم ، وانساقوا في تيار الغرب ، يتلهون بما يقدمه لهم ، من ملذات مبتكرة ، يعرضها لهم بشتى صنوف المغريات ، حتى غرقوا في ذلك الى اذانهم ، ناسين ما يجره الترف

على اصحابه من وبال ( **واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** ) « الاسراء/١٦ » .

وربما أخر هذا المصير ان هناك بقية من روح تتمثل في قلة من المؤمنين ، ما زالوا يضرعون الى الله بالدعاء ان يكشف عن المسلمين هذا السوء ، وان ينقذهم من هذه المتاهة التي ضلوا فيها ، وليس لها من دون الله كاشفة . على ان هناك نذرا موجهة للمسلمين تهيب بهم ان يفيقوا مما هم فيه ، ويتداركوا امورهم قبل ان يستفحل الداء ، ويعز الدواء ، هذه النذر تظهر في تلك الكوارث التي تجتاح بلادهم ، فليس هناك اشد من ان يستفحل الكفر فيدوس بجحافله بلاد الاسلام ، يطؤها بدباباته ، ويصليها بمدافعه وصواريخه وطائراته نارا حامية ، تقوض البنيان ، وتحرق العمران ، وتهلك البلدان ، وتشوي الابدان ، انظر الى ما فعلته الشيوعية بالامس في القرم الاسلامية وغيرها وما تفعله اليوم في افغانستان ، وما ستفعله غدا وبعد غد في غير ذلك ان لم يصح المسلمون من نومهم ويفيقوا من غفلتهم .

هل تحب ان تعرف صورة مما تفعله الشيوعية في البلاد الاسلامية ؟ اقرأ ما كتبه **العقاد** رحمه الله عما فعله هؤلاء البرابرة في القرم الاسلامية : « لقد استباحوا المساجد ، واتخذوا منها مسارح للهو ، واصطبلات للخيل ، وحظائر للاغنام ، وجمعوا نسخ القران والاحاديث النبوية واحرقوها في الميادين العامة ، وبطشوا بكل من يتوقعون منه المقاومة ، ونكلوا بالشبان الاقوياء ، ونشروا الخوف والفزع بين العاملين والفلاحين ، فاقفرت الديار ، واجدبت المزارع ، وعمت المجاعة ، واشتدت قسوة الجوع على الناس ، حتى اكلت الام ولدها ، وهي تبكي عليه ، ثم نظروا شزرا الى المحسنين الذين خفوا لانقاذ المنكوبين ، فاتهموهم بالادخار ، والوقوف من السلطة موقف المتحدي الذي يأخذ بايدي ضحاياها ، فقتلوهم لانهم يطعمون الجياع ، ويعطفون على الادمية ان يمسخها الجوع مسخ الضواري والسباع ..

واسمع ما تذيعه اذاعات العالم اليوم عما يجري في افغانستان . انه مما يندى له الجبين ان يؤمن بهذا الفكر الملعون مسلمون في بلادنا العربية ـ وربما امتدت يدهم الى السلطة ـ فتوقع ما شاء لك ان تتوقع ، مما نرجو الله في خشوع ورهبة ان يجنبنا ويلاته ، وان ينقذنا من تبعاته .

**أمل في الله** : وبعد ، فهل سيظل وضع العالم على هذا ؟ وهل ينتشر الكفر والضلال بهذه الصورة المروعة ، ولا شيء يوقفه عند حده ؟ هل حقت كلمة الله على الانسان فتخلى عنه ، وتركه للوحوش الضارية تتخطفه ، وتفتك به دون هوادة او رحمة ؟ وهل مات الضمير الانساني نهائيا فلم يعد يوقظه ذلك الصراخ المتفجر من صدور المعذبين ، وحناجر

الضعفاء والمساكين ؟ وهل استسلم الناس تماما الى هذه الشهوات الجارفة التي توشك ان تسوقهم الى هاوية لا يدركون لها قرارا ؟ وهل اشتد الظلام الى درجة لا تسمح ببصيص من نور ، يبدد هذه الغياهب ، ويكشف تلك الدياجير ؟

كلا ، لا بد لهذا الليل من اخر ، ولقد جاء في الحكم : ان اشد الساعات حلكة اقربها الى طلوع الفجر .

لقد ضل الناس وازداد ضلالهم ، ولا بد ان تحق سنة الله في الكون **( سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا )** « الاحزاب/٦٢ » فاما الدمار واما العافية .

ولنا امل قوي في الله ان تكون العافية ان شاء الله ، ذلك اننا ما زلنا امة الرسول الخاتم الذي ارسله الله رحمة للعالمين ، وارسله للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورسالته باقية الى يوم الدين .

لا بد لهذه الظلمات ان تنجاب بنور الله ، ولا بد لهذه الغمة ان يكشفها سلطان الله ، ولا بد لهذا الباطل ان ينزاح امام صوت الحق المجلجل الذي وعد الله به **( يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )** « التوبة/٣٢ ، ٣٣ » .

**( يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون :** « الصف/٨ ، ٩ » .

ان هذه ايات كونية لم تنزل في القران ليقال انها تحققت في الماضي وكفى ، كلا ، فالقران حكم باق ، وماض الى يوم القيامة ، ولا بد ان تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، ولن يرضى الله لهؤلاء الضالين ـ على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم ـ ان يظلوا سادرين في ضلالهم ، يدوسون باقدامهم الكافرة كل كلمة طيبة ، وكل مثل اعلى ، وكل قيمة عليا .

لا بد لهؤلاء ان يندثروا وتحق كلمة الله عليهم ، كما حقت علي كثيرين من غيرهم ، وقفوا في وجه الحق ، وتحدوا صوته ، وحاولوا ان يخمدوه بباطلهم ، وفي التاريخ منذ ان قامت الدنيا شواهد صادقة على ذلك ، ولئن نجوا وقتا فلن ينجوا طول الوقت . هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

**واجب المسلمين :** اما والمسلمون بهذا الوضع المزري الراهن فلا ، لأن منهج الله يقضي فيما يحكيه جل وعلا **( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز )** « الحج /٤٠ » بعد قوله تعالى في سورة الحج : **( ان الله يدافع عن الذين امنوا )** « الاية /٣٨ » فلا بد من عودة الايمان الى القلوب اولا ... لا بد من عودة الايمان ، وقد بدأت تباشير ذلك تظهر في الافاق في صورة تدعو الى التفاؤل ،

حتى في صفوف الاعداء الذين يتربصون بالاسلام الدوائر ، فما زلنا نسمع عن صيحات الاسلام تعلن بين الحين والحين ، وما زالت الانباء تحمل الينا كل يوم نبأ عن مسلم جديد يعلن اسلامه عن عقيدة راسخة ، ودراسة مستفيضة ، وما زالت الاخبار تتوالى بتصريحات العلماء ينفرون من ذلك الوضع الشائن الذي يعلي من شأن المادة ، ويعلنون بان الكون له اله قادر مدبر عظيم . يقول « جون جلين » وهو رائد فضاء امريكي : « .... هل المصادفات وحدها هي التي صنعت ذلك ؟ ان هذه المجرات تسير طبقا لنظام محكم بديع . وهذا قليل من كثير مما شاهدته في رحلتي ، لا شك ان هناك الها ، وان قوة ما قد وضعت هذه الاشياء في مداراتها واجرتها بنظام وإحكام » ..

ويضع « أ . كريس موريسون » رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك في كتابه المترجم الى العربية : العلم يدعو الى الايمان ، امثلة عديدة مقنعة بوجود الله وقدرته وعظمته وانه لا اله الا هو وحده .

هل سمعتم عن المسلمين البلاليين في امريكا ؟ انهم ينسبون انفسهم الى « بلال بن ابي رباح » مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقدر تعدادهم حسب احصائية في عام ١٩٧٤ م بمليونين ونصف مليون ، يملكون ثلاث محطات للاذاعة ، وصحيفة رسمية اسمها : « محمد يتكلم » ولهم جيش من الشباب مدرب على حمل السلاح ، ينتظم في تشكيلات عسكرية ، تسمى « ثمار الاسلام » ويعتقدون ان واجب المسلم الا يلقي سلاحه ابدا ، وشعارهم قوله تعالى : **( ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة )** « النساء/١٠٢ » .

هناك مزيد من المعلومات حول هذه الجماعة الاسلامية وجماعة شقيقة لها في امريكا ايضا اسمها : جماعة المسلمين الحنيفيين ـ في مقال بمجلة الازهر العدد التذكاري جمادي الاولى ١٣٩٩ هـ ـ لسماحة الشيخ عبدالله ابن علي المحمود . ولئن ظهر الحق في بلاد لا تدين بالاسلام ، فهو في ربوعه ودياره اولى بالظهور والانجلاء باذن الله .

ان نور الاسلام وشيك بعودته مرة اخرى ليعم الافاق ، ويصلح ما فيها من فساد ، ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، ان رسالة الاسلام باقية لانه الدين الخالد الذي اختاره الله للبشر ، ولا بد من عودته قويا قاهرا لكل ظلام الارض وضلالها ، وسيتحقق بمشيئة الله وعد الله للمؤمنين فيما تقرره سورة النور **( وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون )** « النور/٥٥ » .

# شخصية الرسول بين المغالين والمقصرين

للاستاذ عبدالكريم الخطيب

( ١ )

لا ننتظر من اعداء الاسلام المتعصبين والمبشرين ، ولا من أعداء الدين عموما من الماديين والملحدين ـ لا ننتظر من هؤلاء وأولئك جميعا ان يقولوا كلمة الحق في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه مبعوث من عند الله تعالى برسالة سماوية ، تحقق لمن يؤمنون بها ويستقيمون على هديها ، الأمن والسلام ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، بل إن أحسنهم قولا في رسول الله أنه واحد من آحاد العرب المصلحين الذين حاولوا أن يغيروا من بعض العادات والتقاليد السيئة التي شاعت في الجزيرة العربية ، مثل قتل الأولاد خشية الفقر ، ووأد البنات خوف العار والفضيحة ، ومثل عدوان الأقوياء على الضعفاء .. والنهب ، والسرقة . الى غير ذلك مما كان شائعا في حياة الجاهليين ، وقد حاول العقلاء من الحكماء والشعراء الذين كان لهم دور واضح في تهجين تلك العادات ، والدعوة الى هجرها ، والانسلاخ منها ، كما نرى ذلك في معلقة زهير بن أبي سلمى ، وخطب قس بن ساعدة الايادي ، ومأثورات أكثم بن صيفي وغيرهم ، مما يعد من مأثور القول ،

ومحاسن الكلم .

وليس يعنينا كثيرا ان نقف عند مفتريات أعداء الاسلام ورسول الاسلام ويكفي أنها صادرة من قلوب حاقدة ، ومن نفوس محملة بالضغينة ، فلا ينتظر من أصحابها ــ والحال كذلك ــ إلا إعلان الحرب على عدوهم ، ورميه بكل سلاح يقع لأيديهم ، وإن المسلم ــ أي مسلم ــ يكون على حذر ، واتهام لكل ما يصدر من العدو ولو غطى ظاهره بألوان براقة من الخداع والتضليل .

( ٢ )

ولكن الذي نريد أن نعرضه هنا ونحذر المسلمين منه اشد التحذير ، هو ما يصدر من بعض المنتسبين للاسلام ، والقائمين على مجموعات كبيرة من المسلمين مقام المعلمين ، والمربين ، والمرشدين ، حيث يتلقى عنهم أتباعهم كل ما يقولون بثقة وايمان ، واستسلام ، دون أن تثور في أنفسهم ثائرة شك ، ولو كان ذلك متصلا بالعقيدة ومناقضاً للتوحيد ، بل ومصادما للبدهيات !!

ولما كان من معتقدات كثير من شيوخ المتصوفة ، القول بوحدة الوجود ، وبالحلول وبالتناسخ الأمر الذي يجعل كل العوالم في وحدة واحدة ، يطلقون عليها كلمة الله ، التي تطلق على كل شيء ، وعلى أي شيء ، من جماد ، ونبات ، وحيوان ، ونجم ، وشمس وقمر ، فكل شيء إله ، وكل الأشياء الموجودة في العالم السفلي أو العلوي آلهة في إله يجمع الموجودات كلها .

ومن هذه الوحدة تولد القول بالحلول ، بمعنى ان يحل الله تعالى ، في اي كائن ، من صخر ، أونهر ، أو شجر ، أو حيوان ، أوانسان ، فيكون هذا الكائن هو الإله المعبود ، وتلك هي عقيدة كثير من طوائف الهنود ، عباد بوذا ، أو البقر ، أو الأنهار ، والجبال كما هي عقيدة النصارى في المسيح عيسى ابن مريم ، وفي أن الله قد تجسد في جسد المسيح ، وحل آللاهوت في الناسوت كما يزعمون .. وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. لقد وسع كرسيه السموات والأرض ، فكيف يسع ذاته جسد انسان ؟

وعن القول بالحلول ، تولد مذهب التناسخ ، بمعنى انه إذا مات الكائن الحي ، نسخ جسده ، وظلت روحه هائمة تبحث عن جسد ملائم لها فتحل فيه .. وإنه لا بأس ــ على هذا المذهب الضال ــ أن تحل روح انسان في إنسان ؛ أو حيوان .. فاذا فارقت الجسد الذي حلت فيه انتقلت الى جسد آخر .. وهكذا يستمر هذا الدور أبد الدهر !!

( ٣ )

ومن مذاهب وحدة الوجود ، والحلول ، والتناسخ ، نشأ عند اكثر فرق المتصوفة من المسلمين ، الاعتقاد في الأقطاب ، والبدلاء ، والنجباء ، بأن روح الله حلت فيهم ، وأنهم لهذا هم المتصرفون في الوجود ، القائمون مقام الله في

التقدير والتدبير .

ويكفي ان نسوق هنا مقالة لشيخ من شيوخ المتصوفة ، هو « جمال الدين محمد ، ابو المواهب الشاذلي » يقول في كتابه : « قوانين حكم إشراقية » ما نصه ، وهو يتحدث عن صاحب الوقت :*هو رحمة العباد » وسحابة ماطرة في سائر البلاد !! وجوده في الوجود ، حياة لروح الوجود الكلية ، وبنفس نفسه يمد الله العوالم العلوية والسفلية ، ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل ناظر مقصده .. »

هذا هو معتقد الصوفية في بعض المخلوقات ، التي استولدوها من خيالهم ، وأقاموها مقام الله تعالى في تصريف الوجود ، والقيام على حفظه ..

وإذ كان المتصوفة من المؤمنين بالله ، وبرسول الله ـــ على أية صورة من صور الايمان ـــ فانهم وهم يجرون وراءهم آلوف الألوف من المسلمين في كل أفق من آفاق الاسلام لم ينسوا وقد رفعوا أصحاب الوقت من الأقطاب والأبدال ، والنقباء إلى مقام الألوهية ، أو ما يقرب من هذا المقام حسب درجاتهم ـــ لم ينسوا أن يجعلوا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـــ مكانا مع هؤلاء المتصرفين في الوجود خلقا وأمرا ، ونفعا وضرا .. فابتدعوا للرسول الكريم ما يعرف عندهم بـــ ( الحقيقة المحمدية ) التي أخرجوا بها رسول الله من عالم البشر فجعلوه النور الذي خلق منه العرش ، والكرسي ، والملائكة ، ثم سائر المخلوقات علويها وسفليها .. ومن هذا النور المحمدي ، جاء الرسل والأنبياء وبهذا النور اهتدى المهتدون مستشهدين لهذا بقوله تعالى : **( نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء )** سورة النور : ٣٥ وبقوله سبحانه : **( ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور )** ( سورة النور ٤٠ ) فجعلوا نور الله هو النور المحمدي كذبا وافتراء : **( كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا )** سورة الكهف : ٥ .

( ٤ )

وقد سد الله الطريق على هؤلاء المغالين في رسول الله عليه الصلاة والسلام الخارجين به على ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من بيان كاشف عن رسول الله ، وأنه بشر من عباد الله المرسلين ، وذلك سدا للذرائع التي يتذرع بها الذين يفترون على الله الكذب ويدعون لرسوله ما ليس له ، وليكون هذا البيان المبين عن رسول الله ، وعن بشريته ، حجة يقذف بها في وجه الباطل والمبطلين ، حتى تظل ذات رسول الله في وقاية من هذه المفتريات وتلك التخرصات التي تخرج من أفواه شيطانية لا ترقب في الله ، ولا في رسوله ، ولا في المؤمنين الا ولاذمة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما أمره به ربه ان يبلغه الناس : **( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي الى انما إلهكم اله واحد )** سورة الكهف : ١١٠ .

فالرسول بصريح هذا القول الكريم بشر من أبناء آدم قد اختاره الله لرسالته

وأوحى اليه أنه الاله الواحد ، لا شريك له .
ويقول له سبحانه : **( قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا )** سورة الاسراء : ٩٣ ، ويقول له الحق جل شأنه : **( قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون )** ( الأعراف : ١٨٨ )
ويقول له تبارك اسمه : **( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء )** ( القصص : ٥٦ )
فلقد مات أبناء رسول الله وبناته بين يديه ، ولم تبق من بناته الا فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وما ملك من أمر الله في أولاده شيئا ، حتى إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين مات آخر ولد له ، وهو ابراهيم ، ولفظ انفاسه بين يديه ، لم يملك إلا أن قال : « إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب » !!
بل إن الله تعالى قرر للمؤمنين ما حكم به في عباده وأن محمدا داخل في هذا الحكم ، وهو الموت فقال تعالى مخاطبا رسوله الكريم : **( إنك ميت وإنهم ميتون )** ( سورة الزمر : ٣٠ .
ثم إن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يدع لنفسه ـ في ظاهر امره وباطنه ـ شيئا يخرجه من عالم البشر ، ولم يكن له من زخرف الحياة وزينتها ما يحوزه الملوك والسلاطين مما يبهر أعين الناس حتى يروا في الملوك والسلاطين انهم من طينة غير طينة البشر !!
فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه أعرابي من البادية ، لبعض شأنه ، فلما دنا من رسول الله طلع عليه من جلال النبوة ما بهره وزلزل كيانه ، فما كان من الرسول الكريم الا ان هدأ روعه بتلك الكلمات الوادعة فيقول له : « هون عليك ، فاني لست بملك .. إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد » !! ( والقديد لقيمات جافة ) .
وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما اطرى النصارى المسيح ابن مريم انما انا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله » ( صحيحا البخاري ومسلم ) .
وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشترى سراويل وقال للوزان : « زن وارجح » ، فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها ، فجذب النبي يده وقال : « هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك ، انما انا رجل منكم » ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها .. فقال : « صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله » !!
وفي كتاب « الشفا » للقاضي عياض : أنه صلى الله عليه وسلم ، كان إذا جلس للأكل جلس متوفزا ـ اي منتصبا ـ على الأرض لا ينصب له خوان ، ولا يتكىء على أريكة او نحوها ، وكان يقول : « إنما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس

كما يجلس العبد » .

ويقول ـ صلوات الله وسلامه عليه : « إنما انا بشر وإنه يأتيني الخصم ، فلعل بعضهم أفصح من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هي قطعة من النار ، فليحملها أو يذرها » ( صحيحا البخاري ومسلم ) .

( ٥ )

فهذا هو رسول الله ، كما تحدث عنه القرآن الكريم ، وكما تحدث هو عن نفسه في سنته المطهرة ، انه ليس إلا بشرا من البشر ، وان كان بما أنعم الله عليه على قمة البشرية ، وعلى أكمل صورة للبشر : **( قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك )** الانعام/ ٥٠ وهذا الثوب البشري الذي لبسه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعاش فيه من مولده إلى ان لحق بالرفيق الأعلى ـ هذا الثوب هو الذي يدعو إلى التأسي به ، والسير على خطواته ، ولو كان من غير عالمنا البشري ، لمانزعت نوازعنا إلى الاقتداء والتأسي به ، فما من إنسان ـ أيا كان ـ أن يتأسى بالملائكة مثلا ، او ينهج نهجهم لأنهم من عالم غير عالمه ، ومن جنس غير جنسه .

فالذين أخرجوا محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من عالم البشر بما صوروه من خيالاتهم المريضة ، وأوهامهم الباطلة ـ إنما ارادوا أن يقيموا سدا بين محمد ، وبين المؤمنين بالله ورسوله ، وأن يقطعوا حبائل النسب والقربى بين المؤمنين وبينه .. فهو صلوات الله وسلامه عليه كما صوروه لا صلة له بنا ، ولا عاطفة بيننا وبينه .

إن أعظم العظمة في محمد صلوات الله وسلامه عليه ـ أنه بشر ، وأنه ممتد النسب ، في البشرية إلى آدم ، وأنه في ثوب البشرية استطاع أن يعلو على الضعف الانساني وان يقهر ظلام الطين الذي خلق الانسان منه ، وان يحيل الظلام نورا يضيء ما تغشى الانسانية من ظلمات الجهل والضلال ، ويكشف للناس الطريق الى عالم الحق ، الى الله رب العالمين .

إن بشرية محمد ، وما بلغ بها من فضل الله ورعايته من كمال وجلال ـ لشهادة « قائمة » بين الناس ، تحدثهم أطيب الحديث وأصدقه عن الكمال والجلال المودع في الانسان ، والمنطوى في كيانه ، وإن الطريق لمفتوح أمام الانسان ـ كل انسان ـ الى التحليق في آفاق الكمال إلى ما لا نهاية ، على قدر ما يبذل من جهد ، للاستعلاء على نزعاته واهوائه .. وإنه بقدر ما تعلو همة الانسان ـ وبقدر ما يمد بصره الى السماء ، ويفتح قلبه لأنوار الحق ، يكون ارتفاعه وعلوه عن عالم التراب .. **( ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها )** سورة الشمس : ٧ ـ ١٠ .

( ٦ )

ومن عجب ان يقرأ المتصوفة كتاب الله ويطلعوا على سنة رسول الله ، ثم ينطقوا بهذا الزور والبهتان على رسول الله ، فيحرمون الانسانية من هذا النموذج الكامل من أبنائها ..

يقول المتصوفة : ان أول ما خلق الله قبضة من نور ، فقال لها : كوني محمدا ، فكانت محمدا ثم كان من محمد كل ما في هذا الوجود علوه وسفله » .

يقول شيخ الصوفية « ابن عربي » الملقب عندهم بالشيخ الاكبر ، في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما أبدعه الله ــ سبحانه وتعالى ، حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية ، حيث لا أين ، ولا بين قال له : انا الملك وانت الملك ، وانا المدبر وانت الفلك ، وساقيمك فيما يتكون عنك ، سايسا ومدبرا ، وناهيا وآمرا تعطيها مما اعطيتك ، وتكون فيها كما انا فيك ! فلست سواك كما لست سواي ، فانت صفاتي فيهم واسمائي .. فتفصد اي محمد عرقا حياء .. فكان ذلك العرق الطاهر ماء وهو الماء الذي تنبأبه الحق تعالى في صحيح الانباء فقال : **( وكان عرشه على الماء )** سورة هود : ٧ .

ونسأل المتصوفة اتباع شيخهم الاكبر ابن عربي :

ماذا لله بعد هذا ، وقد أسلم لمحمد الأمر كله ، له صفات الله وأسماؤه .. وهو ليس سوى محمد ، ومحمد ليس سوى الله ؟

ثم اين كان الله ، ولا عرش له إلا بعد وجود محمد ، وما تصبب منه من عرق ، أقام الله عليه عرشه ؟

ان الملاحدة يقولون في الله غير هذا القول المجرد من كل منطق ..

ثم يمضي ابن عربي ، في هذا الضلال بلا حياء ، فيقول :

« ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح ، فظهر الملأ الاعلى ، وهو بالنظر الأجلي فكان صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع المخلوقات ، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس .

« فخلق الله من ذلك النور المنبعث منه صلى الله عليه وسلم ، العرش ، وجعله مستواه وجعل الملأ الأعلى وغيره محتواه » . ( من كتاب عنقاء مغرب لابن عربي ص : ٤٠ )

وان هذا الشيطان الرجيم ، ليكثر من الصلاة على النبي ، خداعا ، وتضليلا للمؤمنين وان محمدا الذي يتحدث عنه هو محمد الذي يعرفه المسلمون ، والذي يصلون عليه !!

وكم للشيطان من مكايد ومضلات ؟

والذي يعرفه المسلمون عن محمد ــ صلى الله عليه وسلم أنه مولود من مواليد قريش ، ولد في مكة ، من أبوين هما عبدالله وآمنة بنت وهب ، وأرضع في بني سعد ، من حليمة السعدية ، وأنه عاش بين أهله ، وأترابه ، صبيا وشابا ، لم يخرج عما عليه قومه ، الا بما عرف عنه من عفة ، ومن صدق ، وأمانة كما كان

يتحلى بشيء من هذا عقلاء قومه وحكماؤهم .. حتى اذا اصطفاه الله لحمل رسالته الخاتمة ، اهمه هذا الأمر العظيم أن يواجه قومه بترك عبادة الأصنام ، حتى نزل عليه قوله تعالى : **( يا أيها المدثر . قم فانذر )** ( سورة المدثر : ١ ـ ٢ ) فامتثل امر ربه ، وأذن في الناس بكلمة التوحيد ، واحتمل في ذلك ما تنوء به الجبال ، حتى أذن له ربه بالهجرة من البلد الحرام فهاجر الى المدينة ، وهاجر اليها اصحابه واقام دولة الاسلام ، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله افواجا ..

كل هذا ، ومحمد ، هو محمد ، البشر والرسول ، يفرح ويحزن ، ويسر ويتألم ، ويصح ويمرض ، ويجوع ويشبع .. الى غير ذلك من العوارض التي تعرض للناس ..

ويقول أحد شيوخ الصوفية ، المسمى « الدباغ » «( من كتابه الا بريز ، جزء ٢ ص : ٨٤ ) » اعلم ان أنوار المكونات كلها عرش ، وفرش ، وسماوات وارضين وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها اذا جمعت كلها ، وجدت من بعض نور محمد وان مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت » !!

( ٧ )

ولا ندري لم سكت المسلمون ، وعلماء المسلمين ، عن هذا الكفر والالحاد ، الذي يدعى المسلمون الى الايمان به ، وإقامة دينهم عليه ؟

واي جهاد ابر عند الله من هذا الجهاد الذي يحمي المسلمين من أن يفتنوا في دين الله ، والله تعالى يقول : **( والفتنة اشد من القتل )** ( سورة البقرة : ١٩١ ) وهل شرع الجهاد في الاسلام وصار فرضا على المسلمين ، الا حماية للمسلمين من اعداء الله ، الذين لو تمكنوا منهم لأفسدوا حياتهم ، وفتنوهم في دينهم ! لا ادري لماذا لم يعلنها المسلمون حربا عامة شاملة ، يضحون فيها بالأنفس والأموال ، لدفع هذه المفتريات التي تخفي وجه رسول الله عن المسلمين ، وتقطع كل صلة بينهم وبينه ، وهم يرونه من عالم غير عالمهم ، وفي عالم غير العالم الذي هم فيه كما يصوره هذا الخيال المريض الذي يهب على المسلمين من عالم المتصوفة !! اذلك لان علماء المسلمين قدروا أن هذا كذب مفضوح ، ينادي على نفسه وعلى القائلين به ، بالخزي وان هذا وحده كاف للرد على هذه المفتريات ؟ وهذا ، وان كان صحيحا فان الواقع يشير الى ان كثيرا من المسلمين قد وقعوا ضحايا لهذا الضلال ولن ينقذهم من هذا الا حملة عامة شاملة من علماء الاسلام للكشف عن وجه هذا الباطل ، بكل لسان وفي كل مقام .

**( هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر اولو الالباب )** ( آخر سورة ابراهيم ) .

# الترابط بين

# وصلته بالنسخ

للأستاذ / محمد العفيفي

**١ ـ الترابط بين النسخ وأسباب النزول :**

سنحاول في هذا الفصل ـ بعون الله ـ أن نربط قضية النسخ في القرآن والسنة ، بقضية أسباب النزول ، وقضية نزول القرآن منجما ، وما أدى إليه ذلك من ترتيب آياته وسوره ، على هدى الوحي الالهي .

ذلك أن هذه القضايا الثلاث السابقة ، تعمل جميعا ، على تنسيق الحركة القرآنية المعجزة ، مع بيان كل ما هو عام وما هو خاص في حياة البشر بكل مكان وزمان .

# القرآن والسنة وأسباب النزول

ولقد اعتاد أهل العلم أن ينظروا إلى هذه القضايا وهي فرادى ، فعندما ينظرون الى النسخ ــ وحده ــ يخصونه بالبحث ولا يذكرون معه أسباب النزول ، أو نزول القرآن منجما ثم ترتيب آياته وسوره .

والقرآن لا يعرفه في ذاته أن تتباعد المسافات بين آياته أو بين القضايا والعلوم الكثيرة التي ترتبط به ، وإنما المعرفة الانسانية هي التي تزداد تقدما بمقدار ما تترابط أمامها كل قضايا القرآن ، وكل علومه .

ومعنى ذلك أن دراسة هذه القضايا فرادى ، لا يمنع الانتفاع بها بحال من الأحوال ، وان كانت الحقيقة أنها قضايا مترابطة في حقيقتها ، واننا نزداد علما بمقدار ما ننظر في ترابطها .

أ ــ الناسخ والمنسوخ ، في القرآن والسنة من أهم حقائق التفسير والبيان ، اللذين يعلمنا الله بهما ما هو عام وما هو خاص من أمور حياتنا .

ولقد تصدى تابعي للفتوى فقال له الامام علي رضي الله عنه : هل علمت بالناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا .. قال الامام علي للرجل : هلكت .

ويقرر ابن حزم أن معرفة الناسخ والمنسوخ هو الركن الاعظم من أركان الاجتهاد والشافعي هو أول من اهتم

ببيان حقيقة النسخ ، وذكر أصوله المقررة في الفقة الاسلامي .

والنسخ يعتبره الشافعي ومن بعده ابن حزم بيانا للأحكام ويوضح ذلك ابن حزم بقوله :

حد النسخ أنه بيان انتهاء زمان الأمر الأول ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : « لا تزوروا القبور » ثم جاء فقال : « ألا كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » او كما قال عليه الصلاة والسلام ، فان النص الثاني لا يكون ملغيا للنص الأول ، وانما يكون مبينا لانتهاء حكمه ، وبيان أن وقت العمل به قد انتهى .

وينتهي هذا الكلام القيم في هذه القضية الهامة من قضايا القرآن والسنة حتى نقول معا .

ب ــ ان مما يبين لنا أن النسخ وأسباب النزول ونزول القرآن منجما تعمل جميعا على تحقيق أهداف واحدة ما يرتبط بأن من الأحكام ما هو خاص بفترة بذاتها ، من حياة البشر ، كأن تنظم السنة المحافظة على الدواب والعناية بالخيول ، ويكون ذلك مرتبطا بتفسير قوله تعالى :

**( والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون )** النحل / ٨ ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « البركة في نواصي الخيل » رواه البخاري ولو أننا نظرنا في بعض ما يتشابه مع قوله تعالى : **( ويخلق ما لا تعلمون )** لانتهينا إلى هاتين الآيتين من سورة يس .

**( وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون )** يس / ٤١ و٤٢ .

وهنا نجد هاتين الآيتين من سورة يس تتضمنان بوضوح عظيم ، بيان التقدم الآلي في وسائل المواصلات .

فقوله تعالى : **( وخلقنا لهم من مثله ما يركبون )** يعود إلى السفن . والسفن نوع من أنواع الصناعات التي تركب من الخشب .

فالتجدد المتواصل لبيان ما هو عام وما هو خاص من أنواع الاكتشاف والتقدم في حياتنا العملية في هذا السياق يقوم على القرآن والسنة وفترات التاريخ الانساني كله . وواضح أن القرآن زاد على السنة ــ هنا ــ أن هناك صناعات جديدة ، هي مما خلق الله أسبابها في فطرته في خلقه ، وجعل ذلك سبيلا إلى التقدم الصناعي في حياة البشر .

ثم نجد السنة تواصل المسيرة على هدى القرآن ، لتبين أن للخيل فوائدها ، حتى يكون بعد ذلك ما هو في حكمها أو يزيد عليها في القوة كما يقول الله تعالى :

**( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم )** الأنفال / ٦٠ .

ويفسر الرسول صلى الله عليه وسلم القوة حيث يقول : « ألا وإن القوة الرمي » رواه مسلم فالتراسل بين القرآن والسنة هنا يجعل السنة ترفعنا الى أفق رفيع في فهم المقصود بقوله تعالى : **( وأعدوا لهم ما**

**استطعتم من قوة )** فيقول صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن القوة الرمي » .

ونحن نعلم اليوم أن الاستطاعة التي أمرنا الله ببذل غاية وسعنا لتحقيقها ، قد انتهت بالناس الى إنتاج آلات أقوى من الخيل ، تقوم بالرمي .

فالتراسل بين القرآن والسنة في هذه الأحوال العملية المتجددة ، لا يعني إبطال حكم من الأحكام أو معنى من المعاني ، وانما الحقيقة أننا نتقدم تقدما متواصلا مع كتاب الله وسنة رسوله ، في نظام يؤكد لنا أنه لا سبيل إلى توهين العروة الوثقى التي ربطها الله تعالى بين كلامه ، وبين تطبيقه وتفسيره وبيانه في سنة عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

إن القرآن والسنة معا ، يهيمنان باذن الله على كل ما هو عام وما هو خاص من حاجاتنا الفكرية والعملية ، بكل مكان وزمان ، حتى تترابط معرفتنا ووجودنا ، في حقيقة كثيرة الوجوه ولكن لا سبيل معها إلى الأباطيل والأوهام .

وهذا المثل السابق يجعلنا نفكر في كل الأحوال المتعلقة بنزول القرآن ، ولماذا نزل منجما ؟ ولماذا كان فيه ناسخ ومنسوخ ؟ ولماذا كانت هناك أسباب للنزول ؟ وأسباب النزول هي الاطار الشامل الذي نفهم به حقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة كما نفهم به الكثير من وجوه الحكمة في نزول القرآن منجما ، وفي ارتباط مقاصد السنة ، بمقاصد القرآن .

ويتضح لنا ذلك بمقدار ما نتدبر الآيات الخاصة بنزول القرآن منجما ، ثم الآيات الخاصة بالناسخ والمنسوخ ، مع ما يتيسر لنا من الأحاديث الصحيحة الدالة على بعض أسباب النزول ، وغير ذلك .

وكل ذلك وثيق الصلة ببيان التنسيق بين القرآن والسنة ، فيما خص الله به أحدهما أو كلاهما من الأحكام ، وهذا هو الذي سميناه من قبل التراسل بين القرآن والسنة .

جـ ـ فأما الآيات الدالة على نزول القرآن منجما فمنها ما يخص تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول الله تعالى :

**( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا )** الفرقان / ٣٢ .

وتثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن منجما ، يتضمن معاني كثيرة ، وأهدافا جمة .

وترتيل القرآن ، يتضمن من المعاني والأهداف مثل ذلك .

وننظر فنجد التثبيت في القرآن له بين صيغه المتنوعة ومواضعه الكثيرة ، ما خص الله به تثبيت المؤمنين حيث يقول :

**( قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا )** النحل / ١٠٢ .

وننظر فنجد بين هذه المواضع ما خص الله به كل الأعمال الصالحة المترتبة على اتباع المؤمنين للقرآن حيث يقول الله تعالى :

**( ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا )** النساء / ٦٦ .

والتثبيت له في معانيه آفاق عالية ، منها التأصيل ، وربط حركة الحياة الانسانية بأسس اليقين ، ووجوه الحقيقة ، فاذا الثبات والحركة وجهان لحقيقة واحدة ، كما ننتظر من العقيدة الصحيحة قولا صادقا ، وعملا صالحا ، وكما ننتظر من البذرة في جوف الأرض ، شجرة صاعدة الى السماء ، ثم نبحث فيها عن مواسم الحصاد ، ومواضع الثمر ، مع استمرار التنوع والتجدد ، على اتصال الحياة الدنيا بالآخرة .

فالقرآن حيث نزل منجما ، فقد استوعب أصول الثبات الذي يرتبط فيه كل نص قرآني بحقيقة مبناه ومعناه ، كما استوعب أصول الحركة التي تخص كل نص بما قدر الله له من مواضعه في الآيات والسور وما يبينه لنا من حقيقة كل ما هو عام أو خاص في حياتنا الانسانية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وتتنوع أعداد المواضع للحروف والكلمات والجمل ، فتكثر أهداف كل منها بمقدار مواضعه ، التي تسبق دائما بكل جديد ، لا سبيل للبشر الى مثله ، مع ارتباط كل منها بأصالته الثابتة ، وحقيقته الدائمة ، وترتيبه المعجز ، كما يقول الله تعالى :

**( ورتلناه ترتيلا )** فالترتيل في بعض ما نفهم من معانيه الكثيرة ، هو أسباب الثبات والحركة ، أو أسباب الأصالة والتجديد ، كما لا يقدر أحد غير الله تعالى ، أن يأتي بمثلهما .

وكل ذلك ، وثيق الصلة بنزول القرآن منجما ، في بضع وعشرين سنة ، لنعلم أن التفرق الشكلي لآياته ، لا يمنع اجتماعها ، بمضمونها ، إذ هي صادقة وعادلة وثابتة ، على نحو لا مثيل له في كلام البشر .

ولقد وجدنا بين مواضع الكلمات الدالة على التثبيت في القرآن ، أن تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو المقصد الأساسي في أسباب ذلك ، ثم يتبعه مقصد ثان هو تثبيت المؤمنين ، ثم يتبعهما مقصد ثالث هو تثبيت الأعمال الصالحة ، وربطها بأصولها في القرآن والسنة ، وفتح آفاق حركتها المتصلة التي تتسع لكل أحوال الحياة الانسانية .

فلنجعل هذه علامة ظاهرة على الطريق ، ولننظر الآن في مواضع الكلمات الدالة على النسخ في القرآن ، وسنرى أن قضية النسخ وثيقة الصلة بأسباب النزول ، وعموم الأحكام المترتبة على خصوص هذه الأسباب ، كما يؤدي الثبات الى الحركة ويرتبط بها ، وكما نجد الأصالة والتجديد وجهين لحقيقة واحدة ، طالما اتبعنا القرآن والسنة اتباعا دائما لا انقطاع له .

أولا — نجد الموضع الاول للكلمات الدالة على النسخ بقوله تعالى :

**( ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير )** البقرة / ١٠٦ .

والعلوم التي نجدها بهذه الآية علوم كثيرة ، ننظر اليهـا الآن من خلال قضية النسخ وحدها .

وقد ذهب اكثر المفسرين الى أن ربط النسخ بالنسيان في قوله تعالى : **( ما ننسخ من آية أو ننسها )** يدلنا على أنهما معا وجهان لحقيقة واحدة .

فالرسول صلى الله عليه وسلم لا ينسى من القرآن ، الا ما شاء الله أن ينسخه ، فحينئذ لا يكون الرسول مكلفا بتلاوة إن كان منسوخ التلاوة دون الحكم او منسوخ الحكم والتلاوة معا أو لا يكون مكلفا بالعمل به ان كان منسوخ الحكم دون التلاوة يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أنه قد روى بالأسانيد الثابتة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله :

**( ما ننسخ من آية )** قال : نثبت خطها ونبدل حكمها .

قال وهو ما قاله عبدالله بن مسعود : ( أو ننسها ) أي نمحوها فان ما نسي لم يترك .

وروى ابن ابي حاتم باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مما ينزل على النبي الوحي بالليل وينساه بالنهار ، فأنزل الله تعالى **( ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها )** البقرة / ١٠٦ .

وكذلك روى عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن كعب وقتادة وعكرمة ، وتلا قوله تعالى : **( سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله )** الأعلى / ٦ و٧ ، وقوله : **( واذكر ربك إذا نسيت )** الكهف / ٢٤ .

وقد جاء في الآثار أن أحدهم كان يحفظ قرآنا ثم ينساه ويذكرون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول إنه رفع .

ومع ذلك ، فان من العمل بالآيات المنسوخة حكما لا تلاوة ، قراءة الرسول إياها ، وتعليمها للصحابة ، وتعليم الصحابة إياها للتابعين ، وبذلك يتصل العمل بها على هذا النحو حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وتتصل تلاوتها في الآخرة ، حيث يلهم الله أهل الجنة التسبيح والذكر ، كما يلهمون النفس ، والقرآن هو أعظم الذكر وأعطره وأحلاه .

فالرسول صلى الله عليه وسلم بشر . فاذا لم تؤيده عناية الله به ؛ فانه ينسى كما يقول الله تعالى **( واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا )** الكهف / ٢٤ .

وقد طبقت السنة هذه الحقيقة إذ صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سها في الصلاة ، وبين أحكام سجود السهو . كما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » رواه الشيخان والسنة هنا تطبق الحقيقة القرآنية في الواقع العملي .

وقد قال الله تعالى : **( سنقرئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى )** الأعلى / ٦و٧ .

فلذلك فهم اكثر المفسرين كما سبقت الاشارة الى ذلك ، أن النسيان مرتبط بنسخ الآيات التي تنسخ حكما

وتلاوة ، أو التي تنسخ تلاوة لا حكما ، وسنرى الواقع العملي لأنواع النسخ الثلاثة ــ بعد ذلك ــ إن شاء الله .

ثانيا ــ نجد هذا الموضع الجديد للكلمات القرآنية الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : ( **فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته** ) الحج / ٥٢ ، وهذا دليل على حفظ الله تعالى ، آيات القرآن ، من الزيادة والنقصان . فلا يدخل في معانيها ما ليس منها ، وبذلك يحفظ الله السنة . كذلك ، من أي خروج عن نهج القرآن .

ثالثا ــ نجد هذا الموضع الجديد للكلمات القرآنية الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : ( **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ) الجاثية / ٢٩ . وهنا نعلم في حدود ما نستطيع العلم ، أن الأعمال البشرية تنسخ كلها أو تنقل ، إلى سجلها الذي يشهد بها عليهم ، في الآخرة .

رابعا ــ نجد الموضع الأخير للكلمات الدالة على النسخ ، بقوله تعالى : ( **ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** ) الأعراف / ١٥٤ .

وفي هذا الموضع نعلم في حدود ما نستطيع أن الألواح التي تتفرق فيها التوراة ، قد جمعها الله في كلمة واحدة هي قوله : ( **نسختها** ) .

فدل ذلك على أن نظام الله تعالى ، في نعمه جميعا وفرادى ، يحقق الاتصال بيننا وبين مضمونها وغاياتها ، فتجتمع نتائج النعم جميعا في حقيقة واحدة ، هي مضمونها العام ، وإن كانت متنوعة المقاصد ، متفرقة الأشكال .

فكذلك الشأن في ارتباط مضمون القرآن ، بمضمون السنة . وكذلك الشأن في دلالة النسخ على الثبات والحركة ، والأصالة والتجديد ، تماما ، كما رأينا ــ ذلك ــ في نزول القرآن منجما .

لذلك جعل الله لغة القرآن ، تبين لنا أن النسخ معناه ، المحو ، كما أن معناه الاثبات ، فالنسخ هو الكتابة ، كما أنه هو محو جزء منها ، وهذا يكون في القرآن ، لأن الجزء الذي ينسخ أي ترفع تلاوته أو يرفع حكمه ، أو أي منهما ، قد جعله الله خاصا بفترة بعينها ، فاذا انتهت هذه الفترة انتهى الحكم أو التلاوة أو هما معا ، بما يتناسب من ذلك مع مقتضى الأحوال .

ولقد رأينا كيف تنوعت مقاصد النسخ من الربط بين ما عصم الله به رسوله أن ينسى شيئا من القرآن ، شاء الله أن يحفظه بموضعه من الآيات والسور ، وبين ما شاء الله أن ينساه الرسول بحكم نسخه حكما وتلاوة .

وهكذا نعلم أن الله غالب على أمره ، وأن بشرية الرسول لم تحل دون تحقق مشيئة الله في وحيه الذي أوحاه ، فهو وحي تام رغم كل الظروف الواقعية التي تكون من البشر .

والنسخ في اللغة يتضمن مدلول

الثبات والحركة أو الأصالة والتجدد كنسخ الشمس الظل ، أو نسخ الظل الشمس .

ونسخ الكتاب ازالة الحكم بحكم يعقبه ، لذلك رأينا مقاصد النسخ في القرآن ، تؤكد لنا استقلال القرآن بثباته وحركته ، اللذين لا مثيل لهما في كلام البشر ، كما يقول الله تعالى : **( فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته )** الحج / ٥٢ ، ومن معاني ذلك ، أن الشيطان لا يقدر أن يلقي في السنة معاني منافية لحقيقة القرآن .

والقرآن حجة لنا أو علينا .

لذلك جاء ذكر استنساخ الأعمال كما رأينا في آية سورة الجاثية .

وأخيرا بين لنا القرآن اتصال النعم الالهية بمضمونها ، مع تنوع أشكالها واستقلال كل منها بنوعه .

لذلك كان النسخ في القرآن وثيق الصلة بأسباب النزول من جهة ، كما هو وثيق الصلة من جهة أخرى بالسنة القولية والعملية .

ولذلك ربط الله تعالى بين القرآن والسنة في بيان الحكمة في نزول القرآن منجما حيث رأينا الآيات الخاصة بذلك تصل تثبيت فؤاد الرسول ، بتثبيت الأمة ، بتثبيت الأعمال الصالحة على مدى حركة الدنيا وهي منتهية الى الآخرة .

فهناك أحوال في حياة البشر لا يطيقون تطبيق الأحكام فيها جملة واحدة ، مثل تحريم الخمر ، فيتدرج القرآن والسنة ، في التقدم نحو الهدف النهائي وهو التحريم ، مع تصعيد أسباب الشفاء من الادمان .

د ــ وهنا نجد النسخ وأسباب النزول والقرآن والسنة ، في عمل جماعي متواصل ، يؤدي في النهاية الى الاحاطة بكل ما هو عام أو خاص في حياة البشر ، بكل مكان وزمان .

وهكذا يتبين لنا أن الوحي الالهي يجتمع فيه الثبات والحركة ، والأصالة والتجديد ، والتقدم في الاحاطة بكل ما هو خاص وعام ، على النحو الذي تظهر به الحدود الفاصلة ، بين ما هو إلهي وما هو بشري .

ومن ذلك ما أخرجه احمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله عن ذلك ، فأنزل الله تعالى : **( ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير )** الى آخر الآية ، (٢١٩) البقرة فقال الناس ما حرم علينا انما قال اثم كبير ، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام أم رجل من المهاجرين أصحابه ، في صلاة المغرب فخلط في قراءته ، فأنزل الله آية أشد منها : **( يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة )** النساء/٤٣ .

ثم نزلت آية أشد من ذلك :

**( يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون )**

المائدة / ٩٠و٩١ ، فقالوا انتهينا ربنا .

ثم قال ناس يا رسول الله : ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فراشهم ، وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان ، فأنزل الله تعالى : ( **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات** ) المائدة / ٩٣ .
الى نهاية هذه الآية .

**٢ ــ تطبيقات على أنواع النسخ :**

وواضح أن الناسخ هنا هو التحريم ، أما المنسوخ ، فهو الاحكام الاولى التي لم تكن ترتب على شرب الخمر تحريما ، بل كانت تبين ما فيه من شرور ، وآثام ، وتحبب الناس في اجتنابها .

ويدخل هذا في النوع الأول من انواع النسخ ، وهو نسخ الحكم واثبات التلاوة ، في الآيات الاولى ، واثبات الحكم والتلاوة جميعا في الآيات التي جاء بها تحريم الخمر .

أما حين يكون النسخ داخلا في النوع التالي وهو نسخ التلاوة واثبات الحكم ، فاننا نجد بعض الاحكام هنا تنقل الى السنة لنتعلم كيف نستمد أحكام الوحي ، من القرآن والسنة جميعا .

ومن أمثال هذا النوع من انواع النسخ ما جاء فيما صحت روايته عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب أنهما قالا : ( كان فيما أنزل من القرآن : الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ) رواه احمد .

ذلك أننا نعلم أن السنة لم تفرق من حيث الحكم او العمل بين زنا الشيخ او الشاب طالما كان كل منهما مكلفا بشرائع الاسلام .

فهكذا نعلم أن في هذا نوعا من إلقاء العبء العملي على السنة ، مع ما يؤدي اليه النسخ من غياب هذه الآيات التي أثبتت بين آيات القرآن ، ثم شاء الله نسخها ليتبين لنا بذلك أن القرآن والسنة وحي واحد ، في مصدره ومقاصده ، وان تنوع كل منهما عن غيره من وجوه كثيرة .

فمن هذه الوجوه أن القرآن وحي بشكله ومضمونه ، أما السنة فهي وحي بمضمونها وبما يتصل بأعمال الرسول وأقواله ، التي تخص التطبيق العملي للقرآن والسنة معا ، أو من حيث استقلال السنة ببعض الأحكام أو إقرارها لما يدخل في اجتهاد الصحابة ، وكل ذلك يؤيده ويقويه هذا النوع من النسخ الذي يلحقه الله ببعض آيات القرآن ، ليقوى بذلك ، حاجاتنا للسنة ، ويؤكد عظمة ارتباط مقاصدها ، في جملتها وتفصيلها ، بالقرآن في جملته وتفصيله .

وهكذا ننتهي الى النوع الأخير وهو نسخ التلاوة والحكم جميعا .

يقول السيوطي ــ رحمه الله ــ عن هذا النوع إنه ما ينسخ تلاوته وحكمه معا .

ثم يقول :

قالت عائشة رضي الله عنها :

« كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن » رواه الشيخان ، ثم يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ وقد تكلموا في قولها : وهي مما يقرأ من القرآن فان ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك .

ويجيب السيوطي عن ذلك بقوله :

وأجيب بأن المراد قارب الوفاة ، وأن التلاوة نسخت أيضا ، ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها .

وينتهي كلام السيوطي رحمه الله لنقول ـ معا ـ ان الذي يهمنا هنا أن نعرف دور السنة في بيان هذه الحقيقة القرآنية وتفسيرها .

فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن تحريم زواج الأخوين من الرضاع يكون بمطلق الارضاع ، ولو كان رضعة واحدة ، بشرط أن تكون كاملة يتم فيها الرضيع رضعته بغير حائل يمنعه .

ومن الدليل على ذلك حديثان اثنان .

فأما الحديث الاول فهو مما اتفق عليه الشيخان عن قبة بن الحارث قال : « تزوجت أم يحيى بنت إهاب فجاءت أمة سوداء فقالت قد أرضعتكما .

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال :

وكيف وقد قيل ؟ دعها عنك » البخاري ومسلم .

ويقول الاستاذ الشيخ السيد سابق : ( إن ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ، السؤال عن عدد الرضعات ، وأمره بتركها دليل على أنه لا اعتبار الا بالارضاع فحيث وجد اسمه وجد حكمه ) .

أما الحديث الثاني فقد روته عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم المصة ولا المصتان » رواه الجماعة الا البخاري .

ويقول الأستاذ الشيخ السيد سابق عن هذا الحديث إنه يفيد أن الرضيع لو مص مصة او مصتين فان ذلك لا يحرم ، لأنه دون الرضعة التامة .

ومع ذلك فقد ذهب كبار الصحابة والتابعين الى التحريم بمطلق الرضاع ، لأن انتشار . اللحم ، يحصل بقليله وكثيره .

ثم نعود ـ معا ـ الى بيان السنة للقرآن ، فيما يخص نسخ التلاوة والحكم ـ معا ـ لهذا القدر من القرآن الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها .

فاذا نحن نظرنا في ذلك ـ معا ـ وجدنا أن السنة بينت لنا هذا النوع من انواع النسخ كما فسرت لنا ما جاء في القرآن مجملا ، وذلك في قوله تعالى :

**( حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة )** النساء / ٢٣ .

وكذلك فان السنة هي التي تقدر التوقيت الزمني الذي يتفق مع التحريم ، في هذا الشأن ، وفي كل ما يخص العبادات بكل أنواعها وأحوالها ، حيث تبين السنة مواقيت أدائها ، وحدود هذه المواقيت .

وقد كثرت الاحاديث التي تبين لنا الوقت الذي يتفق معه تحريم الزواج من الرضاعة وجاءت في مصادر فقهية عديدة ، نخص منها بالذكر مما جاء به الشوكاني ، حديث أم سلمة الذي صححه الترمذي ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام » رواه الترمذي . فأما من النسخ فان السنة إذ بينت لنا هذا النوع منه ، قد علمتنا كيف نأتمر بما أمر الله به ، وكيف ننتهي عما نهى الله عنه ، ولو كان ذلك في أعظم مصالحنا الشخصية ، حيث الزواج وقيام الأسرة ، وصلة الأنساب والأرحام .

هـ ـ إن الله تعالى هو القادر على التيسير حتى يبيح الرضعات العشر ، ثم هو القادر على تضييق هذا التيسير ، ثم هو القادر على منعه ، والزامنا بالانتهاء تماما عن الزواج ممن تشترك معنا في الرضاعة ، ولو كان ذلك برضعة واحدة .

والسنة هنا تبين لنا أن الرضعة إذا لم تتم ، فكانت مصة أو مصتين ، فان الحكم لا يشمل ذلك ، لأن المصة والمصتين لا تستطيعان أن تتعديا فم الرضيع لتدخلا في إنشاز عظمه وإنبات لحمه .

## الوحي ينظم حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر

١ ـ إن حقيقة نزول القرآن منجما وحقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، وحقيقة أسباب النزول هذه الحقائق جميعا ، تعمل على تحريك الحياة الانسانية ، تحريكا متواصلا ، في تقدم ثابت ، وحركة متجددة ، لا مصدر لها إلا الوحي الالهي في القرآن والسنة معا ، وأنهما بذلك يشتد ارتباطهما ولا ينفصلان من حيث مصدرهما الواحد وهي وحي الله ، ومقاصدهما الواحدة ، وهي بيان أوامر الله ونواهيه . ثم إن تحديد أنواع النسخ بأنها ثلاثة أنواع ، هي ما نسخ حكما وتلاوة ، وما نسخ تلاوة لا حكما ، وما نسخ حكما لا تلاوة ، هذا كله تنظيم لحاجات البشر إلى أحكام الوحي بما فيها من عموم وخصوص ، وقد جاء في كتب العلماء القدامى أمثال السيوطي .

وقد بين السيوطي في كتابه « معترك الأقران » أن الذين كتبوا في الناسخ والمنسوخ خلائق لا تحصى .

٢ ـ ولكن الربط بين أسباب النزول وبين النسخ ، يجعلنا ننظر إلى هيمنة الوحي من قرآن وسنة على حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر ، وجعلها حركات أصيلة دائما ، لا تنقطع أبدا ، عن الحقيقة بكل وجوهها التي يسر الله معرفتها للبشر بكل زمان ومكان . ولعلنا نذكر هنا ما سبق من أن القرآن والسنة يتجددان

تجددا ذاتيا لا يحتاج إلى أي مدد خارج على وحي الله تعالى ، كما بينه لنا في كتابه وسنة رسوله . ندرك ذلك حيث ننظر في أسباب النزول فنجد كل سبب منها يحمل معه الفارق بينه وبين غيره من الأسباب ، كما يحمل معه أسس اتصاله بالوحي في جملته وتفصيله ، سواء ما يتصل بذلك من آيات القرآن وأجزائها ، ومواضع كلماتها وحروفها في القرآن كله ، أو يتصل بالوحدة والنوع في مقاصد السنة القولية والعملية ، أو كل ما يخضع لذلك من الوقائع المتجددة في حياة البشر ، على اتصال الحياة الانسانية من الدنيا إلى الآخرة .

وقد اقتضى ذلك أن يكون ما سميناه معا من قبل ـ التراسل بين القرآن والسنة ـ قائما على التنسيق المعجز بين ما اختص به القرآن من المقاصد والأحكام ، وما اختصت به السنة من ذلك ، في حركة متتابعة بينهما ، وحاجات متتابعة من الحياة الانسانية إليهما .

كل ذلك من إعجاز الوحي الالهي ، الذي جعل في السنة ناسخا ومنسوخا ، كما وجدنا في القرآن ناسخا ومنسوخا .

وكل ذلك في إطار أسباب النزول لا يحصيها إلا الله تعالى .

٣ ـ فلئن كانت أسباب النزول أسبابا ظاهرة في الحقيقة الخاصة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ـ مثلا ، فان هناك من أسباب النزول التي يعجز البشر عن إحصائها ، والاحاطة بما فيها من الثبات والحركة ، والأصالة والتجدد ، هو بعدد مواضع كل حرف وكلمة وجملة ، نجد كلا منها ، بكل آية قرآنية ، كلما نظرنا إلى ما تتعدد مواضعه من هذه الأجزاء ، في آيات كثيرة .

وكذلك الأمر إذا نظرنا بعمق عظيم إلى تجدد أحوال الضبط والترتيب ، بالحروف جميعا ، في الكلمات جميعا كلما اقتضت حكمة الله تنويع صيغ الكلمات ، فضلا عن تنويع ما خص الله به كل صيغة لكل كلمة من عدد مواضعها في القرآن كله ، حتى أمر الله عبده ورسوله ، بترتيب الآيات في السور وترتيب السور في المصحف كما هو محفوظ بحفظ الله فلا ينبغي أن يحرف أو يبدل بحال من الأحوال .

هذه كلها أسباب للنزول لا نحيط بما هو ظاهر منها إذا نظرنا في الأسباب الواقعة في أحوال البشر كتحويل القبلة ، أو ما نزل في التي تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها ، كما لا نحيط بما هو دقيق وخفي منها كلما نظرنا في ثبات القرآن على الناحية الشكلية في حروفه وكلماته وجمله وآياته ، مع مقاصده الكثيرة ، الدائبة التجدد ، والمرتبطة بهذه الأجزاء في جملتها وتفصيلها وحركتها في مواضعها ، ثم حين ننظر إلى السنة في تنوع المقاصد التي يجمع لنا ألوانها الكثيرة كل باب من أبواب الحديث الشريف .

٤ ـ وأقرب مثل لذلك أن السنة قد

استقلت بالتشريع في شأن القبلة الأولى التي كانت إلى بيت المقدس فلم ينزل في ذلك قرآن ، وإنما صدر بذلك أمر من رسول الله صلى الله عليه سلم ، وقد جاء في القرآن وجوب طاعة الرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه ، في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

**( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )** الحشر/٧

ولقد ظلت السنة هي المصدر في جعل القبلة إلى بيت المقدس حتى شاء الله أن يتم القرآن ، هذه الحركة التي بدأتها السنة فتوفر السبب المرتبط بنزول الآية الخاصة بذلك .

ولو ذهبنا نرصد كل ما في القرآن من تركيب أيسر أجزائه ، إلى ما في الحياة الانسانية بكل أزمنتها وأمكنتها من أسباب الخضوع لذلك ، مع ما يتعلق بمقاصد القرآن من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا حركة قرآنية معجزة ذات تقدم يمضي دائما على يقين لا ريب فيه ، كما تشرق الشمس في كل يوم جديد ، بضوء جديد ، وموضع من جريان الشمس جديد ، والضوء واحد ، في جملة حقائقه ، وحاجات الكون والحياة الانسانية إلى هذا الضوء تتجدد حتى يرث الله هذا العالم وما فيه .

ويلخص لنا مصطفى صادق الرافعي ، هذا التجدد الدائب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنه كلام كلما زدته فكرا زادك معنى » .

غير أن الذي نريده بذلك هو التجدد في ذات القرآن وذات السنة ، من حيث الوحدة والتنوع في النصوص والمقاصد ، والاحاطة بحركة الحياة الانسانية في تجدد دائب ، يبين لنا ما هو حق من كل أقوالنا وأعمالنا وما هو باطل .

فاذا نظرنا إلى سبب النزول الخاص بتحويل القبلة ، ثم سبب النزول الخاص بالتي تجادل في زوجها ، وجدنا لقطتين متفردتين في موكب الحياة كله ، بلا تكرار من جهة ، وبلا انفصال بينهما وبين بناء الحياة كله من جهة أخرى ، لان إحاطة الله بكل المقاصد إحاطة قادرة على هذا التجديد المستمر ، الذي لا سبيل إلى مثله في حدود القدرة البشرية .

فلننظر إلى هذين السببين من أسباب النزول :

### السبب الأول :

هو تحويل الكعبة كما جاء في الحديث المتصل السند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله : **( قد نرى تقلب وجهك في السماء )** البقرة/١٤٤ ، الى آخر الآية ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما قالوا في ذلك فأنزل الله تعالى : **( قل لله المشرق والمغرب )** الى آخر الآية . البقرة/١٤٢ .

**والسبب الثاني :**

هو الذي خص الله تعالى به أوائل الآيات في سورة المجادلة وانها نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها . فكانت هذه الآيات . وما بينها وطبقها من السنة ، مصدرا في أحكام الظهار وما يترتب عليها من أمور .

إن هدفنا من النظر الى ما تقدم هو بيان هذا التجدد الذي يخص كل أمر بذاته ، فيفرد له موضع ارتباطه بالحياة في جملتها وتفصيلها ، وأن هذا لا يكون في أي كلام إلا في الوحي الالهي من قرآن وسنة .

والفرق بين القرآن والسنة هنا ، هو أن القرآن دائب الحركة المعجزة . في مبناه ومعناه وترتيب أجزائه في جملتها وتفصيلها . بينما السنة دائبة الحركة المعجزة في ما يخص أحاديث الرسول في جملتها وتفصيلها ، من الوحدة والتنوع في مقاصد كل حديث ، بين الأحاديث كلها ، تماما ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرك بعد صلاة الفريضة ، ليصلي ركعتي السنة بعد صلاة الظهر أو صلاة المغرب — مثلا — في موضع جديد ، من المسجد .

وما ذلك إلا وحي إلهي يوجه السنة العملية نحو التقدم الدائب ، والحركة المتجددة بغير انقطاع .

**○ — النسخ في السنة يرتبط بكل ما تقدم :**

٥ — لذلك كانت السنة أيضا تتخذ من النسخ خطوات دائبة يتحقق بها لكل داء دواؤه ، فيما يناسبه من المكان والزمان ، فلا يستقر حكم ليشمل كل فترات التاريخ إلا إذا كان من الأمور العامة التي تتسع للحياة الانسانية بغير حدود ، أما إذا كان هناك هدف محدود ، فله من الأحاديث المنسوخة ما يحققه ، إلى أن ينتهي زمنه ، ونتعلم منه كيف لا نخلط بين العام والخاص في أحكام الله تعالى :

( أ ) ومن النسخ في السنة ما يعرف بتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كحديث بريدة الذي أخرجه مسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه النسائي والترمذي .

وواضح أن السنة هنا تنسخ حكما بحكم وفعلا بفعل ، لحكم كثيرة علمها الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها سبيلا إلى ممارسة الأمة للتفكر ، والمقارنة بين الأشباه والنظائر .

وزيارة القبور مع حداثة عهد الناس بالشرك ، غيرها بعد استقرار الاسلام ، وظهور حقيقته .

( ب ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في جزم الصحابي ، بأن الناسخ هو الحكم الذي كان أخيرا ، بعد حكم آخر كان قد سبقه ، فكان هو المنسوخ .

وذلك مثل حديث جابر رضي الله

عنه :

« كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الوضوء مما مست النار » رواه أبو داود والنسائي .

( جـ ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في النظر إلى التاريخ وتعاقب فتراته . فبمعرفة تاريخ كل من الحديثين ، يحكم على المتأخر بأنه ناسخ للمتقدم .

وذلك كحديث شداد بن أوس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

( أفطر الحاجم والمحجوم ) رواه البخاري

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم .

فقد بين الشافعي أن الثاني ناسخ للأول من حيث أنه روى في حديث شداد أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم في شهر رمضان فقال : أفطر الحاجم والمحجوم .

وروى في حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فبان بذلك أن الأول كان في زمن الفتح في سنة ثمان والثاني في حجة الوداع في سنة عشر .

( د ) ومن النسخ في الحديث ما يعرف بالاجماع كحديث :

« قتل شارب الخمر في المرة الرابعة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .

فلقد عرف المسلمون أن هذا الحديث منسوخ بانعقاد الاجماع على ترك العمل به ، والاجماع لا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره .

والحقيقة أن السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، هي التي بينت لنا هذا النسخ .

ذلك أنه جاء في حديث قبيص بن ذؤيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

( من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاقتلوه ــ في الثالثة أو الرابعة ــ فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل ، وكانت رخصة ) رواه احمد .

فلعلنا ننعم النظر في هذا التراسل العملي بين القرآن والسنة ، حيث خص الله كلا منهما بأنواع من المقاصد ، في تقديم وتأخير ، وناسخ ومنسوخ ، حتى نعلم دائما أن السنة في تفسيرها للقرآن ، لا تنفصل عنه من حيث الوحدة والتنوع في مضمون الوحي ومقاصده ، ولا من حيث التطبيق المستمر للقرآن ، في السنة القولية والعملية ، على نحو لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

### ○ ـ دور الأمة في هذه الحركة المتجددة :

٦ ــ ومما يتصل بأهداف هذا التراسل بين مقاصد القرآن والسنة ،

أن الله جعل للأمة نصيبا من الوحي ، ممثلا في نزول أجزاء يسيرة من الآيات على ألسنة نفر من الصحابة ، ثم في رؤية من رأى صيغة الأذان في نومه وموافقة ذلك لصيغة الأذان كما طبقتها السنة في الواقع العملي .

فأما أجزاء الآيات التي ألهمها الله بعض الصحابة فكان في ذلك توثيق بين ما نزل به جبريل على الرسول وبين ما خص الله به الأمة من ذلك ، فمنها ما صح عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت : **( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى )** البقرة/ ١٢٥

وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : **( عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن )** التحريم/ ٥ . فنزلت كذلك : ( الحديث أخرجه البخاري وغيره ) والأحاديث في ذلك قليلة ولكنها صحيحة ودالة على أن الله جعل للأمة نصيبا في تلقي الوحي ، حتى يكون عملنا به قريبا من حياتنا العملية ، ويزيد الله به المسلمين فضلا على فضل .

أما الأذان فقد روى الترمذي عن عبدالله بن زيد بن عبدربه أنه رأى الأذان بصفة وصيغة في رؤيا فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تبين أن عمر رضي الله عنه رأى رؤيا مثلها فأقرهما الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان هذا هو الأذان الذي يفسر لنا بالواقع العملي قوله تعالى :

**( وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا )** المائدة/ ٥٨

وقوله تعالى :

**( يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله )** الجمعة/ ٩ .

وبذلك يكون الأذان بيانا للآيتين السابقتين ، وتطبيقا عمليا لهما في كل مكان وزمان .

فلننظر كيف جعل الله تعالى الأذان وحيا للأمة ذاتها ، تسانده السنة العملية في تفسيرها للقرآن ، وتطبيقها لمقاصده ، لأن هذا مما يوافق الدعوة المتجددة في كل مكان وزمان ، لاقامة الصلاة .

فهكذا نعود إلى ذكر الغاية العملية من التراسل بين القرآن والسنة من حيث التجدد الذاتي في كل منهما ، بحكم هذه التطبيقات المتواصلة التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان .

وهكذا نجد هذا الترابط بين نزول القرآن منجما وبين أسباب النزول وبين النسخ في القرآن والسنة نوافذ كثيرة ، ولكنها تصلنا جميعا بحركة التقدم والتجديد في مقاصد الحقيقة ومهما تكثر وتتنوع فهي واحدة .

# القرآن الكريم وتلوث البيئة

للمهندس : محمد عبد القادر الفقي

تواجه البشرية في هذه الأيام محنة عسيرة ، عليها أن تجد سبيلا للخلاص منها ، وإلا فقد يؤدي الاهمال في تداركها إلى حالة من الانتحار الجماعي للبشر ، وربما تؤدي إلى انتهاء الحياة على الكوكب الأرضي .

وهذه المشكلة التي تهدد الجنس البشري بالزوال ، تهدد حياة كل الكائنات الحية والنباتات ، إنها مشكلة تلوث البيئة ، والتي برزت على مسرح الأحداث وظهرت نتيجة للتقدم التكنولوجي والصناعي والحضاري للانسان ، ففي كل يوم تلقى آلاف المداخن بالاف الأطنان من الغازات والغبار والأتربة التي تفسد الهواء ، وتجعله غير صالح للتنفس ، كما تصب المصانع ومحطات توليد الطاقة الكهربية يوميا مقادير هائلة من المخلفات والنفايات في مياه الأنهار والبحار والمحيطات مما يفسدها ويجعلها غير صالحة للاستعمال الآدمي ، أو لنمو الكائنات الحية البحرية كالأسماك والدرافيل والترسة .

وتتفاقم المشكلة مع محاولات الانسان المستمرة ، وجهده الدءوب ، في البحث عن وسائل جديدة للراحة والرفاهية والمدنية ، وهو من أجل ذلك يلجأ إلى الاتساع في التصنيع ، ويتجه إلى ميكنة الزراعة ، واستخدام الأسمدة والمبيدات الكيميائية ، وهذا بدوره يؤدي إلى مزيد من المخلفات والمواد غير المرغوب فيها ، والتي يتم التخلص منها إما بدفنها في الأرض ، أو إغراقها في البحر ، أو بنفثها في طبقات الجو .

وهو بذلك يفسد من صفو الهواء ، ويلوث الماء ، ويفسد التربة الصالحة للزراعة فتموت الأزهار وتجف الأشجار ، وهو من أجل التصنيع يقوم بعمل ذلك ليعود وبالا عليه ، وعلى صحته وأمواله ، وحيواناته وآلاته ، ومعداته وزراعته .

لقد أصبحت مشكلة التلوث هي الشغل الشاغل لمعظم صحف ومجلات العالم ، وقد عقدت كثير من البلدان العديد من المؤتمرات لهذا الغرض ، وكان هدفها هو توعية الانسان في كل مكان بأبعاد هذه المشكلة ، ووضع القيود والقوانين التي تهدف إلى المحافظة على البيئة ، لكن وجه الصعوبة هو كيف يتخلى الأنسان عن التصنيع ؟ إن الانسان في عصر ما قبل الثورة الصناعية لم يتعرض لهذه المشكلة ولم يك يعرفها من قريب أو بعيد .

## تعريف التلوث :

يعرف التلوث : بأنه تواجد أي مواد تفسد نظام الطبيعة ، وما تحتويه من كائنات حية ونباتية ، وغلاف جوي ، بالأضافة إلى إفسادها للخواص الطبيعية والكيميائية للأشياء ، بحيث يؤدي ذلك إلى الأخلال بالتوازن البيئي .

ويرى البعض أن التلوث ( هو وجود أي مادة أو طاقة في غير مكانها

وزمانها وكميتها المناسبة ، فالماء يعتبر ملوثا إذا ما أضيف إلى التربة بكميات تحل محل الهواء فيها ، والأملاح عندما تتراكم في الأرض الزراعية ، بسبب قصور نظام الصرف ، والنفط مكون من مكونات البيئة ، لكنه يصبح ملوثا عندما يتسرب إلى مياه البحار ، والأصوات عندما تزداد شدتها عن حد معين تعتبر ملوثات تضايق الأنسان ، وفي ضوء ذلك يبدو جليا وواضحا أن تلوث البيئة يشمل البر والبحر وطبقة الهواء التي فوقهما والقرآن الكريم ــ كتاب الله الخالد ــ والذي لا يأتيه الباطل ، يشير إلى ذلك ، حيث يقول رب العزة جلت قدرته في الآية رقم ٤١ من سورة الروم :

**( ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون )** والآية تشير بجلاء ووضوح الى التلوث الذي يفسد البر والبحر نتيجة لما يعمله الأنسان من تدخل في الكون ، وهي تشير أيضا إلى الضرر البالغ الذي يحل به من جراء عمله هذا ، ذلك الضرر الذي يذوقه الأنسان رغما عنه ، والذي دفعه إلى ذلك هو جهله بناموس الكون ، وقوانين البيئة التي سنها الله فأعماه الغرور ، وسعى من أجل متعة دنيوية زائفة إلى إفساد البر والبحر بالمخلفات الصناعية تارة ، وبمخلفاته تارة ، وبالمواد المشعة والأشعاعات الذرية وغيرها .

إنه بتدخله غير المدروس في تغيير نظام البيئة ، يدفع نفسه إلى الانتحار وإلقاء نفسه في التهلكة والقرآن الكريم ينهي عن ذلك ، ويتوعد الذين يقتلون أنفسهم بأنفسهم ، ولكن أين من يتعظ ؟ أو من يتدبر في عالم طغت فيه المادية ، وترعرعت فيه الماركسية ؟ وأصبح هم أصحاب المصانع هو الثراء الفاحش على حساب الفقراء الذين يعملون في مصانعهم ، يقول سبحانه وتعالى :

**( ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة )** « البقرة / ١٩٥ » .

ولكن أنى لأصحاب العقول الضالة أن تهتدي ، وأنى لها أن تسمع وتعي ، وتنذر فتخاف ؟

## التلوث والفساد في اللغة :

جاء في المعاجم : لوث الأمر : لبسه ، ولوث التبن بالقت : خلطه ، وتلوث بالطين ، وتلوث بفلان رجاء منفعة ، أي لاذ به ، وتلبس بصحبته ، ولوث الماء أي كدره ، ويقال : التاثت عليه الأمور أي التبست ، والتاث في عمله : أي أبطأ ، والتاث بالدم : تلطخ به ، وفلان به لوثه أي به جنون . ونستنتج من هذا أن التلوث له معنيان في اللغة : معنى مادي ، وهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة ، مما يؤثر عليها ويفسدها كتلوث الماء ، والتلوث بالطين ، وأما التلوث المعنوي فهو يعني ذلك التغير الذي ينتاب النفس فيكدرها ، أو الفكر فيفسده ، أو الروح فيضرها ، وهذا

التغير كما يتضح يكون دائما إلى ما هو أسوأ ، أو يكون تغيرا من أجل غرض ما . والتلوث بالمعنيين المادي والمعنوي يعني فساد الشيء ، سواء كان هذا الشيء كائنا حيا كالأنسان أو الحيوان ، أو جسما غير حي كالهواء والماء والتربة .

أما الفساد في اللغة فانه ضد الصلاح ، يقال فسد الشيء يفسد فسادا وفسودا فهو فاسد وفسيد ، والمفسدة : ضد المصلحة .

ولفظة الفساد أكثر شيوعا في الاستعمال ، وهي تعبر عن أي خلل يقوم به الأنسان من سلوك شائن ، أو فعل قبيح ، أو صفة مرذولة ، أو عن أي اضطراب يحدثه الأنسان في خلق الله .

وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة ، تتحدث عن الفساد الذي يحدثه الانسان في الأرض ، من معصية وكفر ، أو من تفريق الناس عن الدين أو الأيمان ، كما كان يفعل فرعون وقوم عاد وثمود ، أو من الجور والظلم ، وانتهاك الأنسان لحقوق أخيه الأنسان ، أو التلوث الذي يحدثه الأنسان بالأرض ، وتأمل قوله تعالى :

**( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين )** سورة البقرة / آية ٢٥١ .

**( ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم )** « سورة البقرة / آية ٢٢٠ » .

**( من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا )** « سورة المائدة / آية ٣٢ » .

**( كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين )** « سورة المائدة / آية ٦٤ » .

**( واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين )** « سورة الأعراف / آية ٧٤ » .

**( ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين )** « سورة الأعراف / آية ٨٥ » .

**(ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين )** « سورة الأعراف / آية ١٠٣ » .

**( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون )** « سورة النحل / آية ٨٨ » .

**( وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد )** « سورة الفجر / آية ٩:١٢ » .

**( ظهر الفساد في البر والبحر**

**بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون )** « سورة الروم / آية ٤١ » .

ولقد اختلف المفسرون في تفسير معنى الفساد ، وسأكتفي هنا بما قاله القرطبي كنموذج يؤكد ما نقوله في تفسيره للآية الأخيرة :

يقول القرطبي في كتابه ـ الجامع لاحكام القرآن :

( قوله تعالى **( ظهر الفساد في البر والبحر )** اختلف العلماء في معنى الفساد والبر والبحر ، فقال قتادة : الفساد : الشرك وهو أعظم الفساد ، وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد : فساد البر قتل ابن آدم أخاه : قابيل قتل هابيل : وفي البحر بالملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، وقيل الفساد : القحط وقلة النبات وذهاب البركة ، ونحوه قال ابن عباس قال : هو نقصان البركة باعمال العباد كي يتوبوا ، قال النحاس : وهو أحسن ما قيل في الآية ، وعنه ايضا : أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم ، وقال عطية : فاذا قل المطر قل الغوص عنده ، وأخفق الصيادون وعميت دواب البحر ، وقال ابن عباس : إذا مطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر ، فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ ، وقيل الفساد : كساد الأسعار وقلة المعاش ، وقيل الفساد : المعاصي وقطع السبيل والظلم ، أي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات ، والمعنى كله متقارب ، والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس ، لا ما قاله بعض العباد أن البر اللسان والبحر القلب ، قاله عكرمة ، والعرب تسمى الأمصار : البحار ، وقال قتادة : البر اهل العمود والبحر أهل القرى والريف ، وقال ابن عباس : إن البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان على شط نهر ، وقاله مجاهد ، قال : أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهي بحر ، وقال معناه النحاس ، قال : في معناه قولان : أحدهما ظهر الجدب في البر أي في البوادي وقراها ، وفي البحر أي في مدن البحر ، مثل : واسأل القرية ، أي ظهر قلة الغيث وغلاء السعر ـ **( بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض )** ـ أي عقاب بعض ـ **( الذي عملوا )** ـ ثم حذف ، والقول الآخر : أي ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم ، فهذا هو الفساد على الحقيقة ، والأول مجاز إلا أنه على الجواب الثاني ، فيكون في الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده ، ويكون المعنى : ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهما الغيث وأغلى سعرهم ، ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا ( **لعلهم يرجعون )** ـ لعلهم يتوبون .

ويتضح مما سبق ان القرطبي قد ضمن تفسيره آراء القدماء ، وهي تدور حول تفسير الفساد بارتكاب المعاصي ، او الجور والظلم او قلة الغيث ، وتأثير ذلك على النباتات

والاحياء ، إلا أن عظمة القرآن وإعجازه تتبين من انه قد نزل ليخاطب كل العقول ، في كل زمان ومكان ، ولفظة الفساد هنا تتسع لتعبر أيضا عن الفساد الذي يحدث في البيئة نتيجة لتدخل الأنسان ، إن الاعجاز في الآية رقم ٤١ من سورة الروم ، لا يجيء من كونها قد تحدثت عن مشكلة تلوث البيئة منذ أربعة عشر قرنا ، ولكن هذا الاعجاز يتضح في عرضها لجوانب المشكلة بالتفصيل وآثارها على الانسان وعلى البر والبحر ، وكيف يتحمل الانسان نتيجة ذلك الفساد الذي يصنعه بيديه ، مما يدل دلالة قطعية على أن هذا القرآن قد جاء من لدن حكيم عليم .

## انواع التلوث

ينقسم التلوث إلى قسمين رئيسيين :

**الأول :** التلوث المادي : ويشمل تلوث كل من الهواء والماء والتربة الصالحة للزراعة .

**والثاني :** التلوث غير المادي : كالضوضاء التي تنتج من محركات السيارات والآلات والماكينات ، وما تسببه من ضجيج ، يؤثر على أعصاب الانسان ، ويلحق به الكثير من الأذى الفسيولوجي والضرر السيكولوجي فالضوضاء تؤدي الى سرعة النبض ، وزيادة إفراز بعض الهرمونات التي تفرزها الغدد الموجودة بالجسم ، مما قد يتسبب في ارتفاع نسبة السكر في الدم ، وقد تؤدي الى الاصابة ببعض الأمراض كقرحة المعدة أو الاثنى عشر ، بالاضافة الى ما تسببه من قلق وأرق ، وعدم تركيز ، كما تؤدي الى سرعة الغضب والاستثارة .

اما الملوثات فانه يمكن تقسيمها إلى أقسام بحسب نشأتها أو مسبباتها ، ومن ناحية التقسيم حسب نشأتها فهي إما أن تكون :

**طبيعية :** أي نتجت بدون تدخل الانسان كالبكتريا ، والفيروسات ، والطحالب ، وحبوب اللقاح ، والغازات ، والأبخرة التي تنتج من البراكين وكالانفجارات التي تحدث في الشمس وتؤثر بدورها على طبقة الأوزون الموجودة بالغلاف الجوي للأرض والتي تحمي الأرض وسكانها من الأشعة الكونية القاتلة ، وكأكاسيد النتروجين التي تنشأ في الجو نتيجة للتفريغ الكهربي للسحب .

**صناعية :** وهذه استحدثها الانسان بالتصنيع ، كالغازات ، والأبخرة ، والمواد الصلبة ، والأتربة الناتجة من مداخن المصانع وكغازات العادم التي تخرج من محركات السيارات ، بالاضافة الى المخلفات الناجمة عن نشاط البشر ، وحركتهم ، ومعيشتهم .

**كيميائية :** كالمبيدات الحشرية ، ومزيلات الأعشاب والمنظفات الصناعية ، والمركبات ، والمواد الناتجة من الصناعات البترولية ، وصناعات الغزل والنسيج ، والحديد والصلب ، والكوك والفرقعات والأسمدة .

**فيزيائية :** كالضوضاء ،

والاشعاعات الذرية ، والتلوث الحراري ، الذي ينتج من إلقاء محطات توليد الطاقة الكهربائية لكميات كبيرة من المياه الساخنة ، في مياه البحار والمحيطات والأنهار مما يؤدي إلى الحاق الضرر بالكائنات البحرية ، او التلوث الحراري الناتج من المياه التي تستخدم في تبريد المفاعلات الذرية ، حيث يؤدي ذلك إلى تناقص كمية الأوكسجين الذائب في الماء ، مما يؤثر على حياة الأسماك والحيوانات البحرية .

وتشكل المواد المشعة خطرا كبيرا على الانسان نوعا وكما ، وفي الماضي لم يكن التلوث بالمواد المشعة له اهمية ، حيث لم يكن الانسان عرفه بعد ، والمواد المشعة التي تنتج من التفجيرات الذرية ، تؤثر على خلايا الأجسام الحية ، فتحطمها وتؤثر في نخاع العظام وتسبب أنواعا مختلفة من السرطان ، كما تؤدي إلى تشوه الأجنة ، وحدوث طفرات في الجينات الوراثية ، وقد تؤدي الى العقم ، ونظرا لخطورة الاشعاعات على الجنين ، ينصح الأطباء السيدات الحوامل بعدم تعرضهن لأشعة إكس اثناء فترة الحمل .

**بيولوجية :** وهي الكائنات والأحياء التي يؤدي تواجدها بكميات كبيرة إلى إحداث خسارة فادحة ، بزراعة الانسان وصناعته ، وقد تؤثر على صحة الانسان ، وتسبب له الأمراض ، كبعض أنواع البكتريا ، والفيروسات ، والفطريات ، وانتشار الحشرات كالجراد ، والبق ، والقمل ، بكميات كبيرة ، يؤدي إلى هلاك الزرع وإصابة الانسان بالعديد من الأمراض والأوبئة .

كما أن تلوث المياه يخلق ظروفا مواتية لنمو نباتات غير مرغوب فيها ، كالطحالب والنباتات المائية التي تعوق الملاحة ، وتخفض من سرعة التيار ، مما يهيىء الفرصة لنمو القواقع وديدان البلهارسيا ، وتكاثر البعوض ، كما تسبب حبوب اللقاح التي تتطاير من النباتات بعض الأمراض ، كالحساسية التي تصيب الانسان في الجهاز التنفسي ، نتيجة لاستنشاقه حبوب اللقاح ، التي تتطاير من أشجار الصفصاف ، ويؤدي تكاثر الفئران بدرجة كبيرة إلى خسارة هائلة في المحاصيل الزراعية الضرورية ، واللازمة لغذاء الانسان ، كالقمح ، والذرة ، والأرز ، بالاضافة الى دورها في نقل بعض الأمراض والأوبئة كالطاعون .

وعموما فان كل ما يفسد البر والبحر يعتبر ملوثا ، ووجود أي مادة في غير مكانها الذي خلقه الله لها ، وفي غير زمانها المفروض أن تتواجد فيه كل ذلك يدفع إلى التلوث .

وعلى الانسان ان يحاول وضع الحلول المناسبة لمواجهة تلك المشكلة وحتى لا تتحقق المأساة المخيفة التي يقودنا اليها التلوث ، ولنا وقفة اخرى متأنية في هذا الموضوع ، حتى نفصل الحديث في جنبات تلك المشكلة ، وندرس تلوث الهواء والماء والتربة في ضوء القرآن الكريم والله الموفق .

# الرسول الداعية

للاستاذ : محمد كمال الدين

الدعوة في اللغة تعني النداء والطلب والرغبة في الابلاغ عن أمر والاحاطة به ، وهي في الاسلام تعني دعوة الناس إلى الايمان بالله الواحد الأحد ، وبالكتب المنزلة منذ آدم عليه السلام وإلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالرسل جميعا ، وباليوم الآخر الذي لا ريب فيه ، مع العمل بهذا الايمان عقيدة وسلوكا ، وهي تعني تعليم الناس بما يبصرهم بشئون دينهم ودنياهم ، وحثهم على عمل الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحذيرهم من عمل ما يوقع في الخطأ أو اقتراف المعاصي ، إنها الوعظ والارشاد والتحذير ، وهي في دعوة الرسول تكليفه بابلاغ الناس وإخبارهم بأنباء الدين الجديد ـ دين الاسلام ـ والعمل على نشر مبادئه وإقناع الناس بالايمان بها والالتفاف حولها .

وهذه المعاني هي بالضبط مفاهيم الاعلام منذ نشأ من قرن أو يزيد ، وإلى يومنا هذا ، إن الدعوة في أحد مفاهيمها هي الاعلام ، ويكاد العلماء المحدثون والمعاصرون يجمعون رأيهم على أن الاعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ، والمعلومات السليمة ، والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في حدث من الأحداث ، أو خبر من الأخبار ، أو معلومة من المعلومات .

والاعلام ـ كعلم ـ يدخل في نطاق جميع نواحي الحياة ، يدخل في السياسة والاقتصاد والعلوم والآدب والفن والاجتماع والدين ، ورجل الاعلام الصحيح ـ في أي من هذه

المجالات ــ هو العالم الداعي ، والمبلغ بكل جديد في مجال نشاطه أو فرع تخصصه ، وبهذا المعنى يكون رجل السياسة ورجل الأدب ، ورجل الدين .. من رجال الاعلام لأنهم ينقلون إلى غيرهم معلومات أو أخبارا جديدة عليهم في مجالات اختصاصهم .

وماذا كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم غير ذلك ؟ إنه بالمعنى القرآني داعية إلى الله ، ومبلغ لرسالته : ( **يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا** ) الاحزاب ٤٥/٤٦ .

( **ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين** ) القصص/٨٧ .

وحين يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دعوته ، ويعد بعض صحابته لتحمل عبء الرسالة والدعوة معه ، تصبح الدعوة الاسلامية ملكا للناس جميعا ، ولمن يقدر منهم على تحمل المسئولية ، ويصبح توجيه الدعوة الاسلامية على مستوى الجميع : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ) آل عمران/١٠٤ ، ( **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين** ) فصلت/٣٣ ، ذلك لأنهم جميعا يدعون إلى ما يدعو إليه الله سبحانه وتعالى : ( **والله يدعو الى دار السلام** ) يونس/٢٥ .

هكذا كان الرسول الداعية الأعظم منذ بعثته ، بل ومنذ مولده الكريم ، لقد كان مولده صلى الله عليه وسلم إيذانا ببدء دعوة إعلامية كبرى تنادى بالتوحيد ونبذ عبادة الأصنام ، كان مولده بعيدا عن مظاهر الشرك أو مشاركة مجتمعه عاداته الجاهلية المعروفة مثل شرب الخمر ولعب الميسر وأكل الميتة وإيتاء الفواحش ووأد البنات .. إلى غير ذلك من ظواهر اجتماعية فاسدة جاء الاسلام لمحاربتها ، وإحلال عادات سليمة وجديدة محلها ، عادات تقوم على الخير والمحبة والأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والنهي عن الفواحش وأكل مال اليتيم .

ولاغرو ، فقد خرج الرسول الكريم من نسل شريف ، وأصل يفخر به العرب جميعا ، كان جده عبدالمطلب معروفا باسم « الفيض » لكثرة جوده وكرمه ، وكان مطاعا في قومه نظرا لحكمته وبعد نظره وصواب رأيه ، وكان أول من استن بعض السنن الاجتماعية القويمة مثل منع نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنا ، وألا يطوف بالبيت عريان ، والوفاء بالنذر .. أما أبوه ــ عبدالله ــ فقد كان شبيها بعمه أبي طالب في آرائه ، وكان شعاره الذي التزم به : « أما الحرام فالممات دونه » ، وكان العرب جميعا يعرفون فيه نسك أبيه ، ويكفي أن نعرف أن جبهته قد أشرقت بالنور السماوي يوم

مولده صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول يقول في ذلك : « أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ابن مريم » رواه الديلمي .

ويقول في حديث آخر : « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » رواه الترمذي ، وفي حديث ثالث يقول : « انا سيد ولد آدم » رواه ابن ماجة ، وعنه يقول الماوردي : « لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما ، وقصور نسبهما عليه ، ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ، ولتفرده بها آية ، فيزول عنه أن يشارك فيه ، ويماثل به ، فلذلك مات أبواه عنه في صغره ، إذ مات أبوه وهو لما يزل جنينا ، وماتت أمه — آمنة بنت وهب — وهو ابن ست سنين ، وكأننا بربنا جل شأنه وهو يقول فيه : ( **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ) الروم/ ٣٠ .

كانت هذه النشأة الشريفة للرسول الداعية مثار احترام قومه وتقديرهم ، ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم بينهم إنسانا لا يميز نفسه بشيء عليهم ، ولا يستكبر . ولا يستعلى ، يتواضع ولا يتفاخر بهذا الحسب الكريم : ( **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ) آل عمران/ ١٦٤ ، ( **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ) الأحزاب/ ٤٠ .

وفضلا عن ذلك فقد كان سلوكه في قومه يقوم على خصال وصفات إنسانية كريمة ، هي نفسها صفات الداعية الحق ، والنموذج القدوة ، والمثل الصادق في كل زمان ومكان ، ومن أهمها :

١ — لم يكن فحاشا ولا عيابا ، فلم يحدث أنه تطاول على أحد أو أغلظ له في القول ، لا يسب أحدا ولا يعيبه ولا يقبحه .

٢ — كان رحيما بكل الناس ، صغيرهم وكبيرهم ، ضعيفهم وقويهم ، وقد روى عنه حين كسرت رباعيته في موقعة أحد ، وقال له قومه لو دعوت على أعدائك ، أنه قال : « إني لم أبعث لعانا ، وإنما بعثت رحمة » رواه البخاري ومسلم ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما له قط ، ولا ضرب امرأة قط ، ولا ضرب بيده شيئا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يكون لله ، فاذا كان لله انتقم له » رواه أحمد . وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « إنما أنا رحمة مهداة » الحاكم ، وصدق الله حيث يقول : ( **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** )

الانبياء/١٠٧ .

٣ ـ كان ينتصر للحق فلا تغضبه الدنيا ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وما كان جهاده صلى الله عليه وسلم طوال دعوته في مكة ـ والتي استغرقت ثلاث عشرة سنة ـ ثم في المدينة ـ والتي استغرقت عشر سنوات ـ إلا انتصارا لرسالة الحق ، رسالة الاسلام والسلام .

٤ ـ كان شجاعا مقداما ، ويكفي أن نذكر يوم حنين ، يوم فر من حوله في المعركة ، أما هو ، فقد جابه الأعداء بشجاعة نادرة وهو يقول لهم ، وفي مواجهتهم : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب » رواه أحمد والبيهقي والنسائي .

هذه السمات في الرسول الداعية ، وغيرها كثير ، تجعل منه نبراسا وقدوة صالحة لدعاة اليوم من جيل العلماء ، حتى ينهضوا بأمور دعوتهم ، وقد وضحت أمامهم الرؤى ، واستبان لهم الطريق ، **( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا )** الأحزاب/٢١ ، وقد أوجز يعقوب بن سفيان النسوى الحافظ فيما ذكره عن الحسن بن علي ، سمات الرسول الداعية حين قال :

ـ « كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ( أي كثير الصياح ) ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والاكثار ، وما لا يعنيه ، وترك من الناس ثلاثا : كان لا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه ، فكأنما على رؤوسهم الطير ، فاذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يحوزه ، فيقطعه بانتهاء أو قيام ، وكان سكوته على أربع : الحلم والحذر والتقدير والتفكير ، أما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس ، وأما تذكره أو تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه » .

ولعل صفة « الداعية » هي السمة الكبرى التي جمعت بين كل سمات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسل بدعوة الحق ، دعوة الاسلام **( وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم )** المؤمنون/٧٣ .

ولقد قامت هذه الدعوة على أسس ثلاثة ، هي أيضا من سمات الداعية ، وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : **( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن )** النحل/١٢٥ ، فالحكمة هي الفهم والعلم ، الفهم للرسالة والعلم بمطالبها وسبلها ، والموعظة الحسنة هي تذكير الناس بما يلين قلوبهم من ثواب الله وعقابه ، وتتضمن الحث

على العدل بين الناس ، والاحسان إليهم ، وصلة القربى ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ( **ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر** ) البقرة/٢٣٢ ، أما الجدال بالحسنى فتعني المحاورة ، والتخاطب بطريقة الاستمالة والاقناع ، وبأسلوب يتسم بالرفق واللين وحسن الخطاب ..

كذلك قامت الدعوة الاسلامية على مبادئ أخرى – هي أيضا من سمات الداعية ، وطريقة معاملته مع الناس – ذكرت في القرآن الكريم أيضا في قوله تعالى : ( **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ) آل عمران/١٥٩ .

ولقد تضمنت هذه الآية الكريمة وحدها العديد من سمات الرسول الداعية يمكن أن نوجز القول فيها فيما يلي :

● تأكيد جانب اللين في المعاملة ، ولا يعني اللين الضعف أو التهاون ، بل يعني إظهار جانب اليسر والحياء وخفض الجناح : ( **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ) الشعراء/٢١٥ .

● عدم الغلظة في التعامل مع الناس ، أو أخذهم بالشدة والقسوة ، لأن ذلك ينفرهم من الدعوة ، ويصرفهم عنها .

● العفو عن المسيء إذا تاب واستغفر بعد رد الحقوق إلى أصحابها ، وهذا هو العفو أو الصفح مع القدرة على العقاب ، وإنزال القصاص ، وهنا يصبح العفو معادلا للاصلاح والعدل ، وإعطاء الفرصة للمذنب أن يتوب ، وللعاصي أن يرجع إلى الحق والصواب .

● الدعاء للناس بأن يصلح الله من شأنهم ، وأن يهديهم سواء السبيل حتى يؤمن الجاحد ، ويتوب العاصي ، ويؤوب المذنب .

● التشاور مع أصحابه وأولى الأمر من المسلمين في شئون حياتهم ، وهذه هي الديموقراطية بأجلى معانيها ، إنها ضد التعصب للرأي ، والاستبداد في اتخاذ القرار أو تنفيذه ، والانفراد بالسلطة ، ولقد كانت الشورى في حياة الرسول – ثم الصحابة وحكام المسلمين من بعده – مبدأ أساسيا في الحكم والحياة ، فكانوا لا يصدرون حكما ، ولا يتخذون قرارا ، ولا ينفذون أمرا إلا بعد تشاور طويل ، وتبادل للرأي ، ثم استقرار جماعي على ما ينبغي تنفيذه أو اتخاذه من قرارات .

● التوكل على الله ، لأن الغيب بيد الله ، والحكم له سبحانه وتعالى ، والتوكل على الله هو صفة المؤمنين الصابرين المتقين ، فكأن من توافرت فيه شروط الاسلام الصحيح ، لا تكتمل هذه الشروط الا بشرط التوكل على الله ، ( **وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا** ) ابراهيم/١٢ ، ( **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ) الطلاق/٣ .

# الإسلام

# منطلق الهدى والنهضة الحضارية

إن الاسلام ضرورة حيوية لهذا العالم ، بحكم أنه الدين العام الخالد ، الذي أنزله الله سبحانه ليكمل شرائع السابقين ، فكان عين الكمال ، وكان الكفيل بانقاذ العالم مما يتخبط فيه : من فوضى مشوشة ، في دوامة من الأطماع والأنانيات ، تحركها البغضاء والعداوات ، فيصطدم بعضها ببعض ، ولربما

للشيخ محمود ابراهيم طيرة

تتطاير من اصطدامها شرارة حرب مدمرة ، تأكل الأخضر واليابس ، ولا تبقى ولا تذر ! وقد انتظم الاسلام من المعاني السامية ، والمثل العالية ، والقيم الرفيعة ، ما يحقق للانسانية الفاضلة أسمى ما تصبو إليه من نهوض وتقدم ، وما يكفل لكل امرىء صلاحه وإصلاحه ، وانتظام أمور معاشه ومعاده ، واستقامة مساره على النهج الواضح ، الذي يوصله إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، كما أوضحنا في نفس المقال ، أن للاسلام فلسفة كبيرة عظيمة ، دحضت فلسفات الأرض جميعا ، لاسيما الفلسفة الالحادية ، التي عميت بصائر ذويها وبلد حسهم ، وانحطت عقولهم واضطربت ، فاختلط الأمر عليها ، حتى لم تعد تفرق بين حق وباطل ، وصالح وطالح ، وطيب وخبيث ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

**( فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور )** الحج / ٤٦ .

وإني أستأذن السادة القراء ، في أن أقف هنا وقفة ، أركز فيها على هذه الفلسفة الالحادية المخربة ، أنبه الشباب إلى خطرها ، وأحذرهم منها ومن دعاياتها البراقة ، التي هي أشبه ما تكون بالسراب الخادع يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد عنده السم في الدسم ، وخيبة الآمال في العسل ! إن هذه الفلسفة المقيتة ترى في الشباب الناشىء خامات نظيفة ، وقلوبا خالية تحاول أن تتلقفها فتبذر فيها بذور الالحاد ، التي سرعان ما تنبت وتنمو ، وتضرب جذورها في الأعماق ، فيكون من الصعب بعد ذلك اقتلاعها ، ومن أجل هذا أدعو الشباب مخلصا إلى البعد كل البعد عنها ، وأمحضهم النصح بعدم الاصغاء لدعاياتها الزائفة الخادعة ، صونا لأنفسهم من أخطارها وأضرارها ، إذا هم وقعوا في براثنها ، متمثلا بقول القائل :

ولقد نصحتك ، إن قبلت نصيحتي
والنصح أغلى ما يباع ويوهب

إن هؤلاء الملاحدة ينكرون وجود الله ، مع قيام الأدلة التي لا تحصى على وجوده ! ولكأني بقائلهم وهو يخاطب البشرية ، بعد عودته من رحلته التي حلق فيها بسفينته في أجواز الفضاء البعيد فيقول : لقد

رأيت الأرض تسبح في الفضاء بما عليها من سهول وجبال ، ومحيطات وبحـــار وأنهـــار ، وزروع وثمـــار وانسان وحيوان ، كما رأيت الليل والنهار على ظهر هذه الأرض في وقت واحد ، ورأيت ورأيت .. ولكني لم أر ربكم المزعوم !! أرأيتم معشر الشباب إلى منطـق هذا الملاح الفضائـــي المخبول ؟! كبرت كلمة تخـرج من فيه ، إن يقول إلا كذبا ، ولقد خاب وخسر ، عجبا له وأي عجب : عجبا لمن يفج النور في وجهه ولا يرى ، وتقرع أذنه قوارع الحق فلا يسمع ، وتتصارخ النذر من حوله هاتفة به فلا يتنبه ! هل كان وجود هذه الآيات البينـــات ، في ملـكوت الأرض والسماوات ، وعجائب المخلوقات ، هكذا عفوا وبمحض الصدفة دون ان يكون لها موجد ! ومن الذي وضع لهذه الكائنات التي لا يحصيها العد نظامها الدقيق المحكم ، الذي لو شابه أدنى خلل ، لخربت الدنيا في غمضة عين ؟ ( **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحـــون** ) سورة يس/ ٤٠ .

وهذه الأرض التي يراها بأم العين تسبح في الفضاء بأثقالها وأحمالها ، التي يستعصى تقديرهـا على كل ميزان ، ويعجـز عن وصفهـا كل لسان ، من هو الذي يمسكها أن تميد بنا ؟ ومن أين للشمس هذه الطاقات الحرارية الهائلة ، من أين ؟ بل ومن أين للعين نورها والضياء ، وهو نقطة سوداء ، على سطح الماء ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ، تسقى بماء واحد . ويفضل بعضها على بعض في الأكل ؟ ومن هو مخرج الخضراء من الغبراء ، وخالق العجب من طـين وماء ؟! من أين كل هذا ــ أيها الملحد الزائغ ــ إذا لم يكن له رب قادر عظيم ، خلق هذه الكائنات وأبدع في خلقها بما يدهش العقـول ويحـير الألباب ؟! وما أصـدق قول اللـه سبحانه : ( **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناهـــا وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ) الآيات/٦ ــ ٨ من سورة ق .

وإنه ليحضرني في هذا المقام ما يقصه علينا رواة السـير : من أن الأصمعي مر يوما على أعرابي قائم يصلي لله ، فسأله ــ ماذا تعمل ؟ قال : أصلي لربـــي ، فقـــال له الأصمعي : وهل تعرف ربك ؟ فقال الأعرابي : نعم أعرفه ، فقال له : هل رأيته ؟ قال : لا ، لم أره ، فقال له الأصمعي : إذا بم عرفته ؟ فأجابه الأعرابي بكلمات صغيرة ، لكنهـا كبيرة ، قليلة المبنى ، ولكنها جليلة المعنى ، بسيطة ، ولكنها حكيمة قوية منطقية . قال الأعرابي : البعرة تدل على البعير ، والقدم يدل على المسير ، سمـاء ذات أبـراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، لاشك تدل على اللطيف الخبـير ! أجـاب الأعرابي هذه الاجابـة الوجدانيـة المقنعة ، بعد أن نظر إلى السمـاء

وعظمتهـــا ، والأرض وزينتهـــا ، والجبـــال وشموخهـــا ، والسهـــول وانبساطها ، والبحار وأمواجهـــا ، والكواكب وأبراجها ، نظر إلى هذه المخلوقات العجيبة العظيمة ، نظرة صافيـــة مدققـــة ، نظـــرة المتأمـــل المتفكر ، فحكم عقله وأعمل فكره ، ثم أجاب هذه الاجابة ، التي بالغبطة والارتياح ملأتني ، بل أحسب أنها بهرتنـــي ، فملـــكت علي مشاعـــري وأحاسيسي ! فلله أنت يابن الرمال والصحراء ، ما أقوى حجتك ، وما أصدق منطقك ، وما أبعدنظـــرك ، فضلا عن صفـــاء نفســـك ويقظـــة بصيرتك ، ولقد ألقيت على الأصمعي درسا بليغا في الايمان ، ولشد ما كنت رائعا وأنت تنتزع من مرئيات محيطك الذي تعيش فيه ، ما يسميه علماء التربية وسائل الايضاح وهي البعرة والبعير ، والقدم والمسير ! هذا واني حين أوازن بين حالتي الرجلـــين : الأعرابي ورائد الفضـــاء ، أشعـــر بدهشة بالغة تعروني مشوبة بحيرة شديدة : أعرابي بدائي أمـــي ، لم يدخل مدرسة ، ولم يتعلم في جامعة ، ويضرب بقدميه في رمال الصحراء ، يتسامى إلى أعلى درجـــات اليقـــين والايمان ، بفطرته السليمة ، وفكرته الحكيمـــة ، ونظرتـــه الصائبـــة المستقيمـــة ، وبصيرتـــه الوضيئـــة النيرة ، وروحه الشفافة المشرقـــة ، وعقله الواسع المتفتح ، بينما الرائد المثقف المستنير ، الذي يحلق بسفينته يغزو الفضـــاء ، لاستكناه كنهـــه ، واستكشاف اسرار العوالم الأخرى وأحوالها ، يتهـــاوى إلى أسفـــل ، ببصيرته العمياء ، وفكرته الهوجاء ، ونفسه المشوشة المضطربة ، وتعصبه المقيت البغيض ، وروحه السجينة في ظلمات المادة ، حتى يهبط إلى أحط درجات الجحود والكفـــران !! شيء غريب حقا ، يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، ووضـــع معكوس تمامـــا ، فان المفروض في رائد الفضـــاء أن يكون أشد الناس إيمانا بالله ، حيث يرى من دلائل وجوده ، وبدائع قدرته في ملكوته ، مالا يتسنى لغيره أن يراه ، وليس الأعرابي الذي يفترش الأرض ويلتحف السماء ! ومن ثم رأيتني أناجي ربي وأقول : سبحانك يارب سبحانك ، آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجـــودك ، فلك يارب في الخلـــق شؤون ! ــ رب ــ إن الهدى هداك ، والويل لمن طمست بصيرته ، فأنكر الشمس في رائعة النهار !

وفي غمرة دهشتي وحيرتي والألم المبرح ، من جحود من كان يفترض فيهم الايمان العميق ، تتحرك دوافع الشعر في نفسي فأقول مخاطبا هذا الملحد الأثيم ، ومن على شاكلته :ــ

جحدتم به ربـــا ، وأنتـــم صناعته
فأوغلتمو في الظلم ، والكفر غايته !
وفي كل شيء آيـــة بعـــد آية
تجلى بهـــا قدر الالـــه ، وقدرته
وليس كمثـــل الـــروح للمـــرء آية
وسر عظيم ، ليس تدري حقيقته !

●●●

فكيف يصح القول أن ليس للورى
إلـــه على كل العبـــاد إطاعته ؟
وأين هو العقل الرشيد ، أياترى ؟
وأين الضمير الحي ؟ أين ؟ وصحوته !
بصائر عمـى ، والنفـوس مريضة
وران على القلب الجحود ضلالته !
ضلال هو الالحاد ، قد زاغ أهله
عن الحق ، تدعوهم إليـه شريعته
وياويـل من ضل الهدايـة ، ويله
فما غير نـيران الجحيـم نهايته !
ومن رام يوما صنعـة.دون صانع
لعمرى مخبول ، وهـذى خرافته !

●●●

ومن عامل الشيطان ، خاب رجاؤه
ومن يتجر في الظلم ، بارت تجارته
ومن عامل الرحمن ، طابت حياته
وراجت بسـوق المؤمنـين بضاعته
ومن عاش في دنياه بالجسم وحده
تهاوى ، وما يدري ، فجمت خسارته !
ومن عاش بالقلب السليم ، وبالنهى
تسامى إلى العليا ، ونارت بصيرته
فيمضي على النهج القويم ، ومن يسر
على منهج التحقيق ، لم تطو رايته !
ويحظـى من المولى الكريـم بحبه
ومن يحبب الرحمن تعظم سعادته !

●●●

ففـكر ، تجـد مولاك في كل حالة
إليـه مرد الأمـر فيهـا ، وحكمته
وبادر إلى صلح مع الله ، مخلصا
فشر البلايا في الحيـاة خصومته !
وإن تعتصم بالله ، تلـق بحصنه
أمانا ، وإيمانا ، وتغشاك رحمته !

أما بعد ــ فقد كان العرب قبل مبعث المصطفى صلى اللـه عليـه وسلم ، على شر ما تكون عليه أمة : فالأنسـاب ضائعـة ، والمظالـم شائعة ، والأخلاق فاسدة ، والنفوس مريضة بل ميتة ، والجهل فاش ، والفقر عام ، والعداوة مستحكمة ، والحروب قائمة ، والفتن مستيقظة غير نائمة ، والأمن مختل ، والنظام مفقود ، ووأد البنات زين لا شين ، إلى آخر سلسلـة الفسـاد المسـتشري والانحلال ، ونظرة فاحصة إلى ذلك المجتمع الجاهلي ترد الطرف وهـو كليل ! مجتمـع متخلـف فاسـد ، يحكمه ما يشبه شريعـة الغـاب ، فالحكم للقوي ، والاحترام للغني ، والحالة في جملتها فوضى لا ضابط لها ولا رابط ، فضلا عن عبادة الأصنام والأوثان ، من دون الواحد الديان !!

ولقد نشأ محمد عليـه الصـلاة والسلام على الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق ، لأنه إن كان يتيمـا من الأبوين فلكي يتولى الله سبحانـه تربيته وتأديبه ، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام : « أدبنـي ربـي فأحسن تأديبي » رواه البخاري .

نشأ عليه الصلاة والسلام في هذه البيئة التي تموج بالمفاسد وهو ذو الخلق العـالي ، فكان طبيعيـا أن يضيق صدره ، وتفيض نفسه بالألم الممض ، وفؤاده بالهم الثقيل ، ولعله من أجل هذا كان يفر من هذه الجهالة الجهلاء ، والضلالة النـكراء ، إلى غار حراء ، يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، يتعبد بالتفكر والتأمل في خلق

الله وبديع آياته ، في ملكوت أرضه وسماواته ، ثم فيما يمكن عمله لانقاذ هذه البشرية ، في حين كان يشعر من أعماقه شعورا يغالبه ، بأن خلاص العالم وإصلاحه سيكون على يديه ، إلى أن هبط الوحي عليه بالحق المبين ، من لدن الحكيم العليم ، فشرح الله بالاسلام صدره ، وأذهب همه وأزال غمه ، ووضع عنه هذا الحمل الثقيل الذي كان ينوء به كاهله ، وامتن عليه بذلك في سورة الشرح بقوله : ( **بسم الله الرحمن الرحيم . ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك** ) – ( أي وضعنا عنك ثقلك وحملك الذي أثقل ظهرك – **ورفعنا لك ذكرك** ) الآيات/١ – ٤ .

أجل – ما أن جاء الاسلام بصلاحه وإصلاحه ، حتى تبدل الحال غير الحال : أحيا الله بالاسلام موات نفوسهم ، وأصلح فساد أخلاقهم ، وبدل جهلهم علما ، وعسرهم يسرا ، وفقرهم غنى ورخاء ، وعداوتهم محبة واخاء ، وألان قلوبهم بالحب والرحمة ، والعطف والحنان ، فاستتب الأمن ، وساد النظام ، وأصبح هؤلاء الجهلة الغلاظ الجفاة ، الغارقون في رمال الصحراء ، منارة الهدى والرشاد ، وفتحوا الفتوحات ، ومصروا الأمصار ، ومدوا ظلال الحضارة والمدنية والعمران ، مما لايزال العالم المتحضر يتغنى بذكره حتى اليوم !

ولقد كان القرآن الكريم مدرسة كبرى يتعلم فيها المسلمون ، وقد تخرج فيها من سلفنا الصالح رجال عظام غرميامين ، خلصت لهم القيادة والريادة في شتى مجالات الحياة ، فسجل لهم التاريخ بمداد الاعجاب والتقدير أروع الصفحات : كانوا غرة في جبين الزمان ، ودرة في كف الأيام ، تخرجوا في هذه المدرسة العظيمة أسوة تحتذى ، في الصدق في القول ، والاخلاص في العمل ، في العدالة والنزاهة ، في السخاء والوفاء ، في الاحسان والايثار ، في الورع والزهد ، في الشجاعة والهمة ، والمروءة والنجدة ، والحب والرحمة ، والسياسة والحكمة ، والشرف الحقيقي ، والانسانية الكاملة !

تلكم هي الآثار العظيمة ، التي خلفها الاسلام في المسلمين ، تتجلى في أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم ، ألمحنا إليها بصورة إجمالية ، ولو أننا استرسلنا في الحديث عنها ودخلنا في التفصيلات ، لاحتجنا إلى مؤلفات ومجلدات ، وصفوة القول أن عظمة الاسلام وجماله وكماله ، وما انتظمه من مبادئ سامية ، وأخلاق عالية ، وقيم رفيعة ، ترسم النهج القويم ، وتهدي إلى الصراط المستقيم ، الموصل إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، هي أمور تجل عن الوصف والبيان ، فنحن لا نملك إلا أن نقف أمام هذا الاسلام العظيم الخالد ، وقفة أدب واحترام ، وقفة تمعن واستلهام ، نستجلي فيه هذه الروعة وذياك الجلال ، ونقول في خشوع : حسب الاسلام عظمة وخلودا ، أنه الاسلام وكفى !!

# حقوق المرأة الخاصة بالأسرة

للاستاذ محمد ابراهيم عامر

## الزواج :

الزواج نظام قام بين الرجل والمرأة منذ فجر التاريخ البشري ، وقد تعددت صوره واختلفت .

والتفسير الديني للتاريخ يدل في وضوح على أن الله تبارك وتعالى قد جعل الزواج صلة مشروعة من أيام آدم أبي البشر عليه السلام كما يدل على ذلك قوله تعالى : **( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة )** . البقرة / ٣٥ .

**والزواج في اليهودية** فرض على كل اسرائيلي كما تنص على ذلك المادة السادسة عشرة من كتاب « الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للاسرائيليين » .

**أما الزواج في الدين المسيحي** فالخلاصة التي نخرج بها من النصوص الدينية فيه هو أن الوضع المثالي الأفضل لجميع المسيحيين هو عدم الزواج والانقطاع الى العبادة والرهبنة لكن الزواج يباح خشية الزنا وعدم القدرة على ضبط النفس .

**وأما الزواج في الاسلام** فهو سنة حث عليها بقوة ، إرضاء للغريزة الجنسية من طريق حلال ونظيف ، وطريقا للحصول على الولد من خلال أسرة يفوح من ثناياها الشرف والفضيلة ، وسبيلا الى الأنس النفسي والسكن .

ولما كان الدين الاسلامي دين الفطرة فانه ينظر الى الزواج على أنه الفطرة الطبيعية وصدق رسول الله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » رواه البخاري .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة » رواه عبد الرزاق في الجامع والله تبارك وتعالى يبرز الزواج في مقام نعمته ورحمته وحكمته إذ يقول : **( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة )** الروم / ٢١ .

والزواج هو السبيل الوحيد لبقاء الانسان واستمرار حياته ، وهو حجر الأساس لقيام الأسرة والمجتمع ، تلك الأسرة التي إن نشأت قوية اللبنات نشأ المجتمع القوي العظيم ، ومن هنا كان اهتمام الاسلام بالأسرة إذ كان اهتمامه بالزواج .

**إختيار الزوج :**
جعل الاسلام للمرأة الحق في اختيار زوجها غير مكرهة على قبوله ، وليس لولي أمرها أن يستأثر دونها في هذا ، وإذا زوجت المرأة البالغة الرشيدة نفسها فليس لولي أمرها حق إلغاء هذا الزواج إلا إذا كان زواجها من غير كفء لها إذ في معرة الزوج معرة لأسرة الزوجة ، أما إذا كان الزوج كفئا لها فان العقد يكون نافذا .
والقرآن الكريم يجيز للمرأة أن تباشر عقد زواجها بنفسها ويحذر الرجال من أن يمنعوها هذا الحق .
كما تضمنت الأحاديث الكثيرة وجوب استئذان المرأة عند زواجها وحتمت على الثيب أن تصرح بالأذن ، واكتفت من البكر بالسكوت وهو دليل الرضى مراعاة لحيائها .
**الخطبة :**
لما كان الزواج من أخطر العقود شأنا فقد لزم له دقة التريث في اختيار كل من الزوجين لشريكه ، وحتى يتوافر الاختيار السليم الحكيم شرع الاسلام الخطبة ، ويحتم الاسلام أن يرى كل من الخطيبين الآخر وأن يجلس إليه في وجود محرم تعرفا على الشكل ، وكما يحرم الخطبة دون رؤية فانه لا يقر اختلاط الخاطبين وذهابهما وحدهما هنا وهناك تحت ستار الخطوبة مما يكون سبيلا للقيل والقال ، ويعود في نهايته بأسوأ العواقب والنتائج ، وقد رد رسول الله المغيرة بن شعبة ليرى خطيبته التي خطبها دون رؤية وقال له : « انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه مسلم،على أن الخطبة وعد بالزواج وليست زواجا .
**تعدد الزوجات :**
ينبغي أن نعلم أولا أن تعدد الزوجات ليس من صنع الأسلام ، وإنما هو تشريع قديم عرفته كل الحضارات وفي مقدمتها التوراة ، وأقره الأنجيل إلا في حالة واحدة هي حالة الأسقف حيث لا يستطيع الرهبنة مع تعدد الزوجات فانه يكتفي بواحدة ، وقد بقي تعدد الزوجات معمولا به في العالم المسيحي حتى حرمته القوانين الوضعية .
وقد كان الزواج في أكثر الظروف لغير عدد محدود ، فلما جاء الاسلام قيده بألا يزيد عن أربع فمن كان لديه أكثر منهن أمسك أربعا وفارق ما عداهن .
**على إن الاسلام يرى أن الزواج الأمثل والأوثق هو الزواج بواحدة ، ولم يبح التعدد إلا لضرورات وبشرط ضمان العدل بين الزوجات ،** ولم يكن هدف الاسلام ولن يكون من هذا التعدد مجرد تنويع المذاقات فان الله لا يحب الذواقين والذواقات ، ونستطيع أن نجمل حكم التعدد فيما يلي : ــ
**أولا : أسباب إنسانية عامة :**
١ ــ من المقرر في علم الديمو جرافيا أو علم إحصاء السكان أن الأطفال الذكور أكثر تعرضا للوفاة من الاناث في الطفولة الأولى ، وكذلك الشأن في المراحل التالية للطفولة ، لما ألقت الطبيعة على كاهل الرجال من مسئوليات مما يعرضهم دائما

للأخطار والموت ، يضاف إلى ذلك أن الذكر لا يكون قادرا على الزواج إلا في سن قد تصل إلى الثلاثين لاعتبارات كثيرة ، بينما البنت تكون مستعدة للزواج بمجرد البلوغ ، والوقوف عند الزواج بواحدة يترك طابورا رهيبا من النساء بلا زواج .
٢ ــ في أعقاب الحروب يهبط عدد الرجال عن عدد النساء هبوطا مفزعا فقد تصل النسبة إلى ١ من الرجال مقابل ١٠ من النساء فاذا اقتصر الرجل على زوجة فما مصير الباقيات ؟
٣ ــ هناك ضرورات اقتصادية في بعض البيئات والظروف يحتاج فيها الرجل إلى الأيدي العاملة التي تعاونه ولا يساعد على ذلك إلا التعدد .

**ثانيا : أسباب خاصة :**

١ ــ قد ينكب الرجل بزوجة عقيم يحبها ولكنه يحب في الوقت نفسه ــ تبعا لغريزة حب البقاء فيه ــ أن يمتد عمره في ذرية ينجبها وتحمل اسمه ، وتقربها عينه ، أليس زواجه بالثانية مع الابقاء على الأولى ــ إن لم تتضرر ــ حفاظا على العشرة أولى من أن يلقي بها طريدة بائسة ؟
٢ ــ قد يصاب المرء بزوجة باردة جنسيا لا تحب المباشرة الزوجية ولا تعفه تبعا لذلك عن الحرام أو كان ممن لا تعفه المرأة الواحدة ، أليس له العذر في الزواج بأخرى تحقق الحكمة المقصودة من الزواج بدلا من الانحراف ؟
أيفضل المنددون بالتعدد نظام الخليلات على الحليلات ؟
إنني أهمس في أذن هؤلاء ــ وإن تعجلت ــ قائلا لهم هل تعلمون ما تمر به المرأة الغربية من مأساة قاسية تهدد كيانها وكيان الأسرة الغربية بل ومستقبل الجيل الجديد ، وهل تسمعون عمن يسمونها « الأم الآنسة » في الغرب وعن آلاف المواليد الذين لا يعرفون لهم آباء .
فلقد ذكرت الاحصائيات الرسمية أنه من بين كل ٩ أطفال ولدوا في لندن سنة ١٩٦٠م واحد لم تتزوج أمه ، فاذا عرفنا أن عدد المواليد في لندن في العام المذكور بلغ ٧٣٦٨ طفلا عرفنا نسبة من لم يعرف لهم أب من بينهم وهي نسبة خطيرة جدا ، كما اثبتت الاحصائيات الأمريكية أن بين كل ٦ أطفال ولدوا في نيويورك عام ١٩٦٧ طفلا غير شرعي وقد كانت النسبة عام ١٩٥٧ واحدا من كل ١٥ طفلا ، وهذا يؤكد التطور الخطير نحو الخطيئة واذا عدنا إلى تعدد الزوجات والذي أباحه عند الضرورة ووضعنا تحت أعيننا دعوى القائلين بأن التعدد ضار بالأنثى نلمس عدم سلامة هذه الدعوى ، إذ أن في التعدد إنقاذ الأنثى من التسكع والتردي ، بالاضافة إلى سد الثغرات الأخرى التي ذكرناها ، ومن النقص عند من يقيم عملية ما ألا يذكر محاسنها بجوار مساوئها ثم يحكم .
ولو أن كل مسلم عدد زوجاته نفذ ما أمر الله به من العدل في ذلك السبيل ، وقامت كل زوجة منهن بما أمر الله لاستقامت الأسر واستقام المجتمع ، ولما كان ما

نعده ، عيبا على المجتمع وليس فيه .
وأهمس في أذن الصائحات هجوما على التعدد أيمكن للنساء أن يتفقن جميعا على عدم التزوج بمن هو متزوج ؟ وإذا قبلت الأنثى منكن الزواج بمتزوج فهل العيب فيه أم فيكن ؟ وهل كانت هذه ستتزوجه إن وجدت غيره أفضل منه ؟
اللهم أهدنا جميعا سواء السبيل .

**الكفاءة الزوجية**

من المبادىء التي تكفل دعم الأسرة في الاسلام الكفاءة الزوجية ، وهي أن يكون الزوج أهلا وكفئا للزوجة في موقعها الاجتماعي والأدبي ومن الناحية الثقافية والمالية والأسرية ، وفي ذلك حرص منه على كرامة المرأة وإعلاء لشأنها .

وفي الوقت الذي يشترط الاسلام في الزوج ألا يقل عن مركز الزوجة ووضعها على ما ذكرنا فانه يجعل كل أنثى كفئا للرجل مهما كان وضعها ، فالكفاءة تطلب من جانب الرجل لا من جانب النساء ، ولا يعير الرجل بزوجة تقل عنه ، ولكن تعير الزوجة برجل يقل عنها ، وفي ذلك ما فيه من إعلاء قدر المرأة وتكريمها .

**المهر :**

وهو عطاء من الزوج لزوجته ، وقد أمرت سورة النساء بأعطاء الزوجات مهورهن التي أطلق عليها « نحلة » فهي ليست أجرا ولا ثمنا ، وإنما هي عطاء يوثق المحبة ، ويربط القلوب ، ويديم العشرة .

والدليل على وجوب المهر الكتاب والسنة والاجماع .
وأقله شرعا عشرة دراهم فضة وقت العقد من أي نوع من أنواع المال ، ولا حد لأكثر المهر ، وإن كان من الخير عدم المغالاة لما فيه من إعراض الشباب عن الزواج ، وتعجيزه عن القدرة عليه ، والاغراق في الدين وسوء الحال فأيسرهن مهرا أكثرهن بركة .

والمهر حق خالص للزوجة وحدها تتصرف فيه كما تتصرف في سائر أموالها ، ولا تبرأ منه ذمة الزوج إلا بدفعه أو إبرائها له .

وللزوجة قبض مهرها بيدها وليس عليها أن تتجهز به أو بشيء منه لأنه مقابل لتمليك الزوج حق المتعة بها ، وعليه بعدئذ تأثيث منزل الزوجية لأن ذلك يدخل ضمن النفقة الزوجية .

**النفقة :**

أوجب الاسلام للزوجة ـ وإن كانت غنية ـ على زوجها نفقتها ، وهي ما تحتاج إليه لمعيشتها من طعام وشراب وكسوة ومسكن وفرش وخدمة بحسب المتعارف بين الناس .
ويلزم الزوج بالانفاق على زوجته كنص الكتاب والسنة ، والنفقة واجبة للزوجة من

حين العقد الصحيح فاذا امتنع الزوج عن **الانفاق كان للزوجة أن تطلب** أمام القاضي تطليقها لعدم الانفاق . وأوجب الاسلام للمرأة إذا ما طلقت نفقة العدة كما أوجب لها « المتعة » وهي ما يبذله الرجل لها بعد طلاقها غير نفقة العدة مما تحفظ به نفسها وكيانها قال تعالى : **( وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين )** البقرة / ٢٤١ .

## حسن المعاشرة :

إن حسن المعاشرة ــ وهو أمر أكد عليه الاسلام ــ لا يطالب به الرجل وحده ، ولا المرأة وحدها بل هو قدر مشترك بينهما ، يطالب به كل منهما .

إن كلمة رقيقة ، أو دعابة مستملحة ، أو بسمة حانية ، أو هدية في مناسبة ، لها أثر السحر في تدعيم الروابط الزوجية ، وإن بدت للبعض أمورا تافهة .

وإذا كنا نرى بعض الأزواج يرى قوامته في البيت فرض هيمنته بالتسلط والأوامر والقهر والتهديد والأيذاء ، ونرى البعض الآخر يترك لزوجته الحبل على الغارب فان الاسلام لا يريد لشخصية الزوج أيا من الوضعين ، إنما يرى أن تكون قوامة البيت بالرجولة المهابة والمحبة المذابة معا .

وقد حفل القرآن والسنة بما رسم من وجوب حسن العشرة للزوجة ، وبما يضمن سعادة الأسرة وهناءتها .

## حقوق الزوجة :

قرر الاسلام للزوجة ــ بعد ضياعها عبر قرون طويلة قبله ــ حقوقا على زوجها تتضح فيما يلي : ــ

١ ــ رضا الزوجة عن زوجها عند العقد .

٢ ــ حسن المعاشرة على التفصيل الذي ذكرنا .

٣ ــ حق المداعبة والملاطفة وأخذها على فطرتها كما خلقها الله لا كما يصور خياله .

٤ ــ أن يكون الزوج معتدل الغيرة على زوجته فلا يأخذها بشك أو ظن ولا يتجسس عليها أو يتتبع عثراتها .

٥ ــ النفقة في اعتدال **( لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها )** الطلاق /٧ .

٦ ــ القسمة العادلة بين زوجاته .

٧ ــ الاعفاف بالاشباع الجنسي للزوجة ، وله به صدقة .

٨ ــ الرعاية الدينية وحسن التوجيه من زوجها .

## حقوق الزوج :

وإذا كان كل حق يقابله واجب فان للزوج على زوجته الحقوق الآتية : ــ

١ ــ أن تطيع زوجها فيما يأمرها به سرا وجهرا ــ ما لم يكن في معصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ــ وأن تعرف له قوامة البيت بحقه ، ويأتي في قمة هذه الطاعة طاعته كلما دعاها إلى فراشه .

٢ ــ عدم الخروج من البيت إلا باذن الزوج .

٣ ــ تربية الأولاد تربية ترضي الله ورسوله فالأم هي معهد التربية الذي يتربى فيه الطفل ، وإذا قيل إن وراء كل عظيم امرأة فتلك المرأة أكثر ما تكون هي الأم .

**ومما يؤسف له أن المنظمات النسائية اليهودية تقوم بدور تحبيب الطفل في دينه ، وتعويده تلاوة التوراة صباح مساء بينما كثير من الأمهات المسلمات لا يحسن تلاوة القرآن !**

٤ ــ القناعة والحرص على مال الزوج فلا تطلب منه إلا ما تحس الحاجة إليه ولا تعطي من ماله إلا باذنه .

٥ ــ الخدمة في الدار وإدارة شئون البيت ورعاية متطلباته .

٦ ــ التزين لزوجها .

٧ ــ النظافة فلا تقع عينه منها على قبيح ، ولا يشم منها إلا أطيب ريح .

٨ ــ حسن الخلق . فانه إذا ذهبت محاسن الخلقة بتوالي الأعوام ، فان محاسن الخلق تبقى على الدوام .

٩ ــ ترضية الزوج عند الغضب .

١٠ ــ حسن معاشرة أهل الزوج .

١١ ــ احترام مشاعر الزوج وشكر صنيعه والوفاء له .

١٢ ــ العفة والأمانة في شرفها وعرضها وحتى في نظرتها وزيها .

١٣ ــ الاحداد على زوجها إذا مات مدة لا تزيد على أربعة أشهر وعشرة أيام ، فتلزم بيت الزوجية هذه المدة ، لا تنتقل حتى إلى أهلها ، وتتجنب الطيب والزينة فيها .

إنه لو اتقى كل من الزوجين الله وأدى ما عليه من حقوق لزوجه لوجدت الأسرة السعيدة الصالحة بحق ، ولوجد المجتمع المؤمن القوي الذي يهدف إليه الاسلام فهل يعود المسلمون الى إسلامهم ؟

### الطلاق

الحياة الزوجية جزء من الحياة ، وشأنها شأن المخلوقات فيها ، لا تخلو من أن تهب على سمائها الصافية أعاصير تبدل صفوها ، وتقلب هدوءها ، وتعكر صفاءها ، وهنا يختلف زوج عن زوج ، وزوجة عن زوجة ، فاذا اعتصم الزوج أو

الزوجة أو كلاهما ، بالحكمة وضبط النفس مرت العاصفة في الغالب بسلام ، وعاد للبيت هدوؤه وصفاؤه ، وإذا لم تكن الحكمة وضبط النفس كان الشقاق ... وكان الطلاق ... فكان الفراق ! وهو خاتمة يبغضها الله وينفر منها الاسلام ويقول عنه الرسول : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » رواه ابو داود والحاكم .

وقد رسم الاسلام للأسرة في مثل هذه الحال مناهج الحكمة وضبط النفس ، بما لو أخذ كل من الزوجين نفسه بها أو أخذهم بها الحاكم لقلت حوادث الطلاق ، واستقرت الحياة الزوجية على قرار مكين .

وإذا كانت ريح الخلاف قد هبت من قبل الزوجة وامتنعت على زوجها فهي ناشز وإذا هبت من قبله هو وامتنع عليها فهو ناشز وإذا هبت من قبلهما معا فهو الشقاق .

وقد جعل الاسلام أساس الحياة الزوجية المودة والرحمة ، فاذا اهتز كيان الأسرة بخلاف فان الاسلام يبادر بوضع علاج متدرج يحاول به رأب الصدع وإزالة السحب وإعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية .

ففي حالة نشوز المرأة رسم الاسلام سلما تدريجيا للعلاج **( فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن )** النساء / ٣٤ .

**أولي الدرجات الثلاث عظة بالحسنى والرفق** واللين فعسى أن يلين القلب أو يرجع العقل ويذهب الشيطان .

ثانيهما ــ إذا لم يجد الوعظ ــ هجر في المضاجع يكون الزوج به قريبا من زوجته بعيدا عنها في الوقت ذاته ، تؤمل من قربه إطفاء لهيبها الجنسي وتعود بخفي حنين ، وفي ذلك من الايلام النفسي ما يرد الناشزة إلى رشدها إن كان لديها بقية إحساس فما يؤلم صاحبة الحس أكثر من ذلك ، هجر في المضاجع لا هجر للمضاجع .

وثالثها ــ إذا لم ينفع الوعظ ولا الهجر المطلوب ــ ضرب ولكنه غير مبرح ، إنها إذ ذاك متبلدة الحس أقرب ما تكون إلى الحيوان وهذا النوع لا يجدي فيه غير الضرب الذي حدده الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا تضرب الوجه ولا تقبح » رواه ابو داود وأحمد .

وقد انتهز أعداء الاسلام فكرة وجوب الضرب في تشريع التأديب في الاسلام ، فراحوا يولولون ويتباكون يا للقسوة في التشريع ولكن لمرض في نفوسهم أو جهل في معرفتهم .

وردنا على ذلك ينحصر في ثلاث نقاط : ــ

١ ــ ما وصى بالزوجة دين قدر ما وصى الاسلام قرآنا وسنة .

قال تعالى : **( وعاشروهن بالمعروف )** النساء / ١٩ . وقوله : **( فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف )** البقرة / ٢٣١ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « استوصوا بالنساء خيرا » رواه البخاري .

٢ ــ إن إباحة الضرب تخضع لظروف الزمان والمكان فلا يستخدم هذا السلاح إلا

حيث يرجى منه خير .

٣ ـ إن بعض علماء النفس الأوروبيين يتحدثون عن إحساس بعض النساء تجاه الضرب بما يؤيده علاجا في بعض الأحيان ، ويرون أن هذه غريزة شائعة بين النساء وإن لم يعرفنها ، ومن أجلها اشتهرن باحتمال الألم أكثر من الرجل ، وأن الزوجة من هذا النوع تزداد إعجابا بزوجها كلما ضربها وقسا عليها ، ولا شيء يحزن بعض النساء أكثر من التزوج برجل رقيق الحاشية دائما .

وقريب من هذا الاتجاه رأي للأستاذ محمد زكي عبد القادر يقول فيه : « **المرأة تحب الرجل العصى تحب أن تصطدم إرادتها بارادته ، تحب الصراع للظفر تأكيدا لسلطانها ، وتحب أكثر من كل شيء الهزيمة أمام إرادته ... ولكنها تغضب ، تغضب وتملأ الدنيا صياحا ، وفي قرارة نفسها حلاوة الضعف أمام قوة الرجل** » .

**أما في حالة نشوز الرجل** فان الاسلام قد أمر الأنثى هنا أن تستخدم كل ذكائها وحيلها ـ وما اكثرها ـ لترضيته واجتذابه وإزالة أسباب نفوره أو نشوزه وليس ذلك بكثير على من قال فيهن خالقهن : ( **إن كيدكن عظيم** ) يوسف /٢٨ فان لم تصل إلى ما تريد فمحاولة الصلح معه : قال تعالى : ( **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير** ) النساء /١٢٨ فاذا اشتد الخلاف بين الزوجين ولم تجد كل الوسائل الداخلية « **فليكن المجلس العائلي** » ولنستمع إلى علاج الخبير العليم حيث يقول : ( **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا** ) النساء /٣٥ .

ولنعش برهة في ظلال الآية نستشف منها دقائق الحكمة وفلسفة الاسلام في معالجة تلك الحالة الخطيرة لنرى : ـ

١ ـ أن الاسلام لا ينتظر حتى وقوع الطلاق بل إن مجرد الخوف من وقوعه يفرض قيام المجلس العائلي فورا للتوفيق بينهما .

٢ ـ إنه يقول : ( **فابعثوا حكما** ) وللحكم صفات فهو حكم وقاض فليكن العدل منهما والاحسان .

٣ ـ ثم هو ( **حكما من أهله** ) فلا بد أن يستشعر مصلحته العليا وهي في بقاء الأسرة ما لم تكن الخطورة لا تحتمل ، ( **وحكما من أهلها** ) يراعى نفس الظروف ، وكون الحكمين من أهلهما أدعى إلى إفصاح كلا الزوجين لهما عما في نفسيهما ثقة وأملا .

٤ ـ ثم هو يستحث الصلح بقوله : ( **يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما** ) وقد جلد عمر حكمين لم يقيما الصلح بين الزوجين تصورا لعدم حرصهما على ذلك مستدلا بهذه الآية .

٥ ـ ويأتي ختام الله منبها مذكرا مخوفا إذ يقول : ( **إن الله كان عليما خبيرا** )

يقول هذه الحقيقة للزوج وللزوجة وللحكمين فليستحضر كل منهم هذه الحقيقة في مجلس الصلح فلا يزيد ولا ينقص ولا يفتات ولا يتحيف ولا يحيد عن سواء السبيل فالله عليم وخبير حتى بما توسوس به النفوس .
فاذا عجز علاج الزوجين والحكمين من بعد ذلك كله فليس هناك من علاج سوى الطلاق الذي لايقره الاسلام إلا عملية جراحية اضطرارية وعلى أنه العلاج الوحيد ولو كان مرا فان إبقاء الزوجية بهذه الصورة أشد مرارة ( **وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته** ) النساء / ١٣٠ إذ أن الحكم ببقاء العشرة وتحريم الطلاق في مثل هذه الحال حكم على الزوجين وهو حكم ظالم لكليهما .
وهنا مسألة جديرة بالنظر وهي أن الاسلام في عرض حالات النشوز ومحاولات الاصلاح لم يذكر كلمة « **الطلاق** » لا تصريحا ولا تلميحا وتراه يذكر جانب الصلح ويسكت عن الجانب الآخر وينأى عن لمسه فيقول : ( **إن يريدا إصلاحا** ) ولم يقل في الغالب « وإن لم يريدا إصلاحا فالطلاق » وهذا يؤكد حرص الاسلام على جانب الوفاق والتوفيق .
كيف لا وهو الذي دعا إلى صبر الزوج على ما يكره من زوجته ، وضمن له بصبره الخير الكثير والثواب العظيم قال تعالى : ( **فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ) النساء / ١٩ .

## حكمة استقلال الزوج بالطلاق :

ليس في إسناد القرآن والسنة الطلاق للرجل ــ وهو حقه الأصلي ــ أي غبن للمرأة بل هو من باب المحافظة عليها والتقديس للرابطة الزوجية ، إذ أن الرجل هو الذي أوجب عليه الشارع المهر ــ وتأثيث منزل الزوجية والمسكن والنفقة في الوقت الذي أعفى منها المرأة ، فكان طبيعيا وعليه وحده الغرم كله أن يكون له أمر الطلاق لا إليها ، ثم هو أضبط لمشاعره من المرأة على أنه بوقوع الطلاق تلحقه مسئوليات أخرى من مؤخر صداق ونفقة عدة وأجرة رضاعة وحضانة ، ومن مهر جديد ونفقات أخرى إذا هو تزوج ثانية فهو يفكر ألف مرة قبل أن يوقع الطلاق .
ولو جعل الطلاق بيد المرأة لاضطربت الحياة الزوجية وانهارت الأسر لرقة عاطفتها وسرعة انفعالها وانقيادها للغضب من أتفه الأسباب .
وإذا كان الشارع قد جعل عقد الزواج بيد الرجل والمرأة ــ وفيه تقبل المرأة أن يتولى الرجل وحده إيقاع الطلاق في الحدود التي شرعها الاسلام ــ فان الشارع لم يجعل حق الطلاق مشتركا بين الرجل والمرأة لأن الطلاق إنما شرع كعلاج لاضطراب الحياة الزوجية ، فلو جعل أمر الطلاق إليهما معا لما وصلا إلى اتفاق غالبا ، فقد يريده أحدهما ولا يريده الآخر فيكون الكيد والجحيم ، ثم إنهما غير متساويين في المسئولية .

## حق المرأة في الطلاق :

على أن الاسلام لم يهمل حق المرأة في الطلاق فجعل المنع على الاطلاق وإنما أجازه لها في أكثر من صورة : —

١ ــ جعل لها الحق في أن تشترط لنفسها عند العقد أن تكون العصمة بيدها وهذا لا يسلب الزوج حقه في إيقاع الطلاق .

٢ ــ قد يشذ الرجل ويمعن في إساءته للمرأة ، فلا يطلقها ولا يحسن عشرتها ، وهنا أباح لها الشارع ان تفتدي نفسها منه بمال تقدمه إليه ، قال تعالى : **( فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به )** البقرة / ٢٢٩ . وقد يتم تنازل المرأة للزوج عن مؤخر صداقها ونفقة العدة أو بعضها ويسمى هذا **طلاقا على الابراء** أو باعطائه شيئا من المال يتراضيان عليه ويسمى هذا **بالخلع** .

وتكون المرأة بهما بائنا تملك أمر نفسها ، وليس للرجل حق مراجعتها إلا بعقد جديد باتفاق آخر وللمرأة إذن أن تطلب الطلاق لمجرد أنها تبغض الزوج ، وفي ذلك قول الرسول لثابت بن قيس في موقف مماثل : « أقبل الحديقة وطلقها تطليقا » وقد كانت الحديقة مهرها الأصلي وقبلت أن تردها .

٣ ــ جعل الشارع للمرأة أن ترفع أمرها إلى القاضي لايقاع الطلاق من زوجها إذا أثبتت وقوع ضرر عليها يسوغ تطليقها كاعسار الزوج أو لعيب فيه كالعنة والمرض أو لايقاع الضرر أو لغيبة الزوج بلا عذر مقبول أو لحبسه .

## المتعة :

وهي ما يدفعه الرجل لمطلقته بعد الفرقة بينهما ، وأساسها ما ورد في القرآن الكريم من قوله : **( لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين )** البقرة / ٢٣٦ وقوله : **( وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين )** البقرة / ٢٤١ وفي ذلك ما يدل على حرص الاسلام وعنايته بتكريم المرأة حتى عند تطليقها وترضيتها وتعويضها وترك لمسة معروف في نهاية هذه العلاقة .

« وبعد »

فهل يستطيع أن ينكر هذا العطاء الزاخر من الاسلام للمرأة ــ وهو سجل حافل وخالد ــ إلا مكابر أو جاحد ؟ وهل يستطيع أحد ذكرا كان أم أنثى على دين أو غير دين أن يدلنا على أي نظام قام حتى اليوم استطاع أن يعطي المرأة مثل عطاء الاسلام ؟ وهل بعد عطاء الله عطاء ؟ اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . اللهم آمين .




**للدكتور علي جريشة**

**تمهيد :**

ليست الدعوة ... علما يلقن ، أو فنا يدرس ، بقدر ما هي موهبة وفضل يؤتيه الله من يشاء .

وان كان من كسب للانسان فهو أولا في خلقه ، فالتحلي بخلق الاسلام هو أكبر دعوة يسير بها المسلم بين الناس ، هي التي تفتح قلوبهم وعقولهم على هذا النور العظيم .

ثم هي ثانيا في احساسه بمسئوليته تجاه الدعوة ... انها ليست حكرا على صنف من الناس وانما الأمة كلها شاهدة على الناس بما دعتهم اليه بسلوكها وايمانها وعملها ( **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ) ،البقرة/١٤٣ ( **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ) آل عمران/ ١١٠ .

تتوقف طرق الدعوة على عدة أمور :

**١ ــ من ندعو :**

فأسلوب الدعوة الى الشباب غير أسلوب الدعوة الى الشيوخ وأسلوب الدعوة الى النساء غير أسلوب الدعوة الى الرجال ، وأسلوب الدعوة الى الأطفال غير أسلوب الدعوة الى الكبار ، وأسلوب الدعوة الى المؤمنين غير أسلوب الدعوة لغير المؤمنين

ويكفي أن نأخذ نموذجا منه صلى الله عليه وسلم .... حين أتاه شاب يقول له : « يا رسول الله ائذن لي في الزنى ! فكان رده صلى الله عليه وسلم : أترضاه لأمك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لأختك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لزوجك ؟ قال : لا ، قال : أترضاه لابنتك ؟ قال : لا ، قال فهكذا كل النساء أمهات أو أخوات أو زوجات أو بنات ، ثم وضع كفه على قلبه ودعا له ...
فصرف الله عنه السوء . وكان تساؤل رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دعوة لترك الزنا .
— وفي القرآن أساليب كثيرة لدعوة غير المؤمنين . تستجيش فيهم فطرتهم السليمة ... وتستجيش فيهم عقولهم الصحيحة ... وتستجيش فيهم القيم والمثل والأخلاق ! ( **قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم** ) الانعام / ١٤ ( **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا** ) الانبياء / ٢٢ ( **انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى** ) طه / ٧٤ ، ٧٥

**٢ — أين ندعو :**
مكان الدعوة كذلك يكيف طريقها ...
فالدعوة في بلاد الاسلام ، ليست كالدعوة في ديار الكفر .
والدعوة في بلاد فيها حرية ، ليست كالدعوة في بلاد تكمم فيها الأفواه .
والدعوة في مكان انتشر فيه العلم ، ليست كالدعوة في مكان خيم عليه الجهل ... والقصد بالعلم والجهل ، العلم بالدين والجهل به ، ولو بلغ أصحابه أرفع الشهادات في تخصصات أخرى ... بيد أن ارتفاع المستوى الفكري بصفة عامة يحدد كذلك أسلوب الدعوة .

**٣ — الام ندعو :**
فأسلوب الدعوة الى العقيدة ... يغاير أسلوب الدعوة الى المعاملات ... وقد قدمنا الحديث عن هذا العنصر الأخير .
هذه العناصر ... الى جوار غيرها . كالظروف السائدة ، وكالزمان القائم ... الى غير ذلك ... تحدد أسلوب الدعوة ... وهي بعد ذلك :

**أ — أسلوب السلوك والأخلاق :**
هو أول الأساليب وأنجعها وأنجحها في الدعوة وهو أعم الأساليب كذلك ... من ناحية من يخاطب ، ومن يخاطب ، فهو خطاب — في الواقع — من الكافة الى الكافة ...
كل انسان يستطيع هذا الخطاب ، وكل انسان يفهم هذا الخطاب ... وبهذا الخطاب فتحت القلوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولنأخذ مثلا أول : حين داهم رجل يدعى ( دهثور ) رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو نائم ، فرفع عليه السيف ، وقال له : من يمنعك مني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله . فسقط السيف ، فأمسك به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : ومن يمنعك مني ؟.. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم . صفح عنه ... فدخل الاسلام .

ولنأخذ مثلا ثانيا : يوم فتح مكة ... حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين آذوه على مدى عشرين عاما : ما تظنون أني فاعل بكم ... قالواأخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !

ولنأخذ مثلا ثالثا : سلوك يوسف عليه السلام مع اخوته ... الذين ألقوا به في الجب قال : **( لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم )** يوسف / ٩٢

ثم لنعلم بعد ذلك :

أنه بهذا السلوك ... فتحت على المسلمين مساحات من الأرض أكثر مما فتحت بحد السيف ــ ان السيف يطيح برءوس الطغاة ... أما السلوك والأخلاق فتفتح قلوب الناس ...!

واذا كانت الأخلاق والسلوك أسلوبا عاما يخاطب به الكافة الكافة ... فهي أسلوب أخص وألزم لمن اتخذ الدعوة مهنة له ومهمة ، وبغيره يغدو أي أسلوب آخر سيفا مغلولا ، وسلاحا مغمدا لا قيمة له !

وبذا ننصح الدعاة أن يكون لهم : من الفهم الدقيق ، والايمان العميق ، والخلق الوثيق ، ما يفتحون به القلوب !

**ب ــ المواقف والمثل :**

لعل هذه تدخل في الأولى .. لكنها أخص ... فلا يستطيعها الا أولو العزم ... ونحن نندب الدعاة أن يأخذوا دائما بالعزيمة ، فليس لمن كان في موضع القدوة أن يترخص ...

ولذلك لم يترخص الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد به أذى الكفار ، ودعاه عمه أن يلين ، لكنه قال : والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ..

ولم يترخص أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين دعاه الحكام أن يقول ان القرآن مخلوق بل احتمل الأذى والعذاب .

ولم يترخص غيرهم ممن احتملوا العذاب ، في سبيل كلمة الحق ... لأنهم علموا أن ثباتهم يبقيهم مشاعل على الطريق تضيء لمن خلفهم وهم كثير ، وان لينهم مع الباطل وترخصهم يطفيء ضوءهم فلا يعودون صالحين لأن يضيئوا لمن خلفهم ... وكم من الناس أطفأ بترخصه نوره الذي آتاه الله ... وكم من الناس انزلق أكثر من ذلك ليصح فيه قول الله : **( واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب )** الأعراف ١٧٥ ــ ١٧٦

ولئن كانت الأخلاق سبيلا ناجحا للدعوة ، فالمواقف والمثل سبيل أنجح !

ولننظر من التاريخ القديم ... غلام كان موقفه سببا في ايمان أمة .. حين قتل العالم ( الراهب ) وقتل ( جليس الملك ) ، وجرب مع الغلام وسيلتان للقتل نجا منهما ، فدعا الملك الى أن يربطه في جذع نخلة ويجمع شعبه كله في صعيد واحد ثم يقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك المتأله ، وأصاب السهم صدغ الغلام فسقط شهيدا ، فقال الناس جميعا : آمنا بالله رب الغلام ! ولم يكن موقف الغلام دافعا الى ايمان أمته فحسب ، بل دافعا الى الاصرار على هذا الايمان ، حين شق لها الملك الأخاديد ( الترع الصغيرة ) وأضرمها بالنيران ، وخير شعبه بين الرجوع عن دينه أو الالقاء في النار ، ففضلوا جميعا أن يلقوا بالنيران عن أن يرجعوا عن الحق الذي آمنوا به ، وخلد القرآن قصتهم في سورة البروج حيث قال تعالى : ( **قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ) البروج / ٤ ـ ٨

وفي التاريخ الحديث أمثلة كثيرة لمن استشهدوا في سبيل الدعوة . متأسين بمواقف المؤمنين السابقين وسلف الامة الصالحين .

**جـ ـ الخطابة ، والمحاضرة ، والدرس :**

وهي كلها وسائل كلامية ، والى جوارها ... المقال ، والقصة ، والمسرحية ، والكاريكاتير ، والفيلم ، وهي وسائل كتابة ، وتمثيلية .

ولكل واحد من هذه أصول ، ولكن يجمعها في مجال الدعوة :

**أ ـ ابتغاء وجه الله :**

لأنه بذلك ينقلب العمل عبادة يتقبلها الله ، ومن أرضى الله بعمله ، أرضى الله به الناس ، ومن أرضى الناس بعمله وكله الله الى الناس !

**ب ـ الثقة بالله :**

وهي أن تشيع الثقة والطمأنينة والثبات فتكون عامل نجاح للخطيب ، والمحاضر ، والكاتب ، أو الممثل ... ما دام في نطاق الاسلام !

يؤكدها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة « أنا عند حسن ظن عبدي بي » .

**جـ ـ اتقاء ما يغضب الله :**

.. لفظا أو معنى ، فالمؤمن ليس بفحاش ولا لعان ولا سباب ، وهو ما يعلمنا اياه القرآن :

( **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم** ) الانعام / ١٠٨ ( **قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون . قل يجمع**

**بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم ) سبأ / ٢٥ ـ ٢٦**

**د ـ الصدق :**

فالمؤمن يفطر على كل خلق الا الكذب والخيانة ، وحديث الصدق من القلب يصل الى القلوب ، ولو كان بعيدا عن الطلاء والزخرف ، فماذا لو كان الشكل متقنا الى جوار صدق الموضوع !

**هـ ـ الاحساس بالأمانة :**

فالداعية حامل أمانة ... يبذل في سبيلها ، ويدافع عنها ... ولو أدى به الوقت أن يبذل في سبيلها الروح فانه يفعل ... فوضعه مغاير لمن يؤدي وظيفة حسبما اتفق !

بقي ان نقول ان الأساليب تتغاير تبعا للزمان ، في القديم كانت الخطابة هي الوسيلة الأولى ، واليوم تقدمتها وسائل ... أخطرها ما يقدم على الشاشة أو المسرح لأنه يترك تأثيرا عميقا في نفوس الحاضرين ، بما يستحوذ على كل الحواس : سمعا ، وبصرا ، وفؤادا ... والى جوار ذلك نقول ...

أنه لا أثر يذكر ـ على المستوى العام ـ لكل وسائل الدعوة ، اذا بقيت وسائل الاعلام في أيدي الذين يعملون على اشاعة الانحلال بين الشعوب خاصة الاسلامية ، ليسهل على الصهيونية أن تحقق حلمها التلمودي في أن تركب الجنس الاسلامي كما امتطت من قبل الجنس النصراني وسخرته لأغراضها !

ينبغي أن تنتقل وسائل الاعلام الى أيدي الدعاة المخلصين ليسخروها في خدمة دعوة الاسلام « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »

**( لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا )** الاحزاب / ٦٠ ـ ٦٢ .

# الدعوة الإسلامية والانطلاقة العظمى

للاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمي

يقول المولى عز وجل في محكم كتابه العزيز : ( **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ) النحل/ ١٢٥ . ويقول جل شأنه : ( **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين** )فصلت/ ٣٣ . وقال تعالى ايضا : ( **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ) المائدة/ ٣ .

فمن هذا المنطلق القرآني والمنهج الرباني سارت الدعوة الاسلامية والتي هي دعوة الطهارة والبقاء ، دعوة الخلود والنقاء ، دعوة النور والايمان ، دعوة الحق والعدل والمحبة ، دعوة التسامح والمساواة . دعوة الحرية والتقدم والرقي ، دعوة العلم والحضارة والأفكار السامية والمبادئ والغايات النبيلة والقيم الروحية ــ منذ انطلاقتها الأولى من مكة المكرمة وهي تسعى جاهدة ، ( **وجاهدوا في الله حق جهاده** ) الحج/ ٧٨ ــ لكي تقيم عالما إسلاميا موحدا تسوده هذه المبادئ السامية وذلك لأنها دعوة لكل الأمم والشعوب بأجناسها وألوانها ( **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ) الحجرات/ ١٣ .

ومن هنا فان الدعوة الاسلامية تسعى جاهدة لكي تنطوي كل الأمم والشعوب تحت لواء دعوة التوحيد ، وتحت لواء لا اله الا الله محمد رسول الله . وعلى هذا فان الدعوة الاسلامية التي أضاءت للانسانية طريقها ، وهدتها إلى الصراط المستقيم وقادتها الى الطريق الحق المنير ، والتي حمل لواءها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم والذي اختارته العناية الالهية من بين خلق الله قاطبة ، لكي يؤدي الرسالة ، ويبلغ الأمانة ، ولكي تصل تلك الدعوة الى كل شعوب البشرية جمعاء .

والتي آمن بها وهي في المهد أبو بكر الصديق صاحب رسول الله ، ورفيق رحلته وخليفته من بعده ، وعلى بن ابي طالب ، وزوجة المصطفى صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد .

وهاجر بها الى المدينة المنورة أربعون شخصا من مكة المكرمة هربا من ظلم الطاغوت والكفر في مكة المكرمة ، وتلبية لنداء المولى عز وجل في الهجرة ولايجاد الأرض الخصبة التي تترعرع فيها دعوة الحق ، واليوم بعد مضي أربعة عشر قرنا من الزمان فان حصاد الدعوة الاسلامية يكاد يقترب من الألف مليون نسمة مسلم ، يعيشون في بقاع الأرض المعمورة .

**رجال الدعوة :**

لقد خرج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاميذ مدرسته القرآنية يجاهدون في سبيل الدعوة الاسلامية عملا بقوله تعالى : ( **هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة** ) يوسف/١٠٨ . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » رواه الطبراني . وبهذا استطاع رجال الدعوة الاسلامية أن يتخطوا بهذه الدعوة حدود الجزيرة العربية ، وأن يحطموا كل ما أقامه الأعداء أمامهم من سدود ، ودافعوا عن راية التوحيد ، وقاتلوا وقتلوا ، ودفعوا عن الدعوة الاسلامية كيد الأعداء ، من الفرس والرومان ، وحملوا رسالتهم الخالدة ، ووسعوا حدود دولتهم الفتية ، التي ارتكزت على كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأقول : إن هؤلاء المسلمين الأوائل الأقوياء الأشداء بما ملكوا من قوة الايمان وعزيمة الرجال ، استطاعوا ان يقيموا قارة اسلامية ، توسطت قارات العالم القديم ، آسيا وأوروبا وافريقيا ، ولذا ظهرت الى الوجود دولة اسلامية كبرى ، فرضت وجودها بقوة ايمان رجالها ، لا بقوة السيف ، كما حاول أن يبين ذلك رجال الغرب الحاقدين للاسلام ، والكارهين لرسالته الخالدة ، ولقد حافظت هذه الدولة على حدودها بتمسك أهلها بقرآنها الكريم ، فأعز الله جندهم ، ونصرهم على أعدائهم ، بتضامنهم وتعاونهم ( **وتعاونوا على البر والتقوى** ) المائدة/٢ . « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه الترمذي .

ولقد كان الايمان بالله ، وبكتاب الله ، ورسول الله ، هو السلاح القوي الوحيد الذي تسلح به الذين خرجوا يرفعون راية التوحيد ، ويدعون للاسلام ، وخرجوا لا يهابون الموت في سبيل الله ، ولا يطلبون الا النصر ، والاستشهاد ، خرج هؤلاء فمنهم من جاهد ماشيا وسيرا على الأقدام ، ومنهم من يمتطي حماره وحصانه وبغلته ، ولم يكن هدف كل واحد من هؤلاء الا وجه الله ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية كانت في نظر هؤلاء المسلمين الأوائل ، هي دعوة من الله ، وهم يجاهدون من اجل الله ، وفي سبيل الله ، وهم يسعون الى ايصال هذه الدعوة الى الشعوب التي لم تنطو بعد تحت لواء الاسلام ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر : ( **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ) آل عمران/١٦٩ .

## الايمان أساس الدعوة :

لقد خرج هؤلاء الدعاة الأوائل يدفعهم الحماس الشديد ، والشوق والحنين ، الى ايصال الدعوة الاسلامية الى كل أصقاع الأرض المعمورة ، خرجوا يدعون ويتاجرون فحملوا الاسلام الى اندونيسيا والفلبين وجنوب شرق آسيا ، والى كل بلاد القارة الافريقية السوداء جنوب الصحراء الكبرى ، حتى أنه لم يمض على انتقال محمد صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى مائة عام ، إلا وكانت دولة الاسلام ودعوة الحق وطيدة البنيان ، قوية الجانب ، موطدة الجناح .

لقد حققت الدعوة الاسلامية في قرنها الأول الهجري مالم تستطع أن تحققه الدعوة في الثلاثة عشر قرنا الأخرى ، التي هي عمر الدعوة الاسلامية .

لقد خرج هؤلاء الدعاة والأوائل وهم لا يملكون طائرات حربية ، ولا قنابل ذرية ، ولاصواريخ موجهة ، ولا مدافع ثقيلة ، ولا دبابات ومصفحات ، ولا حصون ولا دروع ، ولا استحكامات ولا مدمرات حربية ، وحاملة طائرات ولا غواصات .

ولكن كان سلاحهم الايمان ، والايمان يعلم المرء الكثير والكثير ، يعلمه كيف يقاتل الأعداء ، وكيف يصمد في القتال ، وكيف يتحمل الشدائد ، وكيف يصبر على البلاء ، وكيف يجاهد في ملاقاة الأعداء .

ومن هنا عظمت دولتهم ، واشتد بأسهم ، وتعمق ايمانهم ، وتمسكوا بقرآنهم ، فبلغت الدعوة حدود الصين شرقا ، وسهول فرنسا غربا ، وخط الاستواء جنوبا ، وسهول سيبريا شمالا ، .

وهكذا كان الايمان هو السلاح القوي والفعال ، والمؤثر في انتصار الدعوة الاسلامية في قرنها الأول ، وكان ذلك من عوامل استغراب الغرب ورجاله من قوة المسلمين .

## معوقات الدعوة :

لقد كانت الانقسامات التي حدثت في العالم الاسلامي ، وقيام ثلاث خلافات اسلامية « الخلافة العباسية في بغداد ، الخلافة الأموية في الأندلس » الخلافة الفاطمية في القاهرة ، من الأسباب القوية والمباشرة التي حدت من انطلاقة الدعوة الاسلامية وحمايتها ، وتوفير المناخ الملائم للانطلاق بها ، وهكذا أدى هذا الخلاف الى أن ضاعت أرض اسلامية كانت تتوفر بها الحضارة الاسلامية الراقية ، وتكالب الأعداء على الاجهاض على الدعوة الاسلامية ، فكانت الحروب الصليبية التي استطاعت ان تسيطر على بلاد الشام لفترة زمنية تقترب من القرنين ، ولكن الله رد كيد الأعداء في نحورهم ، إذ قيض للأمة الاسلامية احد

رجالها « صلاح الدين الأيوبي » الذي استطاع ان يرفع عن الدعوة الاسلامية الخطر الداهم .

وليس هذا فقط ، ولكن جاءت جحافل المغول والتتار كي تحطم الخلافة العباسية ، كما حطمت الحركة الصليبية الخلافة الأموية في الأندلس ، ولكن قوة الاسلام ، وعظمة الدعوة الاسلامية **( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )** الحجر/ ٩ ، استطاعت أن تحتوي الخطر المغولي والتتاري بالدخول في الاسلام ، ومكن الله لجند الاسلام ، لأنهم جند الله وجند الله هم الغالبون .

وإذا كان الغرب المسيحي الذي شهد عظمة الاسلام ، وقوة اندفاعه ، وحيوية دولته وازدهارها ، في فترة زمنية قصيرة ، قد استطاع أن يقف لها بالمرصاد ، وهي تتخطى جبال البرانس لتتجه بسهول أوروبا وفرنسا ، حيث خرجت كل أوروبا على بكرة أبيها لكي تعيق الدعوة الاسلامية في معركة « بلاط الشهداء » بعد ان كانت الدعوة الاسلامية قد وصلت الى بلدة « سانس » على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوب باريس ، عاصمة فرنسا الحالية ، وفي ذلك يقول أحد كتاب الغرب انه لولا معركة بلاط الشهداء واندحار المسلمين امام ابواب مدينة بوانيه ، لكان القرآن يدرس الآن في جامعات اكسفورد وكمبردج وباريس .

وعلى الرغم من هذا الموقف العدائي الذي اعاق الدعوة الاسلامية من جانب التعصب المسيحي ، الا ان ذلك لم يكف رجالها الذين هالهم عظمة الاسلام فعملوا على السيطرة على العالم الاسلامي بأسره ، فاستطاعوا عن طريق حركة الاستعمار الحديث أن يبسطوا نفوذهم على العالم الاسلامي جميعه .

وهكذا كانت الحركات التنصيرية التي صاحبت حركة الاستعمار الحديث أفدح خطر يتهدد الدعوة الاسلامية ، إذ استطاعات هذه الحركات التنصيرية أن تجد لها رأس قدم في بلاد القارة الافريقية ، وفي شرقنا الاسلامي ، وفي جنوب شرق آسيا ، وفي مناطق كثيرة من العالم ، وذلك للوقوف حجر عثرة أمام اندفاع الدعوة الاسلامية التي استطاعت أن تقتلع جذورها من الأندلس ، ولكن نصر الله قريب ، وغدا ستعود أرض الاسلام من جديد .

وعلى هذا فانه يمكن القول أن كل تلك المعوقات والاخطار التي أعاقت الدعوة الاسلامية ، كانت من الأسباب القوية التي حالت دون وصول راية التوحيد ، واندفاع رجالها الى افاق بعيدة من عالمنا الحديث .

ولكن كلا ، فان كل هذه الأمور سوف تنجلي ، ونحن نستقبل القرن الخامس عشر الهجري ، الذي سوف يكون باذن الله قرن انطلاق الدعوة الاسلامية .

**الانطلاقة العظمى :**

إن الأمة الاسلامية وقد تخلصت من الاستعمار الغربي ، وبدأت تتجه للوحدة الاسلامية والتقارب بين شعوبها ، وبدأ مظهر التضامن الاسلامي يظهر للعالم

قويا واضحا في شكل العديد من المؤسسات الاسلامية ، رابطة العالم الاسلامي ، المؤتمر الاسلامي ـ بنك التنمية الاسلامي « وغيرها من المؤسسات الأخرى ، فان ذلك يشكل خطوة على طريق انتصار الدعوة الاسلامية ، ولكن ليس هذا فقط ، بل إن الأمة الاسلامية من أقصاها الى أدناها تستقبل عن قريب القرن الخامس عشر الهجري الذي سوف يشهد باذن الله الانطلاقة العظمى ، والحركة الكبرى للدعوة الاسلامية التي بدأت بذورها تنمو في اوربا ، ٢٥ مليون مسلم ، وفي امريكا الشمالية ، ٣ مليون مسلم ، وفي امريكا الجنوبية وفي استراليا وفي افريقيا وغيرها من بقاع الأرض المعمورة .

ومن هنا ، فان الدعوة الاسلامية ومؤسساتها في عالمنا الاسلامي على امتداد اقطاره واختلاف شعوبه مطالبة بوضع الخطط العلمية ، والدراسات الموضوعية للانطلاق بالدعوة الى كل البلاد والقارات المختلفة ، ولمواجهة التحديات البالغة التي تواجهها الدعوة ، وللتغلب على العقبات التي تقف في طريق الانطلاقة العظمى .

وذلك لأن الدعوة الاسلامية في أقطار العالم أجمع سواء البلاد الاسلامية او البلاد التي تعيش فيها جماعات اسلامية ، في امس الحاجة الى رجال اقوياء ومجاهدين ، لكي يستطيعوا ان يبلغوا رسالة الله الى كل خلق الله قاطبة ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية يجب ان يعادلها وجهها الاسلامي القوي والواضح في قرنها الأول الهجري ، والذي استطاع في خلال القرن الأول ان يجد ارضا اسلامية واسعة .

اما الحركات التنصيرية فانها ترصد الأموال الطائلة لاستمرار وتكثيف نشاطها ، وتضع الامكانيات المادية والعلمية والفنية تحت تصرف العاملين في حقل التنصير .

فالأولى بنا نحن أمة الاسلام ، وحملة القرآن ، وأتباع خاتمة الدعوات ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق بالدعوة الاسلامية الى كل بقاع الأرض المعمورة ، وانتشار الدعاة في كل مكان .

وايصال القرآن الكريم الى كل يد تعيش في قارات العالم المختلفة .

إن القرن الخامس عشر الهجري يجب ان يكون قرن الدعوة الاسلامية ، وان تكون الآيات الكريمة ( **إن الدين عند الله الاسلام** ) آل عمران/ ١٩ . ( **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ) آل عمران/ ٨٥ . ( **يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** ) البقرة/ ١٣٢ . ( **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ) المائدة/ ٣ .

فمن منطلق هذه الآيات الكريمات يجب أن تنطلق الدعوة الاسلامية وان تدعو للاسلام لكي لا يكون على وجه المسكونة دين غير دين الاسلام .

( **وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ) التوبة/ ١٠٥ .

# تجربة الهجرة

للاستاذ/عبد التواب يوسف .

أصبحنا في زمان يقرأ كلمة « الهجرة » فيراها مجرد مغادرة أرض قفر مجدبة ، الى بلاد فيها حضارة ، يجد فيها الانسان جوا افضل ، وعيشا ارغد ، وحياة اسعد ، وبات من الضروري ان نعيد للكلمة قيمتها الحقيقية ، ومفهومها الاصيل ، فقد اهدرناها خلال مسيرة طويلة من الجهل والتخلف . وتعالوا بنا نقلب معا في سيرة ابن اسحاق التي شذبها ابن هشام ، ففاقت الاخيرة الاصل في شهرته . ولنقف عند هذه الصورة التي تضع الدموع في العيون ، وتملأ القلب بالانفعال ، وتهز منا القلوب والأفئدة .

— ١ —

بنو عبد الاسد . وبنو المغيرة . إنهما من اهل الجزيرة العربية قبل الاسلام ، عرفهما الناس فيمن عرفوا بالبأس والقوة ، واشتهروا بالجود والكرم ، وتقاربا ، وتصاهرا قبل ان تشرق الارض بنور ربها ، وينزل عليها الاسلام ، ليطهرها من العصبية ، والعنف ، ولينزع منها البغضاء والكراهية .

كان الخير يصارع الشر في فجر الدعوة المحمدية ، واذا بالرجل — ابن عبد الأسد — يسلم ، ويشهد بأن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. ويدرك الرجل — ابو سلمة — مدى ما ينتظره من عذاب ، ولكنه لا يبالي ، فقد عمر قلبه بالايمان ، ومن ورائه زوجته — ام سلمه — تؤيده وتؤازره وتحاول جاهدة ان تدفع عنه الشر .. ويتعاون بنو عبد الاسد ، وبنو المغيرة في ايذاء الرجل ، ويتفننون في خلق الوان من الارهاب ، لعله يرتد ، ويقلع عن عبادة الله ، غير ان الرجل مؤمن بربه ورسوله ، قادر على ان يحتمل ويصبر ، رغم كل شيء .

ويأتيه ذات صباح ما يتصوره

الفرج . ان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسمح للمسلمين ان يهاجروا من مكة الى يثرب .. انها بضعة ايام على راحلته ، تتجاوز العشرة ايام بقليل ، فلا بأس من احتمالها ، والصبر عليها ، فذلك ايسر كثيرا من البقاء في مكة : السياط تمزق جسمه ، والرمال الساخنة تكويه ، وقد يجد في يثرب خيرا يعوضه وزوجته وابنه « سلمة » عن الحياة القاسية التي يعيشونها في مكة .. نعم ، هي موطنه ، وعشه ، غير انه مضطر لكي يفارقها هربا من الظلم والظلام اللذين يظللانها ، ويملآن جنباتها ، ويحولانها الى سجن رهيب ، ملئ بكل صور التعذيب ..

فلتكن « الهجرة » !

— ٢ —

اعد ابو سلمة راحلته ، وسأل زوجته ان ترتب امورها لكي يهجرا معا مكة ، والطفل الصغير ( سلمة ) ايضا . ثلاثتهم سيتركون كل شئ ، الأرض التي ولدوا فيها ، وعاشوا عليها ، واكلوا منها وشربوا . والتي فيها اهلهم « بنو عبد الأسد » اعمام الصغير ، « وبنو المغيرة » اخواله . والتي فيها الأصحاب والاصدقاء الذين عاشوا معهم وبينهم . انهم سيودعون البيت ، ومكان الرزق ، الى يثرب التي لا يعرفون من شأنها . الا انها تفتح ذراعيها لتستقبل المسلمين المؤمنين في سلام وود ، فالمضى اليها لا يزيد على ان يكون هربا من واقع اليم . وانتظر الرجل حلول الليل ، ليكون سترا له وستارا يخفيه عن القوم الظالمين ، الذين كانوا يتربصون للمهاجرين يقطعون عليهم الطريق ، ويحولون بينهم وبين الانطلاق الى يثرب .. ولكن قريشا كانت تبث العيون في كل مكان ، وكانت تتسمع الانباء من رجالها ، فنمى اليها خبر عزم ابي سلمة على ان يهجر مكة ، ونقلت ذلك الى بني عبد الاسد ، والى بني المغيرة . وثار هؤلاء واولئك ، وقرروا ان يحولوا بين ابي سلمة وبين مغادرة مكة ، وان يمنعوه من الهجرة . ولم يبلغه ذلك ، لكنه ما ان وضع زوجته وابنه فوق الراحلة ، ومضى يقودها الى خارج مكة ، حتى تعرض لنا اهلي ، رجال بني المغيرة ، واخذوا منه مقود البعير ، وهم يقولون .

— هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد ، ولم يكن في استطاعة ابي سلمة ان يقاومهم ، فهم كثيرون ، لذلك نجحوا في اناخة البعير وانتزاعي من فوقه انا وابني سلمة . وكان بنو عبد الاسد يقفون عن قرب يشهدون الموقف دون تدخل من جانبهم ، ولكنهم اقبلوا على بني المغيرة يصرخون فيهم .

— والله لا نترك ابننا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا .

وتشاجر الطرفان ، وتجاذبا الصغير حتى لقد خلعت ذراعه ، وصرخاته تعلو ، يستغيث بالاب والام وما من مغيث ، الى ان انطلق به بنو عبد

الاسد ، ومضى بنو المغيرة ، بالزوجة المنتحبة على فراق ولدها وزوجها .

— ٣ —

هاجر ابو سلمة ، وقد اسلم وجهه لله ورسوله ، وحط رحاله في يثرب ، ولقيه ابناؤها اهلا وسهلا وراح يعبد الله ، ويدعوه ان ينصر الاسلام والمسلمين ، ويسأله ان يجمع شمله مع زوجته وابنه .. بينما بقي الصغير عند بني عبد الاسد محروما من ابيه المهاجر ، ومن امه التي سجنها اهلها بنو المغيرة ، وحالوا بينها وبين زوجها وابنها . وكانت ام سلمة تخرج كل يوم ، فتجلس في ذات البقعة التي فارقت عندها الزوج والابن من الصباح ، وتظل تبكي حتى المساء ، والناس يمرون بها فتتقطع منهم نياط القلوب ، وتهتز الأفئدة .

ومضى عام كامل على لحظة الفراق . عام امتلأ ببكاء الأم المتصل ، ويأس الصغير في وحدته ، وبحزن دفين من الأب على اسرته التي تمزق شملها ، وتشتت افرادها ، ولا احد يدري كيف يمكن لهذه المأساة ان تنتهي ، ولا احد يستطيع ان يجد للمشكلة حلا . مؤمن بعيد عن دياره في يثرب ، يتعبد ويصلي ويدعو ، وطفل محروم من ابيه وامه . وزوجة حيل بينها وبين زوجها وابنها . ويستمر ذلك عام كامل ، وذلك ما تعنيه حقا كلمة « الهجرة » ، إنها تجربة انسانية شديدة القسوة ، بالغة الثمن ، لا يقدر على مكابدتها ، واحتمالها غير انسان مؤمن بربه ورسوله .

ويمر عام ، ويمر واحد من بني المغيرة . من أبناء عم ام سلمة ، ليراها في بكائها كالثكالي ، وما هي من الثكالي ، ويحن قلبه ، ويشعر نحوها بعطف لا يستطيع ان يسكت عليه ، فذهب الى اهله ليصرخ فيهم : الا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها . الى متى هذا ؟! وتبادل بنو المغيرة الرأي ، وكانوا قد ضاقوا بالمرأة وبكائها ، فقالوا لها :

— الحقي بزوجك ان شئت !

ورقصت الفرحة في قلبها ، وزغردت النشوة ، وبعثت الى بني الاسد ترجوهم وتتوسل اليهم ان يعيدوا اليها ابنها سلمة . وكان هؤلاء قد ضاقوا بالصغير وسؤاله — مع كل شمس تشرق او تغرب — عن امه وابيه ، ولهفته عليهما وشوقه اليهما ، فما كان من بني عبد الاسد الا ان ردوا اليها ولدها .

— ٤ —

وبدأت رحلة « هجرة » اخرى ...
اعدت الام راحلة لها ، تحملها وابنها الى يثرب . وما وجدت المسكينة احدا يصحبها في هذه الرحلة التي تقطع فيها الصحاري والقفار ، على مدى احد عشر يوما ، او تزيد . ولكنها وولدها الصغير في شوق ولهفة الى رجلهما المؤمن الصابر ، لذلك وضعت الصغير على حجرها فوق

الراحلة ، وانطلقت به وما معها احد من خلق الله ــ على حد تعبيرها ــ وقالت لنفسها .

ــ اتبلغ بمن لقيت حتى اقدم على زوجي .

وعندما وصلت الى التنعيم ــ وهو مكان في اطراف مكة ــ لقيت عثمان ابن طلحة . فقال لها .

ــ الى اين يا بنت ابي امية ؟

قالت : اريد زوجي في المدينة

فقال : او ما معك احد ؟

قالت : لا . والله إلا الله وابني هذا .

قال : والله مالك من مترك !

واخذ بخطام البعير ، وانطلق معها ، ماضيا الى ان بلغ المدينة .

ــ ٥ ــ

وتقول ام سلمة والله ما صحبت رجلا من العرب قط ارى انه كان اكرم منه !

وتستقبل المدينة المهاجرة العظيمة ام سلمة ووليدها .. ويستقبلها زوجها بفرحة غامرة ، تعوضهم جميعا ما عانوه خلال عام الفرقة ، ومالقيه الأب قبل ذلك من عنت وعذاب . وعندما رحل الرجل من الحياة اصبحت ام سلمة واحدة من أمهات المؤمنين ، ووجدت في رسول الله نعم الزوج ونعم الرجل ، وعوضها الله خيرا

ــ ٦ ــ

هــذه « واحــدة » من قصص « الهجرة » . رجل تنزع منه زوجه وابنه . وزوجة يؤخذ منها رجلها وابنها . وطفل يحمل قسرا بعيدا عن ابيه . ولكن يبقى الايمان . فان هذه الاسرة الممزقة الشمل ، اجتمعت وعادت اليها وحدتها ، وسارت تحت لواء الاسلام ، مع عشرة آلاف مقاتل مضوا في العاشر من رمضان ــ عام ٨ هـ ــ من المدينة ، والجزيرة تزلزل تحت وقع اقدامهم ، والجبال تهتز لهتافهم : الله اكبر الله اكبر . مضوا تحت قيادة رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ اعظم المهاجرين ، لكي تسلم لهم مكة ، وتفتح ابوابها للقادمين ، المنتظرين ، الفاتحين :

**( إنا فتحنا لك فتحا مبينا )**

الفتح / ١ وانطلقت من قلب محمد بن عبد الله اعظم صيحة للحرية في تاريخ الانسانية .

ــ « اذهبوا فانتم الطلقاء » !

هذا هو المعنى الحقيقي والاصيل لما نطلق عليه « الهجرة » . اما هؤلاء الذين ننفق عليهم دماءنا واموالنا لكي يتعلموا ثم يهجرونا بدلا من ان يردوا الجميل ، وعوضا عن اداء الواجب ، فهم هاربون من الميدان ، وليسوا بمهاجرين لقد كانت الهجرة تجربة قاسية ، وكانت الى حين . وعاد المهاجرون يرفعون اللواء ، ويطلقون النداء أن : الله اكبر وكان الله دائما اكبر ، وكان بجانب المؤمنين ، يثبت اقدامهم وينصرهم على القوم الظالمين .. ولا هجرة بعد الفتح كما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

# مائدة القارئ

## المؤمنون حقا

قال تعالى : ( والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم )

الآية ٧٤ من سورة الأنفال .

## خطوات في التاريخ :

لم يكن في الاسلام أول بدأته الا رجل وامرأة وغلام ، اما الرجل : فهو صلى الله عليه وسلم ، واما المرأة : فزوجته خديجة ، واما الغلام : فعلي بن عمه أبي طالب .

ثم كان أول النمو في الاسلام بحُر وعبد ، اما الحر : فابو بكر ، واما العبد : فبلال . ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم في سيرها ، وصبر الحر في تجلده ، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح ، ضيق لا يتسع ، جامد لاينمو ، وكأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اخو الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم ، حتى اذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول الى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته في هجرته تخط في الارض ، ومعانيها تخط في التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب . ( وحي القلم ) .

## قد عافاني

خطب الحجاج يوم جمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرك ، وإن الله لا يعذرك ، فأمر به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا انه مجنون ، فقال : إن أقر بالجنون أطلقته ، فقيل له : اعترف بذلك وتخلص ، فقال : والله لا اقول إنه ابتلاني ، وقد عافاني .

## افضل هجرة :

عن أم أنس ـ رضي الله عنها ـ قالت : يارسول الله أوصني .
قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ( اهجري المعاصي ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظي على الفرائض ، فانها أفضل الجهاد ، وأكثري من ذكر الله ، فانك لا تأتين الله بشيء أحب اليه من كثرة ذكره ) .

## دعاء :

قال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ اللهم أنت ربي ، أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، فان غفرت فقد مننت ، وإن عاقبت فما ظلمت ، ألا اني أشهد أن لا اله الا انت وحدك ، لا شريك لك ، وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ، ونبيك المرتضى ، بلغ الرسالة ، وأدى الامانة ، ونصح الأمة ، فعليه السلام والرحمة .

## صدقت

كتب الله النصر للمسلمين في غزوة بدر الكبرى ، وضربت أعناق الكفر ، وجبابرة الطغاة .. والقيت جثث القتلى المشركين في القليب . وكان مما قاله حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه :

فغادرنا أبا جهل صريعا ... وعتبة قد تركنا بالجبوب

وشيبة قد تركنا في رجال ... ذوى حسب اذا نسبوا حسيب

يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب في القليب

ألم تجدوا كلامي كان حقا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟

فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا ... صدقت وكنت ذا رأي مصيب

# لمحات من هجرة الرسول

**الاسلام يحارب في امــاكن كثيرة .. ولن يصلح امــر هذه الامة الا بما صلح به اولهــا : الايمــان ونصرة العقيدة**

للاستاذ: محمد نعيم عكاشة

مع إطلالة شهر المحرم هذا العام .. يطوي التاريخ اخر صفحات القرن الرابع عشر الهجري . ويبدا المسلمون في مشارق الارض ومغاربها عاما جديدا في حساب القرن الخامس عشر من الهجرة المباركة .

وتعود بنا الذكرى الى فجر البعثة المحمدية وما حفلت به من أحداث جلال عظام ..

فقد مكث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثلاثة عشر عاما يدعو قومه في مكة الى الله ، وترك عبادة الاصنام ، فما استجاب لدعوته الا نفر قليل ..

ثم شاءت ارادة الله أن يمضي رسوله الأمين في رحلته المجيدة التي غيرت وجه التاريخ ، وانقذت البشرية وأطلقت زمام الحرية ، فالناس بعدها أحرار في عقائدهم ، طلقاء في مذاهبهم . لا فرق بين قوم وقوم . ولا تفاضل في الأجناس والألوان .

## الحق يزهق الباطل .

إن حادث الهجرة كان حدا فاصلا بين الباطل في ظلمته وعدوانه ، وبين الحق في برهانه ويقينه . قبائل قريش في جهالة وشرك بالله ، ومحمد — صلوات الله وسلامه عليه — يبشر بدين جديد .. بين يهدي إلى الخير وإلى سبيل الرشاد ..

وتأبى قريش على الرسول دعوته ..

ويكابر أهل الكفر ويستكبرون ..

ويقولون : إن هو إلا إفك افتراه ..

وإذا رأوه سخروا منه وقالوا في غيظ : هذا ابن ابي كبشة يكلم من السماء ..

وجادل الرسول قومه بالتي هي احسن .. دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكنهم جمدوا على عاداتهم المنكرة — واخلاقهم السيئة . وكيف يتقبلون دينا يدعو الى الحق ، وقد نشأوا على الجمود والتخلف والبغي ..

ويدبرون ويكيدون .. فاما ان ينصرف محمد — صلى الله عليه وسلم — عما يدعو إليه .. واما فالويل له ولمن يتبعه ..

وفي ثقة بالله وبالمستقبل يقول الرسول : فصبرا جميلا .. وكلما اشتد عليه الخطب وتضاعف الالم والايلام ، ازداد اصرارا وتصميما على المضي في رسالته ، ومواجهة الباطل وان غلب وتأصل .

فبقدر المشاق يكون الجزاء .. وأي شيء يهون في سبيل اظهار رسالة ربه .. هكذا كان صلوات الله وسلامه عليه ذا عقيدة راسخة .. ابتلى بأشد انواع الاذى وبيت قتله ، فما ارهبه

تهديد او وعيد .. رغب في المال والجاه ، فما فتنه ذلك قط ..
ومن أول نشأته عرفوه بالصدق والأمانة ورجحان العقل وسلامة التحكيم ، حتى قال عنه هرقل ملك الروم : لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله .
وروى أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم : والله لو أني اخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب : ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر الى الله يضعه حيث يشاء » ــ فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ ــ لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه .
درس عظيم ينبغي ان نستفيد منه . كان الرسول صادقا مع نفسه فأصدق القول لغيره .. رفض العون في الشدة ، وهو أحوج ما يكون اليه ، وأرجع الأمر الى ربه فيما طلب منه .
وتوالت المحن على الرسول بموت زوجه خديجة وعمه « أبو طالب » وكان كل منهما عضدا له ، وناصرا على قومه .. وفي خضم الأحداث لم تلن عريكته او تضعف عزيمته بل ظل شامخا كالطود .. ولكنه لم يكن ليرضى ان تظل دعوته محكومة بالوثنية ووجد ان تربة مكة غير صالحة لغرس دين جديد ، فعزم الهجرة الى ارض طيبة قابلة لنبت دعوته واشتداد عودها .
وعلمت قريش بنية الرسول في الهجرة الى المدينة ، فأجمعت على التخلص منه بقتله حتى يطفئوا نور الله ، ويجتثوا شجرة الايمان من جذورها .. واجتمع لتنفيذ المؤامرة فتيان من أشداء قريش ليضربوه ضربة رجل واحد ، فيتوزع دمه بالتساوي بين القبائل .

## آيات كبرى .. ومثل عليا في الهجرة

في تلك الليلة خرج رسول الله من بين صفوف المتآمرين .. خرج من داره محوطا بعناية الله ورعايته ، فلم يره أحد ، او يحس به متربص .. ويتبعه في هجرته نفر كثير من المؤمنين ، يفدونه بالعزيز من الولد والمال ..
وتتجلى على طول رحلة الهجرة المباركة آيات كبرى ، وبطولات رائعة في التضحية والفداء والجهاد والثبات على الحق ونصرة العقيدة ، ستظل أبدا مضرب الأمثال مهما تعاقبت الأجيال ومضت السنون ..
وأي تضحية وانكار للنفس أروع من ذلك :
● علي بن ابي طالب في شبابه وفتوته ينام في فراش الرسول ليلة الهجرة ويتغطى ببردته ، وهو يعلم أنه عرضة للموت في اي لحظة .

● أبو بكر في شيخوخته يمشي خلف الرسول حينا وامامه حينا ، ويسأله الرسول في ذلك فيجيب : « أخشى

الطلب يا رسول الله فأمشي خلفك ، ثم اذكر الرصد فأمشي بين يديك » .
وعندما يصلان الى الغار ويهم الرسول بالدخول يمنعه ويقول : « مكانك يا رسول الله حتى أدخل قبلك فاستبرئه » ثم يدخل ليطمئن على حياة الرسول مما عسى ان يكون مختبئا في جوف الغار من وحش كاسر أو زاحف سام .

● والزوج الذي يفارق زوجته .. والاب الذي يفارق أولاده .. والابن الذي يفارق والديه .. وكل منهم فرح بما يصنع ..

● واسماء وعائشة بنتا ابي بكر تعدان زاد السفر في ليلة الهجرة ولا يشغلهما عن ذلك حزن ولا بكاء .. وتقطع اسماء نطاقها فتربط جراب الطعام وقربة الماء بعضهما ببعض .. ولهذا سميت اسماء : ذات النطاقين .
وأمثلة كثيرة يطول ذكرها .
وحين فارق الرسول مكة دعا ربه : « اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد الي ، فأسكني احب البلاد اليك » . ويستجيب الله دعوته .

## واقع الأمة الاسلامية في الماضي والحاضر ..

وسرعان ما اصبحت يثرب ملاذ جماعة المسلمين وسميت « المدينة المنورة ، ومدينة الرسول » .. وآخى صلوات الله وسلامه عليه بين المهاجرين والانصار ، وقضى على الخلافات والنعرات القبلية التي كانت قائمة ومتحكمة بين الاوس والخزرج منذ القدم ، فالناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى . ولا خضوع لغير الواحد الديان ..
ومن المدينة انطلقت جيوش المسلمين الى مكة حيث تم الفتح العظيم ، وتطهرت الكعبة من وثنيات الكفار ، وانتشرت رسالة التوحيد والمعرفة .. وحلت رابطة الاسلام محل رابطة الارحام .
وقويت شوكة المسلمين بتأسيس اول دولة اسلامية على مبادىء الحق والعدل والرحمة والمساواة .. وامتدت فتوحات المسلمين الى أرجاء كثيرة من العالم .. وشاعت إنسانية الاسلام وحضارته كما يشيع النور في الظلام .
فما أحرى المسلمين اليوم – وهم يستقبلون القرن الخامس عشر الهجري – أن يراجعوا مجدهم الماضي ، ويأخذوا منه ما ينفع الحاضر والمستقبل .. فالاسلام كما حورب في اول امره ليدفن في مهده .. يحارب الان في اماكن كثيرة من العالم لاطفاء نوره والقضاء على اهله .. ولن يصلح امر هذه الامة الا بما صلح به أولها : الايمان ونصرة العقيدة .. وليكن معلوما لنا جميعا ان تأييد الحق لا بد أن يستتبعه الجهاد والتضحية والثبات في كل زمان وأي مكان :( **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ) محمد/ ٧

# ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها .
ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« قال انس كنت يوما مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تفرق اصحابه فقال : ياأبا حمزة قم بنا ندخل السوق فنربح ويربح منا فقام وقمت معه حتى صرنا الى السوق فاذا نحن في أول السوق برجل جزار شيخ كبير قائم على بيعه يعالج من وراء ضعف فوقعت له في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة فهم ان يقصده ويسلم عليه ويدعو له اذ هبط عليه جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك لا تسلم على الجزار فاغتم من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندري اي سريرة بينه وبين الله اذ منعه منه فانصرف فانصرفت معه ولم يدخل فلما كان من غد تفرق اصحابه فقال قم بنا ندخل السوق فننظر اي شيء حدث الليلة على الجزار فقام وقمت معه حتى جئنا الى السوق فاذا نحن بالجزار قائما على بيعه كما رأيناه بالأمس فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقصده ويسأله أي سريرة بينه وبين الله إذ منعه عنه فهبط جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك سلم على الجزار فقال له حبيبي جبريل امس منعتني منه واليوم امرت به فقال نعم يامحمد ان الجزار الليلة وعكته الحمى وعكا شديدا فسأل ربه وتضرع اليه فقبله على ما كان منه فاقصده يامحمد وسلم عليه وبشره فان الله تعالى قد قبله على ما كان منه فقصده وسلم عليه وبشره وانصرف وانصرفت معه » .

موضوع :

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة هذا القول موضوع .
ومن رواته دينار بن عبدالله وهو آفته .
وايضا تظهر فيه الصنعة ويبدو فيه الاختلاق والكذب وسوء التركيب .

للشيخ : سليمان التهامي

ان الاسلام شرع نظاما للحكم ، وجعل دعامته الرئيسية الفرد المسلم لأنه أساس المجتمع المتحضر ولبنة من لبناته ، فلا يصح قيام مجتمع متحضر بدون الفرد الصالح ، ولو أن كل مجتمع راعى في نظامه الأخذ به لعم الخير والنفع وساد الاصلاح .

والنظام الذي أقره الاسلام وراعى فيه المصلحة العامة أخذ به الفكر الحديث ، ففي مجال الاختيار والتعيين كان الاسلام قائما على مبدأ تكافؤ الفرص والقدرة الفنية والسمات الشخصية للعامل .

والموظفون في الاسلام أخذوا قسطا وافرا من العناية بنظامهم ، ومن العدل أن نذكر بعض ما أخذ به النظام الاسلامي فيما يخص إدارة أفراده وموظفيه .

وقد أخذ النظام الاسلامي بقسط كبير فيما يتعلق بالفحص الطبي للأفراد عند الحاقهم بوظائفهم من ذلك أن الشبان الذين يراد إلحاقهم بالوظائف العسكرية يجردون من ثيابهم للاطلاع على عيوبهم من الوجهة الطبية حتى اذا كان هناك بالجسم عيب يحول دون إحسان العمل ، نحوا صاحبه عن الخدمة العسكرية .

وقد كان للسن اعتبار خاص في هذا الموضوع ، وهذا حرص من أولى الأمر على أن من يتولى وظائف الدولة يجب أن يكون مسئولا مسئولية كاملة . والحكومات في العصور الحديثة تشترط سنا معينة لا تقبل طالب الوظيفة قبلها ، لأن أي تقصير أو عبث بالمصالح العامة منهم ، ينصب ضرره عليها ويكون التقصير صادرا منها ، وليس في الدنيا حكومة رشيدة تقبل أن ينسب إليها لوم او تقصير .

ومن اعجب ما تحويه المكتبة الاسلامية ما جاء في تاريخ الطبري من أن عمر بن الخطاب كان يتعقب الموظفين في سيرتهم الخاصة وفي تصرفاتهم كذلك ، وينصحهم الى ما فيه المصلحة ولو كان على حساب مصلحتهم الخاصة ، ومن ذلك ان « حذيفة بن اليمان » تزوج اجنبية

فطلب إليه عمر أن يطلقها مع أنه تزوجها على شريعة الله ، لكن عمر يرى أن زواجهما إضرار ببنات العرب وتضييق عليهم حيث قال عمر : « إن في نساء الأعاجم خلابة ، فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم » وهذا هو شعور الحاكم الذي يعتبر نفسه مسئولا عن رعيته فالذكور لهم حظهم ، والاناث لهن نصيبهن وهذا هو ما يسمى بالشعور الوطني في هذه الأيام .

وإذا امعنت النظر فيما فعله عمر وفيما يفعله ولاة الحكومات العصرية ، فانك واجد تشابها في منع الموظفين السياسيين من الزواج بالأجانب .

وقد عزل عمر عامله علي ميسان ( النعمان بن عدى ) لأنه سمع أنه قال أبياتا جاء فيها :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا في الجوسق المتهدم

فقال عمر إنه ليسوؤني وعزله مع أنه يعلم علم اليقين بان ذلك لم يكن وانما هو قول شاعر ، وهذا احتياط وبعد نظر فيما يتعلق بوظائف الحكم ، اذ هي بعيدة كل البعد عن الهفوات التي تلفظ بها عامله .

وقد كانت سياسة عمر هذه لها عظيم الأثر فيمن خلفه من ولاة المسلمين حيث أنهم كانوا يحملون الموظفين اثم تقصيرهم واخلالهم بواجبهم ومسئولياتهم فيما يتولون من أعمال العامة فالموظف الذي يعفي نفسه من المسئولية عليه مسئولية ذلك ، قال أبو يوسف للرشيد « واذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك ، واحتجاز شيء من الفيء ، او سوء سيرته ، فحرام عليك استعماله والاستعانة به وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك ، أو تشركه في شيء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من غير أن يتعرض لمثل ما تعرض له وإياك ودعوة المظلوم فان دعوته مجابة » .

والمسلمون كانوا ينتقون الموظفين الأكفاء لتولي الوظائف ففي « طبقات ابن سعد » أنه كان من عمال عمر « عمير بن سعد » وفيه يقول عمر : وددت لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين ( ولاه عمر علي حمص وتوفي سنة ٤٥ هـ )

ومن أقواله على منبر حمص : « لا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، واخذا بالعدل » .

ومن أهم ما يلزم لأداء العمل هو الحيطة في اختيار الموظف ، وانتقاء الصالح منهم الذي يتمتع بكفاءة وأمانة في أداء العمل بحيث يكون هذا العمل موافقا لما احله الله ، ومطابقا لشريعته ، كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » رواه ابو داود .

ومن آداب الموظف لزوم العفاف

والصيانة فيما يتولاه للسلطان من أعمال والتعفف عن المطامع النميمة والمطاعن الوخيمة والترفع عن المكاسب اللئيمة فان ذلك يحقق القرب من الله سبحانه وتعالى ، والحظوة عند السلطان وجميل السيرة عند الرعية فان ذلك يقرب من كان بعيدا على من كان قريبا ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة لدى السلطان .

والاسلام قد وضع نظاما خاصا لرواتب الموظفين لها قواعد منسقة تنسيقا عادلا ، فلا يعطي عامل إلا على قدر عمله ، ولا يمنح أقل من كفايته ، ومن دواعي زيادتها ان يبدي الموظف في عمله كفاية وحكمة .

فقال الله سبحانه وتعالى : ( **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ) الزلزلة / ٧ و ٨ .

وقد روى ابن سعد في طبقاته ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى ائمة المسلمين بعده بموظف احسن صنعا في بعض الامور ، فكتب له بهذا كتابا وختمه ، فظل الموظف يأخذ من خلفاء المسلمين حتى عهد عمر بن عبدالعزيز .

وراتب الموظف كان يتناسب مع مركز الموظف ، وما يتخذه لنفسه من هيبة في نفوس الناس ، ولعل من اصدق الشواهد على ذلك ما يروى ان المعتضد بلغه ان عامله على فارس أظهر ابهة في ولايته وأنفق مالا طائلا ، فوقعت له بذلك هيبة في نفوس الرعية فزاد المعتضد رزق عامله ليستعين به على مظهره .

وقد روى ابو داود ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه الفيء قسمه في يومه ، فأعطى صاحب الأهل حظين واعطى العزب حظا واحدا . فهو يراعي الحالة الاجتماعية وما يعول الموظف من افراد اسرته . وهذا ما توصلت اليه نظم الموظفين الحديثة ، بعد كثير من العناء والمشقة والجدل والمراء ، على الرغم ان الاسلام كان سابقا لها ومتقدما عليها .

والنظام الضريبي له أصل في الاسلام وخاصة « ضريبة الدخل » فقد كانت الزكاة المستحقة على اصحاب الأعطيات تخصم من اعطياتهم قبل أن يستولوا عليها ، ولا يسلم اليهم الا ما بقي بعد خصم الزكاة ، هداهم الى هذا فطرتهم واستقامة فكرهم ، حيث ان مؤلفي علوم المالية الحديثة لم يتوصلوا الى ما انتهوا اليه الا بعد ان اجتازوا ما فيها من التعقيد وصولا الى ما وصل اليه الفكر الاسلامي العريق .

وقد رأى خلفاء المسلمين إنصاف الموظفين بوضع نظام عادل لرواتبهم ، فأمير المؤمنين على كرم الله وجهه يوصي أحد عماله أن يسبغ الأرزاق على الموظفين ، فان ذلك قوة لهم على اصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا الأمر او ثلموا الأمانة .

ولعمر بن عبدالعزيز محاورة في ذلك تدل على مبلغ حرصه على إنصاف الموظفين .

قيل له : تزرق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتي دينار في الشهر واكثر من ذلك ؟

فيقول : « أراه لهم يسيرا ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ، وأحب ان افرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم » .

وكان من أهم ما جرت عليه الادارة في عهد المأمون للتوسعة على العمال ، يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان .

ولعمري ان ذلك حزم وبعد نظر وحسن بصر وبصيرة بالأمور فان من تولى أمور الناس واعطى الفصل فيها وتصريفها يجب ان يكون مرزوقا موسعا عليه ، لا يشعر بضيق ولا تلذعه حاجة ، لأن الشعور بالضيق فتنة ، ولذع الحاجة مدرجة للخيانة ، فتمتد يد الموظف الى ما في أيدي الناس وتتطلع عينه الى المعونة بما يملكون .

ومن احق بهذا الحزم من المأمون ، وهو من هو علما وحكمة ؟ وهو الذي رفع منزلة « الفضل بن سهل » وعقد له على الشرق طولا وعرضا ، وجعل عمالته ثلاثة آلاف الف درهم !

ورواتب الموظفين تجري عليهم من بيت المال لأنهم في عمل المسلمين،كذلك ارشد بهذا أبو يوسف الرشيد ففي كتاب الخراج ان الرشيد قال : يجري على القاضي إذا صار إليه ميراث من المواريث . فأجاب قاضيه ابو يوسف : لا،إنما يعطي للقاضي رزق من بيت المال ، ليكون قيما للفقير والغني ، والصغير والكبير ولا يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع اذا صارت اليه مواريثه رزقا .

ونظام المعاشات والمكافآت في الاسلام معروف ، فقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيس بن مالك الأرحبي من همذان لما استعمله على قومه عربهم وعجمهم ومواليهم فأقطعه من ذرة ( نسار ) مائتي صاع ومن زبيب ( خيوان ) مائتي صاع ، جار له ذلك ولعقبه من بعده ابدا ابدا ،ابدا .

وعمر بن عبدالعزيز أمر أن يرفعوا اليه كل مقيم ومن لا احد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فامر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بالسوية وفرض للعوانس الفقيرات ، وكان لا يفرض للمولود حتى يفطم فنادى معاوية لا تعجلوا اولادكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الاسلام .

وراعى الاسلام العجزة من موظفي الدولة ومنحهم رعاية اجتماعية فقد كتب عمر بن عبدالعزيز الى اقطار الشام ان يرفعوا اليه كل أعمى في الديوان ، او مقعد او من له فالج او من به زمانة تحول بينه وبين القيام الى الصلاة ، فأمر لكل اعمى بقائد ولكل اثنين من الزمنى بخادم وعلى هذا النحو كانت رعاية الولاة العادلين لصالح الموظفين بل للمسلمين اجمعين .

وليس بعزيز على من يشعر بانه مسئول امام الله عن كل صغيرة وكبيرة من امور رعيته ان يسد حاجتهم بل ليس بعزيز عليه ان يغنيهم وان يبيت ساهرا لا تغمض له عين وفي رعيته غرثان حتى يشبع ، او

ظمآن حتى يروى ، لا يقصد بذلك الا وجه الله وطاعته فيما ولاه ، لا يبغى جزاء من عباده ولا شكرا من طالب الاحسان .

عن ابي هريرة رضي الله عنه :«ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل المتوف عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه فضلا ؟ فان حدث انه تارك لدينه وفاء صلى والا قال للمسلمين ، صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفي من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

فقد جاءت امرأة من العراق الى عمر ابن عبدالعزيز وشكت عيلتها وفقرها وقالت ان زوجها لحق بربه وترك بنات خمسا وطلبت أن يفرض لهن : فقال

ما اسم الاولى ؟ فقالت فلانة : قال فرضت لها كذا فقالت : الحمد لله يا امير المؤمنين ثم قال والثانية ؟ قالت فلانة قال : فرضت لها . قالت الحمد لله يأمير المؤمنين ثم سألها عن الثالثة ففرض لها فحمدت الله ثم الرابعة ففرض لها فحمدت الله ثم قالت :

والشكر لأمير المؤمنين بقيت الخامسة واسمها فلانة فقال لها عمر لا،اننا لا نفرض لها فقد فرضنا لاخواتها حين اوليت الحمد اهله ، اما الان فقد اوليت الحمد غير اهله ، فمري الاربع ان يتفضلن على الخامسة ! ولم يفرض لها لان المرأة اتجهت لغير الله .

ونظام الحكم في الاسلام سجل حافل بالكثير كلما قلبت صفحاته راعك منه جديد ، وكلما امعنت في البحث طمعت في المزيد وذلك لان الدولة الاسلامية كانت لها طبيعة الانتشار فملكت جوانب الأرض حقبة من الزمان ، وكانت لها طبيعة خلق كل جديد والتأثير في كل مجال من قريب أو بعيد حتى أصبحت تراثا عالميا يعتد به ــ وخاصة ــ نظم إدارة حكمها ، فازدهرت هذه الدولة في الشرق ، فبنو أمية وبنو العباس » اقتبسوا نظمهم من القواعد التي جاء بها كتاب الله وسنة الرسول وأعمال الخلفاء ، وكذلك بنو أمية في الغرب مسترشدين بقوله تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ) النساء / ٥٩ .

وقد كانت هذه البقاع أزهى بقاع المعمورة في ذلك الزمان ، فكانت خليقة أن يكون لها نظام محكم وتنظيم دقيق مكنها من أن تكون قدوة على مر العصور والأجيال .

ونود ألا ننسى أننا في هذا المقام نحتاج الى أسفار طوال لجمع شتات نواحيه وكتابة ما يستقصيه لذا فنحن نضرب الأمثال ونسترشد ونستنير ببعض الأصول ، لنتصدى لكل من

افترى على الاسلام كذبا وقال بانه شريعة الصحراء ، وتناسى وغفل بأنه شريعة الله التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم ، يهدي بها الناس الى العقيدة الخالصة والى طريق الحكم السليم ، في كل زمان ومكان .

وسترى في بعض ما نورد لك ، أن كثيرا من الأحكام التي سنها المسلمون لادارة حكمهم وشئون أفرادهم وموظفيهم ، له كبير الشبه بما تجري عليه الحكومات في هذه العصور .

ومن عظيم التشابه في نظام الموظفين عبر التاريخ الاسلامي ، هو ما نجده في نظام استقلال الموظف بدون الرجوع الى رئيسه وهو ما يسمى الآن بمبدأ ( اللامركزية ) وقد سبق الاسلام الى هذا المبدأ ، من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روى ان السعاة الذين كان يبعثهم الرسول على الزكاة رجع بعضهم احيانا الى المدينة وليس معه شيء منها ، لأنه وجد للزكاة موضعا يضعها فيه .

وقد كان تردد بعض العمال وخوفه من استقلاله بالتصرف مرجعا للتعنيف من بعض الخلفاء ، لأنهم كانوا يرون أن انتظار الرأي مضيعة للوقت في غير طائل ، وربما أضاع الزمن بعض الحقوق على أصحابها .

كتب عمر بن عبدالعزيز الى عامله باليمن « أما بعد فاني أكتب إليك أمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم فتراجعني ولا تعرف مسافة ما بيني وبينك ، ولا تعرف أحداث الموت ، حتى لو كتبت اليك ان أرد على مسلم مظلمة شاة لكتبت أردها عفراء أو سوداء فانظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني ! » .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه أن عمر بن عبدالعزيز كتب الى عامله بالكوفة أنه يخيل الي اني لو كتبت إليك أن تعطي رجلا شاة لكتبت الى اذكر ام أنثى ! ولو كتبت إليك بأحدها لكتبت الي صغير أم كبيرة ! ولو كتبت بأحدها لكتبت اضأن أم معز ! فاذا كتبت اليك فنفذ ولا ترد علي ! » .

فأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز يرشد عامله الى الاستقلال برأيه في بعض الأمور يصرفها كما يرى ، ويلومه بأسلوب لاذع على أنه يرجع الى رأي الخليفة في صغير الأمور وكبيرها .

استنادا للحديث الشريف : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » رواه احمد والبيهقي .

وقد كان المأمون يحرص الحرص كله على الانتفاع برجاله ويطلق لهم حريتهم في العمل .

وكان العباس بن الحسن وزير المكتفى يقول لنوابه في الأعمال : « أنا أوقع لكم وافعلوا ما فيه المصلحة » .

وبعد هذا يمكننا أن نقول بأن « اللامركزية » هي نظام عرفه الاسلام في العهد الأول ، واتبعه الخلفاء والوزراء مع عمالهم ، وأن الذي حدث في هذا الزمان هو الاسم فقط اما المعنى فهو غير حديث ولا مبتدع .

ويجب التنويه بأن « المركزية واللامركزية » هما صورة التنظيم الاداري في الدولة الحديثة تأخذ كل دولة منهما بنصيب يتفق وظروفها الخاصة ، وهما على الرغم من تعارضهما النظري تتعاونان معا في العمل .

**والمركزية الادارية** : تعني توحيد وتركيز وعدم تجزئة كل مظاهر النشاط الاداري في الدولة ، بل تجميعه في يد السلطة المركزية في العاصمة وفي فروعها بالأقاليم . ثم تطورت الوظيفة الادارية حتى اصبحت في يد كل وزير ، كل في نطاق وزارته يحتكر كل خصائص السلطة فيها .

**وللمركزية صورتان** : احداهما المركزية المطلقة او الوزارية بحيث يكون كل شيء مرهونا بارادة الحكومة المركزية القائمة في عاصمة الدولة ، اما الصورة الاخرى للمركزية فهي اللامركزية الوزارية أو نظام عدم التركيز الاداري ، وذلك بأن يخول الوزير بعض موظفي الوزارة في العاصمة أو الأقاليم سواء بمفردهم أم في شكل أجهزة وإدارات ، سلطة البت نهائيا في بعض الأمور دون حاجة للرجوع الى الوزير ، وهو نظام لا يعني الا تخفيف العبء عن الحكومة المركزية وزيادة سلطات الممثلين المحليين لها ، ويجعلهم أكثر ميلا وتعاطفا مع مصالح الأفراد المحلية .

**أما اللامركزية** : فتنقسم إلى اللامركزية السياسية وهو نظام يتصل بالتنظيم الدستوري للدولة وهو صورة من صور الحكم واسلوب من اساليبه في الدولة المركبة ( كالدولة الفيدرالية ) .

أما نظام **اللامركزية الاقليمية** فهو صورة من صور الادارة وأسلوب من أساليب التنظيم الاداري في الدولة وخاصة الدولة البسيطة ( كالدولة الموحدة ) .

والاسلام يحظر على الموظف ان يتخذ عمله وسيلة للكسب من غير طريقه ، ولا يبيح له أن يستولي على ما في أيدي الناس بالباطل ، وذلك ما يسمى في اللغة الحديثة : باستغلال النفوذ .

فدين المسلمين يسد المسالك على الموظف ، فلا يتسرب الى حوزته مال فيه شبهة ، ولو كان المظهر مشروعا سواء أكان العامل مجاهرا بسلب الأموال ام متسترا وراء اسم ظاهره فيه الاباحة وباطنه فيه الاثم ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، » رواه البخاري ومسلم . فان ولى الأمر عليه ان يتعقبه ولا يتركه يخدع الناس او يعبث بعقولهم .

والتاريخ يذكر بأن عمر بن الخطاب مر على نياق لابنه عبدالله فرآها ترعى مرعى خصبا ، ورأى كثرتها وبدانتها فسأل لمن هذه

النياق ؟ فقيل له : لابنك عبدالله ، قال : اجعلوها لبيت المال فان عبدالله لم يكن قادرا على جمعها وتسمينها لو لم يكن ولد أمير المؤمنين .

وإن العجب ليبلغ من نفسك مبلغا عظيما ، حين تراه ينكر على عماله أن يتحايلوا لجمع الأموال ولا يقرهم عليها ويصادرها فقد اجتمعت لابي هريرة اموال كثيرة ، فلما سئل قال : ان خيله تناسلت ، وسهامه تلاحقت ، وإنه اتجر ، فقال له عمر انظر رأس مالك ورزقك فخذه واجعل ما بقي في بيت المال .

وأني للنظم الحديثة مثل هذا النظام ! بل أني لهم حاكم عادل مأخوذ بالشعور الديني والعقيدة الالهية ، وينفذ لهم ما يصيغون من النظم بتلك الصرامة والقوة التي لا تفرق بين ابن أمير المؤمنين وسواه ، ولا تعرف لأحد منزله فيما شرعه الله !

وهل ترى في الحكام اليوم من يقسو على ابنه في سبيل الصالح العام ، هذه القسوة التي رأيتها من عمر ؟! ثم هل ترى حاكما يصنع مع رجل من أجلاء الصحابة وكبار العاملين في الدولة ما صنع عمر مع ابي هريرة ؟!

ان هذه قوة الاسلام ونظامه الذي ينبغي ان يكون للناس اجمعين ويجب ان يفرض على كل صغير وكبير في الدولة ، فالاتجار واستغلال الجاه ليس من شأن العاملين . فاذا حرمت القوانين الاتجار في شرائعها الوضعية فقل إن هذا حكم الاسلام من قديم السنين .

وعدم استغلال النفوذ والسلطة هي احدى الواجبات الملزمة للموظفين كافة ، مع مراعاة باقي الواجبات وعدم الاخلال بها ، والتقصير فيها وعلى رأسها أن يؤدي الموظف واجبات عمله على نحو مرض ، بحيث يكون في خدمة المجتمع والمواطنين قال تعالى : **( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون )** التوبة / ١٠٥ ، وأيضا قوله تعالى : **( إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا )** الكهف / ٣٠ .

وأيضا أن يكون نزيها وشريفا دون انحراف وفساد في أداء الخدمات العامة للمواطنين فبدون ذلك له خطورة ليس فقط في آثارها الاقتصادية الضارة ، بل في آثارها الاجتماعية والاخلاقية على المجتمع كله .

ولعلنا لا نبالغ إذا أكدنا ان قبول الموظف العام لهدية أو خدمة عينية ، أو رشوة لأداء خدمة من الخدمات العامة التي يتعين عليه اداؤها للمواطنين تعد ليس فقط جريمة يعاقب عليها القانون،بل تقويضا للثقة بين الحاكم والمحكوم ، ونشرا للفساد في المجتمع كله .

وأيضا طاعته واجبة ، طاعته للقانون والأوامر الصادرة اليه مع ايضاح الأسباب الداعية لصدور كل قرار حتى لا تكون طاعته طاعة مطلقة عمياء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع

أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني » رواه البخاري .

وعليه أن يؤدي واجباته بالسلوك القويم ، في أنفة وعزة وكرامة ، تتفق مع منصبه للمحافظة على هيبة الوظيفة العامة وكرامتها ، ومن مقتضيات هذا السلوك أن يحافظ الموظف على مظهره العام وسلوكه خارج وداخل العمل .

ومن واجباته المحافظة على سرية العمل والولاء والاخلاص للدولة والنظام السياسي والحكومة .

اما حقوقه بعد ان كانت بمثابة منحة تتحكم فيها جهة الادارة وفق ما تشاء وما ترى ، اصبحت حقوقا مكتسبة بحكم القانون مثل حق الموظف في الاجازات السنوية والمرضية والمرتب والمعاش .. الخ .

وتوجيه الموظف ضرورة واجبة ـ فضلا عن أنه عنصر من عناصر الادارة فهو ضروري في أي عمل ، لأنه يحفظ عليه وحدته : فالناس لا يتركون ، يعمل كلٌ وفق أسلوبه الخاص،وطريقته المستقلة ، بل يجب أن يعملوا في تعاون وانسجام،لكي يتحقق الهدف ، وتلك مهمة التوجيه .

إن للتوجيه أدوات مثل الحوافز والتدريب والعلاقات الانسانية . ولا يعتبر التوجيه فعالا لمجرد توافر تلك الادوات والنظم المقررة لها بل تتوقف فعالية التوجيه على حسن استخدام تلك الأدوات .

فلا بد لنظام الحوافز داخل أي جماعة من أن يعمل على تحقيق المصلحة العامة ، ويؤدي الى حب العاملين للعمل ويثير رغبتهم فيه واهتمامهم به ، ويكون علاقات طيبة بين المرؤوسين والرؤساء من ناحية وبين الزملاء من ناحية اخرى ، ويجعل العاملين يحسون بمشاركتهم في أداء نشاطهم ويتيح لهم التمتع بالخدمات الاجتماعية والترفيهية ويوفر لهم فرص الترقي والتقدم في العمل ، ويبعث بينهم الاحساس بالمكانة الاجتماعية .

والتدريب أمر لازم لكل المستويات الادارية على اختلاف درجاتها ، والتدريب يعني السعي نحو زيادة المهارة وليس التزود بالمعلومات فحسب .

ومبدأ الثواب والعقاب له عظيم الأثر ، وحفز الناس عن طريق إثابة المحسن اقوى أثرا من عقاب المسيء ، والحرمان من الثواب أفضل أنواع العقاب عند العقلاء ، أما الشواذ من الناس فقد يكون العقاب باترا لهم ورادعا لغيرهم ، والعقاب يجب ان يتنزه عن كونه انتقاما بل يستهدف الاصلاح وحده .

والعلاقات الانسانية التي تسودفي الجماعة لها أكبر الاثر على كفاية التوجيه فيها فيجب العمل من جانب القادة على تنمية الروح المعنوية للأتباع وان يشبعوا حاجاتهم المادية والنفسية ، ويسلكوا سلوكا من شأنه ان يكسبهم محبة المرؤوسين واحترامهم وان يعملوا على تصويب اخطاء التابعين بغير ايذاء لشعورهم وكيانهم والله الموفق لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

## تعقيب على مقال
## « مـع انجيـل برنابـــا »

### للاستاذ مصطفــى محمــد

**اطلعت مسرورا على البحث القيم الذي كتبه الاستاذ الفاضل احمد عادل كمال بعنوان « مع انجيل برنابا » بالصفحة الثامنة عشرة بالعدد رقم « تسعـون ومائـة » الخاص بشهـر شوال عام ألـف وأربعمائـة من هجـرة رسولنا العظيم .. ووجدت ان اكتب لكم ببعض ملاحظاتي عليه .**

**الملاحظة الاولى :**

قول الكاتب « وهو كتاب شيق ممتع ابلغ في الموعظة ـ من وجهة نظرنا ـ من الاناجيل الأخرى وهـو عالي المواعـظ والحـكم والآداب والتعاليم » .

اقول وبالله التوفيق ..

ان مثل هذا القول يؤخذ منه أنه دعوة لمطالعة هذا الانجيل ومن ثم الاناجيل الاخرى من باب المقارنـة بينهـم وبينه .. لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة كتـب اهـل الكتـاب ، فلقـد جاء في صحيـح البخاري باب قول النبي « لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء » أن معاوية حدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال « انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » .

ثم لماذا نقرأ وعندنا « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وعندنا « **وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** » المائدة / ٤٨ وعندنـا « **وبالحـق انزلناه وبالحـق نزل** » الاسراء / ١٠٥ وعندنا « **وما كان هذا القرآن ان يفتري من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** » يونس / ٣٧ ولكنهم فرطوا وكتبوا الكتـاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله ( كما سيأتي ) ولذلك قال تعالى في سورة براءة « ذلك قولهم بأفواههم ) اي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم

واختلافهم . والآيات في ذلك لا حصر لها والقرآن عندنا يقول « **وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » فصلت : ٤١/٤٢ .

وعندنا السنة ويكفي ان انقل لكم هذا الحديث الذي جاء في سنن ابن ماجة باب « اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » قال أبو الدرداء : صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » .

والقول بان هذا النهى لان المسلمين كانوا حديثي عهد بالاسلام فأقول : لقد أصبحت الكثرة الكاثرة ـ واقول ذلك والحزن يملأ الفؤاد ـ من أن المسلمين لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ولا يعرفون من القرآن الا رسمه همهم بطونهم السنة عندهم بدعة والبدعة عندهم سنة بل اصبحوا ينهون عنه وينأون عنه فرقتهم الأهواء وحطمتهم القوميات والكلام في ذلك يزيد نفسي حسرة فكأنني أمضغ الحنظل واتجرع المر .

ومن هنا اعود فأقول إنه أصبح لزاما علينا ان نطالع وبكل ذكاء وبعظيم الاهتمام قرآن ربنا وسنة نبينا وكتب علمائنا وبعد ذلك نجد انفسنا غير محتاجين إلى مثل هذه الاساطير والخرافات التي تسمى بالتوراة والانجيل بعد أن اتضحت الصورة امامنا وجلى الامر بيننا .

## الملاحظة الثانية :

الفقرة التي تقول .. واخيرا يحكى انجيل برنابا رفع المسيح دون ان يصلب فيقول : « فجاء الملائكة الأطهار واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه » ..

نلاحظ ان سياق الكلام يدل على أن الكلام جاء على لسان برنابا وليس من الله ولا عن الله ولا من قبل سيدنا عيسى ولا عنه وهذا يعني انه كلام موضوع من قبل برنابا ومهما كان فلا يجوز التعبد بدين وضعه بشر ولا الأخذ به لأن الاديان لا تأتي من قبل البشر ولكن تأتي من قبل الله الواحد . ولقد بحثت في الكتب التي تيسرت لي فلم اجد برنابا هذا ضمن من كان عند عيسى عليه السلام من الحوارين اثناء الرفع الى السماء .

ثم إن الاحاديث الواردة في رفع سيدنا عيسى عليه السلام تدل على انهم كانوا يقظين اي لم يكونوا نائمين كما ذكر انجيل برنابا .

فان كان الكتاب يتحدث عن بعض الحقائق الثابتة ـ رغم انها مشوشة ومشوهة فلربما دس السم داخل العسل .. من يدري فهؤلاء وهؤلاء لا أمان لهم ولا عهد لهم كما اخبرنا بذلك المولى عز وجل ( **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق** ) النساء /١٧١ اي انهم جاوزوا الحد وقالوا على الله الكذب والا لماذا ينهاهم ؟ وقوله عز وجل ( **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما**

**ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يعملون )** اي ومن الذين ادعوا لانفسهم انهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك اخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره وعلى الايمان بكل نبي يرسله الله الى اهل الارض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال تعالى ( **فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة** ) تفسير ابن كثير لسورة المائدة الاية ١٤ الجزء الثاني وقال ايضا فيهم ( **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا** ) وعلى هذا فأحبارهم ورهبانهم ليس لهم امان ولا ميثاق ولا عهد ولا ايمان ولا ايمان .

## الملاحظة الثالثة :

قول الاستاذ الكاتب « وانما تقاس على كتب السيرة » اي سيرة المسلمين كما ذكر الكاتب .

فأقول يا أخي رحمك الله واعزك اي سيرة تقصد واي كتب تريد . ان كتب السيرة عندنا ( إذا اهملنا اليسير مما جاء فيها من الاسرائيليات وغير ذلك ) لوجدنا كتبا صحيحة شافية كافية لا غلول فيها ولا اختلاف .. لاكذب ولا تضليل انما هذه الاناجيل ـ واقولها بكل صراحة ووضوح ـ مملوءة من آخرها بل وفاضت ايضا بالدس والتدليس والكذب والتضليل والبهتان كما اخبر بذلك الله بقوله ( **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق** ) النساء ١٧١ .

وقال ( **وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله اني يؤفكون** ) التوبة / ٣٠ .

وقال تعالى : ( **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ) البقرة : ١٤٦

والآيات في ذلك كثيرة جدا جدا .

واخيرا اقول

مما لا شك فيه ان هذه مغالطات جوهرية يجب الاحتراز منها حتى لا تسمم افكار المسلمين لأنها تعارض النصوص الصريحة والصحيحة من القرآن والسنة واقول ذلك لاننا نحن المسلمين عانينا وما زلنا نعاني من تلاعب النصارى ومستشرقيهم ومبشريهم ، بالالفاظ والكلمات والعبارات بل بألفاظ القرآن ذاته فعلينا أن ننتبه وعلينا ان نفهم وعلينا أن نعي فالمشاهد عليهم أنهم يذكرون مائة كلمة صادقة ويدسون بينها الضلال ليحققوا مآربهم واحلامهم . ثم لماذا لا نوجه جهدنا اولا وقبل كل شيء الى دراسة ديننا وذخائرنا فان تسعة اعشاركتبنا وتراثنا ما تزال حبيسة مكتبات دور الكتب .

# وإن من شيء إلا يسبح بحمده

للدكتور احمد شوقي ابراهيم

يقول علم الفلك الحديث إن عدد النجوم في الفضاء الكوني مثل عدد حبات الرمل في صحراء مترامية الأطراف .. والكون واسع فسيح إلى ما لا نهاية نعلمها .. فاذا تصورنا صاروخا يسير بسرعة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة حول الكون الذي يعرفه علم الفلك .. فان هذا الصاروخ يكمل دورته في ٣٠٠ الف مليون سنة . ولما كان الكون يتسع باستمرار .. مثل بالون من المطاط ينتفخ شيئا فشيئا ، فالكون يتسع إلى ضعف حجمه بعد حوالي الف مليون سنة .. وهذه حقيقة اكتشفها علم الفلك حديثا .. سبق القرآن بالعلم بها في قوله تعالى :

**( والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون )** الذاريات / ٤٧ .. وعلى ذلك فان ذلك الصاروخ الذي افترضنا أنه يطوف حول الكون الذي يعرفه الانسان .. سيظل يواصل رحلته في الفضاء الكوني دون أن يكمل دورته أبدا .

وكل الأجرام في الكون في حركة مستمرة منذ بدء خلقها إلى ما شاء الله

لهـا .. وأقــرب جرم للأرض هو القمر .. ويبعد عنا بحوالي ربع مليون ميل ويدور حول الأرض في ٢٩ ونصف يوم .. والشمس تبعد عن الأرض ٩٣ مليون ميـل .. والأرض تدور حول نفسها بسرعة الف ميل في الساعة .. وفي نفس الوقت تطوف في فلك حول الشمس طوله ١٩٠ مليون ميل في سنة كاملة بسرعة اكثر من نصف مليون ميل في اليوم الواحد .. وتوجد تسعة كواكب سيارة تطوف حول الشمس بسرعة كبيرة منذ بدء خلقها الى ما شاء الله لها .

أما الشمس فهي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة .. وكما ان القمر يسبح في فلك خاص به .. والأرض تسبح هي الأخـرى في فلك خاص بها .. فكذلك الشمس اكتشف حديثا جدا انها ليست ثابتة .. فهي بدورها تدور حول نفسها .. وتجـري هي ومجموعتهـا من الـكواكب في فلك حلزوني حول المجرة .. إنها حقائق كونية عرفناها حديثا فقـط ولـكن القرآن الكريم ذكرها في سورة يس في قوله تعالى :

**( والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون )** يس/ ٣٨ ــ ٤٠ .

وهنـاك المجـرات .. وهـي مجموعات ضخمة من النجوم .. في كل مجرة ما يقارب الالف مليون من النجوم .. وقطر مجرتنا مائة ألف سنة ضوئية .. ويقدر علماء الفلك أن بالكون ــ أو بالجزء من الكون الذي يعرفونـه ــ حوالي ٥٠٠ مليـون مجرة .. وتطوف كل هذه المجرات في الفضاء الفسيح في دورة كاملة حول مركز طواف لها كل مائتي مليون سنة .

وحركات النجوم تحدث في منتهى الدقة والنظام دون أن تتصادم مع بعضها البعض .. ولا بد أنه نظام وقانون يعجز الانسان عن وصف دقته وانضباطه .. فلـم يعـرف العلـم البشري ــ رغم المحاولات الكثيرة ــ شيئا عن مواقع هذه النجوم أبدا .. فلكل منها موقع .. يحدده قانـون محكم منضبط .. ولا شك أن مواقع النجوم أمر على جانب عظيـم من الأهمية .. لا يمكن لعقل بشر أن يحيط به .. لذلك أقسم الله تعالى به **( فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسـم لو تعلمـون عظيـم )** الواقعة/ ٧٥ ــ ٧٦ .

ومن خلال علومنا الحديثة تبين لنا أن خلق الأرض ومن عليها اقل كثيرا مما خلق الله تعالى في الكون الفسيح من عظمة واسرار يقول تعالى :

**( لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون )** غافر/ ٥٧ وكان النـاس وقت نزول القرآن يعتقدون أن الأرض هي مركز الكون .. وأنها أكبر شئ فيه ..

وهذا الكون كله .. يدور ويدور .. الارض تدور حول نفسهـا وحـول

الشمس والقمر يدور حول الأرض .. والشمس تدور حول نفسها وتطوف حول المجرة .. والمجرة بكل ما تحتوي من آلاف الملايين من النجوم تطوف حول نفسها .. والمجرات كلها تطوف حول مركز طواف لها في الفضاء الكوني الذي لا نعلم له نهاية ..

وفي كل حبة رمل .. وفي كل خلية في كل مخلوق من نبات وحيوان توجد ذرات .. والذرة تتكون من جسم في وسطها يسمى « البروتون » تطوف حوله جسيمات في منتهى الدقة تسمى الاليكترونات في نظام يشبه النظام الشمسي تماما .

فكل شئ في الكون كبيرا أم صغيرا يدور ويطوف طاعة لخالقه تعالى الذي قدر له منهج خلقه .. وسنة حياته .. فدوران كل المخلوقات طوعا أو كرها في الكون كله .. هو طاعة وانصياع وتسليم لأوامر الله تعالى .. وذلك تسبيح لخالقها وصلاة له .. قال تعالى : **( ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون )** النور/٤١ ويقول تعالى :

**( تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا )** الاسراء/٤٤ وقال تعالى :

**( ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس )** الحج/١٨ .

ومن هنا يمكننا أن نفهم معنى الطواف حول الكعبة المشرفة فهو اشتراك البشر مع ما في الكون كله وما في الوجود جميعا في منهج ارتضاه الله لعباده وهو الطواف والدوران تسبيحا له تعالى وصلاة وسجودا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « الطواف صلاة إلا أن الله تعالى أحل فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم الا بخير » .

وبالطواف حول الكعبة ينسجم الانسان مع باقي المخلوقات جميعا ويندمج مع الملائكة الذين يطوفون حول العرش في تسبيح الخالق العظيم مصداق قوله تعالى :

**( وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم )** الزمر/٧٥ .

والله تعالى صنف المخلوقات جميعا وجعل كلا منها عبدا له قائما في العبادة والتسبيح له مستقلا بذلك عن باقي المخلوقات جميعا .. فالفرد عبد لله .. والمجتمع كذلك عبد لله .. والامم هي في مجموعها عبد لله والكون كله عبد لله .

وهكذا لا يخرج عن عبادة الله تعالى في الكون كله كل ولا جزء وهناك إيقاع جميل بين كل فرد ومجتمعه وبين المجتمعات جميعا .. كل ذلك في مهرجان نوراني روحاني جميل يتجه كله الى التسبيح والسجود لخالق الكون وباري الخلق جل وعلا علوا كبيرا .

في استقبال القرن الخامس عشر الهجري الجديد

# ماذا

ماذا وراءك ايها العـام الوليد ... ماذا لنا يا مطلع القـرن الجديد
بعـد الـذي قد كان في قرن مضى ... مما يشيب لهوله الطفل الوليد !!
بل يصدع الصخر الاصم بوقعه ... ويذيب في نيرانه صلب الحديد !!
ممـا يضيـق به الـكلام ولا يفي ... ببيانه مهما يطـل هذا القصيد !!
فلقد تمادى الغـرب في استعماره ... واذل هذا الشرق إذلال العبيد !!
ومضى يخـدر بالوعـود وبالمني ... وبكل ما يغـري وحقـق ما يريد
في ظل ما اسمـاه من مدنية ... زوراً وممـا لا يقـدم أو يفيد!!
من مغريات قوضت ما قد بنـى ... الأسلاف والأخلاف من مجد تليد!!
في ظل ديـن محمـد علـم الهدى ... من جاء بالآيـات والـذكر الحميد
والناس قد حادوا عن النهج الذي ... من سار فيه واصطفـاه لا يحيد
نهـج العدالـة والمعـالي والهدى ... والحب والاخلاص والرأي السديد
هذا الذي ملـكوا به الدنيـا وكا ... نوا سادة أيـام هارون الرشيد!!
لكن أذاب الغـرب في اغرائه ... ما قد بنينا تحت سلطان الجديد!!
وغـدا التبرج للنسـاء حضارة ... واللهو مفخرة به اللاهي يشيد !!
وفشا الربا في المسلمـين ولـم يبا ... لوا في المعاملة العقاب أو الوعيد!!
والخمـر والقمـر استحـالا عادة ... في كل واد للكبـير وللوليد !!
واستمرأ الناس المفاسد واشتروا ... هذا الضـلال بكل ترقـي حميد
وتفـرق العـرب الأماجـد وارتدوا ... ثوب الخلاف وإنه الثوب المبيد !!

# لنا؟

للاستاذ محمود محمد بكر هلال

هذا لأمريـــكا وذاك لروسيا كل يردد خلـف مولاه النشيد ! !
حتى استطالت في الحياة عليهمو فئة اليهود وحطمت كل الرصيد!!
واستعمرت أرض العروبة وارتدت ثوب القوى وعربد الشعب الشريد
والمسجد الأقصى استجار ولم يزل يشكو من الأرجاس والظلم الشديد
يدعو صلاح الديـن للقـدس التي صارت مباءة كل شيطان مريد !!
والقـدس مثوى الأنبيـاء ومهبط الأديان والايمان في انقى صعيد !!
والمسلمــون وكل قوتهـــم كلا م في كلام ليس يجدي أو يفيد !!
ماذا عليهـــم لو أفاقـــوا مرة من نومهم والكهف زايله الوصيد؟!
واضيعـة الاسـلام في هذا الورى وبنوه قد هجروه من زمن بعيد !!
قد عطلـــوا أحكامــــه ونظامه وهما أساس الأمن والعيش السعيد
ماذا عليهـــم لو أقامـــوا دينهم ومشوا على أضواء منهجه المجيد ؟
وتوحـــدوا في ظلـــــه وبنوره يغدو المسير بكل منطلـق جديد ؟
وكفى ضياعــا في المتاهـات التي ضلت بنا في خطوها الواني الوئيد
فبدينـنـــا كل المنـــارات التي تهدي وترشد في المسيرة من يحيد
ولعـل هذا القرن يطلـع مشرقا بالسعد والتوحيـد والنصر الأكيد
وبوحـــدة عربيــــة دينية تعلى لهـذا الشرق مبنـاه الوطيد
في ظل ديـــن محمـــد وبنوره والـكون بالأنـوار مبتهـج سعيد

# الهجرة حركة رائدة ومنطلق إسلامي

للاستاذ/احمد عبد الرحيم السايح

هجرة الرسول الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهجرة أصحابه الذين نهضوا بإيمان صادق ، ووفاء بحقوق الدين ... تعد تحولا خطيرا في تاريخ الانسانية ، معبرا بوضوح عن تحرك الخير ، نحو الهدف الأسمى ، ومعربا عن فاعلية قوة الحق ، دون ملل أو كلل ... في إطار قابل للتكيف حسب منطق العصر .

ومن هذا المنطلق .. كانت الهجرة حركة إسلامية رائدة ، في توطيد دعائم الاسلام ، وتثبيت ركائز الأخوة ، وبناء الجماعة الاسلامية التي أخرجت للناس لتكون خير أمة .

وتحمل الهجرة في معانيها ... سمات التجدد والبناء ، والعظمة الشامخة ، والقوة الصامدة ، والنور المضيء ، والأمن المطمئن ، ومراقي العلا والسمو ، وبرد اليقين ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان ..

وذكرى الهجرة دافع قوي للأمة الاسلامية ، في مقاومة الالحاد ، والمذاهب الهدامة التي تكالبت مسعورة على نهش القيم والفضائل ..

والهجرة تجيء بعد ثلاثة عشر عاما ، يدعو فيها الرسول الأمين الى الاسلام ، ويتحمل هو وأصحابه ألوانا من العذاب ، والتشتت والحرمان ..

وللهجرة دوافع وأسباب كثيرة .. نجملها فيما يلي :

أولا : اشتداد الأذى بالمسلمين ... قال تعالى : ( **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين** ( سورة المطففين آية ٢٩ ــ

. ٣٣

وقال تعالى : **( قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين )** الانعام / ٣٣و٣٤ .

ولما أسلم نفر من أهل مكة ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب ، والجوع ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ..

وكان بلال بن رباح ، صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف ، يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره .. ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى .. فيقول وهو في تلك البلاء : أحد أحد .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه وامه ــ وكانوا أهل بيت إسلام ــ إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« صبرا آل ياسر . موعدكم الجنة « فأما أمه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام » .

ثانيا : اشتداد الأذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنالت قريش من رسول الله من الأذى ، ما لم تكن تناله منه في حياة عمه أبي طالب .. فخرج رسول الله ومعه زيد بن حارثة إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة منهم ، من قومه ، ورجاهم أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، لأنهم كانوا أخواله .. ولكن الرسول وجد من هؤلاء صدودا وإعراضا ، وأذى .

ثالثا : بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الكبرى .. وكانت البيعتان ، تنمان عن الايمان الصادق ، والغراس التي بدأت تؤتي ثمارها .. فقد كانت البيعة الأولى على الايمان بالله وحده ، والاستمساك بفضائل الأعمال ، وقد تمت مع نفر من الخزرج ، كانوا بعد البيعة طليعة الدعاة إلى الاسلام في يثرب .

اما بيعة العقبة الكبرى فقد بلغ فيها الايمان أوجه ... وحيث جاء سبعون نفرا من يثرب ، مؤمنين أشد الايمان بالله ، وبالحب فيه ، والاخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، ونص البيعة كما قال عبادة بن الصامت ، وكان من النقباء . قال : بايعنا رسول الله بيعة الحرب ، بايعناه على السمع والطاعة ، في عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، والا ننازع الأمر اهله ، وأن نقول بالحق أينما كان ، لا نخاف في الله لومة لائم .

وبهذا الحلف الجديد . انفتح لرسول الله ، والذين معه من أهل الايمان باب الرجاء ، في حرية الدعوة ..

رابعا : تآمر قريش على الرسول صلى

الله عليه وسلم ، ومن معه ... قال تعالى : **( وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجـوك ويمكرون ويمـكر الله والله خـير الماكرين )** الانفال / ٣٠ .

بعد بيعة العقبة الكبرى ، وما كان فيها من نصرة الاسـلام ، ومنعـة أهله ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يلحقوا بالانصار بيثـرب ، على أن يتـركوا مكة متفرقين ، حتى لايثيروا ثائرة قريش عليهم ..

وبدأ المسلمون في الهجرة إلى يثرب فرادى وقد فطنـت قريش للأمـر ، فحاولت أن ترد كل من استطاعت رده إلى مكة ، لتفتنـه عن دينـه ، او لتعذبه ، وتنكل به ، وبلغت من ذلك أنها كانت تحول بين الزوج وزوجه ، وأنها كانت تحبس من تستطيع حبسه ممن لم يطعها ..

وكانت قريش تحسب لهجرة النبي إلى يثرب ألف حساب .. فقد كانت تخشى كثرة المسلمين بالمدينة ، فاذا لحق بهـم محمـد ، كان ذلك قوة للمسلمين ، تهدد دعاة الوثنية واذا بقي محمد بمكة ، وحاولوا منعه من الخروج منها . فهم معرضون لأذى أهل « يثرب » فلم يبق الا التآمر على قتل محمد ، وأحكمت المؤامرة في دار الندوة ، لكن عناية الله ، كانت تلازم الرسول صلى الله عليـه وسلـم ، وترعاه ، وتحيط به .. وقد أذن الله له في الهجرة ، ليغرس شجرة الاسلام في تربة ، تساعد على النمو . ولا تعرف احدا احق بنصر الرحمن ، وأجـدر بتأييد الله من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لاقى في سبيل الدعوة ما لاقى .

ولكن التأييد الالهي ، لا يعني أبدا التفريط في أسباب الحياة ، وتـرك العمل ، والاخذ بالاسباب ..

ولهذا احكم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، خطة الهجرة ، فلم يبق بمكة إلا علي وأبو بكر ..

أما علي فقد نام على فراش الرسول ، وتغطى ببردة الرسول ، وكان صلوات الله وسلامه عليه ، قد أمر عليا أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ..

أما أبو بكر فقد خرج مهاجرا مع رسول الله ، بعد أن أعد للهجرة ما يلزمها ، وانتهى رسول الله ، وأبو بكر إلى الغار ليلا ، وأقاما فيه ثلاثا .

ورغـم الصعـاب ، ووعـورة الطريق ... وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكلها أفراح ، والانصار يتسابقـون في الاحتفـاء بالنبي الأمين ، وتكريمه ..

وبدأ صاحب الرسالة الكبرى ... يضع خطوط المجتمع الاسلامـي ، ويرسم له قواعد السلوك والأخلاق .. وكان الأخاء العملي الذي قضى على كل ألوان العصبية ، ليتفرغ المسلمون إلى مزاولة الشعائـر الاسلاميـة ، وتطبيق أحكام القـرآن الكريـم ، وتعاليمه ... ومن المدينة الاسلامية ، قاعدة انطلاق الدعوة ... استطاع النبي أن يرسل كتبـه إلى الملـوك والرؤسـاء ، يدعوهـم إلى رسالـة

الاسلام ..

وفي الدولة الاسلامية ... أعد المسلمون ليكون قوة رادعة لكل افاك أثيم ، ولا يمكن أن تهتم أمة باعداد القوة ... ثم تظلم من جيرانها ..

وفي الهجرة دروس مستفادة ... يمكن أن يكون فيها عظات بالغة لمن كان له قلب وعقل ونجمل بعض هذه الدروس فيما يلي :

اولا : كتم الاسرار ، والمحافظة على سير الأمور ، في نطاق التخطيط المركز ، القائم على الايمان بالله .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يطلع أحدا على مسيرة الهجرة .. إلا من لهم صلة ماسة بها ، ولم يتوسع الرسول في اطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم ..

ثانيا : الاعتماد على الله ، مع الأخذ بالأسباب قال تعالى : **( إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم )** التوبة / ٤٠ .

ثالثا : الايمان بالله هو دليل الفاعلية والحركية ، وذلك أن الايمان هو الروح التي تحرك الجسد ، فتبعث فيه الحياة ، وعندئذ تكون النفوس مستعدة لتحمل المسؤوليات والتضحيات . ولابد للمؤمنين من الاختبار والتمحيص .. لأنه هو الثمن الذي تعز به العقيدة في نفوس المؤمنين . والعقائد الرخيصة التي لايؤدي أصحابها تكاليفها ، لا يعز عليهم التخلي عنها . والشدائد دائما تستجيش مكنون القوى ، ومدخور الطاقة ، وتفتح في قلب المؤمنين ، منافذ ما كان يعرفها المسلم إلا تحت مطارق الشدائد ..

رابعا : الأخوة الاسلامية ، القائمة على العقيدة ... أخوة لا تعترف بالقوميات ، ولا باليمين ولا باليسار .. تلك الأخوة التي جمعت المسلمين في جامعة إسلامية واحدة ..

خامسا : الدستور القائم على كتاب الله، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ... وكتاب الله هو ميزان الحق ... حتى لا تحتاج الامة الاسلامية في مسيرتها في الحياة إلى تجارب الامم وأفكار سماسرة القوانين الوضعية ، والمذاهب الهدامة ..

وقد أثبت التاريخ والتجربة . أن كتاب الله خير حكم بين الناس ... ولم يعد المسلمون في حاجة إلى تجارب الاشتراكية والرأسمالية وما اليهما من اشتقاقات ومذاهب . وكم من الدروس يمكن ان يستقيها المسلم من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .. ففيها مثل حية للثبات والصبر والعزم ، والصمود ... وفيها : نماذج فريدة في البطولة والتضحية ، ونكران الذات والفداء ... وفيها : عمل منظم ، وتخطيط مركز ، ودراسة واعية ، واحاطة تامة .. وتعاون كامل ، وإخاء شامل ، وإيثار بالغ ، ووحدة رائعة وعزة وإباء وكرم ووفاء ...

# لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

كانت مكة في فجر البعث بلدا غريبا في تكوينه ، تجمع بين التناقض في كل شيء ، ففي عبادتها تعبد الاصنام التي نصبتها حول الكعبة ، وأكثرت منها ، فتنوعت أشكالها ، فمنها ما هو على مثال إنسان ، أو على شكل حيوان ، أو ما لا شكل له او هيئة تتصل من قريب أو بعيد بالأنسان أو الحيوان ، وفي الوقت الذي يدينون لها فيه بالعبادة يجهرون بأنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى ، ويتواصون بالمعروف بشأن الزائر الغريب ، ويجعلون هذا قانونا من قوانين حياتهم ، ودستورا من دساتير تعاملهم مع الوافدين عليهم ، فيعقدون حلفا فيما

للاستاذ/محمود منسى

بينهم يتعاهد عليه الجميع ، ويدين له أهل مكة ومن جاورهم يطلقون عليه حلف الفضول ، وهو حلف كريم شريف ، حتى ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقد حضر هذا الحلف يقول فيه : لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفا لو ان لي به حمر النعم ..

في هذا الوقت الذي يجمعون فيه على نصرة الغريب ، ويقفون معا صفا واحدا هذا الموقف الذي يتسم بالمروءة والنجدة .. وهي قيم يعتز بها الانسان على مدى سيرته عبر تاريخه المغرق في القدم ، فانهم لا ينصفون أنفسهم أو ذوى رحمهم من الظلم والاجحاف والتجرد من أبسط العواطف الانسانية ..

فهم الذين يدفنون بناتهم بأيديهم ، ويهيلون عليهن التراب ، وعيونهم ترى الوجوه الغضة تختفي بين الرمال وتحت طيات الثرى دون أن تتحرك القلوب بنبضة حب او تفيض عيونهم بدمعة حزينة ، او تتحرك عواطفهم بقليل من الرحمة أو العطف ، إنه موقف لا يستطاع تصوير حدود قسوته وغلظة قلوب من يقومون به ، فكيف لأب له قلب ينزل هذا العقاب بفلذة كبده ؟، وكيف لأم يهنأ لها عيش وهي تسلم ابنتها راضية لأب يقوم بدور الجلاد ، وقد يتكرر هذا الفعل كل عام إذا أنجبت امرأته أنثى بعد أنثى ، وما أكثر من ينجبن الاناث بصورة مستمرة ..

ففي الوقت الذي ينشد العدل لغيره يوقع الظلم على نفسه وأهله ، برضاه وبرغبته ، وهو سعيد راض عن فعلته ، كما أن قريشا كان منها سدنة الكعبة ، وحماة البيت ، وقد أتاحت لهم هذه المكانة الرفيعة أن يرحلوا في الصيف إلى الشام والعراق ، وفي الشتاء إلى اليمن ، رحلة الشتاء والصيف كما ورد في محكم القرآن الكريم فقريش الآمنة العزيزة الجانب الثرية ، تعادي من غير شك من يريد لحياتها أو لدينها الذي ألفته تبديلا ، ولنظام حياتها تغييرا ..

وعندما جاءهم محمد « صلى الله عليه وسلم » يدعوهم إلى التوحيد ، كانت الوثنية تضع عصابة سميكة سوداء على عيونهم ، ولما دعاهم إلى الايمان بالبعث والعودة بعد الموت ، وهم يعتقدون ألا حياة إلا حياتهم الدنيا ، يولدون ويموتون وما يهلكهم إلا الدهر والقدر ، صدمهم ، وعادى فكرهم بدعوته ، ونكس معتقداتهم ، ومزق تاريخهم ، ولم يكتف بهذا بل تعداه إلى الوقوف في وجه نزواتهم ، وغرائزهم ، وحيوانيتهم ، وعدوانهم على أرزاق الآخرين ، ودعاهم إلى أن يبتعدوا عن الاتصال الجنسي إلا في حدوده المشروعة بالزواج ، وبتحريم الربا وعقاب مرتكبيه ، وحطم كئوسهم في أيديهم بالنهي عن شرب الخمر ، وجعلها أم الكبائر ، واللذة القاتلة التي تعقبها الحسرة والندامة ، ووقف حائلا بصلابة لئلا

يستغل الغني حاجة الفقير إلى المال فيوقعه في حبائل الربا التي قد لا يستطيع أن يجد لنفسه من شباكها مخرجا .

ولم يكتف بهذا ، بل إنه يدعو إلى تغيير مجتمعهم من أساسه ، وإقامته على أساس إنساني سليم ، بالمساواة بين الناس ، لا فرق بين كائن وكائن ، وبين سيد وعبد ، فالجميع سواسية كأسنان المشط ، وهم الذين قضوا حياتهم وأعمارهم في التفاخر بالأحساب والأنساب ..

لا شك أن قوما كهؤلاء يحتاجون إلى شجاعة الداعي ، وكثير من الصبر والمعاناة مما لا يتحمله عامة الناس أو يطيقونه ، ومنها يدرك المسلمون وكافة الناس إذا كانت لهم أفئدة يعقلون بها مدى ما تحلى به الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الشجاعة وقوة الاحتمال ..

فالشجاعة وقوة الاحتمال قدرتان لازمتان لكل من يتصدى للوقوف امام هذا العناد الصلب ، وضرورتان حتميتان للوصول إلى الهدف المطلوب ، وقد امتحنت شجاعة الرسول وقوة احتماله ــ صلى الله عليه وسلم ــ طول حياته فما تطرق إلى عزمه وهن ، أو بدا عليه ضعف ، هذه الشجاعة لازمته منذ الصبا وحتى نهاية حياته الكريمة الفاضلة ، ففي حداثته كان يجمع لأعمامه النبال والسهام في حرب الفجار ، وخرج إلى اليمن في قافلة مع عميه فرأوا فحلا في واد قد توحش وجمح وقطع الطريق ، ولكن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحده تقدم منه غير هياب ولا وجل ، وأمسك زمامه وقاده طيعا كطفل صغير ، وبعدها اعترض القافلة واد ملئ بالماء فهابته الجماعة فتقدمهم في بساطة وشجاعة قائلا : اتبعوني .. اتبعوني ، واستحلف مرة باللات والعزى وهو صبي ، فقال : لا تسلني بهما شيئا ، فوالله ما ابغض شيئا بغضى لهما ..

فاذا كانت هذه شجاعته في صباه ، فانها إرهاص لما تلاها من شجاعة النبوة ، والتي تجلت في مواقف خالدة بقيت على مر الدهور ، شاهد صدق على شجاعة تفوق ما يحتمل البشر ، إلا من اختصه الله بها ..

ولنأخذ موقفا من هذه المواقف العديدة التي برزت فيها قدرته عليه الصلاة والسلام على مجابهة الأحداث بما يليق ، فعندما جاءته قريش عند بئر بدر بجيش كبير يزيد عدده على الألف بكثير ، معهم السلاح والكراع والعتاد ، وكلهم شجعان غارات وحروب ، شهدتها أيامهم في الجزيرة .

أما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحابته ، فلم يكد عددهم يجاوز الثلاثمائة إلا قليلا ، معهم سلاح قليل ، وعتاد رقيق .. فهل أخاف جمعهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ؟ أو أرهبه عددهم وعدتهم ؟ وهو أدرى الناس بقوتهم وبطشهم وطغيانهم ، وشدة كراهيتهم لدينه ورسالته التي جاءت تسفيهــا لأحلامهم ، ومعتقداتهم ، وقلبا لمعايير ومفاهيم حياتهم .. كما يعلم أن بينهم وفي صفوفهم الكثير من الفرسان والمغاوير والصناديد ممن خلد الشعر شجاعتهم ، وأيام العرب وقائعهم ..

وإذا أضفنا إلى هذا أن جيش الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان متآلفا ، وليس من طائفة واحدة فمنهم القريشي المهاجر ، والخزرجي ، والأوسي ، ومن جاورهم من القبائل ، ممن شرح الله قلوبهم للاسلام ، كما أنهم لا ينتمون إلى طائفة اجتماعية محددة كشأن قريش ، ففيهم السيد والعبد ، وقليلهم غني ، وكثيرهم الفقير المعدم ..

إن أي قائد لجيش كهذا في مقابلة جيش قريش لابد أن يولى الأدبار ، وينثني مهزوما قبل أن يحدث اللقاء ، لأن النتيجة محسوبة سلفا ، والهزيمة محققة لا ريب فيها ..

ولكن شجاعة الرسول لا يجوز لها أن تنهار أو تنهزم أمام هذه المظاهر المادية ، هذه الشجاعة مكنته من الوقوف بقدراته المتواضعة أمام هذه القوة الضارية في هذا الوقت البعيد ، كما أن ثباته انتقل إلى قلوب تابعيه ومن كانوا معه ، عندما رأوا جلده ، وقدرته على لقاء الأحداث بعزم لا يلين ..

كما جسم موقفه في ظل دعوته ورسالته ــ دون تردد ــ فهو يناصر الحق ، ويحمل رسالة الخالق إلى البشر ولن يهزم من قلة .. والرأي الحاسم والنظرة السديدة في مواطن الشدة شجاعة أصيلة تليق بالتكريم والتمجيد إنها دروس الرسالة الخالدة التي نجد في كل فقرة فيها فصلا من فصول القدرة والحكمة والشجاعة والأباء ، وبين كل سطر من سطورها عظة باقية خالدة ، نستنير بها في كل درب من دورب الحياة ومزالقها ، ومنعطفاتها المظلمة المتعددة ، وما أجدر المربين أن يعوا هذه الدروس ليقدموها الى البراعم الغضة من أبنائنا ، وأن يعرضوها لهم في صورها السمحاء والبسيطة دون اغراق او تكلف او تعصب ، حتى تكون تربيتنا أصيلة أصالة هذه الرسالة ، وهذه الجزيرة التي درج عليها الدين ، فيعرف أبناؤنا لماذا كنا خير أمة أخرجت للناس ، وأن رسولهم الصادق الأمين خير أسوة كريمة لهم : ( **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ) الأحزاب/٢١ .

لم تغن عن قريش تلك الجموع ولا تلك الأسلحة التي جمعوها وأعدوها ، بل ذاب كل هذا كما تذوب الثلوج تحت أشعة الشمس الملتهبة ، وحرارة القيظ الملتهب ، وتحطمت أحلام قوادهم وزعمائهم على صخور العزم الأشم ، والشجاعة والثبات والتضحية والفداء والايمان والاخلاص لرسالة السماء ..

وكل ما يهمنا هنا أن نشير إلى موقف مشركي قريش بعد هذه الهزيمة التي لقيتها في معركة بدر ، فقد انكفأت مكة على نفسها تغلي من الغيظ ، وتموج بالموجدة ، وتتقلب على نار الهزيمة عاما كاملا ، اثنى عشر شهرا أو خمسة وستين وثلاثمائة يوم من الأيام التي لا يمكن التفرقة فيها بين الليل والنهار .. فليل الموتور كليل المريض كله ألم ومشقة ، وملؤه عنت ومشقة وارهاق ، وأكثره سهر ونصب ..

كان أهل مكة ينظرون الى بعضهم البعض ، ولكن الخزى يرى في قسمات

وجوههم ، والحقد يغلي في قلوبهم ، والألم يعتصر نفوسهم ، إذ كيف للقلة القليلة التي تركت أرضها وبلادها الحصينة فرارا بدينها ، عندما اشتد الكرب وعظم البلاء ، وبعد أن أصبحت مكة على سعتها ، وامتداد أرباضها ساحة للتنكيل والعذاب والانتقام .. وصاروا يتفننون في تعذيب ارقائهم والمستضعفين منهم ..

وكيف لهؤلاء الضعاف المستضعفين الذي جاءوا الى الحرب راجلين لا يملكون فرسا أو بعيرا ؟ كيف لهم وهم لا يكادون يحملون قوتهم وزادهم ، وبيدهم هذه الاسلحة البسيطة التي لا تصمد للقتال إلا قليلا ، لقد كانوا أشبه ما يكون بمن يحمل مدية جاء بها لمن يحمل سيفا ، ويمن يحمل غدارة جاء ليقاتل بها من يحمل مدفعا ، كما أن هؤلاء الضعاف المستضعفين ليس لهم تاريخ سابق كتاريخ قريش في شجاعتها وشجعانها ، وبأسها ونوى البأس فيها ، فهذا الوليد وأبناؤه يتقدم الصفوف ، وهذا عمرو بن ود ونظراؤه يقفون حيالهم ، وذاك أبو جهل بعنفه ورجاله وعبيده ، وغيرهم ومن حولهم .

فهم الأكثر جندا ورجلا ، والأثرى مالا ، والأعز نفرا ، فكيف ينكفئون مهزومين مثخنين بالجراح ، ويعودون يحملون جثث أبنائهم وآبائهم وإخوانهم ، ومن لم يفقد أعز أقربائه وأحبابه فقد عضوا من أعضائه أو عبيدا من رقيقه ، ومن لم يفقدسلاحه فقد لسانه ، فقد أخرسه ما حدث ، ومن لم يفقد لسانه فقد عقله ، فانطلق لسانه دون ضابط أو رابط ..

لقد كانت هزيمة أقل ما يقال عنها أنها كانت منكرة أو أبسط ما توصف به أنها كانت هزيمة لا يستطاع تقدير حجمها ، لأنها هزيمة لم تكن متوقعة ، هزيمة المتباهي بجبروته وقوته ممن لا يتوقع منه هزيمة ، كانت جولة خاطفة خروا فيها صرعى تحت ضربات قاضية في الوقت الذي كان يتصورون أن النصر في أيديهم ، وأن محاربة المسلمين ما هي إلا نوع من المزاح ، قد يجلب إلى قلوبهم السرور والتسلية والتندر ، عندما يعودون إلى ديارهم ومرابعهم ، يحملون على سيوفهم دماء المسلمين ورءوس المهاجرين ، وشباب يثرب الخاطئين ، الذين وقفوا ندا لقريش ونسوا أنها سادنة الكعبة وسيدة العرب دون منازع ، ومكة مركز التجارة والحضارة .. وزادهم غيظا تندر الشعراء بهم في شعرهم ، ووصفهم الكريه للهزيمة التي ألمت بهم وبجموعهم ، والاذلال الذي لحق بهم وهم يهربون من الميدان ، وكأن الجن تلاحقهم ، والوحوش تنوشهم وتتخطفهم ، والنبال تتبعهم وتخترق قلوبهم وأكبادهم ..

ولقد كانت نساؤهم من أشد من عيرهم ، وأنحى باللائمة عليهم ، وأخذوا على مدى عام كامل يطعمونهم ذكرى الهزيمة ، ويسقونهم مرارة الذل ، ويرددون على مسامعهم صباح مساء وقائع المعركة ، وانتصار المسلمين فيها ، وما تردد من قصص وأخبار وشجاعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحابته ، وتولى قريش يوم الزحف ، وعندما التقى الجمعان ، وتلاحم الجيشان ..

إن الهزيمة التي لحقت بهم في « بدر » بأبعادها ، جعلتهم يأخذون للأمر

أهبته ، ويستعدون للقاء في معركة يستردون فيها كرامتهم الجريحة ، ويرفعون فيها هامتهم التي أثقلتها الهزيمة ، يرفعونها ليس بين العرب قاطبة في انحاء الجزيرة وعلى امتدادها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ولكن بين ذويهم أيضا ، وبين ذوى قرابتهم وأهليهم ، فقد كان عاما طويلا أقصر منه الدهر ، شاقا على النفس ، فليس أشق على النفس من الذل بعد العزة ، والهوان بعد الرفعة والسمو ، والخيبة والمذلة على المشاعر التي تعودت الانتصار والغلبة ..

ومن ذلك ما كان من أبي سفيان حين رجع الى مكة ، ورجع المهزومون من بدر ، فنذر ألا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلم يتصور وهو زعيم من زعمائهم ، ورأس من رءوسهم ان يصل الأمر الى هذا الحد ..

فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه ، فسلك « النجدية » حتى نزل قناة الى جبل يقال له « ثيب » من المدينة على مسافة قريبة ــ دون أن يعلم به أحد ــ ولما جن الليل ذهب متسللا حتى أتى بنى النضير تحت جنح الظلام ، فأتى « حيى بن أخطب » وهو زعيم من زعماء اليهود في المدينة ، فضرب عليه بابه ، فأبى ان يفتح الباب وخاف الطارق ، فانصرف أبو سفيان إلى « سلام بن مشكم » وكان سيد بنى النضير في ذاك الزمان وصاحب كنزهم ومستودع أموالهم ، فاستأذن فأذن له فقراه وأطعمه وسقاه ، وأخبره ما يريد عن المدينة وعن المسلمين وعن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ.

وعاد في ليلته إلى أصحابه حتى أتاهم ، فبعث رجالا من قريش ليلا إلى ناحية منها يقال لها العريض ، فأشعلوا النار في بعض نخيلها ، ووجدوا بها رجلين أحدهما من الأنصار وحليفا له من المهاجرين ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، كقطاع طرق ، ولم يجرءوا على الاعلان عن أنفسهم ، وهذا يدل على مدى اليأس الذي أحاط بهم بعد انتصار بدر ..

وإذا كان المسلمون قد جدوا في طلبهم بعد أن علموا بهم ، فان هذا لا يهمنا كثيرا بقدر ما يهمنا أن نرى صورة كفار مكة بعد الهزيمة .. وأن نعلم أن المسلمين لا يهزمون من قلة ، وأن الهزيمة تكون في القلوب والسرائر ، وأن النفوس الملأى بالايمان ، الغنية بمشاعره ، الثرية بقيمه وأحاسيسه ، المطمئنة إلى جواره ، هي التي ترفع ألوية النصر وأعلامه دائما .. فالكثرة لا تسلب الانتصار والغلبة دون هدف أو عقيدة ، إنها كالسيل العرم ، صادف أرضا هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت زرعا .

**( قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين )** البقرة/ ٢٤٩ .

إن من واجبنا في مجتمعنا المسلم أن نجعل من أهدافنا كآباء ومربين أن نركز العقيدة السمحة في نفوس أبنائنا ، وأن نبين لهم أن الوقوف بجانب الحق يكسب صاحبه القدرة ، ويمنحه الانتصار دائما ، والحق على كبر حجمه ، وعظمة آثاره ، لا يمكن وصفه أو الاحاطة به سوى أن نقول : إنه كل ما جاءت به رسالة

السماء ، من إيمان بالله ، وعبادته ، وطلب المنفعة وتجنب المضرة منه وحده ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وإقامة العدل بين الناس ، والتقيا في الضعيف ، وإعانة المحتاج ، والوقوف في وجه الظلم ، والبعد والتباعد عن كل ما يجلب الضرر للمسلمين ، والعفة في القول والعمل ..

**( ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز )** ابراهيم/١٩ و ٢٠ . وصدق الله ورسوله .

مكثت قريش وأحابيشها الذين حاربوا معها عاما كاملا تجتر هزيمتها ، وتستعد للاخذ بثأرها ، فالعربي قد يصبر على الجوع والعطش ، وقد يصبر على الالم والمرض ولكنه لا ينسى ثأره مهما تعاقبت عليه الاحداث في هذه الحياة ، انه كالابل التي عاش في كنفها ، ورضع لبانها واكتسى بأوبارها لا تترك ثأرها ، ولكنها تتحين الوقت الملائم للقصاص .

وقد تحينت الوقت بعد عام جمعت فيه ثلاثة الاف ويزيد من المقاتلين ، وليس كل من يحمل سيفا مقاتلا ، ولكنهم انتقوهم من المشهود لهم في ميادين الكر والفر ، والجلد والبطش ، والقتال والنزال ، والقدرة على تحمل الصعاب والمشاق ، فهي معركة ثأر وكرامة ورد اعتبار .

وتزعم الجيش الذاهب للميدان ابو سفيان بن حرب ، وهو يتحرق شوقا لهذا اللقاء ، وهو الذي نذر عندما عاد بعيره من بلاد الشام بقافلة التجارة ، بعد معركة بدر ، نذر الا يضع على شعره ماء حتى يثأر من محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه .

ولم يكتف ابو سفيان بقريش ، ولكنه استعان بأحلافها من كنانة واهل تهامة ، ووفر للجيش المقاتل حاجته من ظهور الابل والخيل والسلاح ، وعاهدهم الا يفروا ، والا يتركوا ارض المعركة ، فاصطحبوا معهم نساءهم ، وكان اول جنده في هذا الامر فاصطحب معه هند بنت عتبة ، واحتذاه سادة قريش فخرج عكرمة بن ابي جهل بام حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن امية ببرزة بنت مسعود الثقفية ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منيه بن الحجاج .

وساروا في تحد حتى نزلوا بعينين ، وهو جبل قريب من المدينة يسمى الان جبل الرماة ، فلما سمع بهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمون وقد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله لصحابته : اني قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقراً لي تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت اني ادخلت يدي في درع حصينة .. ثم قال رسول الله صلى عليه وسلم مفسرا ما رأى : اما البقر فهم ناس من اصحابي يقتلون ، واما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو

رجل من أهل بيتي يقتل .

ثم اتبع قوله هذا : فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا ، فان اقاموا اقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، فقال رجال من المسلمين : يارسول الله ، اخرج بنا الى اعدائنا ، لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا ، وقال قلة منهم : اقم بالمدينة لا تخرج اليهم ، فو الله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ، ولا دخلها علينا الا اصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وان رجعوا رجعوا خائبين كما اتوا الينا .. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نزل على أمر الكثرة منهم .

وفي الطريق الى أحد انفصل عن جيش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلثه قادهم عبد الله بن ابي بن سلول زعيمهم وعاد بهم الى المدينة ، وكلهم من اهل النفاق والريب ، ولما انفصلوا عن الجيش ناداهم عبد الله بن عمرو بن حرام قائلا :

« يا قوم اذكركم الله الا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم .. » فقال قائلهم : « لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال » فلما استعصوا وابوا العودة ، قال لهم : « أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه .. ومضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره الى أحد ، وقال : « لا يقاتلن احدكم حتى نأمره بالقتال » .

وكان جيش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعمائة رجل ، وامر على الرماة عبد الله بن جبير وعددهم خمسون رجلا فقال : ياعبد الله انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، ان كانت لنا او علينا .. ودفع اللواء الى مصعب بن عمير .. وكان بالجيش عدد من الصبية ، أرجعهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة ، واثنى عليهم ولكن اثنين منهم وهما سمرة بن جندب ، ورافع بن خديج أخا بني حارثة أصرا على البقاء والقتال ، وقال سمرة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ انني احسن المصارعة يارسول الله ، وقال رافع : انني احسن رمي النبال ، واصرا على البقاء ، فرضخ لرغبتهما ودعا لهما وباركهما .. وانصرفا فرحين متهللين ليأخذا مكانهما بين صفوف الجيش من صحابة رسول الله .

وعلى الصعيد الاخر كان خالد بن الوليد على ميمنة الخيل ، وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل .

وقبل ان تبدأ المعركة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط جنده وعسكره وكلم صحابته واتباعه مناديا وقد رفع سيفا في يده :

من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ .. فوفد اليه الكثير ، وتقدم منه رجال ، ولكنه أمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال : وما

حقه يارسول الله ؟ فقال : ان تضرب به العدو حتى ينثني .. فقال أنا آخذه يارسول الله بحقه ، فاعطاه إياه .. وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكانت له عصابة حمراء يضعها على رأسه ليعلم الناس أنه سيحارب .. فلما أخذ السيف من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين رأى ابا دجانة هكذا : إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن .. وقال ابو سفيان لاصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يابني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما رأيتم ، وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فاما أن تكفونا لواءنا ، وإما ان تخلوا بيننا وبينه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم اذا التقينا غدا كيف نصنع فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، واخذن يضربن بالدفوف خلف الرجال ويحرضنهم قائلات :

ويها بني عبد الدار
ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار

ان تقتلوا نعانق . ونفرش النمارق .
او تدبروا نفارق . فراق غير وامق .

وقبل ان نرحل الى ساحة المعركة لابد لنا من وقفة قصيرة ، نتعرف فيها على بعض الملامح والمعالم الاسلامية ، فالاسلام لم يعرف الضغينة ، ولو كان الامر كذلك لكان المسلمون قد ذهبوا الى مدى بعيد في التحرش بقريش ، وبخاصة بعد ان انتصروا عليهم في بدر وكسروا شوكتهم ، ولقنوهم درسا قاسيا ، ولكن التحرش أتى من الناحية الاخرى ، أتى من المشركين الذين امتلأت نفوسهم غيظا وكمدا وحقدا ، بعد أن هالهم حجم الانتصار في بدر ، ورأوا في الثأر شفاء لأنفسهم المريضة ، لان الاسلام لا يعرف الثأر والحقد والبغض ، وإنما يعرف الدفاع عن كل ماهو حق وعدل ، كأن تستباح ارض الاسلام او عرض المسلمين او دماؤهم او اموالهم ، او يتهددهم غيرهم في دينهم :

**( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين )** البقرة / ١٩٠

كما نرى ان الرسول الكريم اخذ اصحابه بالشورى ، ولم تستخفه طاعتهم وإذعانهم له ، واتباعهم لكل ما يقول ، وهو لا ينطق عن الهوى . ورغم ان رأيه كان البقاء بالمدينة وعدم الخروج الى الاعداء ، فاذا سولت لهم انفسهم الدخول لاقوا هزيمة اشد وانكى من هزيمة بدر ، ولكنه نزل على رأى الكثرة من صحابته ، لانهم احتكموا الى مبدأ إسلامي يريد الله ان ينشره بين المسلمين لتكون الشورى عماد الحكم في كل بلد ، وعلى كل ارض حملت لواء الدين الحنيف .

استعد الجيشان للقتال ، وقد أخذت نساء قريش اللاتي صحبن أزواجهن الى المعركة ، يرددن الرجز على دقات الدفوف ، ويدعون جند الكفار الى القتال ، والمسلمون في الطرف المقابل يتحرقون شوقا للقاء ، فقد وعدهم الله احدى الحسنيين في كل قتال مشروع : النصر أو الشهادة وفاقا لهم ..

والتحم الجيشان ودارت المعركة ، وهنا يحق لنا أن ننقل بعض مشاهدها أو صورا منها لم نسمع عنها من قبل فيما ألفنا أن نسمع ، ان هذه المعركة رغم نتائجها كانت ذات أثر فعال في حياة المسلمين وفكرهم ، وسوف نتحدث عن هذا بعد أن ندخل الى صميم المعركة وننزل الى أرضها ، وننقل مشاهدها عن كثب ، لقد اقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الكفار ، فجعل لا يلقى أحدا الا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحا للمسلمين الا أجهز عليه ، فدعا الله أحد المحاربين المسلمين أن يلتقي هذا الرجل بأبي دجانة فقد كان قريبا من موقعه ، واستجاب الله الدعاء والتقيا وتضاربا بسيفيهما ، وكان المشرك هو البادىء فتلقى أبو دجانة الضربة بدرعه فأصاب سيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله بضربة واحدة ، ورأى امرأة تبقر بطون شهداء المسلمين فتبعها وأراد قتلها لفعلها القبيح ، ورفع سيفه يريد الاجهاز عليها ولكنه ربأ ــ كما قال ــ أن يضرب بسيف رسول الله امرأة ، وعندما تأملها مليا وجد أنها هند بنت عتبة زوج أبي سفيان .. وقاتل حمزة ابن عبد المطلب عم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قتالا شديدا وكان المشركون يهربون من وجهه عندما يلوح لهم من بعيد ، وكان يختار من يتجه اليه بسيفه ، فكان يعمد الى زعماء الكفر ، ولاح له من بعيد أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، فانقض عليه.، ولم يستطع النجاة منه ولم يفارقه حمزة الا والسيف يمزق أحشاءه والراية تسقط على الرمال مضرجة بدماء أرطاة ، ثم مر به محارب مشرك يقال له سباع بن عبد العزى الغبشاني ، فلقيه حمزة قائلا : هلم الى يا بن مقطعة البظور ، وكانت أمه ختانة بمكة .

قال وحشي غلام جبير بن مطعم : والله لأنظرن الى حمزة يصول ويجول بسيفه في رقاب أهل مكة ما يبقى شيئا مثل الجمل الأورق عندما يستثار اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة : هلم الى يا بن مقطعة البظور ثم ضربه ضربة أطاحت برأسه ، وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فاخترقت جسمه من أسفل بطنه ، فأقبل نحوي رافعا سيفه ، وكاد يقضي علي ، ولكنه غلب قبل أن يصلني فوقع عن فرسه ، وأمهلته حتى اذا مات ، عدت فأخذت حربتي ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره ، فقد قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة أعتقت ، حتى اذا فتح رسول الله

ــ صلى الله عليه وسلم ــ مكة ، هربت الى الطائف فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليسلموا ضاقت علي الأرض بما رحبت فقلت : أين أذهب ؟ الى الشام أو الى اليمن ؟ أو الى بلاد غيرهما ؟ فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل : ويحك ! انه والله ما يقتل أحدا دخل في دينه من الناس مهما كانت ذنوبهم أو خطاياهم قبلها .. فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعندما وقفت أمامه نطقت بالشهادتين ، فنظر الرسول الي مليا وقال : أوحشي أنت ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله ..

فقال : اقعد ، وحدثني كيف قتلت حمزة ؟ فلما فرغت من حديثي قال : ويحك ، غب عني وجهك فلا أرينك ، فكنت أتنكب ــ أي أبتعد ــ عن رسول الله حيث كان ، لئلا يراني حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم ..

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فرجع الى قريش فقال : قتلت محمدا .. فلما قتل مصعب أعطى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اللواء علي بن أبي طالب .. ولما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تحت راية الانصار وطلب علي بن أبي طالب ، وقال له : تقدم وخذ الراية ، فتقدم علي وقال : أنا أبو القصم ــ أي أنني أبو النوائب ــ فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القصم في المبارزة ؟ فقال علي كرم الله وجهه : نعم أنا لك ، وأسرع وخرج بعيدا عن الصفوف لملاقاة أبي سعد ، وتضاربا بسيفيهما ، ولم تمض سوى جولات بينهما حتى ضربه علي بن أبي طالب بسيفه ولم يجهز عليه .. ولما قال له الصحابة رضوان الله عليهم : أفلا أجهزت عليه ؟ قال : عطفتني عنه الرحم ، وعرفت ان الله عز وجل قد قتله ..

والتقى حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان بن حرب ، وكانت لهما جولات ، فلما استعلاه حنظلة وأوشك أن يضربه بسيفه ويقضي عليه رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان ، فضربه وقتله دفاعا عن أبي سفيان .. ولما بلغ الخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال عن حنظلة : ان صاحبكم لتغسله الملائكة .. وذهب حنظلة في عداد الشهداء الذين كتبت لهم الجنة .

وأنزل الله نصره على المؤمنين وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المكان ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .. قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشجرات هوارب ، ما دون أسرهن وأخذهن قليل أو كثير : وأخذ المشركون يولون الأدبار ، ويهربون من أرض المعركة ، ونزل الرماة من الجبل ، وكشفوا ظهورنا للخيل ، فجاءنا

المشركون من خلفنـــا ، وصرخ صارخ ، الا إن محمدا قد قتل .. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللـواء حتـى لم يستطع أحد أن يدنو منه ، ولم يزل لواؤهم ملقى على الأرض ، حتـى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثيـة فرفعته لقريش ، فاجتمعوا حوله من جديد ..

يقول الرواة ان السبب في هزيمة المسلمين في أحد ، هو نزول الرماة من الجبل الى أرض المعركة بحثا عن السلب ومتاع الدنيا ، بعد أن أصاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمـون نجاحـا ، وأمســكوا بتلابيب النصر ، وأصبحت المعركة مضمونة الكسب والنهاية لصالـح المسلمين ، وهذا يبين لنا أن النصر دائما يكون للايمان الذي يملأ القلب ثباتا والنفس ثقة وعزة ، وهذا درس يجب أن يعيه المسلمون ، فلن يكون هناك نصر للمسلمين اذا حاولوا أن يغلبوا جانب الدنيا على الآخرة ، وأن يرخصوا دينهم في سبيل دنياهم ، وأن تتحـول الحـروب الى مغانـم ومنافع ، وأن يحيد الجهاد عن هدفه الاسمى ، وأن نكون صادقين في كل ما نأتيه من عمل حربا أو سلما ..

وقد كتب الله الشهادة ، وضمن الجنة للمسلمين الذين أسلموا قبل معركة أحد بوقت قصير ومن هؤلاء رجل يدعى الاصيرم ، يقول أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ حدثوني عن رجل دخل الجنة فور اسلامه ، ولما سألوه عنه قال : أصيرم بني عبد الاشهل ، وهذه كنيته واسمه عمرو بن ثابت فقد كان يأبى الاسلام ، فلما خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى أحد ، دخل الاسلام الى قلبه فأسلـم ثم امتشق حسامه ولحق برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في أحد ، ثم قاتل حتى جرح جرحا بليغا فبينما رجال ــ بني عبد الأشهل ــ يلتمسون قتلاهم في المعركة ، اذ بهم يعثرون عليه ، وفيه بقية من روح ، فيعجبون للأمر ، فقد تركوه وهو أشد الناس عداوة للمسلمين ، فيقتربون منـه ، ويسألونه : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك أو رغبة في الاسلام ؟

فيقول لهم وهــو ينتـزع آخـر أنفاسه : بل رغبة في الاسلام ، آمنت بالله ورسوله وأسلمت ، ثم لم يلبث أن مات بين أيديهم .. فذكروا ما حدث لرسول الله صلى الله عليـه وسلـم فقال : انه لمن أهل الجنة ..

لقد انجلى غبار معركة احد ، ولم يكد كفار قريش ينتزعون النصر في اعقاب هزيمتهم حتى ولوا مدبرين خوفا من ان يكر عليهم المسلمون مرة اخرى فتنقلب الموازين كما انقلبت مرتين منذ بدء المعركة ، فقد رأوا ان النصر قلب ، وقد تتحول الامور الى غير ما يهوون ، وهم ادرى بقـوة المسلمين وجلدهم بعد ان خاضـوا غمار معركتين معهم ، وذاقوا بأس لقائهم ، وقوة شكيمتهم ..

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الاخبار يستعـد لجولة اخرى لتجبـر ما حدث لولا رحيلهم العجل ، فقد ارسل ــ صلى

الله عليه وسلم ــ الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ــ فلما وافاه قال له : اخرج في اثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان تركوا الخيل وركبوا ظهور الابل فانهم ذاهبون الى مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدوننا مرة اخرى بالمدينة ..

ثم يتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجاعة وثبات : والذي نفسي بيده لئن ارادوها ، لأناجزنهن .. ولسوف ينصرني الله عليهم .

ويقول علي بن ابي طالب ــ كرم الله وجهه ــ : خرجت في اثارهم فرأيتهم يحثون السير ، وقد اعتلوا ظهور ابلهم واطلقوا العنان لافراسهم تعدو في الوادي امامهم ، فرجعت الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم بالخبر ..

وقبل ان نترك ميدان المعركة ، او نطوي صفحتها او نجاوزها الى غيرها نستعرض بعض مشاهد ختامها .

عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشعب في اعقاب المعركة وقبل ان ينجلي غبارها ، حاول امية بن خلف ان يهجم عليه وهو يقول : لا نجوت ان نجوت يا محمد ، فقال القوم من اصحاب الرسول ايعطف عليه رجل منا يا رسول الله ؟. فقال صلى الله عليه وسلم :دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم حربة من الحارث بن الصمة ، ويقول بعض القوم الذين شهدوا الموقف ، فلما اخذها انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير ــ اذا انتفض بها ــ والشعراء ذباب له لدغ ــ ثم استقبل أمية بن خلف بالحربة ، وطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه هرارا . ولأمية قصة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقد كان عندما يلقاه بمكة وكان من اشد الناس كفرا يقول : يا محمد ، ان عندي « المعوذ » وهو فرس سريع العدو ..

ويتابع امية حديثه الى الرسول : اعلفها كل يوم فرقا من ذرة ، وسوف اقتلك عليه ، فيقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : بل انا الذي اقتلك ان شاء الله .. وعندما عاد امية الى قريش وقد خدشه بحربة الحارث بن الصمة ، وقد احتقن الدم في جسمه قال امية : قتلني والله كما وعدني ، فقال له القوم : ذهب والله فؤادك ، وما بك من بأس ، فقال امية لقد توعدني بمكة وانذرني بالقتل فوالله لو بصق علي لقتلني عندما اقتربت منه ثم مات من جرحه وهم في الطريق عائدون الى مكة ..

وهكذا نجد ان شجاعة الرسول لم تزايله في اشد اوقات الضيق ، كما لم تفارقه نظرته الصائبة للامور عندما بعث عليا رضي الله عنه لينظر في اثر القوم فاذا كانوا يستعدون لجولة اخرى لقيهم كما لم تفارقه فراسته وحدة ذهنه عندما قال له : اذا وجدتهم يعتلون ظهور الابل فهم يريدون مكة واذا رأيتهم يركبون خيلهم وافراسهم فهم يبطنون العودة للقتال وعلينا ان نستعد لهم ..

وفي اشد ساعات الحرج والضيق

لم ينس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صحابته الذين استشهدوا في ساحة القتال فقال : هل من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ افي الاحياء هو ام في الاموات ؟ فقال رجل من الانصار : انا انظر ما فعل سعد ،.. فنظر فوجده في الجرحى وبه رمق فقال له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان انظر افي الاحياء انت ام في الاموات فقال سعد : انا في الاموات فأبلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عني السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : انه لا عذر لكم عند الله ان خلص نبيكم وفيكم عين تطرف قال الانصاري : ثم لم ابرح حتى مات فجئت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته خبره ..

وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فقال حين رأى ما رأى : لولا ان تحزن صفية ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطن السباع والطير ولئن اظهرني الله على قريش لامثلن بثلاثين رجلا منهم كما مثلوا بسيد الشهداء فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : والله لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب ويقول ابن عباس رضي الله عنه ، ان الله عز وجل انزل في ذلك قوله تعالى :

**( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون )** النحل / ١٢٦و١٢٧ فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم امر بالقتلى يجمعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه مرة ثانية معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ..

وهكذا نجد وفاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفة ظاهرة وواضحة من بين صفاته الكريمة المتعددة فهو لا ينسى صحابته في أوقات الشدة يسأل عنهم ويتقصى اخبارهم فرغم البلاء الذي نزل بالمسلمين والكرب الذي حل بهم في هذا اليوم الا انه لم يهتم بنفسه قدر اهتمامه بصحابته والسؤال عما اصابهم ، كما كان بارا بأهله ، يدل على هذا حزنه على حمزة وصلاته عليه هذه الصلاة الكثيرة المتتالية كما كرمه لبلائه في الاسلام وتضحيته في سبيله بكل شيء فأطلق عليه لقب سيد الشهداء ..

ومن رأفته بأهله ما قاله لاصحابه عندما شاهد صفية بنت عبد المطلب شقيقة حمزة رضي الله عنهما مقبلة نحو حمزة بعد ان استشهد حتى لا ترى ما حل به بعد ان مثلت به هند بنت عتبة زوج ابي سفيان لانه قتل أباها واخاها في معركة بدر ..

قال ابن اسحاق وقد اقبلت فيما بلغني ــ صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وقد كان اخاها لابيها وامها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العـوام : القهـا فأرجعها لا ترى ما بأخيها ، فقال لها يا امه ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يأمرك ان ترجعي فقالت : ولم ؟ وقد بلغني ان مثل بأخي وذلك في الله لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله .

فلما جاء الزبير الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخبره بذلك قال : خل سبيلها فأتتـه فنظـرت اليـه واسترجعت واستغفرت له ، ثم امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فدفن ..

وكان موقف الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وجلده على ما الم به وما الم بأهله باعثا على الاسوة الحسنة بين المسلمين الذين اصابهم قرح في احد او غير احد او اصابهم مصيبة فقد عودهم الصبر والنظر الى السماء في انتظار الفرج والطمع في ثواب الله ورضاه ..

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ رواه عبد الله بن ثعلبة ــ لما اشرف على القتلى يوم احد قال : انا شهيد على هؤلاء .. انه ما من جريح يجرح في الله الا ويبعثه الله يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون الدم والريح ريح مسك ..

ثم يقول : انظروا اكثـر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه امام اصحابه في القبر .. ان قيادة الامم امتحان صعب لمن يتولون زمام الامور ومن يصلون الى اماكن الصدارة فيها ..

واذا كان هذا ينطبق على قادة الامم والشعوب فما بالنا برسول يرسله الله لتغيير المجتمع واعادة التوازن الى فكر الناس وحياتهم وارساء قواعد الحق والعدل وبث الطمأنينة وزرع السعادة في قلوب الناس جميعا ووضع حدود لقوة القوى بما له او جاهه او سلطانه وأمن الضعيـف وتثبيـت المذعـور والخائف ..

لذا كان الامر بعد ان حدث ما حدث في « احد » وبعد ان استطاع المشركون ان يحرزوا نصرا هزيلا وان يفروا به ان يعيد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الثبات الى قلوب اصحابه والا يجعل نصر بدر يذهب بددا ويضيع هباء او ان تعبث به رياح احد ..

لقد كان يوم احد يوم السبـت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال اذن في الناس مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يطلب العدو .

وبهذا استطاع ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان يرد كيد اعدائه الفرحين بما حل به وبأصحابه الى نحورهم وان يقضي على شماتة الشامتين وان يبدل شعورهم خيبة وحسرة وان يدفـع المنافقين ليقضمـوا اصابعهـم من الغيظ ، وأن يعيـد الطمأنينـة الى صحابته واتباعه ومن سار على درب الهدى والايمان في اثر نبيه الصابر الكريم .. وأذن المؤذن مرة ثانيـة ليقول للناس : لا يخرجن الى طلب العدو الا من كان معنا بالامس ، فالجهاد شرف لا يناله الا من سعى

اليه ..

فجاءه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ان ابي قد خلفني بالامس على سبع اخوات وقال : يا بني انه لاينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك بالجهاد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نفسي فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له الرسول فخرج معه وقد خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرهبا للعدو وليعرفوا انه خرج في طلبهم وانه لازال كما كان في بدر وعند اول النصر في احد وانه يستطيع ان ينازلهم حتى بعيدا عن المدينة وقريبا من ديارهم ... وعسكر برجاله في « حمراء الاسد » وهي من المدينة على ثمانية اميال واقام ثلاثة ايام الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة وقد مر به وهو هناك معبد بن ابي معبد الخزاعي وكانت خزاعة رغم أنهم لم يدخلوا في الاسلام بعد الا انهم كانوا يودون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانوا لا يخفون عنه شيئا فقال معبد لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا محمد اما والله لقد عز علينا ما اصابك ولقد وددنا انتصارك عليهم .. ثم قال : ان قومي وان كانوا على غير دينك الا اننا كنا نود انتصارك عليهم بعد ان ملئوا الارض فسادا ورجسا .. وسار في طريقه بعد ان ترك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلقي ابا سفيان ومن معه من جند المشركين بالروحاء وكانوا قد استقر رأيهم على العودة للقتال فقد اعتقدوا انهم قد انزلوا ضربة موجعة بالمسلمين وان العودة لقتالهم افضل من الانتظار وقد تشاوروا فيما بينهم وقالوا : لقد اصبنا اصحابه واشرافهم وقادتهم ثم نرجع ونكر عليهم ونستأصل شافتهم قبل ان يستعدوا لقتالنا مرة اخرى ولكن ابا سفيان عندما رأى معبدا قال له : ما وراءك ؟

قال معبد : محمد قد خرج يطلبكم في جمع من اصحابه لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد خرج معه من كان قد تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم الشيء الكثير .

قال ابو سفيان : ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .. قال لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال له معبد : اني انهاك عن ذلك والله لقد حملني على ما رأيت الاخلاص والوفاء لك وكان يقصد من هذا صرفه عن قتال المسلمين فثنى ابا سفيان عن عزمه والقى الرعب في قلبه حتى ان ابا سفيان عندما مر به ركب عبد القيس قال لهم : اين تريدون ؟ فقالوا نريد المدينة ولما سألهم عن السبب اخبروه انهم يريدون الميرة اي الطعام او الحبوب التي يصنع منها الدقيق والطحين فطلب منهم ابو سفيان ان يبلغوا عنه محمدا رسالة ومقابل هذا سيحمل رواحلهم هذه بأحمال من الزبيب من عكاظ .

ولما سألوه عن الرسالة قال : اذا وافيتموه فأخبروه اننا قد قررنا السير

اليه والى اصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو بحمراء الاسد فأخبروه بما قال ابو سفيان فعرف ما وراء الرسالة وهو ان ابا سفيان يود اخافته ولكنه لا يستطيع العودة فليس هناك من الاسباب ما يدعو عدوا محاربا ان يقول هذا فالحرب خدعة ومفاجأة متى استطاعهما الجيش المحارب مهد لنفسه سبيل النصر في أغلب المعارك .

ولما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى المدينة وكان عبد الله بن ابي بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة قد سره ما حدث واثلج فؤاده انتصار اعداء الدين وكان يظن انها المعركة التي ينتهي فيها شأن الاسلام وانه لن تقوم له قائمة بعدها .. وعندما رجع الرسول من بني اسد قام عبد الله ابن ابي بن سلول كما كان يقوم كل جمعة في قومه وبعد ان ينتهي صلى الله عليه وسلم من خطبة الجمعة ليقول : ايها الناس هذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين اظهركم اكرمكم الله واعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له واطيعوا .

وبعد ان صنع يوم احد ما صنع وعاد بثلث الجيش وامتنع عن القتال قام يفعل ما كان يفعل كل جمعة فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس عدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت .. فخرج يتخطى رقاب الناس في المسجد وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرا – اي شرا لقد قمت لاشد ازره – يقصد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلقيه رجل من الانصار بباب المسجد وقد بان عليه الغضب فقال له : مالك ؟ ويحك فقال عبد الله بن ابي : قمت اشد امره – اي اؤازره وانصره وادعو له فوثب على رجال من اصحابه يجذبونني من ثوبي ويعنفونني .

قال له الرجل الانصاري : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما ابتغى ان يستغفر لي .

وقد يتساءل سائل عن صبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – على المنافقين وهو قادر على البطش بهم والضرب على ايديهم وقد نقول انه صلوات الله وسلامه عليه قد ارسل هاديا ولم يرسل منتقما ولا جبارا يقضي على كل من يعارض او يقف في طريقه والا لنفر الناس منه وفي اكثر من موضع يوصي الله عز وجل رسوله الهادي بالصبر وسلوك السبيل المحبب الى نفوس البشر قائلا عز من قائل :

**( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين )** النحل / ١٢٥ .

قال ابن اسحاق : كان يوم احد يوم بلاء ومصيبة ويوم تمحيص اختبر الله سبحانه وتعالى به المؤمنين واظهر به المنافقين ممن كان يظهر الايمان لسانه وهو متخف بالكفر في قلبه ، وبما اكرم الله فيه من اراد كرامته بالشهادة من اهل ولايته .

# مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط امالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم . والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل . وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

## المستشرقون

**ارسل الاخ فايز أبو شيخة ـ الكويت ـ كلمة للشباب فيها دعوة وموعظة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد**

قدم المستشرقون من بلاد شتى بثقافات مختلفة ومشارب متعددة وقد سيطرت عليهم فكرة مؤداها ان الشرق يغط في نوم عميق وتسهل السيطرة عليه لذلك نراهم قد اندفعوا متسلحين بكل الاسلحة العلمية الحديثة ودخلوا بلاد الشرق المسلم وخالطوا ابناءه وشاركوهم حياتهم اليومية وعرضوا افكارهم على البسطاء منهم وبعض المثقفين فجرف تيارهم فئة تاهت عجبا بما انجزه الغرب ونسوا اوتناسوا تاريخهم العظيم ومجد اسلافهم الافذاذ وتراثهم الهائل الذي اسهم بشكل فعال في تكوينهم وتوجيههم الوجهة الطيبة الصادقة وبنى لهم دولتهم التي طاولت بجاهها السحاب . وضربت بنهضتها المثل تلو المثل لجيلها وللاجيال من بعدها وما ارتقت كل هذا الارتقاء الا لانها اسست على التقوى وبنت مجدها على هدى من كتاب الله وسنة رسوله لم تلعب بها الاهواء ولم تشدها المفاتن والاعراض الزائلة .

ولكن انصراف المسلمين اليوم عن دينهم وتعاليم ربهم جعلهم فريسة لكل متنمر وغاصب فما اسهل ذلك ما دامت الساحة قد خلت من الرجال الذين تسلحوا بدينهم واصبح انصاف المتعلمين يتصدرون الصفوف .

في هذا الجو تنمو الافكار المنحرفة وتروج المذاهب الهدامة وتنشر الثقافات الملحدة ، وسط هذه الظروف الملائمة وجد بعض المستشرقين ضالتهم المنشودة فعاثوا في الارض فسادا يكتبون وينشرون ويجمعون انصارا استهواهم البريق

الخادع والامل الواسع ولكنه في الحقيقة سراب يراه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

والعيب ليس في المستشرقين فهم يخدمون مصالح بلادهم ويخققون اغراضهم انما العيب في تخاذلنا وجهلنا فلم نحافظ على شبابنا وهم رجال المستقبل وعدته وقادة نهضته ومسيرته فان كانوا قد نشئوا على ما صلح به جيلنا السابق سادوا واجادوا وان كان غير ذلك صاروا وبالا على قومهم وامتهم واصبحوا عوامل هدم وتدمير وتأخر .

فبدلا من ان تكون امة قوية صامدة تضرب المثل الدال على قوتها وعزها في كنف الاسلام تفتخر بمجد زائف يزول ويتحطم امام اي زحف مهما كان ضئيلا .

وديننا يحذرنا بشدة في حرص وحسن رعاية يقول الله سبحانه :

« يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يرد وكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

فهل من صحوة وعودة لديننا حتى نكون جديرين بخلافة الله في الارض ؟

## خصال حميدة

**أرسل لنا الأخ عبدالجواد محمد الخضري كلمة حول الروابط الاجتماعية واثرها الفعال وحسن المشاركة عند حدوث نبأ سار وذلك تأكيدا على ما يدعو اليه الاسلام من دوام الشكر لله سبحانه على نعمه .**

**تلك كلمة تذكرنا بما نسيه المسلمون وهجره الناس في مجتمعنا المعاصر من خصال طيبة واننا ندعو الشباب ان يعيشوا مع هذه النسك وينشئوا ابناءهم على حبها والى الشباب هذه الكلمة .**

حين ننظر الى الاسلام بين الأنصاف والمنهاج التجريبي ، ندرك ولأول وهلة أن قيم التشريع لم تترك أي باب إلا طرقته ـ مادام يتعلق بالانسان مع ربه أو بالانسان مع مجتمعه ـ ولعلك ترى أن الفقه الاسلامي زاخر بالمكنونات ، عبادات ومعاملات تشريعات وحدود ، أما الأطعمة فقد أفرد لها بابا خاصا لأنها قوام الانسان ونلتقي هنا مع نسيكة من نسك الله تعالى ، هجرها مجتمعنا المعاصر ونسى الناس وما أحسبهم إلا متناسين « العقيقة » التي هي محط آمال الفقراء الذين لا يجدون إلى كسب القوت حيلة ولا يستطيعون سبيلا ، لا أستطيع أن أقول شيئا إلا التبيان حتى يعلم من يريد العلم ـ أن كل شعيرة من شعائر الله لها سر خفي عنا ، وربما لو علمناه لتعجبنا ، على سبيل المثال .. يشتكي الناس من غلاء سعر اللحوم ! نعم ، ولولا أن الحق تبارك وتعالى عوض الانسان بالبروتين النباتي لما أمكن أن يعيش ولخارت قواه .. وماذا على المسلمين لو علموا أن كل مولود من الأغنياء من السنة أن يذبح عنه وليه ذبيحة ويوزعها على الفقراء

أو يطعمهم في وليمة عنده .. هل يبقى أحد من الفقراء يحس طعم الفقر وألم الجوع ؟ لا ورب الكعبة .. زد على ذلك ان الاغنياء ضنوا حتى بالاضاحي وعندنا في مصر تكاد تنقرض هذه السنة إلا في الأقاليم .. وكلي أسف على هذا الحال المخزي ثم أجد القلم يسيل بلعابه ليخط لعل وعسى ، وكأنني أرى الخلق يودعون الشعائر !! قلق بالغ أحسه وهيهات !! وأيا ما كان الأمر فان العقيقة تحفظ على المجتمع الانساني حبه وتعيد اتزانه على أقوم نسق ..

العقيقة لغة ــ أي عند علماء اللغة ــ اسم للشعر على رأس المولود حين ولادته وشرعا : الذبيحة عن المولود يوم سابعه ــ ذكرا كان أم أنثى .

وتكون في اليوم السابع من حين الولادة ، ولو فعلت قبل الولادة فليست من السنة في شيء بل تكون للافتخار ليس إلا !

ودليلها واضح من السنة النبوية :ــ

فعن سمرة رضي الله عنه ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلى ويسمى ــ رواه احمد والأربعة .

ومن هذه العجالة السريعة نتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم سن شاة عن الغلام ذكرا كان أم أنثى وسن ايضا شاتين عن الغلام وشاة عن الأنثى فما علة ذلك وهل هناك تعارض بين الروايات ؟! لقد وقف علماء الاسلام من الفقهاء مواقف شتى منها ( أ ) انه يعق عن الغلام بضعف ما يعق عن الجارية واستدلوا بالحديث الوارد عن عائشة وقووا رأيهم ، وعاضدوه برواية ابن عباس من طريق عكرمة بلفظ كبشين كبشين ــ أعني عن الحسن والحسين ! وإلى هذا الرأي ذهب الشافعي وأبو ثور وأحمد وأصحابه ، وذهب مالك إلى أنه يجزيء عن الذكر والأنثى عن كل واحد شاة للحديث الوارد عن سمرة ( سبل السلام ) .

ويرى الخطيب الشافعي أن أصل السنة أن يعق بشاة ، وما أراه إلا مخالفا لجمهور الشافعية كما أورد صاحب سبل السلام ، ولو أنه علم أن الرواية أتت بلفظ كبشين كبشين لحلل رأيه ــ على العموم فصل ابن القيم رحمه الله تعالى ــ فقال : إن العقيقة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديث الشاتين من قوله وقوله عام وفعله خاص وهي متضمنة الزيادة فكان الأخذ بها اولى .. هذا ما أورده ( زاد المعاد ج ٢ ص ٣ ط المطبعة المصرية ــ القاهرة ) .

« حكم العقيقة مثل حكم الأضحية الشرعي »

وهي سنة مؤكدة للأحاديث الواردة فيها وإلى هذا الرأي ذهب جمهور العلماء .

تلك هي أحكام العقيقة ولأن اللغة تجبرنا أن نجد موضعا لنلحقها بالشارع فان الأمام الزمخشري أغنانا عناء البحث بقوله : العقيقة في الأصل للشعر على رأس المولود ، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم ليبين اعجاز التشريع بقوله في الحديث الشريف .. يافاطمة :.. احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضـــة على المساكين ) ولابد ان نتأمل موقف الاسلام من عناء الحياة تجاه المحتاجين ــ ان الفقير لو اخذ حقه من الأغنياء لما سمعنا انينا وسخطا على الدنيا ومن فيها !!

# خنور على طريق الهجرة

بقلم : صلاح احمد الطنوبي

إن الهجرة من مكة الى المدينة تعد من الأحداث الفاصلة في تاريخ الدعوة الاسلامية ، فهي نهاية لعهد تعرض فيــه المسلمــون الأولــون لألــوان الاضطهاد والأذى فما ضعفوا وما استكانوا وبداية لعهد جديد نصر الله جل جلاله فيه الاسلام على أعدائه نصرا عزيزا مؤزرا ، حيث خاضت القلة المؤمنة حروبا عديدة ضد الكثرة المشركة ، فما أجدت كثرة المشركين

وما حالت قلة المؤمنين بينهم وبين الظهور على أعدائهم ، لتصبح كلمة الله تبارك وتعالى هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

**اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :**

اختار المصطفى صلى الله عليه وسلم لمرافقته في رحلته الكبرى ابا بكر الصديق ( رضي الله عنه ) دون سائر أصحابه فكان اختيارا موفقا ، لان ابا بكر ( رضي الله عنه ) أصلح الصحابة للقيام بهذه المهمة ، وتاريخ أبي بكر قبل الاسلام وبعده يؤيد ترشيح الصديق لهذا الاختيار النبوي الكريم ..

أبلغ الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) امر الهجرة الى أبي بكر رضي الله عنه تلميحا لا تصريحا ، فلما أذن لأصحابه ان يهاجروا من مكة الى المدينة طلب أبو بكر ( رضي الله عنه ) منه أن يأذن له في الهجرة ، فأمهله صلى الله عليه وسلم قائلا :

« لا تعجل يا أبا بكر لعل الله يجعل لك صاحبا » .

وفهم الصديق ( رضي الله عنه ) من هذه الجملة انه قد يصاحب الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) في هجرته ، فاستعد وجهز راحلتين تنقلانه هو والرسول ( صلى الله عليه وسلم ) إلى المدينة ، فلما أذن الله تعالى للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) بالهجرة واخبر ابا بكر ( رضي الله عنه ) بذلك فاضت دموع الصديق من فرط السرور ، واخذ يقول : « الصحبة يا رسول الله ، الصحبة يا رسول الله » فقال صلى الله عليه وسلم : « الصحبة يا أبا بكر » فبكى ابو بكر من شدة الفرح ، وخرجا سرا في ظلام الليل الى غار ثور .. ولقد جد الكفار في البحث عن محمد ( صلى الله عليه وسلم ) وصحبه ( رضي الله عنه ) إلى أن وقفوا على باب الغار ، فقلق أبو بكر خوفا على حياة الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) وقال له : « لو أن احدهم نظر الى قدميه لأبصرنا » فقال النبي العظيم محمد ( صلى الله عليه وسلم ) « يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

فهدأت نفس ابي بكر ( رضي الله عنه ) وعادت الى قلبه الطمأنينة ، وقال الله جل ثناؤه :

**( إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم )** التوبة / ٤٠ .

## اختيار الرسـول صلى الله عليـه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه :

كانت المؤامرة التي دبرها الكفار ان تقوم مجموعة من قريش تتألف من كل عشيرة فيها ، بحيث تنتدب عنها شابا فتيا ويعمد هؤلاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فيضربونه ضربة رجـل واحد ، وبذلك يتوزع دمه في جميع العشائر فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم ، فلما كانت الليلة التي عزموا فيها على تنفيذ المؤامرة تربصوا قرب داره ، منتظرين الفرصـة الملائمـة لاغتياله ، فأمر النبي ( صلى الله عليه وسلم ) علي بن ابي طالب ( رضي الله عنه ) ان ينام على فراشه قائلا : « نم على فراشي وتسـج ببـردي هذا الحضرمي الاخضر ، فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم » . ودعا الله عز وجل أن يعمي ابصارهم فخرج صلى الله عليه وسلم ، وقـد غشيهم النوم ، فوضع على رؤوسهم التراب :( **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ) يس / ٩ .

قال المرحوم عباس العقاد في تحليل شخصية الامام علي بن ابي طالب ( رضي الله عنه ) : « آداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة ، كانت القوة طبعا في على فطر عليه وأدبا من آداب الأسرة الهاشمية نشأ فيه ، وعادة من عادات الفروسيـة العملية التـي يتعودهـا كل فارس شجاع » .

## عبدالله بن ابـي بكر ( رضي الله عنهما )

وكان دوره هو استطلاع اخبار قريش بمكة ، والوقوف على رد الفعل الذي احدثه خروج النبي ( صلى الله عليه وسلم ) سرا ، وما عسى ان يدبره زعماؤها لوقف مسيرته ، وبذلك يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم وابو بكر ( رضي الله عنه ) على بينة مما يحاك خلفه من مؤامرات ، فيستطيع ان يتقيها ، ويبلغ مأمنه في طيبـة ( المدينة ) .

## أسماء بنت أبي بكر ( رضي الله عنهما ) :

وكان دورها ( رضي الله عنها ) في الهجرة أن تأتي النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ( رضي الله عنـه ) بالماء والزاد وهما في الغار ، وظلت ( رضي الله عنها ) على ذلك ثلاث ليال متعاقبة تقتحم الصحراء الموحشة في رهبة الظلام ، وهي غر صغيرة ولا تبالي العيون والأرصاد التي تبعثها قريش في الطريق من مكة الى المدينة ، لتظفـر بمحمـد ( صلى الله عليـه وسلـم ) .. ولما هم الصاحبـان بالرحيل الى المدينة جاءتهما اسماء ( رضي الله عنها ) بما يحتاجان اليه في رحلتهما من زاد وماء ، وهمت بتعليقه في رحل البعير ، فلم تجـد رباطـا ، فحلـت نطاقهـا وشقتـه نصفين ، ربطت بأحدهما الـزاد ،

وانتطقت بالآخر ، فقال لها المصطفى ( صلى الله عليه وسلم ) « أنت ونطاقاك في الجنة » وسميت بعد ذلك « بذات النطاقين » .

**عائشة بنت أبي بكر ( رضي الله عنهما ) :**

ولقد شاركت اسماء دورها الخالد في الهجرة اختها عائشة ( رضي الله عنها ) ـ كما تروي معظم كتب السيرة ـ وكانت لا تزال طفلة دون العاشرة فخاضت بذلك تجربة اكبر من سنها الصغيرة ، مما اكسبها نضوجا فكريا ونفسيا مبكرا اتاح لها القيام بادوار كبرى في مستقبل حياتها .. ولقد كان اقتحام ابنتي الصديق ( رضي الله عنهما ) ظلمات البيداء حاملتين لابيهما وصاحبه رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) حاجتهما من الماء والطعام ، غير مباليتين بما قد يصيبهما من اذى ، بلاء أي بلاء ، وجهادا اجل جهاد .

**عامر بن فهيرة ( رضي الله عنه ) :**

وكانت مهمته في الهجرة مهمة مزدوجة ، ان يرعى غنم ابي بكر رضي الله عنه نهارا ، فاذا امسى قصد الى الغار ، واحتلب للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) وصاحبه ( رضي الله عنه ) .. وأن يتبع بالغنم مسار عبدالله بن أبي بكر بعد عودته من غار ثور الى مكة ، فيعفي على ما تركته أقدامه من آثار في رمال الصحراء .. قوة إيمان وصدق عقيدة .

**دليل الهجرة « عبدالله بن أريقط » :**

ان اختيار النبي صلى الله عليه وسلم والصديق ( رضي الله عنه ) لعبد الله ابن أريقط الديلمي ( وهو رجل من كفار قريش ) ليكون دليلهما في الطريق الى طيبة ( المدينة ) ليدل على حسن الاختيار ، لان ابن أريقط قد سلك بالنبي « صلى الله عليه وسلم » وصاحبه « رضي الله عنه » طريق الساحل ، الأمر الذي لم يرد على خاطر قريش ، اذ لم يكن طريقا مألوفا في ذلك الحين ..
وثمة شرطان اساسيان للاستعانة بخبير من غير الملة :

**اولهما** : ان يكون موثوقا به .
**والثاني** : ان يكون اختياره حتميا بمعنى الا يوجد من اهل الملة مثيل له وقد توافر هذان الشرطان في عبدالله بن أريقط ، اذ يقول كتاب السير : انه كان كافرا ، لكن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) وصاحبه ( رضي الله عنه ) وثقا به ، وكان دليلا بالطرق ، وجاء في الحديث الصحيح :
« انه كان هاديا خريتا اي حاذقا يعرف مضايق الطرق » لذلك دفع الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وصاحبه ( رضي الله عنه ) راحلتيهما اليه ، واستأجراه ليدلهما الى طيبة ( المدينة ) .

# الهجرة النبوية الشريفة

للدكتور : أحمد حسنين القفل

ما بالُ مكةَ زُلزلَتْ زِلزالَها ... والأرضُ فيها أخرجتْ أثقالَها
والناسُ فوضَى ، والمشاعرُ سُعِّرتْ ... وقلوبُهم شتَّى . تُرَى ما هالَها ؟
ماذا دَهاهُم ؟ قد تَناثَرَ عِقْدُهُمْ ... حبَّاتُه انصدَعتْ ، ولا رأبَ لها
أوثانُهم تلك التي فُتِنوا بها ... باتَت بَوارًا ، يتقون زوالَها
هاجُوا وماجُوا شاهرِين سُيُوفَهم ... خانُوا العُهودَ حَرَامَها وحَلالَها
السَّيْلُ قد بلغَ الزُّبَى في مكةٍ ... ماذا ألَمَّ بها فغيَّرَ حالَها

هو ذلك « الأُميُّ » يَدعُو جاهدًا ... « اللهُ لا نِدٌّ له » قد قالَها
وَحْيُ السماءِ عليهِ ينزلُ مُنذرًا ... لا تُعبَدُ الأصنامُ ، بل تَبًّا لَهَا
هو ذلك « الدينُ الجديدُ » تأرَّقتْ ... منه الجُنوبُ ، ونالَها ما نالَها
دينٌ تساوَى الكلُّ تحتَ لِوائهِ ... فاللَّونُ والأجْناسُ لا وَزْنَ لها
دينٌ : هي التَّقوى تُميِّزُ أهلَه ... والفضلُ فيه لمن تَفيَّأ ظِلَّها
دينٌ : هي الشورى دِعامةُ حكمِه ... دُستُورُه القرآنُ سَجَّل فَضْلَها
والمسلمون غَدَت تزيدُ جُمُوعُهم ... في « دارِ أرقَمَ » بَاشَرتْ أعمالَها

كفارُ مكةَ إذْ تَنَاجَوْا أقسَمُوا ... أن يُنقِذُوا الأصنامَ مِمَّا نالَها
وغَدَوْا على حردٍ يُحرِضُ بعضُهم ... بعضًا على مَنْ باتَ مُحتقِرًا لها
أتباعُ « أحمدَ » أصبحُوا هدفًا لهم ... كم من نفوسٍ قطَّعُوا أوصالَها
هذا « بلالٌ » أحكمُوا تعذيبَهُ ... فَرْدٌ تَحدَّى عُصبةً وضَلالَها
اللهُ مَوْلَى « آلِ ياسرٍ » إذ هُمُو ... قد أُزهِقتْ أرواحُهم طوبَى لَهَا
كَمْ من شهيدٍ مؤمنٍ ذاقَ الرَّدَى ... من طُغْمةٍ إبليسُ قَادَ عقولَها

حتى أتى أمرُ السماءِ بهجرةٍ ... للمسلمين ليثربٍ ، فمشَوْا لَهَا
خرجُوا ثباتٍ مؤمنين بدينهم ... والكافرون ـ وبالأسَى ـ فَطِنُوا لَهَا
فتآمَرُوا وتجمَّعُوا كي يَقتلُوا ... « عَلَمَ الهُدَى » في داره او حَوْلَهَا
و « عليّ » يَكمنُ في فِراشِ « محمدٍ » ... في جُراةٍ كانَ الفِداءُ سبيلَهَا
خرج النبيُّ عليهمُو فاذا بهم ... في غفوةٍ من نومةٍ يُرْثى لَهَا
صَحِبَ النبيُّ « صديقَه » في رحلةٍ ... لازالت الدنيا تُردد فَضْلَهَا

في « غَار ثورٍ » قد حماهُ إلَهُه ... من عصبةٍ للشرك قصَّ حِبَالَها
هذى « الحَمَامَةُ » قد أقامت عُشَّهَا ... بالباب . ما أحدٌ إذَنْ قد نَالَهَا
و «العنكبوتُ» نسيجُها يَحكي لهم ... أنّ الاقامةَ فيه لا مَعنَى لَهَا
والله « ثالثُ » صاحبينِ تآلَفَا ... في الغار يحمِى النفس يُصلح بَالَهَا
يا « غارَ ثورٍ » كنت لُغزًا صامتا ... بل آيةً تروى بِلا مَثَلٍ لَهَا

وقريشُ ماجَتْ ، بل وجُنّ جُنونُها ... أغرت « سُراقةَ » أن يكونَ دَليلَهَا
أوصتهُ أن ينسَابَ خَلْفَ « محمدٍ » ... ليَرُدَّهُ قَسْرًا فتَشفِيَ غِلَّهَا
مهلا «سراقةَ» ! إنه «خيرُ الورى» ... فَهْوَ ابنُ بَجْدتِهَا ومن يُرجَى لَهَا
واللهُ عاصمُ « عبده » قد صَانَهُ ... في كل ضائقةٍ يَمرُّ خلالَها
غاصت قوائمُ مُهْرةٍ لسراقة ... ما خَطْبهَا ؟ شَدّ الالهُ عِقالَها
« أنصت سراقةَ : سوف تُمنَح آجلاً ... من مُلْكِ كِسْرَى منحةً تَرضَى لهَا
ستكونُ يومًا ضمن جيشٍ مسلمٍ ... تمشى لنصرتِهِ غدًا تَسعَى لهَا »
يا دهرُ أنصتْ ! ياصَحارَى سجِّلي ... بُشْرى « أمينٍ » واثقٍ قد قالَها
والفارسُ المغوارُ يرجعُ هائمًا ... نفسٌ بهَا شيطانُهَا يُمْلِي لهَا
هانَ الرهانُ . وعاد تألَمُ نفسُه ... من فعلةٍ هدَّامةٍ ، تَعْسًا لهَا

هذا « رسولُ الله » جاء ليثربٍ ... والله أوصلَ بالرسولِ حِبالَهَا
صار المُهاجرُ « للمقيمِ » أخًا لهُ ... والكل أعطَى للرسالة مَالَهَا
والنصرُ أضْحَى حِلْفَ قومٍ بايَعُوا ... ربَّ الحَنيفَةِ أن يَظلُّوا حَولَهَا

شمسُ الحقيقةِ أشرقت من يثربٍ ... فأضاءت الدنيا جميعًا كُلهَا
والله قَيَّضَ للحنيفةِ هجرةً ... مهما أقولُ فلن أُوَفِّيَ فَضلَهَا
والمسلمون بَدَا بها تاريخُهم ... ذكرَى جهادٍ مثمرٍ يُعزى لهَا
طوبَى لرائدِهَا محقِّقِ فَضْلِهَا ... طوبى لنفسٍ حَطَّمت أغلالَهَا
اللهُ مَوْلى المؤمنين يُعزِّهم ... لكنّ دارَ الكفرِ لا مَوْلَى لهَا
اللهُ أقسَمَ أن يتمِّمَ نورَه ... للمسلمينَ كامةٍ أوْحَى لهَا
أَوْحَى لهَا القرآنَ دستورًا لهَا ... يُثرى ويُصْلِحُ دائمًا أحوالَهَا

# بأقلام القراء

## المرأة المسلمة

**في كلمة ارسلتها الاخت سعاد صبحي شحاته من الأردن نقتطف منها ما يلي :**

يقولون المرأة نصف المجتمع بل هي المجتمع بكامله .
فعلى المرأة تقع مسؤولية تربية الأولاد والبنات الذين هم عماد المجتمع وشباب المستقبل فاذا اعتنت المرأة بتربية اولادها وربتهم تربية اسلامية صحيحة شبوا افرادا صالحين في مجتمع صالح والا كانوا وبالا على مجتمعهم وسببا من اسباب فساده وانهياره .
ولهذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختيار الزوجة الصالحة ، قال عليه الصلاة والسلام « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » متفق عليه تربت يداك : أي ملئت يداك خيرا .
وقال عليه الصلاة والسلام « الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة » رواه مسلم فأول شيء يفعله المسلم عند اختياره شريكة حياته هو اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين لان الدين باق مع الانسان وملازم له بعكس المال والحسب والجمال . وقد جعل الله تعالى قوامة البيت للرجل دون المرأة لانه اقوى بفطرته على ادارة شؤون البيت قال تعالى « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** » سورة النساء آية/٣٤ .
والمرأة في بيت زوجها تكون مطيعة له الا اذا امرها بمعصية الله تعالى فلا سمع ولا طاعة .
وتعلم أولادها الدين وتقرأ عليهم القرآن وتحفظهم اياه وتعلمهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان احد العلماء يقول تعلمت نصف علمي من امي كانت تقرأ علينا كل يوم من القرآن والحديث .
ويجب عليها أن تعتني ببيتها وتحافظ على نظافته وتهيىء أكبر قدر من الراحة لزوجها وأولادها وتهيء لهم الطعام والشراب وتنظف ملابسهم ولا تفرق بينهم في المعاملة .
قال عليه الصلاة والسلام « المرأة راعية في بيت بعلها وولده » مسلم .
وتحافظ على أمواله وأولاده وعلى نفسها سواء في حضوره أو غيابه ولا تأذن لأحد في بيتها إلا باذن زوجها قال عليه الصلاة والسلام « ألا ان لكم على نسائكم

حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

والمرأة المسلمة لا تحمل زوجها ما لا يطيق من المصروف البيتي ومن الانفاق على لباسها وزينتها بل تعرف ماهية زوجها وتتصرف في مالها ومال زوجها بالحكمة من غير إسراف ولا تقتير .

وليس أغلى على الانسان من عرضه فيجب عليه أن يحافظ عليه أكثر من ماله وجواهره وليس هناك مكان أنسب ولا أفضل للمرأة من البيت تجلس فيه مع أولادها وبناتها .

ولكن إذا اضطرت المرأة للخروج من البيت فتخرج باذن زوجها فقد كانت النساء في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجن لحضور الصلوات وللعلم والجهاد ولزيارة اهلهن فاذا خرجت المرأة لسبب من الأسباب فلا تخرج متعطرة متبرجة بل تخرج محتشمة بلباس الاسلام .

قال تعالى « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** » الآية ٣١ من سورة النور .

إذا اضطرت المرأة للعمل فتعمل في مكان بعيد عن الاختلاط بالرجال الأجانب وعدم الخضوع واللين في الكلام قال تعالى « **يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** » الاحزاب/٣٢ وعلى المرأة أن تبتعد عن الغيبة والنميمة لأن هذا الشيء تقع فيه كثير من النساء فاحذركن واحذر نفسي منه .

اما بالنسبة لما على الزوج من حقوق فعليه أن يعتني بزوجته وأولاده ويؤمن لهم المسكن والملبس والطعام والدواء قال الله تعالى « **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » سورة البقرة آية/٢٣٣ .

اما اذا كانت المرأة جاهلة في دينها فعلى الزوج أن يعلمها الدين والصلاة وقراءة القرآن وذكر الله تعالى لانه مسؤول عنها امام الله تعالى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « والرجل راع على أهل بيته » مسلم .

فلماذا يغضب الرجل من زوجته إذا لم تقم بخدمته وطاعته ولا يغضب منها إذا تركت أمر الله تعالى فهذا شيء بعيد عن الصواب وسيحاسب عليه .

فكان أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتعلمون من رسول الله ثم يعودون إلى بيوتهم يعلمون زوجاتهم وأولادهم .

# مع صحافة العالم

## محاولة لوقف انتعاش الحركة الاسلامية

نشرت مجلة الرائد الهندية التي تصدر عن دار العلوم – ندوة العلماء – كلمة تحت هذا العنوان للشيخ واضح رشيد الندوي جاء فيها :

في مستهل العام الأخير من القرن الرابع عشر ثارت ضجة في العالم ، وتكثفت تكهنات وتنبؤات حول ما يحمل القرن الخامس عشر للعالم الاسلامي ، وشغل هذا السؤال اذهان الكتاب والمفكرين وعامة الناس ، وكان فيهم المخلصون للاسلام والمسلمين ، وفيهم من كان يحاول ان يجعل هذه المسألة وسيلة للكيد ضد الاسلام والمسلمين .

وقد صادف انقضاء القرن الرابع عشر بوادر يقظة في المسلمين بنمو الادراك فيهم بأنهم اضطهدوا وخدعوا وأهينوا في ستار الثقافة والعلم ، والحضارة والتقدم والحرية ، وأنهم خسروا من قيم الحياة ، ومن شرف الانسان وحرية الذات ، واذيبوا في مصاهر مختلفة وتعرضوا للدعاية الحاقدة والتشويه بقوة السلاح في ظل نظم عميلة ، وطبقة مثقفة مأجورة ، فاقدة الضمير .

كان هذا الشعور قد تطور خلال سنين طويلة من الارهاب والاضطهاد والموقف المعاند للاسلام والمسلمين في سائر أنحاء العالم وحملة الدعاية الكاذبة للنمط الاسلامي للحياة وطبيعة الاسلام ، وتصوير المسلم تصويرا يخيف الانسان بشكله وبنواياه ، وبطريقة حياته ، بحيث أنه لو سمح له بأن يتحكم في أمور الحياة فانه سيعود بها إلى عهد الهمجية ويريق الدماء ، ويسلب حرية الانسان ويمحو آثار الحياة ، وتعود الحياة إلى عهد الجمال والرمال وتلقي سائر الفلسفات والمذاهب الفكرية والعقائدية وذخائرها في البحر أو تحرق .

كان تصوير الاسلام والمسلمين هذا التصوير البشع ، الذي يتناقض مع تاريخ الاسلام ومع حياة المسلمين

تناقض النار والماء ، بأقلام رجال درسوا التاريخ والعلوم الأخرى ، ووصلوا إلى مناصب الاعلام والتربية والتثقيف بقلوب حاقدة ، مفعمة بروح الانتقام لتتلمذهم على جيل أساتذة كانت تحركهم وتحرقهم الدعاية الصليبية والصهيونية والوثنية ، التي نمت وتطورت خلال عهد انحطاط المسلمين وتداعي كيانهم ، وخلال العهد الأخير من الحكم الاسلامي في مختلف أجزاء العالم ، ظل الاسلام والمسلمون خلال هذه الفترة كلها في قفص الاتهام دينامفترى عليه .

فلما تصعدت الجهود لنهضة المسلمين نتيجة لما عانى المسلمون من إرهاب وتذليل ، وقهر وتشويه علمي ، وثقافي بأيدي الحكام الأجانب وأيدي المرتزقة من حكامهم المسلمين ، وحاول المسلمون أن يستعيدوا شرفهم وطالبوا بحقوقهم المدنية المشروعة في البلاد التي يعيشون فيها بموجب دستور البلاد ، وبدأوا نشاطات دستورية لرفع كلمتهم وليعيشوا كوحدة ذات شخصية ، بحقوق دستورية ، ويصونوا لغتهم وثقافتهم ، خافت القوى التي صورت الاسلام والمسلمين تصويرا بشعا ، أن يعود للاسلام مجده ، وأن يصفو جوه ، ويظهر وجهه النقي النزيه ، فتجذب إليه القلوب ، وتميل إليه النفوس ، ويصبح الاسلام دينا ونظاما للحياة ، يقبل عليه الناس بعد ما يئسوا من سائر الأنظمة والفلسفات التي اختلقها الغرب وفرضها على العالم بقوة السيف ، والدعاية والاعلام المضلل والتلفيق . . .

لقد خضعت الانسانية طويلا للصوص الانسانية ، لجبابرة مسحوا وجه الانسانية وداسوا شرفه في كل بقعة من بقاع العالم ، وجعلوه سلعة تباع وتشترى ، وعبدا مملوكا مسلوب الارادة لا يتمتع بحرية العقيدة ، وحرية الثقافة ، يفرض عليه حتى اللغة ويفرض عليه اللباس والعقيدة وتفرض عليه الأفكار ، فلا يستطيع أن يقول ما في قلبه بل يقول ما يعلمه حكامه ومعلموه فيعيش كالببغاوات .

أليس ما يحدث في المعسكر الاشتراكي ، وفي المعسكر الرأسمالي مثالا لاستعباد الانسان ، استعباده جسميا ، واستعباده روحيا وفكريا .

لقد استعبد الانسان اليوم في سائر أنحاء العالم نظم استبدادية بشعاراتها وفلسفاتها ، وظهر زيف هذه الفلسفات وانكشف الوجه الحقيقي لهذه النظم ودعاتها لمن مر بتجربتها .

فلما نما الشعور والاتجاه الاسلامي في العالم ، وظهر على الأفق بريق جديد ، بشائر طلوع فجر جديد بعد ظلام حالك طويل ، وظهرت في بعض أنحاء العالم مؤشرات إلى هذا الاتجاه تجمعت القوى المعادية لصد هذا الزحف واستجمعت قواها وعبأت سائر وسائلها من الكيد ، والقمع ، والقوة ، لتحويل الانتباه ولوقف المسيرة الاسلامية ، ولارجاع عقارب الساعة إلى مطلع القرن الرابع عشر .

## الاعلام الاسلامي في مؤتمر جاكرتا

نشرت مجلة الهداية التي تصدر في دولة البحرين كلمة عن مشاكل الاعلام الاسلامي جاء فيها :

لا شك ان انعقاد هذا المؤتمر الاسلامي العظيم وفي هذه الظروف بالذات كان اختيارا موفقا لاسيما والحملات الاعلامية العدائية في عالم الغرب تتصاعد يوما بعد يوم ، تظهر مدى ما يضمره اعداء الاسلام من حقد وطعن في عقيدتنا السمحاء هدفها تشويه مبادئها القومية والتشهير بالمسلمين .

فلقد تضافرت قوى الشر والطغيان من صليبية حاقدة وصهيونية ماكرة او شيوعية فاجرة للتصدي للمد الاسلامي الزاحف والوقوف أمام الحركات الاسلامية المتمثلة في هذا الوعي الاسلامي الذي شمل العالم شرقه وغربه .

اجل : التصدي لكل المحاولات الهدامة والحملات العدائية الظالمة من جهة ومن اجل دعم العمل الاسلامي في كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

وادراكا لاهمية هذا المؤتمر وجدواه فقد بادرت رابطة العالم الاسلامي بوضع الترتيبات والاتفاق مع جمهورية اندونيسيا المسلمة وهي المحاصرة بين قيادات مضادة وتتناوشها الديانات المختلفة والموجهة الى العالم الاسلامي خاصة من قبل اعداء الاسلام الذين يعملون دائما من اجل قلب الحقائق والتشنيع على المسلمين والتشويه على الرأي العالمي بترويج ترهاتهم وارجافاتهم للنيل من الاسلام والمسلمين .

واستجابة لمقررات المؤتمر التمهيدي للصحافة الاسلامية الذي انعقد في قبرص من شهر رجب ١٣٩٩هـ ( يونيو ١٩٧٩ ) والتي نصت على انشاء امانة مؤقتة للصحافة الاسلامية في مكة المكرمة يكون احد مهامها الاعداد للمؤتمر الأول للاعلام الاسلامي .

وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى فقد عقد في جاكرتا المؤتمر الأول للاعلام الاسلامي العالمي الذي بدأ اعماله من صباح يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر شوال عام ١٤٠٠ هجرية الموافق ١ سبتمبر سنة ١٩٨٠م .

ويشاء العلي القدير ان يأتي هذا الاجتماع التاريخي الهام مع قرب مطلع القرن الخامس عشر الهجري وبعد ان اكتمل لوسائل الاعلام كافة امكانيات الاتصال المتقدمة لربط العالم الاسلامي فنيا . وتسهيل انتقال الكلمة والصورة وتحقيق التقارب والتفاهم والتعاون والاتصال .

وامام هذه المؤامرات والتحديات يفرض علينا واجبنا ان نعمل سويا ونتضامن ونقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص وان نكرس الجهود لوضع اسس لاستراتيجية اعلامية اسلامية تقوم على اسس علمية سليمة مستمدة من مبادىء عقيدتنا القويمة .

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

| | | |
|---|---|---|
| مصر | : | القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء . |
| السودان | : | الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب ( ٣٥٨ ) |
| ليبيا | : | طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر . |
| المغرب | : | الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع . |
| تونس | : | الشركة التونسية للتوزيع . |
| لبنان | : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) |
| الاردن | : | عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) |
| السعودية | : | جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : ( ٤٧٧ )<br>الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : ( ٧٦ )<br>الطائف : مكة المكرمة :<br>برحة نصيف / مكتبة جدة<br>المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| مسقط | : | المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١) |
| البحرين | : | دار الهلال . |
| قطر | : | دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ . |
| ابو ظبي | : | مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩) |
| دبي | : | مكتبة دبي . |
| الكويت | : | شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧) |

**ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

# إقرأ في هذا العدد



## صورة الغلاف

مسجد قباء بالمدينة المنورة

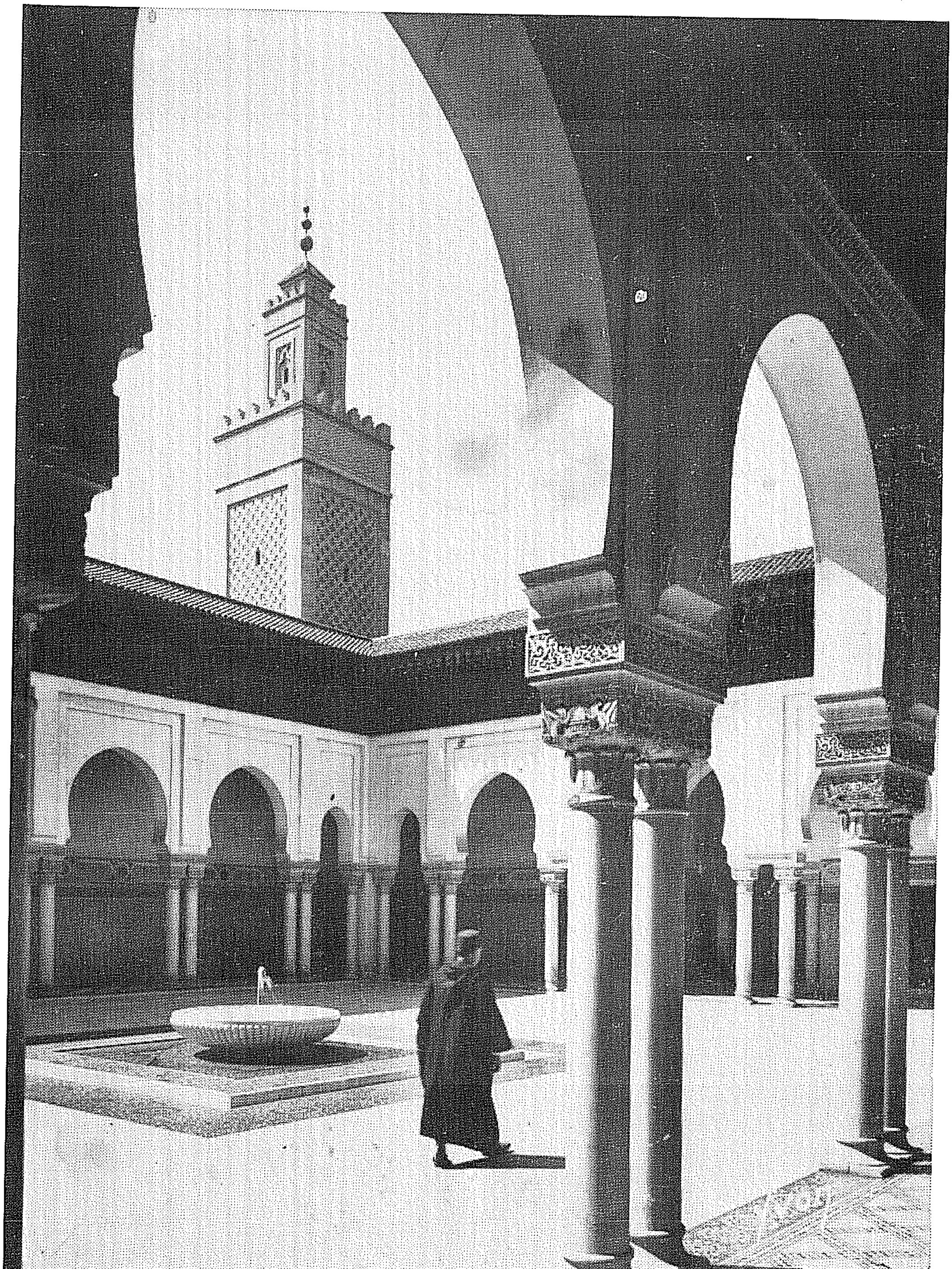
طباعة مؤسسة دار السياسة — الكويت —

هدية العدد : براعم الإيمان

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية





من روائع فن البناء الاسلامي

« مسجد باريس ـ فرنسا »

# الوعي الاسلامي

**AL-WAIE AL-ISLAMI**

**KUWAIT P. O. BOX: 23667**

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٤ ● صفر ١٤٠١ هـ ● ديسمبر ١٩٨٠ م


## هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١




## ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

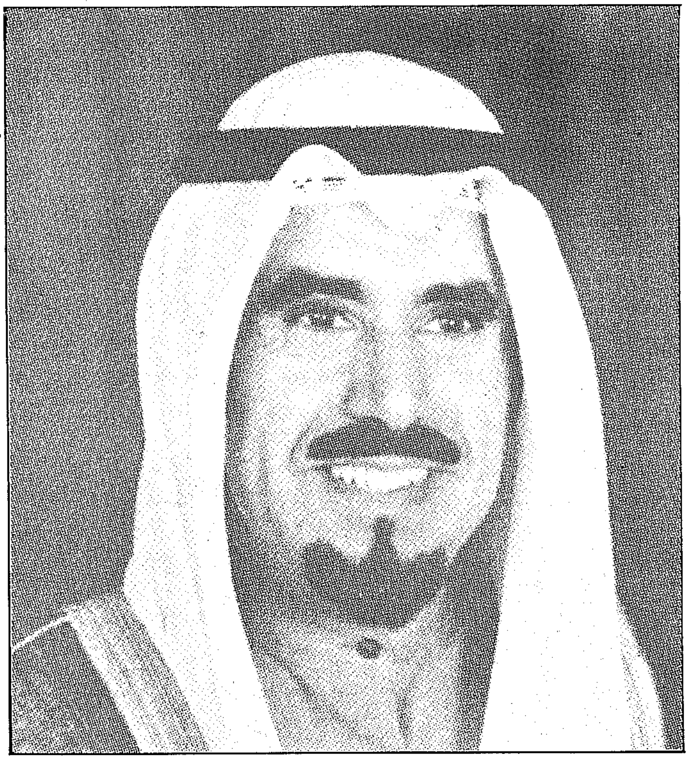
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

# كلمة سمو الأمير إلى العالم الإسلامي

وجه حضرة صاحب السمو أمير البلاد كلمة إلى المسلمين أمس بمناسبة مطلع القرن الهجري الخامس عشر دعاهم فيها للعودة إلى كتاب الله والاعتصام بحبل الله على مستوى الدولة الواحدة ومستوى العالم الاسلامي على اتساعه .

وقال سموه في كلمته إن تأليف القلوب نعمة أغلى من كل ما في الارض وثمرة عزيزة من ثمار الايمان .

ودعا سموه ـ حفظه الله ـ الى إنشاء محكمة عدل اسلامية تكون حكما وقاضيا ومصلحا بين المسلمين ، كما دعا الى التمسك بالشورى استجابة لأمر الله .



○ وفيما يلي نص كلمة صاحب السمو أمير البلاد :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

اخواني أبناء وطني :
أحييكم في مطلع القرن الخامس عشر الهجري . وهي مناسبة عزيزة على المسلمين جميعا . ونتوجه الى الله سبحانه بالدعاء ان يتم نعمته فيعز الاسلام ويهدي المسلمين الى طريق الخير والصواب .

لقد كانت الهجرة نقطة الانطلاق بدعوة الاسلام ليعم نورها أرجاء الارض كافة كما كانت مرحلة فاصلة في تاريخ الانسانية اعطتها عقيدة خالدة وحضارة عالية رائعة وقيما في الروح والفكر والخلق هي التي تمنح الانسان انسانيته .

يدعونا الله الى الايمان به فيقول سبحانه « قل هو الله احد » . والى الاخوة والمساواة في قوله سبحانه « انما المؤمنون اخوة » يأمر بالعدل بين الناس في قوله سبحانه « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي » ، والى الدعوة الى العلم والتفكر في قوله سبحانه « هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون » . والى التوجيه نحو العمل والانتاج في قوله سبحانه « وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى » .

والى بناء القوة دفعا للطغيان في قوله سبحانه « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

اخواني :

أول ما يجب علينا في هذه المناسبة ان نشكر الله سبحانه على ما انعم به علينا من ايمان في قلوبنا . وخير في ارضنا . ومودة فيما بيننا . وان نذكر آباءنا وما تحملوه من اجل بناء هذا الوطن العزيز واسفارهم في البر والبحر . ودفاعهم عن الارض ، وتماسكهم في السراء والضراء . لم يخفضوا جبينهم الا لله تعالى ، عابدين يبسطون ايديهم بالخير ويملأون ايامهم بالعمل ويرجون تجارة لن تبور ، وبذلوا من الجهود ما استطاعوا به ان يحققوا لوطننا امنه واستقلاله .

كان القرن الهجري الماضي حافلا باحداث كبيرة في عالمنا الاسلامي ، فقد شهد مولد كثير من دوله بعد ان كانت تحت سيطرة استعمار اجنبي ، وجاء هذا ثمرة كفاح طويل شاركت فيه اجيال متعاقبة قدمت للدين وللاوطان ثمار الفكر وجهد السواعد ودماء الشهداء وزينة الحياة من المال والولد ، وتطلعت شعوبنا بعد استقلالها الى بنائها الداخلي وتوثيق الروابط فيما بينها ، وكانت في هذا تحقق معنى اساسيا من معاني الهجرة التي نحتفل الان بذكرياتها ، فالهجرة جهد منتظم يجمع بين الايمان والعلم والتخطيط لينقل المجتمع الى وضع اعلى هكذا صنع الرسول عليه الصلاة والسلام والذين معه هاجروا من مكة حيث كان الاسلام عقيدة من غير ارض الى المدينة حيث الاسلام ارض وعقيدة ونظام ، ومن دولة الاسلام في المدينة عاد ليحرر مكة من عبادة الاوثان ، وليتخذ من الجزيرة العربية قاعدة ينطلق منها نوره رحمة للعالمين .

ولكننا على هذه السيرة ــ كمسلمين ــ اصبنا احيانا وتعثرنا

احيانا اخرى ـ حققنا استقلالا سياسيا ولكن شابه اخطار منها الصراعات التي قامت بيننا احيانا على مستوى الدولة الواحدة واحيانا بين الدول الاسلامية . ومنها قيام الكيان الاسرائيلي في قلب ارضنا واستيلاؤه على الارض والمقدسات .

ولا شك في ان العالم الاسلامي قد حقق جوانب من التقدم في مجالات حياته جميعا ، ولكن هذا التقدم يهدده نزيف لاسبيل الى ايقافه الا بأسلوب جديد نستقبل به المشكلات مع مطلع القرن الهجري الجديد ، ولنعد الى كتاب ربنا نسأله حلول مشكلاتنا .

ان الله جلت قدرته يقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » . وهذا الاعتصام على مستويات عدة ابرزها مستوى الدولة الواحدة ومستوى العالم الاسلامي على اتساعه .

ويخاطب الله تعالى نبيه الكريم فيقول : « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » ، فاعتبرت الاية الكريمة تأليف القلوب نعمة اغلى من كل ما في الارض ، وثمرة عزيزة من ثمار الايمان ، نراه في صف الصلاة ، كما نراه في صف الحياة ، وصف الجهاد ، يجمع المسلمين في امر دينهم ودنياهم .

ولكن ليس هناك وطن يخلو من مشكلات ، بل ان في تكوين كل وطن بذورا من المتناقضات ، ولن نستطيع ان نقول عن اي وطن انه صورة النقاء في عناصر تكوينه ، كل امة حصاد تاريخ طويل من الالتقاء الحضاري والديني والفكري والعنصري قلت درجته او كثرت ، وليس امام اي امة الا ان يعيش ابناؤها في اطارهم الوطني في مودة وسلام وامان .

لقد ظلت الكويت قرونا دار امن واخاء وسماحة بريئة من التعصب عاش ابناؤها معا ، وخاضوا البحار معا ، فوق ارضها الطيبة يعملون ، ومن اجل سلامتها يجاهدون ، وفي ثراها بعد الحياة يرقدون ، ومنها يوم القيامة يبعثون .

ان توفير هذا الامان مسؤوليتنا جميعا ، وان فهم هذه الحقائق والسير عليها بتعاوننا وتعاضدنا لن يدع لنزعات التفرقة مجالا تهدد به وحدتنا الوطنية ، ان امن وطننا واجب مقدس في اعناقنا جميعا ، وليس منا من يسمح لاي يد ان تمسه بسوء .

فاذا انتقلنا الى مستوى العالم الاسلامي ، ومع اننا كمسلمين نتجه

في صلاتنا الى قبلة واحدة ونعبد ربا واحدا ، نبينا واحد ، قرآننا واحد ، فقد رفع بعضنا السلاح في وجه بعض والقاتل والمقتول ابناء دين واحد ، واحيانا ابناء وطن واحد . يدعونا الاذان الى الصلاة فنولي وجوهنا شطر المسجد الحرام ويدعو داعي الصراع فنسفك الدم الحرام .

وكم تقاتل المسلمون من قبل ، فماذا جنوا من وراء ذلك ؟ .. لقد اضاعوا بالصراع الداخلي اجزاء عزيزة من ارض الاسلام ، فخرجوا منها ولم يعودوا ، وانهكوا قوى اجزاء اخرى تأخرت بعد تقدم ، وأورثوا الابناء ثارات واحقادا ، حتى استعان بعضهم بالعدو على الشقيق والجار ،.. قرون مضت ودماؤنا تسيل باسلحتنا ، فهل نأمل متعاونين في مطلع القرن الهجري الجديد ان نضمد جراح الاسلام ، وندخر دمه ، فلا تبذل القطرة منه الا باغلى اثمانها دفاعا عن العقيدة والوطن .

ان الله سبحانه وتعالي يصف المؤمنين بقوله « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون » .

وفي العالم الاسلامي الان اتجاه مبارك نحو تطبيق الشريعة الاسلامية ، وعسى ان تمتد هذه الجهود لتشمل العلاقات بين هذه الدول ، ويرى القرن الهجري الجديد محكمة عدل اسلامية نرتضيها بيننا حكما وقاضيا ومصلحا ، وتكون خطوة ايجابية نحو املنا الكبير في تحقيق قوله تعالى « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

اخواني ..

يقول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والخطاب الالهي موجه الى المسلمين جميعا ، وعليهم ان يترجموه الى حياة نابضة بالتقدم والخير .

ونحن نحتفل بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، نتذكر هديه في تطبيق الاسلام ، ففي الوقت الذي كان يعني فيه بعالمية الدعوة الاسلامية ، كان يعني بتكوين مجتمع المدينة ، ويضع اسس الدولة الجديدة ، ويبني الاسرة والفرد .

وينزل عليه الوحي بقوله تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » . وبقوله تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » .

لقد وصف ربنا جل وعلا المؤمنين بقوله « وامرهم شورى بينهم » ، فالشورى في الاسلام تطبيق للايمان ، وحين نتمسك بها نستجيب اولا

لامر الله الذي عشنا على اتباعه ، وقد تطورت اساليب الشورى بين دولة واخرى ، وهي احدى الوسائل التي تلتقي مع وسائلنا الاخرى في السعي الى غاية نعمل لها جميعا ، هي المحافظة على الكويت وتجنيبها اي خطر ، وحمايتها من اي طامع لينعم اهل الكويت في كويتهم ، يحمونها وتعطيهم ، يدافعون عنها وتحتويهم ، ناشرة لواءها على كل من هم في ارضها ليكونوا يدا واحدة قوية متماسكة تعمل باخلاص لتجني ثمرة اخلاصها .

اخواني ..

يأتي اتساع المسؤولية التي علينا وعلى ابنائنا ان يحملوها في هذا القرن الجديد . وقد جمع الله تعالى لها من مصادر القوة البشرية والطبيعية في العالم الاسلامي ما لم يتجمع بعد الانطلاقة الاولى في عهد الرسالة النبوية .

واذا كانت هذه المصادر خيرا من الله تعالى وعطاء . فهي اختبار لنا على المستوى الوطني والاسلامي . يدعونا الى مزيد من العناية بالاجيال الشابة التي ستحمل هذه المسؤوليات . وعدتها في ذلك :

ـ إيمان بالله دون تعصب ينهي عنه الاسلام .
ـ وفاء لوطن سعادتهم سعادته وامنهم امنه .
ـ وحب للعلم يدعوهم الى متابعة الدراسة والاطلاع .
ـ قدرة على الابتكار والتصرف في المواقف ومقابلة التفتح على كل جديد دون انطواء عنه او ضياع فيه .

ان اعداد شبابنا للمستقبل هو افضل انواع الاستثمار وستكون قلوب شبابنا وعقولهم اكبر ارصدتنا في القرن الهجري الجديد .

ان المسلمين في مطلع هذا القرن الجديد ينتشرون بصورة غير مسبوقة في قارات الارض جميعا ، يحملون كلمة الاسلام ، والاسلام حق وعدل وسلام ، وهذه الثلاثة من اسماء الله الحسنى وبها ندعوه .

الى هؤلاء الاخوة في جميع بقاع الارض ، الى الشعوب والحكومات الاسلامية ، الى كل محب للخير عامل له ، الى اخوتنا في الانسانية ، ابعث التحية باسم الكويت في مطلع القرن الهجري الجديد داعيا الله جلت قدرته ، ان يجعل اعوامه اعوام حق وعدل وسلام .

« يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا . فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما .

« صدق الله العظيم »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

احتفال

وزارة الأوقاف

والشئون الإسلامية

بالعام الهجري

الجديد

وبداية

القرن الخامس عشر

اقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية احتفالا اسلاميا كبيرا في مسجد فاطمة بالضاحية كان في طليعة الحاضرين فيه سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله ، ووزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي ، ووكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والوكلاء المساعدين وعدد من الشخصيات الاسلامية واعداد غفيرة من المسلمين وذلك بمناسبة حلول مطلع القرن الخامس عشر الهجري وقد حيت الكلمات التي القاها كل من وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والدكتور عبدالعزيز كامل والدكتور خالد المذكور والشيخ محمد الغزالي والرائد محمد الحشاش مطلع القرز الخامس عشر وحثوا به المسلمين على ترجمة القول الى العمل في حياتهم اليومية لنصرة الدعوة الاسلامية هذا وقد بدأ الاحتفال بتلاوة من الذكر الحكيم ، واستهل الحفل بعد ذلك بكلمة لوزير الأوقاف والشؤون الاسلامية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ــ الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد ،

ففي هذه الليلة المباركة يهل هلال شهر محرم ١٤٠١ هجرية وبه يبتدىء قرن جديد في عمر الدعوة الاسلامية يبتدىء القرن الخامس عشر الهجري .

وفي ذكرى الهجرة المحمدية من كل عام كنا في مثل هذه الليلة نودع عاما مضى بما فيه من أحداث وعبر ونستقبل عاما جديدا بالأمل والرجاء .



وعاشت ظروفا صعبة وقاسية وأشرق نور الاسلام في جميع الآفاق وأطل التاريخ على كتائب الحق وهي تعلي كلمة الله وتملأ سمع المعتدين بأن الحق امضى سلاح وان حظ الطغيان خاسر وانه على الباغي تدور الدوائر . فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

أيها الاخوة المؤمنون :

بعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة اقام الدولة الاسلامية على أسس قوية نحن احوج ما نكون الى الاهتداء بها وخاصة في أقسى مراحل تاريخنا الطويل ، بادر صلى الله عليه وسلم بانشاء مسجد قباء في ضاحية المدينة ومسجده داخل المدينة لاقامة الصلاة

واظهار شعائر الاسلام التي حوربت في مكة وصار المسجد مركز اشعاع روحي ومدرسة علمية اخلاقية وكان في المسجد مجلس الشورى وعقد المفاوضات ومركز تحرك الجيوش ومحكمة القضاء بما أنزل الله وفي رحابه تعهد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأدب السماء ورباهم على منهج الله ، في المسجد ثقف الهداة وأعد الغزاة وخرج للتاريخ أعظم رجال .

ثم بادر صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بين الأنصار وأزال الأحقاد والعصبيات التي كانت تحكم العلاقات بين الأوس والخزرج عهدا طويلا ذهبت فيه ريحهم وضاعت في متاهاته أموالهم ولعب اليهود بمصيرهم وقد ساعدت هذه المؤاخاة على تجاذب هذه القبائل وترقيتها من النواحي الفكرية والعقلية على أساس من مبادىء الدين الحنيف وقد ألف الله بين قلوبهم ونزعوا الى السلام والمحبة ثم آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار فتراحم الأنصار على هذه الأخوة وأكرموا اخوانهم المهاجرين وكانت عواطف الايثار والحب تمتزج في هذه الأخوة وتملأ المجتمع الجديد بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الفاضلة وكانت هذه المؤاخاة ركيزة العمل لبناء الدولة الاسلامية على الحب وسلامة الصدر ، قال تعالى :

( والذين تبوآوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) .

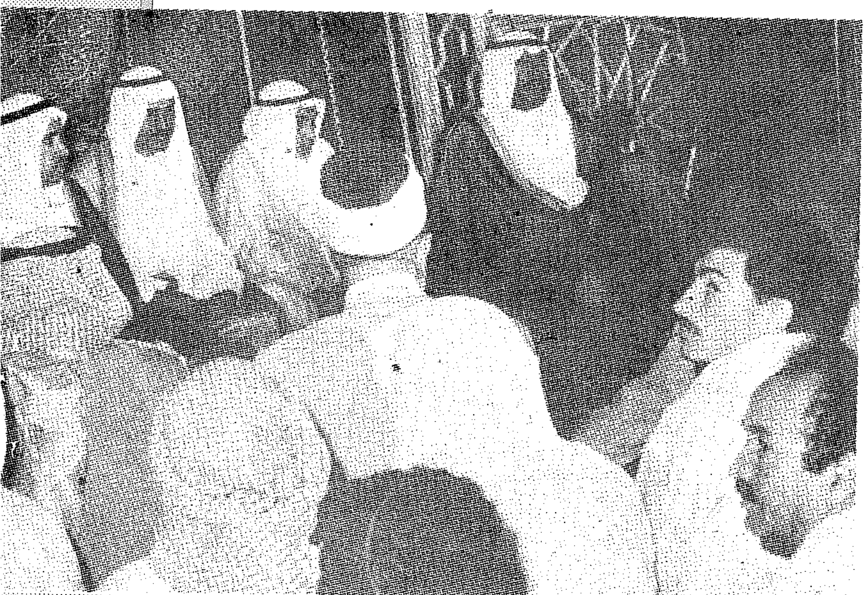
أيها الأخوة المؤمنون :

مع اطلالة القرن الخامس عشر الهجري يجب ان نأخذ أنفسنا بدروس الهجرة وعبرها وان نحاسب أنفسنا على التفريط في الماضي وان نصلح حاضرنا بوحدة الصف وجمع الكلمة والحكم بما أنزل الله .

ان الأمل في الله كبير ان ينصر الاسلام والمسلمين ويؤيد كلمة الحق والدين وان يجعله قرنا مباركا في تاريخ المسلمين وان يهدينا جميعا الى الحق والخير والى صراط مستقيم أعاد الله هذه الذكرى بالتحرير الشامل الكامل لأرضنا ومقدساتنا وهدانا جميعا الى ما يحبه ويرضاه .

وختاما نغتنم هذه المناسبة الكريمة والذكرى العظيمة لنبتهل الى الله العلي الكريم ان يعيد هذه الذكرى وقد التأم شمل المسلمين وتوحدت كلمتهم ونصروا على اعدائهم ، كما ازف التهنئة المباركة الى حضرة صاحب السمو امير البلاد والى سمو ولي عهده والى المواطنين والمسلمين في كل مكان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..



ولكننا في حفلنا هذا نستقبل مع المسلمين في كل مكان قرنا هجريا جديدا ونودع قرنا مضى اثقلته الاحداث والآلام حيث نال الأعداء فيه ما نالوا من كرامة المسلمين وعزتهم .

وحري بنا جميعا ونحن بين فاصل زمني من تاريخنا أن نستقبل القرن الجديد بالعزم والتصميم على تدارك أخطاء الماضي وتصحيح المسيرة كما أمر الله استجابة لقوله سبحانه وتعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ) .

في مطلع هذا القرن الجديد لابد للمسلمين من وقفة عند المعالم الواضحة على طريق الهجرة المحمدية ليستخلصوا منها دروسا تنفعهم في حاضرهم وهم يمضون الى غايتهم المقدرة .

وإذا كانت الأمة المسلمة في شرق الدنيا وغربها تحتفل بذكرى الهجرة المحمدية فانها لا تسعد بهذه الذكريات إذا اقتصرت على خطب تذاع أو مقالات تنشر من غير ان يكون لها تأثير في واقع المسلمين وحاضرهم ، وإنما يسعد المسلمون بها اذا استفادوا من أحداثها وتأثروا بناتجها وايقنوا ان النصر يتحقق بالايمان المالك للقلوب وبالصبر الذي تذلل به الصعاب وبالاخلاص الذي يربط الانسان بربه وبأخيه الانسان .



● سمو ولي العهد مع كبار
المدعوين داخل مسجد فاطمة

ايها الاخوة :

ان الهجرة في ذاتها بعث للايمان في نفس كل مسلم ودعوة صادقة الى العزة والكرامة وعدم الرضا بالاستسلام لسلطان القهر والطغيان وان العقيدة تهون في سبيلها كل التضحيات .

ومما لا شك فيه ان الهجرة القلبية سبقت الهجرة البدنية ، بالقلوب المؤمنة التي شرحها الله للحق هجرت ما كان عليه القوم من عقائد فاسدة حين سادت عبادة الاصنام وحين كان المجتمع الجاهلي يعاني الكثير من الحيرة والضياع ويتورط في الفسوق والعصيان في هذا الجو الفاسد هاجرت قلوب المؤمنين الى التوحيد البريء والاخلاص النقي والسيرة العطرة في السلوك والأخلاق والمعاملة .
وكانت هذه التربية الايمانية على يد محمد صلى الله عليه وسلم أساسا في الاعداد لحادث الهجرة وما صاحبه من تضحيات وبطولات وصبر وتحمل بصورة أدهشت العالم على امتداد أربعة عشر قرنا من الزمن .
وهكذا بانتصار الايمان على حب الحياة والمال والجاه من أهم عناصر النجاح للهجرة وتغير مجرى الدعوة التي ظلت حبيسة في مكة

# حُكمُ المرتدّ عن الاسلام

الاسـلام الحنيـف في صورتـه الأخيرة التي أوحى الله بها إلى رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوم على الحجة والبرهان . والمسلم مكلف بأن يدعو أهل الكتـاب من يهـود ونصارى الى الاسلام كمـا يدعـو الملحدين والوثنيين سواء . ولا يكره أحدا على اعتناقه بأي نوع من أنواع الاكراه ، لأن منهجـه ـ عقيـدة وشريعة ـ يأبى ذلك ، وقد قال الله تعالى : ( **لا إكراه في الدين قد تبين الرشـد من الغـي فمـن يكفـر بالطاغـوت ويؤمـن باللـه فقـد استمسـك بالعـروة الوثقـى لا انفصام لها والله سميع عليم** ) . ومنذ بزغت شمس الاسلام والدعوة إليه قائمة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما أمر الله تعالى رسوله في قوله : ( **أدع إلى سبيل ربـك بالحكمـة والموعظـة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلـم بالمهتديـن** ) . وغيـر المسلمين يعيشـون في المجتمعـات الاسلامية ، لهم عهد اللـه وعهـد رسوله ، وعهد جماعة المسلمين ان يعيشوا في كنف المجتمع الاسلامي آمنين مطمئنين ، ولو كان هناك إكراه على تبديل الدين لما شرع الاسلام عقد الذمة ، وهو عقد يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم وإلزامهم أحكام القانون الاسلامي في غير الشؤون الدينية .

وبهذا الطريق الاختياري البحت الذي ارتضـاه الاسـلام لاعتنـاق منهجه ، لا يقبل الاسلام ممن دخل فيه أن يرتد عنه إلى أي نحلة او مذهب . فاذا ارتد مسلم عن إسلامه

كانت عقوبته القتل ومصادرة ثروته . لأن جريمة الردة تقع ضد النظام الاجتماعي للأمة الاسلامية ، فالتساهل مع مرتكبها يؤدي إلى زعزعة هذا النظام ، فوجب أن يستأصل صاحب هذه الجريمة من المجتمع ، حماية للنظام الاجتماعي من ناحية ، وزجرا عن جريمة الردة من ناحية أخرى .

والواقع أن المرتد عن الاسلام يرتكب جريمتين الأولى هي تحلله من التزامه ، لأن المسلم باسلامه يكون قد التزم بأحكام الاسلام ومقاصده ، فاذا ارتد عنه يكون هذا منه إخلالا بالتزامه . ومن المقرر في القواعد القانونية أن الاخلال بالالتزام يستحق عقوبة وجزاء . والجريمة الثانية إعلانه للارتداد ، لأنه إذا لم يعلن ارتداده كان منافقا لا يعرف ، ومن ثم عوقب على جريمته بأشد أنواع العقوبات وهي القتل ، كتشريع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في قوله ( من بدل دينه فاقتلوه ) .

وأكثر الدول اليوم تحمي نظامها الاجتماعي بعقوبة الاعدام ــ أي القتل ــ لمن يخرج على هذا النظام أو يحاول هدمه ، أو إضعافه ، وهي العقوبة ذاتها التي فرضتها الشريعة الاسلامية لحماية النظام الاجتماعي الاسلامي .

وقد بين الله تعالى في كتابه أن من يرتد عن الاسلام ــ وقد ذاقه وعرفه ــ تحت مطاردة الأذى والفتنة : محبط للعمل في الدنيا والآخرة ، ومصيره الخلود في النار قال تعالى : **( ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )** . والتحذير الذي تحمله هذه الآية قائم إلى آخر الزمان . ليس لمسلم عذر في أن يترك دينه ويرتد عن إيمان وإسلامه ، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه .

**والمرتد عن الاسلام يستتاب ويمهل ثلاثة ايام فاذا اصر على جريمته عوقب بالقتل أيا كان معتقده وأيا كانت النحلة التي انتحلها بعد ردته : فالزعم بأن من خرج من الاسلام ودخل النصرانية أو اليهودية ليس بمرتد تنطبق عليه أحكام الردة ، لأن ثمة شبهة إيمانية بدين سماوي . زعم باطل ينبعث إما عن الجهل برسالات الله إلى خلقه ، وإما عن الجحود لآيات الله ظلما واتباعا للأهواء والشهوات ..**

ذلك أنه بعد نزول الاسلام أصبح

هو الدين عند الله ، وليس هناك دين غيره يعترف به الاسلام ، لأن الله تعالى يقول :( **ان الدين عند الله الاسلام** ) ويقول : ( **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ) .

لقد قرر الله تعالى في كتابه الكريم : أن أهل الكتاب ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم ، وحتى يدخلوا في الدين الخاتم تبعا لهذه الاقامة كما هو بديهي من دعوتهم إلى الايمان بالله والنبي في المواضع الأخرى المتعددة . قال تعالى : ( **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين** ) .

**كما بين الله تعالى الدين الذي يقبله من الناس أيا كان وصفهم** قال تعالى . ( **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) . فالآية تقرر أن من آمنوا بالله واليوم الآخر أيا كانت نحلهم ، وعملوا صالحا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ومفهوم ضمنا في هذا الموضع ، وتصريحا في مواضع اخرى أنهم فعلوا ذلك على حسب ما جاء به الرسول الأخير . وما فهم ضمنا يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة ، فمن بديهيات عقيدة الاسلام ان محمدا هو خاتم النبيين ( **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ) وانه أرسل إلى البشر كافة ( **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ) .

وأن الناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم مدعوون الى الايمان بما جاء به في عمومه وتفصيلاته ، وأن من لا يؤمن به رسولا ، ولا يؤمن بما جاء به إجمالا وتفصيلا ضال لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين ولا يدخل في مضمون قوله تعالى ( **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) .

ولقد أخذ الله موثقا جليلا ، كان هو شاهده ، وأشهد عليه رسله ، موثقا على كل رسول أنه مهما آتاه من كتاب وحكمة ، ثم جاء رسول بعده مصدقا لما معه أن يؤمن به وينصره ويتبع دينه . وهذا الميثاق بين أن كل نبي ليس له مأرب خاص في مهمته ، وإنما هو عبد اختاره الله للتبليغ .. والله سبحانه وتعالى هو الذي ينقل خطى دعوته من رسول إلى رسول ، ويخلص دين الله ــ بهذا الميثاق ــ من كل عصبية ذاتية .

وفي ظل هذه الحقيقة يبدو الذين يتخلفون من اليهود والنصارى عن الايمان بخاتم النبيين ومناصرته وتأييده تعصبا لانفسهم في صورة التعصب لديانتهم ، مع أن ديانتهم تدعو إلى الايمان به ونصرته ، يبدون خارجين عن تعليم أنبيائهم وعن عهد

الله معهم . قال تعالى : ( **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون** ) .

وقد كان أهل الكتاب يلجأون إلى طريقة ماكرة لئيمة ، ليوقعوا ضعاف العقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم في بلبلة واضطراب ، وخاصة العرب الأميين الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب ، فاذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون حسبوا انهم ارتدوا بسبب اطلاعهم على نقص في هذا الدين . وحكى الله طريقتهم في قوله : **( وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم )** وما تزال هذه الخدعة تتخذ إلى اليوم في صور أخرى أظهرها اتخاذ عملاء في صورة اساتذة وفلاسفة وأدباء وباحثين وصحفيين ، يحملون أسماء المسلمين . مهمتهم خلخلة العقيدة في نفوس المسلمين بشتى الطرق ، والتهوين من شأنها والدعوة الى تركها . وإبعادها عن مجال الحياة ، وسحق القاعدة الخلقية التي تستوى عليها العقيدة التطبيقية وهم بحالهم هذه ومحاولاتهم الآثمة يفعلون مثل اهل الكتاب الذين كان يقول بعضهم لبعض تظاهروا بالاسلام أول النهار واكفروا آخره لعل المسلمين يرجعون عن دينهم !!

( وبعد ) **ألم يسمع اولئك الذين يزعمون أن من خرج من الاسلام إلى النصرانية أو اليهودية لا يعتبر مرتدا قول الله تعالى ( قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون )** ثم ألم يسمعوا قول الله تعالى : **( ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون )** حتى يعودوا إلى رشدهم ويعلموا أن من تولى عن الايمان برسالة الاسلام في صورتها الأخيرة على يد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **فقد تولى عن دين الله كله وقد خاس بعهد الله كله ، وان المرتد عن الاسلام مرتد عن الدين إلى غير دين أيا كانت النحلة التي يرتد إليها .**

**عقيدة أصلها من الله ثم حرفت ليكتم ما فيها من حق ، أو عقيدة أصلها وثني وباقية على وثنيتها ، أو إلحاد ينكر رسالات الله إلى خلقه ؟؟**

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

# الحديث النبوي والقرآن الكريم

للدكتور / محمد الاحمـدي أبـو النور

للحديث النبوي مع القرآن الكريم وظيفتـان رئيسيتـان : الأولى هي الاعلام ببعض التشريعات التي لم يرد النص عليها في القرآن والتي يتم بها التشريع ، ويتكامل بها الاسلام .
والثانية هي تيسير فهم القرآن ببيان آياته وتوضيح غاياتـه ، وتحديـد مفاهيمه وتفسير أحكامه .

فأما ان للحديث النبوي دوره في الاعلام ببعض التشريعات وفي إتمام الرسالة الاسلامية ، فلأن الحديث النبوي الذي يبلغ به التشريـع او يستكمل به الدين موحى به من قبل الله عز وجل ولهذا قال تعالى ـ عما يتحدث به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال : ( **وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى** ) النجم / ٣،٤ .
كما قال صلى الله عليه وسلم : » ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » رواه ابو داود والترمذي باسناد حسـن والمماثل للقرآن هو السنة التي أوحى بها مع القرآن ، وبلغها لنا النبي صلى الله عليه وسلم بحديثـه القـولي ، وتطبيقه العملي ، وسلوكه الرائـد ، وهي المشار اليها بالحكمة في قوله تعالى : ( **واذكروا نعمة الله عليكم ومـا أنـزل عليـكم من الكتـاب**

**والحكمة يعظكم به )** البقرة / ٢٣١ .

ومماثلة السنة للقرآن في أمرين :

الأول : كونها وحيا كالقرآن .

والثاني : كونها أمرا واجب الاتباع كالقرآن .

وحين يحدث النبي صلى الله عليه وسلم بتشريع أي بتحليل أو تحريم أو إباحة ـ مثلا ـ لأمر لم يرد في القرآن الكريم ، فهو حينئذ ـ لا يحدث عن ذاته وانما يحدث عمن اليه التشريع وهو الله عز وجل ، لأن النبي مبلغ وليس مشرعا ، إذ التشريع مقتضى الألوهية والربوبية فالمشرع هو الله وحده .

ولقد قال تعالى : **( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا )** المائدة / ٤٨ . وبهذا او ذاك أبان سبحانه أن المشرع في الأصول والعقائد ، وفي الفروع والأحكام انما هو الله وحده .

وإذن فالوظيفة الأساسية الأولى للرسول انما هي البلاغ ، والاعلام بالأحكام والتشريعات عن الله عز وجل ، وهذا أمر يتجلى حتى في حال حكمه ـ عليه السلام ـ بين الناس .

إنه لا يحكم برأيه الشخصي ، انما يحكم بما أنزل الله عليه وبما يلهمه الله اياه وذلك ما ينبىء عنه قوله تعالى : **( وأن حكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله )** سورة المائدة / ٤٩ .

وقوله تعالى : **( انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله )** النساء / ١٠٥ .

الوظيفة الثانية للرسول هي بيان الكتاب الالهي وتفسيره .

وأما ان الوظيفة الأساسية الثانية للرسول صلى الله عليه وسلم هي البيان والتفسير للقرآن الكريم فذلك ما ينبىء عنه قوله تعالى : **( وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم )** النحل / ٤٤ . وذلك حتى لا تؤخذ الآيات القرآنية مأخذ الكلام البشري فيما يتعلق بتحديد المراد منها ، وتفصيل الحكم فيها بعد أن تكفل الله ببيان وحيه ، بقوله سبحانه : **( ثم إن علينا بيانه )** القيامة/ ١٩ .

وحقا لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، بيد أنه لا يكفي لبيان سوره وآياته ، أن يكون المرء متضلعا من علوم اللغة فاقها لأسرارها فقد يكون للكلمة معنى محدد في اللغة ، لكن مراد الله بها غير ما يتبادر الى الذهن بحسب اللغة ..

وقد يكون معنى الكلمة متعلقا بأمر غيبي كسدرة المنتهى ، والكوثر ، وعرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا .

وقد يكون الأمر في بعض الآيات محتملا لعدة احتمالات غير أن احتمالا واحدا هو الذي يتعلق به الحكم في الآية ، فأني لبشر أن يعين هذا الاحتمال أو يحكم بأن هذا هو المراد ولا شيء سواه ، مهما كان تمكنه من اللغة ، أو اقتداره على فهم أساليبها ؟

هذا فضلا عما يتعلق ببيان القرآن في الأحكام التشريعية ، والأعمال

السلوكية ، من تفصيل المجمل في مثل الصلاة ، والزكاة والحج وتقييد المطلق في مثل حد السارق ، وتخصيص العام في مثل قوله تعالى : **( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون )** الأنعام / ٨٢ ، مما لا يتسنى للاجتهاد البشري ـ مهما كان ـ أن يصول فيه أو يجول .

**الأدلة على ذلك :**

ويحسن بنا أن نتدارس مجموعتين من الأحاديث النبوية : اولاهما تتعلق بتشريع أمور لم يرد النص عليها في القرآن الكريم .

وثانيتهما تتعلق ببيان أمور يتوقف البيان فيها على إعلام من الله عز وجل

**المجموعة الاولى :**

من صحيح مسلم عن تشريع الرسول لأمور لم ترد في القرآن .

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تنكح العمة على بنت الأخ ، ولا ابنة الأخت على الخالة » .

٢ ـ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب » .

٣ ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع اخيه ، ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يذر » .

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت اليها ؟ قال : لا قال : فاذهب فانظر اليها ، فان في أعين الأنصار شيئا » .

٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أفلس الرجل فوجد الرجل عنده سلعته بعينها فهو أحق بها » .

فماذا تعطينا هذه الأحاديث من تشريعات وأحكام ؟ انها تعطينا الاحكام التشريعية التالية :

١ ـ تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بين المرأة وخالتها في عصمة واحدة ، او كما استنبط الفقهاء وقالوا : بين كل اثنتين لو قدرت احداهما ذكرا والأخرى انثى لم يجز » .

٢ ـ على المحرم بحج أو عمرة أن يعتبر نفسه في عبادة يحرم عليه أن يأتي بما ينافيها ، وعقد النكاح ، وخطبة المرأة من الأمور التي تتنافى مع الحج والعمرة ، زمن الاحرام بهما ، ومن هنا نهى عنهما النبي صلى الله عليه وسلم وسواء أكان عقد النكاح من المحرم لنفسه ، ام كان منه لغيره فكلاهما غير جائز وقتئذ .

٣ ـ اذا اتفق اثنان على إتمام صفقة تجارية بينهما فلا يحل لثالث أن يزيد في الثمن إغراء للبائع حتى يبطل اتفاقه مع الأول .
وكذلك اذا خطب خاطب فتاة ومال إليه آلها ، ووافقت ووافقوا لا يحل لمسلم أن يأتي أهل المرأة ليخطب فتاتهم على خطبتها لأخيه المسلم ، ذاكرا لهم من المزايا والاغراءات ما يجعلهم يصدفون عن الأول ليتموا زواجها به هو .
وذلك التحريم للبيع على البيع ، والخطبة على الخطبة ، يوغر الصدور بالعداوة والبغضاء ، ويوري زناد الصراع بين أفراد المجتمع اولئك الذين تجمع بينهم أخوة الاسلام ومودته كما تجمع بينهم مثله ومبادئه التي تفرض على كل منهم أن يعامل الناس بما يحب ان يعاملوه به ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يكره لهم ما يكره لها .
٤ ـ تجويز رؤية المرأة التي أوقع الله في قلب المرء خطبتها ، وذلك لأن الزواج اتفاق أبدي ، فحتى يكون على بينة من تلك التي يريد أن يقترن بها أباح النبي صلى الله عليه وسلم له أن يراها .
٥ ـ اذا اشترى رجل سلعة من آخر على أن يؤديه ثمنها اذا باعها فلم يبعها وأفلس ، وطالبه البائع بثمن السلعة فلم يستطع المشتري دفع الثمن غير ان البائع وجد سلعته بعينها عند المشتري ، حينئذ يكون البائع أحق بها ، لأنه صاحبها .
وهذه الأحكام التشريعية الخمسة لم ترد في القرآن الكريم ، وإنما وردت احكام موضوعاتها وتشريعات أصولها فقد ورد في سورة النساء حديث تفصيلي عن المحرمات على المرء في الزواج من النسب ومن الرضاع ، كما جاء تحريم الجمع بين الاختين الخ .
بيد أن تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها لم يرد به نص قرآني ، الا ان السنة اكملت موضوع تحريم المحرمات وقامت هنا بدور رئيسي في اتمام الرسالة الاسلامية فيما يتعلق بتنظيم امر الزواج .
وقل مثل ذلك فيما يتعلق بنكاح المحرم وخطبته ، ففي سورة البقرة وعند قوله تعالى : **( واتموا الحج والعمرة لله )** البقرة / ١٩٦ ، احكام كثيرة عن الحج والعمرة لكنها لم تستوعب وتركت هذه المهمة للسنة النبوية ، ومن ذلك هذا المثال الذي مثلنا به من نكاح المحرم وخطبته .
وفي القرآن حديث عن المبادىء العامة التي تتعلق بالبيع والشراء ، وبعض الاحكام الخاصة بالتجارة كقوله تعالى : **( وأحل الله البيع وحرم الربا )** البقرة / ٢٧٥ وقوله سبحانه : **( يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم )** النساء / ٢٩ ، وقوله سبحانه : **( أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم )** الشعراء / ١٨١ و١٨٢ ، وغير ذلك .
بيد أن القرآن لم يتحدث مثلا عن

تحريم البيع على البيع ولا عن احكام التفليس كما لم يتحدث عن كثير من الأحكام المتعلقة بالبيـع والشراء ، ومع ذلك لم يترك الله الأمة دون ان يكمل لهـا المنهـج الاسلامـي في الاقتصاد وما يرتبط به ، وذلك في السنة النبوية التي تصدر مع القرآن من نبع واحد ومشكاة واحدة هي مشكاة الوحي الالهي .

ان روعة الاسلام أن كل موضوع فيه موضـوع متكامـل وذلك من خلال القرآن والسنة معا .

ولئن قصد في القرآن الى التيسير على الأمة ، والاجمال في أكثر القضايا التي تعرض لها فلقد كان من مهام السنة النبوية ان تستقريء الجزئيات الباقية في عناصر الموضوع المعين ، لتدل الناس على حكم الله فيها ، وبذلك يكون المنهج الاسلامي في الموضوع الواحد قد استوعب ما يصلح شأن الافراد والجماعات دون ان تند عنه جزئية او يفوته عنصر !

ثم إن المنهج الاسلامـي لم يعـن بموضوع انساني دون موضوع ، ولم يلتفت الى جانب ليذر بقية الجوانب .

ان الانسان في المنظور الاسلامي مادة وروح ، عقل وجسد ، فكر ووجدان ، وقد جاء المنهج الاسلامي الاقوم ملبيا حاجة الانسان في جوانبه هذه جميعا مع مراعاة الاتزان والاتساق فيما بينها حيث لا يطغي جانب فيها على جانب آخر ، ومن هنا تناول موضوع العقيدة كما تناول موضوع الشريعة ، وتناول موضوع تنمية الجسد كما تناول موضوع تنمية الروح ، وتناول موضوع العقل كما تناول موضوع الوجدان وشملت الهداية الاسلامية للانسـان ما يتعلـق بالاخـلاق والعلاقات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والدولية الى جانب ما يتعلق بالعقيدة والعبادة .

وكان دور السنة في هذه الجوانب جميعا هو دور المستكمل للمنهـج المستوعب للجزئيات الذي يتمم مع القرآن الاسلام الذي ارتضـاه الله للانسانية دينا ومنهجا .

كما كان للسنة النبوية دور آخر يمكن إجماله في بيان القـرآن وتفسـيره ولنوافك الان بالمجموعـة الحديثيـة الثانية التي توضح لك هذه النقطة لترى إلى أي مدى نتوقف في فهم القرآن على الحديث النبوي

المجموعـة الثانيـة من صحيـح البخاري :

أحاديث يتوقف تفسير القـرآن على العلم بها

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها ، فذاك حين لا ينفع نفسـا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » وفي رواية : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعـت ورآها الناس آمنوا اجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ثم قرأ الآية : **( يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا )** الأنعام / ١٥٨ .

٢ ـ عن أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته » .

٣ ـ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتح الغيب خمس : **( ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير )** لقمان / ٣٤ .

ومن صحيح مسلم

٤ ـ عن أبي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينادي مناد : ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا ابدا ، وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل : **( ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون )** الاعراف /٤٣

ف – ١٤ البيان لآي القرآن كيف كان يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم فضلا عن أي بشر ان يحيط به لو لم يأت الخبر به عن الله عز وجل ؟

كيف يمكن لنا أن نحدد ان المراد ببعض آيات الله في قوله تعالى: **( يوم يأتي بعض آيات ربك )** هو طلوع الشمس وليس أي آية أخرى من آيات الله عز وجل ، تلك الآية التي إذا ظهرت أوصد باب التوبة فلا تقبل توبة من لم يتب من قبل ، ولا إيمان من لم يؤمن من قبل .

كيف يتسنى العلم بذلك الا ان يكون عن الله عز وجل يوحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيبلغه لنا النبي بكل أمانة وصدق .

وآية سورة الحجر : **( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم )** الحجر / ٨٧ من الذي يحدد مراد الله منها سواه سبحانه ؟ ومن الذي يخبرنا بهذا المراد سوى من أوحى الله اليه بيانه ؟

كذلك ما يتعلق بالغيب وبالجنة وما اعد الله فيها للطائعين ، وبالنار وما اعد فيها للكافرين ، لا سبيل الى العلم بشيء منه الا عن طريق الوحي يبلغه مثل هذا الحديث الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما بين عن هذه الآية الكريمة : **( ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون )** .

تلك بعض الشواهد والمثل عن دور السنة في اكمال التشريع الالهي ، واتمام الرسالة الاسلامية ، وبيان القرآن وتفسيره .

ومن أراد ان يستزيد فليتصفح كتب السنة النبوية ، وليدرسها دراسة موضوعية مع القرآن الكريم ، فسيقف على الكثير مما يبهره ويروعه ، وسيعرف اكثر وأكثر لماذا أولى الله السنة النبوية من المنزلة والمكانة ما لم يوله لأي كلام آخر ، وسيعرف كذلك انه لا غناء عن السنة مع القرآن الكريم لكل من يريد أن يتعرف إلى الاسلام ، ويطبق منهجه ، ليعزبه في الدنيا ويسعد به في الآخرة .

# حول النظام الاسلامي

انفلتت ألسنة كتاب الغرب وأقلامهم في صحفهم واذاعاتهم في اتهام النظام والتشريع الاسلامي واخذوا يعيدون ما استهلك من الكلام على مر العصور في هذا الشأن ولم يخل عصر من العصور في توجيه النقد اللاذع والقول البذيء المتهافت الى بعض الاحكام في النظام الديني الاسلامي حتى اصبح الحديث فيه نغمة مرذولة ثقيلة على القلوب والاذان .

وان تلك الحملات لتستعر وتتأجج حين تلوح في الافق بوارق القوة والوعي والانبعاث في الشعوب الاسلامية وكأن تلك الحملات قذائف معدة او قنابل مسددة تنتظر الامر بالانطلاق فتنطلق وتنتظر المناسبات لتؤدي دورها المقرر لها .

فكلما حدثت صحوة اسلامية في شعب من الشعوب الاسلامية ثارت ثائرتهم ، وأطلقوا كلمات الرجعية والتعصب والبربرية وما الى ذلك مما مهدت به اقلامهم ووعته قواميسهم يصفون بها الاسلام ويشنعون على

للاستاذ / ابو الوفا مصطفى المراغي

آرائه وأحكامه وخاصة ما يتعلق منها بزي المرأة وقطع يد السارق وجلد المخمور . واخذوا يتباكون على الحضارة ويستغيثون بالعالم ان يتداركها مما تتعرض له بتطبيق نظام الاسلام ان هؤلاء الكتاب ليطعنون الحضارة ويهزءون بمقوماتها قبل أن يتهموا الاسلام وينالوا منه فهل الحضارة في تقدير هؤلاء هي الخمر والجنس والتلصص ، أم الحضارة عمران وبنيان وعلم وفن بكل ما تسعه هذه العنوانات من معان ، وتنطوي عليه من حقائق فان كانت الحضارة عمرانا وبنيانا وعلما وفنا فما أنكرت الحركات الاسلامية شيئا من هذا ولاحظرته بحكم دينها وتقاليدها وان كانت الحضارة خمرا تفتك بالعقول والأبدان ، وتنبعث منها الشرور والاثام ، أو جنسا تهتك فيه الاعراض ، وتختلط به الانساب ؛ أو لصوصية تهدد أمن الناس وتنهب أموالهم وحقوقهم ، وانكرتها الحركات الاسلامية وأزمعت القضاء عليها ، فانما تنكر شرا وترفض باطلا وتحارب ضلالا ، ويشاركها في ذلك ذوو العقول والحكمة والفطر السليمة ان السر في تلك الحملات المسعورة شيء وراء الغيرة على الحضارة وعلى الحرية ووراء الغيرة على حقوق الانسان .

لقد تجاهل هؤلاء الكتاب ما تخوض فيه الشعوب من ويلات وحروب تذهب فيها الارواح بغير حساب لتحقيق مغامراتهم وانماء ثرواتهم بالاحتكار والسيطرة والنفوذ حتى انهم ليضحون بشعوب كاملة في سبيل ذلك كما فعلوا في فلسطين وغيرها . فاذا استيقظ شعب وهب للدفاع عن حقوقه وامواله واصلاح ما اعوج من اخلاقهم علا صياحهم وتجاوب نباحهم وتداعوا الى الشر ليدفعوا ما يهدد مخططاتهم من الخطر .

إن هذه الحملة المسعورة لتشويه الاسلام تستهدف الشعوب الاسلامية قاطبة وتستهدف اول ما تستهدف النظام الاسلامي وربما كان التاريخ يعيد نفسه فقد استهدف الاسلام في فترات تاريخية مختلفة لامثال تلك الحملات كما يعرف من له صلة بالتاريخ ومن هنا تأتي مسئوليات الشعوب الاسلامية لتقف في مواجهة ذلك الخطر صفا واحدا بكل ما تملك من الوسائل ما لم يتح لها من قبل وهي تملك من الوسائل المادية

والمعنوية أمضى الاسلحة ، فالانبعاث الديني الذي نحس مظاهره في كل مكان والثروات المعدنية هي الاسلحة التي لو احسن استخدامها كانت كفيلة بالنصر ، ولعل الانبعاث الاسلامي الذي بدت مظاهره في كثير من الشعوب الاسلامية هو الذي ازعج هؤلاء الكتاب وهاج حفائظهم .

ولعل الانبعاث هو الذي خبل عقولهم وزلزل أركانهم وأضل أقلامهم وجمع قاصيهم بدانيهم وغربهم بشرقهم فاتفقوا في غايتهم واختلفوا في وسائلهم .

ان الكتلة الشرقية تناهض الاسلام حرصا على مصالحها ونشرا لمبادئها وتعمل ذلك جهد المستميت جهارا نهارا .

وتتخير من المواقع والشعوب ما هو أنسب لظروفها وأقرب الى غايتها ، والغرب أيضا يناهض الشعوب الاسلامية حرصا على مصالحه ، متقنعا غير سافر ، ومستترا غير مجاهر ، ويصطنع الحذر والحيطة مراعاة لعلائقه ببعض الشعوب .

ان هذا الصراع الدائر بين الشرق والغرب قد قضى الله ان تكون ميادينه بعض الشعوب الاسلامية ، وهذا الصراع له جانبه السياسي وجانبه المادي والاجتماعي ، ويعسر عزل احد الجانبين عن الاخر ، ومن هنا كانت صلة الشعوب الاسلامية بما يدور في العالم من صراع فالجانب المادي هو الذي قضى على الشعوب الاسلامية ان تكون في مواقع الصراع .

والصراع السياسي والمادي ليس له في الواقع ضوابط من خلق او دين بل هو نار مستعرة تأتي على ما تصادفه ومن هنا كانت خطورته على المعتقدات والاديان .

فلا حرج أن تشوه محاسنها وبصور حقها باطلا وهداها ضلالا وعدلها ظلما ورشدها غيا ، ولهؤلاء الكتاب نقول : هل أنتم حقا حماة الحرية وهل انتم حقا اهل الغيرة على الكرامة الانسانية ؟ اذا كنتم حقا كذلك فأين مواقفكم من حكوماتكم ودولكم ومن سلوكهم الانساني حين يستنزفون الشعوب ويبيدونها بالالاف والملايين وينزلون بها من الوان العسف ما لم تعهده البشرية في احط العصور لقد خرست السنتكم واقلامكم عما جرى ويجري من فظائع في الصراع الدولي وان وقع شيء من نلك منكم كان من وحي السلطة والمصلحة لا بدواعي الغيرة الخالصة والقلوب الحانية الرحيمة .

ليعلم هؤلاء المتحدثون عن الحضارة ان للحضارة الاسلامية عند شعوب الاسلام وفي اطار الاسلام مفهوما يخالف مفهوم الحضارة عند الشعوب غير المسلمة .

فمفهوم الحضارة فيما يختص بالمرأة عند الشعوب غير الاسلامية ان يطلق لها العنان في سلوكها وزيها تنتقل بفتنتها في كل ناد وتهيم بعواطفها في كل واد تستغوي وتستهوي من تشاء ولكن مفهوم الحضارة في الاسلام بالنسبة للمرأة أن تلزم حشمتها احتفاظا بكرامتها وحرصا على علاقتها الاسرية ان تعصف بها

الشكوك والظنون .

ومفهوم الحضارة عند تلك الشعوب فيما يختص بمعاقرة الخمر أن كل انسان له أن يشرب ما شاء ، يعربد وينتهك من الحرمات ما شاء ، ولكن مفهوم الحضارة الاسلامية في ذلك تحريم الخمر تحريما قاطعا قضاء على الجريمة ووقاية للمجتمع من آثارها وذيولها .

ومفهوم السرقة أن التلصص والاختلاس جزء من الحرية يعيث بها اللص فسادا ولا يؤاخذ الا عند التلبس بالجريمة ، وإن اخذ بعقاب أخذ بعقاب لا يعادل فظاعة جرمه ولا يمنعه من معاودة تكرارها .

ومفهوم الحضارة الاسلامية في هذا الشأن ان يؤاخذ مقترف هذه الجريمة بأشد العقوبات التي تناسب فظاعتها وتؤدي الغرض منها في زجر وتأديب .

هذا مفهوم الحضارة في الاطار الاسلامي ولمن يدين بالاسلام من الشعوب ، ولكل شعب منها أن يمارس حضارته على هذا الاسلوب ، وليس لغيره أن يندد به أو يعترض عليها كما حتمت بذلك المواثيق الدولية .

إن للحضارة شئونا عامة تشترك فيها كل الشعوب لانها تكاد تكون شئونا انسانية عامة تمس الناس جميعا وشئونا حضارية خاصة تتميز بها كل أمة لانها تستمدها إما من دينها او طبيعتها او نظام الحياة فيها وتلائم مجتمعاتها واحوالها ، وهذه الشئون حق لأهلها ، وهم اولو الرأي فيها ، واقدر على الحكم عليها ، والواجب ان تترك لاهلها ، يقررون منها ما أثبتت التجربة صوابه ، ويرفضون ما استبان فساده فلهم الربح إن احسنوا وعليهم الخسارة إن أساءوا .

لقد ختمت العصبية الهوجاء على قلوب بعض هؤلاء الكتاب ، وجعلت على أبصارهم غشاوة فأعمتهم ان يروا محاسن الشريعة الاسلامية ، أو يفهموا أسرار بعض الاحكام الحضارية الاسلامية ولم يدركوا اغراضها ومقاصدها التي اوحت بتقريرها وفرضها ، وقيموها تقييما خاطئا وحكموا عليها بما حكموا به وزلت أقدامهم وخانهم الانصاف والتوفيق .

ولكن الذين عنوا بدراسة الشريعة ، ووقفوا على أسرارها ، وتعمقوا اغراضها ومقاصدها ، شهدوا لها بالاحكام والاحسان ، كما شهدوا بصلاحيتها لسياسة البشرية وكفايتها في تدبير شؤونها .

والكلمة الاخيرة التي نقولها لهؤلاء الكتاب المسرفين في النقد والتجريح عليكم أنفسكم وشعوبكم ودعوا الشعوب الاسلامية لشأنها وما ترى فيه الخير لمجتمعها فما خولكم الله الوصاية عليها وما جعلكم حماة لها ، انكم لو فعلتم لأرحتم الناس من مشاكلكم وصراعاتكم ، فما اختلت احوال الشعوب ونزل بها ما تعاني من ألوان العذاب الا حين وصيتم انفسكم فلم تحسنوا الوصاية وجعلتم انفسكم قادة فلم تبلغوا ولم تبلغ بكم الشعوب غاية .

# التجارة في الإسلام

# الاحتكار

يقول الحق تبارك وتعالى : ( **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ) البقرة/١٤٣

.. فالوسطية دعامة من دعائم النظام الاسلامي وهي من اهم دعامات الحياة الاجتماعية للمسلمين ، وهي مطلوبة في كل امر من امور الدنيا او العمل للآخرة .

ولذلك يرفض الاسلام في نظامه

## للاستاذ / عبد السميع المصري

المالي تلك الفردية المتطرفة التي يرعاها النظام الرأسمالي والتي تتجاهل حقوق الجماعة ، وتتيح للفرد ان ينكر مصالح الجماعة ويتناساها في سبيل تحقيق اعلى نسبة من الربح ممكنة .

كما لا يقر الاسلام رأسمالية الدولة التي يتبناها النظام الاشتراكي والتي تضحي بحقوق الفرد وحريته من اجل مصلحة الجماعة ، والتي قد تتطرف الى مدى ابعد من الاستغلال الرأسمالي لحاجات المجتمع .

لكن الاسلام – في ربطه الأبدي بين المادة والروح .. فطرة الانسان التي فطر عليها – يدعو افراد المجتمع المؤمنين لان يتساموا في دوافعهم الذاتية لأن للتضحية من اجل الاخاء الاسلامي اجزل الثواب عند الله ، ولأن المسلم في عمله انما يبتغي وجه الله اولا ويرعاه في تصرفاته .

فيحبب الاسلام الى التجار ارخاص الاسعار للتيسير على الناس لما في ذلك من مرضاة الله والفوز بثوابه .

« ولقد نهى الاسلام عن التغالي في الربح وعن الفحش في الكسب لان قلة الربح مع كثرة البيع تؤديان الى وفرة المكسب مع التيسير على المسلمين ، وكان علي بن ابي طالب يدور في سوق الكوفة ويقول : معاشر التجار ، خذوا الحق تسلموا ، ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره » .

واذا كان الجالب مجاهدا في سبيل الله – كما جاء بالحديث الشريف – لأنه يرفع الحرج عن الناس وييسر لهم امور معاشهم فان المحتكر خارج على دين الله كافر بنعمة الاسلام كما يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث .

والاحتكار في نظر الحنفية هو « شراء طعام ونحوه وحبسه الى الغلاء اربعين يوما » ، وعند الشافعية : « شراء القوت في وقت الغلاء ليمسكه ويبيعه بعد ذلك بأكثر من ثمنه للتضييق حينئذ » ، وعند الحنابلة مثل ذلك « بمعنى ان الاحتكار هو حبس الشيء انتظارا لغلائه وهو الأمر المرادف للامتناع عن البيع » .

ويرى الدكتور محمد سلام مدكور في كتابه « الاحتكار وموقف التشريع الاسلامي منه » .. « ان الاحتكار المحظور في الشريعة الاسلامية هو حبس اي شيء تشتد حاجة الناس اليه ، ويستعملونه في حياتهم ، ويتضررون من حبسه عنهم ، ويستوي في ذلك ان يكون ذلك الحبس نتيجة شراء او اختزان ، وان يكون

الشراء من مصر او غير مصر ، وان يكون ذلك الشيء طعاما او غير طعام ، ويشمل ذلك ما اشتراه في وقت الغلاء ، او اشتراه في وقت الرخص ليرفع سعره ويغليه على الناس عند الضيق والاحتياج » وهو ما يتفق مع قول ابي يوسف : ( كل ما اضر بالناس حبسه فهو احتكار ، وان كان ذهبا او ثيابا ) .

والأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الاحتكار واظهار بشاعة جريمته كثيرة نذكر منها :

« **الجالب مرزوق والمحتكر ملعون** » .. رواه ابن ماجه والدارمي .

والاسلام يحارب الاحتكار لما فيه من اهدار لحرية التجارة والصناعة ، وتحكم في الاسواق يستطيع معه المحتكر ان يفرض ما شاء من اسعار على الناس فيرهقهم ويضارهم في معاشهم وكسبهم ، فوق انه يسد ابواب الفرص امام الآخرين ليعملوا او يرتزقوا كما يرتزق المحتكر ، ويقتل روح المنافسة التي تؤدي الى الاتقان والتفوق في الانتاج .

وقد رأينا بعض المحتكرين يلجأون الى اتلاف فائض انتاجهم لرفع الاسعار ، كما حدث في البرازيل عندما احرقت الأطنان من البن بينما الملايين لا تجد حاجتها منه ، وكم رأينا صيدليات تحتكر الأدوية وتمنعها عن المرضى الذين يعانون من آلام امراضهم ، ودافعها الى الاحتكار الجشع والسعي وراء كسب حرام ، والاتجار في آلام البشر الذين يموتون في سبيل أن تزيد ارباح المحتكر .

إن الاحتكار جريمة ضد الانسانية تستوجب الطرد من حظيرة الله ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **الجالب مرزوق والمحتكر ملعون** » لأن المحتكرين ـ كما يقول جون آيز استاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية ـ : « تائهون في مطاردة المال الذي يجب ان يكون الوسيلة الى الحياة الطيبة ، لا غاية في ذاته ، حتى نسوا الغاية وأمعنوا في التعلق بالوسيلة » .

« وخطر الاحتكار على الاقتصاد العالمي اصبح في غير حاجة الى مزيد من البيان ، وكلنا نعلم كيف تغلغل الاحتكار ـ الظاهر والخفي ـ في اكثر ميادين الانتاج العالمي ، وكيف تحالف المحتكرون من اقطاب المال عبر حدودهم مع زملائهم في بلاد اخرى ، ونجحوا في تحديد الاسعار التي تؤتيهم الربح الفاحش ، وخلقوا الأزمات وتآمروا على بخس اثمان المواد الخام التي تنتجها البلاد النامية ، اضرارا بأكثر من ثلثي سكان الأرض ، ولا زالت جهود الأمم المتحدة ـ العناصر الطيبة فيها ـ تتوالى وتتعثر في محاولة التخفيف من ويلات هذا الداء الوبيل » .

إن التحريم الاسلامي للاحتكار يسري على كل انواعه المحلي والعالمي ، لأن هدف المحتكر واحد ، وهو التحكم في ضرورات الناس .

وقد اتخذ الاحتكار الدولي في

العصر الحديث صورا رهيبة ، لا سيما بعد ما تحقق من تطور في أساليب الانتاج ، أدى الى قيام المشاريع الضخمة التي يعجز الافراد عن القيام بها ، ثم النظرة المادية البحتة للاقتصاد ، وترك الحرية المطلقة للملكية بغير حدود .

وقد استعاضت الشركات الكبرى عن المنافسة في سبيل الاجادة وخفض الاسعار لصالح البشرية ، بهذه الصور البشعة من أنواع الاحتكار ، فرأينا :

١ ـ نظام الشركة القابضة التي تقوم بشراء معظم الأسهم في الشركات الاعضاء ـ ولنقل ـ انها شركات سيارات على سبيل المثال ـ وبذلك يكون لها سلطة تحديد الاسعار في جميع شركات السيارات في عدة دول أو في دول العالم كله .

٢ ـ الاندماج : وهو اتحاد شركتين أو أكثر فتشتري احدى الشركات جميع أسهم الشركات الاخرى ، فلا يصبح في الوجود الا شركة واحدة تحتكر السلعة التي كانت تنتجها الشركات المندمجة ، وتقضي على المنافسة .

٣ ـ اتحاد الثمن : وفي هذا النوع من الاحتكار يتفق المنتجون فيما بينهم على تحديد الاثمان ، أو تحديد كمية الانتاج ، ليحصلوا على أعظم ربح ، وقد يكون هذا الاتفاق شفويا لكنه احتكار واحتكار غير مركز في هيئة واحدة .

« وهناك أنواع أخرى من الاحتكارات كشفت عنها لجنة التجارة الاتحادية في الولايات المتحدة الامريكية ، وعجزت كل الوسائل القانونية هناك عن التغلب عليها ، أو الحد من سلطانها واستغلالها وانحرافاتها . » .

ولا شك أن حرب التجويع التي تشنها بعض الدول الاستعمارية المنتجة للسلع الغذائية كمنع القمح عن مناطق المجاعة أو الذرة ، هو من سبيل الاحتكار الذي حرمه الاسلام .. انه احتكار يقطع الاواصر الانسانية ، ويحارب الرحمة ، ويزرع الاحقاد بين بني الانسان .

أين هذا من موقف المسلمين في مشارق الارض ومغاربها عام الرمادة ، يوم أن أصاب القحط الجزيرة العربية ، فانهمرت المؤن من مصر وافريقية والعراق وكل أرض علت فيها راية الحق لتنقذ أخوة في الانسانية ، حتى كانت قوافل عمرو ابن العاص بالنجدة أولها في المدينة المنورة ، وآخرها في الفسطاط على النيل .

أين هذا من شعار الاسلام الذي يرفعه للبشرية **( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا )** الحجرات /١٣ .

انه أمر للبشرية بأن تتعارف وتتراحم ، وتدرك أن لا فضل لأحد عند الله خالقها الا بالتقوى .

ولبشاعة جريمة الاحتكار نرى ان الاجماع يكاد أن يكون تاما بين فقهاء المسلمين على حربه ومقاومته ، وأول مراحل هذه الحرب أن يؤمر المحتكر

بالبيع بسعر المثل ، فاذا لم يبع باع عليه القاضي .

كما يجمعون على استحقاق المحتكر لعقوبة التعزير ، وهي عقوبة كان يوقعها المحتسب ، ويقول عنها ابن القيم :

« يتغير التعزير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا أو مكانا أو حالا ، ويختلف تقدير العقوبة فيه حسب خطر الجريمة وتأصلها في نفس المجرم » .

« لذلك فقد تصل عقوبة التعزير الى الحبس أو الضرب أو العقوبة المالية على جرائم الاحتكار أو مخالفة التسعير » .

لكن هذا الشخص الذي يستحل اخفاء طعام الناس ، أو منع دواء عن مريض ، ألا يعد مفسدا في الارض بما يثيره من قلق في النفوس ، واضطراب في الاوضاع ، ومرارة في الصدور ؟ ألا ينطبق عليه قول الحق تبارك وتعالى : **( انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم )** المائدة/٣٣ .

ان مثل هذا الرجل حرب على الاسلام يحاد الله ورسوله بما يسعى فيه من زرع الآلام والاحقاد بين الناس .. بينما الاسلام يسعى الى السلام وبسط الرحمة والطمأنينة في النفوس .

ولو أن أهل التجارة والصناعة والزراعة اتجهوا في عملهم الى الله واحتسبوه في سبيل الله ، وآمنوا بأن الله ذو حق في المال ، بل هو الخالق الرازق مقسم الارزاق ، لما وجدوا سببا للخصومة والفرقة بسبب المال ، ولسعوا الى تحصيله وانمائه بهذه العقيدة ، لأن البسطة في المال والضيق فيه مرهونان بمشيئة الله .

**( ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا )** الاسراء / ٣٠ .

وطالما اعتقدوا أيضا أنه لا بد أن يكون وضع الرزق في معايش الناس على هذا النحو من السعة والضيق لصالح المجتمع وأمنه .

**( ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير )** الشورى/٢٧ . طالما اعتقدوا هذا وذاك فلا مجال في سعيهم ونشاطهم للبغضاء والشحناء ولا للحسد والحقد ، والسبيل الى الانتفاع بنعمة الله في المال بعد الجهد ، واعداد النفس للسعي ، هو التوجه الى الله في اخلاص وفي عمل صالح :

**( ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما )** النساء / ٣٢ .

وفي ظل هذه العقيدة الداعية الى السلام ، والى ابتغاء وجه الله في كل سعي ، من الممكن أن تمضي المنافسة في عالم المال في اطار السلام ودعوة الاسلام .

# من دلائل صدق الرسالة المحمدية

للاستاذ / حسن الحفناوي

كنا قد ذكرنا ــ في مقال سابق ــ طرفا من الدلائل العقلية على صدق الرسالة المحمدية الشريفة ، وإن من يتأمل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليجد الصدق يطل من كل حوادثها .

**ففي غزوة الخندق** ــ مثلا ــ او الاحزاب ، كان الأمر بالنسبة للمسلمين محنة من أشد ما قابلوه من المحن ، ولشدة هذه الواقعة ، فانها كانت تمحيصا

للمؤمنين ، إذ ثبتت إيمان المؤمنين ، وكشفت نفاق المنافقين ، وكانت هذه الوقعة ، ثمرة خبث وحقد من اليهود ، فبعد ان أبعد بنو النضير عن المدينة ، ونزحوا إلى خيبر ، خرج زعماؤهم ، وعلى رأسهم حيي بن اخطب ، يقوده الحقد الاعمى ، ويسوقه الغل المرير ، خرج الى قريش يؤلبها ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتحالف معها ، على استئصال شأفة الاسلام والمسلمين ، وقد صادف ذلك هوى من قريش بعد أن هاجت في نفوسهم مكامن ما أحدثته فيهم موقعة بدر ، حتى قال أبو سفيان لهم : « مرحبا وأهلا .. أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد » . بل بلغ من غدر اليهود ، وسوء طويتهم ، أن قريشا قالت لهم : يا معشر يهود .. أنتم اهل الكتاب الأول والعلم .. أخبرونا عن خلفنا مع محمد .. أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن عمار البيت ، وننحر الكوم ( أي النياق ) ونسقى الحجيج ، ونعبد الهتنا ، فكذب اليهود على أنفسهم ، وعلى ربهم وعلى دينهم وعلى قريش ، فقالوا : « اللهم أنتم أولى بالحق منه ، إنكم تعظمون هذا البيت ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم » فنزل فيهم قوله تعالى : **( ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا )** النساء / ٥١ ، ٥٢ .

ثم لما ضمن اليهود قريشا خرجوا الى غطفان واغروهم بثمر خيبر سنة ان ناصروهم ، فوافقت غطفان ، كما راحت قريش تؤلب اتباعها ، كما البت يهود بني سليم ، فخرجت وأتباعها في أربعة آلاف أو يزيد ، منهم ثلاثمائة فارس ، وخرجت سليم بسبعمائة ، وخرجت بنو فزارة في ألف ، وخرجت أشجع في أربعمائة ، وكذلك بنو مرة ، كما خرجت غطفان حتى تكامل الجمع عشرة آلاف او يزيد ، أما المسلمون فكانوا نحو ثلاثة آلاف ، وقد كرب المسلمون لذلك كربا شديدا ، فالأعداء أكثر عددا ، وأوثق عددا ، خاصة وأن الأعداء ينتوون محاصرة المدينة ، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم ــ بمشورة سلمان ــ يخندق حول المدينة ، وزاد الأمر كربا وشدة ، ما قام به يهود بني قريظة ، إذ نقضوا عهدهم مع المسلمين ، بعد ان ظنوا أن الدائرة دارت على المسلمين ، وقد بعث لهم النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم بعهدهم فازدادوا تنكرا ، ثم اخذوا يستعدون للحرب والقتال ، وزاد من ضيق المسلمين ظهور نفاق المنافقين ممن كانوا قد اظهروا الاسلام ، وأبطنوا غير ذلك . دام حصار الأعداء للمدينة عدة ليال ، حتى ضاق القوت بالمسلمين ، واشتد الكرب ، وعظم البلاء ، إلى حد يكاد ينسى ، الانسان نفسه ، وقد وصف الله تعالى شيئا من ذلك الكرب أدق وصف ، بقوله تعالى : **( إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن**

**فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا )** الاحزاب / ١٠ــ ١٣ .

وفي خضم هذا البلاء ، وعنفوان ذاك الكرب ، والموت يطل على المسلمين من كل حدب وصوب ، لا يزداد النبي صلى الله عليه وسلم إلا تقربا بربه ، واعتصاما بنصرته ، وتشبثا برجائه ، اذ جعل يدعو ربه ويقول : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد .. » وذلك قاطع في نظر كل ذي نظر ، في صدقه صلى الله عليه وسلم ، وصدق رسالته العظمى .

**ومن وقائع الغزوة نفسها ..** غزوة الأحزاب .. ما أوردته أمهات كتب السيرة ، من أن عمرو بن ود ، كان مقاتلا فاتكا في قريش وكان بطلها المغوار ، وكان قد اشترك في بدر ولكن اثبتته الجراح فلم يحضر أحد ، ووجد في غزوة الخندق فرصته ليستعيد مجده من جديد ، وليؤكد بطولته فنادى بالمبارزة ، ولم يكن يجرؤ على الخروج له احد ، إذ الخروج لمبارزته يعني الموت المؤكد الذي ليس منه بد ولا مناص ، ودعت الشجاعة ، ذلك الفارس الأبي ، علي بن أبي طالب ان يهم بالخروج له ، لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم منعه إشفاقا ، اذ قال له : اجلس ، انه عمرو ، فأخذ عمرو يتحدى المسلمين ويقول لهم : اين جنتكم التي يعدكم بها ربكم ، ألا يحب أحد أن يدخلها ، فهم على ان يخرج لولا ان منعه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي المرة الثالثة اصر علي ان يخرج فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنه عمرو ، قال : وإن كان عمرا يا رسول الله ، فلم يجد الرسول بدا من تركه يخرج له ، حرصا على كرامة المسلمين ، واستجابة لرغبة علي وان كان الموقف مخيفا ، فعلي شاب لم يصل في تمرسه ومرانه تلك المرتبة التي تؤهله الى مبارزة بطل فريد كعمرو ، هذا الحرج ، لم يزد الرسول الا قربا من ربه ، اذ تطلع الى الله تعالى وقال : « الهي .. اخذت مني عبيدة يوم بدر ، وحمزة يوم احد ، وهذا علي اخي وابن عمي فلا تذرني فردا وانت خير الوارثين » وعبيدة هو عبيدة بن الحارث ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم تبارز يوم بدر مع شيبة بن ربيعة فأصاب كل منهما الآخر واستشهد بعد ذلك متأثرا بجراحه ، وحمزة هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم استشهد في أحد ، المهم أن الحرج كلما ازداد ، والضيق كلما الم ، والخطر كلما أحدق ، فلا يزيد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم الا تقربا لربه ، وتلك آية قاطعة في صدقه صلى الله عليه وسلم .

**هذا ولو تأملنا حادثة** اخرى وقعت في احدى السرايا لوجدنا من صدقه صلى الله عليه وسلم ما يستقر في قلب أي منصف ، ففي سرية تدعى سرية زيد بن حارثة ، الى العبيص ، وقع المغيرة بن معاوية اسيرا ، فسلمه الرسول صلى الله عليه وسلم موثقا الى عائشة رضي الله عنها ــ في رواية قوية ــ وذلك لمراقبته وقال لها : احتفظي عليك بهذا الأسير حتى اعود وخرج لشأن آخر ، ولكن عائشة تلهت عنه مع امرأة بالحديث ، فاستطاع الهرب ، فلما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولم يجد الأسير ، وسأل عائشة عنه ، فقالت لقد غفلت عنه ، وكان ها

هنا ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لها : قطع الله يدك ، وخرج فصاح بالناس ، فجدوا في أثر الأسير حتى استطاعوا ضبطه ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فوجدها في حالة من الذعر ، والذهول ، تنظر إلى يدها وتقلبها ، فعجب الرسول صلى الله عليه وسلم – وقال لها : ما لك يا عائشة ؟ قالت : لقد دعوت علي بدعوتك ، فأنظر كيف تقطع يدي .. فخشي الرسول نفسه أن تستجاب الدعوة ، فتوجه الى الله تعالى قائلا : .. اللهم اني بشر أغضب وآسف كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن او مؤمنة دعوت عليه بدعوة ، فاجعلها له رحمة » .. فتأمل كيف انه خاف على زوجه من دعوته وابتهل إلى ربه أن يجعلها بردا وسلاما عليها ، معتذرا ببشريته التي قد تجعله يغضب احيانا ، وإن كان غضبه دائما لله ولحرمات الله ، بل وتأمل كيف ان عائشة وهي التي تعاشر الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتلم بكل أحواله وخصائصه ، ايقنت أن الدعوة سوف تجاب ، وأخذت تترقب احتمال تحققها ، اليس ذلك كله دليلا واضحا على صدقه صلى الله عليه وسلم .

**وثمة دلائل من الحديبية ..**

منها : ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ، إذ رأى أنه دخل البيت الحرام معتمرا ، محلقا رأسه معرفا مع المعرفين ( أي واقفا بعرفه ) ومن المعروف أن رؤى الأنبياء انما هي من قبيل الوحي ، ولذلك فان أبا الأنبياء ابراهيم عليه السلام عندما رأى في نومه أنه يذبح ولده أدرك أن ذلك وحي من السماء ، لا بد له ان يصدع به ، لذا جد في تنفيذه لا تثنيه عن ذلك عاطفة ، ولا ضعف ، ولا تعلة . وقال لولده : **( يا بني اني ارى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى )** الصافات / ١٠٢ ، ولما كان و لده يدرك هذا المعنى ، ويعلم ان رؤيا الرسول أمر من السماء فانه قال : **يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين** » الصافات /١٠٢

عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل مكة معتمرا ، أدرك أن ذلك وحي من السماء فاستنفر الصحابة إلى العمرة ، وطلب بعضهم ان يتسلحوا حرصا وحذرا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ، لعمق ثقته بربه وبما امره به ، رفض ذلك ، وقال : انما خرجنا معتمرين ولسنا محاربين ، وذلك على الرغم من العداء المستحكم آنذاك بين المسلمين وبين قريش .. فتأمل .. كيف انه صلى الله عليه وسلم يثق بكل ما يأمره به ربه ، ولو كان الأمر رؤيا منامية ، مما يقع في صدق صلته بربه تعالى .

ومنها : ان قريشا تصدت للمسلمين ومنعتهم من الاعتمار ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق بين الطرفين هو صلح الحديبية ، وعندما جعلوا يحررون الصلح .. أبدت قريش كثيرا من العنت ، اذ رفضت ان يعنون الصلح بعبارة : « بسم الله ، الرحمن الرحيم » وقال ممثلهم أنا لا أعرف الرحمن ، وإنما باسمك اللهم ، كما رفضوا عبارة « بين محمد رسول الله » وقال قائلهم : « لو عرفت انك رسول الله ما

خالفتك ، وإنما أنت محمد بن عبدالله فشق الامر كثيرا على المسلمين ، حتى وثب بعضهم مشهرين سيوفهم ذودا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الرسول منعهم ، وقبل ما طلبته قريش ، كما تعنتت قريش في شروطها حتى ضج المسلمون لذلك ضجة كبرى ، ومع ذلك قبل الرسول صلى الله عليه وسلم .. ضج المسلمون حتى قال عمر رضي الله عنه للرسول عليه الصلاة والسلام : « ألسنا بالمسلمين » قال : « بلى » قال : « فعلام نعطي الدنية في ديننا » فلنسمع جواب الرسول ، صلى الله عليه وسلم – إذ قال : « انا عبدالله ورسوله .. ولن اخالف امره .. ولن يضيعني » . وليس في هذا الأمر ضعف كما ذهب إلى ذلك بعض ضعاف البصائر من المستشرقين ، وإنما تفسيره الواضح ، انه رأى في نومه أنه يعتمر ، ولم ير أنه يحارب ، فهو يريد تنفيذ الرؤيا كما رآها باعتبارها وحيا سماويا ، وذلك قاطع في صدق صلته بربه ، بل ونفى شبهة الضعف التي ثارت في نفوس أولئك الذين لا يتفهمون الأمور ، بنفيها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، في ذات الموقف وقبل عقد الصلح ، كان قد بعث عثمان بن عفان ألى قريش للتفاوض ثم سرت إشاعة أن قريشا قتلوه ، فبايع النبي أصحابه على الموت في بيعة شهيرة في الاسلام امتدح الله الصحابة فيها ، في القرآن الكريم ، اذا لا ضعف ولا شبهة ، وانما هو صدق وإيمان ، ولذلك عندما ثار عمر .. كان قول الرسول له موضحا لذلك المعنى إذ قال : « أنا عبدالله ورسوله ، ولن أخالف امره ، ولن يضيعني » .

وثمة حادث آخر .. فقد روى في امهات كتب السيرة مثل « امتاع الأسماع وغيره » أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من بني ثعلبة بن سعد من غطفان وبني محارب بن خصفة بن قيس قد تجمعوا يريدون الاغارة على المسلمين وتزعمهم دعثور بن الحارث ، فابتدرهم الرسول صلى الله عليه وسلم إذ خرج إليهم في نحو أربعمائة وخمسين مقاتلا ، وعسكر بجنده لدى احد الجبال ، فأمطرت السماء مطرا ثقيلا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذهب منفردا لقضاء حاجته ، فأصابه المطر فبل ثوبه فنزعه ونشره على شجرة ، ليجف ، واضطجع تحتها ، وكان دعثور يراقبه من طرف خفي ، فانتهز هذه الفرصة وباغت النبي صلى الله عليه وسلم مشهرا سيفه ، وقال له : « يا محمد .. من يمنعك مني اليوم ؟ » قال : الله .. فسقط السيف من يده ، وانتابته رعدة شديدة ، فأخذ النبي السيف ، ثم قام فقال له : من يمنعك مني الآن .. فقال : لا احد ، فخلى النبي سبيله ، فأسلم وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه .

فانظر : انه في معمعان تلك المحنة ، التي يعاين الانسان فيها الموت بعينه ، فهو أعزل وذاك عدو يكاد يملكه ، وهو مشهر سيفه ، فلا يزيده ذلك الا اعتصاما بالله ، ولجوءا اليه ، وهكذا كان كلما ضاق به الأمر ، وأحدقت به المحن ، وأحاطه الخطر ، لا يزداد الا تقربا من ربه وتسليما اليه ..

افلا يدل ذلك لكل ذي بصيرة دلالة واضحة قاطعة ، على ايمان صادق لا شبهة فيه ، ولا تصنع .

# الوثنية والنصرانية

للمستشـــار : محمـــد عزت الطهطاوي

لما قضى الله سبحانه وتعالى بذهاب المسيح عليه السلام من هذا العالم الدنيوي سواء بالوفاة بعد قبض روحه شأنه شأن باقي البشر او برفعه الى السماء بعد ان نجاه الله من اعدائه ـ اليهود الذين تآمروا على قتله وصلبه ( كما رفع إدريس عليه السلام الى السمـــاء من قبـل ) قام تلاميـذه وحواريوه بنشر دعوته في التوحيـد والسلام وحب الخير الى الناس .

إلا أن الوثنية وقد كانت غالبة على اهل الارض في ذلك الزمان دفعـت المتأثريـن بهـا والذيـن اعتنقـوا النصرانية الى ان يستمدوا مما رسخ في اذهانهم واستقر في خيالهم من امور الشرك ومن الطقوس الوثنيـة السائدة ما طمسوا به الحق السماوي الذي جاء به المسيح من عقيدة نقية في التوحيد المجرد لله وحده وانه انسان رسول تكلم بالحق طبقا لما ذكره عنه انجيل يوحنا وهو يخاطب اليهـود

المتآمرين على قتله في قوله : ( ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ) .. ( انظر نص انجيل يوحنا اصحاح ٨ عدد ٤٠ ) .

**كيف كانت النصرانية في بداية أمرها ؟**

كانت النصرانية في بداية امرها ديانة سماوية نزلت على المسيح عليه السلام ، لكنها كانت عقيدة مكملة لليهودية ومصححة لما شابهـا من انحرافات مع توالي الحقب والازمان .. ولذا جعلت شريعتها الأساسية توراة اليهود مع تعديلات قليلة ورد ذكرها في انجيل المسيح .. لذا كان المفهوم الطبيعي للنصرانية ان تحكم بشريعة التوراة الأصلية ، مع مراعاة التعديلات الواردة في الانجيل .

غير ان الذي حدث بالفعل لم يكن كذلك ، فلقد انتقلت النصرانية من فلسطين الى اوروبا ومن المجتمع اليهودي الى المجتمع الروماني .. وعلى الرغم من النفوذ الضخم الذي مارسته الكنيسة في اوروبا في العصور الوسطى ، لم تكن الشريعة النصرانية مطبقة في غير الاحوال الشخصية .. وما عدا ذلك من امور كان يحكمه القانون الروماني بجاهليته ووثنياته .

وللتدليل على ما سبق شرحه نذكر شهادة بعض الباحثين والعلماء والأساقفة المعاصرين طبقا للآتي :

اولا : **ماذا يقول الكاتب الامريكي درابير :**

يقول في كتابه : ( النزاع بين الدين والعلم ) لقد دخلت الوثنية والشرك في النصرانية عن طريق من تظاهروا باعتناقها رياء وكذبا ، ليتقلدوا المناصب العالية في الدولة الرومانية دون ان يؤمنوا بها .. وقد فعل ذلك قبلهم الامبراطور ( قسطنطين ) الذي اعتنق النصرانية ولم يتخل عما اعتاد من ظلم وفجور .. لقد اعتنق النصرانية مرغما بعد ان رفعته الى العرش آملة ان يتقيد بأوامرها ، ويساعد على انتشارها غير انها لم تستطع ان تقضي على جرثومة الوثنية الرومانية فيه .. وكانت نتيجة ذلك الصراع ان امتزجت مبادىء النصرانية وقيمها وعقائدها ببقايا تلك الوثنية ونشأ عن ذلك الامتزاج دين جديد ، هو خليط من النصرانية الأصلية والوثنيات اليونانية والرومانية .

ثانيا : **ماذا يقول الاستاذ مجدي مرجان الباحث القبطي المصري ؟**

يقول في كتابه ( الله واحد أم ثالوث ) ..

١ ــ ان المتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد ان الثالوث المقدس يعتبر اصلا من اصولها ومعتقدا من اهم معتقداتها .. وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين وقال به الهنود وقال به غيرهم من الأمم الوثنية .

٢ ــ ان الخلاف الأساسي بين النصرانية والاسلام ، بل بين النصرانية وكافة الرسالات السماوية ، هو في هذه الصورة المشوهة عن الله التي الصقتها الوثنية بالنصرانية بقصد هزيمتها والقضاء

عليها .

٣ ـ ولقد قرر الاستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث النصراني ، حيث ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت الى الانجليزية شارحة وثنية الهنود القدماء اوجه التشابه الكبير بين القانون الايماني الهندي وبين القانون الايماني في عقيدة النصرانية .

٤ ـ إنه بعد ذهاب السيد المسيح ، اضطر تلاميذه وحواريوه من اجل احياء دعوته الى نقلها من ارض اليهود الى الشعوب الوثنية المحيطة بها ، كالرومان واليونانيين وغيرهم ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة النصرانية بين تلك الشعوب الوثنية وخوفا من ان تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود الذين ضاقوا بها ورفضوها اضطر المبشرون النصارى الى تطعيم النصرانية ببعض الطقوس والشعائر والعادات التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية .. ويبدو ان هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية فقد رأوا ان هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة النصرانية الى اذهان الوثنيين ، وظنوا انه مع مرور الوقت فان النصرانية ستتطهر من تلك العادات والطقوس وستعود الى صفائها .

٥ ـ ولقد تحول فعلا الى النصرانية كثير من الوثنيين ولكنهم نقلوا اليها ايضا مزيدا من العادات والشعارات الوثنية .. واضطر دعاة النصرانية وقتئذ الى السكوت وغض الطرف والمجاملة ، وذلك للابقاء على هؤلاء الوثنيين وعدم تنفيرهم من النصرانية ، علهم يستقيمون بعد ذلك على نهج العقيدة الصحيح .

٦ ـ لكن الواقع الأليم أن الذي حدث فعلا ، هو غير ما توقعه اولئك المبشرون النصارى البسطاء ، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي اتى بها المسيح عليه السلام .

وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال اخذت الأحكام الالهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية ، وأخذت الحقائق تتقهقر لتفسح الطريق للأوهام ، وأخذت النصرانية تتباعد شيئا فشيئا عن الدين السماوي العظيم الذي اتى به المسيح عليه السلام من لدن الرحمن الرحيم ، وكان للموقف المتهاون الذي وقفته النصرانية ومبشروها ازاء الوثنية وعاداتها ، هو السبب في تغلب الوثنية على النصرانية وتطويعها لمشيئتها وطقوسها ، ذلك ان الوثنية قريبة لغرائز البشر الحسية وشهواتهم البهيمية .

ثالثا : **القس بولس إلياس اليسوعي وهو من رجال الدين النصارى :**

يقول ذلك القس في كتابه يسوع المسيح : ( لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها الى اليونان حكمة التوراة وآداب الانجيل .. وأخذوا منهم

وضوح التعبير ودقة التفسير فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه الى روما – ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب ، وحافظت على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف ، فما فرضت صيغة موحدة للصلاة .

رابعا : **ويقرر الدكتور احمد شلبي استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة في كتابه مقارنة الأديان عن المسيحية :**

١ – ان النصرانية مرت بعهود ضعف واضطهاد ، وقد امتد هذا الاضطهاد الى انجيل المسيح فالتهمه وقضى عليه .. وهكذا فقدت النصرانية كثيرا من رجالها في قمتهم المسيح نفسه .. وفقدت أكثر مراجعها الأصلية وهو انجيل المسيح ، فأصبح مصدر النصرانية الحقيقي واهنا او بالحرى معدوما .

٢ – ولقد وقفت حضارات اخرى اقدم جدا من النصرانية بين بين – بين التعدد الذي قال به البابليون وبين التوحيد الذي قال به المصريون في عهد أخناتون وكذا قال به الاسرائيليون ، فظهرت بدعة ( التعدد في وحدة والوحدة في تعدد ) وقد قال بهذا الهنود قبل المسيح بأكثر من الف عام فقد كان عندهم براهما – وفشنو وسيفا – يعدونها ثلاثة جوانب لاله واحد وكانوا يعدون براهما واحدا له ثلاثة اقانيم .

خامسا : **ويقول ويلز وهو احد علماء مقارنة الأديان في بلاد الغرب :**

إنه بعد الفتح الاغريقي لمصر اصبحت مدرسة الاسكندرية الحديثة مركزا لحياة مصر الدينية ، بل وصارت في الحق مركزا للحياة الدينية للعالم الهلليني كله ، فأقام بطليموس الأول معبدا عظيما هو معبد السرابيوم ، كان يعبد فيه نوعا من ثالوث الأرباب مكونا من :

١ – سيرابيس
٢ – وايزيس
٣ – وحوريس

ولم يكن الناس يعدونها اربابا منفصلة بل هيئات ثلاث لاله واحد .

**ما هو وجه الخلاف بين نشأة الاسلام ونشأة النصرانية :**

إن وجه الخلاف بين نشأة الاسلام ونشأة النصرانية انه بينما اضطرت النصرانية الى النمو في حضانة الوثنيات التي سادت المجتمع الروماني والمجتمع اليوناني قضى الاسلام على الوثنية منذ البداية قضاء مبرما ، ونشر تعاليمه التي تقوم على الوحدانية للذات الالهية دون لبس او غموض .

وتحدثنا كتب السيرة النبوية انه لما عرض عبدة الأوثان على النبي صلى الله عليه وسلم ، ان يعبدوا الله فترة وان يعبد آلهتهم فترة اخرى ، رفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك العرض بشدة ونزل الوحي الالهي بآيات بينات قضت على تلك الفكرة في مهدها وذلك في قوله تعالى : **( قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين )** سورة

الكافرون ــ هكذا كان موقف الاسلام منذ انبلاج نوره في مكة المكرمة .

اما النصرانية فان الامبراطور قسطنطين الروماني ، كان يعمل جاهدا بغية توطيد ملكه للتأليف بين النصرانية والوثنية التي كانت سائدة في المجتمع الروماني ، وظن دعاة النصرانية وقتئذ ان قبولهم للأوضاع الوثنية انما هو قبول مرحلي لا محيد عنه وان النصرانية ستستطيع ان تنجو آخر الأمر من رجس الوثنية ، ولكن النتيجة ظهرت على عكس ما كانوا يتوقعون فلقد تغلبت الوثنية وقضت في النهاية على عقيدة التوحيد ــ واقرت عقيدة التثليث والتي ترتكز على ان الاله عبارة عن ثلاثة اقانيم هي « الأب » وهو الاصل ــ و « الابن » وهو الكلمة تجسد في المسيح ــ و « روح القدس » الذي التقى بالعذراء مريم قبل ولادة المسيح .

**ما هو موقف الاسلام من عقيدة النصرانية في الثالوث :**

لما جاء الاسلام هاديا للبشرية كانت دعوته في الألوهية دعوة الى الوحدانية والى تنزيه الاله الواحد من لوثة الشرك والتعدد ، وانه متصف بجميع صفات الكمال وان ذاته منزهة عن التثليث الذي تسرب من الوثنية الى النصرانية ، لذا كان موقف الاسلام موقف المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الالهية ومناديا لهم بالعودة الى جوهر التوحيد الذي هو اصل الديانات السماوية ولا جدال في ان التوحيد هو اشرف العقائد الالهية ، وأجدرها بالانسان في ارفع حالاته العقلية والخلقية .

**القرآن الكريم يقضي بمحكم آياته على فكرة الثالوث ويقرر أن الحق الذي لا جدال فيه هو أن الله إله واحد .**

١ ) قال تعالى : **( يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد )** النساء/١٧١ .

فلقد نادى الله سبحانه النصارى بقوله تعالى : **( يا أهل الكتاب )** وفي هذا توبيخ لهم ان يتدبروا كتابهم الذي نزل على رسولهم المسيح عليه السلام ، ويتأملوا ما فيه وهو بلا ريب ان وجد ليس فيه شيء مما يدعون ويفترون كذبا لا اساس له ولا دليل يعتمد عليه فيما زعموه بان : **( المسيح ابن الله )** لأن هذا القول يناقض الدليل الواضح والحق الثابت ، اذ الاله لا يلد ولا يولد ، فان ذلك أمارة الحدوث وعلامة الاحتياج ، وان المسيح لا يعدو كونه رسولا من الله ، وقصر نص الآية على الرسالة للمسيح ، فيه زجر شديد لهؤلاء الذين يقولون على الله غير الحق ، وفي ذكر الآية لاسمه وفي نسبته لأمه اشارة الى انه انسان ككل الناس ولدته انثى ، وأنه وجد بسبب كلمة الله وأمره ( كن ) ، مثله كمثل آدم عليه السلام خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون من غير سبب مادي من وجود أب له ،

كما جرت به سنة الله في توالد بني آدم ، وانه تكون في بطن امه ونشأ فيها بنفخ الله تعالى الروح فيه ، لذلك وصف بانه روح منه اي من الله تشريفا وتفضيلا ، وليست « من » هذه تبعيضية بل كانت تشريفا وتعظيما له عليه السلام ، واذا كان هذا شأن المسيح ليس الها ولا ابنا لله ، اقتضى الأمر تكليف النصارى الايمان بالله وحده ربا لا شريك له في العبادة ، وليس معه ثان ولا ثالث وكذا تكليفهم بالايمان بجميع الرسل وفي جملتهم المسيح عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام .

والتعبير بقوله : **( ولا تقولوا ثلاثة )** لبيان ان مجرد النطق بذلك منكر وقبيح فضلا عن ان يكون اعتقادا وايمانا وفيه اشارة الى ان ما ذهب اليه النصارى لا ظل له من الحقيقة .

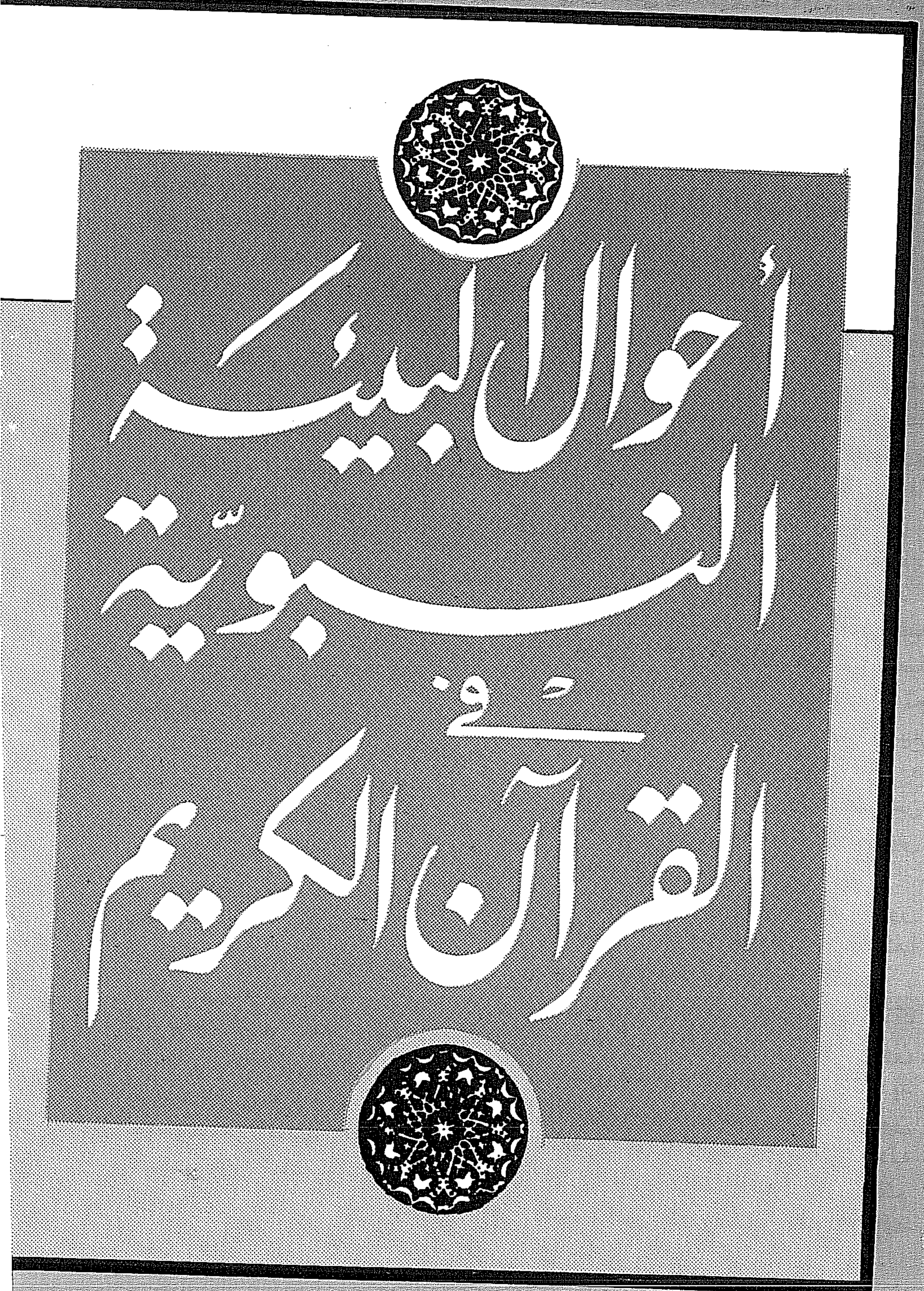
ثم يبذل القرآن النصيحة لهم في قوله تعالى : **( انتهوا خيرا لكم )** فلقد امرهم بالانتهاء من هذا القول وهو قول التثليث لأنه شرك محض وان في خروجهم منه خيرا لهم ، لأنهم يخرجون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام ، بزعمهم ان الله مركب من اقانيم ثلاثة ، لأن العقل كما يحيل تعدد الآلهة ، يحيل كذلك تركبها واتحادها وان في رجوعهم الى التوحيد هو رجوع منهم الى العقيدة الصحيحة المبنية على الحجة والبرهان فيفوزون من الله بالرضوان .

٢ ) وقال تعالى : **( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد )** المائدة/٧٣ في هذه الآية قضى الله بالكفر الصريح على القائلين بالتثليث لأنه كما ذكرنا آنفا انه تسرب الى النصرانية من العقائد الوثنية .

**وخلاصة القول :**

إن التثليث تقرر رسميا بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن ، وانه دخيل على النصرانية الحقة الموحدة ، وقد اعترف كبار علماء اللاهوت النصارى في قاموس الكتاب المقدس ان عقيدة التثليث ( لم ترد في الكتاب المقدس ) ويظن ان اول من صاغها واخترعها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد ، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقيه المسكوني اقر التثليث عقيدة رسمية للنصرانية سنة ٣٢٥ ميلادية ، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند جميع الكنائس النصرانية على يد اوغسطنيوس في القرن الخامس الميلادي ) انتهى ما ورد في قاموس الكتاب المقدس .

والحق أنه لا يمكن عقلا أن يكون الاله إلا واحدا ، اما تعدد الآلهة كما في التثليث فهو وصم لها بالقصور ، لأن قدرة كل واحد منهم تكون حينئذ مقيدة بقدرة الآخرين ، والاله لا يكون محدود القدرة والسلطان ، لأن تحديد القدرة وصم له بالعجز والاله لا يكون عاجزا ، واذا لا يمكن ان يكون الاله إلا إلها واحدا قال تعالى في محكم كتابه الكريم **( وما من إله إلا إله واحد )** المائدة/٧٣ .


أحوال البيئة
النبوية
في
القرآن الكريم

للاستاذ محمد عزة دروزة

من مفاتيح فهم القرآن فهما سليما ملاحظة ما ورد فيه من فصول ، فيها ترديد لما كان من واقع اجتماعي ، ومعاشي ، وفكري ، وعقلي ، وديني ، وعقائدي ، في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم التي نزل القرآن للمرة الاولى فيها، ومن فصول عاطفة على ذلك فيها ، تنديد أو تثريب ،أو إفحام أو حوار ، أو حجة أو مقارنة ، أوتنبيه او إثبات أو نفي .. الخ ، حيث يكون ملاحظة ذلك عاصمة من الوقوع في إشكالات وحيرة وتساؤل في صدد آيات وفصول قرآنية كثيرة ، حيث يجد المدقق في القرآن الكريم الصلة وثيقة بين ما كانت عليه بيئة النبي صلى الله عليه وسلم وعصره ، من تقاليد وعادات وعقائد وأفكار ومعارف ، وبين محتويات القرآن الكريم .

ونستدرك فنقول : إننا لا نعني أن القرآن قد احتوى جميع صور البيئة ، وأن ما احتواه منها قد جاء مبتدئا لها ، فهناك صور أخرى من دون ريب للبيئة لم ترد في القرآن كما أن ما جاء فيه منها قد جاء في الحقيقة عرضا ، وبسبيل الدعوة أو الموعظة أو التذكير أو التشريع أو التنبيه أو الأمر أو النهي أو التوضيح أو الاجابة على سؤال أو مشكل مما اقتضته الحكمة الربانية ليكون مصدر إلهام وإيحاء وتوجيه ، ومرجع تشريع وتلقين في جميع العصور ، وليس عائدا أو محصورا بأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم وعصره ، كما يفيد الأسلوب الذي جاءت به الآيات والفصول ، والذي صار بذلك فريدا معجزا ، ومرشحا للقرآن وللشريعة القرآنية والرسالة الاسلامية للخلود والأبدية .

وهذه الصلة واضحة :

**اولا** : من جهة أن الدعوة الاسلامية والوحي القرآني إنما اقتضتهما حكمة الله بسبب ما كان عليه الناس ــ وأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من جملتهم بل في مقدمتهم ، لأنهم المخاطبون الأولون ــ من خلاف في فهم وإدراك وجوب وجود الله تعالى وكمال صفاته وتنزهه واستغنائه عن الشريك والولد والولي والمساعد . ومطلق تصرفه في كونه ، واستحقاقه وحده للعبودية والخضوع والاتجاه ، ووجوب

نبذ ما سواه ، ومن انحراف عن طريق الحق والخير والعدل والفضيلة ، ومن اختلاف عظيم في المذاهب والعقائد والطقوس ، سواء في ذلك كل العرب وغيرهم . والكتابيون والأميون والمشركون ، ثم بسبب أن ذلك ناشيء عن ما كان من تقاليد وأفكار ومعارف وأهواء وتأويلات ومفاهيم عند الناس وأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم في المقدمة اقتضت حكمة الله نسخها أو تعديلها .

**ثانيا** ـ مما احتواه القرآن من فصول الجدل والتنديد والتقريع في صدد هذه التقاليد والعادات والأفكار والمعارف والأهواء والتأويلات والمفاهيم ، فيها اشارات كثيرة إلى كثير من صورها المتنوعة . وفيها ربط بينها وبين مواقف أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من الدعوة الاسلامية . يضاف إلى هذا المظهر القرآني العام نصوص قرآنية خاصة في هذا المعنى وردت في مواضع عديدة وبأساليب متنوعة اذا تمعن القارىء فيها ظهرت له هذه الصلة ظهورا جليا ، ونزيد الأمر ايضاحا بالأمثلة التالية :

١) في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا في مختلف أحوال الملائكة ، وهذه الآيات مما يدخل في عداد المتشابهات ، من حيث أن بعضها يحتمل وجوها عدة من التأويل ومن حيث أن تأويل بعضها لا يعلمه إلا الله تعالى . ومن حيث أن الواجب المنطوي في هذه الآيات يقضي بالوقوف منها عندما وقف القرآن عنده ، وقرره بدون تزيد ، مع استشفاف حكمة ورودها .

وبسبيل ذلك نقول : ان المفهوم مما تريده الآيات الكثيرة من واقع عقائدي وديني هو أن أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون بوجود الملائكة ، وانهم بنات الله ، ويسمونهم تسمية الأنثى ، وأنهم ذوو حظوة لدى الله عز وجل ينفذون أوامر الله ويؤيدون أنبياءه . وكانوا تأسيسا على ذلك يتحدون النبي الذي كان يقول : إن الله يوحي إليه وينزل الملائكة عليه باظهارهم جهارا عيانا لتأييده ، وكانوا إلى اعتقادهم بأن الله خالقهم ورازقهم ورب السموات والأرض وما بينهما على ما تلهمه آيات قرآنية عديدة يعبدون الملائكة أيضا . أو بتعبير أدق يشركونهم في العبادة مع الله تعالى بقصد الشفاعة والحظوة والقربى إليه وضمان قضاء مطالبهم منه على ما تلهمه آيات عديدة قرآنية أيضا ، ويتفرع من هذا ما في القرآن من نفي متكرر لاتخاذ الله ولدا في معرض الرد على المشركين والتنديد بهم ، والقصد من ذلك هو عقيدتهم بكون الملائكة بنات الله عز وجل ( وكلمة ولد تطلق على الصبي والبنت ) .

فبهذا كله يمكن ان يفهم ويفسر بيسر حكمة ما احتواه القرآن الكريم من الآيات الكثيرة جدا في الملائكة . ولقد احتوى كثير منها ـ وهذا من مظاهر تلك الحكمة او مقاصدها تقريرات بكون الملائكة عبيدا لله ، وكونهم لا يستكبرون عن عبادته ويخافونه ويفعلون ما يأمرهم به ، ولا يعصون له أمرا ، ولا يجرأون على دعوى الألوهية ، وكونهم هم أنفسهم يبتغون إليه الوسيلة والتقرب بالطاعة والخضوع والعبادة والتقديس الدائم ، حتى إنه يأمرهم بالسجود لآدم فيسجدون له امتثالا

لأمره ، وبكونهم لا يشفعون الا لمن أذن به ورضي عنه . على ما هو مثبوت في آيات كثيرة . وفي ذلك الحجة القرآنية البالغة التي هي من مقاصد تلك الحكمة بأن الله تعالى هو الأوحد المستحق للعبادة ، والتقرب والوسيلة إليه بالطاعة وصالح العمل والتقديس والتسبيح . وإن من السخف والضلال إشراك عبيده وخدمه ومنفذي أوامره وطالبي الحظوة إليه معه ، لأنهم لا يملكون ذلك لأنفسهم ، ومن باب أولى لا يملكونه لغيرهم ، على ما تلهمه آيات كثيرة .

ولقد كانت فكرة الاستشفاع بالملائكة والتقرب بهم إلى الله تعالى لضمان قضاء مصالحهم ومطالبهم ورغائبهم ودفع الأذى وجلب النفع راسخة في أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانعكس ذلك في آيات كثيرة فيها نفي لنفع الشفاعة بدون رضاء الله وإذنه . ولقد حكت آيات عديدة في سياق حكايتها لمشاهد الآخرة تنصل الملائكة من ذلك ، وإعلانهم بأن الله هو وحده وليهم تقوية لتلك الحجة . ولقد كان المشركون يحاجون النبي صلى الله عليه وسلم في إشراكهم الملائكة في العبادة ، ويقولون : إن الله لو لم يشأ ذلك لما فعلناه على ما ذكرته بعض الآيات ، فأوحى الله بآيات فيها رد مفحم عليهم .

وكل ما تقدم يعكس صلة البيئة النبوية بالتنزيل القرآني ، ويساعد على فهم القرآن الكريم ولقد كان كل هذا ورسوخه في أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب استمرارهم في شركهم ، واستمرار المعركة القرآنية ضد الشرك والمشركين ، وبقاء معظم أهل مكة ومن ورائهم معظم العرب مشركين طيلة العهد المكي ، وشطرا كبيرا من العهد المدني ، ويعكس هذا كذلك صلة البيئة النبوية بالتنزيل القرآني ويساعد على فهم القرآن الكريم أيضا .

٢ ــ وشأن الجن مثل شأن الملائكة في امر خفائها مع شيء من الاختلاف بسبب طبيعة الملائكة ، من حيث أن هؤلاء خلق خير ، وأولئك خلق شر . وفي القرآن آيات كثيرة في مختلف أحوال الجن ، وهي مثل آيات الملائكة تدخل في عداد المتشابهات من حيث أن بعضها يحتمل وجوها عديدة للتأويل وأن تأويل بعضها لا يعلمه إلا الله تعالى ، ومن حيث أن الواجب المنطوي في هذه الآيات يقضي بالوقوف عند ما وقف القرآن بدون تزيد مع استشفاف حكمة ورودها ، وبسبيل ذلك نقول إن المفهوم مما رددته آيات كثيرة من واقع عقائدي وديني هو أن اهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون بوجود الجن ، وأنهم خلق قوي مخيف ، وأنهم يستطيعون أن يتسلطوا عليهم ، ويؤذوهم ويخطفوهم وأن يختلطوا في أجسادهم فيسببون لهم الصرعة والتخبط من مسهم . وانهم يوسوسون لهم بسيئات الأعمال والأخلاق ويزينونها لهم ، وأن أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك كانوا يخافونهم ويعوذون بهم ويعبدونهم اتقاء لشرهم وأذاهم ، فبهذا كله يمكن أن يفهم ويفسر بيسر كذلك حكمة احتواء القرآن الكريم للآيات الكثيرة في الجن أيضا . ولقد احتوى كثير منها ــ وهذا من مظاهر أو مدى تلك الحكمة ــ تقريرات بكون الجن لا يعلمون الغيب ، ولا يستطيعون الأذى والوسوسة والتأثير إلا على من يستسلم

لهم ، ويشذ عن طريق الله الحق . ويكون منهم طوائف يؤمنون بالله ورسله وكتبه ـ ويكون غير هؤلاء ملعونين عند الله مطرودين من رحمته معرضين لنقمته وغضبه وعذابه في الآخرة ، ويكون من واجب المؤمن الصادق ان يستعيذ بالله ويلجأ إليه حينما يتعرض لنزعاتهم ووساوسهم فيكون في ذلك نجاته منهم ، وفي ذلك الحجة القرآنية البالغة التي هي أيضا من مظاهر ومدى تلك الحكمة بأن الله تعالى وحده هو المستحق الأوحد للعبادة والتقرب والتوسل بالطاعة وصالح العمل ، وبأن من السخف والضلال اتباع الجن وعبادتهم والاعتقاد بأنهم قادرون على النفع والضرر بغير إذن الله تعالى .

ويتفرع عن هذا ابليس والشياطين ، وكلمة ابليس هي ذم من ( أبلس ) بمعنى يئس اي اليائس من رحمة الله ، وكلمة شيطان أيضا هي كلمة ذم من ( شاط ) أو ( اشتط ) بمعنى بغي واعتدى وعتا . والكلمة بمعنى شديد البغي والعدوان والعتو . والكلمتان مستعملتان من العرب قبل نزول القرآن وصيغتهما فصحى لأن القرآن نزل بلغة العرب ، ولا بد من أنهم كانوا يعرفون معناهما المذكور ، وكانوا يطلقون كلمة الشيطان ايضا على الباغي العاتي من الأنس ، وجاء هذا في بعض آيات القرآن أيضا ولقد ذكر القرآن أن ابليس والشياطين من الجن ، وفيه آيات كثيرة تذكر وساوس إبليس والشياطين للمشركين والكفار ، وتأثر هؤلاء بهم والوقوع في شراكهم ووساوسهم كأمور راهنة من أحوال أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد احتوى القرآن الكريم آيات كثيرة بالتنديد بالمشركين بسبب ذلك وبيان ضلالهم كما احتوى آيات كثيرة تقرر أن إبليس والشياطين إنما يؤثرون في وساوسهم وتزييناتهم على المنحرفين والفاسقين والظالمين والمترفين . وأنهم ليس لهم سلطان على عباد الله المخلصين ، وهكذا تبدو الصلة ظاهرة أيضا بين التنزيل القرآني وأحوال بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويساعد ذلك على فهم وتفسير القرآن وادراك ما في آياته من حكمة وعبرة ، وفي القرآن حكاية مشاهد اخروية يتنصل فيها الشيطان من متبعيه ، وهذا من مظاهر وبوادر تلك الحكمة .

٣ ـ وفي القرآن آيات كثيرة تفيد وتردد ما كان للزعامة والثروة ـ وكثيرا ما كانت الاثنتان تجتمعان معا ـ من قوة وتأثير في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفيد بأن الزعماء والأثرياء والمترفين هم الذين قادوا معركة المناوأة للنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وأثروا على الجمهور ومنعوه من الانضواء الى الاسلام حتى ليكاد معظم القرآن المكي وما فيه من حجاج وحملات وقصص وامثال وحوار ومواقف وإنذار ووعيد يكون في صدد معركة النبوة مع الزعامة ، مما هو متصل بحالة بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعكس صلة التنزيل القرآني بها ، ويساعد على تفسير القرآن وفهمه أيضا .

وفي القرآن المكي بخاصة آيات عديدة فيها مشاهد أخروية وحكاية ما سوف يدور من حوار بين الزعماء ( المستكبرون ) والعامة ( الضعفاء والمستضعفون ) وفيها تنديد وتوجيه مسئوليات وندامة وحسرة ، وتعكس هي ايضا ما كان من تأثير

الزعماء والأثرياء على العامة ، وقيادتهم لمعركة المناوأة للنبي ورسالته ، وبالتالي تعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، وتساعد على فهمه وتفسيره ، ولقد وصف القرآن قوم النبي صلى الله عليه وسلم بشدة الجدل والخصومة ، والمقصود هم الزعماء والنبهاء الذين كانوا يقودون المناوأة ضد النبوة والرسالة ، بل كانوا طرفها الرئيسي ، ولقد حكى القرآن كثيرا من أقوالهم ومواقفهم ، ولقد انكشفت عبقرية ومواهب كثير منهم عقليا وفكريا وسياسيا وحربيا ، بحيث يقال : إن موقف الزعماء والنبهاء لم يكن من غباء وجهالة وحسب ، بل كان من استعظام الزعماء واستكبارهم عن الانضواء إلى دعوة محمد النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن زعيما ولا ثريا ، ومن اختصاصه دونهم وهم أصحاب القوة والوجاهة والمال والتأثير والنفوذ والسلطان على ما جاء في آيات عديدة ، ولقد كانوا يتعجبون من خلاف الكتابيين ونزاعهم فيما بينهم ، ويحلفون أن لو جاءهم كتاب عربي ورسول عربي لصاروا أهدى منهم ، ولقد كانوا يرون انفسهم أهدى من النصارى باتخاذهم الملائكة بنات الله ، بينما النصارى يتخذون انسانا ابنا له ولكن اختصاص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة هو الذي أثارهم ، لأنه ليس زعيما ولا ثريا ، مما يعكس أيضا صلة حالة البيئة بالتنزيل القرآني ويساعد على فهمه وتفسيره ، ولقد كان ما احتواه القرآن من دعوة إلى المساواة والأخوة بين جميع المنضوين للاسلام بدون فرق بين عظيم وصعلوك ، وغني وفقير ، وحر وعبد ، وأبيض وأسود مما يثير الزعماء ويجعلهم يحتجون على النبي ، ويطلبون ابعاد الفقراء والصعاليك عنه ، حتى لقد حدثت النبي نفسه لحظة ما بشيء من الاستجابة لهم ، بقصد كسبهم للدعوة ، لأن في ذلك تثبيتا ونشرا لها بين الجماهير المتأثرة بهم ، وهذا أيضا يعكس صلة البيئة بالتنزيل القرآني ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

ولقد كان كذلك ما احتواه القرآن من دعوة إلى البر بالفقراء والمساكين ، وانفاق المال والتنديد بكنزه ، والتفاخر به وانذار المتكاثرين المتفاخرين الباخلين ــ وهذا مبثوث في سور كثيرة ــ مما أثار في الأثرياء الذين كانوا أيضا عماد القوة المناوئة للنبوة والرسالة ، مما يعكس أيضا صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، ويساعد على فهم القرآن وتفسيره .

٤ ــ إن الآيات القرآنية الواردة في شعائر الحج تفيد صراحة وضمنا أنها كلها أو جلهاكانت ممارسة قبل البعثة فأقرت في الاسلام بعد تنقيتها من شوائب الشرك والوثنية والقبح الذي كان يتمثل في الطواف في حالة العرى التام ، وكان العرب ينسبونها إلى ابراهيم ، فرددت بعض آيات القرآن ذلك ، وكانت تلك التنقية اعادة للأمر إلى نصابه الذي لا بد أنه هو الذي كان عليه في عهد ابراهيم عليه السلام ، وهذا ما تؤيده بعض آيات القرآن ، مع أن فيهاما قد لا يفهم حكمة إقراره ، مثل الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمرات في مني ، واستلام الحجر الأسود ، والمتبادر أن ذلك متصل بتقاليد الحج العربية بعد أمد

طويل من عهد ابراهيم ورسوخها . وفيها مظهر لوحدة العرب على اختلاف منازلهم ، حيث كانوا يشتركون جميعهم في الحج . ومواسمه وتقاليده وحرماته وأشهره الحرم ، وحكمة إقرارها في الاسلام منطوية في ذلك الرسوخ ، من جهة ، وما كان لها من فائدة وأثر في الوحدة المذكورة التي كان القرآن يدعو إليها من جهة أخرى .

ولعل قصد تأنيس العرب بالدعوة الاسلامية مما ينطوي في تلك الحكمة أيضا ، وفي سورة القصص آية مهمة في هذا الباب وهي قوله تعالى : ( **وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا** ) الآية / ٥٧ حيث تفيد أنهم حسبوا أن تكون الدعوة الاسلامية قد هدفت إلى الغاء تقاليد الحج ، وكان من مقتضى هذه التقاليد حرمة مكة ومنطقتها وتوافد العرب من كل صوب عليها ، وإقامة المواسم حولها . فكان خوفهم من أسباب امتناعهم عن الاستجابة للدعوة مع أنهم لمحوا أن فيها هدى وحقا ، حيث يعكس هذا ، الصلة الوثيقة بين التنزيل القرآني وتقاليد البيئة النبوية قبل الاسلام ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٥ ــ في القرآن آيات كثيرة فيها قصص وأخبار ومواقف عديدة عن إبراهيم عليه السلام ليست واردة في سفر التكوين ، أول أسفار العهد القديم الذي هو المصدر الوحيد الذي وصل إلى عهدنا الذي ذكر هذا النبي ، وفصل سيرته وسيرة ذريته ، ومن تلك الأخبار والقصص والمواقف دعوته لأبيه وقومه ومحاجته معهم ، وتكسيره الأصنام ، ومحاولتهم حرقه بالنار ، ودعاؤه بأن يجنبه الله وبنيه الأصنام ، واسكانه بعض ذريته في منطقة بيت الله المحرم ، وانشاؤه مع ابنه اسماعيل الكعبة ، وكونه أول من دعا إلى حجها ، وكون العرب أو بعضهم ينتسبون إليه . ودعاؤه مع اسماعيل بأن يرسل الله اليهم رسولا منهم يهديهم . وجميع ذلك مما كان متداولا بين أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما ذكرته الروايات القديمة الكثيرة . فردده القرآن ولو لم يرد في أقدم مصدر تاريخي وصل الينا ، ذكر فيه ابراهيم عليه السلام ، مما يعكس الصلة بين التنزيل القرآني وبين ما كان متداولا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

واستشفاف حكمة وروده في القرآن ، فالعرب كانوا يدعون إلى توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام ، وكانوا يدعون أنهم أبناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . وقد دعوا الله بأن يجنب أبناءهما الأصنام وبأن يرسل إليهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقد استجاب الله لدعوتهما وأرسل هذا الرسول فلزمتهم الحجة .. ويتبادر لنا والله أعلم أن ذلك هو الهدف الجوهري في كل هذه الأخبار القرآنية .. وأنها لم ترد في القرآن للسرد التاريخي ، وانما لتحقيق هذا الهدف الجوهري .

٦ ــ ليس في القرآن المكي حملات عنيفة على اليهود الذين كان يسكن منهم في الحجاز جاليات كثيرة من أصل اسرائيلي . واكتفى فيه بذكر قصص موسى

وفرعون وبني إسرائيل الأولى مستهدفا بذلك ما استهدفه بذكر قصص الأنبياء الآخرين من عبر وعظة وتذكير ، وقد جاءت قصص موسى وفرعون وبني اسرائيل باسهاب أوفى مما جاءت به قصص الأنبياء والأمم الأخرى مما يمكن ان يكون سببه أو حكمته وجود الجاليات الكثيرة ، وصلته الوثقى بالبيئة النبوية . في حين أن القرآن المدني احتوى حملات شديدة لاذعة على اليهود والاسرائيليين ، واصفا لسوء أخلاقهم ودسائسهم ومكائدهم مع وصل حاضر هذه الأخلاق بأخلاق آبائهم الأولين . وهذا أيضا متصل بحالة قائمة في البيئة النبوية وظروفها . إذ لم يكن لليهود في مكة كيان وتكتل ومركز قوي ، وكان لهم ذلك في المدينة وما جاورها ، ولم يقع بينهم وبين النبي في مكة احتكاك وصدام وتشاد بل وكان من أفرادهم القلائل الذين كانوا في مكة بالاضافة الى أفراد من النصارى موقف ايجابي ، وقد أعلنوا جميعهم فرحهم بما كان ينزل على النبي وتصديقهم بأنه منزل من الله ، وآمنوا واندمجوا في الاسلام في حين وقع بينهم وبين النبي بعد هجرته إلى المدينة صدام وتشاد بسبب ما كان لهم من مركز قوي اجتماعي واقتصادي وديني ، حيث رأوا في دعوته وتعلق الناس به خطرا على ذلك المركز ، فظهر أثر ذلك في الأسلوب القرآني المدني دون الأسلوب المكي ، ويعكس هذا كما هو ظاهر صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٧ ــ ولقد كان الرق والانتفاع به تجاريا وجنسيا من الأمور الراسخة في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانعكس ذلك فيما جاء عنه في القرآن ، حيث اقتضت حكمة التنزيل تنظيمه تنظيما عادلا وبارا مع الحث على تحريره ، ومع أساس تشريعي قرآني لالغاء استرقاق أسرى الحرب ، وهذا هو المورد الأعم والأغلب للرق ، حيث يبرز في ذلك صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٨ ــ ولقد كان صنع الخمر والانتفاع به تجاريا وممارسة شربه راسخا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم فانعكس ذلك على ما جاء في القرآن عنه أولا في السور المكية التي نبهت على ما فيه من غول وما يحدثه من نزف . وثانيا في السور المدنية حيث جاء في احدى آيات البقرة قوله تعالى : ( **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما** ) الآية / ٢١٩ وحيث نهى عن الصلاة في حالة السكر قال تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى** ) النساء / ٤٣ .

ثم حرم بتاتا بعد ذلك قال تعالى : ( **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** ) المائدة / ٩٠ .

٩ ــ ومثل هذا يقال في الميسر والربا وقد ذكر الميسر في آية سورة البقرة الانفة بما ذكر ، ثم حرم بتاتا مع الخمر في آية سورة المائدة السابقة . ولقد نبه القرآن بسبب رسوخ الربا وممارسته على أن الربا لا ينال رضاء الله وبركته ، قال تعالى : ( **وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله** ) الروم / ٣٩ ، ثم نهى عن أكله أضعافا مضاعفة قال تعالى : ( **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا**

**اضعافا مضاعفة )** آل عمران / ١٣٠ ، ثم شدد في تحريمه بتاتا بعد ذلك ، قال تعالى : **( وأحل الله البيع وحرم الربا )** البقرة / ٢٧٥ ، وسورة البقرة نزلت بعد سورة ال عمران على ما رواه المفسرون .

١٠ ـ والمشاهد الاخروية في القرآن مما يعكس صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة النبوية بالاضافة الى الحقيقة الايمانية لليوم الآخر وحسابه وثوابه وعقابه ، فمن حكمة ذكر مشاهد الحساب والثواب والعقاب الأخروية والتخويف والتبشير **( ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون )**ـ سورة الزمر / ١٦ **( ذلك الذي يبشر الله عباده )** سورة الشورى/ ٢٣ والاستبشار والخوف انما يكون من معرفة آثار ما يبشر به ويخوف منه . ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى بالاضافة الى الحقيقة الايمانية أن تكون مشاهد الحساب والثواب والعقاب الأخروى من مألوفات الناس في الدنيا ، ومن مألوفات أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم الذين خوطبوا بالقرآن لأول مرة للترغيب والترهيب ، ويشمل ذلك الجنات التي تجري من تحتها الأنهار وما فيها من مساكن والنخل والرمان والفواكه ومجالس الشراب الأنيقة التي يدور الولدان فيها على الجالسين بالأباريق والكؤوس ، ومزج الشراب بالزنجبيل والمسك والكافور ، وصحاف الذهب والفضة وقوارير الفضة وحلى الذهب والفضة واللؤلؤ والثياب الحريرية والفرش الزرابي والنمارق والسرر المرفوعة ولحوم الطيور وغيرها وغيرها .

وريح السموم وظل اليحموم والماء الحميم وشواظ النحاس والزقوم والغسلين والضريع ومقامع الحديد ومجالس القضاء والشهود وكتب الأعمال الخ .. مما يعكس صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة ويساعد على فهمه وتفسيره . مما يلفت النظر أنه ليس في المشاهد الأخروية القرآنية مجالس غناء وطرب وشراب ، وأنه ليس في الروايات التي تروى عن حالة بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن ذلك مما كان مترقبا ومما كان الاهتمام له والتعلق به شديدين كالشراب ومجالسه ، وأدواته ، وفي هذا دليل يؤيد ما ذكرناه .

١١ ـ ومما يتصل بالتنزيل القرآني والبيئة النبوية قصص القرآن الكريم والمدقق فيها يرى أنها اقتصرت أو كادت تقتصر على القصص العربية التي كانت أحداثها في جزيرة العرب ، والقصص الواردة في أسفار العهد القديم والعهد الجديد التي تدور على قصص خلق آدم وطوفان نوح ونسلهما ونسل ابراهيم ، وسكناهم في أرض فلسطين وعدوان الاسرائيليين على فلسطين ، وبعض قصص مسيحية ويهودية أخرى . مع أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أمم وبلاد كثيرة لها نشاط وحياة وحضارة وعلوم وفنون . وحكمة ذلك فيما يتبادر لنا تفسيره هو أن معرفة أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم الذين خوطبوا بالقرآن لاول مرة كانت قاصرة أو كالقاصرة على ما كان متداولا من روايات واخبار وأنباء العرب ، وابراهيم واسماعيل ، ومن كتب كانت متداولة في أيدي الكتابيين من يهود

ونصارى الذين كان منهم جاليات في الحجاز واليمن والبلاد المجاورة التي كان تجار الجزيرة ومسافروها يزورونها للتجارة وغير التجارة من حيث ان تأثر السامعين للقرآن لاول مرة بالقصص ، واعتبارهم واتعاظهم بها وهذا وذاك هو المقصد الجوهري في القصص القرآنية انما يتحقق إذا ما كانت هذه القصص مما يعرفها ويسمعها أهل بيئة النبي كليا أو جزئيا ، ولا يخرج عن هذا ذكر الروم وهزيمتهم والوعد بأنهم سيغلبون ، ولا ذكر ذي القرنين فالحرب كانت تجري بين الروم ، والفرس في بلاد الشام والعراق ، وهي مجاورة للجزيرة العربية وتصل أخبارها بسرعة إلى أهل البيئة النبوية ، بل كان بعض معاركها في العهد المكي من البعثة النبوية وهي التي ذكرت في سورة الروم . وكان المسلمون يفرحون بانتصار الروم لأنهم أهل كتاب ويدينون بالنصرانية وكانت الجالية الكتابية في مكة قد انضوت إلى الاسلام . وكان المشركون يفرحون بانتصار الفرس وانكسار الروم نكاية بالمسلمين ، حتى لقد جرى رهان بين أبي بكر رضي الله عنه وأحد زعماء المشركين على أن النصر سوف يكون للروم بعد غلبهم ( **غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله .** ) الروم/ ٢ — ٥

وذو القرنين هو على أصح التفاسير فيما ظهر لنا من التمحيص للروايات والأقوال ملك الفرس « كورش » أو « دارا » وكان أهل جزيرة العرب ومنهم أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم على صلة وثيقة بالفرس .

وكل ما تقدم يعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة النبوية ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

وليس ما أوردناه هو جميع ما تظهر به الصلة بينه وبين التنزيل القرآني ، ولكنه يكفي لابراز ذلك للتنبيه على وجوب ملاحظته ، لأن ذلك مهم في فهم مواضيعه وتقريراته وروحه ومداه . ويجعل الناظر فيه يندمج في الوقائع ومقتضياتها ولا يبتعد عن حقيقة الواقع .

ويعصمه من التورط في الجدل والتزيد وتحميل العبارات ما لا تتحمله أو أخذها مجردة عن ملابساتها . مع التذكر بأن ما احتواه القرآن من صور مما له صلة بالبيئة النبوية ، وقد جاء بأسلوب وفي سياق غير محصور في نطاق محلي ، وزمن محدود ومطلقا شاملا فيه من التوجيهات والتقلبات والوصايا والتنبيهات والحكم والمواعظ ما له صفة الشمول والاستمرار والدوام والعالمية والانطباق على كل زمان ومكان ، مما يتسق مع ما قرره القرآن من أن الله تعالى أنزله ليكون بيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين والمؤمنين وذكرا للعالمين ، وبذلك تبرز المعجزة القرآنية الكبرى في الأسلوب والمدى وهذا فضلا عن ما في المحكمات القرآنية التي وردت الاشارة اليها في سياق الأمثلة التي تعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة من مثل ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

# الذات المسلمة والابداع الحضاري

بعيدا عن نلك الجدل العقيم ، حول دور الانسان الفرد والانسان المجتمع في العملية الحضارية ـ فاننا نؤمن إيمانا لا يخالجه شك بأن « الانسان الفرد » هو الأصل الأصيل لكل حضارة في التاريخ ، ثم يأتي بعده « الانسان المجتمع » ، وبالتالي ، فان ما يصيب الانسان المسلم من أمراض حضارية تؤثر بطريقة جوهرية على المستوى الذي تستطيع به هذه الحضارة أن تستجيب للتحديات البيئية أو البشرية .

إن « الانسان » ـ بكل المقاييس ـ هو أساس العملية الحضارية . وإن حضارتنا الاسلامية ليست نشازا في هذا المجال ، بل لعلها من أكثر الحضارات اهتماماً بدور الانسان في التاريخ !!

للدكتور : / عبد الحليم عويس

ولهذا فهي ــ ابتداء ــ لا تعفيه من أية مسئولية تحت أي شعار ، كالقول « بخطيئة آدم » بالمعنى الكنسي ، وما يتبعه من تحمل المسيح لآلام البشر !! كما أنها لا تجعل المسئولية الجماعية بديلا عن المسئولية الفردية ، بل ( **كل نفس بما كسبت رهينة** ) المدثر / ٣٨ ، ( **ان كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ) مريم / ٩٣ ــ ٩٥ .

وهذا الانسان كما هو معروف ــ كائن معقد مزود من خلال تركيبه العضوي ( البيولوجي ) والنفسى ( السيكولوجي ) والعقلي والروحي ، المتكامل . بكل الامكانات والطاقات التي تؤهله للسير في طريق التاريخ الحضاري صعودا وهبوطا : ( **لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين** ) التين / ٤ ، ٥ . ( **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ) الاسراء / ٧٠ .

ولأن هذا الانسان ــ في النظرة الاسلامية ــ كائن متكامل في بنائه ، وهو ذو طاقات متعددة لكنها متشابكة ومتكاملة ، وهو ــ كذلك ــ لا يتحرك الا بدوافع متعددة توازي طاقاته كلها ...

لأنه كذلك ، فنحن نصطلح بأن نطلق عليه اسم ( الذات ) ــ أو ( الذات الانسانية ) المسلمة !!

وهذه ( الذات ) هي هذا المجموع الكلي ، أو الكائن المتشابك الذي يضم في أحشائه وبدون تشطير ( النفس والجسم والعقل والروح ) ....

ان هذه ( الذات ) هي التي أطلق سراحها في التاريخ ، بعد أن هبطت من الجنة ، وهي ــ بكيانها ذاك ــ قد نيط بها أن تصنع ( حضارة ) متكاملة مثل تكاملها ، متوازنة مثل توازنها ، منسجمة مثل انسجامها ... ذلك لأنها انما تصنع حضارة لذاتها ... ( حضارة انسانية ) وبالتالي ، فلا بد أن تشبع عن طريق هذه الحضارة كل طاقاتها .

وفي التاريخ ، تتابع الأنبياء ، وكلهم يقدم « الحضارة الانسانية الملائمة » المنسجمة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، مركزين على الجوانب التي اهتز رصيدها ، حتى يعود التوازن والانسجام من كل

الجوانب .

وعندما جاء الاسلام سار على الدرب ، فكان هو أيضا : ( **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ) الروم / ٣٠ ، ونجح هذا الدين العظيم في مهمته التاريخية ، فقدم انسانا متكاملا ، وقدم من خلاله حضارة متكاملة أبدعت في شتى الجوانب ، روحية ، أو عقلية ، أو مادية ، والأهم أنه قدم هذه الحضارة المتعددة الجوانب ، على نسق ( توحيدي ) يفرض نزعته ( التوحيدية ) على كل صورة ابداعية من ابداعات هذه الحضارة ، فنية أو علمية أو روحية .

ولقد ظلت هذه الحضارة الاسلامية في كافة عصورها ومراحلها وحدة تاريخية متكاملة ، كما أن الأصول الروحية والمادية التي قامت عليها هذه الحضارة ظلت ماثلة في كيان المجتمع الاسلامي في ابان عصره الأول والوسيط ، ولا تزال ماثلة في عصره الحديث – بدرجة متفاوتة ، لكنها موجودة ، وكاملة – على مستوى التنظير الأقل – وأيضا ، وبنفس المستوى ، ظل الانسان المسلم هو المترجم الحقيقي – في مجال الفكر والتطبيق – لمنهج هذه الحضارة ، وظل العمود الفقري الذي تعتمد عليه الحضارة الاسلامية ، وهي تقوم بدورها في التاريخ .

أن هذا الانسان المسلم ، أو بالتعبير الذي أحسن استخدامه الشاعر المفكر المسلم محمد اقبال : « الذات المسلمة » حمل أمانة تجسيد الحضارة الاسلامية في كل جزئيات فكره وسلوكه .

– فكان – حقا – خليفة لله في الأرض – يحمل الى البشرية ، الأمانة التي حملها الانسان ، وكان هذا الانسان النموذج الحضاري الذي تتحقق فيه الشروط الكاملة للقيام بالدور الحضاري ، وهي – في رأي اقبال – ثمانية شروط :

– الارتكاز على قيادة ملهمة : ( النبوة ) .

– وعلى اعتبار روحي : ( التوحيد ) .

– وعلى دستور : ( القرآن ) .

– وعلى مركز محسوس : ( الحرم ) .

– وعلى هدف واضح تقره الجماعة .

– وتكون له السيادة على قوى الطبيعة .

– وأن تتطور ذاته في اتجاه الذات الكلية الجامعة .

– وأن يحتفظ للأمومة بحقها ( ولعله يقصد دور المرأة عموما وذكر الأمومة لأنها أشرف أدوار المرأة ) .

● ومن الضروري لهذه الذات أن تتصادم بالعوامل الخارجية ( التحدي ) حتى تظهر قوتها وحيويتها وعبقريتها وقدرتها على المقاومة والنمو ... وفي قصيدته ( دور الانسان في التاريخ ) يبرز اقبال هذا الدور الخطير العظيم عبر محاورته ( الداخلية ) التي يحاور فيها الانسان خالقه وخالق الكون :

● أنت خلقت الليل ... وأنا صنعت المصباح
● أنت خلقت الصلصال ... وأنا صنعت الكوب
● أنت خلقت الصحاري والجبال والغابات
● وأنا صنعت البساتين والحدائق والأرائك
● ...... أنا الذي صنعت المرآة من الحجر
● ...... وأنا الذي حولت السم الى شراب نافع

هذه هي « الذات المسلمة » التي صنعت الحضارة الاسلامية ، والتي أدت دور خليفة الله في الأرض !!

● ● ●

ثم تراكمت الأخطاء

● حين تسلط الملك العضوض ، وسقطت ارادة المسلم السياسية .
● وحين أصبح الاسلام ( جباية ) لا ( هداية ) وسقطت ارادة المسلم الاجتماعية .
● وحين استأثر ( ببيت المال ) أسرة أو جماعة وسقطت ارادة المسلم الاقتصادية .
● وتنازع المسلمون فيما بينهم ، فسقطت عوامل كثيرة من عوامل شعورهم الواحد .

●●● وقبل كل ذلك ، كانت الذات المسلمة تفقد أجزاء من ذاتها ، فتتفاعل مع عوامل الهدم الخارجية ... وكانت أزمتها الكبرى في داخلها ، فلم تستطع مقاومة ( التحديات الجديدة ) ....

وبين الحين والحين كانت تثور – كما ذكرنا – أيام عمر بن عبد العزيز ، وأيام المرابطين والموحدين ، والسلاجقة ، وفي بعض دول الهند الاسلامية ، وأيام صلاح الدين ، وفي أيام المماليك ، ومع كثير من خلفاء آل عثمان ... وفي العصر الحديث ، بل في أيامنا تلك ، ولا تزال ثورتها مستمرة وان كانت حالتها ما زالت أقل من مقاومة العوامل الخارجية !!

وفي ظل هذا السقوط توالت عوامل الانهيار التي تبعثر أجزاء هذه الذات ، وتمزق كيانها ... وتباعد بينها ، وبين أن تتمثل القرآن والسنة وتترجمهما الى حضارة متحركة مبدعة ...

● ● ●

لكن عودة هذه « الذات المسلمة » بكل شروطها الايجابية ، وبكل تفاعلها مع الرسالة ... وبكل التزامها بالدور الانساني العام ...

أجل ... ان عودة هذه « الذات المسلمة » التي تتصدى لحمل الأمانة ، ودور القيادة – أمر ضروري ... ليس للذات المسلمة وحدها ، ولا للأمة المسلمة وحدها ، بل من أجل جميع الانسانية الضالة ... ولا نقول « الخراف الضالة » ... ولكي تستمر حضارة الانسان على هذه الأرض ، اذا ما كان مقدراً لها في علم الله أن تسير آماداً أخرى في التاريخ .

# حياة الانسان على الأرض

قال الله تعالى :

( قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون )

الأعراف/ ٢٤ ـ ٢٧ .

( قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )

البقرة/ ٣٨ ، ٣٩ .

( قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري

## الحلقة الرابعة

للدكتور محمد طموم

**فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى )** طه/١٢٣ ـ ١٢٧ .

بعـد استعـراض ما حدث لآدم وحواء قبل نزولهما الى الأرض ، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد فضـل الانسان على سائر خلقه ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم كون الأسرة منه ومن حواء ، وبين لهما عدوهمـا ، وجعلهما يعيشان تجربـة حيـة في الجنة ، حيث بدأ التقنين لهما بالأمر والنهـي والاباحـة ، والوقـوع في الخطأ ، والشعور بالذنب بعد كشف عورتهما ، والرجوع الى الله بالتوبة ، وإيقاع العقوبة عليهما ، وتنفيذهـا باخراجهما من الجنـة ، والهبـوط منهـا ، وإنزالهمـا إلى الأرض مع عدوهما وعدو البشرية جمعاء ، وهو الشيطان إبليس ، لتـكون الأرض مستقرا ومتاعـا مؤقتـا ، ويعيش الزوجان فيها ، ويكونا أول أسرة من الانسان على الأرض لتـكون نواة للبشرية ، وتأتي بالذرية من الأولاد والأحفاد ، ويتكون المجتمع منهم ، وتعمر الأرض بهم ، وتتحقق الخلافة التي أرادها الله من خلق الانسان .

**علم الانسان الأول :**

الانسان الأول والأسرة الأولى لم تكن جاهلة ، وإنما كانت متعلمة ، وقد علم الله آدم وحده ، ثم علم آدم وحواء ، باعتبارهمـا الأسرة الأولى للمجتمع الانسانـي ، ثم أولاد آدم وذريته باعتبارهم المجتمع الانساني الأول .

وقد سلك الله في تعليم الانسان كل سبل التعليم وتنوع أساليبه ، ولم يترك وسيلة من وسائل التعليم إلا اتبعها مع الانسان ، من وقت أن خلقه الله ونفخ فيه من روحه ، ولم يتخل الله عن الانسان في أي وقت من الأوقـات ، أو في اي عصر من العصور ، أو في أي مكان وجد فيه الانسان .

وقد مر تعليم الانسان وتعلمـه بمراحل مختلفة وهي :

١ ـ تعليم آدم وحده عندما خلقـه الله .
٢ ـ تعليم آدم وحواء في الجنة .
٣ ـ تعليم آدم وحده في الجنة بعد أن تقرر هبوطه منها .
٤ ـ اختيار آدم رسولا ليعلم زوجته وذريته في الأرض .
٥ ـ تعليـم أولاد آدم بالوسائـل التعليمية .

كما أن التعليـم تم في أزمنـة مختلفة ، وأمكنة متعددة ، ولـذلك

أقسمها بهذا الاعتبار الى مرحلتين ، أو الى فترتين :
١ ـ فترة ومرحلة الطفولة والمراهقة ، ويصح تسميتها بمرحلة الصبا .
وهذه المرحلة كانت قبل هبوط آدم وحواء من الجنة ، وقد شملت هذه الفترة مراحل التعليم الثلاث الأول .
٢ ـ فترة ومرحلة البلوغ ، وتسمى بمرحلة التكليف .
وهذه المرحلة كانت بعد نزول آدم وحواء إلى الأرض ، لتكون مستقرا لهما ومقاما ، وقد شملت هذه الفترة مرحلتي التعليم الأخيرتين .

**طفولة الانسان الأول وصباه :**

الانسان الأول حينما خلق لم يكن له طفولة ومراهقة ، ولم يبق وحده فترة طويلة ، وانما خلق الله له حواء ليأنس اليها ويتعاونا ، وهي أيضا لم تكن لها طفولة ومراهقة ، وبناء على ذلك لا يتصور نزول الأسرة الأولى الى الأرض على الفور ، لتتحمل أعباء الحياة ومشاقها بالتكليف بالمأمورات والمنهيات ، ولذلك كان لابد من فترة تدريب وتعليم ، تؤهل الأسرة الأولى لتحمل تبعات الحياة على الأرض ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يكون تدريب وتربية الأسرة الأولى وتعليمها في الجنة ، قبل هبوطها الى الأرض ، فكانت الحياة في غير الأرض ، بمنزلة الطفولة والمراهقة والصبا لغيرهما من بني آدم ، حتى إذا وصلت إلى درجة التمييز والادراك الكامل ، واصبحت صالحة للحياة على الأرض التي خلقت لتعميرها ، صدر امر الله بالهبوط من الجنة ، بعد ترتب المسببات على الأسباب ، حتى تكون الأسرة الأولى راضية بما حكم عليها .

**مرحلة التعليم والتدريب :**

والانسان حينما نزل إلى الأرض لم يكن فردا واحدا ، وإنما كان أسرة من ذكر وأنثى ، وهما آدم وحواء ، ولم ينزلا إلى الأرض وهما جاهلان غير مدركين لشيء كالحيوانات ، وإنما كانت هذه الأسرة متعلمة ومدربة بعض الشيء على الحياة ومقوماتها ، وذلك قبل نزولها إلى الأرض ، ونذكر بعض ما تعلمته الأسرة وتدربت عليه :
١ ـ أن الله سبحانه وتعالى علم آدم الأسماء كلها ، واختبره فيها ، فأداها على أكمل وجه ، وقد كان أول المخلوقات التي تعلمت هذه الأسماء ، ولم يعلمها أحدا من مخلوقات الله قبله ، بل هو الذي أعلمها غيره من مخلوقات الله وأرقاها وأفضلها من بعده ، وهي الملائكة ، قال الله تعالى : **( وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون )** البقرة/ ٣١ ـ ٣٣
٢ ـ بين الله لآدم مكانته ، وأنه فضله على سائر خلقه ، وأشعره بذلك

حينما طلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم ، قال تعالى : **( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس )** البقرة/٣٤ ، وذلك اعترافا بأفضليته عليهم ، وتكفيرا عن طعنهم فيه ، قال الله تعالى :

**( قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك )** البقرة/٣٠ .

٣ ـ كشف الله تعالى لآدم عداوة إبليس له ، وأظهر تكبره عليه ، وعدم التسليم بأفضليته ، قال الله تعالى :**( فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين )** الحجر/٣٠ ، ٣١ ، وقال تعالى : **( قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين )** الأعراف/١٢ .

ولم يكتف الله تعالى بذلك ، بل حذر آدم منه ، وقرر له عداوته بصريح اللفظ ، وأن هذه العداوة ليست قاصرة عليه ، وانما عداوة ابليس للأسرة الانسانية كلها ، قال الله تعالى : **( فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى )** طه/١١٧ .

٤ ـ عرف الله ادم وحواء أن لكل واحد منهما عورة ، وأنه يجب ستر العورة ، وعلمهما كيفية ستر العورة ، قال الله تعالى : **( فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة )** الاعراف/٢٢ .

كما أعلمهم أن الشيطان يسعى دائما لاظهار عورة الانسان وكشفها ، قال الله تعالى : **( فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووری عنهما من سوءاتهما )** الاعراف/٢٠ .

٥ ـ علم الله الانسان التوبة ، وألفاظها ، وكيفيتها ، والاعتراف بالذنب ، وطلب المغفرة والرحمة من الله ، وأن هذا هو طريق الفلاح والنجاح ، ومن لم يتقبل الله توبته فسيكون مصيره الخسران المبين ، فما بال من لا يعرف التوبة ، أو لا يسعى اليها ، قال الله تعالى : **( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم )** البقرة/٣٧ ، وقال تعالى : **( قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين )** الاعراف/٢٣ .

٦ ـ علم الله الانسان معنى القانون ، وما يترتب على معصيته ، والخروج عن طاعة الله ، والفرق بين المعصية والكفر بالله ورفض الأمر ، وأتاح الله للانسان ان يمر بتجربتين قانونيتين :

الأولى : وقعت لغيره ، حينما أمر إبليس بالسجود ، فاستكبر وكفر وحكم عليه وكانت كافية ليتعلم الانسان من غيره .

والثانية : وقعت للأسرة الأولى ، حينما نهاهما الله عن القرب من الشجرة ، وتابا بعد المعصية .

٧ ـ علم الله الانسان قبل نزوله إلى الأرض أمورا كثيرة ، ومعاني متعددة لا يمكن حصرها ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

الجنة والنار ، الخلود والتأقيت ، الكفر والتسليم ، المعصية والطاعة ، الكبر والخضوع ، المتعة والشقاء ، السكن والاستقرار والخوف والحزن ، الأمر والنهي والاباحة ، يوم القيامة والحشر ، الهبوط والخروج ، الهدى والأعراض ، العري والستر ، الجوع والظمأ ، وغير ذلك كثير .

## بلوغ الانسان وتكليفه

كان هبوط الأسرة الأولى ــ آدم وحواء ــ من الجنة ، ونزولها إلى الأرض ، لتكون مستقرا لهذه الأسرة ومقاما . بدءا لحياة التكليف ، وعلامة على بلوغ الانسان ، ودليلا على صلاحيته للحياة فيها ، وقدرته على تحمل المشاق ، وإدراكه للخير والشر ، والطاعة والمعصية ، والتفريق بين المرشد والمفسد ، ومن يريد له الخير ، ومن يريد له الشر ويوسوس له بالمعاصي ، ولذلك كانت حياة الانسان على الأرض ، هي مرحلة التكليف والبلوغ والرشد ، بعد انتهاء مرحلة الطفولة والصبا ، والتعليم والتدريب .

## التشريع السماوي بدأ مع الانسان ولازمه

وجدنا أن الله تعالى علم الانسان الأول وزوجه ، ورباهما ودربهما على التكليف في الجنة ، وهى المتعة الكاملة ، وجعلهما يعيشان هذه التجربة بحلوها ومرها ، بين الأحباب والأعداء المتربصين ، ليدربهما على حياة المستقبل ، فكيف يتصور أن يتخلى عنهما ، ويتركهما بعد نزولهما إلى الأرض ، بدون تكليف وتشريع وتقنين ، ينظم حياتهما وحياة ذريتهما ، حتى يعيش الجميع سعداء في الدارين ، الدنيا والآخرة ، واذا كان في الجنة تنظيم وتقنين ، فهما على الأرض في حاجة الى التقنين أشد ، وذريتهما اليه أحوج ، للتعلم والاسترشاد في حياتهم الدنيوية ، خاصة وأن بنى آدم لم يمروا بالمرحلة السابقة ، وليس لهم سابق علم أو تجربة .

وعلى ذلك فلا يتصور عقلا ــ بعد كل هذا ــ أن الله سبحانه وتعالى يتركهم بغير توجيه وإرشاد ، لما فيه الخير لهم ، ولما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وهو الذي نظم الكون ، وقنن لكل مخلوقاته ، فكيف يتخلف ذلك مع من فضله على سائر خلقه حتى الملائكة .

كما يستحيل ذلك شرعا ، وقد قال الله تعالى : ( **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** ) البقرة/٣٨ ، ٣٩ .

وقال تعالى : ( **قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا**

**ونحشره يوم القيامة أعمى )** طه ١٢٣ ، ١٢٤ .

وقال تعالى : **( من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا )** الاسراء/١٥ .

وقال تعالى : **( وإن من أمة الا خلا فيها نذير )** فاطر/٢٤ .

وقال تعالى : **( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون )** الذاريات/٥٦

وقال تعالى : **( أيحسب الانسان أن يترك سدى )** القيامة/٣٦ .

وقال تعالى : **( وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين )** الأعراف/١٧٢ .

وعلى ذلك فوجود التشريع السماوي مع وجود الانسان على الارض أمر ضروري ، وواقع طبيعي ، يتناسب مع ما خلق الانسان لأجله .

**آدم أول رسول :**

قال الله تعالى : **( ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى )** طه/١٢٢

كان آدم عليه السلام أول رسول من عند الله للبشر على الكرة الأرضية ، أرسله الله تعالى معلما لأول مجتمع إنساني عاش على الأرض ، والذي تكون من أول أسرة إنسانية ، وهي آدم وحواء ، وما تفرع عن هذه الأسرة الوحيدة ، من ذرية وأحفاد ، وقد أرسله الله ـ بعد أن رباه وأهله لهذه المسئولية ـ ليعلم زوجته وأولادهما :

١ ـ أن الله واحد ، وأنه لا شريك له ، قال تعالى : **( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون )** الأنبياء/٢٥ .

٢ ـ وأن الله خلقهم ليعبدوه في الأرض ، ويذكروه دائما بما يليق بمقامه ، قال تعالى : **( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون )** الذاريات/٥٦ .

٣ ـ وأن الله له أوامر يجب طاعتها ، ونواه يجب البعد عنها ، فمن عصى الله فسينال جزاءه ، ومن أطاعه فسيكون سعيدا في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : **( فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى )** طه/١٢٣ ، ١٢٤ .

٤ ـ وأن الله لا يقبل الكفر به ، ولا يغفر للانسان كفره بخالقه ، فمن كفر بالله فسيخلد في النار ، وأما من آمن بالله فلا يخاف بأسا ، وسينعم بالجنة ، قال تعالى : **( فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )** البقرة/٣٨ ، ٣٩ .

وقال تعالى : **( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل**

**ضلالا بعيدا )** النساء/١١٦ .

**الوسائل التعليمية :**

الانسان من وقت وجوده وخلقه ، بل ومن قبل وجوده وخلقه ، وهو مشمول برعاية الله وتوفيقه ، وقد اتبع الله في تفضيله وتعليمه جميع الوسائل التعليمية ، من تلقين وتنبيه ، والهام وايحاء ، وتجارب حية مع غيره وعلى غيره ، وتجارب اخرى عاشها ومارسها ، ورأى آثارها ، وأدرك نتيجتها ، وكان كل ذلك قبل هبوطه من الجنة ، ثم بعد نزوله واستقراره في الأرض ، لم يكتف الله بارسال آدم معلما ومرشدا ، وملقنا لدين الله في أرضه ، وإنما اتبع مع الانسان كل سبل التعليم ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، أسلوب الوسائل التعليمية ، بالاضافة الى أسلوب التلقين عن طريق آدم عليه السلام ، فقد وجدنا في قصة قابيل وهابيل أنه عندما قتل قابيل أخاه هابيل ارتبك القاتل وحار في أمره ، ولم يعرف كيف يدفن أخاه الذي قتله ، وكيف يتصرف في هذه الجثة ، فأرسل الله غرابا ، ليعلم الانسان عدة أمور منها :

١ ـ انه حينما قتل أخاه فقد تصرف كما يتصرف الطير الذي لا يعقل .

٢ ـ أنه ارتكب حماقة القتل لأقرب الناس اليه مع شدة حاجته اليه .

٣ ـ كيف يتصرف في جثة الانسان ، وكيفية الدفن .

٤ ـ ان العلم من عند الله يهبه لمن يشاء من عباده .

وبعد أن تبين للانسان أنه أصبح مساويا للذي لا يعقل ، عندما ارتكب جناية القتل ، أراد الله أن يحقر من شأن القاتل ، فقارن بينه وبين الطير في حسن التصرف ، وأنه أقل من الطير الذي لا يعقل عندما ارتبك ولم يعرف كيف يتصرف في جثة المقتول ، وأما الغراب فقد تصرف وعرف كيف يدفن جثة الغراب .

كل ذلك ليبين الله للانسان عجزه ومدى ضعفه ، فلماذا يقتل أخاه مغرورا بقوته ، راضخا لغضبه ، مستسلما لحقده ، وهو بهذه الصورة من الضعف ، كما انه لم يعرف ولم يعلم ما عرفه الطير من طرق الدفن ، ليؤمن بأن الله تعالى هو المعلم والمرشد ، فلا يصح الكفر بالله .

وقد صور القرآن الكريم هذه القصة أحسن تصوير في قوله تعالى :

**( واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين )**. المائدة/٢٧ ـ ٣١ .

# الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

النسخ يعني رفع حكم شرعي سابق بدليل شرعي لاحق ، وهو محل اجماع بين المسلمين من قبل ظهور أبي مسلم الأصفهاني ومن تابعه ـ من حيث جوازه عقلا ووقوعه شرعا ـ فالله سبحانه وتعالى أقام شريعته على الحكمة البالغة ، والمصالح المتجددة ، ومن حكمته أن يأذن ببعض الأحكام في بعض الأوقات لملاءمتها لها ، وتناسقها معها .. على أن يجعل لها أمدا محدودا ، ونهاية مقدرة لتحل في محلها أحكام مخالفة لأوقات متجددة .. تكون أكثر صلاحية ، وأعظم نفعا حسب ما جرت به سنة الله في خلقه من إرادة الخير واليسر والصالح العام وصدق الله تعالى حيث يقول : ( **والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم** ) البقرة / ٢٢٠ ، فالنسخ في واقعه ما هو إلا انتهاء للحكم الأول على ميقات معلوم عند الله ، وليس معلوما لنا من قبل .. ولكن الله أعلمنا به حين أعلمنا بالناسخ ، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى : ( **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ) البقرة / ١٠٦ ، فالمفهوم من هذه الآية الكريمة أن كل آية يذهب الله بها على مقتضى حكمته .. إلى

بدل عنها .. أو إلى غير بدل ، فان ما يلحق من ذلك لا يقل عما ذهب أجرا ونفعا .. فالبدل اما مماثل لما ذهب في الثواب ، واما متفوق عليه ثوابا ومصلحة .. ولذلك لم يقع النسخ ولن يقع الا في فروع العبادات والمعاملات أما غيرها من العقائد الثابتة ، وأصول الأخلاق الخالدة ، ومفاهيم القصص والأخبار الماضية ، وأصول المعاملات ، والاخبار بما وراء الحياة مما هو في ظهر الغيب من بعث ونشور وحشر وحساب وما إلى ذلك .. فليس في شيء من هذا مجال للنسخ .. لأنها أمور تحكي حقائق والحقائق لا تقبل التغيير ولا التبديل ، ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأقران .. وفي ذلك يقول الله تعالى : ( **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ) الشورى / ١٣ .

ولنضرب بعض الأمثلة على الناسخ والمنسوخ على رأي جمهور العلماء مما جاء في الكتاب العزيز :

(١) يقول الله تعالى : ( **يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ) البقرة / ٢١٧ ، فالآية تفيد حرمة القتال للمشركين في الأشهر الحرام الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب ، وقد روى ابن جرير عن عطاء بن ميسرة أنها منسوخة بقوله تعالى : ( **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ) التوبة / ٣٦ ، ونقل أبو جعفر النحاس إجماع العلماء على ذلك ما عدا عطاء ، وبيان ذلك أن الآية الثانية .. قد أفادت عموم قتال المشركين المستلزم لعموم الأزمان ، ومما يدعم هذه الافادة .. ما جاءت به كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل هوازن بحنين ، وثقيفا بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة ، وذو القعدة أحد الأشهر الحرم ، وما جاء كذلك في سبب نزول هذه الآية كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه عن جندب بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم عبدالله بن جحش ، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا ان ذلك اليوم الذي قتلوه فيه هو من جمادي أو من رجب .. فعيرهم المشركون وقالوا للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله : ( **يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه** ) الآية فلما نزلت فهم بعض المسلمين أنها لرفع الوزر لا لثبوت الأجر فنزل بعد ذلك قوله تعالى عقيب تلك الآية : ( **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ) البقرة / ٢١٨ . وأخرجه ابن منده في الصحابة عن طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس وإذا تتبعنا مكان الآية الثانية وجدناها متممة لآية الأشهر الحرم هكذا : ( **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين** ) التوبة / ٣٦ ، فتكون حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية هي في الامتناع عن المعاصي عموما لأنها

فيها أشد وزرا ، وأعظم نكرا منها في غيرها .. وقتال المشركين ليس من قبيل المعاصي .. وقيل إن النسخ وقع بقوله تعالى ( **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ) وأيا ما كان القول فقد وقع النسخ وانتهى حكم سابق اقتضت الحكمة بقاءه فترة من الزمان .. ثم اقتضت تلك الحكمة انهاء هذا الحكم المؤقت ، واعلان حكم جديد لعهد جديد .

(٢) يقول الله تعالى : ( **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما** ) النساء / ١٥و١٦ ، فانها منسوخة بآية النور وهي : ( **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ) النور / ٢ وذلك بالنسبة الى البكر رجلا كان أو امرأة ، أما الثيب من الجنسين فقد نسخ الحكم الأول بالنسبة إليهما وأبدل بالرجم الذي دل عليه رجم ما عز والغامدية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما دلت عليه آية « نسخت تلاوة » لا حكما وهي : ( **الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم** ) ومعنى الآية الأولى والثانية كما جاء في تفسير الجلالين ( النساء آية ١٥ و١٦ ) ان من يأتي فاحشة الزنى من النساء وشهد بذلك أربعة من رجال المسلمين فاحبسوهن في البيوت حتى الموت أو الى ان يجعل الله لهن طريقا الى الخروج وكان ذلك في أول الاسلام ثم جعل الله لهن هذا الطريق حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كما في رواية مسلم ــ « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا » وبين ذلك السبيل بانه جلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة ، والمحصن ، ولما بين حكم النساء تعرض لحكم الرجال الذين يرتكبون نفس الخطيئة سواء كانت زنى اولواطا بانهم يلحقهم الأذى بالسب والضرب بالنعال حتى يتوبا ويصلحا العمل فلا يلحقهما الأذى بعد ذلك .. وكان ذلك في مطلع الدعوة الاسلامية أخذا بسياسة التدرج في التشريع ، والانتقال بالناس الى طريق الشريعة المحكمة رويدا رويدا ، ودرجة درجة حتى يسلس قيادهم ، وتلين قناتهم .. فكان للحكم الأول المقرر في آيتي النساء فرصة زمنية محددة في علم الله قبل أن تتحدد في علمنا .. ثم تحددت في علمنا بعد أن أطلعنا الله عليها بالناسخ الحديث في إثر المنسوخ القديم ، وهو أمر تنظيمي حكيم لا يتنافى مع قدرة المختار العليم ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » .

(٣) يقول الله تعالى : ( **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون** ) الانفال / ٦٥ فانها منسوخة بقوله تعالى : ( **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين** ) الانفال / ٦٦ ووجه النسخ ان الآية الأولى خبر بمعنى

الأمر .. أي ليقاتل العشرون منكم المائتين منهم ، والمائة الألف ، وعلى الواحد ان يثبت امام العشرة ولا يفر ، فان فر فهو ممن تولى يوم الزحف مرتكبا كبيرة من الكبائر ، ومعرضا نفسه لسخط الله ومقته ، فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم وشرع لهم هذا الحكم الميسر الذي لا يشق كثيرا على نفوس المجاهدين ولا يحملهم على ركوب الأهوال في القتال فأفادت الآية الثانية وجوب ثبات الواحد للاثنين فان فر أمامهما دخل تحت الوعيد الشديد ، وان فر امام الأكثر منهما فهو معذور لاجناح عليه ، ولا تقصير منه ، وان كان يؤذن له في الثبات لأي عدد كان ويكون آخذا بالعزيمة .. بدلا من الرخصة التي شرعها الله له لطفا به ، وتخفيفا عنه ، والله مع الصابرين بعونه وتأييده ، ونصره وتوفيقه .. اخرج اسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس في سبب نزول الآية قال : لما افترض الله عليهم ان يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق ، فوضع الله ذلك عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين وأنزل قوله تعالى : **( إن يكن منكم عشرون صابرون )**. الآية .

وهكذا نرى ان النسخ ليس ابطالا للأحكام الشرعية ولكنه توقيت لبعضها ببعضها الآخر حتى تظهر حكمة الله في شرعه ، ورحمته بعباده وانه سبحانه وتعالى قبل هذا كله مختار فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل وأفعاله سبحانه وتعالى هي عين الحكمة ، وهي جوهر الصلاح والاصلاح وقد تسعفنا عقولنا وأفكارنا بادراك جوانب منها ، وقد تعلو حكمتها فوق آفاق علمنا وعلينا في كل حال أن نقر أولا بالعجز بين يديه ، وأن نثبت له القدرة بلا نهاية والعلم بدون حدود إن الله على كل شيء قدير .

(٤) يقول الله تعالى : **( وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله )** البقرة / ٢٨٤ فانها منسوخة بقوله عز من قائل :**( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها )** البقرة / ٢٨٦ وبيان ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد تجاوز لهذه الأمة عما حدثت بها نفسها ما لم تقل أو تفعل كما جاء في الحديث الشريف الصحيح .

أي إن كل ما يعتلج في خاطر المرء من شر ، وما تهجس به نفسه من معان وصور وأخيلة وأحاديث نفس ، وأحلام يقظة كل هذا داخل في دائرة العفو الا لهي ما لم يصل الى درجة العزم المصمم فانه يكتب على صاحبه سيئة واحدة .. وهذا من فضل الله تعالى على عباده ، ورحمته الواسعة بهم ، وتسامحه فيما هو من طبائع النفس البشرية .. التي لا حيلة للانسان في دفعها ، أو الخلاص منها إلا بمنتهى العسر ، ولعل ما قرره علماء النفس حديثا يلقى أضواء على العقل الباطن ، وفكرة اللاشعور ـ فان الشعور عندهم واللا شعور يشكلان العقل في الانسان ، والثاني يختزن المعلومات التي ترد إليه عن طريق الحس .. ثم هي تحاول دائما الظهور في بؤرة الادراك ولكن حالة الشعور والوعي تمنعها ، فاذا تراخى الشعور نتيجة هدوء أو انسجام ، أو راحة أو غفلة أو نحو ذلك ظهرت أفكار اللاشعور في البؤرة وصاحبتها غالبا أحلام لليقظة يحدث فيها الانسان بأحاديث قد تغلب عليها نزعة

الشر أو اللذة .. وقد تفضل الله سبحانه وتعالى فعفا عن تلك الأحاديث والهواجس أخيرا .. بعد أن كان يؤاخذ الله بها العباد حين نزلت الآية الأولى ، وفي كتاب « لباب النقول في أسباب النزول » « لما نزلت آية البقرة : **( وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله )** شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها .. فنزل قوله تعالى : **( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها )** أي ما تسعه قدرتها **( ولها ما كسبت )** من الخير ، **( وعليها ما اكتسبت )** اي من وزر الشر ، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، ولا بما لا يكتسبه مما وسوست به نفسه ..» وأما ما نقل عن السدى في تعريف الصغيرة : ( هي الخطرة من الذنوب ) فقد عقب عليها الزمخشري بقوله : وكأنه يعني أن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، إذ أن خطرات الذنوب في القلوب جزء من أحاديث النفس وهي عفو لهذه الأمة ، ولا مؤاخذة فيها ما لم تقترن بقول أو عمل .. وهذا هو رأي الجمهور في الآيتين .. اما القول بأن الأولى محكمة ، وأنها خاصة بكتمان الشهادة وإظهارها .. فمردود بأنه لا دليل على هذا التخصيص وقول بعضهم انها محكمة وباقية على عمومها وان المعنى ان الله يحاسب المؤمنين والكافرين فيغفر للأولين دون الآخرين .. مردود أيضا بأن نفسا في قوله تعالى **( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها )** نكرة في سياق النفي فتفيد العموم للمؤمن والكافر على السواء ولا دليل على الخصوص .

ومما جاء ناسخا ومنسوخا قول الله تعالى : **( يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته )** آل عمران / ١٠٢ قال السيوطي : ليس في آل عمران آية يصح فيها دعوى النسخ الا هذه الآية .. فانها منسوخة بقوله تعالى : **( فاتقوا الله ما استطعتم )** التغابن / ١٦ .. وبيان ذلك : أن الآية الأولى بظاهرها قد امرت بأن يتقي الله حق التقوى ، وتركت الباب مفتوحا أمام فهم هذه الآية والعمل بها .. حتى يشحذ كل مؤمن همته لبلوغ أقصى ما يمكن بلوغه من أعمال التقوى ، وهي غير محددة تحديدا يسهل حصره والاحاطة به ، وإدراك أبعاده وأعماقه بيسر ووضوح .. وحتى الآثار الواردة في تفسير هذه الآية يبدو عليها العموم والشمول ، ولا يتيسر فيها التحديد والالمام فقد قيل في تفسيرها « ان يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .. فقالوا : يا رسول الله ومن يقوى على ذلك ؟ .. فنسخ بقوله تعالى : **( فاتقوا الله ما استطعتم )** .. وقد ورد في تفسيرها كذلك : أن يحفظ الانسان رأسه وما وعي ، وبطنه وما حوى ، ويذكر الموت والبلى » وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت آية : **( اتقوا الله حق تقاته )** اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم ، وتقرحت جباههم .. فأنزل الله تخفيفا على المسلمين **( فاتقوا الله ما استطعتم )** وها هو ذا الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب للناس مثلا في اصول التدين المتوازن بقوله وفعله فيقول : لكني اصوم وأفطر وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه الشيخان .

# هذا هو الدواء

للاستاذ/محمد محمد حلاوة

عن عائشة زوج النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأتى بها الرسول ، فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتشفع في حد من حدود الله ! فقال أسامة : استغفر لي يارسول الله .

فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختطب وأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني ــ والذي نفسي بيده ــ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه مسلم .

**السرقة** .. يكاد لا يخلو مجتمع من المجتمعات من هذا الوباء الدنس الفتاك على أية صورة من صوره ــ وما أكثرها ــ اختلاس ، أو رشوة ، أو استغلال ، أو نشل ، أو اغتصاب ، أو ، أو ، .. إلى آخره .

كم له من ضحايا وضحايا في كل يوم ، بل في كل ساعة ولحظة ، ضحايا بالألوف لا بالمئات ــ هذا حادث أسفر عما يأتي : فقد حافظة بها مبلغ كبير من المال ، وبعض السندات ، وبطاقة عائلية ــ نزيل

بالمستشفى ( قسم جراحة ) فاقد النطق ، به طعنة نافذة بالصدر ، والحالة خطيرة ، والفاعل هارب تبحث عنه الشرطة .

وهذه طفلة تعود إلى منزلها وهي تبكي . لقد عرض لها اللعين وهي في طريق عودتها ، وبكلماته المعسولة كذب عليها ، وصدقت ، فاستدرجها إلى مكان بعيد عن الأنظار ، وهناك خلع سوارها الذهبي ، ثم أطلق ساقيه للريح ، وتركها وحدها تندب حظها .

وتلك فتاة تعود إلى منزلها بعد غياب أربعة أيام كاملة عاشتها أسرتها في الجحيم ، فبينما كانت متوجهة إلى عملها إذ وقفت فجأة بجوارها عربة ، وعلى الفور فتح بابها ، ونزل منها شابان ، وفي سرعة البرق كمما فمها ، وحملاها بالقوة إلى داخل السيارة ، وانطلقا بها بعيدا .. ولم تحس الفتاة بشيء بعد ذلك إلا وهي ملقاة على جانب شارع مهجور ، وعندما أفاقت تبينت الحقيقة المرة : فقد مجوهراتها ، وفقد أعز ما تملكه في هذا الوجود ، و ... و ... ، وعشرات الحوادث ومثلها .

واقع مؤلم حقا ، وأشد منه إيلاما أن تتطور السرقة إلى هذا الحد المزري ، فبعد أن كانت فيما مضى تتم في الخفاء ، وفي غاية الحذر والخوف ، وببقية من خجل — أصبحت اليوم ترتكب في وضح النهار بكل قحة وتبجح ، بالقوة أحيانا ، ومع الاعتداء على النفس ، بل وعلى العرض أحيانا أخرى . ومع هذا التطور المنحدر تكونت لها عصابات وتخصصت ، فهناك عصابات لسرقة المساكن ، وعصابات لسرقة المحال التجارية ، وعصابات لسرقة القطارات ، وعصابات لسرقة « البنوك » وهكذا ، وتحول الأمر في النهاية إلى ارهاب مخيف مزعج ، لا على المستويات المحلية فحسب ، بل على المستوى الدولي والعالمي .

أرأيت كيف أن جرما واحدا تهاونا فيه أول الأمر استفحل حتى أفضى إلى عدة جرائم ، وأية جرائم !! إنها الدم ، والعرض ، والفساد ، والتخريب .

إسفاف جاوز الحد ، وفوضى لا يصح السكوت عليها ، واستخفاف بكل النظم والقوانين والقيم !!

أين الأمن ؟ وأين القانون ؟ وأين حدود الله ؟ وأين المسلمون ؟ الأمن « في أجازة » ، والقانون عاجز أن يفعل شيئا ، والحدود معطلة ، والمسلمون غارقون إلى آذانهم في مطامعهم وشهواتهم وماديًاتهم لا يسمعون ولا يعون .

إننا مسئولون جميعا عن هذه الجريمة البشعة ، وأعذار الدنيا كلها لن تشفع لنا . **إن الدواء الوحيد لهذا الوباء الشره تحت أيدينا ، في كتاب الله ، سبحانه وتعالى ، في سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، في إقامة الحد على السارق ، في قطع يده:( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز**

حكيم ) المائدة/٣٨ . إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني — والذي نفسي بيده — لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

**إن قطع يد السارق هو العلاج الناجع — ولا علاج سواه — لأنه علاج المشرع الأعظم الذي أحاط بكل شيء علما ، وعرف بم يكون صلاح الانسانية ، وفيم يكون خيرها وسعادتها . إن قطع يد السارق شهادة صدق لنا على طاعة الله ، وامتثال اوامره ، واقامة حدوده . ان قطع يد السارق ، وإن كان وصمة عار للسارق فهو تطهير له من جرمه ، ووسام شرف وعزة للاسلام وللمسلمين .**

ولماذا نحجم عن قطع يد السارق ؟

أهي الرحمة به والشفقة عليه ؟ فلنسأل أنفسنا كم من يد تبتر ، وكم من رجل تقطع نتيجة لحوادث المواصلات اليومية من سيارات وقطارات وغيرها ، وكم من يد تبتر ، ورجل تقطع ، وجسم يشل في الانقلابات والاضطرابات والثورات والفتن التي تحدث من حين لآخر ، والتي لا يحكمها ضابط ولا قاعدة ، فهي تندفع كالسيل لأوهى سبب ، وبدون وعي ، لا ، بل كم من يد تبتر ، ورجل تقطع ، وجسم يشوه ويشل لأسباب أخرى غير ما ذكر جميعا ، ومع هذا فلم تتفتت الأكباد ، ولم تتقطع القلوب ، ولم تذب الحشاشات ، ولم يمت الناس حسرة وأسى .

أم نحجم عن قطع يد السارق خوفا من أن يصيب أحدا من أهلينا أو أقربائنا أو أحبائنا ؟ ألم نعلم أنه ما دمر الأمم السابقة ، وأفسد حياتها ، ونشر الفوضى والاضطرابات فيها ، وأغرى أقوياءها بضعفائها الا عدم العدالة في تنفيذ القوانين والشرائع ، والتفرقة في المعاملة بين الناس ، فكانوا إذا سرق كبير من كبرائهم لم يعاقبوه ، أما إذا سرق الضعيف نفذوا عليه العقوبة ، ثم ألم نقرأ ونتدبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » **فمن فاطمة ! انها كريمة أطهر البيوت وأعلاها ، ومن محمد ! إنه سيد الخلق أجمعين ، وهل هناك رابطة أعز وأغلى من الرابطة التي بين فاطمة ومحمد !! ومع ذلك فمن الذي سينفذ العقوبة على فاطمة — رضي الله عنها — إن هي سرقت ! إنه محمد نفسه صلى الله عليه وسلم « لقطعت يدها » الله اكبر ! الله اكبر ! الله اكبر !**

ام نحجم عن قطع يد السارق لا لهذا ولا لذاك ، وإنما لبشاعة العقوبة ذاتها ؟ فتعالوا معي لنعرض ما ينجم عن السرقة من أوزار وأضرار لنرى أي الأمرين أكثر بشاعة ، وأشد نكرا !

يجترئ السارق على دين الله ، ويستخف بحرماته وبحدوده — يخرج على المجتمع ، قواعده وقوانينه ونظمه ، ويتمرد عليه — يشيع الفوضى ، والفزع ، والاضطراب —

يسعى في الأرض فسادا ـ يأخذ ما لا يستحق ـ يأكل من حرام ـ يعيش عالة على الغير ـ يعبث بأموال الناس وأوقاتهم ومصالحهم ـ يحكم على أسرته بالضياع .

الرحمة .. الخوف .. البَشاعة .. لماذا نذهب بعيدا ؟ ماذا يحدث لاحدنا لو أنه مرض ، وذهب إلى الطبيب ، وقرر الطبيب ضرورة استئصال عضو من جسده ؟ أيرفض المريض ذلك ؟ أيرفض أهله ؟ ايرفض أحد من محبيه ؟ كلا كلا . فان الجميع يبادرون بالموافقة ، ويسرعون إلى تلبية كل أوامر الطبيب ، ويتعجلون التنفيذ . لماذا ؟ لأن سلامة الجسم كله في استئصال هذا العضو المريض ، وبدون استئصاله يموت الانسان ، وهكذا شأن السارق فهو عضو مريض في المجتمع ، وعلاجه وعلاج المجتمع في قطع يده ، وبدون ذلك ينتشرَ الداء في المجتمع كله فيتلف ويهلك .

إن قطع يد السارق معناه أن يحترم الانسان آدميته ، ويصون كرامته ( **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ) سورة الاسراء الآية ٧٠ . معناه أن يسعى الانسان ويعمل ليأكل من كد يمينه ، وعرق جبينه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري ، ويقول عمر رضي الله عنه : أرى الرجل فيعجبني ، فأقول : أله حرفة ؟ فان قالوا : لا . سقط من عيني . معناه أن تلتزم الدولة بتهيئة فرص العمل للمواطنين جميعا ، وتوجههم إلى ميادينه ، وإلى وسائله ، معناه أن يلتزم الأغنياء باخراج الزكاة كاملة ، وفي مواعيدها ، ولمن يستحقونها ، معناه أن يلتزم المجتمع كله : كل حارة ، كل شارع ، كل حي ، كل قرية ، كل مركز ، ... الى آخره ببذل المساعدة لمن يحتاج إليها ، فالمؤمنون جميعا إخوة ، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » قال أبو سعيد : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل » رواه مسلم واحمد .

وما أعظم البلاء إذا لم نسو بين الناس في إقامة الحدود ، فنفعل كما كانت تفعل الأمم السابقة ، فننفذ العقوبة على الضعفاء ، والفقراء ، ومن لا شأن لهم ، ونترك الأقوياء ، والأغنياء ، وذوى الشأن ! إننا بذلك نقيم الظلم وما أقساه ، ونصنع الامتيازات وما أبشعها ، ونخلق التفرقة وما أقبحها ، ونحرص على الفتنة والشر ، ونحكم على انفسنا بالويل والثبور .

**ألا ما أحوجنا اليوم إلى وقفة تاريخية طويلة نستعيد فيها سيرة السلف الصالح من أجدادنا ، ونراجع فيها أنفسنا مراجعة جادة ، نحاسبها حساب المؤمن الخائف من ربه ، الحريص على دينه ووطنه بعد أن تفشت المحاباة والمحسوبية بصورة خطيرة لوثت حياتنا ، وشوهت صورتنا ، وأفسدت علينا كل شئ .**

أرأيتم كيف غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبان الغضب في وجهه ، عندما جاءه حبه أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ يكلمه في أمر المخزومية التي سرقت !! ثم أرأيتم إلى استنكاره الشديد « أتشفع في حد من حدود الله !! » ولم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم استنكر ؟ لأن في قبول هذه الشفاعة هدما للدين من أساسه ، فقد جاء الدين الاسلامي خاتما للديانات كلها . جاء للناس جميعا دون استثناء يعمل لما فيه خيرهم ، وصلاحهم ، وسعادتهم ، لهذا قام على العدالة التامة الشاملة ، وسوى بين الناس في كل شئ : في العبادات في المعاملات في الحقوق في الواجبات ، في الحدود في القصاص ... لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود ، وغني وفقير ، وشريف وضعيف ، إذ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . قال الله سبحانه وتعالى : ( **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ) سورة الحجرات الآية ١٣ ، ولهذا كان إقدام أسامة على الشفاعة في المخزومية خطأ كبيرا استنكره الرسول صلى الله عليه وسلم أشد استنكار ، ولهذا أيضا كانت الشفاعة محرمة في الاسلام ، لأنها تفضي إلى المحاباة ، والمحاباة ظلم ، والظلم حرام ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام .

ولو أن هناك ثغرة ، أدنى ثغرة ـ في عدالة الاسلام ونزاهته لما بقى بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ثابت الأصل ، رافع الهامة يتحدى جميع المذاهب ، وجميع النظريات ، تلك التي لازالت تحاربه جاهدة ، والتي عجزت حتى اليوم ـ نهاية القرن العشرين ـ عن تحقيق أدنى و« أبسط » حقوق الانسان .

والآن فلنا مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفات خاشعات :

● في « صلى الله عليه وسلم » والحرص على ذكرها كاملة ، دون اختصار أو حذف كلما ورد اسم الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة قوية على مدى حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم له ، ومبلغ تقديرهم اياه ، ودرس عظيم نتعلم منه ألا نلجأ إلى اختصار هذا الدعاء كتابة أو قولا ، أو حذفه عند قيام الدليل عليه ، كما نتعلم منه أن نعرف لذوى الاقدار اقدارهم .

● وفي « استغفر لي يارسول الله » تدارك سريع للموقف من أسامة ـ رضي الله عنه ـ بمجرد استنكار

الرسول لموقفه بطلبه المغفرة من الله سبحانه وتعالى مستعينا بالنبي عليه الصلاة والسلام .

● وفي « فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم .. استبشاع للتفرقة ، واستبشاع لآثارها بذكر كلمة « أهلك » وباستخدام أسلوب القصر ، إنما ، وفيه كذلك إخبار عن أحوال الأمم السابقة على لسان الصادق الأمين **( وما ينطق عن الهوى )** النجم الآية/٣ .

● وفي « وإني – والذي نفسي بيده – لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » جملة التأكيدات في الأسلوب ، وهي ألزم ما تكون في هذا الموقف ، لأنه موقف حسم وصدق ، **وورود « فاطمة بنت محمد » هكذا مجردين من أي تعظيم أكبر درس للمشتغلين بالسياسة ، والتشريع ، والأدب تعجز الأقلام البليغة عن تحليله .**

وبعد فان نسبة كبيرة من السرقات التي تحدث اليوم ، وتتم بالقوة ، أو مع الاعتداء والارهاب إنما هي من باب محاربة الله ورسوله ، والسعي في الأرض فسادا ، ولذلك فجزاؤها في قول الله سبحانه وتعالى : **( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم )** سورة **المائدة الآيتان** ٣٣ ، ٣٤ .

ولا يفوتنا قبل ان ننهي حديثنا أن ننبه إلى أن هناك ألوانا غير منظورة من السرقة لا يتسع المقام هنا للحديث عنها مثل سرقة الوقت ، وسرقة الجهد ، وسرقة الراحة ، وسرقة السعادة ، الى غير ذلك وكلها سرقات لها آثارها الوبيلة على الافراد وعلى المجتمعات .

ولقد كان لعلوم النفس والتربية فضل كبير في الكشف عن كثير من الانحرافات ، ومنها السرقة ، ومعرفة أسبابها ، وطرق تقويمها وعلاجها ، وقد أرجعت الدراسات النفسية والتربوية المختلفة حالات غير قليلة من السرقة إلى عوامل قديمة عرضت للانسان في المراحل الأولى من حياته ، غير أن الآباء والأمهات والمعلمين – سامحهم الله – لم يدركوها في حينها ، او ادركوها ولم يلتفتوا اليها ، أو التفتوا اليها ، ولكنهم لم يعطوها الأهمية الكافية من الدرس والتحليل ، ومحاولة العلاج ، ولو انهم فعلوا لأدوا أكبر خدمة لأبنائنا ، ولديننا ، ولمجتمعاتنا .

إن جهودا مشكورة ومخلصة يقوم بها الأئمة ، ورجال الدين ، والمسئولون في كل مكان من مجتمعنا الاسلامي لاعزاز الاسلام ، ورفع رايته ، وتطبيق احكامه ليملأ قلوبنا ثقة ويقينا بأن الاسلام في حمى ومنعة من اهله ، وانه سيظل كذلك الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوي عزيز .

# حياة الحياة

( حياة الحياة ) ليس عنوانا مفتنا فيه ، يقصد الكاتب به لفت النظر إغراء بموضوعه ، وإنما هو حقيقة حقة ، تأخذ من القرآن المجيد قوامها ، ولا أملك بطويل من القول ، فأضع كل حواسك وقواك أمام الآية الفاصلة : **( ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون )** الأنفال / ٢٤ .

لا شك أنها وصلتك بتلك الحقيقة ، فالذين خوطبوا ويخاطبون بهذا النداء أحياء ، وإلا لما صح نداؤهم ، ولكن حياتهم هي الحياة الأولى ، فاذا بلغوا دعوة الله فاستجابوا لله وللرسول زيدوا حياة فوق الحياة ، لا قيمة للحياة الأولى ولا شرف ولا حسن مآل إلا بها !

وهنا نأخذ من معطيات النص الكريم :

حياة مفهومة غير منصوص عليها تفهمنا إياها صيغة النداء : **( ياأيها الذين آمنوا )** .

حياة صريحة المادة دل عليها الفعل في صلة الموصول : **( لما يحييكم )** هاتان

هما الحياة وحياة الحياة !

ثم ما به تلك الحياة السامية ، وهو مفهوم الموصول وصلته معا : ( **ما يحييكم** ) ويفسره فعل الشرط ( **إذا دعاكم** ) فضل تفسير ، فليس شيئا غير دعوة الرسول بلاغا عن الله .

ثم ما تتحقق به تلك الحياة السامية بالفعل ، وهو الاستجابة لهذه الدعوة بالسمع والطاعة ، وقد صدر بها الكلام على وجه الوجوب ، بعد التنبيه إلى خطرها بالجملة الندائية ، الموقظة للنفس بنداء البعيد بعد التشريف ، وتمكين المنادي بشرف الصفة وماضوية الصلة .

وخطاب الذين آمنوا هذا الخطاب ، وقد سبق لهم من الاستجابة ما لم يكن لغيرهم ، فدبت حياة الحياة في قلوبهم إلى قدر هو كل يوم يزداد ، ومع كل أمر ونهي يتسع ، يدل بالمفارقة على أن غيرهم من الناس حي بالحياة الأولى ، التي لا حياة لها ولا شرف ، لأنه محجوب عنهما بحجاب الجهل والحرمان .

وهنا تسلمنا تلك العناصر التي أجملت ، إلى كشف أمرها بالبيان ، وليس لنا كاشف هو أجلى وأنصع من كتاب ربنا ، نستمد منه المقنع الشافي والملهم الفياض .

## الحياة الأولى :

الحياة المنعزلة عن حياتها ، جاءت في القرآن منعوتة بتلك النعوت ، التي تدل على دنوها وإسفافها ، وتفاهة أحلام المكتفين بها ، والراكنين بكل رغباتهم إليها .

( **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ) ١٨٥ : آل عمران .

( **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو** ) ٣٢ : الأنعام .

مع ما في هذه النعوت من دلالة على سفاهة مؤثريها ، جاءت آيات الله توضح حقيقتها ، وتؤكد حمق الواقفين هواهم عليها ، وتذكر لونا من جزائهم :

( **إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون** ) ٧ و٨ يونس .

( **فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى** ) ٣٧ ــ ٣٩ : النازعات . وسمى الحق هذا المحروم أعمى ، ومجرما ، بل وعده ميتا ،

لأنه لم يحى حياة الحياة بالاستجابة لدعوة الحق ، وقرن مصيره المؤلم بتلك التسمية ، جزاء وفاقا لما كان عليه أيام الحياة البائسة :

**( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا )** ٧٢ : الاسراء .

**( إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى )** ٧٤ : طه .

**( إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين )** ٨٠ : النمل .

**( أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين )** ٤٠ : الزخرف .

ذلك لأن زهادة تلك الحياة ظاهرة « قوية » في تفصي زهرتها الفاتنة أمام العين من قريب ، وسرعة التحول والتبدل التي تؤذن من يعقل بتلك الحقيقة ، ولكنهم عنها غافلون .

هذه الزهوة الزاهية والفتنة الفاتنة ، التي تنقلب حسرة وأسى عندهم ، يصورها لنا هذا التمثيل المحكم البالغ تصويرا يملك القلب من كل أعماقه :

**( إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون )** ٢٤ : يونس .

وهذا التذييل الذي ذيلت به الآية كاف في تجريد المخدوعين بها من التفكير الذي هو لازم العقل .

إن الأحياء تلك الحياة الأولى التي تشبه الموت ، بل التي نزلت بمنزلة الموت في آيات منها : **( إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء )** النمل/ ٨٠ ، حياة يشارك الانسان فيها الأنعام وكل ذى خلية حية ، ولكن الأنعام وما أشبهها أعلى درجة في الحياة وبعد الموت من الذين أخلدوا الى الأرض ، فضاقت صدورهم عن حياة الحياة ، وذلك ما نجده في قول الحق :

**( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون )** ١٧٩ : الأعراف .

**( أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا )** ٤٣ و ٤٤ : الفرقان .

## حياة الحياة

أما الحياة التي عبر عنها الفعل المضارع في صلة الموصول : **( لما يحييكم )**

وهو دال على التجدد بوضعه ، فهي حاصلة بالاستجابة لله وللرسول بالامتثال سمعا وطاعة ومسارعة بالخيرات . وهذه الاستجابة كلما استحكمت حلت ، وكلما حلت أضاءت وأشرقت ، حتى تنكشف بضوئها الحجب وتدنو المنائى ، فيرى الحي بها الجنة التي أعدت للمتقين ، قد شغفته حبا تهزل أمامه الدنيا وتضوى ، ويستخزى بهاؤها وبذل ، فيستيقن أنه شتان ما بينهما ، فيزداد حث الخطى كلما ألهبه الشوق إلى النعيم المقيم .

تلك الحياة ليست شيئا سوى العبادة ، فلا معنى للعبادة إلا معرفة حق المعبود ، وتحقيق هذه المعرفة بطاعته والتزام رسالته ، وتلك هي الغاية من خلق الجن والانس كما بينها الله : **( وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون )** ٥٦ : الذاريات ، فمن فقدها فقد المقصود من خلقه . والمقصود من خلقه هو ثمرة تلك الحياة وهو حياة الحياة !

ومزايا الأحياء تلك الحياة ، أن أعضاءهم بها حية كلها بحياة قلوبهم ، تأتمر باشارة الأمر ، وتنتهي باشارة النهي ، تتهلل للتبشير موقنة بالثواب ، وتبتئس للتخويف مؤمنة بالعقاب ، تستحضر حقيقة الغيب في القلوب فتصفق رغبا ورهبا ، فالرجاء والخوف مزاج تلك الحياة ، والتقوى ضابط مشيرها والجوارح جند مطيع .

أولئك هم المؤمنون حقا ، الذين جعلهم الله الطرف الراجح في المقارنة :
**( أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون )** ١٨ : السجدة .
**( أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين )** ٢٢ : الزمر .
**( أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون )** ١٢٢ : الأنعام .

إن الميت في صدر هذه الآية هو الحي حياة الضلال ، وإحياء الله إياه هو شرح صدره لدعوة الحق ، وإماطة حجاب القلب ليسكن فيه نور الايمان ، والمشي به في الناس هو الامتثال والالتزام بأمره ونهيه ، لأنه بالنور في النور يمشي ، وإنما ينحرف عن الجادة المحروم من نور قلبه ، والضارب في متاهة مملوءة بحوالك الظلمات : **( ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور )** النور/ ٤٠ ـ

أولئك هم الذين لهم السلطان الحقيقي في الأرض ، وليس لغيرهم سوى الله سلطان عليهم ، فالشيطان الذي هو اكبر القوى الطاغية في الكون مقهور بهم .
**( إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون )** ٩٩ : النحل .
**( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين )** ٤٢ : الحجر . لأنهم كما قال الحق فيهم :
**( إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون )** ٢٠١ : الأعراف .

وعتاة الأرض من الجبارين والظالمين صغار أمام عزمهم ، لأن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فآمنوا بربح البيع ، وآثروا الآخرة على الأولى ، فكان منهم :

**( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء )** آل عمران : ١٧٣ و ١٧٤ .

وكان منهم الذين قال لهم فرعون : **( فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى )** ٧١ : طه . فقالوا وهم أبناء ايمان الساعة : **( قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى )** ٧٢ و ٧٣ : طه .

لذلك الحس المرهف الكاشف رأى النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الجنة حتى هم أن يقطف من ثمارها ، ورأى النار حتى وصف ما فيها !

ولهذا الحس المرهف الكاشف استعجل « عمير بن الحمام » فرمى تمرات من يده شوقا إلى جنة الشهداء !

ولهذا قال « أنس بن النضر » « لسعد بن معاذ » : ياأبا عمرو أين ؟ واها للجنة إني أجد ريحها دون أحد ! فما انجلت المعركة إلا وهو حيث أحب !

ولهذا الحس المرهف الكاشف رأى عمر سارية يكاد يحيط بجيشه العدو ، فناداه من منبر المدينة ناصحا ، فسمعه سارية من وراء الأميال المترامية مجيبا !

وبهذا دفع عمر تميما الداري إلى النار العادية على المدينة ، فدفعها تميم بذراعيه كأنها العشب طله الندى !

وبهذا كانت تضئ العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر ظلام الليل كأنها المصباح ، وماذا فيه من البعد إذا كان أسيد يقرأ القرآن فتغشاه الظلة وتنزل لصوته الملائكة !

وإذا لم يكن هؤلاء أئمة الهدى ، وأعلام الأولياء من الأمة فمن يكون الذين **( يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم )** ٢١ : التوبة .

هاتان وجازتان عن الحياة وحياة الحياة ، وقد عرفت أن المدلول عليه بالموصول والصلة **( ما يحييكم )** هو دين الله ورسالته التي هيمن بها على كل رسالة كتاب الله الخالد ، بما تضمن من حقيقة التوحيد الخالص ، وما أجمل من أخبار الغيب ، وما جاء به من شريعة كاملة على الدهر تكفل سعادة البشر واستقامة حياتهم على المجد والكرامة والعدل والعزة « فمن قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

**( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون**

**الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون )** ٢ ـ ٥ : البقرة .

كما أدركت ان الاستجابة بالالتزام هي مناط تحقيق حياة الحياة ، وأنه بمقدار الدافع إلى الاستجابة يكون مقدار نمو النور فينا ، والارتفاع إلى الدرجات العلى هنا وهناك ! وبمقدار الفتور عن الاستجابة يكون النزول والتدلي إلى حياة تشارك الانسان فيها الأنعام غير ذات التبعة ، التي لم تحمل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان !

وهنا ندرك السر في تأخر المسلمين وضياع صوتهم وذهاب ريحهم بين العداة الطامعين ، ولمن يقول جاهلا أو متجاهلا : لو كان هذا أثر الايمان لنلناه فانا مؤمنون ! ألسنا نصلي ونصوم ؟ لمن يقول مثل هذا نرد بقول الحق : **( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )** ٨٢ : الأنعام .

فلنقس حالنا بهذين الوصفين معا دون تفريق بينهما ، بعد أن أصبحت حياتنا في الاسلام طقوسا وأشكالا زال عن القلب وهجها ، ومن العزم جذوتها ، وبعد أن صرف الهوى وصراع الشهوات كبار القوم مثل صغارهم عن تحكيم القرآن والنبي في مشاكلهم وقضاياهم ، فأين نحن اليوم من قوله تعالى :

**( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما )** ٦٥/النساء .

إن وعد الله لم يتخلف ، ولكنا نحن الذين تخلفنا ، فهل نحن تماما الذين عناهم الله بقوله :

**( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون )** ٥٥ : النور .

وهل نحن الذين عناهم قوله الحق :

**( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم )** ٧١ : التوبة .

إن الايمان الذي به النجاة والعزة وحياة الحياة مشروط لا مطلق ، وإن في الأمر قبل الغد لمتسعا لمن شاء أن يستقيم ، وإن في التوبة والانابة لمردا إلى الله محمودا لمن أراد النصر والكرامة ، وإن القرآن لعلى رأس الصراط مستحثا داعيا :

**( يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه ترجعون )** .

# أطفالنا والألبان الصناعية

للاستاذ/محمد حسن عبد العزيز

* العالم كله تنبه للخطر .. لكننا لا حس ولا خبر .. وكان الأمر لا يعنينا من قريب او بعيد مع اننا في قلب الخطر.
* الرضاعة الطبيعية تمنح الرضيع ٨٠٪ من القدرات العقلية ، ٢٠٪ من النمو الجسدي ..
* للرضاعة الطبيعية اثارها النفسية التي تتعدى مجرد لقم الثدي وامتصاص الغذاء ، واللبن لو افرغ من الثدي ووضع في زجاجة لفقد قيمته ..

بعد دراسات وأبحاث استمرت سنوات .. حذرت الحكومة البريطانية وبكل جرأة وشجاعة من استعمال الألبان المجففة كبديل لغذاء الأطفال الرضع ، وأعلنت وزارة الصحة ان المشروع القومي للألبان المجففة له علاقة مباشرة بوفاة ثلاثة الاف طفل كل عام . وحفاظا على حياة تلك الثروة البشرية الغت هذا المشروع محذرة الامهات من ارضاع أطفالهن بهذه الألبان ، ونشرت هذا التحذير في كل الجرائد والمجلات والتليفزيون والاذاعة داعية اياهن للعودة الى « ثدي الأم » أو ما أطلق عليه « رضعة الأمان » بدلا من رضعة

الموت . مع أن بريطانيا هي أول من صنع تلك الألبان عام ١٩٤٣ .
والجديد ان بيان وزارة الصحة قد أعطى للأم المسلولة « المصابة بداء الصدر » الضوء الأخضر ، وصرح لها أن ترضع طفلها دون أدنى خوف ، بعد تحصينه بالمصل المضاد .
ومن قبل ، نظمت حملات عالمية ، قادتها جماعات انسانية ، وجهات رسمية ، في كثير من بلدان العالم ، بدأت في سويسرا ، ثم تبعتها الحكومات الأوربية . وعقدت المؤتمرات والندوات في عواصم العالم الثالث ، وأعلنت المنظمات الصحية العالمية تحذيرها من أساليب شركات انتاج الألبان الصناعية في ترويج منتجاتها ، مما أسهم في استجابة عدد كبير من الأمهات لاغراء الأساليب المضللة .
فالعالم كله بكل هيئاته الشعبية والرسمية ، بدأ يثوب الى رشده ، والعلم في كل يوم يرصد للاسلام ، للقرآن ، انتصارات متتالية تؤيد ما جاء به من خير للانسان .
فلم يكن غريبا أن تظهر في الآونة الأخيرة شعارات العودة الى الطبيعة ، أو العودة الى البساطة الاولى ، فالمواد الغذائية من مصادرها الطبيعية أكثر فائدة وأغنى قيمة .
واليوم يقف الانسان مبهورا أمام الآية الكريمة : **( والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة )** البقرة / ٢٣٣ . ففيها تكمن تلك الحقيقة التي انتهى اليها العلماء في كل بقاع الدنيا وفيها اشارة واضحة موجهة للوالدات لممارسة وظيفتهن الاساسية التي خلقن من أجلها لاستمرار عمران الكون .
ورغم أن الخطر شغل العالم كله ، لكنه مع ذلك لم يشغلنا ، مع أننا في قلبه .. والموت يزحف الى أطفالنا في « بزازة الموت » والألبان الصناعية تغزو أسواقنا ، ويحتل الاعلان عنها مكانا بارزا في كل وسائل الاعلام والدعاية ، بل ذهبنا الى حد الاعفاء الكامل لتلك الألبان من الرسوم الجمركية .
هي قضية من القضايا التي اهتم بها العالم كله الا نحن ، وعواصم العالم الثالث تغلي بالحركة ، ونحن لا حس ولا خبر كأن الأمر لا يعنينا ، رغم أن بلدا مثل « تنزانيا » أصدرت قانونا يحرم دخول الألبان الصناعية فيها ، ولم تكتف بذلك وانما قادت حملة توعية واسعة توضح للأمهات الأضرار الناتجة عن استعمالها .
وفي الوقت الذي تتخذ فيه الحكومة البريطانية موقفا ايجابيا وعمليا بالغاء مشروعها القومي لانتاج اللبن المجفف ، اكتفى مجلس ادارة جمعية طب الاطفال في مصر باصدار بيان يقول : ان المقصود بلبن البقر المجفف هو اللبن الذي كانت تصنعه هيئة التأمين الصحي بانجلترا دون التعديل في تركيبه ، أما ألبان الاطفال المتداولة في مصر سواء كانت نصف دسمة ، أو حمضية ، أو مشابهة للبن الأم ، فكلها ألبان عملت خصيصا

لتلائم تغذية الطفل ، وبها جميعا تعديلات لنسبة البروتين والدسم والاملاح بالاضافة الى بعض الفيتامينات أو المعادن التي تجعلها جميعا صالحة من هذه الناحية ، وجميعها تم التصريح بها بعد دراستها من لجنة متخصصة من أساتذة طب الاطفال في مصر ، أما اختيار الأنواع المختلفة للأطفال فأمر متروك للطبيب المعالج .

ثم عاد البيان فأكد على أفضلية الرضاعة الطبيعية بلبن الأم وسلامتها وفوائدها وتميزها من النواحي الصحية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية بالنسبة للأم والطفل .

لكن الذي لا شك فيه كما يقول الاخصائيون : ان الالبان المعدلة تحتوي على نسبة عالية من الفوسفات والصوديوم والأملاح والبروتينات ، وبعض الشركات تضيف حامضا معينا لتسهيل عملية الهضم ، ومن أجل هذه النسب العالية في مكونات اللبن المجفف حذرت الجهات العلمية من استعماله ، فالأملاح تؤدي الى جفاف جسم الطفل .

وقد جاء في المجلة الطبية البريطانية ان زيادة نسبة الأملاح داخل جسم الطفل يتبعه اختلال في وظيفة الكلية ، وبالتالي عدم استطاعة « الكلية » الصغيرة افراز هذا التركيز العالي في البول فتعود بعض الأملاح مرة ثانية الى الدم ، وهي الحالة المعروفة « بالهيبرناترينيا » التي تجعل الجسم حساسا لأقل اصابة بنزلة معوية مما ينتج عنها ارتفاع في درجة الحرارة أو سرعة التنفس أو اسهال أو الاعراض الثلاثة مجتمعة ، وهي الاعراض الممهدة لحدوث جفاف الجسم الناشيء عن افراز النسبة العالية من الأملاح في الدم التي لا بد وأن يصحبها افراز كميات كبيرة من الماء ، موازية لنسبة الصوديوم العالية ، وهو ما يؤدي الى جفاف الجسم ..

وقالت المجلة : انه قد حان الوقت لسحب مثل هذه الالبان النصف دسم من الأسواق لأنها لا تصلح للأطفال حديثي الولادة وخطورة تناولها تتضح أكثر بالنسبة للأطفال المرضى ، حيث قد يتبعها تجلط الدم والغرغرينا » .

فاختلال الأملاح في اللبن الصناعي وأمثاله كانت السبب المباشر لالغائه والتحذير من اعطائه للأطفال قبل ٦ شهور كما جاء في تقرير اللجنة العلمية الطبية وضرورة توفير الألبان الشبيهة بلبن الأم .

كذلك فقد أكدت لجنة التغذية بالأكاديمية الامريكية للأطفال وجود علاقة بين زيادة نسبة الأملاح في اللبن الصناعي وأمراض ضغط الدم التي يمكن أن يتعرض لها الطفل في مستقبل حياته ..

أما النسبة الزائدة في البروتين فلا تستطيع معدة الرضيع افراز الكمية المناسبة من الأحماض الأمينية اللازمة لهضمها ، فينتج عن ذلك تعفن البروتين ثم الاصابة بالاسهال وبافتراض هضم الكميات الزائدة فان كل جزء منها يدخل الدم يجهد

الكلية ، وهو تماما بمثابة تحميل سيارة بأكثر من حمولتها المقررة . أما الفسفور فالغدة فوق الدرقية لا تبدأ في مباشرة وظيفتها الا بعد حوالي ثلاثة أسابيع ، ومعنى تغذية الرضيع بالألبان الصناعية خلال هذه المدة دخول هذه المادة مباشرة الى الدم بدون تنظيم .

● الكالسيوم في لبن البقر ١٢٥
في لبن الام ٣٣
● والفسفور في لبن البقر ٩٦
في لبن الام ١٥
● والصوديوم والبوتاسيوم في لبن البقر ٢,٥
في لبن الام ١٣,٠٠

والألبان التي يكتب عليها كامل الدسم ليست في الحقيقة كذلك ، بل يضاف الى اللبن دهن نباتي يؤثر على المعدة ويصيب الأطفال بالاسهال ، والتشنجات ، وعدم استقرار الوجبات في بطونهم ، وينتج عنه شكوى الأمهات من ترجيع الرضعات .

ولو كان اللبن الصناعي سليما من كل هذه الاحتمالات .. فان ذلك لا يمنع من أن الحرارة العالية في بلادنا تؤثر على افساده بسرعة ، وعملية النقل والتخزين والاعداد وترك العلبة تتلوث بأي شيء تحمل من الأخطار ما لا يتصور أحد .

الى جانب هذا كله تقف حقيقة هامة ، هي أن الماء الذي يجري في بيوتنا ، ونضيفه الى اللبن الصناعي لعمل الرضعة ، تزيد فيه نسبة المطهرات ، بما تحمله من مواد كيماوية تصل أيضا الى الطفل من خلال رضعة اللبن الصناعي .

ولو عرفت كل أم أن لبن ثديها به بروتين صغير جدا يمنع عن طفلها التصاق الميكروبات « التيفود والكوليرا » في الغشاء المخاطي للأمعاء ، لحاولت بكل جهدها اعطاءه « رضعة الأمان » بدلا من رضعة « الموت » في بزازة .. خصوصا في المناطق الفقيرة حيث تصعب وتنعدم أحيانا وسائل النظافة والتعقيم « للبزازات » ، بالاضافة الى الأضرار المترتبة عن استعمال البزازة ذاتها ، كانتشار أمراض الجهاز الهضمي ، وبروز الفك العلوي ، وتشوه الأنف ، وفلطحة قبوة الفم ، مما يؤثر على نبت الأسنان ، والتعرض لتلوث اللوزتين والبلعوم والجيوب الأنفية .

ويقول الدكتور / حسين كامل بهاء الدين ، أستاذ أمراض الأطفال ، بجامعة القاهرة ان اللبن الصناعي للأطفال خطر في حد ذاته ، وليس فقط بسبب مشكلة تعقيم البزازة ، أو اختلال المكاييل ... اننا لا نستطيع استبعاد عامل المبيدات الحشرية الكيماوية التي يتم رش الزراعة بها ، والتي تتسرب الى لبن الحيوان عندما يتناولها كغذاء ، كما أن الاتجاه الحديث لاستخدام المضادات الحيوية والهيرمونات في تنمية المواشي وبالتالي لادرار لبن أكثر ، لا بد وأن تصل في النهاية الى لبن الأطفال الصناعي .

اننا لا نستطيع أن نقول للحيوان لا تأكل من هذا الزرع الذي رش من مبيد ، ولا نستطيع أن نمنع الذين

يستثمرون المواشي من اعطائها المضادات والهرمونات ، لكننا نستطيع أن نمنع الأم من أن تأخذ هذه المضادات بعد أن ثبت أنها أيضا يمكن أن تلوث لبن الأم : مثل المضادات الخاصة بالغدة الدرقية ، وأدوية التجلط ، والمسهلات واليود . وكلها يجب أن تمنع عنها الأم ، التي تقوم بارضاع طفلها .

وفضلا عن أن لبن الأم لا يعدله أي غذاء صناعي آخر ، فانه يتمتع بعدم قابليته للفساد ، أو نقل العدوى .

والمتأمل للآية الكريمة يجد أنها حثت الأمهات على اكمال الرضاعة حولين كاملين . والحكمة في ذلك أثبتتها الدراسات النفسية والطبية التي أكدت أن الرضيع الذي يعتمد على الغذاء الطبيعي يكتسب خلال السنتين الاوليين من حياته ٨٠٪ من قدراته العقلية و ٢٠٪ من نموه الجسدي ، بالاضافة الى الفوائد النفسية .

فالرضاعة الطبيعية ليست مجرد غذاء وحسب ، وانما هي علاقة نفسية بين الطفل والأم ، فلو أفرغ اللبن من الثدي ، ووضع في زجاجة مثلا ، وأعطي للطفل ، لفقد كل قيمته ، فلقم الثدي يكسب الطفل الأمان والاستقرار ، ويحميه من كثير من الأمراض النفسية ، وقد ثبت ان فطام الرضيع قبل اتمامه العامين يعرضه للاصابة بأمراض نفسية منها الانطواء والعزلة والتشاؤم .

وقد هيأت العناية الالهية الأنثى عند الانسان ، وسائر المخلوقات على السواء ، بعاطفة الأمومة ، التي لا يمكن تعويضها عنها . والطفل لا يمكن تعويضه عن حاضنته ، ومربيته ، وباعثة الحنان فيه ، وأي علاقة أخرى لا تحل محل ثدي الأم ، ولا تكون بديلا عنه .

واذا نظرنا الى عالم الحيوان وجدنا أنثاه المفترسة تحمل وليدها بين أنيابها ، وتنتقل به المسافات الطوال دون أن تصيبه بأذى ، وتدافع عنه ضد الأخطار التي تصل أحيانا الى التضحية بحياتها دون رضيعها .

انها عاطفة الأمومة أسمى العواطف مطلقا .. بها تتحمل الأم المشاق ، وتحيلها بشرا وسرورا وسعادة ، وبغيرها لا تستمر الحياة ولا يعمر الكون .

ولا شك أن الغذاء الطبيعي تكفلت العناية الالهية بتدبيره للطفل في بطن أمه جنينا عن طريق ما يسمى بالحبل السري المصمم بكيفية بديعة فلا هو بالطويل فيتخمر فيه الغذاء ، ولا هو بالقصير فيندفع فيه بطريقة تؤذيه ، وفي خلال فترة الحمل تتكون الغدد المكونة للبن من افرازات المبيضين فاذا استوفيت مدة الحمل صدرت الاوامر الى الغدد النخامية لتبدأ في انتاج اللبن الذي يحتوي على كل المواد اللازمة لاستمرار حياة الرضيع ، وسد حاجاته الأساسية من النشويات والسكريات والدهون والأملاح والفيتامينات ، وهي مواد لا يمكن بحال من الأحوال أن توجد في صنف واحد أو أصناف متعددة من الأغذية ، وان وجدت فلا يمكن

اعدادها بطريقة تتلاءم مع معدة الطفل الرضيع بحيث يمكن هضمها والاستفادة منها .

والجنين يخرج من بطن أمه بلا خبرات الا من ذلك التوجيه الالهي المرشد لمصدر الغذاء فنجده يتجه مباشرة الى ثدي أمه دون أن يعلمه أحد ذلك .

ولم نسمع منذ بدء الخليقة أن طفلا واحدا أو حيوانا أخطأ في مصدر غذائه مع أن رضيع الانسان يمتص غذاءه بشفتيه من الثدي وهي عملية شاقة للغاية لا يقدر عليها الرجل البالغ حيث يتنفس من أنفه في نفس الوقت الذي يرضع فيه . ولا شك أن عدم اختلاف المصدر منذ كان الرضيع جنينا الى أن خرج الى الوجود من أهم الاسباب التي تحافظ على صحته لعدم اختلاف مصدر الغذاء ولأن هناك علاقة سببية تقوم بين الطفل والأم . ومن الملاحظ أن لبن الأم يتناسب مع حالة الطفل يوما بعد يوم كما يتلاءم مع حالته الصحية فنجد الافراز يزداد حتى يصل الى لترين ونصف لتر في اليوم الواحد بعد عام بينما لا يزيد في الأيام الأولى عن بضع أوقيات ، كما تتغير نسب مكوناته بالزيادة والنقصان وشدة التركيز فيبدأ أقرب ما يكون الى الماء ثم يزداد تركيز مكوناته النشوية والسكرية والدهنية يوما بعد يوم .

ولكن اذا استحال الارضاع الطبيعي لمرض الام مثلا أو لجفاف ثديها فان القرآن الكريم قد أجاز لها في هذه الحالة استئجار مرضع تقوم بهذه المهمة وحث الأم على أن تتحرى الدقة في اختيار تلك المرضع .. يقول تعالى : **( وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم )** البقرة/٢٣٣ ولا يجوز أن تكون الرغبة في عدم الارضاع راجعة الى خشية الأم من التأثير على قوامها أو رشاقتها وما الى ذلك .

والجدير بالذكر ان الأم التي تمتنع عن الرضاعة لمدة ٤٨ ساعة فقط يجف ثديها ويصعب عليها التحول مرة أخرى الى الرضاعة الطبيعية ، وقد كانت شركات انتاج الألبان تعتمد على صرف الأم عن الرضاعة الطبيعية على أساس تجربة الألبان الصناعية .. فاذا فعلن ذلك للمدة المذكورة جف ثديهن وأصبحن أسيرات للألبان الصناعية ثم صار استخدام هذه الألبان نوعا من التقليد .

تلك وظيفة المرأة التي هيأها الله سبحانه وتعالى لها ومنحها كل القدرات التي تجعلها أهلا للقيام بها ، وهي وظيفة لا شك لها دور هام في حياة البشرية ومن أجلها كرم الله المرأة . وأوصى بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاها أرفع وسام بأن جعل الجنة تحت أقدامها .

ولعلنا نلتزم بتوجيهات القرآن وها هي ذي تحذيرات الهيئات الصحية العالمية وبين أيدينا نتائج دراسات وأبحاث الطب البشري والنفسي والاجتماعي ..

ومن أجل أبنائنا وفلذة أكبادنا وأغلى شيء في الوجود ..

علينا أن نتلفت حولنا في اهتمام لأنها مشكلة .. مشكلة .

ونحن في قلب الخطر ..

# مناجاة

للاستاذ/
سيف النصر الطلخاوي

ناجيت ربي في سمو علاه   مستمطرا رحماته ورضاه
وجأرت للرحمن في عليائه   ودعوته في أرضه وسماه

..........

يا رب عفوا من ذنوبي بعدما   حارت بنات الفكر ، يا ويلاه !!
من لي سوى الرحمن يغفر زلتي   فهو الغفور وليس لي إلا هو !

..........

يا رب جئنا والحياة خديعة   والنفس تطغى ، والقذى تهواه
خلبت عيون الناس عند بريقها   فجروا وراء خداعها وهواه
لهثوا وراء سرابها حتى غدوا   بين الدروب تضلهم أشباه
ضلت نفوس القوم في بيدائها   وتأبط الشيطان من يلقاه

..........

يا رب طمعت في الحياة نفوسنا   سارت وراء المال كي تغشاه
نهمت به في حله وحرامه   صارت بكل وسيلة تعطاه
وتقاتلوا كالكلب تنهش جيفة   كل يمزق في الصراع أخاه
ساءت حياة الناس في أطماعهم   ضلوا كثيرا عن طريق هداه
كل يريد حياته وفؤاده   مستنكرا لأخيه ، ما أقساه !

..........

أهواؤنا فاهت بكل مباءة   وتطاول الإنسان ، ما أشقاه !!
هانت نفوس بالنفاق وبالفرى   طمعت بعز لا يدوم تراه
هذي الحياة ذليلة وقصيرة   أيظل قلب المرء في مسعاه !؟

..........

يا رب ضلت في الحياة نفوسنا   فانر لها سبل الطريق تراه
يا رب عانت في الشقاء قلوبنا   فامدد لها سببا يطيب مداه
يا رب ضاقت بالضلال صدورنا   فاملأ قلوبا بالهدى وتقاه

..........

يا رب جئنا عند بابك نرتجي   غوث الكريم ، وعفوه ، ورضاه !
فامنح عبادك بالقناعة والرضا   وأعزهم بالزهد في مغناه
وأفض عليهم رحمة ورفادة   من بحر جودك ، لا يغيض مداه

..........

ألف بفضلك للمحبة جمعنا   كيما نتوب إلى الهدى وسناه
وأعن بهديك يا قدير نفوسنا   كيما تفيء إلى الحمى وجناه
واشرح بنورك يا لطيف صدورنا   فبنور وجهك تهتدي وتراه
واشمل بعفوك يا عفو لأمة   ترجو النجاة وترتجي لهداه
وارحم بحلمك يا قوي لضعفنا   أنت الغياث ! وأنت ! أنت الله !!

# من الأدب الإسلامي

# الكثير والقليل

للأستاذ : السعيد الشرباصي

لا يقتصر أثر الحالة النفسية للانسان على النواحي العاطفية والمجالات الشعورية فقط .. وإنما يمتد هذا التأثير إلى سائر الجسم وكافة المجالات .. ويظهر أثر الحالة النفسية للفرد بشكل واضح على نشاط المعدة ، وعلى ما تفرزه من عصارات تساعد على الهضم ، ومن عناصر تهيئ الطعام للانتفاع به .

وأكبر الظواهر الدالة على أثر الحالة النفسية على النشاط الهضمي حالات الفرح أو الحزن .. حيث نشاهد على سبيل المثال أثر الفرح والسرور في جعل الرغبة إلى الطعام مطواعة ومرنة ، بمعنى أنها في حالة السرور يكون لديها التقبل للوضع الكائن . فهي ترضى بالقليل وتقنع به ، وترضى عن البسيط وتفرح له .. بل وعندما تتوفر الظروف المناسبة نجدها تقبل على الطعام إقبالا عظيما ، فسيان لديها الكثير والقليل ، واللين من الطعام أو الخشن .

ومعنى هذا أن الرضا وصفاء النفس يجعل المرء مستعدا لاستقبال أي وضع يكون . وهذا المعنى هو الذي يهدف إليه الاسلام ، حينما يطالب الآكل :

بأن يفتتح طعامه وشرابه بالتسمية ، لأنها تعبير عن التسليم بما هو كائن ، والتطلع في الوقت نفسه إلى عطاء الكريم الذي رزق وقسم ، وأعطى وهيأ ، وبارك وطيب . فهي في جملتها استجلاب للرضا ، وأمل في الانتفاع بقدرة العظيم القادر .

ويواسطتها يتم صنع جو السعادة والتقبل والقناعة بالموجود ، فتتولد الحالة النفسية المطلوبة لفتح الشهية ، ولاستقبال الطعام ، وبالتالي لمزاولة العصارات الهاضمة نشاطها في كفاءة تامة ..

ولهذا نجد النفس المؤمنة تنشدها لا كأدب إسلامي فحسب ، بل كضرورة نفسية مؤكدة عندما يكون الطعام قليلا ، أو غير مستساغ . وبها يتغير الشعور فيكفي الطعام القليل ، ويطيب الطعام الجاف .

ومضيا في صنع الحالة النفسية الطيبة للطعام يطالب الاسلام أتباعه بالنظافة العامة في اختيار الطعام ، وفي الحصول عليه بحيث يكون مصدره حلالا .. وبأن يكون المرء بصورة عامة نظيفا .. ومن هنا كان أمر الشريعة : بغسل اليدين قبل الطعام وبعده ـ حتى ولو كان على وضوء ـ وقد روي ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه ، وإذا رفع » . وفي حديث آخر جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم » . ونفي الفقر الذي يوجد بالنظافة هو نتيجة للشعور الرفيع الذي يصل إليه الآكل وهو على نظافة حيث يشعر بالعزة والكرامة . والغنى قبل كل شئ غنى النفس .

ثم يرشد الاسلام عند الطعام إلى استخدام اليمنى ما أمكن . فقد انتهجت الشريعة سنة محمودة حين خصصت اليد اليمنى للاستخدامات الطيبة واليسرى للاستخدامات الأخرى .

وعليه أن يأخذ مجلسه في اعتدال عند الطعام ، فان ذلك مما يساعد على وصول الطعام إلى المعدة في يسر وسهولة . وقد روي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا آكل متكئا » .

وليأخذ في طبقه حاجته دون زيادة . فان كان الطعام مشتركا ، فلا يخلط منه على غيره أكثر من حاجته ، ليبقى الباقي مقبولا من سواه . ونحن نرى أن الاسلام يوصي بعدم ترك بقايا في الأطباق بدون داع . وفي ذلك من النظام والاقتصاد والحكمة ما فيه لأنه لا مبرر لاضاعة المال ، بل لا مبرر للافساد . ولكي لا يضايق غيره ممن يقومون بعملية التنظيف . ومن هنا يجب الاقتصار على أخذ ما أنت في حاجة إليه ، لتترك الطبق خاليا « من أكل في قصعة فلحسها استغفرت له القصعة » رواه الترمذي . يعني انتهى منها ، ولم يترك بقايا فيها .

ولا تعليق على الطعام ، إلا بخير واستحسان ، وأما إظهار بعض

عيوبه ، فهو إيذاء لمن يأكل معك ، وقد يكون مقبلا عليه لرغبته فيه أو لحاجته إليه ، فحديثك يضايقه . وثانيا : إيذاء لمن صنعوا الطعام . « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهى شيئا أكله ، وان لم يشتهه تركه » متفق عليه .

وفي هذا المقام لابد من التماس العذر في الخطأ . فعملية الضبط لكل ما يطهى عملية شاقة وعليك أن تجربها لعدة أيام لتعرف متاعبها ومشاقها .

ومن الأمور المنفرة التي رفضتها الشريعة : النفخ في الطعام أو في الشراب ، وكـــذلك التنفس عند الشرب ، أو إحداث أصوات حادة : وفي المتفق عليه : قال ابن عباس : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ، ولا يتنفس في الماء » . ومن حديث قتادة « ولا يتنفس أحدكم في الاناء » .

ولا داعي للبطر ، وإظهار التعالي ، برفض الأكل مع الفقراء والبسطاء ، أو عندهم ، أو بترك ما يسقط على الأرض من طعام ، مادام يمكن إصلاحه والانتفاع به . وقد روى ابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وقعت اللقمة من يد أحدكم فليمسح ما عليها من الأرض وليأكلها » .

ومن حسن الخلق وأدب الصحبة ألا تكون حريصا على الطعام ، وألا تسبق سواك وقد نهى عن القران بين الثمرتين . وفي ذلك من النظام ما فيه . كما لا مبرر للنهوض العاجل عن المـــائدة ، قبل إعطاء الفرصة للحاضرين ، لأن ذلك قد يحرجهم . وقد شرح هذا المقام الحديث : « إذا وضعت المائدة ، فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ، ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم ، وليعذر ، فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده ، وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » رواه ابن ماجه .

ولا بأس بتقطيع اللحم بالسكين أثناء الأكل وقد روى البخاري : « أنه كان يحتز من كتف شاة في يده ، فدعى إلى الصلاة فألقاها من يده ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ » والحز إنما يكون بالسكين . وقد قال مهنا : سألت أحمد عن حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقطعوا اللحم بالسكـــين ، فانه من صنع الأعاجم ، وانهشوه نهشا ، فانه أهنأ وامرأ » . قال : ليس بصحيح . وأحتج بهذا الحديث السابق .

ولابد من النظام في تناول الطعام وفي أنواعه . يروي ابن ماجة في ذلك : عن عكراش بن ذؤيب قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجفنة كثيرة الثريد والودك . فأقبلنا نأكل ، فخبطت يدي في نواحيها . فقال : ياعكراش ، كل من موضع واحد ، فانه طعام واحد .. ثم أتينا بطبق فيه ألوان الرطب ، فجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق . وقال : يا عكراش ، كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » .

والحديث يضع قواعد هامة

للمجتمعين حول المائدة . فاذا كانت المائدة تضم صنفا واحدا ، كان لزاما على الطاعم أن يأكل مما يليه . أما إذا كانت تحوي أصنافا متعددة ، وكلها مباحة وعلى قدر سواء . فلا مانع من أن يأخذ منها ما يستطيبه .

وعلى من كان أمامه صنف خاص أن يقدمه إلى غيره ، ويعرض عليهم حاجتهم فيه . وعندما ينتهي الأكل ، فليبدأ بشكر الله تعالى على ما هيأ ويسر ، ثم ليشكر صاحب المائدة وشكر الله بحمده . وفي الحديث : « من أكل طعاما ، فقال : الحمدلله الذي أطعمني هذا ، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه ابن ماجه . وعن شكر صاحب المائدة روي جابر بن عبدالله قال : صنع أبو الهيثم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فلما فرغ . قال : أثيبوا صاحبكم قالوا : يا رسول الله وما إثابته ؟ قال : إن الرجل إذا دخل بيته ، وأكل طعامه ، وشرب شرابه ، فدعوا له . فذلك إثابته . وكان من دعائه : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داود .

ولا تثريب على المرء في الجمع على المائدة لأكثر من طعام ، فقد كان الرسول يأكل القثاء بالرطب . ويجمل بالمرء إذا كان في الطعام سعة أن يدعو إليه من يحتاج إلى الطعام ( وطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة ) . فان لم يكن لديه الاستعداد لذلك ، فليعتزل من حوله بطعامه حتى لا يثير رغبتهم .

ومن مبادئ العزة الانسانية ألا يتحين المرء وقت أكل الآخرين فيهجم عليهم ليطعم معهم ، وإنه إذاك يعد متطفلا ، وقد كره الاسلام ذلك لقول الله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه )** الأحزاب/٥٣ . أي غير منتظرين بلوغ نضجه ، ولهذا يحسن بالزائر اختيار الوقت المناسب لزيارته ، فلا يدخل على مزوريه في أوقات طعامه وشرابه أو أوقات الراحة التي تعود الناس الركون فيها إلى الدعة والسكينة ، إلا أن يكون قادما من سفر ، أو على موعد معين سابق .

وكما يدعو الاسلام إلى النظافة قبل الطعام ، فانه يحث على النظافة بعده ، ولهذا يستحب غسل اليدين بعد الأكل ، وتنظيف الفم ، واستخدام السواك ونحوه . كما لا مانع من استخدام المنظفات التي تساعد على ذلك . وقد قيل لأبي عبدالله : ما تقول في غسل اليد بالنخالة . فقال : لا بأس به نحن نفعله وقد روى ما يشهد بذلك في الآثار . ولا بأس باستخدام كل ما يساعد على النظافة من مواد مستحدثة ومستحسنة .

وعلى المرء أن يتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » رواه أحمد والترمذي . وما ملأ الانسان وعاء شرا من بطنه .

وعلى العاقل أن يدرك أن الجسم لا يحتاج إلى الاسراف ، أو بالوصول بالمعدة إلى حد الامتلاء ، الذي يضر بها ويعطلها عن الهضم ، حيث يتحول الطعام المفيد إلى أذى وسم ، ان لم يقتل أفسد وأتعب .

فان كان ولابد فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه . والعاقل هو الذي يأكل أكثر ، بأن يأكل قليلا ، فيهضمه ويجوع فيأكل من جديد . وهكذا ..

أما الغبي فانه يأكل مرة واحدة يبقى بعدها مثقلا بالطعام عليلا ، محروما منه فاذا أردت أن تأكل كثيرا وتحظى بلذة الطعام ، فكل معتدلا ولا تفرط حتى تصل إلى حد الامتلاء ، فتحرم من الطعام ومن الراحة والصحة . وكثرة الطعام دليل على فساد النفس والطبع .

يروي أبو هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف وهو كافر . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أخرى فشربه ، ثم أخرى فشربه ، حتى شرب حلاب سبع شياه . ثم إنه أصبح فأسلم . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب حلابها ، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يشرب في معي واحد ، والكـــافر يشرب في سبعة أمعاء » رواه مسلم .

ومن الأدب الاسلامي أن على المدعو الى طعام أو الى وليمة أن يستجيب للدعوة ما لم يكن هناك عذر ، يتقدم به إلى صاحب الدعوة وفي الحديث : « إذا دعى أحدكم إلى وليمة فليأتها » حديث صحيح ، بل إن الاسلام في تسامحه العظيم لا يمانع في الاستجابة لدعوة اليهودي أو الذمي . لما روى أنس « أن يهوديا دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبز شعير وإهالة سنخة فأجابه » ذكره الامام أحمد في الزهد .

ويحض الاسلام صاحب المنزل على إكرامه للوافدين عليه ، بل ويدعوه إلى إيثارهم على نفسه وفي القرآن الكريم :

**( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة )** الحشر/ ٩ .

ويقول المفسرون في أنها نزلت في رجل من الأنصار حينما قدم رجل على الرسول ، فأرسل يسأل أهله عن طعام له ، فجاءه الرد : أنه لا يوجد سوى الماء . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار واستضافه . وتمضي القصة النبوية لتحكي كيف أن الرجل لم يجد في بيته إلا القليل المعد لطعام الصبية ، فأمر زوجته بتقديم الطعام للضيف واطفاء المصباح ، ليأكل الضيف ، وهم يتعففون إيثارا له .. فنزلت الآية . والقصة في صحيح مسلم الجزء السادس .

وبعد : فان تنظيم الاسلام لشهوة الطعام ولطريقة تناوله ، إتاحة للانتفاع به ، ولاعطاء الفرصة للاستفادة منه ، فاذا أردت أن تأكل دائما وكثيرا فكن منظما في طعامك وشرابك ، حتى لا تحرم منه .

# في بريق الحضارة العلمية الاسلامية

## الفيزيائي الاسلامي ابن الهيثم

للاستاذ : منذر شعار

كان ابن الهيثم استاذ أوربا في الفيزياء والضوئيات والطبيعة لقرون، وفي جملة الاساتذة المسلمين العظام، الذين اضاءوا الطريق أمام الانسانية قاطبة، لبلوغ الخير والرشاد .

واسمه محمد بن الحسن، او الحسن بن الحسن، على خلاف، اما ابن ابي اصيبعة، المولود بدمشق والمتوفي بصرخد سنة ٦٦٨ هـ فقال في كتابه : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء بأن اسم ابن الهيثم محمد بن الحسن بن الهيثم . وبهذه الرواية أخذ خير الدين الزركلي في قاموس اعلامه

ولكن القفطي يقول في كتابه « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » : ان اسم ابن الهيثم هو الحسن بن الحسن بن الهيثم، وذهب الى التسمية ذاتها صاحب كشف الظنون في صفحة ١٣٨، من الجزء الاول، ولهذا حين أورد « كارل بروكلمان» ترجمته تردد في تسميته فلم يقطع بها، وكذلك المستشرق « سوتر» حسب ما نقلت دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٩٨ تردد بين أن يكون ابن الهيثم هو الحسن بن الحسن او الحسن بن الحسين .

وايا كان اسمه، فهو ابن الهيثم

الكبير ، والعالم الجليل . ولد في اواخر القرن الهجري الرابع ، ونشأ فقيرا يشتغل بنسخ الكتب وبيعها ، ثم علا في العلم وبرع ، واكبر حادثة فى حياته هي استدعاء الحاكم بأمر الله العبيدي بمصر له ، أو ذهابه هو من نفسه الى مصر ، ليعمل عملا فى النيل . وذلك أن ابن الهيثم قال وهو فى الشام : «لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى حالتي زيادته ونقصه » فسارت هذه الكلمة حتى بلغت الحاكم بأمر الله بمصر ، فاستدعى ابن الهيثم ، وأكرمه وبذل له المال ، فنزل ابن الهيثم في النيل حتى بلغ الموضع المعروف بالجنادل، قبلي مدينة أسوان ، فعاين ماءالنيل واختبره من جانبيه وعجز عن الاتيان بشيء فى هندسته ، هذه رواية الموسوعة الفرنسية فى ص ٨١٣ ، وروايات أخرى تقول : « ان ابن الهيثم قال : تأملت فى آثار قدماء المصريين من أهرامات وغيرها فعلمت أن من بنى هذه الاوابد لم يكن ليعجز عن اقامة هندسة للمياه فى أسوان ، لو وجد ذلك ممكنا ، اي ان ابن الهيثم رأى استحالة عمل هندسة فى النيل « وما راء كمن سمعا » ، والقول على التوهم غير القول بعد المعاينة ، فلذلك عاد من النيل عاجزا ، ولكنه خاف من اعلان عجزه للحاكم ، وكان غشوما ظلوما ، فأظهر ابن الهيثم الجنون ، لينجو من بطش الحاكم ، فضبط الحاكم ما عنده من مال ومتاع ، واقام له من يخدمه ، وترك في منزله ، فلم يزل كذلك الى أن مات الحاكم ، فأظهر ابن الهيثم العقل ، وخرج من داره فاستوطن قبة على باب الجامع الازهر ، واعيد اليه ماله فانقطع الى التصنيف والافادة الى أن توفي » .

وقد ذكر الزركلي لابن الهيثم سبعين مؤلفا ، عدد منها كتاب المناظر ، ورسالة الشكوك على بطليموس ، وكتاب « الاظلال » وكتاب تهذيب المجسطي ، وكتاب « تربيع الدائرة» ورسالة « الاخلاق » ، وقد قال البيهقي في حق هذا الكتاب : «ماسبقه به أحد » ، ولابن الهيثم كتاب مساحة الجسم المتكافيء ، وكتاب الاشكال الهلالية ، وكتاب المرايا المحرقة ، وكتاب « تفسير المقالة العاشرة لابي جعفر الخازن » وكتاب «ارتفاعات الكواكب» .

ولكن ابن ابي أصيبعة ذكر له فى كتابه « عيون الأنباء » الآنف الذكر مائتي كتاب ورسالة فى الرياضيات والفلك والطبيعيات والفلسفة والطب .

وعبارة المستشرق « سوتير » فى اطرائه : « كان علما من أعلام العرب فى الرياضيات والطبيعيات وكانت له الى ذلك مشاركة في الطب ، وفى علوم الاوائل الأخرى ، وخاصة في فلسفة أرسطو » .

لقد كان ابن الهيثم عظيم الاثر فى حضارة الاوروبيين العلمية ، واسمه عندهم « الهازن » ، وهذا الاسم كما يقول « الزركلي » : اقرب الى « الخازن » منه الى « ابن الهيثم » . ولكن الذي يقصده الغربيون من « الهازن » هو ابن الهيثم من غير شك ، ولعل السبب فى أن سموه كذلك ان اول ما شاع عندهم من كتب ابن الهيثم ، هي رسالة «تفسير المقالة العاشرة لابي جعفر الخازن» من شرح ابن الهيثم ، فلعله التبس عليهم اسم المؤلف باسم الشارح ، فخلطوا ، فكانت تسمية ابن الهيثم

عندهم « الهازن » .

وقد بالغوا فى ترجمة كتبه الى لغاتهم ، فكتابه « المناظر » نشر بالالمانية عام ١٥٧٢م في مدينة « بال» مع رسالة له في الشفق . وقد نقل هذه الرسالة الى اللاتينية « جيرار دي كرمونا » ، وكان لكتاب المناظر

هذا اثرا بالغ فى معرفة الغربيين لهذا العلم فى العصور الوسطى من«روجير باكون » الى « كبلر » أي خلال ثلاثة قرون ونصف القرن ، اذ ان « روجير باتون » ـــ العالم الانكليزي ، ولد سنة ١٢١٤م ، « وكبلر » مولود فى روتنبرغ بألمانيا سنة ١٥٧١ ، وكان عالما فلكيا .

وقد نشر « فيدمان » الالماني كتاب ابن الهيثم « كيفيات الاظلال » باللغة الالمانية عام ١٩٠٧ واشترك مع « هيبرج » فى نشر كتاب « المرايا المحرقة بالقطوع » فى مجلة المكتبة الرياضية بالمجموعة الثالثة في المجلد العاشر سنة ١٩١٠م صفحة ٢٠١ وكذلك قام « فيدمان » نفسه بنقل كتاب « فى المرايا المحرقة بالدوائر » بالمجموعة نفسها من صفحة ٢٩٣ الى ٣٠٧ ، ثم قام « سوتير » بترجمة كتابه « فى مساحة الجسم المتكافيء » بالمجلد الثاني عشر سنة ١٩١٢ مع شروح عليه .

وقد ذكرت المعجمية الفرنسية أن ابن الهيثم له مؤلفات عدة فى الرياضيات والفلك والفلسفة والعلوم الطبيعية واغلبها ضاع ، وبقي منها رسالة فى المنحنيات الهندسية ، مما يجعلنا نثق بأنه كان على اطلاع تام على كتاب « بديهيات اقليدس » والى ابن الهيثم وحده يرجع فضل اكتشاف البرهان بالعدد « ٩ » على صحة العمليات الرياضية .

ان الغربيين اطلعوا فى كتاب ابن الهيثم «المناظر» لاول مرة، على وصف دقيق للعين وعلى أن النظر يأتي من نور الاشياء المرئية لا من نور العين كما كان يظن اليونان ، وعرفوا كيف عالج ابن الهيثم ـــ ولاول مرة أيضا قضية الانعكاس ، والغرفة المظلمة التي كانت هي فاتحة الباب لاختراع آلة التصوير الشمسي .

وقد اعترف بفضل ابن الهيثم مع ما ذكرنا العالم « سارتون » الذي قال : « ان ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة ، بل أعظم علماء الطبيعة فى القرون الوسطى ومن علماء البصريات القلائل فى العالم كله وقال فرنسيس باكون ١٥٦١ ـــ ١٦٢٧ م فى كتابه « قيمة تقدم العلوم» الذي الفه سنة ١٦٠٥م : « أن الكندي وابن الهيثم دعامتا علم البصريات ».

وقد توفي ابن الهيثم عام ٤٣٠هـ ـــ ١٠٣٩م فى القاهرة ، عند اكثر المؤرخين ، الا البيهقي فى كتابه «تاريخ حكماء الاسلام » فقد قال ان ابن الهيثم لما خاف على نفسه من الحاكم بأمر الله هرب الى سورية ، ولم يذكر وفاته ، ولا عودته الى مصر .

ذلك كان نجما في سماء الحضارة الاسلامية ، انار الطريق امام أوربا، فيمن انارها من علماء المسلمين، وكان نعم العالم في نعم المناخ يومئذ، مناخ الحرية العلمية والسمو الفكري والخصوبة الحضارية التي زرعها الاسلام حيث دخل وانتشر ، فلولا الحضارة الأم ما خرج الابناء البررة، النشطون الى كل خير وعلم وصلاح.

# حيلة يوسف عليه السلام

للدكتور نجاشي علي ابراهيم

مرت المحنة بيوسف عليه السلام ، وانتهى أمرها ، وهي تحمل بين ثناياها الخير له من حيث لا يدري ، فاذا به يتبوأ مكانة عالية ، ويحتل مركزا مرموقا ، ويشيع أمره بين الناس ، فيقصدونه طالبين رفده وعطاءه .

لقد عز الطعام ، والناس في أشد الحاجة اليه ، ويوسف بما وهبه الله : من ذكاء وحكمة ـ كان ـ يفعل ما فيه مصلحة الخلق ، في وقت يطيش فيه عقل اللبيب ... « **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** » سورة يوسف / ٥٦ .

واذا كان الطعام : قد عز في أرض مصر ، نظرا لما حل بها من قحط ، فقد أصاب القحط أيضا : أرض كنعان التي يقيم فيها يعقوب عليه السلام .

وقد استطاع يوسف بفطنتـه ، وحسن تدبيره : أن يواجه مشكلـة القحط التي نزلت بمصر ، وأخذ يوزع الخير بـين عبـاد الله بالقسطـاس المستقيم .

ولما أصـاب أرض كنعـان ما أصابها : قصد أهلها أرض مصر ، لعلهم أن ينالوا شيئا من خيرهـا الكثير ، الذي يتحدث عنه الناس في كل مكان .

وكان ممن وفدوا على مصر : اخوة يوسف الذين غدروا به ، وألقوه في غيابة الجب ، فعرفهم يوسف وهم له منكرون : لا يعرفونه لأن يوسف ــ الآن ــ تبدو عليه مظاهـر الأبهـة والملك ، وقد كان طول المدة ــ منذ القائه في الجب ، حتى لحظة قدومهم ــ سببا مباشرا في عدم معرفتهم له .

فمرور الوقت ، وخاصة اذا طال ، يغير بعض الملامح ، الأمـر الـذي جعلهم لا يعرفونه ، ثم ان إخـوة يوسف : لم يدر بخاطرهم يوما ما ، أن يصل يوسف الى ما وصل اليه ــ فضلا ــ عن أن يكون حيا ، بعد حادثة الجب .

وتحدث يوسف مع اخوته قائلا لهم : أخبرونـي من أنتـم ؟ ومـا شأنكم ؟؟ .

فقالـوا : نحـن قوم من أهـل الشام .. رعاة .. أصابنا الجهد ، فجئنا نمتار .

فقال يوسف لهم : لعلكم جئتم عيونـا ، تنظـرون عورة بلادي .

فقالوا : معاذ الله ، نحن بنو نبي حزين ، لفقد ابن كان أحبنا اليه ، وقد أمسك أخا له من أمه يستأنس به .

فقال لهم يوسف : ائتوني به ، إن كنتم صادقين فيما تقولـون وأصر يوسف على ذلك ، وهو يرغبهم قائلا لهم كما حكى عنه القرآن : « **ألا ترون اني أوفي الكيل وأنا خـير المنزلين** » يوسف / ٥٩ .. بل انه أنذرهم ، ان لم يحضروا أخاهم ، فقال لهم : « **فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون** » يوسف / ٦٠ .

واستسلم الاخوة لما قاله يوسف قائلين له : « **سنراود عنه أباه وانا لفاعلون** » يوسف / ٦١ .

وبعـد أن جهزهـم يوسـف بجهازهم ، وأعطاهم ما قدموا من أجله : أمر فتيانه أن يردوا الثمن الذي دفعه إخوته ــ مقابلا لما أخذوه منه ــ وأمرهم أن يخفوا هذا الثمن في رحالهم ، فقد يكون ذلك سببـا في رجوعهم الى يوسف مرة أخرى .

وما توقعه يوسف : هو ما حدث فعلا ، فقد جاء الاخوة اليـه مرة أخرى ، وقد أحضروا معهم أخاهم « بنيامين » ، الذي أمرهم يوسـف بأن يحضروه معهم .

ولما دخلوا على يوسف قالوا له : أيها الملك ... هذا هو أخونا الذي أمرتنا أن نحضره اليك ، قد جئناك به .

فقال لهم يوسف : أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندي .

وبر يوسف بما قال ، فأكرمهم وأنزلهم منزلا حسنا ، ثم انه أضافهم ، وأجلس كل اثنين منهم على مائدة ، وقد كانوا عشرة .

ولذلك بقي « بنيامين » ، الذي أحضروه معهم وحيدا ، لا يجد من يجالسه على مائدته ، مثل إخوته العشرة ، الذين جلسوا على خمس موائد .

فقال لهم يوسف : لقد بقي أخوكم وحده .

فقالوا له : كان له أخ فهلك .

فقال يوسف : فأنا أجلسه معي .. فأخذه يوسف ، وأجلسه معه على مائدته ، وجعل يؤاكله .

فلما أقبل الليل ، وحان وقت النوم ، والهجوع الى المضاجع ، قال لهم يوسف : ينام كل اثنين منكم على فراش .

وكما حدث « لبنيامين » عند الاكل ، حدث له عند النوم ، فلم يجد من يقاسمه الفراش .

فقال يوسف : هذا ينام عندي على فراشي .

فنام بنيامين مع يوسف على فراشه ، وهو في غاية الفرح والسرور .

ولما أصبح الصباح ، وتبادل يوسف ــ الحديث ــ مع بنيامين سأله عن أولاده ، فقال بنيامين : ان لي عشرة بنين ، اشتققت أسماءهم ، من اسم أخ لي قد هلك .

فقال يوسف : أتحب أن أكون أخاك ، بدل أخيك الهالك ؟

فقال بنيامين متعجبا : ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل !! ؟؟ .

فبكى يوسف عليه السلام ، وقام الى بنيامين وعانقه ، وهو يهتف بالحقيقة التي لا يعرفها بنيامين ، قائلا له : « **اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون** » يوسف / ٦٩ .. لقد أساءوا الينا فيما مضى ، أما الآن فقد أحسن الله الينا ، وجمعنا على خير ، بعد أن فرقت الايام بيننا ، ولكن لا تخبر إخوتك بحقيقة ما أعلمتك به .

ويندهش « بنيامين » ، وهو يسمع هذه الحقيقة ، والفرحة تغمره ، والبشر يعلوه ، فينتهز هذه الفرصة ، ليقول ليوسف : أنا لا أفارقك .

ولكن يوسف يقول له : قد علمت اغتمام والدي بفقدي ، فاذا حبستك ازداد غمه .

وتتبخر أحلام « بنيامين » ، وتتبدد آماله الجميلة ، التي عقدها لكي يبقى مع أخيه ، الذي التقى به بعد غيبة طويلة ، فهو يريد أن يبقى مع يوسف ولا يفارقه .

ويحاول يوسف أن يحقق لأخيه بنيامين : رغبته في البقاء ، فيقول له : لا سبيل الى بقائك معي ، الا بعمل قد يسيء اليك .

ولكن رغبة الاخ في البقاء ، جعلته يقول لأخيه يوسف : لا أبالي بذلك ، فافعل ما بدا لك .

وحان موعد الرجوع ، ليعود

الاخوة الى أبيهم ، ومعهم الطعام الذي قدموا لشرائه من مصر ، فجهزهم يوسف بجهازهم ، ووفى الكيل لهم ، وزاد كل واحد منهم : حمل بعير ، وهو لا ينسى قولة « بنيامين » ، ورغبته في البقاء معه .

وأمر يوسف : واحدا من أتباعه ، بأن يجعل السقاية في رحل بنيامين .

والسقاية : إناء نفيس ، كان يكال بها الطعام ، في تلك الاعوام ، ونظرا لعزة الطعام وقلته : كان الكيل بهذه السقاية دون غيرها .

وسارت القافلة متجهة الى أرض كنعان ، بما تحمل من طعام في أمان الله .

وبعد أن قطعت شوطا من الطريق ، اذا بها تفاجأ بمن ينادي عليها ، ويأمرها بالوقوف ، ويتهمها قائلا لها : « **أيتها العير انكم لسارقون** » . يوسف / ٧٠ .

وتوقفت العير ، واخوة يوسف قد علاهم الذهول ، وغمرتهم الدهشة ، وأقبلوا على المنادي ، وهم في حالة انزعاج مما سمعوا ، وقالوا للقوم : « **ماذا تفقدون** » يوسف / ٧١ .. أي ما الذي ضاع منكم ؟؟

فكان الجواب : « **نفقد صواع الملك** » يوسف / ٧٢ .

صواع الملك : هو السقاية نفسها ، ولم يعبر القرآن بها هنا : مبالغة في الافهام والافصاح .

ونظرا لأهمية الصواع المفقود ــ ونفاسته ــ وأنه يكال به الطعام : جعلوا جعلا لمن يأتي به ، ولذلك قال المنادي لأخوة يوسف ، مرغبا لهم في اظهار الصواع « **ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم** » يوسف / ٧٢ .

ويتعجب أبناء يعقوب ، مما نسب اليهم ، وخاصة أنهم اشتهروا في مصر : بالعفة والصلاح ، وأنه ما جال بخاطرهم ، ولا مر بخيالهم : أن تمتد أيديهم الى شيء لا يملكونه ، أو لا يحل لهم ، حتى روى أن نزاهتهم ، وصلت بهم : الى أن عكموا أفواه ابلهم ، حتى لا تنال شيئا من زروع الناس أو طعامهم ، بالاضافة الى أنهم ردوا بضاعتهم ، التي وجدوها في رحالهم .

وقد اشتهر ذلك عنهم ، حتى عرفه الناس جميعا ، فكيف يتهمون بالسرقة ؟ ... وهي أعظم أنواع الافساد في الارض ، انهم على جانب كبير من النزاهة ، لا يليق بهم أن يقع منهم شيء من ذلك ، أو حتى ينسبوا اليه ، وهم الأتقياء البرءاء ، ولذلك قالوا : « **تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين** » يوسف / ٧٣ .

ولكن أصحاب الصواع : لم يقتنعوا بما سمعوا ــ من ادعاء أبناء يعقوب البراءة ــ مما نسب اليهم .

فقال أصحاب يوسف : فماذا يكون العقاب اذن ، لو تبين لكم كذبكم : في ادعائكم البراءة ، وأنكم فعلا سرقتم الصواع ؟ .

فقال اخوة يوسف : عقاب من وجد الصواع في رحله : أن يسترق ويستعبد سنة ، لأنه ارتكب عملا قبيحا ، فهو ظالم بعمله هذا ، وكل ظالم لا بد أن ينال جزاءه ، ويعاقب

على ظلمه .

وهذا المعنى هو ما يشير اليه القرآن الكريم في قوله تعالى : « **قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين** » يوسف / ٧٥ .

واخوة يوسف انما يقولون ذلك : ثقة منهم بكمال نزاهتهم ، وهم غافلون عما فعل بهم .

وهذا الحكم الذي قالوه ، وارتضوا تنفيذه – ان وجد الصواع معهم – هو ما كان معمولا به : في شريعة أبيهم يعقوب عليه السلام .

ولم يكن أمام أصحاب يوسف ، الا أن يفتشوا رحال أبناء يعقوب ، ليقفوا على الامر ، ويصلوا الى الحقيقة .

ولم يعارض في ذلك أخوة يوسف ، لأنهم متأكدون من نزاهتهم وبراءتهم .

وحتى تمضي الحيلة التي أرادها يوسف ، بدأ تفتيش أوعية الاخوة العشرة ، فلم يجد شيئا ، فلما انتهى به الامر الى « بنيامين » : روى أن يوسف عليه السلام – قال – ما أظن أن هذا أخذ شيئا .

ولكن الأخوة العشرة قالوا له : والله لا تتركه حتى تنظر في رحله ، فانه أطيب لنفسك وأنفسنا .

ولبى يوسف عليه السلام : رغبتهم ، وفتش رحل بنيامين ، ثم كانت المفاجأة لأبناء يعقوب العشرة ، حين وجد الصواع في وعاء بنيامين .

وهكذا تمت الحيلة ليوسف عليه السلام ، فقد ألهمه الله تعالى ، وعلمه كيف يحتال ، لتحصيل غرضه : باستبقاء أخيه ، فقد هيأ له من الأسباب : ما جعل الأخوة يقولون ، من حيث لا يشعرون : ان من يوجد الصواع في رحله يسترق ويستبعد سنة .

ولم يطبق يوسف على أخيه : التشريع المعمول به في مصر ، لأنه لن يحقق الغرض المقصود ، من استبقاء أخيه معه ، لأن تشريع الملك يقضي : بأن عقاب السارق – أن يضرب – ويغرم مثلي ما سرق ، دون أن يؤخذ أو يسترق ، كما هو الحال في شريعة يعقوب عليه السلام .

فلم يكن ليوسف اذن ، أن يتمكن من أخذ أخيه : الا اذا طبق عليهم : شريعة أبيهم يعقوب ، وهو ما أجراه الله على ألسنتهم حين قالوا ما قالوا ، لأن تشريع الملك المعمول به في مصر ، لا يساعده على تحقيق رغبته ، بل انه يفوت عليه الغرض الذي أراده .

وهكذا نرى : ان الحيلة التي قصدها يوسف ، وأتم تنفيذها هي : أن جعل الصواع في رحل بنيامين ، والهدف من ذلك هو : استبقاء أخيه عنده في مصر ، ليعيش معه ، وقد تم له ما أراد بفضل الله وتوفيقه .

« وفي الأرض آيات للموقنين »

# « مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً »

م.مؤذن

لا شك أن العلم يدعو إلى إيمان له عمقه ومغزاه ، لأنه يفتح لنا بابا واسعا ، لنتطلع من خلاله إلى أسرار الخلق ، ونظم الكون ، ونواميس الحياة ، فنرى أن كل شيء قد قام على أسس متقنة ، ونظم مقدرة ، وشرائع صامدة ، نعبر عنها عادة بالمعادلات والقوانين ، وهذا ينبئنا بالخبر اليقين ، خبر أن الله سبحانه وتعالى قد **( أعطى كل شيء خلقه ثم هدى )** طه/٥٠ .

والذي يقرأ القرآن الكريم عن علم ، لا يستوى مع من يقرؤه بغير علم مصداقا لقوله تعالى : **( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون )** « الزمر/٩ » .

خذ لذلك مثلا تلك الآية الكريمة : **( الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون )** « يس/٨٠ » .. أو قوله تعالى : **( أفرأيتم النار التي**

للدكتور/ عبدالمحسن صالح

تورون . **أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** ) « الواقعة/ ٧١ و٧٢ » .

فرغم أن هذه الآيات في ظاهرها بساطة ، إلا أن في باطنها عمقا وأصالة ، وكثيرا ما مررنا عليها مر الكرام ، دون أن نفطن لما فيها من نظم وأحكام ، ومع ذلك ، فقد تجلت لنا في ساعة من ساعات الصفاء العقلي أو « الروحي » ما تحويه من إشارات تنطوي على أسرار لازلنا في بعض تفاصيلها حائرين ، وإن كنا لعظمتها مقدرين .

والعلم دائما يبدأ بالتساؤل : كيف ، ولماذا ، وما ، وأين .. الخ ، أي أنه لا يأخذ الأمور هكذا على علاتها ، بل يريد أن يتوصل إلى مكنوناتها ، ويكشف عن نظمها وأسرارها ، والسبيل إلى ذلك صعب المنال ، لأن السر المكتشف قد يقود إلى أسرار أدق ، وإلى ألغاز أعمق ، وبحيث يبدو لنا أننا كلما اقتربنا من الحقيقة ، أو أصبحنا منها قاب قوسين أو أدنى ، أشاحت بوجهها ، فنتخبط في بحار من الأسرار ليس لها من قرار .

فظاهر الأمر أن الشجر الأخضر مصدر من مصادر النار ، ولقد فسر المفسرون التقليديون هذه الظاهرة تفسيرا لا يتفق وما تنطوي عليه هذه الآيات من حكمة خافية ، ولهم في هذا عذرهم ، لأن لكل عصر أفكاره التي تناسبه ، ولكل مفسر مجاله الذي يلائمه ، ولا شك أن العصر الذي نعيش فيه الآن قد أسبغ على الانسان علوما تنوء بها رفوف المكتبات مهما اتسعت رقعتها ، وهذه العلوم لم تأت من فراغ ، ولا هي من صنع الانسان ، بل إن مصدرها الأساسي ينبع من النظم البيولوجية والطبيعية والكونية ، ولقد حثنا الله سبحانه وتعالى على البحث والتأمل والتفكير في مكنوناتها : ( **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك** ) آل عمران/ ١٩١ ، وما أكثر الآيات التي جاءت في هذا المجال : ( **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ) الرعد/ ٣ : ( **لقوم يعلمون** ) النمل/ ٥٢ : ( **لأولى الألباب** ) الزمر/ ٢١ ... الخ .. الخ .

● ● ●

نعود إذن لنتساءل : ما هي طبيعة هذه النار التي جعلها الله في الشجر الأخضر ؟.. وكيف اختزنت فيه ، ثم كيف خرجت ؟.. ولأي هدف ترمي هذه الآيات ؟.. ولماذا يتحدى الخالق البشر بتساؤل له مغزاه ومعناه كما جاء في الآية

( أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ) ... الخ .

الواقع أن النار صورة من صور الطاقة ، ونحن نعرف الآن أن الطاقة تتخذ ظواهر شتى .. فمن طاقة حرارية ، إلى طاقة كيميائية ، إلى طاقة حركية أو ميكانيكية ، إلى طاقة كهربية ، إلى طاقة ضوئية .. ونعرف كذلك أن أية صورة من هذه الصور يمكن أن تتحول إلى صورة أخرى تبدو في الظاهر مختلفة ، لكن جوهرها واحد .. فمن الممكن أن تتحول الطاقة الضوئية إلى أخرى كيميائية ، والكيميائية إلى كهربية ، والكهربية أو الكيميائية إلى حرارية ، والحرارية إلى حركية أو ميكانيكية ، والميكانيكية إلى كهربية وحرارية .. الخ ، أي كأنما الطاقة تلعب أمام أعيننا وفي عقولنا لعبتها المثيرة ، فتختفي بوجه ، لتظهر بوجه آخر مختلف ، ولقد استفاد الانسان من هذه الصور او الأوجه ، وصمم لذلك اختراعات لا نستطيع أن نحصيها عدا .

وطبيعي أن شيئا لا يأتي من لا شيء .. فالنار التي تنطلق من الشجر ، لا توجد فيه على هيئة نار كامنة أو مختزنة ، بل هي ــ في الواقع ــ طاقة كيميائية ، وعندما تتحرر هذه الطاقة ، تبدو لنا بوجه آخر ، أي تنطلق على هيئة طاقة حرارية ( النار ) ، وأخرى ضوئية ( فالنار يصحبها نور يمكن رؤيته في الظلام ) ، ومن الممكن تحويل الطاقة الحرارية التي تنتج من احتراق الشجر إلى طاقة حركية ، أو آلية ، أو ميكانيكية ( لأنها تحول الماء إلى بخار ، والبخار يدير آلة بخارية ، فتتحرك أو تدور ، وقد تستخدم هذه الحركة في « الدينامو » لتوليد طاقة كهربية ، وهذه بدورها قد نضيء بها مصباحا ــ أي نحولها لطاقة ضوئية ، أو قد نستخدمها كطاقة حرارية ، كما هو الحال في المكواة الكهربائية أو في الأفران الكهربية .. الخ ) .

لكن كل هذه التصميمات البشرية المستخدمة في تحويل أية صورة من صور الطاقة إلى صورة نافعة ، تعتبر شيئا بدائيا إذا ما قورنت بالنظم العظيمة التي يحتويها الشجر أو أي نبات آخر أخضر .. والحق أنه لا وجه للمقارنة بين ما أنشأ الله ، وأنشأ الانسان ، لأن النبات هو أعظم تنظيما وأكفأ تصميما ، وأدق تكوينا لتناول الطاقة الشمسية ، ثم تحويلها إلى طاقة إليكترونية أو كهربية ، ثم اختزانها في الجزيئات العضوية ، على هيئة طاقة كيميائية .. هي التي نراها فيما ينتجه الشجر أو النبات الأخضر من أخشاب وغذاء وثمار وحبوب وزيوت وفيتامينات .. الخ .. الخ .

ومن الميسور أن يقع أي تصميم بشري لأية فكرة بشرية بين أيدي خبراء متخصصين في هذا النوع من التصميم ، فيفكونه قطعة قطعة ، أو يفحصونه جزءا جزءا ، ثم يعرفون سره ، ويمكن بعد ذلك تقليده أو تطويره إلى الأكفأ والأحسن .. مثال ذلك : وقوع طائرة حربية متقدمة ، أو تصميم صاروخي ، أو عقل إليكتروني متطور لدولة من الدول ، في حوزة دولة أخرى معادية ، فتعرف الأخيرة كل صغيرة وكبيرة عن هذا التصميم أو ذاك .



= صورة بالميكروسكوب لبعض خلايا نباتية ، وفي داخلها نشاهد اجساما كروية او بيضاوية هي البلاستيك التي تنطوي على انظمة دقيقة تقوم بتحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كيميائية قد تتحرر على هيئة نار ، او تصبح طعاما للاحياء .

لكن هذه الأمور ليست متاحة مع الشجر ، أو أي نبات آخر أخضر .. صحيح اننا نرى النباتات ذات سيقان وفروع وأوراق وجذور وثمرات .. الخ ، وقد لا يجذب انتباهنا في ذلك شيء ، لكن سرها لا يختلف عن سر الحياة في داخل الانسان والحيوان ، لأن حياتها تقوم على ذات الأسس ، التي قامت عليها حياتنا ، فهي تتكون من خلايا ، وتتنفس وتحصل على خامات حياتها ، وتشكلها في جزيئات شتى ، وتنمو وتتكاثر وتموت ، وتخلفها « ذرية » من ذات نوعها ( أي البذور ) ، وفوق ذلك فقد امتلكت تصميمات فذة لا يمتلكها عالم الحيوان بما في ذلك الانسان ، وبهذه التصميمات تستطيع أن تستفيد بالطاقة الشمسية ، وتحولها إلى طاقة كيميائية ، وعلى هذه الطاقة المختزنة تعيش كل أنواع الحيوان ، وبها تدور عجلة الحياة على الأرض ، ولهذا تمعن في قوله تعالى : ( **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها** ) فاطر/٢٧ ، ثم يتبع ذلك

بآية تالية : ( **ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء** ) فاطر/٢٨ وقد اختتم الله هاتين الآيتين اللتين تتحدثان عن الخلق بخشية العلماء لله ، لأنهم أقدر على فهم أسراره في خلقه ، فيدركون أنها نظم معقدة من داخل نظم أعقد وأدق وأعظم ، وكل هذا شاهد على عظمة : ( **الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى** ) الأعلى/٢ و٣ .

ذكرنا أنه من الميسور معرفة أي تصميم بشري ، مهما تعقدت أجزاؤه ، وتداخلت تكويناته ، لكن من الصعب جدا معرفة التصميمات المذهلة التي أودعها الله ونمقها في الكائنات ، لتقوم عليها كل صور الحياة .. ومن هذه التصميمات الكثيرة جدا نذكر ظاهرة الخضرة في النبات ، والخضرة هنا ليست لونا فحسب ، ولكنها نظام حي دقيق غاية الدقة ، وعلى هذا النظام العجيب يسيل لعاب العلماء ، ويودون من صميم قلوبهم ، لو أنهم عرفوا كل أسراره ، وتوصلوا إلى حل ألغازه ، عندئذ قد يستطيعون تخليق هذا النظام الكفء .. ونقول هنا : تخليقا ، لا خلقا ، لأن التخليق تقليد ، أما الخلق فمبتكر ، إذ تأتي فكرته الضخمة من عند عزيز مقتدر .

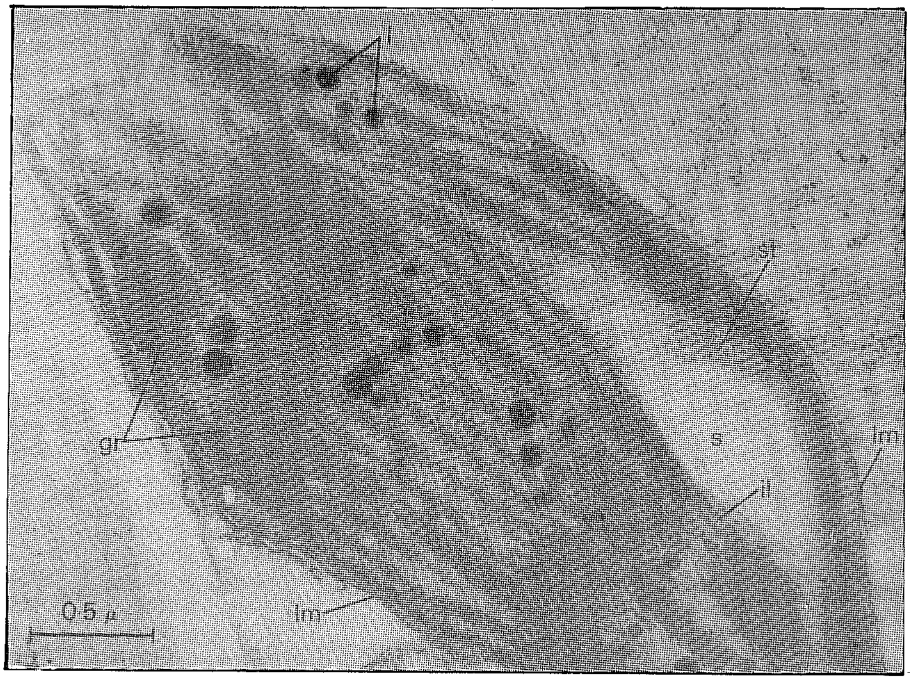
لكن أسرار نظام تحويل الطاقة الشمسية ، إلى طاقة كهروكيميائية في النبات الأخضر ، ليست بالأمور السهلة أو اللينة ، وهي لن تفتح لنا أبوابها من أول طرقة ، بل إن هناك جهودا جبارة ومستميتة يقوم بها آلاف العلماء الأذكياء في عشرات أو مئات المعامل ومراكز البحوث التي يشار إليها بالبنان ، وذلك بغية حل ألغاز هذه البطاريات الشمسية الدقيقة الحية التي تضفي على النبات خضرته ، وبرغم أن هذه الجهود قد استمرت لأكثر من سبعين أو ثمانين عاما متواصلة ، ورغم الامكانيات العلمية المتاحة ، والميزانيات الجبارة ، والأفكار المتطورة ، والحصيلة العلمية الهائلة .. رغم كل هذا ، فلازالت فكرة التنظيم البديع غير واضحة في عقول العلماء الذين تخصصوا في هذا المجال ، واستحق بعضهم جوائز « نوبل » تكريما ، ثم اعترافا بأفضالهم في حل بعض متاهات ذلك اللغز العويص .. لغز البطارية الحية التي نعرفها باسم « البلاستيدة الخضراء » ، وهذا ينبئك بأن الله سبحانه وتعالى قد : ( **خلق كل شئ فقدره تقديرا** ) الفرقان/٢ ، حتى ولو كان هذا الخلق في مكونة جد صغيرة من مكونات الخلية الحية ، وهذه بدورها لا نستطيع أن نراها بعيوننا المجردة ، بل تأتي الرؤية عن طريق الاستعانة بالميكروسكوبات الضوئية والاليكترونية .

● ● ●

وطبيعي أننا لن نتعرض هنا لتفاصيل تكوين هذه البلاستيدات ، لأن التفاصيل ستجرنا إلى متاهات ، إذ كلما كشفت لنا « الميكروسكوبات » الحجاب عن نظام من النظم التي تزخر بها هذه البطاريات الشمسية الحية الدقيقة ، وجدنا



= يتحول النور في الشجر الاخضر الى نار لكن ذلك لايتم الا من خلال نظم متقنة ، يتوه العلماء في تفاصيلها اعظم تيه .




= مع ان هذه اصورة مقطع في بلاستيدة مكبرة تحت الميكروسكوب الاليكتروني ٢٧ الف مرة الا ان تكوينها لا يزال ينطوي على متاهات من داخل متاهات .. لاحظ انها تبدو على هيئة طبقات ، وكأنما هي الواح بطارية حية لايقدر على صنعها الا الله المقتدر .

أن النظام المكتشف ليس خاتمة المطاف ، بل هو بدوره ــ وعلى دقته المتناهية ــ يتكون من نظم أدق ، تنطوي بدورها على نظم أدق وأدق ، وفي النهاية نصل إلى معمعة من التفاعلات الاليكترونية والكيميائية المنظمة أعقد تنظيم ، وإلى هنا تتشعب آراء العلماء ، وقد تختلف نظرياتهم ، وتتفتح أمامهم أبواب جديدة ، ومنها يلجون إلى أسرار عويصة أعمق غورا ، وأعظم تيها ، وربما يستلزم حلها عشرات السنوات ، أو قد لا يصل فيها العلماء إلى قرار .. ونحن لا نريد أن نشق على القارئ ، ونتعرض لأمور صعبة تستلزم منه أن يكون ضليعا في علوم البيولوجيا والكيمياء والفيزياء ، التي كتب فيها العلماء المجلدات ، ودونوا فيها حصيلة آلاف البحوث التي تناولت عملية تحويل الطاقة الضوئية في النبات الأخضر إلى طاقة كيميائية مختزنة .

يكفي أن نشير هنا إلى أن الخلية النباتية ــ التي لا ترى بالعين المجردة ــ تحوي العشرات من هذه البطاريات الشمسية ، وربما يصل عددها في الخلية الواحدة إلى أكثر من مائة بلاستيدة ، وهذا ينبئك بضآلتها ، إذ يتراوح قطر الواحدة منها ما بين ٣ ــ ٦ أجزاء من ألف جزء من الملليمتر ، أي أننا لو تصورنا

أن هذه البلاستيدات قد انتظمت واحدة بجوار الأخرى ، كما تنتظم الحبات في عقودها ، فان كل ألفين منها يمكن أن تتراص في خيط لا يزيد طوله عن سنتيمتر واحد لا غير .

وفي داخل هذه البلاستيدة ــ أو البطارية الحية ــ تنتظم بنايات عجيبة ، تنطوي على نظم عظيمة يحتار فيها العلماء أعظم حيرة ، صحيح أنهم توصلوا إلى تحصيل طوفان من المعلومات الدقيقة ، وصحيح أنهم اكتشفوا الكثير من أسرارها الدفينة ، إلا أنهم قد عجزوا عن تقليدها ، والعجز يرجع إلى قصور في فهم ما تبقى فيها من ألغاز تحتاج إلى بحوث أخرى عميقة .. ولا شك أن العلماء هم وحدهم الذين يقفون أمام هذه النظم بخشوع وانبهار وإعجاب ، لأنها أكفأ نظم يمكن أن تتعامل مع ضوء الشمس ، وتستفيد به استفادة ذات كفاءة عالية .

ولكي نوضح أكثر ، كان لابد أن نشير إلى المجهودات الضخمة التي يقوم بها العلماء الآن لترويض الطاقة الشمسية ، وتحويلها إلى طاقة كهربية ، وعلى هذه البحوث صرفت الدول المتقدمة عشرات أو ربما مئات الملايين من الدولارات ، ولقد تمخضت هذه البحوث عن إنتاج نوع من الخلايا الكهروضوئية ، وهي التي يزودون بها سفن الفضاء ، لكي تحول الطاقة الشمسية ، إلى طاقة كهربية لتشتغل بها أجهزة السفن الفضائية ، وهذا إنجاز محمود من الانجازات العلمية البارزة ، لكن هذا الانجاز يعتبر شيئا بدائيا إذا ما قورن « بالخلايا » الضوئية الكهروكيميائية التي أبدع الله صنعها في البلاستيدة الخضراء الدقيقة .. فمن حيث تركيب الخلايا الكهروضوئية التي ابتكرها الانسان ، فانه من السهل معرفة طريقة عملها ، والنظرية التي قامت عليها ، ثم إنه ليس من الصعب تقليدها ، لكن ذلك يحتاج إلى تكاليف باهظة ، ومن أجل هذا لم تنتشر تلك الخلايا التقليدية الانتشار الذي يمكن أن يعوض الدول منبعا دائما من منابع الطاقة .

لكن الأمر يختلف مع ما صنع الله فأتقن ، فكفاءة « بطارياته » النباتية الحية أكفأ من بطاريات الانسان بحوالي أربع مرات ، أو ربما تصل إلى ست مرات ( أي ما بين ٤٠٠ ــ ٦٠٠٪ من كفاءة بطاريات الانسان ) ــ أضف إلى ذلك أن تشغيلها لا يحتاج لأكثر من زراعة بذرة في أرض خصبة ، ثم إمدادها بالماء ، وعندئذ تنبت وتكون ساقا وجذورا وفروعا وأوراقا ، وفي داخل الأوراق توجد ملايين فوق ملايين من هذه البطاريات ، لتقوم بأضخم وأتقن وأكفأ عملية على الاطلاق ، ذلك أن إنتاج النباتات الخضراء المنتشرة على سطح هذا الكوكب وفي بحاره تنتج سنويا من المادة العضوية ( أي التي تحترق إذا مستها النار ) ما يقدر قيمته بعدة مئات ألوف الملايين من الأطنان ، وهذا يمثل إنتاجا ضخما غاية الضخامة ، وبجواره يتوارى إنتاج البشر من صناعاتهم ، مهما بلغت ضخامة هذا الانتاج .

●●●

هذه المئات من ألوف ملايين الأطنان من المادة العضوية الحية التي نحصل منها على وقودنا وغذائنا وكسائنا وكل مقومات حياتنا ، لا تستلزم إلا أشعة ضوئية تنساب على كوكبنا بحساب ومقدار ، ثم إن هذا الانتاج الضخم لا يحتاج أيضا إلا لخامتين رخيصتين .. ماء وغاز ثاني أوكسيد الكربون ( الموجود في الهواء ) ، وبالطاقة الضوئية تقوم « البلاستيدات » بشق الماء ، ثم ربط شق منه مع غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وتحوله إلى سكر ، ومن السكر يتكون النشا والزيوت والدهون والخشب والبروتين والفيتامين ومئات بل آلاف من المركبات التي لا نستطيع لها هنا حصرا ، ورغم أن العملية تبدو لنا وكأنما في ظاهرها بساطة ، إلا أن جوهرها ينطوي على أسرار ضخمة غاية الضخامة ، والفضل في ذلك يرجع إلى النظام الأمثل الذي أتقنه الخالق في تلك البلاستيدة التي « تشحن » كل مخلوقات هذا الكوكب بطاقة كيميائية ميسرة ، جاءت أساسا من طاقة ضوئية ، فتختفي في البلاستيدة بوجه ، لتظهر في الكائنات الحية بوجه آخر مختلف ، فتهبها الحركة والدفء والحياة .

ذكرنا في سياق حديثنا في الفقرة السابقة أن الضوء يشق الماء أو يفلقه إلى نصفين .. أي إلى أيدروجين وأوكسجين ، لكن ذلك ليس بالأمر الهين ، فمهما سلطنا من ضوء على الماء ، فانه لن ينشق أو ينفصل إلى شقين ، مهما كان هذا الضوء مركزا ، لكن جزيئيات الكلوروفيل ( وهي المادة الخضراء التي تتخذ نظاما فذا داخل البلاستيدة ) تستطيع أن تفلق الماء ، بأية كمية من الضوء ، مهما كان هذا الضوء ضعيفا ، وبه تبدأ أعظم وأضخم عملية يمكن أن نراها على هذا الكوكب .. والسر هنا يكمن في التصميم العظيم الذي وضع الله فكرته في داخل تلك البطارية الحية الدقيقة ــ أي في البلاستيدة .

يكفي أن نذكر هنا اننا نستطيع أن نفلق الماء إلى شقيه ، لكن ذلك يحتاج منا إلى طاقة هائلة ، ذلك أن هذا الفلق يمكن أن يتم إذا ما عرضنا بخار الماء إلى درجة حرارة عالية جدا ، قد تصل إلى ٢٥٠٠ درجة مئوية ، وهذه تكفي لصهر معظم المعادن المعروفة ، أو يمكن شق الماء بطاقة كهربية لها شأنها .. لكن البلاستيدة العجيبة تقوم بالعمل ذاته دون أن تلجأ إلى هذه الوسائل العنيفة ، إذ يكفيها ــ كما ذكرنا ــ شعاع من ضوء ، فاذا بهذا التصميم الالهي يقوم بالعملية دون ضجة أو ضوضاء ، بل كل شيء يبدو حولنا وكأنما هو يسير سيرا هينا لينا ، وبطريقة اقتصادية قد لا يحلم بها البشر ، مهما تفتقت عقولهم عن أفكار تكنولوجية ، ومهما تقدمت علومهم وبحوثهم .

ولا شك أن العلماء المهتمين بأمور توفير الطاقة لكوكب تشح فيه مصادر الطاقة ــ لا شك أنهم يتوقون من صميم قلوبهم إلى الاستعانة بنظم الله في هذه « البلاستيدات » الخضراء لكي يحصلوا على مصدر دائم من مصادر الطاقة .. فالماء موجود على هذا الكوكب بكميات ضخمة جدا ، كما أن أشعة الشمس مصدر دائم من مصادر الطاقة على كوكبنا ، لكن معظمها يتبدد ويعود إلى الفضاء على

هيئة إشعاعات حرارية ، والمستفيد الوحيد من اصطياد تلك الطاقة الضوئية هو النبات الأخضر ، ولو استطعنا أن نقلد النبات في رسالته ، لنشق الماء بالضوء ، إذن لحصلنا على ملايين فوق ملايين من أطنان الأيدروجين كل عام ، ذلك أن الايدروجين خامة طيبة لتوليد طاقة نظيفة ، إذ أن هذا الغاز يحترق ، ولا ينتج من احتراقه غير الماء وكميات هائلة من الطاقة الحرارية ، وهذه يمكن تحويلها إلى صور أخرى من الطاقة ( كادارة الآلات ، وتوليد الكهرباء .. الخ ) .. وكل هذا تحكمه المعادلات التي لن نتعرض لها هنا .

والواقع أن العلماء لا يلجأون إلى الطرق التقليدية لشق الماء إلى عنصريه ، لأن ذلك يحتاج إلى طاقة من الوقود أو الكهرباء ، وهذا من شأنه أن يجعل العملية غير اقتصادية على الاطلاق ، لكن الكفاء والاقتصاد الحق ينبع من نظم الحياة .. تلك النظم التي أتقنها الله : ( **صنع الله الذي أتقن كل شيء** ) النمل/٨٨ .

لقد وقعت بين يدي مجلة علمية حديثة أثناء كتابتي لهذه الدراسة ، وفيها بحث كتبه أربعة من العلماء المشتغلين في قسم العلوم النباتية بجامعة لندن ، وفيه يشيرون إلى المجهودات والأفكار الكثيرة التي يتناولها العلماء الآن لشق الماء إلى شقيه ، مستعينين على ذلك بالنظام الأصيل والأمثل الذي يسلكه النبات ، وهم في بحوثهم تلك يريدون الحصول على غاز الأيدروجين من الماء ، ليصبح وقودا لا ينضب معينه ، هذا لو استطاعوا أن يسيطروا على الخطوة الأولى التي تخطوها « البلاستيدة الخضراء » في سلسلة معقدة من الخطوات التي تكون بها المادة العضوية ، لكنهم لم يحققوا النجاح المطلوب حتى الآن ، فالمشكلة الكبرى التي تواجه العلماء الآن تتركز في إمكان السيطرة على العملية خارج النبات الحي ، لكنها سرعان ما تخبو بعد ساعات ، ذلك أن مجالها ومكانها الأمثل يكمن في الخلية ذاتها ، مثلها في ذلك كمثل قلب أو كلية معزولة عن جسم صاحبها ، لكن كليهما لا يستطيعان أن يعيشا لفترة طويلة خارج البناء الحي المتكامل الذي يخدم بعضه بعضا ـ نعني به الجسم الحي .

نعود لنقول : إن الموضوع لازالت تكتنفه ألغاز ومتاهات ، هذا رغم التقدم العلمي الجبار الذي نلحظه في كل المجالات .. لكن هذا التقدم لا حيلة له ، ولا مأرب منه ـ الآن على الأقل ـ إذا ما تعرض لفكرة هائلة أودعها الخالق في النبات ، وبحيث تبدو لنا كواحدة من التحديات العظام التي تجابه الانسان ، وإلى هنا تتجلى لنا المعاني العظيمة التي تنطوي عليها آيات القرآن الكريم ، ثم هي توضح بجلاء معنى الآية التي سبق أن أشرنا إليها .. ( **أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** ) .

والحق نقول : إننا لن نستطيع أن ننشئ شجرة ، ولا خلية في شجرة ، ولا بلاستيدة في خلية ، ولا أن نقلد وظيفة نظام جد صغير ، يتمثل لنا في بطارية حية دقيقة ، فتحيل « النور » إلى طاقات ، ومنها تخرج النار ، وبها توقد جذوة الحياة في كل الكائنات : ( **صنع الله الذي أتقن كل شيء** ) .

# مائدة القارئ

## بين الأب وابنه

قال تعالى : ( واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الى المصير ) الآيات من سورة لقمان .

## الحماقة

الحماقة : مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت ، فكأن الأحمق كاسد العقل والرأي ، والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة ، والحماقة داء لا دواء لها .

قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطـــب به  الا الحماقة أعيت من يداويها

## رفعة العلم وعزة العلماء

قال القاضي الجرجاني :

ولم أقض حق العلم ان كنت كلما  بدا طمــع صيرتـــــه لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي  لأخدم من لاقيـت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا ، وأجنيه ذلة  اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما

## حكمة

صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه .

## حب الولد

روى عروة عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت : « جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من أهل البادية . فقال : « يا رسول الله أتقبلون الصبيان ؟ » قال : « نعم » قال : « فوالله ما نقبلهم » قال : « أو أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة » .

## حيلة غريم

قدم قوم غريمهم الى الوالي وادعوا عليه بألف درهم ، فقال الوالي : ما تقول ؟ فقال : صدقوا فيما يقولون ، ولكني أسألهم أن يمهلوني لأبيع عقاري ، وإبلي ، وغنمي ، ثم أوفيهم .

فقالوا أيها الوالي : قد كذب ، والله ما له شيء من المال لا قليل ولا كثير .

فقال : قد سمعت شهادتهم بإفلاسي ، فكيف يطالبونني ؟! فأمر الوالي بإطلاقه .

## رجل لا يغتاب أحدا

قيل للربيع بن خيثم : ما نراك تغتاب أحدا ، فقال : لست عن حالي راضيا حتى أتفرغ لذم الناس ، ثم أنشد :

**لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها لنفسي من نفسي عن الناس شاغل**

## رجاء في عفو الله

قال يحيى بن معاذ يناجي ربه : الهي يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب على رجائي مع الأعمال ، لأني أعتمد في الاعمال على الاخلاص ، وكيف لا أحذرها ، وأنا بالآفة معروف .

وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف .

# الإسلام والتأمينات الاجتماعية

للاستاذ سالم البهنساوي

لم يتعرض الفقهاء الاقدمون لنظم التأمينات الاجتماعيـة لان نظـام الزكاة والتكافل في الاسلام ، يغطي هذه الناحية فلا حاجة معها لهذه التأمينات .

أما التأمينات الاهلية او التجاريـة فمنهم من تعرض لها مثل ابن عابدين حيث ذكر « انه جرت العـادة ان التجار اذا استأجـروا مركبـا من حربي ، يدفعون له اجرته ثم يدفعون ايضا مالا معلوما لرجل مقيـم في بلاده ، يسمى ذلك المال ( سوكره ) على انه مهما هلك المال الذي في المركب بغرق او حريق او نهب او غيره فذلك الرجل ضامن له بثمنه ، في مقابلة ما يأخذه منهم ، فاذا هلك من مالهم شيء ، يؤدي ذلك المستأمن للتجار بدله تماما ، او بدل المال الذي هلك ثم يقول ابن عابدين ( والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك لانه التزام ما لا يلزم )

وعلى الرغم من صدور هذا الرأي من

ابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ إلا أن الفقهاء او العلماء المعاصرين لم ينتهوا بعد الى رأي قاطع في التأمينات الاهلية او التجارية ، فمؤتمر اسبوع الفقه المنعقد في دمشق ١٩٦١ بمناسبة مهرجان لابن تيمية ، تعرض لهذا التأمين وانتهى الى مناشدة الخبراء ان يعكفوا على دراسة المستحدث من العقود واساليب التأمين تمهيدا لبيان الحكم في كل منها ، وليكون رأي العلماء صادرا عن معرفة دقيقة بالاوضاع العملية للتأمين وصوره المختلفة .

ولسنا بصدد اصدار حكم فقهي في هذه المسألة الاجتهادية ولكن نشير الى ان التأمين التجاري مازال يحتاج الى دراسة ورأي جماعي ، وذلك ان بعض العلماء يرى حل انواع معينة منه مثل تأمين السيارات الشامل والاجباري لزوال الغرر والمقامرة ، وبعضهم يرى حرمة التأمين على الحياة ويرتاب في غيره .

بينما التأمين الاجتماعي الذي نحن بصدده لم يتعرض له أحد مع ان الحكم فيه اوضح وذلك لبعده عن شبهة الغرر والمقامرة كما ان الربا ليس من مقوماته ، وما قد تقوم به مؤسسة التأمينات الاجتماعية من فرض فائدة سنوية على اصحاب الاعمال المتخلفين عن السداد او على العمال الراغبين في ضم مدة خدمة سابقة أمر لا تستلزمه طبيعة التأمين الاجتماعي بل يتنافى هذا مع صفته الاجتماعية ، وفي استطاعة هذه المؤسسة ان تعفي هذه الفئة من العمال من هذه الشبهات ، كما في استطاعتها ألا تترك أموالها للضياع لتحصل ما بقي منها بفائدة سنوية من اصحاب الاعمال .

والجدير بالذكر ان زوال شبهة الغرر والمقامرة يرجع الى ان الدولة هي التي تفرض هذا التأمين اجباريا بقوة القانون وذلك لمصلحة افراد المجتمع الذين يشملهم هذا التأمين ، ولهذا فالاموال التي تفيض لا تعد ربحا للمؤسسة او الخزانة العامة انما تعود على المجتمع في شكل مزايا جديدة او زيادة في المزايا الحالية ، والخسارة تتحملها الخزانة العامة حسبما نص عليه القانون .

وبعد ما تقدم نبين وجه الشبه بين الزكاة والتأمينات الاجتماعية من حيث آثرهما الاجتماعي إذ أن الزكاة فضلا عن طابعها الاجتماعي هي عبادة يؤديها المسلم ابتغاء رضوان الله .

وفي الجانب الاجتماعي ينفرد نظام الصدقات بشموله غير المسلمين ومن هنا كان قانون الخليفة الثاني ( أيما شيخ من أهل الذمة ضعف عن العمل وصار أهل ملته يتصدقون عليه عيل هو وعياله من بيت المال ما أقام بدار الاسلام )

## بين التامينات الاجتماعية والزكاة

لما كان الغرض من التأمينات الاجتماعية هو ضمان مستوى معين من المعيشة للعمال والموظفين عند فقدهم القدرة على العمل بسبب اصابات العمل والعجز الكلي او

الشيخوخة ، ثم نقل هذا الحق الى ذويهم عند الوفاة . فان التكافل الاجتماعي في الاسلام يغطي هذه الناحية ويتميز بانه لا يخص العمال والموظفين وحدهم ، كما انه لا يربط الاستفادة منه بالقدرة المالية على المساهمة والاشتراك في هذا النظام ، ولا يشترط مدة معينة إن لم تتوفر سقط الحق في المعاش ، وأيضا لا يجعل للمعاش نسبة ثابتة ، فحده هو سد الحاجة .

والجدير بالذكر ان التكافل الاسلامي ليس هو الزكاة وحدها ، بل كانت بدايته قول الله تعالى : ( **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ) البقرة/ ٢١٩ والعفو هو الزيادة وفي الحديث الشريف ( من كان له فضل ظهر ــ خيل ــ فليعد به على من لا ظهر عنده ، ومن كان معه فضل من زاد فليعد على من لا زاد عنده ) رواه مسلم .

فكل ما زاد عن حاجة الغني كان مطلوبا للفقير في بداية تكوين المجتمع الاسلامي ، ولذا ذابت الفوارق المخلة بتوازن المجتمع وذلك بتطبيق هذه النصوص وغيرها مثل آية الحشر التي اعادت التوازن ونصها ( **ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم** ) الحشر / ٧

وبعد ان زالت الضرورة الناشئة عن الهجرة ثم استقر المجتمع ولم يحمل في طياته بذور الاختلال والاعتلال فرض الله نظام الزكاة . ولقد حدد القرآن الكريم المستحقين للزكاة **بقول الله تعالى : ( إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم )** التوبة/ ٦٠ . وتلك هي مصارف الزكاة كما في كتب الفقه .

وبمقتضى هذه الآية الكريمة تلزم الدولة الاسلامية بكفالة رعاياها في الحالات المشار اليها واذا عقدنا مقارنة بينها وبين الحالات التي تلزم الدول الحديثة بتغطيتها في مواجهة رعاياها حق لنا أن نقول ان نظم التأمينات الاجتماعية السارية المفعول حاليا في المجتمعات الحديثة لم تدرك بعد نظام الزكاة والتكافل الاجتماعي الذي جاء به الاسلام منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

وحينما نقول ان نظم التأمينات الاجتماعية في العصر الحديث لم تبلغ ما بلغه نظام الزكاة في الشريعة الاسلامية فهذا القول لا يصدر عن عاطفة نعبر بها عما في انفسنا باسلوب حماسي ولكننا نقرر حقيقة قائمة فعلا .

فالزكاة تستفيد منها جميع طبقات المجتمع ، فلا تشمل حالات فقد القدرة على الكسب من مرض واصابات وبطالة وعجز وشيخوخة فقط بل يستفيد منها ايضا القادر على الكسب في حالات منها :

١ ــ اذا كان لا يحصل على ما يسد حاجته وهذا هو الفقير ثم المسكين

وفقا لترتيب ــ القرآن الكريم ــ فقد سمى مالكي السفينة بالمساكين في آية سورة الكهف : **( أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر )**
٢ ــ اذا كان مدينا وعجز عن آداء الالتزامات الملقاة على عاتقه سواء كانت هذه المديونية شخصية أم ترتبت على كفالته للغير ممن استغرقت الديون أموالهم اذ من حق هؤلاء ألا يتنكر لهم المجتمع ، وعليه ان يهيء لهم ما يتمكنون به من استئناف حياة كريمة وقد سمى القرآن هؤلاء بالغارمين وهم سادس المستحقين من الزكاة .
٣ ــ اذا كان بعيدا عن موطنه ونفدت أمواله السائلة سواء كان ذلك بسبب السفر او الفرار من ظلم او اضطهاد وهذا هو ابن السبيل بتعبير القرآن .
٤ ــ اذا كان من الذين يقومون بتنفيذ نظام الزكاة ــ قال تعالى : **( والعاملين عليها )**
٥ ــ اذا كان من المحاربين ــ في سبيل الله ــ قال تعالى : **( وفي سبيل الله ) وقد قال بعض الفقهاء ان هذا المصرف عام يشمل سائر المصالح العامة وليس خاصا بالمجاهدين في سبيل الله وقال ابن حزم المصرف خاص بهم وهو الصواب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لاتحل الصدقة لغني الا لخمس وذكر اولهم الغازي في سبيل الله ــ حديث ابي سعيد الخدري ــ رواه ابو داود والدارقطني مرفوعا .**
**ولا يخفى علينا ان من الناس من يقول ان التعويض المنصوص عليه في نظم التامينات الاجتماعية حاليا يحصل عليه المؤمن عليهم بنص قانوني ملزم بينما الاستحقاق في الزكاة ليس كذلك وهذا مردود عليه بان الزكاة ليست احسانا ــ قال تعالى : ( فريضة من الله ) ، ( والذين في اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم )** المعارج ٢٤ و٢٥
ولذلك حارب الخليفة الاول كل من امتنع عن تسليم الزكاة للدولة .
فاذا لم يقم المسلمون بتنفيذ هذه النصوص واضاعوها فيما اضاعوا من نظم حتى اصبح تنفيذ الزكاة اختياريا فليس هذا عيب التشريع الاسلامي .
وما اخذ به قانون التأمينات الاجتماعية والمسمى بنظام تكوين الاموال ومؤداه ان يساهم العمال بجانب اصحاب الاعمال في تمويل هذا النظام كان لسبب اقتصادي حيث لا يمكن الاخذ بنظام توزيع الاموال حاليا خشية مقابلة اي ضغط اقتصادي فلا تستطيع الدولة القيام بالتزاماتها تجاه المؤمن عليهم .
وختاما نشير الى ان المستحقين من الزكاة لا يتعرضون للروتين المعقد والمهانة التي يتعرض لها المؤمن عليهم في ظل نظم التأمينات الحديثة وقد احسن المشرع حين أسند أمر تنفيذ التأمينات الاجتماعية الى مؤسسة التأمينات الاجتماعية .
ولنا كبير الامل في أن يدرك موظفو مؤسسات التأمينات الاجتماعية خطورة الرسالة التي يقومون بها .

# القدس

## ( ١ )

**تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الاسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي اعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .**

للقدس في الاسلام مكانة عظيمة تنبع من قدوم خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم وحلوله في ارضها وارتباطها بالمسجد الاقصى المبارك الوارد ذكره في القرآن الكريم وبالاسراء والمعراج ولانها قبلة المسلمين الاولى ومسجدها ثالث الحرمين الشريفين . التي لا تشد الرحال الا اليها لمقامها المختار في الاسلام .

ويزيد من مكانة القدس في العالم الاسلامي انها احتوت في ارضها المباركة رفات عدد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمجاهدين الشهداء الابرار على مر السنين والايام . ولقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » ( المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا ) رواه البخاري وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلاة في المسجد الاقصى تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد باستثناء المسجد الحرام والمسجد النبوي . وجاء في الحديث « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : « أن الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس » . وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال : « بيت المقدس بنته الانبياء وعمرته الانبياء » ما فيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبي . وجاء في

الحديث : « من أهل بعمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة » رواه ابو داوود واحمد .

وقد ضمت هذه الارض المباركة رفات الشخصيات البارزة الذين عرف دفنهم في القدس وما حولها ( الصحابي الجليل شداد بن اوس والصحابي الجليل عكاشة وعبد الله القرشي وابو مدين الغوث المغربي والجراح من قواد صلاح الدين ومجير الدين بن الحنبلي صاحب كتاب الانس الجليل ومولانا محمد علي الهندي من زعماء العالم الاسلامي والبطل الشهيد عبد القادر الحسيني ومئات آخرون منذ الفتح ، العمري ) .

ومن هؤلاء من دفن في مقبرة مأمن الله التاريخية المشهورة ومنهم من دفن في مقبرة باب الرحمة عند باب الاسباط ومنهم من دفن في مقابر خاصة مثل مجير الدين .

وقد كان الفتح الاسلامي لمدينة القدس بداية الخير لهذه المدينة والاهتمام بشئونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم .

ولما احتلها الصليبيون الاجانب رواد الاستعمار لم يطق المسلمون صبرا على هذه المذلة والمهانة التي لحقتهم وتشويه المسجد الاقصى حتى ان صلاح الدين حرم على نفسه الضحك والابتسام ورفع شعارا يقول فيه : كيف نضحك والاقصى اسير . ولئن ضحكنا ضحكنا بالامس فقد بكينا اليوم وما لم يتحول البكاء الى دماء صادقة تغمر باحة الاقصى كما فعل اسلافنا من قبل فسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لا يخافون لومة لائم وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ولئن سطا شذاذ الافاق على المدينة المقدسة في غفلة من اولى العزم من الرجال ودنسوها باحتلالهم وهم ماضون في تهويدها وتغيير صيغتها الاسلامية فان العالم الاسلامي يدعو لمقابلة التحدي بعزم يليق بأمة يحتل الجهاد في عقيدتها ذروة السنام امة ذات امجاد وحضارة كانت القدس من ابرز ميادينها والسكوت على هذا التحدي بعد ان بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر . هذا السكوت لا يعفى اي متخلف او ساكت من مسئوليته امام الله .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع الى امته عبر القرون ليرى ماذا فعلت امة الجهاد في مسراه وفي قبلته الاولى وفي المسجد الذي تشد اليه الرحال ..

فعجلوا بالانتقام طال في الشعب المنام
مسجد الله الحرام بات يؤذيه الحرام

**اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين**
**بقضية فلسطين والقدس الشريف**

# مع إعجاز القرآن الكريم

**الوعي الاسلامي :**

تذكر السادة القراء بأن الحلقة الأولى من هذا البحث قد تم نشرها بالعدد رقم ( ١٤١ ) وتاسف المجلة لطول شقة الفصل بين الحلقتين رجاء الرجوع إليها إتماما للفائدة .

للدكتور/ابراهيم علي ابو الخشب

ولعل الذين روجوا للقول بالصرفة – في إعجاز القرآن الكريم – إنما روجوا له ، وبالغوا في الحديث عنه ، إرضاء لخاطر كثير من هؤلاء الذين يحبون القضايا المسلمة ، ولا يرون أن الدراسة والبحث ، وربط الأسباب بالمسببات ، واقتران الدعاوي بالأدلة ، مما يتناسب مع كلام الله الذي هو وراء ذلك كله لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وكانت نسبته إلى هذه الجماعة من أهل الفكر والرأي ، والعقل والمنطق ، تأكيدا للاعتداد به ، والاحترام له ، في حين أن القرآن لا ينكر الجدل ، ولا يأبى المناقشة ، ولا يتهرب من النظر الصحيح ، والبرهان السليم ، والحجة البالغة ، وإنما يقدس ذلك كله ، ويدعو إليه ، وقد كان من عوامل خلوده ، ومقارعته للخطوب ، ومصارعته للحوادث ، أنه كتاب مفتوح للبر والفاجر ، والمؤمن والكافر .

ومما يضيفونه إلى الاعجاز ، وينسبونه إلى المزايا الذاتية في القرآن أنه تضمن ألوانا من التشريع لا يمكن لمصلح اجتماعي بالغا ما بلغ من العلم والحكمة ، والحصافة والرأي ، والفطنة والذكاء ، والبصر والذوق ، والحزم والسياسة ، والعقل والفكر ، أن يهتدي لمثلها ، في علاج الأمراض ، والقضاء على المشاكل ، والحد من الفوضى ، والطب للنفوس ، والتقويم للطباع ، وهي التي انتقلت بالعرب في فترة وجيزة من الزمن من ذات الصدع إلى ذات الرجع ، وجعلتهم يأخذون في سلوكهم وعاداتهم بأمثل الأساليب ، ويتطلعون إلى الطموح البعيد ، والعيش السعيد ، والغايات النبيلة الكريمة ، ثم ظلوا هكذا يشعرون فيما بينهم وبين أنفسهم أن هذا الدستور الذي يحمله إليهم ، والنهج الذي يبينه لهم ، وتلك الأوامر والنواهي التي تضمنها ، لا يمكن أن تدنو منها دساتير الشعوب ، ولا قوانين الأمم ، ولا أفكار الفلاسفة ، وقد كان فيمن حولهم من الناس شرائع مما وضعوه بأنفسهم ، واهتدوا إليه بتجاربهم ، وباركته عقولهم وأفئدتهم ، ومع تلك كله كانت وبالا عليهم ، وتقويضا لبنيانهم ،

وتدميرا لحضارتهم ، وقضاء على طموحهم وآمالهم ، وسببا لصيرورتهم فيما بعد خبرا لكان الناقصة لا يذكر هم التاريخ إلا للعظة والاعتبار ( **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر** ) القمر/ ٤ .

وفي نظرنا أن حديث الاعجاز إن لم يكن من القرآن نفسه فهو محاولة فاشلة ، أو مصاولة هازلة ، أو جهد لا جدوى من ورائه ، لأن القرآن وهو يتحدى العرب كان تحديه لهم في ثقة ويقين ، واطمئنان وثبات ، واعتقاد جازم أنه إنما يدخل عليهم من الأبواب التي كانوا يدخلون منها ، وفي الأرض التي تعودوا أن يضعوا أقدامهم عليها ، ولو أنه جاء إليهم من طريق لم يعرفوه ، أو وغل عليهم من باب لم يألفوه ، لكانت حجتهم عليه قائمة .. وقد سجل عليهم هذا الكتاب ألوانا من عنتهم الذي قابلوه به ، وظنونهم التي ظنوها فيه ، وتهمهم التي كالوها له ، إذ قالوا : شعر وسحر وأساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه ، وإفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، وهكذا من كل تلفيق آثم ، وقول باطل ، وزعم خاطئ ، وظل الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم في سخرية ، ويقابل منهم تلك الأقوال كلها بالازدراء ، لأنه كان يدرك تمام الادراك أنها تخبطات المروريين الذين تنطبق عليهم المنافذ ، وتشتبه عليهم المسالك ، وتلتوي في أعينهم الدروب ، وتختلط دونهم الطرق ، فلا يجد أحدهم ما يستر به عيب نفسه ، وضلال قلبه ، وظلام خاطره ، إلا الطيش والسفه يستعين بهما ، ويفزع اليهما ، مع اعتقاده أنهما لا يغنيان عنه فتيلا ، ولكنهم حينما جدوا في الأمر وابتدأوا الخصومة كما يصح أن تكون وقالوا : ( **لو نشاء لقلنا مثل هذا** ) الانفال/ ٣١ . كان له معهم موقف آخر .. إذ تحداهم التحدي الجاد ، وإذا قلت التحدي الجاد فانما أقصد إلى أن الخصومة كانت خصومة بمعنى الكلمة ، لأن التحدي إنما يكون تحديا إذا كان فيما يتأتى للخصم أن يأتي به ، ويصدر مثله عنه ، ويمكن ان يجيء من نظرائه وأنداده ، فاذا ثبت قصوره فيه ، وتأكد تخلفه عنه ، ووضح هزاله عنده ، لزمته الحجة ، وأحاطت به الهزيمة ، وباء بالخزي الذي ليس قبله ولا بعده .. ولذلك فاننا لا نعتبر أن التحدي قد ابتدأ إلا من هذه النقطة السوداء في تاريخ قريش التي يعلم العرب أجمعون أنها كانت صاحبة السدانة على البيت ، والسيادة على الناس ، وهو الفخر الذي لم يتطاول إليه أحد سواها في هذا الوقت ، وقد كان الفضل الذي بوأها الله إياه ، بوأه كذلك للهجتها التي ظلت تتعهدها بالصقل ، وترعاها بالتهذيب ، وتنخلها بالذوق ، وتنميها بالطبع ، إلى أن اقتعدت بها الذروة الشماء ، والمكانة القعساء ، ونزل بها الوحي آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، رجاء أن يكونوا هم القائمين عليه ، والحفظة له ، والزائدين عنه ، إلا أن هزيمتهم

أمامه ، وإلقاءهم السلاح بين يديه ، صرف الأنظار عنهم ، وحول القلوب إلى غير ناحيتهم ، ولا يشك عاقل منصف أن هذا التحدي كان خاليا من العنت ، بعيدا عن المشقة ، لأنه لم يطالبهم بأحسن منه ، ولم يكلفهم بشيء جديد عنه . بل ناداهم أن يأتوا بمثله مفتري مزعوما كما يدعون ( **أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين** ) الطور/٣٣ ، ٣٤ . فلما ثبت عجزهم ، وظهر ضعفهم ، نزل معهم إلى أدنى من ذلك ( **قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ) هود/١٣ . وهنالك تبين له أنهم على حالهم لا حول لهم ولا طول ، فتدلى بهم إلى مستوى القوى المريضة ، والطاقات المحدودة ، وطلب منهم سورة واحدة ( **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ) البقرة/٢٣ ، ٢٤ . وبهذا كان يرخي لهم العنان إلى أبعد الحدود . ثم كان في خلال ذلك يناشدهم أن يستعينوا بما شاءوا من الأنصار والأصحاب والأصدقاء والقرابة والأهل ، حتى إذا ما أغلقت من دونهم الأبواب لم يكن هنالك بد أن يسجل عليهم تلك النتيجة ( **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ) الاسراء/٨٨ . وقد ثبت أنهم بعد هذه المرحلة من التحدي تجردوا من ضمائرهم . وانسلخوا من أخلاقهم ، وأخذوا يفكرون في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لذنب إلا أنه كشف فضولهم ، وأعلن هزيمتهم ، بهذا المنطق الفطري الذي جادلهم به ، وتلك الحجج التي لا تنكرها الطباع ، ولا يأباها العقل . ولم يكن أسلوبهم الوحشي النافر الذي قابلوه به صلى الله عليه وسلم غريبا على البشرية الحمقاء ، فهكذا تجرى عادات الناس حين تطيش أحلامهم ، ويشتد سفههم ، إذا ما تحداهم المتحدي في أخص مزاياهم فأحاط بهم العجز ، وأصابهم الهزال ، واستبد بهم الضعف ، وهذا هو السر في أن المتحدثين عن الاعجاز من المتقدمين والمتأخرين تقوم مؤلفاتهم على المعنى البلاغي الذي كان رأس مالهم ، والجانب البارز في أمجادهم ، والثروة الضخمة التي يتطاولون بها على الناس ، وإن كان الباقلاني يرى أن هذه الناحية لا يفهمها إلا من كان ذا ذوق عربي ، وسليقة أدبية ، وثقافة دينية ، ويقول في مقدمة كتابه : « لأن ذلك مما لا سبيل إليه إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا إليه من أهل صناعة العربية ، وقد وقف على جملة من محاسن الكلام وتصرفاته ومذاهبه ، وعرف جملة من طرق المتكلمين . ونظر في شيء من أصول الدين » ثم يقول بعد ذلك في أثناء الكتاب تحت

عنوان « فصل في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن » : وكذلك نقول إن من كان من أهل اللسان العربي إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدونه فصيحا بليغا بارعا كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن » .. ولهذا فان الزمخشري ـ صاحب كتاب الكشاف ـ لما أراد أن يدلي بدلوه في الدلاء ، ويكشف عما في هذا الكتاب من ملاحة فاقت الوصف ، وتجاوزت حدود التصور ، تعرض لآياته يشرحها من ناحية البلاغة ، ويعلن عما تضمنته من الروعة ، وكذلك حذا هذا الحذو عبدالقاهر الجرجاني مع اختلاف الأسلوب ، لأن صاحب الكشاف كان أشبه بمن يحمل في يده المشعل ليضيء الطريق ويملأه بالنور لتظهر الحقيقة الواضحة ، والصور الناصعة .. اما صاحب الدلائل فانه أراد أن يربي الذوق البلاغي الذي يساعد على إدراك الجمال ، ومعرفة الحسن ، وفهم الابداع ، والحكم على روعة الأشياء ، وسحر المعاني ، وجلال الصور ، ثم يتركنا بعد ذلك وقد اكتملت فينا الملكة ، ونضج الوعي ، وقويت القدرة على النقد الذي نميز به بين الحسن والقبيح ، والجيد والرديء ، وهنالك يمكننا أن نقارن بين عجز الانسان وإبداع الرحمان ونردد بيننا وبين أنفسنا قوله جل جلاله : **( هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه )** لقمان/١١ . وربما كانت هذه هي إحدى النواحي في فهم إعجاز القرآن ، فان المسلمين ما فرطوا في أدبه إلا منذ فرطوا في لغته فأصبحوا لا يفقهون كلمة ، ولا يدركون حكمة ـ كما يحدثنا الرافعي في كتابه إعجاز القرآن ـ ولذلك فاننا ننادي بضرورة الاهتمام بلغته ، والعناية بدراستها ، والغيرة عليها ، والدفاع عنها ، وجعلها الرباط الوثيق بين المسلمين الذين يأمرهم هذا الدين أن يتواصوا بالخير ، ونعلن أنهم لم يتخلفوا في الحياة ، ويتأخروا عن الركب ، إلا بسبب هذا التفكك في ثقافتهم ، والاختلاف في لغتهم ، وأنهم لم يفهموا أن شريعتهم التي تأمرهم بالجماعة ، وتسوية الصفوف ، والاتجاه إلى القبلة ، والابتداء الواحد في الصوم والفطر ، وجعل الحج فرصة للتعارف والتقارب ومدارسة الأحوال والمشاكل رجاء أن يتعاونوا على البر والتقوى ، تحتم هذا وتؤكده ، ونرى أنه سبحانه وتعالى لم يقصد من وراء ذلك كله إلا إلى الترابط في اللسان والبيان ، والاحساس والشعور ، والوجدانات والعواطف ، والآمال والآلام ، والأهداف والأغراض ، ليكونوا ـ بحق ـ خير أمة أخرجت للناس ، يمسكون بأيديهم زمام الأمور ، ومقاليد الحكم ، وموازين العدل ، ووسائل الاصلاح ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الضاد ـ التي هي لغة القرآن ـ لغة تخاطبهم في الشرق والغرب ، والبادية والحضر ، وإذا

كان بعض المسلمين يفهمون أن مثل هذه الدعوى تحمل في طياتها عصبية للغــة دون اخرى ، فاننا نقول إن القرآن الكريم ينادي في أكثر من آية من آياته ، وأكثر من سورة من سوره ، أنه بلسان عربي مبين ، ولا يقصد من وراء ذلك تسجيل التاريخ ، ولا بيان الواقع ـ كما يقولون ـ وأنه حين نزولــه على النبي العـــربي ، وبلسان قومه الذين كان يتجه إليهم بالبيان ، وفي ذلك المكــان الــذي ترعرعت بين جنباته اللغــة ، كانت العـــربية هي ترجمانه ، وعقوده وجمانه ، وبيانه ولسانه ، ثم صار هذا كله مع الأيام نبأ يروى ، وحديثا يقص ، ومن حق الهندية أن تنطقه بألفاظها ، كما هو من حق الفارسية والتركية وهكـــذا .. نقول لهؤلاء جميعا لا وألف مرة لا .. ومن إعجاز القرآن الكريم أنه بهذا اللسان ، وإن تحويله عنه تحويــل له ، وعــدوان عليه ، وخروج به عن حقيقته ، قد يقول قائل : ان المصادفة فقط لا اكثر ولا اقل هي التي كانت السبب الاول والاخير في ان يكون القرآن بلسان عربي مبين ولو كان نزوله على غير العرب لكان بلسانهم ، وبيانهم . والله سبحانه وتعالى يقول : ( **وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم** ) ابراهيم/ ٤ وبخاصة اذا سلمنا أن العرب لم يكونوا وحدهم من التخلــف والفوضى ، والانتكـــاس والتردي والجهل والــطيش ، بحيث تدعو حالهم الى الاسعاف السريع . والانقاذ العاجل ، والعلاج الحاسم ، إلا أننا نكرر القول ونؤكده حينما نعود الى التاريخ لنستلهمه الصواب في ذلك وحينئذ ينبئنا ان اهتمام هؤلاء الناس بلغتهم يهذبونها ويشذبونهــا كان عاملا مهما في تلك العروبة للنبي صلى الله عليه وسلم وكتابه معه ، وشيء آخر لا نتغافله في الحديث ، ولا نتجاهله عند التعليل والتحليل وذلك ان للعــرب مزايا في اخلاقهـــم ، وخصائص في طباعهـــم ، كانوا يعتبرونها كمالا في رجولتهم ، ولها تقديرها واحترامها في موازينهم ، مثل الغيرة على الأعراض ، واباء الضيم ، وكراهية الظلم والوفاء بالعهد والكرم والجود ، وما سوى هذا وهذا مما يكــون من أسباب الترابط والألفة والانحياز الى الحق ، والدفاع عنه والوقوف بجانبه ، وهكذا مما تحتاج اليه دعوات الاصلاح ، وتقوم عليه النهضات وتنتصر به المبادىء ، وكان هذا كلــه له أثره البارز في نجاح الرسالــة وتمام بنيانهــا ، ورسوخ قدمهــا ودوي صوتهـــا . وانتشار دينها . وكان صلى الله عليه وسلم لا يفتأ في كل مناسبة يقول : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » رواه ابو يعلى عن جابر ايمانا منه بأنهم كانوا خير درع له ولما جاء به من عند الله ( **ان يكن منكـــم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهــون** ) الانفال / ٦٥ ومــن هنا كان القرآن عربيا ، لا يتخلى عن العربية قيد أنملة . ولا يقدح هذا في انه يصرخ في آذان الناس جميعــا

ويدعوهم الى كلمة سواء وهذه العروبة ـ كما نرى ـ ليست عرضية تروح وتجيء ، او تغيب وتحضر ، وانما هي ذاتية له ، لا تفارقه ابدا ، وربما كان من العجيب الغريب أن تكون عربيته هذه ـ او عروبته ـ من الاعجاز الذي اودعه الله فيه ليكون له حصانة من العدوان وضمانا من الضياع ، وصونا من العبث ، ومانعا من ان ينال منه آثم بالتغيير او التشويه ، او بالاختلاق او الكذب . وظهر ذلك كله حينما حاول كثير من الناس ان يترجموه الى لغتهم فاذا هو يتأبى عليهم كل التأبي ولا يستجيب للمحاولة ، ولا يخضع للرياضة ، وليس معنى هذا اننا ندعي ان ذلك قد صرفهم عنه ، فان كثيرا من المبشرين والمستشرقين عنوا بنقله الى لغاتهم المختلفة رجاء للمزلة ، والطعن فيه ، والتشهير به ، واتخاذه في مدارسهم وكنائسهم مادة للنقد المكشوف ، والتجريح المفضوح ، وان كان شأنهم ـ كما يقول القائل : « كناطح صخرة يوما ليوهنها » ولما دب النور والعرفان ، واتسع نطاق الثقافة والعلم في انحاء مختلفة من الأرض أصبح الناس من هنا وهنالك يحاولون دراسة الأديان والرسالات على أسلوب من البحث النزيه ، والمنطق السديد ، وكان فيما يرجون أن يتناولوا به دراستهم كتاب الله الخالد على مدى العصور والأزمان وحينئذ ظهر في المسلمين وغير المسلمين من كان ينادي بضرورة تعريف غير العرب به عسى ان يكون باعثا لهم على الايمان ، وحاملا لهم على الهداية وحافزا لهم على ان يكونوا من جنوده .. وكان مفتاح هذا التفكير ان القرآن اسم للمعنى مجردا من اللفظ ـ عند الامام أبي حنيفة ـ وحجته في ذلك قوله تعالى ( **وانه لفي زبر الاولين** ) الشعراء / ١٩٦ وقوله : ( **ان هذا لفي الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى** ) الأعلى / ١٨ و ١٩ ولم تكن هذه كلها بالعربية فان صحف ابراهيم كانت بالسريانية وصحف موسى كانت بالعبرية ، ولعل الذي قوى هذا الزعم عند ابي حنيفة أن سلمان الفارسي ترجم لقومه فاتحة الكتاب ليقرأوها في صلاتهم ، وما كان لهذا الامام الكبير ان يذعن لهذه الشبهة ، ولا ان يستسلم لهذا الرأي لان كون القرآن في زبر الأولين أو صحف ابراهيم وموسى ليس معناه انه كان مكتوبا فيها . وانه نقل عنها . ولكن معناه انها اخبرت به وبشرت بالرسول الذي يحمله الى هذه الأمة ، ولذلك فقد خالف الصاحبان رأي امامهم وذهبا الى أن القرآن اسم للفظ والمعنى . وانه معجز بهما معا ، لا ينفصل احدهما عن الآخر .

فاذا قدر المكلف عليهما لا يسقط الواجب الا بهما ، وان لم يستطع اللفظ سقط عنه واداه بمعناه وحكمه حكم من عجز عن الركوع والسجود ، فان صلاته تكون ايماء .. ومما حققه العلماء الاعلام ـ كصاحب مسلم الثبوت ـ ان أبا حنيفة رجع عن هذا الرأي .. ولذلك نرى كثيرا من

أصحاب مذهبه يتعرضون لكتابة المصحف بغير العربية بالانكار ، ولا يقولون بجوازها خوفا على القرآن من العبث ، ومنعا له من عدوان أهل الفسوق والعصيان .. وقد نقل عن الشرنبلالي قوله : « ولا يصح أن يكتب القرآن بالفارسية لأن ذلك يؤدي الى الاخلال بحفظه ونحن أمرنا بحفظ النظم والمعنى » وفي كتاب الفتح القدير : « ان اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع » وفي النفحة القدسية : « أما لو اعتاد القراءة أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع » وقال الفضلي : « من تعمد ذلك يكون زنديقا او مجنونا ، والمجنون يداوي لكن الزنديق يقتل » .. واذا كان علماء الأحناف قد أعطوا هذه المسألة اهتماما كبيرا . وتناولوها بالبحث هذا التناول ، اعتمادا على ان امامهم كان يرى أن القرآن الكريم اسم للمعنى من غير اللفظ فان علماء المذاهب الأخرى قد تناولوها ايضا بالنفي تارة ، والاثبات تارة اخرى ، ويظهر ان الدافع الأول والأخير لأصحاب القول بالترجمة ، والدعوة اليها ، كان هو الرغبة الصادقة في عموم النفع ، وكثرة المؤمنين ، وهداية الناس ، ولقد علمنا من أبناء المسلمين الذين عاصروا الدعوة في ابانها أنهم ما كانوا يحاولون – كالكسالى – ان يسعى القرآن اليهم ، وينتقل الى موائدهم ، مستكينا لارادتهم ، خاضعا لسلطانهم ونفوذهم ، بل كانوا وهم يتشوفون اليه ، ويحرصون عليه يكدون في الوقوف بين يديه ، بلغته التي انزله الله بها ، وبيانه الذي كساه جل جلاله منه حلة من الرونق ، ولباسا من الحسن ، وخلعة من السحر ، وبهجة من الجلال ، وطابعا من القبول ، وفيضا من البلاغة ولم يتطاير الينا ولا نصف نبأ أنهم كانوا يجرونه اليهم بالنقل ، او يقربونه منهم بالترجمة ، ولم يدخل الفرس في دولة العرب في الخلافة العباسية الا وقد وضعوا في اعتبارهم أن يتعلموا له لسانه وبيانه لذلك كان منهم المفسرون له ، والمنوهون به ، والمدافعون عنه ، والغيورون عليه .. ومن البديهي ان الذين يتحدثون عن ترجمة القرآن ويروجون لها لا يفهمون حق الفهم أسرار اللغة العربية او خصائصها ، وهي التي شرفها القرآن حين نزل بها ، وجاء على نسقها وطريقة تأليفها ، ويقول الامام الشاطبي في كتابه « الموافقات » : إن دلالة الالفاظ على معانيها تأتي على خبرين – أولية وثانوية – فالأولية كقيام زيد والثانوية ما يزيد على ذلك من الاهتمام به وتعريفه او تنكيره وذكره أو حذفه وهكذا من البحوث التي تقوم عليها كتب البلاغة ويتبارى في مضمارها فحول العلماء ومما لا يختلف فيه أحد أن المعاني الأولية لا يتفاوت انسان فيها مع آخر .. أما الثانوية فانها مجال الفحولة ، وميدان السبق ، ومناط الحذق ، وعنوان المهارة والبراعة وبخاصة إذا كانت مشتملة على استعارة لطيفة ،

او كناية طريفة ، او مجاز رائع ، او تمثيل بديع ، ولا يمكن لهذا اللون من التعبير أو التصوير ان تنقله الترجمة كما هو دون زيادة فيه او نقص ، وانا أسوق لك بعض الشواهد على ذلك .. اذ يقول الله سبحانه وتعالى للرجل يريد أن يفارق زوجته الى أخرى يتزوج بها ويعمل على أن يجرد مطلقته من كل حقوقها حتى مؤخر الصداق : **( وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهـن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وأخذن منكـم ميثاقا غليظا )** النساء / ٢٠و٢١ فان أفضى بعضكم الى بعض هذه عقدة العقد التي تتجاوز طاقة المترجم فلا يسعه الا أن يقف أمامها مكبلا أو مكتوف الأيدي ومثل هذا قوله جل جلاله : **( نساؤكم حرث لكم )** البقرة / ٢٢٣ وغير هذا وهذا من الأمثلة والشواهد .. وربما جاء مثل ذلك في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يتعذر نقله ، ولا يمكن ترجمته ، كقوله : « من كشف قناع امرأة فعليه مهرهـــا » رواه الديلمي » وقد كان يكثر من ذكره لخديجة وكـان ذلك يوغـــر صدر عائشة ــ رضي الله عنهما ــ فقالت له عائشة ــ أرأيت يا رسول الله لو كان أمامك واديان معشبان أحدهما رعى فيه والآخر لم يرع فيه ، في أيهما ترتع بعـيرك .. وتقصد بالـــواديين هي وخديجة ، وبالرعي البكارة وعدمها كأنما تدل على خديجة انه صلى الله عليه وسلم تزوجها ثيبا ، أما هي فانها كانت بكـرا .. وهما ــ كما ترى ــ حديثان لا يمكن للترجمة ان تنقلهما على روعتهما ، وتمام بلاغتهما ، وجمال ادائهما .. وهكذا نجد أن مجيء القرآن الكريم بهذه اللغة وعلى هذا النمط من البيان كان اعجازا آخر غير تلك الأنواع التي تناولها العلماء بالحديث في اعجازه لأن تحويلـــه عنه يسلبه قرآنيته الباهرة ، وفصاحته القاهرة وبيانه الخلاب ، وسحره الغلاب ، والدليل على ذلك أن أحدا من الناس لم يستطع ذلك إلى الآن وكل ما يقال في ذلك كله من نقل او ترجمة انما هي محاولات من يقبس نور الشمس يظن أنه يضم يده عليه ولم يدر أنه انما يطبقها على الوهم . ويضمها على الهواء . وليس الامر اكثر من انتفاع به ، وأخذ عنه ، يصادفه التوفيق الى حد ما ، او يخطئه الصواب الى غير حد ، ثم يبقى القرآن بعد ذلك كله شامخ الرأس ، عالي القدر ، بعيد المنال ، كأنما يقول لهؤلاء جميعا : **( فويل لهـم مما كتبت أيديهم )** البقرة / ٧٩ .. ولهذا فاننا نعود الى تكرار هذه الصيحة التي نرجو من ورائهـا أن يتعلـم المسلمون لغته ليفهموه بهـا ، واذا كان تدبر مراميه ، وفهم معانيه . لا يتم الا بذلك فاننا جريا على القاعدة الأصولية « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » نقول إن ذلك واجب لا يصح تركه ولا يليق بنا أن نتغافله او نتجاهله ، ونحن خير أمة أخرجت للناس .

# شباب الاسلام

للدكتور : عباس محجوب

شباب امة الاسلام قوة ... لنصر دين الله قد تطلعوا
في الحرب ان صالوا رأيت فيهم ... أسد الشرى من الأمان أفزعوا
في السلم كالغزلان في مأمنها ... وداعة ورقة قد طبعوا
مذاقهم كالشهد حين يأمنوا ... والصاب والحنظل اذ يروعوا
قد بايعوا الرسول قائدا لهم ... لم يهدروا للحق أو يضيعوا
اهدافهم عظيمة طموحة ... لم يركنوا للسهل أو يقتنعوا
ان افقروا تواضعوا وصبروا ... وإن غنوا فهم هزال خشع
والماء منة اذا اتاهم ... لم يشربوه أو به ينخدعوا
ملمسهم لدى الصديق ناعم ... وللعدو خشن ومفزع
هم الندى اذا الازهار صوحت ... هم الورود نشرها تضوع
ترتعد البحار من طوفانهم ... والموج من ثورتهم يصطرع
اذا الجبال عارضت طريقهم ... دكوا الجبال والصخور ميعوا
وان رأوا في دربهم حدائقا ... فهم لها الماء النمير المشبع
سيماهم فراسة وحكمة ... رهبان ليل والأنام هجع
قد بدد الايمان من شكوكهم ... بنوره ظلماتها تنقشع
الموت في سبيل الله غاية ... والله للجهود لا يضيع
لم يرهبوا عدوهم او يجبنوا ... لم يطلبوا غنائما توزع
يقتنصون النجم ان هبوا له ... وان ارادوا للأسود صدعوا
للكفر والالحاد اين واجهوا ... هم الاعصار المفجع المروع
اذا اتاهم من يرى شراءهم ... زادوا له في سعرهم ورفعوا
لكي يبيعوا للاله ربهم ... ومن لهم الا الاله المبدع ؟؟
ما لونوا جلودهم او بدلوا ... ما قلدوا الطاووس لم يبتدعوا
واللهو والغناء والهوى ... عن أسره وسحره ترفعوا
تشغلهم مآرب عظيمة ... لزينة ورغد قد ودعوا
للظلم والطغيان في الوانه ... جهادهم وجهدهم لا يدفع
لم يرهبوا طاغية او حاكما ... لم يسجدوا لصنم او يركعوا
هذا الشباب سوف يبني أمة ... لها الكتاب منهج ومرجع
هذا الشباب سوف يعلي راية ... تزلزل الرايات بل تقتلع

# الدين هو الحل

للاستاذ : محمد احمد العزب

من المشاكل الخطيرة في تاريخ الفكر البشري ، دوران هذا الفكر في فراغ موحش رهيب ، وضلاله الأعمى في رحلة البحث عن قرار ..

قديما .. وعلى سفوح اليونان وقممها السامقه . انطلق هذا الفكر البشري باحثا عن قراره . ناشدا الايمان بشيء يشده إليه . فلا تبجر به الريح في مهاوي الضياع .. ولكن هذه الرحلة ما أثمرت قرارا ، ولا أعطت شيئا يهب الأمن والسلام ..

بل أعطت حشودا من المعرفة العقلية الرائدة . التي قادت الأجيال في طريق التطور العقلي الصاعد المنتصر .

ولئن كانت المعرفة العقلية معزولة الكيان عن المنطقة الروحية في البداية .. فانها — في الواقع — كانت الشرارة الأولى التي انبثق منها ضوء الصعود الخالد إلى آفاق الروحانية العالية .. وكانت كذلك حتى في طور ميلادها الأول . استشرافا ذكى الفهم لكل ما هو وراء المادة .. ولكل ما هو خلف تخوم الحياة ..

ذلك كان شأن الفكر اليوناني القديم .. كان يعتز بنفسه إلى حد الغرور .. ولكنه كان مع ذلك يتطلع دائما إلى أعلى من طاقاته وقدراته ..

وحديثا .. وعلى ضوء كل ماجد في حياتنا المعاصرة من انتصارات علمية وحضارية شامخة .. مازالت للفكر نزواته واندفاعاته . وأستطيع أن أقول : إن ضراوة الاغترار والزهو بكل ما هو عقلي .. ومادي .. وأرضي .. لم تبلغ في أي طور ما بلغته اليوم من ضراوة وقسوة .. إن موجات الالحاد والشك .. لتفور في كل منطقة من العالم اليوم .. حتى في أعرق هذه المناطق إيغالا في مراحل الايمانيات .. ربما لأن الزحف العلمي بكل فتوحاته .. وانطلاقاته . قد أعطى عن نفسه صورة القادر الذي لا يغلب . والقائد الذي لا ينهزم .. في اللحظة التي يقف الدين فيها محتلا مواقعه الأولى .. منحسرا في مجالات كثيرة عن بعض هذه المواقع .. نتيجة النضوب الفكري والايماني الذي أصاب أبناءه بالشلل ، فلم يعودوا قادرين على حمله وتبليغه ، والتحليق به الى آفاق مضيئة أكثر حياة ، وأشمل اندفاعا ..

وفي وهج هذا الدوران الفكري الراعش المضطرب عاش الانسان في الماضي ويعيش اليوم . أقسى ما يمكن أن يتصور من حياته .. أنه يدور في فراغ .. ويحس بأن وجوده عبثي !! لحظة الميلاد عنده تساوي لحظة الموت ، والمساحات الزمنية القائمة بين البدء والختام ، ليست سوى مرحلة من العبث القاسي الذي لا جدوى من ورائه ..

خذ مثلا واحدا من مفكري هذا العصر . ( البير كامي ) .. واقرأ بحوثه .. وقصصه .. ومسرحياته .. انه ككاتب لامع مفكر سيبهرك من غير شك بثرائه الفني الرائع الممتاز ويعمقه الساحر الأخاذ .. ولكنه في النهاية سيسلمك إلى إحساس

عاصف باليأس والعبثية .. واللاجدوى .. في مسرحيته .. « سوء تفاهم .. » تصيح « مارتا » « هذه الدنيا ليست سوى مقبرة سنوضع فيها في النهاية بالكوم متلاصقين ) .. وفي موضع آخر تخاطب ماريا : ( لكن قبل أن أذهب لأموت .. علي أن أخلصك من وهم اعتقادك بأنك على صواب . وأن الحب ليس عبثا .. وأن ما حدث لم يكن إلا نتيجة الفوضى الشاملة .. وهو منطقي معها ) .

ان كل كتابات هذا المفكر الفنان .. طافحة بهذه القتامة الداجية . وهذه الهروبية الصفراء . وربما لا تجد لأكثر أبطاله من نهاية سوى الانتحار .. كنتيجة طبيعية ومنطقية لايمانهم بفوضى العدالة .. وعدالة الفوضى ..

« البيركامي » هنا .. ليس سوى رمز لعشرات ومئات من مفكري العصر ، الذين فقدوا الايمان بشيء معين .. أعلى من الانسان .. وأهدى من المادة .. ففقدوا بذلك صلابة الأرض التي يقفون عليها ، ووضوح الرؤية اللازمة لكل من يشق طريقه في الحياة .. إن إيمانهم كان بالعقل .. وبالعقل وحده .. حتى ألهوه .. وليس في استطاعة العقل البشري . حتى في قمة نضوجه وإشراقه .. أن يحمل عبء الألوهية الهائل .. بكل ما يتطلبه العبء من تبعات وأثقال .. أجل . ليس في استطاعة العقل البشري أن يقدم الحل ، أو الحلول العاقلة لمعادلة الحياة الصعبة المتشابكة لأن العقل نفسه بعض من هذه المعادلة .. ولأنه يرتطم دائما بأسوار محدوديته فيقع على السفح عاجزا عن التحليق والطيران ..

وهنا يبرز الدين كحل .. وكحل إلهي شامل وعميق .. ليقدم لمعادلة الحياة تفسيرها المنطقي الذي لا يتهرأ في حومة الصراع ودورانه المفزع ..

الدين كحل .. يبدأ من منطلق الايمان بالأعلى لينتهي إلى الايمان بكل شيء .. وهذا سر عظمته .. انه لا يبدأ من مقدمات سانجة .. مثلا من الايمان بالثمرة إلى الايمان بالشجرة قائلا لك أن الأثر يدل على المؤثر كما يقولون .. ولكنه يبدأ من منطلق الايمان بالشجرة الفارعة المثمرة .. المتهدلة الاغصان والثمار .. قائلا لك لو لم تكن الشجرة موجودة أكانت توجد هذه الثمار ؟؟

ومن هذا نستطيع أن نفهم لماذا كانت الصيحة الأولى لنبي عظيم « كمحمد صلى الله عليه وسلم » هي : « لا إله إلا الله » .. إنه يبدأ القضية من أساسها .. ثم يمشي بك في دوربها دربا فدربا .. حتى يضعك في النهاية أمام بناء ايماني شامل متكامل بكل أبعاده وأعماقه .

أنت في قضية الايمان مطالب بشيء من التجاوز .. تجاوز الذات وتجاوز المنطق العقلي .. فالذات الضامرة الكليلة يجب أن تؤمن بأنها دون مستوى الندية للقوى الكبرى الخالقة .. فليس إذن في استطاعتها استيعاب حقيقتها .. ومن واجبها أن تذعن لهذه القوى المبدعة وأن تسلم

لهـا بالحكمـة .. والعظمـة .. والابداع ..

التلميذ البـادىء دون مستـوى الندية لأستاذه . فليس من حقه أن يشك في معطيات هذا الاستاذ ، إلا إذا بلغ شأوه العلمي .. إن من حق التلميذ فقط أن يسأل ، وأن يطلب المزيد من الفهم .. ولكن ليس من حقه أبدا أن يقول لأستاذه أصبت هنا .. أو أخطأت هناك .. فاذا كان الامر كذلك في إطار العلاقة بين الاستاذ وتلميذه الذي قد يبلغ شأوه العلمي يوما ما .. فان العلاقة بين الانسان وخالقه يجب أن تحددها دائما علاقة العجز والقدرة .. أو علاقة النقص والكمـال .. لأنـه ليس في طاقـة الانسان أن يلحق شأو خالقه .. لأن شأو الخالـق ليس مدى طفـرة أو طفـرات .. وإنمـا هو اللانهائيـة الضخمة ، بكل ما تنطـوي عليـه اللانهائيات من قدرات وأسرار ..

الايمـان إذن عمليـة ترسيـخ لوضعية الانسان على هذه الأرض ، بدلا من تركه مذبذبا هكذا في مهب الرياح .. وليست عملية الترسيـخ هذه شدا إلى صخرة بكماء . وإنما هي إعطاء الانسـان كل مشاعـل النور ، ليبصر على ضوئها الغاية من وجوده . والهدف من حياته .. ومتى تعلقت آمال الانسان بغاية ينشدها ، أو هدف يرنو إليه . فان وجـوده حينذاك يكتسب خصوبة ومعنـى ، ويصبح من غير شك وجودا هادفا وعميقا . وليس مجرد عبث أو فوضى أو حياة بلا جدوى ..

وإذا كانت بعض الفلسفات المادية تعطي الانسان في حياته غايـة أو هدفا .. فان الاسلام يسبقهـا إلى ذلك .. متخطيا تخوم الحياة إلى تخوم الآخرة . عاقدا بين غاية الانسان هنا وغايته هناك . أوثـق الوشائـج . وأعمق الصلات .. بينما تظل جهود الفلسفات المادية حبيسـة اللحظـة المعاشة لا تتخطاها إلى غيرها من حياة ..

وهنا تبرز ضخامة الدور الـذي ينهض به الدين ، معدلا كل منطق هذه الفلسفات .. فان الانسانية لكي تحقق وجودها الأفضـل لابـد أن تتخطى إلى حد ما .. بعض غاياتها الحياتية .. فاذا آمنت بأن وراء هذه الغايات الحياتية غايات أخرى وراء الحياة .. أقدمت على التضحية بكل ما في وسعها من إيمان .. أما إذا لم تكن مؤمنة بسوى الغايات الدنيا .. فانها قد ترتطم حتـى بآمالهـا في الدنيا ، محطمة ومحطمة .. وهنـا قصور الماديات ..

الدين كحل .. يهب الايمان الواثق المتكامل .. ويعطي الهدف من الوجود للوجود .. ويحفز على التجاوز الواثب المتفتح .. ويفض المغاليق لنرى أبعد من حدود الرؤية . وهو وحده الذي يمكن أن يكون حياة الحياة .. ونبض التطلـع الانسانـي إلى الأسمـى دائما .. والأشمل دائما .. والأخلد دائما .. وتلك هي رسالته للبشرية جمعاء .

# الكتب المقدسة والمعارف الحديثة

تأليف : موريس بوكاي
ترجمة : دار المعارف طبعة ١٩٧٧
عرض : عمر الراكشي

## مدخل الى الكتاب :

مؤلف هذا الكتاب طبيب فرنسي ، ممن عنوا بالدراسات العلمية ، ومقابلتها بالكتب المقدسة ، وتقع الترجمة العربية لهذا الكتاب عن الفرنسية في ٢٨٦ صفحة من القطع الكبير .

ويرى المؤلف بصفة عامة ، أن المعطيات الموضوعية لتاريخ الأديان ، يوجب وضع العهد القديم والأناجيل والقرآن على مستوى واحد ، من حيث هي مجموعات للوحي المكتوب .

غير أن هذا الموقف الذي يقول به المسلمون مبدئيا ، ليس هو نفس الموقف الذي يقبله مؤمنو البلاد الغربية التي تنتشر بها اليهودية والمسيحية ، والتي ترفض إعطاء القرآن صفة الكتاب المنزل .

فاذا كان القرآن في آيات عديدة

منه ، يطلب من الذين آمنوا به الايمان بكتب الله السابقة ورسله وأنبيائه السابقين ، فان المؤلف يقرر أن المسيحية لا تعترف بأي وحي جاء بعد المسيح وحوارييه ، ولذلك فهي تستبعد القرآن . وكذلك الشأن بالنسبة لليهودية فانها لا تعترف بأي وحي جاء بعدها .

ويقرر المؤلف بأنه اذا كان هذا هو موقف اليهودية والمسيحية من الاسلام ، فان موقفهما من بعضهما البعض جد مختلف ، فيقول الدكتور موريس بوكاي : إن كتاب اليهودية المقدس هو التوراة ، وتختلف التوراة عن العهد القديم المسيحي ، لأن هذا الأخير أضاف عدة أسفار لم تكن موجودة بالعبرية .

ويضيف المؤلف قوله : إنه إذا كانت المسيحية قد اعتمدت على التوراة لكنها زادت عليها بعض الاضافات ، ولم تقبل في الوقت عينه كل ما انتشر من كتابات تستهدف تعريف الناس برسالة عيسى ، ولذلك قامت الكنيسة باجراءات حذف هامة جدا لعدد من الأسفار التي كتبت لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه ، ولم تحتفظ من العهد الجديد إلا بعدد محدود من الكتابات أهمها الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيا وهي أناجيل متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

## غاية المؤلف من مؤلفه :

يقرر المؤلف أنه إذا كان البابا بولس السادس يفصح عن إيمانه العميق بوحدة العالمين الاسلامي والمسيحي ، اللذين يعبدان إلها واحدا ، فان كثيرا من المسيحيين قد تربوا في ظل روح عدائية للاسلام ، وظلوا في جهالة لحقيقة الاسلام وجوهره . وبالتالي فان مفاهيمهم عن الاسلام ، هي في واقع الأمر مفاهيم مغلوطة .

ومن هنا ، فقد وجد المؤلف من الواجب عليه ، أن يقدم دراسة مقارنة للكتب المقدسة في الأديان الثلاثة ، مع التركيز على جانب دراسة هذه الكتب ، في ضوء المعارف العلمية الحديثة .

## الفروق الجوهرية بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة :

### أولا : القرآن :

يرى المؤلف أن الاسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معا ، كتب فور نزوله ، يحفظه ويستظهره المسلمون في صلواتهم ، ومواسم عباداتهم ، اما الكتاب المسيحي المقدس ، فانه يختلف عن القرآن اختلافا بينا ، فالأنجيل – كما يقرر المؤلف الدكتور بوكاي – يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة ، فلا تملك أي شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى ، وهذا خلاف لما يتصوره الكثيرون من المسيحيين .

ويأسف المؤلف لذلك الموقف الذي

يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التوراة والانجيل بعض المقاطع الباطلة التي تتعارض مع كل منطق ، وإذا كانت هذه المقاطع تسيء كثيرا إلى الايمان بالله لدى بعض العقول المثقفة التي أدركت وجود هذا الضعف ، فان الغالبية من المسيحيين ـ في نظر المؤلف ـ لم تدرك حتى الآن ذلك الضعف ، وظلت في جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة .

## ثانيا : الأحاديث النبوية :

أما الأحاديث النبوية فهي في رأيه تشبه الأناجيل من حيث هي مجموعة من الأقوال والأخبار لأفعال محمد صلى الله عليه وسلم ، وليست الأناجيل بأكثر من هذا فيما يتعلق بعيسى عليه السلام ، فقد كتبت اولى الأحاديث النبوية بعد عشرات من السنين من موت محمد صلى الله عليه وسلم مثلما كتبت الأناجيل بعد عشرات السنوات من انصراف عيسى عليه السلام . وقد فصل المؤلف في كتابه كيف أن مؤلفي الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيا لم يشهدوا الوقائع التي أخبروا بها ، وهم متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

ويضيف المؤلف قوله : بأنه إذا كان يصح الجدل في يومنا هذا حول صحة هذا الحديث النبوي ، او ذاك ، فان الكنيسة قد حسمت منذ قرونها الأولى ، وبشكل نهائي بين الأناجيل المتعددة وأعلنت رسمية أربعة منها فقط ، برغم التناقضات العديدة فيما بين هذه الأناجيل في كثير من النقاط ، وأصدرت الأمر باخفاء الأناجيل الأخرى . ومن هنا جاء اسم « الأناجيل المزورة » .

## الكتب المقدسة وحقائق العلم :

ثم ينتقل المؤلف إلى بيان أن مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم ، كانت موضع تفكير الانسان في كل العصور ، ففي البداية قيل : إن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس ، ومن هنا خلق ذلك الوضع الخطير الذي جعل مفسري التوراة والأناجيل اليوم يناصبون العلماء العداء ، حيث يؤكد المؤلف أنه لا يمكن أن تقبل رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح ، ومن ناحية مقابلة ، أدى عدم قبول صحة مثل هذا المقطع من التوراة الذي ينص على واقع لا يقره العلم إلى تعصب البعض بشدة للاحتفاظ بتمام النص ، وكان من نتيجة هذا ان اضطر المفسرون إلى اتخاذ مواقف لا يقرها رجل العلم .

ودراسة المؤلف لنصوص القرآن الكريم كشفت له عن وقائع عديدة ذات صفة علمية ، وفي رأيه أنه ليس ثمة وجه للمقارنة بين القليل جدا لما اثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية وتعددها في القرآن الكريم .

ويرى المؤلف أيضا أنه لا يتناقض موضع ما من المواضع ذات الصفة العلمية في القرآن الكريم مع وجهة

النظر العلمية ، وهذه هي النتيجة الأساسية التي خرج بها المؤلف من دراسته ، في الوقت الذي يعرض فيه ، كيف أن بعض الأحاديث النبوية غير القطعية أو ظنية الثبوت تخرج عن نطاق الوحي القرآني ، ويتعذر قبولها علميا .

ويعرض الدكتور « موريس بوكاي » في كتابه العديد من الموضوعات العلمية التي تنبيء الكتب المقدسة بظاهراتها الطبيعية وتحيطها تلك الكتب بقليل أو كثير من التعليقات والشروح ، ولكن الوحي القرآني في تطوره غني جدا في تعدد هذه المواضع وذلك على خلاف ندرتها في العهدين القديم والحديث .

وقد أيقن المؤلف بعد دراسته للنص العربي للقرآن الكريم أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد ، من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .

وبنفس الموضوعية قام المؤلف بنفس الفحص لنصوص العهد القديم والأناجيل فوجد فيما يتعلق بالعهد القديم أنه ليس هناك حاجة تقتضيه الذهاب الى أبعد من الكتاب الأول ، أي سفر التكوين ، فقد وجد مقولات يتعذر التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا .

أما بالنسبة للأناجيل فما كاد يفتح الصفحة الأولى منها حتى وجد نفسه دفعة واحدة في مواجهة خطيرة مع شجرة أنساب المسيح ، ذلك أن نص انجيل متى يناقض بشكل جلي انجيل لوقا ، وهذا الأخير يقدم صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الدينية الخاصة بقدم الانسان على الأرض .

**خاتمة :**

ويختتم المؤلف وجهة نظره حول تلك الأمور المتناقضة ، أو تلك التي لا يحتملها التصديق بقوله : إنها لا تفضي إلى إضعاف الايمان بالله ، وأن المسؤولية فيها تقع على عاتق البشر ، فلا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب التعديلات غير الواعية التي أدخلت على الكتب المقدسة السابقة على القرآن ، ومن هنا فان كثيرين من المسيحيين ظلوا يجهلون نقاط الضعف الخطيرة في مقاطع العهد القديم وفي الأناجيل ، وقد عرض الدكتور « موريس بوكاي » في الجزءين الأول والثاني من كتابه أمثلة صحيحة لذلك .

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد أوضح المؤلف فيه بالتفصيل كيف أن الاسلام قد اعتبر دائما أن الدين والعلم توأمان متلازمان ، وأن تطبيق هذا المبدأ هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الاسلامية ، التي اقتات منها الغرب نفسه ، قبل عصر النهضة في اوروبا .

وبعد ، فانني أضع هذا العرض الموجز لذلك الكتاب الكبير ــ بغير إغراق في تفصيلات ــ بين يدي القاريء الكريم ، وهو في إجماله غني عن أي تعليق وتعقيب .

# الدين

## ضرورة حتمية

للاستاذ علي عبدالعظيم

الدين ضرورة نفسية واجتماعية ، الدين علاج نفسي ووقاية صحية ، لا الضوابط الخلقية ولا القانونية ولا العلمية مغنية عن الدين ـ لا بديل للعقيدة الدينية .
التدين نزعة فطرية ، وقد اعترف بهذا جمهرة العلماء المحدثين ، والخلاف بينهم انما يقوم على دراسة هذه الظاهرة وتطورها .
وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبلهم ، بنحو ثلاثة عشر قرنا ، وفي هذا أكبر الأدلة على أنه من عند الله ، وإلا فمن أنبأ هذا الرجل الأمي ، بحقيقة هذه المشكلة التي استنفدت طاقات العلماء المحدثين .
ومن الآيات القرآنية الحاسمة في هذا الموضوع ، قوله تعالى : **( واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا )** الاعراف / ١٧٢ .
واذا أخذنا بظاهر اللفظ ـ كما فعلت طائفة من المفسرين ـ فاننا نفهم من الآية الكريمة : ان الله سبحانه خلق الأرواح قبل خلق الأجسام ، وأنه أخذ عليها العهد بالايمان به ، فلما ظهرت إلى الوجود في أجسامها المادية ، كان عليها أن تفي بعهد الخلاق العظيم .
واذا ما أولنا الآية ـ كما أولتها طائفة من المفسرين ـ فاننا نفهم منها أن الله أودع في طبيعة النفوس البشرية نزعة الايمان العميق .
والآية في كلتا الحالين ـ تقرر أن النفوس البشرية منطوية على الايمان ، وأن كابر في هذه الحقيقة بعض المكابرين المعاندين .
وإلى هذا أشار الحديث الشريف : ( كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه ، او ينصرانه او يمجسانه ) رواه الطبراني والبيهقي .
وفي هذا الفصل ، نحاول الاجابة عن هذا السؤال : هل الدين ضرورة حتمية ؟ وهل هناك ما يحل محله أو يغني عنه ؟ وإذا كان غريزة ، فهل ينبغي لنا كبحها أو التسامي بها ؟
وقبل الاجابة عن هذه الاسئلة ، علينا أن نعرف ما هو الهدف الأساسي من الدين ؟
إن قوة الانسان محدودة ، ومداركه محدودة ، وأيامه على هذا الكوكب الأرضي محدودة ، وهو لا يدري من أين جاء ؟ ولا إلى اين ينتهي ؟ ولا يعرف كيف تم هذا ؟ ولا يدرك الحكمة من وراء كل هذا . والى هذا تشير الآية الكريمة : **( ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم )** الكهف / ٥١ . وهو ـ مع هذه الحيرة ـ يحس ـ في الكون الخارجي وفي قرارة نفسه ـ وجود قوة عظمى مهيمنة مدبرة : يمتد سلطانها دون قيود او حدود ، بحيث تشمله كما تشمل الأرض والسموات ، ويسيطر على الماضي والحاضر والمستقبل : القريب أو البعيد ، وهو ـ بفطرته الطبيعية ـ يلجأ اليها ملتمسا المعونة والتأييد ، والحماية من الشرور والآثام ، والأخطار المحيقة به ، المتجهة اليه من حيث يدري ولا يدري : يستوي في هذا جهال الأميين وكبار الباحثين ، وهذا هو جوهر العبادة

والتقديس .
والدين هو الذي ينظم هذه العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق والهدف الأكبر من العبادة ، هو تحقيق السعادة الممكنة في هذه الحياة وما بعدها للأفـراد والجماعات ، فاذا جردنا الانسان من عقيدته الدينية ، التي تمنحه العزاء عما يقاسيه من آلام لسلكناه في عداد الأنعام ، فتجعله حيوانا يأكل ويتناسل ، ثم ينفق ويتلاشى الى غير رجعة ،
فاي حياة يحياها هذا الانسان ؟
ندع الاجابة عن هذا السؤال الى كانت Kant أكبر فلاسفة العصر الحديث حيث يقول : لنأخذ حالة انسان فاضل : يجد نفسه خاضعا لالحاح الاعتقاد أنه لا يوجد إله ولا حياة أخرى وراء هذه الحياة ، فكيف يقدر مصيره الفردي تقديرا مستمدا من القانون الخلقي ، الذي يوحي اليه العمل ؟ إنه يرى أن ذلك الاعتقاد لن يجلب له أية فائدة شخصية لا في هذه الحياة ، ولا في حياة اخرى بطبيعة الحال ، بل إنه على العكس يرى ان إراداته يمكن ان تكون باعثة على الخير ، على حين توجه القوانين الأزلية جميع طاقاته فهو مجبر في كل افعاله ، ويجد آخرين ممن يحيطون به يخادعون ويغدرون ، ويستعملون العنف والقسوة ، على حين يكون ـ هو نفسه ـ أمينا مسالما ، ولا يعدم فيمن حوله بضعة افراد فضلاء مثله ، ولكنهم يتعرضون لقسوة الطبيعة التي لا تحفل بالقيم المثالية .. وبعد هذا يتساوى الجميع ـ اشرار واخيار ـ حينما يدهمهم الموت ، ويلقى بهم في قبور فسيحة بلا تفرقة ..
إنه لن يستطيع الاستجابة للقوانين الأخلاقية بسبب المصير إلى ظلام العدم اللانهائي ، وإذا اراد أن يتجنب هذا ، وجب عليه الأيمان بوجود خالق للكون هو الله ..
كما يقرر انه إذا كان للوجود الانساني قيمة ، فلا بد ان يكون للعالم غاية .. ولا بد من وجود سيد اعلى يشرع ـ من الشرائع ذات الأهداف المثالية ـ ما يتسنى به تحقيق الخير الأقصى تحت رعايته وسيطرته على الكون كله ، كذلك يقرر في بحث آخر قصور الارادة الانسانية عن تحقيق القانون الخلقي ، وأن الله ـ وحده ـ هو الذي تتحقق فيه الصلات المطلقة بين الارادة الالهية والقانون الخلقي .
وفي كلامه هذا ، ما يغنى عن الرد على من قالوا : إن القوانين الخلقية النابعة من الضمير حينما يلتزمها الانسان ، تغنيه عن العقيدة الدينية ، وإن القوانين الخلقية ، لا تقوم على مجرد السلطة المقارنة لها ، بل تقوم على إدراك ما يصاحب تطبيقها من منفعة ، وما ينشأ عن تركها من أضرار ، ولكن ، من الذي يحدد المنافع ويوضح الأضرار ؟ فكم من عمل ظاهره النفع أو ظاهره الشر ولكنه ينتج عكس ما توقعناه قال تعالى : ( **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون** ) البقرة / ٢١٦ وقد تكون المنفعة خاصة بالفرد ولكنها ضارة للمجتمع ، وقد تكون وقتية يعقبها شر كبير .

ويبالغ اميل دوركاتم فيرى في كتابه « التربية الخلقية » ان القاعدة الخلقية يجب ان يكون الباعث على احترامها واجب ، دون النتائج التي تترتب عليها .
وهذه احلام فلاسفة اذا فرضنا تحققها في بضعة افراد ممتازين ، فانها لا سبيل إلى تحقيقها في المجتمعات .
ثم لنا ان نتساءل عمن يضع القوانين الخلقية ؟
ان الفلاسفة قد اختلفوا وسيظلون مختلفين في تقييم الفضائل وتحديد الرذائل ومن يرجع الى تاريخ الفلسفة وعلم الاخلاق فسيرى طوفانا من الآراء المتضاربة المتشابكة التي تقود الى الفوضى والدمار .
وفي هذا يقول ديورانت ، ان الشك يبعث على التوقف والضيق ، والايمان يدفع الى البسط ، ويحسن الشهية والدورة الدموية ، والواقع ، أن كل متشكك يشكو معدته ، ان الاعتقاد امر طبيعي وهو ينشأ مباشرة من الحاجات الفطرية والعاطفية من التعطش الى حفظ الذات والثواب والصحية والأمن ، بل والخضوع ، وفي بعض الأحيان يغمرنا الشكر على النعمة ، حتى نود ان يكون لروح العالم آذان يسمع بها آيات شكرنا .
يقول نيتشة ان الطريقة التي تنقلب بها المصائب ، حظوظا حسنة ، اغرته بالاعتقاد في الله — ان الدين لم ينزع عن الموت ما فيه من ألم فقط بل ملأ الحياة جمالا بالطقوس والبناء والنحت ، والنقش والدراما .. لقد بدل مأساة الحياة الحقيرة الى رحلة شاعرية يحج فيها المرء إلى نهاية شريفة وبغير الدين ، تصبح الحياة سخيفة ..
.. والدين يؤدي الى استقرار الأسرة ، بما يربط افرادها به من روابط مقدسة ، ثم إلى استقرار الدولة تبعا لذلك .. إن ضعف الوازع الديني ، يؤدي الى انهيار خلقي يبدو واضحا في الانحلال الخلقي المتفشي الآن بين طوائف الخنافس والهيبز والوجوديين وجماعات الساخطين ، ومستعمرات العراة ، من أجيال مكتئبة تتقلب في القذارة الحسية والخلقية : مما جعل توماس هاردي يتساءل عن الكآبة المزمنة التي أخذت في الاستيلاء على الشعوب المتحضرة مع زوال اعتقادها في سلطة خيرة « يقصد بها سلطة الدين ومن هنا ، كانت مهمة علم الاخلاق قاصرة قصورا تاما عن أداء دور الدين : سواء بين الأفراد او الجماعات ويمتاز الدين ، بأنه يحدد الفضائل والرذائل تحديدا دقيقا ثابتا ، لا مجال فيه للبس ولا ابهام ،
والى هذا اشار الحديث الشريف : ( الحلال بين والحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ، ألا وإن حمى الله تعالى في ارضه محارمه ) رواه البخاري .
فالحديث الشريف يوضح الامور توضيحا دقيقا فهناك شعائر بينه ، أمر الله بها وهناك محارم واضحة ، نهى الله عنها ، وهناك امور لم يرد فيها تعيين دقيق يلتبس فيها الأمر على بعض المؤمنين فعليهم ان يسألوا فيها اهل الذكر كما أشار

القرآن الكريم ( **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ) النحل / ٤٣ .
والى أن يفتي فيها أهل الذكر فالاحوط في الدين ـ تجنبها ، اتقاء للشبهات ومن هنا اتضح الصراط المستقيم . ( **صراط العزيز الحميد . الله الذي له ما في السموات وما في الأرض** ) ابراهيم / ١ ، ٢ .
ومن أهم آثار الدين : انه يبدد الاحزان ، ويسوق العزاء . ويبتعث الآمال وييسر مشكلات الحياة ، ويبعث في النفوس الثقة والاطمئنان والأمان .
ولما كان القلق النفسي يدمر الحياة ، ويمزق النفوس ، ويجلب الأمراض النفسية والجسمية ، فان علاجه الوحيد ، هو بث الاطمئنان في النفوس .
والى هذا اشار العالم النفساني الشهير « هنري لنك » الذي اجرى ـ هو ومعاونوه ـ عشرات الالاف من التجارب النفسية على نحو عشرة آلاف شخص ، تلبية لطلب مؤسسة كاونيجي ، التي وضعت بين يديه مائتي ألف دولار ، وقد خرج من تجاربه بهذه النتيجة : « سجلت تقريرا شخصيا شاملا لكل فرد منهم ، وهنا بدأ إدراكي لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الانسان ووجدت من نفسي استعدادا لمضاهاة تجاربي السابقة على مرضاي ، بالنتائج الباهرة التي أتت بها تلك الاختبارات العظيمة ، التي توليت الاشراف عليها وقد استخلصت من هذه الاختبارات نتيجة هامة ولو أنها لم تنشر في التقرير النهائي ، وهذه النتيجة هي ان كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار للعبادة ، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له ، أو لا يزاول أية عبادة .
أليس هذا مصداقا لما قرره القرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرنا ، حيث يقول الله تعالى: ( **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ) الرعد / ٢٨ .
والاسلام يحض المؤمنين به حضا على توكيد الصلات الوثيقة بفاطر الأرض والسموات لانه مصدر الأمن والامان ويوضح التبادل المتوالي بين رحمات الخالق وعبادة المخلوقين ، فالله تعالى يقول : ( **فاذكروني اذكركم** ) البقرة / ١٥٢ . فالمسلم يذكر ربه ، وربه يذكره .
وقد وضح الحديث الشريف هذا الذكر حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن الله تعالى : ( يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي ، وانا معه إذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ) رواه الشيخان وفي حديث قدسي آخر اذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، واذا اتاني يمشي اتيته هرولة ) رواه البخاري .
والمسلم يقف أمام ربه مقيما الصلاة مناجيا له ، والله سبحانه يصلي هو وملائكته على عباده ( **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما** ) الاحزاب / ٤٣ والمحبة متبادلة بين الخالق والمخلوقين ( **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ) آل عمران / ٣١ فهو سبحانه

( **يحبهم ويحبونه** ) المائدة / ٥٤ وهو سبحانه راض عنهم وهم عنه راضون ( **رضى الله عنهم ورضوا عنه** ) التوبة / ١٠٠ .
ومن الطبيعي ان صفات الله من الذكر والصلاة والمحبة والرضوان ، هي رحمات منه متواليات يغدقها على عباده المؤمنين وأن صفات المخلوقين عبادات مرفوعة ، الى الله الجدير بالحب والعبادة والتقديس .
والنتيجة ان يتسامى الانسان من نطاق المادة الى الملأ الأعلى ، فيصبح جديرا بخلافة الله في أرضه وحمل أمانته بين خلقه ، واذا امتلأ قلبه بالايمان ، امتلأ بالسكينة والاطمئنان ( **هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** ) الفتح / ٤ .
واذا كان أهم مصادر القلق النفسي ، هو الحزن على ما فات أو الخوف مما يباغت به المستقبل فان المؤمن الصادق الايمان لا يأسى على ما فاته من حظوظ الدنيا ، لانه يعرف أن الأمور تجري بالمقادير كما ورد في الحديث الشريف ( واعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطأك لم يكن ليصيبك ) رواه الترمذي واحمد والحاكم ، وفي رواية ، زيادة « واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف ، رواه الترمذي .
وهذا مصداق لقوله تعالى : ( **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير.لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ) الحديد ٢٢ / ٢٣ . والمسلم يعلم انه اذا تعرض لمصاب فقابله بالصبر ، رفعه الله به درجات وكفر به عنه كثيرا من السيئات ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم ( **ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها ، الا حط الله تعالى له به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها** ) رواه الشيخان وقال صلوات الله وسلامه عليه ( ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة ) رواه مسلم وليست الشدائد مقصورة على بعض الناس دون بعض ، ولم ينج منها الأنبياء بل هم اشد الناس تعرضا للبلاء ليكونوا في صبرهم احسن قدوة للمقتدين وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم ( اشد الناس بلاء : الانبياء ، ثم الأمثل فالامثل : يبتلي الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ) رواه البخاري والمؤمن في ثقته بربه يعلم : ان مع العسر يسرا وان لكل ضيق فرجا وان الله مع الصابرين وان العاقبة للمتقين ( **ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ) الطلاق / ٢ ، ٣ ( **ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا** ) الطلاق / ٤ . وان الله اذا اختبر عبده انعم عليه ، وان نعمه عليه متوالية من قبل ومن بعد ( **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ) ابراهيم / ٣٤ وهو حينما يمتلىء قلبه بهذه المعاني ، لا يستطيع ان ينفذ اليه الخوف او الحزن ( **ألا إن**

**أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون )** يونس / ٦٢ فيفيض قلبه بالسكينة والأمان والاطمئنان ، فيحيا راضيا عن ربه مرضيا عنه منه **( يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية )** الفجر / ٢٧ و ٢٨ ، والقرآن الكريم يقرر في حزم ان المؤمنين يتلقون نصيبا من الثواب في الدنيا كما يتلقون الثواب الاكبر الدائم في الاخرة .

**( لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون )** النحل / ٤١ والملائكة موالون لهم في الدنيا والآخرة **( نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة )** فصلت/ ٣١ صادرة من الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة **( لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) يونس/ ٦٤ أما الكفار فلهم عذاب عاجل في الدنيا وآجل في الاخرة ( لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون )** فصلت/ ١٦ **( لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم )** البقرة/ ١١٤ .

فأي هدف سام يتطلع إليه الانسان في الحياة أكبر من الأمان والسكينة ، والاطمئنان في الدنيا والآخرة ، واي محذور يتقيه أخطر من الخزى والهوان فيهما .

وفي هذا بلاغ لأتباع المذهب المادي الذين يسخرون من وجود حياة أخرى للانسان ويرونها وهما من الأوهام ، يخدع به الأمراء والقساوسة ، الغالبية العظمى من الشعوب ليقنعوا بما هم فيه من فقر وشقاء ، وليتركوا نعيم الدنيا للقساوسة والأمراء والاغنياء .

ولهذا هتفوا : بأن « الدين أفيون الشعوب » .

واذا كانت المسيحية تجعل الفقر والزهد في الطيبات مثلا أعلى للمسيحيين ؛ فان الاسلام يحض المسلمين حضا : على الضرب في مناكب الأرض ، والسعي في سبيل الرزق ، والتمتع بطيبات الحياة ، دون إسراف أو كبرياء **( فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله )** الجمعة / ١٠ وقد خاطب الله انبياءه ، بهذا **( يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا )** المؤمنون/ ٥١ وأنكر على من حرم الزينة ودعا الى التقشف والحرمان **( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق )** الاعراف/ ٣٢ ومن على رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه أغناه بعد إملاق **( ووجدك عائلا فأغنى )** الضحى / ٨ .

وقد أنبأ الله عباده بأنه سخر لهم كل ما في الأرض : كل ما تضمه الأرض من سهول ووديان وبحار ومناجم **( هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا )** البقرة / ٢٩ **( وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه )** ابراهيم /٣٢/ ٣٤ وبهذا امتاز الاسلام على غيره من الديانات حيث وازن بين الروح والمادة ، وبين الواقعية والمثالية ، وبين الدنيا والآخرة **( وكذلك**

**جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس )** البقرة/ ١٤٣ .

ويذهب بعض الفلاسفة الى أن القانون يغني عن الدين ، لأن عقابه سريع لا ينتظر بعثا ولا نشورا ، ولأن عامة الدهماء تخشى العقاب الواقعي العاجل ، ولا تلقي بالا إلى العقاب النفسي ولا العقاب الآجل ، وما دامت عين القانون ساهرة قوية ؛ فان المجتمع يستطيع أن يعيش في أمن وسلام ، دون حاجة إلى دين يحميه .

والحقيقة أن كثيرين يخشون العقاب العاجل ، ويحبون النتيجة العاجلة . وإن كان وراءها شر كثير .

والى هذا أشارت الآية الكريمة( **كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة )** القيامة/ ٢٠ ، ٢١ وفات هؤلاء ، أن الله سبحانه ، يعجل جانبا من الثواب في الدنيا ، كما يعجل جانبا من العقاب فيها كما ذكرنا منذ قليل .

والقانون لا يعاقب الا على ما يظهر ويؤيده الواقع . وكثيرون من المجرمين يرتكبون جرائمهم ويخدعون رجال الامن ورجال القانون ، ويعيثون فى الأرض فسادا ، وكثيرون يسترون جرائمهم بالارهاب او بالرشاوي ، فلا يشهد عليهم أحد بهذه الجرائم ، لأنهم يخشون شرهم او يرجون بذلهم ، ولكن الله المطلع على الضمائر ( **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور )** غافر/ ١٩ فلا تخفي عليه خافية ولا يفلت من عقابه المجرمون ( **قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير )** آل عمران/ ٢٩ ( **وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله )** البقرة/ ٢٨٤ ( **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه )** البقرة/ ٢٣٥ .

والقانون يعاقب ولكنه لا يكافئ . ومن الناس من تخيفه العقوبة ، ومنهم من تجذبه المثوبة بل إن الفرد الواحد يتجاذبه الخوف والرجاء . والله سبحانه يثيب الطائعين ويعاقب المسيئين ( **ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم )** الانعام/ ١٦٥ .

وهناك جرائم لا يعاقب عليها القانون مثل الكذب والنفاق ، واكل الربا وشرب المسكرات ، والبخل والجشع ، وكنز الأموال ، ولكن الله يوعد عليها بالعقاب الشديد . لأنها جرائم تلحق أشد الضرر بالأفراد والجماعات .

ومواد القانون قد تكون ظالمة ، وقد تكون قاصرة ، وقد تحمي الطائفية والعصبية المذهبية والعنصرية في كثير من الدول ، وهي مع هذا ، غير ثابتة : تتغير من جيل الى جيل ، ومن مكان الى مكان ، ولكن الشعائر الدينية ثابتة مستقرة : بما تقرره من فضائل وما تحظره من رذائل . وهي قائمة على العدالة المطلقة والموازين القسط ( **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )** الزلزلة / ٧ ، ٨ .

والقانون يمثل سلطان الحاكم ، وربما كان هذا الحاكم ظالما أو بغيضا الى الشعب . وقد يحيطه الشعب بسخطه ويوجه اليه سهام النقد والسخرية ، ومهما

بلغت قوة الحاكم ، فهو محدود السلطة ، محدود العمر ، محدود المعرفة ، محدود الزمان والمكان ، أما الدين ، فيرد الأمور كلها الى حاكم عادل مطلق السلطان : لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يخفى عليه خافية ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، هذا الاله : وسعت رحمته كل شيء **( كتب ربكم على نفسه الرحمة )** الانعام / ٥٤ **( أعطى كل شيء خلقه ثم هدى )** طه / ٥٠ ، وهو **( الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى )** الاعلى/ ٢ ،٣ وهو ـ سبحانه ـ يشمل عباده بانعامه وإحسانه ، ويغمرهم بعطفه وبره وحنانه **( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها )** ابراهيم/ ٣٤ وهو تعالى **( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر )** البقرة / ١٨٥ وهو سبحانه ـ بفضله وكرمه **( غافر الذنب وقابل التوب )** غافر/ ٣ لا يعجل بالعقوبة ولا يسارع بالعذاب **( ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم )** النساء / ١٤٧ .

وحاكم الدولة : قد يجامل ويحابي ، وقد يتحايل ويتعصب ، ولكن الله سبحانه لا يجامل ولا يحابي ، ولا يتحامل ولا يتعصب ، **( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين )** الانبياء ٤٧ .

وحاكم الدولة قد يحتجب عن رعيته ، وراء الأسوار داخل نطاق الحراس الأقوياء ، ولكن الله قريب من عباده ، بل هو أقرب اليهم من حبل الوريد . **( وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان )** البقرة / ١٨٦ وهو سبحانه ـ يلبي دعوة من دعاه باخلاص وايمان **( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم )** غافر / ٦٠ فلا يحتاج المؤمن في اتصاله بربه الى شفيع أو وسيط .

ولما كانت الاخلاق والقانون لا يستطيع كلاهما ان يحل محل الدين ؛ في توجيه الأفراد وقيادة الشعوب فقد ظن بعض الباحثين أن تقدم العلوم وازدهارها ، كفيل بجلب السعادة للأفراد والمجتمعات ، بما يحله من مشكلات ، وما يقدمه من وسائل للترفيه والراحة ، والتمتع بلذات الحياة ، وزعموا أن العالم كان في بدء نشأته يحتاج الى الدين ، كما يحتاج الطفل الى المربي : يأخذه برفق ، ويوجهه بحزم . أما الآن فقد استطاع العلم أن يقرب الأبعاد ، ويلغي المسافات ويحمل الانسان : فوق الهواء ، وتحت الماء ، وعلى غمار الامواج ، وان يقتحم به الفضاء ويصل به إلى القمر ، ويتهيأ للوصول به إلى الكواكب الاخرى عن قريب ، وبهذا يصبح سيد الكون ، فلا حاجة به إلى سيادة سواه من آلهة وأرباب .

وفي هذا يقول اوجست كومت إن العقل مر بحالات ثلاث : حالة لا هوتية « دينية » ثم حالة ميتافيزيقية ( تجريدية ) ثم حالة واقعية ، ففي الحالة اللاهوتية ، يبحث العقل عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها ، فيخلع على الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الانسان ، ثم قاده ذلك إلى تعدد الآلهة ، ثم إلى التوحيد .

أما في الحالة الثانية الميتافيزيقية التجريدية ـ ففيها يرمي العقل إلى استكناه

صميم الأشياء وأصلها ومصيرها ويستبدل بالعلل الغارقة عللا ذاتية يتوهمها في باطن الأشياء مثل : القوى الفاعلية ، الجوهر ، الماهية ، النفس ، الحرية ، الغاية .. ويقوده هذا إلى الاعتقاد بقوى تتعدد بتعدد الظواهر مثل : القوة الكيميائية ، والقوة الحيوية .. ثم إلى إرجاع القوى العديدة الى قوة أولية ، هي « الطبيعة » وتبلغ هذه الحالة أوجها في مذهب « وحدة الوجود » الذي يجمع جميع القوى الميتافيزيقية في « الطبيعة » .

وأما الحالة الثالثة وهي الواقعية فان العقل يكف فيها عن التطلع الى الحصول على معارف مطلقة ويقصر همه على تعرف الظواهر الطبيعية واستكشاف قوانينها ، وترتيب القوانين فيها من الخاص الى العام ، ، وهنا ، تحل الملاحظة محل الخيال والاستدلال ، فيكون العلم محاولا الاجابة عن السؤال« كيف » ؟ « لا الاجابة عن السؤال » لم ؟ » وهذه الطريقة هي التي أفلحت في تكوين العلم وتقدمه . ويجب أن يحل العلم الذي تولد عنها ، محل الفلسفة ، ثم يذهب إلى أن هذه الحالات الثلاث ، تتوالى في الانسان ، فهو في طفولته ــ لا هوتي ، وفي شبابه ــ ميتافزيقي ، وفي نضجه ــ واقعي .

وبهذا حصر دائرة المعارف الانسانية ، في نطاق التجارب المادية الواقعية ، وعاق الانسانية عن التطلع الى القوى السامية المسيطرة على الكائنات والموجهة لها ، والتي تتجلى آثارها في الذرة كما تتجلى في المجرة ، والتي تجذب البشرية إلى المثل السامية والآفاق العليا للاتصال بالحق والخير والجمال ، فليست الحياة مقصورة على واقعها المادي ، فهناك طاقات عرفنا بعضها وجهلنا معظمها . وما علمناه لا يجاوز قطرة ماء بالنسبة إلى المحيطات ، وما دامت هذه الطاقات قوى باقية مسيطرة : تحركها قوة عظمى : تنسقها تنسيقا دقيقا ، فان الدين باق ، وإن جادل في هذا المجادلون .

وفي هذا يقول الدكتور ماكس نوردو : إن الاحساس الديني أصيل في الطبيعة البشرية : يجده الانسان غير المتمدين كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا ، وستبقى الديانات ما بقيت الانسانية ، وستتطور بتطورها ، وستتجاوب دائما على درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة .

على أن العلم لا يتناول الظواهر المحسوسة جميعها ، بل يقف حائرا أمام مشكلاتها جميعا .

والى هذا أشار القرآن الكريم ، في دقة بالغة الروعة ( **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ) الروم/٧ فهم لا يعلمون جميع الظواهر ، وإنما يعلمون ظاهرا ، ساقه القرآن منكرا للدلالة على ضآلته . ثم كرر الضمير ( هم ) : ( **وهم عن الآخرة هم غافلون** ) لابراز ضآلتهم ، على الرغم مما يتبجحون به من ادعاءات . .. وقرر هذا في آيات عديدة ، منها قوله تعالى : ( **وما يتبع اكثرهم الا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا** ) يونس/٣٦ وسخر من غرور العلماء الماديين فقال : ( **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما**

**يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين )** يونس/ ٣٩ وهنا ، تقرر الآية الكريمة : أن العلماء ، إن بلغوا مرتبة سامية من التجارب العلمية ، فان معارفهم ستظل محدودة ، وهم لا يحيطون ـ ولن يحيطوا ـ بكل شيء علما ، فالأمانة العلمية تقتضيهم ألا يكذبوا بما لم يصل الى علمهم ، لأن النفس ، يقتضي الاحاطة بكل شيء علما ، وهو ما لا يستطيع ـ ولن يستطيع ـ أن يدعيه أحد من العلماء ،

والآية تقدم الدليل على أن التقدم العلمي : يكشف كل يوم جديدا ، لم يكن معروفا . وأن هذه الكشوف ، ينبغي أن تحمل العلماء على التريث في إصدار الاحكام المطلقة ، ثم فيها إشعار بأن الله سيريهم من آياته الكونية وتأويلها ، ما يردهم إلى الصواب ، حيث تقول ( **ولما يأتهم تأويله** ) فان أداة الشرط« لما » تشعر بقرب الوقوع ، وهذا مصداق لقوله تعالى ( **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ) فصلت / ٥٣ وقوله تعالى ( **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** ) النمل/ ٩٣ .

كما أن القرآن الكريم ، يدعوهم إلى الاتعاظ بما حدث لمن كان قبلهم ، من الجاحدين المنكرين الذين بادروا بالتكذيب ، ثم كشفت الأحداث جهالتهم وقادتهم إلى سوء المصير ( **كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** ) .

على أن العلم ، إذا كان قد منح الانسانية رفاهية وتقدما ـ فانه أنزل بها من المصائب والكوارث ، ما حول حياتها إلى شقاء وجحيم وهلاك ، فان الانسان ـ أول ما عرف الذرة واستطاع تفجيرها ـ دمر بها المدن ، وأباد بها في ثوان معدودات مئات الآلاف ، ولا يزال التقدم العلمي يهدد الانسانية بالدمار والخراب ، والقضاء عليها القضاء الأخير ، ما لم ينقذها عاصم من الدين .

والشعوب الراقية علميا الآن ، يتعرض شبابها لألوان من الضياع والتمزق والدمار ، لأن قلوبهم ـ من الدين ـ خواء .

وهناك من المذاهب الحديثة ، ما يدعو إلى الفوضى والانحلال وعبادة الأهواء والشهوات : استجابة لبواعث السخط والتشاؤم ، والتحلل من كل نظام : كالوجودية والفوضوية ، وجماعات الساخطين ، والهيبز والخنافس .. وما يمثلها من جموح كالسريالزم ، والعبث والسخط واللامعقول .. وفي هذا انحدار للبشرية من مرتبة الانسانية الى احط درجات الحيوان وفي هذا يقول القرآن الكريم في استفهام إنكاري تعجيبي ( **أفرأيت من أتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله** ) الجاثية ٢٣ ويقول جل شأنه ( **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ) الفرقان/ ٤٣ ، ٤٤ فهم لا يستجيبون للأدلة المنطقية ، ولا للوحي

السماوي ، وهما يبلغان الأسماع ، وهم ــ مع هذا ــ قد ألغوا عقولهم ، فلا يفكرون . وبهذا انحدروا إلى مرتبة العجماوات ، بل هم أضل سبيلا ، لأن العجماوات تستجيب لغرائزها الفطرية ، التي تقودها إلى ما يحفظ عليها الحياة ، ولكن هؤلاء يدمرون حياتهم تدميرا بانغماسهم في الأهواء والشهوات ، وقطع جميع الروابط البشرية ، واقتراف جميع الرذائل والآثام ، وفي هذا قضاء ــ أي قضاء على الحياة **( ولو اتبع الحق أهواء هم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن )** المؤمنون / ٧١ **( ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين )** القصص/ ٥٠ .

ولهذا ، كان الدين ضرورة حتمية ، كما كان نزعة فطرية واقعية ، وان جحدها المكابرون ، وحسبنا أن نذكر ما قرره العالم النفسي هنري لنك ، بعد آلاف التجارب ــ من أنه « لا يوجد بديل كامل يحل محل تلك القوة الهائلة ، التي يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخلقي الآلهي في قلوب الناس » كما نضيف إليه ما قرره روبرت ملليكان العالم الطبيعي الامريكي » إن أهم أمر في الحياة هو الأيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الايمان سببا للحرب العامة ، واذا لم نجتهد الآن لاكتسابه ولتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية » ويقرر مالبراتش أنه « ما من شيء اذا تأملناه كما ينبغي ، إلا ردنا إلى الله وحينما نجح السوفييت في اطلاق مركبة الفضاء التي حملت جاجارين ، قال العالم السوفيتي المشرف على أبحاث الفضاء : « إننا ــ كلما أمعنا في استكشاف مجاهل الكون ــ ثبت لنا أن نظامه الرائع ــ في دقته ــ يجري وفق قوانين تبلغ ــ في كثرتها واختلاطها ودقتها ــ حدا يستحيل معه أن تكون قد وجدت بشكل جزافي ، أولعبت فيه الصدفة دورها ، بل لابد من أن يكون قد خلق كل هذا ، منظم ماهر !؟ فهو يعلن هذا ، على الرغم من سيطرة المادية الالحادية في روسيا سيطرة ترعاها الدولة ويكفلها القانون ..

وقد أهاب الدكتور ولسن ، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة . بالشعب الأمريكي أن يعود إلى الدين قبل فوات الأوان قائلا : « إن حضارتنا أن لم تنقذ بالمعنويات ــ فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ، وإنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مسامها . وذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا ، ومنظماتنا السياسية ، وأصحاب رؤس أموالنا ، وكل فرد خائف من الله ، محب لبلده .

ونحن نعلم أن فولتير ، ملحد شن حربا عنيفة على الدين ، وبخاصة المسيحية ، ولكنه حينما يتصور العالم بغير دين يرتاع قائلا » إذا لم يكن الله موجودا فينبغي أن نخترعه » وقد أعلن المارشال مونتجمري القائد العظيم ، الذي غير مجرى الحرب العالمية الثانية أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله ، سار على غير هدى . وأن خطر الانحطاط الخلقي في أفراد الجيش ، أعظم من خطر العدو ، ولذلك لا نستطيع أن ننتصر في معركة ، إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء ..

للأستاذ : أنور الجندي

ما يزال الفكر الغربي يطرح في آفاق الفكر الاسلامي سموما زاعقة ، وشبهات خطيرة ، ومفاهيم ضالة ، ويرجع فساد الفكر الغربي إلى أن الغربيين بعد أن عزلوا الدين حكموا العقل في ناحية ما وراء الطبيعة والضمير في ناحية الأخلاق .

ويخطىء العقل لأنه يختلف من إنسان لآخر ، ومن بيئة إلى أخرى ، ومن زمن إلى زمن ، ومن مكان لآخر ، ومن ثقافة لأخرى ، كذلك فان الاعتداد بالضمير خطأ ، لأنه يوحي بايحاءات مختلفة ، فالضمير ليس إلا أثرا للبيئة والثقافة والوسط الذي يعيش فيه ، ليس الضمير معصوما قط ، وإنها لفكرة خرافية أن يكون الضمير معصوما ، وإذا تخلص الضمير من سيطرة الدين فانه قد يوحي بالفساد ، وإذا كانت البيئة أوروبية فالضمير أوروبي ، وإذا كانت البيئة شرقية فالضمير شرقي ، ومن الواضح أن ضمير الأوروبيين لا يؤنبهم قط على سفك الدماء الذي يستبيحونه في كل قطر يسيطرون عليه ، بل هو يبيح السفك والتنكيل والاستعمار ، وليس هناك شيء ثابت مستقر معصوم اسمه الضمير ، وليس هناك قضايا يتفق عليها فيما وراء الطبيعة .

ومن أخطائهم دعوى رجال العلم بأن الانسان له حريته واستقلاله وخلوده ، وكان ذلك رد فعل لموقف الكنيسة ، كذلك كانت دعوة « سارتر » إلى حرية الفرد هي رد فعل الحرب العالمية الثانية وسقوط فرنسا ، إنهم يحولون بين البشرية والوصول إلى مفهوم الاسلام ، ويوجهونه إلى مفهوم العلمانية وهدم الدين .

ـ كذلك فان هناك فساد فكرة التطور في الدين والأخلاق ويعني مفهوم التطور في الفكر أنه ليس هناك قضية ثابتة وأن جميع القضايا الفكرية متطورة ومتغيرة ، وأن هذا التطور قد لا ينتهي عند حد ، وإذن فهناك النسبية باستمرار ، هناك النسبية المطلقة ، وهناك أيضا الخطأ المستمر ، وما دام هناك قول بالنسبية والتطور فليس هناك ثبات ، وإذن لا يكون هناك ثبات في الدين ، ولا يكون هناك ثبات في الأخلاق .

ومن أكبر أخطائهم فساد ادخال فكرة التطور في الدين ، فاذا فهمت فكرة التطور على حقيقتها ، وفكرة الدين على حقيقته ، فليس هناك مناص من الاقرار بأن الدين الحق لا يدخله التطور ذلك أن التطور الفكري هو تغيير من حال إلى حال ، وهو تغيير مستمر دائم ، ولا ريب أن الحقائق الدينية ثابتة ، لا تتغير بتغير الأهواء والعواطف .

- إن جذور الفكر الغربي المعاصر ( ماركسي ووثني وليبرالي ) هي صلب المسيح ، وتأليه الانسان ، والرهبانية ، والربا ، وعبادة الذهب ، ونظرية الأبوة ، وسقوط الغيرة إزاء المرأة ، وسقوط الرحمة إزاء الآباء والأسرة ، والتثليث ، وإنكار الآخرة والبعث ، وعبادة الأجساد ، وكل هذه المفاهيم تشكل النظريات الخاصة بالاجتماع والسياسة ، والثقافة والتربية والاقتصاد ، ومن هنا كانت الفوارق العميقة بين أصول وقيم ومقومات الفكر الاسلامي وأصول وقيم ومقومات الفكر الغربي ، وأبرز هذه المقومات أن الثقافة الاسلامية لم تعرف ذلك الانفصام الذي عرفته الثقافة الأوروبية بين الفلسفة والدين ، حيث لا يوجد في الاسلام انفصام بين العلم والدين ، أو بين الدين والمجتمع ، أو بين الدنيا والآخرة .

ومن هنا تأتي قضية الاقتباس : وهي قضية هامة وخطيرة بالنسبة للفكر الاسلامي المعرض اليوم لتحديات الفكر العالمي ( الوثني والمادي والماركسي ) والحقيقة الأولى في مجال الاقتباس أنه يؤدي إلى نقل النواقص التي يشكو منها أهل الفكر المنقول منه ، وهذه النواقص عندما تنقل الى بيئة أخرى قد تصبح أشد خطرا بكثير مما كانت في بيئتها الأولى .

والحقيقة الثانية : أن الأخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على الأصالة الاسلامية ، فاذا كان عاملا على القضاء على الذاتية الخاصة فانه مرفوض تماما .

- ولا ريب أن الحلول الوافدة قد جنت على أمتنا الاسلامية جناية كبرى ، حتى قيل : إنها بمثابة قتل الشعوب بغير إطلاق الرصاص ، وتتمثل هذه الحلول في الدعوات المسمومة إلى الاقلية والقومية العرقية والليبرالية والديمقراطية والماركسية ، ولدى المسلمين مناهج أكثر أصالة وأقدر على حفظ العطاء ، وعلى بقاء الأخوة الاسلامية الجامعة .

ولا ريب كم تكون النظرة ناقصة وغير قادرة على الاحاطة وعاجزة عن استيعاب الأمور عندما تكون قومية أو وطنية اقليمية ، أو عندما تكون أدبية ، ذلك أنها تكون جزئية وناقصة .

إن علينا تأصيل القيم العليا التي ورثناها عن الدين الحق ، والتي هي اساس وجودنا ، وإن أخطر الأخطار هي حجب الثقافة الاسلامية عن طابعها الأصيل المميز لها ، أو عزل الثقافة والفكر الاسلامي المعاصر عن جذوره وامتداداته منذ نزول القرآن ، وأخطر من ذلك الدعوة إلى ما يسمى ثقافة عربية حديثة مرتبطة بالفكر الغربي مع تجاهل كل ما يتصل بتاريخ أربعة عشر قرنا

ومن ذلك خطر التخيير الغربي للمسلمين بين الاسلام والعلمانية ، أو القول بأن الاسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية

والاجتماعية التي يواجهها العرب والمسلمون ، ولا ريب أن العلمانية التي يدعون إليها هي فراغ ، والفراغ لا يمكن أن يحمي المنطقة من الأخطار ، وأن الاسلام هو الحل الوحيد الذي يحمي الأقطار العربية ، لقد حمى الاسلام الأقطار العربية في الماضي ، وسيحميها في المستقبل ، فالاسلام هو السلاح الوحيد .

– إن الاسلام لم يحذر من شيء قدر تحذيره من التبعية والتقليد ، إيمانا بأن الاسلام له منهجه الأصيل ، ونظرته الواضحة ، لكل أمر من أمور العيش والحياة ، وثبات الشخصية والقيم في الاسلام لا يحول مطلقا دون تلقي أحدث معطيات العلم والفكر والمعرفة ، واستيعابها ، والترقي بها في مختلف مجالات النهضة ، والتقدم والحضارة ، ولقد كان المسلمون في مختلف العصور حتى في أشد العصور ضعفا وتخلفا – قائمين بالحق في وجه محاولة احتوائهم أو صهرهم في بوتقة الأممية ، وكانوا في أسوأ عهود الاحتلال العسكري والاستعمار السياسي غاية في اليقظة تجاه محاولة صهرهم في بوتقة الغرب ، وأخشى أن يكونوا بعد أن تحرروا من النفوذ العسكري والسياسي ، قد دخل عليهم إحساس خادع بالأمن بينما يدعونا الاسلام ونحن في أشد حالات القوة إلى الحذر الدائم ، والمرابطة في الثغور ، وهناك صيحة تحذير عامة صدرت من كثير من الناصحين تشير إلى أننا نفقد اصالتنا تدريجيا ، ونتنازل عن الصفات المميزة لنا يوما بعد يوم ، نتيجة غزو أسلوب العيش الغربي لنا ، وسيطرة قيم وافدة على مفاهيمنا وسلوكنا .

– إن قضية الاقتباس قضية مثارة ، ولكن لها محاذيرها ، فانها قد تؤدي إلى نقل النواقص التي يشكو منها ، ويسعى لازالتها المفكرون في البلاد التي أنشأت ذلك النظام ، وهذه النقائص ، عندما تنتقل إلى بيئة جديدة قد تصبح أشد ضررا بكثير مما كانت في بيئتها الأولى .

إن الأخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على أصالتنا ، ولا ريب أن المنهج العلمي الغربي تشادله كل يوم قداسة جديدة ، وبطولة زائفة ، ذلك لأننا وجدناه في أيدي الباحثين ، وخاصة المستشرقين والمبشرين ، يقوم على الهوى والتعصب ، ويحمل طابع استعلاء الغربيين بالجنس الأبيض وبالحضارة ، ويحمل طابع الانتقاص من حضارة الاسلام ، صاحبة الفضل الأكبر على الحضارة الحديثة ، ولا ريب أن المنهج العلمي الصحيح هو الذي قدمه الاسلام ، وكل منهج يدعي العلمية ، ولا يقوم على ضبط النفس ، والاخاء البشري ، والسماحة ، هو منهج زائف . ولقد واجهت المناهج والأيديولوجيات الغربية هزائم متوالية في التطبيق ، لأنها ( ١ ) عارضت الفطرة ( ٢ ) صانعت الأهواء والظنون ( ٣ ) لأنها لبشريتها لم تتمكن من الارتفاع إلى آفاق الايجابية والموالاة مع تحولات الزمن والبيئات ، ولا يقدر على ذلك إلا المنهج الرباني .

## بأقلام القراء

# مؤمنون حقا

**أرسل لنا الأخ الطبيب زكريا عبدالستار المزين من مصر رسالة نقتطف منها مايلي :**

من النماذج القرآنية في كتاب الله نذكر منها :ـ

( أ ) نموذج الفتى الشاكر في شخصية سليمان الذي قال عندما سمع كلام النملة وفهم عنها: « ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه » كما قال عندما احضر له عرش بلقيس :« هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم » .

( ب ) نموذج الحاكم او الملك العادل الذي لم يلهه ملكه عن عبادة ربه ، ورعاية شعبه ، في شخصية ذى القرنين الذي بلغ مطلع الشمس ومغربها ولكنه ظل متمسكا بالعدل : يكافيء المحسن ويعاقب المسيء ويقاوم المفسدين في الأرض ، ويقيم التحصينات والسدود مستعينا بالله اولا ثم بجهد الشعوب اخرا .

( جـ ) نموذج المبتلى الصابر والمصابر والمستعيذ بالله والراضي بالقضاء ، وراغب الشفاء والذي دعا رب العباد رافعا رأسه لرب السماء في شخصية ايوب :« إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب » .

( د ) نموذج الشاب الذي سجدت له دائرة الفلك الكونية ولم يعرف احد اسرارها ومدى تأثيرها في شخصية يوسف:« إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .

( هـ ) نموذج الشاب المفوض أمره لله ، والصابر لطاعة الله حتى قدم رقبته قربانا لله في شخصية الذبيح اسماعيل بن ابراهيم حيث قال له ابوه:« يابني إني أرى في المنام أنيّ أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » .

( و ) نموذج المؤمن الذي يكتم ايمانه لمصلحة ، فاذا جاء وقت الحاجة برز بايمانه ، يدافع عن الحق ويقاوم الباطل ويحاول بالحكمة ويؤثر بالموعظة ويدعو على بصيرة . في شخصية مؤمن آل فرعون .

( ز ) نموذج الداعية صاحب الرسالة يحكم عليه بالسجن ظلما ـ فينتهز كل

فرصة لدعوة السجناء الى توحيد الله واطراح الوثنية المحرفة في شخصية يوسف ابن يعقوب:« ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » .

( ح ) نموذج الابن المؤمن مخاطبا اباه قائلا له ماذا تلتمسه من عبادة الأصنام وكيف يتلطف معه في الدعوة وتبليغ الرسالة الالهية في شخصية ابراهيم وابيه:« إذ قال لابيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا » .

( ى ) نموذج المرآة المؤمنة وذلك يطالعنا قرآننا الكريم:« ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » وفي شخصية آسيا امرأة فرعون وزوجها الطاغية الجبار الذي:« فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى » وخديجة بنت خويلد حيث يجد الانسان الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا في كل شيء .

( ل ) نموذج لصاحب أشهر واعجب عصا في التاريخ والتي اذهلت الخلق عندما القى موسى عصاه :« وما تلك بيمينك ياموسى . قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى . قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ونموذج آخر لصاحب السفينة التي حملت من الخيرات والأنعام وفيها ما تشتهى كل نفس وما تنظر له كل عين من نفحات وعبادات:« قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

( ص ) نموذج الأمة التي لا تحترم نعمة الله ولا ترعاها ، ولا تقوم بحق شكرها ، فيسلبها الله منها ويسخط عليها ، وينأى بها عن سبيل الفضيلة ، ويوقعها في الهاوية:« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور » ؟

( ن ) ونموذج للاخلاق الفاضلة الحميدة الطيبة ونقتدي بها جميعا ، ونسير على خطوها ، ونرتكز على عقيدتها:« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نورا وهدى للعالمين فكانت أخلاقه قرآننا القويم ، بقوة اليقين في شخصه وروعة الايمان في نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاق الاسلام:« لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ان احسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تجتنبوا إساءتهم » وعنه قال لابن عباس: « ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك.تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة،واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف » هذه أخلاق رسول الله ، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق » وقال الله له « وإنك لعلى خلق عظيم » .

## الحجاب امر به الرسول

تسأل اخت مسلمة هل لها من مخرج فهي متدينة متمسكة بالحجاب ولكنها تحارب ويمنعها أهلها من ارتدائه ويقرون إظهار زينتها ولا حرج عندهم في ذلك ؟..

نقول لها لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فمهما كانت صلة من يمنعك من لبس الحجاب فليس له الحق في ذلك .

فالحجاب امر به الله سبحانه وتعالى وشدد فيه فقال : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن .. » الى آخر الآية الكريمة فقد تبين انها تنص صراحة على التزام الحجاب وهو ستر زينة المرأة فمن الافعال التي تلعن عليها المرأة اظهار الزينة ولقد بالغ الاسلام في التحذير من التبرج الى درجة انه قرنه بالشرك والزنى والسرقة وغيرها من المحرمات وذلك حين بايع النبي صلى الله عليه وسلم النساء ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال « جاءت اميمة بنت رقيقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الاسلام فقال ابايعك على ان لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الاولى » والتبرج هو إظهار الزينة .

وفي الحث على ذلك ايضا جاءت الاية الكريمة يقول الله سبحانه « يأأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم »

والقرآن الكريم يخاطب اولياء الامور يقول الله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا . وقودها الناس والحجارة » .

والحديث الشريف يؤكد ذلك « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... » الى آخر الحديث الشريف .

وعن عاصم الاحول قال .

« كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة »

فالزوج اذا رضي لزوجته عدم الحجاب وإبداء الزينة تلحقه لعنة الله لانه مأمور بتقويمها ونهيها عن المعصية وكذلك الوالد مأمور بتنشئة ابنائه على الطاعة ، والتبرج لا شك انه معصية .

فاستعيني بالله وتمسكي بما امر الله حتى تكوني محل رضاه ، وثقي ان الله لن يتركك وحدك لانك قد التجأت اليه ولن يضيعك ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

ونطلب لاهلك وذويك الهداية الى الصواب وان يكونوا عند حسن الظن ويحافظوا على نعمة الله فيك ويصونوها عن الاعين الضالة وما اكثر اصحابها .

وعليك الطاعة لهم وعدم الايذاء فقد اوصى الله بهم خيرا وامر بالاحسان اليهم لكن في غير معصية ، وكوني رفيقة بهم .

## كلمات لها معان

**وردا على سؤال حول كلمة « امة » فان الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة فمن معاني كلمة امة في القرآن الكريم نقول :**

تطلق كلمة امة ويراد بها الدين يقول الله سبحانه وتعالى « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » .

وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى « ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون » .

وقول الله سبحانه « ولقد بعثنا في كل امة رسولا » . وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون » اي بعد حين على اصح القولين .

وهكذا فانك تجد الفاظا كثيرة تؤدي معاني مختلفة وتلك صفة الكثير من الكلمات العربية .

## مع صحافة العالم

صدور الجزء الاول من الموسوعة الفقهية

# الموسوعة بكاملها ستضم ٥ آلاف مصطلح وتصدر خلال ١٠ سنوات

### كتبت جريدة القبس الكويتية الصادرة بتاريخ ١٤/١١/١٩٨٠ عن الموسوعة الفقهية تقول :

اصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت « الجزء الاول من الموسوعة الفقهية » الذي يشتمل على قسم كبير من حرف « الالف » بدءا من مصطلح « ائمة » حتى مصطلح « اجزاء » .

والاجزاء الاخرى مازالت قيد الاعداد والطبع ، حيث تتناول بسط الاتجاهات المختلفة في الفقه الاسلامي موزعة على نظريات رئيسية ومواضيع فرعية مرتبة ترتيبا أبجديا .

الجزء الاول ، وقد عرض في معرض الكتاب السادس ضمن جناح الوزارة ويتكون من نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير .

والموسوعة الفقهية من اهم مشروعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، لانها ستكون مرجعا ليس للكويت والامة العربية فحسب بل للامة الاسلامية ككل .

مراحل العمل

وقد بدأ العمل بها منذ عام ١٩٦٧ ، وجرى خلالها وفق خطوات متوالية اهمها :

- استخراج المصطلحات الفقهية الشاملة ( رؤوس المسائل وعناوين الابحاث ) ..
- دراسة المصطلحات ومدى صلتها بالفقه ، وفرزها بحسب حاجتها للبيان ما بين بحوث كبيرة او صغيرة ، او فرعية بحيث لا يترك مصطلح دون دراسة وافية او موجزة او دلالة للموطن المناسب لبحثه . وهذه هي الميزة الاساسية للموسوعة .
- تخطيط كل مصطلح بصورة اجمالية ثم تفصيلية ، ودراسة اللجنة العلمية لتلك المخطوطات لضمان التتنسيق والشمول .

- كتابة البحوث الأصلية داخليا من قبل الخبراء او خارجيا من قبل الفقهاء المستكتبين بالمراسلة وكتابة المصطلحات الصغيرة والفرعية داخليا من قبل الباحثين .
- مراجعة كل ما يكتب مرتين : خارجيا من الفقهاء المختصين ، ثم داخليا من اللجنة العلمية ، مع تدارك الثغرات .

٥ آلاف مصطلح

والموسوعة ، التي قد يستمر العمل فيها حتى نهاية الثمانينات ، يتوقع ان تضم نحو خمسة الاف مصطلح ، وان تصدر في نحو ثلاثين جزءا على دفعات ، اشباعا لرغبة طالبي العلم والمعرفة وتمكينهم من متابعة خطوات انجاز الموسوعة ، والافادة منها ، وتلبية للحاجة الماسة لسد الفراغ بالنسبة لاخراج الفقه الاسلامي في صورة موسوعية تواكب متطلبات العصر من حيث الشكل ، مع الحفاظ على جوهره المستمد من الكتاب والسنة من حيث المضمون .

وهذا العمل يشرف على اعداده نحو ١٥ خبيرا وباحثا ومساعدا علميا من علماء المسلمين من شتى الاقطار سواء من تيسر تفرغهم او بالتعاون الخارجي . وتعتمد الموسوعة على المذاهب الاربعة حيث اختيرت طريقة العرض حسب الاتجاهات الفقهية ، وتأتي المذاهب تباعا وبذلك تمثل جميع الاراء الفقهية .

اما بالنسبة للاجتهادات الحديثة والمعاصرة فانها تؤخذ بعين الاعتبار ويستفاد منها في الملحق المخصص للمسائل المستحدثة .

وهذا العمل الذي ستجري ترجمته الى عدد من اللغات الحية المنتشرة في البلدان الاسلامية غير الناطقة بالعربية ، ستكون له فائدة علمية كبيرة للباحثين ، والدراسات الاسلامية بشكل عام ، كما انه سيكون عونا لاية دولة اسلامية تسعى لوضع دستورها وقوانينها وفقا للشريعة الاسلامية ، حيث ستتضمن الموسوعة من المادة الفقهية ما يصلح لاستخلاص الاسس الاسلامية الصحيحة لذلك .

المشاريع المشابهة

ولا توجد في العالم الاسلامي سوى مشروعات قليلة شبيهة للموسوعة ، اذ لا يوجد رسميا حاليا سوى مشروعين مشابهين : اولهما في سوريا بكلية الشريعة حيث انطلقت فكرة الموسوعة وهي الان شبه مجمدة ، والثاني : موسوعة المجلس الاعلى بمصر ومضت عليها ١٨ سنة ابتداء من ١٩٦١ ، وينتظر ان تبلغ اجزاؤها ١٠٠ جزء اصدر منها ١٥ جزءا فقط . والاختلاف بين الطرائق المتبعة في كل من هذه المشاريع يسهم في خدمة الفقة الاسلامي بصور متعددة . وهناك تعاون قائم بين المشاريع على مستوى الجهات والافراد .

## محكمة العدل الاسلامية

وصفت صحيفة « ناواي وقت » الباكستانية المحافظة امس دعوة امير البلاد لايجاد محكمة عدل اسلامية ، بأنه اقتراح ايجابي ومهم .

« وقالت انه اذا ما تحقق ذلك رسميا ، فان من شأن محكمة كهذه ان تساعد في التغلب في الوقت المناسب ، على النزاعات التي قد تنشأ بين دول اسلامية واستئصال كافة الحروب ، كما هو الحال في الحرب العراقية الايرانية .

واضافت ناواي وقت ، في مقال لها بعنوان « محكمة العدل الاسلامية » ان انقسام الدول الاسلامية وتصنيفها وفق معطيات شتى ، كأن تكون دولا عربية او غير عربية تقدمية او رجعية مؤيدة لموسكو او للغرب ، ليس بالعقبة العادية ، ويمكن لمحكمة كهذه ، فقط ان تكون فاعلة وتتمتع بثقة كل دولة اسلامية ، وتقبل قراراتها دون ادنى تحفظ .

وقالت ان تنفيذ اقتراح سمو امير البلاد ، يتطلب عملا صعبا وبراعة سياسية وحذرا ، لكن اقتراح انشاء محكمة عدل اسلامية لا يمكن وصفه بانه خطوة غير عملية ، وذلك بعد تأسيس فروع المؤتمر الاسلامي ، مثل بنك التنمية الاسلامي .

## الاسلام حقيقة كونية

نشرت مجلة النور المغربية في عددها رقم ١٠٩ بتاريخ اكتوبر ١٩٨٠ كلمة حول هذا العنوان جاء فيها :

**حينما نقول : ان الاسلام دين الفطرة ، نقصد بذلك انه حقيقة كونية تؤلف منهجا ربانيا يتساوق وطبيعة الانسان في كل زمان ومكان ، يلبي اشواقها الروحية والمادية في حالة استوائها ، ويسارع الى تقديم العلاج لها في حالة انحرافها ، لذلك لا يجد الانسان حين تنفتح بصائره الا هذا الدين القيم خلاصا له من كل تمزق ، ومن كل قلق ، ومن كل كبد ،**

**لاجل ذلك تتوارد علينا الاخبار في مطلع كل شمس ، عن اهتداء الشباب والشابات في فرنسا وانجلترا واليابان واسبانيا ، وفي طول الارض وعرضها ،**

**كل هذا يؤكد ان الاسلام بما يحتويه من توازن في النظرة الى الكون والانسان والحياة ، وبما له من منهج رباني فذ يشمل كل جوانب الحياة ،**

**وان حركة الاهتداء الى البديل الاسلامي في اسبانيا لتبشر بالخير كل الخير . وان اقامة صلاة عيد الاضحى بقرطبة من طرف مسلمي ومسلمات اسبانيا بمشاركة اخوانهم المسلمين من اقطار العالم الاسلامي له دلالة عظيمة تذكر بمجد الاسلام في عاصمة الاسلام ، قرطبة ، التي كانت منارة تجود وتجود ، وتلتف حول اضوائها امم الدنيا بأسرها ، فتنعم بسخائها وجودها ( كتب الله لأغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز ) .**

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب ( ٣٥٨ )

ليبيا : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

السعودية :
جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : ( ٧٦ )
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

ابو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

**ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .**

# اقرأ في هذا العدد

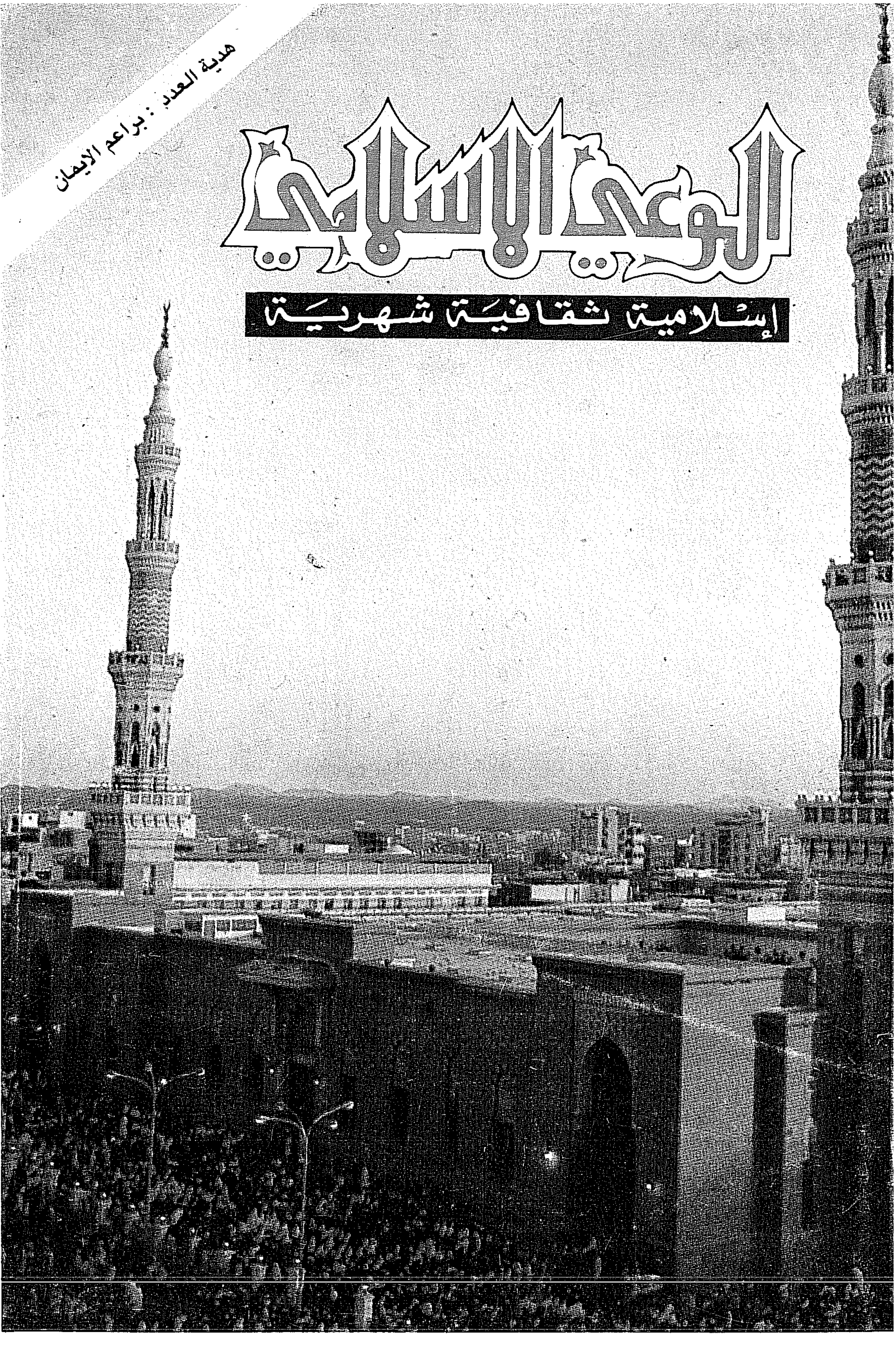


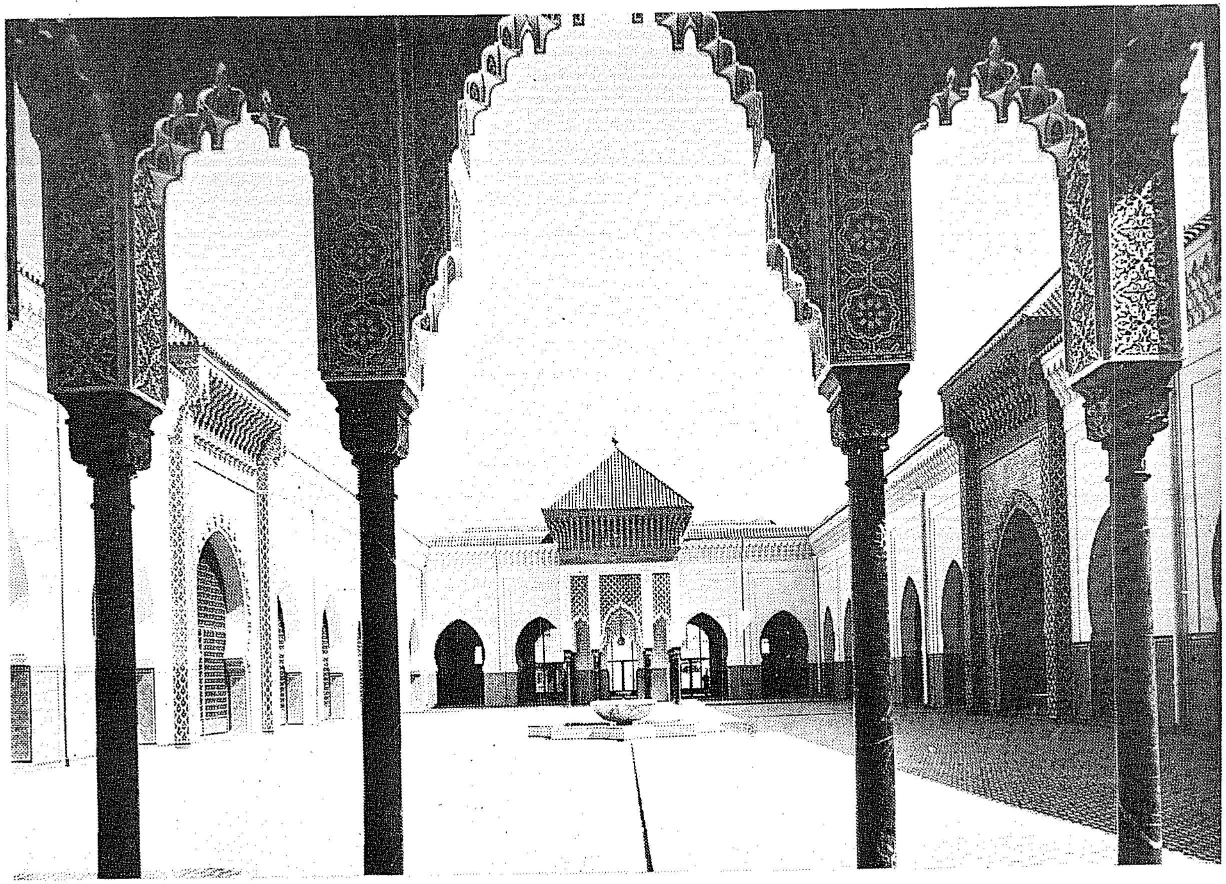
صورة الغـلاف : من المساجد الأثرية بلاهور ـ باكستان

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية





**من روائع فن البناء الاسلامي**

المسجد والمعهد الاسلامي بداكار ـ السنغال

# الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٥ ● ربيع الأول ١٤٠١ هـ ● يناير ١٩٨١ م


## هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١




## ● الثمن ●

| البلد | الثمن |
| --- | --- |
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

# الدولة الاسلامية

الشريعة الاسلامية التي انزلها الله تعالى على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج بها الناس من الظلمات الى النور، ويهديهم الى السلوك المستقيم في هذه الحياة، حملت في كيانها الخصائص التي تحقق هذا الهدف السامي، فكانت شاملة لكل شئون الحياة، من عبادات وعقائد واخلاق ومعاملات .. وهذا الشمول يقتضي ان يكون من احكامها وقواعدها ما يتعلق بنظام الحكم في الدولة، كمبدأ الشورى، ومسئولية الحاكم واحكام الحرب والسلم، والمعاهدات والعقوبات .. والدولة الاسلامية هي التي تقوم على تنفيذ هذه المبادئ والاحكام، بمقتضى ما لديها من قوة وسلطان، فتقيم المجتمع على العدل والانصاف، والنظافة والطهر، والعمل الشريف الجاد .. وفي رحاب هذا المجتمع يسهل على الفرد ان يقيم علاقته مع غيره على تلك المبادئ والاحكام، لان الانسان كائن اجتماعي، يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، فان كانت بيئة فساد وضلال، اتجه الفرد نحو الفساد والضلال، وان كانت بيئة خير وصلاح، اتجه الفرد نحو الخير والصلاح، ولذلك امر الله تعالى المسلم الذي يوجد في مجتمع لا يتمكن فيه من اقامة دينه، ان يهجر هذا المجتمع ويتحول عنه الى مجتمع رشيد، مادام قادرا على هذا الهجر والتحول قال تعالى: **( ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ) .**

فالدعوة الى الله يتذكر بها اولو الالباب، ويلوي عنقه عنها ارباب الفساد واعوان الباطل، وهؤلاء لايردعهم عن غيهم وينجي المجتمع من شرورهم، الا القوة الفعالة قوة الدولة الاسلامية، ورضى الله عن عثمان بن عفان، صاحب الحكمة الخالدة « ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ولما كانت اقامة الدولة الاسلامية امرا تستلزمه طبيعة الشريعة الاسلامية بدأ رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالاعداد لقيام تلك الدولة ، في بيعة العقبة الثانية ، التي تمت قبل الهجرة من مكة الى المدينة ، فقد وفد وفد من مسلمي المدينة ، عددهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، على مكان قريب من مكة ، سبق ان واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اللقاء فيه . وفي هذا اللقاء بايع هذا الوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما اشترطه ، وكانت البيعة عقدا صريحا بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم على انشاء دولة اسلامية تكون السلطة فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يلتزم المبايعون بالسمع والطاعة لرسول الله فيما يباشره من شئون تلك الدولة ، وان يلتزموا بنصرته والدفاع عنه ، وعن الدولة ونظامها .. لقد تكلم بعض رجال الوفد قائلين : يا رسول الله علام نبايعك ؟ قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان تقولوا لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة .. فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على ما اشترطه من هذه الشروط ــ البداية والنهاية لابن كثير

وعقب تلك البيعة التي خطط بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقامة الدولة الاسلامية ، امر اصحابه الكرام في مكة ان يهاجروا الى المدينة قائلا لهم : « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها » وبعد ان هاجر النبي واطمأن في المدينة وبني مسجده ، كتب كتابا بين المهاجرين والانصار يؤكد أواصر الود والمحبة بينهم حتى يكونوا سعداء وقادرين على مواجهة تحديات الاعداء ، وآخى بينهم ، حتى انهم كانوا يتوارثون بهذا الاخاء الى ان نسخ ذلك بأحكام المواريث .. ووادع اليهود المقيمين في المدينة وما حولها وابقاهم على دينهم واموالهم ، وعاهدهم فاشترط عليهم وشرط لهم ، وبهذا قامت اول دولة اسلامية في الارض ، وكان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم اول رئيس لها .. وما معاهدته مع اليهود الا مظهر من مظاهر السلطان السياسي لتلك الدولة .

ومن هذا ندرك ان قيام الدولة الاسلامية التي تؤمن بالاسلام وتعمل بأحكامه ، وتنفذ في الامة تعاليمه ، وتقود الامة في مواطن مكافحة الاعداء ومجاهدتهم ، امر يفرضه الله على المسلمين ، لتستقيم امورهم ، ويعزوا في ارضهم ، وتستقيم على الجادة امورهم ، وفي هذا يقول الحق جل شأنه لرسوله صلى الله عليه وسلم **( ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين ) .**

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# التقليد والمقلدون

## وآثاره في الأفراد والجماعات

( ١ )

من معاني التقليد في اللغة ، المتابعة للغير من غير فكر وتدبر يقال : قلد فلان فلانا ، أي فعل مثل ما يفعل ، دون أن يدرك حقيقة هذا الفعل ، وما ينجم عنه من آثار ، ضارة أو نافعة .

والتقليد غريزة في الكائن الحي ، حيث ينزع الصغير الى تقليد الكبير من بني جنسه ، فيتلقى عنه كل عاداته ، ثم ينقلها بدوره الى الجيل الذي بعده وهكذا ...

وتبدو هذه الغريزة واضحة في الانسان ، وبخاصة في الأطوار الأولى من حياته ، حتى اذا بلغ رشده ، واكتملت شخصيته ، أخذ يستقل شيئا فشيئا

للاستاذ/عبد الكريم الخطيب

بذاته ، مستخدما عقله ومعارفه ، وهذا ما يجعل كل إنسان عالما قائما بذاته ، دون ان ينفصل عن الجماعة في مسيرتها العامة .
يقول ابن خلدون ، في مقدمته :
« فصل في ان المغلوب مولع ابدا بتقليد الغالب في شعاره ، وزيه ، ونحلته ، وسائر احواله وعوائده » والسبب في ذلك أن النفس دائما تعتقد الكمال فيمن غلبها ، وانقادت له » .
فالمقلد انما يريد بتقليده لغيره ، أن يلحق به ، أو ينال بعض ما نال هذا الغير مما قصرت عنه يد المقلد له » .

وهذا التقليد إن يكن محمودا في حال ، فانه يكون مذموما في اغلب الاحوال فيحمد اذا احتفظ المقلد بذاتيته ، ودفعه ذلك الى الاخذ بالاسباب التي أخذ بها من قلده حتى بلغ المنزلة التي يريد اللحاق به فيها ... وهذا ما يشير اليه الشاعر في دعوته الى التشبه بعظماء الرجال ، إذ يقول :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال فلاح

ولكن حين يكون المقلد مجرد تابع لمن قلده ، لا يدري حقيقة ما يفعل ، ولا يقدر عواقب ما يأتي ، وما يدع من الأمور ، بل يعطل عقله ، ومدركاته جميعا ، ويسلم نفسه ليد من يقوده ولو الى الهلاك ــ حين يكون المقلد على هذه الصورة ، فان التقليد هنا يصبح شؤما وبلاء على صاحبه اولا . وعلى الجماعة التي يعيش معها ثانيا ... اذ لا يعدو أن يكون هذا المقلد شبحا لانسان ، وظلا لآدمي اشبه بالسراب : ( **يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا** ) سورة النور / ٣٩ ... ثم هو في الوقت نفسه مرض معد ينتقل الى غيره من اهله ومعاشريه ، الامر الذي من شأنه ان يقتطع اعدادا كثيرة من افراد المجتمع الذين عطلوا ملكاتهم ، وافنوا وجودهم ، فلا يرجى منهم جديد يضاف الى رصيد الجماعة في اي وجه من وجوه الحياة ... فاذا صارت الجماعة الى تلك الحال جمدت الدماء في عروقها ، وتداعت عليها دواعي الضعف والوهن ، واذا هي نهب لأطماع الطامعين من الأقوياء ... والله تعالى يقول : ( **ولقد كتبنا في الزبور من**

**بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون )** سورة الأنبياء / ١٠٥
والصالحون من عباد الله ، هم الاقوياء ، عقولا ، وارواحا ، واجسادا ، وهم بهذه القوى المتوازنة يكونون اقدر الناس على عمارة الأرض ، واستخراج ما فيها من خيرات ، بحكمة ووضع للأمور في مواضعها الصحيحة .

( ٢ )

واذا كان خطر التقليد الاعمى في مناشط الحياة ، داء قاتلا لآدمية الانسان ، مميتا لمنازعه ، مقيدا له بأغلال لا فكاك له منها ــ فان هذا الخطر يكون اشد بلاء ، واسوأ عاقبة ومصيرا ، اذا كان ذلك في محيط الدين ، وما تحمل شريعته وأحكامه من هدى ونور ، وما يكون وراء ذلك للمستقيمين عليها من سمو روحي ، ومن اشراق للبصيرة ، والتمكن من الادراك والفهم لما وراء كل امر من خير او شر ...

إن التقليد في أمور الدين ــ عقيدة وشريعة ــ يحجب عن المقلد كل ما يحمل الدين من خير لأهله ، الفاقهين له ، المتمسكين به ، حيث لا يرى المقلد في دينه ، الا كلمات يرددها من غير وعي لها ، او ادراك لمراميها ، اشبه بالببغاء وما يخرج من فمها من كلمات تسمعها ، فترددها كما سمعتها ، دون ان تفهم شيئا منها ، ولو كان فيها ما يحدث عن قتلها ... اما عبادات مثل هذا المقلد ، فهي مجرد اداء آلي ، ليس فيه اثر لحركة شعور ، او انفعال وجدان ، بل هي اشبه بما يأتي المنافقون والمراءون من عبادات ، يمثلون بها للناس انهم مؤمنون ، وما هم من الايمان في شيء ... وفيهم يقول الحق سبحانه : **( وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا )** سورة الفرقان / ٢٣ ...

( ٣ )

والسؤال هنا ، هو : كم من المسلمين من يتلقون عقيدتهم وشريعة دينهم عن تقليد مثل هذا التقليد الأعمى ؟

والحق ، أن المشاهد في جمهرة كبيرة من المسلمين أنهم يتلقون أمور دينهم وراثة عن آبائهم ، وعن متابعة للمجتمع المسلم الذي يعيشون فيه ، كما يتلقون العادات والتقاليد الشائعة في مجتمعاتهم الخاصة والعامة ، دون أن يرجعوا في هذا الى شيء من النظر ، والبحث والتدبر ، فيما يأخذون منها أو يدعون ! !

ولا شك أن أي عمل يعمله الانسان أو أي سلوك يسلكه ، وهو واقع في أسر هذا التقليد الأعمى ، يكون عملا آليا ، وسلوكا طفوليا ، لا اثر للعقل فيه ، ولا صلة للشعور به ، اشبه بالسلوك العشوائي للحمقى ، والبله ، والأطفال ...

ونحن اذ نقرر ان هؤلاء المقلدين من عوام المسلمين واشباههم ، هم حسنو

النية ، لا يخالطهم شيء من النفاق او الرياء ... ولكنهم ــ مع هذا ــ ملومون مقصرون في حق انفسهم ، وحق دينهم ، ذلك انهم ــ وهم على تلك الحال ــ يبخسون انفسهم حقها من الانتفاع بما يفيض به عليهم دينهم من خير عظيم ، وزاد كريم لدنياهم واخراهم جميعا ، لو انهم عقلوه ، وعرفوا حقائقه ومراميه ! !

وانه لكي يكون المسلم انسانا سويا ، ذا ارادة محكومة بعقل ، وناشئة عن بصيرة ووعي ، فقد جاءت دعوة الاسلام مفتتحة بهذا الأمر الكريم من رب العالمين ، الى من اصطفاه الله سبحانه لحمل رسالة الاسلام ، والى كل من استجاب لدعوته ... فكان هذا المفتتح هو قوله تعالى : ( **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ) سورة العلق / ١ ــ ٥

فهذه دعوة آمرة من الله سبحانه موجهة الى نبي أمي ، والى قوم أميين لم يعرفوا القراءة ، ولم يمسكوا بأيديهم قلما ولا قرطاسا ! !

وليست الدعوة الى القراءة محصورة في قراءة ما تكتبه الايدي وتخطه الأقلام في الصحف ، بل ان هناك قراءة أفسح مجالا ، وأوسع مدى ، واكثر علما ، هي القراءة في صحف الوجود ، والنظر المتدبر في كل ما ابدع الخالق سبحانه وصور ، ابتداء من الذرة الى المجرة ، وانطلاقا من الأرض الى السماء ...

وانه لنظرة من عقل واع وقلب سليم الى شجرة باسقة ، وما تحمل من زهر وثمر ، ثم رد النظر اليها مرة ومرة ، ومرات حتى يرتد النظر الى اصلها ، والى انها كانت حبة صغيرة يابسة ، ثم بعث فيها الخالق سبحانه ما احيا مواتها ، واطلق القوى الكامنة فيها حتى اصبحت ذات ظل ممدود ، وثمر منضود ــ ان نظرة كهذه لتهز كيان الانسان ، وتفتح مغالق عقله وقلبه الى الايمان بالخالق ، القادر المدبر الحكيم ، ايمانا يملك وجود الانسان كله ، في سره وجهره : ( **الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** ) سورة الملك : ٣ و ٤ .

فكيف اذا امتد بصر الانسان الى عوالم المخلوقات ، من الحشرات ، والطير ، والأنعام ، ثم الى عالم الانسان وما بين الناس من اختلاف الالسنة والالوان ، والمشاعر والاحاسيس ، والعلم والمعرفة ؟ ان الانسان ليجد نفسه في تلك الحال في قراءة متصلة لأسفار لا تنتهي ، وهو في مكان من الأرض وفي حدود دائرة بصره ، ومسبح خياله ! ! ثم كيف بهذا الانسان اذا نظر الى السماء ، وكواكبها ونجومها ، ومجراتها ؟ :( **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ) سورة آل عمران : ١٩٠ و ١٩١ .

ولقد نعى الله تعالى على اولئك الذين يهملون عقولهم ، ولا يستدعونها عند كل

آمر يعرض لهم ، في شئون دينهم او دنياهم ، وانزلهم منزلة دون الانعام ، وتوعدهم بالعذاب الاليم في نار جهنم ، فقال تعالى : **( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون )** سورة الاعراف : ١٧٩ .

ولهذا كان كل من الكفر والايمان محسوبين على صاحبهما بحكم ما له من عقل ، وارادة ومشيئة بما يقضي به عقله ، وتستجيب له نفسه : **( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر )** سورة الكهف / ٢٩ ... **( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي )** سورة البقرة / ٢٥٦ : ولقد تبين الرشد من الغي ، بما وهب الله تعالى الانسان من عقل ، وبما بث في هذا الوجود من آيات ناطقة بقدرته ، وعلمه ، وحكمته ، ثم بما بعث من رسل ، يذكرون من غفل ، ويهدون من ضل : **( لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما )** سورة النساء / ١٦٥ .

**( ٤ )**

ونعود بعد هذا لنسأل :

ما حكم هؤلاء المسلمين المقلدين في الدين ، من العوام واشباه العوام ، الذين يأتون ما يأتون من امور الدين في العقيدة ، وفي العبادة وغيرها ، عن انقياد مطلق ، وتقليد اعمى لمن قلدوهم ، دون ادراك ، اوفهم ، لما يأتون او يذرون ، من اقوال وافعال ؟

وهل يصح ــ مع هذا ايمانهم ــ وتقبل طاعاتهم وعباداتهم وهم على تلك الحال ؟

لقد اختلفت اقوال العلماء في صحة ايمان المقلد . اذ كان الايمان هو الركيزة التي يقوم عليها كل قول او عمل يصدر من الانسان ، وينزل منازل القبول من الله تعالى ، وانه بغير الايمان الخالص بالله ، لا يقبل قول او عمل ، وان كانا مقبولين من الذين يؤمنون بالله ، لأن غير المؤمن بالله نجس ، والله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ... والله تعالى يقول عن الكافرين واعمالهم : **( مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد )** سورة ابراهيم / ١٨ .

لهذا كان موقف العلماء من التقليد والمقلدين من المسلمين محتاجا منهم الى وقفات مستأنية فاحصة ، حتى لا يصدروا حكما يخرج المسلم من دينه ، ويقضي على اعماله بالبطلان ، من غير تثبت من دليل قاطع ! فمن العلماء من قالوا : بصحة ايمان المقلد ، اذا كان عاجزا عن النظر بعقله ... ومنهم : من يرى أن الاستدلال شرط لصحة ايمان المقلد ، وعلى هذا الرأي يكون ايمان المقلد من غير

بحث عن الدليل ، او دون مشاركة في البحث عنه ، غير صحيح . وممن يرى هذا الرأي الأ شاعرة ، وجمهرة كبيرة من العلماء من بينهم محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير المعروف .

والحق ان الأمر يقتضي شيئا من التحديد ، والتفرقة بين المقلد الذي لا يصح ايمانه ، والمقلد الذي يصح ايمانه ، اذ المقلدون جميعا ليسوا على سواء ، في عقولهم ومداركهم ، كما انهم ليسوا على سواء في موقفهم من المقلدين لهم ...

فهناك من المقلدين من هم اشبه بالاطفال في تقليدهم الكبار تقليدا آليا عشوائيا دون ادراك لما يرجى من وراء هذا التقليد ... ومثل هؤلاء الناس يعدون في عداد غير الراشدين ، الذين رفع عنهم التكليف ، فيلحقون بالبله والحمقى .

وهذا الصنف من المقلدين ، انما يسقط عنهم التكاليف ، اذا كان ذلك هو مستواهم العقلي ، الذي عاشوا به بين الناس ، وصحبهم في جميع تصرفاتهم ، من اخذ واعطاء ، وبيع وشراء ، والله تعالى يقول : **( لا يكلف الله نفسا إلا وسعها )** سورة البقرة / ٢٨٦ .

اما اذا كانت لهم عقول يحسنون التصرف بها في أمور معاشهم ، فاذا جاءوا الى امور دينهم لم يتكلفوا لها جهدا ، ولم يوجهوا اليها عقلا ، فهؤلاء لا يرفع عنهم التكليف ، بل هم مكلفون ومحاسبون على ما يكون منهم من كفر ، او شرك ، او تقصير في توجيه عقولهم الى فهم حقائق دينهم ،عقيدة وشريعة .

ولهذا يرى كثير من علماء المسلمين ، ان المسلم الذي معه عقل لا يكون مقلدا ، اذ يحمله عقله دائما على ان يفكر فيما يرى او يسمع ، وانه حين يتلقى أمور دينه من أهل العلم فأنه يدرك كثيرا مما يتلقاه ، وان خفى عنه الكثير ايضا ، الا انه في ممارسته لأمور دينه ، وفي اشتراكه مع جماعة المسلمين ، في أداء العبادات ، والمعاملات وغيرها ــ كل هذا يتدرج به شيئا فشيئا . الى مزيد من المعرفة بحقائق دينه ، وان حسب مع هذا من المقلدين ، اذ لا بد من ان تعرض له امور يحتاج فيها الى رأي اهل العلم ، فيفتونه بحكم الشرع فيها ، والله تعالى يقول : **( فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون )** سورة النحل / ٤٣ .

( ٥ )

واذن ، فانه يمكن ان يقال ــ بمقتضى هذا القول ــ : انه لا يكاد يرى في المسلمين مقلد في الايمان بالله ، وبرسوله ، وبأن القرآن كلام الله ، وبالبعث ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار .... اذ ان العامي حين يسمع الناس يقولون : ان للخلق ربا خلقهم ، وخلق كل شيء وهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، فاذا تكرر ذلك على اذنيه يوما بعد يوم ، ورأى ذلك مجمعا عليه من العلماء ، حكم بصحة ادراك هؤلاء لحسن ظنه بهم ، فاعتقد بما اعتقدوا به .

وبذلك يكون قد قام بالواجب عليه من الايمان بالله ، ولم يبق سوى الاستدلال ،

ولما كان مقصود الاستدلال هو الجزم ، وقد حصل الجزم والاعتقاد بمتابعة الاجماع ، وحسن الظن باهل العقل والعلم ـ فقام ذلك الاستدلال الضمني مقام الاستدلال الذاتي .

( ٦ )

وخلاصة القول في شأن التقليد والمقلدين من المسلمين ـ هو ان اصول العقيدة والشريعة لا يجوز التقليد فيها ، ولا يصح ايمان المقلد في تلك الأصول .
فالايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، لا يكون الايمان صحيحا بها ، الا باعتقاد جازم ، ولا يقع الاعتقاد الجازم ، الا مع ادراك وعلم ، وكذلك الشأن فيما افترض الله تعالى على المسلم من عبادات ، وما حرم عليه من محرمات فان اتيان هذه العبادات ، واجتناب المحرمات لا يكون الا بسلطان وازع من دين وعقل ، ولا يقوم هذا السلطان الوازع الا بعد علم وفهم ...
وقد توعد الله تعالى اولئك الذين اهملوا عقولهم ، وانقادوا لغيرهم من أهل الشرك والضلال ، حتى اوقعوهم في شباك الشرك والضلال ـ توعدهم الله تعالى بما توعد به قادتهم واهل الكلمة فيهم ، وساقهم جميعا مساقا واحدا الى جهنم وبئس المصير ... وفي هذا يقول الحق سبحانه : **( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار )** سورة البقرة / ١٦٦ و ١٦٧ ... ويقول سبحانه : **( وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد )** سورة غافر ٤٧ و ٤٨ .

( ٧ )

والذي يعنينا في هذا المقام ، ونحن نعرض التقليد الديني الذي اقتطع مجموعات كبيرة من المسلمين ، ان قيل بصحة ايمانهم فانهم مع هذا الايمان الفاتر البارد لا يرتفعون الى المستوى الانساني الذي ينبغي ان يرتفع اليه المؤمن الحق ، ولا يكون لهم في مجال النشاط العقلي والروحي اثر محمود يعود عليهم ، وعلى المجتمع الاسلامي ـ نقول : ان الذي يعنينا في هذا المقام ان ننظر فيه ، ونقف عنده ، هو تلك الطرق الصوفية التي ضمت تحت جناحها اعدادا لا حصر لها من عامة المسلمين واقامت من شيوخ الصوفية حكاما على التلاميذ والاتباع والمريدين ، قد تسلطوا على وجودهم المعنوي والمادي وعطلوا ملكاتهم العقلية ، وسلبوهم اراداتهم ومنازعهم ، واستهووهم بما يدعون من انهم قائمون على

خزائن رحمة الله ، لا ينال احد منها شيئا الا على ايديهم ممن يرضون عنه ، ولا يرضون الا عن من يسلم زمامه لهم ، ويكون بين ايديهم كالميت بين يدي من يغسله ! ! وتلك هي المادة الاولى في دستور التصوف ! !

وهذا ابن عطاء الله السكندري ، من كبار شيوخ المتصوفة ، يقول بالحرف الواحد على طريق القطع والجزم :

« من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان على غير دين » ( من كتاب : لطائف المنن » لابن عطاء الله ـ ص : ١٠٣ من الجزء الثاني » .

وهذا « محمد عثمان » شيخ الطريقة البرهانية ، والذي يقيم حاليا بالسودان ، وقد استهوى كثيرا من العامة في السودان ومصر ، وفي كثير من البلاد الاسلامية ، يقول هذا الشيخ الصوفي : « محمد عثمان » هذا الذي يقيم الحدود التي يجب أن يلتزمها الاتباع ازاء شيوخهم فيقول : « من آداب التلميذ مع شيخه أن يجلس عنده مجلس الجلوس للصلاة ! ! وان يفني في شيخه ، والا يجلس فوق سجادته ، وألا يتوضأ من إبريقه ... » ! !

ثم يقول شيخ الطريقة البرهانية ، في عظاته لمن يتتلمذ على شيخ صوفي :

« وليكن محضره في قلبك وخيالك ، فان غفلت عنه وقتا ، فهذا من مقتك ، واجتهد في أن تنال مقام العناء فيه » ( من كتاب الهبات المقتبسة لمحمد عثمان ) .

ونسأل : ماذا يبقى في قلب الانسان وعقله لله ، بعد هذا الذكر الدائم لشيخه والفناء فيه ؟ بل ماذا يبقى لهذا الانسان من وجود انساني ؟

هذا هو عالم المتصوفة ، وما يضم في دائرته من الوف الألوف من المسلمين ، الذين مسخت إنسانيتهم ، وعبدوا شيوخهم من دون الله ! !

وأين هذا من قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري ؟ ومن قوله : « قليل العلم ، خير من كثير العبادة » رواه الطبراني في الاوسط ؟

وأين يجد تلاميذ المتصوفة طريقا الى الفقه في الدين والعلم باحكامه ، وقد سلب الشيوخ عقولهم ومدركاتهم ، وأقاموا حجازا بينهم وبين النظر في انفسهم ، وفي ملكوت السموات والأرض ؟ يقول ابن عبد البر في كتابه : ( جامع بيان العلم وفضله ) ص : ٥ ـ « وقد اجمع العلماء على ان من العلم ما هو فرض متعين على كل مسلم في خاصة نفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية ، اذا قام به بعض سقط عن اهل ذلك الموضع ...

« والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ، ما لا يسع المسلم جهله من جملة المفترض عليه ، نحو الشهادة باللسان ، والاقرار بالقلب ، بأن الله واحد لا شريك له ، والشهادة بأن محمدا رسول الله ، وخاتم انبيائه ، وان البعث بعد الموت للمجازاة بالاعمال ، والخلود في الآخرة لأهل الايمان والطاعة في الجنة ، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في النار حق ... وان القرآن كلام الله وكل ما فيه حق من

عند الله ، يجب الايمان به ، وان الصلوات الخمس فرض ، ويلزم من علمها علم ما لا تتم الا به ، من طهارتها وسائر احكامها ، وان صوم رمضان فرض ، ويلزمه علم ما يفسد صومه ، وما لا يتم الا به ، وان كان ذا مال وقدرة لزمه فرضا ان يعرف ما تجب فيه الزكاة ؟ ومتى تجب ؟ وفي كم تجب ؟ ويلزمه ان يعلم بأن الحج فرض عليه مرة واحدة في دهره ، ان استطاع اليه سبيلا ... الخ ... » .

فهل يعرف تلاميذ المتصوفة ، وهم الوف الألوف شيئا من هذا ، وقد استفرغوا جهدهم كله في الولاء المطلق لشيوخهم ، والطاعة العمياء لما يشيرون عليهم به ، بالسنتهم او بايديهم او بأعينهم ورءوسهم ؟

وفي غير عالم المتصوفة كثير من العوام ، لا يكادون يعرفون عن دينهم شيئا الا ما يرددونه على السنتهم ، وما يأتونه من اعمال ، اخذوها عن تقليد ، دون نظر او تدبر ، او فهم !

ومع هذا فان كل اولئك وهؤلاء اعضاء في الجسد الانساني الاسلامي ، ترعى فيها آفات الجهل والغفلة ، بحيث لا تؤدي وظيفتها في هذا الجسد ، بل تعوق حركته ، وتوقف مسيرته وانطلاقه الى العمل لما فيه عز الاسلام ، واعلاء كلمة المسلمين . ان الامر خطير ، يحتاج الى موقف جاد حاسم ، من اهل العلم والفقه ، من ذوي الغيرة على الاسلام ، والمسلمين ، ليقولوا كلمة الحق واضحة صريحة في التقليد والمقلدين في دينهم ، وفي الآخذين دينهم من افواه غيرهم ، دون نظر في كتاب الله وسنة رسوله ...

وانها لامانة اوجب الله على اولى العلم من المسلمين حملها ، واداءها ، كما امر الله تعالى في قوله سبحانه : ( **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ) سورة آل عمران / ١٠٤ ... وكما يقول رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه : « ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، كان الرجل يلقى الرجل ، فيقول : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله ، وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ... كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق اطرا ، او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم » رواه ابو داود .

***

٨

المشاهد في عالم الأحياء ، من انسان وحيوان ، ان الصغار يقلدون الكبار ، ويحذون حذوهم في الحركات والسكنات ، وفي نقل الأصوات ، والاشارات ، بحيث تنعكس صورة الكبار على الصغار ، مثل انعكاس الصور في المرآة !!

فاذا بلغ الصغير قدرا معينا من العمر ، أخذ يستقل بشخصيته ، منفقا مما تلقاه تقليدا عن كباره ، دون ان يتكلف لذلك جهدا ، أو يبذل طاقة ، حيث يكون أمرا غريزيا كما هو في عالم الحيوان ، الذي لا تضيف أجياله المتتابعة أية إضافة جديدة عما كان عليه الجيل الأول ، مما يعرف بالتطور .

أما في عالم الانسان ، فانه وإن توارثت الأجيال اللاحقة شيئا من الأجيال السابقة ، فان هذا الميراث يدخل عليه شيء كثير من التحوير والتعديل ، والاضافة والحذف ، جيلا بعد جيل ، ومن هنا كانت تلك التطورات الظاهرة من جيل إلى جيل ، حيث يضيف كل جيل إضافات جديدة إلى ما خلفه الجيل أو الأجيال السابقة ، وبهذا علا صرح الحياة الانسانية ، وقامت تلك المدنيات والحضارات ، بكل جديد من مواليد العلوم والفنون ، وما أثمرت من مخترعات مذهلة تمكن بها الانسان من تسخير قوى الطبيعة ، من بخار ، وكهرباء ، ومن تفجير الذرة الذي فتح للناس طريقا ممهدا إلى عوالم السماء ، وغزو الكواكب والأقمار .

ولو وقف الانسان عند موروثات الآباء والأجداد ، لما تقدم خطوة إلى الأمام ، ولكانت مسيرته على مستوى واحد لا يتغير أبدا ، من الأب الأول آدم ، إلى اليوم ، وإلى ما بعد اليوم .

٩

وإذن ، فالانسان الذي يتغذى عقله من معطيات المجتمع الذي يعيش فيه ، ثم لا يحاول أن يضيف إلى هذا الغذاء شيئا من ذات نفسه ، هو أقرب إلى عالم الحيوان منه إلى عالم الانسان ، لأن من شأن الانسان السوى أن يكون ذا شخصية متميزة عن غيره من الناس ، بما له من خصائص عقلية ، ووجدانية ، وروحية ، وإن كان ذلك لا يخرجه من عالمه الانساني ..

فالناس جميعا ، على كثرة أعدادهم ، واختلاف أزمانهم وأوطانهم ، لا يكاد يقع التشابه بين اثنين منهم تشابها مطلقا ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ( **ومن**

**آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين )** الروم/٢٢ .

١٠

وإذا كانت المتابعة للغير في الأقوال والأفعال مما يقتل في الانسان روح الابتكار والتجديد ، بل يأتي ما يأتي من الأقوال والأفعال بصورة آلية خالية من كل أثر ذاتي له ، فان هذه المتابعة للغير في أمور الدين ، وفيما يأتي المتدين من طاعات وعبادات ، هى أعظم خطرا ، وأسوأ عاقبة من المتابعة والتقليد للغير فيما يتصل بأمور الدنيا العارضة ، إذ كان الدين في صميمه هو السلطان القائم على الناس ، والمؤثر في كل منشط لهم في أمور الدين والدنيا جميعا ..

وإن الدين لا يقوم في كيان الانسان مقاما صحيحا ، إلا إذا اتصل بعقل الانسان ، وخالط مشاعره ، وانسكب في وجدانه ، فكان قوة موحية له بكل قول يقوله ، أو عمل يعمله ، وإلا جاءت كل أقواله وأعماله ، على صورة عشوائية ، لا يقوم عليها من الدين سلطان ، ولا يكون لها من مغارس الدين زهر أو ثمر ، أشبه بأعمال الذين كفروا بربهم ، الذين يقول تعالى عنهم وعن أعمالهم : **( مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد )** سورة ابراهيم/١٨ .

١١

ونسأل بعد هذا : كم من المسلمين اليوم من أولئك الذين يتلقون أمور دينهم وراثة عن آبائهم ، وعن المجتمع الذي يعيشون فيه ، كما يتلقون العادات والتقاليد الشائعة في مجتمعهم الخاص والعام ، دون أن يرجعوا في هذا أو ذاك إلى شيء من البحث والنظر والتدبر ، فيما يأخذون أو يدعون ، مما أمر الله تعالى به ، أو نهى عنه .

ولا شك أن أي سلوك يسلكه المتدين في تلك الحال يكون سلوكا غير صادر عن وعي له ، أو شعور به ، ومن هنا لا تكون له ثمرة يحصل عليها المتدين في أمور دينه أو دنياه ، لأنه عمل عشوائي ، أشبه بأعمال الحمقى والبله ، والأطفال .. ولقد دعا الله سبحانه إلى النظر والتدبر فيما خلق ، ليتعرف الانسان إلى ربه ، وإلى بدائع قدرته وحكمته ، ولتتوثق صلته بربه ، فيقول سبحانه : **( أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها**

**وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ) سورة ق/٦ ـ ٨ ، كما نعى سبحانه على أولئك الذين أهملوا عقولهم ، فلم يستدعوها عند كل أمر يعرض لهم ، فكانوا دون الأنعام منزلة ، فيقول جل شأنه فيهم : ( **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ) سورة الأعراف/ ١٧٩ .

ولهذا كان كل من الكفر والايمان محسوبين على صاحبهما بحكم ماله من عقل وإرادة . وإليه الأخذ بالدليل أو تركه ، فيقول سبحانه : ( **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ) سورة الكهف/ ٢٩ ..

١٢

ومن هذا التقليد الأعمى ، الذي شاع في المجتمع الاسلامي ، منذ عدة قرون ، دخل الضعف والوهن على الأمة الاسلامية ، وتدسس إلى المسلمين أعداء الاسلام ، والمتجرون بالدين ، ينشرون بينهم البدع والخرافات ، ويمكنون لها في مشاعرهم ، لتحل محل الدين الصحيح ، وشريعته الغراء .

وبهذا تحولت حال الأمة الاسلامية التي أخلت يدها من كل ما كان لها من أمجاد ، بما مكن الله تعالى لها في الأرض ، يوم كان المسلمون على علم بدينهم ، وعلى ولاء مطلق له ، فعزت دولتهم ، وسادت أمتهم ، حين نصروا فنصرهم ، وحين كانوا جند الله في الأرض ، فكتب لهم الغلب ، كما يقول تعالى : ( **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ) سورة الحج/ ٤٠ و٤١ .

هذا ولن يعود إلينا ما سلبت الأيام والأحداث من أمجاد ماضينا ، وعزة أسلافنا ، إلا إذا عدنا إلى الله ، وإلى دين الله ، على هدى وبصيرة ، وعلى علم ووعي بحقائق هذا الدين ، وأحكام شريعته ، فعبدنا الله على هدى وبصيرة ، مخلصين له الدين ..

عندئذ يتحقق لنا ما وعد الله تعالى به ، في قوله سبحانه : ( **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ) سورة النور/ ٥٥ .

١٣

ثم لنسأل بعد هذا : ما حكم المقلدين في الدين ، الذين يأتون ما يأتون من عبادات وطاعات وقربات ، متابعين لغيرهم دون فهم صحيح ، وإدراك سليم لما

يأتون من تلك العبادات وهذه الطاعات والقربات ؟ وهل يكون لهم حظ من آثارها الطيبة المرجوة منها عند الله ؟ وهل يكون إيمانهم صحيحا مقبولا عند الله ؟

لقد اختلف العلماء في صحة ايمان المقلد ، وفرقوا بين ما يجوز التقليد فيه ، وما لا يجوز ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ! فمنهم من قال بصحة ايمان المقلد في دينه ، إذا كان عاجزا عن النظر فيه بعقله !!

ومنهم من يرى أن الاستدلال والادراك الذاتي شرط لصحة الايمان ، وعلى هذا يكون ايمان المقلد من غير بحث عن الدليل ، أو مشاركة في البحث عنه ، غير صحيح ، وممن يرى هذا الرأي ، الأشاعرة وجمهور كبير من العلماء ، من بينهم ، محمد بن جرير الطبري ، صاحب التفسير المعروف .

والحق أن الأمر يقتضي شيئا من البيان والتحديد للمقلد الذي يصح إيمانه ، والمقلد الذي لا يصح منه هذا الايمان .. إذ المقلدون ليسوا على مستوى واحد في موقفهم من المقلدين لهم ..

فهناك من المقلدين من هم أشبه بالأطفال في تقليدهم للكبار تقليدا لا شعوريا من غير إدراك لما يرجى من وراء هذا التقليد . ومثل هؤلاء المقلدين يعدون في عداد غير الراشدين ، الذين رفع عنهم التكليف ، فيلحقون بالبله والحمقى : ( **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ) سورة الاعراف/ ١٧٩ .

وهؤلاء المقلدون ، إنما يسقط عنهم التكليف ، إذا كان ذلك هو مستواهم العقلي الذي يعيشون به ، والذي يصحبهم في جميع تصرفاتهم الدنيوية وتبادل المنافع مع الناس .

أما إذا كانت لهم عقول يحسنون بها التصرف في أمور معاشهم ، فاذا جاءوا إلى أمور دينهم لم يتكلفوا لها جهدا ، ولم يوجهوا إليها عقلا يعرفونها به ، فهؤلاء لا يرفع عنهم التكليف ، ولا يقبل منهم التقليد ، بل هم مكلفون ، ومحاسبون على ما يكون منهم من تقصير في توجيه عقولهم إلى فهم حقائق دينهم ، الذي لابد لفهمه من توجيه العقل إليه ، وإرواء القلب من ينابيعه العذبة الصافية .

ولهذا يرى أكثر العلماء ، أن المسلم الذي معه عقل يعيش به في الناس ، ويشاركهم حياتهم لا يكون مقلدا في أمور دينه ، إذ يحمله هذا العقل على أ ن يفكر فيما يرى أو يسمع ، ثم يأخذ طريقه حسب وعيه وفهمه ، ثم إنه إذ يتلقى أحكام دينه من أهل العلم ، فانه يدرك كثيرا مما يتلقاه ، وإن خفي عليه الكثير أيضا ، إلا أنه في ممارسته لأمور دينه ، وفي اشتراكه مع جماعة المسلمين ، في أداء العبادات ، وفي المعاملات وغيرها ، كل هذا يتدرج به شيئا فشيئا إلى مزيد من المعرفة بحقائق دينه ، وإن حسب مع هذا من المقلدين ، إذ لابد أن تعرض له أمور يحتاج فيها إلى أهل العلم ، الذين يستفتيهم فيفتونه بحكم الشرع فيما يسأل عنه .

وإذن ، فانه على هذا المفهوم يمكن القول بأنه لا يكاد يرى مقلد في الايمان

بالله ، وفي أن القرآن كلام الله ، وفي البعث والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، إذ أن « العامى » حين يسمع الناس يقولون : إن للخلق ربا خلقهم ، وخلق كل شيء ، وهو الذي يستحق العبادة وحده ، لا شريك له ، ثم إذا تكرر ذلك على أذنيه يوما بعد يوم ، ورأى أن ذلك مجمع عليه من العقلاء ، حكم بصحة إدراك هؤلاء ، لحسن ظنه بهم ، فاعتقد بما اعتقدوا به ، وبذلك يكون قد قام بالواجب عليه من الايمان ، إذ لم يبق سوى الاستدلال ، ولما كان مقصود الاستدلال هو حصول الجزم ، وقد حصل الجزم والاعتقاد ، بمتابعة الاجماع ، وحسن الظن بأهل العقل والعلم ، فقام ذلك الاستدلال الضمني مقام الاستدلال الذاتي ..

١٤

ونقول : إنه إذا صح القول بصحة إيمان مثل هذا المقلد ، فانه يظل مع هذا غير أهل لأن يحصل الكثير من خير الايمان ، لأن التقليد بغير فهم وإدراك لا يزال مسيطرا عليه...

ثم أين من المقلدين في زماننا هذا من يعني نفسه بالبحث عن العالم الذي يستفتيه فيما أغلق عليه فهمه ؟ إن أكثر المقلدين يأخذون دينهم على ما قلدوا من مجتمعهم الذي أكثره مقلدون ، قد خف ميزان الدين عندهم ، فلم يطلبوا حقائقه ، ويستيقنوا أحكامه !! وإنه لظالم لنفسه ، مقصر في أمر دينه ، سالك بنفسه مسالك التيه والضلال ، معرض دينه لأن تدخل عليه البدع والضلالات من المبتدعين والمضللين ــ من وقف عند حد التقليد في دينه ، ولا يطلب المعرفة ، بوعيه وفهمه ، وبمشاركة أهل العلم علمهم ، والرجوع إلى أهل الذكر منهم فيما اشتبه عليه ، والله تعالى يقول : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ سورة النحل/٤٣ . ويقول سبحانه داعيا إلى رد ما يرد على الناس من أمور ، لا يعرفون وجه الحق منها ، ولا يردونها إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ، فيهلكون ويهلكون ، يقول سبحانه في هؤلاء : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا** ﴾ سورة النساء/٨٣ . وأولو الأمر في هذه الآية الكريمة ، هم أهل العلم ، والفقه لدين الله ، والنصحة للمسلمين .

وإنه لواجب على أهل العلم أن يكشفوا حقائق الدين للعوام وأشباه العوام من المسلمين ، وأن يقوموا مقام رسل الله فيهم ، بالدعوة إلى الحق ، وإزالة الشبهات ، وفضح البدع ، والله تعالى يقول : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ سورة آل عمران : ١٨٧ . والذين أوتوا الكتاب في الآية الكريمة ، هم أهل العلم بما أنزل الله من كتاب ، ومن حق هذا العلم عليهم ان يبلغوه إلى الناس كما علموه ، وإلا كانوا في معرض المؤاخذة والعقاب من الله تعالى .

١٥

وقد توعد الله تعالى أولئك المقلدين ، الذين لم ينظروا فيما يقلدون ، فانساقوا وراء مقلديهم الذين رموا بهم في متاهات الضلال ــ لقد توعدهم الله ، بما توعد به أولئك الذين قلدوهم وأخذوا طريق الضلال معهم ، فقال تعالى : **( إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار )** سورة البقرة/ ١٦٦ و١٦٧ ، وقال سبحانه مخبرا عما يكون بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة من ملاحاة ، وتقاذف بالتهم : **( وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص )** سورة ابراهيم/ ٢١ . وقال سبحانه أيضا : **( ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين )** سورة سبأ/ ٣١ و٣٢ .

١٦

ونعود لنسأل هذا السؤال الذي سألناه آنفا ، وهو : كم من المنتسبين إلى الاسلام منذ أخريات العصر الأول للاسلام ، قد زهدوا في عقولهم ، واستغنوا عنها في التعرف على دينهم ، حتى تحولوا إلى جماعة من العميان ، أسلموا قيادهم لأهل البدع والأهواء ، يقودونهم إلى حيث يشاءون ، كما يقود الجزار بهيمته إلى المذبح ؟ إنهم اليوم كثيرون ، وكثيرون جدا في كل مواطن الاسلام ، قد ركبوا طرقا مختلفة ضالة ، من تلك الطرق التي أشار إليها رسول الله في قوله الكريم : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » قيل من هي يارسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » !! رواه احمد .

إن فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة هي التي على دين الله القويم ، أما بقية هذه الفرق فهي في متاهات الضلال ، كل فرقة منها يقودها الشيطان بعيدا عن صراط الله المستقيم ..

وأحسب أن حالنا اليوم قد تحقق فيها مصداق الحديث النبوي ، حيث تعددت الفرق التي لم تمسك من الاسلام إلا باسمه ، دون أن يكون معها شيء من حقائقه .

وليس لذلك من سبب إلا التجافي للعلم ، والاستخفاف بالعقل ، وليس وراء هذا إلا العماية والجهل ، ولا مكان للدين ، ولا أثر لأحكامه وشرائعه ، مع العماية والجهل .

فالعلم ميزة اختص الله تعالى بها الانسان ، دون سائر المخلوقات المعروفة

لنا ، وبفضل هذا العلم ، كان سجود الملائكة لآدم ، وكان لآدم وحده منصب الخلافة على الأرض ..

وقد فضل الله الناس بعضهم على بعض بالعلم ، ورفع درجات أهل العلم منهم إلى منازل رضوانه حسب حظوظهم من العلم ، فقال تعالى : ( **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ) سورة المجادلة/١١ .. وقد جعل الله تعالى خشيته لا تسكن إلا قلوب أهل العلم من المؤمنين ، فقال تعالى : ( **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ) سورة فاطر/٢٨ .

١٧

فمن آمن بالله ، لا يكون إيمانه راسخ القواعد ، قوي البنيان ، طيب الثمرات ، إلا بالعلم الذي يفتح له الطريق إلى الله ، ويطلعه على بعض ما لله تعالى من علم ، وقدرة وحكمة ، وبهذا تقوى صلته بربه ، ويقوم عليه من جلال الله وخشيته سلطان يقيمه على طاعة ربه ، ويصرفه عن معاصيه .

ولهذا يقول الرسول الكريم ، « قليل العلم ، خير من كثير العبادة » رواه الطبراني في الأوسط ، لأن العلم ، وإن كان قليلا هو نور هاد الى طريق الحق ، ومواقع الخير ، ولأن العبادة مهما كثرت دون العلم الذي تعرف به حقائقها ، وتنكشف به أسرارها ، هى عبادة لا يتصل بها عقل ، ولا ينبض بها شعور ، ولا ينفعل بها وجدان ، ومن ثم فلا تترك أثرا في سلوك من يؤديها ، وعبادة بلا أثر ، هي سراب يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجد شيئا .. وهنا تكون الحسرة والخيبة ، ومضاضة الألم ، وسوء المنقلب ..

١٨

فيا إخوة الايمان ، ويا أمة الاسلام ، تعلموا العلم ، وخذوا بأوفر حظ منه ، لتتسع مدارككم ، وتستنير بصائركم ، حتى تحققوا معنى لا إله إلا الله ، ولتنزلوها منزل التمكين والتكريم في أقوالكم وأفعالكم .. وبهذا تتفتح لكم مغالق هذا الوجود ، وتنكشف لكم أسراره ، التي تمكن لكم ولدينكم في الأرض ، وتقيم منكم جنود الله ، الداعين إلى توحيده ، الموجهين إلى طاعته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري .. ويقول : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة » !! رواه ابو داود والترمذى .

فاطلبوا العلم ياأمة العلم ، وياوارثى ما جاءت به رسالات الله التي ختمت بها رسالة الاسلام ، وانزعوا عنكم ما لبسكم من الجهل بأمور دينكم ودنياكم ، وبهذا يعز دينكم ، وتعلو كلمتكم ، ويفتح الله لكم ابواب الخير والبركات من السماء والأرض ، كما يقول الحق سبحانه : ( **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ) سورة الاعراف/٩٦ . صدق الله العظيم .

من وحي الذكرى

# المولد
## كما يجب الاحتفال به

للاستاذ/محمد الكوفي عسقيانور

كلما هل هلال شهر ربيع الأول ، حلت معه ذكريات عطرة ، وقبسات زكية ، ترفرف بالمسلمين في العلياء المترامية ، وتحلق بهم بعيدا إلى الأرض الطيبة الواسعة الرحيبة ، إلى بلد الله الأمين ، حيث كان مولد ذلك الشخص النبيل ، عظيم القدر الجليل ، الذي هز كيانه العالم بمولده ، وتغير مجرى التاريخ بمجيئه .

فأشرقت شمس العلم والعدل والرحمة والتعاون ، على الكون قاصيه ودانيه ، وسطع ضياؤها فاختفى ظلام الجهل المبيد واندثرت معالم الجور والظلم العتيد ، واقبرت مبادىء الخشونة والفظاظة والعنف . وضاقت هوة التمزق وبوتقة التعصب والتمرد ، وغياهب العزلة والانطواء .

ففي هذا الشهر العظيم وفي اليوم الثاني عشر منه على وجه التحديد ، يحتفل المسلمون قاطبة في جميع الأصقاع ومختلف الربوع والقلاع ، بذكرى ميلاد المصطفى المجيد ، وفي

نفس الوقت بذكرى الهجرة والوصول الى قباء بالمدينة المنورة ، وذكرى الوفاة والنقلة من دار ترابية فانية إلى دار نورانية باقية .

فقد كان مولده صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٣ ابريل ٥٧١م ، وكانت هجرته في هذا الشهر ووصوله إلى قباء بالمدينة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١٤ من البعثة الموافق ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى مختارا جوار ربه تبارك وتعالى في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ للهجرة الموافق ٨ يونيو ٦٣٢م ،

وكيف لا وهو أعظم خلق الله كلهم ، انقذ البشرية ، وحررها من عقال الجهل والظلم والفرقة والتباين والعبودية ، وهداهم إلى نور المعرفة والمحبة والتآخي وغيرها من الصفات والمبادىء والقيم مما لا يدخل تحت حصر ، وصدق الله العظيم إذ قال : **( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )** الجمعة / ٢

وقوله تعالى في موضع آخر في حق نبيه الكريم : **( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين )** الانبياء / ١٠٧ وتزيد هاتيك المعالم من الشمائل النبوية الكريمة وضوحا وجلاء حين نطالع قوله تعالى في سورة التوبة : **( لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم )** التوبة / ١٢٨

وبعد هذا يحق لنا أن نتساءل كيف يمكن لنا أن نحتفل بذكرى المولد ، وصاحبها على هذه المكانة المرموقة السامية من المجد والعظمة والمكارم الأخلاقية والكمال الانساني ؟ كيف سنرقى سلم الشكر له على صنيعه ونؤتيه حقه وافيا غير منقوص ؟ . هل باقامة المأدبات الزاخرة بأصناف الأطعمة الشهية وأنواع المشروبات العذبة ؟ أم باحياء الليالي الساهرة بالأمداح وتلاوة السيرة في أويقات عابرة يعيشها ويحياها المحتفل ثم لا يلبث أن يولي لها ظهره دون أن يكون لذلك في نفسه أدنى أثر ، بل يكون وكأنه سحابة صيف ؟!!

فكيف ، اذن ، نحتفل بهذه الذكرى العظيمة ، احتفالا يخول لنا أن نكون في مستوى الذكرى وصاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ؟؟؟!

الأمر في غاية البساطة ، لا يكلفنا تعبا ولا وصبا ، ولا إجهادا ولا إنفاقا في غير موضعه . لن أدعكم — أعزائي — للظنون تذهب بكم كل مذهب ، وللتفكير الممل يركب بكم في الخيال كل مركب . سأضع النقط على الحروف ، موضحا لكم ما يجب فعله . تعالوا معي نلقي نظرة على كتاب الله العزيز الحكيم ، الذي جعله الله لنا دستورا يهدينا للخير ، ويضيء لنا طريق الحق : **( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور**

**بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم )** المائدة / ١٥و ١٦ ونطالع في سورة الأحزاب قوله تعالى : **( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا )** الأحزاب / ٢١ هذه آية من آي الذكرالحكيم ، إذا ما نحن تأملناها وسبرنا غورها وأعملنا فيها فكرنا فسيؤدي الأمر الى طرح أسئلة استفسارية منها ما يلي :

كيف كان الرسول عليه الصلاة و السلام في معاملاته مع الناس ؟

وبم كان صلى الله عليه وسلم متصفا ؟

وفي أي الوجوه نتخذه لنا أسوة ؟

هذه التساؤلات وغيرها ، نجد الاجابات الشافية عليها إذا ما نحن عدنا وفتحنا الكتاب المنزل ، وألقينا عليه نظرة أخرى ، فاحصة مستقصية لنفتحه إذن على هذه الآيات :

**( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين )** الأعراف / ١٩٩

:**( إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي )** النحل / ٩٠

:**(فاصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور )** لقمان / ١٧

:**( فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين )** المائدة / ١٣

:**( ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم )** فصلت / ٣٤

:**( والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين )** آل عمران / ١٣٤

انظروا معي إلى هذه الآيات ـ وهي قليل من كثير يزخر به الكتاب العظيم ـ وكلها تقرر أبرز مميزات شخصية رسولنا الكريم ، حيث ان مكارم الأخلاق تشكل الجانب الأساسي والأوفر في حياته عليه السلام ، وهي الأسس التي ركز عليها لبناء مجتمع إنساني كامل ، في مختلف مناحي الحياة ، ومما يؤكد هذا المذهب رواية الامام أحمد حيث قال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فلقد كان المثل الأعلى في حسن السلوك والمعاشرة وطيبوبة النفس ، وسلامة الطوية وكريم الصفح والعفو ، ولنا على ذلك شهادة من الله العليم ، في عبارة موجزة معجزة في آن معا ، يعجز البلغاء والعلماء عن الاحاطة بها ومدح الرسول بمثلها حيث يقول جل علاه :

**( وإنك لعلى خلق عظيم )** القلم / ٤

وفيما يلي أورد ما أرى أنه صفات أخلاقية عالية ، وكل اخلاقه عليه السلام عالية وفاضلة ، إلا أن هذه التي سأعرضها هنا تمثل أم الأخلاق ، والصرح الشامخ الذي لم ولن يقوى أحد على تمثلها وتطبيقها على الوجه الأكمل الذي كان عليه الرحمة المهداة رسول السلام صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأخلاق التي لا يرقى إليها أحد سابقا كان أم لاحقا ما يأتي :

**أولا : الرحمة والحلم :**

إن في حياة الانسان كثيرا من المواقف التي يفقد فيها السيطرة على أعصابه والتحكم فيها بعقله ، فتفقد مع ذلك الرحمة وتجنح نفسه إلى الانتقام والأخذ بالثأر في غير حنان ولا حلم ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما ــ أي الرحمة والحلم ــ لا يتأثران بالحرارة فيتمددان ولا بالبرودة فيتقلصان بل يبقيان على حالِهما ، محافظين على مكانتهما دون تذبذب ، وشملت رحمته وحلمه الانسان والحيوان ومن ذلك :

أخرج الشيخان عن أنس ( رض ) أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه ) .

قال عبدالرحمن بن عبدالله .

« كنا مع رسول الله في سفر فرأينا حمرة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحمرة تعرش فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « من فجع هذه بولدها ردوا لها ولدها إليها » رواه ابو داود انها الرحمة في منتهاها وغايتها القصوى ، إنها رحمة النبوة وصفتها الملازمة . كان الرسول الكريم ، خلقه القرآن ، يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه لا يغضب إلا للحق إذا انتهكت حرمة من حرمات الله ، ولا يسكن له غضب إلا إذا دمغ الباطل وانتصر الحق . اما في غير حرمات الله فكان أحلم الناس عن المخطئين في حقه . مع قدرته عليه السلام على الأخذ بحقه والثأر لنفسه من خصومه إلا أنه كان يصبر ويتحمل كل ما يلاقيه من إيذاء وسوء معاملة الآخرين .

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال :

( بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما إذا أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله : أعدل : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل إن لم أعدل ! لقد خبت وخسرت !! إذا لم أعدل فمن يعدل ، فقال عمر بن الخطاب ( رض ) يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه .. )

وروى أحمد عن عائشة قالت :

( ما ضرب رسول الله بيده خادما له قط ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فاذا كان اثما ، كان أبعد الناس من الاثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله ) .

**ثانيا الكرم :**

صفة قاسية على الانسان أن يجود بماله بسهولة ، لأن النفس الانسانية أميل ما تكون إلى جمع المال والحرص عليه . وشتان بين هذا الصنف والرحمة المهداة ، الذي يجود بكل نصيبه من الغنيمة والفيء وغيرهما ، ويوزعه على المحتاجين ، ولا يبقي

لأهله إلا ما يقيم أودهم .

اخرج ابن جرير عن سهل بن سعد قال :

جاءت امرأة إلى رسول الله ببردة فقالت يا رسول الله جئتك أكسوك هذه فأخذها رسول الله وكان محتاجا اليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله ما أحسن هذه اكسنيها فقال : نعم ، فلما قام رسول الله ، لامه أصحابه وقالوا ما أحسنت حين رأيت رسول الله أخذها محتاجا إليها ، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه ، قال والله ما حملني على ذلك إلا رجوت بركتها حتى لبسها لعلي أكفن فيها ..

**ثالثا التواضع والتياسر :**

وفي هذا الموضوع أنقل ما كتبه « وليم موير » في كتابه « حياة النبي » في وصف تواضع المصطفى وتياسره مكتفيا به . يقول ·

( كانت السهولة صورة من حياته كلها ، وكان الذوق والأدب أظهر صفاته في معاملته لأقل تابعيه ، فالتواضع والشفقة والصبر والايثار والجود صفات ملازمة لشخصه . وجالبة لمحبة جميع من حوله فلم يعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنا ، ولا هدية مهما صغرت وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه ، ولا شعر أحد عنده أنه لا يختصه باقباله وان كان حقيرا . وكان إذا لقي من يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره ، وكان مع المصاب والحزين شريكا شديد العطف حسن المواساة وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس ، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة من حوله وهناءتهم ) .

لعلنا بعد هذه الجولة السريعة في أرجاء شخصية الرسول الكريم نخرج باجابات مفحمة لكل تساؤلاتنا ، وبقي لنا أن نعمد إلى فهرس حياتنا فننظر فيه مستقصين جوانبه ، وندخل عليه تعديلات وتغييرات جذرية تتغير على أثرها حياتنا من سيىء إلى حسن جدا ، وذلك بالتأسي بالرسول الكريم في كل كبيرة وصغيرة في حياتنا . فتطبع حياتنا بطابع الاسلام الذي ارتضاه لنا ربنا كدين قويم بل كمنهج حياة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وربنا الذي يقول في القرآن الكريم :

( **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ) آل عمران / ٣١ .

كيف لا نتبع من قطع أشواط حياته كلها دون أن تحمل نفسه حقدا ولا ضغينة ، في ترفع عن الانتقام والايذاء ، فاتحا ذراعيه لكل مخطىء في حقه بل ويصفح عنه مستغفرا له .

قال تعالى : ( **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ) آل عمران / ١٥٩ .

فيا أشبال أمة الاسلام ويا قلبها

النابض ، ويا حملة لواء الاسلام لنتخل عن الشعارات المجوفة ، والتشبث بالمظاهر والطقوس ، ولنتجه كليا قلبا وقالبا للسير على نهج الرسول القويم ، بتطبيق حدود الله ، والتزام أوامره ونواهيه سرا وعلانية ، في السراء والضراء ، ونسير على تقوى من الله حتى نسلم الروح إلى بارئها ونحن على حالة طيبة ترضي الله والرسول عليه الصلاة والسلام ، وتشرفنا يوم اللقاء .. يوم النشور .. وبهذا نكون قد احتفلنا بالمولد أعظم احتفال وأضفنا إلى أمجاد السلف أمجادا أخرى تهتز لها السموات والأرض ومن فيهن .. ونكون قد برهنا على أحقيتنا بوسام خير أمة أخرجت للناس كما جاء في القرآن الكريم :

**( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )** آل عمران / ١١٠ .

وهكذا – أعزائي الكرام – وبهذا السلوك الاسلامي الصرف المتضمن للمعاني السامية ، والأخلاق الكريمة الفاضلة ، سيحق علينا قول الله جل شأنه :

**( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض )** الأعراف / ٩٦

فلا يضرنا إن قطع معسكرا الكفر والاستغلال البشع إعاناتهما ومساعداتهما علينا ، ولن ترهبنا فلولهم الضعيفة على كثرتهم وخبرتهم وعتادهم القوي . ما دام الله ولينا ، وما دمنا سنكون خلفا لخير سلف ، من المتقين والمحسنين الذين ملكوا الأرض وساسوها على أساس من العدل والمحبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ونحن أحوج ما نكون إلى نصر الله في هذه الآونة الحاضرة العصيبة ، واذ نريد هذه الالتفاتة الالهية ، لا ننسى أن نجعل نصب أعيننا ما قاله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل :

**( يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين )** الأحقاف / ٣١ و ٣٢ .

وهكذا أيها الأخوة الأعزاء ، نأتي على نهاية هذه العجالة المتواضعة وكلي إيمان أننا جميعا دون استثناء سنجعل من هذه المناسبة العظيمة ذكرى سنوية نقف عندها كل سنة ، لنحاسب أنفسنا ، فنستوحي السيرة العطرة ، ونتخذ منها العبرة لنبدأ صفحة جديدة من كتاب تاريخنا ونخط فيه بمداد الفخر والاعتزاز ، لاحبين الطريق دائما إلى الأمام حتى لا يبقى هناك أمام ، في رقي مطرد وعزة اسلامية لا تضاهي ولا تجاري في ميدان محاولين جهد الامكان وبكل اخلاص ان – نجعل نحن المسلمين – من هذا القرن الخامس عشر الهجري ، قرن الدعوة ونشر الرسالة الاسلامية السمحة والله المستعان وهو ولي التوفيق وإن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا .

# فلسطين

○ كيف ضاعت ؟ ○ ما هو حاضرها ؟ ○ ما هو مستقبلها ؟

للدكتور : علي محمد جريشة

## أولا ــ كيف استلب الوطن الاسلامي في فلسطين

● ــ تاريخ :

البعض يرجع ذلك تاريخيا الى اول مؤتمر صهيوني انعقد في بال ١٨٩٧ بزعامة تيودور هرتزل ، حيث قرر اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ووضع التخطيط اللازم للتنفيذ فسار في خطين/ خط دفع اليهود الى الهجرة الى فلسطين ، وخط البحث عن الشرعية الدولية التي تساند هذا الاغتصاب او تستره ، وفي الوقت نفسه القوة الدولية التي تحمي هذا الاغتصاب بالقوة وبالشرعية معا ...

وتأسس البنك الوطني اليهودي لهذا الغرض .. وتأسست معه الجمعيات اليهودية العديدة التي تزكي في اليهود روح الصهيونية وكان ذلك تنفيذا للخط الاول .. وبدأت الهجرة تسير في خط بياني بدأ بعدة آلاف ، وانتهى اليوم باكثر من ثلاثة ملايين نسمة .

وفي مدينة القدس الاسلامية ــ على سبيل المثال ــ كان عدد السكان اليهود فيها سنة ١١٧٠ م ( القرن الثاني عشر ) واحد يهودي ، سنة ١٧٥٠ م ( القرن السابع عشر ) ١٥٠ يهوديا ، سنة ١٩٧٧ م ( القرن العشرون ) ١٤٢٠٠٠ مائة واثنين واربعين الف يهودي .

وبدأ انتزاع الارض من ايدي اهلها بالاغراء بالمال رغبا .. ثم بالتخويف والبطش بعد ذلك رهبا ..

وسار انتزاع الارض يأخذ الخط البياني التالي :

في العشرينات ــ تراوحت ما بين ١٧,٤٩٧ سنة ١٩٢٣ الى ١٧٦,١٢٤ دونما عام ١٩٢٦ .

في الثلاثينات ــ تراوحت ما بين ١٨,٨٩٢ سنة ١٩٣٢ الى ٣٦,٩٩١ دونما عام

١٩٣٣ الى ٦٧,١١٤ سنة ١٩٣٥ .

في الاربعينات وفي نهاية سنة ١٩٤٦ قدرت السلطات البريطانية ما يملكه اليهود بمساحة ١,٦٢٤,٠٠٠ دونما ، ومع ذلك فلم تكن تمثل غير ٧٪ من مساحة فلسطين .

وفي سنة ١٩٦٧ ـ ملكت اسرائيل كل ارض فلسطين واضعافها ..

وتحقيقا للخط الثاني .. كانت محاولة الشرعية الاولى مع دولة الخلافة .. مع السلطان عبدالحميد رحمه الله .. قيل ان هرتزل قابل السلطان عبدالحميد بنفسه ..

وقيل انه اوفد اليه وفدا من ثلاثة : ١ ) مزراحي قرصو ( زعيم اليهود في سالانيك ) . ٢ ) جاك ٣ ) ليون ( وهما كذلك من زعماء اليهود ) ..

وعرضوا على السلطان عبدالحميد ( في حضور تحسين باشا رئيس الوزراء ) ..

● ان يقوم اليهود بوفاء الديون المستحقة على الدولة العثمانية ( وقدرها ١٣٣ مليون ليرة انجليزية ذهبية ) .

● بناء اسطول لحماية الامبراطورية العثمانية ( يتكلف ١٢٠ مليون فرنك فرنسي ) .

● تقديم قرض بدون فائدة ( قدره ٣٥ مليون ليرة ذهبية ) لانعاش مالية الدولة ومواردها وذلك مقابل السماح لليهود بدخول فلسطين للزيارة في اي يوم من ايام السنة ، والسماح ببناء مستعمرة لهم قرب القدس الشريف ـ وقد رفض الخليفة المفتري على تاريخه ، وقيل انه بصق في وجه زعيمهم ..

● **ارض بلا شعب الى شعب بلا ارض ( اسرائيل زانغويل )**

وكانت المحاولة الثانية في البحث عن الشرعية الدولية والحماية الاستعمارية .. عن طريق بريطانيا العظمى ، واستطاع اليهود خلال الحرب العالمية الاولى والثانية ان ينجحوا في المشاركة في هذه الحرب بما استمال بريطانيا العظمى اليهم ، ثم كانت صلات هرتزل ووايزمان من بعده استثمارا لهذه المشاركة واستفادة منها ..

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا « العظمى » قد اعطت العهد للشريف حسين بمنح الاستقلال للدول العربية ، والسماح بقيام خلافة « عربية اسلامية » يقوم عليها احد الاصلاء من مكة او المدينة ـ في نفس الوقت كانت الاتصالات باليهود قائمة ، وكان التعاطف معهم أشد ، وتم عقد اتفاقيتين سريتين في مارس سنة ١٩١٦ بين روسيا وانجلترا وفرنسا ، وفي مايو سنة ١٩١٦ بين الدولتين الاخيرتين ( والتي عرفت بمعاهدة سايكس بيكو ) وتقرر وضع اقليم فلسطين تحت حكم دولي يتمتع اليهود في ظله « بالمساواة السياسية والدينية والمدنية » .

ولم يعرف الشريف حسين الذي وثق في شرف بريطانيا « العظمى » بامر هذه الاتفاقات الا بعد ستة شهور وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا .. حيث اعلنت

عن هذه الاتفاقات .

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدر اللورد ( بلفور ) وزير خارجية بريطانيا « العظمى » التصريح التالي :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي ، وسنبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى » .

وبهذا اعطى « من لا يملك » الى « من لا يستحق » أول حماية يتم التصريح بها ، واول خطوة على طريق الشرعية الزائفة ـ ومع ذلك اعتبرها الصهيونيون تصديقا بريطانيا رسميا على انشاء دولة يهودية في فلسطين وذلك عن طريق الهجرة الجماعية وابتياع الاراضي ووافقت على التصريح فرنسا وايطاليا في فبراير سنة ١٩١٨ وامريكا في اكتوبر سنة ١٩١٨ .

وكانت تتمة المؤامرة البريطانية ـ الغربية اعلان الانتداب على فلسطين بعد ضمها مع شرق الاردن والعراق الى بريطانيا .. واكتشف الشريف حسين ومن وراءه من العرب ان فلسطين قد سلمت لليهود ، وان العرب جرى اقتسامهم بين الدول الحليفة .

وكانت المحاولة الثالثة والاخيرة اعلان دولة اسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ في ظل حماية دولية انجليزية امريكية فرنسية روسية .

وسبقتها خطوة خطيرة على طريق الشرعية الدولية هو قرار التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قبل الاعلان بشهور ستة .

هذا ما يراه البعض ..

ونحن معهم ان هذا التسلسل كان السبيل لتنفيذ المخطط عمليا ..

● **تاريخ أقدم**

ـ لكننا مع البعض الاخر .. الذي يرجع الامر الى ما قبل هرتزل بقرنين او يزيد ، حين دعا الحاخام ليفا ( ١٥٢٠ ـ ١٦٠٩ ) من براغ ـ دعا الى اتخاذ فلسطين وطنا لليهود .

واعقبه مورس هس ( ١٨١٢ ـ ١٨٧٥ ) الذي بدأ علمانيا ، ثم صبأ الى الماركسية مرتبطا مع ماركس ، لكنه اعرض عن الماركسية متجها الى مثالية يهودية مغرقة في حب التهود ، واصدر كتابه ( روما والقدس ) سنة ١٨٦٢ يبسط فيه افكاره ، وتحدث عن ان اليهود « مدعوون مصيريا لتحويل العالم » ..

وبدأت الصهيونية المنظمة ، وظهرت حركة « احباء صهيون » تحت زعامة ليوبنسكر ( ١٨٢١ ـ ١٨٩١ ) في مطلع الثمانينات ..

وفي اواخر الثمانينيات والتسعينات جرت صياغة عقيدة الصهيونية على يد مدارس متعددة .

**فالصهيونية العملية** : ومن اشهر زعمائها دافيد عوريون ( ١٨٥٦ ــ ١٩٢٢ ) .. وقد جدد حركة « احباء صهيون » التى تقوم على العمل في ارض اسرائيل وانشاء المستوطنات والمستعمرات ..

**والصهيونية السياسية** : ويقوم على زعامتها ليوبنسكر في اوربا الشرقية ، واليهودي الهنغاري تيودور هرتزل ( ١٨٦٠ ــ ١٩٠٤ ) .

ويقال ان كليهما في البداية لم يكن مقتنعا باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ..

وان هرتزل كان في البداية يفضل مواقع اخرى مثل الارجنتين وقبرص وشبه جزيرة سيناء لكنه مع المؤتمرات الصهيونية التي انعقدت تغلب الاتجاه الى فلسطين .

وقد يؤكد القول بان هرتزل في البداية لم يكن متجها الى فلسطين لمحادثاته مع الزعماء الانجليز التي تم بناء عليها ايفاد بعثة الى سيناء سنة ١٩٠٦ لبحث مدى صلاحيتها على الطبيعة . لكنه من ناحية اخرى .. فان سيناء ملاصقة لفلسطين ، وهي من ناحية التقديس عندهم لا تقل عن فلسطين ففيها كلم الله نبيه موسى ، وفيها كتبت الالواح ونزلت الوصايا العشر ، ثم هي امتداد طبيعي لدولة اسرائيل الموسعة كما تكشفت اطماعهم عنها بعد ذلك ( من الفرات الى النيل ، ملكك يا اسرائيل ) .

**اما الصهيونية الثقافية** : فقد تزعم جناحَها أحدُها عام ( ١٨٥٦ ــ ١٩٢٧ ) ..

وقد اعلن ان وجود الامة اليهودية بخصائصها المتأصلة هو ما يحقق الانسان الاكثر كمالا ..

ونحن نرى ان مراحل استلاب الوطن الاسلامي في فلسطين جرت على النحو التالي :

١ ــ قبل القرن السادس عشر الميلادي كان الامر مجرد امل لم يصرح به ..
٢ ــ منذ القرن السادس عشر الميلادي كانت مرحلة التفكير والدعوة ..
٣ ــ منذ القرن التاسع عشر الميلادي كانت مرحلة التخطيط ..
٤ ــ في القرن العشرين كانت مرحلة التنفيذ ..

وغني عن الذكر ان لاحق لليهود ــ تاريخيا ــ في ارض فلسطين .. فانها منذ السنة الخامسة عشرة الهجرية ارض اسلامية .. وهي قبل هذا التاريخ ارض عربية وطوال خمسة الاف سنة فان عمر اليهود على هذه الارض الطيبة لم يجاوز ١٤٠ مائة واربعين سنة على فترتين ، الفترة الاولى بين سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٩٢٧ قبل الميلاد .. والفترة الثانية بين سنة ١٤٢ قبل الميلاد حتى سنة ٧٥ قبل الميلاد كذلك ..

● **ــ أما الأسباب التي ادت الى نجاح اليهود في استلاب الوطن الاسلامي في فلسطين ، فنحن نرجعها الى الاسباب الاتية :**

**١ ــ تخطيط اليهود وصبرهم على انجاحه**

وقد بدأ التخطيط تفكيرا من مفكريهم كما اشرنا ثم انتهى الى اقرار خطة في مؤتمر بال ١٨٩٧ترمي الى تنمية الهجرة وشراء الارض من ناحية والبحث عن الحماية الدولية من دولة عظمى تظلها الشرعية الدولية الزائفة من ناحية اخرى .. ويقال ان البروتوكولات وضعت في المؤتمر الصهيوني الاول ..

وكلا الخطتين تدل على معرفة بأغوار النفس الانسانية وادراك بالجو الدولي الموجود واستغلال لاحداثه ..

وصبرهم على تنفيذ ذلك التخطيط رغم الاحداث الجسيمة التي واجهتهم من بعده كالاضطهاد الذي حدث لهم في مشرق اوربا ثم الاضطهاد الذي حدث لهم في المانيا على يدي هتلر ثم العقبات التي قامت في طريق اقامتهم دولتهم من مقاومة الشعب الفلسطيني وانضمام الشعوب العربية الاسلامية الى هذه المقاومة ومن قبلها رفض الخلافة العثمانية لوجودهم وتآمرهم على هذه الخلافة بما صرح به هرتزل في مذكراته من ان السلطان عبد الحميد رفض الملايين العديدة لقاء فلسطين فقبل حزب الاتحاد والترقي مليونين لتنفيذ نفس الغرض .

كل ذلك وغيره يكشف عن حسن تخطيط .. وعن صبر في التنفيذ وفي مقابلة ذلك – ونقررها بكل اسف – انتفى التخطيط لدى الامة الاسلامية او بالاصح لدى « اليقظى » من الامة الاسلامية وتوافر عندهم اخلاص بغير تخطيط شابه في كثير من الاحيان « قلة الصبر » على التنفيذ واستجابة لغير المخلصين لانهاء اوضاع تقلق اليهود .

### ٢ ابعاد الاسلام عن المعركة

واضح ان الاسلام كان الخطر الاول في المعركة :

**اولا :** بما يحمله لابنائه من عقيدة تؤثر الموت في سبيل الله على الحياة في ظل عبودية تفرضها اذل امة في الارض وبما يحمله كذلك من دعوة الى الجهاد واعتباره فرض عين اذا غزيت ديار الاسلام ... هذه العقيدة من غير سلاح كفيلة – باذن الله – بتحقيق النصر ..

فاذا اضفنا اليها امر الاسلام:( **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ) الانفال / ٦٠

وأحسنا فهم الامر الرباني لوجدنا ان الاسلام يأمر :–

أ – بالتخطيط القوي .. وهو ما يحمله لفظ الاعداد وما يحمله لفظ القوة .

ب – بالاعداد المعنوي ..

جـ – بالاعداد العسكري .. حشدا وتدريبا وتسليحا ..

د – الاكثار من السلاح الثقيل وهو ما تعنيه ( رباط الخيل ) بعد « القوة » فهو تخصيص للاهمية والخطر ..

**ثانيا** : ما يحمله دخول الاسلام المعركة من دخول ثقل بشري لاقبل لليهود به . ونعني به الأمة الاسلامية التي تناهز اليوم الف مليون من البشر ..

**ثالثا** : ما يحمله دخول الاسلام المعركة من ثقل سياسي واقتصادي لاقبل لليهود بمواجهته .. فمصالح اصدقاء اسرائيل اكثرها في امم الاسلام .. واحتياجات مناصرى اليهود الاقتصادية اكثرها في قبضة المسلمين ..

## اما عن مظاهر اقصاء الاسلام عن المعركة وكيفيته :

فقد بدا وبدأ .. بما رتبه اليهود داخل دولة الخلافة نفسها .. وقام على تنفيذه يهود الدونمة ومنهم ومعهم حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة وهو ما عناه الكاتب الروسي سرجس نيلوس من اقتحام الافعى للاستانة في طريقها الى فلسطين ..

ثم تأكد ذلك باقصاء السلطان عبد الحميد الذي رفض عرض اليهود . ثم بالقضاء على الخلافة نفسها التي ما كان يمكن ان تسلم بقيام وطن يهودي وسط وطنها .

واستمرت محاولات اقصاء الاسلام عن المعركة بتكوين الجامعة العربية ( بدلا من الجامعة الاسلامية ) بفكر وزير الخارجية الانجليزي وقبل تمام الكارثة بثلاث سنوات .. وبحمل الجامعة العربية لواء الجهاد من اجل فلسطين تم تخدير بقية العالم الاسلامي عن النهوض للمعركة .

وزاد اقصاء الاسلام عن المعركة بدخول جيوش سبع دول عربية الى المعركة فما حاجة بقية المسلمين للجهاد وقد تولته جيوش سبعة فيها ابطال ومغاوير ..

## ● ـ اقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة :

**منذ ذاق الانجليز ومن بعدهم اليهود بسالة الشعب الفلسطيني وتضحيته وتصميمه على الدفاع عن وطنه واذ عرفوا انه صاحب المصلحة الاول في الدفاع عن التراب الاسلامي في القدس وفلسطين ..ومنذ ظهر منه امثال الشهيد عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس والشهيد حسن سلامة قائد المنطقة الوسطى .**

فقد قرروا اقصاءه عن المعركة ..
وكانت قمة التخطيط والتنفيذ ادخال سبعة جيوش عربية الى فلسطين لتخوض المعركة مع اليهود بالنيابة عن الشعب الفلسطيني .!
وسبقها وعاصرها حرمان الشعب الفلسطيني من التدريب ومن التسليح وتشكيك الجيوش العربية في امانة الشعب الفلسطيني واتهامه بالعمل لحساب العدو اليهودي .
وكنت اعجب كيف لجيش عربي يقوده انجليزي صريح ان يخوض حربا لصالح المسلمين وضد اليهود الذين ضمن لهم الانجليز بالوعد والتخطيط والتنفيذ قيام وطن لهم في فلسطين ؟ وكنت اعجب لجيش اخر .. بل جيوش اخرى في بلاد يحتلها الانجليز .. كيف سمحوا لها بالمرور الى فلسطين ..
حتى ادركت ان المطلوب هو اقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة وفعلا نجحت الخطة واقصى الشعب الفلسطيني عن المعركة وسلمت اراضي فلسطين جزءا جزءا .. من الجيوش العربية الباسلة الى اسرائيل المزعومة وبعد ان انتهت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الشعب الفلسطيني قد تم اقصاؤه حربيا من المعركة .
وتم بعد ذلك اقصاؤه سياسيا عنها .. فتحولت القضية امام الامم المتحدة الى نزاع بين دول ذات سيادة .. عربية واسرائيلية ..
وحين بدت بادرة ظهور العنصر الفلسطيني سنة ١٩٦٧ .. تم حشد القادرين منهم فيما سمي بجيش التحرير الفلسطيني ليتم التهامهم في اول ضربة لليهود في يونية سنة ١٩٦٧.

## الحاضر الأليم في فلسطين

### ○ من الناحية السياسية :

### أ ـ الدولة شعب واقليم وسيادة :

والشعب الفلسطيني اليوم .. موزع بين الاقطار ممزق بين المنظمات والاحزاب .. مما سنزيده تفصيلا عند الكلام عن الناحية الاجتماعية ان شاء الله ..
واقليم فلسطين اليوم .. غير موجود على الخريطة السياسية .. موجود بدلا منه دولة اسرائيل وهي لم تكتف باراضي فلسطين .. بل ابتلعت في توسع سنة ١٩٦٧ الجولان من سوريا والضفة الغربية من الاردن وشبه جزيرة سيناء من مصر ..
والاراضي التي ابتلعتها في التوسع الاخير اضعاف ما امتلكت من قبل بغير حق ..
ولا سيادة لشعب فلسطين على ارض فلسطين .. بل ولا سيادة له في مكان

آخر .. والمنظمة التي نشأت في اواخر الستينات .. نشأت الى جوارها تيارات اخرى .. بل مزقتها من الداخل تيارات مختلفة .. واشارت اصابع الاتهام اليها في مذبحة ايلول وما لحقها من مذابح .. انها مهدت واحيانا شاركت ..
وهي على اي حال قد احتوتها التيارات التي احتوت كثيرا من الانظمة ومن المنظمات في المنطقة .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ..

**ب ــ الشرعية للغصب الاسرائيلي تتم باعتراف اصحاب الحق نفسه**

حرصت اسرائيل منذ قيامها بل ومن قبل قيامها ان تستر غصبها بشرعية رفضها اصحاب الحق يوم ان قالوا : « ان من لا يملك اعطي من لا يستحق »..
لكنها ــ بكل اسف ــ اليوم في دور اعتراف اصحاب الحق نفسه .. ومتى تم ذلك انتفت عن اسرائيل كل ما قيل من اغتصاب وسلب لارض الاسلام .. ومن هنا كانت الخطورة .. وقد سبق هذه الخطوة تمهيد على النحو التالي :
١ ــ تمهيد اعلامي : بان اسرائيل امر واقع وان لاقبل للعرب بدفعها عن فلسطين .
٢ ــ تمهيد حربي : باحراز بطولة ــ ولو جزئية ــ في جانب العرب ليبدو قبول « السلام » من موقع القوة فلا يرفضه الشعب العربي باعتباره استسلاما ..
٣ ــ تمهيد اقتصادي .. باحداث خنق اقتصادي للشعب العربي في المنطقة خصوصا الجزء منه الذي يتصدر للمعركة .. حتى يلوح « السلام » انقاذا للشعب مما يعانيه ..
٤ ــ تمهيد سياسي : وذلك باحاطة اسرائيل بانظمة ــ تعمل لحساب الصهيونية ــ عن قصد او غير قصد ــ بتحطيم معنويات الشعوب وتحطيم قيمهم واخلاقهم والتمهيد اعلاميا للاعتراف بالغصب بل وللتعاون مع الغاصب وحسبنا ان نعرف ان نظاما ما استطاع يهودي ان يتسلل اليه وتسمى بغير اسمه وصار يعدل في الوزارة ويبدل وقد عرضت عليه هو الوزارة فابى بنصيحة من كبرائه في اسرائيل لان مكانه اقوى من وزير ..
وفي نظام اخر وصل عملاء الصهيونية واعضاء الماسونية الى حد تسيير دفة الحكم والجلوس على رأسه وكان من وزرائهم اليهودي او من هو متزوج بيهودية ولا شك ان ذلك كله لم يحدث الا بعد ان قامت دولة اسرائيل وارتؤى ان الانظمة الرجعية صارت عاجزة عن تحقيق الهدف بل هي حجر عثرة في سبيل تحقيق الهدف .. ومن ثم عرفت المنطقة « مودة » الانقلابات العسكرية ..

**جـ ــ المستقبل السياسي لاسرائيل :**

المغفّلون او المغفَّلون يعتقدون ان اسرائيل بعد الاعتراف بها والصلح معها سوف تقنع بما هي عليه ..
وتاريخ الصهيونية وطبيعتها واهدافها وكتبها .. كل ذلك يأبى عليها ذلك ..
وحسبهم ان يقرأوا التلمود وان يقرأوا البروتوكولات بل ان ينظروا الى ماكتب في الكنيسيت نفسه .. فلم يعد في الامر عندهم حياء ..

وبلغة اصحاب الحق تحدث رئيس اسرائيل في يوم اليم عن انهم اصحاب حق يستردون ارض الاجداد .. وكأن الذين عاشوا عليها اربعة عشر قرنا ليسوا اصحاب حق حين عاشوا تحت راية الاسلام وكانهم قبل الاسلام حين عاشوا قرونا عديدة ليسوا اصحاب حقوق وتحدث رئيس اسرائيل عن العبقرية اليهودية وعما يمكن ان تفعله في المنطقة .

ولئن كان حديثه عن الناحية الاقتصادية .. فاني اقدم عليها الناحية السياسية لاقول انه ان ظل الوضع المفتوح فبوسع العبقرية اليهودية ان تفعل ما تشاء في المنطقة ولها ان تحرك الدمى بما ترى ولها ان تغير الدمى ان ضاقت بها الشعوب او احاطتها الشكوك .. ولها ان تمضي في التوسع بعد ذلك غير عابئة بالضمانات فما ضمانات اليوم باعظم ولا ابقى من وعود الامس وقراراته .

كل ذلك .. لان اسرائيل اسقطت من حساباتها حاليا الاسلام واهله بعدما نزل على رءوسهم من ضربات تدوخ وتكسر وتقتل ..

لكن عقيدتنا في الله لم تتزعزع وايماننا بانتصار الاسلام لم يهن ولن يهون:( **وإن جندنا لهم الغالبون** ) الصافات / ١٧٣ .

**ثانيا ـ من الناحية الاجتماعية :**

**أ ـ شعب تمزق**

مزقته الخلافات قديما وحديثا ومزقه التشريد وحياة الخيام ومزقه الجوع والعرى والمرض .

**ب ـ شعب تحلل**

تحلل فكريا بعد ما مزقته تيارات عديدة .. علمانية ، شيوعية ، وجودية ، يهودية . وتحلل خلقيا بعد ما مزقه التشريد والحاجة ، وسرى فيه الاختلاط والانحلال ، وتحلل أسريا بعد ما تمزقت الاسرة الواحدة بين بلاد وأقطار .. ولم يعد فيها من ينصت الا لنداء البطن .. وما حوى ..

كل ذلك الا من رحم ربي ..

**جـ ـ شعب يهود**

« ان أمام العرب في اسرائيل ثلاثة خيارات :

أ ـ اعتناق الدين اليهودي .

ب ـ الطرد خارج البلاد ..

جـ ـ الابادة التامة . ( ابن جوريون ) .

* « سنصل الى وقت نعرف فيه كيف نمنع من لا يضع القلنسوة اليهودية فوق رأسه أن يعيش بيننا » . ( جولدا مائير ) .

* « ان فرعون أخطأ ولم يصب الغرض حيث سلك ببني اسرائيل مسلك الارهاب والتنكيل فانتصروا عليه وسجل التاريخ عليه لعنات ما اقترفه ، ولكنه لو أنشأ مدارس وجامعات يغير فيها أفكارهم ، ويقتلهم قتلا معنويا ، ويجعلهم ينحرفون عن هدفهم الاصيل ، فيعيشون عالة على غيرهم بلا هدف يتفانون في تحصيله ، لو

فعل ذلك لأراح واستراح ، ولسجل التاريخ مفخرة خدمة العلم بدلا من لعنات البطش والارهاب » .. ( الفيلسوف الهندي أكبر إله أبادي ) .

ولتحقيق هذه الغاية تمضي برامج الاعلام ، ومناهج التعليم لتحقيق هذه الغاية ولتحقيق هذه الغاية تمضي السياسة الاقتصادية نحو تنمية الحاجة لدى العرب القانطين داخل اسرائيل ..

ولهذه الغاية تمضي سياسة « التهجير » و « الاستيطان » ونزع ملكية العرب المقيمين في فلسطين .

● **مستقبل فلسطين :**

الحديث عن المستقبل حديث شائك ، اذ لا يعلم الغيب إلا الله .. لكن الله سبحانه .. أجاز لنا « الاعداد » ذاك قوله:( **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ) الانفال / ٦٠ والاعداد يقتضي « التوقع » بالنسبة للمستقبل والعمل على أساس من ذلك التوقع .

والله سبحانه وتعالى جعل لنا كذلك « سننا كونية » تعيننا على ذلك التوقع ، منها:( **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ) الرعد/١١ ، ومنها:( **وتلك الايام نداولها بين الناس** ) آل عمران/١٤٠ ، ومنها:( **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ) محمد/٧ . فمن خلال هذا وذاك .. نستطيع بعون الله ــ دون رجم بالغيب ــ أن نرسم صورة المستقبل من خلال الاحداث ، ثم نحاول رسمها من خلال الايمان .

**١ ــ المستقبل من خلال الاحداث :**

من خلال الاحداث يستطيع المجتهد أن يستنبط ما يلي :

**أ ــ لا مستقبل لفلسطين :**

ذاك منطق الاحداث وتوقعاتها .. ان الصهيونية وضعت أقدامها ، واني لها أن تتزحزح .. !

وأنها في كل جولة تكسب الجديد ، فتنقلب مطالبة العرب بالجديد وتنسى القديم .

وهو ما نراه من مطالبة العرب بالجلاء عن الأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ .. وكأن الاحتلال الذي تم قبل سنة ١٩٦٧ قد صار أمرا شرعيا وحقا مقررا لليهود ..

وفي الجولة القادمة ــ ان بقيت الأوضاع على ما هي عليه ــ تكون أراضي ١٩٦٧ أمرا شرعيا وحقا مقررا لليهود ، وتكون المطالبة بالاراضي التي ستحتل بعد ذلك ..

والمجتمع الدولي ــ بتأثير الصهيونية والصليبية العالمية ــ يضفي الشرعية ويحرسها في كل توسع صهيوني .

فالمجتمع الدولي ــ بالتأثير السابق ــ هو الذي قسم ارض فلسطين سنة ١٩٤٧ بين اليهود والعرب .. وكانت من قبل خالصة للعرب وحدهم ، ولم يكن لليهود فيها ادنى نصيب .. والمجتمع الدولي هو الذي عاد بعد ذلك يصدر القرار

٢٤٢ والقرار المعدل له ليعترف بفلسطين كلها لليهود وليطالبهم فقط بالجلاء عن الاراضي العربية الاخرى التي احتلتها اسرائيل علاوة على فلسطين سنة ١٩٦٧ .

وغدا تحتل اسرائيل اراض اخرى فيكون قرار المجتمع الدولي الاعتراف بالاراضي القديمة والمطالبة بالجلاء عن الجديد .

ومثل اخير .. إن القدس المسلمة قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين فيها .. إن اسرائيل تعلن انها عاصمتها وانها لا تتنازل عنها ، وتعلن امريكا تأييدها لها في ذلك .

وهكذا ..

**ب ــ المستقبل للصهيونية :**

المستقبل للصهيونية إن بقيت الاوضاع على ما هي عليه ، فالسنن الكونية تعمل في جانب من يعمل ، ولا تعمل في جانب من يتقاعد أو يتكاسل أو يتجابن .

وواضح أن الصهيونية تعمل .. مخططة .. ثم منفذة ..

وأن العرب والمسلمين .. يتصايحون .. ويكتفون بالصياح .. ويتسابون فيما بينهم ويتقاتلون كذلك فيما بينهم أشداء على المؤمنين رحماء باليهود ، أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين .. !

والصهيونية .. كما يبين من مخططاتها .. لا تكتفي بفلسطين .

إنها تحلم بالدولة الكبرى من الفرات إلى النيل ..

وتحلم من بعدها بسيادة العالم كله ..

وخطواتها التنفيذية تؤكد أنها تنفذ ما تحلم به وما تخطط له ..

ونجاحها فيما مضى قد يكون دليلا على نجاحها فيما بقى ..

وإذن فأرض الكنانة في مصر مهددة .

ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة مهدد كذلك .. هذا كله .. بشرطين : ان تبقى أوضاعنا على ما هي عليه .. وأن تبقى السنن الكونية تحدث تأثيرها .. لكن حتى يكون .. تقييمنا .. صحيحا لابد من النظرة الاخرى .. فلها نعيش .

**٢ ــ المستقبل من خلال الايمان**

النظرة الايمانية تختلف كثيرا عن النظرة من خلال الأحداث وحدها وهي في اختلافها تقوم على أسس مغايرة :

١ ــ ان الله سبحانه خالق السنن الكونية قادر على أن يعطلها أو يغيرها ، فمن السنن الكونية أن النار تحرق .

لكن ارادة الله حين شاءت .. جعلت النار بردا وسلاما على ابراهيم .

ومن السنن الكونية أن الماء يغرق .

لكن ارادة الله حين شاءت .. فرقت البحر فرقين : **( فكان كل فرق كالطود العظيم )** الشعراء/٦٣

٢ ــ انه الى جوار السنة الكونية ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فان

مفهوم المخالفة .. انهم ان غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم مؤكدا قوله : **( إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم )** محمد/٧

ومن هنا المنطلق ..

ومن هنا يبدأ العلاج ... إن كنا نريد عودة فلسطين ..

**ونضع بعون الله الشروط :**

لا بد من التغيير ...

من القمة الى القاعدة .. من الرأس الى القدم ...

لا بد من تغيير كلي .. لما بأنفسنا .. حتى يغير الله ما بنا ..

لا بد ان يكون التغيير على اساس الاسلام ..

لأن التغيير من غير اسلام .. لا يكون معه نصر الله .. ولا يكون هو التغيير الذي عناه الله ..

وقد رأينا انهم حين أرادوا سلب فلسطين ابعدوا الاسلام عن المعركة وتمثل ذلك في انشاء الجامعة العربية ( بديلا وامتصاصا للجامعة الاسلامية ) قبل اعلان دولة اليهود بثلاث سنين ..

ثم تمثل في دخول الجامعة العربية وجيوشها لتكون حائلا دون تحرك جيوش إسلامية اخرى .. ففيها الغناء والكفاء ..

ثم تمثل في التآمر على العناصر الاسلامية التي بدأت خوض المعركة للحيلولة دون نزولها بثقلها الى المعركة ..

وقبل ذلك كله تآمرهم على دولة الخلافة الاسلامية تنفيذا لما قالوه من ان الأفعى اليهودية لا بد ان تمر بالاستانة في طريقها الى اسرائيل ..

وعلى ذلك فاذا كانت فلسطين قد استلبت لما ابعد الاسلام عن المعركة فانها لن تعود إلا إذا عاد الاسلام الى المعركة ..

والاسلام فوق ما قدمنا يقدم :

- ثقلا عقيديا يغير الكيفية التي تدار بها المعركة ويغير نتيجتها ..
- ثقلا بشريا .. ولهذا اثره في استراتيجية الحروب ..
- ثقلا سياسيا .. بوقوف الدول الاسلامية كلها ـ بدلا من الدول العربية المحدودة ـ خلف المعركة ..
- ثقلا اقتصاديا .. بوقوف موارد الدول الاسلامية ـ وهي اليوم اغنى دول العالم ـ خلف المعركة ..

ومن قبل ذلك .. ومن بعد ذلك .. ما اشرنا اليه من نصر الله الذي لا يتنزل إلا على نوعية معينة ..

**( بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين )** آل عمران/١٢٥

**( وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم )** آل عمران/١٢٦ .

# الانسانية السامية في التكوين الاسلامي

**للأستاذ/محمد الشاذلي النيفر**

**حرص الصحابة على تقويم انفسهم**

كان جارية بن قدامة من الصحابة الحريصين على ان يستفيدوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيحة جامعة مغنية يبني عليها حياته ، ويركز عليها مستقبله واستطاع الصحابة رضوان الله عليهم ان يكونوا في طالعة الامم ، وان يصبحوا كالنجوم يهتدي بهم في ظلمة الليل الداجي ، فكما ان النجوم كانت مبعث هداية في ظلمات البر والبحر ، كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم في الهداية الى الرشاد ، والسير بالأمم الضالة التي لعبت بها الاهواء ، وضلت عن أخذ مسيرتها الهادفة الى الخير والصلاح ، واستطاع الصحابة ان يصلوا الى ما وصلوا اليه لكونهم عرفوا كيف

يستفيدون من منبع الحكمة ، والقدوة الحسنة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما اتضح من الموقف الذي وقفه جارية بن قدامة ، وهو موقف الاستفادة بأخصر ما يمكن ، حتى تستقيم له نفسه ، ويرهف حسه .

جاء جارية بن قدامة بن مالك التميمي السعدي رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح البخاري :

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني .

قال : لا تغضب فردد مرارا ، قال : لا تغضب .

اخرجه في باب الحذر من الغضب .

ووضح هذا الموقف لجارية بن قدامة الامام الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة في باب ما جاء في كثرة الغضب حيث قال :

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئا ولا تكثر علي لعلي أعيه ، قال : لا تغضب ، فردد ذلك مرارا ، كل ذلك يقول له : لا تغضب .

**لماذا كرر النهي عن الغضب ؟**

وانما اراد النبي صلى الله عليه وسلم بتكرار قوله لجارية : لا تغضب لمعنى يفهمه المتدبر التدبر العميق ؛ وهو انه صلى الله عليه وسلم اراد ورمى الى اصلاح الغريزة الانسانية .

اراد اصلاحها لأن الانسان مقيد بالغريزة كما يتضح من أحوال الانسان وكذلك الحيوان .

فالانسان منذ نعومة اظفاره ، ومنذ خروجه من بطن امه تمتلكه مثلا غريزة تدعوه للعيش ، وهي غريزة التهام الثدي من امه عند احساسه بالجوع من غير شعور .

فالغريزة صفة راسخة في كل كائن حي ، تصدر عنها اعمال تترتب عليها من غير تعليم ، بل هي طبيعية ناشئة عما في الذات من دفع عند الشعور بشيء ما ، كالفرار عند الخوف .

والغريزة عند الانسان ككل عرض يحدث فيه بدون ان يستعد له ، وانما هو امر لا شعوري يندفع له اندفاعا في زمن ما ، وحال خاصة يجري اليه وهو منساق اليه ، ومدفوع بطبيعته نحوه .

وتحتاج هذه الأعراض الطبيعية في النفوس الى التعهد والاصلاح ، والنظر البصير ، والا آلت بصاحبها الى حال مردية .

واحتاجت الى التعهد لكونها مختلفة في دفعها ، ومتباينة في عواقبها ، فمنها ما هو الصالح اذا استقام توجيهه ، ومنها ما يجب الاقلاع عنه وحسم دفعه من اول وهلة ، حتى لا يتردى المدفوع بالغريزة الى التردي في المهالك ، والتدحرج شيئا فشيئا الى عاقبة تكون قاضية على صاحبها .

**الموقف التحليلي**

وضح النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :

( لا تغضب ) الذي لا يعيره البعض

اهتماما ذهابا منه الى انه مجرد تكرار توصية للتحريض على عدم الغضب ، مع انه ذو مغاز كما يجليه التوضيح .

وضح النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذلك الغرائز التي يجب الاقلاع عنها ، وهو توضيح للغرائز ، وتنبيه على مالها من التأثير ، لم يتوصل اليه علم النفس الحديث الا بعد محاولات وتلاقح فكري بين علماء مختلفين من امم شتى ، ومع هذا التلاقح لم يقع التوصل لما وصل اليه الحديث النبوي الشريف .

اشار الحديث المذكور الى التقسيم الثالث للشعور الانساني ، وهو النواحي النزوعية ، كما عند علماء النفس الذين يقسمون الشعور الانساني الى ثلاثة اقسام :

١ ) **النواحي الادراكية** : وهي النواحي العقلية التي اذا سيطرت على الشعور الانساني استقام امره بشرط ان تتهذب وتتعلم ، لأن العلم الصحيح قائد الخير .

٢ ) **النواحي الوجدانية** : وهي النواحي المترتبة على الشهوة النفسية الراغبة في الملذات ، وما يجلبها .

٣ ) **النواحي النزوعية** : وهي التي أشير اليها في الحديث هذا ، ونجد الأقسام الثلاثة التي توصل اليها علماء النفس اخيرا بعد تفكير من العلماء ، وعصور متلاحقة ، وازمنة مختلفة وفي اقطار متنوعة ، نجدها في الحديث النبوي موضحة محكمة في تقسيمها وانما تحتاج الى درس وبحث عميقين في الاطلاع على الاحاديث الموزعة على كتب السنة .

### النفس الغضبية أو النواحي النزوعية :

ركز قوله صلى الله عليه وسلم : ( لا تغضب ) على قسم هام من الشعور الانساني وهي النواحي النزوعية المركبة في الخلقة البشرية ، وهي نوازع الشر ، وقد اراد الله اظهارها من النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جارية بن قدامة عن نصيحة مختصرة فأجابه بقوله لا تغضب .

وقد اشار بقوله هذا الى مصدر الشر ومنبعه ، ومنه يتوصل الى تفاريع متعددة يتنبه لها الباحث ، ومن هؤلاء الامام الغزالي في كتابه الاحياء حيث اشار الى داء الغضب في ربع المهلكات ، وعقب هذا الربع بربع المنجيات .

حتى يكون الدواء مذكورا بعد ذكر الامراض ، فالنفس الانسانية معروضة لامراض عدة منها انسياقها مع النواحي النزوعية منها

وداء النزوع الى الشر موجود في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

### لماذا تكرر النهي عن الغضب وما المراد منه ؟

جاء النهي عن الغضب في حديث جارية بن قدامة وغيره ، ومن ذلك :

ان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

قل لي قولا واقلله لعلي اعقله ، فقال لا تغضب ، فأعدت عليه مرتين ، كل ذلك يرجع الى لا تغضب رواه ابو يعلي باسناد حسن .

ومنه ما رواه عنه عبد الله بن عمرو ابن العاص من انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله ؟

قال : لا تغضب

رواه الطبراني في مكارم الاخلاق ، وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن ومنه الحديث الشارح لامتلاك النفس حتى لا تذهب بها نوازع الشر الى المخاطر ، وهو الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تعدون الرقوب فيكم ؟

قال : قلنا : الذي لا يولد له

قال : ليس ذاك بالرقوب ، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا .

قال : فما تعدون الصرعة فيكم ؟

قال : قلنا : الذي لا يصرعه الرجال

قال : ليس بذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب .

اخرج الحديث مسلم في صحيحه .

### في الحديث أمران :

الأمر الأول : هو استفهام النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقوب ، وهو بفتح الراء وضم القاف المدودة المخففة ـ فأجابوه بأنه الذي لا يعيش له ولد .

فأجابهم بأنه الذي لم يمت له ولد فيحتسبه .

الأمر الثاني : هو استفهامه عن الصرعة ـ بضم الصاد وفتح الراء ـ فأجابوه بأنه هو الذي لا يصرعه الرجال ، وهو الذي يصرع الناس كثيرا .

فأجابهم بأن الصرعة هو من يملك نفسه عند الغضب ، فهو الممدوح لا الذي لا يصرعه الرجال .

والمستخرج من الحديث فضل المحتسب لموت ولده بالصبر والرجوع الى الله الذي اعطى ثم اخذ .

وكذلك التحريض على كظم الغيظ ، وامتلاك النفس عند اشتداد الغضب وجمع صلى الله عليه وسلم بين فضل احتساب موت الولد ، وبين امتلاك النفس عند الغضب لمعنى لطيف ، وهو ان امتلاك النفس في هذين الموطنين شديد غاية الشدة ولا يستطيعه الا الذين يكونون في نفوسهم شخصية قوية في امكانها ان تتغلب في المواقف الصعبة .

فصاحب الشخصية القوية ربان سفينة لا تؤثر فيه العواصف ، لأن من تؤثر فيه العواصف يلقي بمقود سفينته فتصبح ألعوبة للامواج .

ترمي الاحاديث العدة المتكرر فيها النهي عن الغضب الى اجتناب اسباب الغضب ، والى عدم الاسترسال معه فيما يدعو اليه .

اما النهي عن ذات الغضب فلا يمكن ، لأن نفس الغضب مطبوع عليه الانسان ولا يمكن اخراج الانسان عن طبيعته كما تدعوه الى عدم الجوع المفطور عليه الانسان فاذا قلت له لا تجع ، لم تنهه عن الجوع ، وانما نهيته عن اسبابه ، وعن عدم ادخاله على نفسه .

ثم ان الغضب حمية للحق ممدوح فلا يمكن ان يتجرد الانسان من التأثر غضبا ، اذ هو نقصان في الانسان ، وانحلال وذوبان .

واذا انهارت الامم اخلاقيا فقدت الحمية ، وذهب منها الاحساس ، وهو ما عليه الكثير من الشباب المتميع في اخلاقه ، ومؤدى ذلك ان تصبح الامة لا تذود عن حياضها .

وحفاظا على تلك الحمية للحق ، صونا له من الدوس بأرجل العاتين ، وصف الله المؤمنين اصحابه صلى الله عليه وسلم ، فقال :

**( محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم )** ٢٩/ الفتح وفقدان الحمية يجعل صاحبه كالحمار كما قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى : « من استغضب فلم يغضب فهو حمار » .

## اسباب ونتائج

**للغضب اسباب ونتائج متعددة ، فمن اسبابه :**

الكبر ، والحمية في الباطل ، والزهو ، والمزاح ، والهزل والهزء ، والتعيير والمماراة ، والمضادة ، والغدر ، وشدة الحرص على المال ، والجاه ، وتتجنب هذه الاسباب بأخذ الحريص على السمو النفسي في اضدادها مثلا يقلع الزهو بالتواضع ، والعجب بمعرفة الانسان حقيقة نفسه ، والمزاح بالتشاغل بالمهمات الدينية ، وما ينفع في الدنيا ، والهزء بتجنب إيذاء الناس ، وبصيانة النفس عن ان تكون محل هزء للغير ، والتعيير بالحذر عن قول القبيح والاجوبة الجارحة .

ونتائج الغضب لا تحصر وما نراه من الجرائم الكثيرة يرجع اما الى الغضب ، او الطمع فالاوراح المزهقة ، والاجسام المحطمة ، والاموال المبددة ، والحروب المسعرة والشتائم المنهالة ، والمعالم المزالة ، والبناءات المنقوضة وما هو من افساد وتحطيم كل ذلك مبعثه الغضب وكما للغضب هذه الآثار فله اثار سيئة اخرى منها الامراض النفسية ، ومنها الجسمية مثل الجلطة الدموية وغيرها .

فالغاضب حين يغضب وتهم نفسه بشيء من ذلك ليقلع عنه يتحكم في نفسه ، وأسباب الاقلاع متعددة :

منها الرجوع الى ما امر الله في كتابه الكريم من العفو ، وكظم الغيظ قال :

**( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين )** الاعراف/ ١٩٩ ذكر مالك بن اوس بن الحدثان ان عمر بن الخطاب غضب على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين :

**( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين )**

فردد عمر قوله تعالى ذلك ، فتامل فيها ، وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه ، كثير التدبر فيه ، فتدبر في الآية ، وخلى الرجل .

واين هذه القصة من قصة اخرى جرت في انكلترا ، وهي من البلدان الشهيرة بأن قضاتها من ارقى الناس ، واشدهم تمسكا بالقانون ، وهي ان بعض القضاة وقف بين يديه متهم صدر منه ما يسيء يحكم عليه بعام سجنا ، فقال له : زدني ، فزاده عاما آخر ، فطلب الزيادة في السجن فزاده الى أن بلغ الامر الى انه حكم عليه بعشر سنين سجنا حسب طلبه .

وسنتبين من موقف عمر في القضاء ، وموقف هذا القاضي في عصر المدنية في بلد يحمل راية الديمقراطية ، ان التكوين الاسلامي للسمو النفسي لا يعادله اي تكوين آخر وذلك ان التكوين الاسلامي يجعل الضمير مرهفا لقبول الحق والنصيحة ، مطواعا للرأفة والرحمة ، ميالا لما يجبر القلوب ، ويقصي عنها الفظاظة .

والمثال الكامل في البعد عن الفظاظة والقساوة والغلاظة من اختاره الله لمهمة ارشاد البشر ، واقتلاع جذور الفساد منهم ، والتبرئة لهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه قوله تعالى :

**( ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر )**

آل عمران / ١٥٩

ومن اسباب الاقلاع عن الغضب ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى ، فالذي يذكر الله عند غضبه ، ويذكر غضبه جل وعلا عنه ، ورجاءه في عفوه ، لا بد ان يقلع عن الانتقام .

ومن اسباب الاقلاع ، وانكفاف النفس الحذر من عاقبة العداوة فان من شفى غيظه من الذي غضب عليه ، لا يأمن أن يأتي يوم يستطيع ذلك المغضوب عليه والمنتقم منه ان يشفي هو ايضا غيظه وهكذا دواليك او يقوم مقامه في الانتقام اقاربه حمية لمن انتقم منه .

وتبادل الانتقام من أكبر أدواء الأمم فبه يتحطم كيانها ، وينهار بنيانها ، وتذهب اعمالها سدى ، وتبيد امكانياتها .

فما يتبجح به الشعراء مثل قوله :

فتى لا يبيت على دمنة
ولا يشرب الماء الا بدم

الدمنة الحقد ، ومعنى البيت انه لا يبيت على حقد لا لصفاء نفسه وانما يشفي غليله من اعدائه بالانتقام .

فيه قطع البنان ، وهدم البنيان فهذا قيس بن زهير بن جذيعة العبسي الذي كانت بسببه حرب داحس والغبراء يعرب عن هذا في قوله :

**شفيت النفس من حمل بن بدر**
**وسيفي من حذيفة قد شفاني**
**فان اك قد بردت بهم غليلي**
**فلم اقطع بهم الا بناني**

**المثالية الكاملة في محو اسباب الغيظ :**

نجد المثالية المتناهية في الكمال في محو اسباب الغيظ في النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتجلى ذلك في غزوة فتح مكة ، والتمكن من ناصية قريش الاعداء الألداء لصاحب الرسالة صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وللدعوة ، فانهم لما حاربوا الاسلام حاربوه بكل ما أوتوا من قوة ، وسلطوا على من أمكنهم التسلط عليهم إذايتهم والعذاب الشديد حتى مات من مات تحت سوط عذابهم .

ولو تمكنوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وظفروا به ليلة هجرته ، لمكنوا من جسده الشريف سيوفهم ، ولتفرق دمه في القبائل .

ولم يكفهم ما صنعوا بالمسلمين قبل الهجرة فأضافوا الى ذلك وحشيتهم في قتلى احد فمثلوا بقتلاه من المسلمين ، وفيهم سيد الشهدا ء حمزة بن عبد المطلب ، ولولا عناية الله ثم عزيمة المسلمين لجعلوا المدينة اثرا بعد عين في غزوة الاحزاب ، فانهم البوا العرب انصياعا ليهود بني قريظة ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم ونفوسهم ملأى بالحقد والغيظ ، تريد الانتقام والتشفي من الاسلام والمسلمين .

ولا يشك احد من المسلمين انهم لو انتصروا في غزوة الاحزاب ولم يرجعوا ، وكيدهم في نحرهم ، لحكموا السيف في كل المسلمين ابرادا لغليلهم ، وانتقاما من دين الله القويم .

وكانت غزوة فتح مكة التي تجلى فيها السمو الانساني والطهارة النفسية في رمضان السنة الثامنة من الهجرة النبوية .

فهو عليه الصلاة والسلام خرج لفتح مكة بعد الاستعداد لذلك ، وأخذ الحيطة حتى لا يؤتي المسلمون وهم بعيدون عن حاضرة الاسلام المدينة المنورة وحين تهيأ المسلمون لفتح مكة كانت حادثة حاطب بن ابي بلتعة اذ بعث بكتاب الى زعماء قريش مع امرأة تسمى سارة يخبرهم فيه باستعداد المسلمين لفتح مكة واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وحيا بما صنع حاطب بن ابي بلتعة فبعث علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ليلحقا بها فلحقا بها فلم يجدا الكتاب ، فهددها علي ابن ابي طالب فأخرجت الكتاب فجيء به اليه فخاطب حاطبا في ذلك ، فنفى عن نفسه الردة لكن عمر رآه مخالفا للاوامر واحب القصاص منه فلم يأذن له النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وهذا من كرمه وعدم غضبه فتمتع حاطب بالعفو .

خرج رسول الله الى مكة جادا في سيره فخرج اليه من خرج مسلما ومنهم ابو سفيان فلما عفا عنه قال :

بأبي انت وامي ما اوصلك وما احلمك .

ثم دخل مكة لعشر بقين من رمضان السنة الثامنة من الهجرة ، بعد ان اعلن في الناس ان من دخل دار ابى سفيان فهو آمن .

ومن دخل المسجد فهو آمن

ومن اغلق عليه بابه فهو آمن

وقصد الكعبة حين دخوله مكه فطاف ، بالبيت وهو حلال غير محرم ، وصلى ركعتي الطواف

ثم جلس في ناحية من المسجد ، ثم وقف على باب الكعبة فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ، وهزم الاحزاب وحده .

ثم قال صلى الله عليه وسلم :
يامعشر قريش ويا أهل مكة
ما ترون اني فاعل بكم ؟
قالوا : خيرا ، اخ كريم ، وابن اخ كريم

فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء

ضرب الرسول الكريم عليه افضل الصلوات والتسليم المثل الكامل في العفو ومحو آثار الغضب ، بل في التعالي عن الغضب ، اذ جعل اهل مكة عتقاء ، وهم قد نكلوا بالمسلمين ، وصدوا دعوة الله عن أن تكون مدوية ، فلولا انها دعوة الله لوادوها في المهد ، وقبروها الى الابد .

لم يؤاخذهم بالجرائر ، وعفا واصلح فسل سخائم القلوب ، وحبب الايمان للنفوس فانشرحت الصدور ودخل الناس في دين الله افواجا .

## الغضب والقضاء

اعتنى الاسلام الدين الحنيف بالقضاء حتى لا يدخله الغضب فيخرج به عن كونه قضاء الى كونه انتقاما وتشفيا ، واحق شيء بالبعد عن الانتقام والتشفي وابراد الغليل هو القضاء ، لكونه الميزان العدل الذي يتحاكم الناس اليه ، فاذا دخلته الاهواء سواء كانت من ناحية المراعاة او من ناحية الانتقام اختل نظامه وساءت احكامه .

وابعادا للقضاء عن كل ما هو من الحيف جاء عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه أبو بكرة رضي الله عنه لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان .

وقد اخذ فقهاؤنا بهذا الحديث حتى يكون القضاء بريئا من كل شائبة من الشوائب ، لا فرق فيها بين ما ينفع بدون حق او ما يضر بدونه فاشترطوا ان لا يقضي القاضي وهو غضبان ، والحقوا بالغضب كل ما يدهش الفكر مما لا يجعله في غير الحال الطبيعية ، مثل شدة الجوع والتخمة والمرض المؤلم والخوف المزعج .

فالقاضي ينبغي بل يتحتم ألا يكون عليه تأثير ما ، بل يرجع الى القانون العدل ، وهو ما أمر الله به من الاحكام ، حسبما جاء به في القران الكريم او الحديث المنزه عن المطاعن وما استنبط منهما بوجه صحيح مقبول جار على مقتضى قواعد الاسلام ومبادئه ، وهو ما افنى فيه الائمة الفقهاء اعمارهم .

وقد اختلف الفقهاء في حكم الحاكم في حال الغضب اذا صادف الحق هل ينفذ حكمه أولا ينفذ ؟ فالذي عليه الجمهور أنه مع مصادفة الحق ينفذ وعن بعض الحنابلة انه لا ينفذ في حال الغضب لثبوت النهي عنه ، والنهي يقتضي الفساد .

ولأهمية هذا الحديث اعتنى به المخرجون من المحدثين اذ اخرجه أصحاب الصحاح الستة .

# الخطر الشيوعي في أفريقيا المسلمة

للاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمي

تدور على أرض القارة الافريقية هذه الايام صراعات عنيفة بين قوى عالمية مختلفة ، وذلك لتحقيق بعض الاهداف التي تسعى من اجلها هذه القوى ، وهي : جعل تلك القارة منطقة نفوذ لها او تدور في فلكها السياسي ، ومن اجل ذلك توضع الخطط والبرامج من اجل الوصول الى تلك الغايات بشتى الطرق والوسائل .

ومن تلك القوى التي تريد السيطرة على القارة الافريقية : الشيوعية العالمية ، سواء نظام الحكم الشيوعي في موسكو او بكين فكلاهما موحد الاهداف والغايات ، يسعيان سويا من اجل اقامة نظم الحكم الشيوعية « اليسارية » ولكي يتم صبغ القارة بالصبغة الشيوعية ، ولكي يتم حكم القارة عن طريق موسكو وتصبح افريقيا خاضعة خضوعا نهائيا للسيطرة الشيوعية .

وتوجد الى جانب القوى الشيوعية : القـوى الاستعماريـة التبشيريـة التنصيرية ، التي تكثف جهودها وترسم خططها وتنفذ برامجها وتبعث بعثاتها التنصيرية من اجل السعي لتحقيق احلامها في ان تصبح افريقيا بالذات والعالم اجمع : دولة مسيحية واحدة تخضع لحكم البابا في الفاتيكان .

بالاضافة الى القوى الصهيونية اليهودية التي تسلك شتى السبل من اجل النفاذ الى كل قطر في تلك القارة وذلك بمساعدة القوى الاستعمارية التي تساند الصهيونية في التسلل الى صفوف الدول الافريقية .

ومهما اختلفت الوسائل او السبل التي تسلكها هذه القوى : الا انها في النهاية متحدة الهدف ومصممة على القضاء على القوى الاسلامية في تلك القارة ومحاربة الاسلام وجذوره القوية الراسخة بشتى الطرق . وذلك لان هذه القوى ترى في الاسلام القوة العظمى والكبرى التي تهدد كيانها السياسي والاجتماعـي والاقتصادي ولان الاسلام كل يوم يكسب ارضا جديدة .. وقوما يدخلون فيه وينضوون تحت رايته الخالدة الباقية بقاء الدهر . القوية على مر الايـام والعصور .

ولكن : لماذا تسعى القوى الشيوعية للسيطرة على القارة ؟

ان الشيوعية تسعى في المقام الاول لمحاربة الاسلام ودين الله الخالد : لانها ترى ان الدين افيون الشعوب وكذلك فانها تسعى من اجل السيطرة على اغنى القارات ، فافريقيا ، قارة تبلغ مساحتها ١/٥ مساحة الكرة الارضية كلها وسكانها يمثلون ٨٪ من سكان الكرة الارضية جميعهم وامكانياتها الاقتصادية تفوق الوصف من حيث تنوع الموارد الاقتصادية بتنوع البيئات المناخية .

وهي تساهم بنصيب وافر في الانتاج العالمي في ميدان السلع العالمية فهي تنتج نحو ٩٨٪ من انتاج الماس في العالم ، ٥٥ ٪ من ذهب العالم ، ٢٥ ٪ من نحاس العالم ، وكذلك المنجنيز والكروم واليورانيوم ، ومن المعادن الاخرى القصدير

وخام الالمونيوم والفوسفات ، كذلك يوجد بها مصادر كثيرة للقوى المائية التي لم تستغل بعد ، وهي فوق هذا تنتج نحو ٢/٣ محصول الكاكاو العالمي ، ونحو ٣/٥ انتاج العالم من زيت النخيل ، بالاضافة الى دخولها ميدان انتاج البترول وتصديره « ليبيا ، الجزائر ــ نيجيريا ــ جامبيا .. وغيرها من الدول » . . اذن هذه القارة مورد اقتصادي عظيم في المعادن والمواد الخام الغابية والرعوية ، ولهذا فقد ادركت القوى الشيوعية هذه الحقائق المذهلة في السنين الاخيرة ، فبدأ الاهتمام بالقارة الافريقية اهتماما بالغا ، وكذلك فهي تسعـى الى غرض استراتيجي وذلك من اجل اقامة قواعد استراتجية عسكرية لها على ارض القارة .

**افريقيا قارة المستقبل :** ومن كل هذا فان القارة الافريقية ذات الامكانيات العظيمة والهائلة تستحق بحق ان تكون قارة المستقبل وذلك لما أشرنا اليه من ثروات معدنية وزراعية وكهربائية وغيرها من الثروات وكذلك سعة مساحة أرضها باعتبارها القارة الكبرى الثانية . بعد اسيا .. واقلها سكانا ، يبلغ عدد سكان القارة الافريقية وفق آخر الاحصائيات ــ احصاء عام ١٩٧٦ ــ ٣٧٠ مليون نسمة ، كذلك فانها تملك ثقلا سياسيا عظيما في الامم المتحدة حيث يقدر عدد اصوات اعضائها في المجموعة الدولية بـ ٤٨ صوتا ، كذلك باتحاد دولها في منظمة الوحدة الافريقية ، باعتبارها اكبر كتلة متماسكة في العالم ، ولمركزها القيادي والريادي في العالم الثالث ، ودول عدم الانحياز ، وبموقعها الجغرافي والاستراتيجي ، اذ ان القارة تتوسط المحيطين الاطلسي والهندي ، وتطل على البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى انها تتوسط قارات العالم ، اوربا ، اسيا ، امريكا .

فلا غرو اذن ان يقوم الصراع ويشتد بين القوى الشيوعية والقوى التنصيرية من اجل السيطرة عليها ، وقد كانت كل منها تريد ان تبعد الاخرى من هذا المكان ، واستطاعت الشيوعية ان تقيم لها رأس جسر على ارض القارة .

**القوى الشيوعية ومخططاتها في القارة :** ان القوى الشيوعية العالمية تسعى للسيطرة على القارة الافريقية ، وذلك من اجل ان تحارب الاسلام في المقام الاول لانهم يرون فيه وفي تعاليمه القوة الصلبة ، والارادة القوية ، والمقاومة الحقيقية لافكارهم الالحادية ، ومبادئهم الهدامة المدمرة ، ومن ثم فانهم يريدون ان يحولوا المسلمين الى معتقداتهم الزائفة ، وافكارهم الباطلة التي تستمد اصولها من مصدر مادي الحادي ، ينافي كل القيم والمبادىء الانسانية التي تستمد اصولها من القيم الروحية ، كذلك فان مخططهم الاجرامي الشيوعي لا يريد ان يبقى للاسلام اثر ولا لرابطته صلة ، انهم يريدون ان تسيطر الشيوعية الحمراء على بلاد المسلمين جميعها كما سيطرت على بلاد اسلامية كثيرة في وسط اسيا ، ومن هنا كان سعيهم للسيطرة على افريقيا ، والتي تعتبر قارة اسلامية ، اذ ان عدد المسلمين بها وفق اخر الاحصائيات « احصاء عام ١٩٧٦ » ٢٥٠ مليون مسلم من ٣٧٠ مليون ، يريدون ان تكون الماركسية اللينينية ، البلشفية ،

المادية . هي عقيدة القارة الافريقية ومصدر حكمها .

وعلى هذا فان القوى الشيوعية العالمية الروسية والصينية وانانبها في القارة الافريقية قد دخلت بكل ثقلها ، وبكامل امكانياتها واجهزتها ومخططاتها ، مستغلة للوصول الى اهدافها حركات التحرر الوطنية الحاقدة على الاستعمار بشكله القديم ، وذلك لكي تقع فريسة لاخطر انواع الاستعمار ، وهو الاستعمار الشيوعي الفكري الذي يسيطر سيطرة كاملة وتامة على مقدرات الشعوب والحكومات ، ويحكمها بالحديد والنار ، ويجبرها على السير في فلكه السياسي ، وربطها بقيود لا تنفك منها .وعلى الذين يحاولون التقرب من المعسكر الشرقي الشيوعي من الدول الافريقية وحكامها ان يتذكروا التدخل السافر المزري في شئون المجر عام ١٩٥٦ ، وسيطرة القوات العسكرية الشيوعية على مقدرات شعبه ، وكذلك تدخل دول حلف وارسو في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ واجبار هذه الدولة على السير في المخطط الذي تضعه الدولة الشيوعية الكبرى « روسيا » .

**القوى الشيوعية والدول الافريقية :** ان القوى الشيوعية هي اخطر القوى العالمية في عالمنا المعاصر ، اذ انها تضع مخططاتها الرهيبة من اجل السعي للسيطرة على كل العالم بقاراته ، واقامة دولة المطرقة والمنجل ، دولة العمال ، ومن هنا فان موسكو تحلم بان تكون هي العاصمة الوحيدة في العالم ، والتي تخضع لحكمها المباشر كل العواصم الاخرى ومن هنا كانت افريقيا داخل مخططاتهم ، بعد ان استقرت لهم الامور في شرق اسيا « فيتنام وكمبوديا » .

ولقد استغلت القوى الشيوعية الصراع العربي الاسرائيلي وارادت ان تقيم نفوذا لها في مصر العربية الاسلامية حصن الاسلام ودرعه الامين على مر الايام والسنين ، ولكن فشل هذا المخطط وتم ابعاد النفوذ الشيوعي نهائيا من ارض الكنانة ، ولكن القوى الشيوعية لم تستسلم لهذه الضربة ، بل حاولت ان تجد لها قدما في احدى دول شرق افريقيا وكل ذلك من اجل وضع مخططها موضع التنفيذ .

ولقد ركزت الشيوعية العالمية على شرق افريقيا لانه اقرب جوانبها الى العالم العربي ــ قلب العالم الاسلامي ــ ففجرت الانقلابات ومحاولات الانقلابات حتى قام في اثيوبيا نظام حكم يتجاوب تماما مع الشيوعية وفي الصومال وتنزانيا تيارات قوية متعاطفة مع الشيوعية ، اما موزمبيق : فقد قام بها نظام حكم ماركسي ١٠٠٪ يعلن وجود الشيوعية في هذه المنطقة وقامت قواعد عسكرية شيوعية قريبا من المدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، ومن خلال ذلك قامت محاولات لقلب نظام الحكم في السودان لكي يصبح هذا الاقليم الاسلامي العربي الفسيح تحت نفوذ الشيوعية مباشرة ، ولقد تم تحطيم الحزب الشيوعي السوداني الذي كان يعتبر اقوى الاحزاب الشيوعية في شرق افريقيا .

وفي غرب افريقيا فان الشيوعية لها دور كبير في اقامة نظام الحكم اليساري في انجولا عن طريق القوات الكوبية الشيوعية التي ساعدت حركة التحرير الموالية للشيوعية في السيطرة على الحكم ، كذلك فانه عن طريق القوات الكوبية يتم هذه

الايام التدخل في شئون دولة زائير لاجل اقامة نظام شيوعي في اكبر دوله من حيث المساحة في غرب افريقيا « اغنى دول افريقيا من حيث المصادر الطبيعية » وكذلك خلق الصراعات والمنازعات بين الدول الافريقية من اجل اقامة نظم الحكم الموالية لها كذلك فان نظام الحكم العسكري في اثيوبيا بدأ يستعين بعدة الاف من القوات الكوبية لاجل محاربة ثوار ارتيريا ، الذين يكافحون من اجل تحرير وطنهم من قبضة اثيوبيا ، كذلك فان لروسيا دورا كبيرا في حركة تحرير ناميبيا « جنوب غرب افريقيا » .

بالاضافة الى ان الصين الشيوعية بدأت تقيم لها قواعد شيوعية في ارض تنزانيا وماجاورها من بعض دول شرق افريقيا ووسطها وايضا فانها تساعد حركات التحرير في زمبابوي « روديسيا » وفي جنوب افريقيا بالمال والعتاد وتقوم بتدريب افرادها وذلك لكي يتم خلق كوادر شيوعية بين صفوف المقاتلين ، فتستطيع ان تسيطر على مقاليد الامور في هذه البلاد بعد تحريرها .

ولقد ساعد القوى الشيوعية على تحقيق اهدافها مظاهر الشعور بالعداء لدى الافريقيين ضد الاستعمار واستغلال مشاعر الحقد في قلوبهم واستغلوا ذلك احسن استغلال فكانت جامعة بياترس موسوميا في موسكو مكتظة بابناء افريقيا الذين انتقتهم الحركة الشيوعية من داخل بلادهم لاعدادهم اعدادا شيوعيا ماديا من اجل تولي قيادة بلادهم في المستقبل واقامة نظم الحكم الشيوعية .

كذلك يضاف الى الشيوعيين الروس والصين ، الشيوعيون الفرنسيون الذين تغلغلوا في كل انحاء الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية لاجل نشر الافكار الشيوعية الهدامة يساعدهم في ذلك كثير من الاذناب الذين سرت الشيوعية في دمائهم ولم تكتف القوى الشيوعية بذلك ولكن مراكزها الثقافية في بلدان القارة الافريقية تقوم باصدار النشرات التي تدعو الى اعتناق الشيوعية كمذهب وكذلك توزيع الكتب التي تتحدث عن الشيوعية ومنجزاتها العلمية والصناعية واسباب تقدمها كذلك الاقلام التي تدعو للشيوعية .

ومن كل هذا نستطيع القول انه ثبت فعلا ان الشيوعية بمقدورها الحصول على ارضية خصبة وسهلة في القارة الافريقية نظرا للفقر والجهل السائدين معظم شعوبها ولوجود النظام القبلي الطبقي بينهم ولسهولة تقبل شباب افريقيا لايدلوجات تتمشى وروحهم الثائرة المتمردة الكارهة لنظم الاستعمار الماضية ولا زالت اثار هذه الحركات الشيوعية الالحادية عميقة بين كوادر المقاتلين وكان التحرير التي تناضل حاليا من اجل الحصول على حكم الاغلبية الافريقية في روديسيا سابقا وغامبيا .

**الحركات التنصيرية تفتح المجال امام الشيوعية :**

ان القوى التنصيرية وقد هالها الفزع بعد ان رأت الشعوب الافريقية تدير ظهرها لدين الرجل الابيض المستعمر وبدأ الرجل الافريقي يعتنق دين الاسلام ،

دين الشرق الحضاري،ودين المساواة غير المستغل وبعد ان نبذ الافريقي كل ما يتعلق بالغرب وما جاء معه من معتقدات جاءت النصرانية خلف رجال الاستعمار البيض الذين استعمروا القارة بعد حركة الكشوف الجغرافية وخضوع كل بلاد القارة للسيطرة الاستعمارية .

وبعد ان رأت الصليبية العالمية كبار الرؤساء في افريقيا والوزراء الذين في ايديهم مقاليد الحكم ورؤساء القبائل ينهجون الى الاسلام ويعتقونه ويصبح عقيدة لهم وبعد ان رأت الصليبية العالمية امام اعينها الالاف المؤلفة من ملايين الدولارات والاعمال الخيرية والتعليمية والبرامج الطبية والاقتصادية وكل الطرق التي سلكتها لم تؤد الى النتيجة التي كانت تحكم بها وهي ان تجعل افريقيا قارة مسيحية ١٠٠٪ فانها امام هذه الحقائق وامام الصمود الاسلامي القوي الانتشار السريع لدين الله والوقفة الصليبية في مواجهة الاستعمار وحركات التنصير والاستشراق والصهيونية فان قوى الصليب قد بدأت تفسح المجال امام الشيوعية العالمية في افريقيا سواء افساح المجال علانية او بطرق خفية او التظاهر امام العالم بمحاربة الشيوعية في افريقيا الا ان كل هذا لا ينطلي على الرجل الافريقي المسلم فان حركات التنصير بعد جهود تزيد عن اربعة قرون لم تستطع ان تنصر اكثر من ٤٠ مليون من عدد سكان القارة البالغ ٣٧٠ مليونا ومن هنا كان على الماركسية ان تدخل افريقيا لتعيث في بلاد الاسلام فسادا وذلك من اجل تحطيم حصون الاسلام القوية المنيعة .

**فشل المخطط الشيوعي :**

ان هذه المخططات الشيوعية الماركسية التي بدأت تتسرب الى صفوف الدول الافريقية مآلها كغيرها من الحركات الاخرى الى الفشل فلا سبيل لها في مجتمع الاسلام في دول افريقيا المسلمة لان مجتمع الاسلام حريص على القيم والمثل والفضائل والدين ولان الدين الاسلامي لدى الشعوب الافريقية المسلمة هو اعز ما تملكه ولان الدين وهو جزء اساسي من الطبيعة البشرية وخاصة الرجل الافريقي الذي وجد في الاسلام الطريق الذي ينشده والمآل الذي يلجأ اليه ولأن كل شياطين الارض من شيوعيين او غيرهم مجتمعين او متفرقين لن يصدوا افريقيا عن الاسلام ولن يقدروا ان يصدوا الاسلام عن بلوغ اهدافه في جعل افريقيا قارة اسلامية ولان الاسلام تيار جارف سيجرف امامه كل اوثان الشيوعية والرجس مهما فعلوا وخططوا ولهم في دروس التاريخ عبرة فكم من عقبات وقفت في طريق الاسلام في كل العصور ولكنها انهارت وكم من مذاهب وافكار هدامة قامت لصرف المسلمين عن دينهم الحنيف او لتزييف مبادئه في نفوس المسلمين وكم من قوى كثيرة مدمرة حاربت الاسلام على امتداد الايام فهزمها الاسلام شر هزيمة فبالاسلام انتصرنا في الماضي على قوى الشر « الصليبيين ــ المغول ــ التتار ــ الاستعمار الحديث » وبالاسلام سوف ننتصر باذن الله في الحاضر والمستقبل ، لن ينطفيء نور الاسلام ابدا من هذه الارض وذلك مصداقا لوعد الله الحق لعباده المؤمنين ( **يريدون**

**ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون )** الصف / ٨ ويقول المولى عز وجل **( كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين )** المائدة / ٦٤ .

ومن هنا فان الشيوعية مهما بذلت وسعت بطرقها المختلفة في افريقيا فسيبقى الاسلام فيها قمة سامقة وكوكباوضاء ونورا هاديا لانه معجزة السماء على الارض ولان الاسلام صانع التاريخ والحضارة والتقدم والرقي والازدهار ولانه هادي البشرية الى طريق الحق والخير والصواب ولان قرآنه الكريم كتاب الله وشريعته على أرضه ينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الابصار والبصائر وانه لا طريقة الا عبادة الله ولاصلاح إلامن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولسوف تبقى عقيدة الاسلام في افريقيا وفي كل مكان العقيدة التي تعلو ابدا على كل الالام وعلى كل احداث التاريخ والايام وعلى كل المحن والشدائد ولسوف يظل الاسلام في افريقيا منارة للشعوب الافريقية كما كان منارا لها قبل قدوم الاستعمار وسيبقى الاسلام منارة لكل الاجيال والعصور وهو الدين الذي يسعد البشرية في ظلال قرآنه الكريم وفي حركة انبعاث في طريق التقدم والرقي والابداع ولان الاسلام ورسالته سائر في طريق الانتشار والتوسع وسيزداد عدد الداخلين فيه كل يوم في افريقيا وسوف تعود الشيوعية خائبة خاسرة مردودة على اعقابها لان المسلم الافريقي لن يرتضي غير الاسلام دينا ولن يعبد غير الله خالقا ولن يكون له كتابا غير القرآن دستورا ولن يتجه إلا الى مكة المكرمة قبلته وقبلة كل المسلمين .

**الدعوة الاسلامية والشيوعية :**

ازاء الدور الذي تقوم به الشيوعية العالمية في افريقيا وازاء ما يتعرض له الاسلام من خطر من جراء مؤامرات الشيوعية من اجل القضاء عليه فسأبين دور الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية وابين نشاطها ورجالها من الدعاة وجهودهم وهنا نقول انه امام هذه القوى الجبارة التي تملك الامكانيات والطاقات المادية والبشرية والعلمية والفكرية والدعائية فان الدعوة الاسلامية تقف بقوتها الذاتية وامكانياتها المحدودة امام هذه التيارات والافكار الهدامة وليس معها الا تعاليم الاسلام السمحة ورسوخها في قلوب الملايين من الافارقة ومطابقتها للفطرة البشرية ويتف خلف الدعوة رجال من المخلصين لله ولدينه الحنيف الذين يجاهدون بانفسهم واموالهم دون تخطيط او تنظيم ولولا هؤلاء لا نمحي اسم الدعوة من هذه القارة التي عرفت بانها قارة الاسلام وكان الاسلام قد شق طريقه اليها منذ اول عصر الدعوة الاسلامية .

لذا فان الدعوة الاسلامية داخل القارة في حاجة الى الدعم والمساندة والمساعدة والتخطيط والتنظيم والتوجيه لأن اعداءها من الشيوعيين ركزوا نشاطهم في مناطق القارة المختلفة في شرقها ووسطها وشمالها وجنوبها وركزوا على الدول القيادية بها ذوات الامكانيات الطبيعية الهائلة .

لذا فان الا مر يحتاج من المسلمين في القارة وفي كل مكان الى مزيد من العناية

واليقظة لضرب كل محاولة من اعداء الاسلام تريد النيل من دينهم وتقاليدهم وقيمهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله كذلك الوقوف خلف الجهود القليلة المبذولة اليوم والتي تدعو للاسلام بين الوثنيين والنصارى وشد ازرها وتنشيطها والمحافظة على العقيدة الاسلامية وتعميقها في نفوس الافريقيين .
ومن هنا يمكن القول ان الدعوة الاسلامية في هذه المنطقة من العالم لابد ان ترتكز على تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتمسك باهداب التعاليم الاسلامية قولا وعملا وسلوكا وان تتجه الدعوة الى الشباب خاصة لانهم عدة المستقبل والتفويت على الحركات الشيوعية التي تتنشر دائما بين صفوف الشباب وان تعمل الدعوة على نبذ الاخلاق والتقاليد القادمة من الشرق والغرب والتي لاتتلاءم وتقاليدنا الاسلامية تلك التقاليد التي تنبع من تراثنا الاسلامي العريق الذي تمتد جذوره الى اكثر من اربعة عشر قرنا من الزمان وعلى هذا فان الدعوة الاسلامية مطالبة اليوم بالتصدي لتلك الحركات الهدامة بكل ما تملك من وسائل وامكانيات فالدعوة الاسلامية رسالة وامانة خص بها الله الشعوب الاسلامية وهي دعوة عالمية لكل البشر في شتى اقطار الارض وامانة في عنق كل مسلم ومسلمة يجب ان يدعو لها بين الشعوب والاقوام فالحكام المسلمون في كل ارجاء المعمورة مسئولون عن تنشيط الدعوة في افريقيا وكذلك الحكومات والمؤسسات الاسلامية والهيئات التعليمية وكل افراد المجتمع الاسلامي .
وان الفرد الافريقي الذي يعيش اليوم على ارض القارة مطالب بان يدعو اخوانه الافارقة وعشيرته وذويه الى تعاليم الاسلام المستمدة من كتاب السنة وان تتوحد اساليب الدعوة لكي تمتد وتنتشر ولكي يتم فضح اساليب الشيوعية الملتوية والتي تريد ان تسيطر على الرجل الافريقي وتستغله كما استغله وسيطر عليه من قبل الرجل الابيض الغربي .

## كيف نواجه الخطر الشيوعي :

إذا كانت الشيوعية قد استطاعت ان تقتطع ارضا اسلامية من العالم الاسلامي الواسع وتضمها الى دائرة املاكها ونفوذها في آسيا الوسطى وحول بحر قزوين والبحر الاسود ، ارضا أخرجت للامة الاسلامية الكثير من رجال الدين والعلماء في علوم القرآن وتفسيره وعلوم الحديث « البخاري » وفي علوم الرياضة « الخوارزمي » و «البيروني » وفي الفقة وشتى المعارف الاسلامية والذيـن ساهموا في حمل لواء الحضارة الاسلامية ورقيها وساهموا بنشاط وافر وملحوظ في نهضتها ، واذا كانت الشيوعية قد قطعت صلة اكثر من اربعين مليونا أو يزيد عن إخوانهم المسلمين في شتى ارجاء الارض الاسلامية ، بل انها كثفت الدعوة الماركسية بينهم ! وكذلك إذا كانت الصين الشيوعية قد قطعت صلة اكثر من ٦٠ مليون مسلم في ارضها عن إخوانهم المسلمين ، بل انها تسعى جاهدة لمحاربة الاسلام في جنوب شرق آسيا .

فان الدول الاسلامية والعربية مطالبة اليوم بألا تقف مكتوفة الايدي ازاء ما يحدث على ارض القارة الافريقية حتى لا تترك الشيوعية تنفذ مخططاتها في السيطرة على شعوبها واستغلالهم ، ومحاصرة العالم الاسلامي لكي تكون دائرة حول المنطقة العربية في وسط افريقيا ثم حول البلاد العربية في آسيا : دائرة كاملة ومحكمة الحلقات وبذلك تكون الشيوعية شرقا في آسيا وغربا في افريقيا وبذلك تكون قد نجحت في عزل العالم العربي قلب العالم الاسلامي عن باقي اقطار الاسلام .

ولهذا فانه يمكن القول ان الجهود التي تبذلها رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة والمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة وادارة الجامع الازهر وجمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا ، والجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم في تونس ، ورابطة العلماء في المغرب ، والجهود التي تبذلها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والمؤسسات الاسلامية في البلاد الافريقية الاخرى ، مثل الرابطة الموريتانية للدفاع عن الاسلام ، واتحاد الجمعيات الاسلاميـــة في السنغال ، والاتحاد الثقافي الاسلامي في مالي وغيرها من المؤسسات الاسلامية في غرب القارة ووسطها وكذلك المؤسسات الاسلامية في شرق القارة مثل المجلس الاعلى في اوغندا ، والمجلس الاسلامي الاعلى في تنزانيا والمؤسسات الاسلامية في جنوب القارة ، ليست قادرة على وقف التحدي الشيوعي أو القضاء عليه نهائيا في الاماكن التي بدأ ينتشر فيها ، بل وقلع جذوره قبل ان تمتد وتتسع .

وعلى هذا فنحن نطالب ان تتضافر الجهود وتتوحد في مركز اسلامي قاري ، تخضع له كل المؤسسات والهيئات الاسلامية التي تعمل بالقارة ، ذلك لان كل هذه المؤسسات تعمل كل منها بعيدا عن الاخرى دون ادنى ترابط او تعاون او تنسيق او تخطيط مشترك ، ولهذا فانها لا تستطيع ان تؤدي الدور المطلوب في مواجهة التحدي وصبغ البلاد الافريقية بالصبغة الاسلامية .

فليس فتح مكتب اسلامي ثقافي او انشاء مدرسة لتعليم اللغة العربية او بناء مسجد في عاصمة من العواصم الافريقية مثل لاجوس ، نيامي ، كوناكري او غيرها من الدول الافريقية بكاف لرد الخطر المحدق بالقارة من كل الارجاء .

بل إن الجهود يجب ان تبذل وتكثف لكي تصل الدعوة الاسلامية والثقافة العربية الاسلامية الى كل جزء من اجزاء القارة المختلفة الى الغابات والاحراش ، الى البوادي والواحات ، والقرى الصغيرة وكل المدن الاقليمية وعواصم المحافظات والاقاليم ، بل يجب ان يتم مسح كامل وشامل لكل فرد مسلم يعيش على أرض القارة الافريقية ، يجب أن يصل الداعي المسلم والطبيب المسلم والمدرس المسلم والمهندس المسلم والفني المسلم الى كل الاصقاع في القارة يجب ان ينتشر المسلمون الموفدون من البلاد العربية والاسلامية في كل ارجاء القارة . يجب ان يضع المركز القاري « قارة افريقيا » مصحفا في يد كل مسلم افريقي وان تصل له خدمات اخوانه المسلمين في باقي القارات الاخرى وذلك لان المسلمين في كل قطر

اسلامي يتطلعون الى التعليم الديني الاسلامي ، والى الاخوة المسلمين في الاقطار العربية الاسلامية وذلك لانهم في أمس الحاجة الى المدارس الاسلامية على مختلف مراحلها الدراسية فيجب ان تحشد هذه المدارس بالمدرسين الاكفاء ذوي الثقافة الاسلامية الواسعة بجانب ثقافة العصر لكي يستطيع المدرس ان يدحض الافكار الهدامة .

إن الدول الاسلامية والعربية جميعها حكومات وجمعيات وافراد ، مطالبة اليوم بالنظر الى افريقيا نظرة من يحيط به الخطر من كل جانب ولذا يجب ان توحد الجهود الاسلامية وتكثف من أجل حماية القارة المسلمة ولكي يزداد المد الاسلامي ويتم اعتصام المسلمين جميعا برباط الله القوي المتين .

إن مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية يجب أن يضع امامه الخطر المحدق بافريقيا ويجب ان تتوحد السبل وتتخذ القرارات الكافية بردع الخطر الشيوعي وحماية المسلمين من الماركسية .

كذلك فان المبالغ المالية الضخمة التي رصدتها الدول العربية ( السعودية ــ الكويت ــ الامارات ــ صندوق جامعة الدول العربية ) لمساعدة الدول الافريقية والتي اقرت في مؤتمر القمة العربي الافريقي الذي عقد بالقاهرة خلال شهر مارس ١٩٧٧ ليست بكافية بل يجب ان تزداد وان تدعم ، بل ان دول البترول مطالبة بان تخصص نسبة معينة من دخلها السنوى لاجل الدعوة الاسلامية من افريقيا وفي باقي الدول العربية ، لان الدعم المالي ليس بكاف لرد الخطر الشيوعي .

أن الوجود الاسلامي والعربي في القارة لابد ان يظهر كقوة عظمى بجانب القوة الشيوعية بل يجب ان تطرده وذلك بوجود رجل الدين المسلح بالعقيدة الاسلامية والدارس لتاريخ الشعوب الافريقية ولغاتها ولهجاتها وعاداتها وتقاليدها لان ذلك يسهل الوصول الى الهدف .

إن المساعدات المالية والمعدات العسكرية والمتطوعين الذين يساعدون حركات التحرير « جبهات تحرير اريتريا » ليست بكافية وحدها للوجود الاسلامي ، بل بجانب هذا يجب ان يكون الداعية المسلم بين صفوف المقاتلين لان المقاتل الافريقي الذي يدافع عن قضية معينة إذا نمى فيه الوازع الديني وترسخت فيه العقيدة الاسلامية فلن يهزم ابدا لان القتال القائم على العقيدة نهايته النصر .

وفي النهاية ايها الاخوة المسلمون في مشارق الارض ومغاربها : تنبهوا الى ما يحيط باخوانكم الافارقة من خطر شيوعي . فأمدوا لهم يد العون بالمساعدات المختلفة وحافظوا على عقيدة الاسلام المنتشرة بينهم وادفعوا الخطر عن افريقيا فان تغافل المسلمين وسهوهم في الماضي قد اضاع ارضا اسلامية في اوروبا وآسيا وفي مناطق اخرى من العالم ، ارضا كانت تزخر بها حضارة الاسلام وثقافته الخالدة .

أيها المسلمون تنبهوا !! تنبهوا .. فان افريقيا يخشى عليها من الانزلاق في احضان الشيوعية .

# الحق المنتصر

للاستاذ علي احمد علي

لابد للحق أن ينتصر مهما تألب عليه الظالمون ، ووضع العقبات في طريقه الجاحدون ، وتنكر له المبطلون .

سينتصر الحق ولو كره المجرمون ، وهذه سنة الله في خلقه **( ولن تجد لسنة الله تبديلا )** الأحزاب/٦٢ ، ونصر الله يأتي ولو ادلهمت الخطوب ، واضطربت الصفوف ، وتحرجت المواقف ، وساءت الظنون ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

**( حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين )** يوسف/١١٠ .

مازالت قريش سادرة في غيها ، ماضية في طغيانها ، تزلزل جوانب الأرض من جبروتها ، وتوقدهانارا من حقدها وبغيها ، فهي سائرة في طريق الشر والغواية ، تحاول صد المسلمين عن دينهم ، وفتنهم في عقيدتهم ، ولما أعيتها الحيل ، ورأت أن أتباع محمد يزيدون ولا ينقصون ، وأن دعوته تذيع وتنتشر بين الناس ، وأن سلطانهم — قريش — لا يلبث أن يزول ، وأن الزمام سيفلت من أيديهم ، وهم سادة العرب وعظماء مكة .

فكر الشرك ودبر ، واجتمع أشراف مكة ، ووجوه قريش ، وأصحاب الرأي يتشاورون ، فوقف زعيم الكفر ، ورأس الضلال ، أبو الحكم بن هشام — أبو جهل — فقال :

ياقوم أما إنه ليوشك أن يكون أمر شديد ، وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره ، فان لم يكن قتله ، واستئصال خضرائه ، حتى يذهب ونذهب به ، فليكن تدبير جديد .

وهنا اشرأبت الأعناق ، وأرهفت الآذان ، وساد المكان صمت رهيب ، واتجه الجميع بحواسهم ومشاعرهم نحو الطاغية فقال :

ألا إن هذا الحي من بني عبد مناف ، هو منا ومنكم حيث علمتم ، وإنهم يطلبون غاية ليس إليها سبيل ، أفنتركهم وما يحاولون حتى يؤول أمرهم إلى أمر ؟ ثم قال :

وهذا أبو طالب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره ، فما لنا سبيل عليه بعد ، فليجتمع أمرهم على ما يريدون ، وليجتمع أمرنا ، ولتكن براءة قاطعة بيننا وبين هذا الحي من قريش ، لا معونة بيننا وبينهم ، فلا نبيعهم شيئا ، ولا نبتاع منهم ، ولا نخالطهم في شيء ، وكل رحم بيننا مقطوعة ، حتى يفيئوا إلى أمرنا فانهم يوشكون إن بلغت هذه القطيعة أن تجف خضراؤهم ، فيموتوا جوعا وعطشا وعريا ، أو يعودوا إلينا مغلوبين ، وما تجرد سيف من غمده ، وما أريق دم ، ثم قال :

ياقوم : فان رأيتم فهذه يدي ، وليكن بيننا عهد مكتوب ، نعلقه في جوف الكعبة توكيدا لما تقاسمنا عليه .

وإن أبيتم .. فارتفع صوت من أقصى المجلس يقول :

رضينا يا أبا الحكم .
وجاء كاتبهم « منصور بن عكرمة » فتولى إثم تدوينها ، وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه فشلت يده .

## « نص المعاهدة »

باسمك اللهم ، هذا ما تعاقد عليه أشراف مكة ، وذوو الرأي من قريش ، ابو الحكم بن هشام ، وأبو لهب بن عبدالمطلب ، ومنصور بن شرحبيل وبغيض بن عامر .
أنهم براء من بني هاشم وبني المطلب ، لا يبيعونهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يخالطونهم في شئ ، وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئوا .
وأخذ أبو الحكم – أبو جهل – الصحيفة ، وطواها ، وعلقها في جوف الكعبة .

آوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شعب أبي طالب ، من شعاب مكة ، ومعه صحبه الكرام .
فآوى إليه الطهر والصفاء .
وفتح التاريخ صفحاته ليسجل
أخطر مقاطعة
وأشنع جرم
وأبشع قرار
لمحاربة أعدل الناس
وأرحم الناس بالناس
فإما أن ينتصر الاسلام ، فيمضي في طريقه ، يحطم كل الحواجز
وإما أن ينهزم المسلمون ، فلا تقوم لهم بعد اليوم قائمة
وشتان بين قوتين : قوة تؤيدها السماء ، ويقودها رسول كريم ، رائدها العدل والرحمة ، وخير الانسانية .
وقوة يؤيدها الشيطان ، ويقودها الحكم بن هشام ، رائدها الظلم والقطيعة .
وفي النهاية لابد للحق أن ينتصر ، وللباطل أن يندحر .

## « الموكب الحزين »

سار هذا الموكب الحزين ليدخل شعب أبي طالب ، ولم يكن هذا الحصار قاصرا على المسلمين ، بل دخل بعض المشركين تضامنا ، وانحاز إليهم بنو المطلب مؤمنهم وكافرهم على السواء عصبية .

سار هذا الموكب الحزين ، يتقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أثبت قلبا من ذلك الجبل الذي يضم الشعب ، هادئ النفس ، مطمئن الفؤاد ، رافع الرأس .

سار هذا الموكب الحزين يضم خلاصة البشر ، وصفوة الانسانية .

لم تعرف الدنيا أنبل منهم ولا أكرم ، ولا أرأف ولا أرحم ، ولا أجل ولا أعظم ، ولا أرقى ولا أعلم . أطهارا في أرواحهم ، أعزة في نفوسهم .

سار هذا الموكب الحزين ، عزيزا بدينه ، قويا بايمانه ، واثقا بربه .

لقد كان نور الحق يتألق في حواشي الصحراء ، ويتوهج في قمم الجبال .

كان هذا النور يلمس القلوب المريضة فيبرئها .

والصدور المظلمة فيضيئها .

والنفوس الحزينة فيواسيها .

فما باله اليوم ، تعلن عليه حرب ، لا هوادة فيها ولا رحمة ؟

سار هذا الموكب الحزين . المتفائل .

الحزين على ما يلقي من ظلم واضطهاد .

المتفائل الآمل في وعد الله ونصره .

المتوثب المسرور الذي يتوارد على ذهنه شتى الصور ، وتتلاحق امام عينيه شواخص المستقبل الزاهر .

ترى ماذا كان يدور بخلد هؤلاء ، وهم ذاهبون الى الشعب ؟

وماذا كان شعورهم ، وقد امتد حصارهم سنتين ؟

هل كان يعلم هؤلاء ، وقد قاطعتهم قريش سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، أنهم بعد فترة وجيزة من الزمن ، سيلقى إليهم التاريخ زمامه ، ليقودوه حسب ما يمليه عليهم دينهم ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ما ينتظرهم من عظائم الأمور ، وأنهم سيحملون إلى الناس بلاغة العروبة ، وأخلاق الاسلام ، وهداية الدين ، وأنهم سيمنحون البشرية سعادة الدنيا وخيرها ، وأجر الآخرة ونعيمها ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن الدنيا ستخضع لسلطانهم ، وأن العالم كله سيكون تحت سيطرتهم ، وأن الكفر سترتعد فرائصه من ذكرهم ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن هناك معارك دامية ، تنتظرهم في البر والبحر ؟؟

هل كان يعلم هؤلاء ، أن راية الاسلام سترتفع ، في فارس والروم والصين والأندلس ؟؟

لقد كان هؤلاء ، في الذروة العليا ، من قوة الروح ، ويقظة الضمير .

كانوا يعافون الضيم ، ويأبون الهوان .

يالسخرية القدر !!

أليس هذا محمد بن عبدالله الذي عرف بينهم بالصادق ، ولقب بالأمين ، واشتهر بالعفة والوفاء ، وكان الحكم بينهم ، حينما اختلفت آراؤهم ، في وضع

الحجر الأسود ؟؟

أليس هذا محمد بن عبدالله ؟؟

أفضل خلق الله على الله ؟؟

أطهر من مشى على الغبراء ؟؟

وأكرم من ظللته السماء ؟؟

وخاتم الرسل والأنبياء ؟؟

أليس هذا محمد بن عبدالله ومعه صحبه الكرام ؟؟

أتقى من أنجبت الدنيا ؟؟

وأعدل من حكموا بين الناس ؟؟

وخير من قادوا الشعوب والأمم ، بعد الأنبياء والرسل ؟؟

ولما فتحت الدنيا لهم أبوابها لم يطغهم الترف ، ولم تفسدهم النعمة ، بل كانوا مثلا تسرى وفضيلة تمشى بين الناس ، وطهرا يتحرك على الأرض .

آوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشعب ، ووقف الأعداء يمنعون أن يدخل إليهم أحد بشيء من طعام ، ومرت أيام ، وتعاقبت شهور ، وانقضت أعوام ، والمسلمون في شعب أبي طالب لا يجدون من الطعام ما يشبع جائعا ، ولا من الشراب ما يروي ظامئا ، ولا من الثياب ما يكسو عاريا .

وكانت هناك عواطف تحركت ، ونفوس سئمت هذا الحصار ، وللقوم إخوة وأبناء عمومة وخئولة ، ويألم « حكيم بن حزام » لما أصاب « فضالة بن هشام » أخاه من أمه ، وكان « حكيم » تأتيه العير من الشام ، تحمل الحنطة ، فيوجهها نحو الشعب ، ويضرب أعجازها فتدخل عليهم ، فيأخذون ما عليها من الحنطة ، وذلك في غفلة من قريش .

فقد روى أن « حكيم بن حزام » سار ومعه غلام له ، يحمل قمحا ، يريد عمته خديجة ، فتعلق به أبوجهل ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ، والله لا تبرح أنت وطعامك ، حتى أفضحك بمكة ، فجاء أبو البحتري بن هشام فقال : مالك وله ؟؟

ــ أبو جهل : إنه يحمل الطعام إلى بني هاشم .

ــ أبو البحتري : طعام كان عنده لعمته ، بعثت إليه به أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ، خل سبيل الرجل .

فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البحتري لحى بعير فشجه ووطئه وطئا شديدا .

أحكم الحصار ، وانقضت أعوام عجاف ، أصاب المسلمين الجهد ، فذبلت أجسامهم التي أنحلها الجوع ، وأرهقها الظمأ ، وأذهلها انتظار الطعام والشراب ، وأشرفت نفوسهم على التلف .

أكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر ، واشتد الألم ، ألم الجوع على

« سعد بن أبي وقاص » فيخرج في سواد الليل ، فيطأ على شيء رطب ، فيضعه في فمه ، فيبتلعه ، لا يدري أي شيء هو ، ولا يجد له طعما في فمه .

ويتصايح اطفال المسلمين ، فقد كادوا يهلكون جوعا وعطشا وعريـا ، ويتسامع المشركون بما أصاب المسلمين من الجهد والتعب والمسغبة فيسر أناسا ، ويسوء آخرين .

ومرت الأيام ، وأقبل موسم الحج ، ووفد الحجيج إلى بيت الله من كل فج عميق ، معهم إبلهم عليها تجارتهم من الطعام والثياب ، وفكر المسلمون المحاصرون . أن هؤلاء القادمين لم يوقعوا على صحيفة المقاطعة ، إذن فهم في حل أن يبيعوا بني عبد مناف ويبتاعون منهم ، وراود المسلمين الأمل ، فبعد قليل سيكون بين أيديهم ما يسدون به رمقهم ، ويطفئون ظمأهم ، ويستـرون أجسادهم .

وخرج من المسلمين من يشتري زادا ، ووقف على أحد التجار ، وكان يعرض قمحا ، وهم المسلمون بالشراء ، وبصر بهم أبو لهب ، فوقف في السوق مناديا :

يامعشر التجار : غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا ، فقد علمتم ما لي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن ألا خسار عليكم ، ويسمع التجار ذلك فيزيدون الثمن أضعافا ، وأخفق المسلمون ، ورجعوا ولم يحصلوا على ما يريدون ، ويفد التجار على أبي لهب فيضاعف ربحهم ، فيما معهم من الطعام والثياب ، ويفرح أبو جهل لما أصاب المسلمين .

وتحركت العواطف مرة أخرى ، قال أبو طالب لابن أخيه .

أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا الجهد ما ترى ، وإن رجالا من قريش قد استشعروا الندم على ما تعاقدوا عليه ، لولا شرف السمعة ، وتهمة الخيانة ، لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به ، من عهد الصحيفة .

وقد أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن صحيفة المقاطعة قد محيت ، ولم يبق منها إلا اسم الله تبارك وتعالى ، ويخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عمه بذلك .

أبو طالب : يتساءل مسرورا : هل ربك أخبرك بهذا ؟؟

الرسول صلى الله عليه وسلم : ( نعم ) .

يخرج أبو طالب منشرح الصدر ، ليتحدث إلى القوم ، فما عهد على ابن أخيه كذبا قط ، حتى ألد أعدائه لم يجرؤ أحد منهم على وصفه بهذا الوصف الشائن ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **( فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون )** الأنعام/٣٣ .

## « نقض الصحيفة »

وتتحرك العواطف ، وتثور العصبية مرة أخرى ، ويتولى « هشام بن عمرو »

تألب الناس على الصحيفة ، ويؤلمه ما يلقي أخوه « فضالة بن عمرو » فيسعى الى أشراف من قريش ، لهم في بني عبد مناف صهر وخئولة .

ذهب إلى « زهير بن أمية »

فقال له : يازهير : أرضيت أن نأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وننكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ؟! أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ، ما أجابك أبدا .

زهير : فماذا أصنع ، وأنا رجل واحد ؟ والله لو كان معي رجل آخر لنقضتها .

هشام : قد وجدت رجلا

زهير : من هو

هشام : أنا

زهير : أبغنا ثالثا

وذهب هشام الى « المطعم بن عدى » ليجنده لنقض الصحيفة .

هشام لمطعم بن عدى : أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد ذلك ، موافق عليه ، أما والله لو أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم أسرع .

المطعم : ماذا أصنع وانا رجل واحد ؟؟

هشام : قد وجدت ثانيا .

المطعم : من هو

هشام : أنا

المطعم : أبغنا ثالثا

هشام : قد فعلت

المطعم : من هو

هشام : زهير بن أمية

المطعم : أبغنا رابعا

ذهب هشام الى « أبي البحتري » ليضمه لقوته ، وقال له ما قال لصاحبه .

أبو البحتري : أبغنا خامسا

وذهب هشام إلى « زمعة بن الأسود » ليستعين به في مهمته ، وقال له ما قال لأصحابه ، وذكره بقرابته من بني عبد مناف .

زمعة : وهل على هذا الأمر معين ؟؟

هشام : نعم وذكر له زهير بن أمية ، والمطعم بن عدى ، وأبو البحتري بن هشام .

واتفقوا على اللقاء في مكان بأعلى مكة ، يسمى ( خطم الحجون ) وتعاهدوا على نقض الصحيفة ، حفاظا للدم ، ورعاية للحرمات ، ودفعا للظلم ، وتولى زعامتهم « زهير بن أمية » فلما أصبحوا ذهب إلى الكعبة حيث كان وجوه قريش

مجتمعين في ناديهم ، فتقدم زهير ، وطاف ، ثم أقبل على الناس .
زهير : ياأهل مكة أنأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى ، لا يباع لهم ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .
وارتج أبو جهل في مجلسه ، فقد ظن أنه صوت عابر لا يلبث أن يذوب ويتوارى ، وتململ في مجلسه ، وتحفز للرد ، فعلت الأصوات من كل جانب ، وارتفع صوت كل من : المطعم بن عدى ، وهشام بن عمرو ، وزهير بن أمية .
أبو جهل يصيح في حدة وغضب : كذبت والله لا تشق .
زمعة بن الأسود يتصدى لأبي جهل ويقول : أنت والله أكذب ، ما رضينا بها حين كتبت .
وتلاحقت الأصوات من كل جانب فكانت كالسهام الصائبة .
المطعم بن عدى : صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك .
وعلت أصوات التأييد فتضاءل أبو جهل ، وقال .
أبو جهل : هذ أمر دبر بليل ، وما احسبكم إلا دبرتموها في غير هذا المكان .
أبوطالب : يبادره في جماعة من قومه ، بل هو أمر قضاه رب محمد .
وتطاولت الأعناق نحو أبي طالب ، كأنهم يطلبون المزيد من التوضيح .
أبو طالب : إن ابن أخي أخبرني ، وهو عندي صادق أمين ، أن الأرضة أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم ، وتركت اسم الله تعالى ، فهلموا إلى صحيفتكم فأحضروها بين هذا الملأ ، فان كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا ، قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذبا ، علمنا أنكم على حق ، وإنا على باطل ، دفعته اليكم فما شئتم فافعلوا به .
وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ، فتناولها من جوف الكعبة ، وفض غلافها ، فاذا الأرضة قد أكلتها ، ولم تترك بها إلا « باسمك اللهم » .
ففغر الناس أفواههم ، وانعقدت الألسنة من الدهشة ، إلا أبا طالب الذي رفع بقيتها في يده ، وصاح بصوت مسموع .
أبو طالب : الآن قد تبين لكم أنكم أولو الظلم والقطيعة ، فبهت القوم ، ونكست الرؤوس الشامخة .

## « الموكب المنتصر »

من قام بفض هذه الصحيفة ؟؟
والرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل جيشا لمحوها ، ولم يجرد حساما من غمده ليمزقها ، بل قام بفكها أضعف مخلوق بمكة « إن الأرضة قد أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم ، وتركت اسم الله تعالى » .
وصدق الله العظيم إذ يقول : **( ولله جنود السموات والأرض )** الفتح / ٤ .

**( وما يعلم جنود ربك إلا هو )** المدثر/ ٣١ .

علم المسلمون وبنو هاشم وبنو المطلب المحاصرون في الشعب ، بأمر تمزيق الصحيفة ، فكبر المسلمون فرحين مستبشرين ، وحزموا أمتعتهم ، وخرجوا من الشعب متوجهين الى مكة ، وساروا في طرقاتها يلتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالات حول القمر .

سار هذا الموكب المنتصر ليعود الى نشر دعوة الله مستهينا بما سوف يلقي في سبيل الله .

ياقدرة السماء : أليس هذا الموكب المنتصر المسرور ، الفرح بتأييد الله ، ونصره وعونه ، هو الذي خرج بالأمس القريب في موكبه الحزين ؟؟!!

الحزين على ظلم أهله وقومه

الحزين على هذه المقاطعة الآثمة الظالمة .

إذا به اليوم يخرج في موكب النصر بين التهليل والتكبير .

فرح الطغاة بهذه المقاطعة الظالمة ، وظنوا أنهم سددوا للمسلمين ضربة قاصمة ، تفرق جمعهم ، وتبدد شملهم ، ولكن طاش سهمهم ، وخاب فألهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم .

إن المسلمين أكبر من أن تهزهم هذه السفاسف وإن عظمت ، أو تفرقهم هذه الأحداث وإن تتابعت ، أو تفتر عزيمتهم الدنيا كلها وإن تجمعت .

لقد بهروا العالم بمبادئهم .

وهزوا عروش كسرى وقيصر بايمانهم .

إذن فلتتعاهد قريش ولتمض في طريق الشر والغواية والظلم والقطيعة .

فالمسلمون ثابتون على دينهم ، متمسكون بعقيدتهم ، واثقون من نصر الله لهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون )** الصافات/ ١٧١ ـ ١٧٣ .

لقد علا صوت الحق ، ورفرفت راية الاسلام ، وعلا وجه الكفر الذل والخزي والعار .

وخرج المسلمون المحاصرون في شعب أبي طالب .

ودار الفلك دورته ، وإنقضت أعوام ، هاجر المسلمون بعدها إلى المدينة المنورة ، فتكونت دولة الاسلام . الفتية القوية .

ثم عادوا الى مكة .

مكة التي كانوا محاصرين فيها لا يبيعون ولا يبتاعون ، عادوا إليها فاتحين مظفرين ، واستسلم قادة الكفر ، ورؤوس الضلال ، واستسلموا صاغرين مدحورين .

**( ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض )** القصص/ ٥ ، ٦ .

# ياأسوة سعد الأنام بنورها

للدكتور/احمد حسنين القفل

إن كنت للاسلام خير دعاته ... هذا رسول الله خير حماته
كان الأمين ، وذا الوفاء لعهده ... والطاهر المفضال في خطواته
كان اليتيم ، فما تخاذل وانثنى ... فاليتم لا يثنيه عن غاياته
لله درك من عصامي سما ... فوق السماك ، وزاد عن هاماته
ياأعزلا ، خضع العتاة لحكمه ... بالعدل والانصاف في طياته
ياهاديا ، راد الطريق بحكمة ... حتى أنار الكون من ظلماته
ناضلت عن حق فأزهق باطلا ... قد شوه الأخلاق من نكباته
وأد البنات ، وهتك عرض بعضه ... والقتل والشحناء بعض صفاته
عجبي لأمي ، تناهى علمه ... أثرى الأنام بهديه وعظاته
نور على نور ، فمن يبغي هدى ... فهو الذي يشفيه من علاته
يادولة الاسلام ، هيا للعلا ... هيا ، فضمي الشمل بعد شتاته
هيا ارفعي علم الجهاد وأسرعي ... للمجد ، فالاسلام خير بناته
لن يستسيغ الذل من أسلافه ... كانوا ملوك الدهر ، من هالاته
كانوا الأباة ، فان دين « محمد » ... حاشاه يرضى الضيم من عاداته
ليس الذليل النذل من أبنائه ... أبدا ، وليس اليأس من شاراته
هذا « محمد » كان فردا أعزلا ... فاذا العروش تهد من صولاته
قد أرغم الخصم العنيد لركبه ... وغدا سراج الكون ، من ساداته
لم تثنه الأحداث ، وهي فواجع ... صبت عليه من جميع جهاته
أن ينصر الدين الذي يدعو له ... ويقر غير الحق في خطواته
عرضوا عليه المال ، إذ هو معسر ... والملك ، كي ينحاز عن دعواته
فأبى ، وعاش على الكفاف مناضلا ... عن خير دين ، قد أحب لذاته
بأبي وأمي أنت ياأصل الهدى ... ياخير خلق الله في طاعاته
ياأسوة سعد الأنام بنورها ... نور أضاء الكون في رحباته
أنت السراج يضيء أركان الورى ... يهدى الحيارى من عظيم هباته

# من إشراقات المولد النبوي

إن ذكرى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه مستقرة في نفس كل مؤمن ، لا تنسى ولا يختص بها زمان دون زمان . ومن عظم شأنه وعلو قدره صلى الله عليه وآله وسلم فقد قرن الله بينه وبين اسمه الكريم في كلمة التوحيد التي يكون بها المرء مسلما ، والتي هي الحد الفاصل بين الايمان والكفر ، وهي « لا إله إلا الله محمد رسول الله » صلى الله عليه وآله وسلم . وجعل المناداة باسمه جزءا من الاذان الذي يكرر خمس مرات في كل ليل ونهار بصوت مسموع تتجاوب به المآذن في بيوت الله من الصباح

للدكتور / عبدالله بن عبد القادر بلفقيه الحسيني

والمساء ، إيذانا وإعلاما بالصلوات المكتوبة ، وجمعا على عبادة الله ، فيتعارفون ويتحابون ويتعاونون ويتحدون ، وانه ليذكر في التشهد كلما صلى مسلم فرضا او نفلا .

وذكر محمد عليه الصلاة والسلام قد خلده الله في كتابه الخالد ، ذكره باسمه الصريح ، وذكره بوصف الرسالة اصطفاء من الله على علم ، وذكره بوصف العبودية لله الواحد ، وذكره بعظمة خلقه ، وذكره برحمته للناس اجمعين وذكره بأنه المزكي للنفوس ، المعلم للكتاب والحكمة ، وذكره بالتبشير والانذار ، وأنه شهيد على أمته ، وبأنه صاحب المقام المحمود ، وجعل محبته من محبته ، وطاعته من طاعته ، وعصيانه من عصيانه صلى الله عليه واله وسلم .

وهكذا تلمع هذه الذكرى الحبيبة في كل موطن الاسلام عقيدة ، وعبادة ، وقدوة واهتداء ،وتفتر عنها ملايين الألسنة والشفاه في مشارق الأرض ومغاربها حينما أذن مؤذن أو أجاب مجيب أو صلى مصل أو آمن مؤمن أو تلا قاريء أو حدث محدث .

تلك لعمري هي الذكرى وهذا هو الخلود .

كان ايمان الأولين السابقين بهذه الذكرى وبصاحب هذه الذكرى عليه الصلاة والسلام ايمانا عمليا بالأفعال قبل الأقوال ، بالقلوب والأرواح قبل الصور والأشباح ، بالدموع والدماء ، بالأموال والأنجال ، بالأهل والعشيرة ، بالمتاع والنعيم ، بكل لون من ألوان التضحية والايثار والجهاد ، آمنوا بنبيهم ، وذكرى نبيهم لا عن طريق الخطب التي تلقى في شمائله ، ولا عن طريق الحفلات تطلق فيها الأنوار الصناعية والزخارف المزينة ، وإنما آمنوا عن طريق اتباعه وإحياء سننه والتحلي بأخلاقه ، واقامة شرعه ودينه ، امنوا بهذا وعلموا ان الايمان الحق يثمر المحبة الصادقة ، وللمحبة الصادقة حقوق وعليها تبعات ، فمن حقوقها المتابعة للمحبوب ، والرضا بما يرضيه ، والغضب لما يغضبه ، ومن تبعاته تحمل المشاق والتضحية بأعز شيء في سبيل الوصول الى رضاه : ( **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ) ال عمران / ٣١ : ( **قل إن كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره** ) التوبة / ٢٤

هكذا شأن المؤمنين الأولين يوم كان الايمان قويا في النفوس ، تشتعل

جذوته فتلتهب الجوارح وتبذل الأنفس ، وهكذا كانت الذكرى ماثلة في كل شيء ، في اقوالهم اذا نطقوا في حركاتهم اذا تحركوا وفي سكونهم اذا سكنوا ، وفي جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، السرية والعلنية ، الدنيوية والأخروية اساسها هذا النور المبين الذي جاء به محمد عن ربه ، فكان دستور الحياة وينبوع العزة والقوة والسعادة ، :( **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** ) الاسراء / ٩

هكذا كان شأنهم ، كانت جميع اوقاتهم وجميع اعمالهم ذكريات متتابعة بهذا الرسول الكريم ، وكانت حالتهم مثالا صادقا ومرآة صافية ترى منها سيرته صلى الله عليه واله وسلم وشرعته واخلاقه ، فلم تكن بهم حاجة الى مذكر وهم في الذكرى دائما سابحون وبنورها مهتدون .

ظل المسلمون كذلك حتى ضعفوا واستكانوا ، فانطفأ هذا النور من قلوبهم ، وأقفرت بصائرهم من أسراره ، ولم يبق لهم منه الا صور مرسومة بحروف في الصحف أو الكتب يرجعون اليها كلما عاودتهم الذكرى أو اهل عليهم ربيع .

اكتفوا بذكرى محمد صلوات الله وسلامه عليه في شهر ربيع من كل عام كما اكتفى غيرهم ، وانه كان على خلق عظيم ، وان شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، وتركوا الاقتداء والتأسي ، وانحازوا الى شرائع وتقاليد واخلاق لا يعرفها محمد ، وما انزل الله بها من سلطان فانخفضت رءوسهم واستوت اعناقهم ، وضعف سلطانهم ، وتفرق شملهم وتناثرت عزتهم ، شغلوا بالقول ونسوا ان دينهم ومنبع عظمتهم ومجدهم ، اساسه الايمان والعمل : ( **والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** )سورة العصر .

لا نعلم في القران ولا في تعاليم الرسول اية واحدة او حديثا واحدا يجعل سبيل السعادة مجرد القول ، بل نراهما ينوطان النجاح دائما بالايمان والعمل ، وينعيان على القوالين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم : ( **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ) الصف / ٢و٣ .

نعم ، قد اجد القول في شيءمن الايات والأحاديث ، ولكن تجده ، مقرونا بطلب العمل « قل امنت بالله ثم استقم »

وهكذا كان صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه فعالا قبل ان يكون قوالا ، وكان فعله اكثر من قوله ، كان معلما للخير بفعل الخير ، وكان داعيا للفضيلة ، وكان قدوة في اعماله واسوة بأفعاله ، يتوضأ ويقول لأصحابه « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي » رواه ابن ماجه واحمد وكان يصلي ويقول لأصحابه « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري وكان يحج ويقول : « خذوا

عني مناسككم » رواه النسائي

ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم شجاعا كأتم ما تكون الشجاعة ولم يكن شجاعا بالقول فقط وانما كان شجاعا بالفعل ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب لقد كنا اذا حمى الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو اقربنا الى العدو ، وكان من اشد الناس يومئذ بأسا ، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه .

والتاريخ لم يعرف قائدا حكيما صبورا جلدا كمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فر أصحابه من موقعهم يوم أحد متلهين بالغنائم ، ومعاندين أمره الذي أمرهم به . الا يبرحوا الشعب ولو رأوه واصحابه يقتلون . فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي بنفسه عن قوسه حتى تحطمت ، واحاط نفر من المسلمين به يدفعون عنه ويحمونه ، وترس أبو دجانة ، بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحنى ظهره والنبل يقع فيه ، ووقف سعد بن أبي وقاص الى جانبه يرمي بالنبل دونه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناوله النبل ويقول له ارم فداك أبي وأمي .

واصيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقع لشقه وكسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وجرحت شفتاه ، ودخلت حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته ، ولكنه مع كل هذا تمالك نفسه وأخذ ينادي المسلمين « إلى عباد الله » فاذا به يقع في حفرة حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون فيأخذ علي بن أبي طالب بيده ويرفعه طلحة بن عبد الله حتى يستوي .

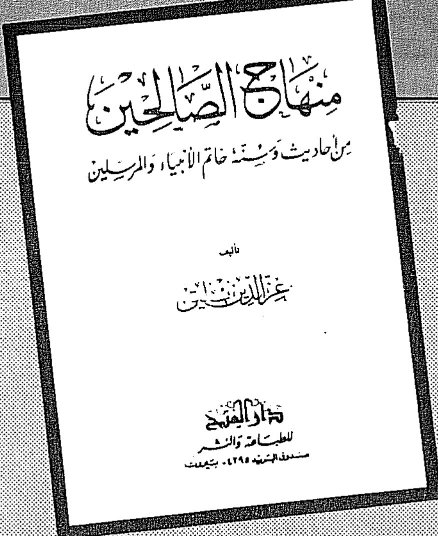
موقف من مواقف الشجاعة العملية لا يعهد لقائد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي هذا الموقف العملي يقول الله تعالى في كتابه العزيز : ( **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون** ) ال عمران ١٥٢ . ١٥٣

ولقد كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشترك مع اصحابه فيما يفعلون من شئون الحرب كأنه جندي منهم ، وكان يحمل التراب في غزوة الخندق على كاهله ، وهو يعلم أن فيهم من يكفيه ذلك راضيا مسرورا ، ولكنه يضرب لهم الأمثال بما يفعل ويثير في قلوبهم حماسة الايمان : ( **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ) الاحزاب / ٢١ .

تلك لعمري هي الذكرى وهذا هو الخلود .

# كتاب الشهر

# أضواء على كتاب منهاج الصالحين




**المؤلف** : مؤلف [ منهاج الصالحين ] هو الأستاذ عز الدين بليق ، الكاتب الاسلامي اللبناني الذي عرفته الصحافة العربية الاسلامية من خلال مقالاته التي نشرت في بيروت والعالم العربي ، وهو مندوب المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الاسلامية بمنطقة الشرق الاوسط ، وقد زار اندونيسيا بدعوة من الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء اندونيسيا الاسبق ، واصدر كتابه الاول عن رحلته الى اندونيسيا بعنوان [ انقذوا اندونيسيا يا مسلمون ] استعرض فيه أوضاع المسلمين ونشاط الحركة الاسلامية والحركات التبشيرية مدعما بالخرائط والصور البيانية .

وقد اصدر كتابه الثاني الكبير [ منهاج الصالحين ] منذ عدة أشهر ، والذي استقبلته الاوساط والمراكز العلمية والجامعات بالترحاب ، كما استقبلته الصحف والمجلات في العالم العربي بالثناء والتقدير وقد بذل فيه المؤلف جهدا مباركا مشكورا يشبع رغبة ملحة لدى الكثيرين من المسلمين في العصر الحاضر في الاطلاع على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، من أقرب طريق ، كما جعله مرجعا شاملا للعقائد والعبادات والقوانين العامة ، والآداب الاجتماعية ، وهو الى جانب ذلك يقدم البلاغة النبوية الى القراء بصورة جميلة شيقة في العرض ، ممتازة في الاختيار حيث عرض أنماطا من البلاغة النبوية في كل باب من أبواب الكتاب ، وفي كل فصل من فصوله .

ومن الجدير بالذكر أنه لا

يتسنى للباحث أو القارئ، أو طالب العلم أن يجد هذه الاحاديث التي اشتمل عليها الكتاب في مرجع واحد ، أو مصدر معين من مصادر كتب الحديث .

وها هو الأستاذ عز الدين بليق يساهم مساهمة مشكورة في جمع الآحاديث وتبويبها تبويبا جميلا وتقريبها الى القراء ، ويضع العناوين المناسبة والملائمة لمضمونها .

**الكتاب :**

ومنهاج الصالحين يحتوي على :

ـ مقدمة مهمة في علم الحديث .

ـ وعلى الخطوط الرئيسية لرسالة الاسلام بعنوان [ معالم الاسلام ] .

ـ وعلى ( تعريفات أساسية ) توضح معنى الاسلام والايمان والاحسان ، والمسلم والمؤمن ؛ والكافر والمشرك والملحد ، والمنافق ، والمستأمن والحربي ، وأهل الكتاب والذمة والمواطنين ، والانسان وبني آدم ، والحياة الدنيا ،

ـ والمؤلف يصدر كل ابواب الحديث بآيات كريمة من القرآن الكريم تناسب أبواب الحديث .

ـ وأهمية [ منهاج الصالحين ]أنه خلا من الأحاديث المتعارضة والأحاديث الضعيفة والموضوعة والمكررة ، بل إن المؤلف استبعد بعض الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح على أنها صحيحة ، إذا تبين له أن فيها علة تقدح في صحتها من ناحية المتن .

ـ كما يسلط الأضواء على رسالة الاسلام الأخلاقية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وقد أورد في الكتاب أجمع ما ورد في الاخلاق الفاضلة ـ ٢٧ بابا ـ وما يقابل ذلك من النهي عن الأخلاق السيئة .

ـ بالاضافة الى ذلك تجد أبواب ( السياسة الداخلية للرسول ) و ( السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ) في هذا الكتاب والتي لا يجدها القارىء في كتب الحديث بل يجدها في كتب السيرة والتاريخ .

ـ و [ منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ] كتاب شامل جامع يمتاز بالتنسيق والتبويب ويصلح لعامة المسلمين ، للطالب والمدرس ، للطبيب والمهندس ، والعامل ورب العمل ، وللزوج والزوجة وليس فقط للخاصة والعلماء والفقهاء .

وهو يقع في ١٠٢٤ صفحة من القطع الكبير ، في مجلد واحد . وقد صدر عن دار الفتح للطباعة والنشر في بيروت .

# ماذا تعرف عن مكة عند البعثة؟

للاستاذ علي القاضي

**موقع مكة :**

تقع مكة بين الأخشبين ـ جبل أبي قبيس المشرف على الصفا ، وجبل الاحمر المشرف وجهه على قعيقعان ، كما أنها تقع في مكان تلتقي فيه جميع الطرق الآتيـة من كل الجهـات ـ الطريق الغربي الذي يبدأ من ظفار جنوبا ، وينتهي عند تيماء عبر مكة ، والطريق الشرقي الذي يبدأ من ظفار جنوبا وينتهي عند الطائف ، وتتصل بالبحر الاحمر عبر طريق ميقاتهـا جدة .

كانت مكة معبرا رئيسيا للقوافل الآتية من الشمال او الجنوب فتأثرت

بأوضاعهم ، وهي من اقدم مدن العالم ، يقول جارج بال ـ مترجم القرآن بالانجليزية في مقدمة الترجمة : « إن مكة معناها مكان تجمع عظيم ، وهي من أقدم مدن العالم بالتأكيد » .

### كيف نشأت مكة

ذهب ابراهيم عليه السلام بالسيدة هاجر وابنها إسماعيل إلى مكان مكة التي لم يكن يسكنها أحد في ذلك الوقت ، ولم يكن بها ماء ولا طعام ، وحين طلب اسماعيل الماء ذهبت والدته يمنة ويسرة علها تجد ماء يروي غليل طفلها الرضيع ، فلم تجد ما تبتغيه ، فجعلت تحفر في مكان بئر زمزم ، فخرج الماء فشرب وليدها ، وشربت ، وقال لها الملك : لا تخافي الضيعة فان ههنا بيتا يبنيه هذا الغلام وأبوه ، إن الله لا يضيع أهله .

في هذه الفترة مرت رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فرأوا طائرا يحوم في السماء ،فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما به ماء ، فارسلوا رسولا فاذا هم بالماء فرجعوا وأخبروا قومهم ، فأقبلوا وقالوا لام اسماعيل : أتأذنين لنا ان ننزل عندك ، قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : نعم ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ـ وشب اسماعيل وتعلم العربية منهم وقد أحبوه ، فلما ادرك زوجوه امرأة منهم ، وماتت أم اسماعيل ، وجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل .. قال ابراهيم لابنه اسماعيل : إن الله آمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمر ربك ، قال : وتعينني ، قال : وأعينك ، قال : فان الله أمرني ان ابني هنا بيتا ، واشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني ، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه لهم ، فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

فصارت ولاية البيت ومكة لاسماعيل ، ثم لذريته من بعده ، وانتشرت ذريته في الحجاز وكثرت ، ثم غالبهم عليه اخوالهم من جرهم ولم ينازعهم بنو اسماعيل لقرابتهم وإعظامهم للحرمة ألا يكون بمكة قتال ، ثم ان جرهم بغوا في مكة وظلموا من دخلها ، فلما رأى ذلك بنو بكر ابن عبد مناف من كنانة وغبشان من خزاعة اجمعوا على جرهم فا قتتلوا فغلبهم بنو بكر وغبشان ونفوهم خارج مكة ، فقد كانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم ، ولا يبغي فيها أحدالا اخرج ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك .

ثم ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بكر ، وقريش اذ ذاك بيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك ، حتى كان آخرهم حليل بن معينة فتزوج قصي بن كلاب ابنته ، فلما عظم شرف قصي وكثر

بنوه وماله ، هلك جليل ، فرأى قصى انه اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة وبني بكر ، وان قريشا رؤوس آل اسماعيل وصريحهم ، فكلم رجالا من قريش وكنانة في اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه ، وقال لهم : نحن اولى بهذا البيت منكم ، فا قتتل الناس قتالا شديدا ، وغلب قصى ، وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى ، وعرفوا انه سيمنعهم ويحول بينهم وبين الكعبة وامر مكة ، فلما انحازوا بادأهم وأجمع لحربهم ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، ثم تداعوا الى الصلح فحكموا يعمر بن عوف احد بني بكر ، فقضى بينهم « قصيا اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة ، وكل دم اصابته قصى منهم موضوع شدخه تحت قدميه ، وما اصابت خزاعة وبنو بكر فيه الدية وأن يخلى بين قصى وبين الكعبة » فسمي يومئذ يعمر الشداخ - فوليها قصى وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك عليهم وملكوه ، وأقر للعرب ما كانوا عليه لأنه يراه دينا لا يتغير .

مكة الجديدة وقصى :

**ملك قصى على قومه واهل مكة وصارت اليه الحجامة ، والسقاية ، والرفادة والندوة ، واللواء ، وبذلك حاز شرف مكة كلها ، فأعاد تخطيط مكة ، فقطعها رباعا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها ، واصبحت داره بيت شورى لقريش والعرب ، فلا يقضي امر من امورها الا فيها تشريف له ، وقد سموه مجمعا ، لما جمع من امرهم واصبحوا يأتمرون بأمره .**

**فلما هلك اقام بنوه امره لا نزاع بينهم ، ثم إن بني عبد مناف ارادوا اخذ ما بيد عبد الدار ، واخيرا تداعوا الى الصلح ، على ان لعبد مناف السقاية والرفادة ، ولعبد الدار اللواء والحجابة والندوة ، فرضوا ، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الله بالاسلام ، فقال : صلى الله عليه وسلم : « كل حلف في الجاهلية لم يزده الله الا شدة » .**

**وفي منتصف القرن الخامس الميلادي ، انتقلت مكة من طور البداوة الى طور الحضارة المحدود ، وخضعت لنظام يقوم على انفاق تطوعي ، وتفاهم جماعي ، وتوزيع للمسئوليات والمهام ، وذلك على يدي قصى بن كلاب الجد الخامس للرسول عليه الصلاة والسلام ، وبذلك اصبحت مكة كبرى مدن الجزيرة العربية ، وبدأت تنافس صنعاء اليمن في زعامة الجزيرة بل انها تفوقت عليها بعد ما حدث باليمن من استيلاء الحبشة عليها ، وأصبحت مكة عاصمة الجزيرة العربية الروحية والاجتماعية ، وقد سماها القرآن الكريم « ام القرى » ( وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها ) الشورى/٧ .**

## دار الندوة :

هي دار قصي بن كلاب اسسها لاصقة بالمسجد الحرام ، وجعل بابها الى مسجد الكعبة ، وقد اصبحت دار الشورى لقريش ، ودار الحكم في مكة ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، ولا يتشاورون في امر نزل بهم ، ولا يعقد لواء لحرب لقوم من غيرهم الا في هذه الدار ، يعقده لهم بعض ولده ، ولا يرد عليه شيء صنعه ، وكان تعظيمه بعد وفاته كما كان في حياته ، ولم يكن يدخل دار الندوة من غير قصي الا ابن الاربعين ، ويدخلها بنو قصي جميعا وكذلك حلفاؤهم ، وكانت تجمع اقيال العرب وكبراء القبائل من شتى انحاء الجزيرة من اليمن جنوبا الى الغساسنة شمالا ، فاذا اهم العرب امر واحتاجوا الى امر جامع ، لا يجدون بنايةتجمعهم الادار الندوة في ارض مكة ، وكانت الرياسة فيها لقريش ..

وكان عليه الصلاة والسلام يحضر ندوة قريش في صدر حياته ، وكان مع هدوء نفسه واطمئنان قلبه يلفت الأنظار ، وتتطلع اليه الابصار ، ويروي ان النبي عليه الصلاة والسلام ( كما ذكر في كتاب « زهر الآداب » حضر الندوة ، وكان فيها قيل من اقيال اليمن ، فرأى الرسول ، ولاحظ انه كل ما عرض يراه خيرا اطمأن الى القول اطمئنان المؤمن ، واذا كان ما يرى فيه غير ذلك أحد البصر في هوادة من غير لين ، فقال ذلك القيل : ما لي أرى هذا الغلام ينظر اليكم تارة بعيني لبؤة ، وتارة بعيني عذراء خضرة ، والله لو أن نظرته الاولى كانت سهاما لانتظمت افئدتكم فؤادا فؤادا ، ولو أن نظرته الثانية كانت نسيما لأنشرت أمواتكم » .

وكانت المسئوليات موزعة بين رجال من قريش اقرت لهم بالفضل وحصافة الرأي ، وكانوا يتوارثون المكارم كابرا عن كابر ، وعند البعثة كان الذين يتولون هذه المناصب على النظام الآتي :

كان لأبي بكر ، وهو من تيم الاشنان ، الديات والمغارم ، فكان اذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه ، وامضوا حمالة من نهض معه ، واذا احتمل غيره خذلوه ، وكان لخالد بن الوليد وهو من بني مخزوم القبة والاعنة ( القبة يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش الاعنة – كان على خيل قريش في الحرب ) وكان لعمر بن الخطاب – وهو من بني عدي – السفارة فاذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرا ، وان ناداهم حي بمفاخرة جعلوه منافرا ورضوا به ، وكان لصفوان بن امية وهو من جمح الاسار ، وهي الأزلام فكان لا يسبق بأمر هام حتى يكون هو الذي يسيره على يديه ، وكان للحارث بن قيس الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لآلهتهم .

## حلف الفضول :

اجتمعوا له في دار عبد الله بن

جدعان لشرفه وسنه وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب واسد بن عبد العزي وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة ـ وتعاهدوا على ان لا يوجد بمكة مظلوم من أهلها او ممن دخلها الا قاموا معه حتى ترد اليه مظلمته فقال الزبير بن العوام

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا
ألا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تحالفوا وتعاقدوا
فالجار والمعتر فيه سالم

شهد رسول الله عليه الصلاة والسلام حلف الفضول وقال بعد ان ارسله الله تعالى ( لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان مع عمومتي حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو دعى به في الاسلام لأجبت )

**الوثنية في مكة :**

كانت ذرية اسماعيل عليه السلام على دين اسماعيل قرونا طويلة ، ولم يزالوا على ذلك حتى نشأ فيهم عمرو ابن لحي الخزاعي ، نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على امور الدين فأحبه الناس حبا عظيما ودانوا له لذلك ، حتى ملكوه عليهم فصار ملك مكة وولاية البيت بيده ، وظنوا انه من اكابر العلماء وافاضل الأولياء ، ثم انه سافر الى الشام فرآهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك وظنه حقا ، لأن الشام محل الرسل والكتب فلهم الفضيلة بذلك على اهل الحجاز وغيرهم فرجع الى مكة وقدم ومعه « هبل » وجعله في جوف الكعبة ودعا الى الشرك اهل مكة فأجابوه ، وأهل الحجاز في دينهم تبع لأهل مكة ، لأنهم ولاة البيت واهل الحرم ، والى جانب ذلك فهناك اسباب اخرى للوثنية ، فالوثنية من بقايا الديانات القديمة مثل قوم نوح فقد كانوا وثنيين كما ان من اسبابها انتقال العدوى من الرومان ، وعدوى العقائد تسري كعدوى الأمراض ، والغساسنة عرب ، وكانوا يخضعون للروم والى جانب ذلك ما يقولونه من ان اول ما كانت عليه عبادة الامجاد من بني اسماعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت بهم مكة ، الا حمل حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، ويطوفون به كطوافهم للكعبة ، ثم خلف من بعدهم خلف نسوا ما كان عليه الآباء وعبدوا الحجارة ، ومع ذلك فهم لم ينسوا الله تعالى ، وهذا فرق واضح بين وثنية العرب التي فيها ايمان بالله بلا وحدانية ووثنية الروم التي ليس فيها ذكر لله ، وفي ذلك يقول الله تعالى **( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله )** لقمان/ ٢٥ .

ومن الاشياء التي ابتدعوها ما رواه قتادة قال : عمد ناس من اهل الضلالة فجزءوا من حروثهم ومواشيهم جزءا لله وجزءا لشركائهم وكان اذا خالط شيء مما جزءوا لله فيما جزءوا لشركائهم خلوه ، واذا خالط شيء مما جزأ لشركائهم فيما جزءوا لله ردوه على شركائهم ـ وكان

اذا اصابتهم السنة ـ يعني الجدب ـ استعانوا بما جزءوا لله وأقروا ما جزأ لشركائهم ـ ولهذا نزل قوله تعالى ( **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون** ) الأنعام / ١٣٦ .

وعدد الاصنام التي كانت في مكة في جوف الكعبة عند البعثة ٣٦٠ ، كبيرها هبل ، وهو الذي نادى به ابو سفيان بعد موقعة بدر بقوله : اعل هبل ، وكان على بئر في جوف الكعبة وهو الذي يجمع فيها ما يهدي للكعبة ، وكان بالعقيق الأحمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى ادركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدا من ذهب .. وكان امام البيت صنمان ، اساف ونائلة ، وكانوا يذبحون عندهما ، وكان في كل دار بمكة صنم يعبدونه وكانت الاصنام يطاف بها في مكة فيشتريها اهل البادية ويخرجون بها الى بيوتهم ، وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام ، ومن اشهر الاصنام « ود » بدومة الجندل لكلب ، وسواع لبني هذيل ، ويغوث لبني مذحج ، ويعوق لهمذان ، ونسرا بأرض حمير لذى الكلاع ، واللات بالطائف لثقيف وقد هدمها المغيرة بن شعبة ، ومناة بيثرب للخزرج هدمها علي ، والعزى لكنانة بنواحي مكة هدمها خالد بن الوليد وأساف ونائلة على الصفا والمروة ..

واهل مكة على وثنيتهم كانوا يعظمون الكعبة يطوفون بها ويقفون بعرفات والمزدلفة وان كانت التلبية قد اصبح فيها زيادات ..

وبدأت قريش ، مع توالي الزمن ، ترى أن لها حقوقا على سائر العرب في شئون الحج فخالفوا الناس في كثير من المناسك وابتدعوا اشياء بقصد الكسب المادي وسميت قريش حمسا لتشددهم وتحمسهم وتنطعهم في الدين بقصد الترفع والتعالي .

### امتيازات :

قالت قريش : نحن بنو ابراهيم وولاة البيت فليس لأحد من العرب مثل حقنافلا نعظم اشياء من الحل مثلما نعظم الحرم ، لئلا تستخف العرب بحرمتنا ، فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها ، مع معرفتهم انها من المشاعر من دين ابراهيم ، ويرون لسائر العرب ان يقفوا بها ويفيضوا منها ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من اهل الحرم مثل ما لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك ، ثم ابتدعوا في ذلك امورا فقالوا : لا ينبغي للحمس ان يقطوا الاقط ولا أن يسلوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شعر ، ولا أن يستظلوا إلا في بيت من الأدم ما داموا حرما ـ ثم قالوا : لا ينبغي لأهل الحل ان يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل الى الحرم اذا كانوا حجاجا او عمارا ، ولا

يطوفوا بالبيت اذا قدموا اول طوافهم ، الا في ثياب من الحمس ، فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة ، فان لم يجد القادم ثياب احمس طاف في ثيابه والقاها اذا فرغ ولم ينتفع بها احد غيره فكانت قريش تسميها الكفى وحملوا على ذلك العرب ــ فدانت به ــ أما الرجال فيطوفون عراة واما النساء فتضع المرأة ثيابها كلها الا درعا مفرجا ثم تطوف به فقالت ضاعة بنت عامر بن صعصعة وهي تطوف :

اليوم يبدو كله او بعضه
وما بدا منه فلا احله

قال السهيلي : ابتدعت قريش هذا لتبيع الثياب للحجاج وتكسب ما تشاء من المال ثم تغالت حتى عجز كثير عن الأثمان التي تطلبها قريش فأمروهم ان يطوفوا عراة ، ولم يزالوا كذلك حتى جاء الله بالاسلام فأنزل **( ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس )** البقرة/ ١٩٩ وانزل **( يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير )** الاعراف / ٢٦

**النشاط التجاري والثقافي .**

كان لقريش رحلتان تجاريتان احداهما الى الشام في زمن الصيف والاخرى الى اليمن في زمن الشتاء ، وكان اول من سن الرحلتين هاشم ابن عبد مناف ، وكانت عير قريش العائدة من الشام عند غزوة بدر قد بلغت الف بعير وبلغ المنقول عليها خمسين الف دينار ، وكانت المتاجر تغدو وتروح ذاهبة الى اليمن حاملة اليها بضائع الروم ومن اليمن تنفذ الى ما وراءها ، وكانت بضائع الفرس التي تؤخذ من اليمن تذهب الى الشام لتصل الى ما وراءها من الرومان ، وكان من النساء تاجرات لهن نشاط في ارسال القوافل التجارية الى الشام ــ منهن السيدة خديجة والحنظلة ام ابي جهل .

وكانت اشهر الحج عندهم اشهرا حرما يعقدون فيها اسواقهم التجارية بجانب البيت وداخل حدود الحرم ، والناس يهرعون الى هذه الاسواق يؤمونها من جهات الجزيرة البعيدة ليقضوا فيها حاجاتهم ويتزودوا لقومهم منها اسواق العطارين والفاكهة والرطب ــ وكان هناك مكان للحجامين والحلاقين ، وكانت رحيبة واسعة تباع فيها الحنطة والسمن والعسل والحبوب يحملها البعير من الخارج ــ وكانت اليمامة ريف مكة ، ولذلك فحين منع ثمامة بن اثال ، سيد بني حنيفة حمل الحنطة الى مكة بعد ما اسلم جهدت قريش وكتبوا الى رسول الله عليه الصلاة والسلام يسألونه ان يكتب الى ثمامة يخلى اليهم حمل الطعام فقبل ، وكان في مكة زقاق للحذائين وسوق للبزازين ، وكان تجار مكة يتجولون في بلاد كثيرة من افريقية واسيا ، وكانوا ينقلون من افريقية الصمغ والعاج والتبر وخشب الابنوس ومن اليمن الجلود والبخور والثياب ومن العراق التوابل ومن الهند الذهب والقصدير

والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والزعفران ، ومن مصر والشام الزيوت والغلال والاسلحة والحرير والخمور وكانوا يرسلون الى الامراء والملوك من بضائع مكة الجلود ، كما فعلت قريش حين بعثت الى النجاشي عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ليستردوا من هاجر من المسلمين الى الحبشة ولكنهم كانوا يحتقرون الصناعة ولم يباشرها الا الموالي وابناء العجم الا بعض صناعات كانوا مضطرين اليها .

وقد جعلوا من اشهر السنة اربعة اشهر يحرم فيها الصراع ، وفي اثناء هذه الأشهر تقام الاسواق حول مكة ، فتختلط التجارة وهي عملهم — بالحج الاكبر وهو عقيدتهم وبالشعر والخطابة وهو رمز قوميتهم ، فاذا جاء الموسم خرج الناس الى مواسمهم فيجتمعون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة ، فيقيمون عشرين ليلة تقام فيها اسواقهم بعكاظ ، والناس يبيعون ويشترون فاذا مضت العشرون ، انصرفوا الى مجنة فاقاموا بها عشرا واسواقهم قائمة فاذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فاقاموا بها ثمان ليال اسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية الى عرفة آخر اسواقهم ، وبذلك يحضر اكبر عدد من المناطق النائية لكي يزودوهم بالشعر والاقتصاد ، وكانت تقام المسابقات الادبية حيث يتبارى الشعراء والخطباء في ذكر مفاخر قبائلهم ، وكان لهم حكام يحكمونهم في من هو اشعر الناس ، ومن هؤلاء الحكام النابغة الذبياني الذي حكم للخنساء في سوق عكاظ بقوله : لولا ان ابا بصير ( يعني الاعشي ) انشدني آنفا لقلت : انك اشعرمن بالسوق ، وهذا الحكم لم يعجب حسان الذي قال له : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك فقال له النابغة الذبياني : حيث تقول ماذا ؟ وجرى بينهما حوار طريف ذكرته كتب الأدب .

وكانت عامة مجالس اشرافهم امام البيت ينشدون فيها الشعر ويحضرها بعض كبار شعرائهم مثل لبيد بن ربيعة صاحب المعلقة المشهورة — وقد ذكر ان عبد المطلب بن هاشم كان يوضع له فراش في ظل الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالا له .

وقد عززت قريش وضعها الاقتصادي برحلاتها التجارية وعززت وضعها القبلي بتشريعاتها الوثنية وارتباطها بالبيت الحرام — حتى اصبح كل من يتمرد على قريش فانما يتمرد على قدسية البيت ، وبذلك أصلت الوثنية الوضع القبلي واصبح هدم النظام القبلي يستدعي هدم النظام الوثني .

وكان من اهل قريش اغنياء مترفون منهم الوليد بن المغيرة وعبد العزي أبو لهب وأبو احيحة بن سعد ابن العاص الذي اسهم بثلاثين الف دينار في القافلة التي كان يقودها ابو سفيان وعبد الله بن جدعان الذي كان

يشرب في كأس من الذهب واشتهر باطعام المساكين والعباس بن عبد المطلب الذي كان ينفق امواله في الناس ويتعامل بالربا .. وكان منهم مترفون ، لهم مجالس سمر ولهم أرائك منصوبة وموائد ممدودة ونواد للشرب يلهون فيها ويسكرون وكان لهم منتزهات يقيمها المكيون في الاصائل من شهور القيظ وكان المتنعمون منهم يشتون بمكة ويصطافون بالطائف ، وقد اشتهر كثير من فتيانهم بالاناقة في الحياة والتجمل في اللباس ، وكانت كسوة بعضهم تقوم بمئات من الدراهم .. ومن الناحية المقابلة وجدت طبقة فقيرة تعرف بالصعاليك وقد اتخذت هذه الطبقة لنفسها مراكز في الخلاء الواسع ومنه تغير لتنهب حتى يمكنها أن تعيش .

وكانوا يتعاملون بالعملة الرومانية البيزنطية والعملة الايرانية الساسانية الدرهم والدينار وكانت الموازين والمكاييل منها الصاع والمد والرطل والاوقية والمثقال وكان عندهم علم بالحساب اعتمد عليه القرآن في ذكر السهام والفرائض .

وكان فيهم كتاب يعرفون القراءة والكتابة ـ ولكن الأمية كانت غالبة عليهم ولذلك يقول الله تعالى ( **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ) الجمعة / ٢

وكان أهل مكة مثلا في سلامة الذوق والظرف والاناقة ، وكانت اللغة هي الميزان وعليها الاعتماد في سائر اطراف الجزيرة ، وكانوا ابلغ العرب وكانوا شامة بين الناس يجمعون بين الفتوة والمروءة وكانوا يعنون بالأنساب وأخبارها ، ثم بالشعر ثم بالنجوم والانواء والعيافة وشيء من حلية الخيل والمعرفة الدقيقة بأعضائها وصفاتها .

**الطب**

كان عندهم بعض معلومات عن الطب من التجارب التي كانت عندهم والوصفات المتوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه ، وكان الكي عندهم عماد معالجتهم في كل مرض معضل .. وقد اعتقدوا في الأرواح الشريرة وانها سبب الامراض ولا يشفي منها الا السحر والتمائم على يد الكهان والعرافين وزاجري الطير والسحرة والمشعوذين ، وقد زعموا ان بين طلوع الشمس وغروبها امراضا واوبئة وعاهات وكانوا ينسبون اليها التأثيرات من خير وشر ، وانه اذا فشا فيهم الموت والجرذان اخصب الناس وانه اذا اذن ديك في دار فشا فيها مرض الرجال ـ واذا اذنت دجاجة فشا مرض النساء ( دكتور عبد المعطي قلعجي في مقدمة كتابه الطب النبوي لابن القيم الجوزية ) .

وقد تعلم بعض العرب من الهنود والفرس بعض القواعد الطبية وعلموها في بلادهم ومن اشهرهم الحارث بن كلدة من الطائف تعلم الطب في مدينةجنديسا بور وتمرن هناك وحصل على معارف في الداء والدواء وكان الرسول عليه الصلاة

والسلام يوصي بالتطبيب عنده ومن حكمه « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » ( ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة ) الذي اسلم على يد الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة والشفاء بنت عبدالله التي أسلمت وبايعت الرسول عليه الصلاة والسلام .

**الحرب**

كانت قريش تؤثر السلم والهدوء في عامة الاحوال ، فهي تؤمن بالتعايش السلمي ما لم تتحد عقيدتها ولم تثر غيرتها القبلية او الدينية .

ومع ذلك فقد كانت قريش قوة حربية يحسب لها حساب ، وكانت شجاعتها مضرب المثل بالفروسية والغضبة المضرية معروفة في جزيرة العرب وآدابها وأمثالها .

وكانت تستخدم ايضا قوة الأحابيش وهم بطون من القبائل العربية الضاربة حول مكة من كنانة وخزيمة بن مدركة وكان لقريش عدد كبير من العبيد والموالي الذين كانوا يقاتلون في صفوفهم وكانت تستطيع ايضا ان توجه عدة الوف وفي غزوة الاحزاب جمعت عشرة الاف مقاتل وهي اكبر قوة حربية عرفها تاريخ الجزيرة العربية .

**الاخلاق**

فشا في مكة القمار والميسر وافتخروا به وفشت فيهم الخمر وانتشرت مجالس اللهو والقيان وحفلات العزف التي يكثر فيها الشراب كما فشت فيهم بعض الفواحش وقد وجد فيهم الظلم والقسوة وغمط الناس حقوقهم واكل اموال الناس بالباطل وقد قال جعفر ابن ابي طالب للنجاشي ( ايها الملك كنا قوما في جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي بالفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل الضعيف منا القوي .. )

وكان فيهم قتل الأولاد خشية الاملاق او البنات خشية العار والسبي ، وكذلك كانوا يفعلون في النذر للالهة كما فعل عبد المطلب من نذر ذبح احد ولده ان رزقه الله بعشرة منهم يحمونه ويمنعونه .

**خاتمة :**

هذه هي مكة عند البعثة النبوية الشريفة في مختلف جوانبها ، وقد ارسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق فأعاد بناءها على اسس الاسلام وغير من مفاهيمها واخلاقها وعاداتها حتى تكون على اساس الايمان بالله وحده لا شريك له ، ومحا الوثنية واعاد الى الحج شعائره الاصيلة وجعلها تبدأ صفحة جديدة في حياة جديدة وقاد رجالاتها ـ بعد ان دخلوا الاسلام ـ لواء نشر الثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية الى الدنيا كلها ـ حيث نعمت فترات طويلة بالأمن والعدالة والحرية والكرامة ـ هؤلاء هم الذين رباهم رسول الله عليه الصلاة والسلام تربية اسلامية كاملة .

# لا... بل خلقت حواء من آدم

للاستاذ محمد حسن عبدالعزيز

من المسلم به أن آدم هو الانسان الأول وقد خلقه الله من تراب ، وجعله خليفــة في الأرض ، وهــو النفس الواحدة التي خلق الله منها زوجها . لكن للاستاذة « زينب عزام » مؤلفة كتاب ( الروح وتطور الأنواع ) رأي مخالف نقله عنها الدكتور مصطفى محمود في مقال له بمجلة « صباح الخير » بتاريخ ٩/٩/١٩٧٦ بعنوان « هل كانت حواء أما لآدم » يقول : إن آدم لم يأت من تراب مباشرة ، وإنما جاء من حواء بالنفخ ، كما جاء عيسى ابن مريم ، نقله معلقا بأن ليس لديه من العلم بالأسرار ما يؤهلــه للفصل في هذه القضية ، بل ولا يظن أن أحدا يملك القول الفصل فيه ، وغاية الأمر عنده أن السيدة المؤلفة قد اجتهدت اجتهادا جديرا بالنظر .

ومع أن الرأي الجديد قد استند الى بعض آيات القرآن ، ولكن استنبط بطريق الخطأ النتائج التي توصــل إليها ، فيقول : إن النفس الواحدة التي وردت في الآية الكريمة **( هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا )** الأعراف / ١٨٩ ، هي حواء وإن الزوج هو آدم ، قياسا على آية أخرى في القرآن تقول : **( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب )** آل عمران ٥٩ .

وإذا حاولنا أن نستعرض الآيــات القرآنية التي وردت في هذا المعنى وجدناها **( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعــل بينــكم مودة ورحمــة )** الروم / ٢١

**( يأيها الناس اتقوا ربكم الــذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها )** النساء / ١ .

**( خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منهــا زوجهــا )** الزمر ٦

فاننا نلاحظ أن « ثــم » في الآيــة الأخيرة حرف عطف ، يقتضي تأخر ما بعده عما قبله بالذات ، أو بالمرتبة ، او بالوضع و« جعل » في الآية الأولى بمعنى خلق ، وبمعنى إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه ، وبمعنى فعل ، والجعل أعم من الفعل مثل **( جاعل الملائــكة رســلا )** فاطــر / ١ و**( وجعــل الظلمــات والنــور )** الأنعام / ١ والخلق في الآيات الثلاثة بمعنى إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، مثــل « خلــق السمـوات والارض » أي ابدعها على غير نسق سابق .

كذلك نجد أن القــرآن الكريــم قد استعمل كلمة « زوج » في الأعداد على مجموع الاثنين كما تطلق على الواحد منهما باعتبــاره مكمــلا لصاحبــه زوجا ، فلم يعد فردا واحدا ، وعلى

القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات وغيرها وعلى كل ما يقترن بآخر مماثلا له او مضادا ، فلفظ زوجة في لغة العرب لغة رديئة جمعها زوجات أما زوج فجمعه « ازواج » وقد ورد اللفظ في القرآن على أربعة عشر وجها :

١ ـ ( **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ) البقرة ٣٥ . بمعنى حواء .( **فقلنا يا أدم ان هذا عدو لك ولزوجك** ) طه ١١٧ . ( **وخلق منها زوجها** ) النساء ١ .

٢ ـ ( **سبحان الذي خلق الأزواج كلها** ) يس ٣٦ بمعنى اصناف الموجودات .

٣ ـ ( **ثمانية أزواج من الضأن** ) الانعام ١٤٣ بمعنى الحيوانات المأكولات . ( **وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج** ) الزمر ٦ .

٤ ـ ( **قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين** ) هود ٤٠ بمعنى أجناس الحيوانات

٥ ـ ( **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ) الذاريات ٤٩ بمعنى كل ما له زوج .

٦ ـ ( **من كل زوج بهيج** ) ق ٧ بمعنى الاشجار والنباتات

٧ ـ (**أويزوجهم ذكرانا واناثا** ) الشورى ٥٠ بمعنى البنين والبنات

٨ ـ ( **جعل لكم من أنفسكم أزواجا** ) النحل ٧٢ بمعنى المنكوحات والمحللات .

٩ ـ ( **ولهم فيها أزواج مطهرة** ) البقرة ٢٥ بمعنى الحوراء والعيناء من حرائر الجنات .

١٠ ـ ( **ويذرون أزواجا** ) البقرة ٢٣٤ بمعنى المخلفات في عدة الوفاة .

١١ ـ ( **حتى تنكح زوجا غيره** ) البقرة ٢٣٠ بمعنى المحلل في حق المطلقات .

١٢ ـ ( **فيهما من كل فاكهة زوجان** ) الرحمن ٥٢ بمعنى الفواكه والثمرات

١٣ ـ ( **وإذا النفوس زوجت** ) التكوير ٧ بمعنى اقتران الروح بالجسد .

١٤ ـ ( **وأزواجه امهاتهم** ) الاحزاب ٦ . ( **زوجناكها** ) الاحزاب ٣٧ بمعنى مخدرات بيت النبوة .

وهكذا نجد ان كلمة زوج في القرآن في قصة الخلق تعني حواء ، والنفس الواحدة آدم وأن التفسير الذي جاء في الكتاب حول الآية الكريمة ( **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا** ) الأعراف / ١٨٩ . بأن حواء هي

النفس الواحدة ، وأن الرجل هو الذي يتغشى المرأة فتحمل ، فيه تحميل للنص فوق ما يحتمل وألفاظ القرآن لا تحمل على المجاز إلا اذا تعذرت الحقيقة ، لكن الحقيقة واضحة بلا لبس ولا إبهام فالنفس الواحدة خلق الله منها زوجها ، من نفس جنسها ليأنس اليها ، وآدم حينما مس زوجته حملت منه حملا خفيفا لا يمنعها عن الحركة ، فلما ثقل عليها الحمل في نهاية مدته دعت الله هي وزوجها لئن منحتنا ولدا صالحا لنكونن من الشاكرين .

ويلاحظ ايضا ان القرآن كله قد خلا تماما من ذكر اسم حواء ، كما يلاحظ أيضا ان ذكر آدم ورد في القرآن كله متقدما على زوجه ، وهو لا يقدم ولا يؤخر الا لحكمة ، كما هو الحال في تقديم المرأة في آية الزنا ، وتقديم الرجل في آية السرقة ، وفي هذا دليل قاطع على أن آدم خلق أولا ، ومنه خلقت حواء .

وإذا عدنا الى قصة الخلق من واقع القرآن الكريم والنصوص المقدسة ، نجد ان القرآن الكريم قد عرض القصة في اكثر من ست وستين آية ، من خلال سبع سور تتلخص في ايجاز شديد في أن الله تعالى أبلغ ملائكته أنه سيخلق من الطين خليفة في الأرض ، فاذا سوى ونفخ فيه من روح الله ، عليهم أن يسجدوا له ، وكان الملائكة على علم مسبق أن آدم سيستخلف في الأرض ، وأنه سيكون منه فساد وسفك دماء بحكم طبيعته التي تجمع بين الخير والشر ، فبين الله لهم ان الأمر فوق تقديرهم فعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . وهنا عرفوا حقيقة المخلوق الجديد ، واطمأنوا الى صنع الله ، وأن المسألة أبعد من أن تقاس بمادة الخلق أو بالعبادات فلآدم صلاحيات أهلته لخلافة رب العالمين ، وسجد الملائكة اجمعون سجود تكريم إلا ابليس ابى فسوقا واستكبارا أن يكون بين الساجدين ، وهنا ظهر للانسان حاقدون وللعلم خصوم .

ومعنى انتصار آدم على الملائكة يأتي في إطار القاعدة والمبدأ العام المقرر في القرآن الكريم **( ولقد كرمنا بني آدم )** الاسراء / ٧٠ وذلك لاستعداده العقلي والنفسي والروحاني للتلقي والتعلم والتطور والتقدم ، وأنه بحكم تركيبه المعرض للخطأ والصواب محل الابتلاء ليعلم الله المجاهدين والصابرين ، وبالابتلاء تتقدم الحياة ، ويتنقل الانسان من الضعف الى القوة ، ومن الكفر إلى الايمان ومن الجهل الى العلم .

كما أن هناك دعامة هامة تنبع من قاعدة الابتلاء وهي العفو بعد التوبة ، فقد شاء الله تعالى ان يهيىء لآدم مناخ الاستخلاف ليؤدي وظيفته التي خلق من أجلها ، وخلق له حواء من ضلعه لتكون له سكنا وأنيسا في الجنة ، وضمن له فيها **( إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى )** طه ١١٨ و ١١٩ ثم نهاه نهيا قاطعا أن يأكل من شجرة معينة ، وكان وقتئذ من طبيعة

تؤذن بالخلود ، وأراد إبليس أن يثأر لهزيمته الأولى فوسوس لهما ، وهنا دار صراع بين صريح الأمر الالهي بالنهي ، وبين طموح الانسان الذي يحـــاول أن يقفـــز وراء حدوده وامكانياته ( **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهمـــا اني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغـــرور** ) الاعـــراف ٢٠ـ ٢٢ ، فالصراع كان طلبا للخلود ، أو أن يكونا ملكين ، حتى اقنعهما بالأكل مما نهيا عنه فبدت سوآتهما جزاء وعقابا ، وأصبحا عرضـــة للفنـــاء والجهل والشقاء ، وطردا من الجنة ومعهما الشيطان ، وعتب عليهمـــا ربهما ، ومن قبل حذرهما ( **فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنـــة فتشقـــى** ) طه / ١١٧ عرف آدم ذنبه فنـــدم وتاب ، وتقبل الله توبتـــه واجتبـــاه ( **وعصي آدم ربـــه فغـــوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ) طه ١٢١ ـ ١٢٢ .

وهكذا ربط الله بين آدم وحواء في زوجية مقدسة ، وارتبـــاط موثـــق ، لتقوم الحياة بين الحليلين في امتزاج روحي ، وائتناس واجتماع ومجانسة في الميول ، وحياة تقوم على السكينة والهدوء والاطمئنان وتأتلف بالرحمة والمودة .

ويلاحظ في قصة الخلق ان القرآن قد جعل وزر الخروج كله على آدم ، ولم يخص حواء بأدنى نصيب ، لأن آدم خالف إرادة ربه ، وهـــو في تمـــام الاستقلال الذاتي ، وهذا سر فضله وهناك من يحاول تصوير حواء بأنها أداة الشيطان ، ووسيلة الغوايـــة ، وهو مخالف تمامـــا لصريـــح نص القرآن ، وتلك النقطة محل الخلاف الوحيد بين القرآن وسفر التكوين في الكتاب المقدس . فقـــد خلـــق آدم مستعدا للخير بطبعه ، والشر طارىء عليه ، يأتيه من خارج نفسه ، وقد سقط في الغوايـــة لأنـــه لم يقـــاوم الشيطان ، ومن هنا كان مأمـــورا وذريته بالتحصن ضد وسوسة ذلك اللعين .

وبانزال آدم إلى الأرض وزوجه ، بدأ تنفيذ تكليف الأمانة التي حملهـــا الانسان ، إنه كان ظلوما جهولا .

ومن هنا يتبين أن آدم هو الانسان الأول صاحب التكليف وحواء زوجة خلقت من أحد اضلاعه ، ومنهما معا يستمر سليل التراب لعمار الكون ، وعبادة الله .

ونعود إلى مقال الدكتور مصطفـــى محمود الذي يقول في تفسير الآية ( **قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق** ) العنكبـــوت / ٢٠ ان المعنى المقصود ان الانسان لم يأت من طين مباشرة ، بل مر بمراحـــل وأزمنة مديدة ، وخطوات وتفاصيل كثيرة محجوبة ولو أن الانسان جاء من طين لما بقي هناك شيء يعرف في مسألة الخلق ، ومن هنا يكون الأمر لمعرفة كيفية بدء الخليقة له ما يبرره .

ولو حاولنا قراءة الآيـــة السابقـــة مباشرة لوجدناها تقـــول : ( **او لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم**

**يعيده إن ذلك على الله يسير )** العنكبوت / ١٩ . والمعنى ان طبيعة كل شيء تبدأ من العدم ، ثم تحيا ، ثم تفنى ، وهكذا الانسان ، وأن الله الذي خلق في البداية هو القادر على الاعادة ، وليس في الآيتين اشارة من قريب أو بعيد الى البحث عن المراحل الزمنية التي سبقت مرحلة الطين ، والقرآن قد أغنانا عن هذا السؤال مؤكدا اكثر من مرة ان الانسان خلق من طين ، وان نسله جعل من سلالة من ماء مهين ، ثم سوى ونفخ فيه من روح الله ، فلا مراحل زمنية ولا تفاصيل محجوبة ، وانما امر الله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . والاستناد الى الآية الكريمة : **( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )** آل عمران / ٥٩ ومحاولة تفسيرها بأن عيسى لم يأت من طين مباشرة ، وانما جاء من مريم بطريق النفخ ، وإن كان الأصل طينا وصولا الى أن آدم هو الآخر جاء من سلالة سابقة ، وأنه عن طريق النفخ ، وأن الروح المنفوخ في حواء وهي الطينة المسواة عبر ألوف السنين ، والتي أدت الى نقلة التطور الهائلة من المرتبة الحيوانية الى المرتبة الانسانية والى مجيء آدم الابن الذي لا أب له . هذا الاستناد وهذا التفسير فيه تحميل للألفاظ فوق ما تحتمل فضلا عما فيه من نقص واضح في معرفة أسباب النزول ، فقد نزلت الآية في نصارى نجران الذين ادعوا الوهية المسيح بسؤالهم النبي عليه الصلاة والسلام عن أبيه فنزلت الآية والمتعمق في قراءتها يلاحظ انها عدلت عن ذكر الطين في خلق آدم بذكر التراب والطين مجموع التراب والماء ، والتراب ادنى العنصرين ، واكثفهما حيث كان المقصود مقابلة من ادعى الالوهية للمسيح بما يصغر امر خلقه فخلق آدم كان أكثر اعجازا من خلق المسيح ، عيسى جاء من امرأة بغير أب بنفخ الروح بقدرة الله وآدم خلقه الله من تراب بغير أب ولا أم ، وهو أمر اغرب واعجز ومن أحد اضلعه خلق زوجه من جنسه .

الاجتهاد مطلوب ، ولكن فيما لم يرد بشأنه نص صريح في القرآن أو في السنة ، فلا اجتهاد مع صريح النص ، والانسان مطالب باعمال فكره ، فما اكثر ما علم وما اكثر ما يجهل والخطأ كل الخطأ في محاولة التوفيق بين الكيفيات التي يفهمها العلم والكيفيات التي يقرها العقل لفهم المسائل الكونية في بداءتها الاولى ونهايتها الأخيرة ، فاليوم اذا نسب إلى الله أو إلى عمر الكون لن يفهم على أنه اليوم من عمر الانسان قبل ان يوجد ، وقبل أن توجد الأرض ، ولا يملك أحد أن يفسر خلق السلالة الآدمية من الطين على نحو واحد يمنع ما عداه ، وكل ما يجوز هو وجوب الايمان بأن الله تعالى سوى الطين وبث فيه روح الحياة ، وصنع منه السلالة التي نشأ منها آدم ، أما كيفية التسوية والنفخ وخلق السلالة والزمن ، فهو ادعاء على القرآن لا يقبل على أي وجه من الوجوه مهما كانت النية الباعثة عليه .

# الإسلام وتحديد النسل

كان كثير من الفقهاء الاوائل وما زال المعاصرون منهم ينظرون الى مسألة تحديد النسل أو تنظيمه نظرة خاصة ، حيث يعتقدونها مسألة اجتهادية ، إذ لا يجد الفقيه من نصوص الشريعة نصا قطعي الثبوت والدلالة يجعل الأمر غير قابل للاجتهاد . لذلك اختلفت وجهات نظرهم وتعددت أقوالهم وتباين استنباطهم في مسألة تحديد النسل وكل منهم حريص على الوصول الى الحق ومرضات الله وخدمة الأمة .

ويستطيع الباحث ان يجد في بطون الكتب الفقهية مادة غزيرة واسعة حول هذه المسألة ، فقد أبدع الفقهاء أيما ابداع وهم يقررون آراءهم فيها واستنباطاتهم حولها .. والمتأمل في كتاب الله عز وجل يدرك من سياق الآيات التي يقترن فيها ذكر الزواج بالنسل صراحة او كناية أن النسل مقصد من مقاصد الشريعة الاسلامية حرصت على المحافظة عليه وأولته اهتماما كبيرا لأنه من أهداف الزوجية ، أضف إلى ذلك ما ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى قال الله تعالى :

**( وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا )** الفرقان / ٥٤ .

**( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..** النساء / ١ .

**( وابتغوا ما كتب الله لكم )** البقرة / ١٨٧ . وذكر بعض العلماء في تفسيرها أن المقصود من الزواج هو طلب الذرية التي كتبها الله لا اللذة المعهودة .

ومما يؤكد هذه المعاني أيضا ويدعو لكثرة النسل قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ **( تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الانبياء يوم القيامة )** رواه احمد وقوله : ( سوداء ولود خير من حسناء عقيم ) رواه احمد والطبراني .

ولا بد للباحث في مسألة تحديد النسل أو تنظيمه أن يحيط علما بالأحاديث الواردة في موضوع العزل المجيزة منها والمانعة إذ انها من اهم أسباب الاختلاف في أمر تحديد النسل قديما وحديثا .

من أدلة المانعين للعزل حديث جذامة بنت وهب قالت : حضرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أناس

وهو يقول : لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون اولادهم فلا يضر ذلك اولادهم شيئا ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله ( ذلك الوأد الخفي ) رواه مسلم ويشير الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذا إلى قوله تعالى ( **واذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** ) التكوير / ٨، ٩ .

وعن أسامة بن زيد ( أن رجلا جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إني أعزل عن امرأتي فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تفعل ذلك ؟ فقال له الرجل : أشفق على ولدها أو أولادها : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو كان ضارا ضر فارس والروم ) رواه مسلم وفي الصحيحين : ( خرجنا مع رسول الله في غزوة بني المصطلق واحببنا العزل وسألنا عن ذلك رسول الله فقال : ( ما عليكم أن تفعلوا فان الله عز وجل كتب ما هو خالق الى يوم القيامة ) . وفي رواية البخاري : ( لا عليكم ان لا تفعلوا ) . وفسر العلماء هذا على انه حث على عدم العزل حتى قال الحسن بأن قوله ( لا عليكم ان لا تفعلوا ) تشبه الزجر . وقال ابن سيرين : هذا خبر الى النهى اقرب .

وهناك أحاديث أخرى في هذه المعاني لا يتسع المجال لذكرها .

على أن الذين يقولون بجواز العزل لهم من ظاهر بعض احاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما يتمسكون بها ويتخذونها دليلا في جواز العزل منها ما جاء عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال ( كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل ) رواه البخاري وفي صحيح مسلم : ( فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا ) . وأول ما يتبادر الى الذهن من هذا الحديث ان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم ينه عن العزل بل أقره ولو كان حراما لنهى عنه .

وعن جابر( أن رجلا أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي جارية هي خادمتنا في النخل وانا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال : اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها ) رواه مسلم فقد كان السائل يطلب من الرسول الحكم في امر العزل فجاءه النص صريحا في اباحة العزل .

وعن ابي سعيد الخدري قال : قالت اليهود : العزل الموءودة الصغرى ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ( كذبت يهود ان الله عز وجل لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع احد ان يصرفه ) رواه احمد وابو داود .

وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه قال : ( نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يعزل عن الحرة الا باذنها ) رواه احمد وابن ماجة .

ومن أدلة المجيزين لتحديد النسل كذلك قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ( جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء ) رواه الحاكم وقوله : ( توشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعي الاكلة الى قصعتها فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا

بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ..) رواه ابو داود .
على ان استقراءنا لهذه الاحاديث وغيرها يهدينا الى ان الذين نقل عنهم اباحة الرسول العزل لهم انما هم أفراد قلائل ، ولربما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على معرفة بظروفهم ، أو هم الذين عرفوا الرسول بأحوالهم فأفتاهم باباحة العزل ، في الوقت الذي لم يبح العزل لسائلين آخرين ، إذ لم يجد لعزلهم مبررا ، فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام ـ ينظر إلى أحوال السائل ثم يفتيه ، مثال ذلك ان شابا جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسأله عن القبلة في الصيام فنهاه عنها . ثم سأله شيخ فرخص له حيث كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينظر الى المصالح التي لا تتعارض وشرع الله ثم يجتهد في اجابة السائل عن سؤاله بما يتبين ويترجح له من علة فارقة ، وهكذا جوابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتحريم أو الكراهة او الاباحة .. يقول ولي الله الدهلوي وهو يتحدث عن العزل .
( ان المصالح متعارضة ، فالمصلحة الخاصة بنفسه في السبى مثلا ان يعزل ، والمصلحة النوعية الا يعزل ، ليتحقق كثرة الاولاد وقيام النسل ، والنظر الى المصلحة النوعية أرجح من النظر الى المصلحة الشخصية في عامة احكام الله تعالى التشريعية والتكوينية ) .
على أن حديث جذامة القاضي بالتحريم يجوز أن يكون الناسخ لجميع الاباحات المتقدمة ، ويقرر ابن حزم ان هذا امر متيقن فهو لذلك لا يحل العزل عن حرة ولا عن امة .. كما يجوز ان تحمل أحاديث الجواز على الاباحة الاصلية ..
فاذا كانت هذه الأحاديث محتملة لكل هذه الاحتمالات وغيرها فقد بطل استدلال من يستدل بها على جواز العزل لأن الحديث إذا طرقه الاحتمال بطل الاستدلال به .
واذا كان العزل من غير مبرر معقول غير جائز فان تحديد النسل من غير ضرورة غير جائز من باب أولى ، على اننا اذا قلنا ـ كما قال كثير من العلماء ـ بجواز العزل فان تحديد النسل باستعمال الادوية والعقاقير المستعملة الان في جميع أرجاء العالم غير جائز ، ومن قاس تحديد النسل على العزل فقد أخطأ إذ هو قياس مع الفارق ، كما نستطيع القول بتحريم تحديد النسل أو تنظيمه إذا أخذنا بقاعدة سد الذرائع .
وأشير هنا الى ان النظر الفقهي الدقيق كثيرا ما يرجح بواسطة رأي الطب الحديث والتجارب الصحيحة في المسألة فما هو رأي الطب في تحديد النسل ؟

### تحديد النسل والطب :

قرر الطب الحديث ان ضررا كبيرا وخطورة فادحة مترتبة على استعمال العقاقير والادوية المانعة للحمل بصحة المرأة ويكاد يجمع أطباء العالم على أنه لا توجد وسيلة من وسائل منع

الحمل الا ويترتب على استعمالها أضرار كبيرة بصحة المرأة عامة وعلى جهازها العصبي خاصة ، يقول الدكتور ( كلير فولسوم ) ( ليست عندنا حتى اليوم أية وسيلة معلومة سهلة او رخيصة غير ضارة يمكن استخدامها لتحديد النسل ) .

ويقول الدكتور ( رينيل ديوكس ) ( فالمرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع حملها ، فهي لا تتعرض للصداع والآلام العصبية فحسب ، بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها مرض عضال كالسرطان ) وتقول الدكتورة ( ميري شارليب ) ( ان وسائل تحديد النسل ــ سواء اكانت هي اللولبيات المعدنية أو الاقراص والعقاقير القاتلة للحيوانات المنوية او حواجز المطاط وغيرها ــ وان كانت المرأة لا تتعرض باستخدامها لضرر فوري ظاهري ولكنها اذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان ، فلا بد أن يصيبها الانهيار العصبي قبل ان تبلغ سن اليأس ومن النتائج الملازمة لاستخدام هذه الوسائل التبرم والتذمر والقلق والنزق والأرق وتوتر الاعصاب وتشويش الفكر وهجوم الأحزان وضعف القلب ونقص الدورة الدموية وشلل اليدين والرجلين والتهاب الجسد واضطراب العادة الشهرية ) .

وشهادات أطباء العالم في تأثير الحبوب والعقاقير المانعة للحمل على صحة المرأة اكثر من ان تحصى ، وقد سقنا هذه الشهادات على سبيل التمثيل فقط .

واذا تركنا رأي الطب جانبا فان نظرة في كتاب الله الحكيم تهدينا الى حرمة تحديد النسل وتلك في قوله تعالى ( **ولا تقتلوا اولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم** ) الانعام / ١٥١ وقوله تعالى ( **ولا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم** ) الاسراء/ ٣١ واذا كان القرآن الحكيم قد نعى على الجاهلية فعلتها الشنعاء هذه ، فما الذي يستعمل الحبوب والعقاقير لقتل الضيف المنتظر ــ ولو قبل تكوينه ــ بأحسن حالا من الجاهلية التي نعى القرآن على اهلها قتل أولادهم إذ قتل الولد قبل الخلق كقتله بعد خروجه الى نور الحياة ..

وإذا كان كثير من الفقهاء قد ذهب الى جواز تنظيم النسل بشروطه المحددة ، فان هؤلاء الفقهاء لم يلزموا أحدا بآرائهم لا في عصرهم ولا بعدهم .

## ضوابط معقولة لتحديد النسل :

ولكن شريعة الله شريعة سمحاء ، فهي لم تغلق جميع الابواب بوجه تحديد النسل إنما فتحته بقدر الضرورة ، والضرورات تقدر بقدرها ، فمن المبررات المقبولة لتحديد النسل :

١ ــ الخشية على الأم من الحمل أو الوضع إذا كانت المرأة عسرة الولادة ، أو كان الحمل يلحق بها أضرارا تعرضها للموت .

٢ ــ إذا كان بالاب او الأم مرض سار خطير يعرض المولود لآلام كبيرة طوال حياته ، او يجيىء المولود مشوها .

# الذكرى في منطق العصر

للأستاذ / محمد الدراجيلي

أحسبني حين أتحدث عن صاحب الذكرى أنني أشبه بمن يحاول حشد الربيع في زهرة أو سكب العبير في وردة ، أو بمن يحاول جمع المحيطات في قطرات ، أو اجتزاء الشمس في شذرات .

ذلك بلا جدال معتقد القائل :

كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

وهو بلا جدال أيضا : معتقد الكثيرين غيره

ومن رام وصل الشمس حاك خيوطها
نسيجا الى آماله وتعلقا

ذلك كله لأن عناصر الاعجاز في حياة صاحب الميلاد ، وظاهرة التميز والتفرد في سلوكه تشغل مساحة لا نهائية في أرض العطاء والوفاء .

فمحمد صلى الله عليه وسلم شبيه بالوجود اللامحدود فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لانهاية له .

والنبوة هبة الله التي لاتنال بالكسب لكن حكمة الله قاضية بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها :( **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ) الأنعام/ ١٢٤ ، وهو صلى الله عليه وسلم أرسله الله الى الدنيا فبعث الحياة في كيانها والدفء في أطرافها : ( **فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ) ، رأي الأرض وقد أغرقها طوفان من الرذائل البشرية كعبادة الشهوات ووأد البنات فعطر أجواءها من هذا العفن الكريه ، وطهرها من الدنس والرجس بمنهج الحق ، وشرع الله : ( **قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق** ) الأعراف / ٣٣

ما كان محمد أبدا مجرد مولود لفظه رحم أمه فانخرط في اعداد الملايين على هذه الأرض ، وكذلك لم

يكن مجرد انسان تسلل الى المعمورة في غمار أعدادها الهائلة التي تتلقاهم صباح مساء ، بل كان قوة إلهية أعادت صياغة الحياة ، ونسمة زكية ردت الحياة الى رشدها ، وسكبت الطهر والعفاف في وجدانها ، ومنة كبرى أسداها الله الى المكدودين ، والمغمورين ، والضعفاء :

( **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ) آل عمران/ ١٦٤

ان الاحتفاء بميلاد رسول الله في اعتبار الحق وبصر المنطق احتفاء بالقيم الرفيعة والمثل العظيمة انه احتفال بمولد الهدي الذي أراد للانسانية اللاهثة أن تهدأ ، وللأثرة النابحة أن تكف فاذا الحياة طيبة المذاق في أفواه الأحياء ، واذا الكرامة مضفاة الرواء على كيان الانسان :

( **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ) الاسراء/ ٧٠ .

لقد طارد صاحب الذكرى الجهالات والنزوات ، وأحل محلها اشراقة الهداية وطمأنينة الضمير ، لتمضي الانسانية الى غايتها التي كتب الله لها .

من هذا المنطلق لم يكن من الوفاء أو الولاء لميلاد ـ محمد ـ أن تجيء ذكراه على هذا النمط من العبادات التي تشتعل بحماس العاطفة ، أو القصائد التي تحظى بموسيقا الخليل ، أو المواكب التي ترهق المدن والنجوع بقرع الدفوف ودق الطبول مهما أتيح لها من مبررات .

فمثل هذا الأسلوب حتى وان سلمنا به في فترات زمنية مضت وانقضت بمالها وما عليها ، فلا يليق بنا في هذا العصر ، أن نستبيح لأنفسنا الأخذ بمثل هذه الأساليب التي يستثمرها أعداء الله ، في التهوين من إيجابيات هذا الدين ، بل ربما وضعوها في ثنايا قوائم السلبيات التي تستغل في تشويه صورة الاسلام . ان الأقوال الراشدة ، والأفعال الرائدة التي حاصرت منذ المولد والى الأبد أساطين الحكمة ودهاقنة السياسة ، ووضعتهم في حيز ضيق على مائدة متواضعة ، وأمام منصة رهيبة لأستاذ أصغت لحكمته وعلمه الدنيا . واندهشت لتسامحه وبساطته المسيرة البشرية المتعاقبة عبر تدافع التاريخ تفرض علينا الآن وبلا تباطؤ أن نقف أمام القيم الاسلامية ، ونخلع المناظير الباهتة ، لنستبدل بها أبصارا وبصائر لترى عبر متطلعات انسان هذا العصر ومبتكراته المتجددة ، ومذهلاته التي لاتتوقف ، أن القيم الحضارية والمفاهيم التي ناضل نبي الاسلام ، في غرس مبادئها ودعم أسسها جديرة بأن نسبر أغوارها ، ونجهرها بمجهار الموضوعية ، والموازنة العصرية والمواجهة المصيرية لمستقبل الدعوة الاسلامية ، وألا نأخذ عطاءها المتجدد والمتدفق أخذا بشريا لأنها هبة

الله وفيضه الذي أفاء به على رسوله ، وفيض الله يستعلي على التوقف ويسمو على المكان والزمان ، وينبو عن الجفاف وصدق الله تعالى :( **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** ) الكهف/١٠٩ ، تلك غايات اسلامية نبيلة نستشرفها في ظلال مولد الهدى علها تكون مبعث هداية ، ودقة ناقوس تصحو بها ضمائرنا ، وتستيقظ لها قلوبنا فتعرف ما لها وما عليها في موقع الدعوة إلى الله ، ولست بدعا في هذا الرجاء ، فمثل ذلك استوحاه مفكرون مسلمون اطمأنت قلوبهم بمعرفة دقائق أسرار الرسالة المحمدية ، يسعدك ويسعدني بعضهم حين يرقي بتشبيه له جاء فيه أن اللفظة في القرآن أشبه بفص الماس ، لاتستطيع أن تتوفر على كل عطائها ، كأشعة الماس لايملك البصر كل شعاعه ، فاذا أحاط بشعاع شده اليه شعاع آخر فلا يستطيع أي شعاع يأخذ ، وأيه يدع . وسوف نسعد أكثر وأكثر حين نستمع الى ما جاء على ألسنة كتاب آخرين لاينتسبون لهذا الدين وآخرهم صاحب الكتاب المعنون له **برجل على رأس المائة** ، فقد اختار مؤلفه مائة من عظماء التاريخ ، ولم يستطع أمام صحوة من ضميره الا أن يضع محمدا صلوات الله عليه في الصدارة من القائمة حين أراد التحدث عنهم .

ــ ان القدوة برسول الله ، ورياضة المؤمن نفسه على التحلي بأخلاقه ، هي التمجيد الحق لمقامه الشريف ، والاحتفال الملائم للعصر ــ بميلاده الكريم فلنحاول ماوسعتنا الحيلة والمحاولة أن تكون لنا برسول الله أسوة حسنة ، وأن تكون لنا القدوة في طهارة ظاهره وباطنه ، في حلمه ورفقه ، في رحمته وعدله ، في بساطته وتواضعه ، في عفته ونزاهته ، في زهده وورعه ، في سلمه وفي حربه ، في كل مسيرته وسيرته .

ان متطلبات الدعوة في مواجهة هذا العصر تستوجب أن نسقط من حساباتنا رصد الجوائز النفيسة للفنانين والممثلين وأن نقدم وبكل فخر مكنون الجواهر للمؤلفين والمبدعين في إبراز القيم الاسلامية التي تصون حركة الحياة النبيلة المندفعة نحو الخير والحق ، من خلال كتبهم وبحوثهم ، بحيث تعد قوائم الشرف ، وهي تزين صدرها بألقابهم الرفيعة ، وكتاباتهم المجيدة في مولد الهدي ، ثم يصحبهم الرؤساء الى المنصات ليمنحوهم أكرم المنح ، وأسمى الهبات .

ــ ان حفظة كتاب الله هم الأمناء على دستور السماء ، وهم أولى الناس في هذا اليوم بتصدر كل مواكب الخير التي ينبغي أن تتواجد ، وأن تتدافع في علو رباني ، وهي تنشد في ايقاع رتيب كلمة لا اله الا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأن يوضع فوق رءوس الحفظة وهم يتقدمون المواكب أكاليل الغار ، وأوسمة الفخار يحدوهم الجيل المؤمن المتحفز الواثق في نصر الله .

ـ ان متطلبات العصر ، تفرض علينا أن نمسح بأيدينا بعض الضباب الذي يغطي قيمنا الاسلامية ، ومعتقداتنا الدينية والانسانية والعلميــة ، وأن نتوجه الى وضعها في الصورة المشرقة اللائقة بها ، ثم نتأمــل عطاءهـــا وهديها تأملا شموليا يأخذ في أهدافه خلق المواطن القدوة الذي يشد اليه أنظار العالم بعلمه ومبتكراته بحيث تحتفـــل المؤسســـات العلميـــة والتعليمية ، وقد أخرجــت للعالــم برامج علميــة ومؤلفــات اسلاميــة تستهدي في خططهـــا بهـــدي اللـــه وتستوحي ضمير الأمة الاسلاميــة الكبرى ، وتكفل لأبنائها من الحوافز والدوافع ما يهييء لأبناء هذا الدين التمكين في الأرض ، ويعينهــم على ضرب الالحاد والزيف في حصونــه المدججة بأسلحة التبشير والتشهير ، بفكر مستنير وفهم مستضيء في ضوء توجيهات مؤمنة رائدة . تأخـذ في اعتبارها ارتيــاد الآخريــن لأسرار الحيــاة ، واكتشــاف المجاهيــل واستحــداث النظريــات العلميـــة الحديثة ، وأن هذا العقل الكافر ـ ليس أرقى من العقل المؤمن ايمانا حقا .

وعندها سنرضي في شبابنا تطلعاته ونقنع فيه رغباته ، ونمنحه ثقة وفيرة في نفسه وبعدها فلن يتطرق اليــه الاحســاس ـ أبدا ـ بأنه أقل شأنا ، أو أضعف قدرا من الآخرين . وذلك إثراء لدعوة صاحب الذكرى مابعده ثراء ، ورصيد دونه أعلى أرصـــدة المال . لأن الاسلام كان يرصد ويدخر الرجال وليس المال ، وكان يفاخــر فيقول : رجل بألف مثل : القعقاع بن عمرو ـ وأمثال مصعب بن عمير .

ـ إن تراثنا ليس جدبا بل هو خصيب بالريادة في مختلف العلوم ، زاخــر بالبطولات في شتى الميادين ، عامر بالعبقريات الفذة التي يمنحها كتاب الله وهدي محمد المدد الذي لا ينفد فما أحوجنا الى التذكير بها ، ووضعها في الاطار الذهبي المناسب ، والصورة المتألقة الهاتفة ، والمثال الفذ القدوة ، ودفع أبنائنا لتحسس وتفقــد هذه المواقع وتلك المواقــف في تاريخنـــا وتراثنا من خلال الدراسة المنهجية ، والبحــوث الأكاديميــة ، وأخذهــم بوسائل التأثر والانفعال الصادق بها وبأمجادها في أيام الذكرى ، ويجب أن يطول امتدادها ليشمل الشهر كله « ربيع الأول » لنشد شبابنا اليها وندفعهم في مثل الطريق الذي سلكه الآباء والأجداد وسوف يكون منهم بعون اللـــه وحولـــه من سيستـــرد القدس ، ويمنع أفغانستان من براثن الأعداء ، ويخضد شوكة الطامعين فينا ويرفع راية النصر :( **ويومئـذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيــم** ) الروم/ ٤و٥

ـ وبعد : فهذه خواطر ، لاتعدو أن تكون غيضا من فيض ، وقطرا من بحر ، نترك للأيام والأعمال أن تجيب على مافيها من الأماني والآمال والله من وراء القصد .

# محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن

للدكتور / احمد الشرباصي

انعقد إجماع العقلاء البصراء من الناس على أن شخص الرسول محمد عليه الصلاة والسلام هو أعظم شخص في الدنيا بتاريخها القديم وتاريخها الحديث ، وهو إذا أردنا تشبيهه كالبسمة المضيئة المشرقة في ثغر الدنيا : شرقها وغربها ، وحينما نرجع في شأن هذا النبي العظيم الى حديث القرآن المجيد ، أصدق الحديث ، نجده يرسم لنا شخصية الرسول الأمين في معرضين أساسيين واضحين ، والمعرض الأول هو معرض التوقير والتكريم ، لأنه أهل لكل تعظيم ، والمعرض الثاني هو معرض التأديب والتكليف ، فتارة ينوه القرآن بالرسول ويمجده حتى يرفعه إلى أعلى عليين ، وتارة يمحص معدنه الكريم تمحيص النار للذهب الابريز .

وكأن الغرض من المعرض الأول هو الايحاء بأن محمدا أهل للنبوة والرسالة ، والهداية والامامة ( **الله اعلم حيث يجعل رسالته** ) الأنعام / ١٢٤ . والغرض من المعرض الثاني هو بيان أن العظمة لله وحده ، وأن الكبرياء شأنه وحده ، ومن نازع ربه ثوب الكبرياء قصمه الله ولا يبالي ، ولذلك يقول الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما ، قصمته ولا أبالي » . وبيان أن شرعة الثواب والعقاب ، وأسلوب الحساب والجزاء ، لا يتخلص منه أحد ، ولا يستعلى عليه انسان .

ومن هنا يتنوع حديث القرآن عن الرسول إلى أنواع نلحظ منها خمسة وهي : عنصر التكريم والتشريف ، وعنصر التكليف ، وعنصر الجمع بين التشريف والتكليف ، وعنصر التذكير بالبشرية ، وعدم القدرة أمام قدرة

الله ، وعنصر العتاب والمراجعة .
ولنستعرض طائفة من الآيات التي تنطق بالتكريم ، وتفيض بالتشريف .
فالله تعالى يقول لنبيه : ( **وإنك لعلى خلق عظيم** ) القلم / ٤ ، ويقول في سورة التوبة آية / ١٢٨ : ( **لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ) ويقول في سورة الانبياء / ١٠٧ ( **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ) ، ويقول في سورة الأحزاب / ٤٥ ، ٤٦ ( **ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** ) ، ويقول في السورة نفسها : ( **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ) الأحزاب / ٦ .
بل يتابع القرآن حديث التشريف والتكريم ، فيجعل طاعة النبي من طاعة الله ، فيقول تعالى في سورة النساء / ٨٠ : ( **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا** ) ، ويقول في السورة نفسها : ( **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ) النساء / ٦٥
ويجعل مبايعة الرسول كمبايعة الله فيقول في سورة الفتح / ١٠ ( **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** )

ولا ينقضي إعجاب الانسان بهذه المكانة العلية التي رفعه إليها القرآن ، فهو صاحب الخلق العظيم ، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، وهو رحمة الله للعالمين ، وهو السراج المنير ، وطاعته من طاعة الله ، وحكمه من حكم الله ، ومبايعته مبايعة لله ، وليس وراء ذلك تكريم أو تشريف .

***

وقد يظن ظان ، أو يتوهم متوهم أن هذا التكريم الواسع لا ضابط له ، ولا مقابل أمامه ، فتذهب الظنون السيئة مذاهبها ، ولو تعقل الانسان وتدبر ، لوجد أمام هذا التشريف ألوانا من التبعات والتكليف تنوء بحملها الجبال ، فاذا كان القرآن قد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من مراتب عالية ، ومنازل شريفة فاضت بآيات التكريم والتمجيد ، فان الله جل جلاله قد حمل نبيه في مقابل هذا اوامر وواجبات وتبعات هي كفاء لهذه المراتب والمنازل ، ولنستعرض طائفة من هذه الأوامر الالهية ، والتكليفات المتوالية التي كلف بها الله خاتم أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعالى في سورة الأحقاف مخاطبا نبيه :( **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** ). ويقول في سورة الكهف / ٢٨ ( **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم**

**بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا )** ، ويقول في سورة يوسف /١٠٨ **( قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين )** ، ويقول في سورة الشورى /١٥ : **( فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير )** ويقول الله عز وجل في سورة هود /١١٢ : **( فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير )** ويقول لنبيه في سورة الحجر : ٩٤ : **( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين )** ، ويقول في سورة الشعراء : **( وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين )** الشعراء /٢١٤ ، ٢١٥

فها نحن أولاء نرى أن الله تبارك وتعالى قد صنع نبيه على عينه ، وجعله خيرة خلقه ، واختاره لأكرم رسالة وأعظم دعوة ، وكان هذا المقام يحتاج إلى التأييد والتمجيد ، والتكريم ، والتعظيم ، لأن العظائم كفؤها العظماء ، فكان اختيارا لرجل مناسب في مكان مناسب كما يقول أهل عصرنا ، فأعطاه ما أعطاه من الخصائص والميزات ، وحصنه بما حصنه به من قوى وطاقات ، ثم طالبه أمام هذا بما طالبه به من تبعات .

وقد بدأت سلسلة التكليف الالهي منذ طليعة الاختيار لهذا الداعي وهذه الدعوة ، ولذلك نجد في طلائع الوحي الالهي يأتي هذا النداء اللائق بالمثل الاعلى والنموذج الكامل للانسان في طهارته الحسية والمعنوية : **( يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر )** **المدثر / ١ ـ ٧** وما هو إلا مدى قصير يمر بعد هذا التنزيل حتى يفاجأ الرسول بتنزيل مجيد آخر ، كله أوامر وواجبات ثقيلة تحتاج إلى جهد الأبطال ، فيقول له القرآن : **( يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . إن لك في النهار سبحا طويلا . واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا )** المزمل / ١ ـ ٨ .

***

ثم يأتي عنصر الجمع بين التأديب والتعظيم ، أو بين التكليف والامتنان ، ليتحقق التوازن العميق الدقيق بين ما ساقه الله إلى نبيه من فضل وتشريف ، وما طالبه به من واجب وتكليف ، ونحن نرى في القرآن الكريم مواطن يجتمع فيها هذان الامران ، فنرى آيات مكرمة معظمة ، ومعها آيات تفرض

وتوجب : ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم سورة الضحى ، فقد تضمنت هذه السورة على إيجازها آيات صدقت وتصدرت ، وفيها ما فيها من تبيان لعلو الشأن وسمو الشأو لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فذلك في الآيات الأولى من السورة وهي تقول : ( **والضحى . والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى** ) **الضحى / ١ ـ ٥ .**

وعقب هذه الآيات يأتي تذكير من الله تعالى لنبيه بما سيق اليه من هبات وعطايا في الماضي ، فذلك حيث يقول النص الكريم : ( **ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى** ) الضحى / ٦ ـ ٨ ويأتي عقب ذلك الآيات الآمرة الموجهة المكلفة ، فتقول : ( **فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث** ) الضحى / ٩ ـ ١١ .

وهذه السورة التي جمعت بين مقام التشريف ومقام التكليف سورة وجيزة قصيرة ، وكأن الله تبارك وتعالى قد أراد من هذا الجمع بين التكليف والتشريف أن يظل الانسان في مجالات حياته وشعاب مسيرته على بصيرة من أمره ، وبصر بالميزان المتعادل الكفتين بين ماله وما عليه ، أو بين حقوقه وواجباته ، فكلما سعى الانسان ، وتعب في سعيه ، وأحس بقطرات العرق تسيل من جبينه ، تذكر أن هذا وفاء بما أمره الله به ودعاه اليه ، وأن هذا التعب المرهق له عاقبة مرضية ، وثمرة مرتقبة ، فيهون هذا التذكر عليه ما يشعر به من تعب ، أو يعانيه من نصب ، وحينما ينتقل الانسان إلى التمتع بثمرات سعيه ، ورآها ثمرات يانعة ، وخيرات ممتعة ، تذكر أنه مطالب بالجمع بينها وبين واجبه ، فلا يغتر بهذه الخيرات ، ولا يركن إلى هذه الثمرات ، بل يستبقي في نفسه العزم والعزيمة ، ليعود من جديد إلى السعي والعمل ، والنهوض بالتبعات والواجبات التي يؤهله أداؤها والقيام بها لكي تعاوده هذه الثمرات والخيرات ، وهكذا دواليك تسير مراحل الحياة ، وقد اجتمع فيها صفة التكريم لمن عمل وسعى ، وصفة العطاء والمنح لمن استحق ذلك ، وسار على الدرب بلا انقطاع .

وانما يأخذ الانسان العاقل هذا الدرس النافع من تصوير القرآن المعجز لعناصر الشخصية المحمدية التي جلاها لنا بأجلى منطق وأروع بيان .

***

ويأتي بعد ذلك التذكير الالهي للرسول الأكرم بعدم سلطته امام سلطة الله عز وجل ، فالرسول هو خير الناس ، وهو قائد المؤمنين ، وهو امام المتقين ، وهو أقرب الخلق إلى الله

عز وجل ، والمسلمون يفدونه بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، وهم لا يعصونه في أمر ، ولا يخالفونه في حكم ، ولكن هذا الرسول أمام جلال الله وسلطانه عبد من عباده ، فاذا كان له سلطة أو طاعة على غيره من الناس فهو أمام الله أعبد الناس وأطوعهم لله .

ونستطيع أن نستعرض طائفة من الآيات تتحدث عن ذلك ، فالقرآن يقول في سورة آل عمران / ١٤٤ : **( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين )** . وتقبل سورة الكهف بهذا الأمر : **( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا )** الكهف / ١١٠ وفي سورة الأنفال ٦٣ : **( لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم )** ويقول في سورة البقرة / ٢٧٢ : **( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء )** وفي سورة آل عمران / ١٢٨ : **( ليس لك من الأمر شيء )** ، وفي سورة النازعات ٤٢ ـ ٤٤ : **( يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها )** . وفي سورة الغاشية ٢١ و ٢٢ : **( فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر )** وفي سورة الاعراف ١٨٨ : **( قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون )** .

وقد يضل ضال فيتوهم أن هذا التجريد من السلطة فيه استهانة بمقام رسول الله ، او استخفاف بأمره ، ومعاذ الله ، فان رسول الله أحب خلق الله إلى الله ، وهو عنده بمكان عظيم ، وقد تعرضنا من قبل الى طائفة من آيات التشريف له والتكريم لشأنه . ولكن الحق جل جلاله أراد أن يفرق بين الخالق والمخلوق ، وأن يقرر أنه المعبود دون سواه ، وأنه يفعل ما يريد وما يختار ، لايشركه في ذلك نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد ، وهنا ليس للنبي من الأمر شيء ، ولو أنه إمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، والشفيع المشفع يوم الدين ، وهو رسول الرحمة وكاشف الغمة والمنقذ للامة ، وجامع الكلمة ، وهو بالنسبة الى الكائنات سيد العالمين ، ولكن الأمر إذا انتهى إلى ساحة الله عز وجل ، فهو عبد الله ، وصفة عبد الله هي أعظم وسام يتحلى به رسول الله .

ومن الدقائق اللافتة للبصيرة هنا أن القرآن لا يكاد يذكر النبي الأمين في موطن تشريف أو تكريم إلا اختار له صفة العبودية على غيرها من كرائم الصفات ، فهو مثلا يتحدث عن إنزال

القرآن على الرسول وهو أكبر المعجزات فيصف الرسول بالعبودية فيقول : ( **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ) . البقرة /٢٣ ويتحدث عن الاسراء وهي من كبريات المعجزات ، فيصف النبي بالعبودية فيقول : ( **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ) الاسراء /١

ويفتتح سورة الكهف في الحديث عن الكتاب الذي أنزله على « عبده » محمد فيقول : ( **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا** ) الكهف /١ ويفتتح سورة الفرقان بمثل هذه الطريقة قائلا : ( **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ) الفرقان /١ ويقول ايضا في سورة الأنفال : ( **واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** ) الأنفال /٤١ ويقول في سورة النجم : ( **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ) النجم /١٠ ويقول تعالى في سورة الجن عن دعوة الرسول الى الله : ( **وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا** ) الجن /١٩ .

ثم يأتي عنصر العتاب والمراجعة ، فنحن نرى في القرآن الكريم آيات يعاتب الله فيها رسوله على بعض الأعمال أو التصرفات ، وينبغي لنا أن نتذكر أن العتاب في أغلب أحواله دليل المحبة والمودة ، ولذلك قال شوقي :

أما العتاب فبالأحبة أخلق
والحب يحلو بالعتاب ويصدق

وينبغي لنا أن نتذكر أيضا أن العتاب يسمو لفظا ومعنى كلما سما طرفاه ، فعتاب العلماء غير عتاب العامة والرعاع ، وعتاب العارفين غير عتاب الجهلاء ، وعتاب المقربين غير عتاب الأبرار وقديما قيل : « حسنات الابرار سيئات المقربين » ، فمن لنا بأن نبلغ شأو العتاب بين الله عز في علاه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

إن تلك منزلة أسمى من إدراك الناس ومتناولهم ، فلعتاب الحبيب الأول مع محبه النقي مذاق يعلو على كل مذاق ، وإدراك يسمو فوق كل إدراك ونحن حين نستعرض آيات العتاب من الله لرسوله في القرآن نرى العتاب مغلفا بستار رقيق أنيق يشعر بالمحبة ، ويوحي بالمودة ، فها هو ذا مثلا لون من عتاب الله لنبيه في سورة التحريم ، حيث تبدأ هكذا : ( **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم** ) التحريم /١ فآية العتاب تبدأ كما نرى بمخاطبة « النبي » وهو

وصف فيه مودة ومحبة وتشريف ، والعتاب يساق إلى هذا النبي بأسلوب الاستفهام ، لا بأسلوب « المؤاخذة ، « **لم تحرم** ؟ » . وأقرب سبب لنزول هذه الآية الكريمة خلاصته أن النبي صلوات الله وسلامه عليه حرم على نفسه بنفسه لونا من الحلوى كان يحبه ويتناوله ، وكان يقصد بذلك إرضاء بعض زوجاته ، ولذلك قالت الآية : ( **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك** ) ثم ساقت الآية الغرض النبوي الكريم الذي قصده هو ، وهو إرضاء بعض زوجاته ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه مثلا أعلى وقدوة تحتذى في الاحسان إلى الزوجات ، يقول النص : ( **تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم** ) ، فكأن الله سبحانه تولى عن رسوله الاعتذار عنه : وتبيان الغرض الشريف من تحريمه ما حرمه ، وسارع الله اليه بالحكم الكريم الرحيم : ( **والله غفور رحيم** ) .

ويقول الله تعالى مخاطبا رسوله في سورة التوبة : ( **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ) التوبة /٤٣ والعتاب هنا يبدأ بداية حبيبة عجيبة ، إنه يبدأ بالعفو ولأمر ما كان أول الاية ( **عفا الله عنك** ) أي أن الحكم بالعفو والغفران قد سبق ذكر المعاتبة .

وقد يسأل سائل : ما الحكمة في إيراد القرآن لمواقف العتاب بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ ويلوح لنا — والله أعلم بمراده — أن القرآن الكريم قد أورد آيات العتاب في القرآن ليشعر الناس بأن قاعدة الحساب والجزاء عامة مطردة ، لا يستثنى منها أحد حتى ولو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فها هو ذا القرآن يعاتبه ويراجعه ، ونكاد نقول : ويؤاخذه ، وها هو ذا يقرع السمع النبوي الكريم بمثل قوله عز من قائل في سورة الانفال :( **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** )الانفال /٦٧

وهكذا كلما مرت علينا ذكرى من ذكريات محمد عليه الصلاة والسلام ، وأقبل علينا موسم من مواسمه الجليلة ، وأردنا له صورة مشرقة مونقة ، يعمرها الصدق والحق ، وعدنا إلى كتاب العربية الأقدس ، وهو القرآن المجيد ، وجدنا فيه هذه الصورة المثالية لرسول الله ، وهي صورة قائمة على عناصرها الخمسة : عنصر التنويه والتشريف ، وعنصر المطالبة والتكليف ، وعنصر المزج بين التشريف والتكليف ، وعنصر التذكير بالبشرية والتجريد من السلطة أمام سلطة الله عز وجل ، وعنصر المعاتبة والمراجعة ، وبهذه العناصر تتضح الملامح الباهرة للشخصية الفريدة المنقطعة النظير ، شخصية محمد رسول الله عليه صلوات الله وسلامه .

( **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ) . الاسراء /٩ .

# الذكرى في منطق العصر

أحسبني حين أتحدث عن صاحب الذكرى أنني أشبه بمن يحاول حشد الربيع في زهرة أو سكب العبير في وردة ، أو بمن يحاول جمع المحيطات في قطرات ، أو اجتزاء الشمس في شذرات .

ذلك بلا جدال معتقد القائل :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
ياسماء ماطاولتها سماء

وهو بلا جدال أيضا : معتقد الكثيرين غيره

ومن رام وصل الشمس حاك خيوطها
نسيجـــا الى آمـــاله وتعلقـــا

ذلك كله لأن عناصر الاعجاز في حياة صاحب الميلاد ، وظاهرة التميز والتفرد في سلوكه تشغل مساحة لا نهائية في أرض العطاء والوفاء .

فمحمد صلى الله عليه وسلم شبيه بالوجود اللامحدود فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الانسانية فيه ، في عقله وخلقه وعلمه ، ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لانهاية له .

والنبوة هبة الله التي لاتنال بالكسب لكن حكمة الله قاضية بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها :**( الله أعلم حيث يجعل رسالته )** الأنعام/ ١٢٤ ، وهو صلى الله عليه وسلم أرسله الله الى الدنيا فبعث الحياة في كيانها والدفء في أطرافها : **( فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج )** ، رأي الأرض وقد أغرقها طوفان من الرذائل البشرية كعبادة الشهوات ووأد البنات فعطر أجواءها من هذا العفن الكـريه ، وطهرها من الدنس والرجس بمنهج الحق ، وشرع الله : **( قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق )** الأعراف /٣٣

ما كان محمد أبدا مجرد مولود لفظه رحم أمه فانخرط في اعداد

الملايين على هذه الأرض ، وكذلك لم يكن مجرد انسان تسلل الى المعمورة في غمار أعدادها الهائلة التي تتلقاهم صباح مساء ، بل كان قوة إلهية أعادت صياغة الحياة ، ونسمة زكية ردت الحياة الى رشدها ، وسكبت الطهر والعفاف في وجدانها ، ومنة كبرى أسداها الله الى المكدودين ، والمغمورين ، والضعفاء :

**( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين )** آل عمران/ ١٦٤

ان الاحتفاء بميلاد رسول الله في اعتبار الحق وبصر المنطق احتفاء بالقيم الرفيعة والمثل العظيمة انه احتفال بمولد الهدي الذي أراد للانسانية اللاهثة أن تهدأ ، وللأثرة النابحة أن تكف فاذا الحياة طيبة المذاق في أفواه الأحياء ، واذا الكرامة مضفاة الرواء على كيان الانسان :

**( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا )** الاسراء/ ٧٠ .

لقد طارد صاحب الذكـــرى الجهالات والنزوات ، وأحل محلها اشراقة الهداية وطمأنينة الضمير ، لتمضي الانسانية الى غايتها التي كتب الله لها .

من هذا المنطلق لم يكن من الوفاء أو الولاء لميلاد ــ محمد ــ أن تجيء ذكراه على هذا النمط من العبادات التي تشتعل بحماس العاطفة ، أو القصائد التي تحظى بموسيقا الخليل ، أو المواكب التي ترهق المدن والنجوع بقرع الدفوف ودق الطبول مهما أتيح لها من مبررات .

فمثل هذا الأسلوب حتى وان سلمنا به في فترات زمنية مضت وانقضت بمالها وما عليها ، فلا يليق بنا في هذا العصر ، أن نستبيح لأنفسنا الأخذ بمثل هذه الأساليب التي يستثمرها أعداء الله ، في التهوين من إيجابيات هذا الدين ، بل ربما وضعوها في ثنايا قوائم السلبيات التي تستغل في تشويه صورة الاسلام . ان الأقوال الراشدة ، والأفعال الرائدة التي حاصرت منذ المولد والى الأبد أساطين الحكمة ودهاقنة السياسة ، ووضعتهم في حيز ضيق على مائدة متواضعة ، وأمام منصة رهيبة لأستاذ أصغت لحكمته وعلمه الدنيا . واندهشت لتسامحه وبساطته المسيرة البشرية المتعاقبة عبر تدافع التاريخ تفرض علينا الآن وبلا تباطؤ أن نقف أمام القيم الاسلامية ، ونخلـــع المناظير الباهتة ، لنستبدل بها أبصارا وبصائر لترى عبر متطلعات انسان هذا العصر ومبتكـــراته المتجددة ، ومذهلاته التي لاتتوقف ، أن القيم الحضارية والمفاهيم التي ناضل نبي الاسلام ، في غرس مبادئها ودعم أسسها جديرة بأن نسبر أغوارها ، ونجهرها بمجهار الـــموضوعية ، والمـــوازنة العصرية والمواجهة المصيرية لمستقبل الدعوة الاسلامية ، وألا نأخذ عطاءها

المتجدد والمتدفق أخذا بشريا لأنها هبة الله وفيضه الذي أفاء به على رسوله ، وفيض الله يستعلي على التوقف ويسمو على المكان والزمان ، وينبو عن الجفاف وصدق الله تعالى :( **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** ) الكهف/١٠٩ ، تلك غايات اسلامية نبيلة نستشرفها في ظلال مولد الهدى علها تكون مبعث هداية ، ودقة ناقوس تصحو بها ضمائرنا ، وتستيقظ لها قلوبنا فتعرف ما لها وما عليها في موقع الدعوة إلى الله ، ولست بدعا في هذا الرجاء ، فمثل ذلك استوحاه مفكرون مسلمون اطمأنت قلوبهم بمعرفة دقائق أسرار الرسالة المحمدية ، يسعدك ويسعدني بعضهم حين يرقي بتشبيه له جاء فيه أن اللفظة في القرآن أشبه بفص الماس ، لاتستطيع أن تتوفر على كل عطائها ، كأشعة الماس لايملك البصر كل شعاعه ، فاذا أحاط بشعاع شده اليه شعاع آخر فلا يستطيع أي شعاع يأخذ ، وأيه يدع . وسوف نسعد أكثر وأكثر حين نستمع الى ما جاء على ألسنة كتاب آخرين لاينتسبون لهذا الدين وآخرهم صاحب الكتاب المعنون له **برجل على رأس المائة** ، فقد اختار مؤلفه مائة من عظماء التاريخ ، ولم يستطع أمام صحوة من ضميره الا أن يضع محمدا صلوات الله عليه في الصدارة من القائمة حين أراد التحدث عنهم .

— ان القدوة برسول الله ، ورياضة المؤمن نفسه على التحلي بأخلاقه ، هي التمجيد الحق لمقامه الشريف ، والاحتفال الملائم للعصر — بميلاده الكريم فلنحاول ماوسعتنا الحيلة والمحاولة أن تكون لنا برسول الله أسوة حسنة ، وأن تكون لنا القدوة في طهارة ظاهره وباطنه ، في حلمه ورفقه ، في رحمته وعدله ، في بساطته وتواضعه ، في عفته ونزاهته ، في زهده وورعه ، في سلمه وفي حربه ، في كل مسيرته وسيرته .

ان متطلبات الدعوة في مواجهة هذا العصر تستوجب أن نسقط من حساباتنا رصد الجوائز النفيسة للفنانين والممثلين وأن نقدم وبكل فخر مكنون الجواهر للمؤلفين والمبدعين في إبراز القيم الاسلامية التي تصون حركة الحياة النبيلة المندفعة نحو الخير والحق ، من خلال كتبهم وبحوثهم ، بحيث تعد قوائم الشرف ، وهي تزين صدرها بألقابهم الرفيعة ، وكتاباتهم المجيدة في مولد الهدي ، ثم يصحبهم الرؤساء الى المنصات ليمنحوهم أكـــرم المنح ، وأسمى الهبات .

— ان حفظة كتاب الله هم الأمناء على دستور السماء ، وهم أولى الناس في هذا اليوم بتصدر كل مواكب الخير التي ينبغي أن تتواجد ، وأن تتدافع في علو رباني ، وهي تنشد في ايقاع رتيب كلمة لا اله الا الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأن يوضع فوق رءوس الحفظة وهم يتقدمون المواكب أكاليل الغار ، وأوسمة الفخار يحدوهم الجيل المؤمن المتحفز الواثق في نصر

الله .

ــ ان متطلبات العصر ، تفرض علينا أن نمسح بأيدينا بعض الضباب الذي يغطي قيمنا الاسلامية ، ومعتقداتنا الدينية والانسانية والعلمية ، وأن نتوجه الى وضعها في الصورة المشرقة اللائقة بها ، ثم نتأمل عطاءها وهديها تأملا شموليا يأخذ في أهدافه خلق المواطن القدوة الذي يشد اليه أنظار العالم بعلمه ومبتكراته بحيث تحتفل المؤسسات العلمية والتعليمية ، وقد أخرجت للعالم برامج علمية ومؤلفات اسلامية تستهدي في خططها بهدي الله وتستوحي ضمير الأمة الاسلامية الكبرى ، وتكفل لأبنائها من الحوافز والدوافع ما يهييء لأبناء هذا الدين التمكــين في الأرض ، ويعينهم على ضرب الالحاد والزيف في حصونه المدججة بأسلحة التبشير والتشهير ، بفكر مستنير وفهم مستضيء في ضوء توجيهات مؤمنة رائدة . تأخذ في اعتبارها ارتياد الآخرين لأسرار الحياة ، واكتشاف المجاهيل واستحداث النظريات العلمية الحديثة ، وأن هذا العقل الكافر ــ ليس أرقى من العقل المؤمن ايمانا حقا .

وعندها سنرضي في شبابنا تطلعاته ونقنع فيه رغباته ، ونمنحه ثقة وفيرة في نفسه وبعدها فلن يتطرق اليه الاحساس ــ أبدا ــ بأنه أقل شأنا ، أو أضعف قدرا من الآخرين . وذلك إثراء لدعوة صاحب الذكرى مابعده ثراء ، ورصيد دونه أعلى أرصدة المال .. لأن الاسلام كان يرصد ويدخر الرجال وليس المال ، وكـــان يفاخر فيقول : رجل بألف مثل : القعقاع بن عمرو ــ وأمثال مصعب بن عمير .

ــ إن تراثنا ليس جدبا بل هو خصيب بالريادة في مختلف العلوم ، زاخر بالبطولات في شتى الميادين ، عامر بالعبقريات الفذة التي يمنحها كتاب الله وهدي محمد المدد الذي لا ينفد فما أحوجنا الى التذكير بها ، ووضعها في الاطار الذهبي المناسب ، والصورة المتألقة الهاتفة ، والمثال الفذ القدوة ، ودفع أبنائنا لتحسس وتفقد هذه المــواقع وتلك المــواقف في تاريخنا وتراثنا من خلال الدراسة المنهجية ، والبحوث الأكـــــاديمية ، وأخذهم بوسائل التأثر والانفعال الصادق بها وبأمجادها في أيام الذكرى ، ويجب أن يطول امتدادها ليشمل الشهر كله « ربيع الأول » لنشد شبابنا اليها وندفعهم في مثل الطريق الذي سلكه الآباء والأجداد وسوف يكون منهم بعون الله وحوله من سيسترد القدس ، ويمنع أفغانستان من براثن الأعداء ، ويخضد شوكة الطامعين فينا ويرفع راية النصر :( **ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ) الروم/ ٤و٥

ــ وبعد : فهذه خواطر ، لاتعدو أن تكون غيضا من فيض ، وقطرا من بحر ، نترك للأيام والأعمال أن تجيب على مافيها من الأماني والآمال والله من وراء القصد .

# حقوق الانسان

تحت هذا الشعار عقدت ندوة علمية دعت إليها كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت بالمشاركة مع لجنة الحقوقيين الدولية ، وبمؤازرة جامعة الكويت في الفترة الواقعة بين ٩ ــ ١٤ ديسمبر ١٩٨٠م وأقيمت « ندوة حقوق الانسان في الاسلام » تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح .

وفي جلسة الافتتاح حضر مستشار سمو الأمير الشيخ عبدالله الجابر ، بالاضافة الى عدد من المسؤولين في الكويت ، ورجال العلم والفكر ، والمهتمين بالدراسات الاسلامية .

فألقت عميدة كلية الحقوق والشريعة الدكتورة بدرية العوضي كلمة الافتتاح فقالت :

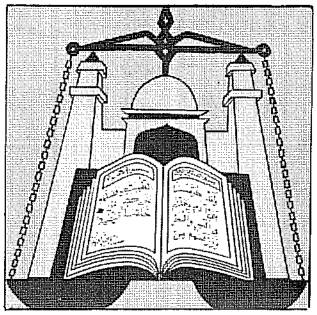
انه ليوم اغر ان تعقد في الكويت ندوة حقوق الانسان في الاسلام ، وان تضم النخبة الخيرة من اعلام العرب والمسلمين ومن المفكرين الذين تفهموا رسالة الاسلام ودافعوا عنها ووجدوا فيها رسالة خير ودعوة سلام .

وانها لمناسبة جليلة ان تعقد هذه الندوة في الوقت الذي نستقبل فيه القرن الخامس عشر الهجري ، يود أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنا اول بيان لحقوق الانسان واقام شريعة تجمع الشعوب على الايمان بإله واحد ، وتجمع القلوب على الحب والاخاء وتسوي بين الناس فلا يتفاوتون الا بالعمل الصالح .

لقد كان اختيار الكويت مقرا لهذه الندوة تكريما لبلد استطاع بفضل سياسته الحكيمة ، ان يقوم بدور فعال في المجال السياسي ، فاحتل مكانا محمودا في المجتمع العربي والدولي .

حضرات السيدات والسادة :
لقد جاء انعقاد هذه الندوة بمبادرة من جانب كلية الحقوق والشريعة بالتعاون مع لجنة الحقوقيين الدولية ومؤازرة جامعة الكويت ، لايمان الجميع بأهمية موضوع حقوق الانسان في المجتمع الدولي المعاصر وضرورة ابراز دور

# في الاسلام



الاسلام في هذا المجال لما يتميز به من مبادىء تصون هذه الحقوق لجميع الافراد ، خاصة حق الانسان في الحياة والحرية والعدل ، وحقه في الكـــرامة وفي جميع الحقوق الاساسية التي تحفظ شخصيته الانسانية من الظلم والتسلط .

ان هذه الحقوق التي اعلنها الاسلام وحرر بها الانسان من قيود الذل والعبودية من القيم الخالدة التي تميزت بها حضارة الاسلام ، هذه الحضارة التي بنيت على دعوة عالمية لشريعة تسوس البشر بالعدل والمساواة دون تفريق ولا تمييز بينهم .

وبعد ، فان الكـــويت ـ بما اوتيت من سماحة في تقدير عامل الحرية ليسعدها ان تستقبل هذه العقول النيرة التي تقوم بدور كبير وفعال في خدمة الاسلام واحياء تراثه لتعرض ـ فيما اعدت من ابحاث ودراسات ـ حقوق الانسان في الاسلام مستمدة من مصادره وتطبيقاته ، بحيث تكون اساسا لبيان حقوق المـــواطن في الوطن العربي والاسلامي .

واخيرا اود وباسم كلية الحقوق والشريعة ان ارحب بكم راجية ان تثمر جهودكم في خدمة هذه الندوة لتحقيق الامل المرجو منها ، كما لا يفوتني ان اشكـــر باسم الكلية وباسمكـــم صاحب السمو امير البلاد لتفضله برعاية هذه الندوة .

ثم القى السيد جاسم المرزوق وزير التربية كلمة سمو امير البلاد .. فقال :

**اخواني** ، يسعدني ان ارحب بكم في الكويت ، متمنيا لكم طيب الاقامة ولندوتكم النجاح والتوفيق .

ويأتي لقاؤكم عن حقوق الانسان في الاسلام ، والعالم الاسلامي يستقبل القرن الخامس عشر بعد الهجرة ، التي اقام بها النبي عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه في المدينة مجتمعا جعل حقوق الانسان حقائق حياة ، ونقلها من سماء الامال الى ارض الواقع .

ذلك لان الاسلام يؤمن اولا بكرامة الانسان ، ويقول الله تعالى :
« **ولقد كرمنا بني آدم** » ومن كرامة الانسان ان يكفل له المجتمع حقه في المأكل والمشرب والمسكن والملبس والتعليم والعمل ، كما يكفل حقه في ابداء الرأي والمشاركة في صياغة حاضر امته ومستقبلها ، والامن على نفسه واهله .
ولكي تتوفر هذه الحقوق ، ينبغي ان يكون المجتمع قادرا على ادائها .
والاداء واجب وعطاء .
وبهذا يبدو الواجب وجها اخر للحق .
وكأن الحق والواجب جناحان يحلق بهما المجتمع الى آفاق الغد المأمول .
وهذا ما يفسر لنا عناية الاسلام بالعمل واحترامه ، والانتاج ، ومكانته في المجتمع ، وبموازنته بين حقوق وواجبات الاجيال الجديدة في التزود بالعلم ، والقدرة على الابتكار ، والتدرب على حمل المسؤولية ، حتى تكون قادرة على ابداء الرأي النافع ، وصناعة القرار ، واثراء الحياة ، واشاعة العدل على الصعيد الوطني والعالمي .

ايها السادة العلماء وانتم تلتقون حول حقوق الانسان في الاسلام ستذكرون حقوقا ضاعت على اهلها ، حقوقا في ارضها ، حقوقا في اوطانها ، وحقوقا في الحياة الامنة .
ستذكرون اخوة لكم في القدس وفلسطين لا تزال تحت سيطرة العدوان الاسرائيلي .
ستذكرون اخوة لكم في افريقيا واسيا يعانون من التفرقة العنصرية والقهر في اوطانهم .
وستقولون كلماتكم المنيرة بالعدل والمشرقة بالامل ، في عودة الحقوق الى اصحابها ، في تعاون افضل بين الشعوب النامية والمتقدمة قائم على صيانة الحقوق والاحترام المتبادل وعرفان الجميل . وفي هذا تحقيق لما نادى به الاسلام من تحقيق كرامة الانسان .. كرامة ينال فيها حقه ويؤدي واجبه .

**ثم القى الدكتور عبدالرزاق العدواني مدير جامعة الكويت كلمة رحب فيها بالحضور ، وأشار الى اهمية قضايا حقوق الانسان ، والتي تعود الى عصور قديمة ، كما انها اخذت اهمية كبرى في الميدان الدولي المعاصر .**
**وكان مما قال :**
انه مع ازدياد العلاقات والمعاملات بين الدول والشعوب ، واعتداء بعضها على حقوق الانسان رغم المواثيق يتعين من جديد ابراز هذه الحقوق في الاسلام .
**ثم تحدث سكرتير عام لجنة الحقوقيين الدولية السيد نيبال ماكدوموت فقال : ان لجنة الحقوق الدولية كانت بصدد اقامة مثل هذه الندوة ولكن كانت تريد مبادرة من دول المنطقة .**
**وانتقل الحديث الى السيد زهير الميداني الامين العام لاتحاد المحامين العرب فألقى كلمة عبر فيها عن أهمية الندوة وأثر التراث**

**الاسلامي واسبقيته في تحقيق حقوق الانسان فقال :**
ان حقوق الانسان في الاسلام هي مجموعة من الاصول العامة ، نستخرجها من القرآن والسنة ، وهي بمثابة اسس عامة تفصل بين الخير والشر وهي قابلة للبناء عليها لما يسد مطلب كل عصر على نحو يعصم المجتمع من الانهيار ومن الحيرة بين المذاهب المختلفة والاهواء الجامحة .

○ **وقال رئيس وفد منظمة المؤتمر الاسلامي :** ان نتائج هذه الندوة ستطرح ضمن بنود أعمال القمة الثالثة التي ستعقد في مكة المكرمة في يناير حتى تعلن وثيقة لحقوق الانسان في الاسلام .
وبعد تلك الكلمات التي ألقاها اصحابها في جلسة الافتتاح : القى كلمة المؤتمر الرئيسية السيد أ. ك. بروحي ، وهو وزير سابق للقانون والشئون الدينية بباكستان ، والمحامي بالمحكمة العليا . وعضو لجنة الحقوقيين الدولية .
وقد أوضح السيد بروحي في كلمته شمولية الاسلام للأنظمة والقوانين ، و« طبيعة الشريعة الاسلامية ونظرية حقوق الانسان » . وعرف طبيعة القانون ووظيفته للتوصل الى القانون الاسلامي بهدف اعطاء خلفية عن الفكر القانوني لصلته الاساسية بحقوق الانسان في الاسلام ، من حيث الاعتراف بها وتطبيقها .
وتعرض لمفهوم العدالة في الاسلام ، والقيمة التي أوجدها القرآن الكريم ، والسنة الشريفة لمفهوم العدالة الواسع المتحرر ، وذلك من حيث المحتوى والنطاق والتطبيق العملي .

ثم عقدت جلسات ندوة حقوق الانسان في الاسلام .. في فندق الميريديان بالكويت وتوزعت اعمال الندوة على ست لجان هي :

- اللجنة الاولى : الرئيس الدكتور خورشيد احمد ، المقرر الدكتور محمد يوسف علوان ، مساعد المقرر ايرين خان .
- اللجنة الثانية : الرئيس الدكتور سليمان الحديدي ، المقرر الدكتور روان مباي ، مساعد المقرر الدكتور عجيل النشمي .
- اللجنة الثالثة : الرئيس الدكتور عبدالله شرف الدين ، المقرر الدكتور سعيد حسين ، مساعد المقرر الدكتور احمد شرف الدين .
- اللجنة الرابعة : الرئيس الدكتور حسين البحارنة ، المقرر الدكتور اسماعيل راجي الفاروقي ، مساعد المقرر الدكتور عبدالحليم احمدي .
- اللجنة الخامسة : الرئيس الدكتور عبدالوهاب حومد ، المقرر الدكتور جميل الحافظ ( من اتحاد المحامين العرب ) ، المساعد للمقرر الدكتور حسين علي .
- اللجنة السادسة : الرئيسة الدكتورة بدرية العوضي : المقرر د. الطاف جوهر ، مساعد المقرر الدكتورة بدرية الجاسر .

**وقد اختصت كل لجنة بمناقشة**

**بحث اعده احد الاساتذة المتخصصين ..**

**فاللجنة الأولى ناقشت موضوع :** « الحرية الاقتصادية ووالعدالة الضريبية في الاسلام » للدكتور عبدالهادي النجار استاذ الاقتصاد والمالية العامة المساعد بكلية الحقوق والشريعة الاسلامية بجامعة الكويت الذي أكد أن الحرية الاقتصادية في الإسلام مقيدة

**اما اللجنة الثانية فقد ناقشت المفاهيم الاسلامية في التربية في المجتمع الحديث من خلال بحث للدكتور سيد علي اشرف استاذ اللغة الانجليزية** والسكرتارية ، بلجنة المتابعة للمؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة أثار فيه سؤالين وطلب الاجابة عنهما وهما : العلاقة بين المفاهيم الاسلامية والتعليم في المجتمع الحديث ، وما هي المفاهيم التعليمية التي يجب ان تكيف وتعدل طبقا للتغيرات الاجتماعية التي يجلبها ما يعرف بـ « العصرية » . وطرح الدكتور اشرف عدة افكار رئيسية منها :

- ان المفهوم الاسلامي للانسان له اتساع ومدى لا يوجدان في اي مفهوم اخر للانسان . وبما أن الانسان يستطيع ان يصبح « خليفة الله » بأن يرعى أو يحقق في داخله صفات الله وحيث أن هذه الصفات لها بعد لا نهائي فان امكانات تقدم الانسان عقليا وروحيا وخلقيا لا حدود لها .
- بما أن المعرفة هي مصدر هذا التقدم والتطور فان الاسلام لا يضع حاجزا لاكتساب المعرفة .
- مدى هذا الاكتساب لا بد أن يكون شاملا لانه باكتساب بعض الخبرة الفعلية فقط لا يستطيع الشخص ان ينمو نموا متوازنا . وهذا يتضمن ان التعليم لا بد ان يخطط بطريقة يكون لها نمط انضباطي متوازن فيما بينها . والانسان العليم او الخبير المتمرن ليس بالضرورة انسانا متعلما .
- ان المظاهر الجسمية والعاطفية والخيالية والفكرية والخلقية والروحية لشخصية الانسان تؤخذ في الاعتبار عند تكوين العلاقة بين هذه الانظمة ، ويجب ان يؤخذ في الاعتبار نمو عقل الطفل وقدراته لكي نضع الموضوعات والمناهج في مراحل مرتبة حتى يبقى الارتباط فيما بينها .

**ثم انتقلت اللجنة الى سماع بحث الدكتور معروف الدواليبي الذي تساءل عن موقف** الاسلام من دعوة الامم المتحدة الى نظام انساني جديد .. وعن موقف الاسلام من مجمل حقوق الانسان ومن المرأة بشكل خاص .

**واجاب :**

فيما يتعلق بدعوة الامم المتحدة الى نظام عالمي انساني جديد ، ووفقا لمبادىء حقوق الانسان ، فان ابرزما في دعوة الاسلام منذ ظهورها قبل اربعة عشر قرنا انما كان :

ـ في اعلان الاسلام « لوحدة الاسرة

البشرية » بكل صراحة وفي شجبه بكل قوة لذلك « التمايز » في الحق بالحياة بين الاجناس ، والاعراق والاقوام والاديان .

ـ وفي ايجابه الاعتراف « بالكرامة للجميع » من غير تفاضل .

ـ وفي الدعوة الى « التعاون » على الخير فيما بينهم اجمعين ، لا يمنعهم من ذلك اختلاف اقوامهم واديانهم

ـ وفي التأكيد على « العدالة المطلقة » بين الجميع حماية « للسلام » في الارض .

وبذلك ارسى الاسلام قواعد « مجتمع الخير الجديد » على اسس انسانية وعالمية ، واقام فعلا نظاما للحياة سوى فيه ما بين اشراف قريش من سادة العرب ، وسلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، بل وبين احرار العرب وساداتها والارقاء المعتقين من مختلف الشعوب والاقوام وغزا بالحب المتبادل وقال في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

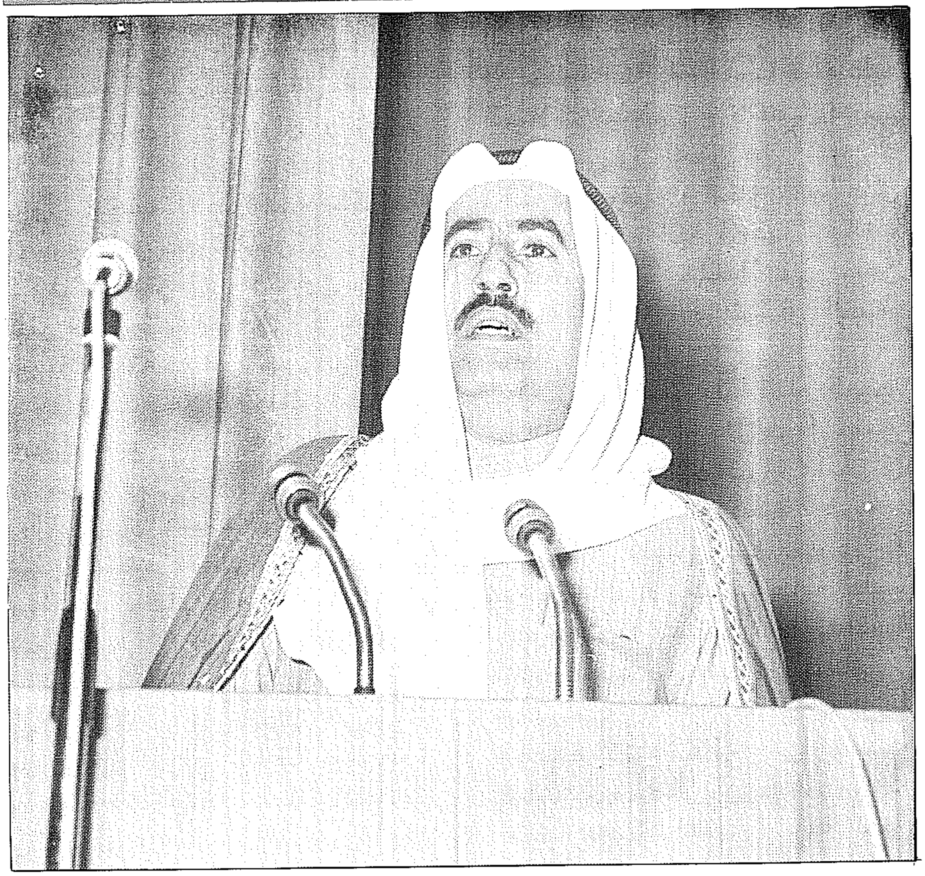
ـ ويكفينا في جملة ذلك ما قد اوجزه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع حيث خطب مودعا المسلمين ومؤكدا على اهم خصائص الاسلام وقد ابتدأ في ذلك بقوله سبحانه وتعالى « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » .

وعقب على ذلك بذكر الخصائص الكثيرة من خصائص الاسلام الانسانية العالمية وخاصة قوله عليه الصلاة والسلام ، « لا فضل لعربي على عجمي ولا ابيض على اسود الا بالتقوى » وقوله « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم اليه أنفعهم لعياله » وشدد بصورة خاصة على حسن معاملة المرأة ، واعلن ان النساء شقائق الرجال .

ـ وانني اذ اكتفي بهذا القدر الوجيز فيماتقدم من الاشارة الى مجمل حقوق الانسان في الاسلام بصورة عامة والى نداء الاسلام بوحدة الاسرة البشرية ، ودعوتها الى التعاون فيما بينها على ما فيه خيرها فذلك رغبة بالترحيب الطيب بدعوة الامم المتحدة الى وجوب اقامة نظام جديد عالمي انساني ، وبالترحيب بالتقائها في دعوتها الجديدة الانسانية مع دعوة الاسلام العقائدية ، واملا بأن يسمح لي هذا الايجاز بعد ذلك للتفرغ في بقية كلمتي للتحدث عن « وضع المرأة في الاسلام » الذي قد اخترته للكلام فيه بصورة خاصة باعتباره موضوعا من اعظم مواضيع حقوق الانسان .

## « نظرة الاسلام الى المرأة »

انما هي من خلال نظرته الى الله والكون والانسان ولا بد لنا اذا اردنا فهم ابعاد وضع المرأة في الاسلام من ان نلفت النظر اولا كما جرت عادتنا في شرح كل مبحث وحقيقة من حقائق الاسلام الى ان نظرة الاسلام الى « المرأة » بصورة عامة انما هي



« نظرة جزئية » من اصل نظرة كلية « هي » نظرة الاسلام الى الله ، والكـون ، والانسان وسوف نقتصر طبعا في كلمتنا الان على « النظرة الى المرأة في الاسلام » .

ويتوجب علينا ان نعلن منذ البدء ان نظرة الاسلام الى الانسان فيما له من حقوق وفيما عليه من واجبات ، هي نظرة واحدة الى كل من الرجال والنساء ، من غير تمايز ولا تفاضل بينهم وذلك :

ــ سواء في استخلاف الله للانسان من رجال ونساء على الارض ، كموظفين من قبله سبحانه وتعالى ليقوموا عليها بما عهد به اليهم جميعا من غير استثناء .

ــ وسواء استعمارهم في الارض اي في مطالبتهم جميعا بواجب القيام بعمارتها وفي تحمل المسؤولية في ذلك امام الله على السواء .

ــ وسواء في ايجاب عبادة الله عليهم جميعا من غير اي تمايز بين الجنسين عند الله في الوجوب وفي الثواب وفي العقاب .

وهكذا فقد شارك الجنسان في عمارة الارض بالتناسل مشاركـة تامة لا

امتياز فيه لاحدهما على الاخر ، كما استحق كل منهما الكرامة المتساوية عند الله على الاعمال الصالحة والعبادة الخالصة ، ومصداق كل ذلك قوله سبحانه وتعالى في الجنسين من الرجال والنساء ( **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكــر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ) التوبة ٧١ ـ ٧٢ وقال ايضا « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » النساء ١٢٤ .

**واللجنة الثالثة** ناقشت موضوع الاقليات المسلمة وحقوق الانسان ، للدكتور ابو بكر احمد باقادر الاستاذ بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ركز فيه على توضيح حقوق الاقليات المسلمة في العالم والتي تنتشر في حوالي أربعين قطرا . وفي هذا البحث قدم اطارا لدراسة الموضوع واختار بعض الحالات لتوضيح ابعاده .

وقال ان الاقليات المسلمة تقدر بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة فاذا كان عدد المسلمين في العالم حوالي ٩٠٠ مليون نسمة فان هذا يعني ان ثلث المسلمين في العالم يعيشون كاقليات في الوقت الحالي .

ويعيش معظمهم في اسيا وافريقيا ولكن هناك عدد متزايد من المسلمين المحليين والمهاجرين في اروبا واميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وان عددهم وانتشارهم الجغرافي يجعلان اوضاعهم وحقوقهم تستقطب الاهتمام العالمي .

**وعرف الدكتور باقادر معنى « اقلية » على اساس النسبة العددية وتوزيع القوى بين السكان .**

**وعرف المسلم ليس على أساس عرقي أو ثقافي أو لغوي ولكن فقط على أساس العقيدة والدين .**

**ثم ناقشت اللجنة موضوع « حق الانسان في العمل والضمان الاجتماعي في الاسلام » :**

للدكتور صادق مهدي السعيد ، المحامي والخبير الاقتصادي والقانوني الدولي بقضايا العمل والعمال والضمان الاجتماعي ، واستاذ اقتصاد وتشريع العمل والضمان الاجتماعي بجامعة بغداد سابقا .

حيث قال الدكتور صادق :

« العمل هو المصدر الرئيسي ان لم يكن الوحيد للتملك في الاسلام ، لذا فهو المصدر الاساسي لضمان عيش كل الناس القادرين على العمل وغير القادرين على وجه العموم لذا فهو حقهم جميعا وليس العمل الاكتسابي أو الاشتغال غاية بذاته وانما هو الوسيلة الرئيسية والفضلى للعيش



والحياة . ولذا فيرتبط حق الانسان في العيش بحقه في العمل ارتباطا جوهريا تلازميا على وجه الدوام سواء كان قادرا على العمل أو غير قادر . اذ لا عيش بلا عمل . لذلك رفع الاسلام شان العمل عاليا واقر اهميته وحث الناس عليه بل فرضه احيانا على البعض لانه قوام الحياة الدنيا كلها .

وعندما امرهم بالعمل الديني للدار الاخرة ، امرهم بالعمل الدنيوي كذلك بألا ينسوا نصيبهم من الدنيا بالعمل الصالح النافع فيها لأنفسهم وللناس معا .

وان الشعار الاسلامي الشهير « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » دليل واضح أيضا على هذه الميزة الاسلامية . علما بانه توجد الادلة الكثيرة المتنوعة في القرآن الكريم والحديث الشريف على اقرار هذه الموازنة ما بين امور الدين والدنيا في الاسلام .

وفي نهاية حديثه اكد ان الاسلام قد ضرب المثل الاعلى بين الاديان السماوية في تنظيم شؤون الناس الاقتصادية والاجتماعية في حياتهم الدنيوية الى جانب الامور الدينية . فحثهم على العمل بل اوجبه عليهم ونظم لهم قواعد المعاملات والتعاملات في مجال النشاط الاقتصادي كي يضمن لهم العمل والانتاج المستمرين ووجود السلع والخدمات الاقتصادية لاشباع حاجاتهم الشخصية والبشرية والاجتماعية والعامة كما ضمن لهم العيش الكريم بالعمل وبالوسائل العامة والضمان الاجتماعي الاسلامي .

● اللجنة الرابعة ناقشت موضوعا طرحه الدكتور ممتاز صويصال استاذ العلوم السياسية بجامعة انقرة حول « حرية الرأي والتعبير والتجمع » طالب فيه بضرورة إرساء مفاهيم اسلامية جديدة فقال :

الاسلام بكليته وشموله يهتم بعلاقة

الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه ، مما يجعلنا نستكشف طبيعة القوى التي يمكن ان يستخدمها أولئك الذين بيدهم الحكم . هل الحكام هم الصانعون الوحيدون للتوازن الذي يقوم بين المؤمنين والمجتمع وذلك بهدف خلق النظام الدنيوي المتناسق ؟ ام هل هناك اعتبار آخر يجب ان يحد من قوتهم ويمنعهم من العمل على تقليل الحريات الفردية ؟

وقال ان المحاولات الاولى لرسم ميثاق اسلامي لحقوق الانسان قد فشلت في هذا الامر الحيوي لربط مبدأ المسؤولية الشخصية للفرد وضرورة ضمان حقوقه قانونا . ولكن لو ان المخططين قد نجحوا في انشاء تلك الصلة لكان من الاسهل عليهم رسم قائمة لحقوق الانسان لا تنسجم فحسب مع الميثاق الدولي القائم ، ولكن ايضا تدور حول العقيدة الاساسية للاسلام .

**ثم قال الدكتور ممتاز :** وفي عالمنا الحديث حيث العديد من الدول الاسلامية التي لا تزال بعيدة عن البحث العام في سبيل ايجاد صياغة احسن وحماية لحقوق الانسان فان ما نحتاجه بشكل عاجل هو حل اسلامي وعالمي .

○ **اللجنة الخامسة** ناقشت موضوع « السلامة الشخصية وحقوق الدفاع ودور المحاماة في الاسلام » للدكتور احسان الكيالي ، بدأت اللجنة بمناقشة بحث للدكتور عثمان عبدالملك استاذ القانون العام المساعد بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت حول « حق الامن الضروري في الاسلام » قدم خلالها دراسة مقارنة مع القانون الوضعي ، بين فيها معنى الامن الضروري في الاسلام .

ان من أهم ضمانات الامن الفردي ، هي تلك الضمانات الجوهرية التي يحيطه بها قانون الاجراءات الجنائية ، والتي تبتغي ايجاد التوازن بين حق الدولة في تتبع المجرمين والحصول على ادلة الاتهام ومصلحة الافراد في صيانة حقوقهم الاساسية وتمكين الفرد عند اتهامه من الدفاع عن نفسه واثبات براءته دون ما خشية من مفاجآت العسف والتحكم .

والناس في ظل الشريعة الاسلامية سواسية كأسنان المشط ومفروض فيهم البراءة حتى يثبت عكسها ، لذلك كان منهجها في الاجراءات الجنائية قائما على انه اذا كان من مقتضيات العدل ان يؤخذ المسيء باساءته والا يفلت مجرم من العقاب ، فان مقومات العدل أيضا ألا يؤخذ البريء بجريرة المسيء . والا يكون من وسائل الوصول الى ادلة الاتهام تهديد الابرياء او الاعتداء على الآمنين المسالمين في حرياتهم وحرمة مساكنهم وحقهم في الخصوصية والاحتفاظ بالاسرار . لذلك حرصت الشريعة الغراء على ان تحقق هذا العدل بشقيه عند تقرير قواعد الاجراءات الجنائية ، وذلك بايجاد التوازن الضروري والكافي بين حق الافراد في الحرية والامن وحق المجتمع

الاسلامي في منع الجرائم وتتبع المجرمين .

**واستعرض محاضرنا كثيرا من الموضوعات المتعلقة بالامن في الاسلام فقال :**

يجدر بنا ان نشير ونحن في هذا الصدد الى ان كثيرا من شراح القانون الجنائي الوضعي يتجهون في الوقت الحاضر نحو المناداة بتبني نظام للتجريم والعقاب شبيه بنظام التعزير الذي اخذت به الشريعة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا وينادون بالمرونة في تقرير قاعدة « ان لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون » وبضرورة الخروج عليها بالقدر الذي لا يجعل التشريع الجنائي نصوصا جامدة ومجردة من المرونة اللازمة لمواجهة الاجرام في تطوره تبعا لتقدم الحضارة وتعقد الحياة الاجتماعية . بل ان بعض فقهاء القانون الجنائي الروسي قد تبنوا فكرة حذف القسم الخاص من قانون الجزاء والاكتفاء بقسمه العام .

وقد كان للانتقادات التي وجهها فقهاء القانون الجنائي الى التطبيق الجامد لقاعدة « لا جريمة ولا عقوبة الا بقانون » اثرها العملي فنجد ان بعض الدول قد نفت القاعدة كلية كما كانت عليه الحال في الاتحاد السوفياتي قبل عام ١٩٠٩ « المادة ٦ من قانون العقوبات الصادر في ٢٣ نوفمبر ١٩٢٦ » .

وكما كانت عليه الحال في المانيا النازية « المادة ٢ من قانون العقوبات المعدل بقانون ٢٨ يونية ١٩٣٥ » .

ومنها من خرج عنها في حدود معينة باباحة العقاب عن طريق القياس كما هو الشأن في القانون الدانمركي المادة ٢ من قانون العقوبات الصادر في ١٥ ابريل ١٩٣٠ .

اما في الدول الاخرى فان الاتجاه العام للمشرع هو الى المرونة في تطبيق قاعدة لا جريمة ولا عقوبة الا بنص ، وافساح مجال التقدير للقاضي في تحديد العقوبة حتى تكون ملائمة لحالة كل محكوم عليه . فوضع لكثير من الجرائم عقوبات تخييرية يتخير القاضي من بينها ما يراه اكثر ملاءمة للحالة المعروضة عليه كما جعل لكل عقوبة حدا اعلى وحدا ادنى يتخذ القاضي من بينهما ما يراه ملائما لحالة المحكوم عليه كما ان المشرع الوضعي قد اعطى القاضي سلطة النزول عن الحد الادنى للعقوبة بل وسلطة الامر بوقف تنفيذ العقوبة او الامتناع عن النطق بها اذا رأى ان هذا اجدى في اصلاح الجاني . وفضلا عن ذلك فقد اعطيت السلطة التنفيذية حق التدخل في تنفيذ العقوبة بل والتصرف فيها بما تراه محققا للغاية منها وذلك بتقرير حق رئيس الدولة في العفو وتخفيف العقوبة ونظام الافراج الشرطي عن المسجون قبل انتهاء مدة عقوبته وأخيرا نجد المشرع الوضعي قد ترك تقدير هذه العقوبة للسلطة التي تتولى تنفيذها وذلك بتقرير نظام العقوبة غير محددة المدة وهو النظام الذي اخذت به الشريعة الاسلامية منذ فجر الاسلام .

وهكذا نجد ان المشرع الوضعي في

الوقت الحاضر يتجه في نفس الاتجاه الذي اتجهت اليه الشريعة منذ اكثر من اربعة عشر قرنا في العقاب على جرائم التعزير .

وتحدث عن مصادر المشروعية وتدرج القواعد القانونية في النظام الاسلامي **فقال :**

ـ لقد سبق الفقهاء المسلمون غيرهم في الكلام عن مصادر التشريع او ما اطلق عليه علماء الأوصول ورجال الفقه « أدلة الاحكام » .

فاذا كان الفقه الدستوري قد عرف مبدأ تدرج القواعد القانونية حديثا واعتبره مبدأ اساسيا في الدولة القانونية بما يحققه من خضوع القاعدة القانونية الادنى للقاعدة القانونية الاعلى ،؛ فان الفقهاء المسلمين قد سبقوه الى البحث في هذا الميدان في علم من ادق العلوم هو علم أصول الفقه . وقرروا ان مصادر التشريع ليست جميعا على قدم المساواة فيما بينها وإنما ينظمها مبدأ التدرج من اعلى الى ادنى ، وجعلوا الحكـــم الشرعي ( او القاعدة القانونية ) المستمدة من مصدر اعلى تسمو على القاعدة القانونية المستمدة من مصدر ادنى ، وانه في ضوء هذا التدرج فان كلا من هذه القواعد القانونية لا يكون صحيحا الا بالقدر الذي تلتزم فيه الضوابط والحدود التي تقررها القواعد الاعلى ، علما بانها في ذات الوقت عند ثبوت صحتها ـ ملزمة للقواعد التي تتدنى عنها في المرتبة ومقيدة لها .

## الضمانات القضائية

● الدكتور الناهي تحدث عن « حقوق الانسان والضمانات القضائية في الاسلام » فقال ان القضاء في الشرع الاسلامي ولاية عامة يتولاها الخليفة بنفسه وله ان ينيب عنه فيستعين بالقضاة ويوليهم القضاء ولاية مطلقة او مقيدة مخصصة وليس للخليفة او غيره من رؤساء الدول الاسلامية ان يهمل تنظيم خطة القضاء لان تنظيمها واختيار الأصلح أو الصالح لتوليها من جملة واجبات رئيس الدولة في الاسلام ولأن حكمة مشروعية القضاء حفظ النظام ودفع الضرر العام والخاص .

● **اما اللجنة السادسة** فقد ناقشت موضوع مركز ودور المرأة في الاسلام للدكتور علي عبدالمنعم عبدالحميد ، استاذ الشريعة بجامعة الكويت الذي ركز على موضوع الاسرة في الاسلام كنظام للحب والرحمة المتبادلين ثم تعليم ورعاية الاطفال فقال :

ـ الاسلام نظام شامل وتنظيم للحياة متكامل من كل الوجوه ، لا تجد في أسسه وقواعده ثغرة واحدة ينفذ منها الى ان يقال : لو غير هذا لكان احسن ولو بدل كذا مكـــان غيره لصار يستحسن . وما ذلك الاحكـــام والاتقان والبعد عن الفطور والنأي عن التغيرات الا لان مصدره الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور .

وبين مساهمات المـــرأة في صدر

الاسلام الاول فقال في صدر الاسلام ساهمت المرأة في كل شيء يمس وجود المسلمين ، واظهر ما كان في ذلك العهد الكريم هو ما يقوم الحياة في كل زمان ومكان هو العلم هو التعلم هو خدمة الاخرين ومعاونتهم في كل مجال . فانظر الى اسرة سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أول نشوئها على ارض مكة المكرمة ، من اقامها ، من ساهم فيها ، من نماها ، من امدها بكل مقومات الحياة بل وعصب الحياة ؟ ذلك الانسان الذي فعل ذلك هو خديجة بنت خويلد ، انظر كيف ساعدت سيدها وسيدنا حبيبها وحبيبنا محمدا في غدوه ورواحه الى غار حراء متعبدا وخلوته مع الله سبحانه مع هذا الكـون الفسيح مع سمائه وارضه وجباله واوديته مع صفائه وغيومه مع كلا ملابساته ثم ماذا ؟

## المساواة في الحقوق

واكد الدكتور علي عبدالمنعم ان للمرأة كافة الحقوق التي منحها الله للرجال فلها حق التعلم وحق التعاقد والالتزامات والتملك والمتاجرة وكل الاحوال المدنية فيما لا يخالف نصا ولا قاعدة اسلامية كالرجل حذوك القذة بالقذة الا فيما اختص به الرجال من حمل السلاح والقتال والاعمال الشاقة البدنية العضلية ، كما انها عند الضرورة قد حملت السلاح وقاتلت كما حدث في غزوة أحد دفاعا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الزواج هو اهم شيء واخطره في حياة الرجل والمرأة فقد أعطيت فيه من الحقوق ما أعطى للرجل ، وادلتنا وبراهيننا من سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقواله . وحين يشيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرأة الصالحة ويدعو الى التنقيب عنها في كل مكان ، لا يغفل امر الرجل الصالح بل ويدعو المرأة وولي امرها الى البحث والتنقيب عن الزوج الصالح والبعد عن الفاسقين ولم يلزم مطلقا امرأة بالزواج من رجل لا تطيقه او رجل يعمل عملا غير صالح فيقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير » رواه الترمذي عن ابي هريرة .

وقال ان الاسلام لا ينقص المرأة شيئا من حقوقها ومساواتها بالرجل في الحقوق العامة باستثناء قيادتها للدولة . والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ، لكن في اطار الضوابط الاسلامية التي تحول دون ان تصبح المـــرأة سلعة في الاسواق السياسية والتجارية .

**وهكذا عايشت مجلة الوعي الاسلامي وقائع ندوة حقوق الانسان في الاسلام عن قرب .. ورأت من خلال البحوث والمناقشات القيمة كيف أن ديننا الاسلامي الحنيف لم يترك مجالا في صالح الانسان في كل عصر و في كل مكان الا**

كان له فضل السبق .. وكيف لا ، وهو الدين الذي جاء ليحرر الانسان فكرا وعقيدة وسلوكا وعملا ، ويرسم له طريق السعادة في دنياه ، وصولا الى الفوز والفلاح في أخراه .. والكل مسئول امام الله مسئولية مباشرة .. فلا وساطة بين العبد وخالقه .. والكل سواء فلا تفاضل بين جنس وآخر .. كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. ولقد سادت أمتنا الاسلامية .. يـوم وقف اعرابي في مركز الاسلام الخالد « المسجد » ليصرخ في مسامع الزمن .. من خلال قوله لأعدل حاكم عرفه البشر « والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .. فيقول الفاروق عمر بن الخطاب معلما كل حكام الدنيا من بعده : « الحمد لله اذ جعل في رعية عمر من يقوم عمر بسيفه اذا رأى فيه اعوجاجا » .

في ظل الاسلام .. لا طواغيت .. لا نعرات طائفية .. لا ظلم ولا اضطهاد... بل لا إكراه في الدنيا . والكل مطالب بالقيام بواجباته في اي ميدان تواجد فيه .. المرأة عليها واجباتها .. ولها حقوقها .. والرجل عليه واجباته ، كما ان له حقوقه .. واختصاص هذا بحكم ، أو ذاك بحكم ، لا يعني تفاضلا بين هذا وذاك .

الكون كله يعمل وفق ارادة الله .. فلا تنافر بين الدين والدنيا .. ولا تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .. وما دام العمل خالصا لله ، ومن أجل هدف نبيل .. فهو تسبيح متواصل وترنيمة خالدة بحمد الله وشكره .

هذا .. وفي ختام استطلاعنا هذا يطيب لنا أن نسجل التوصيات العامة التي اصدرتها ندوة حقوق الانسان في الاسلام وهي :

١ ـ يؤكد المشاركون تأييدهم الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة بالكفاح المسلح وحقه بتقرير مصيره والعودة الى وطنه واقامة دولته المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد .

٢ ـ يعلن المشاركون تضامنهم المطلق مع شعبي الصومال الغربي ( اوغادين ) وارتيريا في كفاحهم الباسل ضد الاستعمار . ويطالبون باتاحة الفرصة لهما لتقرير مصيرهما . وانسحاب القوى الاجنبية من أراضيهم .

٣ ـ يعلن المشاركون مساندتهم المطلقة لجهاد الشعب الافغاني المسلم ويشجبون التدخل الاجنبي المسلح في هذا القطر الاسلامي ويطالبون بالانسحاب الفوري منها حتى يستطيع الشعب الافغاني ان يقرر مصيره بمحض ارادته .

٤ ـ يؤيد المشاركون كفاح المسلمين في جنوب الفلبين وغيرهم من الأقليات الذين يسعون الى الحصول على حقوقهم المشروعة .

٥ ـ يناشد المشاركون الدولتين المسلمتين ايران والعراق إنهاء الحرب بينهما على أسس عادلة .

## مائدة القارئ

### استغفاره عليه الصلاة والسلام لأمته

قال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم »
الآية ١٩ من سورة محمد

### معجزة

قال البوصيري :
كفـاك بـالعلم في الأمي معجـزة
في الجـاهليـة والتـأديب في اليتم

### مطلع النور الأول

من قصيدة بهذا العنوان في ديوان مجد الاسلام نقتطف هذه الأبيات :

إمـلأ الأرض يـا محمـد نـورا ... واغمـر النـاس حكمـة والـدهـورا
حجبتـك الغيـوب سـرا تجـلى ... يكشف الحجب كلهـا والستـورا
عب سيـل الفسـاد في كـل واد ... فتـدفق عليـه حتى يغـورا
جئت تـرمي عبـابـه بعبـاب ... راح يطـوي سيـولـه والبحـورا
ينقـذ العـالم الغـريق ويحمي ... امم الارض أن تـذوق الثبـورا

### صنيع ضائع

سئل حكيم : ما أضيع الأشياء ؟ قال : مطر الجود في أرض سبخة ، لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ، وسراج يوقد في الشمس ، وجارية حسناء تزف الى أعمى ، وصنيعة تسدي الى من لا يشكرها .

## هلم عن النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها ، قال : فذلكم مثلى ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني وتقحمون فيها » . رواه مسلم

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

## المروءة

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فأين المروءة فيه ؟

فقال : في قوله تعالى : « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » ... ففيه المروءة ، وحسن الآداب ، ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله « **خذ العفو** » صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين . ودخل في قوله « **وأمر بالعرف** » صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله « **وأعرض عن الجاهلين** » الحض على التخلق بالحلم ، والاعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء والأغبياء .

## الخير

قيل للحسن بن سهل : لا خير في السرف ... فقال : لا سرف في الخير .

## ثمر ... ولؤلؤ

قال عبد الحميد الكاتب :

القلم شجرة ثمرها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة .

## تزاوروا ولا تجاوروا

كتب عمر أمير المؤمنين الى أبي موسى الاشعري .. رضي الله عنهما :

« مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا »

# الطب الإسلامي ومؤتمره الأول

للدكتور/ أحمد شوقي الفنجري

يعقد في الكويت أول مؤتمر من نوعه للطب الاسلامي في الفترة من ١٢ ـ ١٦ يناير في فندق الهلتون حيث دعت وزارة الصحة العامة أطباء المسلمين من أكثر من ثلاثين دولة للتباحث في إحياء التراث الطبي الاسلامي .

وتنقسم البحوث في هذا المؤتمر الى ثلاثة عناصر رئيسية :ـ

( أولا ) تعاليم الاسلام في الطب والعلاج : وما جاءت به من

اوامر لخلق المجتمع الصحي المنيع ضد الأوبئة والأمراض وما جاءت به من أخلاقيات مهنة الطب .
( ثانيا ) تاريخ اطباء المسلمين وما قدموه في ظل الاسلام الى الانسانية من اكتشافات علمية وفضلهم على تطور الحضارة والعلم .
( ثالثا ) طب الأعشاب : وهو الطب الذي نبغ فيه أطباء المسلمين وطوروه .
وقد وصلت الى لجنة الطب الاسلامي اكثر من ١٥٠ بحثا قيما من مختلف العالم حيث تقرر أن تنشر هذه البحوث في كتيب ضخم باللغتين العربية والانجليزية .. كما وجهت الدعوة الى اكثر من ستين طبيبا وباحثا من مختلف شعوب العالم الاسلامي للحضور والقاء ابحاثهم .. وسوف يفتتح المؤتمر بكلمة من وزير الصحة الدكتور عبد الرحمن العوضي ، ثم يعقبها افتتاح معرض الطب الاسلامي الذي يمثل مراحل تطور الطب الاسلامي في العصور المختلفة من ازدهار الاسلام .. ويضم عددا من اللوحات لأطباء المسلمين والآلات الجراحية التي ابتكروها والأعشاب التي استعملوها وانجازاتهم في شتى فروع الطب .
وفي ختام المؤتمر تصدر التوصيات التي تحث على تبني قسم طبي يقوم على شعائر الاسلام وتعاليمه بدلا من قسم أبقراط كما تطالب الكليات والمعاهد العلمية المختلفة في العالم الاسلامي بتبني دراسات الطب الاسلامي ورصد الجوائز للباحثين لخدمة هذا العلم بما يتلاءم مع تطورات القرن العشرين .
وسوف تذاع قرارات المؤتمر من مسجد فاطمة تيمنا برسالة المسجد الأولى التي كانت مصدرا للاشعاع على الدنيا كلها .
ويسر مجلة الوعي الاسلامي ان تقدم هذا المقال للدكتور احمد شوقي الفنجري الذي يعطي للقارىء فكرة شاملة عن قصة الطب الاسلامي ابتداء من عصر الجاهلية ثم ظهور الاسلام حتى عصرنا الحاضر ..

## العلاقة بين الدين والطب : ـ

يختلف الاسلام عن غيره من الديانات في أنه قد جاء للدين والدنيا معاً .. وأنه الدين الوحيد الذي قاد دولة ومجتمعا وحكومة على ظهر الارض وهي دولة الرسول في المدينة .. ومن السماء مباشرة نزلت على الرسول كافة التعاليم والأوامر لادارة هذه الدولة .. فمن ذلك أوامر للعلاقات الاجتماعية . وأوامر لنظام الحكم وأوامر اقتصادية وأوامر عسكرية وبطبيعة الحال أوامر في صحة هذا المجتمع . وهي ما نسميه اليوم بالطب الاسلامي ، والهدف منها اقامة المجتمع الاسلامي الصحي المنيع ضد الاوبئة والامراض المعدية ـ القوى لحمل الرسالة وأداء الأمانة ..

تعاليم الاسلام في الطب الوقائي :

الطب الوقائي يشتمل على مجموعة من القوانين والارشادات لانشاء المجتمع الصحي .. فمن هذه القوانين ما يختص بالوقاية من الامراض المعدية ومنها ما يختص بالغذاء السليم .. ومنها ما ينظم مهنة الطب العلاجي .. ومن هنا نستطيع ان نقول إن الاسلام قد شمل بتعاليمه الطبية الجانب الوقائي والتنظيمي .. ولكنه لم يتناول الطب العلاجي لأن هذا ليس من صميم الدين ولا اختصاصه .

## الطب والعلاج قبل الاسلام : ـ

قبل ظهور الاسلام كان هناك اعتقاد بين الناس أن المرض شيطان يدخل جسم الانسان عقابا له على معصية ارتكبها في حق الآلهة .. وكانت الكنيسة في الدولةالبيزنطية بناء على هذا الاعتقاد تمنع الناس من الطب والدواء .. وتقصر العلاج على الدعاء وعلى صلاة الاستغفار وعلى اضاءة الشموع حول المريض لطرد شيطان المرض فاذا لم يشف المريض كان ذلك يعني أن ايمانه ضعيف .

وكان لدى العرب في الجاهلية اعتقاد قريب من هذا .. فكانوا يعتمدون في العلاج على الطقوس للأصنام .. وعلى البخور وزجر الطير والاستقسام بالازلام .. وعلى شرب القداح وقراءة الطالع والنجوم .. وعلى تعليق التمائم في صدور المريض أو وشمه في وجهه ورأسه . وكان الطبيب يسمى الكاهن أو العراف .. وكان الكاهن يقرأ على المريض بعض الكلام الغامض الذي يعتمد على السجع دون ان يكون له معنى . ثم يطلب منه فدية يقدمها على مذبح الآلهة حتى تشفيه . وقد تكون هذه الفدية ناقة أو شاة .. وقد يصل الأمر الى تقديم القربان بأن يطلب من المريض وأد أو قتل طفله المولود .

الاسلام يقضي على الكهانة والخرافات الطبية : ـ

عندما اشرق نور الاسلام .. كان أول ما فعله أن قضى على عبادة الأوثان وكل ما يتعلق بها من طقوس وخرافات وكهانة .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ

« من جاء كاهنا أو عرافا فآمن بما يقوله فقد كفر بما انزل على محمد » رواه مسلم والحاكم .

وبذلك حسم الاسلام حسما قاطعا .. وفصل الكهانة والعرافة عن الطب والدواء . فقد كان الاطباء يربطون بين المرض وغضب الآلهة وبين الطقوس الكهنوتية وبين شفاء المرضى .. اما الدواء والطب فقد كان نصيبهما من العناية والاهتمام قليلا حتى تخلفت مهنة الطب وانحصرت في العلاج البدائي مثل الحجامة والكي وبعض الأعشاب .

ولم يكتف الاسلام بذلك بل نهى عن كل ما يتعلق بالكهانة من خرافات طبية .. فمن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ـ

« لا هامة ولا طيرة ولا عدوة ولا صفر » رواه البخاري .

فقد كان الكهان في الجاهلية يربطون بين المرض وبين الشؤم وزجر الطير والسفر في شهر صفر وكانوا يعتقدون أن للمرض شيطانا يظهر له هامة بالليل فنهى الاسلام عن هذه الاعتقادات الباطلة الخرافية .

وكان أطباء الجاهلية ايضا يعلقون على صدر المريض تميمة تبعد عنه المرض .. وكانت التمائم انواعا مختلفة .. منها حجر من مكان معين .. أو تمثال صغير لأحد الآلهة .. أو رأس حيوان محفوظ مثل رأس الثعبان .. وما زالت هذه التمائم معروفة في كثير من الدول غير الاسلامية في أسيا وأوربا .. حيث يعلقون حدوة حصان أو بصلة أو رأس ثعبان على باب البيت ليطرد المرض والشر .. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ان الرقي والتمائم والتولة شرك » رواه احمد وفي قول آخر « من علق تميمة فلا أتم الله له » رواه احمد .

ومن الخرافات الباطلة التي نهى عنها الاسلام ايضا الوشم لطرد المرض .

وكان الوشم على صدر المريض أو رأسه أو وجهه على هيئة اله من الآلهة أو على هيئة شيطان أو جنية أو ثعبان لكي يفزع المرض ويطرده ..

وما زالت هذه العادة حتى اليوم معروفة في أوربا ، حيث رسم البحارة بالوشم جنية البحر على أجسادهم لكي تبعد عنهم شيطان المرض والغرق .. وقد نهى الاسلام عن الوشم لأنه تشويه لخلقة الله علاوة على أنه خرافة باطلة وشرك بالله وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : ـ

« لعن الله الواشمة والمتفلجة » رواه مسلم .

وقبل الاسلام ايضا كان الاطباء يعتمدون على قراءة الغيب والمستقبل لمعرفة هل يشفى المريض أم لا ومتى يشفى .. فكـــانوا يستطلعون النجوم أو يضربون الودع أو القداح على رأس المــريض .. ويستقسمون بالأزلام فجاء الاسلام بأمر حاسم في هذا الشأن واعتبره موازيا للكفر والشرك بالله .. اذ يقول الله تعالى :

( وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ) المائدة/٣

والأزلام جمع زلم وهو سهم لا ريش فيه مكتوب عليه كتابة ويختار المريض أحد السهام دون أن يراه فاذا ظهر سهمه كان ذلك مستقبل المرض .

وعندما تبين الأطباء العرب أن الاسلام قد نهى عن كل هذه الأمور قرروا الاجتماع برسول الله في أول وفد طبي من نوعه لمعرفة أوامر الاسلام في الطب والدواء والتمريض .

## تعاليم الاسلام في الطب

كان وفد الأطباء الذي حضر الى المدينة المنورة لكي يجتمع برسول الله يتألف من كهان القبائل العربية المختلفة من اليمن ونجران والطائف ويثرب وغيرها .. وكان المتحدث باسمهم الشمردل طبيب بني نجران فقال :

« يا رسول الله .. اننا كنا في الجاهلية أطباء قومنا وكهانهم .. وقد امتنعنا عن ذلك في الاسلام وجئناك حتى نعرف ما يحل لنا أن نفعل ».

فأخذ رسول الله يلقي عليهم تعاليم الاسلام في هذه المهنة الخطيرة .

١ ) قال صلى الله عليه وسلم : « من طبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » رواه أبوداود والنسائي .

وفي هذا الحديث الشريف يعتبر أول اشارة أو أمر عرفته الانسانية عن الرخصة الطبية .. ومعناه أن من طبب أي مارس مهنة الطب ولم يكن لديه علم ودراسة لهذه المهنة وهو ما يقصد به في عصرنا الحاضر ( شهادة أو أجازة طبية ) فهو ضامن أي مسئول أمام القانون ..

وكان من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا للأطباء قوله :

٢ ) « لا تداووا أحدا حتى تعرفوا داءه » رواه مسلم .

وهذا النص كان القاعدة لما استنه أطباء المسلمين فيما بعد من ضرورة المشاهدة السريرية .. وضرورة فحص المريض جيدا قبل العلاج وهو أسلوب جديد لم يعرف قبل الاسلام وقد نقله الغرب عنهم .

٣ ) وكان من تعاليم الرسول أيضا في الطب قوله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله تعالى لم ينزل داء الا

**جعل له الدواء علمه من علم وجهله من جهل . فاذا أصاب الدواء الداء برأ المرض باذن الله .. » رواه مسلم .**

وهذا الحديث يعبر عن حقيقة علمية هامة وخطيرة في تاريخ الطب .. فقبل الاسلام كان هناك اعتقاد عند الأطباء أن هناك أمراضا لا شفاء لها .. ولا دواء لها .. فاذا بالرسول يعلن أن لكل مرض في هذه الدنيا دواء يشفيه .. واذا كانت هناك أمراض لا نعرف دواءها أو نجهل علتها اليوم فذلك لا يجب أن يدعونا الى اليأس منها .. بل علينا أن نجتهد ونبحث حتى نجد لها الشفاء الناجع .. وقد كانت هذه الحقيقة الخطيرة من أهم أسباب تقدم المسلمين في علوم الطب واكتشافهم للكثير من الأدوية وتطلعهم الى معرفة علوم السابقين وغيرهم من الشعوب .

٤ ) ومن تعاليم الاسلام أيضا الى الأطباء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا حضرتم المريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك يطيب خاطره وان لم يرد عنه شيئا » . رواه الترمذي ، وهذه قاعدة يعرف أهميتها أطباء العصر الحديث .. فان المريض يتعلق بكلمة تشجيع يلقيها عليه طبيبه .. وكثيرا ما ترفع هذه الكلمات معنويات المريض فتساعده على التغلب على المرض .

هذا الى جانب الكثير من **التعاليم السماوية مما أوحى به الله تعالى على لسان نبيه . ومما كان له أعظم الأثر في تقدم مهنة الطب الاسلامي وفي الانجازات الضخمة التي ظهرت على الأجيال المتعاقبة من أطباء المسلمين .**

---

## طب الحرب في غزوات الرسول :

---

وأنزل الله أمره الى المسلمين بالجهاد والقتال في سبيل الله وفي سبيل نشر دعوة الحق . وسارت جيوش المسلمين من غزوة الى غزوة .. يصاحبهم أطباؤهم وممرضاتهم .. وكان في هذه المعارك جراح كثيرة من الجانبين .. ففي معركة أحد وحدها بلغ عدد الجرحى المسلمين ١٥٠ جريحا وعدد القتلى سبعين .

ولأول مرة في التاريخ يطبق المسلمون مبدأ الطهارة الذي أمر به الاسلام في الجراحة والتمريض .. فقد كان من أوامر رسول الله الى المسلمين قوله : « طهروا هذه الأعضاء طهركم الله ونخلوها بالماء » رواه الطبري .. وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أطباء المسلمين بغسيل الجراح بالماء المحرق ( أي المغلي سابقا ) .

وبفضل مبدأ الطهارة كانت جراح المسلمين تشفى بسرعة مذهلة فحتى عهد قريب كان الأطباء في أوروبا يدخلون غرفة

العمليات وفي أيديهم بقايا الطعام وكانت المرضة تداوي الجرحى وفي يديها بقايا القمامة أو آثار الطبخ .. وعندما طالب طبيب أمريكي لأول مرة في تاريخ الغرب طالب زملاءه بغسيل أيديهم قبل العملية سخروا منه وحسبوه مخبولا .. فمن يتصور أن الاسلام قد جاء بمبدأ الطهارة قبل الغرب بأربعة عشر قرنا من الزمان ..

## التمريض في الاسلام :

وكان للمرأة في غزوات الرسول دور كبير في التمريض .. فكان من المرضات في جيش الرسول أم أيمن وأم عمارة ورفيدة الأنصارية .. وقد كونت رفيدة فريقا من المرضات وكونت أول مستشفى ميدان متنقل عرفه التاريخ وقد صحبن الرسول في كل غزواته .. وكانت تقسمهن الى كراديس أي فرق .. بعضهن للعمل في الاسعاف في الميدان وتحت سنابك الخيل .. وفريق آخر للاسعاف في مركز قيادة الرسول وفريق ثالث في خيمة الميدان ..

ومما يشهد لنساء الصحابة بالتفوق في الطب والتمريض تلك الرواية التي تذكر عن القائد العربي خالد بن الوليد فعندما حضرته الوفاة قال قولته المشهورة :

« لقد دخلت عشرات المعارك . وما في جسدي موضع الا فيه أثر ضربة من سيف أو طعنة من رمح .. ومع ذلك فهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير » .

وقد أحصى بعض الصحابة الجراح في جسم خالد بأنها قرابة الأربعين جرحا .. بعضها غائر يسع قبضة اليد .. فاذا كان خالد بعد هذا كله توفى على فراشه في ميتة طبيعية فانما ذلك دليل على تقدم الطب والتمريض في عهد الاسلام الأول وخاصة طب الحرب وذلك كله بفضل مبدأ الطهارة الذي جاء به الاسلام .

## المسلمون والترجمة من طب الأغريق والفرس :

وبعد أن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم توسعت الفتوح الاسلامية حتى وصلت الى الصين شرقا والأندلس غربا .. وانضوى تحت راية الاسلام عدد كبير من الشعوب والأجناس والحضارات ، ويجمع المستشرقون على أن المسلمين الأولين كانوا لا يقلون حماسا وتشوقا الى جمع العلم عن حماسهم للجهاد والقتال حتى كان الرومان يسمونهم « المتوحشون العلماء » LEARNED SAVAGES وقد أقبل المسلمون بسرعة مذهلة على تدارس الحضارات والعلوم السابقة وخاصة علوم الأغريق .. وذلك عملا بأمر نبيهم الكريم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي .

وقد بلـــغ اهتمام المسلمين بترجمة علوم الشعوب الأخرى ان كان الخليفة يكـــافىء من يترجم كتاب من كتب جالينوس أو بقراط في الطب بمثل وزن الكتاب المترجم ذهبا . فاذا علمنا أن الكتب في تلك العصور كانت من جلد الغزال السميك لتصورنا ضخامة المكــافأة .. وكــانت أعظم هدية يمكن أن تقدم الى أي قائد مسلم فاتح هي كتاب من كتب العلم والطب القديمة ..

وقد قيل ان أول ترجمة الى العربية عن الأغريقية تمت بأمر عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ حيث كلف بعض الأطباء النسطوريين أمثال ماسرجويه وثياذون بترجمة كتب أبقراط ونشر العلم بين المسلمين .

وقد أغرت هبات الخلفاء التراجمة من أهل الذمة بالاقبال على هذا العمل فاشتهر منهم حنين بن اسحاق .. واسحق بن حنين .. وعيسى بن يحيى .. ويوحنا بن ماسويه وابن البطريق ..

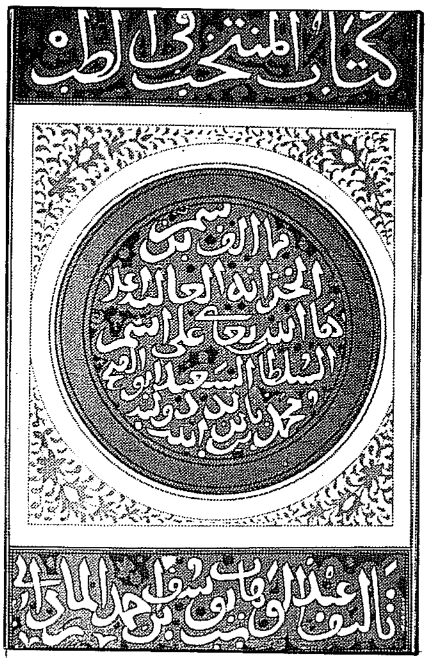
ولم تكن الترجمة قاصرة على علوم الأغريق وحدها .. بل أن المسلمين في شغفهم الشديد للعلم قد ترجموا كتب الفرس والصين والهند .. وكان الخليفة اذا حصل على كتاب مترجم جمع أطباء المسلمين وأمرهم بالعكـــوف على دراسته والاستفادة منه عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج لطلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي .

مرحلة النقد والتأليف :

وانتهت مرحلة النقل والدراسة واستيعاب العلم ..

وجاءت مرحلة الغربلة ونقد الأخطاء ..

لقد كان أمحتب عند المصريين يسمى اله الطب وكـــان أبقراط وجالينوس أيضا آلهة للطب عند الاغريق .




● غلاف كتاب المنتخب في الطب

أما في نظر المسلمين فلم يكن أحد من هؤلاء أكثر من بشر يصيب ويخطيء .. وكانت كتب الاغريق رغم ما فيها من علوم غزيرة كانت لا تخلو من الأخطاء والانحرافات

والخرافات . وذلك بحكم أنهم كانوا أمة بغير دين وكانوا يعبدون الحجارة ويعبدون البشر كعرب الجاهلية .

وابتدأت الحاجة الملحة في العالم الاسلامي الى أن يكون للمسلمين علمهم وطبهم الخاص بهم .. والمبني على تعاليم دينهم .. الى جانب ما درسوه من علوم السابقين .. وهكذا ظهر أول عملاق في تاريخ الطب الاسلامي .. انه شيخ الأطباء المسلمين أبو بكر محمد بن زكريا الرازي سنة ٨٣٠م وتلاه عملاق آخر هو ابن سيناء ثم ابن الهيثم وابن النفيس والزهراوي وعشرات غيرهم ممن بزوا علم أبقراط وجالينوس بعلمهم وطبهم ..

## شيخ الأطباء الرازي

ولد الرازي سنة ٨٣٠م في مدينة الري .. وقد شغف بدراسة علوم الطب في سن متأخرة ومع ذلك فقد بلغت مؤلفاته في الطب وحده أكثر من ١٢٣ كتابا ومصنفا .. أهمها كتاب الحاوي الذي ظل يدرس في أوروبا على مدى قرون متوالية حتى القرن السابع عشر الميلادي .. وتقديرا لعلم الرازي وفضله على أوروبا فقد قررت جامعة برستول بانجلترا وضع صورته في أكبر قاعات للمحاضرات بها وسمتها باسمه ..

والرازي أول من اكتشف مرض الحصبة وميزه عن الجدري حيث



● الرازي يكتشف الحصبة


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

● صفحة من كتاب في الطب

كان الظن أن المرضين واحد .. وهو أول من اكتشف ما يعرف في عصرنا الحاضر بمرض الحساسية .. وقصته كما يرويها أن مريضا جاءه يشكو من نوبات من الرشح الشديد والتهاب في العيون وتورم وحكة في الوجه . ويقول الرازي أنه قد لازم هذا المريض مدة من الزمن في حله وترحاله وطعامه حتى يعرف سبب المرض فاكتشف أنه يصيبه في موعد معين هو موسم الربيع .. وأنه يزيد عندما يشم الزهور فكتب عن هذا المرض الذي يظهر مع ( موسم الربيع وتفتح الورد ) .

والرازي أول من اكتشف مرض تكسر الدم من أكل معين .. مثل البقول .. وميز هذا المرض عن مرض الصفراء الذي ينجم عن التهاب في الكبد .. وأثبت خطأ أبقراط في تصوره أن مرض الصفراء لا يأتي الا من مرض في الكبد .. وهو أول مكتشف لأسباب اليرقان وأنواعه وعلاجه .. وقد ألف الرازي كتابا عظيما باسم« الشكوك والمناقضات في كتب جالينوس » .

وقد أحدث هذا الكتاب دويا هائلا بين علماء عصره المسلمين وغير المسلمين اذ كان الاعتقاد السائد أن جالينوس لا يخطيء وأنه منزه عن النقد وأن أقواله حجة مسلم بها .. ولكن الرازي استطاع اثبات كل آرائه بالحجة والبرهان العلمي والعملي ..

وقد أصيب الطبيب الرازي بالعمي في آخر حياته .. وقد سئل كيف لم يستطع مداواة نفسه وخاصة أنه كتب عن أمراض العيون وعلاجها .. فكان في رده علم غزير .. فقد ذكر أن اصابته بالعمى هي ما يسمى بالماء الأبيض وأنه يعلم أن دواءه الوحيد عملية جراحية . ولكنه كان لا يجد في أطباء عصره من يبزه علما وخبرة ولذلك آثر أن يبقى على حاله عن اجراء الجراحة ..

ومن أعظم انجازات الرازي مصنف في آداب مهنة الطب ضمنه أخلاقيات مهنة الطب في الاسلام وكل نصائحه الى الأطباء وطلبة الطب بل وأيضا الى المرضى في

**علاقتهم بالطبيب .**

## التشريح عند المسلمين

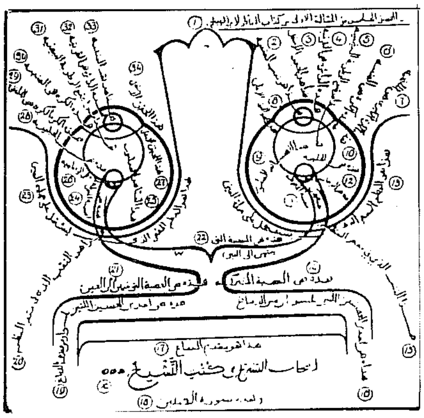
من المعروف ان جميع الشرائع السماوية تحرم التمثيل بالميت كما تحرم نبش القبور .

ولكن في الاسلام قاعدة تقول : ان الضرورات تبيح المحظورات وان ما لا يتم الواجب الا به يصبح واجبا . فاذا كان التشريح ضرورة للمساعدة في اكتشاف جريمة قتل كما هو الحال في الطب الشرعي .

او ضرورة لتشخيص سبب الوفاة من مرض فتاك بقصد انقاذ الاحياء من نفس المصير كما هو الحال في الاوبئة الفتاكة .. فهذا يدخل تحت هذه القاعدة . وهذا هو الطبيب والفيلسوف المسلم ابن رشد يقول عن التشريح بالحرف الواحد .. « ان الذي يعرف التشريح جيدا ويعرف علم وظائف كل عضو في الجسم فأن ايمانه بالاعجاز الالهي لا بد ان يزيد » وقد جاء في كتاب فردوس الحكمة ان اطباء المسلمين كانوا يتعلمون التشريح على القرود .

وجاء في كتاب « طبقات الاطباء لابن اصيبعة ان الخليفة المعتصم سنة ٨٣٦ هـ قد أمر واليه على النوبة ان يمد اطباء المسلمين بحاجتهم الى نوع معين من القرود شبيه في جسمه واعضائه بالانسان وقد امر ببناء مركز خاص للتشريح على ضفاف نهر دجلة .. وكان يشرف على هذا المركز الطبيب المعروف « بوضد ابن ماسوية » .

ولم يخل كتاب من مؤلفات المسلمين في الطب مثل الحاوي للرازي والقانون لابن سيناء من باب مستقل عن التشريح توصف فيه الاعضاء المختلفة بالتفصيل وكل عضلة وعرق باسمه . وكان الرازي يمتحن المتقدمين للأجازة الطبية في التشريح اولا .. فاذا لم يعرفوه جيدا رفض امتحانهم على المرضى .



● تشريح العين

وقد كان المسلمون يعتمدون اول امرهم على ما كتبه الاغريق في التشريح ولكنهم اكتشفوا عن طريق التشريح الفارق الكبير من الاخطاء في علوم اليونان .. فأبتدءوا الاعتماد على انفسهم وكان اعظم اكتشافاتهم في هذا المجال هو الدورة الدموية لابن النفيس .

## الجراحة والتخدير في الطب الاسلامي

يقول المثل الدارج « اذا كان الطب



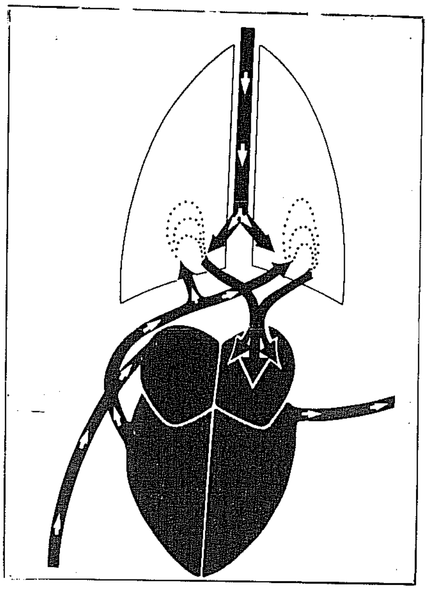
● تشريح الجهاز التنفسي

الباطني يتطور في زمن السلم فان الجراحة وليدة الحروب .. ولم يعرف التاريخ امة كل حياتها وتاريخها جهاد وحروب وفتح كالأمة الاسلامية ..

ومن هنا كانت انجازات المسلمين في الجراحة مذهلة ومن المعروف في التاريخ ان المسلمين اول من اكتشف التخدير الكامل قبل الجراحة ولذلك قصة هامة :

فقبل الاسلام لم تكن الانسانية تعرف اي دواء مخدر او مغيب عن الوعي قبل الجراحة .. وكانوا في بعض الاحيان يضربون المريض على رأسه ليفقد الوعي او يسقونه كمية من الخمر حتى يخف الالم . وكان لذلك اخطاء جسيمة .. وعندما ذهب وفد الاطباء الى رسول الله يسألونه عن الطب في الاسلام طلب بعضهم منه ان يأذن لهم باستعمال الخمر كمخدر قبل الجراحة .. فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عنها وقال لهم : « انها داء وليست دواء .. وما جعل الله شفاء امتي فيما حرمه عليها » . ومن تلك اللحظة ابتدأ المسلمون البحث عن دواء مخدر يغني عن الخمر فكانوا اول من اكتشف النبات المسمى « القناب العربي » المستعمل الآن في الجراحة .

واذا كانت السيوف العربية قد ذاع صيتها في التاريخ لصلابة معدنها وحدة شفرتها فان هذا يدل على تفوق المسلمين في صناعة الصلب والمعادن وهذا ما ساعدهم على التفوق في تصنيع الآلات الجراحية .. ويعتبر



● الدورة الدموية كما اكتشفها ابن النفيس

الطبيب الاندلسي ابو القاسم الزهراوي المولود سنة ٩٤٠ م زعيم الجراحين المسلمين وقد ظل وحيد عصره ورائد الجراحة في العالم حتى القرن السابع عشر الميلادي ..

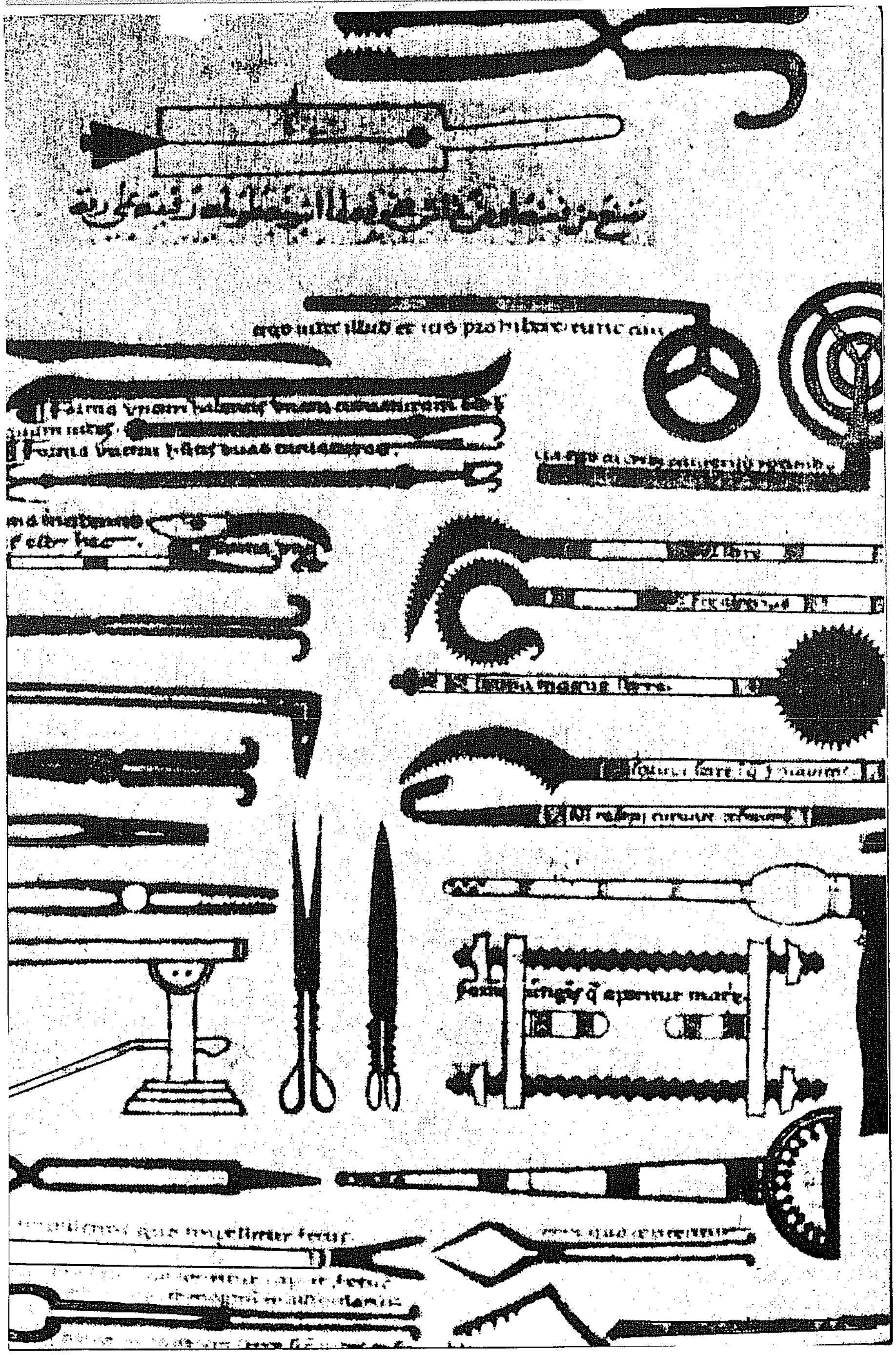
**لقد وصف الزهراوي في كتبه موسوعة كبيرة من آلات الجراحة معظمها من اختراعه وابتكاره .. واعطى وصفا** دقيقا لكل آلة من ناحية الحجم والطول والمادة المستعملة فيها فمنها آلات من الفضة واخرى من الصلب وثالثة من النحاس .

وقد ابتكـــر ابو القاسم الزهراوي والمعروف في اوروبا ( بكـــاسيس ) ابتكـــر عددا من العمليات لم تكن معروفة قبل عصره واكثرها يستعمل حتى عصرنا هذا كما جاء في كتبه .. فهو أول من استعمل عملية ربط الشرايين أو توصيلها واستعمل في ذلك خيوطا من جدار امعاء الغنم . كما انه أول من استعمل الحرير واوتار العود في خياطة الجروح .. وقد ابتكر عمليات استخراج الحصى من المثانة وعمليات قطع اللوزتين .. وهو أول من استعمل تقويم الاسنان بربطها بأسلاك من الذهب وهو اسلوب لم يعرفه الغرب الا في اواخر القرن العشرين .. واثناء الحروب الصليبية شاهد الاوروبيون عند احتكـــاكهم بالمسلمين .. شاهدوا معجزات الجراحة الاسلامية بالقياس الى تخلفهم الشديد . فكان ملوكهم لا يثقون الا بالاطباء المسلمين لعلاجهم واجراء الجراحات الكبيرة لهم .

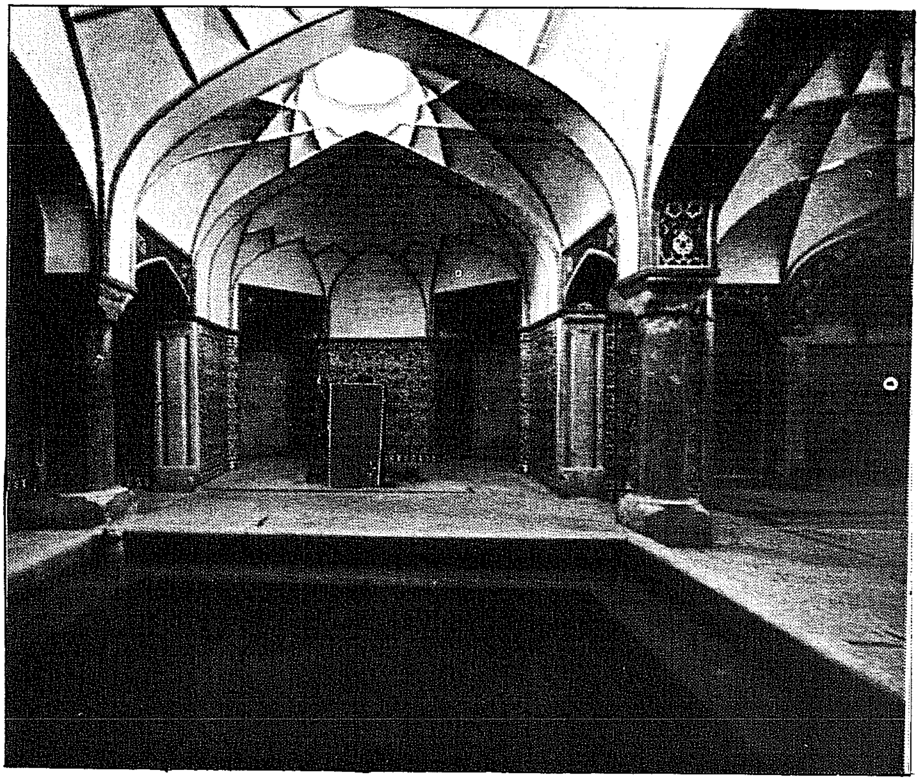
وهذه الصورة التاريخية الموجودة في متاحف اوروبا اليوم تبين احد ملوك اوروبا وقد استدعى اطباء مسلمين لاسعافه واجراء الجراحة له ويرى الطبيب المسلم يفحص بوله في القارورة قبل الجراحة وقد عثر على **هذا الرسم في قصر الملك تخليدا لذكـــرى الطبيب المسلم الذي أنقذ** حياته فاصبحت اليوم ملكـــا للتاريخ .. ورمزا لفضل حضارة المسلمين على الغرب ..

## المستشفيات الاسلامية

لقد عرف عن الدولة الاسلامية في عهود ازدهارها الاهتمام الشديد بمباني ومؤسسات الخدمات العامة كالمساجد ودور العلم والحمامات والاستراحات والمطاعم الشعبية ... ولكن اهتمامهم الاكبر كان بالمستشفيات وكانت هذه المؤسسات كلها تتسم بالنظافة والجمال معا . وذلك عملا بأمر الرسول الكـــريم : « ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة فنظفوا بيوتكـــم وافنيتكم » رواه الترمذي وتشير كتب التاريخ ان المسلمين أول من بنى المستشفيات في التاريخ وقد كان اول مستشفى تخصصي عرفته الدنيا الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٧ م في بغداد ثم بنى مستشفى ابن طولون سنة ٨٧٤ م ثم المستشفى المنصوري ، ولم يأت القرن الحادي عشر الميلادي حتى بلـــغ عدد المستشفيات في العواصم الاسلامية ٦٠ مستشفى وذلك قبل ان تعرف اوروبا المستشفيات بثلاثة قرون .. ولم يكن بناء المستشفيات في الاسلام يتم الا بعد دراسة متأنية وتخطيط علمي دقيق تبينه هذه الحادثة التي يذكرها شيخ الاطباء الرازي في كتبه



● آلات جراحية من كتاب الزهراوي

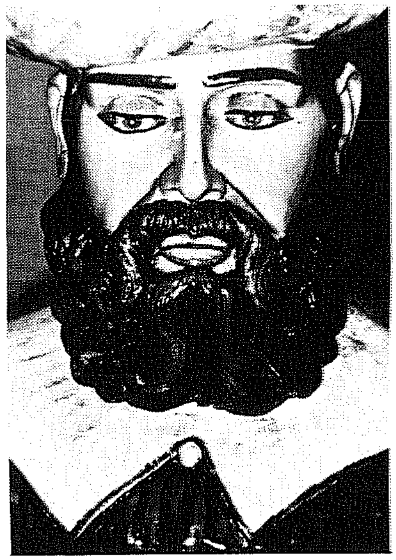


● الحمام ( من وسائل العلاج الطبيعي في الطب الاسلامي )

في القرن التاسع الميلادي في عهد الخليفة المنصور .. فعندما طلب منه الخليفة الاشراف على بناء مستشفى ضخم في بغداد اشترى كمية كبيرة من اللحم . وقسمها الى عدة اجزاء واخذ يعلق في كل ضاحية من ضواحي المدينة قطعة من اللحم . ووضع عليها الحراس ليل نهار حتى لا يمسها طير أو حيوان أو انسان وكان كل يوم يمر على اللحم ويكشف عليه ويأخذ منه عينة يفحصها في مختبره . والموضع الذي لم يتعفن فيه اللحم اعتبره اصلح المواضع للمستشفى لأن ذلك معناه نقاء هوائه وصلاحيته للاستشفاء .

## البيمارستان

كان العرب أول الأمر يطلقون على المستشفى اسم البيمارستان وهي كلمة فارسية معناها « مكان المرضى » ثم غيروا الاسم الى



● ابن سينا

« المستشفى » أي مكان طلب الشفاء وفي أوروبا كانت المستشفيات عبارة عن ملاجئ عامة للفقراء والمعوزين والحجاج الى جانب المرضى . وكان الهدف منها الاحسان والايواء أكثر من الطب والعلاج ولذلك كانت تسمى Hospital وهي كلمة مشتقة من Hospitality أي الكرم والمعونة . ويعطينا المؤرخ الكبير ابن بطوطة في القرن الخامس عشر الميلادي وصفا للمستشفيات التي زارها في العواصم الاسلامية مثل غرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد . وكان أكبرها « المستشفى الأكبر المنصوري » . الذي بني سنة ١٢٨٤ م والذي انفق على البناء وحده ثلاثة آلاف الف « أي ٣ ملايين » دينار . كانت المستشفيات الاسلامية بالمجان لجميع الناس غنيهم وفقيرهم ..

والمسلم والذمي .. والرجال والنساء .. والأبيض والاسود لا تفرقة بينهم .. وكانت بها اجنحة متخصصة للعيون والجراحة والحميات والأطفال .. كما كان فيها جناح خاص للمسنين فقد كان المسلمون اول من وضع قواعد « علم طب المسنين عملا بأوامر القرآن وكان على الجناح هذه الآية الكريمة : **( وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا )** الاسراء/ ٢٤ وكان يتبع المستشفى مطابخ ضخمة توزع الطعام على المرضى حتى بعد خروجهم الى بيوتهم وكان بها صيدليات وقاعة محاضرات للاطباء ..

وكان المسلمون يهتمون جدا بنفسية المريض ومعنوياته في المرض .. فكان في الصباح يأتي المقرئون ليقرءوا عليهم القرآن .. ويفقهوهم في الدين .. وفي المساء تحضر الفرق الموسيقية لتعزف موسيقى ترفيهية وفي الليل يحضر عازف على آلة منفردة للمساعدة على النوم . وكان المريض الفقير منذ لحظة دخوله المستشفى يعطي راتبا من الدولة حتى لو لم يكن موظفا فيها وذلك لينفق منه على أولاده ..

فاذا غادر المستشفى زاد الراتب طوال فترة النقاهة حتى لا يضطر الى العمل قبل اكتمال صحته . والمسلمون أول من بنى المستشفيات للمجانين والامراض العقلية والمتخلفين عقليا في وقت كانت أوروبا تضع الحديد والقيود في أيديهم وأرجلهم ويضربونهم

بالسياط ، لكـــي يخرج الجن من أجسادهم ويحبسونهم في قبو مظلم في البيوت . وقد كان بعض الخلفاء يزورون المجانين في المستشفيات بأنفسهم من باب الرحمة والاشراف على رعايتهم .

وقد كان المسلمون أول من أنشأ العزل الصحي للأمراض المعدية وذلك عملا بأمر الرسول الكريم « لا يورد بمرض على مصح » ( رواه مسلم ) أي لا يجوز أن يختلط المريض بمرض معد بغيره من الاصحاء ..

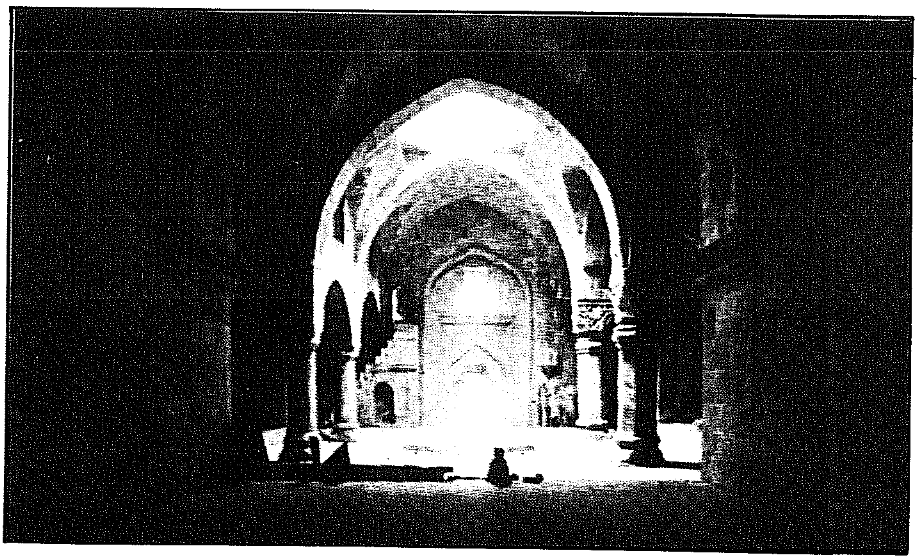
وفي أجنحة الحميات كان الجو يلطف بنافورات المياه التي تعمل ليل نهار .

## أول رخصة طبية عرفتها الانسانية

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » فهذا الحديث النبوي الكـريم اول اشارة في التاريخ الى وجوب مراقبة محترفي مهنة الطب وعدم السماح لمن ليس لديه علم أو خبرة أو المشعوذين والدجالين بالاضرار بالناس ..

وبناء على هذه القاعدة فقد كان المسلمون اول من عرف الرخصة الطبية وامتحان الطبيب قبل حصولة على اجازة العمل . وقد حددت اول رخصة طبية رسمية عرفتها الانسانية في سنة ٣١٩ هـ اي في القرن العاشر الميلادي على يد الخليفة المقتدر .

ولم يكن امتحان الاطباء أمرا سهلا أو هينا .. وهذا هو شيخ الأطباء المسلمين الرازي ، يضع قواعد امتحان الطبيب فيقول : « يمتحن



● مستشفى قلاوون

طالب الطب أولا في كتب الطب التي وضعها الأولون واللاحقون .. ويمتحن في التشريح ومنافع الأعضاء .

فاذا لم يكن لديه علم بذلك كله ، فلا حاجة بك أن تمتحنه على المرضى »

ولم تقتصر الرخصة الطبية على الأطباء وحدهم .. بل تعدتهم الى الصيادلة .. ففي عهد الخليفة المأمون جاءه طبيبه وكبير أطباء الدولة يشكوان اليه من أن بعض الصيادلة « وكانوا يسمون العشابين » يعطي المريض اي دواء من عنده دون التزام بالوصفة التي يكتبها الطبيب « وكانوا يسمون الوصفات بالأنعات » .

فأراد الخليفة ان يمتحن الصيادلة بنفسه وامر طبيبه ان يكتب عدة وصفات باسم ( سقطينا ) ولم تكن سقطينا هذه كلمة طبية بل اسم ضيعة للخليفة . وذهب رسل الخليفة بالوصفات الى الصيادلة فبعضهم قبض الثمن وأعطى أي دواء من عنده والآخرون قالوا انهم لم يسمعوا بهذا الدواء ومن ذلك اليوم أمر الخليفة بامتحان الصيادلة ومنع الذين غشوا الدواء من مزاولة المهنة .

## الطب الاسلامي يزحف على اوروبا

وفي القرن الحادي عشر الميلادي تأسست أول كلية للطب في أوروبا في مدينة سالرنو بايطاليا .. وكان مجلس ادارة هذه الجامعة يتألف من أربعة أساتذة أولهم عربي مسلم والثاني تركي مسلم والثالث يهودي من العالم الاسلامي والرابع مسيحي روماني .

وبدأت أول نهضة في أوروبا أثناء احتكاك الصليبيين بالمسلمين في الحروب الصليبية .. فقد عرف ملوك أوروبا قيمة تفوق العرب وأمروا بترجمة جميع كتبهم من العربية الى اللاتينية أولا ثم الى كافة اللغات الأوروبية ..

وكان التدريس في كليات الطب في أوروبا حتى القرن ١٥ الميلادي يعتمد على كتب الرازي وابن سينا وابن النفيس وغيرهم ...

ومع افول نجم الامبراطورية الاسلامية بعد أن ظلت تحمل مشعل العلم ثمانية قرون متوالية .. انتقل العلم العربي الى الغرب .. وهكذا حال الدنيا .. لا تدوم على حال فهل آن الأوان لكي يقوم المسلمون من سباتهم الذي مضى عليه أربعة قرون . هل يعودون الى سابق امجادهم .. هل يعودون الى حمل شعلة العلم والنور كهداة للانسانية وقادة للبشرية الى الخير والرخاء .. هذه هي رسالة الأجداد الى الأحفاد .. وهذه هي أوامر دينهم الحنيف .. يأمرهم بالعودة الى العلم كما بدأوا به ..

# القدس

## (٢)

**تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الإسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي أعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .**

كان لمدينة القدس في التاريخ أسماء كثيرة اقدمها يبوس نسبة الى اليبوسين بناة القدس وهم بطن من بطون العرب الاوائل نشأوا في الجزيرة العربية وترعرعوا في أرجائها واستوطنوا هذه الديار سنة ٣٠٠ قبل الميلاد .

وكان اسمها عندما فتحها المسلمون أيلياء أو ايليا ومعناه بيت الله ... وقد ورد هذا الاسم في وثيقة الامان التي اعطاها عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه لسكان المدينة ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبد الله امير المؤمنين اهل ايليا من الامان اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها ان لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن ايليا معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا الروم واللصوص ومن خرج منها فانه آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن احب من اهل ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من اهل الارض .

فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى اهله فانه لايؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى

ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص .

وقد سمي هذا الكتاب الذي كتبه عمر لاهل القدس ( العهدة العمرية ) نسبة الى العهد الذي اعطاه عمر على نفسه بان ينفذ الوعود التي استمل عليها الكتاب وقد جاء في خاتمة الكتاب العبارة التالية : « وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله والمؤمنين ».

واذا تأملنا في هذه العبارة نجدها ارتباطا رائعا بالعقيدة الاسلامية والتزاما قويا بمضامينها واحكامها والكتاب ليس معاهدة بين طرفين وانما هو عهد من طرف واحد هو عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) بصفته خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين ومتضمن منحهم الامان على انفسهم وعلى اعراضهم واموالهم ومقدساتهم وعدم الحاق الاذى باحد منهم وليس في الكتاب كلمة توحي بانه اتفاقية بين طرفين .

دخل عمر بيت المقدس يوم الاثنين واقام بها حتى يوم الجمعة وصلى عمر في الحرم في مكان قريب من الصخرة الى الجنوب منها وطلب من بلال ان يؤذن وكانت اول مرة يؤذن فيها بلال بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تقديرا للمناسبة .

ولعل آذان بلال كان امرا مرتبا اظهارا لمكانة المناسبة وتعبيرا عن حرمة المسجد الاقصى الواردة في القرآن الكريم .

ثم عرفت المدينة في الاسلام ببيت المقدس

اخرج الامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتيت بالبراق يضع حافره عند منتهى بصره فركبته فسار حتى أتيت بيت المقدس .

واخرج الامام النسائي حديث الاسراء وفيه « ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الانبياء ».

وفي حديث قتادة في قول الله تعالى : « **فأينما تكونوا فثم وجه الله** » قال : كان المسلمون يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله بمكة قبل الهجرة وبعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام .

فهذه التسمية بيت المقدس او القدس كانت معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه اما تسميتها بايليا في العهدة العمرية فلا ينافي ذلك وقد يكون في ذكره تطييب لخاطر اهل البلد خصوصا انه اسم غير مستنكر لان معناه بيت الله .

اما الاسم الذي يستعمله الصهاينة للقدس وهو اورشليم فهو ليس اسم يتم عن اصل يهودي للمدينة وما هو الا تشويه للحقائق التاريخية التي دأب اليهود على اعتماده .

**اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين**
**بقضية فلسطين والقدس الشريف**

# الغريب

مسرحية شعرية من فصل واحد وستة مناظر

للشاعر/ محمود عبد الغفار دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبـه ، وذلك أضعف الايمان » .

## ( المنظر الاول )

### القرود الثلاثة

خارج أسوار احدى المدن العربية القديمة وبجوار باب السور الضخم المغلق الذي يعلوه الحراس شاكى السلاح . ترتفع نخلة عجوز خاوية .
وقبيل غروب الشمس بقليل وبينما الليل البارد يقترب حثيثا . يتقدم شيخ طاعن في السن يدب على عصاه متجها ناحية اسوار المدينة .

**الشيخ** : ( يردد وهو في سيره الوئيد ، بيتي الشعر المشهورين ) :

مشينـاهـا خطى كتبت علينـا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومـن كـانت منيتـه بـأرض ... فليس يموت في أرض سواهـا

( يجلس الشيخ تحت النخلة الخاوية قرب السور ، كي يستريح من تعب الرحلة . وبعد أن يشرب جرعة ماء كانت معه .. يحمد الله .. ثم يلتفت ناحية سور المدينة المقفل في وجهه ، ثم يناجي نفسه قائلا ) :

رعاك الله يا أمل فمنك الصبر والعمل
حكايات لنا عجب يشيب لهولها الحمل
شربنا المر ألوانا فقل لي كيف نحتمل ؟
يحارب بعضنا بعضا وضاع الرأي والخجل
كلاب الأرض تنهشنا متى ينهض لها رجل ؟
متى يشرق لنا صبح به الاحرار تحتفل ؟

( يفتح باب سور المدينة فجاة .. وتخرج منه ثلاثة أشباح في ثياب غريبة كأنهم قردة لهم ذيول يمشون في حذر نحو الشيخ ، حتى يقفوا أمامه ، ثم يبدأ استجوابهم له ) :

القرد الاول : ( يشير الى الشيخ بيده ويقول )
**يا هذا الشيخ ، ألا قل لي ، من أنت ؟**
الشيخ : ( لا يرد عليه ولا يلتفت اليه ) ..
القرد الثاني : ( مهددا ) **أجبنا أو تندم من أي طريق قد جئتم ؟**
الشيخ : ( لا يجيب ) ..
القرد الثالث : ( متلطفا ) **خبرنا عجل خبرنا فالليلة برد لا يرحم**
الشيخ : ( يرفع رأسه ببطء نحو الثالث قائلا ) **أنا في الزمان حكاية ، وسؤال .**
الاول : **حسنا**
الثاني : **... وما أصل الحكاية يا ترى ؟**
الشيخ : **يفني الزمان ، وما لها أمثال .**
الثالث : ( وقد نفد صبره ) **يا عم قل لي ما الحكاية ؟ نبِّنا**

(يجلس القرود الثلاثة امام الشيخ في شكل نصف دائرة )

الشيخ : ( يلوح لهم بعصاه مهددا ) .. **أنا لست عما للقرود وخالا**
الأول : ( يلح في السؤال ) .. **من أنت ؟**
الشيخ : ( يتنهد قائلا ) **غريب يا هذا .. قد جئت أفتش عن كبدي ..**
الثاني : ( مستنكرا ) **كبد مفقود ؟** ( يضحك )
الثالث : ( متعجبا ) ... **يا عجبا** .. ( يشارك الثاني الضحك )
الشيخ : ( موضحا ) **لا تعجب .. أعني ولدي**

**الأول** : ( متعجباً ) **ولداك ؟**
**الثاني** : ( مستفهما ) **وهل هربا ؟**
**الثالث** : ( هازئا ) **طبعا .. ما دام عجوزا عصبيا** ( القرود الثلاثة يضحكون )
**الشيخ** : ( ساخرا ) **لم أبصر مثلك في دهري     قرداً مغروراً وغبياً**
( يضحك القردان الاول والثاني فقط بينما يمتعض الثالث )
**الأول** : ( مؤنباً زميله الثالث ) **دعنا من لغوك يا هذا ..**
**الثاني** : ( رابتا على كتف الشيخ ) .. **وأجبنا يا شيخ أجبنا ..**
**الشيخ** : ( متنهدا يكاد يبكي )

**قلبي جـريح والهمـوم ثقيلـة     من ذا يعـين ؟ وكلنا غـربـاء**
**وئدت بصدري كل آمال الصبا     وتفـرق الاحبـاب والابنـاء**
**والدار قد سلبت وشرد أهلها     وتحكـم الاعـداء والجبنـاء**

**الثالث** : ( ساخرا ) **الغزت ، وما جئت بشئ     فلدينا ثمة أشبـاه**
**الشيخ** : ( محتدا ) **أشباهك أعـداء حياتـي     وبلادي .. يلعنك الله**
**الثالث** : ( مستنكرا غاضبا ) **تشتمني ؟**
**الشيخ** : ( يهز عصاه مهددا ) **بل أكسر رأسك**
**الأول** : ( يمسك بالعصى قبل أن تصيب زميله ، ثم يؤنب زميله قائلا )
**أسكت من فضلك لا تنطق     وكفانا لغوا تهـواه**
( ثم يلتفت الى الشيخ قائلا ) **أكمل قصتك بلا غضب .. أنا آذان**
**الثالث** : ( يقاطع الاول ساخرا ) .. **صماء** ( ثم ينفجر ضاحكا )
**الاول** : ( للثالث متوعدا ) **قلنا أسكت ، أبدا لا تنطق**
( ثم يلتفت الى الشيخ قائلا )
**أكمل قصتك وأمتعنا     أنـا لحديثك اصغـاء**
**الثاني** : ( يستزيد الشيخ ليعرف بقية القصة )
**كبدك مفقود وعرفنا     فأزدنا يرحمك الله**
**الشيخ** : ( وكأنه يسترجع حادثة أليمة )
**البنت ملاك مسحور .. ولهذا تدعى ( حورية )**
( **وجهاد** ) **ولدى اعصار .. تخشاه بحور غربية**
**الشيخ** : ( متابعا حديثه السابق )
**خطفا بالغدر وساعدهم     بالشرق عميل وخليه**
**الأول** : ( مستفسرا ) **من هم ؟**
**الشيخ** : ( يجيب وكأنه يسترجع الذاكرة )
**أضيـاف غربـاء     قد ضاعت مني الأسماء**
**الثاني** : ( متسائلا ) **هل تعرفهم ؟**
**الشيخ** : ( يحاول أن يتذكر ثم يجيب )

لا أعرفهم ، قوم غرباء     قد ضاعت مني الاسماء
أكرمت ضيافتهم زمنا

**الثالث** : ( معلقا بسخرية ) .. سفـــه وغبـــاء

**الاول** : ( ينهر الثالث ) .. قلنا أسكت أبدا لا تنطق

**الشيخ** : ( يستمر في رواية ذكرياته الأليمة )

وغداة صباح العنه هب الجبنــــــاء
ذبحوا الأطفال بلا سبب ، دفنوا الأحياء

**الثالث** : ( مستنكرا ) ولماذا جئت لبلدتنا ؟

**الشيخ** : ( في تحدي ) ما شأنك أنت لتسألني ؟

**الأول** : ( يوضح للشيخ مهمتهم )

نحن الحراس لدولتنا     نحميها كيد الأعداء

**الشيخ** : ( ينظر اليهم بسخرية ويقول )

أهلا بالأمن وصاحبه     فليهنأ جيش الاعداء

**الثاني** : ( مستنكرا ) او تسخر منا ؟

**الشيخ** : ( متهكما ) حاشاني .. أن أغضب ذيل الوجهاء

**الثاني** : ( يفهم الشيخ الاجراءات التي تتبع عند دخول دولتهم )

ان كنت ستدخل دولتنا     فلنفحص كل الاشياء

**الشيخ** : ( في ملل ) افحص ما شئت وخلصنا

( يتولى الثالث عملية تفتيش امتعة الشيخ ، وفجأة يخرج قلما وكتابا من داخل حاجيات الشيخ ، يقلبهما بانزعاج وكأنه استخرج ثعبانا ساما ، ويصرخ )

**الثالث** : .. ما هذا ؟ قل لي ما هذا ؟

**الشيخ** : ( باستغراب ) قلم ، وكتاب ..

**الثاني** : .. قلم ، وكتاب

**الاول** : ( في حزم ) ممنوع هذي الاشياء

**الشيخ** : ( متعجبا ) ولماذا ؟

**الثاني** : ( ينهر الشيخ قائلا ) اسمع ، لا تسأل .. سنصادر هذي الاشياء

( يسلم الثاني القلم والكتاب للاول الذي يدخلهما في صدره ويقترب الثالث من الشيخ شارحا قوانين الدولة )

**الثالث** : ما دمت غريبا فلتعلم قانون الدولة يا هذا ..

**الاول** : ( يشير الى الشيخ ويقول ) لا تسمع ..

**الثاني** : ( يقلد الأول قائلا ) لا تبصر ..

**الثالث** : ( مقلدا الثاني ) **ممنوع أن تتكلم**
( يكررونها مرارا وهم يرقصون حول الشيخ وكأنهم يرددون النشيد الوطني )
**الشيخ** : ( متعجبا مستنكرا ) **لا أسمع .. لا أبصر ممنوع أن أتكلم**
( ثم يسأل القرود الثلاثة صارخا ) **ولماذا فمنا موجود ؟**
**الاول** : ( يشرح له السبب الحقيقي لوجود الفم ) .. **كي نأكل ..**
**الثاني** : ( مكملا بقية وظائف الفم ) **نشرب ..**
**الثالث** : .. **او نضحك** ( يتضاحك القرود الثلاثة )
**الاول** : ... **لنقبل ثغرا ورديا ..**
**الثاني** : .. **لنعب كؤوسا ..**
**الثالث** : ( يدفع الشيخ الواقف كي يسير معهم ) .. **فتحرك ..**
**الشيخ** : ( يقف ولا يتحرك ثم يسألهم ) .. **ولساني ؟**
**الاول** : ( واعظا ) **تبلعه دوما ..**
**الثاني** : ( ناصحا ) .. **كي تسلم ..**
**الثالث** : ( مرشدا زاجرا ) .. **أو يتروا رأسك ..**

( يشير الى رأس الشيخ ممثلا حركة القطع )

**الشيخ** : ( يواصل اسئلته لهم ) .. **وعيوني ؟**
**الاول** : ( يغمض عينيه ويقول ) .. **تغمضها دوما ..**
**الثاني** : ( معللا سبب النصيحة ) .. **كي تنجو ..**
**الثالث** : ( محذرا ) .. **أو فتحوا قبرك ..**
**الشيخ** : ( يضرب كفيه تعجبا مما يسمع ويقول ) **عجبا ما اسمع ..**
**الاول** : ( محذرا الشيخ ) **لا تسمع**
**الثاني** : ( مستدركا حديث زميله ) .. **الا ما أمروا ..**
**الثالث** : ( محذرا ) .. **أو تهلك ...**
**الشيخ** : ( صارخا مستنكرا ومشيرا اليهم باستخفاف وسخرية )
**ما جئت لأسمع مهزلة لقرود الحكمة**
**الأول** : ( مقاطعا ومحذرا ) .. **يا أحمق .. رفقا بحياتك فاسمعنا ..**
**الثاني** : ( ناصحا ) **تحيا في دعة .. ..**
**الثالث** : ( مهددا ) .. **أو تتعب ..**
**الشيخ** : ( في سخرية ) **أتسمي ما قلتم عيشا ، وحياة .. اني اتعجب**
**الاول** : ( محذرا الشيخ وقد امسك بذراعه ليساعده على السير )
**لا تعجب وادخل خلصنا**
**الثاني** : ( في نفاد صبر ) **الليلة برد ..**
**الثالث** : ( مشيرا الى الصحراء مهددا ) .. **أو فاذهب ..**

يمشي الجميع بهدوء والشيخ يدب على عصاة مستندا الى ذراع القرد الثالث والشيخ يردد بيت الشعر المشهور :

**مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها**

ويدخل الجميع باب المدينة ) .

## ( المنظر الثاني )

## السوق

الوقت ظهرا وسوق المدينة يعج بالناس المشترين والبائعين ، بالواقفين والغادين .. يلبس الناس اقنعة على العيون .. وكمامات على الافواه .. وسدادات كالاقماع على الآذان .. كانهم مهرجون في ( السيرك ) .. يتبادلون البيع والشراء بالاشارات اليدوية فقط .. ولا ينطقون .. ولغير ما سبب يضربهم حراس السوق بالكرابيج .. فيضحكون .. لا يجرؤ احد منهم على الكلام او حتى البكاء .. فالبكاء ممنوع في هذا البلد .. قانون السوق الغش ربح وشطارة ، والصدق خيبة وخسارة .. كما تعلنه صراحة لائحة السوق المكتوبة بخط بارز وكل من في السوق من الرواد يبيع ويشتري في حركات بهلوانية ضاحكة .. لا تسمع الا الضحكات ، وصوت الكرابيج التي يلهب بها حراس السوق جلود من يحلو لهم من رواده ويقف الشيخ خارج السوق ، وقد عقدت الدهشة لسانه ، يفرك عينيه وكانه في حلم مزعج ، لا يصدق ما يرى ولا يعرف له معنى ومنظر السوق بعجائبه مستمر كانه احد الافلام الضاحكة المبكية .. ثم يظهر القرود الثلاثة سالفو الذكر .. ويقفون وراء الشيخ تماما ، وكانهم يتتبعون اثره ، ويرصدون حركاته وسكناته ..

**الشيخ** : ( يسأل الحراس الثلاثة او القرود الثلاثة في دهشة ) **ما هذا ؟** « مشيراً للسوق »

**القرد الاول** : ( ينهره مستنكرا ) : **قلنا لا تنطق ..**

**القرد الثاني** : ( متسائلا ) **أنسيت أوامر دولتنا ؟**

**القرد الثالث** : ( مذكرا الشيخ ) **لا تسمع ..**

**الاول** : .. **لا تبصر ..**

**الثاني** : .. **ممنوع أن تتكلم .**

**الشيخ** : ( مستنكرا ) **لا أسمع ؟.. لا أبصر ؟.. ممنوع أن أتكلم ؟** **ولماذا هذا ؟** ( يشير الى منظر السوق ) **يا هذا ؟** ( يسأل القرد الأول )

الاول : ( معلما ) في الدولة لا تسأل أبدا .. عن كيف ؟
الثاني : ( مكملا حديث الاول ) .. لماذا ؟
الثالث : ( مهددا متوعدا ) .. أو تعدم .
الشيخ : ( في الحاح ورجاء ) بالله عليكم ما هذا ؟
الأول : ( يعطي الشيخ ظهره ويكلم نفسه ) شيخ مجنون
الثالث : فليرجم .
الثاني : ( يقترب من الشيخ ويسأله ) أنسيت نصيحتنا العظمى ؟
الاول : ( يربت على كتف الشيخ ويقول له ) يا شيخ لنفسك فلترحم
الشيخ : ( متوسلا ) أرحمني أنت وأخبرني ما أبصر حقا ، أم أحلم
الأول : ( متعجبا ) تتكلم ؟ تبصر ؟ ثانية فمتى يا هذا تتعلم ؟
الشيخ : ( متحديا ) ان لم استفهم يا هذا فمحال يوما أن أفهم .
الثاني : ( متأففا ) الحفت والححت كثيرا أف لعنادك يا أرعن !!
الثالث : ( يعلق ساخرا ) خرف ، مجنون ، وعنيد
سيموت قريباً أو يندم !!

الشيخ : ( صارخا في ضراعة وهو يشير الى منظر السوق )
بالله عليكم .. ما هذا ؟
الأول : ( يجيبه في يأس ) السوق .. السوق .. فلا تسأل !!
الشيخ : ( متعجبا ) هل هذا سوق أم ...
الثاني : ( مقاطعا مستنكرا ) .. ماذا ؟
الثالث : ( ينهر الشيخ ) السوق أمامك .. لا تسأل ..
الشيخ : ( يفكر قليلا ثم يسأل مترددا أول الأمر ثم تنهال اسئلته كالسيل ، والقرود من جنونه تتعجب ...... )
حسناً ، ولماذا يضربهم هذا الشرطي ؟ ولا يرحم
ولماذا يضحك من ضربوا ظلما ؟ أو سرقوا ؟ لا أعلم ؟
ولماذا وضعوا أقنعة ؟ وأشاروا همساً ؟ لا أفهم ؟
ولماذا لا يبكي أحد ؟ أو يصرخ من ظلم أبكم ؟
هل صم ؟ عمى ؟ أم خرس ؟ هل هذي سوق ؟ أم مسلخ
كابوس هذا ؟ لا أدري هل أبصر بشراً ؟ أم ...

الأول : ( وقد عيل صبره مقاطعا ) .. ماذا ؟
الشيخ : ( في هستيرية )
هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟
هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟
هل هذي سوق ؟ أم مسلخ ؟

**الثاني** : ( مذكرا ) **في الدولة لا تسأل أبدا ، عن كيف ؟**
**الثالث** : ( مكملا كلام الثاني ومهددا ) .. **لماذا ؟ أو تعدم ؟**
**الاول** : ( يحاول ان يفسر الأمر للشيخ بالتدريج )

**أقنعة السوق مقدسة كي يسهل ربح او مغنم**
**الثاني** : ( مكملا ) **والحزم ضروري جدا حتى لا ينكص من يغرم**
**الثالث** : ( مؤكدا ) **وبكاء الخاسر مضيعة للوقت ومن سرقوا أعلم**

**الشيخ** : ( معلقا في سخرية ) **هل هذي سوق أم مسلخ ؟**
**الأول** : **لا فرق هنالك يا هذا ..**
**الثاني** : ( متعجبا ) **فعلام بربك لا تفهم ؟**
**الشيخ** : **ولماذا الضحك ؟ ولا كلم ؟ والهمس يدور ، ولا أفهم ؟**
**الأول** : **أسرار السوق مقدسة .. والضحك دواء ..**
**الثاني** : ( يكمل حديث الاول ) **بل بلسم ..**
**الثالث** : ( مذكرا بعقوبة الكلام ) .. **والكلم بلاء لا يرحم .**
**الأول** : ( يعود الى تذكير الشيخ ) **أنسيت أوامر دولتنا ؟**
**الثاني** : ( يردد كلمات القانون ) **لا تسمع .. لا تبصر ..**
**الثالث** : ( يكمل حديث الثاني ) .. **ممنوع أن تتكلم ..**

( فجاة يقفز من داخل السوق رجل يصرخ ثم يخلع قناعه ويرميه على الأرض .. وحراس السوق توسعه ركلا وضربا ولا يساعده احد بل يقفون جميعا يتفرجون على المنظر الوحشي ، كانهم خشب مسندة ، او تماثيل لا روح فيها ) ..

**الرجل** : ( يصرخ متألما ويقول )
**سرقوني ؟ غشوا .. لن أسكت .. سرقوني ؟ غشوا ؟ لن أسكت ؟**
**الشرطي الأول** : ( وهو ينهال على الرجل ضربا ) **مجنون أسكت**
**الشرطي الثاني** : ( وهو يساعد زميله في الضرب ثم يضع يده على فم الرجل ) **لا تنطق !**

**الشرطي الثالث** : ( يصرخ مهددا الرجل ) **عكّرت الأمن بلا سبب !**
**الشرطي الأول** : **وخلعت قناعك يا أحمق**
**الشرطي الثاني** : **ونطقت الفحش علانية**
**الشرطي الثالث** : ( يواصل ضرب الرجل ) **ستنال جزاءك ..**
**الشرطي الأول** : ( وهو يواصل الضرب ) .. **بل يسحق ..**

**الشرطي الثاني** : ( يأمر زميليه ) **جروه إلى السجن جزاء**
الشرطي الثالث : ( وهو يقتاد الرجل الى خارج المسرح )
« **محكمة الشعب** » **غدا تعقد** ..
**الشرطي الأول** : ( يقرر في زهو وخيلاء )

**والعدل سيأخذ مجراه    والفتنة تقتل أو تحرق ..**

يقتاد رجال الشرطة من حرس الاسواق الرجل خارج المسرح والكل
« كوت .. والصمت رهيب .

**القرد الاول** : ( يسأل الشيخ مهددا ) **أرأيت العدل وشرعته ؟**
**الشيخ** : ( ساخرا ) **هل هذي سوق ؟ أم غابة ؟**
**القرد الثاني** : ( يستنكر سؤال الشيخ ) .. **هل تسخر ؟**
**الشيخ** : ( يعلق في سخرية ) .. **أبدا .. بل أهذى**
**القرد الثالث** : ( ساخرا ) **مجنون أحرق أعصابه**
**الأول** : ( ينصح الشيخ )
**يا هذا لا تسأل أبدا    عن شيء تجهل أسبابه !**
**الثاني** : ( هامسا في اذن زميله )
**في ظرف ثلاثة أيام    راقبه سنعرف أصحابه**
**ما جاء ليبحث عن ولد ..**
**الثالث** : ( مؤكدا ) **وقريبا نكشف ألعابه ..**

( اثناء حديث القرود ينفض السوق ، ويهبط الظلام تدريجيا .. ولا يبقى في دائرة الضوء الخافت غير الشيخ والقرد الأول فقط اللذان يدور بينهما الحوار التالي ) :

**القرد الأول** : **هيا يا شيخ بنا نمشي    كي نأكل شيئا أو نشرب**
**الشيخ** : ( لا يسمع كلام القرد الاول ثم يحدث نفسه بصوت مسموع وكأنه يسترجع ذكريات طفولته **يقول** : **قد صدقت امي اذ قالت**
( يحاول ان يتذكر ما قالته امه )
**القرد الاول** : ( يسمعه فيقول ساخرا ) **أسمعنا حقا ما قالت**

( فجاة وتظهر امراة وقورة تهدهد طفلا وتقول له بصوت واضح عميق ومؤثر ، الأبيات التالية بينما الشيخ والقرد الاول يستمعان الى كلماتها في خشوع تام ) :

**الأم :**

الـدنيـا يـا ولـدي غـابـة — نـعـم وذئـاب وثـابـه
وقطيـع ضـل بـلا راع — ورعـاة بـاعـت اسـلابـه
وقطيـع بيـع لجـزار — وقطيـع الّـه قصـابـه
وقطيـع سمنـه الـراعـي — للـذبـح بحـرب خـلابـه
وقطيـع شتتـه فـزع — مجـهـول زلـزل ألبـابـه
وكلاب الصيد بهـا انتشرت — والكـفـر يمـارس الـعـابـه
وفخـاخ الـغـدر منـوعـة — وبحـور دمـاء منسـابـه
وبـغـاث الطـير مـغنيـة — لليـل أغـانـي مـرتـابـه
وقـرود تـرقص في فـرح — للمـوز ، وأخـرى جـلابـه

**القرد الاول :** ( يشير الى الشيخ في غضب )

أمك تشتمنا يا هذا — سحقا لا مرأة كذابة

( تختفي الأم تاركة القرد الأول والشيخ يتحاوران ) :

**الشيخ :** ( معترضا على سب القرد لأمه ) **ما كانت أمي كذابة**

من قال الصدق فملعون — مجنون حطم أعصابه

**القرد الأول :** ( آمرا وقد عيل صبره من الشيخ )

قم فأمش بنا وكفى لغوا — هيـا نتجـول في الغابة

( يدب الشيخ على عصاه في خطوات رتيبة يتبعه القرد الاول ، والشيخ يردد بيته المشهور :

مشينـاهـا خطى كتبت علينـا — ومن كتبت عليه خطى مشاها .

( يتبع )

# بأقلام القراء

## محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق

**ارسل الينا الاستاذالشريف مأمون أبو الوفاكلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :**

خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص وفيرة ، ومحامد كثيرة جعلته أفضل الخلق على الاطلاق ، وأرفع الناس درجة ، وأقربهم زلفى ، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السر وأخفى ، وفضله على خاصته وأحبابه ، وأعلى في الدارين مقاله ومقامه وحسبك شاهدا على ذلك ما يلي :

( ١ )أتاه الكمال في الخلق والخلق والأقوال والأعمال : فجمله بالسكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم ؛ وكساه حسن القبول ، فاستمال القلوب ، وانقادت النفوس لموافقته ، وثبتت على محبته ومناصرته . وأمده برجاحة العقل وصدق الفراسة ، ومنحه زهدا في الدنيا وإعراضا عنها ، واكتفاء بالبلاغ منها ، وتواضعا للناس وهم له أتباع ، وخفض جناحه لهم وهو فيهم مطاع ، وكساه الحلم والوقار ، فما هزه طيش ، ولا استفزه خرق . وافاض عليه العلوم الجمة الباهرة ، والحكم البالغة ، وجعله أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا ، وأوجزهم كلاما ، وأجزلهم ألفاظا

( ٢ ) ان الله جل شأنه خصه بخمس لم يعطهن أحدا من خلقه : تأمل مارواه جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي . كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا . فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل . ونصرت بالرعب مسيرة شهر . وأعطيت الشفاعة » رواه البخاري .

( ٣ ) ان معجزة كل نبي تصرمت وانقضت ، ومعجزة سيد الأولين والآخرين – وهي القران الكريم – باقية إلى يوم الدين .

( ٤ ) إن الله تعالي أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده ، أن يؤمنوا به وينصروه .

قال تعالى : **( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من**

**الشاهدين )** ال عمران /٨١

( ٥ ) إن الله تعالى أثنى على خلقه صلى الله عليه وسلم : فقال : ( **وإنك لعلى خلق عظيم** )القلم /٤ وهذا غاية الثناء .

( ٦ ) إن الله جل شأنه أخبر أنه وملائكته يصلون على النبي ، وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه . وليس هناك شرف ورفعة فوق هذا :

( ٧ )إن الكتب القديمة السالفة حوت من البشائر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما لا سبيل إلى إنكاره .

( ٨ ) إن الكهنة انقطعوا عن مبعثه ، كما انقطع استراق السمع . وفي هذا قضاء على الدجل والشعوذة وإماتة الشرك الخفي .

( ٩ )إنه أوتي الكتاب العزيز وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ، وأن الله حفظ كتابه المنزل عليه من التبديل والتحريف . فقال جل شأنه :( **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ) فصلت /٤٢

أضف إلى ذلك أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه . قال تعالى : ( **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ) القمر /١٧ . وما عرف ذلك لكتاب غيره . وأنه مشتمل على جميع ما اشتملت عليه التوارة والانجيل والزبور .

( ١٠ ) ان الله أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ( **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ) الحجر /٧٢ . والاقسام بحياته يدل على شرف حياته وعزته عند الله العزيز الحكيم .

( ١١ ) ان شريعته أكمل من جميع شرائع الأمم المتقدمة .

فقد كانت شريعة موسى عليه السلام شريعة جلال وقهر . أمروا بقتل أنفسهم وحرمت عليهم الشحوم وذات الظفر وغيرها من الطيبات ، وحرمت عليهم الغنائم وعجل لهم من العقوبات ما عجل ، وحملوا من الأصار والاغلال مالم يحمله غيرهم

أما عيسى عليه السلام فكان في مظهر الجمال . وكانت شريعته شريعة فضل واحسان لا يقاتل ولا يحارب . تأمل قول الانجيل : « من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر . ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك » .

وأما محمد صلى الله عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع للقوة والعدل والشدة في الله ، واللين ، والرأفة ، والرحمة ، فشريعته أكمل الشرائع ، وأمته أكمل الأمم وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات . ولذلك أتت شريعته بالعدل فرضا ، وبالفضل ندبا ، وبالشدة في موضع الشدة ، وباللين في موضع اللين :

هذه أمة ، أمة جعلها الله خير أمة أخرجت للناس فكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الأمم . كما كمل لنبيهم الكريم من المحاسن ما فرقه في الانبياء قبله . وكما كمل في كتابهم من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله . فأتباع محمد هم المجتبون .

قال تعالى :( **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ) الحج /٧٨ .

## حول مقال « الصحبة المؤمنة »

جاء في مجلة الوعي الاسلامي الغراء العدد ١٩١ مقال ( الصحبة المؤمنة ) للدكتور عبد الفتاح محمد سلامة .

والمقال من المقالات الجديرة بأن نقرأها بتمعن لنلمس القوة الايمانية التي كان يتمتع بها الصحبة الأبرار . وقد جمع مقال كاتبنا الكبير من الحقيقة والابداع الجمالي في تبيان أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخذوا بالخلق العظيم في كلمات وجيزة فيها النفع الكثير . ولكن هناك كلمة أحببت أن أنبه اليها .

فقد جاء في المقال ( شأن القرآن كله في أساليبه الساحرة ) فوصفه أساليب القرآن بالساحرة وصف لا يليق بالقرآن الكريم لأن هذا الوصف تفوه به المشركون فقالوا ان هذا الا سحر يؤثر .

أرجو أن يسعني حلم كاتبنا الكبير .

هذا ما رأيت بيانه وشكرا .

**مصباح درويش**
**الشامية قطعة ٨ ـ الكويت**

## لا نفرق بين أحد من رسله

قرأت ما نشر على صفحات « الوعي الاسلامي » في عدد شوال ١٤٠٠ هـ مقالا تحت عنوان ( قم للمعلم وفه التبجيلا ) للأخ حلمي السيد محمود ـ ولا ريب أن ما كتبه جهد مشكور ، وتوجيه محمود ، لكني وددت أن أشير الى شيء هام يتعلق بما أورده عن « الخضر » و« موسى » على نبينا وعليهما السلام فقد تحدث الكاتب عن التلميذ موسى والأستاذ الخضر !! ولعلي أخالفه الرأي فموسى الكليم من أولي العزم وقد بوأه الله مكانته السامقة فكلمه . ولا ينقص من مكانته أن يطلب العلم من مثله ، فهو يقول لأخيه (**ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا** ) ليعلم طلاب العلم ( الصبر والطاعة ) فبهما ينتقل العلم من النظرية الى التطبيقية ، فلا علم الا وله عمل ، ولا عمل بلا علم ، وعلم « الخضر » من الله ( **وعلمناه من لدنا علما** ) فلا دخل للبشرية فيه بلا شك ، ومعلوم أن العقل الانساني يجهل كليات

العلم المادي فكيف به لو تدخل في ما وراء « ناموس » المادة ؟ السفينة تخرق ولا يدخلها الماء .. انه وحي السماء للأرض وأمر المعبود للعبد ، والعبد قاصر عن تأويل أفعاله الا باتصاله بمدبر الأرض والسماء ( **وما فعلته عن أمري** ) فهو وصاحبه بل وكل الأنبياء سواسية ، وأنى لموسى أن يكون تلميذا ؟ وقد شهد « الخضر » له بالعلم .. ثبت في الصحيحين عن أبي بن كعب ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم « أن الخضر قال لموسى : انت على علم من علم الله ، لا ينبغي لي أن أعلمه ، وأنا على علم من الله لا ينبغي لك أن تعلمه » .

يقول تعالى : ( **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** ) البقرة/٢٥٣ . وتلاحظ أن الله قدم موسى .. أبعد ذلك نخاطبه أو نطلق عليه تلميذ لأنه جلس الى الخضر ..

وبعد : فهذا ما أردت بيانه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

**عبد الجواد محمد الخضري**
**شربين ـ مصر**

## التصوير والنحت

**السيد/ بن سوده محمد ـ حي الرميلة ـ الدار البيضاء ـ المغرب .**
**والسيد/ غنيم عبد المقصود شهاب الدين ـ شبين الكوم ـ مصر .**

يرجى الرجوع الى العدد ١٤٥ من مجلة ( الوعي الاسلامي ) صفحة ١٠٠ ففيه الاجابة الكافية عن رأي الاسلام في الصور والرسوم والنحت .

## الاشتراك في المجلة

أرسل الى جميع القائمين على مجلة الوعي الاسلامي بالتحية والتقدير لما يقومون به من عمل في سبيل نشر الدعوة الاسلامية وأتساءل عن كيفية الحصول على بعض النسخ من الأعداد السابقة كما أحب أن أعرف بالتفصيل نظام الاشتراك في مجلة الوعي الاسلامي .

**حسن محمد محمد محمود ـ مصر**

**تأسف المجلة لعدم وجود أعداد سابقة ونظام الاشتراك غير معمول به في المجلة وانما يمكنكم الاشتراك بواسطة الاتصال بأقرب موزع للمجلة وبيان الموزعين مطبوع على ظهر الغلاف الأخير منها .**

## اختتام الندوة الدولية عن الاسلام

○ **توفير الحرية للأقليات الاسلامية بالدول غير الاسلامية .**

○ **الاسلام يقدم الحلول لكل المعضلات التي تواجه العالم .**

**كتبت صحيفة الرأي العام الكويتية في عدد رقم ٦١٣٥ حول الندوة الدولية عن الاسلام تقول :**

انتهت الندوة الدولية عن الاسلام التي نظمها المؤتمر الاسلامي في اطار اليونسكو في باريس ، وشارك فيها عدد من الشخصيات الفكرية والدينية والعربية والاسلامية والدولية .
وأصدرت الندوة بيانا ختاميا جاء فيه « ان الاسلام بطابع رسالته الشامل يظهر للمؤمنين طريق الخلاص الأبدي ويقدم المقترحات التي يجب أن ترتكز عليها العلاقات الاجتماعية والدولية في عالم اليوم لايجاد حياة كريمة لكل انسان ، ومن هنا فان الشعوب الاسلامية تجد في السلام الوسيلة الفضلى لتحقيق تطلعاتها ومستقبل أجيالها في ضمان حقوق الانسان ، كما وأن الاسلام يقدم الحلول للمعضلات الدولية الراهنة ولا سيما في مجال التطور الاقتصادي كما وأنه يشجع التقدم العلمي والتكنولوجي .
وأشار بيان الندوة الدولية عن الاسلام ، في باريس الى ضرورة تمتين العلاقات بين الاسلام والعالم الغربي في الاحترام المتبادل رغم الاحتفالات التي يمكن أن تعترض مسيرة الجانبين ، وأكد البيان ضرورة توفير الحرية للأقليات الاسلامية المتواجدة في الدول غير الاسلامية ، وأن تقدم لها كافة الوسائل للحفاظ على أصالتها الاسلامية وهويتها الثقافية وأن تقدم التسهيلات لأبناء الجاليات الاسلامية في الغرب للحصول على ثقافة خاصة تؤهلها للاندماج في المجتمع الجديد الذي تتواجد فيه ، دون أن تفقد جذورها الروحية والثقافية . وتطالب الندوة الدولية ، الدول الغربية أن تعمل على نزع كافة الصور المنحرفة التي تقدمها وسائل الاعلام عن الاسلام ، وطالبت الندوة أيضا بمكافحة العنصرية التي تمارس بحق أبناء الجاليات الاسلامية في دول الغرب ، هذا وقد اقترحت الندوة أن يقدم المؤتمر الاسلامي كل عام

جائزتين ، الأولى لأحسن تحقيق في الصحافة المكتوبة أو المرئية عن الاسلام في أي دولة من دول العالم ، والجائزة الثانية لأحسن كتابة أدبية تتسم بالموضوعية عن حقيقة الاسلام وعلى الصعيد العلمي فان الندوة العلمية تشجع التعاون بين العلماء المسلمين والغربيين للعمل سوية لتصحيح الأخطاء السالفة والترجمات الخاطئة التي تمت بسرعة ، وتسيء الى معاني ما ورد في القرآن الكريم .

وطالبت الندوة ضرورة أن تقدم الدول الغربية ومنذ سن الدراسة وبصورة مباشرة لأبنائها فكرة ممتازة وصحيحة عن الاسلام .

## الجهاد

**في كلمة اوردتها مجلة دعوة الحق التي تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالرباط قالت في عددها الخامس :**

● من الحقائق التي يجب ان تعلو فوق كل الاعتبارات والحيثيات ، وتتجاوز الصراعات السياسية والايديولوجية الحقيقة المتصلة بقضية القدس الشريف ، وباعتبارها التحدي العقائدي والحضاري الذي ترفعه الصهيونية والشيوعية والصليبية والاستعمار في وجه المسلم المعاصر ايا كان موقعه ، ومهما يكن انتماؤه .

ولأول مرة في تاريخ المسلمين بعد العهد النبوي الشريف تلقى تبعة المواجهة الجماعية بهذه الكثافة والقدر الوافي من الالحاح والاستعجال . على كاهلنا جميعا .

● ومن اجل ذلك ، كان الاهتداء الى انشاء لجنة القدس ، بما تمثله من دلالات اسلامية عامة ، الخطوة الاولى الى التحرير الشامل باذن الله ، لانها جاءت استجابة لروح العصر التي تقتضي الخروج بالقضية من نطاقها الاقليمي والقومي الضيق الى مجالها الاسلامي العالمي الممتد عبر القارات الخمس .

ولقد اثبتت معطيات المراحل الاولى من العمل الاسلامي الموحد من اجل القدس الشريف ان ثمة حاجة ملحة الى تغيير اساليب المعالجة والتحرك والنظر الى القضية وما يحيط بها من ملابسات وان منطق رد التحدي بتحد اقوى واعنف يلزمنا بالانتقال الى الخطوط الثانية في الموقع الامامي ، وذلك حتى يشمل عملنا جميع الاطراف وينفذ الى الاعماق ويؤتي ثماره ان شاء الله . ومن ثم اتجهت الانظار الى الرصيد التاريخي الذي يفوق في قيمته وأثره وتأثيره كل ما نملك من امكانيات

مادية ما ظهر منها وما بطن . ونقصد بذلك تراثنا الاسلامي الذي يلهمنا في مثل هذه الحالات باعلان الجهاد باعتباره الطريق الوحيد الذي لا طريق سواه للوصول الى المسجد الاقصى المبارك .

● وليس في الجهاد ما هو مقدس او غير مقدس . وانما الجهاد هو الاستنفار العام في سبيل الله وسعي في الارض لاعلاء كلمة التوحيد ، ولا يتأتي ذلك الا بتحرير اراضي المسلمين واسترجاعها الى دار الاسلام .

وفي عبارة تلائم ظروفنا ، فان الجهاد هو المعركة الكبرى الفاصلة لتحرير القدس تحريرا شاملا يردها الى اهلها المسلمين ويسترد سكانها بعودتها كرامتهم وعزتهم واعتبارهم الانساني .

وهو جهاد مقدس ما في ذلك شك ، لان كل عمل من هذا القبيل مقدس بالضرورة ، واعمال المسلمين التي تلتزم بشريعة الله كلها مقدسة

ان الامة الاسلامية تقف اليوم امام امتحان مصيري ، وبالجهاد تملك ان تتقدم وتقتحم وتسير ، وتحمي دينها وارضها وشرفها ، وتقي البشرية كلها من خطر الدمار الذي اوشك ان يتهددها ، بل اشرف على الانفجار .

وليست لنا رجعة عن القدس ، وجهادنا انما من اجل اولى القبلتين وثالث الحرمين ، اما الصورة العملية لهذا الجهاد فهذا من شأن اولى الامر فينا ، ولسنا نملك سوى الاستجابة والتلبية والجود بالارواح والاموال .

● ولعل الله سبحانه وتعالى اراد ان يكرمنا ونحن نتهيأ لاستقبال القرن الخامس عشر للهجرة باحدى الحسنيين : الشهادة او النصر .

وتلك وحدها ، الطريق الى القدس ، وما عداها سبل ومسالك تلتوي وتتشعب ولا تفضي الا الى الهلاك والمذلة والهوان .

## الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .
- موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .
- الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .
- ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
- لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .

## « الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجـلاء .

السودان : الخرطـوم ــ دار التوزيـع ــ ص.ب ( ٣٥٨ )

ليبيـــا : طرابلس ــ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .

المغـرب : الدار البيضـاء ــ الشركـة الشريفة للتوزيـع .

تونـس : الشركـة التونسـية للتوزيـع .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ )

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة ــ ص.ب : ( ٤٧٧ )
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ــ ص.ب : ( ٧٦ )
الطائـف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جـدة
المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـيـاء .

مسـقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحريـن : دار الهلال .

قطـر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشـاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبـي : مكتبة دبـي .

الكويـت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

**ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .**

# إقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

المسجد النبوي الشريف

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

براعم الإيمان

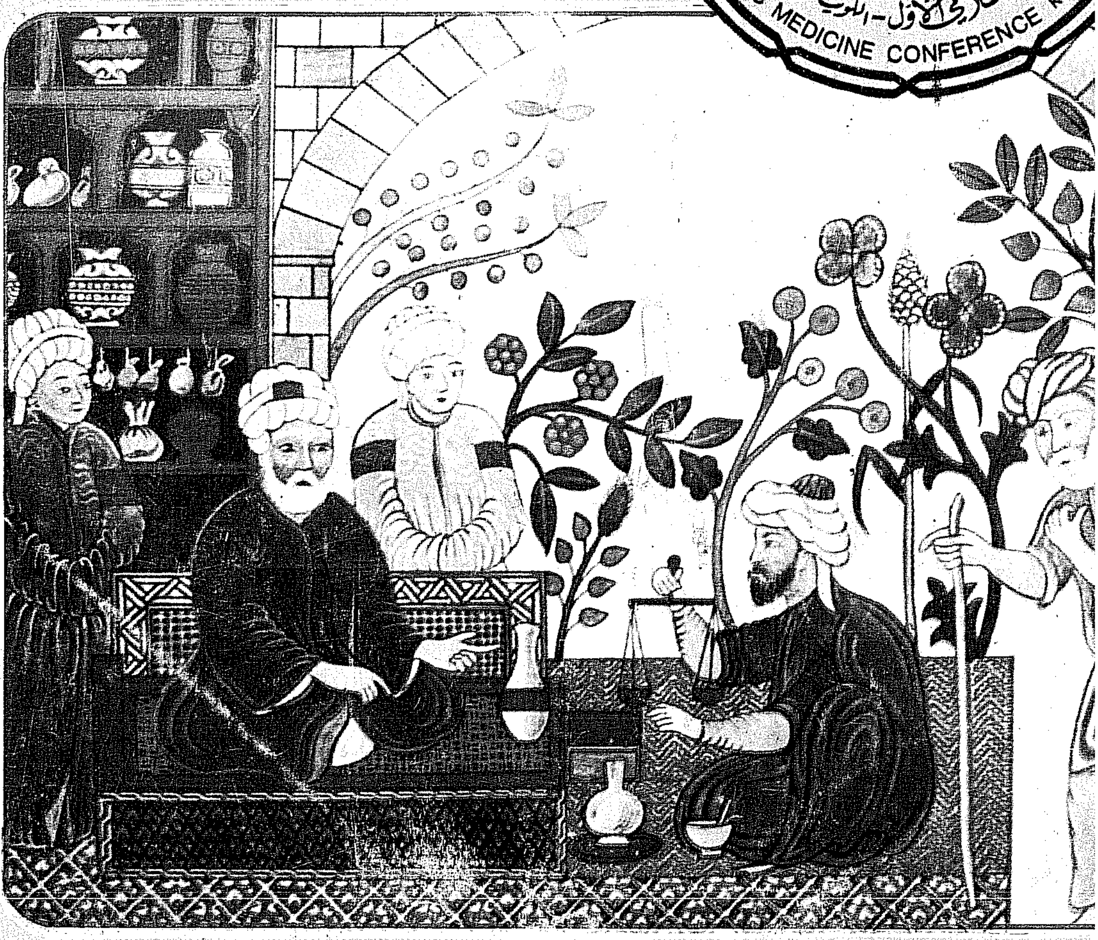
# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

مؤتمر الطب الإسلامي الأول - الكويت ربيع أول ١٤٠١هـ

1st. ISLAMIC MEDICINE CONFERENCE Kuwait



الوعي الإسلامي

# AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٦ ● ربيع الثاني ١٤٠١ هـ ● فبراير ١٩٨١ م

## هـدفهـا

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

## ● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

## صورة الغلاف

تحضير الأدوية من الأعشاب الطبيعية عند أطباء المسلمين قديما

بسم الله الرحمن الرحيم

# كيف ندعو إلى الاسلام

الايمان بوجود اله خلق الخلق ودبر أمرهم عقيدة الاسلام التي يقوم عليها نظام كامل يتناول كل مظاهر حياة الانسان الأسرية ، والاجتماعية ، والدولية ، ومن ثم لا يمكن الفصل في حياة المسلم بين العقيدة الكامنة في ضميره المستقرة في قلبه ، والشريعة التي تحكم حياته .

وهذه الحقيقة قد رسمت خط سير الدعوة الاسلامية في عهد رسول الله ﷺ فكانت العقيدة والشريعة تسيران معا في تلاحم وثيق ، مما أدى الى قيام المجتمع الاسلامي الذي يشرق بكل معاني السمو والتقدم والنهوض . فقد بدأ رسول الله محمد ﷺ دعوته الى سبيل الله بتحرير الروح الانسانية من العبودية لغير الله فأنقذها من وهدة الشرك ، وطهرها من عبادة الأصنام ، وأعدها لتكاليف الحياة الرفيعة التي خطط لها الاسلام .

**ومهمة الدعوة الاسلامية في عهد رسول الله ﷺ هي مهمتها في كل عصر وفي كل بيئة ، عن طريق الكلمة الطيبة السديدة ، التي تكون حياة الداعية الشخصية**

**ترجمة حية لها ، وبرهانا مؤيدا لمضمونها ، فلا يأمر بالبر وينسى نفسه ، ولا يقول ما لا يفعل .**

ويجب أن يلاحظ الدعاة الاسلاميون أن الرسول ﷺ حين بدأ بالدعوة الى الله لم يكن في الجزيرة العربية حكومة مستقلة ، ولا أجهزة اجتماعية معينة ، ولم يكن بالعالم كله نظريات مقررة للحكم والاجتماع والاقتصاد كما هو الحال في هذا العصر .. فالعالم اليوم تحكمه نظريات اجتماعية مفصلة من صنع الناس ينشرها أصحابها ويقيمون أجهزة اعلامية لترويجها . ولذلك كان على الدعاة الاسلاميين أن يقدروا الظروف والملابسات التي تحيط بالدعوة الاسلامية ، وأن يضموا الى البدء بتكوين الفرد المسلم عقائديا وسلوكيا بيانا تفصيليا للحياة الاجتماعية كما قررها الاسلام ليتمكن بهذا البيان من الشعور بالفارق البعيد بين نظام الاسلام المحكم الذي تسعد بتطبيقه البشرية وبين تلك النظم التي تضطرب بها أوضاع الحياة في الأمم الآخذة بها ! فان ذلك يجعل المسلم الذي يتكون على هذا الأساس ينبعث انبعاثا ذاتيا الى تحقيق نظام الاسلام الأمر الذي يكسب الدعوة الاسلامية نجاحا وقدرة على تحويل النفوس الى الحق والاستعلاء بها عن الباطل .

**والاسلام في هذا الزمن بحاجة الى دعاة فاقهين لرسالته عاملين بها ، يحسنون عرض أفكاره ومبادئه بأسلوب يتناسب وكل قوم ، فللعمال الكادحين خطاب يناسبهم ، وللماديين المنكرين لوجود الله خطاب يناسبهم . وهكذا يخاطبون الناس على قدر عقولهم يحدوهم لذلك قول رسول الله ﷺ : ( خاطبوا الناس على قدر عقولهم ) .**

**وعليهم أن يعتمدوا في أسلوبهم الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن امتثالا لقول الله تعالى : ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ) .**

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# احتفال الوزارة

أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بمسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم بعد صلاة العشاء احتفالا كبيرا بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف . وقد تقدم الحضور وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي ، ووكيل الوزارة والوكلاء المساعدون وكبار المسؤولين .

وقد ابتدأ الاحتفال بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، بعد تقدمة موجزة من مقدم الحفل حول المعاني العظيمة لذكرى مولد الهدى محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ألقى وزير الأوقاف كلمة أثنى فيها على التاريخ العطر لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال أن مولد محمد صلى الله عليه وسلم غير وجه التاريخ وكان حدا فاصلا بين الجهالة والنور ، بين الظلمة والعدل .

وتحدث عن دولة الاسلام التي أنشأها محمد صلى الله عليه وسلم ، وأثره الطيب في سائر أرجاء الدنيا معددا صفاته الخلقية ، وسيرته بين شعبه وعشيرته ، والشعوب التي دانت بالاسلام .

وفيما يلي نص كلمة معالي الوزير :

# بالمولد النبوي الشريف

أحمد الله تبارك وتعالى الذي هدانا الى الايمان وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وأصلي وأسلم على صاحب السيرة العطرة والتاريخ الحافل بالأمجاد الخالدة سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وبعد ،

فاننا في رحاب ذكرى المولد النبوي الكريم نجتمع الليلة لنحتفل بحدث عظيم غير مجرى التاريخ حيث جاء مولد محمد صلى الله عليه وسلم حدا فاصلا بين ظلام الجاهلية ونور الاسلام .

نعم كان العالم يموج بالفتن المدمرة والعقائد الباطلة وكانت البشرية تتخبط في ظلمة الفوضى والجهل ، استبد الأقوياء بالضعفاء فسفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء وأتوا كل منكر بل ألغوا عقولهم فتركوا عبادة الخالق وسجدوا لأصنام لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع وفي هذا الجو الفاسد قدمت العناية الالهية الى البشرية الضالة والانسانية المعذبة محمدا صلى الله عليه وسلم ثم اختاره لهم مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبمنهج الله هدى الناس الى الطريق السوي وجمع القوى المتناثرة وألف بين القلوب المتنافرة ووضع موازين الحق والعدل ومبادىء التراحم والمؤاخاة وبذلك أسس دولة امتدت الى الصين شرقا والى الاندلس غربا تحكم بالقرآن وتعلن كلمة التوحيد « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

أيها الأخوة المؤمنون :

من حق صاحب الذكرى أن نذكر فضله الذي نشره وخلقه الكريم الذي تأثر به المجتمع وأن نذكر الرحمة التي كان باعثها والاخاء الذي

ربط به قوى الأمة والعدل الذي سهر من أجله والحلم الذي تميز به ، وكان طبيعة له ومع هذا مهما تحدثنا عن سيرته صلى الله عليه وسلم فلن نستطيع الاحاطة بجوانب عظمته لأنه كان صورة لأعلى قمة للكمال البشري .

وعلى امتداد قرون طويلة تحدث المسلمون في هذه المناسبة واستعرضوا جوانب العظمة المحمدية وأجادوا عرضها شعرا ونثرا ولكن الاقتصار على ذلك لا يمثل تكريم صاحب الذكرى فقد وافانا القرن الخامس عشر الهجري ورصيد الأحداث يزداد في حساب الأمة الاسلامية الأمر الذي يفرض على المسلمين أينما كانوا أن يحولوا الكلمات الى عمل بناء الى ايمان يحمي الأمة من الفرقة والضياع فبالايمان والعمل ننتصر على كل التحديات ونقهر الطامعين ونحرر الأرض والمقدسات في عزة واباء ، فلن يؤثر الكلام أمام عدو يستبيح الحق ولا يعرف الا منطق الحديد والنار . وماذا تصنع لغة الكلام لأرض محتلة وشعب مشرد ومقدسات سليبة ؟

أيها الأخوة المؤمنون :

مع اطلالة القرن الجديد كأني بالمسلمين بدأوا يتطلعون الى النجدة في لهفة ويتلمسون الطريق الى ساحة العزة والكرامة ، والطريق الى ذلك أن يتمسكوا بالذي أوحى الى نبيهم أن يحتكموا الى القرآن مؤمنين بأن خير تشريع ما جاء من عند الله ولقد جربوا تشريع البشر فوجدوا فيه الشر والضياع والمعاناة .

ان السير على منهج الله والحكم بما يراه الله ضرورة للحياة كلها ، ضرورة لسعادة الفرد ورقيه ، وللمجتمع لاستقراره وبقائه .

ان شريعة الله كونت أمة وأسست حضارة عاش العالم في ظلها أجيالا وقرونا يحس بسماحتها وينعم بعدلها ، ويوم أشرقت حضارة الاسلام في شرق الدنيا وغربها ، كانت أوروبا تعيش في ظلام التأخر والجهل ثم تنبهت الى هذا المد الاسلامي الزاخر بالعلم والمعرفة والمبادىء الانسانية فأرسلوا بعوثهم الى أقرب جامعة اسلامية اليهم وكانت في الأندلس ، تعلموا الطب والفلك والفلسفة والرياضيات ، تعلموا كثيرا من العلوم والمعارف على أيدي العلماء المسلمين هناك ، شهد بذلك كثير من المؤرخين والفلاسفة والمستشرقين وقرروا وهم على غير ملة الاسلام أن العلم وحده ليس هو الذي أعاد الى أوروبا الحياة بل أن مؤشرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة أشعتها الى الحياة

الأوروبية .

أيها المسلمون :

بالأمس كنا سادة الدنيا وأساتذة العالم ثم أصبحنا في حاضر مؤسف أليم نطلب العلم ممن تتلمذوا على أسلافنا الأماجد ، نستورد من الغرب صناعته وانتاجه ونطبق نظامه وشريعته وتعطلت فينا طاقات الانتاج وهي موفورة في قوانا البشرية والمادية ، وبذلك استطاع المستعمر بأسلوبه الشرقي والغربي أن يخطط لاضعاف الأمة المسلمة واستطاع أن يستبيح حماها ويغتصب الخيرات ويدنس المقدسات وبالغزو الفكري فرض أنظمة وأشاع مفاهيم تشكك في صلاحية الاسلام وعمد المبشرون الى الدس والتزوير في ثقافتنا وتراثنا ، والطعن في قضايا الاسلام والمسلمين .

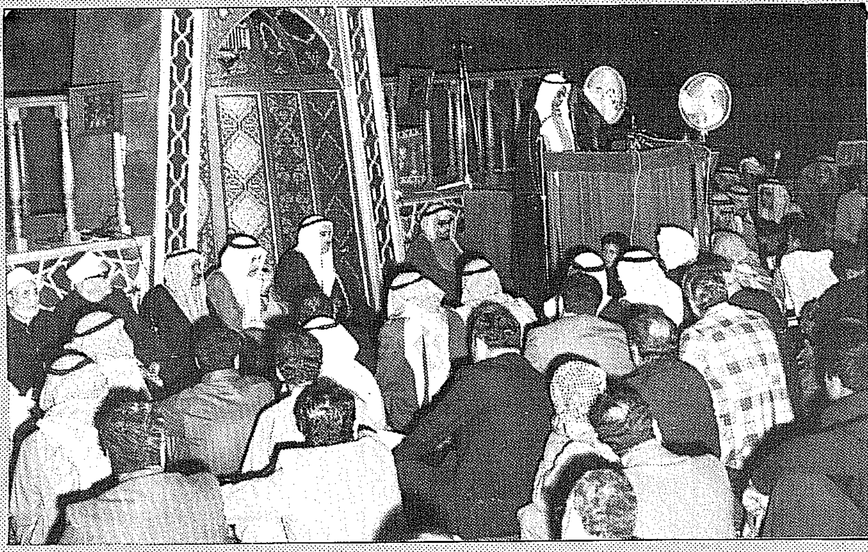
لقد أوقد أعداء المسلمين نار الفتنة بين صفوف الأمة حتى تفرقت الى شيع وأحزاب متناحرة وبقي على المسلمين أن يتنبهوا الى ما يراد بهم من خطر ودمار وأن يفتحوا الآذان والقلوب الى نداء القرآن « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

أيها الأخوة :

لا ينبغي أن نقف أمام الأحداث وقسوتها منكسي الرؤوس ، فنحن والحمد لله من سلالة أبطال لم يعرفوا الشعور باليأس والقلق وديننا يأبى الذلة والاستكانة وينشد العزة لاتباعه في قوة وايمان ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

أيها الأخوة المؤمنون :

مما يبشر بالخير لتصحيح مسيرة الأمة على درب الاسلام انعقاد المؤتمر الاسلامي على مستوى الزعماء والقادة في العالم الاسلامي في مكة المكرمة وفي رحاب حرم الله الآمن ، والى هذا التجمع الاسلامي تتجه القلوب ويتجدد الأمل في بدء مسيرة العودة الى منهج الله والحكم بما أنزل الله ، والعمل على وحدة الصف وجمع الكلمة وتناسى الخلافات وكل ترابط وتسامح واخاء وبصدق النوايا وصحة العزائم ننتزع من قلب الليل المظلم صباح فجر جديد ، كما علمنا صاحب الذكرى أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر



يسرا .

أسأل الله من فضله أن يردنا الى ديننا ردا جميلا وأن يهدينا الى الصراط المستقيم ، اللهم أعنا على أنفسنا وانصرنا على أعدائنا ووحد صفوفنا واجمع على الحق كلمتنا وانصر الاسلام وأعز المسلمين .

وفي ختام كلمتي أتقدم بالتحية والتهنئة في هذه المناسبة المباركة الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد والى سمو ولي عهده ، والى الشعب الكويتي الكريم والى العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها وكل عام وانتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

● ثم تحدث الدكتور عبد الله محمد تاليا حديث الوزير ومعددا ايجابيات الاسلام ومفهرسا ماهيته الدنيوية حيث استشهد بآراء بعض المستشرقين الأجانب ممن ناقشوا الاسلام بتعقل وتدبر وقد كان في ذلك عدة أطروحات علمية قدمت لجامعات غربية شهدت بسمو الاسلام وضرورته كبناء حضارة انسانية قويمة لا غنى عنها على مر التاريخ .. وفي كلمته وضح ماهية الاسلام بطابعها العملي في الدنيا والآخرة وكيف استطاع هذا الدين أن يثبت

معارف المساواة والحقوق بين الناس وأن يؤسس في نفوسهم حضارة شاملة شامخة بكل مفاهيمها .

● أما الدكتور أحمد كمال ابو المجد فقد ركز حديثه حول الجوانب العلمية للاسلام ومتطلبات التبصير بها للغير وحصر ذلك بثلاث نقاط تتلخص في سرد قصة النبوة وقضايا الجدل المتطرف ونزعة التعبد قبل بزوغ فجر الاسلام لينبذ ذلك كله ثم ما رافق ذلك بعد انتشار الاسلام وبهذا كان الاسلام وسطا بين التطرف والتدني ثم أسلوب الدعوة والدعاة ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث لم يدع الناس الا بالحسنى والرفق والتبسيط ولم يكن فظا غليظ القلب ولا عجب في ذلك وقد رباه الله وأحكم تربيته .

● وأما كلمة الرائد الشيخ محمد الحشاش عن القوات المسلحة فقد تركزت حول مبادىء الاسلام وقصة بعض الصحابة ممن عاشوا وماتوا على حب الاستشهاد في سبيل الله وضرب مثلا بمصعب بن عمير الصحابي الجليل الذي فضل أن يموت شهيدا على أن يحيا مشركا ضالا رغم ثروة اسرته ومكانة جاهه فحمل راية الاسلام من يد ليد حتى سقط شهيدا وكفن ببردته البسيطة .

● في الختام ألقى فضيلة الشيخ محمود عيد كلمة استوقف فيها تاريخ المسلمين مقارنا بالحاضر وما يرافقه من ضياع وتشتت ثم طالب المسلمين بالتدبر والعبرة من كل ذلك لا سيما فيما يعانيه المسلمون في أصقاع العالم وما ترزح تحته القدس من احتلال غاصب .

---

## الى السادة كتاب المجلة

**يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :**

- **كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .**
- **موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .**
- **الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .**
- **ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .**
- **لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .**

# التضامن والتعاون في الإسلام

للاستاذ/ محمد كمال الدين

كان مبدأ التضامن من أهم المبادىء التي قام عليها المجتمع الاسلامي في كل عصوره ، وبفضله احتفظ المسلمون بقدرتهم على البقاء والتقدم ، وبنوا لأنفسهم مجدا مؤثلا ما زال يحتفظ باعجاب العالم وانبهاره ، وكان المسلمون في الشدائد باستمرار ، قوة ويدا واحدة ، وبفضل تضامنهم وتعاونهم كان لهم النصر حليفا ، والوحدة رائدا ومتجها .

والتعاون كمبدأ إسلامي يوجد في مظاهر كثيرة ، يوجد بين المرء ونفسه ، ويوجد بين المرء وزملائه في العمل أو السكن ، ويوجد بين المرء ومجتمعه ، ثم هو يوجد بين جماعة وجماعة ، أو بين شعب وشعب ، ويقوم دليلا حيا على اكتمال « الجمع » وسلامته .

ويظهر التعاون أو التضامن أول ما يظهر بين المرء ونفسه ، متمثلا في

أعضائه ، فما لم تكتمل أعضاء الشخص ، وتعمل مع بعضها البعض في توافق وانسجام ، اضمحل هذا الشخص وضعف ، ونتصور هذا إذا امتنعت حاسة في المرء عن العمل كالسمع أو البصر أو اللمس ، فاننا نرى الجسم ككل يفقد عنصرا من عناصره ، أو بالأحرى يفقد سببا من أسباب تضامنه واكتماله ، وفي داخل الانسان تتحرك أجهزة كثيرة يربط بينها تعاون وثيق ، فلكل من القلب والمعدة والكبد وغيرها وظائف محددة لو تجاوزها أو قصر عنها لكانت لها آثارها الضارة على الجسم كله .

كذلك يظهر التعاون بين المرء وغيره من أفراد المجتمع ، ولنأخذ مثلا لذلك برغيف العيش ، فانه يصل إلينا وقد تعاونت في صنعه وإعداده بالشكل النهائي عدة أعمال ـ لكل عمل متخصصون ـ ولا يستطيع فرد واحد القيام بها جميعا ، إذ يشترك فيها الزارع والبائع والطاحن والخابز والتاجر ولا سبيل إلى عمله إلا بالتضافر بين جميع هذه العناصر ، وذلك بتوزيع العمل وتنويع الانتاج ، وفي النهاية نجد صورة مكتملة نتيجة لهذا التعاون الجماعي ، وما يقال عن الخبز يمكن قوله عن أي مظهر اجتماعي آخر ، ولا بد لهذا التعاون أن يأخذ صورة خيرة تسهم في بناء المجتمع السليم القوي ، والا فسد وضاع أثره في خضم الحياة .

ولهذا كله جاء القرآن الكريم بأعظم الأمثلة والنماذج التي تدل على أثر التضامن والتعاون في حياة الفرد والجماعة ، فيقول تعالى : **( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا )** . « آل عمران / ١٠٣ » ويقول سبحانه وتعالى : **( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم )** « آل عمران / ١٠٤ ، ١٠٥ » ، ويقول أيضا : **( وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين )** « الانفال / ٤٦ » ، ويقول جل شأنه : **( وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون )** « المؤمنون / ٥٢ » ، **( يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير )** « الحجرات / ١٣ » ، **( وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان )** « المائدة / ٢ » **( إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص )** « الصف / ٤ » **( إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم )** « الحجرات / ١٠ » .

هذه الآيات الكريمة ـ وغيرها كثير ـ تثبت أن التعاون والتضامن بين المسلمين هو من دواعي قوتهم ،

وأن الله خلقهم ليتعاونوا ويتعارفوا ويطيعوا الله ورسوله ، ويكونوا يدا على من سواهم ، فبهذا يقوم صرح الأخوة الاسلامية وبنيان مجتمعهم المسلم الصحيح .

وفي هذا الاطار الكريم تقوم سنة الرسول الأعظم ، فيقول عليه الصلاة والسلام : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم . ويروى أن الصحابة كانوا في أول امرهم إذا نزلوا منزلا في أثناء سفرهم توزعوا من الشعاب والأودية ، فقال لهم الرسول : « إن تفرقكم هذا من الشيطان » رواه ابو داود . فصاروا لا ينزلون بعد هذا منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى ليقال فيهم : لو بسط عليهم ثوب لعمّهم ، وفي يوم سمع الرسول اثنين من عامة المسلمين يناديان بنداء العصبية فيقول أحدهما : يا للأنصار ، ويقول الثاني : يا للمهاجرين ، فيغضب الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك ويقول : « أبدعوى الجاهلية تدعون وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فانها فتنة » رواه الترمذي ويقول الرسول ايضا « من ذب عن عرض أخيه كان حقا على الله أن يقيه من النار » رواه احمد والطبراني ، ويقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » رواه الشيخان ، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » رواه البخاري ، ولذلك فان نصيحة رسول الله للمسلمين « لا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه ابو داود وابن ماجه ، من اغلى التوجيهات الاسلامية في سبيل أخوة متضامنة تبنى ولا تهدم ، تقوم ولا تعوج ، تصلح ولا تفسد ، تقاوم الفتن التي تقوم بين طوائف المسلمين ، تحارب البدع التي يدسها عليهم أعداؤهم ، تنقى عقائدهم من كل دخيل ، تحفظ عليهم كلمتهم ، توحد صفهم ، تؤآخي بينهم . إن الاسلام يحارب الفرقة والخلاف ، ويجعل من الحرية دعوة للحب والاخلاص لا سبيلا إلى البغض والاختلاف ، ولنأخذ من التاريخ الاسلامي بعض النماذج المشرقة في التضامن والتعاون ، وأثرهما في تقوية أواصر الود والأخوة بين المسلمين ، وكلنا يتذكر صحبة أبي بكر الصديق للرسول يوم الهجرة ، وكان الأعداء يتربصون به الدوائر ، فكان أبو بكر يمشي مرة عن يمين الرسول وفجأة ينتقل إلى يساره ، ثم فجأة يسير أمامه أو من خلفه ، فيسأله الرسول عن ذلك ، فيقول أبو بكر : « أخاف الرصد فأمشي أمامك ، ثم أخاف الطلب فأمشي خلفك ، ثم أخاف أن يأتي عدو

من يمينك أو شمالك فأمشي عن يمينك أو شمالك » فيرفع الرسول بصره إلى السماء ، وينادي : « اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة » فنودى أن قد استجيب لك .

ويروى عن ابن عباس أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل ، فسلم عليه ، ثم جلس ، فقال له ابن عباس : « يا فلان أراك مكتئبا حزينا » ، قال : نعم يا ابن عم رسول الله ، فان لفلان على حق ولاء ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه » ، قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت ، قال فخرج ابن عباس من المسجد فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ — أي من الاعتكاف — قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب ، فدمعت عيناه ، وهو يقول : « من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها ، كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين » . رواه البخاري .

ويذكر التاريخ أن المسلمين حين تضامنوا ، وتعاونوا ، وتكاتفوا أمام حصار قريش الظالم ، ثلاث سنوات ، حتى تحطم على صخرة إيمانهم ، وخرجوا من الحصار منتصرين ، وبفضل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبها وسع الأنصار المهاجرين في ديارهم ، وأموالهم ، حتى أثنى عليهم الله جل جلاله بقوله : **( والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر أليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون )** الحشر / ٩ » .

وتحت لواء التضامن والتعاون بين المسلمين ، استطاع القائد « صلاح الدين الأيوبي » أن ينتصر على الصليبيين في موقعة « حطين » ، ويطهر فلسطين منهم ، واستطاع القائد « قطز » القضاء على التتار في موقعة « عين جالوت » بعد أن دوخوا العالم ، وقضوا على معالم الحضارة ، بالقضاء على خلافة العباسيين ، وفي تاريخنا المعاصر نتذكر العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ ، الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ) يوم تضامن المسلمون في سيناء والجولان ، فأثبتوا أنهم عند الملمات يد واحدة ، وقوة ضاربة ، يخشى العدو بأسها ، وهذا ما كان ، وارتفعت راية الاسلام مرة أخرى ، عزيزة منتصرة ، وما زالت المعارك تنتظر حتى يتم لهم النصر بتطهير قدسهم الشريف ، وأرضهم السليبة ، ويعود لفلسطين أهلها وأرضها ، وشرط الاسلام عليهم ، أن يحافظوا على وحدة كلمتهم ، وتضامن صفهم ، وتضافر جهودهم ، وحينئذ سوف يصدق فيهم قول ربهم عز وجل : **( إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد )** « غافر / ٥١ » وكذلك قول رسولهم الكريم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه البيهقي ، وصدق الله ورسوله .

# التوبة

# أثرها في الفرد والمجتمع

للدكتور : وهبة الزحيلي

**أولا : الباعث على التوبة :**

الانسان في أصل فطرته ــ وان كان ميالا الى الشر واقتراف الذنوب والمعاصي لكنه كثيرا ما يدرك خطورة انحرافه وشذوذ سلوكه ، فيبادر الى تصحيح مسيرته ارضاء لشعوره الداخلي واحساسا بمرارة الألم والضيق الذي يعقب الفعل الجانح واستجابة لنداء الضمير وندما على التورط في المعصية ، وتأثرا بالوازع الديني الفطري المستكن في النفس الانسانية ، وطمعا في نيل العفو من الله تعالى ، وخوفا من عقاب السلطة الحاكمة في عالم الدنيا .

والتخلص من الخطيئة بالتوبة دليل على قوة الارادة وبعد النظر وسعة الأفق العقلي . وذلك بسبب قوة تأثير المغريات والشهوات الباعثة على الانحراف ، لا سيما اذا اعتادها الانسان والعادة طبيعة ثانية ، وفي نزع الناس عن عاداتهم حرج عظيم ، ولأن الانسان عادة يتعجل الأمور ، وقلما ينتظر المؤجل ، الا بشيء من الأناة والصبر والفهم والتخطيط ، لذا لفت القرآن الكريم نظر الناس لطبائعهم فقال تعالى : ( **كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة** ) « القيامة / ٢٠ ، ٢١ » ( **بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى** ) « الأعلى / ١٦ ، ١٧ » .

**ثانيا : تعريف التوبة :**

التوبة ، عبارة عن : ندم يورث عزما وقصدا على عدم العود أو تكرار الخطيئة وتتحقق بأن يرجع الخاطىء عن الفعل القبيح شرعا وعقلا ، أو عن الاخلال بالواجب في الحال ، ويندم على ما مضى ، ويعزم على تركه في المستقبل قال عليه الصلاة والسلام : ( النדم توبة ) رواه ابن ماجه والحاكم وابن حبان

والحقيقة أن التوبة لغة : هي الرجوع : ولا يلزم أن تكون عن ذنب . وشرعا : هي الرجوع عن التعويج الى سنن الطريق المستقيم . وأما الندم والعزم فهما من مقومات الرجوع الصحيح الذي يعد اقلاعا صادقا عن المعاصي . ولا بد أن يكون الباعث على الرجوع مع الندم والعزم دينيا أو شخصيا بحتا مع القدرة والارادة ، فلو رجع لسبب آخر من ضعف بدن أو غرامة مالية أو تهديد بحبس أو اكراه من الدولة لم تكن التوبة محققة نتائجها الدينية المرجوة وأخصها تكفير الخطايا في عالم الآخرة ، وان حققت نتيجة مدنية تهتم السلطة بها ألا وهو قمع الاجرام وتوفير الأمن والطمأنينة والاستقرار .

**ثالثا : شروط التوبة :**

اشترط العلماء لصحة التوبة شروطا معينة تختلف بحسب كون المعصية بين الانسان وبين الله تعالى ، أو تتعلق بحقوق الناس . فان كانت المعصية تمس أمرا بين الانسان وربه ولا تتعلق بحق شخصي لانسان آخر أي في حقوق الله تعالى فلها ثلاثة شروط :

أحدها ـ الاقلاع عن المعصية في الحال .

ثانيها ـ الندم على المعصية والمخالفة .

ثالثها ـ العزم على ألا يعود الى مثل تلك المعصية أبدا في المستقبل .

فالتوبة ذات أركان ثلاثة : الاقلاع ، والندم ، والعزم ؛ فان فقدت أحد هذه الأركان الثلاثة لم تصح التوبة . الا أن من عجز عن العزم والاقلاع كتوبة الأعمى عن النظر الى المحرم ، وتوبة المجبوب عن الزنا ، فتوبته مجرد الندم ، لأن « الميسور ـ لا يسقط بالمعسور » . أي لا يسقط المقدور عليه بالمعجوز عنه ، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة مثلا بما عجز عنه ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : ( ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ) رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة . اي اذا امرتكم بمأمور فأتوا من ذلك المأمور ما استطعتموه أو ما قدرتم عليه .

وان كانت المعصية تتعلق بحق شخصي لانسان ، فشروطها أربعة وهي الثلاثة السابقة ، ويضاف اليها الخروج من المظالم بأن يبرأ العاصي من حق صاحبها ، فان كانت المعصية اخذ مال أو نحوه بدون حق رده اليه وان كان الفعل قذفا ونحوه مكن المقذوف منه أو طلب عفوه . وان كان غيبة استحله منها وطلب مسامحته عن طعنه فيه في غيبته .

وأكمل أنواع التوبة ما حدده علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذلك فيما روى جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم إني استغفرك وأتوب اليك ، وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له علي كرم الله وجهه : ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج الى التوبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما التوبة ؟ قال « اسم يقع على ستة معان : على الماضي من

الذنوب : الندامة ، ولتضييع الفرائض : الاعادة ، ورد المظالم ، واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته » من تفسير الامام الالوسي

والتوبة المستوفية كامل شرائطها هي التوبة النصوح الصادقة المشار اليها في قوله تعالى : **( يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا )** « التحريم / ٨ » . **( وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى )** « طه / ٨٢ » .

واختلاف العلماء في تحديد هذه التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا ، مجرد اختلاف ظاهري في العبارة ، من هذه الأقوال ما قال القرطبي : التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والاقلاع بالأبدان ، واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيىء الخلان .

**رابعا : حكم التوبة شرعا :**

**أ ـ وجوب التوبة فورا :** اتفقت مصادر الشريعة في القرآن والسنة واجماع الأمة على وجوب المبادرة الى التوبة فور وقوع الخطيئة ، فمن أخرها زمانا صار عاصيا بتأخيرها وذلك حتى يتحقق المقصود الأكمل منها بالتخلص من الأوزار ، والظفر بمغفرة الله تعالى في الآخرة والرضا عن الانسان في الدنيا ولتطهير المجتمع من الجرائم ، ومنع الاسترسال في الانحراف كيلا تتجدد ظروف العود أو التكرار مرة أخرى في المستقبل ، وغير ذلك من وجوه المصلحة المترتبة على التوبة التي يمكن فهمها من الحث المتكرر عليها في القرآن والأحاديث النبوية :

فمن آيات القرآن الكريم قوله تعالى : **( وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون )** « النور / ٣١ » . **( وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا )** « هود / ٣ » **( يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا )** « التحريم / ٨ » **( انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب )** « النساء / ١٧ » **( فان يتوبوا يك خيرا لهم )** « التوبة / ٧٤ » **( ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما )** « النساء / ١١٠ » .

ومن الأحاديث النبوية المؤكدة للقرآن أو المبينة الموضحة لبعض أحكامه قوله صلى الله عليه وسلم : ( والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ) البخاري ( يا أيها الناس توبوا الى الله ، واستغفروه فاني أتوب في اليوم مائة مرة ) مسلم . وقد استنبط العلماء من هذين الحديثين أنه يستحب للتائب اذا ذكر ذنبه الذي تاب منه أن يجدد الندم على فعله ، والعزم على ترك العود الى مثله ، بل ولا يلزم أن تكون التوبة عن ذنب كما قلنا سابقا ، فلا يعني الحديثان اذن ان النبي صلى الله عليه وسلم يذنب في كل يوم سبعين مرة أو مائة مرة ، بل معناه تجديد التوبة وتكريرها عن ذنب واحد صغير واستعظام التقصير أو التفريط ، أو ارتكاب أي خطيئة مهما صغرت ، تشريعا وتعليما للأمة وارشادا

للناس وفتحا لباب التوبة للامة ، كل على قدر منزلته ، وعلو رتبته ، ومدى مسئوليته العامة أو الخاصة . أما النبي فقد تاب الله عليه من أي شيء .
ومن الأحاديث المرغبة في التوبة أيضا : ( لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة ) الشيخان .

**ب ـ ما تجب التوبة عنه ووقت قبولها :** تجب التوبة من جميع الذنوب أو المعاصي ، فان تاب المرء من بعضها صحت توبته عند أهل السنة من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي .
والمقصود بالذنب : هو كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل . ومما يدل على جواز التوبة عن أي مخالفة لأحكام الاسلام قوله تعالى : **( انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة )** « النساء / ١٧ » فانه يعم الكفر وسائر المعاصي ، فكل من عصى ربه ، فهو جاهل حتى ينزع أو يقلع عن معصيته ، قال قتادة : أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أن كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت أو جهلا .
وايجاب التوبة على الفور هو الأصل المبدئي العام ، ومع ذلك يمكن قبول التوبة طوال حياة الانسان تفضلا من الله ورحمة ، وتيسيرا وسماحة ، وفتحا لباب الامل . وابعادا لليأس والقنوط عن النفس ، اذ ( كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ) حديث رواه الترمذي وغيره . ويرشد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ) رواه احمد والترمذي . أي ما لم تبلغ روحه الحلقوم ، وفسر عكرمة قوله تعالى : **( ثم يتوبون من قريب )** من الآية ١٧ من سورة النساء بأن الدنيا كلها قريب . وقال الضحاك : كل ما كان قبل الموت فهو قريب وفي حديث آخر : ( ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر الا قبل الله منه أدنى من ذلك ، وقبل موته بيوم وساعة ، يعلم الله منه التوبة والاخلاص اليه ، الا قبل منه ) رواه ابن مردويه .
قال العلماء : انما صحت التوبة قبل الموت ولو بيوم ، لأن الرجاء باصلاح الانسان باق ، ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل القبيح . أما من صار في حال اليأس من الحياة ، كفرعون الذي آمن حينما صار في غمرة الماء والغرق ، فلا تنفعه التوبة ، أو اظهار الايمان في ذلك الوقت ، لأنها حال زوال التكليف الشرعي ، قال تعالى عن قصة فرعون : **( وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين )** يونس / ٩٠ ، ٩١ . ويؤكد ذلك آية أخرى في موضوعها وهي : **( وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما )** النساء / ١٨ .

دلت الآيتان على عدم قبول التوبة حال اليأس من الحياة ، وهو رأي ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين .

وقال الشيخ محمد عبده : المراد بالزمن القريب : الوقت الذي تسكن فيه ثورة الشهوة النفسية ، أو تنكسر به سورة الغضب ، ويثوب الى فاعل السيئة حلمه ، ويرجع اليه دينه وعقله . فالظاهر من آية ( **من قريب** ) أنها بينت الوقت الذي تقبل فيه التوبة من كل مذنب حتما . وأما الآية التالية لها : ( **وليست التوبة** ) فانها بينت الوقت الذي لا تقبل فيه توبة مذنب قط ، وما بين الوقتين مسكوت عنه ، وهو محل الرجاء والخوف ، فكلما قرب وقت التوبة من وقت اقتراف الذنب ، كان الرجاء أقوى ، وكلما بعد الوقت بالاصرار وعدم المبالاة والتسويف كان الخوف من عدم القبول هو الأرجح .

**جـ ـ الوعد المضمون الحصول بقبول التوبة :** وعد الله سبحانه وتعالى المغفرة لمن اجتنب الذنوب الكبائر ، فقال : ( **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** ) النساء / ٣١ . أي اذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب ، وأدخلناكم الجنة ، جزاء على الامتناع عن الكبائر ، والصبر عنها ، والحث على الدوام والبقاء على طريق الاستقامة . فهذا اخبار من الله سبحانه ، وهو الصادق في وعده بأنه يقبل التوبة عن العاصين من عباده .
ومثله قوله تعالى : ( **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده** ) التوبة / ١٠٤ . وقوله ( **وإني لغفار لمن تاب** ) طه / ٨٢ .

قال القرطبي : فاخباره سبحانه وتعالى عن أشياء أوجبها على نفسه يقتضي وجوب تلك الأشياء . والعقيدة : أنه لا يجب عليه شيء عقلا ، فأما السمع فظاهره قبول توبة التائب والخلاصة : أن الآيات تتضمن وعدا من الله ، ولا خلف في وعده أنه يقبل التوبة اذا كانت بشروطها المصححة لها ، وهي الأربعة السابق ذكرها .

وأما العقل فلا يوجب قبول التوبة على الله خلافا للمعتزلة ، لأن من شرط الموجب أن يكون أعلى رتبة من الموجب عليه والحق سبحانه خالق الخلق ، ومالكهم والمكلف لهم ، فلا يصح أن يوصف بوجوب شيء عليه تعالى عن ذلك .

**د ـ المشيئة الالهية وحرية الاختيار في مغفرة الذنوب :** قد يعفو الله عن السيئات صغيرها وكبيرها من غير اشتراط شيء كالتوبة للكبائر واجتناب الصغائر . لقوله تعالى : ( **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون** ) الشورى / ٢٥ .

أي يقبل الله التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي مطلقا سواء الصغائر والكبائر لمن يشاء ومشيئة الله موافقة لحكمته ، وجارية على مقتضى سننه .

وجاءت آية أخرى تستثني الشرك بالله مما يغفره الله تعالى ويراد بالشرك مطلق الكفر الشامل لكفر اليهود وغيرهم . وذلك لأنه تتولد منه سائر الرذائل التي تهدم الأفراد والجماعات قال عز وجل : **( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )** النساء / ٤٨ . أي أن مغفرة المعاصي لا لكل الناس ، ولكن لمن يشاء الله من عباده الموفقين للايمان والتوبة والعمل الصالح . **( إن الحسنات يذهبن السيئات )** هود / ١١٤ **( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا )** الزمر / ٥٣ .

أي أن رأى جماعة من العلماء قيدوا المغفرة في هذه الآيات بشرط التوبة ، حتى لا يفهم من القرآن الاغراء بالمعصية والجرأة عليها . والحقيقة أن الآية فوق ذلك ، فهي تقارن بين الشرك وغيره ، فالشرك معاقب عليه حتما لافساده النفوس البشرية وأما ما عداه فمغفرته ممكنة حسب المشيئة الالهية ، لأنه لا يصل إلى درجة الشرك في إفساد النفس .

والكلمة الأخيرة في قضية تكفير السيئات وعدم المؤاخذة عليها في الآخرة هي أنها تتعلق بمقاصد النفس وقوة الايمان وسلطانه في القلب . وهذا رأي الغزالي وتبعه الأستاذ الامام محمد عبده ، فمن صح إيمانه واتجه قصده وارادته إلى كف النفس عن المعاصي استحق المغفرة والرضوان .

وأما الاضرار بحقوق الناس المالية والأدبية فهو يعتبر كالشرك بالله لا يقبل المغفرة ما لم يسقط صاحبه حقه الشخصي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « الدواوين عند الله ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئا ، وديوان لا يترك الله منه شيئا ، وديوان لا يغفره الله ، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل : **( إن الله لا يغفر أن يشرك به )** النساء/١١٦ وقال : **( إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة )** المائدة/٧٢ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه ، أو صلاة ، فان الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء . وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا ، ( القصاص لا محالة ) رواه احمد والطبراني والحاكم .

**خامسا : التوبة والعقوبة :**

**أ ـ نوعا الجزاء أو العقوبة في الاسلام :** من المعلوم أن الشريعة الاسلامية تقرر نوعين من العقاب على الجرائم : وهما عقاب دنيوي وعقاب أخروي . فالعقاب الدنيوي : هو الذي تطبقه السلطة الزمنية الحاكمة في الدنيا والعقاب الأخروي : هو الذي يوقعه الله تعالى على العاصي في عالم الآخرة كالتعذيب في النار ونحوه ، والجنايات الموجبة للعقوبة الدنيوية المحددة ثلاثة عشر هي : القتل ، والجرح ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والسرقة والبغي ، والحرابة ( قطع

الطريق ) ، والردة : والزندقة ، وسب الله ، وسب الانبياء والملائكة ، وعمل السحر ، وترك الصلاة والصيام .

والسبب في تنوع العقاب في الاسلام هو الحماية الفعلية للأنظمة والأخلاق والفضائل وقمع الرذائل والقضاء عليها . فمن أفلت من عقاب الحاكم الزمني غفلة منه ، أو تحايلا عليه أو لعدم توفر وسائل الاثبات المطلوبة ، أو لم يكن لجريمته عقاب مقرر في القوانين المطبقة كالكذب وخلف الوعد والحقد والحسد والغيبة والنميمة ونحوها ، عوقب على مخالفاته ، في عالم الآخرة بين يدي أحكم الحاكمين الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

كما أن الجزاء الأخروي يمتاز بمكافاة الصالحين على فعل الخير تشجيعا للفضيلة وحثا على الاستقامة وصلاح الاعمال في الدنيا ، والتوبة النصوح قد تساعد على تطبيق العقوبة في الدنيا بالاقرار بالجريمة أمام القاضي ، وقد تسقط الجزاء الأخروي فتساهم في إصلاح المجرم ، وانقاذه من الزلات والأخطاء التي ارتكبها ، وتجعله في عداد الصالحين ، فيتحقق تلقائيا أو بصفة ذاتية الهدف الجوهري من تشريع العقوبات الزاجرة .

**ب ـ الهدف من العقوبة :** يلتقي الفقه الاسلامي كأساس عام مع أفضل المبادىء والنظم التي توصلت إليها المدرستان التقليدية والوضعية لتحديد أساس حق العقاب ووظائف العقوبة قانونا .

ففي مواجهة المدرسة التقليدية التي تقيم حق العقاب على أساس منفعة المصالح الاجتماعية عن طريق المنع أو الوقاية في المستقبل ، نرى فقهاءنا يقررون أن اساس أو مناط العقوبات المقررة شرعا : هو مصلحة الناس العامة وسعادتهم فكل ما يحقق مصالح البشرية فهو مشروع مطلوب لأن المقصود الأصلي من مشروعية الحدود والتعزيرات هو زجر الناس وردعهم عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات دفعا للفساد في الأرض ومنعا من إلحاق الضرر بالأفراد والمجتمعات .
قال ابن عابدين : إن مدار الشريعة بعد قواعد الايمان على حسم مواد الفساد لبقاء العالم .

ومن حرص الشريعة على تحقيق المصلحة في العقاب أنها تمنع كل الوسائل التي تؤدي إلى الاجرام كتناول المسكرات والمخدرات ، بل واعتبرتها جرائم في ذاتها وتطبيقات مبدأ « سد الذرائع » تؤكد ذلك ، فالفاحشة مثلا حرام ، والنظر الى عورة الأجنبية حرام ، لأنها تؤدي الى الفاحشة .

ثم إنه في مواجهة المدرسة التقليدية الجديدة التي تقول : إن أساس حق العقاب هو العدالة المطلقة مجردة عن فكرة المنفعة ، يقرر فقهاؤنا ضرورة وجود تناسب بين الجريمة وعقوبة التعزير . ولكن دون فصل لمبدأ العدالة عن مراعاة المصلحة .
وانما يستهدف العقاب تحقيق العدالة وحماية المصالح الاجتماعية الثابتة .
وفي مواجهة المدرسة الوضعية التي تتفق مع المدرسة التقليدية من حيث

ارتكازها على المبدأ النفعي ، وتطالب بالعناية بشخص المجرم لتقدير درجة خطورته ومدى قابليته للاصلاح ، نرى فقهاءنا يقررون ذلك صراحة عند تقدير القاضي للعقوبات التعزيرية لاكثر الجرائم الواقعة وذلك على قدر الجناية وعلى قدر مراتب الجاني . كما ان فقهاءنا يتميزون اساسا سواء في الحدود والتعزيرات بفتح باب التوبة عن المخالفات ، ليبادر الجاني باصلاح نفسه اصلاحا ذاتيا صادرا عن اقتناع واختيار وحرية فكرية .

**جـ ـ الحاجة الى العقوبة :** في كل انسان نزعتا الخير والشر ، وبما ان الخير سبيل الاصلاح والتقدم والسعادة وجب تقوية دوافع الخير في الانسان ، واضعاف عوامل الشر في نفسه ، فكان لا بد من تشريع العقاب الزاجر ، لانه يساعد في مقاومة الميل الى الشر او يرغب في الخير .

وحينئذ يعتبر تطبيق العقوبة على الجناة محققا لمبدأ الرحمة العامة ، والرحمة العامة في الحقيقة هي العدل والعدالة الحقيقية هي الرحمة الحقيقية ، ويعني ذلك ان ـ الرحمة والعدالة في الشريعة متلازمتان فليست الرحمة فوق العدل ، ولا العدل فوق الرحمة او القانون ، بدليل صريح القران الكريم : **( وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا )** ***الكهف*** /٥٨ . فاذا كانت العدالة تقتضي تعجيل العقوبة في الدنيا ، فان الرحمة تستدعي تأخيرها فتحا لباب الامل والتوبة والعدول عن المخالفة امام كل انسان في الحياة ، وبذلك تكون التوبة اثرا من اثار الرحمة الواجب مراعاتها في تشريع العقاب مع مراعاة العدالة ، وهذا هو جوهر رسالة الاسلام . ـ **( وما ارسلناك الا رحمة للعالمين )** الانبياء / ١٠٧ قال ابن القيم « ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها » .

وقال ابن تيمية : « من رحمة الله سبحانه وتعالى ان شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعض في النفوس والابدان والاعراض والاموال والقتل والجراح والقذف والسرقة ، فاحكم سبحانه وتعالى وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الاحكام ، وشرعها على اكمل الوجوه ، المبينة لمصلحة الردع والزجر ، مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني من الردع » . واستعرض العز بن عبدالسلام مفاسد الجرائم التي شرعت عنها الزواجر من الحدود والتعزيرات بعبارة دقيقة البيان عميقة التحليل .

**د ـ فلسفة التوبة او هل تؤثر التوبة على المصلحة المقصودة من العقاب ؟ :**

ان الشريعة الاسلامية ـ كما هو معروف ـ تستهدف في احكامها حماية مصالح الدنيا ، وحفظ مقاصد الاخرة ، بل ان الدنيا في الحقيقة « مزرعة الاخرة » ، كما ورد في الاثر .

وبناء على هذا فلا يتصور ان تكون التوبة سببا في ضياع مصلحة الجماعة في

تطبيق العقوبة ، ولا وسيلة تؤدي الى الاغراء بالمعاصي والتجرئة عليها او تسهيل ارتكابها ، وانما على العكس تكون التوبة الصادقة مساعدة في استئصال شأفة الجريمة ، لانه اذا كانت الغاية الاولى للعقاب هي اصلاح المجرم ، فان التوبة تكون اقوى تأثيرا في تحقيق تلك الغاية لصدورها عن باعث ذاتي واقتناع داخلي . فهي اذن تفتح باب الامل امام المخطئين ـ وتدفعهم الى معترك الحياة بروح ايجابية جديدة وحيوية وفعالية منتجة .

ثم ان دور التوبة قاصر ـ باتفاق الفقهاء كما سنبين ـ على الحالة التي لم تعرض فيها قضية الجريمة على محاكم القضاء ، وفي حقوق المجتمع المحضة « اي حق الله بتعبير فقهائنا » فان عرضت القضية على الحاكم لم يكن للتوبة تأثير في اسقاط العقوبة . وان مست الجريمة حقا شخصيا للفرد لم يقبل الحد « اي العقوبة المقدرة شرعا » الاسقاط ايضا بالتوبة ولا بغيرها كالابراء والعفو والتنازل والصلح والمعارضة .

**هـ ـ المعاصي التي يتاب منها وكيفية التوبة عنها :** يتناول هذا الموضوع امرين : تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر ، وتقسيم الذنوب الى ما يكون حقا لله او للادميين .

**التقسيم الاول :** تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر :

كل معصية في الاسلام تصح التوبة عنها ، سواء اكانت من الكبائر ام من الصغائر ابتداء من جريمة الكفر او الشرك بالله الى أدنى المحظورات ، والمراد من الصغائر : هي التي تحصل لظرف طارىء كثورة او غضب ، أونزوة طائشة ، ثم يعقبها تأنيب وندم يمحو صفة الاصرار . عن ابن عباس ان رجلا قال له : الكبائر سبع ؟ فقال هي الى سبعمائة اقرب ، لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار .كالنظر الى ما لا يحل النظر اليه من المرأة الاجنبية « اي التي لا قرابة محرمية منها » ، وضرب الخادم بدون ذنب ، وسماع الملاهي والاوتار ، واللعب بالنرد ، ومجالسة شاربي الخمر والفساق والخلوة بالمرأة الاجنبية .

واختلفت عبارات العلماء في تحديد الكبائر :

● فقال ابن عمر : كل ما نهي عنه فهو كبيرة .
● وقال صحابي اخر : كل ما وعد الله عليه بالنار فهو كبيرة .
● وقال بعض السلف : كل ما اوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة .
● واما غير الصحابة فقال الذهبي : الكبائر : كل ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والاثر عن السلف الصالحين . وذكر في كتابه « الكبائر » سبعين كبيرة ، من أهمها : الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، والسحر ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . وهذه السبعة هي السبع الموبقات في الحديث

النبوي الذي رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة . وعقوق الوالدين وشهادة الزور ، والظلم ، والغدر ، وعدم الوفاء بالعهد ، واليمين الغموس « وهي الكاذبة قصدا وعمدا » والرشوة ، والقمار ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والغصب ، وايذاء الناس وشتمهم .

● وذكر المفسرون في تفسير المعصية الكبيرة اراء اهمها اربعة :

احدها : أنها المعصية الموجبة للحد .

والثاني : انها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب اوسنة .

والثالث : قال إمام الحرمين وغيره : كل جريمة تنبىء بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة فهي مبطلة للعدالة .

والرابع : ذكر القاضي ابو سعيد الهروي : أن الكبيرة : كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها حدا من قتل او غيره . وترك كل فريضة مأمور بها على الفور ، والكذب في الشهادة والرواية واليمين .

واذا كان القول الثاني هو لاكثر المفسرين : فان الرأي الثالث هو أولى الاراء بالقبول لأن الغزالي اعتمده ، واستحسنه الرازي .

فالكبيرة اذن : هي كل ما يشعر بالاستهانة بالدين وعدم الاكتراث به .

**التقسيم الثاني :** تقسيم الذنوب الى ما يتعلق بحق الله أو بحق العباد

تنقسم الذنوب الى ما بين العبد وبين الله تعالى ، والى ما يتعلق بحقوق الاشخاص .

والمقصود بحق الله تعالى : ما يمس المجتمع ، وهو ما يتعلق به النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد . وينسب إلى الله تعالى لعظم خطره ، وشمول نفعه .

وأما حق العبد : فهو الحق الشخصي : وهو ما يتعلق به مصلحة خاصة كحرمة مال الغير ودمه وعرضه .

فأما ما يتعلق بحق الله تعالى : فهو كترك الصلاة والصوم . والتوبة لا تصح منه ، حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها .

وأما ما يتعلق بحقوق العباد فهو كترك الزكاة وقتل النفس وغصب الأموال وشتم الاعراض ، والتوبة منه تكون برد الحق لصاحبه . ففي حال التفريط بالزكاة يجب القضاء . وفي القتل . تكون التوبة بالتمكين من القصاص ان كان عليه ، وكان مطلوبا منه قضاء . وفي القذف ببذل ظهره للجلد ان كان مطالبا به . فان عفي عنه أو عن القتل مجانا كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص ، فان عفي عن القتل بمال فعليه أداؤه ان كان واجدا له ، قال تعالى : **( فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان )** البقرة / ١٧٨ . وكذلك شراب الخمر والسراق والزناة اذا أصلحوا وتابوا سقط الحد عنهم في رأي

بعض العلماء كما سنبين تفصيل الكلام فيه .

وان كان الذنب من مصالح العباد ، فلا تصح التوبة عنه الا برده الى صاحبه والخروج عنه ـ عينا كان أو غيره ـ ان كان قادرا عليه . فان لم يكن قادرا فالعزم أن يؤديه اذا قدر في أعجل وقت وأسرعه .

وان كان العاصي أضر بآخر فانه يزيل ذلك الضرر عنه ، ثم يطلب منه العفو والاستغفار له ، فاذا عفا عنه ، سقط الذنب عنه .

وان أساء رجل الى آخر بأن فزعه بغير حق ، أو غمه ، أو لطمه ، أو صفعه بغير حق أو ضربه بسوط فآلمه ، أو شانه بشتم لاحد فيه ، ثم ندم واستعفى من المضرور ، وعزم على ألا يعود فعفا عنه صاحب الحق ، سقط عنه ذلك الذنب .

**المطلب الثاني : أثر التوبة الصادقة في الجزاءات أو العقوبات الأخروية :**

يترتب على التوبة النصوح ـ كما ذكرنا ـ اسقاط عقوبة المعصية قطعا فيما بين التائب وبين الله تعالى ، لأن التوبة تسقط أثر المعصية . ولو كانت أعظم الجرائم التي هي الكفر أو الشرك بالله ، لانه يغفر كل ذنب للتائب الا اذا أصر عليه فلا يغفر . قال تعالى : **( غافر الذنب وقابل التوب )** غافر / ٣ . وقال سبحانه **( قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين )** الانفال / ٣٨ **( ان الله يغفر الذنوب جميعا )** الزمر / ٥٣ . أي بشرط التوبة في رأي الزمخشري وغيره .

روى مسلم من حديث عمرو بن العاص ، قال: لما جعل الله الاسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : أبسط يدك أبايعك فبسط يمينه ، فقبضت يدي ، فقال : ( مالك ؟ ) قلت : أردت أن أشترط ، قال ( تشترط بماذا ؟ ) قلت : أن يغفر لي ، قال : ( أما علمت يا عمرو **أن الاسلام يهدم ما كان قبله** ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟! ) .

ويؤيد ذلك أحاديث نبوية كثيرة منها : ( التائب من الذنب كمن لا ذنب له ) رواه ابن ماجة والطبراني والبيهقي ( لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ، ثم تبتم لتاب الله عليكم ) ابن ماجه ( والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم ) مسلم

وسنذكر هنا نموذجا من توبة العصاة :

١ ـ **توبة الكافر :** الكفر أو الشرك اما في الألوهية أو في الربوبية فالشرك في الالوهية هو الشعور بسلطة وتأثير وراء الاسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى ، وكل قول وعمل ينشأ عن ذلك الشعور . والشرك في الربوبية : هو الاخذ بشيء من أحكام الدين والحلال والحرام عن بعض البشر دون الوحي .

وتوبة المشرك أو الكافر تكون باعلان الاسلام والاقرار بتوحيد الاله « توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية » سواء قدر عليه الحاكم أم لم يقدر عليه ، لأن عدم القدرة ليست مشترطة في توبة الكفار . والتوحيد الذي يناقض الشرك : هو عبارة

عن اعتاق الانسان من رق العبودية لكل أحد من البشر وكل شيء من الاشياء السماوية والارضية وجعله حرا كريما وعزيزا لا يخضع خضوع عبودية مطلقة الا لمن خضعت لسنته الكائنات ، بما أقامه فيها من النظام في ربط الاسباب بالمسببات ، فلسنته الحكيمة يخضع ، ولشريعته العادلة المنزلة يتبع . وانما خضوعه هذا لعقله ووجدانه ، لا لأمثاله في البشرية وأقرانه .

وتقبل توبة الكافر اتفاقا ترغيبا في الاسلام . ولقوله تعالى : **( قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف )** الانفال / ٣٨ .

٢ ـ **توبة المنافق :** النفاق : اظهار الايمان باللسان ، وكتمان الكفر بالقلب والمنافق وهو الذي لا يتدين بدين أشد خطرا على المسلمين من الكفار ، لأنه يكتم الكفر والكيد للمسلمين ويتربص الدوائر بهم ، ويرتكب السيئات بباعث النفاق الظاهر والخبث الباطن ، فاستحق العذاب مرتين ، وكان في الدرك الاسفل من النار .

وتوبة المنافق تكون بتزكية نفسه ومجاهدتها بقدر الاستطاعة والطاقة ، وطلب العفو عما لا طاقة له به ، وترك الكفر ظاهرا وباطنا ، واعلانه الايمان بالله ورسوله ويمكن قبول توبة المنافق لقوله تعالى **( ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما )** الاحزاب /٢٤ . **( وآخرون اعترفوا بذنوبهم ـ الآية إلى قوله تعالى ـ عسى الله أن يتوب عليهم )** التوبة / ١٠٢ **( وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم )** التوبة / ١٠٦ .

٣ ـ **توبة الزنديق :** الزنادقة : هم الدهريون الذين ينكرون وجود الاله ويزعمون أن العالم وجد مصادفة . ثم أصبحت الزندقة صفة كل من يظهر الاسلام ويسر الكفر .

واختلف العلماء في توبة الزنديق ، فقال العترة من الزيدية ، وأبو حنيفة ومحمد والشافعي : تقبل توبة الزنادقة ولا يقتلون ، لعموم قوله تعالى : **( قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف )** . الانفال / ٣٨ .

وقال مالك وأبو يوسف والجصاص : لا تقبل توبتهم ، فاذا عثر على الزنديق قتل ولا يستتاب ولا يقبل منه ادعاء التوبة اذ يعرف منه عادة : التظاهر بالتوبة تقية ، بخلاف ما يبطنه ، واستثنى الامام مالك : من جاء تائبا قبل ظهور زندقته فتقبل توبته .

قال صاحب البحر الزخار الزيدي : لكن الأقرب العمل بالظاهر ، وان التبس الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم لمن استأذنه في قتل منافق : ( أليس يشهد أن لا اله الا الله ؟ ) رواه مسلم .

٤ ـ **توبة المبتدع :** المبتدع : هو الذي أحدث شيئا في الاسلام ليس منه ، ولم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي . أو هو كل من قال قولا خالف فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة .

فاذا كان ببدعته منكرا لما علم بالتواتر والضرورة « أي البداهة » من

الشريعة ، فهذا كافر ببدعته ، كالمجسمة أو المشبهة الذين شبهوا معبودهم بانسان له جسم محدود بسبعة أشبار بشبر نفسه ، أو الذين ألهوا أحدا من البشر .

وأما ان كان المبتدع لا يكفر ببدعته ، فهو ضال فاسق كأهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة أو سيرة السلف الصالح في بعض المسائل الاعتقادية ، مثل القدرية القائلين بخلق الانسان أفعال نفسه ، والخوارج الذين كفروا عليا ومعاوية وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة .

وتوبة المبتدع : تكون بالتخلص من بدعته والتزام العقيدة الحقة ولا مانع من قبول توبته وان كان كافرا ، لأن العقل يجوز ذلك ، وظاهر الشرع وعموم الآيات القرآنية يدل على امكان قبول توبة الكفار والمشركين .

والخلاصة ان قبول التوبة في عالم الآخرة مشروط بعدم الاصرار على المعصية ، وعدم التلاعب بالاسلام وعدم البقاء على الكفر قبل الموت وذلك هو ما يشير اليه القرآن الكريم في الآيات الثلاث الآتية :

١ ـ **( والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ) .** آل عمران / ١٣٥

٢ ـ **( ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ) .** النساء / ١٣٧ **( ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم )** آل عمران / ٩٠

٣ ـ **( ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به )** آل عمران/٩١ .

المطلب الثالث : اثر التوبة في الجزاءات او العقوبات الدنيوية :

تمهيد في أنواع العقوبات :

العقوبات الدنيوية بحسب نوع المصلحة المقصودة منها ثلاثة انواع وهي :

١ ـ **الحدود :** وهي العقوبات المقدرة شرعا ، الواجبة حقا لله تعالى في الشريعة اي التي تستوجبها المصلحة العامة : وهي دفع الفساد عن الناس ، وتحقيق الصيانة والسلامة لهم . وتطبق على جرائم سبعة : الزنا ، القذف ، شرب المسكرات ، السرقة ، الحرابة ، الردة ، البغي .

٢ ـ **القصاص والدية :** أما القصاص : فهو معاقبة الجاني على جريمة القتل او القطع او الجراح عمدا بمثلها . واما الدية : فهي العوض المالي الواجب دفعه بدل النفس . وقد شرع القصاص مراعاة للحقين : حق الجماعة العام في اصل العقاب ، وحق المجنى عليه الخاص في نوع العقاب .

**٣ ــ التعازير :** وهي العقوبة المشروعة على معصية او جناية لاحد فيها ولا كفارة ، سواء اكانت الجناية على حق الله تعالى ، كالأكل في نهار رمضان وترك الصلاة ، وطرح الاقذار في طريق الناس ونحو ذلك ، أم على حق شخصي للعباد كأنواع السب والضرب والايذاء بأي وجه ، وغير ذلك من مختلف انواع جرائم الاعتداء على الأموال والأنفس التي لا حد فيها .

وتعتبر اغلب الجرائم التي نص عليها قانون العقوبات في مصر وسوريا داخلة تحت عقوبات التعزير الشرعية ، سواء اكانت جنايات وجنحا مضرة بالمصلحة العامة ، أم تحصل لآحاد الناس ، أم كانت مخالفات عادية .

وسنبحث اثر التوبات في هذه العقوبات .

**أولا : آراء الفقهاء في اسقاط الحدود بالتوبة :**

اتفق الفقهاء على ان الحدود اذا رفعت الى ولي الأمر او نائبه القاضي ، ثم تاب المتهم عن جريمته بعد ذلك ، لم يسقط الحد عنه ، بل تجب اقامة الحد وان تاب المجرم حينئذ ، سواء أكان قاطع طريق ام لصا ام زانيا ام قاذفا وغيرهم ، اذ لا يجوز تعطيل الحد ، لا بعفو ، ولا بشفاعة ، ولا بهبة ، ولا غير ذلك لأن الجريمة تمس مصلحة الجماعة والتصرف على الرعية منوط بالمصلحة العامة . ويرشد لذلك من السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل العفو عن سارق رداء صفوان بن امية ، وقال لصفوان ( فهلا قبل ان تأتيني به ؟ ) ثم قطع يده ، يعني صلى الله عليه وسلم انك لو عفوت عنه قبل ان تأتيني به لكان العفو سائغا جائزا .

وذكر في الموطأ عن عثمان رضي الله عنه . انه قال : « اذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع » .

وفي سنن ابي داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب ) .

واتفق الفقهاء ايضا على قبول توبة المحارب قاطع الطريق قبل قدرة السلطان عليه : وهو ان يأتي الى الحاكم عن طوع واختيار ويظهر التوبة عنده ، ويسقط عنه الحبس ، لأن الحبس للتوبة ، وقد تاب فلا معنى للحبس . ودليلهم صريح قوله تعالى في حق المحاربين : ( **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم** ) المائدة / ٣٤

ومفهوم الآية ألا يسقط عنه شيء بالتوبة بعد الظفر عليه ، لأن الظاهر ان التوبة قبل ذلك توبة اخلاص ، ولترغيبه في التوبة وبعدها الظاهر انها تقية من اقامة الحد عليه ولا حاجة لترغيبه في التوبة لأنه قد عجز عن الفساد والمحاربة .

أما ما يسقط عنه بالتوبة : فاختلفوا فيه فقال فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والامامية والزيدية في أرجح الآراء لديهم : تسقط بتوبة المحارب حقوق الله تعالى كحد الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمر لأنها حدود الله تعالى ، فتسقط بالتوبة كحد المحاربة ، ولأن في اسقاطها ترغيبا في التوبة .

ولا تسقط عنه حقوق الناس الشخصية كحد القذف والقصاص وضمان

الأموال ، اذ لا دليل على اسسقاطها .

وهناك آراء اخرى ، قال الهادي من الزيدية ، والأباضية : يسقط عنه ما قد أتلف ولو حقا لآدمي في نفس او مال او قتل ، لعموم الآية : ( **إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم** ) .

وقال بعضهم : ترفع التوبة جميع حقوق الله ، ولكن يؤاخذ بالدماء ، والأموال بما وجد بعينه في يده ، ولا تتبع ذمته .

وبعضهم قال : ان التوبة تسقط جميع حقوق الله ، وحقوق الآدميين من مال ودم ، الا ما كان من الأموال قائم العين بيده .

وشدد بعضهم وهو قول عند الشافعية وللامام مالك . فقال : لا تسقط التوبة عن المحارب الا حد الحرابة فقط ، ويؤاخذ بما سوى ذلك من حقوق الله وحقوق الآدميين .

**عقوبة الردة والبغي :**

**الردة :** ترك الدين الاسلامي والخروج عليه بعد اعتناقه . والبغي : الخروج عن طاعة الحاكم بثورة مسلحة ، او الخروج على الامام مغالبة .

وقد اتفق الفقهاء على اسقاط عقوبة الباغي « وهي القتل » بالتوبة لان القصد من عقابه توفير الطاعة والولاء والعدول عن البغي .

كما ان عقوبة المرتد « وهي القتل ومصادرة ماله » تسقط ايضا بالتوبة بأن يتبرأ عن الاديان كلها سوى الاسلام او عما انتقل اليه من مذهب الكفر ، لأن الغاية هي رجوعه الى الاسلام ، لذا استحب الحنفية استتابته وعرض الاسلام عليه قبل القتل ، لاحتمال ان يسلم وأوجب جمهور الفقهاء حصول الاستتابة قبل القتل ثلاث مرات ، فان تاب قبلت توبته ، وان لم يتب وجب عليه القتل .

وأضاف الزيدية وأئمة المذاهب أن من تكرر منه الردة والاسلام حتى كثر فهو مقبول التوبة لقوله تعالى : ( **يغفر لهم ماقد سلف** ) الانفال/٣٨ ولم يفصل النص بين من تكرر منه ذلك أو لم يتكرر .

ذكر النسائي عن ابن عباس قال : كان رجل من الانصار اسلم ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ثم ندم فارسل الى قومه : سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ؟ فجاء قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هل من توبة ؟ فنزلت آيات من سورة آل عمران آخرها قول الله تعالى ( **الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم** ) الاية/ ٨٩ وماقبلها من قوله تعالى : ( **كيف يهدي الله قوما كفروا** ) الاية /٨٦ . قال ابن عباس فارسل الى الرجل فاسلم .

**عقوبة القذف :**

اتفق العلماء على ان التوبة لا تسقط حد القذف لانه حق آدمي

**الحقوق الشخصية للناس :**

يظهر مما سبق أن حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة مالم ترد المظالم لاصحابها

كما انه لا يغفرها الباري سبحانه الا بمغفرة صاحبها ، ولا يسقطها الا باسقاطه .

**عقوبة السرقة والزنا وشرب الخمر :**

اختلف الفقهاء في اسقاط عقوبات هذه الحدود بالتوبة على رأيين :

**الرأي الاول : قال الحنفية والمالكية والشافعية والزيدية والاباضية في ارجح الاراء لديهم : ان التوبة لا تسقط سائر الحدود المختصة بالله تعالى كالزنا والسرقة وشرب الخمر سواء بعد رفع الامر الى الحاكم او قبله واستدلوا بالادلة الاتية :**

**١ ــ عموم الايات القرآنية التي تقرر عقوبة هؤلاء العصاة مثل قوله تعالى : ( الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) النور/٢ ( والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما )** المائدة/٣٨ فكل نص منهما عام في التائبين وغيرهم ولا يستثنى الا حد الحرابة كما بينا ، وحد تارك الصلاة لو تاب سقط القتل قطعا ، ولو بعد رفعه الى الحاكم ، لان عقابه على الاصرار على الترك لا على مجرد الترك في الماضي . وكذلك اذا زنى الكافر ثم اسلم يسقط عنه الحد .

٢ ــ اقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد على من جاءه تائبا ، اذ رجم ماعزا والغامدية وقطع الذي اقر بالسرقة ، وقد جاءوا تائبين يطلبون التطهير باقامة الحد ، بدليل ان الرسول صلى الله عليه وسلم سمى فعلهم توبة ، فقال في حق المرأة ( لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم) رواه الجماعة الا البخاري وابن ماجة من حديث عمران بن الحصين .

٣ ــ ان الحد كفارة ، فلم يسقط بالتوبة ككفارة اليمين والقتل ولو جاز اسقاط الحد بالتوبة لتمكن كل مجرم من اسقاط العقوبة عنه بادعاء التوبة ، وفي ذلك تشجيع على الاجرام والفساد .

٤ ــ لا تقاس الحدود على حد الحرابة لان مرتكبها مقدور عليه ، فلا تسقط التوبة عنه الحد المقرر كالمحارب بعد القدرة عليه .

**الرأي الثاني :** قال الحنابلة في الارجح عندهم والشيعة الامامية وبعض الحنفية والمالكية ، والشافعية ، والزيدية : إن التوبة تسقط حد الزنا والسرقة وشرب الخمر عن العصاة من غير اشتراط مضي زمان قبل رفع الامر الى الحاكم او قبل القدرة عليهم او قبل البينة وثبوت الحد عليهم واستدلوا بما يأتي :

١ ــ ثبت في صحيحي البخاري ومسلم من حديث أنس قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال : يارسول الله ، اني اصبت حدا فاقمه علي ، قال : ولم يسأله عنه فحضرت الصلاة ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ، قام اليه الرجل ، فاعاد قوله ، قال : أليس قد صليت معنا ؟ قال : نعم ، قال : « فان الله عز وجل قد غفر لك ذنبك » ففي هذا دليل على ان التائب غفر الله له ، ولم يكن بحاجة لاقامة الحد عليه طالما اعترف به .

٢ ـ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ابن ماجه والطبراني والبيهقي ومن لا ذنب له لا حد عليه . وقال في ماعز لما اخبر بهربه : « هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه ؟ » واقامة الحد عليه بالرغم من توبته تجاوب مع ما اختاره بنفسه كما اختارته المرأة الغامدية ، قال ابن تيمية : ان الحد مطهر ، وان التوبة مطهرة ، وهما اختارا التطهير بالحد على التطهير بمجرد التوبة ، وأبيا الا ان يطهرا بالحد ، فاجابهما النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك .

٣ ـ صرح القرآن الكريم باسقاط حد الزنا بالتوبة في قوله تعالي : **( واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما )** النساء /١٦ وباسقاط حد السرقة ايضا في قوله سبحانه : **( فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه )** المائدة/٣٩

٤ ـ لا فرق بين حد الحرابة وبقية الحدود ، فاذا اسقطت التوبة حد حرابة مع شدة ضررها وتعديه ، فلان تدفع التوبة مادون حد الحراب بطريق الاولى والاحرى ، وقد قال الله تعالى : **( قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف )** الانفال /٣٨ .

قال ابن القيم : الله تعالى جعل الحدود عقوبة لارباب الجرائم ورفع العقوبة عن التائب شرعا وقدرا ، فليس في شرع الله ولا قدره عقوبة تائب البتة .

والكلمة الاخيرة ان ظواهر القرآن والسنة والعمل بمبدأ الستر في الاسلام تؤيد الرأي الثاني الذي يسقط الحدود بالتوبة اذا كانت خالصة لله تعالى اي لمصلحة الجماعة ، ولم تكن متعلقة بالحقوق الشخصية للناس . وليس في هذا الرأي اخلال بمصالح المجتمع لان التائب بتوبته يحقق المصلحة المنشودة ، لا سيما اذا لاحظنا اشتراط كون التوبة صادقة نصوحا .

قال الحنابلة : اذا قلنا بسقوط الحد بالتوبة ، فهل يسقط بمجرد التوبة او بها مع اصلاح العمل ؟ فيه وجهان :

احدهما : يسقط بمجردها ، وهو ظاهر قول اصحابنا ، لانها توبة مسقطة للحد فاشبهت توبة المحارب قبل القدرة عليه .

والثاني : يعتبر اصلاح العمل لقول الله تعالى : **( فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما )** النساء /١٦ وقال : **( فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه )** المائدة /٣٩ فعلى هذا القول : يعتبر مضى مدة يعلم بها صدق توبته وصلاح نيته ، وليست مقدرة بمدة معلومة .

**ثانيا : هل التوبة مسقطة للقصاص والدية :**

اذا ثبت القتل وجب على القاتل اما القصاص ، واما الدية ، ولا يسقط القصاص الا بعفو اولياء المقتول على ان يأخذوا الدية او بدون شيء فلا يسقط القصاص او الدية اذن بالتوبة لتعلق الحق الشخصي به لاولياء الدم . وبناء عليه لا تصح توبة

القاتل حتى يسلم نفسه للقود « القصاص » او يؤدي الدية حين العفو او حالة القتل الخطأ . وتوبة القاتل لا تكون بالاستغفار والندامة فقط ، بل يتوقف على إرضاء اولياء المقتول ، فان كان القتل عمدا لابد من ان يمكنهم من القصاص منه ، فان شاءوا قتلوه ، وان شاءوا عفوا عنه مجانا فان عفوا عنه كفته التوبة . وبالعفو عنه يبرأ من العقوبة الدنيوية .

وهل يبرأ فيما بينه وبين الله تعالى ؟

استظهر ابن عابدين ان الظلم المتقدم لا يسقط بالتوبة لتعلق حق المقتول به فيخاصم القاتل يوم القيامة واما ظلم القاتل لنفسه باقدامه على المعصية فيسقط بالتوبة وقال الامام النووي واكثر العلماء : ان ظواهر الشرع تقتضي سقوط المطالبة في الاخرة بالعقوبة عن القاتل اذا تاب فقد دلت احاديث نبوية على انه لا يطالب ، من اشهرها الحديث المروى في الصحيحين الذي ذكر فيه توبة القاتل مائة نفس في الامم السابقة وقبول الله توبته .

**ثالثا ـ اسقاط التعازير بالتوبة :**

يظهر مما ذكره الفقهاء في اسقاط الحدود بالتوبة ضرورة التفرقة في التعزيرات بين حقوق الله وحقوق الافراد لان ضابط التعزير هو : كل من ارتكب منكرا أو آذى غيره بغير حق بقول أو فعل أو اشارة فقد يكون التعزير حقا لله أو حقا للفرد أو يشترك فيه الحقان واحدهما غالب على الاخر .

فان كان التعزير حقا خالصا للفرد او الغالب فيه حقه كالشتم والسب والمواثبة والضرب بغير حق والتزوير وشهادة الزور ونحوها مما يتوقف على الادعاء الشخصي فلا يسقط بالتوبة كما لا يسقط بعفو القاضي الا ان يصفح المعتدي عليه واما ان كان التعزير حقا لله تعالى كتعزير مفطر رمضان عمدا بدون عذر وتارك الصلاة واكل الربا ظاهرا ومن يحضر موائد الخمر ومجالس الفسق او كان حق الله فيه غالبا كمباشرة امرأة اجنبية فيما دون الجماع كتقبيل وعناق وخلوة بها ونحو ذلك فيسقط بالتوبة كما يسقط بعفو القاضي وهذا التفصيل في الواقع هو رأي الحنفية والشافعية .

ولكن وردت عبارات لبعض الفقهاء يفهم منها بعمومها ان التعزير مطلقا يسقط بالتوبة باتفاق الفقهاء .

قال القرافي : ان التعزير يسقط بالتوبة ما علمت في ذلك خلافا .

وقال في البحر الزخار : يسقط التعزير بالتوبة ويقرب انه اجماع المسلمين الان لكثرة الاساءات فيما بينهم ولم يعلم ان احدا طلب تعزير من اعتذر اليه واستغفر ولا من اقر بانه قارف ذنبا خفيفا ، ثم تاب منه ، ولاستلزامه تعزير أكثر الفضلاء ، إذ لم يخل أكثرهم عن مقارفة ذنب وظهوره في فعل او قول ولعل المراد من هذه العبارات التعزير الواجب حقا لله تعالى لان الخلاف بين التعزير والحد هو في حقوق الله تعالى .

## « خاتمة »

يتبين من بحثنا ان للتوبة نظاما دقيقا في الشريعة الاسلامية اذ انه قد يكشف عن الجريمة فيبادر الجاني الى الاقرار بمعصيته امام القاضي وللقاضي حينئذ توقيع العقوبة عليه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن اقر بالزنا امامه وهو رأي ابن تيمية وابن القيم .
وقد تساعد التوبة على التقليل من الجرائم باصلاح الجاني نفسه ورده الحقوق لاصحابها بدافع ذاتي واقتناع داخلي اذا توافرت شرائط التوبة الشرعية فكانت توبة صادقة نصوحا .

ثم انه قد تكون التوبة دليلا على تحقيق الولاء والطاعة السياسية فتحقن دماء كثيرة ولا تهدر الكرامة الانسانية في سبيل دعم الحكم فتتخلص الامة من شر كبير وفساد عظيم وقعت به في الماضي حين قام بعض الحكام بالبطش بخصومهم المعارضين لسياستهم كما يظهر في توبة البغاة والخوارج وقطاع الطرق .
وقد تكون التوبة ايضا سبيلا سهلا لتوفير احترام العقيدة والنظام الاسلامي كما في توبة المنافقين والمرتدين والزنادقة .

لهذا كله نقر الرأي القائل باسقاط الحدود والتعزيرات بالتوبة اذا كانت الجريمة ماسة بمصلحة المجتمع ( حق الله ) ما لم يرفع في شأنها دعوى الى القضاء اما اذا كانت الجريمة متعلقة بحق شخصي ( حق الفرد ) او رفع في شأنها دعوى الى القضاء فمن العدل والمنطق الا تسقط التوبة العقوبة اطفاء لنار الفتنة ودفعا للضرر عن المجني عليه وشفاء لالم المصاب واستئصالا للجريمة فلا يتجرأ احد على الاعتداء على حقوق الاخرين في نفس او مال او عرض .
وهذا هو رأي الحنابلة والشيعة الامامية وبعض فقهاء المذاهب الاخرى في نطاق الحدود الثلاثة : ( حد الزنا والسرقة وشرب الخمر ) وهو رأي الفقهاء عامة فيما يبدو بالنسبة للتعازير وبقية الحدود الاخرى .

وفي ذلك مصلحة للمؤمنين بشرائع الاسلام في وقت عطلت فيه الحدود الشرعية ولم يبق امام المؤمن الصادق سوى التوبة لتكفير خطاياه .
والله الموفق الى سواء الصراط ، عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : ( يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ، ولو لقيتني بملء الارض خطايا لقيتك بمثلها مغفرة ما لم تشرك بي شيئا . ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ) رواه الترمذي .

# حركة النهضة الحديثة في العالم الإسلامي

للدكتور / بكر مصباح تنيره

تعاقبت القرون على العالم الاسلامي ، وشعوبه تعاني من التدهور والتخلف الحضاري في شتى نواحي الحياة ، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وذلك بعد ان كان المسلمون الأوائل قد أدوا رسالتهم كما أمرهم الله في قوله سبحانه وتعالى : ( **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ) التوبة/ ٤١ .

فنشروا الدعوة الاسلامية حيثما حلوا ، وأرسوا أصول حضارة إنسانية شاملة ، اتسعت لمختلف فروع العلم والمعرفة ، وازدهرت في عصورها الذهبية حتى عبق أريجها العقل والكون معا ، ونهلت من منابعها العلماء ، وتتلمذت على كنوز تراثها الحضارة الحديثة . اعترف بذلك المنصفون في الغرب والشرق ، قديما وحديثا . فذكر المفكر العربي محمد كرد علي ، في كتابه « الاسلام والحضارة العربية » قول كارلايل في انصاف العرب المسلمين ورسالتهم الحضارية ما نصه :

« قوم يضربون في الصحراء كانوا نكرة عدة قرون ، فلما جاء النبي العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعارف ، وكثروا وعزوا ، ولم يأت عليهم قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم » .

وبلغ المسلمون ذروة السلوك الانساني الحضاري ، عندما اعتمدوا على العقل والمنطق في نشر الاسلام ، والأخذ بيد الشعوب على اختلاف ألوانها وأجناسها ، نحو التقدم والرقي دون تمييز أو تعصب ، يشهد بذلك العالم الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه « روح السياسة » فيقول :

« ظن المؤرخون بعزوهم تفوق المسلمين الذهني والمادي في العالم الى قوتهم المادية ، أنهم أصابوا كبد الحقيقة ، فيرد عليهم بأن الحضارة الاسلامية استمرت في الانتشار زمنا طويلا بعد زوال سلطان المسلمين وبأن عدد المؤمنين بالقرآن بلغ في الصين عشرين مليونا مع أنه لم يكن للمسلمين هيمنة على تلك البلاد في وقت من الاوقات وبأن عدد مسلمي الهند صار خمسين مليونا أي أكثر منه أيام دولة المغول . ولا يزال عدد المؤمنين بالاسلام يزيد زيادة مطردة ، فالعرب بعد الرومان هم الامة الوحيدة التي استطاعت أن تمدن مختلف الشعوب وأن تجعلها ترضى بكل عنصر من عناصر حضارتها أي بدينها ونظمها وفنونها » .

ويحاول ادوارد جيبون ان يكتشف سر قوة الاسلام ، وايمان المسلمين ، فيقول في كتابه « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » ما نصه :

« وقد وقف المسلمون بالاجماع يقاومون الاغراء الذي ينزل بعقائدهم وتقواهم الى مستوى حواس الانسان وخياله . فشهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » ، هي الشهادة الاسلامية البسيطة التي لا تتغير . فصورة الاله في الأذهان لم تصبها مهانة قط بتمثيلها بوثن يراه الناس . والأمجاد التي أسبغت على النبي لم تتعد قط حدود الفضائل البشرية . وحصرت تعاليمه الحية اعتراف أصحابه بفضله في داخل حدود العقل والدين » .

هكذا كان الاسلام أساس التقدم والحضارة لكافة الشعوب التي آمنت به . ثم دار الزمن دورته ، فأصاب المسلمين الضعف والوهن ، ومزقتهم الخلافات المذهبية والسياسية ، فغدوا شعوبا وقبائل ، وفرقا وأحزابا . وتكالبت عليهم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها ، مثلما ورد في الحديث النبوي الشريف . فوقعوا هم وديارهم فريسة لأخطر ظاهرة تمخضت عنها الحضارة الغربية الحديثة ، ألا وهي ظاهرة الاستعمار ، الذي جد واجتهد في ترسيخ الفرقة والخلاف بينهم وإضعاف مقوماتهم الحضارية التي جمعتهم على كلمة سواء ، يوم أن كانوا أمة ودولة وحضارة .

غير أن الاسلام في أصوله الثابتة

أبدا ، ونعني بها القرآن الكريم والسنة الشريفة يملك دائما ، وعلى مر العصور الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، عناصر القوة ، ومناهج التجديد ، مصداقا لقوله تعالى :

**( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا )** الاسراء/ ٩ .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم .

لقد أدرك المؤمنون ذلك ، فنهضوا من كبوتهم ، وعادوا الى المنابع الصافية لعقيدتهم الغراء وتراثهم الحضاري الزاخر بألوان العلم والمعرفة ، وما هي الا بضع سنين حتى اصبح العالم الاسلامي يموج بحركات التجديد ، والدعوة الى النهضة الحديثة ، التي قد تبدو لأول وهلة أمام المراقب العادي للتطورات أنها انبثقت فجأة دون مقدمات تاريخية ، واسباب موضوعية ، مباشرة وغير مباشرة ، وتجارب ذاتية للشعوب الاسلامية أسفرت عن نتائج ايجابية أحيانا وسلبية أحيانا أخرى ، ولكنها في النهاية ، وضعت أسسا جديدة للنهضة في تطورها المعاصر .

## ارهاصات النهضة الاسلامية الحديثة :

يشاء الله سبحانه وتعالى ، ان تكون ارهاصات الأولى للنهضة الاسلامية الحديثة في مهد الدعوة وأرضها ، في جزيرة العرب ، فالوقائع التاريخية تدل على ان طلائعها بدأت منذ ما يزيد على قرنين من الزمان ، وذلك عندما نهض الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عاش في الفترة ما بين ١٧٠٣ – ١٧٩١م ، يدعو الى العودة لمنابع الدين الحنيف وتخليصه مما علق به من خرافات وخزعبلات ووثنيات هو منها براء ، براءة النور الساطع من الظلمات ، والتمسك بما أمر الله به في القرآن ، والأخذ بما ثبتت صحته من الحديث الشريف ، وكان منهجه في الحقيقة يقوم على تجديد الايمان والعمل بالكتاب والسنة ، ومستمد من أصول مذهب الامام احمد بن حنبل ، واجتهادات ابن تيمية . ولا نغالي إن قلنا ان الدولة العربية السعودية في مختلف أطوارها ، قامت على هذه الدعوة الاصلاحية ، واستطاعت أن تثبت بذلك قدرة الاسلام في كل عصر على ملاحقة التطور وتلبية حاجات الحياة ، وقبل كل شيء تهذيب العقل وتنمية معارفه ، وضبط السلوك العام والخاص بما يحفظ للانسان حقوقه وقدره وكرامته .

وقد تركت دعوة الاصلاح التي نهض بها الشيخ ابن عبد الوهاب ، أثرها في مختلف اقطار المسلمين وتأثرت بمنهجه وتعاليمه الحركات الاسلامية في الهند ومصر والدولة العثمانية ، كما سنرى . ثم تبع ذلك

دعوة الفيلسوف الاسلامي الثائر جمال الدين الافغاني ، الذي اكتشف بثاقب بصره وبصيرته ، أن خلاص المسلمين ، بل والشرق عموما ، من كل ما كانوا يعانون منه ، من تخلف وانحطاط ، وخضوع المسلمين للاستعمار الاوروبي آنذاك ، لا يتم إلا بثورتين : **أحدهما** : ضد السيطرة الاجنبية ، **والأخرى** : ثورة فكرية أصيلة لتجديد الدعوة وجلاء جوهرها ، وتحديث مناهج التفكير ، وفتح باب الاجتهاد . وللحق والحقيقة ، فقد كادت هذه الدعوة أن تؤتى ثمارها في أكثر من قطر إسلامي ، فكانت تجربتها الأولى في مصر ، إبان الثورة العرابية ( ١٨٨١ ــ ١٨٨٢م ) التي قامت بفضل بذور النهضة الفكرية التي غرسها الافغاني في نفوس وعقول النجباء من تلاميذه ، أمثال الشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم ومحمود سامي البارودي واحمد عرابي وغيرهم كثير ، غير أن التدخل العسكري البريطاني المباشر ، وسكوت الدول الاوروبية عنه ، وعدم تحرك الدولة العثمانية لمقاومته كما فعلت أثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ــ ١٨٠١م ، هو الذي فت في عضد هذه التجربة ، والتي تؤكد الوثائق التاريخية أنها كانت ستعم الشرق الاسلامي كله ، وتكون بداية النهاية للاستعمار الاوروبي .

ولكن المسلمين لم ييأسوا ، وهم يرددون قوله تعالى :

**( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون )** آل عمران/٢٠٠ ، وتكررت محاولات النهضة في تركيا ذاتها ، والتي كانت تعتبر دار الخلافة في ذلك الحين ، على يد مدحت باشا المسمى « بأبو الدستور » ولكنها تعثرت ثم أخفقت أمام استبداد السلطان عبد الحميد الثاني ، وفساد حاشيته ، وتفشى الرشوة في مختلف اجهزة الحكم والادارة . ثم جرت محاولة في تونس قام بها المصلح خير الدين التونسي ، الذي عاش في الفترة ما بين ١٨١٠ ــ ١٨٧٩ ، وتولى عدة مناصب عليا ، وأقدم على تنفيذ كثير من المشاريع الاصلاحية في الادارة والاقتصاد والتعليم ، غير أن حركته هذه توقفت بسبب التدخل الفرنسي المباشر في شئون تونس .

بالاضافة الى هذه المحاولات العديدة ، التي اتسمت بالتنظيم والفكر والعمل عن طريق اجهزة الحكم في الغالب ، فقد قامت حركات اسلامية ذات طابع ديني لا تقل عنها شأنا أو قوة وكان لها أثرها في مقاومة الاستعمار الاوروبي في بلادها ، ومن هذه الحركات الحركة المهدية في السودان التي تمكنت في مرحلة من مراحلها ، أن تلحق أول هزيمة عسكرية بالاستعمار البريطاني في أفريقيا . وكذلك فان الحركة السنوسية في ليبيا ، والتي قامت بدور فعال وأساسي في تحريرها من الاستعمار الايطالي وتوحيدها .

وعلى أثر ذلك ، وتكرار محاولات النهضة ، واشتداد ساعدها أحيانا ،

تنبه الاستعمار الاوروبي عامة ، والانجليزي منه على وجه الخصوص ، وظن أنه اذا ما تمكن من إبعاد الاسلام عن كراسي الحكم في أوطانه ، استطاع أن يفقده قوة السلطة في دفع عجلة النهضة ، وللحق تم للاستعمار ما أراد ، وأصبح الحكم في كثير من البلاد الاسلامية يقوم على أسس علمانية حديثة ، ولا يأخذ من الشريعة الاسلامية الا بقدر يسير رغم نصوص الدساتير ، على ان الشريعة مصدر رئيسي من مصادر التشريع . غير أن الاسلام ظل يتولى قيادة الحركة الثقافية والفكرية التي تدعو المسلمين الى النهضة ، وتحرير أنفسهم وبلادهم ، وتجديد فكرهم ، مع الأخذ بمناهج العلم الحديث . وقد أثبت الاسلام قدرته على التحدي ، وتزعم الثورات التي أطاحت بالسيطرة الأجنبية في معظم أقطاره في المغرب والجزائر ومصر وباكستان ، وايران ، وهذه افغانستان تقدم لنا دليلا جديدا على حيوية الاسلام وعمق إيمان المسلمين به وتحديهم للقوى العظمى في العالم ، مصداقا لقوله تعالى :

**( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )** آل عمران/١٧٣ .

وقد اكتسب العالم الاسلامي وشعوبه ، أهمية متزايدة في العصر الحديث ، ولذلك اسباب كثيرة : استراتيجية ، واقتصادية ، وسكانية .. مما جعل الدول الكبرى تخشى يقظته ونهضته خوفا على مصالحها وحذرا من أن يقيم العدل والانصاف في الأرض فيفسد عليها استغلالها وظلمها للشعوب الضعيفة .

### أهمية النهضة الاسلامية للعالم المعاصر :

تنبع أهمية النهضة الاسلامية ، أنها تشمل بلادا وشعوبا ممتدة من أرخبيل الجزر الاندونيسية في الشرق حتى المغرب وموريتانيا في الغرب ، ومن طشقند في الشمال الى السودان والصومال في الجنوب ، فهذا المحيط الجغرافي المترامي الأطراف ، يمثل حزاما يفصل الشمال المتقدم عن الجنوب المتخلف على الكرة الأرضية ، ويشمل غالبية الدول الاسيوية والافريقية ، كما تقع أجزاء منه في جنوب وشرق اوروبا حيث توجد أقليات اسلامية كبيرة العدد نسبيا في كل من روسيا وألمانيا ويوغوسلافيا ، ويقطنه ما يزيد على ثلث سكان العالم ، ويملك موارد طبيعية هائلة من المواد الخام التي تحتاجها الصناعات المختلفة في الدول المتقدمة ، وعلى رأسها النفط الذي يعتبر عصب التقدم الصناعي والتكنولوجي حتى وقتنا الراهن . وهو من الناحية الاستراتيجية ، يشرف على المحيطات الثلاثة الدافئة ، ونعني بها المحيط الاطلسي في غربه ، والمحيط الهندي في جنوبه ، والمحيط الهادي في شرقه ، مثلما تتحكم الدول الاسلامية في جميع المضايق والممرات

المائية التي تربط اجزاء مختلفة من العالم ببعضهـا ، كمضيـق جبـل طارق ، وقناة السويس ، ومضيـق باب المندب ، ومضيق ملقا في جنوب شرق آسيا والذي يقع بين ماليزيا وجزيرة سومطرة .

الاسلام على اختلاف مذاهبـه ، يجمع بين شعوب هذه البلاد ، وهو العصب الحيوي الذي يحركها تلقائيا وبسرعة في الازمات لمواجهة التحديات والأخطار التي تتعرض لها بعضها ، تماما كما حدث عندما احترق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ ، ومساندة الدول العربية في مواجهة اسرائيل ، والعطف على أمانـي المسلمـين في الحريـة والاستقـلال في كل من اريتريـا والفلبين ، وليس أدل على ذلك من تلك الغضبة الجامحة التي عبـر بهـا المسلمون عن موقفهم من الاعتداء الطائش الذي وقع على المسجد الحرام في مكة المكرمة في شهـر نوفمبـر ١٩٧٩ . ومما يقوي شوكة الشعوب الاسلامية ومكانتها الدولية ، أنهـا تلتقي مع كافة شعوب الشرق على اختلاف دياناتها في روح واحـدة ، وأمال مشتركة ، ومشاكل متشابهة ، فجميعها عانت من الاستعمار ، كمـا تعانـي من التخلف بمعناه الواسع بالاضافة الى انهـا غـير منحـازة الى اي من المعسكرين الشرقي او الغربي ، وعلى ضوء ذلك ، يمكن القول ، ان العالم الاسلامي ، بمقوماتـه المتعـددة ، يعتبر مصدرا للقوة والطاقة والقلق في آن واحد ، فهو مصدر للقوة اذا ما توحدت شعوبـه ، واتفقـت كلمـة حكامه ، ولو على الحد الأدنى كما حدث بالنسبـة لمواجهـة التدخـل العسـكري السوفييتـي في افغانستان ، واستمـرار الاحتـلال الاسرائيلي للاراضي العربية والقدس بالذات ، وقد عبرت عن ذلك القرارات التي صدرت عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي عقد في اسلام اباد في باكستان في ينايـر سنـة ١٩٧٩ ، بذلك يستطيـع العالـم الاسلامي ، ان يقوم بدور رئيسي في تقرير شئونه وشئـون العالـم من حوله ، في السلم والحرب على حد سواء . وهـو مصـدر للطاقـة الصناعية ، والحـركة الاقتصاديـة بشقيهـا ، وهمـا : الانتـاج والاستهلاك . لذا فهو مصدر للقلق بالنسبة للقوى الدولية الكبرى التي ترى ان مصلحتها تقتضي الابقاء على النظام الدولي الراهن ، واوضاعـه السياسية والاقتصاديـة ، بحيـث يتحقق لها اكثر قدر من المصالـح والنفوذ والسيطرة على كثير من مناطق العالم وشئونه المتنوعة ، ومنها ما هو متعلق ببلاد اسلامية . لا نتجـاوز الحقيقـة إن قلنـا ، إن الخبـرة التاريخيـة للعلاقـات السياسيـة والحضارية بين الاسلام وبين اوروبا والغرب عموما ، تمثل هاجسا نفسيا ما زال يجـد له صدى في وقتنـا الحاضر . ولطالما عبر عنه المؤرخون والمفكرون الغربيـون وممـا كتبـه جوستاف لوبون في هذا الصـدد ، قوله :

« لا جرم ان اتباع محمد كانوا خلال قرون طويلة من أخوف الاعداء الذين عرفتهم اوروبا ، فكانوا بتهديدهم الغرب بسلاحهم في عهد شارل مارتيل وفي الحروب الصليبية وبعد استيلائهم على الاستانة ( القسطنطينية ) يذلوننا بمدنيتهم السامية الساحقة والى امس الدابر لم ننج من تأثيراتهم » .

ويعترف كارل ماركس نفسه ، ان الاسلام مصدر الثقة بالنفس والمساواة التامة بين أبنائه ، وهو الذي يجعلهم متفوقين على الاوروبيين فيقول :

« غير أن المسلم الحقيقي لا يرى في مثل هذه الاشياء وفي النجاحات او الاخفاقات في الحياة سببا ليميز بين ابناء محمد ، فعندهم مساواة مطلقة في المعاملة الاجتماعية تبدو طبيعية تماما » .

أساس ذلك وجوهره ، كما يقول الامام محمد عبده في كتابه « الاسلام والنصرانية » « إن الاسلام عقيدة دينية ، ومنهج عقلي للتفكير في النفس البشرية والظواهر الكونية ، ونظام شامل للروح والجسد معا » . وقد وصفه الامام محمود شلتوت في كتابه « الاسلام عقيدة وشريعة » ،بقوله :

« واذا دلت طبيعة الاسلام على شيء ، فانما تدل على انه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة ، وانه لا يقف فيما وراء عقائده الأصولية وأصول تشريعه على لون واحد من التفكير ، أو منهج واحد من التشريع ، وقد كان بتلك الحرية دينا يساير جميع انواع الثقافات الصحيحة ، والحضارات النافعة التي يتفتق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها ، مهما ارتقى العقل ونمت الحياة » .

هذا هو الاسلام الذي نهض بالمسلمين من تخلفهم الحضاري ، ففي قرنين من الزمان حققت شعوبه الاستقلال ، وعادت مدنه تغص بدور العلم والمعرفة ، وأصبحت المدنية الحديثة كلها تعتمد على ما تملكه أقطاره من مصادر الطاقة والصناعة ، وغدا التضامن هو الرباط الذي يجمع شعوبه من أقصى الارض في الشرق الى المغرب العربي في الغرب . ومع ذلك فان التقدم التكنولوجي الهائل ، والسريع ، الذي تحققه الحضارة الغربية ، يوجب على المسلمين الجد والاجتهاد ، كي يلحقوا بمن سبقهم في هذا المضمار ، وذلك لخيرهم وخير غيرهم من الشعوب ، وفي هذا ضمان لتقدم شعوب جميع الكرة الارضية عموما ، وليس ادل على ذلك من هذه المساعدات المختلفة التي تقدمها البلاد العربية الى الدول الافريقية والاسيوية ، والتاريخ خير شاهد على ذلك ، فنهضة الاسلام هي في مصلحة الانسان أيا كان لونه أو جنسه ، أو قوميته أو لغته ، وقد صدق احمد شوقي ، حيث اوجز هذه الحقيقة من جوهره ــ اي الاسلام ــ فقال :

والله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء

# المرأة العصرية في دول الغرب

للاستاذ محمد ابراهيم عامر

ان شيئا من حقوق المرأة في غير المجال الاسلامي لم يطرح الا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، بعد ان توسعت النهضة الصناعية في أوروبا ، فأوجدت ـ مع توسعها ـ أسلوبا حديثا للحياة اضطر المرأة إلى أن تخرج للعمل في المصانع والشركات والمعامل ، فكانت الحاجة إلى عملها ضاغطا على الرجل ، كما جعلتها تفتح فمها بالمطالب ، وتقاضيه : ما سمي « حقوق المرأة » .

ومع الدفعة الصناعية كان انفتاح على الثقافة العربية والاسلامية في صورة ما ، وفي هذه الثقافة لمحت المرأة الغربية صورة « المسلمة » .

« **لها مهر يدفعه الزوج في الوقت الذي تدفع فيه الغربية لزوجها** « **الدوطة** » .

**ورأت** « **المسلمة** » **تملك ، وترث ، وتتصرف في مالها ، وتبرز في معارك السياسة والحرب كيوم صفين ، وفي غزوات الرسول ، وفي معترك المعرفة تبدو محدثة وناقدة وشاعرة ، وهذا لا يتأتي الا في اطار كبير من الحرية . ولها في الاسلام حق الملكية ، وحق المطالعة والتثقف ، وحق الحركة ، وحق التفكير والرأي ، وحق المحافظة عليها وعلى حقوقها .**

مع سُحب التشكيك في محمد عليه الصلاة والسلام لمحت المرأة الغربية أضواء من الاسلام للمرأة المسلمة كان لها انطباع دفع نساء الغرب إلى تلمس الحياة الكريمة ، فبدأت ثورة المرأة الأوروبية على الرجل .

ولما كان الغزو الاستعماري الغربي للدول العربية والاسلامية حين غاب عنها الاسلام أو غابت هي عن الاسلام ، رأينا إلى جانب الارهاب بسلاح المدفع عملية التحطيم للمجتمعات العربية الاسلامية ، بتمزيقها فكريا وغزوها تشريعيا باحلال قوانين وضعية محل التشريعات السماوية وخاصة في الحدود ، ومن بين عمليات التمزيق الفكري إظهار سمو النظم الغربية ، وسقوط النظم الاسلامية ، فنسب المستعمر وأبواقه إلى الغرب ـ كذبا ـ احترام المرأة ، وإلى الاسلام ـ زورا ـ « احتقار المرأة » وهكذا رمتني بدائها وانسلت . وظهر في مصر « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » لقاسم امين وجاراه بعض الكتاب ورد عليه بعضهم ومنهم المرحوم « طلعت حرب » في كتابه « تربية المرأة والحجاب » وخلق بذلك الاستعمار معركة .

وكانت قصة « الحقوق العامة للمرأة » كما يقرر بعض الباحثين وسيلة صهيونية لافساد أوروبا ، ومنها امتدت العدوى إلى العرب .

لقد بدأ التخطيط لها بعد الحروب الصليبية ، وبدأت إبان احتلال الغرب للبلاد العربية ممن سموا أنفسهم « أنصار المرأة » « **يجاهرون بأنهم يريدون التحرر**

**من القيم الدينية وأنهم يسعون لتقليد الغرب في كل شيء » .**

واستخدمت المرأة كسلاح فعال لهدم القيم الدينية وصبغ الأمة بالصبغة اللادينية تمهيدا للسيطرة الصهيونية وغيرها من الاهداف الاستعمارية ، ووجد الغرب أدواته في تعميق الاتجاهات اليسارية والمادية .

وهكذا تتكشف أهداف النفوذ الغربي ( الاستعماري والماركسي والصهيوني ) من خلال المؤامرة على المرأة المسلمة .

وإذا كان دعاة التحرير المزعوم قد رفعوا شعار « تحرير المرأة » فانهم يعنون منه في الواقع أمرين خطيرين : ــ

**أولهما :** تحرير المرأة من بيتها . **ثانيهما :** تحريرها من زيها

إنهم يعرفون أن المرأة بلا شك نصف المجتمع وهي نصف خطير ، وبيتها هو تلك الجامعة التي تخرج كل أبنائها ، وتحريرها منها يعني ببساطة إغلاق تلك الجامعة المسلمة وهذا هدف خطير .

وتحريرها من زيها يعني كشف ما امر الله به ان يستر ، وهتك ما أمر الله به أن يصان ، وهذه وتلك بالضرورة تعني انحلال المجتمع وسقوطه بكل قيمه وأخلاقه ومثله .

إن فرنسا ــ غير المسلمة ــ صاحبة الامبراطورية الكبيرة قد سقطت تحت أقدام الالمان على مدى أسبوع واحد في الحرب العالمية الثانية ، وهي ــ كما صرح « ديتان » رئيس جمهورية فرنسا انذاك ــ قد هزمها الانحلال قبل أن يهزمها الاحتلال .

لقد رأينا ما وصل إليه أمر دعوة التحرير أو التحرر في السفور والاختلاط والعمل خارج المنزل والمساواة بالرجل في الوظيفة والعمل والأجر ، وفي الحقوق السياسية ، وفي الولاية العامة وغيرها من مساوىء يندى لها جبين الأنسانية والفضيلة خجلا ! .

لقد عملت المرأة الغربية لحاجة مجتمعها نفسه إلى يدها لنقص الرجال ، ومجتمعنا لا يشكو نقصا في الرجال والحمد لله واذا كنا نهدف في نهاية بحثنا إلى عقد مقارنة بين المرأة المسلمة كما حدد معالمها الاسلام ، وبين المرأة الغربية المتمدينة فجدير بنا وقد حددنا عطاء الأسلام للمرأة المسلمة ان نلقى مزيدا من الضوء على المرأة الغربية اولا وسوف نستشهد ما امكن بألسنة الغربيين أنفسهم بما يؤكد ويقطع بفساد المجتمع الغربي فسادا يفوق الجاهلية وذلك كله بسبب البعد عن الله والجري وراء المادة والهوى ، وفيما يلي بعض علامات المجتمع الغربي في سطور وأخص بالذكر ما يتصل بالمرأة : ــ

١ ــ تقع في العالم كل سنة ٣٠ مليون حالة اجهاض ، وقد سمحت انجلترا بهذه العملية مما جعل أكثر نساء الغرب يسافرن ألى بريطانيا ، ودعت مجلة « نوفيل اويبسر فاتور » الفرنسية إلى السماح بالاجهاض في فرنسا ونشرت بكل جرأة اعترافات سيدات شهيرات مارسن الأجهاض وتقول الصحف إن ٣٠ ٪ كل سنة

يتم إجهاضهن بما يعادل ربع المولودين .
٢ ـ أفردت الصحف الغربية بحوثا مستفيضة عن تجارة الجنس وعن أرباحها وتحدثت « نيوزويك » عن الأفلام السينمائية والخلاعية والكتب والمجلات المصورة وصالونات التمسيد والملاهي الليلية فضلا عن البغاء التقليدي ، وقالت : إن أرباح هذه التجارة تبلغ مليارى دولار في السنة ، وأن مدينة « نيويورك » أصبحت عاصمة هذه التجارة الرابحة ، ففي مدة سنتين قفز عدد صالونات التمسيد من أربعة إلى ستة واربعين وليست هذه التسمية سوى تورية عن الدعارة ومحايلة على القانون وأن اجور عناية ثلاث ممسدات تبلغ مائة دولار وبعض صالونات التمسيد تستقبل كل يوم مائة رجل ولا تعطل في نهاية الأسبوع .
٣ ـ نشرت جريدة الأهرام في ( ٢٤ مايو ١٩٧٣ ) ان عمليات الاجهاض المشروعة للفتيات اللاتي تقل اعمارهن عن خمسة عشر سنة قد ارتفعت في بريطانيا بنسبة الثلث في العام السابق ، وبلغ عدد حالات الاجهاض من بين هذه الاعمار ٢٢٩٦ بزيادة ٦٥٤ عنها عام ١٩٧٠ وكشف التقرير الذي أصدرته إدارة الأحصاء البريطانية أن بين هذه الحالات ٣ فتيات لا تزيد أعمارهن عن ١١ سنة .
٤ ـ صدرت مجلة جديدة في أمريكا اسمها ( بلاي جيرل ) وصاحبتها سيدة جميلة اسمها ( توتي مولت ) والمجلة مخصصة للنساء فقط فهي تنشر صور الشبان وهم عرايا تماما وتكتب المقالات والدراسات حول تصرفات الرجل وميوله واتجاهه وكيفية الايقاع ، والاحتفاظ به تحت قبضة المرأة ، وقد صدرت هذه المجلة لترد على مجلة ( بلاي بوي ) الشهيرة بنشر صور أجمل نساء العالم .
٥ ـ مسرح ( اوبرا كوبنهاجن ) عاصمة الدينمارك عرض باليه ( أشعار الموت ) المأخوذ من قصة « يوجين أونسكو » وتدور حول أطماع الانسان ونزعته إلى الدمار حيث يقف ٢٢٠ راقصا وراقصة عريا تماما لا تستر اجسادهم حتى ورقة التوت .
٦ ـ سرطان الصدر خطر يهدد المرأة : هذا ما أعلنته صحف الغرب فقالت : إن ٢٥٠ ألف امرأة تموت سنويا بسبب سرطان الصدر وأن العدد يرتفع في اوربا الغربية وأمريكا .
نعم لقد وصل تحرر المرأة الغربية الى حد انها تبدو اليوم عارية في صالات العرض وصناعة « الموديل » وفي العلاقات الجنسية تعرض في المجلات المتخصصة أو في دور السينما أو في صناعة التدليك يقوم بها الرجال للنساء وبالعكس ، وأدى كل هذا إلى رفض الزواج كنظام في بناء الاسرة ، وإيثار العلاقة المؤقتة بين الرجل والمرأة عليه قضاء للوطر بعيدا عن قيود الطلاق المعقدة هناك .

كما وصل الأمر بحرية المرأة الشخصية إلى الغاء اعتبار الزنا من جانب المرأة المتزوجة سببا من اسباب الطلاق وصدرت قوانين الأسرة في مجتمع اسكندنافيا منذ عام ١٩٧٢ ، مؤكدة هذا الالغاء ! .

وتخطت حرية المرأة الشخصية حدود هذا النطاق إلى اختيار الرجل الذي تنجب

منه طفلا إذا انبعثت فيها عاطفة الأمومة في غير زواج شرعي عن طريق المعاشرة الجنسية بعض الوقت أو عن طريق التلقيح الصناعي .

وقد أفقدت المساواة في العمل المرأة الغربية كثيراً من أنوثتها وكل عفتها وكرامتها وأكسبتها خشونة الرجل وقسوته وغلظته بسبب ممارستها للاعمال الشاقة كالتنقيب عن المعادن واستغلال المناجم وقيادة السيارات والقطارات كما فقدت احترام الرجل وعواطفه وميوله نحوها .

ونستطيع أن نوجز ما برز في حياة المرأة الغربية نتيجة لكل ما تقدم فيما يلي : —

١ — يباح للمرأة ان تجهض نفسها إذا لم تكن راغبة في الولد أو خشية النزول عن مستواها الاقتصادي .

٢ — تبيح المرأة الغربية لنفسها كما يبيح لها العرف القائم هناك « التجربة قبل الزواج » باسم الصداقة وقد يستمر لسنوات لا يتم بعدها زواج .

٣ — يباح للمرأة كزوجة أو كصديقة أن تدخل مع زوجها أو صديقها فيما يسمى « تبادل الزوجات أو الصديقات » ويعرف هذا باسم « المعاشرة الجنسية بين المجموعة » فيتنازل كل عن زوجته أو صديقته لغيره ويأخذ معه اخرى وقد تتم هذه المعاشرة الجنسية الجماعية في حجرة واحدة او في حفلات خاصة أو نواد دون تدخل من الدولة .

٤ — يباح لها أن تنجب ولدا عن طريق التلقيح الصناعي أو المباشرة لرجل اجنبي .

٥ — يباح لها أن تمارس البغاء في صور شتى فقد شاع البغاء كصناعة رأسمالية كما ذكرنا قبلا .

إنها صور الجاهلية الأولى إن لم تكن أبشع وأفظع ، فأين ترى المرأة الغربية نفسها وسط هذه الاسواق الحيوانية المتسغلة ؟ وكيف تراها الان وبعد كل هذا الهوان المرأة المسلمة ، نعم وأي هوان بعد هذا ؟

لقد ضبط احد الازواج — في منزل الزوجية — زوجته عارية كيوم ولدتها أمها بصحبة رجل اجنبي عريانا ايضا كيوم ولدته أمه ، فرفع أمره للقضاء طالبا الطلاق من زوجته البغي التي استهانت بكرامته وكرامة منزل الزوجية المقدس ، غير أن القضاء الانجليزي في إحدى محاكم لندن لم يرقه تصرف ذلك الزوج الرجعي الذي لا يتمشى مع التقدم الغربي ، والرقي الاجتماعي ، فقضى برفض دعواه مبررا هذه الفعلة بأن الزوج يجب عليه ان يقدر الظروف والتقاليد .

وقد ضبط أحد الشبان الهنود — وقت إقامته بباريس — رجلا يجلس مع امرأة في حالة مريبة واضحة الفجور في الطريق العام ، فلم يجد بدا من الاستعانة بجندي البوليس الذي قبض على الشاب الهندي المبلغ بتهمة الأخلال بالحرية الشخصية . أية حرية تلك التي يجب احترامها يا قوم ؟

على أن المرأة الغربية كذلك تفقد اسم والدها وأسرتها نهائيا بمجرد عقد الزواج وتنتسب إلى الزوج وهذا رق حديث مشئوم لا يقره الأسلام للمرأة المسلمة .

والمرأة الغربية لم تعرف لها القوانين هناك صفة الاهلية في كثير من الشئون المدنية ، ففي فرنسا تنص المادة ٢١٧ من القانون المدني الفرنسي على « **أن المرأة المتزوجة حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها لا يجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ، ولا أن ترهن ، ولا أن تملك بعوض او بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته موافقة كتابية** »

بينما المرأة المسلمة لها شخصيتها المدنية المستقلة كاملة

لقد اكتملت الصورة البشعة المخيفة للمرأة الغربية بل وأحست هي واقعها الاليم فبدأت وبدأ كتابها يطالبون بانقاذ عاجل بل وطالب البعض بالعودة إلى الله وتقليد المرأة المسلمة فيما أعطاها الخالق عز وجل .

ولقد بدت المقارنة الان بين المرأة الغربية والمرأة المسلمة سهلة وتميز الحق من الباطل وبدا النور من الظلام ، فالأسلام حفاظا على المرأة والفضيلة والمجتمع ينكر ويستنكر : إجهاض الجنين ومباشرة التجربة قبل عقد النكاح ، وتبادل الزوجات والرجال ، والتلقيح الصناعي ، والبغاء ، وتبرج النساء فضلا عن العري في النوادي والشواطىء وغيرها .

ان الاسلام يسلك بالمرأة المستوى الانساني السليم ويعمل على توفير الاعتبار البشري وهذا المستوى الانساني الكريم يتبلور في :

ـ الزام الرجل أبا أو أخا بالانفاق على البنت والزوجة والام والاخت ، ويعفى المرأة من السعي للكسب والعمل خارج المنزل ويحفظ بذلك عليها :

أ ) أنوثتها التي هي العامل الاول في لقاء الرجل بها والسعي اليها .

ب ) قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية لتلك السكنى والاستقرار والمودة والرحمة .

جـ ) حرصها على دور الامومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة .

فاذا قامت أصوات نشاز بعد هذا كله تنادي مثلا بتقييد حق الرجل في الطلاق أو سحبه منه وجعله في يد القاضي أو بمساواة المرأة بالرجل في هذا الحق على الاقل .

- أو برفع قوامة الرجل على المرأة .
- أو بمساواة المرأة بالرجل في ولاية الزواج .
- أو بمنع تعدد الزوجات .
- أو بمساواة المرأة بالرجل في الشهادة .
- أو بمساواتها له في الميراث .
- أو بمساواتها له في الولاية العامة .

فاننا نرد هؤلاء ونرد على هؤلاء بالاسلام والمنطق والعقل والطبيعة والواقع في ايجاز سريع

١ ــ تقييد حق الرجل في الطلاق .. الخ أمر يتنافى مع أنه ــ كما قرر القرآن ــ الذي بيده عقدة النكاح فالمنطق أن يكون بيده فك هذه العقدة ثم انه بحكم الاسلام يحمل كل أعباء الزوجية بدءا من المهر فتأثيث منزل الزوجية فالنفقة ثم النفقة والمتعة والحضانة ان طلق ثم مهر جديد وأعباء أخرى ان تزوج ولذا فانه يحتكم الى عقله ويفكر الف مرة في الطلاق ، قبل أن يوقعه عكس المرأة في كل ذلك ، وهو ربان السفينة ورب البيت بحقه ، وسحب حق الطلاق منه وجعله بيد القاضي فضلا عن أنه تحريم لما أحل الله ، وسلب لحق أعطاه الله اياه ، وتناقض مع مسئوليته العامة عن الاسرة ، فهو مدعاة لكشف أسرار الزوجية ونشرها خارج حمى الزوجية وهو البيت .

على أن الاسلام الذي جعل الطلاق في ولاية الزوج قد جعل للمرأة الحق في أن تخلع نفسها بعرض أمرها على القاضي في حالة التضرر ، وأن تختلع من زوجها بتقديم مقابل له كما أن لها حق الطلاق اذا كانت العصمة بيدها .

ومن أسف أن بعض المسلمات اذ يتبجحن بطلب قصر حق الطلاق على القاضي ــ لا يدرين ما يدور في عالم الغرب الذي يحرصن على تقليده من اكتوائه بنتائج قصر الطلاق على القاضي بالمطالبة بانزال هذا الحق الى صاحبي الحق الاصليين ــ الزوجين ــ وتم بالفعل تعديل قانون الاسرة في « السويد » على هذا النحو واعتبر قفزة تحررية على طريق تحرير المرأة الاوربية .

أما عن « **رفع قوامة الرجل على المرأة** » فان طبيعة خلقته بالفطرة تلك التي تميز بها عن المرأة أصلا وبما كانت له من اليد العليا في الانفاق وبأنه رب البيت وأبو الاولاد واليه ينتسبون فانه القوام عليها واقعا وعملا ، وقلب هذا قلب للفطرة .

**أما عن مساواة المرأة بالرجل في** « **ولاية الزواج** » فلعله قد غاب عن ادراك المطالبين بذلك ان الاسلام أعطى المرأة هذا الحق وأكد عليه بما لا يوجد في غيره من الانظمة والاديان فللزوجة حق اختيار الزوج ومباشرة عقد الزواج بنفسها وحرية تزوجها ممن تشاء ، ولو رفض ولي أمرها بشرط أن يكون الزوج كفءا لها .

أما عن « **منع تعدد الزوجات** » ففضلا عن أن الاسلام جاء مقيدا له وقد كان مطلقا ، وأنه أباحه لضرورات انسانية أو شخصية ، وبشرط ضمان العدل ، فان نسبة التعدد اليوم لا تتجاوز ٢٪ وهي نسبة ضئيلة على أن الاسلام قد حل به مشاكل لم يستطع الغرب أن يتغلب عليها الا باباحة البغاء أو احلال الخليلات مكان الحليلات ، والاسلام لا يعرف الا علاقة النقاء والطهر والنظافة ويمكن الرجوع الى ما كتبنا قبلا في هذا الموضوع .

وأما عن **مساواة المرأة بالرجل في** « **الشهادة** » فان الاسلام في الحيلولة بينها وبين بعض الامور مراع لطبيعتها ولصونها عن مواطن لا تحسن شهادتها

فيها .

وأما عن « **الميراث** » فكما قلنا انها ان أخذت نصف الرجل فلتدخره لأنها أعفيت من كل شيء أما الرجل فان ما يأخذه يعود فينفقه كله عليها وعلى أولادها .

وأما عن « **المساواة في الولاية العامة** » فلأنها لم تخلق لها اذ الوالي له سلطاته الدينية والسياسية والمرأة لم تتهيأ بحكم فطرتها لذلك .

واذا كانت المرأة قد تولت في العشر سنوات الاخيرة في بعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية الرياسة الكبرى ( الهند ـ سيري لانكا ـ الارجنتين ) فقد خرجت كل واحدة منهن من ولايتها العامة بضياع كل النفقة تماما ، وبرصيد من الانحرافات في الحكم تعطي الدليل الواضح على تقلب المرأة وسرعتها في الاستجابة العاطفية للمؤثرات وعدم الاطمئنان الى فصلها في الامور .

« أما بعد »

فهذا عطاء الله وذاك عطاء الناس ، نعم هذا عطاء رب الناس ، وذلك عطاء الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، وهذه هي المرأة المسلمة عفيفة شريفة ، كريمة عظيمة ، مصونة مكنونة سيدة متسيدة ، قائدة رائدة ، معلمة تخلق الاجيال ، مديرة تصنع الرجال ، أستاذة تخلق الكمال قوية تجتاز بايمانها المحال ، تعرف ربها ، وتملك قلبها ، وتهب بيتها ومن فيه ودها وحبها ، سكن لبعلها ، حانية على طفلها ، تنشر في مجتمعها أريج الفضيلة ، وتنأى بنشئها عن كل رذيلة ، لها في قلب زوجها أغلى مكان ، وهي مصدر الحب والالهام والحنان ، ثم هي محل التقديس من البنين والبنات ، فالجنة تحت أقدام الامهات .

أما هذه المرأة الغربية اللاهية ، فانها في مجتمعها داهية ، تغدو وتروح كاسية عارية ، وقد باعت نفسها للشيطان ، ولم يعد لله في قلبها مكان ، ونظر اليها الانسان نظرة الحيوان بل ان من الحيوان ما يحنو على مولوده ويحرص على بقائه ووجوده ، لكن هذه تكفر به جنينا فتجهضه .. أو وليدا فتلقي به أو تطرده ، قد شغلها المال والجمال ، عن العيال ولم تفكر في مآب ولا في مآل ، سارت في طريق الاثم حتى كبت ، ونفرت عن طريق الحق فتنكبت ، هانت حتى على نفسها ، وباعت للشيطان كل عواطفها وأحاسيسها .... بل غدت سلعة تباع .... وغرقت في الهوان والضياع .

فأين الثريا اذن من الثرى ... وأين من تسر اذ ترى ممن لا تود أن ترى ؟ أين العفاف من الاسفاف ؟ أين الشرف من التلف ؟ أين التجلي من التخلي ؟ وأخيرا أين الانسان من الحيوان ؟

فليعض المسلمون بالنواجذ على ما أعطى الاسلام لهم ، وليحمدوا الله أن جعلهم من بين الناس ( **خير أمة أخرجت للناس** ) **آل عمران / ١١٠** .

**( ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ) آل عمران / ٨ .**

# في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

الوحي ينظم حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر

النبيّ الأميّ يعلمنا القراءة والتفسير لآيات الله القرآنية وآياته الكونية

للاستاذ : محمد العفيفي

١ ـ إن حقيقة نزول القران منجما وحقيقة الناسخ والمنسوخ في القرآن ، وحقيقة أسباب النزول هذه الحقائق جميعا ، تعمل على تحريك الحياة الإنسانية ، تحريكا متواصلا ، في تقدم ثابت ، وحركة متجددة ، لا مصدر لها إلا الوحي الالهي في القرآن والسنة معا ، وأنهما بذلك يشتد ارتباطهما ولا ينفصلان من حيث مصدرهما الواحد وهي وحي الله ، ومقاصدهما الواحدة ، وهي بيان أوامر الله ونواهيه . ثم إن تحديد أنواع النسخ بأنها ثلاثة أنواع ، هي ما نسخ حكما وتلاوة ، وما نسخ تلاوة لا حكما ، وما نسخ حكما لا تلاوة ، هذا كله تنظيم لحاجات البشر إلى أحكام الوحي بما فيها من عموم وخصوص ، وقد جاء في كتب العلماء القدامى أمثال السيوطي .

وقد بين السيوطي في كتابه « معترك الأقران » أن الذين كتبوا في الناسخ والمنسوخ خلائق لا تحصى .

٢ ـ ولكن الربط بين أسباب النزول وبين النسخ ، يجعلنا ننظر إلى هيمنة الوحي من قرآن وسنة على حركة التجديد المتواصلة في حياة البشر ، وجعلها حركات أصيلة دائما ، لا تنقطع أبدا ، عن الحقيقة بكل وجوهها التي يسر الله معرفتها للبشر بكل زمان ومكان . ولعلنا نذكر هنا ما سبق من أن القرآن والسنة يتجددان تجددا ذاتيا لا يحتاج إلى أي مدد خارج على وحي الله تعالى ، كما بينه لنا في كتابه وسنة رسوله . ندرك ذلك حيث ننظر في أسباب النزول فنجد كل سبب منها يحمل معه الفارق بينه وبين غيره من الأسباب ، كما يحمل معه أسس اتصاله بالوحي في جملته وتفصيله ، سواء ما يتصل بذلك من آيات القرآن وأجزائها ، ومواضع كلماتها وحروفها في القرآن كله ، أو يتصل بالوحدة والنوع في مقاصد السنة القولية والعملية ، أو كل ما يخضع لذلك من الوقائع المتجددة في حياة البشر ، على اتصال الحياة الانسانية من الدنيا إلى الآخرة .

وقد اقتضى ذلك أن يكون ما سميناه معا من قبل ـ التراسل بين القرآن والسنة ـ قائما على التنسيق المعجز بين ما اختص به القرآن من المقاصد والأحكام ، وما اختصت به السنة من ذلك ، في حركة متتابعة بينهما ، وحاجات متتابعة من الحياة الإنسانية إليهما .

كل ذلك من إعجاز الوحي الالهي ، الذي جعل في السنة ناسخا

ومنسوخا ، كما وجدنا في القرآن ناسخا ومنسوخا .

وكل ذلك في إطار أسباب النزول لا يحصيها إلا الله تعالى .

٣ ـ فلئن كانت أسباب النزول أسبابا ظاهرة في الحقيقة الخاصة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ـ مثلا ، فإن هناك من أسباب النزول التي يعجز البشر عن إحصائها ، والإحاطة بما فيها من الثبات والحركة ، والأصالة والتجدد ، هو بعدد مواضع كل حرف وكلمة وجملة ، نجد كلا منها ، بكل آية قرآنية ، كلما نظرنا إلى ما تتعدد مواضعه من هذه الأجزاء ، في آيات كثيرة .

وكذلك الأمر إذا نظرنا بعمق عظيم إلى تجدد أحوال الضبط والترتيب ، بالحروف جميعا ، في الكلمات جميعا كلما اقتضت حكمة الله تنويع صيغ الكلمات ، فضلا عن تنويع ما خص الله به كل صيغة لكل كلمة من عدد مواضعها في القرآن كله ، حتى أمر الله عبده ورسوله ، بترتيب الآيات في السور وترتيب السور في المصحف كما هو محفوظ بحفظ الله فلا ينبغي أن يحرف أو يبدل بحال من الأحوال .

هذه كلها أسباب للنزول لا نحيط بما هو ظاهر منها إذا نظرنا في الأسباب الواقعة في أحوال البشر كتحويل القبلة ، أو ما نزل في التي تجادل الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها ، كما لا نحيط بما هو دقيق وخفي منها كلما نظرنا في ثبات القرآن على الناحية الشكلية في حروفه وكلماته وجمله وآياته ، مع مقاصده الكثيرة ، الدائبة التجدد ، والمرتبطة بهذه الأجزاء في جملتها وتفصيلها وحركتها في مواضعها ، ثم حين ننظر إلى السنة في تنوع المقاصد التي يجمع لنا ألوانها الكثيرة كل باب من أبواب الحديث الشريف .

٤ ـ وأقرب مثل لذلك أن السنة قد استقلت بالتشريع في شأن القبلة الأولى التي كانت إلى بيت المقدس فلم ينزل في ذلك قرآن ، وإنما صدر بذلك أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في القرآن وجوب طاعة الرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه ، في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

**( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )** الحشر/٧

ولقد ظلت السنة هي المصدر في جعل القبلة إلى بيت المقدس حتى شاء الله أن يتم القرآن ، هذه الحركة التي بدأتها السنة فتوفر السبب المرتبط بنزول الآية الخاصة بذلك .

ولو ذهبنا نرصد كل ما في القرآن من تركيب أيسر أجزائه ، إلى ما في الحياة الإنسانية بكل أزمنتها وأمكنتها من أسباب الخضوع لذلك ، مع ما يتعلق بمقاصد القرآن من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لوجدنا حركة قرآنية معجزة ذات تقدم يمضي دائما على يقين لا ريب فيه ، كما تشرق الشمس في كل يوم جديد ، بضوء جديد ، وموضع من جريان الشمس جديد ، والضوء واحد ، في

جملة حقائقه ، وحاجات الكـــون والحياة الإنسانية إلى هذا الضوء تتجدد حتى يرث الله هذا العالم وما فيه .

ويلخص لنا مصطفى صادق الرافعي ، هذا التجدد الدائب في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنه كلام كلما زدته فكرا زادك معنى » .

غير أن الذي نريده بذلك هو التجدد في ذات القرآن وذات السنة ، من حيث الوحدة والتنوع في النصوص والمقاصد ، والاحاطة بحركة الحياة الانسانية في تجدد دائب ، يبين لنا ما هو حق من كل أقوالنا وأعمالنا وما هو باطل .

فإذا نظرنا إلى سبب النزول الخاص بتحويل القبلة ، ثم سبب النزول الخاص بالتي تجادل في زوجها ، وجدنا لقطتين متفردتين في موكب الحياة كله ، بلا تكرار من جهة ، وبلا انفصال بينهما وبين بناء الحياة كله من جهة أخرى ، لأن إحاطة الله بكل المقاصد إحاطة قادرة على هذا التجديد المستمر ، الذي لا سبيل إلى مثله في حدود القدرة البشرية .

فلننظر إلى هذين السببين من أسباب النزول :

## والسبب الأول :

هو تحويل الكعبة كما جاء في الحديث المتصل السند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله : ( **قد نرى تقلب وجهك في السماء** ) البقرة/١٤٤ ، الى آخر الآية ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما قالوا في ذلك فأنزل الله تعالى : ( **قل لله المشرق والمغرب** ) البقرة/١٤٢ . .

## والسبب الثاني :

هو الذي خص الله تعالى به أوائل الآيات في سورة المجادلة وأنها نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها ، فكانت هذه الآيات ، وما بينها وطبقها من السنة ، مصدرا في أحكام الظهار وما يترتب عليها من أمور .

إن هدفنا من النظر إلى ما تقدم هو بيان هذا التجدد الذي يخص كل أمر بذاته ، فيفرد له موضع ارتباطه بالحياة في جملتها وتفصيلها ، وأن هذا لا يكون في أي كلام إلا في الوحي الالهي من قرآن وسنة .

والفرق بين القرآن والسنة هنا ، هو أن القرآن دائب الحركة المعجزة ، في مبناه ومعناه وترتيب أجزائه في جملتها وتفصيلها ، بينما السنة دائبة الحركة المعجزة في ما يخص أحاديث الرسول في جملتها وتفصيلها ، من الوحدة والتنوع في مقاصد كل حديث ، بين الأحاديث كلها ، تماما ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرك بعد صلاة

الفريضة ، ليصلي ركعتي السنة بعد صلاة الظهر أو صلاة المغرب ــ مثلا ــ في موضع جديد ، من المسجد .

وما ذلك إلا وحي إلهي يوجه السنة العملية نحو التقدم الدائب ، والحركة المتجددة بغير انقطاع .

**ــ النسخ في السنة يرتبط بكل ما تقدم :**

٥ ــ لذلك كانت السنة أيضا تتخذ من النسخ خطوات دائبة يتحقق بها لكل داء دواؤه ، فيما يناسبه من المكان والزمان ، فلا يستقر حكم ليشمل كل فترات التاريخ إلا إذا كان من الأمور العامة التي تتسع للحياة الإنسانية بغير حدود ، أما إذا كان هناك هدف محدود ، فله من الأحاديث المنسوخة ما يحققه ، إلى أن ينتهي زمنه ، ونتعلم منه كيف لا نخلط بين العام والخاص في أحكام الله تعالى :

( أ ) ومن النسخ في السنة ما يعرف بتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كحديث بريدة الذي أخرجه مسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه النسائي والترمذي .

وواضح أن السنة هنا تنسخ حكما بحكم وفعلا بفعل ، لحكم كثيرة علمها الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعلها سبيلا إلى ممارسة الأمة للتفكر ، والمقارنة بين الأشباه والنظائر .

وزيارة القبور مع حداثة عهد الناس بالشرك ، غيرها بعد استقرار الاسلام ، وظهور حقيقته .

( ب ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في جزم الصحابي ، بأن الناسخ هو الحكم الذي كان أخيرا ، بعد حكم آخر كان قد سبقه ، فكان هو المنسوخ .

وذلك مثل حديث جابر رضي الله عنه :

« كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترك الوضوء مما مست النار » رواه أبو دا ود والنسائي .

( جـ ) ومن النسخ بالسنة ما نجده في النظر إلى التاريخ وتعاقب فتراته . فبمعرفة تاريخ كل من الحديثين ، يحكم على المتأخر بأنه ناسخ للمتقدم .

وذلك كحديث شداد بن أوس وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

( أفطر الحاجم والمحجوم ) رواه البخاري

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم .

فقد بين الشافعي أن الثاني ناسخ للأول من حيث أنه روى في حديث شداد أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم في شهر رمضان فقال : أفطر الحاجم والمحجوم .

وروى في حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فبان بذلك أن الأول كان في زمن الفتح في سنة ثمان والثاني في حجة الوداع في سنة عشر .

( د ) ومن النسخ في الحديث ما يعرف بالإجماع كحديث :

« قتل شارب الخمر في المرة الرابعة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .

فلقد عرف المسلمون أن هذا الحديث منسوخ بانعقاد الإجماع على ترك العمل به ، والإجماع لا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره .

والحقيقة أن السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم ، هي التي بينت لنا هذا النسخ .

ذلك أنه جاء في حديث قبيص بن ذؤيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

( من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه ، فان عاد فاقتلوه ــ في الثالثة أو الرابعة ــ فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل ، وكانت رخصة ) رواه احمد .

فلعلنا ننعم النظر في هذا التراسل العملي بين القرآن والسنة ، حيث خص الله كلا منهما بأنواع من المقاصد ، في تقديم وتأخير ، وناسخ ومنسوخ ، حتى نعلم دائما أن السنة في تفسيرها للقرآن ، لا تنفصل عنه من حيث الوحدة والتنوع في مضمون الوحي ومقاصده ، ولا من حيث التطبيق المستمر للقرآن ، في السنة القولية والعملية ، على نحو لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة .

## ــ دور الأمة في هذه الحركة المتجددة :

٦ ــ ومما يتصل بأهداف هذا التراسل بين مقاصد القرآن والسنة ، أن الله جعل للأمة نصيبا من الوحي ، ممثلا في نزول أجزاء يسيرة من الآيات على ألسنة نفر من الصحابة ، ثم في رؤية من رأى صيغة الأذان في نومه وموافقة ذلك لصيغة الأذان كما طبقتها السنة في الواقع العملي .

فأما أجزاء الآيات التي ألهمها الله بعض الصحابة فكان في ذلك توثيق بين ما نزل به جبريل على الرسول وبين ما خص الله به الأمة من ذلك ، فمنها ما صح عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو إتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت **( واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى )** البقرة/١٢٥

وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب .

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : **( عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن )** التحريم/٥ . فنزلت كذلك : ( الحديث أخرجه البخاري وغيره )

والأحاديث في ذلك قليلة ولكنها صحيحة ودالة على أن الله جعل للأمة نصيبا في تلقي الوحي ، حتى يكون عملنا به قريبا من حياتنا العملية ، ويزيد الله به المسلمين فضلا على فضل .

أما الأذان فقد روى الترمذي عن عبدالله بن زيد بن عبدربه أنه رأى الأذان بصفة وصيغة في رؤيا فقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تبين أن عمر رضي الله عنه رأى رؤيا مثلها فأقرهما الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا هو الأذان الذي يفسر لنا بالواقع العملي قوله تعالى :

**( وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا )** المائدة/٥٨

وقوله تعالى :

**( يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله )**

وبذلك يكون الأذان بيانا للآيتين السابقتين ، وتطبيقا عمليا لهما في كل مكان وزمان .

فلننظر كيف جعل الله تعالى الأذان وحيا للأمة ذاتها ، تسانده السنة العملية في تفسيرها للقرآن ، وتطبيقها لمقاصده ، لأن هذا مما يوافق الدعوة المتجددة في كل مكان وزمان ، لإقامة الصلاة ..

**ـ من تعليم الله لخاتم رسله :**

أ ـ يسر الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أن ينظر في بناء الكون حيث ركب الله كل شيء ابتداء من أدق الأشياء ، وانتهاء بالكون كله في جملته الواحدة ، وجعل في هذا بيانا لآياته الكونية ، فكان أول ما نزل عليه من الوحي قوله تعالى :

**( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم )** العلق/١ ـ ٥ .

فهذه الآيات الخمس ، فيها انواع التراكيب التي جعلها الله متفقة مع مكانات المعرفة الانسانية والوجود الانساني بين آيات الله الكونية ، وآياته القرآنية ، لتتم نعمة الله على عباده تماما ، لا ينبغي أن ينال منه نقص ، او ترد عليه زيادة ، كما يقول الله تعالى : **( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء )** (٨٩) النحل .

ألا نرى قوله تعالى : **( اقرأ باسم ربك الذي خلق )** فالقراءة هنا هي قراءة آيات الله الكونية ، التي هي مركبة في أنواع كثيرة ممتزج بعضها ببعض ، متحرك بعضها في بعض ، ومع ذلك فكل نوع ثابت على ما يدل عليه ابتداء من شكله ونفاذا إلى مضمونه ، وفي الكثير والقليل منه على سواء ، لينتفع به الناس جميعا وفرادى ، بكل مكان وزمان ، في صدق وعدل دائمين .

ثم تأتي الآية الثانية لتنتقل بنا من هذا التعميم في القراءة ، الى التخصيص كما يقول سبحانه : **( خلق الانسان )** ، والانسان كالكلمة في هذه الآيات ، السابقة ، آيات الخلق .

والانسان هنا اسم جنس ، يدل

على الخاص والعام من نوعه ، حتى يأتي قوله تعالى : **( خلق الانسان )** على ذكر البشر في جملتهم وتفصيلهم ، كماهو الشأن في الكلام في جملته وتفصيله ، وهو يتركب من الجمل التي تشبه المجتمعات ، ثم يتركب من الكلمات التي تشبه الأفراد .

ونواصل قراءة هذه الآية فنجد قوله تعالى : **( خلق الانسان من علق )** والعلق كائنات دقيقة لم يرها الانسان الا في العصر الحديث مع اكتشاف المجهر الكهربائي .

ولكن الذي يهمنا هنا أنها تشبه في اللغة ، الحروف بكل ثباتها على خواصها وحركتها في الكلمات ، ثم حركة الكلمات في الجمل ثم حركة ذلك كله في الكلام كله ، كلما كانت هناك حاجة حقيقية الى الحركة الجديدة الهادفة النافعة ، في كلام الله او خلق الله .

أما صناعات البشر أو كلامهم فهم عاجزون أبدا في كل ذلك ، عن تحقيق مثل هذا الثبات وهذه الحركة ، او مثل هذه الاصالة وهذا التجديد .

ب ـ فلننظر كيف بدأ الله في تكليف عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم بقراءة الخلق ، مع ذكر تركيبه العام الشامل بكل أنواعه ثم خص الانسان بالذكر ، وهو نوع قائم بذاته بين كتاب الخلق بكل فصوله ، ثم العلق ، وهو كالحرف في تكوين كلمة الانسان ، أو إن شئت فقل إنه الجزء البسيط الذي يتركب منه الوجود الانساني ، بكل ما فيه من ثبات وحركة ، جعلها الله أساس معرفتنا ووجودنا ، نحن البشر .

ثم تتصل الآيات ، فيقول الله تعالى : **( اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم )** فهاهنا ؛ يأتي ذكر القراءة اللغوية قراءة الحروف والكلمات والجمل ، التي تكتب بالقلم ، لتربط الأفهام ، بكل ما أمرنا الله به ، من عقيدة وقول وعمل ، وتبين لنا نواهيه في كل ذلك .

## ـ السنة تكشف لنا أسرار الحروف :

لقد جعل الله تعالى تركيب آياته القرآنية قائما على هذا النظام ابتداء من النظر في الحروف المجردة كما نرى في فواتح السور ، ثم ننظر في تركيب الكلمات من الحروف ، ثم ننظر في تركيب الجمل والآيات والسور ، ثم نقيس الأشباه والنظائر بين مواضع كل هذه الأنواع كلما اقتضت كلمة الله أن تكثر مقاصدها ، فتكثر مواضعها بمقدار متفق تماما مع المقاصد والغايات .

والسنة المطهرة لا تضعنا في صميم هذا التركيب القرآني على نحو ما رأينا فيما سبق ، الا ليزداد ارتباطنا بالقرآن ، وعيا وثباتا وتجددا .

روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ( الم ) حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وهذا التفسير للرسول صلى الله

عليه وسلم يبين لنا أنه لا سبيل للقدرة الانسانية على معرفة معاني الحروف ، لأنها أصوات مجردة لا يعلم معانيها الا الله وحده .

أما اذا اتصلت الحروف بالكلمات ، والكلمات بالجمل والجمل بالآيات ، والآيات بالسور ، فهكذا يكون فهمنا للمعاني ميسرا كما يسره الله وجعله موافقا لأساليب معرفتنا ونحن نحيا في صميم هذا الوجود الكوني الذي نعيش في رحابه .

فلما كان البشر لا يستطيعون ان يفهموا معاني الحروف فقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالربط بين قراءتها وبين الثواب الذي أعده الله لذلك ، ولم يأت في كلامه ما يشير الى معانيها .

ولقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا التفسير بين الحروف المجردة وبين التراكيب التي ترتبط بها مع تنوع صيغ الكلام ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ حرفا من كتاب الله » وهذا يشمل التراكيب في الكلمات والجمل والآيات والسور .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لا أقول : ( ألم ) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وهكذا ربط الرسول بذلك بين استقلال الحروف بأصواتها المجردة ، وبين ارتباط كل نوع بما يرتبط به من انواع التراكيب في الكلام ، وأنواع التراكيب المماثلة لها في آيات الله الكونية ، مع ما خص الله به القرآن ، من السمو على آيات الله الكونية ، بأنه لا مجال معه للهدم والبناء كما هو الشأن ، في الموت والحياة والبعث في حياة البشر ، كما قضى الله ذلك عليهم ، بكل ما يتصل بهذه الناحية من أحوال الكون المادي الذي يعيشون فيه ، وانما القرآن نور من نور الله ، يسره الله للذكر ، كما هو في ترتيب أجزائه وتركيبها ، فالقرآن وان كان في جملته نورا واحدا ، لا تبديل له ، ولا تحريف لمواضعه ، فهو في تفصيله يتضمن أنواعا كثيرة من وجوه العلم ، لا يحصيها أحد الا الله تعالى وحده لا شريك له .

وحتى يزداد الأمر وضوحا فان من الدليل العملي على التركيب المعجز لفواتح السور ، وهي الحروف القرآنية المجردة ، التي تأتي في القرآن غير مركبة في كلمات ، أنها تكثر في آيات السور التي نجدها في أولها ، كثرة لا مثيل لها في غير ذلك من السور . فلما كانت كلمات الآيات متنوعة في صيغها ، فقد دل ذلك على كثرة التنويع في حركة هذه الحروف بصيغ الكلمات ، من حيث ضبط الحروف ثم من حيث مواضعها في كل كلمة .

فلننظر – مثلا – الى قوله تعالى :

**( الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين )** يونس / ٢،١ .

ونحن نجد هذه الحروف الثلاثة التي تتكون منها ( الر ) تكثر وتتنوع

من حيث الضبط والموضع في كلمات هاتين الآيتين من سورة يونس .

وليتأمل ذلك من شاء فهو ظاهر لا ريب فيه فهكذا تعمل الحروف على تنويع صيغ الكلمات وتجديد حركتها بين آيات القرآن .

ثم تعمل الحروف في فواتح السور ، وهي مجتمعة في صيغها على تجديد أنواع الارتباط من حيث المقاصد التي نحصل عليها كلما نظرنا في حركة ( الر ) ـ مثلا في مواضعها الخمسة في القرآن كله .

ففي الموضع السابق اتصلت ( الر ) بالكلام عن آيات الكتاب الحكيم ، أي الآيات التي نزلها الله بمواضعها من سورها ، ثم بمواضع أجزاء هذه الآيات من حرف أو كلمة أو جملة فحيثما وجدناها في آيات وسور أخرى ، فلا بد أن يصلنا كل جزء بجديد من المقاصد ، مع ما يرتبط به من سياقه في كل آية جديدة .

ثم ننظر في الموضع الثاني لفاتحة السورة ( الر ) فنجدها ثابتة على نصها مما يدلنا على أنها تركيب واحد لا يتغير ، كما نجدها قد تحركت حركة جديدة هادفة بدليل تجديدها لما نحصل عليه من مقاصد القرآن حيث قوله تعالى :

**( الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير )** هود /١ .

ومن الجديد بيان التفصيل للآيات أي كثرة مقاصدها بكثرة ما ترتبط به أجزاؤها بسياقها في كل موضع جديد أو ترتبط به هذه الآيات بجملتها اذا تعددت مواضعها مثل : **( ولقد يسرنا القرآن للذكر )** القمر / ٣٢ ، أو **( فبأي آلاء ربكما تكذبان )** في سورة الرحمن .

ومن الجديد هنا كذلك ذكر مصدر هذا الاعجاز في تركيب القرآن **( من لدن حكيم خبير )** ثم ننظر في الموضع الثالث لفاتحة السورة ( الر ) فنجد تنويعا في تجديد المقاصد **( الر تلك آيات الكتاب المبين )** يوسف /١ .

ومن الجديد هنا ان وصف الآيات جاء دالا على أنها آيات الكتاب المبين . فالبيان أمر آخر غير الاحكام وغير التفصيل ، ولكنه متصل به ونتيجة من نتائجه .

وهكذا نلمح اتصال المقاصد التي تجتمع في أفهامنا ونحن ننظر في هذا التركيب القرآني المعجز ، اتصالا لا ينقطع مع التجديد والتنويع اللذين لا مثيل لهما في كلام البشر .

حتى إذا نظرنا في الموضع الرابع لفاتحة السور **( الر )** وجدنا قوله تعالى :

**( الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور )** ابراهيم / ١ ومن الجدير هنا بيان مهمة الرسول في تلقيه للقرآن كما يقول تعالى : **( أنزلناه اليك )** وترتيبه لآياته وسوره كما أمره الله وعلمه ، وهذا مستفاد من قوله تعالى : **( أنزلناه )** لأن الانزال يعني في بعض دلائله التركيب بما فيه من ثبات النصوص ، وحركتها كلما تعددت مواضعها ، ثم تطبيقه في الحياة العملية حتى يخرج المؤمنين

من الظلمات الى النور كما يقول تعالى : ( **لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ) .

ولا شك أن القرآن قد أخرج الناس جميعا من الظلمات الى النور لأنه هو الكتاب الذي قضى على كل ظلمات الجهل ، وفتح للناس جميعا آفاق الحضارة والتقدم ، فضلا عن الذين آمنوا بالقرآن وعملوا به ، فهم قمة عالية في الوجود الانساني .

وأخيرا نصل الى الموضع الخامس والأخير لفاتحة السورة ( **الر** ) حيث قوله تعالى : ( **الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين** ) الحجر /١ .

ومن الجديد هنا أن هذه الحروف المجردة في أساس البناء في تركيب الكلمات القرآنية بكل ما في صيغها من حركة وتنويع وتجديد ، ثم تركيب الجمل من الكلمات ، وتتركب الآيات من كل ذلك ، فذلك من بعض العلم في قوله تعالى : ( **تلك آيات الكتاب** ) ثم يتصل المعنى حتى نجد قوله تعالى : ( **وقرآن مبين** ) أي أن تركيب الآيات كما سبق بيان ذلك ، منه تتركب السور ، ثم ترتب كما رتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن من ربه ، فيكون في ذلك أساس البيان في القرآن ذاته ، وفي ما يقوم على أساسه من السنة العملية والقولية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال الله تعالى : ( **وقرآن مبين** ) وهذا نفسه هو المنهج القويم للبحث العلمي في الكون كله .

ذلك أن المعرفة الانسانية لا تحصل على المضامين والمقاصد من آيات الله الكونية ، الا في تراكيب وأشكال متنوعة تبدأ من أبسط الأشياء كالذرات والخلايا ، ثم يتسع التشكيل ويتنوع ويتجدد ، فنبدأ نحن البشر بمعرفة الأشكال ، ثم نتعمق في مضامينها ومقاصدها .

وهذا هو النظام المستفاد من تركيب القرآن ودلالة السنة عليه .

**ـ ثلاثة أنواع من القراءة :**

وهكذا تعلمنا هذه الآيات التي كانت أول ما نزل من القرآن ثلاثة أنواع من القراءة وأساليب المعرفة التي يسرها الله لنا نحن البشر .

**فأما النوع الأول** : فهو قراءة آيات الله الكونية ، وآياته القرآنية في سعة وشمول واتصال وهذا النوع هو أساس كل قراءة فلا يستعاض بغيره عنه .

والمقصود بذكر آيات الله الكونية ، مع آيات الله القرآنية ، أن الله نزل القرآن ، لنقرأه ونحن على وعي بكل ما يخبرنا به من حقائق الكون والحياة ، مع وجوب التفرقة دائما بين المخلوقات المادية ، وبين القرآن وهو من علم الله .

**وأما النوع الثاني** : فهو قراءة الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، لنعرف أنواع الأجزاء المركبة كالجمل التي تتركب من الكلمات ، والكلمات التي تتركب من الحروف ، وبكل ما يتجدد من المقاصد ، كلما تعددت

مواضع أي نوع من ذلك .

والمقصود بذلك أن نكون على وعي بأن نظام التركيب واحد ، في كلام الله ، وفي خلق الله ، وان كانت المخلوقات ، خاضعة لما كتب الله عليها من الموت والحياة ، بينما القرآن باق على تركيبه الذي لا يزول .

**وأما النوع الثالث :** فهو قراءة الحروف التي تتكون منها هذه التراكيب .

والأجزاء الدقيقة في مخلوقات الله تتنوع مع كثرة الخلايا أو الذرات ، وتشبه حروف اللغة في تكوينها وكثرة حركتها فيما خص الله به كل نوع من أنواع خلقه ، فهو يتكاثر مع ثبات خصائصه التي تقوم على هذه الحروف الدقيقة ، فتركيب الأشياء منها هو الذي يجعلنا نرى كل نوع من انواع الخلق .

ولننظر مثلا الى كتلة من الذهب او الحديد او الرصاص ، فنحن نراها طالما ظلت متماسكة في تركيبها القائم على ذراتها .

ولنترك ـ بعد ذلك ـ العقل يتصور أن ذرات هذه الكتلة المركبة المتماسكة قد تناثرت ذراتها ، وتباعد ما بينها من الروابط الوثيقة .

فهل يمكننا أن نراها بعد ذلك ؟

الحقيقة أننا لا نستطيع ان نرى الناس يتحركون في أرجاء الحياة أو نرى الجبال والأنهار والأقمار والشموس ، والغابات الفسيحة ، إلا إذا كانت مركبة من حروف الذرات والخلايا ، كما وصل الله أجزاءها ، وجعل حواسنا ، همزة وصل بين وجودنا بينها ، ووعينا بها .

فاذا تفرقت الذرات والخلايا ، وهي دقيقة لا نراها إلا بالمجهر الكهربائي ، استحال هذا العالم الذي نعيش فيه غيبا لا يراه إلا الله وحده لا شريك له .

لذلك جعل الله الربط على القلوب ، همزة وصل بينها وبين الحقيقة مهما تتباعد دلائلها ، ويحجب الغيب أسرارها ، وتدق آياتها عن الأفهام .

يقول الله تعالى عن أهل الكهف :

**( وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض )** الكهف/ ١٤

ويقول عن أم موسى عليه السلام :

**( إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين )** القصص/ ١٠

ويقول عن المؤمنين يوم بدر :

**( وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام )** الأنفال/ ١١

إننا أمام الاعجاز في الوحي الالهي ، الذي يتجلى في أن الله تعالى ، علم عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو النبي الأمي ، أنواعا من القراءة ، والعلم ، والتفسير ، ليست لأحد غيره ، وانما سبيلنا الى معرفتها هو اتباعه ، والأخذ عنه ، ولا سبيل الى هذا النور المبين ، الا بذلك .

وحسبنا في هذا البحث ان حاولنا ـ معا ـ ان نتبين معالم منهج كامل للتفكير الشمولي السديد ، بالقرآن والسنة معا .

# التلازم بين التشريع السماوي ووجود الانسان

الله سبحانه وتعالى حينما خلق الكون جعل له نظاما وقانونا بحيث لا يخرج عنه ، ونلاحظ أن الكون يسير على أسس وقواعد ، تحفظ له بقاءه واستمراره على أحسن وجه ، فالشمس تشرق وتغرب ، ويتعاقب الليل والنهار ، والقمر له منازل لنعلم أول الشهر وآخره ، وعدد السنين والحساب ، قال الله تعالى ( **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون . إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون** ) يونس/ ٥ ، ٦

كما نجد أن الله خلق السماوات والأرض وما فيهما ، ونظم شئونها ، ودبر أمورها وسير حياتها بما فيه المصلحة ، ودوام المنفعة ، قال الله

## الحلقة الخامسة

للدكتور محمد طموم

تعالى : ( **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون** ) يونس/ ٣ .

فاذا كان هذا شأن الله في الكون ، ومع جميع مخلوقاته ، فكيف يتصور تخلف ذلك مع أفضل مخلوقاته ، وهو الانسان ، الذي كرمه ، وسخر له الكون لخدمته ، فهو أولى بالرعاية ، وذلك بالتقنين له لتنظيم حياته واستقراره ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل كل مخلوقات الله في السماوات والأرض من جماد ونبات وحيوان وغير ذلك تعبد الله وتسبح بحمده ، قال الله تعالى : ( **تسبح له السموات والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ) الاسراء / ٤٤ .

فاذا كان هذا شأن الله في الكون ، ومع جميع مخلوقاته ، فكيف يتصور تخلف التقنين والتنظيم والارشاد من أفضل مخلوقات الله ، وهو الانسان ، الذي كرمه وفضله ، وسخر الكون لخدمته؟ فهو الأولى بالرعاية ، وذلك بالتشريع له ، والتقنين من عند خالقه ، حتى تنتظم حياته وتستقر .

قال الله تعالى : ( **وإن الدين لواقع** ) الذاريات / ٦ .

واعتقد أنه لا ينكر ذلك عاقل ، فضلا عن كونه مؤمنا بوجود الله .

وسأؤكد وجود التشريع السماوي من عند الله من بدء الخليقة ، وحتمية التلازم بين وجود التشريع الالهي ووجود الانسان الأول على الكرة الأرضية ، وأن الانسان الأول والأسرة الأولى رافقها التشريع السماوي ، وأن الله تعالى لم يتخل عنها لحظة من وقت أن وطئت الأرض ، ووجدت عليها ، وذلك بما يأتي :

### ١ ــ الخلافة :

قال الله تعالى : ( **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ) البقرة / ٣٠ .

وقال تعالى : ( **هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا** ) فاطر / ٣٩ .

فالله سبحانه وتعالى جعل الانسان خليفته في الأرض ، وتعيينه خليفة يقتضي صدور الأمر له بما يجب أن يفعل ، ونهيه عما يشينه ويبعده عما كلف به ، وتوضيح الواجبات عليه ليؤديها ، والمعاصي ليتجنبها ، وهذا هو التكليف والتشريع السماوي .

٢ ـ **التكريم :**

قال تعالى : ( **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ) البقرة/ ٣٤ ، وآيات الاسراء/ ٦١ ، طه/ ١١٦ .

قال الله تعالى ـ على لسان إبليس عندما امتنع عن السجود لآدم : ( **هذا الذي كرمت علي** ) الاسراء / ٦٢ .

وقال تعالى : ( **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات** ) الاسراء / ٧٠ .

فالله سبحانه وتعالى كرم الانسان ، وأمر بتكريمه ، وسخر له مخلوقات الله من جماد ونبات وحيوان ، والبر والبحر والجو ، وغير ذلك ، ومن التكريم أن ينظم الله حياته ، وذلك بالتقنين والتشريع له ، وإرشاده الى ما يحفظ كرامته ، حتى يحافظ على مكانته بين سائر خلق الله .

٣ ـ **التفضيل**

قال تعالى : ( **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ) الاسراء / ٧٠

فالله تعالى قد فضل الانسان بالعقل والعلم وغير ذلك ، واذا كان الله قد نظم الكون وما فيه من مخلوقات ، ووضع لكل منها قانونا تسير عليه ولا تتعداه ، فمن باب أولى أن يضع قانونا للانسان يسير عليه ، ويسترشد به في حياته ، لتستقيم شئونه ، ويسعد في حياته الدنيوية ، فتحسن آخرته ، فلا أقل من أن يتساوى مع غيره من مخلوقات الله في التقنين والتنظيم من عند الله ، ولا يتصور أن يكون أقل من بقية المخلوقات من جهة التقنين والتنظيم ، بل يستحيل ذلك عقلا وشرعا ، قال الله تعالى : ( **أيحسب الانسان أن يترك سدى** ) القيامة/ ٣٦

٤ ـ **العبادة :**

قال الله تعالى : ( **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ۰ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ) الذاريات/٥٦ ـ ٥٨ .

وقال تعالى : ( **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله الا أنا فأعبدون** ) الانبياء / ٢٥ .

الانسان خلق ليعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئا ، والعبادة هي طاعة الله فيما أمر ، والبعد عما نهى الله عنه ، ولن يتمكن الانسان من عبادة الله الا بمعرفة أوامره ونواهيه ، ولتحقيق ذلك لا بد من بيان هذه الأوامر والنواهي للانسان ، وتبليغها له ، وطريق ذلك إرسال الرسل بالشرائع السماوية ، قال الله تعالى : ( **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ) فاطر/ ٢٤ .

٥ ـ **عداوة إبليس للانسان وتحديه :**

قال الله تعالى : ( **فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك** ) طه/ ١١٧

وقال تعالى : ( **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض**

**مستقر ومتاع إلى حين )** البقرة/ ٣٦ .

وقال تعالى : **( قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان )** الاسراء/ ٦٢ ـ ٦٥ .

وقال تعالى : **( قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين )** الحجر/ ٣٩ ، ٤٠ .

وقال تعالى : **( إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا )** الاسراء / ٥٣ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله عداوة ابليس للانسان ، واستمراره في هذه العداوة ، وإصراره عليها ، وحقده على الانسان ، وتحديه للانسان ، محاولا اثبات عدم أفضلية الانسان عليه ، وعدم طاعته لله ، وقد قبل الله تحديه للانسان ، وأعطاه قوة ، وسلطة الاغراء والتزيين لضعاف النفوس ، ثم أنزله مع الانسان ليعيش معه في الأرض ، فلا يمكن شرعا وعقلا ان يترك الله الانسان بدون إرشاد ، وبدون تبيين الطريق المستقيم ، ولذلك كان التشريع السماوي للانسان من أول وجوده على الأرض أمرا حتميا ، اقتضته عدالة الله تعالى .

**٦ ـ حادثة ابني آدم قابيل وهابيل :**

قال الله تعالى : **( واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء باثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين )** المائدة/ ٢٧ ـ ٣٠ .

يبين الله لنا في هذه الآيات ما حدث لأول ذرية للأسرة الأولى ، الذي تكون منهم أول مجتمع إنساني على الأرض ، وبمتابعة الحوار الذي دار في هذه القصة ، بين قابيل وهابيل ـ ابني آدم ـ يتبين لنا أمور كثيرة ، يثبتها هذا الحوار ويؤكدها ، ونستخلص منها أن المجتمع الانساني الأول عرف أفراده ما يأتي :

أ ـ القربى والتقرب ، ووسيلة التقرب ، وعلامة القبول وعدم القبول ، ومن الذي يتقبل منه .

ب ـ التقوى وخوف الله ، والمعصية والاثم ، والظلم والاعتداء ، وجزاء ارتكاب المعاصي .

جـ ـ الله سبحانه وتعالى وشرعه ، وأوامره ونواهيه ، وهو الذي يتقرب اليه ، وهو الذي يقبل عمل المتقين ،

ومعصيته إثم وظلم ، وأنه الذي يحاسب .

د ـ اليوم الآخر ، والحساب ، والجنة والنار .

ومن كل هذا يتضح أن الله شرع للمجتمع الأول ، وبين لهم أحكامه ، ولم يتركه بدون تشريع ينظم حياة أفراده ، لأن هذه الأمور لا تدرك بالعقل .

### ٧ ـ تتابع الرسالات :

قال الله تعالى : ( **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ) فاطر / ٢٤ .
وقال تعالى : ( **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ) المائدة/ ٤٨ .
وقال تعالى : ( **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ) غافر/ ٧٨ .

ثابت أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل الى الناس في عصور وأزمنة مختلفة ، وأمكنة متعددة ، وقد تتابعت الرسالات واستمرت ، حتى ختمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بعثه الله الى الناس كافة ، والى يوم القيامة ، فاذا كان هذا إرادة الله مع الناس ، وعنايته بتنظيم حياتهم وشئونهم حتى نهاية الدنيا ، فذلك دليل على عناية الله واهتمامه بأول مجتمع إنساني على الأرض ، لأن حاجته إلى التقنين والتشريع أشد ، بل هو أولى . فكان إرسال الرسل واستمرار الرسالات حتى يوم القيامة ، دليلا على بدء حياة الانسان على الأرض بالرسالة والتشريع الالهي .

### ٨ ـ حساب الانسان :

قال الله تعالى : ( **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ) الاسراء / ١٥ .
وقال تعالى : ( **يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد . ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم** ) المجادلة / ٦ ، ٧ .
وقال تعالى : ( **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ) الزلزلة / ٧ ، ٨ .
في هذه الآيات الكريمة ، وغيرها من الآيات ، يبين الله سبحانه وتعالى أنه سيحاسب كل فرد على عمله ، خيرا أو شرا ، وعدالة الله تقتضي أن يبين للناس أوامره ونواهيه قبل حسابهم ، وذلك بالتشريع لهم وإرسال الرسل ، فدل ذلك على أن التشريع الالهي يبدأ مع بدء حياة الانسان على الأرض ، وينتهي بانتهاء حياة الانسان على الأرض .
ومن كل ما سبق يتبين لنا حتمية التلازم بين التشريع السماوي ووجود الانسان على الأرض .

للاستاذ / ضياء الحاج حسين

الداء السكري هو اضطراب في عملية الاستقلاب الغذائي ، وخاصة استقلاب ماءات الفحم ، ويحدث نتيجة قصور في غدة خاصة تقع تحت المعدة مرتبطة بالقناة الهضمية ، تدعى المعثكلة ( البانكرياس ) فهي عند المصابين بالداء السكري غدة متعبة لا تنتج كفاية البدن من الانسولين مما يؤدي ببدن المصاب لعدم استفادته الكاملة من ( السكاكر ) ، ويطرح الفائض منها مع البول خارج الجسم ، ويرى

العالمان Beck و Smedly في كتابهما :

« Honey & your Healt » والذي صدر في Bantam في نيويورك عام ١٩٧١م .

بأن داء السكري ينجم عن تصلب المعثكلة والتهابها نتيجة الافراط في تناول السكر الصناعي وكذلك ملح الطعام ، ويورد العالمان المذكوران تجربة ( أريما ) Arema الياباني التي اجراها على نفسه في طوكيو ، ولم يكن يشكو طيلة حياته من الداء السكري ، وفي عام ١٩٤٣ أخذ يفرط عن عمد في تناول ملح الطعام ، فبدأ يعاني من كثرة التبول أعقبه إصابة بالداء السكري .

وقد كرر التجربة مرة ثانية فتكررت نفس النتيجة ، والعالم Areman وصف الانسان المتمدن بأنه « مخلل أو كبيس بالملح » وهو يعتقد أن الاصابات المبكرة في الشرايين والشيخوخة يسببها « الملح » . وكثير من علماء التغذية ضد استعمال

الملح ، وينسبون له حين كثرته في الطعام التصلب والخمول لأن المخ والاوعية والعضلات والعيون والأجهزة التناسلية وغيرها ، تفقد مرونتها وتصبح قاسية ثم تتكلس وبالمثل نجد أن السكاكر المصنعة كالسكر العادي له نفس التأثير الضار .

ويعتبر نقص الغلوكوجين من أهم مظاهر الاضطراب في الداء السكري ، ويختزن الغليكوجين عادة في العضلات والدم ، وعلى الاخص في الكبد التي تعتبر بنك الادخار الرئيسي لتخزين هذه المادة ، ثم يستعمله البدن كأهم مصدر للطاقة على شكل سكر عنب .

والبدن المصاب بالسكري والعاجز عن حرق سكر العنب ، يضطرب عنده ايضا استقلاب الدهن لان المواد الدسمة ـ كما يقال تحترق بلهب السكريات . وعدم الاحتراق الكامل للدسم في الجسم يكون الحموضة الامينية غير المؤكسدة التي تدعى بالحلول Aceton وهذا يؤدي الى اضطراب في التوازن الحمضي ـ القلوي في العضوية وتستنزف في النهاية كل مدخراتها القلوية . ثم إن لاستقلاب السكاكر أهمية كبيرة للمراكز الدماغية ولتمثلها عملا هاما في الفعالية الكيمائية للخلايا الدماغية ، ويبدو ذلك واضحا من استعمال الانسولين لمعالجة مختلف الاضطرابات العقلية . وأن نقص السكر عند المصابين بالداء السكري والانقباض النفسي وحالة السبات Coma التي قد تنتهي بالموت ، تدل على ما لتمثيل السكر من اهمية في نشاط الخلايا الدماغية واستعمال الانسولين « هرمون المعثكلة » يصلح الوضع المرضي عند السكريين ويحول ماءات الفحم الى غلوكوجين ، فالانسولين ملحق في معالجة الداء

السكري ، ولكن ليس وسيطا للشفاء ، واستعماله عملية شاقة . اذ يتحتم على المصاب ان يحقنه في اوقات خاصة كما أن جرعته أو كميته يجب ان تتناسب مع نوعية الطعام ودرجة تحمل المصاب ... الخ ، وكلها اجراءات تتطلب المزيد من الوقت والمصروف والجزع عند استعماله ، وتشترك فيها الكيمياء مع الحساب كما نرى .

ولهذا فكل مادة تستعمل في الحالات المتوسطة عن طريق الفم لتحويل السكاكر الى غلوكوجين لا تقدر بثمن . وان الاستغناء عن استعمال الحقن المزعجة تحت الجلد يكون بحد ذاته خدمة للمريض واراحة له لا يقدر ثمنها .

وعلاوة على هذا فلوسئل المصابون بالسكري فيما إذا كانوا راضين عن نوعية الطعام الذي يمكنهم تناوله لأجابوا بصعوبة تحمل هذه الحمية لحرمانهم من تناول السكريات طيلة العمر .إن العسل والسكر المكرر مختلفان كثيرا ليس في تركيبهما الكيماوي فقط بل وفي تأثيرهما الغريزي ( الفيزيولوجي ) أيضا .

وان احتواء العسل على سكر محول (Innerted Sugar) يوفر على العضوية القيام بعمل لتحويل السكر التجاري . وهذا عامل هام وله منفعة تستحق الاهتمام . وبالنسبة لداء السكري فهناك اختلاف كبير بين العسل والسكر كما أن هناك اختلافا بين سكر الفواكه وسكر العنب .

وسكر الفواكه يشكل جزءا هاما اذ تبلغ نسبته حوالي ٤٥٪ من تركيب العسل وهنا يجدر بنا أن نسرد نتائج ابحاث كوخ Koch وبوم غارتين Boumgarten اللذين وجدا أن إعطاء السكر المقلوب أوالمحول (Innerted Sugar) ومنه سكر الفواكه بالوريد لا يرفع سكر الدم الا بمقدار ضئيل اقل بكثير من ارتفاعه بعد اعطاء سكر العنب . كما وجد هذا العالمان أنه بعد إعطاء محاليل العسل وريديا فان مستوى سكر الدم يهبط أيضا !! وقد ربطا هذه الظاهرة بفعل نوعي للعسل . ولقد قام العالمان كيليان وتوبياس من جامعة فرانكفورت بالمانيا الغربية بسلسلة من التجارب هدفها اثبات إمكانية استعمال العسل كمادة للتحلية لدى المصابين بالسكري ، وإعطا كمية متعادلة من عسل النحل وسكر العنب ( نفس المعادل الكيمائي ) لاشخاص أصحاء وآخرين مصابين بالداء السكري .

فعند المجموعة الاولى ( الاصحاء ) عوير سكر الدم مرتين الاولى بعد اعطاء ٥٠ غ من سكر العنب ، والثانية بعد مضي يومين وبعد اعطاء ٦٢ غ من العسل ( وهي المعادل الكيمائي لـ ٥٠ غ من سكر العنب حسب جداول شال ) فتبين أن

سكر الدم يرتفع بعد اعطاء العسل بشكل أسرع قليلا عنه بعد اعطاء سكر العنب وهبوط سكر الدم بعد فترة يكون اسرع قليلا في حالة اعطاء العسل منه عن حالة سكر العنب .

وعند المجموعة الثانية ( المصابين بالداء السكري ) وجدا اختلافا بين ارتفاع مستوى السكر الوسطى عند من تناولوا سكر العنب وبالعكس لوحظ هبوط مستوى سكر الدم الوسطى عند بعض من تناولوا العسل اذ في ٥٠٪ من المصابين هبط سكر الدم بعد ١٨٠ دقيقة من تناول العسل الى ما تحت المستوى الاصلي وقدبين هذان العالمان بأن إعطاء السكريين مقدار ٢٠ غ عسلا صباحا و ٢٠ غ بعد الظهر ( دون تغيير في كمية الانسولين أو نوعية الحمية ): لا تؤثر بصورة ملحوظة على مستوى سكر الدم اليومي عندهم وكذلك أكدا بأن أنواع العسل المختلفة لها تأثير مختلف أيضا . فالعسل الصيفي حيث لا تطعم النحلة غير رحيق الازهار هو عسل ممتاز للسكريين ونتائجه جيدة بينما العسل الشتوي ( حيث يطعم النحل السكر العادي ) لا يناسب السكريين لاحتوائه على نسبة مرتفعة من السكر العادي أو سكر القصب .

ولقد تابع الدكتور ستويمير ملادينوف S Mladenov من صوفيا عام ١٩٧١ تغير مستوى السكر في الدم والبول عند ٥٠٠ مريض بالطرق التنفسية مع مستوى سكر دموي بالحدود الطبيعية كانوا خاضعين للمعالجة بالعسل ، وقد تناول الواحد منهم من ١٠٠ ـ ٥٠٠ غ من العسل يوميا وطيلة عشرين يوما . ففي خلال هذه الفترة لم يرتفع مستوى السكر الدموي بل بالعكس انخفض من ١٢٧,٧ غ / ل إلى ١٢٢,٧ غ / ل أما في البول فلم يلحظ له أي أثر وقد نشر الدكتور ( دافيدوف ) الروسي في مقاله ( العسل والداء السكري ) . مجلة الطبيب الروسي عدد ٢٦ لعام ١٩١٥ م خلاصة في استعمال العسل لمرضى السكر ، فبين ما خلاصته أن استعمال العسل لمرضى السكر مفيد جدا في الحالات التالية : ـ

( ١ ) كنوع من الحلوى ليس لها ضرر ( ٢ ) كمادة غذائية تضاف الى نظام المريض الغذائي ، لأن المريض إذا تناول العسل لا يشعر بعده بأي رغبة في تناول أي نوع من الحلوى المحرمة عليه ، وهذا عامل مهم في الوقاية ( ٣ ) كمادة مانعة لتحلوية الدم ( وهو مادة الاسيتون الخطرة في الدم ) اذ ان ظهور الاسيتون في الدم يحتم استعمال السكريات ، واتباع نظام أكثر حرية في الغذاء على الرغم من مضارها للمريض ، وذلك للحيلولة دون استمرار وجوده .كمادة سكرية .. لاتزيد ، بل على العكس تنقص مدة إفراغ سكر العنب وأطراحه في بول المصابين بالسكري .. وقد تم اكتشاف تغير ذلك علميا بعد أن تم اكتشاف ( هرمون ) مشابه ( للانسولين ) في

تركيب العسل الكيمائي وان سكره هو سكر الفواكه .

والدكتور امريك من بلدة ايتون بأوهايو – الاخصائي بمعالجة السكري ، استعمل العسل بنجاح مع الراتب الغذائي لأكثر من ٢٥٠ مريضا – وشهرة الدكتور غوس من بلدة Middle Perry انه كان يعالج السكريين بالعسل . والمعروف ان المرضى يأتون اليه للمعالجة وهم ضعاف منهكون . وبعد برهة يستعيدون وزنهم ونضارتهم ويستطيعون السير لأميال وفي الكتاب الذي نشره كل من بيك وسمدلي في كتاب (Honey your Health) وصف لكثير من الحالات المرضية يبين ان العسل قد تحمله المصابون بالداء السكري واعطاهم القوة اللازمة منها :

( ١ ) حالة السيد غ . ج من بلدة كاوكونا بولاية وسكنسون الامريكية .

( ٢ ) وكذلك حالة السيد ف . د . وزوجته كانا مصابين بالسكري وبعد المعالجة عند العديد من الاطباء وعدم الاستفادة ، لجأ هذان الشخصان الى العسل والى الفواكه بكثرة فأصبحا معافين .

وفي عام ١٩٣٩ درس البروفسور فاتيف Vatev من كلية طب صوفيا التأثير الدوائي للعسل على الاطفال المصابيين بالداء السكري وتوصل بالنتيجة الى القول : لقد تبين لي بشكل لا يقبل الجدل حسن تأثير العسل على سير الداء السكري ، فقد عالجت ٣٦ طفلا مصابا بالسكري وحصلت على نتائج جيدة ، ولقد كنت أعطي الطفل المصاب ملعقة شاي واحدة من العسل قبل كل وجبة طعام « أي ٣ ملاعق شاي يوميا مع تطبيق الحمية الخاصة المعروفة » .

وينصح البروفسور ايوديش ١٩٦٦ السكريين بتناول العسل ، وخصوصا ما يسميه « العسل الفيتامين » والذي حضر خصيصا للسكريين من قبل « معهد الفيتامينات للابحاث العلمية التابع لاكاديمية العلوم الطبية السوفياتية » . والعسل الفيتامين هو عسل نحل طبيعي ويفضل عسل التفاح والحمضيات . مضافا اليه بطريقة خاصة مجموعة الفيتامينات ب وخصوصا ب أ و ب ب وفيتامين C والتي تبدي تأثيرا حسنا على استقلاب ماءات الفحم في عضوية المصاب بالسكري . والعسل الفيتاميني يعطي بدون شك – كما يرى أيوديش – فائدة كبيرة للسكريين ، حتى إن بعضهم أمكنه الاستغناء مطلقا عن حقن الانسولين .

ونحن نرى أن المصابين بالداء السكري يمكنهم أن يجربوا ما ورد في هذه الصفحات على لسان عدد كبير من الاطباء والباحثين ، إلا أنه بدون شك يجب أن يتحروا العسل الصافي الخالي من الغش ، وأن يتأكدوا من أن النحل لم يطعم السكر العادي . وأن تجرى المعالجة تحت إشراف طبيب اختصاصي .

# هذا هو

للشيخ/ معوض عوض ابراهيم

أخذ انقضاء القرن الرابع عشر للهجرة النبوية وابتداء القرن الجديد شيئا من اهتمام المسلمين ، تمثل في بعض المحاضرات والخطب والأحاديث المسموعة والمقروءة ، وأحفال أقيمت في عدد من المدارس والمؤسسات العامة ، ثم أسدل الستار ، ومضى الى طيتهم الذين أسهموا في كل هذه الأعمال والأحفال قبل أن يتواصوا بابراز عبر حادث الهجرة ودروسه بعامة ، منائر هادية راشدة للناس ودون أن يردوا الأبصار والبصائر الى ما في مرور أربعة عشر قرنا على الدين العظيم من عظات لابد أن تؤخذ ، في ظروف كان الاسلام فيها يحكم دنيا الناس ، فكانوا به خير أمة أخرجت للناس ، وأحقاب كان أهل الاسلام فيها أبعد ما يكونون عن دينهم ، حين فتحت عليهم الدنيا ، وتنافسوا في احراز حطامها أو السقوط في شهواتها سقوط الذباب في الشراب ، فتداعت عليهم الأمم ، وكان أمرهم فرطا كما يعرف ذلك في بعض مراحل الماضي ، ويراه في بعض جوانب الواقع من يرى ويسمع ويقرأ التاريخ .

ولقد استقبلت بعض دول الاسلام مطلع القرن الخامس عشر للهجرة بنشاط اعلامي مكثف ، ومؤتمرات ومقررات ينجزها القوم على المدى القريب في العام الأول ، وعلى المدى البعيد في خمسة أعوام !! ولو أن هذه المقررات خرجت الى حيز التنفيذ لكانت شيئا ذا بال ، في رد الناس الى دينهم ، وشد الأواصر فيما بينهم ، والانطلاق بذلك الى ما يشبه اليقين ــ إن لم يكنه ــ بأن عزة المسلمين في الاعتصام بحبل الاسلام ، والتزام هدايات هذا الدين ، واستلهام سيرة أوائلهم ، ومواصلة المسيرة التي بدأوها في نور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فكانوا أهل سنة الله تعالى في قوله :

**( واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ) الأنفال/ ٢٦**

وما زال في الامكان أن توفي الدول والهيئات بما وعدت ، وأن يتراءى ذلك

# الطريق

واقعا ينير المسالك ، ويهدي الحيارى ، وينبه الذين كأنهم في بعض الحال الذي يقول له من قال سكران : سكر هدى وسكر مدامة .. ومتى إفاقة من به سكران !

حتى لا يكون القوم ممن قال فيهم رب العالمين :

**( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ) الصف/٢و٣**

ان الاسلام الذي هاجر به النبي صلى الله عليه وسلم هو الاسلام الباقي كتابا وسنة وسيرة رجال ، سلكهم الله مع مصطفاه في مجال الاشادة به وبهم فقال سبحانه :

**( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ) الفتح/٢٩**

ولقد وصل هذا الصف الكريم في اعصار وأمصار رجال ونساء تتعطر بسيرتهم الحياة ، ويبقون عدة النبي صلى الله عليه وسلم ومبعث فخره في قوله : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » والحديث أخرجه مسلم حتى ذكر أقواما يأتون من بعدهم « يظهر فيهم السمن » وهؤلاء الخلوف تقع عليهم الأعين بدون عسر في مواقع ذوات عدد من المجتمع : عبيد دنيا مؤثرة ، وشهوات مدمرة ، وأنانيات لا تصل أصحابها واصلة بالأنصار الذين هاجر اليهم المسلمون ، فأنزلوهم االصدور والدور على سواء ومجدهم الله في الذكر الحكيم فقال :

**( والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون )** الحشر/٩

وليس عسيرا أن يثوب الناكبون عن طريق الاسلام الى رشد ، وأن يفيئوا الى أمر الله ، ولا عذرلهم ان لم يسرعوا التوبة ، ويتعجلوا الى دينهم

الأوبة ، فهم خلف لسلف راشد ، ان كان قد خالط حياتهم من الغفلات ، وعراهم ما عراهم من كدر الشهوات ، فانهم بعنصرهم الأصيل ، واصلهم الماجد ، يشيعان الأمل في غد قريب يكونون فيه خير خلف لخير سلف ؛ بالعمل لا بالانشاد والتمني والأمل ورحم الله اسماعيل صبري فهو يقول لواردى النيل ..

لا تقربوا النيل ، ان لم تعملوا عملا
فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

وأين هؤلاء من واردي الاسلام أكرم مورد ؟ ! ان عطاء الاسلام يتجدد ، ولا ينفد ، وان المسلمين قد عرفوا اقبال الحياة وإدبارها ، وذاقوها أذاويق صافية ، أو كدرة بقدر ما عاشوا بالاسلام ، أو عاشوا بالأهواء والأوهام !!

وما ينبغي أن يمضي قرن هجري ، ويقبل آخر ، ونحن في مفترق الطريق في أماكننا لم نتقدم بالاسلام خطوة تؤهلنا لخطوات على صراط الكمال الممكن ، أو ـ في أقل القليل ـ ونحن لا نذكر دواعي التخلف والنكوص على الأعقاب ، لننطلق بعلم وايمان الى مراد الله عز وجل من الأمة التي قال الله فيها :

**( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )** آل عمران/ ١١٠

ولا ريب في أن الاسلام قد مني بقواصم الظهور ، وكاد له عبر الدهور أقوام بما كان بعضه يكفي في استئصاله كلا أو بعضا ـ كما قال الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز ـ رحمه الله ، وذهب أولئك الأعداء وبقى الاسلام مصداق عدة الله تعالى :

**( ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون )** الأنفال/ ٣٦و٣٧

أجل بقى الاسلام ـ وسيبقى عدة الله التي تجدد للمتشبثين به عهد الله ووعده بأن يذكر من يذكره ، وينصر من ينصره ، ويضاعف خيره لمن يشكره ـ وذهب كأمس الداء من كادوا للاسلام ومكروا ، وعرف الناس أفراخا لهؤلاء الذين مضوا ولا كرامة ، تتسلط عليهم الأضواء في شتى الأنحاء ، وهم أحقر وأدحر من أن يزعجوا الخواطر أو يزعزعوا البصائر ان نحن أخذنا الاسلام مأخذ الجد ، وأنزلناه منزل الهيمنة والتوجيه لمسيرة المجتمع ، ثقة بأنه شرع الله ودينه العاصم من كل كيد وشر وضر ..

ومن الجديد الذي أشعه قيد الأنظار بمناسبة حفل النادي الثقافي الهندي في الكويت باطلالة القرن الخامس عشر الهجري ، أن جيمس الأول ملك الانجليز أرسل الى الامبراطور المسلم في الهند رسولا بعد

أن قامت الشركة الشرقية الهندية الانجليزية ، وسيلة لتغلغل الانجليز في القارة الهندية ، فأهمل« جهانكير » رحمه الله ، رسول جيمس مدة عامين ، ولم يأذن بلقائه ، وتوسل الرسول الى رئيس الوزراء أن يعينه على أن يعود بكتاب من الامبراطور الى مليكه ، وكان رد الرئيس على مستوى اهمال الامبراطور للرسول الانجليزي اذ قال له « ان مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم ، أن يكتب كتابا الى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون » !! .. وهو اعتزاز بالاسلام ، نتساءل أين مثاله في دنيا الذين يقول كتابهم ( **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ) كان ذلك في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة ، وكان الاسلام يهيمن على القارة الهندية عبر ثمانية قرون ، واشعاع الاسلام يصل ما بين بلاد العرب وبلاد الهند وقوافل التجارة متصلة والتجار بايمانهم وسلوكهم الاسلامي ، وجهودهم الشخصية تعمق إيمان الاخوة في الديار النائية التي تلامس رءوس أهلها السماء ، لو أرادوا بجدارة ، فآثارهم العلمية وعنايتهم بكتب السنة والسيرة والفقه وغيرها تشغل حيزا ضخما في المكتبة الاسلامية بلسان القرآن ولغة العرب التي تكاد تحس وحشتها وغربتها في مؤسسات علمية وفي نواد وجماعات ثقافية في بلادنا العربية .

وكم كنت سعيدا وأنا أصغي بكل ما أملك من اصغاء وانصات الى شاب هندي كان يقرأ سورة « ق » في حفل النادي الثقافي الهندي ، بمستوى من القراءة حفظا وتجويدا وأداء ، ووددت أن يطول ويتصل ، وأن يسمعه أساتذة لهم في ميادين العلم اعتبار ، ليتعلموا من أحد أبناء الاسلام في الأفق البعيد . كيف يقرأ القرآن ؟ !!

.. وبعد فهل قضينا حق الاسلام بما قيل عنه وكتب في هذه الأيام ؟ لئن كان ذلك هو الوفاء للدين الذي يرجح بكل هبات الله تعالى لكان الوفاء شيئا هينا يسيرا ، لكن الأمر ليس كذلك ونحن بعد كل ما قيل وكتب نرى دنيانا كما قيل

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

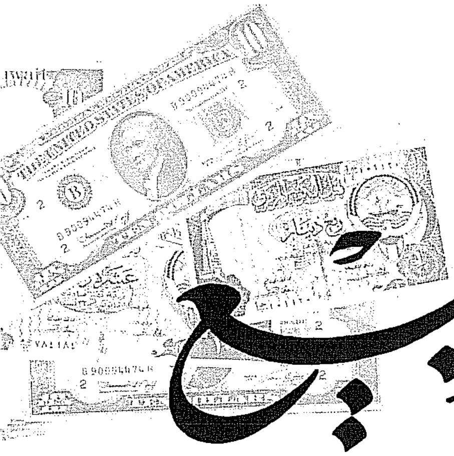
ان الوفاء في أيسر صوره وأشكاله للرسالة الخاتمة ، وللدين الذي أكمله الله وامتن به على المسلمين فقال ( **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ) المائدة/٣

هذا الوفاء يبقى زعما ودعوى حتى نراجع هذا الدين ، ونرجعه ليحكم مسيرة هذه الأمة بدون استثناء حكم من أحكامه أو قضية من قضاياه في السياسة والاقتصاد والادارة ونحن نطلب النصر بأسبابه من كتاب الله تعالى :

( **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ) الحج/٤٠و٤١

هذا هو الوفاء لأنفسنا ، وهذا هو الطريق !!

## ردّ على مقال



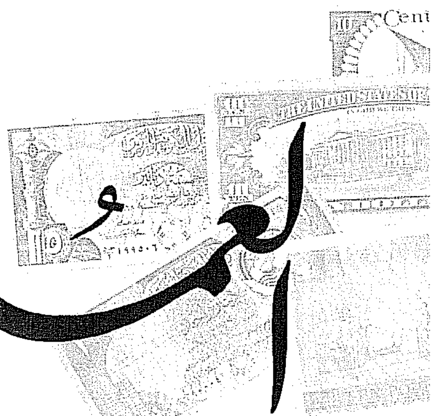
# الصرف وبيع

أحمد الله تعالى وأستغفره وأعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأصلي وأسلم على خير الانام محمد وعلى اله وصحبه والتابعين لهم باحسان ، وبعد : فقد جاء في العدد ١٩٢ من الوعي الاسلامي الصادر في اول ذي الحجة ١٤٠٠ هـ الموافق اكتوبر ١٩٨٠ م مقال عنوانه « الصرف وبيع العملات » للدكتور الفاضل علي أحمد السالوس ، وذكر الدكتور في مقاله انه استمع الى شريط مسجل فيه فتوى بجواز بيع الاوراق النقدية باوراق نقدية اخرى باجل مع جواز الزيادة في مقابلة الاجل على طريقة ما يسمى « بيع السلم » المباح شرعا بنص الحديث وذكر الدكتور ادلة على تحريم هذا النوع من التعامل في العملات وعلى انه الربا الذي حرمه الله تعالى تحريما قطعيا وتوعد فاعله بالحرب والمحق لما اصابه من مال نتيجة ذلك . وقبل البدء في الرد على المقال المذكور وايضاح وجهة نظري ابادر فاقول :

١ ـ أشكر للدكتور على غيرته وجهده في محاولة تبصير المسلمين بالحرام والحلال في معاملاتهم المالية التى أصابها من غبار الحرام شيء كثير جدا سوى ما ذكر .

٢ ـ أرجو كل عالم غيور أن يتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » فيحاول التيسير ما وجد الى ذلك سبيلا تدعمه الأدلة .

# العملات



للشيخ/ حسن محمد أيوب

٣ ـ لا يليق بعالم أن يحكم بخطأ غيره إلا إذا لم يجد له في فتواه مستندا من الأدلة ولا قائلا برأيه من أئمة الأمة الاسلامية ، فان كان له مستند ومعه غير الامام الواحد أئمة يقولون بقوله فان تخطئته حينئذ هي الخطأ بعينه :يمكن أن يقال : هذا رأيه ولا نوافقه عليه . ولا يجوز أن يتهم بأنه أحل الربا وأنه معلن من الله ورسوله بالحرب .... الخ .

٤ ـ إن الرجوع الى الكتاب والسنة وإلى تصرف الفقهاء في الأدلة واستنباط الأحكام فيها مع التعمق والصبر في البحث لو حدث مع النظرة العملية إلى واقع المسلمين والتطورات التي حدثت في عصرنا هذا لغير كثير من العلماء من آرائهم وتركوا المغالاة المعوقة والوقوف على صخرة الجمود التي أوقفت حركة المد الاسلامي قرونا عديدة .

وقد كان فقهاؤنا يغيرون من اجتهاداتهم حسب ما يظهر لهم من ضروريات ومقتضيات . والشافعي في مذهبه القديم والجديد ، وأحمد في آرائه المتعددة حول المسألة الواحدة ، وأبويوسف ومحمد وغيرهم أمثلة على ما ذكرته .

٥ ـ هناك أمور كثيرة أخذ بها المشرعون في الوصية والزواج والطلاق وغيرها لم يقل

بها أحد من الأئمة الأربعة ولا جمهور الفقهاء ، بل كانت شاذة في نظرهم أو محاربة ، ومع ذلك حين وجد المشرع أن الأمر يستدعي الأخذ بها لم يتوان في ذلك .

والأمثلة على ذلك كثيرة : منها الوصية الواجبة ، وعدم إيقاع الطلاق المعلق ، وإيقاع الطلاق الثلاث في لفظة واحدة طلقة واحدة كما هي الفتوى في محاكم مصر وفي السعودية وغيرهما .

٦ ـ وإذا كنت أنا صاحب الفتوى والشريط فاني أذكر لاخواني من العلماء الفضلاء ومن القراء الأعزاء ، وجهة نظري والأدلة التي اعتمدت عليها ، وردي على الدكتور الفاضل الجليل /على أحمد السالوس ليقولوا رأيهم والحق أحق أن يتبع « وهو بحث يحتاج إليه الجميع » .

## الأصل الذي يدور من حوله النقاش

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث أنه نهى عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، إلا اذا كان البيع يدا بيد مثلا بمثل على معنى أن تسلم الفضة وتأخذ وزنها فضة بدون أي زيادة أو نقص وبشرط أن يحصل التسليم والتسلم عند العقد وفي مجلسه ، فان سلم أحد زيادة أو نقص شيئا ولو يسيرا جدا فان هذا يعتبر ربا حرا،ا والتبادل يكون باطلا ، وكذلك لو سلم أحدهما الفضة التي معه ولم يأخذ مقابلها في المجلس ، على معنى أنه انصرف قبل قبض هذا المقابل ، فان هذا يجعل المعاملة ربوية وتصير باطلة شرعا ولو كان الانصراف من أجل إحضار المبلغ من مكان قريب بحيث لا تتجاوز مدة التفرق خمس دقائق أو أقل منها .

فان كان التعامل عبارة عن فضة بذهب سقط شرط المماثلة في الوزن وبقي شرط التقابض في المجلس ، فان لم يحدث تقابض بطل التعامل وصار ربويا ، وهذا الكلام ينصب على باقي الأصناف المذكورة في الحديث : وهي القمح ، والشعير ، والتمر ، والملح .

فمن باع قمحا بقمح ، أو شعيرا بشعير ، أو تمرا بتمر ، أو ملحا بملح وجب على البائع والمشتري أن يكون القمح الذي أخذه مساويا للقمح الذي دفعه تماما في الكيل ، وأن يحصل التبادل في المجلس ، فأن اختل شرط فقد حصل الربا وبطل البيع الذي حدث بينهما ولو كان أحدهما جيدا والآخر رديئا ، أو أحدهما سليما والآخر به آفة ، أو أحدهما قديما والآخر حديثا . كل ذلك وغيره لا قيمة له ولا يؤثر في هذين الشرطين ، ولذلك عليه أن يتخلص من التورط في الربا بأن يبيع البر الرديء ويشتري بالثمن البر الجيد ، ويبتعد عن بيع بر ببر ، أو شعير بشعير الى

آخر ما ذكر .

أما إن باع قمحا بشعير أو بتمر أو بملح فانه تجوز زيادة أحدهما عن الآخر بشرط التقابض في المجلس وإلا حدث الربا .

## تصنيف الفقهاء

والفقهاء أخذا من النصوص الواردة جعلوا هذه الستة قسمين كل قسم له أحكامه الخاصة به : فالذهب والفضة قسم ، والأربعة الباقية قسم . لأن الذهب والفضة من الموزونات وهي مخلوقة لتكون أثمانا للأشياء .

أما البر والشعير والتمر والملح فهي من المكيلات ومن الأطعمة وسمى الفقهاء الباب الذي يجمع أحكامه التعامل بالذهب والفضة بعضهما ببعض باب « الصرف » وذكروا أحكامه كما سبق .

وجميع الفقهاء اتفقوا على أن هذه الأصناف الست المذكورة في القسمين السابقين هي أصناف ربوية ، بمعنى أن فقد شرط مما سبق ذكره يجعل المعاملة ربوية محرمة : وهذا غير الربا الذي عرفه الناس وربما لم يعرفوا غيره ، وهو أن تعطي إنسانا مبلغا قرضا على أن يرده إليك زائدا نسبة معينة ، أو تقول له عند حلول الأجل : أزيدك في المدة وتزيد في المبلغ الذي عليك . وهو الربا الذي كان في الجاهلية والمذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى « وأحل الله البيع وحرم الربا » ولذا قال : « فان تبتم فلكم رءوس أموالكم » .

## على أي شيء اختلف الفقهاء ؟

**رأى بعض الفقهاء أن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في تحريم الربا وجعله من الكبائر ، وأمر هذا شأنه لا بد وأن يبينه النبي صلى الله عليه وسلم تبيينا كاملا ، وهو لم يبين إلا هذه الستة فيجب الوقوف عندها ، خصوصا وأنه كانت توجد في زمنه أطعمة كثيرة غيرها فلم يذكر شيئا منها مع هذه الأصناف التي كرر ذكرها في عدة أحاديث تزيد على عشرة ، كما أن الاقتصار عليها فيه رحمة بالناس وتخفيف عليهم ، ورفع الحرج عنهم في أمور تفاصيلها يعجز عن فهمها المتعلمون فما بالكم بالآخرين ؟**

**ورأي أكثر الفقهاء أن التحريم في هذه الأصناف لعلة ثم أخذوا يبحثون عن العلة ، وعن نوع العلة ، وعن مصدر العلة ، فاختلفوا اختلافا كثيرا زاد على عشرة آراء كما ذكر ابن حزم في المحلى .**

## القضية التي أخالف فيها الدكتور السالوس

بعد ما سبق تستطيع أيها القارىء أن تسايرنا في المناقشة لنصل الى الحق في معاملة كلنا نتعامل بها ، وهي تبادل الأوراق المالية البنكية من فئة الدينار والدرهم والجنيه والريال وأمثالها ، وأنا أقول : إن الأوراق المالية لا تأخذ حكم الذهب والفضة في التعامل بها ـ أعني لا تنطبق عليها أحكام الصرف التي سبق ذكرها بل تأخذ حكم الفلوس الرائجة كما جاء في كتاب الحوالة الذي أخرجته موسوعة الكويت الاسلامية في عهد الاستاذ الكبير مصطفى الزرقا .

ويجوز أن تعامل معاملة عروض التجارة ، بلا فرق عندي لأني لا أقول بالعلة في موضوع الصرف .

فيجوز على هذا أن تبيع ورقة مالية بأخرى سواء زاد سعر الأخرى أو نقص ، وسواء حصل التقابض بين الطرفين في المجلس ، أو تأخر أحدهما فلم يقبض حقه إلا بعد مدة طويلة أو قصيرة . الممنوع ألا يحصل تقابض من أحدهما ، لأن ذلك يعتبر بيع دين بدين وهو ممنوع في جميع أنواع النقود ، وجميع أنواع السلع .

وأقول : إن هذه الأوراق تسري عليها جميع أحكام البيع والقرض والسلم وغيرها . أما الدكتور والقائلون برأيه فانهم يرون أن تعامل الأوراق المالية البنكية المتداولة بين الناس معاملة الذهب فتخضع لأحكام الصرف مثلا بمثل ـ يدا بيد . وإلا بطل التعامل لأنه ربا ، وأظن القارىء الآن يستطيع أن يتتبع المناقشة بوضوح .

وليكن مفهوما أن الدكتور اعتبر الأوراق كالذهب ، وأن الموسوعة الكويتية اعتبرتها مثل الفلوس الرائجة التي تصنعها الحكومات من النحاس وغيره وتخرجها للناس ليتعاملوا بها ، فأجازت الموسوعة التبادل بالأوراق المالية بزيادة ونقص بشرط التقابض بين الطرفين في المجلس ، وسيأتيك من نصوص الفقهاء الرد الصريح على هذا الشرط ، وأنه لا مبرر له .

وإليك الحوار لتحكم فيما اختلفنا فيه والله يهدينا سواء السبيل :

أولا : قال الدكتور في تعريف الصرف : إنه بيع الأثمان بعضها ببعض . يريد أن يبرر رأيه بهذا التعريف فيقول : إن الأوراق المالية أثمان فتدخل في أحكام الصرف .

وهذا التعريف مخالف للحقيقة فان الامام النووي قال في شرح مسلم جـ ١١ ص ٩ قال العلماء : « إذا بيع الذهب بذهب أو الفضة بفضة سميت مراطلة ، وإذا بيعت الفضة بذهب سمي صرفا » لصرفه عن مقتضى البياعات من جواز التفاضل

والتفرق قبل القبض والتأجيل ، وقيل : من صريفهما وهو تصويتهما في الميزان » انتهى كلامه وهو نص ما قاله ابن حجر في فتح الباري جـ ٤ ص ٣٤٩ حين تعرض لتعريف « الصرف » .

فلا يطلق الصرف إلا على بيع الذهب بالفضة أو العكس . هذا هو الأصل . وإذا عرف الفقهاء الصرف شرعا بأنه « بيع الثمن بالثمن » فانهم يبينون أن المراد بالثمن : هو ما خلقه الله ليكون ثمنا وهو الذهب والفضة ، ويقولون عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة إنه صرف من باب التوسع على عادة الفقهاء ، راجع « الدرر الحكام في شرح غرر الأحكام » لمنلا خسرو جـ ٢ص ٢٠٣ ، ولا يصح أن يقال : إن الصرف هو بيع الأثمان بعضها ببعض بهذا الاطلاق ، لأن كل شيء صالح للبيع يصلح أن يسمى ثمنا : فيقال : اشتريت دارا بعشر بقرات ، أو بمائة شاة ، أو بعشرين مترا مربعا من الأرض ، أو بألف كيلو من السكر أو الزبيب ، وعلى هذا إجماع العلماء كما قال ابن حزم في المحلى جـ ٨ ص ٤٧٧ ، فظهر بطلان الاطلاق في التعريف .

**ثانيا** :استدل الدكتور على أن تبادل العملات الورقية الموجودة في أيدي الناس في عصرنا يخضع لأحكام الصرف بقرار مجمع البحوث الاسلامية المنعقد سنة ١٣٨٤ هـ ونصه :

« يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية وأوراق النقد والأوراق النقدية وعروض التجارة على أساس قيمتها ذهبا . »

وهذا ما قلته بالنسبة للزكاة وما زلت أقول به ، وقال به جميع العلماء ولكنه لا يصلح دليلا على أن الاوراق المالية تخضع لأحكام الصرف ، لأنه ذكر أنها تقوم بالذهب مثل جميع السلع التي فيها التجارة ، فما صلة هذا بما نحن فيه ؟

**ثالثا** :ذكر الدكتور بعد ما سبق أن مجمع البحوث الاسلامية قرر أن بيع وشراء العملات هو من قبيل الصرف ، وتطبق عليه أحكام الصرف المحددة في الشريعة الاسلامية ، وذكر أن البنوك الاسلامية ، وبيت التمويل الكويتي : الكل يطبق هذا النص ، وأنا أناقش الجميع في هذا ، وأرجو أن يفسحوا صدورهم لنصل الى الحقيقة رحمة بأنفسنا وبالناس .

أقول : إن البنوك الاسلامية وبيت التمويل الكويتي لا تستطيع أن تطبق أحكام الصرف في جميع معاملاتها الحاصلة بتبادل العملات الورقية ، لأننا إن اعتبرنا الأوراق قائمة مقام الذهب وتعامل معاملته فأخبروني : كيف يكون التماثل بين ورقة مالية من فئة الدينار الكويتي وأخرى من فئة الجنيه المصري ؟

هذا مستحيل : فاطلاق كلمة « تطبق أحكام الصرف عليها » إطلاق غير معقول وغير مطبق في هذه البنوك بالنسبة للمثلية ، وهذا وحده كاف في ابطال الالحاق المذكور .

وإذا نظرنا إلى الأوراق على أنها أثمان وأن علة الربا في الذهب والفضة هي الثمنية فيجري عليها أحكام الصرف المطلوبة في بيع ذهب بفضة بمعنى أن الدينار

الكويتي يعامل معاملة الذهب والدولار الأمريكي يعامل معاملة الفضة قلنا هذا تحكم لا أصل له ولا مثيل له في الواقع ولا في الشرع ، ولا دليل عليه من نقل صحيح أو ضعيف ولم يقل به مجمع البحوث الاسلامية .

وإن قلنا إنها مطلق أثمان وإنها أوراق اصطلح المجتمع على اعتبارها كذلك وعلة الربا هي الثمنية ، وهي أثمان مختلفة يجوز بيع ورقة منها هي الدينار مثلا بثلاث ورقات من فئة الجنيه المصري مثلا فلا يشترط فيها إلا التقابض وقت العقد قلنا إذا فجميع البنوك الاسلامية وبيت التمويل الكويتي تتعامل بالربا حين تأخذ أوراقا مالية كويتية في الكويت مثلا لتسلم بدلا منها أوراقا مصرية في مصر بعد مدة قد تصل إلى سنة أو أكثر أو أقل والكل حرام باطل ، لأنه ربا .

قالوا في الجواب : إن الشيك سند معتمد وموثوق به كما ذكر الدكتور ، وكما ذكر الأستاذ الكبير مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة الصادر عن الموسوعة الاسلامية بالكويت ، وكما ذكر كثير من العلماء في عصرنا فأقول لهم : هذا ما لم يقل به أحد من السابقين مطلقا وهو مخالف لنص الحديث « يدا بيد » يعني تسلم الورقة النقدية وتأخذ ما يقابلها في حين التسليم فان حصل افتراق قبل تسليم أحد الثمنين بطل العقد ، ولم يقل أحد : يجوز أن يسلم النقد ويأخذ بدلا منه مكتوبا موثوقا به ، أو مسجلا في إحدى المحاكم . ومعلوم ان المكتوب يقوم مقام الشيك في كل شيء بالنسبة لضمان الحقوق خصوصا إذا كتب بصفة أمانة ، وهذا الخطأ أفحش بكثير من الخطأ الذي نسبه إليَّ الدكتور صاحب المقال لأنه مخالفة صريحة للنص ووقوع صريح في الربا لا محالة ، والحديث الآتي أكبر دليل ، روى مسلم في صحيحه عن مالك بن أوس ، قال : أقبلت أقول : من يصطرف الدراهم ؟ ( أي يأخذ ذهبا ويعطيني دراهم ) فقال طلحة بن عبيد الله : « وهو عند عمر بن الخطاب » أرنا ذهبك ثم ائتنا اذا جاء خادمنا نعطك ورقك ( فضتك ) فقال عمر بن الخطاب : كلا ،والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الورق بالذهب ربا الا هاء وهاء .. الخ » جـ ١١ ص ١٢ والمراد أن الواجب في مبادلة الذهب بالفضة هو أن تعطي وتأخذ عند العقد وفي وقته .. ويجب أن ندرك أن الثقة في طلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب المشهود لهما بالجنة أكثر من الثقة في الشيك الذي يقدمه البنك ولو كان الافتراق بدون قبض لأحد البدلين جائزا عند الاستيثاق لكان عمر بشهادته على طلحة وطلحة بوعده بالوفاء كافيين في ذلك وأضمن من الشيك المأخوذ على البنك .

ولو كان أي نوع من كتابة الدين كافيا لذكره الشارع كما ذكر الله ذلك في آية المداينة ، أو كان قد ارتضى من المتأخر في دفع الثمن دفع رهن يماثله حتى يفي به ، ولكن كل ذلك لم يحدث منه شيء ولم يجز أحد من علماء المسلمين شيئا منه فكيف جاز الآن عند البنوك الاسلامية وهل هناك أي دليل عليه ؟

والذي جرنا إلى ذلك كله هو اعتبار الأوراق البنكية عملة يجري فيها ما يجري في الصرف ، وهذا الحكم منقوض بالآتي :

**رابعا** : جاء في فقه الأحناف في كتاب « رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين » ما يأتي : « باع فلوسا بمثلها أو بدراهم أو بدنانير فإن نقد أحدهما جاز ، وإن تفرقا بلا قبض أحدهما لم يجز » لأنه بيع دين بدين وهو محرم بالاجماع . والفلوس هي العملة المصنوعة من النحاس كما في المختار والمنجد ، والدراهم هي ما صنع من الفضة والدنانير ما صنع من الذهب .

وقد قرر المؤلف أن بيع الفلوس بالذهب أو الفضة لا يشترط فيه قبض كل من البدلين بل يكفي قبض واحد منهما وكذلك لو كان بيع فلوس بفلوس ، فلم يعتبر الفلوس مما يعامل معاملة الصرف ، والفلوس تضمنها الدولة وهي التي تضربها وتخرجها للتعامل بها ، ووضعها أقوى من الورقة المالية من ناحية الثمنية ، لأن الورقة مكتوب عليها أنها سند أما العملة فمكتوب عليها أنها نقد ، وقد علق ابن عابدين في حاشيته على ما سبق بقوله : سئل الحانوتي عن بيع الذهب بالفلوس نسيئة ( أي بأجل ) فأجاب بقوله : يجوز اذا قبض أحد البدلين لما في البزازية ( اسم كتاب ) لو اشترى مائة فلس بدرهم يكفي التقابض من أحد الجانبين ، ومثله ما لو باع فضة أو ذهبا بفلوس ـ كما في البحر المحيط ( اسم كتاب ) انتهى ج ٤ ص ١٨٤ .

وجاء في الدر المختار أيضا أن عملة الذهب والفضة اذا كان أكثر ما فيها ليس ذهبا ولا فضة فانها في حكم عروض التجارة ، فيصح بيعها بجنسها متفاضلة مع القبض في المجلس مراعاة لما فيها من ذهب أو فضة ، ومفهومه أنها اذا لم يكن فيها ذهب ولا فضة فانها عروض يجوز فيها التفاضل وتأجيل أحد الثمنين ، وهذا صريح وواضح كل الوضوح في أن العملة الرائجة اذا خلت من الذهب والفضة صارت عروض تجارة .

وجاء في المغني لابن قدامة الحنبلي ج٤ص١٠٩ أن الراجح جواز بيع الفلس بالفلسين وأنه قول الثوري وأبي حنيفة وأكثر أهل العلم لأنه ليس بموزون ولا مكيل ( يعني ليس فيه علة ربا عند القائلين بالعلة ) وهذا هو الصحيح ، اذ لا معنى لثبوت الحكم ( يقصد حكم الصرف ) مع انتفاء العلة وعدم النص والاجماع . انتهى .

ومراد صاحب المغني أن الفلوس الرائجة لا تخضع لأحكام الصرف لأنه لا علة ولا نص ولا اجماع يلحقها بالذهب والفضة ، فما رأي علمائنا في هذه النصوص الفقهية والتي عليها أكثر العلماء كما قال صاحب المغني ؟

وهذه النصوص التي نقلتها من كتب الفقهاء كافية في الرد على كل من أخضع الأوراق المالية والنقود المعدنية بالذهب في أحكام الصرف .. وهذه هي آراء القائلين بالعلة وقد ذكرت كلامهم مجاراة فقط ، والا فأنا لا أقول بها وأرى أن الربويات محصورة في الستة المذكورة .

**خامسا** : قال الدكتور : انني قلت في الشريط الذي فيه الفتوى والذي يرد عليه

الدكتور : ان تحريم الربا في الأصناف الستة المذكورة في الحديث غير معلل بعلة ، وان الربويات قاصرة عليها . كما تقول الظاهرية وأقام الدكتور الدنيا ولم يقعدها في مقاله بناء على أن الظاهرية وحدهم لا يصلحون حجة في نظره ثم انضم الى القائلين بالعلة ، وقد عرفت فيما سبق أنهم لا يقولون بقوله وأن أكثرهم معي ، وسنرى هنا أن الظاهرية ليسوا وحدهم القائلين بعدم العلة ، بل معهم أئمة غيرهم في القديم والحديث . فقد قال بهذا الرأي من القدماء طاوس وقتادة وعثمان البتي وأبو سليمان كما ذكر ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٤٦٨ ووافقه صاحب المغني على طاوس وقتادة ، واختاره ابن عقيل في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس كما ذكر ابن القيم في : « اغاثة اللهفان » ج ٢ ص ١٥٦ حيث قال : ان ابن عقيل قال : ان علل القياسيين في الربا علل ضعيفة ، واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس .

ومعهم أبو بكر الباقلاني كما قال ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢ ص ١٢٣ حيث قال : وأما القاضي أبو بكر الباقلاني فلما كان قياس الشبه عنده ضعيفا ( وهو الذي أخذ به الجمهور كما قال ابن رشد ) وكان قياس المعنى عنده أقوى منه اعتبر في هذا الموضع قياس المعنى ، اذ لم يتأت له قياس علة ، فألحق الزبيب فقط بهذه الأصناف الأربعة ( ولم يلحق شيئا بالذهب والفضة ) . انتهى . ونتيجة رأيه تساوى نتيجة رأي الظاهرية فيما عدا الزبيب الذي ألحقه بالربويات .

وقال به من المحدثين الصنعاني في كتابه« سبل السلام » حيث قال ج ٣ ص ٣٦ : والى تحريم الربا فيها ( أي الستة المذكورة في الحديث ) ذهبت الأمة كافة ، واختلفوا فيما عداها ، فذهب الجمهور الى ثبوته فيما عداها مما شاركها في العلة ولكن لما لم يجدوا علة منصوصة اختلفوا فيها اختلافا كثيرا يقوي للناظر العارف أن الحق ما ذهبت اليه الظاهرية من أنه لا يجري الربا الا في الستة المنصوص عليها وقد أفردنا الكلام على ذلك في رسالة مستقلة سميتها « القول المجتبي » ، وقال به أيضا من المحدثين أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري « في كتابه : « الروضة الندية » حيث قال ج ٢ ص ١١٠ : « أما اختلاف مثبتي القياس في علة الربا فليس على شيء من هذه الأقوال حجة نيرة ، انما هي مجرد تظننات وتخمينات انضمت اليها دعاوي طويلة بلا طائل ، فما أحسن الاقتصار على نصوص الشريعة وعدم التكليف بمجاوزتها والتوسع في تكليفات العباد بما هو تكليف محض ، ولسنا نقول بنفي القياس لكنا نقول بمنع التعبد به فيما عدا العلة المنصوصة .. الى أن قال : والحاصل أنه لم يرد دليل تقوم به الحجة على الحاق ما عدا الأجناس المنصوص عليها بها :

أقول : ثبت أن القائلين بأن الربا لا يتعدى الأصناف الستة أكثر عددا مما ذكر الدكتور ، وأنهم أولى بالاتباع في هذه المسألة رحمة بالناس ، وخروجا من المآزق العديدة التي أوقعهم فيها القائلون بغير ذلك ، فان آراء كثير منهم تجعل أكثر ما في الدنيا من معاملات يدخله الربا ، وحسب أقوالهم فان البنوك الاسلامية والمتعاملين معها والمتعاملين في المطعومات والمشروبات والمكيلات والموزونات واقعون في الربا لا

محالة لأنهم لن يفقهوا آراء الفقهاء بسهولة ولن يستطيعوا تطبيقها بيسر لو فقهوها .

ومع ذلك فقد قال ابن رشد عن المالكية في بداية المجتهد ج ٢ ص ١٢٢ ان علة الربا في الذهب والفضة كونهما رؤوسا للأثمان ، وقيما للمتلفات ، وهذه العلة هي التي تعرف عندهم بالقاصرة لأنها ليست موجودة عندهم في غير الذهب والفضة ومعلوم أن الفلوس الرائجة كانت موجودة في وقته كما هو معروف لمن يرجع الى تاريخ العملات . فقد توفي ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ ، والفلوس رائجة رواج العملة الورقية اليوم أو قريبا من ذلك ، وقد قال بالعلة القاصرة الشافعية أيضا وهي رواية عن أحمد ، كما ذكر ابن حزم ، وقد ذكر ذلك الدكتور في مقاله المذكور حيث ذكر أقوالا هي حجة لنا عليه ، وأنا أنقل هنا نص كلامه ، قال : قال الأحناف للشافعية : علتكم قاصرة فانها لا تتعدى الذهب والفضة ، وهما الأصل الذي استنبطتم منه العلة فلا فائدة فيها فان حكم الأصل قد عرفناه وانما مقصود العلة أن يلحق بالأصل غيره .

وأجاب الشافعية : ان مذهبنا جواز التعليل بالعلة القاصرة ، فان العلل أعلام نصبها الله للأحكام منها متعدية ومنها غير متعدية ، انما يراد منها بيان حكمة النص لا الاستنباط والحاق فرع بالأصل ، كما أن المتعدية عامة التعدي وخاصته ، ثم لغير المتعدية فائدتان : احداهما : أن تعرف أن الحكم مقصور عليها فلا تطمع في القياس ، والثانية : أنه ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة فيلحق به .

ويلاحظ أن آخر الكلام مناقض لأوله فان العلة القاصرة لا يقاس عليها شيء . وفي آخر الكلام جعلها الدكتور صالحة للقياس ليصل الى أغراضه في الأوراق المالية ، وهذا مسلك في العلم لا يجوز ولا يقبل ، وجعل العبارتين متقابلتين هكذا تشعر بهذا التناقض الذي جاء من الدكتور لا من غيره : الحكم مقصور على العلة القاصرة فلا تطمع في القياس عليها .

ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة فيقاس عليه ويلحق به هذا : ومعلوم أن العلة الربوية عند الأحناف ورواية عن أحمد هي الوزن : والأوراق البنكية والفلوس الرائجة اليوم لا توزن في المعاملة ، ولا يتداولها الناس على أساس الوزن فلا تخضع لأحكام الصرف ، ومن ذلك نجد أن القائلين بالعلة القاصرة في الذهب والفضة ، هم ( المالكية والشافعية ) كالقائلين بعدم العلة المانعين للقياس حيث أن العلة القاصرة لا يقاس عليها فكأنها لا علة ، وهذا ما فهمه ابن حزم في المحلى ج ٨ ص ٤٧٧ حيث قال ردا على القائلين بالعلة القاصرة : قالوا انما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ستة أصناف : أربعة مأكولة واثنتين هما ثمن الأشياء فقسنا على المأكولة كل مأكول ، ولم نقس على الأثمان شيئا فقلنا : هذا أول الخطأ . ان كان القياس باطلا فما يحل لكم أن تقيسوا على الأربعة المأكولة المذكورة غيرها ، وان كان القياس حقا فما يحل لكم أن تدعوا الذهب والفضة دون أن تقيسوا عليهما كما

فعلتم في الأربعة المأكولة ولا فرق ، فقيسوا على الذهب والفضة كل موزون كما فعل أبو حنيفة أو كل معدني فان أبيتم وعللتم الذهب والفضة بالتثمين ( وهو العلة القاصرة عندكم ) قلنا : هذا عليكم وليس لكم لأن كل شيء يجوز بيعه فهو ثمن صحيح لكل شيء يجوز بيعه باجماعكم مع الناس على ذلك ، ولا ندري من أين وقع لكم الاقتصار على التثمين على الذهب والفضة ، ولا نص في ذلك ولا قول أحد من أهل الاسلام ؟

وهذا خطأ فاحش ولازم للشافعيين والمالكيين لزوما لا انفكاك منه . انتهى ، من المحلى لابن حزم ج ٨ ص ٤٧٧ ، وابن حزم لا يبارى في فهم أصول الفقه كما يعلم الدارسون .

والنتيجة هي أن علة الربا في الصرف هي الوزن عند الأحناف ولا ينطبق ذلك على الأوراق المالية لأنها لا توزن .

وهي الثمنية عند المالكية والشافعية : ولكن قاصرة على الذهب والفضة ، فلا تتعداهما الى أي ثمن آخر كما سبق ، وقد مرت صور تطبيقية للفلوس وأنها لم تعامل عند الفقهاء معاملة الذهب والفضة فبالله أخبروني ما هي الحجة بعد هذا كله في الحاق الأوراق المالية أو الفلوس بالذهب والفضة ؟

وقد وقع في هذا الأستاذ المربي والفقيه الكبير مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة السابق ذكره حيث اعتبر الأوراق البنكية كالفلوس الرائجة وهذا معقول ، ولكنه أوجب التقابض في المجلس وعدم تأخير احد الثمنين ، وعلل ذلك بأن الأوراق أثمان فيجب فيها حكم الصرف ، وتورط فيما تورط فيه الآخرون بالنسبة للمعاملات البنكية في تحويل العملات الورقية ، فلعله يزيدنا ايضاحا بعد الذي ذكرناه عن الأئمة ، ولعله يرجع عن اعتبار الشيك كافيا عن القبض في المجلس أو يأتينا بمثل واحد عن أحد الفقهاء المسلمين يشهد لما يقول ، وكذلك أقول لمجمع البحوث الاسلامية المحترم والذي هو أمل المسلمين في عصرنا الحاضر وقد آن الأوان لنترك التعصب لمذهب معين ولنخرج من ضغط كلمة « الجمهور » فان كثيرا مما قيل فيه « انه رأي الجمهور » ثبت بعده عن الحق حين يعرض على الكتاب والسنة وآراء السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، ثم يجب أن نعلم أن للظاهرية وزنهم في الفكر الاسلامي ، وأن قارىء كتاب المحلى لابن حزم يشعر بأن الحق معهم في قضايا كثيرة جدا وليس مع القائلين بالقياس .

**سادسا** : ومع ذلك فلست وحدي القائل ـ في عصرنا هذا ـ بأن الأوراق المالية تعامل معاملة السلع وعروض التجارة ، فقد قال به غيري من العلماء المعاصرين : فقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر في كتابه « مجموعة رسائل » أن للعلماء أقوالا مختلفة في الحكم في الأوراق المتعامل بها ، فبعض الفقهاء ألحقها بالعروض ، وبعضهم ألحقها بالسند على البنوك ... الخ » ج ١ ص ٣١٧ .

**سابعا** : إن قضية الانكار على الغير لها في الشرع أصول وأن من هذه الأصول ألا يكون لمن تنكر عليه سند صحيح أو دليل واضح أو مسلك من مسالك الأدلة معتمد ، فان كان له شيء من ذلك فلا ينكر عليه ، ولا يقال انه مخطيء مطلقا ، انما يقال : هو يرى ذلك ودليله كذا ، وأنا أرى غير ذلك ودليلي كذا ، ثم يترك الأمر للناس ليختاروا ما يقتنعون به من كلا الرأيين أو من غيرهما بدون غمز بقهر فكري معين .

**ثامنا** : والخلاصة أنني أرى أن الأوراق النقدية بعيدة كل البعد عن اعتبارها أثمانا ربوية مثل الذهب والفضة ، وأنه يجوز التعامل بها يدا وبيد وبأجل وبزيادة ونقص مثل عروض التجارة والفلوس ، وأنه يجوز السلم فيها بأن تعطي فلانا عشرة دنانير اليوم على أن يسلمك بدلا منها ثلاثين جنيها مصريا بعد شهر مثلا ، ومعلوم أن السلم يجوز فيه باتفاق الفقهاء أن يكون سعر الشراء بثمن أقل من السوق كمن يدفع عشرين دينارا اليوم ثمنا لثمانين كيلو من السكر يأخذها بعد سنة مثلا مع أن سعرها الحقيقي هو عشرون دينارا لسبعين كيلو ، ما لم تكن الزيادة أو النقص مما لا يقبله العرف ، ويعتبر غبنا في نظر الناس فهذا هو الحرام أو المكروه عند العلماء ، فمن أعطى عشرين دينارا لفلان أو للبنك ليأخذ بدلا منها ثلاثين جنيها بعد شهرين مثلا فذلك جائز بشرط ألا يتكرر ذلك في نفس الصفقة بمعنى أنه لو جاء وقت السداد فقال المعطي أو الآخذ نزيد في المدة شهرين مثلا ويصير المبلغ أربعين جنيها فان هذا هو ربا الجاهلية المنصوص عليه في القرآن والسنة وفاعله مأذون بحرب من الله ورسوله ومثله ما لو قال المعطي : خذ عشرين دينارا اليوم لتعطيني بدلا منها ثلاثين جنيها بعد شهرين وكلما زادت المدة تزيدني كذا ، لأن الأمر هنا تحول الى قرض جر نفعا ، والى الربا بأضعاف مضاعفة ، وقد وقع فيه البعض ، وقد نبهت على ذلك مرارا وقلت اني بريء ممن يفعله ، لأنه مرتكب كبيرة من شر الكبائر وماله سحت ممحوق ، وفاعله يجب الانكار عليه ويطلب هجره ، وهذا له مثيل صدرت فتوى به من فضيلة الشيخ ابن باز وغيره ، وهو جواز بيع السيارات وغيرها بالأجل مع زيادة في السعر عن البيع المدفوع ثمنه في حين الشراء وبه قال بعض أئمة الفقه بشرط ألا تتكرر الزيادة بتكرار التأجيل .

**تاسعا** : هذا ما رأيت أن أتقدم به الى مجلة الوعي ، شاكرا لها اهتمامها بأمور المسلمين ، والموضوع كله صالح للمناقشة العلمية المتأنية ، والكل يريد الحق إن شاء الله ، وأما قرار مجمع البحوث الاسلامية فهو قرار جماعة وليس اجماعا ، وتوجد جماعة أخرى تقول غير ما يقول كما ذكر صاحب كتاب « مجموعة الرسائل » وليس قول جماعة حجة على جماعة أخرى والكتاب والسنة هما مرجع الجميع ، ونحن لم نخالف نصا من النصوص ولا إجماعا من إجماع المسلمين ولله الحمد .. بل معي في رأيي أكثر الأئمة بما يشبه الاجماع ، فمعي الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية وليس مع المجمع نص ولا اجماع ولا قياس معتبر .

# أخوة الإسلام

للاستاذ/محمد محمد حلاوة

عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

قال أبو سعيد : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل . رواه مسلم وغيره .

الفضل ما زاد على حاجة الانسان من أي شيء ، والمقصود بالظهر ما يركب من الدواب ، والزاد طعام المسافر .

مشكلة الفقر والفقراء ورفع المعاناة عنهم أقدم مشكلة للبشرية على الأرض منذ أن خلقها الله ، وسخرها للانسان ، وعمرها به ، فقد خلق الله الناس مختلفين في الاجسام وفي العقول ، متباينين في المواهب وفي القدرات ، واقتضت حكمته ــ سبحانه وتعالى ــ ألا يسوي بينهم في الرزق : **( إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا )** الاسراء الآية ٣٠ ، ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن ليبلوهم فيما آتاهم . خاف الناس الفقر ولعنوه ، واستعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن دعائه « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق » رواه البخاري ، وإلى الفقر يرجع السبب في كل ما يقوم بين الناس من منازعات وحروب ، وما يقع من جرائم .

وقد شغلت مشكلته الناس في كل مكان ، وأرقت العلماء ، والباحثين ، والفلاسفة ، والحكماء ، والساسة من قديم الزمان ، ولاتزال ، لأنها تتصل بلقمة العيش ، بما به قوام الحياة ، من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ودواء ..

وتصورنا لهذه المشكلة في أول عهد الانسان بالحياة أنها كانت هينة ومحدودة ، وأنها لم تعدم من العقلاء من فكروا في حلول لها ربما أخفقت أحيانا ونجحت حينا ، أو لعلها قد نجحت أحيانا وأخفقت حينا ،

ولم تتعقد هذه المشكلة إلا مع تقدم الزمن ، ووجود التجمعات البشرية الكبيرة حيث تعددت المصالح ، وتشابكت المطالب ، وقد بلغت غايتها من التعقيد في هذا العصر بعد ان سار الانسان شوطا كبيرا في المدنية والتقدم .

وقد اهتمت الأديان كلها بمشكلة الفقر اهتماما كبيرا فقررت التوراة أن الفقر والغنى بيد الله وحده ، وأنه مالك السموات والأرض ، ورغبت في الانفاق ووعدت القائمين به الجنة ، وحذرت من الشح وتوعدت الممسكين بالعقاب الأليم « من يعطي الفقير لا يحتاج ، ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كبيرة » أمثال « لا تقبض يدك عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك له » التنبيه ، وجاء المسيح عليه السلام وقد انحرف الناس عن تعاليم التوراة ، واستبدت بهم المادة ، ولجوا في الضلال والفجور فعالج الموضوع بما يتفق وهذه الأوضاع علاجا تربويا خلقيا « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » « طوبي للرحماء لأنهم يرحمون » إنجيل متى .

ثم جاء الاسلام فعالج المشكلة بما لم يعالجها تشريع قط ، لأنه جاء عاما وشاملا ومتمما لمكارم الاخلاق ، وبذلك حقق حلم الفلاسفة والحكماء في « المدينة الفاضلة » و « العالم المثالي » .

فها هوذا رسولنا الكريم يحل مشكلة الفقراء وذوى الحاجات حلا هينا رفيقا عمليا في كلمات معدودات قبل ساسة العالم ومفكريه بثلاثة عشر قرنا أو تزيد دون جلسات تعقد ، ومناقشات تطرح ، ونصوص تعد ، وقرارات تصاغ ، ودون مؤتمرات تجتمع لتنفض ، وذلك حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له » فمعنى الحديث في بساطة اي فرد في المجتمع عنده شيء أي شيء زائد عن حاجته ، وغيره في حاجة إليه فليعطه له . ياالله ! وما أروع الصورة ! المجتمع كله في حركة دائمة يتنفس برئة واحدة ، وينبض بقلب واحد ، ويحيا بروح واحدة ، يقوم معا ، ويقعد معا ، يتألم جميعا ، ويفرح جميعا ، يعطي بعضه بعضا ، ويأخذ بعضه من بعض في توازن دقيق عجيب لا يختل ولا يهتز ، فدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث إلى التكافل الاجتماعي ليست خاصة بحالة السفر ، ولا قصرا على الظهر والزاد وحدهما ، بل تتناول جميع الحالات ، وتشمل كل ألوان التكافل معاشيا وإقتصاديا وخلقيا وسياسيا وعاطفيا ودفاعيا مثل عطف القوى على الضعيف ، ورحمة الصحيح بالمريض ، ورعاية المقيم للغريب ، وبناء مستشفى ، وانشاء مسجد ، واقامة مدرسة ، وأمر بمعروف ، ودفع خطر .. وهكذا ..

وتلك بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ألوان مختلفة من التضامن : « لا يؤمن أحدكم حتى

يحب لأخيه ما يحب لنفسه » « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » « إذا كان الوباء بأرض ولست بها فلا تدخلها ، وإن كان بأرض وأنت بها فلا تخرج منها » « من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »

على ان الاسلام اوجب زكاة المال على الأغنياء ، وبين مصارفها وحدودها ( **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ) الذاريات/١٩ . ( **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ) التوبة/٦٠ ، كما رغب في الانفاق وأكد عليه ، ودعا إلى الاتحاد والتعاون والاخاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإنه لمن المخزي حقا بعد ذلك أن يتطلع المتشدقون من أدعياء العلم والمعرفة والسياسة إلى الغرب أو إلى الشرق يقتبسون منه ، أو يتشبهون به ، أو يقلدونه ، فهاهم أولاء أساتذة الغرب ومستشرقوه يشهدون بعظمة الاسلام في كل النواحي ، ويعترفون بأن النظام الذي وضعه لرعاية الفقراء والمحتاجين لا يدانيه نظام ، ونكتفي هنا أن نسجل شهادة أحدهم .

يقول دروسن : ( ولقد وجدت في الاسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا : الأولى في قول القرآن الكريم : ( **إنما المؤمنون إخوة** )الحجرات/١٠ . فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذى مال ) .

ولقد تمخضت النظريات الحديثة التي تصدت لعلاج هذه المشكلة عن مذاهب شتى أهمها الشيوعية والاشتراكية ، فهل حلت كل منهما المشكلة حقا ؟! الواقع يقول : لا فهي حلول قاصرة وكليلة ، والأساس الذي قامت عليه واه وضعيف ، لأنه إما أساس مادي ، أو لا ديني ، أو أناني ، وأي واحد من هؤلاء لا يصلح أساسا لحل مشكلة ، فضلا عن مشكلة حساسة كهذه .

والحق يقال : إن علاج هذه المشكلة عن طريق القوانين والقرارات والنصوص والهيئات كثيرا ما يكون سطحيا وشكليا ، بخلاف التكافل الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو تكافل حق ، لأنه نابع من القلب والضمير والوجدان ، مبني على الشعور بالانتماء ، على الاحساس الصادق بالرابطة التي تربط الانسان بالانسان ، على أصالة العاطفة التي تشد كل فرد إلى الآخر ، وهذا هو سر نجاحه وتفوقه وخلوده فقد صنع به المسلمون الأوائل أقوى وأعظم دولة عرفها التاريخ .

ولقد كانت مجتمعاتنا الاسلامية بالأمس القريب تحظى بقدر غير ضئيل من التضامن الاجتماعي . كان الجار يسأل نفسه عن جاره كل يوم ماذا طعم ؟ وماذا شرب ؟ وكيف نام ؟ وكيف صحا ؟ وما الذي

يشغله ؟ فان وجده في حاجة أي حاجة أقبل إليه مسرعا ، وكانت ربات البيوت إذا أعدت إحداهن طعاما طيبا لا يقر لها قرار إلا إذا أهدت منه جارتها على اليمين وعلى الشمال ، وربما تجاوزتهما إلى جارات أخرى ، ومثل هذه الروح كانت في العامل والزارع والتاجر والطبيب والمعلم ، في الحقل ، وفي المصنع ، وفي كل مرافق الحياة .

وقد كان لأجدادنا العرب قدم ثابتة في هذا المضمار ، فقد كانوا يتنافسون في الكرم والنخوة والشهامة والنجدة والايثار والوفاء ، وكانت هذه الصفات موضع فخرهم واعتزازهم . كانوا يكرمون الضيف ويقدمون له أطيب ما يملكون ، ويجيرون الملهوف وإن كلفهم ذلك حياتهم ، ويحمون الجار مهما كان الثمن ، ويوفون بعهودهم ، ويساعدون المضطر والبائس والمحروم ، وهم بذلك كله جد فرحين ، ويخرجون في الليلة الباردة يوقدون النار يهتدي بها المدلج والساري ليطعم ويقر ويأمن .. كل ذلك بدافع قلبي لم تنظمه قوانين ، ولم تضبطه قرارات ، ولم يحتج إلى تصديق من رؤساء .

أما اليوم — وبعد اختراع الآلة — فقد فتر التضامن إلى حد كبير ، فقد يكون عرس في مسكن بينما يكون مأتم في المسكن المقابل له في الوقت نفسه دون أن يحس أحد الجارين بالآخر ، وقد ينفق أهل بيت في ليلة واحدة آلاف الجنيهات على ما لذ وطاب ، وعلى مقربة منهم من يتضور جوعا وألما ، وقد يكون الانسان في ضائقة شديدة وصديقه ، بل أقرب الناس إليه يكتنز الآلاف فلا يمد يده إليه ، ولو تقدم يطلب مساعدته لنكره وأعرض عنه .

وبعد فمع روائع الكلم ، مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نتأمل لحظات :

في استخدام كلمة — من — الدالة على العموم دعوة إلى جميع الناس دون استثناء ، ودون تخصيص ، وفي جميع الحالات أن يتكافلوا وأن يتعاونوا .

وفي تنكير كلمة — فضل — تعظيم يدل على أهمية هذا الفضل مهما كان ضئيلا .

وفي « كلمة ظهر » خفة ورقة وجمال لا تخفي على أحد .

وفي « فذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل » دلالة على ان ميدان الفضل واسع يبدأ من الابرة والماعون إلى ما شاء الله ، كما أن فيه تذكيرا للانسان بأن ما معه ليس له ، بل هو مستخلف فيه ، وفيه كذلك إشعار بأننا جميعا — ما عدا الفقراء والمحتاجين — قادرون على بذل الفضل ، فمن منا لا يملك فضلا في أي لون من ألوان المال ، أو أي جانب من جوانب الحياة .

نسأل الله أن يلهمنا الصواب والرشاد ، وأن ينفعنا بهدى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . والله اعلم .

# المدّ الاسلامي والتحدّي

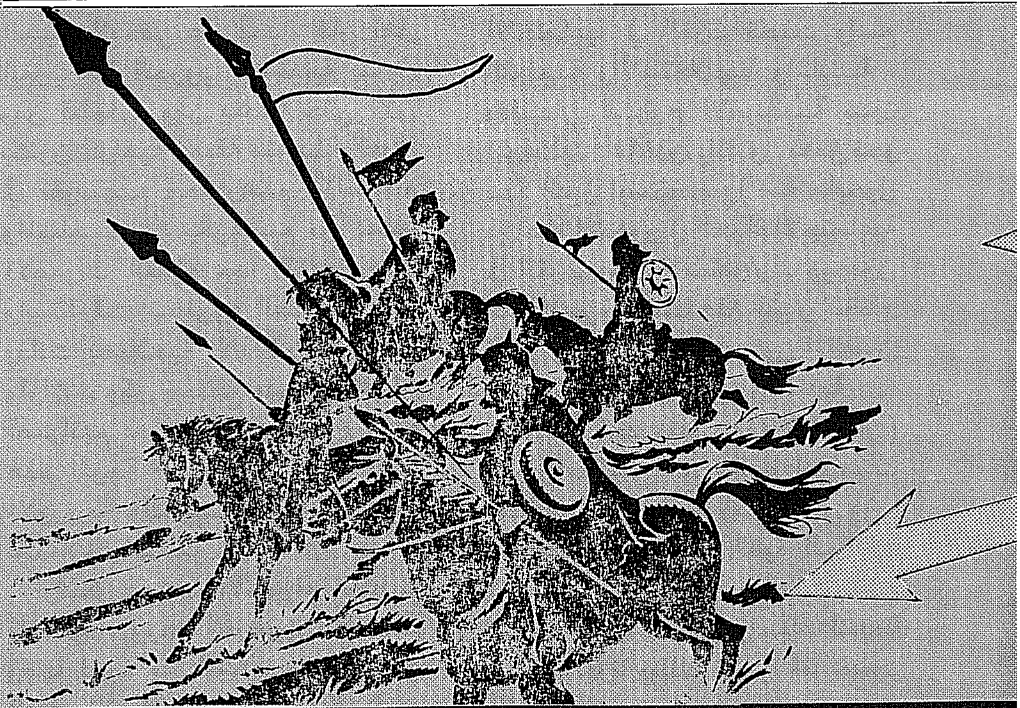
للأستاذ/ عبد المقصود محمد حبيب

ان الرسالة التي حملها الى الدنيا كافة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ماتزال - على عهد البشرية بها - مدعوة لكي تقود العالم كرة أخرى نحو مصير سعيد ، اذ ان الأهداف التي حمل النبي صلى الله عليه وسلم رسالته من أجلها الى الناس كافة لم تستنفد ، والطاقة الخارقة التي تتوفر عليها لايمكن أن تنفد : **( قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا )** الكهف/ ١٠٩

ذلك لأن الرسالة السماوية الخالدة قائمة على قواعد فطرية تتمشى وصالح الكائن الانساني في كل عصوره ومختلف أطواره ومراحل تطوره .

والذين يقولون عن عمد أو جهالة أو سوء نية بأن الدين لم يعد له مكان في عالم اليوم ويعنون بذلك الدين الاسلامي . فهم حادون عن طريق الصواب الطبيعي والفطري . لأن الدين الاسلامي هو الدين عند الله ، وهو الذي يقوى على مسايرة الحياة وقيادة التطور الانساني في كل عصر .

وعليهم أن يعودوا الى أناة وتحرر من عقد وأمراض في النفس . ويدرسوا العالم عندما نزل الاسلام في أول أمره ثم التطورات التي حدثت في العالم من بعد ثم يمضوا مع التاريخ في سيره الى عصرنا الحاضر ، حيث تضطرب البشرية في شتى المجالات باحثة عن



مخلص ينقذها مما تعاني من مشاكل معقدة عرف أولها ولم يعرف لها آخر . وقد جربت كل الحلول فلم تأت لها بالنجاعة المنشودة . الا الحل الاسلامي الذي يجب ان يعرض على الدنيا من جديد .

ونرى في هذه الأيام ظاهرة مفاجئة . لكن لها أسباب . فالمواضيع المتعلقة بالاسلام والمسلمين تحتل الآن في أوروبا عامة الصفحات الأولى من الصحف اليومية والمجلات ، سواء كانت أسبوعية أو شهرية أو دورية وذلك نتيجة للتطورات البالغة الأثر في تحويل السياسة العالمية .. مثل تلك التطورات التي تحدث على رقعة العالم الاسلامي فلا توجد الآن صحيفة كبيرة أو صغيرة .. الا وفي غالبية أعدادها دراسة عن الاسلام والمسلمين .. بالاضافة الى برامج التلفزيون والاذاعة في جميع بلدان العالم الغربي ، والندوات التي تعقد والدراسات التي تقام هنا وهناك .. وكلها عن الاسلام والمسلمين .

اهتمام كبير بحياة المسلمين الذين يعيشون في الدول الاسلامية أو الدول غير الاسلامية ، وكان من الأولى ان يكون هذا الاهتمام البالغ والمفاجيء ، أسبق في عصر بروزه عن هذا الوقت الذي نحن فيه . لكن

السبب لايخفى على أحد . فان أهل الغرب منذ الحروب الصليبية ــ بل ومن قبلها ــ ومن بعدها حتى الآن يكنون كراهية عميقة متأصلة العمق في نفوسهم وجذورهم للاسلام والمسلمين . بالرغم من بعض الأصوات القليلة جدا التي درست واستشرقت ــ لوجه العلم فقط ــ ونادت بصلاحية الاسلام لكل عصر وأوان . وكل مجتمع ودولة . الا أن أصواتهم ذهبت أدراج الرياح وسط هذه الموجة العارمة من الكراهية الأوروبية والغربية على حد سواء للاسلام والمسلمين .

ولكن جاءت الأعوام القليلة الماضية . ووجد الغربيون أنفسهم وجها لوجه مع المسلمين سواء في الدول الاسلامية أم في الدول غير الاسلامية ، وجدوا أنفسهم معهم وجها لوجه . فعصب الاقتصاد العالمي وهو النفط . أغلبه في يد البلاد الاسلامية . وهو بلا مبالغة . أساس حياة الغربيين . وتطورهم الاقتصادي والاجتماعي مربوط ومرهون به . لو توقف ضخه اليهم . لماتوا برودة وتعطلا وتضخما وإفلاسا .

من هنا جاءت هذه الاهتمامات المفاجئة بالاسلام والمسلمين . عندما بدأت في الجو العالمي صيحة الانبعاث للاسلام والاستنفار بين أهله في كل أنحاء الأرض .

ومن ناحية أخرى بدأ علماء الاجتماع ينظرون بجدية نحو الاسلام في خضم تدهور الحياة الاجتماعية في الغرب تحت وقع الفردية والاستغلالية والمادية ، وفقدان الروح الانسانية بين المواطنين . فأخذوا يلتفتون بعمق نحو هذا الدين ليستخلصوا منه مايحول بين هذا التدهور في الحياة الاجتماعية في الغرب وبين الاستمرار . ويجدون مايمكنهم من وقف هذا التيار الخطير الذي لن ينتهي الا بأن يكون الانسان محطما نفسيا ومعنويا وجسديا .

ولذلك نجد مثلا مجلة ( تايم ) الأمريكية تبدأ احدى هذه الدراسات بما قاله الشيخ أحمد زكي يماني وزير النفط السعودي : « القوة الحقيقية للاسلام هي الشعور بأنك عضو في أسرة . أخوة تمارس واجبات لخدمة هذه الأخوة وبذلك تكون قد خدمت الله » .

لقد بدأ العالم الغربي الآن يشعر بالقوة الفعلية للاسلام والمسلمين . بل نجد كل هذه الدول تقريبا تنادي بتحرير أفغانستان المسلمة من التدخل السوفييتي والاجنبي على السواء .

وثمة دول أوروبية تعيش فيها جاليات اسلامية ضخمة ، وهي اما تاريخية عريقة مما لايمكن معه أن توصف بجاليات لأنها من صميم الشعوب التي تعيش في دولها مثل الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وألبانيا . واما مستجدة على هذه الشعوب مثل مافي بريطانيا وألمانيا الغربية وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول في أوروبا وأمريكا .

ومن الاحصاءات الأخيرة يتضح أن المسلمين في الدول غير الاسلامية يشكلون نسبا يعتد بها . ففي الصين ( ١٨ مليون ) وفي بورما مانسبته ٤٪ من السكان ، وفي الهند ( ٨٠ مليونا بنسبة ١٣٪ من السكان ) ويوجسلافيا ( ٤,٥ مليون ٤٪ ) وفي المانيا الغربية تجاوزوا المليونين ، وبريطانيا كذلك ، وفي الولايات المتحدة الامريكية ٣,٥ مليون مسلم وفي الاتحاد السوفييتي ٥١ مليون مسلم .

ولقد أكدت مجلة تايم أن أصوات المؤذنين في أرجاء العالم زادت قوة عما كانت عليه . وعادت في قوتها الى العصور الاسلامية الأولى التي امتدت فيها دولة الاسلام حتى أوروبا وحدود شرق آسيا وأفريقيا . وأن اختلاف لغات المسلمين لايغير من حقيقة وحدتهم الدينية اذ أن المسلمين يتحدثون بالروسية والفارسية والصينية والفرنسية والانجليزية والألمانية والماليزية والتركية . وغير ذلك من اللغات الكثيرة . بالاضافة الى االلغة العربية التي نزل بها كتاب الله « القرآن الكريم » وبها يؤدون جميعا صلواتهم وفروض عباداتهم . وتقول ان الدين الاسلامي هو أحدث الأديان السماوية بل هو آخرها ، وان كلمة أمة المسلمين تثير الآن شغفا متزايدا لدى المسلمين في كافة أرجاء العالم ، وأن وحدة الأمة الاسلامية أمر ليس خيالا ولامبالغة فيه . فقد أصبحت اليوم هذه الوحدة أمرا مفروغا منه تماما .

وتذكر المجلة صورا لذلك الاهتمام المتنامي لبعث الدعوة الاسلامية من جديد عند المسلمين ، وتستدل على ذلك بزيادة عدد الدول التي أخذت تطبق الشريعة الاسلامية بوضوح تام ، وما أخذت الشعوب تنادي به في الدول الاسلامية الأخرى من تطبيقها . وتزايد عدد الحجاج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة عاما بعد عام . وتزايد اهتمام الأجيال الجديدة من الشباب في أرجاء العالم الاسلامي بالدين الحنيف . وتزايد عمق الايمان عندهم بأنه لايصلح مجتمع صلاحا كاملا الا بالاسلام .

وكان بعض الغربيين قد ظنوا ان الزمن عامل من عوامل انهيار الاسلام وانتهاء مده .. ولكن كما قالت صحيفة الفيجارو الفرنسية « **ان الاسلام يخطو في هذا العام خطواته الأخيرة نحو القرن الخامس عشر الهجري » وهذا لايعني أنه بلغ من العمر عتيا فهو أكثر الأديان العالمية قوة وشبابا وانتشارا ، فهو من ناحية يعد أحدث دين عالمي جاء بعد المسيحية واليهودية وهو من ناحية أخرى يعد أكثر الأديان حيوية وانتشارا حتى الآن ، وفي أعداد تصل أحيانا الى مئات الألوف سنويا يدخلون الاسلام طوعا واختيارا وايمانا ، وخاصة في قارتي آسيا وأفريقيا التي يتنبأ علماء الاجتماع والأديان المعاصرون بأنها قارة المستقبل بالنسبة لانتشار الدين الحنيف .**

ويخطــيء من يظــن أن العصر الحديث لم تعد تحركه المعتقــدات الدينية ، ولايمكن لأي مؤرخ الآن يتابع الأحداث اليومية الراهنة ، أن يعتقد أن أوروبا قد نسيت تماما ان الاسلام كان على وشك الاستيــلاء عليها كلها في يوم من الأيام .

ان العودة الى الدين أصبحت هي الدعوة الرئيسية التي بدأ الكثيرون من العلماء والفلاسفــة في الغــرب ينادون بها لانقاذ الحياة من التفكك المريع والانهيار القاتل تحت ماسيطر على العالم الغربي منذ مائتي سنة تقريبا باسم التقدم أو التطور .

وفي مقال لهاينريش بانيكة في عدد أخير لمجلة اشتــرن وهــي كبــرى المجلات في ألمانيــا الغربيــة كتــب يقول ـ ماذا صنع التقدم التقنــي بالانسان ؟ الحب ضاع من الحياة مثل كل العواطف الخيرة الأخرى . بل وحتى العلاقــة بــين الزوجــين أصبحــت واجبــا من الواجبـــات الوطنية . مثل الخدمــة العسكريــة الالزامية .

وكما قال من قبله كارليل صاحب كتاب « العالم ذلك المجهول » قوله الذي أكد فيه أن الحضارة المادية تحمل معها علة سقوطها ، فمن غير الدين يفقد الانسان أسمى عواطفه . فلابد من العودة الى الدين .

وكما قال أحد المستشرقين حول آصرة المجتمع بين أفراد الأمة الاسلامية « المسلم في المجتمع الاسلامي . كل مسلم آخر مهما كانت لغته وأصله وسلالته وبلده فهو أقرب له من مواطنه الذي قد يتكلم لغته وينحدر من نفس سلالته ولكنه لايدين بنفس عقيدته وهي الاسلام » .

انه بعد أقل من قرن من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان الدين الاسلامي الحنيــف قد ضم فارس ومصر وسوريا وتونس والمغرب وأسبانيا وجنوب فرنســا وجنــوب ايطاليا وصقلية ووصل حتى نهــر السند ووسط آسيا .

كيف استطاع الاسلام ان يخرج العرب من جاهليتهــم الغارقــة في الظلام ؟ الى ان يقفزوا قفزتهم الهائلة ـ وعلى غير مثال سابق ـ الى مركز القيادة العالمية والزعامة الانسانية ، وبدون أن يتوفر لهم ولو أقل مايمكن من امكانيات مادية أو بشرية أي عقل يمكن ان يهضم بروز خير أمة وأعظم دولة لم ير التاريخ لها شبيها من مجتمع قبلي جاهلي ، لم يكن يدري مامعنى النظام ولا مامعنى الدولة لا ليحرر أرضه ويصبح سيد أمره ومقرر مصيره فوق أرضه فحسب . بل وليدك عروش البغي والعــدوان في فارس والروم وفي كل بلد هضمت فيه كرامة الانسان وحيل بينه وبين ممارســة حقوق آدميته . ثم ان ذلك المجتمع الاسلامي الأول ، استطـــاع قواده اقامة نظام فريد من نوعه ، محق الظلم وسحق العدوان وأزال الطبقية وألغى الفروق ووحد الأشتات وجمع صنوف البشر تحت رايته . ورسم هدفا انسانيا أعلى ، الشيء الذي أقنع العديد من شعوب الأرض بالانضمام الى صفــوف الدعــوة الاسلاميــة

والالتفاف حول رجالها في حب واعزاز واندفع الموج البشري في زحفه ينشر الضياء ويمزق أغشية الظلام ، حتى كانت الدعوة الاسلامية تعم الأرض في ظرف من الزمن جد قصير .

هل كان ذلك الانتشار للاسلام بحد السيف أو بقوة العقيدة وفهم الناس لما تقدمه لهم من حياة آمنة سعيدة كريمة ؟ كلهم فيهـا سواء لافرق بين أحدهم والآخر الا بتقوى الله ومايقدمه للناس من خير ونفع .

اذا تتبعنا سلسلة التاريخ الاسلامي نجـد ان الاســلام لم ينتشر الا بالدعوة . حيث انتشر الاســلام في أنحاء الأرض بعد ان قام الدعـاة يقدمون الاسلام بالفـكر والموعظـة الحسنة دون ضغط أو اكراه . وفي ذلك يقول توماس كارليل عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غـير مفهوم اذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر فرد سيفه ليقتل به النـاس ويستجيبوا لدعوته . فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين » .

ويقرر التاريخ ان الحرب لم تقم بين المسلمين وبين شعـوب الأرض المجاورة ، بل مع أعدائهم الأصليين الذين استرقوهـم قرونا عديدة بدليل ان المصريين والسوريين والعراقيـين كانـوا يؤيـدون الزحـف العربـي الاسلامي ويؤازرونه ، لما وصل الى أسماعهم من عدالة الاسلام ولما كانوا يعانونه من ظلم الاستعمار الروماني والفارسي .

إن أي تفسير بالمنطق العـادي للانسان لتحليل ماحـدث بالنسبـة لاقامة النظام الاسلامي على الأرض على النحو الذي ظهر به والذي انتشر به . ذلك النظام الذي اختير لزعامته محمد النبي الأمي الذي برز في صميم أرض الجزيرة العربية التي انطلقت منها جيوش الفتح الاسلامي تفتح العقول والأفكار قبل افتتـاح المدن والأقاليم ، ثم اختيار الأمة العربية بالذات لكي تقوم بدور الرائد .. الأمة التي أحسنت القيادة الرائدة احسانا حير العقول .

ان أي تفســير لذلك بالمنطـــق الانساني العادي ، ظل وسوف يظل عاجزا كعجز القزم حين يمد قامته لكي يتعادل مع العملاق وان كل تأمل عقلي مجرد من أثقال المادة ونزعات الهوى . أكد وسيظل يؤكد لنا على مد الزمن بما لامجال للريب فيه ، بأن الاسلام قادر تماما على تحقيق آمال البشرية فيه بشرط واحد فقط وهو ان يرتفع الانسان الى الأفق الذي أراد الله للناس السمو اليه حين أنزل قوله الكريم : ( **ولقد كرمنا بنـي آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ) الاسراء/ ٧٠

ان رسالة محمد عليه الصـلاة والسلام ستبقى مابقيت الحياة ـ كما نزلت من لدن حكيم بالنـاس عليم ـ تقدم الخير للانسان وترسم الطريق القويم للبشر في كل أنحاء الأرض ـ كما جاءت للبشر كافة ـ

الطريق القويم الذي يرفع الانسان الى أحسن درجة بين المخلوقات حيث يكرمه الله . ترسم لهم طريق الخير والسعادة . طريق الانسانية الكريمة المبنية على الحب والعدل والحق والخير . من الانسان لنفسه . ومنه لغيره .

سوف تبقى الرسالة المحمدية كذلك . مابقيت الحياة . ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومن هذا المنطلق فان هذه الرسالة مدعوة الى تغيير وجه العالم . وانقاذه مما يئن تحته اليوم وادخاله في ظلال الرحمة الالهية بالبشر . عندما يعبدونه ويطيعون أوامره وينتهون عن نواهيه . ولدينا نحن أصحاب هذه الرسالة والدعاة اليها مانعرضه على البشرية اليوم . فمادامت عجلة الحياة سائرة ومادام هناك على الأرض باطل فان الاسلام مدعو لوضع طاقته في الميدان . مدعو برجاله الى ذلك . كي يرد الحق الى نصابه ويقيم شريعة الحق والعدل وينشر على الدنيا بساط الرحمة .

ان البشرية اليوم . تعيش أيام ظلام حالك . وظلم قاتل . وقد جاء الاسلام في أوله والدنيا كما هي اليوم . حق ضائع . مهضوم من القوي نحو الضعيف . الانسان مسخر للذات جسدية . أو مسخر تحت ضغط قوة لاترحم انسانيته ولاتعترف بحقوق بشريته . هذا ماتعيشه البشرية اليوم . وكما جاء الاسلام لينقذها بارادة من الله القوي العزيز قبل ١٥ قرنا . هاهو الدور اليوم أيضا ليتقدم المسلمون باسلامهم لينقذوا البشرية مما تعيش فيه وتعانيه اليوم .

وهذا دور ليس بجديد على الاسلام والمسلمين . فان الاسلام قوة دافعة منذ جاء الى الدنيا نحو التطور المطرد من أجل وصول الانسان الى كسب المنزلة العليا التي خلق لكي يرقاها . فسبق المسلمون في ميادين عدة في هذه الحياة ومنها مايرجع الى العلم التجريبي وبلغ كشوفا مذهلة وقف حيالها العالم مشدوها . وبنى عليها تقنيته وحضارته التي يتحدث ويتشدق بها .

هذا الدور الخالد .. الممتد في شعاب الزمن من قديم يواجه اليوم الضلال والعمى ، والطغيان والهوى ، والاضطهاد والبغي والتهديد والتشريد ، فهل يهب المسلمون ليمضوا في طريقهم بهذا الدور الخالد الكريم والذي بعث الله به رسالتهم . هل يهبون ليمضوا في هذا الطريق ثابتين في الخطو مطمئنين في الضمير ، واثقين من نصر الله متعلقين بالرجاء فيه متوقعين في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد : **( وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد )** ابراهيم/١٣و ١٤

لقد انبعثت الصيحة مدوية . بالعودة الى الاسلام ودوره القيادي . للبشرية كلها فهل نحن فاعلون . ؟

# الأدلة الجنائية في القرآن الكريم (١)

للدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي

مما لا شك فيه أن القرآن العظيم يحوي من صنوف الحقائق وآيات الموعظة وأساليب الهدى للناس ما يشكل الأساس المتين لبنيان حياتهم الدينية والاجتماعية : ( **هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين** ) آل عمران/١٣٨ . أنه الكتاب الجامع ، والدستور الأعظم والدليل الذي لا يأتيه الباطل . ثابت على مر العصور والحقب : ( **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ) الحجر/٩ .

لكنه قد يعارض البعض أن يحاول شخص ما أن يستخلص من القرآن الكريم أمثلة أو اشارات لعلم أياما كان لعلم من العلوم الحديثة خصوصا وأن الموضوع الذي نطرقه اليوم لم يرتده الكثيرون من قبل . وعلى أية حال فان هناك مدرستين متباينتين عن التعرض لما يسمى بالتفسير العلمي لآيات القرآن الكريم :

١ ـ الأولى ترى أن القرآن الكريم هو الكتاب الجامع لكل العلوم الدينية والدنيوية ، لم يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها : ( **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء** ) النحل/٨٩ . وأن أية علوم دنيوية هي في الأساس في القرآن الكريم ومن القرآن ، وأن عدم اسستنباط أصولها من القرآن لا يعني عدم وجودها فيه بل يعني عدم قدرتنا على هذا الاستنباط ( **يؤتي الحكمة من يشاء** ) البقرة/٢٦٩ ، ( **ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء** ) البقرة/٢٥٥ ، ( **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** ) الاسراء/٨٥ .

٢ ـ والمدرسة الأخرى ترى أن القرآن الكريم هو كتاب الأحكام الكلية والمبادىء العامة الثابتة . انه الكتاب الصالح لكل زمان ومكان أما العلوم الدنيوية فمتغيرة بمزيد من الاكتشافات والاضافات التي تضطرد كل يوم بارتياد مجالات جديدة للعلم . لذلك كله فلا يمكن أن نخضع تفسير آيات القرآن الكريم لعلوم العصر الحديث ونظرياته أو نحاول استنباط علوم الدنيا المتغيرة منه . ذلك تحميل لمعاني القرآن الكريم ليست في الأصل واردة .

على أن ما يأتي في القرآن الكريم من اتفاق مع نظريات أو أصول العلوم الدنيوية الحديثة ما هي الا أمثلة جاءت لترشد الناس ، ولتكون مصابيح هداية لهم ، وعليهم أنفسهم أن يجتهدوا ليلموا بأحكامها وقوانينها التفصيلية : ( **وتلك**

**الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** ) العنكبوت/٤٣ ، ( **ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم** ) النور/٣٥ .

ونحن نرى بصحة نظرة المدرسة الثانية ذلك أنها أقرب الى المنطق ، ولأنها تضع القرآن الكريم في مكانته المقدسة التي يجب أن تكون عليها لأنه دستور كل الدساتير ، وجامع كل الأحكام لا أن يكون عرضة للفروض الجدلية المتغيرة لنظريات العلم الحديث .

على أننا يجب أن ننوه أن كلا من المدرستين ترى بوجوب الاجتهاد ـ لأهل العلم والتخصص ـ وتحث عليه ؛ وعلى ذلك فلا مانع هناك من مناقشة الأمثلة الواردة في القرآن العظيم لعلم من العلوم العصرية ( **وقل رب زدني علما** ) طه/١١٤ .

ان ما سوف نحاوله هنا ليس تفسيرا جديدا لبعض آيات القرآن الكريم المباركة ، لكنه محاولة لفهم معاصر لهذه الآيات من وجهة نظر متخصصة في علم من علوم الدنيا ألا وهو علم الأدلة الجنائية .

## تمهيد :

منذ عصى آدم وحواء ربهما وأكلا من الشجرة المحرمة فكان جزاؤهما تجربة الحياة على الأرض ، ومنذ مسيرة الخليقة المضطردة تلازم الخير والشر وترافقت الجريمة مع الحياة ، وقتل قابيل أخاه هابيل كي يفوز ـ كما تقول الأساطير ـ بالزواج من أختهما الفاتنة **اقليما** . وبذلك فقد سجل الانسان بدمه المهدور أول جريمة في التاريخ كتبت فوق سطح هذا الكوكب .

ولأن الاسنان مخلوق اجتماعي ، فقد انتظم بحكم طبيعته في أسر وعشائر . ولأن مصالح الناس متباينة ، ولكي تتوافق مصالح المجموعة مع مصالح الأفراد فقد ارتضت الجماعة **بالعقد الاجتماعي** أنواعا من السلوك فأجازتها ، بينما جرمت ضروبا أخرى من السلوك ووضعت الجزاء رادعا لمن يقترفها . واستهدفت الجماعات من ذلك كله الحفاظ على كيانها . وتوطيد أركان أمنها حتى يعم الرخاء والاستقرار والأمان .

وبمرور الزمن تطورت أساليب الحياة في المجتمعات البشرية ، وكذلك تطورت أفكارها وثقافاتها . كما تطورت كذلك نوعية الجريمة وأساليبها ، وتطورت معها بالضرورة وسائل كشفها ومكافحتها وطرق التعرف على فاعليها .

## أهمية الأدلة الجنائية :

لم تكن الجرائم ـ في حالة وقوعها ـ في المجتمعات البدائية محاطة بالغموض والأسرار . بل كان طبيعيا أن يضبط الجاني متلبسا بجريمته في التو واللحظة ، ويكون اعترافه شيئا لا مناص منه وبالتالي مبررا لادانته . أما اذا أنكر فغالبا ما

كانت أقوال الشهود تشكل سببا كافيا لادانته . وعليه فقد كان توجيه التهمة للمتهم يستند أساسا على الدليل المعنوي . ولذلك أشتهر القول أن **الاعتراف سيد الأدلة** .

لكنه من ناحية أخرى فقد كان الاستناد على الدليل المعنوي وحده كأساس للاتهام وبالا على العدالة ذاتها ؛ لأنه كان سببا لأن تجيز سلطات التحقيق لنفسها انتزاع الاعتراف مستخدمة أبشع وسائل التعذيب والاكراه . وظهر الى حيز الوجود ما سمي **بغرف التعذيب** التي كانت تحظى بكل اهتمام سلطات الأمن وتحتوي على كل ما هو جهنمي لاهدار الانسانية وانتزاع الاعتراف .

ومع تعقد أنماط الحياة وتطور المجتمعات البشرية واتساع العمران أصبحت المدن بما حوت من أخلاط بشرية ، وما تحفل به من صراعات مادية ومغريات جنسية . . بيئة خصبة لا نتشار شتى أنواع الجرائم الغامضة . والمجرم حين يرتكب جريمته يحرص على ارتكابها خفية دون أن تراه أعين الناس . ومع تطور وسائل المواصلات أصبح في مقدوره أن يصل الى مسرح الجريمة وأن يغادره بسرعة متناهية بحيث لا يلحظ أحد وجوده هناك بل وعلى النقيض يحرص أن يلاحظ المحيطون به استمرار حياته الاعتيادية في الوجود على مسافة قصيرة من مسرح الجريمة . فاذا حدث واتجهت اليه الشبهات فانه ينكر عن عمد أي صلة له بالجريمة ، بل ويجد من يشهد على وجوده في مكان آخر ساعة وقوعها . وبذلك لا يجد المحقق في الأدلة المعنوية سندا ولا نصيرا .

لكننا نبادر بالقول أنه مهما بلغ حرص المجرم ومهما كانت براعته في التخفي والتستر فهو لابد وأن يترك في مسرح الجريمة ـ دون قصد منه ولا وعي ـ أثرا ماديا يمكن أن يدل عليه ؛ وهو في نفس الوقت لا بد وأن يحمل من مسرح الجريمة أثرا يدل على أنه كان موجودا فيه وهذا ما يعرف **بنظرية تبادل الأثر** .

وتجدر الاشارة هنا أنه يرجع الفضل في فحص مختلف أنواع الآثار المادية وإبراز الكامن منها وبيان دلالتها وصلتها بالجريمة ، وصلة الجاني والمجني عليه بها الى التقدم العلمي . فقد أصبحت الأجهزة العلمية المستخدمة في فحص الآثار الجنائية المادية هي التي تقدم الدليل المادي الحاسم على البراءة أو الادانة .

ولما كان **البحث العلمي الجنائي** أو علم الأدلة الجنائية ، يستخدم طرق وأساليب وأجهزة العلوم الطبيعية . فقد نما وتطور بنموها ونهضتها ، ووجدت فيه سلطات الأمن البديل العصري لغرف التعذيب . كما أصبح هذا العلم هو السلاح الماضي الذي تعتمد عليه السلطات في حربها الضارية ضد الجريمة ، وكشف غوامضها وإدانة مقترفيها .

## أنواع الأدلة الجنائية :

قيل قديما أن التحقيق صراع بين الجاني والمحقق ؛ الأول يحاول اخفاء معالم

الجريمة ويعمل الآخر ـ وخصوصا بما لديه من أدلة جنائية ـ على الكشف عن حقيقتها واستجلاء الغامض منها ، والتعرف على طرق ارتكابها ، وتتبع الجاني واقتفاء آثاره اذا ما حاول الفرار من وجه العدالة حتى يمكن القبض عليه لينال جزاءه .

والأدلة الجنائية تشتمل على نوعين :

١ ـ **الأدلة المعنوية** : وهي عبارة عن اعتراف المتهم وشهادة الشهود .
٢ ـ **والأدلة المادية** : وهذه تشتمل على الآثار المادية التي يتركها الجاني في مسرح الجريمة أو تلك التي يحملها منه . والأدلة المادية لا يمكننا أن نعددها أو نذكرها فهي لا تقع تحت حصر لانها تتفاوت في أشكالها وأحجامها فمنها الظاهر الذي لا يخفى على العين لكبر حجمه ومنها الدقيق الذي يتناهى في الصغر ولا يدرك الا بالمجهر . والأمثلة على الأدلة المادية كثيرة منها بصمة الاصبع ، بقعة الدم ، شعرة من رأس أو جسد ، البقايا المتخلفة عن الطعام ، الأشياء المتخلفة عن الحريق ، المقذوف الناري ، آثار المعادن والطلاء وغيرها الكثير من الأشياء المادية .

## نماذج من الأدلة الجنائية في القرآن الكريم

**من المعروف أن هناك تقسيمات عديدة للجرائم لتسهيل مناقشتها ودراستها ، وقد اخترنا تقسيما سهلا يفي بغرضنا في دراسة الأمثلة المختلفة على الأدلة الجنائية في القرآن الكريم . وعليه فيمكننا القول بأن الجرائم نوعان :**

أ ـ **الجرائم المعنوية** : وهي الجرائم التي تتصل بالنواحي المعنوية في الإنسان كفكره وعبادته وحريته وملكاته الذهنية .

ب ـ **الجرائم المادية** : وهي الجرائم التي تتصل بالنواحي المادية للانسان وتشتمل على :

( ١ ) **جرائم النفس** .
( ٢ ) **جرائم العرض** .
( ٣ ) **جرائم المال** .

وسوف نورد ـ من القرآن الكريم ـ الأمثلة التي اخترناها للدراسة آخذين في الاعتبار التقسيم السابق للجرائم بالاضافة الى أصول عامة في علم الأدلة الجنائية أو البحث العلمي الجنائي لنكمل بها هذه الدراسة . على أننا يجب أن ننوه أننا قد قصرنا هذه الأمثلة على النوع الذي يحقق المعنى الحرفي للدليل الجنائي ، ولم نتطرق للأمثلة الأخرى التي تشتمل على أنواع لا حصر لها من الأدلة على قدرة الخالق أو على ضرورة التفكير والتدبر أو الأخذ بأساليب العلم بصفة عامة . وكذلك

فاننا ننوه الى أن سورة يوسف في رأينا هي النموذج الرباني الأمثل للقصة والرواية بما فيها من تسلسل أو بناء درامي فانها تعتبر من جهة أخرى وبحق النموذج الأمثل لاستخراج الأدلة الجنائية والدلالة عليها لما تحتويه ـ كما سيلي ذكره ـ على أكثر من جريمة : ( **الر تلك آيات الكتاب المبين ★ انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ★ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين** ) يوسف/ ١ ـ ٣ .

○ **الجرائم المعنوية** :( ١ ) ( **ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ★ اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ★ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ★ قال لقد كنتم أنتم و آباؤكم في ضلال مبين ★ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ★ قل بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ★ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ★ فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ★ قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ★ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ★ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ★ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ★ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ★ فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ★ ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** ) الأنبياء/ ٥١ ـ ٦٥ .

اتفق قوم آزر على عبادة الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وشاء الله أن يبعث فيهم رسولا منهم هو الخليل ابراهيم يدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار . وتوضح لنا الآيات كيف يدعو ابراهيم قومه الى التوحيد بالاقناع والحجة ، لكن قومه رفضوا الدعوة متعللين بأنهم يتبعون ملة آبائهم الأولين . ويدع ابراهيم الجانب السلمي في دعوته ويعمد الى تحطيم أصنامهم يوم عيدهم ، ويحطم ابراهيم الأصنام كلها الا أكبرها كي يترك لقومه الفرصة في استخدام عقولهم ، وأن هذه الأصنام لا تستطيع دفع الضرر عن نفسها فكيف تدفع الضرر عنهم . ويتساءل القوم عمن فعل ذلك بآلهتهم ، ويشهد البعض أنهم سمعوا ابراهيم يذكر الآلهة بسوء . وتعقد المحاكمة على مشهد من الناس . وينكر ابراهيم التهمة ويتحداهم متهكما فلتسألوا كبير الأصنام عمن فعل ذلك بهم . ويغلق القوم عقولهم أمام دعوة التوحيد ويجادلونه بالباطل وهم يعرفون ويقرون أن هذه الأصنام لا تنطق لكنه الكفران المبين .

أما من الناحية الجنائية :

فالجريمة هنا ـ من وجهة نظر قوم ابراهيم ـ تتعلق بالعقيدة الدينية وهي عدم عبادة الأصنام ، وذلك ما يمكن أن نطلق عليها اليوم **جريمة أمن عام** لأنها ليست موجهة لفرد بعينه بل هي موجهة لكل أفراد المجتمع ، وهي خروج على ما ارتضاه

هذا المجتمع لنفسه من نظام ديني . ولقد توافرت للجريمة كل عناصرها كما توافر لها بعض الأدلة الجنائية :

● دليل معنوي : يتمثل في شهادة الشهود بأنهم سمعوا ابراهيم يذكر آلهتهم بالشر :( **قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم** ) .
● دليل مادي : وهو ما نطلق عليه جسم الجريمة وهو هنا هذه الأصنام المحطمة : ( **فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون** ) .
● دليل مادي : قصد به التمويه ؛ وهو تعليق الفأس - أداة الجريمة - في عنق كبير الأصنام كي يعتقد القوم أن الصنم الأكبر هو فاعل الجريمة . أما ما قصد اليه سيدنا ابراهيم فهو أنه كان يهدف الى افحامهم بالحجة وعن طريق التعجيز ليؤمنوا أن هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر .

وترى الآيات( **فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون** ) مقررة رجوع القوم الى انفسهم والرجوع الى النفس يعني العودة الى استخدام العقل والتدبر في اتخاذ القرار ، وهي توضح أن العقل والمنطق لا يستطيعان - ما داما يعملان بطريقة سوية - مكابرة الدليل المادي الجنائي ؛ لذلك كان عدول القوم عن اتهام ابراهيم واعترافهم بأنهم هم الظالمون لسؤال ابراهيم أو لعبادة ما لا ينطق ولا يدفع عن نفسه شرا . ونرى بلاغة القرآن الكريم في قوله تعالى ( **إنكم أنتم الظالمون** ) والضمير أنتم هو لتوكيد الفاعل ، وتعبيرا عن الاعتراف بظلمهم لابراهيم وعبادتهم لما لا ينفع ولا يضر . وتأكيدا - من وجهة نظرنا - لأهمية الدليل المادي الجنائي في الاقناع والحجة والتحكيم .

وتضطرد الآيات ( **ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** ) تروي أن قوم ابراهيم عادوا فنكسوا على رءوسهم . ولقد استعمل القرآن الكريم كلمة نكسوا بصيغة نائب الفاعل ليدلل على أنهم سلبوا العقل وأصبحوا بلا ارادة نتيجة العجز في مواجهة الدليل المادي الجنائي . على أن تنكيس الرأس في حد ذاته وهو مكان التدبر ومناط العقلانية والتفكير دلالة على انعكاس موازين الحكم وتقييم الأمور . لذلك فقد جادلوا ابراهيم بطريقة مقلوبة بل ضد ما اقتنعت به عقولهم على أنه الصواب . وكانت محاكمتهم العلنية لابراهيم لتحطيم الآلهة ولايمانه بدين جديد . ثم ينجيه الله من كيدهم وظلمهم وتكون النار التي أوقدوها لاحراقه بردا وسلاما عليه .

**( ٢ ) ( وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ★ انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ★ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة**

**لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا** ) الكهف/ ١٩ ـ ٢١

كلنا لا بد يعرف قصة أهل الكهف . انهم فتية آمنوا بربهم وهربوا بدينهم من الاضطهاد ، وزادهم الله هدى وتقوى وقوى على قلوبهم بالصبر وقول الحق والشجاعة . لقد وقفوا بين يدي مليكهم ليعلنوا أنه لا اله الا الله وحده لا شريك له ، رب السموات والأرض ولن يعبدوا من دونه الها آخر بلا دليل واضح أو برهان بين . ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالآيات لما جاءته .

وشاء ربك أن يستطيعوا الفرار بدينهم فلجأوا الى الكهف لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ويهيىء لهم من أمرهم رشدا . وشملتهم رحمة ربك فأنامهم في الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم شاء ربك أن يوقظهم ليعطي للناس آية جديدة على قدرته وحكمته وعلمه . انه يستطيع سبحانه ـ وغيره لا يستطيع ـ أن يحيي العظام وهي رميم . واختلف الناس في مدة بقائهم في الكهف لطولها لكن الحقيقة علمها عند ربي . ولقد شاء ربك كذلك أن يعثروا عليهم بعد أن ذهب أحدهم بعملة فضية كي يشتري طعاما وبرغم الحذر الشديد كي لا يعرفهم قومهم فقد كانت العملة دليلا أرشد الناس أن هؤلاء القوم من زمان غير زمانهم .

## ومن الناحية الجنائية :

فالجريمة هنا تشبه سابقتها لانها تتعلق أيضا بالعقيدة الدينية التي ارتضاها المجتمع وفي محاكمتهم أمام الملك اعترفوا بأنهم يعبدون الله وحده لا شريك له وانهم لا يؤمنون بديانة قومهم . لكنه ومع هذا الاعتراف الذي يدينهم استطاعوا الهرب والفرار بدينهم . وشاء ربك أن يبعثوا من جديد بعد أن دار الزمن دورته ومرت السنون . وأيا كان الأمر من الناحية الجنائية نحو سقوط التهمة بالتقادم فلقد عثر القوم عليهم وكان الدليل الذي أشار اليهم هو العملة الفضية التي تختلف بالطبع عن العملة التي كانت سائدة وقت أن بعثوا من جديد .

**والدليل المادي الجنائي** هنا هو العملة الفضية ، واختلاف العملة عن السائد في زمانها هو ما نطلق عليه اليوم **جرائم النقد** أو **تزييف العملة** . فمن المعروف أن لكل عملة مواصفاتها من النقوش والرسوم والوزن والحجم وكذلك لها تركيبها الثابت من سبائك معينة يكون تركيبها الكيميائي دقيقا حتى يصعب على مزيفي العملة تقليدها . وأي تغيير في هذه المواصفات من قبل أي جهة أو فرد غير الجهة التي أصدرتها يعتبر من جرائم تزييف العملة . والدليل المادي الجنائي هنا له أهميته القصوى في التعرف على المتهمين حتى وان كانت هوياتهم مجهولة بالنسبة للمجتمع . ولقد استخدم القرآن الكريم تعبيرا رائعا ( **وكذلك أعثرنا عليهم** ) كي يشير الى أن السبب المباشر في العثور على أهل الكهف هو الدليل المادي وهو العملة الفضية . الا أنه من رحمة ربك أنه كان لأهل الكهف شأن آخر .

# مائدة القارئ

## احذر هؤلاء

قال الله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا . »
الآيتان ١٤٢ و ١٤٣ من سورة النساء

## مفاتيح خير

مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح الاجابة الدعاء .

## اعمى .. وسراج

كان يسير في الطريق ، حاملا على عاتقه جرة ، وبيده سراج ، حتى انتهى الى النهر ، فملأ الجرة ، فرآه أحدهم فقال : يا هذا .. أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب ، يستضئ به ، لئلا يعثر في الظلمة ، فيصطدم بي ، فأقع ، وتنكسر جرتي .

## دعاء

قال يناجي ربه : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، أذقني برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك .

## الرياء

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ( إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ! يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فاطلبوا عندهم الجزاء ) .

## حوار بين أحمقين

رأى رجل منارة الجامع ، فقال : ما كان أطول الذين بنوا هذه المنارة ، فقال صاحبه : اسكت ، فما أجهلك ، هل رأيت أحدا في الدنيا في طول هذه المنارة ؟ . لقد بنوها على الأرض ، ثم رفعوها .

## سر قوته

يحكى أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه ، والشاب يعجز عن ذلك . فعجب منه ، واستحضره ، فحادثه في ذلك ، فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه .

## غريب

غريب الدار ليس له صديق ... جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شيء ... كما يتعلق الرجل الغريق
فلا تجزع فكل فتى سيأتي ... على حالاته سعة وضيق

# مؤتمر الطب الاسلامي

الاسلام دين الفطرة .. دين الواقع .. دين التشريع للحياة بكل جوانبها .. وللآخرة من اجل الفوز برضوان الله .. دين يعيش به الانسان موصولا بتعاليم السماء .. لتكون حياته شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء .

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري يعيش العالم الاسلامي انتفاضة اسلامية يحيي بها تراثه .. ويعيد بها امجاده .. ليواصل عطاءه الخير للانسان في كل مكان .. فالدين الاسلامي يشمل نقاء النفس الى جانب سلامة البنيان .. يعنى بالداخل عنايته بالظاهر .. فالطهارة مطلب اساسي فيه طهارة الثوب والمكان ، ونظافة البدن .. وصفاء الضمير ، ونقاء الوجدان .

دين يدعو المسلم لان يكون عابدا بالليل .. فارسا بالنهار .. يدعو المسلم لان يكون سليم البدن وصولا الى سلامة العقل .. لان العقل السليم في الجسم السليم .. واذا ما اصاب البدن آفة كان لابد من العلاج .. وقبل العلاج عرف الاسلام الوقاية .. كما عرف الاسلام ادواء النفس وعالجها .. عرف ادواء البدن ووضع الله لها دواء على الانسان ان يبذل جهده في استكشافه واستخراجه مما اودعه الله فيه .

## مع القرآن

قال تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

وقال سبحانه : « واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

وقال سبحانه واصفا رسوله والمؤمنين بالقوة والشدة على اعدائهم : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » .

# الاسلامي الأول

ويقول الله تعالى مبينا فضله على الانسان : « **او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون** » .

ومن الصفات التى يتفضل بها الله على خلقه ان يكون افضلهم هو الواسع العلم القوى الجسم قال تعالى : « **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم** » .

**مع السنة :**

ونأتي الى المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي السنة النبوية الشريفة فماذا يقول رسول الانسانية محمد ﷺ ؟.

يقول : « لكل داء دواء فإذا اصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل » .

وروى ابو سلمى بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضى الله عنه قال **قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا صفر ولا هامة** » فقال أعرابي : يارسول الله : فما بال الابل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها ؟. قال : « فمن أعدى الأول ؟ » .

ويقول : « ان هذا الوجع ، او السقم ، رجز ، عذب به بعض الامم قبلكم ، ثم بقى بعد بالارض ، فيذهب المرة ويأتي الاخرى ، فمن سمع به بارض فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه » .

وهكذا يدعو القرآن الكريم والسنة المطهرة الى سلامة الجسم ، والحفاظ على الصحة ، وبرز من علماء المسلمين من اشتهر بالطب مثل : ابو بكر الرازي ، وعلي ابن عباس ، وابن سينا ، وابو القاسم القرطبي ، وابن زهر الاشبيلي ، وابن رشد ، وغيرهم ممن عرف العالم القديم والحديث مكانتهم في الطب الاسلامي .

وكان من علمائنا من اشتهر بالجراحة ، وفي الصدر الاول كانت هناك المرضات يضمدن جراح الجند المسلم ، ويسهرن على رعاية المريض ، وعرف الوطن الاسلامي المستشفيات والعلاج ، يوم ان كان العالم يعيش في ظل الخرافات وخزعبلات الكهنة والمشعوذين .

واليوم ـ وعلى أرض الكويت ينعقد المؤتمر الاول للطب الاسلامي تحت رعاية صاحب السمو امير البلاد .. وفي مسجد فاطمة .. يكون اجتماع العلماء .. وكيف لا .. والمسجد هو المدرسة الاسلامية الجامعة .

## جلسة الافتتاح

وبالقرآن الكريم يكون البدء .. وباسم الله الرحمن الرحيم يكون الافتتاح .. ثم كلمة سمو امير البلاد التى القاها نيابة عنه الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة الكويتية فقال :

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .**

صدق الله العظيم

اصحاب السعادة الاخوة الوزراء .. حضرات الاخوة والاخوات اعضاء المؤتمر .. حضرات الضيوف الكرام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد شرفني حضرة صاحب السمو امير البلاد ـ راعى هذا المؤتمر بأن انوب عن سموه ، في افتتاح المؤتمر العالمي الأول للطب الاسلامي الذي تقيمه دولة الكويت ، في نطاق احتفالات العالم الاسلامي ، بدخول القرن الهجري الخامس عشر ، ويسرني ان انقل اليكم تحيات سموه مرحبا بكم في الكويت البلد الذي يؤمن ايمانا راسخا بالعروبة والاسلام متمنيا لكم طيب الاقامة ، بين اخوتكم وفي بلدكم وراجيا لمؤتمركم كل نجاح وتوفيق .

يتساءل الكثيرون لماذا نقيم مؤتمرا للطب الاسلامي ؟ واقول ردا على هذا التساؤل ، ان هناك حقيقة تاريخية بالغة الاهمية لا مجال لان ينكرها او يتجاهلها احد في هذا العالم ، تلك الحقيقة ، هي دور الاسلام العظيم في حضارة الانسان وفي تبديد ما ساد العالم وقت ظهوره من ظلمات وجهالة وفتح النوافذ الى نور العلم والمعرفة ، لان الاسلام رسالة السماء الى البشر كافة ، رسالة الخير والهداية الى سواء السبيل ، فهو دين شامل متكامل ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة من امور الدين والدنيا الا وعرض لها ، سواء فيما سنه من تشريعات أم عبادات أم أوامر أم نواهي كلها استهدفت خير الانسان ورعايته وحمايته من الاذى .

واضاف يقول : ومن جانب اخر فان التاريخ شاهد على ان الاسلام قد حمل لواء الحضارة والمعرفة ، لاكثر من الف عام ، وكان منارة اضاء نورها العالم اجمع ، وقد استطاع علماء المسلمين ان يقدموا للعالم تراثا خالدا ، في مختلف مجالات العلم لا يزال حتى يومنا هذا ، محل تقدير واعتزاز جميع العلماء ولا غرو في ذلك ، فلقد كانوا صادقين مع انفسهم ، امناء على اعمالهم ، ذلك لان مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، قد بنيت على الصدق والامانة ، ولم تعتمد على الدعاية الزائفة .. وفي هذه المناسبة يطيب لنا ان نذكر بالفخر والاعتزاز ، الرواد الاوائل من علماء المسلمين العظماء .. الذين تدين لهم الحضارة الانسانية .. امثال الرازي ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، وابن النفيس ، والبيروني ، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لحصرهم هؤلاء العلماء الفوا كتبا في الطب والعلوم والفلك والرياضة ، وغيرها من مجالات المعرفة ، ما زال علماء العالم يرجعون اليها وينهلون منها ، ويقدرونها حق قدرها .

هذه قطرات من بحر تعاليم الاسلام ، واعمال السلف الصالح ، من علماء المسلمين اوردتها لكم على سبيل المثال لضيق المجال .. ولا اظن بعد ذلك ان يسأل سائل .. لماذا مؤتمر للطب الاسلامي ..؟ الا يكفي منهجا لهذا المؤتمر ان يتناول بالبحث والتدقيق ، تراثنا الاسلامي الشامخ ، في مجال الطب ، والتعاليم التى تضمنها هذا التراث ، في مجال الوقاية والعلاج .. تلك التعاليم التى لو اتبعها الانسان .. لما احتجنا الى هذا العدد الكبير من المستشفيات ، ومصحات الامراض العصبية والنفسية والجنسية .. ومشافي الادمان على الخمر والمخدرات وملاجىء اللقطاء وغيرها .

من هذا المنطلق فكرت الكويت في الدعوة الى عقد هذا المؤتمر .. ليكون المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي .. وذلك في نطاق احتفالات عالمنا الاسلامي .. بدخول القرن الهجري الخامس عشر .. وبدعوتنا لكم ايها الاخوة الاساتذة العلماء والباحثون نكون قد بدأنا المسيرة الكبرى .. مسيرة العمل في هدى الاسلام .. لكي نصل الى الكنوز العظيمة ، التى تركها لنا . الرواد الاوائل ، من علماء المسلمين الذين اسهموا في اقامة الحضارة الاسلامية العظيمة التى سادت العالم كله لاكثر من الف عام .. دعوناكم ايها الاخوة لهذا المؤتمر لنتدارس هذا التراث الشامخ .. ولنستخلص منه ما يمكن ان نقدمه للبشرية ، التى تحتاج الان الى من ينقذها مما تعانيه من الانغماس في الماديات .. والابتعاد عن الروحانيات ، والسير في ركاب الثراء وبريقه الزائف .. واتباع طريق الشيطان .. بدلا من التقرب الى الله الواحد الاحد الديان .

انه لما يحز في نفس كل مسلم ، يؤمن بربه ورسوله الكريم ، أن ننسى نحن اصحاب التراث الاسلامي العظيم .. ننسى او نتناسى حضارتنا

العريقة ، وماضينا المجيد ، الذي حاول الغرب اسدال الستار عليه زمنا طويلا .

وجذبنا الى افكاره وحضارته ، وهي اصلا من تراثنا ونتاج حضارتنا .. وما ان نسينا فضل ديننا الحنيف ، واصالتنا العريقة حتى كاد اللهان ينسينا انفسنا ، ونتيه في ظلمات الجهل ، واصبحنا في مؤخرة التقدم الفكري والحضاري المستورد ، والذي سيطر على معظم مجالات حياتنا واصبح شغلنا الشاغل التفاخر بالامجاد ، دون ان نضيف جديدا لتراثنا العظيم خلال خمسة قرون مضت .. وليكن مؤتمرنا هذا بداية الطريق من اجل مواصلة مسيرة روادنا العلماء المسلمين الاوائل .. ولا سبيل لنا لبلوغ هذا الهدف .. الا بسلوك منهج البحث العلمي ، في اطار تعاليم الاسلام . وانني لعلى ثقة من ان هذه التظاهرة العلمية الاسلامية ، التى جمعها هذا المؤتمر .. لقادرة بعون الله وتوفيقه على احياء تراثنا وصلة حاضرنا بماضينا وتحقيق نتائج جليلة في عالم الطب مستهدين بروح الاسلام الحنيف .

حضرات الاخوة والاخوات .. انه ليطيب لي في هذه المناسبة .. ان اشيد بتشجيع ورعاية حضرة صاحب السمو امير البلاد ! وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء .. للبحث العلمي في مختلف مجالات احياء تراثنا الاسلامي بصورة عامة ، وفي الطب الاسلامي بصورة خاصة ولقد كانت اقامة مؤتمرنا هذا ، والاعداد الجيد الذي تم انجازه له ، بفضل توجيهات ورعاية صاحب السمو امير البلاد وسمو ولي العهد .. وسوف تواصل الكويت مسيرتها ، بعون من الله العلي القدير ، في سبيل احياء تراثنا الاسلامي العظيم .. وفي هذا المجال ، يسرني ان اعلن لكم ان مؤسسة التقدم العلمي بدولة الكويت ، قد قررت تقديم ثلاث منح دراسية سنويا ، تخصص احدى هذه المنح للبحث في مجال التراث ، وتخصص المنحتان الاخريان للبحث في مجال التطبيق العلمي والاكلينيكي للطب الاسلامي هذا بالاضافة الى تخصيص عدد من الجوائز القيمة سنويا ، لاحسن بحوث تقدم في مجال الطب الاسلامي وسوف يضع مؤتمركم الضوابط والشروط المتعلقة بهذه المنح الدراسية والجوائز .

**ثم اشاد الاستاذ سعدون محمد الجاسم ـ رئيس اللجنة الوطنية للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري بالمؤتمر ورجال الطب الاسلامي وقال في كلمته :**

لقد كانت الهجرة المحمدية نقطة الانطلاق لبناء الدولة الاسلامية وانتشار الاسلام في العالم ، فعندما تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لاذى قريش ومكائدها ومحاولاتها المتكررة للقضاء على دعوته العظيمة الى الخير والمحبة والبناء والعدل ، اذن الله له بالهجرة مع اتباعه الى المدينة ، حيث وجد فيها كل اسباب القوة




والدعم ، فقد نصره اهلها وايدوه ، وامدوه بالمال والرجال ، ليعود الى مكة بأذن ربه فاتحا ومنتصرا ، وليعطي للبشرية درسا عميقا بالمحبة والتسامح والعفو عند المقدرة .

ولقد وضعت تلك العودة المظفرة قواعد بناء الدولة الاسلامية التى امتدت الى الاندلس غربا والى الصين شرقا ، وارست اصول دعوة اضاءت بنورها حياة البشرية ، واخرجتها من ظلمات الضلالة والجهل الى نور الايمان والمعرفة ومن براثن العصبية والكراهية والظلم الى رحاب التسامح والعدل .

وبفضل هذه الدعوة العظيمة ، استطاع المسلمون ان يسهموا في بناء الحضارة الانسانية وارساء قواعد السلام والبناء في ربوع العالم ، وامكن بفضلها ان يعلو شأن هذه الامة وتتعزز مكانتها .

ان دولة الكويت كانت سباقة الى الدعوة للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري ، وعملت عن طريق اللجنة العليا للاحتفالات بهذه المناسبة على وضع البرامج المختلفة لابراز هذه المناسبة واعطائها ما تستحقه من اهتمام على جميع المستويات وعلى مشاركة جميع

الاجهزة المتخصصة والمواطنين في نشاطاتها ، ولعل ابرز دليل على مدى اهتمام دولة الكويت بهذه المناسبة الطبية ان توج صاحب السمو امير البلاد برامج الاحتفالات بكلمة قيمة جامعة وجهها للعالمين العربي والاسلامي والى شعبنا في الكويت افتتح بها تلك البرامج العديدة ، كما ان رعاية سموه لمؤتمركم هذا لخير دليل على ذلك .

لقد كان للطب في الاسلام شأن كبير وظهر من بين المسلمين عدد من علماء الطب كانوا في طليعة الرواد الاوائل من العلماء الذين وضعوا كثيرا من الاسس في هذا الحقل العلمي الحيوي من حقول المعرفة الانسانية واثروا المكتبة التاريخية بالعديد من الكتب التى ظلت نبراسا يهتدى به ويرتكز عليه الى يومنا هذا .

**ثم تناول خيط الحديث الدكتور حسان حتحوت .. رئيس اللجنة العامة للمؤتمر فقال مبتدئا بقوله تعالى :**

« الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار . يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .

صدق الله العظيم

سعادة مندوب صاحب السمو ..

حضرات الاخوة في الله من ضيوف واهل دار .. يمتاز لقاؤنا في هذا المؤتمر بثلاثة امور :

الاول انه تحت مظلة الاسلام . والاسلام يجب ما سواه . فهو لقاء اخوة في الله ينحسر دونها العرق والجنس واللون واللسان والعنوان .. وتذوب كلها بتأثير « لا اله الا الله محمد رسول الله » فالمؤمنون ليسوا اخوة فحسب ولكنهم امة .. خاطبها ربها بقوله : « وإن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » . وعلى التاريخ لم تحز الامة فلاحا الا بهذا الهدى ولم تصب طلاحا الا بالاعراض عنه والتفرق فيه .

والامر الثاني اننا اذ نؤوب الى تراثنا فكالشجرة الطيبة تصل فروعها باصولها واغصانها بجذورها واعاليها بأساسها .. لانها ان لم تفعل اقتلعت وذبلت وعقمت وصارت خشبا جامدا لا نباتا حيا . ويوم كانت شجرتنا ترتوي من اصولها ، واصولها ترتوي من ايمانها وامر ربها ، كانت واسعة الفيء سخية الثمر طيبة الريح لاهلها وللعالمين .

والامر الثالث ان عكوفنا على ماضينا ليس لنحبس انفسنا فيه بل لنغترف منه زادا لمقبلنا .. ولا ننظر للامس نظرة الاعجاب ولكن نظرة الاستفادة . وحتى في صميم المجال الطبي التجريبي يغوص علماؤنا في التراث ثم يطفون منه بلآلئ جديدة تثري الحاضر . ولعل مجموعة البحوث التى سيعرض لها المؤتمر في

هذا الباب مؤشرات الى ان تراثنا ما زال معطاء حتى في يومنا هذا والطب في ذروة سنامه ، مبشرات بان بعض الامراض التى لم يتهيأ لها حل قد تجد الحل في هذا التراث او من وحيه .

## معرض الطب الاسلامي

قام الوزير والمشاركون بافتتاح معرض الطب الاسلامي الذي اشتمل على اربعة انواع من المعروضات اولها الصور :

١ ـ صور تاريخية من المتاحف المختلفة في شتى انحاء العالم .

٢ ـ صور محلية مبنية على دراسة علمية من كتب تاريخ الطب .

٣ ـ صور لمخطوطات من كتب الطب الاسلامي منقولة عن المتاحف العالمية .

ثانيا : الآلات الجراحية الاسلامية :

وضعت في معهد التكنولوجيا في الكويت كما جاءت في كتب الطب الاسلامي وخاصة في كتب الجراحة ..

ثالثا : كتب عن الطب الاسلامي ومراجع ومخطوطات :

رابعا : نباتات واعشاب طبية مما كان يستعمل في العصور الاسلامية :

خامسا : نماذج من جسم الانسان محنط وبلاستيك وجبس :

كما شمل المعرض طب ما قبل الاسلام والمستشفيات الاسلامية .





## ندوات المؤتمر

وبعد ذلك عقدت عدة لجان ، وطرحت ابحاث قيمة ، ناقشها الاطباء المسلمون ، فكانت اولى الندوات عن ابن سينا .. الطبيب الفيلسوف العالم :

رأس الندوة عبد العزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب وشارك فيها الدكتور احسان دوجرا ماجي والدكتور المهدى بن عبود والدكتور محمد عبد الهادى ابو ريده والدكتورة سعدية راشد .

عرف المحاضرون الحسين بن عبد الله بن سينا بانه صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات .. واصله من بلخ .. ومولده في احدى قرى بخاري وقد صنف نحو مائة كتاب بين مطول ومختصر ونظم الشعر الفلسفي الجيد ودرس اللغة مدة طويلة حتي بارى كبار المنشئين .

اشهر كتبه القانون ، طبع في اوروبا ما بين عام ١٤٧٣ وعام ١٥٠٠ خمس عشرة مرة باللاتينية ومرة بالعبرية وظل الكتاب المقدس في الطب مدة لم يتمتع بها كتاب غيره .. حيث ظلت صفحاته تقلب على منابر الجامعات في اوروبا الى اواسط القرن السابع عشر .

وقد عرف عن ابن سينا انه يفرق بين داء الجنب وبين التهاب الحجاب الحاجز .. وعرف خصائص العدوى في السل الرئوي .. وعرف انتقال الامراض التناسلية وعلل الميول الشاذة في الانسان ودرس الاضطرابات العصبية وعرف بعض الحقائق

النفسانية والمرضيـة من طريـق التحليــل النفسي .. واكد المحاضرون على اهمية الاراء التى طرحها ابن سينا في علم النفس التى اعتبرها قسمين احدهما يدخل في باب العلوم الطبيعية والطب والاخر علم النفس من تغذية ونمو وتوليد وحس واعصاب .

والمحاضرة كانت قيمـة وقـد ابـرزت مجموعـة من الاراء والنظريات التى طرحها ابن سينا والتى لا زالت مطبقة حتى الان .

ثم تابع المؤتمر ندواته ودراسة البحوث المقدمة ، والتـى تعنـى بابـراز دور الطـب الاسلامـي وانجازاته .

فكان ان ترأس احدى جلساته الدكتور ابراهيم بدران حيث جرت مناقشة موضوع :

نظرة تاريخية للطب الاسلامي من ناحية تحقيق المؤلفات الطبية وقد تحدث في هذه الجلسة كل من الدكتور سامي حمارنة حيث شرح في البحث الـذي قدمـه مسألـة « التقنية وصناعة الحيل الطبية في كتاب الجراحة لابـن القـف » ، والدكتور سليم عمار الذي قرأ بحثا حول « مقالة اسحق بن عمران في المالينخوليا » ، والدكتور امـادور دياز غارسيا الذي قدم بحثا حول « الكتـاب المستعينـي لابـن بكلارش » ، والدكتـور سعيـد شيبان الذي قدم بحثا حول « طب ابن رشد » ، والدكتور البير زكي اسكندر الذي قدم دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي لابن سينا والدكتور احمد عروة الذي قدم بحثا حول فيزيولوجيا التنفس عند ابن سينا والدكتور نظير احمد الذي قدم بحثا حول المؤلفات الفارسية الاولى في الطب الاسلامي .

وفيما يلي بعض المقتطفات من البحث الذي قدمه الدكتور سامي حمارنة حول ( التقنيـة وخدعـة الحيل الطبية النافعة في كتـاب الجراحة لابن القف ) :

لقد اغفل كثـير من الباحثـين اعطاء اهتمام لتطور الحيل وادوات الجراحـة في العمـل الصحـي التطبيقي . وواقع الحال يحتـم وجود عناصر هامة جدا ساهمت بها الحضارة الاسلاميـة في هذا المضمار .

واشار الى اكتشاف تم في مدينة الفسطاط في النصف الاول من هذا القرن حول الات جراحية هامة تعود للقرن الثاني الهجري دلت باوصافها على ظهور دقة ونضوج ممارسة الطب الجراحـي منـذ مطلـع النهضـة الاسلامية وكان هذا الكشف رائعا من نوعه في ذلك الزمن .

وفي القرن الثالث الهجري نبه كثير من الاطباء في الاسلام على اهمية فن التشريح وعلم الغرائز وشاركوا في تقديم العمل باليد والتقنية الطبيـة فمثلا اشاد يحيى بن ماسويه بصناعة الجراحـة وشرح الطبـري امـورا مختصة بالفصد والجراحات وعلاج

النقرس والمفاصل . ثم ان ابا زيد حنين بن اسحق العبادي ( ١٩٥ ـ ٢٦٠هـ ) وضع تراجم كتب ابقراط وجالينوس وبولس وشرحها في التشريح والجراحة بالاضافة الى دراسة لطب العيون تحتوي اول رسوم باقية لتركيب العين وتشريحها .

وفي القرن الرابع الهجري دخلت حضارة الاسلام عصرها الذهبي في المهن الصحية بجميع فروعها ورائدها النطاسي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي اشتهر في الطب السريري الاكلينيكي وفنون الكيمياء والمداولة وطب الروح والجراحة ..

وقد اجاد ابن وطنه المجوسي المتوفى عام ٣٨٤ هـ باستقصائه لامور الامراض والجراحة ، ونال قصب السبق في عمل اليد والرسوم الجراحية وكيفية صنعها ودقة اوصافها الطبيب ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي ( المتوفي حوالي ٤٠٤ هـ ) في عاصمة الاندلس الاموية .

ان مؤرخي الطب اجمعوا على انه اعظم جراحي العصور الوسطى حتى زمنه وعميدها واوسعها شهرة حتى ان جيرارد كريمونا ( ١١١٤ ـ ١١٨٧ م ) اعظم مترجمي الغرب من لغة الضاد الى اللاتينية قام بنفسه بترجمة مقالة الزهراوي الجراحية مع الرسوم البديعة الاتقان فانتشر عمله بذلك في تقديم الصناعة الى الغرب في القرن الثاني عشر الميلادي .

وفي القرن السادس الهجري ايضا نبغ عدد من الاطباء النابهين مثل امين الدولة ابن التلميذ شيخ اطباء بغداد ( ت ٥٦٠ هـ ) وأبو نصر عدنان بن العين زربي ( ت ٥٤٨ هـ ) وأبو مروان بن زهر الاندلسي ( ٥٥٧ هـ ) الذين بينوا اهمية فنون التشريح والجراحة وتركيب الادوية .

اما الدكتور سليم عمار فقد شرح في البحث الذي قدمه مقالة اسحق بن عمران عن « المالينخوليا » فقال :

لقد اتى اسحق بن عمران منذ ما يقرب من ألف سنة من العراق قاصدا افريقيا حيث تولى صناعة الطب بالقيروان في خدمة الامير ابراهيم بن الاغلب ثم زيادة الله الثالث الاغلبي فاقام اساس دار الحكمة بالقيروان وكان أول من ادخل حسب ابن ابي اصيبيعة حقائق المداواة والتطبيب بالمغرب العربي ولقد ألف احد عشر كتابا لم يصلنا منها الا مقالته في « المالينخوليا » او مرض السوداء والاكتئاب حيث يحفظ مخطوطها الوحيد بمكتبة ميونيخ بالمانيا .

يحتوي هذا المخطوط على مقالتين :

الاولى تتعلق بالتعريف بالمالينخوليا وبارضية الاسباب والمظاهر السريرية المختلفة للمرض ، اما الثانية فجاءت بيانا اضافيا للعلاج على اختلاف انواعه التى تشمل العلاج النفساني والحمية والتغذية والطرق المرتكزة على البيئة والمحيط فالطرق الفزيائية مثل الدلك بالادهان والاستحمام واخيرا العلاج بالادوية والعقاقير الذي شرحه ابن

عمران بكل دقة من حيث صناعة الادوية وكيفية استعمالها فسطر كل الوسائل العلاجية المعروفة اليوم في ذلك الداء . ولقد وصف ابن عمران كل الاشكال الاكتئابية تقريبا ما عدا الاشكال العصابية والارتكاسية غير انه لم يذكر ولو مرة واحدة كلمة الانتحار .

هذا وان الابحاث المماثلة التى ترفع الركام عن تراثنا العربي الاسلامي النفيس من شأنها ان تزودنا بمزيد من الحكمة والتفطن فتفتح المجال لابحاث واسعة في ميدان الفرماكولوجيا من جهة وتجعلنا من جهة اخرى نقدر مليا قداسة الرسالة الطبية الشاملة التى اقسمنا ان نؤديها لصالح البشر حسب تعاليم الطب الاسلامي الذي كان ابن عمران من ابرز رواده :

وبعد ذلك تحدث الدكتور احمد عروة عن فيزيولوجيا النفس عند ابن سيناء فقال :

الغرض من هذا البحث هو ابراز مرحلة مهمة في تفهم وظائف التنفس حسبما اوردها ابن سينا في القانون في الطب .

تحتل تحاليل ابن سينا مستوى متقدما بالنسبة لما جاء به الاطباء الاقدمون وذلك رغم انه لم تكن لديه صورة كاملة عن الدورة الدموية الرئوية كما وضحها من بعده ابن النفيس ثم من بعده من الغربيين .

وفضلا عما عرضه في ميادين التشريح العضوي والحركات الالية لأعضاء التنفس ودور الاعصاب المتدخلة فيها فانه قد اظهر فطنة بالغة في شرح الوظيفة التنفسية .

اولا : في تحليل التبادلات التنفسية الاساسية التى تتحقق في ثلاث عمليات :

١ ــ ادخال عنصر هوائي جديد يختلط بالدم ويتكون منه « الروح الغريزي » .

٢ ــ تنقية الدم عن الفضلات الاحتراقية وهى البخار الدخاني والحرارة المحتقنة .

٣ ــ هديل الحرارة الطبيعية بالترويح .

ثانيا : في ابداء نظرية تظهر ان الاستحالة التى تحدث في كيفية الهواء المستنشق لا سيما بمخالطة البخار الدخاني وتتحكم في حركات التنفس ..

ثالثا : في تحديد معنى ووظيفة الروح « الذي يصحب الدم في الشرايين بمفهوم موفق يقترب مما نصف به اليوم غاز الاكسجين وهو كما يقول : لطيف متحرك صاعد لا يحتاج الى تنكيس وعائه حتى ينصب » .

هذه التحاليل التى توصل اليها ابن سينا تشهد على التقدم العلمي الكبير الذي احرزه علية الاطباء العرب والمسلمون في العصور الوسطى والذي سيتخذه العلماء الغربيون وقليلا ما يعترفون بذلك اساسا وقدوة لبعث النهضة العلمية المعاصرة .

ثم واصل المؤتمر في احدى جلساته برئاسة الدكتور فؤاد سيزكين ، وكان

نائب الرئيس الدكتور عدنان العقيل ،دراسة النظرة التارخية للطب الاسلامي من حيث تحقق الاعمال والمنجزات .

وقد عرض الدكتور عبد العزيز بن عبد الله من المغرب بحثا حول تاريخ التراث الاسلامي بالمغرب الاقصى ، كما عرض الدكتور كمال السامرائي بحثا اخر حول التعليم الطبي في العصور الاسلامية ، في حين قدمت الدكتورة سعاد حسين بحثا يدور حول التمريض في الاسلام .

اما الدكتورة كارمن بينا ميونوز فقد قدمت بحثا خاصا عن النباتات الطبية المستعملة في الطب التقليدي العربي ، وتضمن البحث قائمة شاملة بهذه النباتات واوصافها وانواعها .

ثم قدم الدكتور عبد الحافظ حلمي بحثا عن تاريخ مرض اللثمانيا ودور الاطباء فيه ، وبعد ذلك قدم الدكتور فريد الدين بقائي من باكستان بحثا حول الجراحة في الطب الاسلامي .

وقال الدكتور كمال السامرائي في موضوعه حول تعليم الطب في العصور الاسلامية :

لا تعتبر دراسة تاريخ الطب الاسلامي كاملة ما لم تشفع بدراسة وافية في تاريخ التعليم بهذه الصناعة ، والمصادر التراثية بهذا الموضوع قليلة جدا ، كما لم يحاول احد من الكتاب المعاصرين البحث فيه بالرغم من اهميته العلمية والتراثية .

وهناك ثمة اشارات الى بعض اطراف هذا الموضوع نقف عليها لا تفي بالغرض المطلوب . كما ان للاطباء المسلمين كتبا نستنتج من اسمائها انها وضعت في بحث التعليم الطبي ، الا ان تلك لا تزال مع الاسف تعد من المفقودات ، وكل ما وصلنا منها قطع من كتاب ( النافع في تعليم صناعة الطب ) لابن رضوان المصري ـ ( ت ٤٥٣ هـ ) عثر عليها في المكتبة الوطنية بالقاهرة ، وفيها اشارة الى تعليم الطب في مدرستي قوص وقنيدس ، وفي المدارس البيتية بأثينة ، وفي طريقة التعليم واجوره وامد دراسته في مصر بتلك الايام . كما جاء فيه اراء خاصة بمؤلف الكتاب في اصول تعليم الطب .

واذ ان الطب العربي وثيق العلاقة بطب الشعوب التى سبقت ظهور الاسلام وبصورة خاصة اليونانيين منها ، فان دراسة تعليم الطب عند تلك الشعوب هى في الحقيقة امتداد الى الخلف لتعليم الطب عند المسلمين ، ولابد وان تماثلت بعض طرق التعليم في كليهما بمحض الصدفة او بالاقتباس . وتقليد الخلف كما عند السلف والاخذ عن معارفهم وصنائعهم وارد بكثرة في تاريخ الانسان المتحضر ، ولا يعتبر ذلك مثلبة أو نقيصة لمن فعل ذلك منهم .

وليس من المعقول ان تكون لتلك المعارف جذور واوليات ابتكرتها اقوام سبقتهم زمنيا في المعرفة .

ففي اصول الحضارة الاوروبية بهذا القرن كثير من المعارف التى هي



من افكار العلماء المسلمين .

وفي العلوم الاسلامية كثير من المعارف اليونانية ، وفي علوم هؤلاء كثير من المعارف البابلية . وفي الحضارة البابلية يطغى الطابع السومري على كل ما ابتكره الاكديون والبابليون والاشوريون في العلوم .

وعلى مفهوم ما تقدم نرى لكثير مما مارسه اليونانيون في التعليم الطبي نظيرا له في تعليم الطب عند المسلمين ، ولذلك اخذنا عن تراثياتهم كاحد مصادر هذا البحث ، ولو لم نشر الى مفردات ما اخذناه منها . والمطلعون على تاريخ الطب اليوناني يستطيعون بسهولة ان يميزوا بين التقليد والمبتكر في اسلوب التعليم عند المسلمين .

اما الدكتور عبد الحافظ حلمي الاستاذ بجامعة الكويت فقد قدم موضوعا بعنوان تاريخ مرض اللثمانيا ودور الاطباء المسلمين فيه فقال :

يحظى مرض اللثمانيا الجلدي بكثير من عناية الباحثين المعاصرين والسابقين وهذا البحث قاصر على صور المرض الجلدية التى تعرف باسم « قرحة الشرق » بصفة عامة . وللمرض قرحة تسم المصاب بأثر يبقى في مكان ظاهر من جسمه طيلة حياته ومن ثم كان الاهتداء الى وصفها في المرجع القديم امرا ميسورا نسبيا وعلى جانب كبير من الوثوق في معظم الاحيان .

بيد ان الاشارة العابرة الى ما سمي « دمل النيل » في بردية ابرس المصرية ليس فيها اي دليل على ان هذا الدمل كان قرحة الشرق بالذات ،

ثم تتابعت جلسات المؤتمر فكانت هناك ندوة عن الطب والدعوة

الاسلامية برئاسة الدكتور عبد العزيز كامل .

واخرى عن اداب المهنة وتطبيقاتها في ضوء الاسلام برئاسة الدكتور/ احمد كمال ابو المجد .

وثالثة عن وثيقة الكويت لدستور طبي اسلامي برئاسة الدكتور حسان حتحوت .

وفي جلسة الختام لخص الدكتور حسان حتحوت الحقائق التى أسفرت عنها الجلسات العلمية للمؤتمر كما يلي :

ان الاسلام جاء من الله عقيدة فأمة فدولة فحضارة قامت عليه ولم تكن لتقوم لولاه ولا تدوم إلا به ، إن الاسلام كان ولا يزال موجبا ودافعا وحافزا ومحركا لطلب العلم والكشف عن اسرار الكون وايات الله سواء اكانت في النفس ام الجماد ام الحيوان ام النبات ام الافاق .. بغير حدود ولا سدود ولا حجر ولا مصادرة ولا اكتفاء ، ولا سماح لاحد من الخلق ان ينتحل لنفسه سلطة الهية تجعل له سلطانا على قلوب الناس او على عقولهم .

ان هذا الاساس الاسلامي قد عاد على الانسانية بنعمتين بالغتين .. الاولى حفظ التراث العلمي الانساني السابق من الضياع والاندثار بعد أن تهدده الاندثار بالمصادرة والاحراق وتعذيب من يقتنيه وتكفير من يجيل الفكر فيه . والثانية اقامة صرح علمي شامخ واحراز انتصارات جديدة علمية ضخمة من كشوف وتقنيات ومعارف وفي شتى المجالات العلمية والنظرية على افق كامل يمتد من الفقه والتشريع حتى الطبيعة والكيمياء ... وكانت العلوم المتصلة بالطب احدى سمات هذه النهضة .

ان الاسلام باحتضانه لاهل الذمة من النصارى واليهود واعتبارهم مواطنين في دولة الاسلام واكرامهم والبر بهم وتحديد مكانهم بالقاعدة الشرعية « لهم مالنا وعليهم ما علينا » قد كفل لهم المناخ الذي يتيح لعقل الانسان ان يعمل وان يثمر وهو آمن مطمئن ، فكان دورهم في الترجمة والبحث والممارسة الطبية اثراء للانسانية كلها عملا بدين يعني بالانسانية كلها .

ان الاسلام في صلب تشريعاته وعباداته واوامره ونواهيه قد عرض مباشرة او بالاشارة او بالتوجيه والتنبيه الى امور وثيقة الصلة بصحة الانسان الجسدية والنفسية وعلى نطاق الفرد والجماعة .

ان هذا المد العلمي الاسلامي في الطب وفي غيره من ابواب العلم كان القبس الذي وجدت عليه اوروبا هداها وهي تنفض عنها ظلمتها وعماها وتفتح جفنيها على ما يسمى عصر النهضة ، مرسلة بعوثها لطلب العلم في ديار الاسلام ، مستقدمة الاساتذة لجامعاتها من الجامعات الاسلامية ، دائبة على تعلم اللغة العربية لتيسير طلب العلم فلما انحرفت امة المسلمين عن الاسلام فغربت شمسه عنها . ظل الشغل

الشاغل لاوروبا ترجمة اعمال المسلمين وظل العمل الرئيسي للمطبعة بعد اختراعها طباعة التراث العلمي الاسلامي ، الذي كان الاساس والركاز للحضارة الغربية المعاصرة وان ضنت عليه الان ـ رغم علمها به ـ بكلمة العرفان والشكران .

ان هذا التراث ـ رغم ذلك ـ يظل اغنى مما كشف منه حتى الان . وما زال يدعو الى المزيد من البحث والتنقيب ، فهو كنز لم تنفد ذخائره ومورد لم يجف معينه ، ومستودع لم يبح بكل اسراره .. ولو غاص فيه الباحثون ثم عرضوا صيدهم على ميزان البحث العلمي التجريبي الحديث فالمبشرات كثيرة بانه يستطيع ان يعين عالمنا المعاصر على بعض مشكلاته المرضية التى لم تحل .. وقد اوردت بحوث السادة العلماء المشاركين نماذج من هذه المؤشرات والمبشرات .

ان عالمنا المعاصر وما يشهد من كشوف وتطبيقات مذهلة في العلوم الحياتية تكتنفه متغيرات شديدة الوطأة حتى على الاعراف السلوكية والانماط الاخلاقية والتراث الانساني الاصيل .

وان التقدم العلمي الرهيب ينطوي على اخطر الاحتمالات ان لم يشهد بالضوابط التى تكفل له ان يكون في خدمة الانسان وتعصمه من ان يهدد الانسانية في صميم كيانها . والا كانت كالسفينة التى فقدت سكانها أو الساري الذي غم عليه الطريق .

والناظر في الاسلام قرآنه وسنة نبيه واحكام شريعته يدرك بوضوح ان فيها عناصر الدستور الطبي الاخلاقي الذي يكفل الهداية في غير ما عائق للتقدم .

## اقتراح

هذا وتمنى المؤتمر على دولة الكويت انشاء منظمة اسلامية مستقلة تعنى بشؤون الطب الاسلامي تراثا وبحوثا وممارسة ، وذلك خلال توصية رفعها للحكومة وجاء فيها :

ان المؤتمر يتوجه بالشكر الى دولة الكويت على ما اتاحته من فرصة لهذا اللقاء الاسلامي العلمي التاريخي الحافل .

وقد تأكد للمؤتمر خلال ما دار من بحوث ومساجلات مدى القصور الفادح في اكتشاف ذخائر التراث الطبي الاسلامي لا من الناحية التاريخية فقط ولكن من الحقائق الكامنة وغير المستعملة للانتفاع بها في مجال البحث العلمي والعلاج الطبي لامراض ما زال الطب حائرا امامها .

ويقدر المؤتمر عظم المسؤولية التاريخية عليه وهو يتبين الحاجة الماسة لتلافي هذا القصور خدمة للاسلام وللعلم .

لهذا يود المؤتمر ان يضع بين يدي حكومة الكويت هذه الامانة ويناشدها ان تحمل هذه المسؤولية وذلك عن طريق :

تبني انشاء منظمة اسلامية

بالكويت ذات استقلالية في العمل وعالمية في الاثر ، تعنى بشؤون الطب الاسلامي تراثا وبحوثا وممارسة وتكون اهدافها كالاتي :

١ ـ احياء العلوم الطبية الاسلامية في مجال التراث والبحث العلمي والتحقيق والتطبيق .

٢ ـ تشجيع العاملين في مجال الطب الاسلامي وتوفير الامكانيات اللازمة لهم لتمكينهم من متابعة ابحاثهم وتمكين الرابطة بينهم ومساعدتهم على رفع المستوى الصحي .

٣ ـ تشجيع اقامة هيئات وطنية تعمل بنفس الاهداف في انحاء العالم وتقديم الدعم اللازم لها لنشر رسالتها على اكمل وجه .

٤ ـ السعي لتطوير برامج التعليم وخاصة في مجال الطب باسلوب فعال كفيل بتوعية النشء المسلم بتراثه وربطه بالقيم التى ارتكزت عليها حضارته الاسلامية وتعاليم دينه الحنيف وشريعته السمحة .

٥ ـ العمل على توحيد المفاهيم العلمية والاخلاقية الاسلامية للمهنة الطبية .

يكلف المؤتمر سعادة الدكتور عبد الرحمن عبدالله العوضي ان ينوب عنه في السعي بهذه الامانة النبيلة ويساعده في ذلك هيئة المؤتمر المشكلة من نائبي الرئيس والمقرر العام . على ان يختاروا معهم ثلاثة من ذوي الراي والخبرة . ويكلف المؤتمر هذه الهيئة بمتابعة ما يصدر عن هذا المؤتمر من مقررات وتوصيات .

يناشد المؤتمر دولة الكويت التفضل بعقد المؤتمر العالمي الثاني للطب الاسلامي بالكويت بعد عام من الان .

## لقاء الخير

**وبعد ان شارك وفود اربعين دولة من دول العالم في المؤتمر بحوالي ثمانين بحثا ، وناقشوا اربعين تقريرا علميا .. سعد ممثلو الوفود باستقبال سمو امير البلاد لهم كممثلين للمؤتمر الاول للطب الاسلامي .**

**وقد شكر اعضاء الوفد لسمو الامير الشيخ جابر الاحمد الصباح رعايته للمؤتمر واشادوا بمبادرات الكويت المستمرة في هذا المجال ، وبعد ذلك طلب سموه منهم العمل على ابراز دور الطب الاسلامي والانجازات التى قدمها للعالم وتمنى لهم التوفيق في اعمالهم للخروج بالنتائج التى من شأنها ان تحقق الاهداف المطلوبة .**

**وبعد ذلك استقبل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح الوفد الذي يمثل المؤتمر ، وقد تبادل سموه الاحاديث الودية مع وزراء الصحة العرب المشتركين في المؤتمر ورؤساء الوفود وتمنى لهم التوفيق والنجاح في مؤتمرهم الهام .**

ثم زار الوفد نائب رئيس الوزراء وزير الاعلام الشيخ جابر العلي حيث جرى تبادل وجهات النظر حول مختلف الامور المتعلقة بالمؤتمر الاول للطب الاسلامي ، وقد رحب الشيخ جابر العلي بوزراء الصحة العرب واعضاء الوفود وشكرهم على جهودهم وتمنى لهم النجاح والوصول الى النتائج المرجوة .

## كلمات حول المؤتمر

الكويت

### خدمات قدمها الاسلام للبشرية

قال الاستاذ يوسف جاسم الحجي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية :

الحقيقة ان دخول القرن الخامس عشر الهجري الجديد والاستعدادات التي تمت ابتهاجا بهذه المناسبة العظيمة قد اعطتنا والامة الاسلامية اشياء لم نكن نعرفها او لنقل سلطت الاضواء على علوم وخدمات انسانية كنا نتهم بالتقصير فيها من قبل .

واعتقد ان اجتهاد الاخوان في وزارة الصحة وبحثهم في العلم الذي اتى به الاسلام قد ابرز بطريقة تخدم العالم كله وتعرفهم باهمية العلم لدى الدين الاسلامي وبالتالي توضح ما حققه هذا الدين الحنيف للبشرية من خدمات لذلك نأمل ان يكون المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي انطلاقة وجهدا كبيرا من جهود تبذل لتعريف ما قدمه الاسلام للبشرية في مختلف المجالات ، ونحن بدورنا لم نكن نتصور ان العلماء المسلمين قد حققوا كل هذا .

كانوا في الماضي مندفعين للعلم وتكاسل من جاء بعدهم مما جعلنا نتأخر ونأمل ان نعود الى ماضينا العريق ونفيد العالم بما لدينا من علوم ان شاء الله تكون بمستوى المسؤولية لنحقق للعالم بعضا من عزة الاسلام وكرامة الانسان وقدرته ومكانته بين المخلوقات .

### التبشير والطب

مدير ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عبد الله العقيل قال : من الامور المسلمة التي يدركها كل شخص ان التبشير استفاد من الطب كوسيلة من انجح الوسائل في كسب المؤمنين بالدين الذي يبشر به ويدعو الناس اليه ، ومن هنا يتوجب علينا ان نتناول بعض جوانب التبشير في مجال الخدمات الطبية ففي سنة ١٨١٣ بدأت الارساليات التبشيرية عملها وسط

مسلمي الصين ، وانتشرت انتشارا واسعا وخاصة من خلال الاطباء والمرضين وفي عام ١٨٨٩ اسست ارسالية التبشير العربية التابعة لكنيسة الاصلاح الاميركية فروعا لها في البصرة والكويت والبحرين والشيخ عثمان وعدن والموصل وبغداد وكلها تحتوي على مستشفيات تبشيرية وبلغ عدد المترددين على المستشفى في شيخ عثمان ٢٠ الف مسلم .

وقال ان المبشرين يبدون اهتماما خاصا بطب الامراض النسوية والولادة ضمن تركيزهم على التأثير على المرأة باعتبارها عضوا اساسيا في التحول الاجتماعي لذلك فالمهمة كبيرة ولابد من استخدام الطب في نشر الاسلام وفي كل مكان وتأمين الاطباء المسلمين في المناطق التي ينشط فيها التبشير لوقف هذا التيار قبل فوات الاوان .

## قطر

### اقامة جامعة طب اسلامية

وقال وزير الصحة القطري خالد المانع ان هذا اول مؤتمر للطب الاسلامي يعقد بمبادرة اسلامية ، ونحن اذ نشكر دولة الكويت وسمو اميرها على هذا العمل المشرف نتمنى اقامة المزيد من هذه المؤتمرات .

واضاف انه ينبغي الاستفادة من الخبرات الاسلامية المتواجدة في البلاد الاسلامية .

ودعا الى تعزيز فكرة اقامة جامعة طب اسلامية والاستفادة من استخدام الادوية المستخرجة من الاعشاب .

## الاردن

### خطوة للوصول الى ما هو افضل

قال الدكتور زهير ملحس وزير الصحة الاردني :

ان اقامة هذا المؤتمر بشكله الحالي لاول مرة في العالم الاسلامي اعتبره خطوة صادقة لنصل بأنفسنا الى ما هو افضل لامتنا العربية والاسلامية .

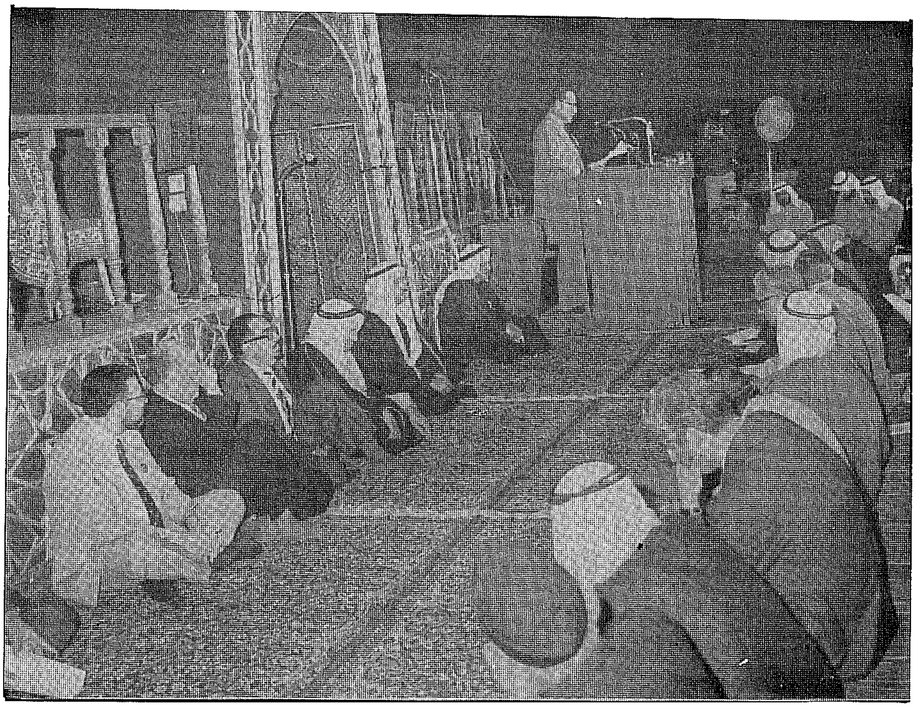
ومن المؤسف اننا تجاهلنا الكثير من تراثنا الطبي العربي والاسلامي سواء على مستوى جامعاتنا أم على مستوى نقاباتنا . وفي هذه الخطوة يوجد تصحيح للنهج ، فمن لا يحترم ما قام به اجداده من اعمال كانت رائدة ومتقدمة على ما كانت فيه في تلك العصور فانه لن يحقق لنفسه تقدما علميا ومكانة لائقة في المجتمع الدولي ، لذلك فاننا شاكرون لدولة الكويت ولسمو اميرها الذي رعى هذا المؤتمر والدكتور عبد الرحمن العوضي الذي رفع اسمنا كعرب عاليا في المجالات الدولية ، وذلك افسح المجال لنا لاحياء تاريخنا في هذا

المجال
واضاف الوزير الاردني :
ان المؤتمر يبحث في الدرجة الاولى عن الطب في الاسلام وفي تاريخ الاسلام العريق ومنجزاته التى يشهد لها كل متحقق وكل دارس ، اما ان نقارن او نقول ان طريقة الطب الاسلامي في المعالجة تختلف عن الطريقة الحالية فهذا غير وارد ، لاننا نريد ان نؤكد دراسة تاريخنا الطبي والعلمي في الماضي ونحصل منه على العبرة لكي ننطلق في مجالات التقدم العلمي الحديث ولا اجد اي تضارب بين استعمالات كثيرة لطرق علاجية اسلامية او شعبية وبين العلم الحديث ، فمن المعروف ان مواد كثيرة مستعملة حاليا في الطب اصلها من النبات وعرفت منذ القدم وعلى سبيل المثال مسكن الآلام ( الافيون ) ومادة الاتروبين من ( البيلادونا ) وحتى المواد التى تستعمل في التخدير الان اصلها من الاعشاب .

نحن نريد ان نعرف الطب الاسلامي ، ومن الضروري ان تدرس هذه المادة في جامعاتنا كلها كمادة اساسية ، وهذه تعني الاستفادة من تاريخنا الكبير الذي نسيناه او الذي اجبرنا على نسيانه ، ومن هنا تأتي اهمية هذا المؤتمر الذي يمكن ان يحقق لنا الاستفادة والتباحث مع الدول الاسلامية والدول غير الاسلامية التى تهتم بموضوع الطب الاسلامي .

**وبذلك ختم المؤتمر العالمي للطب الاسلامي الأول جلسة الافتتاح التى عقدت صباح يوم الاثنين ١٢/١/١٩٨١ .**

**هذا .. وقد حضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء الكويتيين بالاضافة الى الدكتور العوضي وزير الصحة ، منهم وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ يوسف جاسم الحجي ، ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الاستاذ عبد العزيز حسين ، ووكيل وزارة الاوقاف الاستاذ محمد ناصر الحمضان ، ووكلاء الوزارات ، وكبار الشخصيات ، بالاضافة الى عدد كبير من مختلف دول العالم ، منهم اربعة وزراء صحة ، هم وزراء قطر ، والاردن ، وتونس ، والعراق ، وشخصيات اسلامية وطبية لها مكانتها بلغ عددها ٧٢ طبيبا ، و ٧ من المتخصصين في القانون والادب .**



## التوصيات

وفي يوم الجمعة ١٦/ ١/ ١٩٨١ اصدر المؤتمر توصياته في مسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم ـ بالكويت . حيث عقد المؤتمر جلسة صباحية أعلن بعدها هذه التوصيات :

**اولاً :**
تقدير البادرة الطيبة التى اتخذتها دولة الكويت بالدعوة الى هذا المؤتمر الاول واستضافته وتقرير ان يكون هذا المؤتمر عملا دوريا مستمرا في العالم الاسلامي يلتقي فيه العلماء والباحثون لعرض ما تجمع لديهم من حصيلة علمية في مجال الطب الاسلامي .

**ثانيـاً :**
الدعوة لوصل الامة الاسلامية بتراثها وتعريفها بالاسباب التى مكنت لها من بلوغ ما بلغت من مدارج الرقي في كل مجال بما في ذلك المجال العلمي والطبي

واستثارة همتها للاخذ بتلك الاسباب من جديد .

والمؤتمر لذلك يناشد القائمين على شؤون التعليم في العالم الاسلامي ان تكون المقررات الدراسية في شتى مراحل التعليم وافية بهذه الغاية .

**ثالثاً :**

الدعوة لتشجيع دراسة التراث الطبي الاسلامي ضمن غيره من انواع التراث العلمي الاسلامي .. ويناشد المؤتمر كافة الجهات المسؤولة عن الثقافة في العالم الاسلامي بذل الجهود متضافرة ومنسقة للتنقيب عن هذا التراث ولم شعثه واجتلابه من مكامنه او مواطن غربته وتيسير تناوله للدارسين . والمؤتمر يحيي الخطوة المباركة التى تستهدف اقامة مركز للطب الاسلامي بالكويت يضم مكتبة وثائقية مجهزة بمطالب الدارسين في هذا المجال .

**رابعاً :**

تشجيع البحوث العلمية التجريبية الاكلينيكية والمختبرية التى تكفل التوثيق العلمي العصري لتراثنا الاسلامي مع تقديم ثمرات هذه البحوث في مجال علاج الامراض او التوقي منها الى الاسرة الانسانية جمعاء .

ويناشد المؤتمر كافة الجهات العلمية في العالم وخاصة العلماء المسلمين مؤازرة هذه الابحاث العلمية اولا بالاهتمام بها وثانيا برصد ما يلبي حاجتها من ميزانيات وادوات ومختبرات .. وفق اصول البحث العلمي المعاصر مع نشر ما تسفر عنه من نتائج ايا كانت .

**خامساً :**

مناشدة المتخصصين في تاريخ الحضارات وتاريخ العلوم وتاريخ الطب في العالم اجمع ان يسلطوا على تاريخ الحضارة الاسلامية ضوء الحقيقة وان يصارحوا شعوب العالم بها في غير تعصب ولا تحريف ولا انكار وانما في سمو العلماء عن العواطف العامة التى طغت على المجتمعات الغربية حقبة من الزمن فأن استقرار السلام في العالم والمحبة بين الشعوب وحدب الانسان على الانسان لن يرتكز الا على اساس من الحقيقة المجردة والصدق النزيه الذي لا بد سيعلو صوته يوما مهما طال الزمن .

**سادساً :**

مناشدة المسؤولين عن التعليم الطبي ان تشتمل المقررات على دراسة للاسلام ولتاريخ الطب الاسلامي ولاخلاقيات الطبيب التى يحض عليها او يوصي بها الاسلام والتى يراها المؤتمر حرية بالاعتناق من قبل الهيئات الطبية كلها لا اطباء

المسلمين فحسب وتشكيل اللجان اللازمة لتحديد محتوى هذه المقررات .

**سابعاً :**
تبني وثيقة الكويت عن الدستور الطبي الاسلامي وقسم الطبيب ووضعها تحت انظار المسؤولين في العالم الاسلامي لاقرارها والعمل بها .

**ثامناً :**
السعي لتشكيل مجلس اسلامي من اهل الثقة والكفاءة من المتخصصين في الفقه ومن المتخصصين في العلوم الطبية والحياتية يتناول بالدراسة المحدثات من نتائج التقدم العلمي التى لا تندرج تحت نص ولا تقاس الى سابقة حتى تصدر الفتيا فيها على بينة شاملة لكل جوانبها محيطة بدقائقها الطبية والفقهية معا . ويكون كذلك مرجعا فيها يستشكل على الناس في امورهم الصحية وما يترتب عليها من فتاوي شرعية .
ويعقد المؤتمر الامل على دولة الكويت لتأخذ بزمام المبادرة في تكوين هذا المجلس والسعي بفكرته الى حيز التنفيذ .

**تاسعاً :**
تشكيل لجنة تقوم بمتابعة توصيات هذا المؤتمر والقيام على تنفيذها وتنفيذ ما يترتب عنها من اجراءات .
وهكذا انهى المؤتمر العملاق جلساته على امل العودة في العام القادم ، مبينا الربط بين الدين والطب ، كما قال الدكتور حسان حتحوت :

وما الطب الا حنو السماء ... على الارض بالبر والمرحمات
وكف سعت بين رب العباد ... وبين العباد بفيض الحياة
براءة ايوب من ضره ... وغاية عيسى من المعجزات
بناء البنوة حتى تشب ... وراعي الامومة والامهات
سياج الشعوب من التهلكات ... وعون الشعوب على المهلكات
تباركت ربي فيما صنعت ... وفيما بدعت من المعجزات
ببرك انت وصلت الحياة ... فكان الاطباء تلك الصلات !

وهكذا رأينا شمولية الدين الاسلامي لكل ما ينفع الناس ، وفضل علماء المسلمين على التقدم الذي يشهده الغرب في كل ميادين الحياة .. فالى صحوة اسلامية قوية تحيي مجد الاسلام ، وتسير الى الامام والله يعز دينه ، وينصر جنده ، ويوفق المخلصين لما فيه الخير .




للأستاذ عزت أبو الفتوح حموده

لقد خلق الله الانسان في أكمل وأجمل صورة . قال تعالى : ( **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك** ) وقال : ( **لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم** ) وزينه بنعمة العقل الذي يستطيع به أن يفرق بين الشيء الذي ينفعه والذي يضره واننا لا نجد أبدا شيئا أمر الله به الا وفيه فائدة للخلق بصفة عامة والانسان بخاصة .

وكذلك لا نجد شيئا حرمه الله الا وفي اتيانه ضرر للخلق بصفة عامة وللانسان بصفة خاصة .

كــذلك نجد أن الاسلام بدعوته القوية الواعية طالب بخمسة أشياء فيها سعادة البشر ، وعمارة الدنيا ،

ورضاء الله سبحانه وتعالى وهي ..
« حفظ النفس ـ وحفظ العقل ـ وحفظ العرض ـ وحفظ الدين ـ

وحفظ المال » كما جعل الموت في سبيل صيانتها من أعظم أنواع الشهادة ..

فعن سعيد بن زيد رضى الله عنه .
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » ... رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه ـ حديث حسن ـ

والحق أن الاسلام عندما جاء يدعو الى صيانة هذه الخمس وحفظها ، لم يكن في ذلك بدعا بين الأديان . فقد كانت هذه الخمس المحور الذي قامت عليه الأديان على امتدادها ...

ولذلك فنحن حين نتعرض للحديث عن التدخين نريد أن نبين خطره من ناحيتين هما :

- ناحية اعيائه للبدن واضعافه .
- وناحية اذهابه للمال واهداره » .

ومما لا شك فيه أنهما أمران يتصادمان مع الدين ومع ما يدعو اليه . وهنا يجب أن نفكر بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم ابلاه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه . » ..

ولقد ثبت علميا وطبيا مدى ضرر التدخين بالنفس والمال وقد جعلهما الله وديعتين عند كل انسان . وأمره بصيانتهما . وهنا قد يطرأ الى ذهن القارىء سؤال ما هو التركيب الكيميائي للسيجارة . وللاجابة على ذلك أقول ..

تتكون السيجارة من التبغ الذي يتكون أساسا من مادة « النيكوتين » وتحتوي مؤخرة السيجارة على أكبر كمية ممكنة من النيكوتين .. وعندما تشتعل السيجارة وتدخن فان أبخرة النيكوتين تمتص عن طرق الغشاء المخاطي المبطن للانف والقناة الهضمية حيث تتصاعد بعض مكـونات التبغ وهي .. البيرودين ، والقيرفورال ، والأكرولين » كما أن هناك غازات ضارة مهيجة للغشاء المخاطي تنتج نتيجة لاحتراق الورق الذي يغلف السيجارة مثل غاز أول أكسيد الكـــربون وثان أكسيد الكربون ..

ولقد وجد أن تدخين سيجارة واحدة يعطي حوالي ١٠ مجم من النيكوتين . ولكن ما هو اذا تأثير النيكوتين على جسم الانسان . ـ وهنا أقول ـ ان تأثير النيكوتين ضار بجميع أجهزة جسم الانسان ..

**أولا ـ الجهاز العصبي المركزي ..**
يؤثر عليه مباشرة وخاصة على مراكز

التنفس ومركــز الجهاز الدوري ، ومركــز القيء في النخاع المستطيل فيؤدي الى تنشيطها . ولذلك نجد عندما يحصل المدخن على كمية كبيرة من النيكوتين فانها تؤدي الى حدوث رعشة وتشنجات عصبية كما أنه له أثر كبير في ادرار البول نتيجة لتأثيره على الفص الخلفي من الغدة النخامية ..

ثانيا ـ **تأثيره على الجهاز العصبي اللا إرادي** .. وجد أنه يؤثر على العقد العصبية في الجهازين السمبثاوي والباراسمبثاوي . وكــذلك نهاية الأعصاب في العضلات الارادية فيؤدي الى تنشيطها أولا ثم شلها ثانيا ..

ثالثا ـ **تأثيره على الجهاز الهضمي** .. يؤدي الى الشعور بالغثيان والقيء ثم اسهال يعقبه امساك وكــذلك يزيد من افرازات اللعاب والشعب الرئوية . ولقد وجد أنه قد يحدث التسمم الحاد بالنيكوتين بجرعة قدرها ٤ جم من التبغ . ويمكن استخلاص هذه الجرعة من أربع سجائر فقط ولكن في الحقيقة أن معظم النيكوتين لا يمتص ..

رابعا ـ **تأثيره على الجهاز الدوري** .. يؤدي أولا الى ارتفاع ضغط الدم وذلك نتيجة للتأثير المنشط لمركز الجهاز الدوري في المخ كذلك نجد أن ضربات القلب تقل أولا ثم لا تلبث أن تزيد نتيجة لتأثيره على الجهاز السمبثاوي .

ننتقل أخيرا الى ذكــر بعض الأعراض التي تظهر على الانسان الذي يدخن بكثرة مثل :

١ ـ التهاب مزمن في الجهاز التنفسي مما يؤدي الى صعوبة التنفس .
٢ ـ فقدان الشهية وسوء الهضم .
٣ ـ يؤدي الى ضيق في الشريان التاجي الذي يغذي القلب مما قد يؤدي الى حدوث أعراض الذبحة الصدرية .
٤ ـ يؤدي الى ضعف حاسة الابصار ( العين ) وذلك نتيجة لضيق الأوعية الدموية المغذية لشبكة العين .
٥ ـ فقدان الدم لجزء كبير من وظيفته في حمل الأكسجين الى خلايا الجسم نظرا لأنه يحتوي على مادة كربوكس هيموجلوبين نتيجة لوجود غاز أول أكسيد الكربون بالدم ..
٦ ـ قد يؤدي الى حدوث سرطان الشعب الرئوية نتيجة لحدوث التهابات مزمنة بالأغشية المبطنة للشعب الهوائية للرئتين ..

وبعد هذا العرض أستطيع أن أقول بأن التدخين عادة سيئة ومكروهة من قبل الله عز وجل حيث أنه يكون سببا أساسيا في اصابة جسد المــدخن بالأمراض العديدة وكذلك في اهدار وضياع المال وانفاقه في طريق غير مشروع ..

ولذلك فانني أقول لمن يدخن بكثرة عليه أن يقلل من التدخين تدريجيا وأن يعزم عزما أكيدا على ترك هذه العادة السيئة التي لا يعود عليه منها سوى ضياع الصحة والمال ..

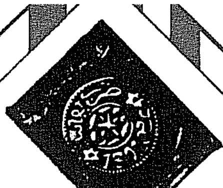
# البريد في الدولة

عرفت الدولة الاسلامية نظام البريد منذ نشأتها في المدينة على يد النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي امر ان يعهد بالبريد لمن يكون حسن الوجه حسن الاسموذلك اضافة الى تمتعه بالذكـاء وطلاقة اللسان ويتضح هذا من اختياره لعامله ومبعوثه الى قيصر امبراطور الروم دحية الكلبي الذي خاطب القيصر قائلا « يا قيصر ارسلني من هو خير منك والذي ارسله خير منه ومنك فاسمع ثم اجب » وكان هذا المبعوث يحمل اول رسالة بريدية او سفارة اسلامية من النبي الى حاكم الروم يدعوه فيها الى الاسلام .

وتطور البريد ايام الامويين الذين ادركـوا اهميته في معرفة احوال البلاد ، ونقل الاخبار السياسية والاقتصادية والامنية والعسكرية ، فكان صاحب البريد ينقل المعلومات عن طريقة معاملة الولاة للرعية واثر هذا على ولاء المواطنين لسلطة الدولة المركزية وعن طريقة جباية الاموال من زكاة وخراج ، وهل فيها تعسف او ظلم ، لا يتفق مع القوانين الشرعية والنظم المعمول بها التى يجب ان يلتزم بها الولاة في توفير العدالة بين كافة افراد الامة ، على اختلاف الوانهم وديانتهم ومناطقهم ؟ وتأتي اهمية البريد في سرعة اتخاذ السلطة المركزية في دمشق للاحتياطات الامنية بارسال الجنود والشرطة للعمل على استتباب الأمن والنظام بالقبض على من يحاول الخروج على سلطان الدولة ، او يحاول اثارة الفتن ،

وتتعاون الشرطة مع الجند في هذا المضمار بينما يقوم الخليفة بارسال الجند للدفاع عن الوطن على الحدود الفاصلة بين الدولة الاسلامية واطرافها وذلك بارسال النجدات واعـادة تجديـد الحصـون والاستحكامات الدفاعية ليهب الجند

# الإسلامية



للأستاذ/ محمد الحسيني عبد العزيز

للدفاع عن الوطن والاسلام .

وتتضح اهمية البريد في نظر الخلفاء من قول الخليفة عبد الملك بن مروان لحاجبه « وليتك ما حضر ببابي الا اربعة : المؤذن داعي الله تعالى فلا حجاب عليه ، وطارق الليل فشرٌ ما أتي به ولو وجد خيرا لنام ، والبريد فمتى جاء من ليل او نهار فلا تحجبه فربما افسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة ، والطعام اذا ادرك فا فتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول » .

وكان هذا القول اكبر دليل على دور البريد في توفير الأمن في انحاء الدولة ، وربط اجزائها ومعرفة اخبار الولايات والاخطار عن تحركات الجيوش على الحدود ، ومقدار استعداد العدو للحرب وتحديد موعد الهجوم لتكون قوات الدولة جاهزة للهجوم قبل ان تفاجأ بالعدو ، خاصة ان الهجوم احد قواعد النصر وركائزه .

وكـذلك فطن الخليفة ابو جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية الحقيقي لدور البريد وخطورة مهمته في قوله « ما كان احوجني الى ان يكون على بابي اربعة نفر لا يكون على بابي اعف منهم هم اركان الملك ، ولا يصلح الملك الا بهم . اما احدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية ، والرابع صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة » .

وكان صاحب البريد ايام العباسي يؤدي مهمات اكبر حيث يقف على اعمال الولاة وعلى اعمال القضاة وما يصدرونه من احكـــام ويسجل في تقاريره للخليفة اسلوب الحكم وطريقة التقاضي والتحري عن الشهود ، وهل تتوفر العدالة او ان الحكم والقضاء يسير على هوى الولاة ؟ ولا يستند الى ما تقرره الشريعة من نظم تحقق

الاخاء وتكفل المساواة ، كما يكتب صاحب البريد عن اسعار المـــواد الغذائية وهل هي في مستوى عامة الشعب او مرتفعة ؟ وهل هناك استغلال من التجار ؟ وأهم من هذا كله هو قيام الجيش في الولايات وعلى الحدود بواجبه وتدريباته ، ليكون على المستوى اللائق الذي تريده الدولة في السهر على حماية امنها وسلامة حدودها البرية والبحرية وحماية سواحلها وشواطئها ومراقبة تحركات العدو عن طريق الاستخبارات والمناورات على السواحل التي تكشف العدو قبل وصوله .

## استخدام الحمام الزاجل في المراسلات البريدية :

عرفنا ان مهمة صاحب بريد الولاية هي موافاة الخليفة بجميع الامور الهامة في ولايته ، وما يدور فيها .
ومعرفة احوال المـــوظفين وعمال الخراج ، وما يقومون به من اعمال وكتابة تقارير عن احوال الولاية وادارتها ، وتصرف المسئولين مع الصناع وعمال الزراعة ، وكـــان لعمال البريد اكبر الفضل في تحسين احوال الرعية وتقوية الروابط بينهم وبين كبار الرسميين والخليفة ، وكانت الخيل التي تخصص للبريد تمتاز بالسرعة والمهارة ، وتقيم لها الدولة محطات استراحة بين منطقة واخرى ، وتشيد هذه المراكز ببناء محكم له قباب ثلاث تميزه على غيره ، وكانت قطارات البريد تتألف من اكثر من اربعين دابة ، ويوضع البريد في اكياس من الجلد لحفظه ، وكانت الخيول تستبدل بين فترة واخرى حتى لا يصيبها الجهد ، وليصل البريد بأقصى سرعة وفي الوقت المناسب .

واستبدل الحمام الزاجل بدلا من الخيل لسرعة الحمام حيث يستطيع الطيران والوصول في مدة تقل عن ثلث الوقت اللازم للخيل عند قطعها نفس المسافة ، ويذكر المؤرخون ان الخليفة العباسي ثالث الخلفاء ، كان اول حكام المسلمين في استخدام الحمام في نقل البريد .

وطريقة التراسل بالحمام هي شد الرسالة تحت جناح الحمامة او ذيلها على ان المسئولين في الدولة الاسلامية كانوا يكتبون الرسائل من صورتين ترسل كل منهما مع حمامة ، الثانية بعد الأولى بساعتين ، وذلك ضمانا لوصول الرسائل .

## التراسل الحربي :

كـــانت الرسائل الحربية توضع ضمن غلاف صغير من الورق الذي لا يتأثر بالماء وذلك بطلائه بالزيت ، وتعلق الرسائل في عنق الحمامة او في جوف الريشة من ذنبها ، او داخل قارورة صغيرة تحت جناح الحمامة ويرسل الحمام من ابراج الحصون بين بغداد او حلب او دمشق او القاهرة

وقد توسع السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي في استخدام الحمام

الزاجل اثناء حصاره لمدينة عكا في اغسطس ١١٩٠ م ، وقد ادى الحمام دورا هاما في نقل الرسائل الحربية التى تطالب بالامدادات والنجدات البشرية التى يجب ارسالها برا وبحرا لتحطيم قوات الغزو الصليبي لبلاد الشام .

وكانت الاسراب التى تطلق من مصر تطلق من ابراج قلعة صلاح الدين الى الصالحية ، فبلبيس ، ثم غزة ، والقدس ، ونابلس ، فدمشق ، وفي هذه المحطات يمكن استبدال الحمامة باخرى ، لكن الحمام كان يستطيع الطيران مسافات بعيدة ، وكانت سرعة طيران الحمام في الساعة حوالي اربعين ميلا . وكان العمال يبصمون منقار الحمامة ببصمات خاصة ، ينقش اسم السلطان عليها ، ويسجل عليها رقمها ، وبمجرد وصول هذا الطير الى قصر الخلافة ، تفض الرسالة وتعرض فورا على الخليفة ، ليتصرف بسرعة وفق ما يراه .

وقد حطم المغول ابراج الحمام الزاجل بسوريا حين غزوا هذه البلاد في زحفهم على مصر الذي توقفوا فيه بعد ان هزموا في معركة عين جالوت بفلسطين ، بفضل تعاون قوات الجيش الاسلامي في مصر والشام على مجابهة هؤلاء الغزاة ، لكن هذه الابراج والمحطات اعيدت للعمل بعد ان تم اصلاحها في عهد السلطان الظاهر بيبرس المملوكي .

وهكذا فقد كانت المراكز الخاصة بالحمام موزعة في الطريق بين مصر والشام على مسافات منتظمة في كل مركز موظفون ساهرون ، يتولون عملية استبدال الرسائل او الحمام وفي كل مركز حراس وموظفون ، يراقبون وصول الحمام ليلا او نهارا خوفا من ان يمر عليهم وهم نائمون .

وكان المتبع الا يطلق الحمام في الجو العاصف الماطر الا نادرا ، حرصا على وصول الرسائل بسلام الى الاماكن المحددة .

وكذلك كان يطلق الحمام للمساعدة في خدمة تجارة القوافل حيث يرسل صاحب القافلة رسالة مع الحمام في حالة تعرضه للخطر ، او في حالة طلب بيانات عن الاسعار ، او طلب بضائع بسرعة لتصل قبل مواسم الشتاء او الصيف او قبل الاعياد الدينية والقومية ، وتطور استخدام الحمام فيما بعد الى قيامه بنقل الرسائل العادية بين الافراد كالتجار ، بعد ان كان مقتصرا على الرسائل العسكرية والرسمية بين الولاة ، ودار الخلافة ، خدمة للمصلحة العامة .

وقد حقق البريد في الدولة الاسلامية اجل الخدمات وافضلها ، وساهم في تحقيق النصر اثناء الحملات الحربية ، كما ساعد على نشر الامن والقبض على قطاع الطرق في الصحراء بالاسراع في ارسال النجدات وضبط الادارة الحكومية ، وضمان سيرها على اسس من العدالة حتى نعم ابناء الامة الاسلامية بمزيد من الامن والطمأنينة على انفسهم وحرياتهم واموالهم .

# القدس

## (٣)

تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الاسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي اعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .

حينما نزلت الآية الكريمة ( **سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير )** . لم يكن المسجد الاقصى ولا القدس في يد المسلمين فكان ذلك تحولا عظيما وباعثا يدعو المسلمين لنشر لواء الاسلام في بلد حمل ركاب خاتم الانبياء وامام الانبياء فيه .

وعندما أذن الله بالفتح الاسلامي امر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده ابا عبيدة بن الجراح ان يتوجه من الشام الى بيت المقدس فأعد العدة وسير جيشا بلغ عدده خمسة وثلاثون الف مقاتل . ولعل المقاتل الصابر الذي يحب الموت في سبيل الله كما نحب الحياة يذكرنا بقول الله جلت عظمته « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » ولعلنا نتذكر قول الشاعر :

**كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا**
**من شدة الحزم لا من شدة الحزم**

**وبعد** حصار دام اربعة اشهر طلب السكان من أبي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فخرج عمر رضي الله عنه الى بيت المقدس وخرج صقر نيوس بطريق بيت المقدس الى عمر بن الخطاب فاعطاه عمر وثيقة الامان التي عرفت بالعهدة العمرية .

وكل ارض يفتحها المسلمون سلما أو حربا تصبح دار اسلام ويجب على المسلمين جميعا المحافظة عليها واقامة حكم الله فيها وحمايتها وصيانتها من ان تمس بسوء من سلب او نهب او احتلال .

وواجب على الناس اذا جاء العدوأن ينفروا المقل منهم والمكثر ويقول الامام ابن الهمام في كتابه الهداية « وقتال الكفار واجب وان لم يبدأوا ولا يجب الجهاد على صبي ولا امرأة ولا اعمى ولا مقعد لعجزهم فان هجم العدو على بلد وجب على جميع الناس الدفع». تخرج المرأة بغير اذن زوجها لانه صار فرض عين بل لقد مضى الفقهاء على ما هو اكثر من ذلك فقالوا ان استولى الكفار على اموال اهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الاسلامية وجب استعادتها كما تستعاد اموال المسلمين .

اما الجنوح الى السلم فانه يأتي ابتداء من الكفار ولا يبادئهم المسلمون بطلبه اعمالا لبقية النصوص الخالدة: فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم .

وقوله تعالى « **فلا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** ».

اما الاستدلال على جواز الصلح من السنة منقوض ايضا فمعاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش في صلح الحديبية كانت على ارضهم وشتان بين معاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تضمنت اعتراف قريش بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين كقوة دولية وبين رأي من حاولوا جعل مئات الملايين من المسلمين في مقام كفار قريش حيث يطلب منهم الاعتراف بدولة يهود على أرض مباركة من أرض المسلمين .

وقد كان فيما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم درسا لامته في أن اليهود قوم لا يصلح معهم عهد ولا صلح يتجلى ذلك مما آلت اليه معاهداتهم من غدرهم وبغيهم مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يجليهم لأنهم اشد الناس عداوة للذين آمنوا.

وأرض فلسطين كلها اسلامية لا تفريط بشبر واحد منها وقد مرت في تاريخنا فترات لا تقل مرارة عن هذه الفترة لم ينهض بها من كبوتها الا صدق اللجوء لله والاخذ باحكام الاسلام فلا يجوز شرعا اقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه والله سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال المعتدين .

( **واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم** ) .

( **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ) .

واليهود عبر تاريخهم المظلم لا يعرفون ولا يفهمون الا لغة واحدة هي لغة القتل لانهم أحرص الناس على الحياة .

**اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين**
**بقضية فلسطين والقدس الشريف**

# الغريب

## ٢

مسرحية في فصل واحد من ستة مناظر

للاستاذ/ محمود دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

## المنظر الثالث

### المحكمة

قاعة محكمة غريبة ، يتربع على منصتها قاض على رأسه طرطور يعلوه سلك هوائي طويل ، وعلى أذنيه سماعات ، وعلى اليمين يقف ممثل الاتهام ـ في

ملابس جلاد ـ وراء منصته .. وعلى الشمال قفص الاتهام ، وخلف القضبان يقف ثلاثة من الرعايا المتهمين ، وقد وضعوا على رؤوسهم الاقنعة التنكرية التي كانوا يلبسونها في السوق ، وهم مكبلون بالاغلال الطويلة يحرسهم بعض رجال الشرطة من رجال الاسواق ، وفي يدهم السياط .

وفوق رأس القاضي مباشرة ، يعلق شعار الدولة ، وهو عبارة عن رسم لقرود ثلاثة : الاول : يضع كفيه على عينيه ، والثاني : يضع كفيه على أذنيه ، اما الثالث فيضع كفيه على فمه ، ويتدلى من هذا الشعار ميزان العدالة وكفته اليمنى الى اعلى ، واليسرى الى أسفل .. وتحت الميزان شعار مكتوب عليه بخط احمر بارز ( المتهم مدان حتى لو ثبتت براءته ) وهناك حاجب مقنع يقف امام منصة القاضي وعلى جانبي قاعة المحكمة بابان للدخول والخروج .. ولا يوجد محامون بهذه المحكمة .. وتمضي فترة ترقب وانتظار طويلة نسبيا لا ينطق فيها احد من الحاضرين بالمحكمة ، كأنهم خشب مسندة ، او تماثيل جامدة .. ثم يتحرك القاضي فقط ويلعب في الهوائي الذي يعلو رأسه ثم يشير الى الحاجب بابهامه .

**الحاجب** : ( يتحرك بنشاط صارخا )

**الجلسة فتحت فانتبهوا والعدل سيأخذ مجراه**

**القاضي** : ( يشير اليه القاضي قائلا ) : **ناد أسماء الأوغاد**

**الحاجب** : ( يشير الى المتهم الاول الماثل في قفص الاتهام ويقول )

**الوغد الأول سيدَنا بالقفص الماثل ينتظر**

**المتهم الاول** : ( لا ينطق بل يهز رأسه في حركات عصبية مضحكة )

**القاضي** : ( يوجه كلامه الى ممثل الاتهام ) **ما التهمة ؟**

**ممثل الاتهام** : ( يشير الى المتهم الأول )

**..... هذا سيدَنا وغد يتحدى بعناد**

**قد ثار بسوق مدينتنا يمطرنا فحش الاحقاد**

يقلد صوت المتهم ساخرا

**سرقوني ، غشوا ، لن اسكت فلتبتر رأس الاوغاد**

**القاضي** : ( بغضب ) ( يفكر قليلا ثم ينطق بالحكم )

**يتحدى السلطة في صلف ... .... ارسله لسيف الجلاد .**

( فور نطق القاضي بالحكم ينقض الحراس على المتهم المسكين ، وهو يقاوم

ويصرخ ثم يقتاده احدهم الى خارج قاعة المحكمة ويخرجان من الباب )

**القاضي** : ( بعد ان يسود السكون قاعة المحكمة يشير الى الحاجب ) .
**ناد اسماء الأوغاد ..**

**الحاجب** : ( يشير الى المتهم الثاني الذي يقف في قفص الاتهام )

**الـوغـد الثـاني سيـدَنـا　　بـالقفص المـاثـل ينتظـر**

**القاضي** : ( يسأل ممثل الاتهام ) **ما التهمة ؟**

**ممثل الاتهام** : ( يشير الى المتهم )
**هـــــــذا سيـدنـــا　　لا يضحك بل يبكي دوما**
**ذبلت عينـاه بـلا عمـل　　واشاع الحزن بلا جدوى**
**لا يسهم في نفـع ابـدا　　وغدا قد تنتشر العدوى**
**العـدل سيشفي علتـه　　وكـلاب الصيد بـه اولى**

**القاضي** : ( يستجوب المتهم متهكما )
**مـاذا أبكـاك لتـزعجنـا ؟　　يا نسل البـومة والشؤم**
( صارخا ) **انطق ان شئت واسمعنا　　سببـا يدعـوك الى اللؤم**

**المتهم** : ( في ضراعة يبدأ كلامه ) : **مولاي أنا رجل ....**

**القاضي** : ( بمجرد ان يسمع المتهم ينطق أنه رجل يقاطعه في غضب ساخراً )
**........ رجـــــــل ؟　　ستنـال جزاءك يـا رجـل**
**اوقفت تجـادلنـا حقـا ؟　　ونسيت حدودك يا حمل**
**ونطقت أمامي في صلف ؟　　لا ادب فيـك ولا خجـل**

( ثم يلتفت القاضي الى حارس المتهم قائلا ) **يا حارس ...**

**حارس المتهم** : ( في خوف بالغ ) ..... **سمعا سيدنا**
**القاضي** : ( يأمره ) **نفذ ما تسمع وامتثلوا** :
( ينطق بالحكم )
**محكمـة الشعب تجرمـه　　ولسجن الـدولـة ينتقـل**
**خازوق العدل سيضحكه　　ولسـان الفـاجـر يعتقـل**

**الحارس** : ( في خشوع تام ) **السمع لأمرك والطاعة ...**

( يهجم الحارس على المتهم ويجره جرا خارج قاعة المحكمة والاخير يصرخ )

**المتهم الثاني** : ( يبكي ويصرخ )
**مظلوم ... اني مظلوم ... مظلوم ... اني مظلوم ...**

( يظل يرددها حتى يخرج مجرورا من قاعة المحكمة )

**القاضي** : ( يشير الى الحاجب ) **ناد أسماء الأوغاد**

**الحاجب** : ( يشير الى المتهم الثالث الواقف بالقفص )

**الوغد الثالث سيدَنا  بالقفص الماثل ينتظر**

**القاضي** : ( يسأل ممثل الاتهام ) **ما التهمة ؟**

**ممثل الاتهام** : ( يشير الى المتهم ويقول ) :
**...... هذا سيدنا  مأجور ينقل أسرارا**
**يسترق السمع لاخبار  للدولة ليلا ونهارا**
**سيحيك مؤامرة كبرى  للفوضى يجمع أنصارا**
**ويشيع بأن عدالتكم  ظلم ، وسيشعلها نارا**

**القاضي** : ( يتعجب في غضب )
**عجبا لكلاب نطعمها  ما لذ وطاب وتنهشنا**
**لا نطلب الا طاعتها  لتعيش بظل رعايتنا**
( يسأل المتهم ) **اتقول بأن عدالتنا  ظلم وتهدد مولانا ؟**

**المتهم الثالث** : ( مقاطعا صارخا في يأس )
**ما قلت ولا سمعت اذني  سرا او جهرا مولانا**
**منبوذ مالي من احد  ولعدلك انشد الحانا**

**القاضي** : ( صارخا في المتهم )
**اتكذب دعوانا علنا  سأريك عذابي الوانا**

**القاضي** : ( يسأل ممثل الاتهام ) **التهمة ثابتة ؟**

**ممثل الاتهام** : ( مؤكدا ومشيرا الى ملف القضية الضخم الذي يضعه امامه ) ... **طبعا**

**القاضي** : ( يهز رأسه في صلف وغرور قائلا ) ... **العدل سيأخذ مجراه**

( يعتدل في جلسته وينطق بالحكم )

**نظـرا لبشـاعـة فعلتـه تقطـع اذنـاه ورجـلاه**

( ثم يشير الى الحارس )

**علقـه بـلا رأس شهـرا بـالسـوق وتقلـع عينـاه**

**المتهم** : ( صارخا والحارس يجره الى الخارج )

**مظلوم ... اني مظلوم ... مظلوم اني مظلوم**

( المتهم يرددها حتى يخرج وبعد فترة صمت قصيرة يداعب القاضي السلك الهوائي ثم يسأل

**القاضي** : ( موجها كلامه الى ممثل الاتهام )

**اهنـاك قضايـا ننظـرهـا في هـذا اليوم ـ لنـا الله**

**ممثل الاتهام** : ( يجيب في ثقة ) .... **ابدا ما ظل بحوزتنا** ....

( تسمع جلبة وضوضاء صادرة من الخارج ثم تزداد تدريجيا ، ثم يدخل من الباب الشيخ الغريب يتوكأ على عصاه ، يتدافعه القرود الثلاثة ، ويقفون جميعا بالقرب من القضبان التي كان يقف بداخلها المتهمون السابقون ـ القاضي وممثل الاتهام يتبادلان نظرات الاستفسار والدهشة ويظهر عليهما الضيق والملل ـ حيث قطع الداخلون اقوال ممثل الاتهام )

**القاضي** : ( يوجه كلامه للقرد الاول ) .... **يا هذا ما هذي الفوضى ؟**

**ممثل الاتهام** : ( مستفسرا محتجا )

**بـل كيف دخلتم ؟ ولمـــــــــــاذا ؟**

**القرد الاول** : ( يجيب في خشوع ورهبة )

**عفـوا سيدنـا لا تغضب قد جئنا من عنـد الوالي**

**مـولانا الحـاكم سيـدنـا يـرجو ان تسمـع أقوالي**

**القاضي** : ( في ملل وضيق )

**افصح عن قصدك مختصرا ايـاك تعطـل اعمـالي**

**ما القصة ؟**

**الاول** : ( يشير الى الشيخ قائلا )

**..... هـذا سيـدنـا ... الشيـخ غـريب الاطـوار**
**مـذ جاء وادخـل دولتنا ... يتسقط كـل الاخبـار**

**القرد الثاني** : ( مدعما قول الاول )

**يتكلم جهـرا بـل يسمـع ... ويـرى ممنـوع الاسـرار**
**قـد زعم يفتش عن كبد ... ولديه : ( جهاد ، حورية )**

**القرد الثالث** : ( مكملا القصة )

**واليـوم يـريـد مقـابلـة ... للوالي من اجل قضية**

**القاضي** : ( في غضب للشيخ )

**عجبـا لغبائـك يـا هـذا ... الوالي من اجل قضيـة ؟**

**القاضي** :

**وانـا ما افعـل ؟ خبرني ... أنسيت أصـولا مرعيـة ؟**
**ولمـاذا أزعجت الـوالي ؟ ... هـذي أعمـال سـوقيـة**
**مـولانـا الـوالي مشغـول ... بشئـون الحكم السلميـة**

( ثم يبدأ القاضي في استجواب الشيخ )

**يا هذا .... من انت اجبني ؟**

**الغريب الشيخ** : ( يجيب في ثقة واعتزاز )

**أنا في الزمان حكاية وسؤال !!**

**أما الحكاية .... فاسألوا تاريخكم عنها فقد يتذكر الجهال ...**
**أما السؤال ... فقد أجابت حالكم فعرفت ما نطقت به الأحوال ...**

**القاضي** : ( في غضب )

**ماذا تقول ؟ أراك تهذي ملغزا ... هـلا اجبت موضحـا الغـازا ...**
**من أي أرض جئت تبغي أرضنا ؟ ... مـاذا تريـد ؟ وحدد الألفـاظا ..**

**الشيخ** : ( يرد في ثقة ) **من جنة للخلد جئت معاتبا ...**

**ممثل الاتهام** : ( يعلق على كلام الشيخ ساخرا ) **الشيخ يهذي ...**
**القاضي** : ( يشير بيده بما يدل على شكه في القوى العقلية للشيخ )
**ما عليه ملام ...**
( ثم يهدد الشيخ )
**أوتدعى هذا الجنون لتتقي غضبي وبطشي ؟ خابت الأوهام**

**الشيخ** : ( يشير الى القاضي آمرا مهددا )
**( قرقوش ) اقصر واستمع لمقالتي هذي بلادي والحبيب يزار**
**قد شاقني اهلي ، ومهد زعامتي والقدس ، والزيتون والأسوار**

**القاضي** : ( مقاطعا صارخا ) **اتسبني ؟ من ذا تكون ؟**
**الشيخ** : ( ينتصب في اعتزاز وفخر قائلا )
**...... انا الذي تاريخه عطر يفوح ونار**
**الغرب يعرف من اكون وشرقنا والقدس والتاريخ والكفار**
**انسيت (عكا) حيث اسرك يا ترى؟ وفدتك اموالي ففك اسار**[1]
**قد كنت مملوكا فصرت مملكا هزل الزمان وضاعت الاقدار**
**واذا الرعاع تحكموا في سادة هدم القضاء وضيع الاحرار**

**ممثل الاتهام** : ( يوجه كلامه للقاضي محتجا )
**حتام نصبر ؟ والدعي يسبنا**
**القاضي** : ( في مكر ودهاء ) **صبرا جميلا تكشف الاسرار**
( ثم يسأل الشيخ )

**قد ضاق صدري منك هلا قلت لي ؟ من انت قل لي ؟ ايها الثرثار**
**الشيخ** : ( مذكرا في سخرية مرة )
**اخسأ .. وأقصر كل قولة هازىء أني صلاح الدين يا حمّار**

**القاضي** : ( يضرب كفيه دهشة واستغرابا ويقول هازئا )
**الشيخ جن فجاء يهذي هاهنا لم يدر أن صلاحه أطمار**
**يا شيخ قد مات العزيز وفي الثرى دفن الأبيّ ، وبالشآم مزار**

**الشيخ** : ( مؤكدا اقواله )
**ما مت بل احيا بفردوس السما واليوم عدت فهالني استنكار**

(١) اشارة الى أسر ( قرهقوش ) في ( عكا ) وافتداء صلاح الدين له بالمال حتى فك أسره

**هــل تنكــرون البعث ؟؟**
**القاضي : حــــاشـــا انمـــــا**
**يوم القيامة بعثنا ...**

**الشيخ** : ( وقد فهم التورية في قول القاضي فيرد معقبا ) ... **أصفار**

**بُعثَ ( العُزَيّرُ ) وكان مثلك منكرا وحمَارُهُ ، فاستغفر الانكار[٢]**
**قدَ عاد قبلي فتيةٌ قد آمنوا اصحابُ كهفٍ كلهم اخيار**

**القاضي** : ( وقد افحمته الحجة ، ولكنه يكابر غير مصدق لما يسمع فيصرخ آمرا القرود الثلاثة )
**هذا الجنون بعينه متجسدا السجن يشفي عقله والنار**

( يهجم القرود الثلاثة على الشيخ : ثم يقتادونه الى خارج قاعة المحكمة )
**الشيخ** : ( يصيح مهددا متوعدا )
**تبا لمثلك يا بغى وفي غد تأتيك أنبـاء لها اخطـار**

( يخرج القاضي وممثل الاتهام والحاجب )

## المنظر الرابع

### القصر

في احدى الليالي الساهرة وفي قاعة العرش في قصر الوالي جلس الوالي منتفخ الاوداج صلفا وغرورا ، تحيط به الجواري والغلمان ، وقد تهيأ الجميع لاقامة حفل ساهر ما جن من ليالي الف ليلة وليلة .. وعلى يمين القاعة الفخمة وقف كبير الحجاب على الباب والحراس في كل مكان .

ويصفق الوالي بيديه ويشير ايذانا ببدء الحفل ، فتبدأ الجواري والقيان بالعزف والرقص ، والغناء والضحك ، ثم تقدم احدى القيان كأس شراب يرتشفه الوالي قطرة قطرة وهو يكاد يذوب من النشوة والسرور والسعادة .
وتقوم المغنية لتغني بصوت شجي ، ولحن سحري اغنية يسكر لها الجميع ويتمايلون طربا :

(٢) اشارة الى ( العُزَيّر ) الذي يدعى اليهود أنه ابن الله .. لعنهم الله بكفرهم : كما جاء في سورتي التوبة الآية رقم (٣٠) والبقرة الآية رقم ٢٥٩ .

| | |
|---|---|
| فـاتن ملـك | مـاس وارتبـك |
| يسحـر النهى | اينمـا سلـك |
| راقص الخطى | تـاه وامتلـك |
| سهم لحظـه | قـاتـل فتـك |
| صـاد مهجتي | غـازل الشبـك |
| ظـالم الهـوى | حبـه شـرك |
| هـز عطفـه | صبـرنـا هلـك |
| بت سـاهـرا | ارقب الفلـك |
| زار طيفـه | قلت : هيت لك |
| شفني الجـوى | ليتني معـك |
| قـال ضاحكـا : | انت من ملـك |
| شـاعر الهـوى | كيف ضيعـك |

**كبير الحجاب** : ( يترك مكانه عند الباب ويقترب من الوالي قائلا في خشوع )
**مولاي** ( يتوقف الرقص والغناء )
**الوالي** : ( بغضب لان الحاجب قطع عليه لهوه ومجونه ) **لماذا تزعجنا** ؟؟
**كبير الحجاب** : ( مبينا السبب وكأنه يعتذر ) ... **مولاي وزيرك بالباب** .
**الوالي** : ( في ضيق )
**اف ... اي الوزراء ترى ؟ في هذا الليل المرتاب ..**

( يشير بيده للجواري والقيان للانصراف قائلا )
**انصرفوا الليلة احبابي ...**
( يخرج الجميع ما عدا كبير الحجاب والحراس )
( ثم يشير الوالي الى كبير الحجاب قائلا ) **ادخله كبير الحجاب ...**
**كبير الحجاب** : ( في خشوع ) **فورا مولانا** ( ينحني امام الوالي ثم يجري الى الباب مهرولا )
**كبير الحجاب** : ثم يشير الى وزير الدولة بالدخول قائلا ) **وتفضل...**
**وزير الدولة**: ( يدخل وعلى رأسه طرطور طويل ثم ينحني ويقبل يد الوالي )

**مـولاي تعطف وتقبـل من عبدك رصد الاحـوال**

( ثم يقدم للوالي ملفا ضخما منتفخا بالأوراق والتقارير )
**الوالي** : ( يأخذ الاوراق بعدم اكتراث ويقول في ضيق )
**تقـريـرك معـروف سلفـا ألديك جـديد بـالوادي ؟**

**الوزير** : ( في ثقة يشرح ملخص التقرير شفهيا )

احوال الشعب مطمئنة     والخير وفير بالوادي
لا احد يبصر او يسمع     او ينطق خوف الارصاد
وسجونك عامرة دوما     بكلاب الحقد الاوغاد
والقاضي يعرف واجبه     والعدل نشيد الاعياد
اركان الامن مدعمة     وعدوك رهن الاصفاد

**الوالي** : ( وقد مل وضاق صدره مما يسمع )

هذا ما كنا نعرفه     أهناك جديد ببلادي ؟
ما حال الجيش وعدته ؟     وقلاع الشرق المياد ؟
وعيوني ، هل جاءت منهم     أخبار تخدم أغراضي ؟

**الوزير** : ( في ثقة واعتزاز )

مولاي جيوشك مفخرة     تتحرق شوقا لجهاد
اعداؤك باتوا في رعب     وقلاعك حصن الامجاد
وعيونك تسعى في حذر     تترصد كيد الحساد

**الوالي** : ( تنفرج اساريره ويقول في سعادة )

حسنا ، ضاعفت سعادتنا     أين الشعراء لإنشادي ؟

**الوزير** : ( يشير الى الباب الذي يقف عنده كبير الحجاب ويقول )

بالباب فريق مجتمع     هل ندخل شحرور الوادي ؟

**الوالي** : ( يتذكر شيئا مهما فيشير بيده قائلا )

مهلا ، حدثني هل صنعت     اقفال السر السحرية ؟

**الوزير** : ( يجيب في سرور بعد أن تذكر هذا الأمر فيقول )

مولاي نسيت فسامحني     لك عندي بشرى وهدية
حدادك عبدك مسعود     صنع اقفالا سرية
لا تفتح الا برموز     تجهلها كل البشرية
لحزام العفة مفتاح     ولسور الدولة مفتاح
ولبيت المال وخزنته     ولسجن الدولة مفتاح

ولكــل نفيس تملكــه صنف أرقــامــا مخفيــة

**الوالي** : ( وقد بهرته تلك الأنباء )

بشــراك أهاجت أفــراحي أمــلاكي بــاتت محميــة
أمــا الاقفــال فجــربهــا ان نجحت ضعها بروية
ورمــوز السر تسجلهــا ومفــاتحهــا تبقى عنــدك
لا يغلق قفــل او يفتــح الا بكتــابي اوتــذبــح

**الوزير** : ( يتحسس رقبته في خوف ويقول في ذلة )

سمعا مولاي ومن فوري اضــع الاقفــال واختبــر
ان نجحت فــزنــا بنظــام لــلامن ، ومجدك يــزدهــر

**الوالي** : ( في لهجة آمرة )

يا رجل الدولة فلتســرع واصدع بالامر فلا تخسر

**الوزير** : ( ينحني في خشوع قائلا ) **سمعا مولاي سأنصرف**
( يخرج من الباب الذي جاء منه )
**الوالي** : ( يقول للوزير مهددا وهو يخرج ) **عجل ، وحذار تتأخر** .
**كبير الحجاب** : ( يقترب من الوالي ويقول ) **مولاي ... القاضي بالباب** ..
**الوالي** : ( آمرا ) **ادخله كبير الحجاب** ...
**كبير الحجاب** : ( في خشوع ) **فورا مولانا** ( يهرول الى الباب ويقول للقاضي ) **وتفضل** ..
**القاضي** : ( يدخل في زيه الغريب الذي كان يرتديه في المحكمة ينحني ويقبل يد الوالي )

مــولاي اتيتك كي احظى بســديد الــرأي وأنتصح
ميــزان العــدل بــدولتكم لــولاكم مــال وننفضــح

**الوالي** : ( يشير للقاضي بالجلوس )

اجلس .. وتمهل واسمعني هل جاءك شيخ مجنون ؟

**القاضي** : ( يحك رأسه كأنه يتذكر ثم يجيب قائلا )

قد جاء صباحا تحــرسه انيــاب زرق وعيــون
جادلني - فصبرت طويلا وهجــاني ذاك الملعــون

**الوالي** : ( ينفجر ضاحكا عند سماعه عبارة القاضي الاخيرة خصوصا وان القاضي قالها بتأثر )

**لا تغضب واهدأ وتذكر السر خطير مدفون**
**مذ جاء رصدنا حركات يأتيها ، فالأمن مكين**
**لولا اسرار نجهلها قتل المأجور المأفون**

**القاضي** : ( تنفرج أساريره عند سماع ذلك فيقول ) **مولاي بماذا تأمرني ؟**
**الوالي** : ( بعد تفكير ) **ارسل للسجن لكي يحضر**
**القاضي** : ( يقف ممتثلا ويقول ) **سمعا مولاي سأخبرهم**
( يسر لكبير الحجاب بما يفعل )
**كبير الحجاب** : ( يخرج برهة ويعود ثانية لمكانه والقاضي والوالي يتابعان حركاته ثم يعود القاضي لمجلسه قائلا )
**القاضي** : **في التو سيمثل مخفورا**
**الوالي** : ( في ثقة وكأنه يحدث نفسه ) .... **وسنعرف سرا مستورا**
**كبير الحجاب** : ( يتقدم الى الوالي قائلا ) **مولاي الشيخ لدى الباب**
**الشيخ** : ( يدخل مكبلا بالاغلال وعصاه في يده يتوكأ عليها وحوله بعض الحراس الشيخ يردد بيت الشعر المشهور ) :
**مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها**

**الوالي** : ( مرحبا بالشيخ في مكر ودهاء )
**اهلا وسهلا هلت الانوار اهلا وسهلا ساءنا استهتار**

( ثم يلتفت الى الحراس قائلا )
**فكوا وثاق الشيخ من اغلاله فالشيخ ضيفي حقه الاكبار**

**الحراس** : ( يسرعون بفك اغلال الشيخ )
**الوالي** : ( يأمر الحراس بالخروج ) **هيا اخرجوا ودعوه حرا بيننا**
( يسرع الحراس بالخروج ) ( يلتفت الى الشيخ ويقول )
**اجلس ... تفضل انتم الاخيار**
**الشيخ** : ( يجلس صامتا وقد بدت عليه علامات التعذيب )
**الوالي** : ( متوددا )
**اني اعتذرت لما اصابك آسفا هلا عفوت ، وربك الغفار**
**العفو من شيم الكرام وفي غد يأتيك من جوف الظلام نهار**

**الشيخ** : ( لا ينطق .. وانما يتطلع فيما حوله صامتا )
**الوالي** : ( ينادي على كبير الحجاب ) **يا آمر الحجاب**
**كبير الحجاب** : ( يأتي مهرولا ) .. **سمعا سيدي** ...

**الوالي** : ( يشير الى الشيخ قائلا ) **للشيخ بالقصر الكبير مقام**
**هيا اصطحبه الى هناك مكرما وتعهدوه فحقه الاكرام**

( يقوم الشيخ يدب على عصاه يسنده كبير الحجاب ويخرجان من الباب ويغيبان عن الانظار )

**القاضي** : ( يبدي تعجبه ودهشته مما رأى )
**مولاي ماذا قد رأيت بربكم ؟ او هكذا تتعهد الاشرارا ؟**

**الوالي** : ( هازئا من غباء القاضي )
**هذي السياسة يا غبي وفي غد نجلو الخبيء ، ونعرف الاسرارا**

**كبير الحجاب** : ( يعود كبير الحجاب ويبلغ الوالي ان امره قد نفذ )
**مولاي أمرك نافذ ومنفذ**

**الوالي** : حسنا ( يعود كبير الحجاب الى مكانه) .
( ثم يلتفت الوالي الى القاضي قائلا ) ... **ودعني استريح موفقا** .
( يقف القاضي ثم ينحني أمام الوالي ويخرج من القاعة والوالي يفكر ويدبر )

**كبير الحجاب** : ( معلنا قدوم وزير الدولة ) **مولاي وزيرك بالباب** ..

**الوالي** : ( آمرا وقد فرغ صبره ) ... **ادخله كبير الحجاب** ..

**وزير الدولة** : ( يدخل مبتهجا فرحا )
**ابشر مولاي لقد نجحت اقفال الرمز السحرية**
**اغلقت بأمرك أبوابا للدولة باتت محمية**

**الوالي** : ( يفرك يديه من السعادة ) **حسنا .. ضاعفت سعادتنا ..**

**وزير الدولة** : ( يشير الى الباب ويقول )
**عبدك مسعود منتظر بالباب ليحظى بعطية**

**الوالي** : ( يقف ويفكر قليلا ثم يقول )
**حسنا ... علقه بلا رأس بالسوق وتقلع عيناه**

**وزير الدولة** : ( يسأل في رعب وهو لا يصدق ما سمعته أذناه ) **ولماذا ؟**

**الوالي** : ( مبررا فعلته ) ... **كي نحفظ دوما للأقفال السرية**

**( يخرج الوزير ... وبعد لحظات تسمع صرخة مدوية دليل قتل مسعود )**

يتبع

## صلاة الجمعة

ارسل الينا الاخ الاستاذ احمد حسين مرواد ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ـ رسالة يبين فيها فضائل صلاة الجمعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة .. ويهدى مقالته الى الاخوة القراء حتى لا يفرطوا ولا يتهاونوا في اداء صلاة الجمعة مهما كانت الظروف .. فالصلاة عماد الدين من تركها فقد ترك الدين .

ونمضي مع الاستاذ مرواد فيقول :

قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » **الجمعة / ٩** .

تبين لنا الآية الكريمة ان صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم وهي واجبة على كل انسان بالغ عاقل يقوم بواجبه لله رب العالمين .

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث تحذرنا من ترك صلاة الجمعة . فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم .. « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع الى الجمعة ومن استغنى عنها بلهو او تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد » **رواه الطبراني** .

وروى عن جابر رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ـ « يا أيها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشغلوا ، وصلوا بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السر والعلانية **ترزقوا وتنصروا وتجبروا** . واعلموا ان الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا ، في يومي هذا ، في شهري هذا ، من عامي هذا الى يوم القيامة ، فمن تركها في حياتي أو بعدي وله امام عادل ، أو جائر ، استخفافا بها وجحودا بها فلا جمع الله شمله ، ولا بارك له في امره ، الآ ولا صلاة له ، الا ولا زكاة له ، الا ولا حج له ، الا ولا صوم له ، الا ولا بر له ـ حتى يتوب ـ فمن تاب تاب الله عليه . **رواه ابن ماجة** .

وعن فضل السعي الى صلاة الجمعة .. روى مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من توضأ فأحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام . ومن مس الحصى فقد لغي » اي وضع يده على الارض

متلاعبا اثناء الخطبة مشغولا عن سماعها ومعنى قوله لغى خاب من الاجر ، وقيل أخطا ، وقيل صارت جمعته ظهرا .

وروى مسلم وغيره عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال – « الصلوات الخمس ، والجمعة للجمعة ، ورمضان الى رمضان ، مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر » .

وروى ابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس من عملهن في يوم كتبه الله من اهل الجنة : من عاد مريضا – وشهد جنازة – وصام يوما – وراح الى الجمعة – واعتق رقبة » .

ومن السنة الغسل يوم الجمعة روى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كان يوم الجمعة فا غتسل الرجل وغسل رأسه . ثم تطيب من اطيب طيبه . ولبس من صالح ثيابه – ثم خرج الى الصلاة ولم يفرق بين اثنين ثم استمع للامام غفر له من الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء يوم الجمعة فليغتسل ، وان كان عنده طيب فليمس منه ، وعليكم بالسواك » .

## يوم الجمعة خير ايام الاسبوع .

فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه ادخل الجنة ، وفيه اخرج منها ، وفيه تقوم الساعة » .

**رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي .**

## ويفضل التبكير الى الجمعة .

فلقد وردت احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين فضل التبكير الى الجمعة وتنهي عن التأخير فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من اغتسل يوم الجمعة ، ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة – ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن . ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وروى الامام احمد والطبراني في التبكير عن ابي امامة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقعد الملائكة على ابواب المساجد معهم الصحف يكتبون الناس ، فاذا خرج الامام طويت

الصحف » ـ قلت يا ابا امامة ليس لمن جاء بعد خروج الامام جمعة ؟ قال : بلى ولكن ليس ممن يكتب في الصحف .

ولما كانت صلاة الجمعة محفلا كبيرا من محافل الاسلام . فقد راعى الاسلام لها آدابا ونظاما بحيث لو تعداها المصلي يكون متجاوزا لتعاليم الاسلام . ومنها التحذير من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة .

« ولقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث صريحة في دلالتها تحذر من تخطي رقاب الناس يوم الجمعة . واعتبرت ذلك العمل ضربا من ضروب الاذي ـ والاسلام دين ينهي عن اذي العباد قل أو كثر . فهو دين اسمه السلام . وفي السلام سلام من كل الاذي .

وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال :

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذ جاء رجل يتخطى رقاب الناس حتى جلس قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته **قال** : « ما منعك يافلان ان تجمع معنا ؟ قال يارسول الله قد حرصت ان اضع نفسى بالمكان الذي ترى ـ قال .. قد رأيتك تتخطى رقاب الناس وتؤذيهم . من آذي مسلما فقد آذاني ـ ومن آذاني فقد آذي الله عز وجل » . **رواه الطبراني في الصغير والاوسط .**

**ومعنى :** فقد آذي الله عز وجل : اي لم يعبأ **بشرعه تعالى ولم يتأدب في بيته سبحانه ولم يخشع لجلاله وهناك تحذير من الكـــلام وقت الخطبة ، بل يجب الانصات لسماع خطبة الجمعة .**

**وبقدر ما رغب الاسلام في الانصات بقدر ما حذر من الكلام وجعل ذلك لغوا يحبط ثواب المصلي .**

**وفي يوم الجمعة يتلاقى المسلمون في بيوت الله ، فتتحقق اقوى الروابط الانسانية ، في ظل عبادة الله وحده ، وهذا هو طابع المناسبات الدينية عموما .**

## آيات جرت مجرى الامثال

**ومن الاستاذ محمود زيدان السفاريني بالاردن جاءتنا هذه الفقرة الجميلة :**

**لكل نبأ مستقر . قل كل يعمل على شاكلته . ولا تنس نصيبك من الدنيا . كل نفس بما كسبت رهينة. ولا يحيق المكر السيء الا بأهله . كل نفس ذائقة الموت . كل من عليها فان . تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى . كل حزب بما لديهم فرحون . وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .**

# بريد الوعي الإسلامي

## الصفا والمروة

**السيد اسماعيل أحمد عبد الله من السودان يسأل عن سبب نزول الآية :**

**« إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » .**

سبب نزول الآية ١٥٨ من سورة البقرة هو أنه كان على الصفا صنم يقال له ( اساف ) وعلى المروة صنم يقال له ( نائلة ) ، وكان المشركون اذا طافوا تمسحوا بهما فخشى المسلمون أن يتشبهوا بأهل الجاهلية . وتحرجوا من الطواف لهذا السبب فنزلت الآية المذكورة تدفع الحرج عنهم لأنهم انما يسعون لله لا للأصنام .

وأخرج البخاري والترمذي عن أنس رضى الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال : « كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله : ( ان الصفا والمروة من شعائر الله .. »

## طوفان نوح

**السيد سالم أبو ريده من العراق أرسل لنا رسالة مطولة عن تاريخ نوح عليه السلام ولكنه توقف عند الطوفان ويسأل هل عم طوفان نوح الكرة الأرضية :**

يميل بعض العلماء الى عموم طوفان نوح ويقول بعض علماء الجيولوجيا : اننا كلما بحثنا في أعالي الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش الا في الماء ، وهذا يستدعي وجود طوفان على هذه الجبال ، بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف في عمر هذه البقايا ، فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ويكون قد عم ، قال تعالى **( وجعلنا ذريته هم الباقين )** ويميل فريق آخر الى أن الطوفان لم يكن عاما بل كان طغيان الماء على الجهة التي يسكنها نوح وقومه وأما بقية بقاع الأرض فلم يصلها هذا الطوفان .

والمسألة ليس فيها نص من القرآن بل كل ما فيه من هذه الناحية أن قوم نوح كفروا وعصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن معه في الفلك وجعل ذريته هم الباقين فالعموم محتمل والخصوص محتمل .

## المهر

**السيد عبد الكريم محمد السامري من دبي أرسل الينا يستفسر عن مقدار المهر المفروض في الشريعة الاسلامية .**

المهر في الشريعة الاسلامية هبة وعطية وليس له قدر محدد اذ الناس يختلفون في الغنى والفقر ويتفاوتون في السعة والضيق فتركت الشريعة التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته وحسب حالته وقد اتفق الفقهاء على أنه لاحد لأكثره لقوله تعالى ( وآتيتم أحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ) .

وأقله ثلاثة دراهم ( ربع دينار ) عند مالك .

وعند الشافعي وأحمد لا حد لأقله ويجوز بكل شيء له قيمة .

## الله .. والاله

**السيد عبد الفتاح العطار من القاهرة يسأل عن الفرق بين لفظ الله ولفظ الاله .**

الأول اسم علم للذات المقدسة لا يشاركه فيه غيره ومعناه المعبود بحق والثاني يطلق على الله تعالى وعلى غيره وهو مشتق من ( ألَّه ) ومعناه المعبود سواء كان بحق أو غير حق فالأصنام التي كان يعبدها العرب تسمى ( آلهة ) جمع ( اله ) لأنها عبدت بباطل من دون الله ، وما كان أحد يسمي الصنم ( الله ) بل كان العربي في الجاهلية اذا سئل من خلقك ؟ أو من خلق السموات والأرض ؟ يقول : الله وفيهم يقول القرآن الكريم : **( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله .. ) .**

## ابن باجه وابن البيطار

**السيد حسن موسى من الكويت أرسل الينا يود معرفة شيء عن كل من ابن باجه وابن البيطار :**

ابن باجه هو أبو بكر محمد ظهر في غرناطة وكان قد ولد في سرقسطة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وتوفي في فاس عام ١١٣٨م وقد اشتهر بالطب والرياضة ومن مؤلفاته كتاب تدبير المتوحد وفيه يتحدث عن الأفعال الانسانية وأنواعها ورسالة الوداع وفيها بعض مبادئه الفلسفية .

أما ابن البيطار فهو عبد الله بن أحمد بن البيطار ولد في ملقة بجنوب اسبانيا في أواخر القرن السادس الهجري وتوفي في دمشق عام ١٢٤٨م .

ويعتبر ابن البيطار من أعظم العلماء العرب في التاريخ الطبيعي عامة وعلم النبات خاصة الذين ظهروا في القرون الوسطى ومن مؤلفاته كتابا المغنى في الأغذية والأدوية والجامع في علاج الأعضاء .

# مع صحافة العالم

نشرت مجلة الدعوة السعودية في عددها رقم ٧٧٨ كلمة بعنوان :

## مصير الأمة الإسلامية .. وارتباطه بتطبيق الشريعة

الحقيقة التي لا يجوز الجدال فيها ان الحكم بشريعة الله فرض واجب على سائر من ينتمي الى الاسلام .. ولا يعتبر مسلما كل من يطبق غير شرع الله ، وكل من يرضى بهذا التطبيق .

وقد عاشت أمة الاسلام مرهوبة الجانب مرفوعة اللواء يوم حكمت نفسها وحكمت الدنيا بهذه الشريعة الغراء التي نزلت من لدن اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق .

وحين تخلت معظم الشعوب الاسلامية عن تطبيق هذه الشريعة بضغوط الصليبيين واعوانهم فسدت مسيرتها وتعثرت خطواتها واصابها وبال كبير وشر مستطير لازال يحيط بها من كل جانب من جوانبها العامة .

بيد ان هناك الى جانب هذه الآثار السيئة العامة التي اصابت المسلمين من الحكم بالقوانين الوضعية ــ أثرين خطيرين يعملان عملهما المدمر في جسم الأمة الاسلامية :

اولهما : الانفصال العقلي بين عقيدتها الكامنة في اعماقها والمتجاوبة مع مشاعرها ، وبين الثقافات المفروضة عليها ، والتي تجدها اقل جدارة ، واسوأ في مطابقتها لبديهيات الحياة والحقائق .

انها لم تعد تتلقى هذه الثقافات من موقف القوة النافذة الواثقة ، بل تتلقاها من موقع الانهزامية الفكرية التي تحاول ان تكيف فكرها مع هذا الفكر الناقص المفروض عليها بالقوة الطاغية .

ومن هنا سادت عبودية الفكر وانساقت الجماهير شبه المثقفة كالمخبولة ، وراء شعارات من هنا وهناك ، دون ان تحاول مرة عرض الافكار على حقائق العقول وبداءة التفكير .. لقد اصبح الفكر الوافد في البلاد الاشتراكية والعلمانية فكرا يحميه القانون الوضعي .. وقد اصبح من التضحية الكبيرة

مقاومته ، ومحاولة احلال الفكر الاسلامي الأصيل مكانه .. ومن هنا أخذ الانشقاق الفكري طريقه ، وأخذت اللامبالاة طريقها .. وتاهت الحقائق في زحمة الصراع بين الحق المعروف ، والباطل المفروض .

اما ثاني الاثرين السيئين فهو : ما يسميه الفقهاء المسلمون ( بنظرية البطلان في الشريعة الاسلامية ) ، وأساس هذه النظرية ان الأوامر والنواهي التي جاءت في القرآن بصرف النظر عن انها تشكل اجزاء اساسية من القرآن والسنة ، فهي ايضا لم تجيء عبثا ، وهي جزء من دين المسلم من حقه ان يمارسه في بلده المسلم سياسة واقتصادا واجتماعا .. والا .. فما معنى قول الله تعالى : **( وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله )** « سورة النساء ٦٤ » وما معنى قوله ايضا : **( يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول )** « سورة النساء ٥٩ » وما معنى قوله ايضا : **( وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )** « الحشر ٧ » .. وما معنى مئات الأحاديث والآيات القرآنية الأخرى التي تتحدث عن احكام مجملة واخرى تفصيلية في الزكاة وفي الحدود وفي الاحوال الشخصية ( قوانين الأسرة ) وفي الحرب وفي السياسة وغيرها ؟.. ان هذه الآيات لم تأت الا لتطبق كالصلاة والصيام ، وهكذا كان يطبقها الصحابة رضوان الله عليهم والراشدون في كل دولة اسلامية .!

وبالتالي ، ففي يقين المسلم وفكره – ان هذه القوانين الوضعية قوانين باطلة ما انزل الله بها من سلطان ، ومن حقه الا يكيف حياته معها ، وان يتحايل عليها ، وان يقاومها سرا .. اذا استحال مقاومتها فكرا في ظل الحكومات العسكرية والثورية المأجورة ضد الاسلام وقضية الانسان المسلم .

ويصوغ الشهيد عبد القادر عودة ( نظرية البطلان ) من ناحية أثرها القانوني على الأمة فيقول :

« واذا طبقنا نظرية البطلان على القوانين واللوائح والقرارات والأوامر – أمكننا ان نقول على وجه القطع ان التشريعات الوضعية على اختلاف اسمائها تكون باطلة بطلانا مطلقا كلما جاءت مخالفة لنصوص الشريعة الاسلامية ، او خارجة على مبادئها العامة ، او مباينة لروح التشريع الاسلامي ، واساس هذا البطلان كونها مخالفة للشريعة طبقا لرأي جمهور الفقهاء ، وأساسه ان القوانين واللوائح والأوامر مما يمس صالح الجماعة ونظامها العام ، او يمس حقوق الله وكل ما يتصل بصالح الجماعة ونظامها باطل اذا جاء مخالفا للشريعة الاسلامية » .

ويتعمق في الذهنية المسلمة هذا التناقض الفكري بين التشريع الذي

يؤمن به المسلم ، والقوانين التي تفرض عليه ، عندما نحس بمدى البؤس والحيرة اللذين يعانيهما المسلم ، وهو يعلم من دينه الذي يؤمن به حقائق أكيدة وثابتة .

١ ـ ان الله أمر باتباع الشريعة ونهى عن مخالفتها فلم يبح الاسلام لمسلم ان يتخذ من غير شريعة الله قانونا .

٢ ـ ان الله لم يجعل لمسلم ان يرضى بغير حكمه ، او يتحاكم الى غير ما أنزل الله ، بل لقد أمره الله ان يكفر بكل حكم غير حكمه .

٣ ـ ان الله لم يجعل لمسلم ولا لمسلمة الخيرة من أمرهم غير ما اختاره الله سبحانه .

٤ ـ ان الله حرم على المؤمنين ان يسبقوا رسوله بقول أو فعل أو أمر أو رأي ، بل حرم عليهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوت النبي .

٥ ـ ان الله أمر أن يكون الحكم طبقا لما انزله ، وجعل من لم يحكم بما أنزل الله كافرا وظالما وفاسقا في آيات صريحة .

٦ ـ كذلك حرم الله على المسلم ان يحاول التوفيق بين ما جاء من عند الله وما جاء من هوى البشر ، مذهباً او تشريعاً ، او تصورا ، بل كلمة الله هي العليا دائما ، واي تلفيق هو نفاق مرفوض .

٧ ـ وان الله قد نفى الايمان عن العباد واقسم بنفسه على ذلك ، حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم من الدقيق والخطير والحقير وكل أمر .

واخيرا : فها هي تجربة الأمة الاسلامية مع القانون الوضعي قد امتدت قرنا كاملا ، ولم تصب الأمة من هذا القانون الجاهلي الا الفساد والتخلف والتمزق .. ولقد آن ان تعود الأمة المسلمة الى دينها القويم ..

**( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )** « الروم ٣٠ » .. وان ذلك اليوم لقادم باذن الله .

---

**نشرت جريدة الاهرام بعددها رقم ٤٤٣٦ كلمة للاستاذ احمد بهجت تحت عنوان**

## نعمة الله

**يامر الله عباده ان يحمدوه .. ويحدثهم انه يزيد في نعيم من يشكر « لئن شكرتم لأزيدنكم » .. وهذا من رحمة الله بعباده .**

وشكر الله تعالى يكاد يكون هو العمل الوحيد الذي لا ينتهي ، لان نعم الله عز وجل على عباده بلا نهاية ولا حصر ولا يمكن احصاؤها

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

ونعمة الله تبدأ بنعمة الحياة .. وكلمة الحياة تعني تسخير الشمس بطاقتها والقمر والسحاب والهواء والارض والجبال والبحار والبحيرات والانهار وانواع الاشجار والنباتات والفواكه والطيور ولقد حسب احد العلماء الغربيين ثمن الطاقة الشمسية التي تصلنا من الله بلا ثمن ، حسب ثمنها بالنسبة للفرد في الساعة واقام حسابه على فرضية ان الطاقة الشمسية ليست مجانا انما هي سلعة لها ثمن .

ولقد وجد هذا العالم ان على الانسان ان يدفع كل ساعة ٢٦ الف جنيه ثمنا لما يستخدمه من طاقة الشمس .. والحساب نسبي لانه اعد طبقا لاسعار عشر سنوات مضت .

اي ان كل انسان مدين لله تعالى في كل ساعة بستة وعشرين الف جنيه ثمن ما يصله من الطاقة الشمسية .. اي ٦٢٤ الف جنيه كل يوم ، لم يحسب العالم ثمن الهواء لو كان له ثمن ، لم يحسب ثمن الماء ، لم يحسب ثمن حركة السحاب ، لم يحسب ثمن كل متر يسقط من المطر ، لم يحسب .. لم يحسب .

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » والاحصاء هنا عام شامل ، يتصل بعدد انواع النعم ويتصل بقيمتها ويتصل بقدرها واثارها ونتائجها .

ولو تاملنا خلية نباتية بسيطة ورأينا كيف تعمل وقدرنا ثمنا لها فسوف نكتشف انها اغلى من قدرة الذهن على الحساب او التصور .. وكذلك كل نعم الله تعالى ، وكل انسان مدين لله تعالى بعدة ملايين من الجنيهات كل يوم ثمنا لتسخير الكون له لو ترجم تسخير الكون الى قيمة مادية .

رغم ذلك ، تسدد هذه الملايين كلها لو قال الانسان عبارة واحدة ـ الحمد لله .

ولذلك يقول المسلم في صلاته اليومية الحمد لله سبع عشرة مرة اثناء الصلوات الخمس ، واذا كان مقتضى العدل ان يسدد الانسان دينه لله بهذا الحمد ، فان مقتضى العدل الا يكافأ الانسان بعد ذلك .. ولكن رحمة الله تعالى سبقت عدله .. انه يزيد الشاكرين ويجزيهم الجنة .

# العالم الاسلامي

تعتزم « الوعي الاسلامي » بمشيئة الله تعالى ، ابتداء من العدد القادم التعريف بعالمنا الاسلامي كل قطر في عدد .. دراسة موجزة .. وتعريفا مجملا .. مع خريطة تحدد موقع كل قطر في دنيا الواقع .. وذلك بمناسبة القرن الهجري الخامس عشر .

وفي هذا العدد نبدأ بنشر خريطة كاملة واحصائية شاملة للعالم الاسلامي .

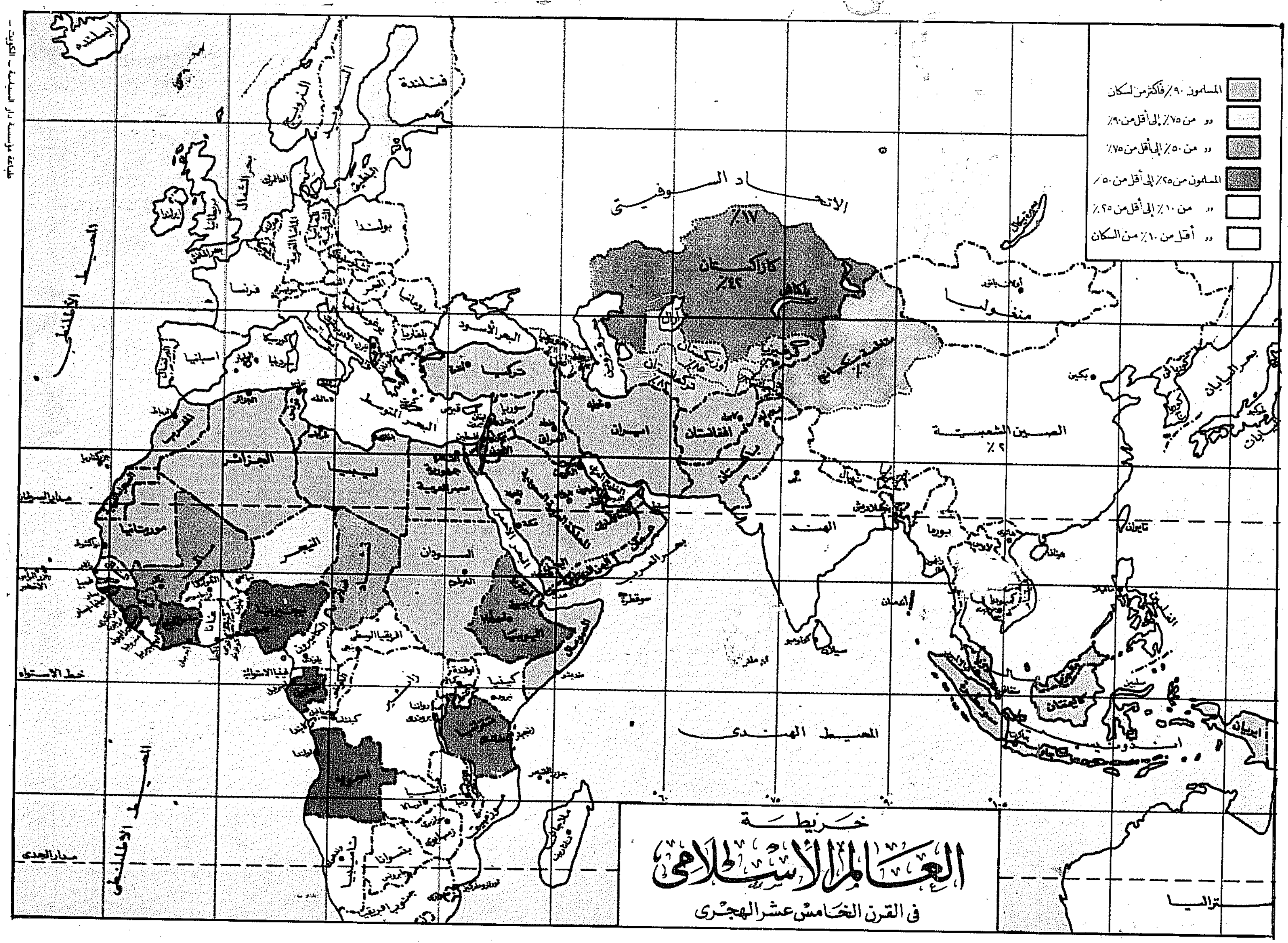
## الدول الاسلامية المستقلة

| البلد | العاصمة | المساحة | عدد السكان | عدد المسلمين | نسبتهم |
|---|---|---|---|---|---|
| السعودية | الرياض | ٢,١٥٨,٠٠٠ | ٨,١٧٥,٠٠٠ | ٨,١٧٥,٠٠٠ | ١٠٠ |
| الكويت | الكويت | ١٧,٨٠٠ | ٩١٧,٠٠٠ | ٩١٧,٠٠٠ | ١٠٠ |
| الامارات المتحدة | ابو ظبي | ٥٨,٨٠٠ | ٣٢٠,٠٠٠ | ٣٢٠,٠٠٠ | ١٠٠ |
| عمان | مسقط | ٢١٣,٢٠٠ | ٧٥٠,٠٠٠ | ٧٥٠,٠٠٠ | ١٠٠ |
| ليبيا | طرابلس | ١,٧٥٩,٥٠٠ | ٢,١٧٨,٠٠٠ | ٢,١٧٨,٠٠٠ | ١٠٠ |
| موريتانيا | نواكشوط | ١,٠٣٠,٠٠٠ | ١,٢٢٧,٠٠٠ | ١,٢٢٧.٠٠٠ | ١٠٠ |
| قطر | الدوحة | ١٠,٤٠٠ | ١٧٠,٠٠٠ | ١٧٠,٠٠٠ | ١٠٠ |
| الصومال | مقاديشو | ٧٠٢,٠٠٠ | ٣,٩٥٠,٠٠٠ | ٣,٩٥٠,٠٠٠ | ١٠٠ |
| جزر مالديف | مالا « مالي » | ,٢٣٥ | ١٢٥,٠٠٠ | ١٢٥,٠٠٠ | ١٠٠ |
| المغرب | الرباط | ٤٤٦,٥٥٠ | ١٦,٩٩٥,٠٠٠ | ١٦,٨٢٦,٠٠٠ | ٩٩ |
| اليمن الشمالي | صنعاء | ١٩٥,٠٠٠ | ٦,٠٧٠,٠٠٠ | ٦,٠٠٠,٠٠٠ | ٩٩ |
| تركيا | انقرة | ٧٨٠,٥٨٠ | ٣٨,٠٠٠,٠٠٠ | ٣٧,٦٢٠,٠٠٠ | ٩٩ |
| البحرين | المنامة | ١,١١٨ | ٢٢٢,٠٠٠ | ٢٢٠,٠٠٠ | ٩٩ |
| افغانستان | كابول | ٦٥٢,٠١٥ | ١٧,٩٠٠,٠٠٠ | ١٧,٧٢١,٠٠٠ | ٩٩ |
| الجزائر | الجزائر | ١,٥٠٠,٢١٢ | ١٥,٧٠٠,٠٠٠ | ١٥,٣٨٦,٠٠٠ | ٩٨ |
| ايران | طهران | ١,٦٤٨,٠٠٠ | ٣٢,٢١٥,٠٠٠ | ٣١,٥٧١,٠٠٠ | ٩٨ |
| باكستان | اسلام اباد | ١,٠٤١,٧٣٥ | ٦٤,٨٩٢,٠٠٠ | ٦٢,٩٤٥,٠٠٠ | ٩٧ |
| العراق | بغداد | ٤٣٨,٤٤٦ | ١٠,١٦٤,٠٠٠ | ٩,٦٥٧.٠٠٠ | ٩٥ |
| اليمن الجنوبي | « عدن » | ٢٩١,٢٠٠ | ١,٥١٦,٠٠٠ | ١,٤٤٠,٠٠٠ | ٩٥ |

| غينيا | كوناكري | ٢٤٥,٨٥٧ | ٤,٠٤٧,٠٠٠ | ٤,٢٥٩,٠٠٠ | ٩٥ |
|---|---|---|---|---|---|
| السنغال | داكار | ١٩٦,١٩٢ | ٤,٠٢٠,٠٠٠ | ٣,٨١٩,٠٠٠ | ٩٥ |
| اندونيسيا | جاكرتا | ١,٤٩١,٥٦٤ | ١٣١,٧١٣,٠٠٠ | ١٢٥,١٢٧,٠٠٠ | ٩٥ |
| تونس | تونس | ١٦٥,١٥٠ | ٥,٥٢١,٠٠٠ | ٥,٢٤٥,٠٠٠ | ٩٥ |
| الاردن | عمان | ٩٤,٥٠٠ | ٢,٥٥٦,٠٠٠ | ٢,٤٢٩,٠٠٠ | ٩٥ |
| جزر القمر | موروني | ٢,٢١٦ | ٢٩٠,٠٠٠ | ٢٨٦,٠٠٠ | ٩٥ |
| الصحراء المغربية | العيون | ٢٧٤,٠٥٥ | ٧٦,٤٢٥ | ٧٣,٠٠٠ | ٩٥ |
| مصر | القاهرة | ١,٠٠٥,٣٢١ | ٣٥,٩٠٠,٠٠٠ | ٣٣,٣٨٧,٠٠٠ | ٩٣ |
| النيجر | نيامي | ١,٢٧١,٨٩٦ | ٤,٣٥٥,٠٠٠ | ٣,٩٦٣,٠٠٠ | ٩١ |
| مالي | باماكو | ١,٢٣٩,٩٨٨ | ٥,٣٩٢.٠٠٠ | ٤,٨٥٣,٠٠٠ | ٩٠ |
| سوريا | دمشق | ١٨٦,٨٠٨ | ٦,٨٩٠,٠٠٠ | ٥,٩٩٤,٠٠٠ | ٨٧ |
| بنغلادش | دكا | ١٤٣,٣٢٨ | ٧٥,٠٠٠,٠٠٠ | ٦٣,٧٥٠,٠٠٠ | ٨٥ |
| غامبيا | بادرست | ١٠,٢٤٦ | ٣٨٤,٠٠٠ | ٣٢٧,٠٠٠ | ٨٥ |
| تشاد | فورت ـ لامي | ١,٢٨٩,٠٨٠ | ٣,٩٩٩,٠٠٠ | ٣,٤٠٠,٠٠٠ | ٨٥ |
| السودان | الخرطوم | ٢,٥١٥,٥٠٠ | ١٦,٩١١,٠٠٠ | ١٤,٣٧٥,٠٠٠ | ٨٥ |
| نيجيريا | لاجوس | ٩٢٧,٣٣٩ | ٧٩,٧٥٩,٠٠٠ | ٥٩,٨٢٠,٠٠٠ | ٧٥ |
| البانيا | تيران | ٢٨,٨٦٠ | ٢,٣٥٠,٠٠٠ | ١,٧٦٣,٠٠٠ | ٧٥ |
| غينيا ـ بيساو | دوبوي | ٣٦,١٢٥ | ٨١٠,٠٠٠ | ٥٦٧,٠٠٠ | ٧٠ |
| تنزانيا | دار السلام | ٩٤٣,٣٣٢ | ١٤,٣٨٠,٠٠٠ | ٩,٣٤٧,٠٠٠ | ٦٥ |
| اثيوبيا | اديس ابابا | ١.٢٢١,٩٠٠ | ٢٦,٥٩٨,٠٠٠ | ١٧,٢٨٩,٠٠٠ | ٦٥ |
| سيراليون | فري تاون | ٧٢,٦٠٥ | ٢,٧٦٩,٠٠٠ | ١,٨٠٠,٠٠٠ | ٦٥ |
| داهومي | بورت ـ نوفو | ١١٥,١٥٤ | ٢,٩٠٩,٠٠٠ | ١,٧٤٦,٠٠٠ | ٦٠ |
| لبنان | بيروت | ١٠,٤٠٠ | ٣,٠٢١,٠٠٠ | ١,٧٢٣,٠٠ | ٥٧ |
| فولتا العليا | اوجادوغو | ٢٧٥,٢٥٩ | ٥,٥١٤,٠٠٠ | ٣,٨٧٩,٠٠٠ | ٥٦ |
| افريقيا الوسطى | بنجاوي | ٦١٨,٤٢٠ | ١,٦٤٠,٠٠٠ | ٩٠٢,٠٠٠ | ٥٥ |
| ساحل العاج | عبيدجان | ٣٢٢,٥٠٠ | ٤,٥١٥,٠٠٠ | ٢,٤٨٤,٠٠٠ | ٥٥ |
| الكاميرون | ياوند | ٤٧٧,٢٧٧ | ٦,١١٧,٠٠٠ | ٣,٣٦٥,٠٠٠ | ٥٥ |
| توغو | لوم | ٥٦,٦٠٠ | ٢,١٢٠,٠٠٠ | ١,١٦٦,٠٠٠ | ٥٥ |
| ماليزيا | كوالالامبور | ٢٨٦,٠٠٠ | ١١,٣٩٣,٠٠٠ | ٥,٩٢٥,٠٠٠ | ٥٢ |

## تعداد مسلمي العالم

| | |
|---|---|
| عدد المسلمين في الدول الاسلامية المستقلة | ٥٩٩,٦٦٢,٠٠٠ |
| دول/ مناطق اسلامية تحت حكم غير ا سلامي | ٧٧,٨٧٥,٠٠٠ |
| المسلمون في دول غير اسلامية | ٢٢٩,٦٦٠,٠٠٠ |
| ★ مجموع مسلمي العالم | ٩٠٧,١٩٧,٠٠٠ |



خريطة
العالم الإسلامي
في القرن الخامس عشر الهجري
المسلمون ٩٠٪ فأكثر من السكان
من ٧٥٪ إلى أقل من ٩٠٪
من ٥٠٪ إلى أقل من ٧٥٪
المسلمون من ٢٥٪ إلى أقل من ٥٠٪
من ١٠٪ إلى أقل من ٢٥٪
أقل من ١٠٪ من السكان
الاتحاد السوفيتي
كازاكستان
٢٩٪
١٧٪
منغوليا
الصين الشعبية
٢٪
بكين
بحر اليابان
فنلندة
بولندا
فرنسا
اسبانيا
البحر الأسود
تركيا
ايران
افغانستان
العراق
سوريا
البحر المتوسط
الجزائر
ليبيا
موريتانيا
النيجر
السودان
البحر الأحمر
الحبشة
الهند
بورما
سيلان
المحيط الهندي
المحيط الأطلنطي
خط الاستواء
مدار السرطان
مدار الجدي
كينيا
مدغشقر
اندونيسيا
استراليا

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

## مؤتمر القمة الإسلامي الثالث



# الوعي الإسلامي

**AL-WAIE AL-ISLAMI**

**KUWAIT P. O. BOX: 23667**

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٧ ● جمادى الاولى ١٤٠١ هـ ● مارس ١٩٨١ م


### هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

### تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

### عنوان المراسلات


مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ _ ٤٤٩٠٥١


● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

### ● الثمن ●

| البلد | الثمن |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

# مؤتمر القمة الإسلامي الثالث

في المدة من ١٩ ـ ٢٢ من ربيع الأول ١٤٠١ هجري الموافق من ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١ ميلادي وفي جو ملء بالرهبة والخشية من الله، والثقة والأمل في صدق الاتجاه والعمل، اجتمع قادة وزعماء ثمان وثلاثين دولة اسلامية، في رحاب البلد الحرام، وفي كنف الكعبة المشرفة، مهبط الوحي وقبلة المسلمين. لينظروا أمورهم، ويتدبروا أحوالهم، ويناقشوا مشاكلهم، ويرسموا الطريق المستقيم لاسترداد حقوقهم، وتحقيق عزتهم وكرامتهم.

وقد كان لجوؤهم إلى بيت الله الحرام، والطواف به، أمارة الجد والصدق في اتخاذ السبيل الذي وضعه الله تعالى، لتحقيق الحياة العزيزة الكريمة **( وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )** كما كان تجاوبا مع الصحوة الاسلامية المباركة التي تنادي بتخليص أراضي الأمة الاسلامية ومقدساتها من قبضة الاحتلال الصهيوني ـ في القدس وفلسطين والأراضي العربية المحتلة ـ والغزو السوفياتي الاستعماري ـ لأفغانستان المسلمة ـ.. كما تنادي بحياة نظيفة طاهرة، قوية غلابة، تستمد من الاسلام وجودها وقوتها ومن تعاليمه نظافتها وطهرها.

**وقد اتخذ المؤتمرون في ختام اجتماعاتهم قرارات ايجابية حكيمة يتحقق بتطبيقها الخير والعزة والمنعة ، وهي تتلخص في :**

**إعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس وفلسطين وكل الأراضي العربية المحتلة ..**

**والاستمرار في مساندة مجاهدي أفغانستان حتى يحرروا أراضيهم من الغزو الاستعماري المسلح الذي تقوم به الشيوعية .. وإنشاء محكمة العدل الاسلامية ، ومعاونة الأقليات المسلمة في البلاد غير الاسلامية على الاحتفاظ بحقوقها الدينية والمادية .**

ومما لا شك فيه أن تطبيق هذه المقررات فيه إنقاذ للأمة الاسلامية من محنتها ونقل لخطاها على طريق الكرامة والمجد وتخليص لها من المهانة التي حاقت بها .

ولتحقيق الجهاد المقدس يجب الأخذ الفوري بالنظام الاسلامي في كل نواحي الحياة وصبغ الأمة الاسلامية حكاما وشعوبا بصبغة الله . روحا ، وقانونا ، وثقافة ، وعدالة ، وقضاء ، وسلوكا ، وإعدادا لكل وسائل القوة المعنوية والمادية . فبذلك تتوثق الروابط ، وتقوم الأخوة الاسلامية على واقع عملي ، وفي بيئة رشيدة ، تتربى فيها النماذج الانسانية الحية الذي تبذل أرواحها وأموالها في سبيل الله لقاء الجنة :

**( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ) .**

كما يجب تنظيم وتنسيق خطة العمل الموحد بين كل الدول الاسلامية التي تعاهدت على الجهاد ، بحيث تقوم كل دولة اسلامية بنصيبها في دعم الخطة عسكريا وماليا وسياسيا واقتصاديا . فان ذلك أقرب الطرق للوصول إلى الهدف المنشود .

كما يجب أن تقف الدول الاسلامية ـ على المستوى الدولي ـ وقفة ضاغطة على الدول المناوئة لها ، العاملة على سلب حقوقها ، فان هذا الضغط يفسح للدول الاسلامية المجال نحو أهدافها العادلة .. ذلك ان تلك الدول المناوئة التي تضع العقبات في طريق نهضتنا ، وتتآمر على سلب حقوقنا ، وتعمل على نشر الفساد في ربوعنا ، توهينا لقوتنا واضعافا لروحنا ، دول لها مصالح حيوية في بلادنا لا تستطيع أن تنهض

بغيرها .

إن لدينا سلاحا يهز كيان الدول المعادية لنا وهو ( النفط ) فهو مادة الحياة والقوة لهذه الدول .. ولا يجوز - في عرف العدل والحق ، وفي رحاب الجهاد المقدس - أن نتغاضى عن استعمال هذا السلاح ، وأن نترك النفط يمضي غزيرا ليمد أعداءنا بأسباب الحياة والقوة ، في الوقت الذي يمدوننا فيه بأسباب الموت والضعف ، ويبسطون إلينا أيديهم وألسنتهم بالسوء ، ويعملون على أن نظل دولا متخلفة إلى الأبد ، نستهلك ما يصنعون وما ينتجون !!

ان أعداء الأمة الاسلامية يأخذون ( نفطها ) بأرخص الأسعار ، ويخزنونه في مستودعات رحبة ، ويقدمون لها مقابله اغتصابا لأرضها وسلبا لحقوقها !!

لقد سلبوا منها فلسطين بمقدساتها ، وأعطوها لليهود ، منذ ثلاث وثلاثين سنة ومازالوا يساعدون

اليهود على توسعات جديدة في بلاد المسلمين ، وما زالوا يعملون على توهين الشخصية الاسلامية حتى لا تتطلع إلى حقوقها ، وحتى تظل كما مهملا بين الدول .

وهيهات ثم هيهات أن تظل الأمة الاسلامية كما يريدها الأعداء فلقد إستيقظ العملاق الذي بيده حل المشكلات والتغلب على الأزمات ..

نعم قد استيقظ الاسلام في نفوس المسلمين ليزيح من الطريق كل طاغية جبار .. وما أحسن ما قاله المؤتمرون في بيانهم : ( إننا نقدر أن أمتنا الاسلامية تتهيأ لها أسباب أصيلة من مقومات الوحدة والتضامن ، ومن عوامل التقدم والنهضة ومن دواعي العزة والرفاهية بما تملك من كتاب ربها وسنة رسولها وبما لها فيهما من نهج كامل للحياة يرشدها إلى الحق والخير والنجاة ) .

ان مؤتمر القمة الاسلامي الثالث أفسح للشعوب الاسلامية مجال الأمل في مستقبل عزيز كريم بما اتخذ من قرارات . والشعوب ترمق تطبيق هذه القرارات بكل تجاوب وحماس وعسى أن يكون ذلك قريبا ( ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

# تفسير

# فاتحة الكتاب

للامام الشيخ محمد عبده

تلخيص الدكتور
احمد حسنين القفل

الاقدام على تفسير القرآن الكريم ليس بالامر الهين ، وان كان التصدى لطلبه وتعقله وتدبره امرا مطلوبا . وترجع صعوبة التفسير الى امور كثيرة :

١ ـ منها انه كلام الله المنزل على قلب اكمل الانبياء ، وانه يشتمل على معارف عالية ومطالب سامية لا تدركها حق ادراكها الا عقول صافية ونفوس زاكية .

٢ ـ يجب ان يشعر من يتصدى لتفسير القرآن الكريم بالهيبة والجلال ، وانه يترجم كلام الله تعالى فلا يسجل الا حقا ، ولا يكتب الا صدقا ولا يتصدى الا لما يقدر عليه . ومع ذلك فقد خفف الله علينا الامر ،

فامرنا سبحانه بفهمه وتعقله ، ويسره لنا تيسيرا . ويكون التفسير المطلوب اذن ، هو ما يعين على هذا الفهم ، وما ييسر تعقله وتدبره من حيث هو دين يرشد الناس الى سعادتهم في الدارين وهذا هو الاساس .

**وللتفسير وجوه شتى :**

١ ـ النظر في اساليب القرآن ومعانيه وما اشتمل عليه من انواع البلاغة واعجازه في هذا المجال :

٢ ـ الاعراب وما يتصل به من بيان وجوهه وما تحتمله الالفاظ في هذا المضمار .

٣ ـ تتبع القصص . وقد زاد قوم في هذا الوجه من التفسير فسجلوا من الاسرائيليات ما يخالف الشرع ولا يطابق العقل .

٤ ـ غريب القرآن .

٥ ـ الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات والاستنباط منها .

٦ ـ الكلام في اصول العقائد ، ومقارعة الزائغين ، ومحاجة المختلفين .

٧ ـ المواعظ والرقائق وان كان البعض قد مزجها بحكايات المتصوفة والعباد بطريقة خرجت بها على المألوف من حدود الفضائل والاداب .

٨ ـ ما يسمونه بالاشارة . وقد اشتبه على الناس لما فيه من ألغاز ونزغات ، دين الله وكتابه بريئان منها .

هذا : وان الافاضة عما ينبغي في اي وجه من الوجوه السابقة دون احتياط وتعقل قد يجنح بصاحبه الى الشطط ، ويبتعد به عن المعاني المطلوبة .

وهناك سؤال مطروح هو : هل يمكن أن يكتفى بتفاسير الائمة السابقين ، ويكتفى بما استنبطوه من كتاب الله ؟ والاجابة : ان هذا زعم لا يستند الى اساس سليم ، فهو مخالف لاجماع الامة ، بداية بالنبي ( صلى الله عليه وسلم ) حتى آخر واحد من المؤمنين . هذا وليكن معلوما ان القرآن الكريم له سلطانه على نفوس الذين يقرأون فيفهمون ويعقلون ، وله تأثيره في قلوب الذين يتلونه حق تلاوته .

وذلك السلطان وهذا التأثير لا شك تتفتح له القلوب التي شاء الله لها أن تستنير بكلامه والنفوس التي أراد الله لها ان تنشرح بتلاوته وبذلك تدرك القلوب والنفوس بالبرهان ما لا يدرك بالكلام . وشيء اخر وهو ان كثيرا من حكم القرآن ومعارفه واسراره لم يكشف عنها النقاب بعد ولم يحصها عالم ولا إمام . وانما يميط الله عنها اللثام تباعا ليكون للقرآن الكريم

عطاؤه في كل عصر ، وليظل جديدا حيا أبد الدهر . وسيبقى القرآن — كمال قال أئمة الدين — حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم الدين ، شاهدا لهم أو عليهم .

خاطب الله بالقرآن من كانوا في زمن تنزيله على رسوله ، لا لخصوصية في اشخاصهم ، ولكن لانهم يمثلون الانسان على طول الزمان ، وقد انزل هذا القرآن ليكون هداية لهذا الانسان في كل عصر وزمان ومكان . ولكل انسان ان يفهم آيات الكتاب على قدر طاقته ، يستوى في ذلك العالم الضليع والعامي البسيط ، ويكفي هذا الاخير ما يفهمه من ظاهر الايات وبالقدر الذي يجذب به نفسه الى الخير ، ويصرفها عن الشر ، فالله سبحانه الذي يعلم اقدار عباده وتفاوتهم ، قد انزله لهدايتهم جميعا ، ولو شاء لجعلهم امة واحدة في فهمه ولكن لا يزالون مختلفين . ولذلك خلقهم .

**ولتفسير القرآن الكريم مراتب :**

أ — ادناها : التفسير الاجمالي الذي به يتشرب القلب عظمة الله تعالى وتنزيهه ، وبصرف النفس عن الشر ، ويجذبها الى الخير . وهذا القدر ميسر لكل مؤمن .

ب — اما المرتبة العليا ، فتتم بامور منها :

١ — فهم حقائق الالفاظ والتدقيق اللغوي مع الاخذ في الاعتبار بان كثيرا من الالفاظ كانت تستعمل زمن التنزيل لمعان ثم نزلت لتفيد معان أخرى ، ( مثال ذلك : التأويل ، الهداية .. الخ ) ولفهم لفظ من القرآن على حقيقته يحسن ان يجمع مع مشتقاته في كل موضع تكرر فيه في القرآن كله ثم ينظر ما يعنيه في كل منها ، فقد تكون المعاني مختلفة ، حسب الاسلوب وحسب الموضع من السياق .

٢ — الاساليب : ينبغي ان تفهم على حقيقتها وذلك بالممارسة مع التفطن والتدبر ومع العناية بمراعاة مكان الوقوف حسب المراد . فقد يتغير المعنى كلية بسوء الوقف .

٣ — علم احوال البشر : فالقرآن الكريم آخر الكتب السماوية وهو للناس كافة ، ولهذا فقد جمع ما لم يجمع غيره من احوال البشر وقصص الاقدمين والظواهر الكونية .. الخ .

٤ — العلم بالكيفية التي تجعل القرآن هداية للناس جميعا ، برهم وفاجرهم ، وهذه الكيفية يحتم ان تتغير بتغير العصور تبعا لتغير عادات الناس وطباعهم وسلوكهم .

٥ — العلم بسيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه وسلوكهم العلمي والديني والدنيوي .

والتفسير — كما يقول الاستاذ الامام — عند قومنا حاليا ، وقبل ذلك بقرون عدة ، يقتصر على الاطلاع على ماقاله بعض العلماء في كتب التفسير ، على مافي كلامهم من اختلاف يتنزه عنه القرآن . ولو ان هؤلاء المفسرين ثبتوا جميعا على تفسير واحد يطلبون فهمه من غيرهم له لهان الامر ، ولكنهم — وهذا ما يضيفه الاستاذ الامام —

« طلبوا التفسير صناعة يتفاخرون بالتفنن فيها ، ويمارون فيها من يباريهم في طلبها ، ولا يخرجون في اظهار البراعة في تحصيلها عن حد الاكثار من القول ، واختراع الوجوه في التأويل ، والاغراب في الابعاد عن مقاصد التنزيل »

ثم يبين الاستاذ الامام بعد ذلك ويشير الى امور منها :

١ ــ ان الله سبحانه وتعالى لا يسأل العلماء يوم القيامة عما قاله عامة الناس وفهموه من القرآن ولكنه سوف يسأل العلماء حتما عما فعلوه بكتابه الذي أنزله هدى لهم وبينات ، وعن سنة نبيه التي وضحت ماخفى من هذا الكتاب . وهل بلغوا الرسالة ، وهل ادوا الامانة ، وهل تدبروا مابلغوا ، وهل عقلوا مانهوا عنه ، وما أمروا به ؟ وهل عملوا بما علموا ؟

٢ ــ النهي عن تنشئة الطفل المسلم ملقنا بترديد الالفاظ والايمان الكاذبة دون اكتراث ، واستخدام القرآن في التعاويذ ، وحمل القرآن كتميمة وللبركة . حتى لا ينشأ الطفل ويشيب معتبرا هذه الاكاذيب عبادة ، وكأنه يعبد القرآن ولا يعبد منزل القرآن بالقرآن .

٣ ــ التأدب عند سماع تلاوة القرآن والانصات لتذكر معانيه :

٤ ــ تعليم اللغة العربية ، وفهم أساليبها فهما دقيقا ، والتعرف على آدابها ، حتى يكون كل ذلك مدخلا يعين على فهم القرآن ، وتفسيره ، وتدبره بحق .

## تفسير فاتحة الكتاب

أولا : **التسمية ومتى وأين نزلت :**

١ ــ سميت « بالفاتحة » لانها اول سورة في القرآن ترتيبا . فهي افتتاحيته .

٢ ــ تسمى « أم الكتاب » لانها اجملت كل ما فصل في القرآن على نحو ما سيتضح بعد .

٣ ــ قالوا : إنها المراد « بالسبع المثاني » في قوله تعالى : **( ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم )** الحجر/ ٨٧

وليس في الفاتحة ناسخ ولا منسوخ ، وهي مكية ــ في الرأي الغالب ــ وقال بعضهم : إنها نزلت مرتين : مرة بمكة عند فرضية الصلاة ، وأخرى بالمدينة حين حولت القبلة . وقال كثيرون : انها اول سورة نزلت بتمامها . ويرجح البعض انها اول مانزل من القرآن على الاطلاق ، حتى قبل قوله تعالى : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) استفتاح سورة العلق ودليلهم في هذا انها تجمل معنى القرآن كله ، ومن ثم ، نزل االاجمال قبل نزول التفصيل جميعه .

ثانيا : **المعنى الاجمالي :**

تشتمل الفاتحة على مجمل مافي القرآن ، بمعنى ان الاصول التي وردت في الفاتحة جاءت مفصلة في القرآن كله ، وليس في هذا القول إشارة بالحروف ( كمن يقولون : ان اسرار القرآن في الفاتحة ، واسرار الفاتحة في البسلمة ، واسرار البسملة

في بائها ، واسرار الباء في نقطتها ، فهذا كلام لا يستند الى أســاس ، وانما هو كلام مخترع يفقد القرآن خاصته وهي البيان ) .

ويمكن اجمال ما أنزل القرآن من أجله في أمور هي :

١ ــ التوحيد لالغاء الوثنية .

٢ ــ وعد من أخذ به ، وتبشــيره بالمثوبة ، ووعيد من جافاه ، وانذاره بسوء العقوبة .

٣ ــ العبادة التي بها يحيا التوحيد في القلوب ، ويثبت في النفوس .

٤ ــ توضيح سبيل السعادة الموصل الى نعيم الدنيا ونعيم الاخرة .

٥ ــ قصص من وقف عند حدود الله ، والتزم بأحكام دينه ، واخبار الذين انحرفوا ، وتنكبوا الطريق المستقيم ، وكل ذلك من أجل الاعتبار ، واختيار طريق المحسنين .

والفاتحة بآياتها السبع تشتمــل على إجمالي هذه الامور :

١ ــ فالتوحيد يدل عليه قوله تعالى : **( الحمد لله رب العالمين )** فكل نعمة مصدرها الله ، في الانسان كانت او فيما عداه ، وكل التصرفات لله في كل ملكوته ، ولما كان التوحيد أهم ما جاء لأجله الدين ، فقد استكمل في الفاتحة بقوله سبحانه : **( اياك نعبد واياك نستعين )** فاجتثت بذلك جذور الشرك والوثنية ، وسقط كل طاغوت يدعى من دون الله .

٢ ــ واما الوعد فيكمن في « البسملة » ففيها رحمة وسعت كل شيء ، وفيها وعــد بالاحســان ، لا سيمــا وان « **الرحمن الرحيم** » تكررت ثانية بعد عبارة التوحيد ، اما الوعيد والوعد معا فيكمنان في قوله تعالى : **( مالك يوم الدين )** فاللــه سبحانــه هو السلطان بلا منازع يوم الجزاء ، وله سبحانه السيادة المطلقة ، فيجازي كل نفس بمــا كسبــت ، ثوابـــا للمحسنين ، وعقابا للمسيئين ، وذكر **( الصراط المستقيم )** بعد ذلك ، يدل دلالة واضحة على ان من سلكه نجا وفاز ، ومن تنكبه هلك وخسر .

٣ ــ اما العبادة : فبعد ان ذكرت في مقام التوحيد ، بقوله تعالى : **( اياك نعبد واياك نستعين ) اردفها الله بطلب عبيده منه قائلا : ( اهدنا الصراط المستقيـــم )** المؤدي الى السعادة ، وكمال العبادة بعد التوحيد هو التــواصٰى بالحـــق ، والتـــواصى بالصبـــر ، كمـــا جاء في سورة « **العصر** » وروح العبـــادة هي : إشراب القلوب خشية الله وهيبته ، والرجاء الخاشع لفضله ، وليســت عمـــلا بلا روح ، وحـــركات بلا مضمون ، فمخ العبادة الفكر والذكر والعبرة .

٤ ــ أما توضيح سبيل العبادة فيكمن في طلب الهداية الى طريق وصــف بالمستقيم ، فهـــو غــير ذي عوج ، يسلكه الذين أنعم الله عليهم بصفة مطلقة وبلا تحديد .

٥ ــ وأما القصص والأخبار فتكمن في قوله تعالى :

أ ــ **( صراط الذين أنعمت عليهم )** وهم الذين التزموا احكام الله ، فانعم عليهم بالهداية على نحو ما سيتضح بعد .

ب ـ ( **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ) ويلاحظ ان « **المغضوب عليهم** » هم من ضلوا عن صراط الله ضلالا كبيرا ، اما « الضالون » فهم من جاحدوا وعاندوا من يدعو الى صراط الله .

ويتضح مما سبق ، ان الفاتحة قد اشتملت اجمالا ، على الاصول التي يفصلها القرآن الكريم تفصيلا ، في بقية سوره جميعها ، ولذا كانت الفاتحة جديرة بأن تسمى « **ام الكتاب** » .

**ثالثا : البسملة :**

١ ـ القرآن الكريم إمامنا وقدوتنا ، وهو دستور حياتنا ، وافتتاحه بالبسملة ، ما هو الا ارشاد لنا ، بأن نفتتح أعمالنا .. كل أعمالنا ـ بالبسملة .

٢ ـ ليس معنى الافتتاح بالبسملة ، هو ذكر الله على سبيل التبرك والاستعانة فقط بل ان عبارة « **باسم الله** » **كما وردت في البسملة بنصها ، مطلوبة بذاتها ولذاتها . فلا يكفي مثلا أن أفتتح عملا فأقول : « بالله الرحمن الرحيم »** أفتتح عملي ، ولكن لابد ان ينص فأقول : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » عند افتتاح العمل . والمعنى يكون اذن :

أ ـ انني اعمل بأمر من الله ، واعمل له دون سواه ، ولا أعمل باسمي مستقلا به على انني صاحب العمل ، ولا باسم غيري من البشر . فكأنني اقول بصريح عبارتي : ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي ، ولا لحظ غيري .

ب ـ أو هو اعتراف كامل مني بأن القدرة التي أنشأت بها العمل أو أنجزته ، انما هي من الله تعالى ، فلولا انه منحني قوتي ما انجزت شيئا . واذن فهذا العمل لم يصدر عني الا باسم الله وليس باسمي . وقد تم هذا المعنى باتباعه بلفظ « **الرحمن الرحيم** » وخلاصة معنى « **باسم الله** » أني أعمل عملي ـ الذي بدأته بالبسملة ـ متبرئا من ان يكون باسمي بل هو باسمه تعالى ، لانه سبحانه مصدر قوتي ورعايتي ، ولولا ذلك ما استطعت الانجاز ، ولا قمت بالتنفيذ ، ومن ثم ، تكون عبارة « **باسم الله** » مطلوبة بذاتها ، ويكون مطلوبا ايضا اردافها بعبارة « **الرحمن الرحيم** »

٣ ـ وكأول بسملة في أول سورة من القرآن الكريم ، فان معناها يكون ان جميع ما يقرر في القرآن الكريم من احكام وآيات .. الخ ، هو لله ، ومنه سبحانه ، ليس لاحد غير الله فيه اي نصيب .

٤ ـ لفظ « **الرحمن** » ولفظ « **الرحيم** » مشتقان من « الرحمة » . والرحمة في الانسان ألم في النفس علاجه وشفاؤه الاحسان .. ولما كان الله سبحانه وتعالى منزها عن الآلام ، والانفعالات ، فالرحمة بالنسبة اليه سبحانه تقتصر فقط على أثرها ، دون مبعثها ، والاثر هو الاحسان من الله الى عباده كرما وفضلا .

وكلمة « **الرحمن** » غير كلمة

« **الرحيم** » وليس في القرآن الكريم كلمة تغاير كلمة اخرى ، ثم تأتي لمجرد تأكيدها ، بدون ان يكون لها في ذات نفسها معنى تستقل به ، حتى ولو كان هذا المعنى زيادة في معنى الكلمة الاخرى ، تقريرا لها أو إيضاحا ، ولكن لا يكون « مرادفا » لها تماما . والجمهور على أن :

أ ــ معنى « **الرحمن** » : المنعم بجلائل النعم ، أو المنعم بنعم عامة ، تشمل الناس جميعا لا فرق بين مؤمن وكافر ، وصفة « **الرحمن** » **تدل على كثرة الاحسان ، ودوامه ، واستمراره ، واتصاله ، وصفة** « **الرحمن** » من صفات الله وحده .

ب ــ ومعنى « **الرحيم** » المنعم بدقائق النعم . او : المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين او : هو منشأ ومنشيء الرحمة والاحسان . وصفة « **الرحيم** » صفة ثابتة واجبة لله تعالى .

وبهذا يكون الوصفان مختلفين . فصفة « **الرحمن** » هي صفة المفيض للنعم فعلا . اما صفة « **الرحيم** » فهي صفة ثابتة يمتد أثرها من الله على مخلوقاته . ولكن ذكر « **الرحيم** » بعد ذكر « **الرحمن** » تكون كذكر « الدليل » بعد « المدلول » ليقوم شاهدا وبرهانا عليه .

**رابعا : قوله تعالى : ( الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم )**

١ ــ عبارة « **الحمد** » معناها الثناء الجميل باللسان (تفاديا للثناء بالشر ) ومعنى عبارة « **الحمد لله** » أن أي شيء يستوجب الحمد فالله مصدره . واليه مرده ومرجعه ، ومعناه ايضا : ان الحمد يكون لله ، وعلى اي حال ، وفي اي حال . والجملة خبرية بمعنى انها تثبت ان الثناء الجميل في اي من انواعه تحقق ، فهو ثابت له تعالى ، وراجع اليه لأنه متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون . والخلاصة : ان اي حمد يتوجه الى محمود ما فهو لله تعالى : سواء لاحظه الحامد أم غفل عنه .

٢ ــ اما عبارة « **رب العالمين** » فوصف يشعر ببيان وجه الثناء المطلق .

و « **الرب** » هو السيد المربي ، الذي يسوس مسوده ، ويربيه ، ويدبره ، ولفظ « **العالمين** » يراد به جميع الكائنات ، أي كل المخلوقات بعواملها المتعددة والممكنة .

٣ ــ وعبارة « **الرحمن الرحيم** » تقدم معناها . ولكن لماذا كررت ثانية هنا بعد ورودها في البسملة ؟ ذلك لان تربية العالمين ليست لاحتياج الله اليهم في جلب منفعة او دفع مضرة عنه سبحانه ، وانما هي لعموم رحمته ، وشمول احسانه ، وحتى لا ينصرف مفهوم الربوبية الى الجبروت والقهر ، فاراد سبحانه ان يذكر عباده بانه « **الرحمن** » اي المفيض للنعم بسعة وبتجدد لا منتهي لهما ، وأنه « **الرحيم** » الذي ثبتت له صفة الرحمة ، فلا تفارقه ابدا ، ولا ينافي عموم الرحمة وسبقها ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا ، وما اعده من العذاب في الاخرة ، لمن تنكب

الطريق . فكما ان الرحمة ترغيب للمطيع لينيب ، فهي ترهيب للمنحرف لينزجر ويثوب .

**خامسا : قوله تعالى : ( مالك يوم الدين )**

١ ــ قيل ان قراءتها : « **بملك** » ابلغ من قراءاتها « **بمالك** » فاللفظ الاول يدل على السلطان والقوة والتدبر ، وقيل ان القراءة باللفظ الثاني ابلغ لان « الملك » يدبر الاعمال العامة دون الخاصة . والمقصود « **بالدين** » الجزاء والخضوع .

٢ ــ وقال الله : **( مالك يوم الدين )** ولم يقل « **مالك الدين** » فقط لنعلم نحن ، ويؤكد سبحانه ان للجزاء يوما محتوما ممتازا على سائر الايام ، تجزى فيه كل نفس بما كسبت . واذا كان كل يوم من ايام حياتنا في الدنيا هو « **يوم جزاء** » فملاقاة البؤس جزاء تفريط صاحبه ، وهكذا .. الخ . الا ان الجزاء في الدنيا قد تتوه معالمه في ترجمة الاحداث فلا يفطن له عامة الناس ولا حتى افرادهم . فالامة المنحلة قد يحل بها عدل الله كمجموعة ، ولكن قد يوجد فيها من الظالمين من يتمرغون في الثراء ، والملذات ، والترف دون ان يتضح عدل الله فيهم في دنياهم . ومن ابرز الامثلة في هذا الصدد ، هؤلاء الملوك والامراء الذين تشقى بهم شعوبهم .. وعلى عكس هؤلاء ترى محسنين وصالحين يضنيهم المرض ويطحنهم الفقر .. وهكذا .. وما كل ذلك الا لأمر يريده الله لهم ولا يظهرهم عليه . اما في «**يوم الدين** » فسوف توفى كل نفس ماكسبت **( لا ظلم اليوم )** غافر/١٧ لأن **( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره )** الزلزلة ٧ ، ٨ ويكون **( والامر يومئذ لله )** الانفطار/١٩

٣ ــ وقد أردف سبحانه عبارة « **الرحمن الرحيم** » ــ وهي كما وضح معناها سابقا ــ بعبارة « **مالك يوم الدين** » ليعرفنا سبحانه أنه ان كان يدين عباده ويجازيهم على أعمالهم . فلا يظلم مثقال ذرة ، فان رحمته وسعتهم فرباهم بنوعى التربية كليهما : الترغيب والترهيب . وتشهد بذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : **( نبيء عبادي اني انا الغفور الرحيم . وان عذابي هو العذاب الاليم )** الحجر ٤٩ و٥٠ وقوله سبحانه : **( إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم )** الانعام ١٦٥

**سادسا : قوله تعالى : ( إياك نعبد وإياك نستعين ) :**

١ ــ العبادة : ضرب من الخضوع : الذي يبلغ حد النهاية ، والذي ينشأ عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف مصدرها . واعتقاد من جانب العبد بسلطة للمعبود لا يدرك كهنها ، ولا ماهيتها ، وقصارى ما يعرفه العابد منها انها سلطة محيطة به من كل جانب ، ولكنها فوق ادراكه . فمن ينتهي الى اقصى درجات الذل لملك من البشر لا يقال انه عابد له حتى وان قبل مواطىء اقدام سيده ، مادام سبب الذل والخضوع معروفا . وهو خوف من ظلم واقع ، لا يملك له من

دافع ، او طمع في كرم نافع ، او جاه شافع .

٢ ـ لذلك قالوا : ان لفظ « **العباد** » مأخوذ من « **العبادة** » فتكثر اضافته الى الله تعالى ، اما لفظ «**العبيد**» **فتكثر اضافته الى غير الله تعالى لانه مأخوذ من « العبودية »** بمعنى الرق ، وهناك بون شاسع بين العبادة والعبودية .

٣ ـ لكل عبادة صحيحة اثرها في تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والاثر انما يكون عن تلك الروح وذلك الشعور الناشئين عن التعظيم والخضوع ، فاذا وجدت صورة للعبادة عارية من هذا المعنى ، فانها لا تكون عبادة . كما ان صورة الانسان أو تمثاله لا تمثل انسانا حقيقيا ( ولذا يطلب الله اقامة الصلاة ، ولا يطلب الصلاة بلا اقامة )

٤ ـ وأما « **الاستعانة** » فهي طلب المعونة ، والمعونة : هي سد العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز صاحب العمل عن اتمامه بنفسه ، بعد بذل كل طاقة ممكنة فيه ..

كل عمل يعمله الانسان ، تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التي اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤدية الى هذا العمل . وقد مكن الله الانسان بما يسره له من علم وقوة وعقل من دفع بعض الموانع ، وكسب بعض الاسباب ، وحجب عنه بعض الموانع والاسباب الاخرى . ومن ثم فيجب على من يناط به اداء عمل ـ اي عمل ـ ان يبذل قصارى ما يستطيع من حول وقوة من جهته ، اذا اقتضى الامر ذلك او بالاستعانة بغيره اذا اقتضت الضرورة مساعدة ومعونة .

ثم بعد ذلك ـ اي بعد الاخذ بجميع الاسباب المكنة ـ يفوض الامر فيما وراء ذلك الى القادر على كل شيء ، اذ لا يقدر على ما وراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ومالكها ، مثال ( **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** ) البقرة/٢٤٩

فقوله تعالى : ( **اياك نستعين** ) استكمال لقوله تعالى : ( **اياك نعبد** ) لان الاستعانة بهذا المعنى : فزع من القلب الى الله ، وتعلق من النفس به . وذلك مخ العبادة .

٥ ـ وترشدنا آية ( **واياك نستعين** ) على امرين عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والاخرة . وهما :

أ ـ ان نمارس الاعمال النافعة مجتهدين في اتقانها جهد طاقتنا ، ثم نكل الامر بعد ذلك لله وحده فيما لا طاقة لنا به .

ب ـ وجوب تخصيص الاستعانة بالله وحده ـ بلا شريك ـ فيما وراء الطاقة . ( ولا ينافي ذلك الاستعانة بالغير استكمالا للاسباب ) ومن يثق في الله وعونه ، لا يطلب المعونة من سواه ، ولا يلجأ الى غيره من « **الروحانيين والدجالين** » من الاحياء والاموات ، ولا يلجأ الى التعاويذ والتمائم ، وهذا ليعيش المؤمن مع الناس حرا كريما ، ومع الله عبدا له خاشعا خاضعا .

**سابعا : قوله تعالى : ( اهدنا الصراط المستقيم )**

الهداية لغة : هي الدلالة بلطف على ما يوصل الى المطلوب ، وقد منح الله الانسان اربع هدايات يتوصل بها الى سعادته وهي :

١ ـ هداية الوجدان الطبيعي ، والالهام الفطري ( بكاء الطفل اذا جاع ـ مص الطفل للبن الثدي )

٢ ـ هداية الحواس والمشاعر ! وهي مكملة للهداية الاولى . ويشترك الانسان مع الحيوان في هذه الهداية ، واعتماد الحيوان عليها اوضح ( الغرائز كما في النمل والنحل .. الخ)

٣ ـ هداية العقل : وهي ميزة للانسان وحده دون سائر الاحياء ، ليعيش في مجتمع يعمل فيه باختياره ، ويتقدم بالعلم المكتسب ، وبالخبرة والمران ، لا بالفطرة ، كالحال في الحيوانات .

٤ ـ هداية الدين : قد يسلك الانسان بهداياته السابقة ـ وخاصة بهداية العقل ـ مسالك الضلال ، فيسخرها لشهواته ولذاته ونزواته ، حتى توردة موارد التهلكة ، من ظلم لنفسه ، وظلم لغيره في مجتمعه الذي يعيش فيه ، لذا كانت هداية الدين اساسية وجوهرية ، لترشد الناس في ظلمات اهوائهم ، اذا غلبت عليهم شقوة عقولهم ، ولكي تبين لهم حدود اعمالهم ليقفوا عندها ، ويكفوا ايديهم عما وراءها . والله الذي يعلم من خلق ، هو الذي يسن الاحكام التي تصلح صنعته ، وتهديها الى بر الامان ، والى سعادة الدنيا والاخرة .

وهناك هداية اضافية خامسة ، ويراد بها طلب الاعانة والتوفيق والسير في خير طريق ، والنجاة مع الدلالة ، ولما كان الانسان عرضة للخطأ والضلال في فهم احكام دينه ، وفي استخدام حواسه ، واستعمال عقله ، كان الانسان في أمس الحاجة الى هذه الهداية الاضافية الخاصة ، وقد أمرنا الله ان نطلبها منه في قوله : **( اهدنا الصراط المستقيم )** ومعناها : ياربنا دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك ، تحفظنا بها من الضلال والخطأ . ويعتبر هذا اول دعاء قرآني ـ لانه ورد في الفاتحة ـ علمنا الله اياه ، لان حاجتنا اليه سبحانه اشد من حاجتنا الى اي شيء سواه .

والصراط ( او السراط ) : هو الطريق . ولفظ « **مستقيم** » يدل على انه غير معوج اي ليس به انحراف عن الغاية او الهدف الذي يجب ان ينتهي اليه . ويكون « **الصراط المستقيم** » **اذن هو كل ما يوصلنا الى سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة ، من عقائد ، وآداب ، واحكام ، وتعاليم .**

**وطلب الهداية الى الطريق المستقيم من الله ، وتكرير العبد المؤمن لها في كل ركعة من صلاة تجعله اذا اخطأ يسارع فيتوب ، واذا تاه يسرع الى رشده ويثوب .**

**ثامنا : قوله تعالى : ( صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين )**

أ ـ من هم « **الذين انعم الله**

**عليهم** » ؟

قال البعض : انهم هم المسلمون ، ولكن لما كانت الفاتحة اول ـ او من اوائل ـ سورة انزلت ، ولما كان المسلمون وقت انزالها قلة ، وهم الذين يطلبون من الله ان يهديهم الصراط المستقيم ، اي صراط المنعم عليهم ، صار من الاولى ـ والحال على ما قدمنا ـ ان يكون المراد هو ما جاء في قوله تعالى : **( فبهداهم اقتده )** الانعام/ ٩٠ وهم **( الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين )** النساء/ ٦٩ من الامم السالفة . وبذلك يكون ما اجمل في الفاتحة قد احيل على معلوم فسره وفصله بقدر الحاجة . والملاحظ ان ثلاثة ارباع القرآن الكريم تقريبا قصص وتوجيه للانظار الى الاعتبار باحوال الامم في كفرهم وايمانهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ، وهذه اشارة واضحة لنا ـ نحن المؤمنين ـ بتحبيذ دراسة تاريخ الامم ، ومعرفة احوالها ، والاسباب التي رفعت من شأنها ، او حطت من كيانها .

ويلوح في هذا المقام سؤال هو : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمونا وعندنا احكام وارشادات في قرآننا لم تكن عندهم ؟ وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم ، واصلح لزماننا ومابعده عن شرائعهم ؟ .

والاجابة : ان دين الله في جميع الامم اي في كل الرسالات واحد . وانما تختلف الاحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان . واما الاصول فلا خلاف عليها او فيها **( قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم )** آل عمران/ ٦٤ **( إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده )** النساء/١٦٣ **( آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله )** البقرة/ ٢٨٥

ب ـ من هم « **المغضوب عليهم** » ؟

قال البعض : انهم اليهود . ولكن فريق المغضوب عليهم يشمل كل من خرج على الحق بعد علمه به ، والذين بلغهم شرع الله ودينه فرفضوه ولم يتقبلوه انصرافا عن الدليل ، واكتفاء بما ورثوه عن آبائهم او قلدوه .

جـ : من هم « **الضالون** » ؟

قال البعض : انهم النصارى . ولكن فريق الضالين يشمل في الحقيقة فريق المغضوب عليهم ، وهم الذين وصلهم الحق ، وعرفوا الحقيقة ، ولكنهم نبذوا كل شيء وراء ظهورهم . كما يشمل فريق الضالين فئات اخرى لم يتضح الحق جليا لهم ، فهم تائهون هائمون ، اذ ان الرسالة لم تبلغهم قط ، او بلغتهم على وجه لم يتبين لهم فيه الحق . والفئات الاخيرة هذه هي الاجدر باسم « **الضالين** » اذ الضال هو التائه العمي الذي لا يهتدى الى المطلوب . والعماية في الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل ، وتشبه الصواب بالخطأ . والضالون على اقسام :

١ ـ فئة من لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة ، او بلغتهم مشوهة بحيث لم يتوافر لهم من انواع الهداية سوى

مايحصل بالحس والعقل ، وهؤلاء قد حرموا رشد الدين ، وسلوك هذه الفئة في دنياهم هو التخبط والتيه ، اما امرهم في آخرتهم فعلى انهم لن يتساووا مع المهتدين في منازلهم . وقد يعفو الله عنهم ، فهو الفعال لما يريد .

٢ ـ من بلغتهم الدعوة على وجه يبعث على النظر ، فساقوا همتهم اليه ، واستفرغوا جهودهم فيه ، ولكن دون توفيق الى الاعتقاد بما دعوا اليه ، وانقضى عمرهم وهم في الطلب . وهذه الفئة تتكون من آحاد اي افراد مبعثرة في الامم ، بحيث لا يعم حالهم شعبا كاملا . وذهب البعض ( الاشاعرة ) الى ان الفرد الضال من هذه الفئة ترجى له رحمة الله تعالى . ويذهب الجمهور الى ان مؤاخذة الفرد الضال تكون اخف من مؤاخذة الجاحد الذي استعصى على الدليل ، وكفر بنعمة العقل ، ورضي بحظه من الجهل .

٣ ـ من بلغتهم الرسالة ، وصدقوا بها ، بدون نظر في ادلتها ، ولا وقوف على اصولها . فاتبعوا اهواءهم ، وحكموها في فهم ماجاءت به اصول العقائد . وهؤلاء هم « المبتدعة » في كل دين ، ومنهم المبتدعون في الدين الاسلامي ، وهم المنحرفون في اعتقادهم عما تدل عليه جملة القرآن ، وما كان عليه السلف الصالح واهل الصدر

( مثال : من يحلف على المصحف كذبا ولكنه لا يجرؤ ان يحلف بالولى من البشر كذبا ) مثال : المهونين مخالفة الله على نفوس العبيد )

٤ ـ الضلال في الاعمال وتحريف الاحكام عما وضعت له . كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات والخطأ في الاحكام التي جاءت في المعاملات ( مثال : الاحتيال في الزكاة بتحويل المال الى ملك الغير قبل حلول الحول ثم استرداده بعد ذلك )

وكل فئات الضالين السابقة ـ فيما عدا الفئة الثانية ـ يظهر اثرها في الامم فتختل قوى الادراك فيها ، وتفسد الاخلاق ، وتضطرب الاعمال ، ويحل بها الشقاء عقوبة من الله لابد من نزولها بهم ، وكل هذه دلالات غضب الله عليهم . ولهذا كانت الدعوة في الفاتحة بطلب الهداية بطريق الذين ظهرت نعمة الله بادية وظاهرة فيهم ، وطلب تجنيب طريق اولئك الذين ظهرت فيهم آثار نقمة الله بالانحراف عن شرائعه ، سواء كان ذلك عمدا وعنادا ، أم غواية وضلالا .

والامة اذا ضلت وانحرفت ، ولعب الباطل بأهوائها ، فسدت اخلاقها ، ووقعت في الشقاء ، وسلط الله عليها من يذلها ولا يرحمها ، وعجل عذابها في الدنيا ، لدرجة قد تصل الى محو أثرها كلية من الوجود : كما حصل لأمم سابقة . اما الافراد ، فلم تجر سنة الله بلزوم تعجيل العقوبة لكل ضال في هذه الحياة الدنيا . فقد يستدرج الضال ، ويدركه الموت ، قبل زوال النعمة عنه . ولكنه سيلقى جزاءه حتما **( يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله )** الانفطار/١٩

# الفكر الاسلامي

ما أكثر الدروس وما أعمق المعاني التي يمكن أن نخرج بها كلما حاولنا فهم الاسلام .

اننا كلما بذلنا جهدا لمعرفة جوانب هذا الدين القيم ، وفهم قيمه وتعاليمه ، وتحليل سيرة رسوله العطرة ، وأقواله الصادقة الهادية أو أعمال رجال الاسلام ومواقفهم المشرفة المليئة بالمعاني والعبرة ، كلما حاولنا ذلك ازددنا اعجابا بهذا الدين الذي كرم عقولنا وقلوبنا فاهتدت اليه .

اننا عندما ندرك هذا الدين فاننا ندرك أنصع الحقائق التي تنير طريقنا وتجنبنا الزلل ، وتقودنا الى الفضل والفضيلة ، وتقينا الوقوع في الإثم والخطأ ، وتلهمنا الرشد ، وتهدينا الى صراط مستقيم .

## العقيدة .. والحياة .. والفكر

ما أعظم هذا الدين عندما يكون عقيدة لقوم يدركونها ، وحياة لاناس يعيشونها ، وفكرا لأمة تعي حقائقه ، وتتفهم معانيه ، وتنهض بمطالبه ، تسليما بحق الله خالقها ، وقياما بواجبها تجاه نفسها ، وادراكا لحياتها وما تتطلبه ، ودنياها وما يصلح لها وما لا يمكن أن تصلح الا به ، فالاسلام بكل جوانبه المضيئة المشرقة يعطي عطاء مثمرا حقا وعدلا وأمنا ومودة وإخاء ، ويؤدي الى قيام الحياة السعيدة الصالحة ويحقق السعادة الكاملة المثالية لمجتمع كامل مثالي .

واننا عندما نقف أمام هذا الدين ونعايشه معايشة واعية ، نتفهم العقيدة التي جاء بها الكتاب الكريم ، وبلغها الرسول الصادق الأمين ، أو عندما نعايش السيرة العطرة النضرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، أو نعايش كل الأقوال المضيئة الهادية للسلف الصالح الملتزم قولا وسلوكا بالكتاب والسنة ، أو نعي تاريخا طويلا مشرقا تمتليء صفحاته أمجادا وبطولات وفضائل لقوم آمنوا بربهم ، وصدقوا نبيه وصدقت أعمالهم وأقوالهم ، فحملوا أمانتهم ، وقاموا برسالتهم ،

للأستاذ
فاروق منصور

# ودروس الهجرة

عندما نعايش ذلك ونتفهمه فاننا نكون قد وضعنا أيدينا على الطريق ، وفتحنا الباب أمام عقولنا لتدرك وتعي ، وتصنع من إدراكها ووعيها بناء جديدا ، وحياة جديدة جديرة بها أمتنا الاسلامية .

## .. إنه واجب فكرنا الاسلامي

واذا كنا عندما نتفهم الاسلام ونعي حقائقه تسمو نفوسنا ، وتعلو مداركنا ، واذا كان الفهم والادراك يوفر لدينا طاقة على العمل ، وقدرة خلاقة للابداع والاضافة ، وهذا من شأنه أيضا أن يعطينا مزيدا من الثقة يدفعنا لأن نجعل من شعورنا حقيقة ، ومن رغباتنا في البناء واقعا ، فانه يمكن نتيجة لذلك ، واستقراء له أن يقال : أن فهمنا للاسلام ، ووعينا للحقائق الاسلامية من شأنه أن يغير حياتنا ، ويطور مفاهيمنا ، وينقلنا من واقعنا الذي نشكو رتابته ، ونتألم من تخلفنا فيه ، وضعفنا عن كثير من الأمم التي تملك اليوم القوة بأنواعها ـ الى حياة مليئة بالعطاء ، يدب فيها النشاط ، ونستطيع أن نكون كغيرنا أو نسبق هذا الغير ونتفوق عليه خاصة وأن ذلك هو دورنا ورسالتنا .

وعندما نسلم بذلك ـ والتسليم به بديهة ـ فان واجبنا حينذاك يكون ، الإقرار بأننا يجب أن نفعل ما نؤمن أنه الحق والخير ، فنحاول فهم الاسلام والعمل به ، واذا كان ذلك يأتي نتيجة للفهم والاقناع ، فانه أيضا يتأتى من صريح دعوة الاسلام ، ومن كمال الايمان بها ، بل من اشتراط الايمان بها . فان هذا الدين قد جاء يبني وينظم ، وقد تنزل ليعيش الناس به وعليه ، يهتدون بهديه ، ويتخلقون بقيمه ، ويتعاملون بشرائعه .

وتسليما بذلك كله ، وتحقيقا له ، فان الفكر الاسلامي المعاصر عليه دور يجب أن يؤديه ، وعليه عبء يجب أن ينهض به في هذه المرحلة التي نمر بها ، وفي هذه

الفترة الزمنية والحضارية التي نعيشها ، يتمثل هذا الدور في أن يعايش هذا الفكر حياتنا وتراثنا يتفهم كتابنا وسيرة رسولنا ، والصفحات المضيئة المشرقة من تاريخنا الاسلامي ، والنضال المشرف الذي خاضته الأمة العربية عبر تاريخ طويل ، ثم يأخذ من ذلك كله ما يمكن أن يأخذه من دروس ، أو يعيه من قيم ليربط حياتنا المعاصرة بالدين ، ويبلور العقيدة من سلوك وأساليب حياة أو معاش ، ثم عليه أن يكتشف بعد قيامه بعملية الدراسة ومحاولة الفهم والادراك ـ الطريق الذي يجب أن تسلكه جماهيرنا لكي تحقق وجودها ، وتبرهن عن ذاتها وتعطي الحياة عطاء اسلاميا معاصرا .

فحينئذ يكون هذا الفكر قد قام بواجبه وتكون أجيال قد استطاعت أن تؤدي واجبها تجاه العصر ، وتجاه الانسانية ، وأن تحمل الرسالة التي كلفنا بحملها ، والتي يجب أن نؤديها بأمانة ، ونتفانى في هذا الأداء مهما كلفنا من جهد أو حملنا من مشاق .

## صعاب يجب أن تزول

ولكن أمام الفكر الاسلامي المعاصر صعاب تعترض قيامه بهذا الواجب ، وتمنعه عن تحقيق كل المطلوب منه بالدرجة الكبيرة والفعالة التي نريدها ، تتمثل هذه الصعاب في تلك الجفوة المصطنعة بين ثقافتنا وتراثنا ، بين ما لدينا من فكر اسلامي موروث وما نعيش فيه من فكر غريب عنا ، مختلف كل الاختلاف عن طبيعتنا وظروفنا البيئية والنفسية والعقائدية .

أضف الى ذلك أن الكثيرين منا لم يعد بمقدورهم اليوم وعي ما لدينا من تراث ، لأنهم بعدوا عن لغته أو روحه ، أو انسلخوا من قيمه وخصائصه فأصبحوا غير صالحين لفهمه فكيف يمكنهم اذن الافادة منه أو الانتفاع به .. ؟

واذا نظرنا اليوم الى هذه الرقعة المتسعة المترامية الأطراف التي تمثل العالم العربي ، والأرض التي يقف عليها تجمع اسلامي كشعوب اسلامية ، أو جماعات تدين بالاسلام ، فاننا نجد الكثير من المشكلات التي تتطلب حلولا جذرية ، ولكن مهما كانت أحجام تلك المشكلات ، فانها يجب ألا تخيفنا أو تدعونا للجزع واليأس .

كما أنها يجب ألا تشغلنا عن واجبنا ، أو تضطرنا حاجتها الملحة للحل الى تقديم الحلول الوقتية ، أو علاجها علاجا جزئيا منسلخا عن الاستفادة مما لدينا ، وتفهم الأمور في ضوء ما نؤمن به من دين ، وما نستمسك به من قيم ، وما يجب أن نجتمع حوله من مبادىء وعقائد لأن مقدرتنا على حل مشكلاتنا ، وقدرتنا على مجابهة الحياة ، لن تتأتى على وجهها الأكمل الا في ضوء تفهم الاسلام ، والالتزام به . وكلما أدركنا ذلك وآمنا به استطعنا أن نلزم به أنفسنا ، وأن نضطرها الى تحمل كل مشقة بلوغا للهدف ، ولكي نحقق كل ما نرجوه .

واذا نظرنا اليوم أيضا الى حقيقة فكرنا الاسلامي المعاصر ، فاننا نجد الكثير منه جيدا يلبي حاجة الأمة الاسلامية ، ويخدم صالح البشرية عندما يقدم للانسان ما يجعل لحياته قيمة ولسلوكه فيها معنى . ولكن الكثير من هذا الفكر أيضا لا يخدم قضايا الانسان في عصرنا ، ولا يمكن أن يسهم في احداث التقدم ، بل من الانصاف أن يقال انه يعوقه ويشتت الجهود عبثا دون أن يعين على الوصول الى أدنى غاية ، أو حتى تحقيق أدنى نفع ، لماذا ؟ لأنه فكر لا يأخذ من الاسلام منهجه ، بل يأخذ منه اسمه لا يهتم بأن يعبر عن مضمون اسلامي بقدر ما يحفل بتوفير ما يعتقد ـ خطأ ـ أنه المفهوم الاسلامي .

واذا كانت مجموعات كثيرة من شبابنا الدارس قد استطاعت أن ترفض مثل هذا الفكر ، أو تستحدث ما يعوضه أو يصنع البديل له ، فانه مع ذلك أيضا سيظل لهذا الفكر تأثيره السيىء على الانسان المسلم ، وسيظل له لفترة طويلة القدرة على القيام بدوره المدمر ضد الاسلام الصحيح بتعاليمه وقوانينه ومفاهيمه .

ان جناية هذه التيارات على حاضر المسلمين أنها تقدم التواكل على الاعتماد ، وترى في النوم بديلا عن الحركة ، وفي الاستسلام تعبيرا عن الرضا كما تفتح الأبواب أمام العقول القاصرة لتتوه في طقوس وأقاويل وموروثات ليست من الاسلام في شيء .

تلك بعض الصعاب التي تواجه الفكر الاسلامي ، أو التي عليه أن يواجهها ليتخلص منها ويسحقها الواحدة بعد الأخرى ، حتى يمكنه أن ينطلق ويحقق من انطلاقته هذه النفع والافادة ، ويكون في موضع يمكنه من احداث التغيير وصنع الحضارة التي تتلاءم مع طبيعتنا ، وتتناسب مع امكانياتنا كأمة حملت الأمانة ، وكان منها الرسول الكريم الذي بلغ الرسالة حفيا بها صادقا في حملها ، أمينا في نقلها الى الآخرين منذ نزول الوحي حتى انتقاله الى الرفيق الأعلى .

وعندما يستطيع الفكر الاسلامي أن يتفهم نفسه ويعي حقيقته فانه يكتشف ذاته ويستكشف المجالات التي يمكنه العمل فيها ، وكيفية العمل وأساليبه ، وبذلك يضمن لنفسه أن يحقق ما يرجوه ويضمن لجهده أن يكون مثمرا ، خاصة وأننا في وقت يجب أن نحرص فيه أول ما نحرص على أن يكون لعملنا ثمرة ولجهدنا المبذول عائدا ، وبشرط أن تكون تلك الثمرة وذلك العائد في اطار الشريعة وأحكامها ، وفي ضوء ما اشترطه الله تبارك وتعالى ، وما أمر به أن يتبع .

## رسالة أمة .. وأمانة أقوام .

واذا كان فكرنا الاسلامي المعاصر قد بعد كثيرا عما كان يجب أن يسير فيه ، وتباعد أو أبعد عن مساره الطبيعي الذي كان واجبه أن يسلكه ، فانه محتاج وهذا أمره الى جهد صادق مخلص يبذل لتصحيح الخطأ ، وتقويم المعوج والاهتداء الى

المسار الصحيح . ذلك واجبنا نحن الذين نزعم أننا نهتم بالفكر الاسلامي ، وتؤرقنا الام الأمة الاسلامية ، ويشغلنا أمر مستقبلها ونود أن نضع لبنة في البناء الفكري الاسلامي ـ والاكانت دعوانا باطلة ، وما نردده مجموعة من الأكاذيب . وهذا ليس ما نرجوه وليس ما يدعونا الاسلام اليه .

إننا مطالبون بالقيام بهذا الواجب ليتسق سلوكنا مع ايماننا ، وينعكس ايماننا على سلوكنا ، وهذا ما يحتمه الاسلام وما يرتضيه ، فالايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

كما أن آيات الله البينات قد تولت تأكيد ذلك سواء بالنص صراحة عليه أو بالاشارة اليه يقول تعالى :

**( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا )** البقرة/١٤٣

**( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . )** البقرة/١٧٧

ان ذلك هو رسالتنا كأمة ، وهو واجبنا كأقوام نؤمن بالشريعة الغراء ـ التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيظل ذلك واجبنا كأمة ، ورسالتنا كأقوام ، ما بقيت الحياة ، وما عاش البشر في عالمنا الذي نعيش فيه .

واذا كان الاسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لنا فما علينا الا أن نفي بالحق ونخلص الجهد في القيام بالواجب ، ونعمل على أن نكون ملتزمين بقوله تعالى :

**( قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون )** .البقرة/١٣٦

واذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد جاء ليختتم الرسالات ويتم النبوة ، فان ذلك يعني أن الدين قد اكتمل وضوحه ، وأن أتباع هذا الدين عندما يعقلونه ويخلصون في القيام به ، في امكانهم أن يتولوا أمانة التبليغ بهذا الدين وهداية البشر اليه ، وأنه بعد أن كمل هذا الدين بتوفيره العقول التي يمكن أن تعيه وتدركه ، واعداده النفوس التي تؤمن به وترعاه وتحرص على تبليغ شريعته ، واقامة أحكامه يكون في هذه الحالة ميسورا للناس وميسرا على من ابتغى مخلصا أن يقوم بواجبه لحمل كلمة الله ، والدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فاذا ما وضح ذلك لنا وهو واضح ـ والذي ينقص أن نكون نحن واضحين معه يتمثل الوضوح في الاخلاص بالقيام به والتفاني في أدائه ـ كان لزاما علينا أن نؤديه والا اعتبرنا مقصرين ، وما لم يقم القادرون منا به فقد أثمنا جميعا .

نسأل الله أن يمكننا من القيام بشرائعه ، ويتجاوز عن تقصيرنا عندما نقصر أو تفريطنا عندما نفرط وأن يهدينا دائما للصواب .

## عندما يواجه الفكر رسالته !

وعندما يواجه الفكر الاسلامي واجبه ويتصدى لحمل أمانته فانه حينئذ ليس أمامه الا أن ينطلق بمفاهيمه وقيمه التي يستقيها من الكتاب والسنة ، وتراثه الفقهي ، وتاريخ نضال رجال العقيدة ، وحملة هذا الدين الذين آمنوا به وهم قلة ، وناصروه يوم احتاج الى النصير ، وانطلقوا به في الآفاق بعد أن باعوا لله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وبعد أن قاتلوا في سبيله فقتل من قتل وعاش من عاش فلقى كل منهم الفوز المبين ، إما شهادة في سبيل الله وإما نجاحا في إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ان الفكر الاسلامي المعاصر يجب أن يكتشف ذاته في هذا التراث ، ويجب وهو يمارس تجربة جديدة في العطاء وتطوير الكلمات واستحداث معطيات جديدة لها أن يبدأ من تراثه ويتفاعل مع قيمه وينفعل بكتابه وسنة نبينا ، وتراث أولئك الفقهاء الذين كانوا منارا للعلم ، وقمة عالية للادراك والمعرفة . والفكر الاسلامي عندما يقوم بذلك فانه يكون قد وقف على أرض أصيلة ثابتة ويكون قد استلهم ما يمكنه بحق أن يلهمه ، واستعان بما يجد عنده أخصب عون وأعظم معونة .

## مسئولية حياة .. لا تعصب جنس

ان ظروفنا كلها تحتم علينا أن تكون نهضتنا قائمة على أساس من تراثنا وقيمنا ، كما تحتم علينا أن يكون فكرنا مرتبطا بهذا الدين لا عن تعصب عقائدي ، ولكن عن فكر واع مفتوح وتفهم كامل لما بين أيدينا من تراث ، وقيمة ما نملكه من معارف .

كما أن هذا التراث الذي نملكه وان كان قرآني الأساس ، اسلامي النزعة والمنهاج فانه يمثل معطيات شعوب كثيرة ساهمت بكل جهدها وأعطت في ظل الاسلام والعروبة كل ما تملك وكل ما أبدعت متأثرة بالاسلام والعروبة وموفقة بالكتاب والسنة ومسترشدة في مسارها بهدي الله وتوفيقه .

## إنه ... ما يدعونا الاسلام اليه !

والاسلام كما نعلم جميعا دين يمقت التعصب ، ويرفض الجمود ، وينكر التزمت ، ولكنه يدعو الى الاستمساك بالحق ، والحق واضح وجلي ، ويدعو الى اتباع ما وافق العقل ـ المؤمن المميز القادر على الادراك ـ ورأى فيه العقل أنه

الصواب وأنه يتمشى مع أوامر الخالق ، ويحقق صالح الناس ، لذلك فاننا لا نقول الا بما يقول به الاسلام ولا نطالب الفكر الاسلامي أن يكون بعيدا عن هذه الجوانب الواضحة المحددة التي رسمها الاسلام لأنه لا يمكن أن يكون لدينا رغبة في الخروج عن المحدد الصالح الى المجهول ، ولا يجوز أن يكون لدينا تفكير في تحقيق منهج أسلم من هذا المنهج الأمثل الذي وضعه الاسلام ، وطبقه المسلمون فقويت شوكتهم بعد ضعف ، وازدهرت حضارتهم وامتدت بعد أن كانت عاجزة عن تجاوز أجزاء من الصحراء العربية .

واذا كنا في حياتنا المعاصرة نأخذ بالمنهج العلمي ، ونستفيد بمعطيات التجربة فان ذلك من شأنه أن يلزمنا بأن نتبع ما أثبتت التجربة صلاحه قبل أن نجري وراء السراب أو نأخذ في تجربة المشكوك في صلاحه ، وربما المتيقن عدم صلاحه وهو هذا الفكر الغريب عنا المتعارض مع قيمنا وسلوكنا .

## باطل ... كل ما خالف الاسلام

على أنه يجب أن يكون مفهوما دائما وواضحا أمام أذهاننا وعقولنا اننا لا نسقط أي تجربة انسانية ولكن نعمل دائما على الافادة منها . والاستفادة بها في تطبيقات حياتنا ، وشئون عالمنا ما دامت لا تتعارض مع نص صريح لدينا ، أو تخالف طبيعة الدين الذي نؤمن به ، والذي تقوم أحكامه على نفع مادي ، أو مكسب نظن خطأ أنه أكثر فائدة ، لأن هذا الدين ما تنزل عبثا ولا جاء لازجاء الفراغ ، أو لتترك أحكامه بلا تطبيقات ، أو لتعجز أحكامه عن صنع التقدم وتطوير الحياة . بل جاء لتقيم أحكامه الحياة المثلى وتوفر الضمانات التي يمكن أن تحمي الحياة وتصنع التقدم وتحقق سعادة الانسان لذلك فكل ما وافق الاسلام فهو الحق ، وباطل كل ما خالف الاسلام أو عارض نصوصه ، أو صادم روحه وتعاليمه ، ونحن أمة مسلمة تؤمن بالاسلام ويجب أن تعيشه وتسعى للتمكين له بأن تقيمه في حياتها لتصلح تلك الحياة ولتصلح الأمة المسلمة نفسها أن تكون قدوة ومثالا يحتذى وبذلك تتحول الى دعوة عملية والى منهاج تطبيقي تدعو الى دين الله الحق وتطبق شرائعه وأحكامه السمحة السامية .

## ولكن ما هو الطريق ... ؟

ان الهدف واضح وتحقيقه ميسور الى حد ما مهما كانت الصعاب ، ومهما كان حجم التضحية المطلوبة ، ويبقى أن نسأل أنفسنا كيف السبيل الى تحقيق ما نريد ؟ ما هي الخطوات التي يجب أن نسلكها كي نحقق ما نريد ونصنع ما نؤمن به . ونرى أنه السبيل الأمثل ، أو الغاية المرجوة منا والامانة التي يجب أن نتحمل

أداءها ونفرح عندما نقوم بها ، إن ذلك يحتاج الى تأمل ما لدينا وفهم ما عندنا ثم محاولة الاستفادة به ، ولا يمكن أن يكون ذلك سليما ما لم تكن خطتنا نحوه متكاملة ، وتكون حياتنا كلها مرتبطة به والا تركنا لشبح الفراغ أن يتضخم فيعوق المسيرة أو يغلفه بالضباب الذي يضللنا عن الهدف أو يبعدنا عنه .

اننا يجب ان نتفهم الاسلام عقيدة وشريعة ، ونلتزم بالمنهج الأمثل الذي نجده في هذا الدين ، والذي يجب أن نقيم حياتنا الجديدة عليه ، بمعنى أن يكون الاسلام هو المقياس الذي نقيس به الأمور ، وهو الوسيلة التي نشخص به الداء ونأخذ منه الدواء بهذا نقي أنفسنا من الضرر ، ونحفظ لحياتنا ما يحفظها ، ويرقيها .. ولأهدافنا ما يحققها .

## عندما تكون الهجرة منطلقا !

بهذا الادراك الذي ألزمنا أنفسنا به ماذا يكون الموقف عندما تعود الى الكتاب أو السنة أو التراث ؟ ان الموقف سيكون محددا واضحا ، والطريق سيضيء أمامنا ممهدا ويمكن السير فيه .

وعندما نقف أمام الهجرة كحدث تاريخي نسلم بصحة حدوثه ، وتؤكده الكثير من القرائن التي لا يمكن انكارها أو التقليل من شأنها ما هو المطلوب من الفكر الاسلامي المعاصر عندما يقف أمام هذا الحدث الجليل العظيم ؟

ان أول واجباته أن يفهم هذا الحدث العظيم في صورته الطبيعية ، ثم يحاول نقل هذا الفهم الى الانسان العصري مهتما بالتأمل أكثر من اهتمامه بابراز الخوارق والمعجزات ، وهو مطالب أيضا بالتأني في الحكم والبعد عن التخمين وعن التعميم أو الالتجاء للمعميات لأن الحدث بطبيعته غني بالأحداث ، مليء بالدروس ، مشحون بالأهداف التي يمكن أن تحقق حياة مثالية كما أنه مشحون بالعبر التي يمكن أن تؤخذ منه ، والتعاليم التي يستلهمها العقل والوجدان .

## دين العقل ... ما أزهده في الخوارق

ان الاسلام وهودين العقل والدين الذي جاء بمناهجه لتأصيل المعرفة ، لا يتخذ لتحقيق ذلك سبيلا الا الفكرة الواضحة والرأي المقنع والمثال الواضح ، والكلمة الموحية بصدقها ووضوحها . وأن ديننا هذا منهجه ، وتلك طبيعته لا يمكن أن يقيم وزنا للحديث عن الخوارق ، أو أيهام العقل بما يحجبه عن الرؤية ويعوقه عن الفهم .

فاذا كانت تلك هي طبيعة الاسلام فلتكن هي طبيعة الفكر الاسلامي عندما يحاول الفهم وعندما يتولى التوضيح والابانة ، أو يحاول تجميع الدروس

والملاحظات فيقف عند حادث الهجرة وقفة تتفهم المعقول وتستكشف الواضح ، وتحاول بالربط والتحليل الخروج برؤية متكاملة للأمر كله ، الأمر بالهجرة وحكمته ، الظروف التي دفعت اليه ، والظروف التي تم فيها ، الأشخاص الذين هاجروا قبل الرسول ، والبقاع التي هاجروا اليها ، ما لقيه المهاجرون من ترحيب أو مقاومة وتعقب ، أمانة المؤرخ العربي وهو يسجل الحدث التاريخي بكل تفاصيله وبأدق دقائقه ، ولماذا لم يغفل مثلا المنافقين أو القساة أو المتجبرين وهو يدون السيرة النبوية ، لماذا لم يحاول التقليل من شجاعة المقاتلين عندما يكونون أعداء أو يضيف اليهم بطولات زائفة وهم في صفوف المسلمين كما يفعل القاص في الملاحم والسير الشعبية الموجودة في كافة اللغات ولدى كل الشعوب لماذا حرص المؤرخ العربي أن يكون أمينا ، ولماذا سلك منهجا دقيقا فأسند الرواية لصاحبها حتى أننا أصبحنا نستطيع بعد ما يقرب من أربعة عشر قرنا أن نميز بين الصحيح والمكذوب والصواب والمنحول ؟

ان الفكر الاسلامي مطالب بأن يقدم الاجابة على ذلك أولا ، ثم عليه أن يستفيد من الأحداث والمناهج وهو يبني ويدعم لفكر أمة ناهضة في حاضر نرجو ازدهاره ، ويسعى لبناء مستقبل نأمل أن يكون أكثر ازدهارا ، وأكثر تحقيقا للآمال ، وتأكيدا لصلاحية هذا الدين وتفوقه ، صلاحيته للتطبيق في كل عصر ومكان ، وتفوقه على ما عداه من الشرائع والنظم والنظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والعمرانية .

## القائد ... والجند

وعلى الفكر الاسلامي أن يتفهم شخصية الرسول القائد ، لا بهذا الأسلوب السطحي الذي ألفنا فيه كتبا ، ورحنا نثبت فيها أن نظريات القيادة الحديثة كانت معروفة عن الرسول ، وأن في تصرفاته صلى الله عليه وسلم وسلوكه ما يتفق وتلك النظريات .

لأن وجود مثل هذه النظريات المعاصرة يجب ألا يستحوذ على كل اهتمامنا ، كما يجب ألا يكون التوفيق بين الاسلام وبين الآراء العصرية المطروحة هو الواجب الأول والأخير فنعمل على اخضاع النصوص ، أو التلفيق لنخرج بفائدة ساذجة وغير ذات نفع عندما نقول اننا عرفنا هذا الأمر أو ذاك .

فالمهم والأجدى أن نفهم أولا ما عندنا على حقيقته بغض النظر عما هو موجود الآن ، ثم نحاول أن نفهم بعد ذلك هل ما لدينا أعمق وأهم ، أم أن تجربة غيرنا قد جاءت بشيء جديد ذا قيمة لا بأس من الاستفادة بها مع ضرورة التسليم بأننا في أمور العقائد ملزمين بالاتباع ، وفي العبادات ملزمين بالطاعة ، أما في كل ما

يتعلق بالاختيار ويخضع للتجربة والخطأ فلا علينا من أن نجرب ونقارن ، ونقبل ونرفض ما دمنا ندرك حدود الله ونعرف حدودنا .

ان الرسول القائد كان شيئا خاصا ، شيئا فريدا لا يقاس عليه ولا يقارن بغيره ، ولكن يجب أن تفهم طبيعة قيادته وكيف لزم المسلمون تجاه أوامره الطاعة القوية وليس الخضوع الذليل . لقد كان الرسول وهو يؤدي الرسالة ويقوم بواجبه الذي كلفه به ربه مثالا يجب أن تسعى المدارس العصرية لتقليده ودراسة أساليبه القيادية ، وأن تبذل جهدها لفهم هذه الدروس المثالية النادرة في حزم القائد وبصيرته ، وتفانيه وقدرته على أن يجعل كل جندي من رجاله يحس أنه القائد المسئول وأنه وحده الذي يعمل ، وعليه تحمل كل الأعباء سواء أدى غيره واجبه أم لا .

لقد نجح الرسول في أن يجعل من كل المسلمين قادة ، وأن يضرب لهم المثل في التضحية وانكار الذات ، لذلك فانه من الطبيعي أن يلبي المسلم كل ما طلبه منه الرسول .

وأن يستجيب لكل ما طلبه منه دينه أو تطلبته عقيدته من تضحيات وتحمل مشاق ، فيترك وطنه ويهاجر الى الحبشة أو يصمد أمام التعذيب ، ويستهين بكل أنواع القمع والسحق والابادة التي تعرض اليها . ان صدق ايمانه ووضوح العقيدة أمام عقله وقلبه هو الذي دفعه الى سلوك ذلك الطريق ، وارتضائه لكل التضحيات ، ثم احساسه بوجود القيادة الرشيدة التي تجود بنفسها قبل أن تقدم غيرها للأخطار ، وتقدم غيرها عليها عند المغنم ، هذه القيادة هي التي أعطت لتصرفات المسلمين قبيل الهجرة وبعدها الكثير من أخلاقيات ومثلها ، وهي التي دفعت المسلمين الى احراز ما أحرزوه من بطولات وما تميزوا به من صمود وثبات .

## عندما يكون ... الله غايتنا :

ان الفكر الاسلامي المعاصر عندما يقف امام أحداث الهجرة ستبهره حقائقها ، ويمكنه الاستفادة من مواقف كثيرة فيها .

ان الهجرة لم تكن في حقيقتها الا نهاية لمراحل سبقتها ، وتفاعل ظروف أدت اليها ، وهنا يجب أن يعي فكرنا الأسباب التي أدت اليها .

لقد دعا الرسول الناس الى الاسلام وطالبهم بأن يتبعوا دين أبيهم ابراهيم ، والحق المنزل على الأنبياء جاءهم يدعوهم الى الاسلام دينا وحياة ، جاءهم ومعه آيات بينات من ربهم ترشدهم الى الخير والحق وتبني عقولهم وقلوبهم به .

ووجدوا أن ما يدعوهم اليه هو الحق الذي عقلوه وأحست عقولهم وأفئدتهم أنه الطريق الذي يجب أن يتبعوه فصدقوا وآمنوا ، وعندما صدقوا وآمنوا اختاروا أن يكون الخالق جل جلاله هو غايتهم إليه يتوجهون بالطاعة ويتقربون بالعبادة وعندما

قرروا أن يكون الله غايتهم فقد قرروا أن تكون حياتهم بالأسلوب الذي يرضي الله ، ويكون سلوكهم في الاطار الذي ارتضاه الله لهم وعلى الأخلاق التي رسمها لهم الكتاب المبين .

وعندما قرروا أن يكون الله غايتهم فقد قرروا أن يكونوا آدميين ، ولا تتضح الآدمية الا في ضوء الكمال الانساني ، ولا يتحقق الكمال الانساني الا بالارتفاع عن الصغائر والتسامي عن الآثام ونبذ الشهوات المحرمة ، وعدم الخضوع للمغريات أيا كان لونها أو تأثيرها .

وبذلك قدموا الدليل على صدق ايمانهم كما قدموا الدليل على وضوح هذا الايمان في عقولهم وقلوبهم ، لأنهم أدركوا أن طاعة الله انما تكون في الفناء في تنفيذ أوامره ، والتضحية بكل شيء في سبيل أن تكون كلمته هي العليا . لقد أدركوا أنهم عندما يقولون ان الله هو الغاية فلا غاية لهم بعد ذلك الا ما يوصلهم الى الله .

وعندما يدركون هذه الحقيقة فان عملهم كله يكون خالصا لوجه الله يتسابقون الى التضحية ويسارعون الى الجود بكل ما يملكونه ما دام ذلك يحقق للدين فائدة ، ويدفع بهم خطوة للاقتراب من الفوز برضى الله ورحمته ، ويكون هنا واجب الفكر الاسلامي في اكتشاف المنهج الاسلامي لبناء العقيدة عند المؤمنين بالاسلام ، ومحاولة اكتشاف طبيعة الاسلام كعقيدة والامكانيات الهائلة التي يمد بها المؤمنين به ، وعندما نكتشف المنهج ونعي الظروف التي يجب أن تهيأ عند تطبيقه يمكننا العمل على اعادة تطبيق هذا المنهج ، ليكون لنا منه نفس النتيجة وما أحوجنا الى ذلك في حاضرنا ومستقبلنا .

## الانسان ... والفكرة :

اذا كان الايمان يصنع في النفوس ما يصنعه من خير ويعطيها من قوة وصلابة في مواجهة الأحداث ، واستهانة بالصعاب ، وصفح وغفران ، وقيام برعاية الحقوق وحفظ الجوارح والجوار ، وتقديم الرحمة على الجزاء ، والبر على الانتقام ، والمغفرة على المحاسبة .

وهو درس من دروس الهجرة وما أكثر دروسها وما أعمق معانيها ، فالانسان أيضا درس من دروس الهجرة ، اننا نجد فيه الكثير من المباديء التي تصنع انسانية الانسان ، وتحقق كماله . لقد كان الرسول بالمنهج الالهي الذي تربى عليه قمة الانسانية ، وكانت مواقفه يوم الهجرة أو قبلها أو بعدها من أجل المواقف ، لقد احتمل من العذاب ما يفتت الصخر ، تعذب بدنه بالجوع والمعاناة والضرب أحيانا ، وتعذبت نفسه وهو يرى أصحابه يتعرضون للعذاب وهو لا يملك أن يرفعه عنهم ، أو يقيهم منه ، وتعذب يوم وقف يودعهم وهم أصحابه وأهله وبقية منه أيام قاموا بهجرتين الى الحبشة أو سبقوه الى المدينة ، وقاسى كثيرا من العذاب وهو

يغادر الوطن تاركا أرض الآباء والأجداد والبيت الكريم الذي بناه ابراهيم واسماعيل ، فلم يكن من السهل عليه أن يترك مكة لولا أن في هذا الخروج طاعة ربه والامتثال لأمره .

وما كان لانسان أن يحتمل هذا العذاب ، ولكنه تحمله لأنه نبي ، واستطاعت نفسه أن تقدر عليه وتتماسك أمامه ، لأنه محمد الذي اختارته السماء والذي هيىء للقيام بهذا الدور .

وتولى الخالق جل جلاله اعداده لتحمل هذا العبء فحمله وكان هو الصالح له ، وهو النبي المؤتمن عليه ، القادر على تأدية الدور وعندما يذعن لأمر ربه فإنه وفقا للاسلام ومناهجه لابد أن يعد للأمر عدته ، ويضع له من التنظيم والترتيب ما يحققه .

ان الاسلام لا يعرف التواكل ولا يرضى بالعمل الأهوج غير المدروس .

ويتطلب من أتباعه أن يفكروا ويمعنوا النظر في الأمور ، ويقدروا لكل أمر . لقد أعد الرسول عدته لذلك وواجب الفكر الاسلامي هنا أن يتعرض لدراسة هذا الاعداد وتحليله والافادة منه ، واعتمد على ربه وفوض اليه أمره بعد أن أدى هو واجبه وطالبه بأن يعينه على ما هو مقبل عليه « وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » ٨٠/ الاسراء .

## الصداقة ... والصديق

ثم الموقف الذي وقفه أبو بكر عندما أبلغه الرسول بأمر الهجرة وتصديقه للرسول وسعادته بأن يكون صاحبه في هذا الأمر اننا يجب أن نعي من ذلك قيمة الصداقة ومقدرتها على تحقيق أمور لا يستطيع غيرها أن يحققه .

لقد وجد أبو بكر في محمد الانسان صورة مثالية للكمال الانساني ، وجد عنه الخلق كما يجب أن يكون ، والصدق الذي لا تشوبه شائبة ، وجد فيه الانسان صاحب الفكرة الذي يؤمن بها ويصدق كل جزئياتها ، ويقدم بعمله وسلوكه ما يؤكد التزامه بالفكرة التي يؤمن بها والمبدأ الذي يدعو اليه ، فهذا الصدق وهذا الالتزام الفريد يصلح منهجا ، وكما أقنع أبا بكر فإنه يقنع الملايين غيره ، ويصلح طريقه للاقناع في عصرنا وفي كل العصور ، الا نتعلم من هذا المنهج النبوي الدرس الأول في الايمان بالفكرة ، والاخلاص لها ، وضرورة الالتزام بالصدق مع أنفسنا أولا حتى نكون صادقين مع الآخرين ،وسيقود صدقنا الى الاقناع ويؤدي اقناعهم الى اتباعهم ما ندعوهم اليه أو نريدهم أن يكونوا عليه .

لقد قال الرسول له« ان الله أذن لي في الخروج والهجرة » فلم يسأله عن شيء ولم يحاول أن يتأكد منه عن الخبر ، بل قدم نفسه مباشرة وكان قوله : « الصحبة يا رسول الله » .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر الأمر ويعرف متاعبه ، ويعرف صديقه ويقدر صداقته ، ويعرف أنه أهلا لكل خير وأنه كفء لتحمل أية مشقة واحتمال أي تعب ، فلم يزد على أن قال له : الصحبة

## الوسائل والأساليب

وعندما يكون الوضوح هو سمة الفكرة والانسان ، فان الاسلوب أيضا يجب أن يكون محددا وواضحا فلا يختار من الوسائل الا ما يضمن التحقيق على أكمل وجه وقد تمثل ذلك في الهجرة عندما اختار أبو بكر الراحلتين الصالحتين القادرتين على تحمل المشاق وأسند الأمر الى أهله فاختار الدليل الذي يعرف الطريق حتى يمكنه أن يدلهم عليه في دقة ويسر .

لقد اختار عبد الله بن أريقط ليدلهما على الطريق وهو مشرك .

## عندما ترعاك السماء !

لقد تعرض الرسول والصديق للأخطار وكانت قريش قادرة على اللحاق بهما وتمزيقهما اربا ، ولكن عناية الله كانت ترعى الرسول وصاحبه ، لقد خرجا من ديارهم طاعة لله وامتثالا لأمره ، أرادا أن ينصرا دين الله وينتصرا له فنصرهم الله ( **الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** ) . التوبة/ ٤٠

لقد كانت الهجرة تجربة ايمان ، صدق الانسان في ايمانه بخالقه وأوفى الله وعده فنصره وأمده بقوة لم تستطع قوة أخرى أن تقف أمامها واذا كان لكل تجربة نتائج فان نتيجة هذه التجربة أن الايمان الصادق يحقق الكثير وتتضاءل أمامه كل الصعاب .

واذا كان الانسان يتطلب النتائج حتى يصدق ، فقد كان في الهجرة أكثر من دليل على قدرة الله وصدق الرسول .

لقد جاءنا بالقرآن الكريم برهانا ، من ربه تتضمن آياته وعد الله بالنصر لمن ينصر دينه ، ووعده للرسول بأنه سيتم عليه نصره ، ويحقق له ما وعده به ، ثم تجيء الهجرة فيتحقق ذلك .

واذا كان المسلم يؤمن بأن كل ما جاء من الله حق وصدق فان غير المسلم يجب أن نقدم له من الحقائق ونتائج التجربة ما يقنعه .

لقد حدثت الهجرة وجاء النصر ، انتصرت القلة على الكثرة والفقر على الغنى ، والايمان على القوى الباغية ، وكان ذلك مقدرا بالآيات المنزلة من قبل ، وتحقق فعلا كما قررت الآيات فهذا دليل مادي على صدقها لمن لا يقنعهم الا الدليل المادي ، واذا وجد الدليل المادي الذي يؤكد صدق هذه الآيات ، فان ذلك يقودنا الى تصديق من جاء بها ، والذي جاء بها يقول انه رسول يوحى اليه ولا فضل له فيما أتانا به ، وأنه لم يقم إلا بالبلاغ وأن هناك إلها-أحد صمد متفرد-بكل الكمالات ومنزه عن الشبيه والشريك ، قد أوحى له بهذا وأصدق ما نقله الينا .

وما دمنا سلمنا بصدق الرسالة ، وصدق الرسول ، فإنه يجب أن يقودنا ذلك الايمان بوجود اله هو كما وصف نفسه في كتابه الكريم الذي جاءت التجربة الانسانية لتؤكد صدقه .

هذه الفكرة الموجزة درس من دروس الهجرة يجب أن يتولى الفكر الاسلامي بحثه وشرحه وتوضيحه ، يؤكده ويجلوه للمسلمين ، ويبرز حقائقه الناصعة وما يستلهم منه ، وما يستفاد به لغير المسلمين .

## البناء ... الفكري والعقائدي :

ويصل الرسول الى المدينة ويفي أهلها بعهدهم له ، ويتم الله عليه نصره فماذا يفعل ؟ ما الأمور التي يهتم بها في هذا المجتمع الجديد ؟ انه يمضي الى بناء المجتمع الذي يدعو اليه وفقاً لتعاليم الله .

يبدأ هذا المجتمع بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وايمان الجميع بمعنى الأخوة تلك المعاني التي أكدتها صور واقعية حدثت آنذاك ، صورة المسلمين وهم يصنعون أكمل مبدأ للتعاون والمشاركة وتأكيد الاحساس بالوحدة والاخاء بين البشر فيتنازل الانسان عن أمواله ويقتسمها مع أخيه وهو سعيد بذلك .

ثم يقوم الرسول ببناء المسجد ليكون العلم والعبادة أساسا لهذا المجتمع وليقوم المسجد برسالة مجيدة في تعليم الناس أمور دينهم ، وفي تجميعهم حول تعاليم هذا الدين تلك التعاليم التي تثري حياتهم ، وتنير طريقهم ، وتحقق لهم الأمن والاستقرار ، وتكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، ويهتم الرسول بتنظيم كافة شئون المدينة ، ويبحث لها عما يدفع الحياة الى الاستمرار ويصون أمنها ، ويؤدي الى انتظام أمورها .

لم ينزل الرسول المدينة ليستريح ويهدأ ، ولكنه شرع في العمل واستمر عليه لأن الاسلام دين عمل وبناء فكري وعقائدي ، ولا يكتفي بالبناء الفكري والعقائدي ويقف عند الجانب النظري ، بل لابد من التطبيق لأنه دين حياة ، والحياة تتطلب ما يصلحها ويحفظها .

ان هذه المعاني والدروس كلها بحاجة الى البحث والدراسة والتأمل ، بحاجة الى تحويلها الى ايحاءات وقوى ملهمة موجهة وهذا هو واجب الفكر الاسلامي .

# العلم في مدرسة القرآن

**للدكتور عبد الفتاح محمد سلامة**

نزل القرآن العزيز لمواكبة الحياة الانسانية على امتداد أعصارها ، وتلاحق آمادها ، ليصحح وضعها ، وينير جنباتها ، وينفي منها العقد والنكسات ..

ومن إعجاز هذا الكتاب أنه جاء ملبيا حاجات الفطرة ، مستجيبا لنداء الطبيعة ، متحركا بالانسان إلى حيث شرفه ومجده ، وسؤدده وفخره ، فكانت صيحته منذ أول لحظة نزل فيها على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، أمرا محتما على كل انسان أن يلج العلم من أوسع أبوابه ، ويحصله بكل وسيلة ، ويستوعب منه كل ما يفيده في دينه ودنياه ، ويركب في سبيله كل صعب ، فان فيه حياته ، وعليه ترتكز دائرة وجوده ، وبه يصعد الانسان إلى الذرا العالية . فلا غرابة بعد ذلك أن نرى القرآن العظيم يجمع في أول آياته نزولا ، وسائل العلم وطرقه التي بها يكتسب ، وكأنه بهذا يريد أن ينكشف للعالمين على طبيعته الحضارية الأصيلة ، وأنه فعلا كتاب العالمية والخلود ، وهو الشريعة المتكاملة الباقية التي جمعت بين دفتيها كل مجد ومكرمة .

قال ربنا تقدست أسماؤه :

**( اقرأ باسم ربك الذي خلق ○ خلق الانسان من علق ○ اقرأ وربك الأكرم ○ الذي علم بالقلم ○ علم الانسان ما لم يعلم ) العلق / ١ ـ ٥**

ماذا أقول ؟ إن هذه الآيات هي جماع الحضارات ، وأم المدنيات ، بل إنها حوت أسرار التقدم البشري ، وأطوار السبق الانساني . علم وقراءة وقلم ، ألفاظ جديدة ، وتعبيرات مشرقة ،

وكلمات مشعة ، وكأني بالانسانية لم يترطب لسانها بهذه الألفاظ من قبل . ؟

وممن أخذت هذا كله ؟

يالله !!! إنها تعلمته من محمد بن عبد الله ، ذاك الرجل الأمي ، الذي ما عرف قراءة ولا كتابة ، ومع ذلك فان معجزته التي تحدى بها البلغاء ، وأخرس بها الفصحاء ، وأخضع بها الانس والجن ، كانت كتابا افتتحه رب العزة بالحديث عن العلم :

**( وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ) العنكبوت / ٤٨ و٤٩ .**

وبهذا المعنى هتف شوقي عندما قال :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتم

والقرآن هنا ، يهيب بالناس جميعا ، أن يحصلوا القراءة ، عن طريق العلم الذي يقرعون بابه ، ويطلبون أسبابه .

ونحن هنا نلاحظ لمسة حضارية معجزة للقرآن الكريم في هذا السياق ، وذلك في هذا الامر العام « اقرأ » . هكذا بكل العموم والشمول . فكل من يتوجه إليه الخطاب مكلف ومأمور بالقراءة ، أيا كان موقعه ، وعلى أي صورة كان مستواه .

فالانسان في شريعة القرآن هو الانسان ، موطن العزة ، ومعقد السيادة ، وهو الذي أعطاه ربه سلطة الهيمنة على الكون وتسخيره .

والقرآن الماجد بذلك ، قد سبق دعوة أولئك الذين كانوا يزعمون لأنفسهم أنهم مجددون عندما نادوا بضرورة أن يكون العلم للانسان كالماء والهواء ، لا يحرم منه ، بل هو لازمة من لوازمه .

نقول هنا : إن القرآن هو صاحب أول نداء وتوجيه إلى هذا المبدأ ، بمطالبته للعاملين جميعا أن يتعلموا ، ليصححوا أوضاع الانسانية ، ويصعدوا بها في درجات الكمال .

ولم كان هذا الطلب ؟ بل لم كان هذا الأمر الذي لا مناص منه ولا مفر عنه ؟

لأنه بالعلم يعرف الانسان ربه ، ويدرك ذاته ، ويتبصر طريقه ، ويهتدي إلى موقعه في هذه الحياة ، فيرعى إنسانيته ، ويصون آدميته ، ويتربع على عرش الزعامة والسيادة . فالعلم حياة القلوب وربيع الأرواح ، وغذاء العقول ، ونور الفكر ، وجلاء البصيرة .

العلم أفضل ما طلب وجد فيه الطالب ، وأشرف ما كسب واقتناه الكاسب ، وطلاب العلم أن كانوا من أقل الناس عاشوا كراماً ، وإن كانوا من أوساطهم ساروا دواما ، وإن كانوا من خيارهم صاروا نجوما وأعلاما ، والله جل جلاله يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات .

وذات يوم سئل الامام علي رضي الله عنه : أيهما خير العلم أو المال ؟

فقال نضر الله تاريخه :
« العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، ولأن العلم ميراث الأنبياء والصالحين ، والمال ميراث الجامعين والكانزين ، ولأن العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ولأن العلم يزكو ويزيد بالانفاق ، والمال ينقص بالنفقة ويضيع بالاسراف ، ثم قال منشدا :
ما الفخر الا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئٍ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياء
وروى أن موسى ناجي ربه ذات يوم فقال له : يارب أي عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال يارب فأي عبادك أقضى ؟ قال : الذي يحكم بالحق ولا يتبع الهوى ، قال يارب فأي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علمه ، عسى أن يصيب ما يدله على الهدى ، ويرده عن الردى .

والاسلام يحث على العلم ، ويأمر به ، لأن مبادئه ونظمه وتوجيهاته لا تدرك الا بالعلم ، ولا يقف على أسرارها إلا الذين تفتحت قلوبهم ، وتفتقت عقولهم بنور المعرفة ، وتزودت بزاد الثقافة .
وإذا تصفحت آيات الكتاب المجيد ، وجدت حشدا هائلا من النصوص التي تدفع الانسان دفعا إلى طلب العلم وتحصيله بكل أسلوب . ترغيبا فيه ، وحضا عليه . قال تعالى :
**( شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ) آل عمران / ١٨**
**( قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ) الزمر / ٩**
**( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ) المجادلة / ١١**

**( وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ) آل عمران / ٧**
وإذا ذهبت تحصي الآيات التي تدفع الى العلم والفكر والنظر والبحث ، لوجدتها تربو على ثمانمائة آية .
علام يدل هذا ؟ لا شك أنه يدل على الموقع الفريد للعلم في شريعة القرآن الخالدة ، وأنه منها حجر الزاوية ، والركيزة المتينة ، والدعامة الراسخة .

وعلى أساس من هدى القرآن ، فاضت أحاديث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنصائح غالية ، وتوجيهات سديدة ، وكلها تبين ما للعلم من مكانة ، وما يتبوؤه من منزلة ، وتحفز الانسان إلى طلبه والسعي إليه .
ومن ذلك :
« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » رواه الترمذي
« الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها

فهو أحق بها » ابن ماجة

« إن الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم » النسائي

« إن العالم ليستغفر له كل من في السماوات ومن في الارض حتى الحيتان في قاع البحار تستغفر للعالم » أصحاب السنن

« يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء يوم القيامة » الطبراني

بل إن الرسول الاكرم صلوات الله عليه وسلامه ، يحلق بالعلم في سماء لا تطاولها سماء ، عندما يرفع منزلة العالم على منزلة العابد . فيقول عليه الصلاة والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل فيكم » أبو داود

« ساعة عالم متكئ على أريكته ينظر في علمه خير له من عبادة مائة عام » الطبراني

« مجلس علم خير من الدنيا وما فيها » ابن ماجة

هذه النماذج من كلام الله عز وجل ، ثم من أقوال سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، تكشف الغطاء ، وتزيح الستار ، وتصدع بهذه الحقيقة الخطيرة وهي : أن الاسلام له جناحان يحلق بهما في دنيا الوجود الانساني ألا وهما : علم وفكر .

علم يسلط أضواءه الكاشفة ، فيحل الألغاز ، وينفذ إلى الأسرار ، ويستبطن الأغوار ، حتى يضع يده على مفاتيح الأشياء ، فيجعلها تخضع له ، وتذعن لسلطانه .

ثم فكر يستقبل معطيات العلم ، ويصهرها في بوتقته ، ويوجه إليها عيونا باصرة ، فاذا بها تستحيل إلى مزيج فيه روح الابداع ، ويبدو عليه جلال اليقين . والظاهرة الفريدة التي اتسم بها العلم في ظلال القرآن : أنه لابد أن يسير في هذه الدائرة الخاشعة المتواضعة التي تعتصم بالله ولا تتمرد على سلطانه .

**( ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ) آل عمران/ ١٠١**

هذه الدائرة الالهية هي التي عناها النص المقدس عندما قال : « باسم ربك » . وبالله ما أبهاها !!! وما أكثر إشراقها !!!

إن العلم هنا ليس منتفخ الأوداج ، ولا مزور الجناب ، ولا شامخ الأنف ، لأنه علم يعرف قدره ، ويدرك مدى حجمه ، وينظر إلى ذاته على أنه بالنسبة لعلم الله الواسع المحيط ، كقطرة في بحر ، أو حبة رمل في صحراء واسعة . « و لله المثل الاعلى »

**( ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ) لقمان / ٢٧**

فاذا طلب الانسان العلم ، فان القرآن يوجب عليه أن يبتغيه باسم الله ، ويحصله بقدرة الله ، ويطرق أسبابه وهو مستعين بقوة الله ، ويسير في مسالكه وهو متوكل على الله ، لأن العناية الربانية إذا فارقت إنسانا ، أو تخلت عنه ، فانه سيخرج من كل نشاطه صفر اليدين .

وإذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يقضي عليه اجتهاده

إذا لا غرور ، ولا صلف ، ولا كبرياء ، ولا غطرسة ، ولا أي شيء من هذه الآفات الأخلاقية ينبغي أن يندس إلى كيان الانسان ، أو يتسرب في نفسيته ، بل لابد أن يكون متدثراً بدثار الحياء ، متحلياً بحلية المراقبة ، متزيناً بزينة التواضع .

لأن الانسان يمكث حياته كلها متعلماً ، وفي النهاية إذا ما أراد أن يقيس حصيلة علمه ، أو يحدد لها نسبة ، فانه سيلفى نفسه أنه مازال يحبو على أول الطريق ، ويصعد أول الدرجات .

وبهذا المعنى هتف معلم البشرية وامام الرسل صلوات الله وسلامه عليه :
« لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم فقد جهل » أصحاب السنن ، وإذا سار الانسان في هذا الطريق المنير ، وانتظم في هذا العقد الوضيء ، وأفاض الله عليه ، فيجب أن يسخر كل هذا لغاية واحدة ، ومقصد واحد ، وهو رضا الله وخدمة الانسانية ، وحل مشاكلها ، لأن شعار المسلم هو أنه يجب ان يسخر كل شيء في حياته لخدمة عقيدته وإعلائها والسمو بها ، لأن العقيدة اذا طارت من دنيا الوجود الانساني فان الموازين ستختل ، والمعايير ستفسد ، والمقاييس ستضطرب ، وستتحول الحياة الى غابة حيوانية ، يأكل قويها ضعيفها ، ويستعبد كبيرها صغيرها بدون رادع او وازع .

وجاء مصداقا لهذا قول الرسول الأعظم .
« إذا طلع علي يوم لم أزدد فيه علما يقربني من ربي ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » الطبراني .
ولم كل هذا ؟ أليس العلم عبادة من العبادات بل هو أعظم العبادات شأناً ؟ ألم يقل الرسول محمد : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » الترمذي .
« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » ابن ماجة ..
و إذا كان الأمر كذلك فيجب أن نتوجه بهذه العبادة لله ربنا ، نقصده وحده ، ونضعه نصب أعيننا حتى لا نضل او نزيغ . ومعنى توجهنا اليه بهذا العلم ، أننا نستغله في المجالات التي ترضيه سبحانه وهي كل ميادين النفع العام والخير الشامل للانسانية قاطبة .

وما أجل الرسول وما أروعه !!! عندما صدع بمبدأ الخشية والمراقبة الذي لا مناص من أن يلتزمه الانسان في مسيرته العلمية .. وذلك في قول الرسول الجليل عليه الصلوات « يقربني من ربي » انظروا !! هل تبصرون هذا المعيار النبوي السديد الذي ضبط به محمد قضايا العلم ونظرياته ؟ هل تدركون مدى سموه وجلاله ؟ ان الانسانية في قفزاتها العلمية ، اذا لم تعتصم بهذا المبدأ ،

ولم تأو الى ذاك الحصن ، فكل حصادها سيتحول الى هشيم تذروه الرياح . ذلك لانه فقد العاصم الذي يعصمه ، والحامي الذي يحميه ، فيتبدد ويتلاشى في جحيم الحياة البعيدة عن الله ، وأتونها المستعر المشبوب .. ان العلم في مدرسة القرآن .. فكر وتأمل ونظر عابد ، وقلب خاشع ، واستغلال نافع لنواميس الكون وأسرار الوجود ، وتحليق وصعود ليستشرف الانسان بنفسه عوالم الجمال والجلال ويتساوق مع كائنات الله في سبحاتها الطهور ويتجاوب معها وهي تسبح لخالقها ، وتشهد له بالوحدانية والصمدانية ، والديمومة والهيمنة والاستعلاء .

**( وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا )** الاسراء / ٤٤ .

وقد يثب الى ذهنك سؤال : ما مدى نظرة القرآن إلى العلم ؟ وهل باين في نظرته بين علوم الدين والدنيا ؟

ونقول لك يا أخانا القارىء الكريم ، معاذ حضارة القرآن الرائدة أن تنكمش وتتقاصر فلا تحوي في ساحتها العريضة المديدة علوم الدين والدنيا معا .

إن القرآن جاءنا بالدين ، ولكن ليصلح به الحياة ، ويقوم معوجها ، ويؤسس به حضارة يرضاها ربنا ، ويشيد بسلطانه مدنية تنهض بأمتنا .. فحاشاه ثم حاشاه بعد ذلك ، أن يعيش في عزلة ، أو ينسحب من الميدان ، أو يتقوقع في إطار ذاتي جامد .. أو يفر من مواجهة الحياة بتياراتها الدافقة ومدها الزاحف .

وأي كتاب غير القرآن يا أخي : ربط الانسان بالكون ، وأقام بينهما صلة وطيدة لا تبلى ولا تفنى .. بعد ان كان خليفة الله لا يتجاسر على التأمل فيه ..؟

ان نظرة واحدة تطلعك على أن القرآن كتاب الحياة الصادق ، الذي لا يعرف الزيف او التمويه أو قلب الحقائق .

وها هو ذا الكتاب المبين بين أيدينا ، نتحدى أي إنسان يأتينا ولو بآية واحدة تدل من قريب او بعيد على التفريق بين علوم الدين والدنيا .

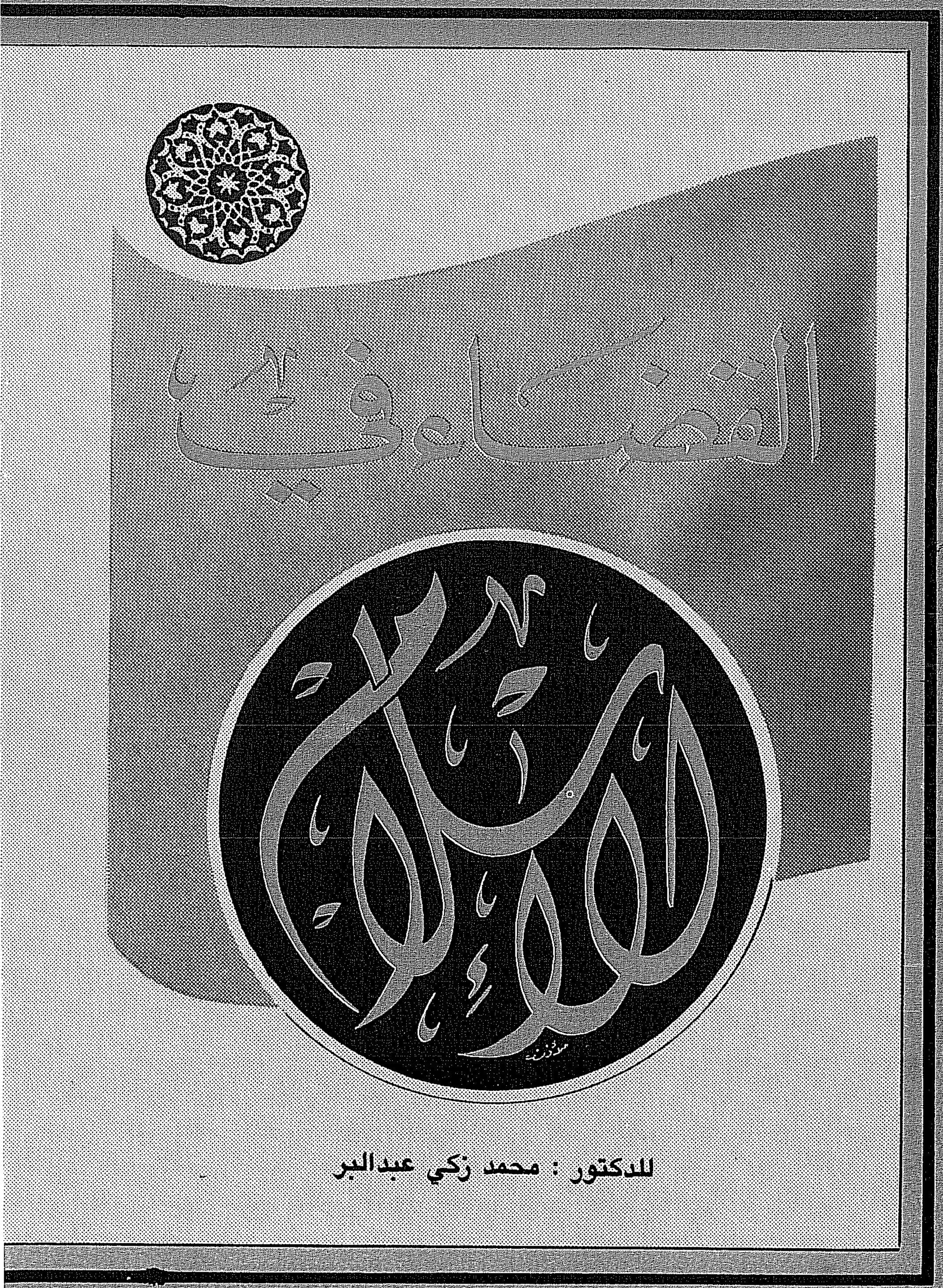
وإذا كان القرآن أتى لينبذ الحياة ، ويقيم بينها وبين أتباعه عداء ، فلماذا يقول لأتباعه :

**( كنتم خير امة أخرجت للناس )** آل عمران / ١١٠ .

إن الزعم بأن القرآن فصل بين الدين والدنيا ، فرية ظالمة كذوب ، روج لها أدعياء الثقافة وجهلة العلم .

وكذا الزعم بأن كتاب الله يعزل علوم الدين عن علوم الدنيا ، تخرص أفاك لا يصدر إلا من إنسان متهافت ضحل في فكره .

إن القرآن دين ودولة ، مصحف وسيف ، عبادة وسياسة ، دنيا وآخرة علم ومعرفة ، ثقافة وعمران ، حضارة ومدنية ، تقدم وارتقاء .


القضاء في
الإسلام
للدكتور : محمد زكي عبدالبر

يكثر الكاتبون والمتحدثون الكلام عن عظمة القضاء الانجليزي وغيره من القضاء الأجنبي . ولسنا نريد الغض من شأن هذا القضاء ، ولكننا نلفت النظر إلى أنه كان في الدولة الاسلامية قضاء سام عزيز منيع يسمو على القضاء الأجنبي الذي يفتخر به أهله ، ولكننا نسيناه أو أهملناه بفعل تأثرنا بالأجانب وانسياقنا وراءهم . وقد مد هذا القضاء الاسلامي وارف عدله على كل من أظلتهم سماء الدولة الاسلامية ، لم يخش حاكما ولم يظلم ذميا ولا ضعيفا ، وإنما سار في قوة وأمانة ، على كتاب الله وسنة رسوله ، يخط في معترك الحياة سبيل العدل والاستقامة ، وقد آن لنا في مرحلة اليقظة التي تجتازها الآن أمتنا أن نلتفت إلى تاريخنا ومنه القضاء . وفيما يلي كلمة موجزة عنه مقصود بها مجرد لفت النظر إلى تراثنا على ما تقدم .

كان هناك ثلاثة انواع من القضاء : ١ ـ القضاء العادي . ٢ ـ قضاء المظالم . ٣ ـ الحسبة ونتكلم على كل فيما يلي :

## ١ ـ القضاء العادي

في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان هو الذي يتولى الفصل في الخصومات . ولما عين ولاة على بعض البلاد عهد الى هؤلاء الولاة بالقضاء أيضا . فعهد به الى معاذ بن جبل حين جعله واليا على اليمن والى عتاب بن أسيد حين نصبه واليا على مكة ـ فكانا يقضيان بين الناس في الخصومات ولما انتشر الاسلام اذن عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ولبعض آخر بالفتيا . وكان المرجع في القضاء والفتيا القرآن الكريم والسنة النبوية .

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه كان هو القاضي في المدينة ، وكان ولاته في الأمصار هم القضاة . ثم أسند القضاء إلى عمر بن الخطاب ولكنه لم يلقب في عهد أبي بكر بالقاضي .

وفي عهد عمر رضي الله عنه انتشر الاسلام واتصل العرب بغيرهم فدعت الحاجة إلى وضع نظام جديد يقوم على الفصل بين الولاية والقضاء وتعيين قضاة غير الولاة ينوبون عن الخليفة في الفصل بين الناس في الخصومات وفقا للقرآن والسنة والاجماع والقياس . وكان عمر رضي الله عنه أول من عين القضاة فولى أبا الدرداء قضاء المدينة وشريحا قضاء الكوفة وأبا موسى الأشعري قضاء البصرة وعثمان بن قيس بن أبي العاص قضاء مصر . وروى أن عمر في آخر

عهده قال ليزيد بن أخت النمر : اكفني بعض الأمور ( يعني صغارها ) ورد عني الناس في الدرهم والدرهمين .

ففي عهد الخلفاء الراشدين كان القاضي يفصل في الخصومات المدنية أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار . وكذلك كانت العقوبات التأديبية تصدر من الخليفة أو عامله . وعلى العموم فقد كان الخليفة يحدد للقاضي ولايته .

وفي عهد بني أمية ظل القضاء على ما كان عليه أيام الخلفاء الراشدين . وكان القاضي يقضي بالقرآن والسنة وفقا لاجتهاده إذ لم تكن المذاهب الفقهية قد ظهرت بعد . ولكن يلاحظ ان الاحاديث النبوية كانت محل جدل كبير بين الفقهاء والمحدثين ونقدة الحديث .

وفي العصر العباسي الأول الذي يبدأ بسنة ١٣٢هـ ظهرت المذاهب الفقهية : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرها . وجمع الحديث في ستة مصنفات هي - باجماع المسلمين - اصح الكتب بعد كتاب الله ولذلك أطلق عليها « الصحاح » وأصحابها هم : البخاري ( ٢٥٦هـ ) ومسلم ( ٢٦١هـ ) وابن ماجة ( ٢٧٣هـ ) والترمذي ( ٢٧٣هـ ) وابو داود ( ٢٧٥هـ ) والنسائي ( ٣٠٣ هـ ) . وضعفت روح الاجتهاد واصبح القاضي ملزما باصدار أحكامه وفق أحد المذاهب السابقة ففي العراق كان القاضي يحكم وفق مذهب أبي حنيفة . وفي الشام والمغرب وفق مذهب مالك وفي مصر وفق مذهب الشافعي . واذا كان الخصمان من غير المذهب الشائع في بلد ما أناب القاضي عنه قاضيا على مذهبهما . وقد أخذ العباسيون عن الفرس نظام « قاضي القضاة » وكان يقيم في حاضرة الدولة ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار . وأول من لقب بهذا اللقب أبو يوسف ( يعقوب بن ابراهيم ) صاحب أبي حنيفة وصاحب كتاب « الخراج » في عهد هارون الرشيد. وكان قاضي القضاة في الاندلس يسمى « قاضي الجماعة » وفي هذا العصر اتسعت ولاية القاضي فبعد أن كان ينظر في الخصومات المدنية والجنائية أصبح يفصل في الدعاوي والأوقاف وتنصيب الأوصياء . وقد يضاف إليه الشرطة والمظالم والقصاص والحسبة ودار الضرب وبيت المال . وفي هذا العصر بعد أن كان لكل ولاية قاض أصبح في كل ولاية قضاة يمثلون المذاهب المختلفة فصار يولي القضاء أربعة يمثلون المذاهب الاربعة ، ينظر كل منهم في النزاع الذي ينشب بين أتباع مذهبه وفي ذلك يقول السيوطي : « كان الخلفاء يولون القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التي تحت حكمهم ، ثم يستنيب القاضي من تحت أمره من يشاء في كل اقليم وفي كل بلد ولهذا كان يلقب « قاضي القضاة » ولا يلقب الا من هو بهذه الصفة ومن عداه بالقاضي فقط وقاضي بلد كذا . وأما الآن فصار في البلد

الواحد أربعة مشتركون كل منهم يلقب « قاضي القضاة » .

وفي العصر العباسي الثاني لم يقتصر الفساد على حالة الدولة المدنية والحربية بل امتد إلى القضاة . وكان القاضي يصدر حكمه وتتولى السلطة تنفيذ هذا الحكم .

ويلاحظ أنه في عهد بني أمية لم يكن القضاة متأثرين بالسياسة بل كانوا مستقلين في أحكامهم لا يتأثرون بميول الحاكمين ، وكانوا مطلقي التصرف وكلمتهم نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج وكان القاضي كما كان في عهد الخلفاء الراشدين رجلا عفيفا ورعا تقيا عالما مجتهدا سالما من العيوب لا تأخذه في الحق لومة لائم . اما في عهد بني العباس فقد تأثر القضاة بالسياسة لأن الخلفاء العباسيين كانوا يريدون إكساب أعمالهم صبغة الشرعية فعملوا على حمل القضاة على السير وفق رغباتهم في الحكم حتى امتنع كثير من الفقهاء عن تولي القضاء ومنهم أبو حنيفة .

## ٢ ــ قضاء المظالم

أنشيء هذا القضاء لوقف تعدي ذوى الجاه والحسب فكانت تعرض على قاضي المظالم القضايا إذا عجز القاضي عن تنفيذ حكمه في قضية رجل من ذوى النفوذ والجاه أو لجأ إليه المتقاضيان لاعتقادهما أن القاضي لم يحكم بينهما بالعدل . ولذلك كان يتولى النظر في المظالم رجل جليل القدر كثير الورع يعرف باسم « قاضي المظالم » .

ولم يجلس للمظالم أحد من الخلفاء الراشدين إلا عليا رضي الله عنه فانه كان ينظر في مشكلة من يأتيه من المتظلمين ويعمل على إنصافه ولكنه لم يعين يوما معينا أو ساعة معينة لذلك .

وكان عبدالملك بن مروان أول من جلس من الخلفاء للنظر في ظلامات الناس . وقد أفرد يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين وإذا استعصى عليه مشكل رده إلى قاضيه ابن ادريس الأزدي فكان ابن ادريس هو المباشر وعبدالله هو الآمر . وكان يحضر مجلسه الفقهاء ليرجع إليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه من المسائل الشرعية .

ويدخل في ولاية قاضي المظالم :

١ ــ النظر في تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة .

٢ ــ جور العمال فيما يجبونه من الأموال فيرجع فيه إلى القوانين العادلة في دواوين الأئمة فيحمل الناس عليها ويأخذ العمال بها وينظر فيما استزادوه فان رفعوه إلى بيت المال أمر برده وإن أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه .

٣ ــ كتاب الدواوين لأنهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه له ويوفون منه فيتصفح أحوال ما وكل إليهم فان عدلوا بحق ، من دخل أو خرج ، الى زيادة أو نقصان اعاده الى قوانينه .

وهذه البنود الثلاثة المتقدمة لا

يحتاج والي المظالم في تصفحها إلى متظلم .

٤ ـ تظلم المرتزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم وإجحاف النظر بهم فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل فيجريه عليهم وينظر فيما نقصوه أو منعوه من قبل فان اخذه ولاة أمورهم استرجع منهم وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال .

٥ ـ رد الغصوب وهو ضربان :

أ ـ احدهما غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها إما لرغبة فيها وإما لتعد على أهلها ـ فهذا إن علم به والي المظالم عند تصفح الأمور ، أمر برده قبل التظلم إليه ، وإن لم يعلم به فهو موقوف على تظلم أربابه .

ب ـ والثاني الغصوب التي تغلب عليها ذوو الأيدي القوية وتصرفوا فيها تصرف الملاك بالقهر والغلبة وهذا موقوف على تظلم أربابه ولا ينتزع من يد غاصبه إلا بأحد أمور أربعة هي :

١ ـ اعتراف الغاصب وإقراره .

٢ ـ علم والي المظالم فيجوز له أن يحكم عليه بعلمه . ٣ ـ بينة تشهد على الغاصب بغصبه أو تشهد للمغصوب منه بملكه . ٤ ـ تظاهر الأخبار الذي ينفي عنها التواطؤ ولا يختلج فيها الشكوك لأنه لما جاز للشهود أن يشهدوا في الأملاك بتظاهر الأخبار كان حكم ولاة المظالم بذلك أحق .

٦ ـ مشارفة الوقوف ( جمع وقف ) وهي ضربان : عامة وخاصة .

ـ فأما العامة فيبدأ بتصفحها وإن لم يكن فيها متظلم ليجريها على سبيلها ويمضيها على شروط واقفها إذا عرفها .

ـ وأما الخاصة فان نظره فيها موقوف على تظلم أهلها عند التنازع فيها لوقفها على خصوم متعينين فيعمل عند التشاجر فيها على ما تثبت به الحقوق عند الحاكم .

ـ تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه من احكام .

ـ النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة كالمجاهر بالمنكر ضعف عن دفعه والتعدي في طريق عجز عن منعه .

ـ مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد .

ـ النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين ، فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه .

## ٣ ـ الحسبة

الحسبة نظام يدور اساسا حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت وظيفة المحتسب هي النظر فيما يتعلق بالنظام العام وغيره مما يستدعى الفصل فيه السرعة .

فوظيفة المحتسب كانت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على الآداب العامة وعلى الفضيلة والأمانة فكان :

ـ ينظر في مراعاة أحكام الشرع

ـ يشرف على نظام الأسواق

ـ يحول دون بروز الحوانيت مما يعوق نظام المرور

ـ استيفاء الديون
ـ الكشف على الموازين والمكاييل .
وكان لها دار خاصة فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار في أوقات معينة ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم فيعايرها فان وجد فيها خللا صادرها وألزم صاحبها شراء غيرها أو أمره باصلاحها .

وكان عمر أول من وضع نظام الحسبة وكان يقوم بعمل المحتسب بنفسه فقد رؤى مرة يضرب جمالا ويقول له : حملت جملك ما لا يطيق .

وكان القضاء والحسبة يسندان في بعض الأحيان إلى رجل واحد مع ما بين العملين من تباين فعمل القاضي مبني على التحقيق والأناة في الحكم ، وعمل المحتسب مبني على الشدة والسرعة في الفصل .

فالقضاء في الدولة الاسلامية كان يقوم به في البداءة ولي الأمر إذ ولى الأمر في الاسلام يجمع ، بتعبيرنا الحاضر ، السلطتين التنفيذية والقضائية أما التشريع فهو لله سبحانه وتعالى : « **إن الحكم الا لله** » وايضا سنة رسوله واجماع المسلمين . ولما بدأت مشاغل ولي الأمر تكثر وتتعقد اخذ يولي غيره في بعض واجباته حسب الظروف . ومعروف انه مما يلتزم به ولي الأمر في الاسلام حفظ الدين وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين وإقامة الحدود ، ففوض غيره في بعض ذلك فكان هناك القضاء العادي وقضاء المظالم والحسبة .

وقد تبين أن هذه الأنواع من القضاء ليست أقساما مستقلة بعضها عن بعض بل هي متداخلة إذ كان يتصل بالقضاء في الاسلام الأخذ على يد الظالم ( المظالم ) كما كان يتصل به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ( الحسبة ) حتى انه كان يولي أحيانا شخص واحد أمرين منها ويجوز لوالي المظالم أن يحكم في الدعوى بدلا من القاضي مما يجعل من الصعب القول بأنه كان بين متولي هذه الأنواع ما بين الجهات القضائية بمعناها الآن من الاستقلال ، ولعل الأصدق ان يقال إنه كان تقسيم تعاون وتضافر لا قسمة اختصاصات وخصوصا وأن المتولين لهذه الأنواع الثلاثة كانوا بمثابة الوكلاء عن شخص واحد هو صاحب السلطة جميعا ، وهو ولي الأمر ، فهو يشبه من حيث طبيعة التقسيم ـ تقسيم العمل بين أعضاء النيابة العامة مع نيابتهم جميعا عن النائب العام في النظم الحالية .

ولا شك في أن هذا التنظيم يدل على حرص الدولة الاسلامية على حسن سير الامور فيها بوضع نظام مناسب لعصره . لا يغض من ذلك ان هذا النظام يحتاج ـ في العصر الحاضر ـ الى نظرة بقصد تحديد الولايات بحيث لا يكون هناك تداخل ، وتنظيم أدق برعاية السلطة القضائية وعدم التداخل بينها وبين السلطة التنفيذية .

والله المستعان ،

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

للاستاذ : محمود منسي

سار الرسول صلوات الله وسلامه عليه في طريقه يدعو الناس الى الله بعد الأحداث التي مرت بساحة المسلمين ، ولم يلتفت الى ما كان يدبره أعداء دين الله ، إن مكائدهم — وقد أعطاه الله البصيرة النافذة — لا تلبث أن تزول وأن تذوب امام زحف الاسلام ، فما ينفع الناس يمكث في الأرض ، واما الزبد فيذهب ولا يبقى ، ولو حاول الناس ما استطاعوا الى ما يريدون سبيلا أو الى ما يبتغون طريقا .

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد مكنوا للايمان في نفوسهم كانوا نعم العون للرسول ، وكانوا مثل هداية وشجاعة واصرار على الحق ، لا تستطيع قوة مهما بلغت من العنف والطغيان أن تزحزحهم عن أماكنهم ، أو تجعلهم يحيدون عن طريقهم الذي رسمه لهم دينهم الذي جاءهم من عند الله ، بعد أن ضلوا وضل أسلافهم مئات القرون في عماية الجهل والضلال .. فقد قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في السنة الثالثة من الهجرة ، رهط من قبيلتي عضل والقارة فقالوا : يارسول الله ، إن فينا اسلاما ، فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام وهم : مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب ابن عدى ، وزيد بن الدثنه ، وعبدالله ابن طارق ، كانوا ستة من الصحابة ، وجعل أميرهم أولهم وهو مرثد بن أبي مرثد — رضي الله عنهم أجمعين —

وخرجوا مع القوم ، يبتغون وجه الله ، وتركوا أهلهم وديارهم في سبيل دينهم حتى إذا كانوا على الرجيع — والرجيع مكان به ماء لقبيلة هذيل في الحجاز — حاولوا الغدر بهم ، وأدرك الصحابة المكيدة ، والشرك الذي وقعوا فيه ، فاستلوا أسيافهم واستعدوا للقتال ، وعندما رأى القوم منهم هذا الاصرار ، قالوا لهم انا والله ما نريد قتلكم أو القضاء عليكم ، ولكننا نريد أن نأخذكم الى أهل مكة لنصيب بكم شيئا من مال أو متاع مقابل تسليمكم إليهم — وهم أهل لكم — وهنا تظهر شجاعة المسلم ، فقد قال مرثد بن أبي مرثد وتابعه خالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت : والله لا نقبل من مشرك مخادع عهدا ولا عقدا أبدا وأنشد عاصم :

ما علمي وأنا جلد نابل
والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل
الموت حق ، والحياة باطل
وكل ما حم الاله نازل
بالمرء والمرء اليه آئل

ثم قاتلوا القوم حتى قتل مرثد وصاحباه خالد وعاصم .. ومن الطريف انه عندما قتل عاصم ، أرادت « هذيل » ان تأخذ رأسه لتبيعها الى سلافة بنت سعد ، وكانت قد نذرت حين اصاب عاصم ابنيها في احد ، لئن استطاعت أن تحصل على رأس عاصم لتشربن الخمر فيها ، وحاول رجل من هذيل أن يحمل رأس عاصم اليها ، وإذ هو في طريقه خرجت عليه أسراب من النحل في الطريق ، ومنعته من الوصول ، وضاعت منه رأس عاصم أو أعماه الله عنها .. وكان عاصم قد أعطى الله عهدا ألا يمسه مشرك أو يمس مشركا أبدا ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه ما حدث : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم قد نذر ألا يمس مشركا في حياته ، فمنعه الله وحفظه بعد مماته ، كما حفظه في حياته .

وأما الثلاثة الذين لم يقتلوا وهم : زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، وعبدالله بن طارق ، فقد أسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، ولكن عبدالله بن طارق استطاع أن يفك نفسه من حبال قيده ، ولكنهم تابعوه وقتلوه رميا بالحجارة ، فقبره هناك في الظهران رحمه الله رحمة واسعة ، وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما الى مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فاشترى خبيبا حجير بن أبي أهاب وسلمه لعقبة بن الحارث ليقتله بأبيه الحارث ـ وأما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وقد شهدت قريش كلها مقتل زيد بن الدثنة عندما خرج به صفوان إلى التنعيم بأرباض مكة ليقتص منه .. وبعث به صفوان مع مولى له يقال له « نسطاس » إلى التنعيم ، وأخرجوه هناك ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش فيهم سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين تقدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن يكون محمد في مكانك ، وأن تكون الآن بين أهلك هنا ـ ويقصد أبو سفيان من قوله هذا ان يعرف رأي زيد في محمد ومدى حبه له ، بعد أن صار إلى هذه الميتة بسبب إسلامه ـ فقال زيد والله ما أحب أن يصاب رسول الله بالأذى ، ولو كانت شوكة تؤذيه ـ قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب غيره كحب أصحاب محمد لمحمد .. ثم قتله نسطاس يرحمه الله ، أما خبيب فتقول ماوية مولاة حجير بن أبي اهاب ـ وكانت قد أسلمت ـ قالت :

كان خبيب عندي ، وحبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوما ، وفي يده قطف من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، قال لي حين حضره القتل : ياأمة الله ، ابعثي إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، فأعطيت غلاما من الحي الموسى ثم قلت له : ادخل بها على الرجل البيت .. قالت : فأخذها الغلام وأسرع بها إليه ، ثم إنني لمت

نفسي على هذا الفعل ، فماذا يكون من أمري إذا اقتص من الغلام وقتله واقتص لنفسه قبل موته .. فلما ناوله الموسى أخذهــــا من يده ثم قال : لعمرك ، أما خافت أمك غدري حين بعثتك بهــذه الموسى إلي ؟ ثم أخلى سبيله .

ثم خرجوا بخبيب ، كما خرجوا بزيد قبله إلى التنعيم بحضور رجالات قريش فقال لهــم : إن رأيتــم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا .. قالوا دونك فاركع ، فركع ركعتــين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبــل على القوم فقال : إنا والله لولا أن تظنوا أنني أطلت جزعا من الموت والقتل لاستكثرت من الصلاة ، فكان خبيب ابن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

ثم رفعوه على خشبة وأوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله .

يقول معاوية بن أبي سفيان بعد أن دخل في الاسلام : لقد حضرت خبيبا حين اقتص منه أهل مكة ، وكان في جملــة الحاضريــن أبــــو سفيان ، فرأيته يلقيني على الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه ونام على جنبه لم يلحقه الأذى .

وكان سعيد بن عامر رضي الله عنه عاملا لعمر بن الخطاب على بعض بلاد الشام ، فكانت تصيبه غشية فيقع وهو جالس أو سائر بين الناس ، فذكر الناس هذا لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فقال عندما سأله عمر لما قدم عليه : ياسعيد ، ما هذا الذي يصيبك ، ويلم بك ؟

فقــال سعيــد : واللــه ياأميــر المؤمنين ، وياصاحب رسول الله ، ما بي من بأس ، ولكنني كنت ممن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعــت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي ، أو تذكرتها وأنا في مجلس من المجالس إلا غشى علي .

قال ابن عباس : لما أصيب مرثد وعاصم بالرجيــع قال رجــال من المنافقين : ياويــح هؤلاء المفتونــين الذي هلكوا هكذا ، فلا هم قعدوا في أهلهــــم ، ولا هم أدوا رسالـــة صاحبهم ، فأنزل اللــه فيهــم أي المنافقين قوله تعالى : **( ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا )** أي يتظاهر بالاســلام وقلبــه مليْ بالنفاق ...: **( ويشهد الله على ما في قلبــه وهــو ألــد الخصـــام )** البقرة/ ٢٠٤ . وهو أشد الناس كرها للاسلام وإن حاول أن يخفي ما في نفسه ، ويحاول تغطية هذا بالجدال والمحاجة ، ويقول حسان بن ثابت راثيا خبيبا من قصيدة طويلة نجتزىْ منها :

ما بال عينــك لا ترقـــا مدامعها
سحا على الصدر مثـل اللؤلــؤ القلق

على خبيــب فتــى الفتيــان قد علموا
لا فشــل حــين تلقـــاه ولا نزق

فاذهــب خبيـــب جزاك اللـــه طيبة
وجنة الخلــد عنــد الجــور في الرفق

وهكذا لم تكن الأرض التي سار عليها الاسلام مفروشة بالزهور والورود ، بل انها كانت في كثير من الأوقات ملأى بالأشواك ، وتكتنفها الصخور والجنادل ، وما أصحاب الدين الذين تحدثنا عنهم في الحديث السابق إلا مثالا من الأمثلة الهينة الدالة على صدق هذه الدعوة ، وصحة هذا القول ، فهذا شأن الناس دائما ، فالف الأمور وتعودها يجعل منها ركائز ثابتة في حياتهم ، ومحاور لفكرهم لا يخرجون عن سلطانها ولا يحيدون عن دورانها ولا يستطيعون منها فكاكا وان أرادوا ، لقد كان كثير من الكفار يعرفون أن رسالة السماء وما جاءت به هو الحق ، ولكنهم غير قادرين على الخروج على عاداتهم وما ألفوه في حياتهم ولا يقتصر الأمر عند حد الوقوف موقفا لا يتقبلون فيه الجديد ، ولكنهم يحاولون طمسه والعدوان عليه ، ومن ذلك ما حدث عند بئر معونة بعد ثلاثة أو أربعة أشهر من أحد ، فقد قدم أبو براء عامر بن جعفر — ملاعب الأسنة — على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في المدينة ، فعرض عليه الدخول في الاسلام ودعاه إليه ، فلم يرفض وإنما قال :

لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد ، فدعوا الناس هناك إلى دينك رجوت أن يستجيبوا لك .. فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إني أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فاختار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المنذر بن عمرو — أخا بني ساعدة — مع أربعين رجلا من خيرة أصحابه فمنهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة ابن أسماء ، ونافع بن بديل بن ورقاء ، وعامر بن فهيرة مولي أبي بكر الصديق وغيرهم من رجال مشهود لهم بالسبق في الاسلام ، فساروا حتى نزلوا بأرض تسمى بئر معونة ، وهي بين مضارب بني عامر ، وبين بني سليم — فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم ينظر حتى يقرأه بل قتله قبل أن يفض خطابه ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبو أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا :

إن أبا براء — ملاعب الأسنة قد عقد لهم عقدا وجوارا وانا لن ننقض عهده معهم ، فاستصرخ عليهم بني سليم فأجابوه إلى ذلك .. وخرجوا حتى أحاطوا بصحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاستعدوا لقتالهم ، ودارت معركة غير متكافئة انتهت بقتل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق ، وعاش حتى قتل في غزوة الخندق ومات شهيدا .

وتصادف أن كان قريبا من المكان عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار ، فرأوا طيورا تحوم على

موضع من الأرض فقالا : لا شك أن لهذه شأنا ، ثم انطلقا حيث تحلق الطيور ، فوجدا أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد تسربلوا بدمائهم قد لحقوا بأهل الشهادة ، واستقر رأيهما على اللحاق برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وليخبراه بما رأياه ، ولكن لحقهما عامر بن الطفيل ، ورجاله ، فهرب الأنصاري ولكن عمرو بن أمية وقع أسيرا ، فلما أخبرهم أنهما من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته ، واعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

وسار عمرو بن أمية بعدها حتى إذا نزل بمكان في الطريق نزل به رجلان ، ولما سألهما عرف أنهما من بني عامر ، فتحين الفرصة وقتلهما ، وهو لا يعلم أن بين بني عامر ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عهدا ، وهو يرى أنه قد أخذ ببعض ثأر المسلمين بفعلته هذه ، فلما قدم عمرو ابن أمية على الرسول ، وأعلمه الخبر قال له : ياعمرو ، لقد قتلت اثنين قد عاهدناهما ، وعلينا ديتهما ، ولما بلغ أبو براء ما حدث ، شق عليه إخفار عامر بن الطفيل له ، واستعانته ببني سليم للقضاء على صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

ثم خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى بني النضير : « يستعينهم في دية هذين الرجلين اللذين قتلا من بني عامر ، وقد قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، وكان أيضا بين بني النضير وبين بني عامر حلف وعهد فلما أتاهم قالوا : نعم ياأبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، وما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إن هذه فرصة مواتية ، فمن يجلس إلى جنب جدار من جدرنا ، فما علينا إلا أن يقوم رجل منا فيلقي حجرا على رأسه فيموت لساعته ؛ وبذلك يأمن اليهود على أنفسهم بعده ، ويريحنا منه .. وانتدبوا لهذا العمل عمرو بن حماش بن كعب ــ أحدهم ــ فقال : أنا لذلك .

فصعد ليلقي عليه الصخرة ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في نفر من أصحابه ، وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ

فعلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد أتاه الخبر من السماء بما يدبر من خلف ظهره ، فقام على الفور ورجع صلى الله عليه وسلم ــ ومن كان معه ، ولما سأله أصحابه عن الأسباب التي دفعته على القيام ومغادرة المكان ، فأخبرهم الخبر ، وأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالتهيؤ لهم والسير إليهم ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه بالحصون .

وأرسل المنافقون وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول ــ زعيم المنافقين ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، أرسلوا إلى بني النضير يقولون لهم مشجعين : اثبتوا وتمنعوا ، فانا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم

خرجنا معكم ، ولكنهم خافوا مغبة فعلهم وفشلوا في محاولة نصرتهم ، وقذف الله في قلوب بني النضير الرعب ، وسألوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يجليهم وأن يكف عنهم وعن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الابل إلا السلاح ، فقبل ، وخرجوا من ديارهم يحملون أموالهم ومتاعهم بقدر ما استطاعت الابل أن تحمل ، ثم خرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى بلاد الشام .

يقول ابن هشام ، إن عبدالله بن بكر قال : إنهم خرجوا بالنساء والأموال والأولاد ، معهم المزامير والدفوف وما بقى من الأموال وضعت عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليضعها في بيت مال المسلمين ، ثم قسمت على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف ، وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونزلت في بني النضير آيات بينات من سورة الحشر ، يذكر فيها ما أصابهم من نقمة الله عز وجل ، وما سلط عليهم من العذاب فقال تعالى :

**( هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار )** الحشر/٢ ، هذه بعض صور مما لاقاه المسلمون على أيدي أعداء الاسلام من المنافقين واليهود وغيرهم ، الذين وقفوا من النور موقف المعاند المعارض ، الذي يرى الحق بعينيه ، ويسمعه بأذنيه ، ويمحصه بعقله ، ولكنه يأبى أن يستجيب لداعي الحق كبرا وعنادا وصلفا واستعلاء ، وكم في حياة الناس من هؤلاء من يرون الحق ولكنهم ينكرونه ، ومن يسمعون دعوته ولكنهم يضعون أصابعهم في آذانهم ، ويستكبرون استكبارا ، ولكن النصر يأتي في أعقاب الهزيمة ، والنجاح الذي يأتي في أعقاب كل عمل مخلص يقصد به وجه الله إنما هو من أعظم الأعمال أجرا ، وأرفعها قدرا عند رب العالمين ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

لم يكن ممكنا والحال هكذا أن يتوقف القتال ، أو يهدأ الطرفان ، فالدين القادم من السماء قوة تحاول الانطلاق بما تحمل من مبادئ وقيم ومثل ونظم فيها صلاح للبشر في حياتهم ومماتهم ، ودنياهم وأخراهم ، أما العبادة القديمة فهي قائمة على الوهم ، ولا بد لها أن تصارع لتبقى فهذه سنة الحياة ، فان الفناء فكرة لا تتقبلها الحياة إلا مرغمة ، ولا تستسيغها إلا مكرهة ، مهما كان نوع هذه الحياة ، حتى لو كانت طفيلية لاقيمة لها ولا وزن .. فما بين السنة الثالثة والخامسة للهجرة حدثت حوادث وغزوات صغيرة متفرقة ، كغزوة بدر الآخرة ، والتي لم يحدث فيها قتال أو لقاء ، لأن أبا

سفيان كان قد قال مقالة عقب خروجه من ميدان أحد ، وهي : موعدنا معكم العام المقبل ، ورد عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالقبول للقاء ، في نفس الموعد ، فخرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بارا بوعده ، وبقى هناك أياما ، رغم أن أبا سفيان وقريشا لم يبرا بوعدهما ..

وكذلك غزوة ذات الرقاع في غطفان ، ولم تحدث بها حرب كذلك ، كما قام الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بغزو دومة الجندل ، ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، وهي موطن حديثنا اليوم ، والتي سوف يتضح منها أنها كانت قمة لتلاحم أئمة الكفر والمنافقين واليهود للوقوف في وجه الدين الجديد ، والنور الوليد ..

فقد اجتمع نفر من زعماء اليهود ، منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبى الحقيق النضري وغيرهم من بني النضير وبني وائل ، وقاموا بتحزيب الأحزاب وتجميعهم ، فقد خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ودعوهم إلى حرب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأكدوا لهم أنهم سيكونون في مقدمة هؤلاء المحاربين بعد مالقوا من محمد ، وقالوا : إنا سنكون معكم حتى نستأصله فأجابتهم قريش أو أجابهم سادتها بأن قالوا : يامعشر اليهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، وأنتم تعلمون أننا نختلف مع محمد ، وأن ديننا يختلف مع دينه ، فمن على حق منا ، أهو أم نحن ؟ فقال لهم زعماء اليهود : بل أنتم على حق ، ودينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ..

ولما سمعت قريش ، أو سمع زعماء قريش مقالة اليهود سرهم ماسمعوا ، ونشطوا وخفوا وتسارعوا إلى دعوة رءوس اليهود لقتال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وترك زعماء اليهود مكة وانطلقوا إلى غيرها يؤلبون الكفار والمنافقين على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى دينه الجديد ، ويبينون لهم الأخطار التي ستحيق بزعامتهم إذا هم لم يقاتلوا محمدا وينتصروا عليه ، فذهبوا إلى غطفان ، وقالوا لهم ما قالوه لزعماء قريش ، ولم يخرجوا من ديارهم إلا وغطفان قد انضمت لجموعهم ، واستعدت لحرب المسلمين والقضاء عليهم ، وعلى الدين الجديد ، وذهبوا إلى فزارة ، وبني مر وغيرهم ، فخرجت قريش يقودها ويحمل لواءها أبو سفيان بن حرب ، كما خرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن ، وخرجت بني مرة يقودها الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى في بني مرة ، ومسْعر بن رحيلة فيمن تابعه من أشجع ، خرجت هذه الجموع التي بلغت عشرة آلاف مقاتل ، يملكون عدد الحرب والقتال ، ومعهم مايحتاجونه من الطعام والزاد لمدة طويلة ..

ولما بلغ الخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ جمع أصحابه واستشارهم ، واستقر رأيه ورأيهم على حفر خندق حول المدينة ــ وكان اقتراحا من رجل فارسي مسلم ، هو

سلمان الفارسي – رضى الله عنه – وأجمعوا أمرهم على مباشرة الحفر على الفور ، حتى لا تسبقهم أحزاب الكفر في الوصول إلى المدينة ودخولها ، وهنا ظهرت المساواة بين الناس في حفر هذا الخندق ، فقد أشترك في حفره جميع المسلمين وفيهم الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – فقد كان يشارك في الحفر بيديه الكريمتين كأقل رجل في المسلمين ، ولكن المنافقين اتضح موقفهم ، فهم لا يرفعون رءوسهم إلا في مثل هذه الظروف العصيبة ، وأخذوا يتباطئون في عملهم ، ويعتذرون بالضعف وعدم القدرة على تحمل مشقة العمل ، ويتسللون إلى أهليهم بغير إذن أو علم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الوقت الذي كان لا يستطيع فيه أحد من المسلمين أن يترك مكانه حتى لقضاء حاجته الا باذن من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيأذن له ، ويعود بعدها ، رغبة في الخير واحتسابا في الأجر . يقول سبحانه وتعالى :

**( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم )** النور /٦٢

وقال تعالى في المنافقين : **( قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )** النور /٦٣

وعندما فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون من حفر الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم من بني كنانة وأهل تهامة كما أشرنا من قبل ، وكانت فيهم غطفان ومن تابعها من أهل نجد ، ونزلت بجانب أحد ..

وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وعسكر خلف الخندق ، أما النساء والأطفال فقد أودعوهم حصون المدينة ..

وأخذت الفتنة تلعب بقرونها ، وحاول – عدو الله – حيى بن أخطب النضرى أن يغرى كعب بن أسد زعيم بني قريظة ، وكان قد وادع – رسول الله صلى الله عليه وسلم – وعاهده ، فلما جاءه حيى بن أخطب يطرق بابه قال له : اذهب عني فأنت رجل مشئوم .

ولكن هذا لم يثن حيى بن أخطب فقد كان داهية في المكر والخديعة ، والقدرة على إقناع الناس بما يريد ، وظل ينادي كعب بن أسد زعيم بني قريظة ، ويتوسل إليه حتى فتح بابه له ، فقال : تغلق بابك دوني وقد أتيتك بالخير وعز الدهر ، جئت بجيش لا قبل لمحمد به ، ولن يستطيع أن يصمد في وجهه مهما حاول ، لقد جئتك بقريش وقادتها وذوى الرأي والبطش وأصحاب الثراء والمال فيها حتى أنزلتهم هناك بمجتمع الأسيال من رومة – مكان يسمى بهذا الاسم ،

وهو الذي عسكرت فيه قريش .
وجئتك بغطفان ومعها سادتها وأرباب الرأي والشرف فيها ، وأنزلتهم إلى جانب أحد ، لقد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبارحوا هذا المكان حتى يستأصلوا شوكة محمد ، وينهوا الأمر فيعود إلينا سلطاننا وحياتنا التي ألفناها .
ولكن كعب بن أسد القريظي قال له : جئتني والله بذل الدهر ، وبسحاب جهام لا ماء فيه ولا خير ، فهو يبرق ويرعد وليس فيه شيء ، ويحك ياابن أخطب ، فدعني وشأني ، فأنا لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا وبرا .
ولكن حيى لم يسلم بالأمر ولم يزل بكعب حتى أعطاه عهدا وميثاقا بأنه إذا رجعت قريش دو ن أن تقضي على محمد ، فسوف يدخل بقومه معه في حصنه ، وليحدث لهم ما يحدث ، وليصيبهم ما يصيبهم سويا ... ولما بلغ الأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم بعث إليهم سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير وقال لهم : اذهبوا وانظروا .. أحقا ما بلغنا من أمر هؤلاء القوم .

عسكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بجنده خلف الخندق في ثلاثة آلاف في غزوة الخندق ، وكما سبق أن ذكرنا في الحديث ، أن المشركين من قريش وأنصارهم ومن تابعهم قد جاءوا بعشرة آلاف مقاتل ، وعسكروا في أماكن أحاطوا بها بالمدينة ، وقد جمع أشتات هذا الجيش الكبير يهود بني النضير وحرضوهم على قتال المسلمين ، وحاولوا ضم بني قريظة إلى هذا الجمع المعادي للمسلمين ، وعرفنا أن حيى بن أخطب استطاع أن يجعل كعب بن أسد ينكث وعده مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأرسل الرسول جماعة من أصحابه لاستقصاء هذا الأمر ومعرفة مايدبر بنو قريظة ، وليتأكد من صحة ما وصله من أخبار عن اتصال الأعداء بهم ..
ولما وصلت الجماعة المكونة من سعد ابن عبادة وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير إلى بني قريظة وسألوهم عما بلغ المسلمين من نكثهم لعهدهم واتصالهم بأعدائهم ، فوجدوهم على أخبث مما سمعوا أو بلغهم من نبئهم إذ قالوا : من رسول الله هذا ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه صرامة وحدة ، ولكن سعد بن عبادة قال له : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا أكبر من المشاتمة ثم أقبلا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعهم بقية من ذهب إليهم .. ولما سألهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن القوم قالوا : عضل والقارة – أي كغدر أصحاب الرجيع بأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم .
ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم : قال باطمئنان : ابشروا يامعشر المسلمين ..

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الكرب ، وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق عن بعض المنافقين حتى قال أحدهم لائما ومثبطا :

لقد كان محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن اليوم على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال أوس بن قيظي : يارسول الله : إن بيوتنا عورة ، فهي خارج المدينة ، وإنا نخاف أن يدخلها الأعداء فأذن لنا أن نذهب إليها لحمايتها ..

وقد نزلت فيهم آيات كريمة من القرآن الحكيم وحاصر الكفار والمشركون المدينة ما يقرب من شهر ، ولم تكن هناك حرب سوى المبارزة والرمي بالنبال ، ولما اشتد على الناس البلاء ، وعظم الخطب ، أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رجلين من قادة أعدائه وهما عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما ، وقبل الرجلان الصلح على هذه الشروط ، وقبل أن يشهد على إقرار الصلح طلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وهما سيدا الأوس والخزرج فاستشارهما في الأمر ، ولكنهما قالا له :

يارسول الله ، أهو أمر تحبه فنصنعه ؟ أم شيء أمرك الله به ؟ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : بل هو أمر أصنعه لكم .. ثم قال : والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وأتوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما .

فقال سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وكانوا لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا ، فكيف وقد أكرمنا الله وشرفنا بالاسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك نعطيهم نخيلنا وأموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنت وذاك ، وتناول سعد بن معاذ الصحيفة ومحا ما فيها من الكتابة .

وحاولت مجموعة من فرسان العدو أن يقتحموا المدينة على المسلمين ، فاختاروا مكانا ضيقا ، وحاولوا عبوره بخيلهم وقد تصدى لهم علي بن أبى طالب وجماعة من المسلمين فردوهم على أعقابهم .

ومن المبارزات الشهيرة في تاريخ الاسلام ما حدث بين علي بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وبين عمرو ابن ود ، وهو أحد أبطال العرب الذين شهدت لهم ميادين القتال بالفروسية والشجاعة فقد وقف في مواجهة المسلمين أمام الخندق وسار راكبا فرسه مختالا قائلا :

- ألا من مبارز ؟ ..ألا من مبارز ؟ أنا عمرو بن ود لا ينكرني أحد من العرب ، وكلهم يخافني ويرهبني فبرز

له علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقال : ياعمرو ، إنك كنت قد عاهدت ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذتهما منه .

فقال عمرو : أجل .. فقال له علي : فاني أدعوك إلى الله ورسوله والى الاسلام .. ولكن عمرا أجابه بقوله : لا حاجة لي بذلك .. ثم أتبع علي مقالته بدعوته للنزال .. فأجابه عمرو قائلا : ولم يا ابن أخي تدعوني إلى ذلك ؟ فو الله ما أحب أن أقتلك ، ولكن عليا أثاره بقوله : ولكني أحب أن أقتلك .. والحقيقة أن علي بن أبي طالب كان يود أن ينازله فاستثاره لذلك ، لأن قتل رجل مثل عمرو بن ود بمثابة هزيمة لجيش كبير ، وإن كانت الأخرى فهي الشهادة ، وهي إحدى الحسنيين ، وكان قصده من هذه المبارزة رفع الروح المعنوية لدى جند المسلمين بعدما لا قوه من العنت والبلاء بسبب الحصار ، إنها مواقف مضيئة في تاريخ الاسلام ، يجب ألا تمر بسهولة حين نسمعها أو نقرؤها فهي مواقف بطولة خالدة على مر الدهور ..

ولما سمع عمرو بن ود كلام علي بن أبي طالب وتحديه السافر ، وكان علي ـ كرم الله وجهه ـ لازال حدثا صغيرا نزل عن فرسه ، وعقره على مرأى ومسمع من الجيشين ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على ناحية علي بن أبي طالب شاهرا سيفه فتنازلا ، وتبارزا ، ودارت معركة شرسة بين رجلين ، رجل قوي مارس الحروب وله شهرة في عالم السيف وشاب لازال في مقتبل عمره يحاول بشجاعته وإيمانه أن ينتصر على هذا الخصم القوي ، ويثبت الله فؤاد علي ، ويحدث مالم يتوقعه الناس من كلا الجيشين ، ويقتل علي بن أبي طالب عمرو بن ود فارس العرب ، وابرع من أمسك سيفا في جزيرة العرب في هذا الوقت .. كان مقتل عمرو بن ود فألا سيئا للأحزاب الذين اجتمعوا لقتال المسلمين في هذه الغزوة المشهورة في تاريخ الاسلام ، فقد رأى الكفار أعظم محارب في تاريخ العرب يخر صريعا تحت أقدام غلام صغير من رجال محمد ، ليست له خبرة طويلة بعد بفنون الحرب والقتال كما كان عمرو .. ولقد هلل المسلمون وكبروا الله عز وجل الذي هزم وقتل عمرو بن ود على يد علي بن أبي طالب ، والذي كان منذ وقت قصير يمشي مختالا متبجحا مغرورا ، وهللوا وكبروا لأن الله قد وهبهم بطلا ترهبه الأبطال ، وتخافه الشجعان ، فلقد عوضهم انتصاره عن المشقة التي لاقوها في حفر الخندق ، وما سمعوه وتناقلته الأخبار عن انضمام بني قريظة لأعدائهم ، حتى أن عكرمة بن أبي جهل عندما رأى مصرع عمرو ألقى برمحه على الأرض وهو في أشد حالات الغيظ والاحباط هربا ، ويقول في هذا حسان بن ثابت شاعر الاسلام والمسلمين :

فر وألقى لنا رمحه
لعلك عكرم لم تفعل

ولم تلو ظهرك مستأنسا
كأن قفاك قفا فرعل

# فداء

للدكتور
محمد فوزي فيض الله

تشبث بعض الذين كتبوا في فقه السيرة وغيرها ، بقصة أسرى بدر ، ورأوا فيها مجالا ودليلا على اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم انتهوا من ذلك الى تقرير انه : « اذا صح للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان يجتهد . صح منه بناء على ذلك أن يخطىء في الاجتهاد ويصيب غير ان الخطأ لا يستمر بل لا بد أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده » .

ولم نشته هذا المس لمقام النبوة ، وتسوية اجتهاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الأصل ، باجتهاد غيره ، بحيث يخطىء كما يخطىء غيره ويصيب فمثل هذا القول لا يصح ان يطلق على سيد اهل الدنيا والآخرة ، وسيد ولد آدم ، وسر هذا الكون ومعناه .

وكنا نود ان يفرق في اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين ما يتصل بشئون الدنيا ، وهذا لا نزاع فيه ، وبين ما يتصل بأحكام الشرع ، وهذا محل نزاع قديم معروف ـ مع ذلك ـ في الاصول : فمنعه ابن حزم ، واقره آخرون ، وتوقف فيه حجة الاسلام الامام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ..

ومع ذلك فلن نخوض في هذا المبحث الاصولي الآن : وهو يستحق ان يفرد بالبحث : لكنا سنناقش فكرتين :

الأولى : تشبيه اجتهاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتسويته باجتهاد غيره ، كما يفهم من النص الذي

# أسرى بدر

أشرنا اليه : إذ قضية الخطأ والصواب في الاجتهاد ، هي شأن المجتهدين والحكام .

الأخرى : فكرة اجتهاده في أسرى بدر ، فهل كان قبوله الفداء منهم اجتهادا ، وهل كان مخطئا في هذا الاجتهاد ، حتى ترتب عليه نزول الوحي بالقرآن مصححا خطأه ، معاتبا له فيما وصل اليه فيه من حكم ؟

ونقول في تسوية اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ باجتهاد غيره : ان اجتهاد غيره قد يكون في تفهم النصوص التي بين يديه ، أو في دفع التعارض الذي قد يبدو فيما بينها ، بالتوفيق أو الترجيح أو النسخ أو ما الى ذلك ، أو في القياس على المنصوصات الثابتة .

أما اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يكون ـ عند القائلين به ـ الا في قياس حكم الحوادث التي تجد ولا نص فيها على نظائرها مما نزل عليه فيه الوحي . ومن هنا افترق اجتهاده عن اجتهاد غيره ، لأنه آيل الى الوحي ، وهو بمنزلة الوحي ، ولهذا يجب الوقوف عند اجتهاده ، والتزامه والايمان به على انه وحي ، وحكم منزل ، لا خيرة لأحد فيه ، ولا تعقيب عليه .. فلا يمكن أن يحتمل الخطأ .

اما اجتهاد غيره ، فيعروه الخطأ ، من حيث أنه قد ينحرف به فهم النص ، وقد يبدو له التعارض ،

وهو غير واقع ، وقد يذهب الى النسخ وهو غير ثابت ، فلهذا يقع في الخطأ ، ويخالفه غيره من المجتهدين . وهذه الأمور والملابسات لا تنزل بساحة النبوة ، التي تبينت معا في التنزيل ، وبينته للناس ، وعينت موضع كل دليل ، وميزت الناسخ والمنسوخ ، لا جرم ترفع اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا عن الخطأ ، وتعرض اجتهاد غيره لبعض الخطأ .

ان الذي يرتد اجتهاده الى الوحي ، فاجتهاده وحي ، فيكون بمعزل عن الخطأ . فهذا قول الله تعالى : ( **وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى** ) . النجم/٣و٤ .

وإن الذي يقلب نظره في معاني النصوص والتنزيل ، وتتعارض بين يديه الأدلة . ويحاول التوفيق بينها قد يخطئه الحمل والتوفيق ، لا جرم كان هو الذي قد يخطئ في اجتهاده ويصيب . وقضية هذا الخطأ ومبعثه انه لا يعتمد على الوحي مباشرة . اما اجتهاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا مصدر له الا الوحي ، نصا أو قياسا والوحي منزه عن الخطأ فكذا الاجتهاد الذي يبتني عليه .

وليس من الحق بعد هذا البيان ـ وهو الحق ـ أن يقال : « اذا صح له ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يجتهد صح منه بناء على ذلك ان يخطئ في الاجتهاد ويصيب » فسقطت فكرة الخطأ في اجتهاده ، وسقطت تبعا لها فكرة التسوية بين اجتهاد النبي ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ واجتهاد غيره . وثبت ان اجتهاده لا يتأتى عليه خطأ ، ولا يوصف الا بالصحة والعصمة . ولا يختلف في هذا المسلمون .

وأهل العلم متفقون على انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأبعدهم نظرا ، وأكثرهم عبرا ، في سائر أحواله ، لا يناغي في ذلك ولا يجاري وهم متفقون على انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ معصوم بعصمة الله تعالى له ، ولا نص في الكتاب ولا في السنة ، ولا في كلام الصحابة ، ولا السلف في خير القرون ، ولا في كلام الأئمة المقتدى بهم ، يشير الى نسبة الخطأ اليه .

هذا ما يتعلق بفكرة اجتهاده ، ونسبة الخطأ اليه .

أما ما يتعلق بفكرة اجتهاده في قبول الفداء من أسرى بدر ، فقد تعلق بها أيضا بعض الكاتبين ، وانتهوا إلى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخطأ في قبول الفداء منهم ، وانه نزلت فيه الآيات معاتبات .

والثابت من الروايات في هذه الواقعة ، هو : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشار أبا بكر وعمر ـ واستشار الناس في الأسرى يوم بدر :

فقال أبو بكر : يا نبي الله : هؤلاء هم بنو العم والعشيرة والاخوان ، وإني أرى أن تأخذ منهم الفداء ، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على

الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا .

وقال عمر : والله ما أرى رأي أبي بكر : ولكن أرى ان تمكنني من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .

قال عمر : فهوي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والى أبي بكر ، وهما يبكيان ، فقلت : ما يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما !

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » رواه مسلم لشجرة قريبة منه ـ وانزل الله ـ عز وجل ـ : **( ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم )** الانفال/٦٧/٦٩ .

ونحن نتساءل فنقول : هل في هذه القصة ما يدل على خطأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاجتهاد ؟ وهل فيها ما يدل على عتابه في اجتهاده هذا ؟

والواقع انه ليس في هذه القصة المذكورة ، ما يدل على اجتهاده مطلقا ؟ فلا تدل على انه اخطأ بالضرورة ، كما لا تدل على عتابه في اجتهاده لزوما : وذلك للأمور الآتية :

١ ) ـ إن حكم الاسرى معروف في الاسلام ، وهو تخيير الامام بين الفداء والقتل فاطراح المسألة على الصحابة للاستشارة والاستشارة في ترجيح احد الامرين . « رواية الامام احمد : « استشار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس في الاسرى يوم بدر » . فالاستشارة لبيان اي الوجهين اقرب الى المصلحة فقدم رأيان مدعمان بالدليل ، وبدا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان قبول الفداء أرجح وأصلح ، فأخذ به . فليس في القضية اجتهاد ، وانما هي الاستشارة ، واختيار احد حكمين معروفين وللحاكم ـ من قبل ومن بعد ـ حق الخيرة منهما ـ فأين هذا من الاجتهاد ؟

٢ ) ـ ان اختياره ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبول الفداء ، جاء موافقا لما في أم الكتاب ، بتفسير ابن عباس قوله تعالى : **( لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم )** ، فقد روي عنه ان المراد :

لولا ما ثبت في ام الكتاب من ان المغانم والاساري حلال لكم ، لمسكم فيما اخذتم من الاسرى فداء عذاب عظيم . والفداء في معنى الغنائم ، من حيث انه مال مأخوذ من الكفار .

٣ ) ــ انه ما يكون لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقتضى كمال فطرته ، وعظيم خلقه ، وبالغ رأفته ورحمته بأمته ، وقد خير بين القتل والفداء ، ان يختار الا الفداء . فهذا من تطبيقات ما صح في الحديث : « ما خير رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين أمرين الا أختار أيسرهما ، ما لم يكن اثما » رواه البخاري فكيف يوصف اختياره لامر منسجم مع طبيعته وسلوكه انه مخطئ فيه ؟

٤ ) ــ ان قوله تعالى بعد ذلك : **( فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا )** اقرار له عليه الصلاة والسلام ــ على ما فعله ، وهو اختيار الفداء ، وهل يمكن ان يقر على ما اخطأ فيه ؟ وكيف ينكر عليه ما وافق المكتوب في ام الكتاب ؟

٥ ) ــ ان قضية الخطأ ولازمه ان يؤمر ــ لو حدث ــ برد الفداء على الأسرى ، لا ان يقال له : **( فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا )** اذ كيف يعتبر لازم الخطأ واثره حلالا طيبا ويباح تناوله بعد العلم ؟

٦ ) ــ لو كان اختياره هنا خطأ نبه عليه ، لما امتدح باحلال الغنائم له ، بقوله في الصحيح : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » .

٧ ) ــ قد كان فعله احتياطا وحكمة ، وتوقفا وانتظارا ــ كما يقول الامام ابن العربي ــ ، وليس معصية غير معنية ، كما رأى بعض الناس ــ وحاشاه من ذلك ــ فالقتل لا يفوت بأخذ الفداء ، اذ يمكن رده وتنفيذ الاثخان : بخلاف ما لو وقع الاثخان أولا ، فانه يفوت قبول الفداء . ورشح هذا الانتظار قتل سبعين من المشركين ، فيهم الصناديد والاكباش : فهل كان ذلك كافيا في الاثخان ؟

٨ ) ــ أن قبول الفداء حكم شرعي ثابت قبل غزوة بدر : فقد فدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عثمان ابن عبد الله ، والحكم بن كيسان ــ حين أسرا في سرية عبد الله بن جحش ، التي خرجت تعترض عيرا لقريش . كل واحد بأربعين اوقية . ولم يخطأ وقتئذ ولم يعاتب ، فكيف يخطأ هنا ويعاتب ؟

٩ ) ــ ورد « عن علي قوله : جاء جبريل الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر ، فقال له : خير أصحابك في الاسارى : إن شاؤوا القتل ، وان شاؤوا الفداء ، على ان يقتل منهم ــ يعني من الصحابة ــ في العام المقبل مثلهم . فقالوا : نختار الفداء ، ويقتل منا » . وذلك رغبة منهم في الشهادة في سبيل الله تعالى ــ .

فيقول الحافظ ابن حجر معلقا على هذا الحديث : وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه . وعلى هذا

يكون العتب موجها اليهم ، لاختيارهم غير الاولى .

١٠ ) – يبدو من مراجعة كتب السيرة والروايات في هذه القصة ، ان النبي – صلى الله عليه وسلم – استشار عامة الناس بشأن الاسرى ! واستشار ايضا الشيخين وعليا أيضا في كبار القوم فكان الاتجاه الى الفداء . فالعتاب النازل لم يكن موجها الى النبي – صلى الله عليه وسلم – وانما كان موجها الى الذين ، مالوا الى الفداء ، بالمال واقترحوه عليه عندما استشار عامة الناس .

ويستحيل أن يظن بالنبي – صلى الله عليه وسلم – أنه يريد الدنيا ، وهو الذي أبى أن تكون له جبال تهامة ذهبا ، وقال : « مالي وللدنيا ؟ ما انا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » رواه احمد والترمذي كما يستحيل ان يظن بالصديق ذلك ، وهو الذي وهب نفسه وماله كله ، في سبيل الله ، ورسوله ، ودعوة الاسلام .

بل إن سياق قصة الاسرى والفداء في الحديث الشريف الذي رويناه ، وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها مجيبا عمر – رضي الله عنه – : « للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء ؟ لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » . يدل على أن البكاء كان من أجل العتاب ، لا على أنه هو المعاتب ، بل هو الذي عرض على أصحابك وهو أخذهم الفداء ، لا أخذه هو .

وكذلك قوله : « لقد عرض علي عذابهم » فهو يبكي للعتاب اللاذع ، والعذاب الواقع ، الذي كان يهددهم ، وكاد يحيق بهم .

والخطاب في الآية : ( **لمسكم فيما أخذتم** ) موجه الى الجماعة لا الى النبي – صلى الله عليه وسلم .

واذا فالمخاطب والمعاتب ، والذي تعرض للعذاب ، هو ذلك الفريق من الصحابة ، الذي اقترح في المشورة أخذ الفداء . وهذا هو الحق الظاهر .

ولا أدري بماذا يجيب الذين يرون في الحادثة ضربا من الاجتهاد ، عما ثبت من أن المجتهد اذا أصاب فله أجران ، وان اخطأ فله أجر .. فهل يرون ان العتاب من الاجر أيضا ؟

ويتلخص من هذا العرض السريع ، لقصة الفداء في أسرى بدر : انا لم نكن حيال اجتهاد من قبل النبي ، صلى الله عليه وسلم – ولا في نزول الوحي بخلاف اجتهاده بل كنا بصدد حكم شرعي ، يخير فيه حاكم المسلمين بين أمرين : الفداء أو القتل فاستشار الصحابة في الاخذ بأحدهما ، وترجيحه على الآخر ، بحسب الحكمة والمصلحة . فلم يجتهد ، ولم جتهدوا – لأن الاجتهاد – كما هو معروف – « استفراغ الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي مجهول » . والحكم هنا معروف ، وإنما وقعت الشورى لاختيار الاولى من جهتي الحكم والأنسب لظروف المسلمين وقتئذ .

# من أنماط البشر

لقد بات معلوما من الدين بالضرورة أن القرآن الكريم معجز ، بل ان بعض اعداء الاسلام في القديم والحديث لا ينكرون ذلك الاعجاز للقرآن ، ووجوه الاعجاز متعددة النواحي ومن ثم وجدنا بعض المفسرين يركزون على الناحية التي تبرز آراءهم ازاء تفسير آي القرآن الكريم ، ولكنهم – وهذا حق لا مرية فيه – لم يستطيعوا حتى الآن ان يأتوا على كل اوجه الاعجاز بالتجلية والتوضيح ، وانى لهم ذلك والمعين لا ينضب ، وبواعث البهر لا تفتأ تهز القلوب والألباب ؟!!

على ان اهم اوجه الاعجاز – وربما اكون على صواب – هي تغلغل القرآن الكريم في نفوس البشر لكشف ما انطوت عليه الجوانح ، وكتمته السرائر والضمائر حتى يغدو الباطن كالظاهر امام العيان لحكمة ربما نوفق الى اظهارها في ثنايا هذا المقال .

فلما كان الناس معادن في تباين طباعهم فقد عنى القرآن الكريم في عرض بليغ جانب بكشف الستار عن نماذج من الناس تخفت وراء البهرج الزائف ، والتصنع الخبيث ، ففي سورة البقرة تطالعنا آيات بينات لتضع آيدينا على نموذجين متقابلين من البشر ، أحدهما مسف هابط في موازين الناس ، والثاني تسنم ذروة القبول والرضا من الله ، واستحوذ على قمة الاعجاب من الغير ، لتوضيح النمط الأول تقول الآيات : **( ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى**

# في القرآن الكريم

محمد فوزي

للاستاذ/عبد الغني احمد ناجي

في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ) البقرة/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦ . فقد ذكرت هذه الآيات في إيجاز مبين ، وبيان كاشف كل ما يتسم به هذا النمط البشري من صفات وطبائع حتى عرته من غلائل المداهنة والنفاق ، ولو حاول الباحثون أن يجدوا في هذا النمط صفة أخرى فوق ما أتت به الآيات لأصابهم العجز والكلال .

فنحن في رحاب الآيات أمام بشر يود أن ينسلخ من إنسانيته ليدخل حظيرة الحيوان ، ويلبس جلود الثعالب آنا ، والثعابين آنا آخر ، وقد ركزت الآيات اولا على الاشارة الى غطائه السميك : ( يعجبك قوله ) ، ( ويشهد الله على ما في قلبه ) .

فالغطاء من طبقتين ، الاولى قول معسول ، ولفظ لين ، ومنطق معجب آسر ، والثانية أيمان مغلظة كاذبة على صفاء القلب ، ونقاء السريرة ، .

والى هنا كان من الممكن ان يحرز هذا النموذج نجاحا امام الدهماء من الناس ، وربما استطاع جذب كثير من العقلاء أيضا ، ومن ثم كانت عناية القرآن بكشفه وتجليته حتى لا يقع في أحابيله أحد ، ثم تأخذ الآيات بعد كشف الغطاء عن هذا النمط في بيان الطبائع والسمات ، فهذا الذي يقسم ويشهد الله على ما في قلبه من حب للناس هو المترع القلب بالبغض ، والسعاء دائما حيث الفساد ، فقلبه المغيظ المحنق يحرك جوارحه الى مباءات الشر : ( واذا

**تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحـرث والنسـل )** ، ولام التعليل هنا تفيد أن هذا النمط الآدمي لم يخط الا الى فساد ، وكأنه قد عمى تماماً عن كل جهـات الخـير والاصلاح ، أو أن ينابيـع الحـب والرحمة التي يولد بها الانسان قد نضبت من قلبه حتى انه اذا ذكر بعمله بعد فضحه ليرجع ويثوب لم يسمع في داخله أي نداء للخير ، ولم يستجب الا لنواقيس الكبر والعناد ، والايغال في الفساد : **( وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم )** فعنـاد هذا النمط وتأبيه عن الانصياع لدعـاء الهدى والخير دليـلان على تأصـل الخبث عنده ، وانقطاع الامـل في اصلاحه ، ومن ثم ختمت الآيات التي تتحدث في شأنه بمصيره المؤلم : **( فحسبه جهنم ولبئس المهاد )** .

وبينا نحن مع الآيات أمام خبث البشر وفسادهم وعنادهم اذا بالآيات تصعد بنا الى جو ملائكي ، فتقفنا أمام نمط آخر من الناس يتفجر الخير منه أنى سار .

ولما كان إيصال الخير يتطلـب الجهـد والعمـل ، وربمـا الفـداء والتضحية ، فقد وجدنا هذا النمط الآدمي الخير يضحي بنفسه ــ وهي أغلى ما يملك ــ في سبيل إرضاء الله ، أي في سبيل الخير على تعدد مناحيه ، وتباين مسالكه ، فالخير هو الهدف الاسمى عنده ، خير في العقيدة ، وخير في العبادة ، وخـير في المسـلك ، والمعاملة ، تقول الآية موضحة هذا النمط البشري في ايجـاز معجـز : **( ومن الناس من يشري نفسـه ابتغـاء مرضـاة الله والله رءوف بالعباد )** البقرة/٢٠٧ فهذا النمط من البشر نموذج فذ للانسان المتكامل الذي يستأهل الوصف بالانسانية في أبر طباعها ، وأقوم نزعاتها ، ولقد ضغطت الآية الكريمة كل مميزات هذا النمـط الأريحـي في هذه الجملـة القصيرة : **( يشرى نفسه )** ، ثم ضغطت الاتجاهات النبيلـة لهـذا القصد في جملة أخرى يتلخص فيها على قصرهـا كل ما يعـن للفـكر الانساني من اوجه الخير ، وزوايا البر والرحمة : **( ابتغاء مرضـاة الله )** فلقد اصبح ارضاء الله امام هذا النمط المعيار السليم لكل ما يأتي او يدع ، وغدت اهـداف حركاتـه وسكناته تنحصر في ذلك الارضاء .

والى هنا نجد أنفسنا ــ ونحـن نستطلع هذا النمط من البشر ــ ننظر من شاهق ذروته انسانية نبيلة ــ الى حضيض بؤرته حيوانية خسيسة ، اذ المقابلة بين النمطين الآنفين كالمقابلة بين الاوج والحضيض رفعة وخسة .

واذا تركنا هذا المجال : مجال المعاملة والاحتكاك الى مجال العقيدة طالعتنا آيات اخر من سورة الحج متضمنـة نمطـين من البشر يكاد تفكيرهما العقائدي أن يخرجهما من زمرة البشر ، الاول جاهل مغرور ، يجادل في صلف عيي وكبر مأفون دون اعتماد على علم أصيـل ، أو فكر ناضج ، يجادل في كل ما يتصـل

بالعقيدة ـ وهي اساس الايمان ـ تاركا هدى الانبياء ، وكتب المرسلين ، هذا مجال جداله ، اما هدفه فهو الاضلال ، والصرف عن عبادة الله ، فهو باختصار نموذج متعجرف خاو مضل ، تقول الآيات في توضيحه : ( **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله** ) الحج/٨و٩ ، وفي مقابل عجرفته الخاوية وإضلاله المبين كان جزاؤه المناسب الخزي في الدنيا والنار في الآخرة : ( **له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ) الحج/٩ هذا النموذج الذي تصوره تلك الآيات يوجد في حياتنا كثيرا ، ولشد ما يصيبنا بلاؤه ، هو نموذج بشري يهوى الجدال غير معتمد على علم أو ثقافة عامة ، ويزداد غرورا وصلفا كلما وجد بيئته تصغى اليه جبنا أو جهلا ، وكأن الأديان الكريمة تشير إلى أنجع طريقة لمعاملة هذا النمط من الناس حينما تقول : ( **له في الدنيا خزى** ) . اذ ينبغي أن يخزى ذلك الصنف بأية وسيلة تسبب له الخزي والهوان حتى يفيق الى رشده ، ويعرف مكانته بين جماعته ، فعدم ترصده بالخزى تقصير ممن يعايشونه لما يترتب على ذلك من إيغاله في الغرور والجدال الاعمى .

بعد هذا النموذج المتعالي على خواء تصور لنا سورة الحج نموذجا آخر كالهباء ، أوكالريشة في الهواء ، هو نموذج ضعيف واه لا يرتكز على ركائز قوية من الايمان العميق ، واليقين الثابت والاطمئنان القلبي للحق ، فهو نمط ابرز ما يتميز به الزعزعة والتردد ، اذ هو دائما وكما تبين الآية في ايجازها البديع على حرف ، والتعبير القرآني في وصف هذا النمط بالتأرجح على حرف اروع وأحكم مما يتشدق به علماء النفس حديثا في وصفهم هذا التأرجح باهتزاز الشخصية ، فكل ما يأتي به هؤلاء العلماء من اوصاف وسمات لهذا النمط البشري ـ وان ملأ الصفحات من كتبهم ـ لا يفي بما يفيده هذا التعبير القرآني المعجز : « على حرف » !! ، فالتعبير لم يتعد الجار والمجرور ، ولكنه بمجرد وصوله الى الاذن الواعية يسكب في العقل شحنة من المعاني التي تصور هذا النموذج الآدمي تصويرا يفوق كل تصوير دقة وإحكاما واستيعابا لكل أجزاء الصورة .

والآيات وان كانت تصور هذا الصنف في مجال العبادة فانها ترسم لنا النهج المنحرف الذي يسلكه هذا النمط من الناس : نهج النفعية الشخصية ، وحصر دائرة الافق الذهني والنشاطي في هذه النفعية ، فهذا النموذج وصل في تسفله العقائدي الى أن يعبد الله لا لأن الله يستحق العبادة بل ليفيض الله عليه الخير والنعم ، فان وجد غير ذلك لم يتحرج من ان ينخلع من الايمان بسهولة ويسر يدلان على ان ايمانه لم يعد لسانه .

وهذا النموذج في واقعنا كثير ، فمن منا لم يصادق في حياته من صاحبه لمأرب ذاتي ، ولا يفتأ يؤكد عرى الصداقة طالما تسح سحائب النفع ، فان ونت اليد الممدودة بالخير انصرمت أواصر الصداقة ، ولا اقول نضب الحب من القلب اذ لم يكن في قلبه حب !!

وكأن الآيات في توضيحها لهذا النمط النفعي تحذرنا مغبة صداقته ، فضره اكثر من نفعه ان تصور ان فيه نفعا ، وهو دائم القلق والاضطراب ، ولا يعرف الثبات والاستقرار ، اذ هو يجري دائما وراء النفع الذاتي حتى من وراء العبادة التي ينبغي ان تكون خالصة لله تعالى : ( **مخلصين له الدين** ) . ولكنه لا يعرف القيم ولا المبادئ فهو يدوسها في طريق الوصول الى هدفه الهابط .

واذا كانت الآيات قد رسمت في النهاية جزاء هذا النمط والذي يناسب مبدأه الوضيع ، ذلك الجزاء الذي يتضح من قوله تعالى : ( **خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ) ـ فانها تنبهنا الى ما ينبغي ان يعامل به في مجتمعه ، فينبغي ان يمني ذلك الصنف الآدمي المزعزع العقيدة بخسارتين تفوتان عليه غرضه ، وتوصدان في وجه نفعيته الأبواب ، فهو في عبادته الزائفة من أجل النفع الشخصي يستدرج بافاضة الخير حتى يفتن في حياته فينقلب على وجهه ، معاديا ربه ، ونابذا دينه ، فيخسر الدنيا والآخرة ، ويمثل هذا خليق بالناس أن يعاملوه ما داموا يشمون في صداقته رائحة النفعية ، فيحرموه متعة الصداقة ، ونعيم النفع ، ولعل في ذلك الجزاء جذبا له الى الاستقامة المطبة لشخصيته ، وانقاذا له من وهدة البوار في الدارين إن وجد عنده استعداد فطري لذلك .

هذا ، ولقد الفينا الآيات التي تعرضت لتصوير النماذج البشرية ـ قد اكثرت من نماذج الفاسدين ، موضحة طباعهم وسماتهم ومناهجهم ، ولم تذكر من نماذج الصالحين سوى نموذج واحد ، وأرى التعليل ( والله أعلم بمراده ) ـ يكمن في أن أتباع الفساد فعلا كثرة ، وأتباع الصلاح قلة ، ويشهد لذلك قول الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات : ( **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ) ، ( **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** ) ( **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** ) ـ غافر/٥٧و٥٩و٦١ .

وقوله في شأن الصالحين : ( **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** ) ، وبعد ، فاخالني لست محتاجا الى توضيح الهدف من هذا التطويف في رحاب تلك الآيات بعد أن برزت امامنا صور تلك النماذج البشرية ، خيرة وشريرة ، لنقتفي اثر الاولى ، ونحذر الاخيرة ، فنحظى بسعادة الدارين ويصدق فينا قول الله تعالى : ( **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ) الزمر/١٨ .

استدراكات
تحذيرية
هامة
للمسلمين

# القرآن الكريم

# واليهود

للاستاذ / محمد عزة دروزه

في القرآن الكريم بعض آيات فيها تنويه ببني اسرائيل وايذان برعاية الله لهم وتفضيلهم على العالمين . وكتابته لهم الأرض المقدسة . وتوريثه اياهم مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها . وايجاب على المسلمين بالجنوح للسلم معهم اذا جنحوا اليه .

ومع ان في القرآن الكريم آيات كثيرة تنسخ ذلك ، فان اليهود يستغلون تلك الآيات لخداع بسطاء المسلمين واقامة الحجة عليهم من قرآنهم ، ليجعلوهم يسيغون ما كان منهم من عدوان وبغي وظلم واغتصاب ، وما يدعون اليه من الصلح على اساس الأمر الواقع الذي يؤيده القرآن الكريم في زعمهم .

ولذلك صار من واجب علماء المسلمين ونبهائهم توضيح الأمور ووضعها في نصابها الحق ، لتنوير عامة المسلمين وتحذيرهم من خداع اليهود وتضليلهم . وفي ما يلي شيء من ذلك بسبيل القيام بهذا الواجب :

**أولا :** في القرآن الكريم هذه الآيات :

١ ـ **( يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين )** البقرة/٤٧

٢ ـ **( ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل . وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون )** السجدة/٢٣ و ٢٤

٣ ـ **( ولقد اتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب . هدى وذكرى لأولى الألباب )** غافر/٥٣ و ٥٤

٤ ـ **( ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين . من فرعون انه كان عاليا من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين . وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين )** الدخان/ ٣٠ ـ ٣٣

٥ ـ **( ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين )** الجاثية/ ١٦

وفي القرآن آيات اخرى فيها اشارة لتفضيل بني اسرائيل على العالمين . فاكتفينا بما تقدم .

وقبل كل شيء نقول ان المفسرين متفقون على ان ما ورد في هذه الآيات من تنويه وتفضيل هو منحصر بالظرف الذي منحوها فيه وليس على التأبيد .

ولقد احتوت اية سورة السجدة تعليلا لما كان من جعل الله من بني اسرائيل أئمة يهدون بأمره وهو : **( لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون )** وهذا التعليل ينسحب على جميع ما في الآيات أيضا . ولقد حكت آيات كثيرة جدا بغيهم وعدوانهم وعصيانهم وتكذيبهم للانبياء وقتلهم اياهم وتحريف كتب الله وارتكاسهم في الكفر والشرك وعبادة العجل وأكلهم السحت وعدم تناهيهم عن المنكر ومخالفتهم لشرائعهم . ومكابرتهم في الحق . وصدهم عن سبيل الله وسعيهم بالفساد في الارض ونقضهم ميثاق الله المأخوذ عليهم . وخياناتهم لعهودهم واماناتهم . واستحلالهم اموال الغير ، واعراضهم عن الانضواء في الدين الاسلامي القرآني ، الذي دعوا اليه ، وتآمرهم على الاسلام والمسلمين مع الاعداء . وقررت ان الله تعالى عاقبهم على كل ذلك ، فضرب عليهم الشتات والذلة والمسكنة ، وحرم عليهم ما احل لهم من الطيبات ، ومنحه لهم من الخيرات وأدخلهم في وصف ( شر البرية ) الذي وصف به الكافرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وصب عليهم الغضب ، ولعنهم وجعل منهم القردة

والخنازير ، وآلى على نفسه ان يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . واذن لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم ، وينكل بهم ويطهر الأرض من رجسهم ، على ما جاء في آيات كثيرة جدا منها قوله تعالى : ( **يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا .**

**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما** ) النساء/١٥٣ ـ ١٥٦ و : ( **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما** ) النساء ١٦٠ و ١٦١ ومنها : ( **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم** ) المائدة/١٢ و ١٣ .

ولقد وصف الله المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ( **كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ) آل عمران/١١٠ ووصف الله المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يعملون الصالحات بانهم ( **خير البرية** ) في الاية السابعة من سورة البينة فيكون هؤلاء هم المفضلون على غيرهم من جميع اهل الملل والنحل والاديان الاخرى قاطبة منذ الرسالة المحمدية الى الأبد وانهم الناجون وحدهم يوم القيامة .

والآيات القرآنية التي اوردنا نصوصها تربط بين اخلاق ومواقف وانحرافات وتحريفات الاسرائيليين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وبين اخلاق مواقف وانحرافات وتحريفات ابائهم كجبلة واحدة يرث الخلف السلف في كل ذلك . وفي الاسفار التي يتداولها الاسرائيليون ويقدسونها والتي كتبها كتاب اسرائيليون قدماء . صور لا تحصى عن سوء أخلاق ومواقف وتحريفات

وانحرافات الاسرائيليين القدماء بأوسع نطاق وأشمله تتطابق مع ما وصف القرآن به الاسرائيليين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وحسب ما جاء من تفصيل في كتاب **تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ،** فصاروا بذلك أسوأ جيل بشري وما زال ذلك مستمرا في أجيالهم جيلا بعد آخر ، على ما هو مشهور معروف منشور في جميع لغات العالم وكتبهم . واستحقوا من اجل ذلك ما قررته الأسفار ثم القرآن من غضب الله ولعنته وعذابه وبلائه والتشتت في أنحاء الارض وسومهم العذاب الى يوم القيامة من غيرهم . ونسخ بذلك بطبيعة الحال ما أغدقه الله عليهم من صفات ونعمة وميزات حينما صبروا واستقاموا لفترة فلم يعد لليهود اي حق بدعوى ذلك ولم يبق لهم أي مجال لتضليل الناس به .

**وثانيا :** في سورة المائدة هذه الآيات : **( وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين )** ٢٠ و ٢١ وفي سورة الأعراف هذه الآية : **( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون )** ١٣٧ .

ولقد جاء بعد آيتي المائدة آيات تحكي موقف اللجاج والتمرد والجبن الذي وقفه بنو اسرائيل وايجاب الله عليهم التيهان في الأرض وعدم دخول تلك الارض المقدسة بسبب فسقهم وهي : **( قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين )** ٢٢ ــ ٢٦ وهكذا يكون الأمر من ناحية النص القرآني قد وقف عند هذا الحد وانتهى مدى حكاية قول موسى ان الله كتب لهم الارض المقدسة . هذا فضلا عن ان المفسرين متفقون على ان ذلك هو بالنسبة للظرف الذي كان وانقضى وليس على التأبيد . وجاء مصداق هذا فيما قرره القرآن عليهم من تشتت في أنحاء الارض ومن استمرار اللعنة والذل والمسكنة والغضب عليهم الى يوم القيامة .

ومن الجدير بالذكر ان الاصحاح ( ٢٦ ) من سفر الاحبار احد اسفارهم التي يتداولونها انذرهم انذارا رهيبا بالنكبات والضربات والشتات وتسلط الأغيار عليهم واذلالهم وتدميرهم اذا هم انحرفوا عن وصايا الله وشرائعه . ولقد سجلت اسفار عديدة من اسفارهم مثل اسفار القضاة وصموئيل والملوك واخبار الايام وحزقيل ودانيال انحرافات دينية وأخلاقية ارتكسوها فيها ففقدوا من وجهة نظر اسفارهم ما أنذنهم الله من تفضيل وإرث ايضا .

**ثالثا :** في سورة الانفال هذه الآيات : ( **ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون . واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون . وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** ) ٥٥ ــ ٦١ ومعظم المفسرين وروايات النزول على ان هذه الآيات في صدد الاسرائيليين الذين كانوا في المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي مضامينها قرائن أو دلائل على صحة ذلك . وينطوي في الآيات صورة قوية لما كان عليه اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من كفر وفسق وخيانة وتآمر على المسلمين وايجاب على المسلمين باعداد كل قوة لكفاحهم والتنكيل بهم وتشريدهم . والنقطة المهمة في بحثنا في هذه الفقرة هي جملة : ( **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ) واليهود اليوم في فلسطين يعلنون من آن لآخر رغبتهم في الصلح مع العرب مع اعتراف العرب بدولتهم في فلسطين والصلح معهم على هذا الاساس .

والجملة القرآنية انما تنطبق عليهم حين نزولها حيث كان ارض ومنازل وحقول ومزارع خاصة بهم غير مغتصبة من غيرهم . وتنطبق على كل عدو آخر للمسلمين له دار ودولة خاصة من غير اغتصاب من الغير ثم أراد مسالمة المسلمين والانتهاء من عدوانه وعدائه . اما اليهود في فلسطين فهم أعداء معتدون على دار المسلمين والعرب . مغتصبون لما احتلوه من فلسطين اغتصابا بمساعدة طواغيت الاستعمار اعداء المسلمين والعرب بعد ان حاربوا المسلمين والعرب فيها اشد حرب وآذوهم اشد أذى وطردوهم من مدنهم وقراهم واستولوا على بيوتهم ومزارعهم وبساتينهم وكرومهم وثرواتهم المنقولة وغير المنقولة

وحوانيتهم ومصانعهم وقتلوا عددا كبيرا من رجالهم ونسائهم وأطفالهم وشيوخهم ، وهتكوا حرماتهم ودنسوا مقدساتهم وهدموا مساجدهم وأزالوا معالم الاسلام والعروبة من البلد المسلم العربي المقدس . ولم يتوقفوا لحظة واحدة عن كل ذلك بعد قيام دولتههم المجرمة في قسم من فلسطين ، حيث ظلوا يطاردون من بقي من العرب فيه ، ويصادرون اراضيهم وينشئون عليها المستوطنات ، ويمنحونها لمهاجرين من شذاذ الآفاق ، ويسلحونهم ويحرضونهم على العرب الذين يسكنون في الاراضي المجاورة ، ويسنون القوانين العنصرية ضدهم ، ويضيقون عليهم الرزق والأنفاس ، ويعاملونهم معاملة العدو والدون في التعليم والمرافق الاخرى ، بينما يتقاضون منهم الضرائب الباهظة ، ويعتقلون من يتحرك منهم بأي حركة سياسية او اجتماعية ، ويحاكمونهم ويحكمون عليهم بأشد الأحكام ، ويسومونهم في السجون سوء العذاب والارهاب ، وحيث ظلوا يعتدون على البلاد العربية المجاورة ، ويقصفون مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويمعنون فيهم قتلا وتدميرا بدون تفريق بين رجل وامرأة وطفل وشيخ . وقد حرقوا المسجد الأقصى ، ونسفوا حيا كاملا امام حائطهم المسمى بحائط المبكى ، وفيه زاوية ابي مدين ومئات البيوت الوقفية . وفرضوا قوانينهم على بيت المقدس ، واحاطوه بالعمارات الضخمة بقصد تهويده وازالة معالمه الاسلامية العربية ، واستولوا عنوة على قسم من الحرم الابراهيمي في الخليل وهو مسجد اسلامي منذ مئات السنين وحولوه الى كنيس لهم . ولم يكن بينهم وبين المسلمين والعرب سابق عداء قبل تفكيرهم في غزو فلسطين وانشاء دولة لهم فيها على انقاض اهلها العرب والمسلمين . بل كان المسلمون والعرب والسلطان الاسلامي يمنحون كل ما كان عندهم من الحرية والأمن والطمأنينة في حين كانوا وظلوا معرضين للاضطهاد والمطاردة والمصادرة بسبب من سلوكهم واخلاقهم الفاسدة في جميع البلاد التي كانوا يقيمون فيها . فلا ينطبق عليهم معنى الجنوح الى السلم اذا اعلنوا انهم يريدون الصلح مع المسلمين والعرب مع احتفاظهم بما اغتصبوه من دارهم وبالدولة التي اقاموها بغيا وعدوانا على انقاضهم ، وبقاء اهلها الاصليين مشردين عنها في انحاء الارض ، يحيون حياة البؤس والشتات والحرمان ، ولا يجوز للمسلمين والعرب اجابتهم الى ذلك .

حتى لو تركوا بعض ما اغتصبوه واكتفوا بالقسم الذي قررته لهم هيئة الأمم . لأنه دار المسلمين والعرب وليس لهيئة الأمم ان تمنحهم جزءا مهما كان صغيرا من هذه الدار . وليس لأحد من المسلمين والعرب حق في قبول ذلك . واي تساهل في ذلك هو خيانة لله ولرسوله وللمسلمين . وعلى المسلمين واجب اعداد كل قوة

يستطيعونها ، والاستعداد بكل وسيلة لمقاتلتهم وتضييق الخناق عليهم بدون كلل ولا فتور كما امر الله ، الى ان يخرجوهم من دارهم ويطهروا كل بقعة منها من رجسهم ، وتعود الى السلطان العربي والاسلامي كما كانت . وكل تهاون في اي شيء من ذلك اثم ديني عظيم .

ويحسن ان ننبه في هذه المناسبة على نقطة هامة . وهي ان الجنوح للسلم يجب ان يكون من العدو . وقد نهى الله المسلمين عن ذلك كما جاء في آية سورة محمد هذه : ( **فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم** ) ٣٥ لأن الجانح للسلم هو الجانب الأضعف ولا مناص له من قبول شروط الجانب الأقوى . وقد كرم الله المسلمين عن ذلك . ولا سيما انه انما شرع الجهاد عليهم للدفاع ، ويكون المسلمون فيه في موقف المدافع المقابل بالمثل ، ويكون الكفار في موقف العدوان عليهم . وقد قال الله عز وجل : ( **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم** ) الشورى/٤١ و ٤٢ وهذا حال المسلمين والعرب واليهود اليوم . فهؤلاء هم الظالمون الباغون ، وأولئك هم المنتصرون المتصدون لدفع الظلم .. ولقد امر الله تعالى المسلمين بعدم التهاون في قتال اعدائهم الى ان ينتهوا من عدوانهم ، حتى ولو كان في ذلك مشقة عليهم لأنهم على الحق . وعدوهم هو الباغي عليهم ، وقد وعدهم بالنصر كما جاء في قوله تعالى : ( **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** ) البقرة/١٩٣ وقوله : ( **ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما** ) النساء/١٠٤ وقوله : ( **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ) الروم/٤٧ وقوله : ( **ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** ) الحج/٣٨ و ٣٩ و : ( **ليَنصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز** ) الحج/٤٠ و قوله : ( **ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور** ) الحج/٦٠ . ولقد آن للمسلمين من عرب وغير عرب ، ان ينتهوا من موقف العجز والتمزف الذي ارتكسوا فيه سنين طويلة ، والذي جعل أذل أمة في الأرض تذلهم وتستهين بهم وتفعل بهم وبمقدساتهم من الأفاعيل ما يحرك الحجر . ولهم من العدد العظيم والطاقات الهائلة ما يضمن لهم النصر الساحق عليهم وعلى انصارهم ، واسترداد الحق المهضوم والوطن السليب المقدس اذا ما صدقوا العزم ونصروا الله . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز .

والحمد لله رب العالمين .

أنزل الله سبحانه وتعالى الأديان السماوية لهداية الناس الى طريــق الايمان والعلــم والخـير والحـق ، ولاصلاح احوالهم وتنظيم حياتهــم ليحيوا حياة حرة كريمــة طيبــة ، قوامها الاخــاء والوئــام والســلام والعــدل والتعــاون والتعـــارف ، والسبيل الى ذلك كله الايمان بالله تعالى والاعتصام بحبلــه وطاعتــه والامتثال لأوامره ونواهيه . واذا ما تفكر الانسان في الله وادرك وجوده وعرفه ، آمن به وحده لا شريك له واطاعه واتقاه . لكن الانســان في حاجة دائما الى روابط تربطه بالله وتشده اليه كلما سولت له نفســه الامارة بالسوء ان يخرج عن طريق الله وينحرف عن صراطه المستقيم ، والى ما ينبهه الى الله ان غفل عنه وما يذكره به عز وجل ان نسيه ، فيبقى قلبه عامرا بتقوى الله ومعاني الحق والعدل والفضيلة . وما يربط الانسان بالله تعالى ربطا وثيقا ويشده اليه شدا محكما . كلما زيــن له الشيطــان الابتعاد عنه تبارك وتعالى ، وخير منبه ينبهه اليه واقوى مذكر يذكره به عز وجل كلما غشيــه غاشي الاغفــال والنسيان العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر وتسبيح . شأنه في ذلك شأن المتعلم ، يبقى حافظا واعيا لما تعلــم بدوام المطالعــة والمذاكرة

# لمن لا أخلاق له

محمد موزون

للدكتور / فؤاد محمد محمود العارضة

وينساه بالاهمال والهجر او مثل السلاح الذي يعتريه الصدأ ويعلوه الغبار اذا اهمل ولم ينظف باستمرار . فبالعبادات يبقى المرء متصلا بالله معتصما بحبله ومتبعا سبيله وبانقطاعه عنها ينقطع عن الله ، وينحرف عن صراطه المستقيم وينسى تقواه وطاعته .

وذلك يعني ان الحكمة من العبادات كلها من صلاة وصوم وزكاة وحج ونحو ذلك ، والهدف من فرضها على الانسان طاعة الله وتقواه ، واتباع شريعته والتحلي قولا وعملا بأخلاقه السماوية وفضائله السامية من حق وعدل وشرف وصدق وامانة وتواضع وتضحية وايثار وما الى ذلك من مكارم الاخلاق ، وبذلك تصلح احوال الناس وتستقيم امورهم وتطيب حياتهم ويظلهم التعاون والتآخي والتعايش السلمي . وتتجلى هذه الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ومن ذلك قوله تعالى : **( اتل ما اوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر )** العنكبوت/ ٤٥ .

وان ثمرة الصلاة تهذيب النفس وسمو الروح واجتناب الفاحشة والمنكر ، فمن لم تنهه صلاته عن ذلك فلا صلاة له عند الله تبارك وتعالى ،

وفرض على المسلم ان يصلي ويجتنب الفحشاء والباطل ، ومن لم يفعل ذلك بطلت صلاته وسقط ثوابها .

ومثل الصلاة الصوم فمن صام عن الطعام والشراب ولم يصم عن الشر والأذى فلا صوم له عند الله تعالى . فحكمة الصوم العليا هي تقوى الله ونبذ الشر والزور كما قال الله عز وجل : ( **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ) البقرة/١٨٣ فالتقوى هي حكمة الصوم السامية وثمرته الطيبة المرجوة .

ويوضح ذلك رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه** » .. رواه البخاري .

والزكاة والصدقة تزكيان النفس من داء الشح والبخل وتمحوان صور البؤس والفقر والجوع الذي يدفع احيانا الى اقتراف الشرور والآثام . وينالها المحتاج العاجز عن السعي والعمل ولا عائل له ولا منفق عليه ، ويرمز الاحسان والانفاق في سبيل الله والزكاة للتراحم والتكافل الاجتماعي بين عباد الله اقوياء وضعفاء واغنياء وفقراء . قال الله تبارك وتعالى : ( **خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم** ) **التوبة/١٠٣** .

وكذلك الحج فهو رحلة روحية الى بيت الله الحرام والديار الاسلامية المقدسة تعمق الايمان بالله في نفس المسلم وتزيده نورا وسناء وتوثق صلته بربه وطاعته له . وتثمر له توبة نصوحا تنفعه في الدنيا والاخرة . ويمكن ان يكون موسم الحج مؤتمرا اسلاميا ، يتلاقى فيه المسلمون ويتعارفون ويتدارسون شؤونهم المختلفة ، ويتعاونون على ما فيه الخير والعزة لهم .

والمتأمل المتفكر في القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة ، يتبين له ان الحكمة العليا والغاية المثلى من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ، ان يتخلق المسلمون باخلاق الاسلام الفاضلة وادابه العالية وفضائله السامية ، ومنبع ذلك كله الايمان بالله وحده وطاعته قولا وعملا ظاهرا وباطنا . فمعظم الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة تدور حول الاخلاق والفضائل والسلوك ، وتغري بالتحلي بمكارم الاخلاق وحميد الخصال من صدق وامانة وشجاعة وتضحية وايثار وشرف وطهارة وتواضع ونحو ذلك . وتنهى عن الرذائل والمفاسد من كذب وخيانة وجبن وأثرة وأنانية وغش وخداع واستغلال واحتكار وزنى وربا وما الى ذلك من رذائل ودنايا . ويوضح ذلك هذه الآية الكريمة : ( **لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ) الحديد/٢٥ وقال عز وجل : ( **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا** ) الملك/٢ .

ولن يقوم الناس بالقسط ولن تستقيم امورهم ولن تصلح احوالهم ولن يخيم عليهم العدل والوئام والسلام الا بتقوى الله والعمل بشريعته الغراء والتحلي بمكارم الاخلاق والفضائل التي أمر الناس ان يتحلوا بها في اقوالهم وافعالهم وحياتهم وسلوكهم . وذلك يعني ان جوهر الدين وثمرته الطيبة الخلق الكريم والسلوك القويم . وتتجلى هذه الحقيقة في أحاديث شريفة عديدة منها قوله صلى الله عليه وسلم : « **انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق** » رواه البخاري والحاكم والبيهقي .

وقال صلوات الله عليه وسلامه : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » رواه أحمد والترمذي .

ونتعلم من الآيات الكريمة فضيلة التواضع والتسامح والاعتدال في الانفاق كما يقول الله تعالى : **( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما )** الفرقان/٦٣

وقال عز وجل : **( والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما )** الفرقان/٦٧

وبالايمان والتقوى يجتنب المؤمن الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا عملا بقوله جل جلاله : **( والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما )** الفرقان/٦٨

ويأبى عليه ضميره شهادة الزور والخوض في اللغو كما قال عز وجل : **( والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما )** الفرقان/٧٢

وتحثنا الآية الكريمة الآتية على الصدق وتنهانا عن رذيلة الكذب والنفاق : **( ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما )** الاحزاب/٢٤ ونتعلم من هذه الآيات الكريمة ادب التواضع وغض الصوت : **( ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير )** لقمان/١٨و١٩

وينهانا الله تعالى عن العدوان : **( ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين )** البقرة/١٩٠

ويأمرنا جل شأنه بالعفو والصفح اذ يقول : **( وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم )** النور/٢٢

ولا تصفو الحياة الانسانية ولا تطيب ولا تنمو علاقات المودة والصداقة ولا تثمر الا بالتسامح ومقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان وهذا ما يدعونا اليه الله تبارك وتعالى فيقول : **( ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم )** فصلت/٣٤ والحياة الآمنة تتطلب استئصال شأفة الظلم والفساد والاجرام لذلك

نهانا الله تعالى عن ذلك فقال : ( **انه لا يفلح الظالمون** ) الانعام/٢١ وقال عز وجل : ( **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** ) الأعراف/٨٦ وقال جل وعلا : ( **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين** ) النمل/٦٩

ومن اسباب الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة ازدهار الأمانة والعدل في المجتمع لذلك امرنا الله تعالى بالتحلي بهما فيقول : ( **ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذاحكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** ) النساء/٥٨

ويأمرنا كذلك عز وجل باصلاح ذات البين والصلح بين المسلمين الذين يقتتلون ويتنازعون والوقوف الى جانب الحق ليبقى المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص . يقول الله جل شأنه : ( **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله** ) الحجرات/٩

ويعلمنا الاسلام الحنيف التعاون على الخير والحق وعدم التعاون على الشر والباطل إذ يقول الله تعالى : ( **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ) المائدة/٢

ويشربنا الاسلام رحيق العزة والقوة الرحيمة العادلة كما يقول الله عز وجل : ( **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ) المنافقون/٨

والدين لا يصان والوطن لا يحمى ولا يتحرر اذا اغتصب ، والحق المسلوب لا يسترد الا بالجهاد الصادق بالمال والنفس والقول والعمل والعلم ، وما تقاعس قوم عن الجهاد الا ذلوا وهانوا وتعرضوا للغزو والعدوان ، لذلك امرنا الله تعالى في آيات كثيرة بالجهاد بالمال والنفس .
ومن ذلك قوله تعالى : ( **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** ) التوبة/٤١ .
وقال جل جلاله : ( **ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** ) الصف/٤ .
وقال تبارك وتعالى : ( **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ) آل عمران/١٦٩ .

والأعمال الصالحة الطيبة من ثمرات الايمان الصادق بالله كما يقول الله سبحانه وتعالى : ( **والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ) سورة العصر .

وآفة التعاون والاتحاد الأثرة والأنانية ولا وحدة ولا اتحاد ولا ائتلاف الا تحت مظلة التضحية والايثار اللذين هما من اسمى اخلاق المؤمنين الصادقين كما يقول عز وجل : ( **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة** ) الحشر/٩ .

وكذلك السنة النبوية المباركة محورها وملاكها الأخلاق والآداب والفضائل ، ومن ذلك هذا الحديث

الشريف : « **آية المنافق ثلاث . اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا أؤتمن خان** » ( رواه البخاري ومسلم ) . فهو ينهي عن الكذب وخلف الوعد والخيانة . وجوهر الايمان بالله ومكارم الاخلاق ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه وان يتحلى بالتضحية والايثار . وهذا ما حث عليه رسول الله محمد ( صلى الله عليه وسلم ) بقوله : « **لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » . ( رواه البخاري ومسلم وأحمد ) .

والمؤمن أخ للمؤمن يشعر بشعوره في السراء والضراء وفي اليسر والعسر كما يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » . ( رواه أحمد ومسلم ) .

والمؤمنون الصادقون يتعاونون على غرس الخير واقتلاع الشر يدا واحدة وقلبا واحدا كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا** » ( رواه البخاري ومسلم ) .

ومن الاخلاق الكريمة اللازمة لصنع الحياة الطيبة الجميلة الصدق والنصح وفي ذلك قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **ان الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة . ثم يختم له عمله بعمل اهل النار . وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار . ثم يختتم له عمله بعمل اهل الجنة** » . ( رواه النسائي ) . وقال عليه الصلاة والسلام : « **من غش فليس منا** » ( رواه الترمذي ) .

والاخلاص في العمل واتقانه من عماد الايمان بالله ومكارم الأخلاق كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « **ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه** » ( رواه ابو يعلي وابن عساكر عن عائشة ) والأمانة خلق عظيم وفضيلة سامية وهي عماد الايمان بالله فلا ايمان لخائن غادر كما قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه : « **لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له** » ( رواه احمد والبزار والطبراني في الأوسط ) ومن الأمانة تحمل المسؤولية والقيام بالواجب كما قال عليه الصلاة والسلام : « **كلكم راع ومسؤول عن رعيته** » ( رواه البخاري ) .

والشجاعة من الايمان والاخلاق العظيمة . فبالشجعان يحق الحق ويقام العدل وتظهر الحقيقة ويقوم الاعوجاج ويتحرر الوطن المحتل وفي ذلك يقول رسول الله محمد ( صلى الله عليه وسلم ) « **اذا رأيت امتي تهاب ان تقول للظالم : يا ظالم فقد تودع منهم** » ( رواه الحاكم ) .

والسماحة خلق طيب كريم كما قال صلوات الله عليه وسلامه : « **رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى** » . ( متفق عليه ) .

وخير الناس وأحبهم الى الله ورسوله أحسنهم عملا واكثرهم نفعا وخيرا للناس كما قال رسول الله محمد ( صلى الله عليه وسلم ) : « **خير الناس أنفعهم للناس** » وقال : « **أحب عباد الله الى الله أحسنهم خلقا** » ( رواه الطبراني ) . وقال : « **ان احبكم الي احسنكم اخلاقا** » ( رواه البخاري ) .

ومن اجمل الاخلاق وأسماها عزة النفس ، وان يكون المرء منعما متفضلا لا سائلا مستجديا والى ذلك يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » . ( رواه البخاري ) .

والمسلم الحق يأنف من التقليد الأعمى ويأبى التبعية والانجرار لغيره فلا يكون ذيلا لأحد ولا ظلا لشخصية أخرى ، بل تراه حر التفكير والارادة مستقل الشخصية كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « **لا يكن أحدكم إمعة يقول انا مع الناس ان احسن الناس احسنت وان اساءوا اسأت ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم** » ( رواه الترمذى ) .

وهكذا نرى ان معظم الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تدور حول الاخلاق والآداب والفضائل والعمل والسلوك ويوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « **انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق** » . ( رواه البخاري والحاكم والبيهقى ) . وقوله : « **اتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار** » ( **اخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب من صحيحه** ) **وذلك يعني ان جوهر الاسلام الحنيف ولبابه مكارم الاخلاق والسلوك القويم الكريم والعمل الطيب المثمر فدين المرء أخلاقه وأعماله ولا دين ولا ايمان لمن لا أخلاق له .**

ولنا ان نتساءل هنا : لماذا كانت الأخلاق والآداب جوهر الاسلام الحنيف وسائر الاديان السماوية وثمرتها وغايتها العليا ؟ لانه بمكارم الاخلاق والآداب العالية والفضائل السامية ينهض الانسان ويرتقي روحيا وماديا وعلميا وحضاريا وفي شتى نواحي الحياة . وبها تطيب الحياة الانسانية وتسمو على الحياة الحيوانية ، ويعيش الناس في امن وسلام واخاء وحرية ومساواة وبها تزدهر العدالة الفردية والاجتماعية ، ويعلو الحق على الباطل ويصفو الجو ويحلو العيش . وبانتكاس الاخلاق والفضائل واضمحلالها تنتكس الحياة البشرية ، وينحط البشر

ويرجعون القهقرى ، ويفسد الفرد والمجتمع ويسود الناس التنافر والتباغض والتعادي ، وتتحكم فيهم الشهوات والغرائز والأطماع وتسودهم شريعة الغاب .

فالمرء الذي يفتقر الى مكارم الأخلاق من جد واجتهاد وصدق وأمانة ورحمة وعزيمة وإرادة وصبر ومثابرة وشجاعة ونحو ذلك ، يسفل ولا يفلح في حياته ولا يؤمن جانبه . أما الشخص الذي يتحلى بالاخلاق الكريمة والفضائل السامية فانه يعلو ويسمو ويبلغ اوج العلى ويحلق في السماء . وكذلك المجتمع الذي تطغى عليه المفاسد والرذائل ، يمرض ويضعف ويهبط الى الحضيض ويتفسخ ويفتقد السعادة والعيشة الآمنة الراضية والحياة الحرة الكريمة . اما المجتمع الذي تظلله المثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة فانه يتمتع بنعمة الصحة والعافية والقوة والحياة الطيبة الجميلة ، ويعيش حرا عزيزا سيدا ويرتقي في جميع ميادين الحياة من علمية ، وحضارية ، وثقافية ، واقتصادية ، وعسكرية ، واجتماعية ، وصناعية . وقد أدرك ذلك احمد شوقي ووعاه فقال :

**إنما الأمم الأخلاق ما بقيت**
**فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا**

وقال :

**صلاح أمرك للأخلاق مرجعه**
**فقوم النفس بالأخلاق تستقم**

وقال :

**وليس بعامر بنيان قوم**
**اذا اخلاقهم كانت خرابا**

وأوضح من ذلك ان البلدان التي دخلها العرب المسلمون فاتحين ، وهداة مصلحين أيام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين والأمويين والعباسيين ، وجدت منهم الرحمة والعدالة والرفق والانسانية ، ولم يستعبدوها ولم ينهبوا خيراتها وثرواتها ولم يسفكوا دماءها ، لانهم كانوا حملة رسالة انسانية اخلاقية ، ودعاة الى دين الله سبحانه وتعالى ، وأصحاب مبادىء سامية ومثل عليا ، ولم يكونوا استعماريين ماديين ، وهذا ما حدا بالفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون الى ان يقول : « ان التاريخ لم يعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب » . اما البلاد التي غزاها الاستعمار الغربي قديما وحديثا في الحروب الصليبية والعصر الحديث ، فقد استرق شعوبها وسخرها لخدمة مصالحه الاستعمارية اللئيمة ، ونهب خيراتها وثرواتها وحكمها بالحديد والنار ، وأعمل فيها حمامات دم غزيرة وارتكب مجازر بشرية رهيبة ، ولا ينتظر غير ذلك من غاز مستعمر مجرد من المبادىء الانسانية والقيم الاخلاقية ، ولا هم له الا النهب والسلب والاستغلال والاحتكار والسيطرة .

والقاضي الذي يفتقر الى الخلق الكريم والضمير الحي ولا يتقي الله ، يمكن ان يرتشي ويتلاعب بالقانون

وفق الهوى والغرض ، وينحرف عن جادة الحق والعدل .

ونرى اصحاب المثل العليا والقيم الأخلاقية ، يسلكون طريق الحق والعدالة والاستقامة والشرف ، ونرى اللا أخلاقيين اللا إنسانيين يتبعون طريق الباطل والجور والانحراف والخسة .

والقوانين والدساتير والقرارات المكتوبة الموضوعة ، تبقى حبرا على ورق مطوى ، وتظل مجمدة معطلة ، ويمكن ان يتلاعب بها ويتحايل عليها وتحرف حسب الهوى والمصلحة ، ما لم يقم على تنفيذها وتطبيقها ناس أولو ألباب وأخلاق وضمائر . فميثاق الأمم المتحدة ينص على حق تقرير المصير لجميع الشعوب والأمم وعلى حق الانسان في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل ، ويحرم التدخل في الشؤون الداخلية للدول والشعوب . ومع ذلك نرى الدول الكبيرة القوية ، تتقاسم فيما بينها مناطق النفوذ في العالم وتتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الضعيفة ، ولا تتورع عن تسخيرها لتحقيق مصالحها الاستعمارية الخبيثة . ولم لا نقول ان الشعوب التي نالت حريتها واستقلالها ، لم تنلها وفق ميثاق الأمم المتحدة . بل نالتها بعد كفاح مسلح مرير وتضحيات بشرية ومادية جسيمة ، وانتزعتها من براثن الاستعمار انتزاعا بقوة السلاح .

وذلك يعني انه لا فائدة من اصدار القوانين والقرارات والدساتير العادلة المنصفة ، ما دامت النفوس والعقول والقلوب خالية مقفرة من معاني الحق والعدل والفضائل السامية ومكارم الأخلاق . ومنبع ذلك كله الايمان بالله وتقوى الله عز وجل ، ومن لا يعرف الله لا يعرف الحق والعدل .

ومصدر الأخلاق والفضائل والآداب ومنبعها الصافي الثر المتدفق الأديان السماوية والثقافات الانسانية المستوحاة من السماء . ولا شيء يجعل سلوك المرء طيبا مستقيما وأخلاقه كريمة حميدة كالايمان بالله وتقوى الله تبارك وتعالى ، واذا ما تحلل المرء من طاعة الله ومخافته انساق مع نفسه الأمارة بالسوء ، وجرفه تيار شهواته البهيمية وغرائزه الحيوانية . ولنا ان نتساءل هنا هل التحلي بمكارم الأخلاق يغني عن أداء العبادات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج ونحو ذلك .

أجل ! إن بلوغ الغاية لا يتحقق الا بتوفر الوسيلة المناسبة ، والوصول الى الهدف لا يكون الا بسلوك الطريق الموصل اليه . والانسان ينسى ما لديه من الوان المعرفة والثقافة بالاهمال والانقطاع عن قراءة الكتب ومطالعتها , ولا ينساها بالمواظبة على النظر في الكتب ومراجعتها ، وكذلك العبادات تهذب نفس المرء وتطهر قلبه وتسمو بروحه وتعلمه الأخلاق الفاضلة والآداب العالية وتبعث فيه ضمير الانسان وتشحنه بتقوى الله ما دام مواظبا على ادائها وداعيا

لحكمتها ومدركا لثمرتها ومستضيئا بأنوارها . فالنفس البشرية امارة بالسوء بطبعها وطبيعتها والعبادات الخالصة لوجه الله تعالى تضبط النفس وتكبح جماح الشهوة والغريزة وتحبس الأهواء والنزوات وتتحكم بها .

لذلك كانت العبادات فرامل للنفس توقفها عند الحاجة ولجاما للغريزة يلجمها ويحول دون جموحها وانفلاتها وهي حبل للمرء يربطه بالله تعالى ويشده دائما اليه كلما زين له الشيطان الخروج عن حده . وهي ضرورة حياتية لا غنى عنها وحاجة انسانية تلزم للناس جميعا على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم العقلية والثقافية والاجتماعية . فلذا فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم جميعا لخيرهم ومصلحتهم وهدايتهم وصلاح أمرهم في الدنيا والآخرة . فمن عبد الله تعالى صادقا مخلصا واستقام أمره وصلح حاله ، نفع نفسه في الدنيا والآخرة . ومن لم يعبد الله عز وجل أضر بنفسه وأساء اليها وجنى عليها . وفي الحقيقة ان الله سبحانه وتعالى ليس في حاجة الى صلاة الناس وصيامهم وعباداتهم له بل هم في أمس الحاجة الى ذلك كله . فهو تبارك وتعالى غني عن العالمين ، والناس هم الفقراء اليه فتعالى الله وهو الغني الحميد أن يكون فقيرا الى الناس كما قال جل شأنه : ( **يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد** ) فاطر/١٥ .

وفرض على الانسان ان يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويعبد الله صادقا مخلصا وفرض عليه كذلك ان يتعلم من عبادته لله ويستضيء بأنوارها الهادية وينتهي عن الفحشاء والمنكر ويهجر الباطل والشر والأذى قولا وعملا ظاهرا وباطنا . فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عبادة لا تنهي صاحبها عن الشر والرذيلة ولا تحليه بالخير والفضيلة .

وذلك يعني ان التحلي بمكارم الأخلاق وحسن السلوك وصالح العمل لا يغني أبدا عن اداء العبادات كاملة متقنة ، فقد فرض الله تعالى على عباده أن يصلوا وينصرفوا عن الفاحشة والمنكر وان يصوموا عن الشر والباطل كما يصومون عن الطعام والشراب وان يزكوا ويحجوا ويتقوا الله ويطيعوه وينفعوا الناس بما اعطاهم تبارك وتعالى من علم وحكمة ومال وقوة وسلطان .

فالعبادة شجرة طيبة والعمل الطيب ثمرتها وكما انه لا نفع في شجرة لا تثمر ولا ثمرة بلا شجرة لا ثواب كذلك لعبادة لا تقترن بالعمل الصالح وتقوى الله . وكما انه لا بد من توفر الوسيلة والطريق لبلوغ الغاية والهدف ، كذلك لا بد من العبادة الصادقة الخالصة لوجه الله تعالى لظهور العمل الصالح المثمر والحياة الطيبة الراضية وفي ذلك قال الشاعر الباكستاني :

**إذا الايمان ضاع فلا أمان**
**ولا دنيا لمن لم يحي دينا**

## القرآن ... والانسان

الناس في موقفهم من القرآن الكريم صنفان : صنف أنعم الله عليه فرأى الايمان والنور فاهتدى .. وصنف أمعن في الفساد والشر فأصابه العمى .. قال تعالى : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا . قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا** » ۸۲ ، ۸۳ ، ٨٤ من سورة الاسراء .

## تلاوة القرآن .. والمسجد

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم .

## دعاء

يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء عند النوم : « اللهم اني أسلمت وجهي إليك ، وفوضت امري اليك ، والجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت » .

## امرأة

كانت عاتكة بنت عمرو بن نفيل ، امرأة جميلة ،
تزوجت عبدالرحمن بن ابي بكر فقتل عنها ، ثم تزوجت عمر بن الخطاب فقتل عنها ، ثم تزوجت الزبير بن العوام فقتل عنها ، ثم تزوجت محمد بن ابي بكر فقتل عنها .

## رجل كريم

حكى الأصمعي : أنه قصد رجلا مشهورا بالكرم ، فلما جاءه منعه البواب من الدخول وقال له : ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك الا لرقة حاله ، وقصور يده .

فكتب الأصمعي في ورقة دفعها إلى البواب هذا البيت :

اذا كان الكريم له حجاب — فما فضل الكريم على اللئيم

فأخذها البواب وأعطاها لصاحبه ، فوقع على ظهرها بهذا البيت :

إذا كان الكريم قليل مال — تحجب بالحجاب على الغريم

وعاد بها البواب الى الأصمعي ومعها صرة فيها خمسمائة دينار .

## بين رجل وولده

أرسل رجل ابنه إلى السوق ليشتري له رشاء للبئر ، طوله عشرون مترا فوصل الولد إلى منتصف الطريق ، ثم رجع الى والده فقال : يا أبت ! عشرون مترا في عرض كم ؟ فقال الوالد : في عرض مصيبتي فيك يا بني .

## موقف الكلاب

قال ابن الأحنف :

يمشي الفقير وكل شيء ضده — والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب — ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة — خضعت لديه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوما فقيرا عابرا — نبحت عليه وكشرت أنيابها

# الإسلام دين المدنية والحضارة

للأستاذ / علي عبدالله طنطاوى

أتخذ اعداء الاسلام من حاضر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة وسيلة لنشر سمومهم ، وتشكيك المسلمين في دينهم ، زاعمين أن أحكام الاسلام لا تساير المدنية الحديثة ، وأنها سبب تأخر المسلمين وتخلفهم .

وقد اتخذت هذه الفرية الخبيثة أوجها كثيرة ، وكان لكل وجه منها قناع ، فمن عدو حاقد قائل : إن القوانين الاسلامية لا تتمشى مع روح العصر الحديث ، وذلك مثل المستشرق « بروكلمان » الذي يقول : إن القانون الجزائي في الاسلام قد ظل على مستوى يقرب من السذاجة ، وهو لا يمثل إلا تقدما ضئيلا بالنسبة إلى مفاهيم القوانين الوثنية القديمة .

ويقول « وليم جيفورد » متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا ان نرى العربي يندرج في سبيل الحضارة التي لم يباعدها عنه إلا محمد وكتابه .

ومن جاهل بأحكام الشريعة لا يعرف شيئا من ضخامة ثروتها التشريعية فيصفها بالجمود ، ومن قائل أو قائلين : إن الحدود وإن صلحت في الماضي لأنها شرعت لنفوس قاسية ، فانها لا تصلح ولا تتمشى مع طباع الحاضر لعلو نفوس الناس ، وإرهاف مداركهم .

واليقين الذي لا شك فيه أن هذه المفتريات والأباطيل لا سند لها إلا الحقد والجحود ، وسنتاولها في إلمامة عاجلة .

فبالنسبة للفرية الأولى القائلة بتخلف التشريعات الاسلامية فانها جاءت من قائلها بلا سند او دليل سوى الحقد الأعمى الدفين ، بقصد التطاول على التشريع الاسلامي ، ويكفينا للرد عليها أقوال أبناء جلدته ودينه من المستشرقين المنصفين ، الذين لا يمكن لأحد أن يرميهم بالتعصب للاسلام أو الدفاع عنه ، كما أنه لا يمكن رميهم بالجهل أو قصور العلم ، لأنهم من أساطين الفقه والقانون .

فيقول العلامة الكاثوليكي « شبرل » عميد كلية الحقوق بفينا : « إن محمدا الذي تفخر البشرية بانتسابه إليها استطاع أن يأتي قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون ــ نحن الأوروبيين ــ أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى عام .

ويقول الفقيه الكبير « فمبري » : إن فقه الاسلام واسع إلى درجة أنني أعجب كل العجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم .

ويقول الدكتور « هوكنج » أستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد : » إن في نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ، والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وإنما في انعدام الميل إلى استخدامها ، واني أشعر بأني على حق حين أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض » .

ويقول العلامة الكبير « سانتيلانا » : إن في الفقه الاسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني إن لم نقل فيه ما يكفي الانسانية كلها .

ويقول العلامة الألماني « كهلر » معلقا على رسالة الدكتور محمود فتحي في نظرية التعسف في استعمال الحق : « إن الألمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم في ابتكار نظرية الاعتساف ، والتشريع لها في القانون المدني الألماني الذي وضع سنة ١٧٨٧م ، أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحي ، وابان لنا أن رجال الفقه الاسلامي تكلموا فيه طويلا ابتداء من القرن الثاني للميلاد ، فانه يجدر بالعلم القانوني الألماني أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الألمان بعدة قرون » .

ويقول العلامة « ليفي أولمان » في تقديم رسالة الاثبات للدكتور محمد صادق فهمي : إن في هذه الرسالة ما يكفي للاعتقاد بأن التشريع الاسلامي كاف لأن يكون تشريعا عاما ، وعلى ضوء هذه الرسالة يجب اعتبار الشريعة الاسلامية

مصدرا حيا للقانون العصري ، ومناطا للحق في أدواره المختلفة .
كما شهد بسمو الشريعة الاسلامية وتقدمها المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد بلاهاي عام ١٩٣٧ ، والذي قرر أن الشريعة الاسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن .
وقد اعرب كبار رجال القانون الغربيين المشتركين في هذا المؤتمر عن بالغ تقديرهم لمبادىء الشريعة الاسلامية ، ومن هؤلاء العميد الايطالي « دل فكيو » الذي شهد بمرونة الشريعة ، « وايفارستوكا روزى » أستاذ القانون الروماني ، والعميد الامريكي « ويجمور » والفقيه الفرنسي « لامبير » .
وقد قرر المؤتمر الثاني المنعقد بلاهاي سنة ١٩٣٨ أن الشريعة الاسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية .
ويتبين من شهادة كبار رجال الفقه والقانون في العالم ، وما قررته المؤتمرات الدولية بشأن الشريعة الاسلامية أن ما قرره « وليم جيفورد » و « بروكلمان » وامثالهما ليست إلا مفتريات أملاها عليهم الهوى ، قصد بها تعمية الحقائق والصد عنها ، إذ أن التشريعات الوضعية إنما تقتفي في رقيها وتقدمها أثر الشريعة الاسلامية ، ولا أدل على ذلك ــ على سبيل المثال ــ من أنه من المبادىء المقررة في الاسلام انه لا يبطل دم في الاسلام ، فلا تذهب جريمة قتل بغير عقوبة أو تعويض أسرة القتيل ، فاذا كان القاتل لا يملك مالا لدفع الدية فانها تجب على عاقلته ، فان عجزت فـإنها تجب على بيت مال المسلمين .
وفي حالة القسامة إذا لم يعرف القاتل فان الدية تكون على بيت المال ، وقد كان للشريعة السبق في هذا المضمار لجميع الشرائع والقوانين ، إذ أن هذا المبدأ القائل بتعويض المجنى عليه لم تعرفه القوانين الوضعية إلا حديثا ، وقد طالب به « جارو فالو » و « أنريكومتري » ثم أوصى به المؤتمر الدولي لقانون العقوبات المنعقد في بروكسل سنة ١٩٠٠م ثم نشطت هذه الفكرة « مارجري فري » التي طالبت به سنة ١٩٥٧ في مقال نشر بجريدة الاوبزر فر البريطانية .
وقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر الدولي لقانون العقوبات المنعقد في بودابست سنة ١٩٧٤ .
ومن الدول التي أخذت بمبدأ مسئولية الدولة في تعويض المجنى عليه نيوزيلاند سنة ٦٣ وانجلترا سنة ٦٤ وولايات كاليفورنيا ونيويورك وماساسوستش بالولايات المتحدة الامريكية وفنلندا وهولندا وثماني محافظات كندية ، وكما هو معروف فان هذا المبدأ الحديث ليس إلا قبسا من نور الشريعة الاسلامية ، والذي سبقت به جميع الشرائع والقوانين منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .
وأما الفرية الثانية القائلة بأن القرآن ومدينة مكة هما سبب تخلف المسلمين عن الحضارة ، فانها يقينا أكذوبة جاهل وليست سقطة عالم .
والتاريخ خير شاهد على أن القرآن هو الذي قاد العالم إلى المدنية التي يزعمون أنه لا يسايرها ، إذ أنه لم يقترب القرن الهجري الأول على تمامه ، إلا ودولة

المسلمين التي كانت محصورة في حدود جزيرة العرب قد أصبحت تمتد من حدود الصين شرقا الى جبال البرانس غربا ، وتنتظم معظم أقاليم آسيا وإفريقيا وأضحى البحر الابيض المتوسط بحيرة إسلامية يضيء الاسلام بنوره شواطئه وثغوره وجزره .

وأن هذا الذي بلغه المسلمون لم يكن يمر بخلد أحد ، فقد كانوا أقلة تحارب كثرة ، ومجموعة من البدو تحارب دولتين حضاريتين هما دولتا فارس والروم ، ولا مراء في أن عظمة المسلمين وحضارتهم التي شيدوها في هذا الوقت إنما ترجع إلى صدق إيمانهم ، وتمسكهم بقواعد دينهم ، وأن في قيام هذه الدولة الاسلامية قرونا طويلة على العزة والمنعة والعدل وفي ظل شريعة القرآن ، لهو خير دليل ، وأسطع برهان على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وفي ذلك يقول « ادموند بيرك » : « إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه ، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقي ، وهو أعظم قضاء علمي ، وأعظم تشريع عادل ، لم يسبق قط للعالم إيجاد مثله ولا يمكن فيما بعد » .

وحضارة الاسلام التي قادها القرآن وأثرها على العالم حقيقة لا تقبل المناقشة ولا الجدل أقر بها العدو قبل الصديق ، وهذه هي آراء بعض مفكري رجال الغرب وعلماؤهم في هذا الشأن ، واني لا أقصد بها تقديم برهان أو دليل لصالح شريعة الاسلام وإنما أوردها لهؤلاء المفتونين بآراء الاجانب علهم يؤمنون بقيمة شريعتهم وتراثهم .

يقول جوستاف لوبون : كان تأثير العرب في الغرب عظيما للغاية فأوروبا مدينة للعرب بحضارتها ، ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة اوروبا عندما أدخل العرب الحضارة إليها .

ثم يقول : « ... فتحوا لأوروبا المعرفة العلمية والأدبية والفلسفية التي كانت تجهلها ومدنوها وظلوا أساتذة لنا لمدة ستة قرون » .

وتقول الدكتورة « سجريد هونكة » : حين كانت اوروبا غارقة في ظلمات العصور الوسطى وجهالتها ، وقف العرب على أبوابها يرفعون مشعل الحضارة طوال سبعة قرون .

ويقول مونتيه : والاسلام في الواقع حضارة قائمة بنفسها ، حضارة ترجع أصولها إلى قديم الزمان ، فقد بلغت تلك الحضارة أوج مجدها في الشرق والغرب في الزمن الغابر ، ثم أخذت في الهبوط والانحطاط ، ولكنها لم تنعدم قط في وقت ما .

ويقول سارتون : حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطى ، فكتبت أعظم المؤلفات قيمة ، وأكثرها أصالة ، وأغزرها مادة باللغة العربية ، حتى لقد كان ينبغي لأي كائن إذا أراد أن يلم بثقافة عصره ، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية .

ويقول العلامة « دريبر » في معرض دفاعه عن الحضارة الاسلامية وسر إخفاء

الأوروبيين لها : « ينبغي أن أنعي على الطريقة المحكمة المنتظمة التي تحايل بها الأدب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا » .

أما هذه المآثر فانها على اليقين سوف لا تظل كثيرا بعد الآن مختفية عن الانظار ، وأن الغرور المبنى على الحقد الديني ، والغرور الوطني ، لا يمكن أن يستمر إلى الأبد .

نعم لقد صدق هذا العلامة وأنصف إذ أن غمط الاسلام فضله وتشويه حقائقه ، ومحاولة النيل منه ، والاقلال من شأنه إنما مبناه الحقد الديني من هؤلاء المتعصبين الذين يلبسون حقدهم الدفين ثوب البحث العلمي .

وليس القول بجمود الشريعة الاسلامية إلا فرية من هذه المفتريات قصد بها تعمية الحقائق والصد عنها ، ذلك أن الشريعة الاسلامية جاءت بنصوص عامة ، وقواعد مجملة ، وتركت لأولى الامر سلطة استكمال ما يلزم من تشريعات سكتت الشريعة عن رسم قواعدها ، شريطة أن تكون هذه التشريعات متفقة مع مبادىء الشريعة وروحها ، وإلا كانت تشريعات باطلة ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على خصوبة الشريعة الاسلامية في مجال التشريع .

ولقد شهد بذلك « لامبير » كبير أساتذة القانون المقارن بفرنسا بقوله : « من ضروب الخطأ الاعتقاد أن الشريعة الاسلامية في حالة سبات ، يذكرنا بسكون المقابر وجمودها ، والحقيقة هنالك غير ذلك ، فالشريعة الاسلامية لا تزال تعد من الانظمة القانونية العظيمة في العالم الحديث » .

اما الزعم بأن العقوبات في الشريعة الاسلامية لا تصلح للحاضر ، لعلو المشاعر والأحاسيس ، خلافا لما كان سائدا وقت تشريعها ، فانه كذب وبهتان ، وواقع الحال ينطق بفريته ، إذ المتتبع لاحصائيات الجرائم في بعض الدول ، يلمس أنها في زيادة مضطردة ، فضلا عن اتسامها بطابع العنف ، وعلى سبيل المثال لقد بلغ عدد الجنايات التي أبلغ عنها في جمهورية مصر العربية سنة ٧٣ ( ٣١٨٥ ) جناية منها ( ١٢٤١ ) جناية قتل ، ( ٢٠٣ ) سرقة باكراه ، والعدد الباقي مختلف الأنواع . وبلغت عدد جرائم الجنح المبلغ عنها ( ١٠١٦٠١٤ ) ، ولقد سبق أن أوضحنا أن هذا العدد لا يمثل الواقع الفعلي للجريمة في مصر ، أما جرائم الاختلاس فحدث عنها ولا حرج ، إذ طالعتنا الجرائد بأن قيمة المبالغ المختلسة بلغت مليون و٨٣٤ ألف و ١٦٣ جنيها ، هذا غير عدد القضايا التي ما زالت قيد التحقيق ، وعددها ( ٢٤٩٤ ) قضية .

وليست زيادة الجرائم قاصرة على الدول العربية ، وإنما قد تكون بصورة أكبر وأشد عنفا في غيرها من الدول المتقدمة ، ولقد طالعتنا الصحف أن الرئيس الامريكي طلب من الكونجرس إجراء تغييرات واسعة في القوانين الجنائية الفيدرالية ، وتشديد العقوبات في بعض الجرائم ، وذلك لمواجهة هذا النوع من الجرائم العنيفة والوحشية التي تجعل الامريكيين مذعورين ، ويخشون الخروج من منازلهم ليلا .

ولو ان هناك علوا في المدارك والأحاسيس كما يزعم البعض ، لما ارتفع معدل الجريمة الى هذا الحد ، لا سيما في بلد متقدم كالولايات المتحدة ، والتي جعلت بعض مواطنيها يخشون من خروجهم ليلا ، وكما يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : « استبحر العمران ، واتسعت الحضارة ، وتعددت معها ضروب الاجرام ، واتسعت معها أبوابه ، ذلك أن النفوس قد انحرفت ، فكبرت العقول ، وضعفت القلوب ، وكبرت أدوات الشر بمقدار كبر العقول ، واستمكنت من الناس بمقدار ضعف القلوب » .

وجدير بالذكر أن شدة العقوبة الاسلامية وإن قصد بها الزجر إلا أنها وليدة تشدد الشريعة في شروط وأركان كل جريمة فضلا عن تشددها في طرق الاثبات فحصرته في وسائل معينة لا يمكن تجاوزها ، حتى ولو من أمير المؤمنين نفسه ، المنوط به توقيع العقوبات ، ويروى في هذا الشأن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أثناء فترة خلافته رجلا وامرأة يأتيان الفاحشة فجمع الناس ، وقال لهم : « ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة ؟؟ » .

فقال علي كرم الله وجهه : يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهود ، أو يجلد حد القذف إذا صرح باسمي من رآهما ، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين ، ثم تلا قوله عز وجل : **( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون )** النور/ ٤ فسكت عمر ولم يعين شخصي الزانيين .

إن مبعث شدة العقوبة الاسلامية أيضا هو عدم توقيعها إلا بعد انتفاء جميع الشبهات ، فان قامت شبهة ولو تافهة سقط بها الحد ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » رواه ابو داود والترمذي ومن ثم كان لزاما إزاء هذه الضمانات أن يؤخذ العابث المنحرف بما يقومه ، ويحمي المجتمع من آثامه وشره .

ولقد أثبت الواقع والتاريخ أن شدة العقوبة كافية لاستتباب الأمن في المجتمعات ، فقد روى أن هشام بن عبدالملك عطل حد السرقة سنة فتضاعفت الحوادث ، وصار الناس غير آمنين على أنفسهم ، ولا أموالهم من الغصب والنهب ، فلما تفاقم الأمر واضطربت الأحوال ، أعاد العقوبة كما شرعها الله تعالى ، فكان الأعلام بالأعادة وحده كافيا لصون الحقوق وحفظ الأموال والنفوس .

والحال في المملكة العربية السعودية خير دليل على ذلك فقد سادها الأمن والهدوء والنظام بعد تطبيقها شريعة الله ، فأصبحت الجرائم فيها لا تتجاوز أصابع اليد ، بعد أن كان الناس قبل ذلك لا يأمنون فيها على أرواحهم ولا أموالهم ، وإن دل ذلك على شيء ، فانما يدل على أن ما أصاب المسلمين من انحلال وتخلف ، إنما كان أثرا من آثار انصرافهم عن اعتبار دينهم نظاما اجتماعيا ، فضلا عن تقليدهم الأجانب ، واعتبارهم المثل الأعلى في نظام الحياة والسياسة والحكم والتشريع .

# نشيد مسلم

للاستاذ عبدالرحمن ابراهيم الفكي

---

أمة الاسلام أين الحكم بالشرع القويم
أين منا يوم كنا عابدي الله العظيم
فاذكروا عهد الرضا عهد جهاد وإباء
حين كان الحب لله جميعا .. بصفاء
نتبع الايمان بالصدق .. وبالعهد الوفاء
وعدو الله .. والشيطان .. نوليه العداء
رب فاجمعنا على نهجك وارزقنا الثبات
كي نعد ماض به كنا عبادا أتقياء
إذلنا في ذكرك الطاهر نور وهناء

ويقـــين يغمـــر النفس . وفيض من ضياء
ومسرات على القلـــب تغذيـــه مساء
حـــين يأتـــي الليـــل والنـــاس نيـــام وهجوع
نقطـــع الليـــل قيامـــا وسجـــودا .. وركوع
نذرف الدمـــع وندعـــوك .. وفي العـــين دموع
ونعـــي قولك بالعقـــل وبالقلـــب المطيع
أيـــن مناتلـــكم التقـــوى وذيـــاك الخشوع
إننـــا ندعـــوك ربـــاه .. فعـــل الخيرات
قد تغشانـــا من الأعـــداء .. إعصـــار أليم
وضعونـــا في متاهـــات بهـــا الشر مقيم
قد تولى الخـــير عنهـــا ليغذيهـــا الجحيم
إذ بهـــا من خلقـــك الضالـــين أكداس تروم
كل ما يبعدهـــا عنـــك لتشقـــى .. وتهيم
جهلـــوا سر الحيـــاة الضخـــم بل كنـــه الوجود
عدلـــوا عن شرعـــك السمـــح لتشريـــع العبيد
ودعـــاة النـــار والفتنـــة يابئس الدعاه
يهدمـــون الخـــير بالشر ومـــا كانـــوا بناه
أعرضـــوا عن محـــكم الشرع لأحـــكام الطغاه
كل ما أنتجـــه العقـــل ضلال .. وتياه
وظـــلام لا ترى فيـــه إلى عدل نجاه
إنمـــا التشريـــع والأحـــكام من حق الإله
وعقـــول النـــاس لا ترقـــى لتشريـــع الحياة
هي للعلـــم إذا كانـــت تؤدي مبتغاه
إيـــه ياقـــوم أفيقـــوا .. بلـــغ السيـــل زباه
واعلمـــوا أن طريـــق اللـــه مفض لرضاه
كل من يبغـــي سواه ضل عن هدى وتاه
كل من لم يعبـــد اللـــه . فعبـــد لسواه




للاستاذ عبدالرزاق نوفل

كما حرص الاسلام بمصدريه .. القرآن والسنة .. عند الدعوة الى الصلاة أن ينص على اقامة الصلاة .. فلقد حرص كذلك عند الأمر بالزكاة على نص لم يتغير ولفظ لم يتبدل هو إيتاء الزكاة .. ففي الدعوة إليها يقول القرآن الكريم :

**( فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير )** الحج/٧٨ .

وفي الحديث عن المؤمنين والمؤمنات الذين يؤدون ما فرضه الله عليهم نجد النص الشريف :

**( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم )** التوبة/٧١ .

وهكذا في كل الآيات القرآنية التي ذكرت الزكاة .. ووجوب أدائها وبيان فضلها تذكر الزكاة بلفظ إيتاء الزكاء ..

ولما تحدث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين اركان الاسلام فقد أوضح في نص حديثه الشريف :

« بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت ، وصوم رمضان » رواه احمد .

ولا شك أن التأكيد والاجماع حلا ذكر ايتاء الزكاة .. وهذا أمر لابد ان يتدبره كل مسلم ويتذكره لعله يهتدي اليه .. ويتعرف عليه ..

إن الزكاة .. معناها لغويا النماء .. فايتاء الزكاة .. يكون من معانيها .. اتخاذ الانسان السبيل الى النماء .. فعلى الانسان ان يتدبر ويبحث عن أهداف الزكاة ..

لقد قرر القرآن الكريم في كثير من آياته أن انفاق الانسان هو سبيل زيادة ماله وتحسين حاله فيقول الله جل شأنه :

**( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم )** آل عمران/٩٢ .

هكذا تشترط الآية على الانسان .. أن ينفق حتى ينال البر .. والبر يشمل الخير كله من مال وولد وبركة وفضل في الدنيا والرحمة والمغفرة والأجر والثواب في الآخرة وتقول الآيات الكريمة :

**( وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين )** سبأ/ ٣٩ .
فان الله سبحانه وتعالى يخلف على الانسان ما انفق .. وحرصت الآية على ذكر الرزق فيها بل تقرير الحقيقة ان الله هو خير الرازقين ليتأكد في وجدان الانسان ان الانفاق يعوضه الله بزيادة رزق المنفق .
بل إن القرآن طالب صاحب الرزق المحدود بالانفاق كصاحب الرزق الواسع فان المعسر اذا انفق .. سيجعل الله له بعد العسر يسرا .. اذ يقول عز من قائل :
**( لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا )** الطلاق/ ٧ .
وتتكرر آيات الانفاق والبذل والعطاء في القرآن الكريم لتقرر ما للانفاق من فضل على الفرد والمجتمع .. وفي ضوء هذه الحقائق القرآنية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
( حصنوا أموالكم بالزكاة ) .
وقال ( ما نقص مال من صدقة )
فالزكاة اذا لا تنقص المال بل تحصنه .. أي تحفظه وتنميه ..
وقد تكرر الأمر بالانفاق والصدقات .. وحبب القرآن اليها .. ولكن لأن الانسان بطبيعته يحب المال .. فهو من ضمن زينة الحياة الدنيا إذ يقول الحق تبارك وتعالى :
**( المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا )** الكهف/ ٤٦ .
وقرر حقيقة من حقائق الخلق الانساني .. الا وهي حب المال .. حبا شديدا اذ تقول الآيات الكريمة :
**( وتحبون المال حبا جما )** الفجر/ ٢٠ .
لذلك فقد فرض الاسلام على كل مسلم ان يخرج قدرا مما يملك ومما يرزقه الله به .. هذا هو الحد الأدنى للانفاق .. وجعلها حقا مكتسبا لمن تجب عليهم الزكاة فيقول القرآن الكريم :
**( وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا )** الاسراء/ ٢٦ .
وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم .. ومن يخلفه في ولاية أمر الناس بأن يأخذ هذا النصيب المفروض اذا لم يخرجه المسلم طواعية واختيارا فقد قال الله ولم يزل قائلا :
**( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها )** التوبة/ ١٠٣ .
ودراسة ايتاء الزكاة .. أي سبيل النماء .. قد أوضحت في ضوء العلم الحديث ما للزكاة من افضال على شخص الفرد الذي يزكى فيتزكى .. والمجتمع الذي يضمه والدولة التي يعيش في كنفها . فالزكاة ليست نوعا من الصدقة او الاحسان يدفعه المسلم وانما هو حق معلوم وفي ادائه على هذا النحو صون لكرامة الفقير وحفظ لماء وجهه . فلا يحس الفقير بأنه موضع الصدقة والاحسان .. إنما يشعر ان

الزكاة ضريبة الأخوة .. وحق المسلم الفقير على المسلم القادر فهي ليست وسيلة لمحاربة الفقر .. قدر ما هي وسيلة لمحاربة جرائم الفقر إذ أن الفقر أساس جرائم الفرد وثورات الجماعات .. واداء الغنى للزكاة يكسبه حب الفقير وتقديره ويعمل على الحرص عليه وعلى ماله ..ولذلك فان الزكاة .. كما قدرت الدراسات الاقتصادية والاجتماعية اكبر عامل على منع انتشار المبادىء التي تثير الحقد على الاغنياء .. كما انها تعتبر من اهم وسائل تحقيق تداول المال بين أفراد المجتمع ، وتحد من قيام طبقة الأغنياء الذين يستغلون بمالهم كل مقدرات المجتمع وافراده .. فهي من أهم عوامل توزيع الثروة وانتقالها بين ايدي مختلف طبقات الشعب وهي كذلك سبيل قيام ثروات جديدة تنشأ من الزكاة وترفع بذلك من دخل الافراد المحدودي الدخل . وتحد من الفوارق الشاسعة التي قد توجد في المجتمع الذي استغل فيه بعض الاغنياء ثرواتهم .. فزاد ثراؤهم .. وزاد فقر الفقراء .. وهنا تدخل الزكاة كوسيلة من وسائل ضغط هذه الفوارق واذابتها ..

وتتميز الزكاة عن كافة ضروب الاداء بموعد ادائها .. فأوجب الاسلام الزكاة مرة كل عام ما عدا الثمار والزرع فموعد زكاتها تمام نموها وهذا أفضل الآراء . فان وجوب الزكاة كل يوم او كل اسبوع او كل شهر يضر برأس المال ولا يدفعها الدافع عن سماح وتراض .. كما ان وجوبها مرة واحدة في العمر يضر بمن وجبت لهم الزكاة من المساكين والفقراء فليس اعدل من مواعيد الزكاة .. وكذلك الأمر بالنسبة لحدودها فان العدل هو اساس هذا التحديد .. ففي الزرع نجد انها نصف العشر منه اذا كانت الأرض المزروعة تروى بالآلات وتحتاج لذلك الى كلفة ونفقة .. واما اذا كانت الأرض تسقى بدون انفاق كالمحاصيل التي تنمو على المطر،أو من عيون ترسل الماء الى الأرض فلا كلفة من صاحبها فيجب اخراج العشر من محصولها .. كما أعفى الاسلام دور السكن الخاصة والثياب وأدوات الركوب وأدوات الزينة التي لا تتخذ للتجارة .. وآلات العمل اليدوية التي يحتاج اليها المتكسب بيده من الزكاة .

وأثبتت الدراسات الحديثة ان الزكاة تغرس الامانة المطلقة في نفوس الناس .. وتربي ضمائرهم .. وتثير فيهم نزعة الايمان بمراقبة الله لهم . فالانسان يقدر بنفسه مقدار زكاة ماله ولا حسيب عليه غير ضميره ـ ويخرجها من الصنف ولا رقيب عليه إلا الله .. فان شاء أخرجها أقل مما يجب ـ ومن أسوأ مما انتج .. ولكن احساسه وايمانه بأن الله هو الرقيب عليه وأنه تركه يقدر ما يستحق عليه من زكاة يجعله أمينا في التقدير . سخيا في الانفاق عادلا مع نفسه ومع الناس .

وتؤكد الدراسات النفسية على أن الزكاة تحدد الانسان من سيطرة حب

المال على نفسه . تلك السيطرة التي تؤدي بالانسان دائما الى المرض بل الى الانتحار احيانا .. اذ ان جمع المال والحرص عليه والبخل به هو السبيل الى سيطـرة حب المال على الانسان وما من طريـق ايجابـي لمحاربة هذه السيطرة الا البذل والجود والعطاء .. وتأتي الزكاة .. وفرض إيتائها .. في قمة وسائـل وقايـة الانسان وعلاجه من اخطر أمراض النفس المدمرة .. مرض سيطرة حب المال على الانسان .

والمتدبر لآية مصارف الزكاة وهي : **( إنمـا الصدقـات للفقـراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من اللـه واللـه عليـم حكيـم )** التوبة/ ٦٠ .

نجد أن **أول سهم** من الزكاة قد خصص للفقراء وهم من لا يملكون كفايتهـم .. **والسهـم الثانـي** للمساكين وهم الذين لا يستطيعون السعي والتكسب أو انهم فقراء أهل الكتاب **والسهم الثالث** للعاملين على الـزكاة .. يجمعونهـا ويوحدونهـا ويتابعون توزيعها وبذلك يقوم العامل على الزكاة بعمله نظير أجر حتـى يجتهد في عمله ويخلص له .. **والسهم الرابع** للمؤلفة قلوبهم وهم زعماء غير فقراء بتأليف قلوبهم .. أو قلـوب تابعيهم ونويهم مصلحة للاسلام .. ويتدرج تحت هذا البند ما يطبع من وسائل وما ينشر به من دعوة للاسلام ومحاربـة للالحـاد .. **والمصرف الخامس** للزكاة هو تحرير الرقيق .. اي فك الرقاب .. ليصبح المجتمع الاسلامـي اينمـا كان حرا .. متحررا .. وبانتهاء الـرق فيمـكن توجيه هذا السهم للتعليم فهو كفك رقبة الانسان من الجهل .. **والسهم السادس** للزكاة يوجه الى الغارمين وهم الذين عليهم ديون اثقلت كاهلهم ولا وفاء عندهم يستطيعون به سداد الديون .. بشرط أن تكون هذه الديون بسبب العمل ولم يكن بسبب سوء أو شر أو حرام .. **والمصرف السابع** هو في سبيل اللـه ويختص بالناحيـة العسكرية والدفاعية للدولة الاسلامية فيصرف منه على المحاربين والمرابطين وكافة شئون الحـرب والدفـاع .. **والمصرف الثامن** هو ابن السبيل وهو من انقطع عن بلاده بالسفر بحيث لا يستطيع الوصول الى ماله ومهما كان غنيا فهو في غربته في حاجة الى مال .. ينفق منه على غذائه وكسائه ومبيته وسفره ..

وهذه كلها ما نسميه في عصرنا الحديث بالشئـون الاجتماعيـة .. واعمال البر .. والدفـاع والدعـوة الاسلاميـة وكل مختلـف نواحـي المجتمـع والدولـة .. واحســاس الانسان بمساهمته في كل ذلك انما هو سبيل الاطمئنان النفسي والصحة العقلية فيقول علم النفس أن اساس الصحة العقلية في اشتراك الانسان في النشاط الاجتماعي وشعـوره بأنـه يؤدي للمجتمع نفعا وانه عضو عامل فيه .. ان افضال الزكاة .. للفرد والجماعة حقا . لا نهاية لها ..

صفحة من التاريخ الاسلامي

# دور الشباب في غزوة أحد

للاستاذ سيد ناجي

الحديث عن أحد وأهل أحد حديث عن العظمة والبطولة ، عن الشهامة والرجولة ، عن الشباب وقد شمروا عن ساعد الجد ونحن نتحدث عن معركة من معارك الاسلام التي كان للشباب فيها دور بارز لا نتحدث بالتفصيل ولكنا نلم الماما سريعة مع بعض ابطال الاسلام وشباب الاسلام الذين احدثوا بعد ذلك في تاريخ الاسلام اثرا بعيدا ، لذلك فنحن نستعين الله ، نطلب منه العون ونستلهم منه الرشد والتوفيق .

**المسلمون** : انتصر المسلون في بدر وكانوا فرحين بهذا النصر العظيم وذلك الفوز الباهر كانت غزوة بدر معركة كبرى حولت تاريخ البشرية خرج المسلمون وهم قلة في العدد والسلاح فلقوا هذا الحشد الهائل والجحفل الضخم من قريش في عدتهم وعتادهم وكتب الله لهم النصر على أعدائهم .

أيقن المسلمون انهم اصحاب دعوة تؤيدها السماء فالنصر حليفهم بل زاد ايمانهم ما تم لهم من نصر على بني

قينقاع بعد بدر بقليل .

**قريش** : فقدت رشدها بعد الهزيمة النكراء التي لحقتها في بدر فرصدت أرباح القافلة لمحاربة المسلمين .

بدأت قريش في الاعـــداد المادي والعسكري .

عام كامل وقريش في حالة اعــداد واستعداد تحشد الرجـــال وتجمـــع السلاح وتدرب الشباب وتوقــد نار الحقد في صدور ابنائها .

عام كامل وقريش لا يهدأ لها بال ولا يطمئن لها ضمير الا ان تثأر لقتلاها فتحرز نصرا ينسيها مرارة الهزيمة التي لحقتها في بدر .

ان معركة بدر طأطأت رأس المشركين وعفرت جباههم فارادوا ان يقوموا بمعركة ترد اليهم كرامتهم وتعيد لهم بين الناس هيبتهم .

لقد فقدت قريش كل شيء سياسيا ، واقتصاديا واجتماعيا .

اخذ ابو سفيان بن حرب يؤلب الناس ويحضهم على الأخذ بثأرهم وبذلك استطاع ان يجهز جيشا قوامه ثلاثة الاف مقاتـــل بعـــد ان ضم اليـــه الاحابيش والاحلاف ولما تم ما اراد قاد هذا الجيش ومعه النساء لئلا يفر الرجال من المعركة وتوجه بهم نحو المدينة مدينة الرسول وقلعة الاسلام .

**اليهـــود** : غص اليهـــود وشرقـــوا بانتصار المسلمين في بدر وارتفـــع غليـــان حقدهـــم واخـــذوا ينفثـــون سمومهم وافرغوا كل ما يقدرون عليه من دس وكيد وتآمر .

رفضوا ان يشتـــركوا في غزوة بدر معللين ذلك بان المعركة تدور خارج المدينة ولم يعاهدوا على ذلك بل صاروا يهونون من شأن نصر المسلمين في بدر واجههم الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ولئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس .

لم يسكت المسلمون على هذا التحدي السافر ووصفهم بالغرور وهو داء وبيل استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد تنبه المسلمون على صيحات العدو الغادرة وهم يعلنـــون الحـــرب فلن يستسلمـــوا ويشتـــد عواء الذئـــاب الغادرة وتنطلق الحناجر الكاذبة لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس ، لم يسكت المسلمون على هذا التحـــدي والتهديد بالحرب واظهار المسلمـــين بالغرور بالنصر وانهم ـ اليهود ـ هم اهل الحرب والقتال كان لابد ان يقطع هذا اللسان الكاذب وان يخمد هذا الصوت الاثيم فكانـــت غزوة بنـــي قينقاع وتم اخراجهم من المدينة .

### « الخروج للمعركة »

اقبلت قريش يقودها ابو سفيان بن حرب وعلم المسلمون بذلك وهنا تطلع علينا وعلى البشرية كلها صورة رائعة من صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفحة مشرقة من صفحاته الكريمة .

ترى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصرف اذا هم بأمر له شأنه وخطره هل كان يعمل برأيه وهو

المبصر من الله بالصواب ؟؟
ان الرسول صلى الله عليه وسلم مع انه لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف الا بما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين ومع ذلك كان يستشير اصحابه ولا يقطع امرا دونهم وكما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم بدر وعمل برأيهم استشارهم كذلك يوم احد وعمل بمشورتهم ولم تكن مشورته صلى الله عليه وسلم لهم امتصاصا لغضبهم او ارضاء لعواطفهم وانما كانت مشورة صادقة عمل بها الرسول صلى الله عليه وسلم رغم مخالفتها لرأيه .

عرض الرسول صلى الله عليه وسلم الرأي على أصحابه أيخرج لقتالهم ام يمكث بالمدينة ؟؟
رأى أهل السن واصحاب التجارب ان يمكثوا بالمدينة فان هاجمهم مهاجم أمطروهم بالنبال وقذفتهم النساء من اعلى المنازل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يميل الى هذا الرأي ويرى فيه الحكمة والصواب اما الشباب الذين لم يشتركوا في غزوة بدر وظاهرهم بعض الشيوخ وكانوا يمثلون الاغلبية كان رأيهم ان يخرجوا للعدو معللين ذلك لئلا يظن العدو ان عدم خروجهم جبن عن لقائهم والحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله فقد ساقه الينا وقرب المسير يا رسول الله اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا . البداية والنهاية لابن كثير جـ٤ ص١٣ .

ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأيهم ودخل داره ولبس لأمة الحرب واستعد لخوض المعركة فقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج وقالوا يا رسول الله ان احببت ان تمكث في المدينة فافعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » وكان اصحاب هذا الرأي اغلبهم من الشباب تجري في عروقهم دماء الشباب وتفيض قلوبهم بالشجاعة والايمان .

قال صاحب الظلال : ان الرسول صلى الله عليه وسلم القى عليهم درسا نبويا عاليا فللشورى وقتها حتى اذا انتهت جاء وقت العزم والمضي والتوكل على الله عز وجل ولم يعد هناك مجال للتردد واعادة الشورى والتأرجح بين الاراء انما تمضي الامور لغاياتها ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء . تفسير الظلال جـ٤ ص٥١ .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض ان يكون مترددا فلا مفر من المعركة حشدت الجياد وعلى ظهورها رهبان الليل وفرسان النهار ودقت الطبول طبول المعركة ونشرت الالوية والشباب في فرح وسرور وشوق الى خوض المعركة فاما نصر يعتز به الاسلام واما شهادة ينالون بها خير الدنيا والاخرة .

ان الشباب الذين تربوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا اكرم شباب الدنيا كانوا اعظم الناس قدرا وارفعهم شأنا نبالة خلق وصفاء

عقيدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتابعهم بارشـاده ويوجههم دائما الى الخير ، شباب هانت في عينه الحياة فأتوا من ألوان البطولة والفداء ما ادهش العالم وحير الالباب وملأ النفوس اجلالا واعظاما لهذا الشباب المؤمن القوي كان للشباب رغبة ملحة في حضور المعركة بادروا بالخروج فرد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم من استصغره رد عبد الله بن عمرو واسامة بن زيد واسيد بن ظهير والبراء ابن عازب وزيد بن ارقم وزيد بن ثابت وعرابة بن اوس وعمرو بن حزام ثم اجاز الرسول صلى الله عليه وسلم من لهم قدرة على حمل السلاح وخوض المعركة فشهود المعارك وصك السيوف وتطاير الرءوس ليس هذا بالامر السهل ورغم هذا فقد اجازالرسول صلى الله عليه وسلم من رآه مطيقا للمعركة سمرة بن جندب ورافع بن خديج وكان سنهما يومئذ خمس عشرة سنة .

## حملة اللواء

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف للشباب قدره وينزله المنزلة اللائقة به ويوليه اعظم الاعمال وهو بعد لم يزل في دور الشباب وميعة الصبا فحملة اللواء في احد كانوا شبابا كان يحمل لواء المهاجرين مصعب بن عمير فلما استشهد حمله علي بن ابي طالب وكان يحمل لواء الاوس اسيد بن حضير وكان يحمل لواء الخزرج الحباب بن المنذر . امتاع الاسماع للمقريزي ج١ ص١١٨ .

وحمل اللواء كما يقول الشيخ عبد الحميد الكتاني يفيد انه اذا اجتمع قوم تحت لواء واحد جعل بينهم الاتحاد بمعنى ان هذا اللواء يكون علامة على اجتماع كلمتهم ودلالة على اتحاد قلوبهم فيكونون كالجسد الواحد يألف بعضهم بعضا اشد من ائتلاف ذوي الارحام واذا كانوا في معركة القتال لا ييأسون من الظفر مادام لواؤهم منشورا بل تقوى همتهم ويشتد عزمهم لذلك كان حملة اللواء في أحد من الشباب وبايجاز شديد نتحدث عن حملة اللواء .

### ١ ــ مصعب بن عمير

شاب من شباب الاسلام مرت به في اسلامه محن قاسية وايام عصيبة تجرع غصص الحياة واصابه شظف العيش فتحمل ذلك بنفس راضية وصدر رحب .

كان مصعب بن عمير رضي الله عنه قبل اسلامه تبدو عليه اثار النعمة وتشيع في جنباته المباهج ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة داعيا الى الاسلام فكان له في نشر الدعوة الاثر الطيب وكان له في احد البلاء الحسن ضرب للشباب اروع الامثال في التضحية والبطولة والفداء حتى شاء الله ان تنطوي هذه الحياة فكانت غزوة احد هي الميعاد الموقوت في صحائف الغيب ليكتب مصعب بن عمير مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .
وفتحت أبواب السماء لتستقبل افواج

الشهداء .

## ٢ ـ علي بن ابي طالب

بطل من أبطال الاسلام وشاب من خيرة الشباب كان رضي الله عنه مميزا بين الناس قوة في الخلق وطهارة في النفس وشجاعة في الحرب قلب ثابت لا تستطيره النوائب يرى الموت في المعارك فلا يزعجه ويرى الاسنة فلا تروعه فلا للموت في المعارك سلطان عليه ولا للفزع سبيل اليه ولا عجب فهو ربيب بيت النبوة وغرس الدين الحنيف لما سقط الشاب المسلم المترف الشجاع الابي مصعب شهيدا كان من يحمل اللواء خلفا له من يماثله في شبابه وقوته في إقدامه وجرأته فكان فارس الاسلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب .

## ٣ ـ اسيد بن حضير

شاب من الانصار اسلم على يدي مصعب بن عمير بالمدينة شهد بدرا وقيل لم يشهدها كان رضي الله عنه احد العقلاء الكملة اهل الرأي وكان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه واحدا ويقول انه لا خلاف عنده .

كان احد النقباء ليلة العقبة وفي غزوة احد جرح سبع جراحات وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشف الناس عنه كان رضي الله عنه من احسن الناس صوتا بقراءة القرآن وقصته في قراءة القرآن ونزول الملائكة لاستماع القرآن وهو يتلوه معروفة .

قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ( نعم الرجل ابو عبيدة بن الجراح نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل اسيد بن حضير نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح ) وعن عائشة رضي الله عنها قالت ثلاثة من الانصار لم يكن احد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الاشهل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر . اسد الغابة لابن الاثير ج ١ ص٤٣٦ شعب .

## ٤ ـ الحباب بن المنذر

شاب من شباب الانصار من اهل بدر قاتل في احد وكان يحمل اللواء ولم يزل شابا حضر بدرا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فيكون سنه في غزوة احد أربعا وثلاثين سنة وكان رضي الله عنه صاحب الرأي يوم بدر الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان قائلا أهذا المنزل منزل انزلكه الله فليس لنا ان نتعداه ام هو الرأي والحرب والمكيدة ومن يومها كان يعرف بين الصحابة بالرجل ذي الرأي .

وحمله اللواء في احد يعني انه قائد قومه والمقدم عليهم اليس في هذا تكريم للشباب واعتماد عليه وتوليته المناصب الكبرى ، ان جميع الذين اشتركوا في احد شيوخها وشبابها ، نساءها . كلهم وهبوا حياتهم لله . لو تتبعنا تاريخهم لضاقت الصفحات .

# على هامش مؤتمرات

في مهبط الوحي وموطن الرسالة ومنبع النور الالهي وفي أقدس بقعة على الأرض حيث نزلت فيها تعاليم السماء فبددت بضيائها دياجير الظلمة والجهالة منذ أربعة عشر قرناً .. انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١ م .

وقبل ان نستعرض أهم المقررات التى تمخضت عن هذا المؤتمر لابد من العودة قليلا للوراء لنضع بين أيدي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها القرارات التى انبثقت عن مؤتمري القمة الأول والثاني اللذين انعقدا خلال السنوات العشر الماضية .

## ماذا بعد صدور قرارات القمة الاسلامية الثالثة

لقد انتهت اعمال هذا المؤتمر وصدرت عنه هذه القرارات التى تجسد بعض آمال المسلمين وتضع الحلول لبعض قضاياهم الاساسية ، لقد انتهى هذا المؤتمر والف مليون مسلم كان يملؤهم الرجاء والأمل بأن تكون قرارات المؤتمر فيها عودة الروح للجسد الاسلامي الواهن ليجري الاسلام في عروقه من جديد ، كان

# القمة الاسلامية

المسلمون يأملون أن يذهب قادتهم واولو الامر منهم الى ابعد مما ذهبوا وتوصلوا اليه ، ومع ذلك فالقرارات قد صدرت وتبنت ما تبنت من امور عديدة والشعوب المسلمة الآن تنتظر الالتزام بهذه القرارات قولا وعملا .

ان الالتزام بهذه القرارات يعني عودة روح الجهاد وبها نحرر الأرض والأوطان والمقدسات ونستجيب لصرخات اليتامى والثكالى والمشردين .

ان الالتزام بهذه القرارات يعني عودة التعاون والتعاضد بين المسلمين والاستجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني نبذ الخلافات وتصفيتها بروح الاخوة الاسلامية والمحبة لا بقعقعة السلاح .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني الانتماء الى العقيدة الاسلامية ونبذ ما سواها من عقائد شرقية أو غربية .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني حمل الأمانة والمسؤولية بكل اخلاص وثقة بعون الله ، ولا شك ان الشعوب المسلمة لم تجن من المؤتمرات السابقة الا القليل ويحدوها امل كبير بأن توضع هذه القرارات موضع التنفيذ العملي لتتمكن من قطف ثمارها في المستقبل القريب لا ان تكون مجرد قرارات دون تطبيق .

**( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون )**

## كيف انبثقت مؤتمرات القمة الاسلامية

ان الدافع الاساسي لعقد أول مؤتمر قمة اسلامي كان اقدام اليهود على احراق المسجد الاقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩ م مما ألهب الشعور واجج العواطف المسلمون في كل ارجاء المعمورة لمؤتمر طارىء يجسد هذا الشعور الذي انتاب المسلمين في كل مكان فكان مؤتمر الرباط في الحقيقة مرآة صادقة لتلك المشاعر القائمة والذي انعقد بعد شهر واحد فقط من اقدام اليهود على جريمتهم النكراء .

## مؤتمر القمة الاسلامي الأول

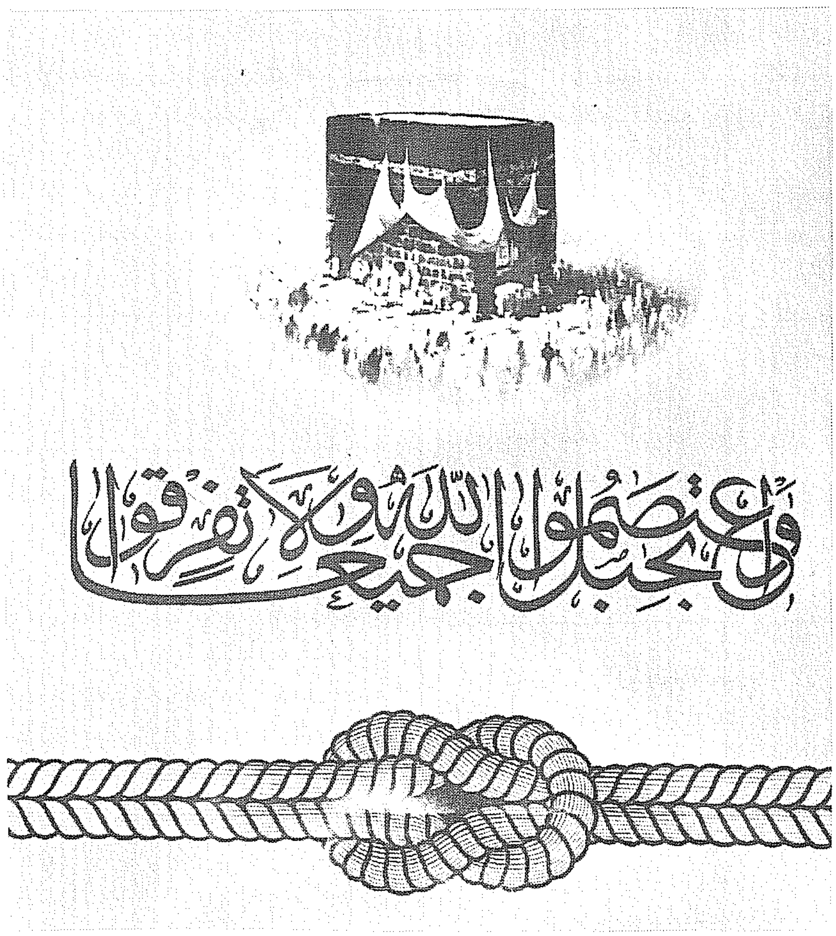
انعقد هذا المؤتمر في عاصمة المملكة المغربية ( الرباط ) في شهر رجب ١٣٨٩ هـ الموافق سبتمبر ١٩٦٩ م في جو مشحون بالغضب والكراهية لجريمة الصهاينة وصيحات مخلصة تدعو للانتقام وتخليص بيت المقدس من ادران الاحتلال . وحضرت المؤتمر وفود تمثل « ٢٢ » دولة اسلامية . ونظراً لأن الدعوة للمؤتمر كانت مفاجئة دون ان يسبق ذلك تخطيط لجدول الأعمال . لذلك انعقد المؤتمر دون ان يسبقه مؤتمر تمهيدي لوزراء الخارجية ( بعكس المؤتمرات التالية ) . فجاءت مقررات هذا المؤتمر مجرد رد فعل عاطفي على حادث الاقصى . كما قام المؤتمر ببحث امكانية قيام منظمة دائمة من واجباتها الاتصال بالحكومات الاسلامية الممثلة في المؤتمر والتنسيق بين اعمالها . وكان هذا بالفعل تمهيداً لنشوء منظمة المؤتمر الاسلامي فيما بعد .

## مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الاسلامية

في السنوات الاربع التالية التى اعقبت مؤتمر الرباط انعقدت اربع مؤتمرات لوزراء خارجية الدول الاسلامية وكانت مقرراتها بصورة عامة اكثر فاعلية ونضجاً وجدية من مقررات مؤتمر القمة الاسلامي الأول وتعد اللبنة الاولى في بناء صرح التعاون الاسلامي ولابد من القاء الضوء قليلا على هذه المؤتمرات وما صدر عنها من مقررات .

## مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الأول

انعقد هذا المؤتمر في جدة ( السعودية ) في شهر محرم ١٣٩٠ هـ مارس ١٩٧٠ م وكانت قراراته ايضاً انفعالية تتماشى مع الحدث المفجع وهو احراق الاقصى والذي كانت آثاره لا تزال باقية في النفوس وكانت اهم قرارات المؤتمر المطالبة




○ تلبية لنداء السماء ( واعتصموا بحبل الله ) انعقد المؤتمر

بعودة القدس للسيادة العربية وذلك كما كان وضعها قبل حرب يونيو بين العرب واليهود سنة ١٩٦٧ م وقرر المؤتمر اعتبار يوم ٢١ اغسطس من كل عام « يوم التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني » .

## مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثاني

انعقد في كراتشي ( باكستان ) في شهر شوال ١٣٩١ هـ / ديسمبر

١٩٧١ م وكانت قراراته تأكيداً لما سبق ان صدر في المؤتمرات السابقة بشأن فلسطين والقدس والأراضي العربية المحتلة في يونيو ١٩٦٧ م . وخطا المؤتمرون في هذا المؤتمر خطوة نحو الامام عندما طرحوا فكرة انشاء وكالة للانباء الدولية الاسلامية .

## مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثالث

انعقد ايضاً في جدة في شهر محرم ١٣٩٢ هـ / مارس ١٩٧٢ م وقد بحثت فيه القضية الفلسطينية عامة والقدس خاصة كما بحثت فيه قضايا الأقلية المسلمة في جنوب الفيلبين وطالب المؤتمر بايجاد حل عادل لهذه المشكلة بينما اغفلت المؤتمرات الاسلامية السابقة مشكلة ( ارتيرية ) كما وضعت في هذا المؤتمر الاسس الكفيلة بقيام وكالة الانباء الاسلامية عملياً من حيث انشاء الادارات المالية والاقتصادية في اطار المنظمة .

## مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الرابع

انعقد في بنغازي ( ليبيا ) في شهر صفر ١٣٩٣ هـ / مارس ١٩٧٣ م واصدر المؤتمر عدة قرارات تضمنت نصرة القضية الفلسطينية وتابع الخطوات الجدية في انشاء وكالة الانباء الاسلامية بحث الدول الاعضاء على تسديد اشتراكاتهم في الوكالة بصفة عاجلة وقرر المؤتمر انشاء صندوق مالي تابع للأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي يسمى « صندوق الجهاد » يرصد لحركات التحرر الاسلامي كما أبدى المؤتمر تعاطفه الكامل مع مسلمي الفيلبين وأبدى التعاطف ولأول مرة مع نضال شعب ارتيرية الذي يخوض حرباً تحريرية ضد اثيوبيا من اجل نيل الحرية والاستقلال .

## تقييم سريع لما صدر من مقررات

اننا من خلال نظرة سريعة الى ما تم بحثه واصدار قرارات بشأنه في مؤتمر القمة الاسلامي الأول ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية الاربع نلمح بأن معظم القرارات ظلت تتعثر في الخروج لحيز التنفيذ الفعلي بسبب الصعوبات التى كان تعترض تنفيذها وعلى سبيل المثال لا الحصر ظلت وكالة الانباء الاسلامية دون المستوى المطلوب كوكالة اسلامية عالمية تساهم في بث الفكر الاسلامي ودعم حركات التحرر الاسلامية وانارة الطريق للشعوب الاسلامية التى تسعى للوصول الى مكانة افضل بين شعوب العالم . ونرى ايضا ان صندوق الجهاد الذي انشيء اصلا لدعم حركات التحرر الاسلامية لم يظهر أثره بشكل ايجابي في الماضي



○ اعلام الدول الاسلامية المشاركة في المؤتمر

والحاضر ولا تزال مشكلات الاقليات المسلمة وخاصة في الفلبين وارتيريه تدور ضمن حلقات مفرغة مكتفية من المؤتمرات الاسلامية بالقرارات فقط .

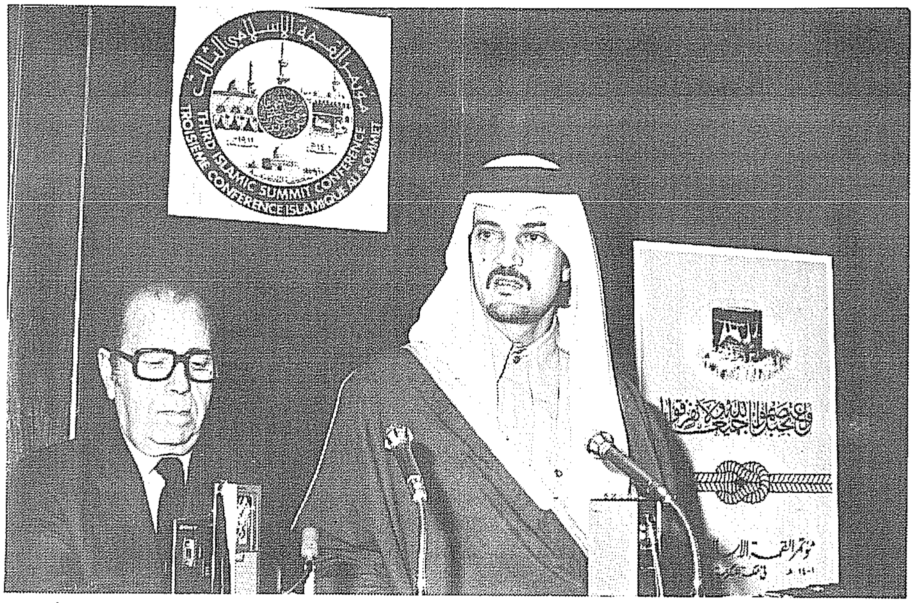
وما تزال اسرائيل ماضية في مخططاتها الاستعمارية رغم القرارات العديدة التى صدرت عن المؤتمرات السابقة بدعم ونصرة فلسطين مع الاصرار على عروبة القدس .

فمن اجل التخلص من هذه السلبيات ودفع العمل الاسلامي نحو ايجابية أفضل انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني .

## مؤتمر القمة الاسلامي الثاني

انعقد في مدينة لاهور ( باكستان ) في شهر محرم ١٣٩٤ هـ / فبراير ١٩٧٤ م وحضرت المؤتمر وفود تمثل « ٣١ » دولة اسلامية . لقد انعقد هذا المؤتمر في جو يختلف تماماً عن جو المؤتمر الأول . كان العرب قبل المؤتمر بشهور قليلة قد حققوا نصراً على اعدائهم الصهاينة في حرب اكتوبر ١٩٧٣ م / رمضان ١٣٩٣ هـ . وبرزت من خلال هذه الحرب فائدة التضامن الاسلامي لذلك جاءت الوفود الى مؤتمر لاهور وهي على ادراك تام بأنه لا سبيل لخلاص المسلمين من الواقع السيىء الذين يعيشونه الا بالوحدة الاسلامية . وهذا ما ظهر جلياً واضحاً اثناء المناقشات التى دارت في المؤتمر . وكان مؤتمر لاهور قد سبق بمؤتمر تمهيدي لوزراء خارجية الدول الاسلامية أعد برنامج المؤتمر ( بعكس مؤتمر الرباط ) .

لقد اصدر المؤتمر في نهاية اجتماعاته العديد من القرارات




○ وزير خارجية المملكة السعودية يفتتح مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي سبق المؤتمر

بعضها ركز على ضرورة تنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين الدول الاسلامية ومن اجل ذلك تم انشاء « صندوق التضامن الاسلامي » واكد المؤتمر على عروبة القدس واسلاميتها وحق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه والمطالبة بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، كما طالب بايجاد حل عادل لقضية مسلمي الفلبيين .

## مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الخامس

عقد في كوالالمبور في يونيو ١٩٧٤ م . بعد فترة قصيرة من مؤتمر لاهور وقد ركز هذا المؤتمر على النواحي الاقتصادية وقرر انشاء « بنك التنمية الاسلامي » كما بحث من جديد قضية مسلمي الفلبين وطالب بايجاد حل منصف لها وانشأ لمساعدة مسلمي الفلبين « وكالة غوث وانعاش اسلامي لمسلمي جنوب الفيليبين » ثم تلا مؤتمر كوالالمبور عدة مؤتمرات اسلامية « دون مستوى القمة » لم تخرج مقرراتها عن نطاق المقررات التى وردت في المؤتمرات السابقة لذلك كانت الحاجة ماسة لعقد مؤتمر على مستوى القمة يتخطى السلبيات السابقة ويحاول بعث الروح والحياة في جسد الأمة الاسلامية ومن هنا كانت القمة الثالثة في مكة المكرمة .

## مؤتمر القمة الاسلامي الثالث

هذا المؤتمر يعد من اهم المؤتمرات



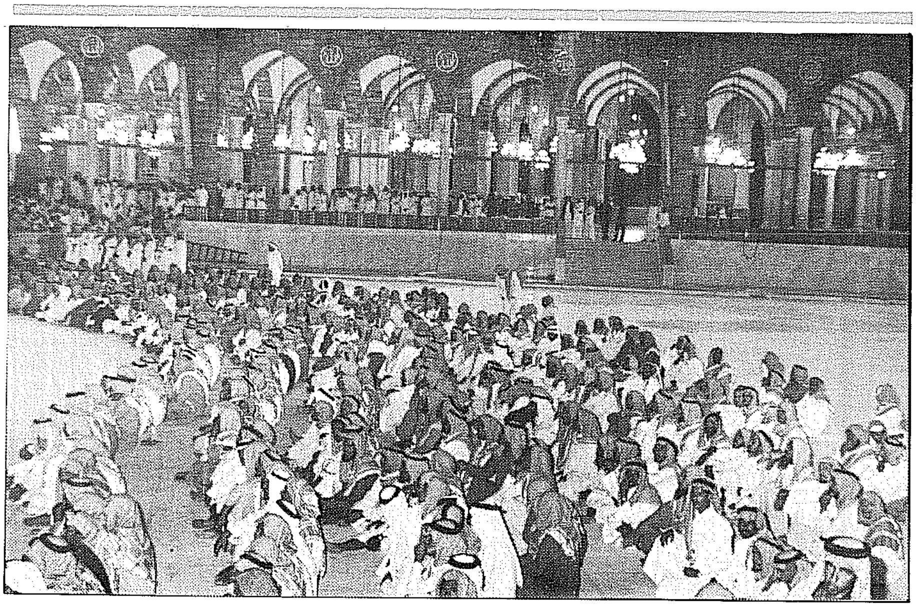
○ حكام المسلمين يطوفون بالبيت العتيق

الاسلامية ، لانه يعقد في ظروف بالغة الاهمية والخطورة تجتاح عالمنا الاسلامي والعربي ففلسطين لا تزال ترزح تحت نير الاحتلال الصهيوني رغم العديد من القرارات المنددة باسرائيل بل توغلت اسرائيل اكثر في مخططها واعلنت مؤخرا بأن القدس هي العاصمة الابدية للشعب الاسرائيلي ، وافغانستان المسلمة تواجه غزواً شيوعياً ملحداً وشعبا الفيلبين وارتيرية لا يزالان يكافحان من اجل نيل الحرية ، والنزيف الدامي من جراء الحرب العراقية ـ الايرانية لا يزال مستمراً ينشر الخراب والدمار في كلا الدولتين المسلمتين الجارتين والنزاعات الجانبية المتجددة باستمرار بين الدول الاسلامية الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي تحدث شروخاً عميقة في كيان المنظمة .

في ظل هذه الاجواء القاتمة يظهر بصيص الأمل ويرنو المسلمون جميعاً بأبصارهم وقلوبهم الى مكة المكرمة داعين ربهم أن يلهم حكامهم لما فيه خير المسلمين .

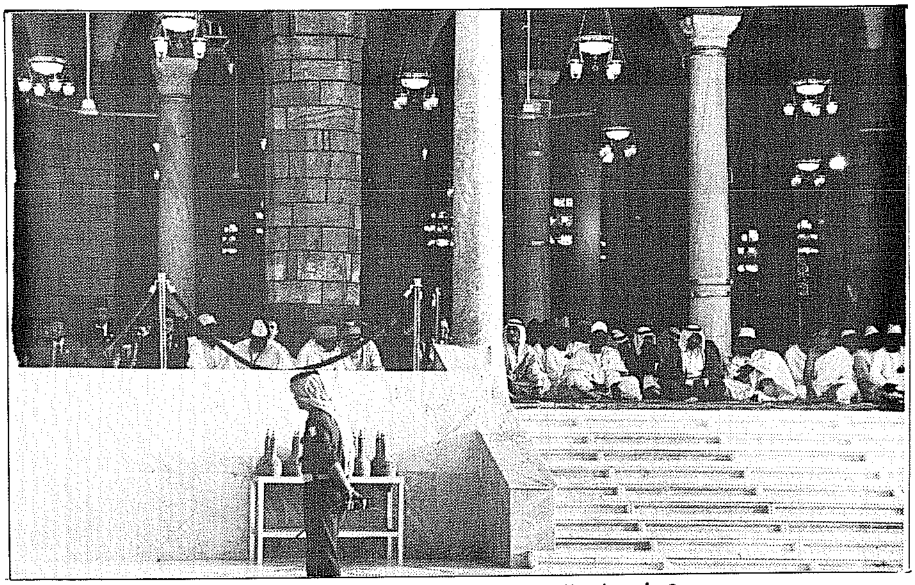
لقد تم انعقاد المؤتمر في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢٢ ربيع الأول / الموافق ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١ م بحضور ٣٨ دولة اسلامية وتغيب دولتين هما ( ليبيا ، ايران ) ولا تزال ايضا عضوية كل من مصر وافغانستان معلقة . كما حضرت المؤتمر وفود عديدة تمثل كثيراً من المنظمات والمجالس والاتحادات الاسلامية والعالمية وكان شعار دورة المؤتمر ( دورة فلسطين والقدس الشريف ) .

انعقدت الجلسة الافتتاحية



○ قبل تادية صلاة المغرب

للمؤتمر في رحاب الكعبة المشرفة وفي الشهر الذي ولد فيه منقذ البشرية وهاديها لطريق الخير محمد صلى الله عليه وسلم مما اعطى لهذه الجلسة طابعاً خاصاً تميز بالخشوع والمهابة وجعل قادة المسلمين يحسون بأهمية الموقف الذي وضعوا فيه وثقل الأمانة الملقاة على عاتقهم . وقد ظهر هذا من خلال كلمة الافتتاح الموجزة التى القاها الملك خالد بن عبد العزيز داعياً فيها الله ان يجمع على الحق كلمة المسلمين وان ينصرهم ، ثم القى الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهد السعودي خطاب صاحب الجلالة الملك خالد ووضع فيه حكام المسلمين امام مسؤولياتهم واشار للصحوة الاسلامية المباركة المبشرة بالخير ودعا لنبذ الخلافات بروح الاخوة الاسلامية .. ثم انتقل المؤتمر ليعقد جلساته في الطائف وتتابع رؤساء المسلمين في القاء كلماتهم التى تضمنت كافة المسائل الاسلامية كما القى ممثل المجاهدين الافغان كلمة مؤثرة امام الوفود اشار فيها للغزو الشيوعي لبلاده وما اصاب مسلمي أفغانستان من ذل وتشريد من جراء هذا الغزو الذي يشكل خطراً على العالم الاسلامي كله .. وان المعركة على ارض افغانستان ستكون حاسمة بين الاسلام والشيوعية وطالب بقطع العلاقات بين الدول الاسلامية والاتحاد السوفيتي كما القى الدكتور ( فالدهايم ) الامين العام لمنظمة الامم المتحدة كلمة في المؤتمر تعرض فيها لمشاكل البشرية ودور الكتلة الاسلامية في المساهمة في حلها .. وقبل ختام المؤتمر بيوم واحد وافق المؤتمر بالاجماع على ( بلاغ مكة ) .



○ في رحاب البيت الحرام كانت جلسة الافتتاح

لقد تضمن هذا البلاغ عزم وتصميم قادة المسلمين على الجهاد للذود عن حقوقهم واراضيهم المغتصبة وبذل كل الجهود لتحرير فلسطين واستعادة الحقوق الثابتة لشعبها واعربوا عن قلقهم للغزو السوفيتي لأفغانستان وطالبوا بايجاد حل عادل لهذه المشكلة على اساس الانسحاب الفوري لقوى الغزو ..

وفي الجلسة الختامية وافقت الوفود على البيان الختامي لمؤتمر القمة الاسلامي الثالث وقد تضمن هذا البيان الامور الآتية :

## في المجال السياسي

● اكد المؤتمر من جديد على عروبة القدس واسلاميتها مع رفض قرار الصهاينة بجعل القدس عاصمة لاسرائيل .

● اكد المؤتمر على الترابط التام بين قضية القدس وقضية الشرق الاوسط ، مع رفض اتفاقية ( كامب ديفيد ) والمطالبة بتعديل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بشأن الشرق الاوسط .

● المطالبة بانسحاب قوات الغزو السوفيتي من افغانستان .

● تدعيم التضامن بين الدول الاسلامية وفق قواعد الاسلام .

● اعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس والاراضي العربية المحتلة .

● مناشدة كل من ايران والعراق وقف اطلاق النار فوراً وقبول مبدأ الوساطة الاسلامية .

● تقديم المساعدات للسواحل الاسلامية المتضررة بالجفاف .



○ وفد الكويت في المؤتمر برئاسة سمو امير الكويت

● مساندة دولة جزر القمر في استعادة جزيرة مايوت .

● المطالبة بايجاد حل عادل وسلمي لقضية شعب ارتيريا .

● الموافقة على انشاء محكمة عدل اسلامية وتشكيل لجنة لتضع النظام الاساسي لها .

● دعم الشعب الافريقي المسلم في القرن الافريقي وتقديم المساعدات له .

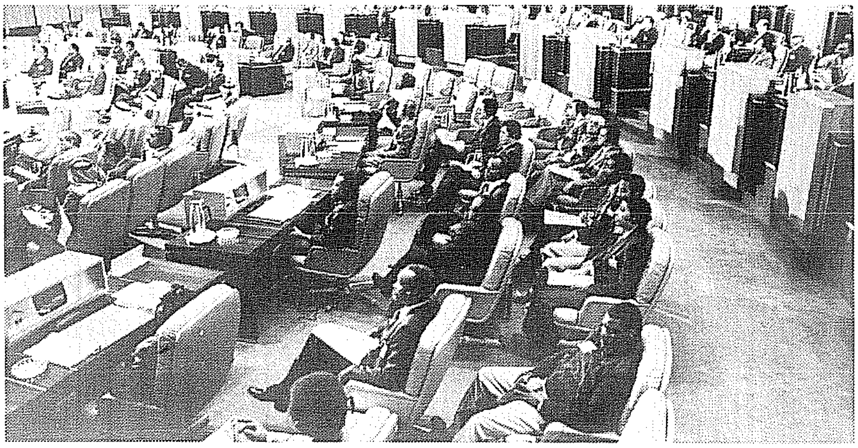
## في المجال الاقتصادي

● انشاء « المركز الاسلامي لتنمية التبادل التجاري » على ان يكون مقره ( طنجة ) من اجل تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الاعضاء .

● بحث مشروع اتفاقية تشجيع وحماية وضمان الاستثمارات في الدول الاعضاء الاسلامية من اجل بلوغ التقدم الاقتصادي للشعوب الاسلامية .

● بحث مشروع انشاء اتحاد اسلامي للنقل البحري في جدة .

● تقديم مساعدات خاصة للبلدان الاسلامية الاقل نمواً .



○ احدى جلسات المؤتمر في الطائف حيث انتقل المؤتمر الى هناك .

## في المجال الثقافي والاجتماعي

- دعم ميزانية صندوق التضامن الاسلامي .
- انشاء وكالة اسلامية للغوث .
- مساهمة الدول الاعضاء في اعادة بناء مدينة الاصنام الجزائرية .
- الالتزام بانجاز مشروع ( مركز غينيا بيساو الاسلامي ) ومركز أحمد بابا في تونبكتو والجامعتين الاسلاميتين في النيجر واوغندا .
- دعم المؤسسة الاسلامية للعلوم والتكنولوجيا .
- دعم المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة .
- تنظيم دورة التضامن الاسلامي للألعاب الرياضية .
- كما قرر المؤتمر انشاء مجمع يسمى ( مجمع الفقه الاسلامي ) من العلماء والفقهاء في العالم الاسلامي لدراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهاداً اصيلا فاعلا .

الصور عن وكالة كونا

## في العدد القادم

يعيش عالمنا الاسلامي اوضاعا جديدة تتطلب رأيا اسلاميا واضحا .. وحتى نصل الى الحقيقة كان لا بد من عرض الرأي وأدلته .. والرأي الآخر وبراهينه .

ولعلك ـ أخي القارىء ـ تابعت ما نشر حول « الصرف وبيع العملات » وفي عددنا القادم :

○ نواصل الحديث عن « الصرف وبيع العملات » للدكتور علي احمد السالوس .

○ كما ستنشر المجلة دراسة عن عقد التأمين .

○ واستطلاعا عن مؤتمر غرف التجارة الاسلامية .

# آفة الانفتاح الثقافي على الغرب

للأستاذ/ طه محمد كسبه

يصاب المتأمل لحياتنا الثقافية والفكرية على امتداد ساحتنا العربية والاسلامية بالدهشة والعجب ، ومبعث هذا كله ذلك التناقض الذي يحدث الآن في فكرنا وسلوكنا ، في قولنا وعملنا ، ذلك التناقض الذي أصبح يمثل ظاهرة تحتل جزءا كبيرا في حياتنا ، وتمثل بعدا من أبعاد شخصيتنا ، في مجتمعنا العربي المسلم .

ذلك أننا فيما بيننا ، لا بين قطر وقطر من اقطار الوطن العربي والامة الاسلامية على نطاق واسع ، ولا بين البلد والبلد او القرية والمدينة ، او الحضر والريف ، ولكن بين ابناء الجيل الواحد ، في البيت الواحد ، نجد ظاهرة الغربة الفكرية والثقافية سائدة وتترسخ الآن ، وهذا في حد ذاته يمثل مسألة من أهم المسائل ، وقضية من اخطر القضايا التي تواجه المجتمع الاسلامي اليوم .

ذلك ان قضية التعليم الذي كان وسيلة التدمير التي اتخذها الاستعمار نحو غزو الشخصية الاسلامية والعربية ليست في وجود التعليم الديني من عدمه ، ولكن الاخطر من ذلك كله وقوع ذلك

التناقض الغريب والمريب في مدارسنا ومعاهدنا ذلك الذي يوجه ضد اجيالنا الشابة والفتية .

وتعلق د . بنت الشاطئ على هذه الحالة الغريبة التي نحياها وتحياها حياتنا الثقافية في مجتمعاتنا الاسلامية حين قالت : واحد تربى في مدرسة فرنسية لا يعرف عن العربية والاسلامية شيئا واخوه الشقيق في مدرسة انجليزية وثقافته انجليزية واخته في مدرسة الراهبات لا تدري شيئا عن الانجليزية او الفرنسية ولا الالمانية ولا العربية ولا الاسلامية ..

والمناهج الدراسية قاصرة لا تكفي ولا تجيب على تساؤلات شبابنا المسلم ولا تسد حاجة هذا الشباب الملحة الى المعرفة ، فأعداء الاسلام اعتمدوا أسلوب « فك العقل الاسلامي واعادة تركيبه وصياغته من جديد لصالحهم وعلى هواهم بعد ان فشلت الحروب الصليبية في تحقيق اهدافها في القرون الوسطى ، وكانت المدارس الاجنبية والتبشيرية هي الساحة الحقيقية التي خاضت منها قوى الاستعمار وارساليات التبشير هذه المعركة ضد أوطاننا وديننا .

إن قضية التعليم قضية من اخطر القضايا التي يمكن ان تعترض مسيرة اي مجتمع مسلم واخطر منها قضية على جانب كبير من الاهمية ـ والتي من الممكن ان تجعل قضية التعليم اكثر ايجابية في الحل او اكثر سلبية ـ الا وهي قضية التربية الاسلامية والمناهج الدراسية ، ذلك ان الاسرة المسلمة والمجتمع المسلم قد وقع في اطار من غيبة الوعي الديني بسبب ذلك الغزو الفكري والثقافي الذي اصبح فريسته وضحيته ، وبالتالي اصبح الشباب المسلم كما مهملا ومتروكا نهبا لكل حملات الاستشراق واعمال التبشير التي تتم يوميا عبر وسائل الاعلام والصحافة في أرجاء وطننا العربي والاسلامي .

ولعل من الاشياء التي يؤسف لها ان التعليم الديني في اوطاننا الاسلامية قد اصيب بالسكتة القلبية وحلت محله مناهج التعليم اللاديني سعيا الى الوصول الى علمنة المناهج الدراسية ولا دينية التعليم وصولا الى علمنة المجتمع الاسلامي ، وهذا بالضبط بعض ما يحدث في اجزاء عزيزة من ارضنا العربية والاسلامية .

واذا جاز لي القول فان حل مشكلة التربية والتعليم الديني ، وحل مشكلة الغربة الفكرية والثقافية التي أصابت شباب جيلنا وأبناءه ، مرجع ذلك كله الى المناهج والى المدرسة والمعلم ، والى المجتمع الاسلامي ذاته ، بكل فئاته وهيئاته وأشكاله وهياكله وعلينا بالاتجاه الى كل هؤلاء بالدراسة والبحث والتحليل حتى نتبين اوجه القصور والخطأ ومن ثم يمكن العلاج والتصحيح .

كما انه لا ينبغي ان يغيب عن فكرنا انه من الضرورة بمكان ان نعيد النظر في حياتنا كلها ، ونستخرج أوجه القصور فيها ونتدارسها ونبحث عن علاج لها جميعا ، فالتربية الدينية مثلا في مدارسنا ومعاهدنا العلمية

بوضعها الحالي مازالت تعاني من الاهمال المخيف والمؤلم ، ومـــازال بعض الارتجال والعشوائية يسيطران على تدريس هذه المادة في دور العلم عندنا ، ولا تخلو صحفنا ووسائل اعلامنا من الاشارة الى هذه المأساة التي يعيشها أبناؤنا ، هذا الاهمال الذي يتجسد في اشكال الانحراف المختلفة التي تطفو على سطح المجتمع المسلم في اشكال مختلفة ومتعـددة الوجوه ، متباينة الملامح .

ومن نافلة القول ان الثقافة التي يتلقاها المرء تطبعه بطابعها ، وتترك فيه بصماتها وآثارها التي تؤثر بالتالي على عقيدته ومعتقداته ، ومن هنا تاتي الدعوة الماسة الان الى بعث ثقافة عربية اسلامية موحدة في ربوع الوطن ، تجعـل الاســاس المادي للثقافة مرتكزا على اسس وقواعـد ثابتة مستمدة من تعاليم الاسلام ، ولا تترك الباب مغلقا امام انـواع الثقافات الاخرى التي تأتي بعـد ترسيخ الثقافة الاسلامية العربيـة اولا .

كما أن الحاجة ماسة اليوم الى اعادة النظر في مناهج التربية الدينية واعدادها بحيث تلبـي احتياجـات الشباب كل في سنه ، وقادرة على ان تعطيه الاجابات المقنعة لما يعن له من تساؤلات ومشاكل يجـد نفســه في مواجهتها وحتى لايجد هذا الشاب نفسه مدفوعا الى البحث عن اجابات لما يواجهه في المذاهب والنظريـات والفلسفات المعقدة والملحـدة التـي تسوقه الى اعتناق هذه المذاهب وهذه الفلسفات على اساس انها البديـل الطبيعي للدين ومبادئه وقيمه التي يغرسها في نفوس المؤمنين .

وعليه فانه من الضروري ان نوحد المناهج الدراسية لمادة التربية الدينية في كل مدارسنا ومعاهدنا العلميـة وحتى يكون المنبع والمصـدر الاول للمعرفة الدينية واحدا وثابتا وقويا لا فرق بين مدارس خاصة ومـدارس الـوزارة ، او مدارس فرنسيـة او انجليزية وراهبات ومن الضروري ان تتدخل وزارات التربية والتعليم العالي في تحديد مسار ومناهج هذه المادة دائما وباستمرار ومتابعة ذلك كله اولا باول وبالتنسيق مع الهيئات الدينية المعنية .

وخلاصة ذلك انه يجب علينا ان نفهم الاسلام بعقلية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، لا ان نفهمه بعقلية المستغربين العرب ، ولا بعقلية المستشرقين من ابناء الغـرب ، ولا بعقليـة ذوي الثقافـــة العربيـــة المستوردة ، كما ان علينا ان نفهم العلم بعقلية الغد المتفتحة على كل جديد ومستحدث .

ولعلي أتساءل لم لا يكون هدفنا وشعارنا ، إنشاء جيل مسلم لا يعرف الا العربية لغة ، والاسلام دينا ، ثم ينفتح على كل العالم بعد ذلك ، لغة وثقافة وفلسفة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يروج الكثير منا اليوم لدعوى الانفتاح على الغرب وعلى العالم كله سواء اكان شرقا أم غربا ، ونسمع كل يوم صباح مساء عن هذه الدعوات التي اصبحت

تسمم حياتنا ، وكأن كل ما اصابنا لم يكن الا نتيجة لعدم الانفتاح الذي يزعمون لكن هناك كلمة حق يجب ان تقال ، وهي ان مسألة الانفتاح على الثقافة العالمية ـ غربية كانت أم شرقية ـ مسألة واردة في حسابنا لكنا نرى ان ننفتح بعدما تتم عملية الانفتاح على ثقافتنا الاسلامية والعربية اولا ، علينا ان نتسلح بمعطيات ثقافتنا التي هي نحن ، ثم نتجه الى الثقافات العالمية بعد ذلك حتى تتم لنا شمولية النظرة ، وكلية الثقافة والفكر .

ان من المحزن حقا ان تجلس لتناقش مجموعة من الشباب فتجد انه من العسير جدا ان تخرج براي يتفق عليه او فكرة واحدة ، حيث لكل رايه الذي يتمسك به وثقافته التي يفخر بها والفيلسوف الذي نقل عنه والذي لو اخذ العالم بكلامه لاصبح عالمنا اليوم غير ذلك ، فليس هذا فقط ، لكن الذي يملك ان يقول ، لا يمكن الذي يريد ان يقول من ذلك ، فهم يحاربون بعضهم البعض ، وكأن ايمانهم بالحرية قاصر على حرية انفسهم في ان يقولوا ما يريدون دون حرية الاخرين .

ولعلي اتساءل ، وتساؤلي موجه الى دعاة الثقافة الاجنبية سواء اكانت غربية أم شرقية والى دعاة الانفتاح الثقافي على العالم لماذا نحن ، ونحن دائما ، مبهورون باشياء الغرب والشرق ، مع انها ليست في صدق أشيائنا ؟ ولماذا لا نرى الغرب أو الشرق منبهرا باشيائنا مع انها الصدق والحق ذاته ؟؟

او بعبارة اكثر دقة ، لماذا لا نرى غربيا او شرقيا ينادي بانفتاح قومه على ثقافتنا الاسلامية والعربية التي عاشوا عليها سنين طويلة واخذوا منها كثيرا ، بينما نحن ـ المستغربين منا ومن على شاكلتهم ـ يتنافسون فيما بينهم على الدعوة الى الانفتاح على العالم والاخذ من ثقافته وفكره الذي لا يصل الى قيمة ما عندنا من ثقافة وفكر وقيم .

ولعلنا جميعا ندرك الآن ، أن الاستعمار لم يعد يأتي بجنوده وعتاده وسلاحه ليحتل أرضنا ، فهذا سلاح أدرك الاستعمار انه لا يجدي معنا ، لكنه استحدث سلاحا آخر أقوى وأمضى ، هو سلاح الفكر والثقافة ، فهل لنا أن نتدارك هذا الغزو الفكري الجديد ، وأن نحذر الفكر والثقافة المستوردة ؟ وأن نحذر آفة الانفتاح على بلاد الغرب والشرق .. كما ينبغي لنا ان نأمن على ديننا وفكرنا وثقافتنا وتراثنا وقيمنا ومبادئنا .. ففي هذا كله نجاتنا ، ونجاة أوطاننا من غزو يهدد حياتنا ويهدد كل تراثنا وتاريخنا على امتداد القرون الأربعة عشر ..

ولعل هذا بعض ارهاصات اشم رائحتها ونحن على اعتاب القرن الخامس عشر لنفكر ونتدبر امرنا بعقلية متفتحة ، وفكر واسع ، حتى نتعامل مع العصر بأسلوبه وفكره وثقافته ، وحتى لا تدهسنا متغيرات هذا العصر الذي نعيشه .. بفلسفاته وأيديولوجياته التي ترتدي أردية التقدمية والعصرية .. وهي من كل هذا براء .

# أمراض الدعاة

ـ وأمراض الدعاة اكبر عقبة ..

إنها نسف من داخل ، والنسف من داخل يأتي على البناء من قواعده ، غير النسف من خارج ..

أو هو السلاح في يدك ، لا تضرب به عدوك ، بل تضرب به نفسك وهكذا ضرب الله المثل : **( يخربون بيوتهم بأيديهم ) الحشر /٢**

ـ وهي أمراض تنتاب :

النفس ، أو القلب ، أو العقل ، ونحاول بإذن الله أن نعرض لهذه الأدواء .. علَّنا نجد لها بإذن الله الدواء .. فإن نجاح الاستشفاء وقف على نجاح التشخيص .

**أولا : أمراض النفس :**

وأمراض النفس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه .. والثلاثة تعني ابتعادا عن أمر الله .. إلى أمر غير الله : من شح ، أو هوى ، أو عجب وغرور .. والشح مرض يصيب النفس فتضن بالتضحية .. وأول صفات الداعية بعد الاخلاص:تضحية .. تضحية بوقته ، تضحية بجهده ،تضحية بماله تضحية بنفسه ..

للدكتور: علي جريشة

فاذا أصابها الشح صارت بكل ذلك أو بأكثره ضنينة ..!

وقد تمضي في طريق الشح .. إلى نهايته ، فتجري وراء كل ما يؤدي إلى الشح ، فتصير طائعة للشح نفسه !

ومن ثم إن سمعت نداء للتضحية ونداء للشح .. كانت استجابتها لنداء الشح ..

وصدق الله العظيم : **( وأحضرت الأنفس الشح )** النساء / ١٢٨

وصدق الله العظيم : **( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون )** الحشر / ٩

وعلاج الشح مزيد من البذل ، يتطبع به الداعية حتى يصير طبعا ، ويتعوده حتى يصير عادة !

والهوى المتبع .. هو طاعة كذلك لما تهوى النفس .. وما تهوى النفس كثير : النساء ، البنين ، القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . والخيل المسومة والانعام والحرث .

ولا يزال الهوى يمسك بتلابيب النفس ، ويملك عليها أقطارها حتى يصير لها إلها تعطيه معنى العبادة وتصير له عبدا تعطيه الطاعة وما هو أكثر من الطاعة : **( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعدالله )** الجاثية / ٢٣

ولذا كان أنجع علاج لهوى النفس : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

**واعجاب كل ذي رأي برأيه :**

والاعجاب بالرأي ـ أيا كان ـ مرض نفسي خطير !

يحجب الانسان عن الحق .

ويعتد لنفسه ولرأيه .

وقديما أصيب فرعون بهذا المرض فقال : **( ما أُريكم إلا ما أرى وما أَهديكم إلا سبيل الرشاد )** غافر / ٢٩

وإذا تمكن المرض .. رأى صاحبه الحق باطلا والباطل حقا ، والفساد صلاحا والصلاح فسادا : **( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون )** البقرة / ١١ و ١٢

وهكذا صار الطهر جريمة عند المفسدين: **( أَخرِجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون )** النمل / ٥٦

وهكذا تصور فرعون في النهاية أن موسى جاء ليظهر في الأرض الفساد : **( ذروني أقتلْ موسى وليدعُ ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد )** غافر / ٢٦

ـ وإذا أصيب الدعاة بهذا المرض .. كان إثمهم أكبر ومصيبتهم أعظم ـ وهم يتلون آيات الله وفيهم رسوله !

وعلاج هذا المرض : تقوى الله أولا .. وتمثل عظمته ، وضعف الانسان امامه ، ثم رد الأمر عند النزاع إلى حكم الله وحكم رسوله في الكتاب والسنة : **( فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر )** النساء / ٥٩

:**( يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله )** الحجرات / ١ .

وعلاجه بعد ذلك أدب تلقيناه عن أئمة الفقه حين كانوا يقولون : « رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب » وسئل أحدهم : « أرأيك عين الصواب ؟ فقال : بل قد يكون عين الخطأ » .. ثم شيء من الايثار المعنوي .. كما يتنازل الانسان عن حقه أو شيء من ماله إيثارا لأخ له ، فليتنازل كذلك عن رأيه أو شيء من رأيه إيثارا لأخيه : فليس بالايثار المادي وحده يكون خلق الاسلام .

**ثانيا : أمراض القلب :**

صدأ أو صدود . دنيا مؤثرة ، غفلة عن الآخرة ،

**أما الصدأ أو الصدود :**

فيصيب القلب إذا طال عليه الأمد بغير ذكر الله .. فيصدأ و يقسو ، ويصيبه الجفاف والجفاء .. فاذا به يميل بعد الصدأ إلى الصدود ..

فلا يعود يستريح إلى مجالس العلم والذكر ، بل يميل إلى مجالس اللغو ثم اللهو ..

وعلاج الصدأ والصدود مزيد من ذكر الله مزيد من قيام الليل ، مزيد من مجالسة الصالحين ، والبعد عن الفاجرين والفاسقين !

**أما الدنيا المؤثرة :**

فالدنيا إن كانت في يد المؤمن أو الداعية ، فهو يسخرها لطاعة الله وفي طاعة الله ، ويعبدها لله رب العالمين مترنما بقول الله : **( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين )** الانعام / ١٦٢

لكن الدنيا حين تنتقل من يده إلى قلبه .. تصير مرضا .. ومرضا خطيرا .. قد تتمثل الدنيا في :

الدرهم والدينار ، والريال والدولار !

أو في المرأة حليلة أو خليلة ( الأولى بالحاء والثانية بالخاء ) ! أو في الجاه والمنصب والامارة !

وكم من الدعاة لم يسقط أمام الطغاة ، لكنه سقط أمام المال والجاه ! وإنها

لصيبة ومكيدة نجح فيها أعداء الاسلام ..
لكن كما قلت : إن الدعوة لا تضار ، فانها تتخفف من هذا العبء الثقيل الذي تحمله بدلا من أن يحملها ، وإنها لتنفث خبثها في ابتلاء الخير كما تنفثه في ابتلاء الشر .

**أما علاجها :**

فهو إرجاع الفضل لله في كل شيء:( **ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس** ) يوسف /٣٨:( **قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر** ) النمل / ٤٠ ( **قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا** ) الكهف / ٩٨:( **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم** ) البقرة / ٣٢ .
ـ : استشعار أن هذا كله إلى زوال مهما طال .. ما لا كان أوجاها . ( **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس** ) يونس / ٢٤ ( **فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا** ) الكهف/٩٨ .
( **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** ) القصص / ٨٣

**ـ : ابتغاء الدار الآخرة وتذكرها :**

فانها تؤكد المعنى السابق وترسخه .
( **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** ) القصص/٧٧

**أما الغفلة عن الآخرة :**

فقد تكون نتيجة متممة للمرض السابق .. فان الدنيا إذا دخلت القلب طردت منه الآخرة ! فينساها الداعية أو يكاد ! لكن الغفلة عن الآخرة ، ربما كانت بغير دنيا تستحق الذكر من مال أو جاه أو نساء أو بنين !
وهو أمر وارد مع الحياة الرتيبة ، والمشاغل العديدة ، التي معها قد تقل خلوات الداعية مع نفسه .. ومن ثم خلواته مع ربه ، ومن ثم تذكره لليوم الآخر .
وقد يقترن نسيان الآخرة بنسيان الله .. هنا يضطرب حال الداعية ، فينسى نفسه !
:( **نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ) الحشر / ١٩ ،:( **نسوا الله فنسيهم** ) التوبة / ٦٧ .
ولأمر ما اقترن الايمان بالله مع الايمان باليوم الآخر .. ليكون من هذين الثقلين

أكبر صقل لقلب المؤمن ! وليتحقق له بهما التوازن الذي يصبغ حياته بالجد ، ويعطيه الميزان الحق العادل .. يزن به الحياة ، والناس ، والأمور !
من أجل ذلك .. كان علاج هذا المرض ..مزيد من الايمان بالله واليوم الآخر . يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، ومن ثم وجب تغذيته بالطاعات والمسارعة في الخيرات ، ودرء النقص عنه بتجنب المعاصي والابتعاد عنها .
وكان من شأن بعض الدعاة حتى يتذكر الموت والآخرة .. أن يذهب إلى المقابر في جنح الليل ووحشته ، ويفتح قبرا فيضطجع فيه ، ليستشعر رهبة الموت وما بعد الموت ، وليتذكر لقاء الله ، وليتلو إن شاء !
**( إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون )** يونس /٧و٨

**ثالثا : أمراض العقل :**
**وأولها قلة التخطيط :**
سمعتها من بعض الدعاة ، « لسنا بحاجة إلى تخطيط ، إنا متوكلون على الله »
قلت : بل متواكلون لا متوكلون !
لأن الله أمركم في كتابه : **( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل )** الأنفال / ٦٠ .
أليس التخطيط .. إعدادا .. ينبغي أن يرتفع إلى أعلى حدود الاستطاعة ( **ما استطعتم** ) .
أليس التخطيط جزءا من القوة .. هي قوة الذهن والعقل الذي أنعم الله عليكم وأي قيمة لقوة .. بغير تخطيط وبغير إعداد ..؟!
إنها تؤكل كما أكلت قوى غاشمة اندفعت بغير إعداد ، ولا نظام ، لذا كان من أمراض العقل التي تصيب الدعاة .. قلة التخطيط ويزيد في أهمية هذا المرض وخطورته أن أعداءنا يعدون لنا ويخططون .. على أعلى مستوى .. لهدم بنائنا ، وللقضاء علينا ونحن نقف موقف المتفرج الأبله الذي ينتظر الضربة ، ولا يدافع عن نفسه ، ولا عن عرضه ، ولا عن دينه .. ثم يزعم أن هذا قضاء الله وأننا له صابرون وعلى العهد قائمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ..
ونحن نعترف :
أن الصبر جميل .. وأن الثبات واجب .. وأن انتقام الله من الظالمين وارد .. لكننا في الوقت نفسه لا بد أن نقرر : أن الجهاد أجمل . وأن الثبات والذكر ، وطاعة الله ورسوله وعدم التنازع ، والصبر .. أسلحة خمسة واجبة مع الجهاد .
وأن الجهاد لا يصح بغير إعداد وتخطيط . ذلك أمر الله ، وتلك سنة رسوله العملية . ولو كان أحد منصورا بغير جهاد وإعداد وتخطيط .. لكان أولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**وعلاج ذلك :**

أن نفيق .. وأن نفهم .. أن نفيق من غفلتنا .. فقد طالت حتى أطمعت فينا كل ضعيف وخسيس ! وأن نفهم ديننا .. ونعترف أن الاعداد بالتخطيط جزء من الجهاد ، وأن على رافعي رايات الجهاد ان يخططوا قبل أن يرفعوا عقيرتهم بهذا الشعار الجميل !

**حسن الظن بالأعداء :**

وتبلغ السفاهة بنا .. أن نحسن بعدونا .. فنقيسه بمقاييس المحسنين ونزنه بموازين الصالحين ..!!

ومن ثم إذا وقعت منه الضربة خسيسة ولئيمة .. قلنا ما كنا نتوقع منه هذه الخسة وهذا اللؤم .. والقانون لا يحمي المغفلين .. والقرآن من قبله يحدثنا عن : **( كيد الخائنين )** يوسف / ٥٢ ، **( ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله )** فاطر / ٤٣ ، **( ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم )** النمل / ٥٠ و ٥١

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا : « الحرب خدعة » رواه البخاري ومسلم ، ويجيز لنا الكذب ( وهو شعبة من شعب النفاق ) على الأعداء . ويجيز لنا الخداع في الحروب بل يسنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ كان يسير الغزوة ويوري بغيرها ..

وكان يقول للصحابى الذي كان يهوديا وأسلم : « خذل عنا » ( كما روت كتب السيرة ) وكان يبعث بالعيون ترقب تحركات الأعداء .. الخ .. ومع ذلك : نحسن الظن باليهود .. والقرآن يقول فيهم : **( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا )** المائدة / ٨٢ .

ويقول : **( الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون )** الأنفال / ٥٦ ونحسن الظن بالصليبيين والقرآن يقول فيهم : **( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم )** البقرة / ١٢٠ : **( ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا )** البقرة / ٢١٧ ونحسن الظن بعملاء هؤلاء وهؤلاء إذا رفعوا الشعارات ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بتقتيل أمثالهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة وهم فوق عمالتهم .. قتلة .. تقطر أيديهم من دم أطهر شباب الجنة !

نحسن الظن بأولئك وهؤلاء ، والله أنزل فيهم من الآيات ما يكشف خبيئتهم ، وما يهتك نفاقهم وفجورهم وكفرهم فبماذا نحتج عند الله إلا أن نقول : كنا مغفلين !!

**وعلاج هذا المرض كذلك :**

ان نفيق .. وأن نفهم .. أن نفيق من الغفلة التي نعيشها .. وأن نفهم ديننا .. وسيرة رسولنا ( صلى الله عليه وسلم ) لنسلك نفس السبيل نحسن الظن باخوتنا ونسيء الظن بأعدائنا ..

(٢)

# القرآن الكريم وتلوث البيئة

للمهندس : محمد عبد القادر الفقي

○ جسد الانسان ، وحكمة الله في تخليص هذا الجسد من الرصاص ومركباته السامة
○ الضباب الدخان ، وظلمات البحر الذي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
○ هل كان المطر الذي انزل على قوم لوط مطرا ملوثا بطين مشع ؟
○ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس والسبب : التصنيع !
○ تلوث الهواء يكسر مكونات ( السقف المحفوظ )
○ وإذا البحار فجرت ، نتيجة لارتفاع درجة الحرارة ، وانصهار جبال الجليد في المتجمدين : الشمالي والجنوبي .

## تلوث الهواء

الهواء هو كل المخلوط الغازي الذي يملأ جو الأرض ، بما في ذلك بخار الماء ، ويتكون اساسا من غازي النتروجين ( نسبته ٧٨,٠٨٤٪ ) والاكسجين ( ٢٠,٩٤٦٪ ) ويوجد الى جانب ذلك غاز ثاني اكسيد الكربون ( نسبته حوالي ٠٣٣,٪ ) وبخار الماء وبعض الغازات الخاملة وتأتي أهمية الاكسيجين من دوره العظيم في تنفس الكائنات الحية التي لايمكن أن تعيش بدونه وهو يدخل في تكوين الخلايا الحية بنسبة تعادل ربع مجموع الذرات الداخلة في تركيبها .
ولكي يتم التوازن في البيئة ولا يستمر تناقص الاكسيجين شاءت حكمة الله سبحانه أن تقوم النباتات بتعويض هذا الفاقد من خلال عملية البناء الضوئي ، حيث يتفاعل الماء مع غاز ثاني اكسيد الكربون في وجود الطاقة الضوئية التي يمتصها النبات بواسطة مادة الكلوروفيل الخضراء ولذلك كانت حكمة الله ذات اثر عظيم رائع ، فلولا النباتات لما استطعنا ان نعيش بعد أن ينفد الاكسيجين في عمليات التنفس والاحتراق ، ولا تواجد أي كائن حي في البر أو في البحر ، إذ أن النباتات المائية أيضا تقوم بعملية البناء الضوئي ، وتمد المياه بالاكسيجين الذي يذوب فيها واللازم لتنفس كل الكائنات البحرية .
**( هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين )** لقمان ـ آية ١١ .

لكن إنسان العصر الحديث قد جاء ودمر الغابات ، وطغى بالعمران على المساحات الخضراء وراحت مصانعه تلقي كميات هائلة من الأدخنة في السماء ، ولهذا كله أسوأ الآثار على الهواء وعلى توازن البيئة ، و إذا لجأنا إلى الأرقام لنستدل بها ، فسوف نفزع من تضخم التلوث ، فثاني اكسيد الكربون كانت النسبة المئوية الحجمية له حوالي ٠٢٩,٠٪ في نهاية القرن الماضي ، وقد ارتفعت الى ٠٣٣,٠٪ في عام ١٩٧٠ وينتظر أن تصل الى أكثر من ٠٣٨,٠٪ في عام ٢٠٠٠ ، ولهذه الزيادة آثار سيئة جدا على التوازن البيئي .

**تعريف تلوث الهواء : ـ**

هو وجود أي مواد صلبة أو سائلة أو غازية بالهواء بكميات تؤدي الى أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية بالانسان والحيوانات والنباتات والآلات والمعدات ، أو تؤثر في طبيعة الأشياء وتقدر خسارة العالم سنويا بحوالي ٥٠٠٠ مليون دولار ، بسبب تأثير الهواء ، على المحاصيل والنباتات الزراعية .

ويعتبر تلوث الهواء من أسوأ أنواع التلوث التي تصيب البيئة ، وتزداد الحالة سوءا كلما ازدادت كمية الملوثات بالجو ، وكلما ازداد عدد السكان في المنطقة الملوثة .

وعلى مدار التاريخ وتعاقب العصور لم يسلم الهواء من التلوث بدخول مواد غريبة عليه كالغازات والأبخرة التي كانت تتصاعد من فوهات البراكين ، أو تنتج من احتراق الغابات ، وكالاتربة والكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض ، الا أن ذلك لم يكن بالكم الذي لا تحمد عقباه ، بل كان في وسع الانسان أن يتفاداه ، أو حتى يتحمله ، لكن المشكلة قد برزت مع التصنيع وانتشار الثورة الصناعية في العالم ، ثم مع هذه الزيادة الرهيبة في عدد السكان ، وازدياد عدد وسائل المواصلات وتطورها ، واعتمادها على المركبات الناتجة من تقطير البترول كوقود ، ولعل السيارات هي اسوأ أسباب تلوث الهواء بالرغم من كونها ضرورة من ضروريات الحياة الحديثة ، فهي تنفث كميات كبيرة من الغازات التي تلوث الجو ، كغاز أول أكسيد الكربون السام ، وثاني أكسيد الكبريت والأوزون .

**طرق تلوث الهواء : ـ**

اولا : بمواد صلبة معلقة : كالدخان ، وعوادم السيارات ، والأتربة ، وحبوب اللقاح ، وغبار القطن ، وأتربة الاسمنت ، وأتربة المبيدات الحشرية .

ثانيا : بمواد غازية او ابخرة سامة وخانقة مثل الكلور ، اول اكسيد الكربون ، أكاسيد النتروجين ، ثاني اكسيد الكبريت ، الاوزون .

ثالثا : بالاشعاعات الذرية الطبيعية والصناعية .

رابعا : بالبكتيريا ، والجراثيم ، والعفن الناتج من تحلل النباتات والحيوانات الميتة والنفايا الآدمية .

**التلوث الناتج من عادم السيارات : ـ**

يمكننا القول ان السيارة ما هي الا مصنع متحرك ، يضر بالصحة ، ويؤثر على

عمر الانسان والنبات والحيوان ، وهذا مرده الى غازات العادم الناتجة عن احتراق الوقود احتراقا ليس مثاليا ، ومن أسوأ الملوثات التي تنتج مع غازات العادم : ـ

**غاز أول أكسيد الكربون :** وهو يشكل النسبة الكبرى من غازات العادم ، كما انه ينتج ايضا من مواقد الفحم ، وهو غاز عديم اللون ، ذو تأثير سام ، وهو يقلل من قدرة الدم على استخلاص الاوكسيجين من الهواء المستنشق يوما بعد آخر ، وزيادة نسبة امتصاصه تؤدي الى اضطراب في كرات الدم البيضاء والحمراء ، مما يؤدي الى الاصابة بالأمراض الخبيثة ، كما انه يتحد مع هيموجلوبين الدم ، مما يؤدي الى حدوث الاختناق والوفاة .

**غاز ثاني اكسيد الكبريت :** وهو ايضا غاز عديم اللون ، نفاذ الرائحة وخانق ، له رائحة الكبريت المحترق وهو يخرج مع غازات العادم ويختلط بالرطوبة ، ويكون حامضا مهيجا للاغشية كما يحدث عادة التهابات في الاسطح المخاطية الرطبة ، وله تأثير ناحر في الصدور ، ومثير للسعال ، ومسبب للحساسية ، وهو ذو أثر ضار ايضا على خضرة الاشجار والنباتات .

**غاز الأوزون :** وهو في منتهى الخطورة وسام جدا وهو اكثر سمية من السيانيد ، وهو عامل مؤكسد قوي يؤدي الى تدمير وهلاك خلايا الرئة وخلايا الاغشية المخاطية ، وهو يؤدي الى هلاك النباتات ، ويزداد تأثيره عليها اذا وجد معه غاز ثاني اكسيد الكبريت .

**اكسيد النتروجين :** غاز حامضي الخواص ، له تأثير ناحر على الخلايا الحية .

**البنزين غير المحترق : له رائحة غير مرغوبة** تضيق بها الصدور ، كما انه يهيج الاغشية والشعيرات الدموية .

**السناج :** ذرات صلبة دقيقة من الكربون ، تنتج عن الاحتراق غير المثالي للبنزين ، أو أي وقود بترولي أو من أصل نباتي .

ويؤدي دخول ذرات السناج صدر الانسان وتراكمها يوما بعد يوم ، الى صعوبة تخلص الجسم منها ، وبذا تتكون بؤر لبعض الامراض الخبيثة .

**مركبات الرصاص :** تنتج املاح الرصاص من اضافة رابع ايثيلات الرصاص tetra ethyl lead الى البنزين ، وذلك لمنع الخبط فيه ، وتتطاير املاح الرصاص مع غازات العادم في شكل دقائق صغيرة تسبح في الهواء ، ثم تتساقط على الأرض ، واذا تعرض لها الجسد البشري فانه يمتصها ، وجسم الانسان يمتص يوميا ما بين ٠,٢٥ ــ ٠,٥ ملليجرام ، وتنتشر تلك الدقائق في العظام وفي الانسجة الناعمة ، وتشاء حكمة الله سبحانه وتعالى ان يطرد الجسم البشري نفس معدله الطبيعي في امتصاص الرصاص ، وهو ٠,٣٠ ملليجرام عن طريق البول والعرق والشعر ، وذلك برهان كبير على قوله تعالى : **( الله لطيف بعباده )** الشورى / ١٩ وقوله ايضا : **( وفي انفسكم أفلا تبصرون )** ؟ الذاريات ــ آية ٢١ .

لكن اذا زاد تركيز الرصاص عن المعدل الطبيعي الذي يمكن لجسم الانسان ان يتخلص منه ، فان ذلك يؤدي الى التسمم بأملاح الرصاص ، والرصاص خطر للغاية اذ انه يهاجم المخ مسببا لبعض الامراض كما يقتحم الصدر ، ويخلق مراكز نشيطة تتجمع حولها ايونات الرصاص الاخرى ليؤدي في النهاية الى بعض الامراض الخبيثة ، البعض منها لايقدر على تحملها الانسان ، وبعضها لايفيد فيه طب ولا علاج .

والنباتات تمتص هي الاخرى املاح الرصاص ، وهي تمتصها بشراهة ومن الطريف بل من المؤسف ان اذكر هنا ان فريقا من الباحثين والعلماء المهتمين بالتلوث قد قاموا باجراء تجارب على النباتات المزروعة حول الطرق العامة ، فوجدوا أن نسبة تركيز الرصاص في هذه الاشجار اكبر من تلك التي تبعد عن هذه الطرق ، ووجدوا انه كلما زاد الابتعاد عن هذه الطرق ، كلما قل تركيز الرصاص ، وفي هذا دليل كبير على ان الرصاص الذي امتصه النبات انما جاء من عادم السيارات لا من مصدر اخر .

**الضباب الدخان smog : —**

وقد اشتقت تسميته في اللغة الانجليزية من كلمتي دخان Smoke وضباب fog ، وهو يتكون نتيجة لاختلاط الدخان بالضباب ، نتيجة لتأثير ضوء الشمس على الغازات المكونة للدخان ، ويؤدي الضباب الدخان الى حدوث ظاهرة الانعكاس الحراري ، حيث تعلو طبقة من الهواء الدافيء طبقة من الهواء البارد ، على عكس الوضع الطبيعي ، فالمفروض أنه كلما زاد الارتفاع عن سطح الارض كلما قلت درجة الحرارة ، لكن في حالة الانعكاس الحراري هذه يحدث احتجاز للضباب الدخان في طبقة الهواء القريبة من الارض دون ان تتبدد في طبقات الجو العليا مما يؤدي الى زيادة حجم التلوث ، وانعدام الرؤية في بعض الاحيان حيث تزداد الحالة سوءاً مع ازدياد التلوث ، وقد حدثت كارثتان بسبب احتجاز الضباب الدخان دون ما تبدد ، الأولى حدثت في مدينة « دورونا » احدى مدن ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ، وقد اصيب فيها حوالي نصف السكان بامراض الجهاز التنفسي ، وتوفي حوالي عشرون شخصا ، والثانية حدثت في مدينة لندن عام ١٩٥٢ وانعدمت الرؤية بحيث اصبحت العين لا ترى امامها اكثر من المتر ، وتساقط الناس اطفالا وشيوخا ونساء في الطرقات والشوارع ، وبلغ عدد الوفيات حوالي ٤٠٠٠ بسبب تلك الكارثة .

ويصور القرآن الكريم في اعجاز علمي بياني باهر هذه الحالة التي تنعدم فيها الرؤية نتيجة لتكون سحب الضباب الدخان ، حين يصور اعمال الكفار بانها مثل ظلمات البحر العميق الواسع الهائج الذي تتلاطم امواجه ، ويعلو بعضها فوق بعض ، ويغطي ذلك كله سحاب كثيف قاتم ، يحجب النور عنها ، فاذا اخرج راكب البحر يده فانه لايكاد يراها ، ولعلك اذا قارنت بين حالتي احتجاز الضباب الدخان في مدينتي دورونا ولندن ، والتصوير القرآني ، لاثارك عظمة الاعجاز

القرآني ، وروعة التصوير ، والسبق العلمي في تصوير السحاب المظلم الناتج عن الضباب الدخان ، قال تعالى :

**( او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور )** سورة النور ــ آية ٤٠ .

**٢ ــ التلوث بالمواد المشعة :**

ظهر هذا التلوث مع بداية استخدام الذرة في مجالات الحياة المختلفة ، وخاصة في المجالين : العسكري والصناعي ، ولعلنا جميعا ما زلنا نذكر الضجة الهائلة التي حدثت بسبب الفقاعة الشهيرة في احد المفاعلات الذرية بولاية « بنسلفانيا » بالولايات المتحدة الامريكية ، وما حادث انفجار القنبلتين الذريتين على « ناجازاكي وهيروشيما » إبان الحرب العالمية الثانية ببعيد ، فما تزال آثار التلوث قائمة الى اليوم ، وما زالت صورة المشوهين والمصابين عالقة بالاذهان ، وكائنة بالابدان ، وقد ظهرت بعد ذلك انواع وانواع من الملوثات فمثلا عنصر الاسترنشيوم ٩٠ الذي ينتج عن الانفجارات النووية يتواجد في كل مكان تقريبا ، وتتزايد كميته مع الازدياد في إجراء التجارب النووية ، وهو يتساقط على الأشجار والمراعى ، فينتقل إلى الاغنام والماشية ومنها إلى الانسان ، وهو يؤثر في إنتاجية اللبن من الأبقار والمواشي ، ويتلف العظام ، ويسبب العديد من الأمراض ، وخطورة التفجيرات النووية تكمن في الغبار الذري الذي ينبعث من مواقع التفجير الذري حيث يتساقط بفعل الجاذبية الأرضية ، او بواسطة الامطار ، فيلوث كل شيء ، ويتلف كل شيء .

وفي ضوء ذلك يمكن ان نقرر او ان نفسر العذاب الذي قد حل بقوم سيدنا لوط عليه السلام بأنه ، كان مطرا ملوثا بمواد مشعة ، وليس ذلك ببعيد ، فالأرض تحتوي على بعض الصخور المشعة مثل البتشبلند ، وهذه الصخور تتواجد منذ آلاف السنين ، وإذا تأملنا قوله تعالى في الآيات التالية ، وكلها نزلت في قوم لوط ، سنجد أن هذا الاحتمال غير بعيد : ــ

ــ **( فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد )** ــ سورة هود ــ الآيتان ٨٢ ، ٨٣

ــ **( فنجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين )** ــ سورة الشعراء ــ آية ١٧٠ ــ ١٧٣

ــ **( وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين )** ــ سورة النمل ــ آية ٥٨

ــ **( إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون )** ــ سورة العنكبوت ــ آية ٣٤

ومما يدعم رأينا ويقويه قوله تعالى : **( جعلنا عاليها سافلها )** ، وهذا لا

يتأتى إلا من زلزال عظيم ، أو تفجير نووي كبير ، وهذا الاحتمال الأخير أرجحه ، خاصة وأن آيات سورة الشعراء التي ذكرتها قد سبق ذكر المطر فيها قوله تعالى : **( ثم دمرنا )** ، فالمطر قد جاء بعد التدمير ، ولم تقل الآية : ثم أهلكنا الآخرين ، وهذا يتمشى مع ما أثبتته التجارب العلمية من أن تلوث مياه الأمطار بالاشعاع الذري ، أو الغبار الذري لا يتم إلا بعد التفجيرات النووية ، كما أن **( الرجز )** في اللغة يعنى القذر ـ بفتح القاف والذال ـ أي المواد الملوثة .

ومن المرجح في ضوء ذلك ، ان يكون المطر الذي نزل عليهم ملوثا بطين مشع ، وهذا يتمشى مع قوله تعالى في آية أخرى : **( لنرسل عليهم حجارة من طين )** ـ سورة الذاريات ـ آية ٣٣

**التلوث الالكتروني :**

وهو أحدث صيحة في مجال التلوث ، وهو ينتج عن المجالات التي تنتج حول الأجهزة الالكترونية ابتداء من الجرس الكهربي والمذياع والتليفزيون ، وانتهاء إلى الأقمار الصناعية ، حيث يحفل الفضاء حولنا بالموجات الراديوية والموجات الكهرومغناطيسية وغيرها ، وهذه المجالات تؤثر على الخلايا العصبية للمخ البشري ، وربما كانت مصدراً لبعض حالات عدم الاتزان ، وحالات الصداع المزمن الذي تفشل الوسائل الطبية الاكلينيكية في تشخيصه ، ولعل التغييرات التي تحدث في المناخ هذه الأيام ، حيث نرى أياما شديدة الحرارة في الشتاء ، وأياما شديدة البرودة في الصيف ، لعل ذلك كله مرده إلى التلوث الالكتروني في الهواء حولنا ، وخاصة بعد انتشار آلاف الأقمار الصناعية حول الأرض .

**تأثير تلوث الهواء على البر والبحر :**

تتجلى عظمة الله ولطفه بعباده في هذا التصميم الرائع للكون ، وهذا التوازن الموجود فيه ، لكن الانسان بتدخله الأحمق يفسد من هذا التوازن ، في المجال الذي يعيش فيه ، وكأن هذا ما كانت تراه الملائكة حينما خلق الله آدم ـ قال تعالى : ـ

**( هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم . وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون )** ـ سورة البقرة ـ الآيتان ٢٩ ، ٣٠

ولعل مما يؤكد وجهة نظرنا أن القرآن الكريم قد عرض وجهة نظر الملائكة بعد أن جاء في الآية السابقة من أن الله قد خلق للبشر كل ما يلزمهم في الأرض ، قبل أن يخلق الله آدم ، كالأنهار والبحار والجبال والاشجار والهواء **( خلق لكم ما في الأرض جميعاً )** .

بيد أن الفساد في الأرض يجب ألا ننظر إليه من وجهة النظر المادية وحدها ، بل هو يتضمن أيضا الطغيان والعصيان والظلم من جانب الانسان ، وآيات القرآن

الكريم تتحمل كلتا الوجهتين ، فالفساد في الأرض قد يكون من ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وقد يكون بعصيانه لأوامر ربه ، وقد يكون تدخل الانسان في مكونات الأرض والسماء ، وإفساد اتزانها على نحو ما نرى في موضوع التلوث البيئي ، وقد يكون التلوث الأخلاقي ، وقد يكون كل ذلك .

وعظمة القرآن في أنه يتحمل كل هذه المعاني ، ويشعها جميعا من كلمة واحدة ، هي **الفساد** ، وتأمل قوله :

ــ **( ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين )** ــ سورة الاعراف ــ آية ٥٦

ــ **( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون )** سورة البقرة ــ الآيتان ١١ ، ١٢

ــ **( وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين )** ــ البقرة ــ آية ٦٠

أما الآية التي تجسم التلوث بكل أبعاده فهي الآية رقم ٤١ من سورة الروم : ــ

ــ **( ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون )** ــ

حيث تشير إلى التلوث الذي يظهر في البر والبحر نتيجة لما تصنعه يد الانسان ، كما تبين أيضا العذاب والوبال الذي يحل بالانسان نتيجة لفعله هذا **( ليذيقهم بعض الذي عملوا )** .

ومن المؤسف أن تيار التلوث قد وصل إلى أماكن لم يكن يتوقع أحد أن يصل إليها ، فقد وجد العلماء أن هناك نسبة كبيرة من الرصاص في الجليد في جزيرة « جرينلاند » تزيد عن نسبتها منذ عشرات السنين ، وتعجبوا من أين جاء هذا التلوث ، والجزيرة خالية من السكان تقريبا ، وخالية من السيارا ت والمصانع ، وتقع بعيدا عن مناطق العمران هناك في المنطقة المتجمدة الشمالية .

إن الرياح هي المسئولة عن نقل هذا التلوث من مكان إلى مكان ، فالأبخرة والدخان والغازات الناتجة من المصانع التي تنفثها المداخن في اوروبا تنقلها الرياح إلى بلاد نائية في الشرق مثل السويد وشمال غرب روسيا : ــ

**( واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون )** ــ الجاثية ــ الآية ٥

**ليذيقهم بعض الذي عملوا :**

وجد أن للتلوث آثارا ضارة على النباتات والحيوانات والانسان والتربة ، وسوف نناقش هنا الأثر الناتج عن تلوث الهواء :

**أ ــ صحيا :** ــ تؤدي زيادة الغازات السامة إلى الاصابة بأمراض الجهاز التنفسي والعيون ، كما أن زيادة تركيز بعض المركبات الكيميائية كأبخرة الامينات

العضوية يسبب بعض أنواع السرطان ، ولبعض الغازات مثل أكاسيد غاز النتروجين آثار ضارة على الجهاز العصبي ، كذلك فان الاشعاع الذري يحدث تشوهات خلقية تتوارثها الأجيال إن لم يسبب الموت .

**ب ـ مادياً :** ـ ١ ـ يؤدي وجود التراب والضباب إلى عدم إمكانية الرؤية بالطرق الأرضية والجوية .

٢ ـ حدوث صدأ وتآكل للمعدات والمباني ، مما يؤثر على عمرها المفيد ، وفي ذلك خسارة كبيرة .

٣ ـ التلوث بمواد صلبة يحجز جزءا كبيرا من أشعة الشمس ، مما يؤدي إلى زيادة الاضاءة الصناعية .

**جـ ـ على الحيوانات :** ـ تسبب الفلوريدات عرجا وكساحا في هياكل المواشي العظمية في المناطق التي تسقط فيها الفلوريدات ، أو تمتص بواسطة النباتات الخضراء ، كما أن أملاح الرصاص التي تخرج مع غازات العادم تسبب تسمما للمواشي والأغنام والخيول ، وكذلك فان ثاني أكسيد الكبريت شريك في نفق الماشية .

أما الحشرات الطائرة فانها لا تستطيع العيش في هواء المدن الملوث ، ولعلك تتصور أيضا ما هو المصير المحتوم للطيور التي تعتمد في غذائها على هذه الحشرات ، وعلى سبيل المثال انقرض نوع من الطيور كان يعيش في سماء مدينة لندن منذ حوالي ٨٠ عاما ، لأن تلوث الهواء قد قضى على الحشرات الطائرة التي كان يتغذى عليها .

**د ـ على النباتات :** ـ تختنق النباتات في الهواء غير النقي وسرعان ما تموت ، كما أن تلوث الهواء بالتراب ، والضباب والدخان والهباب يؤدي إلى اختزال كمية أشعة الشمس التي تصل إلى الأرض ، ويؤثر ذلك على نمو النبات وعلى نضج المحاصيل ، كما يقلل عملية التمثيل الضوئي من حيث كفاءتها ، وتتساقط زهور بعض انواع الفاكهة كالبرتقال ومعظم الأشجار دائمة الخضرة ، وتتساقط الأوراق والشجيرات نتيجة لسوء استخدام المبيدات الحشرية الغازية ، وكمثال للنباتات التي تتأثر بالتلوث محاصيل الحدائق ، وزهور الزينة ، والبرسيم الحجازي ، والحبوب ، والتبغ ، والخس ، وأشجار الزينة ، كالسرو ، والجازورينا ، والزيزفون .

**هـ ـ على المناخ :** ـ تؤدي الاشعاعات الذرية والانفجارات النووية إلى تغيرات كبيرة في الدورة الطبيعية للحياة على سطح الأرض ، كما أن بعض الغازات الناتجة من عوادم المصانع يؤدي وجودها إلى تكسير في طبقة الأوزون التي تحيط بالأرض ، والتي قال عنها القرآن : **( وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون )** الانبياء ـ آية ٣٢

إن تكسير طبقة الأوزون يسمح للغازات الكونية والجسيمات الغريبة أن تدخل جو الأرض ، وأن تحدث فيه تغيرات كبيرة ، أيضا ، فان وجود الضباب والدخان

والتراب في الهواء يؤدي إلى اختزال كمية الاشعاع الضوئي التي تصل إلى سطح الأرض ، والأشعة الضوئية التي لا تصل إلى سطح الأرض بذلك ، تمتص ويعاد إشعاعها مرة اخرى إلى الغلاف الجوي كطاقة حرارية فاذا أضفنا إلى ذلك الطاقة الحرارية التي تتسرب إلى الهواء نتيجة لاحتراق الوقود من نفط وفحم وأخشاب وغير ذلك ، فسوف نجد أننا نزيد تدريجيا من حرارة الجو ، ومن يدرى ، إذا استمر الارتفاع المتزايد في درجة حرارة الجو فقد يؤدي ذلك إلى انصهار جبال الجليد الموجودة في القطبين وإغراق الأرض بالمياه ، وربما كان ذلك ما تشير إليه الآية رقم ٣ في سورة الانفطار : **( وإذا البحار فجرت )** حيث ذكر المفسرون أن تفجير البحار يعني اختلاط مائها بعضه ببعض ، وهذا يمكن له الحدوث لو انصهرت جبال الجليد الجليدية في المتجمدين الشمالي والجنوبي .

**خاتمة : ــ**

إنها صورة سوداء قاتمة صنعها الانسان ، ويذوق وبالها الآن ، وسوف يعاني الكثير من جرائها في السنوات القادمة ، خاصة وأن التصنيع يرتبط بالتلوث ، والبعض يرى أن التصنيع هو السبيل الوحيد للتقدم ، وأنه هو الدليل الوحيد على الحضارة والتمدين ، ولقد أدركت الدول المتقدمة خطورة هذه المشكلة فمنعوا قيام بعض الصناعات التي ينتج عنها كميات هائلة من الملوثات ، وصدروها إلى الدول النامية بدعوى نشر الحضارة والتكنولوجيا ، وهي مأساة كبيرة ستشمل البشرية كلها ، وعلينا أن نوقفها ، وأن نضع كل إمكانياتنا وأن تتحد إرادتنا من أجل المحافظة على الحياة ، وعلى الانسان ، من جهل الانسان ، فقد **( ظهر الفساد في البر والبحر )** فهل من مدكر ؟

تعقيب على
تعقيب على
مقال

# مع إنجيل برنابا

للاستاذ/ مصطفى عبد الله

**قرأت مؤخرا مقالة بعنوان تعقيب على مقال « مع انجيل برنابا » للاستاذ مصطفى محمد في الوعي الاسلامي ، ولاحظت ما فيها من آراء لا ينبغي السكوت عليها فرأيت ان أعقب على هذه الآراء بما يشفي الغليل ويبين الجليل ولكن قبل اقبالي على هذا بالدليل أرى لزاما على ان أتحدث أولا عن برنابا والأنجيل الذي كتبه محاولا اظهار الحق الذي كان مخفيا واشعار الباطل الذي كان سريا ومن هذه المحاولة استغفر الله ان أخطأت وأتوب الى الله ان أكون قد صبأت .**

كان برنابا أحد الحواريين عند عيسى عليه السلام وهذا ما يقوله التاريخ وما جاء عنه في العهد الجديد وفي دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الامريكية وغيرها من الكتب المسيحية نجد اخبارا وافية عنه وكل هذه المصادر تؤكد لنا أن برنابا كان شخصا موجودا عاش في زمان عيسى عليه السلام ومن المقربين اليه مما ينفي شك الاستاذ مصطفى محمد في وجوده عند عيسى عليه السلام .

وكان اسم برنابا يوسف وقد لقبه تلاميذ المسيح ببرنابا وترجمته ابن الوعظ وأحسبه كناية عن الواعظ كما ان ابن السبيل في العربية كناية عن المسافر وابن الزنا كناية عن الزاني وكان برنابا يقضي معظم وقته في صحبة المسيح عليه السلام ليستمع الى تعاليمه واقواله ، فهو ـ اذا ـ جدير بأن يكتب عن سيرة المسيح ويسجل اقواله والحوادث التي كانت تدور حول المسيح ، ويشتمل الانجيل الذي كتبه على كل هذه وليس هو الانجيل الذي تلقاه عيسى عليه السلام من عند الله ، مع انه من المحتمل ان يكون بعضاً ، وان لم يكن كل تعاليم عيسى واقواله ـ أو تفسيرا للأنجيل المنزل عليه .

ولم يكن لدى دارسي حياة برنابا العلم اليقيني عما اذا كان برنابا كتب انجيله في زمان عيسى او بعده الا انهم استدلوا من حكايته مع بولس وماركس بأنه كتبه بعد ما رفع عيسى الى السماء بعد رجوعه الى وطنه قبرص .

ولقي هذا الانجيل قبولا حسنا في كنائس اسكندرية وصار قانونا عند اهلها حتى سنة ٣٢٥ م ثم أصبح فتنة وادخل المسيحيون عقيدة التثليث ، فأمر رجال الكنيسة باحراق كل الاناجيل والكتب ضد هذه العقيدة ومن ضمن الكتب التي تعرضت للاحراق انجيل برنابا ، لأنه يدعو الى التوحيد ، ويصدق نبوءة عيسى عليه السلام وبما فيه من بشارة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتعرض لذكر قضية الصلب على حقيقتها وغيرها من الحقائق التي تناقض عقائد الكنيسة الجديدة ، فلما رأوا ما رأوه في هذا الانجيل من مخالفة عقائدهم الجديدة ، اصدروا أمرا باعدام كل من وجد عنده نسخة من انجيل برنابا .

ويرجع هذا النهي عن مطالعة انجيل برنابا الى سنة ٣٢٥ م ، اي قبل اكثر من مائتي سنة من ولادة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم في سنة ٣٦٦ م منعه البابا دماسس مع انه حفظ نسخة منه في مكتبته ، واستمر هذا النهي عن مطالعة هذا الكتاب قرنا بعد قرن وبهذا الصدد يقول الدكتور خليل سعادة مترجم انجيل برنابا الى العربية ووافقه في تصديق هذا القول محمد رشيد رضا منشئ المنار : ويذكر التاريخ أمرا اصدره البابا جلاسيوس الاول الذي جلس على الاريكة البابوية سنة ٤٩٢ م يعدد فيه اسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا « مقدمة انجيل برنابا » .

ومرت سنون وانقضت قرون ولم يسمع لهذا الانجيل خبر ، ولكن الحق لا بد ان يظهر عاجلا كان او آجلا ، فلما كان القرن السادس عشر عثر عليه راهب إيطالي يسمى « فرا مرينو » في مكتبة البابا سكنس الخامس وفي قصة عثوره على هذا الانجيل ، يقول خليل سعادة ناقلا عن مصطفى العرندي « انه عثر على رسائل لايرينابوس وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولس وان ارينابوس اسند تنديده هذا الى انجيل القديس برنابا فأصبح من ذلك الحين الراهب مرينو المشار اليه شديد الشغف بالعثور على هذا الانجيل واتفق انه أصبح حينا من الدهر مقربا من البابا سكنس الخامس فحدث يوما انهما دخلا معا مكتبة البابا فران الكري على اجفان قداسته فاحب مرينو ان يقتل الوقت بالمطالعة الى ان يفيق البابا فكان الكتاب الاول الذي وضع يده عليه هو هذا الانجيل نفسه فكاد ان يطير فرحا من هذا الاكتشاف فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في احد اردبته ولبث الى ان استفاق البابا فأستأذنه بالانصراف حاملا ذلك الكنز معه فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على اثر ذلك الدين الاسلامي ( مقدمة انجيل برنابا ) .

هكذا كان مصير انجيل برنابا ولم ينته خبره بعد الى هذه الغاية لأنه بعد قرنين اي في القرن الثامن عشر انتشر خبره في اوروبا في دائرة الدين واحدث فيها دويا عظيما وفي خلال هذه الفترة لم يسمع له خبر فلما شاع خبره في هذا القرن

واضطرب رجال الكنيسة من محتوياته ، عقدوا اجتماعا للبحث في هذا الانجيل فاتفقوا اخيرا على انه من وضع مرتد عن النصرانية او مسلم .
وهذا الحكم الذي اصدر من قبل رجال الكنيسة لا يقوم على اي اساس اذ ان في هذا الانجيل حقائق لا يعرفها الا من كان له المام واسع بالتوراة والانجيل والقرآن ، واني له العلم بالقرآن قبل انزاله فان قيل زعموا انه وضع بعد الاسلام قلنا كفى بنا التاريخ شهيدا وقد مر بك ان هذا الانجيل نهى عن مطالعته في سنة ٣٢٥ م . الى غيره من اخبار تاريخية ودلائل منطقية .
ومهما يكن من الأمر فأننا مع كل ادلة لدينا على ثقة عظيمة بأن هذا الانجيل ، كتب بقلم رجل مؤمن بالله ورسوله ومن المقربين اليه ، والذي سجل ما سمع من أقوال المسيح وتعاليمه وما شاهد من الحوادث التي حدثت مع المسيح عليه السلام وكم فيه من أقوال حكيمة وقصص ذات عبرة ، وتعاليم اصيلة والاخبار عن الغيب التي لا يمكن ان ينطق بها الا نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة ، فهو اذا كتاب جدير بأن يعول عليه ولا بد ان يتلقى بالقبول ويرجع اليه في مسائل تاريخية وبعض الحقائق ، بل يمكننا ان نستخدمه لتفسير بعض آي القرآن - اذا صح التعبير - خصوصا الآي التي تتعلق بقصة المسيح عليه السلام لأنه يفصل بعض ما اجمله القرآن مثل قضية الصلب وبشارة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعاء المسيح الى التوحيد واخباره عن حكايات معجزاته وعن قصص الانبياء الذين جاءوا قبله ، هو في الواقع كتاب وحيد من نوعه يوافق القرآن واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخالف في الكثير الاناجيل التي تقرأ اليوم في كنائس العالم .
قد انتهيت من اخبار برنابا وانجيله اختصارا والآن دعني اعقب على آراء الاستاذ مصطفى محمد واحدا واحدا كما لمحت في البداية هذا هو الغرض الذي دفعني الى كتابة هذه المقالة التي ارجو ان تكون مفيدة .
ذكر الاستاذ استنكافا من مطالعة انجيل برنابا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا اهل الكتاب عن شئ » واجيب عن هذا بأنه من المحتمل جدا ان يكون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال الكفار من اهل الكتاب دون المؤمنين منهم ، وهذا الاحتمال عندي هو مراد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأننا نجد في القرآن آيات حيث يذكر الله تعالى المؤمنين من أهل الكتاب في معرض المدح ، حيث سأذكر بعض هذه الآيات في نهاية هذه المقالة ، واذا مدح الله مؤمني أهل الكتاب لايمانهم وتقواهم ، فلا ارى جرما في سؤالهم عن شي في دين الله ، لمكانهم بالعلم بالتوراة والانجيل ولأن الايمان هو الذي يفرق بين المسلم والكافر ، فاذا وجد الايمان في اليهود والعرب والفرس وغيرهم فهم في الصدق على السواء .
اما احتجاج الاستاذ بقول معاوية في حق كعب الاحبار « انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » فلا ادري كيف شك معاوية في صدق كعب الاحبار بينما كان ابن عباس حبر الامة وترجمان القرآن وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون على كعب الاحبار

ووهب ابن منبه في تفسير بعض آيات القرآن التي تتعلق بقصة بني اسرائيل وكيف يظن بكعب الاحبار الكذب ، وكان من أحسن الناس اسلاما والكذب من سمة المنافقين ، فأن قيل كان كعب متهما بالكذب فلا يصدق في كلامه ، قلت ولو كان بالواقع كذابا فإن كذبه لا يبطل صدق غيره من مؤمني أهل الكتاب ، لأن نفى حكم الواحد لا ينفي حكم الجميع ، اعني بهذا ان كان كعب كذابا فلا نصدق كلامه ولكن نصدق كلام غيره من مؤمني أهل الكتاب .

ومن كان كذابا في دين الله كان منافقا لقوله تعالى : ( **والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** ) المنافقون/ ١ ومن كان منافقا فنحن اشد فرارا منه فما ظنك بحبر الأمة وغيره من الصحابة الذي هم اعلم الناس واتقاهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان قيل لم يتعمد كعب الاحبار الكذب فلا نكذبه ولا نصدقه قلت كذلك كل من لا يتعمد الكذب لا نكذبه ولا نصدقه من مؤمني اهل الكتاب كان أو من العرب أو غيرهم ، فهم في حكم النهي عن السؤال على السواء لا نفرق بين احد منهم .

واما احتجاج الاستاذ بقول الله تعالى : ( **ما فرطنا في الكتاب من شئ** ) الأنعام/ ٣٨ فقد اختلف في معنى الكتاب على ثلاثة أقوال أولها ـ المراد بالكتاب القرآن ثانيها ـ ان المراد به اللوح المحفوظ وثالثها ـ ان المراد به اجل كل شئ ذكرها الطبري في معجم البيان ، وان قلنا ان المراد بالكتاب هنا القرآن فالقرآن لم يذكر كل شئ تصريحا فمثلا اين ذكر كل انبياء الله بعد قوله تعالى : ( **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ) غافر/ ٧٨ وغير هذا اشياء كثيرة لم يذكرها القرآن يطول ذكر بعضها هنا .

واما الآي التي يحتج بها الاستاذ والتي تصدق حقيقة القرآن من انه من عند الله فلا تمنع من مطالعة غيره ، واما الآي التي ذكرها والتي يذكر الله تعالى أهل الكتاب في معرض الذم والتوبيخ فبرنابا كاتب انجيل مع بره وزهده وورعه لا يدخل في عدادهم وليت شعري لو قرأ الاستاذ قوله تعالى : ( **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين** ) آل عمران/ ١١٣ و١١٤ وقوله ( **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب** ) آل عمران/ ١٩٩ وقوله ( **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ) البقرة/ ١٢١ . لو قرأ الاستاذ هذه الآي وامثالها وتدبر فأدخل برنابا في عداد من قال الله تعالى فيهم هذه الآي لكان صوابا وكوكبا يهتدي به .

هذا مع ان الاستاذ مع ذلك اجتهد وابتعد ولا تخلو مقالته من قول حسن وهو نصيحته « ثم لماذا لا نوجه جهدنا أولا وقبل كل شي إلى دراسة ديننا وذخائرنا فإن تسعة اعشار كتبنا وتراثنا ما تزال حبيسة مكتبات دور الكتب وهذه النصيحة التي أقبلها من أعماق قلبي لا بد أن تكتب على باب كل مسلم .

# الغريب

٣

مسرحية شعرية من فصل واحد وستة مناظر

للشاعر/ محمود عبد الغفار دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

## المنظر الخامس

## المؤامرة

قاعة العرش في قصر الوالي ، الوالي يقطع القاعة ذهابا وايابا مطرقا مفكرا مدبرا ، وكبير حجابه على الباب ، والحراس في كل مكان .. )

الوالي : ( يسأل كبير الحجاب وقد استبد به القلق )

هل جاء الشيخ كما قلنا

كبير الحجاب : ( يجيب في اضطراب )

ابدا مولاي ..ولم يظهر

الوالي : ( في غضب )

استعجل فورا مقدمه

كبير الحجاب : ( يجيب خائفا )

ارسلت بأمرك للعسكر

الوالي : ( محذرا )

اياك يفر ويفضحنا

كبير الحجاب : ( مطمئنا الوالي )

... ابدا لن يفلت لو دبر

احكمنا طوق حراسته     شيخ مجنون يتكبر

الوالي : ( محدثا نفسه بصوت مسموع )

هذا المجنون له سر     والسر سيكشف او يقبر

( ثم يلتفت الى كبير الحجاب ويأمره بحسن استقبال الغريب )

ادخله لفورك محتفيا     ان جاء .. حذار يتأخر

يظهر الشيخ على باب قاعة العرش ، وقد تبدلت حاله فلبس افخر الثياب واسترد عافيته ومظهره المهيب الجليل وهو يدب على عصاه )

كبير الحجاب : ( يخف مرحبا بالشيخ ) ..

... اهلا بالشيخ ومقدمه

الوالي : ( هاشا باشا )

....اهلا بالحكمة والسعد

( يأخذ بيد الشيخ ثم يسيران معا ويجلسه الى جواره )

يا شيخ تفضل اسعدنا     بحديث الحكمة والود

( يتلفت الشيخ حواليه في تردد ويقلب عينيه في دهشة لهذه الحفاوة ولا ينطق بحرف )

الوالي : ( يحاول ان يخرج الشيخ من صمته )

قل ما تشاء لك الامان مبجلا     الرأي في ليل الخطوب منار

**الشيخ** : ( يتنهد آسفا ثم يقول )

**ماذا اقول وكل قول فـاسد ... مـا لم يكن لمقالـة آثـار ؟!**
**مالي أراكم خاملين تضاربت ... اهـواؤكم فتحكم الاشـرار**
**هم يعملون وينتجون وهاهنا ... بالشرق جهـل عاجـز خوار**

**الشيخ** : ( مواصلا حديثه )

**يغـزون ارجاء الفضـاء بعلمهم ... ونخـاف نمشي والطـريق نهـار**
**مستهلكـون لكل مـا قد ابـدعت ... امم هنـاك ، ويربـح السمسـار**
**والمبدعون بأرضكم قد ضيعـوا ... بـوظـائـف ارزاقـهـا اصفـار**
**والثـرثـرات طعـامكم وشـرابكم ... والشـائعـات شـرارهـا اعصـار**
**والجنس والادب الرخيص بضاعة ... راجت ، وجهد الناصحـين بوار**
**والخوف والارهاب اصبح زادكم ... والـرأي يقتل والخطـوب كبـار**
**متفـرقـون بكـل درب مظلـم ... تتنـابـذون وارضكـم اعشـار**
**طمع الذئاب بارضكم وتحفـزوا ... فالويـل ان لم تجمعوا والعـار**

**الوالي** : ( يتبرم من الحديث فيهدده خفية )
**هذا حديث سياسة ومحرم ... ان تستباح سياسـة وقرار**

**الشيخ** : ( يقول في حزم )
**ان السياسة ان تساس رعية ... بالعدل والشورى يكون قرار**
**لا ان يروع آمن في سربـه ... وبغـير ذنب يقتل الاحـرار**

**الوالي** : ( يغضب من هذا التلميح والتنديد بسياسته فيتساءل ) **ماذا تقول ؟**
**الشيخ** : ( مؤكدا في حزم )
**اقـول ما استمعت لـه اذنـاك اني نـاصـح مغـوار**
**الوالي** : ( مسفها كلام الشيخ )
**دع عنك هذي الفلسفات مكرما ... بحـر السياسـة مالـه اغوار**

**الشيخ** : ( متحديا )
**انسيت اني كنت قبلك قائدا ... شهد العدو بحكمتي والجار**
**الكفر قد رفع الصليب مهددا ... باسم المسيح تمسح الاشرار**
**طمع الذئاب بأرضنا فتجمعوا ... والله يشهـد اننـا احـرار**

وحدت صف العرب قلبا واحدا — هزم الطغاة وحفنا الاكبار

**الوالي** : ( مقاطعا )

اليوم غير الامس

**الشيخ** ( متحديا )

هــذا زعــمكــم — بئس الدليل لقومه الخوار
ماذا لدى الاعداء ينقص قومنا ؟ — فتقاعست همم فحل عثار
خير الشعوب شعوبنا إن وحدت — فالدين سمح والديار عمار
والمال موفور ، وكل صناعة — بالارض يعرف سرها الاحرار
علماؤنا كنز البلاد وذخرها — هجروا الديار وشتت الاخيار
لا خير في وطن تشتت اهله — مزقا تئن ، فجمعهم اصفار
ضموا الصفوف ووحدوا أهدافكم — عزم الرجال ارادة وقرار

**الوالي** : ( مغيرا مجرى الحديث )

اسمع هداك الله قل لي صادقا — ماذا اردت غداة جئت لدولتي ؟

**الشيخ** : ( في ثقة واعتزاز )

لا شيء الا ان تفك احبتي — ( حريتي ) اخت ( الجهاد ) وعزتي

**الوالي** : ( مراوغا )

حسنا ... وماذا بعد تطلب يا ترى

**الشيخ** : ( في ثقة واعتزاز )

...ان تستفيد بحكمتي وبخبرتي

**الوالي** : ( محاولا شراء الشيخ )

اني امرت بأن تعين هاهنا — كوزير دولتنا تشير بما ترى

**الشيخ** : ( معترضا )

ما جئت اطلب منصبا او مغنما — من قال هذا لا تكلف بيننا

**الوالي** : ( متلطفا )

انت العزيز المستشار وفي غد ...

الشيخ( يتنهد ثم يقول في حسرة )

يا ويلكم مما يخبئه الغد .. يا ويلكم مما يخبئـه الغد
.. يا ويلكم مما يخبئه الغد

الوالي : ( مستنكرا ) ماذا تقول ؟

الشيخ : ( ناصحا )

نبـــــوءة لمجـــــرب خبـر الحياة وجـرب الاخطـارا
آنست نـورا قلت علـيّ اهتـدى فـوجـدت نـارا تـأكـل الابـرارا
وقتلتمو الحب الجميل بارضكم فالناس في ليل الخطوب سكارى
وتبعتمو زيف الحضارة والهوى ونسيتمـو تـاريخكـم اطمـارا
ابنـاء صهيون تجسد حقدهم هتكوا النساء وشردوا الاخيارا
حرقوا المساجد واستباحوا ارضنا والقدس والـزيتـون والافكـارا
هـلا رجـعتـم للكتـاب وسنـة غـراء حتـى نـهـزم الكفارا
هيا اجمعوا صف العروبة والقنا وتـوحدوا كي لا نظـل حيـارى
الله يـهـدي من يشـاء لنـوره فمتى نتوب ونسجد استغفارا ؟

الوالي : ( وقد مل نصائح الشيخ )

يا شيخ إنك قد اطلت مواعظا هل جئت تشعل فتنة ام نارا ؟

الشيخ : ( مستنكرا رفض نصحه )

ما جئت اشعل فتنة بل اتقى فتنا زرعتم شوكهـا اسوارا
الظلم يشعل في القلوب مرارة عمياء تهدم ملككم أشطـارا

الوالي : ( معللا سبب بطشه واستبداده ) :

الحزم محمود لحكم بلادنا كي نردع الفجار والاشرارا

الشيخ : ( معترضا على هذا التبرير الكاذب )

العدل فوق الحزم بل هو نوره يحيي النفوس ، ويخلق الاحرا

الوالي : ( مدافعا عن رأيه )

العـدل نسبي اذا حللتـه والخوف يمنع فتنة وبوارا

الشيخ : ( مفندا هذا الادعاء )

العدل قانـون الوجـود وشرعـة للـه نـزلـه هـدى ومنـارا
ميـزانـه لا يستقيـم بـرهبـة والبطش يهدمه ويشعـل نـارا

والخوف يزرع في القلوب عداوة ... تجني على حكم الطغاة دمارا
بالعدل تبنى دولة وحضارة ... مرموقة لا تعرف الاخطارا
وحد جموع الشعب تحت مظلة ... للعدل وارفع للاخاء شعارا
واهدم جدار الخوف ، واحكم راشدا ... بالدين واحذر خائفا مكارا

**الوالي** : ( مبررا ظلمه بحجة استعداده لحرب الاعداء )

سنخوض حربا للجهاد ولازم ... ان نحمي الاسوار والاسرارا
ولذا منعت الناس ان يتكلموا ... او يبصروا او يسمعوا الاخبارا
وشريت اسلحة نرد بها العدا ... وسنهزم الاعداء والكفارا
وغداة نصري سوف اسمح بالذي ... حرمت قبل وننشد الاشعارا

**الشيخ** : ( ساخرا من هذه الافكار )

اتخوض حربا للجهاد بزمرة ... لا يبصرون لليلهم انوارا ؟
الخائفون المتعبون اذلة ... يوم اللقاء تراهمو ادبارا
يتوقعون الموت كل دقيقة ... فالخوف افرخ رهبة وفرارا

**الشيخ** : ( متابعا حديثه السابق )

اتخوض حربا للجهاد بعدة ... للحرب صنعها العدو شنارا
تتشدقون بكل قول كاذب ... كم تعشقون المدح والدولارا
لن تحصدوا غير المذلة في الورى ... ما دمتمو متفرقين سكارى
واحذر مؤامرة تحاك بظلمة ... نسج الصديق خيوطها امتارا

**كبير الحجاب** : ( يدخل مهرولا وهو في ذهول ثم يقول )

**مولاي ... وزيرك مقتول .....**

**الوالي** :( مستفسرا وقد ظهر الرعب على وجهه ) مقتول ؟ من ذا قد قتله ؟

**كبير الحجاب** : ( يجيب مضطربا )

**لا نعرف ... لكن القاضي يستجوب اوباش السفلة ..**

**الوالي** : ( محاولا اظهار رباطة الجأش )

**حسنا .. هل سرقوا شيئا نعرفه ؟**

**كبير الحجاب** : ( يجيب مضطربا )

مولاي .. لقد سرقوا عمدا ... سر الاقفال السرية

**الوالي** : ( ( يصرخ في رعب )

ضعنا والله لقد ضعنا ... ضعنا والله لقد ضعنا
سرقوا احلامي الوردية ... سرقوا احلامي الوردية

( وبعد لحظة تفكير يشير بأصبع الاتهام الى الشيخ قائلا )

هذا المأفون له ضلع ... وسنعرف سرا لقضية
فخذوه سريعا للقاضي ... كي نقطع رأس الهمجية

( يهجم الحراس على الشيخ ويجرونه الى الخارج )

○ ○ ○

## المنظر السادس

## السر

غرفة باحد السجون .. نافذة الغرفة عالية ضيقة مليئة بالقضبان التي يتسرب منها شعاع ضئيل من الضوء .. الغرفة موحشة ، مقبضة للنفس والعين معا .. وبابها ضيق تعلوه كوة يطل منها السجان من حين الى آخر .. الشيخ قابع في ركن من اركان الغرفة المظلمة وحيدا مقيدا بالاغلال ممزق النفس والثياب يئن ويتوجع نتيجة التعذيب الوحشي .. ويناجي نفسه بالابيات التي سبق ان قالها في المنظر الاول :

**الشيخ** :

رعاك الله يا أمل ... فمنك الصبر والعمل
حكايات لنا عجب ... يشيب لهولها الحمل
شربنا المر الوانا ... فقل لي : كيف نحتمل ؟
يحارب بعضنا بعضا ... وضاع الرأي والخجل
كلاب الارض تنهشنا ... متى ينهض لها رجل
متى يشرق لنا صبح ... به الاحرار تحتفل

يفتح باب الزنزانة فجأة ويدخل شاب مفتول العضلات حسن الوجه ولكنه مكبل بالقيود والاغلال .. ويقف الشاب امام الشيخ .. ثم يغلق باب الزنزانة وبعد ان تتعود عين الشاب على ظلام الزنزانة .. ينحني امام الشيخ ويقبل يده في شوق ولهفة ..

**الشاب** : ( في حب ولهفة )
**ابي .....**

**الشيخ** : ( مستفسرا )
**... من انت يا ولدي ؟**

**الشاب** : ( موضحا عاتبا )
**... ( جهاد ) ... كيف تنساني ؟**

**الشيخ** : ( في لهفة )
**.. ( جهاد ) انت يا ولدي ؟**

( يتصفح وجهه قليلا ثم يضمه الى صدره )
**.. حبيبي .. بين احضاني ....**

**حسبت الدهر ضيعنا**

**الشاب** : ( في ثقة وقوة )
**... محال انه الحاني ..**

**الشيخ** : ( مستفسرا )
**ولكن كيف ؟ خبرني اتيت برغم قضبان ؟**
**وكيف عرفت يا ولدي ؟ مكاني رغم سجان ؟**
**وهل ( حوريتي ) ضاعت بقبر مظلم ثان ؟**

**الشاب** : ( متنهدا )
**سمعت بانها تحيا بقصر الماجن الجاني**

**الشاب** : ( متابعا حديثه )
**يراودها فتعصاه ولا تعبأ بحرمان**
**تذوق الذل ممزوجا بتعذيب ونكران**
**ويحرمها ضياء الشمس مزهوا بسلطان**

تكاد تموت من كمد ويغزل خيط اكفان

**الشيخ** : ( في ثقة )

لها ربي، سيرعاها ويبطل كل بهتان
ولكن كيف يا ولدي اتيت برغم سجان ؟
وكيف عرفت يا ولدي ؟؟ مكاني رغم قضبان ؟

**الشاب** : ( شارحا سبب مجيئه )

اتيت بأمرهم قالوا : بانك خنت اوطانى
سرقت مفاتح الاسرار ...

**الشيخ** : ( مقاطعا في غضب )

كذابون يا ولدي

**الشاب** : ( مكملا حديثه )

قتلت وزير دولتهم باخوان وأعوان
وقد دبرت ما دبرت كي تحظى بتيجان
وان لم تعترف فورا شنقت .........................

**الشيخ** : ( في رثاء للنفس )

..... جزاء احسانى ......

اتيت محذرا عبثا فمن يسمع لاشجاني ؟
وكيف تعالج البلوى ؟؟ سؤال هز اركاني

**الشاب** : ( ( يتابع حديثه )

اتيت بأمرهم قالوا : اذا لم يعترف فورا
سنقتله ونذبحكم ونحرقكم بميدان

**الشيخ** : ( يربت على كتف ولده مطمئنا )

بني هداك رحمن رحيم عادل احد
جزعت لباطل البهتان ؟ اين العزم ؟ والجلد
اتخشى الموت ؟.. كل الناس موقوت لهم اجل

اتخشى الفقر ؟.. والرزاق موجود وإن بخلوا
هداك الله يا ولدي .. فلا تجزع وإن جهلوا

الشاب : ( في قلق )
وماذا انت قائله ؟ وماذا انت فاعله ؟

الشيخ : ( في ثقة )
اصلي فرض بارئنا صلاة الشكر للنعم
وادعوه وارجوه ليكشف ظلمة الغمم

يقوم الشيخ ويتجه ناحية القبلة ، ويصلي ركعتين لله .. ويدعوه ان يكشف الغمة فتعم الاضواء الباهرة الزنزانة اثناء الصلاة .. وتسمع ترانيم ملائكية جميلة .. وبعد ان يفرغ الشيخ من صلاته يلتفت الى ولده قائلا ) :

الشيخ : ( يربت على كتف ولده قائلا )
هداك الله يا ولدي
فدعني راشدا واذهب
وقل لهمو سيعترف
لحاكمهم متى يرغب

الشاب : ( متعجبا في دهشة )
وهل حقا ستعترف ؟

الشيخ : ( في هدوء وثقة )
.. نعم حقا سأعترف

يعانق جهاد اباه بحب شديد ويقبل يده ورأسه .. ثم يذهب ناحية باب الزنزانة ويطرقه .. يفتح الباب ويخرج جهاد )

○ ○ ○

قاعة المحكمة ، وقد تصدر الوالي نفسه منصة القضاء بينما جلس على يمينه القاضي بملابسه المعهودة ، ووقف ممثل الاتهام امام منصته في زي الجلاد ..

اما الشيخ فماثل في قفص الاتهام ، والحراس في كل مكان ، اما حاجب المحكمة فقد وقف مستعدا لاعلان بدء المحاكمة .. تمضي فترة ترقب وانتظار قبل ان ينطق احد من المشاركين في المشهد .. وفجاة يشير الوالي بيده للحاجب .. ايذانا ببدء المحاكمة .. والوقت ظهرا ... )

**الحاجب** : ( يصرخ معلنا بدء الجلسة )

برئاسة مولانا العادل    الجلسة فتحت فانتبهوا
ينصره الله ويرعاه    فالعدل سيأخذ مجراه

**الوالي** : ( يشير الى الحاجب قائلا )

... ناد اسماء الأوغاد

**الحاجب** : ( يشير الى الشيخ الماثل في قفص الاتهام )

.. الوغد وحيد مولانا    بالقفص الماثل ينتظر

**الوالي** : ( يسأل ممثل الاتهام )

... ما التهمة ؟

**ممثل الاتهام** : ( يشير الى الشيخ )

... هذا مولانا    الشيخ غريب الاطوار
قد حاك مؤامرة كبرى    واغتال وزير الاسرار
بل سرق مفاتح دولتكم    واليوم امامك يعترف

**الوالي** : ( مهددا الشيخ )

اجبني انت متهم    بقتل وزير دولتنا
وقد دبرت ما دبرت    موهوما بغفلتنا
سرقت مفاتح الاسرار    من اعماق خزنتنا
وان لم تعترف فورا    قتلت بسيف غضبتنا
وعدلي سوف تعرفه    قصاصا رغم رحمتنا

**الشيخ** : ( متهكما )

عجيب ما ارى حقا    واعجب منه ما زعموا
واين العدل يا هذا ؟    وانت الخصم والحكم ...

**الوالي** : ( صارخا )

تجادل مرة اخرى ؟    وربي سوف انتقم

**الشيخ** : ( في روية )

**تمهل راشدا واسمع دليلي بعد برهاني**
**الم اك عندكم حتى دهاك الحادث القاني ؟**
**فكيف قتلت من زعموا ؟ وكيف اكون ذا الجاني ؟**
**ولم اعرف مفاتيحا واسرارا لانسان ..**
**انا ما خنت اعدائي فكيف اخون اوطاني ...**

**الوالي** : ( صارخا )

**كفى لؤما ، ومعذرة اما قد جئت تعترف ؟**

**الشيخ** : ( في ثقة )

**نعم قد جئت اعترف ...**

**الوالي** : ( في انشراح )

**بماذا جئت تعترف ؟**

**الشيخ** : ( في ثقة )

**بأني جئت في بلد غريب ليس اوطاني**

**وان النصح لا يجدي وربي شاهد حان**
**وان القاتل المأجور فيكم ..........................**

**ممثل الاتهام** : ( مقاطعا صارخا يمد اصبع الاتهام الى الشيخ قائلا )

**... انك الجاني .....**

**الشيخ** : ( يرفع يديه الى السماء مبتهلا )

**سألت الله رحمته سيخزيكم ويرعاني**

**تسمع جلبة وضوضاء صادرة من الخارج ... ثم يدخل القرود الثلاثة ومعهم شخص مكبل بالقيود يجرونه حتى يقفوا به امام منصة القضاء ...)**

**الوالي** : ( موجها كلامه للقرد الاول في غضب )

**يا هذا ... ما هذي الفوضى ؟ بل كيف دخلتم ولماذا ؟**

( يظهر الارتباك على كل من ممثل الاتهام والقاضي )

**القرد الاول** : ( يجيب في خشوع )
**عفـوك مـولانـا لا تـغضب ارجـو ان تسمـع اقـوالي**

**الوالي** : ( في ضيق شديد )
**افصح عن قصدك مختصرا ايـاك تـعطـل اعمـالي**

**ما القصة ؟**

**الاول** : ( يشير الى الرجل الذي يقبضون عليه )
**... هذا مأجور ... اغتال وزيرك مولانا**
**الثاني** : ( مؤكدا قول الاول )
**ووجـدنـا بـين مـلابسـه سر الاقفـال السـريـة**

**الوالي** : ( يشير الى الشيخ في شماتة قائلا )
**قـد جاء شـريكك يـا هـذا وسنـعـرف سـرا لقضيـة**

**الثالث** : ( مؤكدا كلام الثاني )
**قـد كـاد يفـر بفـعلتـه عنـد الاسـوار الشـرقيـة**
**ليبيـع مفـاتـح دولتنـا لكـلاب الارض السـوقيـة**

**الوالي** : ( يأمر الثالث بادخال العميل قفص الاتهام )
**حسنـا ادخله الى قفص ... بجـوار صنيـع الهمجيـة**

**( يدخل العميل القفص الى جوار الشيخ )**
**الوالي** : ( يسأل العميل )
**ما الاسم ؟**
**العميل** : ( في خزي ومسكنة ) **رغال** ( اشارة الى رمز الخائن العربي الشهير ابو رغال )
**الوالي** : ( في سخرية )
**لا مرحى ... بسليل الخسة والغدر**

( يسأل العميل ومشيرا الى الشيخ )
**وشريكـك .................... هـــذا تـعـرفـه ؟**

**العميل** : ( يتفحص وجه الشيخ جيدا ثم يقول )
**.. ابــدا ... ابــدا ... لا اعــرفــه**

**الوالي** : ( ساخرا مستنكرا )
**اتريد حمايته ؟ طبعا** ( آمرأ صارخا ) **من هم شركاؤك خبرنا ؟**
**العميل** : ( مؤكداً اعترافاته )
**لا اعرف شيخكمو هذا ... ابدا لن اكذب .. ولماذا ؟**

**ما دمت سأقتل من فوري .... شركائي هذا** ( مشيرا لممثل الاتهام )
**والقاضي ...**

**القاضي وممثل الاتهام معا** : ( يصرخان ) **المجرم ضيعنا ... ضعنا ...**
**المجرم ضيعنا ... ضعنا ...**
**القاضي** : ( في ثورة عارمة )
**كذاب ... نذل ... عربيد ...**
**ممثل الاتهام** : ( يصرخ وهو يسب العميل )
**مأجور .. وغد ... رعديد ..**

**الوالي** : ( يصرخ في ممثل الاتهام )
**أسكت لا تنطق** (ثم يسأل القاضي)**يا قاضي ما قولك فيما تسمعه ؟**
**القاضي** : ( في ذلة )
**كذاب .... مولانا ..**
**العميل** : ( مؤكدا اعترافاته )
**ابدا ... والخاتم عندي والمال ...**

**قــد راسـل ســرا اعــداءك كــي يسلـم كــل الاســوار**
**ويفـوز بعـرشـك من غـده واليـك اكيـد البـرهــان**

**يخرج العميل من صدره كيسا صغيرا يسلمه الى حارسه الذي يسلمه بدوره الى الوالي ويفتح الوالي الكيس ويخرج منه خاتما ورسالة ، يقلب الخاتم متأملا متذكرا ويقول :**

**الخاتم هذا أعرفه**

( ثم يشير الى القاضي بعد ان تذكر قائلا )
**أعطيتك إياه هدية**

**القاضي** : ( في ذلة )**الخاتم ضاع** ... ( ثم يشير الى العميل قائلا ) **وقد سرقه**
( في تبجح ) **وهناك مئات الامثال** ...

**الوالي** : ( يقرأ الرسالة ثم يقلبها في يده ثم يسأل القاضي )
**ورسالة من هذي قل لي** ؟
( مؤكدا ) **بل هذا خطك اعرفه** ( صارخا )**تبا لخداعك يا خائن** ..
( آمرا الحراس ) ... **جروهم للسجن جميعا** ...

يهجم الحراس على كل من ممثل الاتهام والقاضي والعميل والشيخ
ويقتادونهم جميعا الى الخارج .. ولكن الوالي يأمرهم في آخر لحظة باطلاق
سراح الشيخ قائلا )

... **الشيخ بريء ... فدعوه** ....

( يطلق الحراس الشيخ ... ثم ينطلقون بالباقين الى الخارج )

**الشيخ** : ( وقد تم اطلاق سراحه هاتفا ) **الله اكبر ... الله اكبر**
( ثم يردد بيت الشعر المشهور ) ..
**ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج**

**الوالي** : ( يربت على كتف الشيخ قائلا )
**عينتك في سلك قضائي** ...
**الشيخ** : ( معتذرا ) **لن اقبل الا ولديا** ...
( حرية ) **روحي و**( جهادي )
**الوالي** : ( مستوضحا ) ... **ولماذا** ؟
**الشيخ** : ( في خبث ) **تسألني رأيي في صدق ؟ كي تعرف حقا ؟ ام ماذا** ؟
**الوالي** : ( بحب وصدق ) **اسألك النصح فصارحني** ..
**الشيخ** : ( مندداً بعدالة الوالي )
... **هل آمن عدلك ؟ ام ماذا** ؟

**الوالي** : ( ضاحكا ) وقد فهم ما يرمي اليه الشيخ )
**لـك عـهـدي أمن وسـلام فـاصدقني رأيـك في الحكم**

**الشيخ** : ( مشيرا الى شعار المحكمة ذي القرود الثلاثة وميزان العدالة المائل )

ميزان العدل بدولتكم كفته مالت للظلم
وقرود الحكمة مهزلة والشعب يضج من الغرم
لن تحكم شعبا تظلمه حتى لو ظاهر بالسلم
فأساس الملك عدالته والعدل سياج للحكم
لن تكسب حربا واحدة والناس تعامل كالبهم
صنع اسلحة لا تشرى وامر بالعلم وبالادب
واحكم بالعدل وبالشورى واحكم بالشعب وللشعب
قرآن الرحمة يرشدكم للنور ويأمر بالحب
فاجعله دليلا دستورا للدولة ينصركم ربي

**الوالي** : ( يحتضن الشيخ وفي ود بالغ يقول )
احسنت النصح ومن غدنا نحكم بالعدل وبالحب

**الشيخ** : ( محرضا الوالي على البدء فورا )
عجل بالبر فعاجله خير كي ندرك من سبقوا
يكفي ما فات فلا تهنوا وتعالوا نبني ما هدموا

**الوالي** : ( يشير الى شعار المحكمة سالف الذكر ويأمر قائلا )
اني امرت وباسم الله نبدؤها مسيرة للهدى الله يحميها

فور نطق الوالي بعبارته السابقة .. يسطع نور باهر يغمر قاعة المحكمة ويتغير شعار المحكمة فيختفي شعار القرود الثلاثة ، ويحل محله شعار « الله اكبر .. العدل اساس الملك » كما تستوى كفتا الميزان .. اما شعار « المتهم مدان حتى لو ثبتت براءته » فيتحول الى شعار « المتهم بريء حتى تثبت ادانته في محاكمة عادلة ... )

**الشيخ** : ( وقد بهره تحقق حلمه يحتضن الوالي بحب شديد ويهتف )

الله اكبر والاسلام يعلنها
حربا على الكفر لا قامت رواسيه
يا امة الخير هبوا اليوم واتحدوا
لا تتركوا الذئب يرعى في مراعيه

تمت

## « غلاء المهور »

**جاءنا من الاستاذة سعاد صبحي شحادة من الاردن كلمة تحت هذا العنوان تقول فيها :**

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما في الناس بعد ان رأى غلاء المهور وأراد ان يحدد المهر باربعمائة درهم فقامت امرأة وقالت أما سمعت قول الله تعالى ( **... وآتيتم احداهن قنطارا ..** )آية ١٩ من سورة النساء فقال اصابت امرأة واخطأ عمر .

وقال الله تعالى عن المهر ( **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** ) آية ٣ من سورة النساء .

وقد جعل الله تعالى مهر المرأة خاصا بها وهي حرة التصرف فيه وهو هبة من الخاطب لخطيبته واكرام لها فليس لاحد من الناس ابا كان ام اخا ان يأخذ من هذا المال شيئا إلا برضي المرأة وموافقتها .

واية ( **... وآتيتم احداهن قنطارا ..** )لا تعني غلاء المهور في الاسلام انما تعني انه ليس لاحد ان يحدد المهر لان الناس يختلفون في قدراتهم وفي امكانياتهم فجعل الله تعالى ذلك حسب الاتفاق بين الخاطب وخطيبته او وليها .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة قال عليه الصلاة والسلام « .. عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » رواه ابو داود والترمذي .

وقال حديث حسن صحيح : والنواجذ : الانياب وقيل الاضراس فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء يسير جدا وزوج بناته رضي الله عنهن بشيء يسير ايضا .

تقول فاطمة رضي الله عنها تزوجت عليا رضي الله عنه وليس لنا الا اهاب كبش كنا نعلف ناضحنا عليه بالنهار وننام عليه بالليل ، اي يطعمون عليه البعير في النهار ويقلبانه وينامان عليه بالليل .

وهذا سعيد بن المسيب التابعي رحمه الله زوج ابنته الجميلة العالمة من رجل فقير يدرس عنده العلم بدرهمين ورفض ان يزوجها لابن امير المؤمنين عبد الملك بن مروان وتزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بخمسة دراهم فاقره رسول الله

صلى الله عليه وسلم . فالعبرة ليست بكثرة المهر او قلته بل العبرة في هذا المتقدم لخطبة الفتاة من وليها فاذا كان صاحب دين وخلق فاهلا به وسهلا وأما ان كان صاحب بدعة وبعد عن الدين فعلى ولي الامر ان يصرفه .

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » .

فاذا زوج المسلم ابنته لرجل عنده الدين فيكون مرتاح البال والضمير حتى لو كان زوجها فقيراسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن زواج البنت فقال « زوجها لرجل عنده دين فان احبها اكرمها وان كرهها لم يظلمها » لأن دينه يردعه عن ظلمها .

اما في ايامنا هذه فنجد الاباء لا يسألون عن دين الزوج ولا عن خلقه بل يسألون اول ما يسألون عن وظيفته وماله فان كان غنيا زوجه وان كان فقيرا صرفه . فهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظهور الفساد الكبير الذي نجده قد استشرى في الامة فنجد الشباب ضائعين لا يستطيع احدهم ان يجد زوجة يسكن اليها وتسكن اليه بعد ان اخذ الاباء يطلبون الاف الدنانير والدراهم وغرف النوم والاثاث وما الى ذلك من الاشياء التي اخذ الناس يتسابقون فيها ويتنافسون في طلب مهر اغلى لا يستطيع معها الشباب ان يدفعوا مثل هذه المهور المرتفعة .

فأخذ الشباب يعزفون عن الزواج لان طرق الحلال اصبحت صعبة المنال وطرق الحرام اصبحت ايسر منالا واكثر يسرا .

ونجد البنات اخذن يكبرن ويبلغن من الكبر عتيا ولا يجدن من يتزوجهن لان آباءهن يطلبون مهرا كبيرا . وهذا كله مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فبمخالفة طريق الرسول صلى الله عليه وسلم تأتي الخسارة وباتباع سنته يأتي الفلاح والنجاح في الدنيا والاخرة .

فهذه البنات امانة في اعناق ابائهن ولهم الاجر ان هم احسنوا تربيتهن وزوجوهن من رجل صالح كن لهم سترا من النار .

عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين » وضم اصابعه رواه مسلم والجاريتين : البنتين .

وقال صلى الله عليه وسلم « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار » متفق عليه ابتلى : اختبر وامتحن .

ولا يجوز للرجل ان يفرق بين اولاده الذكور والاناث في النفقة بل يجب عليه المساواة والعدل قال عليه السلام« اتقوا الله واعدلوا في أبنائكم .. » متفق عليه نسأل الله تعالى ان يعود المسلمون الى سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في كافة شؤون حياتهم حتى يفوزوا في الدنيا والاخرة .

# تدوين السيرة النبوية

**ان السيرة النبوية الشريفة منهج حياة ومنطلق تاريخ الاسلام ومرجع للأحكام فكيف دونت أحداثها ومتى كان البدء في هذا التدوين**

**اسماعيل أحمد ـ تونس**

ان كل الباحثين والدارسين المهتمين بتاريخ العلوم الاسلامية ، والحضارة العربية متفقون على أن تاريخ بداية تدوين السيرة النبوية كتابة وتصنيفا ، جاء بعد تدوين السنة وفي أواخر القرن الأول الهجري .. ذلك أن أول من ألف السيرة ودونها هو عروة بن الزبير المتوفي سنة ٩٢هـ .. ثم ابان بن عثمان المتوفي عام ١٠٥هـ ، ثم وهب ابن منبه المتوفي عام ١١٠هـ .. ثم شرحبيل بن سعد المتوفي عام ١٢٣هـ ، ثم ابن شهاب الزهري المتوفي عام ١٢٤هـ . الا أن معظم آثار هؤلاء لم يصلنا منه الا ما ذكره الطبري في كتابه في التاريخ لا كتابه في التفسير - ويقول بعض الباحثين أن آثار هؤلاء لا تخلو من « الاسرائيليات » ، ولهذا لم يكتب لها البقاء والخلود ، اللهم الا بعض البقايا المحفوظة في خزانة مدينة « هايدلبرج » بالمانيا ، ويتعلق الأمر بسيرة وهب بن منبه خاصة ..

وبعد هذه الطبقة الأولى من كتاب السيرة النبوية تأتي الطبقة الثانية وعلى رأسها « محمد بن اسحاق » المتوفي سنة ١٥٢هـ .. والذي يعد كتابه في السيرة النبوية من أوثق ما كتب في السيرة والمغازي ، وعليه اعتمد « ابن هشام » المتوفي سنة ٢١٣هـ في كتابه المشهور بـ « السيرة النبوية » لابن هشام ، وخصوصا اذا عرفنا أن الفرق الزمني بين تأليف هذين الكتابين في السيرة لا يتعدى خمسين سنة .

والحقيقة أن السيرة النبوية أسدت للتاريخ الاسلامي خدمة ما بعدها خدمة ، لان كتابها اعتمدوا الدقة والصحة في التدوين ، وتحروا كل شبهة من الشبهات الكاذبة ، والاسرائيليات المخادعة ، والأساطير الفارغة ، والخرافات المبالغة ،

ومن هنا نرى المؤرخين الاسلاميين يضعون السيرة النبوية في رأس قائمة « فنون التاريخ » عندهم حينما يقولون : « عرف العرب من فنون التاريخ **أولا - السيرة - ثانيا - الطبقات - ثالثا - التراجم - رابعا - التاريخ العام ثم الخاص** .. الخ .. ثم يقولون وهم ينوهون بالدور الفعال الذي تؤديه السيرة النبوية في بداية تاريخ الاسلام : « كان أول ما عنى به المسلمون - في التاريخ الاسلامي - سيرة النبي ﷺ .. وكان مرجعهم في ذلك ما رواه الصحابة والتابعون عن حياته ﷺ منذ ولادته ونشأته وبعثته وغزواته حتى وفاته .. » .

ولما اتسعت رقعة الاسلام ، وتفرغ الباحثون لكتابة تاريخ الاسلام مستقلا عن السيرة والأحاديث والتراجم والمغازي والطبقات في بداية القرن الثالث الهجري - وجدوا أمامهم السيرة النبوية كأكبر مصدر موثوق به فاعتنوا بها واعتبروها « المنطلق الأول لبداية تسجيل الأحداث الأولى لتاريخنا الاسلامي » .

## نموذج اسلامي

من السيد عطية محمد شعبان رئيس المجلس الشعبي لمركز زفتى بمصر جاءتنا رسالة مطولة لعل اهم فقرة فيها هي : -

أصدر المجلس قرارا بالاجماع على التبرع بمكافأة جميع الاعضاء بالبدل الذي يتقاضونه من المجلس عن شهر واحد لمجاهدي افغانستان تقديرا منهم لهذا الدور المجيد الباسل الذي يقومون به ضد الشيوعية الكافرة وقد وقف الاستاذ محمد محمد شرف الدين عضو المجلس وقرر تنازله عن البدل الذي يصرف له شهريا طوال مدة وجوده بالمجلس لهؤلاء المجاهدين الأبطال ، كما أعلن تبرعه بدمه في نفس الوقت وقال : ( اتمنى ايضا أن اقدم روحي وانال الشهادة في سبيل الله لنصرة الاسلام في اي مكان ، ويعلم الله وحده انني لو كنت املك شيئا آخر لتبرعت به وتنازلت عنه ويكفي أن اتبرع الآن بمبلغ أدخره من قوت اولادي ) . وقد أحس جميع الاعضاء مع هذه الروح الطيبة والمشاعر الصادقة انهم امام مخطط عالمي كافر وعلى الجميع ان يواجهوه بحزم وايمان وترابط .

**والمجلة تشيد بالروح الطيبة والنماذج الحسنة للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل نصرة الاسلام وتدعو الله أن يكثر منهم بين المسلمين .**

# مع صحافة العالم

## واحد ونصف مليون مسلم في بريطانيا

**يتكاثر المعتنقون للاسلام في دول العالم يوما عن اخر ويزداد اهتمام الرأي العام العالمي بهذا الدين كيف لا وهو دين الحياة والدين الصالح لكل زمان ومكان حتى انه في بريطانيا وحدها يوجد الآن اكثر من ٢,٥ مليون مسلم منهم ٥٠ الف بريطاني وعددهم في ازدياد مستمر .**

**وتقول صحيفة ( الجارديان ) في مقال لها عن الاسلام في بريطانيا :**

٤٠٠ مسجد تقوم الآن في مختلف انحاء البلاد اما عدد المسلمين فيها فيناهز اليوم مليونا وخمسمائة الف مسلم وهم يناهزون بهذا العدد عدد سائر من يقومون بحضور الطقوس من المسيحيين في كنيسة انجلترا في ذروة المواسم والذين يقدر عددهم بحسب الاحصاءات بمليون وسبعمائة الف وبالرغم من ان التفسير الرئيسي لانتشار الاسلام في بريطانيا يعود للهجرة الا ان هناك عددا كبيرا يعتنق الاسلام ويقدر عددهم حاليا بخمسين الف مواطن .. وفي تصريح لبعض هؤلاء المعتنقين للدين الاسلامي من البريطانيين يقولون انهم تحولوا لاعتناق هذا الدين عندما اتيحت لهم الفرصة لمصادقة بعض المسلمين المقيمين في بريطانيا حيث امكنهم قراءة القرآن الكريم المترجم للغة الانجليزية فلمسوا بعد الشقة من الفراغ الذي كانت تحفل بها حياتهم وخلوها من أي مثل اخلاقية أو أدبية .

ويقول هؤلاء المسلمون انهم معجبون كثيرا بالخصال الاسلامية اما النساء فيرحبن بالازار الذي يغطي وجوههن ويصفنه بانه جهاد اخر اشارة الى الجهاد المفروض على كل مسلم بحمل رسالة الاسلام الى الشعوب الاخرى والقتال في سبيله في وجه المشركين والكفرة ، أن كثيرا من

هؤلاء المعتنقين للاسلام رجالا ونساء هم من طلبة الجامعات الذين اتيحت لهم فرصة التعرف على هذا الدين خلال زيارات لهم للبلاد الاسلامية حيث عادوا الى بريطانيا ليعتنقوا الاسلام ويتعرضوا لاضطهاد من معلميهم واقرانهم ولكنهم مع ذلك يرحبون بهذا الاضطهاد لانهم يقارنونه بالاضطهاد الذي تعرض له النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سعيه لاظهار الحق وسط محافل المشككين والكفرة ويجمع المعللون لهذه الظاهرة على انها تكمن في حالة التفكك الاخلاقي الظاهر الذي بات منتشرا في الدول التى اعمتها الحضارة الحديثة عن ذكر الله كازدياد حالات الطلاق وتفكك العائلات والتشرد في صفوف الشباب والاجرام وانكار الله وانعدام التلاحم الاجتماعي ، وتقول احدى النساء المعتنقات للاسلام وقد اطلقت على نفسها اسم سكينة في تصريح لها ان اللباس المتعارف عليه للمرأة المسلمة رائع جدا فهو يقضي على السفور ويحول دون اثارة الشهوات .. كما ان سائر الحدود التى نص عليها القرآن الكريم عادلة ومفيدة .

ان الكفرة ينكرون الاعتقاد بكل كلمة من الكتب السماوية المنزلة اما نحن في الغرب فاننا نتمسك ببحث المظاهر الخارجية الا اننا لا نغوص الى كوامن هذا الدين الالهي الذي يحمل اكثر من رد على جحافل الكفرة والمشككين والذين باتوا اكثر من رمال البحر هذه الايام في مجتمع بات لا يعي الا المادة وابعاد المادة والعياذ بالله .

## اول نسخة لترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية

ستصدر قريبا في الصين اول نسخة لترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية الحديثة .

وكان مترجم هذه النسخة وهو محمد مكين قد بدأ ترجمتها في عام ١٩٣٩ ولكنه توفى في عام ١٩٧٨ دون ان يشهد صدورها .

وسبق ان اصدرت في الصين ست ترجمات صينية للقرآن الكريم فيما بين ١٩٢٠ م و ١٩٣٠ م بيد ان اللغة الصينية التقليدية المستخدمة في هذه الترجمات قد جعلتها غير مفهومة للقاريء العادي .

وتقدر الاحصائيات عدد مسلمي الصين باكثر من عشرين مليونا .

# اقرأ في هذا العدد



---

## صورة الغلاف

مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بمكة المكرمة

# العالم الاسلامي

## المملكة العربية السعودية

الجزيرة العربية أرض مترامية الأطراف ، تقع بين قارتي افريقيا وآسيا ، تفصلها عنهما مساحتان مائيتان كثيرتا التضاريس ، احداهما هي البحر الأحمر ، والأخرى هي الخليج العربي ، بينما يحدها من الجنوب الغربي خليج عدن ، ومن الجنوب الشرقي خليج عمان . في ثنايا هذه المساحات الشاسعة من الأرض ، تمتد المسالك المتعرجة التي عبرت منها إلى العالم أثمن هبة وافدة من الجزيرة : ألا وهي العقيدة الاسلامية .

ومساحة الجزيرة العربية تتجاوز مليونا من الأميال المربعة ، تشغل منها المملكة العربية السعودية أكثر من ٨٧٠,٠٠٠ ميلا مربعا ، يقطنها سبعة ملايين نسمة .

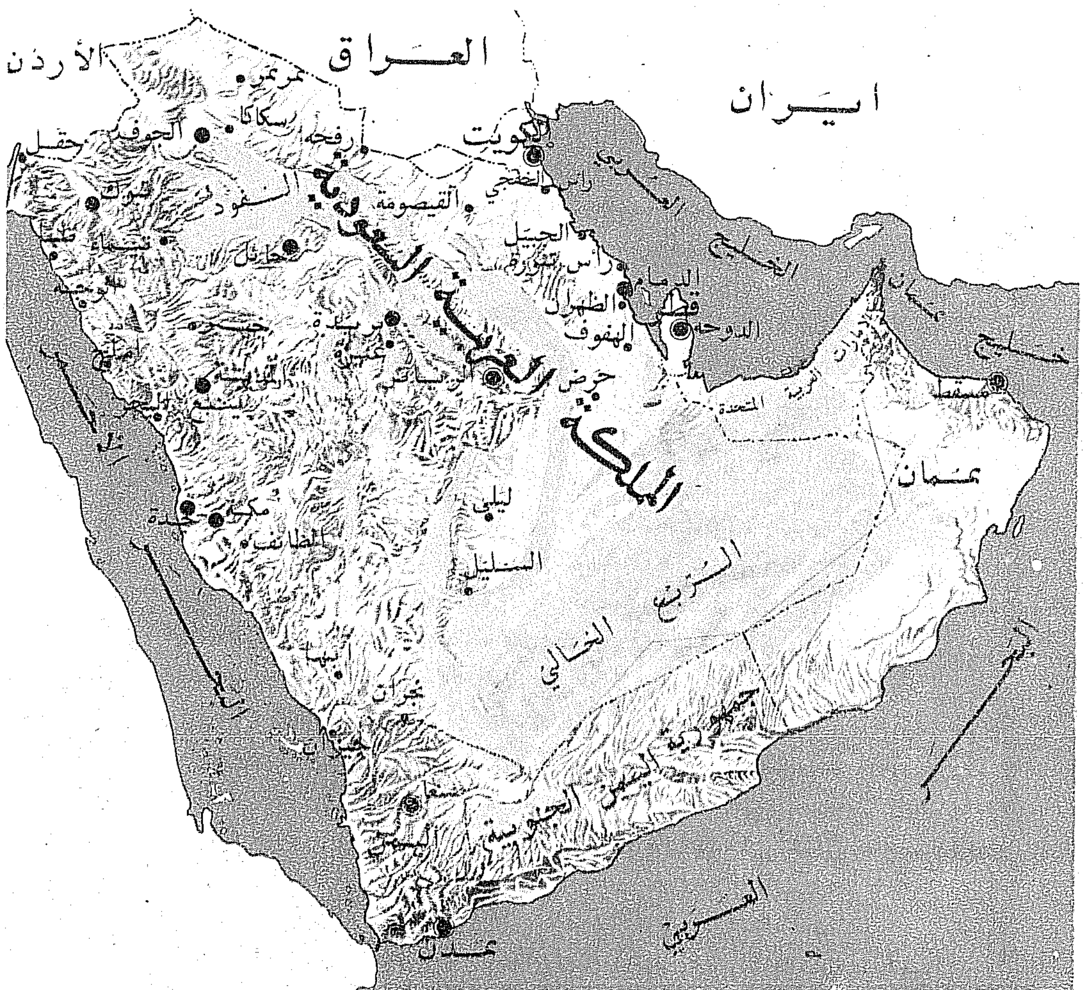
وتنقسم المملكة العربية السعودية إلى عدة مناطق إدارية ، أهمها : المنطقة الوسطى المعروفة تاريخيا باسم ( نجد ) وعاصمتها الرياض التي هي عاصمة البلاد أيضا ، ثم المنطقة الغربية المعروفة تاريخيا ( بالحجاز ) وأهم مدنها مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة ، والطائف ، والمنطقة الشرقية المعروفة تاريخيا ( بالاحساء ) وعاصمتها الدمام ، ومنطقة الجنوب المعروفة تاريخيا ( بعسير ) وعاصمتها أبها ، والمنطقة الشمالية وأهم مدنها تبوك .

ويحد المملكة العربية السعودية من الشمال الأردن والعراق والكويت ، ومن الشرق قطر والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب اليمن ، وسلطنة عمان ، وليس في المملكة أنهار جارية ، كما أن المناخ عموما حار وجاف خاصة في المناطق الوسطى .

وتعتمد المملكة على الثروات البترولية في اقتصادياتها .

تنتمي المملكة العربية السعودية لعدد من المنظمات والهيئات الدولية ، فهي عضو مؤسس للأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي العالمي ، وعضو في الجامعة العربية ، وهيئة الأمم المتحدة ، وصندوق النقد الدولي ، وفي عدة مؤسسات وهيئات عالمية اخرى .

ومنذ قيام المملكة العربية السعودية على يد المغفور له الملك عبدالعزيز ، أرسيت قواعد الحكم فيها على أساس كتاب الله وسنة نبيه الكريم .




طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



# الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٨ ● جمادى الآخرة ١٤٠١ هـ ● ابريل ١٩٨١ م


## هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

## تصـدرهـا

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١


● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

## ● الثمـن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

# المعاني السامية في الوطنية

حب الانسان للاقليم الذي نشأ فيه ، ودرج على أرضه ، واستظل بسمائه ، ونعم بهوائه ، وحنينه اليه ، وانعطافه نحوه ، امر مركوز في فطر النفوس ، لا يسهل فكاكها منه .

وقد زكى الاسلام الحنين الى الوطن وما يحوي من معالم ، حدث ان سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في دار هجرته صحابيا يصف مكة فجرى دمعه حنينا اليها وقال : « يا أصيل دع القلوب تقر » .

والاسلام يجعل من الواجب على كل مواطن ان يعتز بوطنه ، وأن يبذل جهده لصيانته وحفظه ، وان يغرس مبادىء الحق والخير والعزة والسيادة في نفوس ابنائه .. بل لقد شدد المولي جل شأنه في ذلك ابلغ التشديد حين كتب العزة للمؤمنين ولم يجعل للكافرين عليهم سلطانا فقال : **( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون )** وقال : **( ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا )**

ومعلوم ان الاسلام رسالة عالمية انزلها الله لخير الأمم والشعوب جميعا ، لا فرق بين جنس وجنس **( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا )** .. **( وما ارسلناك الا رحمة للعالمين )** .. ولهذا أعلن الأخوة الانسانية لأول مرة في تاريخ البشر : **( يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا )** .

ومعلوم ان الاسلام كذلك قرر أقوى معاني الأخوة بين المؤمنين به إلى درجة أن جعل الأخوة أكمل معاني الايمان . فقال تعالى : **( انما المؤمنون اخوة )** .. وقال : **( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض )** وقال النبي الكريم

صلى الله عليه وسلم : ( وكونوا عباد الله اخوانا ) .
وقد فهم المسلمون الأولون عن الاسلام هذا المعنى الأخوي ، وأملت عليهم عقيدتهم في دين الله أخلد عواطف الحب والتآلف وأنبل مظاهر التواد والتعارف ، فكانوا على اختلاف اوطانهم وأجناسهم رجلا واحدا وقلبا واحدا ويدا واحدة ، حتى امتن الله بذلك في كتابه فقال جل شأنه : ( **وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم** ).

وفي هذا العصر يفرض على أهل كل اقليم من أقاليم الاسلام أن يستدركوا ما فاتهم من معاني الأخوة تحت ضغط الاستعمار وآثاره وعبث عملائه .. وان يعتصموا بحبل الله جميعا وان يترابطوا على الخير ، ويعملوا على تعمير وطنهم باقامة منهج الله في جميع مرافق الحياة ، حتى يكون الوطن الخاص لبنة متماسكة قوية في بناء الوطن العام الذي يحد بالعقيدة لا بالتخوم الأرضية ولا بالحدود الجغرافية .. وإذ ذاك يكون المسلمون في جميع الأقطار اخوة يشعرون بشعور واحد ويصدرون عن رأي واحد ، ويتجهون في جميع اقطارهم لرفع راية الاسلام على كل بقاع الأرض .. ويعتبرون كل شبر من الأرض فيه من يدين بدين القرآن الكريم قطعة من الأرض الاسلامية العامة التي يفرض الاسلام على كل أبنائه حمايتها واسعادها ، فالوطن الاسلامي يتسع ويسمو عن الحدود الخاصة الى وطنية المبادىء السامية والعقائد الخالصة الصحيحة ، والاسلام حين يشعر ابناؤه بهذا المعنى يفرض عليهم فريضة لازمة ان يعملوا جميعا لحماية أرض الاسلام من عدوان المعتدين وتخليصها من غصب الغاصبين وتحصينها من مطامع المعتدين وتطهيرها من شرور المفسدين .
تلك هي المعاني السليمة في الوطنية يزكيها الاسلام ويدعو اليها وفي استجابة المسلمين لهذه المعاني عزتهم وسيادتهم ومجدهم :

( **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم** ,. ) .
اما المعاني الفاسدة التي يريدها بعض الناس ــ كتقسيم الأمة الى أحزاب وطوائف تتناحر وتتباغض وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض ، وتنحاز لمناهج وضعية من صنع الناس تمليها الأهواء والمآرب الذاتية ، وكانعزال كل اقليم داخل حدوده الجغرافية ــ فهي مزالق خطيرة تودي بالأوطان جميعها وتفتح الطريق أمام الأعداء لتعويق نهضتها والتهام خيراتها .
ومن ثم فان الاسلام يرفض تلك

المعاني ويعتبر الدعاة اليها دعاة زيف وضلال ينادي اتباعه ان يبتعدوا عنها فيقول لهم :

**( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا )**

وقال تعالى **( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين )**

ويفرض على القادة المؤمنين والدعاة الاسلاميين في كل قطر من اقطار الاسلام ان يكون لديهم معرفة يقينية بمنهج الاسلام للحياة وايمان به وتقدير له ، حتى يعصموا من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره ، وأن يكون لهم الارادة القوية التي لا تضعف والوفاء الثابت الذي لا يتحول والتضحية العزيزة التي لا تعرف الجبن ولا الطمع ولا البخل . فعلى هذه الأسس تقام المبادىء الحقة وتتربى الأمم على الخير ، وتنهض الشعوب بالواجب ، وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا ..
وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبب ضعف الامم وهن نفوسها وخلاء افئدتها من الأخلاق النبيلة وصفات الرجولة الصحيحة ، وان كثر عددها وزادت خيراتها فقال صلى الله عليه وسلم: ( يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ولينزعن الله من قلوب اعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن ) فقال قائل : او من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : ( لا انكم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ) فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : ( حب الدنيا وكراهية الموت ) !
نعم ان الأمة التي ترتع في النعيم ، وتفتن بزهرة الحياة الدنيا وتأنس بالترف ، وتنسى مقارعة الخطوب والمجاهدة في سبيل الحق ، امة تضيع عزتها وتدفن آمالها وتتيح لأعدائها الاستخفاف بها والعدوان عليها .
وما احرى المسلمين أن يرفعوا رؤوسهم عزيزة بالاسلام ليقيموا مجدهم من جديد وينفضوا عن أنفسهم أسباب الهوان ويستنزلوا بايمانهم وصالح أعمالهم نصر الله وعونه فهو سبحانه نصير المؤمنين العاملين **( ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ) .. ( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) .. ( ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ) .**

**رئيس التحرير**

محمد الأباصيري

# القرآن نبع

سلم القرآن الكريم على مدار الزمن من التحريف والتبديل واحتفظ بسر الوحي الالهي في حرارته وقدسيته وشدة تأثيره على القلوب والمشاعر . وتضمن من التشريعات الحية الخالدة ما جعله دائما يضفي على الحياة من روح التقدم الذي يضمن لها الازدهار والتألق لانه يستوعبها ويغمرها ويمنعها ان تنحرف او تميد وربما كان ذلك مقصورا على القرآن الكريم وحده الذي هو اساس حضارة الاسلام . ويشهد بذلك خصوم الاسلام قبل اتباعه .

**يقول رينان :** الفيلسوف الفرنسي

ان القرآن هو اساس الاسلام وقد احتفظ بكينونته القديمة بدون ان يعتريه اقل تبديل او تحريف ، وعندما نستمع الى بعض آياته وما فيها من بلاغة وسحر تأخذنا رجفة الوله والوجد ، وبعد ان نتوغل في دراسة روح التشريع التي تنطوي عليها بعض الآيات الالهية لا يسعنا الا ان نعظم هذا الكتاب العلوي ونقدسه ، وقد دلتني تحرياتي العلمية انه لا صحة مطلقا للافتراءات التي يدعيها بعض المتحاملين عليه من امثال ( فولتير ) وهي افتراءات ذميمة وقحة توجه ضد محمد والقرآن العظيم أ. هـ « عن كتاب الحضارات والديانات للاستاذ طه سرور ص ١٢٦ و ١٢٧ بتصرف » .

ثم اردف ذلك ببيان ان هذه العصمة تخص القرآن وحده دون غيره من الكتب السماوية الاخرى وهذا الاعتراف الخطير من رينان المعروف بازدواج الشخصية . والذي يقول احيانا كلمة الحق تمهيدا لكلمات من

# حضاري متجدد

للاستاذ / توفيق محمد سبع

الباطل شأن غيره من المستشرقين له دلالة وهو هنا ينطلق مع الحق مشيدا بالقرآن . وبالرسول . مدافعا عنهما مقراً بما لهما من قدسية وتأثير . ثم لا يقف عند هذا الحد . وانما يتناول الخصوم من ابناء جلدته ويرميهم بالكذب والدس والافتراء ، لقد تخلى الرجل عن تعصبه ومذهبيته فجأة فصدر عنه هذا الاعتراف الخطير . ويعنينا هنا ان نتلقف كلامه ونلقي عليه بعض الضوء . فهو يتضمن مجموعة من الحقائق الضخمة تؤيد ما نذهب اليه . وما نقرره دائما من ان القرآن وحده هو نبع الحضارة العالمية . وذلك لأنه اولا وكما يقرر رينان كتاب علوي يحتفظ بكينونته القديمة تلك الكينونة التي تجعله قادرا على التأثير في العقول والقلوب .. والتي يظهر اثرها فيمن يقرأ هذا الكتاب الخالد او يستمع اليه . اذ تعتريه انتفاضة التأثر ورجفة الوله وهزة الوجد ونشوة الفرح تبعا لتوزع آياته على الوعد بالجنة او الوعيد بالنار . او تناول احوال الامم وتاريخ الدول ومواقف الرسل من اقوامهم وصراع الحق مع الباطل كل ذلك يتتابع في مد متلاحق ، ويرمي بأمواجه داخل النفس الانسانية فتتحرك معه انقباضا وانبساطا ، وانها لخاصية مقصورة على القرآن الكريم وحده ، من بين سائر الكتب المنزلة ، لأنه قد سلم من التحريف والدس واحتفظ بنقائه وصفائه ومقدرته على التأثير اما نصوص التوراة والانجيل فقد اعتراها من التغيير والتبديل والدس ما افقدها التأثير وما احالها الى ترانيم سمجة متكلفة ، تتردد في الكنائس والبيع

بعيدة عن اي حرارة او سحر او سلطان على المشاعر والقلوب .

**ولاشك ان المنهج الحضاري** يفتقر الى كتاب ثابت المنهج ، مستقيم الوجهة ، قوي التأثير حتى يندفع الناس به بناة لصرح الحضارات على تقوى من الله ورضوان . وتلك هي روح القرآن العظيم ..

وهناك خاصية حضارية اخرى اروع واجل وهي روح التشريع التي ينطوي عليها ذلك الخالد ففيه من النصوص الحية المتجددة ما يلائم روح الحياة في كل عصر وجيل وما يدفع بعجلة التقدم الى الامام على هدى وبصيرة . دون ما اسراف طائش او جمود عائق . لتمضي حركة الحياة في خطو متزن وايقاع سديد . لانه منهج الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى : **( ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ) الملك / ١٤** . وانها لتشريعات تتناول الحياة كلها لا تترك شأنا من شئونها الا ان تقول فيه قولا سديدا .. اما بالنص او باجتهاد العقل .. او باجماع اهل الفقه والرأي . ذلك أن الفقه الاسلامي يستمد من شريعة إلهية تثريه وتغنيه ، وتعينه على أن يستنبط الحكم الملائم والحل السليم . وبذلك يصبح فقها شاملا مستوعبا متجددا مع مشكلات العصور وما تدفع به من قضايا جديدة .. فهو بهذا نظام متكامل للحياة الانسانية يرسي قواعدها على اساس من كتاب الله — وسنة رسوله . ويخصب العلوم والمعارف الانسانية على امتداد الزمن ، ويمدها بالنماء والازدهار ولذا تمكن بناة النهضة القرآنية من تأسيس علوم ومعارف كلها تستقي من نبع القرآن وتقوم على توجيهاته . وهذه الخاصية الفريدة توثق العلاقة بين القرآن والحياة ، فهو يمنحها القوانين والاحكام والعلوم والمعارف ، ويمضي بها على طريق الهداية والخير ، ويضفي عليها من السمو والجلال ما يبعدها عن الابتذال والمهانة اللتين تزخر بهما الحضارات المادية في هذا العصر !!

ويوم يسود نظامه ، وتطبق أحكامه يوم تسمو الحياة ، ويطرد تقدمها على صراط العزيز الحميد .. ويوم تنفصل عنه تضل وتضطرب ويعبث بها الهوى والشيطان . ومن ثم فقيمة هذا الكتاب الخالد تكمن في تطبيقه ليكون نظام مجتمع ومنهج حياة . يعبد به الله ، وتحارب به الجيوش ، وتحكم به الجماعة ، وتساس به الأمور كلها .

هذه الخاصية التشريعية التي يشير اليها « رينان » لا توجد في كتاب آخر . لأن هذه الكتب قد تخلت — بفعل المحرفين — عن الحياة . ومن ثم ادارت ظهرها للمجتمعات وانتصرت على مسائل الروح اما القرآن الكريم فهو كتاب الحياة . ومستودع الحكمة . ومستقر المعرفة الحقة . وينبوع العلم الدافق . ونظام السياسة والاجتماع . يثير العقل ويحركه . وينطلق به جوابا باحثا في ملكوت الله — وانه ليربط الناس بالتقدم الصحيح . الذي يحفظ عليهم

جوهر دينهم ودنياهم .. ولا ينزلق بهم في هاوية الضياع والفساد .

ان حضارة القرآن بهذا التصور خصبة ولود . تمضي مع ركب المجتمع . ملبية حاجة البشر .. متجاوبة مع اهدافهم وطبيعتهم ، مستوعبة لمشكلاتهم وحاجاتهم . تجد لكل مشكلة طارئة حلا موفقا . ولكل سؤال وارد جوابا سديدا . فلا تجمد امام ما ترد به الأعصار والأمصار من مسائل جديدة . لم تكن في العهد الاول للاسلام .. بل تقيس الحاضر على الماضي . وتلحق الفروع بالأصول . وتنظر في علة الحكم التي تشملها . ثم تستنبط الاحكام الملائمة . وبذلك يأخذ التشريع القرآني سمته الحضارية ويبسط سلطانه على الحياة فلا تنفلت منه . او تزور عنه . لائذة بالفجرة والشياطين الذين يحكمون بغير ما انزل الله . في غيبة الايمان الصحيح والحكم الرشيد .

وما اجمل ان تتعانق روح التشريع بقضايا الحياة . فتمضي الحياة الانسانية الى غايتها ـ مسددة الخطا .. نبيلة الهدف . ومن ثم تشرق الارض كلها بنور ربها . وتغمرها بركات السماء وصدق الله العظيم اذ يقول : **( ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى )** طه / ١٢٤ ـ ١٢٦ .

والضنك الذي اشارت اليه الآية ليس ضنك الأموال والمتاع فحسب . بل إنه يشمل في الدرجة الاولى ضنك الروح وما تعانيه من ضياع وتعاسة في ظل الحضارات المادية التي اماتت عواطف الانسان واحيت شهواته . وكفى بذلك خسرانا !!

وهكذا يجب ان تتألق حضارتنا المؤمنة في رحاب القرآن . وفي جو الايمان لتزدهر وتونق . وتؤتي اكلها كل حين باذن ربها . ولكي تمضي في طريق التجدد الصاعد والنماء المستمر . ولكي ينبض قلب الحياة دائما بمشاعر الخير . وتطرد مسيرتها المباركة . وتستجمع اسرار التقدم المادي والروحي معا . معبرة بذلك عن فطرة الانسان التي فطره الله عليها .

وينبغي ان نتنبه الى ان هذه الحضارة المباركة ، لا يتصور لها ان تجف او تذوب الا حين تنفصل عن كتابها الخالد . فاذا اعتراها في بعض العصور وهن او شحوب فما هو الا من جراء بعدها عن الله . وما هو الا ان ترتبط به من جديد فتجري فيها دورة الحياة ، ويعود اليها النماء والازدهار ، وبهذا تظل قادرة على مواجهة التحديات الحضارية الاخرى عبر القرون ، لأنها مزودة من العليم القدير بما يضمن لها القوة والصمود . وسيظل القرآن يمدها بالتألق لتضيء جوانب الحياة كل الحياة ، بالأمل والخير والحق والعدل والسلام وكل المعاني الطيبة والقيم النبيلة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها والله ولي التوفيق .

# قصة الإنسان المعاصر بين الهدى والضلال

# عندما يريد العقل اقتحام عالم الغيب

للاستاذ محمد لبيب البوهي

يحاول العقل البشري ان يتطلع الى المجهول .. محاولا اقتحامه واكتشافه ، ولعل ذلك من عظمة الانسان ما لم يجنح به الخيال الى غير طاقته ، او يركب الفكر جناح الأوهام ، وهناك رغبة شديدة لدى كثير من العقول منذ قديم الزمان ان تنفذ الى ما وراء حجب الحياة ، وقد تصر على ذلك وتعاود المحاولات مرة بعد مرة مهما منيت بخيبة الآمال . وهذا ما مارسه الفلاسفة على وجه الخصوص منذ فجر التاريخ ونحن نحاول في هذه المقدمة ان نناقش الأمر عسى أن ترتدع بعض العقول عن المحاولات العقيمة لاقتحام عالم الغيب بغير عنصر الايمان ، وعندما نجلس في هدوء ونترك للفكر العنان فاننا سننظر مثلا الى جبل بعيد ، الى اقصى ما يستطيع البصر أن يصل في فضاء رحب مكشوف هنالك قد يرى الانسان أضواء تلمع عند السفح فيقول العقل لنفسه إنني ارى هنالك على ذلك البعد البعيد نهرا أو على أقل تقدير بحيرة صغيرة او نقع ماء ، ثم يذهب به الخيال الى أن ذلك الحائط الذي يراه من بعيد انما هو جدار يقوم على حافة الماء . ثم لعله يذهب الى هناك ، الى ذلك الجبل فيدرك أن ما كان يراه إنما هو ما يسمى بالسراب وأن ما تصوره جدارا عند حافة السفح لم يكن غير عربة نقل وقفت على بعد عدة أميال منه ثم ذهبت .

لقد عاش الفكر أحيانا في ضلال ظنه حقيقة ، وذلك في حياته الواقعية وقد ينظر الى نهر تجري فيه المياه ويرى صور الطيور والاشجار والتلال تنعكس على صفحة الماء وهي تبدو مرتعشة مهتزة بحكم امواج المياه وهي ليست هكذا في الطبيعة فهي ثابتة وليس لها هذا الاهتزاز والارتعاش .

هكذا يحسن ان نتهم التفكير حين لا نمسك بأيدينا مستندات التجربة التي يمارسها الانسان بنفسه ، او التي تأكد من حقيقة وجودها حين جاء

بأنبائها من نثق فيهم ، وممن أثبتت الأيام صدق ما جاءوا به ، وقامت الأدلة على صدق ما قالوه .

## السبيل الى ترشيد الفكر

واضح ان التفكير هو غذاء العقل ، والعقل بدون التفكير قد تتجمد فاعليته ، ولما كان أمر هذا الغذاء الفكري يشبه ما يكون من غذاء الجسم ، فان من الغذاء ما هو سام وكذلك من التفكير ما هو ضلال ، قد يردي صاحبه في مهاو ليس لها من قرار .. والعقل هو النعمة الكبرى متى أمسك صاحبه بالزمام ، وحدد خطوط المسار ، ولقد ذكر بعض الفلاسفة ان العقل هو العالم الصغير الذي تنعكس عليه بصور شتى معالم عالمنا الواقعي الكبير ، وبالعقل قد يرقى المرء الى مستوى الملائكة ولكن إذا قاده الهوى فقد يهوى به الى أسفل سافلين ، وقد يهيم في وديان الاوهام ، ويصور لصاحبه الباطل كأنه قد احسن فيه صنعا ، وعلينا أن نذكر دائما ان تفكيرنا الذي هو غذاء عقولنا إنما ينبع من بحر كوني لا حدود له تحرك امواجه معارفنا وثقافتنا وعقائدنا ، بل انه حتى ما قد يتخبط فيه المرء من جهل او ظنون او أوهام إنما ذلك أيضا لا يأتي من فراغ ، وإنما هذه الظنون والأوهام والضلالات كثيرا ما يأخذ بعضها بزمام بعض .. وكل إنسان له محيطه الفكري الخاص ، حتى لقد نستطيع ان نقول عن تفكير الجنس البشري انما عدده هو بقدر عدد افراده .. وليس هذا فحسب بل إن الفرد الواحد قد يتغير تفكيره مرارا فيخضع لتغييرات جديدة وغريبة وقد يناقض بعضها بعضا .

من أجل هذا كان لخير البشرية أن يكون هناك المنبع الأصيل الذي تأخذ منه فروع الينابيع كالنهر الكبير حين تأخذ منه فروعه فيكون ما يجري فيها مطابقا لما جاء من المنبع الصافي الذي هو من صنع مدبر حكيم قدير عالم بصير لا تتغير مناهجه بتغير الزمان والمكان ، بحيث يستطيع كل عقل ان يتغذى من هذا المنبع ، ويكون حجم غذائه بقدر ما يهيىء نفسه له ، وبهذا يقل الضلال .. او يتباعد وعند بعض الناس قد يتلاشى تماما ..

## كيف تفكر تفكيرا صافيا سليما ؟

انه لا بد من وجود قواعد ثابتة يبدأ منها العقل اتجاهاته ، وإلا لو كان كل عقل عليه ان يبدأ من جديد .. من درجة الصفر في كل شيء .. فأنه ان لم يضل تماما فسوف يظل يدور حول نفسه .. وعلينا ان نتصور مثلا انسانا لا يؤمن بالطب ، ولا بدواء الأطباء .. لأنه لم يشترك معهم في تجاربهم التي كانت عبر عشرات او مئات السنين ، وهو فخور بعقله وتفكيره الخاص ويريد وحده ان يفكر في ابتكار دواء يشفي طفله المريض الذي يتلوى امامه .. فان هذا ولا شك اتجاه باطل وسفيه ، ولن يتسع عمره لشيء من ذلك ، ولا هو يعرف الطريق

وسوف يموت الطفل الذي منع عنه الدواء الذي استقرت عليه الامور .. وهكذا قد يتصور كثير من الناس .. وعندما صعد رجل الفضاء الروسي بضع مئات من الاميال فوق الأرض ورآها كرة معلقة في الفضاء ، لم يهتد فكره إلا إلى الغرور فقال : إنه لم يجد الله .. على حين أن زميلا له من رجال الفضاء « الأميركان » بهرته أفكاره حين رأى الأرض وهي كرة صغيرة تدور في فضاء الله بغير عمد تشدها فعاد مشدوها بالايمان واستقال من عمله وراح يعمل واعظا مرشدا الآخرين الى آيات الله التي رآها بعين البصيرة ..

## عندما يهيم العقل في ظلمات الضلال

يكون ذلك دائما حين يحاول الخروج عن طبيعته ودائرة حدوده ويصر على نبذ كل ما لا يتيسر تجسيده لدراسته في المعامل .. فهو يرفض كل ما غير ذلك منكرا لكل العلامات والبينات التي لا تتجسد ، وإن جاء بها حكماء صدقت براهينهم ، ووضح على مدار الأجيال صدقهم .

يقول الفيلسوف « باسكال » إنه لكي يكون تفكيرنا صحيحا يجب ان يبدأ من قوانين ثبت وجودها في العالم الكبير ، ثم تلقاها العقل وهو العالم الصغير كمسلمات طبيعية ، وليس على العقل بعد ذلك من بأس أن يحاول ان يتفهم بعض جوانب هذه القوانين ، او يستنبط بعضها ، او يفسرها تفسيرا جديدا باضافات تكشف بعض جوانب كانت متوارية في العالم الكبير مما يخضع للتجربة ، ثم استنباط القوانين التي تحكم ما فسره او تفهمه فهما جديدا ، اما خارج العالم المحسوس ، اي ما وراء الحياة فان هناك مسلمات ثابتة ببراهينها يجب قبولها ، واذا حاول العقل ان يصدف عنها لينفذ الى اعماق الغيب غير مسترشد الا بتفكيره الذاتي فان هناك حاجزا هائلا سوف ترتد عنده افكاره بخيبة أمل كبير أو يضل في ظلمات ضلال بعيد ، لانه كلف عقله ما لم يعد له ، وما هو خارج عن دائرة التكليف ، والمثل أكبر بكثير من أن تحاول نملة مثلا ان تتفهم ما يدور في اعماق البحار او ما يسبح في أجواز الفضاء .

## ما هو الغيب الذي يحاول العقل ان يمخر عبابه ؟

إن الذين طمس على قلوبهم وهم يحسبون انهم بتفكيرهم هذا يحسنون صنعا لا يريدون ان يؤمنوا الا ان يكشف لهم الغطاء عما وراء الحياة ، ونحن نريد ان نسألهم ، ما الذي يبغون ان يروه هناك ؟ وما الغيب الذي اذا بصروا به آمنوا ؟ هل يريدون أن يروا الله جهرة ؟ ام يريدون أن يريهم ملائكته ويسألونه كيف خلقتهم وأين يقيمون ؟ هل هذا هو الغيب الذي تتطلع اليه بعض العقول وألا فلا إيمان عندهم ؟ أم يريدون ان يشهدهم ربهم سبحانه خلق السموات

والارض وخلق أنفسهم منذ كانوا أجنة في بطون أمهاتهم ؟!!
لقد سبقهم الى ذلك آخرون ، حتى بلغ بهم سفه السخرية أن طلبوا الى ربهم ان يسقط السماء عليهم كسفا ، وفي هذه الأيام المعاصرة أخذت السماء باذن ربها تساقط عليهم كسفا ، فلو أمسكنا بخريطة لهذا الكوكب الأرضي البئيس لوجدنا كل ركن من أركانها ينضح دما بما كسبت ايدي الناس مصداقا لقوله تعالى ( **فكلا أخذنا بذنبه** ) العنكبوت / ٤٠ .

## وماذا لو كشف لهم الغطاء ؟

إن الله غني عن العالمين وليس ايمان أهل السموات والأرض بما يضيف إلى ملك الله مثقال جناح بعوضة فلماذا يغمض بعض الخلائق اعينهم عن طريق الخير لانفسهم ؟ ويطيب لهم أن يتخبطوا في دياجير الضلال إن أمر هؤلاء عجيب ولو قد كشف لهم الغطاء كما يزعمون فلن يزيدهم ذلك إلا خبالا .. إذ ما هي المقاييس الحسية أي المادية التي سوف يقيسون بها ما يكشف عنه الغطاء من أسرار الكون ؟ اعني لو رأوا السماء عندما كانت دخانا .. ولو رأوا الملائكة وهم بين قائم أبدا وساجد ابدا .. ولو سبحوا في أقطار السموات لعادوا اكثر ضلالا .. لأنه لا يمكن للعقل المادي أن يحتضن إلا ما هو من نتاج الفحص المعملي ولقالوا : ( **إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ) الحجر / ١٥ .

لقد كان من فضل الله على الناس ان جعل فيهم فطرة الايمان التي ولدوا عليها وخلقوا بها وجاءوا وهي طبيعة فيهم إلا أن تطمس بعض العقول مصابيح قلوبها .. ان في كل انسان مهما كان لونه أو موقفه بذرة إيمان كبذرة الشجرة ، عليه أن يسقيها ويرعاها حتى تنمو ، والبعض يجتث هذه الشجرة من أساسها .. ولو لم يكن هذا فضلا من الله لقضوا جميعا حياتهم في متاهات من صنع الأوهام .. فالفطرة قد أنقذتهم من هذا ..
ولا نريد ان ننكر على العقل حقه في أنه حين يهتم بخصائصه فانه يصل إلى روائع عظيمة .. كما حدث ذلك في علوم كثيرة على الأرض .. هناك علماء في الفلك والهندسة والطب وغير ذلك .. ومع هذا فان أصحاب هذه العقول المتفتحة يختلف بعضهم مع بعض ، وقد يخالف هذا ما آمن به ذاك وذلك في علومهم التي خضعت لتجارب معاملهم ، ولنضرب مثلا .. فان مريضا قد يذهب الى الطبيب النفساني ، فيرى هذا الطبيب أن ما يحسه مريضه ، انما يرجع الى عوارض نفسية . فاذا ذهب ذلك المريض إلى الطبيب الباطني ، فانه قد يغض الطرف عما ذهب اليه العالم الأول ، ويرى أن مريضه إنما يعاني من مرض عضوي .. بل إن الفلاسفة أنفسهم ، وما أكثر ما ذهبوا إلى نظريات أفنوا فيها أعمارهم ، يزعمون أنهم وصلوا بها الى الحقيقة ، ثم يأتي فلاسفة آخرون ،

ويقيمون البراهين على فساد ما سبقوا اليه من نظريات فلسفية .. وهكذا قد لا نستطيع ان نرى نظرية فلسفية .. أو أخلاقية من صنع البشر ، نالت حظ الدوام والاستمرار على مدار الزمن ..

## كيف إذن يكون الايمان ؟

العجيب أن الانسان حين يصور له تفكيره انه يستطيع أن يقتحم عالم الغيب فان الشيطان لا يخيب ظنونه ، وإذا كان الناس يفخرون بما وصل اليه العلم في دنيا المادة في كل زاوية من زوايا الوجود المادي وتكوينه ، فقد جاء في احصاء دقيق أنه يوجد في فرنسا وحدها سبعة آلاف عراف وعرافة لقراءة الكف و « الفنجان » والورق ، وهذا هو الاتجاه العصري المعكوس في محاولة فهم الايمان ، وهناك جمعيات تغذي أهواءهم فيما يسمى بجلسات العالم الروحاني ، حيث تبدو الشياطين في صور ما فتهلل لها صحف القرن العشرين ويقولون لقد تجسدت لنا أرواح الموتى .. بل ان هناك الآن في الغرب جهازا ألكترونيا صغيرا في الأسواق ، من يدفع ثمانمائة فرنك يستطيع ان يحوزه ويدير اقراصه على التاريخ واليوم والساعة فيعطيه الجهاز تنبؤات بما ستكون عليه صحته ، واحواله المالية والاجتماعية .. بل ليس أمر الأميركي « جونز » ببعيد فقد حمل زهاء ألف إنسان في أكبر دولة علمانية على قتل أنفسهم للانتقال الفوري إلى الجنة التي رسمها لهم الرائد جونز .

هذه ألوان من عالم الغيب كما يفهمونه .. أو كما يريدونه أن يكون .. وذلك إن دل على شيء فعلى وجود فطرة أصيلة كامنة في أعماق النفس ، خلقهم الله تعالى عليها ، غير أن الذين طمس على قلوبهم وعقولهم يضلون السبيل اليها .

وبعد :

فان هذه هي الحيرة الفعلية التي تتفاقم عادة في أعقاب الكوارث كالحروب الشاملة المدمرة . والتي تلتمس علاجا لدائها بعيدا عما أرداها من عقم الاسراف المادي مما يبعث أملا من نوع ما — إن هذه إرهاصات تدل على أن أمر الانسان العصري يتطلب علاجا روحيا سليما .. وهذا العلاج هو الدين — ولما كان الدين عند الله الاسلام . فان هذا هو السبيل الأوحد .

ولكن الناس لن يناموا ذات ليلة ليصبحوا كي يجدوا رايات الاسلام منشورة في أرجاء ملك الله ، انه لا بد من تخطيط ذكي مخلص دؤوب ، يبدأ بالمسئولية الفردية من كل مسلم ، يحس هذه التبعة ويدرك أنها أمانة ذات مسئولية باصلاح النفس — ثم الأسرة — حيث تتكون المجتمعات من مجموعها . ولو بدأ كل إنسان — أو عدد مناسب من الناس — بمثل هذا لكانت هذه هي البداية التي سيفتح الله سبحانه كما وعد أمامها سبل التوفيق : ( **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ) العنكبوت / ٦٩

وهو سبحانه المستعان .

# التقوى في ميزان الإسلام

للدكتور محمود محمد عمارة

يقولون :
ان الوظيفة تخلق العضو .
فاذا كان المشي وظيفة رجلك .. فأن رجلك هذه تظل صالحة للحركة ما دامت تمارسها على ارض الواقع .. ولو أنك وضعتها في قالب يجمد نشاطها .. فقدت صلاحيتها .. لأنك عطلت وظيفتها التي لا تكون الا بها .

ومن طبيعة الانسان الى طبيعة الايمان .. لنجد نفس المعنى :
فاذا لم يتحرك الايمان ليصبح في السلوك عملا بعد ان كان في القلب املا ..
توقف ذلك الايمان عن الحركة .. وفقد في نفس الوقت قدرته على صنع المواقف ومواجهة الحياة ..

ان الاستفتاء على وجود الايمان في القلوب سيأخذ بالطبع اغلبية مطلقة بين جماهير المؤمنين !

ولكن .. عندما يوضع ذلك الايمان على محك التجربة .. عندما يستفتى عليه كأمانة في المتجر .. وجودة في المصنع .. واخلاص في الدرس .. وتضحية في الازمات .. سوف تنحسر النسبة نحو الصفر .. ان لم تكنه !!

ومن اجل ذلك يأمرنا الحق سبحانه وتعالى بالتقوى .. كوظيفة للايمان يتحرك بها الانسان .. ليتحول بالتقوى من شعاع خافت .. وذبالة تتراقص .. الى قوة بانية محركة ..

وذلك قوله عز وجل :

**( قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب )** الزمر/ ١٠ .

فلم نكلف بنداء العبودية ان نؤمن .. لكننا بحكم الايمان الحاصل فعلا مأمورون بالتقوى كصورة عملية للعقيدة ..

اننا عباد الله .. ومؤمنون به .. فلنتقدم على طريق الكمال خطوة يتم بها الميثاق ويكون بها الالتزام .. بالتقوى :

**( .. اتقوا ربكم )**

**السفر البعيد !**

ولكن الزاد هنا قليل . والشقة بعيدة .. والتكليف شاق ؟

والذي خلق الانسان ادري بطبعه .. ومن ثم .. يمهد له السبيل .. ويحمله برفق ولين ليخوض الغمرات .. ويجتاز مراحل الطريق بسلام .. ونحن واجدون في كلمات الآية الكريمة ومضات من هذا الود وتلك الرحمة تعين على امر الله :

فالنداء بوصف العبودية وما فيه من حنو .. ووصف الايمان وما يفرضه من الوفاء بالتزماته .. ثم اضافة المنادي الى ربهم وما يوحي به من سابق النعم ولا حقها ايضا .. مع احساسك بأنك بالتقوى على اوفى معاني الاحسان .. كل اولئك باعث للهمم من مراقدها لتنطلق عاملة آملة .. ولتقتعد بهذه الحركة المباركة قمة الاحسان :

**( للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة )**

ولا يرضي منك الاسلام ان تستسلم للواقع الضاغط .. على حساب تقواك بفضائلها ..

فاذا سمحت لك الظروف بالحركة صاعدا في مراتب الكمال الانساني .. فبها .. والا ..

**( فارض الله واسعة )**

ولا عذر لك في البقاء بأرض لا تحقق فيها انسانيتك ..

واذا قال الشاعر :

بلادي وان جارت علي عزيزة
واهلي وان ضنوا علي كرام

فأن هناك ما هو اعز من قومك واكرم .. وهو : دينك الذي اكرمك الله به .. ومبادئك التي استخلفك عليها ..

وصحيح ان فراق الاوطان مر المذاق لدى الانسان .. ولكن عدتك من الصبر الجميل تستعلي بك فوق المتاعب والمصاعب ..

ذلك بأن الصبر ضياء .. والحياة في سناه اوسع ما تكون ..

كما وان اليأس ظلام .. فالحياة في اسره اضيق ما تكون

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن اخلاق الرجال تضيق

**الاسوة الحسنة**

فاذا انت اخذت نفسك بالصبر سبيلا الى تحقيق التقوى .. كأخلاق

عمليــة في كل اتجــاه .. وعلى كل مستوى ..
فأنت مطالب بأن ترفع بصرك الى اعلى .. لتملأ عينيك بمشهده صلى الله عليه وسلم .. انه امامك يمشي على ذات الطريق ! :
**( قل اني امرت ان اعبـد الله مخلصا له الدين.وامرت لأن اكون اول المسلمين )** الزمر/١١ .
فهو لا يأمرك بالتقوى من خلف المكتب الوسيم .. او عبــر مكبــر الصوت .. لا .. انه يتقلب امامك في دروب الحيــاة محققــا مضمـــون الايمان .. لتنسـج على منوالــه .. وتترسم خطاه ..
فــي رحلــة لا ينــجح فيهــا الا العاملون .. الذيـن يدعمـون بهذا العمل مفهوم الايمان في القلب ..
اي ان صور النشاط الانساني كلها فوق انها مقصودة لذاتهــا .. تثبت في ذات اللحظة دعائم الايمان بهذه الممارسة العملية التي تنعكس آثارها على الباطن رسوخا وثباتا ..
ان النفس الموصولة بالحــق .. الماضية على طريق الخير طاعة لأمره سبحانه .. حتى وان عرضت لها من الشيطان عوارض .. تبقى دائما على عهدها القديم .. وفاء وولاء ..
ولا يفقدها الصراع الدائم قدرتها على الكشف .. ما بقيت سائرة على الدرب .. محققة منهجها في واقــع الحياة على نحو صارم .. لا يجامل في الحق .. والمتقــون في هذا المجــال فرسان الحلبة ..
وحين نقرأ قوله تعالى :
**( فأما من اعطى.واتقى وصدق بالحسنــى.فســنيسره لليسرى )** الليل/٥ ـ ٧ .
يبرز دورهم العملي الذي ينعكس على الباطن ضياء كاشفا .. يميزون به الخبيث من الطيب .. فينفرون من الاول .. ويمضون الى الثاني ..
ان الحركة الذاتية طاعة لله تقوى الملكات النفسية في كيان الانسان .. وتمنحه قدرا من الطاقة .. يعينه على قطع مرحلة اخــرى عبــر الطريــق الطويل ..
وفي هذا المعنى نقــرأ ما قالــه المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه « دستور الاخلاق في القرآن » وهو يتحدث عن اثر النشاط المادي في حركة الحياة :
يصبح دوره مزودجا : فبدلا من ان يجنح بنتائجه الى الخارج فقط .. يستدير في الوقت نفسه الى الداخل . ليقوى استعداداتنا الفطرية . ويزيد في تأصيلها .
الم يؤكد القرآن ان الاحسان يثبت النفس فقال جل ذكره :
« **ينفقــون أمــوالهم ابتغــاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم** » البقرة/٢٦٥ .
ويطهر الانسان ويزيد في قيمته :
« **تطهرهــم وتزكيهــم بهــا** » التوبة/١٠٣
وهذا هو شأن الاعمال الصالحة كلها كما قال الامــام الغــزالي .. فالغرض منها اساسا تغيير صفات انفسنا .. قال الامام :
( فلا تظن ان في وضع الجبهة على

الارض فرضا . من حيث انه جمع بين الجبهة والارض . بل انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب .

فأن من يجد في نفسه تواضعا .. فاذا استكان بأعضائه .. وصورها بصورة التواضع . تأكد تواضعه .

ومن وجد في قلبه رقة على يتيم .. فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ) ويقول قبل ذلك :

واذا حصل اصل الميل الى المعرفة . فأنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه . فأن المواظبة على مقتضى صفات القلب . وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة . حتى تترسخ الصفة .. وتقوى بسببها .. وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر . وربما زال وانمحق . بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا . فيميل اليه طبعا ميلا ضعيفا . ولو تبعه وعمل بمقتضاه .. فداوم على النظر والمجالسة . والمخالطة والمحاورة . تأكد ميله . حتى يخرج امره عن اختياره . فلا يقدر على النزوع عنه .

ولو فطم نفسه ابتداء . وخالف مقتضى ميله . لكان كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل .

ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعة . وترك المعاصي بالجوارح .. لأن بين الجوارح والقلب علاقة .. حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر . فالقلب هو المقصود . والأعضاء آلات موصلة الى المقصود .

وبهذا يتضح دور المتقي في ترقية الحياة .. فليس هو ذلك الهارب في مغارة جبل او مدخل .. بيد انه الصورة المتحركة .. التي تملأ العيون .. وتؤكد بحركتها ذاهبة آيبة قدرة الاسلام على بناء الانسان الفاضل .. والمجتمع الفاضل .. لقد حرص اعداء الاسلام على صنع نماذج تنتسب الى الاسلام اسما .. ثم تخاصمه فعلا .. حتى اذا رآها السطحيون حكموا على الاسلام من خلالها .. ثم ضعفت ثقتهم بالاسلام تحت ضغط هذه الدعاية الكاذبة الخاطئة .. وواجب الدعاة ان يكثروا العمل .. تدعيما للنظام .. لا ان يكثروا القول تشدقا بالكلام .. وأذا كان المتقي كما قال الحكيم الترمذي :

( بمنزلة رجل خرج من الحمام . وقد تطهر من الادناس والاوساخ . ولبس ثيابا بيضا فاذا رأى غبارا او هاجت رياح . توقى على رأسه وثيابه اشد التوقى ) ..

اذا كانت هذه صورة المتقى .. فأن دوره يأخذ شوطا آخر على طريق العمل الايجابي .. ذلك الدور الذي لخصه الحكيم الترمذي هنا ايضا بقوله :

( ... وان يحدوهم على الخيرات .. ولا يدعوهم اليها ) ؟

ان تكون له في رسوله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة .. فلا يكتفي بالدعوة المجردة الى الخير .. بلسانه .. بل يحملهم عليها بعمله اولا .. ان خطبة بليغة .. رائعة .. افضل منها عمل واحد .. تراه العين .. ويسجله التاريخ ..

# أضواء على المضاربة

للأستاذ/ مجدي عبد الفتاح سليمان

المضاربة في اللغة عبارة عن : أن يدفع شخص مالا لآخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ما شرطا والخسارة على صاحب المال .. وهي مشتقة من الضرب بمعنى السفر لأن الاتجار يستلزم السفر غالبا ، وتسمى قراضا ومقارضة مشتقة من القرض وهو القطع ، سميت بذلك لأن المالك قطع قطعة من ماله ليعمل فيه بجزء من الربح ، والعامل قطع لرب المال جزءا من الربح بسعيه على بابها .

والمضاربة عند الفقهاء : عقد بين اثنين على الشركة في الربح ( بمال من أحد الجانبين وعمل من الجانب الآخر ) وما يرزق الله به من ربح ، يكون بينهما حسب اتفاقهما من ربع أو ثلث أو غير ذلك من الأجزاء المعلومة .

**○ دليل المضاربة وحكمة تشريعها :**

يقول العلامة ابن حزم : « القراض كان في الجاهلية ، وكانت قريش أهل تجارة ، لا معاش لها غيرها ، وفيهم الشيخ الكبير الذي لا يطيق السفر ، والصغير واليتيم ، فكانوا ـ وذو الشغل والمرض ـ يعطون المال مضاربة لمن يتجر به بجزء مسمى من الربح » المحلي/ جـ٢ . وقد ورد في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في مال السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ مضاربة

# والبنوك الإسلامية

الى الشام وذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم . سيرة ابن هشام ١ ص ١٨٧ ويقول العلامة الكاساني في كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع :

« ان المضاربة شرعت بالكتاب والسنة والاجماع »

● **ففي القرآن الكريم** يقول الله تعالى : ( **وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله** ) المزمل/ ٢٠ . كما يقول سبحانه وتعالى : ( **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ) الجمعة/ ١٠ . ويقول جل ثناؤه : ( **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم** ) البقرة ١٩٨ .

● **وفي السنة** : فقد روى أن العباس ابن عبد المطلب كان اذا دفع المال مضاربة اشترط على صاحبه أن لا يسلك به بحرا ولا ينزل به واديا ولا يشتري به ذات كبد رطبة ، **فان فعل فهو ضامن ، فرفع شرطه الى** رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجازه . البيهقي ، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم والناس يتعاقدون بالمضاربة فلم ينكر عليهم ، وذلك تقرير لهم والتقرير أحد وجوه السنة .

○ **وفي الاجماع** . فقد تعاملت الصحابة بهذا العقد دون نكير منهم ولا من غيرهم من التابعين ، اذ قد روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه :

« انه دفع مال اليتيم وضاربه خوفا من أن تأكله الزكاة » الاختيار لتعليل المختار ٣ ص ٣٧ ـ وروى عن سيدنا علي كرم الله وجهه انه قال : « في المضاربة الوضيعة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه .. » نيل الأوطار ص ٣٩٢ .

وقد روي أن عبد الله وعبيد الله ابنى سيدنا عمر خرجا في جيش العراق وكان أبو موسى الأشعري يومئذ أمير البصرة فنزلا عنده ، وقال لهما اني أحب أن أعمل لكما عملا ينفعكما لو أقدر على ذلك ، ثم قال لهما ان عندي مالا من مال الله أريد أن أبعث به الى أمير المؤمنين وتنفعا بربحه ، فرضيا بذلك ، وفعلا باعا فربحا ، فلما دفعا إلى أمير المؤمنين سألهما : هل أسلف أبو موسى كل الجيش أو اختصكما أنتما به فقالا بل اختصنا ، فقال انه قد فعل معكما ذلك لأنكما ابنا أمير المؤمنين ، وطلب منهما أن يدفعا رأس المال وربحه الى بيت المال ، فسكت عبد الله ، أما عبيد الله فقال له : هذا لا ينبغي لك يا أمير المؤمنين لأن المال كان في ضماننا ولو هلك لألزمتنا به ، فلم يلتفت عمر الى قوله ، وطلب منهما تسليم المال وربحه فرد عليه عبيد الله ثانيا ، فقال رجل من الحاضرين لو جعلته قراضا يا أمير المؤمنين ، أي لبيت المال نصف الربح ولهما نصفه ، فقال : اجعله قراضا وفعل ذلك . الفقه على المذاهب الأربعة المجلد الثالث .

● وقد شرعت المضاربة للحاجة اليها ، وذلك لأن الناس بين غني بالمال لكنه يجهل التصرف فيه ولا يعرف كيف يستثمره ، وبين فقير لا يملك المال ولكنه يحسن التصرف فيه ويعرف كيف يستثمره ، فمست الحاجة الى وجود المضاربة لكي يتمكن كل ذي قدرة من أن يعمل ، فان لم يكن بماله ، فبمال غيره ومن هنا يتم التوازن بين العمل ورأس المال ، والتكامل بين الخبرات والأموال وتنشيط التجارة .

● **أركان وشروط المضاربة** : قرر الفقهاء أن عقد المضاربة ركنه الايجاب والقبول ، وذلك يكون بألفاظ تدل على المعنى المقصود كأن يقول له خذ هذا المال واعمل فيه ، وضاربه ، أو مقارضة ، أو معاملة ، أو خذ هذا المال مضاربة على أن ما يرزقنا الله من ربح فهو بيننا من نصف أو ثلث ، فيقول المضارب أخذت أو رضيت أو قبلت ، ولو قال خذ هذا المال بالنصف أو على النصف ولم يزد على هذا فان ذلك يكون مضاربة صحيحة . **من هنا نجد أن العقود في الشريعة تنعقد وتقوم أركانها على أساس الرضا** والاتفاق في الاطار الذي أباحته الشريعة الغراء ، وكما تنعقد بالايجاب والقبول تلفظا تنعقد كذلك بالكتابة ، هذا وقد أوضح الفقهاء الطرق المتعددة والمختلفة بشروطها للتعبير عن ارداة كل من طرفي العقد بالقول الملفوظ أو المكتوب ، أو انعقاده بالاشارة أو الرسالة أو الكتابة ، وقد تتم بعض العقود بالمعاطاة ، كالبيع الذي يتم بأخذ المشتري لسلعة

معروضة كتب عليها ثمنها بدفع الثمن لصاحبها وتسلمها، دون تلفظ بالايجاب والقبول، ولفظ المضاربة صريح في عرف أهل المدينة لأنهم يسمون المضاربة مقارضة أو قراضا لأن رب المال يقطع يده عن رأس المال ويجعله في يد المضارب.

● **ما اشترطه الفقهاء في العاقدين ( رب المال والمضارب )** : لقد اشترط الفقهاء أن يكون كل من العاقدين في المضاربة له أهلية التوكيل والوكالة، أي أهلية التصرفات في الأموال من بلوغ وعقل وغير ذلك مما اشترط في صحة التوكيل والوكالة، فلا يصح عقد المضاربة من صبي أو مجنون أو مكره، ويقول العلامة الكاساني « ان المضاربة تصح بين أهل الذمة، وبين المسلم والذمي والحربي حتى لو دخل حربي دار الاسلام بأمان فدفع ماله الى مسلم مضاربة أو دفع اليه مسلم ماله مضاربة جاز ذلك، لأن المستأمن في دارنا بمنزلة الذمي ـ والمضاربة مع الذمي جائزة : فكذلك مع الحربي المستأمن ـ فان كان المضارب هو المسلم ودخل دار الحرب بأمان وفعل بالمال، فهو جائز لأنه داخل دار رب المال فلم يوجد بينهما اختلاف الدارين فصار الأمر كأنهما في دار واحدة.

● **الشروط المتعلقة برأس المال** : تتلخص الشروط المتعلقة برأس مال المضاربة فيما يلي :

( ١ ) أن يكون رأس المال من النقود المضروبة : ويقول الكاساني، انه يشترط في رأس مال المضاربة ـ عند عامة العلماء ـ أن يكون من الدراهم أو الدنانير، ويوضح العلامة الشيخ علي الخفيف هذا بقوله : انه « يشترط فيما تنعقد عليه المضاربة ـ وهو رأس مالها ـ ما يشترط فيما تصح به الشركة وتنعقد عليه من مال، وعلى ذلك يجب أن يكون رأس المال ذهبا أو فضة مضروبين أو نقدا رائجا على الأصح، فلا تصح المضاربة على العروض من عقار أو منقول، ولو كان المنقول مثليا ... » الشركات في الفقه الاسلامي صـ ٦٨، وقد أورد صاحب بداية المجتهد ٢ صـ ٢٣٦ حجة من قالوا بعدم جواز المضاربة بالعروض على أساس اعتبار ذلك من قبيل الغرر، لأن المضارب « يقبض العرض وهو يساوي قيمة ما، ويرده وهو يساوي قيمة غيرها، فيكون رأس المال والربح مجهولا

( ٢ ) أن لا يكون رأس المال دينا في ذمة المضارب : يقول الكاساني انه اذا قال صاحب الدين للمدين : « أعمل بديني الذي في ذمتك مضاربة بالنصف، فان المضاربة فاسدة بلا خلاف .. » فان عمل بذلك « أي المدين » ـ رغم فساد المضاربة ـ فان الدين يبقى في ذمته، وله الربح وعليه الخسارة ـ وذلك عند أبي حنيفة. أما عند أبي يوسف ومحمد فان ما اشترى وباع يكون لرب المال ربحه وعليه وضيعته.

وتعرض الكاساني للمضاربة بالوديعة، بأن قال المودع لمن أودع عنده مالا « اعمل بما في يدك مضاربة بالنصف » فقال إن هذا جائز بلا خلاف. وقد فرع على ذلك أيضا أنه لو

أعطى رجل آخر مبلغا من المال على أن نصفه وديعة في يد المضارب ونصفه مضاربة على نصف الربح فيه بأن ذلك جائز » ... والمال في يد المضارب على ما سميا ، لأن كل واحد منهما « أي الوديعة ومال المضاربة » أمانة فلا يتنافيان .

( ٣ ) أن يكون رأس المال معلوما : فلا يصح على مجهول القدر ، والمقصود من ذلك تحديد المال المضارب به ، باعتبار أن هذا المال المدفوع سوف تجري اعادته عند تصفية المضاربة ، فاذا لم يكن معلوما فان ذلك يؤدي الى المنازعة .

( ٤ ) أن يكون رأس المال مسلما للعامل : والمراد بالتسليم اما الدفع بالمناولة أو تمكين المضارب من أخذه ، وذلك لأنه أمانة في يده ، ولا تصح المضاربة الا بالتسليم والتخلية بين المضارب والمال . فلو شرط بقاء يد المالك على المال فسدت المضاربة .

● **الشروط المتعلقة بالربح** :

( أ ) **أن يكون نصيب كل من الطرفين - مما يرزق الله** به من ربح - معلوما حين العقد : أي بيان مقدار حصة المضارب من الربح - على الأقل : لأن ذلك يعتبر كافيا لازالة الجهالة المفضية الى النزاع . فلو قال مالك المال للمضارب : بأن لك ثلث الربح ، فان هذا يعني بداهة أن للدافع الثلثين فاذا لم يعلم قدر الربح فان الجهالة - كما يقول السمرقندي - توجب فساد العقد لأن كل « شرط يؤدي الى جهالة الربح - يفسد المضاربة . تحفة الفقهاء صـ ٣ ، غير أنه لا يشترط بيانها باللفظ الصريح ، بل يكتفي بالقرينة . وعلى ذلك لو أن رب المال دفع للمضارب « ألف درهم على أنهما شريكان في الربح ، ولم يبين مقدار الربح ، جازت المضاربة والربح بينهما نصفان لأن الشركة تقتضي المساواة ، وذلك باعتبار أن تصريح الدافع بالشركة في الربح فيه ، هو بيان المقدار من هذه الناحية .

( ب ) **أن يكون لكل من المضارب ورب المال من الربح حصة شائعة منه** ( كالثلث أو النصف ) وليس مقدارا محددا ( كألف دينار مثلا ) فان مبنى ذلك قائم - كما يقول صاحب تبيين الحقائق - على أساس أن الشركة تتحقق بذلك . أما اذا شرط لأحدهما « دراهم مسماة » فان المضاربة تبطل « لأنه يؤدي الى قطع الشركة على تقدير أن لا يزيد من الربح على المسمى » تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق صـ ٥ .

● قسمة الربح في المضاربة : اذا ربح العامل من مال المضاربة شيئا فان في قسمة الربح بينه وبين رب المال قولا للفقهاء : **الحنفية قالوا** : « لا يصح قسمة الربح قبل أن يقبض صاحب المال رأس ماله ، فاذا قسم الربح قبل ذلك وقعت القسمة موقوفة ، فان قبض المالك رأس المال صحت ، والا بطلت القسمة .

**الشافعية قالوا** : يصح قسمة

الربح قبل أن يقبض رأس المال إلا أن الربح إذا قسم قبل بيع جميع السلع ، وقبل أن يصبح رأس المال « ناضا » أي يتحول عن عروض تجارة الى نقد فان ملك الربح لا يستقر ، فلو حصل بعد القسمة خسارة في رأس المال جبرت بالربح ، فيرد الجزء الذي أخذه العامل منه ويحسب الجزء الذي أخذه رب المال من رأس المال - **المالكية قالوا** : القاعدة في ذلك أن رأس المال اذا خسر منه شيء بالعمل فيه أو تلف بآفة سماوية أو سرقة لص ، فان الخسارة تجبر من الربح بمعنى أن الباقي بعد التلف أو الخسارة يكمل بالربح ثم اذا زاد شيء بعد ذلك يقسم بين المالك والمضارب بحسب الشرط الذي دخلا عليه .

**والحنابلة قالوا** : لا يستحق المضارب شيئا من الربح حتى يسلم رأس المال الى صاحبه والخسارة تجبر من الربح فاذا اشترى متاعا ربح فيه ثم اشترى صفقة أخرى فخسر فيها حل الربح محل الخسارة ولا يحسب شيء من الخسارة على رأس المال » . الفقه على المذاهب الأربعة المجلد الثالث .

يستفاد من أقوال الفقهاء فيما يتعلق بقسمة ربح المضاربة ، أنهم يعتبرون الربح وقاية لرأس المال ، ومعنى هذا هو أنهم ينظرون الى سلامة رأس المال باعتباره الأصل الذي يبني عليه الربح ، وعليه فانه اذا لم يسلم الأصل فلا يقال ان هناك ربحا قابلا للقسمة .

## ○ مدى صلاحية نظام المضاربة في البنوك الاسلامية :

يتضح لنا مما سبق ، أن المضاربة ما هي الا وسيلة من الوسائل التي عرفها الناس في الجاهلية ، وأقرها الاسلام ، باعتبارها نظاما مقبولا لاستثمار النقود على أساس تعاقدي بين من يملك مالا وبين من يعمل في ذلك المال ، وقد كان عقد المضاربة هذا وسيلة متلائمة مع حاجات المجتمعات في تلك العهود ، الا أن التنظيم المصرفي المتطور استطاع - خصوصا في مجال الاستثمار - أن يتجاوب مع الحاجات المعاصرة بما قدمه من أساليب توفق بين الرغبات والمتطلبات ، ووسائل متطورة مكنت من يملك المال ومن يحتاج اليه - على حد سواء - من الافادة من فرصة العمل المنظم ، وأصبحت الوظيفة الرئيسية للبنوك التجارية « الربوية » تتحصل في « **منح الائتمان** » أي تقديم مبالغ نقدية - سواء كانت نقدية أم كتابية - الى الأفراد ورجال الأعمال وأصحاب المشروعات على اختلاف أنواعها لأجل قصير غالبا يتفق عليه ، ولا يتجاوز عادة العام الواحد ، وذلك لتمكينهم من مواصلة ومباشرة أعمالهم ووجوه نشاطهم ، على أن يقوموا بسداد هذه المبالغ عند حلول الأجل المتفق عليه ، وأيضا الفوائد المستحقة على هذه المبالغ ويرجع السبب في حاجة هؤلاء الى النقود والتجائهم الى البنوك للحصول عليها ،

الى أنهم يجدون أنفسهم في كثير من الأوقات يباشرون عملية تجارية أو انتاجية معينة لن يتحقق الايراد المنتظر منها الا بعد عدة أشهر ، وفي الوقت نفسه فانهم مضطرون في الوقت الحاضر الى تمويل مثل هذه العملية حتى يمكن لها أن تتم ، وكذلك تمويل العمليات التي تتلوها ، وذلك في شكل دفع أجور العمال وثمن المواد الأولية أو المواد المصنوعة وكافة المصروفات التي تتطلبها العمليات التجارية والانتاجية ، وغالبا لا تستطيع معظم البنوك أن تؤدي هذه الخدمات باستعمال مواردها الخاصة دون غيرها ، والغالب أن تستعين بأموال الغير التي تأتيها في صورة ودائع أو حسابات جارية دائنة . ومعنى ذلك أن العمليات التي يقوم بها البنك « منح الائتمان » تسبقها عمليات أخرى هي « تلقي الودائع » وهذه العملية الأخيرة تسمح للبنك بالحصول على الأموال التي يقرضها للغير والتي يعتمد عليها في نشاطه اعتمادا شبه كلي . أما موارد البنك الخاصة فهي تلعب دورها الطبيعي كضمان لالتزاماته قبل المودعين وغيرهم ، ولكنها لا تعد مادة للاقراض ويقول المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربي « فالبنوك بتمويلها المشروعات عن طريق أرصدة الودائع تستحدث نفعا وتستحدث ضررا في آن واحد . والنظام الاسلامي حريص كل الحرص على اتقاء الضرر ودفعه ، واجتلاب النفع واستبقائه » الأعمال المصرفية ورأي الاسلام فيها للدكتور عبد الله العربي . وقد قدم فضيلته بحثا وضح فيه تعديل نظام أعمال البنوك حتى يتلاءم مع أحكام عقد المضاربة الاسلامي وحتى تحل أرباح المضاربة محل الفائدة المحرمة على الوجه الآتي :

**أولا : تكييف العلاقة بين المودعين والبنك :**

يعتبر المودعون - في مجموعهم لا فرادى - « رب المال » والبنك هو « المضارب » مضاربة مطلقة ، أي يكون له حق توكيل غيره في استثمار مال المودعين ، وعلى هذا النحو يمضي البنك من تقديم المال لاصحاب المشروعات ، موجها كل ما لديه من فطنة ودراية مالية وخبرة سوقية من تخير المشروعات والقائمين بها ، لأنه أمين على هذا المال ، فيجب عليه أن يتحمل هذه الأمانة على الوجه الأكمل ، هذه المشروعات الاستثمارية قد ينجح بعضها ، وقد يفشل البعض ، ففي كل سنة مالية يقوم البنك بتسوية شاملة بين أرباح وخسائر جميع المشروعات الاستثمارية ، والتي وظف فيها أموال الودائع وبعض أموال المساهمين ، والصافي يخصم البنك منه مصاريفه العمومية وأيضا الاحتياطيات القانونية ، ثم يوزع الباقي بينه وبين المودعين ، طبقا للاتفاق الذي تم بين المودعين والبنك ، فاذا اتفق الطرفان على أن يكون للبنك نصف الربح مثلا

والنصف الآخر للمودعين ، وزع البنك عليهم النصف بنسبة مبالغ ودائعهم وبنسبة الأجل الذي بقيته هذه الودائع في حوزة البنك ، وساهمت بمقتضاه في هذا الاستثمار ، أما النصف الثاني من صافي الربح ، وهو النصف الذي خص البنك فيوزعه البنك على مساهميه بنسبة مبالغ أسهمهم .

**ثانيا : تكييف العلاقة بين البنك وأصحاب المشروعات الاستثمارية :**

أما العلاقة بين البنك وأصحاب المشروعات الاستثمارية فهي عكس العلاقة بين المودعين والبنك ، فهنا يعتبر البنك « رب المال » وأصحاب المشروعات هم « المضارب » وتسري القواعد الخاصة بالمضاربة بشأن حقوق رب المال وواجباته ، وحقوق المضارب وواجباته ، فالربح الذي أنتجه صاحب المشروع - وهو المضارب - يقتسمه مع البنك - وهو رب المال - بالنسبة التي اتفقا عليها . أما اذا لم يؤت المشروع ربحا ، وسلم رأس المال من كل تلف أو خسارة ، فليس لصاحب المشروع شيء ، وعاد رأس المال الى البنك ، وأما اذا تلف جزء من رأس المال أو كله لسبب أو حادث لا يد لصاحب المشروع فيه فالخسارة لا تحيق الا برب المال « البنك » وأما اذا كان صاحب المشروع « المضارب » قد تسبب في تلف رأس المال أي صار « متعديا » فيكون عليه الضمان .

ويقول فضيلة الدكتور عبد الله العربي : « ولست أنكر أنه في التنفيذ العملي يخالطه بعض التعقيد ، فلا شك أن النظام القائم في البنوك الآن - من تحديد فائدة معلومة للمودع وتحصيل فائدة معلومة من المقترض - أيسر في التنفيذ . ولكن شيئا من التعقيد يعدل البعد عن أوزار الربا ، والنجاة من آثامه وشروره على أن هذا التعقيد الذي يخشى منه في البداية سوف يتضاءل تدريجيا ، كلما درجت عليه البنوك ، ورسمت له المعايير الواضحة الملائمة ، وكلما ألفه الناس عاما بعد عام في معاملاتهم المصرفية » الأعمال المصرفية ورأي الاسلام فيها للدكتور محمد عبد الله العربي .

● وهناك رأي آخر يرى أن تطبيق القواعد الخاصة بعقد المضاربة - بشكله المبين من المؤلفات الفقهية - أمر متعذر تطبيقه عمليا في مجال الاستثمار الجماعي على النسق المصرفي ، كما أنها لا تنطبق على طبيعة نشاط البنك ، ومن ثم فقد استفاد من الأحكام الخاصة بالأجير المشترك ، ما يساعد على توضيح الفوارق في الأحكام بين حالات التعاقد الخاص وحالات التعاقد الذي يشمل عملا مشتركا لا يختص به فرد أو مجموعة محصورة من الأفراد ، وكما أن الاجارة - بالنظر لمقصودها المتمثل في الحصول على منفعة معينة في مقابل

عوض معلوم ـ قد استطاعت أن تستوعب في نطاقها أحكام الأجير المشترك ، كذلك يمكن للمضاربة ـ ومع المحافظة على مقصودها المتمثل من الاسترباح من المال بطريق عمل الغير فيه ـ أن تستوعب أحكام المضارب المشترك ، وقد أوضح صاحب هذا الرأي الى أن شكل العلاقة بين المضاربين وبين البنك « المضاربة المشتركة » تضم ثلاثة فرقاء ، **يتمثل الفريق الأول** : من جماعة المستثمرين وهم الذين يقدمون المال بصورة انفرادية على أساس توجيهه للعمل به مضاربة ، **أما الفريق الثاني** : فانه يتمثل في جماعة المضاربين وهم الذين يأخذون المال منفردين أيضا لكي يعمل كل منهم فيما حصل عليه من مال بحسب الاتفاق الخاص به ، **وأما الفريق الثالث** : فانه يتمثل في الشخص أو الجهة التي تكون مهمتها التوسط بين الفريقين لتحقيق التوافق والانتظام في توارد الأموال واعطائها للراغبين من الفريق الثاني للعمل فيها بالمضاربات المعقودة مع كل منهم على انفراد . ويعتبر هذا الفريق الثالث ـ وهو الوسيط ـ هو الشخص الجديد في نظام المضاربة المشتركة ، فان اهميته تتمثل في صفته المزدوجة التي يبدو فيها مضاربا بالنسبة للمستثمرين « وهم أصحاب الأموال » من ناحية ، كما أنه يبدو كمالك المال بالنسبة للمضاربين من ناحية ثانية . لذلك فان تعامل هذا الوسيط يبعده عن أن يكون مضاربا خاصا ويقربه أكثر من امكان وصفه بالمضارب المشترك . ذلك أن هذا المضارب لا يلتزم بالعمل كمضارب لشخص معين أو أشخاص معينين ، بل هو يعرض خدمته على كل من يرغب في استثمار أمواله . أما المضاربون فان المضارب المشترك يبدو أمامهم كمالك للمال حيث يعطي شروطا منفردة مع كل من يتعامل معه ـ أما بالنسبة للمستثمرين فيما بينهم فيعتبرون شركاء في الربح الذي يتحصل ، رغم عدم وجود أي تعاقد فيما بينهم ، وانما يتعاقدون مع المضارب المشترك ، والمضاربون مستقلون تماما ـ بعضهم عن بعض ـ سواء في العمل ، أو الربح أو الشروط ، ولا يؤثر تصفية العلاقة القائمة مع أحدهم على استمرار عمل الآخرين وهكذا يرى صاحب هذا الرأي أن المضارب المشترك هو الشخص الجديد الذي يتطلبه تنظيم المضاربة المشتركة في اطار الاستثمار الجماعي بشكله الحديث . تطوير الأعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الاسلامية صـ ٤٣٢ وما بعدها للدكتور سامي حسن أحمد .

### ○ عمليات المشاركة في البنوك الاسلامية :

لا شك أن هناك مزايا عديدة تتحقق من خلال القيام بعمليات المشاركة لكل طرف من أطرافها ، وتمثل عمليات المشاركة النشاط الذي

ينبغي على البنك التوسع فيه بقدر ما تسمح به موارده ، وقد تكون هذه المشاركة مشاركة في رأس مال المشروع ، أو مضاربة على أساس صفقة معينة ، أو مشاركة منتهية بالتمليك ( مشاركة متناقصة ) :

**١ ـ المشاركة في رأس مال المشروع** : قد يلجأ البنك الى شراء أسهم شركات قائمة أو المساهمة في رأس مال مشروعات جديدة ، ولا شك أن هذا النوع من المشاركة يجمد جزءا من أمواله المتاحة للاستثمار فترة طويلة ، لذلك فمن المستحسن أن هذه المشاركة محدودة ، والأمر متروك لادارة البنك لتحديد النسب التي تخصصها من الأموال لكل نوع من أنواع الاستخدامات وفقا لطبيعة الموارد وظروف العمل .

**٢ ـ المشاركة على أساس صفقة معينة** : ويمكن للبنك في هذا المجال أن يشارك بتقديم رأس المال كاملا للصفقة المطلوبة ، أو جزءا منه حسب قدرة المضارب الخاص ، والثقة التي يتمتع بها ومقدار الموارد المتاحة للبنك وتشبه الصفقة المعينة عملية التمويل المؤقت لمشاريع قائمة ، أو جزءا من نشاط مشاريع جديدة لفترة معينة . وقد تكفلت النظم المحاسبية الحديثة بامكان تحديد نسبة العائد ربحا أو خسارة ، بالنسبة للجزء الذي قام بتمويله البنك وفي الوقت المتفق عليه ، ويجب أن ينص العقد على توضيح كامل لهذه الأسس المحاسبية بحيث يكون الطرفان على علم بها .

**٣ ـ المشاركة المتناقصة ( المشاركة المنتهية بالتمليك )** : وهذا النوع من المشاركة قد يميل اليه كثير من المضاربين الذين لا يرغبون في استمرار مشاركة البنك لهم وفي هذا النوع من المشاركة ، يعطي البنك الحق للشريك من الحلول محله في الملكية دفعة واحدة أو على دفعات ، حسبما تقتضيه الشروط المتفق عليها وطبيعة العملية ، على أساس اجراء ترتيب منظم لتجنيب جزء من الدخل المتحصل كقسط لسداد قيمة الحصة . ومن المجالات المناسبة لهذا النوع قطاع النقل والمباني . وقد قام بنك ناصر الاجتماعي الاسلامي بتجربة رائدة ، وذلك بشراء أنواع مختلفة من السيارات وطرحها للبيع بالتقسيط بشروط معينة للسائقين ، لمساعدتهم على الحصول على مصدر للدخل ، الا أن البعض يرى « أن هذا العمل لا يعتبر عملا استثماريا بالمعنى المصرفي » ، ويضيف هذا الرأي الى « أن المصرف لا يصلح أن يكون تاجرا ولا يجب أن يكون كذلك لأن دوره الحقيقي هو دور الوسيط بين مالك المال والعامل فيه » تطوير الأعمال المصرفية المرجع السابق صـ ٤٧٢ .

وأخيرا ... فان البنوك الاسلامية قوة اقتصادية ضاربة سوف تدفع بمعدلات التنمية الى الامام ، وذلك من خلال اشتراكها في المشروعات المنتجة والهامة لخطة التنمية .

# الجزاء المفتوح

للاستاذ محمد محمد حلاوة

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » رواه مسلم وأحمد .

★ ★ ★

« داحس » اسم جواد لقيس بن زهير العبسي ، « والغبراء » اسم فرس لحمل بن بدر الذبياني أقيم بينهما سباق ، وخاف حمل أن يسبق « داحس » فرسه ، فأعد مع بعض أعوانه حيلة ليربح السباق ، وذلك بأن نصب كمينا قرب النهاية ، حتى إذا أقبل « داحس » سابقا ضرب الكمين وجهه .. وتمت المؤامرة ، وخسر « داحس » وسبقت الغبراء ، ولكن الحيلة ما لبثت أن انكشفت فغضب قيس ، ، وغضبت له عبس ، وشبت الحرب بسبب ذلك بين القبيلتين ، وظلت ــ فيما يقال ــ أربعين عاما أتت فيها على اليابس والأخضر ، عندئذ تقدم سيدان من ذبيان هما الحارث بن عوف ، وهرم بن سنان ، فأصلحا بين القبيلتين ، وبذلك حقنا الدماء ، وقطعا دابر الشر .

هنا نجد دعوتين : **الأولى دعوة إلى الشر** ، وهي إعداد حمل بن بدر مع بعض أعوانه الحيلة التي انتهت بضرب وجه داحس وسبق الغبراء ، ولو تدبرنا هذا العمل لوجدناه عملا غير عادي ، لأن الأضرار التي نتجت عنه ليست هينة ، ولا وقتية . ولا محصورة ، وإنما هي أضرار كثيرة ، وممتدة ، وجسيمة . ألم تنشب الحرب بسببه أربعين عاما سقط فيها من الضحايا من سقط ، وترملت نساء ، ويتمت أطفال ، وهلكت أموال ، ووقف دولاب العمل ، وتعطلت الحياة !! ، ولذلك وجب أن تكون العقوبة عليه صارمة وشديدة بقدر من تأثر به ، وبقدر مانتج عنه من أوزار وأضرار .

**والدعوة الأخرى دعوة إلى الخيروالهدى** ، وهي سعي الحارث بن عوف وهرم ابن سنان بالصلح بين القبيلتين ، وتحملهما ديات القتلى ــ ثلاثة آلاف بعير ــ من أموالهما الخاصة ، ولو تدبرنا هذا العمل أيضا لوجدناه عملا غير عادي ، لأن الآثار التي نتجت عنه ليست هينة ، ولا وقتية ، ولا محصورة بل هي آثار كثيرة ، وممتدة ، وجليلة . ألم تحقن الدماء !! ألم يقطع دابر الشر !! ألم تنقذ القبيلتان من خطر ما حق !! ألم تعد البسمة إلى الشفاه ، والأمل الى القلوب !! لذلك لزم أن يكون الأجر عليه عظيما بقدر من تأثر به ، وبقدر ما نتج عنه من منافع ومكاسب .

ولنستمع إلى الخيال يصور كيف كانت حياة هاتين القبيلتين قبل نشوب الحرب بينهما ، كانت حياتهما هادئة هانئة يحرسها الحب ، ويرفرف عليها السلام ، آمنة مطمئنة لا قلق يفزعها ولا خوف يردعها . تسير سخاء رخاء ، نهارها سعي وكفاح ، وليلها سمر وأفراح . وجوه ناضرة ، وعيون باسمة ، ونفوس راضية وقلوب ملؤها السعادة والصفاء ، ولنستمع إليه مرة اخرى وهو يصور ما آلت اليه حياتهما بعد الحرب ، بؤس يحدق بهما ، وشقاء يخيم عليهما ، وخوف يشملهما ، ومعاناة مريرة تمزق النفوس والأفئدة ، وأهوال يشيب لها الولدان : ديار هدمت كأنها أطلال ، وربوع دكت كأنها آثار ، أطفال تصرخ ، ونسوة تولول ، وشباب كالزهر يذهب وقودا للنار . مات الزرع بعد اخضرار ، وجف الضرع بعد إدرار ، ولبست الأرض السواد ، كأنما هي في حداد !!

وقد أجاد شاعرنا العربي **زهير بن أبي سلمى** وصف هذه الحرب وويلاتها ، وأثنى ثناء طيبا على **الحارث وهرم** لما قاما به من جهد مبرور في وضع حد لهذه المأساة ، وذلك في معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها :

أمــن أم أوفى دمنــة لم تكلم      بحومانــة الــدراج فالمتثلم

ان صور الدعوة الى الهدى ، والدعوة الى الضلالة كثيرة كثيرة لا تنتهي ، ولا يمكن ان تقع تحت حصر ، يحدث منها في كل لحظة الوف والوف ، فالبر والوفي والأمين والعادل ومقاومو الطغيان وناشرو الوعي ومحببو الناس في الحب والحق والخير والفضيلة والجمال ــ كل هؤلاء دعاة هدى ، والفاجر والغادر والمنحرف والمستغل والظالم وقطاع الطرق وناشرو الفساد ومروجو الرذيلة ــ كل اولئك دعاة ضلالة .

وقد تفاعلت هذه الدعوات خيرها وشرها مع التاريخ في عصوره المختلفة ، وتأثر بها تأثرا عظيما الى درجة حولت من مساره ، وغيرت من وجهته حتى لقد رأينا بعض فتراته تنسب الى حصاد هذه الدعوات ، فقرأنا عن عصر الاقطاع ، وعصر الاصلاح ، وعصر الرقيق ، وعصر الاستبداد ، وعصر الحرية ، وعصر الفوضى ، وعصر الاستقرار ، وهكذا ...

★ ★ ★

وها هوذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوتي من محكم الايجاز .. يجمع صور الدعوة كلها خيرها وشرها صغيرها وكبيرها ، منذ أن خلق الله الأرض وعمرها بالانسان الى أن تقوم القيامة في جملتين اثنتين عدد كلماتهما اربع وثلاثون : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » . وإن المتأمل في حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ليؤخذ بسحر بيانه ، وروعة ادائه في أكثر من موضع :

● فقد أغرى بالدعوة الى الهدى ، وحذر من الدعوة الى الضلالة في أسلوب سهل واضح معبر بما فتحه من جزاء امام الدعاة متحديا بذلك الخيال ان يحلق اليه ، وعلماء الرياضيات أن يصلوا الى حقيقته .. « كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » و« كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »

● واستخدم اسم الموصول العام « من » للدلالة على انه لا فرق في الدعوة بين الرجل والمرأة ، وانه كما يقوم بها فرد واحد يقوم بها اكثر من واحد

● ونكر كلمتي « هدى » و« ضلالة » اما للدلالة على التعظيم في هدى والتحقير في ضلالة ، واماللدلالة على أن أي هدى مهما كان ضئيلا فهو كثير ، وان أية ضلالة مهما كانت صغيرة فهي جسيمة ، « فأول الغيث قطرة » و« معظم النار من مستصغر الشرر » او لكلا الأمرين معا .

● واختار كلمة « دعا » دون غيرها من الالفاظ لما توحي به من رفق ورقة وكياسة ، ( **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ) سورة النحل / ١٢٥ ، وفي هذا يكمن سر نجاح الداعية ، فبقدر حظه من دقة الحس ، ورقة القول ، ودماثة الخلق ، والحكمة ، وبعد النظر يكون نجاحه ، وكم دعاة سقطوا في اول الطريق لانهم كانوا دون الكفاية المطلوبة .

كما اطلق عليه الصلاة والسلام ــ الدعوة ولم يقيدها لتشمل كل انواعها : فهناك دعوة القلم ، وفرسانها الأدباء من كتاب وشعراء ، فمن سخروا اقلامهم لخدمة الدين والمسلمين ، ووقفوها على محاربة الباطل ، وتأييد الحق ، ونصرة الله ــ

فأولئك هم المفلحون ، ومن سخروها في الحض على الشر ، والتحريض على الفساد ، وترويج البدع فأولئك هم الخاسرون ، وهناك دعوة القول يقوم بها الأئمة والوعاظ والعلماء في دروسهم ، أو من خلال ندواتهم ومحاضراتهم ، أو من فوق منابرهم يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم ، ويعرفونهم الحلال والحرام ، ويميزون لهم الخبيث من الطيب ، ووقانا الله ووقى المسلمين ممن كفروا بنعمته فكانت ألسنتهم حربا على الحق والخير ، عونا للشر وللباطل ، ومن الدعوات التي يكاد لا يلتفت اليها احد دعوة العمل ، وتتمثل في كل من يحترم العمل ويقدسه ، ويعطيه حقه كاملا غير منقوص ، وقتا وجهدا واداء . الا فليعلم الكسالى والمتهاونون والمقصرون والذين يعطلون مصالح الناس ويسرقون أوقاتهم انهم دعاة فساد وفوضى ، وان الله لهم بالمرصاد و **( ان بطش ربك لشديد )** البروج / ١٢ ومن اقوى الدعوات أثرا وأشدها خطرا دعوة القدوة سواء أكانت سيئة أم كانت حسنة فصاحبها إما مثل يحتذي في الخير ، وإما مثل يحتذى في الشر .

ولا تقتصر الدعوة على الكبار وحدهم ، فكم من أطفال قادوا إلى خير أعجز اعظم الرجال ، وكم من أطفال تسببوا في شرور أرهقت الكبار وحيرتهم ، وعلى الآباء والمعلمين ان يعوا ذلك جيدا فينموا في أطفالهم اتجاهاتهم إلى الخير ، ويعدلوا ما يبدر من اتجاهاتهم نحو الشر ، فتلك حلقة من حلقات التربية أهملت للأسف في منازلنا ومعاهدنا !

ومن اجل الدعوة وأثرها العظيم والفعال في الأفراد والمجتمعات صلاحا وفسادا ، سعادة وشقاء ، قوة وضعفا ، عزة وذلة ، تقدما وتخلفا ـ جاء الدين الاسلامي حاضا على الدعوة الى الهدى ، مخوفا من الدعوة الى الضلالة ، مصدقا بذلك ما جاءت به الأديان من قبل .

**( آلم . الله لا إله الا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام )** « آل عمران / ١ ـ ٤ »

**( آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين )** استهلال سورة البقرة .

**( يأيها النبي إنا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا )** « الأحزاب / ٤٥ ـ ٤٨ » وتكاد لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الترغيب في كل حسن وجميل ، والتنفير من كل سيىء وقبيح ، والأمر كذلك بالنسبة لأحاديث الرسول إمام الدعاة ومعلمهم .

وفي رحاب القرآن الكريم يطيب لنا ان نعيش لحظة مع بعض أمثلة من هديه :
في الدعوة إلى القوة يقول الله سبحانه وتعالى : **( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم )** الأنفال / ٦٠ .
وفي الدعوة إلى الاتحاد والتمسك بالدين يقول عز وجل : **( واعتصموا بحبل الله**

**جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا )** آل عمران الآية ١٠٢ .

وفي الأدب الاجتماعي يقول جل شأنه :( **يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون.يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقو الله إن الله تواب رحيم )** الحجرات / ١١ ـ ١٢ .

وفي تهذيب النفس يقول تبارك وتعالى : ( **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر )** العصر/٣ : ( **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير )** لقمان/١٨ـ١٩ : ( **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها )** « الاسراء / ٣٦ ـ ٣٨ » .

فيا أمة محمد يا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله بادروا بالدعوة الى الهدى باذلين في سبيلها المال والجهد والوقت والنفس ، محطمين كل ما يعوقكم من اداء اسمى رسالة في الوجود ، حتى يعزبكم الاسلام ، وتحققوا للبشرية احلى امانيها ، وبذلك تنالون اعلى درجات الدعاة ، ويحق عليكم قول الباري جل جلاله : ( **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم )** التوبة / ٧١ ، وحتى تفوزوا بجزاء الرسول الأكبر :
« لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »
الكنز الثمين .

واعتقد ان القارىء ليس بحاجة بعد الى وصف ما يكون عليه مجتمع يشيع فيه دعاة الخير ، ويختفي منه دعاة الضلالة فأقل ما يقال فيه : « انه مجتمع بلا مشكلات » .
نفع الله بهدى الرسول ، ووفقنا الى اتباعه .. وما التوفيق الا من عند الله ان الله عزيز حكيم .

# عقد التأمين

للشيخ / أحمد محيي الدين العجوز

الحمد لله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد هادي العباد ، الى سبيل الرشاد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فان التأمين الحديث بشروطه ومبادئه يخالف الضمان والكفالة الشرعيين في شروطهما المعتبرة ، فهو من القضايا المستجدة كبيع الوفاء وغيره .

تسرب الينا من بلاد الغرب ، وانتشر في بلادنا انتشاراً واسعاً ، وانتقل العمل به الى فريق كبير من المسلمين ، وأسست له شركات ، وفتحت له مكاتب ، وتعاطاه كثير من التجار ، وارباب المصالح ، والاعمال من المسلمين ، ضماناً لسلعهم المستوردة ، وتعويضاً عن أثمانها إن هلكت ، أو سرقت أو عما يطرأ في أعمال البناء والمصانع والعمال من هدم أو خسارة أو قتل وأذى ، أو عما يحدث للسيارات من صدام أو سرقة ، وعطب ، أو عما يعرض في حفر الآبار وشق المناجم من انهيار ، تخلصاً من المسؤولية المالية أو عن حياة المستأمن نفسه ، طمعاً بالتعويض عنه لورثته إن مات ، أو غير ذلك من شؤون كثيرة وفيرة .

وقد صنفوها ووضعوا لها الحدود والشروط ورتبوا عليها الأقساط المالية كل عام ، يدفعها المستأمن للشركة التي تنظم له عقد التأمين حسب قوانينها الموضوعة وقد تبنتها الحكومات ، واعتبرت قوانينها ، وتساءل عنها الناس كثيراً من عشرات السنين .

## الشريعة الاسلامية .

جاءت الشريعة الاسلامية صالحة لكل عصر ، تؤاخي العلم والرقي ، وتماشي تطورات الحياة البشرية ، فلا تختص بجيل ، ولا تقف عند قبيل ، وقد أتت بنصوص صريحة حددت الكثير من أحكام التكاليف في الوجوب والتحريم لتكون أسساً ثابتة على مر الزمن ، لا تتغير ولا تتبدل كما اتت بأصول عامة تركت لنا مجالا للاجتهاد فيها كيما تستمر في انطلاقها ، باستنباط الأحكام الملائمة لما يجد من قضايا وامور طارئة .

وقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في حديث معاذ بن جبل حينما ارسله الى اليمن قال له : كيف تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله قال : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله قال : فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأي . قال معاذ : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدري ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله . رواه ابو داود والترمذي عن طريق الحارث بن عمر .

## واجب العلماء نحو التأمين

ان من واجب العلماء نحو هذا التأمين ان يتناولوه بالدراسة الدقيقة ــ مشتركين متعاونين ليستنبطوا له الحكم الملائم مستلهمين فيه روح الشريعة الاسلامية ، مع التحري الدقيق فيما لا يخالفها ، إذ لا يجوز إهماله ــ وقد عم الابتلاء به ومن الضروري ان لا يكون السلب للامور المستجدة بداراً بدون ترو فيها ، فان هذا ليس من مقتضى الواجب ، والرأي الصائب .

كما أنه ليس من المستحسن أن يبادر المرء الى قبول كل جديد بدون ان يعرف حكم الشارع فيه ، من الجواز أو الحرمة .

قال الله تعالى : ( **فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ) وقد تناوله بعض العلماء الأجلة على انفراد ، كابن عابدين في حاشية : ( رد المحتار في باب المستأمن من كتاب الجهاد ) والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي القاهرة سابقاً جواباً على استفتاء علماء الأناضول فيه . والشيخ محمد عبده وغيرهم من العلماء واهل الرأي .

فمنهم من يراه عقد مقامرة ، ومنهم من يراه عقد رهان يتحدى فيه قضاء الله وقدره ،

ومنهم من يراه التزام ما لا يلزم ، ومنهم من يراه عقد تعاون على تغطية المضار الطارئة .

فكان منهم المانعون باطلاق ، وكان منهم المجيزون بين نوع وآخر ، وكان منهم الذين يرونه جائزاً بجميع انواعه كما سيأتي ذلك في التفاصيل الآتية :

**حقيقة التأمين :**

التأمين هو تعاقد بين طرفين على اساس المعاوضة ، غايته التعاون

المشروط بينهما على تغطية اضرار المخاطر الطارئة على احدهما : ( وهو المستأمن ) او ما يتعلق به من مال وتجارة ومصانع ، ووسائل سير ، وبناء وأعمال يقوم التأمين من قبل شركات مساهمة ، تجمع أقساط التأمين من المستأمنين ، ثم يدفع من هذه الاقساط المتجمعة ما تلتزمه من تعويضات بعد وقوع الاحداث المؤمن منها .

ويتكون ربح الشركات الفرق بين ما تجمعه ، وما تدفعه ، فان لم تقع الأخطار كانت الاقساط المقبوضة من المستأمنين ربحاً للشركات ، ما عدا التأمين على الحياة فانه ترد اقساطه المتجمعة مع فائدتها الى المستأمن اذا بقي حياً بعد فوات مدة التأمين ، فان مات قبل انتهاء المدة أعطى المبلغ المؤمن به الى ورثته حسب الاتفاق .

وقد رأى أكثر من واحد من علماء الأمة صواب التأمين على الحياة دون ما يلحق الاقساط من فائدة : « اذا بقي المستأمن حيا » اذ عدوا ذلك من المصلحة .

## رأي العلماء في المصلحة .

يرى علماء المالكية والحنابلة ان المصلحة تعتبر اذا اعتبرها الشارع في مجموع نصوصه واحكامه ، لا في نص معين ، وقد اخذوا بالمصلحة المرسلة ، وهي المصلحة التي لا يشهد لها نص بالابقاء ، او الالغاء ، ولكنها من جنس المصالح المعتبرة وقد اشترطوا في هذه المصالح ثلاثة شروط ، وهي :ـ

١ ـ ان تكون ملائمة لمقاصد الشرع .
٢ ـ ان يكون في الأخذ لها دفع حرج ، وفي تركها حرج .
٣ ـ ان لا تعارض نصا قطعي الدلالة .

ويرى علماء الشافعية والحنفية أن المصالح جاءت بالنصوص صراحة ، أو ببيان الأصل الذي يرجع اليه ، فلا تعتبر المصلحة الا اذا كان لها شبيه معين اعتبره الشارع بالنص عليه .

ويرى البعض الأخذ بالمصلحة المجردة من غير شرط فيها .

من ذلك اختلفت الآراء في عقد التأمين بين حله وتحريمه .

## آراء بعض العلماء الأجلة السابقين :

بحث محمد بن عابدين ( الحنفي المذهب ) في التأمين باسم « سوكرة » كما شاع بين الناس في باب « المستأمن ـ من كتاب الجهاد » من حاشية رد المحتار . فقال : « ان على الامام نصرة المستأمنين وهم الحربيون الاجانب الذين يدخلون الى دار الاسلام باذن الامام لاقامة مؤقتة » . ماداموا في دار الاسلام ، وانه لا يحل للمسلم ان يتعاقد في دار الاسلام مع المستأمن الا ما يحل من العقود مع المسلمين كما لا يجوز ان يؤخذ من المستأمن شيء يلزمه شرعا ـ وان جرت به العادة ، كالذي يؤخذ من زوار بيت المقدس . وبما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا ـ وهو انه جرت العادة ان التجار اذا

استأجروا مركباً من حربي يدفعون له أجرته ، ويدفعون ايضاً مالا معلوماً لرجل حربي مقيم في بلاده يسمى ذلك المال « سوكرة » على انه مهما هلك من المال الذي في المركب بحرق او غرق او نهب او غيره . فذلك الرجل ضامن له بمقابل ما يأخذه منهم ، وله وكيل عنه مستأمن في دارنا ، يقوم في بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان ، يقبض من التجار مال « السوكرة » اي قسط التأمين .

واذا هلك من مالهم في البحر شئ يؤدي ذلك المؤمن للتجار بدله تماما ، ثم قال : يظهر لي انه لا يحل للتاجر اخذ بدل لهالك من ماله لأن هذا التزام ما لا يلزم « ثم اورد على الرأي الذي ابداه بعدم الجواز ، مسألتين منصوصاً عليهما في كتب المذهب . لرد ما قد يشعر كل منهما من الجواز بالقياس عليهما » وهما :ـ

الاولى ـ مسألة الوديع بأجر حيث يضمن الوديعة اذا هلكت .

الثانية ـ ضمان خطر الطريق التي ينص عليها فقهاء الحنفية في كتاب « الكفالة » وهي :ـ

ما لو قال شخص لآخر : اسلك هذا الطريق فانه آمن ، وان اخذ فيه مالك فانا ضامن . فان القائل يضمن مال السالك في هذا الطريق اذا اخذ ويعلله فقهاء المذهب بان هذا القول تغرير من القائل مع التعهد بالضمان ، فيضمن للمغرور .

اما الاولى فقد اجاب عنها ابن عابدين بقوله : فان قلت ان المودع اذا اخذ اجرة على الوديعة يضمنها اذا هلكت قلت : مسألتنا ليست من هذا القبيل ، لان المال ليس في يد صاحب السوكرة . بل في يد صاحب المركب الخ .

ثم ميز بين ان يكون عقد التأمين معقوداً في دار حرب مع المؤمن الذي يسميه ( صاحب السوكرة ) او يكون معقوداً في دار الاسلام ، حيث تطبق عليه احكام الاسلام .

اما اذا كان معقوداً في دار الحرب ، وارسل صاحب السوكرة بعد هلاك البضاعة مبلغ التعويض الى صاحبها التاجر الذي هو في دار الاسلام فان اخذه عندئذ حلال ، لأنه اخذ لمال حربي برضاه دون غدر ولا خيانة ، وليس لعقد معقود في دار الاسلام حتى يكون خاضعاً لاحكامها .

**الخلاصة**

انه يحل هذا المال بثلاثة شروط هي :ـ

١ ـ ان يكون صاحب السوكرة حربيا .

٢ ـ وان يعقد العقد في دار الحرب .

٣ ـ وان يعطي صاحب السوكرة التعويض للمسلم عن رضاه فان اختل شرط من هذه الشروط فلا يجوز اخذ التعويض عنه ، ولذلك نعلم ان التأمين الجاري اليوم لا يجوز برأيه « اي برأي محمد بن عابدين » .

فتوى الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية في السوكرتاه

اجاب على سؤال ورد من بعض علماء الاناضول بتركيا عن

( السوكورتاه ) بقوله :
ان المقرر شرعا ان ضمان الاموال اما ان يكون بطريق الكفالة أو بطريقة التعدي أو الاتلاف .
اما الضمان بطريق عقد الكفالة فليس متحققا هنا قطعاً لان شرطه ان يكون المكفول به ديناً صحيحاً ، لا يسقط الا بالاداء ، أو الابراء ، أو عينا مضمونة بنفسها ، بان يجب على المكفول عنه تسليمها بعينها للمكفول له ، فان هلكت ضمن مثلها في المثليات ، وقيمتها في القيميات وذلك كالمغصوب ، والمبيع بيعاً فاسداً .
( ثم اورد امثلة اخرى ) ثم قال :
وعلى ذلك لابد من كفيل يجب عليه الضمان ، ومن مكفول له ، يجب تسليم المال المضمون اليه ، ومكفول عنه يجب تسليم المال عليه ، ومن مكفول به يجب تسليمه للمكفول له .
وبدون ذلك لا يتحقق عقد الكفالة ، ولاشك انها لا تنطبق على العقد المذكور ، فان المال الذي جعله صاحبه تحت ضمان اهل « القومبانية » لم يخرج من يده ، ولا يجب عليه تسليمه لأحد غيره . فلم يكن دينا عليه اداؤه ولا عيناً مضمونة عليه بنفسها يجب عليه تسليم عينها قائمة او مثلها ، او قيمتها هالكة .
فأهل القومبانية « الشركة » لو ضمنوا مالا للمالك وهو لم يزل تحت يده يتصرف فيه كيف شاء فلا يكون شرعا من ضمان الكفالة .
فهذا الضمان انما يكون على المتعدي كالغاصب اذا هلك مغصوبه ، او على المتلف كالشريك الموسر اذا اعتق نصيبه في عبد مشترك . واتلف بالعتق نصيب الشريك الآخر .
واهل القومبانية « الشركة » لم يتعد واحد منهم على ذلك المال ، ولم يتعرض له بأدنى ضرر ، بل ان المال هلك بالقضاء والقدر . ولو فرض وجود متعد او متلف فالضمان عليه دون غيره ، فلا وجه حينئذ لضمان اهل القومبانية « الشركة » من هذا الطريق ايضا .
اذا علم ما تقدم كان هذا العقد هو عبارة عن ان الانسان يلتزم بدفع مقدار معين من الدراهم لاهل تلك الشركة في نظير التزامهم ان يدفعوا له في حياته أو لورثته بعد موته مقداراً معيناً من الدراهم اذا هلك ذلك الانسان نفسه وهو ما يسمونه ( السوكورتاه ) الحياة والنفس أو اذا هلك المال الذي وضعه تحت ضمانهم ، وهو ما يسمونه ( سوكورتاه الأموال ) مع كون المال المذكور باقياً تحت يد مالكه ، وفي تصرفه ، ولم يدخل تحت يد أحد من اهل ( القومبانية ) بوجه من الوجوه ، فيكون هذا العقد عقد التزام لما لا يلزم شرعا .
( الى ان قال ) :
والعقد المذكور لا يصلح ان يكون سبباً شرعياً لوجوب الضمان ولا يجوز ان يكون عقد المضاربة كما فهمه بعض العصريين لان عقد المضاربة يلزم فيه ان يكون المال من جانب رب المال ، والعمل من جانب المضارب ، والربح على ما شرطا والعقد المذكور

ليس كذلك ، لأن اهل القومبانيـة يأخذون المال على ان يكون لهم ، يعملون فيه لانفسهم ، فيكون عقداً فاسداً شرعاً . وذلك معلق على خطر ، تارة يقع ، وتارة لا يقع ، فهو قمار معنى .

## نقاش

قوله : « لانه معلق على خطر . تارة يقع . وتارة لا يقع . فهو قمار معني » :

يرد عليه امر الكفالة ، فانها كذلك ، فان المكفول تارة يفي بما التزمه ، فيخلو الكفيل من المسؤولية ، وتارة لا يفي فيجبر الكفيـل على دفـع ما استدانه المكفول من مال ، ومع ذلك لا يقال : انه قمار بالمعنى ، بل انه لزوم ما يلزم ، لان الكفالة كانت سبب الادانة ، ولولاها لما كان ذلك . بيد أنها يغلب الوفاء بها .

## القسم الاخير من عقد التأمين فتوى الشيخ محمد عبده

سأله مدير شركة اميركية عن رجل اتفق مع جماعة – « قومبانية » – على أن يعطيهم مبلغاً معلوماً في مدة مطلوبة على اقساط معينة للايجار فيما يبدو فيه الحظ والمصلحة ، وانه اذا مضت المدة المذكورة وكان حيا يأخذ هذا المبلغ منهم مع ما ربحـه من التجارة في تلك المدة ، واذا مات في خلالها يأخذه ورثته ، ويطلق له حال حياته ولاية اخذ المبلغ المذكور مع الربح الذي ينتج مما دفعه . فهل ذلك يوافق شرعاً ؟

فأجاب الشيخ محمد عبده بما يلي :

اتفـاق هذا الرجـل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكون من قبيـل شركة المضاربة ، وهي جائزة ، ولا مانع للرجل من اخذ ماله مع ما انتجه من الربح بعد العمل به في التجارة . واذا مات الرجل في ابـان المدة ، وكان الجماعة قد عملوا فيما دفعه ، وقاموا بما التزموه من دفع المبلغ لورثته او لمن يكون له التصرف بدل المتوفي بعـد موته ، جاز للورثة او لمن يكون له حق التصرف في المال ان يأخذ المبلغ جميعه مع ماربحه المدفوع منه بالتجارة على الوجه المذكور .

## مناقشة :

قوله عن هذا الاتفاق : من قبيل شركة المضاربة . ليس من كل وجه . فانه وان كان المال من جانب ، والعمل من جانب آخر ، فليس فيه مشاركة بالربح على مقدار ، بل ان الربح كله حسب الجواب يعطى مع المال المتجمع الى صاحبـه ، وليس الواقع كذلك . ثم ان هذا الجواب هو صحيح على قدر السـؤال ، ولـكن السائل اوهم في سؤاله واخفى حقيقة عقد التأمين ليكون الجواب على ما يهوى ، فيكون سندا بيده ، يغري به الناس كما يظهر من خلال سؤاله ، ولو اظهر فيه الحقيقة لكان المنـع المحقق من الشيخ محمد عبده رحمه الله .

فمن افتى من بعض العلماء بجواز التأمين على الحياة على عقد المضاربة استنادا على هذه الفتوى الصادرة من الشيخ محمد عبده سنة ١٣١٩ هجرية لم يصب المرمى .

### آراء بعض العلماء المعاصرين واهل القانون المسلمين .

اختلفت الآراء في وجهات النظر حول عقد التأمين من بعض علماء الشرع المعاصرين ، واهل القانون المسلمين فتناولوه بالبحث والدراسة ، والكتابة والتأليف على انفراد ، وفي ندوات ومجتمعات ، وتداولوا الآراء حوله تحت ضوء الشرع من ناحية ، والقانون من ناحية أخرى ونظروا في اوضاعه واوصافه ، ومبادئه وغاياته ، فتباينت آراؤهم ، ولم يتلاقوا فيه على نقطة واحدة ،

### اهل القانون المسلمون .

رأى بعض اهل القانون من المسلمين : ان عقد التأمين ضرورة اجتماعية في هذا العصر الحديث ، درجت عليه الامم والشعوب في معاملاتهم ، في كل حقل من حقول الحياة ومرافقها ، في التجارة والزراعة والاقتصاد ، وفي النقل والانتقال بين البلاد والأقطار ، وفي البناء والمعامل والحياة ، وفي سائر الاعمال التي قد يطرأ عليها خسارة او مكروه ، براً وبحراً وجواً .

وانه عامل مهم في التعاون على تخفيف وطأة الكوارث والأخطار عن كاهل المصابين بها ، من كافة الطبقات فيخفف عبء الخطر عن كاهل المصاب ، ويوزع على كواهل المستأمنين ، بما يتجمع لدى المؤمن من الاقساط بتكاثر عددهم ، فيطمئن المستأمن المصاب بنيل قيمة التأمين عند وقوع الكارثة .

ويرون ان من اهمية مشروع التأمين ، ان الحكومات تناولته بعناية ، ووضعت له نظماً وقوانين حددت فيها اعماله ، ومقادير المسؤولية فيه عند وقوع الاخطار واعارت القيام باعبائه عنايتها ، بان اشترطت شروطاً فيه من الضمانات ، ما يجعل عمليته تحت الرقابة الحكومية والاشراف المستمر .

ويرى اهل القانون ان الاسلام الذي جاء لخير المجتمع على مر العصور لا ينافي التأمين بمبادئه ، لانه نهج خيري تعاوني ، فيستحسنونه لذلك ، ولا يعارضونه .

### العلماء المعاصرون .

واما علماء الشرع المعاصرون ، فمنهم من يمنعونه باطلاق ومنهم من يجيزه ، ومنهم وسط بين الفريقين .

#### المانعون

احتاطوا كثيراً لحدود الشرع ، لاسيما وان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ؛ فمن اتقى المشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات كراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ؛ الا وإن لكل ملك

حمى ، ألا إن حمى الله في ارضه محارمه » رواه البخاري .

ويرى هؤلاء المانعون ان اوصاف التأمين متنافرة ، وشوائبه متضافرة ، لا يرون من خلالها بصيص الجواز ولا خير المصلحة المعتبرة ، فرفضوه بحزم ، لانه يخالف قاعدة المعاملات المشروعة ، ويباين وسائل الكسب المألوف ، فلا تكافؤ في المعاوضات ، وليس فيه شيء من الخير العام ، او ضرورة المصلحة ، ولا يتوقف عليه انتظام شأن المسلمين ، ولا تقدمهم الاقتصادي والعمراني في مجال الحياة ، والشوائب التي تلابسه هي :ــ

١ ــ شائبة القمار ، لان الذي يدفع المال القليل في التأمين يكون قصده ان يربح مالا كثيراً ، وهو لا يدري مقدار ما سيدفع ، ولا مقدار ما سيأخذ ان وافاه الحظ ، فقد يدفع قسطا واحداً ، وتقع الكارثة ، وقد يستمر دفع الاقساط كلها ولا تقع فلا يناله شيء ، وكذلك المؤمن ، فانه لا يستطيع ان يحدد ما سيأخذه من الاقساط ، ولا ما سيدفعه الى المستأمن اذا وقعت الاخطار . وهذا شأن القمار .

٢ ــ شائبة الغبن ــ فان احد الطرفين مغبون لا محالة فاذا ربح احدهما خسر الآخر .

٣ ــ شائبة الغرر ، اذ فيه خطر الخسارة ، وجهالة النتيجة .

٤ ــ شائبة الربا ، اذ تعطى فيه الفائدة فضلا عن ان المستأمن يعطي القليل ليأخذ الكثير .

ويرون ان انتشار التأمين في البلاد ، وبين الناس ليس لمصلحة عامة ضرورية ، وانما ذلك للاغراء والطمع فقد غلب على طباع كثير من البشر حسب المعروف ادراك الغنى في اسرع وقت ، وايسر وسيلة من غير جهد ولا عناء ، وبأي سبب ، ومن اي طريق ، لذلك كله عدوه عقداً باطلا من جميع وجوهه .

## المجيزون

واما المجيزون فانهم يرون ان عقد التأمين اذا خلا من الربا فانه جائز بجميع انواعه ، لأنه مبني على اساس التعاون وان هذا التعاون الذي يتضمنه له نظائر في الاسلام معروفة ، يقاس عليها ، وهي :ــ

١ ــ عقد الموالاة .
٢ ــ ونظام العواقل .
٣ ــ وقاعدة الالتزامات .
٤ ــ وبيع الوفاء .

## عقد الموالاة

عقد الموالاة هو رابطة بين عاقدين ، يلتزم احدهما ما يطرأ على الآخر من موجب مالي من جناية قتل خاطئة توجب عليه الدية ، فيدفعها عنه في مقابل انه يرثه اذا مات ولا وارث له .

فيرون ان عقد الموالاة وان اختلفت اصحاب المذاهب في اعتباره سببا من اسباب الارث فقد قال بصحته عدد

من الصحابة ، منهم عمر وابن مسعود ، وابن عمر ، واخذ به ابو حنيفة واصحابه بحدود وشروط بينوها ، وان خالفهم في ذلك سواهم من المجتهدين ، فهو نوع من التعاون الأخوي المستحسن .

## نظام العواقل .

ان نظام العواقل وردت السنة النبوية به ، واخذ به ائمة المذاهب . وقد درج عليه العرب قبل الاسلام ، واستحسنه الاسلام وأقره .

والعواقل هم اهل القاتل وعشيرته ، فاذا وجبت عليه دية القتيل خطأ تعاون الرجال البالغون منهم بمبلغ الدية في ثلاث سنوات ، يدفع كل منهم زهاء اربعة دراهم في السنة ، كانوا يتحملونها عنه لانهم حماته وناصروه .

ونظام العواقل عادة تعاونية ، تتوزع بها المسؤولية المالية ، ويجبر بها مصاب اهل القتيل ، وقد درجت عليها العشائر الاسلامية الى يومنا هذا .

## قاعدة الالتزامات والوعد الملزم .

قاعدة الالتزامات عند المالكية هي ان يعد شخص غيره عدة بقرض ، او تحمل وضيعة عنه « اي خسارة » او اعارة او نحو ذلك ، مما ليس بواجب عليه في الاصل هل يكون بالوعد ملزماً ، ويقضي عليه بموجبه ان لم يف له ، او لا يكون ملزما ؟

اختلف فقهاء المالكية في ذلك على اربعة آراء .

فمنهم من يقول : يقضي بالعدة مطلقاً .

ومنهم من يقول : لا يقضي بها مطلقاً .

ومنهم من يقول : ان العدة تلزم الواعد فيقضي بها اذا ذكر لها سبب ، وان لم يباشر الموعود ذلك السبب . كما لو قال الانسان لغيره : اريد ان اسافر فاقرضني كذا فيعده بذلك ، ثم رجع عن وعده قبل ان يسافر طالب القرض ، فان الواعد ملزم ، ويقضي عليه بالتنفيذ جبرا ان امتنع .

ومنهم من يقول : لا يلزم بوعده الا اذا دخل الموعود في سبب الوعد وباشره ، وهذا هو الراجح في مذهب المالكية .

فقاعدة الالتزامات هذه نوع من التعاون المحبوب .

## بيع الوفاء .

بيع الوفاء هو بيع شئ بثمن معين بشرط رده لصاحبه عند استيفاء الثمن منه ، وينتفع الشاري بالمبيع من سكنى ، وايجار الى حين الاستيفاء . وقد نشأ بيع الوفاء في القرن الخامس الهجري . وهو نوع من التعاون ، غير ان علماء الحنفية اختلفوا فيه ، فمنهم من نظر الى صورته فاعتبروه بيعاً ، ومنهم من نظر الى شروطه فاعتبره فاسداً ومنهم من اعتبره بيعاً ، واعتبر شرطه لا غيا ومنهم من اعتبره رهنا مشروطا فيه الانتفاع بالمرهون ، لا يملكه المشتري ، ولا

ينتفع به ، وهو ضامن لما أكل من ثمره ، واتلف من شجره .

## الفريق الوسط بين المانعين والمجوزين

الفريق الوسط بين المانعين والمجوزين . يتساهلون بعض الشيء في بعض انواع التأمين .

فبعضهم يرى ان التأمين على السيارات مثلا لضمان اصلاحها ليس بحرام ، اذ ليس فيه معاوضات مالية ، لكن فيه شيء من الاحتمال الملحوظ ، وذلك ان المستأمن يدفع ما يلتزمه في هذا السبيل ، وقد لا تصاب سيارته بعطل وضرر طول المدة المحددة ، فيكون قد بذل المال من غير فائدة ، وقد تصاب مرات كثيرة ، واصابة بالغة فيقوم المؤمن باصلاحها ، ويبوء بالخسران .

ويرى بعضهم جواز التأمين على الحياة ، وانه عقد مضاربة فكما ان عقد المضاربة عقد شراكة في الربح بمال من طرف وعمل من طرف ، وعمل من طرف آخر ، فان التأمين على الحياة كذلك ، فالمال من جانب المشتركين المستأمنين ، والعمل من جانب الشركة التي تعمل بما تجمع لديها من مال . والربح بينهما حسب التعاقد ويرى هذا البعض أن هذا العقد صحيح نافع للمشتركين وللشركة ، وانه ليس فيه اضرار باحد ولا أكل مال احد بغير حق . والشريعة انما تحرم الضار او ما كان ضره اكبر من نفعه .

ويرى البعض ان التأمين استولى على الحركة العملية فعم القاصي من البلاد والداني ، واوجبت حكومات الاقطار التأمين على البضائع الصادرة ، ولم يكن من السهل تركه .

والاسلام دين عام باق ما بقي الزمن ، فلا يمكن ان يقف مكتوفا امامه ، وامام ما يجد من قضايا وشؤون ومعاملات شتى بين الناس ، وان الائمة السابقين بذلوا الجهد ، وافرغوا الوسع في استنباط الاحكام لما جد في عصرهم من اعمال واحداث وقضايا حتى زخرت كتب الفقه بابحاثهم وآثار اجتهادهم ، وعلينا ان نسلك سبيلهم في ذلك ، وننظر الى ما يحمل التأمين من نفع في تفتيت المصائب والمخاطر وتخفيضها ، ونستنبط الحكم على ضوء المصلحة بما لا يخالف الشرع القويم اجازة او تحريما ، حتى يقوم اعتباره في ضوء ذلك للبت في امره .

## لفت نظر في بعض الوجوه السابقة

ان العلماء الاجلة يجتهدون بحرص وعناية لاستنباط الاحكام الملائمة لكل ما يجد من اعمال وشؤون باخلاص ونزاهة جزاهم الله خيراً .

بيد ان التعليل القياسي قد يكون قاصراً على بعض الوجوه فقط ، فيكون تحت فارق بين المقيس والمقيس عليه في الوجوه الاخرى .

كقياس التأمين على عقد الموالاة ، ونظام العواقل ، وقاعدة الالتزامات ،

وبيع الوفاء .

**فعقد الموالاة**

وان كان يحمل معنى التعاون الأخوي المحمود فانه يكون بين المسلم واخيه المسلم احدهما عربي ، والآخر غير عربي . كما نشأ هذا العقد في عهد الصحابة الكرام فاين هذا من عقد التأمين الذي قد تتكون شركته من اضراب شتى غير مسلمين ؟

**ونظام العواقل .**

وان كان فيه تجزئة المسؤولية المالية اعني الدية وحطها عن كاهل الجاني الخاطىء ، فانما هو لمجموعة من الناس ربطت بين افرادها صلة القرابة والعشيرة فالتزم كل مكلف من رجالها دفع جزء منها عن رغبة ورضى .

فاين هذا من مجموعة المستأمنين في عقد التأمين ، وهم على تباين في العقائد ، وتجاهل بين الافراد ، وتقاطع في الصلات ، وعدم معرفة بالطوارىء على البعض ، ولا دراية بمقدار تحمل الشركة لها ؟

**وقاعدة الالتزامات .**

وان كان فيها جبر على العون حسب الوعد لمطلق الافراد ، فانه يكون من جانب الواعد فقط ، وربما تضرر الموعود بعدم الوفاء .

فاين هذا من عقد التأمين الذي يلتزم فيه كل من المؤمن والمستأمن لصاحبه دفع ما توافقا عليه .

**وبيع الوفاء**

وان كان فيه عون مؤقت دعت اليه الضرورة ، ويجب ايفاؤه ، فقد داخلته المشاكل ، واختلفت فيه الآراء واضطربت الاحتمالات فلا يقوى على القياس عليه في شيء ، فهذا عرض اطرحه ، وتحليل اوضحه يسهل به اعمال الفكر ، وتوخي الحق ، واستنباط الحكم بالتحري الدقيق ، والاستلهام العميق ، فيما يوافق الشرع ويلائمه ، وبذلك يعرف الناس به واقعه فيباشرون ما يرضي الله تعالى ، ويقفون عند حدوده .

قال تعالى : ( **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** ) الطلاق/١ ولا يستحسن تركه واهماله ، وقد عم الابتلاء به في التعامل بين الناس .

وخلاصة آراء العلماء فيما تقدم ان التأمين يحل تعويضه فيما يلي :-

١ ـ اذا كان المؤمن حربيا وعقد في دار حرب لمستأمن مسلم في دار اسلام ، ودفعه عن رضى .

٢ ـ اذا كان التأمين عن حياة ، ودفع المؤمن ما تجمع من الاقساط مع ارباحها للمستأمن ، او لورثته من بعده .

٣ ـ اذا جرى التأمين في الحكومات الاجنبية على السلع المستوردة جبراً .

هدانا الله للصواب ، والهمنا السداد والرشاد والحمد لله رب العالمين

# ترغيب الشباب في الزواج

للدكتور/ محمد محمد أبو شهبة

روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

صحيح البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب من لم يستطع الباءة فعليه بالصوم

**تخريج الحديث** : هذا الحديث رواه الامام مسلم أيضا في صحيحه ، فهو متفق عليه ( كتاب النكاح ـ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ، ووجد مئونة .. )

وفي بعض روايات الامام مسلم بزيادة في آخره ، وهي : « فلم ألبث أن تزوجت » .

## الشرح والبيان

راوي هذا الحديث هو عبدالله بن مسعود ، فمن يا ترى يكون ابن مسعود ؟

هو الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود بن غافل ينتهي نسبه الى هذيل ، وأمه هي أم عبد بنت سواء ، وهي هذلية ايضا .

وهو من السابقين الأولين الى الاسلام ، وكذلك اسلمت امه قديما وكانا كثيرا ما يغشيان بيوت ازواج

النبي صلى الله عليه وسلم للخدمة وقضاء الحاجات حتى كان يظن من يراهما انهما من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

وابن مسعود – على ضآلة جسمه ، وضعف عصبيته – هو اول من جهر بالقرآن في مجامع صناديد اهل الشرك ، وقد آذوه غاية الاذى ، ولكنه لم يعبأ بالايذاء ، وقال للنبي وأصحابه : لئن شئتم لأغادينهم بها – يعني لأقرآن عليهم سورة الرحمن في الغد ولكنهم قالوا له : حسبك ما فعلت ، وهذا يدل على انه كان يحمل قلبا مؤمنا حقا ، لا يرهب أحدا من زعماء الشرك ، ويستعذب الاذى والهوان في سبيل الله وفي سبيل رسوله ، صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ، وهذا الضعيف في جسمه ، القوي في ايمانه هو الذي اجهز على فرعون هذه الامة ابي جهل – لعنه الله – وعلاه وهو في سكرات الموت ، واحتز رأسه وهو يقول له : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم !! وهكذا لم يتخل عن فرعونيته حتى وهو مجندل على الأرض خاسي' ذليل حقير .

وكان كثير الملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صاحب السواك ، والمطهرة والوساد والنعلين يحملهما في ساعديه اذا خلعهما النبي صلى الله عليه وسلم ، ويلبسهما اياه اذ اراد السير وهو يدل على مبلغ حب الصحابة للرسول وتكريمهم له .

وكان من احفظ الناس للقرآن وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم احد اربعة ممن يؤخذ منهم القرآن كما كان من اعلم الناس بعلوم القرآن ولا سيما المكي ، والمدني ، واسباب النزول روى ذلك في الاحاديث الصحاح كما كان من احفظ الصحابة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له في الصحيحين وغيرهما احاديث كثيرة وبعد هذه الحياة الحافلة بالصحبة والجهاد والعلم ونشره كانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين للهجرة فرضي الله عنه وارضاه .

قول ابن مسعود : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا » .

المراد بالمعية هنا المصاحبة على الهدى والخير ، والحق ، والبر ، والتعاون على نشر الدعوة الى الله والى الاسلام و« شبابا » جمع شاب ، وغرضه : هو ومن كان معه ممن هم على شاكلته من شباب الاسلام « لا نجد شيئا » يعني نتزوج به ، فقال لهم النبي : « يا معشر الشباب ... » .

المعشر هم الجماعة الذين يشملهم وصف ما ، يقال للشباب معشر ، وللانبياء معشر وللعلماء معشر ، وهكذا والشباب : جمع شاب ، ويجمع ايضا على شببة – بفتح الشين والباءين الموحدتين – وشبان – بضم الشين وفتح الباء المشددة .

والشاب : هو من حين البلوغ الى سن الثلاثين ، وقيل : الى الثانية والثلاثين ، ومن الثلاثين الى الاربعين يقال له : كهل وما زاد على الاربعين يقال له شيخ ، وهذا في عرف اللغة

العربية الشريفة واما في غير اللغة فللناس فيه اعراف اخرى ، فقد يطلق على الشاب او الكهل اذا كان من اهل الدين والعلم والمنزلة في قومه وخص الشباب بالخطاب ، لأن الغالب وجود القوة الدافعة لهم الى النكاح فيهم بخلاف الكهول والشيوخ . وان كان هذا المعنى معتبرا اذا وجد الداعي الى الزواج في الكهول والشيوخ أيضا .

« من استطاع منكم الباءة فليتزوج » .

الباءة ــ بالباء الموحدة بعدها همزة ، آخره تاء تأنيث ــ ويقال أيضا : البـاه ــ بالمد بلا همز ــ ويقال ايضا : الباء ــ بمد الباء وبهمزة بدون هاء ــ ورابع اللغات « الباهة » بابدال الهمزة هاء ، والباءة ماخوذة في اللغة من الباءة وهي المنزل ومنه مباءة الابل ، وهي مواطنها ، وقيل لعقد النكاح باءة لأن عادة العرب ان من تزوج امرأة بنى لها منزلا .

وقد اختلف العلماء في المراد بالباءة على قولين :

**الاول** : أن المراد بالباءة مؤن النكاح من مهر ، ونفقة واسكان ونحوها وعلى هذا يكون المعنى من استطاع منكم يا معشر الشباب مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع مؤن النكاح ومستلزماته فلا يتزوج وعليه بالصوم فان الصوم يضعف الشهوة ويحد من سلطانها ويكفكف من غلوائها .

**الثاني** : ومنهم من قال ، المراد بالباءة القدرة على المباشرة .. والقيام بحقوق الزوجة بعد الزواج ، وقد نوقش هذا القول بانه غير مستقيم في المعنى ، لان من ليست له قدرة على المباشرة الزوجية ليس في حاجة الى الصوم ليحول بينه وبين الاستجابة للشهوة ، والعمل بمقتضاها والاكان الصوم غير مفيد ولا ناجع لانه وعدمه سيان بالنسبة لمن ليست له قدرة .

والذي عليه المحققون : ان المراد بالباءة مجموع الامرين معا : القدرة على المباشرة ، والقدرة على مؤن النكاح ومتطلباته ، وبذلك يستقيم معنى الحديث ويكون المعنى ومن لم يستطع فعليه بالصوم لكسر الشهوة واضعاف سلطانها على النفس وليس من شك في ان الصوم يفيد الشباب الذين لم تتوافر لهم وسائل النكاح ، وفي الوقت ذاته هو عبادة مشروعة وبذلك يستفيد من الصوم فائدتين : الاولى تهذيب النفس وتأديبها والحيلولة بينها وبين الوقوع في المعصية بسبب عدم الزواج ، والثانية : كونها عبادة تقرب صاحبها الى الله وتغلب الجانب الروحي في الانسان على الجانب المادي فانظروا ــ يارعاكم الله ــ الى تشريعات الاسلام الحكيمة !! وقد علل الرسول الكريم امر الشباب بالتزوج بقوله فانه اغض للبصر واحصن للفرج » .

واغض واحصن فعلا تفضيل والمعنى ان التزوج اشد غضا للبصر عن الامتداد الى الحرمات واشد احصانا للمرء من الوقوع في الفاحشة ، وليس من شك في ان المتزوج عندما يحمله

على الغض وهي زوجته ، فاذا كان ولا بد فلينظر اليها وان تاقت نفسه الى النساء فعنده زوجته يقضي معها حاجته ، وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا حينما قال : « اذا رأى احدكم امرأة حسناء ، فأعجبته فليأت اهله ـ فان البضع واحد ، ومعها مثل ما معها » رواه الخطيب بلفظه ومسلم بمعناه . ولن تجدوا ـ وايم الحق ـ انجع من هذا الدواء النبوي الكريم لمثل هذه الحالة ، وقد بلغ الفصيح البليغ صلى الله عليه وسلم الغاية في الادب القولي والادب النفسي بهذا الحديث الموجز البليغ الذي تنطق به العذراء في خدرها فلا يخدش حياءها ، ولا تجد حرجا فيما تفوه به وهي قدرة في التعبير انفرد به النبي المعلم المربي المؤدب صلى الله عليه وسلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » وفي رواية الطبراني « ومن لم يقدر على ذلك فعليه بالصوم » وهما بمعنى واحد وقد قال العلماء ان في هذا الاسلوب النبوي البليغ « فعليه بالصوم » ، اغراء للغائب وهو مما اختلف فيه علماء اللغة ، وعلماء النحو ، لان الاغراء انما يكون للحاضر لا للغائب .

والحق ان هذا الاسلوب الفصيح البليغ ليس من اغراء الغائب ، وانما هو من اغراء المخاطبين الحاضرين الذين خاطبهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج »

فالهاء في قوله : « فعليه » ليست للغائب وانما هي لحاضر ولكنه مبهم ، اذ لا يصح خطابه بالكاف فيقال : « فعليك بالصوم » فان من يختار الصوم منهم مبهم غير معروف ، فلذلك حسن الاتيان به على صورة الغائب ومثل ذلك من الكلام المعجز المبين قوله تعالى **( فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان )** بعد قوله عز شأنه : **( كتب عليكم القصاص في القتلى )** البقرة الآية ١٧٨ . فلله در كلام الله ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم !!!

« فانه له وجاء » هذا الكلام من التشبيه البليغ يعني فانه له كالوجاء والوجاء ـ بكسر الواو ـ هو في الاصل بمعنى الطعن ، يقال : وجأه بالسيف اذا طعنه ، والمراد به هنا : رض الانثيين حتى تنقطع العروق التي توصل المادة المنوية وبذلك يفقد الحيوان شهوته فيسمن جسده ويطيب لحمه ، واما الخصاء فهو شل الانثيين واخراجهما فالوجاء ليس هو الخصاء ، ومن فسره به فقد تساهل ، ويزيد من روعة هذا التشبيه البليغ أن المخاطبين كانوا يعرفون الوجاء والخصاء غاية المعرفة ، ومراعاة احوال المخاطبين عماد البلاغة في اللغة العربية الشريفة لغة القرآن والسنة .

## ما يؤخذ من الحديث من الاحكام والآداب والتوجيهات :

(١) أن الـزواج سنـة من سنـن الفطرة ، وأنه في حق الشاب أو الرجل القادرين الموسرين اللذيـن ليسـت عندهما موانع شرعية ، ويتيقن كل منهما او يغلب على ظنه غلبة الوقوع في الفاحشة فرض او واجـب ، وعلى الشاب الذي يسافر الى البلاد التي تعم فيها الفاحشة ويتسهل له الوقوع فيها ، ان يتزوج قبل ان يسافـر ليحصـن نفسـه من الوقـوع في الفاحشة .

وفي حق من يخشى على نفسه التعرض للفتنة ولا يتحقق ذلك ولا يغلب على ظنه مسنون مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم : « فليتزوج » وادنى ما يحمل عليه الاستحباب والسنية ، وفي حق من يعلم من نفسه عدم القدرة على المباشرة او عدم القـدرة على مؤن النكاح والنفقة حرام ، وفي حق من يترجح عنده عدم القدرة او عدم القيام بحقوق الزوجية مكروه وفي حق من يستوى في حقه الزواج وعدمه ان كان تقيا او مشتغلا بعلم او تأليف شغله عن الوقوع في الحرام ، بل وعـن التفكير فيه ــ هو مباح ، ومن ثم نرى انه تعتريه الاحكام الخمسة .

(٢) الوجاء ، والخصاء لا يجـوز بالنسبة للانسان ، لما يترتب عليه من قطع النسل الذي يترتب عليه خراب الارض ، وعدم عمارتها ، وكذلك كل ما كان في معناهما كالعمليات التي يجرونها الان لتعقيم الرجـال ، او لتعقيم النساء ، فكل هذا حرام في الاسلام وفي حكم الله وشرعه ، وقد يسألني سائل فيقول : وما رأيك في تناول الدواء لهذا الغرض ؟

والجواب : ان الدواء قسمان دواء يقطع الشهوة ويقضي عليها وهذا لا يجوز ودواء يسكن الشهوة ويضعفها ولا يقطعها ، وهذا يجوز لانه في معنى الصـوم الـذي يضعـف الشهـوة ويكسرها ولا يقطعها .

(٣) واما الخصاء او الوجاء للحيوان فالحيوان اما ان يكون غير مأكول اللحم ، او مأكول اللحم اما الاول فلا يجوز حتى لا ينقرض النـوع والله تبارك وتعالى لم يخلق شيئا في هذه الدنيا الا لحكمة ومصلحة ، وامـا مأكول اللحم فيجوز اخصـاؤه في صغره رغبة في السمن وطيب اللحم ، ولا يجوز في كبره لما فيه من تعذيب الحيـوان ، والاسـلام رحيـم بالحيوان ، كما هو رحيم بالانسان ، وفي الحديث الصحيح : « اذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة » والقتلة ــ بكسر القاف اسم هيئة والمراد القتل الحق كالقصاص والذبحة ــ بكسر الذال اسم هيئة من الذبح ــ والمراد الذبح المشروع ومما ينبغي ان يعلم ان الخصاء لا يكون على سبيل التعميم والا لانقطع نسل الحيوان وحينئذ فلا يجوز .

(٤) استدل بعض العلمـاء بهـذا الحديث على تحريم الاستمناء لانه صلى الله عليه وسلم ارشد عند العجز عن التزوج الى الصـوم فلـو كان الاستمناء مباحا لكان الارشاد اليه اسهل وهو استدلال حسن وقد اباحه بعض العلماء لاجل تسكين الشهوة وعدم الوقوع في الفاحشة ، والحق هو

عدم الاباحة وقد ذكر بعض الاطباء الحذاق ان الاستمناء له اضرار كثيرة وقد يفضي الى امراض خبيثة كالامراض الصدرية وكثيرا ما يؤدي الى ان يفقد الشباب القدرة على المباشرة بعد الزواج ، ومن قواعد الشريعة المؤكدة أنه « لا ضرر ولا ضرار » ولم استدل بالحديث المشهور « ناكح يده ملعون » لأنه حديث ضعيف لا يقوم به الاحتجاج .

(٥) ان الرهبانية في الاسلام غير مشروعة والرهبنة هي ترك التزوج واعتزال الدنيا وملازمة الصوامع والشريعة الاسلامية هي الشريعة السمحة الموائمة للفطر ، وطبائع البشر ، ولو ترهب الناس جميعا فمن الذي سيعمر الارض ؟! وفي الحديث الذي رواه الطبراني بسنده من حديث سعد بن ابي وقاص قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة » واما الحديث المشهور على الالسنة « لا رهبانية في الاسلام » فلا اصل له ولم يثبت وانما الثابت هو حديث الطبراني فليعلم ذلك من يزعمون انه حديث .

(٦) التزوج لاجل اكثار النسل امر مشروع ومرغوب فيه في الاسلام وقد ورد في ذلك احاديث كثيرة منها حديث : « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم يوم القيامة » وهو حديث اخرجه ابن حبان ، وقال الحافظ ابن حجر : انه حديث صحيح ومنها ما رواه البيهقي من حديث ابي امامة : « تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية النصارى » والدعوة الى تحديد النسل وتقليله بين المسلمين دعوة في اصلها استعمارية يقصد بها الحد من هذه الكثرة الكاثرة في الامة الاسلامية ثم تطورت فلبست ثوب الاقتصاد وحماية العالم من المجاعة وحصل بها تلبيس على كثير من المسلمين وليسأل هؤلاء الذين يدعون الى هذه الدعوة الفاشلة انفسهم : هل استنفدوا المنافع والوسائل التي اودعها الله في الارض ــ وما اكثرها ــ وهي تكفي لكل من في الارض واكثر منهم ؟ ان كثيرا مما استودع في ارض الله لا يزال بكرا لم تمسسه يد مستثمر وما استفيد به منها لم يحسن استغلاله وما استغل اصبح نهبا مقسما بين المشتغلين والمنتفعين بل الكثير من موارد البلاد الفقيرة المتخلفة اقتصاديا انما ينتفع بها غير اهلها !! اليس كذلك ؟! بلى والله !!

(٧) ان على البلاد الاسلامية والعربية الغنية في الثروات والموارد ان تعمل ما استطاعت على تكثير النسل بين اهلها حتى يوجد من ابنائها من يدافعون عنها في هذا العالم الذي لا يخضع الا للقوة ، ان الموارد الكثيرة من الرجال خير من الموارد من المال والرجال هم الذين يأتون بالمال ، والمال عاجز عن توفير الرجال وصدق الله : **( قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين )** فصلت / ٩ , ١٠ .

# المثل الذي نفتقده

للدكتور/ عزالدين علي السيد

المسلمون بخير !

كثير من المتفائلين الذين لا يلتاعون لحاضر المسلمين يقول هذه الجملة ! ولكن المسلم المرهف بالأحداث الجارية داخل بلاد الاسلام وخارجها يقف من هذا التعبير موقف الشك أو الرفض ، وما تقرره الحال الواقعة في السياسات والأحكام والتمزق يؤكد هذا الشك فيزيد به اللهفة !

المسلمون بخير ، لأن طريق المجد الغارب مفتوح لكي يعود .

المسلمون بخير ، لأن النور المخرج من الظلمات بين أيديهم لايزال يناديهم !

والمسلمون بخير ، لأن الفرصة إلى اليوم تلوح بيديها : أن هلموا هلموا قبل أن أغضب فلا أعود !

والمسلمون ليسوا بخير ، لأنهم تنكبوا الطريق المفتوح لعودة المجد الغارب !

والمسلمون ليسوا بخير ، لأنهم صموا عن نداء النور الذي يخرجهم من ظلمات الحيرة والضياع إلى حياة الأمن واليقين !

والمسلمون ليسوا بخير ، لأنهم لم يهتبلوا هذه الفرصة التي تلوح بيديها وقد أوشكت أن تغاضب ، فان غاضبت لن تعود !

المسلمون : جمع تتساوى أفراده في صفة الاسلام التي هي حقيقة التسمية ، والاسلام تلك الصفة السامية فوق الصفات ، والكريمة فوق الكرائم ــ دين شامل يوحدهم لاشتراكهم في خصائصه ، التي كل شعيرة منها جمع لا تفريق ، وحب لا عداوة ، ومناصرة لا مخاذلة ، وإيثار لا أثرة ، فهم به يوم التزامهم مبادئه أمة واحدة ، كما خاطبهم ربهم : **( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )** الأنبياء/٩٢ .

بل هم به يوم التزامهم مبادئه كما وصفهم تفخيما لشأنهم **( خير أمة أخرجت للناس )** آل عمران/١١٠ .

وأولى تلك المبادئ التي منحتهم التفضيل على من سواهم ، هو ما جاء في السياق بمنزلة العلة ، حثا على إعظامها والعض عليها ، ليظل المسلمون بالمكان الأعلى من الخير : **( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )** آل عمران/١١٠ . وما تقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في النظم الكريم عبثا ــ تنزه الله ــ وإنما لما فيهما من إتصال مباشر بحياة المسلمين فردا وجماعة ، على وجه يكون للايمان بالله درعا وحصنا ، وأين يكون الايمان بالله إيمانا في مجتمع سقط فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصار المنكر معروفا لتفشيه ، والمعروف منكرا لعزته ؟

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لا يتعديان إلى مأمور ومنهي من نفس فاقدة ، وهنا يتفاقم الخطر ويعظم الخطب أمام الدعاة المرشدين ــ وخاصة العلماء ــ الذين هم من الأمة بمثابة المصابيح ، فاذا لم تضئ الحكمة قلوبهم خرج أمرهم

ونهيهم من الأفواه مظلما ، وإذا لم تشعل الغيرة على حدود الله أنفسهم مضت حروفهم متعثرة على الدرب تنكب لا تعلو ، وتلك كارثة طغى بها على الداعين الخوف من تعسف الظالمين ، والمجاملة لسلطان الأرض طمعا في صفح سلطان السماء ، وسلطان الأرض إنما يمكن له في الأرض أن يحمى بسياج الأمناء الناصحين ، فهم خير له وللأمة في الدين والدنيا من جميع جنده ، لأن الله يؤيد بالحق من أيد الحق ونصره ، وكلما استجاب لصوت الحق زاده الله بالحب تأييدا ، وزاد الأمة حوله التفافا وطاعة .

وحسن التأني حكمة يصل بها الحكيم فلا يخفق ، وسوء المصارحة غلظة ينقطع بها الأحمق فلا يصل ، لذلك قال الحق تبارك وتعالى : ( **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ) النحل/١٢٥ .

والحكمة تتدرج بالأولى إلى الأعلى نفوذا أو شذوذا ، لذلك أوصى الله موسى وهارون فقال : ( **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ) طه/٤٤ .

وقد قرأت ــ فيما قرأت ــ : انه لما ولى عمر بن هبيرة العراق وأضيفت إليه خراسان في أيام يزيد بن عبدالملك ، استدعى ابن هبيرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي سنة ١٠٣هـ فقال لهم : إن يزيد خليفة الله ، استخلفه الله على عباده ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون ، فيكتب لي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلد من ذلك فما ترون ؟

فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية ؟ فقال ابن هبيرة : ما تقول ياحسن ؟

فقال البصري : « يابن هبيرة ، خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ! إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصر إلى ضيق قبر ، ثم لا ينجيك إلا عملك !

يابن هبيرة ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق !

ولولا حصانة قلب الحسن بالالتزام والتصون الذي جعله مهيبا في الخلق ، لكان له طريق صاحبيه طريقا ، ولسنا نغمز الصاحبين في ذلك بتعريض ، وقد شهد التاريخ فضلهما في العدالة ، ولكنا نرشد إلى منازل الداعين من منازل المدعوين ، وطوبى لمن ثبت الله بالحق جنانه ، وأنطق بالحكمة لسانه ، فأنزل الدمع من عين لاهية ، والرحمة في مهجة عاتية !

### المثل الذي نفتقده

أما المثل الذي نفتقده اليوم ، وقد أصبحت بلاد الاسلام قطعا ، وأهلها شيعا ، يطمع فيهم استهانة وجشعا ، من كان يبصبص بذيله رجاء برهم طمعا ــ فهو ذلك الذي

جعله الله لمحمد وأصحابه ـ صلوات الله عليهم ـ مثلا في التوراة والانجيل والقرآن ، حين وصفهم في قمة النصر ، ويوم أكرمهم بأكرم الفتح **( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما )** الفتح/٢٩ .

يالله للمسلمين اليوم !

إنهم اليوم رحماء بالكفار قساة بينهم !

أدر في خاطرك **( أشداء على الكفار )** بما تحمل صفة الشدة من إيحاء بالعزة ، والصلابة ، والمنعة ، والثقة ، والاخافة ..

وأدر في خاطرك **( رحماء بينهم )** بما تحمل صفة الرحمة من شفقة ، ومحبة ، وتواضع ، وتسامح ، وعفو ، وإيثار ، رجاء استحكام الوحدة وتكامل القوة !

إن التراحم بينهم تأكيد للشدة على الكافرين وتوثيق ، فالأمران متلازمان كل التلازم ، بل هما اليد والسلاح جميعا لكسب النصر ، فلو فقدت الشدة على الكفار مع التراحم بين المؤمنين لأقض الكفار مضاجعهم ، ولو وجدت الشدة على الكفار مع قسوة المؤمنين بينهم لأكلهم الكفار في ساعة من نهار !

ولو فقد الأمران معا ـ وقد كاد أو كان ـ لذهب كل عدو بما قدر ، واغترب المسلمون وهم في عقر دارهم ، بين مساجد ومعاهد أكثر ما فيها لمن فيها دون الأبواب لا وراءها ، فالحياة محتواة إلا ما شذ منها ، بكل خارج عن دينهم ، خادع فاتن بدنياهم ، آخذ بهم أخذا عن حقيقة واثقة يؤمنون بها ، ولكنهم ناكبون عنها ، لأن الجارف من السيل أقوى من الواهن الواني من العزيمة ، وفنون البلاء التي افتن بها أعداء الاسلام حربا وسلما ، أكثر عدا ، وأوفر مددا ، وأشد هولا ، من أن تضارعها ، فضلا على أن تفوقها ، طوائف متخاذلة يمقت بعضها بعضا ، ويعمل بعضها لدمار بعض .

المثل الذي نفتقده : أن نراهم ركعا ، سجدا ، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ! محافظة على شعائر دينهم ابتغاء الفضل والرضوان ، وابتغاء الفضل والرضوان بوسائله المشروعة جدير بأن يجاب ! وأولى وسائله المشروعة ما انبنى المثل عليه ، من الشدة على الكفار والرحمة بينهم !

ولقد أكمل الله المثل الكريم بصورة على القلوب حبيبة ، تستفز النفس إلى الاعجاب ، وتقسرها على التدبر : **( كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع )** .

لقد تماسكت الصفات وتشابكت

وتتالت يعقب بعضها بعضا ، حصيفة التقرير لهذه الشدة وتلك الرحمة !

عش معي في ظلال الجمل الأربع الأولى ، الواصفة للزرع مع ما للزرع دون الوصف من استمالة للنفس بالبهجة .

**أخرج شطأه ــ آزره ــ استغلظ ــ استوى على سوقه .**

قوة في البنية ، وسلامة من الآفة ، ومواتاة من عناصر النماء والقوة ، واكتمال للصورة التي نهايتها المحتومة ( **يعجب الزراع** ) **وأي زرع كهذا في القوة والجمال وسرعة الانتقال إلى الغاية المنشودة لا يعجب الزراع ؟**

أما النتيجة للممثل له بذلك المثل ، فهي ربط للآخر بالأول ، وإحكام للنشدة المنشودة ، حيث الأول « **أشداء على الكفار** » وحيث الآخر « **ليغيظ بهم الكفار** » .

وما أدق أداء الفعل ها هنا للغاية ، فان كثيرا من الشدة يخيف ولا يغيظ ، وإنما يغيظ منها ما لا حيلة للعدو به ولابد للوقوف في وجهه !

هكذا كانوا ، وهذا هو المثل الذي نفتقده ! فكان الجزاء : ( **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ) .

**( محمد رسول الله والذين معه )**

أنرانا من الذين معه اليوم ؟ إنها معية متصلة المعنى كلما تحققت هذه الخصائص ، واتصف المسلمون بتلك الصفات ، فليست صفات الذين معه أمرا مجهولا بل أمرا مهجورا ، على حد براءة الرسول بقوله : ( **يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا** ) الفرقان / ٣٠ . وليس هجره ألا يوجد في الحقائب والبيوت أو يتلى ويعلم ، ولكن هجره ألا يقود المسلمين من قلوبهم إلى طاعة ربهم ، وجمع شملهم ، والخضوع لأحكامه ، وفيما أخذنا عن أبي هريرة أن النبي صلوات الله عليه رفع يوما بصره إلى السماء فقال : هذا أوان رفع العلم ! فقال صفوان بن عسال أو زياد بن لبيد : كيف ، وفينا كتاب الله نتعلمه ونعلم أبناءنا ، ويعلم أبناؤنا أبناءهم ، فغضب رسول الله حتى عرف ذلك في وجهه وقال : « أو ليست التوراة والانجيل في يد النصارى واليهود فما أغنت عنهم حين تركوها ؟ » رواه ابن ماجه والدارمي .

إن هذه المعية غالية نفيسة لأنها وحدها سفينة النجاة ، لا عاصم من طوفان الهلاك غيرها ، وإن رسول الله ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ لحريص علينا بالمؤمنين رءوف رحيم ، ولكن ماذا يصنع بقوم يأخذ بحجزهم عن النار وهم يتفلتون فيها ؟ وبماذا يجيب إذا سأل ربه الرحمة بأمته فقال الله : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؟

لقد أحدث المسلمون بعده ما رفع التكريم بهذه المعية عن سوادهم ، فارتد بينهم من أبنائهم في ديارهم المتوقحون ، تحمل صحفهم دون وقار لله ولا للعقل الذي كرم الله به

الانسان ، ما يكبر القلم أن يعيد حروفه للتحذير منه !

« الله وحده عدو الاشتراكيـة » أحد الموضوعات الوضيعة الكافـرة الساخرة من الله والدين ، تطالع به صحيفة عربية في وطن عربي شباب الاسلام الذين هم أمل الغد وقوام المستقبل ، فلا ينـدى لذلك جبـين المسلمين خجلا ، ولا تشتعل قلوبهم حرارة ، ولا يسأل كاتب فاجر عما اجترح من سوء ما أتى به ، لأنه باسم الرأي الطليق يكتب ، وبالحرية غير المشروطة بشرط يهدم ، وإنمـا يكون الحساب وعاجل العقاب لمن يكتب باسم الاسلام ردا على فجور ، أو تحذيرا من هلكة !

إن المعية مع رسول الله لن يردها إلينا أو يردنا إليها أن يختبئ كل امرئ في عقر نفسه ، وأن يستغشى ثوبه مستعيذا من جامح الفتنة ، ولا أن نتأول على غير وجه صحيح قوله تعالى ( **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ) المائدة/١٠٥ . فان الضرر خطير ، والعذاب جسيم ، إذا طمع الكبير لاستقرار عقيدته في النجاة منه ، فلا طمع له في نجاة بنيه وهم أكبادنا وامتداد ديننا وأماناتنا .

ثم ماذا يبتغي المارقون بموالاة الكافرين ؟ أيبتغون عندهم العزة ؟ فان العزة لله جميعا ، وأين العزة في قوم لا كرامة للفرد عندهم ؟ ولا حرمة للأخلاق فيهـم ، ولا أرب يشغـل أفكارهم إلا امتلاك الوسيلة الناجحة للقضاء على أهل الأرض في ساعة طيش مذهل أو جنون مجنون !

ألا إن زهوة الحياة باطلة ، وندامة المنكوب بها واقع لابد أن يكون ، وستذهب السكرة يوم تبلو كل نفس ما أسلفت ، فلا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

حق لا نطالب به ملحدا ، ولا ننبه إليه كافرا ، ولكنا نطالب من وقر الايمان في قلبه ، وجرب فقره إلى الله ولذة الحب فيه ، أن يحرص على هذه المنحة المنجية ، فيدعـو إليهـا كل حائر ، ويستنقذ بهـا كل هائـم ، ويحذر عليها من كل عاد لئيم .

ونسأل الله أن ينفخ من روحه في بلاد الاسلام نفخة بعث ، تديل لأهلها ما دال عنهم ، ليكون من ولاتهم أبو بكر قامع الردة ، وعمر الفاروق قائد العزة ، الذي يحفظ له التاريخ فيما يثير الشجون : « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام ، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله أذلنا الله » .

هذا هو المثل الذي نفتقده ، وليس الطريق مسدودا من دونه ، فمايزال القرآن غضا لا تنقضي عجائبـه ، ومايزال الرسول على رأس الصراط يدعونا إليه ( **فالذيـن آمنـوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النـور الـذي أنـزل معـه أولئـك هم المفلحون** ) .

كما لاتزال التوبـة والاصـلاح والاعتصام سبيلا ميسورا إليـه ، تجده قلوبنا في قول ربنا : ( **إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئـك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما** ) النساء/١٤٦ .

# أصح وثيقة في تاريخ الفكر البشري

للاستاذ : ابو الـــوفا مصطفى المراغي

نص القرآن أصح وثيقة وأقواها في تاريخ الفكر البشري ، تلك قضية لا يشك فيها الناس على اختلاف أممهم وأجناسهم ، من آمن به من المسلمين ، ومن لم يؤمن به من غيرهم ، أما المسلمون فانهم يضعون الثقة بصحة نص القرآن موضع العقيدة الدينية ، وينزلونها منزلة الايمان بالله ، فمن شك في صحة نص القرآن فهو خارج عن حظيرة الايمان ، كالشك في وجود الله ، وفي رسالة محمد وغيره من الانبياء ، والأيمان بصحة نص القرآن الذي احتواه المصحف ، والذي يقرءونه في صلواتهم خمس مرات كل يوم ، ويحفظه كثير منهم ، ويتعبدون بتلاوته ، ما واتتهم الفرصة احتسابا والتماسا لرضوان الله ، إيمان ضروري عندهم جميعا ، لا يسألون كيف نزل ، ولا على أي صورة وصل إليهم ، وبما أنه كتاب دينهم وشريعتهم ، فهو أغلى شيء لديهم ، وأعز ما عندهم في حياتهم ، ويفدونه بأرواحهم وحياتهم ، ويقوم علماؤهم وحراس شريعته بحفظ سلامة ذلك النص ، ودفع غارات المغيرين عليه ، ودحض شبهات المشككين فيه ، ويعامل أنه كتاب شريعة المسلمين ، وأنه معجزة رسولهم التي تمت بها رسالته ، ويعامل حمايته وحفظه ظل نص القرآن كما نزل محفوظا من التغيير والتبديل ، لم تسقط منه كلمة ، ولم ينحرف منه حرف ، وكان ذلك مصداقا لقوله تعالى : **( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )** الحجر/ ٩ .

أي حافظوه من التبديل والتغيير ، والزيادة والنقصان ، ولم يكل حفظه إلى غيره ، كما وكل حفظ التوراة والانجيل إلى الاحبار والرهبان ، فلم يحفظا ، ووقع فيهما ما وقع مما سنشير إليه فيما بعد ، وإنما حفظ الله القرآن لأنه أراد أن يكون آخر الكتب ، وشريعته خاتمة الشرائع ، وأراد الله ان تكون شريعة دائمة لا تنسخها شريعة ، ولا يأتي بعد حاملها رسول ، فوجب أن يكون كتابها محفوظا ، ثابت النص ، صحيحه ، لأنه لو وقع في كتابها وهو أصلها تغيير وتبديل لوقع فيها التغيير والتبديل ، تبعا لتغير أصلها ، أما غير المسلمين ممن لا يدينون بالاسلام ، ولا يقرون بالقرآن فانهم في حاجة إلى بيان إثبات صحة نصه علميا ، ومن هذه الناحية لم نر نصا علميا توافرت له عناصر الاثبات والتوفيق كما توافرت لنص القرآن في جميع المراحل ، منذ نزل على محمد حتى عهد الناس اليوم .

لقد حمل جبريل نص القرآن عن ربه ، وأخذه عنه باسماعه إياه ، كما قال البيهقي في تفسير قوله تعالى : **( إنا أنزلناه في ليلة القدر )** القدر/١ قال : إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه ، وأنزلناه بما سمع ، وجبريل أمنه الله على وحيه ، وهو أحد الملائكة الذين فطرهم الله على الطاعة ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولقد أبلغه محمدا كما حمل لم يزد ولم ينقص فيه ، كما قال سبحانه : **( نزل به**

**الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين )** الشعراء/١٩٣ ــ ١٩٥ . وكان ينزل به منجما أي مقسطا شيئا فشيئا حتى تم نزوله في مدى ثلاثة وعشرين عاما ، وإنما أنزلـه مقسطا ليتيسر حفظ ما ينزل منه حفظا تاما ، كما قال تعالى : **( وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكــث ونزلناه تنزيلا )** الاسراء/١٠٦ . فكان النبي يحفظ ما ينزل منه ويستحفظه أصحابه وقد نبه الله نبيه محمدا أن يتمهل في تلقي الوحي من جبريل حتى يأخذه صحيحا كما أراد الله ، فلا تنفلت منه كلمة ، ولا يسقط حرف ، فقال سبحانه : **( ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه )** طه/١١٤ . أي لا تعجل بالتقاط القرآن من فم جبريل بل تأن وتريث ، وقال سبحانه : **( لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعــه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه )** القيامة/١٦ ــ ١٩ يعني لا تحرك لسانك بقراءة الوحي مادام جبريل يقرأ لتعجل به ، يعني لتأخذه على عجلة ، لئلا ينفلت منك ، فقد تكفلنا بجمعه في صدرك ، وتثبيته في لسانك ، وفي ذلك تحقيق شوقك ، وتلهفك ، وحرصك على حفظه .

كــان النبي يحفظ ما ينزل من الوحي ، وكان يحفظه أصحابه ، ولا يكتفون بذلك ، بل كانوا يكتبونه فيما يتيسر من أدوات الكتابة ، مثل الأدم والعظم والجريد ، ولم يقتصر الأمر في العناية بأن يكون صحيحا بذلك ، بل كان جبريل يلتقي بالنبي ويدارسه القرآن ليتفق حفظاهما ، فلما كان العام الأخير لحياة النبي التقي به جبريل وتدارساه مرتين ، ليثبت حفظ النبي ويستقر ، وليستقر تبعا لذلك حفظ أصحابه ، وظل القرآن محفوظا في صدر النبي وأصحابه ، وفيما كتب فيه حتى انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، ففكــر أصحابه في طريقة الاحتفاظ بالقرآن حتى لا يناله على مر الأيام ما نال غــيره من التبديل والتحريف ، وائتمروا لذلك ، وكانت لهم مباحثات ومناقشات أبدى فيها كل واحد منهم وجهة نظره في جواز جمعه مما كتب فيه ، ومن صدور من حفظوه ، ذلك الأمر الخطير الذي لم يترك لهم النبي رأيا في شأنه حتى وفقهم الله إلى الاتفاق على ما اقترحه عمر من وجوب جمعه ، ولما أخذوا في تنفيذ الفكرة استجمعــوا لهــا كل وسائل الاحتياط للتوثيق ، وانتدبوا لهــا من عرف من الصحابة ممن توافرت فيه المواهب والكفاية لذلك العمل ، فانتدبوا لذلك زيد بن ثابت لأنه اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ومن كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكــان فوق ذلك معــروفا بخصوبة عقله ، وشدة ورعه ، وعظم أمانته ، وكمال خلقه ، واستقامة دينه ، وتردد زيد في القيام بهذه المهمة تهيبا من المسئولية الدينية ، ومازال أبو بكر يعالج تلبثه ، ويبين له وجه المصلحة حتى أقنعه ، فأخذ في جمعه باشراف

كبار الصحابة ومعاونته ، حتى تم لهم ما أرادوا ، ومن ثقل مسئولية جمع القرآن على زيد بن ثابت وتهيبه منه خشية ان يكون ذلك ماسا بدينه ، أولا يتم ذلك على الوجه الذي يرضاه ، يقول : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به – يعني أبا بكـــر – من جمع القرآن .

وانتهج زيد أغــرب الأساليب في التثبت والاحتياط ، حتى انه كان لا يقبل شيئا من المكتوب من القرآن حتى يشهد شاهدان عدلان على أنه كتب بين يدي رسول الله ، وقد أودع المصحف الذي جمعــه زيد عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، وظل المسلمون يقرءون القرآن من صدورهـــم في أمصار المسلمين ، واتخذت لهجاتهم طريقها إلى ألسنتهم في تلاوة القرآن حتى كانت خلافة عثمان رضي الله عنه ، فرأى أن يسد على المسلمين طريق الاختلاف في كتاب الله ، فأمر بأن يكتب بنص واحد ورسم واحد ، وسمى مصحفه المصحف الامام ، ليكون القدوة في كتابة المصاحف ، وأمر بنسخ نسخ منه أرسلت إلى أمصار المسلمين ، واتبع عثمان في عمله هذا ما اتبع أبو بكـر ، واحتاط له كل الاحتياط ، ووكله إلى جمع من الصحابة ممن اشتهروا بالحفظ والورع والتقوى ، وقد تم لنص القرآن بعمل أبي بكر وعثمان أسباب الحفظ والرعـــاية ، وأمنه من الخطر الذي أوشك أن يقع في كلام الله في أساليبه واستعمالاته ، واستنباطات الفقهاء .

وإذا وزنا هذا العمل بالمــوازين العلمية في أي عصر من العصور ، وجدناه عملا علميا رائعا تجلت فيه الحصافة العلمية ، والنظر الدقيق في مستقبل نص القرآن ووصوله سليما كاملا ، ثبت للأجيال فائدته وفضله .

والفرق بين جمع أبي بكر وعثمان كما قال القاضي أبو بكر الباقلاني :

لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعــه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلــم ، وإلغـــاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد .

وقد جعل الاسلام للمحافظة على نص القرآن وسائل كثيرة ، منها أنه يسر حفظه بما لم ييسر قبله لكتاب سماوي آخر ، قال تعالى : **( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر )** القمر/ ٤٠ وهذا التيسير دفع المسلمين بقوة الى تعلمه وتعليمه ، وإلى حفظه والترغيب فيه ، وزجرهم عن إهمال حفظه والتهاون فيه بالترهيب ، ومما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلــم القرآن وعلمه » رواه البخاري ، وقال : « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن وقام به آناء الليل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار »

رواه ابن ماجه . وقال : « بئس مالأ حدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسى واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » وتفصيا ( تخلصا وتفلتا ) رواه البخاري .

وقد سمع رسول الله رجلا كان يقرأ في المسجد فقال يرحمه الله لقد اذكرني كذا وكذا . وكان عليه الصلاة والسلام يحب أن يسمعه من غيره .

وبهذه السنن التي رسمها القرآن ، وسنها رسول الله للمحافظة على نص القرآن ، أخذ المسلمون وبالغوا في ذلك ، فعدوا سوره وكلماته وحروفه ، ووضعوا لقراءته آدابا تليق بقداسته ، وبهذه الدوافع الايمانية تنافس المسلمون في حفظ القرآن ، فحفظه صبيانهم وشبابهم وشيوخهم ، وصار المقياس العلمي للشخص هو حفظ القرآن كله أو بعضه ، وفهم ما يستطيع فهمه منه ، وتلك مزية من مزايا القرآن انفرد بها عن غيره من كتب الأديان ، فلم يعهد في كتاب غيره حفظه ، ولم يترك المسلمون مناسبة من المناسبات دون أن يباركوها بتلاوة شيء منه بدءا وختاما ، ولم يكتفوا بما وضع من رسوم تقديسه ، بل شددوا فيها وبالغوا رغبة في التقرب بخدمة كتابهم كتاب الله الكريم ، ووضعوا للقارئ والمستمع إليه آدابا ، وعن الترمذي الحكيم في نوادره أنه قال : من حرمة القرآن ألا يمسه إلا طاهر ، وأن يقرأه وهو على طهارة ، وأن يستاك ويتخلل فيطيب فاه ، إذ هو طريقه ، وأن يستقبل القبلة لقراءته ، وأن يمسك عن القراءة اذا تثاءب ، لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج ، والتثاؤب من الشيطان . وأن يقرأه على تؤدة وتمهل وترسل وترتيل ، وله آداب كثيرة أفردت بالتأليف تتعلق كلها بصيانته وتقديسه ، وبهذه الرسوم والسنن التي رسمها القرآن الكريم ، وسنها الرسول ، ونهجها العلماء ، حفظ نص القرآن الكريم منذ نزوله ، حفظه الصحابة والمسلمون ، ثم انتقل بعدهم إلى التابعين ، ثم إلى من بعدهم جيلا بعد جيل ، حتى وصل إلينا كاملا لم ينتقص منه حرف ، وظل بقلوب المسلمين وأعينهم ، وكانوا حراسا عليه قراءة وكتابة وطباعة وإملاء ، لا يسمحون في رسومه بتغيير أيا كان نوعه ، ولا يختص بذلك طائفة دون طائفة ، فهو واجب إسلامي عام ، وإن كانت مسئولية العلماء عنه أشد نظرا لخبرتهم بمواضع الصواب والخطأ .

وهنا سؤال يخطر على بال كثير من الناس إما عن حسن نية أو عن سوء قصد ، وهو : إذا كان نص القرآن كما ذكرتم على صورة واحدة ، فما بالنا نسمع للقراء تلاوات مختلفة متغايرة ؟ وهل يكون ذلك إلا لاختلاف نص القرآن ؟ وجوابنا على ذلك : أن اختلاف القراء في التلاوة ليس اختلافا في أصل النص ، وإنما هو

اختلاف في طريق أداء ذلك النص ، فالاختلاف بين القراء اختلاف لهجات ، والنص واحد .

مثال ذلك اختلاف لهجات الناس في نطق اللفظ والأصل واحد ، وإنا لنسمع مثلا لأهل الجنوب في مصر لهجة في نطق بعض الألفاظ غير ما نسمعه فيها لأهل الشمال ، واختلاف اللهجات أمر معـــروف في جميع اللغات ، والدليل على اتحاد النص أن جميع المصاحف في أنحاء العالـم الاسلامي على رسم إملائي واحد ، وتختلف لهجات النطق به ، ويظهر الاختلاف واضحا بين لهجات العرب وغيرهم . ونحب أن ننبه هنا إلى أن ما ذكرناه في هذا السؤال كان مدخلا لأعداء القرآن إلى التشكك فيه منذ زمان ، ولـــكنه كان مدخلا ضيقا سرعان ما أفسد على أصحابه بما بينه العلماء مما اقتبسناه من هذا الجواب ؟ قال العلامة : محمد علي الهندي في كتابه الدين الاسلامي : لم يخل الاسلام في كل العهود من أعداء أرادوا الحط من قدره ، فتقولوا على القرآن ، وهـــو أول أصل للاسلام ومادته ، واختلقوا نصوصا كاذبة لا قيمة لها في جانب ما هو مجمع عليه من صحته وخلوه من العبث .

تلك قصة نص القرآن في جميع مراحله منذ أن نزل على رسولنا صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلينا وقد رأينا كيف أحاطه اللـــه بما وعــد بحفظه ، وكيف هيأ له الأسباب التي ألمنا بشيء منها ، حتى صدق وعد الله ، وكان أصح وثيقة في تاريخ الفكر البشري ولا عبرة بأقوال من أنكر الوحي من القدامى او المحدثين ، فقد أصبح الاعتراف بامكان الوحي ووجوده سواء لمحمد صلى الله عليه وسلم أو غـــيره من الانبياء قضية مسلمة ، ولقد قال المستشرق الغربي المعـــروف في مقدمة ترجمته للقرآن بالفرنسية : « كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بني اسرائيل في القديم ، كان ملهما يرى الـــرؤيا ويوحى إليه ، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الالوهية متمكنة فيه كما كانت متمكنة في أولئك الانبياء أسلافه فيحدث فيه كما كان يحدث فيهم ذلك الالهام النفسي ، وهذا التضاعف في الشخصية اللذين يحدثان في العقل البشري المراقي والتجليات والوحي والاحوال الروحية التي من بابها ، وقد أجمعت الأمة منذ نزل على أن كتابها وحي بلغنا إياه رسول ثبتت رسالته بالبراهين القاطعة ، وهـــم يتوارثونه حفظا وتلقينا جيلا بعـــد جيل ، حتى إنهم وضعوا لكتابهـــم رسما خاصا لا يخرجون عنه ، ووضعـــوا للنطق به قواعـــد خاصة ليحفظوا بها العبارة التي سمعوها من الرسول كما هي ، ووضعوا له آدابا لاستماعه وقراءته ، وجعلـــوه مرجعا لهم في كل شئونهم الدنيوية والأخروية ، ولقد يكون من الاغماض لحق القرآن أن يوضع في الميزان مع كتب الأديان الأخرى ، ولكن تطرح الموازنة لمن يكتب للعلم والتعليم وبيان الحق .

# حول

# مؤتمر الغرفة الاقتصادية الاسلامية الثاني

على الطريق من أجل ارساء أسس التعاون الاقتصادي الاسلامي ، وفي أعقاب مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد بمكة المكرمة ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١م بفترة وجيزة والذي أكد بمقرراته الاقتصادية على ضرورة الاسراع في دفع عجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية ليعم الخير وتسود الرفاهية في جميع أرجاء العالم الاسلامي ... من أجل ذلك انعقد مؤتمر الغرفة الاقتصادية الاسلامية الثاني في دولة الكويت فيما بين ١٢ ـ ١٤ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ الموافق ١٧ ـ ١٩ فبراير ١٩٨١م بحضور ممثلي ٢٤ دولة اسلامية اضافة لممثلي أربع منظمات اسلامية .




● من أجل خير ورفاهية المسلمين انعقدت الدورة الثانية للغرف الاسلامية

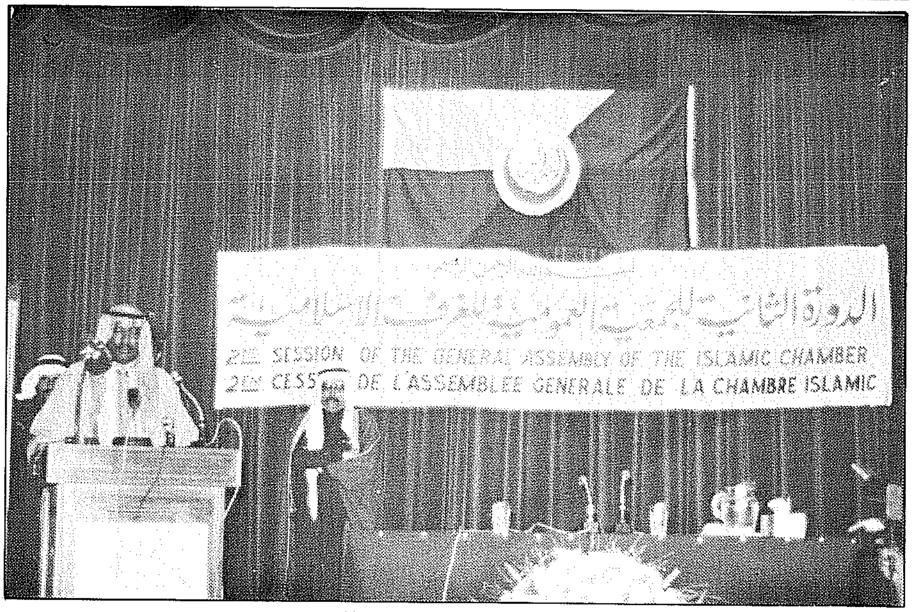
ولا بد لنا قبل أن نستعرض أهم ما تمخض عنه هذا المؤتمر من قرارات من العودة قليلاً للوراء لنرى نشأة هذا المؤتمر والهدف من انشائه .

## نشأة الغرفة الاقتصادية الاسلامية

تأسست الغرفة استجابة لقرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية السابع المنعقد في استنبول ١٢ ـ ١٥ مايو ١٩٧٦م وتمت الموافقة على عقد الاجتماع التمهيدي لغرف التجارة والصناعة الاسلامية في استنبول ١٧ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٧٧م حيث تم وضع دستور الغرفة وحددت أهدافها .

## أهداف الغرفة الاقتصادية الاسلامية

● تشجيع التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية وابتكار وسائل جديدة في المستقبل لتنمية التعاون الاقتصادي .




● سمو ولي عهد الكويت يفتتح المؤتمر

● تنمية التعاون بين الغرفة الاقتصادية الاسلامية والمؤسسات الاقتصادية الدولية .
● تشجيع الدول الأعضاء على منح الأفضلية في التجارة بين بعضها البعض .
● التعاون في مجالات البنوك والتأمين والملاحة .
● حل المنازعات الناشئة عن النواحي الاقتصادية بالاحتكام للغرفة الاقتصادية الاسلامية .
● تنظيم أسواق تجارية دولية وصالات عرض مشتركة .
● حماية الاقتصاد الاسلامي واتخاذ مواقف جماعية اقتصادية ضد من يعتدي على البلاد الاسلامية .
● السعي التدريجي لانشاء المجموعة الاقتصادية الاسلامية .

## مم تتكون الغرفة الاسلامية

تتكون الغرفة الاقتصادية الاسلامية من الجمعية العمومية والأمانة العامة والجمعية العمومية هي السلطة العليا للغرفة الاسلامية وتتشكل من مندوبين تعينهم المنظمات الأعضاء من ٤٣ دولة اسلامية وتتولى وضع السياسة العامة للغرفة وبرنامج عملها ودستورها وميزانيتها وقد عقدت الجمعية العمومية للغرفة الاقتصادية الاسلامية حتى الآن الدورات الآتية :

- الدورة التمهيدية في استنبول ( تركيا ) ١٩٧٧م .
- الدورة التأسيسية في كراتشي ( باكستان ) ١٩٧٨م .
- الدورة الأولى في داكار ( السنغال ) ١٩٨٠م .
- الدورة الثانية في الكويت ١٩٨١م .

## افتتاح الدورة الثانية للجمعية العامة بالكويت

عقدت الجمعية العامة للغرفة الاقتصادية الاسلامية دورتها الثانية برعاية الشيخ سعد العبد الله الصباح ولي عهد الكويت ورئيس مجلس الوزراء فيها وألقى كلمة في جلسة الافتتاح أكد فيها على أهمية التضامن والتعاون الاقتصادي الاسلامي وقال إنه اذا كانت وحدة العقيدة والتاريخ المشترك قد جمعت بين الشعوب الاسلامية منذ القدم فان تماثل المصالح وتبادلها هو خير ما يعزز تلك الروابط في يومنا الحاضر واذا كانت شعوب كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها قد قطعت أشواطا بعيدة في مجال التعاون الاقتصادي الأقليمي فان البلدان الاسلامية أجدر بمثل هذا التعاون وأكثر حاجة اليه ولا يعني هذا التعاون الاقتصادي الاسلامي الانعزال عن سائر العالم فذلك أمر ليس مرغوبا ولا ممكنا .

## النظام الاقتصادي في الاسلام نابع من دين الفطرة

ثم ألقى السيد عبد العزيز حمد الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت كلمة طالب فيها بألا تنحصر جهود الغرفة الاسلامية على المشاريع المشتركة وزيادة التبادل التجاري بل يجب أن يكون لنشاط الغرفة بعد علمي ثقافي يهدف لتنظيم وتكثيف عمل رجال الفكر الاقتصادي المسلمين لاكتشاف النظام الاقتصادي في الاسلام بكل منطلقاته وقواعده الفكرية . هذا النظام سيوجد لنا الانسان المسلم في انتاجه واستهلاكه وانفاقه وادخاره وشرائه وبيعه وتعامله مع غيره ثم عدد السيد الصقر مزايا النظام الاقتصادي الاسلامي المستمد من دين الفطرة الانسانية والذي يتميز بالتوازن والاعتدال والعدل وهذا لا يمكن أن يتحقق في أي نظام اقتصادي آخر .

## السلاح الاقتصادي طريقنا للقدس

ثم تابع السيد الصقر مطالبا الغرفة بأن تتبنى قرارا باستخدام السلاح الاقتصادي كأحد الوسائل الأساسية في جهودنا لتحرير بيت المقدس من براثن الاحتلال عن طريق فرض مقاطعة اقتصادية اسلامية للعدو الغاصب ونظرا لأهمية




● الشيخ اسماعيل ابو دارور رئيس الغرفة الاقتصادية الاسلامية يلقي كلمته

الكلمة التي ألقاها السيد رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت في حفل الافتتاح فقد تقرر اعتبارها احدى وثائق الدورة .

## كلمة رئيس الغرفة الاسلامية الاقتصادية

ثم اختتم رئيس الغرفة الاقتصادية ( الشيخ اسماعيل أبو داوود ) حفل الافتتاح بكلمة عدد فيها الانجازات التي حققتها الغرفة بعد انعقاد الدورة الأولى لها في ( داكار ) قبل عام واقترح انشاء شركة اسلامية لاعادة التأمين وقال إن الغرفة أثبتت أنها عنصر لا غنى عنه في تحقيق التعاون الاقتصادي الاسلامي وسلط الضوء على الظروف الصعبة التي واجهتها الغرفة وحالت دون تحقيق بعض أعمالها .

## قرارات الدورة الثانية للجمعية العمومية للغرفة

ثم توالت الاجتماعات خلال أيام انعقاد مؤتمر الغرفة الاقتصادية الاسلامية وألقى ممثلو الوفود كلماتهم وأبدوا اقتراحاتهم التي من شأنها تطوير الغرفة ودفع عجلة التعاون الاسلامي في المسار الايجابي . وقد اختتمت جلسات المؤتمر باصدار عدد من القرارات والتوصيات من أهمها :



● السيد يوسف جاسم الحجي والشيخ بدر المتولي في قاعة المؤتمر

● أن يستخدم اسم الغرفة الاقتصادية الاسلامية اعتبارا من الآن بديلا للاسم السابق ( الغرفة الاسلامية للتجارة والصناعة وتبادل السلع ) .

● الموافقة على الميزانية المقترحة لعام ١٩٨١م والبالغة ( ٢٢٢,٨٨٠ ) دولارا أمريكيا والمصادقة على البيان الختامي لحسابات الغرفة عن عام ١٩٨٠م .

● الموافقة على القوانين والنظم التالية :

□ **قوانين وأنظمة الغرفة الاسلامية .**
□ **النظم المالية للغرفة الاسلامية .**
□ **نظام العاملين في الأمانة العامة بالغرفة الاسلامية .**

● التوصية بأن تقوم جميع الدول الأعضاء بتطبيق القرارات التي تبناها مؤتمر القمة الاسلامي الثالث والخاصة بالمقاطعة الاقتصادية لاسرائيل وطلب منح منظمة التحرير الفلسطينية تسهيلات خاصة في مجال التعاون الاقتصادي للمساعدة في دعم صمود الشعب الفلسطيني .

● تأييد فكرة انشاء الاتحاد الاسلامي لأصحاب السفن وفق ما تقرر في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد في الطائف .

● الترحيب بفكرة انشاء شركة اعادة تأمين اسلامية واستكمال الدراسات الفنية الخاصة بهذا الموضوع .



● احدى جلسات المؤتمر

● متابعة موضوع تأسيس السوق الاسلامي المشترك بالاشتراك مع منظمة المؤتمر الاسلامي .
● عقد الاجتماع الثالث للجمعية العمومية بالمغرب في ديسمبر ١٩٨١م والاجتماع الرابع في بنغلادش في ديسمبر ١٩٨٢م .
● اعادة انتخاب رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمدة عامين آخرين ١٩٨١ - ١٩٨٢م .
● الاعراب عن شكر وتقدير الجمعية العمومية لما تم الاعلان عنه من دعم مالي للغرفة الاسلامية من قبل البلدان الأعضاء وفق ما يلي :

| | | |
|---|---|---|
| **الكاميرون** | ١٠٠,٠٠٠ | **دولار أمريكي** |
| **ايران** | ٢٥,٠٠٠ | **فرنك سويسري** |
| **السعودية** | ٢٠,٠٠٠ | **دولار أمريكي** |
| **الكويت** | ٢٠,٠٠٠ | **دولار أمريكي** |
| **الامارات العربية** | ٢٠,٠٠٠ | **دولار أمريكي** |
| **المغرب** | ١٠,٠٠٠ | **دولار أمريكي** |

وقررت الجمعية في الختام توجيه برقيات شكر لكل من أمير دولة الكويت وسمو ولي العهد والى السيد رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت تعبيرا عن دعم دولة الكويت ومساندتها لكل عمل اسلامي بناء .

# الأدلة الجنائية

## في القرآن الكريم (٣)

للدكتور/ محمد عبد الحكم مهدي

بيّنا في المقال الأول المنشور في العدد ١٩٦ أهمية الأدلة الجنائية كمرشد لسلطات التحقيق وكبديل لغرف التعذيب التي أجازتها هذه السلطات لنفسها للحصول على الاعتراف الذي هو سيد الأدلة.

كما بيّنا أنواع الأدلة الجنائية ومنها الأدلة المعنوية التي تشمل على الاعتراف وشهادة الشهود، والأدلة المادية التي تشمل على كل الآثار المادية التي يتركها الجاني في مسرح الجريمة.

ونتابع اليوم استنباط هذه الأدلة الجنائية من القرآن الكريم في كل من الجرائم المعنوية والمادية وجرائم العرض وجرائم المال كي نصل إلى الأصول العامة لعلم البحث العلمي الجنائي من القرآن الكريم.

### ○ الجرائم المادية :

### أولا : جرائم النفس :

**( ١ ) ( قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ★ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ★ قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ★ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ★ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ★ وجاءوا أباهم عشاء يبكون ★ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ★ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون )** يوسف/ ١١ ـ ١٨ .

يوجب القرآن العظيم على أمة محمد ألا يفرقوا في معاملة أبنائهم . وينبع ذلك أساسا من اهتمام الاسلام بالانسان من جميع جوانب حياته وأهمها الناحية النفسية فان العدل في المعاملة يورث الحب ، ويجمع الشمل ، ويقوي أواصر الأخوة ؛ وهي لبنات هامة في بناء صرح المجتمع الاسلامي . أما العكس من ذلك وهو التفرقة في معاملة الأبناء فيولد الشقاق والحقد وضغينة الأولاد بعضهم لبعض ، وهو ما يشتت أفراد الاسرة التي هي الدعامة الأولى والأساس القوي

للمجتمع الاسلامي .

ولعل في قصة أولاد النبي يعقوب خير دليل على ما نقول . فلقد أحس أولاد يعقوب عليه السلام بفارق المعاملة في الحنان والحب من جانب أبيهم تجاه يوسف وأخيه بنيامين ، وايثاره لهما على بقيتهم . لذلك حقدوا على يوسف وأجمعوا أمرهم أن يتخلصوا منه كي لا يشاركهم أحد في حب أبيهم وان النفس لامارة بالسوء . لذلك فقد القوا به في بئر مظلمة عسى أن يأخذه بعض المارة ، ويكمل الحياة بعيدا عنهم دون أن يستأثر دونهم بعطف والده . وتمويها لجريمتهم النكراء في حق أخيهم فقد ادعوا أن الذئب قد أكله وجاءوا على قميصه بدم كذب كدليل على براءتهم . لكنه هيهات أن يصدق يعقوب النبي دعواهم ، وهيهات أن يثمر ما يأفكون .

**أما من الناحية الجنائية** :

فنحن هنا أمام جريمة خطف لصبي وحبسه في مكان مظلم يمكن أن يؤدي الى الموت . ولا تتركز جرائم النفس فقط في قتلها بل وكذلك في تعذيبها والاعتداء عليها بخطفها أو حبسها أو حتى منعها من ممارسة حياتها الطبيعية . وهي الجرائم من نوع الجنايات .

والجريمة هنا شبه كاملة من ناحية التفكير فيها والاعداد لها وتنفيذها واخفاء معالمها . ولكننا أيضا أمام أدلة مادية جنائية هي قميص يوسف وبقعة دم . ود الجناة أن يقنعوا بها أباهم على أنها من دم يوسف . ولقد قصد بهذه الأدلة المادية نفي المسئولية الجنائية عنهم ، وتصوير الجريمة على أنها حادث عرضي نتيجة ظروف قاهرة . وهنا يأتي دورنا لمناقشة هذه الأدلة الجنائية في هذه القضية :

أ ـ لابد وأن النبي يعقوب قد لاحظ اختفاء جسم الجريمة ، أي جثة ولده يوسف فلا يستطيع أي ذئب أن يتناوله جميعه بلحمه وعظامه كاملة . وهذا دليل عكسي على حادثة الموت العرضي لظروف قاهرة .

ب ـ أن قميص يوسف وهو دليل صحيح لأنه كان بالفعل قميص النبي الضحية . لكن يعقوب الحكيم لابد وقد لاحظ أن القميص سليم ولا يعقل أن يخلع يوسف قميصه أولا ليأكله الذئب ، ولا يعقل كذلك أن يكون الذئب قد أكل يوسف دون أن يخدش القميص . كما ولابد أن يعقوب قد لاحظ كذلك أنه لا أثر للذئب على القميص كرائحته وهي رائحة مميزة للغاية أو وجود شعرة منه . وقد عرف عن النبي يعقوب دقة الملاحظة ، وقوة حاسة الشم كما سيلي ذكره بعد قليل .

جـ ـ أن النبي يعقوب لابد قد لاحظ اختلاف دم الانسان عن الدم المكذوب على قميص يوسف وهو دم لحيوان .

د ـ أن النبي يعقوب قد لاحظ توتر أولاده كما لاحظ محاولة كذبهم من أقوالهم ومن طريقتهم في الكلام لأنهم بادروه أنهم واثقون أنه لن يصدقهم ولو كانوا صادقين : ( **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ) . ولقد خافوا افتضاح كذبهم فحاولوا

البكاء تمثيلا كي يوهموا الأب بصدق روايتهم . وكذلك فقد انتظروا حتى يحل المساء : ( **وجاءوا أباهم عشاء يبكون** ) كي لا يكون هناك مجال لرؤية مسرح الجريمة في التو واللحظة .

وتجدر الاشارة هنا أن العلم الحديث استطاع أن يبتكر جهازا **لكشف الكذب** ، وتقوم نظرية هذا الجهاز على أساس قياس فرق الجهد الكهربائي الناشيء عن الدوافع والنزعات النفسية التي تتكون في نفس الشخص الماثل أمام رجل الأدلة الجنائية . ولذلك كله اشتهر القول العربي قديما : « يكاد المريب يقول خذوني » من شدة توتره في كلامه ولفتاته وسكناته وحركاته . .

هـ ـ أنه مما زاد في شك سيدنا يعقوب أن الجريمة بالطريقة التي صورها له أبناؤه وهي الموت نتيجة مهاجمة الذئب ليوسف وأكله له ، قد التقطت من حديثه هو بعينه معهم عشية الحادث : ( **وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون** ) . وكثيرا ما يحدث أن يعطي الضحية الى المجرم ـ دون قصد منه ـ خيطا يتبعه عند تبرير جريمته كخوفه من شيء معين أو ارتياده لمكان معين أو عداوته لاناس معينين مما يساعد المجرم على احكام تدبيره . لكنه في المقابل يعطي الضحية هاديا قويا ليتعرف على طريقة وسلوك المجرم في ارتكاب الحادث كما يكون ذلك سببا في الشك في كل أقواله وتفسيرها على ضوء ملابسات الحادث .

من ذلك كله لم يقتنع يعقوب برواياتهم أو بالدم المكذوب على قميص يوسف وكان حكمه أو قراره : ( **بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ) . ان كل ذلك لم ينف عنهم جريمة خطف يوسف وحبسه في قعر بئر مظلمة وبالتالي لم ينف عنهم مسئوليتهم الجنائية . وعلى أية حال فان جريمة اختفاء يوسف لم تسقط بمرور الزمن وظلت حية في نفس ووجدان سيدنا يعقوب .

( ٢ ) ( **اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ★ ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ) يوسف/٩٣و٩٤ .

وأراد ربك أن يسبغ نعمته على يوسف فأنجاه الله من كيد اخوته له ، والتقطه بعض المارة ثم باعوه لعزيز مصر الذي رباه وأكرمه . وتمر أحداث كثيرة ليشاء ربك بعدها أن يتبوأ يوسف مكان الوزارة ، وأصبح أمينا على خزائن مصر . ثم التقى باخوته ، ويبعث بقميصه مع اخوته ليلقوه على وجه أبيه ليرتد بصيرا . وكان ذلك فضلا من الله وآية . ولما انفصلت القافلة عن أرض مصر قال يعقوب لمن كان معه انه يشم رائحة يوسف لولا خوفه من اتهامهم له بالجنون أو ضعف العقل لأخبرهم أن يوسف قريب من ديارهم .

**ومن الناحية الجنائية :**

فقد قلنا أن جريمة اختفاء يوسف ظلت ماثلة في ذهن سيدنا يعقوب حتى جاءه

الدليل المادي على صدق حكمه وقراره بأن يوسف لم يأكله الذئب وأنه ما زال حيا .
والدليل المادي الجنائي هنا هو رائحة قميص يوسف ، وقد قلنا آنفا أن سيدنا يعقوب قد امتاز بقوة حاسة الشم .

وانه من العجيب أن يصل العلم الحديث اليوم الى ما يسمى **بتكنولوجيا الرائحة** وهو ما يشير اليه اكتشاف أجهزة تعتمد في عملها على الرائحة . والرائحة علميا عبارة عن تطاير أو تسامي أو تبخر المواد المختلفة ؛ أي أنها صورة من صور المادة . ومن المعروف أن الجسم البشري يفرز مواد بروتينية ودهنية وغيرها خاصة بكل انسان ، وحينما تتطاير هذه المواد بفعل حرارة الجسم في الجو فانه ينتج ما يعرف **برائحة الشخص المميزة** .

وقد استغل علم الأدلة الجنائية ضخامة مركز حاسة الشم في عقل الكلاب اذا ما قورنت بحجم مركز حاسة الشم في الانسان ، وحاول تدريبها - أي الكلاب - على استعمال هذه الخاصة في الكشف عن الجرائم وتتبع فاعليها ومعرفة أماكن الأشياء المخبأة . ولعل ما يروى عن الكلاب البوليسية في الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية خير دليل على ذلك .

## ثانيا : جرائم العرض :

اتفقت الشرائع السماوية كلها وكذلك القوانين الوضعية في كل بقاع الدنيا على حرمة عرض الانسان ، وتجريم كل من يحاول النيل منه ، بل وأعطته الحق في الدفاع عن هذا العرض بنفسه . ومن ناحية أخرى فان جرائم العرض تأتي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد جرائم النفس في هذه الشرائع والقوانين .

وترجع أهمية جرائم العرض الى أنها تتعلق بأخص خصائص الانسان لذلك كان تأثيرها بالغا من الناحية النفسية فغالبا ما يعتبر الانسان عرضه مترادفا مع شرفه وكبريائه ومكانته بين أفراد مجتمعه لذلك كله فان الاعتداء على هذا العرض بأي صورة من الصور وبأي شكل من الأشكال جريمة يوضع الجزاء المناسب لها .

وتتدرج جرائم العرض ابتداء من جرائم **خدش الحياء** وتكون بالتعدي باللفظ أو بالاشارة أو بغيرهما بما يجرح حياء الأنثى . ثم تتدرج الى جرائم **هتك العرض** وهي مراودة الأنثى عن نفسها ومحاولة ايذائها عن طريق عمل غير مشروع على ألا يؤدي ذلك الى اتمام عملية النكاح . فاذا حدثت الأخيرة تحولت الجريمة الى مايسمى بجريمة **الاغتصاب** ؛ لكنه اذا ما تم ذلك برضاء الأنثى ومشيئتها أطلق على الجريمة « **تسمية الزنا** » .

ولقد تبوأت جرائم العرض في الشريعة الاسلامية أهمية بالغة فقد حرم الله الزنا وشدد عقوبته حتى وصلت الى حد الموت . على أن ما يهمنا في هذا المجال - هو ابراز أو استنباط الدليل الجنائي من القرآن الكريم - أن تقول أنه نظرا للأهمية البالغة لما يتعلق بجرائم العرض وحساسيتها فاننا نلاحظ - من وجهة نظر علم

الأدلة الجنائية ـ ما يلي :

أ ـ أن القرآن الكريم جعل مناط اثبات جرائم العرض الى الدليل المعنوي وهو الاعتراف أو الشهادة أساسا ، وجعل الدلائل المادية كلها على سبيل الاسترشاد لأن الدليل المعنوي لا يحتمل التأويل ولكونه صادرا من الانسان وهو المتميز بالفعل والتدبر فانه يخضع لضوابط الحكمة والمسؤولية والتروي .

ب ـ وبرغم أن مجال الدليل المادي الجنائي أصبح ضيقا اذا قورن بالدليل المعنوي في نطاق جرائم العرض فاننا نلاحظ أهمية هذا الدليل المادي ووجوده في جرائم خدش الحياء وهتك العرض والاغتصاب حيث يكون الاثر الناتج من الجريمة الأولى والثانية محدودا ، أما في الثالثة فان أهمية الدليل المادي الجنائي ترجع الى أن الجريمة تتم دون ارادة الأنثى مما يشكل هدما لاستقرار المجتمع وأمنه ، وتعريضا للسلام الاجتماعي بين أفراده للخطر . لكننا نلاحظ أنه لا مجال في جريمة الزنا للدليل المادي فقد أوجب القرآن الكريم ضرورة وجود أربعة شهود رؤية ، وجعل ذلك شرطا لاقامة الحد وفي هذا صعوبة كاملة لاثبات التهمة تصل حد الحكمة لأن في هذه الجريمة بالذات هدما للاسرة التي هي أساس المجتمع .

ج ـ أنه ـ وبصفة دائمة ـ اتبع الجريمة بالتوبة عنها وحدد مسار المسلك الايجابي للتوبة في اصلاح ما فسد ، وفي ذلك تثبيت لدعائم أمن المجتمع وسلامته من الأمراض الاجتماعية . ولعل طريق الشريعة السمحة في اصلاح ما فسد بحدوث الجريمة ـ يبين أنها الطريق الوحيد لمحو أثر الجريمة من أساسه واحلال المودة والتراحم بدلا من الحقد والرغبة في الانتقام وعلى سبيل المثال فان جريمة الاغتصاب تسقط بالزواج من الضحية ، وتصبح المصاهرة سببا للترابط بدلا من أن تكون الجريمة دافعا للتناحر والكراهية وارتكاب مزيد من الجرائم .

د ـ أما في جرائم **اثبات النسب والبنوة** فلقد أخذت الشريعة الاسلامية بالدليل المادي كأساس للاثبات وتقرر القاعدة الفقهية أن **الولد للفراش** . وأنه لما كان هناك عقد صحيح اتبع بدخول ، وكان هناك وقت معلوم للحمل حسبما قرر الفقهاء فانه يثبت أن الولد للفراش . ويرجع الأخذ بالدليل المادي هنا للعمل على استقرار الانساب وأخذ مستقبل الصغير في الاعتبار حيث تفوق أهمية هذا المستقبل أهمية أي شيء آخر .

وفيما يلي نورد أمثلة على الأدلة الجنائية من القرآن الكريم في جرائم العرض :

( ١ ) **( واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب اليم ★ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ★ وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ★ فلما رأى قميصه قد من دبر قال أنه من كيدكن ان كيدكن عظيم )** يوسف/ ٢٥ ـ ٢٨ .

قلنا أن الله قد من على يوسف فأنجاه من كيد اخوته ، واشتراه عزيز مصر وأكرم مثواه . وكان يوسف عليه السلام جميل الخلقة الى حد مذهل ، حتى ليظن

من يراه أنه ليس بشرا بل هو ملك كريم . وراودته امرأة العزيز « زليخة » عن نفسها بعد أن أغلقت الأبواب وهيأت له نفسها . وتسابقا الى الباب ، ومزقت ملابسه من الخلف وهي تشده كي تمنعه من الهرب والنجاة بنفسه . ووجدا زوجها لدى الباب . وببديهية الأنثى التي عزت عليها نفسها ولم تنل مأربها اتهمت يوسف بمحاولة التغرير بها والاعتداء عليها . ونفى يوسف التهمة عن نفسه . وكان التحكيم لواحد من أهلها . وشهد الحكم أنه ما دامت ملابس يوسف قد قطعت من الخلف فصدق هو وكذبت المرأة . وهكذا كانت عناية الله ترعاه وتحرسه .

**ومن الناحية الجنائية :**

فنحن أمام جريمة هتك عرض ، وهي هنا بين طرفين غير متكافئين ؛ فطرفها الأول هو امرأة العزيز بوضعها الاجتماعي كزوجة لملك مصر يفترض فيها الصدق فيما تقول . وهي كذلك أكبر من يوسف سنا حيث كانت زوجة العزيز حينما اشتراه الأخير من النخاسة وهو صبي ، وعليه فقولها له احترامه ومكانته لأنها بمثابة أم له . وطرفها الثاني هو مولاها أو خادمها يوسف عليه السلام . والدليل المادي الجنائي هنا هو قميص يوسف نفسه وقد مزق من الخلف ونلاحظ ما يلي :

أ ـ أن الدليل المادي هنا يخص المدعى عليه وليس المدعية ، والمنطق أن يكون التمزيق بقميص المدعية حيث أنها الضحية والمهاجم هو يوسف . وهذا يحتمل أحد أمرين :

- اما انها كانت بلا ملابس ساعة المحاولة وهذا لا يتأتي بغير رضاها وعليه فلا جريمة هناك ما دامت ملابسها سليمة بغير تمزيق .
- واما أن يكون ادعاؤها كذبا من أساسه .

ب ـ أن التمزيق بقميص المدعي عليه من الخلف وليس من الأمام ، وهذا لا يمكن تصور حدوثه الا في حالة أن تكون المدعية قد أمسكت به وهو يحاول الفرار . ولو كان الأمر معكوسا أي كان يوسف معتديا عليها بحق لكان التمزيق من الأمام حيث يصبح دفاعا منها عن شرفها وعفتها .

جـ ـ أن الحكم كان من أهل المدعية ، والخير ما شهدت به الأعداء . وذلك يؤكد أن نطقه بالحقيقة لابد وأن يكون قد تم بعد اقتناع لا شك فيه ، وبعد تدبر وروية لازمين ، وبعد مجاهدة للنفس ـ بحكم تعاطفه الطبيعي مع قريبته ـ حيث كان أمام حقيقة ساطعة كشمس النهار .

د ـ أنه وبرغم كل ذلك قرروا أن يسجن يوسف الصديق : ( **ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين** ) يوسف/ ٣٥ . ونرى من وجهة نظرنا أن ذلك تأكيد على أن الدليل المادي الجنائي يؤخذ على سبيل الاسترشاد في جرائم العرض ، وللحكم أو القاضي مطلق الحرية في أن يأخذ به أو أن يدعه . ولذلك فبرغم أن المجتمع قد أقر بصدق رواية يوسف الا أنهم حكموا بسجنه برغم الآيات

والدلائل التي تؤكد براءته . لكنه لا يفوتنا أن نؤكد وبحق أن ذلك الحكم كان ظلما بينا لسيدنا يوسف عليه السلام .

هـ ـ وتم سجن يوسف ، ولبث في السجن بضع سنين . وحينما أراد العزيز أن يستخلصه لنفسه أراد يوسف أن يعيد القضية التي سجن من أجلها الى الأذهان ، وأن يبرئ ساحته ويمحو أثر التهمة بالدليل الناصع على براءته فطالب بشهادة النسوة من جديد . وكان اعتراف « زليخة » زوجة العزيز بارادتها هذه المرة أنها هي التي راودت يوسف عن نفسه : ( **قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين** ) يوسف/ ٥١ .

والدليل الجنائي هنا معنوي وهو اعترافها ، وقد تم بارادة المدعية بعد أن هداها الله الى الصواب . ولقد استعمل القرآن الكريم تعبيرا رائعا حيث أقرت امرأة العزيز بأمرين : الأول بأنها كانت متجنية على يوسف وهي التي راودته عن نفسه ( **أنا راودته عن نفسه** ) والثاني بأن روايته للحادث كانت صادقة ؛ تأكيدا لبراءة يوسف وطهره وعفته .

( ٢ ) ( **والللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ★ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما** ) النساء/ ١٥و١٦ .

( **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ★ الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ★ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ★ والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ★ ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ★ والخامسة أن لعنة الله عليها ان كان من الصادقين ★ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم** ) النور/ ٤ ـ ١٠ .

تفرق الشريعة الاسلامية بين المرأة المتزوجة وغير المتزوجة في تطبيق حد الزنا ؛ فبينما تقرر عقوبة الايذاء وهي تتدرج من التوبيخ حتى الجلد لمن يقترف الفاحشة من غير المتزوجين فانها قد تصل الى حد رجم الأنثى اذا كانت متزوجة والسبب يعود في ذلك الى أهمية المرأة في عملية الانجاب ودورها في المحافظة على عدم اختلاط الانساب . كذلك فانه يمكن محو أثر الجريمة بالزواج ـ كما سبق أن بينا ـ إذا كانت المرأة غير متزوجة أما في حالة المرأة المتزوجة فلا يمكن ذلك .

**ومن الناحية الجنائية :**

أ ـ فان الدليل الجنائي في جرائم الزنا هو الدليل المعنوي ، ويكون ـ كما سبق أن

أوضحنا - بالاعتراف أو بشهادة أربعة شهود رؤية للواقعة . ان طلب أربعة شهود للرؤية في تهمة الزنا هو من المقررات البالغة حد الحكمة فان هذه الجريمة من أشنع الجرائم وثبوتها يجر الى أشد العقوبات ، وأما الاحتياط في اثباتها الى هذا القدر فانه عدل ليس وراءه عدل . فان شهد أربعة شهود على أن الأنثى قد أتت بالفاحشة فتحبس في البيوت حتى الموت أو حتى يجعل الله لها مخلصا ؛ فتتكبد بذلك الحد المترتب على اتيان الفاحشة هذا اذا كانت متزوجة ، أما غير المتزوجين من الرجال والنساء أي الأبكار الذين يأتون الفاحشة فعقابهم يكون بالايذاء الذي يتدرج من التوبيخ والتقريع وقيل بالتغريب والجلد ؛ فان تابوا وأصلحوا ما أفسدوا من عملهم باتيان الفاحشة فيجب الصفح عنهم .

ب - ونظرا لأهمية هذه الجريمة في المجتمع الاسلامي فقد قرر القرآن أنه من يرمي محصنة بجريمة الزنا ثم لا يستطيع أن يثبتها بواسطة أربعة شهود رؤية ، فانه يجلد ثمانين جلدة جزاء وفاقا على ما قدمت يداه ، كما لا تقبل له شهادة أبدا وهو خارج عن الدين لأن الجريمة ليست هينة وحدها ليس بسيطا .

ولعل قضية **حديث الافك** التي توضحها آيات سورة النور ( ١١ - ١٩ ) خير تطبيق عملي على ضرورة تدقيق المسلمين لاتهام المحصنات بغير علم . ان اتهام المحصنات شيء في غاية الخطورة عند الله سبحانه وتعالى - وبرغم كل سلبيات حديث الافك الا أنه قد أظهر المنافقين من المسلمين على حقيقتهم وكشف ما يدور بنفوسهم ، ولولا ما حدث لظن المسلمون باخوانهم خيرا . لذلك أنزل الله من آياته ما يبرىء به ساحة عائشة عليها رضوان الله .

جـ - لكن الأمر يصبح دقيقا اذا رمى الزوج زوجته باتيان الفاحشة فقد لا يستطيع أن يثبت ذلك بواسطة أربعة شهود رؤية .

لذلك فان تطبيق النص العام - والقاضي بوجوب اثبات التهمة بواسطة شهادة أربعة شهود رؤية للواقعة . - يستحيل مع ما يجب أن تكون عليه نفس الزوج رضا ومودة لزوجته وثقة فيها . ولا يمكن أن تستقيم الحياة الزوجية في حالة عدم استطاعة اثبات التهمة لذلك فالزوج الذي يقذف زوجته بالزنا عليه أن يشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين في قذفه اياها ، ويقول في الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . وهي تستطيع أن تدفع عن نفسها الحد بأن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ، وتقول في الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين . لكل ذلك يحكم عليهما القاضي بالفراق وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **فرق بين المتلاعنين** » .

ثالثا : جرائم المال :

**( ١ ) ( فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون ★ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ★ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ★ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا**

**لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ★ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ★ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين ★ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ★ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون )** يوسف/ ٧٠ ـ ٧٧ .

**( ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين )** يوسف/ ٨١ .

استخلص عزيز مصر يوسف الصديق لنفسه ، وجعله أمينا على خزائن مصر . وجاءه اخوته للتبادل التجاري فعرفهم وهم له منكرون . وطلب يوسف من اخوته أن يصطحبوا معهم في المرة القادمة أخاهم بنيامين ، ووافقهم يعقوب على مضض لأنهم لم يحفظوا الأمانة السابقة وهي يوسف عندما كان صبيا . ولما تم التبادل التجاري هذه المرة وجهز يوسف اخوته للسفر ، دبر جريمة سرقة مشربة الملك ووضعها في أمتعة أخيه بنيامين ، وأعلن على الملأ عن فقد مشربة الملك وأن هذه القافلة التي تضم اخوته ـ هم السارقون ـ ودافع الاخوة عن أنفسهم بأنهم لم يجيئوا كي يفسدوا في هذه الأرض وليسوا بسارقين . وكان الفصل في الأمر بتفتيش الأوعية . كذلك فقد اتفق الاخوة مع يوسف على أن يسترق من توجد مشربة الملك في متاعه . وقد كان هذا التدبير الهاما من الله ليوسف . وبدأ بأوعية اخوته وهو يعلم أنها خالية حتى يطمئنهم الى عدالة القضية ، ولكي يكونوا مستعدين نفسيا لتقبل الحكم ثم استخرج المشربة من وعاء بنيامين . وبهذا التدبير استطاع يوسف أن يضم اليه أخاه حيث كان جزاء السرقة في قانون العزيز هو الضرب والتقريع فقط .

ولقد تحامل الاخوة على بنيامين بعد أن رأوا بأعينهم صواع الملك في متاعه ، وقالوا انه سارق مثل أخيه . وأخفى يوسف هذه التهمة السيئة في نفسه لأن اخوته أكثر شرا فقد سرقوه من أبيه من قبل والقوه في قعر البئر المظلمة . وتداول الأخوة أمرهم بينهم ، وقال بعضهم لنرجع إلى أبينا فنخبره بأن بنيامين قد سرق . ولقد شهدنا لك عليه اذ رأينا الصواع يستخرج من وعائه ، وبرغم كل مواثيقنا لك فلم نكن نعلم الغيب ، ولم ندر حين أعطيناك الموثق أن أخانا سيسرق أو أنك ستفرط في حبه كما أفرطت في حب يوسف من قبل .

## ومن الناحية الجنائية :

فنحن أمام جريمة سرقة . والجريمة تمت على أرض مصر لكن المتهمين ليسوا من أبنائها . ومنذ قديم الزمان أخبرنا القرآن الكريم أن هناك جذورا **للقانون الدولي** فالقانون المطبق على هذه الحالة هو القانون المصري العرفي وكانت العقوبة آنذاك هي الضرب والتوبيخ . لكن الله قد أوحى ليوسف ( وهو ممثل لمصر ) أن يتفق مع

اخوته ( وهم ممثلون لقومهم ) على أن يطبق في هذه الحالة ما يعتبر **اتفاقية قانونية جنائية** وهي استرقاق المذنب ، ومن المعروف الآن أن الاتفاقيات القانونية تكون ملزمة لطرفيها ، وهي من الأسس التي بنى عليها القانون الدولي ، وقد تمت إجراءات التفتيش بموافقة الاخوة ، وفي حضورهم ، مما يعني أن القضية قد استوفت الشكل للمحاكمة .

أما الدليل المادي الجنائي هنا فهو مشربة الملك ، ولذلك كان الحكم باسترقاق بنيامين مما يؤكد أهمية الدليل المادي في هذه القضية .

وتجدر الاشارة الى أن ما حدث من تدبيريوسف لاسترقاق أخيه بنيامين ـ برغم كل نواياه الطيبة ـ يشير الى أنه في مقدور أي سلطة سياسية منذ قديم الزمن تدبير جرائم مكتملة الشكل والموضوع لمواجهة مخالفيها أو أعدائها والحكم عليهم . وهو ما يجري الآن في مجتمعنا المعاصر .

كذلك فاننا نلاحظ أنه برغم ثقة اخوة يوسف في أخيهم بنيامين ومعرفتهم التامة بأنه لا يسرق فانهم لم يستطيعوا مواجهة الدليل المادي الجنائي ؛ لذلك جاء تعبير القرآن الكريم في غاية البلاغة ( **وما شهدنا الا بما علمنا** ) أي أن روايتهم لأبيهم قد بنيت على علمهم ، وأساسه هو رؤيتهم للدليل المادي الجنائي وهو صواع الملك في متاع أخيهم وعليه فلا مجال لأي حديث آخر .

( ٢ ) ( **انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ★ واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما** ) النساء/ ١٠٥و١٠٦ .

وسبب نزول هذه الآيات أن رجلا يدعى طعمة بن أبيرق سرق درعا من جاره في جراب دقيق . ولكي يبعد الشبهات عنه فقد جعل الدقيق يتسرب من خرق في الجراب حتى انتهى الى دار يهودي فخبأ الدرع والجراب عنده . لكن شكوك صاحب الدرع اتجهت نحو أبيرق فطالبه بدرعه فأنكر . وتتبع صاحب الدرع أثر الدقيق حتى وجدها في بيت اليهودي . فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاءه أهل أبيرق يرجونه أن يجادل عن قريبهم خشية أن يفتضح أمره ببراءة اليهودي ، وهم الرسول أن يفعل ذلك رحمة منه وتطييبا لخاطر أهله ؛ فنزلت به الآيات ناهية الرسول عن ذلك ، حيث تقرر أن الله قد أنزل القرآن الكريم الى الرسول متلبسا بالحق ليحكم بين الناس بما عرفه الله وأوحى به اليه على ألا يكون للخائنين مدافعا أو محاميا . وطلبت الآيات من رسول الله أن يستغفر ربه مما هم به فان الله دائما هو الغفور الرحيم .

**ومن الناحية الجنائية :**

فنحن أمام جريمة سرقة أيضا المتهم فيها رجل يهودي وجدت الدرع المسروقة بداره . والأدلةالمادية الجنائية في هذه القضية هي :

أ ـ جسم الجريمة وهي الدرع مخبأة في جرابها .

ب - أثر الدقيق المتسرب من بيت المجني عليه وحتى بيت المتهم .

لكنه تحوم الشبهات أيضا حول الجار الذي شك فيه المجني عليه لأول وهلة حيث كان صاحب مصلحة في هذه السرقة . ونلاحظ على هذه الأدلة الجنائية أنه أريد بها التمويه على الجاني الحقيقي . فلا يعقل أن يترك الجاني أثرا يدل عليه بهذا الوضوح وانما الأثر يكون دون وعي منه ولا قصد ، وعلى ذلك فالشك هنا يتجه أولا الى تزوير الدليل المادي ذاته . لذلك كله لاحظنا أنه برغم وجود الأدلة المادية الجنائية الدامغة على اتهام اليهودي ، فان الفاعل الأصلي وأهله كانوا في خوف ورعب أن يفتضح أمرهم . فان حصافة الرسول الكريم وحكمه العادل لابد وأن تكتشف براءة اليهودي من التهمة . كل ذلك جعلهم يتوجهون الى رسول الله طالبين منه أن يجادل عن قريبهم فهم الرسول بذلك رحمة منه وتطييبا لخاطرهم فنزلت الآيات الكريمة تنهاه عن هذا الفعل فالحق أحق أن يتبع .

( ٣ ) ( **يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ★ وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم** ) البقرة/٢٨٢و٢٨٣ .

تختص الآيات السابقة بالأصول القانونية الاسلامية للتداين والتعامل التجاري ، وضرورة كتابة الدين وشروط هذه الكتابة وهو ما يمكننا أن نقول إنه يندرج تحت علم **القانون المدني** ، **القانون التجاري** . لكننا رأينا أن نناقش هذه الأمور هنا ونحاول استنباط الأدلة الجنائية من القرآن الكريم لصلة هذا الموضوع **بالقانون الجنائي** وهذه الصلة هي ما يشكل بعض جرائم المال . وعلى سبيل المثال فان جرائم **تزوير المحررات المالية** ، **وتزييف خطوطها** ، وجرائم **النصب والاحتيال** ، **وجرائم خيانة الأمانة** كلها تتعلق بالمعاملات المالية في القانون المدني .

وتبين الآيات الكريمة أن على المؤمنين اذا ما تداينوا الى موعد مسمى أن يكتبوا هذا الدين ، فان ذلك أوثق وأكثر دفعا للنزاع وليكتب هذه المحررات كاتب عادل لا يجور على أحد الطرفين . وعلى الكاتب الا يمتنع عن الكتابة فان ذلك واجب عليه

لكي ينفع الناس بعلمه كما نفعه الله بتعليمه الكتابة . ان ذلك أشبه بضريبة العلم يؤديها المتعلم لمجتمعه الذي وفر له وسائل التعليم . وعلى المدين أن يملل الكاتب بالحق ، وعليه بمراعاة الله في ألا ينقص من دينه شيئا فان ذلك من تقوى الله . أما اذا كان المدين لا يستطيع أن يملل لقلة عقله أو سفهه أو ضعفه الناتج عن عته أو كبر أو جهل فعلى قيمه أو وكيله أن يملل هو . ويجب أن يشهد على هذه المحررات رجلان أو رجل وامرأتان ممن يوثق في شهاداتهم .

ويبين الله للمؤمنين ضرورة كتابة الديون والحقوق سواء كانت كبيرة أم صغيرة الى أجلها المعلوم فذلك أعدل وأقوم للشهادة وأقرب للثقة وعدم الشك . على أنه في حالة المعاملات التجارية والتي يفترض فيها أن تتميز بالثقة بين المتعاملين وكذلك بالسرعة نتيجة الحرص على الكسب الحلال . فان الشريعة السمحة لم تشترط كتابة الديون الخاصة بها واكتفت بالشهادة . ويجب ألا يضار الشهود أو الكتبة نتيجة كتاباتهم للمحررات أو شهاداتهم بالحقوق فان ذلك من تقوى الله .

هناك حالة أخرى لا يشترط فيها كتابة الدين ؛ وهي حالة السفر . فاذا لم يتوفر الكاتب العادل في السفر فانه يقوم مقام الكتابة ذاتها رهان يعطيها المدين للدائن . فاذا كان الدائن يأمن المدين ولم يأخذ عليه محررا بدينه أو لم يتسلم منه رهانا له فعلى هذا المدين الذي أؤتمن أن يؤدي الأمانة وليخف الله ربه حيث أنه يجب أن تسود الثقة بين أفراد المجتمع المسلم لذلك فان جريمة خيانة الأمانة أكثر عقوبة وأشد ضررا .

وفي جميع الأحوال فان على الشهداء أن يستجيبوا في حالة طلبهم للإدلاء بشهاداتهم ، وألا يمتنعوا عن الشهادة ولا يكتموها فإن كتمانها اثم كبير . وليعلم الجميع أن الله مطلع عليهم يعلم ما يفعلونه .

ومن الناحية الجنائية :

فلسنا هنا أمام جريمة معينة ، لكننا أمام توجيهات للمؤمنين ليتبعوها عند التداين أو الاقتراض . فقد اشترطت الشريعة السمحة ضرورة كتابة الدين صغيرا كان أم كبيرا الى موعده فان في ذلك تسهيلا كبيرا على القاضي والمتقاضين عند التنازع لأن محرر الدين نفسه يصبح موضوع القضية وسندها ، كما يعتبر هو بذاته الدليل المادي اذا صاحب الدين جريمة من التي أوردناها سالفا مثل تزييف المحررات أو تزوير المخطوطات أو جرائم النصب أو خيانة الأمانة . وعلى ذلك فان هناك شروطا معينة يجب أن تتوافر لهذه المحررات حتى يمكن لرجل الأدلة الجنائية أن يكتشف أي لبس فيها ويزيل أي غموض يتعلق بهذه الجرائم . وهذه الشروط التي يجب توافرها في المحرر هي : كتابة قيمة الدين وتاريخ حدوثه وتاريخ الاستحقاق أو السداد وتوقيع المدين وتوقيع شاهدين من الرجال أو رجل وأمرأتين . وقد اشترطت الشريعة كذلك أن تتم كتابة المحررات أمام أو بواسطة كاتب عادل لا ينحاز لأحد الطرفين . ومن المعروف قانونا أن هناك نوعين من المحررات هما :

**المحررات الرسمية والمحررات العرفية** والأولى هي التي توثق في حضور كاتب حكومي رسمي ؛ ولعل ذلك هو المعنى المتطور الذي تشير اليه الآيات الكريمة بخصوص الكاتب العادل ، وأهمية وجود جهاز للتوثيق وحفظ المحررات في المجتمع الاسلامي حتى يصعب تزويرها أو تزييفها وهي ما يعرف الآن بمكاتب **التوثيق والشهر العقاري** .

وتشترط الآيات في توجيهاتها كذلك أن على المدين اذا لم يكن يعرف الكتابة ـ أن يملل دينه بنفسه للكاتب العادل ، ويعني ذلك اعترافه بقيمة الدين الذي عليه . أما اذا كان يعرف الكتابة فمن المنطقي أن يكتب المحرر بنفسه . ولقد أثبت العلم الحديث أن لكل انسان طريقة معينة في الكتابة يتعلمها ويتعود عليها منذ طفولته ولا يستطيع مهما أوتي من دقة وحذر أن يغيرها كلية تماما بل ذهب العلم أيضا الى المقولة بأنه بالامكان دراسة نفسية وسيكلوجية أي انسان من خطه وطريقة كتابته . وفي مجال الأدلة الجنائية فان أي محاولة لتقليد خط أي انسان لا بد وأن تبوء بالفشل ، وهي أيضا لا بد وأن تكتشف بواسطة خبير التزييف والتزوير الذي يستعمل أجهزة علمية متخصصة تمكنه من ذلك . كما يحاول هذا الخبير **استكتاب** الشخص من جديد ويقارن بين خطوطه . وبالقطع فان هذا العمل ليس هينا بل يحتاج لخبرة تامة حيث أن الكتابة في الظروف الطبيعية تختلف عنها في حالات الاستكتاب .

ولقد رأت الشريعة الغراء أنه لتأكيد الدليل المادي وتعضيده أن يشهد عملية الكتابة شاهدان من الرجال أو رجل وامرأتان ، وهو ما يعني في الوقت الحاضر توقيع الشهود على المحررات . ويبدو هذا الأمر مفيدا للغاية في حالة المحررات العرفية وهي غير المكتوبة أمام كاتب عادل فان وجود الشهود يرفع هذه المحررات الى مرتبة تقارب مرتبة المحررات الرسمية . على أن الشريعة السمحة رأت إمكان عدم كتابة الدين في حالتين :

أ ـ الأولى في حالة المعاملات التجارية التي تتميز بالسرعة والسهولة والثقة فيجوز ألا يكتب الدين ويكفي الاشهاد في هذه الحالة ، وهذا يعني العودة ثانية الى الدليل المعنوي . وتجدر الاشارة هنا الى التعبير البليغ الذي استعمله القرآن الكريم وأعطى به للمعاملات التجارية صفتين لازمتين للتجارة وهما السرعة أو الحضور ودورة رأس المال ( **الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم** ) وهما ما يستفيض الاقتصاديون في شرحهما هذه الأيام . لكل ذلك كان الاشهاد ؛ لكنه لما كان من غير المعقول الاشهاد على كل معاملة تجارية في الوقت الحاضر نتيجة لتطور الحياة وتعقيدها . فان ذلك استبدل بضرورة كتابة هذه الديون في السجلات التجارية . وقد اشترط القانون للأخذ بها ضرورة تنظيمها واستعمالها بطريقة معينة . وهذا يعني ـ من وجهة نظر علم الأدلة الجنائية ـ العودة الى الدليل المادي مرة أخرى .

ب ـ الثانية في حالة السفر ، فان لم يتمكن المتداينان من ايجاد كاتب عادل لكتابة

محرر الدين فانه يجوز أن يسلم المدين الى الدائن رهانا تقوم مقام المحرر وتسترد عند سداد الدين ، وهي هنا تقوم مقام الدليل المادي نفسه ـ ويجوز أيضا في حالة السفر الا يسلم المدين الى الدائن محررا بالدين أو رهانا يقابله اذا أئتمن الدائن مدينه . لكن على المدين أن يؤدي الأمانة ، وأن يرد الدين الى صاحبه . فقد اتبع القرآن الكريم عدم رد الأمانة بقوله (( **فانه آثم قلبه** ) وهو نفس التعبير الذي استعمله في مواضع أخرى مقترنا بالكفر ذاته . لذلك فقد شدد المشرع عقوبة خيانة الأمانة لأن فيها هدما للثقة بين الناس وإشاعة لروح عدم الاستقرار والمودة . ولم تشترط الشريعة الاسلامية أن تكون قيمة الرهان مساوية للدين وهو ما يعني استخدام الرهان كدليل مادي عند التنازع .

## البحث العلمي الجنائي في القرآن الكريم :

أوضحنا في بداية هذا البحث أن الأدلة الجنائية هي كل ما يتركه المتهم في مسرح الجريمة من أثر يدل عليه . أو ما يأخذه هذا المتهم من مسرح الجريمة من أثر يكشف عن وجوده فيه ساعة الحادث . كما بينا أن هذه الأدلة لا تقع تحت حصر فمن الممكن أن تشتمل على بصمات الأصابع وبقع الدماء والطلقات النارية وآثار الطعام وغيرها . وقلنا ان علم الأدلة الجنائية يعتمد على العلوم الطبيعية في الكشف عن الجرائم . ويرجع الفضل في الاستعانة بالأساليب العلمية في فحص آثار الجرائم الى العديد من العلماء الذين توجهوا الى مجال العلوم الطبيعية ليأخذوا منها نظرياتها وطرقها وأجهزتها ، ويطوروا هذه الطرق والأجهزة بما يناسب أغراض البحوث الجنائية حتى اتضحت معالم علم جديد أطلق عليه **الشرطة العلمية** أو **البحث العلمي الجنائي** أو **العلوم الشرعية** .

والبحث العلمي الجنائي هو العلم الذي يطبق العلوم الطبيعية في البحوث المتعلقة بكشف الجريمة . ويعتبر « هانز جروس » هو المؤسس الحقيقي لهذا العلم لأنه أعطاه الدفعة الأولى ثم أسهم بعده في تطويره واتساع مجاله وفروعه آخرون منهم « لاكاساني » ، و« سيدني شميت » و« سالزبوري » وغيرهم .

وسوف نحاول أن نستخرج من القرآن الكريم بعض الأصول الخاصة بهذا العلم . على أننا ننوه ـ باديء ذي بدء ـ أن كثيرا قد سبقونا في التعرض لواحد من هذه الأصول في القرآن الكريم وهو فردية البصمات لكن تناولهم ظل محصورا في نطاق العمومية فقط . لذلك نرى أنه مما يفيد أن ندلي بدلونا في هذا الموضوع اضافة الى موضوعات أخرى .

### أولا : تحقيق الشخصية :

**( ١ ) ـ ( أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ★ بلى قادرين على أن نسوي بنانه )** القيامة /٣ و ٤ .

**( ٢ ) - ( اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون )** يس / ٦٥ .
**( ٣ ) - ( وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون )**فصلت/ ٢١ .

كذب المشركون رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأنكروا حقيقة البعث ويوم الحساب . وتساءلوا كيف يمكن أن يبعث الله البشر من جديد ، وكيف يمكن أن تكون الحياة بعد الفناء والعدم . وقد كان رد المولى عز وجل شافيا لأنه قادر على كل شيء ، خلق السموات والأرض بالحق وبدأ خلق الانسان من طين . ومن كان قادرا على الخلق الأول فهو ولا شك قادر سبحانه على بعث الناس من جديد . ونزلت الآيات الكريمة من سورة القيامة تبين قدرة المولى عز وجل على جمع العظام بعدما تفرقت في الأرض بل وقادر على أن يعيد الأحياء يوم القيامة بذاتها وبجميع مواصفاتها وأشكالها حتى تسوية أطراف البنان مرة أخرى . تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

ويوم الحساب يهلك كل شيء ، ولا يبقى للانسان الا صالح عمله ، ويفر من حوله ذووه وأقاربه حتى زوجته وأبناؤه . وتشهد عليه حواسه بما اقترفه من آثام ومنكرات . وتبين سورة يس أن الله يخرس الألسنة يوم القيامة وتتكلم الأيدي والأرجل بما كسبت أيدي الناس من سوء وشر . ويؤكد سبحانه وتعالى نفس المعنى في سورة فصلت بأن جلود الناس سوف تكون شاهدة عليهم حيث ينطقها الله الذي أنطق كل شيء سبحانه جل شأنه له الأمر من قبل ومن بعد .

أما من وجهة نظر البحث العلمي الجنائي فاننا نرى :

أ - أن الجسم البشري يتكون بصفة عامة من أنسجة رخوة هي اللحم وأنسجة أخرى صلبة . وقد أختار الله سبحانه وتعالى للتدليل على قدرته مثلا لكل نسيج وهما البنان والعظام . ونرى أن اختيار هذين المثلين لم يكن عشوائيا ولا عبثا ، بل كان الاختيار لشيء أعمق وأعظم . إن البنان والعظام بجمعها صفة واحدة ألا وهي الثبات والدوام وعدم التغيير .

ب - أن المولى عز وجل استخدم تعبير تسوية البنان عند الدلالة على القدرة على بعث الناس من جديد يوم القيامة . إشارة إلى دقة الخلق وصعوبته ، وحاشالله أن يأتي أحد بمثل ما خلق وسوى . فالامر ليس هيناً أو بسيطاً بل هو في غاية التعقيد . ومن كان قادرا أن يأتي بالأمر الصعب فهو قادر على أن يأتي بالأمر الأسهل . والتسوية هنا لها صفتان هما الخلق على فترة زمنية ممتدة كدليل على دقة الخلق والابداع ، كذلك فانها تكون عند الدلالة على التمايز في الخلق . يقول المولى في كتابه العزيز : **( ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها )** الشمس/ ٧ و ٨ . لأن طبائع الناس مختلفة ، وعليه تتباين تصرفاتهم وأنماط سلوكهم . لذلك كله يقال إن الخلق والتسوية للمتمايز . أما الصنعة فانها تكون للمتماثل .

- أن الله سبحانه وتعالى سوف يختم على الأفواه ويخرس الألسنة يوم القيامة .

ولقد استعمل القرآن الكريم تعبيرا رائعا ودقيقا هو الكلام للأيدي . ولسنا نرى - كما ذهب بعض المفسرين - أن الكلام يكون بالصوت المسموع ، لكننا نرى أن الكلام يكون بوسيلة أو بصفة واضحة بينة لا لبس فيها ولا غموض لهذه الأيدي والأرجل ، وهي ما يعرف الآن بالبصمات . وكما يمكن تمييز الأشخاص من أصواتهم ولغاتهم فإنه يمكن تمييزهم من بصماتهم . وهذه الوسيلة أو الصفة هي لغة كاملة فيها من التعبير الدقيق القادر ، الكفاية تماما لتمييز الذوات عن غيرها . وهذا لا يتأتى الا بفرديتها المطلقة وتنوعها اللامحدود .

د - أما في سورة فصلت فقد استخدم القرآن الكريم تعبيرا بديعا وهو النطق للجلد ، وهو تأكيد للمعنى السابق ، ولا يكون النطق مسموعا بل يكون بصفة أكثر ثباتا وجلاء . والجلد يكسو الجسم كله وبالتالي فهو يكسو الأصابع والبنان أي أن صفة ما في جلد بنان الأيدي والأرجل لها صفة الفردية والتمايز والوضوح والثبات ؛ ألا وهي البصمات .

من كل ذلك نقول إن الله جلت قدرته قد خص كل فرد من عباده على ضخامة عددهم وتباين أجناسهم واختلاف نحلهم بميزة خلقية من أدق عمليات الخلق ، لا تتكرر أبداً في فردين بنفس الشكل حتى ولو كانا توأمين تم تخليقهما من بويضة واحدة أو في أصبعين لشخص واحد . تلك هي بصمة البنان التي سواها الله سبحانه وتعالى بشكل خطوط حلمية بارزة بينها أخاديد غائرة ، وتمتد هذه الخطوط وتتنوع وتنثني وتلتف وتتوازى أحيانا وتتقابل في أحيان أخرى في نظام هندسي بارع ومبهر يبدأ في التكوين في الشهر الثالث أو الرابع من عمر الجنين متزامنا مع وقت تكوين العظام . ثم يظل هذا الشكل الهندسي المعقد ثابتا لا تتغير تفاصيله ، وخطوطه ونظامه مدى الحياة والى ما بعد الوفاة بفترة غير قصيرة . ولقد أثبت العلم الحديث أن البصمات لا تتأثر بالوراثة أو الجنس أو الأصل ، وتختلف في كل فرد عن الآخر .

وبذلك جعل الخالق من بصمة الأصبع أحسم الأدلة المادية على إثبات شخصية الفرد وتميزه تمييزا قاطعا عن كل شخص آخر عداه . وعندما تأكدت بحوث ودراسات العلم الحديث من فردية البصمة واستحالة تكرارها بنفس النظام في أصابع شخصين اتخذتها الدول كعامل أساسي ووحيد في تحقيق شخصية الأفراد ، وبذلك حلت هذه الطريقة محل جميع الطرق الأخرى القاصرة على صورة الشخص الفوتوغرافية ومقاساته الجسدية وعلاماته البدنية المميزة .

وكذلك فقد استفاد البحث العلمي الجنائي من هذه الحقائق الثابتة . وذلك في التعرف على صاحب البصمات المرفوعة من مسرح الجريمة إذا ما تطابقت بصمات المشتبه فيهم أو بصمات شخص ذي سجل جنائي .

على أننا يجب أن نؤكد من جديد أن ما قلناه بخصوص البصمات ليس دليلا على صحة القرآن الكريم ، لكنه دليل على أن ما وصل اليه العلم الحديث على يد السير « وليم هرشل » عام ١٨٥٨ - أول من اكتشف هذه المعجزة الالهية وبين أهميتها في

تحقيق شخصية الانسان فجذب هذا الاكتشاف الفذ انتباه العلماء في كافة دول الأرض ـ كان يمكن أن يصل اليه علماء المسلمين بقراءة أكثر دقة لآيات القرآن الكريم ، وتفسيرا أكثر نضجا وتطورا لهذه الآيات الجامعة الخالدة .

ثانيا : صحائف السوابق :

**( يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا )** الاسراء/٧١ و ٧٢ .

أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كثير من محكم آيات كتابه العزيز بحتمية يوم البعث والحساب . يوم يعرض البشر على الرحمن صفا ، ويذهب عن الانسان كل ما كسبت يداه الا عمله الصالح وعمله السيىء كل قد حفظ في كتاب مسطور . ومن أوتي كتابه بيمينه فهو من أهل الجنة وحسنت مستقرا ومقاما . وأما من أوتى كتابه بشماله فسوف يصلى سعيرا وساءت مصيرا .

وتؤكد آيات سورة الاسراء نفس المعنى السابق ؛ ففي يوم النشور يدعو المولى جلت قدرته كل قوم بامامهم الذي ارتضوه إماما أو دينهم أو زعيمهم أو يدعوهم بكتاب أعمالهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم فرحين بما فيه مستبشرين بحكم ربهم ولا يظلمون شيئا قليلا . ومن كان في الدنيا أعمى القلب فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

ومن ناحية البحث العلمي الجنائي :

فاننا نرى أن الانسان قد استوحى فكرة صحائف السوابق أو حسن السير والسلوك بقصد أو دونما قصد من الآيات السابقة ومثيلاتها . ففي هذه الصحائف يدون للانسان ما قد أتاه من نشاط إجرامي ( صحيفة السوابق ) ، أو يظل كتابه ناصعا لا غبار عليه ( حسن السير والسلوك ) . ومما يؤكد هذا الاستنتاج ما يلي :

أ ـ أن القرآن الكريم قد أخبرنا بحمل الانسان لهذه الكتب في ساحة المحكمة الالهية ساعة الحساب في يوم البعث والنشور . أما في الحياة الدنيا فان الانسان قد ابتكر هذه الصحائف للالمام بماضي الأفراد الاجرامي ولحماية المجتمع السليم من أعضائه غير الصالحين . خصوصا مع ازدياد عدد أفراد المجتمع ، وتعقد سبل الحياة فيه . وكذلك استخدام هذه الصحائف عند التقاضي .

ب ـ أننا قد اخذنا هذه الآيات بالذات لأننا نرى أن فيها ربطا بين استخدام هذه الصحائف في الحياة الدنيا ووجودها يوم الحساب ( **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ) . إن استخدام القرآن الكريم لتعبير العمى للدلالة على ارتكاب الفاحشة والمعصية والجرم يعني بقاء هذا الخطأ كنقطة سوداء في الحياة الدنيا لأي فرد يعاقبه المجتمع السليم عليها . وهو في الآخرة نقطة سوداء

كذلك لكن الجزاء هناك يكون أكثر ردعا حيث أتبع العمى بالضلال . « والعمى » المجازي في هذه الآيات له صفة الدوام من الناحية الجنائية لأنه لا يسقط العقاب عليه في الدنيا ، بل يبقى كذلك في الآخرة إلا ما شاء ربك حيث يمكن أن يمحي الاثم بالتوبة الصالحة . ونحن نرى أن صفة الدوام للتذكير والمحاسبة على هذه الأخطاء تكون بتسجيلها في الصحائف التي سبق الاشارة إليها .

هذا وقد أثبتت صحائف السوابق أهمية قصوى في مجال البحث العلمي الجنائي حيث تشتمل هذه الصحائف على بصمات المجرمين بما يمكن خبراء الأدلة الجنائية من مضاهاة أية البصمات يمكن أن تكون في مسرح الجريمة بتلك المحفوظة لدى أجهزة الأمن ، حيث تتجه الشبهات أولا لمن لهم سوابق اجرامية خصوصا في حالة عدم معرفة الفاعل الحقيقي للجريمة . كما أثبتت هذه الصحائف كذلك أهمية بالغة لدى القضاء حيث تشدد العقوبة على من أتاها سابقا ، لأن ذلك يعني تشبث المجرم وتصميمه على تكرار جريمته . وهذا ما يعرف قانونا بجرائم العود .

## ثالثا : طرق الاستدلال :

**( وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون )** فصلت/ ٢١ .

يحدثنا القرآن الكريم عن اليوم المشهود ، يوم البعث والحساب ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا . ويوم القيامة يشهد على الناس سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يقترفون من الآثام والمنكرات في حياتهم الدنيا ، وتعجب الناس فكيف تشهد عليهم جلودهم وهي أجزاء منهم وسوف تألم بالعذاب معهم . لقد أنطقها الله الذي أنطق كل شيء ، وهو الذي خلق الناس ابتداء من لا شيء واليه يرجعون للحساب فلم العجب والدهشة اذن . ولقد نسى الناس أن يستتروا عند ارتكاب الفواحش حتى عن أعضائهم ظنا أنها لا تشهد عليهم ، وتوهما أن الله لا يعلم كثيرا مما يقترفون من آثام وخاب ظنهم .

### ومن ناحية البحث العلمي الجنائي :

أ ـ فلقد قلنا فيما سبق أن هذه الآيات وردت لتبين ما سوف يحدث يوم القيامة أي يوم المحاكمة الالهية للبشر حيث يشهدعليهمسمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وانه يمكن ان نستوحي من هذه الآيات فكرة استخدام آثار السمع والأبصار والجلود كاثار تخدم العدالة وترشد عن المجرمين عند التقاضي .

ب ـ أنه من المعروف ان للانسان حواسا خمسا هي السمع والبصر واللمس والشم والتذوق لكن القرآن الكريم أورد ثلاثة فقط هي السمع والبصر واللمس ونرى أن ذلك لم يكن عبثاً بل ان ذلك راجع الى أهمية هذه الحواس الثلاثة في الشهادة يوم الحساب عن الحواس الأخرى . وكذلك ـ من وجهة نظر البحث الجنائي ـ فان هذه الحواس الثلاث فقط يمكن أن تترك أثارا تدل على فاعلي الجرائم ؛ أما الشم والتذوق فانها لا تترك آثارا .

جـ أنه كما سبق أن بينا فان المقصود بالشهادة من ترك اثر مادي كدليل على اتيان الفاحشة والجرم وليس المقصود كما ذهب بعض المفسرين أنها الشهادة الصوتية المسموعة أو المنطوقة . ولقد اوضحنا عند الحديث على بصمات الاصابع كيف أن بصمة الاصبع تعتبر لغة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وكيف أن فردية البصمة كأعجاز الهي أصبحت أساسا لتحقيق شخصية الأفراد وعاملا هاما في التعرف على المجرمين وتمييزهم .

د ـ أن المقصود بآثار السمع والبصر ليست الاعضاء ذاتها وانما كل ما يدل عليها ، وعليه فالتسجيل الصوتي مثلا أو الصورة أو المخطوط المقروء أو أية آثار أخرى يمكن أن تترك في مسرح الجريمة ، تعتبر كلها أدلة جنائية يمكن الاعتماد عليها في مجال علم البحث العلمي الجنائي ، وعليه فهي لا تقع تحت حصر .

هـ ـ أن ترك أية أثار للسمع والبصر في مسرح الجريمة بالاضافة الى البصمات ، أو أخذ أي شيء من مسرح الجريمة يدل على المجرم ،هي ما نعرفه اليوم بنظرية تبادل الأثر ، التي أشرنا اليها في بداية البحث . وهي ذات أهمية قصوى بل وعماد علم البحث العلمي الجنائي كله .

و ـ أنه يمكننا أن نؤكد الاشارة الى نظرية تبادل الأثر من القرآن الكريم ، وكذلك الاشارة الى التعبير الشائع : أنه لا توجد جريمة كاملة ، وأن المجرم لابد تارك في مسرح الجريمة شيئا يدل عليه حينما نفهم بعمق قوله تعالى : ( **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم** ) وهو تهكم من الله سبحانه وتعالى يعني استحالة الا يشهد على المجرم سمعه وبصره لأنها أجزاء منه ، وهذا يعني بالضرورة تركه لأية آثار يمكن أن تدل عليه في مكان الجريمة .

وبعد :

فليس المقصود ـ كما سبق أن أوضحنا ـ أن استنباط أصول علم من علوم الدنيا من القرآن الكريم اثبات على صحة الكتاب السماوي . حاشالله ، بل هي إشارات تنبه المسلمين فقط الى ضرورة تدبر آيات القرآن والاجتهاد المستمر في فهم ما خفى من معانيه فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر إنها دعوة اسلامية شاملة تواكب وتنمو ولا تتخلف عن ركب الحضارة . وهي من جهة أخرى إثبات عملي على أنه لا تعارض بين القرآن الكريم ومن ثم الشريعة الاسلامية وبين التطور أو الحضارة في العصر الحديث بأي شكل من أشكالها أو أي علم من علومها . وأن أي حديث يعكس ذلك أنما هو محض افتراء .

# مائدة القارئ

## دعاء

اللهم اغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك ، واعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك ، وأدم لنا لزوم الطريق اليك ، وهب لنا نورا نهتدي به اليك ، واسلك بنا سبيل أهل مرضاتك ، واقطع عنا كل ما يبعدنا عن سبيلك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، وأيقظنا من غفلاتنا ، وألهمنا رشدنا ، وحقق في كرمك قصدنا ، واسترنا في دنيانا وآخرتنا ، واحشرنا في زمرة المتقين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## نصرة المظلوم

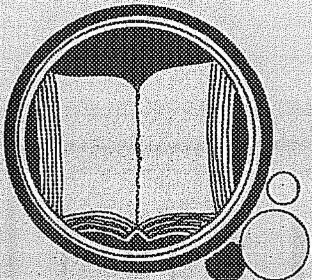
يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم ينصره » رواه ابو الشيخ عن ابن عباس والطبراني عن أبي الدرداء .

## اموات

قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة : ما تقول في موت الوالد ؟
قال : ملك حادث .
قال : فموت الزوج ؟ قال : عرس جديد .
قال : فموت الأخ ؟ قال : قصر الجناح .
قال : فموت الولد ؟ قال : صدع في الفؤاد .

## قالوا في الاسلام

سئل وليم موير عن سر إعجابه بدين الاسلام فقال : « ان عظمة الاسلام تتجلى في أنه دين اليسر والانجاز » وسئل مارماريوك بيكثار ، ما الدليل على صدق الدين الاسلامي فقال : « ان الدليل على أن هذا الدين هو الحق ، ان اتباع محمد لاقوا كثيرا من أصناف الاضطهاد والتعذيب ومع ذلك لم يزدادوا الا قوة يقين بدينهم ، وكانوا يزيدون ولا ينقصون » .



## وصية

عندما حضرت الوفاة سيدنا أبا بكر رضى الله عنه دعا ابنته أم المؤمنين عائشة وقال لها : « يا عائشة لقد ولينا أمر المسلمين فما استبقينا لأنفسنا من مالهم شيئا ، لقد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وما بقي عندنا من مال المسلمين الا هذا البعير الناضح ، وهذا الخادم وهذه القطيفة الجرداء فإذا مت فابعثي بها الى عمر فإني لا أحب أن ألقى الله بشيء من مال المسلمين » .

## مات دينارك في النفاس

حكى أشعب قال : جاءتني جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك . فجعلته بين ثني الفراش ، فجاءت بعد أيام ، وقالت : يا أبي أين الدينار ؟ فقلت ارفعي فراشي وخذي ولده ، فانه قد ولد ، وكنت قد تركت جنبه درهما ، فأخذت الجارية الدرهم ، وتركت الدينار . ثم عادت بعد أيام ، فوجدت معه درهما آخر ، فأخذته ، وفي الثالثة كذلك ، وجاءت في المرة الرابعة فرأيتها تبكي فقلت ما يبكيك ؟ فقالت : لم أجد الدينار . فقلت : مات دينارك في النفاس . فقالت : ويحك ، وكيف يكون للدينار نفاس ، قلت : يا هذه تصدقينني بالولادة ولا تصدقينني بالنفاس !!

## كلمات مضيئة

- أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم .
- قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع .
- الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فغمتهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء فغرتهم وأبعدتهم عن الله .

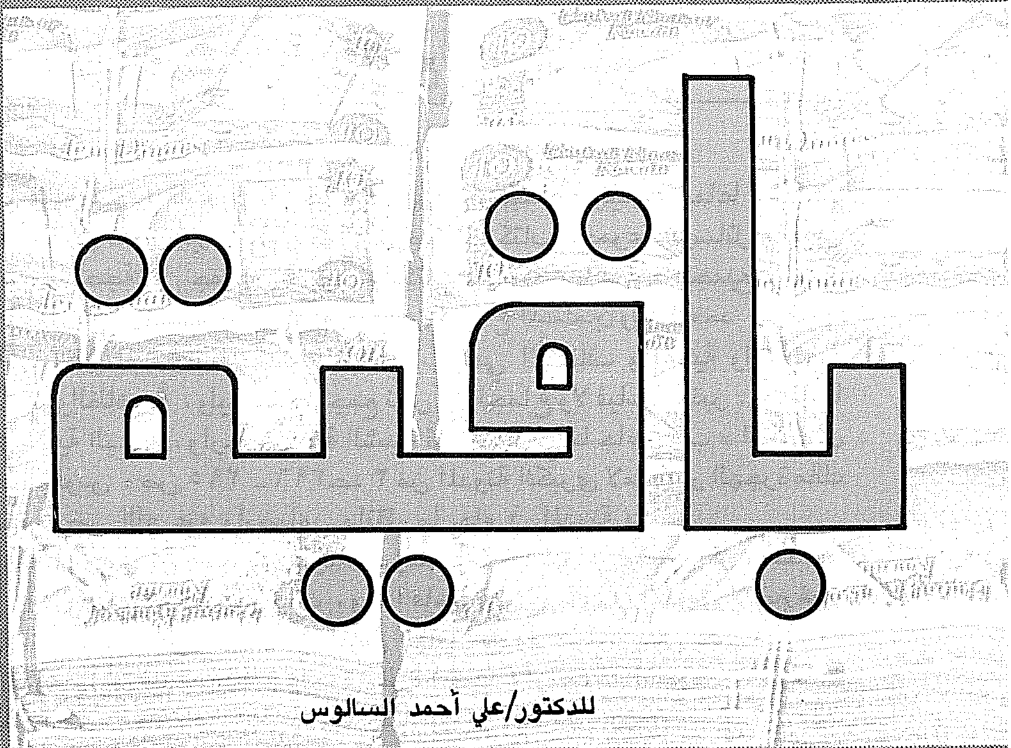
# أحكام النقود

## بين يدي البحث

الحمد لله تعالى حمدا كثيرا ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل الكرام وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته .

اما بعد :

فعندما كتبت بحثي السابق عن الصرف وبيع العملات ، أشرت الى الرأي المسجل على ( شريط كاسيت ) ولم أشأ أن أذكر اسم صاحب الرأي ، غير أنني أشرت الى فضله وأثره الطيب فيمن استمع الى خطبه ومواعظه . وكنت أتوقع أن يغير صاحب الرأي رأيه ، وأن يأخذ بفتاوي المؤتمرات الاسلامية المعاصرة ، وعلى



# باقية

للدكتور/علي أحمد السالوس

الأخص بعد أن بينت خطأ الأساس الذي انبنت عليه فتواه . الا أن مجلة الوعي الاسلامي نشرت في عددها رقم ١٩٦ الصادر في ربيع الثاني ١٤٠١ هجرية بحثا لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن محمد أيوب عنوانه « رد على مقال الصرف وبيع العملات » ، وذكر في بحثه أنه صاحب الفتوى التي أشرت اليها .

وقرأت رد فضيلة الشيخ ، فلم أسترح للمنهج الذي سلكه ، وعجبت للنتيجة التي انتهى إليها .

وقد رأيت أن الصواب خلاف ما ذهب إليه ، فكان لزاما علي أن أكتب في الموضوع مرة أخرى ، سائلا الله جلت قدرته أن يهدينا جميعا الى الحق ، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل .

وسأبدأ بالنتيجة التي انتهى إليها ثم اعود لمناقشة رده من البداية ، والله المستعان .

## هل جميع الأئمة مع رأي الشيخ ؟

يقول فضيلة الشيخ في ختام بحثه :

« وأما قرار مجمع البحوث الاسلامية فهو قرار جماعة وليس اجماعا ، وتوجد جماعة أخرى تقول غير ما يقول كما ذكر صاحب كتاب مجموعة الرسائل ، وليس قول جماعة حجة على جماعة أخرى ، والكتاب والسنة هما مرجع الجميع ، ونحن لم نخالف نصا من النصوص ولا اجماعا من اجماع المسلمين ولله الحمد ، بل معي في رأيي أكثر الأئمة بما يشبه الاجماع ، فمعي الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية ، وليس مع المجمع نص ولا اجماع ولا قياس معتبر . » هذا ما جاء في نهاية البحث ، وأرجو فضيلة الشيخ أن يقرأ معي ما جاء في باب « التأخير في صرف الفلوس » ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦جـ ٣ من المدونة الكبرى لامام دار الهجرة مالك ابن أنس رضى الله عنه وأرضاه .. وأنقل ما جاء في المدونة بالنص :

« ( قلت ) أرأيت ان اشتريت فلوسا بدرهم فافترقنا قبل أن يقبض كل واحد منا ( قال ) لا يصلح هذا في قول مالك ، وهذا فاسد قال لي مالك في الفلوس لا خير فيها نظرة بالذهب ولا بالورق ، ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة ( قلت ) أرأيت ان اشتريت خاتم فضة أو خاتم ذهب أو تبر ذهب بفلوس فافترقنا قبل أن نتقابض أيجوز هذا في قول مالك ( قال ) لا يجوز هذا في قول مالك ، لأن مالكا قال : لا يجوز فلس بفلسين ولا تجوز الفلوس بالذهب والفضة ولا بالدنانير نظرة ( ابن وهب ) عن يونس بن يزيد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال : الفلوس بالفلوس بينهما فضل فهو لا يصلح في عاجل بآجل ولا عاجل بعاجل ولا يصلح بعض ذلك ببعض الا هاء وهات ( ابن وهب ) قال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد وربيعة أنهما كرها الفلوس بالفلوس بينهما فضل أو نظرة وقالا : انها صارت سكة مثل سكة الدنانير والدراهم ( ابن وهب ) عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر قال :

وشيوخنا كلهم أنهم كانوا يكرهون صرف الفلوس بالدنانير والدراهم الا يدا بيد ( قال ابن وهب ) قال يحيى بن أيوب قال يحيى بن سعيد اذا صرفت درهما فلوسا فلا تفارقه حتى تأخذها كلها » .

هذا ما جاء في المدونة الكبرى .

وجاء في شرح فتح القدير للكمال بن الهمام وهو في الفقه الحنفي ص ١٦٢ من المجلد السادس ( طبعة دار احياء التراث العربي ببيروت ) :

« لا يجوز أن يبيع فلسا بغير عينه بفلسين بغير أعيانهما لأن الفلوس الرائجة

أمثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على سقوط قيمة الجودة منها فيكون أحدهما فضلا خاليا مشروطا في العقد وهو **الربا** » .

( وأقول للتوضيح : اذا اشتريت شيئا بدينار كويتي فليس المقصود دينارا بعينه ، وانما يراد أي دينار كويتي ، فلا فرق بين دينار ودينار آخر . فقوله « فلسا بغير عينه » معناه أي فلس من العملة المتداولة بين الناس ، وهي الفلوس الرائجة دون تعيين للفلس . فأي فلس يقوم مقام غيره ، وسيأتي ان شاء الله بيان لمذهب الحنفية في الفلوس ) .

وجاء في ص ٢٧٨ من المجلد نفسه :

« لو باع فلسا بغير عينه بفلسين بأعيانهما لا يجوز ، لأن الفلوس الرائجة أمثال متساوية وضعا لاصطلاح الناس على سقوط قيمة الجودة فيكون ربا » ؟ . هذا بعض ما جاء في الفقه الحنفي ، .

وجاء أيضا في الفتاوي الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية ( وهو حنبلي المذهب )جـ ٢٩ ص ٤٦٨ :

« صرف الفلوس النافقة بالدراهم هل يشترط فيها الحلول ؟ أم يجوز فيها النساء ؟ على قولين مشهورين هما قولان في مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل : أحدهما وهو منصوص أحمد وقول مالك واحدى الروايتين عن أبي حنيفة أنه لا يجوز .. »

وقال في ص ٤٧١ ـ ٤٧٢ من الجزء المذكور بعد أن بين أن الأظهر في العلة هو الثمنية :

« والتعليل بالثمنية تعليل بوصف مناسب ، فان المقصود من الأثمان أن تكون معيارا للأموال يتوسل بها الى معرفة مقادير الأموال ، ولا يقصد الانتفاع بعينها ، فمتى بيع بعضها ببعض الى أجل ، قصد بها التجارة التي تناقض مقصود الثمنية ، واشتراط الحلول والتقابض فيها هو تكميل لمقصودها من التوسل بها الى تحصيل المطالب ، فان ذلك انما يحصل بقبضها لا بثبوتها في الذمة مع أنها ثمن طرفين ، فنهى الشارع أن يباع ثمن بثمن الى أجل ، فاذا صارت الفلوس أثمانا صار فيها المعنى ، فلا يباع ثمن بثمن الى أجل » .

وقال ابن القيم في اعلام الموقعين ( جـ٢ ص ١٣٢ ) ( وهو حنبلي المذهب أيضا ) :

« وأما الدراهم والدنانير فقالت طائفة العلة فيهما كونهما موزونين ، وهذا مذهب أحمد في احدى الروايتين عنه ، ومذهب أبي حنيفة وطائفة قالت : العلة فيهما الثمنية ، وهذا قول الشافعي ومالك وأحمد في الرواية الأخرى ، وهذا هو الصحيح بل الصواب » .

ثم قال : « وحاجة الناس الى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة ، وذلك لا يمكن الا بسعر تعرف به القيمة ، وذلك لا يكون الا بثمن تقوم به الأشياء ويستمر على حالة واحدة ولا يقوم هو بغيره ، اذ يصير سلعة يرتفع وينخفض ،

فتفسد معاملات الناس ويقع الخلف ويشتد الضرر ، كما رأيت من فساد معاملاتهم ، والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح ، فعم الضرر وحصل الظلم ، ولو جعلت ثمنا واحدا لا يزداد ولا ينقص بل تقوم به الأشياء ولا تقوم هي بغيرها لصلح أمر الناس » .

من هذا كله نرى أن من غير الصحيح ما قاله الشيخ حسن بأن معه المذاهب الأربعة . والقول بأن قرار المجمع قرار جماعة وليس اجماعا قول صحيح ، ولكن ليست جماعة كأي جماعة أخرى ، فالفتاوي التي تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية تمثل اجماع السادة كبار علماء المسلمين الذين اختيروا من جميع البلاد الاسلامية فان قرارات مجمع البحوث الاسلامية لا تصدر الا اذا اتفق جميع الحاضرين فان خالف عالم واحد فان الفتوى لا تصدر مما يبين قيمة الفتاوى التي يصدرها المجمع وهذا الاجتهاد الجماعي له وزنه وتقديره عند جميع المسلمين في بقاع الأرض الا من شذ برأيه ، ولا يوجد أي مؤتمر اسلامي عقد في عصرنا وبحث الأوراق النقدية الا خرج بالنتيجة التي رفضها الشيخ حسن ، فاذا انضم لرأيه فرد أو أفراد قلائل ممن يتجرأ على الفتوى فقولهم ليس بحجة ، ولا نعذر أمام الله تعالى اذا تركنا فتوى جماعية للمئات أو الآلاف من كبار العلماء ومجتهدي العصر ، وأخذنا برأي فرد أو أفراد .

وقول الشيخ حسن ينقضه ما نقلته من قبل وأقول لفضيلته : ان قرارات المجمع لا تصدر الا في ضوء الأدلة ، أما رأيك فيما أرى والله أعلم فلا يسنده كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس معتبر . وفيه تعطيل لكتاب الله العزيز ، ولنستمع الى قول الله تعالى :

**( والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون )** التوبة/ ٣٤و٣٥ . .

الناس الذين يكنزون الآن انما يكنزون الأوراق النقدية وليس الذهب والفضة وكلمتا « يحمى » « فتكوى » تتناسبان مع الذهب والفضة لا مع الأوراق النقدية ، فان لم نقل بالعلة وبأن ما ينطبق على الذهب والفضة ينطبق على نقود العصر الحديث عطلنا كتاب الله تعالى وأوقفنا العمل به وهدمنا مقاصده .

ورأيك فيه تعطيل لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرسول حدد نصاب زكاة النقود بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية وبين أحكام الصرف بالنسبة لتلك العملة التي كانت في عصره ، فعرفنا ما هو حلال وما يعتبر ربا في الصرف ، فان لم نقل أيضا بالعلة وبأن ما ينطبق على العملة السابقة ينطبق على النقود التي نتعامل بها أصبحنا في عصر تنتهي فيه زكاة النقود ( وفرق بين هذه الزكاة وزكاة عروض التجارة لأن النقود قد تدخر ولا تستخدم في تجارة ويكفي شرطا الحول والنصاب لوجوب الزكاة ) .

وكذلك أصبحنا في عصر يستحل فيه الربا ، فما دام الشيخ حسن يرى أن الأوراق النقدية ليست من الأموال الربوية فما يضر المرابي أن يعطي ألف دينار اليوم بألف ومائة بعد مدة لا على أنه قرض جر نفعا وانما بيع وشراء ، فهو بيع مؤجل أو سلم .

والقول بالعلة في الزكاة وعدم القول بها هي نفسها في الصرف تناقض بين وليس هذا من العلم في شيء . وعرضت لهذه المسألة في بحثي السابق فلم يشر اليها في رده الطويل مع أنها في جوهر الموضوع ولبه .

وأراني مضطرا هنا للدخول في أصول الفقه ـ بقدر ـ لبيان بعض القواعد الأصولية اللغوية ، وأترك لأستاذنا الجليل المرحوم عبد الوهاب خلاف هذا البيان :

تحدث رحمه الله عن هذه القواعد ، وبين في القاعدة الأولى الطرق الأربعة من مدلولات النص وهي : عبارته واشارته ودلالته واقتضاؤه .

ومما قاله في دلالة النص :

« المراد بما يفهم من دلالة النص المعنى الذي يفهم من روحه ومعقوله ، فاذا كان النص تدل عبارته على حكم في واقعة لعلة بنى عليها هذا الحكم ، ووجدت واقعة أخرى تساوي هذه الواقعة في علة الحكم أو هي أولى منها ، وهذه المساواة أو الأولوية تتبادر الى الفهم بمجرد فهم اللغة من غير حاجة الى اجتهاد أو قياس ، فانه يفهم لغة أن النص يتناول الواقعتين ، وان حكمه الثابت لمنطوقه يثبت لمفهومه الموافق له في العلة ، سواء كان مساويا أم أولى . » .

وقال :

« وهذا الطريق ، أي طريق الدلالة ، كما يسمى دلالة النص يسمى القياس الجلي لظهور فهم المساواة أو الأولوية بين المنطوق والمفهوم الموافق له ، ويسمى حكمه مفهوم الموافقة ؛ أي المفهوم الذي وافق المنطوق في حكمه بناء على موافقته له في علته موافقة تفهم بمجرد فهم اللغة . ويسمى فحوى الخطاب أي روحه وما يعقل منه ، لأن كل نص دل على حكم في محل العلة ، يدل على ثبوت هذا الحكم في كل محل تتحقق فيه العلة بتبادل الفهم ، أو تكون العلة أكثر توافرا فيه » .

وتحدث في القاعدة الثانية عن مفهوم المخالفة فقال :

« اذا دل النص الشرعي على حكم في محل مقيدا بقيد ، بأن كان موصوفا بوصف أو مشروطا بشرط أو مغيا بغاية أو محددا بعدد ، يكون حكم النص في المحل الذي تحقق فيه القيد وهو منطوق النص ، وأما حكم المحل الذي انتفى عنه القيد فهو مفهومه المخالف . والمعنى الاجمالي لهذه القاعدة ، ان النص الشرعي لا دلالة له على حكم ما في المفهوم المخالف لمنطوقه ، لأنه ليس من مدلولاته بطريق من طرق الدلالة الأربع ، بل يعرف حكم المفهوم المخالف المسكوت عنه بأي دليل آخر من

الأدلة الشرعية التي منها الاباحة الأصلية » . ثم بين أنواع مفهوم المخالفة وهي مفهوم الوصف ، والغاية ، والشرط ، والعدد ، واللقب ، وبين أن الأصوليين اتفقوا على عدم الاحتجاج بمفهوم اللقب واختلفوا في غيره .

قال رحمه الله :

« فأما ما اتفقوا على عدم الاحتجاج بالنص على مفهوم المخالفة فيه فهو مفهوم اللقب . والمراد باللقب اللفظ الجامد الذي ورد في النص اسما وعلما على الذات المسند اليها الحكم المذكور فيه . ففي حديث : ( في البر صدقة ) لفظ البر اسم للحب المعلوم الذي أوجبت فيه صدقة . وفي حديث ( في الغنم زكاة ) لفظ الغنم اسم للحيوان المعروف الذي أوجبت فيه زكاة . ولا يفهم لغة ولا شرعا ولا عرفا أن ذكر البر احتراز عما عداه من الحبوب ، ولا أن ذكر الغنم احتراز عما عداها من السوائم ، ولا أن ايجاب صدقة في البر يفهم منه أن لا صدقة في الشعير والذرة وغيرهما من الحبوب ، ولا أن ايجاب زكاة في الغنم يفهم منه أن لا زكاة في الابل والبقر وغيرهما . فلهذا اتفق الأصوليون على عدم الاحتجاج بمفهوم المخالفة في اللقب لأنه لا يقصد بذكره تقييد ولا تخصيص ولا احتراز عما عداه .

ولا فرق في هذا بين النصوص الشرعية ونصوص القوانين الوضعية ، وعقود الناس وتصرفاتهم وسائر أقوالهم . فمحمد رسول الله لا يفهم منها أن غير محمد ليس رسول الله ، ودين المتوفي يؤدي من تركته لا يفهم منه أن غير دينه كنفقة تجهيزه ووصاياه النافذة لا تؤدي من تركته ، والبيع ينقل الملكية لا يفهم منه أن غير البيع لا ينقلها ، وأن بيع الحقوق في تركة انسان على قيد الحياة ولو برضاه غير باطل . ولهذا قال الشوكاني :

« والقائل بمفهوم المخالفة في اللقب لا يجد حجة لغوية ولا عقلية ولا شرعية . ومعلوم من لسان العرب أن من قال : رأيت زيدا لا يفهم من قوله أنه لم ير غيره . وأما اذا دلت القرينة على العمل في جزئية خاصة فما ذلك الا للقرينة » .أهـ .

من هذا البيان نرى أن القول بأن الأموال الربوية لا تتجاوز الأصناف الستة المذكورة في الأحاديث الشريفة لا يعتبر أخذا بهذه الأحاديث ، بل تعطيلا لها ، لأن هذا يعني عدم الأخذ بدلالة النص ، فالمسلمون تعاملوا بدنانير ودراهم غير اسلامية حيث لم يظهر الدينار الاسلامي الا في الدولة الأموية ، وهذه الدنانير والدراهم ، اختفت اليوم وحل محلها تماما - في التبادل - العملة الورقية فالاستدلال بمفهوم الموافقة أو الفحوى يعطي هذه العملة أحكام النقدين . والرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدد عددا ، فلم يقل مثلا : الربا في ستة أصناف ، حتى نقول هنا يجوز الخلاف ، وانما ذكر اللقب ، وهو ما أجمع الأصوليون على عدم الاحتجاج به في مفهوم المخالفة . فرأيك - باجماع الأصوليين - فيه تعطيل للنص وليس أخذا به .

ورأيك لا يسنده اجماع ، بل هو خروج على اجماع جمهور الفقهاء في القديم ، وعلى اختيار اكثر علماء العصر مجتمعين في المؤتمرات الاسلامية ومنفردين فقولك القديم المسجل على الشريط وهو الذي اشرت اليه في بحثي السابق فيه القول بالعلة في الطعام وعدم الاخذ بها في النقود ، واظنك تنفرد بهذا الرأي فجمهور الفقهاء قائلون بالعلة في الجميع ، واهل الظاهر منكرون لها . وقولك الجديد المعدل الذي جاء في ردك فيه موافقة لأهل الظاهر ومخالفة لاجماع جمهور الفقهاء .

والموافقة هنا في عدم الاخذ بالعلة ، اما عند التطبيق فقد خالفتهم ايضا عندما قلت بالسلم في الاوراق النقدية ، واهل الظاهر لا يجيزون السلم في المعدود ولا في غير المكيل أو الموزون وقوفا عند ظاهر النص كما سنرى في الحديث عن السلم .

واهل الظاهر يستحقون التقدير والاحترام ، غير ان مذهبهم لا يصلح لدين جاء للتطبيق في كل زمان وفي كل مكان الى قيام الساعة . وما اكثر الكتب التي تبين هذا قديما وحديثا ، والمجال لا يتسع لمثل هذا البيان ، ولا نكاد نسمع عن جماعة اخذت بمذهب اهل الظاهر كما اخذ بالمذاهب الاخرى بل انك لم تستطع ان تأخذ بمذهبهم في مسألة واحدة فقلت بالعلة في الطعام وعدم العلة في النقود ، ثم عدلت رأيك فجأة دون ادنى اشارة الى انك غيرت رأيك ، فقلت بعدم العلة في الاصناف الستة لتحل الربا في نوع من الصرف ، ثم قلت بالعلة في النقود بالنسبة للزكاة ، فوقعت في تناقض بين واضح . وخالفت اهل الظاهر فانهم لا يرون زكاة في مثل نقود العصر ولا يرون زكاة في عروض التجارة ( انظر المحلى لابن حزم ٥/٣٤٧ـ ٣٥٧ ) فأصحاب آلاف ( الملايين ) من نقود العصر ، وكبار كبار التجار ، لا زكاة في اموالهم لو اخذنا برأي اهل الظاهر . أرأيت لو اخذنا بمذهب اهل الظاهر لما بقى من الزكاة في عصرنا الا القليل حيث انهم قالوا ( كما جاء في المحلى ٥/٣٠٨ ) « لا تجب الزكاة الا في ثمانية اصناف من الاموال فقط وهي : الذهب والفضة والقمح والشعير والتمر والابل والبقر والغنم » أرأيت ان الاخذ بهذا الرأي يصنع شريعة الله ؟

● ● ● ●

أردت أن أبدأ بما انتهى اليه الشيخ لأنه ربما استقر هذا في اذهان بعض السادة القراء وعلى الاخص الذين لم يلموا بالموضوع من جوانبه المختلفة فأردت ان امحو هذا الاثر ، وان اعيد الحق الى نصابه . واعود بعد هذا للنظر في بحث الشيخ الفاضل من البداية فاقول مستعينا بالله عز وجل ليهدينا الى فهم شريعته ، ومعرفة الاحكام التي يرتضيها سبحانه وتعالى .

واني اولا اقدر شكر فضيلة الشيخ ، وما دمنا جميعا نريد الحق فان الخلاف في الرأي لا يؤثر في اخوة الاسلام ، وقد يكون اشتداد الخلاف دليلا على شدة الرغبة في الوصول الى الحق والصواب .

# تيسير ام ربا ؟

لا خلاف مع فضيلة الشيخ حسن في وجوب التيسير ومراعاة مصالح الناس ، وقد اشرت الى هذا التيسير وهذه المصالح في الحديث عن السفتجة والحوالة والشيك فمما قلت : « والسفتجة وما شابهها من باب الخدمات التي تؤدي ، والتيسير على الناس ، والرفق بهم ، ومراعاة المصالح العامة » والرأي الصواب هنا فيما أرى هو رأي جمهور العلماء في العصر الحديث اما رأي فضيلة الشيخ فليس من باب التيسير والمصلحة وانما يفتح الباب امام المرابين ، واضرب هنا مثلين من الواقع :

يأتي احد التجار ليأخذ قرضا لشراء سلعة معينة على ان يسدد ثمنها بعد شرائها وبيعها ، فهو يسدد الثمن بعد شهرين مثلا ، ويشتري السلعة بالدينار ويبيعها بالجنيه ، والقرض يُحَدَّدُ له مبلغ معين من الفائدة ، فيتفق على بيع الدينار بثمن يقابل هذه الزيادة ، فاذا اخذ ألف دينار رد المبلغ ألفا ومائة فاذا كان الثمن الحالي ثلاثة جنيهات زيد عشرة بالمائة ، فيأخذ الألف ويكتب شيكا بثلاثة آلاف جنيه وثلاثمائة ، فالثلاثمائة زيدت كفائدة للقرض .

والزيادة هذه ليست نسبة شائعة من الربح الفعلي ، بل نسبة ثابتة من رأس المال ؟

سواء اكسب المقترض ام خسر وهذا ربا ، وكما نعرف ان هناك فرقا بين القرض الانتاجي الربوي الذي افتى مجمع البحوث الاسلامية بانه ربا محرم ، وبين نظام القراض او المضاربة في الاسلام ، والصرف لا يدخل فيه القرض ، ولا يحل فيه التأجيل الا لضرورة من ضرورات العصر ، فالتأجيل على قدر الضرورة بغير تعامل او خلاف عن السعر اليومي السائد .

هذا مثل ، والمثل الثاني لتاجر مسلم آخر يلتزم بنظام القراض الاسلامي ، فهو يعطي بالدينار لتاجر آخر يشتري سلعة ويبيعها بالجنيه ، وبعد ذلك يحسب ما يقابل رأس المال ، ثم يشترك الاثنان في الربح الفعلي .

هذان مثلان ، والامثلة كثيرة ، وليس الامر قاصرا على القروض الانتاجية الربوية ، بل تعداها كذلك الى القروض الاستهلاكية ، وهو شائع هنا بين بعض العمال ، حيث يعطي المرابي اهل العامل في مصر قرضا بالجنيه ، ويأخذ هنا بالدينار بعد فترة زمنية بسعر اعلى مستغلا الحاجة التي الجأت العامل لاخذ القرض بالجنيه والاعطاء فيما بعد بالدينار ، ولا يذكر هؤلاء كلمة « قرض » بل هو بيع وشراء حسب فتوى الشيخ .

فرأي الشيخ حسن ليس من باب التيسير ومراعاة مصالح الناس ، بل يسر الامر امام المرابين ، فلم يعودوا منبوذين في المجتمع ، وانما وجدوا ما يبررون به فعلتهم .

## قضايا العصر لا تحل باجتهاد فردي

لو كان الخلاف بيني وبين فضيلة الشيخ لكان محقا كل الحق في قوله « لا يليق بعالم ان يحكم بخطأ غيره ... الخ » الا ان الامر هنا ليس خلافا بين رأيين وتعارضا بين فتويين ، فلست ممن يجرؤ على الفتوى ويقول برأيه خلافا لجمهور العلماء في القديم او الحديث . ومشكلات العصر التي تجد ، ويحتاج المسلمون الى معرفة حكم الاسلام فيها علينا ان نجمع لها من استطعنا من العلماء ليخرجوا لنا بفتوى جماعية،ومن قال برأيه قبل ان نجمع العالمين،فمسلكه اقرب الى الخطأ منه الى الصواب ، اما اذا اجتمع العلماء ، وحسموا الامر ، وقالوا القول الفصل ، فليس لاحد ان يخرج على المسلمين برأي مخالف .

وعلى المسلمين الا يأخذوا بهذا الرأي المخالف ، وليعلموا انه لا يكون حجة لهم عند الله تبارك وتعالى .

وفضيلة الشيخ حسن ايوب انفرد بالرأي ، ومخالفة جمهور العلماء في القديم ، بل حاول ان يقلل من شأنهم ، وهاجم مجمع البحوث الاسلامية حيث اعتبر علماءه الاجلاء مجتمعين يفتون بغير دليل من كتاب او سنة او اجماع او قياس معتبر ، وعارض المؤتمرات الاسلامية الاخرى ، وجميع هيئات الرقابة الشرعية بالبنوك الاسلامية ، وحاول ان يوهم المسلمين بان رأيه هو الصحيح —

واحب ان اذكر لفضيلة الشيخ ايوب ، وللسادة القراء ، بعض الاخبار وارجو ان نتدبرها جيدا :

روى الامام الدارمي في باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة عدة اخبار منها :

- ما رواه بسنده عن المسيب بن رافع قال :

« كانوا اذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر اجتمعوا لها واجمعوا ، فالحق فيما رأوا فالحق فيما رأوا .»

- ما رواه بسنده عن أبي سلمة ، ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنة فقال : « ينظر فيه العابدون من المؤمنين .»

ومما ذكره في باب الفتيا وما فيه من الشدة :

١ - عن عبيد الله بن ابي جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار .»

٢ ـ عن ميمون بن مهران قال : كان ابو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فان وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله في ذلك الامر سنة قضى به فان اعياه خرج فسأل المسلمين وقال : اتاني كذا وكذا ، فهل علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاء فيقول ابو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فان اعياه ان يجد فيه سنة من رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على امر قضى به .

٣ ـ عن جابر بن زيد ، ان ابن عمر لقيه في الطواف فقال له : يا ابا الشعثاء انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق او سنة ماضية فانك ان فعلت غير ذلك هلكت واهلكت .

٤ ـ عن عبد الله بن مسعود ، قال : اتى علينا زمان لسنا نقضي ولسنا هنالك ، وان الله قد قدر من الامر ان قد بلغنا ما ترون ، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما في كتاب الله عز وجل ، فان جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله فان جاءه ما ليس في كتاب الله ولم يقض به رسول الله فليقض بما قضى به الصالحون ، ولا يقل اني اخاف واني ارى فان الحرام بين والحلال بين وبين ذلك امور مشتبهة فدع ما يريبك الى ما لا يريبك .

٥ ـ عن الشعبي ، عن شريح ، ان عمر بن الخطاب كتب اليه : ان جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه الرجال فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله فاقض بها فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فان جاءك ما ليس في كتاب الله ، ولم يكن في سنة رسول الله ولم يتكلم فيه احد قبلك فاختر اي الامر ان شئت ، ان تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم ، وان شئت ان تتأخر فتأخر ، ولا ارى التأخير الا خيرا لك .

وما ذكره فضيلة الشيخ ايوب من رجوع الفقهاء عن بعض آرائهم وتغييرهم من اجتهاداتهم ، ارجو ان يأخذ به فضيلة الشيخ في مسألتنا هذه ، وان يتدبر ادلة جمهور الفقهاء في القديم والحديث ، وان يعي ما نتج عن رأيه من اضرار جسام ، وان يدرك ان المرابين لن يجدوا بابا اوسع من فتواه .

وجميع المؤتمرات والهيئات الاسلامية في العصر الحديث قد افتت بحرمة ما احله فضيلة الشيخ ، فان لم يقتنع بان هذا من الحرام البين ، فليجعله من الامور المشتبهات على اقل تقدير ، فلا يحمل نفسه اوزار المرابين الذين استندوا الى فتواه .

## ليس الخلاف بيني وبين الشيخ حسن

ذكر فضيلة الشيخ عناوين ثلاثة وهي : « الأصل الذي يدور من حوله النقاش »

و « تصنيف الفقهاء » ثم « على اي شيء اختلف الفقهاء ؟ » لينتقل بعد هذا الى قوله « القضية التي اخالف فيها الدكتور السالوس » .

والنقاش يدور حول هذه القضية ، ولكي يعلم السادة القراء ان الخلاف ليس بيني وبين فضيلته ، اقول :

بعد ان كتبت بحثي السابق قرأت فتوى لهيئة كبار العلماء بالسعودية ، واخرى للجنة الفتوى بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت :

الفتوى الاولى تبين ان الاوراق النقدية تأخذ حكم النقدين ـ الذهب والفضة ـ في جميع الاحكام سواء أكان في وجوب الزكاة ام في مبادلة بعضها ببعض . ( انظر قرار الهيئة رقم ١٠ بتاريخ ١٦ / ٤ / ١٣٩٣هـ ) .

والفتوى الثانية تقضي « بحرمة تحويل عملة الى عملة اخرى بالمؤجل لانها ربا » . وجاءت هذه الفتوى اجابة عن السؤال الآتي :
« يقوم بعض الناس بتحويل الدينار الى جنيهات مصرية بسعر الدينار حالا ٢٨٠ قرشا تقريبا ، وتحويل الدينار مؤجلا بعد ثلاثة شهور بسعر الدينار ٣٢٠ قرشا ، فهل التأجيل بالسعر الأكثر حلال ام حرام ؟ » .
( انظر الفتوى رقم ٥٦ الصادرة في ٦ / ٦ / ١٣٩٩ هـ الموافق ٣ / ٥ / ١٩٧٩م )

فرأيه اذن مخالف لذلك .

## تعريف الصرف

عندما تحدث فضيلة الشيخ عن القضية ذكر رأيه ورأي غيره ثم بدأ بالحوار بقوله :
« قال الدكتور في تعريف الصرف : انه بيع الاثمان بعضها ببعض . يريد ان يبرر رأيه بهذا التعريف فيقول : ان الاوراق المالية اثمان فتدخل في احكام الصرف . وهذا التعريف مخالف للحقيقة » .

ثم ذكر فضيلته دليله من كلام للامامين النووي وابن حجر وهو : قال العلماء : « اذا بيع الذهب بذهب او الفضة بفضة سميت مراطلة ، واذا بيعت الفضة بذهب سمي صرفا » .

ثم قال : « فلا يطلق الصرف الا على بيع الذهب بالفضة او العكس . هذا هو الاصل . واذا عرف الفقهاء الصرف شرعا بأنه ( بيع الثمن بالثمن ) فانهم يبينون ان المراد بالثمن : هو ما خلقه الله ليكون ثمنا وهو الذهب والفضة . ويقولون عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة انه صرف من باب التوسع على عادة الفقهاء ...الخ »

واقول لفضيلة الشيخ :

١ ـ التعريف ليس دليلا قائما بذاته وانما يساعد على التعرف على العلة ، ولذلك قلت : « الم يلحظ الثمن عندما عرف الصرف بأنه بيع الاثمان بعضها ببعض في وقت لم يكن فيه الا الدينار والدرهم ؟ »٢ ـ عندما تحدثت في بحثك عن « الاصل الذي يدور من حوله النقاش » و « تصنيف الفقهاء » ذكرت باب الصرف ولم تذكر المراطلة مع انك ذكرت تبادل الذهب بذهب والفضة بفضة ، فان كنت ترى ان ما ذكره الامامان النووي وابن حجر في كتابين من كتب الحديث يجب ان يطبق في الفقه فلم لم تفعل هذا ووقعت فيما ذكرت انه مخالف للحقيقة وفيه بطلان ؟!

٣ ـ لم آت بتعريف الصرف من عندي ، وانما ذكرت تعريف الصرف كما نجده في كتب الفقه ، وذكرت الاحاديث الشريفة التي بينت احكامه ، ثم ذكرت هذه الاحكام التي اتفق عليها الفقهاء وليس فيها ذكر لشيء غير الذهب والفضة والدينار والدرهم . والأوراق النقدية لم يأت ذكرها هنا وانما اثبت بعد ذلك انها تلحق بهذا الاصل كما ذهب عامة العلماء في العصر الحديث .

فالتعريف للفقهاء في القديم ، والرأي لعامة العلماء في الحديث ، فمن غير الصواب اذن ان يقال بأنني اتيت بتعريف لتبرير رأيي ، فلست صاحب التعريف ولا صاحب الرأي .

٤ ـ قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ( جـ ٢٩ ص ٤٥٩ ) : « واما بيع الفضة بالفلوس النافقة : هل يشترط فيها الحلول والتقابض كصرف الدراهم والدنانير ؟
فيه قولان ، هما روايتان عن احمد :
احداهما لا بد من الحلول والتقابض ، فان هذا من جنس الصرف ، فان الفلوس النافقة تشبه الأثمان ، فيكون بيعها بجنس الأثمان صرفا » .

أفرأيت كيف ان الامام احمد بن حنبل ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ـ رضي الله عنهما ـ قد اطلقا ( الصرف ) على غير الذهب والفضة مراعاة للثمنية ؟

وتقول انت : فلا يطلق الصرف الا على بيع الذهب بالفضة او العكس !

٥ ـ قول الامامين النووي وابن حجر لا يعني ان الصرف لا يطلق الا على بيع الذهب بالفضة او العكس ، لانهما قالا : « اذا بيعت الفضة بذهب سمي صرفا » ، وهذا لا يعني ان الصرف لا يطلق على شي اخر .

ولننظر في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية لنرى بعض ما يمكن ان يسمى صرفا :
فمما جاء تحت كلمة « صرف » :
صرف الشي صرفا : رده عن وجهه ، وصرف المال : انفقه .
وصرف النقد بمثله : بدله ... الخ

ومما جاء تحت كلمة « الصرف » :
صرف الدهر : نوائبه وحدثانه .
والصرف في الاقتصاد : مبادلة عملة وطنية بعملة اجنبية ، ويطلق على سعر المبادلة ايضا ( مج ) ( اي ان هذا التعريف من الالفاظ التي اقرها مجمع اللغة العربية ) .
والصرف في اللغة : علم تعرف به ابنية الكلام واشتقاقه ... الخ

فانظر من قول الامام احمد الى شيخ الاسلام ابن تيمية الى مجمع اللغة العربية ..
وبعد هذا كله نتساءل : من الذي خالف الحقيقة ووقع في البطلان ؟

## الزكاة والصرف

انتقل فضيلة الشيخ حسن بعد ذلك الى نقطة ثانية فقال : « استدل الدكتور على ان تبادل العملات الورقية الموجودة في ايدي الناس في عصرنا يخضع لأحكام الصرف بقرار مجمع البحوث الاسلامية المنعقد سنة ١٣٨٤ هـ ، ونصه :
يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية واوراق النقد والاوراق النقدية وعروض التجارة على اساس قيمتها ذهبا . )
وهذا ما قلته بالنسبة للزكاة وما زلت اقول به ، وقال به جميع العلماء ، ولكنه لا يصلح دليلا على ان الاوراق المالية تخضع لاحكام الصرف ، لأنه ذكر انها تقوم بالذهب مثل جميع السلع التي فيها التجارة ، فما صلة هذا بما نحن فيه ؟ »

واقول لفضيلة الشيخ :

١ ـ نلاحظ ان القرار ذكر اوراق النقد وعروض التجارة ، فليس كل ورق نقدي يراد منه التجارة ، فهما امران مختلفان :
فمثلا اذا ادخر احد نقدا ، ولم يتاجر به ، ولم يقصد التجارة بحال من الأحوال ، بل اراد الاحتفاظ به لشراء مطالبه الخاصة ، فان الزكاة تجب متى بلغ النصاب وحال الحول ، اليس كذلك ؟
واظن جميع العلماء يدركون الفرق بين زكاة النقدين وزكاة عروض التجارة ، فلا حاجة للتفصيل .

٢ ـ النقدان لهما احكام خاصة كالنصاب الشرعي للزكاة ، والنصاب الشرعي لقطع يد السارق ، واحكام الصرف ، وغيرها .
والاوراق النقدية اما ان نعتبرها قائمة مقام النقدين فتطبق عليها احكامهما بغير تفرقة بين حكم وحكم ، واما ان نقول مقالة اهل الظاهر ، فلا زكاة ولا ربا ولا غيرهما من احكام النقدين ، بل تنتهي احكام الشريعة هذه بنهاية التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي .

ولذلك عندما انعقد مؤتمر في دبي لمناسبة افتتاح المقر الرئيسي للبنك الاسلامي بها ، ابدى الكثرة الكاثرة من العلماء الذين اجتمعوا لهذه المناسبة رأيهم في الاوراق النقدية فقرروا ما يلي :
« ان الأوراق النقدية اخذت حكم النقدين في كل الاحكام سواء ما يتصل منها بالربا او الزكاة او احكام السلم الى غير ذلك . »
وذكرت من قبل الفتوى المماثلة التي صدرت عن هيئة كبار العلماء بالسعودية .

٣ ـ اصبت عندما قلت : « وهذا ما قلته بالنسبة للزكاة ، وما زلت اقول به ، وقال به جميع العلماء »
ولي معك وقفة عند نهاية قولك « وقال به جميع العلماء » :

فاهل الظاهر لا يقولون بهذا ، حيث وقفوا بزكاة النقدين عند الذهب والفضة ، فالأوراق النقدية اذن لا زكاة فيها ، ويرون كذلك الا زكاة في عروض التجارة .
وفي عصرنا الحاضر وجدنا من ينادي بأن الأوراق النقدية لا زكاة فيها .

فرأى اهل الظاهر ، والآراء الأخرى لم تمنعك من ان تقول « جميع العلماء » ، حيث لم تجعل لرأيهم اي اعتبار .

واسمح لي يا فضيلة الشيخ بالاستفادة من تعبيرك لأقول :
قال جميع العلماء « ان الأوراق النقدية اخذت حكم النقدين في كل الأحكام ... الخ » .

## فتوى هيئة كبار العلماء بالسعودية وغيرهم

ما قاله فضيلة الشيخ حسن في « ثالثا » يتلخص في ان الاوراق النقدية اذا اعتبرناها كالنقدين وقعنا في الربا ، لأن تعامل البنوك بهذه الأوراق لا يتحقق فيه التماثل ولا القبض في المجلس .

وهذا الاعتراض ذكرته في بحثي بايجاز ، ورددت عليه ايضا بايجاز والشيخ هنا لا يعترض علي وحدي ، وانما يعترض على تصرف البنوك الاسلامية وعلى كثير من علماء العصر ، ولذلك سأترك الرد لغيري ، ثم اذكر بعض ما جاء في كلامه مما ارى انه غير صحيح .

واول ما ابدأ به فتوى هيئة كبار العلماء بالسعودية التي اشرت اليها من قبل ، اذكرها هنا كما جاءت بالأدلة .

استدعت الهيئة بعض المختصين من الاقتصاديين ، واستشارتهم في بعض الاشياء ، وبعد البحث صدرت الفتوى التالية :

« بناء على ان النقد هو كل شي يجري اعتباره في العادة او الاصطلاح ، بحيث يلقى قبولا عاما كوسيط للتبادل كما اشار الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال :

واما الدرهم والدينار فما يعرف له حد طبعي ولا شرعي ، بل مرجعه الى العادة والاصطلاح ، وذلك لانه في الأصل لا يتعلق المقصود به بل الغرض ان يكون معيارا لما يتعاملون به والدراهم والدنانير لا تقصد لنفسها ، بل هي وسيلة الى التعامل بها ، ولهذا كانت اثمانا ـ الى ان قال ـ والوسيلة المحضة التي لا يتعلق بها غرض لا بمادتها ولا بصورتها يحصل بها المقصود كيفما كانت . أ . هـ ـ ج ٢٩ ص ٢٥١ من مجموع الفتاوى .

وذكر نحو ذلك الامام مالك في المدونة من كتاب الصرف حيث قال : ولو ان الناس اجازوا بينهم الجلود حتي يكون لها سكة وعين لكرهتها ان تباع بالذهب والورق نسيئة . اهـ

وحيث ان الورق النقدي يلقى قبولا عاما في التداول ويحمل خصائص الأثمان من كونه مقياسا للقيم ومستودعا للثروة وبه الابراء العام .. وحيث ظهر من المناقشة مع سعادة المحافظ ان صفة السندية فيها غير مقصودة والواقع يشهد

بذلك ويؤكده ، كما ظهر ان الغطاء لا يلزم ان يكون شاملا لجميع الأوراق النقدية ، بل يجوز في عرف جهات الاصدار ان يكون جزء من عملتها بدون غطاء ، وان الغطاء لا يلزم ان يكون ذهبا بل يجوز ان يكون من امور عدة كالذهب والعملات الورقية القوية ، وان الفضة ليست غطاء كليا او جزئيا لأي عملة في العالم ، كما اتضح ان مقومات الورقة النقدية قوة وضعفا مستمدة مما تكون عليه حكومتها من حال اقتصاد فتقوى بقوة دولتها وتضعف بضعفها ، وان الخامات المحلية كالبترول والقطن والصوف لم تعتبر حتى الان لدى اي من جهات الاصدار غطاء للعملات الورقية .. وحيث ان القول باعتبار مطلق الثمنية علة في جريان الربا في النقدين هو الأظهر دليلا والأقرب الى مقاصد الشريعة ، وهو احدى الروايات عن الأئمة مالك وابي حنيفة واحمد ، قال ابو بكر روى ذلك عن احمد جماعة . كما هو اختيار بعض المحققين من اهل العلم كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما ، وحيث ان الثمنية متحققة بوضوح في الاوراق النقدية لذلك كله فان هيئة كبار العلماء تقرر بأكثريتها ان الورق النقدي يعتبر نقدا قائما بذاته كقيام النقدية في الذهب والفضة وغيرهما من الأثمان ، وانه اجناس تتعدد بتعدد جهات الاصدار بمعنى ان الورق النقدي السعودي جنس وان الورق الامريكي جنس وهكذا كل عملة ورقية جنس مستقل بذاته وانه يترتب على ذلك الأحكام الشرعية الآتية :

اولا : جريان الربا بنوعيه فيها كما يجري الربا بنوعيه في النقدين الذهب والفضة وفي غيرها من الأثمان كالفلوس وهذا يقتضي ما يلي :

أ - لا يجوز بيع بعضه ببعض او بغيره من الأجناس النقدية الاخرى من ذهب او فضة او غيرهما نسيئة مطلقا فلا يجوز مثلا بيع الدولار الامريكي بخمسة اريلة سعودية او اقل او اكثر نسيئة .

ب - لا يجوز بيع الجنس الواحد منه بعضه ببعض متفاضلا سواء كان ذلك نسيئة او يدا بيد فلا يجوز مثلا بيع عشرة اريلة سعودية ورق بأحد عشر ريالا سعوديا ورقا .

جـ - يجوز بيع بعضه ببعض من غير جنسه مطلقا اذا كان ذلك يدا بيد فيجوز بيع الليرة السورية او اللبنانية بريال سعودي ورقا كان او فضة او اقل من ذلك او اكثر وبيع الدولار الامريكي بثلاثة اريلة سعودية او اقل او اكثر اذا كان ذلك يدا بيد .

ثانيا : وجوب زكاتها اذا بلغت قيمتها ادنى النصابين من ذهب او فضة او كانت تكمل النصاب مع غيرها من الأثمان والعروض المعدة للتجارة اذا كانت مملوكة لأهل وجوبها .

ثالثا : جواز جعلها رأسمال في السلم والشركات .

والله اعلم وبالله التوفيق ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،
« هيئة كبار العلماء »

هذا ما جاء في فتوى السادة الأجلاء كبار علماء السعودية ؟!

بعد هذه الفتوى ننظر الى البنوك الاسلامية ، لنرى ماذا يقولون عن القبض في المجلس ؟
في فتوى لفضيلة الشيخ بدر المتولي عبد الباسط ـ الأمين العام للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف بالكويت ، جاء ما يلي :

« يمكن ان تكون وسيلة التقابض في كل عصر ، وفي كل شي ما يناسبه . ويعتبر اعطاء شيك حال بمنزلة التقابض في المجلس ، لأنه يساوي ورق النقد تماما من حيث التداول » .

واشار الشيخ ايوب الى قول الاستاذ مصطفى الزرقا في كتاب الحوالة الصادر عن الموسوعة الاسلامية بالكويت ، واذكر هنا نص الجزء المشار اليه ، وهو :

« فاذا نظرنا الى ان الشيكات تعتبر في نظر الناس وعرفهم وثقتهم بمثابة النقود الورقية ، وانها يجري تداولها بينهم كالنقود تظهيرا وتحويلا ، وانها محمية في قوانين جميع الدول ـ من حيث ان سحب الشيك على جهة ليس للساحب فيها رصيد يفي بقيمة الشيك المسحوب يعتبر جريمة شديدة تعاقب عليها قوانين العقوبات في الدول جميعا ـ اذا نظرنا الى هذه الاعتبارات يمكن القول معها بان تسليم المصرف الوسيط شيكا بقيمة ما قبض من طالب التحويل يعتبر بمثابة دفع بدل الصرف في المجلس ، اي ان قبض ورقة الشيك كقبض مضمونه ، فيكون الصرف قد استوفى شريطته الشرعية في التقابض . » ( ص ٢٣٢ )

ويظهر من كلام الاستاذين بدر المتولي عبد الباسط ، ومصطفى الزرقا ان الشيك ليس لمجرد ضمان الحق ، وانما يساوي ورق النقد من حيث التداول كما نص الاثنان ، ولا ادري من اين فهم الشيخ ايوب ان الشيك لضمان الحقوق فقط !

## جدل عقيم

بعد هذا كله اقول :

١ ـ من الخطأ قول الشيخ حسن :
« اخبروني كيف يكون التماثل بين ورقة مالية من فئة الدينار الكويتي واخرى من فئة الجنية المصري ؟ هذا مستحيل . فاطلاق كلمة « تطبق احكام الصرف عليها » اطلاق غير معقول وغير مطبق في هذه البنوك بالنسبة للمثلية ، وهذا وحده كاف في ابطال الالحاق المذكور » .
اقول بان هذا خطأ لأن احدا لم يقل بهذا التماثل بين عملتين مختلفتين ، ويكفي ردا على فضيلته ما جاء في فتوى السادة الأجلاء جماعة كبار العلماء بالسعودية .

٢ ـ ومن الخطأ كذلك قول فضيلته « ان الشيك سند معتمد وموثوق به كما ذكر الدكتور » ، لينتقل من هذا الى ان الشيك لمجرد ضمان الحقوق ، ويقول : « ولم يقل احد : يجوز ان يسلم النقد ويأخذ بدلا منه مكتوبا موثوقا به ، او مسجلا في احدى المحاكم ، ومعلوم ان المكتوب يقوم مقام الشيك في كل شيء بالنسبة لضمان الحقوق خصوصا اذا كتب بصفة امانة » .

والخطأ هنا هو انني لم اقل بأن الشيك لمجرد ضمان الحقوق ، وانما قلت بالنص :
« الذي يحدث عادة عندما يقوم احد ببيع عملة حرة بما يقابلها من عملة تخضع للقيود ، أنه يعطي المبلغ نقدا ويأخذ ما يقابله بشيك ، فخذ وهات ( هاء وهاء ) تتحقق هنا في قبض العملة من جانب ، وقبض الشيك من الجانب الاخر ، ولكن يشترط هنا حتى يتم القبض شرعا ان يكون الشيك مكتوبا بالمبلغ الذي تم الاتفاق عليه ، وان يكون مؤرخا للسحب في اليوم نفسه » .

افهذا لمجرد الضمان يا فضيلة الشيخ « وان يكون مؤرخا للسحب في اليوم نفسه » ؟
ان هذا هو القبض الممكن في عصرنا بالنسبة للعملة التي تخضع للقيود ، فلم يتعمد احد التأجيل ، او معصية الله عز وجل ، وانما كان التصرف في حدود الطاقة : ( **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** ) البقرة / ٢٨٦
وكما تعلم فان الضرورات تبيح المحظورات ، ولهذا قلت ايضا :
« فاذا لم يتيسر قبض احدى العملتين لضرورة من الضرورات حل محل العملة : شيك او حوالة او سفتجة او غيرها مما يقوم مقامها » .

والشيك المؤجل فيه ضمان للحق ولكن لا يعطي معنى القبض في المجلس ، ولذلك قال فضيلة الاستاذ الشيخ بدر « ويعتبر اعطاء شيك **حال** بمنزلة التقابض في المجلس » .

وبهذا يفترق المتصارفان وليس بينهما شيء ، اخذ احدهما الاوراق النقدية ، واخذ الآخر شيكا صالحا للسحب في الحال ، فلا يؤجل الا بقدر الضرورة ، لان الضرورة تقدر بقدرها .

٣ ـ ومن الخطأ كذلك ان يستدل على ان الشيك لا يصلح للقبض بموقف سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه ، فالقياس هنا لا يستقيم ، لأن القبض ممكن ، فلا يحل التأجيل بأي حال ، اما في ايامنا هذه فقيود النقد معروفة ، وقبض العملة ذاتها لا يسمح به بالنسبة لبعض الدول ، فتم قبض الشيك الذي به يمكن اخذ العملة داخل بلد معين .

اي ان قبض ورقة الشيك كقبض مضمونه كما قال الأستاذ الجليل مصطفى الزرقا .

٤ ـ ومن الخطأ ايضا ان نقارن بين الثقة في الشيك والثقة في عمر وطلحة رضي الله عنهما ، فهما اوثق عندنا من شيكات الارض جميعا ، ولكن الشيك ليس لمجرد ضمان الحق كما سبق .

٥ ـ ونختم الحديث عن الاخطاء هنا بقوله :

« ولو كان اي نوع من كتابة الدين كافيا لذكره الشارع كما ذكر الله ذلك في اية المداينة ، اوكان قد ارتضى من المتأخر في دفع الثمن دفع رهن يماثله حتى يفي به ، ولكن كل ذلك لم يحدث منه شي ، ولم يجز احد من علماء المسلمين شيئا منه ، فكيف جاز الآن عند البنوك الاسلامية ؟ وهل هناك اي دليل عليه ؟ »

والخطأ هنا هو ان البنوك الاسلامية ، التي تخضع للرقابة الشرعية الدقيقة ، لم تجز ما قاله الشيخ ، فالصرف لا يجوز فيه الدين ولا الرهن كما قال ، والبنوك الاسلامية تعرف هذا جيدا ، فهي لا يمكن ان تجيزه باي حال من الأحوال .

والذي جر الشيخ الى هذا الخطأ هو ما سبق من اعتباره الشيك لمجرد الضمان ، فاعتبره كالرهن وكتابة الدين !

٦ ـ ويبقى ان نوضح مراده من جدله :

يقول فضيلته : « والذي جرنا الى ذلك كله هو اعتبار الاوراق البنكية عملة يجري فيها ما يجري في الصرف » ومعنى هذا : اننا ما دمنا لا نستطيع ان نحقق القبض بالصورة التي كانت على عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ وما شابهها ، فلا ننظر الى طبيعة العصر ، ولا للضرورات ، ولا للمراد من القبض الشرعي وما يحققه هذا القبض ، لا ننظر الى شي من هذا ، وانما نقول مقالة الشيخ : فيحل تعمد التأجيل

مع زيادة المؤجل بقدر زيادة الأجل !
انظر ماذا اراد ؟! غفر الله تعالى لنا جميعا وهدانا سواء السبيل .

## آراء الأئمة في الفلوس

ما ذكره الشيخ في « رابعا » ينقضه ويبطله ما نقلته من قبل من المدونة عن الامام مالك ، والسادة شيوخ المالكية ، والامام الليث بن سعد ، وما ذكرته من فقه الحنفية حيث اعتبروا الزيادة في تبادل الفلوس الرائجة ربا ، وما نقلته كذلك عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ( وهما حنبليا المذهب ) وفتوى السادة جماعة كبار العلماء بالسعودية .. الخ .
ومع ان هذا فيه غنى وكفاية الا انني اريد ان اقف هنا وقفة لأبين موقف الائمة المجتهدين من الفلوس الرائجة وغير الرائجة ، وسبب الخلاف بينهم ، وعدم الخلاف بين علماء العصر ثم اعقب على ذلك ان شاء الله جلت قدرته .
ـ رأى المالكية واضح معروف كما ذكر في المدونة وعلة الثمنية القاصرة عندهم تعني ان العلة في وقتهم غير ظاهرة الا في الذهب والفضة ، والدنانير والدراهم ، فلما اصطلح بعض الناس على الفلوس ، وصارت سكة مثل سكة الدنانير والدراهم ، الحقت بهما ، وقال الامام مالك قوله الفصل : « لو ان الناس اجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها ان تباع بالذهب والورق نظرة » .
فالمرجع اذن في النقود الى اصطلاح الناس وعرفهم ، وما يرتضونه فيما بينهم .
والشافعية يتفقون مع المالكية في علة الثمنية ، وفي كونها علة قاصرة الا انهم اختلفوا عن المالكية في التطبيق ، فالشافعية وان قالوا : ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة فيلحق به » الا ان جمهور الشافعية رأوا ان الفلوس لا تلحق بالاصل .
فالفلوس كانت رائجة في اقليم خراسان ، فذهب علماء هذا الاقليم من الشافعية الى الحاقها بالدنانير والدراهم لانهم رأوا ان علة الثمنية موجودة وقال اكثر الشافعية اذا كانت الفلوس قد راجت في اقليم خراسان فلم ترج في غيره ، فعلة الثمنية لا تتحقق في الفلوس . وذهب الامام النووي الى ما هو ابعد من هذا فقال في المجموع : اذا راجت الفلوس رواج النقود لم يحرم الربا فيها ومعنى هذا ان الشافعية يرون ان الفلوس النحاسية تلحق بالنحاس ولا تلحق بالنقود . والنحاس عندهم ليس من الاموال الربوية ، والفلوس قيمتها في ذاتها كنحاس لا كنقود .
واعتبروا رأى اهل خراسان شاذا .

- والحنفية ذهبوا الى عدم التعليل بالثمنية ، وانما العلة عندهم الجنس والقدر ( الوزن هنا ) فيجري الربا في كل موزون بجنسه كالنحاس والحديد والرصاص وغيرها . غير انهم اختلفوا في الفلوس ، ويمكن بيان رأيهم بما جاء في كتاب الهداية ثم ما جاء في بعض شروحه ، قال صاحب الهداية :
يجوز بيع الفلس بالفلسين باعيانهما عند ابي حنفية وأبي يوسف ، وقال محمد : لا يجوز ، لان الثمنية تثبت باصطلاح الكل ، فلا تبطل باصطلاحهما ، واذا بقيت اثمانا لا تتعين ، فصاركما اذا كانا بغير أعيانهما ، وكبيع الدرهم بالدرهمين ولهما ان الثمنية في حقهما تثبت باصطلاحهما اذ لا ولاية للغير عليهما ، فتبطل باصطلاحهما . واذا بطلت الثمنية تتعين بالتعيين ولا يعود وزنيا لبقاء الاصطلاح على العد .. الخ .
اقول للتوضيح معنى الفلس بعينه .
( الاصل ان الفلوس الرائجة كالدراهم والدنانير لا تتعين بالتعيين ولكن قد تقصد بعض الفلوس لذاتها لغرض ما غير التعامل بها كنقود فتخرج بذلك عن كونها نقدا الى كونها عينا معينة ، وسلعة محددة مقصودة لذاتها وقد نجد مثل هذا في العملات التذكارية في ايامنا )

وجاء في شرع العناية على الهداية ومثله في شرح فتح القدير :
بيع الفلس بجنسه متفاضلا على اوجه اربعة : بيع فلس بغير عينه بفلسين بغير اعيانهما ، وبيع فلس بعينه بفلسين بغير اعيانهما وبيع فلس بغير عينه بفلسين بأعيانهما وبيع فلس بعينه بفلسين باعيانهما والكل فاسد سوى الوجه الرابع : اما الاول فلأن الفلوس الرائجة امثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على اهدار قيمة الجودة منها فيكون احد الفلسين فضلا خاليا عن العوض مشروطا في العقد وهو الربا واما الثاني فلانه لو جاز امسك البائع الفلس المعين وطلب الاخر وهو فضل خال عن العوض واما الثالث فلانه لو جاز قبض البائع الفلسين ورد اليه احدهما مكان ما استوجبه في ذمته فيبقى الآخر له بلا عوض واما الوجه الرابع فجوزه ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله ، وقال محمد رحمه الله لا يجوز لان الثمنية في الفلس تثبت باصطلاح الكل وما يثبت باصطلاح الكل لا يبطل باصطلاحهما لعدم ولايتهما على غيرهما فبقيت اثمانا وهي لا تتعين بالاتفاق فلا فرق بينه وبين ما اذا كان بغير اعيانهما وصار كبيع الدرهم بالدرهمين وبهذا يتبين ان الفلوس الرائجة ما دامت رائجة لا تتعين بالتعيين حتى لو قوبلت بخلاف جنسها كما إذا اشترى ثوبا بفلوس معينة فهلكت قبل التسليم لا يبطل العقد كالذهب والفضة ولهما ان الثمنية في حقهما تثبت باصطلاحهما اذ لاولاية لغيرهما عليهما ، وما ثبت باصطلاحهما في حقهما يبطل باصطلاحهما كذلك واعترض عليه بأنها اذا كسدت باتفاق الكل لا تكون ثمنا باصطلاح المتعاقدين فيجب الا يكون عروضا ايضا

باصطلاحهما اذا كان الكل متفقا على ثمنيتهما سواهما واجيب بان الاصل في الفلوس ان تكون عروضا ، فاصطلاحهما على الثمنية بعد الكساد على خلاف الاصل، فلا يجوز ان تكون ثمنا باصطلاحهما لوقوعه على خلاف الاصل، واما اذا اصطلحا على كونهما عروضا كان ذلك على وفاق الاصل فكان جائزا ، وان كان من سواهما متفقين على الثمنية، وفيه نظر لانه ينافي قوله ان الثمنية في حقهما تثبت باصطلاحهما اذ لاولاية للغير عليهما، ويمكن ان يقال معناه ان الثمنية قبل الكساد تثبت باصطلاحهما، او بشرط فساد ان يكون من سواهما متفقين على الثمنية واذا بطلت الثمنية فلعودها عروضا تتعين بالتعيين، فان قيل اذا عادت عرضا عادت وزنية فكان بيع فلس بفلسين من بيع قطعة صفر بقطعتين، وذلك لا يجوز. اجاب المصنف رحمه الله بقوله ولا يعود وزنيا لانهما بالاقدام على هذا العقد ومقابلة الواحد بالاثنين اعرضا عن اعتبار الثمنية دون العد حيث لم يرجعا الى الوزن ، ولم يكن العد ملزوم الثمنية حتى ينتفي بانتفائها فبقى معدودا .. الخ » اهـ

هذا هو رأي الحنفية بالتفصيل في بيع الفلوس بعضها ببعض . اما صرف الفلوس الرائجة بالدراهم : ايشترط فيها الحلول ام يجوز التأجيل ؟ فقد ذكرت من قبل انهما قولان مشهوران في مذهب ابي حنيفة واحمد بن حنبل .

والعلة عند الحنابلة فيها رأيان فعن الامام احمد روايتان اشهرهما ان العلة الوزن ، والاخرى ان العلة الثمن وبالنسبة للفلوس : فالمنصوص عن الامام احمد قوله : لا يباع الفلس بالفلسين ولا السكين بالسكينين ، ولا ابرة بابرتين اصله الوزن .

وذكر صاحب كتاب المغني روايتين عن القاضي ، احداهما تتفق مع ما سبق ، لان هذه الاشياء اصلها الوزن ، فلا تخرج بالصناعة عنه ، واختار هذه الرواية ابن عقيل .

والرواية الاخرى انه لا يجري الربا في هذا ، وقال : وهو قول الثوري ، وابي حنيفة ، واكثر اهل العلم ، لانه ليس بموزون ولا مكيل ، وهذا هو الصحيح ، اذ لا معنى لثبوت الحكم مع انتفاء العلة ، وعدم النص والاجماع فيه » اهـ

والمراد بالفلوس هنا الفلوس غير الرائجة ، فهي تباع كقطع نحاسية بالعد لا بالوزن فمنهم من نظر الى ان اصلها الوزن ، ومنهم راعى انها تعد ولا توزن وكل هذا باعتبار ان العلة الوزن لا الثمن اما الفلوس الرائجة فعند الحنفية كما بينا آنفا حكم اخر ، فاعتبروا بيع الفلس بالفلسين ربا .. وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية الذي نقلته في البداية ، وكلامه الآخر الذي جاء في فتوى هيئة كبار علماء السعودية ، وكلام تلميذه ابن القيم يوضح هذه المسألة .

ويمكن ان نسأل هنا : لماذا اختلف ائمتنا في القديم ولم يختلف علماؤنا في عصرنا ، بل كادوا يجمعون على رأي ؟

اقول ـ والله عز وجل هو الاعلم :

ربما حدث هذا لان الأصل وهو التعامل بالدينار والدرهم كان هو الشائع والفلوس كان دورها محدودا للغاية ، فما تتكون منها الثروات ، ولا رؤوس الاموال ، فالكثير منها بالدرهم الواحد ، فما بالك بالدينار ! فمنهم من قال : « الفلوس في الاصل من باب العروض ، والثمنية عارضة لها ، وبذلك عوملت معاملة النحاس الموزون او غير الموزون على خلاف بينهم ، ومنهم من نظر الى اصطلاح الناس وعرفهم فألحق الرائجة بالاثمان اما الآن فان الاصل قد انتهى ، فلا تعامل بدينار ذهبي ولا درهم فضي ، وحل محل الاصل الاوراق النقدية التي يتعامل بها جميع البشر ، فما لم تأخذ حكم الاصل او قفنا حكم الله تعالى ، وابطلنا شريعته في ركن هام من اركان الاسلام فالظهور الواضح كل الوضوح للثمنية في الاوراق النقدية ، مع اختفاء الاصل وانتهاء التعامل به.جمع كلمة العلماء في عصرنا ووحد رأيهم .

## لا ... ما هكذا يكون الاستدلال !!

ويبقى بعد هذا التعقيب على قول فضيلة الشيخ :

قلت في بحثي السابق : ذهب الامام ابو حنيفة الى ان العلة هي الوزن ، وبهذا قال الامام احمد في احدى روايتين عنه .
وقال الائمة : مالك والشافعي واحمد في الرواية الثانية : العلة في الاثمان الثمنية .
والشيخ في رده نقل كلاما من فقه الحنفية ومما يتفق معهم من الرواية الاولى عن الامام احمد ، ثم قال : هذه هي آراء القائلين بالعلة ! ولم يشر الى الاخرين ، ولا الى ان هذه آراء القائلين بان العلة هي الوزن لا الثمنية !!
كما نقل اجزاء مبتورة ، وشرحها كما اراد : فقال « باع فلوسا بمثلها او بدراهم او بدنانير فان نقد احدهما جاز » .
ومعلوم كما سبق ان هذا فيه قولان مشهوران في مذهب ابي حنيفة واحمد بن حنبل فذكر الشيخ ما يوافق رأيه ولم يشر لغيره .
ثم ذكر كلاما استنتج منه ان الفلوس الرائجة عند اكثر العلماء لا تخضع لاحكام الصرف ، فيجوز بيع الفلس بالفلسين مع القبض او تأجيل احد الثمنين !!
وتلك قاصمة الظهر !
هذا اجمال للادلة التي ساقها فلننظر بشيء من التفصيل :
ما نقله الشيخ حسن من حاشية ابن عابدين كلام مبتور لا يعطي الصورة الصحيحة لمذهب الحنفية ولو انه نقل الكلام بتمامه ثم عقب بما اراد لكان المسلك مناسبا للبحث العلمي الصحيح .
واليك البيان :

جاء الحديث عن حرمة بيع كيلي ووزني بجنسه متفاضلا ولو غير مطعوم ، وحل بيع ذلك متماثلا لامتفاضلا ، وكذلك حل البيع اذا لم يصل المعيار الشرعي ، وهو الحبة في الوزن ، ونصف الصاع في الكيل كحفنة بحفنتين وتفاحة بتفاحتين ، وفلس بفلسين باعيانهما وشرح ابن عابدين وبين الآراء المختلفة وفي الفلوس تحدث بايجاز عما نقلته بالتفصيل من قبل كما جاء في الهداية وبعض شروحه ، والحكم هنا وهناك واضح ، وهو غير ما انتهى اليه الشيخ حسن فلا حاجة لذكر شرح ابن عابدين هنا .

ويأتي بعد ذلك ما نقله من الدر المختار وهو « باع فلوسا بمثلها او بدراهم اوبدنانير فان نقد أحدهما جاز ، وان تفرقا بلا قبض احدهما لم يجز » .
وبين ابن عابدين في حاشيته الآراء المختلفة مع الأدلة ثم انتهى الى قوله .
« فصار الحاصل ان ما في الاصل يفيد اشتراطه من احد الجانبين وما في الجامع اشتراطه منهما » وما ذكره ابن عابدين هنا هو ما قال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية بانهما قولان مشهوران في مذهب ابي حنيفة واحمد بن حنبل اذن عدم اشتراط التقابض هنا هو احد رأيين عند الحنفية ، وليس هو مذهب الحنفية كما ذكر الشيخ حسن .
وما ذكره بعد ذلك على انه تعليق لابن عابدين غير صحيح ، وانما هو جزء من كلام اثبته ابن عابدين ليعلق عليه ، واليك النص كاملا :
« تنبيه : سئل الحانوتي عن بيع الذهب بالفلوس نسيئة ، فاجاب بانه يجوز اذا قبض احد البدلين لما في البزازية لو اشترى مائة فلس بدرهم يكفي التقابض من احد الجانبين قال : ومثله ما لو باع فضة او ذهبا بفلوس كما في البحر عن المحيط ، قال فلا يغتر بما في فتاوى قارىء الهداية من انه لا يجوز بيع الفلوس الى اجل بذهب او فضة لقولهم لا يجوز اسلام موزون في موزون الا اذا كان المسلم فيه مبيعا كزعفران والفلوس غير مبيعة بل صارت اثمانا : اهـ
قلت : والجواب حمل ما في فتاوى قارىء الهداية على ما دل عليه كلام الجامع من اشتراط التقابض من الجانبين ، فلا يعترض عليه بما في البزازية المحمول على ما في الاصل وهذا احسن مما اجاب به في صرف النهر من ان مراده بالبيع السلم ،

والفلوس لها شبه بالثمن ، ولا يصح السلم في الاثمان ومن حيث انها عروض في الاصل اكتفى بالقبض من احدالجانبين تأمل « انتهى ما في الحاشية ) هذا هو التنبيه كاملا ، وتعقيب ابن عابدين يبدأ من كلمة « قلت » والشيخ حسن نقل ما في البزازية والمحيط فقط على انه تعليق لابن عابدين يؤيد القول بالتأجيل ! ثم قال بعد هذا :
جاء في الدر المختار ايضا ان عملة الذهب والفضة اذا كان اكثر ما فيها ليس ذهبا ولا فضة فانها في حكم عروض التجارة فيصح بيعها بجنسها متفاضلة مع القبض

في المجلس مراعاة لما فيها من ذهب او فضة .
ومفهومه انه اذا لم يكن فيها ذهب ولا فضة فانها عروض يجوز فيها التفاضل وتأجيل احد الثمنين . وهذا صريح وواضح كل الوضوح في ان العملة الرائجة اذا خلت من الذهب والفضة صارت عروض تجارة » أهـ
واقول لفضيلته :

كيف يستنتج هذا الاستنتاج الصريح الواضح كل الوضوح ! وهم قالوا في الفلوس الرائجة بان بيع الفلس بالفلسين ربا ؟ وقالوا : لان الفلوس الرائجة امثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على سقوط قيمة الجودة منها ، فيكون احدهما فضلا خاليا مشروطا في العقد وهو الربا . ولاخلاف في هذا عند الحنفية جميعا ، اما الخلاف فهو في الفلوس المعينة كما بينا التي هي عروض لا اثمان ونقود حيث فقدت قيمتها كنقود ، وبقى ما فيها من نحاس وصنعة ومن هنا يمكن الاختلاف ، والنقود غير الرائجة يجوز فيها بيع الفلس بالفلسين في رأي ابي حنيفة واحد الصاحبين وهو ابو يوسف وخالف في هذا محمد
فاستنتاجك يمكن ان يكون صحيحا لو انك قلته بالنسبة للعملة غير الرائجة ويكون هذا مخالفا لاحد الصاحبين .

اما ان يقولوا جميعا : هذا ربا ، هذا حرام وتستنتج انت بانه يفهم من كلام لهم انه حلال فهذا بعيد كل البعد عن الصواب ولمزيد من البيان اقول :
الصورة الوحيدة التي اباحها ابو حنيفة واحد صاحبيه هي بيع فلس بعينه بفلسين باعيانهما وهذا لا ينطبق بحال على العملة الورقية ، مثلا ، اذا اشتريت شيئا بدينار كويتي ، فلا يقصد دينار بعينه ، اي الدينار رقم كذا ، وانما اي دينار كويتي ما دام رائجا قابلا للتداول حتى اذا اخرجت الدينار وعرف انه رقم كذا يمكن ان يستبدل بدينار اخر والبيع يقع صحيحا ، ولا يملك احد حق الاعتراض .
فمن غير الصواب اذن قياس العملة الورقية على الفلوس في الصورة التي اباحها الامام واحد الصاحبين وربما جاز القياس على الصور الاخرى التي اجمعوا على انها غير جائزة وان الزيادة ربا .
على ان هذا كان مقبولا عندما كان هناك دراهم ودنانير هي اصل التعامل ، وفلوس قد يتعامل بها الناس .

وجاء في الرد ايضا كلام من كتاب المغني واستنتج منه ان اكثر اهل العلم يقولون في الفلوس الرائجة بجواز بيع الفلس بالفلسين ؟
وكلام المغني ذكرته في كلام سبق عن الفلوس عند الحنابلة وهو موجود في المغني تحت فصل « فاما مالا وزن للصناعة فيه كمعمول الحديد والرصاص والنحاس والقطن والكتان والصوف والابريسم » .

فتحول هذا الى ان « مراد صاحب المغني ان الفلوس الرائجة لا تخضع لاحكام الصرف ثم يبلغ الذروة فيقول : فما رأى علمائنا في هذه النصوص الفقهية والتي عليها اكثر العلماء كما قال صاحب المغني ؟ وهذه النصوص التي نقلتها من كتب الفقهاء كافية في الرد على كل من اخضع الاوراق المالية والنقود المعدنية بالذهب في احكام الصرف » .

واترك الرد هنا للسادة العلماء ، فالسؤال موجه اليهم ولكن القارىء العادي ، فضلا عن العالم ، يستطيع ان يقول : لا .. ما هكذا يكون الاستدلال !!

## سؤال

لعل من المفيد ان نسأل الشيخ :
ماذ تريد ان تقول للمسلمين ؟

قررت ان الفلوس الرائجة يجوز بيع الفلس بالفلسين ، وليس في هذا ربا فضل ، ولا ربا نسيئة ، لأن الفلوس الرائجة لا تخضع لاحكام الصرف ، ومثلها نقود العصر ، والربا في الصرف ينحصر في الذهب والفضة .

فلو صح ما تقول :
لجاز بيع الدينار بالدينارين ، والجنيه بالجنيهين والريال بالريالين ، والدولار بالدولارين ، وبالطبع لن يقبل احد ان يتم هذا الا مع الاجل .

لا تقل : بان هذا قرض جر نفعا ، لانك لم تقله في بيع الفلس الحال بالفلسين الآجلين ، وقلت بان الاوراق النقدية كالفلوس الرائجة . وعلى سبيل المثال :
يمكن التجارة مع الحجاج والمعتمرين :فما اشد حاجاتهم الى الريالات السعودية ! فيجوز لتجار العملة ان يعطوهم الريال بالريالين بعد عام ، أو الريال بجنيه مصري بعد عام ، وان اختلف عن السعر اليومي . أبهذا تيسرون على انفسكم وعلى الناس ، وترحمون انفسكم وترحمون الناس ؟

## أخطاء

ما ذكره فضيلة الشيخ في « خامسا » يستطيع القارىء الكريم ان يجد ما يكفي

للرد فيما سبق من هذا البحث ، بل لم يعد مايصدر يحتاج إلى رد ، واذا كنا جميعا نعلم انه « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ، فانني ـ والله تعالى يشهد ـ احب له الا يتجرأ على الفتوى .

واكتفي هنا ببيان بعض الاخطاء ( من وجهة نظري بالطبع ، وربما اكون انا المخطىء ، والله تعالى اعلم ) :

١ ـ من الخطأ قول الشيخ حسن :

« قال الدكتور : انني قلت في الشريط الذي فيه الفتوى والذي يرد عليه الدكتور : ان تحريم الربا في الاصناف الستة المذكورة في الحديث غير معلل بعلة ، وان الربويات قاصرة عليها ، كما تقول الظاهرية ؛ واقام الدكتور الدنيا ولم يقعدها في مقاله بناء على ان الظاهرية وحدهم لا يصلحون حجة في نظره » .

والخطأ هنا هو انه ينسب اليَّ غير ما قلت ، فقد قلت بالنص :

« ومما تجدر الاشارة اليه ان صاحب الفتوى قال بان الفقهاء قاسوا جميع المطعومات على الاربعة المذكورة ، ولا ندري لماذا لم يشر الى القياس بالنسبة للذهب والفضة ؟! »

وبعد ان بينت علة الربا في الذهب والفضة عند الائمة الاربعة ، وذكرت بعض ما حدث بين الحنفية والشافعية ، قلت :

« والمهم هنا ان الأئمة ذهبوا الى التعليل ، وان اختلفوا في بيان العلة ، فليس صحيحا ما ذكره صاحب الفتوى من القول بأن الحكم لا يقبل التعليل » .

ولا ادري كيف نسب إلى ذاك القول ، واستنتج استنتاجه ؟!

وقد يكون الرأي في اهل الظاهر هو ما استنتجه ، غير انه لم يقل برأيهم الا في رده ، اما فتواه المسجلة ففيها ما ذكرته ، وأخذته عليه ، ولذلك قلت في محاضرة عامة :

كان على صاحب الفتوى ان يبين ان هذا رأي خاص به ، فليس مع اهل الظاهر ، ولا مع الأئمة الاربعة ، اما ان يقول بان الفقهاء قاسوا جميع المطعومات على الاربعة المذكورة ، وان الحكم ذكر بغير تعليل فلا يقبل التعليل في الذهب والفضة ، فهذا غير صحيح .

٢ ـ ومن الخطأ كذلك ما ذكره الشيخ حسن من كلام صحيح لابن رشد ليستنتج منه ان المالكية لا يلحقون الفلوس الرائجة بالنقدين ! وما نقلته من المدونة في بداية البحث عن الامام مالك نفسه ، وعن شيوخ المالكية جميعا ، فيه النص على الحاق الفلوس بالنقدين ، فكيف اباح الشيخ حسن لنفسه ان يستنتج هذا الاستنتاج الخاطىء ، ويقول عن المالكية ما لم يقولوا ؟!

ثم يقول بعد ذلك :

« وقد مرت صور تطبيقية للفلوس ، وانها لم تعامل عند الفقهاء معاملة الذهب والفضة » .

وما ذكرته في بداية البحث ، ردا على النتيجة التي انتهى اليها ، فيه ما يكفي لبيان خطأ هذ القول .

٣ ـ ومن الخطأ كذلك ان يقال :

« الفلوس رائجة رواج العملة الورقية اليوم او قريبا من ذلك » .

فالفلوس في اكثر الاوقات رواجا لها دور محدود للغاية لا تزيد عنه ، إلى جانب وجود الدينار والدرهم ، اما العملة الورقية فقد حلت محل النقدين ، وانتهى التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلوس التي تصنع من النحاس وغيره لا تزال تقوم بدورها المحدود الى جانب العملة الورقية .

٤ ـ ومن الخطأ قوله :

« العلة القاصرة لا يقاس عليها شيء . وفي آخر الكلام جعلها الدكتور صالحة للقياس ليصل الى اغراضه في الاوراق المالية ، وهذا مسلك في العلم لا يجوز ولا يقبل ، وجعل العبارتين متقابلتين هكذا تشعر بهذا التناقض الذي جاء من الدكتور لا من غيره : « الحكم مقصور على العلة القاصرة فلا نطمع في القياس عليها . ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة فيقاس عليه ويلحق به .»

اقول : لو كان هنا تناقض لكان من الشافعية وليس مني لانهم هم اصحاب هذا القول ، فكيف يقال بان التناقض جاء من الدكتور لا من غيره ؟!

ولو كان هنا تناقض لكان من المالكية اوضح ، فهم قائلون بالعلة القاصرة كما ذكر الشيخ نفسه ، ومع ذلك الحقوا الفلوس الرائجة بالنقدين ، وقال الامام مالك قوله الذي ذكر من قبل « ولو ان الناس اجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها ان تباع بالذهب والورق نسيئة » .

غير انني اقول : لا تناقض هنا ، لان الكلام يعني انهم عند استنباط العلة وجدوها قاصرة ، فلا نقود الا الدينار والدرهم ، فلا يطمع احد في القياس اذن في ذاك الوقت ، ولكن هذا لا يعني انها تظل قاصرة على النقدين الى قيام الساعة ، ومن هنا جاء قولهم : ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة فيقاس عليه ويلحق به .

فلا تناقض هنا اذن ، وبينت سابقا الاتفاق بين المالكية والشافعية في القول بالعلة القاصرة ، والاختلاف في تطبيقها على الفلوس الرائجة .

بقي هنا ان اشكر الشيخ حسن على قوله « وهذا مسلك في العلم لا يجوز ولا يقبل » ، فنحن مأمورون بالتواصي بالحق ، وان كان ما سلكته هو المسلك الصحيح ، الا انه بدا له ان هذا خطأ فذكره ، وكما قيل : رحم الله امرأ اهدى الى عيوبي .

وارجو الشيخ الفاضل حسن ايوب النظر الى المآخذ التي ذكرتها في بحثي على انها من هذا الباب ، باب التواصي بالحق .

# مجموعة رسائل رئيس المحاكم الشرعية بقطر

قال الشيخ حسن في « سادسا » :

« ومع ذلك فلست وحدي القائل . في عصرنا هذا - بان الأوراق المالية تعامل معاملة السلع وعروض التجارة ، فقد قال به غيري من العلماء المعاصرين : فقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر في كتابه ( مجموعة رسائل ) ان للعلماء اقوالا مختلفة في الحكم في الأوراق المتعامل بها ، فبعض الفقهاء الحقها بالعروض ، وبعضهم الحقها بالسند على البنوك » .

وتوقف الشيخ حسن عند هذا القول لينتقل الى « سابعا » ، ولعل من المفيد ان نذكر الكلام بتمامه .

جاء في الكتاب المذكور تحت عنوان : « البيان في حكم التبايع نسيئة بالاوراق الجاري بها التعامل في هذا الزمان »

البيان في حكم التبايع نسيئة بالاوراق الجاري بها التعامل في هذا الزمان:

« ان للعلماء اقوالا مختلفة في الحكم في الاوراق المتعامل بها ، اي فيما يتعلق بالتعامل بها وفي تحقيق المناط في الحاقها بشيء من العقود المتعامل بها وفي حكم زكاتها ، وفي حكم بيع بعضها ببعض نسيئة .

فبعض الفقهاء الحقها بالعروض وبعضهم الحقها بالسند على البنوك .

ويظهر ان هذه الاقوال صدرت منهم حال ابتداء اختراع التعامل بها وعدم الثقة بها في ابتداء امرها ، حيث جعلها بعضهم بمثابة العروض وبعضهم جعلها بمثابة الدين على البنوك الذي لا يثق به حتى يقبضه ، فهي سند على نقود دين لم تقبض ، هذا حاصل الاقوال منهم حالة ابتدائها وهو اجتهاد منهم يؤجرون عليه ، غير أن الأجتهاد يتبدل كما قال عمر في مسألة المشتركة : « تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي » .

ان حاصل الاوراق المالية في ابتداء امرها حال اختراع التعامل بها كانت تصدرها الحكومات على اختلاف اجناسها ، وتلتزم دفع المبلغ المكتوب عليها ذهبا كان او فضة فحامل ورقة الذهب يقبض ذهبا وحامل ورقة الفضة يقبض فضة من غير تأخير ، فجرى العمل بذلك ازمانا متعددة .

اما الآن وفي هذا الزمان ، فقد زال هذا الالتزام ، لان الحكومات على اختلاف اجناسها اخذت تسك اوراق العملة بدون ملاحظة لما لديها من ذهب او فضة ، فهي تتمشى على عز الدولة وقوتها وسياستها في نظام تقوية عملتها ، مما يقتضي الثقة بها

وقبول البنوك لها .

إذ ليس في الامكان الآن ان تدفع الحكومة ما لديها من ذهب وفضة الى من بايديهم الاوراق المتعامل بها ، وانما تحتفظ بالذهب والفضة في خزائنها ، مع التزامها لسير عملتها وتعزيزها في التعامل بها كذهب وفضة .

ومن نظر الى الاشياء بعين المعقول وطبقها على قواعد النصوص والاصول يتبين له بطريق الوضوح ان حكمة التشريع تقتضي جعل هذه الاوراق المتعامل بها بمثابة الذهب والفضة على حد سواء . بحيث تجعل ميزانا للتعامل كالنقود المعدنية في البياعات وفي الديات وقيم المتلفات واروش الجنايات وفي دخول الربا عليها ووجوب الزكاة فيها .

وليس عندنا ما يمنع جواز اختراع الناس لنقود من القرطاس او النحاس او الرصاص ، يتعاملون بها كتعاملهم بالذهب والفضة ، سيما اذا كانت هذه العملة مضمونة عن طريق الحكومة والبنوك فيتعلق بها من الاحكام وامور الحلال والحرام ما يتعلق بالذهب والفضة والفلوس على حد سواء .

وبذلك يتبين ان الاوراق المالية على اختلاف اجناسها تقوم مقام الذهب والفضة في المنع من بيع بعضها ببعض نسيئة وينطبق عليها حكما ومعنى ما ينطبق على بيع الذهب والفضة نسيئة أ هـ . ، هذا ما جاء في الكتاب الذي اشار اليه الشيخ حسن ، ولولا هذه الاشارة ما نقلت شيئا من هذا الكتاب القيم ، لان قضايا العصر لا يبحثها فرد ويقول فيها برأيه ، بل الافضل - ان لم يكن الواجب - ان تكون الفتاوي جماعية ، لهذا لم استند في بحثي الى فتاوي افراد .

وما دام فضيلته قد جرنا الى هذا الكتاب فلنقرأ شيئا قليلا منه جاء في ص ٣٢٠ ، ٣٢١ :

« والقواعد الشرعية والقياس الصحيح يعطي النظير حكم نظيره ويسوي بينهما في الحكم ويمنع التفريق بينهما والاستدلال بالملزوم على لازمه وتعديه هذا الخصوص الى العموم لان الاعتبار في احكام الشرع هو بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولو لم يكن حكم الشيء حكم مثله لما لزمت التعدية ولما قامت الحجة على الناس في سائر احكام الكتاب والسنة .

كما ان الصحابة - رضي الله عنهم - يقيسون الاشياء بنظائرها ويشبهونها بامثالها ويلحقون بعضها ببعض في احكامها ففتحوا للعلماء باب الاجتهاد ونهجوا لهم طريقة وبينوا لهم قاعدة تحقيقه وتطبيقه .

فالشريعة منزهة عن ان تنهي عن شيء لمفسدة فيه ثم تبيح ما هو مشتمل على تلك المفسدة او ازيد منها ، فان الله سبحانه على لسان نبيه اوجب الحلول والتقابض في بيع الدنانير بالدراهم ونهى عن بيع بعضها ببعض نسيئة رحمة منه بأمته ومن المستحيل ان يشرع من التبايع بهذه الاوراق النقدية ما يسقط به ما اوجبه او يبيح به ما حرمه من التوصل الى الربا الذي لعن آكله ومؤكله وآذنه بحرب

من الله ورسوله وشدد فيه الوعيد لما يشتمل عليه من المفسدة في الدنيا والدين ومع هذا يتحيل بعض الناس في التوصل الى هذا الامر المحرم بجعل هذه النقود بمثابة العروض التي يسوغ بيع بعضها ببعض نسيئة وخفي عليهم ان حكم النظير حكم نظيره وانكار التفريق بين المتماثلين فلا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل .

فالذهب والفضة من الاوراق المتعامل بها وان اختلفا جنسا ، فقد اتفقا حقيقة ومعنى لاعتبار كل منهما قيما للاموال وتضمن بالاتلاف ومتى كان الربوي يشارك مقابله في المعنى فانه يشاركه في حكمة المنع اذ لا يمكن ان ينهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بيع الذهب بالفضة دينا ، ثم يرخص فيما يماثلهما ويقوم مقامهما في الثمنية اذ الاحكام الشرعية تعطي النظير حكم نظيره .

فمتى كان الامر بهذه الصفة ، فان بيع اوراق العمل بعضها ببعض نسيئة هي نفس ما نهى عنه رسول الله من بيع الدراهم بالدنانير نسيئة . »

وفي ص ٣٢٣ :

« وسر الحكمة ان من قال بجواز بيع اوراق العملة بعضها ببعض نسيئة ، واعتبرها كعروض ، فقد فتح للناس باب الربا على مصراعيه واباحه لهم بنوعيه وقادهم الى فعل ما نهاهم عنه رسول الله .»

---

## السلم

---

ما ذكره في « سابعا » اشرت الى مثله من قبل ، وذكرت الرد عليه .

وفي « ثامنا » قال :

« والخلاصة انني ارى ان الاوراق النقدية بعيدة كل البعد عن اعتبارها اثمانا ربوية مثل الذهب والفضة ، وانه يجوز التعامل بها يدا بيد وبأجل وبزيادة ونقص مثل عروض التجارة والفلوس ، وانه يجوز السلم فيها . »

وألاحظ هنا :

ان قوله « يدا بيد وبأجل » ، « وبزيادة ونقص » يؤكد ما قلته من قبل من ان هذه الفتوى تعني حل بيع الدرهم بالدرهمين ، والدينار بالدينارين ، والريال بالريالين ، وهكذا ، مع الاجل !! وعلى سبيل المثال كذلك :

لو ان احد التجار كان عنده كمبيالة تستحق الدفع في الحال ، وآخر عنده كمبيالة تدفع بعد عام ، والاولى بالف دينار ، والاخرى بالف وخمسمائة ، يحل بيع الاولى بالثانية !

وهكذا نرد على اعقابنا الى ربا الجاهلية من اوسع الابواب بطريقة عصرية .

وقد اشرت الى هذا ، وتحدثت عن السلم في بحثي السابق ، فلا حاجة لاعادة ما

ذكرته ، غير اني اضيف هنا ما يأتي عن السلم :

العلماء اجمعوا على جوازه في كل ما يكال او يوزن لما ثبت من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في التمر السنتين والثلاث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم » . ( متفق عليه ) واتفق العلماء كذلك على امتناع السلم فيما لا يثبت في الذمة ، وهي الدور والعقار . واما سائر ذلك من العروض والحيوان فاختلفوا فيها ، فمنع ذلك داود وطائفة من اهل الظاهر مصيرا الى ظاهر هذا الحديث . والجمهور على انه جائز في العروض التي تنضبط بالصفة والعدد . ( انظر بداية المجتهد٢/ ٢٠١ )

ومن المعلوم ان السلم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المعجل فيه هو الثمن ، وهو من الذهب او الفضة ، والمؤجل هو الشيء المكيل او الموزون ، وكان عادة من الطعام .

والقول بأن الاوراق النقدية يجوز فيها السلم قول مرفوض لما يأتي :

١ ـ الوقوف عند ظاهر الحديث في الصرف ، وعدم الوقوف عند ظاهر الحديث في السلم تناقض .

٢ ـ اعتبار احدى العملتين الورقيتين رأس مال السلم يعني اعتبارها كالذهب والفضة ، فكأننا نقول : العملة الورقية ليست اموالا ربوية لانها ليست كالذهب والفضة ، وتعتبر رأس مال السلم لانها كالذهب والفضة !!

٣ ـ اعتبار احدى العملتين كالطعام او ما شابهه مما يكال او يوزن ، والعملة الاخرى كالذهب والفضة ، تحكم بلا دليل .

٤ ـ إن المال يقسم في الفقه الاسلامي طبقا للغرض منه الى :

أ ـ مال يقصد به المعاملة ، وهو النقود فقط .

ب ـ مال يقصد به الانتفاع ، وهو العروض .

وتنقسم العروض الى قسمين :

- عروض قنية : وهي غير معدة للبيع ، وغير مرصدة للنماء .
- عروض التجارة : وهي معدة للبيع ، ومرصدة للنماء .

وبناء على ذلك فاننا نجده خلط بين قسمين منفصلين باعتباره الاوراق المالية ( وهي نقود ) تعامل معاملة عروض التجارة ، وهذا خلط جوهري ، لان التقسيم السابق بني على أساس أن النقود مجموعة منفصلة عن العروض نظرا لأنها لا تقتنى لذاتها ، أو للأنتفاع بأعيانها ، والعكس صحيح بالنسبة للعروض .

بقى هنا ان اقف وقفة مع رأي الشيخ حسن الذي قال بأنه يتفق مع رأي اهل الظاهر :

فالواقع انه لا يتفق الا في الجانب النظري الظاهري القائل بعدم التعليل والقياس ، اما عند التطبيق على العملة الورقية فلا يتفق معهم في شيء !

فهو يرى جواز بيع بعضها ببعض مع الاجل من باب السلم ، والظاهرية يمنعون هذا :

فهم يقولون : « السلم ليس بيعا ، لان التسمية في الديانات ليست الا لله عز وجل ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وانما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلف ، او التسليف ، او السلم » .

ثم يقولون :

« لا يجوز السلم الا في مكيل او موزون فقط ، ولا يجوز في حيوان ، ولا مزروع ، ولا معدود ، ولا في شيء غير ما ذكرنا » ( المحلى ١٠/٤٥ )

فالاوراق النقدية ليست من المكيل او الموزون ، وانما من المعدود الذي نصوا على انه لا يجوز .

رأي الشيخ حسن اذن يخالف جمهور الفقهاء من السلف والخلف لعدم اخذه بالتعليل ، ويخالف اهل الظاهر ايضا عندما جاء للتطبيق العملي .

## الخاتمة

ما جاء في « تاسعا » وهو ختام بحثه هو الذي بدأت به بحثي هذا .

وقبل الانتهاء من البحث احب ان نتذكر ما يأتي :

١ ـ قضايا العصر التي تجد وتحتاج الى اجتهاد لبيان حكم الاسلام فيها ، لا يستطيع عالم فرد ـ كائنا من كان ـ ان يتحمل وحده مسؤولية الاجتهاد والبيان ، ولذا قرر المجمع في اول مؤتمر له « ان السبيل لمراعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة هي ان يتخير من احكام المذاهب الفقهية ما يفي بذلك ، فان لم يكن في احكامها ما يفي به فالاجتهاد الجماعي المذهبي ـ فان لم يف كان الاجتهاد الجماعي المطلق ـ وينظم المجمع وسائل الوصول الى الاجتهاد الجماعي بنوعيه ليؤخذ به عند الحاجة » .

٢ ـ كل من يتصدى للاجتهاد عليه ان يتثبت حتى لا ينزل عليه سخط من الله جلت قدرته ، على ان يكون ممن استكمل شروط الاجتهاد المقررة .

٣ ـ فقه الامام الشافعي في الجديد اختلف عن فقهه في القديم كما ذكر الشيخ حسن ، وبالطبع لم يقلل هذا من شأن الامام ومقامه ومكانته .

فمتى اتضح عدم صحة الفتوى وجب العدول عنها فورا ، وكذلك اذا وجد انها خالفت مقاصد الشريعة فساعدت مثلا على اكل اموال الناس بالباطل .

٤ ـ التيسير على الناس يظهر في فتوى مجمع البحوث الاسلامية في الحوالة التي تعتمدها البنوك .

فقد بحثها في مؤتمره الثاني وارجأ اصدار الفتوى لمزيد من البحث ، ثم عاد لاستكمال البحث في مؤتمره الثالث واصدر فتواه بانها حلال .

( ولعلنا نستفيد من هذا المسلك في التريث في اصدار الفتوى ، وفي الاخذ بالفتاوي الجماعية دون الفردية )

ويظهر التيسير كذلك في الاخذ بان مفهوم القبض قد يختلف بحسب طبيعة الاشياء ، وهذا واضح في البيوع ، وبحسب احوال الناس في العصور المختلفة ، والبيئات المتباينة ، وطبيعة معاملاتهم :

فكما كانت السفتجة ـ وهي ورقة ـ تقوم مقام القبض ، فكذلك الحوالة والشيك الحال . فهنا لا تعمد للتأجيل ومخالفة عن امر الله عز وجل ، وانما طبيعة العصر تمنع الناس من قبض بعض العملات الورقية ذاتها في الحال .

أما اذا كانت العملتان موجودتين ، فلا ضرورة ، ولا حاجة من حاجات العصر الملجئة ، وهنا يكون قبض كل من العملتين لازما ، لأن الضرورة تقدر بقدرها .

٥ ـ تعمد تأجيل احدى العملتين مقابل الزيادة كلما زاد الاجل يعود المسلم على التعامل بالربا ان لم يكن هو عين الربا ، كما يمنع القرض الحسن .

والفوائد التي تحددها البنوك ، والتي هي ربا محرم كما افتى مجمع البحوث الاسلامية ، يمكن ان تصبح من باب السلم الذي ذكره الشيخ حسن ، ويمكن كذلك حتى تكون مطبقة لنص فتواه ان تأخذ بعملة وتعطي باخرى ، وتعطي بعملة وتأخذ بأخرى ، فتقرض مائة دينار مثلا بالفي ريال بعد عام ، ولا تذكر كلمة ( قرض ) وانما تبيع وتشتري . والذي اخذ مائة الدينار ليس من اصحاب الريالات ، ولا يريد بيعا ولا شراء ، وانما يريد قرضا حسنا ، فلما لم يجد اخذ هذا القرض الذي لبس ثوب البيع ، وواضح جلي ان البنك حصل على مئات الريالات فائدة لهذا القرض .

وتعمد التأجيل مع الزيادة ليس من باب التيسير والرحمة بالناس ، ولا تدعو اليه ضرورة ولا حاجة ، وانما هو فتح لباب التعامل بالربا ، واغلاق لباب القرض الحسن .

٦ ـ الذين استفادوا ـ دنيوياً ـ من فتوى الشيخ حسن اكثرهم من تجار العملة ، الذين اشاعوا فتواه المسجلة ، ثم نشروا رده على نطاق واسع قبل ان تنشره مجلة الوعي الاسلامي .

وهذا الصنف من التجار ـ وبالطبع لا اقصد كل تجار العملة ، يعتمد على نظام الاقتراض والاقراض بفائدة تقل عند الاقتراض ، وترتفع عند الاقراض ، وجعلوا هذه القروض بيعا وشراء ومرت امثلة لهذا .

٧ ـ كانت النقود التي تعارف الناس عليها موجودة قبل التعامل بالذهب والفضة كما هو معلوم لمن يدرس تاريخ النقود ، واشرق عصر النبوة وتعامل المسلمون بنقود رومية وفارسية ، ولم يظهر الدينار الاسلامي الا في عهد الدولة الاموية وتطورت النقود بعد ذلك حتى وصلت الى ما نراه في عصرنا ، وقد تتبدل بعد هذا فتصبح شيئا آخر .

وشرع الاسلام احكام النقود في فترة من تاريخها ، افتبقى هذه الاحكام وتطبق على النقود التي يتعامل بها البشر في اي عصر ، ام يتوقف حكم الله تعالى ويتعطل ركن من أركان الاسلام ؟

٨ ـ احكام النقود باقية لا تتعطل ، سواء اكانت من ذهب او فضة ام كانت من غيرهما مما يصطلح الناس عليه ويتعاملون به .

وممن رأينا انهم يعطون جميع النقود احكام النقدين في الصرف الامام مالك ، وجميع شيوخ المالكية جميعا ، والامام الليث بن سعد ـ الذي قيل انه افقه من الامام مالك ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ثم جميع علماء العصر الحديث تقريبا .

ويعارض هذا الرأي رأي اهل الظاهر الذين اتفق الجميع على عدم الاخذ برأيهم في الزكاة وفي السلم ، مما يجعلنا نرفض رأيهم ، فلا يصح ان نأخذ برأيهم في حكم واحد من أحكام النقود ثم نرفض باقي الاحكام وأدلة الاحكام هنا واحدة .

والمهم في مسألتنا هو ما رأيناه من قبل : حيث ظهر ان رأي أهل الظاهر يتفق مع جميع من ذكرنا آنفا في منع الأجل عند بيع الأوراق النقدية لأنهم لا يجيزون السلم في المعدود ولا في غير المكيل او الموزون .

وغير هؤلاء الأئمة والعلماء لا أستطيع ان اجزم برأيهم في المسألة ، وان كنت أرجح ان علماء العصر لا يختلفون معهم : فالحنفية غير قائلين بالثمنية ومع ذلك وجدنا رأيهم في الفلوس الرائجة يسير مع هذه العلة فما بالنا لو ان ائمة الحنفية عاشوا في عصرنا ، ووجدوا نقود اليوم تأخذ مكان نقود الأمس ؟

والشافعية رأوا ان ما يشارك الاصل في علة الثمنية يأخذ حكمه ، ومع ذلك لم يطبقوا هذا على الفلوس الرائجة كما بينت رأيهم من قبل ، ولكن لو أن الامام الشافعي كان في عصرنا أيمكن ان تخفى عليه علة الثمنية في نقود العصر ؟

والحنابلة كذلك الذين اختلفوا ايمكن الآن أن يقولوا بالوزن ويتركوا الثمنية ؟! ان الثمنية في عصرنا من الوضوح والظهور بما لا يبقى اي خلاف والذين اتفقوا مع اهل الظاهر في ترك التعليل ، يمكن ـ بل يجب ـ ان يتفقوا معهم في التطبيق العملي حتى لا يقعوا في التناقض والاضطراب فهم اذن لا يختلفون مع فقهاء العصر في مسألتنا .

ومع الأخذ بالنصوص دون التعليل يمكن عدم الانفراد بالرأي ، وإنما تطبق احكام الدنانير والدراهم على كل النقود أخذا بما يعرف في الأصول بفحوى الخطاب ومفهوم الموافقة ، فتطبيق حكم النقدين على نقود عصرنا ، بل نقود كل عصر ومصر ، هو أخذ بدلالة النص لمن تدبر وفقه .

واحب هنا ان أوضح منهجا للشافعية قد يغيب عن بعض الناس :

فالامام الشافعي في مذهبه ينظر في العقود الى الاستيفاء الشكلي ، فيصح العقد عنده متى استوفى الاركان والشروط ، بغض النظر عن البواعث والمقاصد . وصحة العقد لا تعني انه يحله ، فقد يحكم بصحة العقد ، وفي الوقت ذاته يحكم بالحرمة .

مثال هذا بيع السلاح في الفتنة بقصد تسليح اهلها ، فالامام الشافعي يقرر صحة البيع ، غير انه لا يحل تمكين اهل الفتنة من السلاح .

والقريب من مسألتنا هنا مثلا هو بيع العِينَة ، والعينة معناها السلف ، وبيع العينة هو ان يبيع شيئا بثمن مؤجل ويسلم للمشتري . ثم يعود المشتري ليبيع الشيء نفسه للبائع نقدا بثمن اقل مما اشترى.مثلا يبيع تاجر سلعة بألف دينار والثمن يدفع بعد شهر ، ويتسلم المشتري السلعة ثم يأتي البائع ليشتري السلعة المذكورة من المشتري ويدفع له في الحال تسعمائة دينار .

الصورة هنا بيع وشراء والحقيقة قرض بربا ، اقرضه تسعمائة يردها بعد شهر الفا .

وهذا البيع هو الذي استدل ابن القيم على عدم جوازه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ « يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » وقال عنه : من المعلوم ان العينة عند من يستعملها انما يسميها بيعا ، وقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد ، ثم غير اسمها الى المعاملة ، وصورتها الى التبايع الذي لا قصد لهما فيه البتة ، وانما هو حيلة ومكر وخديعة لله تعالى .. الخ .

هذا المسمى بالبيع لم يحله احد من الفقهاء ، فهو عمل غير مشروع ، وحيلة آثمة ، غير ان الامام الشافعي واصحابه يرون ان البيع من حيث الشكل الظاهري صحيح : فالبائع باع سلعته بثمن مؤجل وهذا بيع صحيح ، والمشتري عندما تسلم السلعة اصبحت ملكا له وان كان مدينا بثمنها ، ثم باع ما يملك بثمن عاجل ، وهذا بيع صحيح ايضا من حيث المظهر والشكل ولكن هذا البيع في حقيقته ومضمونه وقصده ما هو الا قرض ربوي ، وهنا يتفق الشافعية مع غيرهم في حرمة هذا العمل وان صح عقد البيع عندهم .

فاذا نظرنا الى هذا المنهج ، والى بيع العملات في عصرنا ، والى تجار العملة الذين يلجئون الى التأجيل مع الزيادة في المؤجل تبعا لزيادة الاجل ، وجدنا هذا الصنف من الناس انما يريدون قرضا ربويا كما بينت من قبل ، فكانوا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » .

ولو افترضنا جدلا ان الشافعية يمكن ان يحكموا بصحة مثل هذا البيع من حيث الشكل الظاهري ، فانهم لا يمكن ان يقولوا بأن هذا حلال . فلا بد اذن ان يتفق الشافعية مع غيرهم في ان هذا عمل غير مشروع ، والله تعالى اعلم .

٩ ـ المجتهد ينظر في الأدلة ، ويراعى أحوال الناس في ضوئها : فيلجأ الى التيسير لا التعسير ، كما يلجأ الى سد الذرائع ، واجتناب الشبهات كما قال صلى الله عليه وسلم "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه" ( رواه الشيخان وغيرهما )
ويطول الحديث عن سد الذرائع واجتناب الشبهات غير ان موقفا اعجبني لرجل من اهل الجنة هو عبدالله بن سلام رضي الله عنه :

روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال : "قدمت المدينة فلقيت عبدالله بن سلام فقال : الا تجيء فاطعمك سويقا وتمرا وتدخل في بيت ؟ ثم قال : انك في ارض ـ يقصد العراق ـ الربا بها فاش ، اذا كان لك على رجل حق ، فأهدى اليك حمل تبن ، او حمل شعير ، او حمل قت ، فانه ربا".
قال الحافظ ابن حجر في الفتح : « يحتمل ان يكون ذلك رأي عبدالله بن سلام ، والا فالفقهاء على انه انما يكون ربا اذا شرطه ، نعم الورع تركه .
واذا كان هذا في عصر ابن سلام فما بالنا بعصرنا الذي يمكن ان نسميه عصر الربا ؟!

( والمواقف كثيرة فلا يقال بمفهوم المخالفة اياه : باقي المواقف لم تعجبه ! )

★★★

بعد هذا كله اقول :

ربما كان فضيلة الشيخ حسن لا يتوقع ان يستغل المرابون فتواه ، ولعله الان أدرك النتائج الخطيرة التي نتجت عن رأيه الذي انفرد به كما بينت آنفا .
واذا قال الجميع : هذا ربا محرم ، أفيقول هو : هذا حلال ؟
ولو افترضنا جدلا انه حلال ولم نتعامل به ، فما الضرر ما دمنا نتعامل بما لاخلاف حول حله ؟ بل نثاب ونؤجر اما اذا كان حراما فكيف نحل لانفسنا ان نكون ممن يأذن بحرب من الله ورسوله ؟

وان لم يكن هو الربا الجلي والحرام البين ، افليس فيه شبهة ربا ؟ الا يكون من المشتبهات على اقل تقدير ؟
وشبهة الربا كالربا توجب الحيطة والحذر ، والبعد عن ارتكاب كبيرة من الكبائر ، أو الاقتراب منها .

هذا ما اردت بيانه ، ولعلني في هذه المرة أكون وفقت في اقناع الشيخ الفاضل الجليل حسن محمد ايوب ، ليعلن في شجاعة المؤمن وفقه العالم العابد ، انه غير رأيه وانه مع جمهور العلماء في القديم والحديث .
وأعتذر له ان يكن القلم قد شط ، او أغلظ في قول ، فما أردت طعنا او انتقاصا او اي تجريح، ، وانما الحق والصواب والخير اردت .

فان أكن وفقت فهذا من الله تعالى وحده ، بفضله وكرمه ونعمه التى لا تحصى وان تكن الاخرى فاني لا اقنط من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، استغفره واتوب اليه ، انه هو التواب الرحيم :

**( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين )** يونس / ٩ و ١٠ .

## بلاغة

قال الأصمعي عبد الملك بن قريب : شاهدت فتاة تبكي بين قبرين بالبصرة وتكاد تختفي بينهما قلة وذلة ، وهي تقول : «اللهم انك كائن قبل كل شيء ، وانك كائن بعد كل شيء ، وانك خالق كل شيء ، وانك يا رب قد خلقت أبوي من قبلي ثم خلقتني بعدهما منهما وانك انستني بهما ما شئت ثم أوحشتني منهما اذ شئت ، اللهم فكن لهما راحما وكن لي بعدهما حافظا » .

قال الأصمعي عبد الملك بن قريب : والله لقد خلبت عقلي بحسن كلامها .. فقلت : يا بنية أعيدي كلامك .. فرفعت رأسها فبصرت بي فقالت لي : والله يا شيخ ما أنا لك بزوجة فتأنس بي ، ولا نسك بأهلك أولى بك .. فقال الأصمعي ، ففررت والله عنها حياء منها ..

# أين الحضارة

للاستاذ مصطفى عكرمة

لا شيء عند الغرب يغريني ... فكمال ديني عنه يغنيني
والشرق !! ذل الشرق ليس له ... مما ادعاه ما يمنيني
قد سخرا للظلم علمهما ... فالكون يصرخ من ينجيني ؟!
فن الفناء يقود مركبنا ... من بغي من عاشوا بلا دين
خوف الدمار يشل عالمنا ... اما السلام فغير مضمون
صنعا ، وقد برعا بما صنعا ... في سلب لقمة كل مسكين
يتنافسان على استلاب منى ... كل الشعوب ، وكل محزون
والنهب والاذلال دأبهما ... حتى ينالا كل تمكين
لا يأبهان لما يهددنا ... من ذا يرجى غوث مجنون !!
فكلاهما يبني حضارته ... ويهيم في شكل وتزيين
لا شيء غير الجسم عندهما ... والجسم من طين الى طين
ان يسبقاني في اختراعهما ... فالحق يسبق بي ويعليني
والحق أبقى وهو منتصر ... حسبي بأن الحق يرجوني
الشرق مثل الغرب ضل ولا ... يرجى لانصاف الملايين
ضلا على علم وأي هدى ... يهديك من يحيا بلا دين !!
فكلاهما يحيا بلا قيم ... تسمو به .. فكلاهما دوني
إني المرجى بعد أن فشلا ... فالكون للانقاذ يدعوني
إني المرجى ما سواي لها ... ما دام هدى الله يحدوني

كتاب الشهر

للاستاذ

حمزة الجميعي الدموهي

# الاقتصاد في الاسلام

عرض وتحليل

الأستاذ/عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

يعتبر الجانب الاقتصادي من الجوانب الهامة في حياة الفرد والجماعة اذ ينعكس أثره بشكل أو بآخر على الحياة الانسانية بجوانبها المختلفة . وقد انتابت الحياة الاقتصادية منذ بدء الحياة على الارض تيارات ومناهج متعددة ، لم يستطع أحدها ان يقود العالم الى نتائج مرضية . ونظرة بسيطة الى عالم اليوم بما فيه من ازمات ومشاكل تؤكد فشل هذه الافكار والنظم الماضية والحاضرة وضرورة البحث عن نظام او منهج مثالي يقود الحياة الاقتصادية الى الخير والفلاح . وهذا المنهج او النظام المطلوب هو موضوع الكتاب الذي نتناوله في هذا الموضع بالعرض .

ولقد تناول الكاتب هذا المؤلف في جزأين تحدث في الاول عن النظام الاقتصادي المعاصر وما آل اليه من نتائج ، ثم أورد في الجزء الثاني

عرضا للنظام الاقتصادي الاسلامي .

## الجزء الاول :

يضم هذا الجزء ثلاثة أبواب تناول فيها الكاتب النظام الاقتصادي العالمي المعاصر بالشرح والتوضيح ، ولهذا فقد تعرض الكاتب لمناقشة النقاط التالية :

* **الباب الاول :** وتناول فيه الكاتب النقاط الجوهرية التالية :ــ

( ١ ) نشأة الحياة الاقتصادية ، وهنا يوضح الكاتب ان الاقتصاد قد نشأ مع وجود الانسان على الارض وفي ظل تعاليم الدين الالهية ، ثم أخذ يبتعد عنه شيئا فشيئا ــ عبر التاريخ كله ــ الى ان ظهر في عدة صور مختلفة تبعا لاختلاف الزمان والمكان وظروف الناس واحوالهم حينذاك ، حيث سجل الاقتصاديون أهم هذه الصور التي ظهرت في العهد القديم وخاصة في اليونان وروما ، واغفلوا تاريخ الاقتصاد في مصر رغم ان الحضارة المصرية هي أصل الحضارتين اليونانية والرومانية في كل المجالات . وأشار الكاتب في سياق حديثه الى ما وضعه يوسف عليه السلام من مبادىء وأسس للنظام الاقتصادي حال استقبال البلاد على خطر الازمات والمجاعات وتتلخص هذه الاسس في :

● ــ الاهتمام بالزراعة والعناية بها .
● ــ الاهتمام بالتخزين .
● ــ تنظيم الاستهلاك .
● ــ عدالة التوزيع .
● ــ تحديد الاسعار .
● ــ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .
● ــ الايمان والعلم والعمل .

( ٢ ) الفكر الاقتصادي في العصور الوسطى وبخاصة نشأة نظام الاقطاع الذي تفشى بأبشع صوره وما أدى اليه من تقسيم أوروبا الى اقطاعيات مستقلة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا كذلك ظهور جماعة المدرسين من بين رجال الكنيسة وما دعوا اليه من ربط الاقتصاد بالدين والاخلاق ودفاعهم عن النظام الطبقي في المجتمع .

( ٣ ) سياسة التجاريين والتي تهدف الى تحقيق الثراء والقوة للدولة عن طريق تدخلها في الشئون الاقتصادية . وقد أدى تفشي هذه السياسة الى ظهور الاستعمار وقيام الحروب وظهور الدعوة الى فصل الاقتصاد عن الدين والاهتمام بالميزان التجاري دون ميزان المدفوعات ، وكثرة النقود والتضخم والبطالة واختناق الزراعة وتدهور الصناعة ، الامر الذي ادى الى نبذ هذه السياسة .

( ٤ ) المذهب الحر أو الفردي أو الطبيعي الذي ساد في منتصف القرن الثامن عشر وظهر كرد فعل معاد لسياسة التجاريين التي ثبت فشلها ، وقدم الكاتب الاسس التي يقوم عليها هذا النظام وهو عدم تدخل الدولة في شئون الافراد وترك الحياة

الاقتصادية لنظام طبيعي والاهتمام بالزراعة وفرض الضرائب على الارض فقط الخ .

( ٥ ) المذهب الكلاسيكي ، الـذي ظهر في انجلترا بزعامة آدم سميث حيث أصدر كتابه « بحث في طبيعة وأسباب ثروة الامم » الذي قيل عنه انه اعظم مؤلف خطه انسان وعالج فيه الظواهر الاقتصادية بأسلـوب جديد ، يقوم على اعتبارات جديدة ، حيث يعتبر العمل وحـده مصـدر الثروة ، واستند الى تقسيم العمل والتخصص واعتبر النقود مقياسـا للقيمـة واهتـم بالعمـال ورعـى مصالحهم الخ .

( ٦ ) ظهور المذهب الرأسمـالي ، نتيجة لما أدى اليه تطبيق المذهب الحر من تطور وازدهار في جميع الميادين ، مما زاد من قوة رأس المال وسيطرته على الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

( ٧ ) الاشتراكية : وظهرت في شكل مذاهب متعددة ، تهدف كلها الى هدم النظريات الفردية التي هي مضمون النظام الحر ، لتحل محلها النظرية الجماعية كشعار براق لما يسمـى بالاشتراكية . وتعارضت المذاهـب والافكار والتيارات المتسترة تحـت شعار الاشتراكية مع بعضها ، ولم تتفق جميعا الا في كونها صالحـة للتعبـير عن كافـة الاتجاهـات الاقتصادية والاجتماعيـة المعاديـة للرأسمالية .

وتعرض الكاتـب لبيـان بعض المذاهـب الاشتراكيـة والتـي من بينها :ـ

- ــ اشتراكية الدولة .
- ــ اشتراكية رأس المال .
- ــ انصار التدخل .
- ــ الشيوعية .
- ــ البلشفية .
- ــ الفوضوية .

## الباب الثاني :

ويدور هذا الباب حول تعاريف علم الاقتصاد والتي أوجزها الكاتب فيما يلي :ــ

( ١ ) علم الاقتصاد هو علم الثروة ، ورائد هذا التعريف هو آدم سميث حيث قال ان علم الاقتصاد يرتبط بوجود الثروة .

( ٢ ) علم المصلحة الشخصيـة ، حيث رأى الاقتصاديون التقليديون ان الاقتصـاد هو علـم المصلحـة الشخصية باعتبارها الدافع الوحيد وراء أي نشاط يقوم به الانسان .

( ٣ ) علم الرفاهية المادية ، وذلك لان الهدف الحقيقي الذي يسعـى الانسان لتحقيقه يدور حول تحقيق هذه الرفاهية .

( ٤ ) علم اشباع الحاجات المادية .

( ٥ ) وذهب الفريـد مارشـال الى تعريف الاقتصاد بانه علم دراسـة الانسان ومتطلباته .

( ٦ ) ودارت بعض التعاريـف الاخرى حول الاقتصاد من زوايـا مختلفة منهم من يرى انه : علـم الندرة . ومنهم من يرى أنه : علم

المبادلة . ومنهم من قسمه الى ثلاثة فروع هي : الانتاج والتوزيع والاستهلاك الخ .

( ٧ ) اما ابن خلدون فقد درس الاقتصاد كفرع من فروع علم الاجتماع وعرض لدراسة الظواهر الاقتصادية ، ويتضح من دراساته انه يرى ان الاقتصاد هو المعاش الذي يعني ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله .

## الباب الثالث

: في هذا

الباب الاخير من الجزء الاول يقوم الكاتب بتقييم النظامين الرأسمالي والشيوعي باعتبارهما اكبر المذاهب الاقتصادية التي سادت اقتصاديات العالم في العصر الحالي ، وبين الكاتب الخلاف الشديد بين المذهبين في العديد من النواحي ، ثم استعرض الاسس التي تجمع المذهبين وهي :

● تقديس المادة ● اهدار مبادىء العدالة الاجتماعية ● الطبقية ● الانسان المادي ● استبعاد الدين والاخلاق ● الاقتصاد المجرد

ولمساوىء النظامين فقد ظهرت المشاكل المتعددة سواء على مستوى الدول النامية فقط او على مستوى الدول كلها فقيرها وغنيها .

ففي الدول الفقيرة وضح جليا انخفاض الدخل القومي وبالتالي دخل الافراد ، وظهر عجز ميزان المدفوعات ، وازدادت مشكلة الغذاء وندرة السلع الضرورية ونقصت الاستثمارات ، وغيرها من المشكلات .

وفي الدول بصفة عامة ظهرت المشكلات التالية :

● ازمة الغذاء العالمي ● ازمة الطاقة وارتفاع الاسعار . ● ازمة التضخم . ● الازمات الروحية نتيجة الابتعاد عن الدين والاخلاق .

**الجزء الثاني :**

تناول الكاتب في هذا الجزء من الكتاب دراسة النظام الاقتصادي الاسلامي ، وقد استغرق في شرح ذلك وتوضيحه ستة أبواب على النحو التالي :ـ

* **الباب الاول :** تعريف الاقتصاد في الاسلام ، وأوضح الكاتب المعنى العام لكلمة اقتصاد مسترشدا بالايات الكريمة من القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر وقد استخلص منها : ـ ان الاسلام قد رفع مرتبة **العمل** الى مرتبة الايمان في احيان كثيرة وبذلك يكون قد سبق كل المذاهب التي تدور حول هذا المعنى .

ـ **الانتاج** ، رفع الاسلام شأن الانتاج الى درجة الجهاد بالاموال والانفس حيث سوى بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال وحارب العجز والبطالة والكسل .

ـ **الجهد والوقت** ، حيث يدعو الاسلام الى تطبيق قاعدة الحصول على أقصى منفعة ممكنة بأقل التكاليف حفاظا على الجهد والوقت باعتبارهما اهم عوامل الانتاج .

ـ **الشمول** ، حيث يشمل كل جهد يبذله الانسان حتى المشي والحديث

وكل الموارد قلت أو كثرت وكل الحاجات المادية والروحية المشروعة .

ـ **الانسان الاقتصادي** ، اقام الاسلام اقتصاده على اساس انسان خير لا يميل ولا ينحرف ولا يتنكر لخالقه على اية حال وتحت اية ظروف .

وختم الكاتب هذا الباب بتعريف الاقتصاد وفقا لما أشارت اليه الشريعة الاسلامية الغراء بأنه « الاعتدال في التفكير والسلوك بالتزام الحد الاوسط في كل مجهود ماديا أو ذهنيا ، فرديا أو جماعيا لاشباع الحاجات المشروعة ، سواء المادية أم الروحية ليكون وسيلة الى معرفة الله وعبادته » .

## الباب الثاني

: موضوع الاقتصاد في الاسلام ، وتدور عناصر هذا الباب حول بيان لمعاني كل من الانسان والجماعة والعالم والمنهج الاقتصادي في ظل هذه المفاهيم .

حيث تقوم دراسة الاسلام للانسان على أساس :

ـ الانسان الحقيقي بشقيه المادي والروحي .

ـ الحاجات ويهتم الاسلام بتلبية حاجات الانسان المادية والروحية ، وهي تشمل كل ما ينتفع به الانسان ولا يضره .

ـ الاشباع ، غاية الاقتصاد الاسلامي بشرط الاشباع المادي والمعنوي كعقيدة تدعو الى الحق والعدل والحرية والمساواة .

وفي دراسة الانسان داخل الجماعة يرى الاسلام :

ـ الانسان الفرد جزء من كل ، لا ينفصل عنه ، يؤثر فيه ويتأثر به .

ـ عدم الغاء شخصية الفرد ليظل مسئولا عن تصرفاته صوابا ام خطأ .

ـ عدم الغاء شخصية الجماعة لكي تبقى كتلة صلبة قوية بوحدتها غنية بتعاونها .

ـ محافظة الفرد على الجماعة وعدم مخالفتها وحماية الجماعة للفرد وكفالة أمنه وحقوقه .

هذا وقد تميز الاسلام بتطبيق الفكرة الجماعية لا على مستوى الفرد فقط بل على مستوى الشعوب على اعتبار :ـ

ـ ان الناس جميعا من أصل واحد .

ـ الناس تختلف في المواهب والقدرات ليجد كل عمل من يقوم به أو ما يعرف بالتخصص وهذه حكمة الله في خلقه .

ـ جعل الله اختلاف الموارد الطبيعية في الارض من مكان لآخر كما ونوعا تأكيدا لضرورة التعاون والتكافل بين الشعوب .

وتناول الكاتب موضوع الاقتصاد الاسلامي علاوة على تقدم دراسة المنهج الاقتصادي الذي يلتزم به كل فرد كذلك الجماعة والعالم تحقيقا لكل مصلحة ومنعا لكل ضرر ويقوم هذا المنهج على قسمين :ـ

( ١ ) الاصول الكلية الاساسية والاحكام العامة .

( ٢ ) الفروع والتفصيلات وكل جديد ينفع الناس من واقع التجربة الفعلية

في كل زمان ومكان .

## الباب الثالث :

مميزات

النظام الاقتصادي في الاسلام ، من خلال هذا الباب بين الكاتب العلاقة بين الاقتصاد والاسلام فأكد ارتباطه الوثيق بل جعل الاقتصاد جزءا من أهم اجزاء الاسلام ، وأوضح كذلك الارتباط الوثيق بين العمل والعبادة وبين الاقتصاد والدين . وتكلم في سياق حديثه بما يتصل بالزكاة والحج ، كذلك مصارف الانفاق ودور كل ذلك في تحقيق التكافل والتوازن في المجتمع ، وكذلك أوضح ان الاقتصاد الاسلامي يحقق التوازن بين الروح والمادة وذلك بالسعي للعبادة اولا ، ثم ابتغاء الرزق من فضل الله بعد ذلك ، وذلك لتوفير حاجات الجسد ومطالب الروح في آن واحد ، وذكر بعض المميزات الخاصة بالاقتصاد الاسلامي من ناحية شموله وكماله :ـ

ـ بعكس المذاهب الأخرى التي اهتمت بجانب دون آخر من حياة الانسان المادية والروحية ، نظر الاسلام نظرة شاملة فاهتم بالروح والجسد معا .

ـ الحاجات المادية والروحية على حد سواء ، على اساس ان الاسلام دنيا ودين معا .

ـ الثروات المادية والمعنوية في نفس المستوى من الاهمية .

ـ الجهود ، يهتم الاسلام بدراسة كافة الجهود البدنية والفكرية التي تبذل لاشباع سائر الحاجات بشقيها المادي والروحي .

ـ يتقرر الاقتصاد على الانسان في كل وقت وفي كل مجهود ، حفاظا للطاقة والوقت والتكاليف .

ـ يقر الاسلام بوجود دوافع أخرى غير المصلحة الشخصية مثل الايمان والمثل العليا التي تتعارض مع المصلحة الشخصية وتدفع الانسان لنشاط ما .

ـ الجمع بين النظريتين الفردية والجماعية .

ـ الجمع بين الملكية العامة والملكية الخاصة والميراث في الحقوق .

ـ الاقتصاد في الاسلام موجه للناس جميعا في كل زمان ومكان .

ـ الجمع بين الطرق الاستنباطية والاستقرائية ورفض مبدأ الادراك المجرد للاقتصاد .

ـ الربط بين الاقتصاد وسائر العلوم .

ـ مصدر الاقتصاد الاسلامي كتاب الله والسنة النبوية الشريفة ، والقوانين الوضعية اذا لم تتعارض مع المنهج الالهي .

ـ العمل للدنيا والآخرة في وقت واحد وقيام العدالة ايمانا بالبعث والجزاء والحساب .

ـ تحقيق السعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة .

فأي شمول بعد هذا يبغي الاقتصاديون ، وأي اهداف أسمى من هذه الأهداف ، إنه شمول وكمال ، ودنيا ودين ، يصلح لكل زمان ومكان .

## البــــاب الرابــــع :

العلاقــة بــين الاقتصــاد والعلــوم الأخرى ، أكد المؤلف العلاقة الوثيقة بين الدين والاقتصــاد وكذلك بــين الاقتصاد وكافة العلوم الأخرى كما يلي :

ـ العلــوم بقسميهــا : الطبيعيــة والاجتماعية حيث ان الاولى تتناول دراسة الطبيعة مثل الفلك والكيمياء والهندســة وغيرهــا ، ورغـــم ان التخصص مطلوب في فروع العلــم المختلفة غير أن هناك تداخلا وترابطا بين شتى الظواهر الاجتماعية .

ـ **الاقتصاد والاخلاق** : وهذه حقيقة مؤكدة حيث انه كلما تجرد الناس من مكارم الاخلاق والمثل العليا والقيم الانسانية ، كلما تجردت الحياة من الرفاهيــة الانسانيــة والسعــــادة الحقيقية بل من الامن والسلام ، ولقد دعا الاسلام الى مكارم الاخلاق .

ـ **الاقتصاد والقانون** : يجب ان تكون كل القوانين الوضعية مستمدة من القانون الالهي من غير خروج وابتعاد بحيث تنتشر البدع وتظهــر الفتن ، ولذلك فالقانون المقصود هنا هو ما يستمد من القانون الالهي لانه يكفل الحق والعدل والحرية والمساواة في كل زمان ومــكان ، ويقضي على الحقد والمنازعــات ويكفــل الحــب والتعــاون والتضحيــة والايثــار ، ويعتمــد في التطبيــق على العلـــم والايمان .

ـ **السياســة والاقتصــاد** : يقــر الاسلام السياسة ويراعيها ان كانت عادلة ويحرمها ان كانت ظالمة ، ولكي تكون السياسة عادلة فهي تلتــزم بالاتي :ـ

** الحكم للــه . ** الدولــة وعلى رأسهــا الحــــاكم . ** الكتـــاب والسنة . ** مراعاة الحق والعــدل والمساواة والحريــة وتطبيــق مبـدأ الشورى .

** مهام الدولة وتتلخص في :ـ تأمين الناس على انفسهم

ـ سيادة البلاد والدفاع عنها ـ اقامة المشروعات والمرافق ـ تدبير الموارد وتوجيه الاموال ـ تنظيم الانتاج والاستهلاك ـ اعادة الموازنة ـ تحديد المسئوليات ـ اقامة العلاقات الخارجيــة وتوطيدهــا .ـ

الاســلام يربــط بــين الاقتصــــاد والتاريخ ، وذلك ليكون دائما موضع نظر وتفكير عند بحث ودراسة الظواهر الاجتماعية لاستخــلاص الحقائــق والانتفاع بهــا ، وتتضــح أهميــة التاريخ من القصص القرآنــي عن السالفين على مر العصور .

ـ ثم ربط الكاتب أيضا بين الاقتصاد وعلم النفس والجغرافيا ، كذلك علم الجمال وأخيرا ربط بين الاقتصــاد والتكنولوجيا في بيان ظاهر ، وحكمة بالغة .

## البــاب الخــامس :

الدراسات الاقتصادية في الاسلام ، أورد الكاتــب العديــد من الآيــات القرآنية التي تحكم سلوك الانسان في

كل الاتجاهات مثل : العمل والانتاج ـ الاستهلاك ـ الفوائد ـ الملكية ـ الادخار ـ الاستثمار ـ عوامل الانتاج ـ فروع الانتاج ( الزراعة ـ الصناعة ـ التجارة ) ـ ويسمى هذا بالاقتصاد النظري في الاسلام .

ثم انتقل الى دراسة الاقتصاد التطبيقي والذي يعني بتطبيق الاسلام كنظام شامل متكامل جاء من عند الله تبارك وتعالى للتطبيق الفعلي .

ثم تناول الاقتصاد الاجتماعي ، حيث يرى أصحاب هذا المذهب ان :

ـ الاقتصاد يجب ان يوجه الى المجتمع البشري كله .

ـ علم الاقتصاد هو علم الاخلاق .

ـ تحسين الطبقة الاكثر عددا والاسوأ حالا .

اما الاقتصاد الاهلى فهو الذي يدرس اقتصاد كل أمة على حدة باعتبار ان لكل منها ظروفا معينة ، ولا يمنع الاسلام من ذلك بشرط عدم التعارض مع القواعد العامة والاحكام الاساسية التي تظهر الحق وتقيم العدل والتي جاءت بكتاب الله وسنة رسوله الكريم .

وتناول الكاتب بعد ذلك ارتباط المذاهب الاقتصادية بالمسيحية ودرس اهمية كل منها ، كذلك ما يتصل بمذهب لبلاي الفرنسي ثم تناول الاسرة في الاسلام ، وأخيرا درس الكاتب مذهب التضامن الذي تزعم النداء له والانتصار لآرائه « ليون بورجوا » .

## الباب السادس :

الاقتصاد الاسلامي والاقتصاد الرأسمالي تناول الكاتب في هذا الباب ما يتصل بنواحي متعددة شارحا الفرق بين كل من النظام الاقتصادي في الاسلام ، والنظام الاقتصادي الرأسمالي ، والذي ساد في النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، وتناول الكاتب في المقارنة المبادىء التالية :ـ

١ ـ الاخلاق . ٢ ـ الثروة . ٣ ـ العمل . ٤ ـ تقسيم العمل . ٥ ـ التبادل والانتاج . ٦ ـ الاسواق . ٧ ـ الاسعار والنقود . ٨ ـ الحرية الاقتصادية . ٩ ـ حرية التجارة . ١٠ ـ الاحتكار . ١١ ـ الرسوم الجمركية . ١٢ ـ الدفاع . ١٣ ـ المصلحة الخاصة والمصلحة العامة . ١٤ ـ القضاء . ١٥ ـ الخدمات العامة . ١٦ ـ الضرائب . ١٧ ـ الفائدة ورأس المال . ١٨ ـ السكان . ١٩ ـ مبدأ الادراك المجرد للاقتصاد . ٢٠ ـ الدولة .

ووجه الكاتب في خاتمة الكتاب الدعوة الى دراسة الاسلام قبل توجيه الاتهام اليه ، وقال إن نسب التخلف الذي يعيشه المسلمون الآن الى الاسلام ظلم وافتراء ، وأكد عدم دراسة هؤلاء لحقيقة الاسلام ، رغم انه موجه لكل الناس أيا كانت عقائدهم ، وبذلك يكون القرآن حجة على كل إنسان ودراسته واجبة الى آخر الزمان .

# فتى الكهول
# عبد الله بن عباس

في حياة الشعوب الأصيلة والامم البشرية ابطال عماليق ، وعباقرة افذاذ ، ومصلحون اصحاب مبدأ ، ارواحهم الطموحة سيوف نضال لا تصدأ ، وصدورهم تحمل ثقل المسئولية ، ولواء الكفاح مرفوع فوق رؤوسهم بالسلاح او بالفكرة العبقرية .

والتاريخ الاسلامي زاخر بدروس العظمة ، والسيرة العطرة ، وصور البطولات الخالدة حافل بالرجال الذين سطروا صحائف المجد والعزة والفخار ، وملأوا الدنيا نورا باخلاقهم الطاهرة ، واعمالهم المجيدة ، وحياتهم المملوءة كفاحا وجهادا ونضالا ، وسلوكهم الاسلامي الرفيع الذي اكتسبوه من مثلهم الاعلى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، المثل الاعلى في البطولة بطولة الجهاد ، وبطولة الفكر ، وبطولة الخلق ، وصدق المولى تبارك وتعالى حيث يقول : ( **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة** ) ــ ٢١ /الاحزاب .

وعبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ واحد من اولئك الابطال الذين حفل بهم التاريخ في فترات مختلفة ، وابلوا في سبيل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بلاء حسنا ، وجاهدوا لرفع كلمة الحق ...

للاستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

جل شأنه والذود عن دينه ، وقاتلوا من اجل الوطن ومن اجل العقيدة وكان لهم دورهم البارز في حياة الاسلام بايمان صادق عميق ، وتضحية خالصة لوجه الله عزوجل وفداء وبطولة وخلق ساطع فضربوا بذلك المثل الاسمى والقدوة الحسنة للأجيال على مر العصور واستحقوا الخلود على مدى الدهر .

صاحب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ودعا له بالحكمة مرتين وقال عنه عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » ، وكان من رواة الحديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن طائفة من الصحابة وروي عنه اخرون .

يقول ابن عباس محدثا عن نفسه : « رأيت جبريل مرتين ، ودعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرتين وقال ايضا : « ارسلني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلب الادام ــ الطعام ــ وعنده جبريل فقال : هو ابن عباس ؟.. قال : بلى .

قال : فاستوص به خيرا ، فانه حبر امتك اوقال : « حبر من الاحبار » .

**اوصافه واخلاقه :**

كان عبد الله بن عباس طويلا مفرطا في الطول ابيض البشرة مشربا بصفرة جسيما ، وسيما ، صبيح الوجه ، يخضب بالحناء ، ذا ذكاء خارق وفطنة بالغة ، متواضعا اشد التواضع ، حليما اعظم الحلم ، بارا كل البر ، شجاعا لايهاب الموت ، كريما جوادا لا يخشى الفقر ، طاهر النفس زكي الروح ، عفيفا ، صادقا في القول والعمل ، عالما ، حكيما .

**نسبه ونشأته :**

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي وامه ام الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية .

ولد قبل هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من « مكة » الى « المدينة » بثلاث سنين وقيل بخمس سنين وكان « بنوهاشم » اذ ذاك بشعاب مكة وذلك حين رأت قريش ان الدعوة الاسلامية قد نجحت نجاحا ساحقا منقطع النظير واخذت تنتشر بين الطبقات العليا وان جميع محاولاتها لارجاع المهاجرين من الحبشة قد فشلت وان عدد المسلمين قد ازداد واخذ خطرهم يظهر وشكيمتهم تقوى باسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ــ رضي

الله عنهما ـ فاتجهت الى استخدام اسلوب جديد وشهرت في وجه المسلمين سلاحا رهيبا لتقاوم به انتشار الاسلام وهـو سلاح المقاطعة الاقتصادية فاتفقت قريش على ان تقاطع بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة فلا يتزوجون من نسائهم ولا يبيعون لهم شيئا ولا يشترون منهم ولا يخالطونهم ولا يقبلون منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا الـرسول صلى الله عليه وسلم .

وسجلوا كل هذه القرارات في صحيفة ختمت باختام وعلقت في جوف الكعبة تأكيدا لاحترامها فيكـون الخروج عليها بمثابة الخروج على العقيدة المتوارثة وكانوا يعتقدون ان سياسة التجويع هذه والمقاطعة سيكون لها من الاثار والفاعلية ما سيحقق اغراضهم .

وازاء هذه المقاطعة الظالمة لجأ بنو هاشم وبنو عبد المطلب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التحصن بشعب بالجبل تحت امرة ابي طالب ولم يتخلف عنهم سوى عمه ابي لهب الذي أسرف في تعصبه للاصنام وتهور في بغضه للاسلام ولم يرع للقرابة حرمة ولا للـرحم مودة وقد امر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المسلمين من غير بني هاشم وبني عبد المطلـب بالهجرة الى الحبشة لئلا يهلكهم الجوع .

وبلغت مدة الحصار المؤلم ثلاث سنوات اثر فيهـا الحصار على المحاصرين تأثيرا شديدا فلم يجرؤ خلالها واحد منهم على ان يدخل مكة وكاد يهلكهم الجوع ومع ذلك فقد ضربوا اروع الامثلة في الصبر وقوة الاحتمال .

وخلال هذه الايام العصيبة شب عبد الله بن عباس في حجر النبوة وترعرع في نور الدعوة المحمدية فقد كان بحكم صلته بالرسول صلى الله عليه وسلم كثير الاتصال به يرى عن قرب تطور الدعوة الى الاسلام ويهفو قلبه الصغير الى ذلك الدين الجديد الذي عم نوره أرجاء مكة كلها .

وكان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يحب اهله وينزل العباس عمه منزلة خاصة في نفسه فاحب عبد الله لانه كان يحب اباه العباس ولقد روى انه عليه الصلاة والسلام دعا عبد الله وهو صغير فمسح رأسه وتفل في فيه وقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » رواه احمد .

ولا يذكر المؤرخون كيف اسلم عبد الله ولكنهم يذكرون انه صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل صغير لم يبلغ السابعة او الثامنة من عمره .

وقد هاجر الى المدينة مع من هاجر من المسلمين من اهل مكة ولم تذكر كتب التاريخ شيئا عن حياته في المدينة سوى انه كان شغوفا برواية الحديث منذ نعومة اظفاره كما حفظ القرآن الكريم .

وعندما لحق المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الاعلى كان عبد الله قد بلغ مبلغ الرجال واينع قلبه وعقله بالعلـم والتقوى فاخذ يجمع

الحديث ويتفقه في القرآن الكريم ويتعلم من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم السابقين ما فاته سماعه وتعلمه من الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه .

ولقد جعل من نفسه علامة استفهام دائمة فلا يسمع ان أحدا يعرف حكمة أو يحفظ حديثا الا وسارع اليه وتعلم منه وكان عقله الواعي الطموح يدفعه لفحص كل ما يسمع فهو لا يعني بجمع المعرفة فحسب بل ويعني مع جمعها بفحصها وفحص مصادرها ويقول عن نفسه : « اني كنت لاسال عن الامر الواحد ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » ويعطينا ابن عباس صورة دقيقة لحرصه على ادراك الحقيقة والمعرفة فيقول : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لفتى من الانصار : هلم فلنسأل اصحاب رسول الله فانهم اليوم كثير .. فقال : عجبا لك يا ابن عباس !! اترى الناس يفتقرون اليك وفيهم من اصحاب رسول الله من ترى ؟.. فتركت ذلك واقبلت انا اسأل اصحاب رسول الله ... فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي اليه وهو قائل في الظهيرة فاتوسد ردائي على بابه يسفي على التراب حتى ينتهي من مقيله ويخرج فيراني فيقول ؛ يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟.. هلا ارسلت الى فآتيك ؟.. فاقول : لا ، انت احق بان اسعى اليك فأسأله عن الحديث واتعلم منه » .

على هذا النحو كان عبد الله بن عباس يسأل ثم يفحص الاجابة مع نفسه ثم يناقشها بعقل جريء وهو في كل يوم تنمو معارفه وتشب حكمته حتى توفرت له في شبابه حكمة الشيوخ وأناتهم وحصافتهم وصار في منزلة اعلام الصحابة .

### عبد الله وعمر

وعندما توفي ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ وآلت الخلافة الى عمر ابن الخطاب كان عبد الله بن عباس قد بلغ في العلم غايته واتاه الناس من كل مكان ينهلون من علمه ويبتغون من فضله وقد احبه عمر حبا جما وادناه منه وقربه وكان يشاوره في بعض الامور شأنه في ذلك شأن كبار الصحابة ويأخذ بقوله وكان عمر يدعوه للمعضلات ومن حوله اهل بدر من المهاجرين والانصار فيتحدث ابن عباس ولا يجاوز عمر قوله .

روي ان جماعة من المهاجرين قد وجدوا ضيقا في نفوسهم من عمر بن الخطاب لانه يقرب ابن عباس اليه من دونهم ويسأله فقال عمر : اما اني سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله به فسألهم عن هذه السورة « اذا جاء نصر الله والفتح » فأجاب بعضهم بان المولى تبارك وتعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يحمده ويستغفره اذا رأى الناس يدخلون في دين الله افواجا فقال عمر : تكلم يا ابن عباس .. فقال : أعلمه متى يموت فقال : اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فهي اية موتك فسبح بحمد ربك واستغفره .

ولقد بلغ من حب عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس وتقديره لعلمه انه قال : « ابن عباس فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول كما قال : نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو ادرك اسناننا ما عاشره منا رجل و : ما سمعت فتيا احسن من فتيا ابن عباس الا ان يقول قائل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## عبد الله وعثمان

ولما تمت البيعة لعثمان بن عفان عقب مقتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - نال ابن عباس من رعاية عثمان مثلما نال من رعاية عمر وكان عثمان يثق فيه ثقة عظيمة وفي السنة السابعة والعشرين من الهجرة وجه عثمان والي مصر عبد الله بن ابي سرح لغزو افريقية وبعث اليه بالجيوش والامدادات التي يحتاجها وكان من بين من اشترك في هذا الغزو ابن عباس وجماعة من أجلاء الصحابة فقاتل وابلى في القتال بلاء حسنا لانه كان حريصا على ان يعفر وجهه بتراب الغزو في سبيل الله عز وجل وفوزا بالجنة التي بها مائة درجة اعدها المولى تبارك وتعالى للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض واشترك - ايضا - في فتح طبرستان - الى جانب الحسن والحسين وعمرو بن العاص والزبير بن العوام تحت قيادة سعيد بن العاص - رضي الله عنهم اجمعين .

وكما احب ابن عباس عمر بن الخطاب احب عثمان كذلك ومع ذلك فقد كان لا يتورع عن مواجهة عثمان بالحق اذا اقتضى الامر ذلك وقد فزع اشد الفزع عندما قتل عثمان واعرب عن أسفه العميق لمقتله وقد روي عنه انه قال فيه : رحم الله ابا عمرو كان - والله - اكرم الجعدة - اي : اكرم الناس - وافضل البررة هجادا بالاسحار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا عند كل منحة حييا ابيا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين .

## منزلته وفضله

لقد كان عبد الله بن عباس صاحب منزلة من القرآن الكريم والاسلام وكان يعلو المنبر فيقرأ سورتي البقرة وال عمران ويفسرهما اية اية وكان اذا سئل عن شيء بحث عنه في الكتاب والسنة فان لم يجده فيهما اجتهد وكان يصوم يومي الاثنين والخميس وكان يلقب بـ البحر لغزارة علمه وتعدد موارده ومع غزارة علمه ونفاذ حجته لم يكن يرى في المناقشة والحوار معركة ذكاء يزهو فيها على خصمه بعلمه بل كان يراها طريقا قويما لرؤية الصواب ومعرفته .

وقد امتاز ابن عباس على الناس بصفات لا تحصى فقد كان متفقها في الدين عالما باخبار الماضي ملما باحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه والى جانب ذلك فقد كان يحدث الناس في النسب والمغازي متبحرا في الشعر واللغة والفرائض

والتفسير والحساب .
يروى عن ابي صالح احد صحابة ابن عباس انه قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو ان جميع قريش فخرت به لكان لها به فخر ... لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطرق فما احد يقدر ان يجيء ولا ان يذهب فدخلت عليه فاخبرته بمكانهم على بابه فقال لي : ضع لي وضوءا ثم قام فتوضأ وجلس وقال لي : اخرج فقل لهم من كان يريد ان يسأل عن القرآن وحروفه وما اريد منه فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألــوا عنه او اكثر ثم قال : اخوانكم – اي : بالباب – ثم قال : اخرج فقل : من اراد ان يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم عنه وزادهم مثله او اكثر ثم قال : اخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل : من كان يريد ان يسأل عن الفرائض وما اشبههـــا فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم وزادهم مثله أو أكثر ثم قال : اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل : من كان يريد ان يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء الا واخبرهم عنه وزادهم مثله او اكثر ثم قال : اخوانكم فخرجوا فلو ان قريشا كلها فخرت بذلك لكان لها فخر فما رأيت مثل هذا لاحد من الناس .

ويقول عنه مسروق : « كنت اذا رأيت ابن عباس قلت : اجمل الناس .. فاذا تكلم قلت : افصح الناس .. واذا تحدث قلت : اعلم الناس .

ولقد كان عبد الله بن عباس – رضي الله تعالى عنه – صاحب حلم ، طاهر النفس نقي القلب ولا يحمل لاحد حقدا ولاضغينة ولا كراهية يؤثر الرفق على العنف والمنطق على القوة يتمنى الخير لكل من يعرف من الناس ومن لا يعرف يقول عن نفسه : اني لآتى على الآية من كتاب الله – عز وجل – فأود لو أن الناس جميعا علموا مثل الذي اعلمه واني لاسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم بالقسط فافرح به وادعو له وما لي عنده قضية واني لاسمع بالغيث يصيب للمسلمين ارضا فافرح به وما لي بتلك الارض سائمة » .

وكان رضي الله تعالى عنه يتلو القرآن الكريم على الــدوام ويتهجد بالليل ويكثر عند ذلك بكاؤه ويطول نحيبه .

وهكذا كان عبد الله بن عباس – رضي الله تعالى عنه – إماما في علمه وقدوة صالحة في خلقه ومثالا للحلــم والشجاعة فاحتل بشخصيته مكانته العظيمة بين اعلام المسلمين الذين يحتفظ لهم التاريخ باجمل الذكريات واطيب الاثر .

رحمه المولى تبارك وتعالى وطيب ثراه وجعلنا ممن يترسمون خطاه ويسيرون على دربه ومنواله .

## قصص لا تنسى :

# مع الجماعة

أشار ( أوسمان ) بسبابته إلى الممرضة التي دخلت القاعة لتتفقد حالة المرضى الثلاثة ، ولما اقتربت من سريره تمتم بكلمات امتزجت فيها التركية بالألمانية ، ففطنت لما يريد ، ولم تضطره إلى مزيد من الايضاح ، وأخذت بذراع السرير تديره فترتفع مقدمته به حتى شارف الجلوس ، فأشار إليها بالتوقف ، ثم رفع راحته إلى فمه بطلب الماء ، فصبت له كأسا من الثلاجة القريبة ، وبعد أن سبرت حرارته ابتسمت له ، وهي تكتب الدرجة الثامنة والثلاثين على اللوح الخاص به ، ومن ثم انصرفت لخدمة النزلاء الآخرين بعد أن طمأنته على وضعه الصحي ..

وفي جهد رفع كلتا يديه ليتلمس رأسه الملفوف بالضماد ، وليمر راحتيه على وجهه الغارق أكثره تحت الأربطة ، وشعر بشيء غير قليل من الارتياح ، إذ لم يجد أي حس بالألم الذي كان يعانيه كلما لمس هذه الأجزاء من جسمه حتى مساء أمس .. ودون أي وعي جعلت شفتاه تتحركان بكلمة ( الحمدلله ... ) على أنه لم يكد ينتبه إليها حتى شخص ببصره نحو المجهول ، ولبث دقائق كالحائر الذي فقد قدرة التركيز الذهني على أي شيء .. إلا أنه ما لبث أن عاد إلى لفظها مرة أخرى ، ثم مرة ومرة ، وكأنه يتطلع من خلال حروفها إلى مالا يستطيع هو تحديده ..

الحمدلله ..

ما أبعد عهده بهذه الحروف .. لقد فقد جرسها ومعناها منذ عشر سنوات على الأقل ، حتى لا تكاد تمر على شفتيه إلا أن يسمعها من أبويه ،

للاستاذ / محمد المجذوب

أثناء قضائه إجازته السنوية في « أنقرة » حيث يقيمان في المنزل المتواضع ، الذي أطل من خلاله على الدنيا ، وقضى فيه سنيه العشرين ، فلم يغادره إلا بعد زواجه .. أو يسمعها من بعض مواطنيه المهاجرين مثله للعمل في ألمانيا الغربية ، وفي مدينة « دوسلدروف » هذه التي يصارع فيها الحياة منذ خمس عشرة سنة .

إنه ليذكر جيدا نشأته في ظل هذين العجوزين ، إذ كانا يأخذانه وإخوته الثلاثة بذلك التدريب الدائب على أخلاق الاسلام ، من صلاة وصيام وتلاوة القرآن ، على كثرة ما يلقي الأب في سبيل ذلك من قسوة رجال الشرطة الذين لا ينفكون عن التحقيق معه ، كلما نقل إليهم المخبرون نبأ عمله ذاك المخالف لتحذيرات السلطات الكمالية .. وكم من مرة أخذ ذلك الوالد للتحقيق ثم لم يعد إلا بعد أشهر ، وكل ذنبه أن المخبرين قد سمعوا بعض أطفاله يترنمون ببعض آيات القرآن ، فاذا ما سألوهم عن ملقنهم إياها لم يستطيعوا الكتمان الذي أرادهم عليه أبوهم ..

وتمضي الذكريات « باوسمان » إلى المدرسة الابتدائية التي قضى فيها مع العديد من أبناء حيه ، ست سنوات كاملة ، شحنت صدره بالكثير من التناقضات التي لم يستطع مزايلتها حتى الساعة .. إذ كان عليه أن يتلقى كل ما يمليه عليهم مدرسوهم المتحمسون « لأتاتورك » بالتسليم المطلق ، على أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل ، وهم أينما تحركوا من أرجاء انقرة واجهتهم تماثيله مؤكدة تلك المعاني ، مرسخة إياها في أعماق تصوراتهم ، حتى اذا عاد إلى البيت سمع من والده كل تكذيب لتلك الدعاوي ، بل ربما تجاوز التكذيب إلى الاتهام بالألحاد والخيانة واليهودية ..

وشد ما وقف أمام هذه المفارقات فلم يستطع توفيقا بينها ، على الرغم من ذكائه الذي كان به من المتفوقين طوال سنيه الابتدائية .. ولم يكتف ذلك الأب المحافظ بكل هذه المحرضات حتى ختمها بالضربة التي لايــزال « أوسمان » يعاني من أثرها حتى الآن .. وأي ضربة أثقل من أن يحرمه مواصلة الدراسة في مدارس الدولة ، ليصرفه إلى هذا المسلك المضني ، الذي لا يفتا يخوض غماره في صفوف العمال ..

كثير من رفاقه في تلك المدرسة قد أتيح لهم أن يواصلوا دراستهم ، حتى انتهوا إلى المراتب المرموقة ، مع أنه كان سابقهم جميعا ، ولا يشك في أنه لو قدر له أن يستمر في ذلك الطريق لكان حريا أن يوازيهم على الأقل ، إذا لم يتقدمهم ..

ولم حيل بينه وبين ذلك المصير ؟..

ويتذكر إلحاح والده ، وإصراره على اقتلاعه من ذلك الاتجاه ، إيثارا لدينه ولمسلكه الذي ورث به خصائص أبيه الآخر ، الذي أدى به عناده للنظام الجديد إلى الموت على المشنقة .. وطالما ما سمع من والده العجوز تلك الكلمة الجازمة التي كان يواجه بها بكاءه لفراق الدراسة : ( خير لك يابني أن تعيش بكدح يديك ، وأنت مؤمن معتصم بحبل الله ، على أن تحتل أسمى المناصب وأنت فارغ الذهن والقلب من نور الايمان .. ) .

ويطرق « أوسمان » مليا ثم يرفع رأسه إلى الأعلى ليعود إلى وضعه الذاهل ، وهو يهمس : ومع ذلك فأين الايمان الذي ضيع مستقبلي من أجله ؟..

وما كاد يصل من تأملاته إلى هذه الصورة حتى ألفى نفسه تلقاء ذلك الموقف الحرج الذي بدأ به التحول الجديد الذي طرأ على مسيرته ..

ومن وراء عشرين من السنين أطلت عليه وجوه أولئك الرفقة الذين جمعته بهم حرفة البناء ، وباتوا يعانون معا أعباء البطالة ، التي أناخت بأثقالها على الكثيرين من طوائف العمال على اختلاف اختصاصاتهم ..

وراح هؤلاء يستعرضون الواقع السيء الذي انتهت إليه طبقاتهم ، بعد الركود الكبير الذي شمل الاقتصاد التركي ، على الرغم من وفور الخيرات التي تفيض بها هذه الأرض ..

لقد وقفت عجلة العمل أو أوشكت أن تقف .. ومع ذلك لم تتوقف تكاليف الحياة عن التضخم فأسعار الضروريات في ارتفاع محموم ، والنقد التركي فقد القدرة على مجابهتها .. وكاد الانفراج ينحصر في نطاق اروام واليهود ، وكبار الحكام وحدهم ..

إنهم يجترون شكاواهم أينما تلاقوا ، وتكاد هذه الشكاوي أن تكون اللازمة على ألسنة الفقراء والعمال ، وسائر أبناء الطبقة الوسطى ..

لكأن ثمة يدا خفية تقود حياة الناس في طريق غامض مجهول لا يعرف أحد غايته سواها ..

واذا فلابد لهذه الطبقات المنكوبة من التفتيش الجاد عن مخرج من هذا المأزق الرهيب ..

ويتعذر على « أوسمان » اليوم أن يحدد الظروف التي ساقته إلى اعتناق الماركسية ..

لكنه يتذكر شيئا واحدا هو أن تلك اللحظة كانت هي التيار الذي جرفه بعيدا عن طريق والده .. إذ ما كاد يستقبل ذلك الوافد الفكري العنيف حتى سلخه من كل علاقة بسواه .. وهكذا ما برح يزداد إيغالا في البعد عن ماضيه ، كلما تقدم خطوة في طريقه الجديد ، حتى لم يعد لديه مجال للريب ، بأن السبيل الوحيدة للتغيير الصحيح محصورة في القضاء على كل الأنظمة المتوارثة ، ولاسيما القيم الدينية والأخلاقية ..

وكرة أخرى يمر راحتيه فوق أربطة رأسه ووجهه ، ويقدح ذلك في خياله صورة اللحظة التي حصل فيها التصادم ..

كانت ذاكرته لاتزال تحتفظ بصورة العقرب ، وهو يعلو الرقم العاشر من ساعة السيارة حين فوجئ بشجرة الرصيف تسد عليه السبيل ، فلا يجد محيدا عن نطحها ..

إنه لا يدري كيف أقبلت تلك الشجرة نحوه بهذه السرعة ، ولكنه لا يستطيع أن ينسى أنه كان في دوامة من السكر والقلق ، فهو خارج لتوه من المشرب الذي اعتاد أن يقضي فيه معظم لياليه ، حيث يتناول كؤوسه المقدرة من الخمرة الرخيصة اثناء جلوسه للقمار مع مجموعة من زملائه في المصنع ، حتى إذا دقت ساعة المشرب الثانية عشرة ، خرجوا يحملون أنفسهم إلى سياراتهم الشعبية ـ الفولكس ـ وقد فقدوا نصف وعيهم على الأقل ـ وفقد اكثرهم كل ما حملوه من الماركات ، التي أخذت سبيلها إلى صندوق صاحب الحانوت ، إلا قليلا مما ظفر به المحظوظ منهم .

وكان قلقه ليلتئذ أكبر من المألوف في تلك السهرات ، إذ كان غارق التفكير في ما وراءها من أحوال أسرته ، التي أتمت خلال هذا الشهر العدد السادس بميلاد طفله الرابع ، الذي دعاه عمر ـ على اسم جده ـ

ولقد قدم إلى المشرب وفي صدره أمل كبير بأن يكون صاحب حظ الليلة ، فيحرز معظم ماركات الرفاق ليؤمن بها فرحة الصغار في عيد الفطر الذي أصبح على الأبواب ..

أجل .. إن أوسمان مقطوع الصلة بمعنى العيد ، فهو لا يستشعر له أي علاقة في نفسه ، وكان من الممكن أن ينساه نهائيا ، مادام كالكثيرين غيره من الجيل الكمالي ، قد فارق سبيل المتدينين ، فلا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام .. إلا أنه مع ذلك كله لا يجد فسحة للتخلص من مسئوليات العيد بازاء أطفاله ، الذين لا يستطيع تجريدهم عن الهوية الدينية في مثل هذه المناسبات .. إنهم يتطلعون إلى مشاركة أشباههم في هذه الفرصة ، فهو مضطر لمسايرة مشاعرهم بتوفير الحلويات ، وتامين الألبسة الجديدة لمواجهته .. وها هو ذا يسمع خطوات العيد قادما نحوه ، فلا مندوحة له عن الاستعداد اللازم لاستقباله ..

وتتراءى لعينيه الزائغتين طيوف الواقع المزعج .. لقد خسر آخر عشرة ماركات كان يامل أن تشد إليه أمثالها ، فاذا جيوبه خاوية ليس فيها حتى ثمن علبة السجائر .. وقبلها ذهب مرض « حقي » ـ أكبر أولاده ـ بالمبلغ الذي توافر لأمه خلال الشهر الماضي ، فلم تبق ثمة فرجة للفرج إلا عن طريق الاقتراض .

وتتابع في خياله الصور القاتمة ، فاذا هو تلقاء ذلك اليوم القريب الذي عجز فيه عن الوفاء بما استدانه من رفيقه « حكمت » لسداد ما تبقى عليه

من دين لصاحب الحانوت ، ولتأمين بقية القسط الذي اعتاد إرساله إلى أبويه بنهاية كل شهر ..

ويكاد يساوره شعور الندم على تصرفه .. الذي يستهلك نسبة غير يسيرة من دخله لانفاقها على الميسر والتدخين والخمر .. إلا أنه سرعان ما طرد من رأسه ذلك العارض الذي لا سبيل إلى قبوله .. إذ لا يستطيع تصوره إلا مقرونا بنصائح أولئك الزملاء الذين استعبدهم الهوس الديني ، فلزموا مناهج آبائهم الأولين ، ولم يكتفوا بذلك لأنفسهم ، فراحوا يستهوونه وأمثاله لمواكبتهم في ذلك المسلك ، الذي لا يفتأ يسمع رفاقه في كل مناسبة يرمون أهله بالرجعية والفاشستية والعمالة .. ويحذر كل منهم الآخر من الاصغاء إلى دعوتهم ، التي لا يريدون بها سوى تخدير الكادحين ..

والظاهر أن تأملاته قد طالت ، فلم يع ما حوله من أحاديث بعض الزوار الذين تحلقوا حول مريضهم ، حتى أقبلت نحوه عربة الطعام بوجبة الغداء ..

وقبل أن يمد يده إلى مائدته ، جمد بصره قليلا على محتوياتها من الأرز ، والفاصوليا وأفخاذ الدجاج المحمر ، ونظر في غصة إلى قرن الموز الذهبي وهو يعانق التفاحة الحمراء ، وهمس لنفسه : أين أنتم ياأحباء من هذه الألوان الشهية ..

وطرق سمعه ذكر العيد يتحدث به أحد الزوار ، وعلم أن موعده هو الغد أو الذي بعده .. فتضاءلت رغبته في الأكل ، وجعل تفكيره يتركز على الصغار والعيد .. والانكسار الذي سيغشاهم خلال أيامه ..

واستشعر لفحة لاذعة من النقمة ، تصور له الآخرين من ذوي اليسار ، وكأنهم عصائب لصوص ، انتزعوا نعيمهم من بؤسه وأمثاله ..

ويرجع برأسه إلى الخلف قليلا ، وجعل يتمتم ، كأنه يرد على خواطره : ولكن .. ما بال هؤلاء الرفاق الكادحين المسلوبين لا يتعاونون لتخفيف مآسي إخوانهم ؟.. ويرتفع همسه بعض الشيء : لماذا لا يتفقدون رفاقهم في مثل هذه المناسبات ، ليمسحوا عن وجوه صغارهم بعض خطوط البؤس ؟ ..

وفي لهجة آسية يستأنف : والآن .. ما العمل ؟.. غدا أو بعد غد سيأتي الأولاد الأربعة ومعهم أمهم ، وليس على أحدهم كسوة جديدة ، وليس في قدم أحد حذاء يسره ..

وتعبر في خياله صورة ( الفولكس ) وهي تهجم به على شجرة الرصيف ليحمل من هناك فاقد الوعي إلى هذا المستشفى .. ويسأل نفسه في حيرة بالغة : ألم يكن خيرا لي ألا أفيق أبدا من تلك الصدمة ؟..

لم يكد « أوسمان » يصدق عينيه ، وهو ينظر إلى زوجته وأبنائه يدخلون عليه في غير الوضع الذي يتصوره .

كان الفرح يطفح على وجوههم وأجسامهم جميعا .. فعلى كل منهم الكسوة التي لم يحلم بمثلها من قبل ، وفي رجلي كل حذاؤه الزاهي .. وما أشد سرور صغيره الثالث « جاويد » بالسيارة الأنيقة التي شغل بها حتى عن أبيه ، فهو يوجهها هنا وهناك ، ويدير لولبها كلما فترت حركتها ، لتندفع من جديد ، بالاتجاه الذي يريد .

وارتسمت في خيال اوسمان صور كثيرة ، وهو يقبل أولاده ، ويرد تحية قرينته بخير منها ، ولم يطق الصبر طويلا على كتمان ما في نفسه فاتجه الى زوجته يستوضحها باشارة من يده ، وعضلات وجهه ، عن هذا الذي يشاهده ..

وأدنت المرأة مقعدها من صدر السرير ، وجعلت تحدثه بمثل الهمس : إنها هدية الجمعية الاسلامية ، حملها إليها مندوبها ، ومعه موفد التوعية الاسلامية من قبل مفتي « استانبول » ، ولقد قاموا بتفقدك هنا أكثر من مرة أثناء غيبوبتك ..

وبكثير من الوجوم استقبل « أوسمان » هذه الكلمات .. وقبل أن يعقب عليها بشيء تابعت المرأة تقول : وقد حملا إلينا مقادير وافرة من المئونة ، وأضافا إليها مئتي مارك ، قالا : إنها عيدية الأولاد ..

وكان الزوجة خشيت من زوجها عدم الرضى ، فأردفت : أؤكد لك أنني بذلت جهدي لرد هذه الأشياء ، واعتذرت باصرار عن قبولها ، غير أنهما أقنعاني بأنها نوع من التعاون الذي تشارك فيه أنت وكل تركي في « دوسلدروف » .

وكان استدراكا لطيفا أعاد إلى نظراته صفاءها ، وأضفى على وجهه ــ الذي فارقه الضماد ــ بوادر الارتياح شيئا بعد شيء ، وقال ، وكأنه يخاطب نفسه : حقا .. لقد شاركت في هذه التعاونية .. ذات يوم ..

وانتظرت الأسرة حتى قدم المشرف على ذلك القسم من المستشفى ، فناول أوسمان إذن المغادرة ، ومشى معهم حتى شيعهم إلى السيارة التي لم تلبث أن انطلقت بهم .. ولكن اوسمان ما لبث إلا دقائق حتى استوقف السائق ، ليهبط إلى الرصيف ، وهو يقول لأهله : اسبقوني إلى المنزل .. وسأكون عندكم بعد قليل ..

وسألته المرأة في استغراب : وأنت .. إلى أين ؟..

ورد في تصميم : إلى نادي الجمعية ..

وشد ما شغل بالها هذا الرد المثير .. وتوقعت أن يكون وراءه رغبة في خلاف جديد ، مع أولئك الاسلاميين ، فأشارت إلى السائق بالتريث قليلا ، وقالت لزوجها في نغمة أشبه بالرجاء : ولم هذه الزيارة غير المعتادة ؟..

فأجاب وهو يحرك قدميه باتجاه المبنى المتواضع القريب : لأسجل الأولاد في قسم تعليم القرآن ، ولأشهد صلاة الظهر مع الجماعة ..

## الوزارة في الفكر الاسلامي

**جاءنا من الدكتور فؤاد عبد المنعم كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها**

**أهمية منصب الوزارة وتاريخه :**

- يعتبر منصب الوزارة من أهم الولايات العامة في الدولة ، فالوزير يسهم في رسم سياسة الدولة في الداخل والخارج . وقد ظهرت أهمية هذا المنصب منذ فجر تاريخ الانسانية عندما وجدت جماعة من البشر على أرض معينة ، ولزم لتدبير أمرها حاكم يسوس أمورها واحتاج الحاكم لمن يعاونه عليها ، يقول ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع في مقدمته : « ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا فلابد من الاستعانة بأبناء جنسه .. » فمنذ الزمن البعيد وآثار قدماء المصريين شاهدة على وجود منصب الوزير ففي حفرية حية نقش لوزير يخرج من بيته في الصباح الباكر ليستمع الى مظالم الفقراء ويصغي ولايميز فيها بين الحقير والعظيم . ويقول « ول ديورانت » ان الحكومة المصرية القديمة من أحسن الحكومات نظاما وكان الوزير على رأس الادارة كلها يشغل منصب الوزراء ، وقاضي القضاة ، ورئيس بيت المال ، وكان الملجأ للمتقاضين لايعلوه في هذا الا الملك وان كان كثير من الكتاب يرجعون الوزارة خطأ الى اليونان والفرس .

وكلمة الوزير من الكلمات المعروفة عند العرب قبل الفتوحات الاسلامية فموسى عليه السلام كان أخوه هرون وزيرا له ففي قوله تعالى على لسان موسى « **واجعل لي وزيرا من أهلي . هارون أخي . اشدد به أزري . وأشركه في أمري** » ( طه : ٢٩ - ٣٢ ) وعندما التقى المسلمون في السقيفة لاختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال المهاجرون « نحن الأمراء وأنتم الوزراء » وفي طبقات ابن سعد ان أبا بكر كان وزيرا للنبي صلى الله عليه وسلم ويقول الطبري « ان زيادا كان يسمى وزير معاوية »

**الشروط التي ينبغي ان تتوافر في الوزير :**

قد استقرأ الفقهاء المسلمون القدامى أيات الكتاب الكريم والسنة الشريفة وانتهوا الى شروط اشترطوها في الوزير ومن هذه الآيات الآية الجامعة للسياسة العامة العادلة والولاية الصالحة : ( **ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها**

**واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا . ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ) ( النساء : ٥٨ ، ٥٩ ) واعتبر الفقهاء هاتين الآيتين قاطعتين في الدلالة على ما تضمنتهما ومن هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات أمكن الوصول الى الشروط الآتية : -

١ - **العدل** : ليكون الوزير منصفا في حكمه ، فيسلم الشعب من ظلم غيره وظلمه وتبدو أهمية هذا الشرط في ان القائم بالحق والعدل يملك سرائر من تقلد عليهم ويحقق طمأنينتهم ، أما اذا كان جائراً قاهرا فلا يملك من الرعية الا التصنع .
٢ - **الأمانة** : ليفي بما عليه ويستوفي ماله ، ولايختزن لنفسه ، فلا يقبل الهدايا التي تعطى له بحكم منصبه والتي في حقيقتها رشوة مقنعة ، حتى يكون القدوة الصالحة في سلوك العاملين تحت رئاسته .
٣ - **الكفاءة** : وهي ان يرتب الأعمال على قواعدها السليمة ، ويضع الأمور في نصابها ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الولاية العامة « أنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »رواه مسلم وأبو داود .
٤ - **الاسلام الحق** : ان الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر واشترط القرآن في ولي الأمر ان يكون مسلما لقوله تعالى وأولي الأمر ( منكم ) كما ان مقتضى هذه الآية ان يعمل بأحكام الشريعة الاسلامية في المسائل التي وردت بها نصوص صريحة ويرد المسائل المتنازع فيها الى الكتاب والسنة ، ويتطلب ذلك العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والأحكام والرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدبير المصالح .
٥ - **الرجولة الراشدة** : دليل ذلك قول الله تعالى ( **الرجال قوامون على النساء** ) النساء/ ٣٤ . وبين الرسول ان هذه القوامة ليست قاصرة على البيت فحسب بل شاملة للولايات العامة في الدولة لقوله صلى الله عليه وسلم « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخاري وأحمد بن حنبل والنسائي والترمذي وقوله أيضا : « اذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الأرض خير من ظهرها » رواه الترمذي .
وقد تتطلب الاسلام الرشد فيقول الله سبحانه وتعالى ( **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما** ) النساء/ ٥ ، كما أشار الى سن الأربعين بقوله جل شأنه :( **حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي** ... ) ( الاحقاف : ١٥ ) ففي هذه السن يتم النضوج العقلي والاستقرار العاطفي وهي السن التي يوحي فيها الله

لأنبيائه ورسله يقول الأصفهاني « ان الانسان اذا بلغ هذا السن يتقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله بعد ذلك » .

٦ ـ **سكنى دار الاسلام** : فقد ورد في القرآن الكريم ( **والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا** ) ( الأنفال : ٧٢ ) .

٧ ـ **عدم الاشتغال بالتجارة** : يحظر على الوزير الاشتغال بالتجارة وينبغي التفرغ لمنصبه ، ويؤيد الماوردي قوله هذا بحديث يسنده الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال « اذا اتجر الراعي أهملت الرعية » وتكاد أن تتفق على هذه الشروط الدول العربية وان لم تنص عليها كلها صراحة في دساتيرها . كما أن هناك بعض أوجه الخلاف بين تلك الدساتير والنزعة الاسلامية الواضحة ، فقد اشترط الاسلام في الوزير ان يكون رجلا مسلما فليست في الاسلام جنسية أو قومية . ومن جماع الكلم كتاب المأمون فيما يشترط من أوصاف في وزيره .

اني التمست لأموري رجلا جامعا لخصال الخير ذاعفة في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، إن أؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قلد مهمات الأمور نهض فيها يسكته الحلم ، وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ، ان أحسن اليه شكر وان ابتلي بالاساءة صبر ، لايبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه .

**أنواع الوزارة** :

قسم بعض فقهاء المسلمين الوزارة الى قسمين :

احدهما : وزارة التفويض ، ويطلق عليها أيضا الوزارة المطلقة يكون فيها اختصاص الوزير شاملا فكل أمور الدولة فوضه رئيس الدولة بالتصرف فيها وفق مايراه من مصلحة ، وأخرجوا من اختصاص وزير التفويض أمرين .

أ ـ **ولاية العهد** : وهي مقصورة على رئيس الدولة يولي عهده من يشاء .

**ب ـ عزل من ولاه رئيس الدولة** .

واشترط بعض الفقهاء ـ فوق ماقدمنا من شروط ـ فيمن يباشر وزارة التفويض سلامة الحواس والأعضاء ، والشجاعة والنجدة المؤديان الى الحفاظ على الدولة .

وأما الثاني : فوزارة التنفيذ ويطلق عليها أيضا الوزارة المقيدة ، وينفذ الوزير فيها مايأمره الحاكم فقط ، ويرجع لرئيس الدولة في كل صغيرة وكبيرة فهو منفذ وليس مفوضا ، ومن هنا تخفف بعض الفقهاء من شروطهم فيه فلا يشترط فيه الاسلام ولا الاجتهاد .

وكانت الوزارة في العهد العباسي تقوم على وزير تفويض واحد ومعه عدة وزراء تنفيذيون . وفي الأندلس تعدد وزراء التفويض بتعدد اختصاصاتهم فقد قسموا الوزارة أصنافا بتعدد اختصاصاتهم وأفردوا لكل قسم وزيرا فجعلوا وزيرا للمالية ، ووزيرا للمواصلات ووزيرا للحربية . ويقول الماوردي ان الغالب على سمة الحكم

الاسلامي هي وزراء التفويض وعلى العكس من ذلك كان سمة الحكم الفارسي هم وزراء التنفيذ وهذا مايجعلنا نقول ان النزعةالاسلامية ليست نزعة دكتاتورية واستبدادية وانما هي نزعة تتسم بالشورى والحرية والمشاركة في مسئوليات الحكم ويشابه وزير التنفيذ مركز الوزير في النظام الأمريكي الرياسي حيث يعد بمثابة سكرتير لرئيس الدولة مهمته تنفيذ ارادة الرئيس وسياسته بخلاف وزارة التفويض التي يشابه مركز الوزير فيها مركز زميله في النظام البرلماني حيث يشترك الوزير مع رئيس الدولة في الحكم وحيث نجد ان الوزارة هي التي ترسم في الواقع الحكم .

**مرسوم الوزارة :**

اشترط الفقهاء المسلمون ان يكون تعيين وزير التفويض بنص صريح واضح يقول فيه رئيس الدولة لوزير التفويض : « قلدتك وزارتي والنيابة عني في جميع مالي من ولاية الرعية » ويرد الوزير قائلا : « قبلت »

أما وزير التنفيذ فيكفي ان يعهد رئيس الدولة اليه تنفيذ أمر معين .

وفي العصر الحديث تنص معظم الدساتير على تأدية الوزراء لقسم معين أمام رئيس الدولة .

**عزل الوزراء :**

يعزل الوزير اذا تحققت خيانته أو عجزه أو قصوره أو قلت هيبته أو وجود من هو أكفأ منه ، ويكاد ان يجمع الفقهاء على ان العزل بغير سبب موهن للسياسة ، وفي هذه الحالة يقدم الوزير ماله وماعليه حتى يبرىء نفسه ، ويكشف أمره للناس جميعا ويحدد مسؤوليته .

وليس أضر على رئيس الدولة من أن يكون وزراؤه ونوابه يجيدون القول ولايجيدون العمل فيركن الى أقوالهم فتختل الدولة باهمالهم وفساد أعمالهم فينبغي ان يكون رئيس الدولة كيسا فطنا يستبقي العناصر الصالحة ويستبعد العناصر السيئة .

## بماذا ينهض الاسلام

الأخ أحمد بدر الدين نجيب سالم ـ سوريا ـ حلب بعث الينا مقالا عنوانه ( بماذا ينهض الاسلام ) يقول الأخ الكريم :

ما أكثر المسلمين اليوم ولكنهم في موازين القوة أضعف الخلق لأنهم لا يحملون من الاسلام الا اسمه يظنون أن الاسلام شهادة يرددها اللسان وعبادات تؤديها الأبدان بينما ينطلقون في الحياة الى حيث تقودهم أهواؤهم وشهواتهم وغدا الاسلام محجوبا بأهله غريبا في دياره وفي ختام الكلمة يقول : ان الاسلام اليوم لا ينهض الا بالتمسك بالعقيدة والثبات على اليقين والتضحية والفداء ...

# بريد الوعي الاسلامي

**الاخ مسلم صادق من قفصة تونس يسأل :**

**○ ما هي المعجزات الحسية لرسولنا الاعظم عليه الصلاة والسلام وهل هناك ما يثبت صحة هذه المعجزات في القرآن او يدل عليها ؟**

● المعجزة هي كل حادثة خارقة للعادة والقوانين التي اجراها الله في هذا الكون وقد ايد الله الانبياء والرسل بهذه المعجزات تأييدا لهم في دعوتهم وايد نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام بمعجزات حسية ابصرها ونقلها الكثير من الصحابة وقد اشار القرآن الكريم الى بعضها قال تعالى : ( **اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ) وقد اتفق العلماء في تفسير هذه الآيات وسبب نزولها ان اهل مكة سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر .

هذه معجزة من معجزات كثيرة يمكنك الاطلاع عليها في كتب السيرة النبوية العطرة .

**الاخ كيوس حميد من المغرب مراكش يسأل :**

**○ ما اسم الشيطان قبل ان يطرده الله من رحمته ؟**

ـ جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة آية ٣٤ قوله تعالى :

« **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين** » .

وجاء في القرآن الكريم في سورة الكهف آية ٥٠ قوله تعالى : « **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ..** » وفي هذين الدليلين كفاية لسؤالك يا اخ حميد

**الاخ الطيب عمر سليمان من السودان يسأل :**

**○ ما الفرق بين الحديث المتفق عليه والحديث الضعيف ؟**

ـ الحديث الضعيف هو ( ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن ) والحديث المتفق عليه هو ما رواه الشيخان ( البخاري ومسلم ) في صحيحيهما فيقال ( رواه الشيخان ) او متفق عليه .

**الاخ احمد الدجاني مصطفى من فاس ـ المغرب :**

**○ يسأل عن "ذا الكفل" هل هو من الانبياء ام لا ؟ حيث ان احدى المجلات الاسلامية نشرت مؤخرا مقالا ذكرت بأنه ليس من الانبياء وانا بحثت عنه فوجدت ان القرآن الكريم اورد اسمه مع اسماعيل وادريس كما ان الحافظ ابن كثير يقول نفس الشيء في تفسير القرآن العظيم ارجو الافادة .**

ـ ذو الكفل مجهول لا نملك تحديد زمانه ومكانه والارجح انه من انبياء بني اسرائيل وقيل انه من صالحيهم وانه تكفل لأحد انبيائهم قبل موت هذا النبي بأن يخلفه في بني اسرائيل على ان يتكفل بثلاث :ان يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب في القضاء فوفى ما تكفل به وسمى ذا الكفل لذاك ، ولكن هذه ليست سوى اقوال لا دليل عليها والنص القرآني يكفي في هذا الموضوع لتسجيل صفة الصبر والصلاح لذي الكفل ، قال تعالى في سورة الانبياء الآيتين ٨٥ ـ ٨٦ : « **واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين** » .

## ردود سريعة

**الاخ المهندس محمد ابراهيم الخزرجي مصر البحيرة** يأمل ان نرسل له صورة غلاف العدد ( ١٩٢ ) مكبرة .

لا يوجد لدينا يا اخ محمد ما تريده وشكرا على رسالتك .

○ **الاخ مولاي مصطفى من مراكش** بعث الينا برسالة تهنئة بمناسبة مطلع السنة الهجرية مبديا كل حب وتقدير واخوة تجاه المجلة .

وادارة تحرير المجلة من جانبها تبارك للاخ الكريم بالسنة الهجرية وتشكره على رسالته

○ **الاخ نصر الدين عوض السودان** بورسودان بعث الينا برسالة يشكر فيها الاستاذ سيد عطاء محمد علي ، على ما كتبه في العدد ( ١٩٠ ) تحت عنوان ( اين الاسلام يا امة الاسلام ) نشكر الاخ نصر على اهتمامه وحرصه واطلاعه .

○ **الاخ محمد شعبان احمد مصر اسيوط** ارسل الينا رسالة يشكر فيها الاستاذ ( محمود محمد بكر هلال ) على قصيدته المنشورة في العدد ١٩٣ تحت عنوان ( ماذا لنا ) .

شكرا ايها الاخ الكريم على شعورك المنبثق من قاعدة الايمان والذي يحمل في طياته العاطفة الصادقة .

# مع صحافة العالم

**( النذير العريان ) عنوان مقالة كتبتها ( الدعوة ) السعودية في عددها ٧٨٥/١٦/فبراير ١٩٨١ تقول المقالة :**

كان ممثل المجاهدين الأفغان بمثابة النذير العريان للأمة الاسلامية حين ردد في خطابه البليغ أمام مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بأن الاتحاد السوفيتي الشيوعي يستهدف كل بلاد الاسلام بعد أن يتم اجهازه على البلد المسلم المكافح ( أفغانستان ) .

كان الشيخ ( عبد رب الرسول مجددي ) في خطابه ذاك أمام المؤتمر الذي تعلقت به أنظار أكثر من مليار مسلم في مشارق الأرض ومغاربها . كان الشيخ واعيا ، قويا وكان يردد لقادة المسلمين وللمسلمين : دافعوا عن أنفسكم بدفاعكم عن أفغانستان حيث يؤكد الشيخ أن أفغانستان ليست سوى مرحلة أولى من الأطماع السوفييتية الشيوعية ومع ثقتنا بديننا وأمتنا فاننا نعتبر انذار الشيخ المجاهد هو الحقيقة التي لا مبالغة فيها بالنسبة للدول الاسلامية التي تنضوي قياداتها تحت الولاء للسوفييت بشكل أو بآخر من صيغ وأشكال الصداقة والمعاهدات ، هذه الدول التي تعرف نفسها ويعرفها العالم الاسلامي والتي ندرك بمرارة أنها لم تلجأ لذلك الولاء الا مكرهة للحصول على الأسلحة في سبيل تحرير أراضيها بعد أن ظنت أن الاتحاد السوفييتي هو الطريق الوحيد وبعد أن رأت ألا بديل أفلا يوجد بديل لهذه الدول التي تقامر بمستقبل شعوبها المسلمة وأراضيها الحرة بالارتباط بهذه الدولة الشيوعية التي عرف عنها سرعة الاستيلاء المسلح على الدول الصديقة لها متى رأت الفرصة سانحة ... ! !

بلى يوجد البديل ...

انه التضامن الاسلامي ...

فأمة الاسلام اذا تضامنت كما أمرها الله لم تعد بحاجة الى معسكر شرقي أو غربي وسيخضع العالم بأسره لمطالبها المشروعة فالعالم الاسلامي بقوة العقيدة في أبنائه واستعدادهم للجهاد وبكثافته السكانية وانتشار أراضيه وسيطرته على مواقع حساسة وثروته الهائلة يعد القوة الأولى في العالم اذا تحقق له التضامن الذي يضع الحق نصب عينيه .

## نشرت الرأي العام الكويتية في ١٩/٢/١٩٨١ مقالا تحت عنوان ( دعوة للعودة الى القرآن ) نقتطف منه الآتي :

« تمر الدول العربية في الوقت الحالي بعواصف شديدة وامواج متلاطمة فالوضع العربي اوصلنا الى مرحلة اليأس نتيجة الخلافات القائمة بين الاقطار العربية ، ففي ايام كثيرة مرت ، سمعنا عن قيام وحدة او اتحادات وتفاءلنا بأنها ستعيد لهذه الامة رفعتها وعزتها ليكون لنا رأي ومكانة بين الامم لكننا نصحو على الواقع الاليم اذ ما يكاد يتلاقى الاشقاء حتى يتفرقوا ، الكل يريد رفعة هذه الامة بالكلام ... اما الافعال ؟ الله اعلم !!

ويستطرد كاتب المقال :

امام هذه المتناقضات الغريبة هناك بصيص امل انه اتباع النظام الالهي الذي جاءنا به القرآن وليست النظم التي وصفها مكيافيلي والتي تتبعها الدول وسائل لتحقيق غايات .. ان الوقت قد حان لنعود الى اسلامنا الذي اعزنا قرونا » .

## نشرت جريدة اللواء الاردنية في عددها رقم ( ٤١٨ ) الصادر في ١٨/٢/١٩٨١ تحت عنوان

## التململ الاسلامي في روسيا والصين

كيرغيزيا قد لا يكون اسما مألوفا في الغرب ولكن الاحداث في هذه الجمهورية الجبلية في وسط آسيا السوفيتية تسبب الآن قلقا في موسكو ففي يوم ٤/١٢/١٩٨٠ قتل سلطان ابراهيموف رئيس وزراء كيرغيزيا ووصف الرسميون المحليون مقتله بانه تحرش سياسي قبل انعقاد المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي . وهناك تفسير اكثر معقولية الا وهو بان ابراهيوق ربما يكون قد قتل على يد الوطنيين المسلمين . فكيرغيزيا هي احدى الجمهوريات الست في جنوب الاتحاد السوفييتي حيث يشكل المسلمون اغلبية السكان ويبدي السوفييت قلقا متزايدا من انتشار التوترات الاسلامية في الجنوب ففي آذار ١٩٨٠ م تم طرد وزيرة خارجية كيرغيزيا من الوظيفة بتهمة انها اشارت في مقابلة مع مجلة ( تايم ) الى ان التدخل الروسي في افغانستان كان يرمي على الاقل الى منع الاصابة بعدوى المتاعب الاسلامية وقد اعفى الكثير من

مناصبهم في هذه الجمهورية بعد مقتل ابراهيموف مما يوحي بان المجلس السوفييتي الاعلى يحاول تشديد قبضته على كيرغيزيا . والمشاكل هذه ليست مقتصرة على الجانب الروسي بل مقدمة للجانب الصيني ففي اكتوبر ١٩٨٠ م قام احد اعضاء المكتب السياسي الصيني في جولة لاقليم تسينج ينج الصيني المقابل لكيغيزيا السوفييتي ودعا هذا المسؤول الصيني الى الحذر من القياصرة الجدد عبر الحدود السوفيتيية الذين يمدون بمخالبهم في الصين لبذر الشقاق واثارة الاضطرابات ومن السهل تحميل الروس المسؤولية الا

انه من الواضح ان المواطنين متململون على جانبي الحدود

كليهما .. هل الاسلام مثل الاشتراكية لا يعرف حدودا .!!

في زاوية المنبر الحر نشرت جريدة القبس الكويتية في عددها رقم ٣١٤٩ بتاريخ ١٧/٢/١٩٨١ تحت عنوان ( العالم لا يعاني ازمة موارد ولكن من نضوب الايمان ) تقول الصحيفة :

تطالعنا بين الحين والآخر اخبار لا يتقبلها عقل ولا يعيها ضمير على سبيل المثال لا الحصر خبر يقول : بيعت لوحة الفنان فلان بمبلغ ستة ملايين جنيه استرليني وبيع طابع بريد قديم بملبغ ستين الف دولار ... الى آخر القائمة من تقليعات العالم المجنون الذي نعيش فيه !!...

ومع ذلك نسمع كل يوم ونرى من يتندر بهذا الفنان وامثاله ولكننا قلما نسمع من يتندر او يتفكر في تلك اللوحة التي تتحرك وتتنفس في اطارها البديع الخلاب هذه اللوحة يراها البشر جميعا ولكنهم لا يحسون بها لانهم اصيبوا بعمى الالوان وفيما يلي وصف الصورة البديعة كما ورد في نص صانعها الاعظم ومصورها الكبير الخلاق :

« فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس »

« والذي اخرج المرعى . فجعله غثاء احوى »

والشمس وضحاها . والقمر اذا تلاها . والنهار اذا جلاها . والليل اذا يغشاها . والسماء وما بناها . والارض وما طحاها »

فهل يستطيع اصحاب الفرش ان يرسموا سنتمترا واحدا يتحرك ويتنفس ويأكل ويشرب ويسبح بحمد صانعه ليل نهار ؟ وهل يستطيع السادة النقاد ان يكتبوا حرفا واحدا مما ورد او بالاحرى بمثل ما ورد في وصف المصور الاكبر رب العالمين .

طابع بريد بستين الف دولار !!
ولوحة بيكاسو بستة ملايين جنيه !!
شيء له قيمة ويجب ان يقتنى !!
ومع هذا ينبري حضرات الخبراء الاقتصاديين ليقولوا بان العالم مقبل على تفجر سكاني وازمة غذائية وقلة مياه ..
وفي رأيي انهم بعيدون كل البعد عن الواقع فالبحر يتسع لالاف الملايين من الاسماك والبر يتسع لالاف الملايين من الكائنات الحية والطاقة متوفرة والمياه كثيرة ولكن الشيء الاخذ بالنضوب فعلا هو الايمان بالله هذا النضوب الايماني هو الذي اعمى البشر عن ادراك الحقيقة فجعلهم يهملون واجبهم للخلافة في الارض ويقدسون طابع بريد ؟

اليس هذا العالم اجهل من عقرب واضل من ضب !!

## نشرت جريدة الشرق الاوسط كلمة تحت عنوان :

## صحوة اسلامية بين عرب فلسطين المحتلة

بدأت الصحوة الاسلامية التي انتشرت بين سكان الاراضي المحتلة تثير قلق سلطات الاحتلال الاسرائيلي وتشير المصادر الاسلامية الى صحوة اسلامية كبيرة بين عرب فلسطين المحتلة وقد ازداد عدد المترددين على المساجد كما زاد عدد المسلمين في المدارس الدينية واخذ الشباب ينادون

بصورة علنية الى العودة الى اصول الدين الحنيف والقيم الاسلامية الحقيقية وتقول سلطات الاحتلال ان

الصحوة الدينية ادت الى انشاء منظمات سياسية اسلامية شبه سرية

### الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا .

- كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .
- موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .
- الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .
- ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
- لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .

# اقرأ في هذا العدد

# العالم الاسلامي

## افغانستان

○ دولة اسلامية تقع في وسط آسيا بين ايران والباكستان مساحتها ٦٤٧,٥٠٠ كم٢ ولم تحمل هذه الدولة اسمها الحالي الا في اواسط القرن الثامن عشر عندما تدعم الجنس الافغاني فيها وكانت المقاطعات قبل ذلك تحمل اسماء مختلفة .

○ اللغة التي يتكلم بها السكان مشتقة من الفارسية .

○ يتألف سكان افغانستان البالغ عددهم ١٨ مليون نسمة من عدة عناصر اهمها الافغان - الفرس - الترك والمغول - الهندوكشن الآريون .

○ بدأ الاسلام ينتشر في افغانستان منذ ايام الخليفة عثمان بن عفان حينما ارسل عامل البصرة ( عبد الرحمن بن سمرة ) لغزو سجستان فحاصر مدينة ( زرنج ) واستولى عليها وهي اليوم تسمى ( زاهدان ) .

○ خضعت اقاليم افغانستان في القرن الرابع الهجري للغزنويين وفي بلاط الدولة الفزنوية التي اتخذت من ( غزنة ) عاصمة لها ظهر العديد من العلماء منهم الفارابي والفردوسي والبيروني .

○ تدين اليوم كل قبائل افغانستان بالاسلام والغالبية على مذهب اهل السنة عدا قبيلة او قبيلتين فتعتنق المذهب الشيعي .

○ تسلم الحكم في افغانستان عام ١٩٣٣ الملك محمد ظاهر شاه وفي عهده نشطت الحركة الشيوعية وتغلغلت في الجيش مما دفع محمد داوود صهر الملك للقيام بانقلاب عسكري الغى الملكية واعلن الجمهورية ١٩٧٣ م واستمر في عهده ايضا النشاط الشيوعي .

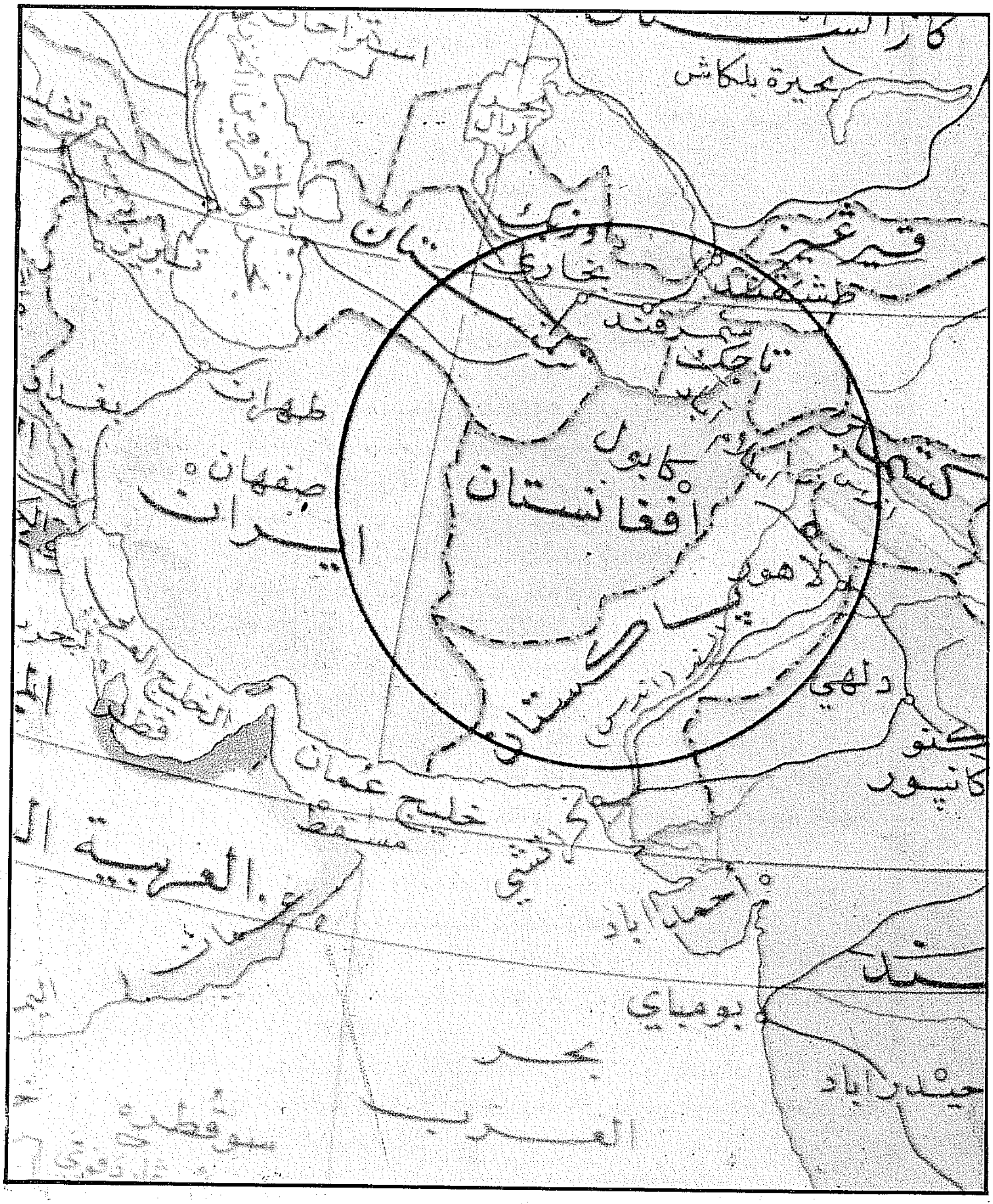
○ تمكن الشيوعيون من الانقضاض على محمد داوود وقتلوه في انقلاب دموي عام ١٩٧٨ م واستلم الحكم ( نور محمد تراقي ) وبدأت تظهر بوادر حركة المقاومة الاسلامية المنظمة .

○ لما فشل الشيوعيون في القضاء على الحركة الجهادية عزلوا ( نور ) وعينوا حفيظ الله امين في محاولة لانقاذ الحكم .

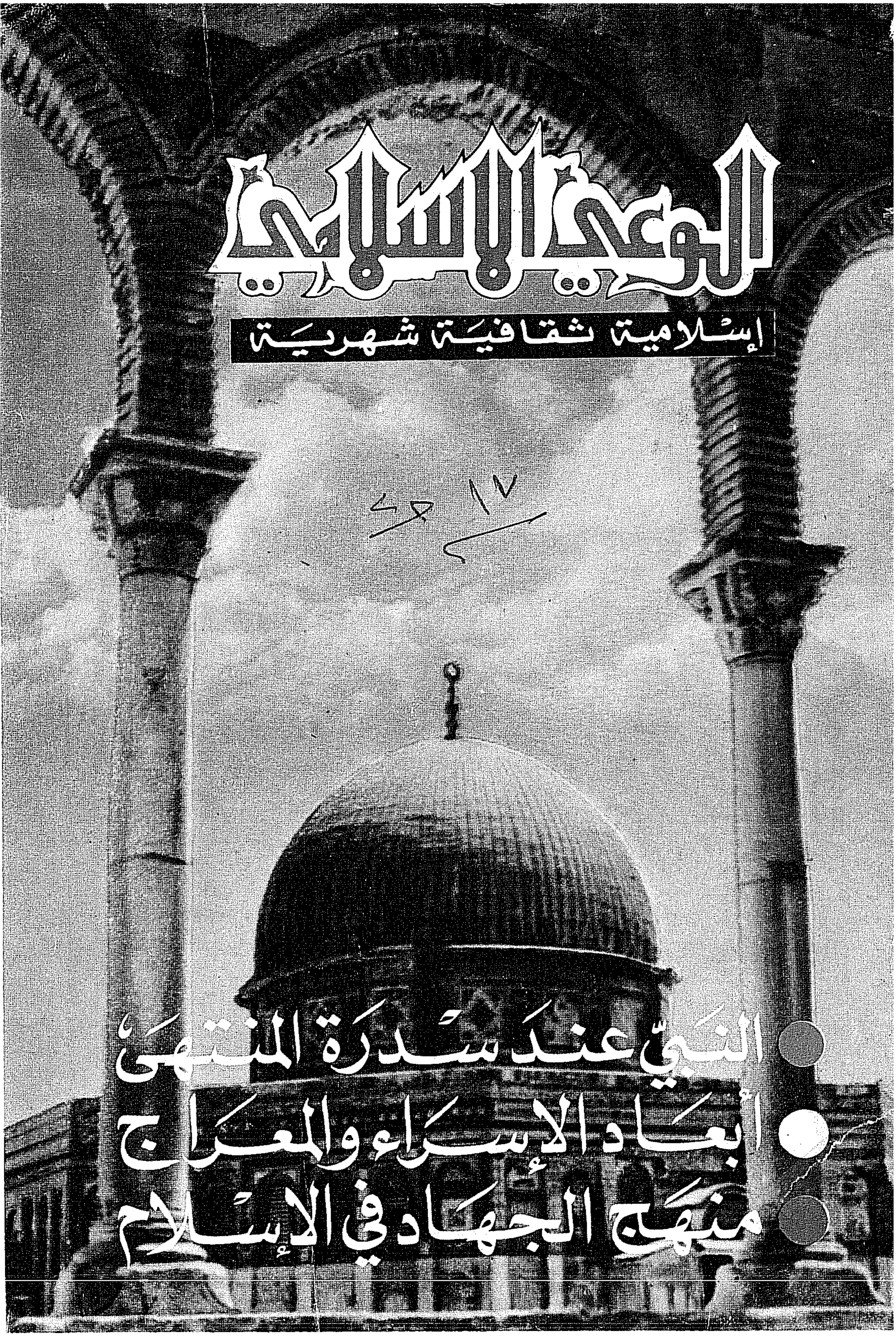
○ وجد الروس ان لا مفر من التدخل العسكري المباشر لانقاذ الحكم فقتلوا حفيظ الله ونصبوا عميلا اخر هو بابراك كارميل في محاولة يائسة لتطويق الثورة .الاسلامية .

○ ان شعب افغانستان الذي اذاق الانكليز في الماضي طعم الهزيمة يقف اليوم بكل فئاته سداً منيعاً امام قوات الاحتلال الشيوعي واضعاً نصب عينيه النصر او الشهادة .

# افغانستان.. مقبرة الغزاة




طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –


الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
النبيّ عند سدرة المنتهى
أبعاد الإسراء والمعراج
منهج الجهاد في الإسلام

# الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٩ ● رجب ١٤٠١ هـ ● مايو ١٩٨١ م


هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي


عنوان المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١


● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

| | |
|---|---|
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

# تسامح فريد وتعصّب ممقوت

انزل الله الاسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عقيدة تسمو بالنفس الى معرفة الله وتوحيده ،

وشريعة تبين الأحكام والآداب والقواعد والأخلاق والمعاملات التي يسير عليها الناس في دنياهم .

وقد أمر الله تعالى أن تكون الدعوة لهذا الدين بالبيان والحجة في رفق ولين فقال تعالى : ( أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ) .

**ومنح الانسان الحرية والاختيار فيما يعتقد وفيما يفعل ويترك ( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) ..(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ) .**
**وبذلك اقتضت مشيئة الله وحكمته ان يكون بين الناس مؤمنون وكافرون : ( ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ) .**

**ومن ثم كانت شريعة الله الى خلقه شاملة لما يكون عليه التعامل السديد بين المسلمين وغيرهم .**

فالأقليات غير المسلمة في الوطن الاسلامي ( من اي نحلة كانت ) يوجب الاسلام على الدولة المسلمة ان تدع لهم الحرية في الاعتقاد والتعبد حسب ما يدينون به ، وان تعاملهم بالتسامح والعدل والاحسان وان تصون نفوسهم وأعراضهم وأموالهم وأن تكفل لهم المعيشة الملائمة في المطعم والملبس والمسكن كما تكفل ذلك للمسلمين سواء بسواء .

والاسلام يقرهم على ما يعتقدون حله ــ وان كان قد حرم في الاسلام ــ كما في الزواج والطلاق وأكل لحم الخنزير ، فاذا رضوا بالاحتكام الى الاسلام في أحوالهم الشخصية ، فالمسلمون بالاختيار بين ان يحكموا بينهم بشريعة الاسلام ، أو يمتنعوا عن الحكم لقوله تعالى : **( فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ) .**
والاسلام يحرم على المسلمين ظلم غير المسلمين من أهل العهد والذمة فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا او انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة » وقال « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما ) » .
والمسلم يرى في تنفيذ هذه الحقوق طاعة الله ومرضاة لرسوله ، ومن ثم يؤديها ما دامت تلك الاقليات تلتزم بأحكام القانون الاسلامي في المعاملات المدنية ونحوها ، وتحترم شعائر المسلمين ومشاعرهم ، ولا تقاتل المسلمين في دينهم ولا تظاهر اعداءهم .
وقد بين الله دستور هذه المعاملة في قوله تعالى : **( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين.انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) .**

**هذا تسامح الاسلام وتلك معاملته للأقليات غير المسلمة فاين ما تفعله الدول غير الاسلامية مع الأقليات المسلمة من هذا التسامح الفريد الذي يصنعه الاسلام مع غير**

**المسلمين .**

**ان كثيرا من الدول غير الاسلامية تجتاح الأقليات المسلمة وتبيدها وتغتصب حقوقها تحت سمع العالم وبصره .. فما يحدث للمسلمين في جنوب الفلبين .. وما يحدث للمسلمين في ارتيريا وفي الحبشة نموذج كريه بالغ السوء .. يعطي الدليل كل الدليل على التعصب المقوت ، وعلى ضياع حقوق الانسان تحت سمع وبصر من يتشدقون بأنهم رعاة هذه الحقوق .**

اما غير المسلمين خارج الأوطان الاسلامية فالاسلام يأمر المسلمين بالتسامح معهم ما داموا لا يعتدون على المسلمين ولا ينتقصون حقوقهم ولا يطعنون في دينهم قال تعالى : **( فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين )** .. فاذا حدث منهم شيء من هذا فالاسلام يأمر بجهادهم ، فان جنحوا للسلم وعدلوا عن الظلم في صدق ووفاء فالاسلام يرحب بالوسائل السلمية متى أدت الى الوصول الى الحق كاملا **( وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم )** اما اذا أرادوا المخادعة والمماطلة فعلى المسلمين ان ينبذوا اليهم على سواء وأن يعلنوا الخصومة وأن يأخذوا فورا بكل وسائل الجهاد **( واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ) .**

وعلى المسلمين ـ حينئذ ان يهيئوا نفوس الشعوب الاسلامية وأن يأخذوا بأسباب النصر اقتصاديا بالاكتفاء الذاتي ، واجتماعيا باحياء روح العزة والكرامة ، وعمليا بتدريب أبناء الأمة تدريبا عسكريا دقيقا .

وعليهم ـ حين يتم لهم الأخذ بالأسباب المادية ـ ألا يعبأوا بقوة العدو مهما بلغت ، وأن يعتمدوا على الله وحده ، وأن يعلموا ان الايمان الذي يستتبع العمل هو أقوى سلاح ، وبه يكون النصر من الله القوي العزيز الغالب على امره **( وكان حقا علينا نصر المؤمنين )** .. **( ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ) .**

**هذا هو الاسلام في معاملة غير المسلمين داخل الوطن وخارجه سماحة وعدل واباء للضيم وبذل في سبيل الحرية ، فعلى غير المسلمين ان يدركوا هذه المعاني الاسلامية حتى لا يشتطوا في العدوان والظلم .. وعلى المسلمين أن يستمسكوا باسلامهم فهو أساس مجدهم ، وليذكروا دائما قول الله تعالى : ( لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ) .**

**والله يوفق من اتبع هداه**

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

# الإسلام

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

ـ نحن المسلمين ـ اليوم على مشارف القرن الخامس عشر من تاريخ الهجرة النبوية المباركة ، من موطنه ، مكة ، البلد الحرام ، الى المدينة المنورة ، حيث اتخذها أفقا جديدا لمطلع الدعوة الاسلامية ، بعد أن تنكر لها مشركو قومه ، وأصموا أبصارهم عنها ، وأغلقوا عيونهم دون النظر في أنوارها ..

وقد كان المسلمون من صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وعنهم ـ كانوا موفقين أعظم التوفيق ، حين هداهم الله تعالى الى أن يجعلوا مبدأ التاريخ الاسلامي ، ويوم مولده ، هو مطلع الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ، اذ لم تكن سنوات الاسلام الأولى ، من مبعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، الى يوم هجرته ،

# ماضيه وحاضره ومستقبله

الا ارهاصا لمولد الاسلام ، والا الشفق الذي يؤذن بميلاد فجر جديد ، واشراق صبح يفيض بأنواره على العالمين ، ويخرج الناس من ظلمات الشرك والبغي والضلال ، الى نور الهدى ، والعدل ، والاحسان .

هنالك ملأت الأسماع كلمة : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » فنفذت الى القلوب ، وخالطت المشاعر ، وسرت في النفوس مسري الأرواح في الأجسام ، فبعثت الحياة في الأموات الأحياء ، كما يقول الله تعالى : ( **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** ) الأنعام/١٢٢ .

وبهذه الهجرة المباركة ، ارتفعت راية الاسلام ، ودالت دولة الشرك

وأهله ، وجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا !!

وبهذا الفتح والنصر ، رد للانسان اعتباره ، وأعيد اليه منصب الخلافة على هذه الأرض ، من بعد أن تحول بشركه وضلاله الى عالم الحيوان ، ورد الى أسفل سافلين .. وكان من هذا أن قامت دولة الاسلام ، وأخرج الله تعالى منها خير أمة أخرجت للناس ، أقامت تلك الحضارات المزدهرة بالعلوم والفنون ، على أساس من الحق والعدل ، مما يعيش الناس في آثاره الى اليوم والى ما بعد اليوم ، وذلك ما شهد به أعداء الاسلام ، قبل أوليائه ، حيث لا تزال آثار الاسلام باقية ، هي اليوم جامعة العلوم والمعارف ، يتلقى عنها علماء الغرب ركائز العلوم وذخائر المعارف ، وروائع الفنون ، وان كنا نحن المسلمين في غفلة عنها ، وفي شبه عزلة بيننا وبينها ، فنتجه الى الغرب ، ونتتلمذ على علمائه ، وأصل العلم عندنا ، قد حوته الخزائن ، وعلاه التراب ، ، حتى لقد صدق علينا قول شاعرنا :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

واذا كان للزمن دورة يومية ، يتقلب فيها بين نهار وليل ، وليل ونهار ، واذا كان للحياة سننها في الناس ، أفرادا وجماعات وأمما ، بين عز وذل ، وقوة وضعف ، وصعود وهبوط ، كما يقول الحق سبحانه : **( وتلك الأيام نداولها بين الناس )** آل عمران/ ١٤٠ ..

نقول : اذا كان الأمر كذلك ، جاريا في دورة الزمن ، وسنة الحياة ، فليس يعني هذا أن يستسلم الانسان ـ وبخاصة المؤمن ـ للواقع الذي هو فيه ، اذا كان هذا الواقع فيه جور على انسانيته ، أو حط من شأنه ، أو امتهان لكرامته ، مما لا يرضاه له دينه ، ولا تقبله شريعة هذا الدين .

ان المؤمن عزيز بعزة الله ، قوي بقوة الله ، فلا يقبل الهوان أبدا ، ولا يبيت على ضيم بحال أبدا ، والله تعال يقول : **( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين )** المنافقون/ ٨ . ويقول سبحانه : **( من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه )** فاطر/ ١٠ .

فمن عزة الله يبتغي المؤمنون عزتهم ، وذلك بالايمان الخالص لله ، والعزيمة الصادقة للعمل بمرضاة الله ، وطلب معونته ، وبذلك يخلع المؤمن برقعات الضعف والاستخذاء ، ويلبس أثواب العزة والقوة ، والله تعالى يقول : **( ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين )** آل عمران/ ١٣٩ .

وفي هذا المعني يقول الشاعر :

ولا يبيت على ضيم يراد به
الا الأذلان : عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

ونحن المسلمين اليوم ــ ونقولها في صدق واخلاص ــ في حال لا يرضى عنها الاسلام منا ، ولا يرتضيها أهل الحق والتقوى من المسلمين .

فالمسلمون اليوم ــ كما نرى ــ عالة على أمم الغرب ، يلتقطون ما يتساقط من فتات موائدهم المزدحمة بالرذائل ، التي تعافها النفوس السليمة ، وتأباها الفطر النقية الخالصة من مفاسد الموروثات المنحرفة الضالة .

وما هذا التهافت منا نحن المسلمين ــ على موائد الغرب ، وانقيادنا الأعمى لعادات أهله وتقاليدهم ، التي تأخذ طريقا غير طريق الاسلام ــ الا أننا قد صغر في أنفسنا قدرنا وهانت علينا كرامتنا ، وخف عندنا ميزان ديننا ، وكنا كما قال الله تعالى : ( **نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ) الحشر/١٩ ، فغزاهم المستعمرون الملحدون بعاداتهم وتقاليدهم ، وأشاعوا فيهم الفاحشة ، وصبغوهم بصبغتهم المادية التي تستخف بكل خلق ودين ، وذلك بعد أن احتلوا أوطانهم أزمانا ، امتصوا فيها ثرواتهم ، وسخروا الناس لمآربهم ، وأقاموا منهم الحجة على دينهم ، وأنه لو كان الدين الحق لظهرت ثمراته فيهم ، ولما صار بهم الحال الى ما هم فيه من فرقة ، وتخلف ، وضعف في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ..

ان الذين يشنعون على الاسلام ، ويلقون في حرمه الطهور بالتهم الظالمة ، والسفاهات المضللة ، و يتقولون عليه بأنه السبب فيما عليه حال المسلمين اليوم من ضعف وتخلف عن ركب الحياة ، المنطلق في كل ميدان ، والمحلق في كل أفق ــ انهم ليقيمون على هذا شاهدا من حال المسلمين ، ومن مكانهم القلق المضطرب بين شعوب العالم المتمدن المتحضر .

واذا كنا نلتمس لهؤلاء الطاعنين على الاسلام ، من أعدائه ، وأعداء أهله ــ اذا كنا نلتمس لهؤلاء العذر لما يقولون في الاسلام ، وأهله ، فانه لا عذر لنا نحن أبناء الاسلام ، اذا كنا نحن الذين أقمنا من حياتنا الهابطة ، الحجة على أن يقول أعداء الاسلام ، ما يقولون عن الاسلام من مفتريات وأباطيل !!

ان الدين بأهله !! وعلى أهل الدين ــ أي دين ــ تظهر آثاره ومعطياته فيهم ، محمودة كانت أو مذمومة ، فيقبل الناس على الدين ، أو يعرضون عنه ، بقدر ما يرون من آثاره ومعطياته عند من يدينون به !

ولقد صغرت نفوسنا عن حمل تبعات ديننا ، والوفاء لأحكامه وتعاليمه ، في حين أننا نمثل الاسلام في نظرنا ، ونظر الناظرين الينا من أعداء وأصدقاء ، على السواء ..

ان النفوس المريضة تنقلب فيها حقائق الأشياء ، وتتغاير فيها صور المعاني الكريمة ، كما تنقلب صور المرئيات ، وتتغاير حقائقها في الأعين

المريضة ، وكما تنحرف طعوم المذاقات في الفم السقيم .

والواقع أننا أصبنا في القرون الأخيرة ، بكثير من العلل والآفات النفسية والعقلية ، التي أفسدت حياتنا ، وأوشكت أن تغتال وجودنا ، حتى نزلنا منزل الهوان في دنيا الناس . فتقدم اناس وتأخرنا ، ونهضت شعوب وقعدنا .. وكنا كما يقول الشاعر :

وتقدمتنا اناس كان خطوهم
وراء خطونا اذ نمشي على مهل

لقد كان من خداع أعداء الاسلام لنا ، وكيدهم لديننا ، أن صوروا لنا الاسلام في صورة الآفة التي رمتنا بما نحن فيه من ضعف وجهل ، وتخلف ، واننا لو لم نكن ندين بهذا الدين ، وأخذنا طريقنا مع ما تدين به دول الغرب ، وما تتمذهب به من مذاهب المادية والالحاد ، لكنا في مصاف هذه الدول ، ولكانت لنا المراكب الفضائية التي ترتاد الأقمار والنجوم ، وتعمل على أن تتخذ لها مواطن فيها .

وهكذا عمل هذا الكيد فينا عمله الذي قدره أعداؤنا ، وأعداء دين الله ، حتى لقد وقع كثير من ضعاف العقول والنفوس من أبنائنا فريسة لهذا الكيد ، إذ لم يعرفوا حقيقة دينهم ، ولم يستقيموا عليها ، ولم يغرسوها في ميادين الحياة ، ولم يجنوا ثمرا من ثمارها الطيبة المباركة !!

ومن هنا كان هؤلاء المسلمون ــ ولا اسلام ــ طليعة للانهزامية في مجتمعنا ، ووجها ممسوخا للانسان السوي ، المستظل بظل الله ، المصطبغ بصبغة الدين الحنيف ، فكان منا هذا التهافت على النار ، التي يجذبنا الغرب اليها ، كما يتهافت البعوض على الوقود !!

ونحن اليوم في مطلع ميلاد جديد ، وفي لقاء مجدد مع ديننا ، الذي أشرف به علينا القرن الخامس عشر ، من تاريخ الهجرة النبوية المباركة ، والذي يحمل الينا من نفحات هذه الهجرة ، ما من شأنه أن يردنا من غربتنا التي باعدت بيننا وبين ديننا ، وأخلت أيدينا من آيات العزة والمجادة التي أورثنا اياها آباؤنا الأولون الأكرمون .

يقول الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه : « ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم والبيهقي . ومعنى هذا أن الله تعالى قد أقام على دينه الخاتم للأديان ، من يدفع عنه عوادي الجهالات والضلالات ، التي تدخل عليه من أهله ومن غير أهله ، وذلك بدعاة الحق من العلماء والفقهاء ، الذين يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وبهذا تظل شعاعات الاسلام وأنواره ، نورا للبصائر ، وهدي للحائرين ، كلما أطبق ليل ، وهجم ظلام .

ومعنى هذا أيضا أن علماء المسلمين وفقهاءهم الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان ــ هم أشبه

بالشفق الذي يسبق انبلاج الصبح ، ومطلع الشمس ، الذي يطلع على المسلمين على رأس كل مائة عام ، في شخص مصلح ذي علم غزير ، وايمان وثيق ، ونية خالصة . وعزيمة صادقة ، فيهز أقطار الاسلام ، ويجمع فرقة المسلمين ، ويعيد اليهم الصحة والعافية من دينهم .

وهكذا يعود المسلمون الى دينهم ، ويعود اليهم من هذا الدين ما أفلت من أيديهم من العزة والمنعة ، والسلطان ..

ثم يدور الزمن دورته ، ويفعل في الناس فعله ، وبعد مائة عام يطلع من يجدد لهذه الأمة دينها ، ويوثق صلتها بالله ، وبدين الله .. وهكذا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

لقد تكشف لنا من هذا البريق الخادع من مدنية الغرب وحضارته ، كما تكشف لأصحاب هذه المدنية وتلك الحضارة ، ما تنطوي عليه ، من سموم قاتلة ، وأدواء مهلكة فتاكة ، يعاني منها أهل الغرب اليوم ما يعانون ، من جفاف العواطف ، وغياب المشاعر ، ومن انحلال الأخلاق ، وتفكك الأسر والمجتمعات ، ومن عرى نفسي وجسدي ، يكشف عن سوءات الانسان وبهيميته .. فلا تعاطف ولا تراحم ، حتى بين الآباء والأبناء ، اذ أتى سعار المادية على كل عاطفة انسانية في تلك المجتمعات التي تتزيى بزي الحضارة والمدنية .. حتى لكأن الشاعر العربي القديم ، نظر الى تلك المجتمعات ، فقال فيها :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت أطير

وهذا عالم من علماء الغرب ، وفيلسوف من أكبر فلاسفته ، هو الفيلسوف « نيتشه » الذي يدين معظم الغرب اليوم بمذهبه المادي .

انه ينظر الى المجتمعات من حوله ، فلا يملك الا أن يقرر هذا القرار الخطير المدمر .. اذ يقول : « ان الرحمة ، والتعاون ، والحب ، وكافة الفضائل المسيحية ، هي مجموعة من الدجل والخرافات ، تستهدف رعاية الغوغاء والدهماء والقطعان من الناس .. وهؤلاء جميعا فقراء ، ومرضى ، وضعفاء ، يعوقون التطور الانساني ، في حين أنه يجب أن نخلص نبوغنا البشري ، بأن نبقى على الأقوياء في الذهن ، والجسم والروح ، ونعمل على افناء الآخرين » !! ( من كتاب الديانات والحضارات ــ لطه المدور ) .

ونقول : أي مجتمع هذا الذي يتحدث عنه الفيلسوف الألماني ( نيتشه ) ؟ ان عالم الحيوان أحسن منه حالا ، وأسلم طبيعة !! ثم أي انسان ذلك الذي يتحدث عنه هذا الفيلسوف ، وقد سلب النماذج المتخيرة منه ، المشاعر ، والعواطف ، والحب والرحمة والتعاون ؟ ثم أي عالم الذي يغري فيه الأقوياء والأصحاء بافناء الضعفاء ، والعجزة والمرضى ؟

ومع هذا ، فقد وجد نيتشه لفلسفته هذه من يدين بها ، ويطبقها

في مجتمعه ، كما فعل « هتلر » في الشعب الألماني ، الذي صوره على صورة غير صورة الناس ، وجعله من طينة غير طينة أبناء آدم ، حتى لقد أغراه ذلك الجنون أن يفني شعوبا بأكملها ، ولو استطاع لأفنى العالم كله حتى لا يبقى الا الشعب الألماني ، الذي هو وحده الذي يستحق الحياة !!

وماذا في الاسلام ، وفي شريعة الاسلام ، وحقائق الاسلام ، من معطيات القوى التي يبني عليها الانسان السوي ، ويقام عليها صرحه ، ليكون ذلك الانسان الذي جعله الله خليفة في الأرض ، وخلقه في أحسن تقويم ، وليظل محتفظا بهذا الخلق الكريم ، ولا يرد الى أسفل سافلين ؟

ماذا في الاسلام من قوى الحق والخير ، التي اذا تعامل معها الانسان ، وأخذ حظه منها ، كان في أحسن تقويم ، وحلق بها الى أعلى عليين ، في سماوات العزة والقوة والكرامة ؟

وماذا عليه المسلمون اليوم ، من هزال ، وضعف ، وتخلف في ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ؟ انه لا بد من البحث عن هذا التناقض الواضح ، وعن أسبابه ، بين معطيات الاسلام ، وبين الحال التي عليها الذين ينتسبون الى الاسلام ، في يومنا هذا ، حتى ينكشف الغطاء عن هذا الاختلاف بين المقدمات والنتائج ، وبين الأسباب والمسببات !!

والدين الاسلامي ، لا يمكن أن يكون موضع لبس أو اتهام ، من حيث مادة تعاليمه وأحكامه ، ومن حيث المنهج الذي رسمه ، والدستور الذي أقامه للتربية بهذه التعاليم ، وتلك الأحكام .

فهذه مسألة قد فرغ البحث فيها ، وقال التاريخ كلمته فيها ، وحكمه عليها .. فلقد سجل التاريخ نتائج واقعة خالدة لتلك الآثار ، التي تركها الاسلام ، في المواطن التي حل بها ، وفي الأمم والشعوب التي قدر لها أن تتصل بالاسلام ، وتأخذ أنفسها بهديه ، وتستقيم على تعاليمه ..

ولا نستشهد لهذا بتلك الآثار العظيمة الباقية على الزمن ، بل نأخذ هذه الشهادة من فم الذين لا يدينون بالاسلام ، من علماء الغرب المعاصرين ، الذين غلبهم البحث العلمي ، فقالوا كلمة الحق في الاسلام ، بعد أن رأوا أقوامهم فريسة للمذاهب والمعتقدات التي اغتالت معالم الانسانية فيهم ..

فهذا المستر ( داود أوركوهرت ) يقول في كتابه ( روح الشرق ) وفي المجلد الأول منه ، المطبوع سنة ١٨٢٩م .. ما نصه :

« ان الاسلام لم يكن دينا مبتدعا ، ولا وحيا مخترعا .. ليس به قومية ، ولا حكومة كنائسية ، بل سن شريعة للناس كافة ، ونظاما مدنيا محكما ، يجب على كل فرد الانقياد له » ( من كتاب : الايمان والعلم الحديث ، لمحمد الحسين الأديب ..ص : ٦٨ ) ..

ويقول المسيو « جون هرمن » العالم الفرنسي المعروف :

« قد يكون الأوروبيون مستعمرين ماهرين ، ولكن الأمة التي استطاعت بعد الرومان أن تمدن الشعوب الأخرى ، هي الأمة العربية .. فالعرب وحدهم ، هم الذين استطاعوا في الحقيقة أن يجعلوا شعوبا أخرى تعتنق حضارتهم ، وتقبل دينهم ، وأنظمتهم وفنونهم .. فيا ليت فرنسا تعرف هذه الحقائق ، وتعلم أن العربي لا يبدل دينه ، ولا يبدل أنظمته ومعتقداته ، فتكفي نفسها مؤونة ابتكار المبادىء الغربية » !!

ويقول « جون ديورانت » المؤرخ الانجليزي ، صاحب موسوعة « قصة الحضارة » :

« لو لم تقم في جنوب أوروبا ـ أي أسبانيا ـ الحضارة الاندلسية العربية لظلت أوروبا تسبح الى اليوم مع شعوبها المختلفي النحل والنزعات في حلك من ظلمة الجهل والبداوة ولما ظهر للمدنية الأوروبية الحالية من أثر في الوجود » !!

ويقول « برنارد شو » :

« ان انجلترا بل أوروبا ، لو احتاجت الى دين تتبعه ، لينقذها مما هي سائرة اليه ، من دمار محقق ، ودمار لا مناص لها منه ـ فليس أمامها الا الاسلام » ويقول « برنارد شو » أيضا :

« إني أعتقد أن رجلا كمحمد ، لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم ، لتم له النجاح في حكمه ، ولقاده الى الخير ، ولحل مشاكله على الوجه الذي يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة » ( من كتاب : الايمان والعلم الحديث ـ تأليف محمد الحسين الأديب ـ ص : ١٣٣ ) ..

هذه بعض مقولات العلماء الأوربيين عن الاسلام ، ونبي الاسلام ، يقولونها خالصة لوجه العلم ، دون عاطفة دينية ، أو قومية ..

وبعد ، فما حظنا نحن المسلمين ، أتباع محمد ، من هذا الدين العظيم ، وما حمله الينا كتاب الله ، وسنة رسول الله ؟ ان لسان الحال ، أبلغ في هذا المجال من كل لسان .

فيا أمة الاسلام ، عودي الى دين الله ، وتمسكي به ، وسيري على هديه .

ويا علماء المسلمين وفقهاءهم ، هذه رأس المائة الخامسة عشرة ، من تاريخ الهجرة قد آن صبحها أن يطلع بالمجدد الذي يجدد لهذه الأمة دينها ، مصداقا لقول رسول الله صلوات وسلامه عليه .. وهو لا بد أن يكون واحدا منكم ، ممن امتلأ قلبه بالايمان ، ووهب نفسه للجهاد ، بل والاستشهاد في سبيل الله ونصرة دينه :

**( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون )** التوبة/١٠٥ صدق الله العظيم .

# التفسير النبوي

**تمهيد :**

أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ القرآن الكريم على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفيه أحكام مجملة تفتقر الى تفصيل وبيان ، ومعاني مغلقة تحتاج الى تبيين وتوضيح .

ورغم أن القرآن بلغة العرب ، ورغم فصاحتهم الا أنهم كانوا يقفون عاجزين عن فهم معنى من المعاني ، أو حكم من الأحكام . ففي هذه الحال ليس لهم الا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشرح لهم ما غمض عليهم فهمه ، أو يفصل لهم ما أجمله القرآن الكريم .

وقد نص القرآن الكريم على مهمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بيان وشرح القرآن للناس ، فقال تعالى :

**( انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما )** النساء/١٠٥ .

وقال تعالى : **( وأنزلنا اليك**

# للقرآن الكريم

للأستاذ جاسر أبو صفية

**الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون )** النحل/ ٤٤ .

وقال تعالى : **( وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون )** النحل/ ٦٤ .

الى غير ذلك من الآيات التي نصت صراحة أو أشارت ضمنا الى مهمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تجاه القرآن الكريم .

ولهذا حذر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اهمال الحديث ، والاعتماد فقط على ما جاء في القرآن الكريم ، وذلك في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« ألا واني قد أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . الا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد الا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه » القرطبي ١/ ٣٧ .

قال الامام القرطبي حول هذا الحديث : قال الخطابي : قوله : « أوتيت الكتاب ومثله معه » يحتمل وجهين من التأويل ، أحدهما : أن معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو ، مثل ما أعطي من الظاهر المتلو . والثاني : أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى ، وأوتي من البيان مثله ، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب ، فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح ما في الكتاب » .

وقال الامام ابن كثير في تفسيره ( ٣/١ ) : « والسنة أيضا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن الا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن » .

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : « كان الوحي ينزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك » .

وقال مكحول : « القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن » .

وقال الامام أحمد : « ان السنة تفسر الكتاب وتبينه » .

وفي الحديث النبوي السابق دليل على أن السنة تفسر الكتاب وتبينه ، وفيه أيضا بعض الأحكام التي سنها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وليس لها ذكر في القرآن الكريم ، وفي هذا يقول الله تعالى : **( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )** الحشر/٧ .

ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – في ذلك :

« ان هذا القرآن صعب مستصعب ، عسير على من تركه ، يسير على من اتبعه وطلبه . وحديثي صعب مستصعب ، وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثي نجا مع القرآن . ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة . وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتكتنفوا أمري وتتبعوا سنتي ، فمن رضى بقولي فقد رضى بالقرآن ، ومن استهزأ بقولي ، فقد استهزأ بالقرآن ، قال الله تعالى : **( وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )** ( القرطبي ١٧/١٨ ) .

## أنواع التفسير النبوي

أ ) بيان لمجمل ما في القرآن :

ويندرج تحته بيان الصلوات الخمس وأوقاتها ، وعددها ، وأحكامها وبيان الزكاة وأنواعها ومقاديرها . وبيان مناسك الحج ، والصوم وغير ذلك مما يقع في باب العبادات والمعاملات .

وقوله تعالى : **( وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم )** النحل/٤٤ .

« ينبه المؤمنين الى مكانة السنة في التشريع ، فان أقوال الرسول وأعماله تبين المراد من القرآن ، اذ تفصل ما أجمله ، وتقيد ما أطلقه ، وتخصص فيه ألفاظ العموم ، وتعين ما لم يعينه من المقادير والحدود والجزئيات . فللسنة أن تنفرد في التشريع حين يسكت القرآن عن التصريح ، ولها أن تقوم بوظيفة التبيان حين يترك لها

التفصيل والتوضيح .

وذلك ما استنتجه عمران بن حصين لما رمى رجلا بالغفلة الشديدة والفهم السقيم ، وقال له مؤنبا مقرعا : انك امرؤ أحمق ، أتجد في كتاب الله ركعات الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم سرد له بعض أحكام الصلاة ومقادير الزكاة ، وما أشبه ذلك من أركان الاسلام وفرائضه ، ثم قال للرجل : أتجد هذا كله مفسرا في كتاب الله ؟ ان كتاب الله أبهم هذا وأجمله ، وانما فسرته السنة توضيحا وتبيانا .

ب ) **بيان زيادة على حكم القرآن :**

وهو ما لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، ومن أمثلته ما ورد تحريمه في الحديث السابق الذي حذر فيه الرسول — صلى الله عليه وسلم — من ترك الحديث كتحريم أكل الحمار الأهلي وكل ذي ناب من السباع . ومنه أيضا تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ، والقضاء باليمين مع الشاهد . وغيره كثير في كتب الفقه .

ونحن في هذه المقالة وما يليها لن نعني بهذين النوعين من التفسير النبوي ؛ لأن محلهما كتب الفقه والأحكام ، وانما يعنينا هنا النوع الثالث من التفسير النبوي وهو التفسير المعنوي اللغوي .

ج ) **التفسير اللغوي ( المعنوي ) :**

وهذا النوع من التفسير قليل ، ولم أر فيه كتابا مصنفا ، وأرجو الله أن أوفق لاستخلاص بعض الآيات القرآنية التي فسرها الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعرضها في هذه المقالة ، مبتدئا بفاتحة الكتاب في قوله تعالى :

١ ) **( غير المغضوب عليهم ولا الضالين )** الفاتحة/٧ .

فقد بين الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن **( المغضوب عليهم )** هم اليهود ، و« **الضالين** » هم النصارى . ( القرطبي ١/١٤٩ ) .

وذكر ابن كثير عدة أحاديث مرفوعة الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — تبين كلها أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى منها ما رواه عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله — ص — عن قوله تعالى : **( غير المغضوب عليهم )** قال : « هم اليهود » ، **( ولا الضالين )** قال : « النصارى هم الضالون » ( ابن كثير ١/٢٩ ) .

٢ ) قال تعالى : **( يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون )** البقرة/٩ .

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا تخادع الله فانه من يخادع الله يخدعه الله ، ونفسه يخدع لو يشعر » . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يخادع الله ؟ قال : « تعمل بما أمرك الله به وتطلب به غيره » ( القرطبي ١/١٩٦ ) .

فقد فسر الرسول — صلى الله عليه

وسلم ـ الخداع في الآية بأن يعمل المرء عملا من أعمال الاسلام ، لا يقصد به وجه الله ، بل لتحقيق غرض دنيوي أو تقربا لغير الله سبحانه أو ليقال عنه بأنه ذو دين .

٣ ) قال تعالى : **( ونحن نسبح بحمدك )** البقرة/ ٣٠ .

روى طلحة بن عبيد الله قال : سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تفسير سبحان الله ، فقال : « هو تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن كل سوء » .

٤ ) قال تعالى : **( وعلم آدم الأسماء كلها )** البقرة/ ٣١ .

اختلف في معنى الأسماء التي علمها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لآدم . وقد ذكر البخاري في حديث عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشار الى هذه الأسماء فقال :

« ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا الى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » .

وفي حديث آخر يبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الله علم آدم أسماء الأشياء كلها التي يحتاجها الانسان في حياته على الأرض حتى وعاء الطعام فقال : « وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة » ( القرطبي ١/ ٢٨٤ ) .

٥ ) قال تعالى : **( واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون )** البقرة/١٨٦ .

فسر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعاء في هذه الآية بالعبادة ، فقال : الدعاء هو العبادة ، قال ربكم : **( ادعوني أستجب لكم )** ، أي اعبدوني . ( القرطبي ٢/ ٣٠٩ )

٦ ) قال تعالى : **( وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر )** البقرة/ ١٨٧ .

وقع خلاف بين الصحابة في فهم هذا الخيط الأبيض والأسود ، فظن بعضهم أنه الخيط الحقيقي ، حتى سأل عدي بن حاتم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فقال : يا رسول الله ، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أهما الخيطان ؟ . قال : « انك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين » . ثم قال : « لا بل هو سواد الليل وبياض النهار » رواه البخاري .

٧ ) قال تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم )** المائدة/ ١٠٥ .

في هذه الآية يقول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ مشيرا الى تفسير الرسول لها : انكم تقرأون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها ، واني سمعت رسول الله ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

وفي رواية « بعذاب من عنده » .

أي لا يكفي من المسلم أن ينطق بالشهادتين ، ويقول ما لي وللناس ، بل عليه أن يدعو الى الاسلام ، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، والا سلط الله العذاب والعقاب على الأمة كلها .

٨ ) قال تعالى : **( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )** الأنعام/٨٢ .

لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :« ليس هو كما تظنون ، انما هو كما قال لقمان لابنه : **( يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم )** لقمان/١٣ رواه البخاري .

فالظلم في هذه الآية ــ كما فسره الرسول ــ هو الشرك .

٩ ) قال تعالى : **( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة )** الأنعام/٩٤ .

أي يحشرون عراة كما ولدوا من بطون أمهاتهم ، وقد دهشت السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ واستغربت وسألت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت : يا رسول الله ، واسوأتاه ، ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ، ينظر بعضهم الى سوأة بعض ؟! فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » ، لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال ، شغل بعضهم عن بعض » ( القرطبي ٤٣/٧ ــ ٤٤ ) .

وفي حديث آخر عن عائشة ــ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحشرون حفاة عراة غرلا ( أي غير مختونين ) . قالت عائشة : فقلت يارسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض ؟ فقال : « الأمر أشد من يهمهم ذاك » رواه البخاري ومسلم .

١٠ ) قال تعالى : **( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم )** الأنفال/٦٠ .

وقد فسر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ القوة هنا بمقاتلة الأعداء ورميهم بالنبال لأنها أفتك في العدو وأنفع في الحروب ، وروى لنا ذلك عقبة ابن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو على المنبر يقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، الا أن القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا أن القوة الرمي » ( رياض الصالحين ص٧٣٤ ــ القرطبي ٣٥/٨ ) .

١١ ) قال تعالى : **( ونفخ في الصور )** الكهف/٩٩ .

الصور هنا تعني القرن الذي ينفخ فيه كما فسره الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذلك في حديث له يقول فيه عن قرب الساعة وهولها : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، واستمع الاذن ! متى يؤمر بالنفخ فينفخ ؟ » فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال لهم : « قولوا : حسبنا

اللــه ونعــم الوكيــل » ( ريــاض الصالحين ٢٩٨ ) .

١٢ ) قال تعالى : **( فأما من أوتي كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا )** الانشقاق/٧ ـ٨ .

قال القرطبي : « حسابا يسيرا » لا نقاش فيه . وقد استدل على ذلك بحديث عائشة ـ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مــن حوسـب يوم القيامة عذب » . فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله : « فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا » ؟ فقال : « ليس ذاك الحساب ، انما ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » .

( القرطبي ٢٧٢/١٩ ) تفسير ابن كثير ٤٨٨/٤ ) .

فالحساب اليسير في هذه الآية هو عرض أعمال المسلم عليه من قبل الله ـ سبحانه ـ دون مناقشته في أعماله ، أي لا يقال له لماذا فعلت ذلك ، ولم ؟ وأين ؟

١٣ ) قال تعالى : **( يومئذ تحدث أخبارها )** الزلزلة/٤ .

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلــم ـ: **( يومئــذ تحــدث أخبارهـا )** ، ثم قال اتــدرون ما اخبارها ؟ قالــوا : اللــه ورسولــه اعلم .

قال : « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهذه آخبارها » . ( رياض الصالحين ٢٩٨/١ ـ القرطبي ١٤٨/٢٠ ) .

١٤ ) قال تعــالى : **( ألهـاكم التكاثر . حتـى زرتـم المقابـر )** التكاثر ١ ـ٢ .

روى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدة آثار تشير الى أن التكاثر في هذه السورة انما هو تكاثر المال ، من هذه الآثار عن عبد الله بن الشخير قال : أتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهــو يقــرأ : « ألهـاكم التكاثر » قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك يابن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » ( رياض الصالحين ٣٤١/١ ) .

ومنهـا نص صريـح في تكاثـر الأموال ، عن ابن عباس قال : قرأ النبي ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ « ألهاكم التكاثر » قال : « تكاثـر الأموال : جمعها من غير حقهـا ، ومنعهـا من حقهـا ، وشدهـا في الأوعيـة » . ( القرطبـي ١٦٩/٢٠ ) .

هذا بعض ما وفقنا الله ـ سبحانه وتعـالى ـ لاستخلاصـه من كتـب التفسير وغيرها مما وقع فيها من تفسير النبـي ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ لبعض آيـات من القـرآن الكريم . وردت بنصوص صريحة . ولعل الله سبحانه يوفقنا لاستخلاص غيرها ، راجين منه العفو والمغفرة ، **« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينـا أو أخطأنا » .**

حول الإسراء والمعراج

# النبي عند سدرة المنتهى

للاستاذ : محمد لبيب البوهي

## الانسانية شجرة فرعها في السماء

عندما يتأمل الانسان في ضوء اليقين حقيقة ذاته ، يتبين له من خلال الصفاء الوجداني سمو جوهره ، إذ خلقه الله بداية روحا اشهدها انواره وكشف لها عن حقيقة فطرتها كما ندرك بعض ذلك من خلال قوله سبحانه : **( وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم )** الاعراف / ١٧٢ فالانسان في حقيقته روح ، وهذه الروح بلغت من كرامة التقدير عند خالقها ما نتبينه من هذه الآية الكريمة ، ثم هبطت الروح طاهرة نقية صافية تحوي فطرتها لتقوم

بمهمة ارضية موقوتة ثم تعود بعد ذلك الى عالمها الاصلي الذي جاءت منه .

فنحن البشر لسنا من اهل هذه الارض ، انما مكاننا الأساسي هناك حيث خلق ابو الأسرة الأنسانية آدم عليه السلام ، ثم كلفنا بالانتداب في الارض فترة تتحدد خلالها تجاربنا في اسلوب ممارستنا للاستخلاف فيها ، ثم يعود كل منا عندما تصدر له اشارة العودة بأمر ربه .

ولكي نؤدي هذه التجربة الأرضية على خير وجه لم نترك عبثا ، بل اشهد الله تعالى الارواح حقيقة مهمتها ، واستودعها الفطرة المناسبة ، ونفخ فيها من حكمته ، وزودها بكل مقومات النجاح والسمو والارتقاء ، لتظل خلال الممارسة الأرضية نقية مشرقة وضاءة من خلال صورة ترابية ، هي الجسد الذي نسكنه ضيوفا الى حين .

والانسان حين اهبط الى الارض روحا نقيا مجردا ، لا يمكن ان يؤدي المهمة الأرضية الا اذا لبس لباسا مناسبا لها ، ولنضرب لذلك مثلا ، فاننا حينما نريد ان نبعث بغواص ليغوص في اعماق البحر لاستخراج شيء ما ، لا يتم ذلك الا بأن نعد لهذا الغواص الاجهزة والملابس المناسبة لعالم البحار العميقة ، وذلك بعد ان نزوده بتعاليم مهمته واسلوب ادائها .

وهذه هي سنة وجودنا على الارض تماما ، فنحن قبل ان نهبط الى عالم الارض غرست فينا الفطرة المؤهلة لحسن اداء الروح لمهمتها بعد الهبوط ، ثم البست الروح الصورة الارضية المناسبة ، أعني الجسد الترابي المناسب لطبيعة التكليف الزمني على الارض .

**الروحانية والبشرية :**

فالانسان اذن هو روح حلت في جسد من تراب ، وهذه الروح جاءت من عالم الخلد وثوبها الارضي عارية معار لها الى حين الانتهاء من مهمتها الأرضية ، ثم تتركه وتعود الى موطنها الأصلي ــ وقد اودع الله سبحانه فينا خصائص مركوزة في الأعماق ، بها نستطيع اداء مهمتنا خير اداء ، ما لم نغفل عن الافادة من هذه الخصائص ، او نهمل او ننحرف ، فان ذلك متروك لنا لتتفاوت درجاتنا في اداء الامانة والامتحان الارضي ، ومع ذلك لم نترك لأنفسنا ، بل كان الاعلام القوي لنا بحقيقة ما كلفنا به ، وان هذه الخصائص امانة لنحافظ على المسئولية عنها ، فان معنى الامانة انها شيء نؤتمن عليه ، وعلينا ان نذكر بان هذه الأمانة التي هي انفسنا ، علينا ان نجاهد في سبيل اعادتها الى موطنها الاصلي بعد اداء مهمتها طاهرة صافية نقية كما جاءت من قبل .

غير انه في خلال زمن التكليف الارضي حين تضعف النفس او تستمرئ ملذات عابرة ، فان الروح التي هي نور ، قد يقيم الانحراف او الضعف حجابا يستر عنها حقيقتها ، وحقيقة فطرتها وخصائصها فتطغى

البشرية في الانسان على روحانيته ، والناس في اسلوب الحياة الارضية يختلفون ، فمنهم من تطغى بشريته الترابية فتحجب طبيعته الاصلية النورانية الروحانية ، ومنهم من يسير على خط متوازن بين البشرية والروحانية والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو الروحانية المتكاملة .

## اسباب طغيان البشرية على الروحانية

وطغيان البشرية على الروحانية ، انما يكون حين تقع الروح من عالمها المتسامي تحت الجاذبية الشهوانية بدرجات متفاوتة ، فتستهويها اوهام تزين لها الوانا كثيرة من الملذات المنحرفة .

ولكن فضل الله على بني البشر ، وقد فضلهم على كثير ممن خلق ، انه تعالى لم يدع الانسان يقع فريسة اهوائه في مهمته الأرضية ، انه سبحانه يناديه اذا تباعد ، ويمد اليه يد الانقاذ اذا كبا ، ويعيده الى طريق النور اذا اكتنفه الظلام ، على شريطة ان يطلب الانسان معونة ربه ، وان يشد بقوة على هذه اليد الحانية ، فهو ليس متروكا لنفسه ابدا ، الا اذا اختار هو ذلك ، ومع هذا فان عوامل الانقاذ ميسرة له من جديد في كل وقت وكل حين ، مهما اوغل في الضلال الارضي ، فله ان يبدأ مرة ومرارا ، وان تطوى الصفحات السود ، وان يعود ليعلو بالروح فوق عواصف لذائذ العالم الارضي ، اننا نعيد ونؤكد هذا المعنى لانه السر والمدخل الى قضية الاسراء فهي ليست مجرد رحلة طوى فيها الزمان والمكان تشريفا لأكرم الرسل فحسب ، بل هي اشارة الى السمو الذي لا ينتهي مداه في تكريم البشرية ، ممثلا ذلك التكريم في شخص الانسان الكامل .. انه على الانسان ان يذكر انه اذا كان قد خلق ضعيفا فان ذلك في قدرته البشرية اما روحانيته فانه يسمو بها الى اعلى عليين حتى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ، وقد اقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكيان الارضي ضعيفا حتى يظل الانسان على علم بانه لا سبيل الى منافذ القوة السامية الا بأن يلزم الجانب الروحاني ليجعله مسيطرا على الكيان الترابي وليس العكس .

ومن فضل الله على الانسان تكريمه بارسال الرسل للأخذ بيده الى اقوم السبل ، على هدى من دستور السماء المنير الى اخر الزمان ، وجعل الملائكة في عون هذا المخلوق المفضل عند خالقه ولما بلغت الانسانية رشدها اكرمها بالرسول الخاتم ..

## النبي محمد والشجرة الانسانية :

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل ، وهو المبلغ عن ربه لدستور الحياة الى يوم القيامة ، لذلك اقتضت الحكمة الالهية ان يكون المثل الاعلى ، وتكون اخلاقه صورة كاملة لما جاء به ، فتصبح هذه الصورة مرآة صافية ، ترى فيها الانسانية نفسها عبر الدهور والعصور ، على اعلى درجات النقاء ، فتقيس البشرية مقدار روحانيتها بالمقياس القرآني

والاخلاق المحمدية .

من اجل هذا ستظل الصفات والاخلاق القرآنية المصورة في محمد صلى الله عليه وسلم ، هي الصورة الكاملة ، تقترب البشرية منها فيطيب وجودها وحياتها بقدر هذا الاقتراب أو تتباعد فتجني ثمار التخلف والضلال والضياع على قدر نسبة الابتعاد .

فاذا افترضنا للكمال الانساني المطلق نسبة المائة في التقدير الرياضي ، فقد اقام الله محمدا على هذه النسبة في الايمان .. واليقين .. والصدق والامانة والحب . والوفاء . والتعاون .و ..و .. الى آخر الزمان فيظل هذا هو المقياس القرآني الذي تقيس به البشرية مدى تقدمها الانساني او تخلفها عنه .

## الاسراء والمعراج :

والاسراء والمعراج باعتبارهما خروجا عن قيود وسلطان الزمان والمكان بحيث تفقد هذه القيود سيطرتها على المد الروحاني ، فقد كان ذلك تأييدا للروحانية المطلقة ، حين لا تقف امامها القيود او السدود المكانية او الزمانية عن ان تحلق في سماء السمو فتصبح في حضرة ربها ، وهذا التكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم انما نراه رمزا مطلقا لذلك ، وهو تكريم يحمل معنى التذكار الدائم للانسان بتكريم انسانيته حين تتخلص من قيود الزمان والمكان .

واذا كان هناك سؤال يديره الذين يديرون الأمور بزعمهم عقلانيا أو علمانيا وهو ما اذا كان الاسراء قد تم بشخص النبي صلى الله عليه وسلم أو بمجرد الروح .

وقد حسمت الآيات هذا الخلاف بقوله تعالى : ( **سبحان الذي اسرى بعبده** ) الاسراء /١ والتعبير بكلمة عبده هو تعبير شريف شامل لشخصية النبي وذاته ، ولو كان الاسراء أو المعراج بمجرد الروح لما كانت هناك معجزة ، وما نالت هذا التبيان المطلق من آيات الله . فان اي انسان حين ينام وتسكن اعضاؤه ، ويصبح في حالة موات وقتي تنطلق روحه بطبيعتها المجردة فتسافر في المنام ، وتلقى اناسا في اماكن بعيدة ، وتتحدث معهم ، وهذا امر بدهي يحدث حتى للكافر كما ندرك ذلك في الرؤى التي رآها فرعون مصر في زمن يوسف عليه السلام وقام يوسف بتأويلها لفرعون يومذاك .

وليس في الآيات شيء مسبوق بكلمة سبحان الا كان ذلك دليلا على القدرة التي لا تجد فيما ستذكره الآيات بعد هذه الاشارة الربانية ، وقوانين المكان والزمان هي من صنع الله ، وصانع الشيء قادر على اعادة صياغته ــ او تحويره .. او تبديله او تعطيله متى شاء وكيف شاء .

ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر ما كان من تعطيل الله سبحانه لخصائص النار الحارقة لابراهيم عليه السلام .. وما كان من اعطاء الجماد قدرة الحركة والفعل المخالف لطبيعته كما حدث لعصا موسى عليه السلام .

واما المعجزة العظمى فهي معجزات خاتم الرسل فلا تكون بعدها معجزة ، وتظل قادرة على العطاء الروحاني والسمو بالفكر الوجداني عند التأمل على اية صورة الى آخر الدهر .

**النبي محمد عند سدرة المنتهى :**

وفي هذه المعجزة صور خالدة لتكريم الله للانسان في شخص الانسان الكامل الأمثل وللاشعار الدائم بارتفاع روحانية الانسان الى غير مدى محدود فوق بشريته ، ليكون الاتجاه دائما الى التسامي الذي يتخذ معناه في اروع صورة عندما تتحقق الصلاة في اكمل صورها وخشوعها ، فما الصلاة في حقيقتها غير تجسيد لهذا المعنى ، فالانسان ينطلق بروحه خمس مرات كل يوم في رحلة عبر عالم النور فوق عالمه الترابي فكأن روحه في هذه الرحلة المضيئة تحقق اسراء ومعراجا على قدر ذاتها ولعل ذلك من حكمة فرض الصلاة في السماء من اجل بيان قدرها وقدر الانسان حين يرتفع عن دنيا المادة ، ان الاسراء والمعراج كانا للنبي بالروح والجسد ، واما سائر البشر فيستطيعون السمو بأرواحهم فحسب في الصلاة ، انه تكريم ليس بعده تكريم .

وتقول آيات الله : ( **ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى .لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) النجم** ١٣ ــ ١٨ .

فاذا كانت الجنة درجات بقدر احرف القرآن كما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهو امر مفهوم لان المرء تتحدد مكانته عند ربه بقرآنيته قولا وعملا وسلوكا ، فمن كانت حصيلته من ذلك فوق غيره بآية واحدة فقد ارتفع بها درجة .. ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآني الكامل تماما ، فان مكانته هي في أعلى درجات الجنة التي تأوى اليها ارواح الأنبياء والشهداء .

ولنا ان نتصور وقد لا يكون علينا في ذلك التصور من حرج ان النبي صلى الله عليه وسلم في مروره عبر جنات الفردوس قد اطلع على مكانه الاعلى الذي يأوي اليه بعد انتقاله .. ولذلك قد تزينت السدرة التي عندها هذه الجنة ..

فلو ان عظيما من عظماء الارض زار بلدا صديقا ، فان هذا البلد يتزين لاستقبال ذلك الصديق ، فتكون حجم الزينات بقدر مكانته عند مستقبليه في البلد المضياف .

واعظم عظماء الوجود الكوني ، هو النبي العظيم عليه صلوات الله وسلامه فلما انتهى الى سدرة المنتهى ، تزينت السدرة لاستقباله : **( إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) .**

تلك صور مما توحي به قصة الاسراء والمعراج الى بعض الاذهان وهي تشعر الانسان بتكريم ربه تعالى له متى احسن الصلة به فكل تعظيم للقائد هو تكريم لتابعيه .

لا شك ان تطبيق الشريعة الاسلامية أمانة في أعناقنا جميعا ، ومسئولية أمام الله عز وجل ، وشرف لنا ( **ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون )** المائدة / ٥٠ .

ومن وسائل تطبيق الشريعة الاسلامية تقنين أحكامها ، أي صياغة قواعدها في صورة مواد قانونية تنظم سلوك الأشخاص في المجتمع مع إلزامهم بالعمل بها ككل قانون ، وذلك بعد أن أصبح القانون اليوم هو الوسيلة التي تلجأ إليها كل دولة لتنظيم المجتمع . وإذا كانت بعض الدول تستعمل لفظ النظام أو المجلة بدلا من لفظ القانون ، فالعبرة ليست بالمسمى وإنما بمضمون ما يشتمل عليه ، فاذا كان القانون أو النظام معبرا عن حكم الشريعة الاسلامية فلا بأس به ، وإلا فلا حاجة لنا به .

ولقد كان للفقهاء السابقين مصنفات تتضمن قواعد أشبه بالقواعد القانونية منها المتون والمختصرات ، ومنها كتاب قوانين الأحكام الشرعية

# تقنين أحكام الشريعة الاسلامية

للدكتور عبدالناصر توفيق العطار

لابن جزى المالكي ، وفي عصرنا الحاضر نجد نماذج ومحاولات لتقنين أحكام الشريعة الاسلامية منها مجلة الأحكام العدلية وهي تقنين للمذهب الحنفي في المعاملات ، وكتاب مرشد الحيران لمحمد قدري باشا على غرار مجلة الأحكام العدلية ، وبعض مشروعات لتقنين أحكام البيع أصدرها مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

على أن من بين علمائنا من يتخوف من تقنين أحكام الشريعة الاسلامية ، ويسوقون لذلك حججا أهمها أن هذا التقنين أمر لم يسلكه السابقون ولو كان خيرا لسبقونا اليه ، كما أن الامام مالك رضى الله عنه لم يستحسن ما رغب فيه أبو جعفر المنصور من حمل الناس على العمل بكتابه الموطأ .

يضاف الى ذلك أن للحكام سيطرة على السلطة التي تضع القوانين ، وهو ما قد يؤدي إلى تشويه بعض الأحكام الشرعية عن طريق التظاهر بأن القانون مستمد من الشريعة الاسلامية بينما يكون مخالفا

لأحكامها ، كما يمكن للحاكم العبث بأحكام الشريعة الاسلامية عن طريق تعديل القوانين ، ولهذا يرى هؤلاء أنه ينبغي أن نترك الناس على ما هم عليه منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، خصوصا وأن هذا التقنين يسد باب الاجتهاد المطلوب توافره في القاضي ، والأجدى عند أصحاب هذا الرأي العناية بتخريج قضاة مؤهلين للاجتهاد في الشريعة الاسلامية .

وإذا تأملنا الحجج السابقة نجد أنها لا تنهض دليلا كافيا لمحاربة تقنين أحكام الشريعة الاسلامية ، واتخاذه وسيلة لتطبيق هذه الأحكام .

فاذا كان التقنين أمرا لم يسلكه السابقون ، فقد سلك الصحابة والتابعون مسالك جديدة لما وجدوه فيها من خير للاسلام والمسلمين . من ذلك إجماع الصحابة على جمع القرآن في مصحف وإجماعهم على قراءة القرآن على حرف واحد من الحروف السبعة التي أطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها ، ومن ذلك أيضا اتجاه التابعين الى تدوين السنة ، وتدوينها أمكن الوقوف على صحيحها والمحافظة عليها والعمل على تطبيقها .

وإذا كان الامام مالك رضي الله عنه لم يستحسن ما رآه أبو جعفر المنصور من حمل الناس على العمل بكتابه الموطأ ، فقد كان ذلك قبل جمع السنة وخوفه من أن يكون منها في الأمصار ما لم يصل إليه فيترك العمل به ، كما تدل على ذلك عبارته « إن أصحاب رسول الله قد تفرقوا في البلاد فأفتى كل مصره بما رأى » بخلاف الحال الآن ، فقد أجاز الفقهاء إلزام القضاة بالحكم على مذهب معين .

وإذا كان للحكام سيطرة على السلطة التي تضع القوانين ، فنحن نلاحظ أن تقنين أحكام الشريعة الاسلامية يخضع لمبدأ الشرعية بمعنى أن القاضي عند التطبيق إذا وجد الحكم المطلوب تطبيقه مخالفا لأحكام الشريعة الاسلامية فيمكنه أن يوقف الفصل في الدعوى لتقضي محكمة عليا ( كالمحكمة الدستورية مثلا ) في مدى اتفاق أو اختلاف هذا الحكم مع أحكام الشريعة الاسلامية وللمتقاضين الدفع بعدم شرعية النص المخالف لأحكام الشريعة الاسلامية ، وللفقهاء نقد أحكام التقنين عند شرحها وبيان مدى اتفاقها أو اختلافها مع أحكام الشريعة الاسلامية فاذا ثبت أن النص مخالف لأحكام الشريعة الاسلامية امتنع القضاء عن تطبيقه ، وذلك يحد من العبث بأحكام الشريعة الاسلامية .

والصحيح ـ في رأينا ـ أن تقنين أحكام الشريعة الاسلامية وسيلة ناجعة إلى تطبيقها بعد ان أصبح القانون اليوم هو الوسيلة التي تلجأ إليها كل دولة لتنظيم المجتمع ، كما أنها وسيلة جائزة شرعا ـ فيما يبدو لنا ـ ويشهد لجوازها القياس والمصلحة المرسلة .

فتقنين أحكام الشريعة الاسلامية يقاس على تدوين الفقه ، وليس التقنين إلا صورة من صور تدوين الفقه ، فتدوين الفقه كما يكون في

صورة مختصرات أو شروح أو شعر يمكن أن يتخذ شكل مواد وهي قواعد مرقمة ، والعبرة بالمضمون لا بالشكل . فالتقنين صياغة حديثة لمتون الفقه الاسلامي ، وهي صياغة تستوعب أحكام المشكلات المستحدثة . والبديل لتقنين أحكام الشريعة الاسلامية هو ايجاد كثرة من القضاة المجتهدين أو الفقهاء المجتهدين ، وهو أمر قد يكون الآن أصعب من تقنين أحكام الشريعة الاسلامية .

أما وجه المصلحة في هذا التقنين ، فهو ما يبدو من مزاياه ، ومن مزايا هذا التقنين أنه بمثابة خلاصة ما يمكن العمل به من الروايات المتعددة في المذهب الواحد وفي المذاهب كلها ، ولا يخفى أن الشريعة الاسلامية متعددة مصادرها ، كثيرة مراجعها ، وتختلف آراء الفقهاء في كثير من مسائلها ، الأمر الذي يتطلب بيان ما ينبغي العمل به ، وهو ما يتم بواسطة التقنين ، خصوصا وأن هذا التقنين عبارة عن اختيار وترجيح يتأتى من مجموعة من العلماء ، وليس عن طريق فرد أو غيره ، ثم ان هذا التقنين وسيلة لالزام الناس بالعمل بالشريعة الاسلامية ، ذلك أننا في عصر ألف الناس فيه السير على مقتضى قانون ، فاذا كان هذا القانون مستمدا من الشريعة الاسلامية ، فاننا نصل الى مرحلة تطبيقها ، يضاف الى ذلك أن هذا التقنين وسيلة لتوحيد سلوك الأمة على حكم مختار من بين الآراء الراجحة في الفقه الاسلامي كما أنه وسيلة لتوحيد أحكام القضاء ، حتى لا يحكم كل قاض بمذهب يختلف عن المذهب الذي حكم به قاض آخر ، فتتضارب الأحكام وتتشوه صورة الشريعة الاسلامية وعدالتها في أذهان العامة . ومن الواضح أن هذا التقنين يسهل العثور على حكم الشريعة الاسلامية بدلا من الرجوع الى المراجع العديدة فيها ، كما أنه يسهل على المتقاضين معرفة الحكم المعمول به من بين الآراء المختلفة في الفقه الاسلامي ، كما أنه يسهل على الفقهاء شرح هذه الأحكام ، وهكذا يشتغل آلاف القضاة والمحامين والفقهاء والطلبة بدراسة هذا التقنين والعمل به ، وفي هذا تيسير لدراسة وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .

على أن للتقنين مساوىء لأنه يجمد الحكم ، وبالتالي لا ينبغي تقنين الأحكام المبنية على العرف لأنه يتغير ، وسنجد عند تطبيق التقنين من الفقهاء ومن القضاة من سيذكر أن العمل برأي آخر في الفقه الاسلامي أولى من العمل بالرأي الذي أخذ به واضع التقنين ، وينبغي ان تجمع ملاحظات وتعليقات القضاة والفقهاء للنظر في العمل بها وتعديل التقنين بما لا يخرجه عن أحكام الشريعة الاسلامية .

ومن الواضح أن مساوىء التقنين يمكن علاجها ، ومزاياه تفوق مساوئه ، او عدم تقنين أحكام الشريعة الاسلامية سيدفع حكام المسلمين إلى اقتباس القوانين الأجنبية لتنظيم شئون الدولة ، وهذه

مفسدة لا يدرأها الا تقنين أحكام الشريعة الاسلامية .

والواقع أن التقنين ليس إلا نوعا من تخصيص القضاء بالحكم برأي معين ، وفي عصور التاريخ الاسلامي نجد أن القضاة الزموا بالقضاء وفق الراجح من مذهب معين ، ويمكن ان يكون التقنين صياغة لأحكام الراجح في أحد المذاهب الاسلامية ، كما يمكن أن يكون في نطاق عدة مذاهب ، والأفضل ان يكون في نطاق كل مذاهب الفقه الاسلامي طالما ان كل حكم فيه لا يتعارض مع أحكام القرآن والسنة .

ومهمة تقنين أحكام الشريعة الاسلامية يمكن أن يتولاها المجتهدون في الشريعة الاسلامية ، أو الفقهاء المحدثون الآن ، ويمكن أن يتعاون في صياغتها الباحثون في القانون مع فقهاء الشريعة الاسلامية ، ويتم ذلك سواء بجهود جماعية في شكل لجان تشكل لهذا الغرض ، او حتى في صورة فردية حيث يذكر كل من يكتب كتابا أو بحثا في الشريعة الاسلامية ما يرى العمل به من أحكام هذه الشريعة ويحاول تقعيد هذه الأحكام وصياغتها في صورة مواد قانونية حتى يستفاد منها في التقنين .

وينبغي أن يقتصر التقنين على القواعد العامة ، فلا محل لأن يتعرض لكافة التفصيلات ، فذلك أمر يترك لاجتهاد القضاء ولشروح الفقه .. فاذا كشف التطبيق عن اتجاه يخالف أحكام الشريعة الاسلامية ويستند الى نصوص التقنين ، وجب تعديل هذا التقنين بما يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية .

ولا محل للتسويف في اصدار هذا التقنين بحجة الانتظار حتى يتم تقنين كل أحكام الشريعة الاسلامية ، ذلك أنه يمكن التدرج في تقنين بعض أحكام الشريعة الاسلامية وتطبيقها كتقنين أحكام العقود ، ثم تقنين أحكام الحدود ، ثم تقنين أحكام التقاضي .. الخ .

إن معظم بلاد العالم الاسلامي تضع في دساتيرها نصوصا تؤكد ان الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي لتشريعاتها ، ويؤكد رؤساء هذه الدول حرصهم على الاسلام فهل يصح بعد ذلك أن ينشأ القانون في هذه الدول بعيدا عن الشريعة الاسلامية ؟!

ان كثيرا من العظماء عرفوا بما سنوه من نظم للجماعة ، فها هو حمورابي في بابل وصولون في اليونان وجستنيان عند الرومان ونابليون في العصر الحديث فاقت شهرتهم بقوانينهم ما كان لهم من مجد سياسي او عسكري ، فهل نجد من حكام المسلمين من يضع تقنينات كاملة مستمدة من أحكام الشريعة الاسلامية فيشتهر بها ، ويكون بذلك قريبا من نفوس الجماهير حبيبا الى قلوبها ، فائزا برضا الله عز وجل ؟! .. اننا لنضرع ألى الله عز وجل أن يكتب لهذا الجيل وحكامه شرف العمل بشريعة الله **( ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون )** المائدة / ٥٠ .

# النبي في أهله

للدكتور / اسماعيل احمد الطحان

ان الحديث عن الرسول في اهله ، انما هو حديث عن البيت النبوي ، ذلكم البيت الذي استكمل عناصر الخلق النبيل ، ومعالم السلوك

الطيب ، والتربية الحسنة ، لأن ربه ومعلمه ، ومربيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة الكمال البشري ، فصار هذا البيت معقد القدوة ، ومناط الأسوة ، لان الفضائل المجردة لا تعيش في أذهان الناس وإنما يضمن لها الخلود والبقاء ان تتحول الى ممارسة وسلوك ، وقد وجدت هذه الفضائل مجالها الحي في بيت النبوة .

ويأتى الاهتمام بالبيت النبوى ، والبيت بعامة – من انه هو اللبنة الاولى في بناء المجتمع ، والوحدة الاجتماعية الصغيرة التي تنمو فيها الشخصية ، وتزكــو فيها العواطف والغرائز ، ويتمرس فيها الفرد على علاقاته العامة بمجتمعه الكبير .

ومن ثم اتجهت عناية الرسول صلى الله عليه وسلم الى البيت باعتباره المجاز الى المجتمع ، وقد ربط بينهما برباط وثيق في لفتة ذكية ، ولمحة وضاءة حين قال :

( خيركــم خيركــم لاهله ، وانا خيركم لاهلي ) رواه الترمذي ، ففي هذا القول الموجز معنى سام ودستور عظيم من دساتير التربية ، اذ جعل الخير من الناس هو من قامت علاقته بأهله على الخير ، والبر ، والبذل ، والعطاء ، وحسن المعاملة في القول والفعل ، وما ذاك الا ليتعلم من بر اهله بر الناس اجمعين ، ولتنداح دائرة خيره وفضائله لتسع المجتمع كله ، ويتحول بره العائلى الى بر انساني يشمل الانسانية جمعاء .. هذا ، ولنا ان نتصور بالمقابل سوء العلاقة بين المرء واهله ، وما تجره من سوء بينه وبين مجتمعه ، ولعل هذا يفسر لنا القول الشائع « من لا خير فيه لاهله ، لا خير فيه للناس » .

وحين يقول النبى صلى الله عليه وسلم ( وانا خيركم لاهلي ) لم يكن بالمبتغي الخير لاهله فحسب ، دون سائر الناس ، وانما : انا امامكم في البر بأهلي ، البر الذي تنداح دائرته لتشمل الناس اجمعين .

وربما كان البدء بالاهل ، لان حب الخير لهم فطرة ، وطبيعة انسانية ، يمارسه الانسان بغير تكلف ، حتى اذا استقامت على الخير طبيعته ، وزكت على الفضائل فطرته ، لم يتأب عليه إزجاء الخير للآخرين .

وهكذا كانت سيرة النبى – صلى الله عليه وسلم – يبر أهله – ويحتفي بهم ، ويقوم على شئونهم ، ولم يكن حظ الغرباء الأبعدين من بره وحفاوته واهتمامه اقل من حظ اهله الاقربين .

فاذا تمثلناه – صلوات الله وسلامه عليه – ( ابنا ) – وان كان لم يدرك احدا من ابويه في سن التكليف – وجدناه ابر الابناء ، فقد كان وهو شيخ قارب الستين يبكي على قبر امه بكاء من لا ينسى ، وفي سجل بنوته من المودة والحنان والاحتفاء بمرضعته حليمة ما لا يعرف في سجل المودة الانسانية اجمل ولا اكرم منه ، فكـــان يلقاها وهو كهل – جاوز الاربعين – هاتفا بها : امى امى ، ويفرش لها رداءه ويعطيها من الابل والشاة ما يغنيها في السنة الجدباء .

ولم يقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ بهذه المودة ، وتلك الحفاوة عند حدود امومته من النسب او الرضاع فحسب ، بل تجاوزها الى الامومة بعامة فأوصى ببر الوالدين ، وخص الأم بمزيد من وصايته فقد روى أن جاءه رجل فقال : يارسول الله إنى اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه ، فيقول له الرسول : « هل بقى من والديك أحد حي ؟ ، قال : نعم ـ أمي ـ فيقول الرسول له : قابل الله في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ، ومعتمر ، ومجاهد » . رواه احمد والترمذي .

وكــذلك جعل حق الابوة فريضة مقدسة فحين سأله سائل : يا رسول الله ان لى مالا ، وولدا ، وان ابى يحتاج مالي ، فأجاب سائله : « انت ومالك لأبيك » ، رواه احمد وابن ماجة ، فأكد بهذا واجب الوفاء للآباء ، واتخذ من هذا االالتزام تدريبا للمسلم على تحمل التبعات المالية التى تفرض عليه وفاء لحق مجتمعه ووطنه ، وتنمية لروح التعاون والتكافل تجاه غير القادرين . وبذلك يكون البر المتبادل بين الابناء والآباء لبنة في صرح البناءالاجتماعي ، ومهارة تشكل قدرة الفرد على رعاية المصالح الانسانية في مختلف النواحي والاوضاع .

واذا تمثلناه صلوات الله وسلامه عليه ( زوجا ) وجدناه احنى الازواج قلبا ، واشفقهم فؤادا ، فكــان مع زوجاته ألين الناس ، ضحاكـــا بساما ، كما قالت عائشة رضى الله عنها ، مؤكـــدا في علاقته بهن ما استوجبه الاسلام بين الزوجين من المودة والرحمة .

واي مودة ، وايناس اجمل من مودته وايناسه بهن فيما ترويه ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : « خرجت مع النبي في بعض اسفاره وانا جارية لم احمل اللحم ، فقال رسول الله للناس تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال : تعالي حتى أسابقك فسابقته ، فسبقته فسكت ، حتى اذا حملت اللحم وكنا في سفرة اخرى ، فقال الرسول للناس تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال تعالى أسابقك ، فسابقته ، فسبقني فجعل الرسول يضحك ويقول : هذه بتلك » . رواه احمد وابو داود .

فأي مرح ، واية دعابة تلك التى يمارسها الرسول مع زوجاته ، ليضفي على بيته من السرور والبهجة ، ما ينسي ازواجه انه رسول تتسم العلاقة به بالرهبة ، فيجور على حقهن من الايناس ، او ينقص من حظهن من المودة والرحمة ، ولم يكن يغضبه ان تجتريء احداهن عليه امام ابيها فتقول له ( تكلم ولا تقل الا حقا ) فيبتسم ، ويقول « وهل اقول الا حقا » ، لان ذلك امر مقبول عنده في منطق الزوجية ، فمن حق زوجاته ان يناقشنه ، ويطالبن بما يرينه حقا لهن ، بل يذهب ابعد من ذلك في كف عمر رضي الله عن الغضب ، واخذ ابنته حفصه ـ ام المؤمنين ـ رضي الله عنها بالشدة حين اجترأت على الرسول في المناقشة وهى تخاصمه

امام ابيها ويقول له ( ما لهذا دعوناك ) .

وكان حريصا على ان ينلن حظهن من السرور في غير مأثم تقول عائشة رضي الله عنها « كان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فاما سألت النبي ، واما قال : تشتهين تنظرين ، فقلت : نعم . فأقامنى وراءه ، خدى على خده وهو يقول : دونكم يابني ارفده ، حتى اذا مللت ، قال حسبك ، قلت : نعم ، قال فاذهبى » رواه البخاري ومسلم .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم رفيقا بهن في حال الرضي فحسب ، بل كان يرفق بهن ، ويتلطف في معاملتهن حتى في حال الغضب ، وتأزم الحياة الزوجية ، وتعرضها لخطر الطعن في الشرف والعرض عندما اتهمت الصديقة بنت الصديق عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بالافك ــ فلم يزد الرسول عن ان يحجب بعض لطفه عنها ، فتقول « وكـــان يريبنى في وجعى انى لا اعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، انما يدخل فيسلم ، ثم يقول كيف تيكـم ؟ » . ولم ينزل الرسول عن افق النبوة السامق في معالجة هذا الحدث الخطير ، فاخذ بما يوجبه عليه الحق في التحري فهو لن يقبله بغير بينة ، ولن يرفضه بغير بينة ، ولم يعجله لغط الناس أن يحكم فيه بغير دليل ، ولعله كان بذلك قد استن للناس القاعدة القضائية المعروفة الآن ( المتهم بريءٌ حتى تثبت إدانته ) . ولم يطل به الامر حتى انزل الله براءتها .

ولم يكن حبه وقفا على الاحياء منهن ، بل اتصل بالاموات بعد موتهن وفاء كاجمل ما يكون الوفاء ، فكثيرا ما كان يذكر خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها ، ويكرم صديقاتها ، ومن كن يزرنه أيام حياتها .. يقول أنس : كان رسول الله اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة ، فانها كانت صديقة لخديجة ، انها كانت تحب خديجة . ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : انها كانت تأتينا ايام خديجة ، وان حسن العهد من الايمان . راجع مسلم .

وكان ينصف خديجة ــ رضي الله عنها ــ ويدفع ما رمتها به عائشة ــ غيرة من كثرة ذكـرها وثناء النبي عليها ــ قالت : هل كانت الا عجوزا بدلك الله خيرا منها فقال النبيَ ــ مغضبا ــ « لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء » رواه احمد

وربما كانت نفقات البيت من الامور التى تعرض صفوة الحياة الاسرية للكـدر ، وتعنت الرجل اذا طولب بما لم يقدر عليه ، ومثل هذا امر غير مستغرب الوقوع في بيت النبوة ، فان النبي اخذ اهله في النفقة والمعيشة بما اخذه الله به من قديم حيث قال له : **( ولا تمدن عينيك الى**

**ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى )** طه/ ١٣١ ولم يكن ضيق النفقة ، وخشونة العيش في بيت النبي فعل من لا يجد بل كان يسيرا عليه أن يحتجز من الانفال والغنائم التى يقسمها بين المسلمين ــ وله فيها حق ــ ما يرفه به عن زوجاته ويضمن لهن رغد الحياة ــ لو اراد ، ولكنه اراد للبيت النبوي ان يكون صورة من بيوت الكثيرين المقلين حوله ، فلم يكن التنعم بالحياة بهدف له اولهم ، وانما هدفهم ان يبلغوا بهذا الدين مأمنه ، وأن يقيموا له دولته . ولما ضاقت أزواجه ذرعا بحياة لم يألفنها في بيوت آبائهن ، أو ازواجهن من قبل ، وطالبنه بمزيد من النفقة وتظاهرن عليه ، انكــــر الرسول عليهن هذا التطلع ــ وان كان لم يجاوز حدود المباحات المشتهاة ــ ورفض الاستجابة لرغباتهن ، وخيرهن بين الصبر على حياة الكفاف معه ، أو اللحوق بأهلهن . حيث يجدن ما يشتهين ــ نزولا على قضاء الله فيهن حين أوحى اليه بقوله تعالى : **( يأيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما )** الاحزاب/ ٢٨ و ٢٩ . ولكنهن آثرن الله ورسوله والدار الاخرة ، وعشن معه راغبات في ثواب الله عز وجل .

وهذا الدرس الالهي ــ وان كان خاصا بزوجات النبي ــ فيه مزدجر لغيرهن من الزوجات اللائي يطالبن ازواجهن بما لا يقدرون عليه من النفقة ــ ان يعنتن ازواجهن ، او يحملنهم على الكسب الحرام ، وقد ضمن لهن الاسلام حقوقا قبل ازواجهن في حدود قدرتهم وطاقتهم ، وجعل النفقة التى تسعدهن من الزكــــوات الباقيات يقول الرسول « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على أهلك ــ اعظمها اجرا الذي أنفقت على اهلك » رواه مسلم . وفي تحديد جلي يقول الرسول لسائله ( معاوية بن حيدة ) حين سأله : ما حق زوجة احدانا عليه ؟ قال « ان تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر الا في البيت » رواه ابو داود .

هذا ، واذا تمثلنا الرسول في اهله ( ابا ) وجدناه ابا بارا ، صالحا ، حانيا ، ودودا ، عطوفا ، واجلى ما تتمثل فيه هذه الابوة العاطفة الحانية يوم ان رزقه الله على الكبر ( ابراهيم ) فغدا من فرحه متهلل الوجه ، ريان الفؤاد ، مبتهج النفس ، يجود بأقصى ما يملك من الصدقة ، فيحلق شعر الوليد ويتصدق بزنته فضة على المساكين ، ولو استطاع اكثر من ذلك لفعل شكرا لله ... ويقدر هذا الفرح يوم الميلاد ، كان الحزن يوم الفقد فقد حمل ابنه ميتا بين يديه قبل ان يوسده التراب ، وكــان يستقبل الجبل بوجهه وقال « يا جبل لو كان بك مثل ما بي

لهدك ، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون » .

هذه ابوة محمد صلي الله عليه وسلم يوم استقبال وليده ، ويوم وداعه ، وشاء الله ان تجد هذه الابوة عزاءها في حفيديه الحسن والحسين فقد آنسهما بعطفه ، وغمرهما بحبه ، فقر بهما عينا ، وطاب نفسا ، ويبلغ به الحدب مبلغه حين يدخل عليه الحسن وهو ساجد فيركب على ظهره ، فيطيل السجود حتى ينزل الصبى غير معجل ، ويسأله بعض أصحابه : لقد أطلت السجود ... فيقول « ان ابنى ارتحلنى فكرهت ان اعجله » رواه الحاكم واحمد .

وكان يرى صلوات الله وسلامه عليه ـ ان عطف الابوة سمة النفس السوية ، والفطرة المستقيمة ، يقول ابو هريرة رضي الله عنه :« قبل رسول الله الحسن او الحسين بن علي ، وعنده الاقرع بن حابس التميمي ، فقال الاقرع ان لى عشرة من الولد ما قبلت احدا منهم قط فنظر اليه الرسول وقال : من لا يرحم ، لايرحم ، وفي رواية : أو أملك لك ـ أن نزع الله الرحمة من قلبك » متفق عليه .

وقد تدفعه ابوته الحانية ان يغنم أبناءه كل خير متاح ، تقول ابنته فاطمة رضي الله عنها ـ فيما يرويه البيهقي : مر بى رسول الله ، وانا مضطجعة متصبحة فحركني برجله ، ثم قال : « يا بنية قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين فان الله يقسم ارزاق الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس » .

وقد تمتد ابوته النوعية الى ابوة روحية تجعل من كل صغير ولدا له ، يرعى حقوقه لدى والديه ، ويوصيهما به خيرا فيقول « رحم الله والدا اعان ولده على بره » اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وسيىء معاملته .

ويصل ما بينه وبين كل صبى برباط من الرحمة فيحس بحنان الابوة نحوه فيقول « اني لاقوم الى الصلاة ، وانا اريد ان اطول فيها فأسمع بكـاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي كراهية ان اشق على امه » رواه البخاري .

واذا تمثلنا الرسول صلي الله عليه وسلم ( سيدا ) وجدنا العلاقة بينه ، وبين خدمه ومواليه تجاوزت في سماحتها حدا لم يفرضه الدين ، ولم يألفه العرف ، ولم يطلبه المـولى لنفسه ، ولم يطمع في مثلها كثير من الابناء لدى آبائهم ، فقد ظفر خدم رسول الله ومواليه من حسن المعاملة والرفق بهم ما مسح عن نفوسهم ذل المهنة ، وشعور المهانة ، وارتفع بهم الى مصاف الاخوة الكـريمة فقال يوصي بهم سادتهم « هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فاطعموهم مما تأكلون ، والبسوهم مما تلبسون ولاتكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » متفق عليه واللفظ لمسلم .

ويأتلق سناء رحمته بهم ، واعزازه لهم فيما يرويه خادمه انس رضي الله عنه فيقول : « والله لقد خدمته ـ اي النبي ـ تسع سنين ما علمته قال

لشيء صنعته « لم فعلت كذا وكذا » أو لشيء تركته : « هلا فعلت كذا وكذا » . رواه مسلم .

وارسل يوما غلاما له في طلب شيء فأبطأ عليه ، فأغاظه ، فلما عاد الغلام لم يزد على ان قال له « لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك » .

ويروى أنس : « ان النبي ارسلنى في حاجة فانحرفت الى صبيان يلعبون في السوق واذا رسول الله قد قبض ثيابي من ورائي ، فنظرت اليه صلى الله عليه وسلم ـ وهو يضحك فقال : يا أنيس اذهب حيث امرتك » رواه مسلم .

ويهمه من امر اسرة خادمه ما يهمه من خاصة اهله فقد زار انسا رضي الله عنه ـ في داره فرأى اخاه ابا عمير حزينا ، فقال لأمه : ما بال ابي عمير حزينا ؟ فقالت يا رسول الله مات نفيره ـ طير كان يلعب به ـ فقال له الرسول : مواسيا ومسليا ـ « ابا عمير ما فعل النفير » وكان كلما رآه قال له ذلك . رواه مسلم .

ولعل فيما دأب عليه النبي من خدمة نفسه ، ومشاركة اهله وخدمه في مهنتهم ما يمحو آثار الضعة فيما يمتهنون حيث يشركهم سيدهم ، ولم يقبل منهم خدمة يأنف الاحرار ان يقضوها له ، فكان يحلب شاته ، ويخصف نعله ، ويعلف ناضحه ، ويرقع ثوبه . وكان نصيبه من خدمة نفسه أوفر من نصيبهم في خدمته ، ولم تخرج الخدمة في بيته عن ضرب من توزيع الاعمال يأخذ كل فرد من أهله بنصيب فيما يستطيعه من تدبير البيت وقضاء شئونه .

ولم يشأ الا ان يجعل حق الخدم والمـــوالى في حسن المعاملة قضاء دين ـ لا تفضل سادة ـ يسأل السادة عنه ، يقول ابو مسعود البدري « كنت اضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا خلفى : اعلم ابا مسعود ـ فلم افهم الصوت من الغضب ـ فلما دنا منى ، اذا هو رسول الله ، فاذا هو يقول : اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت يا رسول الله : هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : اما لو لم تفعل للفحتك النار » . رواه مسلم .

وجاء رجل يسأله : كم اعفو عن الخادم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كل يوم سبعين مرة » .

ثم يحذر من ظلمهم والاعتداء عليهم بغير حق فيقول « من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة » . رواه البزار .

هذا هو رسول الله في اهله ابر الابناء ، واحني الازواج ، وارأف الآباء ، وأنبل السادة ، احبه من عاشره من اهله ، واكبره من خالطه من اصحابه ..

الا فليقتد بسيرته المقتدون في أهليهم ، وليجددوا العهد معه في ذكـــري ميلاده : أبناء ، وآباء ، وأزواجا ، وسادة ، فتسعد بهم الحياة ، ويهنأ بهم العيش ، وتتصل بهم شمائل النبوة ، وتحيا فيهم وبهم أمجاد هذا النبي العظيم .. وسلام عليه في الأولين والآخرين .

# أبعاد معجزة الاسراء والمعراج

للدكتور /
محمد رواس قلعه جي

عندما نذكر كلمة « الاسراء والمعراج » نعود بالذكرى إلى تلك الحادثة التي وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل عليه السلام ليلا فانطلق به ــ أسرى به ــ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ثم عرج به من هناك إلى السموات العلا ، فرأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد به إلى بيت المقدس ، ومنه إلى مكة المكرمة في الليلة نفسها ، وما كاد فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبرد .

## الاسراء والمعراج معجزة :

ان الذي ننطلق منه في الحديث عن أبعاد حادثة الاسراء والمعراج هو أن حادثة الاسراء والمعراج « معجزة » وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندما نقول « معجزة » فانما نعني بذلك تعطل القوانين الكونية ، ولذلك لا نقبل السؤال كيف استطاع رسول الله أن يقطع تلك المسافة الشاسعة بين مكة وبيت المقدس في دقائق ؟ وكيف احتمل جسمه الشريف عندما انطلق بهذه السرعة المذهلة الحرارة المتولدة من احتكاك جسمه الشريف بالهواء ؟ وكيف استطاع النفاذ من الجاذبية الأرضية والعروج الى السماء ؟

وكيف عاش بلاهواء بعد تجاوزه غلاف الهواء المحيط بالأرض ؟ كيف تم ذلك كله ورسول الله قطع هذه الرحلة بلا أجهزة واقية ، ولا معدات مساعدة لأن هذه الاسئلة كلها ترد لو أن الأمر قد تم على سنن القوانين الكونية ، اما وأنه قد تم خارج أطر هذه القوانين ، بقدرة القادر على كل شيء ، فان هذه الاسئلة كلها لا تلبث أن تذوب في غمرة الايمان بالله القادر على كل شيء .

وطالما أن المعجزة خروج على القانون الكوني وتعطيل له ، فان هذا لا يتأتى لنبي ولا لغيره من المخلوقات ، وانما هو لمن وضع تلك القوانين جل شأنه ، فالنبي لا يصنع المعجزات ، ولكن الله هو الذي يجريها على يديه ، وشتان ما بينهما .

وقد بين الله جل جلاله هذه الحقيقة في كتابه الكريم في الحوار الذي سجله القرآن الكريم بين المشركين من جهة ورسل الله تعالى من جهة أخرى .

قال المشركون للرسل ( **إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين** ) ابراهيم / ١٠ - أي معجزة ظاهرة -

فأجابهم رسل الله تعالى : ( **إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله** ) ابراهيم / ١١ .

وبذلك تقرر نهائيا ان المعجزة ليست من صنع الرسل ، ولكنها من صنع الله عز وجل .

**أنواع المعجزات :**

ونحن لو استقرأنا المعجزات التي اجراها الله تعالى على أيدي رسله الكرام لأمكننا تصنيفها إلى صنفين .

**الأول :** المعجزات المادية وهي المعجزات المرئية أو الملموسة كانشقاق القمر ، ونبع الماء من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورده العين المقلوعة سليمة ونحو ذلك ، وهذا النوع من المعجزات يحدث وينقضي ، فلا تتجاوز آثاره الزمن الذي حدثت فيه ، ولا تبقى بقاء الأيام .

**الثاني :** المعجزات المعنوية : وهي المعجزات التي لا تقع تحت بصر الانسان أو لمسه ، ولكن يتم إخبار الرسول بها .

ويأتي القرآن الكريم في قمة المعجزات المعنوية فهو أعظمها اثرا ، وهو المعجزة الباقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يتلوها معجزة الاسراء والمعراج التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدوثها ، وقد كان لها أثر كبير في رسم البرنامج الجديد للحياة الانسانية المستقبلة .

**هدف المعجزة**

كل معجزة تحدث لنبي لا بد وأن يكون لها هدفان : **هدف عام ، وهدف خاص .**

**اما الهدف العام :** فهو اقامة الدليل على ان الرسول الذي ظهرت على يديه المعجزة صادق فيما يدعيه ، ويدعو إليه ، وبذلك تكون المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني .

**وأما الهدف الخاص :** فيتمثل في الأثر الذي تتركه هذه المعجزة ، وبقدر ما يعظم الأثر بقدر ما تعظم تلك المعجزة .

وقد سبق أن ذكرنا اننا لو رجعنا إلى المعجزات التي أمد الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم لوجدنا ان أعظمها اثرا « القرآن الكريم » ثم يتلوه « الاسراء والمعراج » فمعجزة الاسراء والمعراج تأتي في ترتيب المعجزات - في نظري - بعد القرآن الكريم . فما هي أبعاد معجزة الاسراء والمعراج ؟

نستطيع أن نقول - وباصرار - ان حادثة الاسراء والمعراج حادثة مبرمجة ، اعنى انها داخلة ضمن برنامج خاص احكمه رب العزة جل وعلا ، يكشف هذا البرنامج من درس بامعان سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ونحن سنكشف لك - ايها القارىء الكريم - جانبا من هذا البرنامج بما يتناسب والمقام .

## الابعاد السياسية لمعجزة الاسراء والمعراج

اجمع كتاب السيرة من محدثين ومؤرخين على أنه قد أسرى برسول الله من مكة المكرمة الى بيت المقدس ، ومنه عرج به الى السماوات العلا . كما أجمعوا على انه عليه الصلاة والسلام قد تقدم فصلى بالأنبياء إماما في بيت المقدس ، والانبياء مؤتمون خلفه ، يصلون بصلاته ، عليه أفضل صلاة وسلام .

وان الكثير من المسلمين من يمر بهاتين الحادثتين مر الكرام ، لا يلقي اليهما بالا ، مع انهما تحملان ابعادا سياسية معينة هي على غاية من الأهمية :

١ - ان قيادة العالم حتى حادثة الاسراء والمعراج كانت بيد بني إسرائيل ، لأن البقية الباقية من الأديان السماوية - وهي اليهودية والنصرانية - هي ديانات اسرائيلية ، ولكن الناس الذين حملوا هذه الديانات لم يعودوا أهلا للقيادة ، لعبثهم بالمبادىء وبيعهم إياها بثمن بخس وعرض زائل ، حيث حرفوا الأديان وشوهوا معالمها ، فلا المبادىء بقيت صالحة لقيادة العالم ، ولا حاملو المبادىء بأهل لهذه القيادة لذلك كان لا بد من انتزاع عصا القيادة من أيديهم وتسليمها لقوم آخرين يختارهم الله تعالى لحمل الأمانة .

وكانت هذه النقطة - نقطة الاتفاق على المبادىء الحاكمة ، ونوعية الرجال الحاكمين - نقطة اساسية لا بد من الاتفاق عليها قبل البدء بتأسيس الدولة الاسلامية التي وضع رسول الله حجر الاساس في إقامة أركانها بعد الهجرة الى المدينة المنورة ومن هنا كان توقيت معجزة الاسراء والمعراج توقيتا مختارا ضمن برنامج إقامة الدولة الاسلامية ، فكان الاسراء والمعراج قبل الهجرة بقرابة عام .

٢ - وتقدم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وصلاته بالأنبياء إماما هو تحول سياسي جذري ،

نزعت به القيادة من أيدي بني اسرائيل ، وأسلمت الى الأمة الاسلامية وابطل به العمل بقيم محرفة مهترئة لتحل محلها قيم اخرى جديدة عادلة متطورة ، تلك هي « القيم الاسلامية »

وهذا التحول هو تحول شرعي باركه ممثلو الأمم وعقلاؤهم المعصومون ــ الانبياء ــ ولهذا فان كل اعتراض عليه يعتبر اعتراضا غير مشروع ، وكل مقاومة له تعتبر مقاومة مرذولة تريد أن تنصر الباطل وتطفىء نور الحق ، ومقاومة هذا شأنها لا بد وأن تنال ما تستحق ،

كانت هذه الأرضية الفلسفية السياسية لا بد منها ، لأنها المبرر الأقوى لتصفية رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع حركات المقاومة التي ظهرت في وجه الدولة الاسلامية . وانتشار مبادئها التي قامت من أجلها . واخص منها بالذكر المقاومة اليهودية في المدينة المنورة وما يحيط بها ، فقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم برنامجا دقيقا لتصفيتها ! فكان عليه الصلاة والسلام بدءا من العام الثالث للهجرة يصفي في كل عام حيا من أحياء اليهود حتى تخلص من مقاومتهم تخلصا نهائيا .

٣ ــ ان صلاة رسول الله بالأنبياء إماما لتكشف لنا عن مدى اصالة وحدة القيادة في الشريعة الاسلامية ، وللدولة الاسلامية بشكل خاص ، وانه لا يجوز التخلي عنها لأنها تشكل جزءا من العقيدة الاسلامية وقد افصح عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » رواه مسلم .

٤ ــ وان اسراء رسول الله إلى بيت المقدس ، وعروجه منه إلى السماوات ، وصلاته في بيت المقدس اماما بالأنبياء » يعني « ان الله تعالى قد جعل بيت المقدس جزءا من أراضي الدولة الاسلامية ، وقد سلم الانبياء بهذا وباركوه بائتمامهم برسول الله ، ولو لم يكن الأمر على هذا النحو لما صلى رسول الله في تلك البقعة ولما صار إماما للانبياء لأنه ــ طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ــ صاحب الملك أحق بالأمامة من غيره ، فتقدم رسول الله اماما للانبياء في بيت المقدس دليل على انه صاحب الحق في بيت المقدس دون غيره ، وان أمته صاحبة الحق ، دون غيرها من الأمم الاخرى .

ومن أحكام شريعة الاسلام أيضا النهي عن الصلاة في أرض الغير إلا باذنه ، ولم يثبت ان رسول الله استأذن احدا للصلاة في بيت المقدس ، فصلاة رسول الله في بيت المقدس دون استئذان ليدل على انه يصلي في داره ، اعني ان بيت المقدس من ممتلكات الدولة الاسلامية .

٥ ــ لقد حدث بعد تحديث رسول الله بمعجزة الاسراء والمعراج ، ان ازداد بها بعض المؤمنين ايمانا ، ثقة منهم بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزعزعت قلوب البعض الآخر ، بينما لوى المنافقون ألسنتهم

بالحادثة ، وأخذوا ينالون من رسول الله ويهزأون به .
وكان هذا ضروريا ـ من الناحية السياسية ـ قبل الدخول في المرحلة الجديدة ، الخطيرة في تحديد مصير الدعوة الاسلامية ، وهي مرحلة تأسيس الدولة الاسلامية ، ان كشف العناصر على حقيقتها قبل الاقدام على تأسيس الدولة الاسلامية بعام على الأقل كان لا بد وان يحصل ، ليعلم رسول الله ، وليعلم المؤمنون مدى اهلية كل فرد في دولة الاسلام على تحمل الاعباء في هذه الدولة التي هي بحاجة الى الكثير من الاخلاص ، وإلى الكثير من العمل ، فلا توكل مهمة من الدرجة الأولى الى انسان من الدرجة الثالثة ، ولا توكل مهمة لانسان لا يحمل الاخلاص للدعوة ولا للداعي ، وبالتالي لا يحمل الاخلاص للدولة ولا لمبادئها . وهذه سياسة يتبعها القادة السياسيون اليوم . اذ انهم قبل اقدامهم على اي تحول سياسي يمنحون الحريات للناس ، ويطلقون الألسنة من عقالها ، لكشف العناصر . وتحديد الموالي لهم والمناوىء ، ثم يشرعون في التحويل الذي عزموا عليه ، معتمدين على الموالين ، ومكبلين المناوئين ، وان المراقب للتاريخ السياسي المعاصر يستجلي ذلك بوضوح .

## الأبعاد الاجتماعية لمعجزة الاسراء والمعراج :

ان صلاة رسول الله بالأنبياء على اختلاف قومياتهم وألوانهم يعني ان الدولة الاسلامية تظل بمبادئها جميع المؤمنين فلا تفرق بين أسود وأبيض ، ولا بين عربي وعجمي تذوب القوميات وتنصهر في بوتقة الايمان ثم تسكب في قوالب الامتثال لشريعة الله عز وجل .
وان فرصة التفوق والتسامي متاحة في هذه الدولة للجميع على قدر متساو وان ابواب الدولة مفتحة للارتقاء بمن يظهرون التفوق ، كما ان الفرصة متاحة لجميع المصلين على قدر متساو للتسامي ، وان ابواب السماء مفتحة لاستقبال اعمال المتسامين ، يتقربون بها إلى الله تعالى .

وبذلك تكون معجزة الاسراء قد وضعت أساسا جديدا لبنية المجتمع المزمع انشاؤه في ظل مبادىء الاسلام .

## الأبعاد الروحية لمعجزة الاسراء والمعراج :

لا بد لنا من ان نذكر ان معجزة الاسراء والمعراج قد حدثت على اعقاب سلسلة من المآسي حلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها موت زوجه خديجة التي كانت تقوي فيه روح التصميم للمضي في طريق الله ، وموت عمه ابي طالب الذي كان يذب عنه اذى قريش واشتداد اذى المشركين عليه بعد ذلك ، حتى سمى ذلك العام بعام الحزن .
وكأن الله تعالى أراد أن يسلي رسوله وحبيبه محمدا . فكانت هذه الرحلة

المباركة ، التي استقبله فيها رسل الله في السماوات ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى .

وكأن الله تعالى يقول لحبيبه محمد يا محمد إن كان أهل الأرض قد جهلوا قدرك ، فان قدرك عند الله عظيم ، وإن كان أهل الأرض قد ناصبوك العداء فان اهل السماء يرحبون بك ، وان كان اهل الأرض لم يرضوا بك قائدا رائدا فان أهل السماء رضوا بك اماما مباركا ، وان الأرض ان ضاقت بك ، فان السماء تفتح صدرها لاستقبالك .

روح جديدة سرت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ان عاد من هذه الرحلة حتى أخذ يحدث الناس بما رأى وما سمع ، وينشط لما اناطه الله به من مهمات ، لا تزيده الأيام الا قوة ومضاء ، وكان في افتراض الصلاة في السماء من المعاني الروحية ما يجعل الانسان متساميا عن المادة ، ساعيا ما استطاع الى القرب من الله ، لأن الصلاة فرضت في الأعالي .

## الأبعاد الدعوية لمعجزة الاسراء والمعراج

١ ـ لقد ذكرنا ان معجزة الاسراء والمعراج قد كشفت المنافقين وضعاف الايمان ، وقلنا ان ذلك كان ضروريا قبل الشروع في المرحلة الجديدة ، مرحلة تأسس الدولة الاسلامية في المدينة المنورة .

ونقول هنا : ان ذلك كان ضروريا ايضا لتعهد ضعاف الايمان بالرعاية حتى يقوى ايمانهم ، ويصبحوا على مستوى مسؤولياتهم ، لان المرحلة الجديدة تحتاج الى جميع العناصر المؤمنة بغير استثناء ولذلك لم يكن يقبل من المؤمن ايمانه حتى يهاجر الى المدينة المنورة ـ الا المستضعفين ـ للمشاركة في بناء صرح المرحلة الجديدة ـ وهي اقامة الدولة الاسلامية .

وللاعراض عن ارجاف المرجفين من المنافقين الذين يحاولون التشويه او النيل من المرحلة الجديدة .

٢ ـ ثم ان حادثة الاسراء والمعراج اوجدت في مكة المكرمة هزة ، اوجدت نشاطا مفاجئا غير عادي ، ما بين متحدث بها ومنكر لها ، ومؤيد ، وشاك .. الكل يتحدث عن محمد وما جرى لمحمد ، والحديث يجر بعضه بعضا ، ولا بد من ان يستتبع الكلام عن القيم التي اتى بها محمد صلى الله عليه وسلم ومثل هذه النشاطات ضرورية جدا في حركية الدعوات ، لانها تجدد النشاط لدى الدعاة ، وتكشف الفكر المعادي ، وتكون نافذة لاسماع الدعاة أصواتهم لمن لا يسمعها لأنها تفتح مجالا للنقاش مع أناس كانوا يرفضون النقاش .

## خاتمة

واليوم تمر بنا ذكرى الاسراء والمعراج ، ويحتفل بها المسلمون في أقطارهم وكل نقطة دم في عروقهم تنادي بهم عودوا الى معجزة الاسراء والمعراج واستلهموا منها الدرس ، وصححوا على نهجها المسيرة ، فانها من تدبير العليم الحكيم .

# العبادة في

للاستاذ : احمد عبدالرحيم السايح

إن لله سبحانه وتعالى على عباده نعما كثيرة ، لا يحصيها عد . تطالع الناس في الصباح وفي المساء وتحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ، منها المنظور والمستور والمعلوم والمجهول .

ومن هذه النعم التي لا تحصى ، نعمة تفضل الله على عباده ، ببعث رسول منهم في العالمين ، يتلو عليهم آيات الله ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة . ونعمة تكريمهم بدين الاسلام الذي ارتضاه لهم ، ونعمة القرآن الكريم الذي جعله هاديا وموجها .

ومما لا ريب فيه أن هذا النبراس الهادي جاء به رب العزة ليقوم اعوجاج المجتمعات الانسانية ، وينظم علاقات الامم والخلائق ، ويربط بين الافراد والجماعات برباط الصلاح والتقوى .

ومن هذه النعم التي افاضها الحق على عباده ، نعمة الحياة والايجاد ، ونعمة الخلق والامداد والاعداد ، مما غدا به الانسان أعظم آية من آيات الله في خلقه وأصبح يشكل أروع آية للدلالة على وجود الخالق ، وضرورة الايمان به .

ومن هذا المنطلق كانت العبادة لله عز وجل اعترافا بفضله ، وحتمية لاستشعار عظمته ، وتعميقا للخضوع له ، والخشية منه ، وتأكيدا لباب الحب فيه ، والولاء له ..

# الدين الإسلامي

تلك هي العبادة الواجبة لله ، والتي لا يجد الانسان العاقل كيانه الا فيها ، ولا امتداده الا بها وفي ظلها ، ولا وجوده الا في الالتزام بها قولا وعملا ، وأمرا ونهيا ، وخلقا وسلوكا وواقعا وتطبيقا ، وحركة وسكونا بحيث تصبح العبادة في حياته أسلوب عمل ، ومنهاج حياة .

ويقيني أن الفرائض التي فرضها الله على عباده جاءت من الاسلام اهتماما بالانسان حتى يتمكن من أداء رسالته في الحياة ، فيغدو لوجه الله تابعا ، ولمنهجه ملتزما . والا كان أمر الانسان فرطا ، يصبح ويمسي فاذا هو أحد هوام الخلق ودوابه أو اقل شأنا . فما أسقط المخلوق صلته بالخالق الا وأسقط الخالق صلته به في الأولى والآخرة . قال تعالى : **( ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون )** ١٧٩ الاعراف .

وحسب المسلم ان يعلم أن الله سبحانه وتعالى أمره بالعبادة لمصلحة المسلم نفسه ، ولما يعالج حاله ، ويعود عليه بالنفع العميم الشامل لكل حياته المادية والروحية ، الفردية والاجتماعية ، ليظل الانسان إنسانا ، آخذا في سبيل الترقي والكمال .

والعبادة حق لله على عباده ما خلقهم إلا لها ، ولا يرضى عنهم إلا

بها ، وبهذا كانت العبادة تربية عملية للضمير والوجدان .

والعبادات في الاسلام تتميز بالشمول والاستغراق . بحيث تشمل حياة المسلم وتستغرق نشاطه كله ، فيصبح المسلم ويمسي وللعبادة أثرها في حياته وتكوينه وفي ذاته وأخلاقه وسلوكه .

قال تعالى : **( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين )** الذاريات/٥٦ ـ ٥٨

فهذه الآية الكريمة .. تحدد غاية الخلق .. كما تبين الحكمة الشرعية الدينية من خلق الجن والانس . والتي هي وجوب عبادة الله وحده لا شريك له وافراده بتلك العبادة .

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

وأصل العبادة : التذلل والخضوع .. وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى والعبادة في اللغة . من الذلة .. يقال طريق معبد . أي مذلل . وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف .

وقوله عز وجل :**( اعبدوا ربكم )** البقرة/٢١ أي اطيعوا ربكم ..

والمتعبد : المنفرد بالعبادة ..

والمعبد : المكرم المعظم كأنه يعبد وتدل الأساليب الصحيحة ، والاستعمال العربي الصريح ، على أن العبادة ضرب من الخضوع ، بالغ حد النهاية .. ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها ! وقصارى ما يعرفه منها : إنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه ..

وللعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان .. شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور ، بالسلطان الالهي الأعلى الذي هو روح العبادة وسرها .. ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ..

والأثر إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي هو منشأ التعظيم والخضوع . وأصل العبادة : غاية التذلل .. وهو أقصى غايات الخضوع ..

والعبودية أدنى منها ..وسمى العبد عبداً لذلته وانقياده . ولا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى ..

والعبادة بهذا المفهوم .. لا تكون إلا لله وحده ، وليس لأحد سواه قال تعالى : **( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )** الانبياء/٩٢

والمقصود .. هو عبادة الله وحده لا شريك له ..

فالدين كله داخل في معنى العبادة .. إذ هو يتضمن معناها .. فدين الله . عبادته ، وطاعته ، والخضوع له ..

وكلام المفسرين يفيد صراحة أن العبادة المأمور بها ، تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب أيضا .. إذ هي

تتضمن غاية الذل بغاية المحبة لله سبحانه وتعالى . فالخضوع مع البغض ليس عبادة ، والحب بدون الخضوع ليس عبادة .. وبهذا تكون العبادة كمال التعظيم والخضوع لله عز وجل مع كمال المحبة له .. وبدون الأمرين لا يتحقق للعبادة معنى .

وبالعبادة يقف الانسان من ربه على مكانته ، وفي الكون على مركزه ، وفي المجتمع على موقعه ، متفاعلا مع هذه المجالات بالتنمية والاثراء والأخذ والعطاء .

ولذا نجد أن الله تبارك وتعالى ، يصف العلاقة بينه وبين المؤمنين وصفاً صريحاً جلياً .. فيقول جل شأنه : **( والذين آمنوا أشد حباً لله )** البقرة/١٦٥

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

إنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها ، فهو إلهها ومعبودها .. ووليها ومولاها .. وربها ومدبرها .. ورازقها ومميتها ومحييها ..

فمحبته نعيم النفوس ، وحياة الأرواح ، وسرور النفوس ، وقوت القلوب ، ونور العقول ، وقرة العيون ، وعمارة الباطن ، فليس عند القلوب السليمة ، والأرواح الطيبة والعقول الزاكية ، أحلى ، ولا ألذ ، ولا أطيب ، ولا أسر ، ولا أنعم من محبته والانس به ، والشوق اليه ..

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم .. تذكر الناس بالعبادة لله ، موضحة لهم نعم الله عليهم .

قال تعالى : **( يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون )** البقرة/٢١ ، ٢٢

وقال تعالى : **( ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم )** يس/٦٠ ، ٦١

ومن هنا كان النداء في كل رسالة .. هو العبادة ، وتذكير الناس بهذه الحقيقة ، وازالة ما تراكم على معدن الفطرة السليمة من ضلال الوثنية وغبار الغفلة ، وترهات الملاحدة ..

قال تعالى : **( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين )** النحل/٣٦

فالله سبحانه وتعالى .. لم يخلق الناس عبثاً ، ولا لعباً .. وانما خلقهم لهذه الغاية .. ولو أدرك الناس حقيقة هذه الغاية ، لحققوا الخلافة في الارض ..

فالله تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له .. فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء .. والله غير محتاج إلى العباد .. بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم .

والعبادة في الاسلام .. هي المظهر الايجابي ، والتجسيد العملي والبرهان الصادق .. للعقيدة التي جاء بها الاسلام .

ولو أن العقيدة لم تثمر العبادة .. لكانت عقيدة عقيما ، لا دليل عليها ولا أثر لها .. كحبة مستقرة في باطن التربة .. لا تنبت .. ولا تزهر .. ولا تثمر .. ما قيمتها ؟ وما أثرها ؟

كذلك العقيدة من غير عبادة .. تظل مجرد نظرية .. حتى تترجمها العبادة وتحولها الى عمل نابض ، وجهاد صادق في الحياة .. ثم تستمد منها غذاءها وضياءها ..فلا تذبل .. أو تذوي .. أو تضمحل ..

وانما تظل بفضل العقيدة متقدة الشعلة ، متألقة الضياء ... وهكذا نرى العقيدة .. تمد العبادة بالقوة والفاعلية .. كأنما هي الزيت المقدس .. الذي لا يجف ولا ينفد ..

وهكذا تعكس العقيدة وجودها على العبادة قوة أو ضعفاً ، وتكون لها حافزا إيجابيا .. يضمن استمرارها ، ويحرسها من كل غش وخداع .. حتى تؤدي خالصة لوجه الله ..

ومن هنا كانت العقيدة .. هي المنبع الذي يسري في كيان المؤمن ويجوس خلال نفسه ، ويتحكم في وساوسه وحسه ، ويفيض على روحه الرضا والأمن ، وعلى نفسه السكينة والأمل .

وللعبادة في الاسلام شأن كبير يبدو جليا واضحا فيما ينعكس من أثار العبادة على حنايا النفس والقلب والعقل والفكر عمقاً وبعداً ، آخذاً امتداده على صفحة الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله . وما أخذت العبادة امتدادها على هذا النحو المشرق إلا كان صاحبها مشعل إشعاع ، ومركز خير ، وموئل عز ، وما نشأ مجتمع على هذا النحو الا استوى أمره ، واستقام حاله .

والعبادة في الاسلام .. تؤكد إقرار المرء إقرارا كاملا بقلبه وجوارحه ، وخضوعه خضوعا مطلقاً ، يطغى ، على كل خضوع ، لله الخالق الباقي من وراء كل وجود زائل .

ويقوم التصور الاسلامي ، على أن هناك ألوهية وعبودية .. ألوهية يتفرد بها الله سبحانه .. وعبودية يشترك فيها كل من عداه ، وكل ما عداه ..

وكما يتفرد الله سبحانه بالألوهية ..

كذلك يتفرد تبعا لذلك بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حي وكل شيء بعد ذلك في العبودية ، كذلك يتجرد كل حي وكل شيء ، من خصائص الألوهية ..

فهناك اذن وجودان متميزان : وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين . هي علاقة الخالق بالخلق والاله بالعبيد .

والله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان في هذا الكون .. ليعبث ، أو يلهو أو يلعب ، أو ليتمرد على الانسانية .. ولم يخلق الله الانسان ليطغي ويتمرغ في وحل الالحاد .. ولم يخلق الله الانسان ليعيش في أحضان الجهل والتبعية العمياء .

قال تعالى : ( **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون** ) المؤمنون/١١٥

وقال تعالى : ( **تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** ) الملك/١ ، ٢

فالانسان خلقه الله وركب فيه ما ركب من قوى الادراك والعلم والفهم والتفكير والعمل .. ليكون خليفة في الأرض .. والخلافة في الأرض .. ليست مجرد الملك والرياسة والقهر والغلبة .. وليست البطش بالأبرياء والزج بهم في المعتقلات وسجون التعذيب .. وليست سفكا للدماء ، وقطعا لرؤس المؤمنين .. ولا هي كذلك دعوة الى الالحاد وعبادة الطواغيت .

ولا هي التسلط على الناس والتحكم فيهم بغير ما انزل الله .

اذن هي القيام بمسئولية التكليف . والتكليف حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء .. وهي أداء رسالة الاسلام ، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للانسانية .

قال تعالى :( **وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ) الانعام/١٥٣

والخلافة في الاسلام حقيقة ضخمة ، تستغرق النشاط الانساني كله .. وتوجه النشاط الانساني كله ..

فهي قدرة على التفوق العلمي .. وقدرة على مواجهة التحديات الشركية .

وقدرة على الصمود أمام الأحداث .. وقدرة على محاربة الميوعة والانحلال .. وقدرة على تحقيق الطمأنينة والأمن ، والعدل ، والخير ، والسلام ..

وإن النظرة القرآنية تجعل هذا الانسان بخلافتة في الارض عاملا مهما في نظام الكون ، ملحوظا في هذا النظام . فخلافته في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السماوات ، ومع الرياح ، ومع الأمطار ، ومع الشموس والكواكب وكلها ملحوظ في تصميمها امكان قيام الحياة على الأرض ، وامكان قيام هذا الانسان بالخلافة . فاين هذا المكان الملحوظ ، من ذلك الدور الذليل الذي تخصصه له المذاهب المادية ولا تسمح له أن يتعداه .

والانسان اعز واكرم واغلى من كل شيء مادي ، ومن كل قيمة مادية في هذه الارض جميعا . ولا يجوز اذن ان يستعبد أو يستذل لقاء توفير قيمة مادية ، أو شيء مادي . ولا يجوز أن يعتدي على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة . ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق اي كسب مادي ، أو إنتاج أي شيء مادي ، أو تكثير أي عنصر مادي ..

فهذه الماديات كلها مصنوعة من اجله . من أجل تحقيق انسانيته من أجل تقرير وجوده الانساني .. فلا يجوز أن يكون ثمنها هو سلب قيمة

من قيمه الانسانية ، او نقص مقوم من مقومات كرامته ..

والانسان أكرمه الله بالعبادة ، وأمره بها ، ليكون صالحا ، مصلحا ، قال تعالى : ( **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ) الانعام/١٦٢ ، ١٦٣

واذا كانت العبادة غاية الوجود الانساني . كما هي غاية كل وجود . فان مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذي يرد إلى الذهن ، والذي يضيق نطاقها حتى يجعلها محصورة بأنواع الشعائر الخاصة التي يؤديها المؤمن ، إن حقيقة العبادة تبدو في معنيين .. أولهما عام . والاخر خاص ..

أما العبادة بالمعنى العام .. فانها تعني السير في الحياة ابتغاء رضوان الله وفق شريعة الله . فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى ، والقيام بأداء حق الناس استجابة لطلب الله تعالى باصلاح الأرض ومنع الفساد فيها ، يعد عبادة وهكذا تتحول أعمال الانسان مهما حققت له من نفع دنيوي إلى عبادة إذا قصد بها رضاء الله .

فالعبادة .. ما تكاد تستقر حقيقتها في قلب المسلم ، حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ، ونشاط ، وحركة ، وبناء .

عبادة تستغرق نشاط المسلم .. بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه ، وأشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه ، وسلوكه مع الناس ..

وبهذا الاستغراق ، وهذا الشمول يتحقق معنى الخلافة في الأرض ، في قوله تعالى : ( **واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ..** ) البقرة/٣٠

لأن الخلافة في الأرض هي عمل هذا الكائن الانساني .. وهي تقضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض والتعرف إلى قواها وطاقاتها ، وذخائرها ومكنوناتها وتحقيق إرادة الله في استخدامها وتنميتها ، وترقية الحياة فيها .. كما تقضي الخلافة القيام على شريعة الله في الارض ، لتحقيق المنهج الالهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام ..

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الانساني ، أو التي هي وظيفة الانسان الأولى .. أوسع وأشمل من مجرد الشعائر . وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً ..

وأن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين :

الاول : هو استقرار معنى العبودية لله في النفس . أي استقرار الشعور على أن هناك عبداً وربا .. عبداً يعبد .. وربا يعبد .. وأن ليس وراء ذلك شيء وأن ليس هناك الا هذا الوضع ، وهذا الاعتبار . ليس في هذا الوجود الا عابد ومعبود . والا رب واحد ، والكل له عبيد ..

الثاني : هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير ، وكل حركة في

الجوارح ، وكل حركة في الحياة .. التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله ..

بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ..

قال تعالى : ( **إياك نعبد وإياك نستعين** ) الفاتحة/٥ والعبادة هي العبودية المطلقة ، معنى وحقيقة .. وكلما يأتي به المسلم في طاعة الله فهو عبادة لذا كانت جملة ( **اياك نعبد ..** ) كلية اعتقادية .. فلا عبادة إلا لله . ولا استعانة إلا بالله .

وفي هذا مفرق طريق .. « مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد .

وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل .. التحرر من عبودية الأوهام ، والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع .. واذا كان الله وحده هو الذي يعبد ، والله وحده هو الذي يستعان ، فقد تخلص العبد من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص . كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات .

أما العبادة بالمعنى الخاص : فهي إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .. وهي نوع من التربية على العبادة الكاملة الحقة .

ففرائض الاسلام تخاطب كل الجوانب في الانسانية ، وتفي بكل الحاجات وتصحح كل الاتجاهات .

ومن وراء كل ذلك .. نجد أن العبادات في الاسلام تدعو إلى الوحدة والجماعة ، وهي أساس لوحدة التفكير ، ووحدة المفاهيم الأساسية في الحياة . بل ووحدة القيم ، والمقاييس الخلقية ، والنظر إلى الخير والشر ، والفضائل والرذائل .. وقواعد السلوك .

والعبادات في الاسلام تنتهي إلى نتيجتين .

اولاهما : الاتجاه الى تربية الوجدان الديني الذي يجعل المؤمن بالاسلام مؤتلفا مع غيره ، ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع انساني متواد متحاب .

والثانية : ان غاية العبادات في الاسلام ليست مجرد التقوى السلبية ، لانها تتجه الى النفع الانساني العام ، والى إيجاد مجتمع متحاب ، غير متباغض ولا متنازع .. فعلاقة الاخلاص لله فيها أن تكون مطهرة للقلب . قاضية على الشر فيه مؤلفة بينه وبين الناس من غير مراءاة ولا مغالاة .

ويوم أن يدرك المسلمون حقيقة العبادة في الاسلام .. ويوم أن يقتنع المسلمون بأن الاسلام هو المنهج الامثل .. ويوم ان تكون الفرائض الاسلامية عملا بناء .. لا حركات تؤدي .. ويوم أن تكون « **لا اله الا الله** » المنطلق الوحيد للمسلمين .. يومها وبكل تأكيد سوف يتحقق للمسلمين باذن الله تعالى نجاح رائع في كل نواحي الحياة ..

والله ولي التوفيق ..

# بين الوهم والحقيقة

— ١ —

حين يهل علينا شهر رجب من كل عام ، ويحتفل المسلمون فيه بحادثتي الاسراء والمعراج ، ويتبارى الخطباء والكتاب في بيان حقيقتهما ، وما تشيران اليه من عبر وعظات فاننا نصدم — حقيقة — ونحن نستمع من بعض هؤلاء وهؤلاء ، حين يعرضون لبعض التفصيلات المتعلقة بهاتين المعجزتين الكبيرتين حيث تختلط في خطبهم وأحاديثهم الحقيقة بالخيال ، ويلتبس الوهم بالواقع ، وحيث تتصادم بعض تلك التفصيلات مع مسبقات معلومة لدينا في الدين ، لا يكاد يختلف عليها اثنان . فما مرجع ذلك ؟ وكيف يمكن التصدي لكل الافكار المشوشة التي يطغى الخيال فيها على الحقيقة ، والوهم على الواقع ؟

لا اكون مبالغا اذا قلت ان شركة الشمرلي بالقاهرة مسئولة مسئولية كبرى أمام الله لترويجها لحديث الاسراء والمعراج ، تلك الرواية الشهيرة التي تنسب في غير حياء أو خجل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والتي يبرأ الله ورسوله منها ، ويبرأ منها ابن عباس ولا يقبلها كذلك كل مؤمن صادق الايمان والعقيدة ، ولا أدري كيف يغض مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الطرف عن تلك الرواية ؟ وكيف يسمح للقائمين على أمر تلك الشركة أن يعيدوا طبع هذا الحديث المكذوب عشرات المرات ، بهدف الكسب المادي ، في الوقت الذي تهدر فيه قيمة هاتين

للدكتور محمد سعد حسن فشوان

المعجزتين الهائلتين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ولا أدري كيف يسوغ بعض الخطباء والكتاب لانفسهم أن يعتمدوا الكثير من نصوص تلك الرواية المكذوبة مع عدها الاصل الذي تتفرع عنه كل الروايات ، وكثير من هؤلاء المتحدثين يثق الناس بأمانتهم وورعهم ، ومن أجل هذا يصبح كل قول يصدر عنهم موضع ثقة واحترام الكثيرين ، كيف نستعين بنصوص تلك الرواية المكذوبة حين نخاطب بها المسلمين في ذكرى الاسراء والمعراج ، في الوقت الذي ينكر فيه الكثيرون تلك التفصيلات التي نعني أنفسنا مشقة البحث عنها ، ولا نعنيها بشيء مما يتصل بالاهداف والغايات التي كان من أجلها وقوع الاسراء والمعراج لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !!

لعله يغيب عن أذهان بعض المتحدثين والكاتبين ــ والكثيرون منهم ممن نجلهم ونحترمهم ــ أن قصة الاسراء والمعراج قد صيغت صياغة خيالية وأسطورية أيضا في بعض حقب التاريخ الاسلامي ، ولا يعنينا أن نبحث عن غاية تلك الصياغة وأهدافها ، وانما الذي يعنينا فقط هو التنبيه لخطرها حين يتلقى المسلمون أحداثها على أنها حقائق لا يملك أحد أن يماري فيها ، أو يعترض عليها ، وأن وقوعها لرسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمر لا سبيل الى الشك فيه .

ــ ٢ ــ

هناك مستشرق أسباني كبير يدعى آسين بالاثيوس ( ١٨٧١ ــ ١٩٤٤ م ) وكان عضوا بمجمع اللغة الاسباني كانت له منذ ستين عاما محاولات أراد بها الكشف عن الاصول الاسلامية لــ « الكوميديا الالهية » لدانتي الايطالي ، ثم كشف الدكتور صلاح فضل أخيرا عن بعض أوجه القصور في محاولات هذا المستشرق ، وذلك في دراسة له بعنوان « تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية لدانتي » .

وهذا الاصل الذي تأثر به دانتي في كوميديته ينهض على عمل أدبي أعاد به صاحبه قصة الاسراء والمعراج في صياغة أدبية جديدة تنهض على الخيال بصفة عامة ، وبخاصة فيما يتصل بالمعراج ، ولهذا لا نستبعد أبدا أن تكون تلك الصياغة التي ظهرت في الاندلس أولا قد وصلت الى الشرق الاسلامي واختلطت بالاصل الحقيقي لهذه القصة ، كما لا أستبعد أن تكون قصة الاسراء والمعراج التي تقوم على طبعها شركة الشمرلي في القاهرة قد اختلط فيها الخيال بالحقيقة ، والوهم بالواقع ، ولعبت الاسطورة فيها دورا كبيرا ، ولذا أود أن أطرح على

القارىء بعضا من تلك الافتراءات على رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتي نبرىء الرسول من الاخبار بها وابن عباس من روايتها .

وستكون مهمتنا ضرب بعض الامثلة التي تهدم هذا الحديث من أساسه ، وليس لي من هدف الا أن يقف زملاؤنا الافاضل على ما في هذا الحديث من ضعف ، في الوقت الذي لا يغيب عن أذهان الكثيرين منهم ما فيه من كذب ، وما فيه من تدليس على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وعلينا اذا نحن طلبنا الصواب والصدق أن نعود الى تلك القصة في مصادرها الاسلامية الصحيحة ، كي يتبين لنا الرشد من الغي ، والحق من الباطل ، وسنعمل على أن يكون القرآن الكريم رائدنا وأنيسنا في هذه الجولة التي نبتغي من ورائها الوصول الى الحق مجردا عن كل ما عداه .

ــ ٣ ــ

ولعل أبرز النقاط التي تضعف هذا الحديث ان لم تنقضه من أساسه ما نقرؤه في صفحتي ١٦ ، ٣٣ ــ في النسخة التي تحت يدي الآن ــ حيث نقرأ هذه العبارة : « قال المؤلف رحمه الله تعالى : « اذ لا يعقل أن يكون الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مؤلفا ، مما يدل على أن القصة مؤلفة ، وأن نسبتها لابن عباس ليست صحيحة .

ومن الامور التي تجعلنا نتحفظ كثيرا في قبول ما ورد بهذا الحديث المزعوم من أخبار نشير الى ما يلي :

( تفيد الرواية ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : كنت في بيت أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها ، واسمها فاختة ليلة الاثنين ليلة السابع والعشرين من رجب سنة ثمان من البعثة ، وكان عندها فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وعمرها تسع سنين ، ولم تكن قد تزوجت بعلي رضي الله عنه لأنه تزوجها بالمدينة المنورة ) ونحن نقول : هل يتصور عاقل أن يصدر مثل هذا الكلام أو الاسلوب التأليفي عن رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي قال عنه رب العزة : **( وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى )** « النجم / ٣ و ٤ » ، واذا كان من الثابت أن الرسول أخبر بما حدث له ليلة الاسراء والمعراج صبيحة وقوع هذين الحدثين الكبيرين فكيف يخبر الرسول عن فاطمة بأنها لم تكن تزوجت بعلي ، لأنه تزوجها بالمدينة ، والهجرة لم تتم ، وعلي لم يصرح أو يلمح بخطبة فاطمة ؟

وتخبرنا الرواية أن جبريل حين طرق الباب خرجت فاطمة لترى من بالباب فاذا الطارق شخص عليه من الحلي والحلل ، وله جناحان أخضران قد سد بهما المشرق والمغرب .. الخ » وتروي فاطمة أن هذا الشخص قد هالها وأفزعها ، وحين أخبرت أباها بخبره خرج فاذا به يرى جبريل .

وهذا خطأ لأن رسولنا صلى الله عليه وسلم وحده من بين سائر الانبياء والبشر الذي

اختصه الله برؤية أمين الوحي جبريل على الهيئة التي خلقه الله عليها ، وأنه لم يشاهده على تلك الهيئة سوى مرتين في حياته ، أما الاولى فدليلها قوله تعالى **( ولقد رآه بالافق المبين )** « التكوير ٢٣ » وأما الثانية فكانت ليلة الاسراء والمعراج ، ودليلها قوله تعالى : **( ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى )** « النجم ١٣ و ١٤ » ، فالقول بأن فاطمة قد رأت جبريل على هيئته الحقيقية قول مرفوض ، يحمل آية من آيات الوضع في تلك الرواية .

والرواية تركز على ابراز الوسائل المادية التي انتقل بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى بيت المقدس أولا ، ثم الى السموات العلا ثانيا ، وعجيب ما ذكرته الرواية عن المعراج حيث تقرأ فيها ما نصه : « واذا بالمعراج قد نصب الى الصخرة من عنان السماء فلم أر شيئا أحسن من المعراج ، وهو مرقاة من الذهب ، ومرقاة من الفضة ، ومرقاة من الزبرجد ، ومرقاة من الياقوت الاحمر ، فضمني جبريل الى صدره ، ولفني بجناحيه ، وقبل ما بين عيني ، وقال : أرق يا محمد فصعدت أنا وجبريل » فهل يصدق عاقل أن يصدر مثل هذا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم ؟

ان القرآن الكريم يثبت في سورة النمل ان سيدنا سليمان حين جمع اتباعه من الجن والانس ليستشيرهم في كيفية احضار عرش ملكة سبأ ( بلقيس ) ان عفريتا من الجن قال : **( انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وإني عليه لقوي امين )** « النمل / ٣٩ » وان الذي عنده علم من الكتاب قال : **( انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك )** « النمل / ٤٠ » وقد كان ، فلما رأى سليمان عليه السلام العرش مستقرا عنده قال : **( هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر )** « النمل / ٤٠ ».

فالعرش وهو شيء مادي قد تمكن مخلوق اتاه الله بعضا من علم الكتاب من احضاره من اليمن في اقصى الجنوب الى الشام في الشمال في وقت قياسي في اقل من طرفة عين فهل نأتي نحن لنصطنع الوسائل المادية مع الله سبحانه الذي لايعجزه شيء في الارض ولا في السماء والذي يقول للشيء كن فيكون ؟

وقد حكى القرآن ايضا في سورة الاسراء ان مشركي مكة حين تحدوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : « كما حكي عنهم رب العالمين » **( لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا . او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه )** « الاسراء / ٩٠ ـ ٩٣ » حين طلبوا منه ذلك قال الله له قل لهم يا محمد : **( سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا )** « الاسراء / ٩٣ » . علما بانه يستحيل ان يزعم مؤمن بان الله تعالى يعجزه شيء مما طلبوا كما انه ليس في طوق بشر ان يصعد على درج يصل به الى السموات العلا ولذلك يبقى امر هام يجب التنبه اليه هو ان اصطناع الوسائل المادية في تلك الرحلة

ليس من شأننا نحن البشر بل الواجب يحتم علينا ان نؤمن بالاسراء والمعراج لورود الدليل في القرآن صريحا في الاسراء وتلميحا في المعراج ولا شأن لنا باصطناع تلك الوسائل المادية فيهما من اجل ارضاء عقولنا القاصرة التي لا تدرك من كنه صنع الله سبحانه مع نبيه في تلك الليلة المباركة الا القليل .

والرواية تحمل كثيرا من ايات الاضطراب حيث تقول حاكية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – : ثم صعد بي الى سماء الدنيا في اسرع من طرفة عين فمن الذي صعد به ؟ اذا كان جبريل فلم كان المعراج ، هذا المرقى الذي وصفه النبي لنا ، واخبرنا عن امر جبريل له بالصعود عليه ، واذا كان الذي صعد به مجهولا وذلك في حالة بناء الفعل ( صعد ) للمجهول فالاعتراض وارد ايضا .

ثم هل يصدق احد ان يكون النيل والفرات ، وهما من انهار الارض ، ونعلم منابعهما ومصابهما ينبعان من سماء الدنيا وان عنصرهما من الجنة حيث تحكي الرواية قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ودخلناها ( السماء الدنيا ) فاذا هي سماء من دخان يقال لها الرفيعة وليس فيها موضع قدم الا وعليه ملك راكع او ساجد ونظرت فاذا فيها نهران عظيمان مطردان فقلت : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذا النيل وهذا الفرات ، عنصرهما اي اصلهما من الجنة ولماذا النيل والفرات وهناك على الارض عشرات الانهار التي تتدفق بالخير والنماء وكلها تظهر نعمة الله على بني الانسان والحيوان ؟؟

وهذه الرواية لا تشير الى صلاة النبي – صلى الله عليه وسلم – اماما بالانبياء في بيت المقدس وهو ما اشارت اليه بعض الروايات الاخرى ولكنها تثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى بالملائكة في سماء الدنيا ركعتين وان صلاته كانت على ملة ابراهيم الخليل وكذلك صنع في السماء الثانية .

وكيف تقول الرواية حين اشارت الى خطاب الله لنبيه وكان عليه الصلاة والسلام على بساط الانس – حاكية ان الله قال : « واعطيتك الحوض المورود ، والشفاعة الكبرى ، والدرجة الرفيعة ، وصيام رمضان ، وفيه انزل القرآن عليك » كيف تقول الرواية ذلك وصيام رمضان لم يفرض تلك الليلة وانما كانت فرضيته بعد الهجرة كما هو ثابت بالاخبار الصحاح ثم هل يجوز او يعقل ان يقول الله تعالى : « وفيه انزل القرآن عليك » وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهل الشهر الذي نزل فيه القرآن عليه او ما نزل ؟

اما الاستعانة بالاسطورة في تلك الرواية فتكمن في خبر عزرائيل حيث تزعم الرواية ان النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ثم رأيت ملكا عظيم الخلقة والمنظر قد بلغت قدماه تخوم الارض السابعة ورأسه تحت العرش وهو جالس على كرسي من نور« الى ان قال : فقلت يا اخي يا جبريل . من هذا : قال جبريل : هذا هازم اللذات ومفرق الجماعات ومرمل النساء ومفجع الاحباب ومغلق الابواب ومسود الاعتاب وخاطف الشباب هذا ملك الموت عزرائيل ».

وكذلك اخبار ملك الموت رسولنا – صلى الله عليه وسلم – حين سأله : وكيف تعرف

حضر اجل العبد ام لم يحضر ؟ قال : ما من عبد الا وله في السماء بابان : باب ينزل منه رزقه وباب يصعد اليه عمله وهذه الشجرة التي عن يساري ما عليها ورقة الا وعليها اسم واحد من بني ادم ذكورا واناثا فاذا قرب اجل الشخص اصفرت الورقة التي كتب عليها اسمه وتسقط على الباب الذي ينزل منه رزقه ويسود اسمه في اللوح فاعلم انه مقبوض .. الخ ».

وهذه الرواية ليس هناك دليل على صحتها من قرآن او سنة ولكنها خرافة او اسطورة شائعة ربما قبل ان تؤلف تلك الرواية موضوع هذا الحديث ولم اكن ادرك قول الريفيين حين يسقط من يد واحد منهم شيء فينكسر او يتلف : « سقطت ورقته » من باب الدعاء عليه نظرا لتقصيره واهماله ، لم اكن ادرك مغزى تلك المقالة حتى قرأت تلك الخرافة .

وهل يصدق انسان اليوم قول ميكائيل ــ الموكل بالقطر والنبات من الملائكة ــ حين سأله النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن حقيقة الرعد والبرق : اذا حملت السحاب الماء ارسل الله اليه ملكا يسوقه حيث يشاء فيقع له زمجرة وقعقعة فيضرب بسوط فيخرج منه النور وهو البرق ؟؟ هل يصدق احد ذلك وقد كشف العلم الحديث كثيرا من النظريات التي تفسر لنا بعضا من تلك المشاهد الكونية والطبيعية من حولنا ومنها ظاهرة الرعد والبرق ؟

او هل يعقل ان جبريل عليه السلام اقتلع بوحي من الله بيت المقدس بارضه وجباله وتلاله واوديته وازقته وشوارعه ومساجده وبسطه بين يدي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذلك حين طلب منه المشركون ان يصف لهم بيت المقدس كما رآه تحديا له وحتى ينفضوا من حوله راضين بعد ان يستبين امامهم عجزه عن وصفه . لا . فما كان الله ليعجزه ابدا ان يوفق حبيبه محمدا الى ان يصف بيت المقدس دون ان يقتلعه جبريل ويحضره له .

اننا نرى الانسان اليوم قد تمكن بواسطة جهاز ( التلفاز ) من ان ينقل صورا عديدة من مناطق مختلفة في الارض الى المشاهدين في كل مكان حتى ان الرائي ليشاهد تلك الصور والمرائي كما هي دون مسخ او تشويه وحتى ليستطيع المشاهد ان يتحدث عما رأى ويصف ما شاهد دون جهد او عناء افيعجز الله سبحانه ان يمكن نبيه من وصف بيت المقدس دون عملية الاقتلاع الرهيبة هذه ؟!

واخيرا تثبت الرواية انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين وصف البيت كما ارادوا اسلم في ذلك اليوم اربعة الاف رجل وأؤكد ان هذا لم يحدث ولو كان قد حدث لما هاجر الرسول الى المدينة ولم يهاجر وقد اصبح باسلام هؤلاء في عز ومنعة ؟ ثم ان من حضر بدرا من المسلمين مهاجرين وانصارا في العام الثاني من الهجرة لم يكن عددهم يتجاوز ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فاين اذن كان هذا العدد الضخم ؟؟

فلنعد الى الصواب والرشد ولنتمسك بكتاب الله وبما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولننبذ كل تلك الخرافات والترهات ... والله تعالى اعلم بالصواب .

# أدعياء النبوة

للأستاذ

احسان صدقي العمد

منذ أن بعث الله تعالى رسوله الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة الاسلام ، جعل رسالته السماوية آخر الرسالات ، وختم برسوله المصطفى الأنبياء

والمرسلين . قال تعالى « **ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** » الأحزاب / ٤٠ وقد

جهد الرسول في حياته لتأكيد هذه الحقيقة ، وجاهد المؤمنون من بعده لنصرة رسالة الاسلام السمحة والمحافظة عليها من الادعياء والمتحلين الكذابين الذين « **يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله**

**الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون** »

التوبة / ٣٢ . وتحدثنا كتب السيرة عن الموقف الحق الذي وقفه النبي صلى الله عليه وسلم من أطماع بني حنيفة وأدعيائها إذ رفض بحزم طلب هوذة بن علي الحنفي ان يجعل الأمر له من بعده ، كما رفض طلبا مماثلا من ثمامة بن كبير بن حبيب المعروف بمسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في أواخر حياة الرسول وسمي نفسه رحمان اليمامة ، .

وفي اواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم تنبأ أيضا الاسود بن كعب ابن عوف العنسي في اليمن واتبعه بعض قبائلها ، وسمي نفسه رحمان

اليمن كما فعل مسيلمة وقد وجه الرسول قيس بن هبيرة المرادي لقتاله وتمكن من القضاء عليه بالتعاون مع الذين كان الاسود العنسي قد اضطهدهم .

ويبدو أن بعض قبائل الجزيرة العربية لم تستوعب انذاك فحوى الرسالة الاسلامية ، كما ان هذه القبائل حسدت قريشا على المكانة المرموقة التي تأكدت لها من جديد بعد ظهور الاسلام ، فقام بعض الزعماء فيها بمحاولات لمشاركة قريش في هذه المكانة . حتى اذا لم تجب مطاليبهم لجأوا الى ادعاء النبوة وجمع المؤيدين لهم علهم بذلك يحققون مأربهم .

## ابو بكر يستأصل شأفة الأدعياء :

وعندما انتقل الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى كان اول عمل حاسم قام به ابو بكر الصديق هو استئصال شأفة ادعياء النبوة والمرتدين من ابناء القبائل . وخاضت صفوة من المؤمنين من المهاجرين والانصار بقيادة خالد ابن الوليد عدة معارك ضارية في اليمامة ضد مسيلمة الكذاب والقبائل الموالية له وانتهت كما هو معروف بالقضاء على مسيلمة واستبسلام اعوانه . وقد تحقق هذا الانتصار للاسلام والمسلمين بعد جهاد صادق استشهد فيه المئات من المؤمنين الذين

« **صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم**

**من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلـوا تبديـلا »** الاحـزاب/٢٣ .

ويتراوح عدد شهداء اليمامـة بـين سبعمائة الى الف وسبعمائة شهيد من خيرة المؤمنين ، بينهم سالم مولي ابي حذيفة ، وخالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية ، والسائب بن العوام اخو الزبير بن العوام ، وزيـد بن الخطاب بن فضيل اخو عمـر بن الخطاب وسراقة بن كعب ، وابـو دجانه سماك بن اوس ، وعبد الله بن عبد الله بن ابي بن مالك . وبالرغم من الضربة القاضية التي وجهـت الى مسيلمة واتباعه زمن ابي بكر الا ان البلاذري يذكر في فتوح البلدان ان عبد الله بن مسعود قتل في الكوفة عبادة بن الحارث المعروف بابن النواحة وهو احد بني عامر بن حنيفة ، وذلك عندما بلغه ان عبادة بن الحارث وجماعة معه يؤمنون بما ادعاه مسيلمة وهذه الرواية تدلنا على وجود بقايا من اتباع مسيلمة الكذاب حتى خلافة عثمان بن عفان .

اما المتنبئة سجاح بنت اوس التي اتبعها قوم من بني تميم واخرون من اخوالها بني تغلب ، فقد تزوجـت مسيلمة وجعلت دينها ودينه واحدا . فلما قتل مسيلمة تحولت الى اخوالها فماتت عندهم ، إلا ان ابن الكلبي يذكر ان سجـاح عادت فأسلمـت وهاجـرت الى البصرة وحسـن اسلامها .

وكان خالد بن الوليد قد تصدى قبل ذلك لمدع اخر للنبوة من بني اسد هو طليحة بن خويلد الاسدي الذي هزم واتباعه ثم اسلم من جديد وابلى بعد ذلك بلاء حسنا في فتوح العراق .

## الادعياء في العصر الاموي :

ويحدثنا ياقوت الحموي الرومي في معجم البلدان عن ظهور متنبىء في بلاد الشام في عهد عبد الملك بن مروان . وقد عرف هذا المتنبـىء بالحـارث الكذاب مولي ابن الجلاس . وكان يتظاهر بالتعبد والزهـد ، ويتصـل بالمصلين في مسجد دمشق كلا على حدة « فيبلغهم امره ويأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق ان هو رأى ما يرضي قبل والا كتم عليه » ويبدو انه كان يتقن بعض اعمال الشعوذة والتأثير النفسي ، اذ كان يقول لاتباعه اخرجوا حتى اريكم الليلة فيخرجهم الى دير مران فيريهم رجالا على خيل فتبعه بشر كثير وفشا الامر في المسجد وكثر اصحابه . واستمر الحال على ذلك حتى اتصل الحارث الـكذاب برجل مسلم قوي الايمـان يدعـي القاسم بن مخيمرة ، فلما دعاه الى التصديق بنبوتـه الكاذبـة قال له « كذبت يا عدو الله ما انت بنبي ولا لك عهد ولا ميثاق» . وتوجه على الفور الى عبد الملك بن مروان واعلمه بأمر هذا المدعي . فأمر عبد الملك بطلبه الا انه لم يتمكن من ذلك لأن الحارث كان قد غادر دمشق متخفيا وتوجه الى القدس حيث اختبأ في احد منازلها حيث أخذ يمارس دعوته السرية . وحـدث ان اتصل به رجل مؤمـن من **البصرة** فتظاهر بتصديقه حتى وثق **الحارث** به . وأخذ البصري يتردد على مكانه

السري ويعرف مداخله ومخارجه وموضع اختفائه حتى صار من اخص الناس به . وبعد ذلك استأذن البصري من الحارث بالسفر مسرعا الى البصرة ليكون اول داعية له هناك فأذن له . وتوجه البصري مسرعا الى عبد الملك بن مروان واخبره بقصة الحارث معه ومكانه ، فأمره عبد الملك ان يقوم بالقضاء على هذا المدعي . فطلب البصري من الخليفة ان يوجه معه قوما لا يفقهون الا القليل من الكلام ، فجعل عبد الملك تحت تصرفه اربعين رجلا من اهل فرغانة وامرهم بطاعته كما طلب من عامله على بيت القدس مثل ذلك . وعندما وصل البصري واعوانه الى القدس رتب اصحابه في ازقة المدينة وزواياها ليلا ، وحمل كلا منهم شمعة وأمرهم الا يسرجوها الا اذا اوعز اليهم ذلك . ثم اقبل البصري وحده الى منزل الحارث الكذاب واستأذن بالدخول ، فرفض الحاجب في أول الأمر أن يفتح له الباب حتى يحين الصباح ، إلا أن الحارث أذن للبصري بعد أن علم بعودته ، فلما فتح الباب صاح البصري بأعوانه ان يسرجوا شموعهم ويضبطوا كل من يجدونه . وقد حاول اتباع الحارث أن يوهموا البصري واعوانه بعدم امكانية الوصول الى الحارث لأن الله رفعه الى السماء ، الا ان هذه الحيلة لم تنطل على البصري واستخرج الحارث من مخبئه السري وأوثقه وحمله على البريد الى عبد الملك فقتله وصلبه وقضى على فتنته .

وفي اواخر الحكم الاموي عام ١٢٩ هـ ظهر في نيسابور مدع آخر للنبوة هو « بها فريد » مستغلا الاضطراب السياسي الذي ساد الجناح الشرقي من الدولة الاموية ذلك الوقت .

### الادعياء في العصر العباسي :

وبالرغم من القضاء على حركة « بها فريد » الا اننا نسمع عن تحرك بعض عناصر تنتمي اليها في زمن المنصور العباسي عام ١٥٠ هـ بقيادة شخص يدعي اشناس . كما تتحدث بعض المصادر عن وجود اتباع لها في القرن الرابع الهجري . وتنسب المصادر العباسية الى استاذ سيز الذي ظهر في منتصف القرن الثاني للهجرة ادعاءه النبوة . ويلاحظ كثرة الادعياء في هذه الفترة اذ تراوح ادعاؤهم بين النبوة والالوهية ، فعبد الله الراوندي مثلا نادى بالوهية ابي جعفر المنصور وبنبوة ابي مسلم الخرساني ، واسحق الترك احد دعاة ابي مسلم الذي هرب الى ما وراء النهر بعد مقتله ، ادعى انه نبي انفذه زرادشت ليقيم هذا الدين . كذلك ادعى المقنع هاشم بن حكيم الالوهية ايام المنصور ، ومثله فعل بابك الخرمي الذي امتدت حركته الخطيرة اكثر من عشرين عاما . ويرجع الفضل في القضاء عليها الى جهود المأمون والمعتصم بالاضافة الى المجاهدين المتطوعين الذين كانوا يتقدمون الجيوش العباسية النظامية في القتال .

وحوالي منتصف القرن الخامس

الهجري ظهر في الصيرة على مقربة من البصرة رجل يقول له ابن الشباس وقد استخف هذا المدعي بعقول بعض الناس بترهات كما يقول ياقوت الحموي « فانقادوا له وعبدوه وادعى عندهم انه اله . » .

**المدعون في العصر الحديث :**

وظهرت في القرن الماضي حركتان من هذا القبيل في المشرق الاسلامي اولاهما البابية التي تطورت الى البهائية . وتنسب البابية الى علي محمد الشيرازي الملقب « بالباب » الذي ادعى انه الباب الوحيد الذي يدخل منه الطالب ليصل الى حضرة الخالق عز وجل . وقد جهر الباب بآرائه عام ١٨٤٤ م ، الا ان الحكومة الايرانية آنذاك تعقبت انصاره بالقتل والتشريد واعدمت « الباب » نفسه عام ١٨٥٠ . وقد خلفه في تطوير البابية ميرزا حسين على الملقب ببهاء الله والذي تنسب اليه البهائية .

اما الحركة الثانية فهي القاديانية التي تنسب الى الميرزا غلام احمد من قرية قاديان بمقاطعة البنجاب . وقد ادعى عام ١٨٨٤ انه ملهم من الله ثم عاد عام ١٩٠١ وادعى النبوة بتشجيع من السلطات الاستعمارية في الهند في ذلك الوقت . ورمت تلك السلطات من وراء ذلك الى خلق فرق دينية جديدة واحداث ثغرات في صفوف المسلمين في القارة الهندية واضعاف نزعة الجهاد عندهم ، بقصد حماية مصالحها واطالة بقائها في تلك القارة .

وقد كشف عضو اللجنة الوطنية الباكستانية واحد الاعضاء المؤسسين لرابطة العالم الاسلامي السيد ظفار احمد الانصاري مؤخرا عن خطورة الحركة القاديانية وعلاقتها بالصهيونية .

وصرح في الرابع من يناير ١٩٧٦ بانه سيطرح موضوع الوجود القادياني الصهيوني للمناقشة في الجمعية الوطنية الباكستانية . واعرب عن اهتمامه وقلقه ازاء هذا الوجود ، وقال انه يهدد باكستان بقدر ما يهدد العالم الاسلامي والعربي . واشار الى ان القاديانيين الذين يعيشون في فلسطين المحتلة يتمتعون بامتيازات خاصة ، في الوقت الذي يحتفظون فيه بروابطهم المنظمة مع رئاسة القاديانية في منطقة « رابو » الواقعة في اواسط باكستان .

واضاف السيد ظفار الانصاري يقول ان القاديانيين الذين يعيشون في فلسطين المحتلة مؤهلون للخدمة العسكرية في القوات الصهيونية .

ولئن دلت هذه الحركة وغيرها من الحركات المشبوهة على شيء فانما تدل على حقد اعداء الاسلام وتآمرهم على رسالته وأمته ودياره .

وهو خطر حري بالمسلمين المؤمنين في كل مكان التصدي لمقاومته والقضاء عليه ليحتفظوا برسالة الاسلام ووحدة امته واتباع كتابه الذي « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » فصلت/٤٢

# الأمة ومنهاج الجهاد في الإسلام

للأستاذ حسيني عرابي عطوة

لقد كانت الأمة على مستوى دينها ، سائرة على هديه ، مترسمة مبادئه ، متمسكة بوصاياه ومنفذة لأحكامه وقضاياه ، حينما بسطت يدها للسلام ، وسعت جاهدة للدفاع عن حقها أمام الهيئات الدولية التي لها حق الفصل في قضايا المصير بين الأمم والشعوب وماتركت بارقة من أمل الا واستتبعت ضوءها ومع كل أسف كانت تنتهي بها الى طريق مسدود بسبب صلف العدو وعجرفته ، وعقده العزم على سياسة التوسع التي ملأت صدره الحقود نتيجة أوهامه وأساطيره التي حرف بها الكلم عن مواضعه ، والدين عن مقاصده ، وأعانه على ذلك قوم آخرون كشفهم الله للعالم الحر كله ، وهم أمريكا ومن يدور في فلكها ، وماضرنا هذا الصبر الطويل في شيء ، ولكننا استفدنا منه مكاسب جمة منها تأييد الغالبية العظمى من دول العالم لموقفنا السليم في الدفاع عن الوجود

والكيان ، ودمغ اسرائيل بسمات العدوان والغرور والتبجح والتي ستجر بها العالم كله الى حافة الخطر والدمار ، والاشهاد أمام الله سبحانه والعالم ، بأننا أدينا الواجب ، وكنا على مستوى الالتزام الرشيد ، الذي يفرضه علينا ديننا « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم** » **البقرة**/ ١٩٠ ـ ١٩٢

والآن وبعد أن طرقنا أبواب السلام حتى كلت المتون وعيل الصبر ، وقام على القرع من به صمم ، وثبت بالأدلة المتكاثرة المتعددة ، أننا بريئون من أوزار حرب قادمة ، فرضها علينا العدو الغاشم ومن يساعده على غشمه وجوره ، موقفنا فيها هو الدفاع المقدس عن الحياة والوجود والاستنقاذ للشرف والعرض ، ممن لاشبيه لهم سوى التتار وبرابرة التاريخ الذين لازال اسمهم يحمل معه أقبح ما في التوحش والغدر من فاحش السيرة ومزعج الذكرى الأمر الذي لو أدرك العالم المتحضر مدى خطورته لوقف ضده واستأصله كما يستأصل الداء الخبيث .

والآن لانرى لنا عذرا أمام الله سبحانه ، والوطن والتاريخ والأجيال القادمة ان تركنا للعدو فرصة البقاء على الأرض الحبيبة وفينا عين تطرف ، وقلب ينبض ، وجسد يتحرك ، فان الجهاد في سبيل الله الآن بالنفس والمال واللسان وبكل وسيلة أصبح فرضا لازما على الشعب كله ، من تخلف عنه مع القدرة عليه ، فقد خان الله ورسوله وعامة المؤمنين ووقع في محظور تلك الآية الكريمة « **يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** » **الأنفال**/ ٢٧

الآن أصبح الذود عن الوطن ، والدفاع عن الأرض والعرض فرضا لايتقاعس عنه الا كل خوان أثيم ، انطلاقا مع نفير تلك الآية الكريمة وتلبية لندائها المقدس « **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » الآية / ٤١ من سورة التوبة ، والجهاد في الاسلام له تاريخ يجب أن يدرس ومنهج ينبغي ان يسار عليه .

وسبيل الأمة الى الجهاد الانطلاق به من القواعد التي انطلق به منها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلق من ربه ، وعون من ايمانه بحقه ، وعمق في الفكرة ، وارتفاع به عن متاع الدنيا ، وتحقيق به لمبادىء الخير ورسالة الاصلاح ، ودفاع به عن الوطن الذي أحبه ، والمستضعفين والمعذبين ، الذين سدت في وجوههم أبواب الحيلة للتخلص من العذاب والاضطهاد « **ومالكم لاتقاتلون في**

**سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** » النساء/ ٧٥

وفي مقدمة القواعد التي يستنزل بها النصر ويرجى الفوز والعون ، الايمان بالله ورسوله وحق الوطن والأجيال القادمة ، فانه مامن آية في أغلب الأحيان حثت على الجهاد الا وقدمت لذلك بالوصية بالايمان « **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » الصف/ ١٠ ــ ١٣

والاقدام على الجهاد على أنه أشرف عمل في الاسلام بعد الايمان بالله فقد ثبت في الصحيح من الحديث « أن رجلا قال يارسول الله ، دلني على عمل يعدل الجهاد قال : لاأجده ثم قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولاتفتر ، وتصوم ولا تفطر ، فقال الرجل ومن يستطيع ذلك » البخاري

وحب الجهاد والهيام به على أنه سياحة المسلم ورسالة استخلاص الشرف الرفيع ، والمجد السليب ، والكرامة الغالية ، حبا تهون به الدنيا ، ولايصعب معه البذل والعطاء « **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين** » الآية ٢٤ من سورة التوبة ، ولنا في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ومصدر العطاء الذي لاينقطع مدده ، ولاتجف موارده ، والأسوة الفذة التي ترتفع اليها أعناق الرجال من أهل الصدق والايمان ، وان قوة هذا الحب لتظهر من قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ، ولكن لاأجد سعة فأحملهم ، ولايجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت ان أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » مسلم

وخوض معارك الجهاد مع الحرص على الموت أكثر من الحياة ، والرضا بمغارم الجهاد وتبعاته مع الارتباط بالله وعدم الغفلة عنه ، والسمو بالجهاد عن أغراض الدنيا « وتلك خلال طالما هبت معها رياح النصر على معسكرات المسلمين ، وكثيرا ماأذهلت أعداءهم ، وحملتهم على الشهادة لهم بعدم القهر والغلبة »

فهذا المقوقس يرد على من نعت له جنود الاسلام بتلك الصفات « وجدنا أقواما يحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة ، ويحبون التواضع أكثر من حبهم للرفعة ، ليست لهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب ، وأكلهم على الركب ، وأميرهم كواحد منهم لايعرف صغيرهم من كبيرهم ولا السيد فيهم من العبد ، فاذا حضرت الصلاة قاموا اليها جميعهم لم يتخلف منهم أحد وغسلوا أطرافهم ووقفوا في صلاتهم خاشعين بين يدي ربهم » فقال المقوقس « والذي لايحلف الا به ، لو أن الجبال اعترضت طريق هؤلاء لأزالوها وان هؤلاء لايقوى على قتالهم أحد »

والوقوف بالمرصاد لأساليب الحرب النفسية التي يشنها العدو وأعوانه تارة عن طريق السخرية وأخرى عن طريق التهديد بالأسلحة الجديدة وغير ذلك وذلك كثير تعرض رسول الله لمثله على طول جهاده ، فقد جربوا معه في غزوة الأحزاب سلاح التهكم وقالوا ان رسول الله يعدنا بقصور الروم بالشام ومدائن كسرى وصنعاء اليمن ، والواحد منا محاصر لايستطيع قضاء حاجته والى هذا المعنى الخبيث أشار الله سبحانه « **واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا** » واستعملوا معه سلاح التشكيك في القدرة وهز الثقة بالنفس « **واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فرارا** » وقد استعملوا معه سلاح التهديد بالقوة عقب غزوة أحد وقد أشار القرآن اليه والى المواجهة التي أذهلت العدو وحملته على ان يقبع وراء جباله بمكة راضيا من الغنيمة بالأياب فقال « الذين قال لهم الناس » والمراد بالناس هنا مروجو الاشاعات « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » والمراد بالناس في هذا المقام كفار قريش « **فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** » ثم يحذر القرآن الكريم من عدوى الخوف والذهول عن مكائد العدو ، ويصف ذلك بأنه خفة في ميزان المؤمن ومؤاخاة للشيطان « **انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** » الآيات ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، من آل عمران

، وقد رد منهج الاسلام على هذا اللون من الحروب ، بضبط النفس ، والثقة بنصر الله مع الضرب بشدة على يد المروجين ودعاة الهزيمة قد تصل الصرامة فيها الى القتل والابادة « **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** » الأحزاب/ ٦٠ ـ ٦٢

وجماعية الجهاد على كافة أفراد الأمة فعلى عهد رسول الله وقفت المرأة في الجهاد بجوار الرجل وسابق الشباب الشيوخ ، واقترع الولد مع أبيه حرصا على شرف المشاهد السامية وكان يقول لأبيه لولا شرف الجهاد لقدمتك على نفسي ، وتقدم أصحاب العاهات للفوز بواسع الجنات وانخلع حنظلة بن أبي عامر ، من أحضان عرسه في ليلة زفافه قبل أن يغتسل فينال الشهادة وتغسله ملائكة الله في طست من ذهب بماء المزن الطاهر من فوق سبعة أرفعة ، ولقد ظلت الأوس تباهي الخزرج بهذا الموقف العظيم لحنظلة فمن رواية الطبري عن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة « افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس منا أربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت ، فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم »

ومما يجب الحرص عليه تقدير رجالنا الأبطال الواقفين على الجبهة ورعاية أسرهم ، وقد لفت رسول الله النظر الى ذلك فقال « من لم يغز ، أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » رواه أبو داود عن أبي أمامة باسناد صحيح ، ولقد ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أروع الأمثلة في تقديره للمجاهدين رجالا ونساء ؛ فلقد قسم مروطا « أثوابا » بين نساء من نساء المدينة ؛ فبقى ثوب جيد ، فقال له بعض من عنده أعطه لزوجك بنت رسول الله يريدون أم كلثوم زوجته فهي بنت الامام علي وأمها فاطمة بنت رسول الله فقال عمر رضي الله عنه أم سليط أحق فانها كانت تزفر ( تخيط ) لنا القرب يوم أحد رواه البخاري .

ولابد في النهاية من ظهور الأمة بمظهر الطاعة واللجوء الى الله لأن ماعند الله من خير يلتمس بطاعته لا بمعصيته فقد أصبح من المحتم الآن القضاء على عبث الشباب واستهتار الفتيات وانحراف الكلمة المسموعة والصورة المشاهدة وأفلام الانحلال وأخلاق الفوضى ، التي لازال يغض الطرف عنها بعض المشرفين على أجهزة التوجيه حتى الآن فالله سبحانه يقول « **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** » .

وانا لنأمل وقد وقفنا على الطريق في انجاز عدة الله سبحانه لعباده المؤمنين والشعوب الجادة الصالحة « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** »

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

# الاسراء

# بين السلف

يحتفل المسلمون ، منذ عهود بعيدة ـ بليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، لاعتقاد شاع بينهم انها الليلة التي اسرى فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم ، من المسجد الحرام بمكة ، الى المسجد الاقصى بالشام ،

ثم عرج به الى السموات السبع .. ثم الى الملأ الأعلى .. ثم إلى سدرة المنتهى ، حيث سمع صريف الأقلام ، وشاهد سدرة المنتهى ، والبيت المعمور ومن عليه ربه بفريضة الصلاة ، حيث فرضت اولا خمسين صلاة ، ثم خففت الى خمس صلوات في اليوم والليلة ، بعد ان تردد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين ربه وبين موسى .

**اعتقاد الناس في ليلة السابع والعشرين :**

ومن هنا بني العامة واشباههم ،

# والمعراج

# والخلف

للاستاذ / سعد صادق محمد

اعتقادهم أن لليلة السابع والعشرين فضلا كبيرا ، فاتخذوها موسما لهم ، يقيمون فيها حفلات دينية ، يحيونها بما ألفوه من الذكر والأدعية ، وتأدية صلاة تعرف باسم « صلاة الرغائب » ، وبما اعتادوه من صنع الأطعمة ذات الطابع الخاص ، والتي تعودوا ان يصنعوا مثلها في المواسم كليلة النصف من شعبان والمولد النبوي وذكرى الهجرة وغير ذلك .

يجتمعون في المساجد في أول خميس من رجب ، ويخصصون لهذه الليالي « صلاة الرغائب » يؤدونها اثنتي عشرة ركعة ، بين العشاءين ، تتخللها قراءات وتسبيحات .

**ادلتهم في الاحتفالات :**

ويستند المحتفلون بهذه الليالي ،

الى ماورد من غرائب الاحاديث المنسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منه حديث « إن في الجنة نهرا يقال له رجب ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، واحلى من العسل ، من صام يوما من رجب ، سقاه الله من ذلك النهر » وهو حديث باطل كما قال عنه الذهبي

ومنه حديث « من صام ثلاثة ايام من شهر حرام ، الخميس والجمعة والسبت ، كتب الله له عبادة تسعمائة سنة » وهذا الحديث قال عنه السخاوي انه باطل متنا وتسلسلا فاحذروه .

ومنه حديث « صوم اول يوم من رجب ، كفارة ثلاث سنين ، والثاني كفارة سنتين ، والثالث كفارة سنة ، ثم كل يوم شهر » حديث ساقط الاسناد ومنه حديث « رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي » حديث مرسل وضعيف وغير ذلك من الرغائب التي وضعت في كتب الاحاديث وضعا ، وتناقلها الناس جيلا عن جيل ، وآمنوا بها ، وعملوا بمقتضاها ، اعتقادا منهم بأنها أحاديث نبوية تتسم بالضبط والصحة ، وأنها رويت فعلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

## هل عرف السلف هذه الأعمال :

اذا رجعنا الى سيرة سيد العابدين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، نجد انها خلت من الأعمال التي عرفها المسلمون الأولون من الاحتفال بأول يوم من رجب ، وليلة السابع والعشرين ، بالصلاة ، وقراءة قصة المعراج .

وكذلك لم تحفظ لنا كتب سيرة الصحابة – وهم الذين امرنا باتباعهم – انهم فعلوا شيئا مما يفعله اليوم جمهور المحتفلين برجب ، فلم يؤثر عنهم – رضى الله عنهم – انهم صلوا « صلاة الرغائب » في اول خميس من رجب ، او فعلوا شيئا من هذه الأمور التي ابتدعت في العصور المتأخرة ، لأنهم كانوا يلتزمون بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقتدون به في كل شئ ، والرسول لم يكن يفضل من الأيام ، الا ما حدده له الشرع ، والشرع لم يخص من الأيام بالتفضيل والاحياء والاحتفال سوى يوم الجمعة ، ويوم العيدين ، ويوم عرفة .

فالاسلام – اذن – لا يعرف لشهر رجب غير انه احد الأشهر الحرم التي شرع حرمتها قبل الاسلام وبعده ، وفي هذا نقرأ قول الله عز وجل ( **ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم** ) التوبة / ٣٦ .

## آراء الفقهاء حول الاسراء والمعراج :

وهذه اقوال العلماء والفقهاء ، فيما يفعله الناس اليوم في رجب من صيام واحتفالات .

يقول الحافظ بن حجر في كتابه « تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب »

« لم يرد في فضل رجب ، ولا في صيامه ، ولا في صيام شيء منه ، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة »

ويقول الامام الجليل ابن تيمية ، ردا على سؤال لرجلين ، يفضل احدهما ليلة القدر ، والآخر ليلة الاسراء ، يقول الامام - رضى الله عنه - « فان اراد به : ان تكون الليلة التي اسرى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، ونظائرها من كل عام ، افضل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من ليلة القدر ، بحيث يكون قيامها ، والدعاء فيها ، افضل منه في ليلة القدر ، فهذا باطل ، لم يقله احد من المسلمين وهو معلوم الفساد والاضطراب من دين الاسلام ... »

ويقول في موضع اخر « ... ولا يعرف عن احد من المسلمين ، انه جعل لليلة الاسراء فضيلة على غيرها ، ولا كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ، يقصدون تخصيص ليلة الاسراء بأمر من الامور ، ولا يذكرونها ، وان كان الاسراء من اعظم فضائله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا ، فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ، ولا ذلك المكان بعبادة شرعية .. »

ويقول الامام ايضا عن « صلاة الرغائب » التي يصليها المحتفلون برجب « صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين ، لم يسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا احد من خلفائه ، ولا استحبها احد من أئمة الدين ، كمالك ، والشافعي ، واحمد ، وابي حنيفة ، والثوري وغيرهم ، والحديث المروي فيها - اي في صلاة الرغائب - كذب باجماع اهل المعرفة بالحديث ، وكذلك الصلاة التي تذكر اول ليلة جمعة من رجب ، وفي ليلة المعراج .. وغير هذا من ايام الاسبوع .. لا نزاع بين اهل المعرفة بالحديث ان احاديثه كلها موضوعة ، ولم يستحبها احد من أئمة الدين ، وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام ، ولا يوم الجمعة بصيام »

## اختلاف الآراء حول الاسراء والمعراج :

بالرجوع الى الكتب التي تحدثت عن الاسراء وليلته ، نجد انها قد ازدحمت بآراء متعددة مختلفة ، فلم تتفق على كلمة واحدة في الانباء المروية عن هذا الحادث ، من حيث انتقاله صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاسراء من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الاقصى بالشام ، فقد اختلفت هذه الاراء في كل ما يتعلق به ، في سنته .. وشهره .. وليلته .. وفي وصف البراق « راحلة الاسراء » .. وفي مكان اجتماع الرسول بالانبياء .. وهل

كانت امامته لهم بالروح ، ام بالجسد ، ام بهما معاً ؟ ..

وامتد الخلاف كذلك الى المعراج ، فاختلفوا في المرقاة « مصعد العروج الى السماء » ، وهل كان المعراج بالروح ، ام بالجسد ، ام بهما معا ؟

اختلفت الآراء حول كل ما يتعلق بحادث الاسراء والمعراج ، واورد كل فريق الادلة التي تؤيد رأيه ، وكان من كثرة ما قيل في هذا ، ان وقف المرء حائرا وسط كل هذه الآراء المتعددة المختلفة ، ماذا يأخذ .. وماذا يدع ؟!

## ثبوت الاسراء والمعراج :

اما اصل الاسراء والمعراج ؛ فلم يختلف فيه احد ، اذ انه بدليل القرآن الكريم ، فعن الاسراء ورد قول الله عز وجل ( **سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ) الاسراء / ١

وعن المعراج ورد قول الله تعالى ( **ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ) النجم /١٣ ــ ١٨

### لماذا لم يهتم السلف بالتواريخ ؟:

والصحابة والتابعون رضوان الله عليهم اجمعين ، لم يهتموا بتسجيل تواريخ الاحداث ، ولم يعنوا بزمانها او مكانها ، لانهم كانوا يؤمنون بان الازمنة والامكنة ، هي اوعية فقط للاحداث ، وانه لا داعي للتعلق بالأزمنة أو الأمكنة ، والعمل على احيائها ، وتفضيل احداث على غيرها ، وإحياء ليال من الاشهر الحرم دون اخرى منها ، وإنما كانوا ينظرون الى العبرة المستوحاة من الأحداث ، ويستفيدون منها بالنتائج فقط .

هكذا كانت نظرتهم الى الاسراء والمعراج .. نظرة نابعة من اتباعهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كانوا ينظرون الى باقي الأحداث الاسلامية ، فلم ينهجوا نهجنا فيها ، بالعبادة والاحياء ، نحييها مرة في العام باحتفالات مادية ، وننساها طوال العام .

ولو كان للازمنة أو الأمكنة تقدير في نظر السلف الصالح ، لكان غار حراء ، الذي نزل الوحي فيه ، قد اخذ من اهتمامهم الشيء الكثير ، ولقصدوه بالذكر والاحياء ، ولاهتموا ايضا بحرارة بأحداث اخرى وقعت في عصورهم ، وكان فيها انتصار للاسلام ، وكانت علامات بارزة في تاريخه ، كغزوة بدر وشجرة الرضوان وفي شأن غار حراء يقول الامام الجليل ابن تيمية رضى الله عنه « ... بل غار حراء الذي ابتدىء فيه نزول الوحي ، واليوم الذي انزل فيه الوحي ، لم يخص واحد منها بعبادة ، ولا بغيرها ، ولم يقصدها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا احد

من اصحابه بعد النبوة ، مدة مقامه بمكة .. »

## ايحاءات الاسراء والمعراج :

إن حادث الاسراء والمعراج يوحي بمعان جميلة طيبة فهو يوحي بأنه تكريم من الله عز وجل لنبيه الكريم ، ورفع لدرجته ، وإعلاء لمقامه ، بعد ان خذله اهل الطائف ، وطاردوه حتى خارج بلدتهم ، حين ذهب اليهم طالبا نصرتهم .

وهو تثبيت لقلبه ، وتطمين لنفسه ، وتقوية لروحه ، بأنه فوق أعدائه ، ومنصور عليهم في نهاية الأمر .

وهو اعداد للرسول لرحلة الهجرة الشاقة من مكة الى المدينة ورحلته الطويلة في سبيل الله ، ومن اجل اعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ، وكسر شوكة الباطل والوثنية .

وهو تذكير للمسلمين بمنة الصلاة الكبرى ، التي خلعها الله تعالى على نبيه وامته .. هذه الصلاة التي خص الله بها امة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكرمها بها ، ليتشرفوا بالصحبة الالهية خمس مرات في اليوم والليلة .

وهو تذكير للمسلمين ، بربط مهابط الوحي ، الاول : الذي تلقاه ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل ، والثاني : الذي تلقاه موسى وعيسى بالقدس ، ذلك لأن هذه المهابط ، هي مهابط لرسالات واحدة ــ وان اختلفت في فروعها ، وازمنتها ، وان تعددت رسلها ــ هي مهابط لرسالات واحدة في غايتها .. واصولها .. ودعوتها ، فهي دعوة للناس جميعا الى توحيد الله عز وجل ، واتباع كلمته ، والسير على نهج شريعته « شريعة الحق والعدل والفضيلة ، والى نبذ عبادة غير الله ، ومحاربة الفساد والظلم والشرور .

فالاسراء والمعراج ــ اذن ــ يذكرنا بكل هذه المعاني الجميلة ، ويوحي لنا بكل هذه الصور المشرقة .

لقد تمثل الصحابة والتابعون ، رضوان الله عليهم ، كل هذه المعاني الطيبة امامهم ، وعاشوا في كل هذه الايحاءات ، فكانوا خير امة اخرجت للناس ، كما شهد لهم ربهم ، ووصفهم في القرآن بقوله : **( كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر )** آل عمران / ١١٠

## الجانب الحقيقي للاسراء والمعراج :

اذا كنا نريد ان ننتفع بهذه المعاني الجميلة ، ونحيا في ظل هذه الايحاءات الطيبة ، كما فعل سلفنا الصالح ، فجدير بنا ان ندرك الجانب الحقيقي للاسراء والمعراج ، لننتفع به ... يجب ان نعيش مع هذا الحادث بقلوبنا .. في كل اوقاتنا ، وان نسترشد في ذلك بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بما ألفناه من عادات وتقاليد مادية موروثة .. نحتفل بالذكرى يوما أو يومين .. ثم تجف الذكرى وتنقضي بانقضاء أيامها ..

# الوسط في الإسلام

للاستاذ / عمر الراكشي

في هذا العصر المادي اجترفت الانسان ماديات عديدة ، فانحرفت به الى الوان من المتاع متفرقة ، فرضتها ادوات العصر وعلومه ، وسخر اهل الشر كثيرا من اختراعات العلم لفتنة الناس وصرفهم عن مجالات الخير والبر .

وقد تعجب يا اخي المسلم اذا عرفت ان الاسلام حسم الاجابة عن تساؤل قد يطرحه المسلم على نفسه : ماذا آخذ وماذا أدع من متاع هذه الحياة ، والى أي مدى أشغل نفسي بهذه الأطايب والملذات .

سؤال قد يطرحه المسلم على نفسه وهو مبهور فاغر فاه أمام مظاهر الترف والنعمة والتسلية التي لا يساء استخدامها .

ولتعلم يا اخي المسلم الانسان ، أن اجابة الاسلام على هذا السؤال هي اجابة تصلح لكل زمان ولكل مكان ، مهما كان شكل النعمة وحجم المتاع وأداة التسلية ، وهي اجابة لن تجدها بهذا التفصيل وبهذا الاطراد والتواتر في سائر الأديان .

## مزج بين الجسد والروح

كلنا يعلم أن الانسان خلق من مزج رائع ورقيق بين الجسد والروح ، وتوازن ناصع ودقيق بين الماديات والمعنويات ، فلم يدع الاسلام بابا تطغى منه مطالب الجسد على مطالب الروح ، كما لم يأذن أن تجور الروحانية في رهبانية عرفتها غيره من الأديان . ومن هنا يقول عز من قائل : ( **لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم** ) التين / ٤ .

وقد وردت الاشارة الى خلق الانسان من طين وروح أو من جسد وروح في آيات عديدة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ( **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ) المؤمنون / ١٢ ـ ١٤ .

وفي سورة السجدة : ( **ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** )السجدة ٦ ـ ٩

واذا كان التوازن قائما في خلق الانسان ، أي في الموازنة بين جسده وروحه ، فان التوازن ايضا قائم ومطلوب كترجمة عملية في التطبيق لدى تلبية حاجاتهما ، وهو المبدأ الذي نستخلصه من كتاب الله الكريم ، وسنة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

## غاية خلق الانسان :

وغير خاف أن غاية خلق الانسان

والجان ، هو عبادة الرحمن ، وتعمير الأرض بالخير والسلام : **( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون )** الذاريات / ٥٦ .

فعبادة الله هي المبتغى الاول من وراء خلق الانسان والجان ، ثم السعي في سبيل الرزق بالحلال وتعمير الوجود بالخير والسلام : **( وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا )** القصص / ٧٧ .

فما هو مقدار هذا النصيب من الدنيا ؟ سؤال نجيب عليه في الفقرة بعد التالية .

## متاع الدنيا :

بادىء ذي بدء يتعين علينا أن نسلم بأن متاع الدنيا وإن كثر قليل ، وهو وإن تعدد وتنوع ضئيل ، سريع زائل بعد حين ، تقول الآيات البينات : **( زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد )** آل عمران / ١٤ ، ١٥ .

: **( المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا )** الكهف / ٤٦ .

: **( واعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور )** الحديد / ٢٠ .

من هذه الآيات الكريمات يتضح ان متاع الدنيا قليل وان نعيم الآخرة افضل واخلد .

ويبقى التساؤل قائما : فاذا كان القرآن الكريم أمر المسلم بألا ينسى نصيبه من الدنيا ، واذا كانت السنة النبوية الشريفة تقول من بعده :

« ما الدنيا في الآخرة الا مثلما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع » ( رواه مسلم ) ، فما هو مقدار ذلك النصيب من الدنيا الذي للمسلم أن يشغل به نفسه .

## مقدار النصيب من متاع الدنيا :

### اولا ـ في القرآن :

ويجيب القرآن الكريم بأن للمسلم ان يترخص في هذا النصيب من الدنيا بقسط معتدل ، وقدر متوازن مع مطالب الجسد ومطالب الروح ، أي بنصيب متوسط بين التبذير والتقتير ، وبين الافراط والتفريط ، وبين اقصى اليمين واقصى الشمال ، فان صراط الله دائما مستقيم ، ومصداق ذلك

تجده يا أخي المسلم في عديد من آيات الله البينات : ( **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** ) الاعراف / ٣١ : ( **ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ) ٢٦ ، ٢٧ / الاسراء : ( **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ) الاسراء / ٢٩ .

: ( **والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ) الفرقان / ٦٧ ، أي كان انفاقهم بين الاسراف والتقتير معتدلا مقسطا .

ومصداق ذلك المعيار نجده ايضا في غير مجال التمتع بنعم الله الدنيوية حيث يقول تبارك وتعالى : ( **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا** ) الاسراء / ١١٠ .

وحكمة ذلك الاختيار الالهي لهذا القدر المعتدل المتوسط من التنعم بالدنيا ، هي الا يغرق المرء نفسه في ملاذها وشهواتها فيطغى جانب الجسد على جانب الروح ويختل التوازن المنشود بينهما والمفصل بيانه في صدر هذا المقال ، فالله سبحانه وتعالى لم يحرم زينته في الأرض على بني آدم ولكن دعاهم الى ان ينالوا منها بقدر واعتدال .

**ثانيا ــ في السنة :**

واذا كان دأب السنة النبوية الشريفة ان تشرح نصوص الدين الحنيف وآياته بالقول وبالفعل ، فلنطوف معا على رياض هذه السنة نقتطف من ازاهيرها ما يلقي مزيدا من الضوء على ما نقلناه من كتاب الله من آيات تقنن ذلك المعيار الدنيوي المتوسط وتشرعه ، فنرى الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ينكر على رجل يعتزل النساء ، وعلى آخر يصوم الدهر كله ، وعلى ثالث يقوم الليل كله ، ينكر على هؤلاء جميعا فعل كل منهم ويوضح لهم انه بشر رسول ، يتزوج النساء ، ويصوم ويفطر ، ويصلي ويهجع .

**وفي مجال الرزق :** وتقسيم الأموال بين العباد وسعيهم وراءها ، يقول تبارك وتعالى : ( **قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ) سبأ / ٣٦ .

ويبين الرسول عليه افضل الصلاة والسلام حدود ومنهاج سعي المسلم طلبا للرزق ، والضوابط الاسلامية الرائعة له في جوامع من الكلم خالدة بقوله :

( لا شيء يقربكم من الجنة الا وقد دللتكم عليه ، ولا شيء يباعدكم عن النار الا وقد نهيتكم عنه ، ان روح القدس قد نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصيته ، فانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته ، وإن لكل

امرىء رزقا هو آتيه لا محالة ، فمن رضى به بورك له فيه فوسعه ، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه ، إن الرزق يطلب الرجل كما يطلبه أجله » رواه ابن ماجة والحاكم عن جابر .

هكذا يعلمنا الأدب النبوي الشريف كيف يكون سعي المسلم وراء المال في دنياه ، يكون بالعفة وبالوسائل المشروعة فان رزقه سوف يأتيه كما قدره الله وحدده ، كثيرا كان ام قليلا ، وعلى المرء ان يسعى ويأخذ بالأسباب ثم يرضى بما يرزقه به الله من مال حتى يبارك له فيه فيكفيه : « فخير الكسب كسب يد العامل اذا نصح » . اي اذا اخلص في عمله — عن ابي هريرة . رواه احمد .

فمن آمن وعبد وعمل صالحا وعمر دنياه بالخير ، ثم سعى في سبيل رزقه بالحلال ، ثم رضي بما آتاه الله من فضله ، فقد سعد جسدا ونفسا وروحا ، اما من انكب على وجهه يعب من ملاذ الدنيا ومغرياتها كأن لم يخلق الله غيرها حياة ابقى واخلد ، فقد خسر دنياه وآخرته ، فمن كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي طائعة ، ومن كانت الدنيا همه ، جعل الله فقره بين عينيه ، فلا يصبح الا فقيرا ولا يمسي الا فقيرا .

ويحذرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا فيقول : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخفلكم فيها فينظر كيف تعملون .. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » . رواه مسلم والنسائي عن ابي سعيد الخدري .

**وفي مجال الطعام والأكل والشرب : تتضح « الوسطية » من الحديثين التاليين :**

: « **ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، وإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » . عن المقدام ابن معد يكرب رواه الترمذي .

: « **كلوا وتصدقوا والبسوا في غير اسراف ولا مخيلة** » . عن ابن عمرو رواه النسائي .

**واعلم يا اخي المسلم ان القصد لا يعني القذارة واهمال المظهر الحسن الطيب وان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة »** . عن سهل بن الحنظلية رواه احمد .

**وفي مجال احتفالات العرس :**

: « طعام يوم في العرس سنة ، وطعام يومين فضل ، وطعام ثلاثة ايام رياء وسمعة » عن ابن عباس رواه الطبراني .

**وفي مجال التعبد :**

تظهر « الوسطية » والاقساط في الحديثين التاليين :

: « اياكم والغلو في الدين ، فانما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين » . عن ابن عباس رواه النسائي .

: « ايها الناس عليكم بالقصد ، عليكم بالقصد ، فان الله لا يمل حتى تملوا » . عن جابر رواه ابن ماجه .

**وفي مجال المهور :** تقول السنة المطهرة :

: « خيرهن أيسرهن صداقا » . اي اقلهن مهرا . عن ابن عباس رواه الطبراني .

**وفي مجال التخاصم :**

: « لا يحل لرجل ان يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . عن ابي ايوب الانصاري رواه ابو داود .

وفي هذا الحديث نهى عن الا يغالي في الخصومة والهجر بين الاخلاء المسلمين ونهى عن اللدد في الخصام .

**وفي مجال الحداد :**

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا » عن ام حبيبة بنت ابي سفيان . رواه البخاري .

ويجمع معاني الاحاديث المتقدمة الحديث الشريف الآتي :

« الاقتصاد في النفقة نصف العيش ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم » عن عمر رواه احمد .

ولا يتسع المجال لمزيد من الاستطراد في ضرب أمثلة « الوسط » او « الوسطية » من السنة المشرفة .

## جزاء الغارق في ملذات دنياه :

ومن أغرق نفسه في ملذات الدنيا وشهواتها ، مخالفا مبدأ « الوسط » الذي أقره الاسلام في القرآن والسنة ، ناسيا متناسيا غاية خلقه ووجوده على هذه الارض ، فليقرأ قوله تعالى في سورة الاسراء ليعلم عقاب المخالفة والجزاء :

**( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا )** الاسراء / ١٨ ــ ٢١ .

تأمل معي يا اخي المسلم وصف الحق جل وعلا للدنيا بأنها عاجلة ، للدلالة على قصر زمن وزوال اطايبها ، ثم انظر مصير من اختار العاجلة ، ومصير من اختار الآخرة وهو مؤمن وسعى لها حق السعي ، فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .

حقا : **( ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا )** الاسراء / ٩ .

جعلنا الله واياكم ممن لهم ذلك الأجر .

وقف الكهول يرقبون الأفق بعين الأسى والضراعة ، وألقى الرعاة بهراواتهم يأسا من السعي ، وبحثا عن الكلأ المباح ، وتناثرت بعض السائمة تدرج في بطء وإعياء ، علها تجد ما يعوضها من فضلات الطعام ، وانبطح بعض آخر على الأرض يجتر ما عساه يكون قد بقي في الأمعاء ، وزحف اليأس إلى قلوب الأمهات خوفا

على رواضعهم من نضوب اللبن ، وقلة الزاد ، وراح الشيوخ يستسقون الآلهة ويستزلون الكهنة ، وأخذ الشباب يروحون ويغدون كالسجاني يروحون عن أنفسهم بزرع السجن ذهبة وجيأة والكل لا تحيد وجوههم عن محراب السماء ، ينشدون ويرقبون أقصى الأفق .

ثم أفزعهم طول الانتظار فذهب بعضهم إلى كاهنة ، وبعضهم إلى ساحرة ، وثالث إلى ضحية يسفك دمها تحت قدم ( مناة ) ورابع يركع في ظل ( هبل ) ضارعا متوسلا .

مر كعب بن لؤى بهذا الشتات من البشر لا تجمعهم عقيدة سليمة ولا شرعة صحيحة ، وأن الفت بينهم جميعا قسوة الطبيعة عليهم ، وربطت شدتها بين قلوبهم .. فصعد فوق الصفا ونادى يا معشر قريش :

فاستفاق الكل على صوت قوي مؤمن يبعث الرجاء ويحيى دارس الأمل ، ثم شخصوا صوبه في ضيق وقنوط ، فأخذ يدعوهم إلى الله كعادته في كل يوم جمعة ، ويستسقي بهم ،

# بالميلاد

للاستاذ عبد الحميد محمد المشهدي

ويسري عنهم ويبشرهم ، ويقول :

اما بعد : فاسمعوا وتعلموا .. وافهموا وعلموا ... ليل ساج .. ونهار ضاح .. والأرض مهاد .. والسماء بناء ... والجبال أوتاد ... والنجوم أعلام ، الدار أمامكم .. والظن غير ما تقولون .. حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم .

بعثت خطبة كعب بن لؤي أملا جديدا في هذه الجحافل اليائسة ، وآنستهم إرهاصات النبي العربي ما هم فيه من هم وكمد ، ثم ما لبثوا بعد ذلك أن سحت السماء عليهم مدرارا ، فشهقت الصدور بالفرح واستبدلوا الهم بالدعابة والمرح ، وذهبت هذه الخطبة انشودة تنتقل على الشفاه ، وفألا غامرا بالحيا والحياة .

سحابة ضخمة من تراب ، تمشي في غياهبها مئات الشاة والركبان ، يملأ ضوضاؤهم الوديان ، وتدق جلبتهم الاذان ، فترى بعضهم – من هزيمة شيعته – في هياج وغضب ، وترى آخرين – بانتصار جماعته – في سرور ولجب ، ثم اشتد الشجار ، وامتدت الأيدي إلى الرماح والسيوف ، فتداخل بينهم بعض الكماة فحقنوا مسيل الدماء ، ومنعوا وقوع البلاء ، وحاولوا إقناع المتشاجرين بأن الفوز في السباق وليد الاستعداد ، وثمرة التدريب وكثرة الارتياد ، وإن الخضوع للحق فضيلة ، والتمادي بالعناد مذمة

ورذيلة ، ثم تفاهم الكل على عرض الموقف في ساحة الكاهنة ( جراشع ) ، فهي جديرة بحل المشكلات دون منازع ، فوافوها وهي مغمضة ساهمة ، أو متمتمة هائمة ، ثم انفرجت شفتاها بعد لأى وقالت :ـ

العزيز من والاه .. والذليل من عاداه ..

**سفيان** ـ لله أبوك .. من تذكرين ؟

**جراشع** ـ صاحب هدى وعلم . وبطش وحلم . وحرب وسلم .

**سفيان** ـ لله أبوك .. من هو يا ترى ؟

**جراشع** ـ نبي مؤيد . قد أتي حين يوجد . ودنا أوان يولد . يبعث إلى الأحمر والأسود . بكتاب لا يفند . اسمه محمد .

**سفيان** ـ ليت شعري ـ أعربي هو أم عجمي ؟

**جراشع** ـ والسماء ذات العنان . والشجر ذات الأفنان . إنه لمن معد بن عدنان .

***

وطال المقام بسكان يثرب في ظلمتين من فقر ويأس ، إزاء ما وصل إليه يهود المدينة من ثراء وسلطان نتيجة تحكمهم في زمام الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى لم يبق في نفوس العرب مجال لصبر أو محل لأمل في مستقبل يغير وضع اليهود ، في سوء معاملتهم للعرب ، فانتهزوا فرصة زيارة ( أبي كريب ) تبع ملك اليمن ـ لمدينتهم ، وأنهوا إليه ـ كملك عربي أبى ما يعانونه من جشع اليهود واستبدادهم فأرسل الملك يستدعي أحبارهم ورؤساءهم إلى خيمته ، وقد امتلأت نفسه بكل ما يحفظه عليهم .

وما طلعت شمس الصباح ، حتى كان وفد من اليهود في ثيابهم المخططة ، ولحاهم المستطيلة ، وشعورهم المرسلة ـ في طريقهم إلى معسكر ملك اليمن ، وقد أخذوا بزمام قطار من الأبل يحمل الطرف والهدايا .. وهناك أمام خيمة العاهل الكبير وقفوا يسوون من ثيابهم ، ويربطون على قلوبهم في انتظار الأذن لهم ، فألفوا الملك مضطجعا على أريكته يطل من فوديه بصيص المسك ، وقد نام على فخذه سيف يلتوي كالأفعوان وبين كتفيه حراس سمر الوجوه كالرماح قدا ، والأسود مظهرا ، وجلست حاشيته وخاصته عن يمين وشمال ، وما كاد نظر الملك يقع على هذا الوفد ، حتى اعتدل وصاح فيهم :ـ هذا أنتم ؟ .. والله لأسوين الأرض بكم ، ولأخضبنها بدمائكم ، ولأجعلن عالي منازلكم سافلها ولأتركنكم مثلا للغابرين .

فزع الوفد من صوته ، وارتعشت أيديهم لحدته ، فطأطأوا رؤوسهم لغضبه حتى كأنهم ينتظرون سيف الجلاد في صبر واستسلام .

ثم جمع الحبر ( شريح ) شجاعته وتقدم نحو العاهل خطوة وأخرى وقال :ـ

حفظ الله الملك ، فانه أجل من أن يستخفه غضبه ، أو تنسيه الوشاية أناته ، أو يضيق بنا حلمه ، أو يخرم

صفحه ، وهذه البلد التي بيت لها من بيتوا مهجر نبي عربي .
حاشية الملك في فرح – نبي عربي ؟ ،
شريح – نعم نبي عربي منكم يبعث بدين ابراهيم عليه السلام .
رئيس الحاشية زه ( زدنا )
فانشد شريح يقول :–

شهدت على احمد انه
نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه
وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور
وأمته هي خير الأمم

ثم طأطأ شريح رأسه ، وراح يغالب عبرة تجول في محاجره وكادت تغلبه . لولا أن بادره تبع اليمن بقوله وهل نشيجك هذا حنين الى هذا النبي المنتظر ، أو رعب من سوء المصير ينتظرك ومن ورائك من بني جنسك لسوء ما تقومون به نحو أبناء عمومتنا من شره وطمع وظلم وجشع .

● شريح – لا وحق الملك ، ما نشيجي رعبا ولا فزعا ، ولكن لأن في إبادتنا وتخريب منازلنا – هدم لما جاءت به التوراة وما نعتقده من ظهور النبي العربي الذي يبعث رحمة للعالمين ، ولقد انشدت فيه ملحمة طويلة ضمنتها ما جاء في التوراة في صفاته ، اذكر منها ما يحضرني الآن ، اذا سمح مولاي الملك –

● الملك – هات ما يحضرك ايها الحبر ما دامت في نبي عربي .
**شريح –**

**ويأتي بعدهم رجل عظيم**
**نبي لا يرخص في الحرام**
**يسمى احمد ياليت أني**
**اعمر بعد مبعثه بعام**

ثم نشج باكيا وبكى معه بعض الاحبار والرهبان ولفيف من بطانة الملك ثم تقدم الحبر شاؤول ، وتبوأ مكان شريح وقال : –
مولاي الملك ، إن هذا البلد مهجر نبي من بني اسماعيل ، مولده بمكة ، واسمه أحمد وهذه دار هجرته ومثواه ، وإن منزلك هذا الذي أنت فيه ، سيكون فيه من قتلى أصحابه – امر عظيم .
**تبع** – ومن يقاتله وهو نبي ؟
**شاؤول** – قومه .. ينفسون عليه ويحقدون .
**تبع** – وأين قبره ؟
**شاؤول** – بهذا البلد .
**تبع** – واذا قوتل فلمن تكون النصرة ؟
**شاؤول** – تكون له مرة وعليه أخرى ، ثم تكون له العاقبة ، وسيظهر حتى لا ينازعه أحد .
**تبع** – وما صفته ؟
– إنه صاحب العمامة والهراوة .. جعد الشعر .. مفلج الأسنان .. صلت الجبين .. بين كتفيه خاتم النبوة على شكل بيضة الحمام ، ينبت فيه شعيرات وخيلان .
**رئيس الحاشية** – أرجو أن يسمح

الملك لبعض خدامه من الحاشية ـ في البقاء بهذه البلدة ، حتى ندرك هذا النبي أو يدركه أبناؤنا .

طأطأ الملك رأسه .. وساد المجلس صمت طويل عميق ثم اعتدل الملك وقال :ـ

إن فراقكم علي لعزيز ، ولكنـي احب لكم ما تحبون لانفسكم ، راجيا لكم طيب الاقامة ، ولكل منكم ألف دينار وجارية ، وإذا ظهر هذا النبي بينكم ـ فاذكروني عنده ، وابعثوا إلي بشأنه حتى أوافيه وأغسل عند قدميه .

***

هرعت قريش من أنديتهـا على نشيج حزين وبكاء مفزع ، فالفواعن بعد رجلا طويـل القامـة . عريض المنكبين كبير الهامة ، وقـف بـين ( اسـاف ونائلـة ) حيـث تنحـر الضحايا . وتقدم القرابين ، في إحدى يديه مدية مرهفة ، وفي اليد الأخرى معصم شاب جميل الطلعة ، مشرق المحيا ، هادىء النفس .. فنفـروا نحوه مثنى وجماعات ، وما اقتربوا منه حتى عرفوا فيه سمة عبد المطلب ابن هاشم ولحوا في وجه الضحية المنتظرة إشراقة ولده عبد الله .. انضر اولاده جمالا ، واصغرهـم سنـا ، واسمقهم عودا ، واحفلهـم صحـة وشبابا فابتدره المغيرة بن مخزوم .

ـ ما الذي تصنع يا ابن هاشم ؟

**عبد المطلب** ـ أزمع التضحية بولدي هذا قربانا للآلهة .

**المغيرة** ـ ولم ذلك ؟

**عبد المطلب** ـ لقد وقفت يوم زمزم بين عناد قريش ومساومتها فيما امرت به من حفرها ، ورأيـت منهـم روح الاستخفاف بقوتي ، والاستهانة بقلة انصـاري ، فتمنيـت على الآلهـة الأماني ونذرت لهم نذرا : اذا بلغ عدد اولادي عشرة من الذكور ، وشارفوا سنا يمنعونني عندها من الناس ـ ان اضحي بأحدهم .. وهأنـذا ابلـغ منيتي . ويستجاب رجائي ، ولم يبق الا الوفاء بنذري ، وقد وقعت القرعة على اعز ابنائي علي وهو عبد الله .

**المغيرة** ـ وحق الآلهة لا تذبحه حتى تعذر فيه ، والا كانت سنـة بـين العرب ، فاذا أمكن فداؤه بالأموال افتديناه .

**عبد المطلب** ـ ولكن وقوع القرعة عليه دون إخوته ـ دليل على رضاء الآلهة به ضحية ووفاء .

**المغيرة** ـ وكذلك قبول البدل سيكون محل رضاء الآلهة ، فها نحتكم إلى كاهنة ( خيبر ) لترى رأيها في ذلك .

عادوا من لدن الكاهنة ثم عرضوا رأيها على كاهن هبل فراح يبدي ويعيد ويهمهم ويتمتم ، ثم وقف بين الناس وأعلن رضاء ( هبل ) عن فداء عبد الله بمائة ناقة تذبح وتترك لا يصد عنها إنس ولا وحش ولا طير فكانت الفرحة الغامرة والرضاء المسعد بين الجميع . والهتاف المدوى .. اعـل هبل .. اعل هبل .

وشاء عبد المطلب ان يزيـد من افراح بني عبد مناف ، فصحب عبد الله إلى دار وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة ، يطلب له يد آمنة بنت وهب .. وكانت عمليـة الاستعـداد

لذبح عبد الله قد طافت أنباؤها بمكة والطائف وما بينهما ، وشدت انتباه الجميع إليه غدوا ورواحا ، وكان له من سمهرية العود . ونهاد الصدر . وجمال الوجه وجلال الطلعة . ومجافاة المجانة ـ ما زاد من شهرته ، واشعل في صدور الغواني نار حبه والترامي عليه ، فرحن يرمقنه بجفون ناعسة . وعيون مريضة . ويخلقن الأسباب للتحدث إليه ، كلما مر بحي بني زهرة بعد أن عرفن مواعيد غدوه ورواحه ، فقالت له إحداهن يوما .

يا مسرعا والناس من حوله
لم يأن لغاد رواح

فالتفت نحو الصوت الحاني ، فقالت الأخرى على البديهة .

يا مطرقا والأرض من حوله
يزينها حسن الوجوه الصباح

وما كاد يلتفت نحوها حتى بادرته الثالثة .

عرج علينا ساعة فعنـ
ـدنا ان شئت روح وراح

وقف عبد الله محاصرا بين الحسان الثلاث يشرقن بوجههن ، ويصدن بأهدابهن ، دون ان يدري من امرهن شيئا ، إلا ان تكون مؤامرة دبرت بليل ، ويأبى إلا أن يعرف سرها ونجواها ، فتحدث إليهن قائلا ما خطبكن ؟

فنظرت اليه عاتكة نظرة تدلل واغراء وقالت .. حيهل فستعرف خطبنا عند اللقاء .. ثم قفت عليها ام قتال وقالت : ومتى رخصت الاسرار حتى تنتشر في الطرقات على كل راغب ؟ .. الينا .. الينا .. ننبئك بنبأ عظيم .

فوقف عبد الله حائرا بين المضي إلى أهله ومطاوعة غريزة التطلع إلى ما وراء هذه الأنباء . فأدركن منه ترددا .. فأخذت فاطمة تكرر على مسمعه في صمت مسه الحب ونبرة شواها الحنان .

**عرج علينا ساعة فعنـ**
**ـدنا إن شئت روح وراح**

ثم اختلت فاطمة وصاحبتاها، ولم تكن الخلوة إلا رجاء دامعا .وتوسلا ضارعا ، في أن يدعنها وحدها مع عبد الله إرواء لظمئها . وإطفاء لشوقها ولهما بعد ذلك ما شئن منه .. ولم يلبث عبد الله ان رأى أمامه فاطمة وحدها في أجمل حلة وأبهر زينة علها تستطيع أن تثير فيه غريزته ولكنها لم تصب منه الا الجد المتجهم . والحزم الصارم . ولما لم ينفع معه هذا الاغراء جلست تحدثه .

ـ من أين وإلى أين ؟

ـ من الحرم إلى منزل الأصهار

ـ أصهار !!؟ وهل صاهرت ؟ ومن هؤلاء الأصهار ؟ وبمن بنيت ؟

ـ صاهرت وهب بن زهرة وبنيت بآمنة بنته .

**آمنة** ؟ يالها من مجدودة سعيدة .

ـ ولكن أما وقد دخلت يافتى دارنا .. فلا بد أن نصيب منك وتصيب منا شيئا .

**عبد الله** غاضبا .. شيئا ؟ وما هذا الشيء ؟

**فاطمة** تتراجع شيئا من قرى

**عبد الله** ـ لست ضيفا على هذا الحي .

**فاطمة** ـ ثم ماذا أنت صانع بعد الأعراس بآمنة ؟

**عبد الله** ـ لعلي راحل إلى الشام على رأس قافلة بني عبد المطلب .

**فاطمة** ـ لست يا فتى أهلا لمرارة الأسفار وضنك الاغتراب .. اقم عندنا ولك من المال ما تهوى وتحب .

**عبد الله** ـ في مقابل ماذا استولي على هذا المال ؟

**فاطمة** ـ للتمتع بوجهك الوضيء . وشعرك الفاحم . وقوامك السمهري . ثم زرفت دموعها . وقالت : نادمنى يا فتى وتحدث إلي .. ففي وضاءتك ما يشعل صدري بنار الهوى وفي سواد جفونك ما يحز في نفسي حز المدى . وفي محياك ما اطاح بالكرى . وقرح مني الجفون .

**عبد الله** ـ لقد أعرست وكفى ..

**فاطمة** ـ وما ضرك لو اعرست مرة أخرى ؟

**عبد الله** ـ

**فاطمة** ـ وما ضرك لو اعرست مرة أخرى ؟

**عبد الله** ـ

**أما الحرام فالممات دونه**
**والحل لا حل فأستبينه**
**فكيف بالامر الذي تبغينه**
**يحمى الكريم عرضه ودينه**

*** * ***

جلست آمنة بنت وهب ـ في بيتها وحولها الكثيرات يتحدثن فيما سوف يعود به عبد الله من أزياء الشام وعطورها وحلواها وما يحمله من وصف انهارها وحدائقها وقصورها وجناها ، وهن فرحات مرحات ، الا ما كان من امر سيدة لاذت بالصمت وتظاهرت بالاحتشام ولم تكن هذه السيدة الا ( سمراء ) زوجة عبد المطلب وأم الحارث الذي توفى منذ زمن بعيد ، وانها بذلك ثكلى قد خف حزنها عليه على مر السنين وبقى منه صمت واطراق غير ان مرح الحاضرات بقرب وصول قافلة عبد الله أثار حزنها القديم على ولدها الذي كانت ترجو حياته ليكون بين القادمين يحمل خير الشام وأرباح التجارة .

جلست سمراء الى جانب آمنة تلح عليها ألا تكثر من الحركة لأن في بطنها جنينا فتقول لها آمنة : واعجبي من امر هذا الجنين ، فالنساء يحملن فيصبن في الاشهر الاولى بالغثيان ثم بالبهر والثقل والألم ، بينما لم تمر بي هذه الأعراض ، فهل انا واهمة ؟ غير اني رأيت في منامي نورا يخرج مني فأضاء لي قصور بصرى والشام ، ثم رأيت مرة أخرى هاتفا في منامي يقول : يا آمنة .. لقد حملت بسيد ـ هذه الامة ، فاذا وقع على الارض فقولي : **أعيذك بالواحد من كل شيطان مارد ، وعين كل انسان حاسد ثم سميه محمدا .. فاخذت سمراء بمعصم آمنة وضغطت عليه بشدة ، وقالت : لا تحدثي أحدا بذلك حتى لا ينفس عليك ما حباك الله به .**

وبينما كانت آمنة وسمراء تتجاذبان أطراف الحديث ـ كان خيال ( هالة ) أم عبد الله يستعرض ما مر بولدها خلال اسفاره المضنية من رعاية القافلة وتوفير الميرة والماء لها ، وتسويق ما معه وما هو بحاجة اليه استثمارا للمال وتكثيرا للربح ، كما كانت تستعرض ما ستكون عليه آمنة من مشاعر الفرح والسرور ، ثم ما تكون عليه مشاعر عبد الله حين يرى زوجه الحبيبة لاول مرة بعد سفره الطويل ، وحين يعلم انه اصبح والدا لاول مرة في حياته ، ثم قطعت عليها ـ حبل تصوراتها ـ همسات من الحاضرات ، وشهقات دون وعي وانسحاب مكتئب ، ثم علمت ان القافلة وافت مشارف مكة وان عبد الله تخلف عنها لمرضه ، وحاولت ( هالة ) أن تتكتم ما علمته حفاظا على مشاعر آمنة ، ولكن هيهات للألسن أن تستطيع التحفظ على مثل هذه الانباء فانفجرت باكية ، وضاقت الدنيا امامها واسلمت رأسها لصدر ( سمراء ) التي طوقتها بحنانها وراحت تقول : لها : لا عليك يا بنية .. لا عليك .. فعبد الله سليم معاف وسيعود في القريب .

ثم اطلت ( سمراء ) من النافذة فوقع نظرها على ( مربد بن خزيمة ) فنادته وخلت به وكان محرما لها وسألته عن انباء عبد الله فقال لها في صوت خافت .

يا عمة ان عبد الله مريض ولكنه لن يعيش طويلا لقد تركناه في يثرب عند اخواله من بني النجار ، وكان جسده كجمرة متقدة بنار الحمىٰ وكأني ارى قبره الان على بعد الشقة بيننا .

**سمراء** ـ قبره أهو مات ؟

**مربد** : لم يمت ولكن حاله لا يبشر بخير .

* * *

استيقظ عبد المطلب بن هاشم على قرع بابه الكبير يدوي صداه في هجعة الليل وسكونه ، فظنه طنين رؤيا ثم عاد الطارق يدق الباب مرة اخرى ، حتى بلغ آذان النائمين فنهض عبد المطلب من فراشه ، وأطل من نافذته وعرف أن الطارق هو ( فاره ) خادم بني وهب وأنه لا بد وأن يكون هناك من الأحداث ما يدعو إلى إيقاظه في مثل هذه الساعة ، وماذا عساه يحدث بعد أن مات ولدي عبد الله ، إلا أن تكون آمنة قد وضعت وهذا شهرها .. لعل هذا أو بعضه ـ ما كان يدور في خلد عبد المطلب وهو في طريقه الى حي بني وهب ، وما هي الا لحظات حتى كان في منزل أصهاره . تستقبله أعراف فوق المسك طيبا ، والعنبر شذى وسهام انوار لم تقو عينه على إشعاعها لا يدري مبعثها ولا أين منتهاها ، فأيقن أنه رجاء موعود ، وآيات مولود غير أنه وجد آمنة كعادتها هدوءا ورضاء وبسمة وضياء ، فلا شحوب ولا دماء . ولا بهر ولا إعياء فكاد ينكر ظنه ويتجاهل حدسه ، لولا أن رأى في زاوية المكان نورا ينبعث من خلف غلالة رقيقة ، كما ينبعث نور القمر من خلال سحاب

شفاف ، فأقبل عليه وحمله وقبله ثم لفه في غلالاته ، وحمله وخرج به إلى الكعبة يطوف به تبركا وهو يرتجز :

الحمد لله الذي اعطاني
هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد في المهد على الغلمان
اعيذه بالبيت ذي الاركان
حتى أراه بالغ البنيان
اعيذه من شر ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان

تكشف وجه الصباح عن وافدات البوادي يحملهن رواحل هزيلة عجفاء يسرن صوب مكة في بطء السلحفاة وبينهن امرأة يحملها اتان ويقود زوجها شارفا وكلهم ضامر ونحيل ، فتوافدت عليهن الأمهات تقدم كل واحدة رضيعا الى مرضعات البادية ، ومعهن الطرف والهدايا واجور الأرضاع ، فأقبلت الوافدات عليهن يتعارفن ويتجاملن ويستقبلن الرواضع في جذل وسرور ، ويتناولن من الطعام والهدايا ما يسد الرمق ، ويخفف آلام الجوع .. اللهم الا ما كان من أمر امرأتين : احداهما لم تصب رضيعا ، والثانية تتهيب التقدم نحو المرضعة لقلة ما تحمل من الهدايا واجر الارضاع ، ثم سعت المرضعة تقول لزوجها .

– اني اكره ان اعود دون صويحباتي بلا رضيع وسأذهب الى هذه الأم اسألها شأنها وتحذرها فقيل لها : إنه يتيم وفقير .

**حليمه** – في حزن – أفقير ويتيم ؟ هاته لعل الله يجعل لنا منه بركة ، ثم كشفت عن غلالة وجهه – فشهقت وصاحت بالعناية السماء .. انه لملك كريم ، ما رأيت مثل هذا الوجه على جسد مولود ، واقبلت عليه بثديها فشرب .. ثم اعطته الثاني فسمع بكاء اخيه من الرضاع ، فعف عن اللبن حتى يرضع اخوه ثم تلفتت عن يمين وشمال وقالت لزوجها .

– واين صويحباتي من نساء بني سعد ؟

**الحارث** – لقد رحلن برواضعهن فرحات موفورات .

**حليمة** – هيا لنلحق بهن .

**الحارث** – وانى لنا بذلك وهذا أتاننا وشارفنا هزيلان نحيلان من وطأة الجوع .

**حليمة** – مسرورة – انظر .. هذه ناقتنا قد انتفخ درها باللبن ، وهذا ثديي يتفصد بما فيه من خير بعد ان شرب منه الرضيع المبارك ، فلعل الذي فجر اللبن – يخلق من البطء سرعة ، ومن الضعف قوة .

**الحارث** – صدقت اني لأشعر يا حليمة اننا قد حملنا نسمة مباركة واننا سنرزق به .

وما هي الا سويعات حتى كانت حليمة ومن معها في مقدمة ركب بني سعد ، وانها تحاول اثناء أتانها حتى لا يتخلف الركب عنها ، والكل في دهشة لما يرون من سرعة الأتان والشارف ، وما ان حطوا رحالهم حول الخيام ، حتى هطلت الأمطار وازداد الأدرار ، ثم نبت الكلأ ، وفاض الخير لعدة سنين فوق الأرض

التي وطئتها أقدام الغلام المبارك الكريم .

هاهم بنو سعد يتزاحفون ، في خيلهم ، رجالهم ونساؤهم ، وامامهم عبد الله بن الحرث طفلا صغيرا ممتقع اللون ، لاهث الأنفاس ، وامه حليمة خلفه تولول وتقول .

يا يتيماه يا حبيباه ، حتى وقفوا فجأة امام محمد الصغير شاحب الوجه مرتجف الجسم ، فهوت عليه تضمه الى صدرها في حنو وقوة ، ولا ترفعه عن صدرها الا لتقبله ثم تبكي بدموع الحنان والفرح بنجاته ، وتقول : لا زلت حيا بعد كل هذا يا حبيباه بأبي انت وأمي وأبنائي ، حدثني ما دهاك من هذا الرهط الذي اختطفك .

**الغلام المبارك** ــ بينما كنت مع اصحابي ، اذ أتاني ثلاثة رهط فأضجعوني على الارض ضجعا لطيفا ثم شق احدهم ما بين مفرق صدري الى ما بعد سرتي ، بينما انظر اليهم لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشائي فغسلها بالثلج فاحسن غسلها ثم اخرج قلبي فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها يمنة كأنه يتناول شيئا ، فاذا بخاتم في يده من نور فختم قلبي ، ثم اعاده مكانه ثم قال احدهم لصاحبه تنح عني فمر بيده على موضع الشق فالتأم ، ثم اخذ بيدي فأنهضني انهاضا لطيفا .

**الحارث** ــ اخشى ان يكون غلامنا قد اصيب .

**حليمة** ــ وماذا ترى ؟

**الحارث** ــ ان نلحقه بأهله ، لقد رأيت الغمامة وهي تظله ذهبة وجيأة ، ورأيت احبار اليهود يتنطسون أخباره ، وسمعت ما فعله الرهط به ، واني لأخوف ما اكون عليه .

ــ اردفت حليمة الغلام المبارك فوق أتانها في الطريق به الى مكة ، وكلما دنت منها اشتد الزحام ــ وهي بين كل هذا ساهمة حزينة لقرب فراقها لمحمد الغلام المبارك ، ثم تفقدته فجأة فلم تجده فنزلت عن اتانها تجري هنا وهناك تولول وتقول :ــ

اللهم ادراكبي محمدا
اده الى واصطنع عندي يدا
انت الذي جعلته لي عضدا
لا يبعد الدهر به فيبعدا
انت الذي سميته محمدا

● ● ●

دخل عليه حارسه يستأذن لوفد قريش ، فاعتدل من ضجعته واذن ، فوقف عبد المطلب خطيبا مهنئا بانتصار الملك العربي سيف بن ذي يزن على جيش الأحباش ، فشكره الملك واستبقاه شهرا في ضيافته ثم اغلق الأبواب واستدعاه الملك اليه واجلسه على عرشه ، وقال له :ــ

يا عبد المطلب اني مفض اليك بأمر

لو يكون غيرك لم ابح به ، ولكني رأيتك موضعه واطلعتك مطلعه ، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه ، فان الله بالغ امره .. اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون خبرا عظيما وخطرا جسيما .

**عبد المطلب** ـ مثلك ايها الملك من سروبر ، فما هو فداك اهل الوبر والحضر زمرا بعد زمر .

**سيف** ـ اذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الأمامة ، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة .

**عبد المطلب** ـ لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد ، ولولا هيبة الملك واكرامه ، ومحبته واعظامه ، لسألته مزيدا من هذه البشارة .

**سيف** ـ هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد .. يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه .. قد وجدناه مرارا والله باعثه جهارا .. وجاعل له منا انصارا ، يعز بهم اولياءه ، ويذل بهم اعداءه .

**عبد المطلب** ـ ايها الملك عز جدك ، وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ، فهل تخبرني بافصاح بعد هذا الايضاح .

**سيف** ـ والبيت ذي الحجب ، والعلامات والنصب ، انك يا عبد المطلب لجده من غير كذب .

**عبد المطلب** ـ يخر ساجدا .

**سيف** ـ ارفع رأسك ثلج صدرك . وعلا امرك . فهل احسست شيئا مما ذكرته لك .

**عبد المطلب** ـ ايها الملك كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه مشفقا حدبا . زوجته كريمة من كرائم قومه اسمها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامة وفيه كل ما ذكرت من علامة . وسميته محمدا . مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه .

**سيف** ـ الأمر ما قلت فاحتفظ بابنك . واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء . ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . فاطو ما ذكرت عن هذا الرهط الذي معك . فاني لا آمن من ان تدخلهم النفاسة من أن تكون لهم الرياسة . فينصبون له الحبائل ، ويطلبون له الغوائل . ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار مهاجره . ولولا اني اقيه الآفات واحذر عليه العاهات . لأعلنت امره على حداثة سنه . وأوطأت أقدام العرب عقبه .

ثم امر الملك لكل واحد ممن معه بعشرة اعبد وعشر اماء سود وخمسة ارطال فضة ، وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوء عنبرا . وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك .

ثم عاد وفد قريش الى مكة وقال عبد المطلب لأصحابه قبل ان يغادرهم لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر فانه الى النفاد ولكن ليغبطني بمن سيبقى لي ذكره ، ويسود بين الناس امره .

**امية** ـ وما هذا يا عبد المطلب

**عبد المطلب** ـ سيظهر وستعرفونه بعد حين .

# في ذكرى الاسراء والمعراج

للاستاذ : عبد الغني احمد ناجي

سبحان من اسرى بخير المرسلين ... اسرى به في صحبة الروح الأمين
من بعد ما لقيت خديجة ربها ... ومضى الحمام بعمه في الراحلين
واشتد ناب الكفر في بث الأذى ... لمحمد والمسلمين الأولين
لم يرض رب العرش ترك حبيبه ... من غير تسرية تصد المشركين
نادى الاله حبيبه في ليلة ... فاقت بهذا الدهر آلاف السنين
نادى الاله حبيبه ، وصفيه ... ليرى من الآيات ما يمحو الأنين
سمع الاله أنينه ودعاءه ... رب اهد قومي ، إنهم لا يعلمون
جازاه بالاسراء أسمى منحة ... لم يعطها من قبله للمرسلين
الأنبياء جميعهم صلى بهم ... رمزاً لختم الأنبياء السابقين
صعد السموات العلا معراجه ... فدنا من الأنوار ، والعرش المكين
هو خاتم ، هو رحمة ، هو نعمة ... وهداية للحائرين المدلجين
لم يدع مثل الأنبياء من الأذى ... لم يطلب الاهلاك للمتجبرين
من رحلة الأنوار عاد محمد ... معه الصلاة طهارة للمسلمين
طلع النبي على الورى بنبوءة ... الاسراء والمعراج يمتحن اليقين
نجح الألى قد صدقوا خبر السما ... ء وأذعنوا لله ، والحق المبين
ملأ اليقين نفوسهم وقلوبهم ... تركوا المراء ، وفرية المتكبرين
أما الذين قلوبهم قد أغلقت ... دون الهدى فلهم عناد المفترين
ضربوا الأكف تحيرا ، ولجاجة ... قد أذهل الاسراء عقلا لا يلين
حسبوا الذي أسرى به هو مثلهم ... فتعجبوا من معجزات المرسلين
إن الذي أسرى به هو ربهم ... هو خالق الأكوان رب العالمين
هو موجد الأحياء تسعى في الدنا ... هو خالق الانسان من ماء وطين
في الصخرة الصماء تحيا دودة ... من ذا الذي منح الحياة لذا الدفين ؟
من ذا الذي اعطى العقول بعصرنا ... هذا الذكاء لكشف مخبوء السنين ؟
سفن الفضاء بعصرنا قد طوفت ... وغزت عنان الكون بالعقل الفطين
أفيعجز المولى عن الاسراء ، قد ... خسر الذي مارى بعقل المنكرين
فلنعتقد أن الذي أسرى به ... هو خالق الأكوان ، رب العالمين
ولندع رب الخلق أن يهب العرو ... بة وحدة الأهداف والصف المتين

# معاول علمية في جدار المادية

**للدكتور : عماد الدين خليل**

### المنعطف الخطير

لقد جاءت محاولات تفسير الكهرباء والضوء منعطفاً خطيراً في تاريخ الحركة العلمية .. لقد استعصت طبيعة الكهرباء على الفهم ، رغم المحاولات المضنية التي قادت جميعها الى حقيقة « أن كل ما نعرفه عن الكهرباء هي الطريقة التي تؤثر بها في أدواتنا القياسية . والوصف المضبوط لسلوك الكهرباء على هذه الشاكلة يعطينا مواصفاتها الرياضية mahematical specifi cations وهذا بحق كل ما نعرفه عنها » .

الأوصاف وليس الماهيات .. هذا كل ما هنالك .. بمعنى اخر ، أن العلماء الكبار لا يزالون يقفون على الأعتاب ، ولم يفتحوا بعد الباب .. تمكنوا من الالمام بجوانب من تاثيرات الكهرباء ومؤشرات عملها .. أما هي .. كنهها .. تركيبها .. ماهيتها .. فلا يدري احد شيئا .. ومن عجب انهم ، وهم يقفون على الباب ، استخرجوا من الكهرباء هذه المنجزات التقنية العظيمة .. فكيف لو عرفوا الماهية نفسها ، ماذا هم صانعون حقا ؟

إن في الكون لطاقات مذخورة

هائلة ليست الكهرباء والذرة سوى مؤشرين عليها فحسب ، وإن على الانسان ان يحث خطاه الى مزيد من التنقيب والكشف .. وإن من يقرأ المقطع الخاص بتسخير الطاقات الطبيعية لسليمان ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم ، ( سورة سبأ ، الآيات من ١٠ ـ ١٤ ) سيعرف كيف أن هذا التسخير كان بمثابة عطاء كبير جداً ، وسيعرف ـ ايضا ـ أن كتاب الله جاء لكي يفتح أعين الناس وعقولهم على ما ينطوي عليه الكون من طاقات وقدرات .

«لقد قبلت الكهرباء ضمن الأصول والأجسام التي لا تقبل الارجاع الى اصل سابق عليها ، لأنها تستعصي على التحليل والاحالة .. لقد قبل جسم جديد في الفيزياء لا نعرف عنه شيئا سوى بنيته الرياضية structure matematical وقد بدأت منذ ذلك الوقت تدخل في الفيزياء أجسام أخرى بنفس الشروط ، ووجد ان هذه الأجسام تلعب دوراً يماثل بالضبط ذاك الذي تلعبه الأجسام القديمة فيما يتعلق بتشكيل النظريات العلمية ، لقد أصبح الآن واضحاً ان معرفة طبيعة الاجسام التي نتحدث عنها لم تعد مطلباً لازماً بالنسبة للفيزياء . بل تكفي بنيتها الرياضية ، وهذا بحق هو كل معرفتنا حولها . وقد جرى التحقق الآن من أن معرفة البنى الرياضية هي كل المعرفة العلمية المتوفرة لدينا حتى فيما يتعلق بأجسام نيوتن المألوفة ، وأن قناعتنا بأننا نعرف هذه الأجسام بصورة قريبة ما هو إلا مجرد وهم » .

**العالم أم الفيلسوف ؟**

لقد طأطأ العلم الرصين رأسه ، وسلم بالواقع بعد أن تجاوز مرحلة مراهقته العنيفة .. سلم بأن معرفة الاجسام الفيزيائية ما هي إلا مجرد وهم ، وأن ما تمت معرفته لحد الآن يتعلق ببنيتها الرياضية فحسب ، وتلك هي حصيلة قرون من النشاط العلمي !! ونحن نحاول أن نتفحص الجان والشياطين والروح البشري .. أن نخضعها للحصر المختبري .. حتى إذا أعيتنا الحيل اجتهدنا فقلنا : إنها ربما تكون غير موجودة .. وهنالك في أوربا نفسها فلاسفة وأدباء حاولوا أن يتكئوا على معطيات العلم كحقائق مسلمة منزلة من السماء ، وأن يبنوا عليها فلسفاتهم ورؤاهم ، لكي يضفوا عليها ـ هي الأخرى ـ صفة العلمية ..

ويتغير العلم .. ويتغير الاساس .. فاذا بنظرياتهم تتهاوى الواحدة تلو الاخرى .. هذا ما حدث بالنسبة لكثير منها في حقول الاجتماع والاقتصاد والنفس . إن المادية الديالكتيكية التي أقامت صرح نظريتها على معطيات العلم في القرن التاسع عشر ، والتي سميت بالعلمية ، ما لبثت أن تعرضت في القرن التالي ، وبخاصة في العقود الاخيرة ، لكثير من الهزات العنيفة ، لأن الأساس الذي بنيت عليه أخذ يتأرجح ويتمايل وتتهاوى بعض جوانبه .. وإذا كان العلماء أنفسهم ، أبناء المختبر والتعامل

التجريبـــي مع المواد والظواهـــر والأجسام ، يعترفون بأن أحكامهم ليست نهائية ، وأن ما تمكنوا من قطعه لم يتجاوز بدء الطريـق إلى الحقيقة .. فمـا لهؤلاء القـوم من الأدباء والفلاسفة الذين لم يدخلوا مختبراً ، ولم يجربوا ظاهرة ، يدعون بنهائية أحكامهم وثباتها وديمومتها ؟

إننا نقرأ على سبيل المثال عبارات كهذه لمؤلفي كتاب ( عرض موجـز للمادية الديالكتيكيـة ) : « تثبـت المادية الديالكتيكية إمكانية معرفـة جوهر الاشياء ، معرفة قوانين تطور العالم » « من ذا الذي سيصـدق اللاادريين الآن بأن هناك ما يسمونه ( حدود المعرفة ) ، في حين اقتحم الانسان الفضاء ، ووسع بصـورة كبـيرة جدا حدود معارفـه عن الكون ؟.. إننا إذ نعرف العلم ، نعلم الحقيقـة عنـه ، ونمتلك المعـارف الحقيقية » .

وإنها حقا لنرجسية فلسفيـة مالها من مبرر .. وإذا قال فيلسوف ما بصدد احدى المسائل شيئا وقال عالم ما شيئا ، فأحرى بنا أن نأخذ بمقولة العالم لأن أساليبه في البحث أكثر جدية وأتقن عملا .. وإننا هنا لنتذكر ذلك التساؤل ذا المغزى العميق الذي يطرحه « سوليفـان » « لماذا يترتب على الانسان ان يفترض بأن الطبيعة يجب أن تكون شيئا يستطيع مهندس القـرن التاسـع عشر أن يستحضره في ورشته ؟ »

## لم يكشف النقاب عن العالم

بعد تكشف هذه النتيجة بصدد المعرفة العلمية « لم تعد المسافة طويلة بيننا وبـين موقـف « ادينغتـون » eddington القائـل : بأن معرفـة البنية الرياضية هي وحدها المعرفة التي يستطيع علم الفيزياء أن يقدمها لنا . إن هذا التحليل يبدو لنا اكثر التحليلات الفلسفية التـي ظهـرت للفيزياء الحديثة استنارة ومتانـة . وإنه ليبدو صحيحا أن العلم المضبوط exect هو معرفة ما يسميه ادينغتون بقراءة المؤشر Pointer Reading أي القراءة التي تشير إليهـا أداة من أدوات القياس » .

أكثـر من هذا .. أن العلمـاء التجريبيـين عادوا الى القوانـين الطبيعية التي تحكم الحرارة والحركة والضوء ، وكل ما في عالم المادة من كهارب وذرات ، فوجدوا أن لها قانونا واحداً هو الخطأ والاحتمال . امـا القائمون بهذه التجربة ، كما يحدثنا العقاد في كتابه ( عقائد المفكرين في القرن العشرين ) ، فقد كانوا ثلاثة من أقطاب العلوم في مطلع القـرن العشرين : « ماكس بلانك » plank max « ألبولوني وورنر هايزنبـرغ » werner heisenberg الألماني و « اروين شرودنجـر » erwin schrodinger النمسوي ، والأولان منهم صاحبا جائزة نوبل في العلوم الطبيعية عن سنة ١٩١٨ و١٩٣٢ والثالث مكمل النظريات التي اشتهر بها الأولان ، وحجة لا تعلو عليه حجة في مسائل الطبيعيات على العموم .

فبلانك هو صاحب نظرية المقدار او

( الكوانتم ) وخلاصتها ان الاشعاع قفزات لا تعرف القفزة التالية من القفزة الاولى إلا بالتقدير والترجيح ، وان صحة التقدير لا تتفق إلا يسيرا ، لأن أجزاء الكهارب تحسب بملايين الملايين ، فلا يظهر الخطأ فيها إلا بمقدار يسير .

وهايزنبرغ هو صاحب نظرية ( الخطأ والاحتمال ) في قوانين الطبيعة ، وخلاصة براهينه الكثيرة في هذا الباب أن الموضع والسرعة لكهرب معين لا يمكن تحقيقهما في لحظة معينة على وجه اليقين ، وأن موقع الكهرب بعد ثانية يتراوح اختلافه الى مدى أربعة سنتيمترات ثم يقل مدى هذا الخطأ في الثانية التي تليها ، وأن التجربتين في أية قاعدة من قواعد العلم الطبيعي لا تأتيان بنتيجة واحدة ، بالغاً ما بلغ المجرب من الدقة والاتقان .

وأما « شرودنجر » فهو المجرب المحقق الذي اسفرت تجاربه كلها عن نتيجة واحدة تؤيد نظرية « اكسنر » exner وهي أن تقدير ما سيحدث تطبيقاً للقوانين المادية ممكن ، ولكنه غير محتوم . واذا دققنا في التمييز فليس هو بالاحتمال الذي يوصف بأنه جد قريب . ومن مقررات « شرودنجر » في محاضراته العديدة أن القوانين التي تنطبق على الذرات في البنية الحية ، وان الصورة form هي قوام المادة ، فلا يصح أن يقال : إن هذه الذرة الصغيرة في المادة ، هي نفسها التي وجدناها قبل لحظة ، ونرصدها بعد لحظة تالية ، إذ ليس لهذه الذرات ذاتية ثابتة ، تبقى في جميع هذه الأرصاد Sameness .

هل نتيجة ذلك – يتساءل العقاد – أن نسقط حساب الأسباب والعلل ونلغي القوانين الطبيعية ؟ إن بلانك نفسه لا يقول بذلك ، ويقول في كتابه ( الى اين يذهب العلم ؟ ) (where is science going ?) « إن الاسباب الطبيعية عاملة في كل حال وإنا لو حققنا موضع كل كهرب ، وسرعته ، ووزنه ، أمكننا أن نعرف حركته التالية بغير خلل في الحساب ، فاذا كانت مراقبة الملايين من الكهارب تعطينا نتيجة تقريبية فالنقص ناشئ من جهلنا بحالة كل كهرب على صدق ، لا من خلل القوانين الطبيعية » .

وذلك هو مصداق الأطروحة القرآنية في هذا الصدد : إن العالم محكم التركيب لأنه من صنع الله سبحانه :( **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ) القمر /٤٩ ( **الذي احسن كل شيء خلقه** ) السجدة /٧ ( **إن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء** ) آل عمران /٥ ، وأن المشكلة تكمن في القدرة البشرية نفسها على فهم العالم ، وذلك هو التحدي الذي يدفع الانسان إلى مزيد من الجهد للكشف عن سنن العالم ونواميسه .. باختصار .. إن العالم لم يكشف النقاب عنه بعد ، وسوف لن يكشف بشكل نهائي ، وهذا ما توحي به اكتشافات العلماء آنفي الذكر في حقل الفيزياء الذرية ، لأنه يوم يتكشف العالم أمام وعي

الانسان وإدراكه ، فلن يكون هناك جهد أو إبداع .

### تناقض مع معطيات العلم

المادية الديالكتيكية تذهب في مقولاتها إلى عكس هذا ، ناقضة بذلك معطيات العلم التجريبي نفسه .. إن العالم يمكن فهمه ، بل إنه قد فهم فعلا ، وأن الذين يرون خلاف هذا هم بعض فلاسفة من المثاليين اللاأدريين ، يشجعهم البورجوازيون ويعملون على نشر ضلالهم !! « يزعم بعض الفلاسفة المثاليين ـ تذكر المقولة ـ بأنه لا يمكن معرفة العالم . وقد أطلق على هؤلاء اسم اللاأدريين . إن اللاأدرية ( agnosti cisme ) تنكر إمكانية معرفة العالم ، والفلسفة البورجوازية المعاصرة تنشر هذا الاتجاه بصورة واسعة .

« ما هي الحجج التي يسردها اللاادريون لاثبات وجهات نظرهم ، وهل لها اساس ؟ معلوم أنه لا يمكن إدراك العالم إلا بواسطة أعضاء الحواس ، النظر ، السمع ، اللمس ... الخ .. ولكن هذه ـ كما يقول اللاادريون شهود غير ثقات أبدا . كم من مرة خدعتنا أعضاء الحواس ؟ إن ملعقة الشاي في الكأس المملوء بالماء تبدو لنا مكسورة معوجة ويبدو البيت من بعيد أصغر مما هو عن كثب . ونظرا لهذا لا يجوز تصديق أعضاء الحواس . هذا هو استنتاج اللاادريين ، فهل الامر كذلك في الواقع ؟ لو سلمنا بما يقول اللاادريون لفكرنا أن الانسان لا يقوم بشيء سوى أنه يسير وينظر بعجز إلى الاشياء المحيطة به .. ففي العمل . في التطبيق ، يحوز الانسان على كل ما هو ممكن وضروري لتدقيق ما تشير اليه أعضاء الحواس ، وبلوغ جوهر الأمر ، والنفاذ إلى أعماق الظاهرات المدروسة . وفي المثل الذي أوردناه يكفي سحب الملعقة من الماء بغية البرهنة على أنها سليمة » .

فها نحن نرى في العقود الأخيرة من عصر العلم أن الذين يقولون بعدم القدرة على معرفة العالم ليس بعض الفلاسفة المثاليين ، أولئك الذين أطلق عليهم اسم ( اللاادريين ) ( وتعبير مثالي ولا أدري ، وغيرهما من المصطلحات التي يعرف الديالكتيكيون كيف يستخدمونها بغزارة ضد خصومهم ، هذان التعبيران مقصودان وقد اريد بهما تعزيز وجهة نظر فريق المادية القائل بالقدرة على فهم العالم ، لأن الطرف الآخر هو ـ بالضرورة ـ غير علمي ولا عقلاني ، وإنما هو مثالي .. لا ادري .. هكذا ) ، ومهما يكن من أمر فان القائلين بهذا اليوم ، هم العلماء بالدرجة الاولى ، العلماء الكبار ، تلامذة المختبر والتجريب والتعامل العلمي مع المادة ، بينما يبدو زعماء المدرسة المادية الديالكتيكية : ماركس وانغلز وتلامذتهما ، أقرب الى خط الفلسفة ، وهم يطلقون أحكامهم ومقولاتهم ( الفلسفية ) بعيداً عن التعامل المباشر مع المادة . فمن من الطرفين يا ترى أحق بالتصديق واكثر إقناعا ؟ العلم الذي يقول لا اعرف كنه

العالم ، أم الفلسفة التي تدعي اطلاعها عليه ؟

## صيغ جاهزة !!

وثمة معايير وصيغ أخرى في المقولة الديالكتيكية السالفة تتضمن هي الأخرى قدراً من سوء الفهم المقصود ، وأبرزها تلك التي تقول : « بأنه لو سلمنا بما يقوله اللاادريون لفكرنا ان الانسان لا يقوم بشيء سوى انه يسير وينظر بعجز إلى الاشياء المحيطة به » .. ولكن الذي يحدث هو أن النشاط العلمي الأكثر فاعلية وذكاء ، هو الذي يعلن ــ بتواضع الواثقين ــ أنه لم يئن الأوان بعد للكشف عن سر العالم .. ومع ذلك فانه من موقفه هذا لا يسير ، وينظر بعجز إلى الأشياء المحيطة به ، ولكنه ينظر إليها بصيغ أكثر عقلانية ، ونشاط مختبري لا يعرف الجلوس وراء المكاتب لتدبيج عبارات فلسفية تريد أن تنتزع من العلماء أخص ما يمتازون به ثم تدعيه لنفسها !!

مرة اخرى نلمس في المقولة السابقة تعابير ومواقف تند عن التحليل العلمي المقنع ،وتنبثق عن رغبة المادية وإصرارها إلى حد التشنج على ربط كل مسألة فلسفية عامة بمعضلة الصراع التاريخي الطبقي الذي يجري على ساحة الواقع . وهكذا نجد الديالكتيكية ، هاهنا ، تتهم الفلسفة البورجوازية المعاصرة بنشر اتجاه اللاادريين بصورة واسعة .

## حيادية المعطيات العلمية

فاذا ما تجاوزنا التشنج المذهبي ، وجدنا أن الذين يقولون بعدم القدرة على فهم العالم هم علماء المختبر أنفسهم ، وأن معطياتهم لتتخلق في ظروف حيادية وتخرج إلى حيز الوجود ، وهي لم تزل تحمل طابعها الحيادي ، فاذا ما حدث وأن استغلتها فلسفة من الفلسفات او اتكأت عليها لتحقيق أهداف قد تكون غير موضوعية ، أو غير انسانية ، فان هذا لا ينفي السمة العلمية لتلك المعطيات ويدمغها هي الاخرى بالخطأ والقصور والانحياز !!

أما لماذا تقوم الفلسفة البورجوازية بنشر اتجاه اللاادرية بصورة واسعة ، فلأن الأمر ــ كما تدعي الديالكتيكية ــ يقوم على إخفاء حقائق القوانين النهائية التي تتحكم بحركة العالم ، وتاريخه والتي كشفت المادية الديالكتيكية عنها النقاب ، وأبرزها لاريب صراع الطبقات ..

ولكن ألا يجوز أن يثور المظلومون على جلاديهم ، ويربحوا المعركة قبل أن يكشف السر عن قوانين التاريخ الحتمية ؟ إذن كيف نفسر تاريخ البشرية المليء بالثورات والانتفاضات ؟ كيف نفسر العشرات بل المئات من الانتصارات التي حققها المستضعفون ضد جلاديهم ومضطهديهم ؟

## غريبان عن العالم الجديد

إن الفلسفة ، بما فيها الديالكتيك العلمي تميل دائما للتعميم ، لأن تطلق أحكاماً نهائية ، فتقع شاءت أم أبت ، في مستنقع المثالية ، وتقسر

الحقائق على أن تتكيف لكي تجد لها مكانا في قالبها الصارم .. إن « ماركس » و « انغلز » اتهما هيغل بأن فلسفته تمشي على رأسها .. ولكنهما عادا فصمما فلسفة تمشي على بطنها .. على معدتها .. إن أموراً كهذه قد تجد لها مكانا في ميدان الفلسفة ، ولكن الأمر يختلف في ساحة العلم ، ميدان التجربة والاختبار والأناة .. حيث لا يستطيع احد أن يدعي معرفة العالم كله ، واكتشاف سره المكنون بعيداً عن انتماءاته الطبقية ، فالمختبر ليس نظاما سياسيا أو تشريعا دستوريا ، لكي يحمي مصالح هذه الطبقة أو تلك !!

ومن حسن الحظ أن المادية الديالكتيكية تعترف بأنها تبني هيكلها على المقولات الفلسفية ، وأن الفلسفة ، لا العلم ، هي التي تصوغ المفاهيم العامة « .. إن أعم خواص الأشياء تنعكس في المقولات الفلسفية ، في مقولات معروفة لدينا الآن مثل ( المادة ) و ( الحركة ) و ( الزمان ) و ( المكان ) و( الكيفية ) و ( الكمية ) و( التناقض ) .. الخ إن المقولات الفلسفية هي أعم المفاهيم ، وبالتالي يستحيل الاكتفاء بالمقولات التي تصنعها الفيزياء والكيمياء وغيرهما من العلوم الخاصة . ففي عملية المعرفة تتكون مقولات فلسفية عن أعم خواص ظاهرات العالم القائم » .

وفي هذا وحده ما يكفي .. إذ تغدو المادية الديالكتيكية ، كغيرها من الفلسفات ، تقوم على المقولات الفلسفية العامة ، وهي مقولات تنشأ وتتخلق لدى كل فيلسوف بصيغة قد تختلف عن الفيلسوف الآخر ، وقد تكون نقيضة لها تماما ، ومن ثم فان ادعاء احتكار المعرفة الفلسفية لواحد من هؤلاء الفلاسفة ، ووصفها بالعلمية ، وإنكار هذا الحق على الآخرين ، واتهامهم بالمثالية او السفسطائية أو البورجوازية أو ما إلى ذلك من مفردات قاموس الديالكتيك الغني بالتصميمات ، هذا الموقف هو غير علمي على الاطلاق !!

ولا ننسى أن « ماركس » و « انغلز » طرحا مقولاتهما الفلسفية قبل عصر الفيزياء الذرية عصر « بلانك » و « شرودنجر » و « هايزنبرغ » و « اينشتين » .. حيث تهاوت جدران المادية ، واختلط الصواب بالخطأ والاحتمال .. إنهما طرحاها قبل هذا العصر بما يقرب من القرن من الزمان ، ومن يدري فلعلهما لو أتيح لهما أن يرجعا للحياة ثانية فانهما قد يكونان ، إزاء ضغوط حتميات المناهج الفلسفية العامة على ضوء هزات العلم العملاقة ، أكثر تحرراً من تلاميذهم ومريديهم ، لأنهما قد يجدا نفسيهما غريبين عن العالم الجديد العجيب الذي اخذت الفيزياء الذرية تطرق ابوابه ، والذي لم يقدر لأحد ــ بعد ــ الكشف عن سره الدفين ..

**العلماء هم أصحاب الثورات العلمية**

فكم ياترى سيظل التلامذة

والمريدون يمطون مفاهيم المادية القادمة من القرن التاسع عشر لكي يقسروا القرن العشرين ، وربما الواحد والعشرين ، على ارتداء أثوابها ؟

فاذا ما أضفنا إلى هذا كله الصيغة الانتقائية التي تعترف الديالكتيكية باعتمادها إزاء منجزات العقل البشري لكي تتلاءم ومصالح طبقة محدودة من الناس ، أدركنا القيمة الحقيقية للسمة العلمية التي تدعيها هذه النظرية .. ولنقرأ « لقد استوعب ماركس وانغلز كل ما هو تقدمي وثمين كان العلم قد توصل اليه قبلهما ، ولكنهما لم يقوما بمجرد استيعاب منجزات العقل البشري ، بل صاغا بصورة انتقادية مكتسبات الفكر البشري الطليعي طبقاً لمصالح واهداف البروليتاريا وسائر الشغيلة ، وبما أنهما كانا ثوريين عظيمين فقد أحرزا مأثرة علمية لا نظير لها ، فقاما بانقلاب ثوري في العلم في الفلسفة والاقتصاد السياسي والمذهب الاشتراكي وغيرها من مجالات المعرفة البشرية ، وانشآ علماً ثورياً جديداً هو الماركسية » .

ومعروف ان العلماء لا الفلاسفة هم الموكلون بتحقيق الثورات في ميدان العلم ، ومعروف ايضا أن الفلسفة والاقتصاد وغيرهما مما يسمى بالعلوم الفلسفية لا يمكن اعتبارها علما بالمعنى الدقيق للكلمة ، وهذا يذكرنا بعبارة « سوليفان » التي ترد في آخر الفصل الخامس من كتابه حدود العلم حيث يقول : « .. إن علم النفس لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن . وللمعارف الأخرى مثل علم الاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك ، بعض النواحي التي لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمية . والعلم هو أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادي ، أما مقولاته في المواضيع الأخرى فتعتبر نسبيا ضعيفة ومتلجلجة » .

## إن يتبعون الا الظن !!

إن ماركس في مقولاته الاقتصادية فيما يسمى علم الاقتصاد الماركسي ، لم يكن على تمام الالمام بتاريخ الاقتصاد البشري ، واعتمد في مساحات واسعة منه على معطيات تخمينية وظنية ، وها هو الاستاذ البولندي ( اوسكار لانكه ) ، أحد أكبر أخصائيي الدول النامية في ميدان الاقتصاد ، وهو يستعرض جهود الكتاب الذين اهتموا بدراسة اقتصاد مجتمعات ما قبل الرأسمالية ، منذ عصر ماركس وحتى عصر بورشييف ، يقرر أن « هذه الدراسات جميعها مفككة ، لذلك فان الاقتصاد السياسي للنظم الاجتماعية ما قبل الرأسمالية لما يخرج بعد إلى حيز الوجود باعتباره فرعاً منظماً من فروع الاقتصاد السياسي » .

فاذا كان الأمر كذلك في أهم ما يخص الماركسية ، وهو التاريخ الاقتصادي ، فكيف الحال بالنسبة لمعطياتها في المسائل الفلسفية الأكثر شمولية وامتدادا ؟

# مائدة القارئ

## طريق الجنة

قال صلى الله عليه وسلم :
( تقبلوا الي بست ، أتقبل لكم بالجنة ، قالوا ما هي ؟ . قال : اذا حدث احدكم فلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا ائتمن فلا يخن ، غضوا البصر واحفظوا فروجكم ، وكفوا ايديكم ) .

( رواه الحاكم )

## الظريف والرشيد

خرج الرشيد يوما في ثياب العامة ومعه بعض حاشيته في مثل زيه فنزل بهم رجل فثقل على الرشيد وهم بطرده فقال ابو نواس : ساخرجه من غير اساءة اليه . وتوجه الى الجماعة قائلا : على طعامكم . فقال الرشيد : وعلى شرابكم . وقال يحيى بن خالد : وعلى عطركم ، ثم نظر ابو نواس الى الرجل وقال له : وما عليك ؟ فقال : على الا افارقكم من اليوم الى يوم اخر مثله . فقال الرشيد : هذا ظريف لا يحسن اخراجه .

## الخير والشر

اذا اراد الله بعبد خيراً :
١ ) ألهمه الطاعة .
٢ ) وألزمه القناعة .
٣ )وفقهه في الدين .
٤ ) وعضده باليقين .

أما اذا اراد به شراً :
١ ) حبب اليه المال .
٢ ) وبسط منه الآمال .
٣ ) وشغله بدنياه .
٤ ) ووكله الى هواه .

## صناعة التاريخ

الشباب يصنعون التاريخ بقلوبهم والعلماء يصنعونه بعقولهم والحكماء يصنعونه بارواحهم .

فاذا تعاون القلب والعقل والروح على صنع التاريخ كان تاريخا لا ينطفىء نوره ، ولا تخبو ناره وكذلك صنعنا التاريخ اول مرة .

الدكتور / مصطفى السباعي

## المؤمن والمنافق :

قال حاتم الاصم :

المنافق من اذا اخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء .

والمؤمن يأخذ بالخوف ويتمسك بالسنة وينفق خالصا في الطاعة .

فاطلب نفسك في اربعة اشياء .
العمل الصالح بغير رياء .
والاخذ بغير طمع .

## موعظة المسؤول

قال هارون الرشيد لأحد الصالحين : عظني ايها الشيخ .
قال الشيخ الصالح : يا هارون ، لودامت لغيرك ما وصلتك .. اي الخلافة .

قال هارون : زدني ايها الشيخ قال : يا هارون تلك قصورهم ، وهذه قبورهم .
قال هارون : زدني ايها الشيخ . قال : كفي بالموت واعظا يا هارون .

فبكي هارون حتى اخضلت لحيته ثم قال : ايها الشيخ ، أعليك دين فنقضيه عنك .
قال الشيخ الصالح : يقضيه عني من هو اقدر على قضائه منك .
قال هارون : فخذ من مالي ما يكفيك رزقا لك ولعيالك .
فتبسم الشيخ الصالح وقال :
ويحك يا هارون ، اتظن ان الله يرزقك وينساني ؟

# « وما من دابة في الأرض »

« وفي الأرض آيات للموقنين »

للدكتور : عبد المحسن صالح

ما أكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد .. اذ لو تجلت لنا خبايا الخلق ، وتكشفت لعيوننا أسرار الكائنات ، لأدركنا ــ عن علم ــ أن الله سبحانه وتعالى قد يسر لكل مخلوق سبل حياته ، وأرسى في تكوينه الحي الخطة أو الخطط المقدرة التي يشق بها في الأرض طريقه ، ساعيا على رزقه ، مطيعا لنواميس ربه ، وكأنما كل كائن قد حمل معه « البروجرام » الذي يجب عليه أن ينفذه بحذافيره ، فاذا أخل بمواثيقه ، كان حتما مقضيا أن يكون الانقراض من نصيبه ، وهذه سنة الله في خلقه : **( ولن تجد لسنة الله تبديلا )** « الأحزاب/٦٢ »..

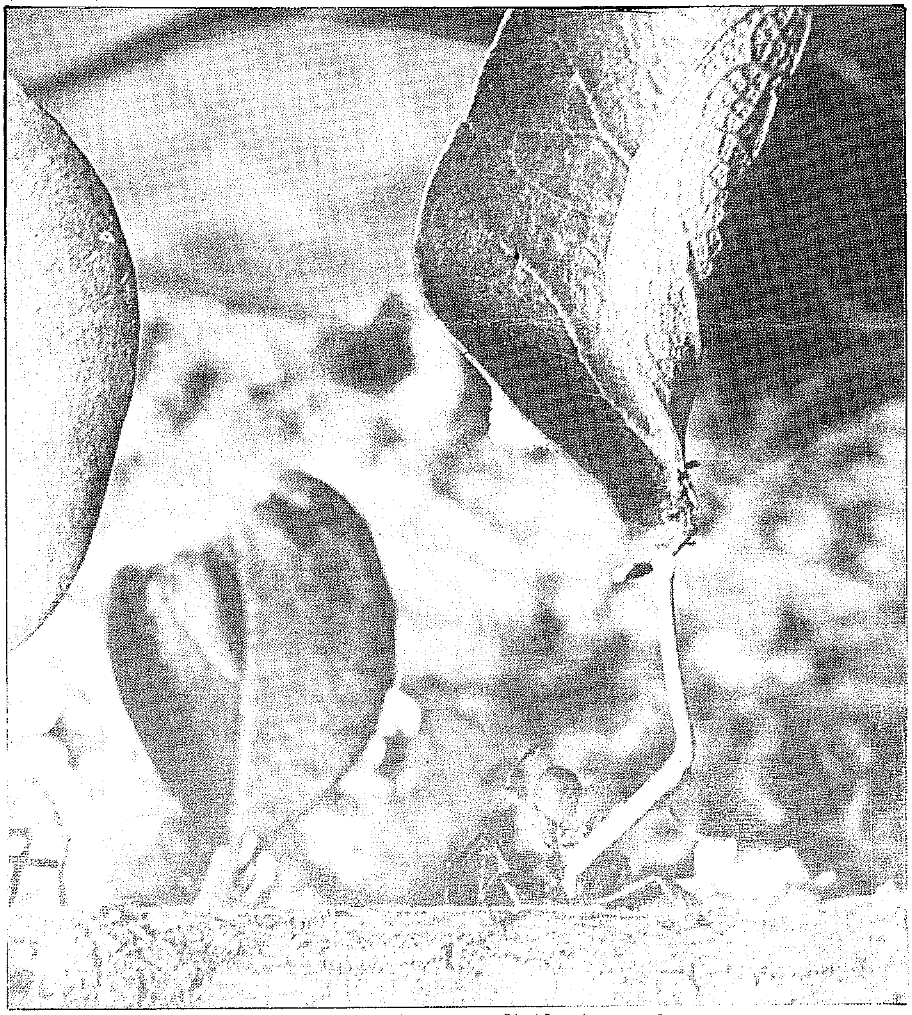
لكن الكلام شيء ، والبحث عن الحقيقة شيء آخر له عمقه ومغزاه ... ذلك أن البحث يضع أمامنا ثروة هائلة من المعلومات ، التي توضح لنا سلوك الكائنات.، وعندئذ يتبين لنا أنها ــ أي الكائنات ــ مجتمعات لها حياتها ونظامها وشرائعها ، وكأنما هي أمم أمثالنا ، أو هي ــ كما عبر عنها القرآن الكريم أوجز تعبير : **( وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون )** « الأنعام/٣٨ » .

والواقع أن الخالق سبحانه وتعالى لم يخلق خلقا ــ صغر شأنه أو كبر ــ الا ومنحه لقمة العيش التي تناسب حياته ، ولقد كشف لنا العلماء البيولوجيون عن صور من حياة الكائنات توضح أننا لسنا وحدنا على هذا الكوكب ، أو أن الانسان هو وحده صاحب الأفكار المبتكرة ، بل ان الحياة ذاتها غنية بما وضع الله فيها من نظم بديعة تدعونا حقا الى وقفة من وقفات التأمل والخشوع ومراجعة

النفس ، حتى لا يتملكنا الغرور ، فالغرور قتال « لو كنتم تعلمون » .
ولا شك أن من يقرأ آيات القرآن الكريم عن علم ببواطن أسرار المخلوقات ، تتجلى له في ثنايا هذه الآيات معان جميلة لا تظهر لمن ليس له بها علم أو دراية ، وهنا قد يحق القول الكريم : ( **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ) الزمر/ ٩
فقد يمر معظم الناس على الآية الكريمة : ( **وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ) هود/ ٦ قد يمرون عليها مرا سريعا ، دون أن يفطنوا لما تحتويه من أسرار أرزاق المخلوقات أو الدواب .

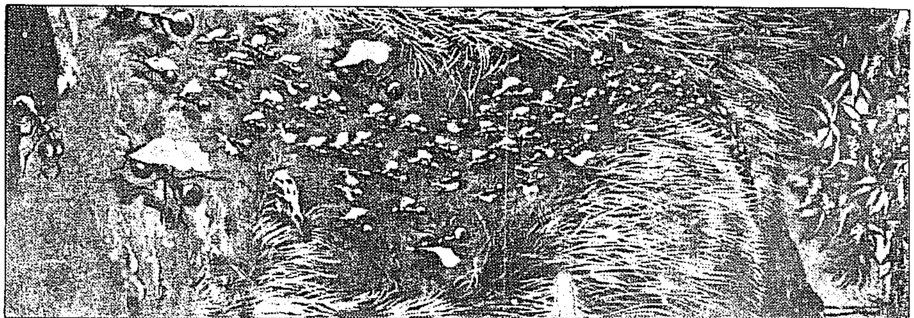
والدابة هنا تعني كل خلـق حي ... فالحشرات دواب ، والأرضة من الحشرات ، ولقد جاء ذكرها في القرآن الكريم على أنها دابة : ( **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته** ) سبأ/ ١٤ . وقيل عن دابة الأرض هنا انها الأرضة أو النمل الأبيض أو السوس أو أية حشرة تعيش على الخشب الذي صنعت منه عصا سليمان ــ أو أي خشب آخر ، هذا ومن المعروف أن أنواع الحشرات التي تعيش حتى الآن على كوكبنا يربو عددها على مليون نوع مختلف ، ولكل نوع رزقه أو مائدته أو طعامه المفضل ، ولنتصور ماذا تعني قائمة من الأطعمة تحتوي على مليون نوع من المادة الغذائية التي تناسب حياة النوع الواحد من أنواع المخلوقات ، ودعك اذن من القائمة الطويلة والعريضة التي قدمت لمئات الألوف من أنواع الحيوانات الأقل أو الأعظم شأنا من الحشرات ، اذ لو أردنا أن ندون الطعام المفضل لكل نوع من الأنواع ، وما يحتويه من عناصر غذائية ، فان ذلك يحتاج الى مجلدات من فوق مجلدات ، وهذا ينبئك بالخبر اليقين ــ خبر أن الله يخلق ما يشاء بغير حساب ، ثم يرزق كل خلق بما يناسب حياته ... ميكروبا كان ذلك أو دودة أو ثعبانا أو فأرا أو غزالا .... الى آخر هذه القائمة التي لا نستطيع لها حصرا ولا تدوينا .

لكن معنى ذلك لن يتضح على حقيقته ، الا اذا قدمنا صورا حية مما كشف عنه العلماء الحجاب ، فهذا من شأنه أن يبين لنا بديع صنع الله في خلقه ، علنا نقدره حق قدره ، اذ لا يكفي أن نتلو آيات كتاب الله تلاوة لا تقوم على تدبر حقيقي للمعاني الكامنة في هذه الآيات ، بل هناك آيات حية هي في الخلق علامات دالات على : ( **الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى** ) الأعلى/ ٢ ، ٣ .
ولنأخذ لذلك نملة ... لكن للنمل أنواعا كثيرة جدا ، اذ يبلغ عدد تلك الأنواع حوالي عشرين ألف نوع ، وطبيعي أن كل نوع يختلف عن الآخر في عاداته ولغته وشكله ، والا لما وصفها العلماء ، وصنفوها وأطلقوا عليها الأسماء .... ولنملتنا التي سنقدمها هنا اسم محدد ، واسمها الدارج هو النملة الزارعة ، لأنها تزرع ، وتحصد ما تزرع ، وكأنما تعيش في بساتين قطوفها دانية .



● صورة طبيعية لنملة على غصن نبات . وهي هنا تنشر قاعدة الورقة ، فتسقط بعد قطعها الى الارض ، حيث تستقبلها فرق تقوم بتقطيعها الى اجزاء اصغر ، ثم تنقلها الى مستعمراتها

لكن العلماء الذين درسوا مجتمعات هذه الكائنات الصغيرة ــ التي عرفت الزراعة قبل أن يعرفها الانسان بمئات الملايين من الأعوام ــ بهرتهم الطرق المختلفة التي بها يزرعون ... صحيح أن الطرق تبدو ــ في الظاهر ــ متشابهة ، لكن النمل الذي يزرع له أنواع وصلت أعدادها حتى الآن الى ما يزيد على المائة نوع ، ولنتصور أن هناك مائة طريقة للزراعة ، ومائة محصول يختلف باختلاف النوع ، وهذا يوضح أن الله سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق ــ لا على مستوى البشر فحسب ، بل على مستوى النمل الزارع ، وغير الزارع ، وفي ذلك حكمة لقوم



● فرقة من النمل الزارع ، وقد عادت كل نملة من مهمتها بقطعة من ورق الشجر ، تحملها فوق رأسها ، وكأنما هي تحمل مظلات صغيرة .

يتدبرون ، والحكمة تكمن في عدم تكالب الأنواع ( على مستوى النمل أو ما فوق ذلك ، أو دون ذلك من سائر المخلوقات ) على رزق واحد ، بل كل مخلوق قد جاء لما هو له ميسر .

يقدم لنا البروفيسور « كلايد كريستنسين » أستاذ أمراض النبات بجامعة « مينيسوتا » هذا التنظيم المذهل بقوله : « ان أي انسان لديه الاحساس الجمالي بما في الطبيعة البكر من نظام وتوافق وحب راق ، فعليه أن يعتبر بسلوك النمل أو تصرفاته ... فمعظم أنواع النمل تعيش في مجتمعات لو أننا قارناها بمجتمعاتنا ، خاصة فيما يتعلق بالمعاملة والألفة والتعاون ، لوجدنا أن أكثر مجتمعاتنا تقدما تبدو في خبراتها الحياتية ساذجة ... لقد اكتسبت مجتمعات النمل صمودا عظيما ، لأنها طوال مئآت الملايين من السنين مارست طرق الحياة المختلفة ، وكأنما هي قد اختارت السبل الكفيلة بحصولها على طعامها ومأواها ومسراتها ، وبحيث تبدو مجتمعاتنا بجوارها وكأنما هي لا زالت مجتمعات بدائية » .

لكن ... ما الذي دعا هذا العالم الى قول نراه مجحفا بالحقوق البشرية ، ومنصفا « للحقوق » الحشرية ؟

لا بد أن هناك سرا أو أسرارا غريبة في حياة النمل .... وهو بالفعل كذلك ، ولكي ندلل على ذلك ، دعنا نتعرض لسر من هذه الأسرار التي تعلمنا درسا فيه حكمة وابتكار وأصالة ، ولنعلم أن الله قد أوحى في النمل أمره ، ويسر له سبله ، كما أوحى للنحل الشيء ذاته ، بدليل قوله تعالى : **( وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون )** « النحل / ٦٨ ، ٦٩ » .

وللنحل سبل في الحياة يتشعب فيها الحديث ويطول ، وللنمل سبل أخرى هي آية أو آيات لقوم يتفكرون ، وليعلموا أن الله لم يخلق خلقا ، الا وقدر له كل شاردة وواردة تقديرا حسنا .

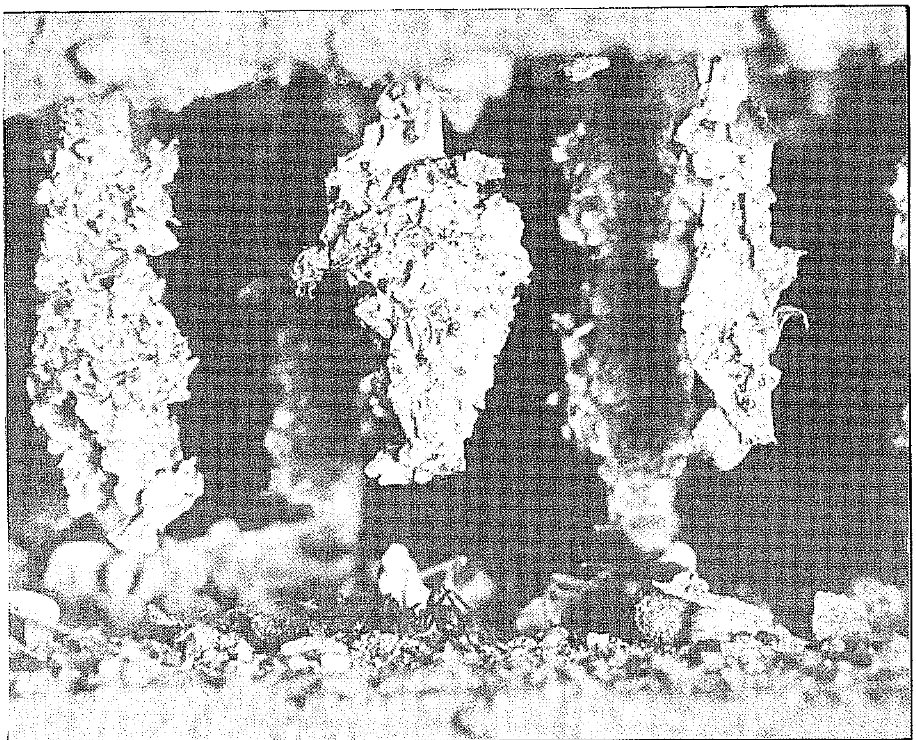
العلماء الذين درسوا أحد أنواع النمل الزارع فكروا وتساءلوا بدهشة تحمل في

طياتها حيرة وعجبا : كيف تأتي له أن يزرع أحد أنواع الفطريات ، ثم يعتمد على هذا النوع كغذاء وحيد ليمده بكل العناصر الحيوية اللازمة للكائن الحي ؟... ثم كيف اختار هذا النوع الوحيد من الفطر من بين مائة الف نوع من الفطريات التي عرفها العلماء حتى الآن ؟

والغريب أن العلماء لم يتفقوا على رأي واحد ، وكانت اجاباتهم مؤسسة على التكهنات والظنون ، وكأنما السر الحقيقي يحتفظ به النمل لنفسه دون أن يصل الانسان الى جوهره ، لكن أكثر التكهنات تقبلا لعقولنا تشير الى أن هذه الأنواع من النمل الزارع ( أو غيرها ) قد اكتشفت أصول الزراعة ، وانتقت ما يناسبها من هذه الكائنات النباتية الدقيقة ( أي الفطريات ) ، ثم عرفت كيف ترعاها وتمدها بكل ما تحتاج اليه من أسمدة عضوية ، وتهيىء لها المناخ المناسب ، وتحافظ عليها من « الحشائش » الضارة التي قد تنمو بين مزارعها ، ودون أن تستخدم لذلك المبيدات أو أية وسائل أخرى عرفها الانسان .

صحيح أن الانسان في بداية ظهوره على هذا الكوكب منذ عدة عشرات الألوف من السنين ، كان يعيش على القنص والصيد ، أو ما تجود به الغابات البكر من فواكه وثمر ... وطبيعي أنه أخذ يجرب ويتذوق ويختار ، وعرف كيف يزرع ما وقع عليه اختياره ، وبالتجربة التي استمرت آلاف السنين ، وفيها عرف الانسان الخطأ من الصواب ، وتطورت طرق الزراعة ، واستقر في مجتمعات ، لكن الانسان فعل ذلك بعقله الذي وضع الله نظامه الأمثل في مخه ، وبه شق في الحياة طريقه ... لكن النمل ليس له عقل ولا حكمة كحكمة البشر ، ومع ذلك ــ وكما سيتضح لنا فيما بعد ــ فقد توصل الى انجازات تتسم بالحكمة ... البعض يقول : انها غريزة ، أو هو وحي نظام متقن لا يزال يحيرنا أعظم حيرة ، فعندما نعجز عن تفسير ما تقوم به الكائنات الحية غير العاقلة من أفعال ، نعيد ذلك الى لفظ مبهم المعاني هو « الغريزة » ... والغريزة تعني جهلنا النسبي بما كان ويكون .

لقد لاحظ الانسان بعض أنواع النمل التي تعيش في مناطق مختلفة من العالم ، وهو يتوجه بفرقه الى الحشائش والأعشاب والأشجار ، ثم يعود الى مستعمراته ، وقد حملت كل نملة فوق رأسها قطعة من أوراق بعض نباتات مختارة ، وبها تسير ، وكأنما هي تحمل فوق رأسها مظلة واقية ، ولهذا أطلقنا عليها اسم نمل المظلات ، ظنا منا أن النمل يحتمي بها من أشعة الشمس ، هذا وقد تكون المظلة أكبر من حجم النملة بعدة مرات ، ولقد وصفها لنا العالم « هنري ماك كوك » ــ وكان من أول الدارسين القدامى لهذه الظاهرة ــ بقوله : ان منظر فرق النمل يشبه منظر أطفال المدارس وهم يحملون الأعلام ، ولقد ثبت فيما بعد أن تفكير الناس كان خاطئا من أساسه ، إذ عندما درس العلماء هذه الظاهرة العجيبة ، أدركوا أن الأمر ينطوي على سر كبير ، لأن هذه القطع من الأوراق النباتية



● صورة من داخل « حجرة » زراعية في مستعمرة النمل الزارع ، ومن سقفها يتدلى النمو الفطري ليصبح رزقا حسنا لسكان المستعمرة ، فيعيشون عليه العمر كله .

ستصبح الخامة المناسبة التي سيزرع عليها النمل محاصيله .

لكن الفكرة ليست بسيطة كبساطة هذا الكلام ، فلقد استنبط النمل لذلك « تكنولوجيا » تتسم بالتخطيط السليم ، والتنظيم العظيم الذي يجذب كل فكر قويم ، فلكل نوع من النمل خامته النباتية التي يحصل عليها من نوع من النباتات ، أو نوعين ، أو أكثر ، وهو يعرف الطريق الى ذلك ، وقد يهتدي الى النبات المطلوب بما يطلقه من جزيئات قد لا تحسها أنوفنا ، ولكن النمل قد أوتي ما يشبه « الرادارات » الحية الدقيقة التي توجهه الى الهدف حتى ولو كان الظلام يخيم على الميدان .

وعندما يأتي النمل بالخامة الى مشارف المستعمرة ، يلقي ما حمل ، وبدون تواكل أو كسل ، يكر عائدا الى منطقة العمل ، ليأتي بالمزيد ، والى هذا الحد يظهر لنا التخصص الدقيق في الفئات التي تكون المستعمرة ، اذ أحيانا ما تعرف بعض أنواع النمل أسس الاقتصاد في الطاقة والزمن ، خاصة اذا كانت خامة الأوراق في أشجار عالية ، عندئذ تصعد فرقة لتقطع الأوراق ثم تلقيها الى الأرض ، حيث تنتظرها فرق أخرى ، لتحمل ما تساقط ، ويقال : ان مستعمرة كبيرة قد تعرى الشجرة من أوراقها في يوم وبعض يوم ، ثم ان الذي يقطع غير الذي يحمل ، غير

الذي يطحن .... اذ تأتي فرقة ثالثة لتتخصص في طحن الأوراق ، بمعنى أن هذه الطواحين الحية الصغيرة تبدأ في مضغ قطع صغيرة من القطع الكبيرة المكومة أمام المستعمرة ، وفي عملية المضغ يختلط لعابها بما تمضغ ، وهي هنا لا تستفيد به كطعام ، لأنها لا تستطيع له بلعا ولا هضما ، بل انها « تبصق » ما مضغت ، وترصه داخل المستعمرة ككتل صغيرة ... كتلة بجوار كتلة ، بجوار كتلة ، وهكذا ، ومن هذه الكتل الاسفنجية أو الرخوة تكون مسطحات أشبه ما تكون بالوسادات الرقيقة ، وعلى هذه الوسادات تتم زراعة المحصول الذي يناسب النوع ، ولكي يزرع النمل ، كان لا بد أن يبذر ، والبذور هنا ليست كبذور النباتات التقليدية التي نعرفهـــا ، بل هي جراثيم فطرية لا ترى الا بالميكروسكوب ، وعندما تنبت الجراثيم وتترعرع ، تبدأ في تكوين نسيج فطري ( وهو المعروف بين العامة باسم العفن ، وهو الذي نراه يظهر أحيانا على الخبز اذا تركناه في جو رطب ليومين أو أكثر ) ، وعلى هذه « البساتين » الفطرية يعيش النمل ، ومنه يحصل على كل العناصر الغذائية اللازمة لحياته .

● ● ● ●

ونحن نعرف أن زراعاتنا أو بساتيننا لا تجود بالخيرات الا اذا أضفنا اليها أسمدة عضوية وغير عضوية ، لكن هذه الفكرة ليست بشرية ، بل هي قبل ذلك كانت حشرية ، لأن النمل قد عرف ذلك قبل أن يظهر الانسان على الأرض بعشرات الملايين من السنين .... ولكي يسمد النمل بساتينه ، كان لزاما عليه أن يخصص فرقة ثالثة لاحضار فضلات الديدان والحشرات التي تتغذى على النبات ، ثم يضع هذه الفضلات العضوية بين نسيج الأوراق المطحونة ، ليس هذا فحسب ، بل نراه أيضا يضيف فضلاته الى مزارعه ، ثم ان النمل يحب النظافة ، ويقضي وقت فراغه في تمشيط نفسه ، أو هو يمشط بعضه بعضا مما علق بجسمه من ادران ، فيكنس ذلك من مستعمراته ، ويضيفه الى مزارعه ، ليستفيد من عناصره في ازدهار بساتينه .... أضف الى ذلك أن أموات النمل ذاته ، تدفن في الوسادات العضوية التي تنمو عليها الأنسجة الفطرية ، فيزيد بذلك من خصوبتها ... وهو ــ أي النمل ــ في سلوكه هذا يشبه ما يقوم به المزارعون من البشر عندما يصنعون من مخلفاتهـــم البشرية والحيوانية والنباتية أكـــواما من السماد العضوي ، ويتركونها حتى تتخمر أو تنضج ، ثم تنقل لتوزع بين النباتات .

ونحن لا ندري كيف توصل النمل الى هذه الفكرة الكبيرة التي تعتبر نقطة تحول هامة في زيادة المحاصيل عند الانسان ، لأن التسميد يفيد النباتات بعنصر هام هو النيتروجين او مركباته ، اذ بدونه لن يكون هناك بروتين ، والبروتينات أحد الأعمدة الهامة جدا التي تقوم عليها الحياة ... لا يختلف في ذلك الشجر ، عن النمل والبشر .

وطبيعي أن النمل لا يزرع بساتينه الفطرية فوق سطح الأرض ، ولو فعل ، لما حصل على أسود ولا أبيض ، اذ أن محاصيله لا تتحمل تقلب المناخ ، ولا أشعة الشمس الحارقة ، خاصة اذا كانت مستعمراته مشيدة بين أحراش أو غابات المناطق الحارة ... وعليه اذن أن « يدرس » هذا الأمر ، ويتوصل فيه الى الحل ، ثم عليه أن يختار موقع العمل المناسب ، والأرض المناسبة ، وطبيعة الطبقات التي تتكون منها تلك الأرض ، ونسبة الرطوبة فيها ... الخ .... الخ ، فاذا أجرى النمل « حساباته » ، وتوصل الى مراده ، بدأ في تكوين مستعمرة صغيرة ذات ملكة شابة ، وما أن تمر عدة شهور ، أو ربما سنتان أو ثلاثة ، الا وتصبح المستعمرة الصغيرة بمثابة مدينة عظيمة مدفونة يسكنهـا عدة ملايين من السكان ... ولقد قدر أحد العلماء مساحة واحدة من هذه المستعمرات ، فوجدها حوالي مائة متر مربع ، أي أن هذه المساحة تكفي لانشاء منزل من منازلنا به عدة غرف ، ويبدأ النمل في الدخول الى المستعمرة الكبيرة ليس من باب واحد ، ولا عشرة ولا حتى مائة ، بل من ألف باب وباب ، فاذا دلفت النملة من أحد المداخل ، فانها تمر في ممرات أو سراديب أرضية متفرعة ، ومن ممر الى غرفة الى ممر .... الخ ، حتى تنتهي الرحلة الى عمق يصل تحت سطح الأرض الى حوالي أربعة أو خمسة أمتار ... أي كأنما المستعمرة هنا عبارة عن مدينة متكاملة تشبه ناطحات السحاب ... ولكن « ناطحات » النمل « تنطح » طبقات الأرض ، ولا شك أن « التكنيك » عند النمل أصعب ، اذ ليس البناء على السطح عسيرا كالبناء في الباطن ، ومع أن الانسان يستخدم أسياخ الحديد والأسمنت في تقوية مبانيه ، الا أن النمل يعتمد على طبيعة الأرض ، ذاتها ، لأن بناءه الضخم ــ والوصف هنا نسبي ــ قد ينهار ، كما تنهار المناجم مثلا على رؤوس أصحابها ، وأحيانا العمارات، وكل هذا يؤدي الى كوارث في حياة البشر... والنمل ايضا .

لكن لا تحمل للنمل هما ، فلقد أثبت وجوده على الأرض من قديم الزمن ، ولا يزال وسيستمر على هذا الكوكب الى أن يرث الله الأرض بما ومن عليها ، لأن النمل قد أعد لكل أمر عدته ــ وكأنما هو يقدر لرجله قبل الخطو موضعها .

ولقد كانت حدائق بابل المعلقة واحدة من عجائب الدنيا السبعة ، وكذلك تكون حدائق النمل المعلقة ، اذ لو قارنا حجم النملة أو وزنها ، بحجم الانسان ووزنه ، ثم أرجعنا ذلك الى منشئات النمل والانسان ، لتوارت ناطحات السحاب أو حدائق بابل المعلقة خجلا ، ولعرف الانسان مقدار نفسه ، وربما يتخلى عن غروره ، اذ يذكر لنا دكتور « بيتر فابر » المتخصص في دراسة الحشرات ــ وزميل الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم ، وجمعية العلوم والبيولوجية ــ يذكر في أحد كتبه أن الملك سليمان الحكيم قال ينصح من حوله : « تأملوا النمل واذهبوا اليه أيها الكسالى ، ثم اعتبروا بطرقه في الحياة ، وتعلموا الحكمة ... فليس له من مراقب أو حسيب أو مرشد ، ومع ذلك يمون نفسه باللحم صيفا ، ويحصد طعامه من محاصيله شتاء » ... ولقد تشكك العلماء في قول سليمان ، اذ لم يكونوا يعرفون

أن النمل يزرع ويحصد ، لكن أحد العلماء الطبيعيين قد عرف في عام ١٨٧١ أن سليمان كان على حق ، وأنه لا بد قد اكتشف حقيقة النمل الزارع الذي نحن بصدده هنا ... ولقد وصف سليمان من حوله بأنهم كسالى ، عندما قارن سلوكهم بسلوك النمل ، لأن النملة « شعلة » نشاط ، ثم انها تؤدي عملها « بضمير حي » .... ان كان للنمل ضمير على أية حال ، والى هنا يتجلى لنا معنى الآية الكريمة : **( ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم )** « هود / ٥٦ » .

● ● ● ●

إذن ... لقد شيد النمل البساتين ، لتصبح رزقا حسنا للملايين ، وهو رزق قطوفه دانية ، لأن المزارع الفطرية تنتشر داخل المستعمرة في حجرات متجاورة ، وهذه يعلو بعضها البعض في طوابق أو أدوار متتابعة ، وترتبط فيما بينها بدهاليز أو ممرات صاعدة هابطة ... وعلى أسقف أو أرضية الحجرات أو الصوبات النملية ( والصوبة تعني البيوت الزجاجية التي تحفظ فيها أنواع خاصة من النبات ، يخشى عليها الأنسان من تقلب الأجواء ) ، تنمو الفطريات وتزدهر بفضل الرعاية المستمرة التي يقوم بها « فلاحو » النمل ، وطبيعي أنهم يأكلون مما زرعوا ، فما أن تقضم النملة خيطا فطريا ، الا ويظهر في قمته بعد ساعات « ثمرة » جديدة تشبه القرنبيط شكلا لا حجما ، لأن حجمها دقيق ليناسب أفواه وأمعاء مخلوقاتنا الصغيرة ، ثم انهم كلما قطفوا وأكلوا ، أينعت البساتين من جديد ، أي كأنما هذه الكائنات تعيش في جنات أرضية قطوفها دانية ، وخيراتها دائمة ، لأن المزارع الفطرية ليست كمزارعنا ، اذ كلما أعطاها النمل وسائد عضوية مزودة بأسمدة نيتروجينية ، كلما جادت على الملايين ونرياتهم ، ونرية نرياتهم بطعام غير مقطوع ولا ممنوع .

لكن الذي يحير العلماء بحق هو الكيفية التي يحافظ بها النمل على بساتينه من أية « حشائش » دخيلة ، أو ميكروبات غريبة ، أو أية كائنات أخرى قد تندس بين « الأحواض » ( أي حجرات الزرع ) فتقلب الموائد على الفطر وعلى النمل ، وعندئذ تزول دولته ، ولكنها لا تزول ، بدليل أن هذه الأنواع لا زالت تواصل حياتها ، وتنتشر على سطح الأرض شرقا وغربا ، وطولا وعرضا .

وطبيعي أن ما أطلقنا عليه اسم الحشائش الغريبة ليست مثل حشائشنا التي نعرفها في زراعتنا ، بل هي أنواع أخرى من الفطريات الكثيرة والغريبة التي يحمل النمل جراثيمها في خاماته الى مستعمراته ، ولقد أحصى العلماء من هذه الجراثيم الغريبة عدة آلاف من الأنواع ، ولا بد أنه قد لوث بها مزارعه ، هذا بالاضافة الى الكائنات البكتيرية المدمرة ، وكأنما بعضها لبعض عدو مبين ...

ومع ذلك تظل المزارع سليمة دون ظهور أي كائن غريب .

وفكرة النمل في المحافظة على مزارعه أتقن وأكفأ وأحسن من فكرة الانسان في هذا المجال ، لأن البشر هنا يزرعون بعض أنواع خاصة من فطر عيش الغراب الذي يقدم على الموائد كطعام ، وهو غالي الثمن ، لأن انتاجه مكلف ، ويرجع ذلك الى بوار المحصول الفطري ــ أي عيش الغراب ــ بفطريات وبكتيريا تغزوه ، فلا تبقي فيه ولا تذر ، لكن النمل يحافظ على محاصيله شهرا من وراء شهر ، وعاما في اثر عام ، دون أن تظهر فيها كائنات غريبة يمكن أن تدمرها تدميرا .

لكن كيف يتأتى للنمل ذلك ، وهو لم يدرس الأمر في معاهد أو مراكز بحوث أو جامعات ، في حين أن الذين درسوا وعرفوا ، لم يستطيعوا أن يتوصلوا الى السر الذي توصل اليه النمل من قديم الزمن ، وكأنما الانسان هنا يردد : هنيئا للنمل بما زرع فرعى فجنى ، وليبق الانسان حائرا بفكره ، متصارعا مع قوى الطبيعة من حوله ، محاولا أن يجنب محاصيله الكثير من الآفات التي تحوم حولها ليل نهار ، رغم أنه استنبط لذلك سلالات جديدة ، أو مبيدات لا نستطيع لها عدا ، ففشل هو ، حيث نجح النمل .... انه درس عظيم لقوم يتفكرون ويتدبرون في نظم من لدن عزيز مقتدر .

الغريب هنا أيضا أن النمل اذا هجر مستعمراته ، أو ترك بساتينه ، فسرعان ما تدمر وتبور ، والذي يدمرها فطريات وبكتيريا غريبة ، اذ يخلو لهذه الميدان في غياب السكان ، ليزدهر نموها على المادة العضوية ، ثم تكتسح امامها البساتين الفطرية التي ظلت سنوات نقية من أي دخيل يمكن أن يشاركها أرضها ... فهل يعني ذلك أن النمل يخلص مزارعه من أية نباتات دنيئة غريبة ، فيزيلها كما نزيل نحن مثلا الحشائش الضارة من حقولنا ؟

الواقع أن النمل لا يفعل ذلك ، ومرة أخرى تظهر حيرة العلماء وتكهناتهم على مسرح الاحداث ، ومن أكثر هذه التكهنات تقبلا للعقل ، أن النمل الذي يمضغ أوراق النبات ويحولها الى عجينة ، ثم يضيفها الى زراعاته أولا بأول ، انما يضرب عصفورين بحجر واحد ــ أولهما : أن المضغ ذاته مفيد في تحرير مادة الأوراق ( أو الخامة ) الغذائية ، لتصبح ملائمة في تجهيز أرضية البساتين ، وثانيهما : أن لعاب النمل يحتوي على مادة أو عدة مواد مبيدة لأي كائن غريب ، لكنهما ليست كذلك بالنسبة للنوع الفطري الوحيد الذي اختاره النمل كي يزدهر في مستعمراته ... فهل يستطيع الأنسان أن يتوصل يوما الى أصالة هذه الفكرة الحشرية ؟!

نرجو ذلك ، لأن المعرفة في حد ذاتها ــ حتى ولو كانت من نملة ــ تفتح عيوننا على ما في الحياة من أسرار مذهلة ، أو قد نطبقها في محاصيلنا المقبلة ، وفوق ذلك نعبد الله عبادة خاشعة ، ونعرف عن حق معنى قوله تعالى : **( ما من دابة الا هو أخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ) .**

# أحكام

للدكتور : محمد ناظم النسيمي

ان لبعض المحرمات فوائد علاجية ثابتة بالتجارب الطبية ، ولذلك التبس الأمر على بعض المسلمين فظنوا ان المحرم يباح تناوله بمجرد وصفه كدواء دون التحقق من وجود الاضطرار اليه ، فمنهم من يشرب النبيذ المسكر بحجة التقوي ، او يتجرع البيرا بحجة انه مصاب برمال بولية . فرأيت من الواجب ان ابين حكم الاسلام في التداوي بالمحرمات مع عرض وجيز لفهم الفقهاء لنصوص المسألة .

**النهي عن التداوي بالمحرمات :**

لم يحرم الله تعالى شيئا على هذه الامة الا وفيه خبث مادي او معنوي ، خفيا كان ام واضحا جليا ، اشتمل في منافعه على فوائد علاجية ام لم يشتمل . فالمحرم الذي يملك خاصة دوائية انما يملكها الى جانب آثار ضارة على صحة الانسان الجسمية او النفسية . ومن البديهي ان يحيد الطبيب والمريض عن الادوية ذات الاثار الجانبية غير المرغوبة مع تيسر العلاج الامثل الخالي من الآثار الضارة . ولذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التداوي بالمحرمات فقال : « ان الله خلق الداء والدواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام » رواه الطبراني باسناد رجال

# التداوي بالمحرمات

ثقات كما في مجمع الزوائد . وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها » ، رواه ابو داود وابو يعلي والبزار ، وصححه ابن حبان . ومن معانـــي جعل ، حكم ، اي شرع كما بين ذلك الامام محمد فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير عند تفسير قوله تعالى : **( ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام )** ، ( المائدة ١٠٣ ) فمعنى لم يجعل شفاء امتي : لم يشرع استشفاء امتي فيما حرم عليها .

وعلى تحريم التداوي بالمحرمات في غير حالات الاضطرار اجمع الائمة المجتهدون والعلماء المحققون .

**التداوي بالمحرمات غير المسكرة عند الضرورة :**

الضرورة هي الحالـة المحدقـة بالانسان في ظرف سيء والتى تحمله على ارتكاب المحرم الممنوع شرعـا للمحافظة على نفسه من الهلاك اوماله من الضياع ، او لدفع اذي لايتحمله اما يقينا او ظنا .

والاصل في استعمال المحرمات في حال الاضطرار قول الله عز وجل : **( ومالكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحـرم عليكم الا ما اضطررتـم اليـه )** الانعام/ ١١٩ فعمم الله استثناء حالة

الضرورة من التحريم واطلقها من غير قيد ولا شرط ولا صفة فاقتضى وجود الاباحة بوجود الضرورة في كل حال وجدت الضرورة فيها ، سواء كان الاضطرار لضرورة التغذي ام لضرورة التداوي ام لغير ذلك .

فاذا خاف المريض على نفسه الهلاك او تعطيل عضو من اعضائه ، او خاف الطبيب عليه من حدوث ذلك ، او بلغ الالم بالمريض مبلغا شديدا لايحتمل ، او تأذى من مرضه او خاف سرايته الى غيره ، ولم يجد دواء مباحا يفيد في علته جاز له ان يستعمل الدواء المحرم اذا غلب على ظنه او ظن طبيبه انه مفيد .

لقد اجاز الله تعالى للمحرم بالحج ان يحلق رأسه اذا اضطر الى ذلك لاصابته بقمل الرأس مثلا ، مع ان الحلق من محرمات الاحرام ، قال تعالى : **( ... او به اذى من رأسه ففدية ... )** البقرة/١٩٦ ولقد « امر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة وهو محرم زمن الحديبية ان يحلق بسبب القمل وان يصوم ثلاثة ايام او يطعم ستة او ينسك نسيكة » . البخارى ــ كتاب الطب .

وللضرورة « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله عنهما في لبس الحرير لحكة كانت بهما » رواه البخارى ومسلم .

وللضرورة ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في استعمال الذهب في التداوي ولو لستر نقص وازالة تشويه ، حتى لاتتأزم نفسية حامل التشويه فعن عرفجة بن اسعد قال :

اصيب انفي يوم الكلاب في الجاهلية فاتخذت انفا من ورق فأنتن علي ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ انفا من ذهب » رواه الترمذي وقال : حسن ، فاذا جاز اتخاذ انف من ذهب لازالة التشويه من الوجه فمن باب اولى جوازه في تطبيب الاسنان المصابة . وفي مجمع الزوائد روايات تدل على ان عثمان بن عفان وانس بن مالك رضي الله عنهما طببا اسنانهما بالذهب .

تلكم ادلة الحنفية والشافعية في اباحة التداوي بالمحرمات عند الضرورة . واستدلوا ايضا بوصف الرسول عليه الصلاة والسلام لرهط قدموا عليه من عرينة وعكل بالتداوي بألبان الابل وابوالها .

وذهب المالكية والحنابلة الى منع التداوي بالمحرمات لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها » بمعنى ان الله تعالى لم يخلق شفاء في محرم ويقطع النظر عن خصوص السبب لورود الحديث والذي هو حادثة التداوي بالمسكر كما تذكر الروايات الاخرى .

وقالت جماعة من الفقهاء بهذا المعنى ولكن خصصت الحديث السابق بالمسكرات منهم الخطيب الشربيني في شرحه على منهاج النووي رحمهما الله تعالى ، فقال عند ذكر

الحديث : وهو محمول على الخمر .
واضافة الى ذلك فان المعنى الذي اخذت به الحنابلة والمالكية لـ ( جعل ) ليس مقصورا على ( خلق ) ليكون النص قطعي الدلالة ، بل ان من معانيها ( حكم ، وصير ) كما وضح ذلك الامام الفخر الرازي .

## تحريم التداوي بتجرع المسكرات مطلقا :

من المعلوم ان الاسلام تدرج في تحريم الخمر والمسكرات على اتباعه لشدة اعتيادهم قبل الاسلام ، وشغفهم بها وادمان الكثيرين عليها ، ولان فطام المدمن عليها لايكون الا بالتدريج . ثم بعد ان حرمها تحريما تاما قطعيا ، ظن بعض المسلمين ان صنعها وتناولها بقصد التداوي لايدخل في نطاق التحريم . فعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بين حكم الله تعالى في ان التحريم يشمل المسكر سواء اكان تناوله طلبا للنشوة والسكر ام كان استشفاء وتداويا . ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن التداوي بالمسكرات ، بل نفى عنها صفة الدواء ووسمها بأنها داء . قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : عندنا انبذة انتداوي بها ؟ قال : « اهي مسكرة » قال : نعم ، قال : « انها داء وليست بدواء » . رواه مسلم والبيهقي .

وعلى تحريم التداوي بالمسكرات اتفقت ائمة المذاهب ، غير ان الحنفية استثنوا حالة الضرورة وتعين الشفاء بالمسكر استنادا الى استثناء حالة الاضطرار في الاية الكريمة .

ولقد اشار الامام النووي ( في شرحه صحيح مسلم ) الى ان المعتمد عند الشافعية هو حرمة التداوي بالخمر ، اي تجرعه وشربه للتداوي ، اما تطبيقه على ظاهر الجسم بقصد المداواة عند الضرورة كالتضميد بالترياق الفاروق فان الشافعية متفقون على جوازه مع ان فيه خمرا ولحم حيات وقد اجازه الامام النووي في فتاويه المسماه بالمسائل المنثورة .

وقيد بعض الشافعية حرمة التداوي بالخمر اذا كانت صرفة غير ممزوجة بشيء آخر تستهلك فيه ، فاذا استهلكت فيه جاز التداوي بذلك لتعجيل شفاء بشرط اخبار طبيب مسلم عدل ، او معرفته للتداوي وبشرط ان يكون القدر المستعمل قليلا لا يسكر . ( كما في مغني المحتاج والفقة على المذاهب الاربعة ) وفي اعانة الطالبين : بحيث لم يبق فيه طعم ولا لون ولا ريح .

هذا وان المسكرات وان كانت نجسة عند الشافعية ايضا والنجاسة من اسباب التحريم ، الا انهم اعتبروا بعض النجاسات من المعفو عنها . ففي مشروع الموسوعة الفقهية الكويتية موضوع الاطعمة ) الفقرة ١٧٢ في الكلام عن الغازوزة : والزيوت العطرية الداخلة في صناعتها لاتمتزج بباقي موادها الا اذا حلت باضافة جزء من الغول اليها ، والغول ( الكحول ) هو روح المسكرات كلها فهو نجس عند

الجمهور وبه يتنجس الزيت والغازوزة فيحرم شربها . هذا ما يبدو لاول وهلة ، لكن اذا امعنا النظر امكننا ان نقول : ان اضافة الغول انما هي للاصلاح فشأنها شأن اضافة الانفحة النجسة الى اللبن ليصير جبنا وقد قالوا إِ الانفحة لا تنجس اللبن بل يعفى عنها ، هذا كله اذا قلنا إن الغول نجس فان قلنا : انه طاهر كما قال الشوكاني وكما اختارته لجنة الفتوى في الازهر فلا اشكال والله اعلم ا ه ، والانفحة تنجس عند الشافعية اذا كان الحيوان قد رعى العشب ، اما اذا لم يكن رعاه فانها طاهرة مأكولة عند المذاهب كلها اذا اخذت من مذكى ذكاة شرعية . وقبل الشوكاني قال الامام « ربيعة الرأي » شيخ الامام مالك بطهارة الخمر والمسكرات وان نجاستها معنوية لا حسية لان وصف الرجس كان لها ولما قرن بها في الآية الكريمة من الميسر والانصاب والأزلام . فالآية ليست قطعية الدلالة على نجاسة الخمر . ويرى بعض العلماء الحكم بنجاستها لورود حديث يأمر بغسل الاوعية المستعارة من الذميين ، لكنهم يفرقون بين الغول الصرف او المدد لغرض صناعي ويعتبرونهما طاهرين او من المعفو عن نجاستهما ، وبين الغول المدد لاعداده كمشروب مسكر حيث يتنجس او يبقى على نجاسته الاصلية .

والخلاصة : ان الادوية المهيأة بالغول او الخمر بقصد صناعي صيدلاني ، لا بقصد التداوي بذات الخمر او النشوة بها ، يجيزها بعض الشافعية عند الضرورة اذا كان الغول او الخمر مستهلكة في ذلك الدواء .

اقول والله اعلم : ان استهلاك المسكر في الدواء – المشار اليه في المذهب الشافعي – يتم اما بتغير تركيبه بتفاعله بالعقار او العقارات الاخرى المشاركة في تركيب الدواء ، او باستهلاك التأثير المسكر بغلبة تأثير العقارات الاخرى بحيث لا يمكن السكر بذلك الدواء . وعليه يشترط لشرب الادوية المهيأة بالغول او الخمر ثلاثة شروط :

١ – ان يضطر الى ذلك الدواء لفقدان دواء آخر مباح خال من الغول ومفيد في ذات العلة كفائدة الدواء المهيأ بالغول في القوة وسرعة التأثير .

ومن العلماء من يجعل في حكم شرط الضرورة عموم البلوى ودفع الحرج في صناعة الادوية ، وذلك اذا تحقق الشرطان الآخران ايضا وذلك لاجازة الشافعية استعمال الانفحة النجسة في صناعة الجبن .

٢ – ان تكون الجرعة الدوائية غير مؤدية لعوارض السكر الاولى من نشوة وخفة وجرأة وتقليل حياء .

٣ – ان يكون السكر بالمقدار الكبير من الدواء غير ممكن ايضا ، لان زيادة مقدار الجرعة الدوائية الى حد فائض تؤدى الى حصول التضرر او التسمم بالعقارات المشاركة في ذلك الدواء قبل حصول السكر به ، اي ان تأثير الادوية المشاركة يغلب تأثير الخمر او الغول فأضحت الخمر مستهلكة التأثير في ذلك الدواء .

واضرب لذلك مثلا صبغة اللفاح ( بللادون ) وصبغة الستركنين فان العقار المؤثر محلول في الغول لحفظه وامكان معايرته وضبط الجرعة الدوائية فيه .

وعلى هذا فانه لا يجوز عند الشافعية مطلقا التداوي بالخمور الصرفة ولا بالادوية المسماة بالخمور الدوائية المهيأة ، لينتشي بها الشارب مع استعمال العلاج اللازم الممزوج بها او المستخلص بواسطتها ، اما ماعداهما من الادوية المعدة للشرب والتي يدخل الغول في اجزائها لاصلاح الدواء ومنعه من الفساد ، او لتسهيل ذوبانه ، او كان وسيلة لاخذ الخلاصة الدوائية من النبات وامكان المعايرة ، فان جواز استعمالها خاضع للشروط الثلاثة السابقة . وان التثبت من تحقق تلك الشروط تابع للطبيب المسلم العدل .

هذا واذكر بأن الطب الحديث في فروعه المختلفة اخذ في اواخر الاربعينات من القرن العشرين بابطال التداوي بتجرع المسكرات بعلة ان فيها فوائد علاجية حتى بطل نهائيا في هذه السنين الاخيرة .

**امثلة عملية عن الاضطرار الى التداوي بالمحرمات :**

١ ــ استعمال المخدرات في العمل الجراحي يعتبر مما نضطر اليه .

٢ ــ استعمال المخدرات كالمورفين ( او مشتقاته ) لتسكين الالم الشديد ( كالقولنجات البولية الحصوية مثلا ) حينما تفقد المسكنات ومضادات التشنج او حينما لا تفلح هذه في تسكين الالم غير المحتمل .

٣ ــ استعمال الذهب في تطبيب الاسنان ، فذلك جائز ، وهو غير استعماله لستر الاسنان لغاية تجميلية فقط .

٤ ــ هناك ادوية تستخرجها بعض المعامل من اعضاء الخنزير « فالانسولين » مثلا من معثكلته وتستخرجها معامل اخرى من حيوانات مباحة كالبقر ، فاذا كان الطبيب في حالة اسعاف لمريض مصاب بالداء السكرى متأذ من شدة ارتفاع السكر في دمه وكان من الضرورى اللجوء الى « الانسولين » ، ولم يجد الا « انوسلين » مستخرجا من اعضاء الخنزير ، ابيح له استعماله بمقدار الاسعاف وضمن زمن فقدان الدواء المباح .

٥ ــ اسعاف النازفين بغزارة ، ومعالجة بعض المرضى بنقل الدم اليهم ، مع ان الدم في الاصل محرم .

٦ ــ المعالجة بالمصول كالمصل المضاد للخناق الدفتريائي ، والمصل المضاد للكزاز ، والمصل المضاد لسم الافعى ، ومصل الناقه من بعض الامراض ، فان الاضطرار اليها يبيحها ، مع انها مستحصلة من دم الانسان الناقه من مرض معين ، او من مصل دم الحيوان كالحصان مثلا .

٧ ــ الاستفادة من اعضاء الموتى في عمليات الزرع ، ولي بحث خاص في بيان جواز هذه الاستفادة عند الضرورة .

# جهاد الامام

لعلنا في ظروفنا الحالية في حاجة ماسة لأن نستذكر تاريخ أبطال أمتنا الأعلام الأفذاذ ، فانهم المنارات الهادية في ليلنا الدامس ، فما أحرانا أن نستلهم من تاريخهم العبر لنستعين بذلك في الثبات على الحق ،

ودفع غوائل الدهر ، ولنكون في يقظة دائمة من أعداء الأمة الاسلامية والعربية ومؤامراتهم ودسائسهم .

فمن هؤلاء الأبطال العمالقة المتفانين في خدمة أمتهم ودينهم الامام شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ( المولود ٦٦١هـ /١٢٦٣م )

وكان من جهاده أنه في سنة ٦٩٩ هـ كما جاء في تاريخ ابن كثير ، عندما زحف التتار على دمشق ، وهزموا عساكر الدولة في الشام وشتتوهم ، وفر الجنود من المصريين والشاميين

# ابن تيمية

للأستاذ عبد القادر محمد العماري

واجتازوا حدود الشام الى مصر ، وفر مع الجنود كثير من أكابر العلماء بمن فيهم قاضي الشافعية امام الديـن وقاضي المالكية الزواوي ، ـ وأصبح جنود التتار على أبواب دمشق وأهلها في ذعر وهلع ، واضطرب حبل الأمن في البـلاد حتـى خرج المجرمـون والشطـار من السجـون ينهبـون ويسرقون ، ولكن عالما واحدا بقى مع العامة ، فلم يفر ولـم يخـرج من

دمشق ، لأن له قلبا يحول بينه وبين الفرار ، وشعورا بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، فتولى هو القيادة وجمع

من بقى من أعيان البلد ، واتفق معهم على ضبط الأمور وطلب من الحامية التي بقيت في قلعة دمشق أن تثبت ولا تستسلم ، وتكون وفد هو على رأسه لملاقاة سلطان التتار وقائدهم خارج دمشق لمحاولة منع الجيش التتري من

دخول المدينة ، وذهب الى سلطان التتار وقائدهم قازان وقابله في خيمته خارج دمشق ، فحاوره وناقشه بكل حجة ومنطق وأخذ السلطان يصغي اليه ، ومن شدة ما وقع في نفسه من المهابة للشيخ ، سأل : من هذا الشيخ ؟ إني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ، وأخبر بحاله وما عليه من العلم والعمل ، وكان من جملة القول الذي وجهه عن طريق الترجمان ( قل للقازان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا ، وجدك وأبوك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، أنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت ) وقد أدت هذه المقابلة الى بعض النجاح حيث تأجل دخول التتار دمشق الى حين ، فأمن الناس وزال عنهم الفزع ، فقد وعده قازان خيرا ، وطيف بمنشور في البلاد يتضمن الأمان ولكن طلب من الأهالي تسليم السلاح والخيل والأموال المخبوءة ، بينما انصرف الامام للعمل ليل نهار في تقوية الجبهة الداخلية ، ويحث الأهالي على الثبات والصمود وعدم تمكين القلق والفزع أن يتسرب الى نفوسهم ، فما كان من جنود التتار خارج دمشق بعد ثمانية أيام الا أن عبثوا فأتلفوا الزرع والماشية ، وشحت الأقوات في البلاد ، فتأزمت الأمور فحاول الامام أن يقابل السلطان مرة أخرى ، ولكن وزراءه وجنوده منعوه ولم يمكنوه من المقابلة ، وهنا تحرك الطابور الخامس المتمثل في فرق الباطنية كالنصيرية ، والاسماعيلية ، والحشاشين وساعدوا التتار واندفعوا معهم في الصالحية يعيثون فيها فسادا ، وهدموا بعض مساجدها ، وقتلوا وسبوا نساء المسلمين ولكن ذلك لم يفت في عضد الامام ومن وقف معه من أعيان البلد والعامة ، حتى تمكن من التغلب على الأمور ، وتمكن من مقابلة السلطان مرة أخرى ، وأقنعه أن يفك الأسرى ومما يجب أن يسجل هنا بكل فخر واعتزاز ، أن السلطان أراد أن يبقي عنده بعض الأسرى من غير المسلمين ممن يطلق عليهم أهل الذمة ، فأصر الامام على اطلاق جميع الأسرى بمن فيهم غير المسلمين من أهل الذمة ، لأن أهل الذمة مواطنون مثلهم . لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، حتى أقنع السلطان فأطلق سراح الأسرى ، وهكذا استطاع ابن تيمية وهو يرى انهيار الجيش وهروب الأمراء والوزراء ، أن يعالج الأمر بشجاعته وحكمته وقوة شخصيته ، فتمكن من المحافظة على تماسك الجبهة الداخلية ، ومنع الانهيار الشامل ، ولكن بعد أن عادت الأمور الى نصابها ، وعاد الهاربون الى ديارهم ، فما أن مرت سنة واحدة حتى عاد الخطر مرة أخرى ، فتسامع الناس في سنة ٧٠٠ هجرية أن التتار سيعيدون الكرة ويقصدون الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر بعد ذلك ، فأخذ الأهالي يفرون كالمرة الأولى ، وهم في هذه المرة يفرون على السماع ، وكانوا في المرة الأولى يفرون عند العيان ، ولكن ابن تيمية

الذي استطاع أن يعالج التتار بالسلم في الماضي بعد أن خارت العزائم وتفككت الجيوش ، ولم يكن في الامكان أن يشن عليهم حربا في تلك الظروف لأنهم كانوا أصحاب العتاد والعدة ، وغزوا الديار في عقر دارها ، أما الآن وفي الأمر فرصة لصد الغزو ودحر الأعداء ، فقد أراد أن يتقدم الى الميدان بالسيف لا بالقول ، فبدأ يخطب في الجموع الحاشدة وهي تسمع اليه ، ويحثهم على الجهاد والتصدي للعدو ، ويحذرهم من الاسراع في الفرار ، وطلب منهم بذل النفس والنفيس في الدفاع عن وطنهم وأعراضهم والدفاع عن الاسلام وبين لهم أن ما ينفقونه في الهرب وما يضيع بسببه لو أنفقوه في سبيل الله كان خيرا لهم ، ونودي أن لا يسافر أحد الا بأمر وعند الضرورة ، وأخذ يكتب النشرات المتتالية في الحث على الجهاد في سبيل الله ، ويعقد الندوات والاجتماعات وطمن الأهالي بأن السلطان الناصر بمصر ، قد عزم على الخروج وأن عساكره القوية في طريقها اليهم ، لتحمي الذمار وتدافع عن الديار . وفي هذه الأثناء تناقلت الأنباء أن القوات القادمة من مصر ، قد رجعت من الطريق وعادت الى القاهرة ، وأن السلطان قرر عدم الخروج الى الشام فعاد الرعب والاضطراب بين الناس مرة أخرى وأثار المرجفون أن التتار قد وصلوا الى حلب ، فتلفت الناس كبيرهم وصغيرهم الى البطل الامام ابن تيمية ، فخرج الى جند الشام المعسكرين خارج دمشق يحثهم على القتال ، ويقوي من عزيمتهم ، ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الجهاد في سبيل الله والثبات في المعارك ، وتحذر من التولي والادبار عند حماية الوطيس ، ولم ينفك دعاة الهزيمة والمتخاذلون أن يتذرعوا بالحجج الواهية في القعود عن القتال ، ويتسترون أحيانا بالدين ، ويقولون كيف نقاتل المسلمين ، فالتتار مسلمون ، فرد ابن تيمية وهو يستشيط غضبا على أولئك الذين لا يعرفون الدين الا في المناسبات ، ومتى كان يوافق أهواءهم وأغراضهم ، فيرد عليهم بأن الامام علي ومعاوية والصحابة رضوان الله عليهم قاتلوا الخوارج ، مع أنهم كانوا أفضل اسلاما من هؤلاء التتار ثم طلب منه بعض الأمراء ونواب السلطة أن يذهب بنفسه الى مصر ليستحث السلطان على المجيء الى الشام بجيشه وقوته ، فان جحافل التتار لا يمكن أن يقف في وجهها جيش الشام بمفرده . فركب خيله وتوجه الى مصر ، وما أن وصل حتى وجد السلطان قد عاد بعسكره الى القاهرة وخلد الى الراحة ، وتفرقت جموع الجند ، فدخل الامام البطل على السلطان الناصر ، وهو بين أمرائه ، ووزرائه وقال له : « ان كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن ، ثم قال : لو قدر أنكم لستم حكامه ، واستنصركم

أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطنه ، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم » . ثم التفت الى الأمراء والوزراء ، وحثهم على النجدة ، وقوى جأشهم وعزيمتهم ، وما زال بالسلطان وقواده ، حتى تجمعت الجنود وخرجت من مصر متجهة الى الشام ، وقد سبقها ابن تيمية الى دمشق ليقوي عزيمة أهل الشام ويبشرهم بتحرك القوات المصرية ، وأنها في الطريق اليهم ، لأنه قد ترك دمشق وقد استولى عليها الذعر واشتدت فيها الأراجيف ، حتى نادى دعاة الهزيمة بالفرار وأنذرهم والي المدينة بأنه من قدر على شيء فليخرج به ، وقد وصل ابن تيمية قبل أن يفر الناس وأن يستجيبوا لهذا الوالي الجبان فطمأنهم وأمنهم ، وتأكدوا أن جنود السلطان آتية قبل أن يأتيهم التتار ، فاستقرت البلاد واطمأنت الى قوتها ووحدتها ، فسمع التتار أن خصومهم قد أعدوا العدة وأخذوا الأهبة ، فلاحظوا في أنفسهم الضعف ، فلم يتقدموا لغزو الشام ، وتراجعوا الى معاقلهم .

وبعد أن انقشعت سحب الحرب ، عاد الامام الى دروسه وعلمه ، ولم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد أقام الفضيلة والأخلاق عندما صارت له الكلمة الأولى في الشام ، فحطم حانات الخمور ومواخير الفواحش ، وعزر أصحابها ، فلقى ذلك ترحيبا من العامة ، اذ رأوا أن أحكام القرآن تنفذ وعهد الرسول والصحابة يعود .

وما أن مضت سنتان حتى جاء التتار وزحفوا مرة أخرى على الشام سنة ٧٠٢هـ . ولكن كانت الجيوش الشامية والمصرية على أهبة الاستعداد بفضل ذلك الامام البطل ، ومرة أخرى عاد دعاة الهزيمة والتخاذل ينشرون الفزع في قلوب الناس ، ولكن في هذه المرة قد تحالف العلماء والقضاة والأمراء على أن يلاقوا العدو ولا يفرون من دمشق . ووقف الامام ابن تيمية على رأس الجموع يثبت القلوب ويعدهم بالنصر ، وكان عندما يتلو عليهم قول الله تعالى : **( ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله )** الحج/٦٠ . كان يحلف ويقول : والله انكم لمنصورون فيقول له بعض الامراء : قل ان شاء الله فيقول : أقولها تحقيقا لا تعليقا ، ومرة أخرى يستشيط غضبا على دعاة الهزيمة عندما يقولون له : ان التتار مسلمون ، كيف نقاتلهم ؟ فيرد عليهم بأن هؤلاء يزعمون أنهم أحق باقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، ويقول لهم في غيظ : اذا رأيتموني في ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني .

وبعد أن حرك الامام فيهم العزيمة وأثار النخوة ، امتطى صهوة جواده حاملا سيفه ، وخرج الى مرج الصفر قريبا من دمشق وقبل أن تبدأ المعركة

التقى بالسلطان الناصر ، يحثه وجنده على الجهاد واحقاق الحق ورد المعتدين ، بعد أن بلغه أن السلطان كاد أن يرجع وقد طلب منه السلطان أن يقف معه في المعركة فقال له : « السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف الا معهم » وقد حث الجنود والأمراء على الفطر ، فقد كان ذلك الشهر شهر رمضان المعظم ليقووا على القتال ، وكان يروي لهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح « انكم ملاقو العدو والفطر أقوى لكم » وكان يدور على الجنود وهو يأكل أمامهم ليبين لهم إن افطارهم أفضل في هذه الحال وقد بدأت المعركة ، التي تسمى في التاريخ وقعة شقحب في الرابع من رمضان سنة ٧٠٢هـ . الموافق ١٣٠٣م . وقف البطل الفارس ومعه اخوة في المعركة موقف الموت مع الجنود الشاميين والمصريين ، واشتد القتال وأبلى الامام بلاء حسنا . حتى انتصر جنود مصر والشام وولى التتار الأدبار ، يقتحمون الجبال والتلال وجنود الاسلام تتعقبهم وتطاردهم وتأسر منهم ، حتى قضى على هذا الخطر المستطير ، فقد وصف بعض الأوروبيين الغارات التي يشنها التتار على المدن والشعوب ، فشبهها بهزات الطبيعة التي تقتلع الحياة وتغير وجه الأرض ، ومما يجدر أن نقف عنده هنا موقف الطوائف الباطنية ، فقد مالأت التتار وساعدتهم في هذه الحرب وفي الحروب السابقة ، وموقفهم دائما في مساعدة كل غاز لبلاد الاسلام ، واشتراكهم في السلب والنهب ضد المسلمين ، لذلك اتجه بصر ابن تيمية الى هؤلاء ، لأنهم بفعلهم هذا قد برهنوا أنهم منافقون غير مسلمين ، انهم شوكة في جنب دولة الاسلام الشامية المصرية ، يتربصون بها الدوائر ويمالئون عليها الأعداء ، ومنهم العيون والجواسيس وقد وجه الامام ابن تيمية رسالة الى السلطان الناصر يحذره فيها من شرهم ، ويطالبه بالزامهم بشرع الاسلام واخراجهم من الجبال والعمل على دمجهم في المجتمع ، حتى لا يصبحوا قوة منفصلة تهدد كيان الدولة الاسلامية باستمرار . ومما جاء في تلك الرسالة « لما قدم التتار الى البلاد وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد وأرسلوا الى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل ، وحملوا راية الصليب وحملوا الى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصى عدده الا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما ، يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص ( أي الصليبيين المحاربين للمسلمين ) وفرحوا بمجيء التتار ولما خرجت العساكر الاسلامية من الديار المصرية ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس فيهم ولما نصر الله الاسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء ، كل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة ، كان من أسباب خروج جنكيزخان الى بلاد الاسلام ، وفي استيلاء هولاكو على بغداد ، وفي

قدومه الى حلب وفي نهب الصالحية ، وغير ذلك من أنواع العداوة للاسلام وأهله ، ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرهم منهم في أمر لا يضبط شره ، كل ليلة تنزل منهم طائفة ويفعلون الفساد ما لا يحصيه الا رب العباد ، كانوا في قطع الطرقات واخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات ، يرد اليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين ، فاما أن يقتلوه وأما أن يسلبوه ، وقليل منهم من يفلت بالحيلة » . هذا جزء من الرسالة أو التقرير الذي رفعه الامام الى السلطان بشأن تلك الطائفة التي أصبحت كالشوكة في جنب دولة الاسلام ، ولم يكتف الامام بتوجيه الرسائل بل قاد هو كتيبة مع بعض أصحابه ، وذهب الى هؤلاء في معاقلهم يؤدبهم على ما اقترفوا من جرائم في حق الاسلام والمسلمين ، فقد بلغت بهم العداوة الى أن يبيعوا المسلمين الى النصارى الصليبيين عندما حانت لهم الفرصة وهنا يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : « « ولعل أشد ما أصاب ابن تيمية من مرارة بيع المسلمين للصليبيين ، ولم يكن ذلك عن تعصب ديني ، بل لأن بيع المسلم حرام وبيعه لغير المسلم كفر ، ولأن الصليبيين كانوا في حرب مع المسلمين فبيع أولياء الاسلام لأعدائه مروق لا يبرره أي اختلاف طائفي أو مذهبي ، وأن ابن تيمية الذي لم يسوغ أسر الذمي بل يعمل على استنقاذه كما يستنقذ المسلم ، لا يتسع ضميره الديني قط لأن يغضي عن طائفة تنتسب الى الاسلام تبيع المسلم الحر لعدوه الذي يقاتله في الميدان ، من أجل ذلك لم يتركها في عبثها واعتدائها ودسها ، ولكن هل قضى عليها ؟ انه خضد شوكتها وأزال مجتمعها في الجبل ولكنه لم يزلها ، فان لم تجتمع في الجبال اجتمعت في الوهاد والرياض ، وهو على أي حال انتصر للحق منها وقلم أظفارها ، كما كشف عن مستور أهل التصوف الذين اتخذوا الشعوذة سبيلا للتأثير على العادة واقامها عليهم حربا شعواء ، وخصوصا أن بعضهم مالأ التتار أثناء حملتهم على الشام وعيثهم فيها فسادا ، كما اتجه الى ازالة البدع والمنكرات ، وقد علم أن صخرة تزار وتنذر لها النذور فذهب مع أصحابه ومعه حجارون يقطعون الصخور فقطعها وهدمها وأراح المسلمين من وزرها » .

واننا إن كنا قد ذكرنا جهاده في ميدان الحرب ، فان له في ميدان الفكر صولات وجولات مع مختلف الطوائف والمذاهب والأفكار ، كانت السبب في كثرة أعدائه وحساده ومناوئيه ، وقد جرت بينه وبين معارضيه ومنتقديه مناقشات وردود أفحمهم فيها بالحجة والمنطق والأدلة الدامغة فجردهم من أسلحتهم وتفوق عليهم ، سلكوا سبيل الوشاية به لدى الحكام والسلاطين وتحريض العامة والخاصة عليه فعاقبوه بالنفي

والسجن ، فكان في السجن يعلم المساجين والحراس أصول الدين ، ويكتب الرسائل والمؤلفات في مختلف علوم الشريعة وفي الرد على خصومه فضاقوا من كتاباته وهو في السجن ، فجردوه عن القلم والمحبرة والأوراق ، وعزلوه في سجن انفرادي فانشغل بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن ومع ذلك فلم يمنعه أن يكتب بعض خواطره بالفحم على أي شيء يتمكن من الكتابة عليه ، ومما كتبه بالفحم قوله « قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب ، فاستعلمهم الله من حيث لا يشعرون حتى أظهروا ما لا يريدون اظهاره ولم يمكنهم أن يظهروا علينا عيبا في الشرع والدين ، بل غاية ما عندهم أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين ، والمخلوق كائنا من كان اذا خالف أمر الله ورسوله لم يجب ، بل لا تجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين » ، وكان من كلامه كلمته الخالدة التي ذهبت مثلا يرددها كل مفكر مصلح يقول كلمة الحق : « **سجني خلوة ونفيي سياحة وقتلي شهادة** » . وقد كان رحمه الله عظيما في أخلاقه ، لا يحمل حقدا ولا ضغينة على أحد حتى أنه ليصفح راضيا طيب النفس عن كل مسلم ناله منه أذى ، وقد زاره أمير دمشق لما مرض في السجن ، فلما جلس أخذ يعتذر ويلتمس منه أن يحلله مما عسى أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير ، فأجاب الامام « اني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق وأحللت السلطان الملك الناصر من حبسه اياي ، لكونه فعل ذلك مقلدا معذورا ولم يفعله لحظ نفسه وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه الا من كان عدو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » .

وقد توفي في هذا المرض رحمه الله بالسجن في تاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ . الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٢٨م . وما أن علمت الجماهير بوفاته حتى عمها الحزن والأسى ، وعندما خرجت جنازته أحاطت بها الجماهير وخرجت دمشق كلها عن بكرة أبيها ، تشيع جنازته مودعة امامها وقائدها الى مثواه الأخير . رحم الله الامام ابن تيمية وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . وقد حرم من كثير من حرم نفسه من قراءة تاريخ هذا الامام العظيم ومؤلفاته في شتى العلوم الاسلامية ومؤلفات تلاميذه ، وخاصة تلميذه الامام ابن القيم الجوزية فرحم الله الجميع ونفعنا بعلومهم وعصمنا من معاداة أوليائه الصالحين .

**( ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون )** البقرة/١٤٠و١٤١ .

**( ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم )** الحشر/١٠ .

# الوصية الواجبة

للدكتور /

كثيراً ما تضيع الاموال ، وتموت الحقوق ، اما بطريق العمد ، واما بطريق التقصير أو الاهمال أو اللامبالاة ، وهذا ما ينهى عنه الاسلام الذي طالب بحفظ الحقوق ، واداء الديون وتبرئة الذمة ، وشرع ما يكفل ذلك ، ويمنع الضياع سواء كان عن عمد أم تقصير ، وذلك عن طريق الوصية الواجبة .

وهذا يدعونا لبحث هذا الموضوع الهام ، والتنبيه عن خطورته ، فنقدم تعريف الوصية وانواعها ، وصلة الوصية الواجبة بالمعاملات ، ثم نبين حكمة مشروعية الوصية الواجبة ، ومسؤولية الدين شرعاً ، ووجوب الاسراع به ، واثر العقيدة في الوصية الواجبة .

## تعريف الوصية :

« هي تصرف في التركة مضاف الى ما بعد الموت » ، وذلك : ان يعلن شخص عن رغبته في التبرع والاداء من جزء من ماله بعد وفاته ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وطمعا في ثوابه ، وتكفيراً عن ذنوبه واخطائه التي ارتكبها في حياته ، ووفاء للديون والالتزامات التي وجبت عليه .

## انواع الوصية :

والوصية عدة انواع نعدد اهمها وهي :

### اولا :الوصية المحرمة :

وهي ان يوصي الانسان بمال ، ويتبرع به ، بقصد اضرار الورثة ومنعهم من استحقاق التركة ، أو تخفيض حصتهم منها ، وهذا

# في الحقوق والواجبات

محمد مصطفى الزحيلي

التصرف ممنـــوع بنص القـــرآن الكريـــم ، ويرتـكب فاعلـه الاثـم والمعصية ويحرم من الاجر والثواب ، ويختم حياته بالشر والضرر ، قال تعالى : **( من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار )** النساء/١٢ .

وطلب القرآن الكريم من المؤمنـين الذين يحضرون مجلس الوصية ان يمنعـوا الموصي من الاذى والضرر بوصيته فقال تعالى : **( فمن خاف من موص جنفاً أو اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم )** البقرة/١٨٢ .

ويدخل تحت هذا النوع الوصية لاحد الورثة لتخصيصه بقسم من المال ، وزيادة حصته التـي يأخذهـا من الميراث ، إيثاراً له على باقي الورثة ، واضراراً بهم ، كما يدخل في الوصية المحرمة التبرع بالمحرمات ، والوصية الى جهات الفسق والفجـور ، والى الاعداء والكفار ... وغير ذلك .

**ثانيا : الوصية المندوبة :** وهـي التبرع المضاف الى ما بعـد الموت للفقراء والمساكين من غير الاقارب أو من ذوي القربى غـير الوارثـين ، وتشمل التبرع في سبيل البر والخير والاصلاح ، وهذا اهم نوع من انواع الوصية ، وهي التي يريدها الفقهاء والمحدثون والمفسرون عند الاطلاق ، وندب اليها القرآن الكريم ، وحـث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : **( كتب عليكم اذا حضر**

**احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين )** البقرة/ ١٨٠ .

وروى البخاري ومسلم واصحاب السنن وابو يعلي ومالك واحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ما حق امريء مسلم يبيت ليلتين – وله شيء يريد ان يوصي به – الا ووصيته مكتوبة عند رأسه ) وذلك حثاً له على التبرع والصدقة ، قبل ان يحرمه الموت فيقول – حيث لا ينفعه القول – : لو تأخرت لانفقت وتبرعت ، ويصور لنا ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : **( وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون )** المنافقون/ ١٠ – ١١ .

**ثالثا : الوصية الواجبة** : وهي قسمان .

**القسم الاول** : الوصية التي جاء بها قانون الاحوال الشخصية السوري والمصري لمعالجة قضية ابن المحروم ، وهو الذي مات أبوه في حياة جده ، ثم مات الجد وله ابنان غير ابنه المتوفي ، فالاصل ان الابن الميت سابقاً لا يرث ، وان ابناء الابن لا يرثون مع وجود الابناء – وهم اعمامهم – فاجتهد المشرع وأوجب على الجد ان يوصي لابناء ابنه المتوفي وصية من ماله في حدود الثلث من جهة ، وفي حدود حصة المتوفي لو كان حيا من جهة أخرى ، فان مات الجد ولم يوص : أخرجت الوصية من تركته ، ويكون كأنه أوصى حكماً ، لانها واجبة عليه ، فان قصر بها أخرجت من ماله جبراً عنه .

وهذه الوصية اصبحت شائعة في سورية ومصر ، واذا أطلقت الوصية الواجبة انصرف الذهن اليها دون غيرها وغفل الناس عن الوصية الواجبة شرعاً التي تهم سائر الناس وتعالج قضايا المجتمع ، وليس ابن المحروم فقط .

**القسم الثاني** : الوصية الواجبة في بيان الديون والحقوق التي تثبت في ذمته سواء كانت لحق الله تعالى أم لحق العباد ، وسواء أكانت ديوناً في الذمة ، أم أعياناً يحفظها لغيره كالوديعة .

هذا القسم الاخير من الوصية الواجبة هو موضوع البحث الذي نتناوله الآن ، لما له من آثار اجتماعية كبيرة ، وما يترتب عليه من مخاطر دينية جسيمة على المسلم ، ولن أتعرض للحديث عن أنواع الوصية الاخرى التي اسهب الفقهاء ببحثها وبينوا حدودها واحكامها . ويدخل في الوصية الواجبة ما أمر الله تعالى به في ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين في الآية السابقة ثم نسخت هذه الوصية بآيات الفرائض وحديث ( لا وصية لوارث ) وهو حديث متواتر كما قال الشافعي رضي الله عنه .

**صلة الوصية الواجبة بالمعاملات :**

الوصية الواجبة فرع من المباديء

الكبرى التي أقرها الاسلام في وجوب التعاون والتآزر بين افراد المجتمع ، وهي ضمان ومؤيد ديني لمشروعية المعاملات في الاسلام ، وذلك أنه ينشأ عن التعامل ثبوت الديون واستقرارها في الذمة ، فقد ندب الشارع الحكيم الى القرض الحسن في الاموال المثلية التي تستهلك بالاستعمال ، ويجب رد مثلها الى صاحبها ، وحبب بالاعارة بالاموال الاستعمالية التي يستفيد منها المستعير من منفعتها ، ويجب عليه رد العين الى المالك ، ودعا الاسلام الى قبول الودائع وحفظها عند أمين يردها الى صاحبها عند الطلب ، وينتج عن هذا ثبوت الديون في الذمة وترتب الالتزامات في الودائع والاموال عند المستعير والمقترض والوديع وغير ذلك . والاسلام اقر المعاملات بين الناس وبين احكامها وشرع القواعد المنظمة لها ، ونص على المؤيدات لضمان سيرها وحسن الانتفاع منها .

وهذه الديون والحقوق والاملاك حق لصاحبها الذي يتعلق ملكه فيها ، وتثبت في ذمة المسلم الذي يطالب شرعاً برد الحقوق الى اصحابها ، والمحافظة عليها .

## حكمة الوصية الواجبة :

بما ان الحياة ليست بيد الانسان ، وانما هي بيد الله تعالى ، وان المرء لا يستطيع قطعا ان يعرف اجله ووقت وفاته لأداء الحقوق والواجبات قبلها ، بل هي من المغيبات التي استأثر الله تعالى بها ، قال تعالى **( ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير )** لقمان/٣٤ . ومن الامور المسلم بها أيضا أن أنتهاء الحياة لا يتوقف على سبب معين كمرض أو كبر سن ، وإنما يطرأ الموت بسبب وبدون سبب فلا ضمان لاستمرار الحياة لوفاء الديون والحقوق ورد الودائع والاعيان ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فقد أوجب الله تعالى على المسلم أحكاما كثيرة كالصدقات والحج والزكاة ، وقد يتعذر على المرء أن ينفذ هذه الواجبات ، وقد يقصر فيها ، ويريد ان يبرىء ذمته أمام الله تعالى ، قبل أن يقف على الصراط ، ويعرض للحساب ، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، يوم لا يغني عنه مال ولا بنون ، فيرغب ان يستدرك ما فاته من اداء الواجبات والحقوق ، ولا يمهله الموت فتكون وصيته جاهزة عنده .

ومن جهة ثالثة فقد اقرت الشريعة الغراء مبدأ انتقال المال الى ورثة المتوفي ، لأن الورثة امتداد لحياته ولكنهم يضعون ايديهم على تركته وأملاكه التي خلفها وراءه ، ويستحقون ميراثه ، دون أن يعترفوا ويلتزموا بما عليه من ديون اذا كانت مستغرقة للتركة ، أو كانت الديون غير ثابتة عندهم ، فان مات الشخص وعليه دين لآخر ، او عنده أمانة

لغيره ، ولم يبين الدين ، ولم يشهد على الامانة ولم يوص بهما فقد خان الله ورسوله ، وخان الامانة ، وضيع الحق على صاحبه ، وأمات الدين ، وأخذها ورثته مالا حلالا عند جهلهم بأصلها .

وهذه الحالة ندد الشارع الحكيم فيها ، واعتبرها كبيرة من الكبائر التي لا يقرها ــ مهما كانت الاسباب والمبررات ــ وشرع للمسلم الوصية الواجبة ، وفتح الطريق أمامه في الحياة ، وأوجب أن يعين كل ذلك بأسرع وقت ممكن قبل أن يفوته الأوان ، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث السابق : ( ما حق امرىء مسلم يبيت ليلتين ــ وله شيء يريد أن يوصي به ــ الا ووصيته مكتوبة عند رأسه ) ، قال عبد الله بن عمر ــ راوي الحديث ــ ( ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي ــ رواه مسلم في صحيحه .

قال القسطلاني في إرشاد الساري : نعم تجب الوصية على من عليه حق لله كزكاة وحج أو حق لآدمي بلا شهود ، وقال أيضا : ان التعبير « بالمسلم » قد يكون من الخطاب المسمى ــ عند البيانيين ــ بالتهييج أي الذي يمتثل امر الله ويتجنب نواهيه انما هو « المسلم » ، ففيه إشعار بنفي الاسلام عن تارك ذلك .

وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم : ان كان على الانسان دين او حق او عنده وديعة ونحوه لزمه الايصاء بذلك .

وهذا يقودنا للكلام عن موقف الاسلام من الدين ، وأثره في الحياة .

**مسؤولية الدين شرعاً :**

ان الحديث السابق يؤكد المسؤولية العظيمة التي تقع على عاتق المدين ، وان الدين ملازم له في الحياة ومطالب به بعد وفاته ، ومحاسب عنه أمام الله تعالى ، فاذا مات الانسان معجلا فانه يضمن الامانات المودوعة عنده في الدنيا ، وتعلق روحه ، او ترهن نفسه ، ويحال بينه وبين الجنة في الآخرة بسبب دينه ، روى ابن ماجه والامام احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد بن الاطول : ( ان اخاك محبوس بدينه فاقضه عنه ) وروى احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه ) .

**إضاعة الديون والحقوق من الكبائر :**

ومما يؤكد وجوب الوصية لوفاء الحقوق والديون ما ورد في شأن الدين من الأحاديث التي تظهر آثاره الدينية وهي :

**اولا :** ثبت في كتب السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي على رجل مات وعليه دين ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا أتي بجنازة يسأل عن صاحبها فان كان مديناً ، وليس له تركة ، قال : صلوا على صاحبكم ، والصلاة على الميت إنما هي دعاء واستغفار وشفاعة ، ولذا

كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على مشاركة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على موتاهم ، لأن دعاءه مستجاب ، وشفاعته لا ترد ، روى البخاري والنسائي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل من الانصار ليصلي عليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صلوا على صاحبكم فان عليه دينا ، قال أبو قتادة : هو علي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالوفاء ؟ قال : بالوفاء ، فصلى عليه . وفي رواية عن سلمة بن الأكوع قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة ، فقالوا : يا نبي الله صل عليها قال : هل ترك عليه ديناً ، فقالوا : نعم ، قال هل ترك من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : صلوا على صاحبكم ، قال رجل من الانصار يقال له أبو قتاده : صل عليه وعلي دينه ، فصلى عليه . ( روى القصة البخاري وغيره )

قال البيضاوي : لعله صلى الله عليه وسلم امتنع عن الصلاة على المدين الذي لم يترك وفاء تحذيراً من الدين ، وزجرا عن المماطلة ، أو كراهة أن يوقف دعاؤه عن الاجابة بسبب ما عليه من مظلمة الخالق .

**ثانيا :** وبعد أن قويت الدولة الاسلامية في المدينة ، وفتح الله على رسوله ، وغني بيت المال من الموارد ، غير رسول الله صلى الله عليه وسلم الدفة ، وصار يقضي الديون عن أصحابها من بيت المال ، فان مات شخص وعليه دين ولم يترك شيئاً وفاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة بالميت من العذاب ، وتبرئة لذمته ، وحفاظا على سمعته وكرامته وعرضه وذكره بعد وفاته .

روى النسائي عن جابر في حديث الدين : فلما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك دينا فعلي ، ومن ترك مالا فلورثته ، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه : فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال : « انا اولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته ».

**ثالثا :** إن الشهادة في سبيل الله أسمى أماني المسلم ، وهي أعظم تضحية من المسلم الذي يبذل فيها نفسه وروحه ابتغاء مرضاة الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ولذلك فان الشهيد يتبوأ أعلى مرتبة في الفردوس مع الانبياء والاولياء والصالحين ، وان الشهادة تكفر عنه جميع الذنوب والاثام التي اقترفها في حياته الا الدين ، فانه لا يسقط ، ويطالب به يوم القيامة ويحاسب عليه ، روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين ) رواه مسلم واحمد ، وروى ابو قتادة ان رجلا قال : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال ( نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل عليه السلام قال لي ذلك ). رواه مسلم .

وهذا يبين عظمة الدين وأثره في

الشريعة ، وأن إضاعة ديون الناس كبيرة من الكبائر التي لا يكفرها الله تعالى ، ولا تغطيها الشهادة في سبيل الله .

قال النووي في شرح مسلم : ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين ، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين ، وانما يكفر حقوق الله تعالى .

ولا غرابة في ذلك فقد نص علماؤنا أن حقوق الناس مبنية على المشاحة والمطالبة ، وأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة .

**الاسراع في وفاء الدين والعقاب على تأخيره :**

ولا يفهم من كلامنا أنه يجوز للمسلم أن يتكاسل عن وفاء الديون ، ثم يوصي بها بعد وفاته ، وإنما يجب عليه الاسراع بالوفاء ، فقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن على ذلك ، لرد الدين الى صاحبه الذي أحسن اليه ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ قال صلوات الله وسلامه عليه : ( من اخذ اموال الناس يريد أداءها : ادى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها اتلفه الله ) رواه البخاري وغيره . وجعل الاسلام المطل بالدين وتأخير الوفاء به بدون عذر مع القدرة عليه مما يبيح العرض والسب والشتم والعقوبة فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته ) رواه أحمد وغيره وقال ايضا : ( مطل الغني ظلم ) رواه الشيخان .

ومع ذلك فان تأخر عن قضاء الدين عمداً ، مع القدرة عليه ، فهو آثم أمام الله تعالى ، واعتبر مقصراً ، ولكن الشارع الحكيم أراد ان يفتح امام عباده آخر فرصة في هذه الحياة الدنيا التي خلقها للاختبار والامتحان اراد ان يفتح لهم ــ كرما منه وفضلا باب التوبة ورد الحقوق وابراء الذمم ، ولو كان ذلك تصرفا في تركته مضافا الى ما بعد الموت حتى يلقي الله تعالى ، وهو عنه راض ، فشرعت الوصية كآخر سهم في حوزة الانسان .

**الوصية الواجبة إقرار بالحق لصاحبه :**

إن الحقوق والديون والالتزامات التي لم يحل أجلها ، أو لم يستطع صاحبها أن يقضيها شرعت لها الوصية الواجبة بالاقرار بالدين والاشهاد على الودائع والاملاك ، والاقرار سيد الأدلة في اثبات الحقوق وقد بنى الشارع عليه الاحكام ، وذلك ان كثيرا من الحقوق قد تنعدم فيها الشهادة وتتعذر فيها الكتابة ولا يعرفها الا اصحابها فلا سبيل الى إحقاق الحق ورده إلى أصحابه إلا ذمة المدين وضميره ، فاما أن يقر بها لتصل إلى ذويها ، أو يوصي بها ، وإما أن ينكرها ويهضمها ويختلس حقوق الآخرين فتضيع عليهم ، دون أن يملكوا وسيلة لاثباتها أو يأملوا في الوصول إلى الحق والعدل ، ومن هنا تبرز حكمة الاقرار ومحاسنه في اداء الدين حال حياته والا يجب عليه الايصاء بالكتابة أو المشافهة .

**أثر العقيدة في الوصية الواجبة :**

نرى من النصوص السابقة أن

القرآن الكريم أوجب اظهار حقوق الناس والاعتراف بها لكفالة الانصاف في التعامل وكلما كانت تربية الفرد عالية ، وعقيدته صافية قوية ، وأخلاقه رفيعة ، وإيمانه حقيقيا ، ومراقبته لله مستمرة في السر والعلن كان الدافع الى الاقرار والايصاء صحيحا سليما ، وهنا نلمس الاثر العظيم للوازع الديني في الحفاظ على الحقوق ، وذلك بمراقبة الله تعالى والخوف من عقابه والطمع في مرضاته ، وفي تنفيذ أوامره بدافع داخلي وباعث ذاتي .

وان المسلم الذي اعتقد بالله تعالى ربا وخالط قلبه الايمان بالله وبالرسول وايقن انه مفارق هذه الحياة وانه يبعث يوم القيامة ليحاسب على اعماله صغيرها وكبيرها ، في يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس — من هول الموقف — سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد في ذلك اليوم يأتي الانسان ليحاسب عن أعماله ، وما فرطت يداه في حقوق الله تعالى ، وما عبثت في حقوق العباد ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

واذا كان الله غفورا رحيما في حقوقه ، واذا طمع المؤمنون في رحمة ربهم وعفوه ، فمن اين للعبد المؤمن ان يحلم بمثقال ذرة من حقوق العباد ، واهمها الدين ، روى ابن ماجه والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة ، إلا من تدين في ثلاث خلال : الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين فيتقوى به لعدو الله وعدوه ، ورجل يموت عنده مسلم لا يجد ما يكفنه ويواريه الا بدين فيموت ولم يقضه . ورجل خاف على نفسه العزب فينكح ليعف نفسه بذلك خشية على دينه ، فان الله يقضي عن هؤلاء يوم القيامة » .

ولا غرابة بعد ذلك اذا رأينا في مصارف الزكاة « الغارمين » الذين استدانوا في سبيل الاصلاح بين الناس والحفاظ على دمائهم ، وبذل المال لارضاء الخصوم .

**خاتمة :**

ونلخص من هذا الى وجوب الاعتراف بالحقوق ، والايصاء بوفائها وردها الى اصحابها ، وان يكتب الانسان ما عليه من ديون وواجبات ، سواء كانت حقا لآدمي او حقا لله تعالى ، لان قضاء الدين واجب لتفريغ الذمة ، ورفع الحائل بينها وبين الجنة ، والا ارتكب معصية كبيرة في التسبب بضياع حق الناس وترك الاقرار بها ، وضياع حق الاخرين من الكبائر ، فكذا التسبب فيه ، لان للوسائل حكم المقاصد ، وقد اجمع العلماء من السلف والخلف على ان الدين مقدم على الوصية ، وان الورثة لا يأخذون شيئا قبل قضاء الديون .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ، وارزقنا العمل به ، والحمد لله رب العالمين .

# حكمة

# الاسراء والمعراج

للاستاذ/سيد خليل الابوتيجي

كلما دار الفلك دورته ، وأقبل شهر رجب احتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بحادث جليل لم تنقض عجائبه .. حادث حير الألباب وأدهش العقول حتى صار تسبيحة العقل وأنشودة الزمن .. إنه الاسراء والمعراج ذلك الحدث العجب الذي سطره التاريخ في سجلات الخلود ذخيرة للأجيال المتعاقبة ، ليأخذوا العظة والدرس والعبرة ، وفي كل عام يكتب الكاتبون ويتحدث المتحدثون ولكن المداد لم يجف والكلام لم ينته ويقف الكون أمام الاسراء والمعراج في خشوع ووقار ..

واذا أردنا أن نتحدث عن الحكمة من هذا الحادث الأجل ، فلا بد أن نذكر الفترة العصيبة التي مرت بها الدعوة الاسلامية في أيامها الأولى مرحلة « التأسيس والبناء » ، وهي ولا ريب أصعب مرحلة في حياة كل دعوة جديدة تشق طريقها للأمام ..

لقد أظلمت الدنيا في مكة يوم حاول المشركون إطفاء شعلة الاسلام التي بدأت تنير القلوب وتهدي النفوس وتبدد غياهب الظلام ، وضلت الحقيقة طريقها ، يوم اعتزم دعاة الباطل القضاء على دعوة النور التي انبثقت لتهدي الناس إلى الخير ، وتقودهم إلى الأمان والسلام ، وكاد صوت الحق يختنق في هجير العواصف العاتية من البغضاء والكيد والافتراء ، وفي وسط صيحات الاستهزاء بالدين الجديد ، وهكذا تفاقم العناد وتصاعدت التحديات من مجرد القول إلى الايذاء والتعدي ،

وأخذ المشركون يعتدون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين شرح الله صدورهم للايمان بمختلف ألوان التعذيب وصنوف البلاء ، وازدادت قلوب أهل مكة قسوة وصلابة ، فراح الرسول يتلمس لدعوته أعوانا مؤمنين ، وغير مكان الدعوة أملا أن يجد الخير الذي حرم منه في مكة فذهب إلى الطائف آملا أن يجد تربة خصبة طيبة تنبت فيها بذور الايمان ، ولكن أهل الطائف ردوه ردا مؤلما وقابلوه أسوأ مقابلة وكانوا من الحقارة والدناءة أن سلطوا عليه غلمانهم ، وصبيانهم يرمونه بالأحجار والسخرية والسباب ، فلم يجد منفذا ولا طريقا للنجاة إلا أن يرفع يديه وناظريه إلى السماء يناجي ربه ويقول : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي . ولكن عافيتك أوسع لي : أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »

ويستمر رسول الله في دعوته صابرا محتسبا رغم الصعاب **والأعاصير وبينما الدعوة تشق طريقها بطيئة وسط أشواك متشابكة ، إذ مات عمه أبو طالب** الذي كان له درعا واقيا من بأس البغاة الآثمين ، وما كادت لوعة الأسى تفارقه ويخف عنه الألم والحزن حتى اختطفت يد القدر زوجته البارة خديجة التي ناصرته بنفسها وواسته بمالها ومسحت بيدها آلامه وأحزانه فحزن الرسول لموتهما حزنا شديدا ، وتراكمت عليه منغصات الحياة وسمى هذا العام عام الحزن ..

في هذا الجو القاتم الملىء بالهموم والحواجز والسدود والذي تنكب فيه القوم للاسلام وظلوا قلوبا قاسية وأفئدة رانت عليها غشاوة الباطل ، في هذه الفترة التي ضاقت فيها أرض مكة رحبت السماء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاءت حكمة القادر العظيم أن تخفف عن النبي أعباءه وآلامه برحلة تكريم وتشريف ، قال تعالى :

**( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير )** الاسراء/١ .

وفي هذه الرحلة المباركة وبصحبة جبريل الأمين تم انتقاله صلى الله عليه وسلم بجسده وروحه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، ولا خلاف في ذلك فالله القوي القادر أسند عناصر هذه الرحلة إلى ذاته المقدسة وهو وحده الخالق لنواميس الحياة لا يعجزه شيء ، **ثم أعقب رحلته الأرضية « الاسراء » ارتفاعه بجسده وروحه الملأ الأعلى طباق السموات ، ثم إلى سدرة المنتهى**

وقد توقف جبريل عند مقامه واعتلى رسول الله محمد حتى وصـل إلى مستوى تنقطع عنه علوم الخلائق ، وزج به في الأنوار القدسية قال تعالى : **( ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى )** النجم/٨ ــ ١٨ .

لقد كان هذا التشريف الالهي للحبيب محمد إعدادا له ليحمل لواء أشرف رسالة ، وأسمى مكانة ، فقد التقى في المسجد الأقصى بالأنبياء جميعا وصدقوا برسالته وآمنوا بدعوته وصلى بهم إماما ، قال البوصيري :

سريت من حرم ليلا إلى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

**التمحيص والتصفية :** وعاد رسول الله من رحلته المباركة التي رأى فيها مرائي غريبة وشاهد مشاهد عجيبة ، وما يسترعى التأمل والانتباه واستلهام العبرة مرحلة التصفية للمؤمنين وغير المؤمنين ، فأما من دخل الايمان في قلوبهم واستقرت العقيدة بين جوانحهم ، فلم يرتابوا ولم يخامر عقولهم أدنى شك في صدق النبي عليه الصلاة والسلام ، وأما المنافقون ومن هم على شاكلتهم من ضعاف الايمان ، فقد انطمست بصائرهم وعميت قلوبهم ، فارتابوا وكذبوا ، بل تحدوا وعاندوا ، فاذا النبي بالدلائل المفحمة ، يصف لهم الطريق والمسجد الأقصى فاصبحوا في حيرة ودهشة وذهول ، لانهم لم يدر بخلدهم أن قدرة الله فوق إدراكهم وتصورهم ، وينكشف الأمر عن قلة مؤمنين صادقين مخلصين ، وارتداد ضعاف الايمان وسط جحافل المكذبين والجاحدين ، وهكذا محصت الرحلة القلوب ، ثم انطلقت تلك الفئة القليلة المؤمنة من اليأس إلى الرجاء ، ومن الضيق إلى السعة ومن الركود والخمول إلى الكفاح والجهاد ، وبذل الأرواح في سبيل الدعوة التي آمنوا بها حتى اشتد ساعدها ، وتألق نورها فأقامت على الأرض المجتمع الاسلامي المراد .

**معالم واضحة :**

الاسراء والمعراج آيتان عظيمتان من آيات الله ، ورحلة تكريم رأى فيها عجائب الكون وأسرار الوجود ، وألقى إليه زملاء الرسالة وإخوة الكفاح زمام الامامة إعلانا بأنه الرسول الصادق والنبي الخاتم .

إي والله إن القلم ليتصبب عرقا ويتعثر حياء وخجلا ، كلما حاول الدنو من عظمة صاحب الرسالة العظمى ، وفي الحقيقة لم تكن دعوة

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في رحلة الاسراء والمعراج احتفاء بشخصه فحسب ، بل لتعلن مع ذلك حكمة العلي القدير كما أشار القرآن الكريم : ( لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ) . فلقد كان الاسراء والمعراج إذا وسيلة لغاية هي اسمى واغلى من اختراق الحجب ، ألم تر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن رقى أعلى المنازل وسما فوق كل الدرجات قد انطوى العالم بين يديه ، فرأى ماضيه وحاضره ومستقبله وأزله وأبده ، وتمثلت أمام عينيه وحدة الكون بالغة غاية كمالها وروعتها وجلالها ، وهنالك في هذا الموقف الرهيب في ذلك المستوى العلوي الذي سمع فيه صرير الأقلام في تصاريف الأقدار ، قد انحسرت كل العوالم من ملك وإنس وجان ، وثبتت قوة محمد الروحية وكسى ثياب الجلال ، فما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، وأفيض عليه من أسرار الكون ولطائف الحكم الالهية والمنح الربانية ، ودقائق العلوم اللدنية ما جعله قادرا على احتمال مهمته ناهضا بأعباء رسالته .. رسالته السامية التي لم يقم بها أحد ممن سبقوه ، حيث كان الأنبياء من قبله إنما يبعثون في قومهم خاصة ، أما صاحب الرسالة الخالدة فقد بعث إلى البشرية جمعاء .

قال تعالى : **( وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا )** سبأ/ ٢٨ . فنبي الاسلام هو الرسول العالمي الوحيد الذي لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل نبيا قبله اضطلع بأعباء رسالة عامة إلى الخلق كافة .

## تعقيب :

الحق أقول لقد ادخر محمد صلى الله عليه وسلم لتلك الرسالة العالمية والله يعلم حيث يجعل رسالته ، فقد اعده الحق اعدادا خاصا ليكون مهيأ لمهمته ، فألقى على كاهله الشريف قيادة الأمم وهداية الشعوب وتحطيم الاغلال والقيود التي كانت الانسانية بأسرها ترزح تحت أعبائها ، وتئن من آلامها ، كما كان من مهام رسالته تحرير الانسان من عبوديته لكل شيء إلا لله وحده وتحرير العقول والأفكار والقضاء على الظلم وسطوة الباطل وإزالة الفوارق وإعلان المساواة بين الناس جميعا فكلهم لآدم ، وآدم من تراب ، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى وجلائل الاعمال ..

بل لقد بعث رسول الله بالخير كله وبالفضائل كلها فكان حلم الانسانية الذي تطلعت إليه في القرون السابقة .. بل كان النور الذي انبثق فبدد غياهب الظلام ، ومحا ظلام العقول وأرشد الانسانية الحائرة إلى شواطىء الأمان والسلام يوم دوى بهذا النداء « الاسلام » في أجواز الفضاء فعرفت الانسانية الضالة طريقها إلى النور ..

فما أحرى المسلمين اليوم أن يعودوا إلى منهاج الله ليهتدوا الى الحق .

كتاب الشهر

# الإسلام

للدكتور حسين فوزي النجار

هذا كتاب من سلسلة الـدراسات الاسلامية التي تصدرها دار الشعب بالقاهرة إسهـاما منهـا في تقديم المفاهيم الاسلامية في أساليب عصرية ، يتفهمها شباب هذا الجيل الذي عميت عليه هذه المفاهيم .

ويرى الدكتور حسين فوزي النجار ان ما أورده في كتابه من آراء نوع من الاجتهاد الذي ينادي « بفتح بابه من جديد ، حتى نجلي محاسن ديننا ، دين الفطرة السوية ، الذي يتجاوب مع كل زمان ومكان ، فلا نرى فيه ما يجور على العقل أو يناقضه ، وما على الباحثين كل في ميدانه ، الا ان يربط بين الدين والحياة ، رباطا يقوم على الاقناع والعقل لا ينفصم فيه الدين عن الحياة » .

وينعى الدكتور حسين في مقدمة كتابه على الشرق الاسلامي إغراقه في أحلام الخلافة التي قضت وسعيه الى الغرب مستجديا نظمه السياسية .

« ولم يكن الخليفة أكثر من رجل حمل مسئولية المسلمين عن قبول ورضى ، ليس له من ميزة الا الطاعة له فيما

# والسياسة

عرض وتعليق
الاستاذ عبد السميع المصري

تجب عليهم طاعته فيه ، وعبر عنها ابو بكر رضى الله عنه حين تمت له البيعة بقوله : « أطيعوني ما أطعت الله ورسولـــه فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم » .. فالطاعـــة تقابلهـــا المسئولية ، والمسئولية تحددها الشريعة بما حددته من قواعد النظام الاجتماعي ، وبما جاءت به من أوامر ونواه تحدد السلوك العام للفرد والمجتمع ، وهي مسئولية مشتركـــة بين الراعـــي والرعية ، يعبر عنها ابو بكر في خطبته بقوله : « فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني » .

ويحاول الدكتور حسين أن يثبت في طول الكتاب وعرضه ، أن الاسلام ليس دينا ودولة كما رسخ في أذهان الناس بل « الاسلام شريعة للــدنيا وللحياة ، ولم تكن الدولة أو النظام السياسي للحكم مما جاء في كتاب أو سنة » .

وهو يرى في نفس الوقت « أننا لو التمسنا فيما جاء به الاسلام ، من قواعد للسلوك والمعاملات والعلاقات

الاجتماعية لظفرنا بنظرية سياسية متكاملة يمكن ان تتطور وتنمو لتتواءم مع كل زمان ومكان ، فالاسلام دين الفطرة يتوافق مع الحياة ومشاكلها ولا يشذ عنها « وهو قد أقام وحدة دينية ، بنيت عليها وحدة اجتماعية ، على أساس من الحرية والمساواة والعدل وكرامة الانسان .

« وحين نستقرىء أسباب انهيار الدولة الاسلامية : وتخلف المسلمين اليوم لا نراه إلا في انحراف الحكم عن مبادىء الاسلام وغلبة الاستبداد على الشورى ، والأثرة على الايثار وما كان للاستبداد من عواقب وخيمة أدت الى فساد الحكم وفساد المجتمع معا وانقسام المسلمين إلى فرق وطوائف انقساما نال من وحدتهم ، وجار على شعيرة الاخاء الاسلامي ، وهي أول ما أخذ به النبي الكريم في تنظيم الجماعة الاسلامية الناشئة ، وغدت من مبادىء الاسلام الكبرى ولم يكن ذلك الا بسبب التنافس على متاع الدنيا ، وشهوة السلطان كما قلنا من قبل : « وكانت روح الاسلام الحقة ــ على مدى التاريخ ــ حين تسري في النفوس ترتفع معها أعلام الحرية الفكرية والعقلية والسياسية ، ويبقى بناء الحضارة شامخا مشدود الأركان ولو « أن المسلمين ساروا على سنة نبيهم ، وتخلقوا بأخلاق الخلفاء ، لأصبحت امبراطوريتهم أوسع رقعة ، وأبقى على الزمن من الامبراطورية الرومانية » .

إلا أن الاسلام بقي حيا في نفوس أصحابه على الرغم من انقضاء عهد الخلفاء الأول .. إذ أنه يمثل أرقى ما وصل إليه التطور الديني للبشرية ، ولم يكن بقاؤه مرتبطا بحياة دولة ، بل كان ذيوعه وانتشاره يفيء خيرا وبركة على كل من يلوذ به من الشعوب في كل عصر ، وفقا لحاجاتها الروحية ، ومداركها العقلية ، كما يقول سيد أمير علي .

ويحدثنا الدكتور حسين عن نشأة التنظيم السياسي الاسلامي في مقدمة الكتاب فيقول : إن هذا التنظيم « نشأ بنشأة الدولة الاسلامية وجاءت نشأة الدولة نتيجة حتمية لقيام هذا المجتمع الاسلامي وامتداده : متأثرة في البداية بجوهر الاسلام ، والحقيقة الكبرى التي قام عليها وهي ( التوحيد ) وهي التي تؤدي الى تقرير قواعد المساواة والاخاء والحرية ، فالمؤمنون جميعا سواسية أمام الله ، تجري عليهم جميعا سنته بالقسط ولافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وهم مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والناس اخوان يجب أن تقوم المحبة بينهم مقام البأس بل مقام القانون ، فلا يكمل إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا اكراه في شيء ، ولا إيمان إلا بعد اقتناع بالحجة والموعظة الحسنة .

وكانت فكرة الحكم الاسلامي بسيطة غاية البساطة ، استمدت بساطتها من جوهر الدين ، وقد بقي للمسلمين كتاب الله وسنة نبيه دستورا للحكم .. فلم يعترف الاسلام بوجود

طبقة من الكهنة أو بأية وساطة بين العبد والخالق ، ولا يعرف الاسلام حكم الخاصة فلا تمايز أو استعلاء فالناس سواسية كأسنان المشط ..
لذلك أقام الاسلام مجتمعا حرا تحكمه عقيدة تمثل أسمى ما وصل اليه البناء الاجتماعي في الوجود الانساني ، ومن هذا المجتمع انبثقت الدولة التي اتخذت من مبادىء الاسلام هديها ونبراسها في تحديد العلاقة بين الفرد وربه ، وبين الفرد وغيره من الناس .
وكان الحكم الاسلامي كما صوره عمير بن سعد ـ عامل عمر على حمص ـ لا يزال الاسلام بخير ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، أو ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل .
ولقد بدأ الانحراف عن مبادىء الاسلام والخروج على تعاليمه ، منذ تحول الحكم من الشورى إلى الاستبداد ، ومن الديمقراطية الخالصة في عهد ابي بكر وعمر إلى الأوتوقراطية في عهد معاوية .
وكان من بعض مظاهر هذا الانحراف في العهد الأموي اقتناء الرقيق الذين جاء الاسلام ليحررهم والخصيان لحراسة الحريم ( والخصى ) جريمة يحرمها الاسلام الذي جاء ليرفع من كرامة الانسان .
« وقد امتد الانحراف الى كافة جوانب الحياة ، وكان الناس يتأسون بأصحاب السلطان ، حتى ادى الانحلال في الدولة الى انحلال في المجتمع وانهيار الحضارة لا سيما بعد ان أصبح النظر في الشريعة من خلال السلطة ، فكل ما يبقى على السلطة هو السائر على ألسنة الناس ، وتفسر الآيات وتختلق الأحاديث والروايات تأييدا له أو لاتجاه سياسي مخالف » .
ويربط الدكتور حسين بين الماضي في عهد الأمويين والعباسيين وما بعدهما ، وما عليه المسلمون اليوم ، فيقول : « فاذا أردنا أن نفسر نكسة المسلمين في حاضرهم فان علينا أن نعود إلى الوراء لنرى الظلام الذي خيم على عالم الاسلام بسبب فساد الدولة وتحيفها ، وتبذل حكامها ، وغلبة السلطان وشهوة الحكم ، ونزعة الاستبداد .
وفي الفصل الأول من الكتاب « الدين والدولة » يحدثنا المؤلف عن نشأة الفكر السياسي الذي لا يكون إلا حيث تكون الدولة ، وحيث يقوم المجتمع الدولي ، فيقول : « السياسة الاسلامية تقوم في الأصل على المبادىء الخلقية والأسس الاجتماعية التي جاء بها الاسلام ، والتي تتمثل في إطارها العام قواعد الدين الحنيف او تستهدي في سلوكها مبادىء الاسلام ، إن لم تستهد فضائله المقررة من الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، مما ندعوه في عالمنا الحديث بالديمقراطية او الاشتراكية ، وبما جمع الاسلام في شريعته السمحة الغراء من مبادىء الديمقراطية والاشتراكية معا او الشورى والعدالة والتكافل

الاجتماعي كما نحب ان نسميها ، فحين انحرفت الحكومة في الدولة الاسلامية عن الأخذ بمبدأ الشورى وجنحت إلى الاستبداد والحكم المطلق لم تستطع أن تتنكر لمبادىء الاسلام بل كان التستر وراء الدين معوانا لها في أحيان كثيرة على الاستبداد والحكم المطلق ، حيث التبست الخلافة الاسلامية بما يشبه الحق المقدس للملوك ولم تعد البيعة إلا بعض مراسم تولية الخليفة بعد أن كانت هي الانتخاب بمعناه الحديث او صورة من صور الانتخاب ..

ونشأت السياسة الاسلامية بنشأة الدولة الاسلامية ونمت بنموها من رعاية شئون تلك الجماعة الاسلامية الصغيرة التي اعتنقت الاسلام في مكة إلى قيام ما يشبه دولة المدينة حتى قيام الدولة التي وسعت شبه الجزيرة العربية ، وامتدت إلى اطراف اخرى تكونت منها إمبراطورية الاسلام .. ولقد رأى المسلمون في فضائل الشريعة ما يغنيهم عن النظر في علوم السياسة ــ حينئذ ــ لأنهم أشربوا من الشريعة فكرة الحرية والاخاء والمساواة .. فالناس سوا سية كأسنان المشط ، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وقد تركهم النبي بعد أن طبع قلوبهم وعقولهم بطابع الاسلام ، فكانت لهم نظريتهم السياسية القائمة على عناصر المساواة والاخاء الاسلامي ، والمسؤولية والواجب ، والتي انشأت مجتمعا لا تفاضل فيه إلا في العلم والعمل الصالح .

وإذا كان الاخاء الاسلامي يمثل الجانب النظري فيما يمكن ان نعده أساسا لنظرية سياسية في الاسلام ، فان المساواة تمثل الجانب العملي .. ومسئولية الانسان في الاسلام هي مسئولية أمام الله مباشرة ، وتمتد الى الظاهر من قول وفعل وإلى ما تخفي الصدور من النوايا ومنها يبرز الواجب كمبدأ أساسي في النظام الاسلامي .

والواجب هو الاساس القويم للديمقراطية في النظرية السياسية الحديثة ، وهو ما يوجب تحقيق تكافؤ الالتزامات في المجتمع .. واقرب مثل على هذا التكافؤ في الالتزام قول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما أهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

وفي الفصل التالي « جوهر السياسة في الاسلام » يؤكد المؤلف هذه المعاني وينتهي الى قوله : « إن المذهب الذي ينشده الفكر السياسي في الشريعة الاسلامية يكتمل في واقعها المثالي ولأنه واقع ملتزم ومكتمل كان التطابق بين النظرية والمذهب كلا لا ينفصل وكانت الشريعة هي التي تقيم المذهب السياسي للدولة وكانت النظرية السياسية للدولة الاسلامية هي التفسير الموضوعي للعلاقات المتجانسة التي تحكمها الشريعة .

وهذا الواقع المثالي للسياسة الاسلامية يستهدف وحدة الوجود منذ الأزل ووحدة البشرية المتمثلة في قوله

تعالى : ( **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ) الشورى / ١٣ ، وقوله جل شأنه : ( **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم** ) الحجرات / ١٣ .

وقد استطاعت هذه النظرية أن تقيم أول مجتمع مثالي على هذه الأرض يوم قامت الدولة في المدينة ثم في جزيرة العرب على أساس من قول الله تعالى : ( **وشاورهم في الأمر** ) آل عمران / ١٥٩ . وقوله : ( **وأمرهم شورى بينهم** ) الشورى / ٣٨ ، وهو ما يترجم في النظرية الحديثة بكلمة « **الأمة مصدر السلطات** » .

والاسلام يتنزه عن دعوى القومية لأنه للناس كافة .. يقول تعالى : ( **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** ) الأنبياء / ١٠٧ ( **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ) الفرقان / ١ . ( **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** ) سبأ / ٢٨ .

فمحمد صلى الله عليه وسلم بعث ليوحد البشرية جمعاء .

ولقد تضمنت شريعة الاسلام من المبادىء والتعاليم ما يكون جوهر الحكم ، وكان لهذا قمينا بأن يتطور مع الزمان والمكان إلى ما تنشده روح الاسلام من تحقيق الخير العام ، وإقامة حضارة إنسانية تمتد وتتسع إلى المدى الذي تؤكده العقيدة الاسلامية لذيوعها وانتشارها كدين عالمي صالح لكل زمان ومكان ، ليس فيه ما يعوق حرية العقل عن التفكير ، او يقف دون حرية النظر والحكم أو يحول بين الأرادة الانسانية وبين التعبير الحر ولكنه جعل لكل هذا اساسا من التزاوج بين العقل والروح ، وبين العلم والدين ، وجعل من هذا التزاوج اساسا للخير العام ولسعادة العالم » .

وفي فصل من التشريع والقضاء يحدثنا الدكتور حسين عن مبدأ الفصل بين السلطات الذي ظهر في المجتمع الاسلامي ومدى تسامي القضاة .

وما وضعه فقهاء المسلمين من قواعد الاجتهاد واستنباط الأحكام وما كان للقضاء من قدسية وتقدير ، حتى ليمثل في ساحته الخلفاء الى جوار الدهماء وما كان الخلفاء الأوائل ينتحلون لأنفسهم سلطة العفو عن المجرمين الذين يدينهم القضاء .

كما أفرد الدكتور حسين فصلا عن الحرب والعلاقات الدولية في الاسلام ، ومدى تقديس العهود والمواثيق في الاسلام ، وبرهن أن الاسلام دين السلام وانه ما شرع القتال في الاسلام إلا دفاعا عن حرية العقيدة قال تعالى : ( **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ) البقرة / ١٩٠ .

لكن الكتاب به بعض الهنات نود أن نضعها أمام المؤلف لعله يتداركها في

طبعاته التالية .
وأول هذه الأخطاء أدب الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نرى المؤلف قد استباح لنفسه الحديث بضمير جماعة المتكلمين ، نجده يذكر النبي باسمه مجردا من صفات التكريم ، ومن واجب الصلاة عليه ، فتراه على سبيل المثال يقول : « ولا نعتقد أن محمدا جاء ليقيم ملكا ، وينشىء دولة ، فما كان إلا نبيا ورسولا الى الناس » ص ٦٤ .
والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي » رواه الترمذي وبينما المؤلف يتحدث عن نشأة الدولة الاسلامية ( ص ٦٢ ) نراه في صفحة ٦٤ ينكر أن الاسلام جاء ليقيم دولة وليكون للناس عقيدة وشريعة .
ثم يمضي في هذا التخبط حتى ليقول ( ص ٦٥ ) :
« فمحمد صاحب الرسالة غير محمد امام الجماعة وقائدها وزعيمها . فهو في الأولى صاحب دعوة إلى الناس كافة لا يشترط لقيامها أن تقوم في حمى الدولة ، ولا يشترط لأصحابها ان يدينوا بالولاء لحكومة واحدة ، وان كانوا يدينون بأخوة الاسلام والولاء للعقيدة وهو في الثانية مسئول عن جماعة عليه أن يسوسها الى الخير من أمورها ، وإلى ما يكفل لها الأمن والحرية ، فان حملت الدعوة المسلمين على اقامة دولة ، فلأنها قامت في مجتمع لا تحكمه دولة على غير ما كان قيام الدعوة المسيحية ، ولأن الجماعة الاسلامية منذ تكونت كانت في حاجة الى من يدير أمورها ولا يعني هذا اقتران الدين بالدولة ، أو أن الاسلام دين ودولة ، فليس في الشريعة الاسلامية ما يؤيد اقتران الدين بالدولة ، ولم تعرض الشريعة لنظام الحكم ونوعه ، وإن عرضت للحدود والمعاملات بله المبادىء الأخلاقية التي تربط الجماعة الانسانية الى بعضها لتغدو نبراسا للحكم وهديا للحاكم ، فالاسلام دين ودنيا وليس دينا ودولة بالمفهوم الطبيعي للدولة وإن كانت ادارة شئون الدنيا والحياة مرقاة لقيام الدولة » .
وإذا لم يكن تنظيم المجتمع وضبط العلاقات بين أفراده ، وحدود القصاص ، وسياسة الحرب والسلم ، والمعاهدات وغير ذلك مما حفل به القرآن الكريم والسنة النبوية .. هي أسس الدولة فماذا تكون الدولة إذن !؟
إن المؤلف نفسه ليعترف بذلك ويقرره في الصفحة التالية (٦٧) فيقول :
« ويضع محمد مبادىء للحكم والسياسة ولكنه لا يضع نظاما للحكم ولا يتخذ في السياسة قاعدة أو اسلوبا الا ما يتفق مع مبادىء الأخلاق وهدى الرسالة وخير المسلمين والجماعة الانسانية » .
بل إنه ليستشهد بطائفة من المستشرقين فيذكر قول نللينو : « لقد أسس محمد في وقت واحد دنيا ودولة وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته » .
ويقول دكتور شاخت : » إن الاسلام يعني أكثر من دين ، إنه يمثل نظريات

قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول أرنولد : « كان النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا للدين ورئيسا للدولة » وغير هؤلاء كثير ممن ذكر ..

ثم يمضي في هذه البلبلة لينتهي إلى القول بأن الاسلام دين ودنيا وليس دينا ودولة !؟ وإني لأتساءل : ما هي الدولة إن لم تكن هي هذا « الدين الذي ينتظم الوجود الأنساني كله ويضع الأسس الأخلاقية والاجتماعية لأرقى حضارة في الوجود ، حضارة تتسق فيها الروح والمادة وتتوازن فيها النزعات الفردية والجماعية وتحقق للانسان متعة الحياة ونعيم الآخرة ويقوم عليه مجتمع كامل يستهدي قانونه من شريعته ، ويسوس دنياه على قواعد دينه » ..!؟ كما يقول المؤلف .

وقد ظل المؤلف يلح على هذه الفكرة .. فكرة أن الاسلام دين ودنيا ، وليس دينا ودولة ، ويناقض نفسه كلما أراد أن يسوق دليلا ليبرهن به على فكرته ، مما يجعلنا نجزم بأن الفكرة لم تكن قد نضجت في ذهنه ، أو أنه متردد في الايمان بها حتى انه لينادي بها ثم يقدم البراهين التي توهنها ولا تؤيدها .. كما جاء في ص ١٣١ « كان أكبر همه ـ الرسول عليه السلام ـ ان يصل بيثرب موطنه الجديد إلى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل في سائر أنحاء الحجاز » .

ومما يؤخذ على الكتاب أيضا التكرار والاطالة إلى حد الاملال لتأييد رأي ـ كما ذكرنا ـ المؤلف نفسه في شك من صحته .

وكذلك ، ذلك الحشد من القصص الذي يسوقه لضرب المثل على أجهزة الحكومة الإسلامية في أبواب نظام الحكم والولاية والولاة والوزارة والوزراء مما لا يضيف كثيرا الى موضوع الكتاب .

لكن الكتاب ـ بخلاف ذلك ـ قد ضم ومضات ناصعة وصفحات بيضاء يعرضها المؤلف للذكرى وللاقتداء مثل قوله : « ومن اليسير أن ينشد الحاكم ما كان ينشده صلاح الدين منذ ثمانية قرون من تحقيق الوحدة العربية لمواجهة الغزو الصهيوني ، ولكن عليه ان يكون على ما كان عليه صلاح الدين لا من حيث رجاحة العقل وبعد النظر فحسب ولكن من حيث تمثله لروح الاسلام وسمو تعاليمه ، فما كان صلاح الدين كما يشهد له مؤرخوه من الفرنجة قبل العرب إلا مثالا عاليا للخلق الاسلامي ، مروءة ونجدة ووفاء وحلما وتواضعا وطهارة وصلاحا وتقوى » .

وما أرانا اليوم إلا أشد حاجة من أي يوم مضى إلى النظر في تاريخنا وفي روح ديننا القويم ، وتعاليمه العظيمة ، حتى نستهدي طريقنا الى الحضارة الجديدة التي نتلمسها في نور الاسلام ، كما استهداها آباؤنا في صدر الاسلام ، فأهدوا للعالم خير حضارة وزودوه بأكرم قدوة يوم أقاموا دولتهم على العدل والاخاء والمساواة والايثار والتسامح والمودة .

# طائر يردّ الجميل

## من القصص الإسلامي

للاستاذ : حسين الطوخي

○ فرغ الشيخ من أداء صلاة العشاء ، ثم عاد الى جلسته الأولى ، وأسند ظهره الى جدار الغرفة ، وأخذ يتمتم بأدعيته مثلما يتمتم بعد كل صلاة ، وكانت الغرفة قد اظلمت تماما الا من بصيص ضئيل يتسلل من خصاص النافذة التي تطل على السوق الكبيرة في مدينة الكوفة ..

ولم يحس الشيخ بدخول خادمه « مسعود » يحمل القنديل بعد أن أشعل فتيلته ، ثم يضعه داخل كوته في الركن القريب حيث يرسل مع ضوئه الاصفر الباهت ظلال الاشياء المبعثرة على الأرض هنا وهناك ، بينما ظل مسعود يجيء ويروح وراءه وهو يعيد ترتيب أثاث الغرفة ليهيئ لسيده فراش نومه بعد أن يحضر له طعام العشاء ..

ولما أن فرغ مسعود من مهمته ، وقف بين يدي الشيخ يعرض عليه ما لديه من بقية طعام يمكن أن يقدمه اليه في هذه الليلة . لكن الشيخ لم يرد على خادمه ، بل نظر في وجهه ، واخذ يحدق فيه طويلا

حتى استراب مسعود في نظرات سيده الذي لم يلبث أن قال : أحب يا مسعود أن نتناول معا ـ على غير المألوف ـ طعام العشاء فلدي حديث أحب أن أنهيه اليك ..

قال مسعود بعد أن سكـــن خاطره : بأبي أنت وأمي يا سيدي ، قد فرغت منذ لحظة من عشائي وما أقدر أن أزيد شيئا ، أما ما تحب ان تقوله لي ، فكلي آذان صاغية ، وستجدني كما عهدت أطوع لك من بنانك .

عاد الشيخ الى صمته لحظة ، وأخذ يدير عينيه في أرجاء الغرفة الواسعة ، وفي النهاية أراح نظراته على وجه غلامه ثم قال : إذن تجلس قريبا مني يا مسعود حتى توفر على رفع صوتي بما لا أحب ان يسمعه غيري وغيرك ..

وجلس مسعود على الأرض بين يدي الشيخ الذي مد يده النحيلة فوضعها على كتف مسعود ثم قال :

ـ أحب يا مسعود أن ألقى وجه ربي يوم الحساب بكفة راجحة من صالح الأعمال تقربا الى رضائه . ولست تجهل يا بني أو يخفى عليك ما صارت اليه حالي من ذل بعد عز ، وعسر بعد يسر ، وتفرق الأهل والصحب ما بين شرق وغرب . ولقد أضحى بقاؤك معي ظلما لنفسي ولك بعد أن نفد مالي ، ولم أعد أملك ما أنفقه حتى على نفسي ، فما بالك وأنت معي وأنا مكلف بك أمام الله والناس ..

ساعتئذ ، اغرورقت عينا مسعود بدموع غزيرة أخذ يكفكفها بكفيه ثم قال في ألم : وماذا تحب يا سيدي أن أفعله ؟

قال الشيخ : لست احب أن تفعل شيئا الا أن تضرب في فجاج الأرض معتقا حرا تملك أمر نفسك وحياتك ، باحثا عن رزقك في غير صحبتي . وها هي ذي وثيقة عتقك ، قدمها غدا الى قاضي الكوفة مع شهود لك لتصير حرا منذ الغد . وهذان ديناران هما كل ما أملك بعد أن احتجزت لنفسي مثلهما ، ولا تراجعني فيما أبرمت عليه أمري ، فتلك وسيلتي الى قربي ممن يملك كل شيء .

خرج « مسعود » من دار القضاء في الكوفة يحمل بين يديه وثيقة عتقه ، وأخذ يطويها بعناية بالغة ، ثم اودعها مع حوائجه القليلة ، واتخذ طريقه الى مكان القافلة المسافرة بعد صلاة الظهر الى بغداد ..

لم يكن قد شاهد بغداد من قبل ، انما ذكرها العذب كان يسري في أوصاله كلما ذهب الى سوق الكوفة ليشتري حاجات سيده . كان يسمع الناس يتحدثون عن بغداد مثلما يتحدثون عن المدن المسحورة التي شيدت فيها قصور أحجارها من ذهب وفضة ، وقباب أبنيتها تناطح السحاب وتلتف بها الشمس في دورانها فاذا بها متوهجة أبدا يخطف بريقها القلوب والأبصار . كما كان يسمع أهل الكوفة يتحدثون عن بضاعة بغداد

وتجارتها التي تأتيها في قوافل البحر تحمل من الطيبات والخيرات ما تزخر به بلاد الشرق والغرب من الحرير والصوف والديباج ، والبسط والطنافس وألوان الاطعمة وصنوف الفاكهة والأشربة ، وكل ما ينبت في أرض الله الطيبة .

كان حديثا عجبا عن بغداد وما يظلل حياتها من أسباب النعيم وآيات الرغد والهناء ، وما يتهيأ لكل من يعيش تحت سمائها من فرص العمل والكسب والحياة الرخية ..

كانوا يتحدثون عن بر الناس بعضهم لبعض ، وكيف يعين القوي ضعيفهم والثري فقيرهم ابتغاء مرضاة الله وحسن ثوابه في الدنيا والآخرة . لم يكن هناك ثراء مجنون ولا فقر همجي يطحن الناس بلا رحمة ، انما كان هناك عدل تقيمه الناس من أنفسهم دون أحكام من القضاة والمشرعين ، ولم يكن أحد يطمع فيما بين يدي أحد آخر ، أو انسان يقطع الطريق على انسان آخر ليسلبه لقمة عيشه أو يقصيه عن عمله ليأخذ مكانه ، انما كان هناك من يعلي صوته ويجهر به حتى يصل الى صاحبه ..

ولم تكن في بغداد حاضرة العباسيين ازمات في السكن والمأوى ، ولا ضائقات في الطعام ولوازم الحياة ، انما كانت هناك قواعد وأنظمة يحترمها الكبير قبل الصغير والثري قبل الفقير ، ولم تكن في بغداد أسواق سوداء لأقوات الناس ومساكنهم ، إنما كان كل شيء ميسرا للجميع بالحق ، وبما أمر به الاسلام ، خير دين أنزل للناس .

نعم .. كان عصر « المأمون » آنئذ ، عصرا ساد فيه الرخاء والعدل وحرية الانسان . كان عصرا عباسيا في أوج حضارته بعد ان فرغ جده « المنصور » من بناء بغداد عام ١٤٠ هجرية ، لتغدو في زمن الرشيد ولمن سيجيء بعده ، عروس الشرق وكعبة القصاد من أطراف الارض يبتغون التجارة والرزق والعلم والتثقيف وكل شئون الحياة ، بعد ان جمعت فأوعت ، وشملت فسادت .

كان عصر رخاء تنصب فيه الأموال مدرارا على بغداد ، ولم يكن البذخ والتأنق في أسباب الحياة مقصورين على الخلفاء والأمراء والخاصة ، بل كانا يتسللان الى أوساط الناس وعامتهم .

لكم كان « مسعود » يحلم في نومه ويقظته بالذهاب الى بغداد ليقضي في مغانيها أياماً قصارا يئوب بعدها الى دار سادته سعيدا بما شهد وسمع ، ثم لا يلبث أن يصحو من نومه مفزعا على مطارق الحقيقة المرة ، التي يعيش فيها مع الشيخ الفاني رب الأسرة الكبيرة ، التي كانت الى وقت قريب ، أكثر بيوتات الكوفة ثراء ونعمة وخافض عيش ..

لقد أفلس سيده وتعسرت حاله

بعد يسار عريض ورثه عن أبيه وزاد من كده حتى بات مثار تندر الناس في كل بقعة بمدينة الكوفة ، ثم نزلت الحادثات بالمحن ، وتفرق أبناء الشيخ في فجاج الارض بعد أن غرقت للشيخ قافلة له في بحر الظلمات ، ابتلعت معها أغلب ما كان يتجر فيه ، ولم يعد يملك في النهاية غير داره الكبيرة التي انزوى في غرفة منها ينفق من القليل الذي تبقى لديه ريثما يوافيه أجله المحتوم .

على أن مسعود رغم ما نزل بسيده ، لم ينس تلك السنوات الهانئة التي عاشها بين أرجاء هذه الدار العريقة منذ جلبه صبيا صغيرا من أحد النخاسين ذات يوم ، ويافعا درج مع أبناء سيده يلاعبهم ويداعبونه ، ويطعم ويرتدي مثلما يطعمون ويرتدون ، حتى تغيرت بسادته الحال ، ومال بهم الزمان ، فغدوا في عسر بعد يسر ، وألمت بهم عثرات الحياة ، والحياة من قبل ومن بعد ، تأخذ وتعطي حينا ، وتأخذ ولا تعطي حينا آخر ..

ويحدث مسعود نفسه والقافلة تغذ السير لتبلغ مشارف بغداد قبل ان تجثم الظلمة ؛ ترى ماذا يخبؤه لي القدر في هذه المدينة الكبيرة التي لا اعرف فيها أهلا أو صديقا ؟ انني لا أحسن عملا ولا حرفة غير خدمة سراة الناس وأثرياء القوم ، وأنا اليوم حر مثلهم ولا يسيغ لي أن أعود القهقري مثلما كنت ..

وهذان الديناران اللذان لا املك سواهما ، ترى هل سيدفعان عني غوائل الايام وصروف العيش في هذه المدينة التي أسموها عروس الشرق وكعبة القصاد من كل البلاد ؟

ثم لاحت للعين قباب الدور والقصور ومآذن المساجد كأنها أكف مبسوطة وأذرع ممدودة الى رب السماء والأرض داعية اليه ان يديم للاسلام عزته ، وأن يعلي في العالمين كلمته ..

ولم تلبث القافلة أن حطت بركابها ووضعت أثقالها عند أول أبواب بغداد ، فأخذ كل مسافر يجمع حوائجه ثم يأخذ سبيله الى حيث يقصد .

ولم يبق في النهاية غير مسعود الذي وقف حائرا لا يدري أين يذهب بعد أن زحفت ظلمة الليل على المدينة ، ثم مضت لحظات أضيئت بعدها مصابيح الشوارع والحوانيت وقناديل البيوت ، فانبعثت منها أنوار باهرة جعلت من ليل بغداد ما صيرها تبدو كالعروس المجلوة في ليلة الزفاف ..

اقترب مسعود من دليل القافلة يسأله عن مكان خان قريب يبيت فيه ليلته ريثما يطلع الصباح الجديد ، فابتسم الرجل في وجهه قبل ان يجيبه :

ـ اينما سرت يا فتى وجدت الخانات في كل شارع وسوق ودرب ، وأنصح لك بالنزول في خان

الزياتين الذي يديره ابن عم لي ، وسوف لا يأخذ منك « ابو جعفر » كثيرا فهو رجل طيب ويساعد الغرباء ، وأنت فيما يبدو تزور بغداد لأول مرة .

سأل ابو جعفر نزيله الجديد عن هويته وأوراقه ، ثم أثبت اسمه في دفتر بين يديه ، وذكر سنه التي تجاوزت الخمسة والعشرين عاما وأنه قدم من الكوفة سعيا الى العمل والرزق . ونقد مسعود صاحب الخان نصف دينار أجر إقامته بالخان طيلة شهر كامل ، فأرشده الرجل الى مكان مبيته ولم يلبث مسعود ان القى بجسده المنهوك على الفراش ، ثم غاب في نوم ثقيل .

غادر مسعود خان ابي جعفر في صباح اول يوم له في بغداد وفي ذهنه ان يتجول في شوارع المدينة الواسعة ، ويستجلى مغانيها ويجوس في أسواقها لعل الله يفتح له بابا للرزق يعيش من ورائه مثلما يعيش الناس ..

رأى مسعود في تجواله ، الدور العامرة والقصور الباهرة تنطق بأبلغ ما وصل اليه فن البناء الاسلامي من جمال يأخذ بالأبصار والألباب .

شاهد البساتين الخضراء اليانعة تلتف بالعمائر والأبنية لتحمي قطانها من لظى الشمس والهجير في النهار ، وتبعث مع حلول الليل وشوشة انسامها الرخية لأفنان الشجر ..

ورأى مسعود الناس في بغداد يلتقون في مودة بيضاء يسأل بعضهم عن بعض ، ويتبادلون أعذب الحديث عن أحوال التجارة وشئون الدين والدنيا ، وتتخلل الأحاديث دعوات صادقة الى رب العباد ان ييسر الارزاق ، وان يرفع عن المسلمين ما يغضبه ، وان يهدي الناس الى صراط مستقيم .

ثم قادته قدماه الى سوق كبيرة لم يعرف سبيل اولها والى اين آخرها ، ورأى نفسه شيئا ضئيلا في خضم من البشر يروحون ويغدون حاملين السلال والحقائب يبيعون ويشترون من خيرات الله الوافرة التي ازدحمت بها الحوانيت والمتاجر وارصفة الطريق . وانتصف النهار فاشتدت الحركـــة في السوق ، وتعالت اصوات المنادين والدلالين تدعو الناس الى التفرج ومشاهدة البضائع ولو أنهم لا يرغبون في الشراء ..

وأحس مسعود بالجوع ، وتلفت حواليه ، فأبصر بائعا جائلا يبيع فطائر محشوة بالزبد والزبيب ، فاشترى منه واحدة أخذ يقضمها ويجيل ناظريه فيما يجري من حوله ..

وأقبل بائع من بعيد يحمل فوق رأسه قفصا بداخله طائر ملون الريش وأخذ ينادي على طائره : من يشتري البلبل الصداح .. من يشتري سيد المـــلاح ؟ البلبل الصداح .. سيد الملاح .

واقترب صاحب البلبل من

مسعود وهو يقول : خير هدية الى أطفالك وأهل بيتك يا سيدي ..

ولم يبرح البائع مكانه ، فالتفت اليه مسعود ثم قال : ليست لي حاجة اليه . اعاد البائع : اتدري انه بلبل طائر وانه جاء من الجزائر ؟ قال مسعود وهو يقضم فطيرته : لا شأن لي بالطيور يا عم .

غير ان صاحب البلبل لم ييأس فأخذ يقول : طاوعني يا سيدي انه بلبل نادر وستندم كثيرا اذا لم تحمله الى بيتك . عما قليل سيغني ويصدح وستدعو لي بالخير . انه رخيص الثمن .. ديناران فقط . قال مسعود : لا حاجة لي الى بلبلك يا عم . قال البائع : انظر الى ريشه الزاهي الجميل .. اتسمع يا سيدي صوته العذب ؟ قال مسعود بعد ان راق له حديث البائع : لا اسمع بلبلك يغني يا رجل ، ويبدو انك سمعت بكاءه وما أحسبه الا جائعا أو صاديا . قال البائع : سترى يا سيدي بعد ان تحمله الى بيتك ثم تطعمه وتسقيه بيديك .. سترى كيف يهز منقاره وذيله ثم يندفع شاديا بأعذب الألحان .. ديناران فقط ثم تملك بلبلا نادرا ، مكـــانه قصور الخلفاء والندمان والأمراء . قال مسعود ساخرا : يكفيني ان سمعت صوتك .. .. انك تبيع كلاما يا رجل اكثر مما تبيع من الطيور .. اليك عني اصلحك الله .

لكن صاحب البلبل لم ينصرف ، وأنزل قفص الطائر من فوق رأسه واختار مكانا الى جوار مسعود ثم قال : يحدثني قلبي يا سيدي ان هذا الطائر من نصيبك ، ولو سمعت نصيحتي ، ذهبت به في صبيحة الغد الى قصر « ابراهيم بن المهدي » عم امير المؤمنين « المأمون » وسيدفع لك فيه عشرة دنانير . قال مسعود : وماذا يمنعك أن تذهب به اليه فذلك اربح لك من بيعه لي . قال الرجل : لولا ان تجهزت الليلة للسفر الى البصرة ، لبقيت الليلة من اجل هذا البلبل النادر .. هات دينارين لتربح ثمانية .

مد مسعود يده الى قفص الطائر الحبيس واخذ يتأمل ريشه وهيئته ، وقد أوشك ان يصدق كلام البائع ، ثم قال في النهاية : لست املك الا ربع دينار يا عم ، اما ان تأخذه ثمنا لطائرك او تنصرف عني لشأنك .

حدق البائع في وجه مسعود وهو يتصنع الألم ويبدي المـرارة ثم قال : ليت الناس يصدق بعضهم بعضا . هات نقودك وخذ بلبلك الغريد مبارك لك فيه .

وسار مسعود يحمل طائره حتى بارح ساحة السوق ، فرأى نفسه في فضاء من الأرض ليس فيها بيت ولا قصر ولا دار . رأى حوله أرضا جرداء الا من بعض بقع خضراء واشجار سامقة عالية مبعثرة عن يمين وعن شمال ، ومن خلفها بدت لعينيه الذاهلتين مياه نهر دجلة تروح وتغدو على صفحته القوارب

والسفن والحرامات تحمل الناس والبضائع الى البصرة وغيرها من الثغور التي ينتظمها النهر الكبير .

وانتبه مسعود الى ما يحمله بين يديه لما ان تحرك الطائر في القفص وأخذ يزقزق في اعياء كأنما يطلب طعاما أو شربة ماء . ساعتئذ ادرك مسعود ما اقدم عليه من حماقة حين انفق آخر ربع دينار يملكه ، ليشتري طائرا حبيسا في قفص لن يجديه اقتناؤه شيئا ! ماذا يفعل بهذا الطائر وهو لا يملك دارا ولا مالا ؟

وقبل ان يستبد به لوم نفسه ويهيم في أفكــــاره السوداء من جديد ، فتح باب القفص فخرج منه الطائر ثم أطلق جناحيه للريح . وأخذ مسعود يتابع الطائر بنظراته الذاهلة ، فرآه قد حط فوق أعلى شجرة وأخذ ينشر جناحيه تارة ويضمهما تارة اخرى كأنما ابتهج باطلاقه من القيد والجوع والظمأ ..

وجلس مسعود فوق نتوء من الأرض يندب حظه العاثر في تلك المدينة التي لم يعرف لها اولا من آخر ، ولا يدري كيف يستقبل غده وهو خالي الوفاض ..

ثم حانت منه نظرة الى حيث حط الطائر ، فأبصره يزايل موضعه من فوق الشجرة الباسقة ويهبط الى الأرض ، ويدور حول جذع الشجرة الغليظ حتى اذا ما دار حوله دورة او دورتين ، اخذ ينبش الأرض بمنقاره الدقيق ، ثم يلف ويدور هنا وهناك ويقترب من مسعود ، ويعود ليعمل منقاره في الأرض الرخوة من حول الجذع الغليظ ..

لم يدر مسعود ماذا دفعه لأن يرقب طائره الذي أبى أن يترك تلك البقعة القاحلة ليلتقط طعامه من مكان آخر مأهول ..

وقام مسعود وبارح جلسته بعد ان ضاقت نفسه بما شهده وما جرى له في يومه الحافل ، واتجه الى حيث كان الطائر ينبش بمنقاره ، ولشد ما عجب حين ابصر أذن جرة من الفخار دفنت في باطن الأرض ولم يبد منها سوى تلك الاذن ..

كــــان الوقت قد جاوز صلاة العصر وبدأ قرص الأرجوان رحلته الدائبة نحو الغروب ، وثمة سحب دكناء تروح وتغدو في صفحة السماء . وتلفت مسعود حواليه فرأى ذلك الفضاء الواسع لا يحتوي انسانا غيره في هذه الساعة . جلس الى جذع الشجرة الغليظ ، واخذ يحفر بيديه حول الأذن الظاهرة من الجرة حتى ظهر عنقها الكبير . التهب حماسه في الحفر من حولها وتبخرت من ذهنه مشقات ذلك اليوم ، وأخذت دقات قلبه تتزايد مع حركـــات يديه النشطتين حتى خلصت الجرة ، فاستوى واقفا ثم جذبها بكلتا يديه من حفرتها الرطبة وأسندها الى جذع الشجرة ريثما يسكن جأشه وتنتظم دقات قلبه المضطرب .

وحين اذن لصلاة المغرب ، كان

مسعود يجوس خلال الشوارع المزدحمة حاملا جرته الثقيلة فوق كتفه ويسأل كل من يقابله : اين سوق الزياتين .. اين خان ابي جعفر ..

واغلق مسعود باب حجرته ، وقضى اغلب ليلته يحصي الدنانير الذهبية التي امتلأت بها الجرة ، ولم يدر في النهاية إن كان قد عد عشرة آلاف قطعة او عشرين الفا من الدنانير ..

وفي الصباح ، اخذ عشرة دنانير ، ثم أعاد غطاء الجرة كما كان ، واودعها مخبأة ضمن حاجياته القليلة ، ومضى الى خارج الخان بعد ان ابلغ صاحبه انه سيرحل الليلة الى الكوفة ويعود منها في مساء الغد .

وصل مسعود الى الكوفة ، وذهب من فوره الى دار سيده الشيخ ، فوجده على حاله التي تركه عليها منذ رحيله يشكو الوحدة والسقام ، ويغيب في ذكريات ايامه اليانعة التي ذهبت ولن تعود ..

وقضى مسعود ليلته في دار سيده ، وحين طلع الصباح ، امضى وسيده ساعة وبعض ساعة ، ثم خرجا معا الى مكان القافلة المسافرة الى بغداد .

وبدأت القافلة سيرها الحثيث وقد تميزت فيها راحلتان فارهتان استوى الشيخ الطيب فوق احداهما ، والى جواره مسعود يمتطي الأخرى والحديث الضاحك يتداول بينهما حتى لاحت مشارف بغداد من بعيد .

ومضت ايام استقبلت بعدها سوق الزياتين في بغداد ، شيخا وقور الهيئة يشحذ همة عماله ليفرغوا من وضع البضائع فوق الأرفف الكثيرة وفي واجهة المتجر الكبير ، فلم يبق على حلول شهر رمضان الا يوم وليلة .

* * *

ابتسم « المأمون » بعد ان استمع الى مسعود وهو يقص عليه حكايته مع الطير الحبيس الذي رد الجميل .. جميل اطلاقه من حبسه ، ثم بدا له أن يسأله :

ـ ولكن خبرني .. لماذا يطلقون عليك هنا في بغداد « صديق الطيور » وذاع بذلك خبرك حتى بلغني ؟

اجاب مسعود وهو لم يزل بين يدي الخليفة :

ـ اعز الله امير المؤمنين وعطر بالرخاء ايامه الزاهرة . قد عاهدت الله منذ ظفرت بحريتي الا افعل شرا وأن يوفقني لأفعل خيرا ، ثم عثرت بالجرة المباركة ، فعاهدته مرة اخرى الا ارى طيرا حبيسا الا أطلقته ولو كلفني شراؤه أضعاف ثمنه ، فليس هناك من شئ أثمن لدى المخلوق من حريته ، ولست انفق يا امير المؤمنين في سبيل ذلك ، الا مما يسره لي صاحب الجود والعطاء ، وواهب الرزق لمن يشاء .

# بأقلام القراء

## دعوات هدامة فاحذروها

- وردتنا من الأخ الأستاذ ( محمد السيد علي بلاسي ) المعيد بجامعة الأزهر الشريف . كلية اللغة العربية مقالة تحت عنوان ( دعوات هدامة الماسونية . الرووتاري ) كما وردتنا من الأخ الأستاذ ( أحمد عبد المقصود عميلة ) جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون بطنطا مقالة ثانية تحت عنوان ( أضواء كاشفة ) تدور حول نفس الموضوع .

أشار الأخوان الكريمان في مقالتيهما بألم شديد لانتشار الجمعيات والأندية التي تقوم الماسونية العالمية بتأسيسها في العالمين العربي والاسلامي تحت ستار مبادىء الانسانية والأخوة العالمية ومن هذه الأندية الماسونية ( أندية الروتاري ، أندية اللونيز ، أندية الاكستشانج ، أندية الكيواني ) وأوضحا الغرض الأساسي من تأسيس هذه الأندية وهو هدم أركان الاسلام وافساد عقيدة الشباب المسلم عن طريق بث روح الالحاد والاباحية الجنسية بين الشعوب وطالبا بالحذر الشديد من هذه الأندية الهدامة والتصدي لها لحماية تراثنا وعقيدتنا وشبابنا » .

نشكر الأخوين الكريمين لاهتمامهما المخلص في فضح وتعرية هذه الأندية على حقيقتها ونعتذر لهما عن نشر المقالتين بشكل كامل لضيق المجال .

## المثالية الانسانية في حديث شريف

تحت عنوان ( دعائم المثالية الانسانية في حديث شريف ) بعث الينا الأخ ( عبد الغني ناجي ) - مصر . مقالا طيبا نقتطف منه :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها . أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمني وأصل من قطعني وأن يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرا ) فالنظرة الفاحصة في هذا الحديث توضح لنا أن الرسول الكريم تناول المسلم بالاصلاح والتهذيب من الداخل والخارج وبدأ أولا بالداخل لأهميته فقال ( أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية ) فمن هذا المنطلق المشع « الاخلاص » تتفجر ينابيع الخير وجميع المعاني النبيلة التي تنتظم حياة الفرد والمجتمع ثم جاءت بعدها التنبيهات تثري باصلاح الخارج بعد أن تجلى اصلاح الداخل بالاخلاص .. والمسلم الذي يتخرج من هذه المدرسة النبوية يحمل

أرقى مؤهلات المثالية في الوجود وأن شخصا يجمع هذه الخصال التى أرشد اليها الحديث الشريف الهادف لهو المثالي دون منازع .

نعتذر للأخ الكريم عن نشر المقال بشكل كامل لضيق المجال .

## دعاة الحق وأدعياء التدين

الأخ الطالب ثنين محمد . اتركان ـ أغادير ـ المغرب ، أرسل الينا بمقال عنوانه ( دعاة الحق وأدعياء التدين ) نقتطف منه :

طغت المادة على الروح في هذا العصر الذي يتعامل فيه الناس بها ويعبدونها ونسوا الجانب الروحي وتفشت الرذائل في المجتمع الاسلامي وكثر أدعياء التدين وقل دعاة الحق ، والاسلام دعوة قبل كل شيء وهذه الدعوة لم تحدث عبثا دون أن يكون هناك داع دعا اليها وتحمل من أجلها وبذل في سبيلها وهكذا كان محمد الداعية الأول في الاسلام كما كان الأنبياء والمرسلون قبلة الدعاة الأول والدعاة المسلمون في تاريخ دعوة الاسلام كانوا هداة يحملون في صدورهم نورا وعقيدة وايمانا يعرضون عقيدة الاسلام بكل بساطة ووضوح لا تعقيد فيها فحققوا ما كانوا يهدفون وظل الأمر كذلك حتى شهد الاسلام ألوانا من الانحلال والترف وكان لا بد أن يقابل هذا الاتجاه اتجاه الى الزهد والتقشف وحمل لواء هذا الزهد جماعة من المسلمين كانوا النواة الأولى للتصوف وبعد الفتوحات الاسلامية دخل الاسلام عناصر كثيرة لم يكن اسلام بعضها خالصا لوجه الله فوجدوا التصوف ضالتهم المنشودة لنشر سمومهم .. والتصوف في حد ذاته كتربية للنفس والضمير لا نكران عليه ولا خلاف فيه وأما الذي ينكره الاسلام دون هوادة هو التصوف الدخيل الذي يحاول عزل الاسلام عن الحياة ويدعو للرهبانية .. واليوم أصبح للتصوف زعامات لا يهمها سوى جمع الأتباع من السذج والبسطاء تنشر بينهم البدع والخرافات ويزعمون أنهم دعاة الى الله ... وما أحوجنا في هذا العصر الى دعاة هداة يهدوننا الى سواء السبيل وينقذون السذج من بحر الخرافات التي طغت على الاسلام فأصبح معظم شبابنا لا يميز بين البدع وبين تعاليم دينه .

## المولد النبوي الشريف

الأخ أحمد حسانين جريفل ، بعث الينا بقصيدة تحت عنوان ( المولد النبوي الشريف ) نقتطف منها :

| | |
|---|---|
| رسول الله جئت بخير هدى | وبالنور المبين وبالضياء |
| وبالقرآن دستورا قويما | وبالأحكام جئت وبالشفاء |
| ويوم ولدت يا خير البرايا | جثا كسرى على الأرض الخلاء |
| ولولا مولد الهادي محمد | لظل الشرك يسرى كالبلاء |

## بريد الوعي الاسلامي

### نقد وتعليق

الأخ السيد حامد الماحي ـ السودان ـ تعليم الخرطوم .
بعث الينا بكلمة شكر ونقد لمقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب المنشور في العدد ١٩٥ ربيع الأول ١٤٠١هـ تحت عنوان ( التقليد والمقلدون ) .
يثني الأخ حامد على كاتب المقال بتقسيمه هذا البحث الطويل الى فقرات ثم يعلق الأستاذ الماحي على المقال فيقول :
« يعز علينا أن يذهب هذا المجهود الجبار لأستاذنا الجليل هدرا وكنا نأمل أن يركز أستاذنا العلامة في هذا البحث القيم ويراجع ما سجله في تؤدة ومهل فيسقط المكرر ويحذف اللغو قبل أن يقذف بهذا الخلط للطباعة فيهدر كذلك مجهود العاملين ويشغل هذه المساحات الهائلة وهو يبدي ويعيد من غير جدوى ومثال ذلك : ما ورد في الفقرة الرابعة هو نفس ما ورد من ألفاظ ومعاني في الفقرة الثالثة عشرة .

### ردود سريعة

الأخ الدجاني مصطفى من فاس ـ المغرب :
أرسل رسالة تنم عن الألم العميق من جراء نشر المجلة في عددها ١٩١ مقالا أو تحقيقا حول كتاب ( الشيخان ) وجاء العرض بقلم الأستاذ ( حمدي متولي مصطفى ) ويتساءل لماذا تنشر المجلة عرضا لكتاب ( طه حسين ) المعروف بمواقفه من الاسلام وننسى كتابا اسلاميين أمثال ( هيكل والعقاد والمودودي والبنا وسيد قطب ) .
نشكر الأخ على رسالته ونفيده علما بأننا مستعدون لنشر كافة التحقيقات التي تردنا ولا ننسى أحدا من الكتاب الاسلاميين .

**○ الأخ موهوب محمد بن رحال ـ الدار البيضاء ـ المغرب**

**يطلب منا تأمين عمل له في المجلة ..**
نعتذر ياأخ موهوب عن طلبك لأن هذا لا يدخل في دائرة اختصاصنا .

○ **الأخ الجزائري محمد علي الجزائري يرجو اعادة صفحة مواعيد اوقات الصلوات ،**
سنعمل على تحقيق ذلك في المستقبل ان شاء الله .

○ **الأخ شحاته حامد احمد علي . كلية الزراعة جامعة القاهرة**

وصلتنا يا أخ حامد مقالتك الكريمة التي عنوانها ( لغة القبر ) وسنعمل بأذن الله على نشرها في الأعداد المقبلة .

○ **الاخ عمران البشلانة مصر** بعث الينا بشكره على ما نشرناه في المجلة تحت عنوان ( الاسلام وتحديد النسل ) للاستاذ ابراهيم النعمة ويقول اذا كنتم تريدون ان تروا ما حل بالبلدان التي تروج لهذه الفكرة المسمومة فشاهدوا التدهور المستمر في احوالها الاقتصادية .
تحياتنا يا اخ عمران ونسأل الله تعالى الهداية لجميع المسلمين حتى لا ينزلقوا وراء هذه الدعايات المسمومة .

○ **الاخ عبد الرحمن عزيز رئيس مجلة معارف ابن تيمية في سابيوال باكستان** بعث الينا بشكره لادارة التحرير ويعلمنا بانه قام بترجمة بعض المقالات القيمة المنشورة في المجلة الى اللغة الاوردية .
ـ شكرا للاخ عبد الرحمن على جهوده لخدمة الاسلام والمسلمين .

○ **الاخ السيد حامد الموحي وقيع الله السودان تعليم الخرطوم** اشار الى خطأ ورد في العدد ١٩٥ صفحة ١٤٤ حيث وردت فيها الآية ١١٥ من سورة البقرة ( فأينما تكونوا فثم وجه الله ) والصواب كما ورد في كتاب الله ( ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ) .
شكرا يا اخ حامد على ملاحظتك ونحن حريصون على تلافي الأخطاء ولكن لا يسلم العمل من وقوع بعض الأخطاء المطبعية والخارجة عن إرادتنا ، مما نأسف له .

○ **الاخ الطيب عمر سليمان السودان يسأل :**
لماذا أوقفتم باب ( هذا من الحديث ) وباب ( ليس من الحديث ) ويأمل باعادة هذا الباب .
ـ يا اخ عمر كافة الاحاديث التي ترد في المجلة يشار الى درجتها والمكتبات مليئة بكتب الحديث التي يمكنك الرجوع اليها لمعرفة درجة الحديث هل هو صحيح او حسن او ضعيف .

# مع صحافة العالم

## لماذا هم تائهون ؟
## عنوان مقالة افتتاحية نشرتها مجلة التضامن الاسلامي في عددها الصادر في صفر ١٤٠١ هـ قالت فيها :

كلمة نشرتها مجلة المختار في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٨٠ عنوانها ( نحن تائهون في الكون ) وكاتبها ممثل امريكي شهير يدعى ( وودي الن ) جديرة بالتأمل .. اذ هي شهادة من الذين اتعبهم الجري وراء حضارة العصر والهتهم الفتنة بالشهوات عن حقيقة انفسهم فلما

احسوا بظلام قلوبهم وانطفاء جذوة ارواحهم ورأوا قبض الريح في ايديهم اخذوا يجأرون بالشكوى من الحيرة والقلق الذي يقصف بهم ويأسون على ايامهم الضائعة سدى وخوفهم من المستقبل وجهلهم بالمصير يقول الكاتب في كلمته « اكثر من اي وقت مضى يقف الانسان اليوم امام مفترق طريقين يؤدي الاول الى القنوط وانعدام الامل ويقضي الثاني الى الابادة الشاملة » .

ويبلغ به اليأس مداه فيقول « اني لا اتكلم كمن فقد احساسه بجدوى الحياة ولكن كمن اقتنع تماما بانعدام اي معنى للوجود » .

ويشير الى خيبة الامل في العلم المادي الذي ظن المفتونون انه يغني عن الدين ويحل مشكلات الحياة فيقول في حيرة : « اين العلم منا حين نتأمل في الغاز الابدية ؟ أيعقل ان يرى الانسان روحه تحت المجهر ؟ وكيف نشأ الكون ؟ وما المقصود بقولنا ان الانسان فان ! »

اليست هذه شهادة من اهل الحضارة المادية بعجزها عن اشباع الروح وبث الطمأنينة في القلوب ؟ فليسمع المفتونون بحضارة الغرب شهادة هذا الشاهد الذي فقد الاحساس بقيمة الحياة ولم يعد يرى للوجود الانساني معنى !!

ويمضي المثل الامريكي في صراحته ويعلن عجز الدين المسيحي عن تقديم الاجابة عن هذه الاسئلة ... بل ويتمنى ان لو كان له عقيدة دينية بسيطة لا تعقيد فيها ولا

غموض فيقول :

**« مما يؤسف له ان الدين هو الآخر خذل بعض الناس في مجتمعنا**

وكثيرا ما افكر في سعادة الانسان البدائي لانه امن بوجود خالق قادر محب لخلقه ويعني بكل شيء »

يا سبحان الله .. هذا هو الحق نطق به هذا الشاهد عن حضارة العصر ! التي يبشر بها المفتونون التائهون المهزومون امام « التكنولوجيا » وقدراتها العجيبة ..

يقول « وودين إلن » ان ما فعله اولئك الذين فقدوا الايمان بوجود اله خالق هو انهم جعلوا من التكنولوجيا الها ولكن هل لدى التكنولوجيا جواب شاف ؟؟؟

ومن الواضح ان الرجل يبحث عن طمأنينة الروح .. وصفاء النفس بل ويبحث عن حقيقة الانسان التي ضاعت امام الخوف من تحديات العصر ومشكلاته !

ولكن مجتمع الحضارة الغربية له شأن آخر يحدثنا عن ذلك الممثل اذ يقول : وبدلا من ان نواجه التحديات ترانا نتلهى عنها بالجنس والمخدرات .. ونحن نعيش اليوم في مجتمع اكثر اباحية مما ينبغي وليس لنا محور روحي بل نحن تائهون وحدنا في خضم الكون ! فيما ينزل بعضنا ببعض الوان العنف الوحشي والقسوة بسبب يأسنا وألمنا !

تلك شهادة لها مغزاها .. اذ لا بد ان يعرف هؤلاء لماذا هم تائهون ؟!

**نشرت مجلة دعوة الحق المغربية في عددها الثامن كلمة بعنوان :**

## التجربة الأخيرة

**قالت فيها :**

●● جرب المسلمون مع مطالع القرن الرابع عشر الديمقراطية الغربية فأخفقوا في الوصول إلى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي ، والتجأوا إلى الاشتراكية دون أن ينتهوا إلى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون إليه من كفاية وعدالة ومساواة وتكافؤ للفرص وقضاء على الفوارق ومحو للطبقات ، وعمد بعضهم إلى تبني الأنظمة الديكتاتورية ، سواء منها ذات الطابع العسكري والبوليسي أم ذات النزعة العنصرية والقومية الضيقة ، فلم يزدهم ذلك إلا تخلفا واندحارا وامعانا في التخبط والفوضى والتيه . وقامت في البلاد الاسلامية تجارب شتى ، شرقية وغربية ، مدنية وعسكرية ، متطرفة ومعتدلة ، يسارية ويمينية . فلم يبلغوا شأوا ولم ينالوا حظا من التوفيق ، ولم يزدادوا إلا انحرافا وزيغا عن الصراط المستقيم وطريق الحق وسبيل الرشاد . ومضى القرن الرابع عشر بكل الانتكاسات والهزائم

والتجارب الدامية والفاشلة التي عرف بها . فمن الانقلابات إلى الثورات ، إلى الاضطرابات ، إلى الديكتاتوريات المتعددة الأشكال والأنماط ، ومن القهر إلى الارهاب ، إلى القمع ، إلى امتهان الكرامات وإذلال العباد وإفقار البلاد وتمزيق الصف ، ومن العمالة والخيانة والتواطؤ مع العدو ، إلى التآمر ضد الأمة باسم الثورة والتقدمية ، وإلى التطاول على عقيدة الشعوب المسلمة بدعوى تحريرها وتحديثها وعصرنتها ، وإلى النيل من القيم والمقومات والمقدسات ، ومن تشويه التاريخ وتزييف حقائقه . الى تضليل الأفكار وتخدير العقول تارة بدعوى العلم والعلمانية ، وتارة أخرى باسم التنوير والمدنية ، وفي غالب الأحيان بالضغط والاكراه والتهديد والأساليب الوحشية في التبليغ والدعاية والاعلام والتعليم والتلقين دون مراعاة لحقوق الانسان في التلقي والتعلم والأخذ والاقتباس والحرص على ذاتيته وقيمته الآدمية . وكان من نتائج هذه الغارة على الانسان المسلم على مدى قرن كامل أن تفشت في البلاد العربية أنماط من السلوك الذي يستمرىء الذل الفكري ويستسيغ المسكنة وانحطاط الشأن ويرضي بالخنوع ووضاعة المكانة ، اللهم إلا ما كان من نماذج أبت على الذوبان وانفلتت من الاحتواء والاستيلاء والاجهاض . ورضيت أن تكون حرة وسط غابة كثيفة يفترس فيها وحوش الأنس ذوي الارادات الضعيفة والاستعداد للسقوط في حمأة الضياع الحضاري والارتباط بالقوى الشرسة المتآمرة ضد أصحاب الفكر النير وعزة النفس وقوة الارادة وصلاحية الاختيار . وانتشرت في البلاد العربية والاسلامية أنظمة الجبروت تفتك بالانسان وتقتل فيه النخوة والرجولة والشعور بالذات ، فكان أن نشأت أجيال متعاقبة لا تفقه من أمر دينها مثقال ذرة . ولا تدرك حدود حضارتها ومعالم تاريخها . ولا تكاد تعي وجودها المادي والمعنوي . مما مهد الطريق أمام أعداء الانسان ليعيثوا في الأرض فساداً ويدمروا الشخصية الانسانية من الداخل ويقيموا لأنفسهم هياكل من الوهم والخرافة والاسطورة . وبذلك انقادت الشعوب الاسلامية وراء جلاديها ، وسارت دون وعي في طريق الغواية والضلالة والبهتان . فضاعت فلسطين . وضاعت الكرامة الاسلامية بضياعها . وانزوى المسلمون في جانب ، وخلا الميدان من وجودهم .

● في هذه الاجواء القاتمة الملبدة بسحب الردة والتراجع والانهزام الحضاري مضت القوى الدولية الرهيبة تضرب معاقل الاسلام وحصونه معقلا بعد معقل وحصنا أثر حصن . فتساقط منها ما تساقط . وتضعضع ما تضعضع . وانهار ما انهار . وزلزلت الأرض من تحت أقدام المسلمين فاذا هم في وضع لا يحسدون عليه ، تتناوشهم السهام من كل جانب ، وتتواطأ ضدهم أمم الأرض ، وصدق فيهم حديث رسولهم عليه السلام ، فاذا هم كثرة ، ولكنها كثرة كغثاء السيل ، وتلك من دلائل النبوة في هذا العصر .

● يمكن لنا أن نجزم دون مبالغة أو مغالاة أن الوضعية الراهنة للمسلمين في مشرق العالم الاسلامي ومغربه تبشر وتطمئن القلب ، ذلك أن الازمات الخانقة التي تعيشها الأمة الاسلامية لا يمكن أن تكون إلا إيذانا بزوال أسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق . وما هذه الفتن والقلاقل والفواجع والحرائق التي تملأ الساحة الاسلامية إلا آلام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله أن يعقبه يسر طال الوقت أم قصر ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

●● ليس من شك أن المسلمين يمرون اليوم بظروف بالغة السوء والشدة والافلاس .

● وليس من شك ـ أيضا ـ أن المسلمين يقفون على مفترق طرق ، وتحاصرهم معارك من شرق وغرب على السواء ، ولكن هذا الواقع الشديد الحلكة والقتامة والسواد لا يمكن ان يمنعنا من التفاؤل طالما ان الاسلام لا يزال هو القوة المحركة والحافز والدافع المباشر في كل ساحة يضطرب فيها الوضع وفي كل ميدان تشتد فيه الوطأة على المسلمين . وذلك بالرغم من غلبة القوى المناهضة لهذا الدين وتفوقها وبطشها . بل ان هذه الصفات جميعها ما هي الا ارهاصات النصر وعلامات الفوز وامارات الغلبة التي كتب الله في اللوح المحفوظ منذ الازل أن تكون للمؤمنين .

● الأمر ، في هذا المستوى يخرج عن نطاق التفاؤل والتشاؤم . أو التخمين والرجم بالغيب أو التنبؤ ، لأنه يتعلق بقضية إيمانية هي جزء من إيمان المسلم في كل عصر ، ذلك أن الاسلام قاهر كل عقيدة . وتبقى مسألة التوقيت . وهذه خارجة عن علمنا وارادتنا وتقديرنا .

من هذه الزاوية نتطلع إلى آفاق المستقبل . وبهذا المقياس نحكم على الماضي والحاضر ونستقرىء ما تموج به حياتنا المعاصرة من صخب وصراع وفتنة واضطراب .

والحق أن التجارب المريرة التي مر بها المسلمون طوال القرن الرابع عشر الهجري ليست إلا دروسا وعبرا وعظات ومن حقنا أن نعمل عقولنا ـ في وعي كامل ـ في تدبر النتائج المستخلصة واستيعابها حتى تكون لنا مصابيح على طريق المستقبل .

●● ان العالم الاسلامي . وهو يعيش السنة الأولى من القرن الخامس عشر يتلمس طريقه في وعي وبصيرة نحو استعادة دوره الحضاري . ولن تفلح كل القوى المعادية في إيقاف زحفه المبارك .

وهو زحف . ما في ذلك شك ، ومبارك لان الله يرعاه ويزكيه ويباركه .

وتلك هي عقيدتنا ....

وذلك هو يقيننا ...

# اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

قبة الصخرة المشرفة

# العالم الاسلامي

## الجمهورية التركية

○ قامت على انقاض الدولة العثمانية وسقوط الخلافة بعد الحرب العالمية الاولى ورسمت الحدود لجمهورية تركيا الحديثة بموجب معاهدة لوزان وقد تم كل ذلك على يد مصطفى كمال اتاتورك وقد قام اتاتورك بالغاء الشعار الاسلامي للدولة وجرد الرياسات الدينية من اختصاصاتها الحكومية والقضائية واقتبس قوانين الدولة العلمانية من القوانين السويسرية والالمانية والايطالية وقد توفي اتاتورك ١٩٣٨م .

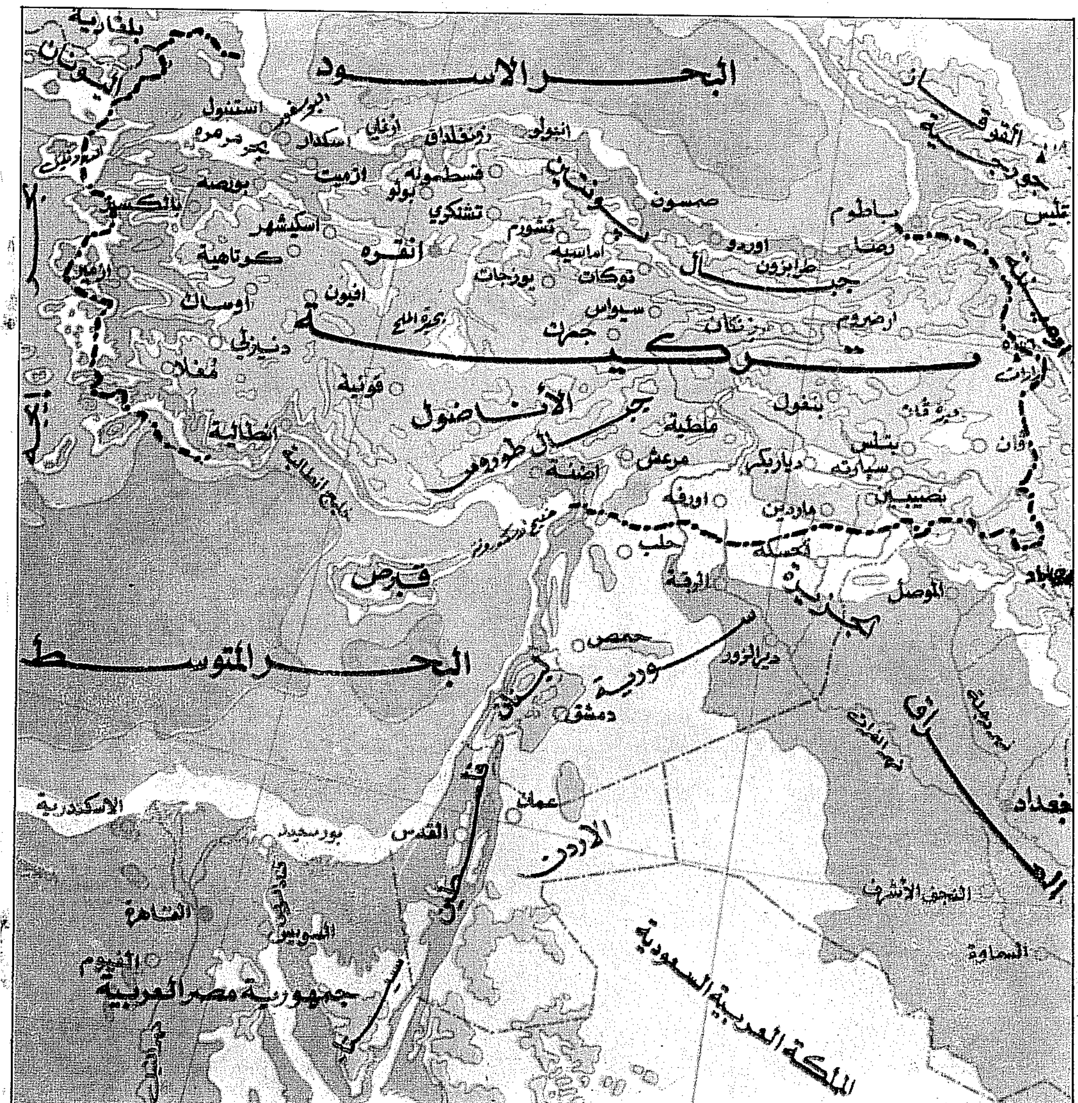
○ تبلغ مساحة تركيا ٧٦٢٧٣٦ كم٢ ( بدون المستنقعات والبحيرات ) ضمن قارتي آسيا واوربا وتبلغ مساحة القسم التركي الاوربي ٩٢٥٧ كم٢ .

○ السكان ٣٩,٢٧٠٠٠٠ نسمة غالبيتهم العظمى من المسلمين السنة وفي البلاد اقليات عرقية من اليونان والارمن والعرب والاكراد والناطرة .

○ اللغة : اللغة التركية هي فرع من اللغات الجنوبية الغربية اي فرع من المجموع التركماني والتي كان يتكلم بها بالأصل / الاوغوز / وكانت تكتب بالابجدية العربية حتى جاء اتاتورك فأبطل ذلك واستعاض عنها بالأبجدية اللاتينية .

○ لم تفلح حملات التغريب من اجل ابعاد الشعب التركي الطيب المسلم عن تراثه وعقيدته والتي قام بها اتاتورك ومن حكموا تركيا الحديثة من بعده وظلت العقيدة راسخة في النفوس تنتظر الفرصة للتوثب والانقضاض على العلمانية الكمالية وفي كل مرة تحاول العقيدة الاسلامية الظهور على مسرح الحياة التركية يلجأ حكام تركيا المرتبطون بالغرب للقضاء عليها وتطويقها بمسرحية الانقلابات العسكرية وقد حققت الحركة الاسلامية التركية نجاحات كبيرة في الآونة الاخيرة مما دفع العسكر التركي المشبع بالثقافة الغربية الى الانقضاض عليها وزج قادة هذه الحركة في السجون بحجة مقاومتهم للقومية التركية ظنا منهم بأنهم سيخمدون البركان المتفجر في نفوس الشعب لسنين طويلة مضت وصدق الله العظيم :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .




الجمهورية التركية

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية



# الوعي الإسلامي

**AL-WAIE AL-ISLAMI**

**KUWAIT P. O. BOX: 23667**

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٠ ● شعبان ١٤٠١ هـ ● يونيو ١٩٨١ م

### هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

### تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

### ● الثمن ●

| البلد | الثمن |
| --- | --- |
| الكويت | ١٠٠ فلس |
| مصر | ١٠٠ مليم |
| السودان | ١٠٠ مليم |
| السعودية | ريال ونصف |
| الامارات | درهم ونصف |
| قطر | ريالان |
| البحرين | ١٤٠ فلسا |
| اليمن الجنوبي | ١٣٠ فلسا |
| اليمن الشمالي | ريالان |
| الأردن | ١٠٠ فلس |
| العراق | ١٠٠ فلس |
| سوريا | ليرة ونصف |
| لبنان | ليرة ونصف |
| ليبيا | ١٣٠ درهما |
| تونس | ١٥٠ مليما |
| الجزائر | دينار ونصف |
| المغرب | درهم ونصف |

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

# ضمان الله بحفظ القرآن على مدى الأزمان

جاء في آيات القرآن الكريم (كذلك يضرب الله الحق بيان أن الله قد كتب للاسلام والباطل فأما الزبد فيذهب البقاء والخلود . ولكتابه جفاء وأما ما ينفع الناس الحفظ والصيانة فقال تعالى : فيمكث في الارض ) .. ( ألم تر

كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ) .. ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) .

وهذه الآيات ذات الحكم القاطع ببقاء الاسلام وخلوده ، وحفظ القرآن وصيانته آيات نزلت بمكة ، ورسول الله يعاني من اعراض قومه عن الاستماع للقرآن ، وصدهم لغيرهم من الاصغاء اليه ، واضطهادهم وتعذيبهم لمن آمن به ومقاطعتهم له ولعشيرته . وحصرهم في شعب من شعاب مكة مدة غير قصيرة لا يبيعون ولا يبتاع لهم حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع ، ثم مؤامرتهم على احباط دعوته .. وقد مكث هذا الليل الحالك يحيط بالدعوة المحمدية في مكة عشر سنوات دون أن تلمح بارقة من الأمل في ظهور الدعوة ونصرها ، واذا استمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم ـ من طبيعة دعوته بارقة من الأمل في جوانب نفسه فهل يتفق له مع هذه الظروف القاتمة أن يزيد في نفسه الأمل حتى يصير حكما قاطعا ؟ واذا امتلأ رسول الله رجاء بظهور دعوته في حياته ما دام يتعهدها بنفسه ، فمن يضمن له بعد موته بقاءها وحمايتها وسط أحداث المستقبل ؟ وكيف يوقن رسول الله بذلك وهو يعلم من عبر الأيام ما يفت في عضد هذا اليقين ؟ فكم من مصلح صاح بالاصلاح فما لبثت صيحاته أن ذهبت أدراج الرياح ، وكم من مدينة قامت في التاريخ وازدهرت ثم عفت ودرست آثارها ، وكم من نبي قتل ، وكم من كتاب فقد او انتقص او غير وبدل .. وهل كان رسول الله ممن تستخفه الآمال فينساق مع الخيال ؟ انه ما كان قبل نبوته يطمع في ان يكون نبيا يوحى اليه ( وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ) ولا كان بعد نبوته يضمن لنفسه أن يبقى هذا الوحي محفوظا لديه ( ولئن شئنا لنذهبن

بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ) ..

اذن .. كيف جاء هذا الحكم القاطع بخلود الاسلام وحفظ القرآن ؟ انه جاء من الله الذي بيده وحده الأمور ، والذي يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المليء بالمفاجآت فلولا فضل الله ورحمته لما استطاع القرآن أن يصمد لتلك الحروب العنيفة التي اقيمت ولا تزال تقام عليه بين حين وحين .. تأمل التاريخ يحدثك كم تنكر الدهر لدول الاسلام وكم تسلط الفجار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل ، وأحرقوا الكتب وهدموا المساجد واحدثوا من الفساد ما كان يكفي بعضه لضياع هذا القرآن كما ضاعت كتب قبله ولكن عناية الله ابقته في وسط هذه الأحداث العاتية رافعا راياته واعلامه حافظا آياته واحكامه .. وسل صحف الاخبار اليومية كم من النشرات المعادية للاسلام والكتب الحاقدة على القرآن وكم من الأموال تنفق في كل عام لمحو القرآن وصد الناس عن الاسلام بالتضليل والبهتان والخداع والاغراء ثم لا يصل اهلها الا الى حسرة تغمرهم وفشل ذريع يحيط بهم ( ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ) .

ذلك بأن الذي يمسك القرآن ان يزول هو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا وقد قضى باظهار دينه على كل باطل : ( هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) والله بالغ امره ومتم نوره ، فظهر وسيبقى ظاهرا لا يضره من خالفه حتى يأتي أمر الله . وستظل عناية الله تمد الاسلام وكتابه برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

# نظرات في سورة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ـ وبعد ـ فقد قال الله تعالى :

**« ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم »** .

**( معنى مفردات الآية )** : « **يغضون اصواتهم** » ـ اي يخفضون اصواتهم بين يدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « **امتحن الله قلوبهم للتقوى** » اي اختبر الله قلوبهم ليظهر صلاحيتها لحلول التقوى بها التقوى ـ مأخوذة من الوقاية ـ يعني تقي المتصف بها من بأس الله ومن عوادي الزمن ـ وسيأتي لها مزيد ايضاح ان شاء الله ، **لهم مغفرة وأجر عظيم** ـ مغفرة مصدر غفر بمعنى ستر يقال غفر الله الذنب اي ستره ولا يعاقب عليه ، الأجر ـ الثواب ـ والثواب هو الجزاء على العمل خيرا كان او

# الحجرات

للشيخ عبد الحميد بلبع

شرا . واكثر استعماله في الخير ـ ولا يعلم حقيقته ولا كميته الا الله جل شأنه ، **ينادونك من وراء الحجرات** ـ اي يستدعونك من وراء الحجرات يريدون لقاءك ، الحجرات : جمع حجرة وهي قطعة من الارض محجوزة بحاجز ـ حائط ـ او غيره للمنع من الدخول والمراد بها هنا مساكن امهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن زوجات رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ..

( **المعنى العام للآية** ) : ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ، اي يخفضونها في مخاطبته ، او بين يديه في امر ما رعاية للأدب الواجب نحوه ـ تكريما لشخصه وتعظيما لقدره ـ او يخفضونها بين يديه خشية عدم الانتهاء بالنهي عن استعمال ما لا يليق بمنزلته الوارد في قوله تعالى « **يأيها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون** » وقد قلت عن هذه الآية في مقال سبق نشره بالعدد( ١٨٠ ) من مجلة الوعي الاسلامي انها نزلت في مناسبة ما جرى بين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر بن الخطاب من الخلاف في امر علت فيه اصواتهما بين يديه صلوات الله

وسلامه عليه فنزلت الآية المذكورة وفيها نهي وتحذير من سوء العاقبة ـ لذا التزم كل منهما بالانتهاء عما نهى الله عنه ثم جاءت الآية السابقة اول المقال « **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله** ـ الخ الآية تشيد بالتزامهم بالانتهاء عما نهى الله ، وتنوه بتقواهم لله وبغضهم اصواتهم عند رسول الله ، وتعلن ما اعده الله لهم من المغفرة والأجر العظيم اذ تقول « **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** » تعبير عجيب في اسلوب دقيق ينبه المشاعر ويوجه المدارك الى ما اضفاه الله على صفة التقوى من الدرجة العليا واحلالها بالمنزلة السامقة العظمى ، واصطفائه لها قلوبا تعمرها بعد امتحان واختبار هذه القلوب بضروب المحن ، ومشاق التكاليف واصطبارها على هذه المشاق والمحن وقد قال العلماء ان التقوى كامنة في النفس ولا يظهرها الا الاصطبار على انواع المحن ومشاق التكاليف فالاختبار هنا سبب لظهور التقوى لا للتقوى نفسها فانها فطرية في النفس « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » الروم / ٣٠

قلنا فيما سبق ان التقوى مأخوذة من الوقاية يعني تقي المتصف بها مما يخافه ويحذره ـ وهنا ـ قد يقول قائل : نحن نعلم ان الله على كل شيء قدير لا يقف امام قدرته شيء ولا يعجزه شيء وكل شيء خاضع لقدرته ، فكيف تكون التقوى وقاية اذن : ومن اي شيء تكون هذه الوقاية ـ ونقول نعم هناك ما هو فوق ذلك ، وبه ومنه فكون هذه الوقاية ، لا تعجب يا هذا ، فهو حب الله للعبد ورضاه عنه فان الله اذا احب عبدا وقاه ودافع عنه ـ يعود السائل قائلا ـ وما الدليل على ذلك اولا ثم ما هي الوسيلة للحصول على هذا الحب وهذا الرضا ثانيا ـ ثم من اين نعلم ان الله احب ورضي وهو غيب ولا يعلم الغيب الا الله ثالثا ـ ونقول :

**اولا** : الدليل على ذلك قول الله تعالى « **ان الله يدافع عن الذين آمنوا** » الحج / ٣٨

**ثانيا** : الوسيلة للحصول على حب الله ورضاه هي اتباع رسول الله في كل ما جاء به من عند ربه امرا ونهيا والدليل على ذلك قول الله عز وجل « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** » ال عمران / ٣١

**ثالثا** : حقيقة ان حب الله ورضاه من العبد غيب ولا يعلم الغيب غيره فمن اين نعلم ونقول/نعم اعلن الله تعالى عن غيبه هذا في حديث قدسي قال فيه « وما تقرب الى عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه » رواه البخاري .

فتقوى العبد لله هي ان يجعل العبد بينه وبين ما يحذره ويخشاه من بأس الله ومن عوادي الزمن وقاية تقيه منه ـ وخير وقاية هي اداء ما فرض الله ، واجتناب ما نهى الله ـ ومن هنا عرف العلماء التقوى بانها « امتثال الأوامر واجتناب النواهي ـ بهذا ايها السائل ثبت ان التقوى حقيقة وقاية للعبد مما يحذره ويخشاه .

والتقوى كلمة جامعة فهي وان قل لفظها لكنها جامعة الكثير من عوامل الخير والبر ، داعية لجلب المصالح ودرء المفاسد عن المتصف بها في مجالات حياته كلها ـ فبالتقوى ينفث الله عن المتصف بها الكرب ويفك الضوائق ويفتح له باب رزق واسع طيب من حيث لا يحتسب ـ مصداق ذلك قول الله تعالى « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** » الطلاق / ٢

وبالتقوى ييسر الله للمتصف بها امره ، ويذلل صعبه ، في هذا يقول الله تعالى « **ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم** » الطلاق / ٤

وبالتقوى يمن الله على المتصف بها باصلاح عمله وغفران ذنبه ـ قال تعالى « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** » الأحزاب / ٧٠

وبالتقوى يحفظ الله للمتصف بها ذريته بعد وفاته ، قال تعالى « **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** » النساء / ٩ وقص الله في القرآن ما جرى بين سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح اذ اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه العبد الصالح فقال له موسى ـ لو شئت لاتخذت عليه اجرا فقال له العبد الصالح هذا فراق بيني وبينك ـ ثم بين له قصة هذا الجدار بقوله « **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري** » الكهف / ٨٢

نعم رحمة من ربك بالغلامين اذ امتدت يد القدر لحفظ الكنز من الانقضاض صيانة لما كمن تحته من المال حتى يبلغ الغلامان اشدهما ويستخرجا كنزهما وفاء لصلاح ابيهما وجنيا لثمرة تقواه ولا غرو فان التقوى ذات اثر ضخم في حياة المتصف بها ، وذات غايات نبيلة له يستمتع بها كمحبة الله له وانتفاء الخوف والحزن عنه ، وبشائر بالسعادة في الدنيا تترى عليه ، وبشائر بالنعيم المقيم له في الاخرة تسعى اليه وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة ال

عمران « **بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** » آية / ٧٦
ويقول « **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين امنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** يونس / ٦٢

علمنا مما سبق ان التقوى هي امتثال الاوامر واجتناب النواهي ـ ومن هو المتصف بها ؟ ، هو من لازم الطاعة وجانب المعصية ـ وهذا بطريق الجد والاجتهاد منه لا بطريق العصمة واذا جمحت نفسه يوما وارتكب ذنبا هل تسلب منه صفة التقوى ـ الجواب لا ـ بل هو من المتقين ، ان تاب من ذنبه هذا توبة صادقة مخلصة غير مصر على الذنب ـ لان المذنب اذا تاب كان كمن لم يذنب في استحقاق المنزلة عند الله ـ ودليلنا على ذلك ان الله تعالى ذكر صفات المتقين في مواضع من القرآن وعد منها من فعل فاحشة وتاب غير مصر على الفاحشة اذ يقول « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين** » آل عمران / ١٣٣ ـ ١٣٦

وختم الحديث عن التقوى وعن المتصف بها في الاية التي معنا بما اعد لهم فقال « **لهم مغفرة واجر عظيم** » ـ مغفرة ـ قلت عنها فيما سبق انها مصدر غفر بمعنى ستر يقال غفر الله الذنب ـ اي ستره ولا يعاقب عليه ـ واقول هنا ـ للعلماء في هذا الستر رايان :
**اولهما** : ستر بمعنى محا ـ اي المحو من الصحيفة بحيث لا يكون له اثر فيها وكأن لم يكن واذن لا عقاب اذ لا عقاب على شي غير موجود في الصحيفة .
**وثانيهما** :ستر بمعنى عدم العقوبة مع بقاء الذنب في الصحيفة ليذكر صاحبه بفضل الله عليه بعدم مؤاخذته على هذا الذنب وبالعفو عنه ـ والنتيجة في الرأيين واحدة وهي عدم العقوبة ـ وذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم .
وبعد ان انتهى الله من توجيه المؤمنين الى الاداب التي تجب مراعاتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته ، في مجالسته في جميع شئونه وظروفه من الحرص كل الحرص على احترام شخصيته فلا ينادونه باسمه المجرد من ايات التكريم وتقديم جلائل التبجيل والتعظيم لمقامه الرفيع امتثالا لقول الله عز وجل « **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم**

**بعضا** »النور/٦٣ ثم اخذ الله عز وجل يبين ما كانت عليه البيئة العامة في الجزيرة العربية وقت ظهور الدعوة الاسلامية - من الجفوة في الطبع ، والغلظة في القول ، والقسوة في التعامل والثورة العارمة لاتفه الاسباب واحقر الشئون ، ومن الجهالة في التخاطب ، لا رعاية فيها لادب ولا اداء الحق ولا امتثال لواجب ، وغير ذلك مما لا تستقر به الحياة ، ولا تنجح معه الدعوة وضرب لذلك مثلا بحادث وقع من وفد بني تميم ، قدم على رسول الله لحاجة لهم عنده وكان الوقت وقت ظهيرة ، فوقفوا خارج الحجرات ، مساكن امهات المؤمنين زوجات الرسول ، واخذوا ينادونه باسمه مجردا من التكريم والتعظيم : يا محمد اخرج الينا ان مدحنا زين وان ذمنا شين باصوات مزعجة وفوضى صاخبة من غير رعاية لحرمة الرسول ولا لحرمة المكان ولا لصفة الوقت فانه وقت قائلة واعتاد الناس ان يأووا الى مضاجعهم فيه طلبا للراحة والرسول صلوات الله عليه كان في خلوته الخاصة في هذا الوقت ولا يليق ان يطلبه احد في هذا الوقت غير المناسب لذا كره منهم هذه الجفوة وهذا الازعاج ونزل عليه قوله تعالى « **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** »

ينادونك من وراء الحجرات - قلت فيما سبق ينادونك اي يستدعونك يريدون لقاءك ، من وراء الحجرات - قال المفسرون - اي من خارجها ولم يحدد مكان المناداة - ولفظ وراء قال فيه العلماء انه من الاضداد فيكون من وراء بمعنى خلف وبمعنى قدام وعلى ذلك يحتمل ان تكون المناداة من خلف الحجرات او من قدامها ولكن لفظ من في قوله من وراء الحجرات للابتداء تدل على ان المناداة نشأت من جهة الوراء - اشارت هذه الآية الى كثير من النقائض الاخلاقية والاجتماعية الشائعة انذاك - منها انهم جاءوا اليه وقت الظهيرة وهو غير مناسب للمقابلة ، بل هو للراحة ومنها انهم وقفوا خلف الحجرات ولم يأتوا البيوت من ابوابها ومنها انهم ينادون باسمه صلوات الله عليه وسلامه مجردا من التكريم والتعظيم وينادون بالفاظ فيها جفوة وغلظة وغير ذلك مما لا يرضى الله عنه ويريد علاجه لتستقر الحياة وتنجح الدعوة وليخلوا المجتمع الاسلامي من هذه النقائض لذا سرد في هذه السورة بعضا منها واردفها بعلاجها فقال

« **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون .**

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم »

**معنى مفردات الاية :**

**إن جاءكم فاسق** ـ فاسق اسم فاعل من فسق بمعنى خرج عن طريق الحق والصواب ، **بنبأ** ـ النبأ الخبر ـ والخبر ـ ما ينقل ويتحدث به ، **فتبينوا** ـ تبين الشي فحص الشي ليستوضحه ، **لعنتم** ـ من عنت عنتا اي لقى الشدة وهلك .

**( سبب نزول الآية )**

ذكر بعض المفسرين ان سبب نزول الآية هو الحادث الذي تضمنته الآية والذي يتلخص في ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان بن عفان لامه رضى الله عنهما بعثه الى بني المصطلق يجبي الزكاة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمعوا به تلقوه فظن انهم يريدون قتله فقفل راجعا من الطريق وقال لرسول الله : انهم ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب الرسول وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا النبي صلوات الله وسلامه عليه وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم الرسول وبعث اليهم خالد بن الوليد في عسكره خفية ليتبين حالهم فأن رأى منهم ما يدل على ايمانهم اخذ منهم زكاة اموالهم ـ وان لم ير ذلك فعل بهم ما يفعل مع الكفار فذهب خالد ووجدهم منادين للصلاة جادين في امتثال ما امر به الله ولم يرمنهم الا الطاعة والخير فاخذ منهم صدقات اموالهم ، وعاد الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ـ واخبره بحالهم وسلم الصدقات ونزلت الاية ـ واستشكل هذا ، بأن الوليد صحابي جليل ولا يليق اطلاق لفظ فاسق عليه واجيب : بان الذي وقع من الوليد توهم وظن فترتب عليه الخطأ ـ وسماه الله فسقا ـ وانما سمى الله الخطأ فسقا تنفيرا من هذا الفعل وزجرا عليه ـ ولكن لم يرق هذا الجواب عند بعض المفسرين ويقول « ان المخطيء لا يسمى فاسقا ـ وكيف والفاسق يراد به في اكثر المواضع من خرج عن ربقة الايمان ـ لقوله تعالى « **الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه** » الكهف / ٥٠
وقوله « **واما الذين فسقوا فمأواهم النار** » السجدة / ٢٠ ويرى المفسر ان هذا الحادث ليس سبب نزول هذه الاية كما يرى ان مضمون الاية علاج عام لمرض اجتماعي ان ترك دون علاج استشرى في الامة خطره . وأودى

بالمجتمع ضرره - وهو رأي واضح ولا معقب له اذ ليس في الاية ما يشير الى هذا الحادث لامن قريب ولا من بعيد - والضمير الواعي اليقظ يستريح لهذا الرأي - حفظا لمقام الوليد بن عقبة من هذا التجريح الاليم باطلاق اسم فاسق عليه ، وصيانة لشرف المجتمع الاسلامي وكرامته من اشاعة مثل هذه النقائص عنه وهذا المرض : هو حل الروابط بين الافراد بعضهم مع بعض - وبين الجماعات بعضهم مع بعض - وقطع الصلات بين الاسر والهيئات بعضهم مع بعض .. وذلك بغرس بذور الفتن ، ووضع اسس الاثارات والاحن يقوم اعداء الانسانية بغرسها في نفوس بريئة ، وشخصيات كريمة ، بالفاظ معسولة واساليب خادعة سرعان ما تندلع بها نار العداوة ، ويمتد لهب الخصومة ، وتمتلئ الصدور بالاحقاد ، وتدب الفوضى في كل ناد ، وكلها امراض نهايتها الهلاك ، ومصيرها الخراب والدمار - هذا المرض هو المعروف في مفاهيم الشريعة الاسلامية باسم النميمة الذي بين الرسول مصير القائم به اذ يقول « لا يدخل الجنة نمام - وفي رواية - لا يدخل الجنة قتات » رواه البخاري ومسلم - والنمام والقتات بمعنى واحد - وقيل النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم - والقتات هو الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم عليهم - وتلافيا لاضرار هذا المرض جاءت هذه الاية بعلاجه فتقول « **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » خصصت الاية نبأ الفاسق بتبينه ، والتثبت من صدقه وكذبه لانه مظنة الكذب وليس موضع ثقة كغيره من بقية افراد المجتمع الاسلامي فانهم موضع ثقة ، وانباؤهم مصدقة ومأخوذ بها - هذا هو الاصل المفروض ان يكون في جماعة المسلمين تحقيقا لمقتضيات الايمان فيهم من الصدق في القول ، والامانة في النقل والاشاع فيها الشك وعدم الثقة فيختل توازنها وتتعثر مصالحها وتسوء سمعتها وتتفرق وحدتها وتصبح اثرا بعد عين - وما لهذا يدعو الاسلام الذي هو سلم وسلامة وامن وطمأنينة والذي رضيه الله دينا لعباده وهو الهادي الى سواء السبيل - والعلاج الالهي الذي جاءت به الاية مكون من امور ثلاثة .

( ١ ) الحكم : وهو عدم التسرع بما تدعو اليه النفس نحو الموضوع والتريث به لاستجلاء حقيقة النبأ والتثبت منها والتصرف على ضوء ما يظهر وفي هذا تقول الآية « **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** » .

( ٢ ) علة هذا الحكم : هي خشية الحاق ضرر بقوم حالتهم مجهولة ثم تظهر براءتهم مما نسب اليهم فتندمون على ما فعلتم بهم ولا ينفع الندم حينئذ .

( ٣ ) التوعية والتحذير من التحايل على الحصول على ما ترغبونه نحو الموضوع لانه قد يكون ضارا بكم وانتم لا تعلمون وفي هذا تقول الاية « **واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم** » من العنت وهو الشدة كما قلنا سابقا

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »

**معنى مفردات الاية** : طائفتان مثنى طائفة ومؤنث طائف ، والطائفة جمع من الناس يجمعهم مذهب او راي واحد يمتازون به عن سواهم - جمع طائفات او طوائف . اقتتلوا قتل يعني امات - يقال قتل الرجل يعني اماته ، وليس هذا مراداً هنا - واقتتل وقاتل يعني حارب - يقال اقتتل القوم وقاتلوا اي تحاربوا وقتل بعضهم بعضا ، واقتتل هنا في معنى تشاجر يعني تنازع - يقال تشاجر القوم يعني تنازعوا ( ناطحوا بالرماح . فاصلحوا بينهما - الصلح ازالة ما يثير النزاع والخلف بين الفريقين ، واعادة الوفاق بينهما ، بغت احداهما على الاخرى يقال بغى بغيا وبغاء بضم الباء اي عدل عن الحق وانحرف عن الصواب - وبغى عليه اي تعدى واعتدى عليه . **تفيء الى امر الله** ، فاء فيئا اي رجع عن رأيه الى الصواب - اي ان رجعت الطائفة الباغية الى امر الله **فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا** - العدل اعطاء كل ذي حق حقه - اصلحوا واقسطوا اي اعدلوا - واما قسط بدون همزة فمعناها جار وظلم وحاد عن الحق فهو قاسط جمعه قساط وقاسطون قال تعالى « **واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا** » . انما المؤمنون اخوة - اخوة جمع اخ . والاخ من يجمعك واياه صلب او بطن او دين او غير ذلك ، فيقال اخ النسب او اخ الدين او طالب العلم مثلا ، وقد اثبت الله اخوة الدين بقوله « **انما المؤمنون اخوة** » اذ جمع بينهم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره ، واثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره - بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله »

**سبب نزول الآية** : للعلماء فيه اراء :

**اولا** : يرى بعضهم ان الاية نزلت تعقيبا على الامر بالتثبت من خبر الفاسق الوارد في الاية السابقة وهي « **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » كأن هذه الاية تقول : انكم اذا اخذتم تتبينون صحة نبأ الفاسق او كذبه وفي هذه الاثناء اتفق ان علت الاصوات واضطربت الاقوال تحت ضغط النزوات والاندفاعات التي تكون عادة في مثل هذه المواقف ينتصر بها كل لرأيه غاضا النظر عن الحق والواقع وقد يؤول الامر الى اقتتال الطائفتين المؤمنتين خروجا

بذلك عن تعاليم الاسلام وادابه وارشاداته وعن النظام القائم في المجتمع الاسلامي من الوحدة والالفة فعلى المؤمنين الاخرين ان يزيلوا ما اثاره نبأ ذلك الفاسق الذي احدث الخلاف والفرقة ويصلحوا بينهم بما يعيد الوحدة والالفة .

**ثانيا** : ويرى بعض اخر ان الاية نزلت في تشاجر حدث بين الاوس والخزرج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان - ويتلخص في ان النبي صلى الله عليه وسلم يوما ركب حمارا ومر على مجلس اخلاط من المسلمين واليهود والمشركين - فيهم من المسلمين - عبد الله بن رواحة - ومن المشركين عبد الله بن ابي بن سلول قبل ان يسلم - وتصادف ان بال الحمار وقت مروره بالمجلس المذكور ، ولما - غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه - اي ستره به - وقال : لا تغيروا علينا - اي لا تهجموا علينا - من اغار اغارة عليهم هجم عليهم واوقع بهم - وفي رواية انه قال بعد ان ستر انفه « اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك » فقال عبد الله

ابن رواحة : والله لبول حماره اطيب ريحا من مسكك - وهنا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن ابي ابن سلول « ايها المرء انه لا احسن مما تقول » يعني لا شيء احسن منه - ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك - فمن جاءك فاقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فاننا نحب ذلك . وثار المجلس الخليط - سواء اكان سبب هذه الاثارة هذا الكلام الاخير او ماكان في الرواية الاولى ، فالمجلس الخليط ثار ثورة صاخبة حتى كادوا يتحاربون فلم يزل رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه يخفضهم حتى سكتوا ونزلت الاية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** » الآية . ويبدو انه غير مناسب ليكون سببا لنزول الآية - فان الآية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** - والمجلس المذكور خليط من المسلمين واليهود والمشركين - وليس معقولا ان يقتتل فيه طائفتان من المؤمنين .

**ثالثا** : ويرى بعض ثالث في سبب نزول الاية المذكورة ما ياتي : -

ان الاية تشريع خاص قائم بذاته لعلاج ما قد تأتي به الايام من الاحداث التي لم تسبق والسماء كذلك لم تأت بتشريع يتناول مثل هذه الاحداث بعلاج وببيان احكام تتعلق بالاحداث المذكورة - لذا يمكن ان نقول ان الاية افترضت امكان حدوث خلاف يقع بين طائفتين مؤمنتين يؤدي الى اقتتال بينهما وضربت ذلك مثلا كانموذج يطبق عليه ما اشتملت عليه الاية من احكام وتوجيهات . ففي الاية امر بصلح الطائفتين المتقاتلتين وامر بقتال من تبغي منهما حتى تفي الى امر الله وفيها توجيه الى ما يجب اتخاذه معهما

لازالة ما بينهما من خلاف ونزاع وختمت ذلك بجملة دينية عاطفية تغسل اثار البغض والغضب وترفع لواء المودة والالفة بين الطائفتين فقالت « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

**المعنى العام للآية** :

وايا كان نزول الاية بسبب حادث معين او بغير سبب فالاية قاعدة تشريعية عامة اشتملت على ما يضمن صيانة المجتمع الاسلامي من التفرق والتخاذل ، وعلى ما يدعو الى اتفاق الكلمة والى وحدة الصف ووحدة الهدف كما تدعو الى استصحاب الحق والعدل في كل ما ياتي وما يذر والى استعمال العزم والحزم والقوة لتحقيق ما يحفظ على المجتمع وحدته والفته ورسمت الطريق المؤدي الى ذلك كله فقالت : « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين** » . من هذا القول الحكيم نعلم ان الله عز وجل كلف المؤمنين من غير الطائفتين المتقاتلتين بان يصلحوا بين الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين بالنصح والدعاء الى حكم الله ـ فان نفرت احداهما وتغاضت عن النصيحة الموجهة اليها وابت النزول على حكم الله واعتدت بغيا على الاخرى ، فعلى المؤمنين الاخرين اذن ان يقاتلوا التي تبغي حتى **تفيء** وترجع الى حكم الله ـ وحكم الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين وقبول حكم الله في المسائل المتنازع عليها ، فان فاءت الباغية وقبلت حكم الله فيما ـ اختلفوا فيه وادى الى القتال بينهما ـ اذن يقوم المؤمنون بالصلح بينهما صلحا سداه العدل ولحمته الانصاف امتثالا لامر الله وابتغاء مرضاته وطمعا في واسع رحمته وفسيح جناته ، فانه تعالى يحب المقسطين . هذا ـ وفي الاية امور تحتاج الى كشف وايضاح تتميما للفائدة :

**اولا** : قال الله تعالى في اول الاية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** ـ وفي اثناء الاية قال « **فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل** ، فذكر العدل هنا ولم يذكره اول الاية فلم هذا ؟ . واجيب بان الاصلاح المطلوب اول الاية يكون بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة والدعوة لقبول حكم الله ، او يكون بالتهديد والتعذيب ـ اما الاصلاح في اثناء الاية فيكون بازالة اثار القتل بعد اندفاعه ـ واثار القتل هي ضمان المتلفات وهو حكم والحكم يحتاج الى العدل ـ لذا قال تعالى « **فاصلحوا بينهما بالعدل** » وكأنه يقول واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا ما يكون بينهما بالعدل ، لئلا يؤدي الى اثارة الفتنة مرة اخرى .

**ثانيا** : في الاية نفسها قوله تعالى « **فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل** ، واردف قوله **واقسطوا** بعد بالعدل ومعلوم ان اقسطوا معناها لغة اعدلوا فكأن الاية تقول « فاصلحوا بينهما بالعدل واعدلوا ، وهو تكرار ليس له ثمرة

تدعو اليه وتجنى من ورائه . واجيب عن ذلك بأنه ليس تكرارا ، فان لكل منهما معنى مستقلا لا يشترك مع الاخر - ذلك ان قوله فاصلحوا بينهما بالعدل خاص بحالة معينة دون غيرها ، وهي الحالة المدلول عليها بقوله « **فان فاءت** » اي رجعت لحكم الله ورضيت بالصلح فاصلحوا بينهما بالعدل في هذه الحالة فالعدل خاص هنا بهذه الحالة - والمطلوب تعميم العدل في كل القضايا وفي كل الازمنة والامكنة ولهذا اردف قوله واقسطوا على بالعدل - اي عمموا العدل حيثما كنتم وفي اي قول او عمل قضيتم فان الله يحب المقسطين .

**ثالثا** : قد يتوهم قارئ او سامع قوله تعالى « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** » يتوهم ان الامر بالاصلاح هنا يطبق في حالتين اثنتين فقط :

**الحالة الاولى** : اذا كان الاختلاف والنزاع بين جماعتين مؤمنتين كنص الاية ، لا بين فردين اثنين رجلين او امرأتين او رجل وامرأة مثلا ، فلا تعم المفسدة فلا يؤمر بالاصلاح .

**الحالة الثانية** : ان يؤدي هذا الاختلاف الى الاقتتال ، اما اذا ادى الى اقل من الاقتتال فلا يجب الاصلاح . وملخص رأيه هذا ان الامر بالاصلاح تبع للمفسدة وجودا وعدما فان وجدت وجب الاصلاح ، والا فلا - وهذا وهم ليس له ما يؤيده لذا نفاه الله وارشد الى ما يجب اتباعه بقوله « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم** » اي بين فردين اثنين ولو ادى الخلاف بينهما لاقل من الاقتتال كالشتائم مثلا ، فلابد من الاصلاح وازالة هذا الاختلاف حفاظا على وحدة المجتمع الاسلامي وصيانة كيانه - لذا عتب الله على هذا الارشاد الحكيم بالامر بالتقوى والتلويح لهم برحمته التي لا تنال الا بتقواه حفزا لهم على الامتثال والتنفيذ فيقول « **واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

**رابعا** : في الاية دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان - يؤيد هذا استيفاء الله وصفه الايمان للطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين مع اقتتالهما واحتمال بغي احداهما . ومما تجدر الاشارة اليه ان الامة الاسلامية تعرف في المجتمع العالمي العام - بالوحدة - والالفة ، والاخاء والمودة والسلام والتعاون والمحبة - هذا هو الاصل في اسمها اللامع وصيتها الذائع وذكرها الخالد المرتفع - ولكن الايام قد لا تخلو من خروجها عن هذا الاصل بخلاف ينبت او نزاع يثار او اقتتال تدور رحاه ويجب رد هذا الخلاف الى الاصل قبل تشعبه وذيوعه وايقاف البغاة العادين به ، المؤججين نار فتنته وشيوعه ويباح في سبيل الرجوع الى هذا الاصل ان يقاتل المؤمنون الاخرون المؤمنين الباغين ليردوهم الى الصف وليزيلوا الخروج على الاصل تنفيذا لتوجيه الله تعالى في الاية المذكورة القائل « **فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل**

**واقسطوا ان الله يحب المقسطين »** .

ومن مقتضيات هذا الاجراء في معارك هذا القتال الا يجهز فيه على جريح والا يقتل اسير والا يتعقب مدبر ترك المعركة واالقى السلاح والا يؤخذ اموال البغاة غنيمة شأن القتال بين المسلمين والكفار لان الغرض من هذا القتال هو القضاء على الكفار ، اما غرض القتال هنا فهو رد البغاة الى حظيرة الاسلام والعودة بهم الى صفوف المؤمنين المعتدلين .

« **يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » .

## معنى مفردات الاية :

**لا يسخر قوم من قوم** ـ سخر به ومنه اي هزىء به وحقره وصغره ولذلك طرائق واساليب قولية وعملية متعددة ـ **قوم من قوم** ـ القوم اسم جمع لانه لا واحد له من لفظه وقيل انه جمع مثل صوم من صائم وزور من زائر وايا كان جمعا او اسم جمع فهو الجماعة من الناس ذكورا واناثا والمراد به هنا جماعة الرجال فقط بدليل مقابلته في الاية بقوله « **ولا نساء من نساء** » قال العلماء وهو الموافق لاصل اللغة :

وسمى الرجال قوما لانهم القوامون على النساء ـ **ولا تلمزوا انفسكم** » لمز ـ اي عاب غيره بالقول او اشار اليه بعينه او نحوها مع كلام خفي ـ اللماز واللمزه ـ العياب للناس ـ او الذي يعيب الانسان في وجهه ـ « **ولا تنابزوا بالالقاب** » النبز ـ اللقب ـ نبزه نبزا ـ ونبزه بكذا ـ لقبه به ـ وهو شائع الالقاب القبيحة ، تنابزوا ـ تعايروا ، ولقب بعضهم بعضا ـ بهذا يظهر ان السخرية واللمز والتنابز بالالقاب خروج عن آداب القرآن واخلاقه وانحراف عن تقاليد كلمة المؤمنين ونهجهم ـ وهو فسق ويسمى فاعله فاسقا . « **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** » اي بئس ان يذكر الشخص بالفسق بعد ان كان مذكورا بالايمان « **ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » اي من لم يرجع الى ربه نادما على ما فرط منه من مخالفة الله وما مارس من معصية وعدم طاعة ، فاولئك هم الظالمون لانفسهم بوضع العصيان موضع الطاعة وبتعريض النفس للعذاب والمهانة ـ ولا ينقذه من هذا وذاك الا الرجوع الى الله بالتوبة .

## المعنى العام للاية :

لا تزال السورة توالي البشرية بتوجيهاتها البناءة ، وتمدها بنصائحها

الفذة وارشاداتها الخلاقة بهذا وبذاك تهديها الى معالم الحق ، وتسلك بها الصراط السوي ، وتعالج ما ترميها به الايام من انحراف في السلوك وسوء في التعامل ، وتنافر في العلاقات الخاصة والعامة ـ وها هي في الاية التي معنا تنهى عن امور ثلاثة ـ هي : السخرية واللمز والنبز ـ فتقول « **يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم** .. الخ . وقد سبق التعريف بكل منها وتبين انها خروج عن آداب القرآن وان هذا الخروج فسق .. الى اخر ما قلنا هناك وتبين كذلك ان ثلاثتها امراض نفسية واجتماعية لها خطرها وضررها في النفس وفي المجتمع مما يترتب عليها من خلخلة اسس الاخاء وفك روابط الولاء في صفوف المؤمنين ومع هذا فان التعبير القرآني يوحي بالتنفير من ثلاثتها وينهى عن ان يصف المؤمن اخاه المؤمن بها او بأيها ، فان المؤمنين جميعا كنفس واحدة قال تعالى « **ولا تلمزوا انفسكم** » اي عيب الاخ عائد الى الاخ العائب ـ فاذا عاب عائب نفسا فكأنه عاب نفسه . وقد ذكر الله علة هذا النهي بقوله « **لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم** » الاية اي عسى ان يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر

وفي هذا التعليل دحض لما درج عليه الناس من جعل القيم الظاهرة مقياسا لقيم الناس ـ وبيان ان هناك قيما اخرى قد تكون خافية على الناس ولكن يعلمها الله ويزن بها قيم العباد ، والمراد بالقيم الظاهرة التفاوت في مظاهر الحياة الدنيا من الغنى والفقر والجاه والانكماش والقوة والضعف ، وليست هذه هي المقياس الذي يوزن به قيمة احد لجواز ان تكون له الخيرية عند الله ، وميزان الله يرفع ويخفض بغير المقياس بالقيم الظاهرة ، الذي لا يرى بأسا من استعمال السخرية وغيرها مما نهى الله عنه لما يترتب عليها من اشاعة الفسوق بدل الايمان في النداء على مؤمن او التعرف عليه اذ يقال له يا فاسق بعد ان كان يقال له يا مؤمن ـ وهذا ظلم حذر الله المؤمنين منه وطلب التوبة منه بقوله « وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون »

« **يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم** » .

« **معنى مفردات الآية** »

**يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** ، هذا نداء من المولى جل شأنه لاتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، يناديهم بأرقى الالقاب منزلة ، واجل الصفات مكانة ، وارفع الاعمال ذكرا ـ اذ وصفهم بالايمان الذي

يحمل صاحبه على استجابة النداء ، وعلى امتثال ما في اطار النداء من امر الله القائل « اجتنبوا كثيرا من الظن - اي كونوا على جانب بعيد عن الظن - ذلك لما يترتب عليه من بلبلة الأفكار وسوء العلائق وحل الروابط بين المسلم والمسلم لذا قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » - وقال : « ثلاث لازمات لامتي - الطيرة - الحسد - وسوء الظن - فقال رجل : وما يذهبهن يا رسول الله : ممن هن فيه قال صلى الله عليه وسلم : اذا حسدت فاستغفر الله ، واذا ظننت فلاتحقق ، واذا تطيرت فامض » ثم ما هو الظن المأمور باجتناب الكثير منه - قال العلماء - الظن هو التهمة والتخون للاهل والاقارب والناس في غير محله ولغير سبب ظاهر لان بعض ذلك يكون اثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا » .

وفيما ارى ان الذي يبعث الظن عند الشخص احد امرين او هما معا :احدهما : ان يسمع الشخص من اخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا ، فيظن فيه السوء - ثانيهما : ان يرى اخاه المسلم يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيظن فيه السوء ذلك لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا ولكنه في نفس الامر لا يكون كذلك ، لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائي مخطئا يتجلى هذا المعنى فيما روي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعود ان يدخل بيتا في جوف الليل وحده ، وتكرر ذلك منه - ورآه بعض الصحابة على ذلك فارتاب واراد ان يتحقق من سبب دخول عمر هذا البيت في جوف الليل وحده - فدخل البيت بعد ان خرج منه عمر فوجد به امرأة طاعنة في السن لا تستطيع القيام وهي وحدها في البيت فقال لها لماذا **يجيء** هذا الرجل هنا - قالت اني كما ترى وليس لي من يقوم بشأني ولا بشأن بيتي - وهذا يهي لي الطعام والشراب ويطعمني ويسقيني ، ويقيم البيت**ويعيء** للبيت شأنه ، فرجع الصحابي على نفسه باللائمة - وقال كلمة الندم - **ثكلتك** امك - وهل تتبع عورات عمر » وقوله « **ان بعض الظن اثم** » تعليل للامر باجتناب الكثير من الظن ، اي انما امر الله باجتناب الكثير لان بعض الظن يكون اثما محضا اي ذنبا محرما - يعني ومثله منهي عنه صراحة كتابا وسنة فلا يدخل في الكثير من الظن المأمور باجتنابه - لذا ابهم الكثير للاحتياط والتأمل في كل ظن خوف ان يقع في ظن منهي عنه - فأنه لا يدري اي ظنونه تكون اثما - وقوله **ولا تجسسوا** - التجسس البحث والتقصي عن الاخبار والامور من جس بمعنى بحث - والمعنى لا تبحثوا عن عورات المسلمين وخفاياهم ففي الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فأن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته » .

وقوله « **ولا يغتب بعضكم بعضا** » يقال اغتاب الشخص اي عابه وذكره

بما يكره وان كان فيه ومتصفا به ـ وسواء أكان غائبا عن مجلس القول او حاضرا فيه ـ وسيأتي لهذا مزيد ايضاح ان شاء الله قريبا .

« **المعنى الاجمالي للآية** :

ورد انها نزلت في رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما ـ وقصتهما معه تتلخص في ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان سفر او غزو ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين ليخدمهما ويهي الطعام والشراب لهما فضم مرة سلمان الى رجلين ـ فتقدم سلمان الى المنزل يوما فغلبته عيناه فنام ولم يهيء لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما ولا إداما ، فقالا له انطلق فاطلب لنا من النبي صلى الله عليه وسلم طعاما واداما ـ فذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذهب الى اسامة بن زيد ، فقل له ان عندك فضل طعام فليعطك وكان اسامة خازن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فذهب اليه ـ فقال اسامة ما عندي شي فرجع سلمان اليهما واخبرهما بما كان ـ فقالا ، كان عند اسامة ولكنه بخل ـ ثم بعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا ـ فقالا : لو بعثنا سلمان الى بئر سمحة ـ يعني غزيرة الماء ـ لغاض ماؤها ـ ثم انطلقا يبحثان هل عند اسامة شيء فرآهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما ـ فقالا والله يا نبي الله ـ ما اكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره ـ فقال : ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان واسامة فنزلت الآية « **يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** » ـ ومعناه لاتظنوا بأهل الخير سوءا ان كنتم تعلمون من ظاهر امرهم الخير هذا وبالتأمل في احوال البشرية عبر الزمن الطويل ، وبالتدبر في تقلباتها متأثرة بكل تطور جديد نرى انها عرضة لاحداث الزمن ، وهدف لامراض المجتمع ـ ونرى كذلك ان هذه السورة تواليها في كلتا الحالين بما يعود عليها بالخير والبر ، وما يدفع عنها غوائل الضر والشر ـ حيث تواليها في الحال الاولى بالتوجيهات الحكيمة والنصائح الغالية الرشيدة تربية لضمير الفرد وتهذيبا لنفسه وخلقه ـ وبالتالي بناء المجتمع اسلامي مثالي به تكون البشرية مطمح الانظار ومضرب الامثال في نباهة الشأن وقوة البأس ، ووحدة الهدف والصف وتواليها في الحال الثانية بعلاج ما تعاني منه البشرية من عادات سيئة ـ في المجتمع متفشية ومن امراض اجتماعية ونفسية في مستويات الامة شائعة ـ وذلك كسخرية فرد بفرد وحقارة طائفة لطائفة وظن السوء في الغير مما يؤدي لاشاعة الفوضى في الامة ، وتقويض مراسم النظام في المجتمع ـ ودفعا لهذه الاضرار اخذت السورة تعالجها بوسائلها الناجعة ـ وذلك بالنهي عن ممارسة هذه الامراض اذ تقول في اية تقدمت قريبا « **يأيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن** » الآية وقد تكلمت عنها في موضعها ، ثم تقول السورة تعقيبا على هذه الاية بما يفيد وسائل

اخرى لعلاج هذه الامور غير النهي عن ممارستها الذي في الاية السابقة ـ هو الامر باجتناب بواعث هذه الامراض اذ تقول « **يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** »

وباعث هذه الامراض هو الظن اذهو كما تقدم التهمة للغير والتخون للاهل والاقارب والناس وكلها امراض اجتماعية وعلاجها اجتناب الكثير من الظن كنص الآية ـ وقوله « **ولا تجسسوا** ـ نهى عن التجسس على الغير من جس بمعنى بحث ، وتجسس الاخبار والامور بحث عنها ـ والمعنى لا تبحثوا عن ما غاب من شئون المسلمين ، وعليكم بما علم لكم من ظاهر امرهم وسبق ان الرسول ايد هذا المعنى بالحديث المتقدم « يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه الخ الحديث ـ والتجسس تفعل من الجس لما فيه من معنى التطلب وقرى بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ـ وايا كان هذا او ذاك فهو نهى عن ما يوجب التمادي في الظن ، ومد خيوطه لاعمال اقبح ، وصفات اردأ واشنع من كل ما هو خطر على الفرد والمجتمع ـ وقوله « ولا يغتب بعضكم بعضا ـ نهى عن الغيبة وقد فسرها الرسول ـ الامين صلوات الله عليه في حديث رواه ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال « قيل يا رسول الله ما الغيبة ـ قال صلى الله عليه وسلم : ذكرك اخاك بما يكره ـ قيل افرأيت ان كان في أخي ما أقول ، قال صلى الله عليه وسلم إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ـ اي افتريت عليه الكذب والغيبة محرمة بالاجماع ـ وقد ورد فيها الزجر الكبير من الكتاب والسنة ـ اما الكتاب فقد شبهها تشبيها مفزعا تشمئز منه النفس حتى الخبيث منها اذ يقول ايجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » فهو تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على اقبح وجه ، وانما مثله بهذا لان لحم الميت حرام في الدين ، وقبيح تناوله تعافه النفس في الواقع ، وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه ومعلوم ان الانسان يتألم قلبه من انتهاك عرضه ، كما يتألم جسمه من قطع لحمه ـ واما السنة ، فقد روى مسدد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا ـ صفية هي بنت حيى بن اخطب زوج النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقال مسدد راوي الحديث ـ تعني عائشة بقولها كذا وكذا ـ تعني انها قصيرة ـ فقال صلى الله عليه وسلم ـ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ـ ولما اعترف ماعز بالزنا هو والغامدية وطلبا الى رسول الله في الحاح ان يطهرهما باقامة الحد عليهما ، ونفذ ذلك رسول الله عليهما سمع رجلين يقول احدهما لصاحبه الم تر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال اين فلان وفلان انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار ، قالا : غفر الله لك يا رسول

الله ـ وهل يؤكل هذا ـ قال صلى الله عليه وسلم ، فمانلتما من اخيكما انفا اشد اكلا منه والذي نفسي بيده انه الان لفي انهار الجنة ينغمس فيها .

ثم عقب الله على الاية بالتقوى وختمها بالتوبة مما يفيد الاهتمام بما تضمنته من النهي عن الظن والتجسس والغيبة ـ والدلالة على انها من كبائر الذنوب يجب تحاشيها والانصراف عنها والتذرع بالتقوى والتوبة الى الله منها حماية للفرد من الانحراف وصيانة للمجتمع من التفكك والانخذال وهل تحتاج هذه الامور الثلاثة لاستحلال المغتاب ونحوه منها ـ خلاف بين العلماء في ذلك قال فريق عليه استحلال منها ويكفيه التوبة بينه وبين الله منها ـ وقال فريق اخر عليه ان يستغفر لصاحبها لما ورد في الحديث عن الحسن كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته ـ وقال اخرون عليه الاستحلال ولو اجمالا ـ ومعنى الاستحلال ان يطلب المغتاب العفو والسماح فيما كان منه نحو الاخر ـ اما التوبة فهي الانابة الى الله والرجوع اليه في العفو عنه فيما فعل من المنهي عنه ولا يتحقق هذا المعنى الا يتحقق امور ثلاثة ـ هي :

**اولا** : الندم على ما كان منه فيما مضى .

**ثانيا** : الاقلاع عنه فورا .

**ثالثا** : العزم الاكيد المصمم على ان لايعود اليه مستقبلا ـ وبذلك يطهر من ذنوبه ويصبح كمن ولدته امه من جديد ولم يقترف شيئا والنصوص على ذلك كثيرة :

« **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » .

« **معنى مفردات الاية** »

يا أيها الناس نداء من العليم الخبير لجميع الكائنات البشرية من ادم عليه السلام الى يوم يبعثون ـ يناديهم ربهم ليحيطهم علما بانه هو الذي خلقهم واوجدهم من العدم من اصل واحد وهو ذكر وانثى ـ وهما ادم وحواء ولم يتركهم هكذا فوضى كالحيوانات السائمة لا يعرف بعضها بعضا بل جعلهم طوائف متعددة وفرقا متقاربة وجعل لكل منها أسما يميزها عمن سواها بحسب هذه الأسماء لتنظم المصالح وتستقيم شئون الحياة وخلافة الله في الارض عمل كل هذا ليتعارفوا اي ليعرف بعضهم بعضا فيصلوا ارحامهم وينتسبوا الى ابائهم ـ لا ليتفاضلوا او يتفاخروا بعلو النسب بهذه الاسماء كما هو متبع بينهم فان نسبهم جميعا واحد وهو الذكر والانثى الذي خلقهم الله منه فلا يمكن التفاخر به لأن الجميع فيه سواء ـ على ان التفاخر بالتسابق في كل ما هو زينة الدنيا وزخرفها يورث صاحبه اعتزازا بنفسه واحتقارا لغيره ويملؤه اغترارا بما ملكت يمينه منها وصغارا وسخرية لكل من خليت يده من شي منها وليس هذا خلق الاسلام ولا شأن المسلمين وليس كذلك التفاخر بما هو طاعة لله ابتغاء مرضاته فانه يضفي على صاحبه عزة

النفس ويدفعه للنظر لاخوانه نظرة اخاء مخلص صادق وولاء وروح طيبة يدفعها الحب والود والوفاء وهذا جدير ان يفتخر به فانه آية الايمان العظيم » .

## المعنى الاجمالي للآية

« **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** » الخ الاية اختلف في سبب نزول هذه الاية الكريمة على اقوال ـ منها واوضحها ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذن ـ فقال عتاب بن اسيد بن ابي الفيض : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم ـ وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ـ وقال ابو سفيان : انا لا اقول شيئا اخاف ان يخبره به رب السموات والارض ـ فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فانزل الله الاية لبيان ان هذه الاسماء انما هي للتعارف لا للتفاخر والتفاضل اذ يقول « **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ـ ولبيان ان التفاضل انما يكون في التسابق فيما هو طاعة لله ابتغاء مرضاته إذ يقول في الآية : « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » اي ان اعزكم عند الله اكثركم تقوى له فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والاخرة ، لذا قال اتقاكم ولم يقل اكثركم مالا ولا جاها ولا احسنكم صورة ولا غير ذلك من الامور التي تفنى .

ذكر الله في ندائه هذا من الاسماء اثنين فقط هما قوله ـ شعوبا وقبائل ـ الشعوب جمع شعب بفتح الشين ـ وهو الجمع العظيم من الناس المنتسبون لاصل واحد وسمي شعبا لتشعب القبائل منه فهو رأس القبائل والقبائل دون الشعوب .

وقد عد العلماء هذه الاسماء ستة ـ هي الشعب ـ القبيلة ـ العمارة ـ البطن ـ الفخذ ـ الفصيلة وزاد بعضهم العشيرة واطلقوا عليها الانساب بدل الاسماء ـ وكل واحدة منها تدخل فيما قبلها هكذا القبائل تحت الشعوب ـ والعمائر تحت القبائل ـ والبطون تحت العمائر ـ والافخاذ تحت البطون ـ والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل ـ نعم كلها فوارق ولكنها للتعارف بينهم وبيان منازله ودرجاته قربا وبعدا ـ كما اخبر العليم الخبير بذلك في ندائه اذ يقول وجعلتكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وكذا الفوارق باللون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني وما يماثلها من شئون الدنيا ليس لها حساب في ميزان التفاضل والتفاخر ولكن لهذا ميزان اخر خاص تتحد به القيم ، وتبين به الفضائل والمكارم والمنن اعلن العليم الخبير في ندائه اذ يقول « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » وقوله « **ان الله عليم**

**خبير** » يعني عليم بظواهركم خبير ببواطنكم فلا يخفى عليه شي ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء « **قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم** » .

**معنى مفردات الآية :**

تطالعنا الاية بكلمتي امنا واسلمنا ومعنى الايمان هنا هو التصديق القلبي لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة الاسلام ان تتحول النظرية المستقرة في القلب الى تطبيق عملي ظاهري يلمسه ابناء المجتمع الواحد في السلوك العملي ، ومساق الاية ونزولها قد جاء بعد وفود بني اسد الى النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون انهم مؤمنون بيد ان حقيقة الايمان لم تستقر في نفوسهم بعد ، وكانوا قد دخلوا في الاسلام حماية لانفسهم من القتل فابان الله ان هذا الذي فعلوه انما هو امتثال ظاهري لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا الى حقيقة الايمان بعد ، فيجب ان يكونوا ادق في تحرير مفاهيم الالفاظ وهم يعلنون الانتماء والصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ويستفاد من هذه الاية ان الايمان اخص من الاسلام كما هو مذهب اهل السنة ، ويدل عليه حديث جبريل الوارد في صحاح السنة حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الاعم الى الاخص ثم الى الاخص منه واذا كان هؤلاء الاعراب في بداية امرهم قد اعلنوا الاستسلام الي النبي صلى الله عليه وسلم ولم تسبر الحقيقة الايمانية الى نفوسهم بعد فان هذا نوع من العمل لم يذهب عند الله سدى فمن رحمة الله بعباده ان لا يضيع اعمالهم وإن لم يتكامل هذا العمل بعد ، وذلك ما يفيد قوله تعالى « **وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا** » اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا ، ذلك لان الله عز وجل اقرب الى المغفرة والرحمة فيقبل من العبد الخطوات الاولية التي يسير بها الى الحقيقة الايمانية الكاملة ، ويرضى منه بالطاعة والتسليم الى ان تتحول تلك الخطوات الى حقيقة كاملة تخالط بشاشة القلب وتتفاعل مع المجتمع نظرية وتطبيقا .

« **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون . قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم . يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين . ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** » .

واذا فقد صحح الله عز وجل لهم تلك المفاهيم في نفوسهم وابان لهم ان الايمان هو تصديق القلب بالله ورسوله ، تصديق لا يعتريه الشك ولا تطرأ عليه الريبة وذلك التصديق الثابت المطمئن الذي لا تزعزعه اعاصير الرياح الهوج مهما اشتدت واستبدت ، والذي يترتب عليه الجهاد بالنفس والمال وكل ما يدخل تحت الملكية في سبيل الله ، ولا يتم ذلك الا اذا وصلت تلك الحقيقة الى القلب وقشرتها واختلطت به وعندئذ تدفع تلك الحقيقة المستقرة في القلب والمستكنة في اعماق الشعور تدفع اصحابها الى تحقيق حقيقة هذا الايمان في دنيا الناس بحيث تستحيل النظرية الكامنة في اعماق الفرد الى واقع عملي في المجتمع لتوحيد الشعور الباطني وتحويله الى سلوك عملي ومن هنا كان الانطلاق الى الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال منهجا حركيا ليحقق ما يستشعره الفرد في باطنه ويراه سلوكا نظيفا ، نظيفا في المشاعر ، ونظيفا في سائر مناحي الحياة الاجتماعية .

ومما يلفت النظر في هذه الاية هو قوله عز وجل « **ثم لم يرتابوا** » ووضعها بين كلمتي آمنوا وجاهدوا ، ان هذه لاشارة واضحة وصريحة على ان هذه الرحلة ليست رحلة على طريق ممهد ميسور وانما هي رحلة تكتنفها الصعوبات والمشقة فلابد للنفس اثناء سيرها في تلك الرحلة ان تصطدم في الحياة بشدائد ونوازل وخطوب تلم بها اثناء سيرها « **أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** » العنكبوت اية ١٢ .

والنفس التي تثبت ولا تتزلزل وتقف كالطود الاشم في مواجهة الذين يريدون ان يعبدوا البشر للبشر هي التي تستحق ان توصف بذلك الوصف الذي جعله الله تتميما للاية وختاما لها وهو قوله « اولئك هم الصادقون » . الصادقون في ايمانهم بربهم الصادقون في مشاعرهم وضمائرهم واحساساتهم ووجداناتهم وهم دائبو العمل على ترجمة هذا الشعور وتحويله الى واقع عملي .

فاذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب ولم تتحقق واقعيا على صعيد التعامل الاجتماعي لم يكن هناك ايمان بالمرة . وبعد ان يكشف عن حقيقة الايمان ويحرر مفهومه تماما حتى لا يبقى معه لبس يعود الى اعراب بني اسد الذين جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين :

( أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ) يمنون عليه بذلك . فيبين لهم ان الله يعلم ما تنطوي عليه الصدور والقلوب ويعلم كذلك كل شاردة وواردة بهذا الكون اذ هو خالقها ومالكها وتدين كلها بالخضوع والانقياد له ، لانها صنعته وخالق الشي ادرى بتفاصيل جزئياته وكلياته . قال عز شأنه « **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء**

**وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير** » الحديد ٤ .

ولذا لا يجب ان تخبروه بحقيقة الدين الذي انتم عليه فانما هو يعلمه ايمانا كان ام اسلاما واذا فلا مجال للمن بالاسلام او الايمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نفع ذلك عائد عليكم فلا تمنوا عليه بذلك ولله المنة على الناس فيه « **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين** » الحجرات /١٧ . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم حنين اذ قال لهم ( يا معشر الانصار ألم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فالفكم الله بي ، وعالة فاغناكم الله بي ، فكلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن ) .

وعاد النص القرآني من جديد يؤكد هذه الحقيقة ويعمقها في النفس البشرية مبينا ان الذي يستأثر بعلم غيب السموات والارض يعلم غيب النفوس ، وما يستكن فيها ، وما تنطوي عليه ، وما تخفيه في ضمائرها ومشاعرها ، فلا يستمد ذلك العلم من المنطق الظاهري للالفاظ لانه هو الصانع والصانع ادري بتفاصيل صنعته « **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » الملك /١٤ « **ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** » الحجرات /١٨ .

اما بعد ـ فهذه سورة الحجرات التي تضمنت ثماني عشرة اية والتي تكون عالما كبيرا يتجاوز حجم نصوصها بكثير . فلقد تضمنت حقيقة العقيدة والشريعة ، ووظيفة الانسان في الحياة وهي حقائق تثير اللب وتحرك الوجدان وتجعل القلب والعقل البشري غير محجوب ولا مسترق الفكر انما هو حر في البحث والتحري عن الحقيقة الكبرى ـ حقيقة الالوهية والربوبية ليصل من ذلك الى تمحيص العبودية لله عز وجل وفي ذات الوقت تفتح المجال امام الخواطر العميقة والتأملات الهادئة الهادفة في ثنايا هذا الكون المخلوق لله والمربوب له ، وتشتمل كذلك على قواعد التربية والتهذيب ، وبين ثناياها نجد المنهج الكامل لبناء المجتمع الصالح وقد تضمنت السورة الوسائل التي تضمن قيام هذا المجتمع الصالح ، ووضعت الضمانات لكي يسير في طريق مستقيم لا تزيغ ولا تعوج ولا تضطرب .

وخلاصة القول : ان السورة تهدف الى تكوين العالم المسلم الذي يتميز بأدبه مع الله وأدبه مع رسوله وأدبه مع نفسه وادبه مع غيره وأدبه في اعماق ضميره وجوارحه ، وله ايضا شرائعه الخاصة به المنظمة لسلوكه القائمة على تحقيق منهج الله في الارض وربطها بالسماء ربطا محكما ليسير الكون الى غاية محدودة وهي كلمة التوحيد ـ لا إله الا الله محمد رسول الله .

والله ولي التوفيق

نفثة صدر إلى الشباب المسلمين في الغربة

# حاذر يا ولدي

للاستاذ : احمد العناني

حتى لا يقهروك يا بني
حتى لا يجعلوا منك عدوا لذاتك لدودا
حتى لا يوقعوك في شباك التناقض وعذاب الحيرة
حتى تظل عارفا عما تدافع ، ومن تدفع عن نفسك
حتى لا تفقد هويتك ، ولكي لا تنشطر ذاتك ، ولكي لا يتنكر يومك لأمسك ، ولكي لا تصبح جبارا على اهلك وذوي رحمك ، وأبناء دينك ...
ولكي لا تصبح حجزا آخر يلقي به أعداء هذا الدين في دروب المسلمين ..
ولكي يبقى فيك سر قوتك ، فلا ينزعوه منك فتصبح ذليلا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ..
احذر يا بني ان يفتنوك عن بعض دينك ...

ان الله تعالى جعل من المحارم سياجا لحماية الذات المسلمة ، ولحفظ نقاء القلب المؤمن ، وللدفع عن حمى الشخصية الموحدة ..
ان الهام الأهم في ترك الخمر مثلا ليس حفظ العقل من غشاوة الجهل ، ولا حفظ المال من سفه الضياع ولا سقوط الحياء من مباشرة المنكر .
ولكن ترك الخمر سياج يحمي حديقة المؤمن
انه سور يحيط بيقظة المسلم على ذاته ، واتصال همس قلبه وروحه بذكر ربه ، واستمرار الرائع البديع من احساسه بمسئوليته
وصيانة لتجاذبه الدائم مع رب الوجود ، عالم الغيوب مقرر المصائر ، واهب النصر ودافع الخطوب .
صدقني ان حقيقة المسلم ان يكون دائمامع ربه
انه يخرج من صلاة الى ذكر يهيىء لصلاة بعدها ..
ان في اعماقه حارسا لا يغفل ، ولا يصح أن يغفل
انه يحس فورا حين يخرج من هذه الصحبة الربانية بأنه اصبح يتعرض فورا لوساوس المنكر ..
فكيف به حين يشرب الخمر ، وينيم العقل ، ويوقظ كل شهوات الفجور ونوازع الضلالة والضياع ..

ان وجود المسلم ضمن الاسلام على الارض
هو وجود عمل وأمل ، وكفاح ومسئولية ..
هو وجود لصلاح الوجود عبر صلاح الذات ..
وكيف يحس بالفراغ من عليه ولو أبسط قدر من المسئولية عن جوع كل مسلم جائع ، وعن دموع كل أرملة باكية وعن أسى كل يتيم دامع ، وعن فقر كل فقير متجمل وعن كل هزيمة يصاب بها المسلمون ، وكل تأخر يذل حالهم بين العالمين .. وعن كل وطن يهان وأرض تسلب ..
فأين المخمور من هذه المسئوليات يا بني ؟
اين المخدر من هذه الواجبات .. اين ؟

**حذار يا بني حذار**
**تقبل ان تقطع يدك ولا تمدها الى كاس خمر**

تصور أن تقع في حفرة او ان تدوسك سيارة او يخترق جسدك عيار نار طائش
ولكن لا تتصور مجلسا تجلس فيه مع مخمورين
ولا يغرنك غمز الغامزين ولا منطق الساقطين ..
ان كل ما يغمزونك به هو المحاولات الكلمى المثلومة .. للتفريج عن احساسهم بالهزيمة والسقوط ..
ومن شرب الخمر نسي الامر واضاع الصلاة ، وهان عليه المحرم وانزلق داريا او غير دار الى اخلاق كل مجرم ..
ايها الولد الميمم شطر الغرب او الشرق ليتعلم !
آه ما اكبر المسئولية التي تتحمل
آه ما اضخم التحدي الذي تواجه ..
ان وراءك امة تنقصها الالوف المؤلفة من الفنيين والاخصائيين والصناعيين والحاسبين الاداريين ، وليس بنافعها منهم احد الا المخلصين المحبين ..
فهل تعود لهم وقد تعلمت الخمر فكرهت الصلاة ، وثقل على لسانك ذكر الله ،
وامحي من وجدانك كتاب الله !
ام تعود لها نفس شطرها الخمر فهانت عليها المحارم وقادها فجور الحانات للاستهانة بمحارم الله ونواهي الله
هل تعود لها زائغ الايمان غريب الشكل والقلب واللسان ؟
عيب والله يا بني وارضنا منهوبة وكرامتنا جريح وخيراتنا سليبة وحالنا متفرقة وبيتنا مضطرب
ايها الولد ، ابحث في خفايا نفسك وفتش في طياتها قبل ان تنقل قدما الى بلاد الله اعرف نفسك وما تريد ..
فان لطلب العلم سبيلا من الوحدة المؤتنسة بالله والغربة التي ينهنه شوقها الهدف السامي ويهدهد سهادها الانجاز والسعي
اما ان كنت تختان نفسك وتهفو الى حرية التبذل واثم الترخص من الواجب ، وعذر الهارب من الحق فبئس الرجل انت ، اضعت نفسك واضعت اباك ومال ابيك ولوثت شرف بلادك ، وعدت لها اذا ما عدت حربا عليها وعلى كل معنى كريم في وجودها وحضارتها ..
ايها الولد هداك الله ورعاك

نحن لا نحتاج من يبيع لنا بضاعة مزجاة عن الخير والحق ، ولا عن الاخوة والعدالة والمساواة
نحن بأيدينا مفاتيح الحجرة التي تحوي اسرار كل المعاني الحسان ..
حيث الحرية التي لا تنتهي الى الظلم ، والدولة التي تنهض بكل قوى الفرد ، والأمة الواحدة التي يلملمها الحب ، وتنسقها حقيقة الاخوة ، والمال الموظف لصالح الخلق ، والمشاركة التي تزكي السعي ، وتغسل الارواح من كدر الكبرياء وغسل الحقد
نحن اهل القرآن يا بني !
نحن اهل البر والتسامح والمرحمة والبذل .. نحن كنا شموع الحق على الدرب .. لولا كتابنا ما انار درب
نحن الذين يجب ان نشرح للناس فيستمعوا
ونقرأ لهم فيصغوا ، وندلهم على جنة القرآن فاذا الدنيا أمان وحق واحسان ، واذا الحياة مرحمة وكرامة وايمان ، واذا الاجواء نقية مطهرة ، والعيش كله روض وروح وريحان .
ايها الولد ..
نحن عندنا الارض والماء والمناخ ، وما حاجتنا الا للوسائل والأدوات ..
نحن نحتاجك لمختبر للدراسة ، ومصنع للانتاج ، وطريقة في التنظيم والتشغيل
نريدها لنعيد للعالم كله يقينا زلزله الكفر
وازاغه الفسق ، واعماه الظلم ، والتمييز والكراهية ،
نريده ليهتدي الناس .. لتكون القوة في خدمة الحق ، والمال في خدمة الرحمة
والعدل ، والعلم في خدمة الناس جميعا ...
ايها الولد هداك الله ورعاك
رسالة القرآن تنتظر عقولا فاهمة ، وقوة مقتدرة
فعد لنا بوسيلة من القوة والقدرة ..
لذلك نتحمل الشوق في غيابك ، والصبر على غربتك
فعد لنا ولا تعد علينا ، والا فانها الخيانة الكبرى
ولقد أذلتنا الخيانة الكبرى

# إن كنتم في ريب من البعث

يقول المولى تبارك وتعالى :

( يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ) الحج ٥ ـ ٧ .

صدق الله العظيم

للدكتور : احمد حسنين القفل

البعث : هو رد الميت إلى الحياة ، او هو تزويج الروح مع ذراتها المادية ليتكون الكائن الحي جسما وروحا من بعد الموت كما كان ، مصداقا لقوله تعالى : ( **وإذا النفوس زوجت** ) التكوير / ٧ ويشتمل هذا التعريف على تحويل الجماد الذي لا حياة فيه ، إلى كائن حي له كل مميزات الحياة .

واذا نحن رجعنا إلى كتب التفسير ــ وهي كثيرة ــ فاننا نجد أنها تفسر الآيات الكريمة السابقة بعبارات مبهمة وغامضة بحيث لا يستطيع القارىء لها ان يستشف ظاهرة البعث ولا ان يكون صورة حقيقية لها في المثلين السابقين اللذين ضربهما الله للتدليل على البعث ، وهما تطور الانسان أثناء دورة حياته الجنينية وما بعدها وكذلك حياة الأرض بالماء وإنبات الزرع ، وللمفسرين القدامى عذرهم في هذا الصدد ، ذلك ان علوم الحياة المتصلة بالحيوان والنبات لم يطرأ عليها هذا التقدم المذهل في كثير من مجالاتها إلا في السنين الأخيرة ، وخاصة في القرن العشرين .

والدارسون لعلوم الحياة ــ أعني علماء الحيوان وعلماء النبات ــ يمكنهم بسهولة إدراك ما تعنيه ظاهرة « البعث » في المثلين السابقين ، وبالتالي توضيح كل جوانبها وإلقاء الضوء على معانيها حتى يزول الشك والريب وحتى يزول الغموض والابهام .

والمعروف لنا ، والمشاهد لدينا ، يدل على ان كل كائن حي ــ من نبات وحيوان ويدخل في ذلك الانسان ــ عندما ينقضي أجله المسمى له ، فلا بد أن يدركه الموت فالموت هو نهاية كل حي ، طال العمر أو قصر ، وبعد الموت يتحول الكائن الحي الى تراب ، يضاف الى الأرض التي نشأ منها ، وإلى غازات ــ اهمها ثاني اكسيد الكربون ــ والى بخار الماء يضافان الى الأجواء المحيطة به . والتراب والغازات وبخار الماء ، كلها تراكيب جمادية لا حياة فيها . وإذا كان التحويل الى التراكيب السابقة يتم سريعا بالحرق ــ في حالة النبات او الحيوانات التي تحرق ، وحتى في حالة الانسان حين يموت وتحرق جثته ــ فان جسم الانسان ( ومثله الحيوانات الأخرى او النباتات ) الذي يقبر بعد الموت يتحول الى نفس هذه التراكيب بفعل الميكروبات ( البكتريا ) ونحوها فهذه تقوم بتحليل الأنسجة رويدا رويدا اي ببطء

قد تطول مدته او تقصر ، فهي تطول مثلا بالنسبة للعظام حتى لتصل الى السنين والقرون ، قصيرة بالنسبة للانسجة الاخرى .
والسؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن هو : هل يمكن ان ترد هذه التراكيب الجمادية من تراب وغازات لتكون مواد حية من جديد ؟ او بمعنى آخر هل يمكن أن تنشأ حياة من مثل هذه المكونات ؟ وكيف ان الله سبحانه وتعالى يريد أن يقنع المتشككين في البعث والمرتابين في حدوثه بضرب الامثلة السابقة في الآيات القرآنية التي سجلناها في بداية هذا المقال ؟ .
المتأمل في الآيات الكريمة السابقة يرى أن الله يخاطب الناس كل الناس فيقول سبحانه لهم : **( يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث )** أي ان كنتم تستبعدون او تشكون في قدرتنا على احياء الموتى ، اي بعثهم فاني أثبت لكم قدرتي على ذلك ، بضرب امثلة لكم ، تحسونها بأنفسكم أو تشاهدونها بعيونكم او تثبتونها بأبحاثكم ودراساتكم ، ثم يسوق سبحانه الأدلة على البعث — اي تحويل الجماد الى حي — فيسجل سبحانه هذه الأدلة كما وردت في الآيات السابقة على النحو التالي :
١ — الخلق من التراب .
٢ — مراحل التطور في خلق الانسان منذ بدايته كجنين ، وحتى موته بعد استيفاء أجله المضروب له .
٣ — حياة الأرض بالماء ، وقدرتها بعد ذلك على انبات الزرع على اختلاف انواعه وصنوفه .
٤ — يعقب الله تبارك وتعالى على هذه الأدلة فيقول سبحانه :
**أ — ذلك بأن الله هو الحق .**
**ب — وأنه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير .**
**جـ — وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .**
وسوف نتناول بشيء من التبسيط مناقشة موضوعية علمية لكل هذه المجالات التي اشارت اليها الآيات الكريمة ، لنتيقن من قدرة الله على البعث ، دون ريبة او شك .
اولا : **الخلق من التراب**
من الحقائق التي يتفق عليها كل علماء الأحياء Biologists ان الحياة على وجه الأرض بدأت اول ما بدأت من التراب المختلط بالماء ( الطين ) فهم جميعا يتفقون على هذا المنشأ لكنهم يختلفون في تفسير الطريقة أو الكيفية التي نشأت بها هذه الحياة ، كما انهم يختلفون أيضا من حيث زمان حدوثها ومكانه والثابت أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون الجمادي — السماوات والأرض — أولا ليكون مسخرا للانسان وفي خدمته ، اذ لا يمكن للأحياء ان تعيش دون ان تستمد مقومات حياتها من هذا الكون ، شمسه وأرضه ، وما أودع فيهما من طاقات وأقوات وارزاق ، هي عمود الحياة في كل الأحياء يقول سبحانه :
**( قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب**

**العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم )** فصلت : ٩ــ١٢ .

وبعد أن خلق الله هذا الكون الجمادي ، وسخره بما فيه لمنفعة الانسان خلق الأحياء بداية من الطين ودليل ذلك ان جميع الأحياء ــ النبات والحيوان بما في ذلك الانسان ــ بلا استثناء يوجد بأجسامها قدر من هذا التراب يدخل في تكوين انسجته الحية ، فكل كائن حي ، يتخلف عن جسمه التراب لو أحرق احراقا تاما .

ويوجد هذا التراب في جسم الكائن الحي بميزان دقيق ، بحيث لو اختلت نسبته ــ وهي تختلف كما ونوعا من حيوان الى آخر ، بل من نسيج الى آخر في الكائن الحي الواحد ــ كثيرا لتأثرت حياته ، واختلت صحته ، بل قد يتعرض للموت اذا لم يسعف علاجيا بالقدر الناقص منه ، واللازم له والقارىء الكريم لا بد قد سمع عن الأمراض التي تعتري الانسان نتيجة لنقص في الكالسيوم او الحديد أو .. الخ .. وهذا المقدار من التراب هو ما يتبقى عند احتراق الكائن الحي كما اسلفنا أو هو حظ الأرض من جسمه بعد موته ، وتحلل انسجته .. يقول المولى تبارك وتعالى عن الانسان بعد موته ، وتحليل جسمه :

**( بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ )** سورة ق / ٢ــ٤ .

واذا كان العلماء يختلفون كثيرا عند تفسيرهم « للطريقة او الكيفية » التي بدأت بها الحياة من الطين كما أسلفنا فان مناقشة هذا الموضوع تحتاج الى عرض مفصل ليس هنا مقامه ، ولا يجمل بنا الخوض فيه هنا .. الا ان الخلق من الطين بالنسبة للانسان يسجله القرآن الكريم في كثير من آياته يقول سبحانه :

**( ومن أياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون )** الروم / ٢٠ .

**( الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين )** السجدة / ٧ .

**( انا خلقناهم من طين لازب )** الصافات / ١١ .

**( ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون )** الحجر / ٢٦ .

واذا كان القرآن الكريم قد قرر ما سبق بالنسبة لخلق الانسان من الطين ونحوه فانه قد قرر في نفس الوقت أيضا أن الانسان قد خلق من سلالة من طين ، يقول سبحانه :

**( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين )** المؤمنون / ١٢ .

والسلالة هنا لا تكون الا بمعنى « الذرية » مقياسا على قوله تعالى عن الانسان أيضا :

**( ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين )** السجدة / ٨ .
ويتضح من الآيات السابقة جميعها ان موضوع « خلق الانسان » من الطين او من سلالة من طين ، يحتاج إلى مناقشة مفصلة ليس هنا مقام الاسهاب فيها .
لكن ما نريد ان نلفت النظر اليه هنا هو ان التراب ــ وهو جماد ــ يدخل في تكوين جسم أي كائن حي بما فيه الانسان ــ ومما تجدر الاشارة اليه ايضا أن الكائن الحي ــ النبات والحيوان ــ يحتاج ضمن غذائه الى مواد معدنية ــ هي التراب ــ لا بد له من الحصول عليها ولو منع منها لتعرضت حياته للخطر ثم الموت . فالنبات يحصل على هذه المواد المعدنية بواسطة جذوره من التربة التي يعيش فيها ، والحيوان بدوره يحصل على هذه المواد المعدنية ــ كالسيوم ، حديد ، بوتاسيوم ، صوديوم ... الخ ــ من الغذاء النباتي الذي هو في الأصل قوام طعامه ، بل حتى الحيوان المفترس يحصل على هذا القدر من المواد المعدنية من لحم فريسته التي غذيت بدورها على النبات . وتتحول المواد المعدنية في غذاء النبات والحيوان مع مواد الغذاء الاخرى الى انسجة حية في جسم النبات والحيوان كما سنوضحه تفصيليا فيما بعد .
ويتضح مما سبق ان الله سبحانه وتعالى الذي خلق الحياة ابتداء من التراب ( الطين ) . والذي قدر ان يكون التراب مكونا اساسيا للانسجة الحية في الأحياء ، الله الذي خلق الحياة هكذا ابتداء ، قادر على ان يبعث الحياة في التراب انتهاء عند قيام الساعة ، وحين يحين البعث ، يقول سبحانه :
**( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم )** الروم /٢٧ .
**( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة )** العنكبوت / ٢٠ .
واستأذن القاريء الكريم في ان ابدأ في مناقشة موضوع احياء الارض بالماء لانتاج الزرع كدليل على البعث ، قبل مناقشة الاطوار الجنينية وما بعدها لسهولة العرض ، وتيسير الفهم ، ذلك لان الله سخر النبات للحيوان بما فيه الانسان ، فلزم ان يكون النبات اقل تعقيدا في أنسجته وحياته عن الحيوان .

**ثانيا : والأرض والماء والزرع**
لما كنا بصدد الكلام عن البعث اي احياء الميت ، ولما كان الله سبحانه وتعالى قد ساق الدليل على البعث في صورة الماء ينزل على الأرض الهامدة ، فاذا بها تهتز وتربو وتنبت ، فليس المجال اذن هو ان نتكلم مثلا عن مقارنة بين الصحاري وقحولتها ومظاهر الموت والسكون فيها لخلوها من الحياة تقريبا ، وافتقارها الى مقوماتها والأرض المزروعة وما تحمل من نبات وحيوان على سطحها ، ومن حياة كامنة بين حبيباتها ، فليس في هذا كله ما يعطي صورة على البعث لكن المقصود هو ابراز صورة جلية واضحة عن الشيء الميت ينقلب حيا ، لينهض ذلك دليلا على

البعث ، وليكون في حد ذاته حجة ، بل حجة داحضة لمن ينكرون البعث ويتشككون فيه . ولكني اريد ان اوضح في البداية ان الله تبارك وتعالى حين قال : **( وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت )** انه سبحانه قد اشترط للحياة في مثل هذه البيئة ثلاثة أشياء هي : الأرض والماء ، والزرع ، وهي ثلاثة اشياء مهمة جدا للحياة ، فلو لم تكن هناك أرض لما صلح الماء والزرع لاستمرار الحياة ، وبالمثل لو فقد أي من الماء أو الزرع لما كانت هناك حياة وقد يقال : إنه يمكن إنبات البذور في ماء نقي ، وأقول : ان ذلك قد يحدث ولكن الى حين ، او امد قصير ، بعده يقف النمو ، ويتحقق الموت ، لعدم وجود غذاء مستمر للنبات ، اذ ان هذا النمو الاول يكون على حساب ما تختزنه البذرة من غذاء ثم بعدها يفنى ليقف النمو وينتهي النبت بالموت ، لان الماء الصراح ليس به عناصر تغذية للنبات . واذن فالارض كمهاد ، والماء كمذيب للعناصر اللازمة للتغذية ، ثم كمكون اساسي للانسجة ( مادة الحياة أو البروتوبلازم ) لا بدمن وجودها لانبات الزرع ونضوجه ، وعلى هذا الاساس فالثلاثة معا ــ ومع غيرها ــ سوف تدخل حتما في تكوين الحياة ، وتدلل على البعث وسوف نناقش هذه المسألة ونوضحها في الوجه التالي :

١ ــ هب انك غرست بذرة نبات ــ اي بذرة لاي نبات ــ ولنفترض انها بذرة لثمرة توت مثلا في ارض مناسبة ، والمعروف ان بذرة شجرة التوت هي من الضآلة بحيث لا يتعدى وزنها ان يكون بضعة اجزاء من الجرام الواحد ــ

٢- لوغرست هذه البذرة في ارض شديدة الجفاف ــ صحراوية ــ وتركتها دون ماء او رعاية فانها لا تلبث ان تموت دون شك ، واذا ماتت على هذا النحو فان الحياة لن تعاودها مهما حاولت او اجتهدت ، لكنك اذا تعهدت هذه البذرة فغرستها في ارض مناسبة وتعهدتها بالري ــ الماء ــ عند اللزوم وبالتسميد اذا اقتضى الامر ذلك ، فان هذه البذرة لا تلبث ان تنمو ، فتبدأ الحياة صغيرة في صورة بادرة ضعيفة ، ثم لا تلبث بمضي الوقت ان تزيد نموا وقوة حتى تصبح في النهاية شجرة كبيرة ، وارفة الظلال كثيرة الاعضاء جمة الأوراق غزيرة الثمار ( ان اثمرت ) وفي النهاية يكون حجم هذه الشجرة قدر البذرة التي انتجتها بلايين البلايين من المرات ، كل ذلك في سنين معدودات .

٣ ــ ولو تأملت وتدبرت وسألت نفسك من اين طرأت كل هذه الزيادة الهائلة الضخمة في شجرة التوت الكبيرة تلك التي بدأت حياتها ببذرة قليلة الجرم ضئيلة الوزن . فلا شك انك بعد تفكير ستصل الى الجواب وتفسيره كالآتي :

٤ ــ العلم يقول : ان البذرة ! اي بذرة ــ بها جنين اصغر منها ــ وهو الجزء الحي الذي انبت كل هذه الشجرة الكبيرة واغلب انسجتها حية .

٥ ــ ان الزيادة الكبيرة التي طرأت تباعا على البذرة بعد انباتها وهي ظاهرة تعرف علميا « بالنمو » لها مصدران :

أ ــ مواد ترابية اي معدنية ( من التربة اي من الأرض ) اذابها الماء ــ ولا بد من

وجود الماء لاذابتها ــ فصارت بذلك محلولا مغذيا حول جذور الشجرة المتشعبة بين حبيبات التربة . يحتوي المحلول على المواد المعدنية ( الترابية ) المذابة ــ وهي جماد ميت ــ وللجذور القدرة على امتصاصها حسب متطلباتها من المواد المذابة ، وقد ثبت علميا ان جذور النبات لها القدرة على الاختيار بحيث تفضل عنصرا على آخر او تمتص عنصرا اكثر من غيره ، والمواد الترابية التي امتصتها الجذور تصل الى خلايا النبات المختلفة في الافرع والاوراق والثمار .. الخ وهناك تمتزج بغيرها فيتحول الجميع الى مواد حية ضمن مادة « البروتوبلازم » التي تكون هذه الخلايا والتي عن طريقها تبني الخلايا نفسها وتنقسم تباعا ليتأتى بذلك نموها .

ومما سبق يتضح جليا ان التراب ــ المواد المعدنية وغير المعدنية ــ المذاب في الماء قد امتصته الجذور حتى اذا ما وصل الى الخلايا حولته هذه من جماد الى مادة حية ( مع مواد اخرى ضمن بروتوبلازم الخلية ) تبني بها الشجرة انسجتها وتنمو تباعا .

لكن هذه المواد الترابية لا تكون في حقيقة امرها الا جزءا ضئيلا جدا ــ لا يتعدى في الشجرة الكبيرة بضعة جرامات وهي ما تتخلف عند الاحتراق ــ من هذه المادة الحية ، لكنه مع ضآلته يعتبر في نفس الوقت مكونا هاما لا يمكن الاستغناء عنه ، فلو ان احد عناصر التراب هذا غاب وهو لازم للنمو فقد يترتب على غيابه مرض الشجرة ، وذبولها ، وموتها في نهاية الامر او عدم نجاحها في بلوغ حجمها الاصيل او كفها عن الاثمار . ومن هنا كانت اهمية تسميد النباتات ــ بالاسمدة البلدية او الكيماوية ــ اذ الغرض من هذا التسميد هو امداد النبات بالعناصر اللازمة له والتي لا تتواجد في التربة او توجد شحيحة فيها فلا تكون كافية .

ب ــ لكن معظم ما يبنى الشجرة مكونا ساقها وفروعها واوراقها وثمارها ، معظم ما يبنى هذه الانسجة جميعها يأتي نتيجة لعملية حيوية يقوم بها النبات ، وتعرف علميا بالتمثيل الضوئي » او« بالتمثيل اليخضوري » نسبة الى اليخضور « الكلوروفيل » وهو المادة الخضراء ــ ونحوها من المواد الاخرى الملونة لاوراق النباتات ــ وخلاصة هذه العملية ان النبات حين يتنفس نهارا في ضوء الشمس فانه يحتاج إلى ثاني اكسيد الكربون ــ وهو غاز متوفر حوله في الجو ــ ويلفظ الاكسجين اي ان النبات نهارا يتنفس بعكس الحيوان وهذه حكمة الله سبحانه في ان يكون تنفس الحيوان والنبات يكمل احدهما الاخر فزفير الحيوان هو اساس لحياة النبات « كشهيق » « وزفير » النبات هو اساس « لشهيق » الحيوان . وسبحان مدبر الاكوان . وعندما يتنفس النبات نهارا فان ثاني اكسيد الكربون الذي يحصل عليه النبات يتفاعل مع الماء واليخضور الموجودين بالنبات لكن ينجح هذا التفاعل فانه لا يتم الا في وجود ضوء الشمس ، ومن ثم سمى بالتمثيل الضوئي ــ وحصيلة هذه العملية كلها هي بناء الجزء الاكبر والاهم من انسجة النبات الحية ومواصلة النبات حياته ليؤتى ثماره .

وانت ــ ايها القارىء الكريم ــ ترى معي ان كل ما يلزم لعملية التمثيل الضوئي هي تراكيب ميتة ( جماد ) تحولت في النهاية الى مادة حية ــ هي بروتوبلازم النبات ــ بها يبني النبات كل انسجته الحية اللازمة له أفلا يكون ذلك « بعثا » ؟ أو لسنا نرى « دليل البعث » قائما امامنا في كل لحظة متمثلا في تحويل تراب الأرض وثاني اكسيد الكربون والماء في وجود اليخضور وضوء الشمس في تحويل كل ذلك الى انسجة حية ؟ ان كل نبات حي كبير كالاشجار الباسقة ، او صغير كالحشائش ونحوها يبدأ ــ في العادة ــ ببذور صغيرة تحتوي الاجنة ، لكن معظم حجمه الذي يبلغ اضعاف اضعاف بذرته بل وتكون ثماره بذورا كالاصل ، وكل هذه الاضافات الحية تكون اصلا من تراكيب ميتة ، هي ما اشرنا اليها آنفا .

وثمة شيء آخر وهي ان الآية الكريمة تسجل ان الارض الهامدة تهتز وتربو عندما ينزل الماء عليها ، فماذا عساه يعني ذلك :

١ ــ حبيبات التربة ذاتها مادة ميتة ( جماد ) وستظل كذلك ما لم تذب اجزاء منها في الماء لتكوين محلول يتغذى عليه النبات كما اشرنا الى ذلك فيما سبق .

٢ ــ اما « الاهتزاز » فمعناه الحركة الموضعية الضئيلة ، وهذا قد يتأتى للحبيبات نتيجة لانزال الماء عليها ، وحركاته بينها ، وذوبان بعض مكوناتها ولو جزئيا .

٣ ــ اما لفظ « ربت » فمعناه زيادة الحجم بعد انزال الماء على الحبيبات عما كان عليه قبل انزال الماء ، اي والأرض هامدة ــ والاهتزاز والزيادة في الحجم يمكن ان يحدثا لاسباب منها ؟

أ ــ حركة الماء في المسافات البينية الكائنة بين حبيبات التربة ثم فوق سطحها ، وتشرب الحبيبات له يجعلها تهتز وتربو ،

ب ــ وجود الماء يخمر المواد العضوية ــ المخلفات النباتية والحيوانية ــ بين حبيبات التربة ، وهذا من شأنه ان يزيد من حجم المادة العضوية حجما ، وهذه الزيادة بالتالي تضغط بدورها على حبيبات التربة فتجعلها تهتز وتربو .

جـ ــ بعد انزال الماء على الأرض فان البذور فيها ــ ان وجدت ــ تبدأ في الانبات ومن ثم تبدأ جذورها صغيرة وسطحية ثم لا تلبث بالنمو ان تزداد تشابكا وتعمقا وحجما ، ويؤدي كل هذا بدوره الى ان تهتز الأرض وتربو .

د ــ قد يوجد بالارض الهامدة كائنات حية دقيقة ــ نبات وحيوان ــ لكنها لا تكون نشيطة بل تكون في حالة سكون او سبات ــ شبه ميتة ــ وهذه الصورة من السكون او السبات هي ظاهرة يطلق عليها العلماء « التكيس او التحوصل » وعند انزال الماء وذوبان المواد العضوية والمعدنية فيه ، فان ذلك يحدث بيئة اي وسطا مناسبا تجعل هذه الكائنات تبدأ حياتها وانشطتها من جديد بين حبيبات التربة ، وهذا ايضا في حد ذاته « بعث » يؤدي الى اهتزاز التربة وزيادة حجمها ، ومن الغريب او مما يلفت النظر ان القرآن الكريم يشير الى ان الأرض تهتز وتربو كدليل على حيويتها ــ كما سبق أن أوضحنا ــ حتى دون وجود نبات فيها ــ يقول

سبحانه :
**( ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير )** فصلت / ٣٩ .
ولأمر يراد اورد الله في القرآن الكريم آيات قرن فيها حيوية الأرض بتوفر الرطوبة فيها . ودلل بذلك على البعث . يقول سبحانه :
**( والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون )** الزخرف / ١١ .
**( فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى )** الروم / ٥٠ .
**( والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور )** فاطر / ٩ .
**( وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة )** البقرة / ١٦٤ .
**( والله انزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها )** النحل / ٦٥ .
**( ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله )** العنكبوت / ٦٣ .
ومن رحمة الله وعجيب صنعه ان الارض بموادها المعدنية وغير المعدنية ، وكذلك الماء وثاني اكسيد الكربون في الجو ، هي كلها مواد ثابتة بالنسبة لكل نبات ، ومع ذلك نجد ان النباتات تختلف اختلافا شاسعا حسب انواعها وتركيبها الوراثي ، ومن ثم فان اشكالها وأحجامها وألوانها وثمارها .. الخ تختلف ، مع أنها تسقى بماءواحد ويسجل الله على الانسان هذه النعمة ويذكره بها فيقول سبحانه :
**( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحا بأثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون )** الأعراف / ٥٧ .
**( وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون )** رعد / ٤ .
**( وآية لهم الأرض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمرة وماعملته ايديهم افلا يشكرون . سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون )** يس / ٣٣ـ ٣٦ .
**(فلينظر الانسان الى طعامه . اناصببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وابا . متاعا لكم ولانعامكم )** عبس / ٢٤ ـ ٣٢ .

## ثالثا : مراحل خلق الانسان :

فيما سبق ، أحطنا القارىء الكريم علما ، بما يقوم به النبات من تسخير جذوره لامتصاص عناصر التربة المذابة في الماء ، وبما يقوم به النبات الأخضر من تمثيل ضوئي ( يخضوري ) بواسطة أجزائه الخضراء ، وخاصة الأوراق . ومن تحويل هذه التراكيب الميتة ( جماد ) من التربة ، وثاني أكسيد الكربون ، إلى مادة حية ( بروتوبلازم ) يبني بها النبات أنسجته الحية ـ إذا كان القارىء قد ألم بكل هذا ، واتضح له من تحويل التراكيب الميتة إلى أنسجة حية ، أن ذلك ينهض دليلا مقنعا على البعث ، فان ما يحدث من تغذية لجنين الانسان ـ وأي حيوان آخر ـ في رحم الأم ، ثم ما يحدث بعد ذلك من تغذية للوليد منذ مهده وحتى لحده ، ما هو إلا شبيه بتغذية النبات مع اختلاف في طريقة التغذية وتراكيب مواد الطعام ، وفيما يلي مناقشة مفصلة لايضاح ذلك ، ولتوضيح الدليل على البعث في هذا الصدد .

### أولا ـ الأطوار الجنينية :

بالنسبة لجنين الانسان ـ وكذلك أجنة الحيوانات الأخرى من الثدييات ـ في رحم الأم ، يمكن مناقشة الموضوع على الوجه التالي :

أ ـ يقول المولى تبارك وتعالى :

( **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم** ) البقرة ـ ٢٢٣ .

والحقيقة أن استخدام لفظ « حرث » في الآية الكريمة إن كان مجازيا فيما يبدو ، إلا أنه لا يعدو أن يكون حقيقة ، ذلك لأن رحم الأم هو حقيقة بمثابة الأرض الطيبة ، المهيأة لانبات الزرع ، والفرق هو أن الزرع النابت في الأرض الثابت بجذوره فيها ، يكون معرضا للعوادي المختلفة التي تتصل بالتقلبات المناخية ( عواصف ـ حرارة ـ رطوبة .. الخ ) أو الحيوانات التي تعبث به ، أو تعتدي عليه ( آفات حشرية ـ آكلات العشب من الحيوانات .. الخ ) . لكن شاءت حكمة الله أن يتواجد الجنين في الانسان ـ وفي غيره من الثدييات ـ في قرار مكين ، إلى أجل معلوم . يقول الحق تبارك وتعالى :

○ ( **ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى** ) الحج/٥

○ ( **ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون** ) المرسلات/ ٢٠ ـ ٢٣ .

والمعروف علميا أن النطفة ( الحيوان المنوي ) لا يمكنها وحدها أن تبدأ خلق الانسان ، بل لابد لها من أن تلتقي فتندمج مع خلية أخرى هي البويضة ومصدرها مبيض المرأة . ومن المستحيل أن تكون النطفة وحدها خلقا تبدأ به حياة الفرد ، حتى أن الله ـ وهو الله ـ يسخر من الذين ينسبون إليه الولد ( الابن ) مسجلا سبحانه أن هذا لا يمكن أن يتم إلا بوجود زوجة ( صاحبة ) . يقول

سبحانه :

○ ( **أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** ) الأنعام ـ ١٠١

○ ( **وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا** ) الجن/٣

ومع أن ما سبق حقيقة لا مراء فيها ، إلا أن القرآن الكريم يشير دائما إلى بداية خلق الانسان من النطفة ـ حين ذكرها خاصة ـ دون أي إشارة إلى شريكتها : بيضة الأنثى مع أن كلا منهما شريك في تكوين الخلية الأولى ( اللاقحة ـ أو البيضة المخصبة ) التي يبدأ بها الجنين حياته . يقول سبحانه :

○ ( **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين** ) النحل/٤

○ ( **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا** ) الكهف/٣٧

○ ( **ثم جعلناه نطفة في قرار مكين** ) المؤمنون/١٣

○ ( **أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين** ) يس/٧٧

○ ( **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى** ) النجم/٤٥ ، ٤٦

○ ( **ألم يك نطفة من مني يمنى** ) القيامة/٣٧

○ ( **إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه** ) الانسان/٢

○ ( **من نطفة خلقه فقدره** ) عبس/١٩

والتركيز على النطفة كما يتضح من الآيات الكريمة السابقة له سبب وجيه ، قد لا يفطن إليه البعض ، وهو أن البيضة ـ ولو أنها شريك أساسي وجوهري في تكوين الجنين كما أسلفنا ـ إلا أنها تحتاج دائما ـ في الانسان خاصة وفي كثير من حيوانات أخرى عامة ـ إلى أن تندمج فيها النطفة إلى الحد الذي لو فشلت البيضة في أن تندمج النطفة بها لتلاشت ، وأصبحت كأن لم تكن ، فكأن النطفة إذن هي الأساس الذي لولاه ما انقسمت البيضة ـ بعد الاندماج ـ ولما تكون الجنين ( ويلاحظ أن ولادة سيدنا عيسى بدون أب هي معجزة لا يقاس عليها ، كما أن التوالد العذري ( البكري ) في حيوانات أخرى يتم على نطاق ضيق ولكن في غير الانسان ) .

والنطفة خلية ( أو هي نصف خلية من الوجهة الوراثية ) حية وليست ميتة ، كما يشير إلى ذلك كثير من المفسرين ، معتمدين على أن النطفة تترك « ذيلها » خارج البيضة حين تخصبها ، فلا يدخل في البيضة ولا يندمج معها سوى رأس النطفة ، ولو كانت النطفة ـ أو رأسها ـ ميتة لما تم الخلق ، ولما تكون الجنين في الانسان . ولنبدأ بعد هذه المقدمة قصة الجنين أي تطوراته في الرحم ، كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة التي بدىء بها المقال الأول :

١ ـ تبدأ القصة بعملية يطلق عليها العلماء « الاخصاب » ومعناها وصول النطفة ( الحيوان المنوي ) إلى البيضة ودخولها واندماجها فيها ـ الرأس دون الذنب ـ وحين تندمج نواة النطفة ـ رأسها تقريبا ـ مع نواة البيضة فان أول خلية كاملة في

الجنين تكون قد تكونت ، وهي التي تعرف علميا باللاقحة ( البيضة المخصبة أو الزيجوت ) وتشرع هذه الخلية الأولى في تكوين جسم الجنين بالانقسام .

للمرأة مبيضان ، يحتوي كل منهما على بضع مئات من البيضات ، لكن في العادة تنضج بيضة واحدة فقط في كل شهر تقريبا ـ كل دورة شهرية ـ من أي من المبيضين بالتبادل ـ إلا في حالة التوائم غير النموذجية فقد تنضج بيضتان أو أكثر من المبيض الواحد ، أو من المبيضين معا ، في وقت واحد ، أو أوقات متقاربة ، ويتم إخصابها ـ وتنتقل البيضة من المبيض إلى بداية قناة المبيض ـ قناة فالوب ـ بترتيبات وكيفية خاصة شاءها العليم الحكيم . وهناك في قناة فالوب تستطيع البيضة أن تبقى حية لنحو يومين فقط ، تنتظر في أثنائهما وصول حيوان منوي ( أي نطفة ) ليتم به الاخصاب . والملاحظ بالأبحاث أن عملية التبويض ـ أي نزول البيضة إلى قناة فالوب ، ومغادرتها للمبيض ـ تتم قبل نحو أسبوعين من بداية الدورة الشهرية التالية ( وإن كانت المدة السابقة تختلف كثيرا من سيدة لأخرى ، وحسب السن ، والحالة الصحية ، وعوامل أخرى كثيرة ) .

وللرجل خصيتان يكونان السائل المنوي الذي يشتمل على النطف ( الحيوانات المنوية ) . وعند المباشرة ( اجتماع الرجل بزوجته ) فان الرجل يقذف بكمية من السائل المنوي تحتوي ـ في الظروف الطبيعية ـ على البلايين من الحيوانات المنوية الطبيعية ( في الرجل السليم ) وهذه تستقر ابتداء في مهبل الأنثى . وعلى الحيوانات المنوية بعد قذفها أن تسارع لكي تصل إلى حيث توجد البيضة في مقدمة قناة المبيض ، أي قناة فالوب . ومعنى ذلك أن الحيوانات المنوية يتحتم عليها أن تقطع مسافة تعد بالنسبة لها طويلة جدا ـ تبدأ من نهاية المهبل الداخلي ثم خلال الرحم ثم خلال معظم طول قناة المبيض حتى بدايتها ـ ويقدرها البعض بنحو سبعة آلاف ضعف طول النطفة أو أكثر . ولهذا ، وللعوائق التي تعتري الحيوانات المنوية أثناء هذه الرحلة الطويلة ، فان البلايين المقذوفة في المهبل لا يصل منها إلى قناة فالوب أي إلى البيضة ـ حين توجد ـ إلا نحو مائة نطفة فقط يلزم منها ـ في العادة ـ واحد فقط للاخصاب ، فيجتاز جدار البيضة مخلفا ذيله وراءه . ويساعد النطفة على اختراق البيضة قوة اندفاعه فوق ما جهزه به الله من مواد كيماوية ( إنزيمات ) تساعده كثيرا في الولوج إلى داخل البيضة ـ ثم تتلاشى الحيوانات المنوية الأخرى ـ وعندئذ يتم الاخصاب فتتكون اللاقحة . وإذا لم توجد البيضة في قناة فالوب ، فليس في قدرة الحيوان المنوي أن يظل حيا في الجهاز التناسلي للانثى أكثر من يومين ، فاذا لم تتواجد البيضة في غضونهما ، فانه يتلاشى ، ولا يتأتى الحمل إذن .

بيضة المرأة صغيرة الحجم فلا يزيد قطرها على بضع ميكرونات ، فقطرها أصغر بكثير من أي نقطة تسجلها بقلمك على ورقة بيضاء ، أما النطفة فهي أصغر بكثير جدا جدا من البيضة ، إذ هي أقل من جزء واحد من ألف جزء من البيضة . ويتضح من هذه الحقيقة أن تكوين الحيوانات المنوية بالبلايين في القذفة الواحدة

في مني الرجل السليم لا تكون مجهدة له ، كما أن تكوين البيضات باعداد قليلة تعد ببضع مئات لا ينضج منها سوى العشرات لا يجهد الانثى أيضا .

ومع الضآلة المشار إليها آنفا لكل من البيضة والنطفة ، فان النواة في اللاقحة ـ والتي نشأت عند اندماج نواتيهما ـ تكون أكثر ضآلة إذ لا يتعدى وزنها بضعة أجزاء من ملايين ملايين ملايين الأجزاء من الجرام الواحد ( تقريبا ٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٦ جم ) ومع هذا فانها تعتبر دوسيها كاملا لكل صفات الانسان الخلقية طوال حياته المستقبلة وحتى الموت ، ولو ترجمت شفراتها الوراثية إلى كلمات لامتلأت بها عشرات المجلدات الضخمة .

٢ ـ ما أن يتم الاخصاب وتتكون اللاقحة حتى تبدأ هذه في الانقسام متحركة في نفس الوقت خلال قناة المبيض وتجاه الرحم الذي تصله في اليوم الرابع تقريبا من بداية الاخصاب . وحين تصل اللاقحة المنقسمة ( تعرف علميا بالمرولا او الجسم التوتي ) إلى الرحم فانها توالي انزلاقها على جداره الداخلي لنحو يومين آخرين ، وكأنها تبحث عن أنسب الأماكن لاستقرارها ، ثم لا تلبث بعد ذلك أن تنغرس في هذا الجدار وتتشبث به بقوة ، بحيث يصعب انتزاعها ـ ومن هنا يسمى الجنين بالعلقة لعلوقه بجدار الرحم بقوة ، وكتب التفاسير تطلق على العلقة « الدم المتجمد » خطأ ، لأن الجنين لا يمكن أن يكون دما متجمدا بأي حال ـ وما أشبه العلقة في هذا الوضع من جدار الرحم بالبذرة تنغرس في الأرض الطيبة فتنمو ، تتغذى العلقة في هذه الفترة على السوائل المحيطة بها في جدار الرحم أو في حيزه .

تأخذ العلقة بعد ذلك في النمو والتطور ، ويكتمل نمو الجنين تباعا حتى ليبلغ طوله في نهاية الشهر الأول من الحمل نحو سنتيمتر واحد ، ويبلغ حجمه نحو نصف حجم البندقة ( المضغة ) . لكن العلقة في أثناء تطورها شهرا بعد شهر تعد نفسها لتكون مخلوقا مستقلا عن الأم ، رغم كونها تعتمد عليها اساسيا في الحماية والامداد بالغذاء . ولكن كيف يكون ذلك ؟

ألمحنا فيما سبق الى أن العلقة تستمد غذاءها من السوائل المحيطة بها ، والتي يهيئها الرحم لهذه الغاية . وكلما تقدم العمر بالجنين فانه يعمل على احاطة نفسه بأغلفة ثلاث تقيه وتحميه وتمنع عنه آثار الصدمات التي يتعرض لها نتيجة لحجزها سوائل ينتفع بها ، كما آن هذه الأغشية تتيح له درجة الحرارة المناسبة ، وتسهل له حرية الحركة ـ يقول المولى تبارك وتعالى :

○ ( **يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث** ) الزمر/٦

والأغشية الجنينية الثلاث هي : الرهل والسلي الثاني والغشاء المنباري . ويتحد الغشاء المنباري مع السلي الثاني كما يتصل الأخير اتصالا وثيقا بالغشاء المخاطي المبطن للرحم مكونا خملات إصبعية الشكل تدخل في ثنيات الرحم ، وتعرف مجموعة هذه الأغشية بالمشيمة وهذه تتكون من جزأين :

( ١ ) مشيمة جنينية ، تتصل بالحبل السري في الجنين .
( ٢ ) مشيمة الأم ، في جدار الرحم من أحد جوانبه .
ولغنى الجزأين معا بالأوعية الدموية يسهل تبادل المواد الغذائية ـ من الأم إلى الجنين ـ وكذلك المواد الاخراجية ـ من الجنين إلى الأم ـ ويتم هذا التبادل دون اختلاط دم الأم بدم الجنين .

وخلاصة ما سبق أن الجنين يتكون له ما يعرف بالحبل السري ، وهو بمثابة الساق في النبات ، ذلك لأن هذا الحبل يصل ما بين جسم الجنين ذاته ـ الذي أصبح مستقرا في حيز داخل الأغشية الثلاث المشار إليها آنفا ، وليس في جدار الرحم والذي يزداد حجمه شهرا بعد شهر داخل هذا الحيز ـ وما بين المشيمة ، وهي عبارة عن قرص في نهاية الحبل السري ـ ويخرج من هذه المشيمة أو بالأحرى من جزئها المعروف بالمشيمة الجنينية ـ في نهاية الحبل السري من جهة جدار الرحم ـ بروزات كثيرة ـ أشبه بجذور النبات ـ تنغمس في جدار الرحم المقابل ـ في الجزء الآخر المعروف بمشيمة الأم ـ والتي يصبح بمثابة الأرض الطيبة . وبهذا التركيب المحبوك الدقيق يستطيع الجنين عن طريق بروزات مشيمته ـ أو « جذوره » ـ أن يحصل على كل متطلباته من الغذاء الذي يكون ذائبا في بلازما دم الأم ـ نتيجة لهضمها لمواد غذائها وامتصاصه ، وسريانه في دمها على نحو ما سنوضحه فيما بعد ـ والذي ينقل عن طريق الحبل السري إلى جسم الجنين فيبني بذلك أنسجته ، ويتأتى عن ذلك نموه . وهنا أيضا تتحول المواد الميتة ـ وهي مكونات الطعام التي تغذت عليها الأم ثم هضمت ثم امتصت ثم دارت في دمها ـ الموجودة في دم الأم والتي انتقلت إلى جسم الجنين ـ في دورته الدموية ـ إلى مواد حية تبني جسم الجنين وتسبب نموه رويدا رويدا ، وينهض ذلك دليلا على البعث . أما المواد الاخراجية في جسم الجنين فتمشي أو تسري بطريقة عكسية من جسم الجنين إلى الحبل السري إلى المشيمة لتنساب في دم الأم التي تتخلص منها بدورها عن طريق أجهزتها الاخراجية .

وما يجب أن نلفت إليه نظر القارىء الكريم ، هو أن تغذية الجنين وطرد نفاياته يتمان كما لو كان الجنين كيانا مستقلا عن الأم . رغم ارتباطه الشديد بها ، وإذا كنا قد ألمحنا الى الدورين اللذين تلعبهما المشيمة والحبل السري في هذا الصدد ، فان التغذية من طريق الرحم ، أو دور الرحم في توفير الغذاء يستدعي بعض الايضاح . تأمل قول الله تعالى :

○ ( **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار** ) الرعد/٨ .

والمعنى والمعروف علميا وطبيا تشريحيا ، ان جدار الرحم في الأنثى البالغة وبعد انقضاء فترة الطمث ( الحيض ) مباشرة ، يأخذ في الازدياد ، فيسمك جداره تباعا اذ تتكاثر الخلايا المبطنة له ( النسيج الطلائي الداخلي ) ويتوارد إليه الدم إلى الحد الذي يقوم بتخزين الكثير منه في فجوات تجعله بذلك نسيجا

اسفنجيا ، وما يتم كل ذلك إلا استعدادا لحمل منتظر ، فاذا لم يتم الحمل ـ لأسباب أهمها فشل عملية الاخصاب ـ انهار كل هذا النسيج المكتظ بالدم ( غاض جدار الرحم ) ونزل الدم غزيرا مع الخلايا المبطنة لجدار الرحم في صورة الطمث المعروف . وتتكرر هذه العملية هكذا شهرا بعد شهر في صورة ما يعرف عند النساء بالعادة الشهرية ( طولها ٢٨ — ٣ يوما ) وذلك إذا لم يتم الحمل . أما حين يتم الحمل عقب نجاح عملية الاخصاب فان الطمث يمتنع ذلك لان جدار الرحم المهيأ على هذا النحو بدم غزير والذي انغرست فيه العلقة أولا ثم بعد ذلك بروزات المشيمة ( جذوره ) المتصلة بالجنين ، أصبح في إمكانه عن طريق الدم المتوارد إليه أن يهيئ الفرصة المناسبة لأن تمتص بروزات المشيمة ما يحتاج اليه الجنين الذي لا تختلط دورته الدموية ابدا مع دورة امه نتيجة لهذا التنسيق الالهي الذي يبلغ الغاية في الابداع والاتقان .

بعد حدوث الحمل يزداد حيز الرحم شهرا بعد شهر نتيجة لنمو الجنين وتحويل المواد الغذائية الميتة ـ من دم الأم ـ في جسمه الى أنسجة حية . ويلاحظ :

● في نهاية الشهر الأول يكتمل نمو الجنين ، ويبلغ طوله نحو سنتيمتر ، وحجمه نحو حجم نصف البندقة ، ويتكون حبله السري البدائي ويبدأ نبض القلب في خلال الاسبوع الاخير من الشهر الأول ، ويدور الدم في جسمه دورة مستقلة تماما عن دورة الأم .

● يأخذ الجنين ملامحه الاساسية في خلال الشهر الثاني من الحمل ، ويزيد طوله إلى أربعة سنتيمترات ، ووزنه إلى ثلث الأوقية .

● يستطيع الجنين أن يتحرك في الشهر الثالث ، وهو دون الأوقية وزنا ، لكن الأم لا تحس بحركته إلا في نهاية الشهر الرابع ، حين يصل طوله إلى نصف طوله عند الولادة .

● يصل طول الجنين في الشهر الخامس إلى نحو قدم ، ووزنه الى نحو رطل ، وتزداد كل مكوناته وضوحا . واذا كانت حركة الجنين تشعر بها الأم في نهاية الشهر الرابع ، فانها تزداد شعورا بها في الشهور التالية ، ويقال : إن هذه الحركة تكون نشاطا بعد نوم .

● قد يولد الجنين في الشهر السادس أو السابع لكنه في العادة يكمل حياته الجنينية حتى الشهر التاسع حين يصل إلى الحجم والوزن الطبيعيين ( ويلاحظ أنه قد تحولت اللاقحة وهي الخلية الوحيدة الأولى التي بدأ بها الجنين حياته إلى نحو مائتي مليون خلية ، وتضاعف وزنها إلى أكثر من ستة بلايين مرة ) . ومن ثم ، يخرج الجنين إلى حياته الدنيا بانقباضات الرحم ، وتفتق الأغشية الجنينية .

● تلعب المشيمة دورا كبيرا وهاما في حياة الجنين ، فهي الواسطة التي بها يحمل الغذاء إلى الجنين ، وعن طريقها يتخلص الجنين من كل مواده الاخراجية ـ وقد اشرنا إلى ذلك آنفا ـ كما أنها المصدر الأساسي للهرمونات اللازمة للحامل خلال فترة الحمل ، وتلعب هذه الهرمونات دورها الكبير في إعداد الاجهزة اللازمة لانتاج

لبن الرضاعة مستقبلا . كما تلعب المشيمة دورا أساسيا في تحديد التغيرات الهرمونية التي تنهي الحمل ، وتبدأ بها عملية الولادة ـ كما تنتج المشيمة أجساما مضادة لحماية الجنين من العدوى .

وبعد أن يولد الجنين ـ بعد الشهر السادس أو السابع أو بعد الشهر التاسع ـ يتغذى على اللبن فترة ثم يتغذى بعد ذلك ـ أي بعد الفطام ـ على مواد أخرى هي تلك التي يتغذى عليها الانسان طبيعيا . وبالنسبة لفترة الحمل وفترة الرضاع حتى الفصام يقول سبحانه وتعالى :

○ ( **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ) البقرة/٢٣٣ .

○ ( **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين** ) لقمان/١٤

○ ( **ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** ) الأحقاف/١٥

ويتضح من الآيات الكريمة السابقة أن أقل فترة للحمل يولد بعدها الجنين حيا هي ستة شهور ، على إعتبار أن مدة الرضاعة حولين كاملين ( ٣٠ ـ ٢٤ = ٦ شهور ) .

ومن حيث غذاء الكائن الحي ، فقد أوضحنا أن النبات يبني جسمه الحي من مواد أساسية ميتة ، هي من مواد التربة ، ومن ثاني أكسيد الكربون ، ومن الماء ، كما فصلناه سابقا ، فماذا عن الانسان ( وكل الحيوانات الأخرى ) ؟

يحصل الانسان على غذائه ـ بعكس النبات ـ من مواد عضوية أساسا هي المواد البروتينية ، والمواد النشوية ، والمواد الدهنية ( مصدرها نباتي أو حيواني ) مع أملاح وماء ، وكل هذه مواد ميتة ـ وإذا تغذى على أنسجة حيوانية كاللحم فهي ميتة أيضا ـ وعلى هذه المواد تتم عملية الهضم التي تحولها إلى مواد صالحة لأن يستفيد منها الجسم ، ويتم الهضم في الجهاز الهضمي ، ثم يلي ذلك عملية الامتصاص ، وبها يتم نقل المواد الصالحة من الجهاز الهضمي إلى الجهاز الدوري ، حيث تدور فيه لتصل إلى مشارف الخلايا المختلفة . وحتى هذا الدوران في الدم لازالت مكونات الطعام الصالحة التي وصلت إلى الدم ، لا تزال ميتة ، ولكنها حين تصل إلى الخلايا فان كل خلية تنتقي ما يناسبها وما تحتاجه ، وفي الخلايا تتحول المواد الميتة إلى مواد حية تبني بها الخلايا نفسها لتكون جزءا لا يتجزأ من مادتها البروتوبلازمية بعملية تعرف علميا بعملية « التمثيل أو البناء » وبهذا تزداد الخلايا نموا كما تتمكن من الانقسام ، وتأدية وظائفها ، وحصيلة كل ذلك نمو الانسان ، وقيامه بكل الأنشطة الحيوية اللازمة لحياته . ويلازم عملية البناء السابقة عملية اخرى هي عملية « الهدم » وهي عملية أساسية وجوهرية لحياة الانسان ، شأنها في لزومها شأن عملية البناء تماما ، ذلك لأن عملية الهدم تجعل الانسان قادرا على أن يحصل على الطاقة اللازمة لكل حركاته اللازمة

لحياته ـ داخليا في جسمه أو خارجيا في التعامل مع الوسط الخارجي الذي يوجد فيه ـ كما تمكن عملية الهدم كل غدد الجسم من أن تؤدي وظائفها البالغة الأهمية ـ الافرازات كالهرمونات واللعاب والعصارات الهضمية .. الخ ـ ويصحب ذلك كله مواد إخراجية ـ كاليوريا وثاني اكسيد الكربون ـ يتخلص الجسم منها .
ولنضرب مثلا بالغدد اللبنية في المرأة ـ أو كل أنثى من الثدييات ـ فنجد أن خلايا هذه الغدة تبنى نفسها من المواد الميتة التي تجرى في الدم ـ ويكتمل نموها وتؤدي وظيفتها عند البلوغ وما بعده ـ لتكون بعد ذلك قادرة على افراز اللبن ( الميت ) الذي يكون الاساس في غذاء الرضيع بعد ولادته . هذا ، ويلاحظ أن المواد الميتة من الغذاء التي تدور في الدم ، هي أيضا تلك التي تجمعت في جدار الرحم حول بروزات المشيمة الجنينية لتمد الجنين بمتطلباته من الغذاء ..

وهكذا نجد أن النبات قادر بخلاياه على تحويل المواد الميتة في غذائه إلى مواد حية في أنسجته ، وهكذا ، وعلى نفس النمط يفعل الحيوان ومثله الانسان ، مع ملاحظة ان النبات والحيوان يختلفان من حيث مواد غذائهما ، ونواتج الهدم فيهما ، والحقيقة انهما يكملان بعضهما ، فقد شاءت حكمة الله أن يجعل النبات قوام غذاء الحيوان بما فيه الانسان ، وأن يكون هذا التكامل بينهما لتسير دورة الحياة في هذا الكون فنفايات الحيوانات قد يستخدمها النبات غذاء ، وما يبنيه النبات يتخذه الحيوان طعاما . ودورة الحياة هذه تحتاج لتوضيح آخر مفصل ليس هنا مقامه .

والأمل كبير أن يكون قد اتضح للقارىء الكريم الدليل الناهض على « البعث » في كل من الانسان ـ كمثل لكل الحيوانات ـ وفي النبات في صورة تحويل المواد الميتة من التربة والجو الى انسجة نباتية حية ، ثم من مواد الغذاء الميتة التي يحصل عليها الانسان في مراحله الجنينية وما بعدها لبناء أنسجته الحية ـ ويتضح من ذلك ان كل نمو في جسم كائن حي ما هو إلا حصيلة تحويل لمواد ميتة في غذاء إلى مواد حية في خلايا حية ـ وإذا كنا في كل دقيقة من حياتنا نرى من حولنا نباتات وحيوانات تنمو وتنمو بدرجات متفاوتة ، فمعنى ذلك أن الدليل على البعث ينهض أمامنا قائما في كل لحظة ، لكننا نلهو عنه ، أو لا ندركه ، لأننا لا نتدبره .

اتضح فيما سبق أن الله سبحانه وتعالى قد ضرب مثلين للتدليل على البعث ، واحد منهما يتصل بالانسان وتطوره ، والآخر يتصل بحياة الأرض والنبات ، واتضح من الشرح السابق بهذا الخصوص أن أي كائن حي من حيوان أو نبات لا بد لكي ينمو أن تتحول فيه مواد الغذاء الميتة إلى مادة جسمه الحية ، وأن ذلك ينهض دليلا على البعث ، وكأن الله تبارك وتعالى يقول لنا : إن من ينكر حقيقة البعث فلينظر إلى نفسه أو إلى الأحياء كلها من حوله ، فسوف يدرك أن كلا منها وفي كل لحظة من لحظات حياتها ، يمكنها أن تحول الجماد إلى حي في أجسامها ، فاذا كان المولى جلت قدرته قد أهل خلايا الكائنات الحية للقيام بهذه المهمة التي تعرفونها حق المعرفة ، أفلا يكون جل شأنه قادرا على أن يحيي الموتى ؟

١ ـ أما قوله تعالى : ( **ذلك بأن الله هو الحق** ) فيمكن تفسيره بالآتي :
تشير كلمة الاشارة في لفظ ( **ذلك** ) إلى حقيقة « الاحياء » في الحيوان ـ ومنه الانسان ـ وفي النبات كدليل على البعث ، وقد تم شرح ذلك فيما سبق ، لكن عبارة ( **أن الله هو الحق** ) تشير إلى معنى عظيم يجب الالتفات إليه ، والاعتبار به ، ذلك بأن الله وقد خلق الكائن الحي ـ أي كائن حي ـ قد نفخ فيه من روحه فوهبته هذه النفخة الحياة ، وأصبح بها قادرا على مزاولة كل أنشطته الحيوية ، ومنها تحويل المادة الميتة ـ في صورة ما يتعاطاه من غذاء ـ إلى مادته الحية ـ في صورة بناء أنسجته ونماء جسمه ـ ولكن كيف يتم ذلك ؟

كل كائن حي يتكون من خلايا حية ( بعضها يتكون من خلية واحدة ) ، وما الخلية ـ أي خليته ـ في حقيقتها إلا مصنع إلهي رهيب ، وهبه الله القدرة على تحويل المادة الميتة إلى مادة حية ضمن المادة التي توجد فيه والتي تعرف علميا باسم « البروتوبلازم أو مادة الحياة » . والأنشطة الحيوية التي تجري في داخل ذلك المصنع الالهي ـ الخلية ـ أو تلك التي تجري بين كل مصنع وآخر في جسم الكائن الحي نفسه ، وما يترتب عليه من حياة الكائن الحي برمته ، كلها عمليات تتم في غاية من الدقة والانضباط والتنسيق تجل كلها عن الوصف ، وتجري في إبداع ، إن كان بعضه قد اكتشفه العلماء ، فان كثيرا من أسراره لا تزال في طي الخفاء ، ولا يعلمها إلا العلي القدير ، الذي أحاط بكل شي علما .

والخلية كمصنع إلهي ، لا يمكن للبشر تقليده ، فهو من صنع الله وحده ، والله وحده هو الذي جعله قادرا على أن تتم فيه العمليات الحيوية في سهولة ويسر ، ومن المستحيل أن يتوصل الانسان إلى مصنع مماثل ، أي خلق حياة ، وقد تحدى الله الذين يتخذون له أندادا ، أن يخلقوا ذبابا ، أي أي حياة مهما ضعفت ، فقال سبحانه :

**( يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب )** الحج/ ٧٣ .

وإذا كان اليخضور« الكلوروفيل » في النبات هو المادة التي أودعها الله في خلايا النبات ، وجعلها واسطة في إمكان تحويل المواد الميتة في وسطها ـ الماء وثاني اكسيد الكربون والطاقة الشمسية ـ إلى أنسجة حية نباتية وبالتالي تحضير الغذاء الذي هو قوام حياة الحيوان ، على نحو ما وضحناه سابقا ، فقد حاول العلماء ، ولا زالوا يحاولون إمكان تحضير اليخضور صناعيا ، ليكون واسطة في تحضير مواد غذائية ، في مصانع بشرية ـ بعيدا عن الخلايا الحية ـ ولكن جميع المحاولات في هذا المجال قد باءت كلها بالفشل . ومن السهولة الحصول على اليخضور من النباتات الخضراء بعمليات كيماوية ، ولكنه حين ينفصل عن خليته ـ مكان نشاطه الأصيل والوحيد ـ فانه يفقد قدرته على العمل ، ومن هنا كان فشل العلماء في استخدام مادة اليخضور ـ البلاستيدات الخضراء ـ في تركيب مواد عضوية . ولو

قد نجحوا ـ وهذا موضع شك كبير ـ لحلت مشكلة الغذاء في العالم ، ولأمكن إقامة مصانع بشرية لتصنيع الغذاء من الهواء ـ ثاني أكسيد الكربون ـ وهذا ما أظنه ضربا من المستحيل .

ومما سبق نستطيع أن ندرك تماما قول الحق تبارك وتعالى : ( **ذلك بأن الله هو الحق** ) أي أن الله سبحانه وتعالى ـ ولا أحد غيره ـ هو الذي يسخر جنوده في مصانعه الآلهية ـ خلايا الحيوان والنبات ـ ليمكنها من تحويل المواد الميتة إلى مواد حية . فهي قدرة فائقة يختص بها العلي القادر وحده دون غيره ، وهذا هو الحق الذي يجب أن ندركه ، وهذا هو الحق الذي يجب أن نعترف به صاغرين ، ونخرله سجدا مخبتين .

ومن عجب أن الذي يقرأ بتدبر الآية الخامسة من سورة الحج ـ وهي التي صدرت بها هذه المقالات ـ يلاحظ أن الله تبارك وتعالى بعد أن ذكر أطوار خلق الانسان ، أنتقل فجأة وفي نفس الآية ، الى الماء والأرض والزرع ، وذلك في معرض التدليل على البعث ، وبذلك يكون المولى ـ جلت حكمته ـ قد جمع في آية واحدة الكائنات من نبات وحيوان ليبين لنا معشر الناس أن النبات إن كان يتغذى على ميت فيبعث في جسمه حيا ، إلا أننا يجب أن نلاحظ شيئا آخر من آلاء الله ، وهو أن ما يبنيه النبات في جسمه هو قوام غذاء الحيوان ( ومنه الانسان ) بل إن نفاية النبات ( الأكسجين ) في عملية بناء جسمه ( التنفس الضوئي ) هي إكسير الحياة بالنسبة للحيوان ـ في تنفسه للهواء ـ كما أن نفايات الحيوان ـ من ثاني اكسيد الكربون وغيره ـ يستخدمها النبات غذاء ، وهكذا تسير عجلة الحياة بين نبات وحيوان يكمل أحدهما الآخر ـ وحكمة الله هي التي اقتضت هذا التكامل ، ذلك بأن الله هو الحق ، وتلك هي الحقيقة التي لا تستقيم الحياة بدونها ، فالله وحده هو القادر على اخراج الحي من الميت ـ في غذاء الكائنات الحية ـ واخراج الميت من الحي ـ نفايات الكائنات الحية ـ ولا أحد غيره يستطيع ذلك . يقول سبحانه :

○ ( **يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون** ) الروم/ ١٩

٢ ـ أما قوله تعالى : ( **وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير** ) فيمكن تفسيره على الوجه التالي :

الله الذي أوجد مصانعه في أجسام الكائنات الحية وجعلها ـ دون غيرها ـ قادرة على بعث الحياة في الجماد الميت ، كما برهنا على ذلك سابقا ، قادر بالأولى على إحياء من ماتوا بعد حياة ، وردهم إلى أصلهم . ولقد طلب خليل الله ابراهيم من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فأجابه إلى طلبه ، كما يحكي القرآن الكريم فيقول :

○ ( **وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** )

البقرة/ ٢٦٠ .

والملاحظ من الآية الكريمة السابقة ، ان سيدنا ابراهيم الخليل ، لم ينكر قدرة الله على إحياء الموتى ، ولكنه طلب منه أن يعلمه الكيفية وأن يريها إياه . ويروى القرآن أيضا قصة « صاحب الحمار » الذي مر على قرية خاوية على عروشها ، ليس فيها من سمات الحياة شيء ، فاستبعد إحياءها بعد موتها ، وقص القرآن قصته على النحو التالي :

○ ( **أوكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير** ) البقرة/ ٢٥٩ .

هذا وقد أنكر المشركون البعث ، واستبعدوا أن يردوا إلى الحياة بعد الموت وسموا الكلام عن البعث من قبل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سحرا مبينا ، أو أكذوبة عظيمة ، أو وعدا لم يقم عليه برهان يرونه بأعينهم ، بل أمعنوا في ذلك فطالبوا باحياء آبائهم وأجدادهم كبرهان على صدق البعث وإحياء الموتى ، إلى غير ذلك مما سجله القرآن الكريم عليهم في مواضع كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

○ ( .. **ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين** ) هود/ ٧

○ ( **وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت** .. ) النحل/ ٣٨

○ ( **وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا** ) الاسراء/ ٩٨

○ ( **ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا. أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** ) مريم/ ٦٦ ـ ٦٧

بل ان القرآن الكريم ، ليسجل حوارا طريفا بين من يكذبون بالبعث ، ومن يوقنون به ، اظهارا لباطل الكافر ، وايضاحا ليقين المؤمن . تأمل قول الله تعالى :

○ ( **والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين** ) الأحقاف/ ١٧ .

والحقيقة أن الله القادر على أن يبدأ الخلق ـ أي خلق ـ قادر على أن يعيده الى الحياة بعد الموت ، بل ان ذلك أهون عليه سبحانه ، فالذي أوجد من عدم ، قادر على أن يعيد ما كان موجودا يقول سبحانه :

○ ( **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم** ) الروم/ ٢٧

○ ( **أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير** ) الأحقاف/ ٣٣

○ ( **أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد** ) ق/١٥
○ ( **أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوي بنانه** ) القيامة/٣ ، ٤
○ ( **أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** ) القيامة/٣٦ ـ ٤٠
٣ ـ أما قوله تعالى : ( **وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور** ) فيمكن التعليق عليه في المناقشة التالية :
من أوصاف المتقين أنهم يؤمنون بالغيب وبالآخرة وقيام الساعة أي القيامة من الغيبيات التي استأثر بعلمها الله دون غيره . يقول سبحانه عن علمه وحده بها وعن حدوثها فجأة
○ ( **يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ) الأعراف/١٨٧
○ ( **يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا** ) الأحزاب/٦٣
● واذا كان الكافرون ينكرون قيام الساعة كما ينكرون البعث ، فان الحقائق التي تتوالى أمام أعيننا تؤكد من وقوع يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت . فالذي نشاهده أن الموت قد كتب على كل كائن حي وليس بمعقول أن يعيش انسان يلتزم بمنهج الله بجانب آخر مضيع له ، ثم يدركهما الموت ولا يكون بعد ذلك حساب ولا جزاء . والا فلماذا كانت الرسالات السماوية ، ولماذا أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين ؟ والله سبحانه وتعالى يؤكد وقوعها في آيات كثيرة من قرآنه . يقول سبحانه :
○ ( **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم** ) سبأ/٣
○ ( **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل** ) الحجر/٨٥
○ ( **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها** ) الكهف/٢١
○ ( **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** ) الحج/٥٥
○ ( **ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ) غافر/٥٩
○ ( **هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** ) الزخرف/٦٦
والمنكرون للساعة حين تأتيهم بغتة فتبهتهم ، يندمون ولات ساعة مندم ، ويتحسرون ولا تنفعهم حسراتهم ، ويظنون أنهم ما لبثوا في دنياهم أو في قبورهم ـ

الحياة البرزخية ـ الا ساعة وذلك من شدة هول الساعة ، الهول الذي يجعلهم يتضرعون الى الله أن يصفح عنهم أو يردهم مرة أخرى ليعملوا صالحا ، وكل ذلك لا يقبل منهم . يقول سبحانه :

○ ( **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون** ) الأنعام / ٣١

○ ( **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون** ) الروم / ٥٥

أما المتقون والمصلون فهم يؤمنون بالآخرة ، ويعلمون أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولذا فانهم يكونون منها على وجل دائم . يقول سبحانه :

○ ( **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون** ) الأنبياء /٤٨ ، ٤٩ .

○ ( **إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إن عذاب ربهم غير مأمون.** ) المعارج /٢٢ ـ ٢٨

وإذا كان العلم لا يناقش إلا المحسوسات ، التي تكون مجالا للبحث والتجربة ، فان الغيبيات لا تدخل في هذا النطاق ، لكن الله الذي خلق البشر ووهبهم العقل ليعرفوه ، وليميزوا بين الخبيث والطيب ، وبين الخير والشر ، لا بد لهم من يوم للجزاء يحاسبون فيه على أعمالهم ، ويجازون على ما اجترحوا من حسنات أو سيئات في حياتهم الدنيا . والله الذي خلق الانسان متميزا على غيره من سائر الكائنات بالعقل ، أرسل له فوق ذلك رسله وأنبياءه مبشرين ومنذرين ، وجعله صالحا لأن يسلك طريق الخير فيعينه عليه ، أو أن يسلك طريق الشر ضاربا بالخير عرض الحائط ، والانسان في كلتا الحالتين محاسب على ما يفعل ، رهين بما يكتسب ، والله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة ، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . والآيات القرآنية التي تشير إلى المعاني السابقة كثيرة جدا ، وحسبنا أن نورد بعضا منها . يقول سبحانه :

○ ( **إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا. فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا. وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا** ... ) الانسان : ١٠ ـ ١٢

○ ( **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين** ) آل عمران : ١٤٥

○ ( **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين. لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين. والذين آمنوا وعملوا**

**الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون )** الأعراف : ٤٠ ـ ٤٢

وهكذا نجد أن الله تبارك وتعالى قد شاءت حكمته أن يخلق الانسان للابتلاء في هذه الحياة الدنيا وأن يخلق الساعة للجزاء على ما قدمت يداه . يقول سبحانه :

○ ( **تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير.الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ) الملك : ١ ـ ٢ .

○ ( **يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شي شهيد** ) المجادلة : ٦

أما قوله تعالى : ( **وأن الله يبعث من في القبور** ) فيمكن أن نعلق عليه كالآتي :

الانسان جسد وروح ولا تتضح معالم الحياة ومظاهر أنشطتها المختلفة إلا باجتماع الاثنين معا ، وعند الموت تفارق الروح الجسد ، ويتضح ذلك من قوله تعالى :

○ ( **ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ) الانعام : ٩٣ .

○ ( **فلولا إذا بلغت الحلقوم.وأنتم حينئذ تنظرون.ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون.فلولا إن كنتم غير مدينين.ترجعونها إن كنتم صادقين.**) الواقعة : ٨٣ ـ ٨٧

والروح من أمر الله لا يعرف العلم عنها شيئا ، أما الجسد فيقبر إن أمكن ، وقد تتفرق أشتاته كأن يموت إنسان ضالا في فلاة فتأكله سباع الوحوش أو الطير ، وقد يغرق فيكون طعاماً للاسماك ونحوها ، وقد تحرق جثته . والجسد سواء كان مقبورا أو ممزقا إلى أشتات في بطون حيوانات أخرى أو أحرق فالحال في كل هذه الحالات واحد فالمقبور شأنه شأن المحروق يتحلل جسمه ـ الأول بطيئا والثاني سريعا ـ إلى بخار ماء وثاني اكسيد الكربون ـ وهذا هو مآل أغلب الجسد ـ وغازات أخرى وتبقى في الأرض مواد الجسم المعدنية ـ التراب ـ وهذه جزء قليل لا يتعدى بضع جرامات ـ أما الذي أكلته حيوانات أخرى فهو يخرج في نفاياتها أو يدخل في بناء جسمها ، والمصير كما سبق بعد موتها .

والكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان حين تموت أو حين تؤكل ، اما أن تتحلل بالموت الى غازات ـ أهمها ثاني اكسيد الكربون ـ وبخار ماء وتراب ، واما أن تؤكل فتتحلل بالهضم الى نفايات أو تدخل في بناء جسم الحيوان الآكل لها . وخلاصة كل هذا أن الذرات التي تبني الأحياء هي في دوران مستمر في هذا الكون ، فالذرات التي تبني جسم نبات يمكن أن تنتقل الى حيوان أو الى نبات آخر ، والذرات التي تبني حيوانا يمكن أن تنتقل الى نبات أو حيوان آخر ، وهكذا تسير عجلة الحياة في هذا الكون ، ولتيسير الفهم نضرب مثلا بثاني اكسيد الكربون الذي يخرج من الانسان حين يتنفس في حياته أو بعد أن يتحلل جسمه

بعد مماته ، فان هذا الغاز يمكن أن يبني جسم نبات ـ التنفس الضوئي كما سبق القول ـ في صورة ثمار أو حبوب ... الخ يعود فيأكلها حيوان ليبني جسما من جديد .. وهكذا دواليك في كل المكونات الأخرى كبخار الماء والتراب . ومعنى ذلك أن كل مكونات جسمك ليست ملكا خالصا لك ، انما هي وديعة الله فيك ، تسلمتها من غيرك ، وستسلمها الى غيرك بعد أجل مسمى ، بل وحتى قبل هذا الأجل المسمى .

والسؤال المطروح الآن هو : كيف يبعث الانسان بعد هذا الضياع ؟ وهو السؤال الذي طرحه الكافرون وأولئك الذين لا يؤمنون بالبعث ، ولا أحد يعرف متى وكيف يتم البعث باليقين . لكننا كمؤمنين نؤمن بقدرة الله عليه ، ويمكن أن نقربه للذهن على الوجه التالي :

١ ـ كل انسان في هذا الكون منذ أن خلق آدم وحتى قيام الساعة له خصائصه ومميزاته التي تجعله متميزا على أي شخص آخر ، ولقد ثبت هذا علميا عن طريق علم الوراثة وغيرها . ومن المعقول والمقبول أيضا أن تكون روح كل فرد ـ مثل جسده ـ متميزة على أرواح الآخرين ، وكأنها بعد أن تغادر الجسد ، هي قالب للجسد طبق الأصل .

٢ ـ عند « النفخة » الأولى كما يقرر القرآن الكريم ـ سوف يتم البعث ، وباشارة ربانية سوف تتزاوج الأرواح مع الذرات ، وسوف تنتظم الذرات في كل روح ليتكون الفرد صاحبها كما كان في الدنيا تماما ، فقد بدأ الله خلقه وهو قادر على اعادته كما كان . وهناك أحاديث نبوية مغزاها أن الانسان سيبعث على ما مات عليه ، واذن ففي المكان الذي استقر فيه جسده بعد الموت ، سيكون تزاوج الروح مع الذرات ، فاذا بصاحب الروح قائم ينظر ، ثم يسرع متجها الى مكان الحشر .

تأمل قول الله تعالى في هذه المعاني السابقة :

○ « **واذا النفوس زوجت** » التكوير : ٧ أي زوجت بذراتها عند البعث .

« ( **فانما هي زجرة واحدة . فاذا هم بالساهرة** ) النازعات : ١٣ ـ ١٤

○ ( **ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ..** ) الكهف : ٩٩

○ ( **ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون** ) يسن : ٥١

○ ( **ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون** ) الزمر : ٦٨

○ ( **يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا** ) النبأ : ١٨

○ ( **فتول عنهم يوم يدعو الداعي الى شيء نكر. خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر** ) القمر : ٦ ـ ٧

ومن الغريب أن عبارة « **ينفخ في الصور** » لها قراءة أخرى هي « **ينفخ في الصُوَر** » ويمكن أن يشير ذلك الى صور الأرواح التي تختلف وتتباين فيما بينها .

والله تعالى أعلم

# الأيدي

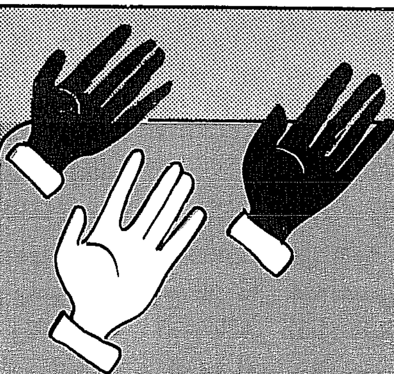
من قبل الاسلام لعبت الأيدي الخفية لعبتها القذرة التي تتكرر كثيرا .. مع اختلاف الأزمان وتغاير الأمكنة .. لكن الجوهر واحد ، والطبيعة الملتوية النكدة واحدة !

تآمروا على دعوة المسيح عليه السلام ..

وقد جاءهم بالانجيل « فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » .

تآمروا على المسيح نفسه ..

ـ حاولوا أن يرجموه « وهاج الناس كالليوث الكواسر ، وانقضوا عليه يقتلعونه من مكانه ، وأخذوه وخرجوا به من المجمع ، فمشت الرهبة في قلب مريم ، وهرعت تهبط الدرج واجفة ، وهب الحواريون ليخلصوه من أيدي أعدائه ، وراح يوحنا يتدفق بين الجموع .. ولكن هيهات أن يصل اليه ، فقد أطبق الناس عليه



# الخفية

للدكتور : علي جريشة

كالأمواج .

انطلقوا في طرقات الناصرة ، والحواريون يجاهدون وما هم ببالغيه ، ومريم في أثرهم مبهورة الأنفاس ، وبلغوا قمة الجبل المنحدر .. وأمسكوا به ليدحرجوه حتى يتمزق على الصخور الناتئة ، فقد كان ذلك نوعا من الرجم الشرعي .

جاءوا ليدفعوا به ، فأحسوا كأنما يغشى عليهم ، وكأن أيديهم عاجزة عن أن تصل إليه ، وإذا به يجتاز بينهم وهم واجمون ، لاح على وجوههم دهش ، وعيسى يسير هادئا سالما ، وقد مالت الشمس للمغيب » .

ـ وفي عهد المسيح تآمروا على يحيى عليه السلام .

وجلس هيرودس إلى جوار هيروديا التي اغتصبها حراما من أخيه .. يفكر كيف يتخلص من يحيى الذي صرح أنها لا تحل له ..

وفي حفل راقص لعب الخمر برأس هيرودس ، ورأى « سالومي » ابنة هيروديا فطلب إليها أن ترقص ، فتمنعت حتى وعدها إن فعلت أن يعطيها ما تريد ،

وفعلت ، وتثنت كالأفعى ، وأثارت الثور الهائج المخمور ، فلما انتهت سألها ان تطلب .. فراحت تسأل أمها .. فدلتها ..

فقالت له : هدية في طست من فضة !

قال : وما هذه ؟

قالت : رأس يحيى !

فأفاق المخمور وارتعد ، لكنها ألحت ، وذكرته بوعده ..

وفعل الجنود .. وجئ برأس يحيى عليه السلام في طست من فضة .

و « ذبح يحيى » ، ذبح من قال عنه عيسى : لم تلد النساء مثله ، ذبح وما اقترف إثما ولا خطيئة ، ذبح طاهر الذيل عفيفا ، ولو كانت دعوى الفناء حقا . لكان ذلك الدم الطاهر ، الذي أهدر بلا جريرة ، أزكى دم يقدم للفناء .

ـ ومرة أخرى رأوا عيسى يحمل سريرا يوم السبت « وجاء رسل اليهود وأمسكوه ، وذهبوا به ليحاكموه لكره السبت المقدس ، واقتيد إلى الكهنة العظام ، فسألوه عن خرقه الناموس في السبت فقال لهم : إن الله يعمل كل يوم ، وأن الله رب الأيام هو رب السبت أيضا ، وراح ينقض لهم اعتقادهم الخاطئ بأن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في يوم السبت ، وقال لهم : إن الله خلق العالم في ستة أيام ولم يمسه تعب ولا لغوب » .

وراح يلقي عليهم المواعظ ..

« وانصرف عيسى والكهنة ينظرون ، يصرفون أسنانهم ، ولا شئ غير الحنق الشديد ، حتى إذا اختفى عن عيونهم هبوا ليمسكوه ويقتلوه ، ولكن كان قد مضى » .

ـ وأخيرا .. تآمروا على قتل المسيح ..

لكن شبيها له يدعى « يهوذا » هو الذي وقع في أيديهم ، فماذا فعلوا فيه بمظنة أنه المسيح ! :

« وقام الجنود الرومانيوم الغلاظ حانقين ، ونظروا فلم يجدوا إلا « يهوذا » واقفا في الظلام وحده ، فهجموا عليه وأمسكوه يحسبونه عيسى ، وأراد يهوذا أن يقاومهم وأن يصرخ بهم أنهم أخطأوه ، ولكنهم انهالوا عليه بالسباب ، وأوسعوه ضربا ، ثم شدوا وثاقه .. »

« خرج الى الردهة بعد أن قرر المجتمعون استحقاقه للقتل ، فقام إليه الخدم والجنود يبصقون في وجهه ، ويلطمونه ويصفعونه ، ويركلونه ، ويسددون اللكمات إلى وجهه ، ويضحكون مستهزئين .. » .

« وبدأ جلد يهوذا ، فخف جميع جنود القصر ينظرون في سرور ... وخلعت عنه ثيابه ، وشد إلى عمود ، فأصبح ظهره العاري مكشوفا ، وجاء جلاد كان وجهه جامدا كأنما نحت من صخر ، وفي يده سوط ذو ثلاث شعب من الجلد ، في نهاياتها قطع من رصاص ، ورفع الجلاد يده ، وهوى بالسوط على ظهر يهوذا يمزقه » .

« وانهالت الضربات ، ويهوذا يئن كوحش جريح ، وفاضت التهليلات في

المكان ، وتبلدت الاحساسات ، وطغت وحشية البشر ، حتى فاقت ضراوة الحيوان » .

« ودارت رأس يهوذا ، وفاضت آلامه ، وزادت حتى غاب عن حسه » .

« وصرخ يهوذا صرخة أخرى ، أعقبها صمت مطبق ، فقد أسلم الروح » .

* وبعد المسيح .. انتقموا من المسيحية :

فحاولوا تشويهها .. ودخل أحدهم المسيحية عمدا ليؤدي هذا الدور ، ومضى شاؤول اليهودي يزعم أنه رأى المسيح ، وأنه آمن به ، وأنه قال له : « قم وكرز بالمسيحية وتسمى « بولس » ، وزعم أنه معلم المسيحية الوحيد ، وصار ينشر تعاليم جديدة يستمدها من مذاهب الهندوس والبوذيين ، وفلسفة الاغريق وبعض تعاليم اليهود ، وادعى أن المسيح « ابن الله » ، وأنه نزل ليضحي بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر ، وأدخل لأول مرة التثليث ليقول النصارى من بعده بالأقانيم الثلاثة ..

كان ذلك في الثامنة والثلاثين ومات في السادسة والستين أو السابعة والسبعين ، بعد أن تولى كبر الاشراك في المسيحية .

وبعد هذه الفتنة

كانت فتنة قسطنطين .. إمبراطور الرومان حين دخل النصرانية ، وأمر بعقد مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م فاجتمع له ٢٠٤٨ من الأساقفة مختلفي العقائد والآراء بين توحيد وتثنية ، وتثليث .

وصوت ٣١٨ إلى جانب ألوهية المسيح ، وخالفهم ١٧٣٠

فعقد قسطنطين للأولين مجلسا وصفه ابن البطريق :

« وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما وجلس في وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين . فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به .

ومن هذا التاريخ حرمت مخالفة هذا المذهب ، وحورب مخالفوه ، وألغيت رسميا جميع الأناجيل ، عدا الأناجيل الأربعة : متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

وعندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم :

**( وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين )** البقرة/٨٩ .

وكان أول كيد ليهود أن قالوا : **( آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره )** آل عمران/٧٢ .

ومضى كيدهم بعد ذلك وتعددت ألوانه .. حتى بلغ حد التآمر على حياة النبي

صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة ..
مرة بالسم يدسونه ...
ومرة بمحاولة إلقاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسند ظهره إلى الحائط .. وباء كيدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..
وبقى كيدهم للاسلام ...
حتى بلغ في عهد عثمان رضي الله عنه ، حد التآمر على حياته .. ونجحوا .. حتى قتل عثمان رضي الله عنه في بيته ، بين أهله ، وهو صائم ، يتلو القرآن ، وزوجه تحاول أن تدفع عنه حتى يقطع السيف يدها وما يردها ذلك عن إفتداء شريك حياتها .
ويمضي الكيد .. حتى تندلع الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ويؤججون نارها .
وتزداد الفتن كما وكيفا .
فتنشأ فرق الشيعة ، أكثر تشيعا وادعاء لعلي من علي نفسه ، حتى يبلغ به الأمر حد تحريقهم لما ألهوه .
وتنشأ فرق الخوارج مدعية كلمة حق أريد بها باطل « إن الحكم الا لله » ، زاعمة أن عليا بقبوله التحكيم قد كفر ، وكفر معه كل من قبله .
وهكذا .. إن لم يكونوا قد أنشأوا هذه الفرق ـ جدلا ـ فقد شجعوها ..
ثم امتد التشجيع إلى الفرق التي نشأت بعد ذلك أو أنشئت بعد ذلك من أمثال :
القاديانية .. في باكستان .
البهائية .. في إيران .
وبعض الفرق الصوفية في بعض البلاد .
ومركز القاديانية في حيفا دليل .
ومركز البهائية في شيكاجو دليل آخر .
وحديثهم في البروتوكولات عن الأحزاب والفرق دليل ثالث .
ومع ذلك يطمئن البعض لهم ، ويتعاهدون معهم ، وما وعوا قول الله :
**( أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون )** البقرة/١٠٠ .
**( الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون )** الأنفال/٥٦ .
وأخيرا **( أفتطمعون أن يؤمنوا لكم )** البقرة/٧٥ .
* لكن اليهود وقد أدركوا ضعفهم ، وأدركوا معها تعاظم الدول المسيحية بعد عهد النهضة .. اتجهوا ـ في تخطيطهم ـ للاستفادة من الظروف ، ووازنوا بين حقدهم على النصرانية ، وحقدهم على الاسلام ...
وكان نصيب الاسلام من الحقد أكبر ..

فهو أولا نزع من بينهم شرف النبوة ، بعد أن لم يعودوا أهلا لها .
وهو ثانيا أخرجهم من ديارهم بعد أن خانوا العهد ونكثوا الوعد .
ابتداء من بني قينقاع ، إلى بني النضير ، إلى بني قريظة .
وهو ثالثا فضحهم .. وفضح وسائلهم ..!
ومن هنا افتدوا الحقد الأكبر بالحقد الأصغر .
وبدأ تحالف غير مقدس بين اليهود والنصارى .. ضد الاسلام كان من صوره :
ما حدث إبان الحروب الصليبية .
ما حدث من إصدار الفاتيكان وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وقد كان بعض عقيدة النصارى أن اليهود قتلوا المسيح وصلبوه .
ما حدث لفلسطين ابتداء من مؤتمر بال ١٨٩٧ إلى وعد بلفور ١٩١٧ إلى كامب ديفيد ١٩٧٨ .
ما يحدث اليوم في بنجلاديش ، وفي افريقيا ، وفي الفلبين .
* وشاركت العقلية اليهودية الصليبية في وضع تخطيط احدث لحرب الاسلام .
استفادت فيه من فشل الحروب الصليبية ، التي استهدفت ـ من خلال كلمات زعمائهم ـ استئصال شأفة المسلمين .
واستفادت فيه من فشل التبشير .
ومن ثم سار التخطيط في خطين متوازيين : احدهما يتناول الجانب الاجتماعي ، والثاني يتناول الجانب السياسي .. وبين الاثنين ترابط وتعاون .. على الاثم والعدوان .
أما الخط السياسي فقد استهدف تعضيد التغيير الاجتماعي المطلوب بالقوة السياسية . واستبدل بجنود الاحتلال الاجنبي ، جنود الجيش الوطني يصنعون الانقلابات العسكرية ، ثم يتربعون على كراسي الحكم لينفذوا المخطط المطلوب أو على الأقل ليقوموا على حماية تنفيذه .
وصرح منشى اسرائيل ( ابن جوريون ) في الكنيسيت الاسرائيلي في أوائل الخمسينات بأن انقلابا عسكريا سيحدث في إحدى الدول العربية الكبرى ، وأن اليهود سوف يكونون أكثر فرحا به من أبناء الوطن نفسه .
وصدق اللعين ... ففي ظل حكم ذلك الانقلاب العسكري تم تحويل مجرى نهر الأردن بعد أن استعصى على اليهود دهرا طويلا .
وفي ظلم حكم ذلك الانقلاب استطاعت اسرائيل أن تضاعف مساحتها إلى سبعة أمثالها ...
كذلك حققت في نهايته اعتراف أصحاب الحق بها وباغتصابها لأرض فلسطين !
وقس على ذلك بقية انقلابات المنطقة .

# صلاحية الشريعة في كل زمان ومكان

قضية صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق في كل زمان ومكان أمر لا يحتاج الى دليل وبرهان ، لأنها صادرة من رب العالمين الذي خلق الانسان ويعلم ما يصلحه ولأنها حين طبقت أثمرت ثمرات طيبة . لكن الصهيونية الظالمة والصليبية الحاقدة كانتا تضعان الشبهات التافهة أمام بعض أحكام الشريعة الاسلامية .. ثم جاء الاستعمار حين سيطر على بلاد المسلمين ، فأتم الدور في التشكيك بشريعة الاسلام ! وقد نجح نجاحا كبيرا حين سيطر على بلاد المسلمين ، فوضع لها منهاجا دقيقا ، ناوش فيه حصون العقيدة وقلاع الايمان حين وضع علامات استفهام كثيرة ، امام شباب لا يعرف شيئا عن صلاحية الشريعة الاسلامية في كل زمان ومكان ، بل لأنه لا يعرف عن دينه أي شيء كان يقول الماسونيون في مجلة « اكلسيا » الماسونية .

« ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » .

وعادت شبهات المستعمرين لترفع رأسها من جديد ولتعلي صوتها مرة اخرى ، ولكن بأسماء منتسبة الى

# الاسلام للتطبيق زمان ومكان

للاستاذ ابراهيم النعمة

الاسلام ، متشبعة بالمنهاج الغربي الحاقد في الوقت نفسه .. هذا المنهاج الذي صادف في المسلمين قلبا خاليا فتمكن منه في وقت عمت الجهالة المسلمين وفقدت الأمة كيانها حين فقدت روح الاسلام ـ وما في الاسلام غير اللباب ـ وتمسكت بالقشور وعضت عليها ـ على القشور بالنواجذ ـ

إن في الشريعة الاسلامية من الأنظمة والقوانين والنظريات ما لم تعرفها البشرية من قبل جاء بها الاسلام ، فكانت شامة في جبين الانسانية ، ستظل باقية خالدة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها « ومن هذه النظريات نظرية تقييد سلطة الحاكم ، وهي تقوم على ثلاثة مبادىء ، أولها : وضع حدود لسلطة الحاكم ، وثانيها : مسؤوليته عن عدوانه وأخطائه ، وثالثها : تخويل الأمة حق عزله » .

ولقد سبق الاسلام في فكرة النيابة كل أنظمة العالم ، بل استحدث ـ فوق ذلك ـ ما لم تعرفه القوانين الرومانية ولا الأنظمة التي أخذت عنها .

كما سبق الاسلام في نظرية تحمل التبعة التي يظنها بعض علماء القانون من مبتكرات هذا العصر كما لو انقلب انسان على مال فأتلفه فانه يضمن ما

أتلفه وكذلك نظرية حوالة الدين « وهي ان يتفق المدين مع شخص يتحمل عنه الدين » ونظرية الظروف الطارئة وهي ان يحصل التعاقد على عين مؤجرة ـ مثلا ـ لكن هذا التعاقد يلحق ضررا فادحا بشخص في ماله او في نفسه ، فقد أجازت الشريعة ـ في هذه الحالة فسخ العقد ونظرية التعسف في استعمال الحق .
كل هذه النظريات قد نص عليها الفقهاء المسلمون ، وليست من مبتكرات هذا العصر بل نستطيع ان نقول : ان الدستور الاسلامي وجد قبل اقدم دستور في العالم بأكثر من الف سنة ذلك ان الدساتير المعهودة ما عرفت الا في القرن الثامن عشر وهذه الدساتير الغربية كان يكتنفها كثير من النقص والقصور والغموض ذلك انها كانت مقصورة على الجانب السياسي فحسب ولم يجعل فيها شيء من المبادىء الاقتصادية والاجتماعية الا بعد فترة ليست بالقصيرة !

لقد اعترف أعضاء مؤتمر ( لاهاي ) الدولي للقانون المقارن في دورته الاولى سنة ١٩٣٢ من فقهاء الألمان والانكليز والفرنسيين والايطاليين بأن الشريعة الاسلامية مرنة قابلة للتطور .
وفي دورة المؤتمر الثانية عام ١٩٣٧ في مدينة ( لاهاي ) نفسها ، قرر المؤتمرون باجماع الاراء ما يأتي :
١ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .
٢ ـ اعتبارها حية قابلة للتطور
٣ ـ اعتبارها قائمة بذاتها ليست مأخوذة من غيرها .
وقد انعقد مؤتمر المحامين الدولي بمدينة ( لاهاي ) ـ ايضا سنة ١٩٤٨ وكان من قراراته :

اعترافا بما في التشريع الاسلامي من مرونة وماله من شأن هام ، يجب على جمعية المحامين الدولية ان تقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع والتشجيع عليها .
وفي سنة ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً في كلية الحقوق من جامعة باريس ، تحت اسم ( اسبوع الفقه الاسلامي ) والقيت في المؤتمر خمسة موضوعات هي اثبات الملكية ، والاستملاك للمصلحة العامة ، والمسؤولية الجنائية ، وتأثير المذاهب الاجتهادية بعضها في بعض ، ونظرية الربا في الاسلام .
وفي ختام المؤتمر اتخذت ـ بالاجماع ـ القرارات الاتية :
١ ـ ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها
٢ ـ ان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية هي مناط الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها .
على أنه مما يبعث على الفخر ان نرى اهتماما كبيرا في عصرنا هذا بعلم من اعلام فقهنا من قبل رجال القانون

الدولي ، ذلكم هو الامام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ اذ « اسست في عونتجن بالمانيا جمعية الشيباني للحقوق الدولية ضمت كثيرا من علماء القانون الدولي لهدف التعريف بالشيباني واظهار آرائه في القانون الدولي الاسلامي ونشر مؤلفاته المتعلقة بذلك حتى قالوا عنه : انه خليق بان يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولي العالميين .

وفوق ذلك كله فان الشريعة الاسلامية ربت الانسان المسلم تربية عالية وجعلته يعرف ما له من حقوق فياخذها وما عليه من واجبات فيقوم بها بل كان اهتمامها بالواجبات اكثر من اهتمامها بالحقوق كما راعت تزكية النفس بالعبادة ودعت الى العمل للدنيا والآخرة :

**( وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا )** القصص / ٧٧ .

ولم يقف سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - تجاه الفقه الاسلامي موقفا جامدا ، بل كانوا يجتهدون فيما يطرأ على المجتمع من احداث مراعين علل تلك الاحكام فمن آراء سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ان أراضي الفيء تكون ملكا للدولة لينتفع المسلمون كلهم منها فابقى الاراضي بايدي اهلها بعد ان طرح عليها ضريبة الخراج ، لانه رأى ان ذلك اكثر نفعا للمسلمين وغيرهم !

وقد استنبط سلفنا الصالح احكاما لم تكن موجودة من قبل ، معللين ذلك بأنها توافق العلل التي تؤخذ من النصوص وذلك كحكم ميراث الجد والحكم بالدية بعد عفو احد اولياء الدم !

وقد ذهب سلفنا الصالح الى اكثر من ذلك حين غيروا بعض الاحكام التي ثبتت بنص قرآن او سنة ، وذلك لتغير عللها كتقدير الدية نقدا بدل الابل ، واجازة التقاط الابل الضالة !! وفوق ذلك فان بعضا من كبار التابعين تركوا العمل بالنصوص المطلقة او العامة لان العمل بها ينافي المصلحة كاجازتهم التسعير ولكن الذي يحرم على الدولة الاسلامية مثلا ان تتبع هواها وتعرض عما انزل الله ورسوله وتخرج عن القواعد الشرعية القطعية او تخالف النصوص الصحيحة في ثبوتها الصريحة في دلالتها .

وفوق ذلك ايضا فان الفقهاء المعاصرين يستطيعون ان يجتهدوا في فهم بعض النصوص اجتهادا جديدا ويأتوا بآراء لم يذكرها السابقون ما دام ذلك في دائرة الحدود والاصول المجمع عليها في فهم النصوص وتفسيرها !

ان الفقه الاسلامي اطلق يد القاضي ، ومنحه من الصلاحية ما لم يمنحه اي قانون كان من قوانين الدنيا ليقدر القاضي الظروف عند تطبيق القانون . وقاعدة ( درء الحد بالشبهة ) مبدأ عام مرن يعطي القاضي صلاحية كبيرة في دراسة نفسية المحدود واوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ولذلك اسقط سيدنا عمر بن الخطاب الحد عام المجاعة عملا بحديث ادرءوا الحدود بالشبهات ، و ذلك ان الاسلام لم

يحرم السرقة الا بعد ان تكفل بايجاد العمل للقادر عليه ومساعدة العاجز ولم يحرم الزنا الا بعد ان تكفل بستر العورات وتيسير الزواج الحلال ولم يحرم الربا الا بعد ان دعا الى التعاون ومساعدة المحتاج ونظم شؤون القرض . وقد عقب القرآن الحكيم على أيات تحريم الربا بقوله عز شأنه :
**( وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون . واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون )** البقرة / ٢٨٠ و٢٨١ .

ان الفقه الاسلامي تبدو روعته في قرونه المتطاولة التي هي - الى الان - اربعة عشر قرنا . وفي كل قرن من هذه القرون نبغ مئات بل آلاف من الفقهاء استنبطوا احكاما كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - واستطاعوا ان يقننوا الشريعة الاسلامية تقنينا رائعا . اما القوانين الأوروبية والأمريكية فلم يمض عليها إلا قرن وبعض القرن ، وأين الروحية التي كتب بها المسلمون من الروحية التي كتب بها الغربيون ؟!

على أن الفقه الاسلامي لم ينحصر في منطقة أو منطقتين بل طوف في أرجاء الدنيا كلها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وطاف في جميع البيئات ، وعايش مختلف العادات والتقاليد وهذه الآراء الفقهية الكثيرة الجائزة الوجوه ، التي زخرت بها شريعتنا الغراء » قد أعطي فيها ولي الأمر الحق ان يختار منها ما يناسب العصر الذي يعيش فيه ، على ان يراعي في ذلك مصلحة المسلمين !

ان هذه المزايا الناصعة للفقه الاسلامي ، هي التي حملت القانوني الكبير الدكتور عبدالرزاق السنهوري ، أن يدلي بهذه الشهادة القيمة فيقول « اما جعل الشريعة الاسلامية هي الأساس الأول الذي يبني عليه تشريعنا المدني ، فلا يزال أمنية من أعز الأماني التي تختلج في الصدور وتنطوي عليها الجوانح » .

ويقول العلامة الاستاذ شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ .

« ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد - صلى الله عليه وسلم - اليها ، اذ انه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان يأتي بتشريع سنكون - نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة » ويقول المؤرخ الانكليزي ( ويلز ) .

« ان اوربا مدينة للاسلام بالجانب الأكبر من قوانيننا الادارية والتجارية » ويقول الفيلسوف ( برناردشو ) :

« إنني دائما احترم الدين الاسلامي غاية الاحترام لما فيه من القوة والحيوية ، فهو - وحده - الدين الذي يظهر لي انه يملك ( القوة المحولة ) ويتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان » .

**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب** .

# الحكم بغير ما أنزل الله

للشيخ / عبد الحميد السائح

مما لا ريب فيه أنه يجب على المسلمين – أفرادا وجماعات – أن يعملوا بما أنزل الله في كتابه ، أو بلغه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته ، وإن التخلف عما ذكر ، مناف للاسلام ، ومخالف لشريعة سيد الأنام ، وذلك لأن القرآن انما أنزل

لهداية البشر وانقاذهم ، من الضلال الى الرشاد والسداد ، والشريعة لم تأت الا رحمة للعالمين ، تخطط لهم وسائل السعادة ليسلكوها ، وطرق الغواية ليتجنبوها ، ولذلك كان في القرآن والسنة حملات شديدة ، على أولئك الذين يقولون مالا يفعلون ، أو يفعلون ما عنه ينهون ، من ذلك قوله تعالى : **( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون )** الصف/ ٢ ، ٣ ، وقوله سبحانه : **( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب افلا تعقلون )** البقرة/ ٤٤ .

ولم ينزل القرآن للتبرك به ، وحمل نسخة منه في الجيب ، أو تعليقها في الرقاب ، أو في البيوت ، دون أن يكون لآياته وأحكامه ، أثر في التطبيق والعمل ، ودون أن يكون لأهدافه تحقيق في المجتمع ، مع أن هذا وذاك هو السبيل الصحيح ، لتقويم المعوج ، وتصحيح المحتوى ، وتغيير الهزيمة بالنصر ، والتخلف بالتقدم ، وذلك هو المقصود بقوله سبحانه : **( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم )** الرعد/ ١١ .

ولذلك يجب على المسلمين ان يمارسوا عمليا تنفيذ حكم ما أنزل الله ، في مجتمعاتهم ، الخاصة والعامة ، وفي شئونهم الشخصية ، وتصرفاتهم ، كما يجب على ولاة الامور ــ الدولة ــ أن يتقيدوا في قوانينهم وسائر تشاريعهم ، بأن تكون مطابقة ، لما نص عليه في أصول الاسلام الاولى المشار اليها ، واذا لم يكن نص فيها ، يصار الى سائر المصادر التشريعية ، وقواعد الاسلام الأخرى ، التى بينها أئمة الفقه والاجتهاد ، وهي الاجماع ، والقياس ، والاستحسان والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع ونحوها ، مما كان مرجعا للتشريع ، من قبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتابعيهم ، وسائر أئمة الفقه والاجتهاد بعد ذلك .

## موقف الاسلام ممن لم يحكم بما أنزل الله ؟

في سورة المائدة من القرآن الكريم ، آيات ثلاث ، كانت موضع الاهتمام والدراسة ، من قبل المعنيين بالشؤون الاسلامية ، من مفسرين وغيرهم ، ويستشهد بها كثير من العلماء في هذا الموضوع وهي :ــ

١ ــ قوله تعالى :ــ **( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون )** المائدة/ ٤٤ .

٢ ــ وقوله سبحانه : **( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون )** المائدة/ ٤٥

٣ ــ وقوله عز شأنه : **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )** المائدة/ ٤٧

وكان البحث يدور حول ما يقصد بهذه الآيات ، وهل تعني أن من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين يخرج من جماعة المسلمين ، ويكون

من الكافرين ، ومن الظالمين ، ومن الفاسقين ، ويخلد في نار جهنم ؟ أو أن هذه الآيات تتعلق بغير المسلمين ، من اليهود والنصارى ، واذن لا علاقة لحكمها بالمسلمين ؟ ، أو هي تتعلق بالمسلمين ، باعتبار أن حكمها عام ، والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كما هو مقرر ومعروف .

واننا نستعرض ما جاء في بعض التفاسير المشهورة في هذا البحث ، ثم نقضي على ذلك ، بما نراه متفقا مع عبارتها وسياقها ونراه أقرب الى الصواب .

١ ــ قال ابن كثير ــ اختلف العلماء في تفسير الآية الاولى منها ، فروى الشعبي أنها في المسلمين ، وروى عنه أيضا أنها في اليهود ، وروى طاووس أنها في المسلمين ، وأن المراد بالكفر بها كفر دون كفر ، وانه ليس الكفر المخرج عن الملة ، وروى ابن أبي حاتم ، والحاكم ، وقال ــ صحيح على شرط الشيخين ، أنه ليس الكفر الذي تذهبون اليه .

٢ ــ وقال القرطبي ــ إن الآيات الثلاث نزلت كلها في الكفار ، وثبت ذلك في صحيح مسلم ، من حديث البراء .

أما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة ، وقال ابن مسعود والحسن ، هي عامة ، في كل من لم يحكم بما أنزل الله ، من المسلمين والنصارى واليهود ، أي معتقدا ما أقدم عليه ، ومستحلا له ، وأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه مرتكب المحرم ، فهو من فساق المسلمين ، وأمره الى الله .

وقيل ــ من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ، وأما من حكم التوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع ، فلا يدخل في هذه الآيات .

ويروي أن حذيفة سئل عن هذه الآيات فقال ــ هي في بني اسرائيل .

٣ ــ وقال في أضواء البيان ــ الظاهر المتبادر أن الأولى في المسلمين ، والثانية في اليهود ، وأن الثالثة في النصارى الخ .

## الرأي الذي أتجه اليه ، وأراه الصواب إن شاءالله

وأنت ترى أن المفسرين والعلماء اختلفوا في المقصود بتلك الآيات ، ولكنهم حين أبدوا آراءهم ، لم يتجهوا في التفسير اتجاها واحدا ، وربما يتلاقون في أكثر من نقطة واحدة ، فمنهم من نظر الى من يحكم بغير ما أنزل الله ، نظرته الى من ارتكب معصية ، ومرتكب المعصية ، ولو كبيرة ، لا يكفر ، عند جميع أهل السنة ، ومنهم من نظر اليه نظر من يستحل المحرمات ، ولا شك أن من يستحل المحرمات القطعية ، يعتبر مخالفا لجماعة المسلمين ، وسالكا طريقا غير طريقهم ، ومنهم من فصل بين من يحكم بما ينافي التوحيد وبين من يحكم بغير ما يتعلق بذلك الخ .

ونحن اذا تأملنا جميع الآيات المذكورة ، نجد أنها مسبوقة ، بآيات أخرى ، تبدأ بتسلية الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بقوله سبحانه : **( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين**

**يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا )** المائدة/٤١ ـ ثم اخذت الآيات تبين بعض صفات اليهود بأنهم **( سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك )** الخ .. المائدة/٤١ ـ وبانهم ـ **( سماعون للكذب اكالون للسحت )** المائدة/٤٢ .

ثم استمرت الآيات في فضح أساليب اليهود ، بأنهم يريدون أن يحكموك ، رجاء أن يتوصلوا منك الى حكم أخف ، مما يعلمون من حكم الله في التوراة ، وخيرت الآيات الرسول ، بين أن يعرض عنهم ، وبين أن يحكم بينهم بالقسط ، ثم استغربت الآيات أن يلجأ اليهود ، الى تحكيم الرسول ، وعندهم التوراة فيها حكم الله ، وبعدئذ بينت صفة التوراة ، وأن فيها الهدى والنور الخ .. **( وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله )** المائدة /٤٣ **( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور )** المائدة/٤٤ **( وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص )** المائدة/٤٥

اذن فالحديث من أساسه موجه للرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، والتعرض للتوراة ، وما فيها من أحكام ، جاء في سياق فضح أساليب اليهود ومخاتلتهم ، مع أن التوراة الاصلية ، قبل تحريفها ـ كان فيها حكم الله ـ وحكم الله لا يجوز لاحد تجاوزه في أية حادثة ، اذ أورد الحكم في كتاب الله ، سواء كان قرآناً ام غيره .

نعم ان الآية الثالثة ٤٧ من السورة ، جاءت نصا في ان على اهل الانجيل ، ان يحكموا بما انزل الله فيه ، ولكنها لم تخرج عن سياق الآيات التى قبلها .

وعلى هذا فالذي يتجه أن الآيات وان نزلت في بيان حكم التوراة ، وحكم الانجيل ، المنزلين من قبل الله ، قبل تحريفهما ، الا أن ما ورد في الآيات من قواعد وأحكام يجب أن تبقى على عمومها .

فاذا كان اليهود لا يجوز لهم أن يحكموا بغير ما أنزل الله ، في التوراة ، قبل تحريفها ، واذا كان النصارى لا يجوز لهم أن يحكموا بغير ما أنزل الله في الانجيل ، قبل تبديله ، فكذلك ، لا يجوز للمسلمين أن يحكموا بغير ما أنزل الله في قرآنه ، وهو المصون المختص ، بحفظ الله له ، أو بلغه رسوله في سنته الصحيحة المعول عليها . ويؤيد ذلك ويزيده وضوحا ، ما جاء في الآيات القرآنية بعد ذلك ، وهو قوله تعالى : **( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم )** المائدة /٤٨

وقوله بعدئذ : **( أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون )** المائدة/٥٠ وأن أهل

السنة متفقون على أن مرتكب المعصية ، مهما عظمت ، عدا الاشراك بالله ، لا يخرج به عن جماعة المسلمين ، ولا يكفر بذلك ، ولا يخلد في النار ، خلافا للمعتزلة والخوارج ، على خلاف في التعبير بينهما .

نعم ان مجرد ارتكاب الكبيرة ، والفاعل يعتقد الحرمة ، واستحقاقه العقاب ، مثل من يقدم على شرب الخمر ، أو أكل الربا ، فان ذلك لا يخرج صاحبه عن الاسلام ، وان كان يستحق العقوبة المقررة على ذلك ، في الدنيا أو الآخرة .

## رأي شارح العقيدة الطحاوية

وفي شرح العقيدة الطحاوية ، أن الحكم بغير ما أنزل الله ، قد يكون كفرا وقد لا يكون ، وان هناك حالات ثلاثا :

١ ــ ان يعتقد الحاكم ، بأن الحكم بما أنزل الله غير واجب ، وأنه مخير فيه ، أو أنه استهان به ، مع معرفته وتيقنه أنه حكم الله ، فهذا الاعتقاد ، يخرجه عن جماعة المسلمين .

٢ ــ أن يعتقد أن حكم الله واجب الانفاذ ، وعلمه في واقعة معينة ، وعدل عن ذلك ، مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة ، فهو عاص ، واذا سمى كافرا ، فانما يقصد به أنه الكفر الاصغر ، أو الكفر المجازي ، الذي يطلق عليه احيانا ، كفر النعمة .

٣ ــ اذا جهل الحاكم حكم الله ، في الحادثة وبذل جهده واستفرغ وسعه ، في معرفة حكم الله ، فلم يتوصل اليه ، وحكم بغير ما انزل الله ، خطأ ، فهذا له اجر على اجتهاده ، وخطؤه مغفور له .

## ما المراد بما أنزل الله ؟

المراد بما أنزل الله ، ما ورد في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجب الاذعان لكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء ثبت هذا بطريق التواتر ، أو بطريق الآحاد ، غير أنه في مجال التكفير ، يحتاط فيه كل الاحتياط ، لان الايمان ثبت بيقين ، فلا يرتفع الا بما ينقضه بيقين ، فلا نحكم بكفر أحد ، وخروجه من جماعة المسلمين ، الا اذا استباح المحرمات القطعية ، أو حرم الحلال القطعي ، لانه في هذه الحالة يكون مكذبا لله ورسوله ، وذلك موجب للتكفير قطعا ، وقال صلى الله عليه وسلم : ( اذا قال الرجل لاخيه ــ يا كافر ، فقد باء بها احدهما ) ، رواه البخاري ، يعني انها قد ترتد على قائلها اذا لم يكن الآخر كذلك .

وان العلامة ابن نجيم ، من أئمة الحنفية ، وصاحب البحر الرائق ، أكثر من فتاوي التكفير ، في كتابه « الفتاوي » بناء على تخريجات الفقهاء ، ثم أدرك خطأه ، وعدل عن ذلك ، واتخذ لنفسه سبيل الحيطة ، فلا يحكم بكفر أحد ، يمكن أن يكون لعمله أو قوله ، وجه صحيح شرعي ، ولو كان ضعيفا ، وقال الفقهاء ــ لو

كان للعمل أو التصرف ، تسعة وتسعون وجها ، تقضي بالتكفير ، وكان يوجد وجه واحد يقتضى الاسلام ، رجح الواحد ، على التسعة والتسعين ، في مثل هذا المقام .

## الادلة الشرعية

والأدلة الشرعية أربعة أنواع كما يتضح من الاستقراء ، ومما ذكره أئمة أصول الفقه في التحرير وشرحه ومسلم الثبوت وشرحه ، وباقي كتب الاصول

١ ــ قطعي الثبوت ــ قطعي الدلالة

٢ ــ قطعي الثبوت ــ ظني الدلالة

٣ ــ ظني الثبوت ــ قطعي الدلالة

٤ ــ ظني الثبوت ــ ظني الدلالة

فلا يكون التكفير الا في انكار القسم الاول ، وهو قسم من القرآن الكريم والسنة المتواترة ، وذلك مثل قوله تعالى :ــ ( **وأقيموا الصلاة** ) البقرة/٤٣ ، وقوله سبحانه : ( **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** ) النساء/١٠٣ ــ مع ما ورد في السنة من بيان لذلك .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم ( من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ) رواه البخاري ــ اما قطعي الثبوت ظني الدلالة مثل قوله تعالى ( **وامسحوا برءوسكم** ) المائدة/٦ ــ وهل المراد بها مسح جميع الرأس ، أو ربعه أو بعضه ، فاذا اعترف المسلم بالآية ، وضرورة المسح بالرأس ، وأنكر بعض تلك الوجوه ، فلا يدخل في بحثنا هذا .

ومثل ما ذكر القسمان الآخران ، ويشمل أنواع الأحاديث الاحادية ، وذلك لأن القرآن كله قطعي الثبوت وان كان بعضه ظني الدلالة .

ولا يعني هذا الدعوة أو التشجيع ، على اهمال الأحاديث الاحادية ، أو عدم العمل بها ، فان ذلك سبيل أهل البدع ، والضلال ، ومخالف لقوله سبحانه ــ ( **وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا** ) الحشر/٧

غير أننا انما نذكر ذلك ، حتى لا يشمله حكم ( **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ) ونحن نعلم أن الأئمة الاثبات ، يختلفون في كثير من الاحاديث ، اما لعدم صحة سندها عندهم ، أو لاطلاعهم على معنى لغوي يحتمله لفظها ، فيأخذ بحكم آخر ، غير الحكم الذي اختاره امام غيره ، كما يعرف من الاطلاع على اسباب اختلاف الائمة .

حتى ان الامام الذي يتجه له رأي يخالف الرأي الذي كان يعرفه ويعمل به ، سواء لقوة الدليل او لاي سبب شرعي آخر ، لا يدخل في اطار هذا البحث .

وان الالتزام بقول امام معين ، في مجال التشريع ، وعدم جواز العدول عنه الى قول امام آخر ، أوجد حرجا ، أدى الى حالة سيئة جعلت الكثير من المثقفين ، يعرضون عن دراسة الفقه الاسلامي ، واستجلاء ما فيه ، من كنز ثمين ، وثروة دفينة ، وحضارة يعتز بها ، وقد قدرها كثيرون من

الغربيين في مؤتمرات الفقه في باريس وغيرها .

وقد ذكر لنا بعض اساتذتنا ، في مدرسة القضاء الشرعي ، في مصر ، ان المرحوم الشيخ المهدي العباسي ، صاحب الفتاوي المهدية ، لو قبل اقتراح الخديوي ، حينئذ ، ان يضع قانونا اسلاميا عاما ، مختاراً من اقوال ائمة الفقه الاسلامي ، على اختلاف مذاهبهم ، لكانت سابقة ، يتعسر على اي احد تجاوزها ، ولكان القانون العام ، في مصر ، منذ ذلك الوقت اسلاميا .

ونحن نعتقد ، أن فكرة التزام مذهب معين من مذاهب أئمة الفقه ، لا يستند الى دليل شرعي يصح الاعتماد عليه ، خصوصا في مجال التشريع العام للامة في اية ناحية ، وأن صاحب جوهرة التوحيد ، الشيخ ابراهيم اللقائي في قوله

ومالك وسائر الأئمة
كذا أبو القاسم هداة الأمة
وواجب تقليد حبر منهم
كذا حكى القوم بلفظ يفهم

انتقد حتى من ابنه الشيخ عبد السلام ، في شرحه على الجوهرة ، ومثل هذه الأقوال ما ذكره المتأخرون من الأحناف والشافعية وغيرهم ، من ضرورة التقييد ، مع أن علماء الاصول ، حينما يتعرضون لهذه المسألة ، لا يمنعون من الاخذ بمذهب أو رأي آخر ، اذا لم يكن الباعث على ذلك هوى أو تشهيا ، ونحن حينما نسيغ العدول ، عن أقوال معينة لامام أو أئمة ، فانما نفترض ظهور الدليل الأقوى ، أو المصلحة الراجحة ، أو أي سبب شرعي آخر .

ومن واجب امام المسلمين أن يسوس الرعية ، بما فيه خيرهم ومصلحتهم ، وان يحول دون استغلال الأغنياء للفقراء ، أو تحكم الأقوياء بالضعفاء ، أو يمكن المخادعين والمحتالين ، من سلوك الطرق ، التى تخفي مقاصدهم ، أو توقع الآخرين في حبائلهم ، ويختار ، في التشريع من أقوال الائمة ، وقواعد الشريعة واصولها ، ما يحقق كل ذلك ، وحتى نقطع الطريق على أولئك الذين لا يرون الخير ، الا من طريق الاغيار ، وكأن البلاد الاسلامية وان زال عنها معظم مظاهر الاستعمار السياسي ، يجب ان تبقى في ظلال التشريع الأجنبي ومستعمرة له .

## وبعد

فان الاسلام هو ما شرعه الله للناس ، واوحى ، الى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو تلك النظم والاحكام التى شرع أصولها ، وثبت قواعدها وأسسها ، وكلف الناس اياها ، ليأخذوا انفسهم بها ، في علاقتهم بربهم ، وعلاقتهم ببعضهم ، أفرادا وجماعات ، وعلاقتهم بالكون وعلاقتهم بالحياة ، على وفق ما أفاد القرآن بصريح آياته ، او تضمنه بعموم قواعده وكلياته او اشار اليه من أهداف وحكم بضروب دلالاته ، أو جاء به

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغه للناس من بيان ، أو صدر عنه من قول ، أو باشره من عمل ، أو دل عليه باجتهاده وتطبيقه .

وذلك ما يرجع الى :ـ

١ ـ العقائد

٢ ـ الاحكام العملية التطبيقية

اما العقائد فتتناول الايمان بالله ، ووحدانيته ، والايمان برسالة الرسل والانبياء ، والملائكة ، والكتب السماوية واليوم الآخر ، بما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار الخ .

واما الأحكام فهي نوعان :ـ

فضائل وشرائع :

أما الفضائل فهي تلك الأخلاق والفضائل التى أمر الله بها في كتابه وحض عليها رسوله في حديثه ، وهي فضائل تنعم بها الحياة ، وتزول معها شقاوتها ، بل يعمهم الاخاء ، ويظلهم العدل والمساواة .

وأما الشرائع ، فهي نوعان :

١ ـ نوع يتمثل فيما كلف الناس به من أعمال يتقربون بها الى ربهم ، ويستحضرون بها عظمة الله وألوهيته ، لتكون وسيلة الى صلاح نفوسهم ، وعنوانا على صدق ايمانهم ، وهذا ما يسمى بالعبادات .

٢ ـ ونوع يتمثل في الأحكام التى شرعت لتكون وسيلة الى حفظ مصالح الناس ، ودفع المضار عنهم ، وتحديد الصلات بينهم ، على وجه تندفع به المظالم ، وتصان به الحقوق ، وينتشر العدل ، ويسود الأمن ، وهذا ما يعرف بشرائع المعاملة .

والاسلام باعتباره خاتم الاديان ، احكامه صالحة لكل زمان ومكان ، فقواعده الكلية كوجوب العدل ، والشورى ، ورفع الحرج ، ودفع الضرر ، صالحة للتطبيق ، في كل عصر ، بما يناسب أهله ، وأحكامه الجزئية ، الثابتة الدائمة ، فيها مصلحة للناس ، في جميع الازمان والامكنة ، كاحكام الميراث والزواج والطلاق ، واحكام المعاملات المنصوص عليها ، مثل تحريم الربا ، وتحريم القمار ، وتحريم العقود التى فيها غرر فاحش .

أما الاحكام التى روعيت فيها مصالح الناس ، وعرفهم وعاداتهم ، فهذه لا تعتبر قانونا دائما ، بل يختلف الحكم فيها ، تبعا لاختلاف الظروف والاحوال ، والحوادث التى تجد ، ولا نص فيها ، يجب وضع حكم لها ، في ضوء القواعد الكلية ، التى جاءت بها احكام الشريعة الاسلامية ، فاذا وضع كان حكما اسلاميا ، وهذا النوع من الاحكام ، هو الذي يخضع لقاعدة ـ لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان .

اما الاحكام المنصوص عليها صراحة في القرآن الكريم ، فلا يجوز تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها .

وعلى هذا فالقوانين التى تساس بها الامة في كل مناحى الحياة يجب أن يكون أساسها أصول الاسلام ، وقواعده الكلية ، للشريعة الاسلامية ، وبذلك يتحقق نفع الامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

هذه كانت رسالة النبي صلى الله

عليه وسلم ، وهي ما يجب ان يكون عليه اولياء امور المسلمين ، من بعده .

وعلى هذا لا يجوز ان يشرع في ديار الاسلام قانون يتعارض ، مع القرآن الكريم ، أو سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو ما اجمع المسلمون عليه ، خلفا عن سلف ، في اية ناحية ، من نواحي الاسلام ، سواء في العقيدة ، أم في الاخلاق ، أم في الزواج ، أم في الطلاق ، أم في الوصية ، والميراث ، أم في النسب والتبني ، أم في المعاملات الاخرى .

لكن لو أن ولي أمر المسلمين ، اختار لجماعة المسلمين ، قانونا يسيرون عليه ، ليس فيه معارضة لنص قرآني قاطع ، أو لسنة متبعة صريحة ، وكان ما اختاره يدخل في اطار الاجتهاد المقبول ، كان هذا القانون قانونا اسلاميا ، ولا يصح ان يوصف بانه حكم بغير ما انزل الله ، وصدق الله العظيم بقوله سبحانه : ( **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ) التوبة/٣٣ ، وقوله عز سلطانه : ( **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ) المائدة /٣

## وأخيرا

هذا نداء أوجهه لكل المسئولين ، في البلاد الاسلامية والعربية ، ليتعرفوا الاخطار التى تحيق بهم من كل جانب ، وفي كل النواحي ، وليعلموا أن البعد عن الاسلام في التشريع ، ومجانبته في القوانين ، عامل أساسي ، في غربة الاسلام ، في ديار الاسلام ، وعامل مهم في تلك الحواجز الوهمية القائمة بين ناشئتنا وشبابنا ومثقفينا ، وبين الاسلام ، فلا يعلمون عنه الكثير الكثير ، وهم ان تجردوا ، عن اهوائهم وشهواتهم ، ومطامعهم ، فانهم سيتمسكون بالاسلام ، قاعدة صلبة متينة ، لتشريعهم وقوانينهم ، وسوف يجدون ويشعرون برابطة العزة والفخار ، بانتسابهم ، الى هذا الدين الحنيف ، وسيرون فيه ما رأى اسلافهم ، وما رأى المنصفون من علماء الغرب ، انه الوسيلة الوحيدة ، لانقاذ هذا العالم ، من شروره ، واضطرابه ، وان معظم ما في الغرب من نظريات قانونية سليمة ، مأخوذة عن الفقه الاسلامي ، أو مستنبطة منه ، واذا حدثت احداث مستجدة ، فليس ما يمنعنا ان نأخذ ما فيه مصلحتنا ، وفق القواعد العامة المشار اليها . وقبل ان اختم كلمتي ــ ارجو من اولياء امور المسلمين ــ بالمعنى الشامل ــ ان يتحملوا مسئولياتهم ، ويثبتوا وجودهم ، ويتعرفوا معنى وهدف قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ــ » « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » .

والله ولي التوفيق وهو الهادي لأقوم طريق ،،،

# أصول علوم الحيوان

يعتبر الحيوان وحدة من وحدات هذا الكون الذي تشير آياته الى وجود الله وتؤكد وحدانيته .. ولذلك فقد اهتم القرآن الكريم بعالم الحيوان لما فيه من آيات ولما تعرضه من شاهدات .. ومن شواهد هذا الاهتمام أنه أطلق اسماء بعض أصنافه على بعض سوره الشريفة وهي :

**سورة البقرة** .. وهي أولى سور المصحف الشريف بعد سورة الفاتحة وأطول سور القرآن الكريم .
**سورة الأنعام** .. والأنعام هي الابل والبقر والأغنام
**سورة النحل** .
**سورة النمل** .
**سورة العنكبوت** .
**سورة العلق** . والعلق حيوان سواء كان للبعوضة أو منى الذكر أو الدودة .
**سورة العاديات** . والعاديات هي جياد العدو أي الجري وخيول القتال .
**سورة الفيل** .

وايضا فقد تكرر ذكر الدابة والدواب ثماني عشرة مرة في القرآن الكريم ، وتكرر ذكر الأنعام اثنين وثلاثين مرة وبهيمة الانعام تكررت ثلاث مرات ، بل ذكرت الحيوانات بأسماء أصنافها ، فذكر العجل والبقر والناقة والحمير والخنزير والخيل والكلب والنعجة ، والقردة والذئب والغنم والابل والبغال والجمل والفيل والسبع والضأن والطير والغراب والهدهد ، ومن الحشرات النمل والذباب والجراد والثعبان والعنكبوت والقمل والضفادع والحية والنحل

# في القرآن

للأستاذ / عبد الرزاق نوفل

والسمك والحوت .

ولا يقتصر اهتمام القرآن الكريم بعالم الحيوان على مجرد ذكر اصنافه وانواعه .. بل انه قد أورد أصول علوم الحيوان سابقاً العلم بأربعة عشر قرنا من الزمان . ففي الوصف الظاهري للحيوان والاعتماد عليه للوقوف على مدى سلامته أو درجة اصابته فلقد أورد الوصف العلمي التفصيلي للمشاهدة البصرية للحيوان ممثلا في البقرة اذ تقول آياته الشريفة :

**( قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون )** ٦٩ ـ ٧١ / البقرة .

وقد قررت علوم صحة الحيوان أن خير الابقار وأفضلها ما كان مطابقا لهذه الأوصاف التي حددتها الآيات الشريفة من اللون الشديد الصفرة في صفاء .. وأن قدر الصفاء يتمثل في قدر ما يثير اللون في نفس الانسان المتعة والسرور .. وكذلك من قوة جسمها وعضلاتها باثارة الغبار على الأرض من حوافرها عند سيرها .. واسباب هذه القوة أنها لم تجهد في الزراعة بالحرث أو بسقي الأرض .. وأن تكون مسلمة .. من كل العيوب الظاهرة ..

وايضا فلقد أورد القرآن الكريم الفحص العلمي للخيول سابقا العلم

بعشرات المئات من السنين اذ تقول آياته الشريفة :

**( ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق )** ٣٠ - ٣٣/ص .

وتقرر أصول علم الطب البيطري بالنسبة لاختيار صلاحية الخيل انه يجب أولا فحصها فحصا ظاهريا للوقوف على مدى سلامتها وصلاحيتها شكلا ومنظرا . ثم تجبر على العدو لشوط كبير على قدر الاستطاعة ومراقبتها أثناء العدو ، حتى يمكن للمراقب أن يتبين مدى سلامة أجزاء الحصان لا سيما سيقانه وأرجله . وتناسقها مع باقي أجزاء الجسم .. ثم يقاس نبض الخيل بعد شوط العدو ، وذلك عن طريق الشريان تحت الفكي والصدغي والكعبري الموجود بعنق الحصان مع فحص ساقه بعد هذا المجهود ، ليعرف ما وصل الحصان اليه بعد العدو .. وطاقة الساق عليه ، وهذا ما يقرره القرآن الكريم اذ قام سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بفحص خيوله التي أعدها للدفاع عن دين الله ، فاستعرضها أولا . استعراضا طويلا متأنيا لشدة حبه لها لما تحققه للدعوة من أهداف ، ثم أمر ان تجري الى ابعد شوط ممكن والى ان توارت بالحجاب ، أي نهاية ما يمكن للانسان أن يراه في الأفق . فلم تعد رؤيتها مستطاعة بعد ذلك . وبعدها طلب ردها مباشرة بعد هذا الشوط الطويل ، فكأنه ضاعف من قدر الشوط وبوصولها قام اليها يتحسس سيقانها ، ويفحص شراايينها للوقوف على نبضها بعد هذا المجهود .

ومن أصول علوم الحيوان في الوصف الظاهري له ، وما سبق القرآن الكريم العلم به ، ما قرره من أن الكلب دائما يلهث . إنما يتنفس بصوت عالي بفتح فمه واندلاع لسانه الى اقصى حد الى الخارج سواء زجرته أو تركته وذلك بالنص الشريف :**( ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون )** ١٧٦ الاعراف .

ويصل العلم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان من قول القرآن الكريم وبعد أن استخدم الأجهزة القياسية والتحاليل الكيماوية الى أن الكلب لا توجد له غدد عرقية الا القليل في باطن اقدامه مما لا تكفيه حتى تخفض درجة حرارته ، اذ ان عمل الغدد العرقية بما تفرزه من عرق هو لتلطيف درجة حرارة سطح الكائن والجو المحيط به ، ولذلك فان الكلب يستعيض عن عدم وجود الغدد العرقية كغيره من الحيوانات ، فيحاول تخفيض حرارته عن طريق اللهث الذي يعرض فيه أكبر مساحة

من فراغ الفم واللسان للهواء ، ودائما ما يفعل الكلب ذلك . سواء أكان مجهدا أم مسترخيا ، وقد اورد القرآن الكريم هذه الملاحظة ، كعلامة مميزة لحياة الكلب .

وقد أجمل القرآن الكريم كل حقائق حياة النحل وما تتضمنه من أصول علمية أثبت العلم الحديث في ايامنا المعاصرة سبق القرآن الكريم له بها اذ تقول آياته الشريفة : **( وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون )**٦٨، ٦٩ النحل .

فالعلم يقرر ان تاريخ حياة النحل على الأرض كما أثبتته الآثار التاريخية ، وكما يقرره الواقع المعاصر أن النحل أول ما اتخذ بيوته اتخذها في الجبل . ولا زالت هناك بعض انواع النحل تعيش في الجبال حتى الآن ، ثم نزل النحل الى الشجر ليسكن فيها .. وما زال بعضه يعيش في الاشجار حتى الآن ، ثم سكن فيما يتخذه الانسان من أعراش وضمنها الخلايا الصناعية التي يصنعها له الانسان .. ثم يقرر العلم ان النحل بما يسلكه بحثا عما يتغذى به من قيام رواد للنحل كل صباح لاستكشاف المنطقة . ثم تحديد الزهور المناسبة ذات الكميات الكافية ، ثم رحلات النحل الدورية المستمرة للحصول على رحيق الازهار وحبوب اللقاح ، كل ذلك قد يسره الله سبحانه وتعالى لها ، وبه يخرج من بطونها شراب مختلف الألوان فيه شفاء للناس ، وحرص القرآن الكريم الا يذكر العسل في الآية الشريفة حتى لا يتحدد الشراب بالعسل فقط وحتى لا يقتصر بحث الانسان ودراسته في هذا الشراب على العسل رغم ان العسل قد ورد بنصه في القرآن الكريم في النص الشريف : **( مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم )**١٥/ محمد

ثم يثبت علميا ان شراب العسل الذي يخرج من بطن النحل مختلف في الوانه من الشفاف الابيض الى الاصفر بدرجاته والاحمر وغيره ، وان شرابا اخر مختلفا في هيئته عن العسل وهو سم النحل يخرج أيضا من بطونه وفيه شفاء للناس ، وتقوم المصحات العالمية حاليا بالعلاج الطبيعي والمباشر بتعريض المريض للنحل ، ليقرصه ويفرز فيه سمه فيشفى ، كما ثبت أيضا انه يخرج من بطن النحل الغذاء الملكي الذي تتغذى به النحلة فتصبح ملكة ، ويطول عمرها بذلك أربعة أضعاف عمر النحلة العادية ، ويخرج أيضا من بطون النحل لبن النحل ، وهو أخر ما يبحث فيه العلم حاليا ، اذ يقول بان هذا اللبن له القدرة على إخفاء كل الميكروبات

والجراثيم الضارة بالانسان تماما . وهذه كلها أشربة مختلفة اللون وفيها شفاء للناس .

وقد أجمل القرآن الكريم كذلك كل علوم النمل في آية واحدة هي :

**( حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون )**١٨ النمل

ويعلن العلم الحديث أخيرا ان العالم « لورنتس النمسوي » قد تأكد من أن للنمل لغة مسموعة يتخاطب بها وأنه قام بتسجيلها على أشرطة يجري اعدادها لعرضها على معاهد وكليات علوم الحيوان ، كما يقرر علم الحيوان ان للنمل مستعمراته . وأن لكل مستعمرة .. قلاعها .. ومساكنها .. وأن النملة تعتبر من أسخى وأجود الكائنات الحية وأنها حسنة الظن حتى بأعدائها . اذ ان لها الكيس الاجتماعي وهو كيس على شكل معدة فوق معدتها تملؤه بالغذاء المهضوم ، لتمد به كل من تلقاه من نمل قد يكون جائعا ، بل إن النملة عندما تضطر للحرب ، فانها تتحسس أولا معدة عدوتها ، حتى لا تجرحها بالسؤال عن جوعها وشبعها ، فاذا وجدتها جائعة اخرجت لها كيسها الاجتماعي لتأكل منه حتى تشبع ثم تحاربها ، حتى تكون هي وعدوتها على قدر واحد من الشبع ، ولذلك فقد أحسنت النملة الظن بسليمان وجنوده ، اذ لو حطموا النمل ، فليس عن قصد بل وهم لا يشعرون .

ووجه القرآن الكريم نظر الانسان الى الاهداف من خلق الحيوان للانسان وذلك في النص الكريم :

**( والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون )** ٥ ـ ٨ النحل

إذ يحقق الحيوان للانسان الدفء بأوبارها وشعرها وجلدها بل وشحمها وينتفع الانسان بعظامها وبكل اجزائها علاوة على اكله لحومها ، وكما يستعملها الانسان في ركوب وحمل متاعه والانتقال بها من مكانه الى حيث يريد الرحلة والارتحال . وكذلك توجه الآية نظر الانسان الى ما في مشاهدة الحيوان من متعة وجمال ، وهذه الدعوة سبقت العلم بأربعة عشر قرنا من الزمان ، حيثما اتجه العلم الى اقامة حدائق الحيوان نشرا للمتعة والسعادة والجمال للانسان في مختلف أعماره .

ومن ضمن ما وصل العلم إليه أخيرا ما ورد من أن الحيوان كل حيوان وأي حيوان له حياة جماعية ومعيشة اجتماعية ، وأنه يعيش في جماعات وأمم كالانسان . وقبل ذلك بأربعة عشر قرنا من الزمان يقول القرآن الكريم :

**( وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون )** ٣٨ الانعام .

# ليلة النصف من شعبان

للاستاذ محمود شاور ربيع

أهديك شعري وأنغامي وألحاني ... ياليلة النصف من أيام شعبان
أقبلت للأرض بالبشرى لصفوته ... من خيرة الخلق من أبناء عدنان
هو النبي وخير الخلق كلهمو ... أهداه رب الورى آيات فرقان
صلى الى القدس والأصحاب تتبعه ... صفوا الصفوف على حب وإيمان
قضى الشهور وعين الحق شاهدة ... ما في القلوب وما يسري بوجدان
قلبت وجهك نحو « البيت » في وله ... والطرف طوف في ستر وأركان
ترجو وتأمل آمالا محببة ... والروح سابحة تهفو بتحنان
جاء الأمين وقد صليت متجها ... نحو الشآم ونحو المسجد الثاني
ناداك : حول إلى « أم القرى » جسدا ... يرنو لطلعتها من دون بلدان
فيها على الكون شمس الهدى قد طلعت ... تهدي الخلائق من إنس ومن جان
حولت وجهك في بشر وفي جذل ... والصحب قد حولت تشدو بألحان
ياليلة النصف قد حققت أمنية ... ونال « أحمد » مجدا عالي الشان
ردي على العرب أوطانا قد استلبت ... باللؤم والغدر من اعوان شيطان
ردي على القدس أياما به ازدهرت ... فوق الجليل وفي اعطاف كثبان
ردي الى الدار أهل الدار إنهمو ... تحت الخيام على هون وأحزان
اني دعوت وكل العرب قد جأروا ... مدوا الأكف إلى أعتاب رحمان
فاقبل الهي دعاء العرب وانصرهم ... في ليلة النصف من أيام شعبان

# من قطوف القرن الهجري الخامس عشر

للاستاذ/ حسني عبد البـاري عبدالهادي عصر

مما يلفت النظر في أمتنا الأسلامية أن كثرت فروع الحياة دون تأصيل لهذه الفروع ، وبدون تنقيب عن القدر المشترك بين الفروع وبعضها ، ولقد ترتب على ذلك أن تراكمت أتربة الغفلة فوارت جوهراً ، وأعلت من قدر عرض حكم الله عليه بأنه سوف يذهب جفاء لاغناء فيه ، ولن يبقى إلا ما يصلح به أمر الدنيا والناس : ( فأما الزبـد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ) .

ولقد ترتب على ذلك أيضـا أن افتعلت الخلافات اللفظية بين أصول الديـن ومنهـج العلـم في الـدرس الحديث ، مما أوجد قدرا من الضباب يحجب رؤية الناشئة ، ويضللهم عن لب الرؤية فيما خلف الضباب الذي افتعلوا وجوده ليشغلوا به عقولا خربة لا تريد أن تمتثل لأمر الله قرآنا : ( **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقـوم يعقلون** ) البقرة/ ١٦٤ فالله يدعـو عباده للتدبر والتفكر فيما حولهم ، وهو يعلم أن عقولهم ستسلمهم إلى الأصول التي تحرك حياتهم ، والمنهج الكفيل بانعتاق أيديهم من أغلالها التي زينتها لهم المناهج الحديثـة فاستسهلوها ، لأنهم لا يريدون أن يجهدوا أنفسهم في استخراج الكنوز من مصدرها الصحيح .

وليس من اللازم أن نجد اللفظ في منهجنا وتراثنا ، فقد يكون الحديث قائما واللفظ أو المصطلح لم يوجد بعد ، أو لم تستخدمه طائفة ، أو استقر في بيئة ولم يستقر في أخرى ، فان الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص سواء وجد تحت اسم آخر ، أو وجد ولم تكن هناك الحاجة لتسميته .

والعبرة دائما ليست بأن نسمي

الأشياء بل العبرة بأن نغير أسلوب فهمها ، لنجد أن الموقف الذي يتصارع الناس إلى التمسك به هو نفسه ، الموقف الذي يريدون هدمه والتخلي عنه ، وكل الفرق في استعمال المصطلحات ، وتبقى وصمة الجهل وجريرة التقصير في حق الأصيل والثابت ، نقول ما سبق لأن هناك افتعالا لمنهجية علمية ظنوها تفترق في شيء عن روح الأسلام ودقته في التخطيط لأمور الدنيا والدين ، وللمواقف التي تقع على ظهر الأرض ، وهذا الافتعال راجع إلى أمرين لا ثالث لهما :

أولهما : الرغبة من البعض الحاقد في أن يلفت الأنظار إلى شيء يظن به أنه سوف يحول الفطرة الانسانية عن صفائها وبراءتها ، وهذا هو صلب العمل الذي يقوم به أعداء الدين عندما يتشدقون بالعلمية والمنهجية والتخطيط .

ثانيهما : إن السلوك الذي يسلكه المسلمون لا يعكس القيم الأصيلة والمباديء التي أرساها الله لعباده مما جعل بعض الموتورين يسارعون في الحكم على روح الدين من سلوك المنتسبين اليها وهذه « شنشنة نعرفها من أخذم » وهو سلاح مردود عليهم إذ هناك فرق بين مفهوم « الرأسمالية » أو الأشتراكية » وبين سلوك المنتسبين إلى كليهما مع كل الفوارق بين مذاهب الوضع ومذهب الله سبحانه ومنهاجه ولكننا لا نملك إلا أن نتجه إلى الله أن يوفق السالكين إلى تجسيد المبدأ في السلوك حتى تتضح أمام الناس الرؤية ويهتدوا لعل الله يخرج من أصلابهم من يشهد أن لا اله إلا الله » ولعل « شوقيا » قد لحظ الغيب بعين الصقر اذ قال :

واذا فرق الرعاة اختلاف
علموا هارب الذئاب التجري !

نعم نحن ـ العالم الاسلامي ـ في واقع مليء بالثغرات التي أوجدتها الشكليةواللفظية وعلى الجانب الآخر فالرقعة الانسانية بها خروق شاسعة من تكدس الثروة في جانب وانعدامها في جانب آخر ، الأمر الذي إن تحملته البشرية الآن أو لأعوام قادمة فلن تستطيع عليه صبرا بعد ذلك ، لأن الخطى تعود بأوضاع الأرض ونفوس الناس إلى نفس الاوضاع والنفوس التي سبقت نزول الاسلام ، ونفس الظروف هي التي جعلت كثيرا من الناس يسارعون إلى الأنضواء تحت راية الاسلام خلاصا وتحررا من التفاوتات ، ورغبة في الانسجام مع إنسانيتهم ، وغيرهم من آحاد الناس لا يفرقون بين أنفسهم إلا بالتقوى وليس بنظم الأقتصاد المستغلة والسياسة التي تبرجت وخلعت حجاب الأخلاق .

وهكذا تمضي القرون وتظهر الفوارق التي أتى الاسلام ليهدمها وليزيحها من طريق إبداع البشر ، كي تظهر الطاقات الكامنة ، ويعود الانسجام لحركة الأحياء مع حركة الكون .

تمر القرون وتتلبد النفوس بنفس موجات القلق التي خيمت على جزيرة العرب قبل الاسلام والتي أطبقت على

فارس وبيزنطة ، ويقوم في النفوس عين الترقب ، وذات اللهفة ، وتحتبس الأنفاس انتظارا لصحوة أخرى ولنظام ، تراه جديدا ، وليس بجديد ، يجب ما عداه ويعيد صياغة القوى بعد أن هيمنت على مقدرات البشر طواغيت الفقر ولذات الجسد وماديات العقول ، وهي أمور توجب كما في القديم ، أوجبت ضرورة إعادة المبادىء الى مجال الفعل والقوة ، كي تحمي الانسان في فرديته وفي جماعيته ولتضمن المستقبل الأكثر أمنا والحاضر الأكثر هدوءا .

في ظل تلك التحديات التي واجهت الأسلام شق جبريل أطوار السماء ونزل على قلب رجل من مكة ، ومن بين أهلها بل من أشرفهم نسبا وصهرا . نزل على الأخ الكريم وابن الأخ الكريم بشهادة المكيين أنفسهم : ( **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين** ) الحجر/ ٩٤ .

ولا بد هنا أن نلتفت إلى وقع كلمة « اصدع » لأن فيها كل الجمال وكل الخطورة التي تناط بمبادىء الدين في هذا السياق فهي أبلغ من « بلغ » لأن تاثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ وقد يذهب أدراج الرياح ، أما الصدع ـ كسر الزجاجة ـ فهو لا بد مؤثر .

وهكذا شاء الله أن يحدث الرسول هزة في الأرض ، وفي ضمائر الناس ببعثه ، وهزة بحلمه ، وهزة بهجرته ، وهزة بارساء الدين ، كي لا يستشري الأنفصام في كيان البشرية ، يمزق جوهرها ، ويبعدها عن حقيقة كينونتها .

كان على الرسول أن يجاهد بنفسه ، وبغيره أولئك الذين آمنوا به وعزروه وصدقوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ليوقف زحف الشر ، وليحد من طغيان الكفر .

ومن هذا المنطلق كان صبره على جهامتهم ، وحلمه على جهالتهم قبل هجرته ، فمشى بينهم يعرض عليهم أمره ، ويدعوهم لما يهديهم ويصلح بالهم . ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاس الصفقة بظاهرها لما صبر ، ولما تحمل ولما انفطر قلبه خوفا على أهل مكة ، ولكنه قاس الصفقة بنتائجها التي أقرها الله ، وأيدها بجنوده : ( **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ) المدثر/ ٣١

لم تكن الفترة المكية الأولى عبثا ، ولكنها كانت نفشا في ارض القوم يعرضها لشمس الحقيقة يقتل أدرانها ، ويصطفي بارادة الله نفرا هم النواة للأيام التالية ، وللأحداث العظام وكان لابد من دخول ام المؤمنين خديجة في الأسلام لتظل نموذجا للوفاء والتضحية ، وكان لا بد من أن يتفرد الصديق بما هو أهل له .

كان حتما أن يعلن حمزة وعمر إسلامهما ، ليكونا صدعاً وفق ما أمر الله به في بنيان المشركين ، وكان لموقف أهل الطائف أن يحدث ، وللعنت أن يزداد ، ويكتمل جبروته ، في الارض إيذانا بانهياره ، مصداقا لقول الله سبحانه :( **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا**

**فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا )** الاسراء/١٦ وهكذا تفرس الشاعر اذ قال :

اذا تم شيء بدا نقصه
توقع زوالا إذا قيل تم

لقد تحمل المسلمون الأوائل فوق ما يتحمل البشر ، ولكنهم عضوا على مبادئهم بالنواجز ، وضربوا أروع أمثلة الصبر والثقة في الهدف ، وبقدر ما صبروا كان عنت الكفار واشتداد جبروتهم . وما تزال كلمات الكفار لصهيب الرومي ترن في الآذان : « اتيتنا صعلوكا فكثر مالك وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك وبنفسك . والله لا يكون ذلك » .

ولكن صهيبا قيم الصفقة التي يعقدها مع ربه فيقول لهم : « أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ » وهم جماع مال وعرض فقالوا : نعم

ويتنازل الرجل عن كدحه وماله ابتغاء مرضاة الله : « فاني قد جعلت لكم مالي » ، ويبارك الرسول صلى الله عليه وسلم الصفقة ، ويضع في صكها شهادة تظل عنوانا على منة الله لعباده فقال عندما بلغه امر صهيب مع كفار مكة : « ربح صهيب ، ربح صهيب »

ولم تكن الهجرة للحبشة إلا تسكينا لروع المسلمين لكي لا يفتنوا في دينهم ، ولكي لا تنبتر الصلة بينهم وبين السماء إذا ما استقروا طيلة المدة في مكة ، كما كانت علاجا موقوتا للأوضاع النفسية التي ما برح الكفار يوقعونها في نفوس المجاهدين .

وليس لما يقوله « وليم مور » في كتابه « حياة محمد » منفذ للتكهن أو لوضع صورة لم تحدث ، ولسنا نقول معه : « لو لم يتوافر للاسلام مهاجر ، في المدينة لربما هاجر النبي الى الحبشة وهنا كان من المنتظر أن ينزوي الاسلام ويتحول إلى مذهب مسيحي قصير العمر مآله الانقراض » لأن ذلك خبط بليل وتكهنات لا تعكس إلا حسرة تجليها الكلمات والألفاظ ، ولكن لنا أن ننظر إلى هجرة المدينة نظرة اخرى نستخرج منها قيمة التوقيت ، ودقته ، وكيفية تعبئة القوى لابرام الأمر بشكل يستلفت نظر المخططين وأولي المنهجية الدقيقة ، التي لا تسمح بنسبة ضئيلة من معاملات الخطأ .

ننظر اليها في ضوء قول الرسول لصاحبه الصديق عندما سأله أن يهاجر : انتظر لعل الله يجعل لك صاحبا والانتظار في قاموس الدين يعني ما يقوله القرآن : **( إنا كل شيء خلقناه بقدر )** القمر/٤٩ وهو نفس المغزى الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لمن قالوا له : « يا رسول الله ، والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى ، من المشركين غدا بأسيافنا » . وهم الذين منعوه عندما قالوا : « نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك .. فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .

وماذا يريد المظلوم إلا أن ينتصر ؟ وهل من أمل لمهضوم الحق إلا أن يعود حقه ؟ ولكن الرسول منفذ

لتخطيط ربه وتدبيره يقول لأولئك النفر : « لم نؤمر بذلك لكن ارجعوا إلى رحالكم » كل ذلك لكي لا تحدث الهجرة بغتة أو بدون سابق تمهيد ، ضاربة المثل بذلك ، إلى ضرورة أن تكون النظرة ثاقبة في فهمها للواقع وفي رصد الامكانيات المتاحة ، ومراعاة الهدف الأخير ، وحشد الطاقات ، على تفاوت بينها ، قال تعالى:( **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ) البقرة/٢٨٦ . ننظر إلى الهجرة من زاوية بيعتي العقبة ومكان هاتين البيعتين وأثرهما في الهجرة الكبرى كما ننظر اليها من فلسفة ذهاب مصعب بن عمير إلى المدينة يمهد النفوس العطشى للنور وللرى .

لقد كان مقدرا لهجرة المدينة ، بكل مقاصد دلالتها ولواحقها أن تكون تخطيطا للمستقبل وبذرة للحضارة الاسلامية تحتوي في لفائفها حسبان أنواع المستقبل المختلفة الحالية والقريبة ومستقبل الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فقد كانت الهجرة انتشارا في الأرض يعمرها ويقيم منهارها ويقوم منآدها ، ويؤسس ابتغاء الأفضل والأجدر اعتماداً على أن القليل إلى القليل كثير واللبنة على اللبنة بناء وأن « يد الله فوق أيديهم » ، وأنه « غالب على أمره » وهو « عند ظن عبده به » . كانت الهجرة نقلة كبيرة في جميع الاتجاهات بدءا من اللفظ وانتهاء بدخول مكة واستقرار أمر الدين فقد شرع الرسول يغير كثيرا من الأسماء منها البلدان والأعلام فلقد غير من « يثرب » إلى « المدينة » ويأتيه رجل فيسأله الرسول : من أنت ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : بل أنت زيد الخير وقد تسمى أحد صحابته « بالمضطجع » فغيره الرسول الى « المنبعث » وأبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي الأنصاري كان اسمه « حزنا » فسماه الرسول « سهلا »!. وهكذا بات التغير متوقعا من الرسول حتى أن الصحابة ظنوا تغييرا عندما سألهم : أي يوم هذا ؟ فسكت الصحابة حتى ظنوا أنه سيسميه سوى اسمه قال : أليس يوم النحر قال الصحابة بلى قال فأي شهر هذا ؟ فسكتوا حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه فقال : أليس بذي الحجة . وهذا التغيير له دلالات واعتبارات :

١ ــ فهو يحدد الشيء وامتلاكه .

٢ ــ يخلع الصبغة اللغوية التي تترجم الدين الجديد في اصطلاح جديد .

٣ ــ يحمل تجدد الحياة ونماءها وينسخ ماضيا ولى بجديد ترسيه له بعض الدلالات التي تميز أمة ومنهجا وحضارة .

والهجرة النبوية لم تكن ابتعادا عن مجرى الأحداث في مكة ، ولكنها كانت بداية العودة اليها ، وهي البلد الحرام التي أراد الله أن يحفظ لها

حرمتها ، وللبيت العتيق سكينة حيث قدر الله أن يتطاول المكيون ، ويخرجون من مكة إلى حيث يلتقي الفريقان ، وتحدث الملحمة الأولى في تاريخ الاسلام وهي غزوة بدر .

وكان لا بد من مركز إشعاع يتجمع فيه المريدون حول الرائد الذي جاءهم بما يحييهم ، فكان المسجد اول ما بدأ به الرسول فبناه وهو يحمل نصيبه من العمل وهذا ما يصوره شاعر المدينة :

لئن قعدنا والرسول يعمل
فذاك منا العمل المضلل

وتنافس المهاجرون والأنصار في بناء المسجد بما تنال أيديهم من لبن وجريد وليف وبعض الحجارة والخشب ، يشاركهم المصطفى يقودهم ويحمسهم وينفض الغبار عن لحى البعض داعيا للمهاجرين والأنصار فيجيبوه رجزا :

« لا عيش إلا عيش الآخرة
اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة »

ويقوم بنيان المسجد رمزا للوحدة وللتنازل عن الأهواء الذاتية ، والتسليم بمشيئة الله ورسوله .

واعتمادا على بيعة العقبة ، وموادعة الاسلام لليهود والمنافقين في المدينة حيث أعطاهم الرسول أمانا على عقيدتهم وأنفسهم « وإن من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم » ، « ... وإنه لا يجير مشرك ــ من أهل المدينة وما حولها ــ مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن » ، « ... وانه لا تجار قريش ولا من نصرها » ، « ... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم الامن ظلم فانه لا يوتغ ــ يهلك ــ الا نفسه واهل بيته » ، « ... وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها ».

هذا هو المنهج والتخطيط الدقيق الذي يعود القرن الهجري الجديد لنا به ، لنعلي من ذكره شعرا ، ونثرا ، ورجزا ، فلقد كفاه ، وانما لنعرض انفسنا عليه كمحك لسلوك العالم الاسلامي في ايامنا :

لمن القيادة ؟ وهل نفضنا عنا كل ما لا يمت للاسلام ؟

واين السبيل ؟ ومتى نعض على الدين بالنواجز ؟ والى متى تنتهك الاشهر الحرم بين بني الدين الواحد ؟

هل نصرنا الله ورسوله كما نصره الذين تركو ديارهم واموالهم وتحملوا اللطم والعنت والايذاء :

**( إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم )** التوبة/٤٠

فهل يحق لنا ان نكتفي من المنهج بالقشور دون اللباب وان ندعو الله بعدها ونريد ان يستجاب لنا : **( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم )** الرعد/١١

# مائدة القارئ

## الرفق بالحيوان

من تقوى الله أن يرفق المؤمن بالحيوان المملوك له ، أو المستأنس به ، سواء باطعامه ، أو بتفقد ما فيه صلاح بدنه ، وابعاد الأذى عنه .

أقبل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفد من الصحابة المجاهدين أيام الفتوح ، يستبقون اليه بخبر فتح عظيم يبشرونه به ، فترك عمر الكلام عن الفتح وبادرهم بقوله : أين نزلتم بركابكم ، .. فقالوا له .. فقام معهم حتى انتهوا الى مبرك الابل التي جاءوا عليها ، وقد أعياها كلال السفر ، وأجهدها طول السير ، وهي مقيدة في مبركها تتململ من الجهد والجوع ..

وأمام هذه الابل المجاهدة ، والمجهدة بغير رعاية ، قال لهم عمر يلومهم على اهمالها حقها المفروض بتقوى الله : « هلا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ .. أما علمتم أن لها عليكم حقا ؟ .. هلا أرحتموها فأكلت من نبات الأرض ؟ » .

وهكذا الى اليوم ، يبقى الرفق بالحيوان في طعامه ، وراحته ، ورعايته .. حقا على المؤمنين مفروضا له بتقوى الله .

## العيد

سئل أحد الصالحين : متى عيدكم ؟ فقال :

١ ) يوم لا نعصي الله فذلك عيدنا .

٢ ) يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين فهذا عيدنا .

٣ ) يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا فهو عيدنا .

٤ ) وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، انما العيد لمن أمن عذاب الآخرة .

## تعريفات ..

الشرف : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة .

اللؤم : احراز المرء ماله وبذل عرضه .

الجبن : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .

الغنى : رضا النفس بما قسم الله لها وان قل .

الذل : الفزع عند الصدمة .

الكلفة : كلامك فيما لا يعنيك .

( الحسن بن علي )

# مائدة القارئ

## رحلة العمر للامام ابن القيم
## - رحمه الله -

قال ابن القيم رحمه الله : العبد من حيث استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها الى ربه ومدة سفره هي عمره ، والأيام والليالي مراحل فلا يزال يطويها حتى ينتهي السفر ، فالكيس لا يزال مهتما بقطع المراحل فيما يقربه الى الله ليجد ما قدم محضرا ثم الناس منقسمون الى أقسام ، منهم من قطعها متزودا بما يقربه إلى دار الشقاء من الكفر وأنواع المعاصي ، ومنهم من قطعها سائرا فيها الى الله والى دار السلام ، وهم ثلاثة أقسام : سابقون أدوا الفرائض وأكثروا من النوافل بأنواعها ، وترك المحارم ، والمكروهات وفضول المباحات ، ومقتصدون : أدوا الفرائض وتركوا المحارم ، ومنهم الظالم لنفسه الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم في ذلك درجات متفاوتون تفاوتا عظيما ..

## دعاء

*** اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسي وأهلي ، ومالي وولدي ، ومن الماء البارد على الظمأ .**

*** اللهم متعني بسمعي وبصري ، وانصرني على من ظلمني ، وخذ منه بثأري .**

*** اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقائك .**

## التوكل على الله

عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » . رواه الترمذي وقال حديث حسن .. « تغدو خماصا » - أي تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع .. « وتروح بطانا » - أي ترجع آخر النهار ممتلئة البطون ..

# إخاء العقيدة

كان العالم قبل مجيء الاسلام آحادا متفرقة دولا وقبائل وجماعات وأفرادا ، وكان العرب خاصة أصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، فقلما كانت تجتمع أهواؤهم ، وتتحد وجهتهم فلما جاء الاسلام بما جاءهم به أذهب عنهم جهلهم وجاهليتهم واصبح الوازع لهم من انفسهم ، فسهل انقيادهم وائتلافهم طواعية منهم واختيارا ، فأصبحوا اسرع الناس قبولا للحق والهدى ، وتجلى الاخاء الاسلامي بناء شامخا لا تتطاول اليه الأعناق ، وتوارت العصبية العمياء وأصبح المسلمون كتلة متراصة كأنها جسد واحد في نظام اجتماعي متوازن لم يكن أكثر الناس تفاؤلا يتوقعه في وقت اختلفت فيه المـــوازين وسقطت فيه جميع القيم . ولم تترك الأوضاع التي كانت سائدة أي احتمال للتلاقي بين الأوضاع المتنافرة والمتنابذة .

لقد أدى الرسول مهمته في مكة

# بين الأمس واليوم

للاستاذ/ عبدالعظيم ابراهيم منصور

داعيا إلى الله كأفضل ما يكون أداء المهمات في جو متوتر مشحون بالأهواء والأغراض المضادة للحق المنفرة من كل ما هو بر وخير ، ولكنه لم ييأس ولم يفتر حتى أذن الله له بالهجرة إلى حيث القلوب المستعدة لحمل أعباء الدين الجديد وتكاليفه . فكان أول ما قام به هو المؤاخاة بين المهاجرين معه من أهل مكة والانصار من أهل المدينة ـ نواة المجتمع الاسلامي الجديد .

ولم يعتمد الاسلام في تكوين الدولة الاسلامية وبناء المجتمع الاسلامي على عامل من العوامل الارضية التي رأتها البشرية وعهدتها الانظمة المختلفة التي تتابعت على البشرية . ومن أمثلة تلك الأنظمة النظام الفاشستي الذي قام في إيطاليا قبل الحرب العالمية الثانية واستند في إقامته إلى الفكرة النقابية وفكرة الجنس التي استهوت بها النازية الشعب الألماني ، ووحدة المصالح

الاقتصادية والسياسية للطبقة العاملة الكـــادحة التي قامت على أساسها الثورة البلشفية في روسيا . وهناك الدول الغربية التي تدعى انها قامت باسم الديمقراطية تعتمد على عامل جديد نشأ عندهم وهو الميل الصريح لان يعتبروا أنفسهم أنهم أصحاب الفضل في كل تفوق أدركه البشر ، وهذا النوع من الخيلاء الفارغة تعتمد عليه تلك الدول في بناء أنظمتها ومجتمعاتها ، وتحديد علاقاتها بغيرها من دول الارض وشعوبها .

إنما اعتمد الاسلام في إقامة الدولة وبناء المجتمع الاسلامي على عقيدة في الله ثابتة تتسع لكل ما في الوجود ومن في الوجود يتخذ منها المسلمون مركزا لوحدتهم وتجمعهم ونقطة لانطلاقهم وانتشارهم ومثلا أعلى يتطلعون إليه حيث تختفي تحت لوائها المصالح الاقتصادية والسياسية فردية كانت أو جماعية وعندها تتلاشى نعرة الوطنية ونزعات الجنسية ، وتتضاءل أمامها جميع العوامل الأرضية التي تتخذ منها الدول أساسا لقيام أنظمتها وبناء مجتمعاتها .

ولقد كان لقيام الدولة الاسلامية على أساس العقيدة ، أن نشأت بين المسلمين صلة قوية عميقة بعيدة الأثر في حياتهم وفي مستقبل الدعوة الاسلامية ، وتلك الصلة هي صلة الاخاء المقام على عقيدة التوحيد المشدود بروح الاخلاص ، فألف الله به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة وسرعان ما حل الوفاء في النفوس محل الغدر والأمانة محل الخيانة ، والبر مكـــان الجحود ، والرأفة والرحمة مكـــان الغلظة والقسوة ، والايثار والتضحية محل الاثرة والأنانية وأصبحت الجماعة الاسلامية كتلة بشرية متزنة ، وجهتها واحدة ومقصدها واحد ، والمسلمون أسرة واحدة لا فضل فيها لعربي على أعجمي ، ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى والعمل الصالح ، قد أذهب الله عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء . أشداء على الكفار رحماء بينهم ، طالب الحق لديهم من المقربين ، ومؤثره على ما سواه عندهم من الصادقين ، زاهدين في التعصب لغير الاعمال ، يسيرون مع الحق أينما سارت ركائبه ، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه ، إذا بدا لهم الدليل طاروا اليه زرافات ووحدانا ، كتاب الله أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا على أحكـــامه قول أحد من الناس أو يعارضوه برأي أو قياس .

ونظرا لما للاخاء من أثر فعال في بناء الدولة وربط المجتمع برباط قوي ، فقد جاء الدين يركز عليه لا باعتباره فضيلة من الفضائل ، وخصلة من الخصال ، ولكن باعتباره مبدأ تأسيسيا يقتضيه الدين وتمليه البشرية الواحدة الكريمة على الله ، فقد ضم القرآن والسنة دستورا كاملا للاخاء فقال تعالى :

**( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكـــم**

**فأصبحتم بنعمته إخوانا )** .آل عمران/١٠٣

( **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم )** . الانفال/٦٢ ، ٦٣

ولقد صور الاسلام الوحدة القوية التي جمعت المسلمين وسيطرت على سلوكهم وتصرفاتهم فاضطرت الجاهلية أمام قوتها أن تخلي لها الطريق وأن تذهب إلى غير رجعة بكل ما صحبها من علل وأمراض عانت منها البشرية الخسف والهوان فقال تعالى :

( **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما )** . الفتح/٢٩

والأخوة الاسلامية ليست عصبية ولا هي بقية من جاهلية ، فالمرء المسلم ينصر أخاه المسلم ان كان مظلوما ، ويرده عن الظلم ويحجزه عنه إن كان ظالما ، ويلفت النبي صلى الله عليه وسلم نظر المسلمين إلى هذا المعنى ، وغرسه في نفوسهم ، ويدعوهم اليه فيقول النبي عليه الصلاة والسلام :

« انصر أخاك ظالما او مظلوما ، فقال رجل يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره . قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره » الدارمي وابن عساكر .

لذلك اعتبر الاسلام أي خروج عن هذا المسلك خروجا صريحا على تعاليم الاسلام وتوجيهاته فتنزل أمر الله بقتال الفئة المسلمة الباغية حتى يحفظ للمسلمين وحدتهم وللاخاء قوته فقال تعالى :

« **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم )** .الحجرات/٩ ، ١٠

والتاريخ الاسلامي مشحون بمواقف الحب والايثار وجميع الفضائل التي ولدها الاخاء الاسلامي في نفوس المسلمين في أوقات سلمهم وفي أوقات حربهم فقد كانوا في حياتهم السلمية يتحرون الحق ويذعنون للانصاف والعدل .

فقد تحدثت عنهم أم سلمة رضي الله عنها ــ فيما رواه عنها الامام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه ــ قالت « جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث قد درست ليس بينهما بينة ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنكم تختصمون إلي ، وإنما أنا بشر ،

ولعل بعضكم ألحن – أقوى – بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار يأتي بها في عنقه يوم القيامة . فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما ، حقي لأخي – فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « أما إذا قلتما ذلك فاذهبا ، فاقتسما ثم توخيا الحق – ثم استهما « أي اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما » ، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه » .

وهذا الخلق الذي ولده الاخاء قد شاع في الخاصة والعامة من أبناء الاسلام فطمس رسوم الاختلاف بينهم ومحا الأهواء والأغراض من نفوسهم ، حتى كان الواحد منهم إذا سمع صيحة من صيحات الحق انحاز إليه في جد وإخلاص ، فكان ذلك بلا ريب أروع منظر لسلطان الدين على النفوس ، رأى فيه المسلمون عزتهم ومنعتهم وسلطانهم وسيادتهم .

ويروي ابن كثير أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل ايليا يدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ..فكتب إليه أبو عبيدة ، بذلك ، فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بألا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوى ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب ، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورءوس الامراء ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فهم أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة ، فكف أبو عبيدة فكف عمر .

وهكذا كان اللقاء بين الحاكم والمحكوم ، لم تفرق بينهما المناصب والولايات ، ولم تفصل بينهما حواجز الرياسة والامارة ، فالشريف والمشروف ، والحاكم والمحكوم بفضل الاخاء سواء .

وفي يوم اليرموك يروي ابن كثير أن المسلمين لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء ، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال ، ادفعها إليه فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوا كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا ولم يشربها احد منهم .

ولما رأى أسقف دمشق أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي فدخل والاسقف معه ناشرا كتابه الذي كتبه له ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه ، فقال أبو عبيدة : أنه يجيز

على المسلمين أدناهم وأجاز صلحه وأمضاه .

فالمسلمون يسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم .

وفي هذا يقول أبو عبيدة يسعى بذمتهم ادناهم : هو العهد الذي إذا اعطاه رجل من المسلمين احدا من اهل الشرك جاز على جميع المسلمين ، ليس لأحد منهم نقضه ولا رده ، حتى جاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في النساء .

فقد جاءت أم هانىء بنت أبي طالب يوم الفتح إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن رجل أجارته . فقال لها « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » . ابن هشام .

ويروي ابن هشام أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شهد أحدا مع الرسول قال « شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو وقلت لأخي — أو قال لي — : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله وكنت أيسر جراحا ، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

واذا كان الاخ يحمل اخاه حبا لله ولرسوله ، فان الابن قتل اباه يوم بدر وأتى برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله ولرسوله . حين بقي الاب على ضلاله وانهمك في طغيانه على المسلمين ، فلم يعطف الابن على أبيه رحمة ولا كف عنه شفقة وهو من أبر الابناء : تغليبا للدين على النسب ، ولطاعة الله على طاعة الأب ، وصاحب هذا الموقف هو أبو عبيدة صاحب المنزلة العالية والأثر المشهور في الاسلام ، وفيه أنزل الله تعالى :

**( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون )** المجادلة/٢٢ .

ولما انتقلت إمرة الشام من خالد ابن الوليد إلى أبي عبيدة بن الجراح بعد ان بويع عمر بن الخطاب بالخلافة تجلى الاخاء الاسلامي بروعته وجلاله في نفس القائدين العظيمين فأبو عبيدة يكتم الخبر خشية ان يؤثر ذلك في سير الحرب المستعرة ، حتى إذا فتحت دمشق وبعد عشرين يوما يخبر خالدا ، ويقول له « إني كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن أخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه » .

وإذا كان المسلمون في سلمهم على ما وصفتهم أم سلمة رضي الله عنها ، فانهم في حربهم مع بعضهم البعض التزموا مبادىء الفضائل الانسانية

العالية .

ومن أمثلة ذلك الحرب الانسانية الاولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربون معا على مبادىء الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعملوا بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين . وإن كثيرا من فقه الحرب في الاسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ولله في كل أمر حكمة ، ونعني بذلك ما وقع بين المسلمين في حرب صفين . فقد كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا في الجاهلية فالتقوا في الاسلام معهم على الحمية وسنة الاسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم ، قال الشعبي : هم أهل الجنة لقى بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد .

هذا هو الاخاء المؤزر بمنطق العقائد ويمثل أحد المواقف التي وقفها الاسلام من الانسان ، يشيع الرحمة والألفة والمودة والتساند والتكافل ويمحو الانانية والاثرة ، ويغرس في نفوس المسلمين الايثار والتضحية والرحمة .

لذلك كان الاخاء الاسلامي ركيزة قوية من الركائز التي عول عليها الاسلام شريعة من عند الله في بناء الدولة الاسلامية وفي ربط المجتمع برباط قوي على اختلاف طبقاته وأجناسه ، فشهدت البشرية أسعد مجتمع انساني رآه التاريخ ، تعامل فيه الولاة والرعية بالايثار . الحاكم فيه كولي اليتيم ان استغنى استعفف ، وإن جاع أكل بالمعروف والمحكومون مؤتلفون متفقون متحابون متوادون معتصمون بحبل الله جميعا ، يتحرون للحق ، ويذعنون للانصاف .

وكفى بالاخاء رفعة عند الله أن يكون هو المثل الأعلى لنعيم الأبرار في الآخرة **( ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين )** الحجر/٤٧ كما هو المثل الاعلى للمجتمع الذي يريده الاسلام في الدنيا

**( إنما المؤمنون أخوة )** .الحجرات/١٠

واذا كنت قد اشرت إلى واقع الاخاء في حياة المسلمين الأولى ، يوم أن كان الاسلام يسيطر على تصرفات المسلمين وينطبع به سلوكهم ، ويرفرف على اتجاهاتهم وميولهم ، فانه لا احد يستطيع ان يقول كلمة او حتى حرفا ، يحمد به الأخوة الاسلامية اليوم ، او يدعي ان لها بقية في واقع الحياة على الأرض الاسلامية ، أو أنها مرجع من المراجع التي تثير في النفوس الحمية كلما حزب المسلمين أمر ، أو نزلت بهم مصيبة ؛ أو حلت عليهم نقمة .

إنها لمأساة محزنة في كل جوانبها وظواهرها ان يبدو المسلمون اليوم وفي هذا الوقت بالذات ، وقد أصبحوا وليسوا حتى مجرد اصدقاء لبعض ، لقد كشفوا انفسهم بأكثر مما يستطيع الأخرون ان يكشفوهم به ،

وهزموا بعضهم بعضا بأكثر مما يستطيع الغير أن يهزمهم به ، والنتيجة معروفة ، إنها هزيمة لكل المسلمين في شتى أنحاء الأرض .

وقد ثبت ذلك على وجه القطع واليقين أمام الأزمات التي تواجه المسلمين اليوم بقسوة وعنف وفي مواجهتها ، فلم نشاهد حتى الآن من كثير من الدول الاسلامية أي تقدم لتكون الواحدة منها طرفا مباشرا فيما يدهم المسلمين من خطر ، أن تهدد بعضها ، فان البعض الآخر إن عاجلا أو آجلا سيصيبه نصيب موفور من هذا الخطر ، فقد اكتفت بعض الدول الاسلامية في مواجهتها لتلك الأزمات برنين الكلمات والدوران حول النفس ، كنوع من إبراء الذمة ، لا يحسب لها الأعداء أي حساب لأنها في الواقع كدخان في الهواء ، وكل دولة من تلك الدول المترددة المتخاذلة بتصرفاتها السلبية تتوهم انها تشتري امنها ، وهي في الواقع تبيع شرفها وكرامتها لأن العدو الخارج قد عاهد الشيطان على تمزيق شمل المسلمين وانتقاص أرض الاسلام ، إن لم يكن اليوم فان غدا لناظره قريب .

وإن كانت هناك صرخات من بعض الدول الاسلامية المخلصة تدعو إلى جمع الشمل وصرف القوى في مواجهة الأزمات ، فقد عودتنا الأيام انها صرخات في واد ، ليس لها من سامع ولا مجيب ، وتبقى بعد ذلك الدول المخلصة في مواجهة اعصار النيران ، محاصرة وسط الحريق ، وغيرها من الدول الاسلامية التي أوصدت أبوابها لا يسمع لها صوت ولا حس ولا نبض ولا همس ، إلا رنين الكلمات في بعض الأحيان ، وصمت القبور في اغلب الأحيان وهي تشهد وترى وتعاين قتل إرادة المسلمين على ايدي الاعداء الخارجين المخالفين .

إن موقف المسلمين اليوم كما هو ظاهر ملموس حقيقة يجب ان يتدبرها المخلصون من حكام المسلمين ، كما يجب ان يتدبرها باحتمالاتها المتوقعة في مجالها الواسع غدا كما يجب ان يتدبرها بعد رجعة إلى الوراء ليست بالبعيدة ، يرقبون تاريخهم وما حققه الاخاء الاسلامي في كل عصور التاريخ ولا زال الزمان يشير إليه بأصابع الأجيال ، وليعلم الجميع ان مسؤولية المسلمين اليوم هي امتداد لمسؤولية اسلافهم ، سيحاسبون عليها امام الله إن أفلتوا من حساب الدنيا .

إن الدول الاسلامية اليوم اصبحت لعبة يتسلى الطغاة بآلام تعذيبها ، ومن العار في الدنيا والآخرة ، ألا تمتد كل الأيدي المسلمة مجددة البيعة ، ومعاهدة الله ورسوله على مواجهة الطغيان العالمي ، وقتل النشوة الخسيسة في نفوس الطغاة ، والتصدي لتلك الجبلات الجاحدة الشريرة المجرمة اللئيمة ، ويقيني أن الأمم الاسلامية الجادة المخلصة لديها من قوة الروح وقوة المادة ما تستطيع به ان تواجه وتؤثر وتنتصر في مجال المعارك الطاحنة التي تدور الآن بين المسلمين وغير المسلمين ، بين

الخير والشر ، والحق والباطل والهدى والضلال ، والايمان والطغيان .

إن المعركــة الطاحنة التي تدور رحاها الآن في صميمها وجوهرها معركة بين المؤمنين وخصومهم ، إنها معركة عقيدة ، وليست شيئا آخر على الاطلاق ، إنها ليست معركة سياسية وليست معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئا من هذا لسهل وقفها ، ولتيسرت السيطرة عليها ، ومن هنا فان واجب المسلمين اليوم ألا يخدعهم أحد ، وألا يطمئنوا لأحد تحت ستار الصداقة ، او بدافع من المصلحة ، وما الحروب الصليبية واحداثها المروعة عنا ببعيدة ، إن الاستعمار الذي تلا الحروب الصليبية ، ونعيش مأساته اليوم ليس ولم يكـــن إلا ستارا للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور .

وصدق الله العظيم :

( **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ) . البروج/٨

هل آن أن يدرك المسلمون طبيعة الصراع على مدى قرون بينهم وبين المخالفين ؟ انه صراع بين الايمان والطغيان ، بين الايمان الذي حمل امانته نبي الاسلام لا لشيء ، الا لتحرير الانسان عن طريق مخاطبة النفس البشرية والضمير الانساني في كل مكـــان ، يهيب بهما رفض الخضوع لقيم الحياة المـــادية والمعنوية ، ويحررهما من عبودية للعباد لتبقى العبودية لله وحده ، وهذا هو الخطر الداهم على الأنظمة البشرية ، وعلى العواهل والسادة المتحكمين في رقاب العباد .

وما أحرى المسلمين اليوم أن يمحصوا ويدبروا ويقرروا ويواجهوا ، ليفرضوا احترامهم إزاء أنفسهم أولا وإزاء المعاندين المكابرين ثانيا ، دون أن يحاولوا الهروب من تاريخهم وأمجادهم ، وإلا ضاع مستقبلهم ، مستقبلهم جميعا افرادا ودولا وجماعات ، لينتصروا على الخوف والألم كما انتصر اسلافهم عليهما ، فشرفوا الجنس البشري كله ، ولا زالت ذكراهم تتناقلها الأجيال .

اما من أصوات ترتفع اليوم ونحن على مفترق طريق وعرة شائكة ، تبصر المترددين بحقائق الأخوة الاسلامية وواجباتهم وحقوقها ؟ وتبين مدى عظم الجرم وفداحة الذنب امام الله الذي يمحق كل من يقصر أو يتهاون في الدعوة إليها وعدم القيام بمقتضياتها ؟

إن إدراك معنى الاخوة الاسلامية هو النبضة الأولى في عملية احياء القلوب المجدبة ، والنفوس المضطربة ، من أجل استمرار الحياة ، وعندئذ يكون من يساهم في عملية احياء الاخوة الاسلامية سواء كان حاكما أم محكـــوما ، قد وفى بامانة الشكر والعرفان بالجميل لله ، ولن ينسى إذا عاش في ظل نظام اسلامي انه مدين لهذا الدين بوجوده الروحي ووجوده المادي ، وسيذكــر ذلك عندما يعرض على الله يوم الحساب ولعله يكون قريبا ، وينجو بسابق ما قدمه للاسلام والمسلمين .

# المدن الإسلامية طابعها العسكري وهدفها الروحي

للأستاذ / محمد الحسيني عبد العزيز

سار العرب منذ صدر دولتهم الفتية أيام الخلفاء الراشدين على نهج تعمير المدن في الأمصار الإسلامية التي فتحت أبوابها للعرب المسلمين ليقيموا فيها ويؤسسوا ولاية ذات نظام سياسي وتشريع اقتصادي وعمراني

واجتماعي يتخذ من مبادئ الاسلام في الحكم والادارة نهجا ودستورا واشترط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ضرورة مطابقة مدن العرب مع طبيعة بيئتهم الأولى التي درجوا عليها وتعودوها .

## تخطيط المدن

وكانت المعسكرات أو المدن التي انشئت كالبصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في تونس ( المغرب الأوسط ) وغيرها مسورة محصنة لتستطيع الدولة عن طريقها فرض سيطرتها واحكام قبضتها على الولايات ومواجهة أي تهديد خارجي قد يقوم به الأعداء ، ولتصبح مراكز متقدمة تنطلق منها الجيوش العربية في مراحل الفتح التالية بعد أن بعدت الشقة بين حاضرة الدولة الاسلامية في المدينة المنورة وبين حواضر الولايات الاسلامية كما يتضح ذلك من رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى واليه عتبة بن غزوان والي البصرة . « ارجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها . »

## المدن والخطط الحربية

وقد اصبحت الكوفة قاعدة لانطلاق الجيش العربي الاسلامي لفتح بلاد الفرس وادخالها إلى حظيرة الاسلام ودولته الصاعدة .

ويلاحظ في تخطيط المدن وتصميمها أن تلائم متطلبات العرب فقد شيدت المدن العربية ( الكوفة والبصرة بالعراق والفسطاط بمصر والقيروان بتونس ) على مشارف الصحراء في بيئة تشبه إلى حد بعيد طبيعة المناطق المفتوحة في البادية التي يحبها ويولع بها العرب والتي اعتادوا عليها لجفاف هوائها وسطحها المستوي الذي يناسب الطبيعة العربية ويضمن لهم سهولة السير فيها وتتيح لهم فرصة التفوق في العمليات الحربية التي كانت تعتمد أساسا على الكر والفر وعلى استخدام الحصان في القتال كعنصر أساسي معاون للجند العرب فالجندي لا بد أن يعتمد على شجاعته وعلى ما لديه من عدة تطبيقا لقوله عز وجل « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ..** »

كما أوصى عمر بن الخطاب قائده المثنى بن حارثة الشيباني ألا يقاتل الفرس إذا استجمعوا أمرهم في عقر دارهم ، ولكن عليه أن يلقاهم على حدود أرضهم ، عل أدنى حجر من أرض العرب ( على الحدود ) وأدنى قدرة من ارض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم وراءهم وان تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

وانظر إلى وصية عمر لقائده قبيل قتاله مع الفرس « واذا انتهيت إلى

القادسية ، والقادسية باب فارس والجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل وهو منزل رغيب خصيب حصين ، دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدن على حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما ثم الزم مكانك فلا تبرحها فانهم اذا احسوك أنفضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وحيرهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى ادنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرا وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجمل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة . »

ونجحت خطة الخليفة عمر وانتصر سعد على قائد الفرس رستم وقتله وكتب الى عمر يقول« أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد ..

ونجح عمرو بن العاص قائد العرب أن يستدرج الروم من حصن بابليون الى الخارج بعيدا عن الحصن ليقاتلهم وجها لوجه في الأرض الصحراوية وكان القائد العربي قد أعد كمينين في الصحراء وبدأ هو يقاتل على راس القوة الرئيسية التي تهاجم من الامام بينما تختبئ قوات خارجة بن حذافة خلف تلال المقطم وتختبئ القوة الثالثة في قرية أم دنين ، واعتقد الروم أنها فرصة ليقضوا على القوة العربية التي يرأسها عمرو بن العاص وما لبث ابن حذافة ان خرج برجاله وهجم على مؤخرة الروم فلما تحولوا نحو الغرب فاجأهم الكمين الثالث المختبئ في قرية أم دنين ونجحت خطة عمرو الحربية التي اثبتت براعة ومهارة .

## الهجرة العربية الى الأمصار

فتحت المدن التي أنشئت في الولايات أبوابها وصدرها لاستقبال العرب من أسر الجنود وهكذا توافدت بطون من القبائل بابنائها ونسائها الى البلاد المفتوحة ( تقتصر مهمة الجند على القتال )

وقد ضمت أحياء مدينة الفسطاط خططا من قبائل متعددة ومن اهم خططها

أ ــ خطة اهل الراية من قبائل قريش وخزاعة والانصار

ب ــ خطة تجيب التي سكنت شرقي الفسطاط

جـ ــ خطة مهرة الاولى على جبل يشكر ، وخطة مهرة الثانية جنوب شرق اهل الراية .

ثم امتزج العرب بأهل البلاد في

مصر وكذلك في الكوفة والبصرة بالعراق وفي القيروان بتونس وبمرور الزمن لم تقتصر المدينة على الجنود بل اتسعت وزاد عمرانها وشارك الفاتحون واهل البلاد في سكنى البلاد واختلط الجميع بالمصاهرة والامتزاج وبعدها غدت المدن عامرة مزدهرة بالعرب وغيرهم مما كان له أثر كبير في التقدم الفكري والعلمي

## المسجد ومكانته الروحية في المدينة

شيد عمرو بن العاص في قلب الفسطاط مسجده ليكون مركز الجماعة الديني يقيم فيه المسلمون شعائرهم الدينية ويستمعون الى شرح الائمة من الصحابة وكبار التابعين الذين ذهبوا الى الأمصار ليعلموا الناس أمور دينهم ويشرحوا لهم الآيات الكريمة ونصوصها ، وعلى نفس المثال قام المسلمون في البصرة ببناء مسجد لهم للجماعة وكذلك الحال في الكوفة وغيرها .

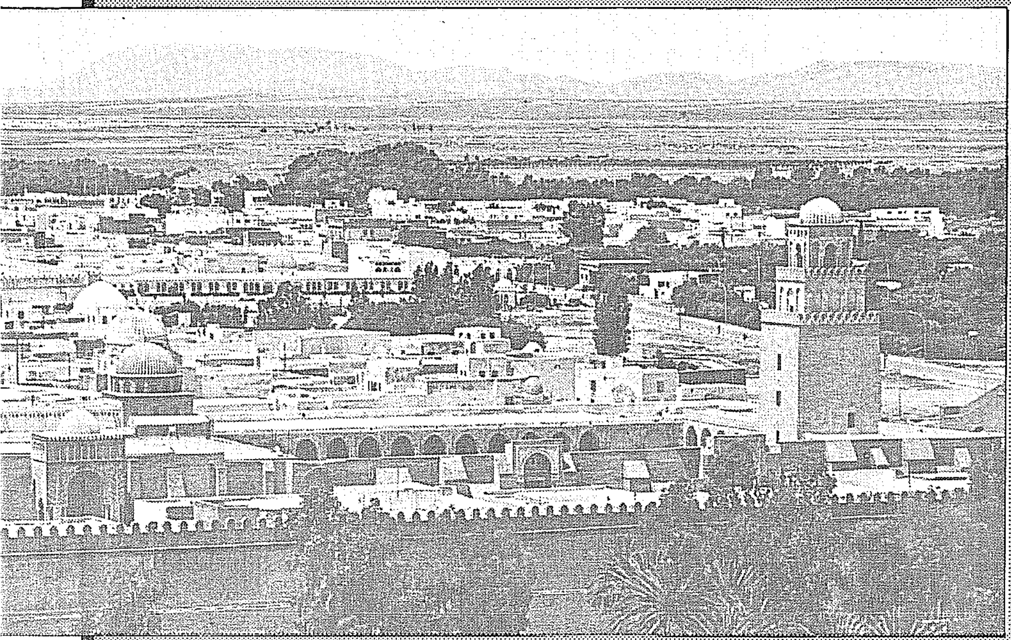
وفي المساجد كانت تتلى أوامر الخليفة ويعلن فيه للجهاد وتقام الندوات الدينية والسياسية وتعقد المناقشات العلمية والفكرية ويعقد القاضي مجلسه للحكم والفصل بين المتنازعين طبقا للنصوص الشرعية .

وهكذا كانت المساجد مراكز تهفو اليها قلوب المؤمنين وتصفو اليها النفوس حبا وقربا الى الله السميع المجيب ففيه تؤدى الفريضة احد اركان الاسلام وينادى فيه للجهاد الذي يدعو إليه كتاب الله ويقضي بالأحكام القرآنية التي لا يأتيها الباطل فهي آيات السماء لاصلاح أهل الارض .

## أسوار المدن وتحصيناتها

وكانت مدن الاسلام الاولى ذات مواقع استراتيجية من حيث الموقع في الصحراء التي يتسنى للعرب فيها فرصة النصر عن طريق عملياتها الحربية من الكر والفر فلما تبدل الزمن اقتضى الأمر بناء تحصينات وأسوار للمدن الجديدة في العصر العباسي كما حدث في بغداد وكما حدث بالنسبة للمهدية في المغرب والقاهرة في مصر .

وأسوار بغداد صممت لتحمي المدينة من أي غزو خارجي فكان يحيطها سوران السور الأول خارجي منخفض عن السور الداخلي وارتفاع السور الاول ثلاثين ذراعا وليس له ابراج أما السور الداخلي فعرضه من اسفل خمسون ذراعا ويتناقص عند القمة الى عشرين ذراعا وسبب انخفاض السور الخارجي عن الداخلي هو خطة عسكرية تجعل المهاجمين تحت رحمة المدافعين ، هذا فضلا عن المداخل المنكسرة في الابواب التي تعرض العدو للقتل عندما يحاول اجتياز المدخل وينعطف يسارا فينكشف ذراعه الأيمن وتلاصق ذراعه اليسرى التي تحمل الدرع



مدينة القيروان

الجدار فيصاب بسهام المدافعين .

ولم يقتصر الأمر على الاسوار بل كان يحيط بالمدينة خارج الاسوار خندق يملأ بالمياه لحمايتها وفوق الخندق جسور اربع كل منها عند احد ابواب المدينة الاربعة ( باب خراسان وباب البصرة وباب الكوفة وباب الشام ) .

وبالنسبة للقاهرة المعزية اقيمت حولها أول الأمر أسوار بنيت من الطين ثم استبدلت بعد تجديدها بالحجارة في عهد بدر الجمالي الذي استدعي ايام الخليفة المستنصر وكان سور القاهرة مزودا بالابراج وبالمداخل التي يصب منها الزيت المغلي على المهاجمين بالاضافة الى الفتحات التي تقذف منها السهام على المهاجمين .

هذه صورة موجزة عن المدن الاسلامية بتخطيطها وطريقة بنائها وموقعها الاستراتيجي الذي يتفق مع الطبيعة العربية ثم حصنت بالأسوار لحمايتها وشيد في مركزها المسجد المكان الروحي الذي يجتمع فيه المؤمنون لأداء الفريضة ودراسة أمور الدين والعلم الذي جعل المدينة الاسلامية تجمع بين الاستراتيجية العسكرية في التصميم وبين الهدف الديني والعلمي الذي يوفر لأهل المدينة الحياة الفكرية والدينية التي يريدها لها بناة المدينة من الخلفاء لتصبح مركزا للمعرفة ومنبعا للحضارة الاسلامية .

# مرحلة المراهقة في التربية الاسلامية

اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

أتاحت لي ظروف خدمتي أن أتولى قيادة معهد عسكري يلحق به الطلاب وهم في سن الثالثة عشرة او الرابعة عشرة في المتوسط ، ويقضون فيه ثلاثة أعوام مقيمين إقامة داخلية ولا يعودون الى بيوتهم الا في عطلة نهاية الاسبوع وفي نهاية كل عام دراسي .. فكانت تلك فرصة فريدة لكي اقترب بالملاحظة والدرس من مرحلة من أخطر مراحل عمر الانسان هي مرحلة المراهقة وقد خرجت من ذلك بحصيلة من المعرفة والتجربة لعل اهمها أن منهج الاسلام في التربية السلوكية هو على وجه التأكيد افضل مناهج التربية على الاطلاق . وتلك نتيجة لا اشك في انها تثلج صدر كل مسلم غيور على دينه في هذا العصر الذي تتعرض فيه أمتنا لمحاولات قطعها عن اصول دينها وفرض التبعية عليها في كل مجالات الحياة بدعوى المدنية والتطور .

وإني حين أعرض هذه الدراسة في إيجاز لأدعو كل المسؤولين عن تربية شباب هذه الأمة أن يلتمسوا من تعاليم الاسلام ما يضيء لهم الطريق الى اداء مهمتهم السامية على خير وجه ، فيصنعون شبابا تعز بهم الامة وتسود ، وينطبق عليهم وصف الفتية الذين ذكر الله شأنهم في سورة الكهف تقديرا لصلابتهم في الحق واستمساكهم بالعقيدة والمبدأ حيث قال تعالى :

( إنهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى ) .الكهف / ١٣

## معنى المراهقة ولماذا هي اخطر مراحل العمر ؟

إن المعنى العلمي للفظ المراهقة هو « التدرج نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي » ، والمراهقة بمعنى آخر هي المعبر بين « الطفولة »و« النضج » واذا كان الوضع هو « ولادة » الطفل ، فان المراهقة هي « ولادة » الرجل او المرأة .. واذا كانت ولادة الطفل تستغرق ساعات ، فان ولادة الرجل تستغرق سنين .

وهكذا فالمراهقة ميلاد جديد للرجولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وتتفق الدراسات النفسية في أن الفترة بين سن العاشرة وسن العشرين هي الوقت الذي تحدث فيه « اليقظة الدينية » في الاغلب ، فلقد اثبت العالم « كووجس » بعد دراسة ١٧٨٤ حالة ان العمر الذي تحدث فيه ظاهرة التحول الديني الحق هو سن السادسة عشرة ، وقام العالم « استانلي هول » بدراسة اكثر من اربعة آلاف حالة ، وانتهى الى ما انتهى اليه سابقه .. وفي مرحلة المراهقة بالذات ، يتعرض الشباب ـ اكثر من أية مرحلة اخرى من مراحل عمره ـ للانحراف ليس فقط في اتجاهاته الدينية بل في اتجاهاته الفكرية والسلوكية ايضا ، فنرى منهم من يقع بسهولة في براثن المفسدين والمضللين ودعاة الاستعمار الفكري الذين يسعون الى تحطيم عقائد الشباب ، وزعزعة ايمانهم ، وتقويض دعائم بنيانهم العقلي والنفسي والاجتماعي .

والواقع ان الدراسات النفسية والاجتماعية تفسر لنا تلك الظاهرة بكل وضوح ، ولعل اهم ما نلفت اليه النظر في هذا المجال هو ان أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية يبنون مخططاتهم بكل احكام على تلك الدراسات النفسية والاجتماعية :

● فهم اولا على علم تام بخصائص وسمات مراحل النمو والنضج في حياة الانسان ، ومنها يدركون ان مرحلة المراهقة هي أنسب تلك المراحل لتحقيق أغراضهم .

● وهم ثانيا على علم تام بالاتجاهات النفسية ويعرفون كيف تتكون ومتى ..

● وهم ثالثا على علم تام وخبرة واسعة بأساليب الدعاية والاعلام والحرب النفسية ومختلف وسائل التأثير على العقول والعواطف والاتجاهات .

ولذلك نراهم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال في الرأي ، تلك المعاني التي تصادف هوى لدى المراهق على الاخص وتتفق تماما مع « حاجاته النفسية » لتأكيد ذاته ، فنراه ـ لأن نضجه العقلي والنفسي لم يكتمل بعد ـ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر :

إنما تنجح المقالة في المرء      اذا صادفت هوى في الفؤاد

## السبيل الى التربية القويمة للمراهق

وتقتضي التربية القويمة للمراهق دراسة واعية لخصائص مرحلة المراهقة وسماتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، والتعرف على أسباب مشكلات المراهق الانفعالية لكي يصبح المربي على بينة من الطابع العام لميوله وغرائزه ودوافع سلوكه ، فهذا هو المدخل العلمي لاختيار اسلوب التربية المناسب الذي يعاون المراهق كما يعاون ابويه والقائمين على تربيته على عبور تلك المرحلة الحرجة بسلام ، ولقد اوصى عقبة بن ابي سفيان مؤدب ولده فقال : « كن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يعجل بالدواء ، حتى يعرف الداء » .

واذا عرفنا ان مرحلة المراهقة هي مرحلة التكوين الحقيقي للاتجاهات النفسية أدركنا ان المراهق لو ترك وشأنه في تلك المرحلة الحرجة والخطيرة ، فسوف يكون وحيدا في مهب الرياح والعواصف الهوجاء التي تستغل ما هو واقع فيه من فراغ فكري وديني فتملأ قلبه ونفسه بالمعتقدات الفاسدة والافكار الضالة التي لا يكاد عقله الناشيء يتلقاها حتى يتلقفها كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

## التحديات التي تواجه المربين والدعاة

واهم ما يتعين على المربين والدعاة ان يضعوه في اعتبارهم وهم يخططون لتلك المهمة العظمى هو ان يدركوا بكل الوعي والفهم انهم لا يواجهون فقط تحدي خصائص المراهقة بقوة غرائزها وعنادها والميل الى مقاومة توجيه الاباء والمربين والنزعة الاستقلالية والميل الى المناقشة والجدل وخاصة في مسائل الدين الى حد الشك ، بل عليهم ان يدركوا انهم يواجهون ايضا تحديا آخر هو جهد اعداء الدين والأمة لمحاولة جذب المراهق بعيدا عن الدين والقيم والاخلاق الفاضلة مستخدمين من أساليب التشويق ما يسحر ألباب تلك البراعم البشرية الغضة ، ويزين لها طريق الغواية والانحراف . وعملا بمبدأ « الوقاية خير من االعلاج » فانه يتحتم على الآباء والمربين والدعاة ان يدركوا ان تلك المرحلة من العمر هي الاوان المناسب لجهدهم الواعي المكثف والعمل الموصول للتربية الدينية والخلقية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى شبابنا ووقايتهم من الانحراف بكل أشكاله .

ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « الزموا اولادكم واحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه فان من شب على شيء شاب عليه ، ونفس المراهق تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر ، وتنطبع فيها الاخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الاخلاق السيئة ، فاذا وجد في هذه المرحلة الحرجة من يحكم

تربيته ، ويحسن تأديبه ، ويسلك به سبيل الاستقامة وطريق الأدب والكمال ، شب حسن الاخلاق طيب النفس متعلقا بآداب الفضيلة ، متمسكا بحبل الهدى والرشد ، مترفعا عن الرذائل والخطايا ويعتصم بالله **( ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم )** . آل عمران/١٠١

واذا كانت الدراسات النفسية والاجتماعية لا تخفي كما قدمنا على اعداء الدين والامة والحضارة الاسلامية ، فنراهم يتصيدون الشباب في هذه السن بالذات بتخطيط محكم مدروس لتحقيق اغراضهم ، فان على المربين والمصلحين الغيورين على دينهم وامتهم وعلى شبابها عدة المستقبل ـ من باب اولى ـ ان يكونوا مستعدين بالخطط الوقائية الرشيدة التي تحمي شبابنا وعقائدنا وتفوت على الاعداء غرضهم ، فذلك من الزم الواجبات التي لا يصح اصلا التهاون فيها لشدة خطرها وعظم مسؤوليتها قال تعالى :

**( يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة )** . التحريم/٦

## منهج الاسلام

ولقد رسم الاسلام الطريق الصحيح لبناء الانسان صحيح النفس والعقل والجسم ، بحيث يصبح لبنة قوية متماسكة وعنصرا ايجابيا صالحا في مجتمعه الكبير ، كما رسم الطريق الصحيح لبناء المجتمع الانساني الفاضل الذي يشكل البيئة الصالحة لبناء الانسان بالتنشئة السليمة والتربية القويمة ، ويتيح له اظهار طاقاته المدخرة فيه .

لقد وضع هذا المنهج التربوي الشامل موضع التطبيق منذ اربعة عشر قرنا وأثبت نجاحه التام في المراحل التي كان تطبيقه فيها سليما ومحكما ، وظهرت آثار هذا النجاح في قوة بناء المجتمع الاسلامي من جهة ، وفي ازدهاره وتقدمه من جهة اخرى ، وأثبتت التجارب ان المسلمين لم يقصروا عن بلوغ هذا النجاح في مراحل من تاريخهم الا لاهمالهم بعض الجوانب الاساسية من هذا النظام في اساليب حياتهم وتربية شبابهم .

## خصائص المراهقة

ومن المفيد ان نتناول خصائص مرحلة المراهقة بالتحليل باعتبارها التحدي الاول الذي يواجه المربين والدعاة ، وقد رأينا ان يكون تحليلنا موضحا لما بين بداية المراهقة ونهايتها من فوارق ، يلزم ان نكون جميعا على علم بها لاهميتها . وقد اتفق علماء النفس على ان المراهقة المبكرة تمتد من سن الثالثة عشرة الى السادسة

عشرة وان المراهقة المتأخرة تمتد من السابعة عشر الى الحادية والعشرين ، وسوف نتناول كلا منهما من حيث الخصائص الجسمية والعقلية والثقافية والنفسية والاجتماعية بايجاز .

## اولا - المراهقة المبكرة ( ١٣ - ١٦ سنة )

### ١ - السمات الجسمية

● نمو جسمي سريع لا يتناسب مع معدل نمو القلب والدورة الدموية .
● نمو عضلي وعظمي سريع لكن النمو العظمي يكون اسرع من العضلي . فتطول الذراعان مثلا دون أن تنمو عضلاتهما نموا مناسبا ، ويسبب ذلك ميلا نحو الخمول والكسل والتراخي وعدم دقة الحركات .
● في نهاية المرحلة تكتمل مرحلة البلوغ وغالبا ما يبدأ التغير في الصوت بين نغمات حادة دقيقة وبين نغمات ضخمة خشنة تؤدي غالبا الى الاحساس بالخجل .
● زيادة نشاط الغدد النخامية والتناسلية مما يحدث تغيرا في شكل الاعضاء التناسلية يصاحبه تيقظ الاهتمامات الجنسية ، ومزاولة العادة السرية في اغلب الحالات .
● يبدو الاهتمام الشديد بالجسم مع القلق للتغيرات المفاجئة في النمو الجسمي
● زيادة الشهية للطعام ، والرغبة في الراحة والنوم .
● تقترب حالة المراهق الصحية العا مة من حالة المرض مع تعرضه للاصابة بفقر الدم ( الانيميا ) وتقل مقاومته للامراض .

### ٢ - السمات العقلية والثقافية

● تبدأ الفروق الفردية في النواحي العقلية تتضح وتبدأ قدرات واستعدادات المراهق في الظهور .
● يصبح المراهق قادرا على تركيز الانتباه في المحاضرات والاحاديث الطويلة ، وخاصة اذا اتفقت مع ميوله ورغباته .
● يبدأ شغفه بالعلوم وخاصة تلك المتصلة بالبحر والجو ، وكذا يبدأ ميله الى الرحلات والتجوال بهدف اكتساب المعارف الجديدة وزيادة خبراته .
● يبدأ في البحث في مسائل الدين والعقائد التي كان من قبل يتقبلها عن طريق الانطباع او التقليد .

### ٣ - السمات النفسية والاجتماعية

● يبدأ المراهق في التخلص من الانانية ( التي تعد من خصائص مرحلة الطفولة )

وينمو لديه الاحساس بالرابطة والولاء للجماعة ، ويصل هذا الولاء احيانا كثيرة الى حد التعصب الاعمى .
- يتصف المراهق بالخجل نتيجة للتغيرات المفاجئة ، ويميل الى التردد لعدم ثقته في نفسه ، وعدم فهمه لطبيعة تلك التغيرات ومداها .
- ينزع الى التذمر والى الانسحاب من سلطة الابوين الى سلطة الجماعة ، وقد يصل به ذلك الى حد الثورة والتمرد .
- يميل الى اختيار اصدقائه بنفسه ، ويرفض ان تفرض الاسرة عليه الاصدقاء .
- تبدأ مرحلة من الاضطراب الانفعالي ، ومن الحساسية الشديدة للنقد ، ويزيد لديه الاعتزاز بالنفس .
- يهتم المراهق بمظهره ويميل الى لفت الانظار اليه ( مثل لبس الملابس الملونة ) .
- يتميز النمو الوجداني بحب العظماء والزعماء ويتخذ منهم مثله العليا .
- يميل الى مشاركة الكبار العابهم وتقليدهم ، ويتقلب في تصرفاته بين سلوك الكبار والصغار .
- تبدو انفعالاته عنيفة مع عجزه عن التحكم فيها ويثور لاتفه الاسباب .
- بعض المراهقين يتعرضون لليأس والحزن والآلام النفسية بسبب تقاليد المجتمع التي تحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم ، وقد يؤدي بهم ذلك الى التفكير في الانتحار .
- تتكون لدى المراهق بعض العواطف الشخصية نتيجة لنمو الذات .

## ثانيا المراهقة المتأخرة ( ١٧ ـ ٢١ )

### ١ ـ السمات الجسمية

- يحدث استقرار في النمو الجسمي من حيث الحجم والوزن ، يصاحبه بعض النمو في العضلات والصدر والكتفين ، ويصل المراهق الى النضج البدني تقريبا ويتحسن التوافق العضلي العصبي ( كالسيطرة على الحركات والتحكم فيها ) .
- يميل المراهق الى الحركة والنشاط بأكثر مما يملك من طاقة ، فهو مثلا يرهق نفسه بالتمرينات البدنية ، حتى يقوي عضلاته ، دون النظر الى حدود قدرته وطاقته .
- يسعى الى اكتساب الرشاقة بالتدرب على انواع الرياضة الفردية التي تؤدي اليها .
- تنضج لدى المراهق نزعات الرجولة ، ويصل الى النضج الجنسي .

### ٢ ـ السمات العقلية والثقافية

- يكتمل نضج القدرات العقلية المختلفة وتنضج الفروق الفردية .

● يتميز المراهق بالطابع الخيالي ، ويتجه الى الفنون الجميلة ، والقراءة التي تساعد على صقل خياله .
● تنطلق احلام اليقظة كوسيلة لارضاء النفس وكمتنفس لطموحه وآماله ( سوف نتناولها فيما بعد ) .
● يميل المراهق الى دراسة الاجهزة وفك اجزائها وتركيبها .
● يفضل المراهق التذكر المبني على الفهم ويكره اسلوب الحفظ .
● يبدأ اهتمامه بالتخصص العلمي او المهني ويزيد تفكيره في امر العمل والمستقبل .
● يهتم ببحث قضايا الدين والفلسفة ، وبالكشف عن الاسباب والمسببات مما قد يصل الى مستوى الشك .
● تزيد رغبته في المناقشة والجدل .
● قراءاته المفضلة قصص المغامرات والمخترعات والقصص الغرامية والقصص البوليسية والغامضة ، والصحف والمجلات مع الميل الى اخبار الرياضة والجريمة .

## ٣ ـ السمات النفسية والاجتماعية

● يتحول المراهق من الاعتماد على الغير الى الاعتماد على النفس .
● يميل الى النقد والى تغيير الاوضاع ويبدي مقترحات عملية للاصلاح .
● يميل الى مقاومة السلطة والاحتجاج والغضب والتمرد والثورة ضد الاسرة والمدرسة .

● تزيد رغبته في مشاركة افراد الجماعة من اصدقائه ، وتبادل الحديث معهم خاصة ما يتعلق بأخبار الرياضة والجنس والملبس ، ويزيد شعوره بالمسؤولية نحو الجماعة .
● يزيد ميله نحو اختيار الأصدقاء بنفسه ، ويتأثر بهم من الناحية الخلقية ، مع الرغبة في التحرر والانطلاق .
● يميل افراد كل جنس الى الجنس الآخر ، ويزيد الاهتمام بالسلوك في مواجهة الجنس الآخر .
● يزيد اهتمام المراهق بالمظهر والتأنق في الملبس وخاصة ما يلفت النظر منه .
● يزيد ميله الى اكتشاف البيئة والمخاطرة والمغامرة والتجول والارتحال والى الحفلات الجماعية والالعاب المشتركة ( وخاصة تلك التي يشترك فيها الجنسان ) .
● تتجه عواطفه نحو المعاني والاشياء الجميلة .
● يميل الى الزعامة والقيادة .

هذا عرض موجز لخصائص المراهقة الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية في بدايتها وعند نهايتها ومنه تستبين أبعاد اول التحديات التي تواجه المربين والدعاة ، ويبقى ان نتناول ثاني هذه التحديات وهو مشكلات المراهقين الانفعالية واسبابها ..

## مشكلات المراهق الانفعالية

ومن الزم الامور للآباء والمربين والدعاة أن يتفهموا الاسباب الكامنة وراء مشكلات المراهق الانفعالية ، فان الجهل بهذه الاسباب او اهمال النظر اليها يؤدي الى عواقب وخيمة لعل من ابرزها حدوث « التصادم » بين المراهق وبين القائمين على تربيته او توجيهه ، وهو الامر الذي يجب تفاديه والحرص على منعه بكل اصرار .

### ١ ـ العجز عن التكيف مع البيئة

وأول اسباب حساسية المراهق الانفعالية واضطرابه الانفعالي هو عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التي يعيش فيها ، اذ يدرك المراهق عندما تتقدم به السن قليلا ان الطريقة التي يعامل بها لا تتناسب مع ما وصل اليه من نضج وما طرأ عليه من تغير .

- فالبيئة الخارجية التي تتمثل في الاسرة والمدرسة والمجتمع لا تعترف بما طرأ عليه من نضج او لا تقيم له وزنا ، ولا تقرر رجولته وحقوقه كفرد له ذات مستقلة .
- ويفسر المراهق كل مساعدة يقدمها له ابواه على انها تدخل في شؤونه فيعترض على ذلك ، ويظهر اعتراضه في صور عدة كالعناد والسلبية وعدم الاستقرار أو اللجوء الى بيئات اخرى يجد عندها متنفسا للتعبير عن حريته المكبوتة .

### ٢ ـ مطالبته بسلوك ينم عن النضج

ومما يتسبب في اضطراب المراهق الانفعالي انه في الوقت الذي لا يعترف فيه ابواه بما وصل اليه من نضج ، يراهم ينتظرون منه سلوكا ينم عن النضج ، الامر الذي يسبب له حيرة واضطرابا .. والسر في ذلك ان ما يطرأ عليه من نمو في الجسم « يخدع » ابويه فيجعلهما يتوقعان منه نضوجا في سلوكه الفعلي والاجتماعي . ولما كان النضج الجسمي في مرحلة المراهقة يتم بسرعة في عامين او ثلاثة ـ كما بينا ـ فان هذه الفترة تعد غير كافية لتحقيق نضج المراهقين من الناحية العقلية يقابل ما طرأ على اجسامهم من نمو سريع ، ونتيجة لذلك قد يقوم المراهق ببعض التصرفات

الصبيانية وهذا أمر طبيعي ، لكن الكبار لا يرحمونه فيستنكرون تلك التصرفات مما يشعره بخيبة الامل وعدم الامن .

اضف الى ذلك ان الاسرة تطالبه بتحمل بعض المسؤوليات التي لا تتفق مع قدراته ومستوى نموه ، فهو لم يعد في نظرها طفلا تجاب كل مطالبه دون تحمل للمسؤوليات ، وهكذا يجد نفسه مطالبا أمامها بأن يعتمد على نفسه في وقت تعجز فيه قدراته عن تحقيق هذا المطلب .

### ٣ ـ شعوره بعدم الاستقلال والتحرر

ويلاحظ المراهق ان هناك قيودا تفرضها عليه الاسرة والمدرسة وتحول بينه وبين ما يتطلع اليه من استغلال وتحرر ، لذلك نراه يعتبر كل شيء في المنزل او المدرسة مصدر ضيق له ويثور على كل ما يوجه اليه من نصح ويعتبر هذا النصح اعتراضا على حريته واستقلاله ، فيميل دائما الى التمرد وتحدي الاراء والاوضاع القائمة .

### ٤ ـ العجز المالي

ومن بين الاسباب التي تعمل على اضطراب المراهق وعدم استقراره الانفعالي عجزه المالي الذي يقف دون تحقيق رغباته ، فقد يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون عن سعة وهو في الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم او المشاركة في مسراتهم ، وكل ذلك يسبب له الضيق والشعور بعدم الطمأنينة .

### ٥ ـ الدافع الجنسي

وليست العقبات المالية قاصرة على مشاركة رفاقه في مسراتهم ، بل انه فوق ذلك يشعر انه قد اكتمل من الناحية الجنسية ، وانه يريد ان يعبر عن تلك الدوافع الجامحة في نفسه بالزواج ، غير انه يصطدم بالواقع ، فالقصور في الموارد المادية يقف هو وغيره من العوامل الاخرى بينه وبين ما ينشد من استقلال ومن التعبير عن دوافعه الطبيعية ، وهنا تزيد حدة التوتر الانفعالي ، اللهم الا اذا وجد بديلا يعبر به عن الدافع الجنسي القوي ، ويكون الاحتلام من بين الوسائل الطبيعية للتعبير عن هذا الدافع ، وعلى الرغم من ان هذه عملية طبيعية ، الا انها تسبب ضيقا لدى الكثير من الفتيان المراهقين اذ يعتبرونها خطيئة ، ويزيد الطين بلة ان بعض الآباء لا يترفقون بأبنائهم نتيجة لسوء التقدير والفهم ، وهكذا يصبح الامر الطبيعي مصدرا للقلق والصراع العقلي ، قد يسبب في بعض الاحيان شقاء يستمر

مدى الحياة .

وما يقال عن الاحتلام يقال ايضا عن العادة السرية ، اذ يحدث الصراع العقلي بسبب ممارستها وخاصة اذا تمكنت من المراهق بدرجة زائدة عن الحد ، كما يزيد هذا الصراع اذا تعرض المراهق للوم او التقريع مما يضاعف شعوره بالخطيئة والخوف .

## احلام اليقظة

اما احلام اليقظة فهي ظاهرة عقلية في حياة الانسان ، غير انها تكون واضحة في مرحلة المراهقة ، وهي وسيلة يعبر بها المراهقون عن ميولهم ورغباتهم عن طريق الخيال . وهي تنقسم الى طائفتين : الاولى احلام تدل على الشعور بالقوة والعظمة والسيادة ، كأن يتخيل المراهق نفسه بطلا قوي الجسم مفتول العضلات رأى فتاة تغرق في البحر ولا تجد فيمن حولها من يجسر على انقاذها فتأخذه الحمية ، فيقفز الى الماء معرضا نفسه للخطر وينقذها ، فهذا النوع من احلام اليقظة يجد فيه المراهق كثيرا من التعويض عما يشعر به من عجز في قدراته . اما الطائفة الثانية : من هذه الاحلام فتعبر عن الشعور بالنقص وهي ضرب من « حب التألم » ( او ما يسمى بالماسوشية ) ، وتلجأ الفتيات المراهقات الى هذا النوع من احلام اليقظة عادة في حالات القنوط واليأس الشديد فتتخيل الفتاة نفسها في مواقف تسبب لها الآلام والتعذيب ، وهي تجد في ذلك لونا من الراحة النفسية شأنها في ذلك شأن من يبكي عند مشاهدة مسرحية حزينة اذ يجد في البكاء راحة للنفس .

وما يعنينا في احلام اليقظة هو انها سلاح ذو حدين ، فكما انها تحفز همة المراهق وتدفعه الى العمل لتحقيق ما يفكر فيه في عالم الخيال ، وتكون وسيلة لتوجيه قدراته على الابتكار والابداع وتنميتها ، الا انها في الوقت نفسه تعتبر مضيعة لوقته الذي يمكن ان يستغله فيما ينمي ميوله من عمل ونشاط . ثم ان بعض المراهقين ـ وهنا موطن الخطر ـ يجدون اشباعا لحاجاتهم في خيالهم ، ومن ثم لا يبذلون الا جهدا قليلا لتحقيق النجاح الواقعي في حياتهم .

## الاتجاهات النفسية

وقد ثبت علميا ان مرحلة المراهقة هي المرحلة التي تتكون فيها الاتجاهات النفسية بصورة حقيقية لها اثرها وفعاليتها .

ويعرفها علماء النفس بانها هي « ميل عام مكتسب وثابت نسبيا يؤثر في دوافع الفرد ويوجه سلوكه » ، كالميل الى اشياء او موضوعات معينة تجعل الفرد يقبل عليها ويحبها او يرحب بها او يعرض عنها او يرفضها ، « واتجاه التدين » من امثلة الاتجاهات النفسية .

وبمعنى آخر فان الاتجاهات النفسية تمثل مجموعة المعتقدات والمشاعر والميول السلوكية التي يحملها الفرد تجاه موضوع معين ، وبذلك فان السلوك الاجتماعي للانسان في كافة مظاهره واشكاله يتأثر ويتحدد بمجموعة اتجاهاته .

ويرى علماء النفس ان الاتجاه النفسي يتكون من عناصر ثلاثة هي :

العنصر الفكري او العقيدة ـ العنصر العاطفي او المشاعر ـ الميل للتصرف والسلوك بشكل معين .

ومن اهم ما ينبغي ان يعرفه المربون والدعاة هو كيف تتكون الاتجاهات النفسية ، والواقع ان هناك طرقا كثيرة لتكوينها نذكر منها ما يلي :

١ ـ التقليد والمحاكاة او تقبل المعايير الاجتماعية وغيرها دون نقد او مناقشة ويكون ذلك عن طريق الايحاء ، وتتجلى هذه الطريقة في مرحلة الطفولة بدرجة كبيرة ، فالطفل يكتسب اغلب اتجاهاته ( ومنها اتجاه التدين كما ذكرنا ) عن طريق الاسرة التي نشأ فيها هكذا تتضح اهمية الدور الذي تؤديه الاسرة في تنشئة الانسان وتكوين شخصيته .

٢ ـ الانفعالات « الحادة » ولها اثر قوي في تكوين الاتجاهات ، فاسلوب التربية الخاطىء ( الذي يقوم على العنف مثلا ) قد يؤدي الى تعريض المراهقين لخبرات انفعالية حادة تحوله عن اتجاه التدين .

٣ ـ وتتكون الاتجاهات وتتشكل طبقا « للمعلومات » التي تتوفر لدى الفرد عن الموضوعات المختلفة ( كالدين مثلا ) .

٤ ـ وتتكون ايضا في اثناء محاولة الفرد اشباع حاجاته المختلفة .

٥ ـ وتتأثر اتجاهات الفرد بطبيعة الجماعات التي يتفاعل معها مثل الاسرة وجماعات الاصدقاء وجماعة العمل .

ومن ذلك يتضح ان الطريق الصحيح لتكوين الاتجاهات النفسية نحو موضوعات معينة كالتربية الدينية لا يتم اساسا من خلال النصح والارشاد وانما يجب ان يتغلغل في حياة المراهق من الناحية العملية اي من خلال الممارسة الفعلية والخبرة الذاتية والتفاعل الاجتماعي في البيئة المنزلية والمدرسة وغيرها وفي اثناء الرحلات والانشطة المختلفة حيث يمارس المراهق ما يستهدف تحقيقه من اتجاهات .

ولما كانت الرغبة في الشيء من اهم الدوافع اليه ، فان « الترغيب » يعد من افضل اساليب خلق الاتجاهات ، كما ان القدوة الطيبة ذات اثر كبير في هذا المجال .

## التربية الاسلامية

وبعد ان استعرضنا اهم خصائص المراهقة وسماتها ومشكلات المراهق

الانفعالية واسبابها ، ثم الاتجاهات النفسية وكيف تتكون ، نستطيع ان نتناول الآن بعض عناصر التربية الاسلامية لتربية المراهق التي استرشدنا بها وطبقناها عمليا في المعهد العسكري الذي توليت قيادته ـ كما سبق ان ذكرت ـ فأتت ثمارها المرجوة مع الطلاب ( الذين هم في سن المراهقة ) سواء من حيث بناء الشخصية السوية او التحصيل العلمي ، وحقق المعهد من النتائج ما كان مضرب الامثال والحمد لله .

## ١ ـ التكليف بالوسع

يوجه الاسلام الى ان تكون معاملة المراهق قائمة على سياسة واعية رشيدة تقدر طبيعة المرحلة وما يناسبها في المعاملة بحيث لا تكلف المراهق فوق ما يطيق . والواقع ان الاسلام عني بمبدأ « التكليف بالوسع » كما يفهم من قوله تعالى : ( **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** ) . البقرة/٢٨٦ .
من اجل ذلك لا يطلب الأب مثلا من ابنه المراهق ان تأتي تصرفاته متسمة بالنضج الذي يتوقع من الكبار فيعرضه للمشكلات الانفعالية كما بينا ، لأن الذي يطالبه به امر يتجاوز قدراته الحقيقية ، كذلك يوجه هذا المبدأ الى ان نعترف للمراهق بأن مشاعره طبيعية ، فلا نواجهها بالاستنكار او التقريع او اللوم ، بل نهيىء له الفرصة من جانبنا للتعبير عن هذه المشاعر مع قيامنا في الوقت نفسه بتوجيهه برفق واناة .

## ٢ ـ الرفق والحب

ويوجه الاسلام الى المعاملة بالرفق والحب ، والبعد عن العنف بكل اشكاله ، لأن العنف يزيد من مقاومة المراهق وعناده ، ويوقعه فريسة للاضطرابات النفسية التي قد تؤدي الى تقويض بنيانه النفسي كلية . عن السيدة عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه » رواه مسلم وعنها ايضا انه قال : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه » . رواه مسلم . وعنها ايضا رضي الله عنها قالت : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « او املك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة ؟ » رواه الشيخان .
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : « ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم .. وقد دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه احد عماله فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه ذلك ،

فقال عمر : كيف انت مع اهلك ؟ قال : اذا دخلت ، سكت الناطق ، فقال له عمر : اعتزل عملنا ، فانك لا ترفق باهلك وولدك ، فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .

## ٣ ـ تنمية الضمير الديني

لقد ثبت لنا ان الضمير الديني من اقوى العوامل التي تساعد المراهق على مواجهة نوازع المراهقة واضطراباتها الانفعالية ، فقد عرفنا ان المراهق ينزع في هذه المرحلة الى المناقشة والجدل وبخاصة في المسائل الدينية التي كان من قبل يقبلها عن طريق المحاكاة ، ويتفق ذلك زمنيا مع بلوغه سن التكليف الذي تصبح فيه التكاليف الشرعية واجبا يثاب على ادائها ويحاسب على تركها . فالطريق الصحيح الذي يتبعه المربي الحكيم هو « ان يتحاشى الصدام بين ما يطلبه المراهق بطبعه النفسي وبين ما يطلبه الدين » . وخير وسيلة لذلك تنمية الضمير الديني ، لانه هو الذي يحقق للمراهق احساسه بذاتيته واستقلاله وشخصيته ، فيندفع الى اداء واجباته على اكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية لا على قوة خارجية . ولا مراء في ان الايمان الصادق العميق يبني ضمير المسلم ويجعله وثيق الصلة بما يمليه عليه ايمانه لا يشغله عن ذلك شاغل ، ويصوره لنا الرسول الكريم في العبادة بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخاري ثم بقوله صلوات الله وسلامه عليه : « اياك اياك ان يراك حيث نهاك » رواه احمد ومما يدل على عناية الاسلام بتربية الضمير الديني ، انه لم يجعل نتيجة الخوف امرا سلبيا وهو النجاة من العقوبة ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا هو الثواب الجزيل والاجر العظيم .. قال تعالى : ( **واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى** ) . النازعات/ ٤٠ ، ٤١ وقوله سبحانه : ( **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ) .الرحمن/٤٦ .

فاذا عود الشباب نفسه من بداية مرحلة احساسه بذاته ان يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله ، موقنا ان الله تعالى مطلع على جميع اعماله ومعتقدا انه تعالى يجازي من اطاعه برضوانه واحسانه ، وانه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه ، اذا عود نفسه على ذلك ، سهل عليه ان يفعل ما امره الله به ويجتنب ما نهاه عنه ، فاذا سولت له نفسه ان يأتي معصية ردها وزجرها ، وذكرها بعزة الله وجلاله وانه تعالى قادر على الانتقام منه ومطلع عليه لا تخفى عليه خافية : ( **ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم** ) . المجادلة/٧ فالضمير الصافي او القلب السليم هو النور الذي يهدي الانسان في مسالك الحياة ويملأ النفس اطمئنانا ورضى ، فاذا ظفرنا بتربيته وايقاظه في الشباب فقد اقمنا اقوى دعائم التربية الناجحة والقويمة لهم . يقول الله

تعالى : ( **يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من اتى الله بقلب سليم** ) . الشعراء/٨٨ ، ٨٩ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب » . رواه البخاري . ومن انفع الاساليب التربوية التي اتبعناها لتنمية الضمير الديني تعويد المراهق وتدريبه على ممارسة « النقد الذاتي » ، فالطالب الذي كان يرتكب خطأ ما ، كنا نرده الى نفسه ، ونطلب منه ان ينقد نفسه بنفسه ، ثم نناقشه فيما يصل اليه .. وكنا نربي المراهق وهو يقوم بالنقد الذاتي ، ان يزن اعماله بميزان الاخلاق الاسلامية ، ثم يقرر ما ينوي عمله لاصلاح نفسه وتنمية شخصيته نحو الكمال المنشود ، وقد ثبت لنا بالتجربة العملية ان هذا الاسلوب ( النقد الذاتي ) يحقق مزايا عدة نذكر منها :

- تنمية الضمير السليم لدى المراهق .
- غرس الشجاعة الادبية في نفسه .
- حرص المراهق على السلوك السليم وتحاشي ارتكاب الاخطاء .
- تقبله للنصح والتوجيه بصدر ارحب ( لأن نقده لنفسه قبل ان يلقى المربي يهيئه لقبول التوجيه ، ويمنع الى حد كبير ظهور المقاومة للنصح التي هي طبع نفسي للمراهق ) .
- تقبله للعقاب المناسب اذا ما وقع عليه بصورة موضوعية وبأسلوب لا يؤدي الى مضاعفات نفسية .

ولقد خلصنا من تجربتنا الى انه اذا كان النقد الذاتي امرا حيويا ونافعا في حياة الانسان عامة ، فهو في مرحلة المراهقة امر اشد حيوية واكثر نفعا . ذلك لان شخصية المراهق تتسم بالرغبة في تأكيد الذات وفي مقاومة السلطة الى الحد الذي يجعل المراهق يتمرد على نصح الابوين اذ يرى فيه تدخلا في شؤونه ، واعتراضا على حريته واستقلاله .

من اجل ذلك كان اعتمادنا في تقويم سلوك المراهق على تعويده وتدريبه على النقد الذاتي بميزان الاخلاق الاسلامية ، محققا لرغبته في تأكيد ذاته ، واعترافا منا بشخصيته وبقدرته على التمييز بين الخطأ والصواب بهدى تفكيره .

فنحن بذلك لا نصادر شخصية المراهق ، ولا نصادمها ، ولا نفرض عليها التوجيه فرضا ، ولا نولد لديه قوى المقاومة ، ولا نوقعه فريسة للاضطرابات او المشكلات الانفعالية .

## ٤ ـ العمل مع المراهق ومصاحبته

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الزموا اولادكم واحسنوا ادبهم » رواه

ابن ماجة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وهذا الحديث الشريف يوجه الاباء الى مصاحبة اولادهم ومراقبتهم وتأديبهم احسن الادب، وقد وصل علماء النفس الى هذا المبدأ وهم يعدونه من افضل اساليب بناء شخصية المراهق وتربيته، فيقول واحد منهم« ان الحياة مع ولدك المراهق ليس معناها ان تحيا من اجله ، فان الحياة من اجله وحدها معناها التضحية له ، ولكن اجعل حياتك مع ولدك ( يريد ان يفرق بين معنى الحياة معه والحياة له ) ومعنى ذلك ان يدرك كل منكما الآخر ، وان تقف الى جواره في لحظات الصراع ولا تتخلى عنه ، وان تمنحه المزيد من الحنان في لحظات الهلع والهياج غير العادية ، وان تمتعه بلحظات السعادة والهدوء والسلام » .

ولقد يضيق صدور بعض الآباء من سلوك ابنائهم المراهقين فينهالون عليهم باللوم والتسفيه والتجريح او العقاب البدني ، وهذا ما ينهى عنه الدين الذي يأمر الآباء بأن يتقوا الله في افلاذ اكبادهم ، وان يقوموا على تربيتهم بحسن الأدب والخلق الطيب وبالوقوف الى جانبهم في تلك الفترة الحرجة ليأخذوا بايديهم حتى يعبروها بسلام ، وقد قال بعض الحكماء : « لا عب ولدك سبعا ، وادبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه ( كتفه ) . » وفي ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه ( والام لابنتها ) مصاحبة الصديق الناصح الامين في اخطر مراحل عمره وهي المراهقة ، وهو تأكيد ايضا لمعنى « الزموا اولادكم » في الحديث الشريف .

فالهوة الضخمة بين اخلاقيات الكبار والصغار ـ كما يقول احد علماء النفس ـ تكشف عن انعدام التفاهم او الصداقة بين الآباء والأبناء ، وعن أن الآباء عاجزون عن مساعدة أبنائهم والأخذ بايديهم .. فالمراهق يعتبر نفسه قادرا على تصريف شؤونه ، وابواه لا يقرانه على ذلك ، ويعبران عن آرائهما بطريقة متزمتة منفرة فيفقد المراهق ثقته بهما ، ويتخذ طريقه في السر كما يشاء . وبعض الآباء ينشغلون في عملهم لدرجة تحجبهم عن ابنائهم ، وبذلك لا يساهمون في رعاية ابنائهم في مرحلة هم فيها احوج ما يكونون الى مصاحبتهم والحياة « معهم » .

### ٥ ـ الاقناع والحلم وسعة الصدر

ويدعو الاسلام الى الاقناع والحلم وسعة الصدر وترك المجاهرة والتوبيخ لتوليد الدافع والرغبة لدى المراهق للسلوك الصحيح . فلقد عرف الشباب من قديم برقة الدين ، واحتمل ذلك منه ، الا ترى الحديث الشريف كيف عد الشاب الذي نشأ في عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ؟ وما ذلك الا لندرة هذا النمط في الشباب وخروجه على المعتاد من جنسه .

ومن اجل هذا كان الشباب في كل المجتمعات وفي كل العصور دائما موضع الملاحظة بالنظر الى ظروفه النفسية والعقلية في فورة النضج التي اشرنا اليها حتى قال الشاعر :

فان يك عامر قد قال جهلا ... فان مطية الجهل الشباب

وقد روى أبو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله اتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قربوه ، ادن . فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتحبه لامك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم ، اتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك ، كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، اتحبه لاختك ؟ وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا ، جعلني الله فداءك .. فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شيء ابغض اليه منه « يعني الزنا » رواه احمد .

فهذه هي الحكمة في الدعوة وبها تجب القدوة . قال تعالى : ( **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ) . آل عمران/ ٣١ .

وانا لا نكون متبعين له صلوات الله وسلامه عليه حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته في اللطف وتحري الاقناع بالرفق واللين ، ومن اوتي حظه من الرفق فقد اوتي حظه من خير الدنيا والآخرة ، والقرآن الكريم يرشد الى التلطف في القول والرفق في المعاملة مع تحري الاقناع ، قال تعالى : ( **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن** ) .النحل/ ١٢٥ .

ان حرية الانسان حق طبيعي وحيوي ، وحقيقة بديهية في الاسلام ، وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى بان يكون للانسان الحرية في التفكير ، لان تعطيل حريته او مصادرتها يتناقض مع مصلحته في الحياة ومع معنى العبادة التي خلقه لاجلها ، ومع التكاليف التي امره بها ولا سيما في اتباع مكارم الاخلاق واجتناب مساوئها . قال تعالى : ( **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ) .البقرة ٢٥٦ .

وقال جل شأنه مخاطبا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : ( **افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** )يونس/ ٩٩ وقال سبحانه : ( **قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل** ) . يونس/١٠٨ .

والامر الجدير بالتأمل حقا والذي لا يصح ان يخفى علينا هو ان دعاة الالحاد والتحلل من القيم والتقاليد ، ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال في الرأي ، وهي معان تصادف هوى لدى المراهقين على وجه

الخصوص ، وتتفق تماما مع حاجاتهم النفسية لتأكيد ذواتهم فنراهم ـ لان نضجهم العقلي والنفسي لم يكتمل بعد ـ يستجيبون لها بسرعة .
فيجدر بالأباء والمصلحين والدعاة ان يجعلوا اسلوبهم في التربية الدينية منسجما ومؤكدا لمعنى حرية الانسان التي قال الله تعالى فيها : ( **وهديناه النجدين** ) . البلد/ ١٠ وقال : ( **انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا** ) .الانسان/ ٣ .
وعليهم بالحلم وسعة الصدر وهم يناقشون الشباب فيما يعرض لهم من قضايا ذهنية تتعلق بالحياة او الموت ، والجبر والاختيار والفناء والخلود ، والمادة والروح ، والبعث والجزاء ، وبالرسالات السماوية وشرائعها ، والتطور البشري ومقتضياته والنظم الاجتماعية والسياسية وفلسفتها الى غير ذلك .
ان كمال العلم في الحلم ، ولين الكلام مفتاح القلوب ، فيستطيع المربي ان يعالج امراض النفوس وهو هادىء النفس مطمئن القلب ، لا يستفزه الغضب ، ولا يستثيره الحمق ، وحسبنا في هذا قول الله تعالى لامام الداعين المربين صلوات الله وسلامه عليه : ( **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك** ) .آل عمران/ ١٥٩ فالداعي او المربي الذي يضيق صدره بأسئلة الشباب ومناقشاتهم « الساخنة » سوف يدفعهم الى الانصراف من حوله ويضيع عليهم فرصة الهداية بانوار دينهم ، ويعرضهم للوقوع في براثن اعداء الدين والمثل والاخلاق .

وقد ثبت لدينا بالتجربة العملية أن التربية الصحيحة للمراهق هي التي تقوم على الاعتراف بشخصيته الجديدة النامية ، وعلى معاونته على تحقيق ما يتمناه لنفسه بأسلوب تربوي رفيق ورشيد ، اما اذا حيل بينه وبين رغبته في تحقيق ذاته ، فسوف يقع فريسة لليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية بسبب ما يلاقيه من احباط ، وقد تنشأ عن هذا الاحباط انفعالات متضاربة ، وعواطف جامحة تدفع بعض المراهقين الى التفكير في الانتحار . وثبت لنا ايضا ان التربية الصحيحة للمراهقين هي التي لا تقابل الثورة بالثورة ، بل تتطلب من الوالدين والمربين ان يهيئوا جوا من الثقة بينهم وبين ابنائهم وان يكون رائدهم الاقناع والا يوقعوهم في عقدة القنوط بالتقريع واللوم اذا ما اتفق لاحدهم ان اسرف على نفسه ، وعليهم ان يتبعوا نهج القرآن في الترغيب والترهيب فيفتحون بذلك للمخطىء باب الأمل والتوبة . قال تعالى : ( **قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا** ) . الزمر/ ٥٣ وقال سبحانه : ( **كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم** ) .الانعام/ ٥٤

### ٦ ـ الترغيب والترهيب

ولو تأملنا اسلوب القرآن في الترغيب والترهيب ، لادركنا عظمة ما بين ايدينا من

منهج هو خير المناهج على الاطلاق في التربية ، قال تعالى : ( **ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا . وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما** ) . الاسراء ٩ ، ١٠ .

ففي هذه الآية الكريمة بيان لهداية القرآن الكريم بالترغيب والترهيب ، فالترغيب ، بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظم الخير ، وتبشيرهم بحسن المثوى ، والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله ، وانذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ، ثم ان الوعد بالخير يعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما ، والوعيد كذلك يشمل نقمهما اوشقاءهما .. فبالوعد ، ساق الطائعين الى الجد في الطاعة ، وبالوعيد ، اوقف العاصين عند حدود الادب .

وقال تعالى ترغيبا في جنس الطاعات : ( **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** ) .النور/٥٥

وقال جل شأنه ترغيبا في صالح العمل : ( **من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** ) .النحل/٩٧ وقال جل شأنه ترغيبا في التقوى : ( **يا أيها الذين أمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم** ) .الانفال/ ٢٩ وقال ترغيبا في التمسك بالدين : ( **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ) . الاحقاف/١٣ ( **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ) . مريم/٩٦ ( أي يحبهم الله ويحببهم الى خلقه ) وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام : اني احب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء : ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ، ثم توضع له المحبة في الارض » تلك امثلة مما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة في الترغيب في جنس الطاعات او انواعها او الاخلاق الفاضلة ، سقناها لبيان الاسلوب وسحره الجذاب الذي يولد الدافع النفسي الى الطاعة ، ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ترغيبا في الصدقة : ( **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون** ) .البقرة/٢٤٥ وقوله سبحانه : ( **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ) . البقرة/ ٢٦١ .

اما عن الترهيب الذي جمع القرآن بينه وبين الترغيب لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف فان الله تعالى حذر عباده من معصيته بما اعلمهم به من نواميس ربوبيته ، واقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته وجعل النفوس المدنسة بالعقائد الفاسدة والاخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه في

الآخرة والاولى ، وهو في كل حال حاكم عادل ( **ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون** ) . يونس/ ٤٤ قال تعالى : ( **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** ) . النساء/ ١٤ وقال عليه الصلاة والسلام عن عقوق الوالدين : « الا انبئكم بأكبر الكبائر ، الا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين » متفق عليه .

ومن اساليب الترهيب ان يقرر المربي في اذهان الشباب ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب ، وان كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جناياته التي صدرت منه . فالشباب ـ ونضجه العقلي لم يكتمل بعد ـ قد يتساهل في امر في الآخرة ويستخفه ، ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر ، وخاصة انه يخطو خطواته الاولى نحو بناء مستقبله ، فينبغي ان يخوف بعقوبة الله في الدنيا وبأن الذنوب يعجل شؤمها في الدنيا غالبا ، قال تعالى : ( **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ) . الروم/ ٤١ وقال جل شأنه : ( **ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ) . الاعراف/ ٩٦ . .

وروى الحاكم باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

### ٧ ـ دور المسجد

ولست بحاجة الى التنويه بدور المسجد في التربية فان من الامور الحيوية في عصرنا ان يعود المسجد الى سابق عهده مركزا للاشعاع الديني ، ومنتدى للثقافة والتوجيه الروحي ، وان تكون له جاذبيته في نفوس الشباب ، وان توجه دروسه وعظاته نحو تزويدهم بالفضائل الدينية التي تطهر قلوبهم ، وحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية ، وتثبيت قلوبهم بالايمان والعقيدة ، وان يجدوا الاجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم ، ويمكن ان يلحق بمبنى المساجد الرئيسية مؤسسات اجتماعية مختلفة كالمدرسة والمسرح والنادي وقاعة المحاضرات وبعض الانشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية .

### ٨ ـ رعاية اليتيم

اما اليتيم ـ وهو من فقد اباه ولم يبلغ مبلغ الرجال ـ فله شأن اكبر واظهر في الدلالة على عناية الاسلام بتربية النشء ، وتوفير المناخ الصالح لتلك التربية ،

فيقول الله عز وجل : ( **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم** ) . البقرة/ ٢٢٠ فالآية الكريمة توجه الوصي على اليتامى الى الاصلاح لهم بالتربية والتهذيب والى حفظ اموالهم وتنميتها ، فهم اخوانه في الدين ، ومن حق الاخ ان يخالط اخاه على الوجه اللائق الذي فيه صلاحه .. كما يوضح القرآن واجب الوصي في المحافظة على مال اليتيم ويحذره من استغلاله ، فيقول تعالى : ( **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده** ) .الانعام/١٥٢ .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رعاية اليتيم فقال :

- « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » رواه البخاري ومسلم ( واشار بأصبعيه السبابة والوسطى ليدل على انهما قرينان او صنوان ) .
- « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » رواه ابن ماجه .

هذا الى قول الله لرسوله بعد ان ذكره بفضله عليه حالة يتمه ( **فأما اليتيم فلا تقهر** ) .الضحى/٩ وقد قال الامام محمد عبده رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : لو علم الناس ما في اهمال تربية الايتام من الفساد في الأمة ، لقدروا عناية الله بأمرهم حق قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم في اصلاح حال الايتام كل ما استطاعوا ، ولو احس كل واحد بأن الموت قريب منه ، وانه هدف ليناله ، لا يدري متى يأخذه عن ولده ، فيتركه اما غنيا يأكل ماله الاوصياء ، او فقيرا يستذله الادنياء ، لتسابقوا الى تقديم امر اليتيم .

## ٩ ـ المناخ الديني في البيت والمدرسة

ومن اهم عوامل النجاح في التربية القويمة توفر المناخ والروح الديني ممثلا في صلاح الوالدين والكبار من الاسرة والمربين وقيامهم بفرائض الدين وبعدهم عن المنكرات والآثام ، والتزامهم حدود الفضيلة والأدب ، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار ، وتعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادىء الدين في القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والايمان في نفوسهم .

ومن الثابت عمليا ان الطفل الذي ينشأ في بيت متدين يبدأ حياته محصنا من كثير من الامراض السلوكية والفكرية ، ويتميز في مرحلة المراهقة بمجاهدة النفس ، وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة .

***

وبعد فسوف يسأل الآباء والمربون عما فعلوا لتربية الابناء ، وهو ما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ ام ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » . رواه ابن حبان

# مجتمع الإسلام الأول

عندما نقلب صحائف التاريخ ، نجد المجتمعات الانسانية قد تعاقبت عليها عصور شتى من القوة والضعف والهزيمة والنصر والايمان والكفر والتقدم والانحطاط ، وذلك ناموس عام يحكم كل الأمم على مر العصور وكر الدهور . كما يقول الله جل شأنه : **( وتلك الأيام نداولها بين الناس )** آل عمران/١٤٠

أو كما يقول القائل :

هي الحياة كما شاهدتها دول

من سره زمن ساءته أزمان

بيد أننا لو أرسلنا نظرة حصيفة متعقلة متأنية . لتكشفت لنا حقيقة طالما غابت عن الأذهان الشاردة والأفهام القاصرة وهي : أن الله تعالى يعامل الناس وفق قانون إلهي ملزم شامل بلا محاباة أو مجاملة . وهذا القانون هو ما أفصح عنه القرآن في بيان شاف :

**( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال )** الرعد/١١ .

إن تاريخ البشرية على مسرح الحياة مؤسف ، وصلتها بالله رب العالمين تحكي طابع الجحود والنكران لخالق السموات وفاطر الأرضين ،، فلقد ظلت آمادا متلاحقة متواصلة ، تصافح الشرك وتواكب مسيرته ، بل إنها دقت له في أرضها أطنابا ، شيد عليها قلاعه ، ومكن بها حصونه ، وأصبحت دساتيره الهمجية – وهي من صنع الشيطان وسبكه – مهيمنة مسيطرة ، لها الغلبة والنفاذ ، في دنيا اعتركت فيها الأهواء الرخيصة ، واصطرعت الرغائب الحمقاء ، حتى طفحت بكل ما هو خسيس محقور .

# مقوّمات الزّعامة

للدكتور/ عبد الفتاح محمد محمد سلامة

**( قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين )** الاعراف/ ١٦ و١٧ .

إن الانسانية منذ أن عصى آدم ربه – بعد أن وسوس إليه الشيطان – وهي تجني ثماراً مرة ، وتعاني من الويلات والشرور ، ما جعل كاهلها ينوء ، وظهرها يكاد ينقصم ، في تطاحن مسعور ، وتنابذ بالعداء ، واهدار للقيم ، ومحو للفضائل . والأمر يزيد استفحالا وضراوة ، عندما تتبدى الدنيا لهؤلاء المخدوعين الأغرار ، في تزاويقها الخبيثة الماكرة ، وصورها الفاتنة الخالبة ، فاذا بهم يصبحون ضحايا اللذات ، وصرعى الشهوات . وإن ربك لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، فعندما تتمرد الأمة على ربها ، وتشيح بوجهها عن شرعه ، وتسلم قيادها للشيطان ، وتعيث في الأرض فسادا . عندما تتقطع الروابط بين السماء والأرض ، ويظلم قلب الانسان من حقيقة الايمان ، وتنهار المبادىء ، وتتحطم مقاييس الاخلاق ، وينطلق كل عابث الى غايته ، تسوقه رغبة دنيئة ، ويحفزه هوى ماجن . عندما يشمخ الباطل بأنفه ، وتنتفخ أوداجه ، ويرتدي غير ثيابه ، وينتفش ريشه ، ويتصور أن له قدرة على صرع الحق ،وتبديد نوره ، وسحق طلائعه . عندما يتلقى الدعاة والمصلحون – في كل عصر وجيل – الصفعات تكال لهم من أقوامهم ،

ويتجرعـــون كؤوس السخريـــة والنكال ، ويذوقون مرارة التعذيـب والتشريد ــ بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . عندما يستعصي الداء ، ويعز الدواء ، وينقطع الرجاء ، ويتبدد كل أمل في الشفاء ، ويتسع الخرق على الراقع ، عند ذلك كله لن يكون . إلا الكي . وهو آخر الادواء ( **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجمـوع له النـــاس وذلك يوم مشهود** ) هود/١٠٢ و ١٠٣

**حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ) يوسف/ ١١٠ .

إن الرومـــان والفـــرس ، ظلـــوا يحكمون العالم فتـرات سحيقـة ، وكانت لهم حضـارات باذخة ، وقوة مؤثلة ، وأنشطة متدفقة . ثم بدأت الفتن الناعمة تتراقص لهم ، وعوامل الترف تمزق كيانهم ، فذابوا في فجور آثم عربيد ، وصفــرت أيديهـــم من المثاليات الرفيعة ، وضحلت قلوبهم من العقائد السليمة ، وتصوروا ــ كذباً وغرورا ــ أن الدنيا قد دانت لهـــم ، وأصبحـت طوع بنانهـــم ، ففرضـــوا على الشعــوب سيطـــرة غاشمـــة ، وساموهـــا الخســـف والاضطهاد ، وما زالوا في ضلالهم سادرين ، وفي غيهم متخبطين ، حتى جاءهم أمر الله ، وكان للمقادير منهم موقــف عنيــد ، فدكت معاقلهـــم ، وأطاحت بكبريائهم ، ومرغتهـــم في أوحال الذلة والهــوان والصغـــار ، وجعلتهم أثرا بعد عين ، فصـــاروا خبرا يتلى ، وقصة تحكى وتروى : ( **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهـــارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغـــن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** ) يونس / ٢٤ .

إن طلائـــع البعـــث المحمـــدي الزاحفة ، ومواكبـــه الظافـــرة ، قد تقدمت الى هذا الاسد الـــذي شاخ وترهلت قواه ، فأجلته عن مكانه ، وأقصتـــه عن عرشه ،ووجهـــت الى صدره رماحا مسددة نافذة ، اردته صريعا مجدلا تحت سنابك الحق ، ثم طاردت فلوله المدحورة حتى تواروا في آفاق المجهول الغامض ، واكتنفتهم أستار النسيان البعيد . لقد برز إلى الوجود هذا المجتمع ، الذي شاءت إرادة الله أن يحمل إلى الناس شريعة السماء الأخيرة في قاموس الرسالات الالهية ، وأن يكون نبيه الجليل ، صلوات الله وسلامـــه عليـــه ربـــان السفينة الماهر ، وحـــاوى القافلـــة النجيب ، والرائد الذي لا يغش ولا يكذب .

ترى كم أعطى محمد للحيـــاة ؟ وكيف ساس هذا المجتمع وصقلـــه وربي فيه مشاعر وأحاسيس غدت أسطورة في دنيا الحقائق ، وحقيقة في عالم الأساطير ؟؟ إن الحياة عنـــد محمد ميدان عمل ، ومعترك جهاد ، ومدرسة تغرس فيها بذور الايمـــان بالله ، والحـــب له ، والطاعـــة من

أجله . فهي ليست ألغازا مبهمة ، ولا أسرارا مستعصية ، يتهيبها الانسان ، ثم يروح عنها في شرود وخمول ، كما صنع ويصنع أولئك المتشائمون الانطوائيون .

... وهي كذلك لم تخلق عبثا ، ولم يجعلها ربك مسرحا للفوضى ، تمارس فيها اللذات ، وترتكب المحرمات ، ويصبح الانسان فيها كالحيوان لا هم له الا الأكل والشرب والسفاد .

تعالى ربنا أن يخلق دنيانا على صورة كهذه مهينة مقززة ، تغشاها الهمجية وتحكمها شريعة الغاب : **( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم )** المؤمنون/ ١١٥ و١١٦ لقد فتح محمد للحياة قلبه ، ونفخ فيها من روحه العالية المتوثبة ، فأحيا مواتها ، وأعطاها من وقته ما أصلح به فسادها ، وقوم معوجها ، ولكأني أنظرها وقد تحولت بين يدي محمد : إلى محراب للعبادة والعمل والنشاط والسعي الدءوب . وما بالك برجل يجعل كل خوالجه وأنفاسه وروحاته وغدواته وصلاته وعبادته ، بل حياته كلها لله ، يرصدها في سبيل طاعته ، ويحبسها على رضاه : **( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )** الانعام/ ١٦٢و١٦٣ . لقد رفع محمد راية التوحيد عالية خفاقة ، ووطىء بحقيقة الايمان أنوف الكبراء وغطرستهم ، وبدد أحلامهم الخاوية ، وكشف القناع عن أكاذيبهم ، فاذا هم يبدون أمام الناس بواقعهم الكليل : **( لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا )** الفرقان/ ٣ . إن مجتمع الاسلام الاول في أزهى عصوره ، ما كان يعرف التواكل أو الضعف ، أو الخنوع والعجز ، وإنما كان ينشط للمكرمات ، ويمضي للأمجاد واثق الخطى ، مؤيدا بعزم لا يلين ، ومسددا بتوفيق الله القوي المتين ، ولقد كان أفراده النابهون يدركون أن زعامة العالم وريادته قد آلت إليهم ،وكانوا يدركون كذلك أن لواء المسيرة قد رشحتهم الاقدار — عن جدارة واستحقاق — ليحملوه ، ويقودوا البشرية جمعاء في ظلاله ، وقد تم لهم ذلك منذ أن قال الله يخاطبهم في إعزاز وتكريم : **( كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله )** آل عمران/ ١١٠ .

ومن ثم كانت هذه الانطلاقة الرائدة ، والقفزة المجيدة لاتباع محمد عليه الصلاة والسلام ، وتحول مجتمعهم الى طاقات من العمل والسعي والنشاط والحركة والابداع في سبيل الله ورسوله لقد آمن القوم : أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، وأنه عز وجل يمكن منها من خافه واتقاه ، ويجعلها هبة لمن يسخرها في طاعته وإمضاء كلمته ، إنه يطوعها لمن يرسون قوانين العدالة ، ويشيدون صروح الاخلاق ،

ويحرسون القيم ويذودون عن ساحة الفضائل ، ويحمون بيضة المقدسات ، ويذبون عن الشرف وكرامة الانسان .

أما الطغاة الفجرة الذين لا خلاق لهم ، ومن يفقدون الحياة معناها الراقي الممتاز ، ويتطاولون على عباد الله ، وينصبون أنفسهم أربابا وآلهة ، أما المستهترون الهائمون على وجوههم وراء كل لذة ، واللاهثون ركضا لاقتناص كل شهوة ، والمفلسون في عالم المبادىء ، ومن لا رصيد لهم في موازين الخير ، أما من يتنكرون للعقائد ، ويتجهمون للشرائع ، ويصمون آذانهم عن صوت السماء ، ويعبدون هواهم من دون الله ، تمردا عليه وجحودا لرسالاته . أما هؤلاء جميعا : فان الله سيزوي الأرض عنهم ، ويجعلها تهتز تحت أقدامهم ، ومهما ساحوا فيها وانداحوا ، واغترفوا من نعيمها ، وعبوا من شهواتها ومغرياتها .. فان امر الله آت لا ريب فيه : **( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين )** الأنبياء/١٠٥ و ١٠٦ .

**( لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد )** آل عمران/١٩٦ و ١٩٧ .

إن أبناء الاسلام في مجتمع التوحيد : قاموا بحق الخلافة عن الله في أرضه خير قيام وأبره ، فأصلحوها بعد ما عم الفساد وطم ، وشمل القاصي والداني ، ونفضوا عن الانسان أوضار قرون خلت ، وأعادوا إليه أعتباره الذاتي ، وردوا إليه كرامته المهدورة . فاذا به كائن حضاري له ميلاد جديد ومكان مرموق . إنهم ما كانوا يعرفون التحيز أو التسلط ، أو العنجهية الخرقاء ، وعندما كانوا ينساحون في الأرض ، ما كانوا يحملون معهم الخراب والدمار ، كما يفعل اليوم دعاة الحضارات الكاذبة والمدنيات المفلسة في كل بقعة يطأونها ، وإنما العلم يسير في ركابهم ، والنور ينبعث من صدورهم ، وتقوى الله عز وجل تفيض من حناياهم ، ومقاومة الظلم تتحرك بها جوارحهم ، فحيثما حلوا صدعوا بكلمة الحق ، لا يرهبون بطشا ، ولا يهابون سلطانا ، ولا يخشون سطوة أحد مهما كان . فانهم سمعوا من نبيهم الجليل : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه مسلم . إنهم قوم أيجابيون يتحركون بالحياة ، وينهضون بها ، ويصقلونها بقيمهم الحية ، ومبادئهم النظيفة ، ويجعلون لها معنى نبيلا تتقدم به وتزدهر ، وقد كانت قبلهم خلوا من هذا كله ، ضياعا وتمزقا وشرودا وسقوطا مهينا في حمأة الرذيلة . إن الله جلت قدرته ، عندما أراد بالانسانية خيرا ، أوفد اليها هذا الجمع الكريم من تلامذة ، محمد بن عبد الله ، وقد رباهم نبيهم على الطهر ، ونشأهم على الحب والود ، وأرضعهم من لبان المروءة والشجاعة ، وغذاهم بما يفتق

عقولهم ، ويجلو بصائرهم ويحفزهم الى السبق ، ويثير عندهم الشوق الى محامد الامور : **( يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون )** يونس/٥٧ و ٥٨ .

إن التمكين في الأرض لا يكون وليد مصادفة عمياء ، كما أنه لا يدرك بالتمني والاحلام الوردية المعسولة ، إنه نتيجة الصبر والجلد ومصارعة الاهواء ومكابدة الاهوال واقتحام الخطوب ثم مواجهة الظلم والقضاء عليه في أوكاره :

**لا تحسبن المجد زقا وقينة**
**فما المجد الا السيف والفتكة البكر**

والله تعالى عندما أعطى التمكين لاصحاب محمد واتباعه ، وهيأ لهم أسبابه ، وسخر لهم نواميسه ، فقد كان يعلم أنهم أهل لهذا ، قضاء عزيمة ، وقوة إرادة ، وصفاء نفس ، وطهارة قلب ، فليس الأمر محاباة أو مجاملة . إنه مكنهم ، لأنه – جل وعلا – رآهم أولى الأمم بالتمكين والتفوق والسيادة . ومن العبث أن يدخل الانسان حلبة السباق وهو يوقن أنه سيخسر الرهان . إن هذا النوع ، من النزق الطائش ، والاندفاع المقوت :

**يا باري القوس بريا ليس يحسنه**
**لاتظلم القوس أعط القوس باريها**

وعندما يلقي الله مقاليد الأمور على آمة ، ويجعلها في وضع القيادة والرئاسة ، ويهيىء لها منزلة محترمة بين العالمين . فلا بد من دفع ضريبة على هذه النعمة الكبرى ، لا بد من أخذ العهد والميثاق عليها ، أن تقوم بما عهد به اليها خير قيام ، وان تؤديه على الوجه الأكمل ، وان تنهض بحمل المسئولية في مثابرة وتفان ، وبر ومرحمة ، لتسود شريعة الله وتعلو كلمته ، ويعيش الناس على موائد فضله ، فيعرفوا النعمة ويقوموا بشكرها . إنها ان لم تفعل ذلك ، فقد خانت الأمانة ، وأصبحت غير أهل لتكريم الله ، وليس هناك من حرج في سلب السلطان عنها ، ونزع السيادة من بين يديها ، حيث أصبحت غير جديرة بها ولا مأمونة عليها .وعندما خاس بنو إسرائيل بعهد الله ، ونقضوا ذمته ، وقد كانت الأقدار منحتهم أسباب القوة وسطوة النفوذ وبواعث الغلبة ، بل إنهم فضلوا على العالمين . **( ولقد أتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين )** الجاثية/١٦ . عندما قلبوا لشريعة السماء ظهر المجن ، وصعروا وجوههم ، وأبطرتهم النعمة ، فجحدوها وعبثوا بها ، وتسلطت عليهم النعرة النكراء ، وسرت في أوصالهم أكذوبة التفوق العنصري ، وتغلغلت في أعماقهم النزعة المادية الشرسة ، فأزهقوا الارواح ، وسفكوا الدماء ، بل امتدت أيدي الاجرام منهم إلى الانبياء قتلا وتعذيبا . حينئذ ، وبعد ان بلغ السيل

الزُبى ، وجاوز الظالمون المدى ، وخان بنو أسرائيل الأمانة ، وناءوا بحملها . كان لا بد للأقدار أن تقف منهم موقفا حاسما ، فتستأصل شأفتهم ، وتنكس أعلامهم ، وتدمدم عليهم بذنبهم ، وتذيقهم الذلة والهوان والصغار والتشريد ، على أيدي عباد لله أولى بأس شديد : **( وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا )** الاسراء/ ٤ و ٥ . هكذا يكون الجزاء العادل ، والعقاب الرادع ، لكل من انحرف بالأمانة عن صراطها السوي ، وسار بها في غير دروبها ، فأوردته المهالك ، وجشمته المزالق . على ان المسلمين عندما وقع عليهم الاختيار ليحملوا اللواء ، ويتزعموا البشرية ويسودوها ، كانوا فاقهين لهذا المعنى الراشد ، مدركين لتطلباته ، فمضوا في الطريق الجريء ، ينفذون ما نيط بهم ، ويضطلعون بالدور المسند اليهم ، ويضيئون للعالم الحائر المضطرب المفزع مصابيح الهداية ومشاعل المعرفة . بل إنهم هيأوا للانسانية جوا طهورا ، ازدهرت فيه القيم وانتعشت ، ومنحوها طاقات وثابة من الحركة والحياة ، في ظلال من العدالة الوارفة ، وتحت ألوية من الاستقامة العابدة .

قال تعالى : **( الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور )** الحج/ ٤١ . إن صمام الأمن في المجتمعات ، وبواعث القرار فيها ، تزيد وتربو عندما تكون الصلة بالله متينة ، والطاعة له عز وجل مبذولة ، والصلة بالله والطاعة له والرغبة فيه تحجز صاحبها عن السقوط ، وتباعد بينه وبين الغرور . وضل قوم حسبوا أن الدنيا تواتيهم وهم بعيدون عن ربهم ، معرضون عن شرعه ، ينابذونه بالعداء ، ويظهرون له الصد والتكذيب . **( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون )** الأعراف/ ٩٦ ـ ٩٩ . ما أجمل القيم التي توجه مسار المجتمع إذا تفجرت ينابيعها من هداية الله ، وكانت موصولة الأسباب بوحي السماء . إنها تغدو الحارس الأمين الذي يحفظه من العثار ويصونه من المزالق ، ويقيمه على الطريق آمنا مطمئنا . وتلك بعينها القيم التي حكمت مجتمع التوحيد في مدرسة النبوة ، وصبغت اتجاهاته ، وجعلت منه مثالا فريدا ومعجزا بين أمم الأرض قاطبة : **( والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم )** النور/ ٤٦ .

# الإسلام

# المستقبل الحضاري للانسان

للدكتور محمد أحمد العزب

— ١ —

اذا كانت الحركة الاسلامية تمثل دعوة هائلة الى الثورة والحضارة ، فانها في الوقت نفسه تمثل د... ر كابحة ضد الفوضى والانفلا... وليست هذه الوضعية مصادرة تقضي

على عناصر الجدل بقدر ما هي فلسفة داعية الى ديمومة الحوار .. فان تدع حركة ما الى تثوير الحياة وتحضير الانسان في نفس اللحظة التى تضع لهذه الثورة وهذه الحضارة كوابح ضابطة تحدد للثورة وللحضارة معا منطلقاتهما النظيفة ، فان هذا يعني ليس تجميد النقيض بنقيضه ، وانما يعني اشعال قضية الجدل بين النقيض والنقيض ، فتبقى الثورة عاملة في مجالها الحيوي ، وتبقى الحضارة فاعلة في مناخها الأنساني ، وتبقى كوابح هذه وتلك مستنفرة دائما لوضع كل منهما في مناطه الصوابي المعقول الذي لا يجور !!

ـ ٢ ـ

واحياء مناطق الوعي الأيماني وفلسفة الاسلام في حربه الضارية ضد الفوضى والانفلات ناهضة على أساسين متكاملين : احياء مناطق الوعي الايماني داخل مملكة الذات .. وتعميق الالتزام السلوكي الضابط لحركة هذه الذات في وجودها المادي في الحياة .. وهما أساسان متكاملان لأنهما لا يرتطمان أبدا ، ولابد من توافق الايقاع بينهما حتى تظل الحياة الانسانية سائرة في طريق التعادل الوجودي الذي لا يطغي فيه جانب على جانب فيصيبه بالدمار أو حتى بمجرد الضمور .

داخل مملكة الذات يتم في اطار ما يسمى في عرف الفكر الأسلامي بالضمير أو الوجدان أو القلب .. لأنه من المتعارف عليه أن عالم النفس البشرية عالم رحيب تصطرع على جنباته قوى الخير والشر ، وقوى النور والظلام ، وقوى الفكر والبطش ، وقوى الحركة والجمود ..

فاذا انتصرت عناصر الخير والنور والفكر والحركة فقد أتيح للحياة الأنسانية أن تتحسس مواطىء أقدامها على طريق الحياة الرائعة السديدة .. واذا انتصرت عناصر الشر والظلام والبطش والجمود فقد تحدد اتجاه الحياة الأنسانية الى الزواء والجدب والأفول .. وليس الحكم على نوعية ما تجنح اليه النفس من عالم الخصب أو عالم الأفول بمحتاج الى مقاييس وافدة على النفس من خارج النفس ، ولكنه محتاج فحسب الى الأصاخة الفاهمة لصوت الطبيعة في نقائه ووضوحه ، فان استشعر الأنسان لفعل ما نوعا من التجاوب والأشراق والحب كان فعلا راشدا مسددا .. واذا استشعر لفعل آخر نوعا من التضاد والغيم والكراهية كان فعلا هابطا وبيلا .. وقد سلط النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحقيقة النفسية الغائرة ضوءا كاشفا في كلماته الملهمة : « اذا ساءتك سيئتك ، وسرتك حسنتك ، فأنت مؤمن » رواه احمد .. أي انك تصل الى حقيقة الشخصية المؤمنة حين يضيء داخلك بلمسة هذا الوعي الأيماني الشفاف الذي يهفو الى الخير

ويتنافر مع الشر .. ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يستهدي حكمة القرآن في هذا الصدد : ( **لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة** ) القيامة/ ١ ، ٢ لأن النفس اللوامة هي النفس القابضة على ضميرها الحي ، العارجة الى المعنى من خلال لقائها به أو نفارها منه .

― ٣ ―

والفوضى ليست مجرد الاباق والشرود والخبط وغير أولئك من معاني التمرد والجموح .. ولكنها قد تكون نوعا من التسيب الأخلاقي ، والانهيار النفسي ، والتميع السلوكي .. أي ان الفوضى قد تكون معنى من معاني الأيجاب القادر على التحطيم والتخريب ، وقد تكون معنى من معاني السلب غير القادر الا على التمزق والانحلال .. وقد ضوأ الأسلام هذين المعنيين بالترشيد مرة وبالتقبيح مرة اخرى : ( **يأيتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية . فأدخلي في عبادي وادخلي جنتي** ) ، الفجر /٢٧ ـ ٣٠ ( **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** )النساء / ٩ ، ( **عليكم بالصدق ، فأن الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ،**

**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب ، فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** ) رواه البخاري ومسلم والترمذي ( **البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب** ) رواه احمد ( **انما أنا بشر ، وانه تختصمون الى ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها** ) رواه احمد .

والاسلام حين يضوىء معاني الخير النفسي ومعاني الشر النفسي انما يفعل ذلك لتكون حركة الضمير حيال كل منهما قائمة على وعي كامل بمقابح هذا ومفاتن ذاك .. ولتظل حركة الضمير هذه عاملة في مجال تقييم الخير والشر على ضوء من وعيها الأيماني بمطلق الخيرية في أحدهما ومطلق الشرية في أحدهما الآخر !!

― ٤ ―

والانفلات كذلك ليس مجرد التحلل من قيد القيمة ، ولكنه قد يكون تحديا للآخرين أو تعديا على الآخرين ، ومنطق الأسلام في مجابهة هذا الانفلات ينبعث من مطلق التزام انسانه حيال الآخر بلا حدود ، فهو

مسئول عن ضلاله ورشده ، وهـو مسئول عن بنائه وهدمـه ، وهـو مسئول عن تطوره وجموده ، وهـو مسئول عن وفرته وجوعه ، أي انه مسئول عن تأمين الآخر ضد الضياع والأهدار ، فاذا كان ذلك كذلك ، فان قضية التحدي له أو التعدي عليـه تكون تجاوزا ليس لمنطق الالتـزام فحسب ، وانما لمنطق فهم القضية الأيمانية بكاملهـا ، والخـروج من دوائر الطاعة الى دوائر العصيان .

ولا يطعن في صحة هذه المقولات أن الانسان المسلم مطالب بقتال الآخرين الذين يتصدون بالكفر للأيمان بكل ما يعنيه القتال من حصار ومخاشنة وازهاق ، فان الفعل المسلم في هذا الصدد ينطلق أساسا من الخيريـة المقصودة للآخر بتطويعه لقيم الأيمان التى يصير بها ما هو وما ينبغي أن يكون ، لا أن يترك لضلاله فيحرف انسانيته عن طبيعتها ويصير بهذا التشويه غير ما هو وغير ما ينبغي أن يكون .. ومن هنا يكون السيـف المرفوع في وجهه عاصما له من التدلي الى دونية فاجعـة ينـزل بهـا عن انسانيته الى مهابط التشويه !!

ـ ٥ ـ

واذا كان احياء مناطق الوعـي الأيماني داخل ممالك الذات قضية أساسية في توجيه الفكر الديني في الأسلام ، فان هذا الأحياء لا يتوجه الى فراغ تجريدي ، ولكنه يتوجه الى الواقع المادي الذي يباشره الأنسان في سعيـه الـكادح على الأرض ، وفي علاقاته المتشابكة التـى تنتظمهـا حركة الاجتماع الأنساني ، حتـى يكون لقاء المسلم بالواقع المادي لقاء تصعيد وترشيد ، تعمل القيمة فيه عملها الدائب على ربط المادة بالروح ، والأرض بالسمـاء ، والأنسـان بالله .. فاذا تحققت هذه الفرضية المقصودة للدين ، كانت الحياة نوعا من الحلول الفاضل على الأرض ، ونوعا آخر من النزوع الأفضل الى السماء .

يؤكد هذه الفرضيـة أن تقييـم الأسلام للضمير يبدأ من تحديـده كنوع من العلاقـة الحميمـة بـين الأنسان والله ، ويستطرد ليصيـره نوعا من العلاقة الحميمة بين الأنسان والاجتماع ، بكل ما يعنيه الاجتماع من جوانب سياسية ، واقتصادية ، وعلمية ، وأخلاقية ، وسلوكيـة .. وبهذا يصير الضمـير من الوجهـة الأسلامية ـ اذا جاز أن يقـال ـ ضميرا دينيا ، وضميرا اجتماعيا ، وضمـيرا سياسيـا ، وضمـيرا اقتصاديا ، وضميرا علميا ، وضميرا أخلاقيا ، وضميرا سلوكيـا .. وان كان في النهاية ليس سوى ضمير واحد هو الضمير المسلم بكل ما يشعه هذا الضمير المسلم من زوايا ضوئية في منادح الدين والاجتماع والسياسة والاقتصـاد والعلـم والأخـلاق والسلوك .

ان الضمير الدينـي يتمثـل في استشعار الحضور الألهى في الكون الذاتي للانسان والكون الموضوعي

للحياة وما بعد الحياة .. وفي استشعار معنى صدور الوجود الأنساني عن الله ووجوب فنائه في الله .. وفي استشعار حقيقة الخلافة لله في الأرض ، والمخلوقية على مثال الله وصورته ، وضرورة الارتفاع بالفعل الأنساني اللائق صدوره عن مخلوق هذه وضعيته الخلقية والوجودية !!

ويتمثل الضمير الاجتماعي في خيرية العلاقات الحياتية ونظافتها ، ونأيها نأيا كاملا عن انحدارات الغش والكذب والافتيات والقبح والترخص والانحراف والقسوة والتشويه والأنانية والحقد وضمور المشاعر البيضاء !!

ويتمثل الضمير السياسي في عدالة الحكم ، ونزاهة القضاء ، وأمانة الشعار ، والوعي بهموم الأمة ، والطموح الى مزيد من انتصار الراية المسلمة ، والعمل البصير في مجال العلاقات الدولية من خلال رؤية اسلامية جسورة !!

ويتمثل الضمير الاقتصادي في سياسة المال ، واعلاء معنى التبادل ، واشاعة العدل في التوزيع ، وتوفير الحاجة الضرورية ، وتأمين العجز ، وتوظيف الطاقة في خدمة الجماهير !!

ويتمثل الضمير العلمي في أمانة الكلمة ، ونظافة القصد ، ومد جسور الحركة العلمية للأجيال ، وانماء روح البحث المجرد والملتزم ، ونشدان عالم جديد يشيع فيه الفكر وتختفي فيه الخرافة !!

ويتمثل الضمير الأخلاقي في اشعاع معاني الحب والطهارة والالتزام والرحمة والدماثة والموادعة والتكافل والود والترفع والجمال !!

ويتمثل الضمير السلوكي في استشفاف هذه المعاني جميعها واسقاطها على الواقع المادي المعاش ، وتحريكها من مجرد كونها قيما جمالية رائعة الى حقيقة كونها سلوكا انسانيا ممارسا بين الجموع !!

— ٦ —

وللاسلام في حفاظه على قيم الضمير ببعديها : ( الأيماني والسلوكي ) فلسفته الخاصة التى يقيمها على مستويات متعددة تفضي في النهاية الى تكامل شامل يشكل نظرية واضحة التخوم والقسمات ، ويجعل من العالم كله مجالا لفعل هذه القيم : فالمساحة الزمانية اطار هذا الفعل .. والمساحة المكانية مجال حركة هذا الفعل .. والمساحة النفسية احتمال تغاير هذا الفعل .. والمساحة السلوكية مناط تحقق هذا الفعل . وكل أولئك يفضي بعضه الى بعض في تناغم هادىء وأيقاع وثير .

ولعل حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » رواه احمد والترمذي والحاكم .. يوجز أو يجسد هذه الفلسفة الأسلامية الشاملة في أروع أتساقها .. فالمسلم مطالب بيقظة الضمير ( التقوى ) حيثما كان

في الزمان : أي في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل .. وحيثما كان في المكان : أي حالا أو مقيما أو حاضرا أو باديا أو متخفيا أو سافرا وحيث ما كان الاحساس النفسي أي في حالة الغيم والأشراق والقناعة والتمرد .. وحيثما كان في السلوك : أي قاصدا أو جانحا أو حائرا بين نوازع القصد والجنوح .. والمسلم مطالب بمواجهة الطبيعة وقهرها على ارادة الخير وتعقب كل سيئة بحسنة تمحو ظلامها المادي والمعنوي ، وليست مواجهة الطبيعة هنا محاولة لكسر أصولها في النفس ، فان هذا المنزع فوق كونه قسوة بلا تبرير يبدو مصادما لطبائع الأشياء ، ولكنها مواجهة رفيقة حانية تتسلل الى اطواء الطبيعة في حكمة ووعي باقرارها على نازع القصاص أول الأمر : ( **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ) .. ثم بمحاولة قيادة هذه الطبيعة الى أفق أعلى من أفق القصاص وهو أفق الأحسان : ( **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ) .. والمسلم مطالب بالسلوك المثالي الذي هو المعطي النهائي لكل قيم الحق والخير والجمال ، والسلوك المثالي يعمل بالأيجاب والسلب معا ، هو يعمل بالأيجاب حين يدعو الى احتذائه كنموذج ، وهو يعمل بالسلب حين يشع من ذاته على الآخرين ، وهكذا كان كل الأنبياء والرسل ، كانوا يقيمون من أنفسهم نماذج حية للسلوك المثالي ، وكانوا يشعون على من حولهم من طبيعة سلوكهم الفاضل ضوء الحركة وعبير الالتزام .

واذن ففلسفة الأسلام في حفاظه على قيم الضمير ببعديها : الأيماني والسلوكي ، تعمل على مستوى الأطار الزماني والمجال المكاني والاحتمال النفسي والنمط السلوكي ، فتغطي بكل هذا الشمول كل الظاهرة الأنسانية في ترددها بين كل هذه التضاريس الهائلة الأبعاد والأعماق !!

٧

وحين نتساءل : لماذا يبذل الأسلام كل هذه المعاناة ضد الانفلات والفوضى ، تجبهنا على الفور حقيقة أن الحياة لا يمكن أن تطرد على قانون الصواب اذا هي تخلت عن منهج العدل والالتزام ، والعدل هو استواء العلاقة بين الأشياء والاحياء ، والالتزام هو وضع أمواج الحركة المادية والروحية للانسان بين شواطيء الأرقى والأنفع .. أي ان ( الوسطية ) هي منطق الصواب في منهج الأسلام ، وحيث تكون الوسطية يكون الزمان الكوني للانسان موجها الى العمل والجمام ، والى التأمل والكدح ، والى الفرح والتفكر .. وحيث تكون الوسطية تكون الطاقة الأنسانية موجهة الى المادة والروح ، والى الذات والجمع ، والى القبض والانبساط .. وحيث تكون الوسطية يكون الفهم الراشد موجها لاحتواء قضايا الدين

والدنيا ، فالصلاة عبادة ونمط تربوي ، والصوم أمانة وتثقيف اجتماعي ، والزكاة تطهير وحركة اصلاحية ، والحج فريضة ووعي بواقع الشعوب .. ولكن الوسطية لا تعني التذبذب العائم المتردد على هوامش الأشياء ، بل هي تعني المحور الذي يحرك كل الأشياء في اتجاهها الصوابي غير فاقد قدرته على دفع هذه الحركة بلا ملال .. ان كون الاسلام وسطا لا يعني أنه متردد بين الاشتراكية والرأسمالية كما يقال دائما بغباء رهيب ، لأن الأسلام فلسفة عامة تصدر عن منطق الهى شامل يقف من الكون والحياة والطبيعة والأنسان موقف المحور المحرك ـ وهذا معنى الوسطية الأسلامية ـ لا موقف الحائر المتردد بين هذه وتلك من المقولات الوضعية القابلة دائما للسقوط .. والقرآن يحدد هذا المعنى بما لا يقبل الخلاف : **( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا )** البقرة/ ١٤٣ ، ان الوسطية هنا مفهومة في ضوء وضعية المسلم من حيث كونه شاهدا على الناس ، والشهادة تعني أنه نموذج يقترب منه الآخرون ويبتعدون فيشهد أن هذا قريب من المستوى المطلوب وأن هذا بعيد منه ، لأنه الوسط المكين الشاهد على الناس !!

ـ ٨ ـ

نخلص من ذلك كله الى أن الحركة الأسلامية تمثل دعوة حضارية شاملة تتسم بقيادة التطور في كل البيئات والعصور .. وأنها تعمل في هذا المجال من خلال بعث مناطق الوعي الأيماني داخل ممالك الذات وخارج ممالك الذات .. وأنها من هذا المنطلق تشكل تحديا شاملا لمنطق الانفلات والفوضى .. وأن توجهها مسدد منذ البدء الى واقع الجدال الحياتي وليس الى فراغ التجريد .. وأن قيمة الضمير تبدأ من تحديده كنوع من العلاقة بين الأنسان والله وتستطرد لتصير نوعا من العلاقة بين الأنسان والاجتماع .. وأن فلسفة الأسلام في حفاظه على قيم الضمير تعمل في مستويات الزمان والمكان والنفس والسلوك .. وأن بذل الأسلام في هذا الصدد ينبع من قاعدة أن قانون الحياة مرتبط بمنهج الالتزام والعدل المسمى في الأسلام بقانون الوسطية الفاعلة .

وهكذا تبدو فلسفة الأسلام في هذا المجال فلسفة شمولية متكاملة ، تضيء جوانب الظاهرة الدينية والحياتية والأنسانية ، وترسل من شعاعها الهادي ـ على تعاقب الأجيال والأعصار ـ أروع قيم الحق والخير والجمال ، وستظل دائما قادرة على الأشعاع والتأصيل ووضع الأنسان المسلم في قيادة التطور الحضاري ، ان هو فهم عن اسلامه ، وحاول أن يجعل من مقولاته واقعا متحركا يمشي على الأرض ويعايش حركة الملايين !!

# قرن جديد

يظلنا ــ نحن المسلمين ــ قرن جديد ــ ينبثق معه من ضمير الحر أمل وليد ، أمل يتجاوز الحدود والقيود والسدود ، مخلفا وراءه قرنا مضى بما حوى من دموع وشموع ، وأتراح وأفراح ، ونكسات ونهضات .

ومن المعلوم أن « القرن » وحدة زمنية ليست بالهينة ــ لا في حياة الأفراد ولا في حياة الأمم . وعظمة الأمة حقيقة تتجلى في حسن تقديرها واستغلالها لكل من الزمن والامكانات التي تملكها ، كما تتجلى في نجاحها في خلق المواءمة والانسجام بين هذين الطرفين : الزمن ، والامكانات .

لكننا بتتبعنا لتاريخ أمتنا الاسلامية ، ندرك أنها قد منيت بمعوقات رهيبة ، عملت في شراسة على عدم تلاقي هذين الطرفين في حياتها الطويلة ــ وبخاصة بعد عصور النهضة الاولى . مرت بها ظروف قاسية شديدة الفتك بوحدة هذه الأمة ، فكم فرقت من شمل ،

وكم بددت من طاقة ، حتى أسدلت على الماضي المشرق سدف الظلام وستائر النسيان .

للدكتور / محمد كمال ابراهيم جعفر

# لأمل مجيد

ولولا رحمة ربك لطويت وبادت هذه الأمة كما باد غيرها من الأمم التي أنسيت ماضيها ، وفصلت عن جذورها فذوت ثم صارت حطاما تذروه الرياح .

اجل : ان رحمة الله قريب من المحسنين ، الذين كان يجود بهم الزمان بين الحين والحين ، ليذكروا الناس ، ويوقظوا الوسنان ، ويستردوا الآبق ، ويؤدبوا المتمرد ويبعثوا غافي الضمائر ، ويطهروا خبيث السرائر ، ويوقظوا الشعور بالذات العليا العزيزة المستمدة من عزة سيدها – عز سلطانه وجل شأنه .

إن هذه النفوس النبيلة هي التي حملت هموم أمتها ، وهي التي كانت دائما الضوء المنبثق في غياهب الظلمات التي خيمت على كثير من الأفراد والجماعات ، كما كانت المنبع المثر للحياة واليقظة والصحو والنهوض . وقد علمنا القرآن أن نتأمل الماضي لندرك العبرة التي تنفعنا في الحاضر والمستقبل ، سواء كان هذا الماضي يتصل بنا أم بغيرنا من بني الانسان . وهذه هي عالمية الاسلام في رحابة أفقه وسعة نظرته أليست هبة « الواسع العليم » ؟

ان الصيحات المنطلقة الآن من كل مكان منذرة بالدمار والبوار ، ما لم تقع معجزة تصد الغاشم ، وتضبط المنفلت ، لترينا مدى حاجة العالم – ونحن أولى فريق – الى رشد الاسلام ورحابة صدره ، وسمو أخلاقه ، حتى يرشد العلم ويسخر من أجل الانسان بما هو انسان لا الانسان بما هو وحش كاسر يبطش ويعربد .

إن رشد الاسلام خير من اسس الوفاق المطبق حاليا بين الكبار الذين يملكون وسائل الدمار ، تلك الأسس التي لم تنبع من نفس الطهر والنبل والسمو الذي يمكن ان تنبع من مراعاة أدب الله في خلق الله .

ولقد أظلنا الآن القرن الخامس عشر الهجري فهل نأمل أن ندع مسائل الخلاف ونبدأ صفحة جديدة ناصعة البياض ، ألم يأن لنا بعد أن ندخر طاقاتنا المبددة في هذه الخلافات والسلبيات ، لنتقدم ونستأنف حركتنا العلمية الأصيلة التي بدأها الأجداد ، وأخمدها الأحفاد بطول الرقاد .؟؟

على كل مسلم بصير أن يدرك أن عليه أن يؤدي دوره المنوط به فيما يحسن ويجيد الا فيما يثير جدلا عقيما او يلد فكرا سقيما .

على المفكرين ان يسلطوا الضوء على حقائق المنهج القرآني الواعي الى دراسة الكون واكتشاف اسراره ، واقتناص الحكمة والمنفعة اينما كانت . عليهم ان يؤكدوا للمسلم المعاصر ان النظرة العلمية المستقاة من القرآن الكريم تؤكدها وتشهد بصدقها ويقينها النظرة العلمية الحديثة الى العالم بعد طول مسار ومعاناة .

اذ لم يعد العلم يرى الطبيعة شيئا قارا ثابتا جامداً متماسكاً ، وانما أمكنه الآن ان يفسر كل شيء في ضوء الحركة والتنقل والصيرورة والتغير والتجديد ، وهي نفس الحقيقة التي أعلنها القرآن قبل ذلك بقرون طويلة .

لقد امرنا في القرآن بالحركة والسير والاستكشاف ، ووصفت لنا الظواهر الطبيعية في هذا الكتاب الكريم بالحركة الدؤوب ، التي لا تهدأ ولا تنقطع ، بل ان الحركة شملت سائر خلق الله من جن وانس وحيوان ونبات وجماد ، فالشمس والأنهار تجري ، والقمر منازل والكواكب والأفلاك تسري : **( وكل في فلك يسبحون )** يس / ٤٠ والملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، والأرض تهتز وتربو عند اصابة الماء ، بل إن **الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء** . وعلى رأس كل ذلك تقف هذه الحقيقة الكبرى المتعلقة بالخالق عز وجل . اذ هو : **( يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ) الحج / ٦١ و :**

( كل يوم هو في شأن ) الرحمن / ٢٩ .

وفي ضوء ما سبق هل يجمل بنا ان نظل جامدين عاكفين على اصنام الظن والوهم والخلاف العقيم ؟ هلا سمحنا لنسائم الاعجاز الالهي في آثار ملكه وملكوته لتهب علينا فتجدد شبابنا وتحيي هممنا ؟؟!!!

اننا اذا كنا نطالب بالحركة فانما نطلبها الى الامام ، ولا نطلبها مجرد حركة حتى وان تكن دائرية تبدأ من حيث تنتهي لتبدأ من جديد ، دون تقدم او تجدد او ازدهار .

اننا نريدها حركة مستضيئة بهدى الله المثل في قرآنه وسنة نبيه ، ومنتفعة بثمرات المواهب الانسانية التي ليست الا نفحات المحسن ، وتفضل الخالق الكريم .

فلتنطلق الطاقات الاسلامية ــ المادي منها والروحي ــ ولنعلم ان المادة سلم طبيعي الى ما وراءها ، وما وراءها هو القطب الجاذب الذي يرشد الفطر السليمة ، وتجعلها تصعد المعراج بالهام التطلع والتشوف والبحث .

ولسنا بهذا ماديين ، لأننا لا نعتقد ان المادة هي نهاية المطاف في حياة الانسان وفي نظام العالم ، ولسنا كذلك أعداء المادة ، ولا من المزرين بها ، وكيف نزري بها وهي من صنع الذي أتقن كل شيء ، فموقفنا معتدل ملتزم حكيم .

علينا في هذا القرن الوليد ان نتوخى اسس الاتفاق لسد الطريق امام المتآمرين والحاقدين ، فلا نشجع نشر المؤلفات الغاصة بالجدل والمناظرات الدينية التاريخية ، فان الاستعمار كان يفعل ذلك ، تنفيذا لخطة علمية تضمن له دوام الخلاف وتأجج الصراع بين المسلمين .

إن ديننا دين توحيد في كل شيء : توحيد الخالق سبحانه وتوحيد النفس الانسانية بتحقيق التوازن بين حقوقها وواجباتها ، وتوحيد النظرة الى الكون والانسان ، فكيف نرضى ان تظل الصراعات والخلافات تعكر هذا الجو الاسلامي الصحيح ؟؟ .

فلنبدأ لقاءاتنا خالصة لوجه الله ، ولتكن لقاءات على اسس مشتركة واقعية في كافة المجالات والقطاعات ، ولنسخر الطاقات التي نملكها في تحسين واقعنا بخطط مدروسة ونيات صافية وايجابية واعية ، ولتعكف كل مجموعة متخصصة في مجال معين على تقديم أحسن ما تتوصل اليه لتجعله متاحا لهذه الامة التي اضرع الى الله بشأنها ان يهيىء لها من امرها رشدا ، وان يجعل هذا القرن قرن احسان واجادة وتقدم وازدهار للامة الاسلامية وان يحقق فيه للعالم ما يذكره بفضل هذه الأمة التي ما أرسل نبيها الا رحمة للعالمين .

وامتثالا لهذا المبدأ الحكيم ، نلقي نظرة خاطفة على ماضينا القريب ، لندرك بوضوح أن أخطر سلاح قضى على وحدة أمتنا ونال من كيانها ، لم يكن في الواقع من خارجها ، أو من أعدائها . صحيح ان هناك أعداء كثيرين حاكوا المؤامرات ونفذوا الخطط التي تدمر هذه الأمة ، ولكن هؤلاء الأعداء لم يتمكنوا حقيقة منها الا بعد ان أعملت فيها الأسلحة الداخلية الناتجة من فقدان الوعي والتربية والبصر حتى تفرقت بددا .

ودون إسراف في الرمز والاشارة نقول ان افتك سلاح نال من وحدة هذه الأمة وتماسكها هو سلاح الفكر والنظر حيث صرف الى غير ما أريد له ، وما كان ينتظر منه .

فمما لا جدال فيه أن الفكر والنظر أثمن ما وهب الله الانسان ، ولكنهما سلاح ذو حدين ، قد يحمي صاحبه ، وقد يفتك به في نفس الوقت ، فهو وسيلة حياة وموت ورفع وخفض وتدهور وتقدم وعقم وثراء . وذلك يترتب على نوعية الفكر وطريقة استعماله والافادة منه ، كما يتأسس على المنهج المتبع في استخدام هذا الفكر ، وفي تطبيق ذلك النظر .

واذا كان الأمر كذلك ، فاننا نرى أن الامة الاسلامية قد كتب عليها أن تحبس داخل اسوار من الفكر العقيم ، والقوالب الجامدة التي كبلت العقول وحصرتها في دائرة ضيقة هي حصاد الفرق الاسلامية المختلفة .

**ان هذه الفرق الاسلامية قد جندت كل طاقاتها ، ليعمل عقلها عمل الرحاة التي لا تجرش إلا نوعا واحدا ، وصنفا فريدا بعيد الصلة عن الحياة والأحياء . ان معظمها قد حرث في الماء وفي الخيال ، ولم يحرث في الغبراء حتى نجني الثمار . لقد أوغلت في الخلافات والصراعات والمجادلات حول ما نهينا عن الخوض فيه ، وتقاعست عن العمل فيما أمرنا أن نفكر فيه .**

لقد اوصانا رائدنا وقدوتنا – صلوات الله وسلامه عليه ، بأن نفكر في خلق الله ولا نفكر في ذاته فنهلك . ومع ذلك فقد استبحنا حمى الذات والصفات ، واوسعناها بحثا وجدلا وتأويلا وتأملا يدفعنا حب الغلبة وإفحام الخصم ، فتلون تفكيرنا بما لا ينبغي إزاء قدس الذات ، ولا غرو أن يعلق أحد علمائنا على من يزعم أنه ينزه الله بالدليل فيقول : إماطة العيب – حيث لا عيب – عيب .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى تبادل الاتهامات والوسم بالكفر والالحاد والزندقة بين أهل القبلة الواحدة والاله الواحد ، مما عمق الخلاف وأحاله الى حرب ضروس .

وفرح الأعداء للفرصة السانحة

لتأريث الصراع ، لينصرف المسلمون عن الاشتغال بالكون والطبيعة ، وينحصروا في هذه الدائرة المغلقة من التفكير المجرد حول الغيبيات والمجردات والسمعيات .

هذا على الرغم مما توحي به العقلية القرآنية العلمية .

ان هذه العقلية قد ندت عنهم ، فلم يروا الا هذه الساحة التي غصت بالأوهام والظنون ـ ساحة ما وراء الطبيعة مع أنها الساحة التي أضاءها الدين وبدد شبهاتها بطريقة حاسمة ، رحمة بالانسان وتوفيرا لجهوده وطاقاته لينتفع بها في الساحة التي يأنس اليها ويقوى عليها ـ ساحة الطبيعة بما تضم من ظواهر ومرائي .

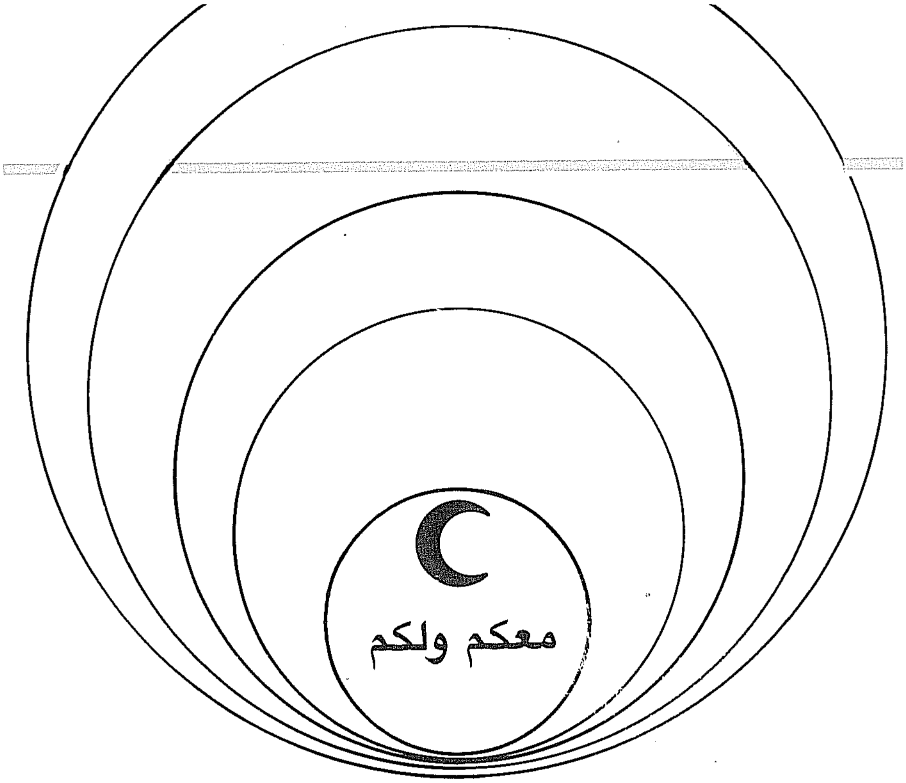
لقد نسينا أيها القارىء الكريم الدرس الذي تعلمه الأسلاف العظام من القرآن وجرينا خلف مناظرات ومجادلات وأوجه خلاف ، حول مشكلات ومسائل تجريدية لا تؤثر في دفع عجلة الحياة نحو التقدم وكشف الآيات والقوانين كما أراد الله .

إن أسلافنا تعلموا من القرآن أن هذا العالم مسخر للانسان ليحقق فيه ذاته عن طريق البحث والعمل ، كما أنه كذلك آية على الخالق ودليل على حقيقته الأبدية .

إن القرآن الكريم عني بالطبيعة عناية فائقة من حيث صلتها بالانسان الخليفة بالخالق المستخلف . فعلى الخليفة أن يدرك أن بحثه في الطبيعة ، وقراءته لأسرارها ومعرفته لنواميسها وكشفه لقوانينها إنما هو تنفيذ مخلص لمقتضيات الخلافة كما جعلها الله .

ومعنى ذلك ان ادراك اسرار الطبيعة والكشف عن قوانينها يمكن الانسان من السيطرة **عليها كتعبير عملي عن الخلافة . وهذه السيطرة لا تتم في الاسلام لمجرد التسلط وإحكام السيطرة والتحكم ، بل تتوجه لتحقيق غرض أنبل وأشرف . وهو تحرير حركة الحياة الروحية في رقيها وتساميها ، تحريرها من ذل العبودية والخضوع لغير الله . فهي سيطرة تتم مع الايمان بالخالق الاعلى الذي تعنو له الوجوه . وهذا الايمان الواعي هو الدرع الواقي من الاستعلاء والتجبر والبغي والفساد والطغيان .**

أرأيت ـ **أخي ـ كم خسرنا وخسر العالم عندما غفونا واغضينا عن النظر في الكون فحرمنا الدنيا ثمار علم يضبطه الايمان والخلق** ، وجعلناها الآن فريسة علم يعوزه الايمان والخلق أنه مارد لا تحرسه المبادىء والقيم الشريفة التي تؤكد إنسانية الانسان ، وتحرص على كرامته ، إنه الآن عربيد يتأهب بين الحين والآخر .




**بمناسبة الاحتفال بيوم الهلال الأحمر الدولي الذي صادف يوم ١٩٨١/٥/٨ الماضي يسر مجلة الوعي الاسلامي أن تنشر هذه الكلمة التي وصلتنا من أمين عام جمعية الهلال الأحمر الكويتي .**

تحتفل جمعية الهلال الأحمر الكويتي باليوم العالمي للهلال الأحمر الدولي والذي يصادف الثامن من مايو من كل عام والمتخذ له شعارا هذا العام « الهلال الاحمر معكم ولكم » تجديدا لنشاط هذه الحركة وتجسيدا لخدماتها الانسانية ، تلك الحركة التي اضاءت طريق الانسانية في وقت امتهنت فيه كرامة الانسان وتعرضت الانسانية لمحنة كبيرة .. فكانت هذه الحركة بمثابة النور الذي بدد الظلام في وقت ابتعد فيه الناس عن التمسك بدينهم ونسوا او تناسوا المباديء والقيم التي نادى بها الأنبياء والرسل .. لذلك لقيت هذه الحركة الانسانية كل التجاوب وانتشرت بين شعوب العالم وهي الأن متمثلة فيما يزيد على ١٢٥ جمعية وتضم ما يزيد على ٢٣٠ مليونا من المتطوعين .

ومما هو جدير بالذكر ان قيام جمعيات الأسعاف كان في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اوروبا في وقت سادت فيه الصراعات الدموية بين الشعوب ، وفي وقت تعرض فيه الانسان لشتى

الوان الالم والعـذاب وكان بأمس الحاجة الى من ينادي بتخفيف آلامه واحترام انسانيته وكرامته وحريتـه وحقه في الحياة الكريمة القائمة على العدل والمساواة .

ولمولد هذه الجمعيات قصة بطلها رجل يدعى هنري دونانت سويسري الجنسية هو مؤسس تلك الجمعيات ، وكانت حرفته التجارة وقد استقر به المقام في الجزائر حيث واجهته بعض الصعوبات في ممارسة تجارته ولذلك قرر التوجه ليشكو الى نابليون الثالث امبراطور فرنسا آنذاك ليجـد حلا لمشاكله في الجزائر وكان ذلك في عام ١٨٥٩ ، وفي الطريق الى فرنسا ساقه القدر ليشهد بطريق الصدفة معركة من اشرس المعارك التي قامت في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اوروبا وهي معركة ( سولفرينو ) في شمال ايطاليا والتي قامت بين الجيوش الايطالية وحلفائها الجيوش الفرنسيـة من جهـة والجيـوش النمساوية من جهة اخرى والتي راح ضحيتها ما يقارب الاثنين والاربعين الف قتيل وقد استرعى انتباه دونانت المشاهد الدامية التي خلفتهـا هذه المعركة .. الوف الجنود ينزفون وليس هناك من يحاول انقاذ حياتهـم ، والوف اخرون يموتون جوعا وعطشا وليس هناك من يحاول ان يقدم لهم الماء والغذاء .. وعندئذ قام هنري دونانت بدوره الانساني التاريخـي حيث قام بتوجيه نداء لأهالي القرى المجاورة ليقدمـوا كل عون ممـكن لضحايا المعركة وقام هو معهم بالعمل الجاد في ساحة المعركة من ضماد لجروح المصابين وعـلاج للمـرضى وتقديم الغذاء والماء والكساء .. الكل يعمل لخدمة الضحايا دون اية تفرقة أو تمييز بينهم سواء كانوا من بلدهم او من اعدائهم وهذه هي اهم القيم الانسانية التي تمكن دونانـت من غرسها في نفوس الناس التي هبت لمعاونة جرحى المعركة وانتهت المعركة ولكن دونانت لم يتوقف عن دعوته للمباديء الانسانية التي أوحتها له المآسي الدامية التي شاهدها وقـد شجعه على ذلك ما أحرزه من نجاح فيما قدمه من خدمات قيمة لضحايا الحرب ولذلك عكف على تأليف كتابه الشهير « ذكرى معركة سولفرينو » والذي صدر في جنيف عام ١٨٦٤م وقد نادى فيه بتحقيق امرين هامين يعتبران اساسا لهـذه الجمعيـات وهما :

١ ـ تأسيس جمعية اسعاف في كل دولـة لمساعـدة الجرحـى والمرضى والاسرى .

٢ ـ عقد اتفاق دولي تتعهد جميع الدول بموجبه بتوفير الحماية والعون لجرحى الحرب ولجمعيات الاسعاف والاغاثة .

ولقد لقيت دعوة دونانت استجابة دولية لما تضمنته من معان إنسانية نبيلة ، وقـد تحقـق إنشـاء هذه الجمعيات في مختلف دول العالـم للعنايـة بجرحـى وأسرى الحـرب بصورة خاصة بالاضافة الى تقديم الخدمات الانسانيـة والاجتماعيـة للانسان بصورة عامة .

وبالنسبة لعقد الاتفاقية الدولية فقد شكلت لجنة في سويسرا في عام ١٨٦٤م وقامت هذه اللجنة بوضع أول قانون لحماية الجرحى والمرضى من افراد القوات المسلحة وكان هذا القانون هو نواة اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ والتي وقعتها دول العالم أجمع .

ولقد ذكرنا فيما سبق ان هنري دونانت هو مؤسس تلك الجمعيات الدولية عام ١٨٦٤م وهذا يدعونا الى التساؤل هل كان هذا الرجل هو أول من نادى بهذه المبادىء الانسانية ؟ والجواب بكل تأكيد لا .. لأن الأديان السماوية قد سبقت الدعوة الى هذه المبادىء والقيم وكان اخرها الدين الاسلامي الحنيف الذي سبق دعوة هنري دونانت بأكثر من الف عام وقد كرم الاسلام الانسان وميزه على سائر المخلوقات بقوله تعالى : ( **لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم** ) التين/٤

والدين الاسلامي هو دين السلام وكانت نظرته للحرب هي لدفع العدوان وليس لمجرد الاقتتال ، قال تعالى :

( **ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين** ) البقرة/١٩٠ ، ١٩١ .

ولقد كان الاسلام سباقا الى الحث على عون المسكين واليتيم والاسير ، قال تعالى : ( **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا** ) الانسان/٨ .

وكان عليه الصلاة والسلام يحث على الاحسان الى الاسرى ومد يد المساعدة اليهم ويروي انه عندما اسر الصحابة ثمامة بن أثال الحنفي امرهم الرسول عليه الصلاة والسلام ان يحسنوا اليه ثم ذهب الى اهل بيته فأمرهم ان يجمعوا ما عندهم من طعام ليرسله الى الاسير ثمامة ، ثم امر ان تحلب ناقته ويرسل حليبها الى ثمامة .

كما يروي البخاري ان العباس بن عبد المطلب عندما اسر في بدر امر له الرسول عليه الصلاة والسلام بثياب تستره وتدفع عنه تقلبات الجو المختلفة ليلا ونهارا .

وقد كان احتجاز الاسرى يتم في المسجد ، والمسجد مكان طاهر نظيف تتوفر فيه كافة الوسائل الصحية والرعاية الاجتماعية ، وهكذا كانت رعاية الاسلام للاسرى .. وقد فاقت كل رعاية على مر العصور ، ولم يحدث في تاريخ المسلمين ان لقى اسيرهم الجوع او التعذيب او البرد او العطش أو الذلة او القهر او الغدر كما نسمع في أيامنا هذه .. لقد كان الاسلام يحترم انسانية الاسرى فلا يلقي بهم في الاقبية المعتمة او المعتقلات المظلمة ليموتوا جوعا وعطشا ومرضا ولا يعذبون بأي نوع من انواع العذاب التي نسمع عنها هذه الايام بما يأباه الضمير الانساني .

ويجدر بنا في هذه المناسبة ان نذكر وصية سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه لجيوش المسلمين المتجهة الى الشام بعد وفاة الرسول صلى الله

عليه وسلم « لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا » .

كما حث سيدنا عمر بن الخطاب جنود المسلمين اثناء دخولهم القدس على حماية الارواح والممتلكات والكنائس ومنح حرية العبادة للقاطنين في هذه البلاد مصداقا لقوله تعالى : **( لا اكراه في الدين )** البقرة/٢٥٦ ، وقوله تعالى : **( لكم دينكم ولي دين )** الكافرون/٦ .

ومما تقدم يبين بجلاء ان الدين الاسلامي الحنيف هو دين الاخاء والمحبة والسلام وقد وضع للبشرية اسمى المباديء في علاقة الانسان بأخيه الانسان في السلم والحرب وهذه المباديء والقيم صالحة لكل زمان ومكان ولو ان شعوب العالم اتبعت تعاليم الاسلام لما تعرضت البشرية للدمار والخراب على مر الزمان .

وجمعية الهلال الاحمر الكويتي التي أسست عام ١٩٦٦ حملت من يوم تأسيسها لواء الخير والعمل الطيب والتعاون بين الانسان على ارض الكويت الطيبة واخيه الانسان في كل موقع ومكان ، فكانت هذه الجمعية انعكاسا لتطلع الكويت الى مشاركة الشعوب الاخرى في زرع الخير والمحبة والتعاون ، فهي جزء من سيرة انسانية عالمية تعمل جميع الجمعيات المنضمة اليها بتعاون وتكاتف لتمسح عن جبين الانسانية بعض متاعبها ، وتواسي بعض آلامها لتعم بسمة الحياة الكريمة كل الوجوه .

وفي هذه المناسبة تود جمعية الهلال الاحمر الكويتي ان تشير الى الخدمات العديدة التي قامت بها داخل البلاد وخارجها في مختلف المناسبات فقد لبت الجمعية نداء الواجب لمساعدة المتضررين في حوادث السيول والفيضانات والزلازل والبراكين في مختلف انحاء العالم وبصفة خاصة في الدول العربية والاسلامية الشقيقة مما جعلها في مقدمة الجمعيات في العالم .

ففي داخل البلاد قامت الجمعية بدور كبير في مجال الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية وركزت على الدورات التدريبية على الاسعافات الاولية والخدمات الاجتماعية والتي تخرج منها ( ٥٨٦ ) متطوعاً و ( ١٧٣ ) متطوعة بالاضافة الى الدورات التدريبية على اعمال الاسعافات الاولية لطلبة وطالبات جامعة الكويت وما قامت به الجمعية من خدمات في مراكز الاسعاف التي اقيمت على الشواطيء .

وفي موسم الحج والاندية الصيفية ، وطبع ونشر الكتيبات الخاصة بمباديء الهلال الاحمر والاسعافات الاولية ، وفي مجال الخدمات الاجتماعية أقامت الجمعية العديد من الدورات على اعمال التفصيل والخياطة ، كما قامت بواجبها نحو المرضى والاطفال والعجزة والمحتاجين بصفة عامة .

قصة إسلامية

# الهجرة

للاستاذ عبد اللطيف فايد

لم يشهد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم جمعا حافلا من الصحابة مثل ما شهد في هذا اليوم ، فبعد ان فرغ الجميع من صلاة العصر جلسوا امام النبي صفوفا يستمعون منه آخر ما نزل من آيات القرآن الكريم ، ويستعيدون مبادئ للاسلام يلتزمونها ، ويسيرون بها بين الناس هداة مرشدين ..

ومع هذا الاصيل توافد على المسجد عدد كبير من المسلمين ممن لم يدركوا صلاة العصر مع النبي ، أقبلوا يعوضون ما فاتهم من فضل الجماعة بحسن الاستماع الى اقواله ، وما سن الله من قواعد يسيرون عليها في دنياهم ، فتكون نورا على الطريق لهم ، ولمن يأتي بعدهم من الاجيال الى يوم الدين ؛ إن أخذوا بها لن يضلوا ، ولن يتخلف عنهم نصر مهما كان بعيد المنال .

وقبل ان تغرب شمس هذا اليوم كان المسجد قد ضاق بمن توافدوا عليه ، فافترشوا من حوله ، وأعطوا آذانهم لصوت النبي الذي ينساب كأنه الماء العذب يروي



الظامئين ..

وخلال وقفة في أحاديث النبي التي تناولت شئونا كثيرة مما يهم المسلمين ، أفسح الناس طريقا لقادم جديد ، وقد وضح من اهتمامهم به وهم يفسحون له ، أن له شأنا بينهم كبيراً ..

لقد كان هذا القادم هو « ابن اللتبية » رجل من الأزد استعمله النبي على جمع اموال الزكاة من

المسلمين لتودع في بيت المال ، ينفق منهـا على الفقـراء والمسـاكين ، ويستعين منها على استكمال حاجة الجيوش المحاربة في سبيل الله ، ثم ليشق للناس طريقا ، او يزرع لهم نخلا ، او يبتاع ابـلا يشربـون لبنها ، ويأكلون لحمها .. إلى غير ذلك مما يحقق للمسلمين الكفاية والمنعة ، ويوفر على الفقراء منهم سؤال الأغنياء ..

* * *

وكان ما جمعه « ابن اللتبية » من أموال الزكاة شيئاً كثيراً ، فقد اشتهر هذا الرجل بمعرفة اسرار الثروات ونمائها وهو يعرف جيدا هذه الأرض وكم أثمرت من خير ، وهذه التجارة وكم حققت من ربح ، فالانباء تصل اليه من كل مكان عن المطر الغزير ، وأين نزل وحقق لمساحات من الأرض غلة اكثر من غيرها شحت عليهـا السمـاء ، ويتوافد الناس عليه من الاسواق يخبرونه عن التجارة كم كسبت وكم خسرت ..

ولقد استعمله النبي على جمع الزكاة بعد ان استيقن أنه يعرف حدود الله في أموال الناس .. فهو يعلم كم نصيب الزكاة في الزرع والثمر ، وكم نصيبها في الأبـل والغنم والشاه ، وكم نصيبها في الذهـب والفضـة ، وفي مال التجارة ..

ومن طول الممارسة برع الرجل في تقسيـم الأمـوال وفرزهـا ، واستخلاص العشـور وأنصـاف العشور وأرباعها ، حتى لا يضيع درهم واحد من حق بيت المال ، وحتى لا يغالطه شحيح بماله ، فينتقص درهما أو دينارا من هذا الحق الـذي فرضـه الله طهـرة للمال ، وزكاة له ، ونماء فيه ..

وضع الرجل بين يدي النبي ما جمع من هذا المال : هذه أكياس الذهب ، وأكياس الفضة من أموال مضت عليها سنة وبلغت نصاب الـزكاة .. وفي خارج المسجـد تكدست أكوام الثمـر والحنطـة والشعـير من زكاة ما أخرجـت الأراضي المثمرة .. وعلى جانب آخر وضعت في القيود إبل وغنم وماعز جمعها الرجل من التجار والأثرياء بحنكته في معرفة ما يجمعون ، وما يكسبون ..

وفرز النبي كل هذا المال الذي صنفه جامع الزكاة ، لا يختلـط فيها صنف بصنـف ، ولا ينسى الرجل ان يقول للنبي لقد اخذت كذا دينارا من الذهب من آل فلان ، وكذا درهما من الفضة من بني فلان .. امـا هذه الابـل السمينـة فقـد استحقت في تجارة جاءت من الشام او اليمن لهذا الصحابي أو ذاك .. ولم ينس كذلك أن يذكر له أن بني فلان كانت زكاتهم مائة أوقية من الذهب فزادوا مثلها ، وأن بني فلان أعطوه زيادة على ما فرض الله في أموالهم ألف دينار ، وأن بني فلان

زادوا خمسمائة فقط ، وأن بني فلان أعطوا الحق بلا زيادة عليه .. أما بنو فلان فقد وضعوا أمامي كل أكياسهم وقالوا : خذ منها ما شئت ، فالمال مال الله ، وأولى به أن ينفق في مصالح المسلمين ..

ويذكر الرجل للنبي غير ذلك مما يدل على دقة معرفته بأسرار عمله واستيعابه لكل جوانب وظيفته ، وهو على استعداد لتحقيق أية مظلمة لأحد من المسلمين يشكو فيها اعتسافا وقع به ، أو تزيدا حدث حين احتساب زكاة ماله ..

* * *

كانت البسمة لا تفارق وجه النبي ، وهو يرى ويحصي مع « ابن اللتبية » ما جمع من حقوق بيت المال .. لقد كان ما جمعه هذا الرجل شيئا كثيرا ، يدل على رخاء أفاضه الله على أمة صدقت برسالة خاتم الأنبياء ..

ثم أشار الرجل إلى جانب آخر من المال ، وقال للنبي : أما هذا فقد تلقيته هدايا من الناس ، وأنا أجمع حقوق بيت المال .. فهو لي .. أما ما مضى فهو لكم ..

وفجأة احتقن وجه النبي ، وارتسمت على ملامحه سمات الغضب .

وأدرك المسلمون من حوله سر هذا التغير الذي أسرع به إلى منبر المسجد وهو ينادي في صحابته أن اجتمعوا أيها المسلمون ..

الأمر هام وخطير .. فهذا الجمع من الناس آمن بالنبي حين آمن ليس طلبا لثراء أو جاه ، أو طمعا في مال يستعملهم عليه صاحب الرسالة ، وإنما باعوا أنفسهم لله ولرسوله ولهذا الدين الجديد ، ينشرونه في الأرض بأموالهم وأرواحهم وعيالهم .. بل إن الذين هاجروا منهم من مكة إلى المدينة هاجروا بالدين وحده ، وتركوا أموالهم هناك نهبا للكافرين .. وأي استغلال لعمل أو انتفاع خاص بسببه هو على الحقيقة مناف لطبيعة هذه الرسالة ، ومبادئها ، وتعاليمها ..

وصعد النبي المنبر .. والمسلمون أمامه وقد احتشدوا ملتصقين حتى تجمعهم كلهم جدران المسجد فيتاح لهم السماع عن قرب لما سيقوله النبي ..

ومضت لحظة سكت فيها الجمع كأن على رءوسهم الطير ..

وتكلم النبي عن دستور الوظيفة في دولة المسلمين .. فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال : « اما بعد .. فاني أستعمل رجالا منكم في أمور مما ولاني الله ، فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم ، وهذه هدايا أهديت إلي ، فهلا جلس في بيت أبيه ، أو بيت أمه ، فينظر أيهدى إليه أم لا ، ! .. والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته » .

ثم أمر بالهدايا جميعها .. فضمها إلى بيت المال .

## باقلام القراء

جاءنا من الاخ خضر سليمان عبد السلام ـ من السودان مقال تحت عنوان

## العين ـ ادلة وبراهين ورد على المنكرين

**يقول فيه :**

هذا الكون الفسيح الذي لا يعلم قدر اتساعه الا الله عز وجل وحده ملىء بالأسرار والعلوم والعجائب وكلما توغل البشر في معارفه وكشف اسراره يوما بعد يوم كلما وجدوا محيط العلوم واسعا عميقا الى ما لا نهاية مادية كانت ام غير مادية .. وهذه الاسرار التي تم اكتشافها ضئيلة جدا « **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** » ونحن نؤمن بان كل المخترعات قديمها وجديدها كانت على نظام الأسباب والمسببات وجرت على سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير ، هناك مكتشفات مرئية محسوسة .. وهناك مكتشفات مؤثرة لا نراها رأى العين كالاشعة الكونية وغيرها ويحظى عالم المادة بايمان الناس اجمعين خلاف عالم الروح الذي آمن به البعض وكفر به البعض وتردد فيه الأكثرون في ريبهم كتأثيرات النفس الخبيثة « الاصابة بالعين » والسحر والتنويم المغناطيسي وعالم الملائكة والجن ولعل اكثر المجالات انتقادا وشكا ما نتناوله في مقالنا هذا وهو النفس الخبيثة « الاصابة بالعين » فمن المسلمين من يؤمن بها ومنهم من لا يؤمن بها ولعلنا بهذه السطور نبين الحقيقة والله الموفق :

ولقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كما رواه البخاري ـ ان قال : العين حق ونهى عن الوشم . وذكرت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تسترقي من العين . وعن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة « يعني صفرة » فقال : استرقوا لها فان بها النظرة . وفي سنن أبي داوود : ان عائشة رضي الله عنها قالت ، « كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين » .

وركب سعد بن ابي وقاص يوما فنظرت اليه امرأة فقالت : ان اميركم هذا ليعلم

انه اهضم الكشحين ، فرجع الى منزله فسقط فبلغه ما قالت المرأة ، فأرسل اليها فغسلت له . قال الاصمعي : رأيت رجلا عيوناً سمع بقرة تحلب فأعجبه شخبها فقال : ايتهن هذه ؟ فقالوا : الفلانية لبقرة اخرى يورونها عنها ، فهلكتا جميعا .. المورى بها والمورى عنها .

يقول تعالى في سورة يوسف إخبارا عن يعقوب عليه السلام : « **وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون** » .

قال القرطبي في « الجامع لاحكام القرآن » عند تفسير الآية الكريمة : لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين فأمرهم الا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها اربعة ابواب وانما خاف عليهم العين كونهم احد عشر رجلا لرجل واحد وكان اهل جمال وكمال وبسطة ، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم . واذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين والعين حق .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة ، وانكر الجبابي العين وهو مردود بما ذكرنا . أ هـ

وقد اكد قدرة بعض العيون على الايذاء الاستاذ المرحوم / محمد فريد وجدي في تفسيره للآية الكريمة فقال :

ان لعيون بعض الناس قدرة على الايذاء وهذا التأثير مظهر قوة نفسية عظيمة لا يجعلها مكروهة الا انصرافها الى الشر واما هي في ذاتها فقوة من اعجب القوى .

وقد اسهب الامام الشيخ ابن قيم الجوزية في كتابه الجامع « مدارج السالكين » في هذا الموضوع اسهاباً وافياً فيقول : ومنهم في نفسه على نفوس ذوات السموم والحمات كالحية والعقرب وغيرهما وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه فيدخل الرجل القبر والجمل القدر ! والعين وحدها لم تفعل شيئا وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع شدة حسد واعجاب وقابلت المعين على غرة منه وغفلة وهو اعزل من سلاحه فلدغته كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الانسان فتنهشه فاما عطب واما اذى ولهذا لا يتوقف اذى العائن على الرؤية والمشاهدة بل اذا وصف له الشيء الغائب عنه وصل اليه اذاه والذنب لجهل المعين وغفلته وغرته عن حمل سلاحه في كل وقت فالعائن لا يؤثر في شاكي السلاح كالحية اذا قابلت درعاً سابغاً على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف فحق على

من اراد حفظ نفسه وحمايتها ان لا يزال متدرعا متحصنا لابسا اداة الحرب مواظبا على اوراد التعويذات والتحصينات النبوية التي في السنة والتي في القرآن .

والمؤسف ان الذين ينكرون هذا لا يدعمون انكارهم بالحجج والبراهين رغم جهلهم من الاسرار الكامنة في النفس البشرية وقد اثبت العلم الحديث بعض هذه الاسرار واجريت التجارب عليه وتيقن العلماء الماديون من بعضها كالتنويم المغناطيسي والاتصالات من بعد سحيق ولقد بدأ بعض الماديين يتراجعون ويجرون تجاربهم وينشرون ابحاثهم .

يقول ابن القيم الجوزيه رحمه الله في كتابه « زاد المعاد في هدى خير العباد » « فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل امر العين وقالوا : انما ذلك اوهام لاحقيقة لها وهؤلاء من اجهل الناس بالسمع والعقل ومن اغلظهم حجابا واكثفهم طباعا وابعدهم معرفة عن الارواح والنفوس وصفاتها وافعالها وتأثيراتها وعقلاء الامم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع امر العين ولا تنكره وان اختلفوا في سببه ووجهة تأثير العين فقالت طائفة ان العائن اذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر قالوا : ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الافعى تتصل بالانسان فيهلك وهذا امر قد اشتهر عن نوع من الافاعي انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فكذلك العائن .

من هنا يتضح ان التحصن صباح مساء امر لازم للوقاية فمن التحصن : قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي والتعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، ونحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ومنها اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون ومنها رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم : باسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس او عين الله يشفيك باسم الله ارقيك .

ان تأثير العين ربما يكون اطيافا مجهولة وفي عالم المادة اثبت العلم الحديث انه بواسطة الموجات الصوتية يمكن تفجير القنابل من مكان بعيد وتوجيه السفن الفضائية وتمكن المنوم المغناطيسي ان يؤثر عن طريق المحادثة التلفونية وقد تبين مما سبق ان أمر « العين » ثابت في الكتاب والسنة وهما المصدران الاساسيان للاسلام ورغم ما سبق فقد اوصى الاسلام بالتوكل على الله سبحانه وتعالى ولا طيرة و هامة وامر بالذكر المتواصل . لقد اردت من هذه السطور اثبات ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا ينفي ذلك احد دون حجة ولا برهان .

# موقف الاسلام من أعدائه

**وردتنا كلمة بعنوان : موقف الاسلام من أعدائه للأستاذ: أحمد محمد دحلوب نقتطف منها ما يلي :**

قال الله تعالى ( **ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** ) الاسراء/ ٩ .

كتاب الاسلام الخالد الذي لم يدخله تحريف ولا تبديل فهو نور ، يقول الله تعالى ( **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ) التغابن/ ٨ . ( **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ) المائدة/ ١٥ .

نزل الكتاب وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل اخراج الناس من الظلمات الى النور ( **الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** ) ابراهيم/ ١ .

بالقرآن ارتقت أمة الاسلام وأخذت مكانها فوق قبة الفلك .. واعتصمت بحبل الله وتوحدت وأصبحت كالجبال الرواسي لا تؤثر عليها الرياح وزال ما بها من شقاق كان المسلم ينتقل من مكان الى مكان ويرتحل من بلد الى أخرى ويهبط ويصعد من أدنى البلاد الاسلامية الى أقصاها شرقا وغربا وكأنها بلد واحد بلا حدود أو مواقع ذلك لأن هذه الأرض التي يسير عليها أشرق فيها نور التوحيد . وارتفعت عليها راية الله ، ويوم أن حكمت الأمة بالقوانين الوضعية ، وصعرت خدها لكتاب ربها ، انغمست في فلول الدجى .

وان القلب ليبكي دما في هذه الآونة حينما يرى الفرقة ضاربة أطنابها بين شعوب الأمة الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

فهل آن الأوان للأمة الاسلامية أن تنفض عن نفسها عوامل الشقاق والفرقة وتنبه الى ما يحاك لها من الخطوب المدلهمة والمحن القاسية ، وهل آن الأوان لأن تستضيء الأمة الاسلامية بكتاب ربها .

والنتيجة الحتمية لتفرق المسلمين وقع العالم الاسلامي في براثن الاستعمار الذي عرف أن الاسلام هو سر قوة الشعوب الاسلامية .

وكم خسر المسلمون في أرتيريا وفي أفغانستان وفي بورما والفلبين التي سقط على أرضها آلاف المسلمين ضحايا الغدر والخيانة . هذه المحن التي نزلت بالمسلمين انما سببها البعد عن تعاليم الاسلام ومجاملة الأعداء والارتماء في أحضانهم . وقد نهانا الله عن طاعتهم والانقياد لباطلهم فقال تعالى :

( **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة** )

## ماذا يريد الشباب من حكامهم

**وصلتنا من الندوة العالمية للشباب الاسلامي الكلمة القيمة التي وجهها الأخ الدكتور ( أحمد عبدالقادر باحفظ الله ) الأمين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامي الى قادة العالم الاسلامي في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد في مكة والطائف في ربيع الأول ١٤٠١هـ وكان بودنا نشرها كاملة لكن ضيق المجال دفعنا إلى أن نقتطف منها الآتي :**

يا أخوة الاسلام ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن لقاءكم الميمون هذا في أقدس بقعة وأطهر مكان في رحاب بيت الله الحرام يفتح أوسع أبواب الأمل أمام شباب الاسلام ... إن شباب الاسلام يتطلعون إليكم وأنتم في منازل الوحي ومهاد الايمان تخططون وتقررون مستقبل الأمة يملؤهم الرجاء في أن يحظوا بالمزيد من كريم العناية بهم ليظلوا كالعهد بهم حراس العقيدة في مواجهة تيارات الكفر والالحاد والاباحية .. ويتطلع شباب الاسلام إلى أن تتمثل رعايته في أوطانه بالآتي :

- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى كل لغات العالم .
- ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة إلى كل لغات العالم الاسلامي وأمهات لغات العالم .
- افتتاح معاهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .
- جعل العربية لغة ثانية تدرس في جميع الدول الاسلامية غير العربية .
- رعاية النابغين من أبناء المسلمين .
- انشاء النوادي الاسلامية المتعددة الأنشطة .
- إقامة بيوت للشباب المسلم في جميع أنحاء العالم .
- العناية باقامة المخيمات الشبابية الاسلامية .

● الاهتمام بالكتاب الاسلامي الجيد وترجمته الى لغات العالم الاسلامي وأمهات اللغات العالمية .
● العناية الفائقة بالوسائل المرئية والمسموعة رعاية للشباب المسلم وفق عقائد الاسلام .
● دعم المنظمات الشبابية الاسلامية من خلال منظمة المؤتمر الاسلامي وعبر المنظمات المتخصصة في شؤون الشباب المسلم .

**وتناشد الكلمة قادة المسلمين :**

يود شباب الاسلام في العالم أن يناشدكم إتاحة كل الفرص أمام شباب الاسلام للقيام بواجب الدعوة الاسلامية .. وأن تولوا الكثير من الرعاية لشباب الأقليات الاسلامية وأن تتخذوا قرارا بصبغ التعليم في جميع مراحله بالروح الاسلامية .. وأن تحشدوا كل الطاقات في سبيل عزة ورخاء الشعوب الاسلامية .

## ردود سريعة

○ **الاخ المعتز بالله محمد البرنوجي المغرب** يأمل بتعريفه كيفية الاشتراك في المجلة وكيفية الحصول على الاعداد السابقة للمجلة ويرجو احالته على اهم المؤسسات والجامعات العلمية في الكويت لمتابعة الدراسة .

ـ لا توجد اشتراكات في المجلة ويمكنكم الحصول على اعداد المجلة بالاتصال بشركة الخليج لتوزيع الصحف ( وعنوانها ص . ب ٤٢٠٥٧ الشويخ الكويت ) اما بالنسبة لباقي السؤال فليس لدينا علم بامور الجامعات ويمكنك الاستفسار عن ذلك من القسم الثقافي في السفارة الكويتية في الرباط .

○ **الاخ شلهبوني جميل من المغرب** يأمل بان تتصدى المجلة باستمرار للمواضيع التي تعالج انحراف الشباب المسلم وانخراطه في الاحزاب غير الاسلامية الشرقية والغربية والتصدي لكل المحاولات التي تحاول النيل من الاسلام والمسلمين .
ـ لقد تصدت المجلة باستمرار في اعدادها السابقة لمثل هذه المواضيع وسنعمل دوما باذن الله على تحقيق ذلك .

○ **الاخ الاستاذ حامد ديدان محمد بريمة السودان** ، شكرا على موضوعك الذي ينم عن الم عميق بسبب الفساد المستشري في المجتمع وندعوك الى العمل مع اخوانك للوقوف سدا منيعا امام هذا الانحراف

# مع صحافة العالم

## جولة اسلامية واسعة قام بها مدير الشؤون الاسلامية بالوزارة في ١٤ مدينة وولاية اميركية

**نشرت جريدة السياسة الكويتية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨١/٥/٤ هذا الحديث الصحفي للسيد عبدالله العقيل مدير الشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية جاء فيه :**

عاد مدير إدارة الشؤون الاسلامية عبدالله العقيل من الولايات المتحدة الاميركية بعد جولة استغرقت قرابة الشهر بتكليف من وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية احمد سعد الجاسر لحضور مؤتمر التربية الاسلامية بمدينة فيلادلفيا وقد شملت زيارة الشيخ العقيل ١٤ مدينة وولاية في اوسع جولة اسلامية يقوم بها مسؤول إسلامي في الولايات المتحدة حتى الان وذلك للاطمئنان عن احوال واوضاع المسلمين هناك ، وقد شملت هذه الزيارة كلا من نيويورك ونيوجرسي وجرسي ونيوا وليانز وفلادلفيا وشيكاغو وملاواكي ، وديترويت ، وسياتل ، وسان فرنسيسكو وديفز وسكرمنتو وفرزنو ولوس انجلوس .

هذا وتحدث العقيل في ندوة صحفية قال فيها ان زيارته لنيويورك شملت المركز الثقافي الاسلامي والمركز الاسلامي الاميركي وجمعية الطلبة المسلمين حيث اجتمع بمسؤولي المراكز والجمعيات والقى عدة ندوات ومحاضرات كما اجتمع في نيوجرسي بمسؤولي جمعية الطلبة المسلمين ، وجمعية عباد الرحمن ، وجمعية المركز الاسلامي والقى عدة محاضرات تتعلق بالدعوة الاسلامية .

واضاف الشيخ العقيل بانه اجتمع في جرسي بالقائمين على جمعية الطلبة المسلمين ، والمركز الاسلامي ومسجد المؤمنين ، وتحدث في جموع المسلمين في كلمات القاها بمناسبة زيارته .

ثم انتقل بعد ذلك الى فيلادلفيا لحضور مؤتمر التربية الاسلامية حيث القى كلمة اشار فيها الى « اهتمام وزارة الاوقاف بمثل هذه المؤتمرات التي تريد من ورائها ترسيخ المفاهيم

الاسلامية ، والانطلاق في مناهج التربية وفق التصور الاسلامي الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم للتغلب على مشكلات الحياة وقضايا العصر والذي لا بد من خلال هذا التصور الاسلامي ان نقيم التوازن بين الروح والمادة لان الاسلام دين وسط يستهدف اسعاد البشرية واقامة بنيانها على المنهج القرآني الكريم بما يجعل الانسان يعيش في هذه الحياة شريفا كريما . وقال لقد بارك هذه التوجهات التي يضطلع بها المسلمون في الولايات المتحدة والتي تتواكب مع هذا المد الاسلامي والصحوة الاسلامية التي تنتظم العالم الاسلامي كله . مطالبة بعودة المسلمين الى دينهم والتزام شريعة الله في احكامهم ومعاملاتهم .

وكان قد حضر هذا المؤتمر وفد من الافتاء السعودي ومندوبون من جامعات المملكة العربية السعودية وجامعة الاسكندرية ومن الهند وباكستان ومن جامعة الشرق الاوسط في شيكاغو وعدد من الجامعات الاميركية .

وقال العقيل انه قام بمتابعة جولته بعد حضور المؤتمر فزار شيكاغو والتقى بالمسؤولين هناك عن مؤسسة المسجد في جنوب شيكاغو والتي يقطنها حوالي ٥٠ الف فلسطيني وبمسؤولي المركز الثقافي الاسلامي والمركز الاسلامي وسط شيكاغو وجماعة المسلمين البلاليين ، ومركز الجالية الاسلامية والجمعية الثقافية وجمعية الطلبة المسلمين حيث التقى بجموع المسلمين في خطب الجمعة ونداءات اخرى وكلمات اسلامية شرح فيها الوسائل التي يمكن بواسطتها تماسك المسلمين وتوجههم نحو دعوتهم الاسلامية .

وانتقل بعد ذلك الشيخ العقيل الى ( مالاواكي ) حيث زار المركز الاسلامي وجمعية الطلبة المسلمين ومسجد الجامعة هناك والقى عدة كلمات بالمسلمين .

اما في سياتل فقد قام بزيارة المدرسة الاسلامية وجمعية الطلبة المسلمين والقى كذلك عدة محاضرات اسلامية ، والتقى بمسؤولي المدرسة والجمعية ، كما التقى كذلك في سان فرانسيسكو برئيس المركز الاسلامي ومسؤولي جمعية الطلبة المسلمين والقى هناك كلمة دعا فيها الى الحفاظ على الخطوات التي حققتها الدعوة الاسلامية في الفترة الاخيرة .

وقام بعد ذلك بزيارة الى ديفز حيث زار هناك جمعية الطلبة المسلمين وحاضر هناك في سمو الدعوة الاسلامية .

وفي سكرمنتو قام بزيارة الى جمعية الطلبة المسلمين ومسجد الجامعة والقى خطبا متعددة حول الدعوة الاسلامية .

وانتقل الى فرزنو حيث زار المسجد وجمعية الطلبة المسلمين واختتم زيارته في لوس انجلس وقام هناك بزيارة المركز الاسلامي وجمعية الطلبة المسلمين .

ثم اجاب الشيخ العقيل على سؤال حول انطباعاته في هذه الزيارة

العريضة عن احوال المسلمين فقال :
● ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تولي عنايتها للجاليات الاسلامية في كل انحاء العالم ومنها الولايات المتحدة الاميركية والتي يبلغ تعداد المسلمين فيها اكثر من مليوني نسمة التقيت تقريبا بممثليهم في هذه الجولة بمن فيهم من المسلمين الاميركيين ، وقال ان في ديترويت لوحدها تجد جالية عربية ضخمة معظمها من اليمن ويصل تعدادها الى قرابة ٦٠ الف مسلم ، وكذلك في شيكاغو حيث يوجد ما يقرب من ٥٠ الف ومعظمهم من بلاد الشام ومن فلسطين ويوجد في نيوجرسي ٢٠ الف مسلم من مصر هذا فضلا عن الجاليات الاسلامية غير العربية والتي توطنت في مختلف الولايات المتحدة مضافا اليها ما يقرب من ١٥٠ الف طالب مسلم يتلقون العلم هناك منهم ١٥ الف من السعودية و٨ آلاف من ليبيا و٣٠٠٠ من الكويت بالاضافة الى دول الخليج الاخرى والعراق والهند وباكستان وماليزيا وافغانستان وتركيا ، كما يوجد ٣٠٠٠ طبيب مسلم ومثلهم من المهندسين . وقال الشيخ العقيل انه من الغريب ان هذه الكفاءات العلمية النادرة احرى ان يستفاد منها في بلدانها بدل ان توظف هذه العقول في هذه البلاد .

واضاف ان هذه الزيارة تركت انطباعات سارة وتبشر بالخير خاصة وان شعورا بالقلق كان يخامرنا في العامين الماضيين خوفا على ابنائنا من الضياع ، ولكن النشاط الاسلامي الذي لمسناه كان له دور كبير في الحفاظ على ابنائنا ووضعهم في البيئة الاسلامية والمحيط الاسلامي الذي يحفظ عليهم دينهم ، بل ويجعلهم في عداد العاملين في حقل الدعوة الاسلامية مع تفوقهم العلمي .

وقال ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قامت بدراسة مشكلات المسلمين والقضايا التي تهمهم مشاركة الدول الاسلامية لحلها فضلا عن ان الوزارة لديها معلومات مسبقة عن كثير من هذه المراكز ، كما سبق لها تقديم المعونات للجهات المعتمدة التي لها نشاط اسلامي من خلال المساعدات المادية والثقافية التي تساهم بها دولة الكويت وشقيقاتها الدول العربية والاسلامية .

# رياح المد الاسلامي تصل الى الاتحاد السوفييتي

## عن نيويورك تايمز نقلت جريدة القبس الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/٢ الفقرة التالية :

الى أي مدى يمكن ان تؤثر الحركات الاسلامية على الاربعين مليون مسلم داخل الاتحاد السوفييتي ؟ هذا السؤال يشغل

اذهان المحللين الغربيين منذ الثورة الايرانية وغزو افغانستان ، وقد كان الموضوع الذي بحثه المؤتمر الذي عقدته مؤسسة كاريخي للسلام في نيويورك برئاسة ادوارد مورتيمر .

والخبراء الغربيون مختلفون فيما بينهم حول ما اذا كان سكان اوزبكستان واذربيجان وتاجكستان وكازاخستان وتركمانيا متأثرين فعلا بالنهضة الاسلامية او ان القوة المحركة في هذه المقاطعات هي القومية لا الدين .

ويحتج البعض بأنه لما كانت الغالبية العظمى من المسلمين السوفييت تمارس الشعائر الاسلامية في القضايا الاساسية كالميلاد والوفاة والزواج ، فان الهوية الاسلامية قد حلت محل الايديولوجية الماركسية البالية ، ويقول الاخرون ان هذه الشعوب تدرك هويتها العرقية اولا ثم تأتي الناحية الدينية ثانيا .

والشيء الذي لا جدال فيه هو ان السوفييت يدركون ان شيئا ما يحدث في الجنوب وهم متخوفون من النتائج . ويرى مرى فشباخ من مركز الاحصاء الاميركي ان نسبة الولادة بين المسلمين السوفييت تبلغ مرتين ونصفا مقدار نسبة الولادة في بقية الاتحاد السوفييتي ومن المحتمل ان يتفوق المسلمون عدديا على السوفييت في نهاية هذا القرن حين يكون ثلث عدد القوات المسلحة السوفيتية على الأقل من المسلمين ،

وكانت السلطات السوفيتية حتى الان تتساهل تجاه استمرار العادات والتقاليد الاسلامية في الجمهوريات الجنوبية ، كما أنها أقامت علاقات مع القادة الروحيين لما يسمى بالاسلام الرسمي . وقد سمحت موسكو للشخصيات الاسلامية الرسمية بالسفر إلى الشرق الأوسط ، لاظهار صورة الاتحاد السوفييتي بأنه صديق للعالم الاسلامي .

ومن ناحية أخرى ، فان الاسلام « غير الرسمي » قد تزايد ، وتجد السلطات السوفيتية صعوبة في التعامل معه . وهذا الاسلام غير الرسمي يتركز في المجالس الفردية التقليدية واتحادات المسلمين في أواسط آسيا ، وفي الجماعات الاسلامية السرية بما في ذلك أتباع الطائفة الصوفية .

والمسؤولون الشيوعيون في الجمهوريات الاسلامية يشجبون « جماعات الصوفية » و « الارهابيين » بشكل علني ، وهذا دليل واضح على مدى الخوف الذي يحس به المسؤولون تجاه قوة الجماعات الاسلامية المتزايدة .

والسوفييت يواجهون تحديا اسلاميا من جهة غير متوقعة وهي الصين ، فهناك نسبة كبرى من السكان المسلمين . وكانت بكين في الفترة الاخيرة قد اخذت تعمل بهدوء وفعالية لاظهار أنها صديقة للاسلام .

# اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف

مآذن مسجد الرفاعي والسلطان حسن بالقاهرة

# العالم الاسلامي

## جمهورية السودان

○ تقع شرقي قارة أفريقيا وتشمل رقعة مترامية الأطراف ٩٦٧,٤٩١ ميل مربع يخترقها نهر النيل من الجنوب الى الشمال بفرعيه الأبيض والأزرق وروافده العديدة .

وكلمة سودان معناها الصحيح بلاد السود وأطلقت على البلاد التي في حوض النيل في القرن التاسع عشر عندما فتحها محمد علي باشا ١٨٢٠م وعرفت بالسودان المصري .

○ كانت الوثنية والمسيحية منتشرة بين سكان السودان وبعد أن أكمل المسلمون فتح شمال أفريقيا وبدأوا يؤمون أسواق السودان الكبرى التجارية بدأ الاسلام في الانتشار بين سكان السودان منذ القرن الرابع الهجري ، ولم يسد الاسلام في الشمال الا في القرن الثامن الهجري وكان القرنان الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديان هما اللذان شهدا أعظم ما أصاب الاسلام من تقدم في جنوب السودان وبفتح المصريين للسودان دخلت المؤثرات الأجنبية التي كانت سببا في ظهور الطرق الصوفية كالميرغنية والختمية التي أدخلها للسودان محمد عثمان الميرغني من أهل الطائف في أول القرن التاسع عشر وهناك الحركة المهدية التي انتشرت في السودان مع ظهور محمد أحمد في السودان والملقب بالمهدي ١٨٨١م .

○ يبلغ عدد سكان السودان ١٧,٣٢٤,٠٠٠ نسبة المسلمين منهم ٨٥٪ وهناك أقلية مسيحية في الجنوب وبعض القبائل الوثنية ، يعمل معظم السكان في الزراعة والرعي وبدأت البلاد في السير نحو التصنيع بعد الاستقلال ١٩٥٦م .

○ اللغة الرسمية السائدة هي العربية بين أهل الشمال المسلمين وهناك لهجات محلية غنية بالكلمات العربية وتنتمي لهجات قبائل السودان الى أرومة اللغات الأفريقية الزنجية ومن هذه اللهجات النوبية والتوربدوي وهي اللغة الحامية القديمة والتكري والغور والداجو

○ العاصمة الخرطوم ومن المدن الهامة أم درمان والأبيض ووادي مدني وكسلا وعطبره .

○ بعد خضوع مصر للاستعمار البريطاني ١٨٨١م فرض الانكليز سيطرتهم على السودان عن طريق المصريين وقد ثبت الحكم الثنائي المصري ـ الانكليزي في السودان ١٨٩٩م وظلت البلاد تحكم بموجبه حتى عام ١٩٥٦م حيث استقلت وقامت جمهورية السودان الحديثة .




طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –